تاريخ الأدب العربي

تأليف

الدكتور عمر فرّوخ

دار العلم للملايين
بيروت

تاريخ الأدب العربي

تأليف

عمر فرّوخ

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الجزء الأوّل

الأدب القديم

مِنْ مَطْلَعِ الجاهِليَّةِ إلى سُقوطِ الدَّولةِ الأمويَّة

١/٣٠٠٠/٧/٦٥
٢/٣٠٠٠/٢/٦٩
٣/٤٠٠٠/٦/٧٨
٤/٥٠٠٠/٤/٨١

الطبعة الرابعة

نيسان (ابريل) ١٩٨١

تـــاريـخ الأدب العربي

للدكتور عمر فرّوخ

وقـافِيَـةٍ غَيْرِ أُنْسِيَّـةٍ قَرَضْتُ مِنَ الشِّعْرِ أمْثالَها ،
شَرُودٍ تَلَمَّعُ في الخافِقَيْنِ ؛ إذا أُنْشِدَتْ قِيلَ : مَنْ قالَها ؟

ص ٢٦٧ الحُصَيْن بنُ الحُمام المُرّيّ

• • •

وإنَّ الذي بَيْنِي وبَيْنَ بني أبي وبينَ بني عمّي لَمُخْتَلِفٌ جِدّا :
فإنْ أكلوا لَحْمي وَفَرْتُ لُحومَهم ، وإن هَدَموا مَجْدي بَنَيْتُ لهم مجدا .
ولا أحْمِلُ الحِقْدَ القديمَ عَلَيْهِمُ ، وليس رَئيسَ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحقدا.
لهم جُلَّ مالي إنْ تَتَابَعَ لي غِنىً ؛ وإن قلَّ مالي لم أُكلِّفْهُمُ رِفْدا .

ص ٤٢٢ المُقَنَّعُ الكِنْدي

فهرست تفصيلي للموضوعات

مقدّمة

هذا كتابٌ في **تاريخ الأدب العربيّ** يُقرِّبُ الموضوعَ للدارسين والباحثين ويبْسُطُ ذخائرَ الجانب الوُجدانيّ من الأدب العربي للمُطالعين .

إنّ الكُتُبَ في تاريخِ الأدبِ العربيِّ ليست قليلةً ، ولكنّها كلّها تَمرُّ في العصورِ فتختارُ عصراً تتكلّم عليه ثم تَضْرِبَ عليه مثلاً من بِضعةِ شعراءَ : ثلاثةٍ أو أربعةٍ أوِ اثْنَيْ عَشَرَ من الشعراء المعروفين عادةً في المعلّقات أو القريبين عادة من شعراءِ المعلّقات . ان هذا الكتابَ يتناول من الجاهليين وحدهم شُعراءَ كثيرين وخُطباءَ قليلين يزيدون كلهم على خمسين .

وأرجو ، إذا قيّض الله لهذا الكتاب أن يتِمّ أن يكون فيه بضعُ مئاتٍ من تراجمِ الشعراء والخطباء والكُتّاب والأدباء من ذوي الإنتاج الوُجدانيّ ، بالإضافة إلى المُقدّمات في نِطاقِ الأعصر السياسيةِ وخصائصِ الأعصر الأدبية .

ولقد حَفَزَني إلى وضعِ هذا الكتابِ حافزانِ أساسيّان أوّلُهما وأهمّهما أن يكونَ فيه مِنهاجٌ عربيٌّ خالصٌ لا يأخذ من المِنهاج الفرنجيّ إلاّ ما نقص من المِنهاج العربي ثم كان ذا قيمةٍ صحيحةٍ في دراسةِ أدبنا . ان نفراً من الدارسين للأدب العربي يُجْرون دِراساتِهم على الأسلوب الفرَنْجي ؛ وكلّما وجدوا اختلافاً بين الأدبين — والاختلافُ بين كلِّ أمرينِ موجودٌ معقول — أجالوا أقلامَهم وألْسِنَتَهم في الأدب العربي ومالوا على القديم من الأدب العربي يُريدونَ أن يَتَبدّلوا به الجديدَ من الأدبِ الفرنجي . أما أنا فلا أحْفِل في هذا الكتابِ إلاّ بالأدبِ الذي عاش . لقد عرَفَتِ الجاهلية وعرف العصرانِ الأمويّ والعبّاسيّ ثم عرف العصر الأندلسي في الأدب أنواعاً كثيرة يسمّونها جديدة ثم ماتتْ ، فلا أنا حَفَلْتُ بهذه الانواع في الأدبِ القديم ولا أنا سأحْفِل بها كثيراً في الأدب المُعاصر . على أن الجديدَ الجَديدَ سيَجدُ مكانَه في هذا الكتاب ما دامَ جيّداً لا يُخالف العبْقرية العرَبية . وما دُمْتُ أنا لن أستطيعَ أن أضُمّ في

هذا الكتابِ جميعَ مَنْ نَثَرَ ونَظَمَ ، وما دام لا بُدّ في التخَيّر من الاستغناء عن نَفَرٍ كثيرينَ في كلّ عصر ، فلقد وَجَدْتُ أن أستغنيَ عن كل ما لم يَعِشْ في الأدب الوجداني ، على الرغم من أنّ اتجاهاً سياسياً مُعيّناً أراده لأمرٍ لا صلةَ للأدب به .

وثاني الحافزَيْنِ أنني تعمّدت الإيجاز في استِنْطاقِ المَصادرِ : يَضُمّ هذا الجُزءُ الأولُ أكثرَ من مائة وسبعين ترجمة للشعراء والأدباء سوى المقدّمات للأعصر وللفنون ، فلو أنني أطلقتُ لقلمي العِنانَ في تقليب الألفاظ على وُجوهها المختلفة لوصلت إلى الصفحة الاولى بعدَ الألفِ قبلَ أن أغادِرَ خِيامَ الشعراءِ الأوائلِ في الجاهلية .

يعتمد الباحثون في الأدب العربي ، منذ مَطْلَع القرنِ العشرين ، كتابَ بروكلمان [1] « تاريخ الأدب العربي » [2] للاهتداء إلى مَظَانّ البُحوثِ العربية المختلفة في كلّ فنّ من فنونِ المعرفة ، من الشعر إلى التاريخ والجغرافية ، إلى التفسير والحديث ، إلى الفلسفة والفلك : ان كتابَ بروكلمان جريدة إحصاء لكلّ من كَتَبَ ولجميع ما كُتِبَ باللغة العربية . ومن هذه الناحية لن يستطيعَ الباحثُ العربي أن يستغنيَ عن ذلك الجُهْد الجبّار ؛ وسيظلّ كتابُ بروكلمان دليلاً ثميناً في يد الباحثين في آداب اللغة العربية وفنونها مدّةً طويلة جدّاً .

في مطلع هذا القرن خطر لجرجي زيدان [3] أن ينقل جانباً من المادة التي كانت في الطبعة الأصلية من كتاب بروكلمان [4] إلى اللغة العربية ، خِدمةً لأبناء اللغة العربية من الذين لا يَعْرِفون اللغةَ الألمانية . ومَعَ أنّ عملَ جرجي زيدانَ كانَ أدنى مُستوىً من عملِ بروكلمان — على الرغم من أنّ الأولَ كانَ مُبتكراً شاقّاً لطريقٍ لم تُشَقّ من قَبْلُ وأنّ الثانيَ كان مُقلّداً وسائراً على

---

1 Carl Brockelmann .

2 Geschichte der arabischen Litteratur , 2 Bände , Leiden (E. J. Brill) 1943 — 1949 und 3 Supplementbände , Leiden (E. J. Brill) 1937 — 1942 .

3 جرجي زيدان (١٨٦١ – ١٩١٤ م) أنشأ مجلة الهلال في مصر ، سنة ١٨٩٢ م ، ألف عدداً من الكتب القيمة منها : تاريخ التمدن الاسلامي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، روايات تاريخ الاسلام (غادة كربلاء ، شارل وعبد الرحمن ، العباسية أخت الرشيد ، الخ) ؛ وقد أدى في زمانه خدمة جليلة ، في مجلته وفي كتبه ، للثقافة العربية وللباحثين والناشئين العرب .

4 Geschichte der arabischen Litteratur , 2 Bände , Berlin (Felber) 1902 .

طريق قد شقّها غيرُه – فان كتاب جرجي زيدان « تاريخَ آداب اللغة العربية » [1] قد أدّى للباحثينَ العربِ ممّن يجهلون اللغةَ الألمانيةَ خدمةً جليلةً.

كان لكتابِ بروكلمان خاصّةٌ عجيبةٌ : أوْرَدَ بروكلمان في كتابهِ القيّمِ تَراجِمَ الذين ألّفوا باللغةِ العربية في جميع العصور وفي جميعِ الفنون ، فكان بعضُ التراجم مُوجزاً لا تَزيدُ الترجمةُ منها أحياناً على أسطرٍ كما كان بعضُها الآخرُ مبسوطاً أحياناً أخرى في صفحةٍ أو صَفْحتين أو أكثرٍ . ولم يكنْ من خُطّةِ بروكلمان في تأليفِ كتابهِ أن يُوردَ نُصوصاً للمؤلّف الذي يترجمُ له . غير أنه عُنِيَ عِنايةً خاصّةً بإثبات كلِّ أثرٍ أدبيٍّ ، سواءٌ أكان ذلك الأثر الأدبي كتاباً أو ديواناً أو قصيدةً واحدة أو مقالةً ، وسواءٌ أكان ذلك الأثر مَطبوعاً أو مخطوطاً . فاذا كان ذلك الأثرُ مطبوعاً فان بروكلمان كان يُوردُ جميعَ طَبَعاتِه المعروفةِ ، بقطعِ النظرِ عن قيمةِ تلك الطَبَعات . وإذا كان ذلك الأثرُ لا يزالُ مَخطوطاً ، فإن بروكلمان كان يُثْبِتُ جميعَ ما يَعْرِفُ من نسخ ذلك الأثرِ المخطوط في كل مكتبةٍ من مَكْتبات العالمِ العربي والغربي (بقَدْرِ الطاقة والإمكان طَبْعاً) . ولم يَكْتَفِ بروكلمان بذلك ، بل كان يذكر كلَّ كتابٍ نُشِرَ عن ذلك الأثر أو عن مؤلّفه وكلَّ مقالٍ ظَهَرَ عنهما في مَجلات العالَمَيْنِ العربي والغربي . وكذلك كان من نهج بروكلمان أن يَسْتَعْرِضَ المصادِرَ والمراجع [2] ، فكلّما وصل إلى مُصَنِّفٍ أو ذكر مُصَنَّفاً في موضعه المخصوص به أوْرَدَ بعد كل واحد منهما جميع المَظانّ التي ذُكِرَ فيهما ذلك

---

١ يتألف هذا الكتاب من أربعة أجزاء ، صدر للمرة الاولى (مصر ١٩١١ – ١٩١٤م) . وفي عام ١٩٥٧ عهدت دار الهلال الى الدكتور شوقي ضيف بالاشراف على اعادة طبع هذا الكتاب على ألا يتبدل شيء في متنه ، فاقتصر الدكتور شوقي ضيف على عدد من الحواشي تتعلق باضافة عدد من اسماء الكتب التي طبعت بعد وفاة جرجي زيدان . وربما جاء الدكتور شوقي ضيف بتعليق يسير على أشياء جاءت في المتن ثم أصبحت بحاجة الى تبديل أو توسيع أو حذف.

٢ يورد بروكلمان في العادة بعد ترجمة المؤلف أسماء المصادر والمراجع التي ترجمت للمؤلف أو ذكرت أشياء من آثاره (مع الاشارة طبعاً الى طبعاتها والى صفحاتها) ثم يسرد أسماء آثار ذلك المؤلف (مع ذكر أماكنها اذا كانت ، في ايامه ، لا تزال مخطوطة ، ثم مع ذكر أماكن طبعها وتاريخ طبعها اذا كانت قد طبعت) .

المُصنِّف أو ذلك المُصنَّف ذِكراً مبسوطاً أو مُوجزاً . وكثيراً ما نَجِدُ في كتاب بروكلمان أن المؤلفَ الفلاني أو الكتابَ الفلاني قد وَرَدَ ذِكْرُه عَرَضاً في السطر كذا من الصفحة كذا من الكتاب كذا . ولا ريب في أن عملاً كعمل بروكلمان هذا عملٌ احتاجَ إلى جُهْدٍ وصَبْرٍ عَجيبين — مع الافتراض بأن أفراداً كثيرين من طُلاّبِ بروكلمان ومن غيرهم كانوا يُعاونونه في ذلك ؛ ولكن هذا لا يَنْقُصُ من فضل بروكلمان ولا من قيمة كتابه شيئاً .

ثم ان عملاً كعمل بروكلمان في اتّساع نطاقه وتشعّب طرقه مُعرّض لتسرّب الأخطاء اليه — وقد كان فيه عدد كبير من الأخطاء فعلاً (ومثل هذه الاخطاء موجود في كلّ كتاب ، ولو كان أقل اتّساعاً في نطاقه من كتاب بروكلمان) . ولكن على الرّغم من هذه الأخطاء ، فان كتابَ بروكلمان سيظلّ عظيمَ الفائدَةِ لا يستغني عنه باحثٌ مهما تعدّدت الكتب التي من نوعه .

غير أن جهودَ بروكلمان الأولى في اثبات المخطوطات والطبعات وفي إحصاء الأماكن التي ورد فيها كلام على كل مؤلِّف وكل مؤلَّف من الكتب المخطوطة الأولى ومن الكتب المطبوعة كلّها قد فَقَدَتِ اليومَ كثيراً من قيمتها العملية .

حينما بدأ بروكلمان إصدار الجزء الأول من كتابه في طبعته الواسعة الاولى [1] ، كان الجانب الأوفر من التُراث العربي لا يزال مخطوطاً مُبَعْثَراً في مكتبات العالم لم يُطْبَعْ منه إلاّ قسم يسير . أما اليومَ فإن جانباً كبيراً من المخطوطاتِ قد طُبع ، وقد طُبِعَ بعضُها طبعاً علمياً صحيحاً . في عام ١٣٦٣ للهجرة (١٩٤٤ م) ، مثلاً ، طبعت دار الكتب المصرية شرحَ ديوانِ زُهيرِ بن أبي سُلمى من صَنْعةِ الامامِ أبي العبّاس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني المعروف بلقب ثَعْلبٍ ؛ فاستعرضَ الذين حرّروا هذا الشرحَ جميعَ المخطوطاتِ الأمّهات ، وهذا يغني الباحثين والدارسين (وجميع المطالعين طبعاً) عن تطلّب المخطوطات المختلفة في المكتبات المتفرّقة . وفي عام واحدٍ ، في سَنَةِ ١٣٨٣ للهجرة

---

١ عام ١٩٠٢ ؛ راجع الصفحة ١٦ ، الحاشية ٣ .

(١٩٦٣ م) ، أخرجَ عبدُ السلام محمد هارونَ **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات** لأبي بكرٍ محمد بن القاسم الأنباري ، وأخرج محمد علي حمد الله **شرح المُعلّقات السبع** لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني . وقد ذكر عبد السلام هارون ومحمد علي حمد الله جميع المَظانّ التي تعين على درس المعلّقات السبع . وزاد محمد علي حمد الله على طبعته للمعلّقات السبع قائمة تذكر جميع طبعات المعلّقات بغير شرح أو بشرح للزَوْزني ولغير الزوزني، سواءٌ أكانتْ تلك المُعلّقاتُ مطبوعةً مُفردةً معلّقةً معلّقةً أو مجموعةً سبعاً سبعاً أو عشراً عشراً . وبما أن قائمة حمد الله متأخرة في الزمن عن قائمة بروكلمان (ومستفيدةً منها) ، فقد حلّت الاولى مكانَ الأخيرة . ومثل هذا يُقال في طَبَعاتِ الكتب الأخرى كالأغاني والأمالي والكامل للمبرّد ودواوين الشعراء ورسائل الأدباء وسواها .

من أجلِ ذلك اكْتفيتُ أنا في هذا الكتاب بذكرِ المصادر والمراجع [١] المؤلّفةِ كُتُباً وأضْربتُ عن ذِكْرِ البُحوث والمقالات . غير أنّني ذَكَرْتُ أحياناً عدداً من البُحوث نُشِرَتْ في مجلّة المجمع العلمي العربي (دمشق) وفي عدد آخرَ من المجلاّت التي اتّفق لي أنْ عَثَرْتُ فيها على مقالٍ مُفيدٍ ، وإنْ كنتُ لم آخذْ نفسي باستقصاء تلك البحوث . على أن الأمر يختلفُ في شأنِ الأدباء الذين ليس لهم كتابٌ مطبوع والذين لم تَرِدْ لهم تَراجِمُ وافيةٌ في أمّهاتِ المصادر والمراجع ، فانّني قد أشَرْتُ إلى عددٍ من أمّهات المصادر والمراجع التي وَرَدَ فيها ذِكرٌ لهم . أنا أعلمُ أن هذا يُخِلّ بالقاعدةِ التي رأيتُ أن أتّبِعَها — إذ لا بدّ في كلّ عملٍ من قاعدةٍ موضوعة تُتّبَعُ — غير أنّني لم أكْثِرْ من مخالفةِ القاعدةِ في هذا الكتابِ كيلا تَبْطُلَ تلك القاعدةُ بكثْرةِ المخالفة .

---

١ المصدر هو الكتاب الذي وصل الينا من العصر الذي نريد دراسة أحواله . والمرجع هو الكتاب الذي تناول فيه مؤلفه أحوال عصر مضى (راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف ، بيروت ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م ص ٩ — ٢٥) .

ولقد حرَصْتُ على أن أعوّضَ الدارسَ الباحثَ عمّا أغفلته من استقصاء أسماء الكُتُبِ ، فبعدَ أن ذكَرْتُ المصادرَ والمراجع التي لا غنَى عنها ، بعد كلّ ترجمةٍ ، أتبَعتُها بذكرِ مَظانِّ هذه التراجم في كتاب بروكلمان وفي « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ، إذا كان بروكلمان وزيدان قد ذكرا تلك التراجم . والدارس البـاحث يستطيع حينئذ أن يَسْلُكَ من كتاب بروكلمان إلى ما يريد من أسماء المصادر والمراجع المطبوعة أو المخطوطة . أمـا الذي لا يعرف اللغة الألمانية فيَحْسُنُ أنْ يَرْجعَ إلى الجزء الأول من كتـاب بروكلمان ، وقد نقل إلى اللغة العربية [1] ، وإلى كتاب « آداب اللغة العربية لزيدان أو إلى دائرة المعارف الاسلامية [2] أو إلى غير هذه المراجع المختلفة التي لا يجهلها الدارسون الباحثون .

أما الكُتُبُ المطبوعةُ التي أحرِصُ على إثباتها بقَدْرِ الطاقةِ فهي الكتبُ الخاصةُ بأديبٍ أديبٍ ، وقد أورد كتاباً يضم تراجمَ قليلة . أمّا الكتبُ التي جُعِلَتْ عامّة للمدارس أو كانت بُحوثها وتراجِمُها مُوجزة ومَكْرورة من مصادرَ أو مراجعَ ككتاب تاريخِ الأدبِ العربي للمدارس الثانوية والعُليا لمؤلّفه أحمدَ حسنَ الزّياتِ [3] فقد أضربتُ عن ذكرها حُبّاً بالاختصارِ ولأن ذكرَ مثلِ هذه الكتبِ قليلُ الجدوى في مثلِ هذا الكتاب . ولن يَضيرَ ذلك أحمدَ حسنَ الزيّات ولا المؤلّفينَ الذين هم من نَجْره في العِلم لأن لَه ولهم كتباً

---

١ نقله الى اللغة العربية (طبعة ١٩٠٢م) عبد الحليم النجار مصر (دار المعارف) ١٩٦١-١٩٦٢ .

٢ صدرت دائرة المعارف الاسلامية في أربعة أجزاء وبثلاث لغات : الألمانية والانكليزية والفرنسية Leiden (E. J. Brill Ltd.) & London (Luzac & Co.) 1913 — 1934 .

وقد بدأ نقل دائرة المعارف الاسلامية هذه في مصر منذ عام ١٩٣٣ م الى اللغة العربية قام بذلك محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وابراهيم زكي خورشيد . وبعد صدور المجلد الاول، انسحب محمد ثابت الفندي فحل مكانه (ابتداء من المجلد الثاني) عبد الحميد يونس . وقد صدر من الطبعة العربية الى الآن أربعة عشر مجلداً تنتهي بالكلمة : الصين . في هذه الاثناء بدأ صدور طبعة جديدة من دائرة المعارف الاسلامية باللغات الاجنبية الثلاث ، فظهر منها الى الآن الجزء الاول (١٩٦٠ م) وبعض الجزء الثاني الى كلمة AL - GHAWR .

Leiden (E. J. Brill) & London (Luzac & Co.) 1960 etc .

٣ الطبعة السادسة ، مثلا ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥ م .

ستأتي في مواضِعِها الصحيحة . أمـا إذا كان ُهنالك كتابٌ ككتابٍ اسْمه « الآدابُ العربية وتاريخها » لجرجس كنعان (بيروت ١٩٣١) ، فمن احترام العلم ومن السَتْر على صاحبه ألاّ يُذْكر . ومثلُ هذا يُقال في كتابَيْ ُشعراءِ النصرانية قبلَ الاسلام وشعراءِ النصرانية بعد الاسلام للأب لويس شيخو ، وفي الكُتَيِّباتِ التي اشتُقّت منهما ، فإنّ هذه الكتب كلّها بُنِيَتْ على أساسٍ فاسدٍ ، وما بُنِيَ على فاسدٍ فهو فاسدٌ : كان الأبُ لويس شيخو (ت١٩٢٧) — صَنَعَ اللهُ به ما هو أهلُه — يُنَقِّبُ وينقّر ويُجْهِد نفسه ولا هَمّ له إلا أن يُثْبِتَ أن شاعراً من الشعراءِ الجاهليين كان نَصرانيّا على مذهبٍ معلوم ؛ وما علينا نحنُ أن يكونَ هذا الشاعرُ نصرانياً أو وثنياً ما دام شاعراً ُمجيداً . ذكر الأب لويس شيخو في كتابه شعراء النصرانية بعد الاسلام (ص ٥٠٣) رجلاً من مدينة حلب اسمه نعمة بن توما الحلبي فقال فيه : هذا أيضاً أحد نجوم تلك الثريّا .... اجتاز بيروت ووصف أحوالها وزار قنصلها الفرنساوي ، وهو يومئذ الشيخ نوفل الخازن ، .... وقد نظم في مديحها **شعراً لطيفاً** ، من ذلك قوله :

انح حصن البكر وادخل ضارعا ... باتضاع يرفع المتّضعا
لذ بها تحظى بنصر عاجل ... فاز مرء لحماها أسرعا
كم نحاها عائم في اثمه ... وأتاها ضارعاً مستشفعا
فتزكّى من ذنوب جمّة ... بانسحاق لبّه قد صدعا
فلكم مثلي أثيم قد حظي ... منك بالغفران لمّا ضرعا

ان مثل هذا الهذْر السقيم لا يجوز أن يُرْوى . ومن العقوق للأدب وللعلم وللفضيلة أن تُؤلّف الكتب لتذكرَ أمثالَ هذا الناظم ثم تُهْمِلَ شعراءَ أفذاذاً لسببٍ من التميز العُنْصري أو المذهبي أو العصبي .

ثم هنالك كتبٌ بعيدة عن العلم :

لقد غبرتْ بضعُ سنواتٍ عَقَدَتْ في أثنائها الجامعة الاميركية في بيروت عدداً من مؤتمرات الدراسة لجمع أسماء المصادر والمراجع تحت إشراف لجنة كان اسْمَها

هيئةُ الدراسات العربية . كان المؤتمر العاشر في أيار (مايو) من عام ١٩٦٠ م وكان خاصاً بالأدب العربي « ودارت أبحاثه [١] على **ما أسهم به المؤلّفون العرب في المائة سنة الاخيرة [٢] في دراسة الأدب العربي** » [٣] .

لِنَـأخُذِ البحثَ الأول ، وهو في « العصر الجاهلي » . بدأ صاحبُ البحث قائمةَ المصادرِ والمراجعِ تحت عنوان **المجموعات القديمة** : عدّ فيها أشـعارَ الهُذَليّين والأصْمَعيّات وجَمْهرةَ أشعارِ العرب وديوانَ الحماسة ... والمُعلّقات السبعَ بشرحِ التبريزي والمعلّقاتِ السبعَ بشرح الزّوْزني . ثم ذكر ديوانَ أبي دُوَاد الأيادي (الجاهلي) جمعه وشرحه غوستاف غرونباوم [٤] وأعاد تحقيقَه وشرحَه إحسانُ عبّاس .... وذكر بلوغَ الأربِ بشرح قصيدة من كلام العرب ، وهي قصيدةُ السَّمَوْأل بن عاديا اليهودي (والكلام كله لجامع قائمة المصـادر والمراجع) ، وذكر ديوان عامر بن الطفيل (الجاهلي) طَبْعَ مكتبةِ صـادر (بيروت) ١٩٥٩ ، عن الطبعة الأوروبية (كذا) . وذكر أيضـاً العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهلين (حرّره المستشرق الألماني آلورت وطبع في غرايفسوالد في ألمانية ثم نشرته مكتبة لوزاك في لندن في انكلترة) .

وأنهى صاحبُ البحث في « العصر الجاهلي » قائمةَ مصادرِه ومراجعِه بسبعٍ وعشرين مقالةً نُشِرَتِ اثْنتانِ منها في مجلّة المَجْمع العلمي العربي في دِمَشْق ، وأربعٌ في مجلّة المكشوف (بيروت) عُنوانُ واحدةٍ منها : **زهير قاضي صلح يصدر أحكامه شعراً** . ومن هذه المقالات واحدة لزكي مبارك في الرسـالـة (القاهرة) عنوانها : **جناية أحمد أمين على الأدب العربي** . ويبدو أن العرب

---

١ هكذا وردت (ص ٦) : « أبحاثه » بدل « بحوثه » .

٢ طبعت بحوث هذا المؤتمر في كتاب عنوانه : الأدب العربي في آثار الدارسين ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦١ م .

٣ الغاية من المؤتمرات التي عقدتها الجامعة الاميركية منذ عام ١٩٥٩ م جمع أسماء المصادر والمراجع التي ألفها المؤلفون العرب في المائة السنة الأخيرة (منذ عام ١٨٥٠ م ؟) في التاريخ والادب والعلم الخ . (مع دراسات لجهود الاقطار العربية المختلفة في ذلك) ليكون ثمت مجموعة جاهزة للعام الذي تحتفل فيه الجامعة الاميركية في بيروت بعيدها المئوي (١٩٦٧ م) .

٤ Gustav Grunebaum .

في المائة سنةً الأخيرة لم يكتبوا في العصر الجاهلي إلا سبعاً وعشرين مقالة أكثرها من الانشاء الخفيف للترويح عن أنفس القرّاء !

ولا أريدُ أن أذكرَ شيئاً عن التشويه في العصر العبّاسي لأن الأمر يتعلّق بي ، فلقد كان من سوء حظّي أن شاركتُ في المؤتمر العاشر هذا ، وبَنَيْتُ قائمةَ المصادر والمراجع المتعلّقة بالشعراء في النصف الثاني من العصر العبّاسي على ما كان قد بيّنه أعضاءُ هيئةِ الدراساتِ في وَرَقَةِ الدعوة . ولكنّ أعضاءَ هيئة الدراساتِ لمّا أخذوا قائمة المصادر والمراجع منّي **خلطوها بقائمةِ باحثٍ آخرَ** ثم حذفوا وزادوا وقدّموا وأخّروا وبدّلوا **من غير أن يسألوني رأيي أو يعلموني أنهم فعلوا ذلك** .

لا أريد أن أطيلَ في ذلك أكثرَ مما فعلتُ ، ولكنّي أريدُ أن أقولَ إنّ من غير الظُلْم أن نُهْمِلَ كِتاباً فيه مثلُ ذلك إذا أردنا أن نَسْتَفْتِيَ مجاميع المصادر والمراجع قبل أن نُعِدّ بحثاً أدبياً رَصيناً .

ما كنت أحبّ أن أفصّلَ ما فصّلتُ ، فالجامعةُ الاميركية في بيروتَ هي المعهدُ الذي تلقّيتُ فيه دروسي ، ولكنّي ذكرتُ كَلِمَةَ أرسطو في أستاذه أفلاطونَ لما خالفه في نِظامه الفلسفي وقال : « أفلاطونُ صديقٌ ، والحقّ صديقٌ ، ولكنّ الحقّ أصدق ! » والجامعة الاميركية عندي أعظمُ حُرْمَةً مِنَ الذي تولّى الاساءة إلى العِلم والأدبِ !

* * *

وفيما يلي عدد من كتب الفهارسِ وما يتعلّق بها مما لا يَكاد الباحثُ يَسْتَغْني عن مثله . ثم ان الباحثَ يستطيعُ من طريقِ هذه الكتبِ أن يَصِلَ إلى أمثالها من فهارسِ المَكْتباتِ العامّةِ وفهارس المكتبات الخاصةَ . وفي ما يلي هذه الكتب :

– كتاب الفهرست لأبي الفرج محمّد بن اسحق النديم ليبزغ ١٨٧١ – ١٨٧٢ م ؛ القاهرة ١٣٣٨ هـ ؛ بيروت (مكتبة خياط) ١٩٦٠

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة ، لندن ١٨٣٥ – ١٨٥٨ م ؛ ثم استانبول ١٩٤١ – ١٩٤٣ م .
- ايضاح المكنون على كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون لاسماعيل بن محمد أمين البغدادي ، جزءان ، استانبول ١٩٤٥ – ١٩٤٧ م .
- هداية العارفين إلى أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين ، لاسماعيل بن محمد أمين البغدادي ، استانبول ١٩٥١ م .
- فهرس المخطوطات المصورّة لفؤاد السيّد ، القاهرة ١٩٥٤ م .
- فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الازهرية (الجزء الرابع : في اللغة ، الجزء الخامس : في الأدب والتاريخ وتقويم البلدان) ، القاهرة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .
- فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار (دار الكتب المصرية) القاهرة ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م وما بعدها .
- فهرس الخزانة التيمورية ، القاهرة ١٩٤٧ – ١٩٥٠ م .
- فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى) ، تأليف علّوش والرجراجي ، الرباط ١٩٥٨ م .
- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة حتّى نهاية سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩١٩ م ، تأليف يوسف الياس سركيس ، القاهرة ١٩٢٨ – ١٩٣٠ م .
- جامع التصانيف الحديثة التي طُبِعَتْ في البلاد الشرقية والغربية والاميركية ، تأليف يوسف اليان سركيس ، القاهرة ١٩٢٧ – ١٩٢٨ م .
- تذكرة النوادر من المخطوطات العربية ، رتّبت بأمر جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن (الهند) ١٣٥٠ هـ .
- دفتري كتبخانهء أيا صوفيا ، استانبول ١٣٠٤ هـ .

Arabic Books in the British Museum, by A. G. Ellis, 2 vols. London 1894 — 1901.

Catalogue of the Arabic Printed Books in the British Museum and Supplement.

Bibliographie des Ouvrages Arabes ou Relatifs aux Arabes publiés dans l'Europe chrétienne de 1801 à 1885, par Victor Chauvin, Liège 1892.

Verzeichnis der arabischen Handschriften der königlichen Bibliothek zu Berlin, Bände I — X, Berlin 1887 ff.

– مصادر الدراسة الأدبية ، تأليف يوسف أسعد داغر ، جزان، صيداء ١٩٥٠ – ١٩٥٦ م .

– خزائن الكتب العربية في الخافقين بقلم الفيكنت دي طرّازي ، مجلّدان ، بيروت ١٩٤٧ م .

– ارشاد الاعارب إلى تنسيق الكتب والمكاتب بقلم الفيكنت فيليب دي طرّازي ، بيروت ١٩٤٧ م .

– دليل الاعارب إلى علم الكتب وفنّ المكاتب ، تأليف يوسف أسعد داغر ، بيروت ١٩٤٧ م .

– فهارس المكتبة العربية في الخافقين ، تأليف يوسف أسعد داغر ، بيروت ١٩٤٧ م .

* * *

يتألف هذا الكتابُ من مقدّماتٍ للأعصر ومن تراجمَ . ففي مقدّمات الأعصرِ استعراضٌ لرؤوس الأحداثِ حتّى يكونَ منها اطارٌ يُوقِعُ القارىءَ في نطاقه أزمانَ أصحابِ التراجم . وإذا كنت قد اتّخذتُ تعاقبَ الدول أساساً للانتقالِ من عصرٍ إلى عصرٍ فلأنّني أحببتُ أن أستفيدَ من الوضوحِ في تعاقُبِ العصور . معَ العلم بأن عدداً من الخصائص الأدبية يظلّ مستمرّاً على الرّغم من انتهاء عصرٍ ومجيء عصرٍ آخرَ . ثم انّني أتكلّمُ بعد ذلك على الفنون

والخصائصِ الأدبية للعصر . ونُلاحظُ في الأدب العربي أن الشعر في كلّ عصرٍ أغلبُ على النثر .

وأما التراجمُ فهي منسوقةٌ في كلّ عصر نَسْقاً تاريخياً بحَسْبِ سِنِي الوَفَيات ، وان كانتْ سَنَةُ الوفاةِ ليست في بعض الاحيانِ أساساً صحيحاً للنَسَقِ التاريخي حينما تتفاوت الاعمارُ ، فقد تأخّرَ لبيدُ بن ربيعةَ حتّى تُوُفّيَ في أيامِ عُثمانَ بنِ عفّانٍ ، قَبلَ نفرٍ من الخطباءِ والشعراءِ ، فكان خليقاً أن يأتِيَ في النسقِ وراءهم ولكنّي رَفَعْتُه إلى العصر الجاهليّ حِرْصاً على وَحْدةِ الخصائص الأدبية . غير أنني أخّرت الخَنْساءَ إلى الاسلامِ ، وإن كانتْ خصائصُ رِثائِها لِأخَوَيْها اللذين ماتا في الجاهليةِ جاهليةٌ . ان مثلَ هذا التحكّمِ أمرٌ لا مَفَرَّ منه في كثيرٍ من أحوالِ البشر .

وكلّ ترجمةٍ مقسومةٌ أربعةَ أقسامٍ : حياةَ الأديب — خصائصَه — المختار من آثاره — المصادرَ والمراجع لدراستهِ .

أما حياةُ صاحبِ الترجمة فقد حرَصْتُ فيها على أن تكون جامعة ، لأنّ لأحداثِ حياةِ الانسانِ أثراً ظاهراً في سلوكه ونتاجه . على أنني أدركُ أنه لم يتأتّ لي أن تكونَ جميعُ التراجم ، في قسمها التاريخي ، على مُستوىً واحدٍ من البسط أو التحقيق .

وأما القسم الثاني من الترجمة ففيه خصائصُ الأديبِ الفنّيّةُ والأدبية وفنونُه واستعراضُ آثارهِ ، سواءٌ أكانت مطبوعةً أو غير مطبوعةٍ ، بقدر الإمكان طبعاً . ولقد كان حِرْصي هنا على أن ألزم رأي النّقادِ القدماءِ ، لأنهم أقربُ إلى زمنِ الأدباء عادةً ولأنّهم — وهذا هو الأمر المفروض — يَجِبُ أن يكونوا قد عرَفوا من آثار هؤلاء أكثر مما نَعْرِفُ نحن اليومَ ، قبل أن يضيعَ جانبٌ كبيرٌ من تلك الآثار . غير أنني لم أُهْمِلْ كَرّ النظرِ في الآثار التي وصلتْ إلينا من نتاجِ أولئك الأدباء ثم التنبيهَ على ما خالف فيها آراءَ النّقاد القُدامى .

وتأتي المختارات من آثارِ الاديب في القسم الثالث . ولقدِ اتّخذت في الاختيارِ ثلاثةَ أسُسٍ : جودةَ المُختارِ وتمثيلَه لآثار الأديب المتنوّعة ثم شهرةَ ذلك المختار . ومع أن المألوفَ أن نوليَ المكثرين في الإنتاج عِنايةً كبيرةً ، فانّني أفردتُ تَرْجماتٍ مستقلّةً لأدباءَ وشعراءَ مُقلّين جداً لأنّ في آثارِهم القليلةِ الباقيةِ لَمَحاتٍ ليست عند المكثرين . وهكذا سيجد القارىءُ في هذا الكتاب تراجمَ لشعراءَ لم تتعرّض لهم الكتب الموضوعة حديثاً .

وفي آثار الأدباءِ والشعراء ذخائرُ لا يُلقي القارىءُ لها بالاً في العادة لأن العنايةَ بطبعها مفقودة . من أجل ذلك حرَصْت على أن تكون جميعُ المختارات مشكولةً شكلاً قريباً من الكمال ومنقوطةً (حتّى يَعْرِفَ القارىءُ فيها مواضعَ الوَصْل والفصل) : فلعلّ فاصلةً صغيرةً (،) أو علامةَ استفهام (؟) تَكْشِفُ معنىً عاش في الطَبَعات القديمة غامضاً على القارىء العاديّ ؛ فأحببتُ أن أجْلُوَ عن تلك الآثارِ أسبابَ الغُموض .

بعدَئذٍ شرحتُ مُعْظَمَ هذه المختاراتِ شرحاً وافياً ، حيث الحاجةُ إلى الشرحِ الوافي ضرورةٌ لا بدّ منها . والشرحُ الوافي معناه الشرح اللغوي مَتْلُوّاً بالشرح الأدبي (في تبيان أوجه البلاغة) . ان الشرح اللغوي وحده لا يُبدي أحياناً شيئاً من غرَضِ الشاعر مثلاً ، فيجب أن نَعْلَمَ ما قَصَدَ الشاعرُ في نفسهِ قبل أن يَنْظُمَ بيتَ الشعر ، حيث لا يُفيدُنا معنى كلماتِ ذلك البيت من الشعر إذا نحن اكتفينا بنقل معاني ألفاظِ البيت من القاموس . والقاموس العربي ليس فيه كلّ المعاني ، فلعلّ شاعراً قديماً أو بَدَوِيّاً عَرَفَ لفظاً لم يَقَعْ لجامع القاموس أو غاب عن جامع القاموس . ثم يتّفق أن يستعمل الشاعر لفظاً في غير المعنى المألوف ، صواباً أو خطأً ، فلا بدّ من أن نعرف ذلك كلّه قبل أن نفهم بيت الشعر على الوجه الذي قصده قائله .

وربّما قال الشاعر قصيدةً أو ألقى الخطيب خُطبة في حالٍ مخصوصة ، فالألفاظُ والجُمَلُ التي تأتي مُنْثالةً في تلك الحال قد يأتي معناها مختلفاً في قصيدةِ شاعرٍ منها في قصيدةِ شاعرٍ آخرَ . فاذا نحن لم نَفْطَنْ لذلك ضاعت

علينا مُقاصِدُ الشاعر ومقاصد الخطيب . فالملابسات التاريخية والاجتماعية والشخصية كلّها ذات أثر في نتاج الاديب ، فالاشارة اليها ضرورية في كثير من الاحيان .

ولعلَّ أحدَ الناس سيقولُ عنّي أنني تبسّطت في الشرح حيثُ لا يَجِدُ هو ضرورةً لذلك . هذا صحيحٌ في أحيان كثيرةٍ ، غير أن الذي فعلته أيضاً ضَروريّ . إن جانباً كبيراً من الناشئين لم يتلقّ في المدارسِ ثقافةً لُغَوِيّةً كافيةً ، وإنّ اختباري في التعليم قد دلّني على أن بعض الذين يتَصَدّوْنَ لتعليم اللّغَةِ والأدبِ ليسوا دائماً ذوي ثقافة لغوية أو أدبية وافية . ثمّ اننا كلّنا لم نكن في أول عهدِ اشتغالنا باللغة والأدب كما نحن اليوم من حيث الثقافةُ اللغويةُ والذوقُ الأدبي . فمن كان ذا ثقافةٍ لغوية واسعة وذوقٍ أدبي رفيع فلْيَمُرّ بالشروح التي يرى أنْ لا حاجةَ به اليها مرّ الكرام .

وفي المختارات نتقيّد عادة بالروايات القديمة . فاذا اتّفق أن وردت روايتانِ فمن حقّنا أن نختار أيّ الروايتين شئنا ، ما دمْنا لا نستطيع أن نَجْزِمَ في أيّ الروايتين هي الروايةُ الصحيحة . على أننا نلاحظ أن نفراً من المؤلّفين القُدماءِ كانوا يتصرّفون في الروايات تصرّفاً شخصياً بَحْتاً . ان أبا الفرج الأصفهانيّ كان يُورد الابياتَ من القصيدة الواحدة على أنواع من الترتيب ، وربّما أوردها بألفاظٍ مختلفة . وحجّة الاصفهاني أن المغنّين كانوا يفعلون ذلك للملائمة (لملائمة اللحنِ للألفاظ وللأبيات) . ولعلّ نفراً من المؤلّفين كانوا يخطئون فيتبدّلون كلمةً بكلمةٍ أو يبدّلون مواقع الأبيات . ومع أننا لا نُجيز لأنفسنا الآنَ أن نَفْعَلَ مثلَ فِعْلهم ابتداءً ، فاننا نُرجّح روايةً على رواية في المتن (إذا وصلتْنا عن القدماء روايتانِ فأكثرُ) أو في الحاشيةِ (إذا وَجَدْنا أن هذا الترجيح يُفيدُ المعنى وُضوحاً) .

وفي المكان الرابع من الترجمة نورد المصادرَ والمراجع المتعلّقة بصاحب الترجمة مباشرة . نورد أولاً آثاره المطبوعة ، ولكن ليس من الضرورة أن نورد جميع طبعات كلّ كتابٍ له مطبوعٍ . وإذا كان الكتاب مطبوعاً طبعة علمية وضعنا

وراء اسم ذلك الكتاب اسم المحرر أو المحقّق له بين هلالين . ثم نضع في معظم الأحيان اسم دار النشر التي نشرت الكتاب أو اسم المطبعة بعد اسم البلد الذي طبع فيه الكتاب (وبين هلالين أيضاً) .

وبعد ذلك تأتي أسماء الكتب التي أُلِّفتْ في صاحب الترجمة (إذا كان ثمّت مثلُ هذه الكتب) .

وبما أنه ليس من الممكن أن نأتي بكلّ كتابٍ أُلّف في هذا الشأن ، فلا بدّ من التخيّر . والتخيّر يتبدّى في صور مختلفة : فاذا كانت الكتب المؤلّفة في دراسة صاحب الترجمة قليلةً ، فان التخير قد يكون محدوداً جداً وقد يكون مفقوداً ، فأورد حينئذ جميع الكتب التي اتّفق لي الاطّلاع عليها ، إمّا بعد معرفةِ الكتاب نفسه أو بعد أن أراه في قائمة ما أو مَرْجِعٍ ما . واذا كان لدينا ديوان لشاعر قد استخرجه مستشرق موثوق أو دارس شرقي عالم ثم أثبتناه فلا علينا بعدئذ إذا تَرَكْنا طبعةً أو أكثر من طبعةٍ من ذلك الديوان — حينما تكون تلك الطبعة أو تلك الطبعات المتروكة قاصرةً مشوّهة . إن هذا الكتاب ليس جدولاً إحصائياً للمطبوعات ، ولكنّه دليلٌ في يد الدارس . ثم يحسن أن نَعْلَمَ أن ثمّت كُتُباً طُبِعَتْ طبعاً تِجارياً لا تُحقّق غايةً علمية أو أدبية ، وليس الاطّلاع عليها بزائدٍ في معلوماتِنا شيئاً .

وحينما يضع مؤلّفٌ كتاباً على شيء من البسط والسّعة فلا بدّ من أن تُوجَدَ فيه مآخذُ أصيلةٌ أو غير أصيلة . ليس من المعقول أن يكون المؤلّف عالماً بكلّ شيء : هنالك أشياءُ تغيب عن الدارس إمّا جهلاً منه أو غفلة . وقد ينشىء المؤلّف جملةً ثم يرى وهو يصحّح صفحات الكتاب أن المعنى يمكن أن يكون أوضح لو أن الجملة سِيقَتْ على نَهْجٍ آخرَ . وقد يُتاح للمؤلّف أن يُبدّل إنشاءه أو أن يَزيدَ فيه أو يَنْقُصَ منه في أثناء التصحيح ، ولكنّ ذلك غيرُ ممكن دائماً . ثم ان عملاً مثل هذا يكون في الزمن المتطاول ، والاعتماد في تأليفه وتصنيفه يكون على المصادر المختلفة . فهنالك مصادرُ قد يتعذرُ على المؤلّف أن يطّلع عليها فيستعيضُ بغيرِها عنها . أما الذي كان دائماً عَقَبَةً في سبيلي

فهو اعتمادي على مصادرَ كثيرةٍ لم تكن كلّها في مكتبتي ، فكان لا بدّ من استعارتها من مكتبة عامّة . في هذه الأثناء كانت تصدر طبعات جديدة من تلك المصادر ، بينما كنت أنا قد بدأت الاعتماد على مصدرٍ أقدمَ بالطبع عهداً ، فيتّفق ، اذن ، أن أرْجِعَ في مكانين مختلفين من هذا الكتاب إلى طبعتينِ مختلفتينِ من مصدرٍ واحدٍ . ومع أنني حَرَصْتَ جهْدي على أن أشير إلى هذا الاعتماد على طبعة كنت قد اعتمدت غيرَها من قبلُ ، فلعلّي لم أفعلْ ذلك دائماً .

وبعد ، فهذا هو الجزءُ الأول من هذا الكتاب يقِفُ دونَ قيامِ الدولةِ العباسية ؛ وسيكونُ الجزءُ الثاني في الادب العربي في المشرق في العصر العبّاسي وسَيَمْثُلُ للطبعِ ، ان شاءَ اللهُ ، في الخريفِ القادم أو في أول الشتاء .

بيروت ، الاربعاء في ٢٣ صفر ١٣٨٥ هـ .
٢٣-٦-١٩٦٥ م .
– الاحد ٢٣ شوال ١٣٨٨
١٢/١/١٩٦٩

ع . ف .

تمهيد

في اللغة والادب وخصائصهما
ثم في الاعصر السياسية والادبية

اللغة واللغات والَلهَجات

اللغة وسيلة للتعبير عن العواطف والمقاصد والأفكار . ويكون التعبيرُ بالحركات الصادرة عن الانفعال ، وبالاشارات المقترنة بالرَوِّية والارادة ، كما يكون التعبيرُ أيضاً بالأصوات . والإشارة قد تُؤدّي المعنى المقصود ، أحياناً ، أحسن مما تؤدّيه الأصوات بالالفاظ ، وان كان « الصوت هو آلةَ اللفظ ... ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت »[1] .

وأداء الاصوات والالفاظ لا تَتَهَيّأ لجميع الناس على السواء ، وعلى وجه واحد ، وذلك راجع إلى أحوال الحُنجرة وعَضَلات الفم وإلى حال اللسان من الصغر والكبر والدِقّة والغِلَظ وإلى حال الاسنان في تركيبها وترتيبها[2] . ومن الأصوات ما هو موجود عند أمم دون أخرى ، فالعين والغين الواضحة والحاء والخاء الواضحة أصوات في اللغات السامية . والكاف الفارسية موجودة في اللغات

---

١ البيان والتبيين ١ : ٧٧ — ٧٩ .

٢ راجع البيان والتبيين ١ : ٥٨ وما بعدها . ويذكر الجاحظ (مثله ١ : ٦٥)عن الاصمعي : ليس للروم ضاد ، ولا للفرس ثاء ، ولا للسرياني ذال . وكذلك يقول (١ : ٧٠ — ٧٤) : الصقلبي يقلب الذال دالا ؛ والنبطي يجعل الزاي سيناً (كما نشاهد اليوم بين شمالي ألمانية وجنوبيها) ؛ والحبشي والسندي يجعلان الشين سيناً (ونشاهد مثل هذا بين اللغات السامية ، وبين الشعوب الجرمانية اليوم) .

السامية واللغات الآرية معاً ، ولكنها فُقِدت في اللغة العربية الفصحى . والثاء والذال هما ، فيما يبدو ، أصل التاء والدال . ولا تزال الثاء والذال موجودتين واضحتين في الانكليزية ومبهمتين في الاسبانية . أما الصاد والضاد والطاء والظاء فأصوات عامة عند الساميين وعند غير الساميين ، ولكننا لا نجد لها علامات (أحرفاً) في اللغات الأوروبية الحديثة [١] . وهنالك أصوات لا يؤديها العربُ فقط كالباء والفاء الفارسيتين ، أو لا يؤدّيها الساميون كلهم كالنون الهندية والراء الصقلبية . وليس في العربية إلا المدود الثلاثة الواضحة : آ – أُو – إي . أمـا الفتحة المفخّمة وحرفا اللين المُمالَين في مظاهرها المختلفة فغير موجودة في اللغة العربية الفصحى ، ولكنّ بعضها [٢] موجود في اللغات السامية .

والأصوات نوعان : الاصوات المُسْتَعْجِمة وهي الأصوات التي يُطْلِقُها الانسانُ عادةً في أحوال الخوف والرّعْب والجَزَع وفي أحوال الفرح والحماسة والاعجاب والاشْمِئْزاز ، أو في أحوال الاستصراخ والاسْتنجاد والاسْتِثارة . ويبدو أن للحيوان عموماً أصواتاً تُؤدي عنده ما تُؤدّيه الأصواتُ المستَعْجِمة عند الانسان . ثم هنالك الاصواتُ الفصيحة ، وهي الاصوات التي نشأت في الأمم المختلفة مرتبطةً بمعانٍ معينة . وكلّ لغةٍ فصيحةٌ عند أهلها ، وعند الـذين يتعلمونها ، مستعجمةٌ عند غيرهم .

والعامّة ، كما يقول الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ٢٠) ، أو الكافّة على الأصح ، يستخفّون ألفاظاً فيقتصرون على استعمالها ، من ذلك أنهم يستعملون **الجوع** مكان **السغَب** ، مع أن كلمة **الجوع** لم ترد في القرآن الكريم إلاّ مع العقاب . وكذلك يفضّلون كلمة **مطر** على كلمة **غيث** ، مع أن « الغيث » للنعمة والرحمة و « المطر » للعذاب والاهلاك .

ثم ان اللغة ، فوقَ ما هي أداةٌ للتعبير عن النفس وواسطة للتفاهم بين الناس ، **جامعٌ قوميّ** يشدّ بعضَ أفراد الأمة إلى بعض ويَرْبِطُ ماضيَهم بحاضرهم .

---

١ إن الحرف s في الكلمة son الانكليزية (ابن) والافرنسية (صوت) يلفظ صاداً لا سيناً . والحرف d في الكلمة الانكليزية mud والافرنسية donc يلفظ ضاداً لا دالا . وكذلك كلمة top الانكليزية و temps الافرنسية ، فان الحرف t فيهما يلفظ طاء لا تاء . والحرف المركب th في الكلمة الانكليزية thus يلفظ ظاء .

٢ نحو a , ö , ü , o , e ؛ واختلاف اللفظ في المدود (وخصوصاً في الانكليزية والهولندية والبرتغالية) كثير جداً .

واللغة عامل مهم في حياة الأمة وفي تَوارث خصائصها واستمرار حضارتها ، وفي بقاء تُراثها وتطور ثقافتها مستقلةً متميِّزة من كل ما عداها ، وذلك عنصر من عناصر بقائها هي .

واللغاتُ ثلاث طبقات : اللغات البائدة وهي اللغات التي نُسِيَتْ بذهاب الاقوام الذين كانوا يتكلَّمونها كلغات الأمم والشعوب التي شَهِدَتْ فجرَ التاريخ ثم لم تترك آثاراً . ويَلْحَقُ باللغات البائدة لغاتٌ بَقِيَ لنا منها ألفاظٌ وتراكيبُ وجملٌ متفرقةٌ كاللغة الفينيقية واللغة الفَهْلوية (الفارسية القديمة) . وهنالك لغات مهجورة (ويسميها بعضهم لغات ميْتةً) وهي اللغات التي ترك أهلُها التكلمَ بها فظلت محفوظةً في الكتب والمعابد كاللغات السَنْسكريتية (لغة قدماء الهنود) واليونانية واللاتينية والسُريانية . ثم هنالك اللغاتُ المشهورة (ويسميها بعضهم اللغات الحيةَ) وهي اللغات التي لها اليوم أقوام يتكلمونها كالعربية والفارسية والأرْدية (إحدى لغاتِ باكستان) والتركية والانكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية والروسية واليابانية وسواها .

وفي جميع اللغات المشهورة لَهَجاتٌ تخالف اللغةَ الفُصْحى المكتوبةَ قليلا أو كثيراً ، إما في سُقوط الاعرابِ أو في اللفظ والأداءِ أو في المفردات وفي بعض التركيب .

اللغة العربية

واكتسبتِ اللغة العربية اسْمها من الإعراب أو العُروبة أو العُروبيـة أي الفصاحةِ والوُضوح والبَيان . من أجل ذلك سمى العرب أنفسَهم عَرَباً وسمّوا سائر الأمم عَجَماً (أي لا يُفهَمُ عنهم ما يقولون) . واللغة العربية أقدم اللغات الحية ، فليس ثمت في العالم لغةٌ مَحْكيةٌ أقدمُ منها . ولا تزال اللغة العربية تحتفظ بالاعراب تاماً كاملاً كما كان شأنُ جميع اللغات القديمة . أما مُعْظَمُ اللغات الأخرى فقد فَقَدَتِ الإعرابَ . ولكننا نجد الاعرابَ شبه تامٍ في اللغة الالمانية والايسلندية . ونجد بعض الاعراب في اللغة الدنمركية واللغة الروسية . وهناك آثار للاعراب في عدد من اللغات الباقية .

يبدو أن اللغة العربية انفصلت مع أخَواتها الشَمالِيات من اللغة السامية الأم منذ

زمن بعيد جداً ، ثم عادت فانفصلت من المجموعة الشمالية أيضاً منذ زمن بعيد . وإذا نحن اعتبرنا اللغة العربية وجدناها أكثرَ أخواتها الساميات مفردات وأعمّها صيَغاً وأكملها صرفاً ونحواً وأرقاها بياناً وبلاغة وأحسنها أسلوباً . من أجل ذلك لا نستبعد أن تكون اللغة العربية هي اللغة السامية الأم الفصحى [1] ، وأن سائر اللغات السامية ، من شمالية كالبابلية والكنعانية والآرامية ، ومن جنوبية كالحبشية والحِميرية ، لهجات . ومع كثرة الصِلات التي كانت بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، منذ أقدم الأزمنة ، فان لغة حِمْيَر (اليمن) ابتعدت كثيراً عن اللغة المُضَرية (العربية الشمالية التي نزل بها القرآن الكريم) حتى قال أبو عمرو بن العلاء [2] ، منذ صدر الدولة العباسية : « ما لسان حِمْيَر وأقاصي اليمن بلساننا ولا عَرَبِيّتهم بعربيّتنا » .

لغة مُضَرَ ولهجاتها

وكان جميع العرب الذين كانوا يسكنون النصف الشمالي من شبه الجزيرة ، في البحرين واليمامة ونجد والحجاز — سواء أكانوا ينتسبون إلى مُضَرَ أو إلى اليمن — يتكلّمون لغة واحدة وينظمون فيها أشعارهم . لقد رأينا شعراء الجاهلية من أي المواطن كانوا ، ينظمون قصائدهم بلغة واحدة في كل شيء ، ثم يحملون تلك القصائد ليُنشدوها في جميع أقسام بلاد العرب وفي العراق والشام ، حتى في اليمن نفسها ، مما يدل على أن لغة مضر كانت في الجاهلية اللغة العامة للعرب كلّهم .

على أن هذا لم يمنع أن يكون للعرب لَهَجاتٌ محلية مأنوسة في قبيلةٍ قبيلةٍ . على أن معنى اللهجة هنا إنما هو استعمال ألفاظ مختلفة للمعنى الواحد في بعض الأحيان والمجيءُ بصيغ متباينة لتلك الألفاظ أحياناً . أما التركيب ، وأما النحو والمنطق اللغوي ، فكانت كلها واحدة . ففي الحجاز مثلاً كانوا يسهّلون الهمزة فيقولون : سال ، سل ، وكّد ، كلاك ؛ بينما كان أهل نجد يقولون : سأل ، اسأل ، أكّد ، كلأك . وكان أهل الحجاز يقولون : وعد (بمعنى : هدد) . وكان بعضهم يقول : سكّين ، بينما بعضهم الآخر كان يسمّي السكّين مُدْية .

---

١ راجع مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٦ : ٥٢٩ — ٥٣٣ .

٢ طبقات الشعراء ٤ — ٥ .

ولقد كانت هذه الألفاظ المختلفة في القبائل المختلفة مألوفة – على كثرة أو قلة – في جميع بلاد العرب ودائرةً على ألسنة شعراء الجاهلية . فلما جاء أصحاب المعاجم عدّوا جميع هذه الألفاظ عربية عامة فضموها في معاجمهم من غير تفريق بينها ؛ **ومن هنا نشأت المترادفات الكثيرة** حتى رأينا للسيف ، في القاموس العربي ، ألف اسم . وحتى رأينا كلمة « خال » تدل على أربعين معنى .

وخضعت لغة مضر لما كانت قد خضعت له أخواتها من قبل ، بعوامل سن الهرم ومن إجحاف العوامل الأجنبية ، فبدأ فيها اللحن . قال أبو عمرو بن العلاء : « فحلان من الشعراء كانا يُقويان (يخطئان في حركة الرويّ – الحرف الذي تبنى عليه القافية) : النابغة وبِشْر بن أبي خازم » [1] . ومثل هذا معروف عند امرئ القيس وعند غيره أيضاً . فإذا كان هؤلاء يَلْحَنون ، فما بالك بسائر أهل الجاهلية ؟

ونَزَل القرآن الكريم بلغة العرب التي كانوا ينظمون فيها شعرهم ويُلقون فيها خطبهم ويتخاطبون بها فيما بينهم . ومِصداق ذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم : « وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسانِ قومه ليُبَيِّنَ لهم » (١٤ : ٤) . وجاءت الصفة « مبين » نعتاً للسان العربي وللقرآن وللكتاب (القرآن) وللرسول اثنتا عشرة مرّة في القرآن الكريم منها : « ولقد نَعْلَمُ أنهم يقولون : إنّما يُعلّمه بشرٌ ؛ لسانُ الذي يُلحِدون اليه أعجميٌّ **وهذا لسان عربيّ مبين** » (١٦ : ١٠٣) . ومنها أيضاً : « نزل به الروح الامين على قلبك لتكونَ من المُنْذرين ، **بلسان عربي مبين** » (٢٦ : ١٩٤ – ١٩٦) . ومع نزول القرآن الكريم ، ولاهتمام المسلمين بتدوين كل آية عند نزولها ثم بالمحافظة على كل جملة ولفظة وحركة ووقف فيه ، وقفت لغة مضر عن التقهقر وحُفِظت إلى اليوم – كما كانت في عهد الرسول – لغة لنا فصحى صحيحة مأنوسة .

ومنذ الجاهلية دخل على اللغة العربية كلمات اعجمية لِمُسَمّياتٍ لم تكن عند العرب ثم طرأت عليهم فأخذوها بأسمائها . غير أن اللسان العربي استطاع أن يَصْقُلَ هذه الالفاظ الاعجمية حتى أصبح بعضها وكأنه عربي خالص : من هذه الألفاظ : قرطاس – درهم – دينار – سِجِلّ – برنس – كرسي – دِمَقْس – اسْتَبْرَق – قصر . وهذه الكلمات الاعجمية دخلت في الشعر الجاهلي ،

---

١ الشعر والشعراء ١٤٥ ، راجع ٢٩ .

وبعضها ورد في القرآن الكريم . وبينما كانت اللغة العربية تتمثّل هذه الألفاظ الاعجمية ، كان ثمت ألفاظ عربية خالصة تخرج من الاستعمال وتصبح غريبة ، بعد أن كانت دائرة في الشعر الجاهلي ، وبعد أن كان بعضها قد جاء في القرآن الكريم : من هذه الالفاظ [1] : الامّة (الحين) ، السِر (النكاح) ، الحُبُك (بضمتين : الغَمام ، السَحاب) ، الحَبِيّ (بفتح الحاء أو ضمها وبكسر الباء بعدها ياء مشددة : الغيم) ، الوصيد (الباب) ، الفَنَد (بفتحتين : الكذب) ، المِحال (بكسر الميم : المكر) ، الرب (السيد) ، أقنى (أرضى) ، الاذقان (الوجوه) ، تمكو (تصفر ، تهتز) ، الغرام (الانتقام ، العذاب الشديد) ، ران (غطّى) .

الكتابة والتدوين

ومع أن عرب الجاهلية لم يكونوا أهل كتابة ، فان الكتابة عندهم لم تكن نادرة كما يتخيّل بعضهم . لقد كان العرب يكتبون بينهم العقود والمواثيق ، ويكتبون الرسائل في بعض الأحوال . ويبدو أن الشعراء كانوا يدونون أشعارهم أيضاً [2] . ومع ان الكتابة كانت معروفة في الجاهلية فانها لم تكن مألوفة ، وخصوصاً في البادية .

انتشار اللحن بعد الاسلام

وكثُر اللحن بعد الاسلام بعوامل كثيرة : منها اختلاط العرب بغيرهم من الروم والفرس والنَبيط ، بعد أن دخل هؤلاء في الاسلام ، وبعد أن نَزَل العرب بالفتح في الشام والعراق وفارس والهند وإفريقِيَةَ والاندَلُس . ومن أسباب اللحن سكنى المدن التي يكثر فيها الاعاجم ، ومنها كَثْرة الجواري في الحياة العربية ، وقد كُنَّ عَجَمِيّات أو مولّدات . ومنها تفشي الجهل بترك نفر

---

١ جمهرة أشعار العرب ، ص ٣ وما بعدها .

٢ راجع بحثاً وافياً في كتاب « مصادر الشعر الجاهلي » للدكتور ناصر الدين الاسد (مصر ١٩٥٦) ، ص ٢٣ وما بعدها ؛ وراجع أيضاً « تاريخ الأدب العربي » تأليف الدكتور ريجيس بلاشير وتعريب الدكتور ابراهيم كيلاني ، الجزء الأول (دمشق ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م) ، ص ٧٠ — ٧٦ .

من أهل المدن دراسةَ اللغة والنحو . ومنها الجوازات في الشعر ، فقد كانت تبدأ اضطراراً ثم تعم بطول القراءة والرواية . وعم اللحن حتى أن الحجاج بن يوسف كان يُستدرك عليه اللحن بعد اللحن [1] . أما الخليفة الوليد بن عبد الملك فقد كان لحّاناً [2] .

وفي ما يلي مصادر ومراجع ممثّلة لرؤوس الموضوعات في دراسة اللغة العربية ، على سبيل الاشارة لا على الحصر أو الاستنفاد :

- فقه اللغة : دراسة اجتماعية تفصيلية لفصيلة اللغات الساميّة ، وخاصة اللغة العربية ، تأليف علي عبد الباقي وافي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٤ م .
- الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها ، تأليف محمد عطيّة الابراشي ، القاهرة ١٩٤٦ م .
- فقه اللغة وسرّ العربية لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، باريس ١٨٦١ م — القاهرة ١٢٨٤ هـ — الخ ...
- الصاحبي في فقه اللغة العربية لأبي الحسين أحمد بن فارس (حقّقه وقدّم له مصطفى الشويمي) ، بيروت ١٩٦٣ م = ١٣٨٣ هـ .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي (شرحه وضبطه .... : محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي) ، نشرته دار احياء الكتب العربية ؛ جزءان ، الطبعة الأولى ، القاهرة (بلا تاريخ) .
- الكامل لأبي العبّاس محمد بن يزيد المبرّد (نشره رايت) ، لندن ١٨٧٤ — ١٨٩٢ م . (نشره محمد أبو الفضل والسيد شحاتة) ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (نشره عبد السلام محمد هارون) ، جزءان ، القاهرة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ م .
- الامالي لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي ، القاهرة ١٩٢٦ م .
- رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي (نشرتها بنت الشاطئ) ، القاهرة .
- كتاب الامالي ، تأليف أبي عبد الله محمد بن العبّاس اليزيدي ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .
- الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني ، بيروت ١٨٨٥ م .

---

١ طبقات الشعراء ٦ .

٢ ابن الاثير ٥ : ٤ .

– أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، القاهرة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦م.
– اللغة ، تأليف يوسف فندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصّاص ، القاهرة ١٩٥٠ م .
– العربية : دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، تأليف يوهان فوك [١] ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجّار ، القاهرة ١٩٥١ م .
– علم اللغة ، تأليف علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ١٩٤٤ م .
– كتاب المعاني الكبير لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، مجلّدان ، حيدر آباد الدكن ، ١٦٣٨ – ١٦٣٩ هـ = ١٩٤٩ – ١٩٥٠ م .
– كتاب الاضداد لمحمّد بن القاسم الانباري (عني بتحقيقه محمد أبو الفضل ابراهيم) ، الكويت ١٩٦٠ م .
– كتاب الإبدال لأبي الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (حقّقه وشرحه عزّ الدين التنوخي) ، دمشق ١٣٧٩ – ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠ –١٩٦١م .
– كتاب النوادر لأبي مسحل عبد الوهاب بن حريش (عني بتحقيقه الدكتور عزّة حسن) ، جزءان ، دمشق ١٣٨٠ – ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ – ١٩٦٢ م .
– الإتباع لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (حقّقه وشرحه .... عزالدين التنوخي) ، دمشق ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م .
– دراسات في فقه اللغة ، تأليف صبحي الصالح ، دمشق ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م.
– القاموس المحيط للفيروز ابادي .
– لسان العرب لابن منظور .
– تاج العروس من جواهر القاموس (تفصيل وشرح للقاموس المحيط) للمرتضى الزَبيدي ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٧ هـ .
– خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد ، تأليف محمد المبارك ، القاهرة ١٩٦٠ م .
– في الدراسات القرآنية واللغوية ، تأليف عبد الفتّاح اسماعيل شبلي ، القاهرة ١٩٥٧ م .

---

١ Arabiya : Untersuchung zur arabischen Sprach — und Stilgeschichte , von J. Fück Berlin 1950; Arabiya : recherches sur l'histoire de la langue et du style arabe , traduction par Claude Denizeau , Paris 1955.

– الوسيلة الأدبية للعلوم العربية ، تأليف حسين بن أحمد المرصفي ، جزءان ، القاهرة ١٢٨٩ – ١٢٩٢ هـ .
– المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية ، تأليف حمزة فتح الله ، القاهرة ١٣١٢ هـ .
– تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية ، تأليف حفني ناصف ، القاهرة ١٩١٠م – القاهرة ١٩٥٨ م .
– تاريخ علوم اللغة ، تأليف طه الراوي ، بغداد ١٩٤٩ م .
– تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي (نشره محمد سعيد العريان) ، القاهرة ١٩٥٤ م .
– نظرات في اللغة والأدب ، تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني ، بيروت ١٩٢٧م.
– دقائق العربية ، تأليف أمين ناصر الدين ، بيروت ١٩٥٣ م .
– السماع والقياس ، تأليف أحمد تيمور ، القاهرة ١٩٥٥ م .
– الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ، تأليف جرجي زيدان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٢٣ م .
– ردّ العامّي إلى الفصيح ، تأليف أحمد رضا ، صيداء ١٩٥٢ م .
– مميّزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليلها وفائدة ذلك لعلم التاريخ ، تأليف حفني ناصف ، القاهرة ١٩٥٧ .
– مقدّمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد ، تأليف عبد الله العلايلي بيروت (بلا تاريخ) .
– فلسفة اللغة العربية وتطوّرها ، تأليف جبر ضومط ، مصر ١٩٢٩ م .
– نشأة اللغة عند الانسان والطفل ، تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ١٩٤٧ م .
– اللغة والمجتمع ، تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥١ م .
– اللغة والدين والتقاليد في حياة الاستقلال ، تأليف زكي مبارك ، مصر ١٩٣٦ م .
– القومية الفصحى ، للدكتور عمر فرّوخ ، بيروت ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

– اللغة الشاعرة ومزايا الفن والتعبير في اللغة العربية ، تأليف عبّاس محمود العقّاد ، القاهرة ١٩٦٠ م .
— Les langues du monde . par un groupe de Linguistes sous la direction de A. Meillet et Marcel Cohen , nouvelle édition , Paris 1952 .
— Beiträge zur arabischen Lexikographie , von Alfred von Kremer , Wien 1883 - 4 .
— Lexikographischen Notizen nach neuen arabischen Quellen, von Alfred von Kremer, Wien 1879 - 1890 .
— Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien , von Karl Vollers , Strassburg 1906 .
— Langue et Litterature arabes , par Charles Pellat , Paris 1952 .

الأدب وتاريخ الأدب

تدل كلمة أدب على معانٍ متعددة منها دعوةُ الناس إلى مَأدُبَةٍ (إلى طعام) ، ومنها تهذيبُ النفس وتعليمُها ، ومنها الحديثُ في المجالس العامة ، ومنها السلوك الحسن ، ومنها الكلام الحكيم الذي يَنْطَوي على حِكْمَةٍ أو مَوْعِظَةٍ حسنة أو قول صائب . وأما المعنى المقصود هنا فهو الذي يطلق على **مجموع الكلام الجيّد المرويّ نثراً وشعراً** . والأديب هنا هو الذي يتذوق الأدب ويقْدِرُ على الانتاج الأدبي .

والادب مَلَكَةٌ أو براعة راسخة في النفس كالبراعة في سائر الصناعات من الحياطة والنجارة وسواهما . ويرى ابن خَلْدون أن هذه البراعة في تذوّق الأدب وانتاجه وفي تَلَقّي اللغةِ الصحيحة والأساليب النقية الخالصة ترْجِعُ في الأصل إلى نُشوء الفرد مع أهل اللسان ومخالطته إياهم ، فإذا لم يستطع ذلك فعليه بكثرة المطالعة لكلامهم وباستظهاره . يقول ابن خلدون [1] :

« ان حصول مَلَكَةِ اللسانِ العربي إنما هي بكَثْرة الحِفْظ من كلام العرب حتى يرتسمَ في خياله (في خيال الحافظ) المنوالُ الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسجُ هو عليه ويتنَزّلُ بذلك منزلةَ **من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم** حتى حصلت له الملكةُ المُسْتَقِرّةُ في العبارة (في التعبير) عن المقاصد على نحو كلامهم » .

---

١ مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٠) ص ٥٦١ : راجع ٥٦٠ – ٥٦١ : ٥٧٤ – ٥٧٥ .

أما تاريخ الأدب فهو فنّ من فنون المعرفة يتعلّق بتعاقب أعصر الأدب وبتطور الخصائص الأدبية مع الإلمام بسِيَرِ الادباء وباحصاء إنتاجهم وبالتمييز بين خصائصهم .

المعنى واللفظ في الأدب

اختلف النقّاد في موقفهم من الأدب ، وخصوصاً فيما يتعلّق بالمعنى واللفظ . إن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ = ٨٦٨ م) يرى « أن المعاني كثيرة متشعّبة ولكنّها مستورة في الصدور ، وإنما الفضل في الدلالة عليها باللفظ الحسن » [١] . ان اللفظ هو الذي يجعل المعنى أحلى في القلب وأحسن في العيون [٢] . أما أفضل الشعر عند ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م) فهو « ما حسن لفظه وجاد معناه » [٣] . وابن رشيق القيرواني (ت نحو ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م) يميل [٤] إلى أن تكون معاني الشاعر كثيرةً جديدةً مبتكرةً ، وإلاّ لمَا كان له فضلٌ ولمَا جازَ لنا أن نسميَهُ شاعراً . على أن ابن رشيق يرى أيضاً أن من حق المعنى الجيد أن يكون في لفظ جيد .

أما ضياء الدين بن الاثير (ت ٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م) فكان أيضاً من أنصار المعاني الجديدة ولكن على أن تأتي في صُوَرٍ شعرية أو صور بيَانية بارعة من تشابيهَ واستعارات وكنايات . ثم إنه يرى أنّ تَلْبَسَ تلك المعاني القليلة والصورُ البيانية البارعة ألفاظاً سهلةً حلوةً موافقةً للمعاني لا تزيد عليها ولا تنقص عنها .

وأما عبدُ الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ = ١٤٠٦ م) فيخالف ابن رشيق وابن الاثير معاً إلاّ قليلاً . إنه يؤثر الأسلوب على المعاني ، إذ يرى أن للعرب أساليبَ يَنْهَجونها في التعبير عن مقاصدهم ، فعلى الشاعر ألاّ يحيدَ عن هذه الأساليب . ثم انه يكره المعاني المزدحمة ، لأن ازدحامها يُؤدّي إلى تعقيدها وغموضها . قال ابن خلدون (المقدمة ٥٧٥) : « وإنما المختارُ من الشعر ما كانت

١ البيان والتبيين ١ : ٧٥ وما بعدها .
٢ البيان والتبيين ١ : ٢٥٤ .
٣ الشعر والشعراء ٧ ، راجع ٢١ .
٤ العمدة (المكتبة التجارية ، مصر ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤ م) ، ١ : ١٠٣ وما بعدها .

ألفاظه طبْقاً على معانيه أو أوْفى (أكثر من معانيه) . فان المعاني إذا كانت كثيرة كانت حشواً فاشتغل الذهنُ بالغوْص عليها (للاتيان بها) فضاع على الذوق فرصة إيفاء حق الشعر من البلاغة . ولا يكون الشعر سهلاً إلاّ إذا كانت معانيه (لقلتها ووضوحها) تسابق ألفاظه إلى الذهن . ولهذا كان شيوخنا [1] رحمهم الله يَعيبون شعرَ أبي بكر بن خَفَاجَةَ شاعر الاندلس لكثْرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد ، كما كانوا يَعيبون شعر المتنبي والمعرّي بعدم النسج على الأساليب العربية ... (فقد) كان الكثير ممن لَقيناهُ من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرَوْنَ أن نظم المتنبي والمَعرّي ليس من الشعر في شيء لأنهما لم يَجْريا على أساليب العرب [2] .

ولا ريب في أن الأدب هو الأدب الجيّدُ وَحْدَهُ ، وكل ما سواه فليس بأدب . فالأدب إذن هو المعنى المبتكر في اللفظ الفصيح والتعبير المتين والأسلوب البارع والخيال الواسع . وهكذا لا نَعُدّ الكلامَ المُتداوَلَ في أحاديثنا اليومية المألوفة ولا الكلامَ الدائر في الرسائل العادية من إخْوانية وتجارية ولا الكلام المستعمل في الصحف اليومية والكتب العلمية أدباً ، إلاّ أنّ يتأنّق المتكلم أو الكاتب فيه فيدخلَ ذلك الكلام حينئذ في نطاق الأدب على مقدار ما فيه من البراعة والتأنق .

الأدب نثر ونظم ....

والكلام الجيّد نوعان : نثر وشعر . أما النثر فهو الكلام الذي يجري على السليقة من غير الْتِزامِ وَزْنٍ . وقد يدخل السَجْعُ والمُوازنة والتكلّفُ الكلامَ ثم يبقى نثراً ، إذا بقي مجرداً من الوزن . وأما النظم فهو الكلام الموزون المُقفّى. فإذا امتاز النظم بِجَوْدةِ المعاني وتَخيّر الألفاظ ودقة التعبير ومتانة السّبْك وحُسْن الخيال مع التأثير في النفس فهو الشعر . وقدَ تكون هذه الخصائص في الكلام من غير أن يكون موزوناً ونظل نُسميه شعراً ، لأن الشعر في حقيقته ما خَلَبَ العقل واستولى على العاطفة واستهوى النفس . من أجل ذلك قال عرب

---

١ أساتذتنا .
٢ مقدمة ابن خلدون ٥٧٥ ثم ٥٧٣ .

الجاهلية عن القرآن إنه شعرٌ وعن رسول الله إنه شاعر : والعرب الجاهليون لم يقصدوا أن القرآن كلام موزون مقفى ، بل نظروا إلى شدة أثره في النفس فقالوا عنه ما قالوا .

.... وكلاهما سابق في بابه

الكلام المنثور هو الكلام الطبيعي المألوف في الحياة اليومية ، وعلى ذلك كان الكلام المنثور أسبقَ في التعبير عن مقاصدِ الانسان وعن أفكاره . ثم حَدَثَ الكلامُ الموزون في المناسبات العارِضَةِ في حياة الانسان كالحُداء (سوْقِ الابل) والرِثاء والتغني بالحب ، لأن الوزن والقافية يُضفيانِ على الكلام شيئاً من الموسيقى فيصبحُ أوقعَ في النفس وأشد تأثيراً في الجماعات . وبما أن الشعر يحتاج إلى شيء من التكلف والجُهْد فقد كان أقل من النثر فكثرت رغبة الناس فيه وفي روايته . ويبدو أن العرب اتخذوا الشعر سبيلاً إلى التعبير الفني عن عواطفهم قبل أن تنشأ عندهم براعة مماثلة في النثر .

والأدب من الفنون الجميلة لأنه يخضع في انتاجه لعنصر الخيال . ولقد عَدَّ الاقدمون في الفنون الجميلة الشعرَ والموسيقى والرقصَ والتمثيلَ والخطَابةَ والبَلاغَةَ والرسم والخط والنحت والنقش .

الترجيح وطبقات الشعراء

إن التمييز بين الكثير والقليل ، وبين الكبير والصغير ، وبين الأبيض والاسود ، وبين اللغة واللغة ، وبين الفنّ والفنّ ، وبين الجيّد الجيّد والرديء الرديء أمر سهل جداً . ولكنّ التمييز بين المتشابهين من فنّ واحد وترجيحَ أحدهما على الآخر أمر في غاية الصعوبة . وهكذا نشأ في تاريخ الأدب العربي فنّ عُرف باسم **طبقات الشعراء** ، ثم أصبحت كلمة **طبقات** عنواناً لكتب متعددة في تاريخ الأدب [1] وفي غير تاريخ الأدب [2] . وأغْرِم مؤرّخو الأدب خاصة بتقديم

١ طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ؛ الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة ؛ طبقات الشعراء لابن المعتز .

٢ كتاب الطبقات الكبير لابن سعد (في تراجم الصحابة) .

بعض الشعراء على بعض ، وتضاربت آراؤهم في ذلك حتى أننا لا نجد لهم إجماعاً على أحد ، ولا على امرئ القيس [1] . وكان اختلاف النقاد في غير امرئ القيس أكثر ، قال ابن سلاّم (ص ٧٤) : « سمعت يونس بن حبيب يقول : **ما شَهِدتَ مشهداً قطّ ذُكر فيه جريرٌ والفرزدق وأجمعَ أهلُ المجلس على أحدهما** » .

وكان النقّاد يتّخذون لتفضيل شاعر على آخر مقاييسَ مختلفة : منهم من قدم الشاعر لتقدمه في الزمن . ومنهم من يُقدّم الشاعر لجَوْدة معناه ، أو لحسن لفظه . ومنهم من قدّم الشاعر لهوىً أو عصبية [2] . سئل بشار بن برد عن الاخطل والفرزدق وجرير فقال : « لم يكن الاخطل مثلهما ، ولكنّ رَبيعةَ تعصّبت له وأفرطت فيه » [3] . ومن النقاد من يختار الشعر (ويقدّم صاحبه) على خفّة الرويّ ، أو على غرابة المعنى ، أو على نبل قائله ، أو على نُدرته ، لأن صاحبه لم يقلْ غيره ، وعلى سوى ذلك [4] .

والتّرجيح لا يكون في تقديم شاعر على شاعر فقط ، بل يكون في ادراك خصائص الشعر نفسه ، والنثر أيضاً ، ومعرفة مرتبته في الاجادة . والعرب يسمّون هذا الفنّ « النَقْدَ » ، ويسمّونه أيضاً التّرجيح لأن من شأنه أن يُرجّح بين حقيقة ومجاز ، أو بين حقيقتين ، أو بين مجازين ، ويكون (المرجّح) ناظراً في ذلك كله إلى الصناعة الخطابية [5] . وبعض المعاصرين لنا يسمّون هذا الفنّ « نظرية الجمال » أو « الفنّ الجمالي » أو « النقد الجمالي » [6] ؛ ويحسن أن يسمّى النقد البديعي أو البديعيات أيضاً . ومهما جعلنا اسمه فانه يقوم على الادراك

---

١ طبقات الشعراء ١٦ وما بعد ؛ العمدة ١ : ٧٦ ؛ جمهرة أشعار العرب ٢٠ وما بعد . قال ابن سلام : « ما ينتهى إلى واحد يجتمع عليه (في الشعر) ، كما لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس » .

٢ كان الرواة يتعصبون لشعراء من أقطارهم (العمدة ١ : ٨٠) : « إن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر ؛ وان أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ؛ وان أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة » (طبقات الشعراء ١٦) .

٣ طبقات الشعراء ٨٦ .

٤ الشعر والشعراء ٥ وما بعدها . راجع العمدة ١ : ٩٣ وما بعدها .

٥ المثل السائر ٢٦ .

٦ والغربيون يسمون ذلك « استيتيك ، أستتكس » ويشتقون ذلك من كلمة يونانية هي « آيثيسيس » ومعناها « الحس والادراك » .

المعنوي لقيمة النصوص الأدبية عند نقدها للمفاضلة بينها وترجيح بعضها على بعض . ولقد عبّر ابن سلاّم الجمحي عن هذا الادراك المعنوي للشعر خاصة بمثل مادي حينما قال (ص ٣) : « وللشعر صناعة وثقافة يَعْرِفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات .... ومن ذلك الجهبذة [1] بالدينار والدرهم لا تُعرف جودتهما بلون ولا مسّ ولا طراز ولا حسّ ولا صفة . ويعرفها الناقد عند المعاينة : يعرف بَهْرَجها وزائفها وستوقها ومُفَرّغها [2] .... وكذلك البصر بالرقيق : توصف الجارية فيقال : « ناصعة اللون جيّدة الشَطْب نقية الثغر حسنة العين والأنف جيّدة النهود طريفة اللسان واردة [3] الشعر ، فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار ، وتكون (جارية) أخرى بألف دينار وأكثر لا يَجِد واصفها مزيداً على هذه الصفة » .

أصول البلاغة

ان الاصلَ الذي تدور عليه البلاغة هو **حسنُ استعمال المَجاز** تشبيهاً واستعارةً **والبراعةُ في الاتيان بالصناعة اللفظية** من جِناس وسَجْع وطِباق وتَوْرِيَةٍ وسواها **مع الايجاز** والوضوح ، لتأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة تُؤثّر في النفس وتعطي كل شعور في القائل أو وصف لبيئته حقّه من التعبير القوي المتين في نفس السامع .

واستحسن العرب **الكلمة الصحيحة** التي تؤدّي المعنى المقصود **والفصيحة** المأنوسة المألوفة الدائرة على الالسن في الكلام الجيد ، كما استحسنوا **التركيب المتين** الذي يجري على أسلوب العرب في نسق الجملة وفي التقديم والتأخير .

وكذلك **استحسنوا أن يكون التشبيه بعيداً والاستعارة قريبة** ، ذلك لأن أركان التشبيه (المشبه والمشبّه به وأداة التشبيه ووجه الشبه)تكون في العادة مذكورة كلها أو أكثرها في الجملة . فمهما كان التشبيه بعيداً فانه يظل ملموحاً . ولكن بما

---

١ الجهبذ (بكسر الجيم) : النقاد الخبير .

٢ البهرج : الباطل الرديء ؛ المفرغ : الدينار يثقب ويسحب من داخله شيء من الذهب ثم يملأ مكانه بمعدن آخر أرخص قيمة ؛ الزائف : ما كان فيه غش ، مخلوط بمعدن أقل قيمة ؛ ستوق : بهرج ملبس بالفضة (درهم يسك من النحاس أو الرصاص ثم يموه بالفضة) .

٣ الشطب : الطول ، القوام ؛ واردة الشعر : شعرها طويل مسترسل .

أن الاستعارة تقوم على حذف المشبه أو المشبّه به مع حذف أداة التشبيه ووجه الشبه ، فانها إذا بَعُدَت غَمُضَت واستغلقت ، وهذا مخالف لأصول البلاغة . فاذا قلنا فلان صخرة صماء أدركنا حالاً أن **صخرة** قد استعملت هنا **مجازاً** ، لأننا نعلم أن الانسان لا يكون صخرة حقيقة ، بل **كالصخرة** ، وحينئذ يصبح معنى الجملة أن فلاناً جَلْد صَبور في المصائب ، أو أنه قاس القلب . وأما الاستعارة فتكون في الأفعال . فاذا نحن قلنا : « طلع البدر » أو « أضاء البدر » أو « خُسِف البدر » ، فان البدر هنا هو الجِرْم السماوي المعروف ، لأن الأفعال : طلع ، أضاء ، خسف ، من طبيعة البدر . ولكن إذا قرأنا قول سعيد بن حميد (ت ٢٥٠ هـ) : « وَعَدَ البدرُ بالزيارة ليلاً » ، فلا يمكن أن نفهم من « البدر » هنا أنه الجِرم السماوي ، لأن البدر الذي هو الجِرم السماوي ليس من طبيعته أن يَعِدَ أو يُخْلِفَ وَعْداً ، فنَردّ الاستعارة هنا إلى تشبيه ونقول ان الشاعر عنى : « **وعدني حبيب يشبه البدر بالزيارة ليلاً** » .

والعرب **لم يستحسنوا التجنيس بين أكثر من لفظتين** في الجملة الواحدة . فمما يستجاد من ذلك قول أبي تمام :

جلا **ظلمات الظلم** عن وجه **أمّةٍ** أضاء لها من كوكب **العدل** آفله .

فقد جانس بين **ظلمات** وبين **الظلم**، ثم طابق بين **الظلم** وبين **العدل** . ولكن يكره مثل قول أبي تمام أيضاً :

فاسلم سَلِمَتْ من الآفات ما **سَلِمَتْ** **سِلام سَلْمى** ومهما أورق **السَّلَمُ** .

(**سلمت** من السلامة والعافية ، **والسِلام** جمع سَلِمة : الحجر ؛ **وسلمى** اسم جبل ، **والسلم** نوع من الشجر) .

الفنون والاغراض

إن الأدب ، سواء أكان شعراً أو نثراً ، يعالج موضوعات كثاراً . وهذه الموضوعات تُصَنَّفُ ويسمى المتشابه منها صنوفاً [1] أو أبواباً [2] أو فنوناً .

١ العمدة ٢ : ١٥٧ .

٢ راجع التقسيم الذي اتبعه أبو تمام في ديوان الحماسة وغير أبي تمام .

والأصل في الأدب كله أن يكون فناً واحداً هو الوصف ، لأن التعبير في حقيقته وصف للأحوال الحسية والأحوال النفسية . ولذلك قال ابن رشيق في العمدة (٢٧٨:٢) : « الشعر الا أقلّه راجعٌ إلى الوصف » . بَيْدَ أنه لم يكن ثمت بد من تجزئة هذه التسمية لاتّساع مدلول الوصف مطلقاً وشموله كلَّ شيء تقريباً ، فنظر النقّاد إلى الموضوعات التي اتسعت اتساعاً كبيراً فسَمَّوا وصف الناس الاحياء مدحاً وهجاءً ، وسَمَّوا وصف الأموات رِثاء ، وسَمَّوا وصف النساء خاصة غَزَلاً . ثم انهم قسموا الكلام في المرأة قسمين ، فما كان منه في وصف أعضائها الظاهرة من حُسن وجهها وجمال قَدّها ولون شعرها واتساع عينيها أبقَوْا له اسمَ الغزل ، وما كان يتناول الشكوى من فراقها والتشوق إلى لقائها واظهار الحب لها سَمَّوه « نسيباً » ، وان كان نفر من النقّاد ومؤرخي الأدب يجعل الغزل والتّشبيب والنسيب بمعنىً واحد [١] . وكذلك سَمَّوا وصف الخمر خمريات ، ووصف الصيد طَرْدِيّات ، الخ ... وبقي الوصف المطلق متعلقاً بوصف الطبيعة ومظاهرها كوصف الخيل والليل والبرق والبحر والجنائن والقصور وما إلى ذلك [٢] .

---

١ العمدة ٢ : ١١١ .

٢ للافرنج تقسيم آخر للفنون الأدبية ، قسموا الأدب قسمين : شعراً ونثراً ، كما فعل العرب . ثم انهم قسموا الشعر خاصة أربعة أنواع :

(أ) الشعر الغنائي ، ويقابل عندنا الشعر الوجداني وماجرى مجراه من الغزل والرثاء والهجاء والمدح والوصف والحكمة والزهد .

(ب) الشعر الملحمي ، ويقابله عندنا الحماسة والفخر . والملحمة عندهم قصة طويلة تصف حرباً وتنطوي على حب ، ويشترط أن يكون فيها خوارق وتدخل للآلهة ، وتكون الملحمة في العادة شعراً . وعندنا نحن ملحمات ، ولكن لا صلة لها بملاحم الافرنج . جمع أبو زيد القرشي في « جمهرة أشعار العرب » سبع قصائد سماها الملحمات ، هي للفرزدق وجرير والاخطل وراعي الابل وسواهم . ويبدو أن هذه التسمية عرفية لا تدل على نوع مخصوص من القصائد . أما ابن خلدون (المقدمة ٣٣٠ وما بعدها) فيطلق لفظ الملاحم على القصائد التي تتعلق بالاحداث التاريخية وبالاخبار عن الغيب (التنبؤ بالحوادث) .

(ج) الشعر المسرحي (التمثيلي) ، ويتألف من القصص المنظومة شعراً قائماً على الحوار لاخراج تلك القصص على المسرح . ولم يكن عند العرب شعر بهذا الوصف قبل أحمد شوقي (ت ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م) .

(د) الشعر التعليمي وهو الشعر الذي تنظم فيه فنون العلم والمعارف كالنحو والفقه والتاريخ تسهيلا لحفظها. هذا الفن قديم عرفه اليونان وعرفه العرب منذ العصر العباسي . وأكثر ما يكون الشعر التعليمي عند العرب من بحر الرجز .

ولقد عد ابن رشيق من هذه الفنون الأبواب التالية (ص ١١٠ – ١٨١)، وعالجها منسوقة على الوجه التالي : النسيب – المديح – الافتخار – الرثاء – الاقتضاء والاستنجاز – العتاب – الوعيد والانذار – الهجاء – الاعتذار – ما أشكل من المدح والهجاء، ثم ذكر باب الوصف (ص ٢٣٨ – ٢٨٥) . وهنالك فنون لم يعدّها ابن رشيق مع أنها كانت معروفة في أيامه وقبل أيامه منها الخمريات – الادب (الكلم الجوامع أو الحكمة) – الطرديات – الزهد – الاخوانيات الخ ...

النثر خاصّة

ومعظم الفنون التي ترد في الشعر ترد في النثر أيضاً . على أن صدر النثر أرحب لاستيعاب المعاني ومناقشتها وتفريعها . ثم ان في النثر من الفنون ما لا يمكن وروده في الشعر كالمقامات والخطب والترسّل والتأليف العلمي الخالص .

الخصائص والميّزات

الخصائص هي الأحوال التي ترافق الفنون الأدبية وتجعل كل أديب يختلف من سائر الأدباء في انتاجه الأدبي، كما تجعل كل نصّ أدبي يختلف من كل نصّ آخر، مثل فصاحة الألفاظ أو غرابتها، ومتانة التركيب أو ركاكته، ثم اختراع المعاني والمحسّنات المعنوية واللفظية وأثر الحضارة والبداوة وما شابه ذلك، مما سيأتي تفصيله في فصل تال .

عمود الشعر

قال المرزوقي (ت ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م) في مقدّمة شرح ديوان الحماسة (١ : ٨ – ١١) :

« .... الواجب أن يتبيّن ما هو **عمود الشعر** المعروف عند العرب ليتميّز تليدُ الصنعة من الطريف [١]، وقديم نظام القريض من الحديث، ولتُعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه ومراسم أقدام المزيّفين على ما زيّفوه [٢]،

---

١ التليد : القديم . الطريف : الجديد .

٢ اختاروه : فضلوه على غيره . زيفوه : أظهروا رداءته .

ويُعلم أيضاً فرق، ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلة الأتيّ السمح على الأبيّ الصعب [1] . فنقول ، وبالله التوفيق :

« انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته [1] وجزالة اللفظ واستقامتـه والاصابة في الوصف – ومن اجتماع هذه الاسباب الثلاثة كثرت سوائر الامثال وشوارد الابيات [2] – والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما . فهذه سبعة أبواب هي **عمود الشعر** ، ولكل باب منها معيار .

« **فعيار المعنى** أن يُعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب ، فإذا انعطف عليه جنبتا القبول والاصطفاء مستأنساً بقرائنه خرج وافياً ، والا انتقض بمقدار شوبه ووحشته [3] . **وعيار اللفظ** الطبع والرواية والاستعمال . فما سلم مما يهجّنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم . وهذا في مفرداته وجملته مراعى ، لأن اللفظة تُستكرم بانفرادها ، فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجيناً [4] . **وعيار الاصابة في الوصف** الذكاء وحسن التمييز . فما وجداه صادقاً في العلوق ممازجاً في اللصوق يتعسّر الخروج عنه والتبرّؤ منه ، فذاك سِماء الاصابة فيه . ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال في زهير : كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال . فتأمّل هذا الكلام فانه تفسير ما ذكرناه .

« **وعيار المقاربة في التشبيه** الفطنة وحسن التقدير . فأصدقه ما لا ينتقض عند العكس ، وأحسنه ما أُوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما ليبين وجه التشبيه بلا كلفة ، الا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهرَ صفات المشبّه به وأملكها له ، لأنه حينئذ يدلّ على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس – وقد قيل أقسام الشعر ثلاثة مثل سائر ، وتشبيه نادر ، واستعارة قريبة .

« **وعيار التحام أجزاء النظم** والتئامه على تخيّر من لذيذ الوزن الطبعُ واللسان. فما لم يتعثّر الطبع بأبنيته وعقوده ، ولم يتحبّس اللسان في فصوله ووصوله [5] ،

---

١ المعنى الشريف : معاني الاغراض الفخمة كالكرم والحماسة ووصف القصور والخمر .

٢ الابيات البارعة المعنى السهلة التركيب .

٣ شوب المعنى : مزجه بالمعنى الرديء . وحشة المعنى : غرابته وجفائه (بعده عن ألوان الحضارة) .

٤ الهجين : المخلوط بما هو أدنى قيمة منه ؛ البعيد عن الصفاء والعروبة الاصيلة .

٥ الفصل : الوقوف عند انتهاء المعنى . الوصل : صلة المعنى بالمعنى .

بل استمرّا فيه واستسهلاه ، بلا ملال ولا كلال ، فذاك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت ، والبيت كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارناً .... وإنما قلنا **على تخيّر من لذيذ الوزن** لأن لذيذه يطرب الطبع لإيقاعه ويمازجه بصفائه ، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه .

« **وعيار الاستعارة** الذهن والفطنة . وملاك الأمر تقريب التشبيه في الاصل حتى يتناسب المشبّه والمشبّه بـه .... **وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية** طول الدربة ودوام المدارسة . فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض ، لا جفاء في خلالها ولا نُبوّ ، ولا زيادة فيها ولا قصور ، وكان **اللفظ مقسوماً على رتب المعاني : قد جُعل الاخص للأخصّ** [١] والأخسّ للأخسّ ، **فهو** البريء من العيب . وأما **القافية** فيجب أن تكون كالموعود به المنتظَر يتشوّفها [٢] المعنى بحقّه واللفظ بقسطه ، وإلا كانت قلقة في مقرّها مجتلبة لمستغن عنها [٣] .

« فهذه الخصال هي **عمود الشعر عند العرب** . فمن لزمها بحقّها وبنى شعره عليها فهو عندهم المُفلق المعظّم والمحسن المقدم ، ومن لم يجمعها كلها ، فبقدر سُهمته منها [٤] يكون نصيبه من التقدم والاحسان . **وهذا اجماع مأخوذ به ومتّبع نهجه حتى الآن** » .

في ما يلي عدد من الكتب الممثّلة لوجوه الأدب والنقد على سبيل الاشارة لا على الاحاطة ولا على سبيل الحصر والاستقصاء :

– أسرار البلاغة لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (نشره هلموت ريتّر) ، استانبول ١٩٥٤ م .
– أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، القاهرة ١٩٢٢ – ١٩٢٣ م .
– إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطّيب الباقلاّني (تحقيق أحمد صقر) ، القاهرة ١٩٥٤ م .

---

١ الاخص للأخص : اللفظ (الفخم) الموافق للمعنى (الفخم) . الأخس للأخس : اللفظ اللين للمعنى اللين .
٢ يتشوفها : يراها من بعد (يستطيع القارئُ أن يعرفها من سياق البيت قبل أن يصل اليها) .
٣ مجتلبة لمستغن عنهـا : يؤتى بهـا لتمام الوزن ومناسبة حرف الروي ، من غير أن يكون المعنى محتاجاً اليها .
٤ السهمة (بالضم) : القرابة والنصيب ، أي بقدر مـا في شعره من هذه الخصائص تكون جودة شعره .

– دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (نشره محمد رشيد رضا) ، القاهرة ١٣٣١ هـ . – (نشره محمد تاويت) ، تطوان (بعد ١٩٥٠ م) .

– التشبيهات لأبي اسحق ابراهيم بن محمد بن أبي عون البغدادي (عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان) ، لندن ١٩٥٠ م .

– العمدة في صناعة الشعر ونقده لأبي عليّ الحسن بن رشيق ، القاهرة ١٩٢٥ م . القاهرة ١٩٥٥ م .

– قراضة الذهب لأبي عليّ الحسن بن رشيق ، القاهرة ١٩٢٦ م .

– سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن محمد الخفاجي (تحقيق علي فودة) ، القاهرة ١٩٣٢ م .

– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد ابن الاثير (نشره محمد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة ١٩٣٩ م .

– نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، قسطنطينية ١٣٠٢ هـ – القاهرة ١٩٣٤ م . – ليدن ١٩٥٦ م .

– كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، الاستانة ١٣٢٠ هـ . – (نشره علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم) ، القاهرة ١٩٥٢ م .

– ديوان المعاني لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .

– الوساطة بين المتنبّي وخصومه لأبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (تحقيق وشرح محمد ابي الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي) القاهرة ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م.

– معاني الشعر لأبي عثمان سعيد بن هرون الاشناندي ، دمشق ١٩٢٢ م .

– الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .

– فنّ الأدب ، لتوفيق الحكيم ، القاهرة ١٩٥٢ م .

– الاصول الفنيّة للأدب ، تأليف عبد الحميد حسن ، مصر ١٩٤٥ م .

– تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب ، تأليف محمد روحي الخالدي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩١٢ م .

- الشعر وقضيّته في الأدب العربي ، تأليف ابراهيم العريّض ، البحرين ١٩٥٥ م .
- فنّ الشعر ، تأليف احسان رشيد عبّاس ، بيروت ١٩٥٥ م .
- الشعر والفنون الجميلة ، تأليف ابراهيم العريّض ، القاهرة ١٩٥٢ م .
- كيف نتفهّم الشعر وكيف نتذوّقه ، لرضوان الشهّال ، بيروت ١٩٦٢ م .
- الفنّ ومذاهبه في الشعر العربي ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٤٣ و ١٩٤٥ - بيروت ١٩٥٦ م .
- الفنّ ومذاهبه في النثر العربي ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٤٦ - بيروت ١٩٥٦ م .
- الأدب وفنونه : دراسة ونقد ، تأليف عزّ الدين اسماعيل ، القاهرة ١٩٥٥ م.
- نظرية الأنواع الأدبية ، تأليف ش. فنسان (ترجمة حسن عدن) ، الجزء الأول ، الاسكندرية ١٩٥٤ م .
- فنون الأدب ، تأليف هنري باكلي تشارلتون ، (ترجمة زكي نجيب محمود) ، القاهرة ١٩٤٥ م .
- فنّ الشعر : عَروض الشعر العربي وقوافيه ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٩ م .
- الشعر والتجديد ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة (بعد ١٩٥٠م) .
- الشعر العربي بين التطوّر والجمود ، تأليف محمد عبد العزيز الكفراوي ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- التطوّر والتجديد في الشعر العربي ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٢ م .
- حياة الشعر وأطواره ، تأليف محمد الشاذلي خزندار ، تونس ١٩٢٠ م .
- شعر الطبيعة في الأدب العربي ، تأليف سيّد نوفل ، مصر ١٩٤٥ م .
- الباب المرصود ، تأليف عمر فاخوري ، بيروت ١٩٣٨ م .
- دراسة الشعراء ، تأليف محمد حسن نائل المرصفي ، القاهرة ١٩٤٤ م .
- الطبع والصنعة في الأدب العربي ، تأليف محمد الهياري ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- الاسس النفسية للابداع الفنّي في الشعر خاصّة ، تأليف مصطفى سويف ، مصر ١٩٥١ م .
- أوهام شعراء العرب في المعاني ، تأليف أحمد تيمور ، القاهرة ١٩٥٠ م .

ـ الخيال في الشعر العربي ، تأليف حسين محمد الخضر ، دمشق ١٩٢٢ م .
ـ الخيال الشعري عند العرب لأبي القاسم الشابّي ، تونس ١٩٣٠و١٩٦١ م .
ـ الرمزية في الأدب العربي ، تأليف درويش الجندي ، مصر ١٩٥٨ م .
ـ الرمزية والأدب العربي الحديث ، تأليف أنطوان غطّاس كرم ، بيروت ١٩٤٩ م .
ـ تحت راية القرآن : المعركة بين القديم والجديد ، تأليف مصطفى صادق الرافعي ، القاهرة ١٩٢٦ م .
ـ رسالة الأديب ، تأليف عبد الرحمن أبي قوس ، حلب ١٩٤٤ م .
ـ رسالة الشاعر ، تأليف ابراهيم الابياري ، القاهرة ١٩٤٩ م .
ـ الأدب الهادف ، تأليف محمود تيمور ، القاهرة ١٩٥٩ م .
ـ مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، تأليف أحمد ضيف ، القاهرة ١٩٢١ م .
ـ مقدمة لدراسة النقد في الأدب العربي ، تأليف أنيس المقدسي ، طهران ١٩٥٨ م .
ـ قضيّة الأدب بين اللفظ والمعنى أو بين الاشكال والدلالات قديماً وحديثاً ، تأليف أحمد محمد عنبر ، القاهرة ١٩٥٤ م .
ـ أصول النقد الأدبي ، تأليف أحمد الشايب ، القاهرة ١٩٤٢ م . ـ ١٩٤٦ الخ
ـ النقد الأدبي : أصوله ومناهجه ، تأليف سيّد قطب ، القاهرة ١٩٥٤ م .
ـ النقد في الأدب العربي ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٤ م .
ـ الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي ، تأليف عبدالعزيز مزروع ، القاهرة ١٩٥٠ م .
ـ أسس النقد الأدبي عند العرب ، تأليف أحمد أحمد بدوي ، القاهرة ١٩٥٨م.
ـ النقد المنهجي عند العرب ، تأليف محمد مندور ، مصر ١٩٤٨ م .
ـ دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث للهجرة ، تأليف بدوي أحمد طبانة ، القاهرة ١٩٥٤ م .
ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع ، تأليف طه أحمد إبراهيم ، القاهرة ١٩٣٧ م .
ـ تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي ، تأليف السباعي بيومي ، القاهرة ١٩٥٦ م .

- الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، تأليف أحمد الشايب ، مصر ١٩٤٥ م .
- النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، تأليف روز غريّب ، بيروت ١٩٥٢م.
- الاسس الجمالية في النقد العربي : عرض وتفسير ومقارنة ، تأليف عزّ الدين اسماعيل ، القاهرة ١٩٥٥ .
- النقد واللغة في رسالة الغفران ، تأليف أمجد طرابلسي ، دمشق ١٩٥١ م .
- البيان العربي : دراسة تاريخية فنيّة في أصول البلاغة العربية ، تأليف بدوي أحمد طبانة ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- قواعد النقد الأدبي ، تأليف لاسل آبركرمبي (نقله إلى العربية محمد عوض محمد) ، مصر ١٩٤٤ م .
- منهج البحث في الأدب واللغة ، تأليف غوستاف لانسان ومابيه (ترجمة محمد مندور) ، بيروت ١٩٤٦ م .
- النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، تأليف ستانلي أدغار هايمن (ترجمة احسان عبّاس ومحمد يوسف نجم) ، بيروت ١٩٥٨ م .
- في أصول الأدب ، تأليف أحمد حسن الزيّات ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٦ م .
- مناهج الدراسة الأدبية ، تأليف الدكتور شكري فيصل ، القاهرة ١٩٥٣ م .
- طبيعة الشعر العربي للدكتور عبد الله الطيّب (مجموعة ١٩٦٢ — ١٩٦٣) ، ص ٢٥ — ٦٥ [١] .
- مذاهب الأدب للاستاذ محمود تيمور (م م ل ع) ١٤ : ١٤٧ — ١٥٩ [٢] .
- المذاهب المنحرفة للاستاذ أحمد حسن الزيّات (م م ل ع) ١٧ : ٧ — ١٠ .
- الشعر العربي والمذاهب الغربية المنحرفة لعبّاس محمود العقّاد (مجموعة ١٩٥٩— ١٩٦٠) ، ص ٢٥ — ١٤٧ [١] .
- تاريخ نشوء الرجز وتطوّره ، للاستاذ بهجة الاثري (م م ع ع [٣] ، الجزء الثاني — ١٩٢٨) .

---

١ مجموعة البحوث والمحاضرات التي تلقى في مجمع اللغة العربية في القاهرة .
٢ مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة .
٣ مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق .

- ارتجال الشعر واجازته لأسعد خليل داغر (م م ع ، المجلد ١٣ ، ١٩٣٣ — ١٩٣٥) .
- من الأدب القديم الصميم لعبد القادر المغربي (م م ع ، المجلد ٢٨ ، ١٩٥٣) .
- كتب الأدب القديمة والحديثة لسليم الجندي (م م ع ، المجلد ١١ ، ١٩٣١) .
- تاريخ الأدب ونقده لشفيق جبري (م م ع ، المجلد ١٠ ، ١٩٣٠) .
- الادب ، ثقافة الذوق وتمازج الثقافات لشفيق جبري (في المكان نفسه) .
- السرقات الأدبية ، تأليف بدوي أحمد طبانة ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- مشكلة السرقات في النقد الأدبي ، تأليف محمد مصطفى هدّارة ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

الأعصر الأدبيَّة عِند العرَب

تاريخ الأدب العربي قديم جداً ، ولكنّ أقدمَ ما وصل الينا من نصوص الأدب العربي لا يزيد عُمرُهُ على ألفٍ وستمائةِ سنةٍ . هذه المدة مقسومة ، في تاريخ الأدب ، ثلاثَ حِقَبٍ هي :

أ — **الادب القديم** من أقدم العصور الجاهلية إلى آخر العصر الأموي (نحو ٣٠٠ سنة) .

ب — **الادب المُحْدَث** من سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) ، إلى مطلع القرن التاسع عشر للميلاد .

ج — **الادب الحديث** من مطلع القرن التاسع عشر إلى اليوم .

وبما أن هذه الحِقَبَ طويلة جداً ، فقد قسمها مؤرخو الأدب العربي أعْصُراً قصيرة توافق الاعصر السياسية في تاريخ الاسلام ، وهي :

(١) العصر الجاهلي ، قبل الاسلام .
(٢) عصر المُخَضْرمين ، أو صدرُ الاسلام الأول : من ظهور الاسلام إلى آخر دولة الخلفاء الراشدين وقيام الدولة الأموية (٤٠ هـ ، ٦٦٠ م) .
(٣) العصر الأموي .
(٤) العصر العباسي الحِقبة الأولى : حِقبة بغداد
الحقبة الثانية : حقبة الدويلات
الحقبة الثالثة : الحقبة السلجوقية
(٥) العصر الاندلسي (المتاخر)
(٦) العصر المغولي
(٧) العصر العثماني
(٨) العصر الحديث : أدب النهضة العربية (١٨٠٠ — ١٨٧٥ م) ، الأدب المعاصر .

بلاد العرب

أحوالها الطبيعيّة والاجتماعيّة

بلاد العرب شبهُ جزيرة تبلغ ثلاثة ملايين كيلومتر مربع . ومن الباحثين مَنْ يجعلها **جزيرة** لأن نَهرَي الفُرات والعاصي يَعقِدان لها عند اقترابهما في أعلى الشام حَدّاً شَمالياً من الماء . وهذا يُدخِلُ الشامَ كلها في بلاد العرب .

وسطح بلاد العرب شديد التفاوت ، **فالقسم الأعظم منه بادية** ، أي أرض تصلح للزراعة ولكن لا ماء فيها . ويتخلل البوادي **واحات** ومرتفعات تُنبت الزرع والنخيل . ثم هنالك **صَحارى** (أرض رملية لا تصلح للزراعة ولو وجد الماء) تتسع في الشمال حيث تدعى « النُفود » ، وفيها عدد من الواحات أشهرها « تَيْماء » التي ذكرها امرؤ القيس . وكذلك تتسع هذه الصحارى اتساعاً أكبر في الجنوب حيث تدعى « الدَهْناء » (**الفلاة الواسعة**) أو الربع الخالي (بفتح الراء بمعنى المكان ، أو بضم الراء بمعنى الجزء من أربعة دَلالةً على اتساعها) .

وتَنْهَدُ في شمالي شبه جزيرة العرب هضبة متسعة تدعى **نَجْداً** (المكان المرتفع) ، سطحها ذو انحدار تدريجي من الغرب الى الشرق . وتَحُدّ نجداً من الغرب جبالٌ اسمها **الحِجاز** لأنها تَحجِز (تَفصُل) بين **تِهامة** (الأرض المنخفضة) على ساحل البحر الأحمر وبين نجد . أما من الشرق فتحده مرتفعات تفصل بينه وبين **البحرين** (شاطئ شبه جزيرة العرب على خليج البصرة) . وتتصل هضبة نجد في الشمال بالعراق والشام ، أما في الجنوب فتتصل **باليَمامة** . **وهضبة نجد هي المكان الذي نشأ فيه فحول الشعراء قبل الاسلام والذي اندفعت منه الفتوح العربية بعد ظهور الاسلام** لتنشر الدعوة في العالم ولتنشىء الدولة العربية ولتخلق الحضارة والثقافة اللتين تتمتّع بهما بلاد العرب اليوم وعدد من البلاد غير العربية أيضاً .

الحياة الاجتماعية (القبيلة والاسرة)

القبيلة أساس الحياة الاجتماعية . والقبيلة أسرة كبيرة يَرْبِطُ بعضَ أفرادها ببعض سَبَبٌ من القرابة أو الزواج . وربما انتسب شخص إلى قبيلة ما بالولاء أو الحِلْف فأصبح كأنه من تلك القبيلة نسباً ودماً . وكذلك ربما خلعت القبيلة أحد أفرادها إذا خرج على بعض مبادئها أو خالف مُثُلَها العُليا . وكان في القبيلة عبيد أيضاً . والعبد يكون في الأصل أسيراً أو مشترىً بالمال أو ابن أمَةٍ (جارية مُلِكَت بالسبي أو الشراء) .

أما **مقام المرأة** في الجاهلية فكان متّصلاً بالمحافظة على النسب الصريح الذي كان الجاهلي يعبّر عنه بلفظ الأعراض . ولم يكن مقام المرأة الجاهلية ، فيما عدا ذلك ، مقاماً مرموقاً . إن الغَزَواتِ المتواليةَ والحروبَ الطوالَ كانت تُقَصّر أعمار الذكور وتقلّل عددهم . من أجل ذلك كان عدد النساء في الجاهلية يزيد دائماً على عدد الرجال أضعافاً مضاعفة . فإذا أضفنا إلى ذلك مَدْرَك العِرْض عند البدوي الجاهلي خاصة وقسوة الحياة الاقتصادية ، وَضَحت لنا المشكلة التي تعرضت لها الحياة الاجتماعية يومذاك . والحلّ المحتومُ الذي قبلته الحياة الجاهلية : أن يجعل الرجل الواحد في عِصمته عدداً كبيراً من النساء حتى تظلّ الانساب معروفةً في عمودها المخصوص من الرجال . ولو قبل الجاهلي أن يَتْرُكَ النساء الزائدات على عدد الرجال يتصفّحْنَ وجوه الرجال لاختلطت الانساب وفَقَدَ البَدْوي الجاهلي الفخر الأعظم في حياته الاجتماعية .

من أجل ذلك ساد تعدّد الزوجات سيادة مطلقة ، وتعددت أيضاً أشكال الزواج : كان في الجاهلية زِواج المَهر (وهو الشكل الذي قبله الاسلام فيما بعد) وزواج السبي ، وزواج الاسترقاق (بالشراء) وزواج المُتعة (الزواج الموقّت) وزواج المَقْت (كان الرجل إذا مات ورث أولادُه نساءه ، على ألا يتزوج أحدُهم أمه التي ولدته) . وكان هنالك زواج الاستبضاع الذي لا يختلف من الزنا في شيء (وذلك أن يُعْجَبَ رجلٌ بفارسٍ أو بطل أو شريف فيسمح لإحدى نسائه أن تستبضع منه . ولا ريب في أن ذلكَ كان أمراً شاذاً جداً) . وإذا نحن اعتبرنا جميع هذه الأشكال رأينا أنها ترمي إلى أن يبقى النسل في كل قبيلة صريحاً معروفاً . حتى الاتصال بالبغايا في الجاهلية كان كثيراً ما ينحو هذا المنحى ، فان معاوية بن أبي سفيان قد استشهد قوماً على أن والده أبا سفيان كان

قد اتصل باحدى أصحاب الرايات (بامرأة بغيّ) في الجاهلية ، وكان اسمها سُمَيّة، وأنها حملت منه بزيادٍ المعروف بزيادِ بن أبيه . ثم ان معاوية استلحق زياداً بنسبه على أنه أخوه شرعاً .

وإذا نحن تأمّلنا الغزل في الجاهلية وجدناه أيضاً يسلك هذا المسلك : المحافظة على النسل صريحاً معروفاً : لم تكن البيئة الجاهلية تجيز التغزل بالعذارى ، حتى أنهم حرّموا على الفتى أن يتزوج فتاة تغزّل بها فشهَرها . وأكثر الغــزل الجاهلي في المتزوجات ، فقول امرئ القيس : « فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا » ، وقصة المنخّل اليشكري مع المتجردة امرأة النعمان ، وقول الأعشى : « وقـد أخالس رب البيت غفلته ... » كلها مصداق لذلك . ولا ريب في أن الجاهلي كان يتغزل بالعَذارى ، ولكنه كان أجرأ على المتزوجات .

الحياة الروحية

البدوي مُوَحِّـد ، ولكنه قليل الاحتفال بالعبادات وبالدين كله إذا كان آمناً على نفسه (يخاف الله في ساعات الضيق والفزع ، فإذا انكشفت غُمته عاد إلى الجُحود) . والاوثان كانت طارئة على بلاد العرب . ثم لما وقع الاضطهاد على اليهود والنصارى ، لجأت جَوالٍ منهم إلى بعض أقسام شبه الجزيرة ثم زالوا منها مع ظهور الاسلام .

وكان في الجاهلية أفراد متحنّفون كَثُرَ عددهم قبيل ظهور الاسلام ، ولكن لم يبلغوا إلى أن يكونوا جماعات . هؤلاء المتحنّفون أو الحُنفاء كانوا يبنون أعمالهم الخاصة والعـامة على الاخلاق الكريمة وما يقضي به العقل العملي في الحياة . **وكانوا لا يَشْرَكون قومهم في حياتهم الجاهلية** . ان هؤلاء كانوا قد **حرّموا على أنفسهم الخمر وهجروا الأوثان** (على قلتها في بلاد العرب) **وتركوا الثأر والغزو** . ويبدو أنهم اعتقدوا بالله وحدَه وبحياة بعد الموت . وكان هؤلاء أيضاً قـد سلكوا سبيلاً من سُبُلِ الزهد ، ولكن لم يكن لهم عبادات معينـة يقومون بها .

أما الصورة الصحيحة لهؤلاء الحنفاء فيجب أن نطلبها في القرآن الكريم . لقد جاءت كلمة **حنيف** في الإفراد وكلمة **حنفاء** في الجمع اثنتي عشرة مرة في

القرآن الكريم [1] كلها تدور على أن الحنيف هو الشخص على مِلّة إبراهيم (وكان إبراهيم قبل موسى بزمن طويل). وتصف هذه الآيات الكريمة الرجل الحنيف على ملّة ابراهيم بأنه ليس يهودياً ولا نصرانياً ولا مُشركاً بالله، ولكنه على «**فِطرة الله التي فَطَرَ الناسَ عليها**» [2]: موحّدٌ يعمل الصالحات.

ويحسن الاستشهاد هنا بآيتين. جاء في سورة البقرة (٢ : ١٣٥ — ١٣٦): «وقالوا: كونوا هُوداً أو نَصارى تَهتدوا؛ قلْ: بل مِلّةَ إبراهيمَ حنيفاً، **وما كان من المُشركين**. قولوا: آمَنّا بالله وما أُنزِلَ إلَيْنا وما أُنزِل إلى إبراهيمَ واسماعيلَ واسحاقَ ويعقوبَ والاسباطِ، وما أُوتِيَ موسى وعيسى **وما أوتِيَ النبيّون من ربّهم، لا نُفرّقُ بين أحد منهم، ونحن له مسلمون**». وهنالك موضع آخر فيه شيء من التفصيل. جاء في سورة الحجّ (٢٢ : ٣٠ — ٣١): «ذلك، ومن يُعَظِّمْ حُرُماتِ الله (٢) فهو خيرٌ له عند ربّه، وأُحِلّتْ لكمُ الانعامُ إلاّ ما يُتْلى عليكم. **فاجْتَنِبوا الرِجْسَ من الاوثانِ، واجتنبوا قولَ الزور: حُنَفاءَ لله غيرَ مشركين به**».

وكان إلى جوانب الجوالي المسيحية واليهودية في بلاد العرب أفراد اعتنقوا اليهودية كالسموأل، فيما قيل، أو النصرانية كقَسّ بن ساعدة. أما فيما يتعلق بالنصرانية خاصة، فهنا موضع لملاحظتين: أولاهما أننا لا نجد للنصرانية أثَراً في أدب هؤلاء. ليس في أدب هؤلاء ذكرٌ لِرُكنٍ من أركان النصرانية ولا لإشارة خاصة بالنصرانية، على ما نعرف اليوم من حال هذه الديانة، ولا لقَسَمٍ مسيحي على كثرة ما كان الجاهلي يقسم بالاوثان.

وأما الملاحظة الثانية فهي فَرْع من الملاحظة الأولى: ما الشيعة النصرانية التي انتشرت بين هؤلاء العرب؟ لا ريب في ان النصرانية تفرقت شيعاً كثيرة، منذ القرن الأول للميلاد [3]، وقد كانت كل هذه الشيع تتفرع من الجدال: أإلَه عيسى أم إنسان؟ وإذا نحن استعرضنا النصوص التي يَزْعُم شيخو وأنداده

---

١ ٢ : ١٣٥ ؛ ٣ : ٦٧، ١٩٥ ؛ ٤ : ١٢٤ ؛ ٦ : ٧٩، ١٦٢ ؛ ١٠ : ١٠٥ ؛ ١٦ : ١٢٠، ١٢٣ ؛ ٢٢ : ٣١ ؛ ٣٠ : ٣٠ ؛ ٩٨ : ٥.

٢ سورة الروم ٣٠ : ٣٠.

٣ راجع ديوان البدع للمطران جرمانوس فرحات.

أنها لعربٍ نصارى ، لم نجد فيها شيئاً من ذلك . وكذلك النزاع الذي دار حول الطبيعة الواحدة في عيسى أو الطبيعتين ليس له أثر في آثار هؤلاء ، ولا غَرْوَ فان هذا النزاع بيزنطيٌّ في طبيعته بعيد كل البُعد عن العقلية العربية . وعلى كل ، فليس في ما بين أيدينا من النصوص الأدبية إشارة إلى ذلك ، من قرب أو من بُعد . وتَسَرّبُ النصرانية إلى نفر من العرب لم يكن من الأهمية بحيث يصبح عنصراً من عناصر الحياة الجاهلية . قال بلاشير [1] : « ان قبائل جِذام وتَغلِب وعاملة هي مسيحية ، ولكنها مسيحية سطحية . وان السرعة التي اعتنقت بها القبائل المذكورة الاسلام لدلالة على رقّة ايمانهم بالمسيحية . والخلاصة فانها (أي المسيحية) لم تُخلق من أجلهم لأنها جَهلت بعض جوانب النفسية العربية ، ورأى الكثيرون منهم (من العرب) أنها ديانة دخيلة تحمل طابع الغزاة فلقيت مقاومة المغلوبين » .

ثم ان جميع الشواهد التي قيل إنها لشعراءَ نصارى ليس فيها سوى كلام في الزهد وذكر الله والموت ، مما ليس خاصاً بدين معيّن . حتى عَدِيّ بن زيد الذي كان نصرانياً على القطع لم يتضمّن شعره سوى هذه الأمور العامة التي تعمّ جميع الأديان . فالشيعة النصرانية التي لقيت شيئاً من الانتشار بين عدد من الأفراد العرب ، وفي بعض القبائل العربية ، كانت نصرانية بدائية قريباً جداً من التوحيد . وإذا جاز لي أن أتلبّس عقلية مستشرق من المستشرقين ثم أقبل أن يكون القرآن الكريم قد ذكر النصارى ذكراً حَسَناً تألّفاً لهم وجذباً لهم إلى الاسلام ، فانني أخرج بملاحظتين قيّمتين جداً ، لا أعتقد أن المستشرقين ، في الأصلِ ، قد قصدوا الوصول اليهما . أما الملاحظة الأولى فهي ان القرآن قد عاتب النصارى الذين يؤمنون بالتثليث والذين يَنْسِبون الألوهية إلى عيسى وأمه مريم . فالذين توجّه القرآن الكريم بالكلام اليهم ، إذن ، لم يقولوا بالتثليث ولا بألوهية المسيح . وأما المُلاحظة الثانية فهي أن هؤلاء النصارى الذين جاءوا ليعيشوا في شبه جزيرة العرب كانوا من الذين تحمّلوا اضطهاد الطبقات الحاكمة في بلاد الروم وفي البلاد التي كانت خاضعة للروم — . فلما جاء الاسلام بالمساواة بين جميع أتباعه ، ثم رأى هؤلاء النصارى أن العقيدة التي كانوا يؤمنون بها أقرب إلى الاسلام وبعيدة جداً عن النصرانية التي كانت قد أصبحت

---

[1] تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١ : ٦٩ .

الديانة الرسمية في الدولة البيزنطية وفي الكنيستين الشرقية والغربية ، اعتنقوا الاسلام بسهولة وسرعة .

البرّ

أما الجامع الروحي الذي كان ، في جميع شبه جزيرة العرب ، يجمع بين أفراد الأسرة ويجمع أيضاً بين أفراد القبيلة فكان البِرّ . وقد قام البر للجاهلي ، في البدو والحضر ، مقام الدين والرابطة الاجتماعية والاخلاق الشخصية ، يدلنا على ذلك قول النابغة في حديث الرجل والحية :

فلما وقاها اللهُ ضربةَ فأسهِ ، وللبرّ عينٌ لا تُغمّضُ ناظرهْ ،

أو قول عمرو بن كلثوم : « نَجُذّ رؤوسهم من غير بِرّ ... »

حتى طرفة الذي كان يَسْلُك في حياته وشعره مسلكاً شخصياً بعيداً عما توجبه البيئة الجاهلية ، فانّه لم يستطع أن يتخلّص من جامع البرّ هذا . ان أعمام طرفة منعوه إرثَه من أبيه ، وان أخاه معبداً كان يحتقره ويهزأ به ، وان ابن عمه مالكاً كان يلومه ويحرّض عليه . ومع ذلك فلم يجد طرفة من الممكن أن يخالف ما أوجبه البر لأهله ، بل قال وهو يتألّم في نفسه (من أهله وابن عمه خاصّة) :

وقرّبتُ بالقُربى ، وجَدّكَ ، إنّني متى يَكُ أمرٌ للنكيثةِ أشْهَدِ .
فلو كان مولايَ أمرأً هو غيرُه لَفَرّج كربي أو لأنْظَرني غدي؛
ولكنّ مولايَ امروءٌ هو خانقي على الشكر والتَسْآل أو أنا مُفْتدي.
وظلم ذوي القُربى أشدّ مضاضة على النفس من وقع الحُسام المُهنّد!
فذَرْني وخُلْقي ، إنني لك شاكرٌ . . . .

أما أجمع تعريف للبر فالآيةُ الكريمة (البقرة — ٢ : ١٧٩) :

« ليس البرّ أنْ تُولّوا وجوهكم قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِب ، ولكنّ **البِرّ مَن آمنَ** باللهِ واليومِ الآخِرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيّين ، **وآتى المالَ على** حُبّهِ ذَوي القُرْبَى واليَتامى والمَساكينَ وابنَ السبيلِ والسائلينَ وفي الرقابِ ، **وأقامَ الصلاةَ** وآتى الزكاةَ ، **والمُوفُونَ** بِعَهْدِهِمْ إذا عاهَدوا **والصابرين في**

البَأساءِ والضَرّاءِ وحينَ البَأسِ . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المُتّقون » .

وكما فرَضَتِ الحياةُ البَدْوية على الجاهليّ مَساوىءَ من الغزو والثأر والحَميّة الجاهلية وَوأد الأولاد وشُرب الخمر أحياناً ولَعِبِ المَيْسِر ، فانها غَرَسَتْ فيه أيضاً مَحامدَ من الوفاء والكرم والنَجْدة والشجاعة والحِفاظ على العِرْض وعلى خير القبيلة ووَحْدتها . حتى المَيْسِرُ لم يكن شَراً كلُّه : كانتِ الإبِلُ التي تُنْحَرُ « ليَجْرِيَ عليها اللَعِبُ » تقسم بين الذين لا يَجِدون قوتاً حينما يشتدّ البردُ في البادية (وكان الميسر عادة من ملاهي الشتاء) . ولكنّ الميسرَ ، وان كان قد أنقذ أفراداً من الجوع والموت ، فانه قد أفقر نفراً من الأغنياء أو تحول إلى أُلْهِيَةٍ سيئة تقتل الوقت وتثير الاحقاد .

الحياة الاقتصادية

نجدٌ بادية في الاكثر . من أجل ذلك كان سكان نجد أهل رِحلة ينتقلون بإبِلِهِمْ وأنعامهم من مكان إلى آخر طلباً للماء والمرعى . وكان من أسباب معيشة البَدْوي الغزو ، وذلك أن يهاجم جماعة من البدو جماعة أخرى للاستيلاء على مواشيها غَصْباً . أما إذا استولى البدْوي على شيء وأهله غائبون فذلك هو السَرِقة .

أما الحَضَر فكانوا يسكنون القرى (المدن) ويعيشون على شيء من الزراعة في الاقل ، وعلى التجارة في الاكثر . وكانت متاجرهم من فارس والحبشة واليمن إلى الشام والعراق ومصر . وأشهر مدنهم التجارية كانت أمّ القُرى (مكة) والطائفَ ويَثْرِبَ ومَدْيَن ، وهذه في الحجاز ، ثم دُومة الجَنْدل في نجد ، وسواها .

ولم يكن الذين يعملون في الزراعة ، وفي الصناعة على الأخص ، يتمتّعون باحترامٍ ما ، فالاخطل لمّا أراد أن يهجوَ الانصار من أهل المدينة قال لهم : « وخذوا مَساحِيَكم ، بني النجّار » ، دلالة على أنهم مزارعون . أما جرير فكان يُعيّر الفرزدق بأن أجداده بنو القَيْن ، سُمّوا بذلك لأنهم كانوا حَدّادين .

وكان الرِبا يَدُرّ على سُكان المدن أرباحاً طائلة : كان الربا فائدة فاحشة

جداً . وقد كان البَدْويّ يستدين ثم لا يستطيع أن يَفِيَ بالربا وحدَه . وكم من َدينٍ قليلٍ أدّى المَدينُ عليه الربا عشراتِ السنين ثم أصبح بعد ذلك أكثر مما كان ! وأخيراً وضع الرسول (ألغى) ربا الجاهلية كلّه في خطبته في حجة الوداع ، سنة ١٠ هـ (٦٣٢ م) . لقد كان الاحفاد يومذاك لا يزالون يُؤدّون الربا عن أجدادِهم ، وكان الدَّين الأساسي لا يزال قيداً في الاعناق .

الحياة السياسية

كان للحياة السياسية في شبه جزيرة العرب قبل الاسلام ثلاثة مظاهر :

(أ) **الحكومة القبلية** وقد كانت **رئاسةً بالعصبية** ، وذلك أن تُقَدِّمَ القبيلة للحكم شخصاً منها كبيرَ السن عادة ، ولكنه قد يكون صغير السن إذا اجتمعت فيه الحكمة والغنى والعدل والوجاهة . وكان **شيخ القبيلة** يحكمها بالشُورى (باستشارة ذوي الرأي والوَجاهة) ، وحكمه في كل شيء غير مردود في قبيلته . أما إذا حدث خِلاف بين قبيلتين فالفصل في هذا الخلاف يكون بالتحكيم . وربما رفضت إحدى القبيلتين الُحكْمَ ولجأت إلى الحرب .

(ب) وكان الحكم في **المدن التجارية** على مثال الحكم في المدن الفينيقية واليونانية القديمة : حَفْنَةٌ قوية من أهل المدينة من التجار والوجهاء يحكمون على هواهم ويقتسمون الغنائم على مقدار ما كان لكل واحد منهم من النفوذ المادي أو المعنوي .

(ج) **النفوذ الأجنبي** – كان الروم (البيزنطيون) والفرس أعداء لم تفتر الحرب بينهم منذ القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن السادس بعده ، اثني عشر قرناً . وكانوا في أثناء ذلك يتداولون السيطرة على العراق والشام . ففي القرن الرابع للميلاد وصل إلى جنوبي العراق قبائل يمانية من بني لَخْم فشجعهم الفرس على أن يقيموا امارة في الحيرة ، قرب الكوفة على نهر الفرات ، وأن يكونوا لهم عيوناً وعَوْناً على أعدائهم الروم . وقد عُرِفَ هؤلاء باللخميين أو **المناذرة** لأنّ خمسة من ملوكهم كان اسم كل واحد منهم المنذر . فمن أوائل ملوكهم النُعْمان الاعور (الاول) باني قصر الخَوَرْنَق وقصر السَدير . ثم خلفه المُنْذر (الاول) بن النعمان عام ٤١٨م وحارب الرومَ إلى جانب أسياده الفرس ، عام ٤٢١ م، بعد ثلاث سنوات من توليه الامارة .

ولما جاء المنذر الاكبر (الثالث) بن ماء السماء نَصَبَ الحربَ للغساسنة ، وهم قبائل يمانية أيضاً وأبناء عم للمناذرة ومن الذين هجروا اليمن معهم في وقت واحد ، ولكن اتخذوا مُقامَهم في حُوران تحت جناح الروم .

ففي عام ٥٤٤ م سار المنذر الثالث ملك الحيرة لقتال الحارث الاعرج فهزمه ثم أسر ابنه وضحّاه للعُزّى [١] . وبعد عشر سنوات وقعت الحرب مرة أخرى بين الخصمين في معركة عرفت باسم يوم حليمة ، في جُنْد قاصرين (قنّسرين) جنوب حلب فاستطاع الحارث الغساني أن يَقبِض على خصمه المنذر ويذبحه بيده [٢] .

بعدئذ تولى امارة الحيرة عمرُو بن هند ، ابن المنذر الثالث وأشهر المناذرة ، فحكم خمسة عشر عاماً حتى قتله عمرو بن كلثوم في حادثة الصلح بين بني بكر وبني تَغْلِبَ ، عام ٥٦٩ م ، قبل مولد الرسول بعام واحد . أما آخر المناذرة فكان أبا قابوس النعمان بن المنذر . وأدرك أبو قابوس مع الايام أن أعمال عَدِيّ بن زيد — وكان عَدِيّ هذا آنذاك كاتباً من قبل الفرس في بلاط الحيرة — انما هي في مصلحة الفرس أكثر مما هي في مصلحة العرب ، بل أكثر مما هي في مصلحة المناذرة أنفسهم فسجنه ثم قتله في السجن . وغضب الفرس لمقتل عَدِيّ فأزالوا إمارة المناذرة وحكموا الحيرة حكماً مباشراً ، في مطلع القرن السابع للميلاد . وفي عام ٦١٣ م — بعد أن صدع الرسول بالدعوة بثلاثة أعوام — هاجم الفرسُ الرومَ في الشام وقضوا أيضاً على دولة الغساسنة .

في أواسط القرن الخامس للميلاد ضعف عدد من القبائل في نجد منهم بنو أسد وبنو غطَفان (عبس وذُبيان) وكِنانة وبكر بن وائل ، فاستطاع حسّان بن تُبّع ملك اليمن أن يغزوَها ويبسط حكمه عليها . وفي عام ٤٨٠ م أرسل حسّان رجلاً من بني كِندة اسمه حُجر آكل المرار ليحكم تلك القبائل باسمه . وهكذا نشأت دولة بني كندة في نجد ، وقد كانت أحسن صلة بدولة الغساسنة وعدوةً للمناذرة .

---

١ كان الجاهليون عموماً يعتقدون ان لله ثلاث بنات : اللات ومناة والعزى ، وان شفاعتهن مقبولة لدى الله .

٢ راجع العمدة ١ : ٤٢ .

وخلف حُجراً ابنُه عمروٌ ، ثم خلف عمراً ابنُه الحارثُ أعظم ملوك بني كندة . ولقد استمرت العداوة بين المناذرة وآل كندة على الرغم من أن المنذر الثالث بن ماء السماء تزوج ابنة الحارث بن عمرو . وفي نحو سنة ١٢٢ ق. ﻫ. (٥٠٠ م) قسم الحارث الحكم على القبائل بين أولاده ، فأعطى حجراً الحكم على بني أسد ، وشُرَحبيل الحكم على بني بكر ، وسَلَمة الحكم على تغلب ، ومعديكرب الحكم على قيس وهوازن . وكان حجر ظالماً قاسياً جريئاً على أموال رعيته وأعراضها . ففي نحو ٩٢ ق. ﻫ. كان قد عاد إلى بني أسد شيء من القوة فثاروا على حجر بقيادة علباء بن الحارث الكاهلي وقتلوه مع نفر من آل بيته ، ثم فر سائر أهل بيته من المعركة وزال حكم كندة عن بني أسد وعن نجد .

الحجاز خاصّة

كان تاريخ الحجاز تاريخَ مدينة مكّةَ ، وكان تاريخ مكّة في الحقيقة تاريخاً للنزاع على سِدانة الكعبة ، بيت الله المقدس ؛ وكان في سدانة الكعبة — أي خدمتها وحجابتها (السيطرة عليها) — وجاهةٌ وكسب .

لا ريب في أن الكعبة بناء قديم جداً ، وكذلك كانت بناء مقدّساً منذ أيامها الأولى . ولكن التاريخ المدني لا يَعْرِفَ أحداً مسيطراً عليها قبل جُرْهُم ، حتى أن زهيرَ بن أبي سُلمى لمّا أراد أن يُقْسم بالكعْبة وبنائها لم تستطع ذاكرته أن تَرْقى إلى أبعد من جرهم :

فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله رجال بَنَوْه من قُريشٍ وجُرهُمِ
يميناً ....

وجرهم حيّ من اليمن ، من عرب الجنوب ، قيل إن إسماعيل تزوج فيهم فورثوا سدانة الكعبة منه .

وضعفت عَصَبية جرهمٍ بما تضعف به الدول : بالهرم الطبيعي ، وبالانغماس في الترف وبالاغترار بالقوة مما يُؤدي إلى الغَفْلة عن المنافسين والاستهانة بالخصوم ، فوثبت عليهم خُزاعة — وخزاعة أيضاً قبيلة من اليمن — واستبدت بسدانة البيت وبحكم مكّة . وفي أثناء هذا النزاع الطويل لم يكن لأهل

مكة أنفسهم شيء من الأمر . ولكن في منتصف القرن الخامس للميلاد كان بنو قريش — من أهل مكة ومن عرب الشَمال — قد قَوُوا ، فاستطاع سيدهم قُصَيّ أن ينتزع الحكم على مكة من خُزاعة بعد قتال كان سِجالاً بين الفريقين مدة طويلة . وجمع قُصَيّ الحجابة (الاشراف على الكعبة) والسقاية (إسقاء الحجيج في المواسم) والرِفادة (اطعام الناس في الموسم) . وكذلك كان قُصي قد فرض على القادرين من قومه مقاديرَ من المِيرة ليصنع منها طعاماً للحجيج في الموسم . وضم قُصَيّ اليه اللواء (القيادة في الحرب) أيضاً . ثم بنى قُصيّ بيتاً سكنه وسمّاه دار النَدْوة ، وأوجب على قريش ألا يقطعوا في أمر عام (كالحرب) أو خاص (كالتزويج) إلا في دار الندوة . « فحاز قُصَيّ شرف مكة كلّه » [1] .

وكان لقُصَيّ أربعة أبناء : عبد الدار وعبد مَناف وعبد العُزّى وعبدٌ ، فأورث كل ما كان في يده لعبد الدار . غير أن أبناء عبد مناف نازعوا أبناء عبد الدار في ذلك فانقسمت قريش وكادت أن تقع الحرب بين المختلفين . ثم عقدت قريش حِلْفاً (تسويةً) عُرِف باسم حلف المُطَيَّبين [2] : أُعطيَ فيه بنو عبد مَناف السقاية والرِفادة ، وبقيت الحِجابة والنَدوة واللواء في بني عبد الدار . وانتقلت السقاية والرفادة بالإرث إلى هاشم بن عبد مناف ، ثم إلى أخيه المطّلب بعدئذ ، ثم عادت إلى عبد المطّلب بن هاشم . في ذلك الحين كان اللواء في عِهْدة أمية بن عبد شَمس بن عبد مَناف .

الغزو الحبشيّ

كان عرب اليمن حَضَراً أرقى مدنيةً من عرب الشَمال الذين كانوا في مجموعهم بَدْواً . ولذلك كان النفوذ اليمني غالباً على عرب الشمال : كان الغساسنة في الشام من اليمن ، وكان المناذرَة في العراق من اليمن . وكذلك كانت كِنْدة التي حكمت في نَجْد نحو جيلين (٤٨٠ — ٥٣٠ م) أسرة يمانية . ولم يكتف اليمنيون من عرب الشمال بذلك ، بل كانوا ينصبون على قبائل شمالية كثيرة عُمّالاً لهم من وجهاء عرب الشمال يجمعون لهم الاتاوات من قبائلهم .

---

١ السيرة لابن هشام ٨٠ .

٢ ذلك لأن الاحلاف غمسوا أيديهم في الطيب على ألا ينكلوا ، جرياً على عادة جاهلية .

إلى جانب هذا النزاع بين عرب الجنوب وعرب الشمال كان هنالك الفرس والروم يتنازعون على السيطرة على عرب الجنوب وعرب الشمال معاً . ولقد كان حظ الفرس أكبر لقربهم من بلاد العرب ولتشابك أحوال المعاش بين الأمتين في التجارة ، ولتشابه الأحوال الروحية ، إذ كان العرب والفرس وثنيين بينما كان الروم نصارى .

وكان في الحبشة ، على الجانب الافريقي المقابل لليمن ، منذ ذلك الحين ، أقليّة مسيحية ، وكانت الأسرة الحاكمة منها . من أجل ذلك طَمِع الروم النصارى في أن ينازعوا الفرس الوثنيين وأن يوسّعوا نفوذهم بين عرب اليمن الوثنيين من وراء الأسرة المسيحية المالكة في الحبشة . وكانوا يتحيّنون لذلك الفرص . ويبدو ان الروم استطاعوا بمعاونة الاحباش الذين كانوا في اليمن ، بالسكنى والهجرة والتجارة ، وبمعونة النصارى الذين كانوا قد لجأوا من قبل إلى اليمن، أن يمدّوا نفوذهم إلى اليمن كلها . وبدا لتُبَّع ذي نواس [1] أن يضطهد النصارى ، وكان هو يهودياً فيما قيل ، لأسباب لا يَبْعُد أن تكون دينية وسياسية معاً ، فقتل منهم عدداً كبيراً .

وانتهز يوستينوس الاول [2] ملك الروم الفرصة وحرض النجاشي كلباً ملك الحبشة على غزو اليمن ، فاستطاع الأحباش أن يستولوا على اليمن ، سنة ٩٧ق.ه. (٥٢٥ م) ويقضوا على أسرة التبابعة فيها . ثم طمع الاحباش بمدّ سلطانهم في بلاد العرب فسار القائد الحبشي ابرهة الاشرم من اليمن نحو مكة في جيش عظيم ، وكان في جيشه فِيَلَةٌ — ولم يكن العرب قد رَأَوْا في الجيوش فيلاً من قبلُ ، فسُمّيَ ذلك العامُ عامَ الفيل (٥٧٠ م) — . غير أن حملة أبْرَهة هذه لم يُكتبْ لها النجاح .

وفي عام الفيل وُلد محمّد صلى الله عليه وسلّم .

وفي ما يلي عدد من الكتب في جغرافية بلاد العرب وتاريخها والأحوال الحضارية فيها عامّة على سبيل الاشارة النافعة لا على سبيل الحصر والاستقصاء :

— صفة جزيرة العرب لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمْداني ، القاهرة ١٩٥٣ م .

— معجم البلدان لياقوت الرومي (الحموي) ، القاهرة ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦ م .

---

١ تبع لقب لملوك اليمن .

٢ يوستينوس الأول (٥١٨ – ٥٢٧ م) جاء قبل يوستنيانوس الأول (٥٢٧ – ٥٦٥ م) .

– جزيرة العرب في القرن العشرين ، تأليف حافظ وهبه ، القاهرة ١٩٤٦ م .
– قلب جزيرة العرب ، تأليف فؤاد حمزة ، القاهرة ١٩٣٣ م .
– جغرافية شبه جزيرة العرب ، تأليف عمر رضا كحاله ، دمشق ١٩٤٥ م .
– أسواق العرب في الجاهلية ، تأليف سعيد الافغاني ، دمشق ١٩٦٠ م .
– موقع سوق عكاظ لحمد الجاسر (م م ع ع ، المجلد ٢٦ ، ١٩٥١) .
– تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٠ م .
– تاريخ الكامل لأبي الحسن عليّ بن محمد بن الأثير ، القاهرة ١٣٠٣ هـ .
– مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن عليّ بن الحسين المسعودي ، القاهرة (١٩٥٨م) .
– نهاية الارب في فنون العرب لأبي العبّاس أحمد بن عبد الوهّاب النويري ، القاهرة ١٩٢٣ – ١٩٥٥ م .
– كتاب المعمّرين لأبي حاتم السجستاني ، ليدن ١٨٩٩ م .
– تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ، القاهرة ١٩٥٧ م .
– تاريخ العرب قبل الاسلام ، تأليف الدكتور جواد عليّ ، بغداد ١٣٦٩ – ١٣٧٨ هـ (١٩٥٠ – ١٩٥٩ م) .
– تاريخ الجاهلية ، تأليف الدكتور عمر فرّوخ ، بيروت ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤ م .
– الروم وصلاتهم بالعرب للدكتور أسد رستم ، بيروت ١٩٥٥ – ١٩٥٦ م .
– جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ، القاهرة ١٩٦١ م .
– معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، تأليف عمر رضا كحالة ، دمشق ١٩٤٩ م .
– أنساب العرب القدماء ، تأليف جرجي زيدان ، القاهرة ١٩٢١ م .
– العصر الجاهلي ، تأليف الدكتور شوقي ضيف ، مصر ١٩٦٠ م .
– تاريخ ملوك الحيرة ، تأليف علي الاعظمي ، القاهرة ١٩٢٠ م .
– أمراء غسّان .... تأليف تيودور نولدكه ، نقله إلى العربية بندلي جوزي وقسطنطين زريق ، بيروت ١٩٣٣ م .
– أيام العرب في الجاهلية ، تأليف محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أحمد أبي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٤٢ م .

– عادات العرب في جاهليتهم ، تأليف محمود شكري الألوسي ، بيروت ١٩٢٤ م .
– بلوغ الأرب في محاولة معرفة أحوال العرب ، تأليف محمود شكري الألوسي (عني بنشره محمد بهجة الأثري) ، القاهرة ١٩٢٤ – ١٩٢٥ م .
– العرب وأطوارهم : طور العرب والعربية في أطوار الجاهلية ، تأليف محمد عبدالجواد الاصمعي ، القاهرة ١٣٣١ هـ .
– العصبية عند العرب في الجاهلية والاسلام ، تأليف علي مظهر ، القاهرة ١٩٢٣ م .
– المرأة في الشعر الجاهلي ، تأليف علي الهاشمي ، بغداد ١٩٦٠ م .
– القيان والغناء في العصر الجاهلي ، تأليف ناصر الدين الاسد، بيروت ١٩٦٠ م .
– صلة الجاهلية بالعالم القديم للشيخ فؤاد الخطيب (محاضرات المجمع العلمي العربي في دمشق ، ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م ، ٢ : ٤٣٤ – ٤٦٧) .
– عرب الجاهلية في مباذلهم (مثله ٢ : ١ – ٢٥) .
– ما ساهم بـه المؤرّخون العرب في المئة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي وغيره ، أشرفت على اخراجه هيئة الدراسات العربية في الجامعة الامريكية ، بيروت ١٩٥٩ م .
— Die Ortsnamen in der altarabischen Poesie, von Ulrich Thilo , Wiesbaden 1958 .
— Die Wohnsitze und Wanderungen der arabischen Stämme, von F. Wüstenfeld . Göttingen 1869 .
— Genealogische Tabellen der arabischen Stämme und Familien , von F. Wüstenfeld, Göttingen 1852 - 3 .
— Essai sur l'histoire des arabes, par Caussin de Perceval, Paris 1847 .
— Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden, von Theodor Nöldeke .
— Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira, von G. Rothstein, Berlin 1899 .
— Der Ghassanischen Fürsten aus dem Haus Gafna, von Theodor Nöldeke .
— The Kings of Kindah or the Family of Akil al-Mirâr , by Gunner Olinder , Lund 1927 .
— l'Arabie occidentale, par Henri Lammens, Beyrouth 1928 .
— Storia e cultura degli arabe fino allo morte di Maometto , por M. Guidi , Firenze 1951 .

الحياة الأدبيّة في الجاهليّة

ازدهر نقد الأدب وكثر جمع الآثار الأدبية في العصر العباسي ، فلم يكن من المستغرب إذن أن يُسمّي نقاد الأدب ورواتُه في ذلك العصر كل ما سبق أيامهم من الآثار الأدبية باسم **الأدب القديم** . وعلى هذا ينقسم دور الأدب القديم ثلاثة أعصر : العصر الجاهلي ، عصر المخضرمين والعصر الأموي .

الجاهلية اسم أطلقه القرآن الكريم على العصر الذي سبق الاسلام ، لأن العرب في تلك الحقبة كانوا « أهل جاهلية » يعبد بعضهم الأوثان ويتنازعون فيما بينهم ويثأر بعضهم من بعض ، ويئدون أحياناً أولادهم . وكانوا يشربون الخمر ويجتمعون على الميسر (القمار) . وهكذا نرى أن الجاهلية كانت من الجهل الذي هو ضد الحلم ، لا من الجهل الذي هو ضد العلم . ان العرب كانو ا على قسط وافر من العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصرهم كالفلك والطب واقتفاء الأثر . أما أدبهم فكان أرقى الآداب في أيامهم . ولا يزال هذا الأدب الجاهلي إلى اليوم من أبرع النماذج الأدبية .

الحياة الأدبية

الأدب العربي قديم النشأة جداً ، والشعر الذي وصل الينا من الجاهلية يمثل دوراً راقياً لا يمكن أن يكون الشعر قد بلغ اليه في أقل من ألفي سنة على الأقل . غير أنه لم يصل الينا من ذلك الشعر الأول شيء .

مواسم الشعر وأسواقه — اتسع نطاق الشعر في **الجاهلية** فلم يبق مقتصراً على التعبير عن الخيال والوجدان فحسب ، بل شَمِل ذكرَ المفاخر ووصف المعارك وتَعداد بعض الحوادث حتى سُمّي بحق « ديوان العرب » ، أي سجل تاريخهم . من أجل ذلك اقتضى أن يُنشد في المجتمعات وفي الحفْل الغفير ، فأخذ الشعراء يؤمّون الأسواق الخاصة والاسواق العامة الكبرى لينشر كل واحد منهم محامد قومه أو يدل على براعة نفسه ، مع العلم بأن هذه الاسواق كانت في الاصل

للتجارة ، ثم جعل الناس يتخذونها مواسم قومية أو أدبية ، لاجتماع الناس فيها . وربما طلب أحدهم في أحد هـذه المواسم غريماً أو عرض فيها سيفاً أو فرساً كريماً للبيع ، أو أمّها يبحث عن امرأة يخطبها ، أو ليُشهد على عتق عبد يملكه .

أما الأسواق الصغرى فكانت كثاراً ، كل حيّ له سوق اسبوعيـة أو شهرية قـاصرة على أهل الحي ومَنْ جاورهم في الاغلب . أما الاسواق الكبرى فكانت أقل عـدداً وأطول أمـداً ، وكان الزمن الذي يفصل بين انعقادهـا أطول ، هو في الاغلب عـام واحد . وأما أشهر هذه الأسواق — أو المواسم — فثلاث : ذو المجاز قرب ينبُع (وينبع ثغر مدينة الرسول) ، وذو المجنة (بفتح الميم أو كسرها) قرب مكة ، ثم عُكاظ وهي سوق في صحراء [1] بين نَخلة والطائف شرقَ مكة ، وكانت تبدأ مع هلال ذي القَعْـدة وتستمر عشرين يومـاً تجتمع قبائل العرب فيهـا فيتعاكظون أي يتفـاخرون ويتناشدون .

الشعر : قدمه وكثرته

الشعر العربي قديم النشأة جداً . ولكن القسم الأوفر منه ضاع بعوامل مختلفة : بترك تدوينه [2] ، وبهلاك نفر كثيرين من رواته في الفتوح بعد الاسلام ، وبتشاغل الناس عن روايته بالدين وبالفتوح . والاجماع بين النقّاد واقع على أن أول الشعر العربي الرجز [3] .

ثم ان الشعراء أنفسهم كثار لا يحيط بهم العدّ . قال ابن قتيبة [4] « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والاسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط » . ثم قال أيضاً (ص ٤ — ٥) : ولو قصدنا لذكر من لم يقل من الشعر إلا الشذّ اليسير لذكرنا أكثر الناس .

المعلقات — ومع الأيام زاد في الحياة الأدبية وجه جديد ، ذاك ان الشعراء

---

١ الصحراء (هنا) : الأرض الفضاء ، أي التي لا بناء فيها .

١ طبقات الشعراء ٤ ، ١٠ ؛ راجع جمهرة أشعار العرب ١١ — ١٤ .

٢ طبقات الشعراء ١١ ؛ الشعر والشعراء ٣٦ ؛ البيان والتبيين ٣ : ٦ ، ٤ : ٣٤ .

٣ الشعر والشعراء ٣ ؛ العمدة ١ : ٧ .

كانوا يتبارَون في سوق عكاظ امام أحد فحول الشعر — وقد ذكروا من هؤلاء النابغة — فمن حكم له انداده اختيرت قصيدته و «عُلقت» : قيل اعدّوها عِلْقاً أي شيئاً نفيساً ، وقيل كتبوها بالذهب وعلّقوها على جدران الكعبة، وقيل بل علقوها بالذهن أي حفظوها عن ظهر قلب .

وليس من المستبعد أن تكون المعلقات **قد دُوّنت وعلّقت في الكعبة** تصديقاً للروايات الكثيرة المتواترة في ذلك وجرياً على عادة الجاهليين في كتابة عهودهم ومواثيقهم وتعليقها في الكعبة نفسها [1] .

واختلف علماء الشعر في عدد المعلقات فمن مقلّل ومن مُكثّر [2] ، إلا ان جُمهور الرواة يجعلها ثمانيَ ، هي ، حسب ما اختاره أبو زيد القرشي ، لامرئ القيس (الكِندي) وزهير بن أبي سُلمي (المُزَني) والنابغة (الذُّبياني) والأعشى (القيسي) ولبيد بن ربيعة (العامري) وعمرو بن كلثوم (التغلبي) وطرفة بن العبد (البكري) وعنترة (العبسي) . ومنهم من يزيد عليها معلقة الحارث بنِ حِلّزة (البكري) وعَبِيد بن الابرص (الاسدي) .

مكانة الشاعر ومكانة الخطيب في الجاهلية :

قال ابن رشيق [3] : «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصُنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر [4] كما يصنعون في الاعراس ؛ ويتباشر الرجال والولدان . لأنه (أي الشاعر) حماية لاعراضهم

---

١. راجع المناقشة القيمة التي خصها الدكتور ناصر الدين الاسد بهذا الموضوع في كتابه «مصادر الشعر الجاهلي» (ص ١٣٤ وما بعدها ، وخصوصاً ص ١٦٩ — ١٧٢) .

٢ قال أبو زيد القرشي (جمهرة أشعار العرب ٤٥) : «والقول عندنا ما قاله أبو عبيدة : امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو (بن كلثوم) وطرفة ؛ وقال المفضل : هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب السموط ، فمن قال ان السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة» . ويحسن أن نلاحظ أن نسخة الجمهرة المطبوعة تتضمن معلقة عنترة أيضاً . (راجع أيضاً العمدة ١ : ٧٨) .

أما أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني فقال في مقدمة شرح المعلقات السبع : «هذا شرح القصائد السبع أمليته على حد الايجاز والاقتصار ...» ثم نسقها كما يلي : امرؤ القيس — طرفة — زهير — لبيد — عمرو ابن كلثوم — عنترة — الحارث بن حلزة .

١. العمدة ١ : ٤٩ .

٢ المزهر (بكسر الميم وفتح الهاء) : العود الذي يعزف عليه .

وذَبّ عن أحسابهم واشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهنّأون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تُنتَج ... »

وقال الجاحظ : « والخطباء كثيرون ، في الجاهلية ، والشعراء أكثَرَ منهم . ومَنْ يجمع الشعر والخطابة قليلٌ » [1] . ولقد « كان الشاعر أرفعَ قدراً من الخطيب ، وهم اليه أحوجُ لردّه مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيّامِهم . فلمّا كثر الشعراءُ وكثر الشعر صار الخطيب أعظمَ قدراً من الشاعر » [2] .

وجاء الجاحظ أيضاً بتفصيل أوفى في هذا الموضوع فقال : [3] « كان الشاعر في الجاهلية يُقَدّم على الخطيب لفَرْط حاجتهم إلى الشعر الذي يُقيّد عليهم مآثرَهم ويُفخّم شأنهم ويهوّل على عدوّهم ومَنْ غَزاهم ، ويُهيّب من فُرسانِهم ويُخوّف من كثرة عددهم ، فيَهابهم شاعر غيرهم ويُراقب شاعرَهم . فلمّا كثُر الشعر والشعراء ، واتّخذ (الشعراء) الشعرَ مَكسَبةً ، ورحلوا بـه إلى السوقة وتَسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر » .

خصائص الشعر الجاهلي

كانت البادية بيئةَ الشعر الجاهلي ، ولذلك كان الشعر مرآة للحياة البدوية ، يدور حول الجمل والطلل . ومع انـه قـد نبغ في المدن شعراءُ ، فان فحول الشعر كلهم كانوا من أهل الوَبَر (سكان الخيام : البدو) ، ولم يعترف الجاهليون ولا علماء الشعر المسلمون بتقدم شاعر قَروي (مدني) على شعراء البادية .

وعلى هذا ينتظر أن نرى خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية وما فيها إلا قليلاً من ألوان الحَضَر التي عرضت في شعر شعراءَ ذهبوا إلى بلاطات فارس والعراق والشام كالأعشى والنابغة مثلاً . فمن تلك الخصائص :

أولاً — الخصائص المعنوية

(أ) الصدق : الصدق في الشعر ان يعبر الشاعر عما يشعر به حقيقةً ممّا

---

٣ البيان والتبيين ١ : ٤٥ .

٤ البيان والتبيين ٤ : ٨٣ .

٥ البيان والتبيين ١ : ٢٤١ ؛ راجع العمدة ١ : ٦٦ .

يختلج في نفسه ، والا يتكلف في ايراده ، بقطع النظر عما إذا كانت الحوادث التي يذكرها قد وقعت أو لم تقع أو كان مبالغاً فيها . فليس من الضروري مثلاً ان يكون قول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضاق عنـــا ، وماءُ البحر نملأُه سـفينا

صحيحاً (ونحن نعلم انه غير صحيح) . ولكن المهم ان عمراً كان يشعر هذا الشعور فجاء بيته هذا صادقاً في التعبير عن شعوره هو .

(ب) النزعة الوُجدانية — والشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الأولى ، يصف نفس قائله وشعوره . حتى ان الشاعر القديم كان إذا عرض « لبحث موضوعي واقعي » ، كوصف الصيد والحرب أو كالحكمة والرثاء ، لونه بشعوره هو فانقلب الموضوع الواقعي في شعره موضوعاً وجدانياً .

والأدب في الحقيقة هو الانتاج الوجداني المطبوع . ووصف ابن قتيبة الشاعر المطبوع فقال فيه [1] هو « من سَمَح بالشعر واقتدر على القوافي ، وأراك في صدر بيته عَجُزَه ، وفي فاتحته خاتمتَه ، وتَبيّنتَ على شعره رَوْنق الطبع ووَشْيَ الغريزة ، وإذا امتُحِنَ (بانشاد شعره) لم يتَلَعْثَمْ ولم يتزحّر [2] » . ولذلك كره النقاد أشعار العلماء إذ ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة كشعر الاصمعي وشعر ابن المقفّع وشعر الخليل (ابن أحمد) » ، وسواهم [3] . ولعلّهم من أجل ذلك أيضاً فضّلوا أشعار البدو على أشعار الحضر لِمَا في أشعار البدو من الطبع في القول والعَفْو في النظم ، ولما في أشعار الحَضَر من التكلّف بعوامل من العلم والمداراة وتعقّد الحياة الاجتماعية .

(ج) البساطة — ان الحياة الفطرية والبدوية والقدم في الزمن عوامل تتضافر على جعل الشخصية الانسانية ساذجة بسيطة ، كذلك كانت البيئة الجاهلية ، وكذلك كان اثرها في الشعر الجاهلي .

جرى الشاعر الجاهلي على طبعه وسجيته فلم يتكلف القول في ما لم يشعر به ولا تكلف الاحاطة والشمول ولا التخريج والتعليل ولا التعقيد والمعاصاة في ما

---

١ الشعر والشعراء ٢٦ ؛ راجع العمدة ١ : ١٠٨ وما بعدها .

٢ أحدث صوتاً كأنما يريد أن يخرج منه شيئاً بالجهد .

٣ الشعر والشعراء ١٠ – ١١ .

شعر به . إن الطبع والسجية والبساطة والصدق تتمثل كلها في قول عنترة يخاطب عبلة :

ولقد ذكرتُكِ والرماح نواهلٌ ... مني وبيض الهند تقطُرُ من دمي؛
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم !

(د) القول الجامع — كانت الصفة الغالبة على الشعر الجاهلي انه « شعر وجداني » ، من أجل ذلك كان مَعرِضاً للآراء المفردة أكثر منه معالجةً مستفيضة لشؤون الحياة . ولقد مال العرب عموماً والجاهليون خصوصاً إلى استجماع القول حتّى كان البيت الواحد من الشعر يجمع معانيَ تامة ، وحتّى جعل الاقدمون يفتخرون بذلك . وقد أعجب النقاد بقول امرئ القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزِل ... بسِقْط اللوى بين الدَّخول فحَومل ،

وقالوا : انه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد !

(ه) الاطالة والاستطراد — وكان يُحمد في الشاعر الجاهلي ان يكون « طويل النفَس » أي ان يطيل القصائد . وقد يخرج الشاعر أحياناً عن الموضوع الاساسي إلى موضوعات تتعلق به من قرب أو من بعد ، وهذا يُسمّى الاستطراد .

وقد أُثِرَ عن الجاهلية مقطعات قيل إن أكثرها كان في الأصل قصائد طوالاً ثم نُسي بعضها . ومع العلم اليقين ان الشاعر الجاهلي نظم مثل هذه المقطعات ابتداءً ، فان الغالب على طبع الجاهلي انه كان يميل إلى اطالة القصائد .

(و) الخيال — وإذا كان اتساع أفق الصحراء قد أدّى إلى اتساع خيال الشاعر الجاهلي ، فان هذا الشاعر الجاهلي كان فطرياً بسيطاً كبيئته . ولعلك لا تستغرب إذا علمت ان الشعراء الذين اتصلوا بالحَضَر كالاعشى وامرئ القيس والنابغة كانوا في خيالهم أوسع وأعمق وأدق كما ترى في معلقة امرئ القيس عند الكلام على البرق والمطر والسيل وعلى النبات الذي هاج بعد ذلك المطر .

ولا ريب في ان الخيال في الجاهلية كان لا يزال يعتمد على التشابية والاستعارات أكثر من اعتماده على انتزاع الصور من الطبيعة .

ثانياً – الخصائص اللفظية

(أ) غرابة الألفاظ وجزالتها – إذا قرأنا نحن اليوم بعض الشعر الجاهلي وقعنا في أكثره على « كلمات غريبة » ، أي كلمات غير مألوفة في مخاطباتنا وكتاباتنا في عصرنا هذا . ويجب أن نشير إلى ان هذه الكلمات كانت يومذاك « فصيحة » أي مأنوسة مألوفة ، ذلك لأن ممارسة الجاهلي للحياة بين الخيام وعلى الإبل جعلت كل كلمة تتعلق بالخيام والابل مألوفة عنده . ولكن لما انقطع ما بيننا وبين هذا النوع من الحياة انقطعت الصلة بيننا وبين الكلمات الدالّة عليها وعلى أوجهها وأدواتها وآلاتها – على ما ترى في وصف طرفة للناقة في معلقته مثلاً . على ان الكلمة الغريبة قد تكون جميلة في اللفظ نحو رِئال (نعام) وقد تكون وَحْشية أو حوشية مستكرَهة في اللفظ ، نحو بُعاق (مطر) . والكلمة الجزلة هي الكلمة الفخمة التي تقع موقعها من الاستعمال .

(ب) متانة التركيب وبلاغة الأداء – والتركيب في الشعر الجاهلي متين ، أي صحيح يجري على قواعد اللغة العربية ، لا ضعف فيه من تقدم لفظ في غير محله أو تأخير لفظة إلى غير مكانها الذي تقتضيه أساليب العرب ، أو زيادة حشو لا فائدة فيه أو حذف لغير سبب نحوي .

وكذلك كانت تراكيبه بليغة ، أي تؤدّي المعاني المقصودة منها في الأحوال المناسبة إما حقيقة وإما مجازاً بتشابيه واستعارات وكنايات تفصح عن المعاني وتكسو الافكار قوة وبروزاً ، من غير تأثر بعجمة أو لحن عامي . وقد نجد في الشعر الجاهلي بضعة ألفاظ من الجناس والطباق ولكنها كلها غير مقصودة وإنما وقعت هنالك اتفاقاً ، ولعل شاعرها لم يفطن اليها .

(ج) العناية والتنقيح – وبما ان الجاهلي كان يجري في شعره على سجيته وطبعه فانه لم يتكلف عادةً في ما كان ينظمه بل كان يلقيه إلى الناس كما يخطر له ويدور في خياله . ولكنْ كان هنالك نفر يأخذون شعرهم بالعناية والتنقيح ، وقد سماهم رواة الأدب « عبيدَ الشعر » لأنهم يتكلفون اصلاحه (بعد نظمه) ويَشغَلون به حواسّهم وخواطرهم . وقد عدوا من هؤلاء النابغة وزهيراً والحُطيئة وطُفيلاً الغَنَوي . واشتهر من بينهم زهير بقصائده « الحوليات » ، أي التي كان يقضي حَولاً (عاماً) كاملاً في نظم كل واحدة منها وتنقيحها وعرضها على النقَدة (العمدة ١ : ١٠٨ ، ١١٢) .

وأراد الجاحظ **تعليل** ذلك فقال [1] : « ومن شعراء العرب مَنْ كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كَرِيتاً (كاملاً) وزمناً طويلاً ، يردّد فيها نظره ويُجيل فيها عقله ويقلّب فيها رأيَه ، اتّهاماً لعقله وتَتَبّعاً على عقله فيجعلُ عقله زِماماً على رأيه ، ورأيَهُ عياراً على شعره **إشفاقاً على أدبه وإحرازاً**(صِيانة) **لِما خوّله اللهُ تعالى من نِعْمَتِه** . وكانوا يسمون تلك القصائد الحَوْليّاتِ والمُقلّدات والمُنَقّحات **ليصيرَ قائلُها فَحْلاً خِنذيذاً وشاعراً مُفْلِقاً** .

اغراض الشعر وفنونه

الاغراض هي الموضوعات التي يتناولها الشاعر عَرَضاً في قصيدته ، وهي عادة « أمور ممهدة » للذي (الغرض الرئيسي) الذي يرمي اليه الشاعر . ولقد كان الوصف والنسيب في القصيدة الجاهلية غرضين رئيسين . واغراض الشعر الجاهلي كثيرة منها :

١ – وصف الاطلال : يأتي الشاعر لزيارة حبيبته فيجد أهلها قد رحلوا بها عن المكان الذي عهدهم نازلين فيه ، فيقف على طَلَل الخيمة (المكان الذي كانت الخيمة منصوبة فيه) فيصفه ويصف ما حوله وينسب بالحبيبة ويتشوق اليها .

٢ – وصف الراحلة : وكذلك يصف الشاعر الراحلة أو المطية (الناقة أو الفرس) التي يركبها للوصول إلى الحبيبة أو الممدوح ...

٣ – وصف الصيد : وتصيدَ الجاهلي لسببين : إما طلباً للمعاش كما كان يفعل صعاليك العرب ، أو طلباً للهو كما كان يفعل امرؤ القيس ، أو لأنه كان يخرج في حاشية الملوك الذين يذهبون إلى الصيد كالنابغة .

٤ – وصف الطبيعة : ويصف الشاعر عادة ما يراه في أثناء رحلته من صحراء أو أودية أو مطر أو رياح أو نهر أو مطر . وأشهر الوصافين في الجاهلية امرؤ القيس .

وأصاب ابن رشيق لما قال [2] : « الشعر إلاّ أقلّه راجع إلى الوصف ، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه . وهو مناسب للتشبيه ومشتمل عليه وليس به ،

---

٢ البيان والتبيين ٢ : ٩ .

٢ العمدة ٢ : ٢٨٧ .

ولكنه كثيراً ما يأتي في أضعافه [1] . والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا (الوصف) اخبار عن حقيقة ، وأن ذلك (التشبيه) مجاز وتمثيل .

ومع الأيام تفرّع الوصف أبواباً في الشعر فأصبح وصفُ النساء غزلاً ، ووصف الخمرُ خمريات ، ووصفُ الصيد طرْداً . وهكذا إذا قلنا نحن اليوم « الوصف » عنَيْنا الوصفَ المطلق أو وصف الطبيعة بما فيها مِنْ حياة : نباتٍ وحيَوانٍ أو من مواتٍ كالجبال والانهار والنجوم والأودية والثياب والهياكل وما سوى ذلك .

والوصف في كل شيء نوعان : **خيالي وحسّي** . فالوصف الخيالي يعتمد التشبيهَ والاستعارة ويحاول أن يستحضر الموصوف من الذاكرة . **أما الوصف الحسي فهو تصوير للموصوف** . ولا ريب في أن الوصف الحسي أبلغُ وأجود وأندر وأكثر صعوبةً من الوصف الخيالي . وقد ذكر أبو هلال العسكري الوصف فقال (ص ١٢٨) : « أجود الوصف ما يستوعب أكثرَ معاني الموصوف ، حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينك » . وأورد ابن رشيق قولاً بارعاً لبعض معاصريه يقول فيه (٢ : ٢٧٩) : « **أبلغ الوصف ما قلَبَ السمعَ بصراً** » .

٥ — الحماسة : وهي وصف المعارك والفخر بالنفس أو بالاسلاف . والحماسة أيضاً تتضمن المعاني التي تدل على « الصبر على الحوادث والتجلّد للأيام » وعلى « عدم المبالاة بما ينشأ عن التحول عن الإلف وترك الصديق والعشير ، لأن ترك الوطن والاخلال بالعشيرة ربما أدّى إلى التخاذل والتقاتل ، فالصبر عليه كالصبر على القتال » ، كما يقول التبريزي [2] .

٦ — الأدب : ويسمى الحِكمةَ أيضاً ، ذِكْرُ آراءٍ صائبة تصدق في الواقع أو توافق المنطق أو توجز نتائج الاختبار الطويل في ألفاظ يسيرة . وليس من الضروري أن ترد الحكمة على لسان العلماء والاذكياء وأصحاب الاختبار في الحياة فقط ، فلقد جرت أقوال من الحكمة البالغة على ألسن نفر من الجهال والأفدام والمشعبذين وصغار السنّ ومن لا يكادون يَبينون في كلامهم . والامثال على لسان الحيوان تدخل أيضاً في باب الحكمة ، وكذلك التزهيد والمواعظ [3] .

---

١ في تضاعيفه ، في أثنائه .

٢ راجع المثل السائر ٣٣ — ٣٦ .

٣ راجع العمدة ١ : ١٠١ .

٧ ـ الغزل تعبير عن عاطفة أصيلة في الانسان أصالةَ الحاجة الجنسية فيه . وتغزّل الجاهلي بالمرأة وحدها ، إلا أن غزله هذا جرى مجريين . : مجرى عفيفاً ومجرى صريحاً . أما الغزل العفيف فكان في البادية في الأكثر ، وكان عفيف المعنى ، عفيف اللفظ . وقل ما صرّح الشاعر المحبّ باسم حبيبته في الشعر . من أجل ذلك كان الغزل العفيف نسيباً يدور حول بثّ الشوق وتذكّر الأيام الماضية والرغبة في لقاء الحبيبة ، ويقل الغزل الصحيح (وصف الأعضاء الظاهرة في المرأة) في هذا النسيب . ويحسن أن نلاحظ أن الغزل كان يقال في المتزوّجات أكثر مما كان يقال في العذارى . حتى ذلك الذي كان يقال في العذارى كان يجري في لفظ يدل على متزوّجة : أم الحويرث ، أم الرباب ، الخ . وكان إذا تغزّل المحب بحبيبته وصرح باسمها منعوه من الزواج بها ، وربما خلعوه وأخرجوه من القبيلة أو نفوه عنهم مرة واحدة .

والبدْوي الذي كان يسلك سبيل الغزل الصريح كان مغرماً بالصفات الجسمانية البارزة في المرأة : كان يحب المرأة الفخمة التي يضيق الباب عن جسمها والتي تَعجِز عن أن تنهض من الأرض إلاّ بمعونة جواريها . وكان الجاهليون يحبّون الحوَر (شدة البياض في بياض العين وشدة السواد في سوادها) . وكانوا يحبون الشعر الكثيف الوافر (الطويل) الاسود الجعد ، ويحبون الرأس البيضاوي الذي يكون فيه الخد أسيلاً (طويلاً) ، كما يكرهون اللون الأمهق (الذي لا يخالط بياضه حمرة أو صفرة) . وكذلك كانوا يحبون العنق الطويل .

وكان أهل الحَضَر يحبّون المرأة العبلة الرُعبوبة التي لا تبلغ في السمن مبلغ تلك التي يضيق الباب عنها . وذلك قول امرئ القيس في معلقته : « **مهفهفة بيضاء غير مفاضة** » .

وكان الجاهليون من أهل الحضَر يحبون أن يغامروا في سبيل الوصول إلى المرأة : فكانت المرأة المنيعة المتصوّنة المحاطة بالحراس والاسوار أحبّ اليهم من المرأة المبتذَلة ، بينما البدوي كان يفضّل الوصول إلى المرأة من أيسر سبيل .

والشاعر العفيف الغزِل سواءٌ ، أكان بدوياً أم حَضَرياً ، كان يغلب عليه الميل إلى امرأة واحدة يجد فيها نعيمه وشقاءه ، سواء أكانت هي تبادله حباً بحب أم لا تبادله ، كما رأينا في شأن عنترة مثلاً فقد وقف سعادته على الزواج بعبلة . ثم ان عبلة تزوّجت وظل هو يقول فيها الشعر ويتحبّب اليها .

٨ — الفخر . الفخر من توابع العصبية والحياة القبلية . وكان الشاعر يفتخر بقومه أولاً وبنفسه ثانية . ومقوّمات الفخر في الجاهلية كانت : شرف الاصل وكثرة العدد والشجاعة والكرم وما يتفرّع منها . ويزيد الفخر بالنفس على الفخر بالقبيلة «السيادة» ، وذلك أن يكون المفتخر بقومة قد أصبح سيداً في قومه ، وفي سنّ باكرة على الأخصّ . وكان البدوي خاصة يفتخر بالنجدة (الاسراع إلى معونة الآخرين من ذات يده أو ذات نفسه أو بسيفه) . وكان أيضاً يفتخر بشرب الخمر واسقائها (لأن الخمر كانت في الجاهلية نادرة غالية الثمن) .

٩ — المدح . كان الجاهليون يمدحون بالمكارم التي كانوا يفتخرون بها . والمدح في الجاهلية كان فرقين : مدحاً للشكر وللاعجاب يغلب على أهل البادية كما نرى عند امرئ القيس وعند زهير بن أبي سلمى ، ثم مدحاً للتكسب يغلب على أهل الحَضَر وساكني الحضَر أو المتردّدين على الحضَر ، كما نرى عند النابغة والاعشى .

١٠ — الرثاء : والرثاء في الحقيقة مديح الميت . ولذلك نجد الجاهليين يرثون بالخصال التي كانوا يفتخرون بها ويمدحون . ولا ريب في أن رثاء الاقارب كان في العادة أقرب إلى العاطفة . ويتصل بالرثاء النواح ، وهو الشعر الذي كانت ينوح به النساء على الميت . ويبدو أن النواح كان في الجاهلية قد قطع شوطاً بعيداً من التقدم حتى أصبح فنّاً وصناعة وحرفة ، فقيل في أمثالهم : «ليست النائحة الثكلى كالمستأجَرة» .

١١ — وكذلك الهجاء كان نزعاً لتلك الصفات الحميدة عندهم عن المهجوّ ووصمَه بأضدادها : بضَعَة الأصل وقلة عدد القبيل وبالجبن والبخل . ولكن مما يَلفِت النظر **ان الجاهلي كان يهجو بالعيوب النفسية الخُلقية ولم يهج بالعيوب الجسمية الخَلقية .**

والهجاء بدوره كان فرقين أيضاً : هجاء قبليّاً ، وهو الاشهر والاكثر ، ثم هجاء شخصياً في الأقل . إن الحياة القبيلية كانت تستتبع أن يكون الهجاء — أو العداوة التي تقتضي الهجاء — قبلياً . ولكن لم يكن ثمت مفرّ من أن يخاطب الشاعر القبيلة المهجوّة بالتوجّه بالكلام إلى شاعرها . ألم يكن الشاعر هو الرافعَ لشأن القبيلة وممثلها ؟

والشاعر الجاهلي يطرق في معلقته عادة جميع هذه الأغراض ويمر بها مرّاً

خفيفاً . الا انه يتكئ على غرض واحد منها في الأكثر أو على غرضين يجعل منهما الموضوع الأساسي المقصود من المعلقة كلها كالغزل والفخر عند عنترة . أو كالغزل والوصف عند امرئ القيس أو كالاعتذار عند النابغة .

فنون الجاهلية

الفنّ « موضوع » مقصود لذاته يعالجه الشاعر بتوسع ، وقد يَقْتَصِرُ عليه القصيدة كلها أو أكثرها . وبكلمة أوضح : ان الغرض إذا تطور واتسع أصبح فناً . فالغزل مثلاً « غرض » إذا كان في أبيات قليلة ، وفي مطلع قصيدة في المديح مثلاً ، ولكنه « فن » إذا كان مقصوداً لذاته في قصيدة تامة أو شبه تامة ؛ وقد نسميه أيضاً باباً من أبواب الشعر .

شكل القصيدة الجاهلية

إذا رجعنا إلى القصائد الجاهلية الطوال ، والمعلقات منها على الأخص ، رأينا ان الشعراء يسيرون فيها على نهج مخصوص : يبدأون عادة بذكر الاطلال — وقد بدأ عمرو بن كلثوم مثلاً بوصف الخمر — ثم بذكر الحبيبة ، ثم ينتقل أحدهم إلى وصف الراحلة ثم إلى الطريق التي يسلكها . بعدئذ يخلص إلى المديح أو الفخر (إذا كان الفخر مقصوداً كما عند عنترة) . وقد يعود الشاعر إلى الحبيبة ثم إلى الخمر . وبعدئذ ينتهي بالحماسة (أو الفخر) أو بذكر شيء من الحكم (كما عند زهير) أو من الوصف (كما عند امرئ القيس) .

ويجدر بالملاحظة ان في القصيدة الجاهلية اغراضاً متعددة ، واحد منها مقصود لذاته (كالغزل عند امرئ القيس ، والحماسة عند عنترة ، والمديح عند زهير ، والاعتذار عند النابغة) .

هذا في المعلقات . أما في سائر القصائد الجاهلية فالأمر يختلف أحياناً اختلافاً ظاهراً . هنالك مقطعات في الأدب أو في الوصف أو الحماسة مستقلة بنفسها . وهنالك أيضاً قصائد تعالج موضوعاً واحداً كقصيدة عُروة بن الورد :

اقلّي عليّ اللومَ ، يا ابنةَ منذرٍ ونامي ، فان لم تشتهي النوم فاسهري .

فانها سبعة عشر بيتاً تدور حول فكرة واحدة وموضوع واحد ، هما ان امرأة

الشاعر تلومه لأن رزقه قليل ، فيبدي هو لها عذره ويقول لها إنه يود ألا يطلب الغنى إذا كان في الغنى مذلة له .

ذلك هو شكل القصيدة المألوف . ويبدو لنا أن الشعراء الذين كانوا يطمعون في الانشاد في عكاظ كي تعلّق قصائدهم إذا ظفرت برضا المحكّمين كانوا ينسجون قصائدهم على هذا المنوال الرسمي المألوف ، حتّى أصبح ذلك النسق المألوف في المعلّقات مرغوباً فيه وخصوصاً عند الممدوحين فتعلّق به الشعراء المدّاحون ثم احتفل به النقاد حتّى غلب هذا الشكل المألوف للقصيدة على الشعر ، ثم ظننّا نحن أنه لم يكن للعرب إلا ذلك النسق التقليدي .

والواقع أن شعراء الجاهلية من غير أصحاب المعلّقات ومن غير المتعرّضين بشعرهم للمدح كانوا يسلكون في النظم مسلكاً طليقاً من القواعد التي سيطرت على المعلّقات والقصائد الشبيهة بالمعلّقات . حتّى أن شعراء المعلقات أنفسهم كانوا يتحرّرون من تلك القواعد والقيود في معظم أشعارهم الباقية .

وكان للعرب نوع من الشعر يسمّى الرجز [1] يصرّعون صدوره وأعجازه على رويّ واحد ، نحو :

دع المطايا تنسم الجنوبا   إنّ لها لنبأ عجيبا ،
ما حملت إلاّ فتى كئيبا   يُسرّ ممّا أعلنت نصيبا ...

وربّما كان لكلّ بيت في صدره وعجزه قافية مختلفة من قوافي الأبيات الأخرى في الارجوزة . وربّما كانت القصيدة من بحر الرجز وكان لأبياتها رويّ واحد ، كما يفعل في القصائد .

والرجز وزن من أوزان الشعر العربي الأصيلة ، وهو أقدم الأوزان العربية . ولقد أصاب بروكلمان [2] لمّا قال إنّه لا سبيل إلى الزعم بأن بحر الرجز نشأ عند العرب من تأثرهم باليونان ، وان كان ثمّت شبهاً شكليّاً ظاهراً (خارجياً) بين بحر الرجز العربي وبين الوزن اليوناني المعروف باسم أيامبي والذي يتألف المصراع فيه من أوتاد (والوتد لفظ مركّب من صوتين أحدهما قصير والآخر طويل نحو « علا » : عـ . . . . ـلا) .

---

١ راجع العمدة ١ : ٥٨ – ٦١ ؛ تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ١ : ٦٥ – ٦٧ ؛ بروكلمان ١ : ٥٦ – ٥٧ ، الملحق ١ : ٢٢ – ٢٤ ، ٩٠ – ٩٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (النسخة العربية) ، تحت كلمة ؛ رجز .

٢ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢٣ .

صحة الشعر الجاهلي

تطرق الشك إلى صحة الشعر الجاهلي منذ أيام أئمة الشعر الأولين ، قال ابن سلاّم [1] : « فلمّا راجعت العرب رواية الشعر وذِكرَ أيامها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الاشعار . **وليس يُشكل على أهل العلم زيادة ذلك ، ولا ما وضع المولّدون** ؛ وانّما عضل [2] بهم أن يقول الرجل من أهل بادية — من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم — فيُشْكل ذلك بعض الاشكال » .

ثم تناول المستشرقون هذا الشك فأفاضوا في الكلام عليه ، ومن المستشرقين تناوله كتّابنا المعاصرون لنا[3] . وإذا كان الشك قد تطرق إلى جميع ما يستند إلى الاخبار المروية — وخصوصاً ما كان قديماً — وإلى ماكان مدوّناً في بعض الأحيان — فليس من المستغرب أن يتطرق إلى الشعر الجاهلي أيضاً . فما خلاصة آراء الائمة من علماء الشعر في هذا البحث ؟

« الشعر الجاهلي » حقيقة تاريخية ، ولكن بما ان العرب لم يدوّنوا هذا الشعر بل اكتفوا بأن يتناقلوه خلفاً عن سلف وفي أزمنة متطاولة وفي أحوال مؤاتية أو غير مؤاتية فقد :

(١) نُسي بعضه فضاع .

(٢) نَسب الراوون بعض هذا الشعر ، عمداً أو سهواً ، إلى غير قائله .

(٣) رغب بعض الأفراد بالدفاع عن أنسابهم أو باختلاق أحساب لهم ولأسلافهم فعمدوا إلى نظم أبيات أو مقطعات أو قصائد ، أو أنهم سألوا بعض شعرائهم المعاصرين لهم مثل ذلك ثم نسبوه إلى شعراءَ متقدمين .

(٤) كذلك أراد نفر من اللغويين أن يستّروا خطأً وقعوا فيه فاختلقوا له

---

١ طبقات الشعراء (ليدن) ١٤ ، راجع ٣ - ٤ .

٢ معرفة الزيادة في الاشعار الصحيحة . عضل به : اشتد عليه ، صعب عليه .

٣ من أوفى ما كتب في هذا الموضوع وأرصنه الفصول : الثالث والرابع والخامس في كتاب « مصادر الشعر الجاهلي » للدكتور ناصر الدين الاسد ؛ وكذلك ما جاء في تاريخ الأدب العربي » تأليف بلاشير (١ : ٦٩ وما بعدها) .

شاهداً و « نحلوه » شاعراً قديماً أو دسّوه في قصيدة قديمة معروفة . وربما فعل بعض رواة التاريخ والحديث واللغة مثل ذلك . ولقد كان للنزاع بين الاحزاب السياسية على الاخص يد غير مشكورة في « نَحْل الشعر » .

وعلى هذا نشك نحن أيضاً في صحة بعض الشعر الجاهلي ، ولكن لا نشك فيه كلّه ولا نشك في الشعراء الجاهليين كذلك ، ذلك لأن « الناحل » يستطيع أن يقلّد البيت والبيتين والقصيدة والقصيدتين ، ولكنه لا يستطيع أن يخلق شاعراً ولا أن يتلبس بشخصية شاعر . وإذا استطاع أن يتلبس بشخصية شاعر واحد فهل يستطيع أن يتلبس بشخصيات مشاهير الشعراء أمثال امرئ القيس وطرفة وعنترة والاعشى معاً ؟ أضف إلى ذلك ان هنالك « اشارات متقاطعة » نراها في الدواوين المختلفة ، فنرى عَبِيد بن الابرص يذكر معاصره امرأ القيس ثم نجد امرأ القيس يذكر فلاناً وفلاناً ، فكيف يتأتى لمن اختلق هذا الشعر — سواءٌ أكان فرداً أم كانوا نفراً — أن يُلمّوا بذلك كله ويوفقوا بينه ؟ ثم هنالك الاشارات المتأخرة في القرآن الكريم إلى الشعر الجاهلي ثم الاشارات في دواوين الشعراء الامويين والعباسيين إلى الشعراء الجاهليين بأسمائهم وخصائصهم ، كقول الفرزدق (ت ١١٠ هـ ، ٧٣٨ م) :

وهب القصائدَ لي النوابغُ إذ مضَوْا ، وابو يزيدَ وذو القروح وجَرْولُ ١
والفحل علقمةُ الذي كانت لـه حُلَلُ الملوك كلامُه لا يُنْحَلُ ٢
وأخو بني قيسٍ وهن قتلْنـه ، ومُهَلْهِل الشعراء ذاك الاول ٣
والاعشيان كلاهما ، ومُرَقش ، وأخو قضاعةَ قولُه يُتَمَثَّل ٤
وأخو بني أسدٍ عَبِيدٌ إذ مضى ، وابو دؤادٍ قوله يُتَنَخَّل ٥
وابنا ابي سُلمى زهيرٍ ، وابنـه وابن الفُرَيعة حين جَدَّ المِقول ٦

١ النابغة : لقب نفر من الشعراء ، منهم : النابغة الذبياني والنابغة الجعدي ونابغة بني شيبان . أبو يزيد (المخبل السعدي) وذو القروح (امرؤ القيس) وجرول (الحطيئة) .
٢ والفحل علقمة (علقمة بن عبدة) .
٣ أخو بني قيس (طرفة) والمهلهل (بن ربيعة) .
٤ الأعشى : لقب لنفر من الشعراء يزيدون على ستة عشر عداً ، منهم : الأعشى ميمون بن قيس ، وأعشى باهلة ، وأعشى ثعلبة وسواهم . وأخو قضاعة : ابو الطمحان القيني .
٥ عبيد بن الابرص وأبو دؤاد الأيادي .
٦ وابنا أبي سلمى (بجير وكعب) وزهير (بن أبي سلمى) وابنه (عقبة بن كعب بن زهير) وابن الفريعة (حسان بن ثابت) .

إلى آخر ما عدّد . حينئذ انتصب له جرير (ت ١١٠ هـ) ونقض عليه معانيه وعيره بترديد أسماء الشعراء الأقدمين :

حسب الفرزدق أن تُسبّ مُجاشعٌ ويَعُدَّ شعر مُرقش ومهلهل .

يعني جرير بذلك ان الفرزدق لا يستطيع أن يدفع السُباب عن قبيلة مجاشع فينحرف إلى الافتخار بشعر قدماء الشعراء .

إذا كانت ثمت أبيات مدسوسة على الشعراء الجاهليين ، وإذا كانت هنالك قصائد قد نسبت سهواً أو عمداً إلى غير أصحابها أو غير زمانها ، فليس في ذلك كله ما يبرر الشك في الشعراء الجاهليين كلهم ولا في الشعر الجاهلي كله [1] .

النثر

الكلام نوعان مُرسَل ومنظوم . فالمرسل هو الذي لا يتكلف قائله في إلقائه شيئاً ، وهو النثر العادي . وأما الكلام المنظوم فهو ثلاثة أجناس : الرسائل والخطب والشعر [2] . فالكلام المنظوم هو الكلام الذي يخضع للعناية سواء أكان موزوناً أو لم يكن . ذلك لأن الكاتب يتأنق في الرسالة والخطيب يتأنق في الخطبة كما يتأنق الشاعر في القصيدة [3] .

وبعض النُقّاد يفضّل الكلامَ المنظوم على الكلام المنثور [4] كابن رشيق وأبي هلال العسكري . أما ابن الاثير فيرى أن المنثورَ أشرفُ من المنظوم لأن أسباب النظم أكثر ومَيْدانَه أوسعُ ، ولذلك كان عدد المجيدين من الشعراء أكبرَ من عدد المجيدين من الكُتّاب [5] .

والنثر أقدم نشأة ودوَراناً على الألسن من الشعر . إلا أن النثر لما كثر أصبح مُبْتَذَلاً فلم يهتمّ العربُ بروايته كما اهتموا برواية الشعر ، حتى روى ابن رشيق قَوْلَ من قال (١ : ٨) إن « ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما

---

١ الشك في النصوص القديمة عام في تاريخ الأدب عند جميع الأمم ، راجع مثلا الشك في الياذة هوميروس (مقدمة الالياذة لسليمان البستاني) .

٢ الصناعتين ١٦١ .

٣ الصناعتين ٥٨ ، ١٣٧ – ١٣٩ .

٤ العمدة ١ : ٧ ، راجع ٨ .

٥ المثل السائر ٤٩٩ – ٥٥٠ .

تكلّمت به من جيد الموزون ، فلم يُحفَظْ من المنثور عُشرُهُ ولا ضاع من الموزون عشره » .

ومن خصائص النثر الجاهلي أنه كثير الفواصل والموازنة ، مقتصد في السجع قليل الصناعة . ويدور النثر الجاهلي على الحِكَم والامثال وعلى الخُطَبِ والوَصايا .

والخطابة قديمة وعامّة في جميع الأمم . ويروي الجاحظ أن الفرس أخطب الأمم كلها . والخطابة صعبة لحاجة الخطيب إلى البداهة والارتجال . والبدو أحسن خطباً من المولّدين ومن أهل المدن عامة ، لأن البدوي يجري على الطبع والسليقة ولا يتكلّف في شيء . وتكون الخطب طوالاً وقصاراً ، إلا أن القصار أفضل لأنها أسرع علوقاً بالذاكرة وأطول مكثاً فيها .

وفي أواخر العصر الجاهلي ارتفعت مكانة الخطيب وانحطّت مكانة الشاعر ، لأن نفراً من الشعراء كالنابغة والاعشى اتّخذوا الشعر مكسبة وتجارة .

وإذا كان الشك يتطرق إلى الشعر ، فان تطرقه إلى النثر أسرع وأكثر ، ذلك لأن النثر غير منظوم فيسهل التلاعب بـه على الألسن . وبما أننا لسنا على ثقة من أن جميع النصوص النثرية قد رويت لنـا عن الجاهلية بلفظها الأول فقد أصبح لِزاماً **على من أراد أن يتعرّف إلى أساليب الجاهليين في نثرهم أن يتلمّسها في القرآن الكريم** ، فان حجة ذلك الآيةُ الكريمة : « وما أرسلنا مِنْ رسولٍ إلاّ بلسانِ قومه لِيُبَيِّنَ لهم (١٤ : ٤) » ، ففي القرآن الكريم جميع أساليب العرب .

ومن أوجه النثر في الجاهلية الأمثال والوصايا وسجع الكهّان :

أما الأمثال فهي جمل قصيرة وجيزة تدل على صحة الرأي وصدق الاختبار . وربما نشأ المثل من لفتة لشاعر في بيت من الشعر أو من برقة فكر لرجل في أثناء حديث فوافق ما ألفه الناس في حياتهم فأصبح قاعدة في السلوك الانساني (خيراً أو شراً) أو واقعاً لا مفرّ منه . ومع أن المثل قول حكيم على كلّ حال ، فانه غير الحكمة . ان الحكمة قول صائب في حال مخصوصة ، بينما المثل قول موافق للواقع يعمل الانسان به . فمن أمثال الجاهلية المختلفة المراتب : **إنّك** لا تجني من الشوك العنب (لا تنتظر الخير ممـا هو شرّ في نفسه) — البس لكلّ

حالة لبوسها – قبل الرمي يراش السهم (يجب أن يستعدّ المرء للأمر قبل أن يقدم عليه) – ربّ كلمة سلبت نعمة – كلّ فتاة بأبيها معجبة – تسمع بالمعيدي خير من أن تراه .

وأما الوصايا فهي من باب الخطب ، إلاّ أن الخطبة تقال في الحفل المجتمع بينما الوصية تقال للفرد . أوصت أعرابية ابنة لها تزوجت فقالت : أي بُنيّةُ ، انّكِ فارقتِ الجوّ الذي منه خرجت ، وخلّفتِ العشّ الذي منه درجت ، إلى بيت لم تعرفيه وقرين لم تألفيه . فاحملي عنّي عشر خصال تكن لكِ ذُخراً : أصحبيه بالقناعة وعاشريه بحسن السمع والطاعة ، الخ ...

وأما سجع الكهّان فانه أيضاً من باب الخطابة ولكن جمله أقصر والسجع في فصول الكلام مطّرد لا تخلو جملة منه من سجعة ، ولذلك [illegible] « سجع الكهّان » . ويقصد الكاهن إلى أن يطوف على كلامه غموض شامل حتّى يستنتج كلّ سامع من كلام الكاهن ما يريده هو . وتلك خاصة عامّة في كلام الكهّان عند جميع الامم . قال عزّى سلمة : « والارض والسماء ، والعقرب وا[illegible]عاء ، واقعة ببقاء .... » .

مصادر ومراجع تتعلّق بهذا الفصل

– الحياة الادبية في العصر الجاهلي ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٤٩ .
– الأمثال في النثر العربي القديم ، تأليف عبد المجيد عابدين ، مصر ١٩٥٦ .
– الخطابة : أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، تأليف محمد أبي زهرة ، القاهرة ١٩٣٤ .
– الخطابة ، تأليف محمد عبد الغني حسن ، القاهرة ١٩٥٥ .
– نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، تأليف حسين نصّار ، مصر ١٩٥٤ .
– الوصف في الأدب العربي ، تأليف الدكتور سامي الدهان ، القاهرة ١٩٥٥ .
– الوصف في الشعر العربي ، تأليف عبد العظيم قنّاوي ، مصر ١٩٤٩ .
– الغزل في العصر الجاهلي ، تأليف أحمد محمد الحوفي ، القاهرة ١٩٥٠ .
– الغزل عند العرب ، تأليف حسان أبي رحاب ، مصر ١٩٤٧ .

– تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، تأليف شكري فيصل ، دمشق ١٩٥٩ .
– تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني ، تأليف أحمد الشايب ، القاهرة ١٩٤٥ .
– الهجاء والهجّاءون في الجاهلية ، تأليف محمد محمد حسن ، القاهرة ١٩٤٧ .
– تطوّر الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية إلى أبي نواس ، تأليف جميل سعيد ، القاهرة ١٩٤٥ .
– الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، تأليف يوسف خليف ، القاهرة ١٩٥٩ .
– شياطين الشعراء ، تأليف عبد الرزاق حميدة ، القاهرة ١٩٥٦ .
– الحرب في الشعر الجاهلي ، تأليف علي الجندي ، القاهرة ١٩٥٨ .

• • •

– مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، تأليف ناصر الدين الاسد ، القاهرة ١٩٥٦ .
– بعث الشعر الجاهلي ، تأليف محمد مهدي البصير ، بغداد ١٩٣٩ .
– في الشعر الجاهلي ، تأليف طه حسين ، القاهرة ١٩٢٥ .

وقد أثار هذا الكتاب عاصفة من الاحتجاج والنقد ، فحذف المؤلّف منه عدداً من الأمور ولطّف عدداً من الجمل ثم أعاد طبعه (عام ١٩٢٧ م) باسم « في الأدب الجاهلي » . ثم طبع هذا الكتاب مراراً . ومن الردود عليه :

– تحت راية القرآن ، لمصطفى صادق الرافعي ، القاهرة ١٩٢٦ .
– نقد كتاب الشعر الجاهلي ، تأليف محمد فريد وجدي ، القاهرة ١٩٢٦ .
– نقض الشعر الجاهلي ، تأليف محمد الخضر التونسي ، مصر ١٩٤٥ هـ (١٩٢٦ – ١٩٢٧ م) .
– الشعر الجاهلي والرد عليه ، تأليف محمد حسين ، القاهرة ١٩٢٧ .
– النقد التحليلي « لكتاب في الشعر الجاهلي » ، تأليف أحمد محمد الغمراوي ، مصر ١٩٢٩ .

العَصْرُ الجَاهِليّ[1]

مُعظَم الأدباء الذين وصلت الينا أخبارهم وآثارهم من الجاهليين شعراءُ ، ولكن لم يشتهر أحد منهم شهرة واضحة ثابتة قبل القرن السادس للميلاد . غير أن في كتب الأدب اشاراتٍ إلى نفر من الشعراء أقدم عهداً . قال ابن سلاّم [1] :

« ومن قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم :

قد رابني من دَلْوِيَ اضطرابُها والنأيُ في بهراءَ واغترابُها

إلاّ تَجِيءْ مَلْئَى يَجِيءْ قِرابها » .

وهي أشطر من الرجز ، والرَّجَز عند جميع النقاد أقدم الشعر .

وكذلك ذكر ابن سلاّم أن سعداً ومالكاً ابني زيد مناة بن تميم من الشعراء القُدامى ، ومالك هذا هو الذي يقول في أخيه سعد البيت المشهور الذي أصبح عَجُزُهُ مثلاً [2] :

أوردها سعدٌ ، وسعد مُشْتَمِلْ ، ما هكذا تُوردُ ، يا سعدُ ، الابل !

ومن ذلك ما ذكره ابن سلاّم أيضاً عن دُويد [3] بن زيد بن نَهْد القُضاعي أنه قال لما حَضَرتْه الوفاة [4] :

اليوم يُبنى لدويدٍ بيتُ ، لو كان للدهر بِلىً أبليته .....

وروى الجاحظ في البيان والتبيين (٣ : ٣٢٨) لحُجر بن معاوية آكل المرار — الجد الثالث لامرئ القيس — أبياتاً هي :

ان مَنْ غَرّه النساءُ بشيء بعدَ هندٍ لجاهلٌ مغرور .

حُلوةُ العينِ واللسانِ ، ومرٌّ كلّ شيء يُجنّ منه الضمير .

---

١ طبقات الشعراء ١١ .

٢ طبقات الشعراء ١١ .

٣ ويقال ذويد ودريد .

٤ طبقات الشعراء ١١ ؛ الشعر والشعراء ٣٦ .

كل أنثى – وان بدتْ لك منها آيةُ الحب – حبُها خَيْتَعور [1] .

وآكل المرار يجب أن يكون قد بلغ أشُدَّه قبل انتصاف القرن الخامس للميلاد .

وجاء في ديوان امرئ القيس :

عوجا على الطلل المحل لعلّنـا نبكي الديارَ كما بكى ابن حِـذام .

وقد علّق ابن سلاّم [2] على هذا البيت بقوله : وابن حذام « رجل من طيّ لم نسمع شعره الذي بكى فيه ولا شعراً غيره له ، ولم نسمع ذكراً له إلاّ في هذا البيت الذي ذكره (فيه) امرؤ القيس » .

وهنالك شعر لكُليب بن ربيعة ثم للمُهَلْهِل خال امرئ القيس ولنفر من أعمام امرئ القيس ولغيرهم ممن عاصرهم أو سبقهم قليلاً . هذه الطبقة من الشعراء يجب أن تكون قد بلغت أشُدّها في النصف الثاني من القرن الخامس للميلاد .

ولابن قتيبة في كتابه **الشعر والشعراء** مقدّمة نفيسة جداً في نطاق الشعراء الذين جمعهم في كتابه ، سأوجز في ما يلي معانيَها بألفاظه بعد أن أستغني عن الألفاظ التي لا حاجة اليها في هذا الايجاز وعن الأمور التي استطردَ اليها مما لا يفيدنا في هذا المقام :

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة :

هذا كتاب ألّفته في الشعراء : أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم و (عن) قبائلهم وأسماء آبائهم .... وعمّا يُستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ، وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يُختار الشعر عليها ويستحسن لها ...

وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلّ هذا أهلَ الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي كتاب الله عزّ وجل وحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ....

ولعلّك تظنّ – رحمك الله – أنه يجب على من ألّف مثل كتابنا هذا ألاّ

---

١ خيتعور : المتلون لا يثبت على حال .

٢ طبقات الشعراء ١٣ .

يدع شاعراً قديماً ولا حديثاً إلاّ ذكره ودلّك عليه .... والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم ، في الجاهلية والاسلام ، أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف ... جاء فتيان إلى أبي ضمضم فأنشدهم لمائة شاعر كلّهم اسمه عمرو . فهذا ما حفظه أبو ضمضم ولم يكن بأروى الناس ، وما أقرب أن يكون من لا يعرفه (أبو ضمضم) من المسمّين بهذا الاسم أكثر ممن عرفه . هذا إلى من سقط شعره من شعر القبائل ولم يحمله الينا العلماء والنقلة ... وكان ثلاثة اخوة من بني سعد لم يأتوا الامصار فذهب رجزهم ، يقال لهم منذر ونذير ومنتذر أو منيذر ....

مصادر ومراجع تتعلّق بهذا الفصل

١ – مجاميع :

– شرح القصائد العشر للتبريزي ، كلكتّة ١٨٩٤ م ، القاهرة ١٣٤٣ هـ ، ١٣٥٢ هـ ، الخ .

– شرح المعلّقات العشر وأخبار قائليها لأحمد بن الأمين الشنقيطي ، القاهرة ١٣٣٨ هـ ، الخ .

– السموط السبع الطوال من أشعار العرب ، مع شرح منتخب بقلم أ. ف. أرنولد ، ليبزغ ١٨٥٠ م .

– شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري (تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون) القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٣ م .

– شرح المعلّقات السبع لأبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحسين الزوزني [١] ، ضبطه وكتب مقدّمته وتراجمه وتعليقاته محمد علي حمد الله ، دمشق (المكتبة الاموية) ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م .

– العقد الثمين من دواوين الشعراء الجاهليين (النابغة – عنترة – طرفة – وزهير – علقمة – امرئ القيس) ، بقلم فلهلم آلوارت ، لندن ١٨٧٠ .

– العقد الثمين من دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين (طرفة – زهير – امرئ

---

١ جمع الاستاذ محمد علي حمد الله (ص ٥٦ – ٦٤) ثبتاً بشراح المعلقات وبطبعاتها ، مشروحة أو بغير شرح ، مفردة أو مجموعة عشراً عشراً أو سبعاً سبعاً أو أقل من ذلك . وقد استغنيت بهذه الاشارة عن ايراد هذه الطبعات التي بلغت في احصاء الاستاذ حمد الله ثلاثاً وثمانين .

القيس) ، بيروت ١٨٨٦ م .
– خمسة دواوين العرب (النابغة – عروة بن الورد – الفرزدق – حاتم الطائي – علقمة الفحل) ، مصر ١٢٩٣ هـ ، بيروت ١٣٢٧ هـ .
– شرح اشعار الهذليين (نشره كوزيكارتن) ، لندن ١٨٥٤ .
– أشعار الهذليين للسكري (فلهاوزن) ، برلين ١٨٨٤ .
– مجموعة أشعار الهذليين (الجزء الثاني) اعتنى بنشرها يوسف هل ، ليبزج ١٩٣٣ .
– ديوان الهذليين ، القاهرة ١٩٤٥ – ١٩٥٠ .
– الطرائف الأدبية (ديوان الافوه الاودي – الشنفري ، تسع قصائد نادرة ، الخ) لعبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٩٣٧ .
– مجموع اشعار العرب (الاصمعيات وبعض قصائد لغوية) نشرها فلهلم آلوارت ، برلين ١٩٠٢ .
– الاصمعيات (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون) ، مصر ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م .
– أراجيز العرب لمحمد توفيق البكري ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .
– المفضليات لأبي العباس بن محمد الضبي مع شرح الانباري (نشر تشارلس ليال) اكسفورد ١٩١٨ – ١٩٢٤ .
– المفضّليات (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون) ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٢ .
– المفضّليات الخمس (شرح وتحقيق عبد السلام هارون) ، القاهرة ١٩٤٢ م .
– جمهرة أشعار العرب لأبي زيد بن أبي الخطّاب القرشيّ ، مصر ١٣٠٨ هـ ، ١٣٣٠ هـ ، الخ ، بيروت ١٩٦٤ م .
– الحماسة الصغرى والوحشيّات لأبي تمّام ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩١٠ م – (نشرها محمد محمود الرافعي) ، القاهرة ١٩٢٢ – (نشرها كمال مصطفى) ، القاهرة ١٩٢٩ م .
– كتاب الوحشيّات وهو الحماسة الصغرى لأبي تمّام حبيب بن أوس الطائي ، علّق عليه وحقّقه عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر ، القاهرة (دار المعارف) ، ١٩٦٣ م .

– الحماسة لأبي عُبادة البحتري ، بيروت ١٩١٠م – القاهرة ١٩٢٢ ، ١٩٢٩ .
– كتاب الحماسة ، جمعها ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن محمد بن حمزة العلوي المعروف بابن الشجري ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ – القاهرة ١٣٠٦هـ– ١٩٢٥ م .
– الاشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والمخضرمين للخالديين ، القاهرة ١٩٥٨ .
– مختارات الطيالسي لجعفر بن محمد الطيالسي (نشر غاير) ، فيينا ١٩٢٩ .
– كتاب المكاثرة عند المذاكرة للطيالسي (نشر غاير) ، فيينا ١٩١٩ .
– النصف الأول من كتاب الزهرة ، تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان الاصفهاني (اعتنى بنشره لويس نيكل بمساعدة ابراهيم طوقان) ، بيروت ١٩٣٢ م = ١٣٥١ هـ .
– مختارات الشعر الجاهلي (الشعراء الستّة) ، تأليف مصطفى السقّا ، القاهرة ١٩٣٠ م ، ١٩٤٨ م .
– أمثال العرب لأبي العباس المفضّل بن محمد الضبي ، القسطنطينية ١٣٠٠ هـ .
– جمهرة الامثال لأبي هلال العسكري ، القاهرة ١٣١٠هـ (على هامش أمثال الميداني).
– مجمع الامثال لأحمد الميداني النيسابوري ، بولاق ١٢٨٤ ، القاهرة ١٣١٠هـ، ١٣٥٢ هـ ، الخ .
– فرائد اللآل في مجمع الأمثال للشيخ ابراهيم الاحدب ، بيروت ١٣١٢ هـ .
– جمهرة خطب العرب لأحمد صفوت (ثلاثة أجزاء) القاهرة ١٩٣٣ .
– جمهرة رسائل العرب لأحمد صفوت (أربعة أجزاء) ، القاهرة ١٩٣٧–١٩٣٨ .

٢ – مختارات من الشعر مع تراجم موجزة أو مفصّلة :

– طبقات الشعراء ، تأليف محمد بن سلاّم الجمحيّ (نشره يوسف هلّ) ليدن ١٩١٣ م – (شرحه محمود محمد شاكر) ، القاهرة (دار المعارف)١٩٥٢ م القاهرة .
– كتاب الشعر والشعراء ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (نشره ده خوية) ، ليدن ١٩٠٢ م . ثم نشر مراراً ، القاهرة ١٣٢٢ ، ١٣٣٢ ، ١٢٦٤ – ١٣٦٦ هـ الخ ، ثمّ بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م .
– طبقات الشعراء ، تأليف عبد الله بن المعتز (تحقيق عبد الستار أحمد فراج) ، القاهرة ١٩٥٦ .

— نزهة الالبّاء في طبقات الأدباء ، تأليف عبد الرحمن الانباري ، القاهرة
— تاريخ آداب العرب ، تأليف مصطفى صادق الرافعي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩١١ ، الطبعة الثانية (باشراف محمد سعيد العريان) ، القاهرة ١٩٥٤ .
— أدب اللغة العربية ، تأليف محمد حسن المرصفي ، القاهرة ١٩٠٨ .
— تاريخ آداب اللغة العربية ، تأليف جرجي زيدان ، الجزء الأول (طبعة جديدة راجعها وعلّق عليها الدكتور شوقي ضيف) ، القاهرة ١٩٥٧ .
— تاريخ الأدب العربي ، تأليف أحمد حسن الزيات ، الطبعة الرابعة عشرة ، القاهرة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م .
— أدباء العرب ، تأليف بطرس البستاني ، ثلاثة أجزاء ، بيروت ١٩٣٤م .
— الأدب العربي وتاريخه ، تأليف محمود مصطفى ، القاهرة ١٩٣٧ .
— تاريخ الأدب العربي ، تأليف بيومي السباعي ، ثلاثة أجزاء ، القاهرة ١٩٤٨ — ١٩٥٣ .
— الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، تأليف محمد هاشم عطية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٣٦ .
— تاريخ الشعر العربي حتّى آخر القرن الثالث الهجري ، تأليف نجيب محمد البهبيتي ، القاهرة ١٩٥٠ .
— تاريخ الأدب العربي ، تأليف كارل بروكلمان [١] (نقله إلى العربية عبد الحليم النجار) ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٩ .
— تاريخ الأدب العربي منذ نشوئه حتّى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد ، تأليف ريجيس بلاشير (نقله إلى العربية الدكتور ابراهيم الكيلاني) ، دمشق ١٩٥٦ .
— المنهاج في الأدب العربي وتاريخه ، تأليف الدكتور عمر فروخ ، ثلاثة أقسام ، بيروت ١٩٥٩ — ١٩٦٠ .
— خمسة شعراء جاهليون (مع مقدمة في خصائص الشعر الجاهلي وفنونه) ، تأليف الدكتور عمر فرّوخ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م .

١ ان الاشارة بقولنا : بروكلمان ، الملحق هي الى النسخة الألمانية :
Geschichte der arabischen Litteratur, von Carl Brockelmann, 2 Bände, Leiden 1943, 1949; und 3 Supplementbände, Leiden 1937, 1938, 1942.

- رجال المعلّقات العشر ، تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٣٢ هـ .
- الشعراء الجاهليون ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، مصر ١٩٤٥ .
- أعلام الشعر الجاهلي ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي وعبد السلام أبي النجا سرحان ، القاهرة ١٩٤٩ .
- أدب العرب في الشعر الجاهلي ، تأليف محمد يوسف دخيل ....
- دراسة الشعراء (امرئ القيس - الاعشى - النابغة - زهير - الحطيئة) ، بدأ تأليفه محمد حسن نائل المرصفي وقام باكماله ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ١٩٤٤ .
- شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ، تأليف بشير يموت ، بيروت ١٩٣٤ .
- معلّقات العرب ، تأليف بدوي أحمد طبانه ، القاهرة ١٩٥٨ .
- دراسات في الأدب العربي ، تأليف غوستاف أدمون فون غرونبوم (ترجمة احسان عبّاس وأنيس فريحة ومحمد يوسف نجم وكمال يازجي) ، بيروت ١٩٥٩ .
- شعراء النصرانية قبل الاسلام ، تأليف الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩٢٢ - ١٩٢٥ .
- الشعراء اليهود العرب ، تأليف المحامي مراد فرج ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية ١٩٣٩ .

وفي ما يلي كتب لم يقصد أصحابها أن تكون كتب أدب خالص ، ولا هم اتّبعوا في تأليفها منهجاً معيّناً . غير أن فيها مادّة أدبية قيّمة ، وبعض هذه الكتب لا غنى عنها لمن يدرس الأدب وتاريخ الأدب :

- كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني (الاجزاء ١ - ١٦ دار الكتب ، القاهرة ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م وما بعدها) ، الاجزاء ١٤ - ٢٠ بولاق ، الجزء ٢١ ليدن ١٩٠٥ م ، وقد طبع الجزء ٢١ ملحقاً بطبعة الحاج محمد ساسي المغربي ، مصر ١٣٢٣هـ ، التي توافق طبعة بولاق في ترقيم الصفحات موافقة قريبة .

** ان كل جزء من طبعة دار الكتب مفهرس فهرسة مفصّلة . وهنالك فهرس مفصّل لطبعة بولاق صنعه إغناطيوس غويدي (ليدن ١٨٩٥ - ١٩٠٠م) .

وكذلك طبعت دار الثقافة في بيروت كتاب الاغاني كاملاً ثم أخرجت له (عام ١٩٦٤ م) فهرساً مفصّلاً من عمل عبد الستّار أحمد فرّاج .

– كتاب الحيوان ، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون) . سبعة أجزاء ، القاهرة ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م .
– الكامل في اللغة والأدب ، تأليف أبي العباس محمد بن يزيد الازدي المبرّد ، ليبزك ١٨٧٤ .
– الامالي ، تأليف أبي علي اسماعيل بن القاسم القالي ، بولاق ١٣٢٤ هـ .
– سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، تأليف أبي عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري ، القاهرة ١٩٣٦ .
– كتاب عيون الاخبار ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، القاهره ١٩٢٥ – ١٩٣٠ .
– كتاب المعارف ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، غوتنجن ١٨٥٠ .
– العقد الفريد ، تأليف أحمد بن محمد بن عبد ربه ، مصر ١٢٩٣هـ .
– نقائض جرير والاخطل (لمحمد بن حبيب) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٤ .
– نقائض جرير والفرزدق ، تأليف أبي عمرو بن المثنى (نشره بيفان) ، ليدن ١٩٠٥ – ١٩١٢ .
– نهاية الأرب في فنون العرب ، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، القاهرة ١٩٢٣ – ١٩٣٣ .
– معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تأليف عبد الرحيم بن أحمد العباسي ، مصر ، ١٣١٦ هـ .
– زهر الآداب وثمر الالباب ، تأليف أبي اسحق الحصري القيرواني ، مصر ١٩٢٥ .
– خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تأليف الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي ، بولاق ١٢٩٩ .
– مصارع العشّاق ، تأليف أبي محمد جعفر بن أحمد بن السراج ، القسطنطينية ١٣٠١ هـ .
– تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشّاق ، تأليف داوود الانطاكي ، مصر ١٢٩١ هـ .

أعلامُ الجاهليّة
في الشِعْرِ والنَثْر

شعراء الجاهلية هم الشعراء الذين عاشوا قبل ظهور الاسلام ثم الشعراء الذين أدركوا الاسلام ولكن لم يُسلموا كالأعشى مثلاً ، مع أنه أعدّ قصيدة وجاء بها إلى الرسول ليَمْدَحَهُ بها ، كما تجد ذلك مبسوطاً في ترجمته .

الفِنْد الزِّمّانيّ

١ — هو الفِنْدُ الزِّمّانيّ [١] ، واسمه شَهْل بن شَيْبان بن مالك الحَنَفي من بني بكر بن وائل من أهل اليمامة . كان الفِنْدُ من فرسان ربيعةَ المشهورين المعدودين وسيّداً في قومه وقائداً لهم . وقد شَهِدَ الفند يوم التَّحالق (يوم تَحْلاق اللِّمَم) من حرب البَسوس على رأس مدد من قومه نُصرةً لبني بكر على بني تَغْلِبَ .

ولعلّ وفاة الفند كانت عام ٩٢ قبل الهجرة (٥٣٠م) ، وقد زادت سنّه على مائة [٢] .

٢ — شعر الفند قليل الغريب سهل عذب ، وأكثره في الحماسة التي يتخلّلها شيء من الحكمة .

٣ — المختار من شعره :

كان الفند الزِّمّانيّ قد اعتذر عن الاشتراك في حرب البسوس كيلا يقاتلَ قوماً

١ الفند (بكسر الفاء وسكون النون) : الجبل العظيم أو قطعة منه طولا (ويكون بفتح الفاء ايضاً) ، ولقب شهل (بفتح الشين) الزماني (بكسر الزاي وتشديد الميم) راجع القاموس المحيط ١ : ٣٢٤ .

٢ في الاعلام للزركلي (٣ : ٢٦٠) : ٧٠ ق. هـ. = ٥٥٢ م .

كانت بينه وبينهم قرابة . ثم انه اضطرُّ الى خوض الحرب وقال :

صَفَحْنا عن بني ذُهْلٍ وقُلنا : القومُ إخوانُ ،
عسى الأيّامُ أن يَرْجِعْـ ـنَ أقواماً كما كانوا .
فلمّا صرّح الشرّ وأمسى وَهْو عُرْيان ،
ولم يبق سوى العُدوان دِنّاهم كما دانوا .
مَشَيْنا مِشْيَةَ الليث ، غدا ، والليث غَضبان ،
بضرب فيه تَوْهينٌ وتخضيع وإقران [1] ،
وطعنٍ كفم الزِقّ ، غذا ، والزق ملآن [2] .
وبعض الحلم ، عند الجهل ، للذلّة إذعان .
وفي الشرّ نجاة حيـ ـن لا يُنجيك إحسان .

— وكان للفند في حرب البَسوس ، على كبر سنه ، مواقف رائعة : طعن مرّة طعنة شكّ بها رجلين ، فقال :

أيا طعنةَ ما شيخٍ كبيرٍ يَفَنٍ بالٍ [3] ،
تُقيم المأتم الاعلى على جَهد وإعوالٍ [4] .
ولولا نُبْل عَوْضٍ في خُظُبّايَ وأوصالي [5] ،
لطاعنت صدور الخيـ ـل طعناً ليس بالآلي [6] .
ترى الخيل على آثا ر مُهري في السنا العالي [7] .
ولا تُبقي صروفُ الدهـ ـر إنساناً على حالِ .
تَفَتَّيْتُ بها إذْ كَـ ـرِهَ الشِكّة أمثالي [8] .

١ وهنه : جعله واهناً (ضعيفاً) . تخضيع : إذلال . اقران : توالي (الطعن) .
٢ الزق : اناء من جلد للخمر . غذا : سال (كناية عن شدة الطعن) .
٣ « ما » زائدة ؛ « شيخ » مضافة إلى « طعنة » . يفن : الهرم البالي . — يتعجب من طعنة له شديدة بينما هو شيخ هرم .
٤ انها طعنة قاتلة ، تجمع النساء (في مأتم) للبكاء على قتيلهن بصوت عال (لأن المقتول رئيس) .
٥ لولا سهام عوض (سهام الدهر التي جعلني بها هرماً عاجزاً) . حظبى (بضم الحاء والظاء ثم باء مشددة بعدها ألف مقصورة) : الجسم . ويروي خضماتي (بضم فضم فتشديد) : والخضمة ما غلظ من الساعد والذراع .
٦ آل : مقصر ، (أي بلا فتور) .
٧ كان حصاني سابقاً الخيل وهي وراءه في الغبار الثائر (السنى في الأصل : البرق) .
٨ تفتيت : سلكت مسلك الفتى الشاب . الشكة : السلاح . اذ كره الشكة أمثالي : ان أمثالي (من الشيوخ يكرهون حمل السلاح لعجزهم عن الحرب) .

كجيب الدِفْنِس الورْها ءِ رِيعت بعد إجفال [١] .

٤ — »» الاغاني ٢٠ : ١٤٣ — ١٤٤ ، الحماسة ١ : ١٥ — ١٦ ، ٢١٤ — ٢١٥ .

الشنفرى الأزدي

٢ — الشَنْفَرَى يمني الأصل من بني أواس [٢] من الأزد ؛ وهو شاعر صُعْلوك من العدّائين الفُتّاك الرَجِيلين [٣] ، كان يُضْرب به المثل في سرعة الركض ومَدى القفز . قيل كانت الخيل لا تلحقه ، وقيل قيست نزوة (قفزة) من نَزَواته فوُجدت واحدة وعشرين خطوة (ثمانية أمتار ونصف المتر) . وكان الشنفرى يغزو على رجليه وحدَه أو في نفر قليلين من الصعاليك العدّائين الفُتّاك أمثاله كقريبه [٤] تأبّط شرّاً ثم عامر بن الأخنس وعمرو بن بَرّاق ورجل اسمه المُسَيَّب وأسد بن جابر . وكذلك كان يضرب المثل به في الحِذق والدهاء .

ويبدو أن الشنفرى وقع في أسر بني سَلامان بن مُفْرِج من بني فَهْم (من قَيْس عَيْلان من عرب الشمال) ، اسره اسد بن جابر ، وهو صغير ، فنشأ فيهم كأنه واحد منهم . ثم انه عرَف حقيقة أمره في حديث طويل . وقد قيل إنه أقسم أن يقتل مِائَةً من بني فَهْم لأنهم أسروه واستعبدوه وكتموا عنه حقيقة نسبه ، فَقَتَلَ منهم تسعةً وتسعين ثم قُتل . فمر به رجل منهم فرفس جُثّته برجله احتقاراً له ، فقيل ان شظيّة من عِظام الشنفرى المتناثرة دخلت رِجل الرَجُل الفَهْمي فمات متأثراً بالجرح الذي أَحدثته ، فتم بذلك مائة قتيل من بني فَهْم .

٢ — والشنفرى شاعر صعلوك أكثر شعره في الحماسة والفخر ، وله شيء من الغزل . وبعض شعره حائر النسبة بينه وبين ابن اخته تأبّط شرّا ، وقيل

---

١ هذا البيت وصف للطعنة في البيت الأول . هذه الطعنة واسعة كأنها مكان العنق من ثوب امرأة حمقاء انشق لسرعتها وقلة انتباهها .

٢ أواس (بفتح الهمزة) ، راجع الطرائف الأدبية لعبد العزيز الميمني ، ص ٣٢ .

٣ العداء : السريع العدو (بفتح العين وسكون الدال) : الجري ، الركض ؛ الفاتك : الشجاع الجريء على القتل ؛ الرجيل : الذي ليس لديه دابة يركبها فيسير على رجليه .

٤ في حياتي الشنفرى وتأبط شراً تداخل : ينسب الأمر إلى احدهما مرة وإلى الثاني مرة أخرى .

إن بعض شعره منحول . وللشنفرى القصيدة التي تُسمّى لاميّةَ العرب والتي تبلغ في الحسن والفصاحة مبلغاً عظيماً وتصوّر حياة الصعلوك تصويراً دقيقاً بارعاً .

٣ – المختار من شعره :

قال الشنفرى في التصعلك وقلة المبالاة بمصير الجسد بعد الموت :

فلا تَقْبُروني إن قبري مُحَرَّمٌ عليكم ؛ ولكن أبْشري أمَّ عامرٍ [١] .
إذا احتملوا رأسي ، وفي الرأس أكثري ، وغُودر عند المُلْتقى ثَمَّ سائري [٢] ،
هنالك لا أرجو حياةً تسرّني سَجيسَ الليالي مُبْسَلاً بالجرائر [٣] .

– ومن لاميّة العرب :

أقيموا ، بني أمّي ، صدورَ مَطيّكم فإني إلى قوم سِواكم لأمْيَلُ [٤] ،
فقد حُمّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ وشُدّت لطِيّاتٍ مَطايا وأرْحُلُ [٥] .
وفي الأرض مَنأىً للكريم عن الأذى ، وفيها لِمَنْ خافَ القِلى مُتَعَزَّل [٦] .
ولي دونَكم أهلونَ : سِيدٌ عَمَلّسٌ وأرقَطُ زُهْلولٌ وعَرْفاءُ جَيْأَل [٧] .
همُ الاهلُ لا مستودَعُ السرِ ذائعٌ لديهم ، ولا الجاني بما جرَّ يُخْذَل [٨] .
وكلٌّ أبِيٌّ باسلٌ ، غير أنني إذا عرَضت أُولى الطرائد أبْسَل [٩] .

١ أم عامر : الضبع (أبشري بأن تأكلي من لحمي) .
٢ عند الملتقى : في مكان المعركة .
٣ ... سأبقى طول الدهر في عنقي الجرائم الكثيرة التي كنت قد ارتكبتها في حياتي .
٤ بني أمي : قومي . أقيموا صدور مطيكم : ارفعوها من مباركها ، ارحلوا . أميل : مائل ، محب ، (مفضلهم عليكم) .
٥ حمت الحاجات : قدرت ، تهيأت ، (وجب القيام بها) . مقمر : مضيء (فيه القمر منير) . الطية (بكسر الطاء وتشديد الياء) : النية ، المكان ، المقصود . شدت مطايا وارحل : شدت الرحال على المطايا : (هيئت النياق للسفر) .
٦ منأى : مكان ناء (بعيد) ، نجاة . القلى : الكره ، البغض . متعزل : مكان يعتزل الانسان فيه ويبتعد عن أذى الناس .
٧ سيد : ذئب . عملس : القوي على السير . أرقط : من كان في جلده قطع ملونة متجاورة (المقصود هنا : النمر) . الزهلول : الاملس . عرفاء : وحش ضار له شبه العرف (الضبع) . جيأل (صفة معرفة بغير ألف ولام وممنوعة من الصرف) : الضبع (التي تجمع صوفها) .
٨ الجاني : المعتدي ، مرتكب الجناية . جر : اعتدى ، ارتكب جرماً .
٩ الأبي : الذي يأبى الضيم والظلم . الباسل : الشجاع . الطرائد (هنا) : الفرسان التي تطرد (تتقاتل على ظهور الخيل) .

وإنْ مُدّتِ الأيدي إلى الزاد لم أكن ... بأعْجَلِهم ،إذ أجْشَعُ القومِ أعْجَلُ [1].
وما ذاك إلا بسطةٌ عن تفضّلٍ ... عليهم ، وكان الافضلَ المتفضّلُ .
وانّي كفاني فَقْدَ من ليس جازيا ... بحُسْني ، ولا في قُربه مُتعَلّلُ [2]،
ثلاثةُ أصحاب : فؤادٌ مُشيّعٌ ، ... وأبيض إصليتٌ ، وصفراء عَيْطل [3] .
ولست بمِهيافٍ يُعشّي سَوامَه ... مُجدّعَةً سُقبانُها وَهْيَ بُهّل [4] ؛
ولا جُبّإٍ أكهى مُربٍّ بعِرْسه ... يُطالعُها في شأنه كيفَ يفعل [5] ،
ولا خالفٍ داريّة مُتَغَزِّلٍ ... يروح ويغدو داهناً يتَكَحّل [6] .
أُديم مِطالَ الجوع حتّى أُميتَه ، ... وأضرِبُ عنه الذكرَ صفحاً فأذهل [7] .
وأستَفّ تُربَ الأرض كيلا يرى له ... عليّ من الطَّوْل امرؤٌ مُتَطَوّل [8] .
ولولا اجتنابُ الذام لم يُلْفَ مشربٌ ، ... يُعاش به ، إلاّ لَدَيّ ومأكل [9] ،
ولكنّ نفساً مُرّةً لا تُقيم بي ... على الذُّل إلاّ ريثما أتَحَوّل .

– وللشنفرى قصيدة تائية اختارها المفضّل الضبّي في « المفضّليات » ، فيها غزل وحماسة ، فمنها في الغزل :

---

١ الجشع : النهم ، الطمع مع دناءة النفس .

٢ ليس جازياً بحسنى : لا يثيب على صنع المعروف . ولا في قربه متعلل : ليس في مجاورته ... أو مصادقته نفع أو أمل بنفع .

٣ فؤاد مشيع : قلب جريء ، مقدام ، شجاع ، كأن له أشياعاً . وأبيض (سيف) إصليت (صقيل ؛ مصلت أي مجرد من غمده ، كناية عن كثرة القتال حتى أن هذا السيف لا يغمد) . وصفراء (قوس) عيطل (طويلة العنق) .

٤ المهياف : الذي يبعد بابله في طلب المرعى على غير علم فيعطشها . يعشي : يحبسها إلى العشي ، يؤخرها (فتجوع وتعطش على غير ارادة منه) . – المقصود : أنا بطيء العطش أذهب بسوامي (ابلي وغنمي) إلى الأماكن البعيدة ، على علم مني ، ولا أخشى عطشاً . مجدعة (من جدع بكسر الدال) : سيئة الغذاء . البهل جمع باهل : لا صرار عليها (ضرعها غير مصرور ، لا لبن فيها حتى يخشى من أن يرضعها فصيلها) . السقبان جمع سقب (بفتح السين وسكون القاف) : الذكر من ولد الناقة .

٥ الجبأ : الجبان . الاكهى : الابخر (المتغير ، الكريه رائحة الفم) . مرب بعرسه : مقيم قربها لايفارقها. يطالعها في أمره كيف يفعل : يستشيرها في كل أمر من أموره .

٦ خالف : لا خير فيه . دارية (مؤنث داري ، نسبة إلى دارين : مكان مشهور بالمسك) : يحب العطر فيعطر نفسه دائماً . متغزل : يلهو بمحادثة النساء . يروح ويغدو داهناً يتكحل : لا عمل له إلا التطيب (دهن بدنه بالطيب) ووضع الكحل في أجفانه (ولعل التاء في داري للمبالغة) .

٧ أجعل نفسي أنسي الجوع حتى لا أعود إلى الشعور به .

٨ الطول : التفضل على الآخرين مع المن عليهم (التبجح بالاحسان) .

٩ الذام : العيب ، العار . لولا أني أريد أن أتجنب الذم والذلة لنعمت نفسي بجمع أنواع المطاعم والمشارب .

لقد أعجبتني لا سَقوطاً قِناعُها ... إذا ما مشت ولا بذات تَلَفّتِ.
تبيت بُعيد النوم تُهدي عَبوقَها ... لجارتها إذا الهدية قَلّتِ [1].
تَحِلّ بِمَنْجاة من اللوم بيتَها ، ... إذا ما بيوتٌ بالمَذَمّة حُلّتِ [2].
كأن لها في الأرض نِسْياً تَقُصّه ... على أَمّها ، وان تُكلّمكَ تَبْلَتِ [3].
أميمةُ لا يُخزي نَثاها حليلَها ؛ ... إذا ذُكِرَ النسوان عَفّت وجَلّتِ [4].
إذا هو أمسى ، آبَ قُرّةَ عينه ... مآبَ السعيد ، لم يَسَلْ أين ظَلّتِ [5].
فدقّت وجلّت واسبكرّت وأُكْمِلَتْ ؛ ... فلو جُنّ انسانٌ من الحسن جُنّتِ [6].
فبِتْنا كأنّ البيت حُجّرَ فوقنا ... برَيْحانة رِيحت عِشاءً وطُلّتِ [7].

٤ – أعجب العجب في شرح لامية العرب ..... للزمخشري وللمبرّد ، القسطنطينية ١٣٠٠ هـ.

– مجموع من شعره في « الطرائف الأدبية » ، تأليف عبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٩٣٧ م.

– نهاية الأرب في شرح لامية العرب لعطا الله بن أحمد المصري ، القاهرة ١٣٢٨هـ.

في المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون) الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ١٣٧١هـ=١٩٥٢م ، ص ١٠٩ . غبوق بالغين : ما يشرب (من الخمرة) بالعشي. وفي ليال (لندن) : ان قرينة « بعيد النوم » تدل على ان الكلمة يجب أن تكون « عبوقها » (من عبق يعبق ، بكسر الباء في الماضي وفتحها في المضارع : فاحت منه رائحة الطيب.غير أن القاموس لا يذكر صيغة «عبوق»(٣ : ٢٦٠-٢٦١).
– لا تؤذي احداً حتى برائحة فمها (وهذه أقل الأشياء أذى للآخرين) .

٢ تحل بيتها : تقر (بفتح القاف) فيه ، لا تخرج منه كثيراً . بمنجاة من اللوم : بعيدة عن كل عمل يمكن أن يجلب اللوم عليها .... إذا كثرت الاعمال الداعية إلى اللوم في بيوت كثيرة .

٣ النسي : الشيء المنسي ، المفقود . تقصه : تتتبع أثره (لتجده) . على أمها (بفتح الهمزة):على قصدها ، لا تلتفت إلى شيء آخر . بلت (القاموس ١ : ١٤٣) : قطع (؟) . – إذا سارت خفضت رأسها (حياء ، كأنها تطلب شيئاً ضاع منها) ولم تتلفت .

٤ نثاها (كرهها لزوجها ، كلامها عن زوجها) لا يخزيه (لا يعيبه) ؛ وإذا ذكرت في النساء كانت عفيفة جليلة (محترمة) . الحليل : الزوج .

٥ دقت : كان قوامها نحيلا . جلت : كان جسمها عظيماً وقامتها مديدة . اسبكرت : طالت وامتدت ؛ حسنت مشيتها ذهاباً واياباً . أكملت : كانت تامة الخلقة .

٦ بتنا : قضينا الليل . حجر فوقنا : استدار في سقف البيت الذي نسكنه ، أحاط بنا . الريحان كل نبات طيب الرائحة ، الآس . ريحت : أصابتها الريح . طلت : أصابها مطر خفيف (إذا حركت الريح الازهار انتشرت رائحة تلك الازهار بسرعة وبمقدار أكبر ؛ وإذا أصابها المطر كانت أنضر وأكثر عطراً) .

– تفريج الكُرَب عن قلوب أهل الأدب في معرفة لامية العرب لابن زكور المغربي .

– الاغاني ٢٠ : ١٣٤ – ١٤٣ ؛ المفضّليات رقم ٢٠ ؛ الحماسة ١ : ١٩٣ – ١٩٤ ؛ الوحشيّات رقم ٥٠ ؛ بروكلمان ١ : ١٦ ، الملحق ١ : ٥٢ – ٥٤ .

سعد بن مالك البكريّ

١ – هو سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة البكري ، جدّ طرفةَ ابن العبد ، كان أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها . لما قتل جسّاسُ بن مُرة كليبَ بن ربيعة أراد مرة بن ذُهل (والد جساس) أن يدفع ابنه ليُقتل بكليب ، تجنّباً للحرب . فقال سعد بن مالك لمُرّة : لا ، والله ، ما نعطي تغلب جسّاساً ، ولَنُقاتِلَنّ دونَه ! ثم نَشِبَت حرب البَسوس ، وكان لسعد بن مالك قدم ثابتة فيها . وقد قتل سعد في يوم قضة ، من حرب البسوس ، نحو عام ٩٢ ق. ه. (٥٣٠ م) .

٢ – سعد بن مالك شاعر مقلّ مجيد له أشعار في الحماسة مأثورة .

٣ – **المختار من شعره :**

– لمّا نَشِبت حرب البَسوس اعتزلها الحارث بن عُباد البكري[١] وقال : هذا أمر لا ناقة لي فيه ولا جمل – وكان الحارث بن عباد من أنجاد العرب (شجعانهم) – فقال سعد بن مالك يعيّره قعودَه عن الحرب :

يا بؤسَ للحرب الـتي وَضَعت أراهطَ فاستراحوا[٢] .
والحـرب لا يَبقى لجـا حِمِها التخيّلُ والمِراح[٣]
الا الفتى الصبّارُ في النّـ ـجَدات والفرس الوَقاح[٤] ؛

١ راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف ، ص ١٠١ – ١٠٢ .

٢ ما أسوأ نتيجة الحرب التي تركها أراهط (جماعة من القادرين عليها) ليستريحوا من عنائها .

٣ الجاحم : الملتهب . التخيل : الخيلاء والزهو . المراح : النشاط والبطر . – لا تقاد الحرب بالخيلاء والبطر .

٤ لا يقوى عليها الا الفتى (التام الرجولة) . النجدات : الشدائد . الوقاح : الصلب الحافر (الذي تمت قوته) .

والنَثْرة الحَصداء والـ ـبَيْض المكلّل والرماح [1] .
كَشَفَتْ [2] لهم عن ساقها ، وبدا من الشر الصُراح .
فالهَمّ بَيْضاتُ الخدو ر هناك لا النَعَم المُراح [3] .
بئسَ الخلائفُ بعدنا : أولادُ يَشْكُرَ واللّقاح [4] .
مَنْ صَدّ عن نيرانها ، فأنا ابن قيس لا بَراحُ [5] !
صبراً ، بني قيس ، لها حتّى تُريحوا أو تُراحوا .
إن المُوائِل ، خوفَها ، يَعتاقه الأجلُ المُتاح [6] .
هيهاتِ ، حال الموتُ دو ن الفَوْتِ وانتُضِيَ السلاح [7] .
كيف الحياة إذا خلت منّا الظواهر والبِطاح [8] ؟
أين الأعزّة والأسِنّة ، عند ذلك ، والسّماح !

٤ — ** الحماسة ١ : ١٩٧ — ٢٠٠ .

تأبّط شرّاً

١ — تَأَبّطَ شَرّاً لقب ثابت بن جابر الفَهْمي من قيس ، كان من أغْرِبَةِ العرب أسودَ لأن أمه كانت حَبَشية أو زَنجية ، وقيل بل كانت أمه من بني فَهْم أيضاً تدعى آمنة أو أمينة . وسبب لقبه أنه أخذ ذات يوم سيفاً تحت إبطه وخرج . فاتفق أن سئلت أمه عنه فقالت : لا أدري ، ولكنه تأبّط شرّاً وخرج .

---

١ النثرة : الدرع الواسعة . الحصداء : المحكمة النسج . البيض المكلل : الخوذات المثبتة قطعها بالمسامير .
٢ كشفت الحرب عن ساقها : اشتدت .
٣ غايتنا في الحرب سبي النساء لا الابل التي نسوقها إلى مراحها (حظائرها) .
٤ الخلائف جمع خليفة : (هنا) الذي تتركه خلفك ليحرس بيتك وأهلك (الذي تخلف عن الحرب) . اللقاح (بفتح اللام) : بنو حنيفة .
٥ لا براح : لن أترك منزلي في هذه الحرب .
٦ الموائل : الذي يطلب الملجأ ليحتمي به . خوفها : من خوف الحرب . يعتاقه : يمنعه (من الاحتماء والنجاة) القدر المتاح (عمره المقدر المكتوب) .
٧ لم يبق مفر من الحرب .
٨ الظواهر : رؤوس الجبال .

وكان تأبّط شراً شاعراً بئيساً من الصعاليك حادّ البصر والسمع ، عدّاء يلحق بالخيل والظباء ، ويغزو على رجليه وحدَه . وتزوّجت أم تأبط شراً أبا كبيرٍ الهُذلي . ويبدو أن الزوجين الجديدين ضاقا ذَرْعاً بهذا الطفل الشرير فحاول أبو كبير قتله بضع مرات ، ولكن تأبط شراً كان يَقِظاً جداً . ويبدو أن تأبط شراً أدرك ذلك ، فأصبح طول عمره عَدُوّاً لبني هُذيل وبني رُجيلة .
والمُجمَع عليه أن تأبط شراً مات قتلاً : قيل قُتل في معركة مع بني رجيلة في جبل نِمار من أرضهم ، وقيل أخرج حية من جُحرها فلدغته . وكذلك كانت هُذيل تدّعي قتله . وكان مقتله نحو عام ٩٢ ق. هـ. (٥٣٠ م) ، بعد الشنفرى ، وكان أصغر سناً من الشنفرى .

٢ — تأبط شراً شاعر قديم وشعره في الحماسة والتصعلك ، وكان الجاحظ يشكّ في بعض شعره . وكذلك كان شعره وشعر خاله الشنفرى يتداخلان لتقارب خصائصهما وأغراضهما . ولتأبط شراً رثاء في الشنفرى .

٣ — المختار من شعره

— قال تأبّط شراً في التصعلك : يُشيد بابن عم له صعلوك اسمه شُمس (بضم الشين) بن مالك :

وإني لَمُهْدٍ من ثنائي فقاصدٌ ... به لابنِ عمِ الصدقِ شُمْسِ بن مالك ،
أهزّ بهِ في نَدوة الحي عِطْفَه ... كما هز عِطفي بالهِجان الاوارك [١] .
قليلُ التشكّي للمُهِمّ يصيبُه ، ... كثير الهوى شتّى النوى والمسالك :
يظلّ بمَوْماةٍ ويمسي بغيرها ... جَحيشاً ، ويَعْروري ظهور المهالك [٢] .
ويَسْبِق وفدَ الريح من حيث يَنْتحي ... بمُنْخرقٍ من شَدّهِ المُتَدارك [٣] .
إذا حاص عينيه كَرى النوم لم يَزَلْ ... له كالئٌ من قلب شَيْحان فاتك [٤] .

---

١ في الاعلام للزركلي (٢ : ٨٠) : ٨٠ ق. هـ. = ٥٤٠ م .
١ أسره بمدحه في مجتمع القوم كما سرني بالنياق الاصيلة التي ترعى من شجر الاراك .
٢ الموماة : المفازة ، الصحراء . ظل : قضى النهار . يمسي : يكون في المساء . جحيشاً : وحيداً . اعروري : ركب الدابة بلا سرج . يعروري ظهور المهالك : يقذف بنفسه في الأماكن الخطرة .
٣ يسبق وفد الريح : يسبق هبوب الريح . المنخرق : المكان الواسع . الشد : الركض . المتدارك : المتوالي .
٤ ينام نوماً خفيفاً ويظل قلبه يقظاً . كالئ : حافظ ، حارس . شيحان : حازم . فاتك : يفاجئ الناس بما يكرهون .

ويجعل عينيه رَبيئة قلبه إلى سلّة من حدّ أخلق صائك[1] .
إذا هزّه في عظم قِرْن تهلّلت نواجذُ أفواه المنايا الضواحك[2] .
يرى الوحشةَ الانسَ الانيس ، ويهتدي بحيث اهتدت أمّ النجوم الشوابكِ[3] .

— وقال يفتخر :

لا شيءَ أسرعُ مني : ليس ذا عُذُر وذا جَناح — بجنب الرَّيْد — خفّاقِ[4]
ولا أقول ، إذا ما خُلّة صرمت : يا ويح نفسي من شوق وإشفاق[5] !
لكنّما عِوَلي — ان كنت ذا عِوَلٍ — على بصير بكسب الحمد سبّاق[6] :
سبّاق غاياتِ مجد في عشيرته ، مُرَجِّعُ الصوت هَدّاً بين أرفاق[7] ،
حمّالُ ألْوِيَةٍ ، شهّاد أنْدِيَةٍ ، قوّال مُحْكَمة ، جوّاب آفاق[8] .
إنّي زعيم — إذا لم تتركوا عَذَلي — أن يسألَ الحيّ عني أهلَ آفاق[9] .
ان يسألِ القومُ عنّي أهلَ معرفةٍ فلا يُخَبِّرُهُم عن ثابت لاقِ[10] .
سَدّدْ خِلالك من مال تُجَمّعه حتى تُلاقي الذي كلّ امرئٍ لاقِ[11] .
لتَقْرَعَنّ عليّ السِنّ من ندمٍ إذا تذكّرت يوماً بعض أخلاقي !

٤ — ٥٥ الاغاني ١٨ : ٢٠٩ — ٢١٨ ؛ الاصمعيّات رقم ٣٧ ؛ المفضّليات رقم ١ ؛ الحماسة ١ : ٢٥ — ٢٧ ، ٣١ — ٣٢ ، ١٩٤ — ١٩٦ ؛ الوحشيات رقم ٢٠٨ ، بروكلمان ١ : ١٥ — ١٦ ، ملحق ١ : ٥٢ .

---

١ الربيئة : الرقيب . سل (السيف) : إخراجه من غمده . أخلق : أملس . صائك (من صنك) : شديد .

٢ إذا ضرب به بطلا مات (سر الموت من شدة الضرب والبراعة فيها) .

٣ يستأنس بالوحدة ، ولا يضل أبداً . أم النجوم : الشمس ، المجرة . الشوابك : النجوم .

٤ العذر جمع عذار : (هنا) اللجام ، أو ما كان على صفحتي وجه الدابة من اللجام . ذا عذر : (هنا) : الفرس . الريد : الجبل . ذا جناح خفاق : طائر سريع الطيران .

٥ الخلة (بضم الخاء) : المحبوبة . صرمت : قطعت ، هجرت .

٦ العول (بكسر العين وفتح الواو) : الاعتماد .

٧ رجع : ردد . هدا : بصوت غليظ ، شديد .

٨ حمال ألوية : قائد في الغزوات . شهاد أندية : له رأي مسموع في اجتماعات القبيلة . قوال محكمة : يقول الصدق والصواب .

٩ زعيم : ضامن . — ان لم تتركوا لومي (فسأهجركم هارباً منكم ، وحينئذ تحتاجون إلي) فتسألون عني أهل البلاد البعيدة .

١٠ ولو سألتم أعرف الناس (باقتصاص الأثر) لما وجدتم أحداً لقيني أو عرف مكاني .

١١ الخلال : الحاجة . — انفق على حاجاتك مما تستطيع جمعه من المال ، (واصبر) حتى تلاقي الموت .

المهلهـــل

١ – المُهَلْهِل هو أبو ليلى عَدِيّ بن رَبيعة من بني جُشَم بن بكر من بني تَغْلِبَ ، من أقدم الشعراء الذين وصلت الينا أخبارهم وأشعارهم ، فهو خال امرئ القيس وجَدّ عمرو بن كُلثوم لأمّه .

وُلد المهلهل في بيت وجاهة ، وقد نشأ على اللهو والتَعَرّض للنساء حتى سمّي الزير (أي زير نساء ، وهو الذي يُكْثِر الزيارةَ لهنّ) . ثم رَأسَ قومه وقادهم في حرب البَسوس على إثْر مقتل أخيه وائل .

وتوفيّ المهلهل عام ٩٢ ق. هـ. (٥٣٠ م) ، قيل أسيراً ، وقيل معتزلاً في البادية ، بعد أن تقدّمت به السن وخُولط في عقله .

٢ – المهلهل شاعر قديم مجيد محسن ، قيل هو أول من هلهل الشعر (أرقّه) – ولذلك قيل له «المهلهل» – وأول من قصّد (أطال) القصائد . والمقصود ، بلا ريب ، أنه كان من أوائل الذين فعلوا ذلك . وأغراض المهلهل هي الرثاء الوجداني لأخيه كليب ، في الدرجة الأولى ، ثم الحماسة . وله شيء من الغزل . وهو أحد أصحاب **المنتقيات السبع** في «جمهرة أشعار العرب» .

حرب البَسوس (بين بكر وتغلب) ١٣٠ – ٩٠ق.هـ. (٤٩٥ – ٥٣٥م)

كان للمهلهل [١] أخ أسمه وائل سيد في قومه . وقد بلغ وائل من السلطة والقوة حدّاً خرج به إلى الاستبداد والظلم حتى كان يحمي مواقع المطر : إذا نزل المطر بأرض فسال عيناً أو نبت عشباً جاء وائل فألقى كليباً (جرو كلب) حيث نزل المطر ، فلا يستطيع أحد أن يستقي من مكان يسمع فيه عُواء ذلك الكليب أو يرعى غنمه فيه إلاّ باذن من وائل . من أجل ذلك عرف وائل بلقب **كليب وائل** أو باسم **كليب** اختصاراً .

وكان لكليب زوجة لها أخوة أحدهم جَسّاس بن مُرة الشيباني كانت ترعى إبلَه وإبل كليب معاً . فاتفق ان نزل يوماً بجساس هذا قوم من أقاربه ومعهم ناقة اسمها البَسوس – وقيل بل البسوس اسم خالة جَسّاس – فَرَعَتْ مع إبل جَسّاس وإبل كليب في مكان واحد . ورأى كليب الناقة فعرف انها غريبة ولم يدر لِمَنْ هي ، فأطلق عليها سهماً فقتلها . فغضب أصحاب الناقة وعرّضوا

١ راجع تاريخ الجاهلية ، ص ٩٨ ، ١٠٠ وما بعدها.

بجسّاس واتهموه بأنه « لا يحمي جيرانه وضيوفه » . فثار جسّاس إلى كليب فقتله. فنشبت من جرّاء ذلك حرب عُرفت باسم حرب البَسوس دامت العداوة فيها (لا المعارك) نحو اربعين سنة . وكان آخرَ من قُتل فيها جساس نفسه ، نحو عام ٥٣٤ م .

٣ – المختار من شعره :

– اختار أبو تمّام في ديوان الحماسة من رثاء المهلهل لأخيه كليب :

نُبّئت أن النار بعدَك أوقدت واستبّ بعدَك ، يا كليبُ ، المجلسُ ،
وتكلموا في أمر كلّ عظيمة ، لو كنتَ شاهدَهم بها لم ينبسوا [١] .
وإذا تشاء رأيتَ وجهاً واضحاً وذراع باكية عليها بُرْنُسُ [٢] ،
تبكي عليك ، ولستُ لائم حُرّةٍ تأسى عليكَ بعبرةٍ وتَنَفّسُ [٣] .

– ومن مراثي مهلهل المشهورة في أخيه كليب :

أهاجَ قذاءَ عيني الإدّكارُ هدوءاً [٤] فالدموع لها انحدار .
وصار الليلُ مشتملاً علينا كأنّ الليلَ ليسَ لهُ نهار .
وبتّ أراقبُ الجوزاءَ حتى تقاربَ من أوائلها انحدار [٥] .
أقلّبُ مُقلتي في إثرِ قومٍ تباينت البلادُ بهم فغاروا .
دعوتك ، يا كليبُ ، فلم تجبني . وكيفَ يُجيبُني البلد القِفار ؟
أجبْني ، يا كليب ، خلاكَ ذمّ (٦) ! لقد فُجعتْ بفارسها نِزار .
وانكَ كنت تحلُمُ عن رجال وتعفو عنهمُ ولكَ اقتدارُ .
فلا تَبْعَدْ فكلّ سوف يلْقى شَعوباً يستدير بها المدار [٧] .
يعيشُ المرء عند بني أبيه ويوشك أن يصير بحيث صاروا .
كأني إذ نعى الناعي كليباً تطاير بين جَنبيّ الشّرار .

---

١ بحثوا في الأمور . ولو كنت أنت موجوداً لسكتوا هم وكان الرأي لك وحدك .
٢ واضح : ابيض . برنس : ثوب .
٣ تنفس : تتنفس ، تكثر التنفس تفريجاً لحزنها .
٤ الادكار : التذكر . هدوءاً : عند هدأة الليل ، أول الليل .
٥ اقترب غيابها .
٦ تنزهت عن كل شيء فيه ذم أو عيب ، خلوت من كل عيب .
٧ لا تبعد : تعبير يقال للميت ، لا تذهب عنا . شعوب : الموت .

فدُرْتُ ، وقد عَشِي بصري عليه كما دارت بشاربها العُقارُ [1] .

٤ – المهلهل سيد ربيعة ، تأليف محمد فريد أبي حديد ، القاهرة ١٩٤٩ .
– المهلهل الزير سالم (قصة) كتبها حسن جوهر ، القاهرة (سلسلة اقرأ) ١٩٥٧ .

•• غ ٤ : ١٤٢ – ١٥١ (٥ : ٣٤ وما بعدها : حرب بكر وتغلب) ؛ الأصمعيات رقم ٥٣ ، ٥٤ ؛ الحماسة ١ : ٣٩١ – ٣٩٢ .

عامر بن الظرب العدوانيّ

١ – هو عامر بن الظَّرِب بن عمرو بن عَبّاد بن يَشْكُر بن عَدْوانَ ، كان من الرؤساء والحكّام في قومه إياد ، يحكم في خلافاتهم . وكان معاصراً للحارث الغسّانيّ (٥٢٥ – ٥٦٩ م) ، وجَدّاً لعامر بن صعصعة لأمّه . ولمّا أسنّ عامر بن الظرب واعتراه النسيان أمر ابنته أن تقرع له العصا إذا هو فَهَّ (نَسِي وَعِيّ أو عَجِزَ ، أخطأ) في الحكم أو جار عن القصد ، ولذلك كان يقال له ذو الحلم . وفي ذلك قال الحارث بن وَعلة [2] :

وزعمتُم أنْ لا حلومَ لنا ؛ ان العصا قُرعت لذي الحِلم !

ويبدو أن عامر بن الظرب تُوفّي نحو عام ٨٧ ق. ه. (٥٣٥ م) .

٢ – عامر بن الظرب من الشعراء ، ولكنه شُهر بالخطابة وكان من الخطباء البلغاء والحكماء البارعين .

٣ – المختار من آثاره :

– يا معشر عَدوانَ ، إن الخير ألوف عَزوف ، ولن يفارق صاحبه حتّى

---

١ عشي بصري : ضعف . العقار : الخمر .

٢ الحارث بن وعلة الجرمي (بكسر الجيم) – وهو غير الحارث بن وعلة الشيباني – هو الحارث بن وعلة ابن عبد الله بن الحارث من قضاعة بن مالك من حمير بن سبأ . كان الحارث هذا (غ ١٩ : ١٣٩ – ١٤١) من أمجاد قضاعة وأعلامها وشعرائها شهد يوم الكلاب (بضم الكاف) الثاني ، بعد ظهر الاسلام (راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف ، ص ١٤٧ – ١٤٨) .

يفارقه (صاحبه) . واني لم أكن حكيماً حتّى اتّبعتُ الحكماء ، ولم أكن سيّدكم حتى تَعبّدت لكم .

– وخطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب ابنتَه عَمرة ، فقال له عامر :

يا صَعْصعة ، انك قد أتيتني تشتري منّي كَبِدي وأرحم ولد عندي . غير أني إن أطْلَبْتك [1] أو رددتّك ، فالحسيب كُفْء الحسيب ، والزوج الصالح أبٌ بعد أب . قد أنكحتك مَخافةَ ألاّ أجدَ مثلك أفرّ (به) من السّرّ إلى العَلانية [2] : أنْصَحُ ابْناً ، وأودِعُ ضعيفاً قويّاً [3] . يا معشَر عَدْوانَ ، أخرجتُ من بين أظْهُرِكم كريمتَكم من غير رَغْبة ولا رَهْبة . أُقْسِمُ لولا قَسْمُ الحظوظ على قدر المَجْدود [4] لَما ترك الأول للآخر شيئاً يعيش به .

– لمّا حضرت الوفاةُ عامر بن الظرب قال لقومه ولمن كانوا حوله :

ان من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به . وان الحق لم يزل يَنْفُر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق .

يا معشرَ عَدْوانٍ ، لا تشمتوا بالذِلة (في غيركم) ، ولا تفرحوا بالعزة (في أنفسكم) . ان مع السفاهة الندامةَ ، والعقوبةُ نُكال وفيها ذَمامة [5] ، ولليد العليا العاقبة . والقَوَدُ [6] راحة لا عليك ولا لك . ومن طلب شيئاً وجده ، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه .

– ومن حكمه :

الرأي نائمٌ والهوى يقظانُ ، فمن هنا يَغْلِبُ الهوى الرأيَ – اشكُرْ لِمَنْ أنعم عليك ، وأنْعِمْ على من شكر لك .

---

١ أطلبتك : أجبت طلبك .
٢ أفر من السر إلى العلانية : أريد أن تتزوجا علانية خوفاً من أن تتحابا سراً .
٣ استودعتك ابنتي (وهي ضعيفة ، وأنت قوي) .
٤ المجدود : ذو الحظ العظيم .
٥ ذمامة : عهد وكفالة .
٦ القود قتل القاتل قصاصاً له على جريمة القتل .

عمرو بن قميئة

١ – هو عمرو بن قَميئة بن ذَريح بن سعد بن مالك أحد بني ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل ، ثم هو ابن أخي المُرَقِّش الاكبر ، وعم المرقش الاصغر ، وعم والد طَرَفة بن العبد .

يَتِمَ عمرو من أبيه صغيراً فكفله عمّه مَرْثَد بن سعد . وكان عمرو جميلاً مديد القامة وافر الشعر فأحبته امرأة عمه . فلما أبى عليها ما تريد أرادت أن تنتقم منه فزعمت لزوجها أن عمراً ابتغاها . وخاف عمرو سطوة عمه فهرب إلى الحيرة ، ولجأ إلى المنذر بن ماء السماء (٥١٤ – ٥٥٤ م) ، ثم جعل ينظم الشعر في مدح عمه والتبرّي مما نسبته امرأة عمه اليه . ورضِي عمه عنه فعاد هو إلى قومه .

وكان عمرو بن قميئة في خدمة حُجر بن الحارث (والد امرئ القيس) ، فلمّا أراد امرؤ القيس أن يذهب إلى بلاد الروم اصطحبه . ولمّا قال امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدَرْبَ[1] دونه ، وأيقن أنّا لاحقانِ بقيصرا ،

كان يَعْني عمرو بن قميئة . ولعلّ لبكاء عمرو ما يُبرّره : كان عمرو يومذاك في نحو التسعين من عمره ، ولم يكن له مأرب شخصي من هذه الرحلة البعيدة في بلاد الروم . وتوفّي عمرو بن قميئة في أثناء هذه الرحلة ، نحو عام ٨٤ ق. ه. (٥٣٨ م) ، فسماه العرب عمراً الضائع[2] .

٢ – عمرو بن قميئة شاعر فَحْل ، ولكنه مُقِلّ ، وقد عده ابن سلاّم في الطبقة الثامنة من الشعراء الجاهليين . ويكثر في شعره مدح عمه مرثد والاعتذار اليه . وله أيضاً شيء من الفخر وشيء من الحكمة والغزل .

٣ – المختار من شعره :

– قال عمرو بن قميئة يذكر فعل الدهر في قواه :

---

١ الدرب : ممر بيلان (بين سورية وآسية الصغرى) .

٢ في الاعلام للزركلي (٥ : ٢٥٥) : ولد عمرو بن قميئة عام ١٨٠ ق. ه. (٤٤٨ م) وتوفي ٨٥ ق. ه. (٥٤٠ م) .

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ، فكيف بمن يُرمى وليس بِرامِ [1] ؟
وأهلكني تأميل ما لست مُدركاً ، وتأميلُ عام بعد ذاك وعام [2] .
إذا ما رآني الناس قالوا : ألم تكن جليداً حديثَ السن غير كَهام [3] ؟
فلو أنني أرمي بنُبْلٍ رميتها ، ولكنني أرمي بغير سِهام .
على الراحتين مرة وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدهُنّ قيامي .
كأنّي وقد جاوزت تسعين حِجّة خلعت بها عنّي عِذار لِجامي [4] .

— ومن جيد شعره في جارته (زوجته) وفراقها له :

أرى جارتي خفّت ، وخفّ نصيحها ؛ وحُبّ بها ! لولا الهوى وطموحُها [5] .
فبِيني على نَجْم سَنيحٍ نحوسُه ، وأشأمُ طير الزاجرين سَنيحها [6] .
فإن تَشْغَبي ، فالشَغْب منك سَجيّة ، إذا شيمتي لم يُؤْتَ منها سجيحها [7] .
أقارض أقواماً فأُوفي بقَرْضهم ، وعَفٌّ إذا أردى النفوسَ شحيحها [8] .

— وقال في أثناء سفره مع امرئ القيس ، لما وصل إلى ساتيدما (شمال سورية ، في آسية الصغرى) يذكر بنته (بنت عمرو) ويقصد نفسه :

قد سألتني بنت عمرو عن الـ أرض التي تُنكِر أعلامَها [9] .
لمّا رأتْ ساتيدما استعبرتْ ، لله درّ — اليوم — مَنْ لامها [10] .
تذكّرتْ أرضاً بها أهلُها : أخوالَها فيها وأعمامَها .

---

١ بنات الدهر : أحداثه ، خطوبه ومصائبه . ليس برام : ليس من شأنه أن يرمي ، عاجز عن الرماية .
٢ تأميل ما ليست مدركاً : الخلود (؟)
٣ الجليد : الصبور على الاحداث . كهام : (السيف) كليل ، لا يقطع ؛ عاجز .
٤ مرت الأعوام التسعين بسرعة (بمقدار ما يخلع الانسان اللجام من رأس دابته) .
٥ خفت (ارتحلت مسرعة) وارتحل أيضاً الذي نصح لها بالرحيل (؟). وما كان أحبها عندي، لولا ميلها مع الهوى ولولا بعد ما ترمي اليه .
٦ بيني : فارقي ، ارتحلي . على نجم سنيح نحوسه : نحسه مبارك عندي (مع أن فراق الزوجين أمر مكروه في العادة ، فان الشاعر يرى فيه خيراً له وبركة عليه) . الزاجر : الذي ينظر إلى طيران الطيور ليعلم أسنيح (مبارك) طيرانها على ما ينوي فعله أم بارح (نحس) . — يقول : إذا سنح الطير ودل على رجوعك إلي ، فان ذلك سيكون نحساً علي .
٧ من عادتك المشاغبة ؛ ومن أخلاقي السجيحة (اللينة ، الكريمة) أنه لم يؤت أحد منها (لم أوذه) .
٨ أنا عفيف بينما شح الكثيرين (طمعهم وحرصهم) يردي (يهلك) نفوسهم .
٩ الاعلام جمع علم (بفتح ففتح) : الجبل . تنكر أعلامها : استغربت مناظر البلاد .
١٠ استعبر : بكى . لله در من لامها اليوم (على هذه الرحلة) : لقد نصحني فلم اسمع منه .

– واختار له أبو تمام في « ديوان الحماسة » أربعة أبيات هي :

يا لَهْفَ نفسي على الشباب ! ولم أَفْقُد به – إذ فَقَدتُه – أَمَما [1]
إذ أسحب الرَيْطَ والمُروط إلى أدنى تِجاري وأنفُضُ اللِمما [2] .
لا تَغْبِطِ المرءَ أن يقال له أمسى فلانٌ لسِنّه حَكَما [3] .
ان سَرَّه طولُ عُمرِه ، فلقد أضحى على الوجه طولُ ما سلما [4]

٤ – ديوان عمرو بن قميئة (نشره تشارلس ليال) ، كمبردج ١٩١٩ .
– ديوان عمرو بن قميئة ، بيروت .
** الاغاني ١٦ : ١٦٣ – ١٦٤ ، بروكلمان ، ملحق ١ : ٥٨ .

امرؤ القيس بن حُجر الكِنديّ

١ – كان جُنْدُج المعروف بلقبه : امرئ القيس أصغرَ أبناء حُجْر بن الحارث الملك على بني أسد ، فنشأ في نجد أميراً ثم أَلِفَ التنقل مع نفر من أصحابه وأترابه في أحياء العرب للهو والصيد . ويذكرون أن أباه طرده لأنه كان يقول الشعر ولأنه كان ميالاً إلى القَصْف والفسق .

ولما قتل بنو أسد حجرَ بن الحارث فر امرؤ القيس في من فرّ من المعركة .

أراد امرؤ القيس الأخذ بثأر أبيه فطاف في أحياء العرب يطلب المساعدة فلم يُعِنْهُ أحدٌ . فالتجأ إلى أخويه شُرَحبيل وسَلمة فأعطياه قوماً يدرك بهم بعض ثأره ، فلم يتمّ له شيء . فقيل: سار إلى اليمن (موطن أهله) فلم يوفّق أيضاً .

وفي عام ٨٤ ق .هـ. (٥٣٨ م) سار امرؤ القيس إلى القسطنطينية ، قيل بكتاب توصية من الحارث أبي شَمِرٍ الغسّاني إلى القيصر يوستنيانوس الاول . وقيل

---

١ أمم : قريب ؛ قليل ؛ يسير .
٢ الريطة : ثوب من قطعة واحدة . المرط (بكسر الميم) : ثوب من حرير . تجار جمع تاجر : (هنا) بائع الخمر .
اللمم جمع لمة (بكسر اللام) : الشعر المجاور لشحمة الاذن . أسحب الريط ... وأنفض اللمم (أحرك رأسي حركة ترد شعري إلى مكانه) كناية عن الزهو والاعتزاز .
٣ أمسى لتقدمه في السن سيداً حاكماً أو حكماً (يؤخذ رأيه في الأمور) .
٤ أضحى على وجهه علامات تدل على تقدمه في السن (وشيخوخته وعجزه) .

أراد يوستنيانوس أن يساعد امرأ القيس بجيش يوطّد به نفوذ الروم على تخوم بلاد العرب في وجه الفرس . ولكن البرابرة كانوا في ذلك الحين يهدّدون تخوم الامبراطورية الرومية (البيزنطية) نفسها ، فلم يستطع قيصر مساعدة امرئ القيس . فعاد امرؤ القيس خائباً في شتاء عام ٨٢ ق. ه. (٥٤٠ م) ، فلما وصل إلى مَقْرُبَة من مدينة أنقرة أصيب بالجُدَري ومات .

يوم دارة جلجل

سمع امرؤ القيس أن ابنة عمه فاطمة (عُنيزة) قد ذهبت مع صواحبَ لها إلى غدير في دارة جُلْجُل لِيَبْتَرِدْنَ (يغتسلن بالماء البارد) . فلَحِقَ بهنّ فأدركهن في الماء . فجمع ثيابهن ثم قال لهن : لن أعطِيَ احداكن ثيابها إلاّ إذا خرجت هي (عارية) وأخذتها مني .

وأمسى العذارى وخِفْنَ البرد والتأخر عن أهلهن فبدأن يخرجن واحدةً واحدةً ويأخذن ثيابهن . وبَقِيَتْ عنيزة مترددة ، ثم أدركت أنّ امرأ القيس لن يَرْجِع عن عزمه فخرجت اليه وأخذت ثيابها منه .

عندئذ قام امرؤ القيس إلى ناقته وذبحها للعذارى فأكلن . ولما حان وقت الرجوع ولم يكن مع امرئ القيس ناقة يركبها اختار ان يركب مع عنيزة في هودجها .

٢ — امرؤ القيس أقدم الشعراء الذين وصلت الينا أخبارهم تامّة . وهو شاعر وجداني قدّمه النقاد على معاصريه من شعراء الجاهلية وعلى جميع الشعراء الذين جاءوا بعده . وهم يحتجون لذلك بأنه أول من وقف على الاطلال وأول من شبّه النساء بالغزلان والخيل بالعقبان ، وأول من وصف الليل والخيل والصيد . ثم هو واسع الخيال لتقلّبه في النعيم والكثرة أسفاره في البادية والحضر .

وفنون امرئ القيس هي الغزل والنسيب والوصف وصف الطبيعة . أما نسيبه خاصة فرائق رقيق عذب . وامرؤ القيس يحسن تحديث المرأة ويصرّح في الغزل . ولامرئ القيس شيء من الرثاء والهجاء والمديح للشكر لا للتكسّب . وله رجز وقصيد.

٣ — المختار من شعره :

— نظم امرؤ القيس معلقته ليذكر حبه لابنة عمه وليذكر يوم دارة جلجل ، ومطلعها :

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومنزِلِ   بسِقْطِ اللِوى بين الدَخول فحوْمَلِ

ثم يذكر امرؤ القيس يوم دارة جلجل . بعدئذ يخلص إلى وصف الليل ثم إلى وصف الحصان ووصف الصيد . وأخيراً يذكر البرق والمطر والسيل :

ألا رُبَّ يومٍ لكَ منهن صالحٌ ،   ولا سيما يومٌ بِدارةِ جُلْجُلِ .
ويومَ دخلت الخِدرَ خدرَ عنيزةٍ ،   فقالت : لك الويلات انك مُرْجلي [1] .
تقول ، وقد مالَ الغبيط [2] بنا معاً :   عَقَرْتَ بَعيري ، يا امرأ القيس ، فانزلِ !
فقلت لها : سيري وأرخي زمامه ،   ولا تُبْعِديني من جَنَاكِ المعلّل [3] .
أفاطمَ ، مهلاً ، بعضَ هذا التدلّل ؛   وان كنتِ قد ازمعت صَرمي فأجملي [4] .
أغرّكِ مني أنّ حبّكِ قاتلي ،   وانكِ مهما تأمري القلب يفعلِ ؟
وليلٍ كموج البحر مُرخٍ سُدولَه   عليّ بأنواع الهموم ليبتلي [5] ،
فقلت لهُ ، لمّا تمطّى بِصُلْبِه   وأردف أعجازاً وناءَ بكلكلِ [6] :
ألا أيها الليلُ الطويلُ ، ألا انجلي   بصبح ؛ وما الإصباح منك بأمثل [7] !
فيا لك من ليل كأن نجومه   بكل مُغار الفتل شُدّت بيَذْبُلِ [8] .
كأنّ الثُريّا عُلقت في مَصامها   بأمراس كتّان إلى صُمِّ جَنْدَل [9] .
وقد اغتدي ، والطير في وُكُناتها ،   بمُنْجردٍ قيْدِ الاوابد هيكلِ [10] ،

---

١ الخدر : الهودج . مرجلي : أي ستضطرني إلى أن أنزل وأمشي على رجلي ؛ أو أنك ستكون فاضحي بين الرجال .
٢ الهودج .
٣ الزمام : اللجام . جناك المعلل : قبلاتك التي تأتي واحدة بعد واحدة يشتفى بها .
٤ يكفيك بعض هـذا الدلال علي ، وان كنت تحبين فراقي ، ففارقيني بالمعروف « اي اتركيني » .
٥ كموج البحر : مضطرب . سدول : ستائر . ابتلاء : اختبره وجربه .
٦ تمطى بصلبه : مد ظهره . الاعجاز : جمع عجز « بفتح العين وضم الجيم » : مؤخر الجسم . الكلكل : الصدر . – يشبه نزول الليل ببروك البعير : يسقط أولا على يديه ثم يثبت عجزه على الأرض وبعدئذ يكمل بروكه بوضع صدره على الأرض – يقصد ان الليل يأتي ببطء .
٧ انجلى الليل : ذهب . امثل : احسن .
٨ مغار الفتل : محكم الفتل . يذبل اسم جبل – كـأن النجوم مربوطة بحبال فهي لا تتحرك من أماكنها ، إشارة إلى طول الليل .
٩ في مصامها : في موضعها . صم جندل : حجارة صلبة .
١٠ اغتدى : خرج في الصباح . الوكنة : وكر الطائر . منجرد : « حصان » قليل الشعر . قيد الاوابد : يلحق الوحوش كأنها مقيدة به . هيكل : عظيم الجسم .

مكرّ مفرّ مُقبلٍ مُدبر معــاً ، كجُلمود صخر حطّه السيل من علِ [1] .
يُزلّ الغلامَ الخِفَّ عن صهواتــه ويُلوي بأثواب العنيف المثقّلِ [2] .
له أيطَلا ظبيٍ وساقا نَعــامــة وإرخاء سِرحان وتقريب تَتْفُلِ [3] .
فعنّ لنــا سِرب كــأن نعاجَــه عَذارى دَوار في مُلاء مــذيّــلِ [4] .
فعادى عِداءً بــين ثور ونعجــة دِراكا ، ولم يُنْضَح بماء فيُغْسَلِ [5] .
فظلّ طُهاة اللحم : من بين مُنْضِجٍ صفيفَ شواء ، أو قدير مُعَجّلِ [6] .
ورُحْنا يكاد الطرْفُ يقْصُر دونــه ، متى ما ترَقّ العين فيــه تَسَهّلِ [7] .
فبات عليه سرجهُ ولجامــه ، وبات بعيني قائماً غير مُرْسَلِ [8] .
أصاحِ ، ترى برقاً أريك وميضَــه كلمع اليدين في حَبِيٍّ مكلّلِ [9] ؟
يُضيءُ سَناه أو مصابيحِ راهب أمال السليط بالذُبال المُفتّــلِ [10] ،
فأضحى يَسُحّ الماءَ حوْل كُتيفــة يَكُبّ على الأذقان دَوْح الكَنَهْبُلِ [11] .

---

١ مكر مفر (بالجر) : كثير الهجوم والرجوع . مقبل مدبر : حسن الركض ذاهباً وآيباً ، وهو لسرعته كالصخرة الصلبة التي يلقيها السيل من مكان مرتفع .

٢ سرعة هذا الحصان تجعل الغلام الخفيف يزلق عن ظهره فيقع ، أما الرجل القوي الثقيل فيثبت على ظهره ولكن أطراف أثوابه ترتفع في الهواء .

٣ ايطل : خصر . ارخاء : الجري السهل . سرحان : ذئب . تقريب : جري برفع اليدين معاً « قفزاً » . تتفل : ولد الثعلب — يصف فرسه بأحسن ما في هذه الحيوانات .

٤ عن : ظهر . سرب : قطيع . دوار : قيل صنم يدار حوله . ملاءة : ثوب . مذيل : له ذيل (بلون آخر) — يشبه بقر الوحش وهي بيض الظهور سود القوائم بآنسات يلبسن أثواباً بيض الاعالي سود الذيول .

٥ عادي . والى في الركض بينهما (والمراد بين كثير منها) الثور : ذكر بقر الوحش . النعجة : الشاة . دراكاً : تباعاً . لم ينضح بماء فيغسل : لم يعرق كثيراً .

٦ صفيف شواء : الذي يشوي اللحم . قدير : الذي يطبخ اللحم في القدر .

٧ ومع ذلك فقد ظل هذا الفرس مرتاحاً نشيطاً رافعاً رأسه حتى ان العين تتعب من التطلع إلى رأسه ، فاذا رفعت بصرك اليه اضطررت إلى أن تخفضه وشيكاً .

٨ بعيني : قريباً مني — وظل الفرس مسرجاً ملجماً واقفاً قرب خيمتي غير مرسل إلى المرعى (استعداداً لركوبه إذا فاجأتنا غارة) .

٩ وميض : لمعان . حبي مكلل : غيم متراكم . — اذا توالى البرق بلمعتين لمعتين شبه بلمع اليدين .

١٠ السليط : الزيت . الذبال : الفتيلة — لمعانه ضعيف (لبعده) ، يشبه البرق بقنديل الراهب الذي أوشك زيته أن ينضب فأماله الراهب حتى يتجمع الزيت في طرفه فتأخذ منه الفتيلة .

١١ كتيفة : اسم مكان في الجبل . يكب : يرمي . الاذقان : الوجوه . الدوح : الشجر العظيم . الكنهبل : نوع من عظام الشجر — ان شدة هذا المطر كانت تلقي الاشجار الكبار أرضاً .

وتَيماءَ لم يترك بها جِذع نخـلة   ولا أُطُمـاً إلاّ مَشيداً بجندَل [١] .
كأن ثَبيراً في عرانـين وَبله   كبيرُ أناس في بِجاد مُزَمّل [٢] .
وألقى بصحراء الغبيطِ بَعَاعَـهُ   نزولَ اليماني ذي العِياب المُحمَّل [٣]
كأن السباع ، فيه غَرقى عشيّةً   بأرجائه القُصوى ، أنابيش عُنصُل [٤]

— وقال امرؤ القيس وهو متوجّه إلى القسطنطينية ، ومعه رفيق لعله عمرو ابن قميئة :

أرى أمّ عمرٍو دمعُها قد تَحدّرا   بكاءً على عمرو ، وما كان أصبرا [٥] !
إذا نحن سِرنا خمسَ عَشْرَةَ ليلةً   وراء الحَساء من مَدافع قَيْصرا [٦] .
إذا قلتُ : هذا صاحب قد رَضيتُـه ،   وقَرّتْ به العينانِ ، بُدّلْتُ آخرا .
كذلك جَدّي : ما أصاحبُ صاحبـاً   من الناس إلاّ خـانني وتغيّرا .
وكنا أناساً قبـل غزوةِ قَرْمَـلٍ   ورثنا الغنى والمجدَ أكبرَ أكبرا .
فدعْ ذا ، وسلّ الهمّ عنك بجَسْـرة   ذَمولٍ إذا صام النهار وهجّرا [٧] .
عليها فتىً لم تَحمِلِ الأرضُ مثله   أبرّ بميثـاقٍ وأوْفـى وأصبرا .
ولو شاء كان الغَزْوُ من أرضِ حِمْيَرٍ   ولكنّه عَمْداً إلى الرومِ أنفرا .

---

١ تيماء : قرية (مدينة) من أمهات القرى . اطم : حصن . مشيد بجندل : مبني بالحجارة الصلبة الضخمة—ان السيل جرف الاشجار والبيوت إلا ما كان منها حصوناً مبنية بالصخور .

٢ ثبير : اسم جبل . عرانين وبله : طغيان مطره . البجاد : ثوب مخطط أبيض فأسود . مزمل : ملتف ، وهي مجرورة على المجاورة « لأن الكلمة التي قبلها مباشرة مجرورة » وحقها الرفع لأنها نعت لكبير – يشبه الجبل بعد أن سال عليه المطر في أماكن مختلفة برجل يلبس بجاداً ، فالمكان الذي يسيل فيه الماء أبيض والذي لا يسيل فيه الماء اسود ، وذلك لأن البجاد من لباس كبار القوم .

٣ بعاعه : ثقله، أي كل ما كان فيه (في السحاب من الماء) . العياب جمع عيبة : وعاء للامتعة – بعد سقوط المطر اعشبت الصحراء وأزهر عشبها فشبه الشاعر ما انتشر فيها من العشب والزهر بالاثواب الكثيرة الألوان التي ينشرها (التاجر) اليماني (الآتي من اليمن) على الأرض ليعرضها على المشترين .

٤ أنابيش : أصول النبات المقتلعة بجذورها من الأرض . عنصل : بصل بري – ان الوحوش التي غرقت في السيل فماتت ظهرت بعد أن جف السيل كأنها أصول نبات أو اشجار مقتلعة من أماكنها وملقاة هنا وهناك .

٥ بكت أم عمرو لما فارقها ابنها هذه المرة ؛ مع أنها كانت تصبر على فراقه كثيراً قبل ذلك . ويبدو أن الاشارة هنا إلى عمرو بن قميئة .

٦ يقصد أنه سار خمس عشرة ليلة حتى بلغ إلى الأرض التي يسيطر عليها قيصر . الحساء : مياه في شرق بلاد العرب . مدافع : مساقط المياه من الجبال ، تلاع ، شلالات .

٧ الجسرة : الناقة العظيمة . ذمول : سريعة . صام النهار وهجرا : إذا ارتفعت الشمس ثم صار وقت الزوال (نصف النهار) ، فالعادة أن الناقة لا تقوى على السفر في مثل ذلك الوقت .

تذكّرتُ أهلي الصالحين وقد أتت ،	على خَمَلى ، خُوصُ الرِكاب وأوْجَرا [1] .
فلمّا بَدَتْ حَوْرانُ ، والآلُ دونَها ،	نَظَرْتَ فلم تَنْظُرْ بعينيك منظرا [2] .
تَقَطّعَ أسبابُ اللُّبـانـة والهـوى	عَشِيّةَ جاوزْنا حَماةَ وشَيْزرا [3] .
بكى صاحبي لمّا رأى الدّرْبَ دونَـه	وأيْقَنَ أنّا لاحقان بقَيْصرا [4] ؛
فقلتُ له : لا تَبْكِ عينُك ، إنّمـا	نُحاولُ مُلْكاً أو نَموتَ فنُعْذرا !

– قال ابن رشيق (العمدة ١ : ٦٤) : وكانت العرب لا تتكسّب بالشعر ، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لهـا ، كما قال امرؤ القيس يمدح بني تيم رهط المُعلّى :

أقرّ حشا امرئ القيس بن حجر	بنو تيم مصـابيـح الظلام ،

لأن المعلّى أحسن اليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء .... وقال امرؤ القيس أيضاً لسعد بن الضباب :

سأجزيك الذي دافعتَ عنّي ،	وما يَجزيك عنّي غيرُ شكري .

٤– شرح ديوان امرئ القيس للبطليوسي ، مصر ١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥ م .
– شرح ديوان رئيس الشعراء أبي الحارث المشهور بامرئ القيس الكندي ، مصر (الخيرية) ١٣٠٧ هـ .
– شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم ... (السندوبي) . القاهرة (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م .
– ديوان امرئ القيس (محمد أبي الفضل إبراهيم) القاهرة (المعارف) ١٩٥٨ .
– ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي ، بيروت (صادر) ١٩٥٨ .
– أحسن السبك في شرح قفا نبك ، تأليف محمد يارجنك بهادر ، حيدر آباد ١٣٦٠ هـ .
** زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعديّ بن زيد ، تأليف عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ١٩٣٤ .

---

١ خوص الركاب : المطايا (النوق ، الخيل) التي تسير في أشد ساعات النهار حرا (يبدو أن امرأ القيس كان جاداً في الوصول إلى القسطنطينية في وقت قصير) . – لما وصلنا إلى خملى وأوجر ...
٢ الآل : السراب . الآل دونها : أصبحت عنا بعيدة . حوران : جبل وسهل في الشام .
٣ حماة وشيزر : بلدتان بين حمص وحلب من شمالي الشام .
٤ الدرب : مضيق بيلان (ممر في جبال الامانوس) بين الشام وبلاد الروم (آسية الصغرى) .

– امرؤ القيس ، تأليف رئيف خوري ، بيروت ١٩٣٤ .
– امرؤ القيس ، تأليف سليم الجندي ، دمشق ١٩٣٦ .
– الملك الضِلّيل ، تأليف محمد فريد أبي حديد ، القاهرة (المعارف) ١٩٤٤ .
– الشوامخ ، تأليف محمد صبري ، الجزء الأول (امرؤ القيس) القاهرة ١٩٤٤ .
– امرؤ القيس بن حجر ، تأليف محمد حسن علاء الدين ، القدس ١٩٤٦ .
– امرؤ القيس ، تأليف محمد العروسي المطوي ، تونس ١٩٥٥ .
– أمير الشعر في العصر القديم : امرؤ القيس ، تأليف محمد صالح سمك ، القاهزة ١٩٢٩ .
– امرؤ القيس كبير شعراء الجاهلية ، تأليف رضوان الشهّال ، بيروت ١٩٦٢ .
– القيصر وامرؤ القيس لنجيب الارمنازي (م م ع ع ، المجلد ١٧ ، ١٩٤٢) .
– بروكلمان ١ : ١٥ ، الملحق ١ : ٤٨ – ٥٠ .

ابو دؤاد الايادى

١ – هو ابو دُؤاد جارية بن حُمران الحجّاج بن بحر بن عِصام بن مُنبّه ابن حُذاقة بن زهير بن إياد بن نِزار بن مَعدّ .

كان أبو دؤاد يربّي الخيل لنفسه ويتعهّدها لغيره ، وقد كان مُشرفاً على خيل المنذر بن ماء السماء (ت ٥٥٤ م) ، وعلى هذا يكون أبو دؤاد الإيادي قديماً قبل طَرَفَةَ بن العبد (ت ٥٥ قبل الهجرة = ٥٦٧ م) ، ولكن بعد امرئ القيس (ت ٥٤٠ م) .

وكان أبو دؤاد يعمل أيضاً في التجارة فيرسل أبناءه بتجارات إلى الشام ، من العراق في الأغلب .

٢ – أبو دؤاد الأيادي شاعر جاهلي قديم ، ولكنّ الرواة أهملوا شعره لأن في شعره عيوباً من اللفظ والتركيب : فألفاظه مثلاً غير نجدية فهو يذكر اليَنْجوج (العود ، عود الطيب) والمَيْسناني (نسبة إلى ميسان : منطقة بين واسط والبصرة) . ومن تراكيبه الشاذّة : « سوف ، حقّاً ، تبليهم الأيّام » . وذلك كلّه

راجع إلى ان معظم مقامه كان في سواد العراق (حول الحيرة) ، في الجنوب (غ ١٦ : ٣٧٩) .

وأبو دؤاد أوصف شعراء الجاهلية والاسلام للخيل خاصة ، وهو يجيد وصف الإبل ووصف الثور . وله أشياءُ من الفخر والمديح والرثاء والعتاب والغزل والحكمة . إلاّ أن أكثر أشعاره في وصف الخيل .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو دؤاد الايادي يذكر مصير الاوّلين ويُورد شيئاً من العتاب والحكمة:

.... وأتاني تقحيمُ كعبٍ لي المَنْـ ـطِقَ ، إنّ النكيثة الإقحام[١] ،
في نظام ما كنت فيه ، فلا يَحْزُنْـ ـكَ شيء ، لكلّ حسناء ذام[٢] !
لا أعدّ الإقتار عُدما ، ولكـنْ فَقْد من قد رُزئتُه الإعدام[٣] :
من رجال من الاقارب فـادوا من حُذاقٍ هم الرؤوس العِظام[٤] !
ورجال أبوهم وأبي عمـ ـرو وكعب بيض الوجوه جِسام.
وشباب كأنّهم أُسْدُ غيـل خالطت فَرْط حدّهم أحـلام ،
وكهول بنى لهم أوّلوهـم مأثُرات يَهابها الأقـوام[٥] .
سُلّطَ الدهرُ والمنونُ عليهـم، فلهم في صدى المقابر هـام[٦] .
وكذاكم مصير كلّ أنـاس سوف ، حقاً – تُبليهمُ الأيام.
فعلى إثْرهم تَساقَطُ نفسـي حَسَراتٍ، وذِكْرهم لي سَقام[٧] .

---

١ بلغني عن كعب بن مامة أنه يذمني من غير سبب و من غير أن كان بيننا عداوة سابقة . هذه النكيثة (الخلف : مخالفة ما كان بيننا من الولاء) اقحام : سبيل صعبة المسلك .

٢ في نظام ما كنت فيه : نسب إلي أشياء وجعلني في مرتبة أقوام لست منهم . فلا يحزنك شيء : لا تحزن من ذلك (يخاطب نفسه) . لكل حسناء ذام : في كل امرأة جميلة ذام (عيب ، جانب من القبح) ؛ يمكن أن يكون في أنا أيضاً نقص (على كثرة فضائلي) .

٣ ليست قلة المال في رأيي اعداماً (فقراً) ، ولكن موت رؤساء الأسرة والقوم فقر حقيقي .

٤ فادوا : ماتوا . حذاق : قبيلة من اياد .

٥ الغيل : الاجمة (والاسود التي تكون في الآجام تكون ضارية جداً !) . لهؤلاء الشباب ، مع ما يتصفون به من الحدة وطيش الشباب والغضب ، أحلام (عقول راجحة) .

٦ في الخرافات الجاهلية أن الانسان إذا قتل ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة (طائر) وأخذت تصيح : « اسقوني » ، حتى يثأر له .

٧ ان نفسي على أثرهم (بعدهم ، بعد موتهم) تتفتت (تتألم من الحزن) .

– وقال في الأدب (الحكمة) :

حاولت حين صَرَمْتَني ؛ والمرءُ يَعْجِزُ ، لا مَحالَه [1].
والدهر يلعب بالفتى – والدهر أرْوَغُ من ثُعاله [2] –
والمرءُ يَكْسِبُ مالَه ، والشحّ يُورِثُه الكَلاله [3] .
والعبد يُقْرَعُ بالعصا ، والحرّ تكفيه المَخاله [4] .
والسَكْتُ خير للفتى ؛ فالحَيْنُ من بعض المقالة [5] .

٤ – الاغاني ١٦ : ٣٧٣ – ٣٨١ ، الاصمعيّات رقم ٦٥ و ٦٦ (ص ٢١٣ – ٢٢١).
– بائية أبي دؤاد الايادي (راجع ديوان حُميد بن ثور) ...

عَبيد بن الابرص الاسديّ

١ – عَبِيد بن الابرص شاعر قديم وُلِد نحو ٤٥٥ للميلاد ونشأ في قومه بني أسد في نجد ، وكان شاعرهم . وشَهِد عَبِيد تملّك حُجر بن الحارث الكِندي على بني أسد ، سنة ١٢٢ قبل الهجرة (٥٠٠ م) ، فاختار أن يتّصل به ويُنادمه . وفي سنة ٩٢ ق. هـ. (٥٣٠ م) عادَ شيء من القوةِ إلى بني أسد فأبَوْا أن يَستقر حكم حُجر فيهم فأعْلَنوا عِصْيانهم بالامتناع عن أداء الاتاوة (الضرائب) ، فسار إليهم حُجرٌ وأساء معاملتهم ثم قتل نفراً من رؤسائهم وشَرّد طائفة منهم عن نجد إلى تِهامة (ساحل البحر الأحمر) ، لكنه عاد فعفا عنهم بشفاعة عبيدٍ الذي كان في المُشَرّدين أيضاً . فلمّا رجع المشرّدون ، بعد بضعة أيّام ، انضموا إلى اخوانهم وحاربوا حُجْراً بقيادة عَلْباء بن الحارث الكاهلي وقتلوه . وبذلك انتهى حكم كندة على بني أسد .

١ حينما صرمتني (قطعتني : عاديتني) حاولت (أن أعيدك إلى صداقتي) . ولكن هنالك أشياء كثار يعجز المرء عن تحقيقها بلا شك .
٢ أروغ : أشد مكراً وخداعاً . ثعالة : الثعلب .
٣ يقضي الانسان (البخيل) دهره يجمع المال ثم يموت فيورث كلالة (الكلالة : الانسان الذي لم يتزوج فيرثه اذا مات أقاربه من غير ولده) .
٤ المخالة : العلامة ، الاشارة ، الظن (من نفسه) . وفي رواية : المقالة : الكلمة ، النصيحة .
٥ السكت : السكوت . الحين : الموت . المقالة : الكلام ، الاقوال .

وكان عَبيد بن الابرص يتردّد على بلاط المناذرة في الحيرة ، ثم زاد تردّده هذا بعد مقتل حُجر . ولعلّ صلة امرئ القيس بن حُجر بعَبيد بن الابرص لم تبدأ قبل ثورة بني أسد على حكم كِندة ومقتل حُجر . أمّا وفاة عَبِيد فيجب أن تكون قد وقَعَتْ نحو عام ٧٧ ق. هـ. (٥٤٥م) ، أو بعد ذلك بقليل .

٢ ـ عَبيد بن الابرص شاعر مكثر ومن المقدمين في شعراء الجاهلية . ولكن قلة شعره في أيدينا جعلته عند ابن سلاّم في الطبقة الرابعة (طبقات الشعراء ٣٠) . وبرع عَبيد في الفخر والوصفِ والحكمةِ والرثاء . وله شيء من الغزل الرائق أعجِب به الجاحظ (البيان والتبيين ، ١:٢٣٦) . وشعره سهل واضح .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ لعبيد قصيدة عدها أبو زيد القرشي في المجهرات وألحقها التبريزي بالمعلّقات ، مطلعها :

أقفر من أهله مَلْحوبُ فالقُطَبِيّات فالذّنوب .

وقد جاء فيها :

تصبو ، وأنّى لكَ التصابي ؛ أنّى ، وقد راعَكَ المشيب !
فكل ذي نعمة مَخلوس ، وكل ذي أمل مكذوب .
وكل ذي غَيْبة يؤوب ، وغائب الموت لا يؤوب .
من يَسْألِ الناسَ يَحرُموهُ ، وسائلُ الله لا يَخيبُ !
أفلِحْ بما شئتَ : قد يُبلَغُ بالضَعْفِ وقد يُخْدَع الاريب .
ساعد بأرض إذا كنتَ بها ولا تقل : إنني غريب ؛
قد يُوصل النازح النائي ، وقد يُقْطَع ذو السُهمة القريب .

ـ بعد مقتل حُجر جعل امرؤ القيس يهدّد بني أسد بأخذ الثأر منهم لأبيه ثم يفتخر عليهم بأنه قَتَلَ سَراتَهم (وجهاءهم) يوم مَقْتل أبيه حجر . فردّ عليه عَبِيد يذكر أن بني كِندة يومذاك هربوا من بني أسد ، وهرب معهم أحلافهم من بني غسّان ، بعد أن قُتل منهم جماعة كثيرة . ولو أن امرأ القيس لم يفرّ لقُتل أيضاً :

يا ذا المخوّفَنا بقتـ ـل أبيه إذلالاً وحَينا [١] ،

١ .... الذي يهددنا بالاذلال والحين (الموت) .

أزعمت أنك قد قتلـــ ـــت سَراتنا ؟ كَذِبا ومَيْنا[1] .
هـلا على حُجر بن أم قَطَـامِ تبكي لا علينا !
هـلا سألت جموع كِنـ ـدةَ يومَ وَلَوْا : أين أينا؟
أيامَ نَضْرِبُ هامَهم ببواتـرٍ حتى انحَنَيْنا .
وجمـوع غسّانَ الملو كِ أتَيْنَهم وقدِ انطوينا[2] .
نحن الاولى فاجمعْ جمو عَكَ ثم وجّههم إلينـا .
ولقد أبحنا مـا حميـ ـتَ ، ولا مُبيح لما حَمَيْنا .
هذا ، ولو قَـدَرت عليـ ـك رِماحُ قومي ما انتهينـا[3]
حتّى تَنوشَكَ نَوْشَةً عاداتُهنّ إذا انتوينـا[4] .
لا يبلـغُ البـاني — ولو رفع الدعـائمَ — ما بَنَيْنا .
كم من رئيسٍ قـد قتلـ ـناه ، وضيمٍ قـد أبَيْنا !
إنّـا — لعَمْرُكَ — مـا يُضـام حليفُنا أبـداً لدينا .

— لمّا شاخ عَبيد وافتقر جعلتْ زوجته (وكانت هي أيضاً قد شاخت) ، تتكرّهه ، فقال عَبيد فيها :

تلك عِرسي غَضْبى تُريد زِيالي ، ألِبَيْنٍ تريـد أم لـدَلالِ[5] ؟
إن يكنْ طِبَّكِ الفراقُ فلا أحفِـل أن تَعطفي صدورَ الجِمـال[6] :
أو يكن طبكِ الدلالُ ، فـلو في سالف الدهر والليـالي الحَوالي[7] ؛
كنتِ بيضاءَ كالمَهـاة ، وإذ آ تيكِ نَشوانَ مُرْخِيـاً أذيـالي !
فاتركي مَطّ حاجِبَيْكِ وعيشي معَنَـا بالرجـاء والتـأمال .
زَعَمَتْ أنني كَبِرْتُ ، وأنّي قَلّ مالي ، وضَنّ عنّي المَوالي ،
وصحا باطلي ، وأصبحتُ شيخاً لا يُوائي أمثـالَها أمثالي .

---

١ .... ذلك كذب ومين (كذب) من باب التوكيد .
٢ لما وصلنا(وصلت سيوفنا)في القتال إلى بني غسان(أحلاف امرئ القيس)كانت سيوفنا قد تعوجت من القتال.
٣ لو وصلت اليك رماحنا (لو لم تهرب) لما انتهت عنك (لما وقفت دون قتلك) .
٤ ناش : تناول (قتل) . انتوى : نوى ، قصد .
٥ الزيال : المفارقة . البين : الفراق (عن كره أو رضى) .
٦ طبك : دواؤك ، مـا يشفيك أو يوافقك . أن تعطفي صدور الجمال (كناية عن المخالفة في السير ، الفراق) .
٧ لو فعلت ذلك حينما كان دلالك لا يزال محتملا ، منذ زمن طويل (حينما كنت لاتزالين شابة) .....

ان تَرَيْـنِي تغيّرَ الرأسُ مني ، وعلا الشيبُ مَفْرِقِي وقَذالي [1] .
فبِما أدخُـلُ الخِبـاءَ على مهضومـةِ الكَشْحِ طَفْـلَةٍ كالغزال [2] .
فتعاطَيْتَ جيدَهـا ، ثم مـالت مَيَـلانَ القضيب بين الرمال .
ثم قالت : فِدىً لنفسِكَ نفسي ، وفِـداءٌ لمـال اهلـكَ مـالي !

٤ — ديوان عبيد بن الابرص (تشارلس ليال) ، ليدن ١٩١٣ .
— ديوان عبيد بن الابرص (الدكتور حسين نصار) القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٥٧ .
— ديوان عبيد بن الابرص ، بيروت (صادر) ١٩٥٨ .
•• بروكلمان ١ : ١٧ — ١٨ ، الملحق ١ : ٥٤ .

الحارث بن عُبَاد [3] البكريّ

١ — هو أبو المنذر الحارث بن عُبَاد بن قيس بن ثعلبة البكري ، من أهل العراق . كان الحارث من سادات العرب وحكمائها وشُجعانها . اختلف في شبابه مع مَعْمَر بن سَوّار غلام الفُضيل بن عِمران السَدوسي على سُقيا الإبِل فقتل مَعْمَراً والفُضيل ، فثارت بذلك الحرب بين سدوس وبين بكر وتغلب ثم اتسعت واشتدّت . وقتل في هذه الحرب عُبَاد ، والد الحارث ، فتولى الحارث رئاسة قومه .

ولمّا نَشِبَتْ حرب البَسوس اعتزلها الحارث بن عباد زمناً حتى أسرف المُهَلْهِلُ في القتل وقتل بُجير بن الحارث بن عباد (او ابن أخيه) غدراً في غير معركـة . فحزن الحارث بن عُباد ودخل الحرب يوم قَضّة ، أو يوم تَحْلاق اللِمَم ، فدارت الدائرة على تَغْلِبَ .

وكانت وفاة الحارث بن عُبَاد نحو عام ٧٢ ق. هـ. (٥٥٠ م) .

---

١ المفرق : مقدم الرأس .القذال : مؤخر الرأس .
٢ مهضومة الكشح : نحيفة الخصر . طفلة (بفتح الطاء) : المرأة اللينة .
٣ عباد (بضم العين ومن غير شدة على الباء) ، قال ابو تمام (الديوان ، بيروت ، طبعة محيي الدين الخياط ، ١٣٢٣ هـ ، ص ١٣٣) :
كم وقعة لي في الهوى مشهورة ما كنت فيها الحارث بن عباد !

٢ – الحارث بن عُباد من فحول شعراء الجاهلية ؛ وشعره سهل قليل الغريب ، وأكثره – ان صَحّ كل ما لدينا منه – في الحماسة والفخر والرثاء .

٣ – المختار من شعره :

– في أثناء حرب البسوس أرسل الحارث بن عباد ابنه بُجيراً (أو ابن أخيه على الاصح) برسالة إلى مهلهل يسأله فيها أن يكفّ عن عناده في الاستمرار في الحرب . ثم قال له : اقتل بُجيراً إذا شئت بثأر أخيك كليب على شرط أن تقف الحرب . فقتل المهلهل بُجيراً ثم استمرّ في الحرب . فقال الحارث [١] :

قَرِّبا مَرْبَطَ النَعامَةِ منّي لَقِحَتْ حرب وائل عن حِيال [٢] .
لا بُجيرٌ أغنى فتيلاً ، ولا رَهطُ كُليب تَزاجروا عن ضَلال .
لم أكن من جُناتها – عَلِمَ اللهُ – وإني بحرّها اليوم صالِ [٣] .

وقيل إن هذه الأبيات هي الثابتة على القطع ؛ ولكنّ في الروايات أبياتاً مثلها ، منها :

أصبحتْ وائلٌ تَعِجّ من الحر ب عَجيجَ الجِمال بالاثقال .
قد تجنّبتُ وائلاً كي يُفيقوا ، فأبت تَغلِبٌ عليّ اعتزالي ،
وأشابوا ذؤابتي ببُجير : قتلوه ظلماً بغير قتال .
قرّبا مَرْبط النعامة منّي [٤] لاعتناق الابطال بالابطال .
رب جيش لَقيتُه يُمْطِر المو تَ على هيكل خفيف الجلال .
سائلوا كِندةَ الكرامَ وبكراً ، واسألوا مَذْحِجاً وحَيّ هلال .

---

١ راجع تفصيل ذلك في تاريخ الجاهلية للمؤلف ، ص ١٠١ – ١٠٢ .
٢ النعامة : فرس للحارث بن عباد . قربا مربط الفرس مني (كناية عن الاستعداد للحرب) . لقحت (بكسر القاف) تلقح (بفتح القاف) : حملت ، أصبحت حبلى . الحيال في القاموس : جمع حائل : حبلى . والمعنى يقتضي أن يقال : في الوقت المناسب .
٣ لم أكن من جناتها : من باعثيها ومسببيها . صلي بالنار : أصابه حرها ؛ وهنا (آذته الحرب) .
٤ يكرر الحارث بن عباد هذا الشطر كثيراً .

المرقّش الأكبر

١ – المُرَقِّش الأكبر لقب عَوْف[1] بن سعد بن مالك أحد بني قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل ، وكانت مساكن قومه بنواحي هَجَر من شرقيّ شبه جزيرة العرب . ويبدو أن المُرَقّش الاكبر وُلِدَ في اليمن نحو عام ٥٠٠ م ثم نشأ في العراق وتعلّم القراءة والخطّ في صباه . وفي عام ٥٢٤ م اتصل المُرَقّش الاكبر بالحارث بن أبي شَمِرٍ الغسّاني ونادمه ومدحه ، فاتخذه الحارث كاتباً .

ولمّا نَشِبَتْ حرب البَسوس (نحو ٥٣٢ – ٥٧٢ م) أبلى المرقّش الاكبر فيها بلاء حسناً ، وكان أبوه قائد قومه فيها .

كان المرقّش الاكبر من عشّاق العرب المشهورين ، أحبّ في صباه ابنة عمه أسماء بنت عوف ، ولكن عمه تعنّت في مطالبه ثم زوّج أسماء برجل من بني مُراد فضَنِيَ المرقّش الاكبر وتوفّي نحو عام ٧٠ ق. ه. (٥٥٢ م) .

٢ – المُرَقّش الاكبر شاعر مقلّ ، ثم ضاع بعض شعره أيضاً . أما أشهر شعره وأحسنه فالغزل . وقد اختار له المفضّل الضبّيّ في « المفضّليّات » اثنتي عشرة قصيدة ومقطوعة في الغزل والحماسة والفخر ووصف الأبل .

٣ – المختار من شعره :

– قال المُرقّش الاكبر في الغزل ، من قصيدة من شعره المتأخر :

سَرى ليلاً خَيالٌ من سُليمى ... فأرّقني وأصحابي هُجود[2] .
فبِتّ أدير أمري كلّ حال ، ... وأرقُب أهلَها وهُمُ بعيد[3] .
على أن قد سما طَرْفي لنار ... يُشَبّ لها بذي الأرطى وَقود[4] ؛
حواليْها مَهاً جُمّ التراقي ... وآرام وغِزلان رُقود[5] .

١ قيل أيضاً : عمرو .

٢ أرقه الأمر : منعه النوم . الهجود : النوم ، المقصود (هنا) : نيام .

٣ ادير أمري كل حال : أقلب النظر في أمري وحالي ؛ اتطلب مخرجاً مما أنا فيه .

٤ طرفي : بصري . الارطى : نوع من الشجر . ذو الارطى : اسم مكان (مكان نزول أهل الحبيبة) .

٥ جم جمع أجم ، جماء ، مجموم : من كانت عظامه غير بارزة . التراقي : العظام في أعلى الصدر (يقصد أن النسوة اللواتي ينعتهن بدينات غير بارزات العظام) . المها : (بقر الوحش ، نوع من الغزلان) والآرام (الغزلان البيض) . والغزلان كناية عن النساء .

نواعمُ لا تُعالج بؤسَ عيش ، أوانس لا تَروح ولا تَرود [1].
يرحن معاً بِطاءَ المشي بُدّاً عليهنّ المجاسد والبُرود [2] ؛
سكنّ ببلدة وسكنتُ أخرى ، وقُطّعت المواثق والعهود .
فما بالي أفي وَيُخان عهدي ، وما بالي أُصاد ولا أصيد ؟
وربّ أسيلة الخدّين بِكر مُنعّمة لها فَرع وجيد [3] ،
وذو أشُر شتيتُ النبت عذبٌ نَقِيّ اللون برّاقٌ بَرود [4] ؛
لَهَوْت بها زماناً من شبابي وزارتها النّجائب والقصيد [5] .
أناسٌ كلما أخلقت وصلاً عَناني منهم وصل جديد [6].

٤ — ** المفضليّات رقم ٤٥ الى ٥٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .
غ ٥ : ١٨٩ — ١٩٥ (٦ : ١٢٧ — ١٤٢) ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٥١ ؛
زيدان ١ : ١٥٦ — ١٥٨ .

---

١ نواعم : ناعمات ، ملس الاجسام (لصغر سنهن) لا يعالجن بؤس عيش : غنيات ، ولا يقمن بخدمة أنفسهن ، بل يخدمهن خدم لهن . أوانس جمع آنسة : الفتاة الصغيرة الجميلة التي يأنس الرجل بها في الغزل من غير المباشرة (معنى جاهلي) . لا تراح : لا يرجع الراعي بها في المساء إلى المبيت (كالغنم ، كناية عن أنهن لا يعملن في كسب العيش) . ترود : تطلب المرعى والماء .
٢ بد جمع بداء : الممتلئة الجسم ، كثيرة اللحم . المجاسد جمع مجسد (بضم الميم وفتح السين) : الثوب المصبوغ بالجساد (بكسر الجيم) ، أو الجسد (الزعفران ، وهو أصفر اللون) ، كناية عن الغنى . والمجسد أيضاً الشعار (بكسر الشين) : ثوب يلبس مما يلي البدن . البرد (بضم الباء) : الثوب الذي يلبس ظاهراً يغطي الجسم .
٣ أسيلة الخدين : طويلة الوجه (من صفات الساميين ، ومن الجمال المحبوب عند العرب) . لها فرع : شعر (طويل) وجيد : عنق (طويل) .
٤ اشر : حزوز في الاسنان (وتكون ظاهرة في أسنان الصغار) . شتيت النبت : أسنانها متفرقة . برود بارد . ذو أشر : الفم .
٥ النجيبة : الناقة السريعة . القصيد : الشعر (زرتها ونظمت فيها الشعر ، متغزلا) .
٦ أخلق : أبلى ، لبسه حتى صار قديماً . عناه : أهمه ، دعته نفسه اليه . — كلما وصلتها مرة (وبظني أنني سأكتفي) دعاني وجه جديد من جمالها إلى وصل آخر .

قبيصة بن نعيم

كان قَبيصة بن نُعيم من رجالات بني أسد معاصراً لامرئ القيس وأصغر منه سنّاً ، فيما يبدو .

بعد أن قُتل حُجر خَطَب قَبيصة بين يدي امرئ القيس (٥٣٠ م) فقال :

إنك ، في المحل والقَدْر والمعرفة — بتصرّفِ أمور الدهر وما تُحدثه أيامُه وتتنقّل به أحواله — بحيث لا تحتاج إلى تبصيرِ واعظٍ ولا تذكرة مجرّب . ولك من سؤدد مَنْصِبك وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب (ما) يحتمل ما حُمِل عليه من إقالة العَثْرة والرجوع عن الهفوة . وقد كان الذي كان من الخطب الجليل : عَمّت رَزِيّته نِزاراً واليمن ، ولم تُخَصَّصْ به كِندةُ دوننا ...

* غ (بولاق) ٨ : ٧٦ (٩ : ١٠٣ — ١٠٥) .

زُهير بن جناب الكلبي

١ — زُهير بن جَناب من بني قُضاعة من كلب ، من عرب الجنوب اليمانية ، كان أميراً وسيداً في قومه وفارساً شجاعاً كثير الغزو مظفّراً . وكان ملوك اليمن — ومن ورائهم ملوك الحبشة ، ومن وراء هؤلاء ملوك الروم — ذوي نفوذ في شمالي بلاد العرب فأقاموا زهير بن جناب عاملاً على بكرٍ وتَغْلِبَ يجمع الاتاوة منهما . وكان زهير قاسياً عاتياً في جمع الاتاوة ، فاعتدى عليه رجل من بني تَيْم اللات وطعنه طعنة غير بالغة . فلما شُفِيَ زهير سار بجموع كثيفة من قومه على بكر وتغلب ، قبل حرب البَسوس ، وأكثر فيهم القتل وأسر جماعة من رؤسائهم وفرسانهم فيهم كُليب والمُهَلْهِلُ أبناء ربيعةَ المشهوران . فاجتمع بنو بكر وبنو تَغْلِب وقدّموا ربيعةَ بن مُرة (والد كُليب والمُهَلْهِل) وساروا بقيادته لمحاربة زهير بن جناب وقومه فهزموه ومزّقوا جيشه واستنقذوا الأسرى والأموال . وبَقِي ربيعة بن مرة سيداً على بكر وتَغْلِب إلى وفاته ، فخلفه ابنه كُلَيْب . وغزا كُلَيب بني مَذْحِجٍ ، قوم زهير ، استمراراً في الثأر منهم ، وقاتلهم في يوم خَزازى الذي انتصر فيه عرب الشمال على عرب

الجنوب ، ثم أخذوا يتخلّصون بعده من سلطة اليمن . ويبدو أن جميع هذه الأحداث كانت في أوائل القرن السادس للميلاد .

وأسَنّ زهير بن جناب وكُفّ بصَرُه وأدرك أبرهَةَ الحبشي لما غزا اليمن (٩٨ ق. هـ. ، ٥٣٠ م) كما أدرك الحارث الجفني (٥٢٩ – ٥٦٩ م) ونادمه زمناً . ويبدو أن وفاة زهير كانت نحو عام ٦٢ ق. هـ. * (٥٦٠ م) أو قبل ذلك بقليل .

٢ – وشعر زهير بن جناب سهل ، بالاضافة إلى شعر معاصريه ، وأغراضه الحاسمة والحكمة . وله خطب أيضاً .

٣ – المختار من شعره :

– قال زهير بن جناب لما طال عمره (طبقات الشعراء ١٢ – ١٣) :

أبَنِيّ ، إنْ أهلِكْ فإنّي قد بَنَيْتُ لكم بَنِيّهْ [١] ،
وجعلتكم أبناء سا دات زِنادُكم وَرِيّهْ [٢] .
من كلّ ما نال الفتى قد نلتُه إلاّ التحيّه [٣] .
والموت خير للفتى – فَلْيَهْلِكَنْ وبه بَقِيّه [٤] –
من أن يُرى الشيخَ البَجَالَ ، وقد يُهادى بالعَشيّه [٥] .

– وقيل : له البيت المشهور :

إذا قالت حَذامِ فصدّقوها ، فانّ القولَ ما قالت حَذامِ .

– وقال زهير بن جناب يوم قاتل بكراً وتَغْلب وانتصر عليهم وأسر كليب بن ربيعة وأخاه المهلهل :

أين أين الفرارُ من حَذَرِ المو ت إذ يتّقون بالاسلابِ !

---

* في الاعلام للزركلي (٣ : ٨٧) : ٦٠ ق. هـ. (٥٦٤ م) .

١ البنية : البناء ؛ البناء الشريف ، المقصود : الجاه . والبنية : الكعبة .

٢ الزناد : الحديدة التي يقدح بها النار من الحجر . ورية : قادرة على القدح (رأيكم صائب وأمركم نافذ) .

٣ التحية : البقاء ، الخلود ؛ الملك .

٤ الموت خير إذا مات الانسان وهو لا يزال فيه بقية من شباب .

٥ الشيخ : الكبير في السن . البجال : المبجل ، المحترم ، السيد العظيم . يهادى : يعان على المسير لعجزه .

إذ أسرنا مُهَلْهِلاً وأخاه ؛ وابنُ عمرو في القيد وابن شِهاب.
وسَبَيْنا من تَغْلِبٍ كل بيضا ءَ كنور الضُحى بَرود الرُضاب .
وْيحَكم ، ويحكم ! أُبيحَ حِماكم يا بني تَغْلِبٍ ؛ أنا ابن الرَضاب !
واستدارت رَحَى المَنون عليهم بليوث من عامر وجَناب .
فهم بين هاربٍ ليس يألو ، وقتيلٍ مُعفَرٍ في التراب [1] .

٤ — ** غ (الساسي) ٢١ : ٦٣ — ٦٨ ؛ زيدان ١ : ١٣٧ — ١٣٨ .

الأفوه الأودي

١ — الأفْوَهُ الأوْديّ هو صَلاة بن عمرو بن مالك بن عَوف بن الحارث من سعد العشيرة من بني مَذْحِج من اليمن . ويقال أيضاً الأفوه الأزدي . وكان يُكْنَى أبا ربيعة ، و « الأفوه » لقب غَلَبَ عليه .

وكان الأفوه سيّداً في قومه وقائدَهم في قِتالِ بني عامر ، ولعلّ وفاته كانت ٥٦٠ م .

٢ — الأفوه من مشاهيرِ الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان يُنْحَلُ الشعر لشهرته وتقدّمه . مِنْ أجلِ ذلك يَشُكّ الجاحظ في شعره [2] . وأكثر شعره في الحكمة والحماسة . وهو معدود في الشعراء الحكماء .

٣ — المختار من شعره :

— من مشهور الحكمة في الشعر الجاهلي قول الأفوه الأوْديّ :

والبيت لا يُبْتَنَى إلاّ له عَمَدٌ ؛ ولا عمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ .
فإنْ تَجَمّع أوتادٌ وأعمدةٌ وساكنٌ بلغوا الأمر الذي كادوا [3] .
لا يَصْلُحُ الناسُ فوضى لا سَراةَ لهم، ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادوا .
تُهْدَى الأمور بأهلِ الرأي ما صَلَحَتْ، فإن تَوَلّوْا فبالأشرار تنقاد .

١ ألا ، يألو : قصر ، أبطأ (في محاولة الهرب والنجاة) .
٢ الحيوان ٦ : ٢٨٠ .
٣ كادوا : حاولوا ، أرادوا .

وقال في الحكمة والحماسة من قصيدة مطلعها :

إن تَرَيْ رأسِيَ فيه قَزَعٌ وشَواتي خَلّةٌ فيها دُوارُ [1] .

وهي قصيدة كان الرسول قد نهى عن روايتها لما فيها من تفضيل اليمن (عرب الجنوب) على مضر (عرب الشمال) مما يثير العداوة والنزاع بين العرب.

قال الأفوه فيها :

يا بني هاجَر ، ساءت خُطّةً أنْ تروموا النِصف منا ونُجارُ [2] .
ان يَنَجلْ مُهْرِيَ فيكم جولةً فعليه الكرّ فيكم والغِوارُ [3] .
نحن أوْدٌ ، ولأودٍ سُنّةٌ شرفٌ ليس لنا عنها قَصارُ [4] ؛
سنّة أوْرَثَناها مَذْحِجٌ قبل أن يُنْسَبَ للناس نِزارُ [5] .
نحن قُدْنا الخيل حتّى انقطعت شُدُنُ الافلاءِ عنها والمِهارُ [6] :
كلّما سِرنا تركنا منزِلاً فيه شتّى من سِباع الأرض غاروا [7] .
وترى الطيرُ - على آثارنا - رأيَ عينٍ ثقةً أن ستُمارُ [8] .
مُلكُنا مُلْكٌ لَقاحٍ أوّلٌ ، وأبونا من بني أوْد خِيارُ [9] .

---

١ القزع : غيم متفرق (أبيض ؟ ، كناية عن الشيب) . الشواة : قحف (بكسر القاف) الرأس أو جلدة الرأس . خلة : (قليلة الشعر) . الدوار : صداع في الرأس يفقد الانسان توازنه من جرائه .

٢ بنو هاجر : بنو اسماعيل بن ابراهيم من زوجته هاجر (عرب الشمال : مضر) . النصف : الانتصاف ، الاخذ بالحق ، الانتقام . نجار : نكون في جواركم (نعيش تحت سلطتكم) .

٣ الكر فيكم : الهجوم عليكم . الغوار : التوغل في صفوف العدو (في الحرب) . - ان جولة قصيرة أقوم بها فيكم على مهري (الصغير السن) كافية لأن أهزمكم وأثخن القتل فيكم .

٤ ليس لنا عنها قصار : لا نرجع عنها .

٥ نحن كنا معروفين بالشجاعة والقوة منذ أيام أبينا مذحج (من أسلاف عرب الجنوب) قبل أن يدري الناس أن ثمت شخصاً اسمه نزار (من أسلاف عرب الشمال) .

٦ شدن (بضم فضم) جمع شدن (بفتح ففتح) : الظبي الصغير . الافلاء جمع فلو (بكسر الفاء) : ولد الفرس . المهر : الحصان الصغير . - يقول : نحن أبعدنا في الغزو حتى عجزت الخيل الصغيرة (النشيطة القوية عن السير) .

٧ حتى السباع (الوحوش) ، وكانت شتى (مختلفة الاجناس) ، فانها كانت تهرب منا كلما اقتحمنا عليها الارض التي كانت هي فيها .

٨ - وكانت الطير تتبعنا على يقين بأنها ستمار (ستجد ميرة : طعاما) من الاعداء الذين سنكثر القتل فيهم .

٩ اللقاح (بفتح اللام) القوم في الجاهلية لم يخضعوا للملوك ولا استطاع ملك أن يسبي منهم أحدا . أول : منذ أول الدهر . أبونا (سلفنا) من بني أود خيار (الناس : أحسن الناس) .

ولقـد كنتم حديثاً زَمَعـاً ... وذُنابَى حيث يَحتَلّ الصَّغارُ [1]
عنكمُ في الأرض ! إنّا مَذْحِجٌ ، ... ورُوَيداً يَفضَحُ الليلَ النهارُ [2] .

إن إيراد هذه الأبيات هنا إنما هو للدلالة على الاتجاه الذي اتجهه الاسلام لما منع رواية القصائد التي تثير الاحقاد وتؤدي إلى الحرب .

٤ – ديوان الافوه الأودي : « الطرائف » (عبد العزيز الميمني) ، القاهرة ١٩٣٧ .

* غ ١٢ : ١٦٩ – ١٧٠ ؛ بروكلمان ، ملحق ١ : ٥٧ ؛ زيدان ١ : ١٣٤ – ١٣٥ .

طرفة بن العبد

١ – طَرَفة لقب . أمّا اسمه فهو عمرو بن العبد بن سفيان من بني سعد ابن مالك بن ضُبيعة من بكر بن وائل . وأمّه وردة بنت عبد العُزى [3] من بني ضُبيعة بن ربيعة بن نزار . وكان قوم طرفة ينزلونَ بالبحرين (شماليّ شرقيّ بلاد العرب على خليج البصرة) . وكان لطرفة – فيما نعلم من شعره – أخ شقيق اسمه مَعْبد ، وأخوات إحداهن الخِرنق بنت بدر بن مالك ، من أمه وردة ، وكانت شاعرة . وكذلك كان له ابن عم اسمه مالك . ولم تكن صلته بأخيه وبابن عمه حسنة .

ويَتيمَ طرفة من أبيه صغيراً فأبى أعمـامه من بني سعد بن مالك أن يقسموا له نصيبه من إرثِ أبيه وظلموه حقّه فنشأ مع أمه في بؤس .

قال طرفة الشعر شاباً وتعرض به مدحاً وهجاء . وكان أكثر تعرضه لبلاط الحيرة ، فيقال إنّ طرفة كان يرعى إبلاً له ولأخيه ، وكان كثيراً ما يلهو عنها بنظم الشعر ، فقال له أخوه : « لِمَ لا تسترِيح بإبلك (ترجع بها في الليلِ إلى معاطنها) ؟ – تُرى أنها إن أخِذتْ منك تردّها بشعرك هذا ؟ » . قـال

[1] الزمعة (بفتح ففتح) : قرن صغير أو شعرات في مؤخرة رجل الشاة أو الارنب (شيء لا قيمة له). ذنابى : ذنب (تبع للآخرين) . يحتل (يستقر) . الصغار (الذلة) .

[2] عنكم في الارض : ابتعدوا الى مكان قصي في الارض . نحن مذحج (حكام الارض). يفضح الليل النهار : يبين الحق (ترون أن السلطان لنا لا لكم) .

[3] راجع الشعر والشعراء ، ص ٨٦ السطر ١٢ .

طرفة : فإني لا أخرج بها أبداً حتى تعلم ان شعري سيردها إن أخذت . فتركها (طرفة) فأخذها أناس من مُضَر . فادعى (طرفة) جوار عمرو وقابوس ابنَي المنذر الثالث ملك الحيرة ، وكانا لا يزالان أميرين ، وقال يخاطبهما :

أعمرُو بن هند ، ما ترى رأيَ صِرمة [1] لها سبب ترعى بـه المـاء والشجرْ .
وكان لهـا جاران ، قابوسُ منهما وعمروٌ ، ولم استرْعِها الشمسَ والقمرْ .

فعوّضه هذان ، فيما قيل ، إبلاً مكانها .

واشترك طرفة في حرب البَسوس ، وكان معاصراً للمنذر الثالث (٥١٤ — ٥٤٤ م) ولابنه عمرو بن هند . وكذلك كان صديقاً لعمرو بن مامة ، أخي عمرو بن هند لأبيه . فلمّا تولّى عمرو بن هند ملك الحيرة ، ولم يكن قدبقي بينه وبين طرفة مودّة ، سافر طرفة وعمرو بن مامة بتجارة لهما إلى اليمن ومكثا هنالك بضع سنوات ، ثم انهما قُتلا ، في أثناء رجوعهما ، نحو عام ٦٢ ق. هـ (٥٦٠ م) ، وطرفة في نحو الثلاثين من عمره .

٢ — طرفة شاعر مقلّ ، ولكنه بلغ من جودة الشعر بحداثة سنّه مـا بلغه شعراءُ آخرون بكثرة شعرهم وطول أعمارهم . وهو من أصحاب المعلّقات المقدّمين باجماع الآراء . وشعر طرفة بدويّ خالص كثير الغريب متين التركيب مع شيء من الابهام أحياناً . وقـد برع طرفة في الحماسة والفخر والهجاء ، وفي الحكمة خاصة . ويزيد في قيمة حِكَمه أنها مستمدة من حياته هو ومن معاملة أهله له . وأكثر حِكَمه في الحياة والموت : يرى طرفة أن الحياة فرصة سانحة يجدر بالانسان أن يستفيد منها ، إذ ليس بعد الموت — عنده — حياة أخرى . وهو كثير اللوم للأغنياء الذين لا يتمتّعون في حياتهم بأموالهم . ولطرفة في معلّقته وصف في الناقة هو أوفى ما وصل الينا من الجاهلية في بابه . أما غزله في المعلقة فماديّ بحت .

وقالوا : « طرفةُ أشعرُهم واحدةً » يَقْصِدون أن معلّقتَه تَفْضُلُ كل قصيدة أخرى إذا نحن قارنّا معلّقته بأية قصيدة واحدة لغيره من الشعراء . غير أن معلّقةَ طرفة ، على هذا الأساس ، لا يمكن أنّ تكونَ أفضلَ من عدد من القصائد لشاعرٍ آخرَ .

---

١ صرمة : قطعة من الابل .

٢ قصة مقتل طرفة في البحرين على يد المعكبر (انظر تحت ١٥٦) مصنوعة .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ قال طرفة يذكر ظلم أعمامه له في ميراث أبيه :

ما تَنْظرونَ بمال وردةَ فيكمُ ؟ صَغُرَ البَنونَ ، ورَهْطُ وردةَ غيّبُ.
قد يَبْعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُه حتّى تظلّ له الدماءُ تَصَبّبُ .
والظلم فرّق بين حيّيْ وائلٍ ؛ بَكْرٍ تُساقيها المنايا تَغْلِبُ !

ـ وكان طرفة ينادم عمرو بن هند ، فيما قيل ، ثم وقعت بينهما نفرة فحجب عمرُو بن هند طرفةَ ، فقال طرفة يهجوه وأخاه قابوسَ :

فليتَ لنا مكان المَلْكِ عمروٍ رَغوثاً حولَ قُبّتنا تَخورُ[١] .
لَعَمْرُكَ ، ان قابوسَ بن هندٍ لَيَخْلُطُ مُلْكَه نُوكٌ كثير[٢] .

ـ ومن جيّد شعر طرفة في الحكمة ، في أثناء هجاء لعبد عمرو بن بِشر زوج أخته الخِرْنِق :

وأعلمُ عِلماً ليس بالظنّ أنه إذا ذلّ مولى المرء فهو ذليلُ .
وإن لسان المرء ـ ما لم تكن له حَصاةٌ[٣] ـ على عَوْراته لَدليلُ .
وان امْرَأً ، لم يَعْفُ يوماً فُكاهةً لِمَنْ لم يُرِدْ سوءاً بها ـ لَجهولُ[٤] .

ـ وكان طرفة في سجنه فقال يذكر اخوانه الذين تَخَلّوْا عنه :

أسلمني قومي ولم يَغْضَبوا ، لسَوْءَةٍ حَلّتْ بهم فادِحَهْ .
كم من خليلٍ كنتُ خالَلْتُه لا تَرَكَ اللهُ لَهُ واضحهْ[٥] ،
كُلّهمُ أروغُ من ثعلبٍ . ما أشبهَ الليلةَ بالبارحَهْ !

ـ وقال في انتحال الشعر :

ولا أُغيرُ على الاشعارِ أسْرِقُها ؛ غَنيتُ عنها . وشرّ الناس مَنْ سرقا !

---

١ الرغوث : المرضعة(بقره) . القبة : الخيمة الكبيرة من جلد (تكون للملوك والاغنياء). تخور : تثغو ، تحدث صوتاً (ويكون الخوار للبقر والغنم والظباء ـ القاموس ٢ : ٢٤ ـ ٢٥) . وفي رواية : تدور (الشعر والشعراء ٩١) .

٢ قابوس بن المنذر بن هند شقيق عمرو بن هند (أخوه لابيه وأمه) . النوك : الحمق .

٣ حصاة : عقل .

٤ ان الذي لا يفرق بين الهجاء والفكاهة (الجد والهزل) أو لا يغفر فكاهة بريئة لرجل جاهل .

٥ الواضحة : البيضاء (المقصود هنا : سن واحدة الاسنان في الفم) .

وإنَّ أحسنَ بيتٍ أنتَ قائلُه   بيتٌ يُقال ، إذا أنشدتَه : صدقا!

– قال طرفة معلّقته ليبسط شكواه من أهله ويعلن آراءه في الحياة ، كما ضمّنها بعض ما كان يفتخر به الجاهلي عادة من الشجاعة والكرم . وتُعَدّ معلّقة طرفة من أدلّ القصائد على خصائص الشعر الجاهلي وعلى العقلية الجاهلية البدوية :

لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ   تلوح كباقي الوشم في ظاهِرِ اليدِ [1] .
وُقوفاً بها صحبي عليّ مَطِيّهم   يقولون : « لا تَهْلِكْ أسى وتجلّدِ » .
إذا القوم قالوا : « من فتى ؟ » خِلْتُ انني   عُنيت فلم أكْسَلْ ولم أتبلّد .
ولَسْتُ بحلاّلِ التِلاع مخافةً ،   ولكن متى يسْتَرْفدِ القوم أرفِد [2] .
فانْ تبغِني في حَلْقَةِ القوم تلقَني   وان تقْتَنِصْني في الحوانيتِ تصطد [3] .
وان يلتقِ الحيّ الجميعُ تُلاقني   إلى ذِرْوة البيت الكريم المصمّد [4] .
متى تأتِني أصبَحْك كأساً رَوِيّة   وان كنتَ عنها ذا غِنى فاغنَ وازدد [5] .
نَدَاماي بِيضٌ كالنجوم وقَيْنَةٌ   تروح إلينا بين بُرد ومُجْسَد [6] .
وما زال تَشرابي الخمُورَ ولذتي   وبيعي وانفاقي طريفي ومُتلَدي [7] .
إلى أن تحامتني العشيرةُ كلها   وأُفردت إفرادَ البعير المعبّد [8] .

---

١ كبقاء اثر الوشم على ظهر اليد التي نفرت عروقها وتعرج جلدها ، (حينما يتقدم الانسان في السن : غير واضحة) .
٢ أي لا أسكن التلاع وهي مجاري المياه من رؤوس التلال ، ولكن إذا جاء طالب رفد (عطاء) أعطيته (لا أهرب من اكرام الضيوف) .
٣ حلقة القوم : ناديهم . الحانوت مكان بيع الخمر ، (يعني تجدني مع اشراف القوم وتجدني في محلات اللهو) .
٤ المصمد : المقصود (يعني إذا انتمى الناس إلى انسابهم فانني أنتمي إلى أشرف البيوت) .
٥ أصبحك : اسقيك (الخمر) صباحاً . روية : تروي . ثم يقول : وإذا كنت ذا مال يغنيك عن الحاجة الى كأس خمر مني فهذا لا يمنع من ان تقبل مني ما اكرمك به .
٦ النديم : الذي يشرب الخمر معك . القينة : التي تسقي الشاربين الخمر وتغنيهم . البرد : الثوب الأبيض المجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران (يعني يلبس ثوبين أبيض ومصبوغاً) .
٧ الطريف والمتلد : المال المكتسب والموروث .
٨ تحامتني : اجتنبتني . المعبد : المدهون بالقطران « لأنه اجرب » .

«رأيت بني غَبراءَ لا يُنكرونني ،   ولا أهلُ هذاك الطِراف الممدّدِ [1] .
ألا أيُّهذا اللائمي أشهدَ الوغــى   وان احضُر اللذات هل أنت مخلدي [2] ؟
فان كنتَ لا تسطيع دفعَ منيّتي   فدعني أُبادرْها بمـا ملكت يدي !
فلولا ثلاثٌ هُنَّ من لذّة الفتى   وجَدِّك لم أحفِل متى قام عُوّدي [3] :
فمنهن سبقي العاذلاتِ بشَربة   كُمَيْتٍ متى ما تُعلَ بالماء تُزبدِ [4] .
وكَرّي ، إذا نادى المُضاف ، مجنّباً   كسِيد الغضا — نبّهته — المتورِدِ [5] .
وتقصيرُ يوم الدّجن ، والدجنُ مُعْجب ،   ببَهكنة تحت الخباء المعمّد [6]
فذَرْني أُرَوِّي هامتي في حياتها ،   ستعلم إن متنا غداً أيّنا الصدي [7] .
كريم يروّي نفسه في حياته   مخافة شِرب في الممات مُصرّدِ [8] .
لعمرُك ان الموت ما أخطأ الفتى   لَكالطِوَل المُرخى وثِنْياه باليد [9] ،
متى ما يشأ يوماً يقُدْه لحتفِه   ومن يكُ في حبل المنية ينقدِ [10] .
أرى قبر نحّام بخيلٍ بماله   كقبر غَويّ في البَطالة مفسدِ [11] :
ترى جُثوتين من تراب عليهما   صفائحُ صُمٌ من صفيح مُنضّد [12] .
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي   عقيلة مال الفاحش المتشدّدِ [13] .

١ غبراء : الأرض . بنو غبراء : الفقراء . الطراف : الخيمة من جلد . أهل الطراف : الأغنياء .
٢ يا أيها الذي يلومني على الذهاب إلى القتال وعلى التمتع بالملذات ، هل تستطيع أن تخلدني في الدنيا (إذا أنا لم أفعل ذلك) .
٣ أحفل : أهتم . العود جمع عائد : الذي يزور المريض . قام عودي : مت (لأن المريض إذا أوشك أن يموت خرج العائدون من عنده) .
٤ العاذلات : اللائمات . كميت : خمر حمراء ، يصفها بأنها اذ مزجت بالماء علاها الزبد .
٥ كري : اسراعي . مجنباً : قائداً فرسي معي لأحمل الضيف عليها. السيد : الذئب . الغضا : نوع من الشجر ، والذئاب التي تألف الغضا تكون ضارية . المتورد : الذاهب إلى الماء (العطشان) .
٦ الدجن : المطر . معجب : يعجب (منه من رآه لشدته) . بهكنة : امرأة كاملة الخلقة . المعمد : المرفوع على عمد (خيمة كبيرة) .
٧ الصدي : العطشان .
٨ مصرد : قليل .
٩ الطول : الحبل . ثنياه : طرفاه .
١٠ يشبه الانسان في يد الموت بالحيوان المربوط بحبل ، وهو مرسل يرعى ، فمتى شاء الموت جذب الانسان اليه.
١١ نحام : الذي يتنحنح حينما يسأله أحد معروفاً .
١٢ الجثوة : الكومة . منضد : مرفوع (على القبر) .
١٣ يعتام : يختار . العقيلة : (هنا) خيرة المال . الفاحش : السيء الخلق . المتشدد : البخيل . — الموت يأتي على كل نفس .

اری الموت أعدادَ النفوس ولا اری بعيداً غداً . ما أقرب اليومَ من غد !
اری العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة وما تَنْقُصِ الايامُ والدهرُ ينفَد [1]
فما لي اراني وابنَ عمّيَ مالكاً متى ادنُ منه ينأ عني ويبعُد ؛
يلوم ، ولا ادري علامَ يلومني ، كما لامني في الحيّ قُرط بن أعبَد [2] .
وآيسني من كل خير طلبته كأنا وضعناه إلى رمس مُلْحَد [3] .
فلو كان مولايَ امرأ هو غيرُه لفرّج كربي أو لأنظرني غدي [4] .
ولكنّ مولاي امرؤ هو خانقي على الشكر والتسآل أو أنا مفتدي [5] .
وظُلمُ ذوي القربى أشدّ مضاضة على النفس من وقع الحسام المهنّد [6] !
فذرني وخُلقي إنني لك شاكرٌ ولو حلّ بيتي نائياً عند ضرغد [7] .
أنا الرجل الضَرْبُ الذي تعرِفونه خَشاشٌ كرأس الحيّة المتوقّد [8] .
فآليْت لا ينفكّ كَشحي بِطانة لعضْبٍ رقيق الشفرتين مُهنّد [9] .
حُسام إذا ما قمت منتصِراً به كفى العودَ منه البدءُ ليس بمِعْضد [10]

١ ما : اسم شرط في محل نصب مفعول به — العمر كالمال الذي تأخذ منه كل يوم شيئاً لنفقتك . ومهما كان عمرك طويلا فانه يفنى مع الأيام .
٢ ابن عمي يلومني كما يلومني الغرباء (كقرط بن اعبد مثلا) .
٣ كأننا دفنا الخير .
٤ مولاي : ابن عمي (يقصد ابن عمه مالكاً) . امرؤ هو غيره : مسهر ابن اصرم فيما قالوا . لفرج كربي : اعانني على ما أنا فيه من الغم. لأنظرني غدي : تأنى علي وصبر حتى أستطيع أن أفعل ما يريد في المستقبل .
٥ يقصد : ولكن ابن عمي يجبرني على ان أشكره وان أسأله دائماً (حتى يعطيني من المال الذي هو لي عنده) او انه يرضى إذا نا افتديت نفسي منه بمالي (أي إذا تركت له مالي الذي هو عنده) .
٦ مضاضة : ألم وحرقة . الحسام : السيف القاطع . المهند : صنع الهند .
٧ أي دعني أعيش كما أحب . وسأظل شاكراً لك على كل حال حتى ولو ابتعدت عنك كثيراً . ضرغد : اسم مكان (يفهم منه انه بعيد عن مكان سكنى الشاعر) .
٨ الضرب : الخفيف (الحركة) . خشاش : ذو مضاء في الأمور . المتوقد . الذكي النشيط .
٩ آلى : اقسم . كشحي : جانبي أي خصري . بطانة : ما يكون تحت الثوب . عضب : قاطع — اقسمت الا يفارقني السيف .
١٠ معضد : سيف تمتحن به الشجر (مقص الشجر) . كفى العود من البدء : تكفي منه الضربة الأولى لتفعل فعلها .

أَخي ثِقَةٍ لا ينثني عن ضريبة ، إذا قيل: « مهلاً » ، قال حاجزه : « قَدي »[1].
إذا ابتدرَ القومُ السلاحَ وجدتَني منيعاً إذا بُلّت بقائمه يدي[2].
فان مِتّ فانعيني بما أنا أهله وشُقّي عليّ الجيبَ ، يا ابنةَ مَعْبد[3].
ولا تجعليني كامرئٍ لَيْسَ هَمّه كهمّي ولا يُغني غَنائي ومشهدي[4] ،
بَطيءٍ عن الجُلّى سريعٍ إلى الخَنا ذليلٍ ، بأجماع الرجالِ مُلهّد[5].
فلو كنت وغلاً في الرجال لَضرّني عداوة ذي الأصحاب والمتوحد[6].
ولكن نفى عني الرجالَ جَراءتي عليهم ، وإقدامي وصدقي ومَحْتِدي[7].
لعُمرك : ما أمري علي بغُمّة نهاري ؛ ولا ليلي عليّ بسرمد[8].
ستبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تُزوّد[9]،
ويأتيك بالأخبار من لم تَبِعْ له بَتاتاً ولم تضرِبْ له وقت موعد[10].
لعمرك ، ما الأيّام إلاّ مُعارةٌ ؛ فما اسطعت من معروفها فتزوّد[11].
عن المرء لا تسأل وابصِرْ قرينَه ، فان القرين بالمقارِن مُقتد(ي).

٤ – ديوان طرفة بن العبد (طبعة ضياء الدين الخالدي) ، فينا ١٨٨٠ م .
ديوان طرفة بن العبد (طبعة Seligsohn) باريس ١٩٠١ م .
ديوان طرفة بن العبد (الشنقيطي) ، القاهرة ١٩٠٩ م .
ديوان طرفة بن العبد ، بيروت (صادر) ١٩٥٣ م .

---

١ يقطع كل ما أصابه ولا يرتد عنه . وإذا أراد الضارب به ان يتراجع في ضربته يقول المضروب به : حسبي (يعني : كفتني هذه الضربة أو الجزء من الضربة : قتلت) .
٢ منيعاً : لا يوصل اليه . بلت : ظفرت به وتمكنت منه .
٣ يخاطب ابنة أخيه فيقول لها : إذا مت فاذكريني بما استحق واحزني علي .
٤ ولا تعامليني كرجل ليست له همتي . يغني : يفيد ويدفع الحوادث . المشهد : حضور القتال وغيره .
٥ بطيء نعت امرئ . الخنا : القبيح من القول والعمل . باجماع الرجال ملهد : يطردونه عنهم ، وهم يدفعونه بأيديهم .
٦ الوغل : الضعيف الخامل . المتوحد : المنفرد (يقصد عداوة الجماعة والافراد) .
٧ المحتد : كرم الأصل .
٨ غمة : حيرة . سرمد : ابدي – لا تتملكني الحيرة في اعمالي نهاراً ولا يطول علي الليل (لأنني أجد مخرجاً من كل هم أو مصاب ينزل بي) .
٩ تزوده : تعطيه زاداً (طعاماً أو اجرا) .
١٠ لم تبع له بتاتاً : لم تشتر له طعاماً (لم تعطه اجراً) .
١١ ايام الحياة عارية (شيء مستعار) لن تدوم لك فاستفد منها ما استطعت .

ديوان طرفة بن العبد (تحقيق وتحليل ونقد لعلي الجندي) ، القاهرة ١٩٥٨.
شرح معلّقة طرفة للأنباري (و. ريشر) ، قسطنطينية ١٣٢٩ هـ .

* * أعلام الشعر العربي (طرفة) ، تأليف محمد بن عبد المنعم خفاجي وعبد السلام أبي النجا سرحان ، القاهرة ١٩٤٩ م .

معلّقة طرفة بن العبد لعبد القادر المغربي (م م ع ع ، المجلّد الأول ١٩٢١ م. = محاضرات المجمع العلمي العربي ١ : ١ وما بعدها) .

بروكلمان ١ : ١٤ — ١٥ ، الملحق ١ : ٤٥ — ٤٦ .

عمرو بن كلثوم التغلبيّ

١ — عَمْرو بن كُلثوم بن مالك بن عتّاب من بني تَغْلِبَ ، وأمّه أيضاً تَغْلَبيّة ، فهي بنت المُهَلْهِل الشاعر . وكانت مساكن تغلب في الجزيرة الفُراتية من أعالي (شماليّ) الشام والعراق .

وُلد عمرو بن كلثوم في مطلع القرن السادس للميلاد وساد قومه صغيراً — زعموا ابنَ خَمْسَ عَشْرَةَ سنة — وكان فارساً شجاعاً ذا حَمِيّة مُعْجَباً بنفسه . وكان عمرو بن كلثوم يزور عمرو بن هند ملك الحيرة (٥٥٤ — ٥٧٠م) وينشده الشعر ولكن لا يمدحه . ويبدو أن شيئاً من الوَحْشة قد وقع بين ابن كلثوم وابن هند منذ ذلك الحين ، ثم اتفق أن قَتَلَ عمرو بنُ كلثوم عمرَو بنَ هند ، في حديث طويل ، عام ٥٢ ق. هـ. (٥٧٠ م) ، في العام الذي وُلد فيه محمد رسول الله .

عمرو بن كلثوم من المُعَمَّرين ، ولعلّه أوفى على المائة ثم مات قبل انتهاء القرن السادس للميلاد * .

نزاع بكر وتغلب بعد صلح البسوس

لم تنته العداوة من جرّاء حرب البَسوس بتوقف المعارك . فلما جاء عمرو ابن هند (٥٥٤ م) رغب في حسم النزاع بين بكر وتغلب فجمع بينهم ثم أخذ من كل قبيلة مائة رجل جعلهم عنده رهائنَ ، فكانوا أبداً معه يرحلون برحيله

* في الاعلام للزركلي (٥ : ٢٥٦) : ٤٠ ق. هـ. (٥٨٤ م) .

وينزلون بنزوله ويغزون معه . وإذا اتفق أن غدرت إحدى القبيلتين فقتلت أحداً من أفراد القبيلة الأخرى أقاد عمرُو بن هند ذلك المقتول من رهائن القبيلة المعتدية .

في ذات يوم أرسل عمرو بن هند جماعة من الرهائن الّتي في يديه ، من بني بكر وبني تغلب ، في أمر من أموره ، فنزلوا ، في طريقهم ، بالطرفة وهي لبني شيبان وبني تيم اللات أحلاف بني بكر . فقيل ان بني شَيْبان وبني تَيْم اللات أجْلَوُا التَغْلَبيين عن الماء فمات التَغْلَبيون عطشاً ؛ وقيل بل أصابت الجماعة كلّهم ريح السّموم فاتّفق أن هلك التغلبيون وسَلِمَ البكريون منهم . فغضب بنو تَغْلِبَ وطلبوا دِيَاتِ أبنائهم من بكر — بحُجّة أن أحلافاً لبكر كانوا السبب في الكارثة — فأبى البكريون ذلك بحجة أنهم غير مسؤولين عن ضَلال التغلبيين وعن ريح السّموم أو عن أعمال أحلافهم ، إنْ صَحّتْ دعوى تَغْلِبَ على احلافهم . وكادت الحرب تعود من جديد . فعمد عمرو بن هند إلى التوفيق بين القبيلتين فجمع أشرافهما وساداتهما في مجالس متعددة كان آخرها الجلسة الّتي قيلت فيها معلّقة عمرو بن كلثوم ومعلّقة الحارث بن حِلّزة ، فيما يُروى .

٢ — عمرو بن كلثوم شاعر مطبوع مُقِلّ ، وصل الينا من شعره معلّقته وبضع مقطّعات . ويُقال إن معلّقته كانت تبلغ ألف بيت ، ولكن لم يصلنا منها إلاّ عُشْرُها أو أقل قليلاً . والمعلّقة تَرْجِعُ إلى زمنين منفصلين : نُظم بعضها قبل مقتل عمر بن هند ، ونظم بعضها بعد مقتله بزمن يسير ؛ وهي تدور على الحماسة والفخر : يفتخر فيها الشاعر بقومه ، ويكثر فيها من مخاطبة عمرو بن هند بالوعيد ، ثم يذكر يوم خَزَازى . وفيها شيء من الغزل ووصف الخمر ومن الحكمة .

٣ — المختار من معلقته :

أبا هند فلا تَعْجَلْ علينا ... وأنظرْنا نُخبّرْكَ اليقينا [١] :
بأنّا نُورد الراياتِ بيضاً ... ونصدرهن حُمْراً قد رَوِينا [٢] .

---

١ ابا هند : يا عمرو بن هند .
٢ نأخذ راياتنا إلى الحرب بيضا ثم نرجع بها حمراً من دم الاعداء .

وأيّام لنا غُرّ طِوالٍ عصَينا المَلْكَ فيها ان نَدينا [1] .
بأيّ مَشيئةٍ ، عمرَو بنَ هندٍ ، نكونُ لقَيْلهم فيها قَطينا [2] ؟
بأي مشيئةٍ ، عمرو بن هندٍ ، تطيع بنا الوشاة وتزدرينا [3] ؟
تهدّدنا وتوعدنا ، رويداً ! متى كُنّا لأمّكَ مُقتَوينا [4] ؟
فان قنَاتنا ، يا عمرُو ، أعيَتْ على الاعداء قبلك أن تلينا [5] .
ونحن غَداةَ أوقد في خَزازى رَفَدْنا فوق رِفد الرافدينا [6] .
وَكُنّا الأيْمنينَ إذِ التَقَيْنا ، وكان الايسرينَ بنو أبينا .
فصالوا صولةً في مَنْ يليهم [7] وصُلْنا صولةً في مَنْ يلينا [7] .
فآبوا بالنِهابِ وبالسبايا ، وأُبْنَا بالملوك مُصَفَّدينا [8] !
إليكم ، يا بني بكر ، اليكم ، ألمّا تعلموا منّا اليقينا [9] ؟
وقد علِم القبائلُ – غيرَ فخر – إذا قُبَبٌ بأبْطَحِها بُنينا [10] ،
بأنّا العاصمون إذا أُطعنا ، وانّا العارمون إذا عُصينا [11] ،
وأنّا المطعمون إذا قَدَرْنا ، وأنّا المهلكون إذا ابتُلينا [12] ،
وأنّا المانعونَ لِما أردنا ، وأنّا النّازلون بحيث شينا .
ونشرب – إن وردنا الماء – صفواً ، ويشرب غيرنا كدراً وطينا .

---

١ أيام : معارك . غر : بيض ، نصرنا فيها . طوال : مشهورة – حاربنا الملوك حتى لا نخضع لهم .
٢ القيل : الملك أو الرئيس . القطين : الخادم . – الاصل في عمرو ان تكون مرفوعة ، ولكن الرواية جاءت بفتحها .
٣ ازدرى : احتقر .
٤ مقتوون : متخذون (بفتح الخاء) للخدمة .
٥ نفوسنا لم تذل للملوك قبلك حتى تذل لك الآن .
٦ خزازى اسم جبل ومعركة من معارك العرب . غداة اوقد في خزازى : في يوم معركة خزازى ، أوقد بنو تغلب نارين على جبل خزارى ليعلموا قومهم بكثرة عدد خصومهم بني بكر . رفد : ساعد – ساعدنا (نزاراً على اليمن) أكثر مما يستطيع أحد غيرنا أن يساعد (في الحرب) .
٧ صال : هجم . يلي : يقرب من .
٨ مصفدون : مقيدون بالاصفاد .
٩ اليكم .. : ابتعدوا عنا ، اتركوا منافستنا ، ألم تعرفوا بعد قوتنا في الحرب ؟
١٠ القبة : الخيمة من جلد ، وتكون للملوك والرؤساء . الابطح : الارض المستوية .
١١ من اطاعنا عصمناه (دافعنا عنه وحميناه) ، ومن عصانا عرمنا عليه (قوينا عليهم ، ظلمناه ، قتلناه) .
١٢ قدرنا : طبخنا (في القدر) . ابتلى : جرب – من جرب حربنا هلك .

على آثارنا بيضٌ حسانٌ ... نُحاذر أن تُقسَّمَ أو تهونا [1] :
ظعائنُ من بني جُشَمِ بن بكر ... خلطْنَ بميسَمٍ حسباً ودينا [2]
يقُتْنَ جيادنا ويقلن : « لستم ... بعولتَنا إذا لم تمنعونا » [3] .
إذا لم نحمِهِنَّ فلا بقينا ... لشيءٍ بعدَهنّ ولا حَيينا !
إذا ما المَلْكُ سام النّاس خسفاً ... أبَيْنَا أن نُقِرَّ الذّلّ فينا [4] .
ألا لا يَجْهلَنْ أحدٌ علينا ... فنَجهلَ فوق جهل الجاهلينا [5] !
ألا لا يَحْسَبِ الاعداء أنّا ... تَضَعْضَعْنا وأنّا قد وَنينا [6] .
كأنّا ، والسيوفُ مُسلّلاتٌ ، ... ولدْنا النّاسَ طُرّاً أجمعينا [7] .
إذا بلغ الفِطامَ لنا صبيٌّ ... تخِرّ له الجبابرُ ساجدينا !
ملأنا البر حتّى ضاق عنّا ، ... وظهرُ البحر نملأه سفينا .
لنا الدنيا ومن أضحى عليها ... ونَبْطُشُ حين نبطش قادرينا .

٤ – ديوان عمرو بن كلثوم (كرنكو) بيروت ١٩٢٢ .
** غ (بولاق) ٩ : ١٨١ – ١٨٥ (١١ : ٤٢ – ٥٩) ، بروكلمان ، ملحق ١ : ٥١ – ٥٢ ؛ زيدان ١ : ١٢٢ – ١٢٤ .

المرقّش الاصغر

١ – المرقّش الاصغر لقب ربيعة بن سفيان بن سعد (وهو ابنِ أخي المرقّش الاكبر) ، وقد كان كعمّه من سادات قومه ومن الذين أبْلَوُا البلاءَ الحسن في حربِ البَسوس . وكان المرقّش الأصغر جميلاً وعاشقاً مغامراً قليل الغَيْرة . وكان له مع فاطمة بنت المنذر الثالث ملك الحِيرة (٥١٤ – ٥٥٤ م) وأخت

١ بيض : نساء . نحاذر ان تقسم : نخاف ان يأسرهن الاعداء فيقسمن بين المتحاربين . تهون : تذل ، يعتدى على اعراضهن .
٢ الظعينة : المرأة ، ميسم (بكسر الميم): علامة (جمال ، حسن) – اضفن إلى جمالهن شرف النسب والحسب .
٣ يقتن جيادنا : يعلفن (يطعمن) خيولنا . تمنعونا : تحافظون علينا ، تحموننا .
٤ إذا الملك ظلم كل الناس فنحن وحدنا لا نقبل بظلمه .
٥ الجهل (هنا) ضد الحلم – إذا سفه أحد علينا زدنا عليه في السفاهة .
٦ ونى يني : ضعف .
٧ إذا سللنا سيوفنا في الحرب شعرنا كأننا ولدنا جميع الناس ، أي كأنهم كلهم أولادنا يجب علينا أن نحميهم ، ونحن نستطيع ذلك .

عمرو بن هند (٥٥٤ – ٥٧٠ م) قصة غرام طويلة .

وكانت وفاة المرقِّش الأصغر في نحو عام ٥٧٠ م ، في الستين من عمره في الأغلب .

٢ – كان المرقّش الأصغر شاعراً مشهوراً حسن الشعر ، وكان أشعر من عمه ، وقد برَعَ في الغزلِ والخمر والحماسة والفخر . وكذلك كانت له أبياتٌ جيادٌ في الحكمة والصداقة خاصة . وهو من شعراء جمهرة العرب ، اختار له أبو زيد القرشي قصيدة في المنتقيات السبع ، واختار له المفضّل الضبّيّ خمس قصائد في المفضّليّات .

٣ – المختار من شعره :

– قال المرقِّش الأصغر يستطرد من وصف الخمر إلى ريح فم حبيبته :

وما قهوةٌ صهباءُ كالمسك ريحُها ... تُعلّ على الناجود طوراً وتُقدحُ [١] ،
ثوَتْ في سَواء الدَنّ عشرينَ حِجة ... يُطان عليها قَرمد وتُروّح [٢] ،
سباها رِجالٌ من يهود تباعدوا ... بجيلانَ يدنيها إلى السوق مُربح [٣] ،
بأطيبَ من فيها إذا جئت طارقاً ... من الليل ؛ بل فوها ألذّ وأنضح [٤] .

– كان للمرقِّش الاصغر ابن عم يُقال له جناب بن عوف لا يُؤثر (يفضّل) عليه أحداً ، وكان المرقّش الاصغر لا يكتمه شيئاً من أمره . فألحّ جناب على المرقّش أن يخلفه ليلة عند صاحبته فاطمة . فامتنع المرقّش زماناً ثم قبل . فغضبت فاطمة ؛ ثم استحيا هو من نفسه ومن صاحبته وعضّ على أبهامه أسفاً فقطعها . وقد قال المرقّش الاصغر يعتذر إلى فاطمة ويظهر الندم :

أفاطمَ ، لو أن النساء ببلدة ... وأنتِ بأخرى لاتبَعتُكِ هائماً .

---

١ قهوة : خمر . صهباء : شقراء اللون . تقدح : يغترف منها .
٢ ثوت في سواء الدن : مكثت في أسفل الدن . حجة : سنة . يطان عليها قرمد : تطين بالطين . تروح : يتشقق طينها لتتنفس الريح .
٣ جيلان مقاطعة بفارس . المربح : الذي يدفع فيها ثمناً غالياً يجعل أصحابها يحملونها من جيلان البعيدة طمعاً بالربح الوفير منه .
٤ أنضح : أطيب .

متى ما يشأ ذو الوُدِّ يَصْرِمْ خليلَـه ... ويَعْبَدْ عليه لا مَحالةَ ظالما [١] .
وآلى جَنـاب حلْفَةً فأطعته ، ... فنفسَك وَلِّ اللومَ ان كنت لائما [٢] .
فمَنْ يَلْقَ خيراً يَحْمَدِ الناسُ أمره ، ... ومن يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغيِّ نادما .
ألم ترَ أن المرء يَجْذِمُ كفَّه ... ويَجْشَمُ من لوم الصديق المجاشما [٣] ؟

– قال يجمع بين الفخر والحكمة :

آذنتْ جـارتي بوشك رحيلِ ... باكراً جاهرت بخَطْب جليلِ [٤] :
أزمعـت بالفراق لمّـا رأتني ... أُتْلِفُ المـال لا يَذُمّ دخيلي [٥] .
اربعـي ، إنمـا يَريبك مني ... إرْثُ مجدٍ وجِدُّ لُبٍّ أصيل [٦] .
عجباً مـا عَجِبْتُ للعاقدِ المـا ... لِ وريبُ الزمان جَمُّ الخبول [٧] .
ويضيـع الـذي يصير اليه ... من شقاء أو مُلْكُ خُلْدٍ بَجيل [٨]
أجمل العيش أنّ رزقَك آتٍ ؛ ... لا يردّ الترقيحُ شَرْوى فَتيل [٩] .

– المفضليات رقم ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ؛
الأصمعيات رقم ٥٢ ؛
غ (بولاق) ٥ : ١٨٩ ، ١٩٣ – ١٩٥ (٦ : ١٢٧ ، ١٣٦ – ١٣٩) ، ١٣ : ٨٧ ؛
بروكلمان ، الملحق ١ : ٥١ .

---

١ صرم يصرم (بفتح الراء في الماضي وكسرها في المضارع) : قطع ، فارق . يعبد (بكسر الباء في الماضي وفتحها في المضارع) : غضب .
٢ آلى : أقسم .
٣ يجشم : يركب الاخطار والصعاب .
٤ جارتي : زوجتي . وشك : قرب . آذنت : أنذرت ، أعلمت . جاهرت بخطب جليل : أعلنت أمراً عظيماً .
٥ أزمعت : نوت ، عزمت على . لا يذم دخيلي : لئلا يذمني المستجير بي أو يلومني ضيفي .
٦ اربعي : اهدئي ، استقري ، اطمئني . – ان الذي يجعلك تشكين في تصرفي جهلك بأني أريد أن أحافظ (بالكرم) على مجد ورثته ، وأنني أصدر في ذلك عن عقل .
٧ أعجب مـا أعجب له الرجل يدخر المـال (الذي يبخل بـه على نفسه) ، وهو يرى أن الزمان جم (كثير) الخبول (كناية عن المصائب والاحداث) الهاجمة عليه (وعلى ماله بالهلاك والتلف والضياع) .
٨ إذا نزلت المصائب بجامع المال أو بالمال نفسه ضاع شقاء الانسان (جهده) الذي أنفقه في جمع ذلك المال ، وضاع ما كان يؤمله من ملك خلد (باق) بجيل (محترم ، مكرم) .
٩ الترقيح : اصلاح المـال والقيام عليه (وتنميته) . الفتيل : غشاء مفتول كالخيط يكون في شق نواة التمر .

أوس بن حارثة

كان أوس بن حارثة بن لأم الطائي من الحكماء ، وكان معاصراً لبشر بن أبي خازم (نحو ٥٠٥ — ٥٩٠ م) وأسنّ منه . قال ابن قتيبة :

« كان بِشر ، في أول أمره ، يهجو أوس بن حارثة بن لأم ، فأسرته بنو نَبْهان من طيّ ، فركب أوس اليهم واستوهبه منهم — وكان قد نَذَرَ لَيَحرِقَنّه إن قَدَر عليه — فوهبوه له . فقالت له أمه سُعدى . قبّح اللهُ رأيَك ، أكرمِ الرجل وخَلِّ عنه ، فانه لا يمحو ما قال غيرُ لسانه .

وعفا أوسٌ عن بشر ، فمدح بشرٌ أوساً بست قصائد بعد أن كان قد هجاه بست قصائد .

وكان أوس من حكماء العرب وحلمائهم ؛ قيل لمّا حَضَرته الوفاةُ نصح ابنه مالكاً فقال له :

يا مالكُ ، المنيّةُ ولا الدنيّة ؛ والنارُ ولا العار ! والعتابُ قبل العقابِ ؛ والتجلّد لا التبلّد [١] . واعلم أن القبر خير من الفقر . ومِنْ كَرَمِ الكريم الدفاعُ عن الحريم . ومن قلّ ذلّ . وخير الغنى القناعة ، وشرّ الفقر الضَّراعة [٢] .

** غ (بولاق) ٩ : ١٤٩ ، ١٥٠ (١٠ : ٢٩٤ ، ٢٩٨) ، ١٦ : ١٠١ .

الخرنق بنت بدر

١ — الخِرْنِق بنت بدر هي أخت طرفة بن العبد لأمه وردة بنت عبد العُزّى أختِ المتلمّس الشاعر . ويبدو أنها كانت أسنّ منه . وتزوجت الخرنق عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد سيّد بني أسد ، ولكن لم تكن سعيدة في صحبته فشكته إلى أخيها فهجاه . وعاشت الخرنق بعد أخيها وزوجها ، وكان زوجها قد قُتل في غارة له على بني أسد يوم قُلاب . أما الخرنق فقد توفيت نحو عام ٥٧٠ م ، أو بعد ذلك ، نحو عام ٥٨٠ م بعد عمرو بن هند .

---

١ التبلد : الصبر مع المسكنة .
٢ الضراعة : الذل .

٢ – والخرنق بنت بدر شاعرة مطبوعة لم يصلنا من شعرها إلا قليل . وأكثر شعرها في الرثاء وفي الهجاء والفخر والوصف ، ولها شيء من الحكمة .

٣ – المختار من شعرها :

– لمّا قُتل طرفة وبلغ خبر مقتله إلى أخته الخرنق رثته ، وقد ذكرت في البيت الأول أن أخاها ساد قومه وهو ابن ست وعشرين سنة ، ثم أشارت في البيت الثاني أنه مات في غيبة عن قومه (في رحلته إلى اليمن) .

عَدَدْنا له ستّاً وعشرين حِجةً ، فلمّا توفّاها استوى سيداً ضَخْما [1].
فُجِعْنا به لمّا رَجَوْنا إيابه . على خير حالٍ ، لا وليداً ولا قحما [2] .

– وغضب عمرو بن هند ملك الحيرة على زوجها عبد عمرو فنفاه عن العراق حيث كان يعيش مع أهله في سَعة من العيش ، فقالت الخرنق تهجو عمرو ابن هند :

ألا من مُبلِغٌ عمرَو بن هند وقد لا تَعْدَمُ الحسناء ذاما [3] .
كما أخرجتنا من أرض صِدْقٍ ترى فيها لِمُغْتَبِطٍ مُقاما .
كما قالت فتاة الحيّ ، لماً أحسّ جَنانها جيشاً لهاما [4] ،
لوالدها – وأرْأتْه بليل قَطاً ؛ ولَقَلّ ما سَرّى ظلاما [5] :
ألستَ ترى القطا متواتراتٍ ؟ **ولو تُرِكَ القطا ليلا لَناما !**

– وقالت الخرنق ترثي زوجها عبد عمرو بن بِشر ونفراً آخرين من قومه سقطوا معه قتلى في يوم قُلاب .

ألا آليتُ آسى بعد بشر على حيّ يموت ولا صديق [6] ،

---

١ حجة : سنة . توفاها : استوفاها ، أتمها .
٢ فجعنا به : ثكلناه (مات) . ايابه . رجوعه . قحماً : طاعناً في السن .
٣ ذام : عيب ، نقص . لا تعدم الحسناء ذاماً : لا تخلو الحسناء من عيب (وهذا مثل) .
٤ اللهام (بضم اللام) : العظيم .
٥ القطا : طير سريع الطيران . متواترات : يلحق بعضها بعضاً بكثرة . ولو ترك القطا ليلا لنام : لو لم يزعج الناس هذا الطير لما طار ليلا (مثل يضرب للرجل الذي لا يزال في حركة وعمل لأنه مضطر إلى ذلك) .
٦ آلى : أقسم . أسي (بكسر السين وفتح الياء) ، يأسى : حزن . آليت آسى : آليت لا آسى .

وبعد الخير علقمةَ بن بشر ، إذا نَزَتِ النفوس إلى الحلوق [1] .
وبعد بني ضبيعــة حول بشر ، كما مــال الجُذوعِ من الحريق [2] .
فكم بقلابَ من أوصال خِرْقٍ أخي ثقــة وجُمْجمة فليق [3] .
نَدامى للملوك إذا لَقُوهم حُبوا وسُقوا بكأسهم الرحيق [4] .

– وقالت في ذلك أيضاً :

لا يَبْعَدَنْ قومي الــذين هــمُ سُمّ العُداة وآفة الجــزْرِ [5] ،
النــازلون بكلّ مُعــترَكٍ والطيّبون مَعــاقدَ الأُزُرِ [6] ،
والخــالطونَ لُجينَهم بنُضارهم، وذوي الغنى منهم بذي الفقــر [7] .
ان يَشْربوا يَهَبوا ، وان يَذَروا يتواعظوا عن منطــق الهُجْرِ [8] .

٤ – ديوان الخرنق أخت طرفة ، بيروت ١٨٨٩ .
ديوان الخرنق (Vollers) ليبزغ ١٩٠٣ .
بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٧ – ٤٨ ، زيدان ١ : ١٦٧ .

عبد المطّلب بن هاشم

هو شَيْبَةُ أو عبد المطّلب بن هاشم جدّ محمّد رسول الله ، وكان سيّد بني هاشم في زمنه وسيّد قريش كلها وكبيرها .

ويبدو أن ولادة عبد المطلب كانت في المدينة عام ١٢٥ ق. ه. (٥٠٠ م) . وقيل بل وُلد في مكّة ونشأ في المدينة . أما وفاته فكانت في عام ٤٥ ق. ه. (٥٧٨ م) ، يوم كان محمد رسول الله في الثامنةِ من عُمُره .

١ إذا نزت (علت) النفوس إلى الحلوق (– اذا كادت النفوس تزهق) .
٢ كان بنو ضبيعة يتساقطون قتلى بسرعة .
٣ كم في (معركة) قلاب من أوصال (أعضاء) خرق (جواد ، كريم) مقطعة . أخي ثقة : موثوق وجمجمة فليق (مفلوقة ، مشدوخة) .
٤ كان هؤلاء القتلى ندامى للملوك (أنداداً لهم) ، وكان الملوك يحبونهم (يعطونهم الجوائز والصلات) ، ويسقونهم بكؤوسهم ...
٥ لا يبعدن : تعبير يقــال في ندب الميت . سم العداة : شجعان . آفة الجزر : كرماء يكثرون ذبح الابل .
٦ الطيبون معاقد الازر : (كناية عن العفة) .
٧ اللجين : الفضة . النضار : الذهب . – يجودون بالفضة والذهب ، ويؤاسون الفقراء بمال الأغنياء .
٨ إذا شربوا الخمر كثرت هباتهم . وان يذروا (يدعوا ، يتركوا) : إذا لم يعطوا ، فانهم يتناهون عن الكلام القبيح . .

في عام ٥٧٠ م هاجم أَبَرْهَةُ الحبشي مكّة يريد أن يهدم الكعبة ، وكان معه جيش كبير وفِيَلَةٌ ، ولم يكن العرب قد عرفوا بعدُ الفيلة في الحرب ، فسَمَّوْا ذلك العام عام الفيل ؛ وهو العام الذي وُلد فيه محمّدٌ رسولُ الله .
وكان أبَرْهَة قد سرّح قطعة من جيشه فأغار على تِهامة (ساحل الحجاز على البحر الأحمر) واستولي على أموال أهل تِهامة من قريش وغيرهم ، وكان في هذه الأموال مائتا بعير لعبد المطلب . ودخل عبد المطلب على أبرهة ، فسأله أبرهة (بوساطة التَرْجُمان) عمّا يريد . فقال عبد المطّلب : « **حاجتي أن يَرُدَّ عليّ الملك[1] مائتي بعير أصابها لي** » . فقال أبرهة للترجمان : قل له : « **قد كنتَ أعجبتني حين رأيتُك ثم زَهِدتُ فيك حين كلّمتني . أتكلّمني في مائتي بعير أصبتها لك وتَتْرُكُ بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلّمني فيه ؟** » فقال له عبد المطّلب : « **اني أنا ربّ الإبِل ، وان للبيت ربّاً سيمنعه** ».. فردّ أبرهة على عبد المطّلب الإبل ، وظل مُصِراً على أن يهدم الكعبة — وكان الروم وراء الحبشة في هذه الغزوة لنشر النصرانية في بلاد العرب — فيقال إن عبد المطّلب خرج من عند أبرهة ثم ذهب إلى الكعبة وأمسك بحَلْقة بابها ثم أنشد :

لاهُمّ ، ان العبدَ يمنع رَحْلَه فامْنَعْ حِلالَكْ[2] .
لا يَغْلِبَنّ صليبُهم ومِحالهم عَدْواً مِحالَك[3]
إن كنت تاركَهم وقِبْلَتَنا فأمرٌ ما بدا لك[4] !

الحارث بن حِلِّزة اليَشْكريّ

١ — كان الحارث بن حِلِّزَةَ من بني يَشْكُرَ بن بكر بن وائل من أهل العراق ، وكان سيّداً في قومه . وشهد الحارثُ عمرَو بن كلثوم ينشد معلّقته

١ كان ابرهة حاكماً على اليمن من قبل الحبشة وقائداً للجيش الذي غزا مكة ؛ ومخاطبته بلقب الملك هنا جارية على عادة عرب الجاهلية الذين كان الملك عندهم لا يزيد على شيخ القبيلة .
٢ لاهم : اللهم ، يا رب ! الرحل : المسكن ، الأثاث الذي في بيت الإنسان ، الأثاث الذي يحمله الانسان معه إذا انتقل من مكان إلى آخر . الحلال : متاع الرجل (كناية عن الكعبة ، بيت الله) .
٣ المحال : المكر . عدواً : اعتداء .
٤ فأمر ما بدا لك : لغرض في نفسك ؛ أنت وشأنك .

عند عمرو بن هند في أمر النزاع بين بكر وتَغْلِبَ بعد صلح البَسوس ، فردّ عليه واستمال عمرو بن هند فحكم عمرو بن هند لبكر على تغلب وردّ الرهائن التي كانت في يده من بكر للحارث بن حِلِّزة . وقيل إن عمرو بن هند مال في الحكم إلى بني بكر لأن الحارث تقرّب بمعلّقته اليه ومدّحَه ؛ أما عمرو بن كلثوم فنفّر عمرو بن هند بما ساق في قصيدته من الفخر بقومه وبما حشاها من التعريض بالملوك والظالمين ، ثم بعمرو بن هند نفسه تعريضاً صريحاً .

وكان الحارث بن حِلِّزة من المعمَّرين ، وكانت وفاته نحو عام ٤٢ ق. هـ. (٥٨٠ م) .

٢ – الحارث بن حِلِّزة شاعر مشهور من أصحاب المعلّقات ، ولكنه مقلّ . وقد شُهر بمعلّقته وحدها ، قيل ارتجلها في حضرة عمرو بن هند . وشعر الحارث سهل رائق حتى قيل ان معلّقته منحولة لحسن ديباجتها وفصاحة ألفاظها وسهولة تعابيرها . وأغراض الحارث في شعره تدور في الاكثر على الفخر والحماسة ، وفيها شيء من الحكمة ومن حسن المناقشة والتعليل.

٣ – المختار من شعره :

– قال الحارث في الحكمة :

فضَعي قِناعك ، ان ريب الدهر قد أفنى مَعَدّا [١] .
فلَكَمْ رأيتُ مَعاشراً قد جمّعوا مالاً ووُلدا ،
وهم رَبابٌ حائرٌ لا يُسْمِع الآذانَ رَعْدا [٢] .
عِيشي بجَدّ لا يَضُرْ كِ النُّوكُ ما لاقيتِ جَدّا [٣] .
والنوك خير في ظِلالِ العيش مِمّن عاش كدّا [٤] !

– من المعلّقة :

آذنتنا بِبَيْنِها أسماء . رُبّ ثاوٍ يُمَلّ منه الثَّواءُ [٥].

---

١ ارفعي السّتر عن وجهك (ابرزي للناس سافرة) حزناً على الابطال من بني معد .
٢ رباب : غمام ، سحاب . حائر الخ : سحاب خفيف لا يمطر .
٣ و ٤ الجد : الحظ . النوك : الحمق . الكد : الجهد (بضم الجيم) . – العيش الرغيد مع الحمق خير من العقل مع السعي والتعب ومع شظف العيش . ما لاقيت : ما دمت تلاقين .
٥ اخبرتنا اسماء انها سترحل عنا ، ورب مقيم (غيرها) يمل منه المكان الذي يقيم فيه .

ثم يتعرض الحارث لخلاف بكر وتغلب بعد أن عقدوا الصلح بعد حرب البسوس . وهو يذكر تحامل بني تغلب عليهم ويتنصل من تهمة الاعتداء على تغلب :

أن إخواننا الاراقم يغلو ن علينا في قيلهم إحفاء [1] :
يخلطون البريء منا بذي الذنـ ـب ، وما ينفع الخلي الخلاء [2] .
زعموا ان كل من ضرب العيـ ـر موال لنا وانا الولاء [3] .
أجمعوا أمرهم بليل ، فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء [4] :
من مناد ومن مجيب ومن تصـ ـهال خيل خلال ذاك رغاء [5] .
أيها الناطق المرقش عنا عند عمرو ، وهل لذاك بقاء [6] ؟
لا تخلنا على غراتك ، إنا قبل ما قد وشى بنا الاعداء [7] !
فبقينا على الشناءة تنميـ ـنا حصون وعزة قعساء [8] .
ملك مقسط وأفضل من يمـ ـشي ، ومن دون ما لديه الثناء [9] .
أيما خطة أردتم فأدو ها إلينا تشفي بها الأملاء [10] .
لا يقيم العزيز بالبلد السهـ ـل ولا ينفع الذليل النجاء [11] .

---

١ الاراقم : حي من تغلب . يغلون علينا : يبالغون في اتهامنا . القيل : القول ، احفاء : إلحاح ، تحامل .

٢ الخلي : البريء . يعدوننا كلنا مذنبين ، حتى البريء منا لا تنفعه براءته .

٣ في الاصل : العير بفتح العين : الحمار ، ولا معنى له على الرغم مما تمحل له الزوزني في « شرح المعلقات السبع » وغيره من الوجوه . ولعل الصواب العير بكسر العين : القافلة (قا ٢ : ٩٨) وحينئذ يستقيم المعنى لأن الخلاف بين بكر وتغلب عند عمرو بن هند كان يدور حول هلاك الرهائن من بني تغلب . وكان عمرو بن هند وجههم مع الرهائن من بني بكر في شأن له فهلك التغلبيون . راجع أيضاً سورة يوسف (١٢ : ٨٢) : « واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها » . موال لنا : قريب لنا ، نحن من حزبه . انا الولاء : اننا أصحاب ولائهم والمسؤولون عن أعمالهم الضامنون لجرائمهم .

٤ هم دبروا هذا الأمر في الخفاء واختلقوا علينا هذه التهمة ، ولما أصبح الصباح أخذوا يلوحون بها .

٥ اختلطت أصوات الناس بأصوات الخيل والابل .

٦ المرقش : المزوق : الكاذب . عمرو : عمرو بن هند . بقاء : ثبات ، صحة .

٧ لا تظن ان اغراءك الملك بنا يخيفنا ، فقبلك وشى بنا كثيرون فلم يضرونا .

٨ ولقد بقينا على رغم بغض الناس لنا يرتفع شأننا وتحمينا حصوننا وشجاعتنا .

٩ مقسط : عادل . ومن دون ما لديه الثناء : الثناء لا يفي بأعماله الكريمة والصالحة . الثناء (بكسر الثاء) ايضاً : كتاب فيه اخبار بني اسرائيل (قا ٤ : ٣٠٩) ، اي إن قوله صادق !

١٠ الاملاء جمع ملأ : الاشراف . — اعرضوا على اشرافنا كل مشكلة تعرض لكم وهم يجدون لها حلا .

١١ القوي المعتز لا يسكن في البلد السهل — حيث يسهل ظلمه واستعباده — النجاء : الخروج ، الهرب — والذليل اينما ذهب يبقى ذليلا .

ليس يُنجي الذي يوائل منا   رأسُ طَوْدٍ أو حرّةٌ رَجْلاء [1] .
ملكٌ أضرعَ البريةَ لا يو   جد فيها لِما لديه كِفاء [2] ،
كتكاليف قومنا إذ غزا المُنْـ   ـذرُ ، هل نحن لابن هند رعاء [3] ؟
ما أصابوا من تَغْلَبِيٍّ فمطلو   لٌ ، عليه – إذا أصيب – العَفاء [4] .

* * *

أيها الناطق المبلّغُ عنا   عند عمرو ، وهل لذاك انتهاء [5] ؟
فاتركوا الطَيْخ والتعاشي ، فإمّا   تتعاشَوْا ففي التعاشي الداء [6] .
واذكروا حِلْفَ ذي المَجاز وما   قُدّمَ فيه : العهودُ والكُفَلاء [7]
حذرَ الجَوْرِ والتعدّي ؛ وهل ينْـ   ـقُضُ ما في المهارق الاهواء [8] ؟
واعلموا أنّنا وإيّاكُمُ – فيـ   ـما اشترطنا يومَ اختلفنا – سواء [9] !
أعلينا جُناحُ كِنْدَةَ أن يغْـ   ـنَمَ غازيهمُ ومنا الجزاء [10] !
ليس منا المُضَرّبون ، ولا قيـ   ـسٌ ولا جَنْدَلٌ ولا الحَذّاء [11] .
ام جَنايا بني عَتيق ؟ فإنّا   منكمُ إنْ غدرتمُ لَبَراءُ [12] .

٤ – ديوان شعر الحارث بن حِلِّزة (كرنكو) ، بيروت (الكاثوليكية) ١٩٢٢ .

** بروكلمان ، الملحق ١ : ٥١ ؛ زيدان ١ : ١٢٤ – ١٢٣٥ .

---

١ ان الذي يهرب خوفاً منا إلى رأس جبل أو إلى أرض حرة (بركانية) رجلاء (خشنة يترجل فيها) ، أي لا تسير فيها الخيل والابل ... لا ينجو .

٢ اضرع البرية : ملك الناس وساسهم واقتدر عليهم وليس له مثيل فيها (؟)

٣ التكاليف : المشقات . لما غزا المنذر أغزى قومنا معه فتحملوا مشاق كثاراً . – أنحن وحدنا رعية لعمرو ابن هند ؟

٤ إذا قتل رجل من تغلب طل (بضم الطاء) دمه – هدر فلم يأخذ أحد بثأره – ، أما بنو بكر (قوم الحارث) فيأخذون بثأر قتلاهم .

٥ أيها الناطق ... ألا تنتهي عن تبليغ الاخبار ، أي الوشاية بنا .

٦ الطيخ : التكبر . التعاشي : التعامي .

٧ ذو المجاز : المكان الذي عقد فيه عمرو بن كلثوم الصلح بين بكر وتغلب . العهود : المواثيق . الكفلاء : الرهائن .

٨ المهارق (الورق) احذروا الظلم والتعدي فان العهود المكتوبة لا يجوز ان تخالف .

٩ الشروط التي اتفقنا عليها تلزمكم كما تلزمنا .

١٠ اتغزوكم كندة وتغنم منك ثم تريدون ان تأخذوا ثأركم منا نحن .

١١ و ١٢ لا الذين اعتدي عليهم كانوا منا ولا الذين اعتدوا ، فاذا أردتم أن تغدروا فاننا نتبرأ منكم .

المسيب بن علس

١ – كان المُسَيَّب ، وهو زهير بن عَلَس بن مالك بن عمرو من بني مالك بن ضبيعة البكري ، من أهل العراق . وكان المسيّب خالَ الأعشى ميمون ابن قيس ، وكان الأعشى راوية له .

والمُسَيَّب بن عَلَس جاهلي لم يُدرك الإسلام ، كان معاصراً لعمرو بن هند، وقد التقى بطرفة والمتلمّس عنده ، أو في طريقه اليه . ورَحَل المسيّب بشعره يتكسّب من العرب ومن الفرس : قيل مدح بعض الاعاجم فأعطاه . ثم انه أتى عدوّاً له من الاعاجم يسأله فدسّ له سمّاً فمات ، نحو عام ٤٢ ق. ﻫ. (٥٨٠ م) .

٢ – المسيّب شاعر مشهور من فحول الشعراء المعدودين في بني بكر . وهو شاعر مقلّ مجيد ، وأغراضه تدور على المدح في الأكثر وعلى الرثاء والحكمة ، وله غزل رائق ووصف بارع للنحل وللؤلؤ . وشعره عذب سهل .

٣ – **المختار من شعره :**

– قال المسيّب بن عَلَس يمدح القعقاع :

أرحلتَ من سَلمى بغير مَتاعِ ... قبل العُطاس ورُعتَها بوَداعِ [١] ؟
من غير مَقْلِيَةٍ ، وانّ حبالَها ... ليست بأرْمامٍ ولا أقطاعِ [٢] .

ومنها :

فلأَهْدِيَنَّ مع الرياح قصيدةً ... منّي مُغَلْغَلَةً إلى القَعْقاعِ [٣] ،
تَرِدُ المياهَ فما تزالُ غريبةً ... في القوم بين تمثّلٍ وسَماعِ [٤] .
وإذا الملوك تدافعت أركانُها ... أفضلتَ فوق أكفّهِم بذِراعِ .

---

١ المتاع : الزاد ، الطعام (المقصود هنا : توديع المحبوبة) . العطاس : الصبح . رعتها بوداع : رحلت من غير أن أعلمها بذلك ، فارتاعت لما علمت .

٢ فارقتها من غير بغضة . والمودة التي كانت بيني وبينها لا تزال سليمة (لا متهرئة ولا مقطعة) .

٣ رسالة مغلغلة محمولة من بلد إلى بلد (القاموس ٤ : ٢٦) .

٤ ترد المياه (الاماكن التي يجتمع الناس فيها في البادية) فيراها الناس غريبة فيكثرون من سماعها وانشادها .

وَلأنتَ أجودُ من خَليج مُفْعَمٍ متراكم الآذيِّ ذي دُفّاع [1] .
ولأنتَ أشجعُ في الأعادي كلّهاَ من مُخْدِرٍ ليثٍ مُعيدِ وقاع [2] .
ولذلِكُمْ زعمتْ تميمٌ أنه أهلُ السَّماحة والنَّدى والباع !

– ويستحسن ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٨٢) قول المسيّب بن علَس في المديح :

تبيتُ الملوك على عَتْبها ، وشَيْبانُ ان غَضبت تُعْتَبُ [3] .
وكالشهد بالراح أخلاقُهم ، وأحلامهم منهمُ أعذب [4] .
وكالمسك طيب مناماتِهم ، وريّا قبورهِمُ أطيبُ [5] .

٤ – ** المفضليات ، رقم ١١ .

المتلمّس

١ – المُتَلَمِّس هو جَرير بن عبد العُزّى ، ويقال ابن عبد المسيح [6] ، من بني ضُبيعة بن مالك . وهو معاصر لعمر بن هند ، ملك الحيرة ، وكان ينادمه . وقد اشتهرت في أخبار الأدب **رسالة المتلمّس** : رَوَوْا أن عمرو بن هند غضب على المتلمّس وعلى ابن أخته طرفة بعد أن كانا ينادمانه فكتب لكلّ واحد منهما رسالة إلى المُكَعْبِر ، عامله على البحرين ، وأوهمهما أنه أمر لهما في الرسالتين بجائزتين . فيقال إنّ المتلمّس شكّ في ذلك فدفع رسالته إلى صبي من صبيان الحيرة قرأها له فإذا فيها أمر بقتله ، فشقّها وألقاها في النهر . ثم انه قال لطرفة : ما في رسالتك إلاّ كالذي في رسالتي ، فلم يقتنع طرفة بذلك ، بل تابع طريقه إلى البحرين فقتله المُكَعْبِر هناك في حديث طويل مصنوع [7] .

١ الخليج : النهر . مفعم : مملوء ، ممتلئ . الآذي : الامواج . دفاع : تيار .
٢ المخدر : الليث الذي يعيش في الأجمة (كأنها له خدر) . معيد (مكرر) وقاع (وقائعه وافتراسه) .
٣ عتبها : غضبها . تعتب : يعتذر اليها وتسترضى .
٤ الشهد (بفتح الشين أو كسرها أو ضمها) : العسل ما دام في الشمع .
٥ المنامات : جمع منامة : موضع النوم . ريا : رائحة .
٦ الشعر والشعراء ٨٦ .
٧ في الشعر والشعراء (ص ٩١) أن عامل عمرو بن هند على البحرين كان الربيع بن حوثرة ، أو ربيعة بن الحارث العبدي (غ ٢١ : ١٢٥) .

وأما المتلمّس فانه فرّ من العراق إلى الشام لاجئاً إلى الغساسنة . ثم عاش عندهم حتى أسَنّ ؛ ومات نحو عام ٤٢ ق. هـ. (٥٨٠ م) ، وكان له ابن شاعر اسمه عبد المنان أدرك الاسلام (غ ٢١ : ١٢٢) .

٢ – المتلمّس شاعر مقلّ مجيد ، قيل أشعر المقلّين في الجاهلية ثلاثة : المتلمّس والمسيّب بن عَلَس والحصين بن الحُمام المرّيّ . وكان المتلمّس شاعر بني ربيعة في زمنه . أما فنونه فهي الهجاء ، وقد هجا عمرو بن هند فأكثر وأفحش ، ثم الحكمة وله فيها أبيات شوارد : بارعة مبتكرة واضحة المعنى . وله أيضاً عتاب كثير وفخر .

٣ – المختار من شعره :

– كان **المتلمّس** ينتسب إلى ضبيعة بن نِزار ، ولكنّه كان يعيش في أخواله بني يَشْكُر حتى كادوا يَغْلِبون على نسبه . وقد سأل **عمرُو بن هند** ذات يوم **الحارثَ بن التوأم اليشكري** عن نسب المتلمّس فقال الحارث : أواناً يَزْعُم أنه من بني يَشْكُر ، وآناً يزعم أنه من بني ضبيعة . فقال عمرو بن هند : ما أراه الاّ كالساقط بين الفِراشين . فقال المتلمّس يهجو عمرو بن هند ويعاتب خاله الحارث :

يُعيّرني أمّي رجال ، ولا أرى أخا كرمٍ إلاّ بأن يتكرّما .
ومَنْ يكُ ذا عرض كريم فلم يَصُن له حسباً كان اللئيمَ المذمّما .
أحارثُ ، إنّا لو تُساط دماؤنا تَزايَلْنَ حتى لا يَمَسَّ دمٌ دما[1] .
أمُنْتَفِلاً من آل بُهْثَةَ خِلتني ؟ ألا إنّني منهم وإن كنت أينَما[2] !
ألا إنّني منهم ، وعِرْضِيَ عِرْضُهم ، كذي الأنف يحمي أنفه أن يصلّما[3] .
لذي الحلم قبل اليوم ما تُقْرَع العصا ، وما عُلّم الانسان إلا ليَعْلَما* !
وكنّا إذا الجبّار صَعّر خَدّه أقَمْنا له من مَيْله فتقوّما[4] .
فلو غيرُ أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما[5] .

١ ساط : مزج . تزايل : تفرق . * راجع فوق ، ص ١١٢ .
٢ انتفل : تبرأ من الشيء ، أنكره .
٣ يصلم : يستأصل ، يقتلع الشيء من أصله . جدع الانف واستئصاله كناية عن الذل .
٤ صعر خده : أمال عنقه تكبرا .
٥ جعلت لهم فوق العرانين (جمع عرنين : الانف) ميسم : علامة (كناية عن الاذلال) .

وما كنتُ إلاّ مثلَ قاطعِ كفّـه   بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما [1] .
فلمّا استقاد الكفُّ بالكفِّ لم يجِـدْ   له دَرَكـاً في أن تَبين فأحجما [2] .
يداه أصابت هذ. حتْفَ هذه ،   فلم تجد الأخرى عليهـا مقدّمـا .
فأطرق إطراق الشُّجاع ، ولو يرى   مَساغاً لنابيْه الشجاع لصمّما [3] .

٤ – أشعار المتلمّس (ed. K. Vollers) ، ليبزغ ١٩٠٣ .

** الاغاني ٢١ : ١٢٠ – ١٢٢ ، ١٢٥ – ١٢٧ ، ١٢٩ وما بعدها متفرّقاً .
راجع الاجزاء ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، المفضّليات رقم ٩٢ (ص ٢٨٥ – ٢٨٨) ، بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٦ – ٤٧ ؛ زيدان ١ : ١٨٠ – ١٨١.

الاسود بن يعفر

١ – هو الاسود بن يَعْفُرَ بن عبد الاسود بن جَندل بن نَهشل بن دارم من بني تميم ، وأمه رُهْم بنت العَبّاب ؛ كان متزوّجاً امرأة من بني نَهد سباها في غارة . وكان الاسود مولعاً بالقمار قد أضاع فيه ماله ، فكانت أمه تنصحه بأن يترك القمار فلم يتركه ، فرغبت إلى الذين يلاعبونه أن يكفّوا عن ملاعبته فغضب من ذلك .

ويبدو أن الاسود بن يعفر لم يكن مقيماً في مكان يستقلّ به ، بل كان يُجاور الأقوام : جاور بني قيس بن ثعلبة ثم بني مرّة بن عباد بالقاعة (شرقي بلاد العرب) وغيرهم .

واتّصل الاسود بن يعفر بمسروق بن المنذر بن سلمى بن نهشل فكان مسروق يعطيه ويبرّه ، ومات مسروق فرثاه الاسود . وكذلك حَظِيَ عند النعمان ابن المنذر .

وقد أسَنّ الاسود بن يَعْفُر ثم كفّ بصره قبل أن يتوفى (نحو ٥٨٥ م).

---

١ أجذم : مقطوع اليد .
٢ استقاد وأقاد : اقتص ، عاقب بالقتل أو (هنا) بقطع العضو المعتدي . دركاً في أن تبين : الاقتصاص من اليد المعتدية يتبعها باليد المقطوعة .
٣ أطرق : فكر . الشجاع : الحية السوداء . اطراق الشجاع : اطالة الاطراق (كناية عن اطالة التفكير) . لصمما : للدغ نفسه (قتل نفسه ، انتحر) .

٢ – الاسود بن يَعْفُر شاعر غيرُ مُكْثِرٍ ولكنّه فصيح مجيد، وفي شعره غناء؛ وقصائده طِوال. وفي شعره مدح ورثاء، وكان شديد الهجاء بارعاً فيه حتّى سمّي ذا الآثار لأنه ما هجا أحداً إلاّ ترك فيه آثاراً (ألزمه الهجاء وأضرّ به). وهو بارع أيضاً في الأدب (الحكمة). وقد اختار المفضّل الضبّي للأسود قصيدتين، إحدى هاتين القصيدتين «نام الخليّ وما أُحِسّ رقادي»، وهي معدودة من مختار أشعار العرب وحكمها.

٣ – المختار من شعره:

– قال الاسود بن يعفر يذكر شبابه ويبث أشجان نفسه ويذكر الموت والأمم التي سبقت ثم زالت:

نام الخَلِيّ وما أُحِسّ رُقادي، والهمّ مُحْتَضِرٌ لَدَيّ وِسادي [١]
من غيرِ ما سُقمٍ؛ ولكنّ شفّني همّ أراه قد أصاب فؤادي.
ومن الحوادث، لا أبا لك، أنني ضُرِبَتْ عليّ الأرضُ بالأسداد [٢].
ولقد علمتُ، سوى الذي نَبّأتني، ان السبيلَ سبيلُ ذي الأعواد [٣].
إن المنيّةَ والحتوفَ كلاهُما يُوفي المَخارمَ يَرْقُبان سوادي [٤]،
لن يَرْضَيا مني وفاءَ رهينةٍ، من دون نفسي، طارفي وتِلادي [٥].
ماذا أؤمّل بعدَ آل مُحرّقٍ، تركوا منازلَهم، وبعد إياد [٦]:
أهلِ الخَوَرْنَق والسَّدير وبارق والقصر ذي الشُّرُفات من سِنداد [٧]
أرضاً تَخَيّرها لدارِ أبيهِمُ كعبُ بن مامةَ وابنُ أمِ دُؤادِ.

---

١ الخلي: الذي لم يعشق، الذي لا هموم له. ما أحس رقادي: لا أجد سبيلا إلى النوم (لكثرة همومي). محتضر لدى وسادي: ملازم لي حاضر عند مخدتي التي أنام عليها.

٢ ضربت على الأرض بالاسداد: قامت دوني سدود لا أستطيع أن أتصرف في الحياة بحرية، لأنه كان قد عمي في آخر حياته.

٣ أن السبيل سبيل ذي الاعواد: ان طريق الناس كلهم الموت (الاعواد يحمل عليها الميت: التابوت).

٤ الحتف (الموت) يوفي (يعلو) المخارم (الطرق في الجبال = يستطيع الموت في أن ينفذ إلى الانسان من كل طريق مهما كانت صعبة). السواد: شخص الانسان. يرقبان سوادي. المنية والحتف يرصدانني حتى يأخذا نفسي.

٥ وهما لا يقبلان مالي الطريف والتليد (الجديد والقديم = كل ما أملك) بدلا عن نفسي.

٦ آل محرق: المناذرة (كانوا ملوكاً فماتوا، فكيف أرجو أن أنجو أنا من الموت).

٧ الخورنق والسدير: قصران. بارق وسنداد: نهران.

جرتِ الرياحُ على مكان ديـارِهِـم ْ فكأنّهم كانوا عـلى ميعـاد[1] !
نزلوا بأنْقَرَةٍ يسيلُ عـلَيْهِـمُ ماءُ الفُراتِ يجيء من أطواد[2] ،
فإذا النعيم وكلّ ما يُلْهى بـه يوماً يصير إلى بِلَىً ونَفاد .

٤ — ** غ (دار الكتب) ١٣ : ١٤ — ٢٨ ، المفضليات رقم ٥٥ ، ١٢٥ .

المُثقِّب العبديّ

١ — هو أبو عمرو عائذ بن مِحْصَن بن ثعلبة من بني نُكرةَ بن عبد القيس من بني أسد بن ربيعة بن نزار . وكانت مساكن قومه في البحرين .

كان المُثَقِّب سيّداً في قومه مصلحاً لأنه ممن قاموا بالصلح بين بني بكر وبني تغلب بعد حرب البَسوس . وعاصر المثقّب عمرو بن هند ثم شهد بضع سنوات من ملك أبي قابوس (٥٨٠ — ٦٠٢ م) . وكانت وفاته نحو عام ٣٥ ق.ه (٥٨٧ م) . وهو أقدم من النابغة .

٢ — المثقّب العبدي شاعر مجيد غريب الألفاظ متين التركيب جداً ، ولكن شعره يَضَحُ أحياناً ويَسْهُل . أما أغراض شعره فتدور على المدح والفخر والحكمة . ويبرز في شعره الطرد ، ووصف الراحلة والثور خاصة .

٣ — المختار من شعره

— للمثقّب قصيدة بارعة مدحها ابن سلّام[3] ، وقال فيها ابن قتيبة[4] : « كان أبو عمرُو بن العَلاء يستجيد هذه القصيدة ويقول : لو كان الشعر مثلَها لَوَجَبَ على الناس أن يتعلّموه » . وقد اختارها المفضّل الضبّيّ في « المفضّليات » . (رقم ٧٦) والقصيدة طويلة منها :

---

١ جرت الرياح على مكان ديارهم : عفت عليهم الرياح ، أزالتهم عن مساكنهم ، ذهبت بهم = ماتوا . فكأنهم كانوا على ميعاد (مع الموت) .

٢ أنقرة : بلد قرب الحيرة (غير أنقرة التي في آسية الصغرى) . الاطواد جمع طود : الجبل . يسيل عليهم ماء (نهر) الفرات (كناية عن الخصب والنعيم) .

٣ راجع طبقات الشعراء ص ٧٠ . ٤ الشعر والشعراء (بيروت) ١ : ٣١١ .

أفاطمَ ، قبلَ بَيْنِك ، متّعيني ؛ ومَنْعُك ما سألتُ كأن تَبيني [1] .
فلا تَعِدي مَواعدَ كاذباتٍ تَمُرُّ بها رياحُ الصيف دوني .
فإنّي لو تُخالفني شِمالي ، خِلافَك ، ما وصلت بها يميني [2] ،
اذنْ لَقَطَعْتُها ولَقلت : بيني ؛ كذلك أجتوي من يجتويني [3] .
لِمَنْ ظُعُنٌ تُطالع من صُبيب فما خرجتْ من الوادي لِحين [4] .
ظَهَرْنَ بكِلّة وسَدَلْنَ أخرى ، وثَقّبْنَ الوصاوصَ للعيون [5] .
فقلت لبعضِهنّ ، وشُدّ رَحلي لِهاجرة نَصَبْتُ لها جبيني :
لعلّكِ ان صرمت الحبل منّي كذاك أكون مصحِبَتي قَروني [6] .
فسَلِّ الهمّ عنك بذات لَوْث عُذافِرَة كمِطْرَقَة القُيون [7] .

وهنا يأتي أربعة عشر بيتاً في وصف الراحلة ، ثم يقول الشاعر عن راحلته :

إذا ما قمتُ أرْحَلُها بليلٍ تَأوّهُ * آهَةَ الرجل الحزين ،
تقول إذا دَرَأْتُ لها وَضيني : أهذا دِينُه أبداً وديني [8] :
أكلَّ الدهرِ حِلٌّ وارتحالٌ ؟ أما يُبقي عليّ وما يَقيني [9] !
فأبْقى باطلي والجِدّ منها كدُكّان الدرابِنَة المَطين [10] .

وهنا يلتفت المثقّب إلى عِتاب الملك عمرو بن هند مع شيء من الصراحة

١ البين : الفراق . التمتيع : التنويل ، ادخال السرور على الانسان بقضاء حاجته . ومنعك ما سألت كأن تبيني : إذا لم تجيبيني إلى ما طلبت منك فكأنك قد فارقتني .
٢ خلافك : مثل خلافك لي .
٣ اجتوى : كره . ٤ صبيب (بالصاد وبالضاد) .
٥ الكلة : الستر على المرأة . ظهرن بكلة وسدلن أخرى : رفعن جانباً من الستر وأرخين جانباً آخر منه . ثم جعلن في وصاوصهن (جمع وصواص : البرقع الصغير ، كناية عن صغر سنهن) ثقوباً (حتى ينظرن من خلالها) . وبهذا البيت سمي الشاعر « المثقب » (بكسر القاف المشددة) .
٦ ان صرمت حبلي (قطعت صلتك بي ، هجرتني) ، أفعل أنا كذلك وأكتفي بأن أكون مصاحباً لنفسي ، عائشاً منفرداً (القرون والقرينة ، بفتح القاف فيهما : النفس) .
٧ اللوث : الشد (الركض) . عذافرة : الشديدة القوية . القيون جمع قين : الحداد . * تتأوه .
٨ درأ الوضين : شد حزام (الدابة ، استعداداً للرحلة) . دينه : عادته . والمقصود بهذا الاستفهام الانكاري مذكور في البيت التالي .
٩ يبقي علي : يوفر شيئاً من نشاطي . وقاه يقيه : حفظه ، حماه (من الأذى) ، دفع الشر عنه .
١٠ باطلي : رحلتي في طلب اللهو . الجد منها : جدها وجهدها في السير . دكان : مكان مرتفع قليلا للجلوس . الدرابنة (جمع دربان ، بالفارسية) : بواب . مطين : مطلي بالطين . — المقصود : ان كثرة رحلاتي تركتها (من الهزال) بلا سنام ، فأصبح ظهرها مستوياً (لا سنام عليه) كأنه الدكان الذي يجلس عليه البوابون .

والخشونة المألوفتين في البدو :

إلى عمرٍو ، ومن عمرٍو أتتني ، أخي النَّجَدات والحِلْم الرصين :
فإمّا أن تكونَ أخي بحقٍّ فأعرِفَ منك غثّي من سَميني ،
وإلاّ فاطّرِحْني واتّخِذْني عَدوّاً أتّقيك وتَتّقيني !
وما أدري إذا يَمّمْتُ وجهاً أريدُ الخيرَ أيّهما يَليني :
أألخيرُ الذي أنا أبْتغيه ، أمِ الشرُّ الذي هو يبتغيني ؟

– وللمثقّب قصيدة بارعة فصيحة الألفاظ سهلة التّراكيب فيها فخر بنفسه منها :

لا تَقولنّ ، إذا ما لم تُرِدْ أن تُتِمّ الوعد في شيء **نعم** !
حَسَنٌ قولُ **نعمْ** من بعد **لا** ، وقبيحٌ قول **لا** بعد **نعم** .
ان **لا** بعد **نعم** فاحشةٌ ، فبِلا ابْدأ إذا خفت الندم .
وإذا قلتَ **نعم** فاصبرْ لها بنَجاز القول ، ان الخُلْفَ ذم[1] .

وهنا يلتفت المثقّب إلى الفخر بنفسه :

لا تَراني راتعاً ، في مجلس ، في لحوم الناس كالسَبْعِ الضَرِم[2] .
ان شرّ الناس من يَكْشُرُ لي حينَ يَلْقاني ، وان غِبْتُ شَتَم .
وكلامٍ سيّءٍ قد وَقَرَتْ أذُني عنه ، وما بي من صَمَم[3] .
فَتَعَزّيْتُ خشاةَ أنْ يَرى جاهلٌ أني كما كان زَعَم[4] .
ولَبَعضُ الصَفْح والإعراضِ عن ذي الخَنا أبقى ، وان كان ظَلَم[5] .
لا يبالي ، طيّبَ النفسِ به ، تَلَفَ المالِ إذا العِرض سَلِم[6] .

٤ – ديوان المثقّب العبدي (نشره محمد حسين بن آل ياسين) ، بغداد ١٩٥٦ .

---

١ بنجاز القول : الوفاء بالوعد (في المثل : أنجز حر ما وعد) .
٢ راتعاً في لحوم الناس : يغتابهم (قال الله تعالى : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » ، أي يغتابه : يذكره بما يكره – سورة الحجرات ، ٤٩ : ١٢) . السبع : الحيوان الآكل اللحم . الضرم : النهم .
٣ وقرت اذني عنه (منه) : أصبح فيها وقر (ثقل) عن سماعه .
٤ تعزيت تصبرت ، احتملت . خشاة (خشية من أن) يرى (يظن) الجاهل (بـ) أني كما زعم(ادعى).
٥ الخنا : القول والعمل القبيحان .
٦ لا يبالي ، وهو طيب النفس ، في الصفح (العفو) والاعراض (التجاهل) إذا خسر مادياً ، ما دام عرضه سليماً (كرامته موفورة محفوظة)

بشر بن أبي خازم الأسدى

١ – هو بِشر بن أبي خازم عمرو بن عوف بن حميريّ بن ناشرة بن أسامة بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، يبدو انه أدرك عَبيد ابن الأبرص وشهد معه مقتل حُجر بن الحارث (٥٣٠ م) ، والد امرئ القيس ، ثم أدرك النعمان الثالث أبا قابوس (٥٨٠ – ٦٠٢ م) .

وكان بِشْر فارساً وبطلاً شُجاعاً شهد الحرب بين بني أسد وبين بني طيّ ثم أدرك الحلف بعد تلك الحرب بين القبيلتين . وشهد بِشْر أيضاً يوم النسار (نحو ٥٧٥ م) ثم يوم الجفار في العام التالي وخاضهما وقال فيهما الاشعار .

كان بِشر في أول أمره يهجو أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، ثم اتّفق أن وقَعَ بِشر أسيراً في يد أوس فأطلقه أوس في حديث طويل وأكرمه فانقلب بشر يمدحه : مدحه بستّ قصائد (الديوان ٢٥) ينقض بها القصائد الستّ التي كان قد هجاه بها (راجع ص ١٤٨) . ولمّا توفّي أوس رثاه بِشر .

وقُتِل بِشر في غارة على بني صعصعة بن معاوية عام نحو ٣٢ ق. هـ (٥٩٠ م) ، بعد أن أسنّ كثيراً فيما يبدو .

٢ – كان بِشر بن أبي خازم من كبار شعراء بني أسد ومشاهيرهم ، ولكنّ شعره الذي وصلَ إلينا غير كثير . وشعره متين السبك بدوي المنحى . وقد اختار أبو زيد القرشي لبشر بن أبي خازم قصيدة عدّها في المجمهرات ، واختار المفضّل الضبّيّ هذه القصيدة نفسها مع ثلاث أخر في « المفضّليات » . ولبشر مدح وهجاء ورثاء ، وقد رثى نفسه يوم جرح وأيقن أنه ميّت . وله أيضاً حماسة وشيء من الحكمة والوصف ، منه وصف للسفينة ووصف للخيل . وفي شعره شبه بشعر عنترة أحياناً .

٣ – المختار من شعره :

– من مجمهرة بشر بن أبي خازم :

لِمَنِ الديارُ غَشَيتُها بالأنْعُم تبدو معالمها كاوِن الارقم[١] –

---

١ غشيتها : جئت اليها . الانعم : اسم مكان . الارقم : حية فيها سواد وبياض .

لَعِبَت بها ريح الصَبا فتنكّرت إلا بقيّةَ نُؤيها المتهدّم [١] .
دار لبيضاءِ العوارضِ طَفْلةٍ مهضومة الكشحين ريّا المِعْصم [٢] .
سائل تميماً في الحروب وعامراً ، وهلِ المُجرّب مثلُ من لم يعلم؟
غَضبت تميمٌ أن تُقتّل عامرٌ ، يوم النسار ، فأُعْقِبوا بالصَيْلم [٣] .
نَعْلو القوانسَ بالسيوف ونعتزي ، والخيلُ مُشْعَلَةُ النحورِ من الدم [٤] ؛
يَخرُجْنَ من خلَل الغُبار عوابساً خَبَبَ السباع بكل أكلفَ ضَيْغم [٥] .
أقْصَدْنَ حجراً قبل ذلك والقنا شَرَع اليه ، وقد أكبَّ على الفم [٦] .
ولقد خبَطْنَ بني كلاب خبطةً ألحقْنَهم بدعائم المُتَخيّم [٧] .
وصلقْنَ كعباً قبل ذلك صلقة بقَناً تَعاوَرُهُ الاكفّ مُقَوّم [٨] .
حتّى سقيناهم بكأسٍ مُرّةٍ مَكْروهةٍ حسواتُها كالعَلْقم [٩] .

— ومن قصيدة لبشر بن أبي خازم فيها غزل وحماسة وحكمة :

ألا ظعنت لِطِيّتِها إدامُ ، وكلُّ وصالِ غانية رِمامُ [١٠] .
جددتَ بحبّها وهَزَلت حتى كَبِرت وقيل : إنّك مُستهام .

---

١ النؤي : الخندق يحفر حول الخيمة ملاصقاً لها ، وله جانب مرتفع يمنع دخول الماء اليها .
٢ العارضة : صفحة الوجه . طفلة : لينة الملمس . مهضومة الكشحين : نحيلة الخصر . ريا المعصم : ممتلئة الزنود من اللحم .
٣ النسار يوم (معركة) انتصر فيه بنو أسد على بني عامر بن صعصعة أحلاف بني تميم . الصيلم في الأصل الداهية ، الأمر الشديد (بمعركة أشد من معركة النسار) .
٤ نعلو : (نرفع السيوف فوق) ، القوانس : (جمع قونسة : الخوذة) ، ونعتزي : (نفتخر بذكر قومنا في المعارك) ؛ وقد كثر الدم على صدور الخيل حتى كأن النار تشتعل على صدور الخيل .
٥ كانت الخيل عوابس من شدة المعركة . الخبب : الجري . الضيغم : الاسد (الفارس البطل) . الاكلف : الذي يخالط السواد فيه البياض (اشارة إلى غبار الحرب على ذلك الفارس) .
٦ أقصدن حجراً (أصبن منه مقتلا) . حجر : والد امرئ القيس . قبل ذلك : قبل يوم النسار . القنا شرع اليه : الرماح مشرعة اليه ، موجهة اليه . أكب على الفم : سقط على وجهه (قتيلا) .
٧ خبطن بني كلاب : (السيوف) ضربت بني كلاب فانهزموا إلى دعائم المتخيم (إلى أعمدة خيامهم) كناية عن شدة الهزيمة .
٨ صلق وسلق : ضرب (بالعصا أو بالرمح) . القنا جمع قناة : الرمح . تعاوره ، تتعاوره ، (تتداوله ، يتنقل بين الأيدي — كناية عن اشتداد المعركة) . مقوم : مستقيم ، مثقف (كناية عن جودة الرماح) .
٩ الحسوة : ما يأخذه الانسان بفمه من المرق (كناية عن الطعن المتلاحق) . العلقم . نبات مر .
١٠ ظعنت : رحلت . الطية : المقصد ، وجهة السفر . ادام اسم المحبوبة . رمام : بال ، متهرئ . — وصال الغواني لا يدوم .

وقـد تَغَنّى بنا — حيناً — ونغنى بهـا ، والدهر ليسَ لهُ دوام .
ليالِيَ تَستبيك بـذي غُـروب كـأنّ رُضابه — وَهْنا — مُدام [١] .
ألا أبلـغْ بني سـعد رسـولاً ومولاهم ، فقد حُلِبَتْ صُرام [٢] :
نسومكم الرشـاد ، ونحن قـوم — لتارك وُدّنا — في الحرب ذام [٣] .
ألم تَرَ أن طول الـدهر يُسلـي ويُنسي مثلَ ما نُسِيَتْ جُذام [٤] .
وكانوا قومَنا فبَغَوْا علينـا فسُقْناهم إلى البـلد الشآم [٥] .
وكنّـا دونَهم حِصْناً حصيناً لنـا الرأس المقـدّم والسنام ،
وقالوا : لن تُقيموا إن ظَعَنّـا ، فكان لنـا — وقد ظَعَنوا — مُقام .

— ديوان بِشر بن أبي خازم (الدكتور عزة حسن) ، دمشق **١٣٧٩ ه = ١٩٦٠.**
* بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٨ .

ذو الاصبع العَدْوانيّ

١ — اسمه حُرثان ، وهو من بني الظَرِب بن عمرو من بني يَشْكُر بن عَدْوان ، وإنّما كان لقبَه ذو الاصبع : قيل إن حيّة نَهشتْ إبهام قدمه فقطعها ، وقيل بل كانت له اصبع زائدة في رجله . وكان ذو الاصبع فارساً معدوداً فكانت له وقائع مشهورة . وقد أسنّ جدّاً حتى خرف ، وكانت وفاته نحو عام ٢٥ ق . ه . (٥٩٥ م) .

٢ — ذو الاصبع من قدماء الشعراء في الجاهلية ، وهو شاعر وجداني أكثر

١ الغروب : الخطوط الظاهرة في الاسنان (في أيام الطفولة)، كناية عن الشباب. بذي غروب: أسنان (يقصد الفم). الرضاب : الريق ما دام في الفم . وهنا : بعد نصف الليل (والعادة أن تتغير رائحة الفم في الليل) . مدام : خمر .
٢ مولاهم : حليفهم، أحلافهم. صرام: آخر اللبن في ضرع الناقة . حلبت صرام (أي استنفدنا النصائح لكم في تجنب الحرب) ، كما نرى في البيت التالي .
٣ ذام : عيب (إذا حاربناكم هزمناكم فجلبتم العار على أنفسكم) .
٤ جذام : قبيلة قديمة من بني معد بن عدنان (أقدم جدود العرب المعروفين) .
٥ في هذا البيت اقواء (الميم مكسورة ويجب أن تكون مضمومة) . كانوا قومنا : أحلافنا وأصدقاءنا ، فسقناهم (أجليناهم من ديارهم) إلى البلد الشآمي (الشمالي) .

شعره في الفخر والحماسة والحكمة ، وله شيء من الطرد (في وصف السهام خاصة) . وشعره سهل التركيب ظاهر المعاني . وله وصاة إلى ابنه أسيد في نثر جيد .

٣ — المختار من شعره :

— كان فرعا بني عَدوان (بنو ناجي بن يَشْكُر وبنو عوف بن سعد) مختلفين يتقاتلان حتى كادا أن يتفانيا . وكان لذي الاصبع ابن عم يعاديه ويؤلّب عليه الاعداء . فقال ذو الاصبع يلوم قومه ويقرّع ابن عمه في شيء من الفخر بنفسه وخلقه ومن التهكّم على ابن عمه وقوم ابن عمه :

لِيَ ابنُ عمّ ، على ما كان من خُلُق ،	مختلفان : فأقْليه ويَقْليني [١] .
أزْرى بنا أننا شالت نَعامَتُنا	فخالني دونه ، بل خلته دوني [٢] .
لاهِ ابنُ عمك، لا أفضلتَ في حَسَب	عنّي ، ولا أنت دَيّاني فتَخزوني [٣] .
ولا تَقوتُ عيالي يومَ مَسْغَبَةٍ ،	ولا بنفسك في العزّاء تكفيني [٤] .
فان تُرِدْ عرَضَ الدنيا بمنقصتي ،	فان ذلك ممّا ليس يُشجيني [٥] .
لولا أواصرُ قُربى لستَ تحفظُها ،	ورهبةُ الله في مَنْ لا يُعاديني ،
اذن بَرَيْتُك بَرْياً لا انجبار له ؛	إنّي رأيتُك لا تنفكّ تبريني .
إن الذي يَقْبِض الدنيا ويبسُطُها	إن كان أغناك عنّي سوف يُغنيني .
ماذا عليَّ ، وإن كنتم ذَوي رَحِمي ،	ألاّ أحبَّكم إن لم تُحبّوني ؟
لو تشربونَ دَمي لم يَرْوَ شاربُكم ،	ولا دماؤكم جَمْعا تُرَوّيني !
يا عمرو ، إلاّ تَدَعْ شتمي ومَنْقَصَتي	أضْرِبْكَ حتّى تقولَ الهامةُ : اسقوني[٦].

١ قلاه يقليه : كرهه ، أبغضه .

٢ أزرى بنا : عابنا ، نقص من قدرنا . شالت نعامتنا : افتقرنا ، تفرق أمرنا . بل خلته دوني (غ ٣ : ١٠٤) . في المفضليات : وخلته دوني .

٣ لاه : لله ، ما أحسنه ! الديان : القاضي الحاكم في أعمال الناس . تخزوني : تحملني بالقهر على ما تريد .

٤ المسغبة : الجوع . العزاء : السنة الماحلة الشديدة .

٥ إذا كنت لا تستطيع أن تكسب عيشك إلا بذمي والانتقاص مني فافعل ، فان ذلك حينئذ لا يحزنني .

٦ زعم الجاهليون أن الرجل إذا قتل ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة (طائر خرافي) ، تظل تصيح : « اسقوني (دماً) » حتى يؤخذ بثأره . (يقصد الشاعر : أقتلك ولا يؤخذ بثأرك) .

عنّي إليك : فما أمّي براعية … ترعى المَخاضَ ، ولا رأيي بمَغْبون [1] .
إنّي أبيٌّ أبيّ ذو مُحافظة … وابنُ أبيٍّ أبيّ من أبيّين .
عَفٌّ يَؤوس : إذا ما خفت من بلد … هُونا ، فلستُ بوقّاف على الهون .
كلّ امرئ صائرٌ يوماً لشيمته ، … وان تخلّق أخلاقاً إلى حين !
إنّي ، لَعَمْرُكَ ، ما بابي بذي غَلَق … عن الصديق ، ولا خيري بمَمْنون ،
ولا لساني على الادنى بمنطلق … بالفاحشات ، ولا فَتْكي بمأمون .
وأنتم مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مائة … فأجْمعوا أمرَكم طرّاً فكيدوني [2] .
فإنْ عَلِمْتم سبيلَ الرُشْد فانطلقوا ، … وإن جَهلتم سبيلَ الرشد فأْتوني !

٤ – الأصمعيات رقم ١٨ ، المفضّليات رقم ٢٩ ، ٣١ ، ٣١ مكرر .
غ (بولاق)٣:٢–١١ (٣:٨٩ – ١٠٩) .

صخر بن عمرو الشريد

١ – هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد من بني سُليم بن منصور من قيس عَيْلان ، كان رجلاً شجاعاً وسيّداً في قومه كريماً .

كان بنو خُفاف وبنو عَوف من بني سُليم متساندين (متحالفين) فاجتمع صخر بن عمرو في بني خفاف وأنس بن عبّاس الرِعْليّ في بني عوف وغَزَوَا قوماً من بني أسد بن خُزيمة وانتصرا عليهم . وسبى صخرٌ في تلك الغزوة بُدَيْلَةَ الأسديةَ واتّخذها زوجة له . ثم ان بني أسد بن خزيمة لحقوا ببني عوف وبني خفاف وأدركوهم في مكان اسمه ذو الأَثْل . واستطاع أبو ثور ربيعة بن ثور الاسدي أن يطعن صخراً طعنة دخل بها عدد من حَلَقات الدرع في جسم صخر . وقيل اندمل الجُرح على هذه الحلقات مدّة ثم شُقّ عنها ، وقيل بن جَوِيَ (فسد) جرح صخرٍ فاعتلّ منه نحو عام ثم مات . ودفن صخر في أرض بني سُليم قرب المدينة عند جبل اسمه عَسيب .

٢ – يبدو أن صخر بن عمرو الشريد كان شاعراً مقلاّ جداً ، غير أن شعره

---

١ عني اليك : دعني ، اعلم مني . المخاض : النياق الصغيرة ....
٢ زيد على مائة : أكثر من مائة . كاده : مكر به .

وجداني سهلٌ عذبٌ ، ثم يبدو أن فنّه الرئيسي كان الفخر .

٣ – المختار من شعره :

– قيل ان امرأة سألت سلمى زوجة صخر (وقيل بل سألت زوجتَه الأخرى بُديلة الاسدية) عن حال صخر فقالت لها : لا حيٌّ فيُرْجى ولا ميْتَ فيُنْعى . وكانت أمه إذا سئلت عنه قالت : أصبح بنعمة الله سالماً . وقد قال صخر يصف تلك الحال :

أرى أمّ صخرٍ ما تَجفّ دموعُها ،	وملّت سُليمى مَضْجَعي ومكاني .
وما كنتُ أخشى أن أكون جنازة	عليكِ ؛ ومن يَغْتَرّ بالحَدَثان [١] !
فأيّ امرئٍ ساوى بأمٍّ حَليلةً	فلا عاش إلاّ في شقاً وهَوانِ [٢] .
أهمّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعُه	وقد حيلَ بين العَيْر والنَزَوان [٣] .
لعمري ، لقد أيقظتُ من كان نائماً	وأسمعتُ من كانت له أذنانِ [٤] .
فلو ان حَيّاً فائتُ الموتِ فاتَه	أخو الحرب فوق القارح العَدَوان[٥] .

٤ – غ ١٥ : ٧٧ – ٧٩ ؛ الاصمعيات رقم ٤٧ (ص ١٦٣ – ١٦٤)

المنخّل اليشكريّ

١ – هو المُنَخّل بن مسعود بن عامر بن ربيعة من بني يَشْكُرَ من بكر ابن وائل ، وكان جميلاً غَزِلاً مُغامراً ذا مكائدَ : كان يحب هند بنت المنذر (أخت عمرو بن هند) ، وكان يتّهم بامرأة لعمرو بن هند. أما حبّه للمتجردة (امرأة النعمان بن المنذر أبي قابوس) فمشهور جداً . ويبدو أن المنخّل هو

---

١ جنازة : أمر ثقيل على الناس ، يتأففون منه ويعجزون عن احتماله . يغترّ بالحدثان : تخدعه الحوادث (يظن أنه يسلم من الحوادث والمصائب) .

٢ الحليلة : الزوجة .

٣ لعله يعني في هذا البيت قتل امرأته التي كانت تقول القول المذكور في مقدمة هذه الابيات . حيل بين العير (حمار الوحش) والنزوان (الوثوب على أتانه) ، يقصد أنه أصبح عاجزاً عما يريد .

٤ لعله في هذا البيت يحرض بعض أهله على ما عجز هو عنه .

٥ لو كانت النجاة من الموت ممكنة بسبيل من السبل لنجا منه الذي يركب فرساً قوياً سريعاً (بفراره من المعارك حينما يبدو له أن الموت قريب منه) .

الذي أوقع بين النابغة والنعمان ، قيل حتى يستقل بمنادمته . ومات المنخّل قتْلاً أو غيلة نحو عام ٥٩٧ م. ولا سبيل للأخذ بقول ابن قتيبة (ص ٢٣٩) من أن عمرو بن هند هو قاتل المنخّل .

٢ – المنخّل شاعر مقلّ اختار له أبو تمام في «الحماسة» قصيدة فيها غزل صريح وخمر وفيها حماسة ، ويبدو أنه قالها في هند بنت المنذر .

٣ – المختار من شعره :

إن كنتِ عاذلتي فسيري ... نحوَ العراق ولا تحوري .
لا تسألي عن جُلّ ما ... لي ، وانظري كرمي وخيري .
وفوارسٍ كأوارِ حـ ... ـر النار أحلاسِ الذكور[١] ،
شَدّوا دوابرَ بَيْضِهم ... في كل محكمة القتير[٢] ،
واستلأموا وتلبّبوا ، ... ان التلبّب للمُغير[٣] .
وعلى الجيادِ المُضْمرا ... ت فوارسٌ مثل الصقور .
ولقد دخلتُ على الفتا ... ة الخدْرَ في اليوم المَطير :
الكاعبِ الحسناء تَرْ ... فُلُ في الدمقْسِ وفي الحرير .
فدفعتها فتدافعت ... مَشْيَ القَطاةِ إلى الغدير[٤] ،
ولثمتُها فتَنَفّسَتْ ... كتنفّس الظبي الغَرير[٥] .
فدنت وقالت : «يا مُنَخّلُ ، ما بجسْمك من حَرور !»
«ما شفّ جسمي غيرُ حُبّكِ ، فاهدئي عنّي وسيري» .
وأحبّها وتُحبّني ، ويُحبّ ناقتَها بعيري .
ولقد شربتُ من المُدا ... مة بالصغير وبالكبير[٦] .
فإذا انتشيتُ فانني ... ربّ الخَوَرْنق والسَدير[٧] .

---

١ رب فوارس منا لهم توهج النار من اندفاعهم أحلاس الذكور (ملازمون لظهور الخيل) .
٢ ربطوا بيضهم (خوذاتهم) بدروعهم(خوفاً من سقوطها عند جري الخيل).**محكمة القتير** : كثيفة غبار الحرب.
٣ استلأم : لبس اللأمة (الدرع) . تلبب : تحزم (استعداداً للهجوم والاغارة) .
٤ القطاة : طائر سريع يقصد الماء من مكان بعيد (يقصد : استجابت لي بسرعة) .
٥ الظبي الغرير : الغزال الصغير (تنفست بسرعة) .
٦ بالقدح الصغير وبالقدح الكبير .
٧ انتشى: سكر. الخورنق والسدير : قصران للنعمان (يقصد : أصبحت كالنعمان ، ملكاً) .

وإذا صَحَوْتُ فـانَّـني رب الشُّويهةِ والبعير [1] .
يا هندُ ، مَـنْ لمتيَّـمٍ - يا هند - للعاني الأسير ؟

٤ - الأصمعيّات رقم ١٤ .

غ (بولاق) ٩:١٦٦ (١١ : ١٤ - ١٥) ، ١٨:١٥٢ - ١٥٦ ؛ زيدان ١ : ١٨٢ - ١٨٣ .

اوس بن حجر

١ - أوْس بن حَجَر بن عَتّاب من بني نُمير بن تميم ، وأصلـه مـن البحرين . وقـد تطوّف أوْس في نجد والعراق ، وخصوصاً في بَلاط الحيرة . وهو الذي حضّ عمرو بن هند على الأخذِ بثأرِ أبيه المنذر بن ماء السماء ، وكان الحارث بن جَبَلَة الغسّانيّ قد قتله في المعركة المعروفة بيوم حليمة (٥٥٤ م) لأن أباه حَجَراً قتل أيضاً في ذلك اليوم .

وانقطع أوْس إلى أبي دُليجة فُضالة بن كَلَدَة الاسدي يمدحه ، ثم رثاه لما مات . وعاصر أوسٌ طفيلَ بن مالك ووصف هربه يوم السوبان . وكان أوس قد تزوّج أم زهير بن أبي سلمى . وعاش أوس دهراً طويلاً ، ثم مات ، فيما يبدو ، قبيل ظهور الاسلام .

٢ - كان أوس بن حَجَر من فحول الجاهلية ، ومن الذين يأخذون شعرهم بالاصلاح والتنقيح . وكان أوس غَزِلاً مُغْرَماً بالنساء يجيد الغزل . واشتهر أيضاً بالطَرْد (وصف الصيد والحُمُر ، ووصف السلاح ولا سيما القوس) ، وكان يمدح تكسباً ويمدح للشكر ويحسن الرثاء ويكثر القول في الحكمة، وخصوصاً في مكارم الاخلاق . وكان أوس يرى أن الاستعداد للحرب من الصواب . وقد كان الشعراء يأخذون أبياتاً له ويتداولون معانيَهُ ، وتبدو معظم خصائص أوس ابن حَجَر واضحة عند زهير بن أبي سلمى ، وكان زهير راويةً له .

---

[1] الشويهة : الشاة الصغيرة (كناية عن الفقر والمسكنة) .

٣ – المختار من شعره :

– قال أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة :

أيّتُها النفسُ ، أجْملي جزَعاً ، ان الذي تكرهين قد وقعا .
إن الذي جمع السماحةَ والنَّجْـ ـدة والحزم والقوى جُمَعا
أوْدَى ، وهلْ تَنْفع الاشامة مِنْ شيءٍ لِمَنْ قد يحاول النَّزَعا [١] :
الالمعيّ الذي يَظُنّ لك الظـ ـنّ كأنْ قد رأى وقد سَمِعا ؛
المُخْلفُ المُتلف المُرَزّأ لم يُمْتَع بضعف ولم يمتْ طَبَعا [٢].

– ومن حكمه الرائعة في تقريع قومه :

ورِثْنا المجد عن آباء صدْق أسأنا في ديارِهِمُ الصنيعا .
إذا الحَسَبُ الرفيعُ تواكلتْهُ بُناةُ السوء أوشك أن يَضيعا [٣].

– وقال يذكر الثورَ والكلابُ تتبعه (وقد ألمّ النابغة بمعانيه وألفاظه في ذلك) :

ففاتَهُنّ ، وأزْمَعْنَ اللحاقَ به كأنهنّ بجَنْبَيه الزنابيرُ .
حتى إذا قلتُ نالتْهُ أوائلُها – ولو يَشاء لنَجّته المثابير [٤] –
كرّ عليها ، ولم يَفْشَلْ ، يُمارسها كأنّه بتَواليهِنّ مسرور [٥] .
يَشُلّها بذَليقٍ حدُّهُ سَلِبٍ ، كأنّه حين يعلوهن مَوْتور [٦] .
ثم استمرّ يُباري ظلّه جَذِلاً كأنّه مَرْزُبانٌ ، فاز ، محبور [٧] .

---

١ الجمع جمع جمعة : مجموع . – جمع منها جمعاً كثيراً .
٢ الا شامة : صدق الحملة في الحرب . لمن يحاول النزعا : الحائن (من حان موته) .
٣ تواكلوا : اتكل بعضهم على بعض . – إذا اعتمد كل انسان على غيره في المحافظة على المجد لم يحفظه أحد فيتعرض للضياع .
٤ الشطر الأول أخذه النابغة . المثابير ....
٥ فشل : ضعف . يمارسها : يعانيها ، ينازلها ، يقاتلها . كان مسروراً بتواليها عليه واحداً بعد واحد وبالتغلب عليها (كأنه في رياضة يفوز فيها) .
٦ يشلها : يرفعها . ذليق : (قرن) حاد . حده سلب (بفتح السين وكسر اللام) : طرفه يتحرك بسرعة (كناية عن اثخانه الجراح فيها) .
٧ استمر : تابع طريقه (نجا من الكلاب) . يبارى ظله : يعدو بسرعة . المرزبان : رئيس الفرس ، حاكم عسكري في فارس .

– وله قصيدة مشهورة طواها على فخر وحكمة ووصف للسلاح وحضٍّ على الاستعداد للحرب :

ولا أعْتُبُ ابنَ العمّ ان كان ظالما ، وأغفر منه الجهلَ ان كان أجهلا [١].
وإن قال لي : «ماذا ترى» ؟ يستشيرني ، يَجِدْني ابنُ عمي مِخلَطَ الامر مِزْيَلا [٢]
أقيم بدار الحزم ما دام حزمُها ؛ وأحرى إذا حالت بأن أتحوّلا [٣].
وإني امرؤ أعددتّ للحَرب – بعدما رأيت لها ناباً من الشر أعصلا [٤] –
أصمّ رُدَيْنياً كأنّ كعوبَه نَوَى القَسْبِ عَرّاصا مُزَجّاً مُنصّلا [٥] ،
وأبيضَ هِندياً كأن غِراره تلألؤُ برق في حُبِيّ تَكلّلا [٦].
فذاك عتادي في الحروب إذا التظت ، وأردفُ بأسٌ من حروب وأعجلا .
فانّي رأيت الناس الا أقلّهم خِفافَ العهودِ يكثرون التنقّلا .
وهم لمُقِلّ المال أولاد علّة ، وان كان محضاً في العمومة مُخْوِلا .
وليس أخوك الدائمُ العهدِ بالذي يَذُمّك ان وَلّى ويُرضيك مُقبِلا ،
ولكنّه النائي إذا كنتَ آمناً ، وصاحبُك الأدنى إذا الأمر أعضلا.

٤ – ديوان أوس بن حَجَر (جمع اشعاره ونقلها إلى اللغة الالمانية رودولف غاير) ... ١٨٩٢ .

ديوان اوس بن حَجَر (تحقيق وشرح يوسف نجم) ، بيروت ١٩٦٠

* بروكلمان ١:١٨ – ١٩ ، الملحق ١:٥٥ .

---

١ أعتبه : عاتبه ، رضي عنه ، عفا عنه .
٢ مخلط مزيل (كلاهما بوزن مفعل بكسر الميم وفتح العين) : فاتق راتق(بصير بالامور قادر عليها ، يضر وينفع) .
٣ اقيم بالمكان الذي أستطيع أن أكون ذا رأي (حازم) فيه ؛ والاليق بي إذا تبدلت الحال في ذلك المكان أن انتقل منه .
٤ أعصل : شديد .
٥ أصم : (رمح) قصبته مصمته (مملؤة ، قصبة فارسية) . رديني : نسبة إلى ردينى (امر أة اشتهرت بتثقيف الرماح ، أي تقويمها) . الكعوب : العقد التي في القصب. نوى (بزر)القسب (التمر اليابس). عراصا : لدناً ، ليناً . مزجا : له زج (بكسر الزاي) : حديدة في أسفله . منصلا : له نصل (سنان في رأسه) ؛ يقصد رمحا جديداً كاملا .
٦ أبيض هندي : سيف . غراره : حده . حبي (بفتح الحاء أو ضمها وبكسر الباء بعدها ياء مشددة) : السحاب ، الغيم . تكلل : كان بعضه فوق بعض .

قسّ بن ساعدة الإياديّ

هو قَسّ بن ساعدة بن عمرو بن عَدِيّ من بني إياد ، كان أُسْقُفَ نَجْران كثيرَ الزهد في الدنيا : يقال إنه فَقَدَ أخوين له ودفنهما بيده ، فحمله ذلك على الانصراف عن الدنيا مرةً واحدة . وكان قَسّ بن ساعدة يَحْضُرُ عكاظ ويخطب في التزهيد والتخويف . ويبدو أيضاً أنه كان يزور بلاد الروم .

وتوفّي قَسّ بن ساعدة نحو عام ٢٢ ق. هـ. (٦٠٠ م) .

مختارات من شعره ونثره :

قيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى قَسّ بن ساعدة يخطب في سوق عُكاظ ويقول [١] : أيّها الناسُ ، اجتمعوا واسمعوا وعُوا . من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت .... آياتٌ مُحْكَمات : مطر ونبات ، وآباء وأمّهات ، وذاهب وآت ، ضوء وظلام ، وبِرّ وآثام ، لِباس ومركب ، ومطعم ومشرب ، ونجوم تمور ، وبحور لا تغور [٢] ، وسقف مرفوع ، وليل داج ، وسماء ذات أبراج [٣] . ما لي أرى الناس يموتون ولا يَرْجِعون : أرَضُوا بالمُقام فأقاموا ، أم حُبِسوا فناموا ؟... يا معشرَ إياد ، أين ثمودُ وعاد ، وأين الآباء والأجداد ؟ أين المعروف الذي لم يُشْكَر ، والظلم الذي لم يُنكرْ ؟ ....

في الذاهبين الأوّليـــــن من القرون لنا بَصائِرْ .
لمـّا رأيت مـــوارداً للموت ليس لها مصادر ،
ورأيت قومي نحوهـــا يمضي الاصاغر والاكابر —
لا يَرْجِعُ المـاضي ولا يبقى من الباقين غابِرْ [٤] —
أيقنتُ أني ، لا مَحـالةَ ، حيث صار القوم صائر !

غ ١٤ : ٤١ — ٤٤ .

---

١ من البيان والتبيين ١ : ٣٠٨ — ٣٠٩ .
٢ مار يمور : يتحرك . يغور : يذهب ماؤه ، ينضب .
٣ داج مظلم . ابراج : منازل الكواكب في السماء .
٤ غابر : باق .

حاجب بن زرارة

كان حاجب بن زُرارة بن عُدْس من بني دارم بن تميم ، وكان فارساً شجاعاً وسيّداً في قومه . ولكن أخاه لَقيطاً كان أبرز منه ، واليه كانت قيادةُ تميم حتى سقط قتيلاً في يوم شِعْب جبَلَة ، نحو عام ٥٥٣ م . وفي ذلك اليوم أيضاً وقع حاجب أسيراً (الكامل ١٣٠ ، راجع ١٢٩ ، ٢٧٣ – ٢٧٤ ، غ ، دار الكتب ١١ : ١٥٠ – ٥٢) .

واشتهر حاجب بن زرارة بوفادته على كسرى الأول أنوشروان (٥٣١ – ٥٧٩ م) في شأن مراعي بني تميم على ضِفاف الفرات : كان بنو تميم مُعْتَدّين بأنفسهم لكثْرة عددهم ولشَوْكتهم ، فكانوا لا يكتفون بالمراعي التي خصّهم كسرى بها ، بل يَعْتدون على المراعي الخاصّة بغيرهم . من أجل ذلك منع كسرى بني تميم من ارتياد ريف العراق كله ، فأخذهم القحط وكادوا يَهْلِكون . فوَفَد حاجب بن زرارة على كسرى يطلب منه السماح لبني تميم بالرعي في ريف العراق ، فطلب كسرى منه ضَماناً بألاّ يَعودَ بنو تميم إلى الاعتداء على المراعي المخصوصة بجيرانهم ، فأعطاه حاجب قوسه رهناً ؛ ووفتْ بنو تميم بما تعهّدَ به حاجب .

وأدرك حاجب بن زرارة يوم النِسار بين بني أسد وبني تميم وانهزم هارباً فعيّره بذلك بِشْر بن أبي خازم .

وكان حاجب بن زرارة حكيماً مشهوراً وخطيباً بارعاً ، وصف ابن أخيه القعقاعَ بن مَعْبد بن زرارة يوماً فقال :

« والله ، ما القعقاعُ برطبٍ فيُعصَر ولا يابساً فيكسرَ » .

ورَوَوْا أن حاجب بن زرارة قال عند كسرى :

« قد علمت العرب أنّا فَرْع دعامتها وقادة زَحْفها . لأنّا أكثر الناس عديداً ، وأنجبهم طُرّاً وليدا . وإنّا أعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل » .

وكان لحاجب شعر (غ ١٠ : ٢٠ = ١١ : ٩٨ – ١٠٢) .

---

١ الاعلام للزركلي ٢ : ١٥٣ ؛ راجع الاصابة ١ : ٢٧٣ ، ٢ : ١٨٧ .

قيل إن حاجب بن زُرارة خَطَبَ عند كسرى ، في المدائن [1] ، يفتخر بالعرب :

وَرِيَ زَنْدُكَ ، وعَلَتْ يَدُكَ ، وهِيبَ سُلْطانُكَ . إن العرب أمّة قد غَلُظَتْ أكبادُها ، واستَحْصَدَتْ مِرّتها ، ومُنِعَتْ دِرّتها ، وهي لك وامقةٌ ما تألَّفْتَها ، مُسترسلةٌ ما لايَنْتَها ، سامعةٌ ما سامحتَها [2] . وهيَ العَلْقَمُ مَرارةً ، والصابُ غَضاضةً ، والعسل حَلاوةً ، والماء الزلالُ سَلاسَةً . ونحن وفودُها اليك ، وألسِنَتُها لَدَيك : ذِمّتُنا محفوظة ، وأحسابنا ممنوعة [3] ، وعشائرنا فينا سامعةٌ مُطيعة . أنْ نَؤُبْ ، لَكَ حامدينَ خيراً ، فلَكَ بذلكَ عمومُ مَحْمَدَتِنا ، وان نَذُمَّ لم نُخَصَّ بالذّمّ دونها [3] .

طُفَيْلُ الغَنَويّ

١ — هو أبو قُرّانٍ طُفيلُ بن عَوْفِ بن ضُبيسِ بن دُليف بن كعب بن عوف بن كعب بن جِلاّن بن غَنْم بن غَنِيّ بن أعْصُر .

كانت قبيلة غنيّ قبيلةً صغيرة من قيسٍ لا تَقْدِر على أن تدْفع الغارات عن نفسها فعاشت في جوار بني جعفرِ بن كلابٍ أقوى قبائل بني عامر عَصَبيّةً . ولم يَثْبُتْ بنو غنيّ في مكان واحد : كانتْ مساكنُهم الأولى قريبة من مكّةَ ثم رَحَلوا إلى نجد ونزلوا في جوارِ بني جعفر بن كلاب ، إلى الجنوب الشرقي من جبال طيّءٍ ، على مَقْرُبَةٍ من مدينة حائلٍ اليومَ . وكان بين بني غنيّ

---

١ كانت المدائن العاصمة الشتوية للفرس ، وهي اليوم على نحو عشرين ميلا شرق بغداد .

٢ وري زندك : لا زال زندك (الزند : الحديدة تقدح بها النار من الحجارة) قادراً على اشعال النار ، لا زلت موفقاً صائب الرأي . استحصدت مرتها : استحكمت قوتها وعظمت . ومنعت (بالبناء للمجهول) درّتها : قل لبنها ، أمحلت بلادها (؟) . وامقة : محبة . تألفتها : أحببتها ، أحسنت اليها . مسترسلة : مستمرة .

٣ العلقم والصاب : نبات مر . غضاضة : احتمال الذل والمكروه (يشق على الانسان أن يصبر على عداوتنا) . ذمتنا محفوظة : قومنا الذين نتكلم باسمهم يقرونا على ما نقول . أحسابنا ممنوعة : أعمالنا (ومقامنا في قومنا) محمية ، مدافع عنها ، لا يشك أحد فيها . ان نؤب ..... الخ : ان مدحناك عند قومنا مدحوك هم أيضاً ، وان ذممناك لم نكن وحدنا الذين ذممناك (بل تذمك عشائرنا أيضاً) ؛ او : إن نذم (لأننا لم ننجح عندك) فان قومنا سيذمونك ايضاً .

وبين طيّء غارات أشهرها وأعظمها يوم المُحَجَّر ، وقد شَهِدَ طفيلٌ هذا اليومَ .

ثم نَشِبَت العداوةُ بين بني غنيّ وبني جعفر بن كلاب لمّا قتل رجل من بني غنيّ رَجُلاً من بني عامر هو عُروة الرَحّال ، قُبيل عام ٥٨٥ م.[1] من أجل ذلك ترك بنو غني جوار بني جعفر بن كلاب ورحلوا متّجهين نحو الشرق حتّى نزلوا جَنوبَ اليَمامة ونزلوا في جوار بني سعد بن عوف (في قَوّ ورَمْلة عالج وخَبْت) . ثم انهم عادوا إلى ديارهم السابقة على مقربة من العراق . ولقد شَهِدَ طفيلٌ كلّ هذه المشاهدِ .

كان طفيل الغَنَوي شجاعاً فارساً وكان يتعهّد تربية الخيل وتضميرها لأهلها (بأجْر) . وهو بلا شك شاعر جاهلي ، ويبدو أنه شهد نهاية القرن السادس للميلاد وتوفّي قبل الإسلام ، وكان أسَنّ من النابغة .

٢ — طُفيل الغَنَوِيّ شاعر جاهليّ من الشعراء الفحول المعدودين ، وقد أخذ منه (قلّده وأخذ من معانيه) شعراءُ كثيرون منهم النابغةُ وزهيرٌ . وكان الأصمعي يقول : طُفيل عندي في بعض شعره أشعر من امرئ القيس . أما فنون شعره فهي الأدب (الحكمة) والفخر والحماسة والمدح والرثاء والوصف والغزل . وقد كان يُجيد وصفَ الخيل حتى سَمَّوهُ « زيد الخيل » لكثرة وصفه للخيل ، كما سُمّي « المُحَبِّر » لحسن وصفه إيّاها .

٣ — المختار من شعره :

— قال طفيلٌ الغَنَوِيّ في الفخر :

وبيتٍ تَهُبّ الريحُ في حَجَراته بأرضٍ فضاء بابُه لم يُحَجَّب[2]،
سماوته أسمال بُرْدٍ مُحَبَّرٍ وصهوته من أتْحَمِيٍّ مُعَصَّب[3]

١ ان الذي قتل عروة الرحال كان البراض (بتشديد الراء) بن قيس الكناني (راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف ، ص ١٣٠ — ١٣١) .

٢ الحجرات جمع حجرة (بفتح الحاء) : الناحية — البيت واسع إلى درجة أن الريح تهب فيه كما تهب في الأمكنة المكشوفة) . أرض فضاء : أرض واسعة لا بناء فيها . بابه لم يحجب : لم يوضع عليه حجاب ، حاجب أو يقفل (كناية عن الكرم) .

٣ سماوته : أعلاه ، سقفه . الأسمال : الثياب الخلقة (بفتح الخاء وكسر اللام) المتهرئة . البرد : الثوب يلبس فوق غيره . محبر : ثوب فيه وشي (يقصد: سقوف بيوتنا مصنوعة من بقايا أثوابنا الحريرية الموشية ، =

وأطنابُه أرسان جُرْدٍ كأنّها صدور القَنا من باديءٍ ومُعَقَّبِ[1]،
نَصَبْتُ على قَوْمٍ تُدِرّ رِماحهم عروقَ الاعادي من غرير وأشيب[2]!

— وقال يرثي نَفَراً من قومه :

تأوّبَني هَمٌّ من الليلِ مُنْصِبُ ، وجاء من الأخبار ما لا أُكَذِّبُ[3]؛
تَتابَعْنَ حتّى لم تكن ليَ ريبةٌ ، ولم يك عَمّا خبّروا مُتَعقَّبُ[4].
وكان هُريمٌ من سِنان خليفةً وحصنٍ ومن أسماءَ ، لمّا تغيّبوا[5].
أشمّ طويل الساعدين كأنّهُ فَنيقُ هِجانٍ في يديه مُرَكَّبُ[6].
كواكبُ دَجْنٍ كلّما انْقضّ كوكبٌ بدا — وانْجَلَتْ عنهالدُجُنَّةُ — كوكب[7]
لَعَمْري ، لقد خلّى ابن جندعَ ثُلمةً ؛ ومن أين — إنْ لم يَرْأبِ اللهُ — تُرْأب[8]!

= كناية عن سعة ثيابهم وكثرتها (أو مصنوعة من ثيابنا التي استغنينا عن لبسها وأصبحنا نعدها نحن أسمالا) بينما هي جديدة متينة (لأننا لا نلبس الثياب مدة طويلة). صهوته : المكان الذي نجلس عليه في بيوتنا (تشبيهاً له بصهوة الحصان). الاتحمي : برد (ثوب) حرير مخطط بصفرة (رقيق النسج !). معصب : مشدود بعصائب من حرير !

١ الاطناب : قطع من خشب تُرز في الأرض وتشد اليها أطراف الخيمة . أرسان جرد : (مربوطة) بأرسان خيل (بحبال جديدة ومتينة كانت أرسان لخيولنا ثم استغنينا عنها وهي لاتزال جديدة متينة). كأنها صدور القنا (الرماح) : لا تزال ملساء لأنها جديدة . البادئ : الحصان الذي غزا للمرة الأولى . المعقب : الحصان الذي ذهب إلى الغزو مرة بعد مرة .

٢ أنزلت فيه قوما شجعانا يتغلبون في الحرب على الشبان (الاشداء) وعلى الشيوخ (الحكماء) !

٣ تأوبني : جاءني مرة بعد مرة . منصب : متعب ، شديد . خبر لا يكذب : خبر الموت .

٤ تتابعن : توالت الاخبار واحداً بعد واحد . حتى لم تكن لي ريبة : حتى انتفى كل شك . متعقب : بحث للتحقق من صحة الخبر أو كذبه .

٥ كان هريم بن سنان يرجى أن يسود قومه بعد أبيه سنان وبعد حصن بن يربوع واسماء بن واقد (من قوم الشاعر طفيل الغنوي) ، وكان بنو عبس قد قتلوا هريماً . لما تغيبوا : بعد ان ماتوا .

٦ أشم : عالي قصبة الانف (كناية عن الشرف وكرم الاصل) . طويل الساعدين : قادر على أن يصل بالرمح أو السيف إلى أعدائه في المعركة (من غير أن يصلوا هم اليه — لطول ساعديه وقصر سواعدهم) . كأنما فنيق : (كأنما له يدا جمل كريم الأصل !)

٧ كواكب دجن (يوم ذي غيم ، مظلم) : رجال وجهاء في قومهم ، كرام ، شجعان . كلما انقض كوكب : كلما مات أو قتل سيد منهم . بدا كوكب : ظهر فيهم سيد جديد . انجلى عنه الدجنة (الظلام) : ظهر من حيث لا ينتظر الناس أن يظهر .

٨ لقد خلى ابن جندع ثغرة : ترك بموته منفذاً إلى قومنا لا يستطيع أحد أن يسده أو يدافع عنه . ومن أين....: وإذا لم يسد الله هذه الثغرة (بضم الثاء) فلن يستطيع أحد أن يسدها .

نداماي أمْسَوْا قد تَخلّيْتُ عنهمُ ، فكيف ألَذّ الخمرَ أم كيف أشرب[1] !
مَضَوْا سَلَفاً قَصْدَ السبيلِ عَلَيْهِمُ ؛ وصَرفُ المنايا بالرجال تَقَلّبُ [2] .

— وله في الرثاء أيضاً :

وما أنا بالمُسْتَنْكِرِ البَيْنَ ، إنّني بذي لَطَفِ الجيران قِدْماً مُفَجَّعُ [3] .
جَديرٌ به من كلّ حيّ صَحِبْتُهُمْ ، إذا أنَسٌ عَزّوا عليّ تَصَدّعوا [4] .
وإنّيَ بالمولى الذي ليس نافعي — ولا ضائري فُقْدانُه — لَمُمَتَّعُ [5] .

٤ — ديوان طفيل الغنوي (حرّره فريتس كرنكو) ، لندن ١٩٢٧ م .

** غ ١٥ : ٣٤٩ — ٣٥٥ ، الوحشيّات ، بروكلمان ؛ الملحق ١ : ٥٩ .

النابغة الذبياني

١ — النابغة هو زِياد بن مُعاوية بن سعد بن ذُبيان ، ولذلك يُعرف بالنابغة الذبياني تمييزاً له من النابغة الجَعْدي ونابغة بني شَيْبان وسواهما . وقيل : سُمّيَ النابغةَ لأنه قال الشعر بعد أن تقدمت به السن .

اتصل النابغة ببلاط الحيرة في نحو عام ٩٢ ق. ه. (٥٣٠ م) ، في نحو العام الذي توفي فيه المُهَلْهِل ، ليمدح المنذر بن ماء السماء . ولكن لمّا جاء عمرو بن هند إلى عرش الحيرة (٦٨ ق. ه. = ٥٥٤ م) وقعت بينه وبين النابغة

١ كانوا ندماناً لي ثم أجبرني الموت على أن أتخلى عنهم . لذ الشارب (فاعل) الخمر (مفعول به) : وجد طعمها لذيذاً .

٢ مضوا سلفاً : ذهبوا (ماتوا) من قبل . قصد السبيل : في السبيل (الطريق) المقدر على جميع الناس . وصرف المنايا بالرجال تقلب : الموت يتقلب في اللعب بالناس (يقدم بعضهم على بعض : قد يموت الصغير قبل الكبير والسقيم قبل الصحيح) .

٣ لا أستنكر (أستغرب) البين : البعاد ، الموت . لطف الجيران : الجيران الذين كنت على وفاق في الحياة معهم . قدماً : منذ زمن قديم . مفجع : ثاكل ، فاقد (تعودت منذ زمن قديم أن يموت أصدقائي وأهلي واحد بعد واحد ، فاذا مات أحد من جديد فلا أستغرب أبداً) .

٤ جدير به : خليق به ، يصاب به (بالموت) . إذا أنس .... : كلما اتصلت المودة بيني وبين نفر من الناس تصدعوا (تشققوا ، شقهم الموت عني وفصلهم ، ماتوا) .

٥ غير أن الاشخاص الذين لا تنفعني حياتهم ولا يضرني موتهم يبقون حولي أحياء !

وحشة ، فغادر النابغة الحيرة متوجهاً إلى جِلَّقَ (حُوران) ليمدح الغساسنة ، ثم تُوفِّيَ عمرو بن هند (٥٣ ق. ه. = ٥٦٩م) فعاد النابغة إلى الحيرة واتّصل بالنعمان أبي قابوس فمدحه وحَظِيَ عنده ونال من عطاياه شيئاً كثيراً .

ثم اتّفقَ أنْ غَضِبَ النعمان أبو قابوس أيضاً على النابغة : قيل إن النابغة وصف المُتَجَرِّدَةَ زوجةَ أبي قابوس ، وقيل بل اتّصل بأبي قابوس أن النابغة هجاه ، وقيل بل كان ذلك كلّه وشاية . وخاف النابغة فهرَبَ من الحيرة إلى بلاط الغساسنة وانقطع إلى عمرو بن الحارث وأخيه النعمان يمدحهما ، فزاد ذلك في غضبِ أبي قابوس وأرسلَ إليه يُعاتبه بقوله : « إنّكَ صرتَ إلى قَومٍ قَتَلوْا جَدّي فأقمت فيهم تمدحهم ! » ثم إنّ نفس النابغة نازعته إلى عطايا النعمان أبي قابوس فأخَذَ بمدحه والاعتذار اليه . ولكن النعمان لم يرضَ عنه .

وتوفّي النابغة في سنة ١٨ ق. ه. (٦٠٤م) ، قبل النعمان أبي قابوس بثلاث سنوات ، وكان قد أسنّ جداً .

٢ — النابغة شاعر حضري لأنّه عاش أكثر حياته في بلاط المناذرة وبلاط الغساسنة ، من أجل ذلك تجد في شعره رقّة الحضارة من فصاحة في اللفظ وعذوبة وسهولة في التركيب ، بالاضافة إلى شعراء البادية كامرئ القيس وطرفة . واحتج من قدّم النابغة على غيره من شعراء الجاهلية بأنه كان أوضحهم معنىً ، وأبعدهم غايةً (أي أنه يتطلب معانيَ جديدة بعيدة عن تلك التي ألفها الشعراء » كثير الفائدة (أي انه كثير المعاني في قليل من التراكيب) . وزاد ابن رشيق فقال (١ : ٨١ — ٨٢) : « كان أحسنَهم ديباجةَ شعرٍ ، وأكثرهم رونق كلام ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة (أي ان قصائده الطوال جياد) وأحسنهم مدحاً وهجاء وفخراً وصفة (وصفاً) .. وكان زهير والنابغة من عبيد الشعر ، ... يتكلّفان إصلاحه ويشغَلان به حواسّهما وخواطرهما ... بالتنقيح والتثقيف » .

واشتهر النابغة بالمديح والاعتذار ، وهما فنّان حَضَريان . ولقد تكسّب بالشعر وألحف في التكسّب حتى سقط في عيون معاصريه وفي عيون النقّاد . وكذلك أذل نفسه في اعتذاره للنعمان ، ولكنه خلق في الشعر العربي فنّاً جديداً .

وكذلك برع النابغة في الأوصاف البدوية (كوصف الحية) وفي الأوصاف الحضرية خاصّة (كوصف العيد والصيد للّهو ، ووصف السفر في النهر ووصف الجيش الذاهب إلى الحرب) . وله هجاء قبَليّ وشيء من الحكمة المستجادة .

ورثاء النابغة قليل ولا عاطفةَ فيه اذ هو باب من أبواب مديحه يحاول أن يتكسّب به أيضاً . وغزله تقليديّ يأتي في مطالع القصائد . وله مَثَلَ الرجل والحية ، وهو من القَصَصِ الخُرافي الذي يَقِلّ في الشعر الجاهليّ .

٣ – المختار من شعره :

– لمّا هَرب النابغة من النعمان جاء إلى جلّق فمدح عمرو بن الحارث الغسّاني بقصيدة عرّض فيها بالمناذرة ، وخصوصاً في ذكر يوم حليمة : يومَ ذبح الحارث الغسّاني خصمه المنذرَ الثالث ملك الحيرة :

كِليني لهمٍّ ، يا أُمَيمَةَ ، ناصبِ وليل أقاسيه بطيء الكواكب [١] .
تطاول حتّى قلت ليس بمنقضٍ وليسَ الذي يَهْدي النجوم بآيب [٢] .
عليّ لعمرو نعمةٌ ، بعد نعمةٍ لوالده ، ليست بذات عقارب [٣] .
وثِقت له بالنصر إذْ قيلَ قد غَزتْ كتائبُ من غسّانَ غير أشائب [٤] ..
إذا ما غزَوْا بالجيش حلّقَ فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائب [٥] ،
جوانحَ قد أيقنّ أنّ قبيلهُ ، إذا ما التقى الجمعان ، أولُ غالب [٦] ..
ولا عَيْبَ فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فُلولٌ من قِراع الكتائب [٧] .
تُورِّثْنَ من أزمان يوم حليمةٍ إلى اليوم قد جُرّبْن كلّ التجارِب [٨] .

١ كليني : اتركيني ، دعيني . حق (اميمة) ان تكون مبنية على الضم لأنها منادى مقصود بالنداء ولكنها رويت بالفتح (راجع الاغاني ١١ : ١٦ – ١٧) ناصب : منصب ، متعب . بطيء الكواكب : طويل، لا تغرب نجومه بسرعة .
٢ التي تهدي النجوم : النجوم التي تطلع « تظهر » في أول الليل . آيب : راجع إلى مسقط رأسه « غائب » .
٣ لم يلحقها منّ ولا أذى .
٤ اشائب : اخلاط – يقصد ان الغازين هم من بني غسان فقط .
٥ عصائب جمع عصبة : جماعة .
٦ جوانح : مائلات .
٧ فلول : ثلوم . القراع : القتال .
٨ يوم حليمة معركة انتصر فيها الغساسنة على المناذرة في سهل قنسرين (شمالي سورية) .

هم شيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غيْرَهُـــم ... من الجود والاحلام غير عوازب [1] .
محلّتهم ذات الإِلَه ، ودينهـــم ... قويمٌ فما يرجون غير العواقـب [2] .
رقـاق النعال طَيّبٌ حُجزاتُهـم ... يُحَيَّون بالرّيحان يوم السباسب [3] :
تُحَيِّيهم بيض الولائـد بينهـم ... وأكسية الأضريج فوق المشاجب [4] .
يصونون أجساداً قديمـاً نعيمُهـا ... بخالصة الأردان خضر المناكب [5] .
ولا يحسَبونَ الخير لا شرّ بعده ، ... ولا يحسبون الشرّ ضربة لازب [6]

– وقال النابغة يمدح النعمان أبا قابوس ويعتذر اليه ويبرّر زيارته لبلاط الغساسنة :

أتاني ، أبيْتَ اللعنَ ، انك لُمْتَنَي ؛ ... وتلك التي أهتمّ منهـا وانصَبُ !
فبِتّ كأنّ العائدات فرشْنَ لي ... هراساً به يُعلى فراشي ويُقشَب [7] .
حلَفْتُ ، فلم أترك لنفسكَ ريبـة ... – وليْس وراء الله للمرء مـذهب –
لئن كنتَ قد بُلّغتَ عني خيانَــةً ... لَمُبْلغك الواشي أغشّ وأكذبُ .
ولكنني كنت امْرَأً لي جــانب ... من الأرض فيه مُستَراد ومـذهب :
ملوك وإخوان إذا مـا أتيتُهـم ... أحَكَّم في أموالهم وأقَرّبُ ،
كفعلك في قوم أراك اصطفيتهـم ... فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا .
فلا تترُكنّي بالوعيد كـــأنـني ... إلى الناس مَطْليّ به القارُ اجرب :
ألم ترَ ان الله أعطـاك سُــورة ... ترى كل مَلْك دونها يتذبذب [8] ؟

---

١ شيمة : عادة . الاحلام : العقول . عوازب : بعيدون .

٢ محلتهم ذات الاله : سلوكهم يرضي الله – ؟.. العواقب : العواقب الحميدة .

٣ رقاق النعال : كناية عن الغنى والنعمة ، لا يجعلون نعالهم صفيقة بل رقيقة . حجزاتهم : ما يحجز بين بيوتهم ، كناية عن العفاف . السباسب : عيد الشعانين .

٤ الولائد جمع وليدة : الجارية . الأضريج : الحرير الاحمر ، الارجوان . المشجب : ما تعلق عليه الثياب – يعني انهم يوم عيدهم ينشرون اثواب الحرير (يزينون بها بيوتهم) وتقف الجواري لتحيتهم عند مرورهم .

٥ خالصة الاردان : اطرافها بيضاء . خضر المناكب : اكتافها خضراء .

٦ هم يعلمون ان الخير لا يدوم وان الشر لا يدوم (الاحوال تتبدل دائماً) .

٧ العائدات : الزائرات في المرض . الهراس : نبت له شوك . يقشب : يخلط ويجدد – أتألم كأني نائم على فراش من شوك .

٨ سورة : منزلة . يتذبذب : يضطرب – يجهد الملوك ان يبلغوا منزلتك فلا يستطيعون .

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب !
ولستَ بمُسْتَبْقٍ اخاً لا تلُمّه على شعَث . أيّ الرجال المهذّب ؟
فان أكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمته ، وان تكُ ذا عُتبى فمثلك يُعْتِبُ [1] !

— نظم النابغة معلّقته بعد أن فارق النعمان بن المنذر أبا قابوس إلى بلاط الغساسنة (٣٢ ق. ه. = ٥٩٠م) ، ومطلعها :

يا دارَ ميّةَ بالعَلياءِ فالسنَدِ ، أقوتْ وطال عليها سالفُ الابد [2] .

شبّه فيها ناقته بالثور الوحشي . وبعد أن وصف معركة الثور الوحشي مع كلاب الصيد خلَص إلى مديح النعمان والاعتذار اليه :

كأن رَحلِي ، وقد زال النهارُ بنا يومَ الجليل ، على مُستأنِسٍ وحِدِ [3] ،
فارتاع من صوت كَلاّب فبات له طَوْعَ الشوامت من خوف ومن صَرد [4] .
فبثّهن عليه ، واستمرّ به صُمْعُ الكُعوب بَريئات من الحرَد [5] .
وكان ضُمران منه حيث يوزِعُه طعنَ المُعارك، عند المُحْجَر، النَجُد [6] .
شكّ الفَريصة بالمِدرى فأنفذها شكّ المبيطر اذ يشفي من العَضَدِ [7] ،

١ العتبى : الرضى – انا عبدك ، فان كنت قد ظلمتني فقد قبلت انا منك هذا الظلم ؛ وإن كنت أنا مذنباً فمثلك من يعفو .
٢ خلت من أهلها .
٣ زال النهار : أصبح الوقت بعد الظهر . الوحد : الحيوان المتوحش العائش في البرية . المستأنس : المقترب من مكان الانس ، من الحضر (ويكون عادة كثير النفور مضطرباً) . الجليل : اسم موضع .
٤ ارتاع : خاف . الكلاب : الذي يصطاد بالكلاب . طوع الشوامت : أي يطيع قوائمه ، يقف عليها ولايستطيع أن يتحرك أو يهرب لما يشعر به من الخوف والبرد .
٥ فبثهن عليه : ارسل الكلاب عليه . استمر بـه صمع الكعوب : استمرت قوائمه ثابتة في مكانه (لم يهرب) . الصمع جمع اصمع : ضامر . الكعوب جمع كعب : مفصل العظام . بريئات من الحرد : لا اعوجاج فيها . يقال للكلاب صمع الكعوب ، أي صغارها (القاموس ٣ : ٥٢) .
٦ ضمران : اسم علم على كلب . يوزعه : يدفعه عنه . المحجر : المأزق، المكان الضيق (في الحرب) . النجد : الشجاع ، وهي نعت للمعارك – حينما ادرك ضمران الثور في مكان ضيق لا يستطيع ان ينجو منه ، أخذ الثور يطعن الكلب بقرنيه ليبعده عنه .
٧ الفريصة : العضلة التي بين الكتف والخاصرة . المدرى : القرن . انفذه : جعل القرن يدخل من جانب فيخرج من الجانب الآخر . المبيطر : طبيب الدواب . العضد : مرض يصيب الدواب فيداوى بانفاذ ميل من جانب إلى جانب في صدر الدابة ثم بادخال مصران في ذلك المكان فيخرج من طرفيه صديد مدة معينة .

كأنه خارجاً من جنْب صَفْحته ... سَفّودُ شَرْبٍ نَسُوه عند مُفتأد [١] .
فظلّ يعجُمُ أعلى الرَّوْق مُنقَبِضاً ... في حالك اللون صَدْقٍ غيرِ ذي أوَد [٢] .
لما رأى واشِقٌ إقعاص صاحبه ، ... ولا سبيلَ إلى عَقْلٍ ولا قَوَد [٣] ،
قالت له النفس: « إني لا أرى طمعاً . ... وإنّ مولاك لم يسلمْ ولم يَصِدِ » [٤] .
فتلك تُبلغني النُّعمانَ — إن لـه ... فضلاً على الناس في الادنى وفي البُعُد [٥] .
فلا لعَمْرُ الذي مسّحت كعبتَه . ... وما هُريق على الانصاب من جَسَد [٦] ،
ما قلتُ من سيّءٍ مما أتيتَ به ، ... إذاً فلا رفعَتْ سوْطي إليّ يدي [٧] !
أُنبِئْتُ أنّ أبا قابوسَ أوعدني . ... ولا قرارَ على زأرٍ من الاسد [٨] .
مَهْلاً ، فِداءٌ لك الاقوامُ كلهُمُ ... وما أُثمِّرُ من مالٍ ومن ولد ،
لا تقذِفَنّي برُكنٍ لا كَفاءَ له ... وان تأثّفك الاعداء بالرِّفَد [٩] .
فما الفراتُ ، وان جاشتْ غواربُه ... ترمي أواذيّه العَبْرين بالزَّبَد [١٠] ،
يَمُدُّه كل وادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ ... فيه حُطام من اليَنبوت والخَضَد [١١] ،
يوماً بأجودَ منه سَيْبَ نافلةٍ ، ... ولا يَحولُ عَطاءُ اليوم دون غدِ [١٢] .

---

١ الشرب : الذين يشربون الخمر معاً . مفتأد : مكان شي اللحم – يشبه الكلب المشكوك بقرن الثور كقطعة اللحم الكبيرة المشكوكة بسيخ حديد .

٢ يعجم : يعض . الروق : القرن . منقبضاً : ملتوياً . حالك : اسود . صدق : صلب ، بجدّ .

٣ واشق : اسم علم على كلب . اقعاص : موت . العقل : الدية . القود : قتل القاتل بالمقتول .

٤ طمعاً : طمعاً بصيد هذا الثور . مولاك : سيدك وصاحبك .

٥ تلك ، أي الناقة التي لها مثل هذه الصفات . في الادنى وفي البعد : الاقربين والابعدين .

٦ اقسم بالذي مسحت كعبته (بيدي أو بالدم تبركاً) ، أي بالله . هريق : فعل ماض مبني للمجهول من هراق (سكب ، صب) . الجسد : الدم .

٧ مما أتيت به : ما نقله الواشون اليك . فلا رفعت سوطي إلي يدي : دعوة على يده بالشلل .

٨ اوعد : توعد ، تهدد . – لا اطمئنان مع سماع صوت الاسد .

٩ لا تقذفني بركن لا كفاء له : لا تجعل خصمي مقتدراً لا طاقة لأحد به (لا تكن أنت خصمي) . كفاء : مثيل، نظير . تأثفك : أحاط بك . الاعداء : اعدائي . الرفد : المظاهرة و مساعدة بعضهم بعضاً للوشاية بي عندك .

١٠ جاشت : اضطربت . الغوارب : اعالي الموج . الأواذي : الامواج . العبرين (بالفتح أو الكسر) : الشطين .

١١ يمده : يصب فيه . واد : (هنا) السيل الجاري في الوادي . حطام : قطع (جرفها السيل) . الينبوت : نوع من الشجر . الخضد : النبات والأغصان المتكسرة .

١٢ سيب نافلة : العطاء الزائد . – ثم هو اذا اعطى اليوم لا يمنع عطاءه غداً .

٤ — ديوان النابغة الذبياني (نشره ديرنبورغ) باريس ١٨٦٩م؛ وتكملته، باريس ١٨٩٩.
ديوان النابغة الذبياني ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٩٣ ﻫ .
ديوان النابغة الذبياني (صحّحه وحل غريب ألفاظه الشيخ عبد الرحمن سلام) بيروت (المكتبة الأهلية) ١٩٢٩ م .
ديوان النابغة الذبياني ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٥١ ﻫ .
ديوان النابغة الذبياني ، بيروت (مطبعة صادر) ، ١٩٦٠ م .
ديوان النابغة الذبياني ، ١٣٧٩ م .

•• التوضيح والبيان عن شعر نابغة ذبيان (لمحمد أدهم) ، القاهرة ١٩١٠م .
توضيح البيان عن شعر النابغة الذبياني (لمحمد أدهم) ، القاهرة ١٣٢٨ ﻫ = ١٩٥١م .
النابغة الذبياني ، تأليف سليم الجندي ، دمشق ١٩٤٥ م .
النابغة الذبياني ، تأليف عمر الدسوقي ، القاهرة ١٩٤٩ م .
النابغة الذبياني ، تأليف محمد زكي العشماوي ، القاهرة ١٩٦٠ م .
النابغة : سياسته وفنّه ونفسيته ، تأليف ايليا سليم حاوي ، بيروت ١٩٦٠ م .
بروكلمان ١ : ١٣ ، الملحق ١ : ٤٥ .

عدي بن زيد

١ — عَدِيّ بنُ زيد بن حَماد بن أيوب من العِباد ، وهم نصارى الحيرة . وكانت أُسرة عدي مقرّبة إلى البلاط الفارسي للخدمات التي كانت تؤدّيها للفرس في بلاط المناذرة . وكان حمادٌ جدّ عدي أولَ من تعلم الكتابة من أفراد تلك الأسرة ثم أصبح كاتباً للنعمان الأكبر الاعور . وكان زيدٌ والد عدي يتولى بعض أقسام البريد لكسرى أنو شروان . ثم أصبح عديّ نفسه كاتباً في ديوان كسرى . وبعد مقتل عدي دخل ابنه زيد أيضاً في خدمة الفرس .

وُلِدَ عديٌ في الحيرة ، وفيها نشأ وتعلم العربية والفارسية . وفي عام ٥٧٩ م (٥٣ ق. ﻫ.) بعثه كسرى أنو شروان رسولاً إلى طيباريوس الثاني ملك الروم

(٥٧٨ – ٥٨٢ م) . ويبدو أن عدياً زار في أثناء رجوعه من القسطنطينية مدينة دمشق .

وأدرك النعمان الثالث أبو قابوس (٥٨٥ – ٦٠٧ م) أن أعمال عَديّ بن زيد كانت في مصلحة الفرس أكثر مما كانت في مصلحة العرب ، بل أكثر مما كانت في مصلحة المناذرة أنفسهم ، فحبسه ثم قتله في السجن عام ٦٠٤ م ، قبل ظهور الاسلام بست سنوات . وكان مقتل عدي سبباً من أسباب النفور بين الفرس والمناذرة ، بل سبباً في سقوط دولة المناذرة على يد الفرس .

٢ – لم يكن عدي بن زيد من فحول الشعراء لأنه كان قروياً (من أهل المدن) ؛ والتقدم في الشعر كان دائماً لأهل البادية . ثم ان عدياً سكن الحيرة والمدائن وبلاد فارس نفسها فثقل لسانه وغلبت عليه اللكنة « فكان العلماء لا يرَوْن شعره حُجّة » . أما شعره فقريب المعاني غير متين التركيب ، وأكثره يدور حول الزهد في أمور الدنيا وحول التزهيد فيها . وله شيء في الخمر أحسن أسلوباً وأرق ديباجة من شعره في الزهد .

٣ – المختار من شعره :

– قال عديّ في الحكمة والزهد والتزهيد في الدنيا :

أعاذلُ ، إن الجهلَ من لَذّة الفتى وإنّ المنايا للرجال بمَرْصَدِ .
أعاذلُ ، ما أدنى الرشادَ من الفتى وأبعدَه منه إذا لم يُسَدَّد !
أعاذلُ ، ما يُدريك أن مَنِيّتي إلى ساعة في اليوم أو في ضُحى الغد ؟
كفى زاجراً للمرءِ أيامُ دهرِه تَروحُ له بالواعظات وتغتدي .

– ومر عدي بن زيد مع النعمان على بعض المقابر ، فقال للنعمان : أتدري ما تقول هذه القبور ؟ فقال النعمان : لا . قال عدي : انها تقول :

من رآنا فليحدّثْ نفسه انه أوفى على قرن [1] زوالِ .
رُبَّ قومٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزُلال
ثم أضْحَوْا عصف الدهر بهم ؛ وكذاك الدهر يودي [2] بالرجال .

---

١ قرن زوال : طرف حياته – سيموت .
٢ يهلك .

-- وقال عديّ أيضاً :

ايها الشامت المُعَيِّرُ بالدهـ ـر ، أأنت المبرَّأ الموفورُ [1] ؟
ام لديك العهد الوثيق من الـ ـأيّام ؟ بل أنت جاهل مغرور .
من رأيتَ المنونُ خلّدْن ، أم من ذا عليه من ان يُضام خفير [2] ؟
أين كسرى كسرى الملوك انوشر وانُ ، أم اين قبلَه سابور ؟
وبنو الاصفر [3] الكرامُ ملوكُ الـ ـروم لم يبق منهمُ مذكور .
وتذكّرْ رَبَّ الخوَرْنَقِ [4] إذ أشـ ـرف يوماً وللهدى تفكير .
سرّه مالُه وكثرة ما يملك والبحر مُعرضاً والسدير [5] ،
فارْعوى قلبه فقال : وما غِبـ ـطةُ حيٍّ إلى الممات يصير [6] ؟
ثم بعد الفلاح والملك والإمّـ ـة [7] وارتهم هناك القبور .
ثم صاروا كأنهم ورق جفْـ ـفَ فألوتْ به الصَّبا والدَّبور [8] .

--غ بولاق ٢ : ١٧ -- ٣٤ (٢ : ٩٥ -- ١٤٦) .

حاتم الطائيّ

١ -- حاتَمٌ الطائيّ أو حاتمُ طيّ هو حاتمُ بنُ عبد الله بن سعد الطائي ، وأمه عَنْبة بنت عفيف من طيِّء أيضاً . ونشأ حاتم كريماً ، فقد ورث الكرم إلى حد الاسراف من والدته التي كانت غنية وكريمة مبذرة . أما والده فكان مُمْسِكاً بعض الامساك . ولقد غطّى كرم حاتم ومروءته وحِلمه على شعره وعلى سائر أحداث حياته أيضاً .

وكان حاتمٌ صغير السن حينما كان عَبيد بن الابرص والنابغة الذبياني يذهبان

١ المبرأ : الذي لا يصيبه المرض أو الموت . الموفور : المحفوظ (لا يموت) .
٢ المنون : الموت . خلدن : تركن حياً . من ان يضام خفير : من يحميه من الضيم و الذل و تقلب الأيام.
٣ ملوك الروم .
٤ الخورنق : قصر .
٥ البحر معرضاً . يظهر النهر أمامه واسعاً . السدير قصر .
٦ ومع ذلك فقد اعتبر وعلم أن الحياة لا قيمة لها ما دام مصير الانسان إلى الموت .
٧ الامة (بكسر الهمزة) : النعمة .
٨ الصبا والدبور (بفتح الصاد والدال واهمال البائين) : ريح الشرق وريح الجنوب (بفتح الجيم) . ألوى به : أهلكه .

إلى النعمان . وقد تزوج حاتم مرتين : تزوج نَوارَ أو النَوارَ ، وكانت تلوم حاتماً على كرمه ، ثم تزوج مَاوِيَة بنت عفزر من بنات ملوك اليمن ، وكانت تحب الكرم والكرماء ؛ وخلّف من الأولاد ثلاثة : عبد الله وعديّا وسَفّانة . ويبدو ان حاتماً عاش نحو ستين سنة وتوفّي نحو عام ١٥ ق. ه. (٦٠٧ م)[١] ، قبل ظهور الاسلام .

٢ — شِعْر حاتم فصيح الالفاظ سهل التراكيب جداً . وأغراضه الفخر بكرمه وعفّته ثم الحماسة . وينتثر في قصائده شيء من الحكمة .

٣ — المختار من شعره :

— قال حاتم يبدي رأيه في المال وفي الفقر والغنى ، وهذا جانب من فخره بنفسه :

أمَاوِيّ ، إن المال غادٍ ورائحٌ ، ويبقى من المال الأحاديث والذِكرُ .
أمَاوِيّ ، إني لا أقول لسائل ، إذا جاء يوماً : حَلّ في مالنا نَزْرُ[٢] .
أماويّ ، ما يُغني الثَراء عن الفتى إذا حَشْرَجت يوماً وضاق بها الصدر[٣] .
أماويّ ، إن يُصبِحْ صَدايَ بقَفْرة من الأرض — لا ماءٌ لديّ ولا خمر —
تَرَيْ أن ما أنفقت لم يكُ ضَرّني ، وأن يَدي مما بَخِلْتُ به صفْر .
وقد علِمَ الاقوامَ لو أن حاتماً أراد ثَراء المال كان له وَفْر .
عُنينا زماناً بالتَصَعْلُك والغِنى ، كما الدهر في أيامه العُسْر واليُسْر .
فما زادنا بَغْياً على ذي قَرابة غِنانا ، ولا أزْرى بأحسابنا الفقر[٤] .
وما ضرّ جاراً ، يا ابنةَ القوم ، —فاعلمي— يُجاورنا ألاّ يكونَ له سِتْر :
بِعَيْنَيّ عن جاراتِ قومِيَ غفلةٌ ، وفي السمع منّي عن حديثهم وَقْر !

— وقال حاتم يُجري قواعدَ الكرم على قَلوصه (ناقته) في أبيات اختارها أبو تمام في «الحماسة» :

---

١ في الاعلام للزركلي (   ) : ت حاتم طي ٤٦ ق. ه = ٥٧٨م .
٢ نزر : قلة .
٣ حشرجت النفس : قرب خروجها (دنا موت صاحبها) .
٤ ازرى : عاب .

وما أنا بالساعي بفضل زِمامِهــا لتشربَ ماء الحوض قبل الركائب ؛
وما أنا بالطاوي حقيبةَ رَحلِهــا لأبعثَهــا خِفّــاً وأتْرُكَ صاحبي .
إذا كنتَ رَبّاً للقَلوص فلا تَدَعْ رفيقَك يمشي خلفَها غير راكب :
أنِخْهــا فأرْدِفْه ، فإن حملَتْكُما فذاك ، وإنْ كان العِقابُ فعاقِبِ [1] .

– ومن قوله في مُشاركة الناس طعامَه ، وهو أيضاً من مختارات « حماسة أبي تمّام » :

أيا ابنةَ عبدِ الله وابنةَ مالكٍ ، ويا بنت ذي البُرْدَيْنِ والفرسِ الوَرْدِ [2] ،
إذا مــا صنعتِ الزاد فالتمسي لَــه أكيلاً ، فاني لست آكِلَهُ وحدي :
أخاً طارقاً أو جارَ بيت ، فــاني أخاف مَذَمّاتِ الأحاديث من بعدي .
واني لَعَبْدُ الضيفِ ما دام ثاوياً ، وما فيَّ إلاّ تلك من شِيمة العبد !

– وقال حاتم :

فأقسمت لا أمشي إلى سِر جــارة يَدَ الدهر : ما دام الحمامُ يُغَرِّدُ [3] ،
ولا أشتري مــالاً بغــدرٍ علمته ؛ ألا كلّ مال خالط الغَدْرُ أنكد .
إذا كان بعضُ المالِ ربّاً لأهلِه، فاني – بحمد الله – مالي مُعبَّدُ [4] .
يُفَكّ به العاني ، ويُؤكلُ طيِّباً ، ويُعطى إذا منَّ البخيل المُصَرِّد [5] .
إذا ما البخيل الخَبّ أخمد نــاره أقول لمن يَصْلى بناريَ : أوقِدوا [6] !

٤ – ديوان حاتم الطائي وأخباره (رزق الله حسون) ، لندن ١٨٧٢ .
ديوان حاتم الطائي ، بيروت ١٨٨٨ .
ديوان حاتم الطائي (كرم بستاني) ، بيروت (صادر) ١٩٥٣ .

---

١ اجعل ناقتك تبرك ثم أركب رفيقك خلفك ، إذا استطاعت الناقة أن تحملكما معاً ؛ وإلا فاركب أنت مسافة ثم دعه يركب مسافة .

٢ البردين : الثوبين . الورد : الاحمر (كناية عن الغنى والشجاعة) .

٣ سر جارة : سترها ، بيتها (والسر أيضاً النكاح) . يد الدهر : طول الدهر .

٤ معبد : عبدٌ لي .

٥ إذا من البخيل المصرد : إذا أعطى قليلا ثم من على الذي أعطاه .

٦ إذا أطفــأ البخيل ناره حتى لا يهتدي الضيوف اليه ، أقول أنا للضيوف الذين هم حول ناري : زيدوا في ايقاد النار (حتى يهتدي بها ضيوف آخرون) . الخب (بالفتح أو الكسر) : مصدر هو نعت للخيل .

ديوان حاتم مع ديوان الخنساء سنة ١٣٢٦ ثم ١٣٤٨ (بلا ذكر لمكان الطبع) .
** بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٥ .

جران العود النَّمِريّ

١ – هو جِران العَوْد الحارث بن عامر[١] ، لُقّب عامرٌ جران العود لأنه كان قد اتّخذ جلداً من جران (عنق) العَوْد (الجمل المسنّ) ليضرب به امرأتيه .

كان جران العود خِدْناً وتِبْعاً لعُروة بن عُتبة المعروف بعروة الرحّال[٢] ، فعلى هذا يكون جران العود من أهل النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ، ولعلّه أدرك السنوات الأولى من القرن السابع . وإذا نحن اعتبرنا أسماء الأماكن التي وردت في أشعار جران العود وجدنا أنه كان من أهل العالية ، في الشمال الغربي من نجد ، قريباً من الحجاز .

يبدو أن جران العود قد تزوّج مراراً ، وأنه قد جمّع بين امرأتين . ولكنّه لم يكن سعيداً في زواجه قطّ . ومع ذلك فقد جرّب حظّه مرّة أخرى وكانت قد تقدّمت به السن ، إذ قال (ديوان ٤٨) :

لولا حُميدة ما هـام الفؤاد ، ولا رجّيت وصل الغواني آخر العمُرِ !

٢ – جران العود شاعر جاهليّ جيّد الشعر حسن التشبيه فصيح العبارة لطيف المعاني : ألفاظه في الأكثر فصيحة وشعره سهل عذب ، والغريب من ألفاظه يأتي عادة في القوافي . وهو شاعر وجداني مَرِح خفيف الروح يمزج الجدّ بالهزل. وفنونه الغزل والوصف . وغزله صريح بريء الألفاظ غير بريءْ الاشارة . ثم هو أمين على جاراته ، إنه يقول (ديوان ٢٨) :

فما أنا للمطيّة بابن عمّ ، ولا للجارة الدُنيا بزيرِ[٣] .

---

١ اسمه الحارث لا المستورد ، كما ذكر الجوهري خطأ (القاموس ٤ : ٢٠٩) ، وجران العود المستورد شاعر آخر من بني عقيل عاش في الاسلام (تاج العروس ٩ : ١٦١) . الخدن : الصديق . التبع : الذي لا يفارق صاحبه .

٢ راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف ١٣٠ – ١٣١ .

٣ لا أشفق على المطية (بل أذبحها للضيوف لأني كريم) ، ولا أقوم بزيارات عاطفية لجاراتي القريبات من مكان سكني .

ويَلْفتُ النظرَ في ديوان جران العود كثْرةُ وصفه للنجوم وصحّة وصفه لها ، قال مثلاً (ديوان ٤٣ — ٤٤) :

ويمّمن الركاب بنات نعش ، وفينا [1] عن مغاربها ازورار :
نجوم يرعوين إلى نجـوم كما فاءت إلى الرُبَع الظؤار [2] !

ومن المستغرب جداً أن يكون في شعره ألفاظ وتراكيب ومدارك تشبه أن تكون اسلامية مثل النشور ، وموعدك الحشر (ديوان ٢٥ ، ٣٠) ، باذن الله (ديوان ٥٧) أو كقوله مثلاً (ديوان ٤٦) :

إذا نادى المنادي بات يبكـي حِذار الصبح لو نفع الحذار ،

أو كقوله (ديوان ٢٢) :

ولمّا رأين الصبح بادر ضوءه دبيب قطا البطحاء أو هنّ أقطف [3]
وأدركن أعجازاً من الليل [4] بعدما أقام الصلاة العابد المتحنّف .
وما أبْنَ حتى قُلْنَ : يا ليت أنّنا ترابٌ، وليت الأرضَ بالناس تُخْسَفُ!

فكأنّ جران العود ينظر هنا إلى قوله تعالى في سورة النبأ : « وقال الكافر : يا ليتني كنت تراباً » (٧٨ : ٤٠) وإلى قوله تعالى : « إن نشأ نخسفْ بهم الأرض » (٣٤ : ٩ ، راجع أيضاً ٢٨ : ٨١ ، ٢٩ : ٤٠ ، ٧٦ : ١٦) .

---

١ كذا في الاصل . ولعل الصواب « وفيها » . — ان بنات نعش الكبرى (المعروفة أيضاً باسم الدب الاكبر) من الخسّان (أي النجوم التي لا تغيب) ، وهي تدور حول الجدي (نجم القطب الشمالي) من الشرق إلى الغرب ، وكلما وصلت بنات نعش الكبرى إلى أقصى مجراها في الغرب وظن الرائي أنها ستغيب وراء الأفق الغربي كسائر النجوم ازورت (مالت) عن الغرب راجعة في الدوران نحو الشرق . وهذا المعنى يؤيده البيت التالي . ومعنى الشطر الاول غامض .

٢ يرعوين : يرجعن ، يعدن . فاء : رجع ، انقلب ، عاد . الربع : الفصيل (الجمل الصغير) الذي ينتج (بالبناء للمجهول : يولد) في أول الربيع . الظؤار جمع ظئر : المرضع (يتفق في حياة الحيوان أن تعطف ناقتان أو أكثر على ولد واحد يسرعن بين الحين والحين اليه مرة واحدة . وقد شبه الشاعر دوران الخسان حول الجدي (نجم القطب الشمالي) بتراكض النوق نحو فصيل واحد ، والتشبيه دقيق جداً وبارع أيضاً .

٣ لما رأين أن ضوء الصبح قد بادر (عجل ، أسرع) كدبيب القطا (نوع من الطير) ، أي قليلا قليلا ، أو هن (أي القطا) أقطف (أقصر خطاً) . — يقصد أن ضوء الصبح كان ينتشر بسرعة .

٤ أعجازاً من الليل : الاقسام الأخيرة من الليل .

أترى أن ألفاظ جران العود وتراكيبه وافقت ما جاء في القرآن الكريم ؟ أم ترى أن جران العود عاش حتّى نزل القرآن فتأثّر بآياته ؟ أم ترى أن الرواة نسبوا شيئاً من شعر المستورد جران العود العقيلي الاسلامي إلى الحارث جران العود النمري الجاهلي ؟

٣ — المختار من شعره :

— لجران العود قصيدة يصف فيها ما لَقِيَهُ في زواجه من المتاعب ، بعد أن كان قد أُغرِم بامرأة لجمالها ودفع لآلها مَهراً كبيراً ثم تزوّجها على امرأة كانت عنده . وموضوع هذه القصيدة من الموضوعات النادرة في الشعر العربي . وفي القصيدة شيء من المزح وكثير من حسن التصوير وصحّة التعبير ، من هذه القصيدة (الأولى في الديوان المطبوع) :

ألا لا يَغُرَّنَّ امرَأً نَوْفَلِيَّةٌ … على الرأس، بعدي ، أو تَرائبُ وُضَّحُ[١] ؛
ولا فاحمٌ يُسقَى الدِهانَ كأنّه … أساوِدُ يَزْهاها لعَيْنَيْكَ أبْطَحُ[٢] ،
وأذنابُ خيلٍ عُلِّقتْ في عَقِيصةٍ … تَرى قُرْطَها من تحتها يَتَطَوَّحُ[٣] .
فإنّ الفتى المغرورَ يُعطي تِلادَهُ … ويُعطي الثّنا من مالِهِ ثم يُفْضَحُ[٤] .
ويغدو بمِسحاحٍ كأنّ عِظامَها … محاجِنُ أعراها اللحاءَ المُشَبِّحُ[٥] .

---

١ نوفلية : شيء تضعه المرأة على رأسها ثم تختمر عليه (حتى يبدو شعرها أكثر حجماً وأكثر ارتفاعاً) . التريبة : جانب الصدر . وضح : بيض . — يجب ألا يغترّ الانسان بالجمال في المرأة (بالجمال الاصطناعي والجمال الطبيعي) .

٢ فاحم : (شعر) أسود شديد السواد . الدهان جمع دهن : زيت يدهن أو يمسح به الشعر حتى يبدو لامعاً ويأخذ شكلا معيناً . أساود جمع أسود : حية كبيرة سوداء . يزهاها : (يبديها على أطول ما تكون) الابطح : المكان المستوي في بطن الوادي . — يقصد أن شعرها الاسود طويل وافر .

٣ عقيصة : الشعر المجموع على شكل مكور . أذناب خيل : كأذناب خيل (ضفائر شعرها كثيفة وطويلة كذنب الحصان) . القرط : نوع من الحلى تعلقه المرأة في أذنيها . يتطوح : يتأرجح . (يقصد : عنقها طويل حتى أن قرطيها يتأرجحان عاليين فوق كتفيها) .

٤ الشاب المخدوع بجمال امرأة يضحي تلاده (كل مال جمعه في الماضي) . ويعطي الثنا : (ما يجمعه من المال حديثاً) . ثم يفضح : تكشف مساوئه (يظهر أنه جاهل بالأمور) .

٥ ويغدو : يذهب (يحصل في مقابل ما خسره على امرأة) مسحاح (سريعة المشي — وذلك عيب في النساء) . كأن عظامها (إذا رأها فيما بعد بغير الثياب التي تلبسها للتزين) محاجن جمع محجن (بكسر الميم وفتح الحاء)=

فتلك التي حكّمتُ في المال أهلَها ؛ — وما كلّ مُبتاعٍ من الناس يَرْبح !
لقد كان لي عن ضَرّتينِ – عدِمتُني – — وعمّا ألاقي . منهما مُتزَحْزَح .
هما الغولُ والسِعلاة ، حَلْقيَ منهما — مُخَدّشُ ما بين التراقي مُجَرّح [1] .
تُداوِرني في البيت حتّى تَكُبّني ، — وعَيْنِيَ من نحو الهِراوة تَلْمح [2] .
وقد عوّدتني الوَقْذَ ، ثُمّ تَجُرّني — إلى الماء مَغْشيّاً عليّ أُرَنّح [3] .
ولم أرَ كالموقوذِ تُرجى حياتُه — إذا لم يَرُعْه الماءُ ساعةَ يُنْضَح [4] .
أقول لنفسي : أين كانت ؟ وقد أرى — رجالاً قِياماً والنساء تُسَبّح [5] .
خُذا نصفَ مالي واتركا لي نصفَه — وبِينا بذمٍّ ، فالتعَزّبُ أرْوح [6] !
ألاقي الخَنا والبَرْحَ من أم حازمٍ ، — وما كنت ألقى من رُزَيْنةَ أبْرح [7] .
تُصَبّر عَيْنَيْها وتَعْصِبُ رأسَها — وتغدو غُدُوّ الذئبِ والبومُ يَضْبَح [8] .
ترى رأسها في كلّ مَبْدىً ومَحْضَرٍ — شعاليلَ لم يُمْشَطْ ولا هو يُسْرَح [9] .
وإن سرّحته كان مثل عقارب — تشول بأذناب قصار وترمح [10] .

= عصا معقوف طرفها . أعراها اللحاء المشبح : سلخ المشبح (الذي يقشر أو يسلخ قشر الأغصان عن الاغصان) قشرها .

١ السعلاة : أنثى الغول . التراقي : جمع ترقوة (بفتح التاء وضم القاف) : مقدم الحلق في أعلى الصدر .

٢ كبه : صرعه ، ألقاه أرضاً على وجهه . داوره : لاوصه (أداره ، ركض خلفه ، انتهز فيه فرصة) . الهراوة : العصا الغليظة .

٣ الوقذ : الموت أو الاغماء من شدة الضرب .

٤ والموقوذ يعود إلى الوعي حينما يرش الماء على وجهه .

٥ أين كانت ؟ : أين كانت نفسي (ما الذي حدث لي ؟) . سبح : (تعجب مما يرى) .

٦ بينا (مثنى فعل الامر بيني) : اذهبا طالقتين (يا زوجيّ) . بذم : مذمومتين لأني كرهت الحياة معكما . التعزب : البقاء بلا زواج . أروح : أهون على النفس .

٧ الخنا : الكلام القبيح . البرح : الأذى ، الألم .

٨ تصبر عينيها (تجعل حولهما صبغاً) . وتغدو (تنهض إلي باكراً تشاتمني) غدو الذئب (كما ينهض الذئب من نومه عطشان جائعاً ليقع على أول فريسة يلقاها) . والبوم يضبح : بينما لا تزال البومة تنعق (أي باكراً جداً لأن البوم ينعق في الليل ويسكت مع بزوغ نور الفجر) .

٩ في كل مبدى (في البادية والقرى) ومحضر (في الحضر : المدن) ، يقصد في كل مكان وكل زمان (لأن الناس يقضون الربيعين ، أي الربيع والخريف في البادية) . شعاليل جمع شعلول (الشعر المشعث المنفوش) .

١٠ وان سرحت شعرها بدا خصلا ناشزة مرتفعة كأنها العقارب التي ترفع أذنابها تريد أن تلسع بها من يقترب منها . تشول : ترفع . ترمح : تضرب من خلفها .

ولمّا التقينا غُدْوَةً طال بيننا سِبابٌ وقَذْفٌ بالحجارة مِطْرَحُ .
أُجَلّي إليها من بعيد ، وأتّقي حِجارتَها حقّاً ولا أتَمزّحُ [1] .
عَمَدْتُ لِعَوْدٍ فالتَحَيْتُ جِرانَه ، ولَلْكَيْسُ أمضى في الأمور وأنْجَحُ [2] .
خُذا حَذَراً ، يا خُلّتَيَّ ، فإنّني رأيتُ جِرانَ العَوْدِ قد كان يَصْلُحُ [3] .

٤ — ديوان جران العود النمري ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م .
** بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٧ .

عبد قيس بن خفاف البرجمي

١ — هو أبو جُبيل عبد قيس بن خُفاف البُرْجُمي من بني عمرو بن حنظلة ، من البراجم وهم قوم من بني تميم .

كان عبد قيس بن خفاف شريفاً عظيماً في قومه وشجاعاً ، وقد كان معاصراً لحاتم الطائي وللنابغة الذبياني وللنعمان بن المنذر . ويبدو أنه عاش حتّى طعن في السنّ .

٢ — كان عبد قيس بن خفاف شاعراً حكيماً كثير التجارِبِ . ومن أغراض شعره الفخر والمدح والحكمة ، وكان يفتخر بالحماسة وبالخلق النبيل ويوصي بهما .

٣ — المختار من شعره :

— قال عبد قيس بن خفاف البرجمي ينصح ابنه جُبيلاً ويوصيه بمكارم الأخلاق :

أجُبيلُ ، إنّ أباك كاربُ يومِه ، فاذا دُعيتَ إلى العظائم فافعلِ [4] .

١ أجلي اليها : انظر من بعيد حتى أعرف مكانها . ثم أتقي حجارتها . أحمي نفسي من الحجارة التي تقذفني بها .
٢ العود : الجمل الكبير في السن . التحيت : سلخت . جرانه : جلدة عنقه (لأجعل منها سوطاً ، هذه الجلدة تكون عادة قاسية) . الكيس : العقل والبصر في الأمور .
٣ الخلة : الزوجة .
٤ كارب (اقترب) يومه : حان موته . العظائم : الأمور العظيمة (الكريمة) .

أوصيكَ إيصاءَ امرئٍ لكَ ناصحٍ طَبِنٍ بريْبِ الدهرِ غيرِ مُغفَّلِ [1] :
اللهُ فاتّقِهِ وأوْفِ بنَذْرِهِ ، وإذا حَلَفْتَ مُمارياً فتحلّلِ [2] .
والضيفُ أكرِمْهُ فإنّ مَبيتَهُ حقٌّ ، ولا تكُ لَعْنَةً للنُّزَّلِ ،
واعلمْ بأنّ الضيفَ مُخْبِرُ أهلِهِ بمَبيتِ ليلتِهِ وان لم يُسألِ .
وصِلِ المُواصلَ ما صفا لكَ وُدُّهُ ، واحذرْ حِبالَ الخائنِ المُتَبَدِّلِ .
واتركْ محلَّ السوءِ لا تحلُلْ بهِ ، وإذا نبا بكَ منزلٌ فتحوّلِ .
وإذا هَمَمْتَ بأمرِ شرٍّ فاتّئِدْ ، وإذا هممتَ بأمرِ خيرٍ فافعلِ [3] .
وإذا افتقرتَ فلا تكنْ مُتَخَشِّعاً ترجو الفواضلَ عندَ غيرِ المُفْضِلِ .
واستَغْنِ ما أغناكَ ربُّكَ بالغِنى ، وإذا تُصِبْكَ خَصاصةٌ فتجمّلِ [4] .
وإذا تشاجرَ في فؤادكَ مرّةً أمرانِ فاعْمِدْ للأعفِّ الأجملِ !

– وقال يمدح حاتماً الطائيّ :

يعيشُ الندى ما عاش حاتمُ طيِّءٍ ، وان مات قامت للسخاء مآتمُ
يُنادين : مات الجود معك فلا نرى مجيباً له ما حام في الجوّ حائمُ .
وقال رجالٌ : أنهبَ العامَ مالَهُ ، فقلت لهم : إنّي بذلكَ عالمُ !

٤ – ديوان

** غ ٨ : ٢٤٦ – ٢٤٧ ، الاصمعيّات رقم ٨٧ و ٨٨ (ص ٢٦٨ – ٢٧٠) ، المفضّليات ، رقم ١١٦ و ١١٧ (ص ٣٨٢ – ٣٨٦) .

زهير بن ابي سُلمى

١ – يَنْسِبُ الناسُ زهيراً إلى مُزينة [5] ، ومزينة هي بنت كعب بن ربوة وأم عمرو بن أُدّ إحدى جدّات زهير لأبيه .

---

١ طبن : فطن ، خبير .
٢ حلفت ممارياً : أقسمت يميناً (مجادلا وأنت تعرف أنك لست على الحق) . تحلل : تخلص من تلك اليمين الكاذبة بأن تتوب من مثلها وتنفق شيئاً من مالك كفارة .
٣ اتئد : تمهل (فلعلك لا تفعله) . فافعل : فافعل أمر الخير بسرعة .
٤ الخصاصة : الفقر والحاجة .
٥ الشعر والشعراء ٥٧ .

كان أبو سُلمى ، واسمه ربيعة بن رياح ، قد تزوّج امرأة من بني سهم ابن مرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان هي أخت بشّامة بن الغدير الشاعر . ويبدو أن أبا سُلمى اختلف وشيكاً مع أصهاره[1] على اثر غارة على بني طيّء ظُلِم حقّه في غنائمها ، فاحتمل بأهله وعاد إلى أقاربَ له من بني عبد الله بن غطفان كانوا ينزِلون في الحاجر (جنوب الرياض اليوم) من أرض نجد .

وُلد زهير بن أبي سُلمى في الحاجر ، في نحو عام ٥٢٠ م ، وهناك نشأ ، ولكنه يتِم من أبيه باكراً فتزوجت أمه أوسَ بن حجَر . وعُنِيَ أوس بزهير فجعله راوية له .

وتزوّج زهير امرأة اسمها ليلى في الأغلب وكُنيتها أم أوفى ورُزق منها عدداً من الأولاد ماتوا كلهم صغاراً . ولعل حب زهير للذرية جعله يكره أم أوفى ، فطلّقها وتزوّج كَبْشة بنت عمّار بن سُحيم أحد بني عبد الله بن غطفان فرزق منها ولديه كَعباً وبُجيراً . وكانت كبشة ، فيما يبدو ، ضعيفة الرأي مبذّرة صَلِفةَ فلَقِيَ منها عَنَتاً كثيراً ، فأراد – بعد عشرين عاماً – أن يعود إلى أم أوفى ؛ ولكنّ أم أوفى لم تقبل .

وعُمّر زهير طويلاً – نحو تسعين عاماً – وتوفّي قبل مبعث رسول الله ، قبل عام ٦١٠ م .

٢ – زهير أحد الثلاثة المقدَّمين على سائر شعراء الجاهلية : امرئ القيس وزهير والنابغة . والنقّاد مجمعون على نقل رأي عمر بن الخطاب في زهير : « كان لا يعاظل (لا يدخل بعض الكلام في بعض) ، وكان يتجنّب وحشي الكلام ، ولم يمدح أحداً إلاّ بما فيه » . وقال ابن سلاّم الجُمَحيّ : « ان من قدّم زهيراً احتجّ بأنه كان أحسنَ (الشعراء) شعرا ، وأبعدَهم من سُخف وأجمعَهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ » . وبرع زهير في المديح وفي الحكمة خاصة . وكان زهير يتوكأ على أوس بن حجر في كثير من شعره[2] .

وعُنِيَ زهير بشعره فكان كثير التنقيح والتهذيب له حتّى زعموا أنه كان

---

١ في ديوان زهير : « كان من أمر أبي سلمى (والد زهير) – وخاله أسعد بن الغدير بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان – أن خرج أسعد بن الغدير وابنه كعب ، في ناس من بني مرة يغيرون على طيء ومعهم أبو سلمى ... » (ص١) .

٢ العمدة ١ : ٨١ .

ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، وينقّحها في أربعة أشهر ، ثم يَعْرِضها على أصحابه في أربعة أشهر فيَتِمُ له ذلك في حَوْل (عام) كامل . من أجل ذلك عرفت قصائده بالحوليات .

ولقد كَثُرَتِ الحكمةُ في شعر زهيرٍ ثم تَوالتْ في قصائده أحيانا ، كما ترى في آخر المعلّقة مثلا ؛ ولكنّ الحكمة ظلت عنده غرضاً ولم تصبح فنّا مستقلا قائما بنفسه .

٣ – المختار من شعره :

– المعلّقة وسبب نظمها :

في عام ٥٤ ق. هـ. (٥٦٨ م) اجتمع نفر وتذاكروا الخيلَ فانتَهوْا إلى أن يُنْزِلَ قيسُ بن زهير العبسي داحساً والغبراء (فرسين له مذكراً ومؤنثة) ، ويُجري رجل من غطفان فرسين أيضاً . وكان الهدف ذات الإصاد ، والحكَمُ رجلاً من ثعلبة . واعترض ناس من فَزارة من غطفان داحساً مرتين ، ومع ذلك فقد وصل داحسٌ مُصَلّياً (ثانياً) وجاءت الغبراء مُجَلّيةً سابقة . وطلب العبسيون حقهم من الرهان فأباه عليهم الفَزاريون ، فَنَشِبَتْ حرب عرفت باسم حرب داحس والغبراء دامت – أو دامت العداوة بسببها على الأصح – أربعين عاماً .

وكان في بني غَيْظ بن مرّة بن عَوف بن سعد بن ذبيان من بني غطفان رجلان : الحارثُ بن عوف وهَرِمُ بن سِنان ساءهما هذا العِداء والدمُ المسفوك في القبيلة فسَعَيَا في الصلح على أن يَدْفعا دِيَاتِ القَتْلَى الذين لم يتّفق أن ثأرَ لهم قومهم ، فانتهت تلك الحرب عام ١١ ق. هـ. (٦٠٨ م) قبل الاسلام بعامين .

وكان وردُ بن حابس العبسيّ قد قَتَلَ ، قبل الصلح ، هَرِمَ بن ضَمْضَم المُرّي فتشاجرت عبس وذبيان حيناً ، ثم سكت الحُصين بن ضمضم أخو هرم ابن ضمضم بعد أن أضمر في نفسه أن يأخذ بثأر أخيه . واتّفق أن نزل رجل عبسي ، بعد الصلح ، بالحصين بن ضمضم ضيفاً فقتله الحصين . وكادت الحرب تعود بين الفريقين لولا أن احتمل الحارث بن عوف دِيَةَ العبسي . فقال زهير

ابن أبي سُلمى معلّقته يمدح فيها الحارثَ وهَرِماً ويذكر صلح داحس والغبراء وأمر الحصين بن ضمضم ويصوّر أهوال الحرب ويزيّن السلام ويدعو اليه . فمما نُختار من المعلقة :

أمِنْ أمّ أوْفَى دِمنةٌ ، لم تَكلّم ، بِحَومانة الدرّاج فالمتثلّمِ ؟
وقفت بها من بعد عشرين حجةً فلأياً عرفْتُ الدار بعد توهّمِ [١] :
تذكرني الاحلامَ ليلى ، ومن تَطُفْ عليه خيالاتُ الأحبّة يحلُمِ [٢] .
سعى ساعياً غَيظِ بن مُرّة بعدما تبزّل ما بين العشيرة بالدم [٣] .
فاقسمت بالبيْت الذي طاف حوله رجال ، بَنَوْهُ ، من قريش وجُرهُمِ [٤]
يميناً : لنِعْمَ السيّدان وُجدتُما على كل حال من سَحيل ومُبرَمِ [٥] .
تداركتُما عَبْساً وذُبيان بعد ما تفانَوْا ودقّوا بينهم عِطْرَ مَنْشَمِ [٦] .
وقد قلتُما : « إن نُدْرِكِ السّلم واسعاً بمال ومعروف من الأمر نسلم ! »
فاصبحتما منها على خير موطن بعيدَيْنِ فيها من عُقُوق ومأثم ،
عظيمين في عُليا مَعَدّ هُديتما ، ومن يَسْتَبِحْ كنزاً من المجد يَعْظُمِ !
فأصبح يجري فيهمُ من تِلادكم مغانمُ شتى من إفال مُزنّم [٧] .
تُعفّى الكلوم بالمئينَ فاصبحت يُنَجّمُها من ليْس فيها بمُجرِمِ [٨] .
ينجّمَها قوم لقوم غرامةً ولم يُهَريقوا بينهم ملءَ محجَمِ [٩] .
ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة وذبيان : هل أقسمتُمُ كل مُقْسَمِ [١٠] ؟

---

١ حجة : سنة . لأياً : مشقة وبطء . توهم : ظن (ما عرفت مكان الدار بالتأكيد) .

٢ يحلم : يرى طيف حبيبته في منامه .

٣ الساعيان : المصلحان (الحارث بن عوف وهرم بن سنان) . تبزل : تشقق (يعني بعد ان فرق القتال بين القبيلة الواحدة : غطفان ، أي عبس وذبيان) .

٤ البيت : الكعبة .

٥ السحيل ضد المبرم : الحبل المفتول جداً (يعني في الرخاء وفي الشدة) .

٦ تفانوا : أفنى بعضهم بعضاً . دقوا بينهم عطر منشم : اشتدوا في قتل بعضهم بعضاً (اما تخريج هذا المثل فله روايات مختلفة) .

٧ التلاد : الاموال الموروثة . الافال : أولاد الابل . مزنم : جعلت له علامة في اذنه دلالة على أصله .

٨ تعفى : تمسح ، تمحى . الكلوم : الجروح . المئون : جمع مائة (أي بمائة جمل لكل قتيل) . ينجم : يدفع في وقت معين . مجرم : مذنب .

٩ ... : ولم يسفكوا من الدم مقدار محجم (اناء صغير يستخرج به الدم من الجسم بعد تشطيبه بالموسى) .

١٠ الاحلاف : المتحالفون وهم هنا بنو أسد وغطفان .

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في صدوركم … ليخفى . ومهما يُكتمِ اللهُ يَعْلَمِ :
يُؤخَّرْ فيوضعْ في كتابٍ فيُدَّخَرْ … ليومِ الحسابِ ، أو يُعَجَّلْ فيُنقَمِ .
وما الحربُ إلا ما علمتم وذُقتُمُ … وما هو عنها بالحديثِ المرجَّمِ [1] .
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً … وتَضْرَ إذا ضرَّيتموها فتَضْرَمِ [2] .
لَعمري ، لنِعْمَ الحيُّ ، جرَّ عليهمُ … بما لا يؤاتيهم حُصَيْنُ بن ضَمْضَمِ [3] .
وكان طوى كَشْحاً على مُسْتَكِنَّةٍ … فلا هو أبداها ولم يتقدَّمِ [4] .
وقالَ : « سأقضي حاجتي ثم أتّقي … عدُوّي بألفٍ من ورائي مُلْجَمِ » [5] .
فشدَّ ، ولم يُفْزِعْ بيوتاً كثيرةً ، … لدى حيثُ ألقَتْ رَحْلَها أمُّ قَشْعَمِ [6] :
لدى أسدٍ شاكي السلاحِ مُقَذَّفٍ … له لِبَدٌ أظفارُه لم تُقلَّمِ [7] ،
جَريءٍ متى يُظْلَمْ يُعاقِبْ بظُلْمِه … سريعاً ، وإلاّ يُبْدَ بالظُّلْمِ يَظْلِمِ [8]
لَعمرُكَ ما جَرَّتْ عليهم رِماحُهُمْ … دَمَ ابنِ نَهيكٍ أو قتيلِ المُثَلَّمِ [9] ،
ولا شاركَتْ في الحربِ في دَمِ نَوْفَلٍ … ولا وَهَبٍ منها ولا ابنِ المُحَزَّمِ [10] .

---

١ المرجم : المظنون ، المأخوذ بالظن .

٢ تضرى : تهيج . ضرى النار : أججها ، وضع فيها وقوداً . تضرم : تشتعل بشدة .

٣ جر عليهم : جنى عليهم . يؤاتيهم : يوافقهم ، يفيدهم .

٤ الكشح : الجانب ، الخاصرة – طوى كشحاً : كتم . مستكنة : ضغينة (مكتومة) . ثم لم يتقدم إلى حضور الاجتماع ليطلب دية أخيه أو ليأخذها .

٥ سأقضي حاجتي : سآخذ بثأري . أتقي عدوي : أحتمي من عدوي . بالف .. ملجم : الف حصان (المقصود بألف من الفرسان) .

٦ شد : هجم (وقتل العبسي) ، ونال وطره . لم يفزع بيوتاً كثيرة : لم يشعر كثيرون بما صنع ، لم يلفت اليه الأنظار .

٧ شاكي السلاح : مسلح تسليحاً تاماً . مقذف : يقذف بـه كثيراً إلى المعارك (ذو اختبار في الحرب) . اللبدة : شعر ينبت حول رقبة الاسد . له لبد : لبدته تامة ، كناية عن تمام بلوغه وقوته . اظفاره لم تقلم : لم تضعف قوته بعد ، لا يزال فتياً .

٨ إذا اعتدى عليه أحد رد اعتداءه وانتقم منه ، وإذا لم يبدأه بالاعتداء اعتدى هو عليه لعزة نفسه وقوته ، وذلك كان من المثل العليا عند الجاهليين . – وفي هذين البيتين والابيات التي تليهما وصف للحارث بن عوف وهرم بن سنان .

٩ ان رماح الحارث بن عوف وهرم بن سنان (اللذين يدفعان ديات جميع القتلى من مالهما الخاص) لم تقتل ابن نهيك ولا الذي قتل في المكان المعروف باسم المثلم .

١٠ ورماحهما لم تقتل نوفلا ولا وهباً العبسي ولا ابن المحزم (بفتح الزاي المشددة أو بكسرها–ويروى المخزم بالخاء المعجمة والزاي معاً) .

فكلاً أراهم أصبحوا يَعْقِلونهم … عُلالةَ ألف بعدَ ألف مُصتَّم [1] :
سَئِمتُ تكاليف الحياة ، ومن يعش … ثمانين حولاً – لا أبا لكَ – يسأمِ !
رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ ، من تُصبْ … تُمِتْه ، ومن تُخطِئْ يُعمَّرْ فيهرَمِ [2]
وأعلم ما في اليوم والأمس قبلَهُ ، … ولكنني عن علم ما في غدٍ عمِ [3] .
ومَنْ لا يُصانعْ في أمور كثيرةٍ … يُضرَّسْ بأنياب ويُوطأْ بِمَنْسِمِ [4] .
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخَلْ بفضله … على قومه يُستغْنَ عنهُ ويُذْمَمِ .
ومن يجعل المعروفَ من دونِ عِرضه … يَفِرْهُ ، ومن لا يتَّقِ الشتمَ يُشتَمِ [5] .
ومن لا يَذُدْ عن حَوْضه بسلاحه … يُهَدَّمْ ، ومن لا يَظْلِمِ الناس يُظلمِ [6] .
ومن هاب أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ … وإن يرْقَ أسبابَ السماءِ بِسُلَّمِ [7] .
ومن يَغتَرِبْ يَحْسَبْ عدوّاً صديقَه ، … ومن لا يُكرِّمْ نفسه لا يُكرَّمِ .
ومهما تكن عند امرئٍ من خَليقةٍ ، … وان خالها تَخْفَى على الناس ، تُعلَمِ .
ومن يَجْعلِ المعروفَ في غيرِ أهله … يكن حمْدُهُ ذمّاً عليه ويَنْدَمِ .
وكائِنْ ترى من صامت لك مُعْجِبٍ ، … زيادتُه أو نقصُه في التكلُّمِ [8] .
لسانُ الفتى نصفٌ ، ونصفٌ فؤادُه . … فلم يبقَ إلاّ صورةُ اللحمِ والدمِ .

– كان عمرو بن هند ملك الحيرة قد قتل حُذيفة بن بدر بن عمرو الفَزاري من بني غَطَفان . واتفق أن نَشِبَتِ الحرب في غطفان فانتهز عمرو بن هند

---

١ ومع ذلك فقد دفعوا ديات جميع هؤلاء القتلى اقساطاً من ابل صحيحة الخلقة . يعقلونه : يدفعون ديته . علالة : شيئاً فشيئاً . الف بعد الف : في كل عام الف جمل (لمدة ثلاث سنوات) . مصتّم : تام الخلقة .

٢ رأيت الموت يتناول الناس من غير تمييز بينهم كما تمشي الناقة العشواء (الضعيفة البصر) : فمن اتفق له حادث موت مات صغيراً أو شاباً ، ومن لم يتفق له ذلك عاش حتى يهرم .

٣ عم : اعمى .

٤ يصانع : يداري . يضرس : يمضغ . يوطأ بمنسم : يداس بأرجل الابل .

٥ من يبذل ماله ليصون عرضه يبق عرضه موفوراً (كريماً مصوناً) . يتقي : يتجنب .

٦ من لم يدافع عن حوض الماء (كناية عن المال والعرض ، لأن الماء أثمن شيء في الصحراء والبادية معاً) بالسلاح ، يهدم حوضه (لكثرة من يجيء اليه للاستقاء منه). ومن لا يعتدي على الناس (يحاربهم) اعتدى الناس عليه . الظلم (حسب معناه في الجاهلية) هو أن تبدأ الآخرين بالحرب .

٧ من حاول أن يتجنب الحوادث التي تؤدي عادة إلى الموت (كالحرب والسفر والمرض) نالته تلك الحوادث ولو صعد إلى السماء .

٨ ربما أبصرت رجلا صامتاً فأعجبك ، فاذا تكلم زاد مقامه في عينك أو نقصت قيمته عندك .

الفرصة وأراد أن يبسط سلطانه على غطفان ، فأرسل إلى حِصْنِ بن حذيفة — وكان سيداً في قومه — أن ادخل في مملكتي وأنا أمدك بخيل (لقتال خصومك) . فأرسل حصن إلى عمرو بن هند يقول : « ما كنتُ قطّ أفرغَ مني لحربكَ الآن وأكثرَ عُدّة » ، ثم تجهّز وسار لملاقاته . فصدّ عنه عمرو بن هند وكره قتاله . فقال زهير يمدح حصناً ويذكر أمر عمرو بن هند :

صحا القلبُ عن سلمى وأقْصَرَ باطلُهْ ، وعُرِّيَ أفراسُ الصِبا ورواحلُهْ .
وقال العَذارى : إنما أنت عَمّنا ، وكان الشبابُ كالخليط نُزايلـه [1] .
فأصْبَحْنَ ما يَعْرِفْنَ إلاّ خَليقتي والا سوادَ الرأس والشيبُ شامله [2] .
وذي نِعمةٍ تَمّمْتُها وشكرتُها وخَصمٍ يكاد يَغْلِبُ الحقّ باطله [3] .
دفعتَ بمعروفٍ من القول صائب ، إذا ما أضلّ القائلين مفاصله .
وذي خَطَلٍ في القول يَحْسَبُ أنه مُصيبٌ ، فما يُلْمِمْ به فهو قائله ؛
عبَأتُ له حِلمي وأكرمت غيرَه ، وأعرضتُ عنه وهو بادٍ مقاتله [4] .
وأبيضَ فيّاضٍ يداه غَمامةٌ على مُعْتَفيه ما تُغِبّ فواضلـه ،
أخي ثِقَةٍ لا تُتْلِفُ الخمرُ مالَه ، ولكنّه قد يُتْلِفُ المالَ نائلُهْ [5] .
تراه إذا ما جئتَه مُتَهَلّلاً كأنّك تُعطيه الذي أنتَ سائله .
وذي نَسَبٍ ناءٍ بعيدٍ وصلته بمال ، وما يَدْري بأنك واصله [6] .
حُذيفةُ يُنْميه وبَدْرٌ كلاهُما إلى باذخٍ يعلو على من يُطاوله [7] .
ومَنْ مِثلُ حِصْنٍ في الحروب ومثلُه لإنكارِ ضيم أو لأمر يحاوله ؟
أبى الضيمَ والنّعمانُ يَحْرِقَ نابَهُ عليه ، فأفضى والسيوف مَعاقلـه .

---

١ إنما أنت عمنا : أصبحت مسناً . — كنا نخالطك (نصاحبك) في الشباب ، فلما فارقك الشباب فارقناك ، لأنا في الحقيقة كنا نصحب شبابك .
٢ أصبحن لا يذكرن إلا حالي يوم كنت شاباً ، أما الآن فقد عم الشيب رأسي .
٣ أكرمت نفسي عن الرد عليه . بادية مقاتلة : أستطيع أن أتغلب عليه ، أن أصيبه في مقتل منه .
٤ نعمتان : نعمة (لي على غيري) تممتها ، ونعمة (لغيري علي)
٥ النائل : الشخص الذي ينال المال منه .
٦ ما كان يظن أنك ستعطيه مالا .
٧ حذيفة وبدر : والد الشاعر وجده . ينميه : يرفعه في المجد أو النسب . انه ينتسب إلى حذيفة وبدر. الباذخ: العالي (النسب الشريف) .

٤ – شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (النعساني) ، القاهرة (الخانجي)١٣٢٣هـ .
ديوان زهير بن ابي سلمى ، شرح الاعلم الشنتمري (النعساني) ، مصر (المكتبة التجارية) ، بلا تاريخ .
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى للإمام ثعلب ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م .
ديوان زهير بن أبي سلمى ، بيروت (صادر) ١٩٦٠ .
** بروكلمان ١ : ١٥ .

أكثم بن صيفيّ

كان ابو حَيدة أو أبو الحفاد أكْثَمُ بن رياح بن الحارث بن مُحاسن بن صَيْفِيّ من أهل الحجاز وأحد حكماء العرب ، قيل كان الملوك والرؤساء يستزيرونه لسماع حِكَمِه ونصائحه .

قالوا : لما ظهر الإسلام أرسل أكثم بن صيفيّ رجلين يسألان الرسول عن نسبه وعمّا جاء به ، فأخبرهما بما سألا ثم تلا عليهما قول الله تعالى : « إنّ الله يَأمُرُ بِالعَدْلِ والاحْسان وإيتاءِ ذي القُرْبَى ، ويَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لعَلَّكُمْ تَذَكَّرون »[١] . فلما رَجَعا إلى أكثَمَ بذلك قال أكثم : يا قومُ ، انه يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن ملائمها .

وتوفّي أكثم بن صيفي عام ١٠ ق. هـ. (٦١٢م) على الشِرْك ، وكان قد أسنّ كثيراً .

كان أكثم بن صيفيّ من الخطباء البلغاء والحُكّام الرؤساء[٢] يُضْرب فيه المثل باصالة الرأي ونُبْل العِظة . فمن أقواله :

– الكرم حسن الفِطنة وحسن التغافل ، واللؤم سوء الفطنة وسوء التغافل .
– تَباذلوا[٣] تَحابّوا .
– تباعدوا في الديار تقاربوا في المودّة .

---

١ ١٦ (النحل) : ٩٠ .
٢ الحكام الرؤساء : الذين بلغوا في الحكم بين الناس مبلغ الرئاسة .
٣ تباذلوا : ليبذل بعضكم لبعض (من ذات نفسه ومن ذات يده) تنتج بينكم المحبة .

– تناءَوا في الديار وتواصلوا في المَزار .

– تناءَوا في الديار ولا تباغضوا ، فان من يجتمع يتقعقع عَمَدُه .

ومن وصية لأكثم بن صيفيّ يَعِظ فيها قومه :

يا بني تميم ، لا يفوتَنّكم وعظي ان فاتكم الدهر بنفسي [1] . ان بين حَيْزومي وصدري لَكلاماً لا أجد له مواقع إلا أسماعكم ، ولا مَقارّ إلا قلوبكم فتلقّوه بأسماع مُصْغية وقلوب واعية تَحْمَدوا مَغَبّته [2] . الهوى يقظان والعقل نائم ، والشهوات مُطلقة ، والحزم مَعْقول ، والنفسَ مهملة ، والرويّة مقيّدة [3] . ومصارع الرجال تحت بروق الطمع . ومن سَلَك الجدَد أمِن العثار [4] . ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ويَشغَل فكره ويؤرّث غيظه ، ولا تُجاوِزُ مضرّته نفسَه [5] .

قيل إن أكثم بن صيفيّ عزّى عمرو بن هند عن أخيه فقال :

إن أهل هذه الديار سَفْر لا يحلّون عقد الرحال إلاّ في غيرها [6] . وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع اليك ، وأقام معك من سيظعن عنك ويدعك [7] . واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة وشاهد عدل فجعك بنفسه وأبقى لك وعليك حكمته ، واليوم غنيمة وصديق أتاك ولم تأته ، طالت عليك غيبته وستسرع عنك رحلته ، وغداً لا تدري ما أهله ، وسيأتيك ان وجدك . فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم للقادر ! وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ؟ وأعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منا ؛ وخير من الخير معطيه ، وشرّ من الشر فاعله .

---

١ ان أخذني الدهر (ان مت) فلا تفوتنكم النصيحة مني (ان خسرتموني فلا تخسروا نصائحي) .

٢ الحيزوم : مقدم الشيء ، الفم . مقار جمع مقر : مكان . مصغية : مائلة ، منتبهة . واعية : حافظة . تحمدوا مغبته : تكن عاقبته عليكم حسنة .

٣ مطلقة : حرة تسلك أين شاءت . معقول : مربوط . الروية : التفكير مع التأني . مقيدة : مربوطة .

٤ طمع الانسان يقوده (أحياناً) إلى الهلاك . « من سلك الجدد (من سار في الطريق الواضح) أمن العثار » مثل .

٥ أرث غيظه : ضرمه ، زاد في ايقاده .

٦ السفر (بسكون الفاء) : جماعة المسافرين معاً . هذه الدار : الدنيا . يحلون عقد الرحال في غيرها : ينزلون ، يستقرون في الآخرة .

٧ وقد أتاك (أي الموت) . وارتحل عنك (أي أخوك الذي مات) . يظعن : يرتحل . يدع : يترك ، يفارق .

قيس بن الخطيم

١ — هو قيس بن الخَطيم بن عَديّ بن عمرو بن سَواد من الأوس من أهل يَثْرِب (المدينة) . نشأ قيس بن الخطيم أيِّداً قَويّ الساعدين ويَتَم من أبيه وهو صغير : قَتَل أباه رجلٌ من عبد قيس . وكذلك مات جده عدي قتيلاً ، قتله رجل من بني عمرو بن عامر . وأخذ قيس بن الخطيم على نفسه أن يثأر لأبيه وجَدّه فما زال يَجدّ حتي ظَفِر بقاتل أبيه في يثرب وبقاتل جده في ذي المَجاز .

لما ثار النزاع في يثرب بين الأوس والخزرج نصر قيس بن الخطيم قومه الأوس بلسانه وبسيفه . ولمّا ملّ أهل يثرب النزاع واتصلوا بالرسول يريدون الدخول في الاسلام لعلّ الاسلام يجمع بينهم ويقضي على خلافاتهم ، كان قيس ابن الخطيم في من عَرَضَ الرسولُ عليهم الاسلامَ . ولم يُسْلِمْ قيسٌ ، ولكن امرأته حوّاءَ بنت يزيد أسلمت (غ ٣ : ١٠) .

وقُتل قيس بن الخطيم في قول صاحب الاغاني (٣ : ١٠ ، السطر الثالث من أسفل) قبل الهجرة .

٢ — قيس بن الخطيم شاعر مكثر مجيد حسن الديباجة ، وهو أشعر أهل المدينة في الجاهلية . وأغراض شعره الفخر والحماسة والغزل وله وصف فيه صور بَدْوية وصور حضرية .

٣ — المختار من شعره :

— قال قيس بن الخطيم بعد أن ثأر لأبيه الخطيم من قاتله ابن عبد القيس وبعد أن ثأر لجده :

طَعَنْتُ ابن عبد القيس طعنةَ ثائر ... لهـا نَفَذٌ لولا الشعاعُ أضاءها [١] .
ملكتُ بها كفّي فأنْهَرْتُ فَتْقَهـا ... يرى قائم من دونها ما وراءها [٢].

* في الاعلام للزركلي (٦ : ٥٥) : توفي قيس بن الخطيم ٢ ق. ه. = ٦٢٠ م .

١ الثائر : الآخذ بالثأر . لما طعنته نفذ رمحي فيه من جانب إلى جانب ؛ ولولا الشعاع (الدم المتفق من منفذ الطعنة) لاستطاع الرائي أن يرى من خلالها .

٢ تمكنت من الرمح الذي طعنته به فجعلت الشق فيه مثل النهر .

وكنت امرأً لا أسمع الدهرَ سُبّـة   أسبّ بهـا الا كشفتُ غطاءها .
فإنّـيَ في الحرب الضروس موكّل   بإقـدام نفسٍ مـا أريد بقاءها .
متى يأتِ هذا الموتُ لا تُلْفَ حاجـة   لنفسي إلاّ قـد قضَيْتُ قضاءهـا .
ثأرت عَديّـاً والخطيمَ ، فلم أضِعْ   وَلاية أشياخٍ جُعِلْتُ إزاءهـا .

– وله إحدى المُنْتَقَيات الثماني في « جمهرة أشعار العرب » ، منها :

أتعرِفُ رسماً كالطِراز المذهّب   لِعَمْرَةَ وحشاً غيرَ موقف راكبِ[1].
تبَدّتْ لنا كالشمس تحت غمامةٍ   بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجب.
ولم أرها إلاّ ثلاثاً على مِنَى ،   وعَهْدي بهـا عذراءَ ذاتَ ذوائب:
دعوتُ بني عَوْفٍ لحَقْنِ دمائهم ،   فلمّا أبَوْا سامحتُ في حرب حاطب[2]:
وكنتُ امْرَأً لا أبعث الحرب ظالماً ،   فلما أبَوْا أشعلتُ من كل جانب .
إذا لم يكن عن غاية الحرب مَدْفَعٌ   فأهلاً بها ، إذ لم تَزَلْ في المَراحب .
ومنّا الذي آلى ثلاثين حِجّةً   عن الخَمْر حتى زاركم بالكتائب[3].
ولمـا هبَطْنا السهلَ قال أميرنـا :   حَرامٌ علينا الخَمْرُ مـا لم نضارب.
فتابعـه منا رجـالٌ أعـزّةٌ ،   فما رَجَعوا حتّى احلّت لشارب .
أطاعت بنو عَوْف أميراً نَهاهم   عن السلم حتّى كان أول واجب[4] .
قتلناكمُ يوم الفِجار وقبلَه ،   ويوم بُعاثٍ ذاك يوم التغالب .
رَضِيتُ لعَوْفٍ أن تقولَ نساؤهم ،   ويَهْزأنَ منهم : ليتنا لم نُحارب!

٤ – ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكّيت وغيره (حقّقه وعلّق عليه ناصر الدين الاسد) ، القاهرة ١٩٦٢ م .

ديوان قيس بن الخطيم (حقّقه ابراهيم السامرّائي وأحمد مطلوب) ، بغداد ١٩٦٢ م .

* بروكلمان ١ : ١٩ ، الملحق ١ : ٥٦ .

١ غير موقف راكب واحد (يعني نفسه في وقوفه على اطلالها) .
٢ كنت أشفق على بني حاطب من الحرب ؛ فلما أبوا السلم الذي عرضته عليهم سمحت نفسي بحربهم .
٣ آلى : أقسم (امتنع ثلاثين سنة عن شرب الخمر حتى تمكن من أن يغزوكم) .
٤ نهاهم أميرهم عن السلم ، فكان أول واجب (ساقط في المعركة قتيلا) .

عبد يغوث الحارثيّ

١ – هو عبد يَغوث بن صَلاءة من بني الحارث بن كعب من كَهلان ، من اليمن (عرب الجنوب) . كان عبد يَغوث رجلاً عظيم الجسم جميلاً ، وكان كريماً وفارساً معدوداً وسيّداً في قومه ، قاد قومَه يوم الكُلاب الثاني * على بني تَميم وأحلافهم فقُتِل وأسِرَ من قومه عددٌ كبير . ثم وقع هو في الاسر ، أسره شخص من بني عُمير بن عبد شمس ، من بني التَيم من قريش .

أراد عبد يَغوث أن يفتدي نفسه بمائة من الإبل ، ولكن بني التَيْم أبَوْا وقالوا : قُتِلَ فارسُنا النعمان بن جسّاس ، ولم يقتل من بني الحارث فارس معدود ، فلا بُدّ من قَتلِ عبد يَغوث بالنعمان . فكان مقتل عبد يَغوث في عام ٦١٣م ، قبل الهجرة بنحو عشر سنين .

٢ – عبد يَغوث من فحول الشعراء ، وهو شاعر مُقلّ ، وشعرُه وُجْداني سهل .

٣ – المختار من شعره :

لمّا عزم بنو التَيْم على قَتلِ عبد يَغوث شدّوا لسانه بنِسْعة ، قيل مَخافةَ أن يَهْجُوَهم [١] . ومع ذلك فقد وصلت الينا هذه القصيدة الرائعة يحاول الشاعر أن يُقنع بها آسريه باطلاق سراحه ، ثم يلتفت إلى قومه فيخبرهم عن بَلائه في الحرب ويفتخر بنفسه ويبرّر أسره . قال الجاحظ [٢] : « ما قرأت في الشعر كشعر عبد يَغوث بن صَلاءة الحارثي وطرفة بن العبد وهُدْبة (بن خَشْرمٍ العُذري) ، فإن شعرهم في الخوف لا يقصّر عن شعرهم في الأمن ، وهذا قليلٌ جداً » . أما قصيدة عبد يغوث فهي :

* تاريخ الجاهلية ١٤٧ – ١٤٨ .

١ بلغ من خوف العرب من الهجاء ، كما يقول الجاحظ (البيان والتبيين ٤ : ٤٥) : « أنهم إذا أسر الشاعر أخذوا عليه المواثيق ، وربما شدوا لسانه بنسعة (قطعة رقيعة من جلد) ، كما صنعوا بعبد يغوث حينما أسرته بنو تيم يوم الكلاب » .

٢ الحيوان ٧ : ١٥٧ ؛ راجع البيان والتبيين ٢ : ٢٦٨ .

أَلا لا تَلوماني ، كفى اللَّوْمَ ما بيا ، فما لكما في اللوم خيرٌ ولا ليا !
أَلَمْ تعلما أن المَلامةَ نفعُها قليلٌ ، وما لَوْمي أخي من شِماليا [1] .
فيا راكباً ، إمّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ نَداماي من نَجْرانَ أن لا تَلاقيا [2] :
أبا كَرِبٍ والايْهَمَيْنِ كليهما وقيساً بأعلى حَضْرَمَوْتَ اليمانيا [3] .
جزَى اللهُ قومي بالكُلاب مَلامةً : صريحَهم والآخرين المواليا [4] .
ولو شئتُ نَجّتني من الخيل نَهْدَةٌ ترى خلفَها الحُوَّ الجياد تَواليا [5] ،
ولكنّني أحمي ذِمارَ أبيكُمُ ، وكان الرماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحاميا [6] .
أقولُ وقد شَدّوا لِساني بنِسْعَةٍ : أمَعْشَرَ تَيْمٍ ، أطلقوا عن لِسانيا ؛
أمعشر تيمٍ ، قد ملكتُمْ فأَسْجِحُوا ، فان أخاكم لم يكن من بَوائيا [7] .
فإنْ تَقْتُلوني تقتلوا بِيَ سَيّداً ، وان تُطْلقوني تَحْرُبوني بماليا[8] .
أحقاً ، عبادَ اللهِ ، أن لست سامعاً نشيدَ الرِعاء المُعْزِبين المَتاليا [9] .
وتَضْحَكُ مني شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ، كأنْ لم تَرَيْ قبلي أسيراً يَمانيا [10] !
وظلّ نِساء الحيِّ حَوْلِيَ رُكَّداً يُراوِدْنَ مني ما تُريد نِسائيا [11] .

---

١ شمال : عادة .
٢ « راكباً » منادى منصوب غير مقصود بالنداء (أي راكبٌ اتفق) . عرضت : أتيت العارض (اليمامة) . نجران : موضع باليمن .
٣ ابو كرب : بشر بن علقمة بن الحارث . الايهمان : الاسود بن علقمة بن الحارث والعاقب عبد المسيح بن الابيض ؛ وقيس : هو ابن معدي كرب والد الاشعث بن قيس الكندي (المفضليات ١٥٧) .
٤ الصريح : بنو الحارث . الموالي : موالي بني الحارث (حلفاؤهم) .
٥ نهدة : فرس مرتفعة الصدر (دلالة على الفتوة والنشاط) . الحو جمع أحوى وحواء : الفرس الحمراء المائل لونها إلى السواد . تواليا : يتلو بعضها بعضاً (وراء فرسي) . – لو شئت النجاة بنفسي لهربت على فرس فتية سريعة لا تدركها الخيل .
٦ الذمار : الشرف ، العرض ، ما يجب على الانسان أن يدافع عنه .
٧ ملكتم : اقتدرتم (علي) فاسجحوا : تكرموا (أطلقوا سراحي) . « ملكت فاسجح » مثل . فان أخاكم (فارسكم النعمان بن جساس الذي قتل في المعركة) لم يكن من بوائي (لم أكن غريمه ، لم أقتله أنا) .
٨ تحربوني بماليا : تسلبوني ماليا (كناية عن استعداده لافتداء نفسه بكل ما يملك) .
٩ المعزب : البعيد عن أماكن السكنى . المتالي جمع متلوة : الناقة يتلوها (يتبعها) ولدها . و « المتاليا » مفعول به من اسم الفاعل « المعزبين » .
١٠ شيخة : عجوز . عبشمية : من بني عبد شمس (من قيس ، من عرب الشمال) . تري مجزومة بحرف الجزم لم ، وعلامة جزمها حذف النون . وفي البيت التفات من الغائب إلى المخاطب .
١١ ركد جمع راكدة : هادئة ، ساكنة ، مستلقية .

وقد علمتْ عرسي مُلَيْكَةُ أنني … أنا الليثُ معْدُوّاً عليه وعاديا [1] .
وقد كنتُ نحّارَ الجزُور ومُعْمِلَ الـ … ـمَطيِّ ، وأمضي حيث لا حيَّ ماضيا [2] .
وانْحرُ للشَّرْبِ الكرام مَطيّتي ، … وأصْدَعَ بين القيْنتَيْنِ ردائيا [3] .
وكنت إذا ما الخيل شَمّصَها القنا … لَبيقاً بتصريفِ القناةِ بنانيا [4] .
وعاديةٍ سَوْمَ الجراد وَزَعْتُها … بكفّي وقد أنْحَوْا إليّ العواليا [5] .
كأنّيَ لم أركبْ جواداً ولم أقلْ … لخيْلِيَ : كُرّي نَفّسي عن رجاليا [6] ،
ولم أسْبَأ الزّقّ الرّويّ ولم أقل … لأيسارِ صدْقٍ :أعظموا ضوءَ ناريا [7] !

٤ — ** المفضّليات رقم ٣٠ (ص ٥٥ — ١٥٨) .
غ ١٢ : ١٥٣ — ١٥٤ ، ١٥ : ٧٣ — ٧٩ ، ١٩ : ١٤١ .

عنترة بن شدّاد

١ — عَنْتَرَةُ عربيّ من جهة الأب ، فهو من بني عبس ، أبناء عمّ بني ذُبيان وخصومهم في وقت واحد . أما أمّه فجارية حَبَشية اسمها زُبيبة . فهو من أجل ذلك هَجين (مختلط النسب) أسود ، ولذلك لم يُلْحقهُ أبوه به (بنسب بني عبس) . نشأ عنترة في نجد عبداً يرعى الإبلَ محتقراً في عين والده وأعمامه ولكنه نشأ شديداً بطّاشاً شجاعاً ، كريم النفس كثير الوفاء . وأحبّ عنترة منذ صغره عَبْلَةَ ، ابنة عمه مالكٍ ، ثم طمع بأن يَبْني بها .

١ أنا الليث معدواً علي (ادفع الذين يهجمون علي) وعادياً (أنزل الأذى بمن أهجم عليه) .
٢ أذبح الابل ، وأبعد أسفاري ، وأصل إلى حيث لا يستطيع أحد أن يصل .
٣ الشرب: الذين يشربون الخمر معاً . « أصدع بين القينتين ردائيا »: (من الطرب، وأعطي لكل قينة نصفه) .
٤ شمصها ، نفرها : جعلها تجفل وتحرن . القنا : الرماح (في الحرب) . لبيقا .... : أحسن الطعن بالرماح .
٥ عادية : خيل هاجمة . سوم الجراد : كثيرة كثرة الجراد . وزعتها : صددتها ، رددتها ، هزمتها . بكفي : بدفاعي وحدي . انحى اليه . وجه اليه . العوالي : الرماح .
٦ كري نفسي عن رجاليا : اهجمي وخففي ضغط العدو عن المحاربين المشاة .
٧ أسبأ : اشترى . الزق الروي : وعاء الخمر المملوء . أيسار صدق : الرجال الذين ييسرون (يقترعون بالقداح) باسمي على الابل ثم يفرقونها في الناس . أعظموا ضوء ناريا (حتى يأتي اليها ضيوف كثيرون) .

ولكنّ عمه كان كثير التعَنّت فلم يرضَ أن يزوّج ابنته بعبدٍ أسود . وأدرك آل عنترة بأسَ ابنهم وشجاعته فأحبّوا أن يستغلوهما في حرب أعدائهم وخصومهم فكانوا يحرّضونه دائماً على خوض المعارك ويمنّونه مقابل ذلك أن يزوجوه بعبلة . فإذا انجلت المعركة وأدرك العبسيون ثأرهم أو نالوا مآربهم حرموا عنترة من الغنيمة ونكثوا عهدهم اليه بزواج عبلة .

وأخيراً أغار حي من العرب على بني عبس غارة حملوا فيها كل شيء ، وسبَوْا عبلة أيضاً . فلما جاءه أبوه يستثيره لخوض الحرب أبى وقال له : « العبد لا يحسن الكر ، بل يحسن الحِلاب والصرّ[1] » . فقال له أبوه : «كرّ ، يا عنترةُ ، وأنت حر » . فلحق عنترة بالمغيرين واسترد منهم كل ما سلبوه . ويظهر ان أباه استلحقه بعد هذه الحادثة بنسبه ، ولكنّ عمّه مالكاً لم يرض أن يزوجه عبلة .

وعُمِّرَ عنترة طويلاً ، وكانت له أيام مشهورات في حرب داحس والغبراء . وحارب أيضاً الفرس في يوم ذي قار (عام البعثة ، ٦١٠م) فلما وصل خبر تلك المعركة إلى الرسول قال : « هذا أول يوم أخذت فيه العرب من العجم بحق ! »

وبعد بضع سنوات خاض العبسيون معركة مع بني طيّ ، سقط فيها عنترة قتيلاً عام ٨ ق. هـ. (٦١٤م) ، قتله الاسد الرهيص جبّار بن عمرٍو الطائي . ولعلّ عنترة مات عَزَباً ، ثم هو لم يتزوج عبلة ، فعبلة تزوجها رجل غيره .

٢ — اشتهر عنترة بفنين من فنون الشعر : بالغزل والحماسة .أما غزله فعفيف حلوٌ في بعض الاحيان خَشِنٌ في بعضها الآخر . وعنترة لا يجيد تحديث المحبوبة لأنه يحاول أن يجتذبها بذكر وقائعه أمامها وبتخويفها من عواقب ضربه وطعنه على أهلها .

واشتهر عنترة بالحماسة خاصة . وحماسته قسمان : اولهما حوادثه هو ، وهي حوادث مفردة قتل فيها فلاناً أو فلاناً ، وثانيهما هجومه في قومه بني عبس على الاعداء . ويبدو من مراجعة قصائد عنترة في الحماسة انه يتناول فيها جميع أبواب الشجاعة والقتل وصور القوة والبطش . ولا شك في ان الرواة قد أضافوا إلى عنترة أقوالاً كثيرة .

---

١ الصر : ربط ضرع الناقة بعد حلبها .

وقيل : كان عنترةُ يقول البيتَ والبيتين فقط ثم كانت المعلّقة أولَ قصيدة قالها . والذي يبدو لي أن قومَه لم يكونوا يَحفِلون بشعره ثم حَفَلوا به بعد أنْ قال المعلّقة وأجاد قولها .

٣ — المختار من شعره :

— نظم عنترة معلقته في أعقاب حرب داحس والغبراء ليعاتب عبلة ويفتخر أمامها بشجاعته وكرمه ، وليعاتب أباه وعمّه اللذين ضنّا بعبلة زوجاً له . ويذكر عنترة مقتل ضمضمٍ المرّيّ ويزدري بابني ضمضمٍ الحصينِ وهرمٍ (راجع معلقة زهير) :

هَلْ غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ ، أم هلْ عَرَفْتَ الدار بعد تَوَهُّمِ [١] ؟

ثم قال عنترة يخاطب عبلة :

إن تُغدفي دوني القناعَ فإنني طَبٌّ بأخذ الفارس المُسْتَلْئِمِ [٢] :
أثني عليّ بما علمتِ فانني سهلٌ مُخالقتي إذا لم أُظْلَمِ [٣] .
فاذا ظُلمت فانّ ظلمي باسلٌ مُرٌّ مذاقته كطعم العلقم [٤] .
ولقد شربتُ من المدامة ، بعدما ركَدَ الهَواجرُ ، بالمَشوف المُعلَمِ [٥]
بزجاجةٍ صفراءَ ذاتِ أسرّةٍ قُرنت بازهرَ في الشِمال مُفَدَّمِ [٦] .
فاذا شربتُ فانني مُستهلكٌ مالي ، وعِرْضي وافرٌ لم يُكْلَمِ [٧]

---

١ متردم : المكان الذي تهرأ في الثوب ثم اصلح برقعة . — يقولون : قصد عنترة ان الاقدمين أتوا على جميع معاني الشعر فقالوها قبله — . وعندي ان متردم « بكسر الدال » . المتهدم — والمعنى : هل ترك الشعراء طللا لم يقفوا بعد عليه ، والدليل على ذلك قوله : ام هل عرفت الدار بعد توهم ، فهو لم يعرف طلل عبلة بالتأكيد بل توهمه توهماً .

٢ اغدف القناع : اسدله على الوجه . طب : حاذق ، خبير . المستلئم : اللابس اللأمة (الدرع) — انا أتغلب على البطل الذي يلبس درعاً ، أفلا اتغلب على امرأة تسدل على وجهها قناعاً ؟

٣ سهل مخالقتي : معاشرتي سهلة .

٤ باسل : كريه . العلقم : نبات مر .

٥ المدامة : الخمر . ركد الهواجر : سكن الحر . المشوف المعلم : « الدينار » المجلو الذي فيه كتابة ونقش بارزان (بدينار جديد) .

٦ اسرة : خطوط . ازهر : (ابريق) من فضة ابيض براق . مفدم : عليه الفدام (المصفاة) .

٧ وافر : موفور ، كامل . يكلم : يجرح .

وإذا صَحَوْتُ فما أُقَصِّر عن ندىً، وكما علمتِ شمائلي وتكرّمي [1] .
هلاّ سألتِ الخيل ، يا ابنة مالكٍ ، إن كنتِ جاهلة بما لم تعلَمي ؟
يُخبِرْكِ من شهِد الوقيعةَ أنني أغشى الوغى وأعِفّ عند المغنم .
ومدَجّج كَرِهَ الكُماةُ نِزالَه لا مُمْعنٍ هرباً ولا مُسْتَسلم [2] ،
جادت يداي له بعاجل طعنةٍ بمثقّف صَدْقِ الكعوب مقوّم [3] ،
فشككتُ بالرمح الأصمّ ثيابَه . ليس الكريم على القنا بمحرّم !
فتركته جزَرَ السباعِ ينُشْنَه يقضمْنَ حُسْنَ بنانه والمِعْصَم [4] .
عهدي به مَدّ النهارِ كأنما خُضِبَ البَنانُ ورأسه بالعِظلِم [5] .
بطلٌ كأنّ ثيابه في سَرْحةٍ يُحذى نِعالَ السِبْت ، ليس بتوأم [6] .
ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ مني ، وبيضُ الهند تقطر من دمي [7] .
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسّم .

ثم يلتفت إلى موقف أبيه عمرو منه ويخلُص إلى الفخر بنفسه :

نُبّئتُ عمراً غيرَ شاكرِ نعمتي . والكفرُ مَخْبَثةٌ لنفس المنعِمِ [8] !
ولقد حَفِظْتُ وصاة عمي بالضُحى إذ تَقْلِص الشفتان عن وَضَح الفم [9]

---

١ الندى : الكرم . الشمائل : الاخلاق الجميلة .

٢ المدجج : الكثير السلاح . الكماة جمع كمي : البطل التام السلاح . – الابطال يكرهون مقاتلة هذا الفارس لأنه عنيد في القتال : إما أن يقتل خصمه أو أن يموت (لا يهرب ولا يستسلم) .

٣ المثقف : الرمح المقوم (المستقيم) . صدق الكعوب : قوي العقد (يكون الرمح من قناة أو قصبة فارسية ، فيجب أن تكون القناة ناضجة شديدة مكان العقد) .

٤ فتركته جزر السباع : تركته مقتولا في الفلاة لتأكله السباع (الحيوانات الآكلة للحم) . يقضم : يقطع باطراف الاسنان . يقضمن حسن بنانه (رؤوس أصابعه) والمعصم (ما بين الكف والساعد) : يشوهن جماله .

٥ مد النهار : طول النهار . العظلم : شجر أحمر . – لا أزال أذكر انه بقي طول النهار ملقى على الأرض مضرجاً بدمه .

٦ كأن ثيابه في سرحة (شجرة طويلة) : كناية عن طول قامة هذا البطل. يحذى نعال السبت : يلبس حذاءمن جلد رقيق مدبوغ (كناية عن غناه) . ليس بتوأم : لا مثيل له (في شجاعته) .

٧ نواهل : شاربات (من دمي) . بيض الهند : السيوف .

٨ اخبرت ان عمراً (اباه ؟) لا يعترف بافعالي في الحرب . والكفر مخبثة لنفس المنعم : ان الجحود يمنع المحسن من معاودة احسانه .

٩ الوصاة : الوصية . عمي : (لعله مالك ابو عبلة) . الضحى : الصباح . تقلص الشفتان عن وضح الفم : تتقلص الشفتان لشدة البرد فتبدو الاسنان .

في حَوْمَة الموت التي لا يشتكي غمَرَاتِها الابطالُ غيرَ تغمغم [1] .
إذ يتّقون بيَ الأسنّةَ ، لم أخِمْ عنها ، ولكنّي تضايق مُقْدَمِي [2] .
لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون ، كررت غيرَ مُذمّم [3] .
يدعون : عنترَ ! والرماح كأنها أشْطانُ بئرٍ في لَبان الأدهم [4] .
ما زلت أرميهم بثُغرة نَحره ولَبانه ، حتى تَسَرْبل بالدم [5] .
فازْورّ من وَقْع القَنا بلَبانه وشكا إليّ بعبرة وتحمحم [6] .
لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى ، ولَكان – لو علِم الكلام – مكلّمي .
ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمَها قِيلُ الفوارس : « وَيكَ، عنترَ ،أقدِم » [7]
ولقد خَشيت بأن أموتَ ولم تدُرْ للحرب دائرةٌ على ابنَي ضَمضَم [8] ،
الشاتميْ عِرْضي ولم اشتُمْهما والناذرَين إذا لم الْقَهما دمي [9] .
إنْ يفعلا فلقد تركتُ اباهما جَزَرَ السِباع وكلِ نَسْر قَشْعم [10] .

٤ – ديوان عنترة ، القاهرة (هندية) ١٨٩٨ .
منية النفس في أشعار عنترة العبسي (اسكندر آغا) بيروت ١٨٦٤ .
شرح ديوان عنترة بن شداد المعروف بمنية النفس في أشعار عنتر عبس ، القاهرة .
ديوان عنترة بن شداد (محمد العناني) القاهرة ١٣١٥ ثم ١٣٢٩ هـ.

---

١ حومة الموت : المعركة . غمراتها : شدائدها . تغمغم : صوت غير مفهوم . – عملت بوصية عمي في خوض هذه المعركة الشديدة في هذا البرد الشديد (لأفوز بعبلة) .
٢ يتقون بي الاسنة : يقفون خلفي حتى لا تصيبهم الرماح . خام ، يخيم : جبن ، تراجع . تضايق مقدمي : ان كثرة الفرسان أمامي منعت حصاني من ان يتقدم .
٣ يتذامرون : يحض بعضهم بعضاً . كررت : هجمت . غير مذم : غير مذموم .
٤ ينادون : يا عنترة ! بينما كانت الرماح تتوالى على صدر حصاني الأسود كما تتوالى الاشطان (الحبال)نازلة وصاعدة في البئر (لاستقاء الماء) .
٥ ثغرة نحره : مقدمة صدر الحصان . تسربل . اكتسى .
٦ ازور : مال . عبرة : دمعة ، بكاء . تحمحم : صوت متقطع .
٧ قيل : قول . ويك : انتبه !
٨ خفت أن أموت قبل أن أقتل هرماً والحصين ابني ضمضم .
٩ اللذين ... يتوعداني بالقتل ما داما بعيدين عني ، فاذا رأياني خافا مني . ويروى : والناذرين إذا لقيتها دمي – يقصد انهما يقولان : إذا رأيناه فسنقتله .
١٠ ولو قتلاني لما اهتممت لانني قتلت اباهما من قبل .

شرح ديوان عنترة بن شداد (أمين سعيد) القاهرة (التجارية) بلا تاريخ .
شرح ديوان عنترة بن شداد للبطليوسي (عبد المنعم شبلي وابراهيم الابياري)، القاهرة (التجارية) بلا تاريخ .
ديوان عنترة ، بيروت (دار بيروت) ١٩٥٨ .
** أبو الفوارس عنترة بن شداد ، تأليف محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ١٩٤٨ .
عنترة بن شداد ، تأليف حسن جوهر ومحمد أحمد برانق وأمين أحمد العطار ، القاهرة (المعارف) بلا تاريخ .
فارس بني عبس ، تأليف حسن عبد الله القرشي ، القاهرة ١٩٥٧ .
Antara, von Thorbecke, Leipzig 1867.
بروكلمان ١ : ١٤ ـ ١٥ .
عنترة (رواية تمثيلية) لأحمد شوقي ، القاهرة ١٩٣٢ .
عنترة (رواية تمثيلية) لشكري غانم ، تعريب إلياس أبي شبكة ، بيروت (بلا تاريخ) .
عنترة (رواية تمثيلية) لشكري غانم ، تعريب إلياس غالي ، مراجعة صالح الأشتر ، دمشق (بلا تاريخ) .

عروة بن الورد

١ ـ هو ابو نجد (القاموس ١ : ٣٤٠ س) عُروة بن الورد من بني عبس ، ولكنّ أمه من بني نَهد من غير ذوي الانساب المشهورة . كان والد عروة من الفرسان الذين خاضوا حرب داحس والغبراء . وكذلك كان عروة نفسه فارساً شجاعاً ، ولكن صُعلوكاً (فقيراً مغامراً) . وقد كان مقدّماً على الصعاليك لفروسيته وشجاعته ولكرمه ، فقد كان يقوم بأمرهم إذا أخفقوا في غزوة ويَعولهم إذا لم يكن عندهم معاش ، حتى سمّي عروة الصعاليك . وقد فضله بعضهم على حاتم في الكرم[١] .

١ راجع الأغاني ٣ : ٧٤ س ، ٧٨ ـ ٧٩ .

وكذلك كان عروة كريم الاخلاق عفيفاً صادقاً وفيّاً بالعهود . وكان قد سبى امرأة من بني كنانة ، من أهل يثرب ، في إحدى غزواته ، اسمها سلمى في الاغلب وكنيتها أم وهب ، فاتخذها زوجة ورزق منها أولاداً ؛ ولكنّها فارقته في حديث طويل .

وتوفّي عروة بن الورد نحو عام ٧ ق. هـ. (٦١٥م) * .

٢ – شعر عروة بن الورد بَدْوي الخصائص وأكثره في التَصَعْلُك والفخر ، وبعضه في الحماسة والنسيب ، وقد اختار له أبو تمام خمس مقطّعات في « الحماسة » .

٣ – المختار من شعره :

– قال عروة بن الورد في الحث على الاغتراب في طلب الغنى :

ذَريني للغِنى أسعى ، فإنّي ... رأيتُ الناسَ شرُّهم الفقيرُ ،
وأبعدُهم وأهونهم عليهم ، ... وإن أمسى له حسب وخير .
ويُقصيه النَديُّ ، وتَزدريه ... حليلُته ، ويَنْهَرُهُ الصغير [١] .
ويُلقى ذو الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير ؛
قليل ذَنْبُه ، والذنب جَمّ . ... ولكنْ للغنى ربّ غفور .

– وله في مثل ذلك :

إذا المرء لم يَطْلُبْ معاشاً لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا ،
وصار على الادنَيْنِ كَلاً ، وأوشكت ... صِلاتُ ذوي القُربى له أن تَنَكّرا [٢]
وما طالب الحاجات من كل وُجهة ... من الناس إلا من أجدّ وشَمّرا .
فسِرْ في بلاد الله والتمسِ الغنى ... تَعِشْ ذا يسار أو تموتَ فتُعذَرا !

٤ – شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكّيت ، القاهرة ١٩٢٣م .
شرح ديوان عروة بن الورد العبسي لابن السكّيت ، الجزائر ١٩٢٦م .

---

* في الاعلام للزركلي (٥ : ١٨) : توفي عروة بن الورد ٣٠ ق. هـ=٥٩٤ م .
١ الندي : النادي ، مجتمع القوم . الحليلة : الزوجة .
٢ الادنين : الاقارب . الكَل (بفتح الكاف) : العاجز الذي لا يهتدي لخير ولا نفع منه .

ديوان عروة بن الورد والسموأل ، بيروت (دار بيروت) .
** بروكلمان ١ : ١٦ – ١٧ ، الملحق ١ : ٥٤ .

علقمة بن عبدة

١ – عَلْقَمَةُ بن عَبْدَةَ بن النُعمان من بني ربيعة بن مالك من بني تميم . وهو يُعرف أيضاً بلقب **علقمة الفحل** تمييزاً له من رجل من قومه يلقّب بعلقمة الخصِيّ اسمه علقمة بن سهل .

وكان علقمة الفحل معاصراً لامرئ القيس (ت ٥٤٠ م) وللحارث بن جَبَلَة أبي شَمِرٍ الغسّانيّ (٥٢٩ – ٥٦٩ م) ثم عاش حتى عاصر النعمان أبا قابوس واتّصل ببَلاط جلّقَ وبَلاط الحيرة اتّصالا يسيراً . وعُمّر بعد ذلك طويلاً إلى أن مات عام ٦٢٥م ، بعد الهجرة بثلاث سنوات[1] .

٢ – كان علقمة شاعراً بدوياً ، قلّ أن ألف الحَضَر . واشتهر بالطرد (وبوصف الفرس والنعامة خاصة) ، وله شيء من المدح والغزل والحكمة . قال ابن سلاّم : « ولابن عبدة ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر » .

٣ – المختار من شعره :

كان لعلقمة الفحل أخ اسمه شأس أسره الحارث بن أبي شمر الغسّاني مع سبعين رجلاً من بني تميم ، فقال علقمة يمدح الحارث ويشفع اليه بالأسرى . وهذه القصيدة هي ثانية القصائد الثلاث اللواتي استجادهن ابن سلاّم :

طحا بك قلبٌ في الحسان طَروبُ   بُعيد الشبابِ عَصْرَ حان مَشيبُ[2] :
يكلّفني لَيْلى ، وقد شطّ وَلْيُها   وعادت عوادٍ بيننا وخطوبُ[3] .
منعّمةٌ ما يُستطاع كلامها ،   على بابها منْ أن تُزار رقيب .

---

١ يثبت الزركلي وفاة علقمة في سنة ٢٠ ق. هـ. = ٦٠٣ م ، ويشك في بقائه حياً إلى عام ٦٢٥ م (الحاشية الثانية من العمود الايمن) .

٢ طحا بك : أمعن ، ذهب إلى أكثر مما يجب أن يذهب . طروب : كثير التأثر (حزناً أو فرحاً) .

٣ يكلفني (قلبي الذهاب إلى) ليلى وقد بعد وليها (جوارها ، مسكنها) وعادت (ترددت ، كثرت) عواد (مشاغل الحياة) وخطوب (مصائب وأحداث) .

إذا غاب عنها البَعْلُ لم تُفشِ سرّه، وتُرضي غيابَ البعلِ حين يَؤوب [1]
فلا تَعْدِلي بيني وبين مغمّرٍ، سقتكِ رَوايا المزن حين تَصوب [2]!
فان تسألوني بالنساء فانّني بصير بأدواء النساء طبيب:
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له في ودِّهنّ نصيب.
يرِدْنَ ثَراء المال حيث وجدنَهُ، وشَرْخ الشباب عندهنّ عجيب.
فدعْها وسلِّ الهمّ عنك بجَسْرة كهمّك فيها بالرِداف خَبيب [3].
إلى الحارث الوهّاب أعملت ناقتي لكَلْكلها والقصْرَيَيْنِ وَجيب [4].
لتُبْلغَني دار امرئ كان نائياً، فقد قَرّبتني من نداك قَروب [5].
هداني اليك الفَرْقَدان ولاحِبٌ له فوق أصواءِ المِتان عُلوب [6].
فلا تحرمني نائلاً عن جَنابة فاني امرؤ وسط القباب غريب [7].
وأنت امرؤ أفضت اليك أمانتي، وقبلَك ربّتني – فضِعْتُ – رُبوب [8].
فأدّت بنو كعبِ بن عَوْفٍ ربيبها، وغودر في بعض الجنود رَبيبُ [9].
فقاتلتهم حتى اتّقوكَ بكَبْشهم وقد حان من شمس النهار غُروب [10].

---

١ ... إذا عاد زوجها من غيبة لم يجد ما يسوءه (منْ سلوكها في أثناء غيابه).
٢ المغمر: القليل الاختبار. روايا: غيوم تحمل ماء (غيوم ماطرة). صاب المطر يصوب: سقط بشدة.
٣ الجسرة: الناقة الصلبة القوية، العظيمة الجسم. كهمك: (تقدر ان تبلغك كل ما) يهمك (ما تحتاج اليه، أو ما تأمل أن تناله). بالرداف خبيب: تستطيع أن تسرع ولو اردفت عليها وراءك راكباً آخر.
٤ تسمع من كلكلها (أعلى صدرها) ومن القصريين (الضلعان الاخيران في القفص أسفل الصدر) وجيباً (خفقاناً، لسرعتها وشدة سيرها). اعمل الناقة: أجهدها في السير.
٥ ناء: بعيد. قروب: (قادرة على تقريب المسافات، سريعة وقادرة على المسافات الطويلة).
٦ الفرقدان: نجمان. هداني اليك الفرقدان: سرت اليك ليلا (لشدة حاجتي اليك). لا حب: الطريق الواضح أصواء جمع صوة (بضم الصاد وتشديد الواو المفتوحة): حجارة تنصب على جوانب الطرق لتكون علامات للدلالة على المسافات من مكان إلى آخر. المتان: الأرض الغليظة. علوب: آثار. لا ريب في ان الشاعر كان يصف طريقاً رومانية؛ ويبدو أنه لم يسر من قبل على مثلها.
٧ نائل: عطاء. عن جنابة: عن بعد عنك (لم أزرك من قبل). القباب: خيام الملوك. فاني امرؤ وسط القباب غريب: أنا لم أتعود زيارة الملوك.
٨ أفضت اليك أمانتي: أصبحت حاجتي وأمنيتي عندك، أصبح اعتمادي عليك. ربتني فضعت ربوب: تعهدني ربوب، أرباب، ملوك فضاعت آمالي عندهم.
٩ هنا يشير الشاعر إلى انتصار الحارث بن أبي شمر الغساني ومقتل المنذر بن ماء السماء اللخمي.
١٠ الكبش: قائد القوم، الملك (المنذر الذي قتل في ذلك اليوم، يوم أباغ).

تَخَشْخَشُ أبدانُ الحديدِ عليهِمُ ... كما خَشْخَشَتْ يَبْسَ الحصادِ جَنوب[1].
وقاتل عن غسّان أهلَ حِفاظِهـا ... وهِنْب وقاسٌ جالدت وشَبيب[2].
وأنت امرؤ آثارُه في عدوِّه ... من البؤس والنُّعْمى لهنّ نُدوب[3].
وفي كل حيٍّ قد خَبَطْتَ بنعمة ... فحقّ لشأسٍ من نَداك ذَنوب[4].

٤ – ديوان علقمة الفحل ، القاهرة ١٢٩٣ ثم ١٣٢٤هـ .
شعر علقمة الفحل (ألبرت سوسين Socin) لايبزيغ ١٨٦٧ .
شرح ديوان علقمة بن عبدة التميمي المشهور بعلقمة الفحل للأعلم الشنتمري (محمد بن شنب) الجزائر ١٩٢٥ .
ديوان علقمة الفحل (أحمد صقر) ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .

* * بروكلمان ١ : ١٥ ، الملحق ١ : ٤٨ .

امية بن أبي الصلت

١ – هو أُمَيّةُ بن أبي الصَلْت بن أبي ربيعة بن عَوف من ثَقيف من بكر بن هَوازن ، وأمه رُقَيّة بنت عبد شمس بن عبد مَناف .

كان أمية تاجراً من أهل الطائف ينتقل بتجارته بين الشام واليمن .

ومال أمية من أول أمره إلى التَحَنّف : هجر عبادة الاوثان وترك شرب الخمر واعتقد بوجود الله من غير أن يكون له فروض معينة في العبادة . وكاد أمية أن يسْلمَ لما جاء الاسلام ، ولكنّ موقفَ قومه ثقيفٍ من الاسلام أملى عليه العداء للرسول وللمسلمين ، فكان يُحَرّض على قتال الرسول . ولما انتصر المسلمون على مشركي مكة في غزوة بَدْرٍ ، في رَمَضانَ من سنة ٢ للهجرة

١ (يتساقطون فيسمع لدروعهم صوت، كما يسمع صوت النبات اليابس في الريح: يتساقطون بسرعة وكثرة) .

٢ قاتل عن غسان أهل حفاظها : بنو غسان أنفسهم . هنب وقاس وشبيب : قبائل من اليمن موالية لغسان. جالد : قاتل .

٣ الندوب : آثار الجراح . – لحروبك ولعطاياك آثار في عدوك أيضاً .

٤ لقد أنعمت على كل قبيلة بنعمة ما (من غير معرفة سابقة) ، فيحق اذن لأخي شأس بذنوب (بدلو من ما فضلك : بنصيب من تفضلك ، باطلاق سراحه) .

(٦٢٤ م) ، رثى أمية الذين قُتلوا من المشركين في تلك الغزوة. ويبدو أن أمية توفّي في السنة السابعة أو الثامنة للهجرة (٦٢٩ م) ، قبل فتح الطائف * .

٢ – ضاع القسم الأوفر من شعر أميّة ، ولم يثبت له على القطع سوى قصيدته في رثاء قتلى بدر من المشركين . وكان أميّة يحكي في شعره قصص الأنبياء على ما جاء في التوراة ويذكر الله والحشر ويأتي بالألفاظ والتعابير على غير مألوف العرب ، ولذلك كان اللغويّون لا يحتجّون بشعره . وشعره كثير التكلّف ضعيف البناء قليل الرونق قلق الالفاظ . أما أغراضه في شعره الباقي بين أيدينا – صحيحاً ومنحولاً – فهي المدح والهجاء والرثاء وشيء من الحكمة وكثير من الزهد والتزهيد ومن الكلام في الله والآخرة .

٣ – المختار من شعره :

– قال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جُدعان :

أأذكرُ حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك ؟ إن شيمتَك الحياءُ ؛
وعلمُك بالامور وأنت قَرم ... لك الحسبُ المُهذّب والسّناء .
كريم لا يغيّره صباحٌ ... عن الخلُق السَنيّ ولا مساء .
إذا أثْنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرّضه الحياء .
تُباري الريحَ مَكرُمَةً ومجداً ... إذا ما الكلب أحْجَره الشتاء .
فهل تخفى السماء على بصير ؟ ... وهل بالشمس طالعةً خفاء !

– وقال يرثي قتلى معركة بدر (٢ هـ = ٦٢٤ م) من المشركين :

ألاّ بكيتَ على الكرا ... م بني الكرام أولي المَمادحْ [1] !
كم بين بدر والعَقَنْقَلِ ... من مَرازِبَة جَحاجحْ [2] .
شُمْطٌ وشُبّانٌ بهاليلٌ ... مَغاويرٌ وَحاوح [3] .
أولا تَرَوْنَ كما أرى ، ... وقدِ استبانَ لكلّ لامحْ

* في الاعلام للزركلي (١ : ٣٦٤) : توفي أمية ٥ ق. هـ=٦١٦ م .

١ ألا : هلا (للحض على البكاء) .

٢ المرازبة جمع مرزبان : الفارس الحاكم في المملكة الفارسية (دلالة على علو مقامه) .

٣ المغوار : الشديد الهجمة على العدو . الوحواح : الحديد النفس القوي . البهلول (بضم الباء) : السيد .

أنْ قـد تغيّر وجـهُ مكـــة فهْيَ مُوحِشـة الأباطِحْ .
من كـل بِطْريـقٍ لبطـــريق نقيّ الوجه واضح[1] :
القـــائلـين الآمريـــن الفـــاعلين لكـــل صالح ؛
خـذَلَتْهُمُ فِئَةٌ وهم يَحْمون عوْراتِ الفضائح ،
الضاربين التَقْدُمِيّة بالمُهَنّــدَة الصّفــائـح .
ولقـد عَنـاني صَوْتُهُـــمْ من بيْن مُسْتَنْقٍ وصائح.
لله درّ بني عليٍّ أيّمٍ منهـم وناكح[2] ،
إن لم يغيروا غــارةً شعواءَ تُحْجِرُ كلّ نابح[3]
بالمُقرَبـات المُبْعِـدات الطامحـات مـع الطوامح[4] !

— واشتهر أمية بن أبي الصلت بقصائده التي يذكر فيها الله والآخرة ممـا عرفه من الخرافات الوثنية ومن التوراة والانجيل . وكثير مما ينسب إلى أمية بن أبي الصلت في هذا الباب ضعيف النسج لا رونق له :

مجّدوا الله فهو للمجد أهـل ؛ ربُّنـا في السماء أمسى كبيراً ،
ذلك المنشئُ الحِجارة والمو تى ، وأحياهُمُ وكان قديراً ؛
بالبنـاء الأعلى الذي سبق النا س وسوّى فوق السماء سريراً
شرجعا لا ينـاله بصر النا س ترى دونه الملائك سورا .
خلق النخل مُصعدات تراهـا تقصف اليابسات والمخضورا ،
وأسودا عواديـاً وفيـولاً وسباعـاً والنمل والخنزيرا .

— ومما ينسب اليه من الشعر في الآخرة :

وسِيقَ المجرمون وهم عُراة إلى ذات المقامع والنّكال ،
فنادَوْا ويْلَهـا ويْلاً طويلا وعجّوا في سَلاسلها الطِوال.
فليسوا ميّتين فيستريحوا ، وكلّهم بحَرّ النـار صال .

---

١ البطريق : القائد في الجيش الرومي . واضح : أبيض .
٢ ما أحسن المحاربين من بني علي . الايم : الذي ماتت امرأته . الناكح : المتزوج . – يقصد جميع بني علي .
٣ الشعواء : الشديدة . تحجر كل نابح : تدفع كل كلب إلى الاختباء في حجره (بيته) .
٤ المقربات (بضم الميم وفتح الراء) : الخيل التي تربط قريبة من صاحبها مهيأة للقتال. المبعدات (بكسر العين): التي تستطيع الاغارة إلى مكان بعيد . الطامح : الطامع ، البعيد الغاية .

وحل المتّقون بـدار صـدق وعيش ناعم تحت الظلال ،
لهم ما يشتهونَ وما تَـمَـنَّوْا من الأفراح فيهـا والكمال .

٤ – ديوان أمية بن أبي الصلت ليبزغ ١٩١١ .
ديوان أمية بن أبي الصلت (بشير يموت) ، بيروت (الأهلية) ١٣٥٢هـ= ١٩٣٤ م .

** غ بولاق ٣ : ١٨٦ – ١٩٢ (٤ : ١٢٠ – ١٣٣) ، ١٦ : ٧١ – ٨١ .
بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٥ – ٥٦ .

عامر بن الطفيل

١ – هو عامر بن الطُّفيل بن مالك بن جعفر من بني عامر بن صعصعة من قيس عَيلان ، وأمّه كَبشة بنت عُروة الرَحّال بن عُتبة بن مـالك بن جعفر .

وُلد عامر بن الطفيل بُعيد يوم شِعْب جَبَلَةَ ، في نحو سنة ٦٧ ق. هـ. (٥٥٥ م) في نجد ونشأ فارساً شجاعاً . ثم انه ساد قومه وأصبح قائدهم في الغَزَوات فخاض معاركَ كثاراً في الجـاهلية منهـا يوم (معركة) فَيْف الريح . في تلك المعركة طعنه مُسْهِر بن يزيد الحـارثي طعنة ذهبت باحدى عينيه .

في صفر من سنة ٤ (تموز ٦٢٥) بعث الرسول أربعين رجلاً من المسلمين لدعوة أهل نجد إلى الاسلام ، فلمّا صاروا ببِئر مَعونة ، بين أرض بني عامر وأرض بني سُليم ، عدا عليهم عامر بن الطفيل في جماعة من رِعْل وذَكوان – وهما قبيلتان من بني سُليم – فاستُشْهِد المسلمون كلّهم . ثم ان عامراً جاء في سنة ٨ أو ٩ هـ (٦٢٩م) على رأس وفد من بني عامر فيهم أرْبَدُ بن قيس ، أخو لَبيدٍ الشاعر من أمّه ، إلى المدينة . فعرض الرسول الاسلام على عامر وأربـد فلم يُسْلما . ويبدو أن عامرَ بن الطفيل توفّي في أثناء رجوعه هذا من المدينة بعد أن طُعِنَ (أصابه الطاعون) في عنقه ، في نحو الثالثة والستين من العمر . وكان عامر عَقيماً لم يُعقب أولاداً .

٢ – عامر بن الطفيل شاعر فحل مُجيد برع في الحماسة والفخر يتَخلّلُهما

شيء من الحكمة . وكذلك وقع شيء من الهجاء بين عامر بن الطفيل وبين النابغة الذبياني .

٣ – المختار من شعره :

– قال عامر بن الطفيل يفتخر ويذكر فرسه يوم فيف الريح وذهاب عينه :

لقد علمت ُعليا هَوازنَ أنّني ... أنا الفرس الحامي حقيقة جَعْفَرِ .
وقد علم المزنوق أني أكُرّه ... على جمعهم كرّ المَنيح المشهّر [١] .
إذا ازْورّ من وقع الرماح زجرتُه ... وقلت له : ارْجِعْ مُقْبلاً غير مُدبر !
وأنبأته أن الفِرارَ خِزايةٌ ... على المرء ما لم يَبْلُ ُجهْداً ويُعْذَر.
ألستَ ترى أرماحهم فيّ ُشرّعاً ، ... وأنْت حِصان ماجد العِرق فاصْبِرِ.
لعَمْري ، وما عمري عليّ بهيّن ، ... لقد شان حرّ الوجه طعنةُ مُسْهِرِ .
فبئس الفتى ان كان أعور عاقراً ... جباناً ، فما ُعذري لدى كل مَحْضَر ؟
وقد علموا أني أكرّ عليهِمُ ... عشيّة فَيْفِ الريح كرّ المُدوّرِ [٢] .
أقول لنفسٍ لا يُجاد بمثلها : ... أقلّي المُزاحَ ، انّني غير مُقْصر .

– ومن فخره بقومه :

وما الأرضُ إلا قيسُ عَيْلانَ أهلُها ... لهم ساحتاها : سهلُها وحزومُها [٣].
وقد نال آفاقَ السموات مجدُنا ، ... لنا الصَحْوُ من آفاقها وغيومها .

– وقال يفتخر بنفسه :

فإنّي ، وان كنت ابنَ فارس عامرٍ ... وسيّدَها المشهورَ في كلّ موكبِ ،
فما سوّدَتْني عامرٌ عن وِراثة ، ... أبَى الله أن أسمو بأمٍ ولا أب !

---

١ المزنوق : فرس عامر بن الطفيل. المنيح(بفتح الميم) : قدح (بكسر القاف)من قداح (بكسر القاف) الميسر (بفتح الميم) لا نصيب له ولكن يتفاءلون به فيجعلونه دائماً مع سائر القداح ، ولذلك يكثر خروجه (من الوعاء الذي فيه القداح) ورده (إلى ذلك الوعاء) . كنى عامر بن الطفيل بذلك عن كثرة كر حصانه وفره .

٢ المدور لعله الذي يدور حول الخيمة (يقصد بسرعة وبسهولة) .

٣ الحزوم جمع حزم : الأرض القاسية ، الصعبة .

ولكنّني أحْمي حِماها ، وأتّقي أذاها ، وأرمي من رماها بمِنْكَبِ[1]

– وله في الحكمة :

قضى الله في بعض المواقف للفتى بِرُشْدٍ ، وفي بعض الهوى ما يُحاذِرُ[2] .

ألم تعلمي أني إذا الألْفُ قادني إلى الجَوْر لا أنقاد والألْف جائر[3] .

٤ – ديوان عامر بن الطفيل (تشارلس ليال) ، ليدن ١٩١٣ .

ديوان عامر بن الطفيل ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٩ .

المفضّليات رقم ١٠٦ (ص ٣٦٠ – ٣٦٤) ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٧ – ٥٨ .

الأعشى ميمون بن قيس

١ – هو مَيْمون بن قَيْس بن جَنْدل بن شَراحيل بن عَوف بن سعد بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل ، وكان يُكْنَى أبا بَصيرٍ لأنه كان ضعيف البصر فاشتهر بلقبه الذي أصبح عَلَماً عليه : الأعْشى ، دون سائر الأعْشَيْنَ .

وُلِدَ الأعْشى * في دَرْنة مَنْفوحةَ باليَمامة ، فهو على ذلك من أهل القُرى (المدن) . ويبدو أن عَشاه (أو عَشاوته : سوء بصره في الليل والنهار) قد حمله على أن يستغلّ موهبته الشعرية في التكسّب وحدَه . من أجل ذلك تطوّف الأعْشى بشعره في جميع أنحاء شبه جزيرة العرب : مدح عامر بن الطُفيل في نجد ومدح سلامة ذا فائِش الحِمْيَريّ والاسودَ العَنْسي (أحد الذين ادّعَوا النبوّة) في اليمن ، ومدح هَوْذة بن علي النصراني في شرقيّ شبه جزيرة العرب ، ومدح شُريح بن السَمَوْأل بن عاديا الغسّاني صاحب الحصن الابلق في تيماء (شرق الحجاز) ، وكان السموأل بن عاديا يهودياً . وأعد الأعشى قصيدة في

---

١ أرمي من رماها بمنكب : أهجم عليه ، أقاتله . * نحو عام ٥٧٠ م .

٢ في بعض الهوى ما يحاذر : في بعض ما تهواه النفس ما يحذر منه (ما يخاف منه) .

٣ لا انقاد للجائرين ولو كانوا كثيري العدد (ألف رجل) .

مدح رسول الله ووفد بها إلى الحجاز . وكان أيضاً يفد على ملوك فارس يمدحهم (غ ٩ : ١١٩) .

وشَغَل الأعشى وقتَه الباقيَ بالمغامرات في سبيل المرأة وفي سبيل الخمر .

وفَدَ الأعشى في آخر أيامه على الحجاز بقصيدة في مدح الرسول ، فخاف مشركو قريش أن يزيد مدح الأعشى للرسول في سرعة انتشار الاسلام فساوموه على أن يدفعوا إليه مائة جملٍ إذا هو ترك إنشاد هذه القصيدة بين يدَي الرسول. وقبل الأعشى بما عرضه أبو سفيان (زعيم مشركي مكّة) عليه وعاد أدراجَه . ولكن الأعشى لم يكد يصل إلى درنا (أو درنة منفوحة) حتّى توفّي من أثر سَقْطةٍ عن ناقته ، في آخر السنة ٧ هـ (أوائل ٦٢٩م) .

٢ – كان الأعشى شاعراً كبيراً مكثراً ذا تأثير عظيم بشعره ، إلاّ أنه كان قد حطّ من قَدْر نفسه بالتكسّب بشعره من كلّ وجه : لقد مدح هَوْذَةَ بن عليّ الحنفي بعد أن تآمر هوذةُ مع باذانَ الفارسي (نائب كسرى أبرَويز على اليمن) للغدر ببني تميمٍ العرب يوم الصَفْقة ، عام ٦١٣م [1] . فهو في هذا الباب مثل النابغة [2] .

على أن الأعشى كان من الشعراء المقدّمين في الجاهلية يُطيل القصائد ويُجيد ويتصرّف في معظم فنون الشعر . وهو ميّال إلى البحور القصار المطربة . غير أن شعره متفاوت يرتفع حيناً ثم ينخفض حيناً آخر وخصوصاً حين يُبالغ في التكلّف وحيثُ يُكثِرُ من استعمال الكلمات الفارسية في أبياته . أما فيما عدا ذلك فشعره وُجداني عَذْب سائرٌ على الألسنة حتّى سمّي صنّاجة العرب . ومع أن الأعشى لم يدخلْ في الاسلام فانه قد ذكر في شعره المتأخر عدداً من المدارك والالفاظ الاسلامية ، نحو : صلّى عليها وزمزما ، ... على شاهدي (لساني) ، يا شاهد الله (الواحد من الملائكة) فاشهد !

أما فنون الأعشى فمنها المديح الذي كان يرفع الممدوح ويسير على الألسن ويؤثر في الناس وان كان مدحاً تقليدياً لا ابتكار فيه . وللأعشى قصّة مع المحلّق الكلابي تُروَى بوجوه مختلفة وفي حديث طويل خلاصته أن المحلّق هذا كان مِئناثاً فقيراً فعنَستْ بناته . واتّفق أن مرّ الأعشى بأرض كان ينزل فيها

---

١ راجع تاريخ الجاهلية ١٤٦ – ١٤٧ .

٢ راجع فوق ، ص ١٧٩ .

المحلّق فأكرمه المحلّق على الرُّغم من فقره الشديد إكراماً عظيماً .

وفَطِنَ الأعشى لما قصد المحلّق فمدحه بأبيات بارعة . فما انقضى العام حتّى كانت بنات المحلّق كلّهن قد تَزَوّجْنَ .

ثم ان الأعشى قد بسط القول في الخمر فتوالت الأبيات في وصفها في القصيدة الواحدة ، واستطرد الأعشى إلى وصف مجالس الشراب وإلى أثر الخمر في الشاربين . غير أن الخمر لم تُصبِحْ في شعر الأعشى فنّاً قائماً بنفسه ، وان كانت قد أصبحت عنده غرضاً بارزاً جداً من أغراض القصيدة .

وللأعشى أيضاً هجاء مؤلم وغزل مادّيّ صريح ، وطرد (وصف للحُمُرِ الوحشية خاصة) .

٣ – المختار من شعره :

– من خمريات الأعشى المُستجادة قوله :

وصهباءَ صِرفٍ كلون الفُصو ص باكرت في الصبح سوّارها [١] .
فطوراً تميل بنا مُرّةً ، وطوراً نُعالج إمرارها [٢] .
تكاد تُنَشّي ولما تُذَقْ ، وتُغْشي المفاصلَ إفتارها [٣] .
تَدِبّ لها فَتْرَةٌ في العِظامِ وتُغشي الذوائبَ فَوّارَها [٤] .
تمزّزتها في بني قابيا ، وكنت على العلم مختارَها [٥] .
إذا سُمتُ بائعَها حقّه عَنُفتُ وأغضبت تُجّارها [٦] .

– وللاعشى في الخمر أبيات تشبه أن تكون من الشعر المحْدث ، منظومة في بحور مرقصة بالاضافة إلى ما عرفنا في الجاهلية ، منها :

---

١ صهباء : خمر . صرف : بلا مزج . الفص : الحجر الكريم يوضع في الخاتم من (الياقوت الأحمر) . سوار شديد . – قمت باكراً وشربت خمراً حادة شديدة الاسكار .

٢ مرة تسكرنا ومرة تمنع اسكارها لنا بأكل البقل (؟)

٣ تكاد تسكرنا قبل أن نذوقها ، ثم هي تجعل مفاصلنا خدرة .

٤ نشعر بأثرها يسير قليلا قليلا في أجسامنا حتى يبلغ العظام ، وإذا صبت في الكأس فارت فتطاير رشاشها وأصاب ضفائرنا (شعرنا) .

٥ تمزز الشراب : تمصص ، شربه على مهل . بنو قابيا : المجتمعون لشرب الخمر .

٦ إذا ماكست صاحبها (اردت أن أسقط شيئاً من الثمن) عدني جلفاً وغضب (لأنها خمر جيدة تظل رخيصة مهما غلا ثمنها) .

فقُمنا ، ولمّا يَصِحْ ديكُنا ، إلى خمرةٍ عند جَدّادِها [١] .
فقلت له : هذه هاتِها بأدْماءَ في حبل مُقتادها [٢] !
فقام فصبّ لنا قهوةً تسكّننا بعد ارعادها [٣] ،
كُميتاً تَكَشّفُ عن حُمْرةٍ إذا صرّحتْ بعد إزبادها [٤] .
فجالَ علينا بإبريقه مُخَضّب كَفٍّ بفُرصادها [٥] .
فرُحنا تُنعّمنا نَشْوةٌ تخور بنا بعد قُصّادها [٦] .

– من معلّقة الأعشى وفيها مديح للأسود بن المنذر :

ما بكاءُ الكبيرِ بالاطلالِ ، وسؤالي ؟ وما ترد سؤالي .
دِمْنَةٌ قَفْرَة تعاوَرُها الصيـ ـف بريحين من صَباً وَشمالِ .
.... لا تَشَكّيْ إليّ ، وانتجعي الاسودَ أهلَ النَدى وأهْلَ الفَعال [٧]
فَرْعُ نَبْعٍ ، يهتزّ في غُصُنِ المجد ، غزيرَ النَدى شَديد المِحال [٨] .
عنده البِرّ والتُقى وأسَى الشِق وحَمْلٌ للمُعْضلات الثقال [٩] ،
وصِلاتُ الارحام – قد علم النا سُ – وفكٌّ الأسرى من الاغلال ،
وهوان النفس الكريمة للذكْـ ـر ، إذا ما التَقَتْ صدور العوالي [١٠] .
أنت خير من ألفِ ألفٍ من القو مِ إذا ما كَبَتْ وجُوه الرِجال !
أرْيَحِيٌّ صَلْتٌ يظلّ له القو م وقُوفاً قيامَهم للهِلال [١١] .
إن يُعاقِبْ يكن غَراماً ، وان يُعْطِ جزيلاً فإنّه لا يبالي [١٢] .

---

١ الجداد : بائع الخمر .
٢ اخترت خابية وقلت له هات هذه بغبارها وكما جاءك بها الذي يجرها (اشترى الخابية كلها) .
٣ قهوة : خمر . – الخمر شديدة تضطرب وتجيش في الاناء ولكن إذا شربناها سكنا لأنها تخدرنا .
٤ لونها مائل إلى الحمرة ، فاذا تلاشى الزبد الذي يطفو على وجهها ظهرت حمراء .
٥ الفرصاد : التوت الشامي . مخضب كف بفرصادها : غلام صغير (السن) إذا حمل اناء الخمر « وكان من زجاج » ظهرت يده كأنها مخضبة بالتوت الشامي ، لبياض يده وملاستها ولينها .
٦ تخور بنا بعد قصادها (؟)
٧ الفعال (بفتح الفاء) العمل الحميد .
٨ النبع : شجر صلب تصنع منه الرماح . المحال : المكر والبأس .
٩ أسى الشق : حسم الخلاف في القبيلة . القدرة على التوفيق بين المختلفين .
١٠ العوالي : الرماح . – يقصد في الحرب . للذكر : في سبيل الذكر الحسن .
١١ اريحي : كثير الكرم . صلت : ماض في الأمور . رؤيته عندهم تدعو إلى السرور كرؤية هلال العيد .
١٢ الغرام : العذاب الشديد .

كلَّ يوم يسوق خيلاً إلى خيـ ـل دِراكاً غداة غِبَّ الصِيال [1] .
.... فلئن لاح في المفارِق شيبٌ، يآلَ بكرٍ ، وأنكرتني الفَوالي [2] ،
فلقد كنت في الشباب أباري ، حين أعدو مع الطِماح ، ظلالي [3] .
أبغض الخائن الكذوب وأبدي وصل حبلِ العُمَيْثَلِ الوَصّال [4] .
ولقد أستبي الفتاةَ فتعصي كلَّ واشٍ يريدُ صَرْمَ حبالي .

– وللأعشى قصيدة عدّها بعضهم في المعلّقات :

وَدِّعْ هُريرةَ ، ان الركْبَ مرتحلُ ؛ وهل تُطيقُ وَداعاً ، أيّها الرجلُ ؟
غرّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها تمشي الهُوينا كما يمشي الوَجِي الوَحِلِ [5] .
كأن مِشْيَتَها من بيت جارتِها مرّ السَحابة : لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ .

ثم يلتفت الأعشى إلى نفسه يفتخر بصباه ويصف مجالس الخمر التي كان يعتادها :

صدّتْ هريرةُ عنّا ما تكلّمُنا ، جهلاً بأم خُليد حبلَ من تَصِلِ [6] .
قالت هريرة ، لما جئتُ زائرَها : ويلي عليك وويلي منك ، يا رجلُ !
وقد أقود الصِبا يوماً فيتبعني ، وقد يصاحبني ذو الشِرّة الغَزِلُ .
في فِتْيَةٍ كسيوف الهند قد علموا أن ليس يَدْفَعُ عن ذي الحيلة الحِيَلُ [7] .
نازعتهم قُضُبَ الرَيْحانِ متّكئاً وقهوةً مُزّة راوُوقُها خَضِلُ [8] .

---

[1] دراكاً : متوالية . الصيال : القتال .
[2] الفوالي جمع فالية : المرأة التي تفلي الشعر .
[3] الطماح : (هنا) الامعان في الرغبات . أباري ظلالي : سريع في الوصول إلى رغباتي .
[4] العميثل : السيد الكريم . الوصال : المتين الصداقة .
[5] غراء : بيضاء . فرعاء : وافرة الشعر . عوارض جمع عارض : جانب الوجه . مصقول (أملس) كناية عن أنها شابة . الوجي : الحافي (التعب من المشي) . الوحل : الساقط في الوحل . .
[6] إنها تجهل قيمتي وحقيقتي .
[7] كسيوف الهند : في انتصاب القامة والمضاء في الأمور .
[8] قضب الريحان : أغصان نبت طيب الرائحة . ان مجالس الخمر تزين بالزهر (يقصد : شربت الخمر مع جماعة) . القهوة : الخمر المطبوخة بالنار . مزة : حادة الطعم ، من صفات الخمر الجيدة . الراووق : اناء تروق فيه الخمر وتصب منه . خضل : ندي ، رطب ، لا يجف لكثرة استعماله .

ومُسْتجيبٍ تخالُ الصَنْج يَسمعُــه إذا تُرَجِّعُ فيه القَيْنَةُ الفُضُل [1] ،
والساحباتِ ذيولَ الرَيْط آونةً ، والرافلاتِ على أعجازها العِجَل [2] .
من كل ذلك يومٌ قد لَهَوْتُ بـه ؛ وفي التجارِب طولُ اللهو والغزَل [3] .
فقلت للشَرْبِ في دَرنا ، وقد ثَمِلوا : شيموا ؛ وكيفَ يَشيم الشارب الثَمِل [4] ؟

وأخيراً يلتفت إلى أبي ثُبَيتٍ يزيدَ الشَيْباني يُقَرّعه ويهدّده :

أبلِغْ يزيدَ بني شيبان مألُكَةً أبا ثبيتٍ : أما تَنْفكُّ تأتكِل [5] ؟
تُغْري بنا رهطَ مسعودٍ وإخوتَه يوم اللقاء فتُردي ثم تعتزل [6] :
كناطحٍ صخرةً يوماً ليُوهِنَها فلم يضِرها ؛ وأوهى قرنَه الوَعِل [7] !
لا تَقْعُدَنَّ ـ وقد أكّلتها حطباً ـ تعوذ من شرّها يوماً وتبتهل
سائلْ بني أسد عنّا ، فقد علموا أن سوف يأتيك من أنبائنا شكل [8] .
واسألْ قُشيراً وعبد الله كلّهم ، واسألْ ربيعةَ عنّا كيف نفتعل .
إنّا نقاتلهم حتّى نقتّلهم عند اللقاء ، وان جاروا وان جهلوا .
كلاّ ، زعمتم بأنّا لا نقاتلكم ؛ إنّا لأمثالكم ، يا قومنا ، قُتُلُ !
قالوا : الطِرادُ ، فقلنا : تلك عادتُنا ؛ أو تنزلون ، فانّا معشرٌ نُزُل [9] !

---

١ مستجيب : يقصد عود يجيب الصنج (آلة من نحاس ينقر عليها) . رجع (بالتضعيف ، تشديد الجيم) : ردد الصوت في الغناء . القينة : الجارية المغنية . الفضل : التي تلبس ثياباً خفيفة تكشف عن بعض جسمها . – يسكت العود إذا كان النقر على الصنج مستمراً . فاذا بطل النقر على الصنج بدأ العزف على العود . فكأنّ العود استمع إلى الصنج ثم أجابه .

٢ الريط جمع ريطة : ثوب من حرير . الساحبات ذيول الريط : يلبسن ثياباً من حرير سابغة (وافية ، وطويلة الأذيال) . الرافلة : الفتاة التي تجر ثوبها وتتبختر في مشيتها . الأعجاز جمع عجز (بفتح فضم) : الردف ، مؤخر البدن . العجل جمع عجلة (بالكسر) : المزادة (وعاء صغير للماء) . يقصد أنهن سمينات كأنهن يحملن مزادات على أوراكهن لكثرة لحمهن (وكان ذلك من صفات الجمال في الجاهلية) .

٣ قد نلت في شبابي من جميع أنواع اللهو .

٤ الشرب : الذين يشربون الخمر معاً . درنا : قرية باليمامة ولد فيها الاعشى وتوفي . شيموا : انظروا بعيداً . الثمل : السكران :

٥ مألكة : رسالة . ائتكل : هاج وغضب .

٦ تردي : تهلك (تدفع القوم إلى الهلاك ثم تعتزل أنت الحرب) .

٧ الوعل : تيس الجبل . إذا نطح الوعل صخرة تكسر قرن الوعل وبقيت الصخرة على حالها .

٨ شكل (بفتح ففتح) : أشكال ، أنواع (؟) – اختلاف .

٩ إذا أردتم الحرب مطاردة على ظهور الخيل أو نزولا جثياً (بضم الجيم وكسر الثاء وتشديد الياء) على الركب ، فكلاهما عندنا سيان .

– من مديح المحلّق :

لَعَمْري ، لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوءِ نـارٍ باليَفاعِ [1] تَحَرَّقُ ،
تُشَبّ لِمَقْرورَيْنِ يَصْطَلِيانِهـا وبات على النار النّدى والمُحَلّق [2] .
رَضيعَيْ لِبانِ ثَدْيِ أمّ تَقاسما بأسْحَمَ داجٍ : عَوْضُ لا نَتَفَرّق [3]
ترى الجود يجري ظاهراً فوقَ وجهه كما زان مَتْنَ الهُنْدُوانيّ رَوْنق .
يداه يَدا صِدْقٍ : فكفٌّ مُبيـدةٌ وكفّ – إذا ما ضُنّ بالمال – تُنفِق !

– من القصيدة التي كان الأعشى قد أعدّها في مديح الرسول ولم يُنْشِدْها بين يَدَيِ الرسول :

ألمْ تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أرْمَـدا وبِتّ كما بات السليمُ مُسَهّداً [4] !
ولكنْ أرى الدهرَ الذي هو خائن إذا أصلحت كفّايَ عـاد فأفسدا :
شبابٌ وشيبٌ وافتقـارٌ وثَروة ، فللّه هذا الدهرُ كيف تَرَدّدا .
وما زِلتُ أبغي المـالَ مُذْ أنا يافعٌ وليداً وكَهْلاً ، حين شِبْتُ ، وأمْرَدا .
ألا أيّها ذا السائلي أينَ يَمّمَتْ [5] فإنّ لهـا في أهل يَثْرِبَ موعدا .
فآلَيْتُ لا أرثي لهـا من كَلالَـة ولا من حَفاً حتى تزور محمّدا [6] .
نبيٌّ يرى ما لا تَرَوْنَ ، وذِكْرُهُ أغار – لعَمْري – في البلاد وأنْجَدا [7] .

---

١ اليفاع جمع يفع (بفتح ففتح) : التل ، المكان المرتفع ؛ والنار التي تشعل في المكان المرتفع كنـاية عن الكرم .

٢ المقرور : الذي ألح عليه البرد .

٣ اللبان (بالكسر) : اللبن ، الحليب . تقاسما : أقسم كل واحد منهما لصاحبه يميناً . بأسحم داج : بالليل الاسود . عوض : أبداً .

٤ أرمد (فعل ماض) الله عين الانسان : أصابهـا بالرمد (بفتح ففتح) بمرض تحمر به وتقذى . والارمد (اسم أو صفة تقوم مقـام الاسم) : الذي أصيب بالرمد . فعلى التقدير الاول يكون معنى الشطر الأول :.. ليلة أصبت (بالبناء للمجهول) بالرمد . وعلى التقدير الثاني ، وهو أفضل ، يكون المعنى : ألم تغتمض عيناك في ليلة مثل ليلة الارمد . السليم : المريض يسمى سليماً تفاؤلا بشفائه . مسهداً : مؤرقـاً لا يستطيع النوم .

٥ أين يممت : أين قصدت (وأين تقصد) ، أي الناقة .

٦ آليت : أقسمت . لا أرثي لها (لا أرحمها ، لا أشفق عليها) من كلالة (تعب) ولا من حفا (رقة جلد خف الناقة من كثرة الجري) .

٧ أغار وأنجد : سار في الاودية وعلى الجبال (في كل مكان) .

مَتى ما تُناخِيْ عند باب ابن هـاشم تُراحِيْ وتَلْقَيْ من فواضله يدا [1] .
له صَدَقاتٌ ما تَغِبُّ ونائـلٌ . وليس عطاءُ اليوم ِ بمَنْعِه غدا [2] .
إذا أنتَ لم تَرْحَلْ بزادٍ من التقى ولاقيتَ بعد الموت من قد تزوّدا [3] ،
نَدِمْتَ على ألاّ تكونَ كمِثْلِهِ فتُرْصِدَ للأمرِ الذي كان أرصدا [4] .

٤ – الصبح المنير في شعر أبي بصير (رودولف جاير) يانة ١٩٢٧ – ١٩٢٨ .
ديوان الأعشى الكبير (بشرح وتعليق محمد محمد حسين) ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٥٠ ، بيروت (المكتب الشرقي) ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .
ديوان الأعشى ، بيروت (دار بيروت) ١٩٦٠ .

• • أبو بصير ميمون بن قيس الأعشى (في أعلام الشعر الجاهلي) ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي وعبد السلام أبي النجا سرحان ، القاهرة ١٩٤٩ .

دريد بن الصمّة

١ – دُرَيْدٌ لقبه ، والصِمّة لقب أبيه . أما عمود نسبه فهو : أبو عمرو مُعاوية بن الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة بن غَزِيّة بن جُشَم بن معاوية ابن بكر بن هَوازن من قيس عَيْلان ، ويُكنى أيضاً أبا قُرّة . وكانت أمه رَيْحانة بنت معْدي كَرِب .

نشأ دريد في أسرة من الفرسان الشجعان : كان أبوه قائد بني جشم في يوم نخلة في حرب الفِجار (٣٨ ق. هـ. = ٥٨٤م) وقُتل في معركة تالية . وكان هو

١ أناخ الرجل الجمل : جعله يبرك (إذا انتهى مسيره ، وصل إلى غايته) . تراحين : يسمح (بالبناء للمجهول) لك بأن تخلدي إلى الراحة . وتلقين من فواضله (أياديه، وجوه كرمه ، كثرة عطائه) . وفواضل المال ما يأتيك من غلته ومرافقه . يد : نعمة ، عطاء .

٢ الصدقة : العطاء الذي يقوم بـه صاحبه تطوعاً . لا تغب : لا تكون يوماً وتنقطع يوماً آخر (بل هي دائمة) . النائل : العطاء .

٣ إذا أنت لم ترحل (عن هـذه الدنيا بالموت) بزاد من التقى (بقدر عظيم من الاعمال الصالحة) و (ثم) لاقيت بعد الموت من قـد تزود (من يتنعم بالأعمال الصالحة التي كان قـد قام بهـا في الدنيا) .

٤ فترصد : تعد ، تهيئ .

فارسَ بني جشم وسيدهم وقائدهم في الغزوات . وكان له أربعة أخوة أشقّاء . عبد الله وعبد يَغوث وقيس وخـالد ، وكانوا كلهم من الفرسان المعدودين وقد قتلوا في المعارك في حياته هو . أما خاله عمرو بن معدي كرب فهو من الفرسان الشجعان المعدودين في الجاهلية والاسلام .

غزا دريد مائة غزوة ، فيما قيل ، يَهُمّنا منها ثَلاثٌ :

بعد حرب الفِجار ومقتل الصمة (٣٢ ق. هـ. = ٥٩٠م) نشبت حرب بين بني كِنانة وبني سُلَيم . فانضمّ دريد ببَنِي جشم إلى بني سُلَيم . وفي هذه الحرب وقع دريد أسيراً .

وكان دريد مع أخيه عبد الله في غارة على بني غَطَفان يوم اللِوى ، فظفر عبد الله بغطفانَ وعاد بغنائم كثيرة . فلما سار غير بعيد قال لأصحابه : « انزلوا بنا هنا نُريح » . فنصحه أخوه دريد ألاّ يفعل وحذّره من ارتداد غَطَفان عليه . فأبى عبد الله إلاّ النزولَ . فلم يكن إلاّ قليل حتى عاد بنو غَطَفان بمدد عظيم ولَحِقوا بعبد الله وأصحابه بمُنْعَرَج اللوى وهزموهم واستردوا ما كان عبد الله قد غنمه منهم . وسقط عبد الله في هذه الأثناء قتيلاً .

وحزن دريد على أخيه حزناً شديداً ورثاه بمَراثٍ كثيرة ، ولم يترك غزو بني غطفان حتى قَتل جماعة منهم ولم يرهم يَفُون بأخيه . ولمّا لامته امرأته أمّ مَعْبَد على إسرافه في الأخذ بالثأر وفي الحزن طلّقها .

وجاء الاسلام فلم يُسلمْ دريد . فلما سار بنو هوازن يوم حُنين لقتال المسلمين أخرجوا دريداً معهم ، وكان يومذاك شيخاً هَرِماً فانياً أعمى لا بقيّةَ فيه ولكنهم أرادوا أن يستضيئوا برأيه . وانهزم المسلمون في أول الأمر ، ثم حزَموا أمرهم وكرّوا على هوازن فهزموهم هزيمة منكرة . وقتل دريد في هذه المعركة مشركاً ، سنة ٨ هـ (٦٣٠م) .

٢ — كان دريد شاعراً مكثراً ، ولكنّ أكثر شعره كان في رثاء اخوته وفي الحماسة ، مع شيء من المدح ومن الهجاء القبلي . وكان له أيضاً شيء من الغزل قال بعضه في الخنساء قبل أن خطبها . فلما رفضت الزواج به هجاها [١] . ودريد أشعر الشعراء الفرسان .

---

١ راجع غ ١٠ : ٢٢ .

٣ – المختار من شعره :

– قال دريدٌ يرثي أخاه عارضاً (وكان اسمه عبد الله) . في هذه القصيدة يُبرّر دريد طاعته لقومه (في النزول بعد المعركة في منعرج اللوى) بأنه واحد من قومه يُصيبون فيصيب معهم ويخطئون فيخطئ معهم (مع أنه كان واثقاً من أن ذلك كان خطأ) :

نصحتُ لعارضٍ وأصحاب عارض ... ورهط بني السوداء والقوم شُهّدي [١] .
فقلت لهم : ظُنّوا بألفيْ مُدَجّجٍ ... سَراتُهمو في الفارسيِّ المُسَرّد [٢] !
فلما عَصَوْني كنتُ فيهم ، وقد أرى ... غَوايتَهم وأنني غير مهتد .
أمرتهمو أمري بمنعرج اللِوى [٣] ... فلم يَسْتَبينوا النُصْحَ إلاّ ضُحى الغد .
وهل أنا إلاّ مِن غَزيّةَ : إن غَوَتْ ... غَوَيتُ ، وان تَرْشُدْ غزيةُ أرشُد [٤] .
تَنادَوا فقالوا : أردتِ الخيلُ فارساً ! ... فقلت : أعبدُ الله ذلكم الرَّدي [٥] ؟
فجئتُ اليه والرماحُ تَنوشه ... كوقع الصياصي في النسيج الممدّد [٦] .
فطاعنت عنه الخيلَ حتى تَنَفّستْ ... وحتى علاني حالك اللون أسودي [٧]
قِتالَ امرئٍ آسى أخاه بنفسه ، ... ويعلم ان المرء غير مخلّدِ .
فان يكُ عبدالله خلّى مكانه ... فما كان وقّافاً ولا طائش اليد .
قليلُ التشكي للمصيبات حافظٌ ... من اليوم أعقابَ الاحاديث في غد .
وطيّب نفسي أنني لم أقلْ له : ... كَذَبْتَ ، ولم أبخل بما ملكت يدي .

٤ – ٥ ٥ الاصمعيّات رقم ٢٨ ، ٣٩ .
الحماسة ٧١٢ ، ٨٢٢ ، ١٧٥٧ .
غ ٩ : ٢ – ٢٠ (١٠ : ٣ – ٤) ، ١٤ : ١٣٤–١٣٦ ، ١٦ : ١٤١–١٤٢ .
بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٣٨ .

---

١ نصحت للذاهبين إلى الحرب الا يفعلوا .
٢ السراة : الوجهاء ، سادة القوم . الفارسي المسرد : الدروع المنسوجة – نسجاً جيداً – ان اعداءكم الفا رجل كاملو عدة الحرب ، أكثر منكم عدداً وسلاحاً .
٣ منعرج اللوي : مستدار الرمل ، اسم مكان – لما وصلنا إلى ذلك المكان قبل أن ندخل المعركة أمرتهم بالرجوع فلم يعرفوا صواب رأيي إلا في اليوم التالي بعد أن هزموا في المعركة .
٤ أنا من قومي لا أعصيهم فان ضلوا ضللت معهم وان اهتدوا اهتديت معهم .
٥ أردى : قتل ، أهلك . الردي : القتيل .
٦ تنوشه : تمزقه . الصياصي جمع صيصة : (المكوك) – كانت الرماح تمزقه بكثرة وبسرعة .
٧ تنفست : تفرقت . الاسودي : الاسود . حالك اللون اسودي : غبار الحرب .

لبيد بن ربيعة

٢ – هو أبو عَقيل لَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كِلاب العامريّ ؛ وأمه تامر بنت زُنْباع من بني عبس ، تزوّجها أولاً جَزْء بن خالد بن جعفر فولدت له عمْراً المعروفَ بلقب أربد ، ثم تزوّجها ربيعة بن مالك فولدت له لَبيداً بين عام ٥٤٠ وعام ٥٤٥م . ثم ان ربيعة قُتل في يوم ذي عَلَق الذي كان قبل يوم شِعْب جَبَلَةَ ، ولَبيدٌ يومَ مقتل أبيه في السنوات الأولى من طفُولته الأولى ، فكَفَله أعمامه وأشهرهم أبو بَراء عامر بن مالك المشهور بلقب مُلاعب الأسِنّة .

ونشأ لَبيد في نعمة من العيش فقد كان أبوه من الأغنياء الكرماء حتّى اكتسب لقب «ربيعة المُقتَرين»[1] و «ربيع المقترين» . ثم نَعِمَ أيضاً بمثل تلك النعمة في كِفالة أعمامه . غير أن تلك النعمة لم تدم طويلاً فقد وقع شقاق بين فرعين من بني عامر فغُلِبَ بنو جعفر ، رهط لَبيد ، على أمرهم ثم تركوا ديارهم في نجد وانتقلوا جَنوباً ونزلوا في أرض كانت خاضعة لليمن .

ويبدو أنه بعد أن انجابت تلك الغُمّة عن رهطِ لَبيدٍ عاد لَبيدٌ وقومه إلى مساكنهم الأولى واتّصل لَبيد بالنعمان بن المنذر أبي قابوس الذي جاء إلى عرش الحيرة نحو عام ٥٨٠ م . وفي بلاط النعمان تعرّض لَبيد لهجاء نفر من الشعراء ، ولكننا لا نعلم المدى الذي جال فيه لَبيد في الردّ على هؤلاء الشعراء .

على أن الجانب المهمّ من حياة لبيد كان في الاسلام .

في جُمادي الآخرة من سنة ٨ هـ (تشرين الأول – اكتوبر ٦٢٩) وفَدَ على الرسول جماعة من بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد أخو لَبيد . ولكنّ الله لم يشرح صدور هؤلاء للاسلام . وقد اتّفق أن توفي عامر بن الطُّفيل بعد أيام ، ثم قُتل أربد بعد بضعة أيام أُخر : قيل سقطت عليه صاعقة فأحرقته ، وقيل بل أكله الكلب (الاسد ، الذئب) .

وفي العام التالي جاء وفد آخر من بني عامر إلى المدينة ، وكان فيهم لَبيد ،

---

١ المقتّر : الفقير ، والذي لا يفي كسبه إلا بشيء يسير من حاجاته .

فأسلم أعضاء الوفد كلّهم في هذه المرة . ولقد أسلم لَبيد وهاجر [1] وسكن في المدينة . ولكنّ اسلامَ لَبيدٍ لم يَحْسُنْ منذ أول الأمر فقد عدّه مؤرخو الاسلام في المؤلَّفة قلوبهم [2] .

ولمّا بُنيت البصرة والكوفة في سنة ١٤ هـ (٦٣٥م) ، في أيام عمر بن الخطّاب ، انتقل لَبيد إلى الكوفة وسكنها وكُتب اسمه في ديوانها ، وكان عطاؤه ألْفَيْ درهمٍ في العام — ولعلّ ذلك كان استمراراً لما كان يتناوله من بيت المال يوم كان في صنف المؤلّفة قلوبهم . وفي الكوفة توفّي لَبيد بين سنة ٣٥ و ٣٨ هـ (٦٦٥ — ٦٦٩م) في أواخر خلافة عثمان بن عفّان .

٢ — لَبيد من شعراء الجاهلية الاشراف المجيدين ، ومن أصحاب المعلّقات باجماع الرواة ، فقد عُدّ في أصحاب المعلّقات السبع [3] . وكان لَبيد في الجاهلية خيرَ شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم ويعدّ أيّامهم ووقائعهم وفرسانهم . وشعره فخم شريف المعاني يدور أكثره على الحماسة والفخر والمديح والرثاء والوصف ، وله معلّقة بدْوية الخصائص . وشعره قصيد ورجَز (البيان والتبيين ٤ : ٨٤) ، وله خطب .

انقسم الرواة والنقّاد في شأن لبيد ، منهم من يزعم أن لَبيداً لم يقل في الاسلام شعراً [4] ، ومنهم من يقول إن شعر لَبيد في الاسلام كان كثيراً .

أجمعت المصادر على أن لبيداً قال في الاسلام (أو لم يقل في الاسلام إلا) :

الحمدُ لله إذ لم يأتِني أجلي ... حتّى اكتسيتُ من الاسلامِ سِربالا .

قالوا فلما بلغ سبعاً وسبعين سنة من العمر قال (غ ١٤ : ٩٤) :

قامت تَشَكّى إليّ النفس مُجْهِشَةً ... وقد حَمَلْتُكِ سبعاً بعد سبعينا ؛
فان تُزادي ثَلاثاً تَبْلُغي أملاً ، ... وفي الثلاث وَفاء للثمانينا .

---

١ انتقل إلى المدينة اقتداء بالرسول والمسلمين الأولين وترك السكنى في البادية .

٢ المؤلفة قلوبهم هم الذين يعطون (بضم الياء وفتح الطاء) شيئاً من المال حتى يسالموا الاسلام (إذا لم يكونوا قد اسلموا) أو حتى يثبتوا على الاسلام .

٣ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨ هـ) ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٥١٧ — ٥٩٧ ؛ شرح المعلقات السبع للزوزني (ت ٤٨٦ هـ) ، دمشق ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .

٤ يقف محمد علي حمد الله في صف هؤلاء . (راجع شرح المعلقات للزوزني ٢٠١ — ٢٠٢) .

ولِلبيدٍ أبيات رَوَوْها عنه بعد أن بلغ التسعين ثم بلغ المائة (غ ١٤ : ٩٤ ، ١٠٠ ، راجع ٩٧) . وله بعد أن جاوز المائة ، فيما رَوَوْا (غ ١٤ : ٩٤، ١٠٠) البيت المشهور :

ولقد سَئِمْتُ من الحياةِ وطولِهـا   وسؤال هذا الناسِ : كيف لَبيدُ ؟

وقُتِلَ أربدُ قبل أن يدخل لبيد في الاسلام ببضعة أشهر فرثاه لَبيدٌ بعدد كبير من القصائد : رثاه بقوله : « ألا ذهب المُحافظ والمحامي » ، وهي قصيدة طويلة (غ ١٥ : ١٣٩) ، ورثاه بقوله (غ ١٥ : ١٣٩ — ١٤٠) :

ما إن تَعَدّى المَنونُ من أحدِ :   لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ !

ثم رثاه بعد ذلك بقصائد **يطول الخبر بذكرها** . ومما رثاه به وفيه غناء قوله : « بَلينا ، وما تبلى النجوم الطوالع » (غ ١٥ : ١٤٠) . ومما رثاه به أيضاً قوله ، **وهي من مختار مراثيه** : « طرب الفؤاد وليته لم يطرب » (غ ١٥ : ١٤٠ — ١٤١) .

ولما حَضَرَتْ لَبيداً الوفاةُ أوصى ابن أخٍ له ، ولم يكن للبيد ولد ذَكَرٌ ، بحُسْن دفنه ؛ ثم أنشد قصيدة طويلة منها :

وإذا دفنتَ أبـاك فـاجْـ   ـعَلْ فوقه خشباً وطينا .

ومن هذه القصيدة سبعة أبيات تغنّى (غ ١٤ : ١٠١) .

بعدئذ أنشد في ابنتيه أبياتاً فيها غناء مطلعها [١] :

تمنّى ابنتاي أن يعيش أبوهما ،   وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر .

إلا أن فيض قريحة لَبيد بالشعر كان في الجاهلية ، أما الشعر الذي قاله في الاسلام ، على كثرته ، فلم يجر على المنهج المـألوف الممدوح يومذاك ، ثم انه جاء عرضاً في حياته : لم يتكسّب به ولم يفاخر ، ولا وقف شعره في سبيل الدعوة الاسلامية ، كما كان شأن حسان بن ثابت وعبد الله بن رَواحة وكعب ابن مالك . بهذا المعنى لا نزال نعد لَبيداً في شعراء الجاهلية .

---

١ غ ١٤ : ١٠١ . راجع في شعر لبيد في الاسلام وما قاله في رثاء أخيه لبيد « الشعر والشعراء » ١٤٩ ، راجع ١٥١ — ١٥٣ ؛ سيرة ابن هشام ٢٤٣ — ٢٤٤ ، ٣٦٦ ، ٩٤٠ — ٩٤٣ .

٣ – المختار من شعره

– من معلّقة لَبيدٍ ، ومطلعها :

عَفَتِ الديارُ مَحلّهُا ومُقامُها   بِمِنَى تأبّدَ غَوْلُها فرِجامُها [١] .

وبعد أن يُسهب لبيدٌ في وصف الاطلال والظعائن ، في خمسة عشر بيتاً ، يتناول الكلامَ على حبيبته نَوار :

بل ما تَذَكّرُ من نَوارَ وقد نأتْ   وتقطّعتْ أسبابُها ورِمامها [٢] .
مُرّيّةٌ حلّتْ بفَيْدَ وجاورتْ   أهل الحجازِ ، فأين منك مَرامها [٣] ؟
فاقطع لُبانةَ من تعرّضَ وصلُه ،   ولَشَرُّ واصلِ خُلّةٍ صَرّامها [٤] .

ثم انه يصف ناقته وطريقه ويطيل إلى أن يتناول الكلام على نفسه :

أقضي اللُبانةَ لا أفرّطُ ريبةً   أو أن يلومَ بحاجة لوّامُها [٥] .
أوَلَمْ تكنْ تدري نَوارُ بأنّني   وصّال عَقْدِ حبائلٍ جَذّامها [٦] .
ترّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرْضَها   أو يرْتَبِطْ بعضَ النفوسِ حِمامها [٧] .
بل أنتِ لا تَدرينَ كم من ليلةٍ   طَلْقٍ لذيذٍ لَهوُها ونِدامها [٨]
قد بِتّ سامَرها وغايةِ تاجرٍ   وَافيْتُ إذ رُفِعتْ وعزّ مُدامها [٩] .

---

١ عفت الديار : امحت آثارها . محلها ومقامها : ما كانت الاقامة فيه قصيرة وطويلة . منى : موضع بحمى ضرية . تأبد : توحش (عاش منفرداً بعيداً عن العمران) . الغول و الرجام جبلان .

٢ الاسباب : الحبال ، الصلات . الرمام جمع رمة : قطعة من حبل متهرئة (تقطعت الصلات القوية والضعيفة) .

٣ مرية : من بني مرة . فيد : اسم مكان . أين منك مرامها (مطلبها) : كيف تستطيع الوصول اليها ؟

٤ استغن عن صداقة الذين يصادقونك لمصلحتهم ثم يقطعونك إذا لم يبق لهم حاجة اليك ؛ وهؤلاء شر الناس .

٥ أقضي الحاجات (أقوم بواجبي) ولا أدع لأحد سبيلا إلى لومي .

٦ نوار تعلم أني قادر على إقامة الصلات متى شئت وعلى جذمها (قطعها) متى شئت .

٧ أو يرتبط بعض النفوس حمامها : أو أموت فلا أستطيع حينئذ أن أترك الأرض (التي لا ترضيني) .

٨ الندام : الندماء ، المنادمة .

٩ سهرت تلك الليلة ، وكنت قد وصلت فاذا تاجر (بائع خمر) قد رفع غاية (راية ، وكان ذلك علامة على بائعي الخمر) . وعز (غلا) مدامها (ثمن خمرها) .

أغلي السِّباء بكل أدْكَنَ عـاتقٍ أو جَوْنة قُدِحَتْ وفُضّ ختامها [1]
باكرتُ حاجتها الدجاجَ بسُحرةٍ لأُعَلَّ منها حين هَبَّ نيامها [2].
ولقد حَمَيْتُ الخيلَ تحملُ شِكّتي فُرُطٌ وِشاحي ، إذ غدوت ، لِجامها [3]؛
حتى إذا ألقتْ يـداً في كافـرٍ* وأجنَّ عَوْراتِ الثُّغور ظَلامها .
أسهلتُ ، وانتصبتْ كجِذعِ مُنيفةٍ جرداءَ يَحْصَرُ دونَها جُرّامها [4] .

وأخيراً يفتخر لَبيد بقومه : بجاههم وكرمهم :

إنّا إذا الْتَقَتِ المَجامعُ لم يَـزَلْ منّا لِزازُ عظيمة جَشّامهـا [5] ،
من مَعْشرٍ سنّت لهم آباؤهم ، ولكلِّ قوم سُنّةٌ وإمامهـا .
لا يَطْبَعون ولا يَبور فِعالهم ، إذ لا تَميل مع الهوى أحلامها [6] .
فاقْنَعْ بمـا قسمِ المليكُ ، فإنما قَسَمَ الخلائقَ بيننا علاّمها .
وإذا الامانةُ قُسِّمَتْ في مَعْشـرٍ أوفى بأعظمِ حَظّنا قَسّامها [7] .
فهُمُ السُّعاةُ إذا العشيرة أُفْظِعَتْ ، وهمُ فوارِسُها وهمْ حُكّامها .
وهمُ ربيعٌ للمجاوِرِ فيهـمُ والمُرْمِلاتِ إذا تطـاول عامها [8] .

---

١ أغلي السباء : أبذل وأزيد في السباء (شراء الخمر) حتى لا يستطيع أحد غيري أن يشتريها . ادكن عاتق : زق (وعاء) خمر أسمر اللون لتقادم الزمن عليه . الجونة : الخابية السوداء (لتقادم الزمن عليها) . قدحت : خرق جانبها (كانت العادة أن تخرق الخابية من جانبها ؛ تحت وسطها ؛ إذ لو فتحوها من رأسها لطار ثاني أكسيد الكربون منها ، وأصبحت الخمرة « شراب العنب ») . فض ختامها : أزيل ما كان عليها من الليف والقار والنسيج مما تلف به الخابية حتى يقل وصول الحرارة إلى جوفها .

٢ شربتها باكراً قبل صياح الديوك . اعل منها : أشرب منها شيئاً بعد شيء .

٣ الشكة : السلاح الكامل . فرط : فرس سريعة تتقدم الخيل في جريها . غدوت : بكرت . وشاحي لجامها أضع لجامها على كتفي (قريباً مني) استعداداً للركوب في كل وقت . * كافر : الليل .

٤ أسهلت (نزلت إلى السهل) وانتصبت فرمي (رفعت عنقها) كجذع (نخلة) منيفة (عالية) . عنق فرسه أجرد (قليل الشعر) يشبه جذع النخلة إذ أصبح مع طوله أملس فيصعب حينئذ على الجرام (جمع جارم : الذي يتسلق النخلة ليقطف ثمرها) .

٥ المجامع جمع مجمع : نادي القوم . — إذا اجتمعت القبائل للتشاور كان منا لزاز العظائم (الذي يتصدى للمشاكل العظيمة) جشامها (الذي يتجشم : يحاول ويعاني) حلها .

٦ يطبعون : يفسدون . يبور فعالهم : لا تهلك أفعالهم (تذهب سدى) .

٧ المليك والعلام من أسماء الله الحسنى . إن الله هو الذي قسم المعايش (والمراتب) بين الخلائق .

٨ أرمل الرجل : افتقر (امتلأ وعاؤه بالرمل لأنه يكون مهملا فيتراكم الرمل فيه شيئاً فشيئاً) . تطاول عامها . طـال الجدب عليها واشتد .

— وقال لَبيد يرثي أخاه أربد :

بَلِينا وما تبلى النجوم الطوالــعُ، وتبقى الديار بعدنا والمصانعُ [1].
وقد كنْتُ في اكناف جار مَضنّــة ففارقني جــار بأرْبَــدَ نافــع .
فلا جزَعٌ إن فرّق الدهر بينَنَــا ؛ فكل امرئ يوماً بــه الدهر فــاجع .
وما النّاس إلاّ كالديار — وأهلها بها يوم حلّوْها وراحوا — بلاقــعُ .
وما المرء إلاّ كالشهاب وضوئــه يحور رماداً بعد إذ هو ساطــع [2].
وما المــال والاهلون إلاّ ودائــعٌ ؛ ولا بُدّ يوماً أن تُرَدّ الودائــع
وما النّاسُ إلاّ عاملان : فعامــل يُتَبّر ما يبني وآخر رافــع [3].
فمنْهم سعيد آخذ بنصيبه، ومنْهم شقيّ بالمعيشة قانع [4].
لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانــع [5].

٤ — معلّقة لبيد (نشرها دي ساسي) ، مطبوعة مع كتاب كليلة ودمنة ، باريس ١٨١٦ م .

ديوان لبيد العامريّ (نشره الشيخ يوسف ضياء الدين الخالدي المقدسي) ، فينّا ١٢٩٧ هـ = ١٨٨٠م .

ديوان لبيد (بتحقيق A. Huber ، نشره بروكلمان) ، ليدن ١٨٩١م .

شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (حقّقه وقدّم له الدكتور احسان عبّاس) ، الكويت ١٩٦٢ م .

• لَبيد بن ربيعة العامري ، تأليف يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٦٤ .

بروكلمان ١ : ٢٩ — ٣٠ ، الملحق ١ : ٦٤ — ٦٥ .

---

١ المصانع : القصور ؛ بناء يجمع فيه الماء .

٢ يكون الشهاب (النيزك) مضيئاً جداً وهو ساقط في طبقات الهواء ، ثم يحترق ويتلاشى . وكذلك الانسان يكون حياً ثم يموت .

٣ يتبر : يهدم ، يدمر . رافع : بان (من يبني) .

٤ بالمعيشة قانع : خامل يكتفي من الحياة بأن يأكل ويشرب وينام .

٥ الطرق بالحصا وزجر الطير من اعمال استطلاع المستقبل . ان هذا كله لا يدل على المستقبل، والله لم يهب علم الغيب لأحد من خلقه .

صَدرُ الإسلامِ الأوّل

ظهور الاسلام ــ عصر الخلفاء الراشدين

في عام ٥٢٥ م (٩٧ ق. هـ.) احتل الاحباش اليمن. وبعد خمسين عاماً سار أبْرَهَةُ الأشرم، والي اليمن من قِبَلِ ملك الحبشة، بجيش كثيف على مكة وحاصرها عام ٥٧٠ م، ولكنّه ارتد عنها منهزماً. وكان في جيش أبرهة فِيَلَةٌ ــ ولم يكن أهل مكّة رأوْا فيلاً في الجيوش من قبلُ ــ فَسَمَّوْا ذلك العام عـام الفيل.

في ذلك العام وُلِدَ محمدٌ بن عبدِ الله بن عبد المطلب بن هاشم في مكّة ونشأ فيها يتيماً، فقد تُوُفِّيَ أبوه قبلَ أن يُولَدَ هو، ثم تُوُفِّيَتْ أمّه وهو في السادسة من عمره. وفي الخامسة والعشرين من عمره تزوج محمد عليه السلام خَدِيجةَ بنت خُوَيْلِدٍ، إحدى مُوسِرات مكة ومن التجار المشهورين فيها. ولمّا بلغ الاربعين من عمره اختاره الله لأداء رسالته وبعثه رسولاً إلى الناس أجمعين.

وصدع محمد صلى الله عليه وسلم بالاسلام ودعـا الناس في مكة إلى توحيد الله ثلاثَ عَشْرَةَ سنَةً من غير أن يزيد المسلمون فيهـا على سبعين شخصـاً كانوا يعيشون في ضيق واضطهاد. ثم أمر اللهُ رسولَه بالهِجْرة إلى يَثْرِبَ فهاجر اليها هو ومن معه عام ٦٢٢ للميلاد، فتلقاه أهل يثرب بالتَرْحاب ودخلوا في الاسلام، ثم غيّروا اسم مدينتهم وجعلوه «مدينة الرسول». ومع الأيام اختصر النـاس الاسم فأصبح «المدينة»[١]. وتعدّ الهجرة إلى المدينة مبدأ للتأريخ الاسلامي.

وفي المدينة أصبح الاسلام دولةً والمسلمون أمةً. وحاول المشركون في مكة بالاتفاق مع يهود المدينة أن يحاربوا المسلمين، ولكن المسلمين انتصروا على أعدائهم

١ يبدو ان الاسم «المدينة» كان علماً على «يثرب» قبل الاسلام، ولكن لم يكن يومذاك مشهوراً.

في معارك كثيرة أشهرها غزوة بدر (سنة ٢ هـ = ٦٢٤ م) وغزوة الخندق (سنة ٥ هـ) وغزوة حُنين (سنة ٨ هـ) . وفي تلك السنة ، ولكن قبل غزوة حنين ، فتح المسلمون مكة وعمّ الاسلام شبهَ جزيرة العرب . وفي سنة ١١ هـ (٦٣٢ م) لَحِقَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بعد أن قضي ثلاثاً وعشرين سنة يؤدي رسالة ربه .

والاسلام بما فيه من عقائدَ وشرائعَ وآدابٍ مُستَمَدٌ من القرآن الكريم . والقرآن الكريم هو مجموع الآيات والسور التي أُوحِيَتْ إلى رسول الله مُنَجَّمةً (متفرقة) في مدى ثلاث وعشرين سنة . أما كلام الرسول الذي كان يشرح تلك العقائد والشرائع والآداب فيُسَمّى الحديثَ .

كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وقائداً وحاكماً ، فلمّا توفي لم يكن للمسلمين بُدٌّ مِنَ اختيار حاكم يقوم على تنفيذ أمور دينهم ثم يقوم بأمور دنياهم ، فبايعوا أبا بكرٍ عبدَالله بن أبي قُحافَة خليفةً عليهم . فقضى أبو بكر سنتين في الخلافة حارب في أثنائهما العرب الذي ارتدوا (أي ثاروا على السلطة المركزية في المدينة) ، وبعث الجيوش للفتح ولانقاذ العرب الذين كانوا يعيشون في العراق والشام تحت نير الفرس والروم . ولم يكن القرآن الكريم مجموعاً فجمعه أبو بكر في مصحف واحد[1] .

وبعد أبي بكر جاء عمر بن الخطاب ومكث في الخلافة عَشْرَ سنينَ فتح العرب في أثنائها العراق والشام ومصر وفارس . وفي أيام عمر اتخذت الدولة الاسلامية شكلها الواضح وأصبحت دولة مرهوبة الجانب . وتآمر الفرس والروم على عمر لأنه أزال امبراطوريتيهما فدسوا اليه أبا لؤلؤةَ المجوسيّ الفارسيّ فقتله (٢٣ هـ = ٦٤٤ م) .

وبعد عمر تولى الخلافة عُثْمانُ بن عفّانٍ الامويّ فاتسعت الفتوح في أيامه

---

١ القرآن هو كتاب الله المثبت في المصاحف . والمصحف هو الصحف (الاوراق) المجموعة المجلدة في كتاب واحد .

كان القرآن محفوظاً في صدور الرجال؛ وكان جميعه مدوناً على الترتيب الموجود حالياً في المصاحف: سورة سورة وآية آية في كل سورة . ولكن كان عند بعض الصحابة سور معدودة وعند بعضهم الآخر سور معدودة أخرى ، ويبدو ان نفراً من الصحابة كان عندهم مصاحف تامة على ترتيب اتفق لهم (راجع الفهرست ، ليبزغ ، ص ٢٤ – ٤٨) . أما الجمع الذي كان في أيام أبي بكر فمعناه ان السور كلها « جمعت » في مصحف واحد على الترتيب الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أقره .

في مصر وليبية وفي البحر . وأعاد عثمان جمع القرآن الكريم ورتّب سوره على النحو الذي هو في المصاحف اليوم . ثم نقم الناس على عثمان لأن قومه بني امية تسلّطوا على الدولة . وحاصر الثائرون عثمان في بيته في المدينة . وحاول عثمان أن يُصلح ما فسد من الأمور فلم يتأتّ له ذلك . واضطرب الأمر عليه فقتله الثائرون (آخر سنة ٣٥ هـ = منتصف عام ٦٥٦ م) ، بعد أن تولّى الخلافة اثْنَتَيْ عشْرَةَ سنَةً .

ثم تولّى الخلافة عليّ بن أبي طالب فاستمر الاضطراب وتوقّفت الفتوح ، بعد أن نَشِبَ الخلاف بين عليّ وبين والي الشام مُعاويةَ بن أبي سُفيان . بعدئذ انقسم أشياع الإمام عليّ أنفسهم فأصبحوا : الشيعةَ (الذين ناصروا الإمام عليّاً ووقفوا موقف العِداء من خصومه) والخوارجَ (الذين عدّوا النزاع بين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وبين والي الشام معاوية بن أبي سفيان نزاعاً سياسياً ثم عادَوْا معاوية وعلياً معاً) . وحاول الخوارج قتل عليّ ومعاوية وعمرَو ابنَ العاص لأنهم كانوا — في رأي الخوارج — سبباً للخلاف بين المسلمين ؛ فلم يتأتّ لهم إلاّ قتلُ عليّ (٤٠هـ = ٦٦١ م) .

المجتمع الاسلامي

الاسلام دين وحركة في وقت واحد ، ولقد عُنِيَ الاسلامُ بِهداية المسلمين وتَزْكِيَةِ نفوسِهم كما عُنِيَ بإصلاح أحوالهم وتنظيم حياتهم العامة في الدولة وتنظيم حياتهم الخاصة في الأسرة .

وكانت أُولى ثَمَرات الاسلام القضاءُ على العصبية القبلية ، ذلك الرباطِ الذي كان في الجاهلية يشد الفرد إلى الفرد ويشد الجماعة إلى الجماعة على أساس من القرابة العِرْقية . ولمّا جاء الاسلام ودخل فيه العرب والعجم والروم والنبيط تبدّل الاسلام بالعصبية الجاهلية التي هي أساس « القبيلة » جامعةً روحية هي « الأمّة » .

قوّض الاسلام الحدود التي كانت قائمة في الجاهلية بين الطبقات الاجتماعية : ألغى الرِقّ وجعل المسلمين إخوة لا فضلَ لأحدهم على الآخر إلاّ بالتقوى . وكذلك شَجَبَ الاسلام الفروقَ الاجتماعية وحاول القضاء عليها بالزكاة : وذلك بأن جعل للفقراء حقّاً في أموال الاغنياء ، فالزكاة في الاسلام ليست صدقة

يتبرع بها الغني للفقير ، بل هي حقّ للفقير يقتضيه من الغنيّ بوساطة الدولة . ثم ان الاسلام حثّ الأغنياء على الصدقات المختلفة فوق ما أوجب عليهم من الزكاة .

أما المؤسّسة الاجتماعية التي تبدّلت تبدّلاً جذرياً فهي الأسرة . فالأب لم يَبْقَ ربّاً للأسرة بمعنى «مالكها» يتّخذ الزوجات كيف يشاء ويبيع أولاده أو يجعلهم رهائنَ عند خصومه أو قَوَداً [1] ، بل بمعنى «القائم على شؤونها» . ونظّم الاسلام الزواج والطلاق بعد أن كانا فوضى . ولم تكن المرأة في الجاهلية ترث ، ولا كان الأب والأمّ يرثان ، فقسَم الاسلام للفتاة نصف ما قسم لشقيقها من الأرث ثم جعل للأبوين نصيباً مفروضاً في ثروات أولادهما .

وحرَص الاسلام على مكارم الأخلاق الشخصية والاجتماعية : فكل ما أدّى إلى ضرر في الفرد أو تخلخلٍ في البيئة الاجتماعية هو في الاسلام حرام أو مكروه على نسبة ما فيه من الضرر . فالكذب والغش والنميمة والخمر والزنا كلها داخلة في هذا الباب . وكذلك العصبية والثأر والحميَّة الجاهلية والاسراف في الكرم والتكبّر وما يشبهها مكروهة كلّها .

وبعد أن شدّ الاسلام الجماعة الاسلامية بأواصرَ من الرحمة والحقوق والدين نظّم علاقاتِهم معَ غيرهم من الأمم والشعوب . ان غير المسلمين في نظر الاسلام قسمان : أهلُ كتابٍ (أصحاب دين سماوي) كالنصارى واليهود ، ثم كفّار (لا كتابَ لهم ، لا دينَ سماوياً لهم) . أما أهل الكتاب فكان لهم حالان يختلفون بهما في الدولة الاسلامية من المسلمين :

(أ) يدفعون جزية مقطوعة (بين دينار وأربعة دنانير في العام حسب درجات غناهم) ثم لا يذهبون إلى الجهاد والفتح .

(ب) ولم يكن أهل الكتاب يَتَوَلَّوْنَ الخلافة ولا القضاء بين المسلمين .

وأما **الكفّار** فكانوا أهل حَرْبٍ أو **دار حرب** ، ولم يكن لهم ، في العصر الذي نعالجه ، مكان في الدولة الاسلامية ، وكان قتالهم واجباً . ويحسن أن نذكر أنه كان في هذا العصر طبقة من **المؤلّفةِ قلوبُهم** (وهم **أفرادٌ** من أهل الكتاب ومن المسلمين أيضاً كانوا يحسّنون سلوكهم في الدولة الاسلامية إذا تناولوا مبالغ من المال) . أما الذين كانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكيد للمسلمين فهم **المنافقون** .

[1] يسمح بقتلهم ثأراً لآخرين قتلوا من خصومهم .

ومعَ ظهور الاسلام اتجه المسلمون اتجاهاً عقلياً جديداً : ابتعدوا عن الخرافات التي كانت لهم في الجاهلية ثم أخذوا بالمنطق والتفكير عند معالجة الأمور واجتهدوا في طلب العلم ، مما نجده مبسوطاً في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف .

وبخروج العرب بالاسلام إلى الفتح بدأ اختلاط العرب بغيرهم من الأمم وبدأت الحياة الحضرية تتسع وترسَخ . ولكن آثار ذلك كله لا تَتضحُ إلاّ في العصر الأمويّ .

القرآن الكريم والحديث الشريف

إن تبدّل خصائص الأدب في الاسلام عمّا كانت عليه في الجاهلية راجعٌ إلى أثر القرآن الكريم والحديث الشريف . **القرآن كلام الله القديم الموجودُ رسُمه في المصاحف** ، وقد أُوحِيَ به إلى مُحمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم مُنَجّماً في ثلاث وعشرينَ سَنَةً ، هي مدة الدعوة الاسلامية من حياة الرسول. وفي **القرآن مائةٌ وأربعَ عَشْرَةَ سورةً** جَمَعَتْ تاريخَ الدعوة والتشريعَ الذي جاء به الاسلام والاسسَ الأخلاقية . وفي القرآن أصدق صورة للحياة الفكرية والاجتماعية والأدبية للعصر الجاهلي . أما **الحديث فهو كلام الرسول** ، وهو شرح وتفصيل لما جاء موجزاً أو مُجْمَلاً في القرآن .

وسُوَر القرآن منها القِصار كسورة الاخلاص ، وهي السورة الثانية عشرة بعد المائة في المصحف : « قُلْ : هوَ اللهُ أحدٌ . اللهُ الصَمَدُ . لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، ولم يكُنْ لهُ كُفُوًاً أحَدٌ » . وكذلك منها الطِوال كسورة البقرة وسورة آلِ عِمْران وسورة النساء ، وهي السور الثانية والثالثة والرابعة في المصحف . وسور القرآن قسمان : سور مكية نَزَلت في مكة وسور مدنية نَزَلت في المدينة . وقد **جَمَعَ القرآنُ أساليب العرب** في الجاهلية وعصر الدعوة بجميع خصائصها ، حتى في الجانب الخيالي منها ، مما دعا العرب إلى أن يقولوا عن القرآن إنه شعر وعن الرسول إنه شاعر . فمن أسلوب القرآن الخطابي المنطوي على وَعيدٍ سورة المَسَدِ التي نزلت في عبد العُزّى بن عبد المطّلب ، عمّ الرسول ، وكان عبد العزّى وامرأته يكرهان الرسول ويؤذيانه (السورة ١١١) : « تَبّتْ يَدا أبي لَهَبٍ وتَبّ . ما أغْنى عَنْه مالُه وما كَسَبَ .

سيَصْلَى ناراً ذاتَ لَهَبٍ . وامرأتُه حمّالةَ الحطَبِ ، في جيدِها حبْلٌ مِنْ مَسَدٍ [1] » .

ومن الأسلوب القصصي الممزوج بشيء من الحوار والوصف حديث نوح وابنه (١١ : ٤١ – ٤٣ ، سورة هود) : « وقالَ اركبوا فيها ، بِسْمِ اللهِ مَجراها ومُرساها ، ان ربّي لَغَفُورٌ رَحيم ، وهي تجري بهم في مَوْجٍ كالجبال . ونادى نوحٌ ابْنَه ، وكان في مَعْزِلٍ : يا بُنيّ ، اركب معنا [2] ، ولا تكنْ مع الكافرين . قال : سآوي إلى جبلٍ يَعْصِمُني من الماء . قال : لا عاصِمَ اليومَ مِنْ أمرِ الله الا مَنْ رَحِمَ ! وحالَ بينهما الموجُ فكان من المُغْرَقين » .

وفي القرآن أيضاً أسلوب مبسوط فيه مناقشة وتحليل كحديث اليهود مع المسلمين الأولين (٢ : ٧٤ – ٧٧ سورة البقرة) : « ثم قَسَتْ قلوبُكم مِنْ بَعْدِ ذلك فَهِيَ كالحِجارةِ أو أشدُّ قَسْوَةً . وإنَّ مِنَ الحِجارة لَمَا يَتَفَجّرُ منه الأنهارُ ، وإنّ منها لَمَا يَشّقّقُ فيَخرُجُ منه الماء ، وان منها لَمَا يَهْبِطُ من خَشْيَةِ الله . وما الله بغافلٍ عمّا تَعْمَلونَ . أفتَطْمَعونَ أنْ يُؤمنوا لكُم – وقد كانَ فَريقٌ منهم يَسْمَعونَ كلامَ الله ثم يُحَرِّفونَهُ من بعد ما عَقَلوهُ وهُمْ يَعْلَمون ؟ وإذا لَقُوا الّذينَ آمَنوا قالوا : آمَنّا . وإذا خَلاَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ قالوا : أتُحدّثونهم بما فَتَحَ اللهُ بِهِ عَلَيْكُم ليُحاجّوكم بِهِ عِنْدَ رَبّكم ، أفَلا تَعْقِلون ؟ أوَلا يَعْلَمونَ أنّ اللهَ يعلمُ ما يُسِرّونَ وما يُعْلِنون ! »

أما الحديث فالغالب أنه رُويَ بمعانيه لا بألفاظه .

أ) من أحاديثه صلى الله عليه وسلم :

– أوتيتُ جَوامعَ الكَلِمِ .
– الخَلْقُ كُلُّهم عِيالُ الله فأحبّهم إليه أنفعُهم لعياله .
– بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق .
– الدالّ على الخير كفاعله ، والدالّ على الشرّ كفاعله .
– لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه .

---

١ المسد : الليف .
٢ تلفظ : اركم معنا (لأن فيها إشماماً بين الباء في « اركب » وميم « معنا ») .

– إنّ من الشعر لَحِكْمةً ، وإنّ من البيان لَسِحْراً .
– الصبر عند الصدمة الأولى .
– إنّ قوماً ركبوا في سفينة فاقتسموا ، فصارَ لكل رجل منهم موضع . فنقر رجل منهم موضعه بفأس . فقالوا له : ما تَصْنَعُ ؟ قال : هو مكاني أصنع فيه ما أشاء ! فان أخذوا على يده نجا ونَجَوْا ، وإن تركوه هَلَكَ وهلكوا .

ب) لمّا خرج رسول الله سنة ٦ هـ (٦٢٨ م) إلى مكة للحج جاءه سُهيل ابن عمرو مبعوثاً من قريش في طلب الصلح (وكانوا يظنون أن الرسول قادم للفتح) . فأملى رسول الله كتاب الصلح على عليّ بن أبي طالب كما يلي :

هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبد الله سُهيلَ بن عمرٍو : اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عَشْرَ سِنينَ يأمن فيهن الناس ويَكُفّ بعضُهم عن بعض . على أن من أتى محمّداً من قُريشٍ بغير اذن وَليّه رَدّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمّد لم يردّوه عليه . وأن بيننا عَيْبَةً مكفوفة [1] ؛ وأنه لا إسلال ولا إغلالَ [2] . وأنه من أحب أن يَدْخُلَ في عَقد محمدٍ وعهدِه [3] دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريشٍ وعهدهم دخل فيه .

جـ – خطبة الوَداع للرسول (من سيرة ابن هشام ٩٦٨ – ٩٧٠) ، سنة ١٠ هـ :

أيّها الناسُ ، اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعدَ عامي هذا بهذا الموقف أبداً . أيّها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ إلى أنْ تَلْقَوْا رَبّكُم كَحُرْمَةِ يومِكم هذا [4] وكحُرْمَةِ شهركم هذا . وانكم ستَلْقَوْنَ رَبّكم فيَسْألُكم عن أعمالكم ، وقد بَلّغتُ . فمَنْ كانت عنده أمانة فَلْيُؤدِها إلى مَنِ ائتمنه عليها ، وان كلّ رِباً موضوعٌ [5] ، ولكنّ لكم

---

١ العيبة : موضع سر الرجل . عيبة مكفوفة : الشر بيننا مكفوف ، موادعة (سلم) ، مكافة عن الحرب .
٢ اسلال ، السرقة (الخفية) . الاغلال : الخيانة .
٣ أن يدخل في الاسلام .
٤ شهر ذى الحجة (شهر الحج) .
٥ ملغى ، باطل .

رؤوسَ أموالِكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمون . قضى الله أنْ لا ربا ، وان ربا عباسِ بن عبد المطّلب* موضوع كلّه ، وان كل دمٍ [1] كان في الجاهلية موضوع ....

أما بعد ، أيّها الناس ، فإنّ الشيطان قد يَئِسَ من أن يُعْبَدَ بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إنْ يُطَعْ فيما سوى ذلك فقد رَضِيَ به مما تَحقِرونه من أعمالكم . أيّها الناس ، ان النَسيءَ [2] زيادةٌ في الكُفر يُحِلّونه عاماً ويُحَرّمونه عاماً ليُواطئوا عِدّةَ ما حرّم الله فيُحلّوا ما حرّم الله ويُحَرِّموا ما حلّل الله ؛ وان الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلَقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ : ان عِدّةَ الشهور عند الله اثنا عَشَرَ شَهْراً منها أربعةٌ حُرُمٌ : ثلاثةٌ مُتَواليةٌ [3] ورَجَبُ مُضَرَ الذي بين جُمادى وشَعبان .

أما بعد أيّها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقّاً ، ولهنّ عليكم حقاً ....

أيّها الناس اسمعوا قولي واعْقِلوه تَعْلَمُنّ أن كل مسلم أخٌ للمسلم ، وان المسلمين إخوةٌ فلا يَحِلّ لأمرئ من أخيه إلاّ ما أعطاه عن طِيبِ نفس منه فلا تَظْلِمُنّ أنفسَكم . اللهمّ هل بَلّغتُ ؟ (فقال الناس) : نَعَمْ ! (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم) : اللهمّ اشْهَدْ !

في المصادر والمراجع :

– إعجاز القرآن ، تأليف أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاّني (تحقيق أحمد صقر) ، القاهرة ١٣١٥ هـ .

– اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تأليف مصطفى صادق الرافعي (طبعة محمد سعيد العريان) ، القاهرة ١٩٤٠ م .

– من بلاغة القرآن ، تأليف أحمد أحمد بدوي ، القاهرة ١٩٥٠ م .

– ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، تأليف محمد بن ابراهيم بن الوزير ، القاهرة ١٩٣١ م .

---

١ دم : ثأر (مطالبة بقتل القاتل) . * توفي سنة ٣٢ هـ .

٢ النسيء : المواطئة (التوفيق) بين السنة القمرية والعام الشمسي بأن يزاد على كل سنة قمرية ثالثة شهر واحد (لأن السنة القمرية تنقص عن العام الشمسي نحو أحد عشر يوماً) .

٣ ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

– القصص الفنّي في القرآن ، تأليف محمد خلف الله ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٧ م .
– مشاهد القيامة في القرآن ، تأليف سيد قطب ، القاهرة ١٩٤٧ م .
– أثر القرآن في تطوّر النقد الأدبي إلى آخر القرن الرابع الهجري ، تأليف محمد زغلول سلام ، القاهرة ١٩٥٢ م .

* * *

– القرآن المجيد (تنزيله وأسلوبه ... الخ) ، تأليف محمد عزّة دروزه ، صيدا وبيروت ، بلا تاريخ .
– عصر النبي وبيئته قبل البعثة ، تأليف محمد عزّة دروزه ، دمشق ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .
– المعجزة الخالدة ، تأليف هبة الدين الحسني الشهرستاني ، بغداد ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م ثم ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م .
– من توجيهات الاسلام لفضيلة الاستاذ شيخ الجامع الازهر محمود شلتوت ، القاهرة ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م .
– بين الاسلام والنُظُم المعاصرة ، تأليف أبي الأعلى المودودي (نقله عن الاردية محمد عاصم الحداد) ، دمشق ١٣٧٥ هـ .
– اشتراكية الاسلام ، تأليف الدكتور مصطفى السباعي ، دمشق ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م .
– الاسلام والتكافل المادي في المجتمع ، تأليف حسن خالد ، بيروت ١٩٥٩ م .
– الاسلام والديمقراطية ، تأليف محمد علي علوبة ، القاهرة ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠م.
– نظرية الاسلام الخلقية ، تأليف أبي الاعلى المودودي ، دمشق ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م .
– الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية ، تأليف أبي الاعلى المودودي (تعريب محمد عاصم الحداد) دمشق ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م .
– الاسلام والعلاقات الدولية (في السلم والحرب) ، تأليف محمود شلتوت ، القاهرة ١٣٧٠ هـ ، ١٩٥١ م .

اق والمنافقون في عهد رسول الله ، تأليف ابراهيم سالم ، القاهرة ١٩٤٨ م .
– السياسة الاسلامية في عهد النبوة ، تأليف عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ....
– قيام الدولة العربية الاسلامية في حياة محمد ، تأليف محمد جمال الدين سرور ، القاهرة ١٩٥٦ م .
– المعاهدات والمحالفات في عهد الرسول ، تأليف حسن خطاب الوزير ، القاهرة ١٩٣٠ م .
– كشف الغمة في مدح سيد الامة (مختصر من سيرة ابن هشام وغيرها) ، تأليف محمود سامي البارودي ، القاهرة ١٣٥٥ هـ .

أثر الاسلام في الأدب

إذا اعتبرنا الشعرَ الجاهليّ كلّه ، لا المعلّقاتِ وحدَها ، رأينا أن الشعر في الصدر الأول من الاسلام لا يختلف كثيراً ، في أسلوبه ، منه في الجاهلية . أما في المعاني والاغراض فقد كان الفرق بين العصرين كبيراً جداً : هجر الشعراء المسلمون الأغراض الوثنية : القَسَمَ بالأوثان ، والكلام في العصبيات ، والفخر بالخمر وبالثأر إلا قليلاً ، ثم أحلّوا مكانها المعانيَ الاسلامية مثل التوحيد والتقوى والجهاد والجنة . أما فيما يتعلّق بالأسلوب خاصة فقد كان للقرآن الكريم أثر ظاهر في الألفاظ والتراكيب . ولقد ساعد القرآن على توحيد لغة المخاطبة بين المسلمين في جميع أقسام شبه جزيرة العرب . ولا ريب في أن هذا الأثر كان يَقْوَى مع الأيام حتى بلغ ما بلغ اليه في أيامنا هذه .

وقلّ الشعر في صدر الاسلام الأول بعوامل كثار (كما سيأتي في الكلام على ازدهار الخطابة) . من تلك العوامل نَهْيُ الرسول صلى الله عليه وسلّم عن رواية الشعر الذي يذكر الاعراض ويثير كوامن الاحقاد ويشيد بالعصبيات والانساب [١] .

في المصادر والمراجع :

في المصادر والمراجع (القرآن الكريم والحديث الشريف) :
– جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لمحمد بن جرير الطبري (محمود محمّد

١ راجع البيان والتبيين ١ : ٢٧٣ ؛ راجع أيضاً تحت ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ .

شاكر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٣٧٤ – ١٣٧٨ هـ .
– الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٣ – ١٩٥٠ م .
– الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ، مصر (بولاق) ١٢٨١ هـ .
– مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي (عني بطبعه أحمد عارف الزين) ، صيداء (مطبعة العرفان) ١٩٣٦ م .
– النشر في القراءات العشر ، لشمس الدين محمد بن محمد الجزري ، دمشق (مطبعة التوفيق) ١٣٤٥ هـ .
– المصحف المفسّر (وضع هذا التفسير محمد فريد وجدي ، وقد استمدّه من أقوال أهل السنّة وأقطاب المفسّرين وجعله خالياً من المصطلحات الفنيّة) ، القاهرة (مطابع الشعب) ١٣٧٧ هـ .
– تفصيل آيات القرآن الحكيم ، وضعه بالفرنسية جول لابوم ونقله إلى العربية محمّد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) بعد ١٩٣٠ م .
– أوائل السور في القرآن الكريم ، تأليف عليّ نصوح الطاهر ، عمّان ١٩٥٤ م .
– غريب القرآن للسجستاني (مصطفى عناني) ، القاهرة (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٢ هـ .
– تحفة الاريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيّان الأندلسي ، حماة (مكتبة عنوان النجاح) ١٣٤٥ هـ .
– اللغات في القرآن لأبي محمد اسماعيل بن عمرو الحدّاد (صلاح الدين المنجّد) القاهرة (مطبعة الرسالة) ١٩٤٦ م .
– المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني . القاهرة (البابي الحلبي) ١٣٢٤ هـ .
– المتوكّلي في ما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتّركية الخ ، للسيوطي ، دمشق (مكتبة القدسي والبدير) ١٣٤٨ هـ .
– الاصل والبيان لمعرّب القرآن ، تأليف حمزة فتح الله ، مصر (مطبعة مصر) بلا تاريخ .
– تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (أحمد صقر) ، القاهرة (دار احياء الكتب

العربية) ١٩٥٨ م .
– معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٩٥٠ م .
– معجم ألفاظ القرآن الكريم (أعدّه مجمع اللغة العربية) ، القاهرة ١٩٥٣ م .
– قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية ، تأليف محمد اسماعيل ابراهيم ، القاهرة (دار الفكر) ١٩٦١ م .
– مجاز القرآن لأبي عبيدة مَعْمر بن المثنّى (محمد فؤاد سزكين) ، القاهرة (الخانجي) ١٩٥٤ م .
– تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضيّ ، طهران (مطبعة مجلس الشورى) ١٣٧٢ هـ .
– تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضيّ ، بغداد (المكتبة العلمية) ١٩٥٥ م .
– لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، القاهرة (البابي الحلبي) ، الطبعة الثانية ١٩٥٤ م .
– الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي جعفر محمد بن أحمد النحّاس ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٧٣ هـ .
– مذاهب التفسير الاسلامي ، تأليف أجنتس جولدتسهر (ترجمة عبد الحليم النجّار) ، القاهرة (الخانجي) ١٩٥٥ م .
– مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٧٢ – ١٣٧٨ هـ .
– ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للرمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني (محمّد خلف الله ومحمد زغلول سلاّم) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٥ م .
– التصوير الفنّيّ في القرآن ، تأليف سيّد قطب ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٥ م .
– الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ، القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٦ هـ .
– تاريخ القرآن ، تأليف أبي عبد الله الزنجاني ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٥ م .

- النظم الفنّي في القرآن ، تأليف عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة (مكتبة الآداب) بعد ١٩٥٠ م .
- نجوم الفرقان في أطراف القرآن (ترتيب فاوغل) ليبزيغ ١٨٤٢ م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٦٤ هـ .

إن كتب التاريخ العامّة وكتب الجغرافية ومجاميع الشعر والنثر وكتب الأدب العامّة التي فيها اشارات إلى الأدب الجاهليّ والشعراء الجاهليين وكتب تاريخ الأدب كلّها مصادر ومراجع لدراسة الأدب المخضرم . ثم يزاد على هذه كلّها الكتب الخاصة بالعصر المخضرم :

- القرآن الكريم .
- فتح الرحمن لطالب آيات القرآن ، ترتيب علمي زاده فيض الله الحسني المقدسي ، بيروت ١٣٣٢ هـ .
- غريب القرآن لأبي بكر السجستاني (صحّحه بدر الدين النعساني) ، مصر ١٩٠٧ م .
- المحكم في نقط المصاحف ، ألّفه أبو عمر عثمان بن سعيد الداني (عني بتحقيقه الدكتور عزّة حسن) ، دمشق (وزارة الثقافة والارشاد) ١٣٧٩ هـ ، ١٩٦٠ م .

- الموطّأ لمالك بن أنس (صحّحه ورقّمه الخ محمد فؤاد عبد الباقي) ، القاهرة (البابي الحلبي) ، ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م .
- كتاب السنّة لأحمد بن حنبل ، مكّة ١٣٤٩ هـ .
- صحيح مسلم .
- سنن ابن ماجة .
- سنن أبي داوود .
- صحيح الترمذي ، بولاق ١٢٩٢ م .

١ الغاية من المصادر هنا ذكر أسماء الكتب التي لا بد من معرفتها من غير استقصاء . ثم ان لهذه المصادر طبعات متعددة أو مشهورة .

- سنن الدارمي .
- سنن النسائي .
- زاد المعاد في هدى خير العباد ... لابن قيّم الجوزية ، القاهرة (المطبعة المصرية) ، بلا تاريخ .
- زاد المسلم في ما اتفق عليه البخاري ومسلم ، جمعه حبيب الله الشنقيطي ، مصر (دار إحياء الكتب العربية) بلا تاريخ .
- اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان (البخاري ومسلم) ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة (البابي الحلبي) .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، القاهرة ١٣٢٩ — ١٣٣٠ هـ .
- عمدة الباري في شرح صيحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد العيني القاهرة (ادارة المطبعة المنيرية) بلا تاريخ .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لشهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٩ — ١٣٢٩ هـ . ثم القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٥٩ م .
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، تأليف جمال الدين محمد بن محمد القاسمي ، دمشق ١٩٢٥ م .
- المسند لأحمد بن حنبل (شرحه ووضع فهارسه أحمد محمّد شاكر) ، القاهرة (دار المعارف (١٩٤٧ — ١٩٥٦ م .
- الجامع الصحيح للبخاري ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٩ — ١٣٢٩ هـ .
- صحيح البخاري ، بولاق (المطبعة الاميرية) ١٣١٤ هـ .
- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ، القاهرة (المكتبة الحسينية المصرية) ١٣٥٢ هـ .
- حسن الأثر في ما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر ، تصنيف محمد بن درويش الحوت ، بيروت (مطبعة الكشّاف) ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م .
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري (ضبطه علي محمد البجاوي ومحمّد أبو الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٥ — ١٩٤٨ م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير ،

القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣١١ هـ .
— تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، القاهرة (مطبعة كردستان العلميـــة) ١٣٢٦ هـ .
— مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ، حيدر آباد الدكن (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٦٢ هـ .
— كتاب الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي ، حيدر آباد الدكن (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٥٩ هـ .
— علوم الحديث لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن صلاح ، حلب (المطبعة العلمية) ١٩٣١ م .
— مفتاح كنوز السنّة (وضعه آرنت يان فنسنك ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي) ، القاهرة (مطبعة مصر) ١٩٣٤ م .
— المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (وضعه أ. ي. ونسنك) ، ليدن ١٩٣٣ — ١٩٥٥ م .
— فتوح البلدان للبلاذري .
— فجر الاسلام ، تأليف أحمد أمين ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، ١٣٥٤ هـ= ١٩٣٥ م .
— الكتاب الكامل لأبي العبّاس محمد بن يزيد المبرّد (رايط) ، ليبزيغ ١٨٧٤— ١٨٩٢ م .
— الامالي لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي ، مصر (بولاق) ١٣٢٤ هـ. ثم القاهرة (دار الكتب) .
— العبر في أخبار من غبر للحافظ الذهبي (بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد) الجزء الأول ، الكويت ١٩٦٠ م .
— معجم الأدباء أو ارشاد الاريب إلى معرفة الأديب ، لياقوت الحموي ، القاهرة (دار المأمون) ١٣٣٩هـ .
— وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ، مصر (بولاق) ١٢٩٩ هـ ، ثم مصر (مطبعة الوطن ، ثلاثة أجزاء) ١٢٩٩ هـ ، الخ .
— بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .

– حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول ، تأليف الدكتور شكري فيصل ، مصر ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .
– المجتمعات الاسلامية في القرن الأول ، تأليف شكري فيصل ، القاهرة ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .
– الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٤٩ م .
– الحياة العربية في المائة سنة الأولى التي مرت بعد وفاة النبي العربي ، تأليف جبرائيل جبور ، بيروت ١٩٣٤ م .
— Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode Umars (1—23 d. H. 622—644 C. E.) Leipzig 1937
– سيرة ابن هشام .
– كتاب الطبقات الكبير ، تأليف ابن سعد كاتب الواقدي .
– أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تأليف عزّ الدين بن الاثير .
– الاصابة في تمييز الصحابة ، تأليف ابن حجر العسقلاني .
– الاستيعاب في معرفة الصحاب لابن عبد البر .
– حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ، الجزء الأول ، تأليف علي فهمي ، استانبول ١٣٢٤ هـ .
– ديوان امرئ القيس ، ومعه أخبار المراقسة في الجاهلية والاسلام ، تأليف حسن السندوبي ، القاهرة ١٩٣٢ ثم ١٩٣٩ ثم ١٩٥٣ م .
– شرح أشعار الهذليين (طبعة كوزيغارتن) ، لندن ١٨٥٤ م .
– مجموعة أشعار الهذليين (اعتنى بنشرها يوسف هل) ، ليبزج ١٩٣٣ م .
– دروس الأدب (عصر النبي والراشدين والأمويين) ، تأليف خلدون الكناني ، دمشق ١٩٤٠ م .
– شعراء النصرانية بعد الاسلام ، تأليف لويس شيخو ، بيروت ١٩٢٤ م .
– الشعراء اليهود العرب ، تأليف مراد فرج ، الاسكندرية ١٩٣٩ م .
– شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه ، تأليف يحيى الجبوري ، بغداد (مكتبة النهضة) ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

– دراسات في الادب الاسلامي ، تأليف محمد أحمد خلف الله ، القاهرة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .
– المحبّر لمحمّد بن حبيب ، حيدر آباد الدكن ١٣٦١ هـ .
– الاسلام والشعر تأليف يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٦٤ م .
– تطوّر الاساليب النثرية ، تأليف أنيس المقدسي ، بيروت (مطبعة سركيس) ١٩٣٥ م . ثم بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٤ م .
– جمهرة خطب العرب ، جمعها أحمد زكي صفوت ، القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٣٣ م .
– الخطابة : اصولها وتاريخها في أزهى عصورها ، تأليف محمد أبي زهرة ، القاهرة ١٩٣٤ م .

* * *

– المدائح النبوية ، تأليف زكي مبارك ، القاهرة (البابي الحلبي) ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م .
– كتاب شرح أشعار الهذليين ، صنعه أبو سعيد الحسن بن الحسين السكّري (حقّقه عبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (دار العروبة) .
– ديوان الهذليين : القسم الأول ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م ؛ القسم الثالث ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م .
– التّمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكّري ، لأبي الفتح عثمان ابن جنّيّ (أحمد ناجي القيسيّ ، خديجة عبد الرازق الحديثي ، أحمد مطلوب) ، بغداد ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م .

النثر والشعر
في صدر الإسلام

إن النثر الذي وصل الينا من الجاهلية نَزْرٌ جداً (فلقد كانَ احتفال الرُّواةِ بالشعر أعظم ، مع أن الشعر الذي وصل الينا من الجاهلية أيضاً لم يكن كثيراً) . وإذا نحن اعتبرنا الفصول (الكلم الجوامع من الجمل القصار) والتوْقيعات (ما كان الخلفاء يُثبتونه من الجمل القصار في أعقاب الرسائل التي ترد اليهم من الولاة ومن سائر الناس ليُجيزوا ما في هذه الرسائل أو ليُبطلوه) ثم قارنّاها بما رُوِيَ لنا من النثر الجاهلي (من الامثال والخطب والوصايا) ثم عرضنا هذه الموازنة على أساليب التعبير عن الاغراض المختلفة في القرآن الكريم ، أدركنا وشيكاً أن هذا النثر الاسلامي الأوّل كان استمراراً للنثر الجاهليّ ؛ وإن كان النثر الاسلاميّ الأول يختلف من النثر الجاهليّ في أمور :

أ — كان هذا النثر الاسلاميّ الذي وصل الينا أكبر مقداراً وأوسع مدى : هنالك ، إلى جانب أحاديث رسول الله ، خطب رسول الله وخطب الخلفاء الراشدين وخطب قادة الجيوش ، بالاضافة إلى الروايات التي حمَلت الينا قَدْراً كبيراً من اللغة والأدب والتاريخ والقَصَص .

ب — ان هذا النثر الذي جاء الينا من صدر الاسلام كان موثوقَ الرواية ثَبْتاً أكثر من النثر الذي وصل الينا من الجاهلية .

ج — ثم ان هذا النثر كان ، بطبيعة الحال ، شديد التأثر في أغراضه وأساليبه بالقرآن الكريم من وجهين : كان في الدرجة الأولى أفصح ألفاظاً وأسهل تركيباً وأعذب تعبيراً ، وأما من الجهة الثانية فقد كان أمتن سبكاً وأبرع دلالة وآنق ديباجة لأن الناثرين كانوا قد تأثروا ببلاغة القرآن الكريم التي كانت تجري في أساليبَ متعدّدةٍ بتعدّد الاغراض من ترغيب وترهيب ، ومن وعد ووعيد ،

ومن سرد وقصص ، ومن وصف وتشريع . ثم ان العرب كانوا قد جعلوا النثر ميدان براعتهم في التعبير عن المقاصد والمعاني ، بعد أن كانوا قد انصرفوا عن الشعر كثيراً أو قليلاً .

د ـ أما الكتابة الفنية فلم يُروَ لنا شيءٌ منها عن الجاهلية ، ولا كان في صدر الاسلام شيء كثير منها ، فيما نَحْسَبُ ، ذلك لأن الرسائل التي وصلت الينا من ذلك العصر كانت في معظمها خُطَباً مُدَوَّنَةً ، وقد كان الفارق بينها وبين الخطب ، في الواقع ، قليلاً جداً .

الخطابة : ازدهارها وخصائصها

يجب أن نلاحظ أن الأدب المخضرم فقد كثيراً من الاغراض والمعاني الجاهلية وتبدّل بها أغراضاً ومعانيَ اسلامية ، أما أسلوبه فبقي جاهلياً في الاكثر . وكذلك قل الشعر في هذا العصر وكثر النثر ، وازدهرت الخطابة .

أما قلة الشعر في هذا العصر فتَرْجِعُ إلى الأسباب التالية :

(أ) سقوط منزلة الشعراء لتكسبهم بالشعر وخضوعهم في سبيل ذلك للممدوحين . قال ابن رشيق (١ : ٦٦) : « كان الشاعر في مبتدأ الأمر أرفعَ مَنْزِلَةً من الخطيب لحاجة (العرب) إلى الشعر في تخليد المآثر وحماية العشيرة. فلما تكسّبوا به وجعلوه طُعْمَةً وتناولوا به الأعراض ، وجعله الأعشى مَتْجَراً، صارت الخطابة فوق الشعر (راجع ١ : ٢٦ ـ ٢٧ ، ٦٤ ـ ٦٥) .

(ب) ان نفراً من الشعراء الذين كانوا لا يزالون على الشرك ، أمثال عبد الله ابن الزِّبَعْرَى وكَعْبِ بن زهير وأبي سفيان بن الحارث*، هَجَوُا الرسول ، فأمر الرسول بترْكِ روايةِ شعرِهم ولَعَنَهم [١] .

(ج) وظل نفر من الشعراء يتعرضون بالهجاء القبلي لخصومهم فيثيرون الاحقاد، أو يفحشون في الغزل فيُلْقونَ العداوة بين الأفراد والأسر ، فمنع الرسول والخلفاء الراشدون القول في هذين الفنين .

(د) وبُهِر العرب ببلاغة القرآن ، وملأت نفوسَهم عقائدُ الاسلام وآدابُه وشَغَلَتْهُمُ الفتوحُ فصرفهم ذلك كله عن قول الشعر وروايته إلا قليلاً .

١ جمهرة اشعار العرب ١٤ . * توفي سنة ٢٠ ه .

وأما **ازدهار الخطابة** فكان لحاجة الاسلام إلى الخطابة ، في سبيل « الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف والنَهْيِ عن المُنكر ... وتحميس الجند » . ثُمَّ حدثت حاجة الخلفاء والأمراء (في الجيش) والولاة اليها لإعلان سياسة الدولة وتبليغ أوامرها . فكان الرسول صلّى الله عليه وسلّم والخلفاء الراشدون وأمراء الجيوش وولاة الامصار والقضاة من الخطباء ضرورة . غير أن بعضهم كان أخطب من بعض ، فعلي بن أبي طالب كان خطيباً موهوباً فوقَ عثمان بن عفّان وعمرَ بن الخطاب ، ولا غَرْوُ فكلام علي يأتي في مراتب البلاغة بعد القرآن والحديث .

واختلفت أغراض الخطابة ومعانيها في الاسلام منها في الجاهلية ، كما اتفق في الشعر . ولكن أسلوبها ظل – كما ظل أسلوب الشعر أيضاً – جاهلياً : قِصَراً في الخطب وايجازاً في الجمل مع شيء كثير من الموازنة وشيء قليل من السجع . يضاف إلى ذلك اقْتباس أو تضمين للامثال والاشعار . وزاد الخطباء في الاسلام الاستشهادَ بآيات من القرآن الكريم وبأحاديث لرسول الله .

وكانت غايةَ الخطابة التأثيرُ البلاغي من طريق الالفاظ والتراكيب التي تمس العاطفة وتذكّر بالمُثُل العليا وتُذْكي شعلةالدين في النفوس **في الجموع الحاشدة لا الاقناع البُرهانيالذي يحتكم فيه المتناظران إلى العقل والمنطق .**

الشعر خاصة

والشعر الذي وصل الينا من صدر الاسلام الأول قليل جداً . وإذا كان من غير المُنْكَرِ أن يكون قسم من ذلك الشعر قد ظلّ جاهليّاً في كل شيء ، فان من غير المستغرب أيضاً أن نجد أن قسماً آخر منه قد أصبح **إسلاميّاً** في أغراضه : قلّ فيه المديح ، وقلّت المبالغة في ذلك المديح ، وكذلك قلّ فيه الهجاء ، ثم قلّ الافحاش في ذلك الهجاء . ومثل ذلك جرى في الغزل والنسيب إلى حدّ . وكَثُرَ في هذا الشعر الاسلامي الأول الرثاءُ للشهداء والتمدّح بالاسلام. وكثر في ذلك الشعر كلّه ضربُ الأمثالِ وإيراد الحكَم والقَصْدُ إلى المواعظ مما يحث على مكارم الأخلاق وعلى التمسّك بالآداب التي كانت مُثُلاً عليا حتّى في أيام الجاهلية . وكلّ ذلك كان تأثّراً بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف . وتطوّر الهجاء القَبَلي من هجاء يوري الأحقاد ويُثير النفوس إلى نقاش سياسي

بين شعراء الاحزاب المختلفين ، يتخلّل ذلك النقاشَ تهديدٌ جاهليّ قديم كقول حسان في توعّد أشياع عليٍّ بعد مقتل عثمان :

لتَسْمَعَنّ وشيكاً في ديارهُمُ : اللهُ أكبرُ ، يا ثاراتِ عُثمانا !

أما الفنّ الشعري الجديد الذي كان بعدَ أن لم يكن فهو فنّ **البديعيّات** (القصائد التي نُظِمت في مديح الرسول) وأشهرها قصيدة : « بانت سعاد » لكَعْبِ بن زهير .

غير أن إنعام النظر في أسلوب شعر المخضرمين يدلّنا على أن الجانب الاقلّ منه كان قد بقي على نسجه المتين الجاهليّ كشعر الُحطيئة وبعض شعر حسّان . أما الجانب الاكبر منه فقد أصبح أضعف نسجاً وأقلّ براعة وأكثر تحلّخلاً لضيق المجال الوُجداني الذي كان للجاهليين من قبلُ : لمّا نهى الاسلام عن المفاخرات والمنافرات ووَزَعَ عن الغزل والهجاء وثبّط عن المبالغة والمغالاة ، فَقَدَ الشعراءُ الميادينَ الرحيبة التي كانوا يُجْرون فيها ألسنتهم في الجاهلية ثم ذهبتِ القيودُ الجديدة بالطرق المعبّدة التي كان الشعراء يسلُكونها في الجاهلية ، وخصوصاً حينما جعل المخضرمون يتكلّفون شق طرق جديدة يَنْهَجون عليها في نظم الاغراض المستحدثة .

النقد

كان النقد في صدر الاسلام ، كما كان في الجاهلية ، آراءً عارضة في محاسن الشعر ومساوئه وفي تقديم بعض الشعراء على بعض ، كما سنرى مثلاً في تحكيم عمر بن الخطّاب لحسّان بن ثابت في نزاع الزِبْرقان بن بدر والحطيئة (راجع ترجمة الحطيئة) . ولم يكن **علم النقد** قد نَبَعَ بعد ، ولا كان النقد نفسه قد بدأ يتناول النثر . إن ذلك كلّه كان من نتاج العصر العبّاسيّ .

الاسلام والشعر خاصّة

زعم نفر من المستشرقين أن الاسلام انتشر بين العرب انتشاراً جغرافياً سياسياً منذ انتصار الاسلام الحربي في شبه الجزيرة ، ولكنّ الاسلام الثقافي لم يجد

طريقه إلى قلوب المسلمين إلاّ في العصر العباسيّ [1] . وقد كانت حُجّتهم أن الشعر العربي الأوّل كان خالياً من الصور الاسلامية المختلفة .

وبالرجوع إلى الشعر العربي يتبيّن أن حجّة المستشرقين لم تكن تستند إلى أساس ، فان الألفاظ الاسلامية والمدارك الاسلامية وجدت طريقَها إلى الشعر العربي منذ الهجرة على الأقلّ . وهذا لا يعني أن المسلمين الذين أسلموا قبل الهجرة ثم اتّفق لهم أن قالوا شعراً لم يظهر أثر الاسلام في شعرهم ، ولكنّ المسلمين قبل الهجرة كانوا قِلّةً ولم يكن ثمّت مناسباتٌ تقتضي قول الشعر كالّتي كانت بعد الهجرة .

ان ديوان حسّان بن ثابت – وقد كان حسّان قد دخل في الاسلام وأصبح شاعراً للرسول منذ أيام الهجرة الأولى – مملوء بالألفاظ والاغراض الاسلامية . ثم ان الاسلام بعد أن أصبح ، بالهجرة من مكّةَ إلى المدينة ، « دولةً » تُرْهِبُ المشركين العرب ، ثار الشعراء من المشركين كعبد الله بن الزِّبَعْرَى وكَعْبِ بن زُهير وأبي سُفيان بن الحارث إلى هجاء الرسول وإلى التعرّض للاسلام . ولقد انبرى الشعراء من المسلمين الأوّلين كحسّان بن ثابت وعبد الله بن رَواحة وكعب بن مالك إلى الردّ على الشعراء المشركين وإلى نُصرة الاسلام . فمنذ السنة الأولى للهجرة نجد أن الشعراء قد أخذوا يستعملون في أشعارهم أسماء الله الحسنى من تلك التي كانت معروفة في الجاهلية ، نحو : الله ، اللهمّ ، رب ، الرحمن الخ استعمالاً اسلامياً . ومنذ العام الثاني للهجرة أخذ الشعراء يُوردون في أشعارهم أسماءً لله لم تعرف قبل نزول القرآن ، نحو : رؤوف ، ذي العرش ، الواهبِ ، الرزاق ، العزيزِ ، الغفور ، الوهّاب ، مولى المؤمنين ، الواحد ، الصّمَد ، عالمِ الغيبِ ، ذي الجلال . ففي السنة الثالثة للهجرة مثلاً قال حسّان بن ثابت :

مُحَمّدٌ ، والعزيزُ اللهُ يُخْبره   بما تُكِنّ سَريراتُ الأقاويل .

وكذلك استعمل حسّان بن ثابت كلمة « رسول » بمَعْنَيَيْها : معناها اللّغويِّ القديمِ ومعناها الاسلامي الجديد في بيتين مُتَوالِيَيْنِ لمّا قال :

---

[1] للتوسع في هذا الموضوع راجع Das Bild des Fruehislâm (انظر قائمة المصادر والمراجع ، ص ٢٥٢) .

ألا أبلــغ ُخزاعيّــاً رسولاً   بأن الذمّ يَغْسِـله الوفاءُ .
وبايعتَ الرسولَ وكان خيراً   إلى خيرٍ ، وأدّاك الثّراء .

ويقول عبد الله بن َرواحة ، والمعنى اسلامي بَحْتٌ :

أنت النبيّ ، ومن يُحْرَمْ شَفاعتَــهُ   يومَ الحساب فـقد أزْرى به القَدَرُ .

وفي السنة الثانية للهجرة قال عبد الله بن جَحْشٍ الاسديّ يُشير إلى حــادث الهِجرة وإلى أن المشركين تآمروا على رسول الله فأذن الله لرسوله بالهجرة من مكّة إلى المدينة (وهو في ذلك يشير إلى ما ورد في القرآن الكريم) :

.... وإخراجُكم من مسجدِ الله أهلَــهُ   لِئَلاّ يُرى لله في البيت ساجد !

الشعراء والخطباء
في صدر الإسلام

يُعرَفُ الأدب في صدر الاسلام الاول ، في عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين ، بالادب المُخَضْرَمِ لأن أهله عاشوا في عصرين فشهدوا الجاهلية والاسلام . أما الشعراء المخضرمون خاصة فهم الذين نظموا الشعر في الجاهلية ثم أسلموا وظلوا ينظمون الشعر . ان لبيداً رجل مخضرم لأنه عاش في الجاهلية والاسلام ، ولكنّ الرواة والنقّاد يَعدّونه في الشعراء الجاهليين لأن الجانب الأوفر والابرع من شعر كان من نتاج الجاهلية ، مع أن القاعدة العامّة كان يجب أن تجعله في المخضرمين . أما الأعشى فانه شاعر جاهليّ لا خلاف في ذلك : انه أدرك الاسلام ونظم في الاسلام شعراً وأعدّ قصيدة يمدح بها رسول الله ، ولكنّه ظلّ مشركاً . وأما كعب بن زهير وعبد الله بن رَواحة والخنساء وأبو ذُؤَيب الهُذَلي ومالك بن الرَّيْب التميمي وحسّان بن ثابت والحُطيئة فهم شعراء مُخَضرَمون عاشوا في الجاهلية ثم لمّا جاء الاسلام أسلموا . وقد قال هؤلاء الشعر في العصرين كليهما . وسنعد في المخضرمين نفراً أدركوا العصر الأموي ولكن معظم نشاطهم كان في عصر الخلفاء الراشدين كالخليل بن أحمد والخنساء والاحنف بن قيس .

عبدالله بن رواحة

١ — هو عبد الله بن رَواحة بن امرئ القيس [١] من بني مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخَزْرج ، وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإِطنابة من الخزرج

١ هو غير أبي شجرة عبد الله بن رواحة بن عبد العزى السلمي (الشعر والشعراء ١٩٧) .

أيضاً . وكان عظيم القدر في الجاهلية سيداً .

أسلم عبد الله بن رواحة وشهد بَيْعة العقبة الثانية (آذار ٦٢٢ م) وكان أحد النقباء الاثني عشر ، ثم عمل على نشر الاسلام في المدينة ، فأصبح عظيم القدر أثيراً عند الرسول . ولقد زاد في مكانته أنه كان يَخُطّ فاتخذه الرسول كاتباً . وكذلك كان شاعراً يرد على المشركين هجاءهم لرسول الله وتهجّمهم على الاسلام .

وكان لعبد الله بن رواحة مقدرة عسكرية ظاهرة . شهد مع رسول الله معركة بدرٍ الكبرى (رمضان ٢ هـ = نيسان ٦٢٢ م) ، ولم يشهد بدراً الصغرى (ذي القعدة من سنة ٤ هـ = نيسان ٦٢٤ م) لأن الرسول استخلفه مكانه على المدينة . ثم شهد معركة أُحُد والخندق والحُديبية وما بعدها حتى استُشهِد في مُؤتة .

في جُمادي الاولى من سنة ٨ هـ (أيلول ٦٢٩ م) جهّز الرسول سريّة [1] إلى مؤتة قوامها ثلاثة آلاف رجل لسبر قوة الدفاع الرومي (البيزنطي) في الشام . وكان الرسول يدرك أهمية هذه الحملة والخطر الذي يمكن أن تتعرض له فجعل لها ثلاثة أمراء (قوّاد) : زيد بن حارثة ، فإن أصيب (قتل) فيكون مكانه جعفر بن أبي طالب ، فان أصيب فعبد الله بن رواحة . واتّفق أن كان هِرَقْلُ امبراطور الروم في البلقاء (شرق الاردنّ) من أرض الشام ، راجعاً من قتال الفرس ، في مائة الف . ثم انضم اليه مائة الف من عرب الشام من بني لَخم وجُذام والقَيْن وبهراء وبَلِيّ . وكان المسلمون قد أصبحوا في مَعان ولم يبقَ لهم مَفَرّ من القتال فانحازوا إلى قرية مؤتة وأقاموا فيها خطوط قتالهم . ولكن القوتين لم تكونا متكافئتين فاستُشْهِد عدد كبير من المسلمين . كما استشهد زيد بن حارثة ثم جعفر بن عبد المطلب ثم عبد الله بن رواحة .

ووجد المسلمون أن لا فائدة من الاستمرار في القتال فأجمعوا على خالد بن الوليد وولّوه عليهم ، فانسحب خالد بمن بقي من الجيش .

٢ — عبد الله بن رواحة من الشعراء والرُجّاز المحسنين المجيدين ، وهو من طبقة حسّان بن ثابت وكعب بن مالك . وقد كان في الجاهلية يناقض قيس

---

١ السرية (بفتح السين وكسر الراء وتشديد الياء)غزوة لم يكن الرسول فيها .

ابن الخطيم ، أما في الاسلام فكان يمدح الرسول ويردّ على شعراء المشركين .

٣ – المختار من شعره

– قال عبد الله بن رواحة يرثي نافع بن بُديل (بالتصغير) ، وقد استُشْهِدَ في بئر مَعونة (٤ هـ) :

رَحِمَ اللهُ نافعَ بن بُديلٍ رحمةَ المُبتغي ثوابَ الجهادِ ؛
صابرٌ صادقٌ وفيٌّ ، إذا ما أكثَرَ القومُ قال قولَ السَّداد [١] .

– وقال يهجو أبا سفيان ، بعد غزوة بدر الثانية (سنة ٤ هـ) :

وَعَدْنا أبا سُفيان بدراً فلم نَجِدْ لميعادِه صِدْقاً ، وما كان وافيا .
تركنا بها أوصال عُتْبَةَ وابنِه ، وعَمْراً أبا جهلٍ تركناه ثاويا [٢] .
عَصَيْتُم رسولَ الله ، أفٍّ لدينكم وأمركِمُ السَّيْءِ الذي كان غاويا .
فاني ، وان عَنَّفتموني ، لَقائلٌ : فِدىً لرسولِ الله أهلي وماليا !
أطعناه لم نَعْدِلْهُ فينا بغيرهِ شِهاباً لنا في ظُلمة الليل هاديا [٣] .

– وقال في أثناء غزوة مؤتة :

جلبنا الخيلَ من أجإٍ وفُرعٍ تُغَرّ من الحشيش لها العُكوم [٤] .
حَذَوْناها من الصوّان سِبْتاً أزَلَّ كأنَّ صفحته أديم [٥] .
أقامت ليلتين على مُعانٍ فأعْقِبَ بعد فَتْرتها جُموم [٦] .

---

١ إذا قال الناس قولا كثيراً (قليل الصواب) قال هو قولا (قليلا) كثير الصواب .
٢ تركنا بها أوصال الخ : قتلنا عتبة بن أبي سفيان . أبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة . ثاوياً : باقياً (ميتاً) .
٣ لم نعدله : لم نعدل به أحداً (لم نجد له شبيهاً) .
٤ أجأ : جبل في بلاد طيء . فرع (بالضم) : مكان قرب المدينة . تغر : تملأ . العكوم جمع عكم : الحزمة أو العدل (بكسر العين) .
٥ حذوناها : جعلنا لها حذاء . السبت : النعل الرقيق . أزل : أملس لا يعلق به شيء . الأديم : الجلد ، الأرض المستوية . – يقول : جعلنا الخيل تسير على أرض من الصوان (الحجارة القاسية الصلبة) (التي يصعب المسير عليها) كأنها تسير على أرض مستوية يسهل السير فيها .
٦ الفترة : الفتور (التعب) . جموم ، يقصد جماماً (بالفتح) : الراحة ، استعادة النشاط .

فرُحْنــا والجيــادُ مُسَوَّمــاتٌ   تَنَفَّسُ من مَناخرها السَّموم[1] .
فلا وأبي ، مـآبُ لَنَـأتينّهـا ؛   وان كانت بها عرب وروم .
فعبّـأنا أعِنتّهـا فجـاءت   عوابسَ والغُبار لها بَرِيم[2] ،
بذي لَجَبٍ كأنّ البَيْض فيـه   إذا برزت قَوانِسُها النجوم[3] .
فَراضِيَةٌ المعيشةِ طَلّقَتْهـا   أسنّتُنا فتَنْكِحُ أو تَئيمُ[4] .

٤ — ** شاعر على سرير من ذهب ، تأليف محمد جميل سلطان ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٩٤٩ م .

أبو بكر الصّدّيق

هو أبو بكر عبد الله بن أبي قُحافة[5] بن عـامر بن كعب بن سعد ابن تَيم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ من فِهر من قريش . وأمه أم الخير سَلمى بنت صخر بن عامر قُرَشية تَيْمية .

وُلِدَ أبو بكر عام ٥٥ ق. ه. (٥٦٨ م) في مكّة في أسرة وجيهة فشبّ ذا مكانة في قومه عارفاً بالانساب مسموع القول . وكان يعمل في التجـارة ، ولذلك كان على شيء من اليَسار . أما في صفاته الجسمانية فكان مديداً أجْنـأ (مائل الظهر) نحيفاً معروق الوجه حادّ الوِسام غائر العينين ناتئ الجبهة . وأما في نفسه فكان مُحبّباً إلى الناس سهلَ المعاشرة حسن المجالسـة ذا خلـق ومعروف .

---

١ — مع أن خيلنا مسومة (معدة للحرب ومعودة الحرب) فان نفسها أصبح حاراً (تعبت) .

٢ فعبأنا أعنتها : رتبنا صفوفها للحرب (العنان : الرسن ، اللجام) . البريم ما كان له لونان : أكدر. — كثر غبار الحرب على الخيل حتى تبدل لونها .

٣ اللجب : كثرة الصوت . بذي لجب : في جيش كثير العدد تحدث فيه أصوات كثيرة . البيضة : الخوذة ، حديد يلبس في الرأس . القوانس : أعلى البيض . — قوانسها تلمع كأنها النجوم (لاشتداد الظلام من كثافة غبار الحرب) .

٤ — رب امرأة (من الاعداء) كانت راضية بمعيشتها مع زوجهـا فجئنا نحن فسبيناها أي أسرناها (إذا كانت شابة) ثم تزوجناها ؛ أو قتلنـا زوجها فأصبحت أيمـا (أرملة) ، إذا كانت مسنة .

٥ كان اسم أبي بكر قبل الاسلام « عبد الكعبة » فسماه الرسول « عبد الله » . وأبو قحافة اسمه عثمان .

لمّا نزل الوحي على الرسول كان أبو بكر أسرعَ الناس إلى الاسلام ، بعد خديجة وعلي بن أبي طالب . ثم انه مضى يدعو أصحابه إلى الاسلام ، فأسلم على يديه عُثمان بن عفّانٍ وطلحة بن عُبيد الله والزُبير بن العوّام وسعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن عوف . ولمّا كان الإسْراء [1] ، في السنة الأولى قبل الهجرة ، صدّق أبو بكر الرسول كلَّ ما قاله الرسول فسمّاه الرسول « الصدّيق ». ولمّا كانت الهجرة خرج الرسول بصحبة أبي بكر مُتَخَفِّيَيْنِ واختبأا في غار ثَوْرٍ [2] ريثما يهدأ عنهما الطلب . واتفق أن مرّ المشركون بالغار فاستشعر أبو بكر شيئاً من الخوف منهم ، ففي هذه المناسبة نزل قوله تعالى [3] : « إلاّ تَنْصروه فقد نَصَره الله إذْ أخرَجه الذين كفروا ثانيَ اثْنَيْنِ ، إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه : لا تَحْزَنْ ، إن الله معنا . فأنزل الله سكينتَه عليه وأيّده بجنود لم تَرَوْها .... »

وبعد وفاة الرسول اختار المسلمون أبا بكر خليفة فقضى في الخلافة سنتين من ١١ إلى ١٣ للهجرة (٦٣٢ – ٦٣٤ م) فحدثت في أيامه الرِدّةُ (عصيان العرب على السلطة المركزية في المدينة) فأخمدها بسرعة ورد العرب إلى الطاعة . وفي أيامه بدأت الفتوح في العراق والشام . وأبو بكر هو أول من جمع القرآن في مُصْحَفٍ واحد ، وقد كان قبل ذلك متفرقاً في الصحف عند نفر من الصحابة وفي صدور القرّاء .

المختار من كلامه

– خطب أبو بكر الناسَ يومَ تولّى الخلافةَ فقال :

أيها الناسُ ، إنّي وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتموني على حق فأعينوني ، وان رأيتموني على باطل فسدِّدوني . أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم ، فإذا عَصَيْتُه فلا طاعةَ لي عليكم . ألا ان أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذَ الحقَّ له ، وأضعفكم عندي القويُّ حتى آخذ الحق منه .

---

١ الاسراء هو انتقال الرسول ذات ليلة من مكة إلى القدس ، قال قوم بالروح ، وقال آخرون بالروح والجسم معاً .   ٢ جنوب مكة .
٣ ٧ (التوبة) : ٤٠ .

– ومن خطبة له يوم السقيفة (يوم انتخابه) وقد أراد الأنصار أن يكون الخليفة منهم :

.... وأنتم ، يا معشرَ الانصار ، من لا يُنْكَرُ فضلُهم في الدين ولا سابقتُهم في الاسلام : رَضِيَكُمُ الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل اليكم هِجرته . وفيكم جُلّة [1] أزواجه وأصحابه . فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم أحد . فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء : لا تُفتاتون [2] بمشورة ولا تُقضى دونكم الأمور .

** ابو بكر الصديق ، تأليف محمد حسين هيكل ، القاهرة (مصر) ١٩٤٣ م .

– عبقرية الصدّيق ، تأليف عباس محمود العقاد ، القاهرة (المعارف) ١٩٤٣ م، ثم ١٩٥١ م .

– أبو بكر ، تأليف الشبراوي المرسي عبد الله ، القاهرة (الاعتماد) ١٩٥٨ .

الحصين بن الحمام المرّى

١ – هو الُحصين بن الُحمام المُرّي بن ربيعة بن مُساب بن حَرام بن وائل ابن سهم بن مرّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبيان ، كان سيّد بني سهم ومقدّمهم ، وقد لُقّب « مانع الضيم » ، وكان من أوفياء العرب ؛ إلاّ أنه كان في الجاهلية ممن يُدمنون شرب الخمر . ويبدو أن الحصين بن الحمام كان من معاصري النابغة الذبياني ثم أدرك الاسلام وكان من صَحابة رسول الله . وكان للحصين ابن أدرك خلافة معاون بن أبي سفيان .

ويبدو أن الحصين بن الحمام لم يعش في الاسلام طويلاً ، فقد توفّي في بعض أسفاره ، ولعلّ وفاته كانت في مطلع خلافة عمر .

٢ – الحصين بن الحمام من الشعراء المُقِلّين ، ولكن من المشهورين المجيدين . وشعره وجداني متين أكثره في الفخر والحماسة ، وفي عتاب قومه . وله شيء من الرثاء . وفي شعره المتأخر معانٍ اسلامية .

---

١ معظم ، أكابر .

٢ لا يفتات (بالبناء للمجهول) : لا يعمل (شيء) دون أمره (القاموس ١ : ١٥٤) .

٣ – المختار من شعره

– كان يوم « دارة موضوع » بين بني سعد بن ذبيان وبين بني سهم بن مرّة ، وكان الحصين بن الحمام قائد بني سهم . فلمّا انتصر في ذلك اليوم قال :

جزى اللهُ أفناءَ العشيرةِ كلِّها بدارةِ موضوعٍ عُقوقاً ومأثما [١] .
ولمّا رأيت الوُدَّ ليسَ بنافعي ، وان كان يوماً ذا كواكبَ مُظلما [٢] ،
صبرنا – وكان الصبر فينا سَجيّةً – بأسيافنا يقطعن كفّاً ومِعْصما :
يُفلّقْنَ هاماً من رجالٍ أعزّةٍ علينا ، وهم كانوا أعقَّ وأظلما ؛
وجوهُ عدوٍّ ، والصدورُ حديثةٌ بُودٍّ ، فأوْدى كلُّ ودٍّ فأنعما [٣] .
فَلَيْتَ أبا شبلٍ رأى كرَّ خيلِنا وخيلِهِمُ بين الستار فأظلما [٤] ،
عشيّةَ لا تُغني الرِماح مكانَها ولا النُبلُ إلا المَشْرَفِيّ المُصَمِّما [٥] ،
لَدُنْ غَدْوَةَ حتّى أتى الليل ، ما ترى من الخيل إلا خارجيّاً مُسَوّما [٦] .
عليهن فِتْيانٌ كساهم مُحَرِّقٌ ، وكان إذا يكسو أجاد وأكرما [٧] ،
صفائحَ بُصْرى أخلصَتْها قيونُها ومُطّرِداً من نسج داوودَ مُبْهَما [٨] .

---

١ هو يلوم العشيرة كلها لأن بعض أقسامها يقاتل بعضها الآخر .

٢ كان يوماً مظلماً بغبار الحرب حتى أصبح ذا كواكب (حتى بدت فيه الكواكب نهاراً لتكاثف الغبار واشتداد الظلام من ذلك) .

٣ أودى كل ود فأنعما : ذهب الود من الصدور فانعما (ابتعد كثيراً) .

٤ أبو شبل : مليط (بالتصغير) بن كعب المري . الستار وأظلم : موضعان .

٥ – لم ينفع في ذلك اليوم (الحرب) الرماح ولا النبال ، ولم ينفع إلا السيف المصمم (الذي يصل إلى العظم ويقطع فيه) .

٦ الخارجي : الحصان الشديد الكريم (من غير أن يكون معروف النسب في الخيل) . المسوم : المعلم بعلامة الحرب (الدال على الذي يملكه) لشجاعة فارسه ولقلة مبالاة فارسه بأعدائه . – لم يبق صابراً في هذه الحرب إلا الرجال الشجعان والخيل القوية .

٧ محرق : لقب لعدد من ملوك العرب ؛ آل محرق : المناذرة .

٨ صفائح بصرى : سيوف عريضة كانت تصنع في مدينة بصرى بالشام . أخلصتها قيونها : أجاد صانعوها في صنعها . المطرد : الدرع . من نسج (صنع) داوود (ان داوود كان بارعاً في صنع الدروع) . مبهم : لا عيب فيه .

يهزّون سُمْراً من رماحِ رُدَيْنةٍ … إذا حُرّكتْ بَضّت عواملُها دما [1] .
تأخّرتُ أستبقي الحياةَ فلمْ أجِدْ … لنفسي حياةً مثل أن اتقدّما .
فلسنا على الاعقاب تدمى كُلومُنا ، … ولكن على أقدامنا تقطر الدما
ولست بمبتاعِ الحياةِ بسُبّةٍ ، … ولا مُبْتَغٍ من رهبة الموت سُلّما [2] ،
ولكن خذوني أي يومٍ قَدَرْتُمُ … عليّ ، فحزّوا الرأس أنْ أتكلّما [3] .
بآيةِ أني قد فَجَعْتُ بفارس … إذا عرّد الاقوامُ أقبل مُعْلَما [4] .

— وقال في الفخر والحماسة :

وقافيةٍ غير أُنسيّةٍ … قَرَضْتُ من الشعر أمثالَها [5] ،
شرودٍ تَلَمّعُ في الخافقين ؛ … **إذا أُنْشِدَتْ قيل : من قالها [6] ؟**
وحيرانَ لا يهتدي بالنهار … من الظَّلْع يَتْبَعُ ضُلاّلَها [7] .
وداعٍ دعا دعوة المُسْتغيثِ … فكنت كمن كان لَبّى لها .
إذا الموت كان شَجاً في الحلوقِ … وبادرتِ النفسُ أشغالها ،
صبرتُ ولم ألْكُ رِعديدةً ، … ولَلصبْرِ في الرَّوْعِ أنجى لها [8] .
ويومٍ تَسَعّرُ فيه الحروبُ … لَبِسْتُ إلى الروع سِربالها [9] :

---

١ السمر جمع أسمر : الرمح الجاف النحيل . ردينة : قيل هي امرأة كانت بالبحرين تجيد تثقيف (تقويم) الرماح . العامل : الحديد في أعلى الرمح . بضت : سالت ، سال منها . والبيتان التاليان من حماسة أبي تمام .

٢ السبة : العيب والعار والمذمة .

٣ — إذا وجدتموني في مكان فخذوني فحزوا رأسي (اقتلوني) حتى لا أتكلم (أهجوكم) .

٤ بآية : بعلامة . فجعت بفارس : فجعتكم (قتلت) فارساً منكم . عرد : هرب . أقدم معلما : كر ، هجم غير ملثم (لا يبالي بأعدائه لأنه شجاع) .

٥ قافية : قصيدة . غير أنسية : خارجة عن طاقة البشر ، نظمتها بالهام من الجن . قرضت من الشعر أمثالها : قلت قصائد كثيرة بارعة مثلها .

٦ شرود : سائرة على الألسن ، مشهورة ؛ أو هي (قافية) شاردة تنزل في آخر البيت من تلقاء نفسها . قيل: من قالها : تعجباً من جودتها وبراعتها .

٧ الظلع : العرج ، ومجازاً الميل مع الهوى وغير الحق .

٨ الرعديدة : الجبان . وللصبر في الروع أنجى لها : إذا صبر الانسان في موطن (الروع الخوف ، في الحرب) كان أقرب إلى النجاة مما لو خاف واضطرب .

٩ تسعر : تضطرم ، تشتد . سربالها : ثوبها (الدرع السيف) .

مُضعّفةَ السَردِ عــاديّةٌ ... وعَضبِ المضاربِ مِفْصالها[1] .
ومُطّرِداً من رُدينيّـــةٍ ... أذودُ عنِ الوِردِ أبطالها[2] .
فلم يبقَ من ذاكَ الا التّقى ... ونفسٌ تُعـالج آجالهـا ،
أمورٌ من اللهِ فوق السماء ... مقاديرُ تَنْزِلُ أنزالهـــا .
أعوذ بربّي من المخـزيـا ... ت يوم ترى النفس أعمالها[3] ،
وخفّ الموازينُ بالكافرين ... وزُلْزلَتِ الأرضُ زِلْزالها .
ونادى مُنادٍ بأهل القبور : ... فهبّوا لتُبْرِزَ أثقالهـا ،
وسُعّـرَتِ النارُ فيها العذابُ ... وكــان السلاسلُ أغلالهــا !

٤ — ** الاغاني ١٤ : ١ — ١٦ .

عبد الله بن الزِبَعْرَى

١ — هو أبو سعد عبد الله بن الزِبَعْرَى بن قيس بن عَدِيّ بن سعد بن سهم من بني كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهر القُرَشيّ ، كان شديداً على المسلمين يهجوهم ويحرّض المشركين عليهم . لمّا فتح الرسول مكّة (٨ هـ) هرب عبد الله ابن الزبعرى إلى نجران (اليمن) فهجاه حسّان بن ثابت وعيّره . عندئذ عاد ابن الزبعرى إلى الحجاز وأسلم فقبل النبي اسلامه وأمّنه .

وكانت وفاة عبد الله بن الزبعرى في خلافة عمر ، سنة ١٥ هـ (٦٣٦ م) في الاغلب .

٢ — كان عبد الله بن الزِبَعْرَى أحد شعراء قريش المعدودين (غ ١٤ : ١٧٩) وأبرعَ شعراء مكّة (طبقات الشعراء ٥٧) . وشعره في المديح والهجاء وبعض الحكمة ، وفيه شيء من المقدرة وشيء من العذوبة والسهولة .

---

١ مضعفة السرد : درع منسوجة طبقتين . عادية : قديمة من أيام عاد ، دلالة على جودتها ومتانتها حتى تبقى مثل هذه المدة الطويلة . عضب المضارب : سيف قاطع . مفصالها : يقطع أو يفصل العضو الذي يصيبه .

٢ ومطرد : (هنا) رمح . ردينية (راجع ص٢٦٧ ، الحاشية١) . أذود عن الورد أبطالها : أمنع أبطال الحروب من الورد (شرب الماء) لشدة قتالي لهم .

٣ يوم القيامة .

٣ ـ المختار من شعره

ـ لعبد الله بن الزبعرى أبيات تغنّى (غ ١٤ : ١٧٧ ـ ١٧٨) :

يا غرابَ البين ، أسمعتَ فقُلْ ، إنّما تَنْطِقُ شيئاً قد فُعِلْ .
انّ للخير وللشرّ مَدىً ، لكلا هذين وقت وأجَلْ .
كلّ بؤس ونعيم زائلٌ ، وبنات الدهر يَلْعَبْنَ بكُلّ ،
والعَطيّاتُ خِساس بيْنَهم ؛ وسواء قبر مُثْرٍ ومُقِلْ !

ـ وقال يمدح أبا ربيعةَ حُذيفة بن المغيرة (جدّ عمر بن أبي ربيعة) ، وكان أبو ربيعة يسمّى ذا الرمحين لأنه قاتل يوم عكاظ برمحين (غ ١ : ٦١ ـ ٦٢) :

ألا لله قومٌ و لدت أختُ بني سهمٍ :
هشامٌ وأبو عبد مَناف مِدْرَهُ الخصم[١] .
وذو الرمحين أشباكَ على القوّة والحزم[٢] .
فهذان يذودانَ ، وذا من كَثَبٍ يرمي[٣] .
أسودٌ تزدهي الأقرا ن مَنّاعون للهَضْم[٤] .
وهم يومَ عكاظَ مَنعوا الناس من الهَزْم ...

٤ ـ * * الاغاني ١ : ٦١ ـ ٦٤ ، ١٤ : ١٧٧ ـ ١٧٩ .

ابو خِراش الهُذَليّ

١ ـ هو خُويلد بن مُرّة أحد بني قِرد بن عمرو بن مُعاوية بن تميم بن سعد بن هُذيل ، واسم أمه لُبنى .

كان أبو خِراش فارساً في الجاهلية فاتكاً وعدّاء لا تدركه الخيل ، وكان له إخوة سبعة (وقيل تسعة) كلّهم عدّاءون شعراء ، وقد فَرَطوا أمامه (ماتوا قبله) . وتأخّر أبو خراش في الدخول في الاسلام ثم أسلم وحَسُنَ اسلامه ،

١ المدره : الخطيب القدير والمتكلم عن القوم (الذي يغلب الخصوم) .
٢ أشباك : حسبك ، يكفيك .
٣ يذود : يدافع . كثب : قرب أو بعد (ضدان) .
٤ تزدهي الاقران : تستخف بهم . الاقران : الأنداد الابطال . الهضم : الظلم ، سلب الحقوق .

ووفد على عمر بن الخطّاب . في ذلك الحين كان قد أسن جداً ، ولم يكن قد بَقِيَ له من أولاده إلا خراش فخرج غازياً إلى الشام ، فقال أبو خراش في ذلك :

ألا من مُبلِغٌ عنّي خِراشاً، وقد يأتيك بالنبأ البعيدُ [1] .
ألا فاعلمْ ، خِراشُ ، بأن خير الـ ـمُهاجر بعد هِجرته زهيد [2] .
فإنك وابتغاءَ البِرّ بعدي كمخضوب اللّبان ولا يَصيد [3] .

فكتب عمر بن الخطّاب بأن يُرَدّ خراشٌ على أبيه ، وألا يُقْبَلَ بعد ذلك في الغزو من كان له أبٌ شيخ ، إلاّ بعد أن يأذن له أبوه (غ ٢١ : ٦٩).

وكانت وفاة أبي خراش في خلافة عمر بن الخطاب نَهشَتْه حيّة في ساقه ليلاً بينما كان يملأ ماء لضيوف يمانيين نزلوا عنده .

٢ ـ أبو خراش شاعر فحل من المخضرمين وأحد حكماء العرب (الكامل ٧١٣) ، وشعره على سهولته متين . ولأبي خراش من الفنون فخر وحماسة ومديح ورثاء وهجاء ، الا أن أكثر شعره الرثاء .

٣ ـ المختار من شعره

ـ وقعَ عُروة بن مُرة (أخو أبي خراش) وخراش بن خويلد (ابن أبي خراش) في الأسر ، واتفق أن آسرِيهما قتلوا عروة وأطلقوا سَراح خِراش ، فقال أبو خراش في ذلك :

حَمِدتُ إلهي بعدَ عُروةَ إذ نجا خِراشٌ ، وبعضُ الشر أهونُ من بعض.
فوالله ، ما أنسى قتيلاً رُزِئتُه ، بجانب قُوسى ، ما مَشَيْتُ على الأرض [4] .
على أنها تَعفُو الكلوم ، وإنّما نُوَكَّل بالادنى وإن جَلَّ ما يمضي [5] .

١ ـ وقد يحمل اليك الخير رجل بعيد (ليس من قرابتك أو قومك) .
٢ بعد هجرته : بعد الهجرة إلى المدينة (والضمير في « هجرته » يعود على الرسول) .
٣ ـ تركتني ، وأنا عاجز محتاج إلى عونك ، وذهبت إلى الغزو تحسب أن في ذلك برا (طاعة الله) . ان لك اسم الغزو من غير ثوابه ، كالكلب الذي يتلوث صدره بالدم من غير أن يكون قادراً على المجيء بالطريدة .
٤ قوسى : المكان الذي قتل فيه عروة .
٥ تعفو الكلوم : تمحى آثار الجروح (ينسى الانسان مصائبه) كلها ؛ ولكن الانسان يتألم للمصيبة الحاضرة وإن كانت أصغر من المصيبة التي مضت (ونسيها الانسان) .

ولم أدرِ من ألقَى عليه رداءه ، على أنه قد سُلّ عن ماجدٍ مَحْض[1] .

— كان زهير بن العجوة يوم حنين (سنة ٨ ﻫ ، ٦٣٠ م) مع المشركين فأسر ثم تولّى قتله جميل بن معمر[2] ، فقال أبو خراش (قبل أن يسلم) يرثي زهيراً ويتهدد قريشاً (المسلمين) :

أفي كل مُمسى ليلة أنت قائل من الدهر : لا تَبْعَدْ ، قتيلَ جميل !
فما كنت أخشى أن تنالَ دماءنا قريشٌ ولمّا يُقْتلوا بقتيلِ[3] .
وأبرحُ — ما أُمِّرتمُ وملَكتُمُ — يدَ الدهرِ ، ما لم تُقتلوا ، بغَليل[4] .

— وقال أبو خراش لما نهشته الحيّة في ساقه ، يرثي نفسه ويذكر أن الحيّة قد نهشته في أحسن موضع من جسمه ، لأنه كان عدّاء سريع الجري :

لعمرُكَ والمنايا غالباتٌ على الانسان تَطْلُع كلَّ نَجْدِ ،
لقد أهلكتِ — حيّةَ بطن أنْفٍ — على الاصحاب ساقاً ذاتَ فَقْدِ[5] .

٤ — ** الاغاني (الساسي) ٢١ : ٣٨ — ٤٨ .

العبّاس بن مِرداس

١ — هو ابو الهيثم العبّاس بن مِرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس من بني سُليم بن منصور ، وأمه زَنجيّة . وكان العباس فارساً شجاعاً سيداً في قومه ، وشاعراً مشهوراً . وقد هاجى في الجاهلية ابن عمه خُفاف بن نُدبة ، ثم تمادى الهجاء بينهما حتّى احتربا وكثُر القتلى من أنصارهما .

لما اتسعت الدعوة في بلاد العرب سار العباس بن مرداس في تسعمائة رجل من قومه لِيَفِدَ على الرسول ، فعلم أن الرسول قد توجّه إلى فتح مكّة فلحق

١ مر رجل من بني أسد شنوءة بعروة مقتولا فخلع رداءه وألقاه على جثة عروة . فقال أبو خراش : لم أعلم من كان ذلك الشخص ، ولكني أعرف أنه رجل نبيل جداً .

٢ هذا غير الشاعر العذري جميل بثينة (بن معمر) .

٣ و ٤ — ما كنت أنتظر أن يقتل أحداً منا أحد من بني قريش (إذ لا ثارات شخصية بيننا) . أما الآن فأنا سأظل حاقداً حتى آخذ ثأري منكم .

٥ سيحتاج إلي أصحابي غداً ويحتاجون إلى ركضي فلا يجدونني . حية بطن أنف : يا ايتها الحية التي نهشتني في وادي بطن أنف (بفتح الهمزة) .

به وأدركه في كُديد ، وهو ماء في منتصف الطريق بين المدينة ومكة ، فأسلم ومن معه وانضموا إلى جيش الرسول واشتركوا في فتح مكّة . ويبدو أن إسلام العباس كان ، في أول الأمر ، سياسياً فإنه بقي مدة في عِداد المؤلّفةِ قلوبُهم، ثم حَسُن إسلامه .

وريع المشركون بعد فتح مكّة وساروا لقتال المسلمين برئاسة بني هَوازن ، هوازنِ ثَقيفٍ أهل مدينة الطائف ، ثم لَقُوا المسلمين ، في وادي حُنين وهم راجعون من فتح مكة . وكان المشركون أكثر عدداً وقد سبقوا إلى الوادي وهيّأوا فيه أماكنهم للقتال . ولمّا توسّط المسلمون الواديَ باغتهم المشركون من كل مكان وهزموهم . ولكن الرسول استطاع أن يثبّت المسلمين ويردهم إلى ميدان المعركة ، فانهزم المشركون هزيمة منكرة (٨ هـ = ٦٣٠ م) .

وانقلب المشركون المنهزمون إلى مدينة الطائف واستعدوا فيها للقتال من وراء الجدران . ولم يُضِعِ الرسول وقتاً ، بل لحق بالمشركون إلى الطائف وحاصرهم فيها نحو عشرين يوماً ورمى جدارها بالمنجنيق حتى خرقه . ولكن المسلمين لم يستطيعوا فتح الطائف فعادوا عنها .

وتوقّف الرسول في الجِعرانة ، بين الطائف ومكة ، ليقسم الغنائم ، ووافق ذلك وصولُ وفد من هوازن يستشفع إلى الرسول ويرجو رد السبي والغنائم عليهم . ورجا الرسول أن يكون في ذلك تأليفاً لقلوبهم فيُسْلموا فاستجاب لهم . فأطاع المهاجرون والانصار وبنو سُليم إلاّ العباس بن مرداس . وكذلك أبي الاقرع بن حابس وعُيَيْنة بن حِصن ومن كان معهما من بني تميم ومن بني فَزارة . غير أن الرسول أمضى رأيه فردّ السبي والغنائم على بني هوازن ثم عوّض على نفر من المؤلّفة قلوبهم : أعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية والحارث بن كَلَدة وسُهيل بن عمرو وعُيينة بن حِصن والاقرع بن حابس وسواهم مائة مائة من الابل ، « وأعطى العباس بن مرداس أباعِرَ فسَخِطها »[1] . فعاتب العباس الرسول عتاباً قاسياً فأمر الرسول بأن يُعطى العباس ما يرضيه ، فأعطَوْه حتى رَضي .

وكانت وفاة العباس بن مرداس في نحو سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) .

٢ — العباس بن مرداس شاعر مخضرم محسن شُهِر بالهجاء ، وله شيء من

---

١ أباعر (عدداً يسيراً من البعران : الابل) سخطها : لم ترضه فأثارت سخطه .

الحماسة والفخر والحكمة . وأشعاره في يوم حُنين خاصة كثيرة . وهو في سلوكه وشعره بَدْوي جافٍ .

٣ – المختار من شعره

– قال العباس بن مرداس يجيب خُفاف بن نُدْبَة ، في الجاهلية ؛ وفي قوله هجاء وفخر وحماسة :

أتُهْدي لي الوعيدَ على التنائي ؟ وما مثلي يُخَوَّف بالقوافي !
فلستُ لحاصنٍ ان لم تَرَوْها تُثير النَقع من ظهر النِعاف [1] ،
سَوَاهِمَ كالقِداح مُسَوَّماتٍ ، وكُمْتاً لونُها كالوَرْس صاف [2] .
فسَائِلْ في قبائلَ جِذمِ قيسٍ بنا عند العظائم والجُحاف [3]
تُخَبَّرْ أنَّنا أوْلى بمجد تَوارثه طراف عن طِراف [4] ،
وأندى عند جدب الناس راحاً وأنفع للارامل والضِعاف [5] .

– وقال بعد غزوة حنين يُعاتب الرسول على قلة الابل التي أُعْطِيتْ له :

كانت نِهاباً تلافيْتُها بكرّي على المُهر في الأجْرَعِ [6] ،
وإيقاظيَ القومَ أن يَرْقُدوا ، إذا هَجَعَ الناس لم أهجع !
فأصبح نَهْبي ونَهبُ العُبيد بين عُيَيْنَةَ والاقرع [7] .
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدرأ فلم أُعْطَ شيئاً ولم أمْنَعِ [8] ؛

---

١ فلست لحاصن : لست إذن ابن امرأة محصنة (شريفة ، أمينة على غيبة زوجها) . الضمير في « تروها » يرجع إلى الخيل . النقع : غبار الحرب . النعاف جمع نعف : أعلى الوادي ، جانب الجبل .
٢ سواهم : جمع ساهم وساهمة : فرس نحيلة . القداح (جمع قدح بكسر القاف) : خشبة السهم (كناية عن النحول) . مسومة : مهيأة ، ممرنة (على الحرب) . كمتاً : حمراء اللون . الورس : زهر أحمر يصبغ به .
٣ اسأل جميع قبائل قيس (جميع عرب الشمال ، جميع العرب) عنا في العظائم (الأحداث العظيمة) . الجحاف : الموت أو السيل الذي يأتي على كل شيء .
٤ طراف : الأمر الطريف الجديد . ان مجدنا ما زال قائماً ولم يصبح تليداً (قديماً) .
٥ الراح جمع راحة : باطن اليد . أندى راحاً : أكثر كرماً .
٦ كانت هذه الغنائم قد نهبها بنو هوازن فتلافيتها أنا (تلافيت ضياعها = استرددتها) ، بجومي على ظهر مهري في الاجرع (الأرض القاسية ، يمتزج فيها الرمل بالحصى لا تنبت شيئاً ويصعب السلوك فيها) .
٧ العبيد : فرس العباس بن مرداس . – أعطي حقي وحق مهري لعيينة بن حصن والاقرع بن حابس .
٨ وقد كنت في حرب حنين ذا تدرأ (ذا دفاع وعزة ومنعة) فلم أعط (حقي من الغنائم) ....

الا أفايِلَ أعْطِيْتُهـــا عديـدَ قوائمه الاربع [1] .
ومـا كان حِصنٌ ولا حـابسٌ يفوقان مِرداسَ في المجمع [2] .
وما كنت دون امرئٍ منهما . ومن تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ [3] .

الاغلب العجليّ الراجز

١ ـ هو الاغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة بن دُلَف بن جُشَم من بني سعد بن عِجل بن ربيعة . ولد الاغلب نحو عام ٧٠ ق. هـ. (٥٥٢ م) ، وأدرك الاسلام فأسلم وحَسُن إسلامه وهاجر [4] . وفي خلافة عمر بن الخطاب سار الاغلب مع سعد بن أبي وقّاص إلى العراق ثم سكن الكوفة . واستُشْهِد الاغلب في وقعة نَهاوَنْد ، سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) ، وقبره بها [5] .

٢ ـ الاغلب العجلي راجز مخضرم ورأس الطبقة التاسعة من الشعراء الاسلاميين : وهو أول من رَجَزَ [6] أو أوّل من شبّه الرجزَ بالقصيدِ وأطاله ، وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة إذا خاصم أو شاتم أو فاخر [6] .

٣ ـ المختار من رجزه

ـ قال يفتخر :

نحن بنو عِجلٍ إذا احمرّ الحَدَقْ ولَبِسَ الابطال ماذيّ الحَلَقْ [7] ،

١ ... الا أفايل (أبلا نحيلة ، لا فـائدة منها) عديد قوائمه الأربع (عدد قوائم مهري عبيد ، أي أربعة جمال فقط) .
٢ ما كان حصن (والد عيينة) ولا حابس (والد الاقرع) أفضل من مرداس (والدي) . المجمع : نادي القوم .
٣ ولم أكن أنا أدنى منهما . ومن تخفض منزلته اليوم ، يا رسول الله ، فلن ترتفع منزلته غداً .
٤ هاجر : انتقل من مكة إلى المدينة ، تشبها بالمسلمين الأولين الذين كانوا يهاجرون هرباً من اضطهاد قريش لهم في مكة .
٥ اسد الغابة ١ : ١١٧ .
٦ راجع طبقات الشعراء ١٤٨ ؛ الشعر والشعراء ٣٨٩ .
٧ احمر الحدق (جمع حدقة : العين) كناية عن الغضب في الحرب . ماذي : سلاح من حديد . الحلق (جمع حلقة) : درع .

وثار للحربْ عَجاجٌ فسَمَقْ نحمي الذِمار حين لا يحمي الفَرِقْ [1] .

— وقال أيضاً :

نحن جلبنا الخيل من غوارِ شَوازِباً يَقْذِفْنَ بالامهار [2]
تُرْدي بنا ، طوامحَ الابصارِ ، يَحْمِلْنَ تحت الرَهَج المُثار [3]
كلَّ كريمٍ في الوَغى مِهْصار أهلَ النَدى والحلم والوَقار [4] .
كم فيهِمُ من بطلٍ مِغْوار أشعثَ قد لِيحَ من الغوار [5] .
تَنْشَقّ عنه ظُلَمُ الغِمار تَمزّقَ الليل عن النهار ! [6] .

٤ — ** بروكلمان ١ : ٥٦ ، الملحق ١ : ٩٠ .

عمرو بن معدي كرب الزبيديّ

١ — هو عمرو بن مَعْدي كَرِب بن عبد الله بن عمرو بن زَبِيد من سعد العشيرة بن مَذْحِج من اليمن . وكانت أخته رَيْحانة زوجةً للصِمّة بن الحارث فولدت له دُريداً وعبد الله . وهو ابن خالة الزِبْرِقان بن بدر التميمي .

وُلد عمرو بن معدي كرب نحو عام ٧٥ ق. هـ. (٥٤٧ م) فشبّ فارساً شجاعاً بطلاً وخاض الحروب في الجاهلية حتّى ضرب به المثل في البأس والشجاعة والاقدام .

وفي سنة ٩ هـ (٦٣١ م) وفد عمرو بن معدي كرب في جماعة من قومه على الرسول فآمن ومن معه ثم أقام هو في المدينة برهة . ولكن لما تُوُفّيّ الرسول

---

١ عجاج : غبار الحرب . سمق : ارتفع (كناية عن كثرة الغبار واشتداد الحرب) . الفرق (بفتح فكسر): الذي يفزع . الفرق (بضم فضم) جمع فريق : امير .
٢ غوار (؟) . غوارة (بفتح العين) : قرية قرب الظهران . من غوار : من مكان بعيد (؟) . شوازب جمع شازب : الحصان الضامر ، النحيل . يقذفن بالامهار : يسبقن الامهار (الخيل الفتية) .
٣ تردي : تسرع . طوامح الأبصار : تقصد مكاناً بعيداً . الرهج : غبار الحرب .
٤ مهصار : أسد (شجاع) .
٥ المغوار : البعيد الغارة ، الجريء ، المقدام . أشعث : أغبر ، ملبد الشعر ، شعره غير مسرح . ليح (المجهول من « لاحه العطش أو السفر »): غيره . الغوار : الاغارة ، كثرة الحرب (؟) .
٦ الغمار (جمع غمرة : معظم الماء) : المعارك الشديدة .

ارتد مع الاسود العَنسي في اليمن. غير أنه أسر فأطلقه أبو بكر فعاد إلى الطاعة وشهد فتوح العراق كلها وأبلى في القادسية بلاء حسناً. وكان ممن شهدوا معركة اليرموك أيضاً. ثم انه سار إلى فتح فارس، واستُشْهِدَ، فيما قيل، في معركة نهاوند (٢١ هـ، ٦٤٣ م)، وقبره في موضع يقال له الاسفيذهان بين قُمّ والريّ.

٢ – عمرو بن معدي كرب شاعر مخضرم مقلّ وخطيب. وأغراضه الشعرية تدور على الحماسة والفخر والهجاء والأدب، وله شيء من الغزل. وشعره مقطعات.

٣ – المختار من شعره

– جَرْم ونَهْد قبيلتان من قُضاعة، من اليمن، اختلفتا ووقعت الحرب بينهما. ثم ان بني جَرْم حالفوا زَبيداً، ففي إحدى المعارك انهزم بنو زبيد فخذلها بنو جَرْم ولم يرْعَوْا حق الحِلف، فقال عمرو بن معدي كرب في ذلك:

ومُرْدٍ على جُرْدٍ شَهِدتَّ طِرادها ... قُبيل طلوع الشمس أو حين ذَرَّتِ [١].
صَبَحْتُهُمُ بيضاءَ يَبْرق بَيْضها ... إذا نظرت فيها العيون ازْمَهرَّت [٢].
لحا الله جَرماً كلّما ذرّ شارقٌ: ... وجوهَ كلابٍ هارشت فازبأرّت [٣].
ظَلِلْتُ كأنّي للرِماح دَرِيئةٌ ... أقاتلُ عن أبناء جَرْمٍ وفرّت [٤].
فلم تُغْنِ جرمٌ نَهْدَها إذ تلاقتا، ... ولكنّ جرماً في اللقاء ابْذَعرّت [٥].

---

١ المرد (جمع أمرد): الفرسان الشبان. الجرد (جمع أجرد): الخيل القصيرة الشعر (الفتية). المطاردة: القتال على ظهور الخيل. ذرت الشمس: بدا حرفها الأعلى من وراء الأفق.

٢ صبحتهم (لقيتهم، هاجمتهم باكراً) ببيضاء (بكتيبة تظهر بيضاء اللون لكثرة ما عليها من الحديد وما تحمل من السلاح). البيضة: الخوذة. ازمهرت العين: احمرت، تهيجت (من النظر إلى النور الشديد).

٣ لحا: لعن. كلما ذر شارق: كلما طلع كوكب (دائماً). هارشت: تقاتلت كالكلاب. ازبأر: انتفش ريشه، قف شعره (تقاتل جرم كالكلاب، بالنبح من بعيد، ويقف شعرها من الخوف).

٤ دريئة: غرض، هدف، علامة تنصب ويتمرن الناس عليها في رمي النبال (بقيت وحدي في المعركة).

٥ – لم تثبت جرم لنهد، بل انهزمت منها: ابذعر: تفرق.

فلو أنَّ قومي أنْطَقَتْني رماحُهم نَطَقْتُ ، ولكن الرماحَ أجرّت [1]

— وقال بعد ذلك يهدد جرماً ونهداً بالحرب :

ليس الجمالُ بمئزرٍ ، فاعلمْ ، وان رُدِّيتَ بُردا [2] .
ان الجمالَ معادنٌ ومناقبٌ أورثْنَ مجدا .
أعددتُ للحدثان سابغةً وعداء علندى [3] :
نَهْداً وذا شُطَبٍ يَقُدّ البيضَ والابدان قَدّا [4] .
وعلمت أني يومذا ك منازلٌ كعْباً ونهدا ،
قومٌ إذا لبسوا الحديدَ تنمّروا حلَقاً وقِدّا [5]
كل امرئ يجري إلى يوم الهياج بما استعدّا .
لما رأيتُ نساءنا يفْحَصْنَ بالمَعْزاء شَدّا [6] ،
وبدت لَميسُ كأنها قمر السماء إذا تبدّى ،
وبدت محاسنُها التي تَخْفى ، وكان الأمر جِدّا [7] ،
نازلتُ كَبْشَهُمُ ولم أرَ من نزال الكبش بُدّا [8] .
هم يُنْذِرون دمي ، وأنذر إنْ لقيتُ بأن أشُدّا [9] .
كم من أخٍ لي صالحٍ بوّأتُه بيدَيّ لَحْدا [10] ،
— ما ان جزِعت ولا هلَعْتُ ، ولا يَرُدّ بكايَ زَنْدا [11] —

---

١ لو ثبتوا معي لثبت ، ولنطقت بفضلهم (مدحتهم وافتخرت بهم) ، ولكن رماحهم عقلت لساني (خذلتني بدلا من أن تقاتل معي) .

٢ — المئزر : ثوب يلبس على القسم الأدنى من الجسم . البرد : ثوب مؤلف من قطعتين . ارتدى : لبس .

٣ سابغة : درع واسعة . عداء (فرساً سريعة) علندى (فيها غيظ شديد) . الحدثان : حوادث الدهر .

٤ النهد : الحصان المرتفع الصدر . ذو شطب : سيف . يقد : يقطع . البيضة : الخوذة .

٥ تنمروا : تشبهوا بالنمر ، تكبروا ، تهوروا في الشجاعة ، أظهروا العداوة . الحلق : الدرع (المنسوجة مضاعفة) . القد : الجلد ، صدار من جلد غير مدبوغ (جاس) يلبس فوق الدرع .

٦ الشد : الجري . المعزاء : الأرض الصلبة . يفحص : يحدث أثراً .

٧ — يبدو أن لميس امرأة من العدو ، خافت القتل فكشفت عن وجهها وبرزت (حتى تعرف ويرى جمالها) فتؤخذ أسيرة . وكان الأمر جداً : كانت المعركة شديدة .

٨ حاربت سيدهم وقائدهم ....

٩ هم مصممون على قتلي ؛ وأنا مصمم على أن أشد في هجومي إذا رأيت أحداً من سادتهم .

١٠ بوأه : أنزله ، جعل له مكاناً .

١١ الجزع : الخوف . الهلع : الخوف مع فقدان السيطرة على النفس . زنداً : شيئاً قليلا .

أَلبستُه أثوابَه ، وخُلِقتُ يوم خُلقتُ جَلْدا [1].
أُغْني غَناءَ الذاهبين أعدّ للاعداء عِدّا [2] .
ذهب الذين أُحِبّهم ، وبَقيت مثل السيف فَردا [3].

٤ – •• الاغاني ١٥ : ٢٠٨ – ٢٤٤ .

زيد الخيل

١ – هو أبو مُكنِف (بضم الميم وكسر النون) زيد بن مهلهل الطائي ، سمّي زيد الخيل لكثرة ما كان عنده من الخيل المشهورة بأسمائها . وكان زيد الخيل فارساً مغواراً مظفّراً بعيد الصوت في الجاهلية ، كما كانت بينه وبين قيس حماسات (عصبية وقتال) . وكذلك كان رجلاً طويلاً جسيماً جميلاً .

وفي سنة ٩ هـ (٦٣٠ م) جاء زيد الخيل في وفد بني طيّء فأسلم أهل الوفد كلّهم وحسن اسلامهم ثم نشروا الاسلام في قومهم . في ذلك اليوم بدّل الرسول اسم زيد الخيل وسمّاه زيد الخير ، وكان ذلك عادة للرسول يبدّل أسماء الذين يسلمون إذا كانت أسماؤهم قبيحة أو وثنية . ثم ان الرسول أقطع زيد الخير أرضاً في نجد فتوفّي وهو ذاهب اليها عند مكان يدعى فردة من نجد . وقيل بل توفّي في أواخر خلافة عمر .

٢ – زيد الخير أحد المخضرمين من الفرسان ومن المقلّين في الشعر والخطابة . وأكثر شعره في مغازيه وغاراته ومفاخراته ، في الحماسة والفخر . ولزيد الخير شيء في الطرد ومناقضات بعضها مع كعب بن زهير ثم شيء من الهجاء .

٣ – المختار من شعره

– أغار زيد الخيل ، في الجاهلية ، في بني نصر وبني مالك من بني نَبْهان

---

١ أثوابه : أكفانه . جلد : صبور ، قاسي القلب .
٢ أقوم (في الحرب والشجاعة) مقام (الأبطال) الذين ذهبوا (ماتوا من قومنا) . أعد للأعداء عدا (بكسر العين) : أكون وحدي نداً وكفؤاً للأعداء (مهما كثروا) .
٣ فرداً : منفرداً ، وحيداً (إشارة إلى كبر سنه وموت جميع أترابه – الذين هم في عمره) .

على بني فَزارة وبني عبد اللات من غَطَفان فغنموا واقتسموا الغنائم . فقال لهم زيد : اعطوني حق الرئاسة ، فأعطاه بنو نصر وأبي بنو مالك فاعتزلهم . بعد قليل كرّ بنو فزارة على بني مالك واستنقذوا ما بأيديهم : فنادى بنو مالك : وا زيداه ! فهجم زيد على بني فزارة وقتل رئيسهم واستردّ الغنائم ثم أخذ حق الرئاسة منهم صَفْواً . وفي ذلك يقول :

لقد علمتْ نَبهان أنّي حميتُها، وأنّي منعت السبْيَ أن يتبدّدا ،
غداةَ نبذتم بالصعيد رماحَكم وطبّقتمُ البيداء مَثْنَى ومَوْحدا.
بذي شَطِب أُغْشي الكتيبةَ سلهباً أقبّ كسَرحان الظلام مُعوّدا [1] .
إذا شكّ أطرافُ العوالي لَبانَه أقدّمه حتّى يرى الموت أسودا [2] .
فما زلت أرميهم بغُرّة وجهه وباسيف حتّى كرّ تحتيَ مُجْهَدا [3] .

— وقال لمّا حضرته الوفاةُ :

أمرتحل قومي المشارقَ غُدْوةً وأُترَكُ في بيت بفَرْدةَ مُنْجِد [4] ؟
سقى الله ما بين القَفيل فطابة فما دون أرمام فما فوق مُنْشِد [5] .
هنالك لو أنّي مَرِضتُ لَعادَني عوائدُ من لم يَشْفِ منهن يَجْهَدِ [6] .
فليت اللواتي عُدْنني لم يَعُدْنَني ، وليت اللواتي غِبْن عنّيَ عُوّدي !

٤ — ** الاغاني (بولاق) ١٦ : ٤٦ — ٦٠ ، بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٠ ، زيدان ١ : ١٤٥ — ١٤٦ .

عمر بن الخطّاب

١ — هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزّى من بني عَدِيّ بن كعب

---

١ بذي شطب (بفتح الشين وكسر الطاء) : جبل . ذو شطب : اسم مكان . السلهب : الحصان الطويل . أقب : عالي . السرحان : الذئب . معود نعت للحصان السلهب : معود على القتال .
٢ أطراف العوالي : رؤوس الرماح . لبانه : صدره . أقدمه : أستمر في الهجوم به .
٣ الغرة : بياض في جبهة الفرس (المقصود : أهجم على الأعداء) . المجهد : المتعب (بفتح العين) .
٤ — أيتابع قومي طريقهم نحو المشرق وأبقى أنا في فردة بنجد على فراش الموت ؟
٥ القفيل وطابة وأرمام ومنشد : أماكن في بلاد الشاعر .
٦ العوائد جمع عائدة : زائرة المريض . من لم يشف يجهد : من لم يستطع أن يداويني حتى أبرأ يبذل جهده .

ابن لؤيّ ، وأمّه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة من بني مخزوم .

وُلِدَ عمر نحو عام ٤٠ ق . هـ. (٥٨٣ م) ، وكان من أشراف قريش ، واليه كانت السفارة [١] في الجاهلية .

وكان عمر في بادئ الأمر شديد العداوة للمسلمين . قيل انه أراد أن يقتل النبي ، فلما رآه هاب ذلك ؛ ثم سمع شيئاً من القرآن فلانَ قلبه ودخل في الاسلام . وعزّ المسلمون الاولون بدخول عمر في الاسلام وجعلوا يصلّون في المسجد الحرام جهراً . ورافق عمرُ الرسول في جميع الغزوات ، وكان الرسول يستظهر برأيه في كثير من الأمور .

ولمّا توفي الرسول واختلف المسلمون فيما بينهم حسم عمر الخلاف بتقديم أبي بكر للخلافة وبمبايعته . ولما حضرت الوفاة أبا بكر أوصى لعمر بالخلافة فبايعه المسلمون ؛ وعمر أول من تسمّى بأمير المؤمنين .

وفي أيام عمر بن الخطاب فتح العرب العراق وفارس والشام ومصر . وعمر هو الذي أقام الدولة في الاسلام على أسسها الصحيحة : دوّن الدواوين (أوجد السجلات والدوائر الحكومية) وجعل الدولة اسلامية في كل شيء ، فإذا قيل اليوم : الدولة الاسلامية ، فانما يعني القائل « الدولة في أيام عمر بن الخطاب». وكذلك أمر عمر بأن تكون الهجرة (٦٢٢ م) أول التاريخ الهجري .

وكان عمر بن الخطاب حازماً عادلاً حتى سمّي « الفاروق » (الذي يَفْرُق بين الحق والباطل) . وكذلك كان حكيماً في الادارة ، ما أصدر أمراً إلا بعد أن يكون قد احتاط لجميع المشاكل التي يمكن أن تنشأ من جرّاء تنفيذه . ومنع عمر اعطاء المؤلّفة قلوبهم من الزكاة ، وقال : كنا نعطيهم يوم كان الاسلام ضعيفاً وكنا ندفع بذلك الشرّ عن الاسلام . أما الآن فقد أغنى الله عنهم ، « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

وعاش عمر في الخلافة عشر سنين ، من ١٣ إلى ٢٣ هـ (٦٣٤ – ٦٤٤ م) ثم قتله أبو لؤلؤة الفارسي مولى المُغيرة بن شُعبة . وفي المصادر التي بين أيدينا أن أبا لؤلؤة توعّد عمر مرة من طَرْفٍ خفيّ . ثم ان عبد الله بن عمر قتل الهرمزان ، أحد كبراء الفرس ، اقتناعاً منه بأنه كان المحرّض على قتل الخليفة .

٢ – كان عمر بن الخطاب كثير العناية بالشعر يستشهد به ، ويبدي فيه

١ السفارة (بفتح السين وكسرها) : الاصلاح بين القبائل .

آراء صائبة ويحتكم اليه الناس في الجيد منه وفي تأويله ، غير أنه كان لا يزال يذهب في النقد إلى استحسان البيت بعد البيت وإلى الاهتمام بالمعاني والحكمة دون اللفظ والصور البلاغية .

٣ – المختار من آثاره

– كتب عمر بن الخطّاب إلى عمرو بن العاص في شأن تأخّر خراج مصر :

سلام عليك ، فاني أحمَد الله الذي لا الهَ إلا هو . أما بعد ، فقد عَجِبت من كثرة كتبي اليك في ابطائك في الخراج وكتابك إليّ ببُنَيّات الطرق [١] . وقد علمتَ أني لست أرضى منك إلا بالحق البيّن ، ولم أقدِمْك إلى مصر أجعلُها لك طُعمة ولا لقومك ، ولكن وجّهتك لِمَا رَجَوْت من توفيرك الخراج وحسن سياستك . فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فانما هو فَيْءُ المسلمين . وعندي من قد تعلم : قوم محصورون [٢] ، والسلام .

فردّ عمرو بن العاص بما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . سلام عليك . فاني أحمد اليك الله الذي لا الهَ إلا هو . أما بعد ، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطئني في الخراج ، ويزعُمُ أني أعنُد عن الحق وأنكُب عن الطريق [٣] . وانّي ، واللهِ ، ما أرغب عن مصالح ما تعلم ، ولكن أهل الأرض استنظروني إلى أن تُدرِك غلّتُهم . فنظرت للمسلمين فكان الرفقُ بهم خيراً من أن نَخْرَق بهم [٤] ، فيصيروا إلى بيع ما لا غِنىً عنه ، والسلام .

– وخطب عمر يوماً في الناس فقال :

أيها الناس ، انه أتى عليّ حينٌ من الدهر وأنا أحسَب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده . ألا وانه قد خُيّل إليّ أن أقواماً يقرأون القرآن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فانما كنا نَعرِفكم اذِ الوحيُ يَنزل واذ النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهُرنا .

١ بنيات الطريق : الطرق الفرعية (الأمور الثانوية) .
٢ محصورون : في ضيق .
٣ عند : مال . نكب عن الطريق : ترك الطريق الواضح ليسير في أرض مجهولة .
٤ خرق (بكسر الراء في الماضي وفتحها في المضارع) : عنف وسفه في معاملة الآخرين .

فقد رُفِعَ الوحي ، وذهب النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنما أعرِفكم بما أقول لكم : ألا فمَنْ أظهر لنا خيراً ظننّا به خيراً وأثنينا به عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظننّا به شراً وأبغضناه عليه . اقدَعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طُلَعة [1] ، وانكم إلاّ تقدعوا تَنْزِعْ بكم إلى شرّ غاية . ان هذا الحق ثقيل مَرِيء ، وان الباطل خفيف وَبيء [2] . وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة . وربّ نظرة زرعت شهوةً ، وشهوةِ ساعة أورثت حزناً طويلاً .

** تاريخ عمر بن الخطّاب ، تأليف جمال الدين بن الجوزي ، مصر ١٩٢٤م .
تاريخ وسيرة ومناقب أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب .... ، تأليف محمد رضا ، مصر ١٩٣٦ م .
الفاروق عمر ، تأليف محمد حسين هيكل ، مصر ١٣٦٤ هـ .
عبقرية عمر ، تأليف عباس محمود العقاد ، القاهرة ١٩٤٢ م .

كعب بن زهير

١ — هو كعب بن زهير بن أبي سُلمى الشاعرِ الجاهليِّ المشهور . وكان لكعبٍ أخٌ شقيقٌ اسمه بُجير شاعر مثله ، وأمّهما كَبشة بنت عمّار .

لمّا ظهر الاسلام تأخر بُجيرٌ وكعبٌ عن الدخول فيه ، ولكن لمّا زاد انتشاره أسلم بُجير ، قبيل سنة ٧ هـ (٦٢٨ م) ثم شَهِدَ فتح مكّة . أما كعب فانه بقي على الشرك وأخذ بهجاء أخيه بُجير وهجاء رسول الله . فمن ذلك قوله ، وقد نصح له أخوه بالدخول في الاسلام :

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً : فهل لك فيما قلتُ ، ويحَك ، هل لكا !
سقاك بها المأمون كأساً رَويّةً فأنهلك المأمون منها وعلّكا .

---

١ قدع النفس يقدعها (بفتح الدال في الماضي والمضارع) : ردها ، كفها ، منعها عن عمل القبيح . طلعة : متطلعة ، طامعة ، تتشوق إلى أشياء كثار .

٢ مريء : حميد المغبة (لا عاقبة سوء له) . وبيء : وخيم العاقبة . — أول الحق ثقيل على النفس ثم تكون عاقبته حميدة ....

ففارقتَ أسبابَ الهدى واتّبعته . على أيّ شيء ، ويْبَ غيرِك ، دلّكا [1] ؟
على مذهب لم تُلْفِ أمّاً ولا أباً عليه ، ولم تَعْرِفْ عليه أخاً لكا .
فان أنت لم تفعل فلستُ بآسف ولا قائل ، إمّا عَثَرْتَ : لَعاً لكا [2] !

فأهدر النبي دمَه وأرجف الناسُ بقتله فضاقت عليه الأرض ، فعزم في سنة ٩ هـ (٦٣٠ م) على أن يستأمن إلى الرسول فجاء سرّاً إلى المدينة واستشفع بأبي بكر ثم سار على أثره حتى دخلا المسجد . فلما صُلّيَتِ الصبْحُ أوصله أبو بكر إلى الرسول ، فقال كعب للرسول : « يا رسول الله ، رجلٌ يبايعك على الاسلام » ، وبَسَطَ يده وحَسَرَ عن وجهه وقال : « بأبي أنت وأمي ، يا رسول الله ، أنا كَعْبُ بن زهير » . فأمّنه رسول الله . فأنشده كعب قصيدة كان قد نظمها [3] في مدحه مطلعها :

بانت سُعادُ فقلبي اليوم مَتبولُ مُتَيّمٌ إثْرها لم يُفْدَ مَكبول [4] .

وكانت وفاة كعب نحو سنة ٢٦ هـ (٦٤٥ م) .

٢ — كان كعب بن زهير شاعراً فحلاً مكثراً مُجيداً . ومنهم من قرنه بأبيه وجعله مَعَ لَبيدٍ والنابغةِ في طبقة واحدة [5] . وقال خَلَفٌ الاحمر : « لولا أبياتٌ لزهيرٍ أكبَرَها الناسُ ، لقلت إنّ كعباً أشعر منه » [6] . أما أغراض كعب فيدور مُعْظَمها على المدح والهجاء والفخر والحماسة . ولم يكن كعب يرضى كل ما قال من الشعر [7] ، ولا غرو فهو على مذهب والده من التنقيح والتحكيك .

٣ — المختار من شعره

— من قصيدته « بانت سعاد » ، وفيها يذكر كيف أن الناس ، حتّى

١ ويب غيرك : الويل لك وحدك !
٢ لعا لكا : أقال الله عثرتك .
٣ راجع الشعر والشعراء ٦٠ ، الاسطر ٩ — ١٣ : فقال قصيدته .... ثم أتى رسول الله .
٤ بانت : بعدت . تبله الحب : ذهب بعقله . تيمه الحب : ذلله واستعبده . كبله : قيده وجعله كالاسير لديه .
٥ طبقات الشعراء ١٣ .
٦ الشعر والشعراء ٥٨ .
٧ راجع البيان والتبيين ١ : ٢٠٧ .

الاصدقاء منهم ، قد تَخَلَّوْا عنه وانه يرجو العفوَ من الرسول . وفي مطلع القصيدة غزل تقليدي وكلام على الوعد والخُلف به :

وما سعادُ غَداةَ البَيْن إذ رَحَلـوا ... إلا أغنّ غضيضُ الطَرْف مكحولُ[1] .
أكرمْ بها خُلّة لو أنها صدقت ... موعودَها أو لو ان النصح مقبول[2] .
لكنّها خلّة قد سيط من دمها ... فَجْع ووَلْع وإخلال وتبديل .
فما تدومُ على حال تكونُ بها ... كما تَلَوّنُ في أثوابها الغول[3] .
ولا تَمَسّكُ بالوعد الذي زَعَمت ... إلاّ كما يُمْسك الماءَ الغَرابيل .
فلا يَغُرّنْكَ ما منّتْ وما وعدت ؛ ... إنّ الامانيّ والاحلام تضليل .
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ؛ ... وما مواعيدها الا الاباطيل .
أمست سعادُ بأرض لا يُبَلّغها ... الا العِتاق النجيبات المَراسيل[4] .
ولن يُبَلّغَها الا عَذافرة ... لها على الأيْن إرقال وتَبْغيل[5] .
تسعى الوشاةُ بجَنْبَيْها ، وقولُهم : ... إنك ، يا ابن أبي سُلمى ، لَمَقْتول !
وقال كل خليلٍ كنت آملُه : ... لا أُلْهِيَنّكَ ، إني عنك مشغول .
فقلت : خَلّوا سبيلي ، لا أبا لكمُ ، ... فكل ما قدّر الرحمن مفعول .
كل ابنِ أنثى ، وان طالت سلامته ، ... يوماً على آلةٍ حدباءَ محمول[6] .
أُنبِئْتُ أن رسول الله أوْعدني ، ... والعَفْو عند رسول الله مأمول .
مهلاً ، هداكَ الذي أعطاك نا ... فلةَ القرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيل ،
لا تأخُذَنّي بأقوال الوشاةِ ، ولم ... أُذْنِبْ ، وان كَثُرتْ فيّ الأقاويل .
لقد أقوم مُقاماً لو يقوم به ... أرى واسمع ما لو يسمعُ الفيل ،
لَظلّ يُرْعَدُ إلاّ أن يكونَ له ... من النبي بإذن الله تَنْويل[7] .

---

١ الاغن : الذي في صوته غنة (لحن كأنه يخرج من أنفه) . غضيض الطرف : فاتر اللحظ منكسر البصر يتطلع إلى الأرض . المكحول : من كان فيه كحل (بفتح الكاف والحاء) طبيعي : سواد على أطراف جفونه حيث تلتقي إذا أطبقها (يشبه الشاعر حبيبته بالغزال الصغير) .

٢ الخلة : الصديقة .... لو أن النصح (في تركها) مقبول .

٣ زعم العرب القدماء أن الغول تظهر للناس في ألوان مختلفة .

٤ المرسال : الناقة الخفيفة الجري .

٥ العذافرة : الناقة الغليظة الشديدة . الاين : التعب . الارقال : الأسراع صعداً . التبغيل : جري وسط في السرعة .

٦ الحدباء : المعوجة ، نعش (يقصد : كل إنسان سيموت) .

٧ يرعد (بالبناء للمجهول) : يرتجف . التنويل : العطاء والمنة (يقصد : العفو عني) .

إنّ الرسولَ لَنُورٌ يُستضاء بـه مُهَنّدٌ من سيوف الله مسلول ،
في عُصبة من قُريشٍ قال قائلهـم ببطن مكّة ، لمّا أسلموا : زُولوا[1] .
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُـفٌ عند اللقاء ولا مِيلٌ مَعازيـل[2] ،
شُمّ العرانـينِ أبطال لَبوسُهـم من نسج داوودَ في الهَيْجا سَرابيل[3] .
لا يَفرَحون إذا نالت رِماحُهم قوماً ، وليسوا مَجازيعاً إذا نِيلوا[4] .
لا يَقَعُ الطعنُ الا في نحورِهِمُ ، وما لهمْ عن حِياضِ الموت تَهليل .

٤ — الطبعات لشعر كعب بن زهير ، وخصوصاً قصيدته « بانت سعاد » ، كثيرة (راجع GAL Suppl . I 68 — 69) .

القول المراد من « بانت سعاد » ، تأليف محمد محسن المرصفي ، القاهرة (الشعب) بلا تاريخ .

شرح قصيدة « بانت سعاد » لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام ، القاهرة (حسن مصطفى) ١٢٩٠ هـ .

مصدّق الفضل ، شرح قصيدة « بانت سعاد » ، تأليف شهاب الدين أحمد ابن عمر الهندي ، حيدر آباد ١٣٢٣ هـ .

شرح ديوان كعب بن زهير للسكّري (تحقيق عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٥٩ هـ = ١٩٥٠ م .

ديوان كعب بن زهير (في طرف أدبية ، جمعها عمر السويدي ، كارلو لاندبرغ) ، ليدن ١٣٠٣ — ١٣٠٦ هـ .

** بروكلمان ١ : ٣٢ — ٣٣ ، الملحق ١ : ٦٨ — ٧٠ .

---

١ زال يزول : ذهب (إشارة إلى الهجرة إلى المدينة) .

٢ النكس : الضعيف . الكشف : الذين ينهزمون عند أول صدمـة . الميل جمع أميل : من لا يثبت على ظهر الحصان ، الذي يميل إلى الهرب من المعارك . المعزال : الذي لا سلاح معه .

٣ شم الانوف : قصبة الأنف عندهم مرتفعـة (أنوفهم مقوسة ، كناية عن شرف الأصل) . اللبوس : اللباس ، (وهنا معناهـا الدروع) . من نسج داوود ، كان داوود مشهوراً بعمل الدروع . الهيجا أو الهيجاء : الحرب . السربال : الثوب السابغ (الطويل الواسع) .

٤ لا يفرحون إذا تغلبوا على خصمهم ولا يجزعون (يخافون ويضطربون) إذا تغلب عدوهم عليهم . التهليل : التكذيب (الجبن عن القتال الشديد) . — لا يجرحون إلا في صدورهم لأنهم يهجمون دائماً على العدو ولا يولون ظهورهم (يهربون منه) .

حميد بن ثور الهلاليّ

١ – هو حُميد بن ثور الهِلاليّ من بني هلال بن عامر بن صَعصعة ، كان في الجاهلية وشهد معركة حُنين (سنة ٨ هـ = ٦٣٠ م) مع المشركين . ثم انه أسلم ووفد على الرسول . وأدرك حميد بن ثور خلافة عثمان وقد أسنّ ، وقال في أثنائها شعراً .

٢ – حميد بن ثور شاعر مجيد جميل المعاني عذب الألفاظ بارع في الكناية والرمز . وبرع حميد في الغزل الصريح الذي يجري في شيء من القصص . وكان له فخر وحماسة وطَرْد (في وصف الذئب خاصة) ، وكذلك كان له هجاء ، وهجاؤه خبيث . وقال أيضاً في الحكمة .

٣ – المختار من شعره

– تقدم [١] عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، إلى الشعراء ألا يشبّب أحدٌ بإمرأة إلا جلده . فقال حُميد بن ثور (يُكني عن محبوبته بالسرحة – الشجرة الطويلة) :

أبى الله إلا أن سَرحـةَ مـالكٍ ... على كل أفنانِ العَضاهِ تَروقُ [٢] .
فقد ذهبت عرضاً ، وما فوق طولهـا ... من السرح الا عَشّة وسَحوق [٣] .
فلا الظل من برد الضُحى تستطيعـه ، ... ولا الفَيْءَ من برد العَشيّ تذوق [٤] .
فهل أنا إنْ علّلت نفسي بسرحـةٍ ... من السرحِ موجودٌ عليّ طريق ؟

– ومن غزله العذب البارع قوله في قصيدة مطلعها :

سل الربعَ أنّى يَمّمتْ أمّ سـالم . ... وهل عادةٌ للرَبْعِ أن يتكلّما ؟

فانه يتكلّم فيها على الحمامة الّتي تغنّي فيقول :

---

١ الاغاني ٤ : ٣٥٦ – ٣٥٧ ؛ الاصابة ١ : ٨٣١ – ٨٣٢ .

٢ الافنان جمع فنن : الغصن . العضاه جمع عضاهة : شجرة عظيمة . تروق : تزيد في الحسن والبهاء .

٣ العشة : الشجرة القليلة الاغصان والورق . السحوق : المفرطة في الطول من غير تناسب .

٤ الظل : احتجاب الشمس أول النهار . الفيء : احتجاب الشمس بعد الزوال (بعد نصف النهار) .

عَجِبتُ لها ، أنّى يكون غناؤهـا فصيحاً ، ولم تَفْغَرْ بِمَنْطِقِها فَما [1] .
فلم أرَ محزوناً له مثلُ صوتِهـا ، ولا عَرَبيّـاً شاقه صوت أعْجَما [2]
كمِثْلي إذا غَنّت ؛ ولكنّ صوتَها له عَوْلة لو يَفْهَم العَوْدُ أرْزَما [3] .

ثم يخلُص إلى الغزل فيقول :

خليليّ ، إني مُشْتَكٍ ما أصابني لِتَسْتَيْقِنا ما قد لَقِيتُ وتعلما .
أمَلّيكما ، إن الامانةَ من يَخُنْ بها يحتملْ يوماً من الله مأثَما .
فلا تُفْشِيا سِرّي ، ولا تَخذُلا أخاً أبُثّكما منه الحديثَ المُكتَّما ،
لتَتّخِذا لي – بارك الله فيكما – إلى آل ليلى العامريةِ سُلّما .
وقولا لها : ما تأمُرينَ بصاحب لنا قد تَركتِ القلبَ منه مُتَيّما ؟
أبِيني لنا ، إنّا رَحَلْنا مَطِيّنا اليك ، وما نرجوه الا تَلَوّما [4] .
فجاءا ولمّا يَقْضيا لِيَ حاجةً إليّ ، ولمّا يُبْرما الامر مُبْرما [5] .
ألم تعلما أنّي مُصابٌ فتَذْكُرا بلائي إذا ما جُرْفُ قومٍ تَهَدّما [6] .
ألا هل صَدَى أمّ الوليدِ مُكَلِّمٌ صَدايَ إذا ما كنت رَمْساً وأعظُما [7] .

– وله في الحكمة يذكر الشباب :

فلا يُبْعِدِ اللهُ الشبابَ وقولَنا ، إذا ما صَبَوْنا صَبْوَةً : سَنَتوبُ :
لَيالِيَ أبصارُ الغواني وسَمْعُها إليّ ، وإذْ رِيحي لهنّ جَنوب [8] ،
وإذ ما يقول الناس أمر مُهَوّنٌ علينا ، وإذ غُصْنُ الشباب رَطيب !

---

١ تفغر (تفتح) فما بمنطقها (بكلامها) .
٢ الاعجم : الذي لا يبين (لا يفهم كلامه) .
٣ العود : الجمل المسن . أرزم : حن . لو فهم الجمل المسن صوت تلك الحمامة لتذكر شبابه وحن (لغنى بصوت حزين) .
٤ رحلنا مطينا : سافرنا طويلا . ما نرجوه الا تلوما : ما نظنه يعيش إلا قليلا بعدنا .
٥ أبرم الأمر : جزم به ، فصله ، أتى به على وجه واضح .
٦ فتذكرا بلائي إذا ما جرف قوم تهدما : فتذكرا مصيبتي إذا رأيتما مصيبة قوم آخرين ، فان مصيبتي أكبر (؟) .
٧ الصدى : طائر خرافي ، قيل إذا مات انسان خرج من رأسه طائر يصيح . إذا ما كنت رمساً وأعظماً : أصبحت ميتاً .
٨ ريحي لهن جنوب : يقصد أنه محبوب لديهن .

— استجاد ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٧ ، ٢٣٠) قول حُميد بن ثور :

أرى بَصَري قد رابني بعد صِحّةٍ ، وحَسبُكَ داءٌ أن تَصِحَ وتَسْلَما .

ثم قال : « ولم يُقَلْ في الكِبَرِ (الشيخوخة) شيءٌ أحسنُ منه » .

— وقال في وصف الذئب (الديوان ١٠٣ — ١٠٦) :

طَوِي البطنِ إلّا من مَصيرٍ يَبُلّه دم الجوف أو سُؤرٌ من الحَوْض ناقع[1] .
ترى طرفيه يَعْسِلان كلاهما كما اهتزّ عود الساسَم المُتتايع[2] .
إذا خاف جَوْراً من عدوّ رَمَتْ به قُصايتُه والجانب المُتواضع[3] .
وان بات وَحْشاً ليلةً لم يَضِقْ بها ذراعاً ، ولم يُصْبِحْ لها وهو خاشع[4] .
إذا احتلّ حِضْنَيْ بلدة طُرّ منهما لأخرى خَفِيّ الشخص للريح تابع[5] .
وان حَذِرَتْ أرض عليه فانّه بغُرّةِ أخرى طيّب النفس قانع[6] .
ينام باحدى مقلتيه ، ويَتّقي بأخرى المنايا : فهو يَقظانُ هاجع .
إذا ما غدا يوماً رأيت غَيابة من الطير ينظرن الذي هو صانع[7] .

٤ — ديوان حُميد بن ثور الهلاليّ (الميمني) ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٧١ ﻫ ، ١٩٥١ م .

** ميمية حميد بن ثور لمحمّد يوسف مُقلد (مجلة العلوم ، بيروت ، نيسان — أبريل ١٩٦١ م ، ص ٢٧) .

---

١ طوى (ضامر) البطن : نحيل جداً . المصير : واحد المصران (المعي واحد الامعاء في البطن) . شديد العطش لا يبل جوفه الا دمه أو سؤر (بقية ماء) من الحوض ناقع (يسكن العطش ولكن لا يروي) .
٢ يعسلان يهتزان . الساسم شجر أسود تتخذ منه السهام . هو شديد الاهتزاز في سيره لنحوله . المتتايع : المستوى الذي لا عقد فيه .
٣ مخالبه (يقصد : قوائمه) . يهرب من تلك الارض الى مكان بعيد في جانب الارض المتواضع : (المتواسع ، الواسع) .
٤ وحشاً : جائعاً . لا يهتم بالجوع ولا يذل نفسه بطلب الطعام من أحد .
٥ حضنا بلدة : جانباها . طر منها : طرد (لشدته واعتدائه ؟) .
٦ اذا حذرت أرض عليه : أصبحت مخوفة أو أصبح المقام فيها خطراً عليه .
٧ غيابة : (جماعة من الطير) تظلل الانسان كالسحابة (تلحقه لتأكل مما سيقتله : يفترسه من الناس ، لشرسته وقوته) .

المخبّل السعدي

١ – هو المُخَبَّل السَعدي أبو يزيد ربيع بن مالك بن ربيعة بن قتال (بكسر القاف واهمال التاء – راجع غ ١٣ : ١٩٣) بن أنف الناقة (واسم أنف الناقة جعفر) بن قُريع بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم .

كان للمخبّل السعدي ابن اسمه شيبان ذهب في جيش سعد بن أبي وقّاص إلى العراق ، فجزع المخبّل واستشفع إلى عمر بن الخطّاب بشعره ، فرقّ قلب عمر وردّ شيبان . ومع أن شيبان كان راغباً في الجهاد ، فانه لم يفارقْ أباه حتّى توفّي أبوه .

وكان المخبّل صديقاً للزِبْرقان بن بدر منذ الجاهلية ، ولكنّ هذا لم يمنعهما من التهاجي في الجاهلية ؛ ويبدو أن المخبّل قد استمر في الهجاء بعد أن جاء الاسلام أيضاً .

وعُمِّر المخبّل السعدي في الجاهلية والاسلام دهراً طويلاً ، ومات في أيام عثمان بن عفّان بعد أن أسنّ كثيراً .

٢ – المخبّل السعدي شاعر فحل مشهور ولكنّه مقلّ . وهو شاعر مخضرم ، وشعره فصيح سهل التّراكيب . أمّا فنونه فالمديح والهجاء خاصّة ، وفي هجائه إقذاع . وهو وصّاف للنوق يجيد وصفها ويُطيل . ثمّ له أشياءُ من الحكمة والغزل والعتاب .

المختار من شعره

– قال المخبّل السعدي قصيدة يذكر فيها محبوبته ويصف دارها . ثم وصف الناقة فأطال ؛ بعدئذٍ ختم القصيدة بشيء من الحكمة . من هذه القصيدة :

ذَكَرَ الرَبابَ – وذِكرُها سُقْمُ – فصبا ، وليس لمن صَبا حِلْمُ [١] .
وإذا ألمّ خيالُها طُرِفَتْ عَيْني فماء شُؤونها سَجْمُ [٢] .

. . . .

---

١ صبا : اشتاق ، مال به الهوى . حلم : عقل . الشؤون : مجاري الدمع من أطراف العينين . سجم : دائمة الدمع .

٢ طرفت : أصيب بعود أو نحوه فاحمرت وأخذت تدمع .

وتقولُ عـاذلتي – وليس لهـا بغدٍ ولا ما بعدَه علم :
ان الثراء هو الخلود ، وانّ المرء يُكرِبُ يومَهُ العُدْمُ [1] .
إنّي ، وجدِّكَ ، ما تُخلّدني مائةٌ – يطير عفاؤها – أدْمُ [2] .
ولئنْ بنَيْتَ ليَ المُشقّرَ في هضْبٍ تُقصّرُ دونه العُصْمُ [3] ،
لتُنقّبَنْ عنّي المنيّةُ ؛ انّ الله ليس كحكْمه حكم !
إنّي وجدتّ الامرَ أرْشدُه تقوى الالهِ ، وشرُّه الإثم .

– وقال من أبيات يعاتب بها ابنه شيبانَ ويصف حالَه هو :

.... فإنْ يَكُ غُصني أصبح اليوم ذاوياً وغصنُك من ماء الشباب رَطيبُ ،
فانّي حنَتْ ظهري خطوبٌ تتابعتْ : فمَشْيي ضعيفٌ في الرجال دَبيبُ .
إذا قال صحبي : يا ربيعُ ، ألا ترى ؟ أرى الشخصَ كالشخصين وهو قريب .
ويُخبرني شيبان أن لن يَعقّني ؛ تَعُقّ إذا فارقتني وتَحوب [4] .
فلا تُدخِلَنّ الدهرَ قبرَك حوبةً يقوم بها يوماً عليك حسيب [5] .

٤ – غ ١٣ : ١٨٩ – ١٩٨ ؛ المفضليات ، رقم ٢١ (ص ١١٣ – ١١٨) .

أبو ذُؤيبٍ الهُذَليّ

١ – هو خُويلد بن خالد بن مُحرّث من بني سعد بن هُذيل ، ولا نعلم من حياته في الجاهلية إلا أنه كان راوية لساعدة بن جُؤيّة الهذليّ .

تأخّر دخول بني هُذيل في الاسلام على قرب مساكنهم في الحجاز . وكان

---

١ الثراء : الغنى . الخلود : الشباب (المخلد : الذي لا يهرم) . يكرب : يتعس . العدم : الفقر .
٢ مائة (مائة من الابل) . يطير عفاؤها : يذهب وبرها من السمن . الادم العفر : (الابل السمراء التي لا اختلاف ولا عيب في لونها) .
٣ المشقر : حصن مشهور في شرقي بلاد العرب . الهضب : الأرض العالية . العصم : الظباء البيض تسكن الجبال وتقفز بين القمم . – لو بنيت لي حصناً في مكان مرتفع تعجز العصم عن تسلقه ...
٤ يعق : يعصي ، يسيء معاملة أبويه . يحوب : يأثم ، يذنب ذنباً عظيماً .
٥ حوبة ذنب . الحسيب : الرقيب ، المحاسب (الله) .

أبو ذؤيب ممن حَسُن اسلامهم ، فلما ندب عثمانُ بن عفّان المسلمين إلى الفتح في إفريقيَة خرج أبو ذؤيب في جيش الفتح (٢٦ هـ = ٦٤٦ م) مع خمسة من أبنائه . وهلَك أبناء أبي ذؤيب الخمسة بالطاعون في مصر ، فتابع هو طريقه إلى افريقية وشَهِدَ فتح قرطاجة (الضاحية الشمالية لمدينة تونس اليوم) ، وكانت عاصمة للروم . وعهد عبد الله بن أبي سرح إلى عبد الله بن الزبير وأبي ذؤيب الهذلي بحمل خُمس الغنائم إلى المدينة . فلما وصلا إلى مصر لدغت حيةٌ أبا ذؤيب فمات (٢٨ هـ = ٦٤٩ م) .

٢ – قال ابن سلاّم [١] : « كان ابو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غميزة فيه ولا وهن .... وسئل حسّان : من أشعر الناس ؟ قال : أشعر الناس حياً [٢] هذيل ، وأشعر هذيل أبو ذؤيب غيرَ مُدافع » . وأكثر شعر أبي ذؤيب الذي وصل الينا مَراثٍ ، وله شيء من الخمريات [٣] ومن وصف الخيل وبراعة في الطرد ، وفي وصف النحل والعسل خاصة . وله قصائد قصّرها على الغزل .

٣ – المختار من شعره

قال يرثي أبناءه الخمسة الذين هلَكوا في الطاعون :

أمِنَ المَنون ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ ؟	والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يجزعُ [٤] .
قالت أُميمَةُ : ما لجسمِكَ شاحباً	منذ ابتُذِلْتَ ؛ ومثل مالك يَنْفَعُ [٥] ؟
أمْ ما لجسمِكَ لا يُلائم مَضْجَعاً	إلا أقضَّ عليك ذاكَ المضجَعُ [٦] ؟
فأجَبْتُها : أمّا لِجِسمي ، إنه	أوْدَى بَنِيَّ من البلاد فودّعوا [٧] :
أودى بَنِيَّ وأعقبونيَ حَسْرَةً	بعد الرُّقادِ وعبرةً ما تُقلع [٨] .

١ طبقات الشعراء ٢٩ .
٢ أهل الحي = بمجموعهم .
٣ الشعر والشعراء ٤١٦ .
٤ المنون : الدهر ، الموت . اعتب : أرضى – الموت لا يهتم بمن يحزن على هالك له .
٥ ابتذل : امتهن نفسه في العمل والسفر – كان بنوك يكفونك أمر العيش ، وأراك بعدهم تعمل فهزل جسمك مع ان لك مالا يغنيك عن العمل للكسب .
٦ أصبحت لا تستطيع النوم على فراش .
٧ أما : أما الذي . أودى : هلك .
٨ عبرة ما تقلع : دمع لا يجف أبداً .

سبقوا هَوَيَّ واعنقوا لهواهُـمُ   فتُخُرِّموا ، ولكلّ جنبٍ مَصْرع [1] .
فغَبَرْتُ بعدَهُمُ بعَيْشٍ ناصب،   وإخالُ أني لاحِقٌ مُسْتَتْبِعُ [2].
ولقد حرَصتُ بأن أدافع عنهمُ ،   وإذا المَنِيّة أقبلَتْ لا تُدفَعُ .
وإذا المنيّة أنْشَبَتْ أظفارَهـا   ألْفَيْتَ كلّ تميمَة [3] لا تنفع !
فالعين بعدهمو كأنّ حِداقها   سُمِلَتْ بشوكٍ ، فهي عُور تَدمع [4] ،
حتّى كأني للحوادث مَرْوَةٌ   بصفا المشقّر كُلّ يوم تُقرَع [5] .
وتجلّدي للشامتين أريهمُ   أنّي لريب الدهر لا أتضعضَع .
لا بُدّ من تلفٍ مُقيمٍ فانتظر :   أبأرض قومك أم بأخرى المَضْجَع .
ولقد أرى أن البكاءَ سَفَاهَـةٌ   ولَسَوْف يُولَعُ بالبكا من يُفجَعُ [6] .
ولَيَأتِيَنّ عليك يومٌ ، مرةً ،   يُبكى عليك مُقنّعاً [7] لا تسمع .
والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتها ،   وإذا تُرَدّ إلى قليل تقنـع .
كم من جميعي الشَمْلِ مُلتئمي الهوى   كانوا بعيشٍ واحدٍ فتصدّعوا .
فلئنْ بهم فَجَعَ الزمان وريبُه ،   إني بأهل مودتي لَمُفَجَع.

بعدئذ يمضي أبو ذؤيب فيَضْرِبُ أمثلة على ان الموت لا يبقي على أحد كالثور النشيط الذي يرتع مع شاته (زوجته) في روضة غناء . بعد حين يجف ماء الروضة وعشبها ثم يجيء قانص فيرميهما فيقتل الثور وشاته . وكذلك الفارسان يتنازلان في حومة الوغى :

---

١ هوي : هواي « ماتوا قبلي وكنت أود أن أموت قبلهم » . تخرمهم الموت : أخذهم واحداً واحداً .

٢ غبر : بقي . ناصب : متعب .

٣ حجاب : حرز .

٤ حداق جمع حدقة : موضع النظر من العين . سملت : فقئت . عور جمع أعور وعوراء : مصابة بأذى .

٥ مروة : صخرة . ويروى : بصفا المشرق – كأني صخرة في السوق (صفا المشقر) يمر الناس عليها دائماً . والمشقر أيضاً جبل لهذيل . ولعله يعني صخرة المشقر عند مكة وهي التي ترجم في مواسم الحج، يمر بها كل حاج فيقذفها بسبع حجارة صغار .

٦ لا فائدة فيه من البكاء ولكن سيظل الناس يبكون كلما فجعوا .

٧ على وجهك قناع ؛ ميت .

فتنازلا وتواقفت خَيلاهما ، وكلاهما بطل اللقاء مُخدّع [١]
يتحاميان المجدَ ، كلٌّ واثق ببلائه فاليوم يومٌ أشنَع [٢] :
فكلاهما متوشّحٌ ذا رَوْنَق عَضْباً إذا مسّ الضريبة يقطَع [٣] ؛
وكلاهما في كفّه يزنيّةٌ [٤] فيها سنانٌ كالمنارة أصْلَع ؛
وعليهما مسْرودتان قضاهما داوودُ أو صَنَعُ السّوابغ تُبّعُ [٥] .
فتخالسا نفسيْهما بنوافذ كنوافذ العُبُط التي لا تُرقَع [٦] .
وكلاهما قد عاش عيشةَ ماجد وجَنى العلى ، لو ان شيئاً ينفع [٧] !
فعفَت ذيولُ الريح ، بعدُ ، عليهما . والدهرُ يحصُدُ ريبُه ما يزرع [٨] !

٤ — ديوان أبي ذؤيب الهذلي (يوسف هل J. Hell) ، هانوفر ١٩٢٦ م .

•• بروكلمان ١ : ٣٦ — ٣٧ ، الملحق ٧١ .

أبو مِحْجَن الثقفيّ

١ — هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير من بني ثَقيف من الطائف . كان أبو مِحْجَن فارساً معدوداً في أولي البأس والشدة ، ولكنه كان مُولَعاً بالخمر .

---

١ اللقاء : القتال . مخدع : مجرب في الحرب — فتنازلا مدة طويلة لا يتغلب أحدهما على الآخر .

٢ ببلائه : بمقدرته وشجاعته . أشنع : كريه . كل واحد منهما يحاول أن يدافع عن مجده وشهرته .

٣ ذو رونق : سيف براق ماض . عضب : قاطع . الضريبة : ما يقع عليه السيف .

٤ رمح .

٥ مسرودة : درع . قضاهما : صنعهما . داوود كان مشهوراً بصنع الدروع أو بما عنده من دروع جيدة . الصنع : الحاذق . السوابغ : الدروع . تبع : لقب لملوك اليمن . أي دروع جيدة كأنما صنعت لداوود أو لتبع .

٦ النافذة : الطعنة التي تنفذ من جانب في الجسد إلى جانب آخر . العبط جمع عبيط : (كثرت ثقوبها فلا يمكن رقعها) .

٧ وكل واحد منهما كان قد عاش من قبل عيشة عزيزة وبلغ المراتب الرفيعة ، ولكن ذلك كله لا يدفع الموت عن صاحبه .

٨ محت الريح مكان موتهما (غطت قبريهما بالرمال) . ريبه : حوادثه .

لمّا حاصر الرسول الطائف ، سنة ٨ هـ (٦٣١ م) ، دافع أبو محجن عنها . فلما أسلم أهلها في السنة التالية أسلم أبو محجن معهم . ولم يترك أبو محجن شرب الخمر ، فأقام عمر بن الخطاب الحد عليه مراراً . ثم ذهب أبو محجن في الحملة على القادسية ، فشرب الخمر . عندئذ « حبسه سعد (بن أبي وقّاص) في القصر معه والناس يقتتلون ، فجال المسلمون جولة وهو ينظر اليهم .... وكان مقيّداً يومئذ عند زبراء أم ولد [1] سعد بن أبي وقّاص ، فقال لها : أطلقيني ، فلكِ اللهُ لئن فتح الله على المسلمين وسَلِمت لأرجِعنّ حتّى أضع رجلي في القيد . فأطلقته وحملته على فرس لسعد . فأخذ الرمح فخرج فقاتل فحطم المشركين وكان سبب الهزيمة (للمشركين) . فقال سعد : لولا أن أبا محجن محبوس لقلت : هذا الفارس أبو محجن . فلما فتح الله على المسلمين رجع أبو محجن إلى محبسه . فقال سعد : لا ضربتك (في الخمر) أبداً . قال أبو محجن : وأنا ، والله ، لا أشربها أبداً » [2] .

ويبدو أن أبا محجن الثقفي ذهب في الجهاد إلى فارس فتوفّي نحو سنة ٢٨ هـ (٦٥٠ م) في أيام عُثمان . وقبره ، فيما قيل ، في آذرَبَيْجان أو جُرجان .

٢ — أبو محجن شاعر مخضرم مقل ، وأغراض شعره تدور حول الخمر في الأغلب ، وله أشياء تستجاد في المدح والفخر والحماسة .

٣ — المختار من شعره

— قال في الفخر والحماسة :

لا تسألِ النـاس عن مالي وكَثْرته ، وسائل القوم : ما حزمي وما خُلُقي ؟
القومُ أعلمُ أني من سَراتِهِـمُ ، إذا تَطيش يـد الرِعديدة الفَرِق [3] .
قد أركب الهول مسدولاً عساكرُه ؛ وأكتمُ السرّ فيـه ضربةُ العُنُق !

— لما حاصر المسلمون الطائف وتولى تضييق الحصار عليها بنو ثُمالة وسَلِمة

---

١ إذا اتخذ الرجل جارية ثم رزق منها ولداً ذكراً أصبحت أم ولد وحرم بيعها .

٢ طبقات الشعراء ٦٨ ؛ راجع الشعر والشعراء ٢٥٢ .

٣ طاشت يده : اضطربت فلم يصب الهدف . الرعديدة : الجبان : الفرق : الكثير الفزع .

وفَهْم ، وليست من القبائل المشهورة ، فقال أبو محجن وهو يومذاك على الشِرك:

هابت الاعداءُ جانبَنـا ثم تغزونا بنو سلمهْ .
وأتانا مالك بِهِمُ ناقضاً للعهد والحُرُمه [1] .
وأتَوْنا في منازلنا . ولقد كنّا أولي نَقِمه !

– ولأبي محجن أبيات مشهورة في الخمر :

إذا مِتّ فادفُنّي إلى جنب كَرْمة تُروّي عظامي بعد موتي عُروقُها .
ولا تَدْفُنَنّي بالفلاة ، فإنني أخاف إذا ما مِتّ أن لا أذوقُها [2] .

٤ – ديوان أبي محجن الثقفي (ed. Abel 1887)
– ديوان ابي محجن الثقفي (جمع عمر السويدي) ليدن١٣٠٣–١٣٠٦ ﻫ.
(ed. Landberg in Primeurs arabes , Leiden 1889)
•• بروكلمان ١ : ٤٠ ، الملحق ١ : ٧٠ .

أبو زُبيد الطائيّ

١ – هو حَرْمَلة بن المنذر بن مَعدي كَرِب من بني طيّء ، وأخواله من تَغلِب . وكانت منازل قومه في الرَّقة بالجزيرة من أعلى العراق .

كان أبو زبيد نصرانياً ، وفد على الوليد بن عُقبة والي الكوفة [3] ونادمه زمناً. ولما عظمت النقمة على الوليد وعزله عثمان ، سنة ٣٠ ﻫ (٦٥١ م) عاد أبو زبيد إلى الرقة حيث توفّي . وقيل بل توفي في الكوفة سنة ٦٢ ﻫ (٦٨٢ م) ، وقد عُمِّر طويلاً .

٢ – شهد أبو زُبيد الجاهلية ومدح فيها المناذرة والغساسنة ، ثم مدح الوليد ابن عقبة في الاسلام . وله شيء من العتاب والهجاء والحماسة والحكمة ، غير أن أكثر شعره في وصف الاسد . ومع أن في شعره كثيراً من الغريب ، وخصوصاً

١ مالك بن عوف النصري كان مع ثقيف في الطائف ثم استماله الرسول واستعمله على قومه ومن معهم وولاه حصار الطائف .
٢ أن مخففة : أنني لا أذوقها .
٣ تولى الوليد بن عقبة الكوفة سنة ٢٥ ﻫ (٦٤٦ م) .

في وصف الأسد ، فان في شعره ليناً .

٣ – المختار من شعره

– من شعره في وصف الاسد :

فلا يَعْلَقَنْكم مِهْصَرُ الناب عَنبس عَبوس له خَلق غليظ غَضَنْفَرُ [١]؛
له زُبَرٌ كاللِبْدِ طارت رَعابِلاً وكِتْفان كالشَرخين عَبْل مُصَبَّر [٢].
رحيب مَشَقّ الشِدق أغْضف ضَيْغَم له لَحَظات مُشرفات ومَحْجِر [٣]،
وعينان كالوَقْبين في قُبْل صخرة يُرى فيهما كالجمرتين التبصّر [٤]؛
من الأُسْد عاديٌّ تَكاد لصوته رؤوس الجبال الراسيات تَقَعَّر [٥].

وبعد وصف آخر قليل يذكر أبو زبيد لقاء أهل قافلته بهذا الاسد فيقول :

فأبصر ركْباً رائحين عشيّة ، فقالوا : أبغل مائل الجِل أشقر [٦] ؟
بل السبع فاستنجوا ، وأين نَجاؤكم؛ فهذا ، ورب الراقصات ، المزعفر [٧] !
فولّوا سِراعاً يندهون مَطيَّهم ، وراح على آثارهم يتقمّر [٨].
فساراهم ما إنْ لحس حسيسه مدى الصوت لا يدنو ولا يتأخّر [٩].

١ علقه : تمكن منه . المهصر : الأسد . مهصر الناب : شديد العض به . العنبس : الاسد . الخلق (بفتح الخاء المعجمة) : شكل ، جسم . الغضنفر : الاسد الغليظ الجثة .
٢ الزبرة (بضم الزاي) : الشعر المجتمع بين كتفي الأسد . اللبد : الصوف المضغوط ، الكثيف . طارت رعابلا : تفرقت كتلا كتلا . الشرخ : الحرف الناتىء (كالشرفة البارزة من البناء مثلا) . عبل : مكتنز ، ممتلىء لحماً . مصبر (بالباء المعجمة بواحدة من تحتها) : شديد العضل غليظ اللحم (؟) .
٣ رحيب مشق الشق : فتحة فمه واسعة . الاغضف : الاسد إذا استرخى جفنا عينيه الاعليان من الغضب . ضيغم : الذي يعض عضاً شديداً فيقطع قطعة كبيرة . المحجر (بوزن مسجد) : التجويف العظمي الذي تستقر فيه العين .
٤ الوقب : نقرة واسعة في الصخر يجتمع فيها الماء . القبل : سفح الجبل .
٥ عادي : قديم (لعله يقصد : مثل قوم عاد ، كبير الجثة) . تقعر : تشدق ، تكلم بأقصى فمه (والشاعر يقصد : تتقوض ، تتزلزل وتسقط إلى القعر) .
٦ الجل : الجلال (بكسر الجيم) : الرحل الذي يوضع على الدابة .
٧ استنجى : طلب النجاة . المزعفر : الاسد الورد (الأحمر) ، وهو شديد الضراوة .
٨ نده : زجر ، ساق الغنم والابل وهو يصيح بها . تقمر : تقمر الاسد : طلب الصيد في القمر (في الليل) .
٩ فساراهم (عارضهم ، مشى محاذياً لهم) . الحس والحسيس : أن يمر بك مار قريباً منك تسمع صوته ولا تراه. مدى الصوت : على بعد تسمع منه صوته .

ففاجأهم يستنّ ثانيَ عِطْفه ، له غبَب كأنّما راح يمكُر [1]
فنادَوا جميعاً بالسلاح ميسّراً ، وأصبح في حافاتهم يتنمّر [2] .
وندّت مطاياهم : فمن بين عاتق ، ومن بين مُود بالبسيطة يَعْجِر [3]
وطاروا بأسياف لهم وقطائف ، وكلّهم يخفي الوعيد ويزجر [4] .
فأولُ من لاقى يجول بسيفه عظيم الحوايا قد شتا وهو أعجر [5]
فقضقض بالنابين قُلّة رأسه ودقّ صليف العنق والعنق أصعر [6] .

— ولأبي زبيد مرثية في أخيه الحلّاج جاء فيها :

ان طولَ الحياة غير سُعود ، وضلال تأميلُ نيلِ الخلودِ .
عُلّل المرء بالرجاء ، ويُضحي غرَضاً للمنون نصبَ العود [7] .
كل يوم ترميه منها برَشْقٍ : فمصيبٌ ، أو صافَ غيرَ بعيد [8] .
كلّ ميْت قدِ اغتفرت ، فلا أو جع من والد ولا مولود [9] .
غير أن الحلاج هدّ جناحي يوم فارقته بأعلى الصعيد .

٤ — ** الاغاني ١٢ : ١٢٥ وما بعدها ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٢ .

---

١ فاجأ وفجأ : أقبل بغتة . أستن : سار في طريق مستقيم قاصداً هدفاً . ثاني عطفه : مائلا بجانبه : متكبراً ، معتداً بنفسه غير مبـال بشيء . له غبب (لحم متدل تحت حنكه) كأنه يمكر (يصفر) .

٢ بالسلاح ميسراً : بالسلاح المتيسر في أيديهم ، الحاضر . حافاتهم : جوانبهم . يتنمر : يظهر الغضب وسوء الخلق (ناوياً للشر) .

٣ ند : شد ، نفر ، تفرق . من بين عاتق الخ : من بين هـارب وناج أو ميت ملقـى أرضاً وقـد ثنيت رقبته (؟) .

٤ طاروا : أسرعوا . قطائف جمع قطيفة : ثوب صفيق (ليتخذوها دروعاً في قتال الاسد) .

٥ عظيم الحوايا أعجر : عظيم البطن . شتا (؟) .

٦ قضقض : أكل شيئاً فسمع له صوت بين أضراسه . قلة رأسه : أعلى الجمجمة . دق : كسر ، طحن . صليف العنق : مائل العنق (كناية عن التكبر والاعتداد بالنفس) . أصعر : مائل (قتل شخصاً كان في حياته متكبراً) .

٧ غرضاً : هدفاً . نصب العود : دائم التعرض للموت .

٨ صاف السهم : انحرف عن الهدف .

٩ لا أوجع من فقد الولد على الوالد ، وفقد الوالد على الولد .

عروة بن حزام

١ ـــ هو عُروة بن حِزام بن مُهاصر أحد بني ضبّة بن عبد من بني عُذرة، يَتَمَ من أبيه باكراً فعاش في كفالة عمه مالك [١] بن مهاصر . وكان لعمه ابنة اسمها عَفراء نشأ عروة معها فألِفَ كل واحد منهما صاحبه .

وأراد عروة أن يتزوّج عَفراء ولكن أمّها كانت كارهة له لفقره . ورحل عروة إلى عمّ له في الريّ [٢] بفارس يطلب منه شيئاً من المال ، فاتفق أن ورد على آل عفراء رجل غنيّ من أنساب بني أمية ومن أهل البلقاء (الشام ، شرق الاردنّ اليوم) فتزوّج عَفراء . وأراد مالك بن مهاصر أن يخفف الصدمة عن عروة إذا عاد ولم يجد عفراء فعمد إلى قبر عتيق فجدّده ليُوهِمَ عروة أن عفراء ماتت . ورجع عروة وشيكاً ولكن عَرَف جليّة الأمر فرحل في نفر من أهله إلى البلقاء . فيقال ان زوج عفراء عَرَف بقدوم عروة ودعاه إلى أن ينزل ضيفاً عليه وأن يرى عفراء [٣] . فأبى ذلك كرماً منه وحِفاظاً وعاد إلى بلده فمات قبل أن يصل إلى المدينة ، نحو سنة ٣٠ هـ (٦٥٠ م) .

ويزعُمون أن عفراء مرت يوماً بقبر عروة فنزلت عليه تبكي وتنتحب حتى ماتت عنده .

٢ ـــ عروة بن حزام شاعر مقلّ جداً ، ولكنه شُهر بقصيدته التي قالها في عفراء ، وهي قصيدة فصيحة الألفاظ سهلة التراكيب مع متانة في السبك وعذوبة في التعبير وعاطفة جيّاشة .

ولكنّ الذي يبدو لي أن هذه القصيدة لم تكن في أول الأمر بمثل هــذا الطول ، ولكن زِيد عليها بعد ذلك زيادات : يدلّنا على ذلك طولها (٢٣٨ بيتاً) وتكرار بعض معانيها مع شيء من التعليل ثم التفاوت في السهولة والعذوبــة في الابيات المتقاربة وكثرة الاختلاف في الروايات . ولعله اختلط بها عدد من أبيات نفر من المحبّين وافقتها في البحر والقافية .

١ الشعر والشعراء ٣٩٤ ؛ وفي غ (٢٠ : ١٥٢) : عقال .

٢ غ ٢٠ : ١٥٣ ، السطر الثالث من أسفل ؛ وقيل في الشام (غ ٢٠ : ١٥٥ – ١٥٦) .

٣ الشعر والشعراء ، راجع ٣٩٧ ؛ في غ (٢٠ : ١٥٤) أن زوج عفراء أنزل عروة ضيفـاً في بيته وسمح له بلقاء عفراء ، ثم عرض عليه أن يطلق عفراء فيتزوجها إذا شاء فأبى عروة ذلك .

٣ – المختار من شعره

– لعروة بن حزام قصيدة مشهورة مطلعها :

خليليَّ من عُليا هلال بنِ عامرٍ ، بصَنعاءَ عُوجا اليومَ فانتظراني[١] !

بعد أن يبسط عروة في هذه القصيدة ما قد ألمّ به من الضُّرّ ويذكر عجز الاطبّاء عن مداواته يهجو عمّه الذي كان يشتطّ في طلب المهر منه ويعاتب عفراء عتاباً رقيقاً . وفي هذه القصيدة تعبير بارع واضح عن وجدان المحبّ الذي عزّ عليه الاتّصال بحبيبته :

أفي كلّ يوم أنت رامٍ بلادَها بعينَينِ انساناهُما غَرِقانِ[٢] ؟
ألا فاحْملاني ، باركَ اللهُ فيكما ، إلى حاضرِ الرَّوْحاء ثمّ دَعاني .
ألِمّا على عَفْراءَ إنكما غداً بشَحْطِ النّوى والبَيْن مُعْترفان[٣] .
أغرّكُما منّي قميصٌ – لَبِسْتُه – جديدٌ وبُرْدا يَمْنَةٍ زَهيان[٤] !
متى ترفَعا عنّي القميصَ تَبَيّنا بيَ الضّرَّ من عفراءَ ، يا فتَيان[٥] ،
وتَعْترفا لحماً قليلاً وأعظُماً رِقاقاً وقلباً دائمَ الخفقان .
على كَبِدي من حب عفراءَ قَرْحةٌ ، وعينايَ من وَجْدٍ بها تَكِفان[٦] .
يقولُ لي الاصحاب ، إذ يَعْذِلونني : أشوقٌ عِراقيٌّ وأنت يَماني ؟
وليسَ يَمانٍ للعراقِ بصاحبٍ ، عسى في صُروف الدهر يلتقيان[٧] .
تَحمّلْتُ من عفراء ما ليس لي به ، ولا للجبالِ الراسياتِ ، يدان :
كأنّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجَناحها على كَبِدي من شِدّة الخَفَقان !

---

١ عاج يعوج : مال ، جاء إلى مكان قريب من طريقه . صنعاء : قاعدة اليمن .

٢ .... بعينين ممتلئتين بالدموع .

٣ ألم : زار زيارة قصيرة . الشحط : البعد . النوى : البعاد ، الفراق (البعد عن المحبوب) .

٤ زهيان مثنى زهي (؟) أو زاه : متعدد الألوان أو حسن المنظر .

٥ تبينان : تتبينان (تبصراني وتتحققان من نحولي) .

٦ وجد : حب . وكف الدمع : سال .

٧ عسى هنا بمعنى حتى : ليس العراقي موافقاً في الدار لليمنى حتى يلتقيا (انهما لا يلتقيان) ؛ أو : ان العراقي واليماني بعيدان في الدار ، ولكن ربما التقيا .

جعلتُ لعرّافِ اليمامة حُكْمَـهُ ... وعرّافِ نجْدٍ إن هما شَفَياني [1] .
فقالا : « نَعَمْ ، نشفي من الداء كلّـه » . ... وقاما مع العُوّاد يَبْتَدِران [2] .
فما تَرَكا من رُقْيَةٍ يَعْلمانها ... ولا شَرْبَةٍ إلاّ وقد سَقَياني [3] .
وما شَفَيا الداءَ الذي بيَ كلَّه ، ... ولا ذَخَرا نُصْحاً ولا ألَواني [4] ؛
فقالا : « شفاكَ اللهُ ، واللهِ ، ما لنا ... بما ضُمّنت منك الضلوعُ يَدان » .
فيا عمّ يا ذا الغَدرِ ، لا زِلْتَ مُبْتَلىً ... حَليفاً لهمٍّ لازمٍ وهَوان .
وإني لأهْوى الحشرَ إن قيل إنّني ... وعفراءَ يومَ الحشر مُلْتَقِيان [5] !
ألا يا غُرابَيْ دِمنةِ الدارِ ، بيّنا : ... أبالهجرِ من عفراءَ تَنْتَحبان [6] ؟
فان كان حقّاً ما تقولانِ فاذهبا ... بلَحْمي إلى وَكْرَيْكُما فكُلاني [7] .
أناسيةٌ عفراءُ ذِكْريَ بعدما ... تركتُ لها ذكراً بكلّ مكان ؟
تَكَنّفني الواشونَ من كل جانبٍ ، ... ولو كان واشٍ واحدٌ لكَفاني [8] .
يُكَلّفني عمّي ثمانين ناقةً ، ... ومالِيَ ، يا عفراءُ ، غيرُ ثمانِ [9] .
فيا لَيْتَ مَحْيانا جميعاً ، ولَيْتَنا ... إذا نحن مِتْنا ضَمّنا كَفَنان [10] .
ويا ليت أنّا الدهرَ في غيرِ ريبةٍ ... خَلِيّانِ نرعى البَهْمَ مُؤتَلِفان [11] .

---

١ عراف اليمامة وعراف نجد (راجع الشعر والشعراء ٣٩٦ : عراف حجر) .

٢ أوهماني أنهما قادران على شفاء ما بي ولكنهما كانا يعلمان أن لا شفاء لي ولذلك نهضا مع العواد (جمع عائد : الذي يزور المريض) وغادرا غرفتي لانهما كانا يوقنان أني سأموت وشيكاً (راجع فوق ، معلقة طرفة ، ص ١٣٩) .

٣ وذلك بعد أن كانا قد عالجاني بكل نوع من أنواع الرقى (الرقية دعاء يقال على رأس المريض لتخفيف مرضه النفساني) . الشربة : الدواء يؤخذ بالفم .

٤ لم يشفياني شفاء تاماً مع أنهما لم يدعا نصيحة ينصحاني بها ولا بخلا علي (بشيء من المداواة) .

٥ الحشر : القيام من القبور (انتهاء هذه الحياة) .

٦ غرابا دمنة الدار : الغرابان الملازمان للدار يصيحان بها لا يفترقان .

٧ إذا كان التفريق بيني وبين عفراء صحيحاً فاني أفضل أن أموت وتأخذا لحمي إلى وكريكما وتأكلانه مع فراخكما .

٨ تكنفني : أحاط بي .

٩ يكلفني عمي ثمانين ناقة (مهراً لعفراء) .

١٠ ضمنا كفنان (يقصد : ضمنا كفن واحد) .

١١ الخلي : الموجود في أرض خلاء ليس فيها أحد غيره . البهم : صغار الغنم (الضأن والمعزى) .

فواللهِ ، ما حدّثتُ سِرّكِ صاحباً   أخاً لي ، ولا فاهَتْ به الشَفَتان [١] .
تَحَمّلْتُ زَفْراتِ الضُحى فأطَقْتُها،   وما لي بزَفْراتِ العَشِيِّ يَدان [٢] .

٤ — ** شعر عروة بن حزام (تحقيق ابراهيم السامرّائي وأحمد مطلوب) بغداد (مجلة كلية الآداب) ١٩٦١ ؛ غ ٢٠ : ١٥٢ — ٢٥٨ ؛ بروكلمان الملحق ١ : ٨١ — ٨٢ .

متمّم بن نويرة

١ — هو مُتَمّم بن نُويرة بن جمرة بن شدّاد من بني ثعلبة بن يَربوع من بني تميم . كان متمّمٌ قصيراً أعور ، ولكنه فارس معدود ، قاتل بني تغلب في الجاهلية ، ووقع مرة أسيراً في أيديهم .

ودخل متمّم مع قومه في الاسلام ، ثم كان هو وأخوه مالك عاملين للرسول على صدقات قومهما . فلمّا توفّي الرسول وارتدّ عدد من قبائل العرب (أبَوْا طاعة السلطة المركزية في المدينة) ارتدّ معهم بنو حنظلة قوم متمّم ومالك ابني نويرة . ووجّه أبو بكر الجيوش لقتال المرتدين ووجّه إلى بني حنظلة خالد بن الوليد . ويبدو أن خالداً كان سيء السياسة فقتل مقتلة عظيمة من بني حنظلة وقتل مالك بن نويرة ثم أحرقه في حديث طويل . وجاء متمّم يطلب من أبي بكر أن يثأر من خالد فلم يمكّنه أبو بكر من ذلك . وأعاد متمّم المحاولة في أيام عمر فلم يمكّنه عمر أيضاً من ذلك ، مع أن عمر كان ناقماً على خالد فِعلَه هذا منذ أيام أبي بكر .

وعاش متمّم بن نويرة مدة بعد عمر بن الخطاب ورثاه ، ولعلّ وفاته كانت نحو سنة ٣٠ هـ (٦٥٠ م) .

٢ — متمّم بن نويرة شاعر فحل مقلّ اشتهر بالرثاء وبرثاء أخيه مالك خاصة .

٣ — المختار من شعره

لمتمّم بن نويرة عدد من المراثي البارعة في أخيه مالك أشهرها التي تلي :

١ ما بحت بحبي لك إلى أحد .
٢ تحملت زفرات (تأوهي من ألم الحب) في الضحى (في أول أمري) . ولا أستطيع أن أتحمل في العشي (في أواخر أمري : أواخر عمري) ما كنت قد تحملت مثله من قبل .

لَعَمري ، وما دهري بتأبين مالكٍ ولا جَزَعٍ مما أصاب فأوجعا [1] .
لقد كفّن المِنْهالُ تحت ردائه فتىً غير مِبطانِ العشيّات اروعا [2] .
لبيباً أعان اللّبَّ مِنْهُ سماحةٌ ، خصيباً إذا ما راكب الجدب اوضعا [3] ،
أغرَّ كنَصْلِ السيف يهتزّ للندى إذا لم يجد عِنْد امرئ السوء مطمعا [4] .
فعينيَ ، جودي بالدموع لمالكٍ اذا أرْدَتِ الريح الكنيف المربعا [5] .
فتىً كان مِخذاماً إلى الرّوع ركضُه ، سريعاً إلى الداعي إذا هو فُزّعا [6] .
وما كان وقّافاً إذا الخيل أحجمَتْ ولا طائشاً عِندَ اللقاء مُروّعا [7] .
أبى الصبرَ آياتٌ أراها ، وانّني أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا [8] .
واني متى ما أدعُ باسْمك لا تُجِبْ ، وكُنْتَ حَرِيّاً أن تجيب وتَسمعا [9] .
سقى الله أرضاً حلّها قبرُ مالك ذِهابُ الغوادي المدجنات فامرعا [10] .
فوالله ، ما أسقي البلاد لحبها ، ولكنّني أسقي الحبيب المودّعا [11] .
تحيته مني وإن كان نائياً وأمسى تراباً فوقه الارضُ بَلقعا [12] .
فإن تكن الايام فرّقْنَ بينَنَا لقد بان محموداً اخي يوم ودّعا [13] .

---

١ لا أريد تأبين أخي مالك ولا انني جزعت من المصاب الذي أوجعني (؟) .

٢ المنهال : اسم رجل مر بمالك وهو قتيل فخلع ثوبه وألقاه على مالك . غير مبطان العشيات : قليل الطعام في المساء . أروع : جميل .

٣ أضاف إلى حسن عقله كرماً . راكب الجدب : الذي يأتي من بلاد مجدبة . أوضع : أناخ ناقته .

٤ إذا جاءه أحد من بلاد مجدبة وجد عنه ارزاقاً كثيرة ووجده كريماً ، إذا بخل غيره .

٥ إذا قلعت الريح البيت المربع (المبني بالحجارة ؟) – في الشتاء حين يقل الطعام وتكثر الحاجة .

٦ كان سريع الركض إلى الحرب وسريعاً إذا دعاه أحد نزلت به مصيبة .

٧ إذا تراجعت الخيل خوفاً من هول الحرب لم يقف هو بل أقدم . وإذا حارب أحسن اصابة الاعداء ولم تخفه الحرب .

٨ الآيات : العلامات – الذي جعلني آسى (أحزن) عليك علامات من الخير (الشجاعة ، الكرم الخ) كنت أراها فيك وعلمي ان لا ثقة بعدك بأحد .

٩ واني الآن أدعوك فلا تجيب (لأنك ميت) وكان خليقاً بك أن تسمع وتجيب (لأننا نحن لا نزال بحاجة اليك) .

١٠ ذهاب جمع ذهبة : مطرة. السحاب الغوادي : التي تأتي باكراً . مدجنة ، سوداء لكثرة ما فيها من الماء.

١١ أسقي : أطلب السقيا .

١٢ تلك تحيته مني وإن كان قد أصبح بعيداً عني ، وصارت عليه تراب ، وأمست الأرض حوله قاحلة لا شيء فيها .

١٣ لقد مات أخي يوم مات والناس كلهم يمدحونه .

وعشنا بخير في الحياةِ وقبلَنَا أصاب المنَايا رهطَ كِسرى وتُبّعا [1] .
وكُنّا كندْمانيْ جَذِيمة حِقْبَةً من الدهر حتّى قيل لن يتصدعا [2] ،
فلمّا تفرّقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا .
فتىً كانَ أحيا من فتاةٍ حَيِيّةٍ وأشْجَعَ من ليْثٍ إذا ما تَمنّعا [3] .
وَحَسْبُكَ أني قدْ جَهِدْتُ فلم أجِدْ بِكَفّيَ عَنْهُ للمَنيّةِ مَدْفَعَا [4]
وقد غالني ما غالَ قيْساً ومالكاً وعمراً وجزْءاً بالمُشَقَّرِ اجمعا [5] .
ولو أن ما ألْقَى أصاب مُتالعاً أو الرُّكْنَ من سلمى اذاً لتَضَعْضَعا [6] .

٤ ** راجع (ديوان مالك بن نويرة في) :
Beiträge zur Kenntniss der Poesie der alten Araber, von Theodor Nöldeke, Hannover 1864. غ ١٥ : ٢٩٨–٣١٢.

الشمّاخ بن ضِرار

١ – الشَمّاخ هو مَعْقِل بن ضِرار بن سِنان بن أمية من بني سعد بن ذُبيان ، وأمه أم أوس [7] من ولد الخُرْشُب [8] . وكان له شقيقان : مُزَرِّد وجَزْء ، وكانا شاعرين مجيدين ، الا أن الشمّاخ أفحل منهما وأشهر .
شَهِدَ الشماخُ القادسيةَ ، ثم غزا آذربيجان مع سعيد بن العاص وتوفي في

---

١ رهط كسرى وتبع : أصحاب ملوك فارس وملوك اليمن .
٢ ندمان : نديم . نديما جذيمة الابرش أول ملوك الحيرة كانا مالكاً وعقيلا ابني فارج بن كعب جعلهما جذيمة نديمين له لأنهما ردا عليه ابن أخت له فحكمهما في ما يريدان منه فطلبا أن يكونا نديمين له . ثم قتلهما في حديث طويل .
٣ تمنع : امتنع من العدو ، دافع عن نفسه .
٤ لقد حاولت جهدي أن أرد الموت عنه فلم أقدر .
٥ غالني : أصابني (أي الموت) . المشقر : يوم من أيام العرب ، معركة . أي أصابني في أخي مالك ما أصاب هؤلاء . أجمع : جميعاً . وفي رواية : ألما ، أي ذهب بهم .
٦ متالع : جبل . سلمى : جبل – لو ان الذي أصابني في أخي مالك أصاب جبلي متالع وسلمى لانهدّا كلاهما .
٧ البيان والتبيين ٤ : ٣٤ .
٨ في الشعر والشعراء ١٧٧ – ١٧٨ : « وأم الشماخ من ولد الخرشب . وفاطمة بنت الخرشب هي أم ربيع ابن زياد واخوته العبسيين الذين يقال لهم الكملة ، واسمها معاذة بنت خلف وتكنى أم أوس » .

غزوة مُوقان ، في خلافة عثمان بن عفان ، بعد سنة ٣٠ ﻫ (٦٥١ م) .

٢ — الشماخ شاعر مخضرم « شديد مُتون الشعر أشدّ (في) أسرِ الكلام من لَبيد ، وفيه كَزازة [١] ؛ ولَبيد أسهل منه منطقاً » . والشماخ أشهر الشعراء في وصف الحُمُر ، ومن أشهرهم في وصف القوس . وله مديح بارع ورثاء وفخر وحماسة وغزل وحكمة . وللشماخ رَجَز وقَصيد ، وهو أرجز الناس على البديهة [٢] .

٣ — المختار من شعره

— لقي الشماخ عَرابة بن أوس الانصاري في المدينة ، فأكرمه عرابة وأنزله عنده ثم أوقر له بعيرين كانا معه تمراً وقمحاً ، فقال الشماخ يمدحه مديحَ شكر :

رأيتُ عَرابةَ الاوسي يسمو ... إلى الخَيْرات منقطعَ القرينِ .
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ ... تلقّاها عَرابةُ باليمينِ !

— وله في الغزل :

فقلتُ : خليليّ ، انظُرا اليوم نَظْرَةً ... لعهدِ الصِبا إذ كنت لست أُفيقُ ،
إلى بَقَرٍ [٣] فيهنّ للعين منظرٌ ... ومَلْهىً لمنْ يَلْهو بهنّ أنيق .
رَعَيْنَ النّدى ، حتى إذا وَقَدَ الحصى ... ولم يَبْقَ من نَوْءِ السماك بروق [٤] ،
تصدّع شَعْب الحيّ وانشقّتِ العصا ؛ ... كذاك النَوى بين الخليط شُقوق [٥] .

— وله في الفخر والحماسة :

وأشعثَ قَدْ قَدّ السِفارُ قميصَه ... وجرّ شِواءً بالعصا غيرَ مُنْضَجِ [٦] .

---

١ كزازة : عسر وانقباض ويبس (كثير الايجاز والصلابة في التعبير) .
٢ راجع في ذلك كله طبقات الشعراء ٢٩ ؛ الشعر والشعراء ١٧٨ ؛ راجع ٥٣ ، ٨٤ ، ١٠٢ .
٣ بقر الوحش : نوع من الغزلان (كناية عن النساء الجميلات) .
٤ رعين الندى : رعين العشب الطري (النابت بعد الندى) . وقد الحصى : اشتد حره . السماك : برج في السماء . لم يبق من برق السماك بروق : انقضى زمن المطر (جاء الصيف) .
٥ تصدع شعب الحي وانشقت العصا : نفرق أهل البيت الواحد أوأهل المجتمع الواحد . النوى بين الخليط شقوق : البعد ينسي بعض الناس بعضاً (ولو كانوا في الأصل خليطاً : يسكنون معاً) .
٦ أشعث : مغبر متلبد الشعر ، رث الهيئة . السفار : السفر . الشواء : اللحم المشوي . غير منضج : غير ناضج (لا ينتظر الطعام حتى ينضج) . — يصف رجلا يخدم رفاقه تفضلا لا حاجة إلى أجر .

دَعَوْتُ إلى مـا نابني فأجابني كريمٌ من الفتْيانِ غيرَ مُزَلّجِ [1].
فتىً يملأ الشيزى ويُروي سِنانَـه ويَضْرِبُ في رأس الكَمِيّ المُدَجّج [2]
فتىً ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ، ولا في بيوت الحيّ بالمُتَوَلّـِج [3].

٤ — ديوان الشماخ بن ضرار (الشنقيطي) ، مصر (السعادة) ١٣٢٧ هـ .

** الاغاني ٩ : ١٥٨ — ١٧٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٧ ، الملحق ١ : ٧١ .

سحيم عبد بني الحسحاس

١ — كان سُحيم عبداً حبشياً أو نوبيّاً مغلّظاً قبيحاً . وتدل براعة سحيم في الشعر على أنه نشأ في الحجاز ، وإن كان لا يستطيع أن يؤدي عدداً من الحروف أداءها العربي : فقد لزمته اللُّكنة فكان يلفظ السين شيناً والطاء تاء .

ولما اشترى عبد الله بن أبي ربيعة (والد عمر بن أبي ربيعة الشاعر المشهور) سحيماً ، كان سحيم يقول الشعر . وأراد عبد الله أن يهبه لعثمان بن عفّان ، وكتب له بذلك . فكتب عثمان إلى عبد الله : « لا حاجة بنا اليه فارددْه ، فانما حظ أهل العبد الشاعر منه إذا شبع أن يشبّب بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوَهم . ويبدو أن عبد الله قد باعه إلى شخص يدعى مالكاً . ثم ان مالكاً ، فيما يقال باعه لبني الحسحاس ، وهم من بني أسد بن خزيمة .

ولا ريب في أن سحيماً كان في ذلك الحين مسنّاً ، فهو شاعر مخضرم ، كان قد أدرك الجاهلية ثم أدرك عثمان بن عفّان (٢٣ — ٣٥ هـ = ٦٤٤ — ٦٥٦ م) ، وقُتِلَ في أيامه في الاغلب ، قتله بنو الحسحاس . ذكروا أن سحيماً قال :

ولقد تحدّر من كريمة بعضهم عرق على جنب الفراش وطيب ،

فأدركتهم الغَيرة ، فأخذوه مرة شارباً ثملاً (طبقات الشعراء ٤٤) ، ثم عرضوا

١ الفتى : السيد الشجاع . المزلج : الناقص ، البخيل .

٢ يملأ الشيزى (الوعاء الكبير) ، كناية عن الغنى والكرم . يروى سنانه : (يكثر الطعن بالرمح) . الكمي : البطل . المدجج : الكامل السلاح .

٣ ولا في بيوت الحي بالمتولج : لا يدخل إلى بيوت الناس سراً ومكراً (كناية عن عفته) .

عليه نسوة ، حتى إذا مرت عليه التي كانوا يرمونه بها أشار لها بيده — فلزمته الحجّة — فقتلوه نحو سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) .

٢ — سُحيم شاعر محسن حلو الشعر رقيق حواشي الكلام ، وأكثر شعره الغزل ، وغزله فاحش . ولسحيم شيء من الفخر والحماسة وشيء من الوصف للمطر . وله أيضاً شيء من الأدب (الحكمة) يكثر فيه ذكر الموت . وفي عدد من ألفاظ سحيم وتراكيبه خصائص شبه محدثة تجعلها قريبة الشبه بشعر عمر بن أبي ربيعة .

٣ — المختار من شعره

— كان سحيم يحب امرأة من أشراف بني تميم بن مُرّ اسمها غالية فقال فيها القصيدة التالية يُكني فيها عنها باسم « عُميرة » . هـذه القصيدة أطول قصائد سحيم وأشهرها :

عُميرةَ ودّعْ ان تجهّزتَ غاديا ، . كفى الشيبُ والاسلام للمرء هاديا .
ليالي تصطاد القلوب بفاحمٍ تراه أثيثاً ناعمَ النَّبْت عافيا[1] ،
وجيد كجيد الرئم ليس بعاطلٍ ، من الدرّ والياقوت والشَّذْر حاليا[2] .
كأنّ الثُريّا عُلّقتْ فوق نَحْرها وجمر الغَضى هبّت له الريح ذاكيا[3] .
ومن يَكُ لا يبقى على النأيِ ودّهُ فقد زوّدتْ زاداً عميرةُ باقيا .
أَلِكْني اليها — عمرُكَ اللهَ — يا فتى ، بآيةِ ما جاءت الينا تَهاديا[4] ،
وبِتْنا وِسادانا إلى عَلجانةٍ وحِقْفٍ تَهاداه الرياحُ تَهاديا[5] .
تُوَسّدني كفّاً ، وتَثْني بمِعْصَمٍ عليّ ، وتحوي رِجلها من ورائيا .

---

١ الفاحم : (الشعر) الأسود . الأثيث : الكثير ، الكث . العافي : الكثير .
٢ الجيد : العنق . الريم ، الرئم : الغزال الأبيض . عاطل : غير مزين بحلي . الشذر : خرز من فضة أو قطع من الذهب صغيرة تسلك في العقد بين اللؤلؤة واللؤلؤة . حال : مزين .
٣ الغضى : حطب جزل تدوم النار فيه طويلا . ذاك : ذو رائحة طيبة .
٤ ألكني : أحمل مني رسالة . بآية : بعلامة . تهادياً (مصدر) : التمايل في المشي . تهاديا (فعل) : تهادى ، تتهادى : تميل في مشيها (؟) أو تهاديا (مصدر « تتهادي تهادياً ») .
٥ بتنا وسادانا : قضينا الليل على وسادتين : علجانة (شجرة ...) وحقف (قطعة من الرمل مستديرة الشكل) . تهاداه الرياح تهادياً : تحركه الريح من مكان إلى آخر .

وهبّتْ لنا ريحُ الشَّمال بقُرَّة ، ولا ثوبَ إلا بردُها وردائيا [١] .
فما زال بُردي طيّباً من ثيابها إلى الحَوْلِ حتّى أنْهجَ البُرْدُ باليا [٢] .

٤ – ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (ميمني) القاهرة (دار الكتب) ١٩٥٠م .
** بروكلمان ١ : ٣٧ ، الملحق ١ : ٧١–٧٢ .

عليّ بن أبي طالب

١ – وُلِدَ عليّ بن أبي طالب عام ٢٣ ق. ه. (٦٠٠ م) . وبما أن أباطالب أصبح ، في آخر أيامه كثير العيال ضيّق الرزق ، فقد كفل كلُّ أخ من اخوته أحدَ أبنائه . أما محمدٌ عليه السلام ، ابن أخي أبي طالب ، فقد ضمّ اليه علياً .

وصدع الرسول بالدعوة عام ٦١٠ م فكان عليّ من أوائل الذين استجابوا لدعوته . وأصبح عليّ مكيناً عند الرسول فزوّجه ابنته فاطمة وأصبح يعتمد عليه في أمور كثيرة : ففي يوم هِجرة الرسول إلى المدينة تخلّف علي في مكة ليرد الودائع التي كانت للمكيين عند رسول الله . وفي المدينة كان علي يسير مع الرسول في غزواته فيُبلي فيها البلاء الحسن ، أو يَخْلُفُ الرسولَ على المدينة في أثناء غياب الرسول عنها .

ولما توفّي الرسول (١١ ه = ٦٣٢ م) طمع علي ، بما له من السابقة في الاسلام ، ومن المكانة عند الرسول ، بالخلافة ولكن لم يصل اليها إلاّ بعد أن وليها أبو بكر وعمر وعثمان ، وقد كان علي يعتقد أن الخلفاء الثلاثة قد حالوا بينه وبين الخلافة مدة طويلة . على أنه كان في أثناء ذلك كله مثال الرجل النبيل الذي لم تَغلِب رغبته السياسية واجبَه في خدمة الاسلام والمسلمين .

ولما قتل عثمان ، في ١٨ ذي الحجة من سنة ٣٥ (١٨–٦–٦٥٦ م)، واضطرّ علي إلى قَبول الخلافة كانت الاحوال مضطربة جداً . وأراد علي أن يسير بالحزم والعدل ، ولكن عصيان معاوية عليه وإلحاح العثمانية بالاقتصاص من قتلة عثمان (والمطالبون بدم عثمان هم الذين كانوا قد قتلوا عثمان أو حضّوا على قتله) شغلاه عما يريد . وبتأثير ذلك توقفت الفتوح أيضاً .

---

١ القرة : البرد . – وليس علينا إلا ثوبها وثوبي .
٢ – ظلت رائحة ثوبي طيبة من لمس ثوبها حولا (عاماً كاملا) إلى أن تهرأ ثوبي .

ثم نَشِب القتال بين علي وبين خصومه : أثارت عليه عائشة بنت أبي بكر وزوج الرسول صلى الله عليه وسلّم حرب الجمل ، بتحريض معاوية وبتأييد طلحة والزبير – وقد كانا يطلُبان الخلافة – فانتصر عليٌّ عليهم في جُمادي الآخرة من سنة ٣٦ هـ (كانون الأول ٦٥٦ م) .

ثم تصدّى معاوية لعليّ فنشبت بينهما المعارك في صفّين (قرب الانبار على الفرات من الجانب الشمالي الغربي من العراق) . وكثُر القتلى في جيش الإمام عليّ من غير أن تنجلي المعارك عن نصر حاسم لأحد الفريقين . ورفع جيش معاوية المصاحف على رؤوس الرماح يطلبون التحكيم إلى كتاب الله . وأدرك عليّ أن ذلك كان خدعة ، ولكن أتباعه الذين كانوا قد سئموا القتال أصروا على الاستجابة لدعوة التحكيم . وعيّن معاوية حكماً من أتباعه هو عمرو بن العاص أحد دُهاة العرب ، وأراد عليّ أن يجعل عبد الله بن عباس حكماً في ذلك الخلاف . ولكن أتباع عليّ أرادوا رجلاً ليّناً يشتري لهم الصلح مهما كان الثمن فأصروا على أبي موسى الاشعري . واتفق الحكمان على تأجيل التحكيم عاماً ريثما تهدأ ثائرة القوم وينسى الناس قتلاهم .

وفي رمضان من سنة ٣٧ هـ (شباط ٦٥٨ م) اجتمع أبو موسى وعمرو بن العاص في اذرح في شرقي الشام (سورية) واتفقا فيما بينهما على أن يخلعا علياً ومعاوية ويتركا الأمر للمسلمين يولّون على أنفسهم من شاءوا . وصَعِد أبو موسى منبراً واعلن خلع عليّ ومعاوية . ثم صعد عمرو وأعلن أنه يخلع علياً كما خلعه أبو موسى ويثبت معاوية . وارتحل عمرو حالاً بمن معه إلى دمشق فنصَب معاوية نفسه في دمشق خليفة . فانقسم العالم الاسلامي بذلك بين خليفتين : الإمام عليّ في الشرق (في شبه جزيرة العرب والعراق وفارس) ومعاوية في الغرب (الشام ومصر) .

وسئم قسم من أتباع علي هذا النزاع فخرجوا من صفوفه فأصبحَ اسْمُهم « الخوارج » . ثم ان نفراً من هؤلاء الخوارج هم البرُك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي وعبد الرحمن بن مُلجم المرادي اتفقوا على أن يقتُلوا معاوية وعمرو بن العاص وعلياً ؛ فنجا معاوية وعمرو ، واستطاع عبد الرحمن ابن ملجم أن يقتل علياً في ١٧ رمضان من سنة ٤٠ هـ (٢٤–١٢–٦٦١ م) .

٢ – كان عليّ بنُ أبي طالبٍ خطيباً وشاعراً مجوِّداً (العمدة ١ : ٢١) وحكيماً. قال أبو زيدٍ القُرَشيّ [١] « ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا وقد قال الشعر ، ... قال علي بن أبي طالب عليه السلام :

الا طَرَقَ الناعي بليلٍ فراعني وأرّقني لما استقرّ مُنـاديا » .

للإمام علي ديوان متداوَلٌ فيه نحو ألفٍ وأربعمائةٍ بيت أكثرها لا ينطق عن بلاغة عُرِفَ بها علي بن أبي طالب . ووَجْهُ الصَوابِ أن يقال إن علياً كان مقتدراً على قول الشعر ، ولكن الذي وصل الينا من الشعر المنسوب اليه منحول أكثره .

على أن الذي لا ريب فيه أن علياً كان خطيباً قديراً ومن مشاهير الخطباء ، تدل على ذلك خطبه المتفرقة في كتب الأدب وخطبه المجموعة في « نهج البلاغة » .

وخطب علي بن أبي طالب قصارٌ في الاكثر ، موجزة ، قصيرة الجمل ، متينة التركيب ، جامعة لأوجه البلاغة ، واضحة المقاصد ، تكثر فيها الكَلِمُ الجوامع (الحكم) . ومعظم خطبه في السياسة وفي ذم العامة من أتباعه ، وأقلّها في الزهد .

أما الحكم التي تتخلل خطب الإمام علي فهي بارعة جداً . وحسبك في ذلك قول الجاحظ [٢] :

« قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : **قيمة كلّ انسان ما يُحسن**[٣] . فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ، مُجْزِئَةً ومُغْنِيَةً ، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية وغير مُقَصِّرة عن الغاية » .

٤ – المختار من خطبه وحكمه

– **الجهاد** : أغار سفيان بن عوفٍ الازدي الغامدي على مدينة الانبار زمان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهُ ، وعلى الانبار يومذاك اشرس بن حسان [٤] البكري . وقد استطاع سفيان أن يقتل اشرس وان يرد خيل علي بن ابي طالب عن المسلحة (المكان الذي يرابط فيه الجند عند مركز حربي) . حينئذ خطب

---

١ جمهرة اشعار العرب ١٩ ؛ راجع أيضاً العمدة ١ : ١
١ البيان والتبيين ١ : ٨٣ .
٢ راجع أيضاً الصناعتين القاهرة (دار احياء الكتب العربية ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م) ٢٣٢ .
٣ في الخطبة : حسان بن حسان .

الامام عليٌّ خطبته التالية :

أمّا بعدُ ، فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة فتحه اللهُ لخاصّة أوليائه . وهو لباس التقوى ودرْعُ الله الحصينة وجُنّته الوثيقة ؛ فمن تركه رَغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذل وشَمِله البلاء [1] ، وسِيمَ الخَسْفَ ومُنِعَ النّصَفَ [2] .

إلا وإني قد دعوتُكم إلى قتال هؤلاء القوم [3] ليلاً ونهاراً ، وسراً واعلاناً وقلت لكم : « اغزُوهم قبل أن يغزوكم » . فوالله ، ما غُزيَ قومٌ في عُقرِ دارهم إلا ذَلّوا . فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنّتِ الغارات عليكم ومُلِكَت عليكمُ الاوطان . وهذا أخو غامد وقد وَرَدَتْ خيلُه الانبار ، وقد قَتَلَ حسانَ بنَ حسان البَكريّ ، وأزال خيْلَكم عن مَسالحها [4] .

فيا عجباً : واللهِ ، يُميت القلبَ ويَجلُبُ الهمَّ اجتماعُ هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم . فقبحاً لكم وترَحاً [5] حين صِرْتم غرضاً يُرمى [6] : يُغارُ عليْكم ولا تُغيرون ، وتُغْزَوْنَ ولا تَغزُونَ ، ويُعْصى الله وتَرْضَوْنَ . فإذا أمَرْتكم بالسير اليهم في الصيف قلتم هذه حَمارّة القيظ ، أمْهِلنا حتى يَسْبَخَ عنا الحر [7] . وإذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صَبارّة القُرّ [8] ، أمْهِلنا حتى يَنْسَلِخَ عنا البردُ . كل هذا فِراراً من الحر والقَرّ . فأنتم، واللهِ ، من السّيْفِ أفَرّ .

يا أشباهَ الرجالِ ولا رجالَ . حلومُ الأطفال ، وعقولُ ربّاتِ الحجال [9] . لَوَدِدتُ أني لم أرَكم ولم أعرِفْكم . معرفةٌ ، واللهِ ، جرّت ندَماً ، وأعقبت سَدَما [10] . قاتلكم اللهُ ، لقد شحنتم صدري غيظاً ، وأفسدتم عليّ رأيي

١ الجنة (بضم الجيم) : الوقاية ، الستر . شمله البلاء : عمته المصائب .
٢ النصف : الانصاف . الخسف : الذل .
٣ أهل الشام أتباع معاوية .
٤ أخو غامد : سفيان بن عوف أرسله معاوية لشن الغارات على أطراف العراق .
٥ الترح : الحزن . الغرض : الهدف ، أي تصيبكم المصائب .
٦ هدفاً للهجمات والاعتداء .
٧ حمارة القيظ : أشده . يسبخ : يخف .
٨ صبارة القر : شدة البرد . الأصل في القر أن تكون مضمومة ولكنها فتحت هنا اتباعاً للفظة الحر .
٩ حلوم : عقول . ربات الحجال : النساء .
١٠ السدم : الاسف .

بالعِصيان والخِذلان ، حتى قالت قُرَيْشُ : إنّ ابن ابي طالب رجلٌ شجاع ، ولكن لا علمَ له بالحرب . لله أبوهم ! وهل أحدٌ منهُمْ أشدّ لها مِراساً [١] ، وأقدم فيهَا مُقاماً مني ؟ لقد نَهَضْتُ فيهَا وما بَلَغْتُ العِشرين ، وها أنا قد ذرّفت على الستين [٢] ، ولكن لا رَأْيَ لمن لا يُطاع .

– سمع عليٌّ قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيامَ حربهم بصفين ، فخطب فيهم وقال :

إني أكرهُ لكم أن تكونوا سبّابين . ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوبَ في القول وأبلغَ في العُذْر [٣] ، ثم قلتم مكان سبّكم إياهم : اللهمّ احقُنْ دِماءَنا ودماءهم [٤] ، وأصْلِحْ ذاتَ بينِنا وبيْنِهم [٥] وَاهْدِهم من ضَلالتِهم حتى يعرفَ الحق مَنْ جَهِلَهُ ويرعويَ عن الغي والعُدوان من لَهِجَ به [٦] .

– كان الخوارج يتنادَون للاجتماع بقولهم : « لا حكم إلا لله » . وكانوا يقصِدون بهذا النداء ان يضعفوا مركز الإمام عليٍّ ، إذ يَعنون ان لا سلطة للإمام علي عليهم لأن السلطة الحقيقية هي لله . ففي يوم من الأيام سمع الإمام علي الخوارج يحكّمون (يقولون : لا حكم إلا لله) فقال :

كلمةُ حقّ يُرادُ بها الباطل ! نعم ، إنه لا حُكْمَ إلاّ لله ، ولكن هؤلاء يقولون : لا إمرة إلاّ لله . وانه لا بُدّ للناس من أميرٍ برّ أو فاجر ، يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ، ويُبَلّغُ الله فيها الأجَل ، ويُجْمَعُ به الفَيْءُ ، ويُقاتَل به العدو ، وتَأْمَنُ به السُبُل ، ويُؤخذ به للضعيف من القويّ حتى يستريحَ برّ ويُستراح من فاجر .

– ومن حكمه

من كتاب الصناعتين : قيمةُ كل امْرِئٍ ما يُحْسِنُهُ (ص ٢٣٢) ، لولا

---

١ المراس : المعاناة . والتمرين .

٢ زادت سني على الستين .

٣ لو وصفتم أعمالهم فقط لبان تقصيرهم وعارهم . ولعذركم الناس .

٤ حقن الدم : حبسه . انقذ صاحبه من القتل .

٥ أصلح ما بيننا وبينهم .

٦ ارعوى : رجع . الغي : الضلال . لهج بالشيء : أولع به ، أكثر الكلام فيه .

أنّ الكلام يعاد لَتَنَفَدَ (ص ١٩٦)، السفر ميزان القوم (ص ٢٧٧)، كل شيء يَعِزّ حين يَنْزُر (يقلّ)، والعلم يعز حين يَغْزُرُ (ص ٣٣١).

– حقٌ وباطل ولكلٍّ أهلٌ – ان رُواةَ العلم كثيرٌ ورُعاتَهُ قليل – خاطبوا الناس على قَدْرِ عقولهم – من صارع الحقّ صرعه (الحقُ) – يوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم – الناس أعداءُ ما جَهِلوا – المرء مَخْبُوءٌ تحت لسانه – رأي الشيخ أحبّ إليّ من جَلَدِ الغُلام – اياكم والفُرْقَة فان الشاذّ من الناس للشيطان كما أن الشاذّ من الغنم للذئب.

ومن حكمه أيضاً: البخيل خازن لورثته – اللسان تَرْجُمان العمقل – المصيبة واحدة، فاذا جَزِعْتَ[1] كانت اثْنتين – الناس ثلاثة: عالم رَباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهَمَجٌ رُعاعٌ أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق – إياك ومودةَ الاحمق فانه يضرّك من حيث يرى أنه ينفعُك، ويسوءُك وهو يرى أنه يسرّك – أفضل الجِهاد مُجاهدةُ الرجل نفسَه – آفة العلم تَرْكُ العمل به – خير المواهب العقل – رب كلمة سلبت نعمة – عَودُك إلى الحق خير من تماديك في الباطل – من سلّ سيف العُدوان قُتِل به.

٤ – ان الطبعات من نهج البلاغة ومن ديوان علي بن أبي طالب كثيرة:

نهج البلاغة ... جمع الشريف الرضي، ومعه شرح ابن ابي الحديد، القاهرة (البابي) ١٣٢٩ هـ.

نهج البلاغة ... شرح الشيخ محمد عبده، القاهرة.

نهج البلاغة ... شرح الشيخ محمد عبده (محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة (التجارية) بلا تاريخ.

ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، بيروت (الاهلية) ١٣٢٧ هـ.

ديوان سيدنا علي بن أبي طالب، بولاق ١٣٥١ هـ.

ديوان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (محسن الامين)، دمشق ١٩٤٧ م.

ديوان علي بن ابي طالب، مصر (المطبعة العلمية) ١٣١١ ثم ١٣١٢.

---

١ الجزع هو الحزن مع الجبن عن احتمال المصيبة وعن الثبات في المآزق.

** ترجمة علي بن أبي طالب ، تأليف أحمد زكي صفوت ، القاهرة ١٩٣٢م
غرر الحكم ودرر الكلم .... من كلام .... الإمام علي بن أبي طالب ، جمعه عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الآمدي التميمي ، صيدا ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م .
نهج البلاغة ، تأليف عمر فروخ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٣ م .
دراسات في نهج البلاغة ، تأليف محمد المهدي شمس الدين ، النجف (مكتبة الامين) ١٩٥٦م .
علي بن أبي طالب : شعره وحكمه ، تأليف أحمد تيمور ، القاهرة ١٩٥٨ م .

قيس بن عمرو النجاشيّ الحارثيّ

١ — هو قيس بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب ، وُلد في نَجران اليمن وفيها نشأ ، وقد لُقّب بالنجاشي لأن لونه كان يشبه لون الحبشة .

نشأ النجاشي رقيق الدين فاسقاً هجّاء ، هاجى عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت وهو لا يزال في اليمن . ثم إنه جاء إلى الحجاز ، في خلافة عمر ، فلَقِيَ عبد الرحمن بن حسان في ذي المَجاز ثم في مكة وهاجاه طويلاً ، ولكن عبد الرحمن غلبه في الهجاء . وتعرض النجاشي بالهجاء لبني العَجلان ، وشاعرهم يومذاك تَميم بن أُبَيّ بن مُقبل العَجلانيّ ، فأفحش في هجائهم . « فهدّده عمر وقال له : ان عُدتَ (إلى الهجاء) قطعت لسانك »[1] .

وكان النجاشي ، في خلافة عليّ ، يسكن الكوفة فأُخذ مرة وهو سكرانُ في

[1] الشعر والشعراء ١٨٩ .

رمضان فجلده عليّ ثمانين جلدة [1] ثم زاده عشرين لجرأته على حدود الله في شهر رمضان . على أن هذا لم يمنع النجاشي من أن يظل من أشياع الإمام علي [2] وان يرافقه إلى صفين بشعره . وأدرك النجاشي مقتل الحسين بن عليّ (٦٠ هـ = ٦٨١ م) ، ثم عاد بعد ذلك إلى لَحج في اليمن وتوفّي هنالك بعد أمد يسير .

٢ – النجاشي شاعر مخضرم هجّاء خبيث اللسان ، ولكنّ له شيئاً من المدح والطرد . وشعره سهل عذب له ديباجة .

٣ – المختار من شعره

– قال النجاشي يمدح عليّاً ويعرّض بمعاوية :

يا أيّها الملكُ المُبدي عداوتَه ، روّئْ لنفسك أيَّ الأمر تأتمرُ [3] .
وما شعَرت بما أضمرتَ من حنق حتّى أتتني به الاخبار والنُذُر .
فان نَفِسْتَ على الاقوام مجدَهم ، فابسُطْ يديك فان الخير يُبْتدر [4] .
واعلم بأن عليّ الخيرَ من نفر شُمِّ العرانين لا يعلوهمُ بشر .
نِعْمَ الفتى أنت ، الاّ أن بينكما كما تفاضل ضوء الشمس والقمر .
وما إخالُكَ الاّ لست مُنْتَهياً حتّى يَمسّك من أظفاره ظُفُر [5] .
إنّي امرؤ قلّ ما أثني على أحد حتّى أرى بعضَ ما يأتي وما يَذَر [6] .
لا تَمدَحنّ امرأً حتّى تجرّبَه ، ولا تذمّنّ ما لم يَبْلُه الخَبَر [7] .

---

١ حد الخمر محمول على حد قذف المحصنات ؛ وحد قذف المحصنات ثمانون جلدة (سورة النور ، ٢٤ : ٤) .

٢ جاء في الاصابة ، رقم ٧٣٠١ و ٨٨٥٤ ، أن النجاشي هرب بعد هذه الحادثة إلى معاوية وهجا علياً . (راجع أيضاً حاشية عبد السلام محمد هرون في البيان والتبيين ١ : ٢٣٩ – ٢٤٠ ح ٥) .

٣ روئْ لنفسك : فكر طويلا : أي الأمر تأتمر : تعزم عليه .

٤ نفس على فلان أمره : حسده عليه ، ظنه غير جدير به . الخير يبتدر : أفضل الناس من سبق إلى فعل الخير .

٥ لست منتهياً : لا تترك (عداوتك للاخرين) . مسك ظفر : أصابك شر .

٦ يذر : يترك (لا ماضي لها من لفظها) .

٧ ما لم يبله (يختبره) الخبر : ما لم يصدق اختبارك له ما سمعته عنه .

– وقال يمدح هند بن عاصم السلولي :

إذا الله حيّـا صالحـاً من عباده كريماً ، فحيّا اللهُ هندَ بن عاصم !
وكلُّ سلوليّ ، إذا مـا لقيتَه ، سريـع إلى داعي النّدى والمكارم .

– وقال في هجاء بني العجلان ، وهي الابيات التي هدّد عمرُ بن الخطاب النجاشيَّ من أجلها بقطع لسانه (والهجاء فيها جاهلي المَنْحى يرى الشرف في الظلم والسبق إلى الماء الخ) :

إذا الله عادى أهلَ لؤم ورِقّة ، فعادَى بني العجلان رهطَ ابنِ مُقبل[1] :
قُبَيِّلة لا يَغْـدُرونَ بذِمّـة ولا يظلمون النـاس حبّة خَرْدل .
ولا يَرِدون المـاء إلا عشيّةً ، إذا صدر الوُرّاد عن كل مَنْهل .
تَعاف الكلاب الضارياتُ لحومَهم وتأكل من كعب وعوف ونَهشل[2] .
وما سُمّي العجلانُ إلاّ لقولهم : خذِ القَعب واحلُب ، أيها العبدُ ، واعجَلِ[3] .

** بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٣ .

أبو الطمحان القيني

١ – هو أبو الطَمَحان حنظلة بن الشَرقيّ أحد بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله من قُضاعة .

كان أبو الطَمَحان القيني فارساً صُعلوكاً لصّاً كثير الغارات والمخاطرة بنفسه ، وكان فاسد الدين في الجاهلية والاسلام . وهو تِربٌ للزبير بن عبد المطّلب نزل عليه في الجاهلية في مكّة مدة طويلة ونادمه .

واتّفق أن كان ابو الطَمَحان مرة مجاوراً في بني جَديلة من طيّء ، فوقعت بين بني جديلة هؤلاء وبين أقاربهم بني الغَوْث حرب عُرفت بحرب الفساد أو أيام الفساد لِما كان بين الفريقين في أثنائها من القسوة . وأُسِرَ أبو الطمحان في هذه الحرب . فقال أبو الطمحان في أسره قصيدة يمدح بها بُجيرَ بن أَوْسِ بن

١ الرقة : الفقر .
٢ عاف يعاف : ترك . الضاري : الوحش الجائع . الكلاب الجائعة تأنف من أن تقرب لحومهم (لنتن تلك اللحوم ، كناية عن ذلتهم) .
٣ القعب : اناء ضخم يحلب فيه اللبن الحليب .

حارثة بن لأم الطائي فاشتراه بجير ثم أطلقه بعد ذلك فمدحه أبو الطمحان بعدد من القصائد .

وجنى أبو الطمحان مرّة جناية فطلبه السلطان (الدولة) ففرّ ثم لجأ إلى مالك ابن سعد أحد بني شُميخ من بني فَزارة فأجاره مالك وآواه وأكرمه . وقد بقي ابو الطمحان إلى أن مات عند مالك بعد أن أسنّ كثيراً .

٢ – كان ابو الطمحان القيني شاعراً مخضرماً مطبوعاً فصيح الالفاظ متين التركيب بَدْوِيّ النفَس . وله ديوان لم يصل الينا منه إلا شيء يسير . أما فنونه فهي المديح والحماسة ، وله شيء من الحكمة .

٣ – المختار من شعره

– اشترى بُجير بن أوس أبا الطمحان واحتجزه مدّة . ثم ان ابا الطمحان مدح بجيراً ، فجزّ بجير ناصية أبي الطمحان وأطلقه . وأول تلك القصيدة :

إذا قيل : أيّ الناسِ خيرٌ قبيلةً ... وأصبرُ يوماً لا تُوارى كواكبُهْ [١] !
فان بني لأمِ بن عمرٍو أرُومةٌ ... علت فوق صَعبٍ لا تُنال مَراقبه [٢] .
أضاءت لهم أحسابُهم ووجوههم ... دُجى الليل حتّى نظّم الجَزْعَ ثاقبه [٣] .
لهم مجلسٌ لا يَحْصَرون عن الندى ... إذا مَطلبُ المعروف أجدب راكبه [٤] .

– وقال في الموت :

ألا علّلاني قبل نَوْحِ النوائحِ ... وقبل ارتقاء النفسِ فوقَ الجوانح ،
وقبل غدٍ ، يا لهفَ نفسي على غدٍ ... – إذا راح أصحابي ولستُ برائح [٥] :

---

١ يوماً : في يوم الحرب . لا توارى كواكبه : ينعقد غبار الحرب في الجو حتى يخفى نور الشمس وتظلم الدنيا فتعود النجوم إلى الظهور (الصورة بلاغية فقط ولا صلة لها بالناحية الفلكية) .

٢ الاروبة : الأصل . المرقب : المكان المرتفع الذي يشرف الانسان منه على ما حوله . الصعب : المكان الذي يصعب الارتقاء اليه .

٣ نظم الجزع (الخرز) كناية عن شدة النور حتى يستطيع الانسان أن يسلك الخرز بالخيط في الليل المظلم .

٤ لهم مجلس (مشرع لجميع الناس) . لا يحصرون : لا يبخلون . إذا مطلب المعروف أجدب راكبه : إذا سعى أحد إلى المكان المعروف بالكرم ثم أجدب (لم ينل شيئاً) .

٥ .... وقبل خروج النفس من الجسد . – إذا راح (رجع أصحابي عشية بعد أن دفنوني) . ولست برائح : أما أنا فلا أستطيع أن أرجع حينئذ .

إذا راح أصحابي تَفيضُ دموعُهم وغُودِرْتُ في لَحْدٍ عليّ صَفائحي [1] .
يقولون : « هل أصلحتمُ لأخيكُمُ » ؟ وما اللحدُ في الأرض الفضاءِ بصالح ! [2] .

** الاغاني ١٣ : ٣–١٤ .

الخنساء

١ – هي تُماضِر بنت عمرٍو الشَريد من بني سُليم ، والخنساء لقب لها . وكان بنو سُليم يسكنون ما بينَ شَماليّ الحجاز ونجد . وقد خطبها دُرَيْد بن الصِمّة ، وكان شيخاً كبيراً فردتّه إذ آثرت ان تتزوج في قومها . وقد تزوّجت رَواحة بن عبد العُزّى السُلمي فولدت له عبد الله ، ثم خلف عليها مِرداس بن أبي عامر السلمي فولدت له زيداً ومعاوية وعمراً .

ثم قتل أخواها معاوية وصخر ، في الجاهلية : كان معاوية شقيقها وقد قتله هاشم وزيد المرّيان ، وكان صخر أخاها لأبيها طعنه أبو ثور الاسدي ، فاحتمل الطعنة عاماً ثم توفّي متأثراً بها فحزنت عليهما حزناً شديداً وأخذت برثائهما وبالبكاء عليهما حتى عَمِيَتْ . وسبب حزنها الشديد على أخيها صخر خاصة أنها كانت قد تزوجت رجلاً كريماً مسرفاً فأتلف ماله . فجاءت الخنساء إلى أخيها صخرٍ تشكو له ذلك فقاسمها مالَه . وعاد زوجها فانفق ما جلبته من أخيها . فعادت إلى أخيها مرتين أخْرَيَيْنِ فقاسمها في كل مرة منهما ماكان قد بقي معه في كل مرة .

ولما جاء الاسلام وَفَدَتِ الخنساء على الرسول مع قومها وأنشدته من شعرها وأسلمت بين يديه هي وقومُها . ولم تترك الخنساء الحزن على أخويها ورثاءَهما على الرُغم مما خوطبت به في ذلك . ولما وفدت على عمر بن الخطاب في المدينة – وكان لها من العمر خمسون عاماً – قال لها عمر ، وقد رأى شدة حزنها على أخويها : لماذا تَحْزَنين عليهما وهما في النار ؟ فقالت له : ذلك أدْعَى لحزني عليهما ، لقد كنت من قبلُ أبكي لهما من الثار وأنا اليوم أبكي لهما من النار !

ولقد كان للخنساء أربعة بنين ، فلما سار العرب لفتح العراق جمعت بنيها

---

١ غودر : ترك . اللحد : القبر . صفائح : حجارة رقاق مستطيلة توضع على القبور . علي صفائحي : الحجارة الخاصة بلحدي .

٢ هل أصلحتم لأخيكم : هل جعلتم قبره على مقتضى العادة والشرع . واللحد لا يكون صالحاً أبداً .

الاربعة وحَضّتهم على القتال ونصرة الاسلام فخاضوا معركة القادسية وَاستُشْهدوا جميعهم ، فلما جاءها النعِيّ بمصرعِهم لم تزد على ان قالت : الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مُستَقَرّ رحمته .

وقيل أن وفاة الخنساء كانت في سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ – ٦٤٥ م) ، في أول خلافة عثمان بن عفّان ، وقيل بل في سنة ٤٢ هـ (٦٦٣ م) ، في أيام معاوية .

٢ – الخنساء أعظم شواعر العرب على الاطلاق . وشعرها مقطعات كله ، وهو فصيح اللفظ رقيق متين السبك رائق الديباجة . وقد غلب على شعرها الفخر قليلاً والرثاء كثيراً لما رأينا من فجيعتها بأخويها خاصة . ورثاؤها واضح المعاني رقيق صادق العاطفة بَدْوِيّ المذهب على كثرة ما فيه من التلهّف والمبالغة في ذكر محامد أخويها .

٤ – المختار من شعرها

– من المختار من رثاء الخنساء لأخيها صخر قولها :

أعينيّ : جودا ولا تجمُدا ؛ ألا تبكيانِ لصخرِ النّدى ؟
ألا تبكيان الجريء الجميل، ألا تبكيان الفتى السيدا !
رفيعَ العماد طويل النجا د ساد عشيرته امردا .
إذا القوم مدوا بايديهمو إلى المجد ، مدّ اليه يدا ؛
فنالَ الذي فوق ايديهمو من المجد ثم انثمى مُصعِدا .
يحمّله القوم ما عالهم، وان كان اصغرهم مولدا .
وان ذُكِرَ المجد ألفيتَه تأزّرَ بالمجد ثم ارتدى .

– ومن رثائها المشهور :

يذكرني طلوعُ الشمس صخراً واندبه لكل غروب شمسِ .
ولولا كثرةُ الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي .
وما يبكون مثلَ أخي ، ولكن أعزي النفس عنه بالتأسّي .
فلا والله ، لا أنساكَ حتّى أفارقَ مهجتي وأزور رمسي .
فقد ودعت ، يوم فراق صخرٍ أبي حسانَ ، لذاتي وأنسي .
فيا لهفي عليه ولهفَ أمي : أيصبح في الضريح وفيه يمسي ؟

— ومن مراثي الخنساء المشهورة في أخيها صخر قولها :

قذى بعينك أم بالعـين عُـوّار ... أم ذرّفت، أم خلت من أهلها الدار[١] ؟
كأن عيني ، لذكراه إذا خطرت، ... فيض يسيل على الخدين مِدرار [٢] .
تبكي خُناس على صخر — وحُق لها، ... اذ رابها الدهر . ان الدهر ضرّار .
وان صخراً لَوالينا [٣] وسيدنـا ، ... وان صخراً إذا نشتو لَنَحّار [٤] .
وان صخراً لمقدام إذا ركبوا ، ... وان صخراً إذا جاعوا لعقّار [٥] .
وان صخراً لَتأتمُّ الهداة بـه ... كأنه علَم في رأسه نار [٦] .

٤ — ديوان الخنساء ، القاهرة ١٣١٥ ﻫ .

ديوان الخنساء ، مصر (المطبعة الوطنية) ١٣٠٥ﻫ = ١٨٨٨ .

أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ، بيروت (الكاثوليكية) ١٨٩٦ .

ديوان الخنساء (مع ديوان حاتم الطائي) ، بلا إشارة إلى مكان الطبع ١٣٢٦ ﻫ ، ١٣٤٨ ﻫ .

ديوان الخنساء (حسنين محمد الزيداني) ، القاهرة ١٣٢٦ ﻫ .

ديوان الخنساء ، بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٦٠ م .

شعر الخنساء (تحقيق وشرح كرم بستاني) ، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥١م .

•• الخنساء بقلم بنت الشاطئ ، أي عائشة عبد الرحمن ، بيروت (المعارف) ١٩٥٧ م .

I tempi, la vita e il canzionere della poetessa arabe al-Hansâ, per G. Gabrieli, Firenze 1899.

بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٠ .

---

١ القذى (الوسخ) دليل الرمد (المرض) ، والتذريف : كثرة البكاء (من الحزن) . والعوار : اثر العود إذا طرفت به العين . وكل هذه تؤلم وتمنع النوم .

٢ إذا خطرت ذكراه : إذا تذكرته . المدرار : الكثير المتدفق .

٣ الوالي : الذي يلي أمرنا (يهتم بنا) .

٤ نحار : كثير النحر (الذبح) للغنم والابل .... (كريم جداً) .

٥ مقدام : جريء . إذا ركبوا (استعدوا للذهاب إلى الحرب) . العقار : كثير الذبح للابل (كريم). أن الابل تعقر : (تضرب في إحدى قوائمها) أولا حتى تسقط أرضاً ، ثم تنحر (تذبح) .

٦ ان الهداة (الذين يهدون الناس) يهتدون بصخر . انه عظيم مشهور ظاهر لكل عين كالنار المشتعلة في رأس العلم (الجبل) .

ربيعة بن مقروم

١ – ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد الله ابن السيد بن مالك بن بكر .

أسلم ربيعة بن مقروم وحَسُن إسلامه ثم شَهِدَ فتحَ القادسية وغيرها من الفتوح ، وعاش في الاسلام زماناً . وتوفّي ربيعة بن مقروم وقد بلغ نحو مائة سنة .

٢ – ربيعة بن مقروم شاعر مخضرم مُجيد غريب اللفظ متين السبك جاهلي النَفَس ؛ من فنونه المدح والفخر والهجاء ، وله خمريات . وغزله من فاخر الشعر القديم ، وقد غُنِّيَ في شعره كثيراً .

٣ – المختار من شعره

– قال ربيعة بن مقروم في الفخر :

أمن آل هند عرفتَ الرسوما ... بجُمران قَفْراً أبت أن تريما[١] ؟
وَقَفْتُ – أسألها – ناقتي ، ... وما أنا، أمْ ما سُؤالي الرسوما[٢] !
وذكّرني العهدَ أيّامُها ... فهاج التذكّرُ قلباً سقيما[٣] ،
ففاضت دموعي – فنَهْنَهْتُها – ... على لحيتي ورِدائي سُجوما[٤] .
وإنْ تسألِيني فانّي امرؤ ... أُهينُ اللئيم وأحبو الكريما[٥] .
ويَحْمَدُ بذلي له مُعْتَفٍ، ... إذا ذم من يَعْتفيه اللئيما[٦] .
وأجزي القروضَ وفاءً بها : ... ببُؤس بَئيسى ونُعمى نَعيما[٧] .

---

١ الرسوم : الاطلال . جمران أو حمران : اسم موضع . أبت أن تريما : أن تتحول ، تمحي تماماً (هي باقية خالدة) .

٢ وقفت ناقتي (ناقتي مفعول به) . وما أنا أم ما سؤالي الرسوما ؟ : وأي فائدة لي من سؤال الرسوم (الاطلال) وهي لا تجيب .

٣ هاج : هيج . قلباً (مفعول به من الفعل « هاج ») .

٤ نهنهتها : كفكفتها ، حاولت أن أمنع دموعي . فاضت دموعي سجوماً (بكثرة واستمرار) .

٥ أحبو : أمنح ، أحمي ، أدافع عن (راجع القاموس ٤ : ٣١٥) .

٦ المعتفي (المحتاج إلى المعروف والذي لا يسأل الناس) يشكرني (على كثرة عطائي له) .

٧ أجزي الحسنة بمثلها والسيئة بمثلها . بئيسى : بؤس ، بوسى (الشدة ، الشقاء) .

– وقال يصف الخمر :

وفِتيان صِدْقٍ قد صَبَحتُ سُلافةً ، إذا الديك في جَوْشٍ من الليل طرّبا [١] :
سُخاميةً صَهباءَ صِرفاً ، وتــارة تَعاوَرُ أيديهم شِواءً مُضَهّبا [٢] .
ومَشْجوجة بالماء يَنْزو حَبابُها إذا المُسْمِع الغِرّيد منها تَحَبّبا [٣] .
وسِرب – إذا غصّ الجبانُ بريقه – حَمَيْتُ إذا الداعي إلى الرَوْع ثوّبا [٤] .
فلمّا انجلى عنّي الظلام دفعتُها يُشَبّهها الرائي سراحينَ لُغّبا [٥] .
إذا ما علت حَزْناً بَرَتْ صَهَواته ، وان أسهلت أذْرَتْ غُباراً مُطَنّبا [٦] .

– وقال في الغزل والحماسة :

شَمّاءُ واضحةُ العوارض طَفْلة كالبدر من خلل السحاب المُنجلي [٧] .

---

١ صبحتهم سلافة : سقيتهم خمراً في الصباح . الجوش : آخر الليل . طرب : تغنى (صاح) .
٢ سخامية : (لينة ، لا تحدث صداعاً) . صهباء : (حمراء) . صرفاً : (غير ممزوجة بماء) . تعاور (تتعاور) أيديهم : يتناول بعضهم من بعض . شواء (لحماً مشوياً) مضهباً (مقطعاً) .
٣ مشجوجة : ممزوجة . ينزو حبابها : تطوف فقاقيعها على وجهها ثم تتفجر تلك الفقاقيع فكأنها تنزو (تقفز) . المسمع الغريد : المغني الحسن الصوت : تحبب (في الأصل) : أظهر حبه للآخرين . وقيل : معناها هنا « روي منها » (المفروض أن الحباب أو ثاني أوكسيد الكربون يكون كثيراً حينما تكون الكأس مملوءة . أما هذه الخمر فان حبابها يظل كثيراً ولو شرب الشارب معظم كأسه . وذكر الشارب الفريد هنا لأن المغني في العادة يكون مشغولا بغنائه فلا يشرب كأسه بسرعة . والمفروض أيضاً أن الفقاقيع تتفجر ويطير منها ثاني أوكسيد الكربون . غير أن فقاقيع هذه الخمرة كثيرة لا تطير كلها حتى في الوقت الطويل) .
٤ وسرب : (من الجمال تأتي عليه غارة عظيمة حتى يجبن الشجعان أن يدافعوا عنه فأحميه أنا وحدي) . الداعي إلى الروع : المنادي مستجيراً وحاثاً القوم على الحرب . ثوب : كرر النداء (أو هرب مما كان قد دعا اليه) .
٥ فلما انجلى عني الظلام (ظلام المعركة) : انتصرت . دفعتها : سقتها (سقت الابل) أمامي . سراحين جمع سرحان : ذئب . لغب : (مسرعة في سيرها) .
٦ – إذا سارت في أرض صعبة (صخرية) قطعت رؤوس صخورها بأخفافها (مبالغة في تدخل في باب الاستحالة) . وإذا سارت في السهل أحدثت بشدة سيرها غباراً مطنباً (مرتفعاً عالياً لكثرته ولشدة اثارته) .
٧ الشمم : ارتفاع قصبة الأنف وحسن استوائها . واضحة : بيضاء . العوارض : جوانب العنق . طفلة : لينة . السحاب المنجلي : السحاب إذا كان منطبقاً ثم حدثت فيه ثغرة أو انشق وظهرت السماء منه بين أقسامه .

وكأن فاها بعد ما طَرَقَ الكرى كأسٌ تُصَفَّقُ بالرحيق السَلْسَل [1] .
لو أنها عَرَضَت لأشمطَ راهبٍ في رأس مُشرِفة الذّرى مُتَبَتِّل [2] ،
لَصَبَا لبهجتِها وحُسنِ حديثِها ولَهَمَّ من ناموسِه بِتَنَزُّل [3] .
ولقد شَهِدتُ الخيلَ يوم طِرادِها بسليمِ أوظفةِ القوائمِ هَيْكَل [4] .
فاذا جرى منه الحميمُ رأيتَه يهوي بفارسه هُوِيَّ الأجدل [5] .
ودَعَوْا : نَزالِ ! فكنتُ أوّل نازلٍ ، وعلامَ أركبه إذا لم أنْزِلِ [6] .
ولقد جمعت المال من جَمْعِ امرئٍ ورفعت نفسي عن كريم المأكل [7] ؛
ودخلت أبْنِيَةَ الملوك عليهمُ ، ولَشَرّ قول المرء ما لم يفعل [8] .
ولَرُبَّ ذي حَنَقٍ عليّ كأنّما تغلي عداوةُ صدره كالمِرْجل ،
أرْجَيْتُهُ عنّي فأبصر قَصْدَه ، وكَوَيْتُه فوق النواظر من عَلِ [9] .
ولقد أصبت من المعيشة لِينَهَا ؛ وأصابني منه الزمانُ بكَلْكل [10] .
ولقد أتت مِائَةٌ عليّ أعدّها حَوْلاً فحولاً إن بلاها مُبْتَلِ [11] ،
فاذا الشباب كمِبْذَلٍ أنْضَيْته ؛ والدهر يُبلي كلَّ جِدّة مبذل [12] .

١ بعدما طرق الكرى : بعد النوم . كأس (خمر) تصفق (تمزج) بالرحيق السلسل (هنا : الماء الصافي) .

٢ عرضت : بدت عرضاً . الأشمط : الذي يخالط سواد شعره بياض . مشرفة الذرى : رأس جبل . متبتل : تارك للزواج ومنقطع إلى عبادة الله .

٣ هم أن يتنزل من ناموسه : عزم على أن يترك نظام عبادته .

٤ الاوظفة جمع وظيف : إحدى العظمتين اللتين تتألف منهما الساق . هيكل : (حصان) عظيم الجسم .

٥ الحميم : الماء الحار (العرق الذي يجري من الحصان إذا اشتد ركضه) . يهوى : ينطلق بسرعة . الاجدل : الصقر .

٦ – وقال الاعداء : هجوم ؛... ولماذا اتخذ حصاناً إذا كنت لا أكر به (أهجم) في الحرب على الاعداء .

٧ – جمعت المال بالغزو (من رجل كان قد استولى عليه بالغزو) ، ثم تركته لمن كان معي ولم آخذ أنا منه شيء ، مع انه مال كريم (شريف) (!) .

٧ اقتحمت أبواب الملوك غازياً . وشر قول المرء الكذب .

٩ أرجيته عني : أجلت ، أخرت الانتقام منه . أبصر قصده : تبين الصواب . كويته فوق النواظر من عل : جعلته بذلك يرى نفسه ذليلا أمامي .

١٠ – ... وأصابني الزمان بالشقاء والفقر .

١١ اختبرت الحياة مائة عام : عاماً بعد عام ... ويعرف ذلك من استطاع أن يختبر طول الحياة كما اختبرته أنا .

١٢ – الشباب كالثوب يلبسه الانسان جديداً فترة ما ، ثم يخلعه إذا قدم وتهرأ . المبذل والمبذلة : الثياب التي نلبسها في أعمالنا العادية اليومية (كالشباب الذي نتمتع به باستمرار) .

كعب بن مالكٍ الانصاريّ

١ – هو كعب بن مالك من بني سَلِمَة (بفتح السين وكسر اللام) من الخزرج .

وُلِدَ كعب بن مالك في يثرب نحو عام ٢٥ ق. هـ. (٥٩٨ م) ، وكان في نحو الخامسة والعشرين من عمره لمّا شهد بَيعة العَقَبَة مع قومه ودخل في الاسلام. ثم انه شهد مع الرسول جميع الغزوات الا تَبوك .

في مطلع رجب من سنة ٩ هـ (أواسط تشرين الاول ٦٣٠ م) تجهّز الرسول في غزوة إلى تَبوك (في مدين ، شمال الحجاز) يريد فيما يبدو غزو الروم . وقد تخلّف ثلاثة وثمانون رجلاً من المسلمين عن هذه الغزوة بأعذار مختلفة : منهم من كان منافقاً ، ومنهم من رأى أن ثمر بستانه قد أدرك (في الخريف) فلا يريد أن يتركه ، ومنهم من خاف الحرّ وبُعد المسافة . ومنهم من كان فقيراً لا يملك راحلة يرحل عليها .

ولم يَلْقَ الرسولُ الرومَ ، فصالح عدداً من قبائل أهل شمالي بلاد العرب في أيلة (العَقَبة)* وأذرُح ودومة الجندل على الجزية . ولمّا عاد الرسول إلى المدينة جاءه المخلّفون يعتذرون اليه عن تخلّفهم فقبل أعذارهم إلاّ ثلاثةَ نفر : عبدَ الله بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية ، فانه سخط عليهم وترك كلامهم وأمر بأن يتجنب المسلمون كلامهم ؛ ثم أمرهم أن يعتزلوا نساءهم أيضاً . فبقُوا على ذلك خمسين يوماً حتى ضاقت بهم الدنيا . ثم نزلت آيتان من سورة التوبة (٩ : ١١٧ – ١١٨) : « لقد تاب اللهُ على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتّبعوه في ساعة العُسرة[١] من بعد ما كاد يَزيغ قلوبُ فريق منهم[٢] ؛ ثم تاب عليهم ، انه بهم رؤوف رحيم ؛ **وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا** ، حتّى إذا ضاقت عليهِمُ الأرضُ بما رَحُبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أنْ لا مَلْجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا . إن الله هو التوّاب الرحيم » .

---

* العقبة هذه بلد ساحلي في الشام (اقصى الجنوب من فلسطين). والعقبة التي ورد ذكرها قبل بضعة أسطر من ضواحي مكة.

١ كانت غزوة تبوك تسمى أيضاً غزوة العسرة لشدة حاجة المسلمين في ذلك الحين ، حتى كان الرجلان يقتسمان التمرة الواحدة .

٢ بعد أن كان فريق آخر من المسلمين يميلون إلى التخلف عن هذه الغزوة أيضاً .

وعَمِي كعب بن مالك في آخر عمُره ثم توفّي بين سنة ٥٠ وسنة ٥٥ هـ (٦٧٠ — ٦٧٣ م) ، وسنُّه في نحو السابعة والسبعين ؛ وكان عثمانياً من أنصار عثمان بن عفّان .

٢ — كعب بن مالك من فحول الشعراء ، مكثر مجيد ، وخصوصاً في الحماسة ووصف الحرب . وكان محدّثاً يروي الحديث عن رسول الله .

٣ — المختار من شعره

— قال كعب بن مالك يرثي حمزة بن عبد المطلب ، ابنَ عم الرسول ، وقد استُشْهِدَ يومَ أحُدٍ (٣ هـ = ٦٢٥ م) ويخاطب صَفيّةَ بنت عبد المطلب :

صفيّةُ ، قومي ولا تَعْجِزي … وبَكّي النساء عَلى حَمْزَةِ .
ولا تسأمي أن تُطيلي البُكا … على أسد الله في الهزّةِ [1] ،
فقد كان عِزّاً لأيْتامِنا … وليثَ المَلاحِمِ في البَزّة[2].
يُريدُ بذاك رِضا أحمدٍ … ورِضوانَ ذي العرش والعِزة !

— وقال في شأن يوم خيبر :

نحنُ وَرَدْنا خيبراً وفُروضَه … بِكُلِّ فَتىً عاري الأشاجِعِ مِذْوَدِ [3] ،
جَوادٍ لدى الغاياتِ لا واهن القُوى ، … جَريءٍ على الاعداء في كل مشهد [4] ،
عظيمِ رَمادِ القِدْرِ في كل شَتْوة ، … ضَروبٍ بنَصْل المَشْرَفِيِّ المُهنّد [5] .

---

١ الهزة ، (بفتح الزاي) : النازلة التي تهز الناس (من الشدة والهول) . الهزة (بالكسر) : صوت غليان القدر وصوت الرعد (دلالة على الرعب) . الهزهزة : الحروب .

٢ البزة (بفتح الباء أو كسرها) : السلاح (كان أسداً في الحرب إذا لبس سلاحه) .

٣ خيبر : حصن خيبر (كان اليهود قرب المدينة) فلما غدر اليهود بعهدهم للرسول أجلاهم الرسول عن الحصن وأخرجهم من الحجاز . الفروض جمع فرض : الطريق المؤدية إلى مكان ما . الاشاجع : أصول الاصابع في الكف . عاري الاشاجع : الخفيف اللحم ، الذي تكون عروق جسمه بارزة (فيكون جسمه مفتولا غير مترهل — كناية عن الصحة والقوة) . المذود : اللسان ، وهي هنا بمعنى الذائد المحامي (بلسانه وسيفه) .

٤ جواد لدى الغايات : حصان جواد (أصيل ، سريع) إلى الغايات (يسبق اليها كل أحد غيره) . المشهد : المكان تكون فيه المعركة الخ ...

٥ عظيم رماد القدر : يكثر الرماد في مواقده لكثرة ما يشعل من النار لطبخ الطعام (كناية عن كرمه) . الشتوة : الشتاء (لأن الحاجة إلى الطعام في الشتاء تكون أكثر ، والطعام نفسه يكون قليلا وعزيزاً) .

يرى القتلَ مَدْحاً إن أصاب شَهــادةً من الله يرجوها وفوزاً بأحمدِ *.
يَذودُ ويَحْمي عن ذِمارِ محمّدٍ ويَدْفَعُ عنــه باللِسان وباليد.

٤ — ** الاغاني ١٦ : ٢٢٦ — ٢٤٠ .

حسّانُ بن ثابتٍ الانصاريّ

١ — هو حَسّان بن ثابت بن المنذر من زيد مَناة بن عَديّ من بني مالك ابن النجّار ؛ والنجار هو تَيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخَزرج . وأم حسان هي الفُريعة بنت خالد بن حُبيش من الخزرج أيضاً . وكان أبوه ثابت وجدّه المنذر من أشراف قومهم والحكّام بين الاوس والخزرج . وكان جدّه خاصة عظيم الكرم محبّاً للسِلم : لما اختلف الاوس والخزرج بعد يوم سُميحة [١] في أمر القتلى والديّات ، أهدر المنذر ديات قومه الخزرج واحتمل ديات القتلى من الأوس من ماله حرصاً على السلم .

وُلِدَ حسّانُ نفسه في يَثْرِبَ نحو عام ٦٠ ق. هـ. (٥٦٣ م) ، ونشأ شاعراً يتكسب بالشعر ويتنقّل بين بلاط جِلّقَ وبلاط الحيرة ، وكان إلى الغساسنة أميل . وقد مدح من آل جفنةَ الغساسنةِ أولادَ الحارث الاعرج (توفي ٥٣ق.هـ. =٥٦٩ م) وأحفاده . واستمر الغساسنة في بِرِّ حَسّانَ ووصله بالجوائز حتى بعد أن دخل في الاسلام وأضْربَ عن مدحهم .

ولما هاجر المسلمون من مكّة إلى المدينة دخل حسّانُ في الاسلام باكراً وانقطع إلى الرسول يمدحه ويرد عنه هجاء المشركين من أمثال عبد الله بن الزِبَعْرى وعمرو بن العاص وأبي سفيانَ بن الحارث بن عبد المطّلب . غير انه لم يشهد الغَزَوات مع الرسول لأنّه كان جباناً .

ولم يكن لحسّانَ في أيام أبي بكرٍ وعمرَ نشاط سياسيّ ، فلماء جاء عثمانُ عاد له شيء من العصبية الجاهلية وأصبح عثمانياً يُمالئ بني أمية على عليّ . وقُتل عثمان فقال حسّانُ يشير إلى بني هاشم وإلى عليّ خاصة :

يا ليتَ شِعري ، ولستُ الطيرَ تُخبِرني، ما كان شأنُ عليٍّ وابنِ عَفّــانا .

١ بئر قرب المدينة .

* احمد من اسماء محمد رسول الله .

لَتَسْمَعَنّ وشيكاً في ديارِهِمُ: اللهُ أكبرُ ، يا ثاراتِ عُثمانا !

وكذلك كان حسّانُ خصماً لعائشة زوجِ الرسولِ ، وكان قد غمس لسانه في حديث الافك (٥ هـ = ٦٢٦ م) منذ أيام الرسول نفسه . ولكنّه عاد فاعتذر إلى عائشة بأبيات منها :

حَصانٌ رَزانٌ ما تَزِنّ بريبةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى من لحوم الغوافلِ[1] .

وأسنّ حسّانُ كثيراً ثم عَمِيَ في أواخر أيامه ، وتوفّي سنة ٥٤هـ (٦٧٤م) وقد زادت سنّه على مائة عام .

٢ — حسّان بن ثابت من فحول الشعراء ، كثير الشعر جيّده . وهو أشعر أهل المَدَر[2] . غير أنه كان في الجاهلية أشعرَ منه في الاسلام . وعلّل الاصمعيّ ذلك فقال : « الشعر نَكِدٌ ، بابُه الشرّ . فاذا دخل في الخير ضَعُفَ . هذا حسّان بن ثابت فحل فحول الجاهلية ، فلما جاء الاسلام سقط شعره »[3] .

وكانت أغراض شعر حسانَ في الجاهلية المدح والهجاء القبلي والشخصي ، وكان منها الرثاء والخمر والحماسة والفخر والغزل . وظلت هذه الاغراض أغراضَه في الاسلام ، سوى أنه وَقَفَ مَدْحَهُ على رسول الله وقَصَرَ هجاءه على المشركين الذين كانوا يتعرضون للرسول وللاسلام بهجائهم[4] . واكتسب شعر حسانَ في الاسلام كثيراً من العذوبة والاخلاص ، وكثرت فيه التعابير الاسلامية والاقتباس من القرآن الكريم . وحسانُ خليق أن يُسَمّى **رأسَ البديعيين** ، فهو الذي بدأ فن الشعر في المديح النبوي .

وحسان من الذين أجادوا المديح في الجاهلية وفي الاسلام .

---

١ الحصان (بفتح الحاء المهملة) المرأة الشريفة المتصونة . الرزان : الوقورة الرصينة . ما تزن بريبة : لا يتطرق الشك إلى سلوكها . غرثى : دقيقة الخصر . وتصبح غرثى من لحوم الغوافل : لا تغتاب أحداً .

٢ أهل المدن .

٣ راجع الموشح للمرزباني (جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ) ص ٦٢ ، ٦٥ .

٤ كان يوضع لحسان منبر في مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله (يرد على الذين كانوا يهجون رسول الله) — الكامل ٧٧٨ .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ قال حسان بن ثابت قبل الاسلام يمدح جَبَلَةَ بنَ الأيْهم * آخر ملوك الغساسنة :

لله دَرُّ عِصابةٍ نادَمْتُهم يوماً بجِلِّقَ في الزمان الأوّلِ ؛
يمشون في الحُلَلِ المُضاعَفِ نَسْجُها مَشْيَ الجِمال، إلى الجِمال، البُزّلِ[1] .
الخالطونَ فَقيرَهم بِغَنيّهِم ، والمُشْفِقون على الضعيف المُرْمِلِ[2] :
أولادُ جَفْنَةَ حول قبرِ أبيهمُ قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ[3] .
يُغْشَوْنَ حتّى ما تَهِرّ كِلابُهمُ لا يسألون عن السواد المُقْبِلِ[4] .
يَسْقُوْنَ مَنْ وَرَدَ البَريصَ عليهِمُ بَرَدَى يُصَفّقُ بالرحيقِ السَلْسَلِ[5] .
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحْسابُهم شُمّ الأنوف من الطِرازِ الأوّلِ .

ـ وقال حسان يوم فتح مكّة (٨ هـ = ٦٣٠ م) يذكر ذلك اليوم ويمدح الرسول ويهجو أبا سُفيان بن الحارث . وفي هذه القصيدة وصف للخمر وحماسة :

عَفَتْ ذات الاصابع فالجِواءُ إلى عَذْراءَ مَنْزِلُها خَلاءُ .

---

* انتهى ملك الغساسنة في الشام مع الفتح العربي في أيام عمر بن الخطاب . وقد أسلم جبلة بن الايهم وعاش حيناً في الحجاز . وحج جبلة مرة فاتفق أن وطئ أعرابي ثوبه في أثناء الطواف فلطم جبلة الاعرابي . فشكا الاعرابي ذلك إلى عمر ، فأمر عمر بأن ينتصف الاعرابي من جبلة بأن يلطمه كما كان جبلة قد لطمه . فقال جبلة لعمر : كيف يلطمني وأنا ملك (من أبناء الملوك ، وقد كنت ملكاً) وهو سوقة ! فقال عمر لجبلة : ان الاسلام قد سوى بينكما . فاستمهل جبلة عمر حتى يروي قليلا في أمره . فلما جاء الليل هرب جبلة إلى بلاد الروم ثم ارتد فيها عن الاسلام . وكانت وفاته في بلاد الروم عام ٦٤٤ م (٢٣ هـ) بعد وفاة عمر بقليل .

١ ـ يذهبون إلى الحرب في دروع منسوجة طبقتين كما يمشي الجمل البازل (الذي تم نموه فانشق اللحم عن نابه الأخير ، وذلك في التاسعة من عمره) إلى الجمل البازل .

٢ المرمل : الفقير (تمتلئ أوعية بيته بالرمل لأنها تكون مهملة بدلا من أن تكون مملوءة بالمؤونة) .

٣ جفنة بن عمرو أبو الملوك من بني غسان . مارية بنت الارقم أم الحارث الاعرج من ملوك غسان . ـ يمدحهم بالشجاعة وبالكرم .

٤ يغشون (يأتيهم الضيوف بكثرة) حتى ما تهر (لا تنبح) كلابهم (لأنها تعودت رؤية الضيوف) . لايسألون عن السواد المقبل : موائدهم تكفي للضيوف مهما كان عددهم .

٥ يسقون ضيوفهم الخمر ممزوجة بالماء البارد . البريص : مكان نهر بدمشق . بردى : اسم نهر في دمشق. وقيل برداً (ماء بارداً) .

ومنها :

إذا ما الأَشْرِباتُ ذُكِرْنَ يوماً فهنَّ لطَيِّبِ الراحِ الفِداءُ .
نُوَلِّيها المَلامةَ إنْ أَلِمْنا إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاءُ [1] ؛
ونَشْرَبُها فتَتْرُكُنا مُلوكاً وأُسْداً ما يُنَهْنِهُها اللقاءُ [2] .
عَدِمْنا خَيْلَنا إنْ لم تَرَوْها تُثيرُ النَقْعَ موعدُها كَداءُ [3] ،
يُنازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُصْغِياتٍ على أكتافها الأَسَلُ الظِماءُ [4] .
تَظَلُّ جِيادُنا مُتَمَطِّراتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النساءُ [5] .
فإمّا تُعْرِضوا عنّا اعتَمَرْنا وكان الفتْحُ وانكشفَ الغِطاءُ [6] .
وإلاّ فاصْبِروا لجِلادِ يومٍ يُعِزُّ اللهُ فيه مَنْ يشاءُ .
ألا أبْلِغْ أبا سُفيانَ عنّي مُغَلْغَلَةً فقد بَرِحَ الخَفاءُ .
بأنَّ سُيوفَنا تَرَكَتْكَ عبداً ؛ وعبدُ الدارِ سادَتُها الإماءُ [7] .
هَجَوْتَ مُحمّداً ، وأجَبْتُ عنه ؛ وعندَ اللهِ في ذاك الجزاءُ [8] !
أتَهْجوه ولستَ له بِكُفْوٍ ؟ فشَرُّكُما لخيرِكما الفِداءُ !
هجوتَ مباركاً بَرّاً حَنيفاً أمينَ اللهِ شيمتُه الوفاءُ [9] .

---

١ المغث : القتال والشر . اللحاء : السباب . — إذا وقع سباب أو قتال بيننا وبين قومنا فألمنا منه (تألمنا ، أسفنا لوقوعه) قلنا : الذنب في ذلك للخمر .

٢ نهنه : كف ، منع . اللقاء : القتال . وفي رواية : ما ينهنهنا (الكامل ٧٤) .

٣ موعدها كداء : فتح مكة (كداء : ثنية ، طريق ملتوية ، في الجبل عند مكة) .

٤ ينازعن الاعنة : يجذبن الاعنة من أيدي فرسانها (ان شوق الخيل إلى فتح مكة أكثر من شوق فرسان تلك الخيل) . الاسل : الرماح . الظماء : العطاش (الرماح أيضاً متشوقة إلى فتح مكة) .

٥ تمطرت الخيل : جاءت مسرعة . تلطمهن .... : تضرب النساء وجوه الخيل بخمرهن ليرددنها (الصورة غير واضحة في هذه المناسبة) .

٦ ان خليتم سبيلنا دخلنا مكة معتمرين (زائرين مناسك الحج في غير موسم الحج) . وكان الفتح : فتح مكة . انكشف الغطاء : تم وعد الله لرسوله بفتح مكة (تحقق الوعد بالغيب) .

٧ مغلغلة : رسالة .

٨ عبد الدار : بطن بن من قريش . « وعبد الدار سادتها الاماء » : (لعل هذا إشارة إلى معركة أحد . كانت الحرب في الجاهلية لبني عبد الدار ؛ حمل اللواء يوم أحد نفر منهم فقتلوا كلهم حتى حمله عبد أسود لهم اسمه صواب) .

٩ البر الذي يبغي الخير لقومه . الحنيف : الذي لم يعبد الاوثان في الجاهلية ، بل كان يؤمن بالله وباليوم الآخر من غير أن يجري على عبادة معينة . وفي رواية : حفيا .

أمن يهجو رسولَ الله منكم ويَمْدَحُه وينْصُرُه سواء ؟
فإنّ أبي ووالدَه * وعِرْضي لعِرْضِ محمّدٍ منكم وَقاء !

— في سنة ٩ هـ (٦٣٠ م) وفَدَ بنو تميم على الرسول في المدينة ، بعد أن كان الاسلام قد عم في بلاد العرب وفُتِحَتْ مكةُ نفسُها في العام السابق . وكان بنو تميم يَعْتَدّون بعَدَدِهم وبقوتهم ووجاهتهم في العرب . فلما دخلوا على الرسول قالوا له : « يا محمّد ، جئنا نفاخرك ، فأْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا » . قال : « قد أذِنْتُ لخطيبكم » . فقام عُطارد بن حاجب فخطب مفتخراً بتميم فردّ عليه من المسلمين ثابتُ بن قيس . ثم قام الزِبْرِقانُ بن بدر شاعر بني تميم فأنشد قصيدة مطلعها :

نحن الكرامُ فلا حيّ يعادِلُنا ، مِنّا الملوك وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ[1] .

فلمّا فَرَغَ من إنشاده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : « قُمْ ، يا حسّانُ ، فأجِبِ الرجلَ » . فقام حسان فقال :

انّ الذوائِبَ من فِهْرٍ وإخْوَتِهِمْ قد بيّنوا سُنّةً للناس تُتّبَعُ[2] .
يرضى بِهِمْ كلّ من كانت سريرته تقوى الإلـه ، وكلّ الخيرِ يُصْطَنَع .
قومٌ إذا حاربوا ضَرّوا عَدُوَّهُمُ أو حاولوا النفعَ في أشياعِهِم نفعوا .
سَجِيّةٌ تلك فيهم غيرُ مُحْدَثَة ، ان الخلائقَ ، فاعلَمْ ، شرّها البِدَع[3] .
ان كان في الناس سبّاقون بعْدَهُمُ ، فكلّ سَبْقٍ لأدنى سَبْقِهِمْ تَبَع .
لا يرْقَعُ الناسُ ما أوْهَتْ أكُفُّهُمُ ، عند الدِفاعِ ، ولا يُوهُونَ ما رَقعوا[4] .
ان سابقوا الناسَ يوماً فاز سَبْقُهُمُ ، أو وازنوا أهلَ مَجْدٍ بالنّدى مَتَعوا[5] .

---

١ البيع : أماكن العبادة . * والد أبي (جدي) .
٢ الذوائب : الشعر المتدلي من الرأس (المقصود : الرؤساء) . فهر : قريش (المهاجرون) . اخوتهم : الانصار (أهل المدينة) . قد بينوا سنة : جاءوا بطريقة (بدين ، أي الاسلام) .
٣ السجية الطبيعة . غير محدثة : قديمة (هؤلاء كانوا منذ أقدم الازمنة على التوحيد) . البدع جمع بدعة : الأمر الجديد المخالف لعادات القوم (وفيه شيء من السوء) .
٤ لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم : لا يصلح أحد ما مزقوه (اذا هزموا أحدا لم يستطيع أحد أن ينصره) .
٥ متع : ارتفع ، بلغ الغاية .

أعِفّةٌ ذُكِرَتْ في الوحْيِ عِفّتُهم   لا يَطْبَعون ولا يُرديهُمُ طَمَعُ[1] .
لا يَفْخَرُون إذا نالوا عَدُوَّهُمُ ،   وان أصيبوا فلا خَوْرٌ ولا جَزَعُ[2].
أكْرِمْ بقومٍ رسولُ الله شيعَتُهم،   إذا تَفاوَتَتِ الأهْواءُ والشيَعُ .

– لحسانِ بنِ ثابتٍ بِضْعُ مَراثٍ في الرسول أشهرُها التي تلي :

بِطيبةَ رَسْمٌ للنبيّ ومَعْهَدُ   مُنيرٌ ، وقد تَعفو الرسومُ وتَهْمَدُ[3].
ولا تَمّحي الآياتُ من دار حُرْمةٍ   بها مِنْبَرُ الهادي الذي كان يَصْعَدُ[4] ،
وواضحُ آياتٍ وباقي مَعالِمٍ   ورَبْعٌ له فيه مُصَلّى ومسجد .
بها حُجُراتٌ كان يَنْزِلُ وسْطَها   من الله نورٌ يُسْتَضاء ويُوقَد ؛
يُذَكّرْنَ آلاءَ الرسول ، وما أرى   لها مُحْصِياً نفسي ؛ فنفسي تَبَلّدُ
مُفَجّعَةً قد شَفّها فَقْدُ أحمد   فظلّت لِآلاءِ الرسول تُعَدّد .
فبُورِكْتَ ، يا قبرَ الرسول ، وبورِكَتْ   بِلادٌ ثوى فيها الرشيد المُسَدّد .
وهل عَدَلَتْ يوماً رَزِيّةُ هالِكٍ   رزيّةَ يومٍ مات فيه محمّد !
تَقَطّعَ فيه منزل الوحي عَنْهُمُ ؛   وقد كان ذا نور يغور ويُنْجِد ،
عزيزٌ عليه أن يَجوروا عن الهدى ،   حريصٌ على أن يستقيموا ويهتدوا .
وما فَقَدَ الماضون مثلَ محمّد ،   ولا مِثْلُه حتّى القيامةِ يُفْقَد .
رَبّاه وليداً – فاسْتَتَمّ تَمامُهُ   على أكرم الخَيْرات – ربٌّ مُمَجّد .
تناهت وَصاةُ المسلمين بكَفّه ،   فلا العلم محبوس ولا الرأي يَفْنَد[5].

٤ – ديوان حسّان بن ثابت الانصاري ، تونس (مطبعة الدولة التونسية) ١٢٨١ هـ .

ديوان حسان بن ثابت ، بومباي (المطبعة الحميدية) ١٢٨١ هـ .

---

١ طبع (بكسر الباء) : فسد . أرداه : أهلكه .
٢ الخور (بفتح الخاء والواو – وسكنت الواو هنا) : الضعف . الجزع : الاضطراب عند المصيبة .
٣ طيبة (بفتح الطاء) : المدينة . المعهد : المكان يتذكره الناس ويترددون عليه . همد : سكن ، بلي ، امحى .
٤ الهادي : الرسول . الذي كان (الرسول) يصعد اليه ويخطب منه .
٥ يفند : يفسد ، يضعف .

ديوان حسان بن ثابت ، لاهور ١٢٩٥ هـ .
ديوان حسان بن ثابت ، مصر (مطبعة الامام) ١٣٢١ هـ .
شرح ديوان حسان بن ثابت (شكري المالكي) ، القاهرة (مطبعة النيل) ١٩٠٤ م .
شرح ديوان حسان بن ثابت (عبد الرحمن البرقوقي) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٢٩ م .
ديوان حسان بن ثابت (العناني) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٣١ هـ .
ديوان حسان بن ثابت (هيرشفيلد) ، لندن ١٩١٠ م .
ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، بيروت (دار بيروت وصادر) ١٩٦١م.
حسان بن ثابت ، تأليف خلدون الكناني ، دمشق (مكتبة عرفة) ١٣٦٣هـ = ١٩٤٣ م .
شاعر النبي حسان بن ثابت الانصاري ، تأليف عبد الله أنيس الطبّاع ، بيروت (المعارف) ١٩٥٥ م .
عميد مدرسة الشعر الاسلامي حسان بن ثابت ، تأليف عبد المجيد الهندي ، القاهرة ١٩٥٨ م .
بروكلمان ١ : ٣١ — ٣٢ ، الملحق ١ : ٦٧ — ٦٨ ؛ زيدان ١ : ١٧١—١٧٣ .

الحطيئـــة

١ — اسمه جرَول بن أوس ، والحُطيئة لقب له لأنه كان قصيراً قريباً من الأرض ؛ استولده أوس بن مالك العبسي سِفاحاً من جارية اسمها الضَّرّاء كانت لبنت رياح بن عمرو . ثم ان الضراء تزوّجت الكلب بن كُنَيس بن جابر العبسيّ وكان أيضاً مدخول النسب .

ويبدو أن الضَّرّاء كانت مستهترة تقول لابنها الحطيئة : لست لواحدٍ ولا لاثنينِ ! وكان هو يعلم أنه زنيم وينْقُم على أمّه وعلى الناس من أجل ذلك . وهذا يفسّر لنا نقلَ نَسَبِه من قبيلة إلى قبيلة مرة بعد مرة ، كما يعلّل

لنا هجاءه لأمّه وأبيه ولنفسه ، ويعلّل هجاءه المُقذع ونيلَه من أعراض الناس حقاً وباطلاً . ولذلك أيضاً « كان الحطيئة ذا شرّ وسَفَه : جَشعاً سؤولاً مُلْحفاً في الطلب ، دنيء النفس كثير الشر قليل الخير بخيلاً بذيئاً هجّاء » (غ ٢ : ١٦٣) . وقال فيه ابن قتيبة (ص ١٨١) : « كان رقيق الدين لئيم الطبع » . على أنه – كما قال الاصفهاني (غ ٢ : ١٥٨) – « من أولاد الزنا الذين شَرُفوا » .

واشترك الحطيئة في الجاهلية في حرب داحس والغبراء .

وأسلم الحطيئة ووفَدَ على الرسول وأنشده . غير أن ابن قتيبة يتردد في قبول ذلك (ص ١٨٠) . ولمّا توفي الرسول ارتد الحطيئة مع قومه وقال بيتين يحلاّن مشكلة من مشاكل الرِدّة في الاسلام . ظنّ جماعة من الدارسين ان الرِدّة كانت ارتداداً من الايمان إلى الكفر . والحقيقة انها **كانت عِصياناً سياسياً واقتصادياً ، أو تَرْكاً لطاعة أبي بكر لأن العرب من غير أهل المدينة لم يكن لهم رأي في انتخابه خليفة . وكانت أيضاً امتناعاً عن إرسال أموال الزكاة (الضرائب) إلى المدينة قبل أن تستوفيَ كل مِنطقة حقها من الاموال التي جمعت منها .**

فقال الحطيئة :

أطعْنا رسولَ الله إذ كان بينَنا ، فيا لَعبادِ الله ، ما لأبي بَكرِ !
أيُورثُها بكراً ، إذا مات ، بعده ؟ وتلك – لعمرُ اللهِ – قاصمة الظهر .

وهدأ الحطيئة في خلافة أبي بكر في اليمامة . وفي أول خلافة عمر رأيناه يحمل شعره إلى العراق والحجاز مدحاً وهجاء . من ذلك هجاؤه للزبْرِقان ابن بدر .

كان الزبـرِقان بن بدر سيداً في قومه ، وكان بينه وبين بني عمه آل قُريع منافسة . فاتفق أن نزل الحطيئة في جِوار الزبرقان ثم انتقل إلى جوار بَغيض بن عامر بن شمّاس بن لأْي بن جعفر (الملقّب بأنف الناقة) بن قُريع في حديث طويل معقّد ، ثم أخذ بمدح بَغيض بن شمّاس وهجاء الزبرقان بن بدر . من ذلك قوله :

والله ، ما معشرٌ لاموا امرَأً جُنُباً في آل لأيٍ بن شمّاس بأكياسٍ [١] .
ما كان ذنبُ بغيضٍ ، لا أبا لَكُمُ ، في بائسٍ جاء يَحْدو آخرَ الناس ؟
لمّا بدا ليَ منكم عيبُ أنفسِكم، ولم يكن لجراحي منكمُ آسٍ [٢] ،
أزمعتُ يأساً مُبيناً من نَوالكمُ ؛ ولن يُرى طارداً للحُرّ كالياس [٣] .
جارٌ لقومٍ أطالوا هُونَ منزلِهِ وغادروه مُقيماً بين أرماسَ [٤] .
مَلّوا قِراه ، وهَرَّتْه كلابُهُمُ ، وجرّحوه بأنيابٍ وأضراس .
دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيتها واقْعُدْ فإنّك أنت الطاعمُ الكاسي [٥] .
من يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَه ، لا يذهبُ العُرْف بين الله والناس [٦] .

فشكاه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب ، وكان عمر أعلم الناس بالشعر [٧] ، ولكنه أراد أن تقوم الحجّة على الحطيئة من شاعر مثله [٨] فاستدعى حسانَ بن ثابت وقال له : ما تقول ، أهجاه ؟ فقال حسان ذرق عليه ! (كناية عن شدة هذا الهجاء وقبحه بالاضافة إلى المُثُل العليا الجاهلية) . فألقى عمر عند ذلك الحطيئة في السجن . فقال الحطيئة يستشفع عمر ويذكر له ان حبسه قد حال بينه وبين الاهتمام بأولاده :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخٍ حُمْرَ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ [٩] .
ألْقَيْتَ كاسِبَهم في قعرِ مُظْلمة ، فارحمْ — عليك سلامُ الله — يا عمر !

فخلّى عمر سبيل الحطيئة وأخذ عليه ألاّ يَهْجُوَ أحداً من المسلمين ثم أعطاه ثلاثة آلاف درهم يستغني بها عن الهجاء .

---

١ أكياس جمع كيس (وليست في القاموس) : عاقل ، ذكي .
٢ آسي : طبيب .
٣ — عزمت على أن أفارقكم مرة واحدة (ليأسي من عطائكم) . الياس : اليأس .
٤ الارماس جمع رمس : قبر . بين ارماس : مهدد بالموت .
٥ الطاعم الكاسي : الذي يطعمه الناس ويكسونه .
٦ الجوازي جمع جازية : من يثيب على عمل الخير . العرف : عمل الخير .
٧ البيان والتبيين ١ : ٢٣٩ .
٨ مثله ١ : ٢٤٠ .
٩ ذو مرخ : واد بالحجاز . حمر الحواصل : صغار الطير قبل أن يثبت الريش على نحورها (كناية عن أولاد الحطيئة) .

وبَقِيَ الحطيئة حيناً في المدينة ثم انتقل ، في خلافة عمر ، إلى حوران قاصداً علقمة بن عُلاثة ؛ وكان علقمة سيداً في الجاهلية ، أسلم وارتد ثم عاد إلى الطاعة وسكن حوران . ولكن علقمة كان قد توفّي قبل مُديدة فأعطى ابنُ علقمةَ للحطيئة مائةَ ناقةٍ معَ أولادها .

وفي أيام عثمان بن عفّان ذهب الحطيئة إلى الكوفة ثم عاد إلى المدينة . أما في أيام علي فقدِ انزَوَى ، ولكنه برز في أيام معاوية في المدينة . ورأيناه مرة في مجلس سعيد بن العاص والي المدينة من قِبَلِ معاوية . وتوفّي الحطيئة سنة ٥٩ هـ (٦٧٨ م) ، وقد أسنّ جداً .

٢ – الحطيئة من فحول الشعراء ومتقدّميهم وفصحائهم ، مكثر متصرّف في جميع فنون الشعر من المديح والفخر والهجاء والنسيب والوصف مجيد في ذلك كله . وهو أيضاً متين الشعر شَرود القافية [1] لا مَطعنَ في شعره [2] . وفي شعره غناء [3] . غير أن هجاء الحطيئة للناس والطمع والضَراعة قد أفسدت الحطيئة وخفضت مقامه [4] . لقد استفرغ الحطيئة شعره في مديح بني قُريع ، ثم أكثر من الهجاء: هجا أمّه وأباه وهجا نفسه ، وكذلك هجا أضيافه وهجَوْه .

ومع أن الحطيئة كان شاعراً مطبوعاً فانه كان ينقّح شعره ويُعْجَب بالشعر المنقّح ، شأنَ زهير بن أبي سلمى في ذلك – فقد كان الحطيئة راوية لزهير ولآل زهيرٍ ، وكان زهير استاذاً له . وعلى ذلك يعد الحطيئة في عبيد الشعر [5]

٣ – المختار من شعره

– قال الحطيئة يمدح آل سعد بن هُذيم قومَ أنف الناقة بن قُريع ، وهو بَغيض بن عامر بن شمّاس بن لأيٍ بن جعفر :

---

١ القافية الشرود : القافية الموافقة للبيت حتى لا نجد أوفق له منها . وضدها : القافية المجتلبة .

٢ راجع غ ٢ : ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٤ .

٣ راجع غ ٢ : ١٥٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ .

٤ غ ٢ : ١٧٠ ، ١٩٣ .

٥ راجع في ذلك كله طبقات الشعراء ٢١ ؛ البيان والتبيين ١ : ٢٠٤ ، ٢٠٦ ؛ الشعر والشعراء ١٧ ، ٤٧ ، ٦١ ، ١٨٠ ؛ غ ٢ : ١٦٥ ، ١٧٢ – ١٧٤ .

وبلدةٍ جُبْتُها وحدي بِيَعْمَلَة إذا السَّراب على صحرائها اضطربا [1] .
والذئب يَطْرُقنا في كل منزلة عَدْوَ القرينين في آثارنا خَبَبَا [2] .
قالت أُمامةُ : لا تَجزَعْ ، فقلت لها: إنّ العَزاء وان الصبر قد غُلِبا [3] :
ان امْرَأً رهطُه بالشام ، منزلُه برمل يَبْرِينَ جاراً ، شَدّ ما اغتربا [4] !
هلاّ التمستِ لنا ، ان كنت صادقة ، مالاً فيُكسِبَنا بالخَرْج أو نَشَبا [5] ،
حتّى يُجازِيَ أقواماً بسعيهمُ من آل لأيٍ ، وكانوا سادةً نُجُبا [6] ؛
رَدّوا على جار مولاهم بمَهْلكة ، لولا الالَهُ ولولا عطفُهم عَطِبا [7] .
سِيري ، أمامَ ، فإنّ الاكثرين حصىً والأكرمين إذا ما يُنْسَبون أبا
قومٌ هُمُ الانفُ، والاذنابُ غيرُهُمُ ؛ ومن يُسوّي بأنف الناقة الذنبا [8] !

— ومن جيّد مدح الحطيئة قوله في آل سعد بن هُذيم قوم أنف الناقة :

ألا طَرَقَتْنا ، بعد ما هجعوا ، هِندُ ؛ وقد جُزْنَ غَوْراً واستبانَ لنا نجد [9] .

---

١ جاب : قطع . اليعملة : الناقة القديرة على السفر .

٢ العدو : الجري ، الركض . القرينان : الجملان يربطان بحبل واحد فيسيران معاً . الخبب : نوع من المسير بين المشي والركض . — الذئب يسير محاذياً لنا ينتظر من أحدنا غرة (يتأخر عن القافلة أو يبتعد عنها) فيفترسه .

٣ أمامة : امرأة الحطيئة . عزائي (أملي بأن أغتني) وصبري (على الفقر) قد نفدا . و « أمام » في البيت الثامن ترخيم « أمامة » .

٤ الشام (هنا) شمالي بلاد العرب . يبرين : موضع باليمامة (شرقي بلاد العرب) . جاراً : غريباً عن موطنه .... شد ما اغترب ! : ما أبعد غربة الذي يكون أهله (موطنه) في الشمال ومنزله وهجرته إلى الشرق !

٥ الخرج : مكان في اليمامة . النشب : المال ، الغنى .

٦ — إلى أن يعطينا أحد من آل لأي مالا ، وكان آل لأي سادة نجباً (من أصل كريم) .

٧ — ردوا : تفضلوا ، أنعموا . جار مولاهم : (يقصد الزبرقان بن بدر — راجع ترجمة الحطيئة) . المهلكة: المكان القفر الذي يهلك الساكن فيه .

٨ الأنف : مقدم جسم الحيوان (كناية عن الشرف) . أنف الناقة هو جعفر بن قريع بن عوف جد جد (مكررة مرتين) بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن جعفر . وسبب تسمية جعفر « أنف الناقة » أن أباه قريع بن عوف نحر ناقة وفرقها بين نسائه . فأرسلت امرأته الشموس ابنها جعفراً ليأخذ نصيبها . فلما وصل لم يكن قد بقي من الناقة إلا رأسها وعنقها، فقال له أبوه: شأنك بهذا ! فأدخل جعفر أصبعه في أنف الناقة وجعل يجرها ، فسمي « أنف الناقة » (غ ٢ : ١٨١) .

٩ طرقتنا : تراءت لنا في المنام . جزن غوراً : قطعت (النياق بنا) المكان المنخفض ثم ظهر لنا نجد .

وإنّ التي نكّبتُها عن معاشرٍ — عليّ غضاباً أنْ صَددتّ كما صدّوا[1]—

أتتْ آلَ شمّاسِ بن لأيٍ ، وانما — أتاهم بها الاحلامُ والحَسَبُ العِدّ[2] .

يَسوسون أحلاماً بعيداً أناتُها ، — وان غَضِبوا جاءَ الحَفيظةُ والجِدّ[3] .

أقِلّوا عليهم — لا أبا لأبيكمُ — من اللوْم ، أو سُدّوا المكانَ الذي سَدّوا[4] .

أولئك قوم ان بنَوا أحسنوا البنى ، — وان عاهدوا أوْفَوا ، وان عقدوا شَدّوا[5] .

وان كانت النُعمى عليهم جَزَوا بها ، — وان أنعموا لا كَدّروها ولا كَدّوا[6] .

وان قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ — من الدهر : رُدّوا فضل أحلامكم رَدّوا[7]

وان غاب عن لأيٍ بَغيضٌ كَفَتْهُمُ — نَواشئُ لم تَطْرُرْ شواربُهم بَعْدُ[8] ،

مَطاعينُ في الهَيْجا ، مكاشيفُ للدُجى ؛ — بنى لهمُ آباؤهم وبنى الجَدّ[9] .

وتَعْذِلني أبناءُ سعدٍ عَلَيْهِمُ ؛ — وما قلت الا بالتي عَلِمَتْ سعد[10] .

— وللحطيئة قصيدة موضوعية من الوصف والقَصَص رائعةُ المعنى جميلة السبك كاملة المعالجة . يذكر الحطيئة أن ضيفاً نزل به وليس عنده ما يَقريه به فخطر له أن يذبح ابنه ليقدّم للضيف لحمه طعاماً . وكأنّ الطفل أدرك ما يجول

١ و ٢ نكبتها : صرفت ناقتي عن معاشر : عن آل الزبرقان . صددت كما صدوا : هجرتهم بعد أن أهملوني .... ناقتي جاءت إلى آل شماس .... والذي جعل ناقتي تذهب اليهم (أذهب بها اليهم)الاحلام (عقولهم الكبيرة) والحسب العد (وأعمالهم الحميدة منذ القدم) .

٣ بعيد أناتها : لا تسفه . لا يضيقون صدراً مهما أصابهم . وإذا غضبوا غضباً حقيقياً كان لهم حقد شديد .

٤ أقلوا عليهم : خففوا . سدوا المكان الذي سدوا : قوموا بما يقومون هم به ، افعلوا مثلهم .

٥ البنى (بفتح الباء) : البناء (مصدراً) ، والبنى (بكسر الباء وضمها) جمع بنية (بكسر الباء أو ضمها ثم بسكون النون) : الشيء الذي نبنيه ، مجازاً أو حقيقة . وان عقدوا شدوا : وان أقاموا صداقة أو حلفاً جعلوهما وثيقين متينين .

٦ .... لم يكدروا النعمى (صنع الخير) بالمن والاذى ، ولا كدوا (أعطوا شيئاً قليلا) .

٧ مولاهم : جارهم ، حليفهم ، المستجير بهم . جل حادث : الحادث الجليل (المصيبة الكبيرة) . ردوا فضل أحلامكم : اصبروا في هذه المصيبة .

٨ — وإذا لم يكن بغيض حاضراً فان الشبان من قومه (الذين لم تنبت شواربهم بعد) يكرمون الضيوف كما يكرمهم بغيض نفسه .

٩ مطاعين في الهيجاء : يحسنون الطعان في الحرب ، ينتصرون في الحروب . مكاشيف للدجى : يدفعون الظلم عن المظلوم ، والفقر عن الفقير ... بنى لهم آباؤهم (مجداً) .

١٠ قال لي أبناء سعد (قوم بغيض) أنني أبالغ . والحقيقة أنني لم أقل إلا الاشياء التي يعرفها أبناء سعد أنفسهم عن بغيض .

في نفس أبيه فشجّعه على أن يفعل ذلك . ثم بدا للحطيئة من بعيد سِرب من حُمُر الوحش فاصطاد منها واحداً أطعم منه ضيفه وفَدى ابنه :

وطاوي ثلاثٍ عاصبِ البطنِ مُرْمِلٍ ببَيْداءَ لم يَعرِفْ بها ساكنٌ رَسْما [1] ،
أخي جَفوةٍ فيه من الأنس وَحشةٌ يرى البؤسَ فيه،من شَراسته،نُعمى [2]
تفرّد في شِعبٍ عجوزاً إزاءها ثلاثةُ أشخاص تَخالُهُمُ بَهْما [3] ،
حُفاةً عُراةً ما اغتذَوْا خُبزَ مَلّةٍ ، ولا عرَفوا للبُرّ ــ مُذ خُلقوا ــ طَعما [4] .
رأى شبحاً وسْطَ الظلام فراعَه ، فلمّا رأى ضيفاً تَشمّر واهتَمّا [5] .
تَروّى قليلاً ثم أحْجم بُرهة . وان هو لم يذبحْ فتاه فقد هَمّا [6]
وقال ابنه ، لمّا رآه بحَيْرة : أيا أبَتِ ، اذْبَحْني ويَسّرْ له طُعما .
ولا تعتذرْ بالعُدم ، علّ الذي طرا يظنّ لنا مالاً فيوسِعَنا ذمّا [7] .
فقال : هيا ربّاه ، ضيفٌ ولا قِرىً ؛ بحقّك ، لا تَحرِمْه تا الليلةَ اللحما [8] .
فبَيْنا همُ عنّت على البُعد عانةٌ قد انتظمتْ من خلف مِسْحَلِها نظما [9] ،
ظِماءٌ تريد الماء ، فانسَلّ نحوها . ألاَ إنّه منها إلى دَمِها أظما !
فأمهلها حتّى تَروّت عِطاشُها ، فأرسل فيها من كِنانته سهما .

---

١ الطاوي : الذي بات على الطوى (الجوع) ثلاث ليال . عاصب البطن : قد ربط بطنه (ليمنع معدته من الحركة) فلا يشعر بالجوع . مرمل : فقير (قد امتلأ ماعون بيته بالرمل لفراغ ذلك الماعون من المؤونة مدة طويلة) . لم يعرف بها ساكن رسماً : لم ينزلها أحد منذ زمن طويل .

٢ أخي جفوة : غليظ الطبع . فيه من الانس وحشة : ألف الانفراد حتى لو رأى انساناً لاستغرب منه واستوحش .... يظن أن ضيق العيش الذي ألفه وتعوده رفاهية .

٣ ــ عاش منفرداً في شعب (طريق في الجبل ، بعيداً عن الناس) مع امرأته العجوز وثلاثة أولاد لهما تظنهم بهما (صغار الغنم) لنحولهم وهزالهم .

٤ الملة : الرماد الحار . خبز ملة : العجين الذي يخبز . البر : الحنطة ، القمح .

٥ تشمر للأمر : تهيأ ، استعد (لخدمة الضيف واكرامه) . اهتم : أظهر الاهتمام ؛ حزن (إذ لم يكن لديه طعام لهذا الضيف) .

٦ تروى : فكر ملياً (في ذبح ابنه) . أحجم : تأخر ، امتنع . البرهة : المدة . هم : كاد يفعل .

٧ العدم : الفقر . طرأ : أتى من مكان بعيد .

٨ ولا قرى : وليس عندي طعام للضيف . تا مؤنث ذا (اسم اشارة) .

٩ فبينا هم (في ذلك) عنت (ظهرت ، بدت) . عانة (قطيع) . انتظمت : وقفت في صف مستقيم . المسحل في القاموس (٣ : ٣٩٤) لسان قومه والخطيب (يقصد الحمار الوحشي الذي كان يسير على رأس ذلك القطيع) .

فخرّت نَحوص ذات جَحش فَتيةٌ قد اكْتَنَزَتْ لحماً وقد طُبّقتْ شحما[1] .
فيا بِشرَه إذ جرّها نحو أهلـه ، ويا بشرَهم لمّا رأوْا كَلْمَها يَدْمى[2].
وبات أبوهم من بَشاشته أباً لِضَيْفِهِم ، والأمّ من بِشْرِها أمّا .
وباتوا كِراماً قد قَضَوْا حق ضَيْفهِم ، وما غَرِموا غُرماً وقد غَنِموا غُنما .

٤ — ديوان الحطيئة ، الجزء الاول ، دار الخلافة — استانبول ١٣٠٨ ه .
ديوان الحطيئة ، القاهرة (التقدم) ١٣٢٣ ه = ١٩٠٥ م .
ديوان الحطيئة (عيسى ميخائيل سابا) ، بيروت (صادر) ١٩٥١ م .
ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكرى والسجستاني (نعمان أمين طه) ، القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٥٨ م .

• الحطيئة ، تأليف جميل سلطان ، دمشق ، بلا تاريخ .
الحطيئة ، تأليف ايليا سليم حاوي ، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦١ م.
بروكلمان ١ : ٣٦ ، الملحق ١ : ٧١ .

سُويد بن أبي كاهل

١ — هو أبو سعد سُويد بن شُبيب أبي كاهل بن حارثة بن حِسل بن مالك ابن عبد بن سعد بن جُشَم بن ذُبيان ؛ وأمه امرأة من بني غُبَرَ كانت زوجاً لرجل من بني ذبيان مات عنها وهي حامل فتزوّجها أبو كاهل شُبيبٌ . فلمّا وُلد سُويدٌ ألحقه أبو كاهل بنسبه ، وقيل بل كان سويد يافعاً لمّا تزوّجت أمه أبا كاهل .

جاور سويد بني شيبان فأساءوا جواره فانتقل عنهم وهجاهم ، كما هاجى زياداً الاعجمَ .

وقد أدرك سويد دهراً في الجاهلية ثم عاش في الاسلام حتّى أدرك ولاية عامر

١ النحوص في القاموس (٢ : ٣١٩) : الأتان التي لا ولد لها ولا لبن (ويكون لحمها أسمن وأطيب) ولكن الحطيئة يجعلها ذات جحش (أم ولد) .
٢ البشر : تهلل الوجه (الفرح) . الكلم : الجرح . يدمى : يسيل منه الدم .

ابن مسعود الجُمَحي على الكوفة (٦٤ – ٦٥ هـ = ٦٨٣ م) ، ثم مات بعد أن أسنّ كثيراً .

٢ – سويد بن أبي كاهل شاعر مخضرم متقدّم في قول الشعر غريب الألفاظ أحياناً ولكنّه سهل التراكيب ، وشعره وجداني عذب . وفنون شعره الفخر والغزل والهجاء . ومع أن هجاءه كثير ، فانه كان مُغلّباً (يغلبه الآخرون في الهجاء ولا يَغْلِبُ هو أحداً فيه) .

٣ – المختار من شعره :

– يقول الاصمعي (الاغاني – طبعة دار الكتب ١٣ : ١٠٢) : « إن هذه القصيدة كانت تُسمّى في الجاهلية « اليتيمة » . وبما أن فيها مَعانِيَ إسلامية كثيرة فيغلب على الظنّ أن قسماً منها نظم في الجاهلية ثم أضيفت اليها أبيات في الاسلام ، والقصيدة في المفضّليات (دار المعارف – رقم ٤٠ ؛ ص ١٩٠ – ٢٠٢) ، وأبياتها مائة وثمانية :

بَسَطَتْ رابعةُ الحبلَ لنا ... فوَصَلْنا الحبل منها ما اتّسعْ [١] .
حُرّةٌ تجلو شَتيتاً واضحاً ... كشُعاع الشمس في الغيم سطع [٢] .
صقَلَتْهُ بقضيبٍ ناضرٍ ... من أراكٍ طيّبٍ حتّى نصع [٣] ،
أبيضَ اللون لذيذاً طعمُهُ ... طيّب الرّيق إذا الريق خدع [٤] .
تمنح المرآة وَجْهاً واضحاً ، ... مثل قَرن الشمس في الصحو ارتفع ،
صافِيَ اللون وطَرْفاً ساجياً ... أكحلَ العينين ما فيه قَمَع [٥] ،
وقُروناً سابغاً أطرافُها ... غلّلتها ريحُ مِسْكٍ ذي فَنَع [٦] .

---

١ رابعة : محبوبة الشاعر . بسطت لنا الحبل : أتاحت لنا فرصة الوصال والتمتع . فوصلنا الحبل منا ما اتسع : تمتعنا بها ما أمكن التمتع .

٢ حرة : بيضاء اللون بياضاً لا يخالطه عيب من كلف أو نحوه . تجلو : تبدي (إذا فتحت فاها) . شتيتاً (أسناناً متفرقة) ، وذلك من علامات الجمال والسعد في الانسان . واضحاً : أبيض نقياً .

٣ قضيب ناضر (أخضر ، جديد) من أراك : شجر تتخذ منه المساويك .

٤ خدع : فسد ، تغير ريحه (اذا ريق غيرها تغيرت رائحته) .

٥ الساجي : الهادئ ، الساكن . القمع : كمد (اغبرار في اللون) أو ورم في طرف العين .

٦ القرون : ذوائب أو جدائل الشعر . سابغاً أطرافها : طويلة . غللتها : تخللتها ، شاعت فيها . الفنع : ذكاء (شدة) رائحة المسك .

وكذاك الحِبّ ما أشجعَه يركب الهول ويعصي من وزع [١] .
وإذا ما قلت ليلٌ قد مضى عطف الأوّل منه فرجع .
يَسْحَب الليلُ نجوماً طُلّعاً فتواليها بطيئات التبع [٢] .
فدعاني حبّ سلمى بعد ما ذهب الجِدّة مني والرّيَع [٣] .
خبلتني ثمّ لمّا تَشفِني ، ففؤادي كلّ أوب ما اجتمع [٤] .
تُسْمِع الحُدّاثَ قولاً حسناً لو أرادوا غيره لم يُسْتَمَع .
كم قطعنا دون ليلى مَهْمَهاً نازحَ الغَوْر إذا الآل لمع [٥]
في حَرور يَنْضَجُ اللحمُ بها ، يأخذُ السائرَ فيها كالصقع [٦] .
من بني بكر بها مملكة : منظرٌ فيهم وفيهم مُستمع .
بُسُط الأيدي إذا ما سُئلوا ، نُفُعُ النائلِ إنْ شيء نَفَع ؛
من أناس ليس من أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع ؛
عُرُفٌ للحقّ ما نَعيا به عند مُرّ الأمرِ ما فينا خرع [٧] .
وإذا هَبّتْ شَمال أطعموا في قدور مُشْبَعات لم تُجَع [٨] .
لا يخاف الغدرَ من جاورهم أبداً منهم ، ولا يَخْشى الطبع [٩] .
عادةٌ ، كانت لهم ، معلومةٌ في قديم الدهر ليست بالبِدَع [١٠] .
كتب الرحمن ، والحمدُ له ، سَعَةَ الاخلاق فينا والضلع [١١] ،

---

١ الحب (بكسر الحاء) : المحب ، العاشق . وزع يزغ : عذل ، منع ، نهى .
٢ الظالع : الأعرج (كناية عن بطء السائر في سيره) . التوالي : (النجوم) التي تتلو غيرها . . . . – غابت نجوم (بدأ الليل ينقضي) ، ثم أبطأت التوالي (النجوم الباقية) في اتباع النجوم التي غابت .
٣ الجدة : نشاط (الشباب) . الريع (في الاصل بسكون الياء) : أفضل (الشباب) وأوله .
٤ خبلته : سلبت عقله (بحبها) . لما تشفني : لم تشفني إلى الآن (وآمل أن تشفيني في المستقبل) . كل أوب (صوب) : مشتت ، حائر .
٥ المهمه : القفر ، الصحراء . نائي (بعيد) الغور : العمق (وهنا – الامتداد والاتساع) . الآل : السراب. لمع السراب : كثر واشتد (اشتد الحر) .
٦ الحرور : شدة حر الشمس . كالصقع : شيء كالصقع (الحر الذي يصيب الدماغ ، ضربة الشمس) .
٧ هم يعرفون الحق ولا يحجمون عن إعلانه ولو كان ذلك مضراً بهم ، وليس فيهم خرع (لين أو ضعف) .
٨ إذا هبت شمال (ريح شمالية باردة ، في فصل الشتاء) . مشبعات : مملوءة . لم تجع : لم تكن يوماً ناقصة غير مملوءة .
٩ الطبع : الدنس وسوء الخلق .
١٠ البدع جمع بدعة : الأمر المستحدث الجديد (المخالف للعادة المألوفة).
١١ الضلع : المقدرة على القيام بالأمور .

وإباءً للدَّنِيّـــاتِ إذا أُعْطِيَ المكثورُ ضيماً فكنع [1] ،
وبنـاء للمعـــالي ؛ إنّمـــا يَرْفَع اللهُ ومَنْ شاء وضع .
رُبَّ من أنضجتُ غيظاً قلبَـه قد تَمَنّى لي موتاً لم يُطَعْ .
ويراني كالشَّجا في حلقِـــهِ عَسِراً مَخْرَجُه ما يُنْتَزع :
مُزْبِداً يَخْطُرُ ما لم يرَنـي ، فاذا أسمعته صوتي انقمع .
ويُحَيّيني إذا لاقيتُـــه ، وإذا يخلو له لحمي رَتَع .
زرع الداء ولم يُدْرِكْ بـــه تِرَةً فاتت ، ولا وَهْياً رقع [2] .
وعــدوٍّ جاهدٍ ناضلْتُـــه ، في تراخي الدهر عنكم والجُمَع [3] ،
فتساقَيْنـــا بِمُـــرٍّ ناقـــعٍ في مُقام ليس يَثْنيه الورع [4] ؛
وارتمينا ، والأعادي شُهَّدٌ ، بنِبالٍ ذات سُمٍّ قد نَقَع [5] .
فَرَّ منّي هـــارباً شيطانُه حيث لا يُعطِي ولا شيئاً منع .
ورأى منّي مُقـاماً صادِقــاً ثابتَ المَوْطِنِ كَتّام الوجع [6] ،
ولســاناً صَيْرَفِيّـــاً صارماً كحُسام السيف ما مسّ قطع .
هل سُويد غيرُ ليثٍ خــادرٍ ثَئِدَتْ أرضٌ عليه فانتجع [7] !

٤ — المفضّليات ، رقم ٤٠ (ص ١٩٠ — ٢٠٢) ، الاغاني ١٣ — ١٠٢ — ١٠٧ .

١ المكثور : الذي كثره الناس : (غلبوه ، تغلبوا عليه) . كنع : خضع .

٢ الترة : الوتر أو الثأر . الوهي : الشق ، المكان الضعيف في الثوب يريد أن ينشق . — كان قد أذكى العداوة علي في قومه فلم ينتفع (لم يصغ اليه أحد ولا أطاعه أحد في الثأر مني) ثم هو لم يصلح بين قومه وقومي (لم يستطع أن يزيل أسباب العداوة) .

٣ — قضينا زمناً نتهاجى أو نتقاتل في مواقف لا يمنعنا فيهـا التقى وحب الخير عن قتال بعضنا بعضاً .

٤ جاهد : يبذل جهده . ناضلته : رماني ورميته بالنبال (قاتلته ، صارعته) . في تراخي الدهر عنكم والجمع (الجماعات) : بينما كان الدهر يتراخى عنكم (يسالمكم) وبينما كان النــاس لا يقـاتلونكم ولا يعادونكم . — كنت أنا أحمل عنكم عبء الجهـاد والقتال وكنتم أنتم مستريحين ناعمي البال .

٥ ارتمينا : كان بعضنا يرمي بعضاً (بالنبال) . والاعادي شـهد : شاهدون ، موجودون ينظرون الينا ويشهدون نزاعنا (في الفخر والهجاء أو في القتال) . السم الناقع : الخالص ، الصافي ، الثابت الشديد . — كنا جادين في نزاعنا يرغب كل واحد منها أن يقضي على خصمه .

٦ اللسان الصيرفي : العارف في تمييز الكلام وتصريفه .

٧ الليث الخادر : الذي يعيش في الاجمة (الغابة الملتفة الاشجار) . ثئدت أرض (نديت ، ابتلت ، كثر فيها الماء فأصبحت غير موافقة لسكناه) فانتجع : انتقل إلى غيرها أكثر موافقة له .

النابغة الجَعْديّ

١ – هو أبو ليلى حسّان بن قيس بن عبد الله من جَعْدَةَ بن كعب بن ربيعةَ أحدِ بني عامر بن صعصعة ، كانت مساكن قومه في الفَلَج (والفلج ماء في جَنوبيّ نجد) .... وقيل إن أمّه كانت امرأة من أهل هَجَر يقال لها خَصَفَةُ، وقيل بل كانت خصفة حاضنته . ولقد لُقّبَ بالنابغة لأنه كان قد قال الشعر في الجاهلية ثم سكت دهراً طويلاً ثم عاد إلى قول الشعر في الاسلام ونبغ في قوله نبوغاً كبيراً .

والنابغة الجعدي أقدم من النابغة الذبياني ، فان النابغة الذبياني أدرك النّعمان ابن المُنذر بينما النابغة الجعدي أدرك المُنذر بن مُحرّق والد النُعمان هذا [1] .

وكان النابغة الجعدي من الذين أنكروا الخمر في الجاهلية وهجروا الازلامَ [2] وعبادةَ الاوثان . ثم ان النابغة الجعدي أسلم ووفَدَ في قومه ، وكان سيّداً فيهم ، على الرسول (سنة ٩ هـ) ، وأنشده شعراً ، فأعْجِبَ به الرسول .

وسكن النابغة الجعدي في المدينة زمناً ، ثم نازعته نفسه ، في أيام عُثمان بن عفّان ، إلى العيشة في البادية ، فاستأذن عثمانَ في ذلك وخرج إلى بلده [3] .

وشهد النابغة الجعدي فتح فارس . ثم شهد معركة صفّين مع عليّ بن أبي طالب ، وكان في ذلك الحين يسكن الكوفة ؛ ثم انه أدرك خلافة معاوية . وكانت وفاته في إصفهان [4] ، سنة ٦٥ هـ [5] – في أواخر خلافة مروان بن الحكم أو في مطلع خلافة عبد الملك – وقد كُفّ بصرُه وزادت سنّه على مائة .

٢ – النابغة الجَعْديّ شاعرٌ مخضرم مطبوع فصيح يجري في شعره على السليقة

---

١ الشعر والشعراء ١٥٩ ؛ غ ٥ : ٦ .

٢ الاستقسام بالازلام : أن يستخير الانسان الازلام في أعماله المقبلة (الازلام سهام يكتب عليها : افعل، لا تفعل ، الخ ... ثم يمد الانسان يده فيخرج زلماً ؛ فان خرج الزلم الذي عليه : افعل ، أقدم على ما ينوي . وان خرج الناهي : الذي عليه : لا تفعل ، ترك الأمر الذي كان قد نوى فعله) .

٣ طبقات الشعراء ٢٧ ؛ غ ٥ : ١٠ .

٤ طبقات الشعراء ١٥٩ ، السطر الأخير من المتن .

٥ عام ٦٨٤ م . وفي الاعلام للزركلي (٦ : ٥٨) ٥٠ هـ = ٦٧٠ م .

ولا يتكلّف صَنعةً ؛ إلاّ أن شعره شديدُ التفاوت : منه الجيّد البارع ومنه الرديء الساقط . وفنون شعره المشهورة : المدح والهجاء والوصف ، وكان من أوصف الناس للفرس [1] ؛ ثم الحكمة. وفي شعره شيء من الإقذاع . ومن العجب أن النابغة الجعديّ كان مُغلَّباً : ما تعرّض لشاعر بهجاء إلاّ غلبه ذلك الشاعرُ . كان النابغة الجعدي في الجاهلية مع النابغة الذبياني فلم يُذْكَرْ معه (لم يشتهر ، بل غطّى عليه النابغة الذبيانيّ) . ثم هاجى ليلى الأخْيَليّةَ فغلبته ؛ وهاجى أوسَ بن مَغراء (ولم يكن أوس بن مغراء مثله ولا قريباً منه) فغلبه أوس . وتعرّض في أواخر أيامه لكعب بن جُعيل وللأخطل فغلباه . وقد غلبه أيضاً من لم يكن من الشعراء نِدّاً له أمثال عُقيل بن خالد العقيلي وسوّار بن أوفى القشيريّ .

وتكثر في شعر النابغة الجعدي الألفاظ الاسلامية . وقيل هو أول من (ذكر أنّه) كَنّى عن اسْم من يعنى بغير اسمه (غ ٥ : ٢٧) .

٣ – المختار من شعره

– قال النابغة الجعدي يرثي ابناً له اسمه مُحاربٌ ، ويذكر أخاً له (أخاً للنابغة) اسمه وَحْوح ، وهو في ذلك يخاطب زوجته :

ألم تعلمي أني رُزِئتُ مُحارباً ؛ فما لكِ ، بعدَ اليوم ، خيرٌ ولا ليا.
ومن قبلهِ ما قد رُزِئْتُ بوَحْوَحٍ ، وكان ابنَ أمي والخليلَ المُصافيا .
فتىً كَمَلَتْ خيْراتُه ، غيرَ أنّه جوادٌ فما يُبْقي من المال باقيا .
فتىً تَمّ فيه ما يَسُرّ صديقَه، على أن فيه ما يسوءُ الأعاديا .

– أتى النابغة الجعدي إلى الرسول وأنشده :

أتَيْتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُدى ويتلو كتاباً كالمَجَرّةِ نَيِّرا .
بلغنا السماء مجدُنا وجدودُنا [2] ، وانا لَنَرْجو فوق ذلك مَظْهرا .
ولا خيرَ في حِلمٍ إذا لم تكنْ له بَوادرُ تَحْمي صَفْوَهُ أن يُكَدّرا .
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له حَليمٌ إذا ما أوردَ الامرَ أصدرا .

---

١ راجع في ذلك كله طبقات الشعراء ٢٦ – ٢٧ ؛ الشعر والشعراء ١٥٩ – ١٦٠ ؛ البيان والتبيين ١ : ٢٠٦ = ٢ : ١٣ .

٢ مجدنا وجدودنا بلغت الذروة .

– وقال في المعاني الدينية ، وقد ألمّ بكثير من المعاني التي وردت في القرآن الكريم :

الحمدُ للهِ لا شريكَ لـه ! مَنْ لمْ يَقُلْها فنفسَه ظَلَما ،
المُولِجِ الليلَ في النهار ، وفي الليـ ـلِ نهاراً يُفَرِّجُ الظُّلَما ،
الخافضِ الرافعِ السماءَ على الأرْضِ ولم يَبْنِ تحتَها دِعَما .
يا أيّها الناسُ ، هل تَرَوْنَ إلى فارسَ بادتَ وخدّها رَغَما[1] ،
– أمْسَوْا عبيداً يَرْعَوْنَ شاءَكُمُ ، كأنّما كان مُلْكُهم حُلُما[2] –
أو سبأِ الحاضرينَ مأرِبَ إذ يَبْنُونَ من دون سَيْلِه العَرِما[3].
فمُزِّقوا في البلادِ واعترفوا الـ ـهُونَ وذاقوا البأساءَ والعَدَما .

٤ – ديوان النابغة الجعدي (؟) .

• • الاغاني ٥ : ١ وما بعدها (ترجمة النابغة الجعدي في الاغاني طويلة ، ولكن يتخلّلها أخبار كثيرة من أيام العرب) ،

بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٢ – ٩٣ ؛ زيدان ١ : ١٧٥–١٧٦ .

الأحنف بن قيس

١ – هو أبو بحر صَخْرُ بن قيس بن مُعاوية السّعديّ التميمي ؛ وكان يُعرف بالأحنف لأنه كان أعرجَ مِنَ انْقِلابِ ظهرِ قدمِه نحو الأرض .

وُلِدَ الاحنفُ في سنة ٣ ق. هـ. (٦١٩ م) في البصرة ونشأ فيها يتيماً لأن بني مازنٍ قتلوا أباه . وأسلم الاحنف مع قومه ولم يَفِدْ على الرسول (لصِغَرِ سنّه يومذاك ، فيما يبدو) . ولمّا ارتدّ قومه (١١ هـ = ٦٣٣ م) لم يرتدّ معهم (لم يشترك في القتال معهم ، لصغر سنه أيضاً) . ولمّا بلغ الاحنف العشرين من

١ خدها رغماً : لصق بالتراب ، ذلت .
٢ الشاء جمع شاة . – هذا البيت يدل على أن هذه القطعة اسلامية .
٣ سبأ (مجرورة) معطوفة على فارس . سبأ : دولة سبأ (اليمن) . الحاضرين مأرب : الساكنين في مدينة مأرب . يبنون (سداً) ليدفعوا السيل العرم (الشديد) .

عمره وفد على عمرَ بنِ الخطّاب .

ومنذ عام ٢١ هـ (٦٤٢ م) ، قبل أن يُتَوَفّى عمر بنُ الخطاب ، سار الاحنف في جيوش الفتح إلى فارس فشَهِدَ فتح نهاوند (٢١ هـ) ثم فتح قُمّ وقاشان . وكان على مقدمة جيش عبد الله بن عامر في فتح خراسان ففتح مدينة هراة ومَرْو ومرو الرَوْذ وبَلْخ وغيرها . وبعدت فتوحه إلى ما وراء النهر وفقَدَ عينه في فتح سَمَرْقَنْد (في أيام عثمان) .

وبعد وفاة عثمان بايع الاحنف عليّ بن أبي طالب بالخلافة . ولكنّه اعتزل القتال مع ستّة آلاف من قومه لمّا نَشِبَتْ معركة الجمل . وقيل انه كان من الخوارج (الكامل ٦١٦ ، ٦٢٦) . غير أنه حارب في صفوف عليّ في معركة صفّين . ولمّا تولّى معاوية الخلافة وفَدَ عليه الاحنف وكان جريئاً في الردّ عليه غير هيّاب في الحقّ . ومال الاحنف إلى عبد الله بن الزبير فانضم إلى مُصْعب بن الزبير وقاوم المختار بن أبي عُبيد الثّقفي في الحرب التي دارت بينه وبين مُصْعَبٍ حول البصرة .

وكان الاحنف قصيراً دميماً ناتئ الوجنتين ثَطّاً (قليل شعر اللحية) ، بالإضافة إلى أنه كان أحنف أعور . أما وفاته فكانت سنة ٦٧ هـ (٦٨٦ م) أو بعد ذلك بقليل .

٢ – كان الاحنف حليماً ذا أناة وصبر ، راجحَ العقل داهية . وكان فقيهاً عالماً وراوية للحديث ثِقَةً . على أن شهرته الاولى أنه كان حليماً حكيماً ينطق بالحكمة وخطيباً يصيب مواضع الكلام من حيث شاء . وأكثر ما يُروى له أقوال مُتَفَرّقة مُفْرَدَةٌ في الحكمة .

٣ – المختار من كلامه

– للأحنف بن قيس أقوال في الحكمة منها :

قال معاوية للاحنف يوماً : ما أذْكُرُ يومَ صفينَ إلا كانت حَزازةٌ في قلبي إلى يوم القيامة . **فقال الاحنف** : والله ، يا مُعاويةُ ، ان القلوبَ التي أبغضناك بها لَفي صُدورنا ، وان السيوفَ التي قاتلناك بها لَفي أغمادها . وان تَدْنُ من الحرب فِتراً نَدْنُ منها شِبراً ، وان تَمْشِ اليها نُهَرْوِلُ اليها .

– ومن كلامه :

ألا أدُلّكم على المَحْمَدة بلا مَرْزأة : الخُلُقُ السّجيح [1] والكَفّ عن القبيح . – ما خان شريف ، ولا كَذَبَ عاقل ، ولا اغتاب مؤمن . وسئل الاحنف عن الحلم فقال : هو الذلّ معَ الصبر . وكان يقول إذا عَجبَ الناسُ من حِلمه : إني لأجِدُ ما تَجِدون ، ولكنّي صبور . ووَجَدتّ الحِلمَ أنصرَ لي من الرجال .

– وخطب مرّة فقال ، بعد أن حَمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على نَبيّه :

يا مَعْشَرَ الازدِ وربيعةَ ، أنتم إخوانُنا في الدين وشُركاؤنا في الصهْر وأشِقّاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ويَدُنا على العَدُوّ . والله ، لَأزْدُ البصرةِ أحبُّ إلينا من تَميم الكوفة ، ولَأزْدُ الكوفة أحبّ الينا من تَميم الشام . فإن استَشْرى شَنآنُكم وأبى حَسَكُ صدورِكم [2] ففي أموالِنا وأحلامنا سَعَةٌ لنا ولكم .

– تكلّم نفر عند عمر بن الخطّاب فيهم الاحنف بن قيس ، فقال الاحنف :

يا أميرَ المؤمنين : ان مفاتحَ الخير بِيَدِ الله ، والحِرص قائدُ الحِرمان ؛ فاتّقِ اللهَ فيما لا يُغني عنك يوم القِيامة قِيلاً ولا قالاً ، واجعلْ بينَك وبين رَعيّتك من العدل والإنصاف سبباً يَكْفيك وفادة الوفود واستماحةَ المُمْتاح . فانّ كلّ امرئ إنما يجمع في وِعائه ، إلاّ الأقلُ ممن عسى أن تقتحمه الأعين [3] وتخونهم الألسنة ، فلا يُوفَدُ إليك ، يا أمير المؤمنين .

– وكان الاحنف يقول :

لا تزال العربُ عرباً ما لَبِسَتِ العمائمَ وتَقَلّدت السيوفَ ، ولم تَعُدّ الحِلم ذُلاً ولا التَواهب فيما بينها ضَعَةً .

– وللأحنف بن قيس خطبة في جماعة من قومه بني تميم تجري كلّها

---

١ الواسع ، اللين ، السهل .

٢ استشرى : اتسع ، تفاقم ، ساء . الشنآن : العداوة والبغضاء . حسك الصدور : الحقد الذي يحمل الناس على بغض بعضهم بعضاً .

٣ تقتحمه الأعين : تجوز عليه (تحتقره ، تراه صغيراً) . فلا يوفد اليك (ان لم تتصف بالعدل والاحسان) : لم يأت اليك أحد .

مجرى الحكمة والمثل المضروب :

حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال :

إن الكرم يمنع الحُرَمَ [1] . ما أقربَ النِقمةَ من أهل البَغْيِ : لا خيرَ في لذّة تُعقِبُ ندماً . لن يَهْلِكَ من قصد [2] ، ولن يفتقرَ من زَهِد . رُبَّ هزْلٍ قد عاد جِدّاً . من أَمِنَ الزمانَ خانَه ، ومن تعظّم عليه أهانه . دَعوا المُزاح فانّه يُورث الضغائن ، وخير القول ما صدّقه الفعل . احتملوا مَنْ أدلّ [3] عليكم ، واقبلوا عذر مَنِ اعتَذَرَ إليكم . أطعْ أخاك وان عصاك ، وصله وإن جفاك . أنْصِفْ من نفسك قبل أن يُنْتَصَفَ منك . إيّاكم ومشاورةَ النساء . واعلم أن كفر النعمة لؤم ، وصُحبة الجاهل شؤم . ومن الكرم الوفاء بالذمَم . ما أقبحَ القطيعةَ بعد الصلة ، والجفاءَ بعد اللَطَف [4] ، والعداوة بعد الوُدّ ! لا تكوننّ على الاساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أسرعَ منك إلى البَذْل ؛ واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مَثواك [5] ، فأنفق في حقّ ولا تكوننّ خازناً لغيرك . وإذا كان الغدر في الناس موجوداً فالثقة بكلّ أحد عَجْز . اعرِفِ الحق لِمَنْ عرَفَه لك ؛ واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل .

٤ — ** الاحنف بن قيس (ملخّص من الجزء السابع من تاريخ ابن عساكر) ، دمشق (المكتبة العربية) بلا تاريخ .

الاحنف بن قيس ، بقلم محمود شيت خطّاب (مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلّد ١١ ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م) .

الاحنف بن قيس ، بقلم محمود شيت خطّاب (مجلّة الوعي ، كراتشي — باكستان ، يونيه — حزيران ١٩٦٤ م) .

---

١ الحرمة : ما لا يحل انتهاكه . — الكرم يعطي المحرومين ما يحتاجون اليه حلالا فلا يحاولونه حراما : لا يعتدون حتى يحصلوا على ما يعتقدون (خطأ) أنه حق لهم .

٢ قصد : اعتدل ، سار سيرة وسطاً .

٣ أدل زيد على عمرو : وثق زيد بمحبة عمرو له فتجرأ عليه في طلب الاشياء منه وأفرط في ذلك .

٤ اللطف (بالضم) هو الاسم من المصدر « اللطف » (بفتح ففتح) : الرفق والاحسان إلى الناس وايصال الاحسان اليهم من غير أن يتكلفوا له طلباً منك .

٥ المثوى : المقر الدائم (الآخرة) . ما أصلحت به مثواك : ما جعلته ذخراً ينفعك يوم القيامة .

أبو الأسود الدُّؤَليّ

١ – هو أبو الاسود ظالم بن عمرو بن جَندل بن سفيان من بني الدُؤيل بن بكر من كِنانة ؛ وأمه من بني عبد الدار بن قُصيّ من قريش .

وُلِدَ أبو الاسود قُبيل الهِجرة ، ولكن لم تُصبحْ له شُهرةٌ إلا في أيام الإمام عليّ . ويبدو أنه سكن البصرة في أيام عمر بن الخطاب . وكان أبو الاسود من أشياع عليّ شَهِدَ معه صِفّين ثم تولّى له حَرْبَ الخوارج . وأدرك أبوالاسود معاوية بن أبي سفيان ولكن لم يكن مطمئناً إلى الحكم الأموي فعاش على تَقِيّةٍ : لم يمدح الامويين ولم يُعَرِّض بهم .

وتوفي أبو الاسود في البصرة ، في طاعونها الجارف ، سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) ، في نحو الخامسة والسبعين من العمر .

٢ – قال الجاحظ [١] : «كان أبو الاسود خطيباً عالماً ، ومن المُقَدَّمين في العلم ، وكان قد جمع شدة العقل وصواب الرأي وجودة اللسان وقول الشعر والظَرف» . وكان ناثراً شاعراً . ويقال إنه أول من وضع قواعد النحو وأول من ألّف في النحو . أما شعره خاصة فضعيف في الاكثر قليل القيمة الفنية ، فان أكثره في مناسبات تتعلق بحاجاته اليومية . ويبدو أنه كان كثير الهجاء ، وكذلك رثى الحسن ابن علي . ولأبي الاسود شيء من الغزل ومن الحكمة : في الشيب خاصة * .

٣ – **المختار من شعره وكلامه**

– اختار أبو تمّام لأبي الاسود بيتين في باب الغزل من ديوان الحماسة :

أبى القلبُ إلا أمّ عمرٍو وحبَّها عجوزاً ، ومن يُحبِبْ عجوزاً يُفنَّدِ [٢]
كثوبِ اليماني قد تقادم عهدُه ورُقْعَتُه ما شئتَ في العين واليدِ

– وقال [٣] يهجو الحارثَ بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان لقبه القُباع :

---

١ البيان والتبيين ١ : ٣٢٤ ، راجع ١١٠ .
٢ يفند : ينسب إلى الفند (الجنون) .
٣ مثله ١ : ١٩٦ .   * الكامل ٣٢٩ – ٣٣٠ .

قيل أتِيَ الحارث مرةً بمِكْتَل (زنبيل كبير يسع خمسة عشر صاعاً أو ثلاثة أرطال رومية) فقال: ان هذا لَقُباع (والقباع القصير الواسع الرأس):

أميرَ المؤمنين، جُزيتَ خيراً؛ أرِحْنا من قُباع بني المُغيره[1].
بَلَوْناه ولُمْناه فأعيا علينا ما يُمِرّ لنا مَريره[2].
على أن الفتى نَكِحٌ أكولٌ ومِسْهاب مذاهبه كثيره[3].

— كان لأبي الاسود ابن عم سيّء الخُلُق، وكانا متجاوِرَيْنِ وبينهما باب يُسَهِّلُ عليهما الوصول إلى الطريق. فسدّ ابنُ عم أبي الاسود هذا البابَ، فكان على أبي الاسود أن يَسْلُكَ طريقاً أطولَ إلى وِجهته. وقد كان ذلك سبباً لبِضْع مقطّعات قالها أبو الاسود في هجاء ابن عمه[4]:

لنا جيرةٌ سدّوا المَجازة بيننا؛ فإنْ ذكّروك السدّ فالسدّ أكْيَسُ[5].
ومن خير ما ألْصَقْتَ بالدار حائطٌ تَزِلّ به صُقْعُ الخطاطيف أملسُ[6].

— وقال في هجاء ابن عمه أيضاً:

بُليتُ بصاحبٍ إنْ أدْنُ شبراً يَزِدْني في مُباعدةٍ ذِراعا.
وان أمْدُدْ له في الوصل ذَرْعي يَزِدْني فوق قَيْس الذرع باعا[7].
كِلانا جاهدٌ: أدنو ويَنأى؛ فذلك ما استَطَعْتُ وما استطاعا!

— ولأبي الاسود في الحكمة:

وأحْبِبْ، إذا أحببتَ، حُبّاً مُقارباً، فانّك لا تدري متى أنت نازِعُ.

---

١ بنو المغيرة: آل بني أبي ربيعة.
٢ أمر المرير: فتل الحبل (خدم الناس وبلغهم بعض مرادهم).
٣ المسهاب: الكثير الاطالة في الكلام وفي معالجة الأمور. مذاهبه كثيرة: كثير الغايات، كثير المداخل والمخارج.
٤ البيان والتبيين ٢: ٣٥٥ = ٣: ٢٢٩؛ غ ١١: ١١٢.
٥ السد: سد الصين (؟). السد أكيس: ان سد الصين أدل على حسن الكياسة لأنه بني علناً ليكون حاجزاً دون هجوم الاعداء، بينما هذا الباب سد خفية وليحول دون استفادة رجل من الاقارب.
٦ — حائط أملس تزلق عليه (لا تثبت عليه) طير الخطاف الصقع (التي في رأسها بياض).
٧ الذرع: مقدار الذراع. الباع: مقدار ما بين طرفي اليدين إذا مدتا.

وأبْغِضْ ، إذا أبغضتَ ، بُغْضاً مُقارباً   فانّك لا تدري متى أنت راجع .
وكن مَعْدِناً للحِلم واصْفَحْ عنِ الخَنا   فانّك راءٍ ما عمِلْتَ وسامع .

— وذكروا العمامة عند أبي الاسود الدؤليّ فقال (البيان والتبيين ٣ : ١٠٠) :

جُنّة في الحرب ومَكنّة من الحرّ ومدفأة من القُرّ ووقار في النديّ [١] ، وواقية من الاحداث وزيادة في القامة ؛ وهي بعد عادة من عادات العرب .

٤ — ديوان أبي الاسود الدؤليّ (تحقيق عبد الكريم الدجيلي) ، بغداد ١٩٥٤م .
ديوان أبي الاسود الدؤليّ (حرّره محمد حسين آل ياسين) ، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ — ١٩٥٥ م .

• • الفهرست (ليبزغ) ٣٩ — ٤٠ ؛ بروكلمان ١ : ٣٧ — ٣٨ ، ٩٦ س ، الملحق ١ : ٧٢ ؛ زيدان ١ : ٢٨٠ — ٢٨١ .

---

١ الجنة (بضم الجيم : الوقاية في الحرب فلا يتعرض الرأس معها إلى ضغط الخوذة ....) . مكنة : ستر .
القر : البرد . الندي : مجتمع القول ومجلسهم .
واقية من الاحداث : الاحداث (صغار السن) يوقرون صاحبها فلا يتجرأون عليه بالمزح أو الأذى (؟) .

العصر الأموي
والحياة الجديدة

العصر الأُمَوِيّ هو عصر الدولة الأُمويّة في الشام ، من سنة ٤١ إلى سنة ١٣٢ للهجرة (٦٦١ – ٧٥٠ م) ، نحو تسعين عاماً من الدهر . والخلفاء الذين حكموا في هذه الدولة فرعان : الفرع السّفيانيّ والفرع المَروانيّ .

بعد مَعْرَكة صِفّين نادى مُعاويةُ بن أبي سفيان وَالي الشام بنفسه خَليفةً على الشام وحكم عِشرين سَنَةً ، من السنة ٤١ ه إلى السنة ٦٠ ه (٦٦١ – ٦٨٠ م) ثبّت المُلْكَ في أثنائها لبني أمية وجعل الخلافة وراثية في نَسْلِهِ . وكانت المُشْكِلةَ الاساسيةَ التي واجهت مُعاوِيَةَ أن أقطار الخلافة الباقيـة : الحجازَ والعراق ومصرَ وما وراءها كلّها لم تكن تابعةً له ، ثم كان له فيها منافسون أقوياء . غير أن معاويةَ استطاع أن يَسْتَوْلِيَ على مصرَ بشيء من اليُسْرِ وأن يستوليَ أيضاً على بعض العراق وأن يقوم ببعض الفُتوح في المشرق والمَغرب . ولقد كان أقوى منافسيه عبدُ الله بن الزبير وكان يبسط نفوذه على الحجاز كلّهِ وعلى جانب من العراق أيضاً .

وخَلَفَ مُعاويةَ ابنُهُ يزيدُ ، ولم يكن في الدهاء السياسي كأبيه ، فكانت في أيامه مأساة كَرْبلاء (١٠ المحرم ٦١ ه = ١–١٠–٦٨٠ م) ومقتلُ الحُسين بن عليٍّ . ثم كانت في أيامه وَقْعة الحَرّة وغزوُ المدينة في ذي الحِجّة من سنة ٦٣ ه (آب – أغسطس ٦٨٢ م) فكَثُرَ الاعداء للأمويين في العراق وفي الحجاز . وكان عبد الله بن الزبير قد استَبَدّ بحكم الحجاز .

وجاء بعد يزيدَ ابنُه مُعاويةُ ، وكان شاباً ضعيفاً عليلاً فتوفّي وَشيكاً فعاد النزاع على الخلافة من جديد ، ولكنْ بين عدد أكبرَ من الطامعين فيها ، ثم بين نفرٍ من رؤوس بني أميّة على الأخصّ . وتَغَلّب مَروانُ بن الحكم شيخُ

بني أميةَ يومذاك على الطامعين بدهائه وبالوعود ، ولكنّه اضطُرّ إلى أن يقاتلَ عبدَ الله بن الزبير فالتقى جيش مروانَ (ومعظمه من اليمانيةِ ومن أهل الشام) بجيش ابنِ الزبير (ومعظمه من القيسيّة ومن أهل الحجاز) في مرجِ راهطِ ، على مقرُبةٍ من دمشقَ ، فكانت الغلبةُ لمروانَ . فعادت الخلافة إلى الاستقرار في بني أميّة ولكنْ في فرع جديد عُرِفَ في التاريخ باسم الفرع المرواني نسبةً إلى مروان بن الحكَم .

وعاش مروان بن الحكم في الخلافة عشْرةَ أشهرٍ ثم خلَفَهُ ابنُهُ عبدُ الملِكِ فبقيَ في الخلافة واحدةً وعشرينَ سنةً ، من سنة ٦٥ إلى سنة ٨٦ هـ (٦٨٥ – ٧٠٥ م) ، فاستطاع قائده الحجّاج بنُ يُوسُفَ الثقفيّ أن يتغلّب على عبد الله بن الزبير وأن يقتله أيضاً ثم يأخذ البيْعةَ لعبد الملك من أهل الحجاز كلّهمْ ، كما استطاع الحجّاج أن يبْسُطَ نفوذ الامويّين على العراق ويثبّت فيه مُلْكهم . ثم ان الحجّاج بعث الجيوش إلى المشرق ووسّع الفتوح (في خُراسانَ وبلادِ الترُك وفي السِند – في الجانب الشمالي الشرقي من شبه جزيرة الهند) . وكذلك اتّسعَتْ فتوح العرب في المغرب (ليبيا وتونُسَ وما وراءهما) ولكنْ لم تثبتْ إلاّ بعد أمَدٍ .

وسكّ عبدُ الملك للعرب عمْلةً خاصّةً بهِمْ ، بعد أن كانوا يتعاملونَ بالعِملة الرومية والعملة الفارسية ، كما أمر بنقْلِ الدواوين (كتابةِ سجلاّت الدولة) إلى اللغة العربية بعد أن ظلّت إلى أيامه تُكتَبُ في العراق بالفهلوية (الفارسية القديمة) وفي الشام بالرومية وفي مصر بالقبطية . وهكذا أصبحت اللغة العربية لغةَ دولةٍ وامبراطوريةٍ .

وبعد عبد الملك جاء ابنه الوليد فحكم عشْرَ سنَواتٍ أتمّ في خلالها فتْحَ المغرب ثم فتْحَ الأنْدَلُسِ . وفي أيامه اتّسع العُمران وعمّت الحضارة .

وكان بنو أميّة قد خطّوا لأنفسهِمْ سياسةً قوميةً عصَبيّةً عربيةً فأساء ذلك إلى الموالي (وهم المُسلِمون من غير العرب ، من الفرس والترك الذينَ كانوا كثْرَةَ السكّان في الامبراطورية الأُموية) . وكذلك كانوا قد أساءوا إلى آلِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ وتتبّعوهم بالقتل حذَراً من أن ينتزعوا منهُم الخلافة . واجتمع الموالي حولَ آلِ عليٍّ وقاموا بدعوة سريّةٍ للثورة على الحكم الأمويّ ودعَوْا إلى الرِضا من آلِ محمد واتخذوا السّواد (العلم الاسود والثياب

السود (شِعاراً لهم مُخالفةً لبني أميّة الذين كانوا « البَياض » شِعاراً لهم) . وما أن جاء إلى العرشِ الأموي خلفاءُ ضعافٌ سِياسياً كعُمَرَ بن عبد العزيز (٩٩ هـ = ٧١٧ م) ويزيد بن عبد الملك (١٠١ هـ = ٧٢٠ م) حتى سَوّدَ الدّعاةُ (نَشَروا العلمَ الأَسود : أعلنوا الدعوةَ) وأخذوا يقاتلونَ الأمويّين . واستطاع هؤلاء أن يزعزعوا البيت المالك فسقطت الخلافة الأموية في المشرق سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) .

الحياة في العصر الأموي

كانت حياة العرب في الجاهلية قائمة على العَصَبيّةِ القَبَليّةِ ، وكانت هذه العصبيةُ سبباً من أسباب مُنازعاتِهِمُ الكثيرةِ التي قادتْهم في معظم الاحيان إلى القتال كما كان قد اتفق في الجاهلية في حرب البَسوس بين بني بكر وبني تغلب ثم في حرب داحس والغبراء بين بني عبس وبني ذُبيانَ (راجع فوق ، ص١١٠و١٩٦). فلمّا جاء الإسلامُ أغرق العصبياتِ وجمع العرب أمةً واحدةً ويَداً واحدة . ثم خطّ الامويون سياستهم القومية فعادت تلك العَصَبياتُ إلى الاسْتيقاظِ من جديد . ثم ان المنافسة في طلب الخلافة قَسَمَتِ العربَ شِيَعاً فِكْريةً دينيةً في ظاهرها سِياسية في حقيقتها :

(أ) أهل السّنّة — وهم يَرَوْنَ أن الخلافة تكونُ بِاخْتِيار أهل الحَلّ والعَقْد (وجهاء القوم وسادتهم) ، وأن قُرَيْشاً أحقّ بها .

(ب) الشيعة — وهم أنصار العَلَوِيّينَ ، يعتقدون أن الخلافة تكون بالنّص والتَعْيِينِ في أبناء عليّ بن أبي طالب ، لأنّ عَلِيّاً ابنُ عمِّ الرسولِ وزَوْجُ ابْنتهِ ؛ فالخلافة إذَنْ للطالِبِيّينَ من بني هاشمٍ .

(ج) الخَوارِجُ — وهم يعتقدون أنّ الخِلافةَ أمر دُنْيَوِيٌّ لتصريفِ أمور الناس . فإذا اتّفق الناسُ على تصريف أمورهم لم يَبْقَ ثَمّتَ حاجةٌ إلى خليفة . وللناس أن يُوَلّوا على أنفسِهم من شاءوا .

(د) المُرْجِئَةُ — وهم أمَويون ، قالوا إننا نُطيع الخليفةَ ولو كان فاسقاً ، ونُرْجِئُ أمرَه إلى اللهِ ، فاللهُ هو الذي يَتَوَلّى حِسابه .

واتّسعَت الحضارةُ العربية في أيام الأمويين ، إذ بنى الامويون المُدُنَ والمساجدَ والقصور : بنى الحجّاج مدينة واسطٍ بين الكوفة والبصْرة ، وبنى سليمانُ بن عبد الملك اللُدَّ في فلسطين ، وبنى أخوه هشامٌ الرُصافة قرب تَدْمُرَ . كما أن نفراً من خلفاء بني أميّة بَنَوْا في بادية الشام قصوراً لِلاِسْتِجمام وللإشتاء والاصْطياف .

وتَدَفقَت الأموال من جميع أنحاء الامبراطورية إلى الشام ودِمَشْقَ خاصّةً فكَثُرَ الترفُ وخصوصاً بين أمراء البيت المالك ورجال الدولة . ثم عَمّ الرخاء سائرَ البلاد ، ذكروا أن الرجل كان يَحْمِلُ زَكاتَه على يده في أيام عُمرَ ابن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١ هـ) ويطوف بها في أرجاء الامبراطورية فلا يَجِدُ مُستحقاً يدفعها اليه .

إنّ أوْجُهَ تلك الحضارةِ وذلك الترفِ في الحياة الجديدة التي طرأت على البيئة الاسلامية قد بدّلت كثيراً من حياة العرب والمسلمين :

لقد تبدّتْ هذه الاوجُه أعظمَ ما تبدّتْ في الحجاز . كان الحجاز قُطراً فقيراً غيرَ ذي زَرْع ، فلمّا جاء الإسلام وأصبَحَ الحجازُ مركزاً لدولةٍ وامبراطورية كثُرَتِ الأموالُ الواردةُ اليه من حَقّهِ في الجباية . غيرَ أن تلكَ الاموالَ لم تكن كثيرةً كثرةً تخرج به إلى الترف . فلمّا انْتَشَرَ الإسلامُ ثم قامت الدولة الأموية في خارج الحجاز حدث أمرانِ جديدانِ : جَعلَتِ الأقطارُ والجماعاتُ تَخُصّ الحجازَ بصَدَقات كثيرة تَبَرّعاً من عند أنفسها وتَقَرّباً إلى الله بأن تَهَبَ أهلَ البلد الذي ظهر فيه الاسلامُ — وأهلَ مكّةَ والمدينةِ على الأخصّ — قِسماً من أموالها ؛ وكذلك فعل أفرادٌ كثيرون . ثم ان الدولةَ الأموية رأت في باب السياسة أن تَصْرِفَ أهلَ الحجاز عن الإصرار على حقّهم في الخلافة والمُلك بالإحسان اليهم وبأنْ تَشْغَلَهم بالتمتّع بالدنيا عن طلب الملك الذي يَطْلُبُه الطالبون في العادة حُبّاً بالتمتّع بالدنيا فأغْدقتْ عليهِمُ الأموال .

وكثرت الاموال في الحجاز وخرج أهل الحجاز إلى الترف فعمّ التأنّق في المَطْعَم والملبس والمسكن . ثم بُنِيت الدّور والقصور وأنْشِئَتِ البساتينُ وقامت مجالسُ اللهو ومواسِمه ، تلك المجالسُ والمواسم التي تَوَفّرَ الناسُ فيها في أول الأمر على اللهو البريء من الاجتماع والتنَزّه والغِناء أو من الصيد والسباق (بين

الناس أو بين الخيل) ومن اللّعبِ بالنّرْد والشّطْرَنْجِ . بعدئذ خرج الشبّان إلى لَهْوٍ غير بريءٍ من الشّراب والفساد . وبما أنّ الفسادَ عادةٌ من توابع استِبْحارِ الحضارة فقد عمّ ذلك الفساد مُدُناً كثيرة في الامبراطورية الاسلامية .

الجيل الجديد من المولّدين

إن الاسلام والفتح الاسلامي قد جعلا العربَ يحتكّون بأمَمٍ غيرِ عربيةٍ . أحبّ العرب في هذا الاحتكاكِ الجمالَ الغريب فتزوّج العرب بغير العربيات فنشأ بذلك جيل مُولّدٌ بين العرب وغير العرب . هذا الجيل الجديد كان أكثرَ إمعاناً في التّهوّيْنِ من الجيل العربي الأول . ثم كثرت الجواري أيضاً وشاعت المجالس التي يجتمع فيها الناس كلّهم وحدث السّفور (بروز النساء في المجالس ومجاراة الرجال في النّزَه والغناء) . ثم حدثتِ الأُلفة وأصبح النساء يرْغَبْنَ في أن يَذْكُرَهُنّ الشعراءُ في الشعر . فكان ذلك باباً جديداً في اللهو لم يكن في أكثر الأحوال بريئاً .

وتطوّر الغناء في تلك المجالس والمواسم تطوّراً بارزاً لمّا دخله أشياءُ كثارٌ من الفن الفارسيّ وأشياء قليلة من الفن الرومي . وكان حظ الحجاز من هذا التطوّر في الغناء عظيماً جداً : لقد كان الحجاز بيئةَ هذا التطوّر ، وكان أهلُ الحجاز صُنّاع هذا التطوّر .

الحركة العلمية والفقهية

لم يَقتَصِرِ التّطوّرُ في البيئة العربية على جانب واحد من الحياة الاجتماعية ، فقد تطوّرت تلك الحياة في جوانبَ أخرى : لقد كان للّغةِ والنحو والادب وللفقه والطبّ ولعِلم الكلام (وعلم الكلام هو الدّفاع عن العقائد الدينية بالأدلّة العقلية) نصيبٌ من ذلك التطوّر كبيرٌ . وكذلك اتّسعت الحياة السياسية في جانبها النظري في تخريج الآراء في صِحة الخلافة وشروط الحكم ، وفي جانبها العمَليّ من قيام الاحزاب والنزاع في سبيل نُصْرة مبادئِ تلك الأحزاب إمّا في مجالس العلم بالجدال أو في ميادين الحرب بالقتال . ولقد سبَقَتِ الإشارة إلى أهل السّنّة وإلى الشيعة وإلى الخوارج وإلى المرجئة . ولا بدّ هنا من الإشارة إلى

حركة الاعتزال التي اتسعت في العصر الأموي اتساعاً كبيراً فوقف فيها المعتزلة يجعلون العقل حكماً في أمور الدين (تأثراً بالفلسفة التي كانت قد بدأت تتسرب إلى البيئة العربية تسرباً يسيراً شخصياً) . ثم هب العلماء من أهل السنة والجماعة (غير الخوارج والمعتزلة وغلاة الشيعة من المسلمين) يجعلون العقل قاصراً عن الحكم في أمور الدين ويردون الحكم في تلك الأمور إلى الوحي وحده وإلى ما جاءت به الاخبار الدينية .

في المصادر والمراجع :

إن عدداً كبيراً من كتب التاريخ التي ألحقت بالعصر الجاهلي أو العصر المخضرم تتضمن مادة لدراسة العصر الأموي أيضاً ، فليرجع اليها هنالك . أما هنا فسنجعل المصادر والمراجع الخاصة بالعصر الأموي كثيراً أو قليلاً :

– تاريخ الرسل والملوك للطبري .
– تاريخ الكامل لابن الاثير .
– الاخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري .
– فتوح الشام لأبي اسماعيل محمد بن عبد الله الازدي ، كلكته ١٨٥٤ م .
– فتوح الشام لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي ، القاهرة (مطبعة شاهين) ١٢٧٨ ﻫ .
– فتوح الشام لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي ، القاهرة (مطبعة محمد علي صبيح) ١٣٤٣ ﻫ .
– التاريخ الكبير لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر (اعتنى بترتيبه وتصحيحه عبد القادر بدران) ، دمشق (مطبعة روضة الشام) ١٣٣٢ ﻫ .
– تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها لابن عساكر (بتحقيق صلاح الدين المنجد) دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٩٥١ – ١٩٥٤ م .
– فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي (حققه صلاح الدين المنجد) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ، ١٩٥٠ م .
– خطط الشام ، تأليف محمد كرد علي .
– الدولة الاموية في الشام ، تأليف أنيس زكريا النصولي ، بغداد (مطبعة دار السلام) ١٩٢٧ م .

– العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، تـأليف الدكتور عمر فرّوخ ، بيروت ١٩٥٨ م .
– تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، تـأليف فلهاوزن (نقله عن الالمانية محمد عبد الهادي أبو ريدة) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٨ م .
– التاريخ السياسي للدولة العربية ، تأليف عبد المنعم ماجد ، الطبعة الثانية ، القاهرة (مكتبة الانكلو المصرية) ١٩٦٠ م .
– تاريخ العراق في ظلّ الحكم الأموي السياسي ، تأليف علي حسن الخربوطلي ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩ م .

Etudes sur le siècle des Omayyades, par Henri Lammens, Beyrouth 1930 ,
Etudes sur le règne du califat Omaiyade Mo'awia Ier,par Henri Lammens, Paris (Guenther) 1908 .
Le califat du Yazid Ier, Par Henri Lammens, Beyrouth 1921 .
Mo'awia II ou Le dernier des Sofianides, par Henri Lammens (Estratto dalla « Rivista Italiana »), Roma 1915 .
L'Avènement des Marwanides et le califat de Marwan Ier , par Henri Lammens, Beyrouth 1927 .

– فجر الاسلام ، تأليف أحمد أمين ، القاهرة ١٩٢٨ م .
– الاسلام والحضارة العربية ، تأليف محمد كرد عليّ ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٤ م .
– المجتمعات الاسلامية في القرن الهجري الأول ، تأليف شكري فيصل ، القاهرة ١٩٥٢ م .
– الحياة العربية في المئة سنة الأولى بعد وفاة النبي العربي ، تأليف جبرائيل جبور ، بيروت ١٩٣٤ م .
– عمر بن أبي ربيعة ، تأليف جبرائيل جبّور ، الجزء الأول : عصر عمر ابن أبي ربيعة ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٥ م .
– الامامة والسياسة لابن قتيبة ، القاهرة (المطبعة التجارية) بلا تاريخ .
– الامامة والسياسة لابن قتيبة ، القاهرة (مطبعة التقدّم الادبية) ١٣٣١ هـ .
– العصبية عند العرب في الجاهلية والاسلام حتّى زوال دولة بني أمية ، تأليف

.. عليّ مظهر . القاهرة (مطبعة مصر) ١٩٢٣ م .

— أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام : الخوارج والشيعة ، تأليف يوليوس فلهاوزن (ترجمة عبد الرحمن بدوي) ، القاهرة (النهضة المصرية) ١٩٥٨ م .

— النزاع والتخاصم فيما بين أميّة وهاشم للمقريزي ، ليدن ١٨٨٨ م .

— تقوية الايمان بردّ تزكية ابن أبي سفيان ، جمعه محمد بن عقيل بن عبد الله ابن يحيى العلوي الحسيني ، صيداء (مطبعة العرفان) ١٣٤٣ هـ .

— الصراع بين الامويّين ومبادئ الاسلام ، تأليف نوري جعفر ، بغداد (الزهراء) ١٩٥٦ م .

— الملل والنحل للشهرستاني .

— الفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (محمد بدر) ، القاهرة (مطبعة المعارف) ١٩١٠ م .

— تلخيص تاريخ الخوارج منذ ظهورهم إلى أن شتّت المهلّب شملهم ، تأليف محمد شريف سليم ، القاهرة (دار التقدّم) ١٩٢٤ م .

— الخراج في الدولة الاسلامية حتّى منتصف القرن الثالث الهجري ، أو التاريخ المالي للدولة الاسلامية ، تأليف محمد ضياء الدين الريّس ، القاهرة (نهضة مصر) ١٩٥٧ م .

— الأمويّون والبيزنطيون : البحر الأبيض المتوسّط بحيرة اسلامية ، تأليف ابراهيم أحمد العدوي ، القاهرة (الانكلو المصرية) ١٩٥٣ م .

— الاسطول الحربي الأموي في البحر المتوسط ، تأليف انيس صايغ ، بيروت (المطبعة الفنيّة) ١٩٥٦ م .

— البحرية العربية وتطوّرها في البحر الابيض المتوسّط في عهد معاوية ، تأليف فلهلم هونرباخ ، تطوان ١٩٥٤ .

— الفن الغنائي عند العرب ، تأليف نسيب الاختيار ، بيروت (دار بيروت) ١٩٥٥ م .

— الجواري المغنّيات ، تأليف فايد العمروسي ، القاهرة ١٩٤٥ م .

- مجالس الأدب عند نساء العرب ، بقلم وداد سكاكيني (مجلة المقتطف ، نوّار – مايو ١٩٤٣ م) .

Recherches sur la Domination arabe, le Chiitisme et les Croyances messianiques sous le Khalifat des Omayades, par G. Van Vloten, Amsterdam 1894.

الخصائص الأدبيّة

في العصر الأمويّ

كانت مظاهرُ الأدب في العصر الأموي أربعةً: الشعرَ والخَطابةَ والترَسّل ثم الرواية التي أدّتْ إلى التأليف .

أما الشعر فقد عاد أشبهَ بالشعر الجاهلي في أسلوبه وفي كثير من أغراضه ، ثم كان الجانبُ الأكبر منه وَقْفاً على السياسة الحزبية العَصَبيّة ، كما كان جانب كبير من الشعر الجاهلي متعلّقاً بالحياة القبلية . أما الخَطابة فان أسلوبها ظلّ إلى حدّ كبير جاهلياً ، بينما أصبحت أغراضُها أسلاميةً بَحْتاً لصِلَتِها الوثيقة بالدولة الاسلامية . وأمـا الترسّل فكان الفنّ الذي استَجَدّ في العصر الأمويّ ، أو الفنّ الذي أصبحت له ، في ذلك العصر ، حدوده وشروطه الثابتة وخصائصه المميّزة على الاقلّ .

وكَثُرَتِ الرواية في العصر الأمويّ : روايةُ الحديث ورواية الاخبار المتعلّقة بأيّام العرب في الجاهلية وبالأدب عامّةً وباللغة والنحو . ولا ريب في ان نفراً كثيرين من رُواة الحديث واللغة والنحو والأدب والتاريخ قد دوّنوا كثيراً من رواياتهم هذه وبدأوا ما يمكن أن يكون « حركة تأليف » . ولكن لم يصل الينا شيء مما أُلّفَ في العصر الاموي على الرُّغم من أن عدداً من أسماء الكتب قد وصل الينا .

الشعر

على أنّ أبرز فنون الأدب في العصر الأمويّ وأوسَعها نِطاقاً كان الشعرَ . وكان هذا الشعر نفسُه أنواعاً متعدّدة :

١ — الشعر السياسي : الشعر السياسي هو الشعرُ الذي قاله الشعراء المُناصرون

للاحزاب السياسية المتنازعة على الخلافة في العصر الأموي . وكان الشعر المستمر بين الشعراء المُتهاجينَ يُدعى النقائض . وبما ان النقائض كانت فنّاً خاصاً بالعصر الامويّ وبارزاً في الشعر جدّاً فإنّ القول فيها محتاج إلى شيء من البسط :

النقائض

« النقيضة » قصيدة يرد بها شاعرٌ على قصيدة لخصمٍ له فيَنْقُضُ معانيَها عليه : يَقْلُبُ فخرَ خصمه هجاء ، وينسب الفخرَ الصحيح إلى نفسه هو . وتكون النقيضة عادة من بحر قصيدة الخصم وعلى رويّها .

قال الاخطل (من البحر البسيط على رَوِيّ « الزاء المضمومة ») :

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك أو بَكَروا وأزْعجَتْهم نَوىً في صَرْفها غِيَرُ .

فأجابه جَرِيرٌ (من البحر نفسه وعلى الرويّ نفسه) :

قل للديار : سقى أطلالَكَ المطرُ ، قد هِجْتِ شوقاً ؛ وماذا تنفع الذِكَرُ !

وقد تختلف أحياناً حركة الرويّ في النقائض كقول الفرزدق (من البحر الكامل على اللام المضمومة) :

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً دعائمُهُ أعزّ وأطولُ ،

فأجابه جرير (من البحر نفسه ولكن على اللام المكسورة) :

لِمَنِ الديارُ كأنها لم تُحْلَلِ بين الكِناس وبين طَلْحِ الأعزلِ .

فاذا قال أحدُ الخصمين قصيدة جديدة (ولو كانت استمراراً لمهاجاة قديمة) فانه ينظمها عادة من بحر جديد وعلى رويّ جديد . إلاّ أن خصمَه إذا ردّ على هذه القصيدة الجديدة تقيّد ببحرها ورويّها .

وربما اشترك في « المناقضة » بضعة شعراء ؛ فمن ذلك مثلاً قول الفرزدق يخاطب جريراً :

يا ابنَ المُراغةِ ، والهجاءُ إذا الْتَقَتْ أعْناقُه وتَماحَكَ الخصمانِ ...

فقال جريرٌ يَردّ على الفرزدق :

لِمَنِ الديارُ ببُرقةِ الرَوْحانِ إذ لا نَبيعُ زمانَنا بزمانِ .

وقال الاخطل يرد على جرير أيضاً :

بَكَرَ العواذلُ يَبْتَدِرْنَ مَلامتي والعاذلون ، فكلهم يَلْحاني !

والمختار في «النقائض» ان تكون طِوالاً ، وفيها يفتخر الشاعر بنفسه وبقومه ، وبفضائل نفسه كالشعر والكرم والشجاعة ، ثم بأحساب قومه كالحروب التي انتصروا فيها والعهود التي وَفَوْا بها والمحاسن التي أتَوْها من الكرم والدفاع عن الاعراض والقيام بشأن القبيلة وما إلى ذلك .

بعدئذ يُنَقِّب الشاعر عن معائب خصمه وقومِ خصمه فيذكرهم جميعاً بالعَيِّ والبُخْل والجُبن ، حقاً أو باطلاً . ويذكر أيضاً الحروب التي هُزموا فيها والعهود التي نقضوها والمخازِيَ التي عَرَضَتْ لهم . وإذا أعْوزته المخازي أو أعوزه شيءٌ منها لم يتأخرْ عن اختْلاقه .

وفي النقائض إقْذاع شديد وفُحش وبَذاءة ، إلاّ أن المتناقضين قد تَعَرّضوا دائماً للعيوب الخُلُقية النفسية كالبخل والجبن والغدر والزنا ، ولم يتعرضوا للعيوب الخَلْقية الجسدية [1] كالعرج والعور والاِحْديداب إلاّ نادراً (كالتعيير بالفقر وضعف الجسد عامة والعور مرة واحدة فيما اذكر ؛ ولم يكن ذلك عند النقاد محموداً) .

وقد يمدح الشاعر خليفةً أو أميراً بقصيدةٍ يَعْرِضُ فيها أيضاً لهجاء خصمه أو للرد عليه فتكون نقيضة ، قال الاخطل يمدح عبدَ الملك ويهجو جريراً :

إليكَ ، أميرَ المؤمنين ، رَحَلْتُها على الطائر الميمون والمنزل الرَّحْبِ .
وفي كل عامٍ منك للروم غزوةٌ بعيدةُ آثارِ السَّنابك والسَّرب [2] .
لحا الدهرُ قوماً من كُلَيْبٍ كأنهم جِداءُ حِجازٍ لاجئاتٌ إلى زَرْبِ [3] ....

وقد يرثي الشاعر امرأته ثم يهجو خصومه كما فعل جرير :

لَوْلا الحياءُ لعادني استعْبارُ وَلَزُرْتُ قبرَكِ ، والحبيبُ يُزار .
أفأمَّ حَزْرَةَ ، يا فرزدقُ ، عِبْتُمُ ؟ غَضِبَ المليكُ عليكمُ القهّار .
كَذَبَ الفرزدقُ ، ان عودَ مُجاشعٍ قَصِفٌ وإن صليبَهم خَوّار [4] .

---

[1] راجع العمدة ٢ : ١٦٦ .

[2] السنابك : حوافر الخيل . السرب : المسلك ، الطريق . — تبعد في غزواتك .

[3] في النقائض (ص ١٠٨) صرما (قطعة) ، مكان قوم . الزرب : الزريبة ، الحظيرة .

[4] قصف : سريع الانقصاف ، الانكسار . الصليب : القاسي القوي . خوار : ضعيف .

قد يُؤسَرون فما يُفَكّ أسيرُهم ، ويُقتَّلون فتَسْلَمُ الأوتار .

وقد يتغزل الشاعر في قصيدة طويلة ثم يعطف على خصمه يهجوه كما فعل جريرٌ أيضاً . والغزل في هذه القصيدة هو القسم الأوفر منها :

بانَ الخليطُ ، ولو طُوِّعتُ ما بانا ، وقطّعوا من حبال الوصل أقرانا .
ما يَدّري شعراءُ الناس ، ويحَهُمُ ، من صَولةِ المُخْدِرِ العادي بخَفّانا [1] .
جهلاً تَمَنّى * حُدائي من ضلالتهم فقد حَدَوْتُهُمُ [2] مَثْنَى ووُحدانا :
غادرتهم من حَسير مات في قَرَنٍ وآخرين نَسُوا التّهدارَ خِصيانا [3] .

نشوء النقائض

كانت النقائض في العصر الأمويّ استمراراً للهجاء القَبَليّ في الجاهلية ؛ وكان يبعثها عادةً خِلافٌ بين قبيلتين أو أسرتين فينتصر شاعرٌ لقومه أو لأحلاف قومه، فيرد عليه شاعرٌ من هؤلاء ، فيعودُ الأول إلى الرد عليه ؛ ثم يلتحمَ الهجاءُ ويستطير . ولقد أذكى هذه النزعةَ في الشعراء قيامُ الاحزاب وتقرّبُ هؤلاء الشعراء إلى الخلفاء والأمراء بهجاء خصومهم تكسباً للمال .

قيمة النقائض

كانت النقائض تمثل جانباً من العصر الأمويّ ، ذلك الجانبَ المضطرب بالتنازع على الخلافة مع ما يستتبعه ذلك التنازعُ من الأحوال : لقد دلّت على ان الحميّةَ الجاهليةَ ظلّت ذات أثَر في النفوس حتى بعد أنِ انتَشَرَ الإسلامُ . ولكنّ اثرَ الإسلام وأثر الحياة الجديدة كانا بارزين ظاهرين يزدادان مَعَ الايامِ اتّساعاً ونفوذاً إلى النفوس . ويمكننا أن نرى لقيمة النقائض خمسةَ أوجهٍ نُوجز وصفَها في ما يلي :

١ً — الوجه السياسي :

لقد صَوّرت النقائض النزاعَ السياسي على الخلافة بين الامويين وبين

١ المخدر : الأسد المختفي في اجمته . خفان : مأسدة (مكان فيه اسود) على طريق مكة– الكوفة . العادي : الذي يهاجم الناس . * كذا في الاصل . ولعلها : تمنوا .
٢ سقتهم كالإبل .
٣ الحسير : الذي ضعف بصره . قرن : حبل تربط به الحيوانات . التهدار : خوار الثيران (أصواتها) .

خصومهم . ومعَ ان الأمويين قدِ انتَصروا في هذا النزاعِ انتِصاراً حاسماً بيّناً ، ومع أنّ الأحزاب السياسية الأخرى قد فقدت قوتها الفعّالة ، فان تلك القوة قد تَمثّلت في الشعور القبلي الذي بُعث من جديد . ان القَيْسيين (أنصار عبدِ الله بن الزُبير) قد وقفوا موْقِفَ المناوئ لليمانيين (أنصار بني أميّة) في القلاقل المحلية التي امتَلأ بها العراق والشام ، ثم في تعيين الوُلاة والعمّال على الأمصار ، ثم في الشعر .

إلاّ أن شعراء النقائض لم ينسَوْا – في غمْرة نزاعِهِمُ القَبَلِيّ المحلي – أن يُشيدوا بعظمة العرب القومية وان يُشيروا إلى اتّساع الفُتوح الاسلامية ، وخصوصاً في المشرق : في فارس والهند والصين .

والشعراء الذين دخلوا في هذا النزاع لم يدخلوه وهم يحملون عقيدةً أموية أو زُبيرية أو علَوِيّةً ، وإنما دخلوه للتكسّب في الدرجة الأولى . حتى إن الشعراء الزبيريين انقَلبوا بعد ذلك أمويين . وكذلك لم يتَحوّبِ الفرزدق – وكان يمثّل العلَويين – من ان يعرّض بآل البيت ويمدح بني أمية . وكذلك الأخطل النصراني مدح الخلفاء مدائح إسلاميةَ الطابعِ تناقض عقيدتَه الدينية . على ان نفراً قليلين من الشعراء لم يفعلوا ذلك ، فقد ظل الكُمَيْتُ العلوي على وفائه لآل البيتِ ولكنّه مدح الأمويّين تكسّباً لمّا اضطُرّ إلى التكسّب منهم . وأمّا عمرُ بنُ أبي ربيعةَ فانّه لم يمدحْ أحداً ولا قال في المناقضات قطّ .

٢ً – الوجه الاجتماعي :

إن مجموع الشعر الأمويّ يدلنا على ان البداوة ظلّت غالبة على المجتمع الأموي. ان الشعر الأمويّ مملوء بالمفاخر الجاهلية والبدوية كالفخر بالانساب وبأيام العرب (معاركهم الجاهلية) وبالكلام على الثأر .

وظل شعراء المناقضات حتى أواخر العصر الأمويّ يَعدّون الحياة الحضرية في باب المعائب القومية ، فالأخطل قد هجا الأنصار لأنهم زرّاعون ، وجريرٌ ظلّ إلى آخر حياته يهجو بني مُجاشع لأنهم قُيون (حدادون) ، ذلك لأنّ القِيانة (الحدادة) وسائر الصناعات إنما كان يقوم بها العبيد [1] .

ولكنّ الشعرَ الأموي امتلأ أيضاً بالألفاظ الاسلامية والآراء الاسلامية ، حتى

---

١ راجع تاج العروس ٩ : ٣١٦ ، السطر ١٩ .

الاخطلُ النصراني لم يشذّ عن ذلك :

نفسي فِداءُ أميرِ المؤمنين إذا　　أبدى النواجذَ يومٌ عارمٌ ذَكَرُ
الخائضُ الغَمْرَ والميمون طائرُه،　　خليفةُ الله يُستسقى به المطر .

أما ذكر جرير والفرزدق وغيرهما للصلاة والحج واقتباسهم كلهم من القرآن الكريم فظاهر . وقد يكون الفرزدق وجرير قد شربا الخمر فعلاً ولكنهما لم يَصِفاها ، بل ان جريراً كان يعيّر الفرزدق أحياناً بشربها .

٣ً — الوجه اللغوي :

وللنقائض قيمة لغوية لا شك في ذلك ، فشعراء المناقضات قد حَفِظوا اللغة العربية صافية كما كانت في الجاهلية :

أ — لقد حفظوا العدد الأوفر من الألفاظ حتّى قيل : لولا الفرزدقُ لذهب ثلث اللغة ، وقيل بل ثلثاها .

ب — وكذلك حفظوا لهذه الألفاظ جزَالتها ، فان شعراء النقائض قد استعملوا هذه الالفاظ لتدل على معانيها الصحيحة التي لم تكن قد شُوهَت بعد بالاختلاط بالاعاجم [1] .

فالألفاظ التي حُفِظَتْ لنا ، في النقائض ، إذن كانت كثيرة ، وكان أكثرها غريباً متصلاً بالمعاني الجاهلية القديمة . بل لعل قسماً من ألفاظ النقائض كان أكثر غرابة من ألفاظ المعلقات .

وكذلك إذا نظرنا في التراكيب رأيناها تراكيبَ متينة تجري على الأسلوب العربي القديم . وهكذا نستطيع أن نقول : إنّ النقائضَ كانت مزيجاً من معانٍ قديمةٍ وجديدةٍ ولكن في لغة قديمة .

٤ً — الوجه الأدبي :

كانت النقائض تقليداً واضحاً للمعلقات خاصة : تقليداً في شكل القصيدة وفي كَثْرة أغراضها وطول نَفَسِها وفي كثيرة من خصائصها الأخرى كالفخر

---

١ مما يلفت النظر ان الفرزدق استعمل كلمة « استلم » في قوله في زين العابدين (ت ٩٤ هـ) :

يكاد يمسكه عرفان راحته　　ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

بمعنى « لمس ، مس » . والصواب : لثم ، قبل . ولعل ذلك مما يدل على ان القصيدة ليست للفرزدق .

بالأنساب والهجاء القبلي والنسيب في مطالع القصائد وكالغزل البَدْوي ، عفيفاً وصريحاً .

ومع اننا لا نُعْجَبُ بالنقائض من الناحية الخُلُقية والاجتماعية فإننا لا نُنكِر أنّ شعراء المناقضات قد أضافوا إلى الشعر العربي فناً جديداً هو فن الشعر السياسي ، أو انهم على الأصح قد وسّعوا هذا الفن – الذي ظهرت طلائعه منذ الجاهلية عند النابغة خاصة – توسيعاً جعله فناً جديداً .

والنقائض قد قامت على « التَكَسّب » ، بخِلاف أكثر الشعر الجاهلي . ان شعراء النقائض عموماً لم يميلوا إلى حزب دون حزب بدافع المبدأ والعقيدة ، بل مالوا إلى كل حزب كان يُفيض عليهمُ العطايا .

أما الخصائص الفنية في النقائض فيحسن أن تُراجَعَ في أماكنها الخاصة عند الاخطل والفرزدق وجرير .

ويحسن أن نُشير إشارةً خاصة إلى أن الآراء الإسلامية والآياتِ الكريمةَ قد سادت المناقضات . لقد كانت النقائض قديمة بلغتها وأغراضها الممهدة ، ثم كانت اسلامية بمعانيها الجديدة وفي بعض أغراضها .

٥ً – الناحية الفكرية :

عاصر شعراءُ النقائض نشأةَ « علم الكلام » [١] ، وتُوُفّيَ الفرزدق وجَريرٌ بعد الحسن البصري (توفي سنة ١١٠ هـ = ٧٢٨ م) ببضع سنوات . ولكننا لم نَجِد مسائل الجدال الديني ولا قضايا البحث العقلي ولا بوادر الاتجاه العلمي قد اتخذت طريقاً إلى المناقضات على الرّغم من أن البصرة – وهي مركز الحركة الفلسفية الأولى – كانت سوقاً عظيمة لهذه النقائض .

من أجل ذلك ، ومن أجل غيره أيضاً ، نستطيع أن نقول : إن النقائض كانت تمثّل جانباً من الحياة الأمويّة : الجانبَ السياسيَّ والجانب اللغوي في الدرجة الأولى . أما الناحية الاجتماعية الحضرية الجديدة فكانت لا تزال مَشُوبَةً بقَدْر من البَداوة ومِنَ احترام البداوة . وكذلك الناحية الأدبية فانها كانتْ أكثَرَ لُصوقاً بالجاهلية ، ذلك لأنّ الشعراء أنفسهم كانوا مُعْجَبين بالشعراء الجاهليين يَتّخذونهم أئمةً وهُداةً ويحتذون أشعارهم ويُحاكون خصائصهم . وأما الحركة الفكرية الجديدة فان اثرها لم يظهرْ في النقائض .

---

١ راجع فوق ، ص ٣٥٦–٣٥٥ .

٦ً – الغزل والنسيب :

عاد الغزل والنسيب في العصر الأمويّ إلى الازْدهارِ بعد أن كانا قد أُهْمِلا قليلاً في صدر الاسلام الأوّل .

لقد انْحَدَرَ الغزلُ الأمويّ من الغزل الجاهليّ . غير أن هذا الغزل كان في الجاهليةَ غرضاً من أغراض القصيدة يأتي في أبياتٍ تَقِلّ أو تَكْثُر وتَتَوالى أو تتفرّق ؛ فلمّا انْحَدَرَ إلى العصر الأُمويّ أُتيحَ له شعراءُ وقفوا جُهْدَهم عليه كعمرَ بن أبي ربيعةَ الذي جعل منه فنّاً قائماً بنفسه : كان عمر يَقْصُرُ القصيدةَ على الغزل فلا يكاد يقول فيها إلاّ غزلاً ، ثم انه لم يَقُلْ إلاّ في الغزل . ومَعَ أنّ عمر بن أبي ربيعة لم يبتكر شيئاً من خصائص الغزل العامّة ، فانه قد جمع مُعْظَمَ هذه الخصائص في شعره وأجرى الغزل في قَصص وحِوار حيناً وفي نِقاش وإقناع حيناً آخرَ . ومثل ذلك فعل نفر كثيرون من الشعراء المغامرين الذين كانوا يَتَتبعون الجمال ويَهيمون بالمرأة هُياماً يَجْرون فيه على مقتضى الطبيعة البشرية .

والنسيب أيضاً فنّ جاهليّ أصيل ، غير أنه خضع في العصر الاموي لتطوّر بارز جدّاً : لقد تطوّر جانب منه فنشأ ما نسمّيه بالغزل العُذري .

ومع أن الغزل العُذريّ اكْتَسَبَ اسْمَهُ من قبيلة بني عُذْرَة التي كَثُرَ فيها الشعراء الذين اخْتار كلّ واحدٍ منهم أن يَقْصُرَ هَمّهُ وشعره على امْرأةٍ واحدة يرى فيهـا وفي قُرْبهـا سعادتَه وشقاءه ثم لا يلتفت إلى امرأةٍ غيرها أيضاً ، فان مثل هذا الحبِّ قد عُرِفَ في قبائل أخرى كقبيلة بني عامرٍ مثلاً .

والمفروض أن يكون الغزلُ العذري غزلاً عفيفاً ، وهو كذلك في الأكثر . غير أن الشعراء العذريين كانت تُنازعهم أنفسهم إلى كلّ ما كانت تصبو اليه نفوسُ غيرِهم ، ثم إذا هم وجدوا فُرصة سَلَكوا مَسْلَكَ الناس جميعاً في هذا الجانب من الحياة . على أن الذي ظلّ يَفْصِلُ بين الشعراء الذين نُسمّيهم عُذريين وبين سواهم من الشعراء المحبّين أن هؤلاء العذريين لم يبالوا بامرأة غير تلك التي توهّموا حُبّها . وقد تُبدي المرأة التي يتتبّعها المحب العذري صدّاً أو كُرهاً لذلك المحبّ الشاذّ ؛ وقد تتزوج تلك المرأة وتَرْبطُ سعادتها ومصيرها برجلٍ آخرَ ، ولكنّ مُحبّها يظل على وَهْمه الأوّل يَنْظُمُ فيها الأشعار ،

ويُضْرِبُ في أزَماتِ تذكّرِه لها ، عن الطعام والشراب حتّى يُهْزَلَ جسمُه أو حتّى يموت .

ولا ريب في أن الشعر العُذريّ شعرٌ عَذْبٌ سهل مُحَبّب إلى النفس الإنسانية لأنه في الواقع يمثل النزوع الموجود في كل نفس إلى الحياة الطبيعية في البشر . ولكنْ يجب ألاّ ننسى أن المحب العذريّ رجل ضعيف الشخصية لأنه في الحقيقة رجل ناقص الرجولة . ان الحنين الشعري في هؤلاء العُذريين يجب أن يكون تعويضاً نفسانياً لهم عمّا فقدوه من قدرة الشعراء المغامرين على التمتّع بالحياة الطبيعية تمتّعاً تامّاً كاملاً .

والمبالغة في الحب العذري أدّت إلى ظهور الشعراء المجانين ، أولئك الشعراءِ الذين ذهب عقلهم في تلك الأوهام التي كانوا يُشَبّحونها لأنفسهم في خيالهم . ومع ان شعر الشعراء المجانين غير ثابت على القطع لشعرائه ، فان هذه الطبقة من الشعراء كانت موجودة وكان لها شعر يبدو أن بعضَهُ اختْلط ببعض .

٧ً — الخمريات :

القول في الخمر غرض من أغراض القصيدة الجاهلية اتّسع عند الأعشى من غير أن يُصبح فنّاً مستقلاً . ثم جاء الإسلام فغابت الخمر أو كادت . ومع أن نفراً من الشعراء المسلمين ، ومن المسلمين غير الشعراء أيضاً ، قد شَربوا النبيذ أو شربوا الخمر التي لم يكن ثَمّتَ خِلافٌ في تحريمها ، فان الشعراء المسلمين لم يقولوا في الخمر إلاّ في النادر كما رأينا عند أبي مِحْجَن الثّقَفِي وكما سنرى عند نفر قليلين من الشعراء الأمويين المسلمين . أمّا الأخطل المسيحي فقد جرى في شرب الخمر وفي القول فيها على سجيّته ، كما سنرى ذلك وتعليلَ ذلك في ترجمته .

ولم يكنِ القولُ في الخمر مُتّسِعاً في العصر الأموي ، بالإضافة إلى ما كان عليه في الجاهلية من قبلُ وفي العصر العبّاسي من بعدُ ، ولا أصبح القول في الخمر في هذا العصر الأمويّ فنّاً مستقلاً قائماً بنفسه . ويحسن أن نزيد هنا أيضاً أنه لم يطرأ جديد على أوصاف الخمر في هذا العصر ، وأن الخمر كانت لا تزال تنتظر أبا نواس (توفي سنة ١٩٩ هـ) حتّى يُوَفّيَها حقّها وحتّى يجعلَ منها فنّاً قائماً بنفسه .

٨ً — أما سائر فنون الشعر وأغراضه من الوصف والأدب (الحكمة) والمدح الخالص والهجاء الشخصي والعتاب فكانت قليلةً جداً لم تبرز في العصر الأمويّ ، إذْ غطّى عليها الهجاء القبلي والغزل .

الرجز خاصّة

الرجز نوع من أنواع الشعر ، هو في الحقيقة أسهلُ أنواع الشعر وأقلّها تكلّفاً (راجع فوق ، ص ٧٤، ٨٥) . والرجز في الأصل يجب أن يكون قد تطوّر من السَجْع ، حينما أدْخل نفر من الشعراء الوزنَ على الجُمَل المسجوعة (راجع فوق ، ص ٨٨) .

والرجز بَحْر (وزن) من بحور الشعر تفاعيله :

مُسْتَفْعِلُنْ مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

يتوالى في كلّ تفعيلة منها : متحرّك فساكن فمتحرك فساكن فمتحرّكان فساكن (ـ ـ ه ـ ه ـ ـ ه) .

أما القافية في الرجز فلها مجريان أساسيان : أحدُهما أن يُختَتَم كلّ صَدْرٍ وكلّ عَجُزٍ من كلّ بيت في المقطوعة الرَّجْزية بقافيةٍ على رويّ واحد (راجع فوق ، ص ٨٥) : دعِ المطايا تنسم إلجنوبا ..... الخ .

ويبدو أن القول في بحر الرجز كان في الجاهلية بَديهةً وَارْتجالاً في البيت والبيتين وفي القطعة بعدَ القطعة . أما في العصر الأمويّ فقد عُنِيَ بالرجز جماعةٌ من الشعراء البَدْو في الأكثر ، وكان منهم من لم يقل الا رَجَزاً . ثم أنهم تصرّفوا فيه مدحاً وفخراً وهجاء ، كما تأنّقوا في أسلوبه وتكلّفوا فيه الاغراض والمعانيَ وحُسنَ الصّنعة كما كان يُفْعَلُ في سائر الشعر . وكذلك كان للراجزين محاورات ومناقضات يَشْهَدُها الناسُ في مَرْبِدِ البصرة وفي غيره من الأماكن التي كان يكثر فيها اجتماع الناس عادة . ومن أشهر الرُّجّاز في العصر الأموي : الأغلبُ العِجْليّ وأبو النجم والعَجّاج .

شعراء العصر الاموي

نستطيع أن نَقْسِمَ الشعراءَ في العصر الاموي قسمين واضحَيِ الحدودِ :

شعراءَ السياسة والشعراءَ الذين لم يتعرّضوا للسياسة .

أما شعراءُ السياسة فكان منهم :

– شعراءُ العلويّين ، وكانوا كثيري العددِ إلا أنّ بعضَهُمُ استَتَرَ ولم يظهرْ خوفاً من بطش الأمويّين . ثم ان منهم من مال إلى بني أميّةَ طلباً للمال وَاختَصّهُمْ بمدائحه كالفَرَزْدَق . على أن منهم من قسم شعره بين العلويّين وبين الأمويين كالكُمَيتِ بن زيد وأيْمَنَ بن خُريم . وكان شعراء العلويّين أفيضَ شاعريةً وأرقّ عاطفة لتأثرهم بما أصاب آلَ البيتِ وشيعةَ الإمام عليٍ من القتل وَالِاضْطِهاد والنّكَبات .

– شعراء الزُّبيريّين ، وكانوا شعراءَ قليلي العدد مُتَقَلّبي الهوى في الغالب ، منهم أبو وَجْزة السّعدي وإسماعيل بن يَسار النّسائي وعُبيد الله بن قيس الرُّقَيّات.

– شعراء الخوارج ، وكان أكثرُهم من فحول الشعراء وأبطال القتال . ولقد ثبت هؤلاء على مبدأهم ما لانوا في عقيدتهم ولا مدحوا تكسّباً ولا مالوا إلى الامويّين بحالٍ . ومن أشهر شعراء الخوارج الطِرّمّاح بن حكيم . وَامتازَ شعر الخوارج بغرابة الألفاظ ومتانة التركيب مَعَ سلامة اللغة ومع الصّلابة في الرأي ، ولا غروَ فقد كانوا بَدْواً ، أو كان مُعْظَمُهم من أهل البادية .

– شعراء الأمويّين ، وقد كانوا أكثرَ شعراء الأحزاب عدداً ، لأنهم كانوا شعراء الدولة القائمة يَلْتَفّون حولَها حبّاً بالتكسّب كثيراً واعتقاداً بالعصبية القُرَشيّة قليلاً ثم كُرْهاً بسائر الأحزاب في بعض الأحيان . ثم إنّ مُعْظَم الشعراء الزبيريّين ومعظم شعراء الشيعة قد انتَقلوا إلى مديح الأمويّين لمّا فَقَدَ الزُبيريون والشيعةُ الأملَ بالوصول إلى الخلافة أو قصّرت أيديهم عن أن يُثيبوا أولئك الشعراءَ على قصائدهم . (على أنه يَحْسُنُ هنا أن نُشيرَ إلى أن شعراء الخوارج وحدَهم هم الذين ثبتوا على موقفهم الأول ولم ينتقلوا إلى مدح الأمويّين ، لأن شعراء الخوارج لم يكونوا في الأصل يتكسبون بالشعر ولا يَقْبلون عطاء من أحد) .

ولا سبيل هنا إلى أن نُجْمِلَ خصائصَ شعراء الأمويّين لأنهم كانوا الكثْرة من شعراء العصر الأموي كلّه ، ثم لأن معظم شعراء الزبيريين والشيعةِ انتَقلوا

فيما بعدُ إلى مُعَسْكَرِ الأمويّين ونقلوا معهم خصائصهم الأولى . ولكن لا بُد من القول بأنّ شعر الشعراء الأمويّين كان شعرَ تكسّبٍ في الدرجة الأولى ، وكان لا يعبّر عن عاطفة صحيحة في معظم الأحيان : يدلّك على ذلك تلك المبالغات التي لم يدفع أولئك الشعراءَ اليها إلاّ الطمعُ في أن يَزيدَ ما ينالونه على قصائدهم من عطاء الأمويّين ، سواءٌ أكانت تلك القصائدُ في مديح بني أمية أو في هجاء خصوم بني أمية .

على أننا إذا استَعْرضنا خصائصَ الشعر السياسي في العصر الأُموي خاصّة بدا لنا أنه كان في أكثره تقليداً للمعلّقة الجاهلية ، وخصوصاً من حيثُ شكلُ القصيدة : تعدُّدُ الأغراضِ في القصيدة . ثم ان كثيراً من أغراض الشعر الاموي ظلّ أغراضاً جاهلية في القصيدة السياسية خاصّة ، كالوقوف على الأطلال والفخر والهجاء القَبَلي والطَرْد (وصف الصيد) والغزل التقليدي في مطالع عدد كبير من القصائد . ومع ذلك فإننا سنجد أغراضاً كثيرة قد استجدّت أو تطوّرت بظهور الاسلام وباتّساع الفتوح .

ثم كان هنالك شعراءُ لم يندفعوا في ميدان السياسة بشعرهم ، بَلِ اكْتَفَوْا بأن يقولوا شعراً وجدانيّـاً يُعَبِّر عن عاطفتهم وحدَها . على أن منهم من لم يتعرّض للناس بمدح أو هجاء كعُمَرَ بن أبي ربيعة ، كما أن منهم من خلط المذهبين فقال غزلاً عاطفياً ثم مدح وهجا مجاراة للعصر الذي كان يحيا فيه أو حاجة إلى التكسّب ككُثَيِّرِ عَزّةَ مَثَلاً .

ولقد كان شعر هؤلاء الوجدانيين في الاكثر قصائدَ ومقطّعاتٍ تُخالفُ الشكلَ المألوفَ للقصيدة التقليدية القديمة (للمعلّقة) : كان نفرٌ من هؤلاء الشعراء الأمويّين – كما كان نفر من أسلافهم الجاهلين أيضاً – ينطلقون في شعرهم على السجيّة : يبدأون بالقصيدة من حيثُ يتّفق لهم المعنى ثم يَقِفون بها حيثُ ينتهي بهم المعنى الذي أرادوه ، كما نجد عند عُمَرَ بن أبي ربيعة وفي القصائد المنسوبة إلى مجنون ليلى مثلاً أو في قصائد جميل بن معمر وأنداده أحياناً .

التشيّع واثره في الأدب

التشيّع هو التحزّب ، والشيعة همُ الأنصارُ والاتباع . وكان لفظ الشيعة

يُطلق منذ صدر الاسلام الأوّل على الذين ناصروا عليّ بن أبي طالبٍ وفضّلوه في تَوَلّي الخلافة السياسية على غيره . ولقد كان للشيعة ، كما كان لكلّ حزب سياسي آخر في ذلك الطور المتقدّم في تاريخ الاسلام ، شعراءُ يدافعون عن الآراء السياسية التي كانوا يؤمنون بها . ومع الأيام قَوِيَ الحزب الأمويّ ثم غطّى على سائر الاحزاب السياسية واضطهد رجالَها وأتباعها اضطهاداً شديداً دفاعاً عن مُقامه في الحكم . ثم اشتدّ الاضطهادُ خاصّة على الشيعة لشدّة المقاومة التي أبداها الشيعة في وجه الأمويّين أصحابِ الدولة .

وبرز الشعراء الشيعة في هذا الكفاح السياسيّ بأسبابٍ كثارٍ :

كان يَغْلِبُ على الشيعة أنهم كانوا أهل حَضَر بخلاف الخوارج الذين كانوا في الاكثر أهلَ بَدْوٍ . ثم ان مهد الشيعة كان في العراق في الجانب الغربي خاصّة على الفرات ، وتلك مِنْطقة خرج منها شعراءُ وجدانيون يقولون شعراً عاطفياً رقيقاً . ثم ان الاضطهاد الذي تحمّله آل البيت وتحمّله معهم أنصارُهم وأتباعهم الشيعة زاد في العنصر الوجداني في ذلك الأدب . أضف إلى هذا كلّه أن أدب الشيعة اكتسب مع الأيام نفحة دينية لمّا اعتقد الشيعة أن مَنْصِبَ الخلافة ليس أمراً دنيوياً ولكنّه جزء لا ينفصل من العقيدة الدينية نفسها . ومنذ العصر الأموي تبلور عدد من أوجه العقيدة الشيعية في السياسة كالقول بالحقّ الشرعي في الخلافة في مقابل الانتخاب والشُورى في اختِيار الخليفة . وكذلك برزت بعض الآراء الدينية كالقول بالرجعة (رجوع النفوس إلى الحياة في الدنيا في جسد يعود هو نفسه مرة بعد مرّة) .

فمن الدّلالة السياسية في شعر الشيعة في العصر الأموي قول كُثَيِّرِ عزّةَ يخاطب عمر بن عبد العزيز ، وقد كان عمر بن عبد العزيز قد أبطل لعن عليّ ابن أبي طالب على المنابر في صلاة الجمعة [1] :

وَلِيتَ فلم تَشْتُم علياً ولم تُخِفْ بَرِيّاً [2] ولم تقبل إشارة مُجرمِ ،
وصدّقت بالفعل المَقالَ مع الذي أتيتَ ، فأضحى راضياً كلّ مسلم !

---

١ اللعن أو السب أو الشتم ، في هذا المقام ، هو تفنيد الآراء السياسية واستنزال الغضب الديني على المبطل أو المخطئ ؛ وليس له صلة بالاقذاع (القبيح من القول) على ما يعرف في العصور المتأخرة .

٢ برياً : بريئاً (لا ذنب له) .

على أن بعض الشعر الشيعي خرج إلى القول بشيء مما كان يعتقده الشيعة الغلاة من الرجعة [1] وأمثالها مما سنراه مثلاً في شعر الكميت بن زيد الاسدي .

الخطابة .

الخَطابة في العصر الأمويّ كانت استِمْراراً للخَطابة في صدر الاسلام الأوّل ، ولكنْ زادتْ فيها أمورٌ : من ذلكَ أن الخُطبة طالت ، ذلك لأن الخطبة كانت لتبليغ أوامر الدولة ، فلمّا كَثُرَتْ تلك الأوامرُ باتّساع رُقْعة الامبراطورية وبتطوّر الحياة الادارية والسياسةِ احْتاجَ الخطباءُ إلى بَسْط القول في ذلك . ومن هنا جاء طول الخطبة في الدرجة الأولى . ثم عَرَفَ صدرُ العصر الأمويّ ثَوْراتٍ وحروباً وَاحْتاجَ الوُلاةُ والقُوّاد إلى تصريف القول بالإقناع وبالوعيد عند مُخاطبة الجموع ، فَاقْتَضَى ذلك أيضاً أن تكون الخطبة أطولَ مما كانت في الجاهلية أو في صدر الاسلام الأوّل . وفي العصر الأمويّ تطوّرت البِيئَةُ الاسلامية ونشأتْ طَبَقاتٌ جديدة في المجتمع كطبقة المولّدين [2] ، ولم يكن من المُنْتَظَر أن يفهم المُوَلّدون الإيجازَ العربي لَمْحاً كما كان يفهمه العرب الأقحاح الأوّلون من البَدْو خاصة . فَاحْتاج الخطيبُ من أجل ذلك إلى أن يُرَدِّدَ المعنى الواحدَ في تراكيبَ مُتشابهةٍ مُتقاربةٍ ، فزاد ذلك أيضاً في طول الخطبة . وكذلك لمّا تَرامَتْ حدودُ الإمبراطورية باتّساع الفتوح لم يَبْقَ من الممكن أن تُرْسَلَ الأوامرُ إلى الوُلاةِ تِباعاً في أوقاتٍ مُتقاربة ، فكانت تلك الأوامر تُجَمَّعُ حتّى يَتألّفَ منها مِقْدار وافٍ ثم تُرْسَلُ في بَريدٍ واحد .

---

١ الشيعة اسم جامع للذين اتبعوا علي بن ابي طالب وفرعوا الآراء السياسية والدينية على حسب ذلك . غير أن الآراء المتطرفة جاءت من فرق من غلاة الشيعة كالكيسانية مثلا ممن لا وجود لهم اليوم . أما الجماعة المعروفة عندنا اليوم باسم « الشيعة » فهم الشيعة الإمامية أو الاثنا عشرية أو الجعفرية ، وهم أهل مذهب اسلامي كالمذهب الشافعي والمذهب الحنفي من مذاهب أهل السنة . وليس بين المذهب الجعفري وبين المذهب الحنفي من الخلاف في الفقه أكثر مما بين المذهب الشافعي والمذهب الحنفي . على أن الفارق النظري الباقي إلى اليوم بين السنة والشيعة هو اعتقاد الشيعة أن الامام علياً كان أحق من جميع الذين تقدموه في الخلافة وأنه كان يجب أن يتولى الخلافة قبلهم ؛ ثم ان الاعتقاد بذلك جزء لا ينفصل من المذهب .

٢ المولد (بضم الميم وفتح الواو وفتح اللام المشددة) هنا هو الذي يولد من أبوين أحدهما عربي والآخر غير عربي .

ولقد كان الوالي بطبيعة الحال يحتاج إلى خطبة طويلة تستوعب هذا القَدْرَ الوافيَ من أوامرِ الدولة .

وبرز في الخطبة الأموية عنصرُ التهديدِ والوعيد ، ذلك لأن الولاة الأُمويين كانوا يَخْطُبون ، في أول الأمر على الأقلّ ، في بيئاتٍ مُعادية للدولة الأموية. من أجل ذلك ظهر الحَزْم في مخاطبة الجمهور وكَثُرَ التهديدُ للذين تحدّثهم أنفسهم بالعِصْيان . وربّما تضمّنت الخطبة إشاراتٍ مسيئة إلى الأفراد والجماعات ممّا هو مألوفٌ في المُنافسات السياسية ، كما نرىً في خُطَبِ زيادِ بن أبيه ثم في خطب الحجّاج على الأخصّ .

وكانوا يحبون أن يستشهدَ الخطيبُ في خطبته بشيء من القرآن الكريم ، وبالحديث أيضاً . ولقد ظل الاستشهاد في الخطب بالامثال والشعر على ما كان عليه الأمر في صدر الاسلام وفي الجاهلية .

من الخطابة إلى الكِتابة

لمّا اتّسعتِ الفتوحُ وتفرّق الوُلاة والعُمّال [1] في الاقطارِ احْتاجتِ الدولة إلى أن تبلّغ أولئك الوُلاةَ والعُمّال وغيرهم من أصحاب المناصب في الأمصار المختلفة أموراً تتعلّق بالسياسة أو الادارة فحدثت كتابة الرسائل .

ولم يكن للرسائل — في هذا الدّوْر — خصائصُ أدبيةٌ تُميّزها ، **فلقد كانت الرسالةُ خُطْبةً مُدوّنةً** ، أو كانت كلاماً عادياً قُيّدَ بالحروف من غير تَنْميق ولا الْتِزام أسلوب خاصّ .

وكما كانت الخطابة من مُسْتَلْزَماتِ الإدارة ، فقد كان الترسّلُ أو الكتابة حاجة إدارية ، ولم تكن — في هذا العصر الذي نُؤرّخه — فنّاً مقصوداً لذاته . والعرب عامة كانوا أقدَر على الخَطابة منهم على الكِتابة . من أجل ذلك كانتِ الدولةُ تتخيّرُ كُتّاباً لها ، من العرب حيناً ومن غير العرب أحياناً ، من ذوي العِفّة والأمانة . وقد كان الخليفة يُملي على هؤلاء الكُتّاب ما يشاء أو يَطْلُب

[1] الوالي هو الحاكم السياسي الاداري ؛ والعامل هو الموظف الذي يتولى جمع الضرائب والادارة المالية .

منهم أن «يَكْتُبُوا» عنه ما يُريد . ولقد كان الكاتب في أيام الخلفاء الراشدين شخصاً يختاره الخليفة ويجعله في بطانته ، أما في الدولة الأموية فقد أصبح للكتابة مناصبُ ، ثم جُعِلَ لها ديوانٌ خاصٌ — إدارة خاصّة — منذ أيام مُعاوية ابن أبي سُفيان على وجه التقريب ، ومنذ أيام عبد الملك بن مروان على القطع .

ديوان الرسائل

ديوان الرسائل يُشبه رئاسة الوَزارة في أيامنا ، فرئيس الديوان — وكان يسمّى الكاتب — كان يُنْشِيءُ الرسائلَ التي كان الخليفة يبعث بها إلى الولاة والعمّال وإلى الملوك الآخرين ، كما كان يتلقّى الرسائل التي كانت تَرِدُ إلى الخليفة . وكان الكاتب في أول أمره موظّفاً بسيطاً لا تتعدّى وظيفتُه اسْتِمْلاءَ الرسائلِ . ثم تطوّرت الكتابة باتّساع الحاجة اليها ونشأ ديوان الرسائل ، إلى جانب غيره من الدواوين ، وأصبح له رئيس كما أصبح فيه كتّاب مَرْؤوسون كلٌّ يعمل على مقدار منصبه في الديوان .

ثم تطوّرتِ الرسالة نفسُها وأصبحت الكتابة ، قبل أن يَنْقَضِيَ العصر الأمويّ صناعةً ذاتَ قواعدَ وأصولٍ : أصبح للرسالة مَطالعُ وفيها تَحْميداتٌ تختلف باختلاف مقام الذين تَصْدُرُ عنهم وتُوَجّهُ اليهم ، ثم لها خَواتِمُ تختلف أيضاً بحَسْب ذلك . وكذلك حدث في متن الرسالة أشياءُ من السَّجْع والموازنة ومن التَرْداد المقصود ومن التأنّق في التعابير والجُمَل . ثم طالت الرسائل أيضاً . على أن الترسّل ظلّ في العصر الأمويّ — في الاكثرية — «فنّاً رسميّاً» يتعلّق بأمور الدولة .

وربّما استَشْهَدَ الكُتّابُ في الرسائل بالشعر ، إلاّ إذا كانت الرسالة موجّهةً إلى الخليفة ، فإن الشعر في رسالة موجّهة إلى الخليفة كان مكروهاً .

وكان في العصر الأمويّ رسائلُ لم تكن في شؤونٍ سياسية رسميّة ، بل في نصائحَ عامّةٍ في الحرب مثلاً كما في رسالة كتبها عبد الحميد الكاتب على لسان مروان الثاني إلى ابنه عبد الله [1] . كان عبد الله بن مروان وليّاً للعهد ووالياً على

[1] صبح الاعشى ١ : ١٩٥ – ٢٣٣ ؛ رسائل البلغاء (الطبعة الثانية) ١٤٩ – ١٦٤ .

الجزيرة . فلمّا خرج الضحّاك بن قَيْسٍ الشَّيباني على الأمويّين (١٢٧ – ١٢٨هـ = ٧٤٤ – ٧٤٥ م) أمر مروانُ الثاني ابنَه عبدَ الله أن يحارب الضحّاك ثم بعث إليه برسالة يَبْسُطُ له فيها أمور الحرب وآداب القائد مع رعيّته وقوّاد جيوشه .

ثمّ هنالك رسالة أخرى كتبها عبد الحميد الكاتب أيضاً على لسان الخليفة يأمر فيها أحد الولاة بمنع الناس من اللَّعِب بالشطرنج لأن الناس كانوا قد أدمنوا اللعب به حتّى صرف بعضَهم عن العبادة وعن الاهتمام بمصالحهم .

على أن مثل هذه الرسائل لا يمكن أن تعدّ إخوانية ، لأنّها لا تزال تدور على أغراض هي من شأن الدولة ، كما كانت لا تزال جارية على الأمر بشيء دون آخر، وعلى شيء من السلطة الرسمية للخليفة .

أما رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتّاب فيمكن أن تكون تمهيداً إلى الرسائل الإخوانية .

يبدو أن حاجة الدولة إلى الكتّاب المنشئين ، في أعقاب الدولة الأموية ، قد عظمت حتّى كانت الدولة تُضْطَرّ إلى أن توظّف في ديوان الرسائل أشخاصاً ليسوا على ثقافة وافية بصناعة الكتابة ولا بالمعارف التي تتطلّبها صناعة الكتابة . من أجل ذلك وجّه عبد الحميد بن يحيي (أو عبد الحميد الكاتب) ، وهو رئيس ديوان الانشاء يومذاك ، إلى الكتّاب الصغار أو الناشئين المُسْتجدّين في خدمة الدولة رسالة يدلّهم فيها على أصول صناعة الكتابة وآدابها ، كما يوصيهم فيها بأن يَعْرِفوا حقّ الكتّاب الكبار (إذا عجَز هؤلاء عن القيام بأمر معاشهم حينما يتقدّمون في السنّ) من الناحية المعنوية (بالاحترام الواجب) ومن الناحية المادية (بالمساعدة) . ومع أن هذه الرسالة كانت موجّهة من رئيس إلى مرؤوسين (وربّما بإشارةٍ من الخليفة نفسه) ، فان غرَضَها الرئيسي كان تثقيفيّاً . من هذه الناحيةِ وحدَها يجوز لنا أن نرى في هذه الرسالة بدءاً للرسائل الاخوانية .

ثم كانت هنالك رسائل في العصر الأموي يمكن أن تكون إخوانيةً واضحة يتبادلها الولاة مع نفر من قادة الحركات المختلفة (كالحسن البصري رأس علماء الكلام وكقَطَري بن الفُجاءة كبير الخوارج في أيامه) أو يتبادلها نفر من آل

البيت المالك فيما بينهم ، كما كان ثمت رسائل تدور بين نفر من كبار القوم . من ذلك مثلاً رسالةٌ كتب بها بِشرُ بن مروانَ بن الحكم إلى أخيه عبد العزيز يعتذر فيها عن أمر كان قد بَدَرَ منه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : لولا الهفوةُ لم أحتَجْ إلى العُذر ، ولم يكن لك في قَبوله منّي الفضلُ . ولوِ احتَمَلَ الكتابُ أكثَر ممّا ضَمّنته لَزِدْتُ فيه . وبُقيا الاكابر على الاصاغر من شِيَمِ الاكارم . ولقد أحسن مِسكينٌ الدراميّ حين يقول :

أخاك أخاك ، إنّ مَنْ لا أخا له كَساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح .
وإنّ ابنَ عمّ المَرْءِ ،فَاعلَمْ ،جَناحُه؛ وهل يَنْهَضُ البازي بغير جَناح ! »

ومثل ذلك ما كَتَبَ بـه عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفرٍ إلى بعض اخوانه يعاتبه :

« أمّا بعد ، فقد عاقني الشّكّ في أمرك عن عزيمة الرأيِ فيك ، وذلك انّك ابتدَأتَني بلُطف عن غير خِبرة ، ثمّ أعقَبْتَني جَفاءً من غير جَريرة . فأطْمَعَني أوّلُك في إخائك ، وأيأسني آخرُك من وفائك . فلا أنا في اليوم مُجْمِعٌ لَكَ اطّراحاً ، ولا أنا في غدٍ وانتظارِه منك على ثِقَةٍ . فسُبْحانَ من لو شاء كشف بايضاح الشكّ في أمرك عن عزيمةِ الرأي فيك فاجتمعنا على ائتِلافٍ أو افْتَرَقنا على اختلافٍ ، والسلام . »

النقد

بدأ الأدباء في العصر الأمويّ يَقْصِدون إلى النقد ويتجادلون في تقديم بعض الشعراء على بعض وفي خصائص هؤلاء الشعراء ، ولكن على غير مِنهاجٍ واضح ولا حُبّاً بِاستخراج قواعدَ عامّة : لقد بَقِيَ النقد في هذا العصر آراءً شخصيةً وملاحظاتٍ عابرةً ، قال محمّد بن سَلاّم الجُمَحي في كتابه « طَبَقات الشعراء » (ليدن ، ص ٧٥ — ٧٦) :

لمّا هرب الفرزدق من زيادِ بن أبيه في العراق أتى سعيدَ بن العاصي ، وهو

والٍ على المدينة أيامَ مُعاويةَ بن أبي سفيان ، فاستجاره . فأجارَهُ سعيدٌ . وكان الحُطَيْئةُ وكَعْبُ بن جُعيلٍ الشاعران في مجلس سعيدٍ ، فأنشد الفرزدقُ سعيداً يمدحه :

ترى الغُرَّ الجَحاجحَ من قُريشٍ إذا ما الأمرُ في الحَدَثان عالا [1] :
بني عَمِّ النبيِّ ورَهْطَ عمرٍو وعُثمانَ الأُلى غلبوا فَعالا [2] .
قِياماً يَنْظُرون إلى سعيدٍ كأنّهُمُ يرَوْنَ به هِلالا !

فقال الحطيئةُ (لسعيدٍ) : هذا ، واللهِ ، الشعرُ ، لا ما كنتَ تُعلَّلُ به مُنذُ اليومِ (ممّا كان يُنْشِدك كعبُ بن جُعيل) ، أيّها الأميرُ ! فقال كعب بن جعيل (للحطيئة) : فَضِّلِ (الفَرَزْدَقَ) على نفسِك ولا تُفَضِّلْه على غيرك . فقال (الحطيئة) : بَلى ، واللهِ ، أُفضّله على نفسي وعلى غيري .... ثُمّ الْتَفَتَ الحطيئةُ إلى الفرزدقِ وقال له : يا غلامُ ، لَئِنْ بَقيتَ لَتَبْرُزَنّ علينا !

وفي « طبقات الشعراء » أيضاً (ليدن ، ص ١٠٧ ، راجع ١١٠) :

قال الأخطل لابْنِه مالكٍ : انْحَدِرْ إلى العراق حتّى تسمعَ من جريرٍ والفرزدقِ وتأتِيَني بخبرِهما . فَلَقِيَهُما مالكٌ ثم أتى أباه فقال : **جريرٌ يَغْرِفُ من بحرٍ ، والفرزدقُ يَنْحَتُ من صخرٍ** . فقال الأخطل : **فجريرٌ أشعرُهما !**

وكان عِكْرِمةُ بن جريرٍ قد سأل أباه جريراً عن الشعراء ، فقال جريرٌ في الأخطل : إنّه يُجيد نَعْتَ الملوك ويُصيب صِفَةَ الخمر (طبقات الشعراء ١١٣) وفي الاغاني (١ : ٧٥) : « سَمِعَ الفرزدقُ شيئاً من نسيب عُمَرَ (بن أبي

---

١ الاغر : الابيض ، الوجيه . الجحجاح : السيد . الحدثان : الاحداث العظام ، المصائب . عال : ثقل على الناس .

٢ بنو عم النبي : من بني هاشم اسرة الرسول . رهط عمرو وعثمان : من بني أمية ؛ وهاتان الاسرتان عماد قبيلة قريش كلها . الفعال : العمل الحميد . غلبوا فعالا : فاقوا جميع الناس بأعمالهم الحميدة .

ربيعة) فقال : هذا الذي كانت الشّعراء تَتَطَلَّبُه فأخطأتْه وبَكَتِ الديارَ ؛ ووقع عليه هذا !

الرواية والتأليف

اتّسعَتِ الروايةُ في العصر الأمويّ فقد رَوَى القُرّاءُ القرآنَ الكريم بقِراءاته وتفسيره ، وروى المُحدِّثون حديثَ رسول الله عن أهل الجيل الذين سبقوهم. وكذلك روى العلماءُ اللغةَ والأمثال والنحو والأدب والتاريخ . والذي يبدو بيّناً من كتاب « الفهرست » لابن النديم (ليبزغ ، ص ٢٤ ـ ٢٨ ، ٤٠ ، ٨٩ ـ ٩٠) أنّ التدوينَ كان معروفاً وانه أصبح في العصر الأمويّ مألوفاً ، فقد أشار مُعاويةُ بن أبي سفيان على عَبيد بن شَرْيَةَ بأن يدوّن الأخبار التي كان يحدّثه بها . ولقد عَرَفَ العصرُ الأمويّ تدويناً بمعنى التأليف منسوباً إلى وَهْب بن مُنَبِّه (ت ١١٤ هـ) في الاخبار ، وإلى محمّد بن عبد الرحمن العامري (توفي ١٢٠ هـ) في الفِقه ، وإلى محمد بن مُسْلِم الزّهْري (توفي ١٢٤ هـ) في الحديث ؛ ولكنْ لم يصل الينا شيء من تدوين ذلك العصر ولا مما يجب أن يكون قد أُلِّفَ فيه من الكتب .

الكِتابة والخطّ

لقد رأينا أن الكتابةَ ـ بمعنى تدوينِ الآراء بالخَطّ ـ كانت معروفةً في الجاهلية ولكن غير مألوفة . هذه الكتابة اتّسعت مَعَ الاسْلام ثم زاد اتّساعها في العصر الأموي . وكان العرب يكتبون في أول الأمر خطّاً عَرِيّاً من الإعجام (النُقَط على عدد من الحروف ، نحو ح خ د ذ ب ت ث) ومن الحَرَكات (لضبط قراءة الكلمات بوضع علامات على الحروف تُبيِّن لفظَ تلك الحروف فَتْحاً وكَسْراً وضَمّاً ، نحو : سَمِعَ ، سُمِعَ ، يَسْمَعُ ، يُسْمَعَ ، عَلِمَ ، عَلّمَ ، آمَنَ الخ) .

ولقد كانت الغاية الأولى من ضبط الخطّ بالاعجام والحركات ضبطَ قراءةِ القرآن الكريم ، لأن العرب كانوا قد بدأوا يَفْقُدون سليقَتَهم اللُغويةَ بنزول

الأمصار (المدن الكبيرة) ومخالطة العجم (غير العرب) فيها . وكذلك كان الموالي (المسلمون من غير العرب) يَعْجِزون عن ضبط قراءتهم للقرآن الكريم؛ فوجب ، من أجل ذلك كلّه ، أن يُوضَعَ الإعجام وأن توضع الحركات . واستعان العرب في ذلك بالذي كان عند اخوانهم الساميّين من ذلك ، وخصوصاً ما كان منه عن السُّريان . ولا ريب في أن هذا الاعجام للأحرف وذلك التحريك قد مرّا في أطوار كثيرةٍ قبل أن يَصِلا الينا في الشكل الراهن المألوف عندنا اليوم .

وإذا كنّا لا نَعْرِفُ اليوم أوّل من تولّى وضع الإعجام والحركاتِ ، فاننا نعلم أن أبا الاسود الدؤلي كان من أوائل الذين عُنُوا بذلك ، وأن الحَجّاجَ بنَ يُوسُفَ هو الذي أدخل الاعجامَ والحركاتِ في كتابة المَصاحفِ (مصاحف القرآن الكريم) .

في المصادر والمراجع [1] :

– تاريخ آداب اللغة العربية من صدر الاسلام إلى عصرنا ، للشيخ محمد بن رجب الحسيني ، طبعة ثانية بلا تاريخ .
– كتاب نزهة الابصار بطرائف الأخبار والأشعار ، جمعه عبد الرحمن بن عبد الله بن درهم ، دمشق (بلا تاريخ) ، ثم بيروت ١٩٥٧ (مطابع دار العباد) .
– أعلام الأدب في عصر بني أمية ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٥٤ م .
– دراسات في الأدب الاسلامي ، تأليف محمد خلف الله ، القاهرة ١٩٤٧ م .
– الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة (مطبعة الحسين التجارية) ١٩٤٩ م .
– جمهرة خطب العرب ، تأليف أحمد زكي صفوت ، الجزء الثاني : العصر الأموي ، مصر (البابي الحلبي) ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م .
– الشعر الغنائي في الأمصار الاسلامية ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٤٩ م.

---

[1] راجع المصادر والمراجع المتعلقة بالعصر الجاهلي وعصر المخضرمين (ص ٥٢ – ٥٧ ، ٧٠ – ٧٢ ، ٩٠ – ٩١ ، ٩٤ – ٩٩ ، ٢٤٦ – ٢٥٣) .

– أم الرجز ، بقلم بهجة الأثري (م م ع آب – أغسطس ١٩٢٨ .) .
– تاريخ نشوء الرجز وتطوّره ، بقلم بهجة الاثري (م م ع تموز – يوليو ١٩٢٨ م .) .
– التطوّر والتجديد في الشعر الأموي ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٢ م .
– المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، تأليف عبد الله الطيّب ، القاهرة ١٩٥٥ م .
– الهجاء والهجّاؤن في صدر الاسلام ، تأليف محمد حسين ، القاهرة ١٩٤٨ م .
– الشعر في العصر الأموي ، بقلم خليل مردم (م م ع ، كانون الثاني – يناير ١٩٥٥ م .)
– أعلام الأدب في عصر بني أمية ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٥٤ م .
– أمراء البيان ، تأليف محمد كرد علي ، القاهرة ١٩٣٧ م .
– أدب الخلفاء الامويّين ، تأليف عبد الرزّاق حميدة ، القاهرة (الانجلو المصرية) ١٣٦٨ ه = ١٩٤٩ م .
– شعراء البلاط الأموي ، تأليف الدكتور عمر فرّوخ ، بيروت ١٩٥٤ م .
– العشّاق الثلاثة : جميل وكثيّر وعباس فوز تأليف زكي مبارك ، القاهرة (المعارف) ١٩٤٥ م .
– أنواع النسيب والتشبيب في شعر العرب (مجلة المقتطف ، نيسان – أبريل ١٩٣٩ م .) .
– الحب العذري ، تأليف موسى سليمان ، بيروت ١٩٤٧ ثم ١٩٥٤ م .
– الحبّ العُذري : نشأته وتطوّره ، تأليف أحمد عبد الستّار الجواري ، القاهرة ١٩٤٨ م .
– شعر الخوارج (حرّره احسان رشيد عبّاس) ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٢ م .
– أدب الخوارج في العصر الأموي ، تأليف سهير القلماوي ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٥ م .

– تاريخ النقائض في الشعر العربي ، تأليف أحمد الشايب ، القاهرة ١٩٤٦ م .
– من أعلام الشعر السياسي ، تأليف عمران بن محمد بن عمران ، الرياض ١٣٧٧ هـ .
– نقائض جرير والاخطل ، بقلم لويس شيخو (مجلة المشرق ٢١ : ١٤٤ ، ٣٠ : ١٤٤) .
– نقائض الاخطل وجرير ، بقلم أنطون صالحاني (مجلة المشرق ٨ : ٩٧ ، ١٠ : ٦٣٥ ، ١٣ : ٩٦ ، ٢٠ : ١٤٤ ، ٣٥ : ٢٣٩) .
– أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، تأليف عبد الحسيب طه حميدة ، القاهرة (السعادة) ١٩٥٦ م .
– أثر التشيّع في الأدب العربي ، تأليف محمد سيّد كيلاني ، القاهرة (مكتبة مصر) ١٩٤٧ م .
– الأدب في ظلّ التشيّع ، تأليف عبد الله نعمة ؟ ، بيروت ؟
– أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، تأليف عبد الحكيم بلبع ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٩ م .
– جمهرة رسائل العرب ، تأليف أحمد زكي صفوت ، القاهرة ١٩٣٧ .
– القصص في الأدب العربي ، بقلم أحمد ضيف (مجلة المقتطف ، فبراير – شباط ١٩٣٥ م .) .
– الشعر في العصر الاموي ، بقلم خليل مردم (م م ع ٣٠ : ٣ وما بعدها) .

أعلامُ العَصْرِ الأمَويّ
في الشِّعْرِ والنَّثْر

يَمْتَدّ العصر الأُمويّ اثْنَتَيْنِ وتِسعين سَنَةً هِجريةً ، من سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) ، لمّا اسْتَبَدّ مُعاويةُ بن أبي سُفيان بحُكمِ الشام ونادى بنفسه خليفة ، إلى سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) لمّا انْهَزَمَ مَروانُ بن محمّدٍ آخرُ الخلفاء الأمويّين في مَعْرَكة الزاب وسقطت بانهزامه الدولةُ الأموية .

وبما أنّ الاعصرَ الأدبية لا تنطبقُ انْطِباقاً تامّاً على الأعصر السياسية ، فلا بُدّ هنا من التَحَكّمِ قليلاً في تفريق الأدباء بين العصر المُخَضْرَم وبين العصر الأمويّ ثم بين العصر الأمويّ وبين العصر العبّاسيّ . ولقد اتّخذتُ سَنَةَ الوَفاة فارقاً بين هذه الأعصر ؛ فمَنْ وقعت سَنَة وفاته مُوغلة في العصر الأمويّ فهو أموي بلا ريب ، وإن كان قد عاش رَدْحاً طويلاً في عصر الخلفاء الراشدين كزِياد ابن أبيه مثلاً فانه وُلِدَ في السنة الأولى للهِجرة وعاش أربعين سنة قبل قِيام الدولة الأموية ، غير أن المَرْوِيّ من أدبه يعود أكثره إلى العصر الأموي . وكذلك نحن نَعُدّ بشّار بن بُردٍ شاعراً من مُخَضْرَمي الدولتين الأموية والعبّاسية لأنه عاش نصف حياته الطويلة أو أكثر في العصر الأموي ثم عاش ما بَقِيَ منها في العصر العبّاسي . غير أننا نضعه في العادة في طبقة الشعراء العبّاسيين .

النعمان بن بشير الانصاريّ

١ ـ هو النّعمان بن بَشيرِ بن سعد من بني مالك الأغرّ بن كعب بن الخَزْرج ابن الحارث بن الخزرج ؛ وأمّه عَمْرة بنت رَواحة أخت عبد الله بن رواحة .

ولبشير بن سعد ، والد النعمان ، سابقةٌ في الاسلام : شهد بَيْعة العَقَبة ومعركة بدر . ولمّا تُوفيَ الرسول وأراد عمر بن الخطاب أن يَحْسِمَ الخلاف بين المسلمين وقدّم أبا بكر للخلافة كان بشير بن سعد أولَ المُبايعين لأبي بكر .

أما النّعمان نفسه فقد وُلِدَ في السنة الثانية للهجرة (٦٢٤ م) في المدينة ، وهو أول مولود للانصار بعد الهِجرة . ولمّا بلغ الثامنةَ من عمره جاء إلى الرسول مَعَ رفيق له ليشهدا إحدى الغَزَوات فاستصغرهما الرسول وردّهما .

ونشأ النعمان بن بشير أمويّ الهوى ، فلما قُتِلَ عُثمانُ بن عَفّانَ (٣٥ ه = ٦٥٦ م) دفعت إليه نائلةُ زوجةُ عثمان قميصَ عثمان فحمله إلى مُعاوية ، ثم شَهِدَ معركة صِفين مَعَ معاوية .

وتولّى النعمان القضاء في دمشق ، سنة ٥٣ ه (٦٧٣ م) . ثم تولّى الكوفةَ لمعاويةَ سبعةَ أشهر ؛ وبعدها تولى حمص . في هذه الاثناء تغزّل عبد الرحمن ابن حسّانَ بن ثابت الانصاري برَمْلة بنت معاوية فحَميَ أنفُ يزيدَ بن معاوية فاستدعى كَعْب بن جُعيل التغْلَبي وطلب منه هِجاءَ الانصار ، فقال له كعب : أرادّي أنت إلى الكفر بعد الايمان ؟ أأهجو قوماً نصروا رسول الله ؟ ولكنّي أدُلّك على شاعر منا نصراني يفعل ذلك ، ودلّه على الاخطل . فاستدعى يزيدُ الاخطلَ من الجزيرة وأطلقه على الأنصار فقال الاخطل أبياتَه المشهورةَ التي يقول فيها :

ذَهَبَتْ قريشٌ بالمكارم والعُلا   واللُؤْم تحتَ عمائمِ الأنصار .

فدخل النعمان بن بشير على معاوية ، فحَسَرَ عِمامتَه عن رأسه ثم قال : يا معاوية ، أترى لُؤْماً[١] ؟ ثم حسم معاوية هذه المادّةَ بأنِ اسْتَرْضى النّعمان وردّ الاخطلَ إلى بلده وألقى على يزيد درساً في الحلم والتّبَصّر .

وبَقِيَ النّعمان بن بشير والياً على حمص بقية أيام معاوية ثم في أيام يزيدَ وأيام مُعاوية بن يزيد . ولكن لما دبّ النزاع بين الأمويّين على الخلافة بعد يزيد بن معاوية مال النّعمان إلى عبد الله بن الزبير فأحْفَظَ بذلك أهلَ حِمْصَ .

---

١ الكامل ٤ : ١٠٢ .

فلما كانت معركة مرجِ راهطٍ ثم انهزم جيش ابن الزبير واستُتِبَّت الخلافة لمروان بن الحكم ائتمر أهل حمص بالنعمان وقتلوه (٦٥ هـ = ٦٨٤ م) .

٢ – النعمان بن بشير صَحابيٌّ روى عن الرسول أحاديثَ كثيرةً . وكان خطيباً وشاعراً مُجيداً . وفنون شعره في الفخر والحماسة والنسيب . وشعره على متانة سبكه فصيح الالفاظ ظاهر المعاني .

٣ – المختار من شعره :

– لما جاء النعمان بن بشير إلى معاوية على رأس وفد للانصار في أمر هجاء الاخطل للانصار قال للحاجب : استأذن للانصار . وكان عمرو بن العاص عند معاوية فقال لمعاوية : قل للحاجب أن ينادِيَ الوفودَ بأنسابهم . ففعل الحاجب ذلك فأبى الانصار أن يدخلوا حتى ناداهم بلقبهم . فدخل الانصار على معاوية يَقْدُمُهُمُ النّعمان وهو يقول :

يا سَعْدُ ، لا تُجِبَ النداءَ ؛ فما لنا لَقَبٌ نُجيب بـه سوى الأنصارِ :
نَسَبٌ تَخَيّره الإلـهُ لقومنا ، أثقِلْ بـه نَسَباً على الكُفّار !
إنّ الذين ثَوَوْا ببدرٍ مِنكُمُ يوم القَليبِ همُ وَقود النار [١] .

– ولما دخل على معاويةَ أنشده قصيدة جاء فيها :

مُعاوِيَ ، إلاّ تُعْطِنا الحَقّ تَعْتَرِفْ لِحَى الأَزْدِ مَشدوداً عليها العمائمُ [٢] .
أيَشْتُمنا عبدُ الأَراقم خلّةً ، وماذا الذي تَجْري عليك الأراقم [٣] ؟

---

١ ثوى : بقي ، استقر . بدر : معركة بدر (سنة ٢ هـ) . القليب : البئر (بعد المعركة ألقي قتلى المشركين في البئر) . هم وقود النار : هم أهل النار يوم القيامة (لأنهم كفار) .

٢ – ان لم تنصفنا تضطر إلى أن تحارب قومنا . الازد عرب الجنوب (وكان الخزرج قوم النعمان بن بشير من اليمن ، عرب الجنوب) . لحى : (جمع لحية) الازد مشدوداً عليهـا العمائم : كناية عن الاستعداد للحرب .

٣ يشتمنا : يهجونا . الاراقم : حي من بني تغلب . عبد الاراقم : الاخطل . خلة ، كذا في الأصل ؛ ولعلهـا ضلة (بكسر الضاد : ضلالا له) . ما تجري عليك الاراقم : ما صلة الاراقم بك ؟ ولعلها : تجزي عليك : تكفيك مؤونة الاحداث ، تغني أو تدفع عنك .

وما لي ثأرٌ دونَ قَطْعِ لسانِه ، فدونَكَ من يُرْضيه عنكَ الدّراهم[1]،
زُراعِ ، رُوَيْداً ، لا تَسُمْنا دَنِيَّةً ، لعلَّكَ في غِبِّ الحوادثِ نادم[2].
متى تَلْقَ منا عُصْبَةً خَزْرَجِيَّةً أوِ الأوْسَ يوماً تَخْتَرِمْكَ المخارم[3].
فان كنتَ لم تشهدْ بِبَدرٍ وَقيعةً أذلّتْ قُرَيشاً والأنوف رواغم[4] ،
فسائِلْ بنا حَيَّيْ لُؤَيِّ بن غالبٍ ، وأنت بما تُخْفي من الأمر عالم .
ضَرَبْناكُمُ حتى تَفَرَّقَ جَمْعُكُمْ وطارتْ أكُفٌّ منكم وجَماجم[5] .

– لمّا وَلِيَ النّعمانُ بن بشيرٍ الأنصاريّ الكوفةَ خَطَبَ فقال :

أما بعدُ ، فاتّقوا الله ، عبادَ اللهِ ، ولا تُسارعوا إلى الفِتنة والفُرقَة فإنّ فيهما يَهْلِكُ الرجالُ وتُسْفَكُ الدماء وتُغْصَبُ الأموالُ . إنّي لم أقاتلْ من لم يقاتلْني ، ولا أثِبُ على من لا يَثِبُ عليّ ، ولا أشاتِمُكُمْ ولا أتَحَرّش بكم ، ولا آخُذُ بالقَرْفَةِ ولا الظِنّة[6] ولا التّهمة . ولكنّكم إن أبْدَيْتُمْ صَفْحَتَكم لي[7] ونَكَثْتم بَيْعَتَكم وخالفتم إمامَكم[8] ، فواللهِ الذي لا إلـهَ إلاّ هو ، لأضْرِبَنّكم بِسيفي ما ثبت قائمُه في يدي ، ولَوْ لم يكنْ لي منكم

١ ما لي ثأر دون قطع لسانه : لا أقبل الا أن يقطع لسان الاخطل حقيقة قصاصاً له على هجاء الانصار (كان معاوية لما بلغه هجاء الاخطل للانصار لم يشأ أن يسفه رأي ابنه يزيد فقال : إني سأقطع لسان الاخطل – مجازاً – سأدفع له مبلغاً من المال حتى لا يعود إلى هجاء الانصار لأنه جيء به ليهجو الانصار وليقبض عن ذلك مالا . دونك من يرضيه عني الدراهم : ابحث عن رجل غيري يرضى بالمال عن الثأر لشرفه .

٢ زراع : اسم كلب ؛ والمقصود بالمنادى الاخطل. لا تسمنا دنية : لا تسيء الينا بهجائك لنا فتجبرنا على ان نهجوك.

٣ – اخترمتك المخارم : أخذتك المصائب ، قتلتك . إذا سرنا إلى حربك في عصبة (جماعة) من قومنا الخزرج أو الاوس فسندحرك ونقضي على قومك .

٤ – نحن في وقعة بدر هزمنا قريشاً وأذللناهم ، وكان معاوية الذي يحميك الآن فيهم فانهزم وذل معهم .

٥ ضربناكم حتى تفرق جمعكم (التفات إلى مخاطبة معاوية) : حاربناكم وهزمناكم . طارت أكف منكم وجماجم (رؤوس) : قتل منكم جماعة كبيرة .

٦ القرفة : التهمة الباطلة . الظنة : التوهم . أبديتم صفحتكم : كشفتم عما تضمرون (هنا : جاهرتموني بالعداوة) .

٧ أبديتم صفحتكم : كشفتم عما تضمرون (هنا : جاهرتم بالعداوة) .

٨ نكث فلان البيعة : خان الدولة وعصى . الامام : الخليفة .

ناصرٌ . أمّا إنّي أرجو أن يكونَ من يَعْرِفُ الحقَّ منكم أكثرَ ممّن يُرْديهِ[1] الباطلُ !

٤ – شعر النعمان بن بشير الأنصاري (محمد بن يوسف السورتي ، الهندي) دهلي بالهند ١٣٣٢ ه ، ثم الطبعة الثانية (كرنكو) ١٣٣٦ ه .

•• بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٨ – ٩٩ .

زياد بن أبيه

١ – وُلِدَ زِيادٌ هذا في مَكّةَ في السنة الاولى من الهجرة (٦٢٢ م) . وكانت أمّه سُمَيّةُ جاريةً من الطائف من ذوات الرايات[2] ، ولم يكن أبوه معروفاً ، فدعاه الناس زياد بن سُمَيّةَ . ثم اشتهر باسم زياد بن أبيه .

شَبّ زيادٌ ذكياً مقتدراً وأديباً بارعاً . وكان إدارياً حازماً وسياسياً قديراً فعُدّ في دُهاة العرب . ودهاة العرب أربعة : مُعاوية بن أبي سُفيان والمُغيرة ابن شُعْبة وعَمْرُو بن العاص وزياد بن أبيه .

سكن زياد البصرة ، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب شديد الوفاء له فولاه عليّ فارسَ فضبطها وجمع أمورها . وحاول معاوية أن يستميل زياداً فلم يستطع لوفاء زياد لعليّ ولأن علياً كان قد بلّغه من الدنيا كل أمْنية . فلمّا قتِل عليّ (٤٠ ه) عرَض معاويةُ على زياد أن يُلْحِقَه بنسبه ، فكانَ زيادٌ . وفي آخر سنة ٤٤ ه (أوائل ٦٦٥ م) أشهد معاوية الشهداء على أن والده أبا سُفيان بن حَرْب كان قد اتصل بسميّة والدة زياد (وهما بَعْدُ على الشرك) وأن زياداً أخوه لأبيه . فنفى زياد بذلك عن نفسه مَعَرّةً شديدة وكسب جاهاً جديداً .

ثم ان معاوية ولّى زياداً على البصرة (جُمادى الأولى من سنة ٤٥ ه = صيف ٦٦٥ م) . ولمّا توفّي المُغيرة بن شعبة والي الكوفة بالطاعون ، سنة ٥٠ ه ،

---

١ يرديه : يهلكه .

٢ ذوات الرايات : النساء المتزينات للرجال (وقد كن ينصبن على أبوابهن رايات يعرفن بها) .

ضم معاوية الكوفة إلى زياد . فكان زياد أوّلَ من جُمِعَ له الكوفة والبصرة . وملَكَ زيادٌ العراقَ خمس سنوات فضبطه وأقرّ الأمن فيه . وقد هجّر زياد خمسين ألفاً من عرب العراق ، من أنصار العلويين في الأغلب ، إلى خُراسان ، فكان نسل هؤلاء عِمادَ الثائرين فيما بعدُ على الأمويين ، فعصفت ثورتهم بخلافة بني أمية ورفعت بني العباس على سدة الخلافة .

وتوفي زياد في الكوفة ، قيل بالطاعون ، في شهر رمضان من سنة ٥٣ هـ (في آخر الصيف من عام ٦٧٣ م) .

٢ – زياد بن أبيه من مشاهير الخطباء ، كان داهية حصيف الرأي حازماً شديداً في الحق إلى حدّ العنف أحياناً مع كثير من الحلم والكياسة . وكان في خُطَبه حاضر الذهن طلق اللسان يطيل الخطب ، وكلّما طالت خطبته جادت . وقد كانت ألفاظه فصيحة وتراكيبه واضحة وأسلوبه جزلاً متيناً ، وكان يعتمد الوعيد والتهديد في تأثيره في السامعين .

وزياد بن أبيه أول من ألّف كتاباً في «المثالب» (في المعائب القومية) ، قيل عرّض فيه بالعرب (الفهرست ، ليبزغ ، ص ٨٩) . وكذلك كان قد حثّ أبا الأسود الدؤليّ على أن يضع للناس كتاباً تضبط به قراءة القرآن (في النحو) فلم يهتمّ أبو الأسود بذلك في أول الأمر (الفهرست ٤٠) .

٣ – المختار من خطبه :

– لمّا حاول معاوية أن يستميلَ اليه زيادَ بن أبيه لم يجدْ فيه ميْلاً ولا لِيناً . فما زال معاوية يتلطّف ويتابعُ الجُهْد حتّى ظهر على زيادٍ شيءٌ من اللين ولكن تريّث يومين أو ثلاثة يروّي في أمره . ثم ان زياداً أجمع أمرَهُ على أن يستجيب لدعوة معاويةَ بأن يقبلَ بالاسْتلحاقِ (بأن يقبلَ أن يَلْحَقَ نسبُه بأبي سفيان والدِ معاوية) . والخطبة التالية تمهيدٌ أمام الناس لانتقاله من شيعةِ الإمامِ عليّ بن أبي طالبٍ إلى أن يدخل في سِياسةِ معاوية :

أيّها الناسُ : ادْفعوا البلاءَ ما اندفعَ عنكم ، وارْغبوا إلى الله في دوامِ

العافية [1] لكم . لقد نظرتُ في أمور الناس منذ قَتْلِ عُثمانَ [2] وفكّرتُ فيهم، فوجدتُهم كالأضاحي في كلّ عيد يُذبَحون. ولقد أفنى هذان اليومانِ ، يومُ الجمل ويوم صِفّين [3] ، ما يُنيف على مائةِ ألفٍ كلّهم يَزعُمُ أنه طالبٌ حقٍّ وتابعُ إمامٍ [4] وعلى بصيرةٍ من أمرِه . فاذا كان الأمرُ هكذا ، فالقاتل والمقتول في الجنّة ! كلاّ ، ليس الأمرُ كذلك ، ولكن أشكلَ الأمرُ والتبَسَ على القوم . وإنّي لَخائفٌ أن يَرْجِعَ الأمرُ كما بدأ ، فكيف لامرىءٍ بسلامةِ دينه ؟ ولقد نظرتُ في أمر الناس فوجدّت أحمَدَ العاقبتينِ العافيةَ . وسأعملُ في أموركم ما تَحْمَدون عاقبتَهُ – فقد حَمِدتّ طاعتَكم – إن شاء الله .

– الخطبة البتراء

لمّا وَلِيَ زيادٌ البصرةَ قَدِمها في غُرّة جُمادى الأولى من سنة ٤٥ هـ (٢٠ تموز ٦٦٥ م) والفسق فيها كثيرٌ فاشٍ ظاهرٌ . فخطب خُطْبة بَتْراءَ (لم يَحْمَد الله فيها) فقال :

أما بَعْدُ ، فانّ الجَهالةَ الجَهْلاءَ والضَلالة العمياء والغَيّ المُوفيَ بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حُلَماؤكم ، من الأمور العِظام التي يَنْبُتُ فيها الصغير [5] ولا يتَحاشى عنها الكبير . كأنكم لم تقرأوا كتابَ الله ولم تسمعوا ما أعدّه الله من الثوابِ الكريم لأهل طاعته والعذابِ الاليم لأهل مَعْصِيَتِه . أتكونون كمن طَرَفَتْ عينَه الدنيا وسَدّت مَسامِعَه الشهواتُ واختار الفانيةَ على الباقيةِ [6] ؟ ألم يكن فيكم نُهاةٌ تمنع الغُواةَ عن دَلَجِ الليل وغارة النهار [7] ؟ قرّبتم القَرابَة وباعَدتُمُ الدين :تعتذرون بغير العُذْرِ وتُغْضون

---

١ العافية : السلامة من المصائب .
٢ راجع ، فوق ، ص ٢٢٩، ٣٠٧ .
٣ راجع ، فوق ، ص ٣٠٧–٣٠٨، ٣٥١ .
٤ الامام : الخليفة (وهنا : داعية إلى حق ، أو أنه على حق) .
٥ ينشأ الصغير وهو يشاهد الأمور العظام (الاعمال القبيحة) .
٦ فضل الفانية (الدنيا) على الباقية (الآخرة) .
٧ نهاة جمع ناه (من يمنع الآخرين عن عمل الشر) . غواة جمع غاو (ضال ، مفسد) . دلج الليل (الذهاب في ستر الليل للفسق) . غارة النهار : الغزو والسرقة .

على المُختَلِس . كل امرىء منكم يَذُبّ عن سفيهه [1] ، صُنْعَ من لا يخاف عاقبةً ولا يرجو معاداً [2] . ما أنتم بالحلماء وقد اتبعتمُ السفهاء . فلم يزَلْ ما تَرَوْنَ من قيامكم دونَهم حتى انتهكوا حُرَمَ الاسلام ثم أطرقوا وراءكم كُنوساً في مكانسِ الرِيَب [3] . حرامٌ عليّ الطعامُ والشرابُ حتى أسوّيَها بالارض هَدْماً وإحراقاً !

إني رأيت آخرَ هذا الأمر لا يَصلُحُ إلا بما صلحَ به أوّلُه : لين في غير ضَعْف ، وشِدّة في غير عُنف . وإني أقسم بالله ، لآخُذَنّ الوَلِيّ منكم بالمَوْلى ، والمُقيمَ بالظاعنِ ، والمطيعَ بالعاصي ، والسليمَ منكم في نفسه بالسقيم حتى يَلْقى الرجلُ منكم أخاه فيقولَ : انجُ ، سَعْدُ ، فقد هلَكَ سَعيد ! أو تستقيمَ لي قناتُكم .

وقد أحدَثتُمْ أحداثاً لم تكن . وقد أحدَثنا لكل ذنب عقوبةً : فمن غرّق قوماً غرّقناه [4] ، ومن نقَبَ عن بيت نقَبْنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفَنّاه فيه حيّاً . فكُفّوا عني أيديَكُم أكفُفْ عنكم يَدي ولِساني ، ولا تَظهَرُ من أحد منكم ريبةٌ بخِلافِ ما عليه عامّتُكم الا ضَرَبْتُ عُنُقَه .

وقد كانت بينَكُم وبينَ أقوام إحَنٌ ، فجعلت ذلك دَبْرَ أذُني وتحتَ قَدَمي . فمن كان منكم مُحسِناً فلْيَزْدَدْ إحساناً ، ومن كان منكم مُسيئاً فلْيَنْزِعْ عن إساءته . إني لو علِمتُ أن أحدكم قد قتله السُلّ من بُغْضي لم أكشِفْ له قِناعاً ولم أهتِكْ له سِتْراً حتى يُبْدِيَ لي صَفْحتَه [5] . فإن فعل ذلك لم أناظِرْهُ . فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم . فرُبّ مُبْتَئِسٍ بقُدومنا سيُسَرّ ، ورُبّ مسرورٍ بقدومنا سيَبْتَئِسُ !

---

١ يذب عن سفيهه : يدافع عن الاشرار الذين ينفذون مآربه ويبرر أعمالهم .

٢ المعاد : البعث في الآخرة .

٣ أطرقوا (هدأوا ، اختبأوا) وراءكم (محتمين بكم) كنوساً (جمع كانس : مختف) في مكانس الريب (الأماكن المشبوهة) .

٤ غرق قوماً : فجر في أرضهم الماء (لكثرة المياه في البصرة) .

٥ يبدي لي صفحته : يشكو إلي ما به من تلقاء نفسه .

٤ — Ziad Ibn Abihi vice - roi de l'Iraq , par Henri Lammens ** (Estratta dalla « Rivista degli studi orientali ») Roma 1912 .

— شخصية زياد بن أبي سفيان ، بقلم محمد خلف الله (الثقافة — مصر ، ١٦–٦–١٩٤٢ م) .

— السياسة عند العرب ، وصف جديد لأربعة من دهاة العرب في السياسة والادارة ، تأليف عمر أبي النصر ، بيروت ١٩٤٩ م .

سَحبان وائل

١ — هو سَحبان بن زُفَرَ بن إيادٍ من بني وائل بن ربيعة ، ويُعرف أيضاً باسم سَحبان وائل الباهليّ . وُلِدَ سَحبانُ وائل في الجاهلية ، ولكن لم يبلغ أَشُدَّه إلاّ في الاسلام . وقد أدرك خِلافة معاوية ونال عنده حَظوة كبيرة يوم كان معاوية والياً ثم لمّا أصبح خليفة . ويجب أن يكون سحبان وائل قد سكن الشام ، فان معاوية كان يطلبه إذا جاءه وفد ودعت الضرورة إلى إلقاء خطبة مناسبة جامعة .

ولعلّ وفاةَ سحبان وائل كانت في سنة ٥٤ هـ (٦٧٤ م) . على أنهم رَوَوْا أن وفداً من خراسان جاء إلى معاوية ومعه سعيدُ بن عُثمان بن عفّان ، وسعيد ابن عثمان بن عفّان كان والياً على خراسان مدّة يسيرة في سنة ٥٦ هـ .

٢ — كان سحبان وائل خطيباً مقتدراً فصيحاً بليغاً طويل النفس جدّاً ، يتكلّم ساعاتٍ طوالاً فلا يتردّد ولا يتلعثم ولا يَفْتُرُ ، وقد ضُرِبَ به المثل في المقدرة على الخطابة وسُمِّي خطيبَ العرب . وهو يعدّ ذلك من الحكماء المشهورين والفصحاء والبلغاء . وكان لا يخطب إلاّ بمِخْصَرة [١] تُرضيه ، وكانت له مخاصرُ كِثارٌ خاصّة به . وخطبه عامّة طويلة ولذلك نُسِيَتْ ، كما أنه قد نُحِلَ خُطَباً ليست له . اشتهر سَحبان بخطبته الشوهاء عند معاوية ، وقيل لها

١ المخصرة : عصا قصيرة يحملها الخطباء في أثناء الخطابة (أو في مناسبات أخر أيضاً) .

الشوهاء من حُسنها [1] . وكان لسحبان شعر قليل ، على أن الذي وصل الينا من آثاره كلّها نزر يسير جداً .

٣ – المختار من آثاره :

– شر خليطَيك السَؤوم المُحزّم [2] .

– ويُنْسَبُ إلى سَحبانِ وائلٍ خُطبةٌ موجودة في نهج البلاغة [3] ، وهي :

إن الدنيا دارُ بَلاغٍ [4] والآخرة دار قرارٍ ، أيّها الناسُ ، فخذوا من دار مَمَرِّكم لدار مَقَرِّكم ، ولا تَهتِكوا أستاركم عند من لا تَخفى عليه أسرارُكم. وأخرِجوا من الدنيا قلوبَكم قبلَ أن تَخرُجَ منها أبدانُكم ، ففيها حَيِيتُمْ ولغيرها خُلِقْتُم . إن الرجلَ إذا هَلَكَ قال الناسُ : ما تَرَكَ ؟ وقالت الملائكة : ما قدّم [5] ؟ قدّموا بَعْضاً يكنْ لكم ، ولا تخلّفوا كُلاً فيكونَ عليكم [6] !

٤ – ** جمهرة خطب العرب [7] ، (ص ٤٦٣ – ٤٦٤) .

مالك بن الرَّيْب

١ – هو مالك بن الرَّيْب بن حَوْط من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وُلِدَ في أول دولة بني أمية ونشأ في بادية بني تميم بالبصرة .

كان مالك بن الريب جميلاً لَبّاساً وشجاعاً فاتكاً لا ينام إلاّ مُتَوَشِّحاً

---

١ البيان والتبيين ١ : ٣٤٨ .

٢ البيان والتبيين ٢ : ١٤ . – السؤوم : الملول . المحزم : الغامض الرأي ، الذي لا تعرف ماذا يريد .

٣ جمهرة خطب العرب ٢ : ٤٦٣ .

٤ دار بلاغ : مكان يقال فيه للانسان ما يجب أن يعمل ؛ مكان يحاول فيه الانسان أن يبلغ (يصل) إلى العمل الصالح .

٥ ما ترك من المال ارثاً لأهله ، وما قدم (تصدق وعمل عملا صالحاً مما ينفعه في الآخرة) .

٦ ما تنفقونه في عمل الخير تجدونه يوم القيامة مذخوراً لكم ، وما تجمعونه من مال الدنيا ثم تتركونه وراءكم (من غير أن تنفعوا به أحداً) تعاقبون عليه يوم القيامة .

٧ راجع ، فوق ، ص ٢٥٣ .

سيفه . وكان يقطع الطريق معَ ثلاثة نفرٍ هم شُظاظٌ مولى بني تميم وأبو حردبة أحد بني أثالة بن مازن وغُويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة . فطلبهم مروان بن الحكم ، وكان عاملاً على المدينة [1] ، فهربوا إلى فارس .

فلما ولّى معاويةُ بن أبي سفيان سعيدَ بن عثمان بن عفّان على خراسان (٥٦ هـ = ٦٧٦ م) لقِيَ سعيدٌ مالكاً في طريقه فاستصلحه واستتابه ثم اصطحبه معه وأجرى عليه في كل شهر خمسمائة دينار . وترك مالك أهله وراءه في فارس . وكانت ولاية سعيد على خراسان أقل من عام ، فرجع عنها ومعه مالك بن الريب . ولم يَسِرْ سعيدٌ عن خُراسان إلا قليلاً حتى مرض مالك وأشرف على الموت فخلّفه وترك عنده مُرّةَ الكاتب ورجلاً آخر . فكانت وفاة مالك بن الريب في خراسان سنة ٥٦ هـ ، في إبّان شبابه .

٢ – روى الاصفهاني لمالك بن الريب مقاطع من عشر قصائد (غ ١٩ : ١٦٣ – ١٦٧) يبدو أن بعضها مطوّلات . وجميع هذه المقاطع وجدانيات في الوصف والحماسة . وشعر مالك بن الريب فصيح الالفاظ سهل التراكيب عذب، تَغلِب عليه «وَحْدَةُ الموضوع» ، إذ أن فيه وصفاً سائراً وقَصَصاً متعانقاً .

٣ – المختار من شعره :

– لما أشرف مالك بن الريب على الموت أظهر الاسف على مجيئه في جيش الغزو ثم أوصى صاحبيه (راجع الترجمة) بالطريقة التي يجب أن يتبّعاها في دفنه . بعدئذ تَذَكّر أهلَه وقومه وحلّل شيئاً من نفسياتهم ورثى نفسه . قال الاصفهاني (غ ١٩ : ١٦٩) هذه القصيدة ثلاثة عشر بيتاً ، وما زاد على ذلك منحول . قال مالك بن الريب يرثي نفسه :

أَلمْ تَرَني بِعتُ الضّلالةَ بالهُدى ... وأصبحتُ في جيش ابن عفّانَ غازيا؟

[1] كان مروان بن الحكم عاملا على المدينة من ٤١ إلى ٤٩ هـ (٦٦١ – ٦٦٩ م) .

لَعَمْري ، لَئِنْ غالتْ خُراسانُ هامَتِي لقد كُنت عن بابَيْ خُراسانَ نائيا [1] .
تذكّرتُ من يبكي عليّ فلم أجِـدْ سوى السيفِ والرمح الرُّدَيْنِيّ باكيا ،
وأشْقَرَ خِنْذيذٍ يَجُرُّ عِنانَـه إلى الماء لم يَتْرُكْ له الدهر ساقيا [2] .
ولكنْ بأطراف السُمينَة نِسْوَةٌ عزيزٌ عليهن العَشيةَ ما بيا [3] :
صريعٌ على أيدي الرجال بقَفْرةٍ يُسَوّونَ قبري حيث حُمّ قضائيا [4] .
ولمّا تراءتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنِيّتي ، وخَلّ بها جسمي ، وحانَت وفاتيا [5] ،
أقولُ لأصحابي : ارفَعوني لأنني يَقِرّ بعَيْنَي أن سُهَيْلٌ بدا ليا [6] .
فيا صاحِبَيْ رَحْلي ، دنا الموتُ فانْـزِلا برابيــةٍ ؛ إنّي مُقيمٌ لِيـاليا [7] .
أقيما عليّ اليومَ أو بَعْضَ ليلةٍ ، ولا تَعْجَلاني قد تَبَيّنَ ما بيا [8] .
وقُوما إذا ما اسْتُلّ روحي فهَيّئا لي السِّدْرَ والاكفانَ ثم ابكِيا ليا [9] .
وخُطّا بأطرافِ الأسِنّةِ مَضْجَعي ورُدّا على عَيْنَيّ فَضْلَ رِدائيا .
ولا تَحْسُداني ، باركَ اللهُ فيكما ، من الأرض ذاتِ العَرْض أن تُوسِعا ليا .
خُذاني فجُرّاني ببُرْدي إليْكما ، فقد كنت قبلَ اليوم صَعْباً قِياديا !
يقولون : لا تَبْعَدْ ! وهم يدفُنونني. وأينَ مَكانُ البُعْد الا مَكانيا [10] ؟

---

١ غالت خراسان هامتي : اغتالت ، قطعت رأسي ، مت في خراسان . لقد كنت عن بابي خراسان نائياً : كنت قبل ذلك بعيداً عن خراسان (كان بامكاني أن أتجنب المجيء اليها) .

٢ أشقر خنذيذ : حصان أشقر اللون خنذيذ (كثير العرق ، كناية عن كثرة ركضه وسبقه الخيل) . يجر عنانه إلى الماء : يذهب إلى الماء وحده لأن الدهر قتلني وحرمه اياي .

٣ السمينة : مكان قريب من البصرة . باطراف السمينة نسوة (قريبات لي) عزيز الخ : يصعب عليهن أن أموت غريباً في هذا المكان .

٤ حيث حم قضائي : حيث دنت منيّتي وحانت وفاتي .

٥ مرو : عاصمة خراسان . خل جسمي : بلي جسمي ، انحل .

٦ سهيل : نجم جنوبي يرى في اليمن. يقر بعيني...أسر إذا رأيت سهيلا(لأن خراسان بلد شمالي لا يرى سهيل) .

٧ صاحبا رحله : الرجلان اللذان خلفهما سعيد بن عثمان مع الشاعر. انزلا برابية (مدة يسيرة) لأنني أنا سأمكث هنا مدة طويلة (سأبقى ميتاً في هذا المكان) .

٨ اعتنيا بي هذا اليوم فقط أو هذا اليوم وقسماً من ليلته . ثم لا تستعجلا موتي ودفني ، إذ قد تبين أنني سأموت وشيكاً .

٩ السدر : نوع من النبات (المعقم: المطهر)يغسل به الميت منعاً لسرعة فساد الجثة .

١٠ لا تبعد : جملة تقال في ندب الميت (لا تبعد عنا ، لا يكن مكانك بعيداً عنا) .

ويا ليتَ شعري ، هل بكتْ أمُّ مالكٍ كما كنتُ لو عالَوْا بنَعْشِكِ باكيا[1].
إذا متّ فاعتادي القبورَ فسلّمي على الرّيم ، أُسقيتِ الغَمام الغواديا [2] .
فيا راكباً ، إمّا عرَضْتَ فبلّغَنْ بني مالكٍ والريبَ : أنْ لا تَلاقيا[3]!
وبلّغْ أخي عِمرانَ بُردي ومِئزري ، وبلّغ عجوزَ اليومِ أنْ لا تَدانيا[4] .
وسلّمْ على شَيْخَيَّ منّي كليهما ، وبلّغْ كثيراً وابن عمّي وخاليا[5] .
أُقلِّبُ طرفي فوق رَحْلي فلا ارى به من عيون المُؤْنسات مُراعيا[6] .
وبالرملِ منّا نِسوةٌ لو شَهِدْنَني بَكَيْنَ وفَدّيْنَ الطبيبَ المُداويا[7] ،
فمِنهنّ أمّي وابنتاها وخالتي وباكية أخرى تَهيجُ البواكيا[8].
وما كان عهدُ الرمل مني وأهلِه ذميماً ، ولا ودّعْت بالرمل قاليا[9] .

— وممن هرب من الحجّاج بن يوسف مالك بن الريب المازني أحد بني حازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وفي ذلك يقول (الكامل للمبرّد ، ليبزغ ، ص ٢٩٠) —ولكن هذا لا يتسق مع حياة مالك بن الريب — :

فإن تُنصفونا ، يالَ مروانَ ، نقتربْ اليكم ، وإلاّ فأْذَنوا ببُعادِ ؛
فانّ لنا عنكم مَزاحاً ومَرْحلاً بعِيسٍ إلى ريح الفَلاة صَوادي[10].

---

١ أم مالك : أم الشاعر . هل ستبكي أمي إذا بلغها خبر موتي كما كنت أنا سأبكي لو بلغني خبر موتها . والاوجه أن يكون المعنى : هل ستبكي أمي كما لو كانت تبكي لو رأت الرجال يرفعون نعشي أمام عينيها .

٢ اعتاد المكان : جاء اليه مرة بعد مرة . الريم : الغزال الابيض (زوري القبور التي في بلادك وسلمي على الوحوش لأنك لا تستطيعين أن تسلمي على قبري فأنا غير مدفون عندك) .

٣ إذا عرضت : إذا أتيت العارض (اليمامة) من شرقي شبه جزيرة العرب .

٤ — أعط أخي عمران أثوابي . عجوز اليوم : أمي التي أصبحت اليوم عجوزاً (أو امرأتي) .

٥ سلم على شيخي : أبي وأمي (؟) .

٦ أقلب طرفي فوق رحلي : أنظر إلى ما حولي . مراع : من يعتني بي .

٧ فدين الطبيب المداوي : يفدين الطبيب الذي ينقذني من الموت بحياتهن .

٨ وباكية أخرى : امرأته أو أخته (؟) .

٩ عهد الرمل : الأيام التي قضيتها في الرمل (مسكن قومي) . قال : مبغض .

١٠ المزاح : الانتقال والابتعاد . العيس : النياق . الفلاة : البادية الواسعة . صواد : عطاش .

ففي الأرض عن دار المَذَلّة مَذْهَبٌ ، وكلّ بلاد أوطِنَتْ كبلادي [1] .
فماذا ترى الحجّاجَ يَبْلُغُ جُهْدَهُ إذا نحن جاوزنا حَفيرَ زِياد [2] ؟
فلولا بنو مروانَ كان ابنُ يوسفٍ ، كما كان ، عبداً من عبيد إياد ،
زمانَ هو العبدُ المُقِرّ بذِلّةٍ يُراوحُ صِبيانَ القُرى ويُغادي [3] !

٤ — * * الاغاني ١٩ : ١٦٣ — ١٦٩ ، جمهرة أشعار العرب (المطبعة الرحمانية) ٢٩٦ — ٣٠٠ .

هُدْبَةُ بن خَشْرَم

١ — هو أبو سليمانَ هُدْبَةُ بنُ خَشْرَمِ بن كُرْز بن أبي حَيّةَ من بني عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث ؛ وأمّه حَيّةُ بنت أبي بكر ابن أبي حَيّة من أقاربه الأدْنَيْنَ . وكان قوم هُدْبةَ يسكنون بادية الحجاز ، وقدِ انْقسموا فريقين ذَوَيْ عَصبيّتَيْنِ قَوِيّتين : بني عامر بن عبد الله بن ذُبيان ثم بني رِقاش : بني قُرّة بن خُنيس بن عبد الله بن ذبيان . وقد كانت بين الفريقين حروب ومنازعات .

ولقد اتّفق ، في حديث طويل ، أن هُدْبةَ بن خشرمٍ قتل صِهره (زوج أختهِ سَلمى) زِيادَ بن زيد بن مالك بن عامر ، في أيام ولاية سعيد بن العاص على المدينة (٤٩ — ٥٦ هـ) ثم هرب . وقَبَضَ سعيدٌ بن العاص على نفرٍ من أهل هدبةَ فيهم زُفَرُ بن كُرز (عمّ هدبة) حتّى جاء هدبة وأسلم نفسه للسجن فأفرج سعيد بن العاص عن أهله .

---

١ كذا وقعت الرواية في « أوطنت » بضم الهمزة وكسر الطاء ؛ والاصح : « أوطنت » بفتح الهمزة وفتح الطاء (الكامل ٢٩٠ ، السطر ١٥) . — كل بلاد تمكن السكنى فيهـا تشبه بلادي الأصلية (وطني) .

٢ في القاموس (٢ : ١٢) : الحفير : القبر ، والحفير : موضع بين مكة والبصرة . ولعله قناة حفرها زياد بن أبيه . — هل يبقى للحجـاج بن يوسف سلطة علي إذا أنا هربت منه ثم جاوزت أطراف العراق ؟

٣ كان الحجاج معلماً للأولاد . وتعليم الأولاد كان مهنة غير محترمة . يراوح صبيان القرى ويغادي : لا يكاد يصرفهم في المساء حتى يعودوا اليه غدوة (في الصباح) .

ومع أن وجه القضية كان واضحاً (فان هدبة كان قد تربّص بزيادةَ بن زيدٍ حتّى أمكنته منه الفرصةُ فقتله) ، فان سعيدَ بن العاص لم يشأ أن يَفْصِل في الأمر بنفسه (لوجاهةِ الفريقين وقوّة عَصَبِيَّتَيْهِما) فأرسل بالفريقين المتنازعين إلى مُعاوية بن أبي سُفيان في دمشق . قيل إن عبد الرحمن بن زيد (أخا القتيل) ذهب إلى مُعاويـة ، وقيل ان هُدْبَة كان مع عبد الرحمن .

ولم يشأ مُعاويةُ أن يَفْصِلَ في الأمر ، ثم وجد مخرجاً لما سأل عبد الرحمن ابن زيد : ألِأخيكَ بَنونَ ؟ فقال عبد الرحمن : نعم ، له صبيّ طفلٌ اسْمُه المُسَوَّر . فقال مُعاوية : اذن نَنْتَظِرَ المُسَوَّرَ حتّى يَرْشُدَ ليأخذ هو بثار أبيه !

ويبدو أن هُدبة قضى في السجن (قبل عَرْضِ القضيةِ على معاويةَ وبعد عرضها عليه) ثلاثَ سَنَواتٍ على الاقل ، وقيل بل «خمس سنين أو ستّاً» (معجم الشعراء ٤٦٠) . ولعلّ هدبة بقي في السجن إلى أيام مروان بن الحكم [1] في ولايته الثانية على المدينة (٥٦ – ٥٧ هـ) .

وبعد مدة بلغ المسوّر رُشْدَه – ولم يستطع أحد أن يُصْلِحَ بين الفريقين – فتولّى قتل هدبة ، في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان (توفي ٦٠ هـ = ٦٨٠م) في إحدى ضواحي المدينة .

٢ – هُدبةُ بن خَشْرَمٍ شاعرٌ في أسرة من الشعراء : كان أبوه وأمّه وإخْوته الثلاثة وابن عمّه عبد الرحمن شعراء . وهو شاعر مُطيل له قصيد ورَجَز ، وهو يرتجلُ بيُسْرٍ . وأسلوبه بدوي ، وفي شعره شيء من الضعف والغموض إلى جانب قَدْرٍ من الصِناعة اللفظية . وفي رجزه الذي ناقض فيه عبدَ الرحمن بن زيد مُجون . ولمّا دخل هدبةُ السجن كَثُرَ شعرهُ وجاد . أما فنونه فهي الهجاء والحماسة والغزل والحكمة .

---

[1] الاغاني (الساسي) ٢١ : ١٧٤ . انتهت ولاية مروان بن الحكم على المدينة ، في المرة الثانية ، في شهر ذي القعدة من سنة ٥٧ هـ (ايلول – سبتمبر ٦٧٧ م) .

٣ – المختار من شعره :

– قيل لمّا مَثَلَ عبدُ الرحمن بن زيد (أخو زيادة بن زيد الّذي قتله هدبة) وهُدبة بن خشرمٍ عند معاوية عرض عبد الرحمن القضية أولاً . فالتفَتَ معاويةُ إلى هدبةَ و« قال له : يا هدبةُ ، قُلْ ! فقال (هدبة) : ان هذا رجلٌ سَجّاعَةٌ [١] ، فان شئت أن أقصّ عليك قصّتنا كلاماً أو شعراً فعلت : قال (معاوية) : لا ، بل شِعْراً . فقال هدبة هذه القصيدة مرتجلاً بها »[٢] :

ألا ، يا لَقَوْمي لِلنّوائبِ والدهرِ ... وللمرء يُردي نفسه وهولا يدري[٣] .
وللأرض ، كم من صالحٍ قد تأكّمتْ ... عليه فَوَارَتْهُ بِلَمّاعةٍ قَفْرْ [٤] .
تباريحُ يَلْقاهـا الفؤادُ صَبابـةً ... اليها وذكراها على حينِ لا ذكر [٥] .
فيا قلبُ ، لم يألفْ كإلْفِكَ آلفٌ ؛ ... ويا حبّها ، لم يُغْرِ شيءٌ كما تُغري[٦] .
وما عِندها – للمُسْتَهامِ فؤادُه ... بها إنْ ألَمّتْ–من جزاءٍ ولا شُكْر[٧] ؛
فلا تَتّقي ذا هَيْبَةٍ لجَلالهِ ... ولا ذا ضياعٍ هنّ يتركن للفقر [٨] .

---

١ سجاعة : يأتي بالاسجاع (جمع سجع : الكلام المنثور المقفى) .

٢ الاغاني (الساسي) ٢١ : ١٧٣ ؛ كتاب الزهرة ١٨٢ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٠١ .

٣ يردي ، يهلك ، يلقي نفسه في التهلكة (بضم اللام) .

٤ تأكمت : أصبح فيها آ كام (مرتفعات يسيرة) : يقصد قبوراً . اللماعة : الفلاة . القفر : التي لا نبات ولا ماء فيهـا . – دفن في الأرض رجال صالحون فوارتهم الأرض وظل أثر قبورهم ظاهراً على وجـه الارض حيناً ثم خفيت قبورهم فأصبحت تلك الفلاة وكأنه ليس تحتها شيء .

٥ تباريح الشوق : توهجه (شدته) يلقاها الفؤاد صبابة (من الصبابة : شدة الحب) اليها : (صبابة) إلى (المحبوبة) . على حين لا ذكر ، لعلها على حين ما ذكر (ما زائدة) : على حين ذكر . –كلما ذكر المحب حبيبته لقي من ذلك ألماً وشدة .

٦ لم يألف (يحب) أحد ، يا قلب ، مثل حبك ؛ وليس في الأرض امرأة لها جمال يغرينا (بحب هذه المحبوبة) كجمال هذه المحبوبة .

٧ – وإذا بلغها أن محباً بلغ في حبها إلى الهيام (بضم الهاء : جنون الحب) لم تجزه (بوصالها) على حبه هذا لها ولا شكرته (بالكلام فقط) على ذلك . – لا تبالي بمن يحبها .

٨ – لا تخف من رجل ذي هيبة (له وقار وسطوة) لجلاله (لعظمته في قومه) ولا تخف صاحب ضياع (أراض وقرى) . هن يتركن للفقر ....

فلمّا رأيتُ أنها هِيَ ضَرْبَــةٌ من السيف أو اغضاء عيـنٍ على وِتْرِ[1]
عَمَدتُ لأمرٍ لا تُعيّـرُ والـدي خزايتُه ولا يُسَدّ بـه قبري[2] .
وكم نكبةٍ لو أنّ أدنى مُرورِهــا على الدهرِ ذلّت عندها نُوبُ الدهر[3]!
رُمِينا فرَامَيْنا فصـادف رَمْيُنـا مَنايا رجالٍ في كِتاب وفي قَدْرِ[4].
وأنتَ أميرُ المؤمنين ، فمـا لَنـا وراءك من مَعْدىً ولا عنك من قَصْرِ[5]؛
فإنْ تَكُ في أموالنا لا نَضِقْ بهـا ذِراعاً ، وان صَبْرٌ فنَصْبِرُ للصَبْرِ[6]

— وقال يتغزّل (غ ١١ : ١٧٢ وكتاب الزهرة ٣٤٣) :

تذكّر حبّـاً كان في مَيْعة الصِبى ووَجْداً بها بعد المشيب مُعَقّبــا[7] .
تَذكّرَ شوقاً من أمَيْمَةَ مُنْصِبَــا تليداً ومُنْتاباً من الشوق مُجْلَبا[8] .

---

١ ... يبدو أن هنا أبياتاً ضائعة . — علمت أنه لا بد (بعد الذي فعله زيادة بن زيد بن عامر : بعد ان قال رجزاً في أخت هدبة وعرض بهدبة نفسه) من أحد أمرين : ان أضرب به بالسيف (أقتله) أو أن أغضي (أغمض عيني : أسكت ، أصبر) على وتر (أترك عقابه على ما قال) .

٢ — اخترت الأمر الذي ليس عـاراً على والدي (الثأر من زيادة بن زيد ، بينما السكوت على كلام زيادة هذا في أختي عـار على والدي) . ولا يسد به قبري (للملموح أنه يريد أن يقول: هذا عمل لا يقدم موتي ولا يؤخره) .

٣ — وكم من مصيبة عظيمة (مثل هذه) لو أصاب أحداً شيء قليل منها لكان هذا القليل منها أعظم من نوب (مصائب) الدهر (كلها) .

٤ رمينا : رشقنا بالنبال : اعتدى (بعض الناس) علينا . فرامينا : فراشقناه بالنبال (رددنا اعتـداءه) فصادف رمينا (اتفق أن نبالنا أصابت) رجلا كان قد انتهى أجله المسطور (في كتاب ، في اللوح المحفوظ) وفي قدر (في الزمن الذي قدر الله موته . مع أن سهام ذلك الرجل لم تقتلني لأن أجلي لم يكن قد انتهى بعد) .

٥ — أنت أمير المؤمنين (القاضي والحكم) لا نستطيع أن نحتكم إلى غيرك . ولا عنك من قصر : مانع من أن نأتي اليك (؟) .

٦ — فاذا حكمت بدية القتيل (قبلنا بدفع الدية من أموالنا) . لا نضيق بهـا ذراعاً (ذرعاً) : لا نعجز عنها مهما كانت كبيرة (لأننا أغنياء) . وان صبر : وان حكمت بقتلي صبراً (حبساً بلا طعـام أو شراب حتى أموت) قبلت أيضاً هذا الحكم .

٧ ميعة الصبى (أو الصبا) : ميعة الشباب (أوله وعنفوانه) . معقباً : يأتي في عقب (بفتح العين وكسر القاف : آخر) العمر .

٨ منصباً : متعباً . تليداً : قديمـاً . منتاباً : راجعاً بعد أن كان قـد ذهب وانقضى . مجلباً : جيء به على غير المنهج الطبيعي وفي غير وقته ومحله . — تذكر حب أميمة بعد أن كان زمن الحب قـد مضى فجعله ذلك يتـألم من غير أن يستطيع أن يتمتع بما يتمتع به الانسان عادة في أيام شبابه .

إذا كاد يَنْساها الفؤادُ ذَكَرْتَها ، فيا لكَ ما عَنّى الفؤادَ وعَذّبا [1] .
غدا في هواها مُسْتكينا ، كـأنـه خليعُ قِداحٍ لم يَجِدْ مُتَنَشّبا [2] .
بعَيْنَيْكَ زالَ الحيّ منهـا لنِيّــة قَذوفٍ تَشوقُ الآلِفَ المُتَطَرّبا [3] .
وقد طال ما عُلِقْتَ لَيْلي ، مُعَمّداً ، وَليداً إلى أن صار رأسُك أشيبا [4] .
رأيْتُك من ليلى كذي الداء لم يَجِـد طبيباً يُداوي مـا بـه فتَطَبّبا [5] .
فلمّا اشْتَفَى ممّا بـه كرّ طِبّهُ [6] على نفسهِ من طول ما كان جرّبا .

— وقال في النسيب والحماسة والحكمة ، وهو في سجنه (الزهرة ٣٥٧ ، معجم الشعراء ٤٦١) :

يُجِدّ النّـأيُ ذِكرَك في فـؤادي إذا وَهِلَتْ على النأيِ القلوبُ [7] .
وقد علِمَتْ سُليمى أن عُـودي على الأحداثِ ذو وَتَد صَليب [8] .
عسى الكربُ الذي أمْسيتُ فيه يكونُ وراءه فَرَجٌ قريب :
فيأمنَ خائِفٌ ويُفَكّ عـانٍ ، ويأتي أهلَـه النائي الغريبُ [9] .

— وروى أبو تمام لهُدبةَ بنِ خشرمٍ أبياتاً في الحماسة :

وإني من قُضاعةَ ، من يَكِدْها أكِدْهُ ؛ وَهْيَ منّي في أمـانِ [10] .

---

١ — وكلما أراد قلبك أن ينساها عدت فذكرتها له وذكرته بها . فلله منك كم تعذب قلبك بها .

٢ مستكيناً : خاضعاً ذليلا . خليع قداح : (لعله الذي أضاع جميع ماله في القمار) . المتنشب : الطعام القليل الذي يسد الرمق . في القاموس (١ : ١٣٢) : انتشب طعاماً : لمه .

٣ علقت ليلى : تعلقت بها (أحببتها حباً لا تستطيع بعده فراقها) . المعمد (بضم الميم الأولى وبتشديد الميم الثانية وفتحها) الذي هده العشق (القاموس ١ : ٣١٧) .

٤ بعينك : أمام عينيك ، وأنت شاهد أو حاضر . زال الحي : انتقل الحي (أهل الحبيبة) لنية (مقصد ، مكان) قذوف (بعيد) . تشوق (وهي تشوق : تثير الشوق في قلب) الآلف (المحب) المتطرب (المتغني.— وهنا : الشخص الذي تثيره مظاهر الحسن ، لأنه لا يزال شاباً أو لا يزال يسلك سلوك الشبان) .

٥ تطبب : طبب نفسه (وليس هذا المعنى في القاموس — راجع ١ : ٩٦) .

٦ لما نفعه ما كان قد طبب به نفسه (لنسيان المحبوب) أصبح يكرر استعمال هذه الطريقة التي كان قد اختبر صحتها بطول التجربة .

٧ يجد : يجدد . النأي : البعاد . وهلت : ضعفت ، فزعت والمقصود هنا : وهلت عنه : نسيته . —ان البعد عن المحبوبة يجدد ذكرها في قلبي ، مع أن العادة هي أن ينسى الانسان محبوبه إذا ابتعد عنه .

٨ ذو وتد : ثابت (كأنه مرزوز في الأرض) . صليب : شديد . — ان نفسي صبور على مصائب الأيام .

٩ العاني : الأسير (وهنا : المسجون) . يفك عان : يطلق سراحه . النائي : البعيد (المسافر سفراً بعيداً).

١٠ من أراد لقضاعة الشر أردت أنا له الشر (جازيته بالشر على شره) . ثم لا أريد بها هي شراً (ولو اعتدى علي أحد من أفرادها) .

ولستُ بشاعر السَّفْساف فيهم ، ولكن مِدْرَهُ الحربِ العَوان [1] .
سأهجو من هجاهُمْ من سواهم، وأعرِضُ منهم عمَّن هجاني [2] .

– وقال هدبة بن خشرم في الحكمة (الشعر والشعراء ٤٣٧) :

ولا أتَمنّى الشرَّ والشرُّ تاركي ، ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشرِّ أرْكَبِ
ولستُ بمِفْراحٍ إذا الدهر سرَّني ، ولا جازعٍ من صَرْفه المُتَقَلِّب .
وحَرَّبني مَوْلايَ حتى غَشيتُه ؛ متى ما يُحَرِّبْكَ ابْنُ عمِّكَ تَحْرَبِ [3]

٤ – ** الاغاني (ليدن) ٢١ : ٢٦٤ – ٢٧٦ ، (القاهرة – الساسي) ٢١ : ١٦٩ – ١٧٧ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ٩٥ – ١١٣ .

الوليد بن عقبة

١ – هو أبو وَهْبٍ الوليد بنُ عُقبةَ بن أبي مُعيطٍ بن عبد شمس بن عبد مَناف . وكانت أمّه أرْوى بنتَ كُرِيز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مَناف ، وهي أيضاً أم عثمانَ بن عفّان [4] ، فالوليد أخو عثمان لأمّه ؛ وعثمان أسنّ منه . ومع أن الوليد قد نشأ في كنف أخيه عثمان ، فانه تأخر في الدخول في الاسلام .

كان الوليدُ بن عُقبةَ من شجعان قريشٍ وسَرَواتِهم وأجْوادِهم ، ولكنّه كان أيضاً مُدْمِناً للخمر فاسقاً . وكان ، بعدَ أن صَدَعَ الرسولُ صلّى الله عليه وسلّم بالدعوة (عام ٦١٠ م) ، شديدَ الأذى للمسلمين ، ثم كان مع

---

١ المدره : زعيم القوم ، السيد الشريف ، المقدم في اللسان والسيد في الخصومة والقتال . الحرب العوان : الحرب التي حورب فيها مراراً (وتكون عادة أشد من الهجوم العارض على غير تدبير وترتيب) .

٢ سأهجو كل شخص من غير قضاعة يهجو أحداً من قضاعة ، وسأسكت عن كل رجل قضاعي يهجوني .

٣ حربه : أثاره وأغضبه . مولاي : ابن عمي ، قريبي الذي له علي حق البر . غشيه : علاه (بالسيف) ، قتله . حرب (بفتح الحاء وكسر الراء) : كلب (بفتح الكاف وكسر اللام) ، واشتد غضبه .

٤ الكامل ٤٤٣ ؛ الأغاني ٥ : ١٢٢ .

المشركين في معركة بدر (٢ هـ = ٦٢٤ م) ولكنه أُخذ أسيراً . ولم يدخل الوليد ابن عقبة في الاسلام حتّى فُتِحَتْ مكّةُ (٨ هـ) .

في سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م) قُتِلَ عُمَرُ بن الخطّاب[١] فبايع المسلمون عثمان ابن عفّان بالخلافة . في ذلك الحين كان الواليَ على الكوفة سعدُ بن أبي وقّاص فاتحُ العراقِ وفارسَ فعزله عثمان وولّى مكانَه الوليدَ بن عقبة (٢٤ هـ) . فاسْتَعْظَمَ المسلمون ذلك لِمَا كانوا يعلمونه من موقف الوليد من المسلمين قبل فتح مكّة ولما كانوا يَعْرِفون من فِسْقه وإدمانه للخمر . وكذلك لم يُحْسِنْ عثمانُ – رَضِيَ الله عنه – السياسةَ لَمَّا عزل عن الكوفة قائداً كبيراً ورجلاً من كِبارِ صَحابةِ رسول الله ومِنَ العَشْرةِ المُبَشّرين بالجنّة لِيُوَلّيَ عليها مكانَه شابّاً فاسقاً .

ما كاد الوليدُ بن عُقبةَ يتولّى الكوفة حتّى اتّخذ أبا زُبَيْدٍ[٢] الطائي نديماً له . ثم اشتهر أمره فشكاه الناس إلى عثمان فلم يسمع عثمان قولَهم في بادئ الأمر . لقد كان عثمانُ في خلافته خاضعاً ، إلى حد ما ، لتأثير كاتبه مروانَ ابنِ الحَكَم ولمعاويةَ بن أبي سُفيانَ والي الشام من وراء مروانَ بنِ الحكم . وفي يوم من الأيام صلّى الوليد الصبح بالناس في مسجد الكوفة وهو سكران[٣] ، فلم يجد عثمان عندئذ بدّاً من عزله ؛ فاستدعاه إلى المدينة وجلده الحد[٤] ثم عزله (سنة ٢٥ هـ) .

وبعد مقتلِ عثمانَ اعتَزَلَ الوليدُ بن عُقبةَ الفِتنة ، ولكنّه كان يُحَرّض على قتال عليّ .

وبعد مقتل عليّ بن أبي طالب لَحِقَ الوليد بن عقبة بمعاويةَ بن أبي سفيان بالشام ثم غزا بلاد الروم (غ ٥ : ١٤٧) .

وفي الاغاني (٥ : ١٤٦) : « مات الوليد بن عُقْبَةَ فُويقَ الرّقّةِ[٥] ،

---

١ راجع ، فوق ، ٢٣٨ ، ٢٧٩ – ٢٨٠ .
٢ راجع ، فوق ، ص ٢٩٥
٣ راجع الاغاني ٥ : ١٢٥ – ١٣٢ .
٤ فرض الاسلام على شارب الخمر حداً (عقاباً) هو ثمانين جلدة . قيل ان عثمان لم يجد الشهادة في حق الوليد كافية فلم ير أن يحده ، فقام علي بن أبي طالب فحده (راجع الاغاني ٥ : ١٢٦ ، ١٣١) .
٥ الرقة بلد على الفرات في الشمال الغربي من العراق ، على تخوم الشام .

ومات أبو زُبيد (الطائي) فدُفنا جميعاً في موضع واحد» ، وذلك في أيام معاوية ابن أبي سفيان .

٢ – الوليدُ بن عُقبةَ بنِ أبي مُعيطٍ شاعرٌ وُجْدانيّ مُقِلّ حَسَنُ الكلام. وفي شعره فصاحة ومَتانه ، وبعض شعره طَلَلِي وفيه شيء من التهكّم .

٣ – المختار من شعره ونثره :

– جرَتْ في حضرة مُعاويةَ بن أبي سفيان مُلاحاة (جدال) في شأن عثمانَ ابنِ عفّان بين الحسن بن علي بن أبي طالب وبين عمرو بن العاص والوليد ابن عُقبةَ بن أبي مُعيط والمُغيرة بن شُعْبَةَ . فكان مما قال الوليد بن عقبة للحسن بن عليّ :

يا بني هاشمٍ : إنكم كُنتُمْ أخوالَ عُثمانَ فنِعمَ الولدُ كان لكم فعرَف حقكم ، وكنتم أصْهارَه فنِعمَ الصِهرُ كان لكم يُكْرِمُكُمْ ، فكنتم أولَ من حَسَدَه فقتَلَه أبوك[1] ظُلْماً لا عُذرَ له ولا حُجّة له . فكيف تَرَوْنَ اللهَ طَلَبَ بدمه وأنزَلَكم مَنْزِلَتَكم[2] . واللهِ ، إن بني أميّة خيرٌ لبني هاشمٍ من بني هاشمٍ لبني أميّةَ ، وان مُعاويةَ خيرٌ لك من نفسك .

– لمّا قُتِلَ عثمان بن عفّان قال الوليد بن عقبة يُحرّضُ معاويةَ بن أبي سفيان على الأخذِ بثأر عُثمانَ من بني هاشم (وهِندُ هي هند بنت عُتْبة بن ربيعة ، والدة معاوية) :

واللهِ ، ما هِنْدٌ بِأمِّكَ إنْ مضى الـ ـنهارُ ولم يَثْأرْ بعثمانَ ثائرُ .
أيَقْتُلُ عبدُ القومِ سَيّدَ أهلِه ولم تَقْتُلوه ، لَيْتَ أمّكَ عاقر[3] .
وإنّا متى نَقْتُلْهُمُ لا يُقِدْ بِهِمْ مُقيدٌ ، فقد دارت عَليكَ الدوائر[4].

١ حينما كان بنو أمية يقولون ان علي بن أبي طالب قتل عثمان بن عفان كانوا يقصدون شيئين : أول هذين الشيئين أن علي بن أبي طالب كان في ذلك الحين أكثر أهل المدينة وجاهة وأنه كان بامكانه أن يدافع عنه ويحول دون قتله . وأما الشيء الثاني فهو أن علي بن أبي طالب بويع خليفة وأصبح المسؤول عن معاقبة الذين قتلوا عثمان .

٢ أنزلكم منزلتكم : ردكم إلى ما كنتم عليه من قبل (بلا خلافة) .

٣ عبد القوم (؟) – لعل في ذلك إشارة إلى أحد الذين تولوا قتل عثمان فعلا . سيد قومه : عثمان (سيد بني أمية) .

٤ لا يقد بهم مقيد: لا يقد (لا يطلب أحد أن يثأر لهم بقتل أحد منا) بهم (بني هاشم) .. دارت الدائرة عليهم : دورة الزمان بالهلاك أو الفقر أو الجدب الخ . عليك (؟) .

– بعد أن قُتِلَ عثمانُ لَقِيَ بِجادٌ (مولى عثمانَ بن عفّان) الوليدَ بن عُقبةَ فقال له ان عثمانَ قُتِلَ ، فقال الوليد بن عقبة :

طالَ لَيْلي وملّني عوّادي ، وتجافى عن الضلوعِ مِهادي [1] ،
من حديثٍ نُمِيَ إليّ ، فما يَرْ قَأُ دمعي ولا أحِسّ رُقادي [2] .
ليت أني هَلَكْتُ قبل حديثٍ سَلّ جِسمي وريع منه فُؤادي [3] ،
يوم لاقيتُ بالبَلاطِ بِجاداً ؛ ليت أني هَلَكْتُ قبل بِجاد [4] !
وبنفسي التي أُحِبُّ وأهلي وبِمالي وطارفي وتِلادي [5] .
قلت لا تَغْضَبي فذلك قَوْلي بلساني ، وما يُجِنّ فؤادي [6] ...

– وفد الوليدُ بن عقبة على مُعاويةَ فلم يُعْطِه مُعاويةُ شيئاً بل حمله على أن يَهَبَ قِطعةَ أرضٍ كانت له ليزيدَ (بن معاوية) . فقال الوليد بن عقبة :

فإذا سُئِلْتَ تقولُ : لا ، وإذا سألتَ تقولُ : هاتِ !
تأبى فِعالَ الخير ، لا تَرْوَى وأنتَ على الفُرات [7] .
أفلا تَميلُ إلى « نَعَمْ » أو تَرْكِ « لا » حتّى المَمات [8] !

٤ – ** الاغاني ٥ : ١١٧ ، ١٢٢ – ١٥٣ .

---

١ ملني عوادي : سئموا من زيارتي لما فقدوا الأمل بشفائي . تجافى عن الضلوع مهادي : تجافت ضلوعي (جنبي) عن المهاد (الفراش) – تعذر علي النوم لشدة اضطرابي .

٢ نمي إلي : رفع (بالبناء للمجهول) ، جيء به إلي . يرقأ : يجف . ولا أحس (بحاجة) إلى الرقاد (النوم) .

٣ ريع : خاف ، فزع .

٤ البلاط : موضع في المدينة بين مسجد الرسول وبين سوق المدينة . ليت أني هلكت قبل (أن لقيت) بجاداً .

٥ و (أنا أفدي) بنفسي التي أحب .... الطارف : المال المكتسب (المجموع حديثاً) . التليد : المال القديم (الموروث) .

٦ – لا تغضبي لأنني ذكرت أنني كنت أتمنى لو فديت عثمان بن عفان بالأمور التي ذكرتها بلساني (التي عددتها في البيت السابق) ، فالذي يجن (يضمر) فؤادي أكثر .

٧ لا تروى : لا تكتفي ، لا تقنع . وأنت على الفرات : لا ترتوي من الشرب مع انك على نهر الفرات الكثير الماء الحلو (لا تقنع بما تملك ، مع أنك تملك الفرات وما حوله) .

٨ ألا تريد أن تقول في حياتك « نعم » (ألا تريد أن تكون كريماً) ، أو أن تترك قول « لا » (أن تترك البخل) .

معاوية بن ابي سفيان

١ — هو مُعاويةُ بن أبي سُفيان بن حربِ بن أميةَ بن عبد شمسٍ ، من قريشٍ ، وُلِدَ في مكّة نحو عام ١٧ قبل الهجرة (٦٠٥ م) . ولمّا فتح الرسول مكّة في سنة ٨ هـ (٦٢٩ م) لم يكن معاوية قد بلغ العشرين من عُمرِه . في ذلك الحين دخل معاوية في الاسلام مع جميع أهل مكّة .

وفي الفتح الاسلامي كان معاوية في جيش أخيه يزيدَ يفتحانِ سواحلَ الشام . ثم توفّي يزيد بن أبي سفيان في طاعون عمواس (في الشام) ، سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) ، فاختار الخليفة عمر بن الخطّاب أن يُولّيَ على الشام مُعاويةَ . وحَرَصَ معاويةُ في أثناء ولايته على أن ينظّمَ الشام تنظيماً يَجْعَلُها في الواقع مستقلّة عن الحجاز . فلما قُتِلَ عمر بن الخطّاب وجاء عُثمان بن عفّان الأموي إلى الخلافة توطّد مركز معاوية في الشام ، ولم يبقَ معاوية والياً فقط ، بل أصبح حاكماً مستقلاً مستبداً . ولمّا جاء علي إلى الخلافة نَشِبَ النزاعُ بين معاوية وعليّ واستطاع معاوية أن يتغلّب على عليّ بالدهاء والحيلة وبالمال يشتري به نفراً من أنصار عليّ .

وبعد مَعْرَكة صِفّين أخذ معاوية البَيْعة لنفسه بالخلافة من أهل الشام فأصبحَ في العالم الاسلامي خليفتان . فلمّا قُتِلَ عليّ بن أبي طالب[١] وقدّم بنو هاشمٍ الحسنَ بن عليٍّ للخلافة استطاع معاويةُ أن يتغلّبَ على الحسن بالحرب وبالدهاء أيضاً . ومنذ ذلك الحين (عام الجماعة ، سنة ٤١ هـ) أصبح معاوية الخليفة الوحيدَ في العالم الاسلامي .

ومع أن معاويةَ قام في أثناء خلافته بشيء من الجهاد في المشرق والمغرب ، فانه هادن الرومَ زمناً طويلاً حتّى يستطيع التغلّب على المنافسين له في طلب الخلافة من بني أمية خاصّة . في تلك الاثناء كان يسعى إلى توطيد المُلْكِ في بني أميّة وإلى أن يجعل الخلافة وراثية في عَقِبِه . وقد استطاع أن يأخذ البَيْعة لابنه يزيد بالخلافة في حياته هو . وهكذا زالت الخلافة بمعناها الشَوْرَويّ الذي كان في أيام الخلفاء الراشدين وحلّ مَحِلّها مُلْكٌ عَضوض[٢] .

---

١ راجع فوق ، علي بن أبي طالب ، ص ٣٠٧

٢ يعض عليه أصحابه (يحافظون عليه جهدهم) مع الظلم والعسف .

وكانت وفاة معاوية سنة ٦٠ هـ (٦٨٠ م) .

٢ – كان معاوية من دُهاةِ العرب له القول المشهور : لو أن بيني وبين الناس شعرةً مَا انقَطَعَتْ : اَن شدّوها أرْخيْتها ، وان أرْخَوْها شَدَدتُها . وكان حازماً ظالماً : إذا بلغ غايته باللين لم يلجأ إلى العنف ، وان لم يكن بُدّ من العُنف لم يتركه في سبيل تحقيق غاياته . كان يقول : اني لا أضعُ سيفي حيثُ يكفيني سَوْطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني .

ولمعاوية خطب كِثارٌ ورسائلُ ، وخصوصاً فيما يتعلّق بالفتنة الّتي نَشِبَتْ بينه وبين عليّ . ومع أن خطبه ورسائله لا تخالف في أسلوبها الاسلوبَ العامّ في عصره ، فان فيها كثيراً من الايجاز ومتانة التركيب ومن حسن الرأي . وكان معاوية بليغاً جداً (البيان والتبيين ١ : ٣١٤ ، ٣٥٣ ، ٣٨٣) ثم وُصِفَ بالجَهارة (ارتفاع الصوت مع وضوحه) وبجودة الخُطبة (البيان والتبيين ١ : ١٢٧) . غير انه لم يخطب في جماعة منذ سقطت ثناياه (البيان والتبيين ١ : ٦٠) .

٣ – المختار من آثاره :

– أقوال لمعاوية بن أبي سفيان :

قال معاوية لعمرو بن العاص (حينما وجّهه إلى لقاء ابي موسى الاشعري للتحكيم) : يا عمرُو ، ان أهلَ العراق قد أكْرهوا عليّاً على أبي موسى ، وأنا وأهلُ العراق راضُون بك . وقد ضُمّ اليك رجل [١] طويلُ اللسان قصير الرأي ، فأجِدِ الحزّ وطبّق المَفْصِل [٢] ، ولا تَلْقَهُ برأيك كلّهِ .

وقال معاوية : ما رأيت سَرَفاً إلا إلى جَنْبه حقّ مُضَيّع .

وقال معاوية : إذا لم يكن الهاشميّ جواداً لم يُشْبِهْ قومه . وإذا لم يكن المخزوميّ تيّاهاً لم يشبه قومه . وإذا لم يكن الأمويّ حليماً لم يشبه قومه .

– كان زياد بن أبيه قد كتب إلى الحسن بن عليّ بن أبي طالب رسالة

---

١ أي أبو موسى الأشعري . راجع في أمر أبي موسى وعمرو بن العاص ، فوق ، ص ٣٠٧

٢ هذه استعارة مأخوذة من صناعة الجزارة (بكسر الجيم) ، فان القصاب (اللحام : الذي يذبح الابل والغنم ويقطعها) لا يسهل عمله عليه إلا إذا أصاب المفصل (عرف مكان اتصال بعض العظام ببعض) ثم طبق الحز (حز بسكينه في موضع اتصال العظمين) .

يتوعّده فيها . فبعث الحسن بالرسالة إلى معاوية ، فَغَضِبَ معاوية وكتب إلى زياد :

من معاويةَ بن أبي سُفيان إلى زيادِ بن أبي سُفيان : وبعد ، فان لك رأياً من أبي سُفيان ورأياً من سُميّةَ [1] . فأمّا رأيك من أبي سفيان فحِلم وعزم ، وأمّا رأيك من سُميّة فكما يكون رأيُ مثلها . وقد كتب إليّ الحسن ابن عليّ أنك عرَضْتَ لصاحبه [2] ، فلا تَعْرِضْ له ، فانّي لم أجعلْ لك اليه سبيلاً ، وإنّ الحسن بن عليّ مما لا يُرمى به الرَّجَوان [3] . والعجب من كتابك اليه لا تَنْسِبُهُ إلى أبيه ، أفالى أمّه وَكَلْتَه [4] ؟ وهو ابن فاطمةَ بنتِ محمّدٍ عليه السلام ؟ فالآنَ حين اخترتَ له [5] ، والسلام .

– قَدِمَ مُعاوية إلى المدينة في عام الجماعة (٤١ هـ) فخطب في أهلها فقال :

أما بعد ، فانّي – والله – ما وَلِيتُها بمحبّةٍ عَلِمْتُها منكم ولا مسرّة (منكم) بولايتي ، ولكنّي جالدتكم بسيفي هذا مُجالدةً . ولقد رُضْتُ لها نفسي على عمل ابن أبي قُحافة ، وأردتُها على عمل عُمَرَ ، فنفرت من ذلك نِفاراً شديداً ، وأردتها على سُنيّات عُثمان [6] فأبتْ عليّ . فَسَلَكْتُ طريقاً لي ولكم فيه منفعةٌ : مُؤاكلة حسنة ومُشاربة جميلة . فان لم تجدوني خيرَكم ، فانّي خيرٌ لكم وَلايةً . والله ، لا أحملُ السيفَ على مَنْ لا سيفَ له . وان

١ راجع الكلام على زياد بن أبيه واستلحاق معاوية له ، فوق ، ص ٣٨٧ .

٢ كان الحسن بن علي قد أوصى بصاحب (صديق له إلى زياد ، فلم يقبل زياد ورد على الحسن رداً قبيحاً عنيفاً) .

٣ يرمى به الرجوان : جانبا البئر (يهان ويحتقر) .

٤ أظننت أنك إذا لم تنسبه لأبيه تعني أنك تنسبه لأمه (فتحط من شأنه ، كما هي الحال في شأنك أنت وأمك سمية) . غير أنك لا تحقر الحسن إذا نسبته لأمه ، فان أمه فاطمة بنت محمد رسول الله (نسبته إلى أمه أشرف من نسبته إلى أبيه) .

٥ لقد أحسنت الاختيار له (بأن تنسبه إلى أمه ؟) .

٦ حاولت أن أسير على سياسة عبد الله بن أبي قحافة (أي بسياسة أبي بكر الخليفة الأول) فلم أر ذلك ممكناً ، ثم حاولت أن أتبع سياسة مثل سياسة عمر (الحزم والشدة في الحق) فلم استطعها. وحاولت أن أتبع سنيات (جمع سنة بفتح السين وفتح النون بمعنى عام أو اثني عشر شهراً – وأظن أن الاصوب أن تكون سنينات عثمان جمعاً لكلمة « سنة » بضم السين وتشديد النون (مصغرة) بمعنى الخطة والطريقة (أي سياسة اللين والاهتمام بالأمور الجزئية) فلم أستطع ذلك أيضاً .

لم يكن منكم إلا ما يَستَشفي به القائل بلسانه فقد جعلتُ ذلك دَبْرَ أذني وتحت قدمي [١] . وان لم تجدوني أقُومُ بحقكم كلّه ، فَاقبَلوا منّي بعضَه ؛ فان أتاكم منّي خيرٌ فَاقبَلوه ، فإنّ السَّيْلَ إذا جاد يُثْري ، وان قَلَّ يُغني [٢] . وإياكم والفِتنةَ فانّها تُفسد المعيشة وتُكَدِّر النعمة .

المتوكّل الليثي

١ — هو أبو جَهْمة المتوكّل بن عبد الله بن نَهْشل من بني عَوْف بن عامر ابن لَيْث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة ، ولذلك يُقال له المتوكّلُ الليثي والمتوكّل الكِناني . وهو من أهل الكوفة ، عاصر مُعاويةَ بن أبي سُفيانَ وابنَه يزيدَ ومدحهما ، واجتمع بالاخطل وتناشدا الشعر فاستحسن الاخطل شعرَه وقدّمه . وهذا يدلّ على أن ذلك كان قبل أن يأتيَ الاخطلُ إلى البَلاط الأمويّ في المرة الثانية في أيام عبد الملك ، لأن الاخطل أصبح في ذلك الحين شديدَ الذّهاب بنفسه لا يُقِرّ لغيره بالتقدّم .

ولعلّ وفاةَ المتوكّل الليثي كانت في أعقاب خلافة يزيدَ بن معاويةَ (توفّي سنة ٦٤ هـ = ٦٨٣ م) أو بعدَ ذلك بقليل .

٢ — كان المتوكّل الليثي ، فيما يبدو لنا ، كريمَ الاخلاق : كان له امرأةٌ اسمُها أُمامة وكُنْيتها أم بكر (وقيل كان اسمها رُهيمة أو أُميمة) فأقْعِدَتْ [٣] فطلبت منه أن يُطلّقها فأبى وقال لها : ليس هذا حينَ طلاق . ولكنّها أصرّت فطلّقها . ثم انّها بَرِئَتْ وعادت اليها صحّتها . وكذلك كان لا يشرب الخمر [٤] .

---

١ ما يستشفي به القائل بلسانه : الوشاية واظهار العداوة من غير قصد إلى نفع أو اصلاح . جعلته دبر (وراء) أذني وتحت قدمي : لم أحفل به ، أهملته .

٢ إذا كثر المطر أثرى : جعل الناس أثرياء (أغنياء جداً) . وان قل أغنى الناس : كفاهم حاجتهم .

١ مرضت مرضاً أقعدها ففقدت القدرة على الحركة .

٢ راجع الاغاني ١٢ : ١٥٩ .

والمتوكّل الليثي رأسُ الطبقة السابعة من الشعراء الاسلاميّين [1] . وهو شاعر وجداني مُجيد مُطيل مَعَ مَتانة وسُهولة ورِقّة ، وكان شعرُه يُغنّى . أما أغراضه فالمديحُ والهجاء الذي ينطوي أحياناً على شيء من الإقذاع . وله أيضاً غزل جيّد وفخر وحكمة واعتذار .

٣ - المختار من شعره :

- قال المتوكّل الليثي في امرأته بعد أن طلّقها ثم برئت (والغزل في مطلع القصيدة في امرأة غيرها) :

أجَدّ اليومَ جيرتُك احتِمالا ... وحَثّ حُداتُهم بِهِمُ عِجالا [2] .
وفي الأظعان آنِسَةٌ لَعوبٌ ... ترى قتلي بغير دمٍ حَلالا [3] .

ثم يقول المتوكّل (في امرأته) :

تُعَبّسُ لي أُمَيْمَةُ بعد أُنسٍ ، ... فما أدري أسُخْطاً أم دَلالا !
أبِيني لي ، فَرُبّ أخٍ مُصافٍ ... رُزِئتُ ، وما أُحِبُّ به بِدالا [4] .
فلا وأبيكَ ، ما أهْوَى خليلاً ... أقاتِلُه على وصلي قِتالا [5] .
وكم من كاشحٍ ، يا أمّ بكرٍ ، ... مِنَ البغضاء يأتَكِلُ ائتِكالا [6] .
لَبِسْتُ على قِناعٍ من أذاه ؛ ... ولولا اللهُ كنتُ له نَكالا [7] !

- كان مَعْنُ بن حَمَلٍ بن جَعونة بن وهب أحد بني لَقيط بن يَعْمُر (من قوم المتوكّل وعشيرته) قد هجا المتوكّلَ وأكثرَ . وبعد أن سكت المتوكّلُ

---

١ ابن سلام ١٤٢ .
٢ الجيرة : الاهل ، الزوجة . الحداة جمع حاد : الذي يسوق الإبل .
٣ بغير دم : من غير أن أكون قد سفكت دماً (قد قتلت أحداً فاستحق أن أقتل به) .
٤ رب صديق كان مصافياً محباً لي فمات ، وما كنت أود (في حياته) أن اتخذ صديقاً سواه . أبيني لي : بيني لي ، قولي لي : أهذا الذي فعلته سخط (غضب حقيقي) أم دلالا (تظاهر بالبغض والغضب ... راجع البيت السابق) .
٥ لا أحب أن أحمل أحد على صداقتي بالقوة .
٦ الكاشح : المبغض . ائتكل : أكل الحقد والغضب صدره (امتلأ حقداً علي) .
٧ - الملموح : تغاضيت عن أذاه لي . ولولا خوف الله لنكلت بـه نكالا (لعذبته تعذيباً شديداً) .

الليثيّ على هجاء معن زمناً طويلاً هجاه وهجا قومه بني الدّيْل هجاء قَذِعاً. بعدئذ ندم المتوكّل الليثي على ذلك فقال قصيدة فيها غزل وفخر واعتذار، وفيها مدحٌ في يزيد بن معاوية (وكان يُكنى أبا خالد):

خليليّ، عُوجَا اليومَ وانتَظِراني، فإنّ الهوى والهمّ أمُّ أبانِ [١].
هي الشمسُ يدنو لي قريباً بعيدُها، أرى الشمس ما أستطيعها وتراني.
نأتْ بعد قُرْبِ دارُها، وتبدّلتْ بنا بدَلاً، والدهر ذو حدَثان [٢].
سيعلمُ قومي أنني كنت سُورةً من المَجْدِ إن داعي المنون دعاني [٣].
ألا ربّ مسرورٍ بموْتي إذا أتى، وآخرَ لو أُنعَى له لبكاني [٤].
خليليّ، ما لام امرأً مثلُ نفسِه إذا هي لامتْ، فاربعا ودَعاني [٥].
ندِمْتُ على شتْمي العشيرةَ بعدما تغنّى بها غَوْري وحنّ يَماني [٦]
فلبّتُ لهم ظهرَ المجَنّ، وليتني رجَعت بفضلٍ من يدي ولِساني [٧]!
على أنني لم أرْمِ في الشعر مُسْلِماً، ولم أهجُ إلاّ من روَى وهجاني [٨].
هم بطَروا الحِلْمَ الذي من سَجيّتي فبدّلتَ قومي شِدّةً بِليانِ [٩].

---

١ عاج: مال إلى جانب من المكان. الهوى والهم أم أبان: ان أم أبان هي وحدها التي أحبها وأهتم بها.
٢ تبدلت بنا بدلا: اتخذت حبيباً آخر غيري. الدهر ذو حدثان (أحداث وأحوال تتقلب بالناس).
٣ في الاغاني (١٢: ١٦٤، السطر ١٣) سورة (بضم السين). وفي القاموس (٢: ٥٣، السطر ٧): السورة (بفتح السين): من المجد: أثره وعلامته وارتفاعه. داعي المنون: سبب الموت (في الحرب؟).
٤ إذا أتى: إذا جاء (موتي، إذا أنا مت).
٥ ما لام امرأ مثل نفسه: لا ينتفع أحد بلوم أحد إلا بلوم نفسه (بنصح نفسه بنفسه إذا ارتكب خطأ). إذا هي لامت: إذا لامت نفسه (أي فعلت فعلا تلام عليه). ربع: هدأ، استقر. دعاني: اتركاني.
٦ تغنى بها: مدحها وافتخر بها، سر بها. غوري: فمي (القاموس ٢: ١٠٥، السطر ١١، راجع ١٣). حن: اشتاق، طرب. يماني .... (يمكن أن يكون الغور المكان المنخفض من تهامة على الساحل، واليمان: الأرض الجبلية – اليمن – ويكون الغور واليمان كناية عن أنه أحب قومه بكل أسباب المحبة).
٧ غير أنني قلبت لهم ظهر المجن «الترس»: عاديتهم. وكنت أتمنى لو أنني عدت عليهم (بعد أن أساءوا إلي بسكوتهم عن هجاء معن لي) بالفضل من يدي (بالاحسان اليهم وبالكرم) ولساني (بمدحهم).
٨ هذا مع انه لم يسبق لي أن هجوت مسلماً إلا إذا كان قد هجاني هو أو روى هجاء الآخرين في.
٩ ان قومي أبطرهم (أطمعهم) أن الحلم طبع في. عندئذ تركت اللين واللطف والعطف التي كنت أعاملهم بها واشتددت عليهم بالهجاء.

ولو شِئتُمُ ، أولادَ وهبٍ ، نَزَعْتُمُ ، ونحن جميعٌ شملُنا اخَــوانِ [1] ،

نَهَيْتُمْ أخاكم عن هِجائي ، وقدمضى له بعدَ حولٍ كاملٍ سَنَتَان [2] ،

فلَجّ ، ومَنّاه رجالٌ رأيْتُهُمْ إذا قارنوني يُكْرَهون قِرانـي [3] .

خَليليّ ، لو كنتُ امْرَأً بيَ سَقْطَـةٌ تضعضعتُ أو زَلّتْ بيَ القَدَمـان .

أعيشُ على بَغْيِ العُداةِ ورُغْمِهِم وآبي الذي أهوى على الشّنَآن [4] .

خليليّ ، كم من كاشحٍ قد رَمَيْتُـهُ بقافيـةٍ مشهورةٍ ورَمـاني [5] .

أبا خالدٍ ، حنّتْ اليك مَطِيّتـي على بعدِ مُنْتابٍ وهَوْلِ جَنان [6] .

أبا خالدٍ ، في الأرض نأيٌ ومَفْسَـحٌ لذي مِرّةٍ يُرمى بـه الرَّجَوان [7] ،

فكيف ينامُ الليلَ حرٌّ عَطـاؤهُ ثَلاثٌ لرأسِ الحَوْلِ أو مِئَتان [8] ؟

تناهَتْ قلوصي بعدَ إسآديَ السُّـرى إلى مَلِكٍ جَزْلِ العطاء هِجان [9] ،

ترى النّاسَ أفواجاً يَنوبون بابَـهُ لِبِكْرٍ من الحاجاتِ أو لعَوان [10] .

٤ - ** الاغاني ١٢ : ١٥٨ - ١٦٨ ، طبقات الشعراء ١٤٢ - ١٤٣ .

---

١ نزع : عاد عن غيه أو ظلمه أو خطئه .

٢ كان يحسن أن تمنعوا صاحبكم (قريبكم الأدنى) عن أن يهجوني .

٣ - ولكنه لج : أكثر وبالغ . مناه رجال : أطمعه قوم (بي) وزينوا له هجائي . هؤلاء لو قارنوني (لقوني في معركة أو هجاء) لما سروا بلقائي (لتغلبت عليهم) .

٤ أنا أعيش سالماً على الرغم من أن أعدائي يريدون بي الظلم والأذى وعلى رغمهم (مع أنهم يبغضونني ويكرهون حياتي) ، ثم أفعل ما أشاء وأزيد بما أفعل بغضه وحقده .

٥ كاشح : مبغض . رميته بقافية مشهورة : هجوته بقصيدة عصماء .

٦ حنت اليك مطيّتي : اشتاقت ناقتي إلى زيارتك (أحببت أن أزورك مرة ثانية) . على بعد منتاب : على بعد بلادي . هول جنان : خوف القلب (خوف كل انسان) من أخطار الطريق .

٧ المرة (بكسر الميم) : الشدة والقوة . الرجوان : جانبا البئر . يرمى به الرجوان : يلقى على جانبي البئر (يمنع من الاستقاء ، أي يستهان به ويحتقر) .

٨ فكيف اذن ينام الليل (يصبر على الضيم) رجل حر غني (؟) له في كل عام ثلاث (مائة ناقة أو دينار ؟) أو مائتان فقط .

٩ تناهت : وصلت . قلوصي : ناقتي . الإسآد : الاسراع . السرى (بضم السين) : السير في الليل . جزل (كثير) العطاء . الهجان : الرجل الكريم الحسيب ذو النسب العربي الخالص .

١٠ ينوبون بابه : يأتون إلى بابه (بكثرة) . البكر من الحاجات : الحاجة العظيمة التي لم يسبق لأحد أن احتاج إلى مثلها . العوان (من الحاجات) : الحاجات التي ألف الناس مثلها .

عبد الرحمن بن أرطأه

١ – هو عبد الرحمن بن (سَيحان بن) أرطأة بن سيحان بن عمرو ، يرقى نسبه إلى قيس عَيْلان بن مُضَرَ . وكان آل سيحان في الجاهلية حلفاءَ حَرْبِ ابن أميّةَ (والد أبي سفيان وجدّ مُعاوية) . ولقد كان عبد الرحمن بن أرطأة هذا وَفِيّاً للحلف القديم مناصراً وصديقاً لآل أبي سفيان في الاسلام منقطعاً إلى معاوية ، وإلى آل عثمان خاصّة ؛ وكان وثيق الصلة جدّاً بالوليد بن عثمان ابن عفّان .

كان عبد الرحمن بن أرطأة (أو ابن سيحان) من أهل المدينة ، وكان مُدْمناً للخمر يشربها مع الوليد بن عثمان بن عفّان والوليد بن عُتبة بن أبي سُفيان . فلمّا وَلِيَ مروان بن الحكم المدينةَ من قِبَلِ مُعاوية بن أبي سفيان – للمرّة الثانية – سنة ٥٦ هـ (٦٧٦ م) ولَقِيَ ابنَ سَيحانَ سكرانَ ضربه الحدّ ثمانين سوطاً . وبلغ ذلك إلى معاوية فغضب معاوية ، فيما قيل ، وكتب إلى مروان ابن الحكم ألا يَحُدّ ابن سَيحانَ في شراب أهل المدينة ، في حديث طويل جداً .

وكان عبد الرحمن بن ارطأة معاصراً لمعاوية ولابنه يزيدَ[١] ، ويزيد جاء إلى الخلافة سَنَةَ ٦٠ هـ (٦٨٠م) وبقي في الخلافة نحو أربع سنوات .

٢ – « كان عبد الرحمن بن سَيحانَ المحاربي شاعراً ، وكان حُلْوَ الحديثِ عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبة من أخبار العرب وأيّامها وأشعارها » (الاغاني ٢ : ١٤٧) . وكان « شاعراً مُقِلاً إسلامياً ليس من الفحول المشهورين، ولكنّه كان يقول في الشراب والغزل والفخر وفي مدح أحلافه من بني أمية » (الاغاني ٢ : ٢٤٣) . وهو يُجيد الرثاء (راجع الاغاني ٢ : ٢٥٣) ، وتجد في شعره لَفَتات من الأدب (الحكمة) . على أن أكثر شعره وأحسنَه في الخمر ، وكان في شعره في الخمر استهتارٌ يذكّرنا بما سنراه في العصر العباسي وعند أبي نواسٍ خاصة .

---

١ راجع عمر بن أبي ربيعة ، تأليف جبرائيل سليمان جبور ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٥، ص ٧٢ ، السطر ٢٢ .

٣ – المختار من شعره :

– دخل عبد الرحمن بن سَيحان على ابْنِ عمٍّ له يقال له الحارثُ بن سَريع فوجده يشرب نبيذ زبيب ، فجعل يزَيّنُ له شُربَ الخمر ، ثم قال له : « يا ابن سريع ، ان كنتَ تشربُ نبيذ الزبيب على أنه حلالٌ ، فأنك أحمقُ ؛ وان كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتَنْوي التوبةَ فاشربْ أجودَه فان الوِزْرَ واحدٌ . ثم انه أنشد :

دعِ ، ابنَ سَريعٍ ، شُربَ ما مات مرّةً ، وخُذْها سُلافاً حيّةً مُزّةَ الطَعْمِ [١] .
تَدَعْكَ على مُلْكَ ابنِ ساسانَ قادراً ، إذا حرّمت قُرّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ [٢] .
فشتّانَ بين الحيّ والمَيْتِ ، فاعْتزِمْ على مُزّةٍ صفراءَ راوُوقُها يَهْمي [٣] .
فإنّ سَريعاً كان أوصى بِحُبّها بَنيهِ ، وعَمّي ، جاوز اللهُ عن عمّي [٤] .
ويا ربّ يومٍ قد شَهِدتُّ بني أبي عليها إلى أن غاب تاليةُ النجم [٥] ،
حَسَوْها صلاةَ العصرِ والشمسُ حيّةٌ – تُدارُ عليهم بالصغيرِ وبالضّخْم ،
فماتوا وعاشوا والمُدامةَ بينَهم مُشَعْشَعَةً كالنجم تُوصفَ بالوَهْم [٦] .

– وله في الخمر ، وفي قوله هذا استهتار مقصود :

اصْبَحْ نَديمَك من صهباءَ صافيةٍ حتّى يروحَ كريماً ناعمَ البالِ [٧] .

---

١ ما مات مرة : مزج بالماء ، أو نقع في الماء (إشارة إلى نبيذ الزبيب ؟) . السلاف : الخمر . حية : غير ممزوجة (؟) .

٢ – تجعلك تتخيل أنك ملك على ملك ابن ساسان (كسرى) ، على ملك بلاد فارس . ولو كان قراؤنا (قراء القرآن ، الذين يعتمدون آيات القرآن الكريم في تحريم الخمر . يقصد : الفقهاء) . حلب الكرم عصير العنب (الخمر) .

٣ ... وكان عمي أيضاً قد أوصى بنيه بشربها . جاوز الله عن عمي : غفر الله له ذنوبه ؛

٤ الراووق : إناء صغير للخمر . يهمي : ينصب ، يسقط (لعله يقصد : يتصبب الماء من خارجه) كناية عن شدة برده حتى يعرق الراووق من خارج ويسيل عرقه بكثرة ؛ وكانت الخمر الباردة ممدوحة عندهم .

٥ تالية النجم : أواخر النجوم . ظلوا يشربون حتى غابت النجوم (وطلع الصبح) .

٦ مشعشعة : قليلة الكثافة ، شديدة الصفاء شفافة (وليس المقصود هنا أنها ممزوجة بالماء) ، يتفرق نورها في البيت كما ينتشر ضوء النجم في الجو .

٧ اصبح نديمك : اسقه الخمر في الصباح .

وَاشْرَبْ ، هُدِيتَ أبا وَهْبٍ ، مُجاهرةً ، وَاخْتَلْ فإنّك من قوم أولي خال [1] .

— لمّا قُتِلَ سعيد بن عثمان بن عفّان قالت أمّه : أشتهي أن يرثيه شاعرٌ كما في نفسي حتّى أعطيَهُ ما يحتكم ، فقال ابن سيْحان :

إن كنتِ باكيةً فتىً فابكي — هَبِلْتِ — على سعيدِ [2] :
فارقتَ أهلَكَ بغتةً وجلَبْتَ حتفَكَ من بعيد .
أذري دموعَكِ والدماءَ على الشهيدِ بن الشهيدِ [3] !

فقالت هكذا كنت أشتهي أن يُقال فيه ، ووصلت ابنَ سيحان . وكانت تندب ابنها بهذا الشعر (غ ٢ : ٢٥٣) .

٤ — •• الاغاني ٢ : ٢٤٢ — ٢٦٠ .

عبد الرحمن بن الحكم

١ — هو أبو مُطرِّف عبدُ الرحمنِ بنُ الحكَمِ بنِ أبي العاص بن أميّةَ ابن عبد شمس بن عبد مَناف ؛ وأمّه آمنةُ بنتُ صَفوانَ بنِ أميّة من بني مُخْدِجِ بن كِنانة . والملموح أنه كان يسكن المدينةَ في الحجاز .

كان عبد الرحمن بن الحكم صديقاً لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابتٍ حتّى وقعت العَداوةُ بينهما في أيام معاويةَ بنِ أبي سُفيانَ في حديثٍ طويلٍ جداً وأخذا يتهاجيانِ . ولعلّ عبد الرحمن بن الحكم كان يستطيل في الهجاء على عبد الرحمن بن حسان لأن مَروانَ بن الحكم ، أخا عبد الرحمن بن الحكم ، كان واليا على المدينة [4] .

في سنة ٤٩ هـ (٦٦٩ م) عزل معاويةُ عن المدينة مروانَ بنَ الحكم لأسبابٍ

---

١ اختل : أظهر العجب والتكبر والاختيال على الناس . الخال : العجب بالنفس .

٢ هبلت : ثكلت (فقدت ابنك — فقدت فتى يعظم الحزن عليه) .

٣ أذرى : سكب (بكى بشدة) . الشهيد الثانية إشارة إلى عثمان بن عفان (جد المرثي) ، وكان عثمان قد قتله الثوار وهو يقرأ القرآن .

٤ تولى مروان بن الحكم على المدينة مرتين : من سنة ٤١ إلى ٤٩ هـ (٦٦١ — ٦٦٩ م) ثم من سنة ٥٦هـ إلى أواخر ٥٧ هـ (٦٧٦ — ٦٧٧ م) ، وكانت تانك المرتان في أيام معاوية بن أبي سفيان .

منها أن مروان بن الحكم لم يكن راضياً عن استلحاق زيادِ بن أبيه ، سنة ٤٤ هـ (٦٦٤ م) ، بنسب بني أميّة [١] ، وكذلك كان عبد الرحمن بن الحكم ، حتّى أن بعضَ كتبِ الأدب تَنْسِبُ هجاءَ معاوية بالابيات التي أوّلُها :

أتغضبُ أن يُقال : أبوك عَفٌّ ، وترْضى أن يُقال : أبوك زانِ ؟

إلى عبدِ الرحمنِ بنِ الحكم [٢] .

ثم ان التهاجيَ لَجَّ بين عبد الرحمن بن الحكم وبين عبد الرحمن بن حسان، وأفحَشَ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه ، فكَتَبَ مُعاويةُ بن أبي سُفيان إلى والي المدينة سَعيدِ بنَ العاص [٣] أن يَجْلِدَ كلَّ واحد منهما مائةَ جَلْدَة . فلم يشأ سعيد بن العاص أن يُقيم هذا الحَدَّ (أن يَجْلِدَ) اثْنَيْنِ أحدُهما من سادة الأمويّين أهلِ مكّةَ والثاني من سادة الخَزْرَجِ في المدينة . وفي سَنَةِ ٥٦ هـ (٦٧٦ – ٦٧٧ م) أعاد معاوية تَوْلِيَةَ مروانَ بنِ الحكم على المدينة فنفّذ أمرَ معاويةَ ، ولكنّه جلَدَ عبدَ الرحمن بنَ حسان مائةَ جلدةٍ ولم يَجْلِد أخاه عبدَ الرحمنَ بنَ الحكم في أول الأمرِ .

جاء في الاغاني (١٣ : ٢٦٣) أن عبدَ الرحمنِ بنَ الحكم بن أبي العاص كان عند يزيدَ بن مُعاويةَ لمّا جيءَ برأسِ الحُسينِ بن عليٍّ من عند عُبيد الله بنِ زياد ، ومعنى هذا أن عبدَ الرحمنِ بنَ الحكم كان لا يزال حيّاً بعدَ وقعةِ كربلاءَ ، في العاشرِ من المُحرّمِ من سَنَةِ ٦١ هـ (١٠–١٠–٦٨٠ م) .

٢ – عبدُ الرحمنِ بنُ الحَكَم « شاعرٌ إسلاميٌّ متوسّطُ الحالِ في شعراءِ زمانهِ » (غ ١٣ : ٢٥٩) ، على أنه كان شهوراً في أيامه ... جاء في كتاب العقد [٤] : « قال معاويةُ (بن أبي سفيان) لعبد الرحمن بن الحكم : يا أخي ، إنّكَ شُهِرْتَ بالشعْر ، فإيّاكَ والتشبيبَ بالنساء فانّك تَعُرُّ [٥] الشريفةَ في

---

١ غ ١٣ : ٢٦١ ، السطر ٩ .

٢ غ ١٣ : ٢٦٥ – ٢٦٦ ؛ الحيوان ٧ : ٢٣٥ ؛ والابيات تنسب إلى يزيد بن مفرغ (راجع ترجمة في يزيد ابن مفرغ ، ص ٤٢٩ ؛ ثم الشعر والشعراء ٢١٢ ؛ الموشح ٢٧٣) .

٣ غ ١٥ : ١١٥ ، ١١٦ . سعيد بن العاص تولى المدينة في ربيع الأول من سنة ٤٩ هـ (نيسان – أبريل ٦٦٩ م) ثم بقي والياً عليها بضع سنوات .

٤ العقد الفريد (بتحقيق محمد سعيد العريان ، الطبعة الثانية) ٦ : ١١٤ .

٥ تسيء الى

قومها والعفيفةَ في نفسها . و (إيّاك) والهجاءَ فإنّك لا تَعْدو [1] أن تُعادي به كريماً أو تَستَثيرَ [2] به لئيماً ؛ ولكنِ افْخَرْ بمآثرِ قَوْمِك ، وقُلْ من الأمثالِ ما تُوَقِّر [3] به نفسَك وتُؤدِّبُ به غيْرَكَ » .

وشعر عبد الرحمن بن الحكم متينُ السبكِ عال النَفَسِ ، وفيه فخرٌ ومديح ورثاء وهجاء ؛ ولقد هاجى عبدَ الرحمن بن حسّان بن ثابت زمناً طويلاً ، وكانت بينهما نقائضُ كثيرةٌ جداً [4] . وله أيضاً نسيب وغزل وخمريات .

٣ - المختار من شعره :

- قال عبد الرحمن بن الحكم في شيء من الحماسة والفخر :

أتَقْطُرُ آفاقُ السماءِ له دماً ... إذا قيل: هذا الطّرْفُ أجْرَدُ سابحُ [5] .
فحتّى متى لا نَرفَعُ العينَ ذِلّةً ؟ ... وحتّى متى تَعْيا علينا المَنادح [6] ؟

- أولِعَ عبد الرحمن بن الحكم بجاريةٍ اسْمُها شنباءُ فقال فيها :

لَعَمْرُ أبي شنباءَ ، إنّي بذِكْرِها ... - وان شَحَطَتْ دارٌ بها - لَحَقيقُ [7] .
وإنّي لها - لا يَنْزِعُ اللهُ ما لها ... عليّ ، وإنْ لم تَرْعَهُ - لَصديق [8] .
ولمّا ذكرتُ الوَصْلَ قالت وأعْرَضَتْ : ... متى أنتَ عن هذا الحديثِ مُفيقُ !

---

١ لا تعدو : لا تزيد على أن ...
٢ تستثير : تثير ، تغضب (بضم التاء) ، تغيظ إنساناً فتحمله على الرد القبيح .
٣ كذا في الأصل ، ولعلها : توقر به نفسك : تجعل به لنفسك وقاراً (احتراماً ومنزلة عند الناس ، لأن القول في الامثال دليل الحكمة والرزانة) .
٤ غ ١٥ : ١١٤ ، السطر الأخير من المتن .
٥ أتقطر آفاق السماء له دماً : أيكون في ذلك سبب للغضب الشديد وللقتال ؟ الطرف : الحصان . أجرد : قليل الشعر (من صفات الحصان الأصيل) . سابح : سريع . - في هذا البيت تعريض بمعاوية لأن فيه إشارة إلى أبيات للنجاشي في هجاء معاوية وتعييره بالهرب (من صفين ؟) على فرس سريع (راجع الشعر والشعراء ١٨٩) .
٦ - إلى متى نخفض عيوننا (خضوعاً) أمام معاوية ، وإلى متى لا نجد في الأرض متسعاً (لماذا نصبر على حكم بني أبي سفيان ولا نثور عليهم لننتزع الملك منهم ؟) .
٧ شحطت : بعدت . اني بذكرها لحقيق : اني مصيب بذكرها والتحبب اليها (لأنها جملية ..) .
٨ لا ينزع الله ما لها (من سلطان الحب علي) وان لم ترعه (وان لم تكافئني على حبي لها وذكري إياها) .

– نظر عبد الرحمن إلى قَتْلى قُريشٍ يوم (معركة) الجمل[1] فبكى ثم أنشأ يقول :

أيا عينُ ، جُودي بدَمْعٍ سَرَبْ ، على فِتْيَةٍ من خِيارِ العَرَبْ[2] .
وما ضَرَّهُمْ غيرُ حَيْنِ النفوسِ ، أيَّ أميرَيْ قُريشٍ غَلَبْ[3] .

– قال عبد الرحمن بن الحكم يرد على عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بعضَ هجائه :

لقد ابقي بنو مَروانَ حُزناً مُبيناً عارُه لبني سَوادِ[4] .
أطافَ به صبيحٌ في مَشيدٍ ونادى دَعْوةً : يا ابنَيْ سُعادِ[5] ،
لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ، ولكنْ لا حياةَ لِمَنْ تُنادي !

– وله في الخمر (الكامل ٧٢ ، البيان والتبيين ٣ : ٣٤٨ – ٣٤٩) :

وكأسٍ تَرى بينَ الإناءِ وبينَها قَذَى العَيْنِ قد نازعتُ أمَّ أبانِ[6] .
تَرى شاربَيْها ، حينَ يَعْتَوِرانِها، يَميلانِ أحياناً ويَعْتَدِلانِ[7] .
فما ظنُّ ذا الواشي بأروعَ ماجدٍ وبَدّاءَ خَوْدٍ حينَ يَلْتَقِيانِ[8] !

٤ – ** الاغاني ١٣ : ٢٥٨ – ٢٦٨ ، ١٥ : ١١١ – ١١٩ .

---

١ راجع ، فوق ، ص ٣٠٨ .

٢ السرب : السائل ، الجاري .

٣ – ان الذي أضر بقريش أن بعضهم يقتل بعضاً ، وأي أمير منهم غلب وانتصر فان في انتصاره خسارة على القبيلة (بما يسقط من أفرادها من القتلى) .

٤ مبين : ظاهر . – المقصود من البيت غير واضح .

٥ مشيد : (قصر ، حصن) مبني بالحجارة . – المقصود من البيت غير واضح .

٦ وكأس (من الخمر) . ترى بين الاناء وبينها قذى العين : لا ترى في هذه الخمر إلا شيئاً قليلا جداً من القذى و (السفل ، الوسخ) كالذي تحتمله العين فقط . نازعت أم أبان : شربت (تلك الخمر) مع أم أبان .

٧ يعتورانها : يتناول (الكأس) هذا مرة وذاك مرة . يميلان أحياناً (تميل بهما الخمر مرة) بالسكر ويعتدلان (يفيقان من سكرهما ، يرجعان إلى حاليهما الطبيعيتين) .

٨ ذا = هذا . الاروع : الشجاع . الماجد : السيد العزيز صاحب النسب . البداء : الضخمة الوسط (بكسر الطاء) ، السمينة ما تحت الخصر . حين يلتقيان (يجتمعان وحدهما) . – في البيت مجون .

معن بن أوس

١ – هو مَعْنُ بن أوْس بن نصر بن زياد من بني ربيعة بن عَدِيّ من بني مُزينة بن أدّ .

وُلِدَ مَعْن بن أوس في أعقاب الجاهلية وبلغ مبلغ الشباب وشَهِدَ فيها أيضاً معاركَ نَشِبَتْ بين بني قومه في الحجاز . ويبدو أنه لما أسلمَ ووفَدَ على عمر بن الخطّاب استقر في المدينة . وكان معن على شيء من اليَسار يَمْلِكُ نَخَلاتٍ في المدينة وشيئاً من الأرضِ في أماكن أخَرَ ، ويملك كثيراً من الابل[١]. وقد حملَته تجارته مرة إلى البصرة وتزوج فيها ، ولكن لم تَطُلْ إقامته هناك .

ولم يخرج معن بن أوس في الفتوح ولكنه اشترك في الفِتنة بين عثمان وعليّ ، وكان يتكسّب بمديح نفر من الصّحابة في مكّة والمدينة .

وأسنّ معن بن أوس كثيراً وعَمِيَ في شيخوخته ثم تُوُفّيَ في سنة ٦٤ هـ (٦٨٤ م) ، في أول الفِتنة بين عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم .

٢ – معن بن أوس شاعر مُجيد مَتين الكلام حَسَنُ الديباجة فخم المعاني له مدائحُ ومراثٍ وأهاجٍ وأبيات في الحكمة جميلة .

٣ – المختار من شعره :

– روى أبو تمّام لمعن بن أوس هذه الأبيات في باب الأدب من كتاب الحماسة :

وإني أخوك الدائمُ العهدِ لم أخُنْ ... إنِ ابْزاكَ خَصْمٌ أو نبا بِكَ منزلُ[٢] .
أحاربُ من حاربتَ من ذي عَداوة ، ... وأحْبِسُ مالي ، ان غَرِمْتَ ، فأعْقِلُ[٣] .
وإنْ سُؤتَني يوماً صَفَحْتُ إلى غَـدٍ ... لِيُعْقِبَ يوماً منك آخرُ مُقْبِلُ[٤] .

---

١ البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، الحاشية ٥ .
٢ بزأ ، يبزو : قهر ، بطش به . نبا بك منزل : كرهك الناس .
٣ – أقاتل معك أعداءك ، وأحتفظ بقسم من مالي لك حتى أني به دينك ، أو أدفع منه دية من تلزمك ديته .
٤ – ان سؤتني يوماً فأنا أنتظر يوماً آخر سيأتي وستسر ني فيه .

وإني على أشياءَ منك تَريبُنــي ... قديماً لَذو صَفْحٍ على ذاك مُجْمِلُ [1] .
ستَقْطَعُ في الدنيا ، إذا ما قَطَعْتَني ، ... يَمينَك فانْظُرْ أيَّ كفٍ تَبَدَّل [2] .
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظِنَّتــي ... وبَدَّل سُوءاً بالذي كنتُ أفعل [3] ،
قَلَبْتُ له ظَهرَ المِجَنِّ فلم أدُمْ ... على ذاك الاّ رَيْثَما أتحَوّل [4] .
إذا انصَرَفَتْ نفسي عن الأمرِ لم تَكُنْ ... إليه بوجهٍ ، آخرَ الدهرِ ، تُقْبِل !

— كان معن بن أوس مِئْناثاً (لا يُولدُ له إلاّ بناتٌ) فكان يُحْسِنُ صُحبةَ بناتهِ وتَربيتَهن . فوُلِدَ لرجلٍ من عشيرته بنتٌ فأظهرَ الكُرهَ لها ، فقال معن :

رأيتُ أناساً يكرهون بناتِهِــمْ ... وفيهنّ – لا تَكْذِبْ – نساءٌ صوالحُ .
وفيهنّ ، والأيامُ تَعْثُرُ بالفتى ، ... نوادبُ لا يَمْلَلْنَهُ ونوائــح [5] .

— وله قِطعة في العِتاب والأدب منها البيتان المشهوران التاليان :

أعَلِّمُه الرمايةَ كلَّ يومٍ ، ... فلمّا اسْتَدّ ساعدُهُ رماني [6] .
وكم علّمته نَظم القوافي ، ... فلما قال قافيةً هَجاني !

— ومما يُستجاد من الشعر لمعن بن أوس المُزني (ديوان المعاني لابي هلال العسكري ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٢ هـ ، ١ : ٥٣ ؛ راجع الامالي ٢ : ١٠٥) :

وذي رَحِمٍ قَلَّمتُ أظفارَ ضِغْنهِ ... بحِلْمِيَ عنه ، وهو ليس له حِلْمُ [7] .
إذا سِمته وصلَ القَرابــة سامَني ... قطيعتَها ؛ تلك السفاهةُ والظُلم .
وأسعى لكي أبني ، ويَهْدُمُ صالحي ؛ ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم .

---

١ أشياء منك تريبني : تجعلني أشك في وفائك . مجمل : معاملك بلطف واحسان .
٢ .... – هل تجد خيراً مني إذا هجرتني ؟
٣ – ٤ إذا أراد صديق لي اتهامي ، أو إذا جازاني بالسوء على (الخير) الذي فعلته معه أبديت له عداوتي ثم هجرته ونسيته .
٥ – مصيبات الزمان كثيرة ، والبنات أكثر شفقة على والدهن (من أبنائه) .
٦ الرماية : اصابة الهدف بالنبال . استد ساعده : أصبح يصيب الهدف ولا يخطئ .
٧ ذو الرحم : ذو القرابة . قلمت أظفار ضغنه : أبطلت نتائج حقده علي .

يُحاول رُغمي لا يُحاول غيرَه ، وكالموت عندي أن يُنال له رغم [1] .
فإن أنْتَصِرْ منه أكنْ مثلَ رائشٍ سِهامَ عدوٍّ يُستهاض بها العظم [2] .
فبادرَ منّي النأيُ ؛ والمرءُ قـادرٌ على سهمهِ ما دام في كفّهِ السهم [3] .
فان أعْفُ عنه أغْضِ جَفناً على القذى ، وليس له بالصفح عن ذنبه علم [4] .
حَفِظْتُ الذي قد كان بيني وبينه ، وهل يستوي حربُ الأقارب والسِلم ؟
فما زِلت في لِينٍ لـه وتَعَطّـفٍ عليه ، كما تحنو على الولَدِ الأمّ ،
لأَستَلَّ منه الضِغْن حتّى استَلَلْتُه ، وان كان ذا ضغن يَضيق به الحَزم !

— ومن قول معن بن أوس في الاخلاق الكريمة (الصناعتين ٥٥) :

لَعَمْرُكَ ، ما أهْوَيْتُ كفّي لِرِيبةٍ ، ولا حملَتْني نحوَ فاحشةٍ رِجْلي [5] ،
ولا قادني سَمْعي ولا بَصَري لها ، ولا دَلّني رأيي عليها ولا عقلي .
وأعْلَمُ أنّي لم تُصِبْني مُصيبةٌ — من الدهرِ — إلاّ قد أصابتْ فتىً قبلي !
ولستُ بماشٍ — ما حَيِيتُ — لِمُنْكَرٍ من الأمر لا يمشي إلى مِثْلهِ مثلي ،
ولا مُؤْثراً نفسي على ذي قَرابةٍ . وأُوثِرُ ضيفي — ما أقامَ — على أهلي [6] .

٤ — شعر معن بن أوس المزني ، رواية أبي اسماعيل بن القاسم البغدادي ومعه ترجمة باللغة الالمانية (P. Schwartz) ، ليبزغ ١٩٠٣ .

---

١ يحاول رغمي : اكراهي واجباري (على ما لا أريد) .
٢ إذا انتصرت عليه (انتصفت منه ، عـاملته كما عاملني ، حاولت رغمه) كنت كمثل الرجل الذي يعد لعدوه سهاماً ثم يعطيه إياها (إذا أسأت اليه كنت كمن يسيء إلى نفسه) . يستهاض بها العظم ؛ يكسر بها العظم (تعظم فيه الاساءة) .
٣ فبادر مني النأي : فبدأت أنا بالنأي (بالابتعاد ، تركت الانتقام منه) . والمرء قادر الخ : مـا دام السهم لا يزال في يدك فأنت قادر على أن تطلقه متى شئت . (ما دمت لم تعمل عملا ما ، فأنت بالخيار تستطيع أن تعمله في المستقبل أو لا تعمله) .
٤ — مع أنني إذا عفوت عن سيئاته فانني أغضي (أطبق) جفني على القذى (على وسخ العين الذي هو نتيجة مرض الرمد ، على الأذى) : أصبر على أذاه مع أن ذلك يؤلم نفسي .
٥ ما أهويت كفي (ما قصدت ، ما أسرعت ، ما اتجهت) لريبة (لعمل يشك الناس عادة في صلاحه ، يثير الظن السيء) . الفاحشة : العمل القبيح .
٦ آثر : فضل .

ديوان معن بن أوس (مصطفى كمال) ، القاهرة ١٩٢٧ م .

** غ ١٢ : ٥٣ – ٦٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٢ ؛ زيدان ١ : ١٨٤ .

المقنّع الكنديّ

١ – هو محمد بن ظَفَرِ بن عُمير بن أبي شَمِرٍ من بني كِندةَ من عرب الجَنوب . ولُقِّبَ « المُقَنَّعَ » ، لأنه كان طولَ الدهر مقنّعاً (البيان والتبيين ٣ : ١٠٢) ، إذ كان « أحسنَ الناس وجهاً وأمدّهم قامة [١] وأكملَهم خَلْقاً ، فكان إذا سَفَرَ (كشف عن وجهه) لُقِعَ – أي أصابته أعين الناس – فيَمرَض ويَلْحقُه عَنَتٌ (أذىً وضررٌ) ، فكان لا يمشي إلاّ مقنّعاً [٢] .

نشأ المقنّعُ الكِنديّ في بيت وجاهة وسيادة ، ولكنه كان متخرّقاً في عطاياه (كثيرَ السخاء) سَمْحَ اليَدِ بماله لا يَرُدّ سائلاً عن شيء حتّى أتلف كلّ ما خلّفه أبوه من مال ، فاستعلاه بنو عمّه (أصبحوا أعلى منه وفوقه) بأموالهم وجاههم . ثم ان المقنّع أحبّ ابنة عمّه (بنت عمرو بن أبي شَمِرٍ) فخطبها من إخوتها فرفضوا أن يزوّجوه إياها وعيّروه بفقْره وإسرافه وبالدّيون الـتي كانت عليه .

ولا نعلم من زمن المقنّع الكِندي إلا أنه كان من شعراء الدولة الأموية [٣] وأنه كان ينظم الشعر قبل أيام عبد الملك بن مروان . ولعلّه أدرك عبد الملك .

٢ – المقنّع الكنديّ شاعر مقلّ محسن مجيد فصيح اللفظ متين السبك ، فنونه الحماسة والفخر والغزل والحكمة .

٣ – المختار من شعره :

– اختار أبو تمّام في بابِ الأدب من ديوان الحماسة أبياتاً للمقنّع الكندي :

يُعاتِبُني في الدَّيْنِ قومي ، وإنما دُيونِيَ في أشياءَ تُكْسِبُهُم حَمْدا :

١ مديد القامة : طويل .

٢ غ (الساسي) ١٥ : ١٥١ ؛ راجع الشعر والشعراء ٤٦٢ – ٤٦٣ .

٣ غ ١٥ : ١٥١ ، السطر ١١ .

أَسُدُّ به ما قد أخلّوا وضيّعوا ثُغورَ حُقوقٍ ما أطاقوا لها سَدّا [1] ،
وفي جَفْنَةٍ ما يُغلَقُ البابُ دونَها مُكَلَّلَةٍ لحماً مُدَفَّقَةٍ ثَرْدا [2] ،
وفي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتيقٍ جعلتُه حِجاباً لبيتي ثمّ أخدَمْتُه عبدا [3] .
وإنّ الذي بيني وبينَ بني أبي وبينَ بني عمّي لَمُخْتَلِفٌ جِداً [4] :
فان أكلوا لحمي وَفَرْتُ لُحومَهم ، وان هدموا مجدي بَنَيْتُ لهم مجدا ؛
وان ضيّعوا غَيْبي حَفِظْتُ غيوبهم ، وان هُمْ هَوَوْا غَيّي هَوِيتُ لهم رشدا [5] ؛
وان زَجروا طيراً بِنَحْسٍ تَمُرّ بي زَجَرْتُ لهم طيراً تَمُرّ بهم سَعدا [6] .
ولا أحْمِلُ الحِقْدَ القديمَ عَلَيْهِمُ ، وليس رئيسَ القومِ مَنْ يَحْمِلُ الحقدا.
لهم جُلّ مالي إنْ تتابعَ لي غِنىً ، وان قَلّ مالي لم أُكَلِّفْهُمُ رِفْدا [7].
وإنّي لَعَبْدُ الضيفِ ما دام نازلاً ، وما شيمةٌ لي غيرُها تُشْبِهُ العَبْدا [8] .

— وفي ديوان الحماسة أيضاً [9] أبيات للمقنّع الكندي في المشيب :

نَزَلَ المشيبُ — فأينَ تذهبُ بعدَه ؟ — وقد ارْعَوَيْتَ وحان منك رَحيلُ [9] .

---

١ أخل بمكانه من الثغر : ترك أو أهمل الدفاع عن الموقع الحربي الذي عهد (بضم العين وكسر الهاء) به اليه . ضيع الثغر : انهزم منه فاستولى عليه العدو . — ضيع بعض قومي ببخلهم أو بفقرهم عدداً من حقوق القبيلة أو أوشكوا أن يضيعوها فاضطررت أنا إلى أن أستدين (راجع البيت السابق) حتّى أحافظ عليها . ما أطاقوا لها سداً : ما استطاعوا هم أن يحافظوا عليها .

٢ — (واستدنت المال أيضاً) حتّى أطبخ في جفنة (وعاء واسع) تملأ البيت حتى لا نستطيع اغلاق بابه ، وحتّى أملأ هذه الجفنة باللحم والثرد (الخبز) .

٣ نهد : عال . عتيق : أصيل ، كريم ، جيد . جعلته حجاباً لبيتي : اتخذته في سبيل الدفاع عن بيتي (بيت قومي ، قبيلتي) .

٤ — ولكن معاملتي لبني أبي (إخوتي) وبني عمي مختلفة جداً من معاملتهم لي .

٥ أكلوا لحمي : اغتابوني ، قالوا عليّ سوءاً وقولا قبيحاً .

٦ ضيعوا غيبي : ذموني وأنا غير حاضر ؛ أو سمعوا أحداً يذكرني بسوء فلم يدافعوا عني . هوى (بفتح الهاء وكسر الواو) يهوى (بفتح الياء والواو) : أحب . الغي : الضلال والخسران ، الضرر . الرشد : الهداية والنجاح والنفع .

٧ زجروا طيراً بنحس تمر بي : تمنوا (بفتح النون المشددة) لي الشر .

٨ — ما دمت غنياً فأنا أعطيهم من مالي ، وان افتقرت يوماً لم أطلب منهم رفداً (عطاء ، مالا) .

٩ الطبعة الثانية (مكتبة علي صبيح) مصر ١٣٣٥ هـ . ص ٢ : ٣٢٠ — ٣٢١ .

٩ أين تذهب بعدها ؟ : كيف تستطيع أن تعمل في أيام المشيب (بعد الشباب) ما كنت تفعله في أيام الشباب . ارعوى : رجع ، انصرف (تراجعت قواك وضعفت وتأخرت) . رحيل : ذهاب (من الدنيا ، موت) .

كان الشبابُ خفيفةً أيامُـه ، والشيب مَحْمَلُه علَيّ ثقيـل .
ليس العطاء من الفُضولِ سماحةً حتّى تجودَ وما لَدَيْكَ قليل [1] .

– وله في معنى الكرم أبيات في الاغاني (١٥ : ١٥١) :

إنّي أحَرِّضُ أهلَ البُخْلِ كُلَّهُمُ ، لو كان ينفعُ أهلَ البخلِ تَحْريضي [2] .
ما قلّ ماليَ إلاّ زادني كَرَماً حتّى يكونَ بِرِزْقِ الله تَعْويضي [3] .
والمال ينفعُ مَنْ لولا دراهمُه أمسى يُقَلِّبُ فينا طَرْفَ مخفوضِ [4] .
لن تَخْرُجَ البيضُ عَفْواً من أكُفِّهِمُ إلاّ على وَجَعٍ منهم وتَمْريض [5] ،
كأنها من جُلود الباخلين بها عندَ النوائب تُحْذَى بالمَقاريض [6] !

– وللمقنّع الكندي في الغزل (الشعر والشعراء ٤٦٣) :

وفي الظعائنِ والأحْداجِ أحسنُ مَنْ حلّ العراقَ وحلّ الشام واليَمَنا [7] ،
جِنّيّةٌ من نساء الإنسِ أحسنُ مِن شمسِ النهار وبدر الليل لو قُرِنا [8] .

---

١ الفضول جمع فضل : ما يفضل (يبقى) عند الانسان بعد أن يستوفي حاجته . السماحة : الكرم والبذل والعطاء . وما لديك : الذي عندك .
٢ – أنا أريد أن أحث البخلاء (على أن يكونوا كرماء) ، مع علمي بأن حثي لهم لن يؤثر فيهم (لن يصبحوا كرماء) .
٣ (أريد أن أقنعهم بقولي :) كلما قل مالي ازددت كرماً وزاد اعطائي ، وكان الله دائماً يعوضني بمال أكثر من الذي كنت أنفقته .
٤ – إن المال المجموع والمدخر ينفع الذين لا يحترمهم الناس إلا لمالهم المجموع . أمسى يقلب فينا طرف مخفوض : يتطلع الينا بطرف (نظر) مخفوض : ذليل . طرف مخفوض : طرف (رجل) مخفوض .
٥ البيض : الدراهم (لأنها تكون من فضة) – كناية عن قلة المال الذي ينفقونه . لا تخرج هذه الدراهم عفواً من أكفهم : لا ينفقونها (حتى على حاجاتهم) بارادتهم . إلا على وجع : ألم ، ولذلك يحتاجون إلى التمريض (العناية والمؤاساة) وإلى الاقناع الجميل للتخفيف من آلامهم .
٦ – انهم يتألمون وهم ينفقون كأنما الدراهم قطع من جلودهم تحذى (تقص ، تقطع) بالمقاريض (جمع مقراض : مقص) .
٧ الظعائن : النساء المسافرات (المتنقلات على ظهور الإبل). الاحداج جمع حدج (بكسر الحاء المهملة وسكون الدال المهملة) : الهودج أو مركب النساء على الابل . حل : سكن .
٨ أحسن من الشمس والقمر معاً .

– وله في الأدب أو الحكمة (الشعر والشعراء ٤٦٣) :

وصاحبُ السوءِ كالداء العَيـاءِ إذا   مَا ارْفَضَّ في الجِلدِ يجْري هاهُنا وهُنا[1].
يُبدي ويُخبرُ عن عَوْراتِ صاحبهِ ،   وما يرى عنده من صالح دَفَنا .
إن يَحْيَ ذاك فكن عنه بِمَعْزِلَةٍ ،   أو مات ذاكَ فلا تَشْهَدْ له جَنَنَا [2] .

٤ – ٥٥ الاغاني (الساسي) ١٥ : ١٥١ ، الصفحات الباقية من ترجمتـه (١٥٢ – ١٥٣) هي استطراد إلى أخبار اسحق الموصلي ؛ زيدان ١ : ٣٤٨ .

قيس بن ذريح

١ – هو قيس بن ذَريح من بني بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة ؛ وأمّه بنت سُنّة بن الذاهل بن عامر الخُزاعي . وكان قيس بن ذريح أخا الحسين بن علي بن أبي طالب من الرَضاعة ، فان أم قيس أرضعت الحسين رضي الله عنه .

نشأ قيس بن ذريح في المدينة ، وفيها رأى لُبنى بنت الحُباب الكعبيّة فأحبها وأحبّته وأراد الزواج بها فدافعه أبوه عن ذلك : كان قيس وحيداً لأبويه ، وكان أبوه غنيّاً جداً ، فأراد أن يتزوّج ابنُه احدى بنات عمّه حتى لا تذهبَ الثروة إلى أسرة غريبة . فاستشفع قيس أخاه من الرضاعة الحسين بن علي فمشى الحسين في أمره وطلب ، بما له من الوَجاهة الدينية والاجتماعية ، من والد قيس ووالد لبنى أن يجمعا بين الحبيبَيْنِ بالزواج فلم يستطيعا مخالفته .

وعاش قيس ولُبنى في سعادة ، ولكن لم يرزقا أولاداً . فأكْرَهَ ذَريحٌ ابنه قيساً على طلاق لُبنى فأسرع ذلك في عقله وجعل يَهِيم على وجهه . غير أنه كان يُلِمّ ببيتها حيناً بعد حين ، فشكا الحباب ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان ، فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم والي المدينة (٤٩ – ٥٦ هـ) بأن يهدد قيساً

---

[1] الداء العياء : المرض الذي يعيي الاطباء (مفعول به منصوب) شفاؤه . ارفض : تفرق (أعدى سائر الجلد) .

[2] إذا كان صاحب السوء (الرجل الشرير) حياً فكن عنه بمعزل (اعتزله، لا تصاحبه)، وان مات فلا تشهد له جنناً (قبراً) لا تحضر جنازته .

ويَرْدَعَه عن زيارة لبنى ، ثم كتب إلى الحُباب بأن يزوّج لبنى بخالد بن حِلِّزة الغَطَفاني .

وتطاولَ بعدَ ذلك شقاءُ العاشقَيْنِ فماتت لُبنى ثم مات قيسٌ وشيكاً بعدَها ، نحوَ سنَةِ ٦٨ هـ (٦٨٧ م) أو بعدَ ذلك بقليلٍ ، وقد دُفِنَ إلى جانبها .

٢ — كان قيسُ بن ذَريحٍ من عُشاقِ العربِ المشهورين ، وكان مُعْظَمُ شعرِه في لُبْنى . وشعرُه جميلُ المعاني سهلُ التركيبِ متينُ السبكِ ، وأكثرُه مقطّعاتٌ ، وقد تطول قصائده . وأطولُ قصيدةٍ لقيس بن ذريح تبلغ اثنينِ وخمسينَ بيتاً ، مطلَعُها (الامالي ٢ : ٣١٨ وما بعدها) :

عفا سَرِفٌ من أهله فسُراوعُ فجَنْبا أريك فالتِّلاعُ الدوافعُ .

ويبدو أن الاشعارَ التي رواها الاصفهانيّ لقيسِ بن ذريحٍ (الاغاني ٩ : ١٧٨ — ٢٢٠) قد قيل بعضُها قبل طلاق لُبنى وبعضُها بعد طلاق لُبْنى . ولا يَبْعُدُ أن يكونَ في هذه الاشعار أشياءُ مَنْحولةٌ .

وكان قيس بن المُلوّحِ (مجنونُ ليلى) يُعْجَبُ بشعرِ قيسِ بن ذريحٍ ويُفيقُ من ذهولِهِ إذا سمِعَ أحداً يُنْشِدُه .

٣ — المختار من شعره :

— قال قيس بن ذريح لما تزوّجت لُبْنى خالد بن حِلِّزة وسارت معه إلى حيّه :

إلى الله أشكو فَقْدَ لُبْنى كما شكا إلى الله فَقْدَ الوالدَيْنِ يتيمُ :
يتيمٌ جَفاه الأقربونَ ، فجِسْمُه نحيلٌ وعهدُ الوالدين قديم [١] .
بكت دارُهم من نأيِهم فتهلّلَتْ دموعي ، فأيَّ الجازعَيْنِ ألوم [٢] ؟
أمُسْتَعْبِراً يبكي من الشوق والهوى أمَ آخَرَ يبكي شَجْوَهُ ويَهيم [٣] ؟

---

١ وعهد الوالدين قديم : طاعة الوالدين حق قديم لهم على أولادهم (؟) .
٢ النأي : البعد . تهلل المطر والدمع : سقط ، انهمر . الجازع : الحزين الذي لا يقوى على الصبر .
٣ المستعبر : الباكي . الشجو : الحزن . يهيم : يسير على غير هدى .

تَهَيَّضَني من حبّ لبنى عَلائقٌ وأصناف حبّ هَوْلُهن عظيم [1] .
ومَنْ يتعلّقْ حبَّ لُبْنى فؤادُه يَمُتْ أو يَعِشْ ما عاش وهو كَلِيم [2] .
فانّي ، وان أجمعتُ عنكِ تَجَلّداً، على العهْد فيما بينَنا لَمُقيم !

— وقال بعد أن فارق لُبنى وهدده معاويةُ بِهَدْرِ دمه إنْ هو تعرّض لها :

فإن يَحْجُبوها أو يَحُلْ دونَ وَصْلِها مَقالةُ واشٍ أو وعيدُ أميرِ ،
فلَنْ يمنعوا عَيْنَيَّ عن دائم البُكا ولن يُذهبوا ما قد أجَنّ ضميري .
إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ومن حُرَقٍ تَعْتادُني وزَفير [3] ،
ومِنْ حُرَقٍ للحبّ في باطن الحشى ، وليلٍ طويل الحُزن غير قصير .
سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ بكاءَ حزين في الوَثاق أسير .
وكنّا جميعاً قبل أن يَظْهر الهوى بأنْعَمِ حالَيْ غِبْطةٍ وسرورِ .
فما بَرِحَ الواشون حتّى بَدَتْ لهم بطونُ الهوى مقلوبةً لِظُهور .
لقد كنتِ حَسْبَ النفسِ لو دام وصلُنا ؛ ولكنّما الدنيا متاعُ غُرور !

— ولمّا اضْطُرّ قيسُ بن ذريح إلى تطليق امرأتِه (راجع البيت الثاني) ، قال (الامالي ١ : ١٩٠) :

هَبيني امرأً — إنْ تُحْسِنِي فهو شاكرٌ لذاكَ ، وان لم تُحْسني فهو صافحُ .
وان يكُ أقوامٌ أساءوا فأهْجَروا ، فإنّ الذي بيني وبينَكِ صالح [4] .
ومهما يكنْ فالقلبُ ، يا لُبْنَ ، ناشرٌ عليك الهوى ؛ والجَيْبُ ما عِشْتُ ناصح [5] .
وانّكَ من لُبنى ، العشيّةَ ، رائحٌ مريضُ الذي تُطْوى عليه الجوانح [6] .

---

١ تهيض : انكسر . تهيضني : زاد في حزني(؟). تهيض الغرام فلاناً : عاوده (المعجم الوسيط ٢ : ١٠١٤).
٢ كليم : مجروح (القلب) .
٣ اعتاده الامر : عاد اليه مرة بعد مرة . الزفير : النفس الحار الذي يصعده الانسان .
٤ في هذا البيت إشارة إلى والده الذي أجبره على طلاق لبنى . أهجروا : حملوني على أن أهجر (لبنى) .
٥ الجيب : مكان العنق من الثوب . ما عشت : طول حياتي الباقية . ناصح : أمين . رجل ناصح الجيب : لا غش فيه (القاموس ١ : ٢٥٢) . — لن أتزوج غيرك ما حييت ولن أحب امرأة أخرى.
٦ الذي تطوى عليه الجوانح (جمع جانحة : الضلع) : القلب (لعل « مريض » بفتح الضاد) .

٤ – قيس ولبنى : شعر ودراسة (جمع وتحقيق حسين نصار) ، مصر (مكتبة مصر) ، الطبعة الثانية ١٩٦٣ م .

•• قيس ولبنى ، تأليف عبد المجيد الدسوقي ، بيروت ١٩٤٨ م .

الاغاني ٩ : ١٨٠ – ٢٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٤٣ ، الملحق ١ : ٨١ ؛ زيدان ١ : ٣٣٦ – ٣٣٨ .

يزيد بن مفرّغ الحميري

١ – يزيد بن مُفَرِّغ [١] الحِمْيَري ، وَاسْمُهُ في النسب يزيد بن ربيعة ، كان رجلاً من بني يَحْصُبَ من اليمن (عرب الجنوب) ؛ ويبدو أنه كان عبداً للضحّاك بن عبد الأعلى الهِلالي فأنْعَمَ عليه [٢] بالعِتق .

كان ابن مفرّغ في أول أمره منقطعاً إلى آل زِياد بن أبيه يمدحهم ثم انقلب عليهم وأخذ يهجوهم . وسبب ذلك ، فيما يبدو ، أن ابن مفرّغ لم يكن خالص الودّ لهم فكان يهجوهم سراً ، فعلموا ذلك منه فحقدوا عليه فانقلب هو عليهم وأخذ يهجوهم عَلَناً .

لمّا وَلِيَ سعيد بن عثمان بن عفّان خراسان (سنة ٥٦ هـ) اصطحب يزيد ابن مفرّغ ، ولكنّ يزيدَ آثرَ عبّاد بن زياد بن أبيه ، وكان على سِجستان ، ثم انه لم يَحْمَدْهُ أيضاً فهجاه وعاد إلى البصرة . وكان عُبيد الله بن زِياد أخو عبّاد بن زياد والياً على البصرة من قِبَلِ مُعاوية بن أبي سفيان ، منذ سنة ٤٥هـ (٦٦٥ م) فأخذه وحبسه ثم استأذن معاوية في قتله ، فلم يأذن معاوية [٣] لعبيد الله بالقتل وأذن له بالتعذيب ، فعذّبه ثم سقاه التُرْبُذ [٤] في النبيذ حتى مَشَتْ بطنُه وهو محمول على بعير يُطاف به في أسواق البصرة . فكان الناس يَتْبعونه صائحين به : « إينْ جيسْتْ ؟ » فيردّ عليهم :

---

١ سمي والد يزيد « مفرغاً لأنه شرب سقاءين ففرغهما » (الكامل ٢١١) ، وقيل بل « لإنه خاطر على شرب سقاء لبن فشربه حتى أتى عليه » (الشعر والشعراء ٢٠٩) .

٢ الشعر والشعراء ٢٠٩ .

٣ في ابن خلكان أن هذه الحادثة كانت في أيام يزيد (٣ : ٣١٣) .

٤ التربذ (بضم فسكون فضم) ؟

آبستَ نبيذ ست ، عصارات زبيبست ، سميّة روسفيذست [1] .

ولمّا فرغ عبيد الله بن زياد من تعذيب يزيد بن مفرّغ على هذا الوجه دس اليه الغُرماءَ يقتضونه ديونَهم عنده . وعَجَزَ ابن مفرّغ عن وفاء ديونه فأمر عبيدُ الله ببيع جميع ما عند ابن مفرّغ لوفاء تلك الديون ، فباع عليه كل ما يَمْلِكُ حتّى غُلاماً له اسمه بُرْدٌ كان قد ربّاه وصار عنده بمنزلة وَلَدِه ، كما باع عليه في وفاء تلك الديون جارية اسمها الأراكة . بعدئذ ردّ عبيدُ الله ابنَ مفرّغ إلى عبّاد في سجستان فحبسه عبّاد .

وتوفّي يزيد بن مفرّغ الحميري سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) .

٢ – كان يزيد بن مفرّغ الحميري شاعراً محسناً فصيح الألفاظ سهل التراكيب بجيد القول في الغزل والحماسة ، ولكنّ الهجاء غلب عليه ، وقد كان هجّاء خبيثاً شريراً قال معظم هجائه في آل زياد بن أبيه .

٣ – المختار من شعره :

– لمّا باع عبيد الله بن زياد كلّ ما يملك يزيد بن مفرّغ حتّى غلامه بُرْداً وجاريته الأراكة – وقيل : بل الذي فعل ذلك عبّاد بن زياد أخو عبيد الله (طبقات الشعراء للجمحي ١٤٣) – قال ابن مفرّغ قصيدة مطلعها :

أصَرَمْتَ حبلَكَ من أمامَـهْ ... من بَعْدِ أيامٍ بِرامَهْ ؟

وقد جاء في هذه القصيدة :

لَهْفي على الأمرِ الـذي ... كانت عواقبه نَدامَهْ :
تَرْكي سعيداً ذا النّدى ؛ ... والبيتُ ترفعه الدعامه [2] ،

---

١ البيان والتبيين ١ : ١٤٣ ؛ الشعر والشعراء ٢١٠ . – « اين جيست (بكسر الهمزة والجيم وسكون السين والتاء) » (فارسي) : هذا ما هو ؟ ومعنى القول : آبست ..... : الماء الذي أسقاه (بضم الهمزة) نبيذ من عصارة الزبيب (كما أن) سمية (والدة زياد بن أبيه) بيضاء الوجه (مشهورة ....) . كان نفر من الشعراء في العصر العباسي يتملحون بادخال الكلمات الأعجمية في أشعارهم (راجع البيان والتبيين ١ : ١٤١ ، ١٤٣) .

٢ سعيد : سعيد بن عثمان بن عفان . والبيت ترفعه الدعامة (كناية عن سعيد أنه عظيم القدر والقيمة في العرب كالدعامة في الخيمة ، والدعامة هي العمود الذي تنصب عليه الخيمة) .

وتَبِعْتُ عبدَ بني عِلاجٍ ، تلك أشراطُ القيامه [1] !
جاءت به حبشيّةٌ شكّاء تَحْسَبُها نَعامه [2] ،
من نِسْوةٍ سُودِ الوجوهِ ترى عليهنّ الدّمامه .
وشَرَيْتُ بُرْداً ؛ ليتني من بعد بردٍ كنتُ هامه [3] ،
أو بومةً تدعو الصدى بين المُشَقَّرِ واليَمامه [4] .
العبدُ يُقْرَعُ بالعصا ، والحُرّ تكفيه المَلامه !

—وليزيد بن مفرّغ أبيات وجدانية في بيع برد والأراكة :

يا بُردُ ، ما مَسّنا دهرٌ أضرّ بنا من قبلِ هذا ولا بِعْنا له وَلَدا .
أمّا الأراكُ فكانت من مَحارِمِنا عَيْشاً لذيذاً وكانت جنّةً رَغَدا .
لولا الدّعِيُّ [5] ،ولولا ما تَعرّضَ لي من الحوادث ، ما فارقتُها أبدا .

— ولابن مفرّغ بيت مشهور في عبّاد بن زياد ، وكان لعبّاد لحية كبيرة :

ألا ليتَ اللِحى كانت حشيشاً فنَعْلِفَها خيولَ المسلمينا !

— وقد تعرّض ابن مفرّغ أيضاً بالهجاء لمعاوية بن أبي سفيان في شأن استلحاق زياد بنسبه [6] :

ألا أبْلِغْ معاويةَ بن حرب مُغَلْغَلَةً من الرجل اليماني [7] :
أتَغْضَبُ أن يُقال : أبوك عفّ ، وترضى أن يُقال : أبوك زان ؟

---

١ عبد بني علاج (إشارة إلى عبيد الله بن زياد أو إلى أخيه عباد) . بنو علاج بطن من العرب (والاشارة غير واضحة عندي) . أشراط القيامة : شروطها وعلاماتها (كناية عن قرب القيامة وانتهاء العالم ، لأن الادعياء اصبحوا ولاة) .

٢ شكاء (كذا في الأصل) ولعلها سكاء : أذنها صغيرة لاصقة بخدها .

٣ شرى : باع . ليتني .... كنت هامة : يا ليتني مت .

٤ — أو بومة تنوح على ميت في صحراء واسعة . المشقر حصن في اليمامة . واليمامة مقاطعة في شرقي شبه جزيرة العرب .

٥ الدعي : ابن الدعي — ان زياد بن أبيه (والد عبيد الله) كان مجهول النسب فألحقه معاوية بنسبه . (راجع فوق ، ص ٣٨٧) ، فزياد اذن دعي في آل أبي سفيان وليس منهم على الحقيقة .

٦ راجع فوق ، ص ٤١٥

٧ مغلغلة : رسالة . من الرجل اليماني : من يزيد بن مفرغ لأن نسبه كان إلى اليمن .

وأشْهَدَ أن إلّكَ مـن زِيـاد   كإلِّ الفيل من وَلَدِ الأتان [1] .
وأشهد أنها حملت زيـاداً   وصخر من سُمَيّة غيرُ دان [2] .

٤ — ** الاغاني ١٧ : ٥١–٧٣ ؛ بروكلمان ١ : ٥٧ ، الملحق ١ : ٩٢ ؛ زيدان ١ : ٢٧٩ — ٢٨٠ .

الاقيشر الاسديّ

١ — هو أبو مُعْرِضٍ المُغيرةُ بن عبدِ الله بن مُعْرِضِ بن عمرٍو بن أسد ابن خُزيمة بن مُدْرِكَةَ ، لقّب بالاقيشر لأنه كان أحمر الوجه شديد الحمرة ؛ إلا أنه كان يكره هذا اللقب [3] . وكان الاقيشر خليعاً ماجناً من أهل الكوفة ، مُدمِناً لشرب الخمر ، فاسد الخُلُق والدين ؛ إلا أنه كان قَنوعاً في التكسب بشعره .

وعُمّرَ الاقيشر دهراً طويلاً : وُلِدَ في الجاهلية ، كما يروى الاصفهاني (غ ١١ : ٢٥١) ثم أدرك عبد الملك ووفَدَ عليه [4] .

٢ — الأقَيْشرُ الأسَديّ شاعر وُجْدانيّ تَقْرُبُ خصائصُه من الخصائص المُحْدَثة العبّاسية ، وخصوصاً في الخمر . وشعر الاقيشر فصيح سَهْلٌ عَذْب ، ولكنّ فيه ألفاظاً مولّدةً ولحناً أحياناً . وللأقيشر مديح وهجاء فاحش ومُجون . غيرَ أنّ معظم شعره في الخمر .

٣ — المختار من شعره :

— للاقيشر خمرية عليها نفس محدث (غ ١١ : ٢٦٠) :

ومُقْعَدِ قومٍ قد مشى من شَرابنا ،   وأعمَى سَقَيناه ثلاثاً فأبصرا :

---

١ الال : القرابة . الاتان : الحمارة — يقول : الصلة في النسب بينك وبين زياد كالصلة بين الفيل والحمار .

٢ صخر : إشارة إلى أبي سفيان بن حرب بن صخر .

٣ الشعر والشعراء ٣٥٢ .

٤ مثله ٢٤٣ — ٢٤٤ .

٥ المقعد : العاجز عن السير على قدميه . قد مشى من شرابنا : لما شرب من شرابنا (خمراً) . ثلاثاً : ثلاث كؤوس .

شَراباً كريحِ العَنْبرِ الوَرْدِ ريحُــه ومسحوقِ هنديٍّ من المِسك أذفرا [١] ،
من الفَتَيَاتِ الغُرِّ من أرض بابـلٍ إذا شَفَّها الحاني من الدَّن كبَّرا [٢] ،
لها من زُجاجِ الشام عُنْقٌ غريبـةٌ تأنَّق فيهـا صـانع وتخيَّـرا .
ذخائر فرعونَ التي جُبِيَتْ له ، وكلٌّ يُسمَّى بالعتيق مُشَهَّرا [٣] .
إذا ما رآها — بعدَ إنقاء غَسْلِها — تدور علينا ، صائم القوم أفطرا [٤] !

— وله أيضاً في وصف الخمر :

تُريكَ القَذى من دونها وَهْيَ دونَــه ، لوجهِ أخيها في الإناء قُطوبُ
كُميت إذا فُضّت ، وفي الكأس وَردةٌ ، لها في عِظام الشاربين دَبيبُ

— وله في الخمر أيضاً :

أفنى تِلادي وما جَمَّعْتُ من نَشَبٍ قرعُ القواقيزِ أفواهَ الأباريقِ [٥]

---

١ العنبر : طيب يكون أنواعاً متعددة (نباتية وحيوانية) . العنبر الورد : العنبر النباتي الذي هو الزعفران (بفتح الزاي) والورس (بفتح الواو) : وهمـا نبتان يميل زهرهما إلى الحمرة . اذفر : شـديد الرائحة . — ريح (رائحة) هـذه الخمر كرائحة العنبر الورد أو كرائحة المسك الهندي الشـديد الرائحة إذا كان مسحوقاً (إذا كان المسك مسحوقـاً فان جميع دقائقه تفلت الزيت الطيار الذي يحمل الرائحة مرة واحدة) .

٢ من الفتيات الغر (؟) ... بابل : جنوب العراق (لعل المقصود : نتناول كؤوسها من أيدي الفتيات (الشابات) الغر (البيض ، الجميلات) . شفها : (شمها ، وجد ريحها) . الحاني (بتشديد الياء) : صاحب الحانوت (دكان الخمر) .

٣ ذخائر جمع ذخيرة : ما ادخره الانسان (خبأه لنفسه) . فرعون : لقب ملك مصر (كنايـة عن أن هذه الخمر قديمـة جداً ، من عهد فرعون) . جبيت له : أخذت باسمه في الجباية من كل مكان (اختيرت له من أحسن بقاع الأرض) . العتيق : اسم من أسماء الخمر (القاموس ٣ : ٢٦١ ، السطر ٩) .

٤ انقاء : اختيار ، تخير . غسلها (بكسر الغين) : الطيب . (لعل غسلها هنا : مزجها بالمـاء . وإنقاء غسلها : (؟) .

٥ التلاد : المـال القديم الموروث (والمنقول كالدراهم والغنم الخ) . النشب : مـا يملكه الانسان من الأموال غير المنقولة (كالبيوت والبساتين الخ) . القوافيز جمع قافوزة : اناء لشرب الخمر . — أنفقت جميع أموالي المنقولة وغير المنقولة في قرع القوافيز أفواه الاباريق : في شرب الخمر (والصورة البلاغية : حينما يرفـع الساقي أو شارب الخمر الكـأس ثم يدنيهـا من فم الابريق ليملأها قـد يتفق أن يقرع — أن يصدم — أحدهما الآخر ، إما اتفاقاً من العجلة وقلة الانتباه ، أو عجزاً واضطراباً من ارتجاف يد الشارب السكران وهو يملأ الكأس من الابريق نفسه) .

كأنّهنّ ، وأيدي القومِ مُعْمَلَةٌ ، إذا تلألأنَ في أيدي الغرانيق ١ ،
بَناتُ ماءٍ معاً بِيضٌ جَناجِنُها حُمْرٌ مَناقيرُها صُفْرُ الحماليق ٢ .
هِيَ اللّذاذةُ ما لم تأتِ مَنْقَصَةً أو تَرْمِ فيها بسهمٍ ساقطِ الفُوق ٣ .

– وكذلك له في الخمر :

وصهباءَ جُرجانيّةٍ لم يَطُفْ بها حَنيفٌ ، ولم تَنْغَرْ بها ساعةً قِدْرُ ٤ ،
أتاني بها يحيى وقد نِمْتُ نَوْمَةً ، وقد غارتِ الشِعْرى وقدخَفَقَ النّسر ٥ .

١ معملة : تعمل باستمرار (يتناول الشاربون الكؤوس من الساقي الذي يملأ الكؤوس لهم ، أو يملأون الكؤوس لأنفسهم) . إذا تلألأ : إذا انعكس النور عن تلك الكؤوس الزجاجية (وخصوصاً إذا كانت مملوءة بالخمر) . الغرانيق جمع غرنوق (بضم الغين) : الشاب الأبيض الجميل . (حينما يرفع الشاربون الكؤوس من الأرض إلى أفواههم ثم يضعونها يختلف وقوع النور عليها في أثناء حركاتها الصاعدة والهابطة فتنعكس عنها الانوار في اتجاهات مختلفة) .

٢ .... كأن تلك الاباريق بنات ماء (طيور مائية طويلة المناقير) بيض جناجنها (جمع جنجن بكسر الجيمين أو فتحهما : أعلى الصدر) حمر مناقيرها صفر الحماليق (جمع حملاق بضم الحاء وكسرها أو جمع حملوق بضم الحاء وكسرها أيضاً : بياض العين) . – يشبه الشاعر أباريق الخمر الكثيرة المجموعة على الأرض كالطيور المعروفة باسم بنات الماء صدورها بيض (كبياض كأس الخمر في الجانب الفارغ منه) حمر مناقيرها (كحمرة الخمر في الجانب الأسفل من الكأس) صفر العيون (كلون الخمر في أعلى الكأس على السطح حيث تعوم الفقاقيع البيض على وجه الخمر الحمراء فتجعل اللون أصفر ، من اختلاط اللون الأحمر باللون الابيض) .

٣ – الخمر لذيذة ما لم يسكر شاربها ثم يأت بأعمال ناقصة (معيبة لا تليق) وما لم يرم بسهم ساقط الفوق . ساقط الفوق : السهم الافوق الذي كسر فوقه (راجع القاموس ٣ : ٢٧٨ ، السطر ١٢) – إذا سقط الريش الذي في مؤخر السهم فان السهم حينئذ (إذا أطلق عن القوس) لا يذهب مستقيماً بل يتعرج في انطلاقه (كناية عن الخطأ في الكلام : أي أن الخمر لذيذة ما لم يعمل شاربها أعمالا ناقصة أو يتكلم كلاماً غير صائب أو كلاماً قبيحاً) .

٤ صهباء : خمر حمراء . جرجانية : من نتاج جرجان (جنوب بحر قزوين) . لم يطف بها (لم يتول عملا من أعمالها : لم يجمع عنبها ولا تولى عصرها ولا خزنها ولا اسقاءها للناس) حنيف (مسلم صحيح الاسلام ، لأن المسلمين لا يعرفون صناعة الخمر ولا حسن التجارة بها ولا حسن اسقائها) ولم تنغر (بفتح الغين أو بكسرها) بها ساعة قدر : لم توضع في قدر وتطبخ بالنار ولا مدة يسيرة (الخمر التي تغلى على النار تكون شديدة يثقل منها الرأس بسرعة) .

٥ أتاني بها يحيى : شخص اسمه يحيى غير منسوب (لا يعرف في الناس) . كان للاقيشر جار تقي صالح اسمه يحيى فعاتب الاقيشر لما سمع هذا البيت وقال له : يا فاسق ، أأنا جئتك بها ؟ فقال له الاقيشر : يرحمك الله ، ما أكثر يحيى في الناس (ما أكثر الناس الذين يتسمى كل واحد منهم يحيى) (الشعر والشعراء ٣٥٤) . الشعري والنسر نجمان . غار : غاب . خفق : غاب (أيضاً) . – وقد نمت نومة (طويلة) إلى أن غابت الشعرى والنسر (فلم أشرب في تلك الليلة خمراً ، فاستغرب يحيى هذا وجاءني بخمر وقال لي : قم واشرب !) .

فقلتُ : اغتَبِقْها ، أو لِغيري فأهْدِ ها ، فما أنا بعدَ الشيبِ — ويْبَكَ — والخمرُ[1].
إذا المرء وَفّى الأربعينَ ، ولم يَكُنْ له دونَ ما يأتي حياءٌ ولا سِتْر ،
فدعْهُ ولا تَنْفَسْ عليهِ الذي أتى ، وإن جرّ أرْسانَ الحياةِ له الدهر[2]

٤ — ** الاغاني ١١ : ٢٥١ — ٢٧٦ ؛ زيدان ١ : ٣٤٢ .

القتّال الكلابي

١ — هو أبو المُسَيّب أو أبو شُليل عُبادة أو عُبيد[3] بن مُجيب بن أبي شُليل المَضْرحي بن عامر بن الهصّان بن كعب من بني كلاب بن عامر ؛ واسم أمّه عَمْرَة ، وقد كانت أيضاً من بني كلاب بن عامر . ولقّب أبو المسيّب بالقتّال لتمرّده على السّلطان (الدولة) ولفتكه بالناس ، فلقد كان لصّاً فاتكاً كثير الجرائم .

أحبّ القتّالُ ابْنَةَ عمٍّ له هي العالية بنت عُبيد الله ، ولكنّ أهلها زوّجوها رجلاً آخرَ ، فجعل القتّال يشبّب بها فسُجن من أجل ذلك ، كما دخل السجن مراراً وهرب منه مراراً لجرائمَ من القتل في أحاديثَ طوالٍ .

وكان القتّال الكلابي فارساً شجاعاً وبَدْوياً قُحّاً يألف القَفْر . وقد بلغ أشُدّه في أيام مُعاويةَ بن أبي سُفيان ثم عاش إلى أيام مروان بن الحَكَم وأدرك جَرِيراً والفَرَزْدَقَ ؛ ولعلّه توفّي سنة ٧٠ هـ (٦٩٠ م) .

٢ — كان للقتّال ديوان شعر فيه قصائدُ طوالٌ ومقطّعات ، ولكن الذي وصل الينا من شعرِه قليلٌ . وشعره بَدْوي نقيّ الالفاظ متين التّراكيب واضح

---

٢ — فقلت له : اغتبقها (احتفظ بها إلى الليلة القادمة ثم اشربها أنت) . الغبوق : شرب الخمر في المساء . ويبك : ويل لك ، ويحك (كلمة تقال في التقريع لمن يسيء القول أو الفعل) .

٣ دعه (اتركه وشأنه بعد أن ترك شرب الخمر) ولا تنفس عليه (لا تحسده على عمله الحميد في تروك شرب الخمر أو لا تظن أنه عجز عن شربها وأصبح غير أهل لأن يشربها) . وان جر أرسان الحياة له الدهر : وان طالت حياته بعد ذلك . — إذا رأيت أحداً ترك عادة سيئة (شرب الخمر مثلا) فلا تحسده على هذا العمل الحميد ثم تحاول أن ترده اليه .

٣ الكامل ٤ : ٣ ؛ الامالي ١ : ٦ .

المعاني ، وفيه تعابير قرآنية . وهو يصوّر لنا في شعره المنازعات القَبَلِيّة وأوجه الفَتْك والثأر وحياةَ اللصوصية في الخروج على السّلطان (الدولة) . أما فنونه فوُجدانية أبرزُها الحماسة [١] والغزل ، وفي حماسته فخر بالنفس وبالقبيلة ، وفي غزله نفحةٌ هادئة أقرب إلى أن تكون عُذرية . وله أيضاً مديح قليل لا جودةَ فيه ثم قليلٌ من الحكمة وإشاراتٌ إلى الخمر وبعضُ الهجاء .

٣ – المختار من شعره :

– قال القتّال الكلابي يصوّر نفسه :

إذا همّ همّاً لم يرَ الليلَ غُمّةً ... عليه ، ولم تَصْعُبْ عليه المراكبُ [٢] .

قَرى الهمَّ إذ ضاف الزّماعَ فأصبحت ... منازله تَعْتسّ فيها الثعالب [٣] .

جليد ، كريمٌ خِيمُه ، وطِباعُه ... على خير ما تُبنى عليه الضرائب [٤] .

إذا جاع لم يفرحْ بأكلةِ ساعةٍ ، ... ولم يبتئسْ من فَقْدها وهو ساغب [٥] .

يرى أن بعدَ العُسْر يُسراً ، ولا يرى ... إذا كان يُسْرٌ أنه الدهرَ لازب [٦] .

---

١ راجع له قطعة في الحماسة والفخر (الكامل ٣٤ ؛ الامالي ٢ : ٢٢٩) :

أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي ... إذاً ترامى بنو الاموان بالعار .

الاموان (بكسر الهمزة) جمع أمة (الجارية المملوكة) . راجع الكامل ٣٤ . وفي القاموس (٤ : ٣٠٠، السطر الأخير) ان « أموان » تكون بفتح الهمزة وكسرها وضمها .

٢ هم هماً : قصد أمراً ، أراد أن يعمل عملا . لم ير الليل غمة : لم تستول عليه حيرة ولم يمنعه من تنفيذ قصده مانع ؛ راجع معلقة طرفة : لعمرك ، ما أمري علي بغمة . المراكب : الأحوال : إذا كان السبيل إلى تحقيق غاياتي صعباً فأنا لا أبالي به بل أسير فيه إلى النهاية وأنجح .

٣ إذا ضافه الهم : إذا نزل به الهم (الحاجة إلى العمل الصعب) ضيفاً قرى (أطعم) ذلك الهم زماعاً (عزماً وجلادة في العمل) . منازله تعتس (تطوف) فيها الثعالب (كناية عن شدة عزيمته ، إذ العادة في الضيافة أن يكثر الكريم من ذبح الغنم والابل فكأن شدة عزيمته كتلك الذبائح الكثيرة تدعو برائحة دمائها الوحوش) .

٤ الجليد : الصبور الذي لا يظهر عليه الجزع إذا نزلت به مصيبة . الخيم : الطبيعة . الضريبة : الطبيعة التي بنى عليها الانسان في الاصل .

٥ ساغب : جائع .

٦ لازب : ملازم ، دائم . الدهر : طول الدهر ، أي دائماً .

— وقال يتغزّل :

إذا هَبّتِ الارواحُ كان أحبَّهــا · إليّ التي من نحو نجدٍ هبوبُها [١]
واني لَيَدْعوني إلى طــاعة الهــوى · كواعبُ أترابٌ مِراضٌ قلوبُها [٢]
كأنّ الشِفاهَ الحُوّ منهنّ حُمِّلت · ذُرى بَرَدٍ يَنْهَلّ عنها غُروبها [٣]
بهنّ من الادواء ما أنا عــارفٌ ، · وما يَعْرِفُ الأدواءَ إلاّ طبيبها ؟
سمعت — وأصحابي بذي النخل — نازلا ، · وقد يَشعَفُ النفسَ الشَعاعَ حبيبها [٤] ،
دعاءً بذي البُردين من أم طارق ؛ · فيا عمرُو ، هل تبدو لنا فتُجيبها [٥] ؟
وما روضةٌ بالحَزْن قَفْرٌ مَجودةٌ ، · يمجّ الندى رَيحانَها وصَبيبهـا [٦] ،
بأطيبَ بعد النوم من أم طــارق · ولا طعمَ عُنقود عِقار زبيبها [٧] ؟

— وله في الغزل والفخر :

لعمرُك ، إنني لأُحِبّ أرضــاً · بهـا خرقاءُ لو كانت تُزارُ .
كـأنّ لِثاتِهـا عَلِقَتْ عليهــا · فروعُ السِدرِ ، عاطِيَةً ، نَوارُ [٨] .

---

١ الأرواح : الرياح .

٢ الكاعب : الفتاة إذا برز ثدياها (في أول صباها) . الاتراب : المتقاربات في السن . مراض قلوبها : قلوبهن ضعاف تميل إلى الهوى بسهولة .

٣ الحو (جمع حواء) : سمراء اللون . حملت ذرى برد : عليهـا (يظهر خلفهـا) أسنان بيض كالبرد الذي يسقط من السحاب الداكن (إشارة إلى الشفاه السمراء) . ينهل : ينهمر (يسقط بكثرة وسرعة) . الغروب جمع غرب : نقط ماء تسقط من الدلو وهو ينقل من البئر إلى الحوض (يريد أن يقول ان ريقها جار ، لأن الفم إذا جف كانت له رائحة كريهة) .

٤ يشعف أو يشغف : يغلب ، يستولي ؛ يشعف النفس الشعاع (المتفرقة الهموم ، الضعيفة عن مقاومة الهوى) : يغشيها أو يملأها بالحب .

٥ دعاء مفعول به من الفعل « سمعت » في البيت السابق . ذو البردين : اسم مكان في نجد . أم طارق : المحبوبة . عمرو : رفيق كان معه أو تجريد من نفسه يخاطبة . هل تبدو لنا فتجيبها (!)

٦ الحزن : بلاد يربوع من بني تميم ، وهي أرض طيبة المرعى . قفر : لا يرد اليها الناس ولذلك يظل ماؤها صافياً ونباتها وافراً . مجودة : يسقط عليها المطر بكثرة .. الندى : نقاط الماء التي تتكون في الليل (اثر سقوط الحرارة) على أوراق النبات وغيرها . الصبيب : المطر المنهمر : يمج نداها وصبيبها ريحاناً (رائحة منعشة) .

٧ عقار زبيبها : إذا تقادم عنبها وجف فأصبح زبيباً يصبح مسكراً ولو لم تعصر منه خمر .

٨ اللثة : اللحم الذي تكون فيه الاسنان . — كأن على فمها شيئاً من أغصان السدر (أي أصبحت لثاتها سمراء ، وهذا من مظاهر الجمال في البادية) ، حينما كانت نوار (الظبية ، كناية عن المرأة الجميلة) تعطو (ترفع عنقها لتتناول أوراق شجر السدر لترعاها وتأكلها) .

أنا ابن المَضْرحيّ أبي شُليل ، وهل يخفى على النـاس النهار !
علينـا سِبْرُه ، ولكل فحـلٍ على أولاده منـه نِجـار [1] .

– وللقتّال الكلابي في الفخر بالنسب من أبيه وأمه وبالحسب (الفعل الكريم والخلق الحميد) [2] :

أنا ابنُ الأكرمينَ بني قُشيرٍ ، وأخوالي الكِرامُ بنو كِلابِ .
نُعَرِّضُ للطِعانِ ، إذا التقَيْنا ، وُجوهـاً لا تُعَرَّضُ للسِباب [3] !

٤ – ديوان القتّال الكلابيّ (حقّقه وقدّم له احسان عبّاس) ، بيروت (دار الثقافة) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

* الاغاني ٢٠ : ١٥٨ وما بعدها ؛ زيدان ١ : ٣٨٣ .

مجنون ليلى

١ – كان في العصر الأموي ، وفي الحجاز ونجد خاصةً ، عـدد من الاشخاص الذين تَيَمّمَهُمُ العِشقُ واستَوْلى عليهم حبٌّ امرأةٍ عرَفوهـا من قَرابة أو جِوارٍ فخرج بهم الحب إلى الجنون . وكان من هؤلاء المجانينِ نفرٌ من بني عامر بن صعصعة . وأشهر هؤلاء كلهم شخص يلقبونه **مجنون ليلى** ويذكرون أنه قيس بن المُلَوّح أو قيس بن مُعاذ ؛ ويقولون مرة إنه مجنون بني عامر ، ومرة انه مجنون بني جَعْدة ، وقيل بل ان الاول غير الثاني [4] . ومن الرواة من يرى أن مجنون بني عامر كان شخصاً تاريخياً موجوداً ؛ ومنهم من قـال ان مجنون ليلى شخص خُرافي ، كما ذكر عُوانة بن الكلبي (توفي سنة ١٤٧ هـ = ٧٦٤ م) .

١ السبر : المظهر والهيئة . الفحل : الذكر ، الوالد . النجار الأصل الكريم .
٢ الكامل ٦٧ .
٣ – إذا وقعت حرب فاننـا نقبل عليهـا بوجوهنا راضين ، تلك الوجوه الّتي نأبى لهـا أن تذم أو تلام (الحرب أهون علينـا من احتمال العـار) ؛ ... لا نعمل في سلوكنا أعمالا تعرضنا للمسبة .
٤ راجع البيان والتبيين ١ : ٣٨٥ ، ٣ : ٢٢٤ ، ٤ : ٢٢ . – راجع حاشيتي عبد السلام محمد هارون (البيان والتبيين ١ : ٣٨٥ ، رقم ٢ ، ثم ٣ : ٢٢٤ ، رقم ١ ، ثم ٤ : ٢٢ ، رقم ٥).

أما **المجنون** المقصود بهذه الأسطر فقد جعلوا نسبه : قيس بن الملوح [1] بن مُزاحم من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وقال بعض الرواة إن مجنون ليلى لم يكن مجنوناً ، ولكن كانت به لُوثَة [2] ، وأنه خُولط في عقله لما اشتد هُيامه بليلى . أما ليلى هذه فهي ، فيما قيل ، ليلى بنت مَهدي بن سعد ابن مهدي من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وتُكنى أمّ مالك . وقد كان قيس وليلى في صغرهما يرعيان الغنم لأهلهما عند جبل يقال له التَوْباد ، فنشأت بينهما ناشئة حبٍّ استَحكَمَت مَعَ الايام ، ولكنّ وطأتَها عليه كانت أشد .

ولمّا اشتَهَرَ حبّ قيس وليلى كَرِهَ أبو ليلى أن يُزَوِّجَ ليلى لقيسٍ ، وخطبها وَرْدُ بن محمد العُقيلي فحملها أبوها على القَبول به فتزوجته كارهةً . وزال عقل قيس بعد زواج ليلى جُملةً ، ولكنه ظل يذكر ليلى في شعره وهَذَيانه ثم يحاول زيارتها ، فيقال ان عمر بن عبد الرحمن بن عَوْف ، وكان يتولى جمع الصدقات (الزكاة) من بني كعب وقُشير وجَعْدة ، في أيام مروان بن الحكم (٦٤ — ٦٥ ﻫ) ، أهدر دمَهُ إن هو حاول الاتصال بليلى .

ويبدو أن مجنون ليلى توفّي بعد ذلك بقليل ، سنة ٧٠ ﻫ (٦٨٩ م) .

٢ — مجنون ليلى شاعر رقيق حلو الالفاظ رائق الاسلوب متأجّج العاطفة ، وقد نَحلَهُ الرواةُ شِعراً كثيراً من جنس شعره . وقد تركت قصة مجنون ليلى أثراً عظيماً في الأدبين الفارسي والتركي .

٣ — المختار من شعره :

— في كتاب الزهرة (ص ٣٣) : وقال مجنون بني عامر :

تداويتُ من ليلى بليلى من الهـوى كما يَتَداوَى شاربُ الخمرِ بالخمرِ .

---

١ في الكامل (ص ١٦٦) : قيس بن معاذ بن أحد بن عقيل (بضم العين) بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهو المجنون .

٢ جاء في الكامل (ص ٨٨) : لم يكن مجنوناً ، ولكن كان به لوثة كلوثة أبي حية النمري الشاعر .

ألا زَعَمت ليلى بأنْ لا أحبُّها ، بلى ، والليالي العَشْرِ والشَفْع والوَتْر [1] :
إذا ذُكرتْ يرتاحُ قلبي لذِكْرِها كما انتَفَضَ العُصفورُ من بَلَل القَطْر !

– وفيه أيضاً (ص ٢١٣) أنه وقف عند جبل يقال له التَوْباد ثم قال :

وأجْهَشْتُ للتَوْبادِ لمّا رأيتُه ، وهلّل للرحمنِ حينَ رآني ؛
وأذْريتُ دمعَ العينِ لمّا رأيته ، ونادى بأعلى صوتِه فدَعاني .
وقلت له : أينَ الذين عَهِدتُهم حوالَيْكَ في عيش وخيرِ زمان ؟
فقال : مَضَوْا واستَوْدَعوني بلادَهم ، ومَنْ ذا الذي يبقى على الحَدَثان ؟
وانّي لأبكي اليومَ ، من حَذَري غداً فِراقَكَ والحَيّانِ مُؤْتَلِفانِ ،
سِجالاً وتَهتاناً ووَبْلاً وديمة وسَحّاً وتَسْجاماً ، ويَنْهملان [2] !

– ومما اشتهر في الرواية لمجنون ليلى * :

فيا ليلَ ، كم من حاجةٍ لي مُهِمّة إذا جِئْتكم بالليل لم أدرِ ما هيا .
فما أشْرِفُ الأيفاع [3] إلاّ صَبابةً ولا أُنْشِدُ الأشعارَ إلاّ تداويا .
وقد يجمعُ اللهُ الشَتيتينِ بعدَ ما يَظُنّانِ كُلَّ الظنِ انْ لا تَلاقيا !
لحا اللهُ أقواماً يقولون إننا وجدْنا طِوالَ الدهرِ للحب شافيا .
وماذا لهم – لا أحْسَنَ اللهُ حالَهم – من الحظِ في تَصْريم ليلى حِباليا ؟
فإن تمنعوا ليلى وتحْموا بِلادَها عليّ فلن تحموا عليّ القوافيا [4] ؟
أراني إذا صَلّيْتُ يممتُ نحوها بوجهي وإن كان المُصَلّى ورائيا [5] .

---

١ الليالي العشر من رمضان ، ويكون في « إحداها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر (راجع سورة القدر في القرآن الكريم ، رقم ٩٧) . الشفع والوتر : الخلق كلهم . الشفع : عيد الأضحى ، وركعتا الضحى (القاموس ٣ : ٤٥ – ٤٦) . الوتر ركعة بعد سنة العشاء (القاموس ٢ : ١٥٢) أو كل صلاة ركعاتها وتر غير مزدوجة .

٢ السجال والتهتان والوبل الخ : أنواع من هطول المطر . وينهملان : عيناي ينهملان (يسقط دمعهما كالمطر) .

* راجع الكامل ١٦٧ .

٣ الأيفاع : الاماكن المرتفعة . إلا صبابة : الا لما بي من الحب ، حتى أستطيع أن أراك ولو من بعيد .

٤ لن تحموا علي القوافي : لن تمنعوني من قول الشعر فيها .

٥ يمم : قصد ، توجه نحو . المصلى : مكان الصلاة .

فوالله ما أدري، إذا ما ذكرتُها، إثنتين صَلّيْتُ الضُحى أم ثمانيا [1] !
وما بي إشراكٌ ؛ ولكنّ حبّها وعِظَمَ الجوى أعيا الطبيب المداويا [2].

– وروى الجاحظ لمجنون ليلى هذا [3] :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكّنا .

٤ – ديوان قيس بن الملوّح العامري المعروف بمجنون ليلى ، بيروت ١٨٨٢ م .
ديوان مجنون ليلى ، مصر (بولاق) ١٢٨٥ هـ .
ديوان مجنون ليلى (أبو بكر الوالبي) ، مصر (دار الطباعة العامرة) ١٢٩٤ هـ .
ديوان مجنون ليلى (أبو بكر الغزالي) مصر (بولاق) ١٢٩٤ هـ .
ديوان مجنون ليلى ، مصر (الشرقية) ١٣٠٠ و ١٣٠١ هـ .
ديوان مجنون ليلى ، مصر ١٣٠٦ هـ .
ديوان مجنون ليلى (جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج) ، القاهرة (مكتبة مصر) ١٩٥٨ ثم ١٩٦٠ م .

* قصة قيس بن الملوح العامري المعروف بمجنون ليلى ، بيروت (الادبية) ١٨٨٢ هـ .
رسالة الحب والجمال إلى شباب العصر بين قيس وليلى ، تأليف محمد صادق عنبر ، القاهرة ١٩٣٦ م .
ليلى والمجنون أو الحب الصوفي . تأليف عبد الرحمن بن أحمد الجامي ، ترجمة محمد غنيمي هلال . القاهرة (الانجلو) ١٩٥٤ م .
ليلى والمجنون في الأدب العربي والفارسي . تأليف محمد غنيمي هلال ، القاهرة . ١٩٥٤ م .
الأغاني ٢ : ١ – ٩٦ . النصف الأول من كتاب الزهرة (نحو عشرين قطعة . راجع الفهرست) ، بروكلمان ١ : ٤٣ – ٤٤ ، الملحق ١ : ٨١ ؛ زيدان ١ : ٣٣١ – ٣٣٢ .

---

١ الضحى : صلاة تكون بعد ارتفاع الشمس ، وهي من السنة .
٢ الجوى : شدة الهوى والحب .
٣ البيان والتبيين ٢ : ٤١ – ٤٢ .

أبو قَطيفة

١ — هو أبو الوليد عمرو بن الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعيطٍ من بني أمية ابن عبد شمس ؛ وأمه بنت الربيع بن ذي الخِمار من بني أسد بن خُزيمة .

يبدو أن أبا قَطيفة كان شابّاً في أيام عثمان بن عفّان (٢٣ — ٣٥ هـ) ، وبلغ أشُدَّه حينما كان ابن الزبير خليفة قوياً في الحجاز ، في مطلع خلافة عبد الملك ابن مروان في الشام . وكان أبو قطيفة أمَوِيَّ النسب وأمويَّ الهوى أيضاً ، فنفاه ابن الزبير إلى الشام . وقد قال أبو قطيفة في منفاه شعراً كثيراً يتشوّق به إلى المدينة بَلَغَ بعضُه إلى ابن الزبير فعفا عنه ابن الزبير وسمح له بالعودة إلى المدينة، ولكنه تُوُفِّيَ فيها وَشيكاً ، قبل سنة ٧٠ هـ (٦٨٩ م) في الاغلب .

٢ — ليس أبو قطيفة شاعراً فَحْلاً ولا شاعراً مشهوراً ، ولكن لمّا استَعْرَضَ المُغَنّونَ الشعرَ العربي في أيام هرونَ الرشيدِ طَلَباً لما يُوافق الغناءَ منه اختاروا لأبي قطيفة ثلاثة أبيات كانت في المرتبة الأولى من حيث الموافقةُ للغناء . أما فيما عدا ذلك فشعر أبي قطيفة رقيق جليّ المعاني ، عادي في الاكثر ضعيف أحياناً . ولأبي قطيفة فخر ومديح وهجاء ومُجون . على أن أكثر شعره ، فيما رَوى صاحب الاغاني ، كان في التشوّق إلى المدينة ، في الفترة القصيرة التي نفاه فيها عبد الله بن الزبير .

٣ — المختار من شعره :

— قال أبو قطيفة يتشوّق إلى المدينة : يذكر مساكنَ لبني أميةَ فيها ، ثم يفتخر بنفسه (وفيها غناء) :

القصرُ فالنخل فالجَمّاء بينَهما ... أشهى إلى القلب من أبواب جَيْرون ١ ،
إلى البَلاط فما حازت قَرائنه ... دورٌ نَزَحْنَ عن الفحشاء والهُون ٢ .

---

١ و ٢ القصر والنخل والجماء (أرض لا بناء فيها) كانت لسعيد بن العاص الأموي في المدينة . جيرون : دمشق . والقرائن دور متقاربة كانت لسعيد أيضاً هنالك .

قد يَكْتُمُ الناسُ أسراراً فأعلمُها ، ولا ينالون حتى الموتِ مكنوني!

– ولمّا نفى ابن الزبير أبا قطيفة عن المدينة قال يتشوّق اليها :

ألا ليتَ شِعري ، هل تغَيّرَ بعدَنا قُباءُ ، وهل زال العَقيق وحاضِرُه[1] ؟
وهل بَرِحَتْ بطحاءَ قبرِ مُحمدٍ أراهطُ غرٌّ من قُريشٍ تباكره ؟
لهم مُنْتَهَى حُبّي وصَفْوُ مَوَدّتي ومَحْضُ الهوى منّي،وللناس سائِرُه[2] .

٤ – ** الاغاني ١ : ٧ – ١٨ .

ابو قطيفة لشفيق جبري (مجلة الثقافة ، مصر ١٦–٥–١٩٤٤ ، ص ٢٨١) ؛ زيدان ١ : ٣٠٦ – ٣٠٧ .

عبد الله بن الزبير

١ – هو أبو خُبيب (وأبو بكر) عبد الله بن الزُبير بن العَوّام بن خُوَيْلد ابن أسد بن قُصيّ ؛ وأمّه أسماءُ بنتُ أبي بكر الصِدّيق ؛ ولقبُه العائذُ لأنه عاذ بالبيت (الكامل ٥٩٧) ، والمُحِلّ لأنه نصب الحرب في قلب مكّة واعتصم بالكَعْبة .

وُلِدَ عبد الله بن الزبير في المدينة (٢ هـ – ٦٢٣ م) ، وهو أول مَوْلود للمسلمين بعد الهجرة . وقد استُرْضِعَ في بني مُزينة (الكامل ٣٥٧) .

كان عبد الله بن الزبير رجلاً شجاعاً مقتدراً في القِتال شَهِدَ عدداً من الفتوح ، وكان في فتح إفريقيةَ كلّه ومِمن وصلوا إلى تونس وحَضَروا فتح قَرْطاجة .

وكان الزبير بن العوّام (والدُ عبد الله بن الزبير) قد طَمِعَ في الخلافة . فلمّا طُعِنَ عمر بن الخطّاب وخاف أن يختلفَ المسلمون من بعده سمّى ستّة نَفَرٍ من وجهاء المدينة ليجتمعوا وينتخبوا الخليفة المُقْبِل من بَيْنهم ، وقد كان

---

١ قباء : موضع قريب من المدينة . العقيق : واد يكثر فيه السيل بعد المطر . وهنالك أعقة في أماكن مختلفة ، والمقصود هنا العقيق الذي قرب المدينة .

٢ سائره : الباقي منه .

في هؤلاء الزبيرُ بن العوّام . وانتخب رجال الشورى هؤلاء عثمانَ بن عفّان الأمويّ . على أن نفراً من هؤلاء الستّة لم يرْضَوْا بينهم وبين أنفسهم بما تمّ[1] ، من هؤلاء الزبيرُ بن العوّام . ولم يَرْضَ الزبيرُ عن خلافة عثمان ثم حارب عليّاً في معركة الجمل وقُتِلَ عند منصرفه من المعركة (٣٦ ه = ٦٥٦ م) . ولقد ورث ابنه عبد الله منه الطموحَ إلى الخلافة .

استطاع عبد الله بن الزبير ، بعد مقتل عليّ بن أبي طالب (٤٠ ه) ، أن يجمع حوله الناقمين على بني أمية وأن يَبْسُطَ نفوذَه على الحِجاز والعِراق ومِصْرَ واليمن وخُراسان والسند . ولم يستطع مُعاويةُ بن أبي سفيان أن يتفرّغَ لحرب عبد الله بن الزبير (لأن معاوية كان مشغولاً بتوطيد الملك في البيت الأموي) ، ولا استطاع يزيد بن معاوية أن يتغلّب عليه .

وكان المنازعون لعبد الملك كِثاراً : نازعه المُختارُ بن أبي عُبيد الثَقَفي (في العراق) مُطالباً بالخلافة لمحمد بن الحَنَفِيّةِ (ابن علي بن أبي طالب من زوجته خَوْلَةَ الحنفيةِ) ، ونازعه الخوارج ، ونازعه الأمويّون .

ولمّا جاء عبد الملك بن مروان إلى الخلافة تفرّغ لعبد الله بن الزبير ثم تغلّب عليه ، على ما سنرى في ترجمة الحجّاج بن يوسف . وبعد مقتل عبد الله بن الزبير (٧٣ ه = ٦٩٢ م) استَتَبّ الأمرُ لعبد الملك في جميع بلاد الخلافة الاسلامية .

٢ — عبد الله بن الزبير من الذين كانوا يُحْسِنون الكلامَ في التحديث أكثر مما كانوا يحسنونه في الخَطابة ، ومع ذلك فانّه لم يكنْ يَقِلّ في المقدرة على الخطابة عن معاويةَ بن أبي سفيان وابنهِ يزيدَ وعن نفرٍ آخر من بني أميّة المعروفين بالخطابة . وقد رُويت له أقوالٌ كثيرة من الخطب والأحاديث المُوجَزَة تَكْثُرُ فيها الكلماتُ الغريبة ويرد فيها شيءٌ من الإقذاع أحياناً ، فأفقدَها ذلك شيئاً من الطّلاوة . وكان له شيء من الشعر (العمدة ١ : ٢٤ — ٢٥) .

٣ — المختار من خطبه :

— اجتمع في مجلس مُعاوية بن أبي سفيان نَفَرٌ من وجوه الصّحابة فيهم

---

[1] راجع : العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، للمؤلف ، بيروت ١٣٧٨ ه = ١٩٥٨ م ، ص ٧٢ — ٧٣ .

الحُسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير ، فجرى من معاويةَ ما أسخط عبدَ الله ابن الزبير فنهض عبدُ الله بن الزبير يُفاخرُ معاويةَ ، قال يخاطب الناس :

أسألكم بالله : أتعلمون أن أبي حَواريّ[1] رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم وأن أباه أبو سفيان حاربَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ؟ وأن أمّي أسماءُ بنتُ أبي بكر الصِدّيق ، وأمّه هندٌ آكلةُ الاكباد[2] ؟ وجَدّي الصِدّيق وجده المَشْدوخ[3] ببدرٍ ورأسُ الكفر ؟ وعمّتي خَديجةُ ذات الخَطَر والحسب ، وعمّته أمّ جميلٍ حَمّالةُ الحَطَب[4] ؟ وجدّتي صَفيّةُ وجدّته حَمامة[5] ؟ وزَوْج عمّتي خيرُ وَلَدِ آدم محمّدٌ صلى الله عليه وسلّم ، وزوج عمّته شرّ ولد آدم أبو لهب « سيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ »[6] ؟ وخالتي عائشةُ أمّ المؤمنين ، وخالته أشقى الأشْقَيَيْنَ[7] ؟ وأنا عبد الله وهو مُعاوِيَةُ[8] ؟

— لمّا شدّدَ الحجّاجُ بن يوسف الحِصارَ على ابن الزبير في مكّة عزم ابن الزبير على أن يَلْتقي جيش بني أميّة في هَجْمة واحدة ، فقام في أصحابه خطيباً وقال :

أيّها الناسُ : ان الموتَ قد تَغَشّاكم سحابُه ، وأحْدَقَ بكم رَبابه ، واجتمع بعد تَفَرّق[9] ، وارْجَحَنّ بعد تَمَشّق ، ورَجَسَ نحوكم رَعْدُه ، وهو مُفْرِغٌ عليكم وَدْقَه[10] ، وقائدٌ اليكم البلايا تَتْبَعها المنايا ، فاجْعَلوا

١ الحواري : الناصر ، أو هو ناصر الأنبياء خاصة .

٢ هند أم معاوية . لما انهزم المسلمون في معركة أحد (٣ هـ = ٦٢٥ م) وقتل حمزة بن عبد المطلب (عم الرسول) جاءت هند فشقت صدر حمزة وأخذت قطعة من كبده ولاكتها (مضغتها) انتقاماً لوالدها عتبة بن ربيعة (وكان علي بن أبي طالب قد قتله في معركة بدر) .

٣ المشدوخ : المفجوج ، المقتول ، المكسور (هو عتبة بن ربيعة ؛ انظر الحاشية السابقة) .

٤ خديجة بنت خويلد زوج محمد رسول الله . الخطر : القيمة ، القدرة . الحسب : العمل الحميد . أم جميل بنت حرب كانت تؤذي الرسول : تضع الشوك في طريقه والاقذار على باب بيته ...

٥ صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام وعمة رسول الله . حمامة : ...

٦ أبو لهب : كنية عبد العزى بن عبد المطلب (عم الرسول) كان كافراً به وكان يعذبه . وقد كان جميلا وغنياً ، وقد نزلت فيه وفي امرأته سورة (رقم ١١١ في المصحف : تبت يدا أبي لهب الخ ...) .

٧ عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله . أشقى الاشقين : ....

٨ المعاوية : الكلبة تعوي فتجتمع الكلاب عليها .

٩ تغشاكم : أظلكم . ربابه : سحابه ، احدق : أحاط .

١٠ ارجحن : اهتز وتمايل لثقله . تمشق : تمزق . والمشق : قلة الحلب (اللبن في الضرع) — ان هذا

السيوفَ لها غَرَضاً ، واستعينوا عليها بالصبر .

– عن الطبريّ : لمّا كان يومُ الثلاثاء ، صبيحةَ سَبْعَ عَشْرَةَ من جُمادى الأولى سنة ٧٣ هـ ، وقد أخذَ الحجّاج على ابن الزبير بالابواب ، صلّى ابن الزبير بأصحابه صلاة الفَجْرِ ثم قام فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال :

..... أما بعد ، يا آلَ الزبير : لا يَرُعْكُمْ وَقْعُ السيوف ، فانّي لم أحْضُر مَوْطناً قطّ إلاّ ارْتُشِثْتُ فيه من القتل ، وما أجدُ من دواء جراحها أشدّ مما أجد من ألَمِ وَقْعها . صونوا سيوفَكم كما تصونون وجوهَكم . لا أعْلَمُ أمْرأً كَسَرَ سَيْفه وَاسْتَبْقى نفسَه [1] ، فان الرجلَ إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعْزَلُ . غُضّوا أبصارَكم عن البارقةِ ، وَلْيَشْغَلْ كلّ منكم قِرنه [2] . ولا يُلْهيَنّكُمُ السؤالُ عنّي ولا تَقولُنَّ : أينَ عبدُ الله بن الزبير ؟ ألا من كان سائلاً عنّي فانّي في الرّعيل الاول [3] :

أبى لابْنِ سَلْمى أنه غيرُ خالدٍ ... مُلاقي المَنايا أيَّ صَرْفٍ تَيَمّما [4]
فلستُ بمُبتاعِ الحياةِ بذِلّةٍ ... ولا مُرتقٍ من خَشيةِ الموت سُلّما [5]

احْملوا [6] على بَرَكات الله !

= السحاب قد ثقل بتجمع بخار الماء فيه بعد أن كان قليلا رقيقاً (كناية عن اشتداد الخطر في الحرب) . رجست السماء : رعدت رعداً شديداً . الودق : المطر . وهو مفرغ (منزل) عليكم ودقه (كناية عن قرب حدوث حرب شديدة ذات عواقب خطيرة) . غرض : هدف تطلق عليه السهام للتمرن أو للاصابة . ولعلها عرضاً (بالعين المهمله بلانقطة) ..... لها وعليها : للحرب وعلى الحرب (؟)

١ راعه : أخافه . وقع السيوف : أصابتكم بجراح من السيوف . الموطن : المشهد في الحرب . ارتث (بالبناء للمجهول) : جرح جرحاً خطيراً ينذر بالموت . – أنا لا أعلم رجلا انكسر سيفه في المعركة ثم بقي بعد المعركة حياً . البارقة : السيوف (لا تنظروا إلى حركات السيوف فيدخل على قلوبكم ضعف) . القرن (بكسر القاف) : البطل الند في الحرب (الذي يبرز لك في الحرب أو يكون قبالتك في القتال) .

٣ الرعيل : القطعة من الخيل تتقدم غيرها .

٤ ... انه سيلقى الموت في أي جهة اتجه . صرف (لعلها : صوب : اتجاه) .

٥ – لن أرضى أبقى حياً في عيش ذليل ، ولن أحاول أن أهرب من الموت .

٦ احملوا : اهجموا .

أبو صَخرٍ الهُذَليّ

١ – هو عبد الله بن سَلْم السَهْميّ أحد بني هُذيلٍ ، كان من أنصار بني مروان .

جاء عبدُ الله بن سَلْمٍ إلى عبد الله بن الزُبير ، سنة ٦٥ هـ (٦٨٤ م) ، يطلبُ منه عطاءه ، فردّه عبد الله بن الزبير ردّاً قبيحاً وقال له : عليك ببني أمية فخُذْ عطاءكَ منهم . فتكلّم عبد الله بن سلم عند ابن الزبير بكلام فيه مدح لبني أمية وتعريض بابْنِ الزبير . فغَضِبَ ابنُ الزبير وحبس عبد الله بن سلم في سجن عارمٍ . ولكنّ قوماً من بني هذيل وجماعةً من قريشٍ شَفعوا بعبد الله بن سلم إلى عبد الله بن الزبير فأطلق ابن الزبير سراحه بعد نحوِ عامٍ من حبسه :

وكان عبد الملك بن مروانَ قد جاء إلى الخلافة في ٢٧ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٥ هـ ، فلمّا حجّ استَقْدَمَ عبدَ الله بن سلم وذكر له أنه لم ينسَ مودّته ونُصرته لبني مروان ثم أعطاه مالاً ولقّبه **أبا صخرٍ** . ولقد خَفيَ اسْمُ عبدِ الله ابن سلم السهمي في تاريخ الأدب وعاش لَقَبُهُ : **أبو صخرٍ الهذليّ** .

وانقطع أبو صخر الهذلي إلى ابي خالد عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد[١] يمدحه ، كما كان يمدح عبد الملك بن مروان وأخاه عبد العزيز .

٢ – أبو صخرٍ الهُذَليّ عبدُ الله بن سلمٍ شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية ، كان شاعراً غزِلاً رقيقاً فصيح الألفاظ سهل التراكيب واضح المعاني يظهر على شعره أثر الاسلام والقرآن . ومع أن مُعْظَمَ شعره في الغزل والنسيب، الاّ أنّ له مدحاً ورثاء جيداً وفخراً وهجاء ، والحكمة ظاهرة في شعره . وكان مقتدراً في الكلام المنثور أيضاً .

٣ – **المختار من آثاره :**

– قال أبو صخر الهذليّ في الغزل من قصيدة طويلة (الامالي ١ : ١٤٨ – ١٥٠ غ ٢١ : ٩٧ – ٩٨ ، كتاب الزهرة ٢٧٧) :

---

١ أسيد :

إذا قُلتُ : هذا حينَ أسلو ، يَهيجُني   نسيمُ الصبا من حيثُ يَطّلِعُ الفجرُ [1].
وانّي لَتَعْروني لذِكراكِ فَتْرةٌ   كَما انتَفَضَ العُصفورُ بَلّلهُ القَطْرُ [2].
هَجَرْتُكِ حتّى قيل : لا يَعْرِفُ الهوى ،   وزُرْتُكِ حتى قيل : ليس له صبر !
صَدَقْتِ ، أنا الصَّبّ المُصاب الذي به   تباريحُ حُبٍّ خامرَ القلبَ أو سِحْرُ [3] .
أما والذي أبكى وأضْحَكَ والذي   أماتَ وأحيا والذي أمرُه الأمر ،
لقد تَرَكَتْني أحْسُدُ الوحشَ أن أرى   أليفَيْنِ منها لا يَروعُهُما النَّفْرُ [4] .
فيا هجرَ ليلى ، قد بلغتَ بِيَ المَدى   وزِدتَ على ما لم يكن بَلَغَ الهجر .
ويا حبَّها ، زِدْني جَوىً كلَّ ليلةٍ ؛   ويا سَلوةَ الأيّامِ ، مَوْعِدُكِ الحَشْرُ [5].
عجبتُ لِسَعْيِ الدهرِ بيني وبينها ،   فلمّا انقضى ما بينَنا سكن الدهر [6] .
وانّي لآتيها ، وفي النفس هَجْرُها   بَتاتاً لأُخرى الدهر ما وَضَح الفجر [7] ،
فما هو إلاّ أن أراها فُجاءةً   فأُبْهَتُ لا عُرْفٌ لَدَيّ ولا نُكْرُ [8]
تكاد يدي تَنْدَى إذا ما لمستُها   ويَنْبِتُ في أطرافِها الورقُ الخُضْر !

---

١ ... – حان الوقت أن أسلو (أنسى حبها). يهيجني (يثيرني ، يجدد حبي) .... من حيث يطلع الفجر : منذ مطلع الفجر (كل يوم صباحاً) .
٢ تعروني : تصيبني . القطر : المطر (راجع ص ٤٣٨).
٣ تباريح : توهج (تجدد مع ازدياد) . خامر : داخل واختلط .
٤ النفر : التنفير ، الطرد (ألف كل واحد منهما الآخر حتى نسيا كل ما حولهما ، فإذا مر بهما أحد أو وقع بقربهما حادث فانهما لا يشعران به) .
٥ الجوى : شدة الوجد (التعلق والتأثر اللذان يثيرهما اشتياق أحد إلى آخر) . موعدك الحشر (يوم القيامة) : لا ينتهي أبداً (لا أسلو حبيبتي ولن أنسى ذكرها) .
٦ أنا أستغرب كيف أن الدهر كان يسعى بيننا دائباً حتى أحب كل واحد منا الآخر ، فلما انقضى (انصرم ، زال) ما بيننا (؟) سكن (هدأ) الدهر : كف عن السعي للجمع بيننا . – اللفظ والمعنى الملموح جميلان ، ولكن المقصود بالشطر الثاني غامض . (ألعل المقصود : ان الدهر قرب بعضنا من بعض ثم تركنا من غير أن يجمع بيننا فأدخل على نفوسنا هذا الشقاء) .
٧ وضح الفجر : طلع الفجر (كل يوم) . – كل يوم أزورها وأنا أقول في نفسي : هذه آخر مرة سأزورها فيها .
٨ فجاءة : فجأة ، بغتة ، على غير موعد أو انتظار . بهت (بالبناء للمجهول) : حار ، دهش ، بطل تفكيره وعمله . لا عرف لدي ولا نكر : لا أجزم بما أمامي (لا أدري أي أفضل : أأعرف فضل حبي لها علي أو أنكر شقائي بهذا الحب) .

— كان لأبي صخرٍ الهذلي ولد اسمه داوود لم يكن له غيره فمات فحزن عليه حزناً شديداً وقال يرثيه :

لقد هاجني طيفٌ لداوودَ بعدَما دَنَتْ — فَاسْتَقَلَّتْ — تالياتُ الكواكب [1] .
وما في ذُهول اليأسِ عن غير سَلْوةٍ رَواحٌ من السُّقم الذي هو غالبي [2] .
وعندكَ ، لو يحيا صَداكَ فنلتقي ، شِفاءٌ لمن غادَرْت يومَ التناضب [3] .
فهل لكَ طِبٌّ نافعي من عَلاقةٍ تُهَيِّمُني بين الحَشاء والتَّرائب [4] ؟
ولولا يَقيني انما الموتُ عزمةٌ من الله حتّى يُبْعثوا للمحاسب [5] .
لقلت له ، فيما أُلِمّ برمْسِه : هَلَ انْتَ غداً غادٍ معي فمصاحبي [6] ؟
سألتُ مليكي ، إذ بَلاني بفقْدِه ، وفاةً بأيدي الروم بين المقانب [7] .
ثَنَوْني ، وقد قدّمتُ ثأري ، بطَعْنة تَجيشُ بِمَوّارٍ من الموت ناعب [8] .

---

١ هاجني : أثارني ، أحزنني . الطيف : ما يراه النائم في خياله . دنت : قربت (من مغيبها) فاستقلت (ثم رحلت : غابت) تاليات الكواكب : آخر الكواكب التي تبقى في السماء في الليل (عند انتهاء الليل) .

٢ الرواح : الرجوع في المساء إلى المبيت . رواح (خلاص ، نجاة) من السقم : الضعف (من الحب) . غالبي : مستول علي ، يتملكني . — إذا كان اليأس من لقاء داوود عظيماً تاماً يحمل على الذهول (تشتت الفكر) ثم أنا لا أستطيع أن أسلو (أن أتعزى ، أنسى المصيبة) ، فلا خلاص لي من هذا الحزن الذي يسقمني ويشقيني .

٣ — لا يشفيني مما أنا به إلا أنت إذا عدت إلى الحياة والتقينا . لمن غادرت (لي) يوم التناضب : يوم مت أنت . نضب (بفتح النون وفتح الضاد) فلان : مات (القاموس ١ : ١٣٣) .

٤ — أعندك طب : علاج ، دواء ، وسيلة (غير أن تعود إلى الحياة) يشفي من هذه العلاقة (الحب والحزن الملازمين للقلب) التي تهيمني : تدخل علي الوسواس والجنون . بين الحشا (الامعاء) والترائب (أعلى الصدر) : في القلب .

٥ — ٦ لولا اعتقادي بأن الموت عزمة (حق ، أمر واجب ، سبيل ضروري لا بد منه) حتى يبعث الناس يوم القيامة للحساب ، لقلت ، في كل مرة أمر بقبرك : أأبعث أنا أيضاً معك ونلتقي (أي : لكنت أنكر الحشر) .

٧ مليكي : ربي . وفاة بأيدي الروم : موتاً في الجهاد في بلاد الروم . المقانب جمع مقنب (بكسر الميم وفتح النون) : مخلب الاسد ؛ وجمع مقناب ومقنب أيضاً : جماعة من الخيل .

٨ ثنوني بطعنة : طووا جسمي (قتلوني) بطعنة (من رمح) واسعة ؛ يثور منها دمي (يخرج متدفقاً) فأموت موتاً ناعباً (سريعاً) . وقد قدمت ثأري : بعد أن أكون قد ثأرت منهم (قتلت عدداً كبيراً منهم) .

وقد خِفتُ أن ألقى المنايا — وإنّني لَتابِعُ من وافى حِمامَ الجوالب —[1]
ولمّا أطاعنْ في العَدُوِّ تَنَفُّلاً إلى الله أبغي فضلَه وأضارب[2] ....

— قال أبو صخر الهذلي يردّ على عبد الله بن الزبير (راجع مطلع الترجمة (ص ٤٤٥) :

.... إذَنْ أجدَهُمْ[3] سِباطاً أكُفّهم ، سَمْحةً أنفسُهم ، بُذَلاءَ لأموالِهِمْ ، وهّابين لِمُجْتَدِيهِم[4] كريمةً أعراقُهم ، شريفةً أصولُهم ، زاكيةً فروعُهم ، قريباً من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم نَسَبُهُم وسَبَبُهُمْ[5] . ليسوا إذا نُسِبوا بأوْساط ولا وشائظَ ولا أتْباعٍ ، ولا هم في قريشٍ كفَقْعَةِ القاع[6] . لهم السّؤدَد في الجاهلية والمُلْك في الاسلام ، لا كَمَنْ لا يُعَدّ في عيرِها ولا نفيرِها ولا حَكَمَ آباؤه في نقيرها ولا قطميرها : ليس من أحلافِها المُطَيَّبين ، ولا من ساداتِها المُطْعِمين ، ولا من جُودائها الوهّابين ، ولا من هاشمِها المُنْتَخَبين ، ولا من عبد شمسِها المُسَوَّدين . وكيف نقاتل الرؤوسَ بالاذناب ؟ وأين النّصلُ من الجَفْن والسِنان من الزّجّ والذّنابى[7]

---

١ غير أنني أخاف ألا تتحقق أمنيتي هذه فأموت . — وكل انسان سيتبع بالموت من تقدمه . — ... حمام الجوالب : ....

٢ التنفل : التطوع ، التبرع بالعمل . الطعن يكون بالرمح . والضرب يكون بالسيف .

٣ « أجد » منصوب بالناصب « اذن » . أجدهم : أجد بني أمية .

٤ سبط (بفتح السين وسكون الباء ، أو بفتح السين والباء : طويل) : سخي ، كريم . المجتدى : طالب العطاء .

٥ الاعراق والأصول : الاسلاف . الفروع : الأقارب من الأخوة والأولاد . السبب : الصلة والقرابة .

٦ أوساط الناس : من هم دون الخاصة وفوق العامة . الوشائظ جمع وشيظة (بالظاء المعجمة) : الحشو ، الملحقين بالقبيلة . الفقع : الكمأة (نبات فطر يتولد في قلب الأرض في البادية ويكون عادة في الأرض المطمئنة المنخفضة) . كفقعة القاع (كناية عن الذلة والقلة) .

٧ السؤدد : المجد . النفير : القوم النافرون إلى الحرب . العير : الذين يسوقون القوافل . لا في العير ولا في النفير : لا قيمة له (لا يصلح أن يكون محارباً ولا أن يكون تاجراً) . النقير : النقرة في رأس النواة . القمطير : غشاء رقيق ضئيل في شق نواة التمر أو هو الغشاء الذي حول تلك النواة . لم يحكم في نقيرها ولا قطميرها : لا يؤتمن رأيه وحكمه حتى في هذين الشيئين اللذين لا قيمة لهما . حلف المطيبين : حلف كان في الجاهلية اجتمع لتسوية النزاع بين عبد شمس وأخيه هاشم ابني عبد مناف . النصل : حديد السيف . الجفن : غمد السيف وقرابه . السنان : النصل ، السلاح الذي يكون في أعلى الرمح . الزج : حديدة توضع في أسفل الرمح . الذنابي : الذنب . القدامى : ريشات كبار في الجناح يطير بها الطائر . الجامع : الذي يجمع (يدخر) المال .

من القُدامى ؟ وكيف يُفَضّلُ الشحيحُ على الجَواد والسوقة على الملك والجائع بُخلاً على المُنفق فضلاً ؟

عبيد الله بن قيس الرُقيّات

١ — هو عُبيدُ اللهِ [١] بنُ قيسِ الرُّقيّات بن شُريح من بني عامر بن لُؤيّ ابن غالبٍ ؛ وأمّه قَتيلة بنت وهب بن عبد الله من بني مَناة بن كِنانة . وقد لُقِّبَ بابن قيس الرقيّات لأنه ، فيما قيل ، شبّب بثلاث نِسوة اسمُ كلّ واحدة منهن رُقَيّةُ ؛ وقيل : بل كان له ثلاثُ جدّاتٍ تَواليْنَ في عَمود نسبه اسْمُ كلّ واحدة منهن رقيّة .

وُلِدَ عبيد الله بن قيس الرقيّات نحو سَنَة ١٢ ﻫ (٦٣٣ م) في مكّة ، وفيها نشأ . ولمّا بلغ الخامسة والعشرين من عُمُرِه ، أو نحو ذلك ، ذهب إلى الجزيرة في أعالي العراق وسكنها نحو ثلاثين سنة . ولمّا اشتدّ القتال في الجزيرة بين بكر وتغلب ارتحل عبيد الله بن قيس الرقيّات إلى فلسطين ، ثم عاد بعد مدّة إلى العراق .

وكان عبيد الله بن قيس الرقيّات من أنصار آل الزُّبير مُنْقَطِعاً اليهم ، وقد شَهِدَ مَعَ مُصْعَبِ بن الزّبير معركة دير الجاثليق [٢] . فلمّا قُتِلَ مُصْعَب (٧٢ ﻫ = ٦٩١ م) هرب عبيد الله ثم تَخَفّى في بيت امرأة تُدعى كثيرة فأكرمته . فلمّا ارتحل عن بيتها ، بعد عام أو أكثر ، لم يكن يَعْرِفُ من أمرها شيئاً غيرَ اسْمِها ، ولم تكن هي تعرف من كان ولا ما كان .

ولقد تَنَقّلَ عبيد الله بن قيس الرقيّات حيناً بين مكّة والمدينة ، ثم لَجَأَ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالبٍ واسْتَشْفَعَ به إلى عبد الملك بن مروان فأمّنه عبدُ الملك في حديث طويل . ويبدو أن عبيد الله بن قيس الرقيّات لم

---

١ تجعل بعض المصادر اسم ابن قيس الرقيات « عبد الله » لا « عبيد الله » (راجع عرض عبد السلام محمد هارون لهذه القضية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، ٢ : ٢٧٨ ، الحاشية ٥) .

٢ دير الجاثليق في العراق ، جرت على مقربة منه المعركة التي انتصر فيها عبد الملك بن مروان على مصعب بن الزبير ، سنة ٧٢ ﻫ (٦٩١) .

يَمْكُثْ طويلاً عند عبد الملك ، بل رَحَلَ إلى مِصْرَ ونزل عند عبد العزيز ابن مروان ، في حُلوان ، وبَقِيَ عنده إلى أن تُوُفِّيَ سنة ٧٥ هـ (٦٩٤ م) [١].
والذي نُلاحظه أن السنواتِ الثلاثَ الاخيرةَ من حياته كانت مزدحمةً بالحوادث وبالتنقّل في البلاد .

٢ — عُبيد الله بن قيس الرُّقَيّات شاعرُ قريشٍ في الاسلام غيرَ مُنازَعٍ . وقد كان أشدَّ قريش أسْرَ شِعْرٍ [٢] في الاسلام بعدَ عبدِ الله بن الزِبَعْرَى في الجاهلية . وكذلك كانت أفانينُ شعره كثيرة : له المدح البارع والهجاء الشديد والغزل الرائق . إلاّ أنه كان يُشَبِّبُ ولا يُصَرِّح . وقد كانت أكثر مدائحه وأحسنُها في مصعب بن الزبير . وكان رأيه في السياسة رأياً جَميلاً : يرى أن يتصافى العرب ويجتمعوا وألا يقاوموا قريشاً لأن بقاء العربِ ببقاء قريش . ومما كان يؤخذ على عبيد الله بن قيس الرقيّات أنه لم يكن ثقة في اللغة والنحو ، إذ كان يَلْحَنُ في شعرِه [٣] ؛ وربما جاءت قوافيه لَيِّنةً [٤] .

٣ — المختار من شعره :

— قال عبيد الله بن قيس الرقيّات يمدح مصعب بن الزبير ويفتخر بقيس ويعرّض باليمانية وبني أمية :

حبّذا العيشُ حين قومي جميعاً ... لم تُفَرِّقْ أمورَها الأهواءُ ؛
قبل أن تطمع القبائلُ في مُلْـ ... ـكِ قريشٍ وتَشْمت الاعداء .
أيّها المشتهي فَناءَ قريشٍ ، ... بيد الله عمرُها والفناء .
ان تودِّعْ من البلاد قريشٌ ... لا يكنْ بعدَهم لحيٍّ بقاء .
إنما مصْعبٌ شِهاب من الله ... تَجلّت عن وجهه الظلماء .
مُلْكه مُلكُ قوّةٍ ليس فيه ... جَبَروت ولا به كِبرياء :

---

١ في بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٨ أن عبيد الله بن الرقيات مدح عبد العزيز بن مروان وأكد حقه في الخلافة سنة ٨٥ هـ (٧٠٤ م) ، وذلك وهم .
٢ متانة وشدة .
٣ راجع الموشح للمرزباني ١٨٦ ، ١٨٧ .
٤ الصناعتين ٤٥٠ ؛ الشعر والشعراء ٣٤٥ .

يتّقي اللهَ في الامور ، وقد أفـ لح من كان همَّهُ الاتّقاء [1] .
عينُ ، فابكي على قريش ؛ وهل يـرْ جِـعُ ما فات ـان بـكَـيْـتِ ـ البكاء ؟
مَعْشر حتْفهم سيوف بني العَـلاّ ت يـَخْشَوْنَ أن يضيع اللواء [2] .
ترك الرأسَ كالثّغـامة منّـي نَكَبـاتٌ تَسْري بها الانباء [3] .
ليس لله حُرمة مثلُ بيت نحن حُجّابـه عليه المِلاء [4] ؛
خَصّـه الله بالكرامـة ، فالبـا دونَ والعاكفون فيه سَواء [5] .
حرّقته رجال لخم وعَـكٌّ وجُذامٌ وحِـمْيَـر وصُداء [6] .
فبَنَيْناه بعد مـا حرّقـوه ، فاستوى السَمْكُ واستقلّ البناء [7] .
كيف نومي على الفراش ولمّـا تَشْمَلِ الشامَ غارةٌ شَعْواء [8]
تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيه وتُبـدي عن بُراها العَقيلة العـذراء [9] .

— ولعبيد الله قصيدة يمدح فيها عبد الملك بن مروان جاء فيها :

ما نَقَموا من بني أميّـةَ إلاّ أنّهم يَحْلُمون إن غَضِبوا ،

---

١ يجب مد الهاء في « همه » قبل همزة الوصل في الاتقاء : همو لتقاء .
٢ بنو العلات : الأولاد أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفات ، ويكونون عادة أعداء ....
٣ ترك الرأس كالثغامة (نبت له زهر أبيض) : شيبتني مصائب كثر عنها الكلام .
٤ — ليس في الأرض أقدس من البيت العتيق (الكعبة) ، ونحن حجابه (حماته والولاة عليه) عليه الملأ (مكسواً بالاستار ، كناية عن احترامه وتقديسه) .
٥ البادون : المقيمون في البـادية . العاكفون : المتعبدون في المسجد : في المسجد الحرام في مكة ، كنـاية عن أهل مكة . راجع سورة الحج : « والمسجد الحرام الذي جعلناه للنـاس سواء العاكف فيه والباد (٢٢ : ٢٥) . عن أهل مكة . راجع سورة الحج : « ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه سواء العاكف فيه والباد ؛ ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (القرآن ٢٢ : ٢٥) إشارة إلى غزو بني أمية لمكة .
٦ حرقته (إشارة إلى احتراق الكعبة)....
لخم وعك الخ ... قبائل يمانية (إشارة إلى أن اليمانية هم أنصار بني أمية ، بينما القيسية هم أنصار آل الزبير) .
٧ السمك : السقف . استوى : قام ، ثبت .
٨ الشعواء : متفرقة (عامة . شجرة شعواء : منتشرة الأغصان) غارة شديدة .
٩ .... — تجعل العقيلة (الفتاة الكريمة) العذراء (الصغيرة السن ، المحجوبة) تظهر براهـا (خلاخلها) . والخلخال : حلقة تزين بهـا المرأة ساقهـا (كناية عن اشتداد المصيبة وذهول المرأة عن ستر مـا يجب ستره) .

وأنّهم سادةُ الملوكِ ، فمـــا تَصْلُحُ إلاّ علَيْهِمُ العرب .
إنّ الأغرّ الذي أبوه أبو الـ ـعاصي عليه الوَقار والحُجُبُ :
خليفــة الله فوق منــبره جفّت بذاك الاقلام والكتب [1] ،
يعتدل التــاجُ فوق مفْرِقــهِ على جبين كأنه الذهب [2] !

— حجّت رُقَيّةُ بنت عبد الواحد بن أبي سعدٍ العامرية ، إحدى اللواتي أحبّهن عبيدُ الله بن قيس ، فاتّفق أن كان عبيد الله قريباً منها في الطّواف ، ثم رآها تقبّل الحَجَرَ الأسودَ فقال :

حَبّ ذاك الدّلّ والغَنَــجُ والّتي في عَيْنهــا دعــج [3] .
والّتي إنْ حَدّثتْ كذبتْ ، والّتي في وَعْدها خلــج [4] .
وتُرى في البيت صورتُها مثلَما في البيعة السُّرُجُ [5] .
خَبّـِروني : هلْ على رجلٍ عاشقٍ — من قُبْلةٍ — حرجٍ [6] .

— وكان في شعر عبيد الله بن قيس الرّقيّاتِ ملامحُ من الخصائص المُحْدَثةِ ، غير أنّ النّقادَ في العصر الأُمَويّ لم يكونوا يُحبّونها . قال عبيد الله :

إنّ الحوادثَ بالمـدينةِ قــد أوْجَعْنَني وقَرَعْنَ مَرْوَتَيَه [7] ،

---

١ جف الحبر (لكثرة ما كتبت الاقلام في فضائل بني أمية) وامتلأت الكتب .

٢ لما وصل عبيد الله الى هــذا البيت ظهر الغضب على عبد الملك و قال لعبيد الله : يا ابن قيس ، تمدحني بالتاج كـأني من العجم ، وتقول في مصعب : إنمــا مصعب شهاب من الله .... (راجع فوق ، ص ٤٥٠ ؛ والاغاني ٥ : ٧٩) . ووجه العيب في مدح عبيد الله لعبد الملك هو أن الشاعر عدل في هذا المدح « عن الفضائل النفسية الـتي هي العقل و العفة و العدل و الشجاعة ومـا جانس ذلك .... إلى مـا يليق (فقط) بأوصاف الجسم من البهـاء و الزينة » (الموشح للمرزباني ٢٢١ — ٢٢٢) ، و هذا خلاف المألوف والمفضل في الشعر القديم .

٣ الدل : الإدلال ، طمع المحبوب بمحبه . الغنج : الدلال ، تمنع المحبوب وهو قرب المحب ، جداً أو مزحاً. الدعج : سعة العينين .

٤ الخلج : قلة الثبات على الوعد .

٥ .... مثلما تضيء المصابيح في البيعة (بكسر الباء : الكنيسية) فيمتلىء المكان بالنور .

٦ الحرج : الذنب ، أو ما يؤاخذ عليه الانسان من الأعمال .

٧ المروة : الصخرة التي في المشقر والتي تقرع : ترجم ، ترمى بالحجارة (راجع فوق ، ص ٢٩٢) . قرعن مروتية : أصابتني مصائب كثيرة ، أضعفت جسمي .

وجَبَبْنَني جَبَّ السِنامِ ، ولمْ   يَتْرُكْنَ ريشاً في مَناكِبِيَهْ [1] .

— ومن شعرِه العذب في النسيب :

بَكَرَتْ عليّ عَــواذلي   يَلْحَيْنَني وألومُهُنّــهْ [2] ،
ويَقُلْنَ : « شَيْبٌ قَـد علا   كَ ، وقد كَبِرْتَ ! » فقلتُ ! « إنّه » [3]

— وله مديح في عبد الملك محدث الخصائص إلى أبعد الحدود مما لم يكن مألوفاً قطّ قبل العصر العبّاسي . والابيات في العقد الفريد (٥ : ١٣٨) :

أنتَ ابنُ عائشــةَ الــتي   فَضَلَتْ أُرومَ نِسائِها [4] ،
لم تَلْتَفِتْ لِلِداتِهـــا   ومَضَتْ على غُلَوائِها [5] .
وَلَدَتْ أغَـرَّ مُبـارَكــاً   كالشَّمْسِ وَسْطَ سَمائِها !

٤ — ديوان عبيد الله بن قيس الرقيّات (رود كاناكس) ، فينّا ١٩٠٢ م .
ديوان عبيد الله بن قيس الرقيّات (تحرير محمد يوسف نجم) ، بيروت ١٩٥٨ م . (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٨ م .

** ابن قيس الرقيّات : شاعر الغزل والسياسة ، تأليف علي النجدي ، مصر ١٩٤٩ م .

غ ٥ : ٧٢ — ١٠٠ ؛ بروكلمان ١ : ٤٣ ، الملحق ١ : ٧٨ ؛ زيدان ١ : ٣٣٠ — ٣٣١ .

أُمَيَّةُ بْنُ أبي عائذٍ الهُذَليُّ

١ — هو أُمَيَّةُ بنُ أبي عائذٍ العَمْرِيّ أحدُ بني عَمْرِو بنِ الحارثِ بنِ

---

١ جببني : تعلعني ، قطعن مني . السنام : مخزن الدهن من ظهر البعير : جعلنني هزيلا نحيلا . لم يتركن ريشاً في مناكبي : جعلنني أهرم بسرعة .

٢ يلحينني : يشتمنني ، يهزأن بي .

٣ في البيت اكتفاء ، أي « ان الأمر كذلك (قد كبرت وقد شبت) ، فماذا أفعل ؟ »

٤ أروم جمع أرومة (بفتح الهمزة وضمها) : الاصل ، مجمع النسب . — هي أشرف النساء نسباً .

٥ اللدات جمع لدة : الترب (القاموس ١ : ٣٤٧) ، الذي له من العمر مثل ما لك . الغلواء : أول الشباب . — كانت معجبة بنفسها لأنها أعلى من جميع لداتها نسباً وشرفاً ، فكانت تسير مزهوة بشبابها لا تلتفت إلى أحد .

تَميمِ بنِ سعدِ بنِ هُذَيْلٍ ، من أهلِ باديةِ الحجازِ قريباً من مَكّةَ .

ولا نَعْلَمُ من أخبارِ أميّةَ إلاّ أنه كان من مَدّاحي بني أميّةَ وأنه مَدَحَ عبدَ العزيز وعبدَ الملك ابنَيْ مرْوانَ : ذهبَ إلى مِصْرَ ومدحَ عبدَ العزيز ثم طالَ مُقامُه عندَه [1] ، إذ نالَ عنده حَظوةً كبيرةً . ثم إنّ أميّةَ تَشَوّقَ إلى الباديةِ وإلى أهلهِ فأذِنَ له عبدُ العزيز بالرجوعِ إلى الحجاز . ولعَلّ أميّةَ مدحَ عبدَ الملك بن مروانَ بعدَ رُجوعهِ من مِصْرَ .

ولا نَعْرِفُ متى عاد أميةُ بن أبي عائذٍ الهُذَليّ من مصرَ ، ولا متى كانتْ وفاتُه [2] .

٢ ـ أميةُ بنُ أبي عائذٍ الهُذَليّ شاعرٌ متينُ السَّبْكِ بَدَوِيّ النَفَسِ جاهليّ المَنْهَجِ في قولِ الشِّعر . وقد كان يفتخرُ بأنه كان يُحَبّرُ الكلامَ (يتخيّره) ويجْعَلُه (عَرَبيّاً) صَرِيحاً (خالصاً لا عُجْمَةَ فيه ، واضحَ المعنى) . وكان يَكْرَهُ الشعراءَ المُحْدَثين الذين يُلَفّقون كلاماً ليس على المِنْهاجِ القَويم أو القديم . ومما يَلْفِتُ النّظَرَ أنه استَعْمَلَ كَلِمَةَ «مُحْدَثون» ، لمّا وَصَفَ القصيدةَ التي مدح بها عبدَ العزيزِ بن مَروانَ فقال عنها :

مُحَبّرَةٌ من صَريحِ الكَلا ... مِ ، لا كما لَفّقَ المُحْدَثونا .

والابيات التي أثْبَتَها الأصفهانيّ لأُمَيّةَ بن أبي عائذٍ الهُذَليّ تدورُ على المديح والادبِ في الدّرَجةِ الأُولى ، وفيها شيءٌ من وصفِ الباديةِ ووصفِ الناقة .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ لمّا وَفَدَ أميّةُ بن أبي عائذٍ الهُذَليّ على عبدِ العزيزِ بنِ مَروانَ في مِصْرَ أنشدَهُ قصيدةً منها في الاغاني (٢٠ : ١١٥ ـ ١١٦) :

---

١ راجع الاغاني (طبعة الساسي) ٢٠ : ١١٦ ، السطر ٨ . وكانت ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر من سنة ٦٥ إلى ٨٦ هـ .

٢ في الاعلام للزركلي (١ : ٣٦٢) : كانت وفاة أمية بن أبي عاذ الهذلي سنة ٧٥ هـ (٦٩٥ م) .

أَلا إنَّ قَلْبي مَعَ الظاعنينا ... حَزينٌ، فمَنْ ذا يُعَزّي الحزينا[1]؟

فيا لكِ مِنْ رَوْعةٍ — يومَ بانوا ... بِمَنْ كُنتُ أحسَبُ ألّا يَبينا[2] .

إلى سيِّدِ النـاسِ عبدِ العزيـ ... ـزِ أعمَلْتُ لِلسَّيْرِ حَرْفاً أمونا[3]،

صُهابيّةً كعَلاةِ القُيـو ... نِ مِن ضَرْبِ جَوْهرها يُخْلصونا[4]؛

إذا أزْبَدَتْ مِن تَبارِي المَطـ ... ـيِّ خِلْتَ بها خَبَلاً أو جُنونا[5]:

تَؤُمّ النّواعِشَ والفرْقَدَيْـ ... ـنِ تَنْضُ لِلْقَصْدِ منها الجبينا[6]؛

إلى مَعْدِنِ الخيْرِ عبدِ العزيـ ... ـزِ تُبَلِّغُنا ظُلَّعاً قد حَفِينا[7] .

تَرَى الأُدْمَ العِيسَ تحتَ المُسو ... حِ يُرْعَدْنَ مِن عَرَقِ الأيْنِ جونا[8].

---

١ الظاعنون جمع ظاعن : الذي ينتقل عن الحي إلى مكان آخر (المقصود : الظاعنات !) . يعزي : يسلي ، ينسي الحزين حزنه .

٢ روعة : فزعة ، خوف وحزن يستوليان على النفس . بانوا : بعدوا ، فارقوا ، سافروا . بمن كنت أحسب ألا تبينا : بالفتاة (التي أحبها) والتي كنت واثقاً بأنها لن تتركني .

٣ أعمل : أجهد ، ساق سوقاً شديداً . الحرف : الناقة الضامرة (أو المهزولة من كثر السفر) . أمون : وثيقة الخلق (بفتح الخاء) ، متينة البنيان ، شديدة الاعضاء .

٤ صهابية : لونها مائل إلى الحمرة . العلاة : السندان (الذي يطرق عليه الحداد الحديد) . القيون جمع قين : الحداد . ضرب : نوع ، جنس . جوهر الشيء : ما بنيت عليه جبلته (طبيعته المميزة له من كل ما عداه) . يخلصون : يصهرون بالنار حتى يفرقوا بين المعادن (بين الذهب والنحاس مثلا) . والمعنى : هذه الناقة حمراء اللون لها رأس كالعلاة (السندان) : كبير ، كناية عن عظم جسمها وقوتها . من ضرب جوهرها يخلصونا يفرقون بين المعدن وبين خبثه ، اي الرواسب الغريبة عنه (؟) .

٥ ازبدت : ظهر الزبد على فمها (أو على صدرها) ، كناية عن سرعتها وطول المسافة التي قطعتها . تباري : مباراة ، سباق ، منافسة . المطي جمع مطية : الحيوان الذي يستعمل للركوب (وهنا النياق) . خلت : ظننت . الخبل : فساد العقل ، الجنون .

٦ – (كأنها لسرعتها وجنونها في سيرها) تؤم : تقصد (كأنها مسافرة إلى) النواعش : بنات نعش (مجموعة الكواكب التي تدور حول القطب الشمالي) . الفرقدان : نجم القطب الشمالي (والملموح من قول الشاعر أن نجم القطب الشمالي نجم مزدوج : نجمان يريان لبعدهما نجماً واحداً) .

٧ المعدن : الاصل : المكان الذي ينبع منه الخير . تبلغنا : تصل بنا اليه النياق ظلعا (قد أصبحت تعرج – بفتح التاء والراء – من مشقة السفر : من صعوبة الطريق وطولها) قد حفينا (قد ذهب الجلد من باطن أخفافها : الجزء الذي يمس الأرض من قوائمها) .

٨ الأدم العيس : العيس (الابل البيض يخالط بياضها شقرة) ، الأدم (التي يكون البياض فيها شديد الوضوح . – راجع القاموس ٤ : ٧٣ ، الاسطر ١٥ – ١٨) . المسوح جمع مسح (بكسر الميم) : بلاس (حصير) ، ثوب أسود من جلد (تراكم الغبار الأسود على الابل البيض ، من طول الطريق وصعوبتها ، حتى أصبحت كأنها تلبس ثوباً أسود) . أرعدت (بالبناء للمجهول) الابل : أصابتها =

تَسيرُ بِمَدْحِيَ عبدَ العـزيـ ـزِ رُكبانُ مَكّةَ والمُنْجِدونا[1].
مُحَبَّرَةً مِنْ صَريحِ الكَـلا مِ ، لا كما لفَقَ المُحْدَثونا [2] .
وكان امْرَأً سَيّداً ماجِـداً يُصَفّي العَتيقَ ويَنْفي الهَجينا[3] !

— وقال أميةُ بن أبي عائذٍ في مِصْرَ يَتَشَوّقُ إلى أهلِه ، وكان والي مصر عبد العزيز بن مروان قد رغب اليه بالبقاء في مصر :

مَتى راكبٌ مِنْ أهلِ مِصْرَ — وأهلُه بمَكّةَ — مِنْ مِصْرَ العَشيّةَ راجعُ[4] !
بَلى ، إنّها قد تَقْطَعُ الخَرْقَ ضُمّرٌ — تُباري السُّرى — والمُسْعِفونَ الزَّعازِعُ[5] .

= الرعدة أو الارتجاف (من البرد و المرض) . الاين : التعب . الجون : السود . — ان الابل البيض قد أصبحت من تكاثف الغبار عليهـا (كناية عن طول الطريق و صعوبتها) سود الألوان كأنها تلبس مسوحاً (ثياباً سوداً) .

١ ركبان مكة : المسافرون إلى مكة (المقصود : إلى تهامة ، أي الأرض المنخفضة على ساحل البحر الأحمر) . المنجدون : المسافرون إلى نجد (الهضبة المرتفعة شرق الحجاز) . — ان المسافرين إلى تهامة و إلى نجـد (جميع العرب ، جميع النـاس) يحملون قصائدي في مديح عبد العزيز بن مروان من مكـان إلى آخر (لجودتها) .

٢ محبرة : (قصائدي) محبرة : جميلة كالحبر (بكسر الحـاء وفتح الباء : الثيا ب من الحرير) والتي فيها عنـاية وتأنق . صريح الكلام : الكلام العربي الخـالص في عروبته الواضح في معنـاه . لا كما لفق المحدثون : ليست كالكلام الهجين (الممزوج بألفاظ وتعـابير ليست عربية قـد جمع بعضـه إلى بعض على غير منهـاج عربي فجاءت معانيه غامضة) . المحدثون : الجدد ، الشبان (غير البارعين في اللغة و الشعر) .

٣ — و عبد العزيز رجل (عارف بجيد الكلام) يصفي العتيق (يتخير الشعر الكريم الاصيل) وينفي (يرد ، يرمي ، يبعد) الهجينا (الكلام الممزوج المخلوط بكلام غير عربي صرف) . — ان عبد العزيز يفضل شعري على شعر غيري .

٤ راكب من أهل مصر : زائر لمصر قـد طال مكثه فيها حتى أصبح كأنه من أهلها . أهله بمكة : زوجه وأقاربه يسكنون مكة . العشية : آخر النهار (في آخر عمره : قد أصبح كبيراً جداً في السن فيريد أن يرى أهله قبل أن يموت) .

٥ الخرق : الفلاة المقفرة الواسعة . الضمر جمع ضامر وضامرة : النـاقة النحيلة (السريعة القادرة على قطع المسافات الطوال) . المباراة : المعارضة وسير النـاس جنباً إلى جنب (بخلاف ما يفهم من كلمـة المعارضة اليوم) . السرى : السفر ليلا . هـذه النياق تباري السرى : تسافر ليلا ونهاراً من غـير راحة (مع أن العـادة أن السفر في الصحراء يكون ليلا فقط ثم ترتاح النياق في النهار) . والمسـعفون (المساعدون ، المرافقون في السفر : أصدقاء المسافر ومعينوه) . الزعازع جمع زعزاعة : كتيبة كثيرة الخيل .

متى ما تَجُزْها، يا ابْنَ مَروانَ، تَعترِفْ بلادَ سُلَيْمى، وهي خَوْصاءُ ظُلَّعُ [1].
وباتَتْ تَؤُمّ الدارَ من كل جانبٍ، لِتَخْرُجَ، واسْتَدّتْ عليها المَصارعُ [2].
فلمّا رأتْ أنْ لا خُروجَ، وإنّما لَها من هَواها ما تُجِنّ الأضالِعُ [3]،
تَمَطّتْ بمَجْدٍ سَبْطَرِيٍّ وطالَعَتْ؛ وماذا من اللّوحِ اليَماني تُطالِعُ [4]!

– وله في وصف الناقة بالسُرعة، وهي أبيات تُغَنّى (غ ٢٠: ١١٦):

تَمُرّ كَجَنْدَلَةِ المَنْجَنيـ ـقِ يَرْمي بها السّورُ يومَ القِتالِ [5].
فماذا تُخَطْرِف منْ قُلّةٍ ومن حَدَبٍ وآكامٍ تَوالِ [6]،

---

١ ابن مروان: عبد العزيز. – إذا جازت (قطعت) نياقنا الخرق (الفلاة الواسعة). تعترف (تعرف) بلاد سليمى. خوصاء: غائرة العينين (من التعب والنحول). ظلع جمع ظالع وظالعة: مائلة على شق (جنب) واحد تعرج (بفتح التاء والراء) من التعب أيضاً.

٢ المصارع جمع مصراع (بكسر الميم): أحد قسمي الباب (السبيل، الطريق). – حاولت أن أخرج من مصر إلى الحجاز بكل سبيل فوجدت السبل كلها مسدودة (كان عبد العزيز بن مروان محباً للشاعر وحريصاً على أن يبقيه عنده).

٣ – لما استحال على النوق (علي أنا) أن تغادر مصر وأيقنت أنها يجب أن تكتفي بالحب الذي تكنه في قلبها للحجاز ....

٤ تمطت: أسرعت في السير. المجد: العطاء الكثير. السبطري (في القاموس ٢: ٤٤، سبطر بكسر السين وفتح الباء وسكون الطاء): الطويل، الممتد. طالع فلان الشيء مطالعة: اطلع عليه، تطلع إلى وروده (وصول رسالة مثلا) واستشرفه (حاول رؤيته من بعيد). – ... اكتفيت بأن أتمتع بالعطاء الكثير الذي يغدقه علي عبد العزيز وبالرسائل التي ترد إلي من أهلي. اللوح: كل صفيحة عريضة خشباً كانت أو عظماً إذا كتب عليها (القاموس ١: ٢٤٧، السطر ٢٠). اليماني: نسيج حرير من صنع اليمن. – وماذا تغني الرسالة (عن رؤية الاهل والوطن) ولو كانت مكتوبة على نسيج من الحرير؟

٥ الجندلة: (في القاموس ٣: ٣٥٢): الجندل: ما يقله (يستطيع حمله) الرجل من الحجارة، حجر متوسط الحجم. المنجنيق: آلة من آلات الحرب تقذف (بالبناء للمجهول) بها الحجارة على الاعداء. يرمي بها السور: تقذف من وراء السور (وتكون أكثر سرعة لأنها تكون – مع شدة دفعها بالمنجنيق – منحدرة أو ساقطة من أعلى إلى أسفل). – يصف ناقته بالسرعة.

٦ خطرف: أسرع في مشيته (بكسر الميم)، جعل الخطوة الواحدة بقدر خطوتين. القلة: (بضم القاف): الجبل أو رأس الجبل. الحدب: المرتفع من الأرض. آكام: تلال. توال: متوالية، متتابعة. – تقفز هذه الناقة في سيرها فوق الآكام وفوق قلل الجبال لا يعوقها شيء وهي مندفعة في جريها بسرعة عظيمة.

ومن سَيْرِها العَنَقِ المُسْبَطِرِّ ، والعَجْرَفيّةِ بعدَ الكَلالِ [1] !

٤ — ** الاغاني (طبعة الساسي) ٢٠ : ١١٥ — ١١٦ ؛ زيدان ١ : ٣٠٧ .

قَطَريّ بن الفُجاءة

١ — هو أبو نَعامةَ قَطَرِيّ بن الفُجاءة بن مازن بن يزيد بن زيد مَناة من بني كابية بن حُرقوص [2] .

كان قطريّ في أول أمره مُوالياً للأمويين وسار مع المُهلّب بن أبي صُفرة إلى المشرق وشَهدَ فتح سِجستان بقيادة عبد الرحمن بن سَمُرةَ ، سنة ٤٢ هـ (٦٦٢م) . ويبدو أنه بَقِيَ على ذلك زمناً طويلاً ثم خرج (ثار) في مطلع ولاية مُصْعَبِ بنِ الزبير على العراق (٦٦ — ٧٢ هـ) ، حينما كان العراق تابعاً لعبد الله ابن الزبير ، واعتنق مذهب الازارقة .

والازارقة من الخوارج أتباع نافع بن الازرق ، وكان يَرى أن مخالفيه مشركون يجب قتلُهم معَ نسائهم وأطفالهم . وانتشرت دعوة الازارقة في عُمان واليمامة ثم في الاهواز وكرمان من بلاد فارس . وقد أرسل عبد الله بن الزُبير لقتالهم جيوشاً فهزموها كلّها . ثم ان عبد الله بن الزبير كتب إلى المهلب بن أبي صُفرة [3] يأمره بحرب الازارقة . فانحدر المهلب إلى البصرة وحارب الازارقة وهزمهم في سلسلة من المعارك في الاهواز قُتل فيها نافع بن الازرق (٦٤ هـ = ٦٨٣ م) ، ثم قُتل في الاهواز أيضاً عبيد الله بن مأمون التميمي ثم أخوه عثمان ، فانهزم الازارقة إلى إيذَج (في الاهواز) وبايعوا قطري بن الفجاءة (٦٩ هـ) وسمَّوْه أمير المؤمنين .

ونصب المهلب الحرب لقطري بن الفجاءة تسعَ عَشْرةَ سنة ، أربع سنوات

١ العنق : سير مسبطر (ممتد ، واسع ما بين الخطوات) . العجرفية : قلة مبالاة لسرعته (القاموس ٣ : ١٧٢) . الكلال : التعب . — تستمر في سيرها السريع وهي مرتاحة لا تشكو تعباً مهما طالت طريقها .

٢ راجع البيان والتبيين ٣ : ٢٦٤ والحاشية الثانية (وهي تتعلق بتخريج « كابية ») .

٣ تولى عبد الله بن خازم نيسابور (٦٤ — ٦٩ هـ) لعبد الله بن الزبير ؛ وكان نائبه المهلب بن أبي صفرة .

منها (٦٩ – ٧٣ ﻫ) في أيام استيلاء عبد الله بن الزبير على العراق وفارس ، وسائرها في أيام عبد الملك بن مروان وواليه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان الحجاج قد أقر المهلب على حرب الخوارج .

واختلف الازارقة فسار قَطَرِيّ بمن بقي معه إلى طبرستان فأخذ الجِزية من أهلها ، فولّى عندئذ الحجاجُ على الريّ سُفيانَ بن الأبرد الكلبي وأمره بحرب الخوارج . وتخلى عن قَطَرِيٍّ معظم أتباعه وسقط قطري قتيلاً ، سنة ٧٨ ﻫ (٦٩٧ م) في الاغلب .

٢ – كان قطريّ بن الفُجاءة فارساً شجاعاً * مقداماً ، وكان خطيباً وشاعراً . أما شعره فكان في الحماسة والاستهانة بالموت يصدر فيه عن نفس أبية وشهامة عربية ، متين السبك شديد الأسر [١] . وأما خطبه فهي في الحث على التقوى والتزهيد في الدنيا .

٣ – المختار من شعره ونثره :

– اشتهر قطري بن الفجاءة بالمقطوعة التالية . قال يخاطب نفسه :

أقولُ لها وقد طارت شُعاعاً : من الابطال ، ويْحَكِ ، لا تُراعي [٢] ،
فإنّكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ على الأجَلِ الذي لكِ لم تُطاعي .
فصَبْراً في مَجال الموت صبراً ، فما نَيْلُ الخلود بمُستَطاع !
سبيلُ الموتِ غايةُ كل حيٍّ فداعيهِ لأهلِ الارض داع [٣] .

* في العقد الفريد (١ : ٨٣) : « ما استحيا شجاع قط أن يفر من عبد الله بن خازم وقطري بن الفجاءة» .
١ لقطري بن الفجاءة شيء من الشعر يشبه الغزل في قوله (الكامل ٦١٨ ، السطران ١٣ و ١٤) :

لعمرك ، إني في الحياة لزاهد ، وفي العيش ، ما لم ألق أم حكيم ؛
من الخفرات البيض لم ير مثلها شفاء لذي بث ولا لسقيم .

الخفرات (بفتح الخاء وكسر الفاء) : اللواتي يغلب عليهن الحياء . وأم حكيم هذه هي امرأة من الخوارج قتلت في المعركة بين يدي قطري بن الفجاءة (الكامل ٢١٤) .
٢ شعاعاً : متفرقاً . طارت شعاعاً : هلعت ، خافت خوفاً شديداً . ريع ، يراع (بالبناء للمجهول) : خاف .
٣ غاية : نهاية . ... والموت يدعو جميع الناس (كل الناس يموتون) .

ومَنْ لا يَعْتَبِطْ يَسْأَمْ ويَهْرَمْ وتُسْلِمْهُ المَنونُ إلى انْقِطاع [1] .
ومـا للمرءِ خيرٌ في حيـاةٍ إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المَتاع [2] .

— كان الحجاج قد كتب إلى قطري بن الفجاءة رسالةً يقول له فيها : « أما بعدُ ، فإنكَ مَرَقْتَ من الدين مُروقَ السهم من الرَّمِيَّةِ .... وذاك أنك عاصٍ لله ولِوُلاةِ أمرهِ . غير أنك أعرابيٌّ جِلْفٌ أُمّيٌّ تستطعم الكِسْرة وتَخِفُّ الى التمرة .... تَحِقُ بك طَغامٌ .... يَهُزُّون الرماح .... على خوف وجهد .... [3] » . فرد عليه قطري بالرسالة التالية :

من قَطَرِيِّ بن الفُجاءة إلى الحجاج بن يوسف ، **سَلامٌ على الهُداةِ من الوُلاةِ** الذين يَرْعَوْنَ حريم الله ويرهبون نِقَمَه . فالحمدُ لله على ما أظهر من دينه وأظْلَعَ به أهل السِفال [4] وهَدى به من الضُلاّل ونصر به عند استخفافك بحقّه . كتبتَ إليّ تذكر أني **أعرابيٌّ جلف أمّي** أستطعم الكِسرة وأستشفي بالتمرة . ولَعَمْري ، يا ابن أمِّ الحجّاج ، إنك لَمُتَيَّهٌ في جِبِلّتِك ، مُطْلَخِمٌ في طريقتك ، واهٍ في وثيقتك [5] ، لا تعرف الله ولا تجزع من خطيئتك . يَئِسْتَ واسْتَيْأَسْتَ من ربّك ، فالشيطان قَرينُك لا تُجاذبه وِثاقَك ولا تُنازعه خِناقك [6] . فالحمدُ لله الذي لو شاء أبْرَزَ لي صَفْحتَك وأوْضَحَ لي صَلْعتك ؛ فوالذي نفس قَطَرِيٍّ بيده ، لَعَرَفْتَ [7] أن مقارعةَ الأبطالِ ليس

[1] يعتبط : يموت شاباً . وتسلمه المنون إلى انقطاع : سيموت يوماً (؟) . سيتركه الموت للأمراض .

[2] السقط : الرديء . المتاع : السلعة ، الاداة ، الشيء الذي يستخدم في وجه من وجوه الحاجة . سقط المتاع : الاشياء التي لا قيمة لها أو لا منفعة منها .

[3] مرقت ... : كفرت . الاعرابي : ساكن البادية (هنا) : كناية عن الكفر و النفاق و الجهل بأمور الدين – راجع القرآن الكريم ، في سورة التوبة : الاعراب أشد كفراً و نفاقاً و أجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله (٩ : ٩٨) . الامي : الذي لا يخط و لا يقرأ الخط . الجلف : القاسي الغليظ ، القليل اللباقة . تستطعم الكسرة : تستعطي ، تطلب كسرة من الخبز (كناية عن الحاجة و الجوع) . تخف الى التمرة : تسرع اليها ، تكفيك أو تشبعك (؟) . الطغام : الجهال ، الافدام ، الاوغاد . يهزون .... : يحاربون مدفوعين من غير ارادة منهم و لا مقدرة فيهم .

[4] أعجزهم وجعل أمرهم مضطرباً .

[5] يا ابن أم الحجاج : (كناية عن انه ربيب امرأة ، ناقص التربية ؛ أو كناية عن غموض نسبه) . متيه في جبلتك : مضلل (بالبناء للمجهول) في طبيعتك (منذ خلقت) . مطلخم في طريقتك : على غير بينة من أمرك . واه في وثيقتك : ضعيف في عزيمتك .

[6] الشيطان قرينك : مقرون معك يجرك . لا تجاذبه .... : لا تحاول أن تتخلص من قبضته .

[7] يبدو أن هذه الجملة يجب أن تكون : لو قاتلتني لعرفت .

كتصديرِ المقـال . وأرجو أن يَدْحَضَ اللهُ حُجتَك ويَمْنَحني مُهْجتَك [1] .

— خطب قطريّ بن الفجاءة ذات يوم فقال [2] :

أما بعدُ ، فإنّي أحَذِّرُكُمُ الدنيا فإنّها حُلْوةٌ خَضِرة حُفّت بالشّهَوات وراقت بالقليل .... غرّارةٌ ضرّارة ، خوّانة غدّارة .... لا خيرَ في شيء من زادِها إلاّ التقوى . مَنْ أقلّ منها استكثرَ مما يُؤمِنُه ، ومَنِ استكثرَ منها استكثرَ مِمّا يُوبِقه يُهلِكه ....

٤ — ** الكامل للمبرّد (ليبزغ) ٢١٤ ثم في أخبار الخوارج (ص ٦٠٢ — ٧٠٣ ، وخصوصاً ص ٦١٨ وما بعدها) ، ابن خلّكان (مطبعة الوطن) ٢ : ١٨٤— ١٨٥ ؛ بروكلمان ١ : ٥٨ .

عبد الله بن الزَّبِير الأسديّ

١ — هو عبد الله بن الزَّبِير (بفتح الزاي) بن الأَشْيَمِ بن الأعشى بن بَجْرة ابن قيس بن مُنْقذ بن طَريف بن عمرو بن قَعين بن الحارث بن ثعْلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة .

كان عبد الله بن الزّبير الأسدي من أهل الكوفة ، وكان في الكوفة منزلُه ومنشأه .

بدأت صِلةُ عبد الله بن الزّبير الأسدي ببني أُميّةَ منذ أيام معاوية بن أبي سُفيان : في سنة ٥٧ هـ (٦٧٧ م) كان الوالي على الكوفة عبدُ الرحمن بن أمّ الحَكَم [3] نائباً عن عُبيد الله بن زِياد . واتّفق أن عبد الله بن الزّبير الأسدي

---

١ يدحض (يبطل ، يفند) حجتك . ويمنحني مهجتك : يمكنني من قتلك .

٢ راجع البيان والتبيين ٢ : ١٢٦ — ١٢٩ . وقد رواها نفر للامام علي (راجع البيان والتبيين ٢ : ١٢٦ ، الحاشية الثانية ؛ جمهرة خطب العرب ٢ : ٤٣٥ ، الحاشية الأولى . وراجعها أيضاً في العقد الفريد ٤ : ١٩٧— ١٩٩ ، راجع أيضاً ٣ : ١١٢) .

٣ أبو عبد الله عبد الرحمن بن أبي عقيل بن ربيعة بن الحارث الثقفي ؛ وأمه أم الحكم =

هجا عبد الرحمن هذا فهَدَمَ عبدُ الرحمن دارَه في الكوفة وحبسه مُدّة ؛ فجاء عبد الله إلى دِمَشْقَ مُتَظَلِّماً فعوّضه مُعاويةُ من داره عِشرينَ ألفَ دِرْهمٍ[1] فيما قيل .

وبُويع يزيدُ بنُ مُعاويةَ بالخلافة (٦٠ هـ = ٦٨٠ م) فوفَدَ عليه عبد الله ابن الزّبير الأسدي فأكرمه وأعطاه كتاباً إلى والي الكوفة زياد بن أبيه للزيادة في إكرامه . فلمّا مرّ عبد الله بن الزَّبير الأسدي بقرقيسيا عرَضَ له زُفَرُ بن الحارث الكِلابي — وكان زفر من أنصار عبد الله بن الزُبير (بضم الزاي) — فحبسه أياماً ثم أطلق سراحه[2] .

وكان عبد الله بن الزّبير الأسدي ، من أول أمره ، مُتَّصِلاً بأسماءَ بن خارجة الفَزاريّ[3] يمدحُه ، وكان أسماءُ أيضاً من أنصار بني أميّةَ . من أجل ذلك وقعتِ الوَحْشَةُ بين عبد الله بن الزّبير الأسدي وبين المُخْتار بن أبي عُبيدٍ الثَقَفيِّ الذي كان يَلِي الكوفة (٦٦ — ٦٧ هـ = ٦٨٦ م) لعبد الله بن الزُّبير (الكامل ٥٩٧) بن العوّام[4] .

فلمّا قُتِلَ المُختار بن أبي عُبيد ، سنة ٦٧ هـ ، وجاء مُصْعَبُ بن الزُبير (بضم الزاي) إلى ولاية الكوفة من قِبَلِ أخيه عبد الله حَبَسَ عبدَ الله بن الزّبير

= بنت أبي سفيان (فهو ابن أخت معاوية بن أبي سفيان) . كان عبد الرحمن هذا رجلا غبياً لا همة ، فأراد خاله معاوية أن يستنهض همته فولاه الكوفة فأساء السيرة فعزله ، ثم ولاه مصر ، ثم نقلـه إلى الجزيرة .

١ راجع الاغاني ١٤ : ٢٢١ — ٢٢٢ .

٢ كان زفر بن الحارث الكلابي والياً على الموصل لعبد الله بن الزبير (بضم الزاي) المنافس لبني أمية في الحكم . وكانت قرقيسيا وشمالي العراق تابعين لعبد الله بن الزبير .

٣ أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري من سادات العرب وأشراف الكوفة ، كان فارساً شجاعاً كريماً ممدحاً ، مدحه عبد الله بن الزبير الأسدي وأعشى همدان . ومات أسماء بن خارجة في أيام الحجاج فقال الحجاج فيه : « هل سمعتم بالذي عاش ما شاء ثم مات حين شاء » «(البيان والتبيين ١ : ٢٦٠ ، ٢ : ٧٢) . وكان اسماء بن خارجة أديباً شاعراً رويت له أقوال حكيمة (راجع البيان والتبيين ٣ : ١٤٣ ، ١٧٦) .

٤ عبد الله بن الزبير بن العوام كان منافساً للأمويين في طلب الخلافة ، وقد كان قد بويع بالخلافة فعلا في الحجاز والعراق ومصر واليمن ثم نازع الأمويين من سنة ٦٤ إلى سنة ٧٣ هـ (٦٨٣ — ٦٩٢ م) حتى قتله الحجاج بن يوسف (راجع ترجمة الحجاج بن يوسف) .

الأسديَّ مُدَّةً ثم أطلقه ، فبَقِيَ ابنُ الزَّبير الأسدي مَعَ مُصْعَبٍ حتى قُتِلَ مُصْعبٌ (٧٢ هـ = ٦٩١ م) . في مَطْلَعِ هذا الدَّوْر يجب أن يكون ابنُ الزَّبير الأسديّ قد هجا أسماءَ بنَ خارجة إرضاء لِمُصْعَبٍ ، ولأن بني أميّةَ كانوا في مَطْلَع هذا الدور (منذ موت يزيدَ بنِ مُعاوية ، سَنَةَ ٦٤ هـ) ضِعافاً يتنازعون على الخِلافة ، بينما كان عبد الله بن الزّبير في ذِرْوَةِ قوّتِه في الحِجاز والعِراق ومِصْرَ وخُراسانَ . وبعد مقتلِ مُصعبٍ اتّصَلَ ابنُ الزّبير الأسديّ بعبد الملك بن مَرْوانَ (٦٥ – ٨٦ هـ) ومدحه ، كما اتّصلَ بِبِشْرِ بن مروان (أخي عبد الملك ووالي الكوفة من ٧١ إلى ٧٤ هـ) . ومَعَ قِصَرِ هذا الدّورِ فان مُعْظَم قصائد ابْنِ الزّبير الأسديّ في المديح كانت في عبد الملك وأخيه بِشْرٍ ، وكان حظّ بِشْرٍ منها أكبرَ .

وعاش عبدُ الله بن الزّبير الأسديّ حتى أدرك ولاية الحجاجِ بن يوسفَ على العراق ودخولِه إلى الكوفة ، سَنَةَ ٧٦ هـ (٦٩٥ م) ، فأرسله الحجاج إلى الرّي (خُراسان) للجِهاد فتوُفّيَ فيها قُبيل سَنَةِ ٨٠ هـ ، في الاغلب .

٢ – عبد الله بن الزّبير (بفتح الزاي) الأسديّ شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيدٌ له قصائد طوالٌ ومُقَطّعاتٌ ، ويَرْتَجِلُ أحياناً (الاغاني ١٣ : ٢٥٤) . وقد كان أبوه وابنه شاعرَيْنِ (الاغاني ١٤ : ٢٥٩ ، ٢٦٠) .

وفنون ابن الزّبير الاسديِّ المديحُ والرثاء والادب وبعضُ الغزل والهجاء ، وكان هَجّاءً يُخْشى شَرّه . واسلوبه متين . ومن ميّزاته العصبيةُ الجاهليةُ والعاطفة الدينية الاسلامية . ومع أن في شعْره شيئاً من التهَكّم فإنّ طَلاوته قليلة .

٣ – المختار من شعره :

– لمّا عاد عبدُ الله بن الزَّبير الأسديّ من الشام إلى الكوفة بكتابٍ من يزيد بنِ مُعاويةَ (ص ٤٦٢) إلى عُبيد الله بنِ زياد دخل على عُبيد الله بن زِياد وأنشده قصيدةً منها :

ألَمْ تَعْلَمي ، يا لَيْلَ ، أنّـيَ لَيّـنٌ ... هَضومٌ ، وأني عَنْبَسٌ حين أغضبُ[1].
وأنّي متى أُنْفِق من المال طارفـاً ... فانّيَ أرجو أن يَثُوبَ المُثْوَّب[2] .
أأنْ تَلِفَ المالُ التِلاد بحقّـه ... تَشَمّسُ لَيْلى عن كلامي وتَقْطِبُ[3] ؛
عَشيّةَ قالت ، والرِكابُ مُناخـةٌ ... بأكوارِها مشدودةٌ : أين تذهب[4] ؟
أفي كل مِصْرٍ نازحٍ لَكَ حاجـةٌ ... كذلك ؟ ما أمرُ الفتى المُتَشَعّب[5] !
فواللهِ ، ما زالت تُلَبّثُ ناقـتي ... وتُقْسِمُ ، حتى كادت الشمس تَغْرُب[6].
دَعيني ؛ ما للموت عنّيَ دافعٌ ، ... ولا للذي ولّى من العيش مطلب .
إليكَ ، عُبيدَ اللهِ ، تَهْوي رِكابُنا ... تَعَسّفُ مجهولَ الفَلاةِ وتَدْأب[7] .
وقد ضَمِرَتْ حتى كأنّ عيونَهـا ... نِطافُ فَلاةٍ ماؤها يَتَصَبّب[8] .
فقلتُ لها : لا تشتكي الأينَ ، إنّـه ... أمامَك قَرْمٌ من أميّةَ مُصْعَب[9].

---

١ يا ليل : يا ليلى (منادى مرخم محذوف آخره) . هضوم : منفق لماله . العنبس : الاسد .
٢ المال الطارف : المال الجديد ، المكتسب « الذي حصله صاحبه » ... ثاب : رجع ، عاد . المثوب : المعطى ، الذي تصدق به أو تبرع به صاحبه (كلما أنفقت مالا رجوت أن يعوضني الله بدلا منه) .
٣ المال التلاد : القديم ، الموروث . بحقه : في وجوهه التي يجب أن ينفق فيها . تشمس (تتشمس) : تنفر مني وتعرض عني ثم تعبس في وجهي (ان كرمي يغضب امرأتي ليل) .
٤ الركاب (النياق) مناخة (باركة) مشدودة بأكوارها (على كل واحدة منها الرحل أو السرج) – معدة ومهيأة للسفر .
٥ مصر : بلد . نازح : بعيد . المتشعب : متفرق ، كثير الوجوه . شارح الاغاني (١٤ : ٢٣٥ ، الحاشية ٢) يجعل « ما » زائدة فيصبح البيت : أفي كل مصر نازح لك حاجة ؛ كذلك أمر (عادة) المتشعب . ومعنى الذي أثبته أنا : أفي كل مصر نازح لك حاجة كذلك ! (أي من السفر : أتريد أن تسافر إلى كل بلد بعيد ؟) ما أمر الفتى المتشعب ؟ : ما ذلك الأمر المتشعب الوجوه (في السفر) الذي تعوده هذا الرجل .
٦ تلبث ناقتي : تؤخرها عن السفر . وتقسم (أيماناً) .
٧ تهوي : تسرع . تعسف (تتعسف) الطريق : تسير فيها على غير هدى (تلاقي فيها صعوبة ومشاق) .
٨ ضمر : هزل ونحل (أصبح مهزولا نحيلا) . بعير نطف (بفتح النون وكسر الطاء) : قد تقرح جسمه من كثرة حك الرحل (السرج) بجسمه (لكثرة هزاله وبعد سفره) . عيونها (هنا) خيارها (أحسن إبلنا أصبحت لطول السفر ومشقة الطريق نحيلة مهزولة قد تقرح جسمها وجعل الماء، أي الصديد الخارج من القروح ، يتصبب ، أي يسيل بكثرة) .
٩ الاين : التعب . القرم : الرجل السيد العظيم . المصعب : الشديد القدير (وأصل القرم المصعب الجمل الذي يترك سارحاً لا يركب ولا يحمل شيء عليه ، بل يراد للفحولة أو للنسل ، وهذا يكون عادة قوياً جداً) .

إذا ذكروا فضلَ امْرِئٍ كان قبلَـه ، ففضلُ عُبيدِ الله أثرى وأطيب [1] .
وإنك لو يُشْفَى بك القَرْحُ لم يَعُدْ ؛ وأنت على الأعداء ناب ومِخْلَب [2] .
وأنت إلى الخيراتِ أولُ سابقٍ ، فأبْشِرْ ، فقد أدركتَ ما كنت تَطْلُب !

— لمّا جاء الحجّاج بن يوسف إلى الكوفة وقَتَلَ عُميرَ بنَ ضابىءٍ البُرْجُميّ (راجع ترجمة الحجّاج ، تحت) التقى عبدُ الله بن الزَّبير الاسديّ بصديقٍ له اسْمُهُ ابراهيمُ بنُ عامرٍ الاسديّ ، في سوق الكوفة ، فسأله ابراهيمُ عن الخبر ، فأنشده عبد الله :

أقولُ لإبْراهيمَ لمـا لَقيتُـه : أرى الأمرَ أمسى واهياً مُتَشَعِّبا [3] .
تَخَيَّرْ : فإمّا أنْ تزورَ ابنَ ضابىءٍ عُميراً ، وإمّا ان تزورَ المُهَلَّبا [4] !
هما خُطّتا خسفٍ نَجاؤُك منهمـا رُكوبُك حَوْلِيّاً من الثلج أشْهبا [5] ،
فأضحى ، ولو كانتْ خُراسانُ دونَـه رآها مكانَ السوق أو هي أقربا [6] .

---

١ كان قبله = كان قبل زمانه . أثرى : أكثر .

٢ القرح (بفتح القاف) : أثر السلاح في البدن . القرح (بضم القاف) : الألم . لم يعد : لم يرجع (؟) — لعله يقصد : إذا شفيت أنت جرحاً لأحد لم يصب بعدها بجرح قط (إن الذي تعطيه أنت اليوم عطاء لن يفتقر بعد ذلك أبداً) . أما على الأعداء فأنت ناب (سن ومخلب ظفر ، مفرد أظفار) تتغلب على الاعداء وتصطادهم (تقهرهم) .

٣ الواهي : الضعيف . المتشعب : المتفرق (ان حالنا شخصياً أصبحت صعبة : نفوذنا ضعيف والأشياء المطلوبة منا كثار .....

٤ .... عليك ، يا صاحبي ، أن تختار أحد أمرين : إما أن تزور عمير بن ضابىء (اما ان تقتل كما قتل عمير بن ضابىء) وإما أن تزور المهلبا (واما أن تذهب مع المهلب بن أبي صفرة إلى قتال الخوارج ، وحينئذ يمكن أن تقتل أيضاً) .

٥ الخطة : الطريقة . الخسف : الذل . نجاؤك : خلاصك . الحولي (الفرس أو الجمل الذي مر عليه حول ، أي عام كامل ، وهو يكون عندئذ قوياً جداً) . أشهب : أبيض. من الثلج أشهب : أشهب من الثلج : أشد بياضاً من الثلج . والشاعر يستعمل هنا « أشهب » (اسم تفضيل من « الشهبة » : البياض) خلافاً للقاعدة المشهورة التي لا تقر صياغة اسم التفضيل من الألوان والعيوب على وزن « أفعل » ، وان كان الكوفيون يجيزون ذلك .

٦ — والذي لا يريد أن يقتل كما قتل عمير بن ضابىء ولا يريد أن يذهب إلى الغزو يهرب إلى خراسان (البعيدة) ثم يراها أقرب من الذهاب إلى السوق ، أي إلى سوق حكمة (بفتح الحاء والكاف) وهو مكان قريب من الكوفة (الهرب إلى مكان بعيد مثل هذا أهون من الموت أو من الذهاب إلى حرب الخوارج) .

– وقال يمدح أسماءَ بنَ خارجةَ بن حِصْنٍ الفَزاريّ :

إذا ماتَ ابْنُ خارجةَ بنِ حِصْنٍ فلا مَطَرَتْ على الارض السماءُ ،
ولا رَجَعَ الوفودُ بغُنْمِ جيشٍ ، ولا حملت على الطُهْرِ النساء .
لَيَوْمٌ منك خيرٌ من أناسٍ كثيرٍ حولَهم نَعَمٌ وشاء [1] .
فبُورِكَ في بَنيكَ وفي أبيهم إذا ذُكِروا ، ونحن لكَ الفِداء !

– روى أبو تمّام في باب الرثاء من ديوان الحماسة أبياتاً هي (آل حرب : بنو أمية . هِنْد ورَمْلة ابنتا معاوية بن ابي سفيان) :

رمى الحَدَثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ بمِقدارٍ سَمَدْنَ له سُمودا [2] ،
فرَدَّ شعورَهنّ السودَ بيضاً ، وردّ وجوهَهن البيضَ سودا .
فإنّك لو رأيتَ بُكاءَ هِنْدٍ ورَمْلَةَ ، إذْ تَصُكّانِ الخدودا [3] ،
سَمِعْتَ بُكاءَ باكيةٍ وباكٍ أبَانَ الدهرُ واحِدَها الفريدا [4] .

٤ – ٥ الاغاني ١٤ : ٢١٧ – ٢٦٢ ؛ زيدان ١ : ٣٠٥ – ٣٠٦ .

توبة بن الحميّر [5]

١ – هو تَوْبَةُ بنُ الحُمَيِّرِ بن حَزم بن كعب بن خَفاجة بن عمرو بن عَقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ وأمّه عامرة بنت والبة بن الحارث الأسدية .

---

١ – أنت في يوم واحد من أيامك خير من جماعة كثيرين من الناس في جميع أيامهم ، ولو كان حولهم نعم (ابل) وشاء (غنم) كثيرة (يقصد : ولو كانوا أغنياء كثيراً) .
٢ الحدثان : نوائب الدهر . المقدار : القدر (الأمر المحتوم : الموت) . سمد : حزن حزناً شديداً جعله ينغفل عن كل شيء وينساه .
٣ صك الخد : لطمه في المصيبة .
٤ – أبعد الدهر عنها ابنها الوحيد (أخذه الموت) .
٥ جمع أبو الفرج الاصفهاني بين ترجمته وترجمة ليلى الاخيلية (غ ١١ : ٢٠٣ – ٢٥٠) ؛ راجع أيضاً الامالي ١ : ٨٦ – ٩٠ .

تَوْبَةُ بنُ الحُمَيِّرِ أحدُ عشّاق العرب المُتَيَّمينَ ، كان في أوّل أمرِه امْرَأً غزِلاً مُغامراً وصاحبَ غاراتٍ .

ثم ان توبةَ تَعَشّقَ ليلى الأخيلية وخطبها إلى أبيها فردّه أبوها ثم زوّجها أبوها لرجلٍ من بني الأدلع . ولقد قصَرَ توبةُ همّه على ليلى وظلّ وفيّاً لها ، وكان يزورُها بين الفَيْنةِ والفينة ، ولكن من غير ريبة . فلمّا علِمَ أهلُها بذلك شكَوْهُ إلى السّلطان (الوالي) فأهْدَرَ السلطانُ دمَه (أذِنَ لأهلِها أن يقتلوه) إن هو عاد إلى زيارتها .

وقُتِلَ توبةُ بن الحُميّر في نِزاعٍ مَعَ قومه بني عقيل من آل عَوْف ابن عامر في حديث طويل جداً [1] ، وذلك سَنَةَ ٨٠ هـ (٦٩٩ م) في الاغلب .

٢ ـ تَوبةُ بن الحُمَيّرُ شاعرٌ غَزِلٌ رقيقٌ فصيحُ الألفاظِ سهلُ التراكيب قويّ العاطفة ، ولكن ربّما تردّد الرواةُ في نسبةِ الشعرِ بينَه وبينَ مجنون ليلى [2] .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ قال توبة بن الحميّر يتشوق إلى ليلى :

نَأَتْكَ بليلى دارُها لا تزورُها ، وشَطّتْ نَواها واسْتَمَرّ مريرُها [3] .
يقول رجالٌ : لا يَضِيرُكَ نأيُها ؛ بَلى ، كلّ ما شَفّ النفوسَ يَضيرها [4] .
أظُنّ بها خيراً وأعْلَمُ أنّها ستَنْعَمُ يوْماً أو يُفَكّ أسيرها .
أرى اليومَ يأتي دون ليلى كأنما أتت حُجَجٌ من دونها وشهورها [5] .
حمامةَ بَطْنِ الوادِيَيْنِ ، ترَنّمي ، سَقاكِ من الغُرّ الغوادي مَطيرها .

---

١ غ ١١ : ٢١٠ - ٢٢٤ ؛ الكامل ٧٣٢ - ٧٣٣ .
٢ الكامل ٤٥٠ .
٣ نأتك دارها : بعدت عنك . شط : ابتعد . النوى : الغربة ، البعاد . استمر : دام . مريرها : عزمها (على البعد) .
٤ ضار ، يضير : أضر ، يضر ، آذى . شف الرجل (مفعول به) الحزن أو الهم (فاعل) : جعله مهزولا نحيلا .
٥ ـ كل يوم يمر من غير أن أرى ليلى كأنه حجج (سنون) بشهورها التامة .

أبِيني لنا ، لا زال رِيشُكِ ناعماً ، ولا زلْتِ في خضراءَ عالٍ بريرها [1] .
فإنْ سَجَعَتْ هاجت لعينِك عَبْرَةً ، وان زَفَرَتْ هاج الهوى قرقريرها [2] .

— وقال في ليلى أيضاً :

ولو أنّ ليلى الأخيليّةَ سلّمتْ عليّ ، ودوني جَنْدلٌ وصَفائحُ [3] ،
لسلّمتُ تسليمَ البَشاشةِ أو زَقا اليها صَدىً من جانب القبر صائح [4] .
وأُغبَط من ليلى بما لا أناله ؛ ألا كلّ ما قرّت به العين صالح [5] .

— روى أبو بكر الاصفهاني لتوبة بن الحميّر (كتاب الزهرة ١٥٩ — ١٦٠) :

كأنّ القلبَ ليلةَ قيل : يُغْدَى بليلى العامريّةِ أو يُراحُ [6] ،
قَطاةٌ غرّها شَرَكٌ فباتَتْ تُجاذِبُهُ وقد علِقَ الجَناح [7] .
فلا في الليلِ نامتْ واطمأنّتْ ، ولا في الصّبحِ كان لها بَراح [8] .

— وروى أبو بكر الاصفهاني لتَوْبةَ أيضاً (كتاب الزهرة ١٦١) :

قالت مَخافةَ بينِنا ، وبكتْ له —والبينُ مبعوثٌ على المُتَخَوِّفِ[9]—:

---

[1] خضراء : حديقة أو واحة خضراء . البرير : ثمر شجر الاراك . عال بريرها : نامية ، مثمرة .

[2] سجعت : غنت . عبرة : دمعة . زفرت : صعدت نفساً حاراً من شدة الحزن . القرقرير : صوت الحمام .

[3] ودوني جندل وصفائح (حجارة كبيرة وحجارة كالالواح : في قبر) : ميت مدفون .

[4] زقا : صاح . الصدى : رجع الصوت ؛ طائر خرافي يخرج من رأس الانسان المقتول ويلازم قبره .

[5] يحسدني الناس على ما يظنون أنني أناله من ليلى . أنا راض بهذا الحسد (لأنه يدخل شيئاً من السرور على نفسي) — وكل ما سر النفس صالح (في أقوال العامة : صيت غنى ولا صيت فقر) .

[6] .... سيرتحل قوم ليلى بها في الغداة (الصباح) أو في الرواح (المساء) .

[7] غرها شرك : غرها (حسبته شيئاً آخر : حسبت الحب الذي فيه طعام لخيرها هي) أو غرها شرك : حسبت أنه شرك ضعيف يمكن أن تتخلص منه بسهولة . تجاذبه : تحاول أن تفلت منه فتجد أنه ممسك بها بقوة . القطاة : اسم طائر .

[8] — قضت طول الليل تحاول الافلات من هذا الشرك (ولم تنم) فما استفادت . براح : ذهاب (خلاص من الشرك) .

[9] البين مبعوث على المتخوف : (حينما يشتد خوف الانسان من وقوع مكروه يكون ذلك دليلا على اقتناع ذلك المتخوف أن ثمت أسباباً أكيدة تجعل وقوع ذلك المكروه منتظراً) .

لو ماتَ شيءٌ من مَخافةِ فُرْقةٍ ، لأماتني لِلْبَيْنِ طولُ تَخَوُّفي [1] .
ملأ الهوى قلبي فضِقْتُ بحَمْلِهِ حتّى نَطَقْتُ به بغيرِ تَكَلّف !

٤ ــ ** الاغاني ١١ : ٢٠٣ ــ ٢٥٠ ؛ راجع بروكلمان ١ : ٥٨ ، الملحق ١ : ٩٣ ــ ٩٤ ؛ زيدان ١ : ٣٤٥ ــ ٣٤٧ .

سُراقةُ بن مِرداسٍ البارقيّ (الاصغر)

١ ــ هو أحدُ ثلاثةِ نَفَرٍ يُدْعَوْنَ سُراقة بن مِرْداسٍ ، اثْنانِ منهما من بني بارق . وحياة سُراقةَ هذا غامضة جداً . ذكر ابن عساكر (٦ : ٧١) أن سُراقة هذا شَهِدَ معركة اليرموك (١٥ هـ = ٦٣٦ م) ، فعلى هذا يجب أن تكون وِلادته قُبيلَ الهِجرة بسَنَوات قليلة .

ولا نعلم من حياة سُراقةَ العامةِ إلاّ قصته الطويلة مع المُختار بن أبي عبيد الثقفي :

كان المختار بن أبي عُبيد يدعو لمحمد بن الحَنَفِيّة ــ ابن علي بن ابي طالب من امرأته خَوْلة الحنفية ــ ويُقاتلُ عبدَ الله بن الزُبير وعبدَ الملك بن مروان . واستَوْلى المختار على الكوفة زمناً . وفي سنة ٦٦ هـ (٦٨٥ ــ ٦٨٦ م) ثار أهل الكوفة بالمختار ولكنه تغلّب عليهم ووَقَعَ في يده أسرى منهم كثيرون . وكان المختار لا يُؤتى بأسيرٍ إلاّ قتله . فجِيء اليه بسُراقة ، فلمّا أراد المختار أن يقتلَه قال له سُراقة يَنْفُخُ في خُيَلائه : إنك لن تستطيعَ قتلي حتى تَفْتَح الشام ! فعفا المختار عنه . ثم جيء بسُراقة أسراً إلى المختار ثانيةً فثالثةً ، فأقْسَمَ سُراقةُ بين يَدَيِ المختار إنه لم يقعْ أسيراً إلاّ لأن الملائكةَ كانت تُقاتلُ في جيش المختار ، وأن الملائكة همُ الذين أسروه . وبعد أن طلب المختار من سُراقة أن يصعد المِنبر ويُخْبِرَ الجند بما رأى أطلق سَراحه . وهكذا استطاع سُراقة بدهائه وظَرْفه أن يَنْفُذَ إلى الغرور السياسيّ في المختار وأن ينجوَ من القتل ثلاث مرات .

---

[1] للبين : من خوف البين (الفراق) .

ويبدو أن وفاة سُراقة كانت في حدود سنة ٨٠ هـ (٦٩٨ م) بعد معركة كازرون أو كازر .

٢ – كان سُراقةُ البارقيّ رجلاً جميلاً وشاعراً ظريفاً حَسَنَ الإنشادِ تحبّه الملوك . وشعره أمويّ الخصائصِ وخصوصاً في الفخر والمدح والهجاء . وله وصف للخيل وشيء من الحكمة . ورثاؤه باب من الحماسة لأن أكْثَرَ رثاءَ الذين قُتلوا في المعارك من قومه ورِفاق معاركه .

٣ – المختار من شعره :

– بعث بِشر بن مروان عبد الرحمن بن مِخْنَف إلى قتال الازارقة أصحاب قَطَريّ بن الفُجاءة ، فكان اللقاء بكازر فخرّ عبد الرحمن بن مخنف قتيلاً . فقال سُراقة يرثيه :

ثَوى سيّدُ الأَزْدَيْنِ : أزدِ شَنُوءَةٍ وأزدِ عُمانٍ رَهْنَ رمسٍ بكازَرِ .
وقاتل حتى مات أكرمَ مِيتَةٍ بأبيضَ صافٍ كالعَقيقة باترِ [١] .
وصُرِّعَ حول التلِّ تحت لوائهِ كرامُ المساعي من كرامِ العشائرِ [٢] .
قضى نَحْبَهُ يوم اللقاء ابنُ مِخْنَفٍ وأدبرَ عنه كلّ ألْوَثَ دابرِ [٣] .
أمدّ ولم يُمْدَدْ ، ومات مُشَمّراً إلى الله لم يَذْهَبْ بأثوابِ غادرِ [٤] .

– قال سراقةُ بن مرداسٍ البارقي يمدح ابراهيمَ بنَ الأشتر وأصحابَه بعد أن قَتلوا عبيدَ الله بن زياد :

---

١ بأبيض (بسيف أبيض مصقول) صاف (من حديد صاف : فولاذ) . العقيقة : ما يبقى من شعاع البرق في السحاب (القاموس ٣ : ٢٦٦) كناية عن صفائه وسرعة حركته (؟) . باتر : قاطع (يفصل الجسم الذي يصيبه) .

٢ سقط تحت لوائه (في الدفاع عنه) جماعة كبيرة كرام المساعي (ذوو أعمال كريمة مجيدة) من كرام العشائر (من ذوي النسب الشريف والاصل الكريم) .

٣ قضى نحبه : مات . يوم اللقاء في القتال (مقبلا على العدو) . وأدبر عنه : هرب من المعركة وتركه وحده . الألوث : المسترخي ، البطيء الحركة . الدابر : الذي يولي (يهرب من المعركة) .

٤ أمد (أنجد من قبل كل من كان محتاجاً الى النجدة) ولم يمدد (لم ينجده الآن أحد) . مات مشمراً الى الله : مسرعاً الى الجهاد يطلب به وجه الله . لم يذهب بأثواب غادر : لم يغدر بأحد (لم يخذل أحداً : لم يخن مبدأه) .

أتاكم غُلامٌ من عرانينِ مَذْحِجٍ جريءٌ على الأعداء غير نَكولِ [1] .
فيا ابن زِيادٍ ، بُؤْ بأعظمِ مَـأبأٍ وذُقْ حدَّ ماضي الشَفْرتين صَقيل [2] :
ضَرَبناكَ بالعَضْبِ الحُسام فلم نَجُرْ إذا ما أبَـأنا قاتلاً بقَتيـل [3] .
جَزَى اللهُ خيراً شُرْطَةَ اللهِ ، إنّهـم شَفَوْا من عُبيد الله أمسِ غَليلي [4] .
وأجـدِرْ بهندٍ أن تُساقَ سَبِيّةً لها من بني إسحقَ شرَّ حَليل [5] .

— كان سُراقة قد انقلب على المختار فقُبِضَ عليه ليُؤتى به إلى المختار فأشاع أن الذي أسره ليس جندَ المختار بل الملائكةُ الذين كانوا يقـاتلون مَعَ المختار . فانتهز المختار هذه الفرصة وأمر سُراقةَ بإعلانِ ذلك من على المنبر ، تأييداً لنفسه في أتباعه ، ثم عفا عن سراقة وأمره أن يخرج من العراق . ولكنّ سراقة لحق بمُصْعَبِ بن الزبير ثم قال يتهكّم بالمختار :

ألا أبْلِـغْ أبـا إسْـحق أني رأيتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمَتاتِ [6] .
كفرتُ بوَحْيِكُمْ وجَعَلْتُ نَذْراً عَلَيّ قِتالَكم حتّى المَماتِ .
أري عَيْنَيّ ما لم تَرْأيـاهُ ؛ كِلانـا عـالمٌ بالتُرّهـات [7] !
إذا قالوا أقولُ لهم : كَذَبْتُمْ ؛ وان خَرَجوا لَبِسْتُ لهم أداتي [8] .

---

١ العرنين : الأنف ، الشيء البارز ، النبيل الشريف . مذحج : قبائل من اليمن . النكول : الذي يتراجع في القتال ، الذي يغدر .
٢ باء : رجع ؛ حمل ذنباً .
٣و٤ المأبأ : الوزر ، الذنب . أباء قـاتلا بقتيل : قتله بـه (وكان الحسين بن علي قد استشهد في كربلاء في ولاية عبيد الله بن زياد على الكوفة) . العضب الحسام : السيف القاطع .
٥ هند أم معاوية بن أبي سفيان . وأجدر بهند : كان الاجدر بهند ، اشارة إلى ان هند أم معاوية هي جدة عبيد الله ، لأن معاوية كان قـد ألحق زياداً (والد عبيد الله) بنسبه وجعله أخاه (راجع قصة الاستلحاق ، فوق ، ص ٣٨٧) ، مز بني اسحق : اليهود . الحليل : الزوج .
٦ البلق جمع أبلق : ابيض . الدهم جمع أدهم : اسود . مصمت : ممتلئ الجسم ، ثقيل (هذه اشارات إلى الخيل ...) ابو اسحق : كنية المختار بن أبي عبيد .
٧ ترأياه : ترياه (من رأى يرى) . الترهات : الخداع والكذب والأقوال التي لا معنى لها .
٨ إذا هم صدقوني ونقلوا عني أن الملائكة كانت تحارب معهم فسأقول لهم : ان هذا كذب ؛ وإذا خرجوا إلى إلى القتال لبست لهم أداتي (درعي وسلاحي) وقاتلتهم من جديد .

– قال سراقة بن مرداس البارقي يهجو جريراً ويفضّل عليه الفرزدقَ :

لِمَنِ الديارُ كأنهن سطورُ قَفْرٌ عَفَتْهُ روامسٌ ودُهورُ[1] ؟
تخشى ربيعةُ أن أُلِمَّ بدارِها ؛ وكأنني بطلابِها مأمورُ[2] .
يا بشرُ ، حُقَّ لوَجْهِكَ التَّبْشيرُ : هلاّ غَضِبْتَ لنا وأنت أميرُ[3] ؟
حَرِّرْ كُليباً ، ان خير صَنيعةٍ يومَ الحسابِ العِتْقُ والتحريرُ[4] .
هبْ لي وَلاهُمْ ، أوْ لِأدنى دارمٍ ؛ إني ، وربّي ، إنْ فعلتَ شَكورُ[5] .
اضْرِبْ عليهم في الجواعِرِ حَلْقَةً تبقى ، فان إباقهم مَحْذورُ[6] .
ما يَطْلعون مَعَ الكرامِ ثَنيّةً ؛ ولهم منازلُ دون ذاك وُعورُ[7] .
أبْلِغْ تميماً غَثَّها وسمينَها – والحُكْمُ يَقْصِدُ مرةً ويَجورُ –[8]
أنَّ الفَرَزْدَقَ بَرَّزَتْ حَلَباتُه عَفْواً ، وغُودِرَ في الغُبارِ جَريرُ[9] .
ما كان أول مِحْمَرٍ عَثَرَتْ به أنسابُه ، ان اللئيم عَثورُ[10] .
ذهبَ الفرزدقُ بالفضائلِ والعُلا ، وابنُ المَراغةِ مُخَلَّفٌ مَحْسورُ[11] .

---

١ الروامس : الرياح التي تدفن الآثار . الدهور : طول الزمن .

٢ – ان مروري على ديار ربيعة يجر عليها المصائب . الطلاب : الطلب ، الاقتصاص . العقاب . مأمور : موكل به (من عند الله) .

٣ هذا البيت مطلع قصيدة جرير في هجاء سراقة . بشر بن مروان والي الكوفة (٧١ – ٧٤ هـ) . – أنت يا بشر ، أمير مسؤول (عن كليب قوم جرير) .

٤ يوم الحساب : في الآخرة عند الله . العتق والتحرير : تحرير الارقاء والعبيد .

٥ اجعل ولاءهم إلي (اجعلني سيداً لهم وحامياً) . أدنى دارم : أقل رجل قيمة في بني دارم (قوم الفرزدق) .

٦ الجواعر جمع جاعرة : دبر الدابة . الحلقة : سمة (علامة) في الابل . الاباق : فرار العبيد . محذور : يخشى . – قوم جرير عاقون يهربون من مواليهم (أسيادهم) .

٧ – الثنية : الطريق في الجبل أو إلى الجبل . لا يطلعون مع الكرام ثنية : لا يبلغون المكانة التي يبلغها الكرام (لا يعملون عملا كريماً) . وبيوتهم في سفح الجبل (كناية عن المذلة) . منازل وعور : صعبة الطريق ، لا يصل الانسان اليها بسهولة (لا يصدهم الناس لأن طريق بيوتهم وعرة ببخلهم) .

٨ غثها وسمينها : أراذلها وأشرافها (جميع بني تميم) . يقصد : يعدل ، يصيب . يجور : يميل عن الحق ، يظلم .

٩ الحلبات جمع حلبة (بسكون اللام) : الدفعة من الخيل . – خيل الفرزدق سبقت عفواً (وهي مرتاحة) وبقيت خيل جرير في الغبار (متأخرة عن سائر الخيل) غلب الفرزدق جريراً في الهجاء غلبة ظاهرة .

١٠ المحمر : اللئيم .

١١ المراغة : الحمارة ، الاتان . ابن المراغة : جرير . مخلف : متأخر . محسور : منقطع من طول المدى (الذي تعب ولم يستطع أن يتابع الجري) .

هذا قضاءُ البارقيّ ، وإنني بالمَيْل في ميزانِهم لَبَصير [1] .

– ثم فسد ما بين الفرزدق وبين سُراقة ، فقال سُراقةُ يهجو الفرزدق :

قد كنتُ أحسَبُ ، يا ابنَ قَيْنِ مُجاشعٍ ، أن قد خصاكَ – فلا تَغُطَّ – جريرُ [2] .

ولقد علِمْتَ ، على تَباغيكَ الخنا ، أنّ الخصيّ إذا استُفِزّ ذَعور [3] .

إنّ الخصيّ يَشولُ حين يرومُه قَرم قُراسيَةُ اللقاءِ غَيور [4] .

٤ – ديوان سراقة البارقيّ (حسين نصار) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٧ م .

Surâqa b. Mirdâs , von Peter Hahn , Göttingen 1938 . **

بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٩ ، زيدان ١ : ٣٤٧ .

أيمن بن خريم

١ – هو أيمَنُ بنُ خُرَيمِ بنِ الأخرَمِ بنِ عمرِو بنِ فاتك [5] من بني أسدِ بن خُزَيمةَ ، أسلَم أبوه خريم الناعم [6] يومَ فتحِ مكّةَ وصَحِبَ رسولَ الله ورَوى عنه الحديثَ ، وهذا يدلّ على أن خُريماً كان من أهل الحجازِ (وربما من أهل مكّةَ نفسها) .

ومن المُجمَعِ عليه أن أيمَنَ روى حديثَ رسول الله عن أبيه لا عن

---

١ – هذا قضائي بينهما ، وأنا خبير بوزنهما وبأن كفة (بكسر الكاف) الفرزدق ارجح من كفة جرير .

٢ القين الحداد (وكان العرب يعيبون أهل الصنائع ويحتقرونهم) . مجاشع من أجداد الفرزدق . غط البعير : هدر ، أحدث صوتاً قوياً .

٣ على تباغيك الخنا : افتخارك بفعل الخنا (الفاحشة ، الفواحش) . استفز : أثير . ذعور : خائف مضطرب .

٤ يشول : يرفع ذنبه (كناية عن الهرب) . قرم قراسية : السيد القوي الشديد . الغيور : المحافظ على حرمه .

٥ ينسب عادة إلى جد أبيه اختصاراً فيقال : أيمن بن خريم بن فاتك الاسدي (غ ٢١ : ٥) .

٦ راجع تاج العروس ٨ : ٢٧٢ ؛ الكامل ٤٤٥ . ولا أدري ما معنى البدري في قول المرتضى الزبيدي (تاج العروس ٨ : ٢٨٢) : أبوه (أبو أيمن) الصحابي خريم الناعم البدري (وليس يمكن أن يكون خريم بدرياً شهد غزوة بدر مسلماً ، إذا كان قد أسلم يوم فتح مكة ، بعد بدر بست سنوات) .

الرسولِ مباشرةً ، وهـذا بدَوْره يَدُلّ على أن أيمنَ كان يومَ تُوُفّـيَ الرسولُ ، سَنَةَ ١١ هـ (٦٣٢ م) دونَ سِنِّ الرّشْدِ ، وعلى هذا يجب أن يكون مَوْلِدُه قُبيلَ الهِجْرةِ بقليل .

ويبدو أن خُريماً انتقلَ بابْنـهِ أيمنَ إلى الكوفة . ومع أن أيمن قد غزا مع يحيى بن الحكم فانّه اعتزل هو وأبوه حربَ الجَمَلِ وصِفّينَ وما بعدَهما ، أي الحروبَ التي دارت بين عبدِ الله بن الزبير وبين بني أميةَ مُنذُ أيامِ يزيد ابنِ مُعاويةَ إلى أيام عبدِ الملكِ بن مروانَ .

واتّصل أيمنُ بن خُريمٍ بعبدِ العزيز بن مروانَ وبَقـيَ عنده في مصْرَ نحو عامٍ واحدٍ ، ولعلّ ذلك كان سنة ٧٢ – ٧٣ هـ (٦٩١ م) ثم وَقَعَتْ بينهما وَحشَةٌ فرَجَعَ أيمنُ إلى الكوفة واتّصل ببِشْرِ بن مروان [١] .

ثم أن أيمن بن خُريمٍ اتّصل ، فيما يبدو ، بعبدِ الملك بن مروان بعد اتّصاله ببشرٍ ونال عنده حَظوةً حتّى بعد أن بَرِصَ [٢] . ولقد سُمّي أيمنُ بن خريم بعد ذلك « خليلَ الخُلفاءِ » لأنّ الخليفةَ والامراءَ كانوا يُجالسونه على الرُّغْمِ من مَرضه المؤذي المُعْدي .

وسلك أيمنُ بن خُريمٍ في السياسة مَسْلَكَ أبيه : أراد أن يُرْضِيَ جميعَ رجالِ الأحزابِ من غير أن يُغْضِبَ أحداً منهم ؛ كان هواه مَعَ بني هاشمٍ فمدحهم ، وكانت مصلحَتُهُ مع بني أميةَ فلَعَنَ الذين قتلوا عُثمان .

ولعلّ وفاةَ أيمنَ بنِ خُريمٍ كانت في أيام عبد الملك [٣] في نحو سَنَةِ ٨٠ هـ (عام ٦٩٩ م) .

٢ – أيمنُ بن خُريمٍ من رُواة الحديثِ . ثم هو شاعر وُجداني مُجيد فصيحُ الألفاظ سهل التراكيب متين النَّسْجِ ، على أن معانيَهُ تَغْمُضُ أحياناً .

---

١ تولى بشر بن مروان الكوفة سنة ٧١ هـ (٦٩٠ – ٦٩١ م) ثم أضيفت اليه البصرة بعد سنتين .

٢ البرص (بفتح الباء والراء) : علة يبيض منها ظاهر الجلد .

٣ في الاعلام للزركلي (١ : ٣٧٨) ، كانت وفاة أيمن بن خريم نحو سنة ٨٠ هـ (٧٠٠ م) .
راجع أبيات أيمن إلى عبد الملك بالمديح الذي فيهـا (في المختار من شعره : .... وليلتكم صلاة واقتراء) ثم الابيات التي أجـاد فيها تحليل نفسية المرأة في الجانب المادي(.... : لقيت من الغانيات العجابا).

وفنونُ شعرهِ المديحُ والهجاءُ والغزل والحِكمة ، وفي شعره الباقي لنا شيء يُشْبِهُ الرثاء (في عثمانَ بن عفّان) . ويرى المَرْزُبانيّ أنّ أيمنَ بن خُريمٍ كان سَيِّءَ المدحِ (الموشّح ٢٢٢ – ٢٢٣) لأنه لم يَكُنْ يرْقى في المبالغة إلى حيث يليق المديح للملوك ، بينما عبد الملك بن مروان كان يُعْجَبُ بمديح أيمن (غ ٢١ : ٦) لأنه سلك طريقاً رُوحيّة في المديح ولم يُكثِرْ من تَشْبيهِ الممدوح بالأسدِ والبحر والجبل . وهو حَسَنُ الوصفِ للنساء قادرٌ في التعبير عن نفسيتهم في جانبِها الماديّ .

٣ – المختار من شعره :

– لأيمنَ بنَ خُريمٍ قصيدةٌ وجدانية فيها نسيب وغزل ثم شيء من الصَراحة ومن المُجون [١] :

لَقِيتُ مِنَ الغانيات العُجـابا ... لَوَ ادْرَكَ منّي العَذارى الشبابا [٢] !

ولكـنّ جمعَ النساءِ الحِسانِ ... عَناءٌ شديدٌ إذا المرءُ شابا [٣] .

ولو كِلْتَ بالمُـدّ للغانيـات ... وضاعَفْتَ فوقَ الثياب الثيابا [٤]

– إذا لم تُنِلْهُنّ من ذاك ذاك ... جَحَدْنَكَ عندَ الأمير الكتابا [٥] :

---

١ روى الاصفهاني (الاغاني ، طبعة الساسي ، ٢١ : ٥ – ٧) أبياتاً من هذه القصيدة في ثلاث أماكن فجاء عدد من أبياتها مكرراً وبروايات مختلفة أحياناً ، وخصوصاً في البيت الأول . وربما قبلت رواية دون رواية اجتهاداً .

٢ العجاب (بضم الجيم) : ما جاوز حد العجب (التعجب والاستغراب) . – إنني ألقى (الآن) من الغانيات (النساء الجميلات) أمراً عجاباً (شديداً) ، فليت أن هؤلاء العذارى قد عرفنني في أيام شبابي !

٣ جمع النساء (بفتح الجيم) : تأليفهن ، معاشرة عدد منهن في وقت واحد . وجمع (بضم الجيم) : (الأمر) المكتوم المستور . والمقصود : ان معاشرة النساء الحسان (الصغار السن) أمر مجهد متعب للرجل إذا شاب وشاخ .

٤ – ولو وهبت النساء احسن الاشياء بالمد (وعاء كبير يكال به الطعام) «ثم أهديتهن ثياباً كثيرة ....

٥ ..... (ثم) إذا (أنت) لم تنلهن (تعطهن ، تمنحهن) من ذاك (كناية عن حقهن من الزواج) ذاك (شيئاً كثيراً) جحدنك عند الامير الكتاب(هجرنك ثم أنكرن عند القاضي أو الوالي أنك زوج لهن) .

يَـذُدْنَ بكلِّ عصـا ذائـدٍ ويُصْبِحْنَ كلَّ غَداةٍ صِعابا [1]
إذا لم يُخالَطْنَ كلَّ الخِـلا طِ أصْبَحْنَ مُخْرَنْطِماتٍ غِضابا [2] .
عَلامَ يُكَحِّلْنَ حُورَ العيون ويُحْدِثْنَ بعدَ الخِضاب الخضابا [3] ،
ويَعْرُكْنَ بالمِسْكِ أجْيادَهُـنَّ ويُدْنِينَ عند الحِجالِ العِيابا [4] ،
ويَبْرُقْنَ إلاَّ لِمـا تعلمون ؟ فلا تَمْنَعَنَّ النساءَ الضِرابا [5] !

— قالَ أيمنُ بن خُريمِ بن فاتكٍ الاسديّ يهجو الذين قَتلوا عثمانَ بنَ عفّان في الشهر الحرام [6] :

تفاقَدَ الذابحو عثمانَ ضاحيةً ، أيَّ قَتيلٍ حَرامٍ — ذُبّحوا — ذَبَحوا [7] .

---

١ ذاد : ساق (الغنم) ، طردها . الذائد هو السائق (للغنم أو الابل) ، الراعي . يذدن بكل عصا زائد : يدفعن (الزوج ويبعدنه عنهن) بكل عصا ذائد (بكل عصا يستعملها الرعـاة في سوق الغنم والابل ، بكل وسيلة) . الصعاب (في الأصل) : الابل التي تركت لحرونتها وشدتها وهياجها . — يبدين العصيان والغضب في كل غداة (كل يوم منذ الصباح) .

٢ الخلاط : مخالطة الفحل للناقة (القاموس ٢ : ٣٥٨ ، السطران ١٥ و ١٦) . اخرنطم : رفع أنفه واستكبر وغضب .

٣ العين الحوراء : الشديدة بياض بياض (مكررة مرتين) العين والشديدة سواد سواد العين . — علام يكحلن حور العيون : لماذا يضعن الكحل الاسود في جفون عيونهن ، مع أن السواد موجود في عيونهن طبيعة (إلا للفت نظر الرجل واغرائه !) . وعلام يحدثن (يجددن ، يأتين بشيء جديد) بعد الخضاب (بعد الخضاب الذي قدم على وجوههن أو أصبح قديماً في الزي) ؟

٤ يعركن (يدلكن) بالطيب (بالعطر وبالرائحة الزكية) أجيادهن (أعلى صدورهن) ثم يكثرن من ذلك . الحجال جمع حجلة (بفتح الحاء والجيم) : الخدر ، الخباء ، مكان المرأة في البيت . يدنين : يقربن . العياب جمع عيبة : زبيل أو صندوق توضع فيه الثياب . والعياب : الصدور والقلوب ، كناية (القاموس ١ : ١٠٩ ، السطر الخامس) .

٥ برقت (بفتح الراء) المرأة تبرق (بضم الراء) : تزينت وتحسنت . لما تعلمون : كناية عن الزواج . الضراب : النكاح .

٦ الأبيات في كتاب الكامل (ص ٤٤٥ وفي كتاب الصناعتين ٩٨ — ٩٩) . — قتل عثمان بن عفان في ذي الحجة (أحد الاشهر الاربعة الحرم : ذي القعدة ، ذي الحجة ، المحرم ، رجب) من سنة ٣٥ هـ (حزيران — يونيو ٦٥٥ م) .

٧ تفاقد ، وفي القاموس (١ : ٣٢٣) تفقد : مـات غير فقيد وغير حميد (مات ميتة شنيعة ولم يحـزن عليه أحد) — دعوة على الذين قتلوا عثمان بمثل هذه الميتة . ضاحية : في الصباح . قتيل حرام : حرام قتله . ذبحوا (بالبناء للمجهول) دعوة عليهم بان يذبحوا كما ذبحوه .

ضَحَّوْا بعُثمانَ في الشهرِ الحَرامِ ، ولم يَخْشَوْا على مطمح الكف التي طمحوا[1].
فأيَّ سُنَّةِ جَوْرٍ سَنَّ أوّلُهـم وبابِ جَوْرٍ على سُلطانِهم فتحوا[2] !
ماذا أرادوا — أضلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ — من سَفْحِ ذاك الدَّمِ الزاكي الذي سَفحوا [3]
إنَّ الذين تَوَلَّوْا قتلَـه سَفَهـاً لاقَوْا أثاماً وخُسراناً وما رَبِحوا [4] .

— وقعت منازعةٌ بين عمرِو بن سعيدٍ وبين عبدِ العزيز بن مروانَ (وكلاهما من بني أميّة) ، فتعصّب لكلّ واحدٍ منهما أخوالُه وتداعَوْا بالسلاح واقتتلوا . وكان أيمنُ بن خُريمٍ حاضراً للمنازعةِ فاعتزلهم هو ورجلٌ من قومه يُقال له ابنُ كُوز . فعاتَبَهُ عبدُ العزيز وعمرٌو جميعاً على ذلك ، فقال أيمنُ (غ — طبعة الساسي ٢١ : ٦) :

أأقْتَلُ بـين حَجّاجِ بنِ عمرٍو ، وبـين خَصيمه عبدِ العزيزِ [5] ؟
أنُقْتَلُ — ضِلّةً — في غيرِ شيءٍ ويَبْقى بعدَنا أهلُ الكنوز [6] ؟
لَعَمْرُ أبيك ، ما أوتيتُ رُشْدي ولا وُفِّقْتُ للأمرِ الحريز [7] .
فإنّي تاركٌ لَهُما جميعاً ومُعْتَزِلٌ ، كما اعتَزَلَ ابنُ كُوز [8].

---

[1] ضحاه : قتله صباحاً ؛ ذبحوه بلا حق وبلا رحمة عليه هو (كما تذبح الانعام في عيد الأضحى) . لم يخشوا على مطمح الكف التي طمحوا (؟) لعل المعنى : لم يخافوا أن يطمع الناس بهم كما طمعوا هم بعثمان (أن يقتلوهم فيما بعد كما قتلوا هم عثمان) .

[2] سنة : طريقة ، سياسة ، وسيلة . جور : ظلم . سن أولهم : سلك البادىء منهم مسلكاً سيصبح قاعدة . أي باب جور على سلطانهم فتحوا (لقد جرأوا العامة بفعلهم هذا على كل سلطان — خليفة — سيأتي) .

[3] سفح الدم : سفكه ، أساله (قتل) . الزاكي : الطاهر (الذي لا يستحق صاحبه القتل) .

[4] سفهاً : جهلا وحمقاً وجنوناً . لاقوا أثاماً (سيلقون عقاباً وخسراناً في الآخرة) وما ربحوا (شيئاً في الدنيا أو في الآخرة) .

[5] حجاج بن عمرو (بن سعيد) أو حجاج (كناية عن الظلم والعسف) . الخصيم : المجادل والمنازع . — أأقتل في سبيل أحد هذين في النزاع الدائر بينهما وليس لي فيه منفعة ولا صلة ؟.

[6] أنقتل نحن ضلة (ضالين ، على غير الحق والهدى) . على غير شيء : بلا سبب متصل بنا ؛ ونحن فقراء لا نملك شيئاً . ويبقى بعدنا أهل الكنوز : ويعيش الآخرون في الثروة في نعم الدولة .

[7] لو فعلت ذلك (قاتلت في سبيل أحدهما ثم مت) لكنت كأن الله لم يهبني رشداً (عقلا) ولما كنت أنا قد اخترت لنفسي الأمر الحريز (المسلك الذي يحميني ويدفع عني) .

[8] سأترك القتال بجانب الخصمين وأعتزل (أكون على الحياد : لا مع هذا ولا مع ذاك) .

– وقال أيمن بن خريم في بني هاشم :

نهارُكم مُكابَدَةٌ وصَوْمٌ ، وليلتُكم صلاةٌ واقْتِراءُ [1] .
وَليتُمْ بالقُرانِ وبالتَزَكّي فأسْرَعَ فيكُمُ ذاك البَلاء [2] .
بكى نجدٌ غداة غدا عليكم ومكّةُ والمدينةُ والجِواء [3] .
وحُقّ لكلِّ أرضٍ فارقوهـا عليكم –لا أبا لَكُمُ– البُكاء [4] .
أأجْعَلُكُمْ وأقواماً سواءً ، وبينَكُمُ وبينَهُمُ الهواء [5] !
وهمْ أرضٌ لأرجُلِكُمْ ، وأنتم لأرْؤُسِهِمْ وأعْيُنِهِمْ سماء !

– وعرض عبد الملك بن مروان على أيمن بن خريم شيئاً من المال على أن يذهب لقتال عبد الله بن الزبير ، فأبى أيمن بن خريم ذلك ثم قال :

ولست بقاتلٍ رجلاً يصلّي على سلطان آخرَ من قريشٍ .
له سلطانه وعليّ وِزري ، معاذ اللهِ من سفهٍ وطيش !
أأقتل مسلماً وأعيش حيّاً ؟ فليس بنافعي – ما عشت– عيشي .

٤ – ** الاغاني (طبعة الساسي) ٢١ : ٥ – ٨ ؛ زيدان ١ : ٣١٦ .

جَميلُ بُثَيْنَةَ

١ – هو ابو عمرو جميلُ بن مَعْمَرٍ من بني عُذْرَةَ من قُضاعة المنتسبين إلى مَعَدٍّ (من عرب الشمال) ؛ ولكنْ أمّه جُذاميّةٌ من اليمن . وفي عَمود

١ المكابدة : المقاساة ، الجهـاد في سبيل المبدأ في أحوال قاسية . اقتراء : قراءة (للقرآن الكريم) .

٢ وليتم : كنتم قد توليتم الخلافة (في أيام الامام علي) بالقرآن (بحكم القرآن) . التزكي : بسلوك طريق الصلاح والطهارة . – لذلك نالكم البلاء (المصائب) لأنكم تخافون الله فلا تظلمون أحداً ، وأولئك (بنو أمية) لا يخافون الله فيظلمون جميع الناس .

٣ بكى عليكم (حزن لما أصابكم) نجد ومكة والمدينة والجواء : الجواء اسم لعدد من المواضع في شبه جزيرة العرب : وبكى عليكم كل موضع في بلاد العرب . غداة غد (؟) ، يبدو أن ثمت قبل هذا البيت بيت محذوف أو أكثر من بيت .

٤ معنى هذا البيت متصل بمعنى البيت الذي سبقه ، وغامض بغموضه .

٥ – أأجعلكم (يا بني هاشم) وأقواماً آخرين (بني أمية) سواء (في منزلة واحدة ؟) ان بينكم وبين بني أمية (مسافة) الهواء (الذي بين السماء والأرض) .

نسب جميلٍ ، من جهةِ أبيهِ ، اختلافٌ حتّى في اسم أبيه نفسه [1] .

وُلِدَ جميلٌ نحوَ سنَة ٤٠ ﻫ (٦٦٠ م) في وادي القُرى من شمال الحجاز وعلى مَقْرُبَةٍ من المدينة ونشأ هناك أيضاً . وكان جميل في أول أمره يَميل إلى ابنةِ عمه أم الجُسير بنت حبأ ، ثم تعلّق بأختها بثينة وتعلّقت به بثينة فخطبها إلى أبيها ولكن أباها ردّه (ديوان ٨ ، ١٨٨) .

وزاد ولع جميل ببثينة فجعل يقول فيها الشعر ويَقصِدها في حيّها مرة بعد مرة . فاستعدى أهلها عليه مروانَ بن الحكم ، وكان والياً من قِبَل معاوية ابن أبي سُفيان على المدينة للمرة الثانية (٥٦ – ٥٧ ﻫ) ، وكان عامله على وادي القرى دَجاجة بن ربعي [2] . فتوعّد دجاجة بن رِبْعي جميلاً إن هو زار بثينة أو تعرّض لها ، فهرب جميل إلى أخواله من بني جُذام في اليمن .

وفي ذي القعدة من سنة ٥٧ (خريف ٦٧٦ م) عزل مروان عن المدينة ، واتّفق أن انتجع أهل بثينة إلى الشام بأنعامهم ، فجاء جميل إلى الشام ، ثم عاد إلى وادي القرى .

وتزوّجت بثينة ، تزوجها نُبيه بن الاسود العذري ، وظلّ جميل يقول فيها الشعر ويزورها . ويبدو أن دجاجة بن ربعي ، أو عامر بن ربعي بن دجاجة ظل عاملاً لبني أمية على وادي القرى فأهدر دم جميل ، فخاف جميل وهجر الحجاز إلى مصر ليمدح واليَها عبد العزيز بن مروان (٦٥ – ٨٦ ﻫ = ٦٨٤ – ٧٠٥ م) . ولم تَطُل إقامة جميل في مصر فمرض ومات سنة ٨٢ ﻫ (٧٠١ م) .

٢ – جميل بن معمر شاعر فصيح مقدّم عند النقّاد على جميع معاصريه من شعراء الغزل . وشعره رقيق سهل التراكيب واضح المعاني متأجّج العاطفة . وشعر جميل كله في النسيب سوى قطعتين أو ثلاث إحداها في المدح (ديوان ١٦٧). وذكر الاصفهاني أن لجميل هجاء في زوج بثينة وقومها [3] .

---

١ غ ٨ : ٩٠ ، ٩١ . وجميل بن معمر العذري أو جميل بثينة هذا غير جميل بن معمر الجمحي (الكامل ٢٥٧) .

٢ غ ٨ : ١٠٨ – ١٠٩ ؛ وقيل عامر بن ربعي بن دجاجة (غ ٨ : ١٢٢ – ١٢٤) .

٣ غ ٨ : ١٢٢ – ١٢٣ . ان الهجاء الذي في ديوان جميل نزر يسير جداً ، ثم هو غير الهجاء القبلي الذي كان مألوفاً في ذلك العصر . وكذلك الهجاء الشخصي القليل لم يكن مقصوداً لذاته . – راجع أيضاً « ديوان جميل (جمع وتحقيق وشرح حسين نصار) ، القاهرة (مكتبة مصر) بلا تاريخ ، مقدمة الجامع (ص ١٢)

٣ – المختار من شعره :

– واعَدَتْ بُثَيْنَةُ جميلاً على اللّقاء فعَرَفَ أهلُها ذلك وحالوا دونَ اجتماعِهما ، فجعلت نساءُ قومه يُقرّعنه شَماتةً به ، فقال :

أبُثينَ ، إنك قد ملَكْتِ فأسْجِحي ... وخُذي بحظّكِ من كريمٍ واصلِ .
فلَرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها ... بالجِدِّ تخلُطُه بقول الهازل .
فأجبْتُها بالرِّفقِ ، بعد تَستّرٍ : ... «حُبّي بُثينةَ [1] عن وِصالِكِ شاغلي .
لو أن في قلبي كقَدْرِ قُلامةٍ ... فضلاً ، وَصَلْتُكِ أو أتَتْكِ رسائلي» [2].
ويَقُلْنَ : «إنكَ قد رَضيتَ بباطلٍ ... منها ، فهل لَكَ في اعتِزالِ الباطل ؟»
ولَباطِلٌ ممن أحِبُّ حديثَه ... أشهى إليّ من البغيض الباذل ،
لِيَزِلْنَ عنكِ هَوايَ ثم يَصِلْنَني . ... وإذا هَوِيتُ فما هوايَ بزائل !
صادَتْ فؤادي ، يا بُثينَ ، حبالُكم ... يومَ الحَجونِ وأخطأتك حبائلي [3] .
منَّيتِني فلَوَيْتِ ما منَّيتِني ، ... وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجل [4] .
وتثاقلَتْ لمّا رأتْ كَلَفي بها . ... أحْبِبْ إليّ بذاك من مُتثاقل !
حاوَلْنَني لِأبُتَّ [5] حبلَ وِصالِكم ... مني ،ولستُ – وإن جَهِدْنَ – بفاعل [6] .
ويَقُلْنَ : إنكِ ، يا بُثينَ ، بخيلةٌ ! ... نفسي فِداؤكِ من ضَنينٍ باخل .

– وقال جميلُ بن مَعْمَرٍ العُذْريّ :

فلَيْتَ رِجالاً فيكِ قد نذروا دَمي ... وهَمّوا بقَتْلي ، يا بُثَيْنَ ، لَقوني.
إذا ما رَأوْني طالِعاً من ثَنيّةٍ ... يقولون : مَنْ هذا ؟ – وقد عَرَفوني [7] .

---

١ « قد ملكت فاسجح » مثل معناه : قدرت علي فعاملني بالاحسان .
٢ حبي لبثينة .
٣ القلامة : ما يقص من الظفر . – لو بقي في قلبي مكان صغير جداً (كقلامة الظفر) لم يملأه حب بثينة لأجبتك (أيتها العارضة علي حبها) إلى ما تريدين .
٤ يوم الحجون : يوم اجتمعنا في الحجون ، استطعت أنت أن تأسري قلبي بشباك حبك وعجزت أنا عن أن أجعلك تحبيني .
٥ لوى الدين أو الوعد : ماطل فيه ، أجله ، أنكره .
٦ حاولنني : جربن أن يقنعنني . بت : قطع .
٧ الثنية : الطريق في الجبل . المقصود (هنا) : إذا رأوني ظهرت من مكان ما .

يقولون لي: أهلاً وسهلاً ومَرْحَباً! ولو ظَفِروا بي ساعةً قتلوني.

– أوّل المودّة السباب:

وأوّلُ ما قاد المودّةَ بينَنا بوادي بَغيضٍ، يا بُثينَ، سِبابُ.
وقُلْنا لها قولاً فجاءت بمثله؛ **لكلِ كلامٍ، يا بُثينَ، جوابُ!**

– ولجميل في بثينة قصيدة طويلة مطلعها:

ألا لَيْتَ رَيْعان الشبابِ جديدُ ودهراً تولّى، يا بُثَيْنَ، يعودُ!

– من هذه القصيدة:

ألا لَيْتَ شِعري، هل أبيتَنَّ لَيلةً بوادي القُرى؟ إني إذَنْ لَسعيدُ!
وقد تَلْتقي الأهواءُ من بعد يأسَة؛ وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وَهْيَ بعيد.
يموتُ الهوى منّي إذا ما لَقيتُها ويَحيا إذا فارَقْتُها فَيَعود.
يقولون: جاهدْ، يا جميلُ، بغَزْوة؛ وأيَّ جِهادٍ غيرَهن أريد[1]؟
لكلّ حديثٍ بينَهن بَشاشةٌ، وكلّ قتيلٍ بينَهنّ شهيدُ!
عَلِقْتُ الهوى منها وَليداً، فلم يَزَلْ إلى اليومِ يَنْمو حُبّها ويَزيد.
فما ذُكِرَ الخُلاّنُ إلا ذَكَرْتُها، ولا البخلُ إلاّ قلتُ: سوف تَجود!

– أقلّ الامل:

وإنّي لأَرْضى من بُثَيْنَةَ بالذي لَوَ ابْصَرَهُ الواشي لَقَرّتْ بَلابِلُهْ[2]:
بِلا وبِألاّ أسْتَطيعَ، وبالمُنى، وبالأملِ المَرْجُوِّ قد خاب آمِلُهْ[3]،
وبالنَظْرةِ العَجْلى، وبالعام تنقضي أواخِرُهُ – لا نلتقي – وأوائِلُهْ!

– وقال جميل يرد على الوُشاة والعُذّال:

لقد فَرِحَ الواشون أن صَرَمَتْ حبلي بثينةُ، أو أبْدَتْ لنا جانبَ البخلِ[4].

---

١ – اذهب في غزوة من الغزوات للجهاد (لعلك تنسى حبها). وأي جهاد غيرهن أريد: وأي جهاد أستطيعه غير الذي أنا فيه.

٢ – بالمعاملة السيئة التي إذا أبصرها عدوي فرح بما نالني منها.

٣ بزجري بكلمة «لا»، وبصدي بجملة: «لا أستطيع»....

يقولون : «مَهلاً ، يا جميلُ» . وانني لَأُقسمُ ، ما بي عن بثينةَ من مَهْلِ [1]!
أحِلْماً ؟ فقبلَ اليوم كان أوانُـه . أمَ اخْشى ؟ فقبلَ اليوم أُوعدت بالقتل [2]
كلانا بكى ، أو كاد يَبْكي ، صَبابـةً إلى إلْفِه ؛ واسْتَعْجَلَتْ عَبْرَةً قبلي .
فلو تركتْ عقلي معي مـا طلبتُهـا . ولكنْ طِلابِيها لِمَا فاتَ من عقلي .
فيا ويحَ نفسي ، حَسْبُ نفسي الذي بها . ويا ويحَ أهلي ! ما أُصِيبَ بـه أهلي .
أجَدِّيَ ، لا ألْقى بُثَيْنَةَ مرةً من الدهرِ إلا خائفاً أو على رَحْل [3] .
خَليليَّ ، فيما عِشْتما ، هـل رأيْتُما قتيلاً بكى من حُبِّ قاتلِه قبلي ؟

٤ — ديوان جميل شاعر الحبّ العُذري (جمع وتحقيق حسين نصّار) ، مصر (مكتبة مصر) بعد ١٩٦٠ م .
ديوان جميل شاعر الحبّ والجمال ، القاهرة ، بلا تاريخ .
ديوان جميل بثينة (بشير يموت) ، بيروت (المكتبة الأهلية) ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م .
ديوان جميل بثينة (بطرس البستاني) ، بيروت (صادر) ١٩٥٣ م .

• العشّاق الثلاثة : جميل وكثيّر وعبّاس فوز ، تأليف زكي مبارك ، مصر ١٩٤٥م .
راجع في «جميل بثينة وشعره»

Gamîl al — Udrî, Studio critico e recolta dei frammenti, per Francesco Gabrieli (Estratto dalla « Rivista degli Studi Orientali . », Volume XVII), Roma 1937 .

بروكلمان ١ : ٤٤ ، الملحق ١ : ٧٨ — ٧٩ ؛ زيدان ١ : ٣٢٢ — ٣٢٤ .

أعشى همدان

١ — هو أبو المُصَبِّح عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث من بني هَمْدان ابن مالك بن زيد بن نِزار من بني مالك بن زيد بن كَهْلان .

---

١ مهلا : كفى اندفاعاً ، فكر في أمرك . ما بي من مهل : ما بي أو ما لي صبر ، لا أطيق الانتظار .
٢ الحلم : التعقل .
٣ إلا على رحل : إلا أنا على سفر (لا أجد وقتاً كافياً أتمتع فيه بلقائها) .

كان أعشى هَمْدان في أول أمره أحد الفقهاء القُرّاء [1] ثم ترك ذلك وأصبح من الخطباء والشعراء العلماء وممن يتنافر اليهِم الاشراف [2] . وقدكان من أهل الكوفة جاراً وصديقاً لخالد بن عتّاب بن ورقاء الرياحي . ويبدو أن خالد بن عتّاب كان طموحاً إلى المناصب فكان يقول لأعشى همدان : إن صارت لي ولايةٌ رفعتُك فوق الناس وأعطيتك خاتمي تقضي به حاجاتِهم .

وفي خلافة مروانَ بن الحكم (٦٤ – ٦٥ ﻫ) خرج أعشى همدان إلى الشام ومدح النعمان بن بشير الانصاري عامل حمص ، فأشار النعمان بن بشير إلى اليمانية في حمص بأن يُعْطِيَه كل واحد منهم ديناراً ففعلوا ، فكان ما وصل إلى الأعشى عشرين ألفَ دينار .

ثم ان خالد بن عتّاب تولّى الحرب في المشرق من قِبَلِ الحجّاج بن يوسف ؛ فذهب أعشى همدان معه ؛ ولكنّ خالداً جفاه وفضّل غيره عليه في العطاء والجائزة فهجاه الأعشى ورَجَع إلى الكوفة .

ولمّا أرسل الحجّاج بن يوسف جيشاً إلى قتال الدَيْلم (شمال بحر قزوين) أرسل فيه أعشى همدان فأُسر هنالك ، ولكنّ ابنةَ العِلْج الذي أسره هَوِيَتْه ثم أطلقت سَراحه وهَرَبت معه . وكان أعشى همدان في الجيوش التي غزت في المشرق ووصلت إلى مَكْران (جَنوب الأفغان) . وطال مكثه في مكران فكرهها وشكا من حرّها ، وكانت سِنّهُ في ذلك الحين قد زادت على خمسين [3] . وكذلك كان قد كره الاقامة في أصفهان .

وكان عبد الرحمن بن الاشعث من قوّاد الحجّاج ثم ثار عليه سنة ٨١ ﻫ (٧٠٠ م) فانضم أعشى همدان إلى ابن الاشعث ومدحه وهجا الحجّاج . فلمّا انهزم ابن الاشعث في معركة دير الجماجم (٨٢ ﻫ = ٧٠١ م) وهرب أُسِرَ جماعة من أصحابه فجيءَ بهم إلى الحجّاج وفيهم أعشى همدان فقتله الحجّاج سنة ٨٣ ﻫ (٧٠٢ م) في الاغلب . أما ابن الاشعث فقتل بعد ذلك بقليل .

٢ – أعشى هَمْدانَ شاعرٌ فَحْلٌ مُكثر طويلُ النَفَسِ مُتَصَرِّفٌ في

---

١ راجع غ ٦ : ٣٣ . – القراء هم الذين يحفظون القرآن الكريم .

٢ البيان والتبيين ١ : ٤٨ . – يتنافرون اليه : يأتون اليه ليحكم بينهم في خلافاتهم .

٣ راجع غ ٦ : ٣٨ ، السطر العاشر (البيت الرابع من القصيدة) .

فنون الشعر ، له مديح جيّد ، وله أشعار في الحماسة والعتاب والهجاء والغَزَل والحكمة والزُهد ؛ وفي شعره شيء من المَرَح ، وربّما تَمَلّحَ فأدخلَ الكلمةَ الأعجميةَ في شعرِه [1] . وقد كان شاعرَ أهلِ اليمنِ في الكوفة . ثم هو أيضاً من الخطباء ومن العلماء والفُقها [2] .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال أعشى هَمْدانَ يمدح عبدَ الرحمن بن الأشعث ويُعَرِّضُ بالحجّاج ، وكان ابن الأشعث قد بعث جيشاً لقتال الحجّاج بقيادة عطية بن عمرٍو العَنْبري فهزم الحَمَلاتِ التي بَعَثَ بها الحجّاج اليه :

يا ابنَ الأشَجِّ قريعِ كِنْـ ـدَة ، لا أبالي فيك عَتْبا [3] .
أنت الرئيس ابن الرئيـ ـس ، وأنت أعلى الناس كَعْبا .
نُبّئْتُ حَجّاجَ بنَ يوسـ ـفَ خرّ من زَلَقٍ فتَبّا [4] .
فانْهَضْ ــ فُدِيتَ ــ لعلّه يجلو بك الرحمنُ كربا .
وابعث عَطيّةَ بالخيو لِ يَكُبُّهن عليه كَبّا .

ــ وقال لما كان في مَكْران (وهي ترد في شعره بالكاف المشدّدة) قصيدة وجدانية فيها غزل وحماسة ووصف . فمما قاله في هذه القصيدة :

طلبتَ الصبا إذ علا المَكْبَرُ ، وشاب القَذال وما تُقْصِرُ [5] .
وبانَ الشبابُ ولذّاتُه ، ومثلُك في الجهل لا يُعذَر .
وفي أربعينَ تَوَفّيْتُهـا وعَشْرٍ مضت لِيَ مُستَبْصَر .
وموعظةٌ لامرىءٍ حازمٍ إذا كان يَسْمع أو يَبْصِر .

---

[1] راجع البيان والتبيين ٤ : ٥٠ .
[2] البيان والتبيين ١ : ٤٨ .
[3] الاشج : الاشعث بن قيس الكندي جد عبد الرحمن (بن محمد) بن الاشعث . القريع : السيد .
[4] الزلق : المزلق عموماً ؛ وعجز الدابة ، والسقوط من على مؤخرة الدابة فيه خطر وفيه صورة من التهكم . تب : هلك .
[5] كبر كبراً ومكبراً : طعن في السن ، شاخ . القذال : مؤخر الرأس ، وهو آخر ما يشيب من شعر الرأس. أقصر : رجع عن الجهل وأفعال الصبا .

فلا تأسَفنّ على ما مضى ، ولا يَحزُنَنّكَ ما يُدبر ؛
فإنّ الحوادثَ تُبلي الفتى ، وإن الزمانَ به يَعثُر :
فيوماً يُساء بما نابَهُ ، ويوماً يُسرّ فيَستبشِر .
وما كنتُ في الحربِ ،إذْ شمّرت، كَمَنْ لا يُذيبُ ولا يُخثِر [١] .
ولكنّني كنت ذا مِرّة عَطوفاً إذا هتف المحجر [٢] .
أجيبُ الصّريخ إذا ما دعا ، وعند الهِياج أنا المِسْعَرُ [٣] .
فأن أمْسِ قد لاح فيّ المشيـ ـب ، أمَّ البنينَ ، فقد أذْكُرُ
رَخاءً من العيش كنّا به إذ الدهر خالٍ لنا مُصْحِر [٤] ،
وإذ أنا في عُنفُوانِ الشبا ب يُعْجبني اللهو والسُمَّر [٥] ،
أصيدُ الحِسانَ ويَصْطَدْنَني ، وتُعْجبني الكاعبُ المُعْصِر .
وبيضاءَ مثلَ مَهاةِ الكَثيـ ـب لا عَيْبَ فيها لمن ينظر [٦] .
كأنّ جَنى النحل والزَنْجَبيـ ـلَ والفارسيّةَ [٧] إذ تُعصر .
يُصَبّ ، على بَرْدِ أنيابها، مُخالِطُه المِسكُ والعَنْبر .
فَتورُ القِيام ، رخيمُ الكلا م يُفزِعها الصوت إذ تُزْجَر .
فتلك التي شَفّني حبّها وحَمّلني فوق ما أقدِر .
فلا تَعذُلانيَ في حبّها ، فإنّي بمعذرةٍ أجدر .
ولم تكن من حاجتي مُكْران* ولا الغزوُ فيها ولا المَتْجر .
وخُبّرْت عنها ، ولم آتِها ، فما زِلتُ من ذِكرِها أُذْعَر :

---

١ شمرت : اشتدت . لا يذيب و لا يخثر (يجمد) كناية عن الحيرة والتردد .
٢ المرة : الشدة و القوة . عطوفاً (بحصاني إلى نجدة) المحجر (لعلها بضم الميم وفتح الجيم : الذي حصر في المعركة واشتد ضيقه) إذا هتف (نادى ، استنجد) .
٣ الصريخ : المناداة بالحرب . الهياج : الحرب . المسعر : موقد النار ومضرمها (أنا الذي أحفظ على المحاربين حميتهم في أثناء المعارك) .
٤ مصحر : متسع وبعيد عن الناس (الرقباء) .
٥ السمر (بتشديد الميم) جمع سامر : الساهر بالليل للحديث .
٦ المهاة : الظبية . الكثيب : تلة الرمل .
٧ الخمر . * كذا في الاغاني (٦ : ٤٠) بضم الميم .

بـأن الكثير بهـا جـائع ، وأن القليل بهـا مُقْتِر [1] ،
وأن لِحَيّ الناسِ من حرّها تطولُ فتُجلَمُ أو تُضْفَر [2] .
وحُدّثْتُ أنْ مـا لنا رجعـةٌ سنينَ ومن بعدِها أشهر .
وما كان بي من نشاطٍ لها ، واني لَذو عُدّةٍ مُوسِر [3] .
ولكن بُعِثْتُ لهـا كارهـاً ، وقيل : انطلقْ ، كالذي يُؤمر .

— كان خالد بن عتّاب بن ورقاء الرِياحي عاملاً للحجّاج عـلى الرّيّ (خُراسان) . وقد كان له أثر عظيم في حرب الخوارج ، وهو الذي قَتَلَ غَزالةَ امرأةَ شَبيبِ بن يزيدَ الخارجي الشّيباني ، وكانت غزالةُ هذه قد هزَمَت الحجّاج . وهذه الأبيات لأعشى هَمْدان في مديح خالد بن عتّاب بن ورقاء (البيان والتبيين ٣ : ٢٣٦ — ٢٣٧) :

رأيتُ ثناءَ النـاس بالغَيْب طَيّباً عليكَ ، وقالوا : ماجدٌ وابن ماجدِ .
بني الحارثِ السامين للمجدِ ، إنّكـم بَنَيْتُمْ بِناءً ذكرُهُ غير بائـد .
هَنيئاً لِما أعطاكُمُ الله ، وَاعْلَموا بأنّي سأُطْري خـالداً في القصائد .
فإنْ يكُ عَتّابٌ مضى لِسَبيلِه [4] ، فما مات من يبقى له مثلُ خـالد !

٤ — •• الاغاني ٦ : ٣٢ — ٦٢ ؛ بروكلمان ١ : ٥٩ — ٦٠ ؛ الملحق ١ : ٩٥ .

أبو جِلْدَةَ اليَشْكُري

١ — هو أبو جِلْدَةَ • بن عُبيد بن مُنْقِذ بن حُجْر بن عُبيد الله بن

---

١ مقتر : فقير .
٢ تجلم : تقص بالجلم (بفتح الجيم واللام : المقص) .
٣ نشاط : رغبة . العدة : العدة للدهر (المـال المجموع استعداداً للطوارئ) . موسر : غني .
٤ مضى لسبيله : مـات . كان عتـاب بن ورقاء قـد قتل في حرب الخوارج ، قتله شبيب بن يزيد الشيباني .
• في القاموس (١ : ٢٨٤) : وسمى العرب جلدة (بكسر الجيم) . وفي حاشية لمحققي كتاب الاغاني (١١ : ٣١٠) أن هـذا الاسم ورد في أصول الاغاني بالكاف : أبو كلدة، ثم صحح من كتب التاريخ وكتب الأدب . وفي كتاب الكامل للمبرد : أن أبا الجلد اليشكري كان كارهـاً ومخالفاً لنافع بن الازرق ولأتباعه الخوارج ، وأنه قال لنافع ، سنة ٦٤ هـ (٦٨٣ — ٦٨٤ م) : « يا نافع ، ان لجهنم سبعة =

مَسْلمة من بني جُشم بن غُنم من بني يَشكُرَ بن بكرِ بن وائل ، من أهل الكوفة . وكان أبو جِلْدَةَ صاحبَ شرابٍ مُولَعاً بالخمر يُنْفق فيها كلَّ مالهِ فنشأ فقيراً صُعْلوكاً .

قال الاصفهاني (١١ : ٣١٠) : أبو جلدة « من ساكني الكوفة » . وفي الاغاني أيضاً (١١ : ٣١٣) : « كان أبو جلدة مع القَعْقاع بن سُويد المِنْقَريّ في سِجِسْتان » . فلمّا تولّى القعقاعُ سِجستانَ ولّى أبا جلدة على بُسْتَ والرُّخَج (١١ : ٣١٨) . والملموح من كتاب الاغاني أن ابا جلدة سكن سجستان ثم طال مكثه فيها [1] .

ويبدو ان أبا جلدة عاد فيما بعد إلى الكوفة واتّصل بالحجّاج وكان في بِطانته ومن خَواصّ اصدقائه وجُلَسائه . ثم انه انقلب على الحجاج وشايع عبد الرحمن ابن محمد بن الأشْعث في الثورة على الحجّاج . وفي يوم (معركة) الزاوية [2] كان أبو جلدة من أشدّ المُحَرِّضين على قتال الحجّاج . فلمّا انهزم ابن الاشعث سنة ٨٣ هـ (٧٠٢ م) ، كان أبو جلدة في الذين قتلهم الحجّاجُ [3] .

٢ — أبو جلدة اليشكري شاعرٌ وُجدانيٌّ له قصيد ورجَز ، وشعره فصيحٌ سَهْل . أما فنونه فهي المديح والهجاء ، وكان ممن هاجى زِياداً الأعجم . وقد كانت له براعة في وصف الخمر ، وخصائصه في وصفها قريبة جداً من الخصائص المُحْدَثة ، وخصوصاً في النديم ومعاملة النديم إذا سَكِرَ وخرج به السُّكْرُ عن طَوْره ، مما عَرَفْناه فيما بعدُ في شعر أبي نواس . ولأبي جلدةِ أيضاً شيء من الغزل والحكمة .

= أبواب ، وان أشدهـا حراً الباب الذي أعـد للخوارج ؛ فان قدرت ألا تكون منهم فافعل » (الكامل ٦٠٩ ، راجع ٥٦٦) . في « سيرة ابن هشام » (غوتنجن ١٨٥٨) ص ٦١ : ابو خلدة (بفتح الخاء واللام) اليشكري .

١ راجع الاغاني ١١ : ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ .

٢ الزاوية : موضع قرب البصرة . ويوم الزاوية : معركة كانت بين الحجاج وبين الخوارج ، سنة ٨٣ هـ (٧٠٢ م) .

٣ غ ١١ : ٣١٠ . وفي كتاب الشعر والشعراء (ص ٤٥٩) أن أبا جلدة « مات في طريق مكة » .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو جِلْدَةَ اليشكريّ في الرِفق بالنديم (الشعر والشعراء ٤٦٠ ؛ غ ١١ : ٣٢٨ – ٣٢٩) :

أبى اللهُ أن ألْحَى نَـدِيمي إذا انتَشى … وقال كلاماً سيِّئاً لي على السّكْرِ [١].
وَقاري وعِلْمي بالشّراب وأهلِه ؛ … وما نادَمَ القومَ الكِرامَ كذي الحِجْرِ [٢].
فلستُ بِلاحٍ لي نَديماً بِزَلّـةٍ … ولا هَفْوةٍ كانت ونحن على الخمر.
عرَكْتُ بجَنْبي قولَ خِدْني وصاحبي … ونَحْنُ على صَهْباءَ طيّبَةِ النّشر [٣].
فلمّا تمادى قُلتُ : «خُذْها عَريقةً ؛ … فإنك من قومٍ جحاجحةٍ زُهْر» [٤].
وما زِلْتُ أسْقيهِ وأشْرَبُ مِثْلَما … سَقَيْتُ أخي، حتّى بدا وَضَحُ الفَجْر [٥].
وايْقَنْتُ أنّ السُكْرَ طار بِلُبّـهِ … فأغْرقَ في شَتْمي وقال ما يَدْري !
ولاكَ لِساناً كان – إذ كان صاحِياً – … يُقَلّبُه في كلّ فَنٍّ من الشِعر [٦].

– في الاغاني (١١ : ٣١٩) : مرّ أبو جِلْدَةَ بِقَصْرٍ من قصورِ بُسْتَ يَنْزِلُه رجلٌ من الدهاقين [٧] ، فرأى ابْنَةَ الدَهْقانِ تُشْرِفُ من أعلى القصر فقال :

---

١ ألحى : أشتم . على السكر : في حال السكر .
٢ – (هذا راجع إلى) وقاري (رويّتي وتعقلي) وعلمي بالشراب وأهلـه (ومعرفتي بالخمر واترها وبحال نفر من الناس إذا شربوا الخمر) . الحجر : العقل . – وما يصلح نديما للناس الكرام (الذين تطرأ عليهم أحوال غريبة إذا سكروا) إلا الرجل العاقل .
٣ عركت بجنبي قول خدني : أغضيت ، سكت عن الكلمة القبيحة التي يتفق أن يوجهها إلي خدني وصاحبي . الخدن : الذي يصاحب الآخرين في كل أمر ظاهر وباطن . النشر : الرائحة .
٤ لما تمادى (بـه السكر فتمادى هو) في الاساءة إلي (من أثر السكر) قلت (له) خذهـا (خذ هـذه الكـأس من الخمر مرة ثانية – من غير أن أحاسبه عـلى الاساءة) . عريقـة : قديمة (كريمة الأصل) . فانك (أنت أيضاً) من قوم جحاجحة (سادة ، زعمـاء في أقوامهم) زهر : بيض (ذوي أحساب وأنساب كريمة).
٥ وضح الفجر : ضوء الفجر .
٦ لاك لساناً ، أخطأ اللفظ بلسانه (عسر على لسانه النطق الصحيح الواضح) ، وكان هذا اللسان نفسه (حينما يكون هو صاحياً) يأتي بأفانين (جميلة) من الشعر .
٧ الدهقان : الرجل الفارسي إذا كان صاحب أراض واسعة .

إنّ في القصرِ ذي الحِبا بَدْرَ تِمٍّ حَسَنَ الدَّلِّ للفؤادِ مُصيبا [1] ،
وَلِعاً بالخَلوقِ ، يأرَجُ منه ريحُ نَدٍّ إذا استَقَلَّ مُنيبا [2] .
يَلْبَسُ الخزَّ والمَطارِفَ والقَـ ـزَّ وعَصْباً من اليَماني قَشيبا [3] .
وَرأيْتُ الحبيبَ يُبْرِزُ كَفّاً ما رآه المُحِبّ إلاّ خَضيبا [4] !

— خطب أبو جلدة امرأةً من بني عِجْلٍ يقال لها خَليعةُ بنتُ صَعْبٍ فأبت أن تتزوّجه وقالت له : أنتَ صُعْلوكٌ فقيرٌ لا تحفَظُ مالاً ولا تُلْفي [5] شيئاً إلاّ أنفقتَهُ في الخمر . ثم تزوّجتْ غيره . فقال أبو جلدة يبرّر إسرافه في المال (غ ١١ : ٣٢٠) :

لمّا خَطَبْتُ إلى خليعةَ نفسَها قالت خليعةُ : «لا أرى لكَ مالا !»
أوْدَى بمالي ، يا خليعَ ، تَكَرُّمي وتَخَرّقي وتَحَمّلي الأثْقالا [6] .
إنّي ، وَجَدِّكِ ، لو شَهِدتِ مَواقفي بالسَّفْحِ — يومَ أجَلّلُ الأبْطالا [7]
سَيْفي — لَسَرّكِ أن تكوني خادِماً عِندي ، إذا كَرِهَ الكُماةُ نِزالا [8] .

---

١ ذو الحبا = ذو الحباء : الذي لا يطلع أحد على داخله . بدر تم : القمر ليلة تمامه وكمال استدارته . حسن الدل : جميل الدلال والغنج (أعماله وسلوكه كلها محببة إلى نفس محبه) . للفؤاد مصيباً : يصيب القلب بلحظاته (يوقع الناس في حبه) .

٢ ولعاً (مولعاً) بالخلوق (الطيب) : يكثر من التطيب . يأرج منه : ينتشر منه . ريح : رائحة الند : نوع من الطيب ، العنبر . استقل (نهض) منيباً (راجعاً) . — المقصود : كلما تحرك فاحت منه رائحة طيبة .

٣ الخز : ثياب تنسج من ابريسم (حرير) خالص أو من ابريسم مخلوط بالصوف . القز : الحرير الطبيعي على الحال التي يستخرج عليها من الصلجة (بضم الصاد : الشرنقة) . المطارف جمع مطرف (بضم الميم وسكون الطاء وفتح الراء) : رداء (ثوب يلبس فوق غيره ، فوق سائر الثياب) من خز مربع : عرضه كطوله (؟) ذو أعلام (جمع علم بفتح العين واللام : رسم ، أو شكل أو صورة). عصب من اليماني : برد (بضم الباء : ثوب مخطط من حرير) من صنع اليمن . القشيب : الجديد النظيف .

٤ ..... ما رآها المحب إلا خضيباً (مخضوبة : مصبوغة بالحناء ، حمراء اللون — فكأنها مخضوبة بدمه) . المعنى الملموح : ما رأى أحد هذه المرأة إلا مات بحبها .

٥ تلفي : تجد ، تكسب .

٦ أودى بمالي : أهلكه ، ذهب به ، أفناه . التخرق : التوسع في السخاء ، الكرم الكثير (القاموس ٣ : ٢٢٦ ، السطر الأخير) . تحمل الاثقال : القيام عن العشيرة أو الاسرة بما يترتب عليها من واجبات تعجز (بفتح التاء وكسر الجيم) هي عنها .

٧ — ٨ وجدك : وحقك (قسم ، يمين) . لو شهدت (أبصرت ، حضرت) مواقفي (ثباتي في القتال) =

٤ – ٥ الاغاني ١١ : ٣٠٩–٣٣٢ ؛ زيدان ١ : ٣٢١ .

عِمران بن حِطّان

١ – هو أبو شِهابٍ[١] عِمران بن حِطّان بن ظُبيان من بني سَدوس بن شَيبان من بَكْر بن وائل ، وأصله من البصرة . وكان عمران رجلاً ضَرْباً (خفيف اللحم) طويل القامة أزرق العينين .

كان عِمران بن حِطان في أول أمره من أهل السّنة والجَماعة ، ولمّا تقدّمَتْ به السِّنّ انتَقَلَ إلى مذهب الخوارج : قيل إنه تزوجَ امْرأة من الخوارج ورجا أن يردّها إلى مذهب أهل السنّة فنقلته هي إلى مذهب الخوارج . في ذلك الحين كان عمران قد عَجَزَ عن خوض الحروب فقَعَدَ عن الحرب وأخذ يَنْصُرُ الخوارجَ بلسانه . وفي سنة ٧٥ هـ (٦٩٥ م) تولّى الحجّاج بن يوسفَ البصرة فطلب عِمرانَ ، فهرب منه عِمرانُ إلى الشام مُتَخَفّياً ونزل ضيفاً على رَوح بن زِنْباعٍ أحد قوّاد الجيش الأمويّ . فلمّا انْكَشَفَ أمره هرب إلى قَرْقيسيا ونزل على زُفَرَ بن الحارثِ الكِلابيّ . ثُمّ انْكَشَفَ أمره لِزُفَرَ أيضاً فهرب إلى عُمانَ . وعُرِفَ بعد ذلك في عُمانَ فجاء إلى روذميسان قرب الكوفة ، حيث تُوُفِّيَ سنة ٨٤ هـ (٧٠٣ م) .

٢ – عمران بن حِطّان من التابعين وقد رَوَى الحديثَ عن نفر من الصحابة . وكان أيضاً من علماء الخوارج وخطبائهم ومُفتيهم وشعرائهم[٢] . وخطب عِمران خطبته الأولى في أيام زِيادِ بن أبيه (وقيل في أيام عُبيد الله بن زياد) فكانت

– أجلل الابطال سيفي (سيفي مفعول به من الفعل «أجلل» في البيت السابق) : أعلوهم بسيفي ، أقتلهم . الكماة جمع كمي (بفتح الكاف وكسر الميم وتشديد الياء) : البطل ، الشجاع التام السلاح . النزال : تضارب الفارسين وهما على خيلهما . – يجب أن يكون نسق البيتين: ..... لو شهدت مواقفي يوم معركة السفح التي كره الكماة القتال فيها (لشدتها وهولها) وأنا أقتل الابطال بسيفي اسرك أن تكوني عندي خادماً (خادمة) لا زوجة فقط !

١ البيان والتبيين ٣ : ٢٦٥ .

٢ راجع الكامل ٥٣٠ ، ٥٩٥ ؛ البيان والتبيين ١ : ٤٧ ، ٣٤٦ ، ٣ : ٢٦٥ .

خطبةً بارعة من كل جانب حتى قال بعض من سمعه[1] : « هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن » . أما شعره فكان وجدانياً يجري على الاسلوب القديم متفاوتاً في الجودة . والفنّ الأساسيّ عنده هو الأدب (الحكمة) ثم المدح والهجاء اللذان يجريان مجرى الحكمة ، وشيء من الرثاء[2] .

وكان عِمران بن حِطّان لا يحبّ الشعراء المدّاحين (للتكسّب) وقد لامَ الفرزدق على ذلك[3] . على أن مديح عِمران بن حِطّان ليس من هذا الباب ، قيل إن امرأته قالت له : « أما زعمت أنك لم تكذب في شعر قطّ ؟ » قال : « أو فعلتُ ؟ » قالت : « أنت القائل[4] :

فهناك مجزأة بن ثـــو ر كان أشجع من أسامه ،

أفيكون رجل أشجع من الاسد[5] ؟ » فقال (عمران) : « أنا رأيت مجزأة[6] فتح مدينة ، والاسد لا يفتح مدينة ! »

٣ — المختار من آثاره :

— قال عِمران بن حِطّان يذكر عبد الرحمن بن مُلْجِم قاتلَ الامامِ عليّ ابن أبي طالب :

يا ضَرْبَةً من كريمٍ ما أراد بها إلاّ لِيَبْلُغَ من ذي العرش رِضْواناً .
إني لَأَفْكُرُ فيه ثم أحْسَبُهُ أوْفى البَرِيّةِ عند اللهِ ميزاناً .
للهِ دَرّ المُراديِّ الذي سَفَكَتْ كَفّاهُ مُهْجَةَ شرّ الخلقِ إنسانا[7] .
أمْسى عَشِيّةَ غَشّاهُ بضَرْبَتِه مما جَنَاه ، من الآثام ، عُريانا !

---

١ البيان والتبيين ١ : ١١٨ ، ٢ : ٦ .
٢ راجع الكامل ٥٣٠ ، ٥٩١ — ٥٩٢ .
٣ الكامل ٣٥٤ ؛ راجع المختار من شعر عمران بن حطان .
٤ الكامل ٣٥٤ = ٥٠٦ .
٥ أسامة : من أسماء الاسد .
٦ كان مجزأة بن ثور من ابطال المسلمين جعله عمر بن الخطاب رئيساً على بني بكر ثم أقره عثمان بن عفان على ذلك . وقتل في شستر (بضم الشين وفتح التاء) في فارس .
٧ المهجة : دم القلب . المرادي : عبد الرحمن بن ملجم (هو من بني مراد) .

– لمّا انكشف أمر عِمران بن حِطّان عند رَوْح بن زُنباع ورَغِبَ عبدالملك ابن مروان إلى رَوْح أن يستدرِج عِمران لزيارةِ عبد الملك ، فَطِنَ عِمران للحيلة وهرب بعد أن ترك رُقعة فيها :

يا رَوْحُ ، كم من أخي مَثْوىً نَزَلْتَ به   قد ظنّ ظنَّك من لَخْمٍ وغَسّانِ .
حتى إذا خِفْتَه فارقتُ منزلَه   من بعد ما قيل : عِمرانُ بنُ حِطّان !
قد كنت ضَيْفَكَ حَوْلاً لا تُرَوِّعُني   فيه الطوارقُ من إنسٍ ومن جان [1] ،
حتّى أَرَدتَ بِيَ العُظْمى فأَوْحَشَني   ما أَوْحَشَ الناسَ من خوف ابن مروان [2] .
فاعْذُرْ أخاك ، ابنَ زُنْباع ، فإنّ لَه   في الحادثات هَنات ذاتَ ألوان [3] :
يَوْماً يَمانٍ اذا لاقَيْتُ ذا يَمنٍ ،   وان لَقِيتُ مَعَدِّيّاً فعَدْناني [4] .
لو كنتُ مُسْتَغْفِراً يوماً لطاغيَةٍ ،   كنتَ المُقَدَّمَ في سِري وإعلاني .
لكنْ أبَتْ لِيَ آياتٌ مُطَهَّرَةٌ   عند التِلاوةِ في طه وعِمران [5] .

– مَرّ عِمران بن حطّان على الفرزدق وهو ينشد الناس ، فوقف عليه ثم قال :

أيّها المادحُ العِبادَ لِيُعْطى ،   إنّ لله ما بأيْدي العِبادِ .
فاسْأَلِ اللهَ ما طَلَبْتَ إليهِمْ ،   وارْجُ فضلَ المُقَسِّمِ العَوّاد .
لا تَقُلْ في البخيلِ ما ليس فيه ،   وتُسَمّي البخيلَ بِاسْمِ الجَواد .

– لما ظَفِرَ الحجّاجُ بعمرانَ قالَ : اضْربوا عُنُقَ ابْنِ الفاجرة . فقال عِمران :

لَبِئْسَ ما أدّبَكَ أهْلُك ، يا حَجّاجُ ! كَيْفَ أمِنْتَ أن أجِيبَك بما

---

١ حولا : عاماً . لا تروعني الطوارق : لا تخيفني الحوادث المفاجئة (لم ينكشف أمري) .
٢ ابن مروان : عبد الملك بن مروان . العظمى : النازلة العظمى : الموت أو القتل .
٣ ابن زنباع هنا منادى : يا ابن زنباع ! هنات (بفتح الهاء جمع هنة) : خصال (بكسر الخاء) شر . ذات ألوان : أتلون فيها (أتقلب من حال إلى حال) .
٤ يوماً يمان : أدعي يوماً أنني من اليمن (من عرب الجنوب) . معدي : رجل من معد (عرب الشمال) ، – إذا لقيت رجلا من عرب الشمال قلت له : أنا عدناني (عدنان هو الجد الاعلى لعرب الشمال) .
٥ طه وآل عمران سورتان من سور القرآن الكريم ، رقم ٢٠ و٣ في المصحف .

لَقيتَني به ؟ أبَعْدَ الموتِ مَنزِلةٌ أصانِعُك عليها ؟

فأطرقَ الحجّاجُ استِحْياءً وقال : خلّوا عنه . فخرج (عِمرانُ) إلى أصحابه ، فقالوا : واللهِ ، ما أطْلَقَكَ إلاّ اللهُ ، فَارْجِعْ إلى حربه مَعَنا . فقال :

هَيْهاتِ ، غَلّ يداً مُطْلِقُها ، وأسَرَ رَقَبَةً مُعْتِقُها .

٤ — ** الاغاني (بولاق) ١٦ : ١٥٢ وما بعدها (طبعة الساسي) ١٦ : ١٤٦ وما بعدها ؛ الكامل ٥٣٠ — ٥٣٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٣ ؛ زيدان ١ : ٣١٨ — ٣١٩ .

أبو حُزابة التميميّ *

١ — هو أبو حُزابة الوليد بن حنيفة أحدُ بني ربيعةَ بن حَنْظلةَ بن مالكِ ابن زيدِ مَناةَ بن تميمٍ .

كان أبو حُزابةَ لا يزال غُلاماً حَدَثاً لمّا جعَلَ مُعاويةُ بن أبي سُفيانَ ابْنَهُ يزيدَ وَليّاً للعهد [1] ، ولعلّ مَوْلِدُه كان ، من أجل ذلك ، في سَنَة ٤٠ ﻫ (٦٦٠ م) أو قبلَ ذلك بقليل . وكذلك كان أبو حُزابةَ من أهل البادية ، ثمّ بدا له أن يَنزِلَ في الحَضَر فَاخْتارَ أن يَسْكُنَ البَصرةَ . ثمّ إنّه اكْتَتَبَ في الديوان [2] فضُرِبَ عليه البَعْثُ (أُرْسِلَ في الجيش) إلى سِجِسْتانَ . وأقام أبو حُزابةَ في سِجِسْتانَ مدةً طويلةً ثم عاد إلى البصرة في أيام فِتنة ابنِ الزّبير [3] .

لمّا ثارَ عبدُ الرحمنِ بن محمّد بن الأشْعَثِ على عبد الملك بن مروان ، في

* في القاموس (١ : ٥٤) : « وابو حزابة (بالضم) الوليد بن نهيك (بفتح النون) ...

١ بايع معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بولاية العهد سنة ٥٦ ﻫ (٦٧٦ م) .

٢ طلب تسجيل اسمه في ديوان الجند (في الجيش) بعطاء (براتب معين) .

٣ بدأت فتنة (ثورة) ابن الزبير على يزيد بن معاوية سنة ٦١ ﻫ (٦٨٠ م) وادعى الخلافة ، ثم قتل سنة ٧٣ ﻫ .

شهر ذي الحِجّة من سنة ٨٠ هـ (كانون الثاني – يناير ٧٠٠ م)، اشتَرَكَ أبو حُزابة في تلك الثورة. ويَظُنّ الأصفهانيّ [١] أن أبا حُزابةَ قُتِلَ معَ ابن الاشعث، سنة ٨٥ هـ (٧٠٤ م)، وقيل في السنة التي سبقتها [٢].

٢ – أبو حُزابة شاعر وراجزٌ مقتدر، فصيحُ الألفاظِ جزْلُ الكلام متين التركيب بَدَوِيّ النَفَس. وقد يَلينُ شِعرُه ويَعْذُبُ في وصفِ الخمرِ وفي بعض العِتاب والهجاء، وربّما أقذَعَ في الهِجاء إقذاعاً شديداً. وله شيء من الرثاء.

٣ – المختار من شعره :

– مدح أبو حزابة عبدَ الله بن عليّ العَبْشَميّ (ابن كُرَيز) والي سِجِسْتان فلم يُثِبْهُ عبدُ الله بشيء فقال يهجوه (في هذه القصيدة شيء من وصف الخمر ومن الحماسة):

هبّتْ تُعاتِبني أُما ... مَةُ في السَّماحةِ والفِضال [٣]،
وأبيتُ عند عِتابِها ... إلاّ خَلائقَ ذي النّوال [٤].
أُعطي أخي وأحوطُهُ ... جُهْدي، وأبْذُلُ جلّ مالي [٥]،
وأقيهِ عندَ تَشاجُرِ الأبطالِ بالأسَلِ النِّهال [٦]،
حِفْظاً له ورِعايةً ... للخالياتِ من الليالي [٧]:

---

١ الاغاني (طبعة الساسي) ١٩ : ١٥٢، السطر الثاني من أسفل.
٢ الطبري (المطبعة الحسينية المصرية) ٨ : ٣٩ (أول أخبار سنة ٨٥ هـ)، راجع ٨ : ٤٢، السطر الثالث: «وقد قيل إن مهلك عبد الرحمن بن محمد (بن الاشعث) كان في سنة ٨٤ هـ.
٣ السماحة : الجود، الكرم. الفضال (بكسر الفاء) : التفاضل، التمازي (القاموس ٤ : ٣١) : الرغبة في أن يكون فوق غيره في الفضل مازياً أو متمازياً (مخالفاً لهم، بعيداً عنهم) : فوق أمثاله من الناس (في الكرم).
٤ ذو النوال (العطاء) : المعروف بالكرم المشهور.
٥ حاطه : صانه وتعهده. جهدي : غاية ما أقدر عليه، أقصى ما أستطيع. وأبذل : أدفع، أعطي (في سبيل ذلك) جل (معظم) مالي.
٦ أقيه : أحميه، أدافع عنه. تشاجر الابطال (اشتباكهم، اختلاطهم في القتال، عند شدة القتال). الاسل جمع أسلة (بفتح الهمزة وفتح السين) الرمح. النهال : المرتوية (كناية عن الحرب إذا طالت وكثر فيها جريان الدم حتى ارتوى كل رمح).
٧ رعاية للخاليات من الليالي : وفاء لما كان بيننا من الاخاء في الزمن الماضي.

إذ نحن نشرب قهوةً : رِدرياقةً كَدَمِ الغزال [1]
حمراءَ يُذهِبُ ريحُها ما في الرؤوس من الخَبال [2] .
وإذا تُشعشَعُ في الانا ءِ رَمَتْ أخاها باغتيال [3] .
وعلا الحَبابُ فخِلتَه عِقداً يُنَظَّمُ من لآل [4] .
تَشفي السقيمَ بريحها ، وتُميتُه قبلَ الأجال [5] .
تلك التي تركتْ فُؤا دَ أبي حُزابةَ في ضلال .
لا يَستفيق ولا يُفيـ ـقُ ، يشوقها في كلِّ حال [6] .
وإذا الكُماةُ تنازلوا ومشى الرجالُ إلى الرجال [7] ،
وبدَتْ كَتائبُ تَمتري مُهجَ الكتائبِ بالعوالي [8] ،
فأبو حُزابةَ عند ذا ك أخو الكريهة والنِزال [9] :

---

١ القهوة : الخمر المطبوخة بالنار . درياق : الخمر . كدم الغزال في اللون (حمراء) وفي الرائحة الطيبة . (راجع قول المتنبي : .... فان المسك بعض دم الغزال) . ودم الغزال (هنا) : نبات كالطرخون (بضم الطاء)حريف (بكسر الحاء وتشديد الراء : ذو طعم حاد يحرق اللسان – المعجم الوسيط ١ : ١٦٧) تخطط الجواري (البنات) بمائه مسكاً (بفتح الميم والسين : بقعاً وطرائق أو خطوط) في أيديهن حمراً (القاموس ٤ : ٢٤) .

٢ – هي خمر قوية جيدة حتى أن رائحتها فقط تزيل الكسل والخمول من أعضاء الجسد (ومن الدماغ أيضاً) .

٣ تشعشع : تمزج (بالماء) . رمت أخاها : أصابت المدمن لها . باغتيال : بصداع وسكر وغيبه عن العالم المحسوس .

٤ الحباب : الفقاقيع التي تطفو على وجه الاناء . لآل جمع لؤلؤة .

٥ الاجال غير موجودة في القاموس ، والمقصود الاجل : مدة العمر .

٦ أفاق واستفاق : رجع إلى الصحة (رجع إلى الوعي بعد السكر) . يشوقها (كذا في الأصل ، والصواب : تشوقه) : تهيجه ، تشوقه إلى نفسها ، تستميله . في كل حال : في حال الصحو وفي حال السكر .

٧ الكماة جمع كمي (بفتح الكاف وكسر الميم وتشديد الياء) : البطل التام السلاح . تنازلوا : تقاتلوا وهم على ظهور الخيل . ومشى (تقدم) الرجال (المحاربون المشاة ، غير الفرسان) .

٨ الكتائب جمع كتيبة : الجيش ، أو الجماعة (من المشاة أو الفرسان تزيد على مائة) تمتري : تستخرج . المهجة : دم القلب . العوالي جمع عالية : أعلا الرمح حيث النصل . تمتري مهج الكتائب بالعوالي : (تقتل العدد الكبير من الجنود بالرماح) .

٩ الكريهة : الحرب . النزال : تقاتل الفرسان .

يمشي الهُوَيْنا ، مُعْلَمـاً ، بالسيف مشياً غَيْرَ آل [1] ،
كالليثِ يَتْرُكُ قِرْنَــهُ مُتَجَدِّلاً بين المجال [2] .
إنّي نَـذيرُ بني تميـ ـمٍ من أخي قيل وقال [3] :
مَنْ لا يجودُ ولا يسـو دُ ولا يُجير ، من الهُزال [4] .
وتراه — حين يجيئه السُؤّالُ يُولَـعُ بالسُّعال [5]
مُتَشاغِـلاً مُتَنَحْنِحاً كالكلب جمّح للعِظال [6] .
فارْفُضْ قُرَيْشاً كلَّهـا من أجلِ ذا الداءِ العُضال [7] :

— وَقَفَ أبو حُزابة التميمي مُدّةً بباب يَزيدَ بنِ مُعاوِيَةَ (ويزيدُ يومذاك لا يزال أميراً قبل أن يَلِيَ الخِلافةَ) فلم يُؤْذَنْ له ، فقال يلومُ نفسه ويُعرّضُ بيزيدَ :

فواللهِ ، لا آتي يَزيدَ ولَوْ حَوَتْ أنامِلُهُ ما بين شرقٍ إلى غَرْبِ [8] ،
لأن يزيداً — غَيّرَ اللهُ ما به — جَنوحٌ إلى السُوأى مُصِرٌّ على الذنب [9] .

---

١ يمشي الهوينا (على مهل ، مطمئناً غير خائف من الحرب) . معلماً : كاشفاً عن وجهه : لا يبالي أن يعرفه الذي لهم عليه ثأر (لأنه كان قد قتل نفراً من أقاربهم) . غير آل : غير راجع (يسير دائماً إلى الامام هاجماً ولا يتراجع أو يهاب الموقف فينهزم) .

٢ القرن (بكسر القاف) : كفؤك في الشجاعة (القاموس ٤ : ٢٥٨ ، السطر ١٨) . متجدلا : قتيلا مطروحاً أرضاً (الجدالة : الأرض) . بين المجال (؟) — الملموح : يقتل خصمه بيسر وسهولة ، من غير معركة شديدة .

٣ — إني أحذر قومي بني تميم من رجل أخي قيل وقال (كثير الكلام والجدال) .

٤ لا يجود بمال ولا يستطيع أن يكون سيداً فينا ولا يستطيع أن يجير (أن يدافع عن أحد يلجأ اليه) ، من الهزال (لأنه ناحل الجسم شديد الفقر) .

٥ يولع بالسعال : يتظاهر بأنه مصاب بسعال دائم (كناية عن شدة البخل) — يسعل حتى يبدو كأنه عاجز عن جواب الذي يسأله مالا أو معروفاً .

٦ متنحنحاً (التنحنح : السعال الخفيف) ، كناية أيضاً عن البخل . جمع (؟) . العظال : سفاد (جماع) الكلاب .

٧ إننا نكره قريشاً كلها من أجل عبد الله بن علي العبشمي لأنه داء عضال (بخله لا يمكن أن يشفى) .

٨ لو حوت أنامله ما بين شرق إلى غرب : لو ملك كل ما في الدنيا ؛ لو أصبح خليفة .

٩ جنوح (مائل ، راغب) إلى السوأى « السوء ، ضد الحسنى » .

فقلْ لبني حرْبٍ : تقُوا اللهَ وَحْدَهُ ؛ ولا تُسْعِدوهُ في البَطالة واللعْبِ [1].
ولا تأمنوا التّغيِيرَ ، إن دام فِعلُه ولم ينْهَهُ عن ذاك شيخُ بني حرب [2].
أيَشْرَبُها صِرْفاً ، إذا الليلُ جنّه ، مُعتّقَةً كالمسْكِ تختالُ في القلب [3]،
ويَلْحى عليها شاربيها ؛ وقلْبه يَهيمُ بها ان غاب يوماً عن الشّرْبِ [4]!

— مدح أبو حُزابةَ طلحةَ الطَلَحاتِ الخُزاعيّ والِيَ سِجِسْتان في أيام يزيدَ بنِ مُعاويةَ فتأخّرَ وصولُ الجائزةِ إليه بينما كان غيرُه من الشعراء قد أخذوا جوائزهم . فقال أبو حزابة يُعاتِبُ طلحةَ :

وأدْلَيْتُ دَلْوي في دِلاءٍ كثيرةٍ فجئْنَ مِلاءً غيرَ دَلْوي كما هِيا [5].
وأهلَكَني أنْ لا تزالَ رَغيبَتي تُقَصِّرُ دوني أو تَحِلَّ ورائيا [6].
أراني إذا استَمْطَرْتُ منك سَحابةً لِتُمْطِرَني عادَتْ عَجاجاً وسافيا [7].

— بعد وَفاةِ طلحةَ الطَلَحات وَلِيَ على سِجِسْتانَ عبدُ الله بن عليّ بن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْزٍ (في أيام ثورة عبد الله بن الزبير على بني أمية) فأنشد أبو حُزابة في مَرْبَدِ البصرةِ (وكان قد عاد من سجستان) مَرْثيةً في طَلْحةَ طواها على ذمٍ لعبدِ الله بن كريز :

---

١ بنو حرب : بنو أبي سفيان بن حرب ، قوم معاوية الخليفة الأموي . لا تسعدوه (لا تعينوا يزيد ، لا تشجعوه) . البطالة : الهزل .

٢ شيخ بني حرب : معاوية بن أبي سفيان (والد يزيد) .

٣ صرفاً : غير ممزوجة بماء . إذا الليل جنه (ستره عن أعين الناس) . تختال في القلب : تتكبر (تجعله متكبراً) .

٤ يلحى : يذم ، يلوم . ان غاب يوماً عن الشرب (بفتح الشين : الذين يشربون الخمر معاً) : إذا لم يستطع يوماً أن يشرب خمراً . يهيم بها : يتشوق اليها .

٥ — استقيت مع الذين يستقون (مدحتك طالباً عطاءك كما فعل غيري) . فجاءت دلاؤهم مملوءة (نالوا منك عطاء) وعادت دلوي إلي كما هي (فارغة : لم أنل منك عطاء) .

٦ أهلكني (أنني ما زلت ببابك منذ زمن طويل) وان رغيبتي (عطائي الكثير الذي أستحقه منك) تقصر دوني (تعطى لآخر يأتي قبلي) أو تحل ورائيا (أحرم أنا منها ويعطاها آخر جاء بعدي) .

٧ إذا استمطرت منك سحابة (طلبت منك عطاء طلباً مباشراً) عادت (تلك السحابة التي رجيتها : عطائي الذي أستحقه) عجاجاً (غباراً ودخاناً : لا مطر فيه — لا يصلني منك عطاء) وسافياً (ريحاً تحمل تراباً — يصلني منك لوم أو أذى) .

هَيْهاتِ ، هيهات الجَنابُ الأَخْضَرُ [1]
والنائل الغَمْرُ الذي لا يَنْزُرُ [2] ،
وَارَاهُ عنّا الجَدَثُ المُغَوَّرُ [3] .
قد عَلِمَ القومُ غَداةَ اسْتَعْبَرُوا [4]
— والقبرُ بين الطَّلَحات يُحْفَرُ [5] —
أنْ لن يَرَوْا مِثْلَكَ حتّى يُنْشَرُوا [6] .
إنّا أتانا جَزَرٌ مُخَمَّرُ [7]
أنكره سريرُنا والمِنْبَرُ [8]
والمسجدُ المُحْتَضَرُ المُطَهَّرُ [9] .
أقَلُّ من شِبْرَين حينَ يُشْبَرُ [10] .
بَلِيّةٌ ، يا ربّنا ، لا نَسْخَرُ [11] !
وخَلَفٌ ، يا طَلْحَ ، منك أعْوَرُ [12]

---

١ هيهات : بعد ، ما أبعد . — ما أبعد الفرق بين طلحة الطلحات الكريم وبين ابن كريز البخيل ! الجناب (منزل الرجل العظيم) الاخضر (الممرع ، الكثير النبات ، حيث يوجد الجود والكرم) .

٢ النائل (العطاء)الغمر(الكثير الذي يغمر الناس ويسد جميع حاجاتهم ثم يفيض عنذلك). لا ينزر (لا يقل ، لا يتناقص) .

٣ الجدث (القبر) المغور (البعيد الغور ، العميق) : انقطع ما بيننا وبينه انقطاعاً تاماً .

٤ .... لما بكوا على طلحة (لما مات طلحة) .

٥ بين الطلحات : (بين شجر الطلح ؟ — بين أجداده الكرام ؟) .

٦ حتى ينشروا (من القبور) : يوم القيامة . — لن يروا رجلا آخر كريماً مثلك أبداً !

٧ .... أتانا : جاءنا (والي جديد يشبه) جزراً مخمراً .... (؟) — الملموح أنه رجل بخيل قليل القدر .

٨ أنكره سريرنا (دست الولاية ، كرسي الامارة) والمنبر (الخطبة يوم الجمعة) : لا يليق بالحكم ولا يستطيع الخطابة .

٩ المسجد المحتضر (الذي تحضر فيه الصلوات لأوقاتها) المطهر (الطاهر) . — أنكره مسجدنا لأنه لا يأتي اليه في أوقات الصلوات المكتوبة ، وإذا اتفق أن جاء إلى المسجد لا يكون طاهراً .

١٠ يشبر : يقاس بالشبر .

١١ هذه بلية (مصيبة صبت علينا) وأنا لا أسخر بالدين إذا قلت هذا ولكن أتألم من المصيبة .

١٢ خلف منك (وال جاء بعدك ليكون مكانك). يا طلح : يا طلحة (مرخمة : حذفت تاؤها في النداء) . أعور : فاقد الحس في احدى العينين ، أو هو الرديء ، الجبان ، البليد ، الذي لا خير فيه (القاموس ٢ : ٩٧ ، السطر ٨) .

مِثْلَ أبي القَعْواء ؛ لا ، بل أصغر [1].

— وقال أبو حزابة في الادب[2] :

لم أسْلُ عنك ولم أخُنْكَ ، ولم يكن في القلب منّي لِلسّلُوّ مكانُ ٢ -
لكن رأيتُكَ قد مَلِلْتَ زِيارتي فعَلِمْتَ أنّ دواءَك الهِجْران !

٤ — ** الاغاني (طبعة الساسي) ١٩ : ١٥٢ — ١٥٦ .

أرطأة بن سهيّة

١ — هو أبو الوليد أرْطَـأةُ بنُ زُفَرَ بن عبد الله بن مالك من بني غَيْظِ ابن مُرّةَ بن عوف بن سعد بن ذُبيان ؛ وأمّه سُهَيّةُ بنتُ زاملِ بن مَروانَ من بني كعب بن عوف بن عامر بن عوف ، كانت في الجاهلية لِضِرار بن الأزْوَرِ فسُبِيَتْ وصارت لِزُفَرَ بن عبد الله بن مالك وهي حاملٌ فولَدَتْ أرطأةَ على فِراش زُفَرَ . وقد غلَبَتْ أمّه على نسبه فكان يُعْرَفُ باسم **أرطـأة بن سهيّة** .

نشأ أرطـأةُ بن سُهَيّةَ امرَأ صِدقٍ شريفَ النفسِ والعقلِ حميداً في قومه جَواداً .

كان أرطـأةُ بنُ سُهَيّةَ في أول أمرِه صديقاً لشَبيبِ بن يزيدَ المعروف بشبيبِ بن البرصاء ثم وقعت الوحشةُ بينَهما فجعلا يَتَهاجيان وكَثُرَتْ المُناقضات بينَهما .

وانقطع أرْطـأةُ بن سُهيّةَ إلى مروان بن الحَكَم وإلى أخيه يحيى قبل أن تَؤولَ الخِلافةُ إلى مروانَ بن الحَكَم ، ثم اتّصلَ أيضاً بعبدِ الملك بن مروان .

في أواخر أيام عبد الملك بن مروان كان أرطـأةُ بن سُهيّة قد أسَنّ كثيراً

---

١ أبو القعواء كان حاجباً لطلحة الطلحات وكان قصيراً .

٢ كتاب الأمالي لليزيدي (حيدر اباد الدكن ١٣٦٧ = ١٩٤٨ م) ، ص ١٤١ (رقم ١٠٤) .

وانقطع عن قول الشعر ، ولعل وفاتَهُ كانت قبل وفاةِ عبدِ الملك بن مروانَ (توفي ٨٦ هـ = ٧٠٥ م) .

٢ - كان أرطأةُ بن سُهيّةَ شاعراً فصيحاً معدوداً في طَبَقات الشعراءِ المعدودين من شُعراء بني أميّة (غ ١٣ : ٣٠) . وشعرُه متينٌ السبكِ واضحُ المعاني . وفنونه المديح والفخر والحماسة والهجاء والرثاء والنسيب والأدب . وله وصف بارع في الخيل .

٣ - المختار من شعره :

- بعدَ أن آلتِ الخلافةُ إلى مروانَ بنِ الحكم واستَتَبَّ له الأمرُ دخل عليه أرطأةُ بنُ سُهيّة وانشد :

تَشَكّى قَلوصي إليَّ الوَجى ... تَجرُّ السّريحَ وتُبْلي الخِداما [١] ،
تزورُ كريماً له عندَها ... يدٌ لا تُعَدّ وتُهْدي السلاما [٢] .
وقَلَّ ثواباً له أنّها ... تُجِدّ القوافيَ عاماً فعاماً [٣] .
وسادَتْ مَعَدّاً على رَغْمِها ... قُريشٌ ، وسُدتَ قُرَيْشاً غُلاما [٤] .
جُعِلْتَ على الأمرِ فيه صَغاً ، ... فما زالَ غَمْزُكَ حتّى استَقاما [٥] :

---

١ تشكى = تتشكى . القلوص : الناقة الشابة . الوجى : الحفا (رقة الجلد في باطن القدم من كثرة المشي) . الخدام جمع خدمة (بفتح الخاء والدال) : سير (بفتح السين) : يشد على رسغ البعير (في أدنى الساق) يضبط العظام ويمنعها من التخلخل إذ يحفظها في أماكنها الطبيعية . السريح : قطعة من جلد توضع على النعل ، إذا تهرأت النعل ، ثم تشد بالخدام . - طال سفري اليك حتى بليت خدام الناقة وأصبحت السرائح (التي كانت تشد الخدام التي بليت) مطلقة تتجرجر على الأرض ثم رقت أخفاف ناقتي من طول الطريق وصعوبة السير عليها .

٢ يد : نعمة (وهي هنا للجمع : نعم) .

٣ - ما أقل شكري على هذه النعمة بقواف (قصائد) أجدها : أجددها ، أنظمها واحدة بعد واحدة . عاماً فعاماً : عاماً بعد عام . في الاغاني (١٣ : ٣٢ ، السطر ٥) : تجيد القوافي ، الصواب : تجد القوافي . - اقرأ : .... لها اننا نجد ...

٤ قبيلة قريش أصبحت سيدة بني معد (جميع العرب) على رغم بني معد كلهم ، وأنت أصبحت سيد قريش .

٥ جعلت على الأمر : (وصلت إلى الخلافة) ، وكان في أمر الخلافة صغاً (ميل : انحراف عنك ، واضطراب وفتن وثورات) . فما زال غمزك : ظللت (بفتح الظاء وكسر اللام الأولى) تغمز الأمر : تقرصه وتعالجه برفق وصبر حتى استقام لك (استتبت لك الخلافة) .

لَقيتَ الزُّحوفَ فقاتَلْتَهـا فجرّدت فيهن عَضْباً حساما [١]
تَشُقّ القوانِسَ حتّى تنـا لَ ما تحتَها ثمّ تَبْري العِظاما [٢] .
نَزَعْتَ على مَهَلٍ سابقـاً ، فما زادكَ النّزْعُ إلاّ تَماما [٣] .
فزادَ لكَ اللهُ سُلطانَه ، وزادَ لك الخيرَ منه فدَاما [٤] !

– كان لأرطأةَ بنِ سُهيّةَ ابنٌ يُقال له عمرٌو (من زوجٍ له اسمُها سَلمى) فمات . فَجَزِعَ أرطأةُ عليه جَزَعاً شديداً ولَزِمَ قبرَهُ مُدّةً ثم قال يرثيه :

وَقَفْتُ على قبرِ ابْنِ سَلمى ، فلم يكن وُقوفي عليه غَيْرَ مَبْكىً ومَجْزَعِ .
هَلَ أنْتَ – ابْنَ سَلْمى ، إنْ نَظَرْتُكَ – رائحٌ
مَعَ الرّكبِ أو غادٍ غَداةَ غَدٍ معي [٥] ؟
أأنْسى ابْنَ سلمى ،وَهْوَ لم يأتِ دونَه مِنَ الدهرِ إلاّ بعضُ صيفٍ ومَرْبَعِ [٦] !
وقفتُ على جُثْمانِ عمرٍو فلم أجِدْ سوى جَدَثٍ عافٍ بِبَيْداءَ بَلْقَعِ [٧] .
فدَعْ ذِكْرَ من قد حالتِ الأرضُ دونه ، وفي غيرِ مَنْ قد وَارَتِ الأرض فاطمعِ [٨] .

– وقال أرطأة يهجو شبيب بن البرصاء بقصيدة منها :

---

١ الزحوف جمع زحف : الجيش الكبير الزاحف للحرب . فجردت فيهن عضباً حساماً : كنت في قتالها سيفاً قاطعاً فهزمتها وانتصرت . في الاغاني (١٣ : ٣٢ ، السطر ٨) : جردت (بفتح الجيم ، بالبناء للمعلوم) . والاصوب أن نقرأ : جردت (بضم الجيم ، بالبناء للمجهول) حتى يكون في البيت استعارة وصورة شعرية .

٢ تشق القوانس (جمع قونس وقونوس :حديدة ناتئة في أعلى الخوذة) حتى تنال ما تحتها (الجمجمة ، الدماغ) وتبري (تقطع قطعاً باتاً) العظام .

٣ نزعت : جريت . على مهل : بتأن (أحسنت السياسة في انتظار الفرصة السانحة) .

٤ زاد لك الله سلطانه : أيدك الله بسلطانه (؟) .

٥ – لا فائدة من وقوفي على القبر إلا أن أبكي وأجزع (أفقد السيطرة على نفسي من الحزن – وهذان أمران لا ينفعان) .

٦ نظرتك : انتظرتك . رائح مع الركب : مسافر هذا المساء مع الجماعة المسافرين . أو غاد غدا معي : أو مسافر في صباح غد معي . – نلاحظ ان عمر هذا الطفل كان بضعة أشهر .

٧ جدث (قبر) عاف (ممحو ، ذهب أثره) وبيداء (ارض قفر واسعة) بلقع (خراب ، لا معالم فيها) .

٨ حالت الأرض دونه : اعترضت بيننا وبينه (دفن ، مات) . وارت : سترت . وارته الأرض : دفن فيها .

رَمَتْكَ ، ولم تُشْوِ الفُؤادَ ، جَنوبُ . وما كلّ من يَرْمي الفؤادَ يُصيبُ [1] .
وما زوّدتْنا غيرَ أن خَلَطَتْ لنـا أحاديثَ منهـا صادقٌ وكَذوب [2] .
ألا مُبْلِغٌ فِتيـانَ قومِيَ أنني هجاني ابنُ برصاءِ اليَدَيْنِ شَبيب.
وفي آل عَوْفٍ من يَهودَ قبيلةٌ تَشابَهَ مِنْها ناشئون وشِيب .
أبي كان خيراً من أبيكَ ، ولم يَـزَلْ جَنيباً لآبائي وأنت جَنيب [3] .
وما زِلْتُ خيراً منك ، مُذْ عَضَ كارهاً برأسِكَ عاديُّ النِّجادِ رَسوب [4] .

٤ – ** الاغاني ١٣ : ٢٩ – ٤٤ ، راجع ١٢ : ٢٧١ وما بعدها .

كَعب بن جُعيل

١ – هو كَعْبُ بنُ جُعيل بنِ عُجْرة بن قُمير * بن ثعلبة بن عَوف بن مالك بن بكر بن حُبيب بن غُنْم بن تَغْلِبَ بن وائل . وكان اسم أمّه ليلى . وأمّا منازل قومه فكانت في ديار ربيعةَ من الجزيرة الفُراتية من أعلى العراق بجهات سَنجار ونَصيبين .

ولعلّ كعبَ بنَ جُعيلٍ لم يُسْلِمْ باكراً ، يدلّنا على ذلك أمورٌ منها أن أثرَ النّصرانية بارزٌ في شعره في الألفاظ والمعاني حتّى قال خليلُ مَرْدم [6] : « والغريبُ أن أثرَ النصرانية في شعر كعب (بن جُعيل) التَغْلَبيّ المُسْلم أكثرُ

١ رمتك جنوب (أطلقت علي محبوبتي جنوب سهماً من سهام حبها) فلم تشو الفؤاد : لم تصبني في مقتل منه (لم تستملني فأحبها) . في هذا الشطر تجريد (ان يجرد الشاعر من نفسه شخصاً ثم يخاطبه كأنه شخص ثان مستقل). جنوب (بفتح الجيم) : اسم امرأة ؛ والمرأة التي تتجنب الرجال . ما كل من يرمي الفؤاد يصيب : ما كل امرأة تستحق أن تحب .
٢ – ما قالت لي عند الوداع إلا أقوالا يمتزج فيها الصدق بالكذب (لم أستفد من قولها شيئاً) .
٣ كان أبوك جنيباً (منقاداً ، خاضعاً) لآبائي ، وأنت (الآن) جنيب (لي) .
٤ النجاد : حمائل السيف . الرسوب : السيف القاطع الذي يمضي في الضريبة (الجسم الذي يضرب به) مسافة طويلة . العادي : القديم (والباقي إلى الآن لجودة حديده وجودة صنعه) . عضك برأسك وأنت كاره : أصبتك به في رأسك (منذ تغلبت عليك ، بالسيادة و بالشعر) .
* في بعض المصادر : جعيل بن قمير بن عجرة .
٦ محاضرات المجتمع العلمي العربي بدمشق ٢ : ٥٠٧ .

ظهوراً منه في شعر الأخطل التغلبي النصراني » . ومما يمكن أن يدلّ على ذلك (على تأخّره في الدخول في الاسلام) قصّتُه مع يزيدَ بن مُعاويةَ :

في الكامل للمُبَرّد (ص ١٠١) : « كان يزيدُ بن معاوية عتَبَ على قومٍ من الأنصار[1] فأمرَ كعبَ بن جُعيلٍ التَغلَبيّ بهجائهم . فقال له كعب : أأهجو الانصارَ ؟ أرادّي أنتَ إلى الكفرِ بعدَ الاسلام ؟ ولكنّي أدلّك على غلامٍ من الحيّ نَصْرانيّ كأنّ لِسانَه لسانُ ثورٍ » ، يَعْني الاخطلَ .

ولعلّ عداوةَ الاخطلِ الشابّ لكعبِ بن جُعيلٍ — والاخطلُ مِمّنْ بقُوا على النصرانية — دليلٌ آخرُ على ذلك .

برز كعب بن جُعيل في الحياة الاجتماعية وفي النزاع السياسي والأدبي حينما اتّصل بسعيد بن العاص الذي ولاّه عُثمانُ بنُ عفّان على الكوفة ، سنة ٣٠ هـ (٦٥٠ – ٦٥١ م) . وقد ظلّ كعب يَفِد على سعيدٍ ويمدحه إلى ما بعدُ سنَةَ ٥٠ هـ (٦٧٠ م) حينما كان سعيد والياً على المدينة . في تلك الأثناء اتّصل كعبُ بن جعيل بالضحّاك بن قَيسٍ الفِهريّ — وكان الضحّاك عاملاً (جابياً للضرائب) لمُعاويةَ على الجزيرة ، سنة ٣٦ هـ — . ولمّا وقَعَت الفتنةُ بينَ عليّ ومعاوية[2] ، في سنة ٣٦ هـ أيضاً ، اختار كعبُ بن جُعيل أن يَقِفَ بجانب مُعاويةَ فكان يُحرّض أهلَ الشام بِشعره على الثأر لِعثْمان . ثم ان كعبَ بن جعيل شَهِدَ مَعْرَكة صِفّين مع معاوية .

وأسَنّ كعبٌ بن جعيل كثيراً حتّى أدرك مُبايعةَ الوليدِ بنِ عبدِ الملك بالخِلافة ، سنة ٨٦ هـ (٧٠٥ م) .

٢ — كعب بن جُعيل شاعر مشهور جعله ابن سَلاّم رأس الطَبَقة الثالثة من الشعراء المسلمين[3] . ولقد كان كعب في أيامه شاعرَ مُعاوية وشاعرَ أهلِ الشام وشاعرَ تَغلِبَ . غير أن مُعْظَمَ شِعره قد ضاع في زمن مُتَقَدّمٍ جداً ، فلم يَصِلْ إلينا منه إلاّ أقلّه . وشعره الباقي قليل جزْلُ الألفاظ سليم المبنى واضح المعاني لا تكلّفَ فيه ، وهو قصيد ورَجَز . أما أغراضه فهي

١ الانصار : أهل المدينة (نصروا الرسول وكانوا معه على المشركين) ؛ راجع ، فوق ، ص ٣٨٤.
٢ راجع ، فوق ، ص ٣٠٨ .
٣ طبقات الشعراء ١٢٩ .

المديح والرِثاء والهِجاء والغَزَل ، وله وصفٌ بارع للقصور وللطبيعة تظهر فيه خصائص البيئة الفراتية بوضوح . وكان كعب بن جعيل يُهاجي الاخطل ، وقد وقع بينه وبين النّجاشي الحارثي هجاء (الكامل ١٨٧) . ومع أن كعبَ بن جعيلٍ قد تحوّب من هِجاء الانصار ، فقد فارق ذلك الخُلُقَ الكريم وذمّ الامام علياً (الكامل ١٨٥) .

٣ – المختار من شعره :

– قال كعب بن جُعيل التغلبي سنة ٣٦ هـ ، قُبيلَ معركة صفّين ، « يحلل الموقف » الذي ساد بين عليّ ومعاوية ثم بين أهل الشام وأهل العراق :

أرى الشامَ تكره مُلْكَ العِراقِ ... وأهلَ العراقِ لهم كارهونا ؛
وكلٌّ لصاحبِهِ مُبْغِضٌ ... يرى كلَّ ما كان من ذاك دِينا[1].
إذا ما رَمَوْنا رَمَيْناهمُ ، ... ودِنّاهُمُ مثلَ ما يُقْرِضونا[2].
وقالوا : « عليٌّ إمامٌ لنا » ، ... فقُلنا : « رَضِينا ابْنَ هِنْدٍ رضينا »[3].
وقالوا : « نرى أن تَدينوا لنا » ، ... فقلنا لهم : « لا نرى أن نَدينا[4]،
ومن دونِ ذلك خَرْطُ القَتادِ ... وطعنٌ وضربٌ يُقِرّ العُيونا[5] ! »
وكلٌّ يُسَرّ بما عِنْدَهُ : ... يرى غَثّ ما في يَدَيْهِ سَمينا[6].
وما في عليٍّ – لِمُسْتَعْتِبٍ – ... مُقالٌ سوى ضَمّهِ المُحْدِثينا[7]،

١ – كل رجل من أهل العراق وأهل الشام يرى أن الاحداث السياسية التي جرت بين علي ومعاوية جزء من الدين الذي يدين به هو يجب أن يحافظ عليه بالسيف . – في الكامل (ص ١٨٥) : وكلا لصاحبه مبغضاً .

٢ – إذا رمونا (إذا هم رشقونا بالنبال ، أي حاربونا) حاربناهم ودناهم (اقتضيناهم وفاء الدين ، أي أسأنا اليهم وانتقمنا منهم كما كانوا هم يقرضونا ، أي يسلفون الينا الاساءة وبمثل ما كانوا يفعلون بنا).

٣ ابن هند : معاوية بن أبي سفيان .

٤ دان : خضع ، قبل بحكم الآخرين عليه .

٥ القتاد : شوك تأكله الجمال ، وهو شوك كثيف صعب القلع والقص . خرط القتاد : قطع القتاد (كناية عن صعوبة الأمر الذي يحاوله الانسان أحياناً) . يقر العيونا : يرضي أصحابه (يرضينا نحن ، إذ سننتصر عليكم) .

٦ الغث : الهزيل النحيل ، ما كانت مادته خفيفة . (يرى الذي لا قيمة له ذا قيمة كبيرة) .

٧ – ليس لنا مأخذ (ولا عتب) على علي الا أنه يجمع حوله المحدثين (بكسر الدال : المذنبين ، القتلة ؛ وبفتح الدال : صغار السن الذين لا خبرة ولا رأي صحيحاً لهم والاصوب كسر الدال) .

وإيثارِه اليومَ أهلَ الذّنوبِ ورفعِ القِصاصِ عن القاتلينا [1].
إذا سِيل عنه زَوَى وجهَه وعَمّى الجوابَ على السائلينا [2]:
فليسَ بِراضٍ ولا ساخطٍ ، ولا في النُهاة ولا الآمرينا [3]!

— لمّا وقعت الحرب في صفّين جعل كعب بن جُعيل في إحدى الليالي يرتجز في أمر الحرب بين المسلمين :

أصبحتِ الأمّة في أمرٍ عَجَبْ ، والمُلْكُ مجموع غداً لِمَنْ غلب.
أقولُ قولاً صادقاً غيرَ كَذِبْ : إنّ غداً تَهْلِكُ أعلامُ العرب .
غداً نلاقي ربّنا فنَحْتَسِبْ ، غداً يَصيرون رَماداً قد ذهب ،
بعدَ الجَمالِ والحياء والحسبْ . يا ربِّ ،لا تُشْمِتْ بنا ولا تُصِبْ
مَنْ خلعَ الأندادَ طرّاً والصُلُب [4] !

— ولكعب بن جُعيل قصيدة يُظهر الندمَ فيها على مهاجاة (الاخطل) التي حملته على شتم تغلب التي هي عشيرته . ثم هو يمر بمديحٍ لمعاويةَ واعتذارٍ اليه ؛ ثم يذكر أمرَ أبي موسى الاشعري وعمرو بن العاص لَمّا اجتمعا بعد معركة صِفّين في أذْرُحَ للتحكيم بين معاوية وعليّ .

نَدِمْتُ على شَتْمِ العشيرةِ بعدَما مضَى واسْتَتَبّتْ للرُواة مَذاهبُهْ [5]،
فأصبحتُ لا أسطيعُ رَدّاً لما مضى ، كما لا يَرُدُّ الدَرَّ في الضِرعِ حالبه [6] .
معاويَ ، أنْصِفْ تَغْلِبَ ابْنَةَ وائلٍ من الناس ، أو دَعْها وحَيّاً تُضاربه [7] .

---

١ ايثاره : تفضيله .
٢ إذا سيل عنه : إذا سئل عن عثمان بن عفان وقتله . زوى وجهه : أدار وجهه (تجاهلا للاجابة الصريحة على السؤال المحق) . عمى الجواب : جعله غامضاً .
٣ النهاة جمع ناه : رادع ، مانع (الذي ينهى الناس عن الشر) .
٤ نلاقي ربنا : نموت . احتسب : عد مصيبته (أو موته) في سبيل الله . لا تصب (بسوء ، بالموت في القتال) . الانداد : الشركاء الذين يعدهم الوثنيون مع الله . الصلب : جمع صليب : شارة الدين المسيحي (يشير كعب بن جعيل إلى انه كان على النصرانية ثم فارقها واعتنق الاسلام) .
٥ ندمت على أنني هجوت قوماً من عشيرتي . ولكن لا فائدة من الندم لأن ذلك الشعر خرج من فمي وانتشر في البلاد وحفظه الرواة .
٦ الدر : اللبن . الضرع : ثدي الناقة أو البقرة (لا تمكن إعادة اللبن إلى الضرع بعد حلبه منه) .
٧ يا معاوية ، أنصف تغلب من خصومها أو دعها تنصف نفسها (تأخذ بحق نفسها) من خصومها .

قليلٌ على باب الاميرِ لُباثتي ، إذا رابني بابُ الامير وحاجبه [1] .
ولمّا تَدارَوْا في تُراثِ مُحمّدٍ سَمَتْ بابن هندٍ في قريش مضاربه [2] :
سعى لابن عفّانٍ ليُدْرِكَ ثأرَهُ ، وأولى عبادِ الله بالثأرِ طالبه [3] !
وقد غَشِيَتْنا في الزُّبيرِ غَضاضةٌ وطلحةَ إذا قامت عليه نوادبه [4] ،
فردَّ ابنُ هندٍ مُلكَه في نِصابه ؛ ومَنْ غالب الأقدارَ فالله غالبه [5] .
وما لابنِ هندٍ في لُؤيِّ بن غالبٍ نظيرٌ ، وان جاشت عليه أقاربه [6] .
فهذاك مُلْكُ الشام وافٍ سِنامُه، وهذاك مُلْكُ القومِ قد جُبَّ غاربه [7] .
يُحاول عبدُ الله عَمْراً ، وإنّه لَيَضْرِبُ في بحرٍ عريضٍ مَذاهبُه [8] .

٤ — ** محاضرات المجمع العلمي العربي في دمشق ، الجزء الثاني ، دمشق ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م (مقال لخليل مردم مأخوذ من مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق : المجلد ١٩ ، لعام ١٩٤١) ص ١٥ — ١٢٤ ، ١٠٤ — ١١٢ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٨٤ ، السطران ٢ ، ٣ .

---

١ اللباثة : اللبث (بضم اللام) ، البقاء ، الوقوف بباب (الامير) . — إذا شككت في محبة الامير لي أو إذا رأيت في وجه الحاجب على باب الأمير تغيراً .

٢ تداروا في تراث محمد : تظاهروا أنهم يدافعون عن ارث رسول الله (عن الدين) . سمت بابن هند : ارتفعت بمعاوية (انتصر معاوية) ؛ مضاربه : أخلاقه (دهاؤه وسياسته) أو معاركه ومقدرته في الحرب .

٣ غشيتنا : أظلتنا ، أصابتنا ، لحقتنا . غضاضة : ذلة ، منقصة . الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله كانا يطالبان بالخلافة بعد عمر بن الخطاب وينافسان عثمان بن عفان في أيام الشورى . قامت عليه نوادبه : مات .

٤ .... — يضع كعب بن جعيل في هذا البيت قاعدة سياسية : أولى الناس بالثأر (هنا : بالحق في الخلافة) الذي يطالب بالثأر ، لا الذي يدعي أن الحق كان في الأصل حقه .

٥ أعاد ابن هند (معاوية) ملك عثمان إلى نصابه (أهله : البيت الأموي)

٦ .... في بني لؤي بن غالب : في قريش كلهـا . جاشت : ثارت . أقاربه (كناية عن آل هاشم الذين يمثلهم في النزاع مع معاوية علي بن أبي طالب ؛ وبنو هاشم في الأصل أبناء عم بني أمية) .

٧ واف سنامه : تام غير منقوص . قد جب غاربه : قد ذهب سنامه(انتقل الملك من بني هاشم إلى بني أمية . — يشبه الشاعر الملك بجمل . فالجمل الذي له سنام صحيح كبير جمل قوي نشيط ؛ والجمل الذي ذهب سنامه جمل مهزول نحيل مريض) .

٨ يحاول عبد الله (أبو موسى الاشعري) أن يكون (في الدهاء والمقدرة) مثل عمرو (بن العاص) ، ولكنه لا يستطيع (كمن يسبح في بحر واسع جداً فلا يعرف كف يتجه ولا كيف يمكن أن يصل إلى البر) . القوم : خصوم بني أمية .

محمّد بن عبد الله النُميري

١ – هو محمّد بن عبد الله بن نُمير بن خرَشة من بني ثقيف، مولّدٌ [١].

كان النميري من أهل مدينة الطائف نشأ فيها، فيما يبدو شاعراً مُحبّاً مُغامراً، فتعلّق بزينبَ بنتِ يوسفَ بنِ الحكمِ شقيقةِ الحجّاج بن يوسف (لأبيه وأمّه). ويبدو أن زينب كانتْ تنتقل مع أخيها وهو يتولّى الاعمال المختلفة، فكان النميري يلحق بها. وأراد الحجّاج أن يُوقِعَ بالنميري [٢] فهرب النميري (من الحجاز في الاغلب) إلى اليمن ثم ركب البحر من عَدَنَ حتّى وصل إلى الشامِ واستجار بعبد الملك. وكتب عبدُ الملك إلى الحجّاج أن النميري جاري فلا تَمَسّه بسوء.

بعدئذ، بعد مقتل عبد الله بن الزبير (٧٣ هـ = ٦٩٢ م)، أصرّ الحجّاج على سَماع القصيدة التائية التي قالها النميري في شقيقته زينب وأمّنه ان هو جاءه طائعاً. فجاء النميري إلى الحجّاج في الكوفة وأنشد القصيدة أمامه، وكان الحجّاج في أثناء الانشاد يعلّق على الأبيات المختلفة.

ليس في ما بين أيدينا ما يدلّ على السنة التي توفّي فيها محمد بن عبد الله النميري.

٢ – محمّد بن عبد الله النميري شاعر غَزِلٌ مُغامِرٌ فصيح رقيق. وله إلى جانب غزله البارع مقاطع في الأدب (الحكمة) تتعلّق بالاسفار وبهربه من الحجّاج، ولعلّه هاجى الفرزدقَ (طبقات الشعراء ٨٣). وأكثر غزله في زينب بنت يوسف بن الحكم.

٣ – المختار من شعره:

– قال محمد بن عبد الله النميري يتغزّل بزينب بنت يوسف ويذكر مرورها

---

١ المولد: من كان أحد أبويه غير عربي.

٢ راجع في قصة هرب النميري من الحجاج الكامل ٢٨٩ – ٢٩٠، ٣٥٣ – ٣٥٤؛ الاغاني ٦: ١٩١ وما بعدها.

مع صواحبها بوادي نَعمان (بين مكة والطائف) في قصيدة منها :

تضوّع مِسكاً بَطنُ نَعْمانَ إذ مشت ... به زَيْنبٌ في نِسْوةٍ عَطِراتِ :
تَهادَيْنَ ما بين المُحَصّبِ من مِنَى ... وأقْبَلْنَ لا شُعْثاً ولا غَبِرات [1].
أعانَ الذي فوق السماوات عرشُه ... مَواشِيَ بالبَطْحاء مُؤْتَجِرات [2]،
مَرَرْنَ بِفَخٍ ثم رُحْنَ عَشيّةً ... يُلبّينَ للرحمنِ مُعْتَمِرات [3]،
يُخبّئْنَ أطرافَ البَنانِ من التّقى ... ويَقْتُلْنَ بالألحاظ مُقْتَدِرات [4].
تَقَسّمْنَ لُبّي يومَ نَعمانَ، إنّني ... رأيتُ فُؤادي عارم النَظَرات [5].
جَلَوْنَ وجوهاً لم تَلُحْها سمائِمٌ ... حَرورٌ، ولم يُسفَعْنَ بالسَبَرات[6].
فقلت يَعافير الظِباءِ تناولت ... نِياعَ غُصونِ المَرْد مُهْتَصِرات [7].
ولمّا رأتْ رَكْبَ النُميريّ راعَها ، ... وكُنّ مِنَ انْ يَلْقَيْنَه حَذِرات ،
فأدْنَيْنَ — حتّى جاوزَ الرَكْبُ — دونَها ... حِجاباً من القَسّيّ والحِبَرات [8]،

---

١ تهادت المرأة : تمايلت في سيرها . المحصب : مكان رمي الجمار (الحجارة) وهو من مناسك الحج . منى : مكان يبيت فيه الحجاج . (يقصد : سرن من المحصب إلى منى مسافة طويلة) . أقبلن : وصلن . الأشعث : الذي اختلط شعره واضطرب ترتيب ثيابه . الأغبر : الذي علاه الغبار من الطريق في أثناء سيره .

٢ البطحاء : وسط مكة . مؤتجرات : ذاهبات إلى الحج طلباً للأجر من الله .

٣ التلبية : قول الحجاج عند الوقوف على جبل عرفات : لبيك ، اللهم ، لبيك ؛ معتمرات : ذاهبات للقيام بموسم الحج في غير شهر ذي الحجة .

٤ لا يجوز في الاسلام للمرأة أن تكشف من جسمها إلا وجهها وكفيها وقدميها . ولكن هؤلاء النسوة يبالغن في التقوى ويسترن كل شيء من أجسامهن حتى رؤوس الأصابع . غير أنهن يتركن عيونهن غير مستورة ليستطعن السير في الطريق . وعيونهن وحدها قادرة على قتل المحبين .

٥ تقسمن لبي : كنت أنظر اليهن كلهن لأنهن كلهن جميلات . عارم النظرات : يحدد النظر إلى (ما يتطلع اليه) .

٦ جلون : أبدين ، أبرزن ، أظهرن . لم تلحها ؛ لم تغيرها . سموم حرور : ريح حارة . سفعته (الريح الحارة) : غيرته . السبرة (بسكون الباء) : الغداة الباردة . — لم يتعرضن للريح الحارة ولا للريح الباردة (كناية عن النعيم والترف لأنهن غير محتاجات إلى العمل والتنقل في كل وقت) .

٧ — فشبهتهن بالظباء السمر التي تتناول نياع المرد (الأغصان الطرية من شجر الاراك) يقصد: ان أعناقهن طوال (وكان ذلك من مظاهر الجمال عند العرب) . هصر الغصن واهتصره: شد به ليقطف ما فيه من الثمر .

٨ القسي : ثياب مصنوعة من كتان ممزوج بحرير . والحبرة (بكسر الحاء وفتح الباء) : ثوب من الحرير فيه وشي (تطريز) .

فكُدتَ ، اشتياقاً نحوها وصبابةً ، تَقَطّعُ نفسي إثرَها حسَرات .
فراجعتُ نفسي والحفيظةَ بعدَما بَلَلْتُ رِداءَ العَصْبِ بالعَبرات [1]

— وقال النميريّ في زَيْنَبَ أيضاً :

تَشتو بمكّةَ نِعْمَةً ، ومَصيفُها بالطائفِ [2] .
أحْبِبْ بتلك مَواقفاً ، وبزينبٍ من واقف !
وعزيزةٍ لم يَغْذُها بؤسٌ وجَفوةُ حائف [3] ،
غَرّاءُ يَحكيها الغزا لُ بمُقلةٍ وسَوالف [4] .

— ومن شعر النميري المتين السبك قوله وقد هرب خوفاً من الحجّاج إلى اليمن لِيَنْجُوَ إلى الشام :

أتتْني عن الحجّاج ، والبحرُ دونَنا ، عقاربُ تَسْري والعيونُ هَواجِعُ [5] ،
فضِقْتُ بها ذَرْعاً وأجْهَشْتُ خِيفة، ولم آمَنِ الحجّاجَ ، والامرُ فاظِعُ [6] .
وحلّ بي الخطب الذي جاءني بــه سميع فليست تستقر الاضالع .
فبِتّ أديرُ الأمرَ والرأيَ ليلتي ، وقد أخْضَلَتْ خدّي الدُموعُ التوابع [7]
وما أمِنَتْ نفسي الذي خِفْتُ شرّه ، ولا طابَ لي ممّا خَشيتُ المَضاجع [8]

---

١ — ثم ملكت نفسي وردعتها عن الحزن والحمية (في شدة التطلع اليهن)، ولكن بعد أن بكيت كثيراً حتى ابتل ثوبي العصب (ثوب منسوج من حرير مصبوغ) ، وهو لا يبتل بسهولة (؟) . العبرات : الدموع .
٢ تشتو : تقضي الشتاء .
٣ غذاها : ساعد على نمو جسمها . الحائف : الظالم . — لم تنشأ في فقر ولا نشأت تحت سلطان أهل جفاة ظالمين .
٤ يحكيها : يشبهها .
٥ — بلغني عن الحجاج عقارب (تهديد بالقتل) تسرى (تسير بليل ، خفية من غير أن يدري أحد بها) والعيون هواجع (نائمات ، غافلات) ؛ يقصد : أن الحجاج ماكر يفعل فعلته من غير أن يدري أحد .
٦ ضقت ذرعاً : حرت ، لم أهتد إلى وجه الحيلة في دفعها . أجهشت (تهيأت للبكاء) من الخوف . فاظع : فظيع ، ذو عاقبة وخيمة .
٧ بت : قضيت الليل (قضيت مدة طويلة) . أدير الأمر والرأي : أفكر في ذلك الذي بلغني وفي كيف أستطيع تلافيه والخلاص منه . أخضلت : بللت . التوابع : المتتابعة .
٨ الذي (مفعول به من الفعل « أمنت ») .... ولا استطعت أن أنام (من الخوف والقلق) .

إلى أن بدا لي رأسُ إسْبيلَ طالِعاً ، وإسبيلُ حِصْنٌ لم تَنَلْهُ الأصابع [1].
فلي عن ثقيف - إن هممت بنَجوة - مهامهُ تَهوى بينهنّ المجارع [2].
وفي الأرضِ ذات العَرْضِ عنك ، ابْنَ يوسُفٍ ،
إذا شِئتُ مَنأىً - لا أبا لكَ - واسع [3] !
فإن نِلْتَني ، حَجّاجُ ، فاشْتَفِ جاهِداً ،
فـإنّ الذي لا يَحْفَظُ اللهُ ضائع [4].

٤ - ** الاغاني ٦ : ١٨٩-٢٠٦ ؛ بروكلمان ١ : ٦٠ ، الملحق ١ : ٩٥ . زيدان ١ : ٣٤١ .

عبد المَلِك بن مَرْوان

١ - هو عبد الملك بنُ مروانَ بنِ الحكمِ بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر (واسم النضر قُريش) بن كِنانة . وكانت أمّ عبد الملك بن مروان عائشةَ بنتَ مُعاويةَ بن المُغيرة بن أبي العاص (البيان والتبيين ٢ : ٣٢٤) .

وُلِدَ عبد الملك بن مروان سنة ٢٦ هـ . وفي سنة ٤٢ هـ (٦٦٢ م) ، وكان

---

١ رأس إسبيل : جبل في اليمن . لم تنله الأصابع : لم تستطع (فيما مضى) أن تصل اليه الأصابع (الحيل والمكائد والجهود) .

٢ عن ثقيف : عن الحجاج وكل مـا يتعلق بالحجاج ، حتى عن بني ثقيف كلهم . هممت : عزمت . نجوة : منجى ، مكان احتمي بـه . مهامه جمع مهمه ومهمهة : المفازة (الصحراء) البعيدة (الواسعة) والبلد المقفر . تهوى : تسير مسرعة في مكان متسع (كأنما هي تسقط في مكان لا قرار له) من غير أن تقطعه . المجرع (بفتح الماء وبكسرها) : الكلب السلوقي .

٣ وفي الأرض ، يا ابن يوسف (الحجاج).منأى : مكان بعيد (مهرب) . «لا أبا لك» تعبير ظاهره ذم ومعناه : لا غاب عنك أو عن علمك ، لا خدعت (بضم الخاء) .

٤ إذا وصلت إلي ، يا حجاج ، فانتقم مني حتى تشفي نفسك . ان الحافظ (منك ومن غيرك هو الله) والذي لا يحفظه الله يضيع (يهلك) .

له من العُمُر ستّ عَشْرَةَ سَنَةً ، جعله مُعاوية بن أبي سُفيان على ديوان المدينة ، فظل عبد الملك في المدينة إلى أن كانت الثورة في الحجاز على يزيد بن معاوية (سنة ٦٣ هـ = ٦٨٢ م) ، فخرج منها ثمّ انْضَمّ إلى جيش عُقْبَة بن مُسْلِم الذي كان يزيد قد بعثه لإخماد الثورة .

واضطرب أمرُ بني أمية ثمّ انْتَقَلَتِ الخِلافةُ من الفَرع السّفياني (بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية (إلى الفرع المَرواني) لمّا تغلّب مروانُ بن الحكم في معركة مرج راهط على الضحّاك بن قيس ، فتقلّص بذلك نفوذ عبد الله بن الزبير عن الشام .

بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية بايع بنو أمية بالخِلافة لمروان بن الحكم (٣ من ذي القعدة سنة ٦٤ هـ = ٢٦-٦-٦٨٤ م) . حينئذ سار القيسية (أنصار عبد الله بن الزُبير) بقيادة الضحّاك بن قيس لقتال مروان ، فاستعان مروان باليمنية وحارب الضحّاك في مرج راهط . وسقط الضحّاك قتيلاً في المعركة (آخر سنة ٦٤ هـ) وانهزمت القيسية وأصبح مروان بن الحكم خليفة في الشام غيرَ مُنازَعٍ .

وعاش مروان بن الحكم في الخلافة نحو عَشْرةِ أشهر ، فقد قتلته امرأته فاختة (وكان قد تزوجها بعد وفاة زوجها الاول يزيد بن معاوية) في حديث طويل .

وقبل أن يموتَ مروانُ بن الحكم من السّم الذي سقته إياه فاختةُ جمع بني أمية وبايع لابْنِهِ عبد الملك .

كان عبد الملك بن مروان من أعاظم الخلفاء في بني أمية : وَحّد الإمبراطورية بعد أن تغلب على جميع مناوئيه ، ثم مَدّ الفتوحَ في الشرق وفي الغرب . وفي أيامه نُقلت الدواوين (سِجِلاّت الدولة) : صارت تُكتب باللغة العربية بعد ان كانت تُكتب في العراق باللغة الفارسية ، وفي الشام باللغة الرومية (اليونانية) ، وفي مصر باللغة القبطية . وهكذا أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية في الادارة وفي جميع أنحاء الامبراطورية . وفي أيام عبد الملك بن مروان أيضاً سُكّتِ العِملةُ الاسلامية ، بعد أن ظلّ العرب ، منذ الجاهلية ، يتعاملون

بالعملة الفارسية وبالعملة الرومية . وقد رأينا طرفاً من ذلك كله في مقدمة العصر الاموي (راجع ، فوق ، ص ٣٥٢) ، كما سنرى طرفاً آخر في ترجمة الحجاج ابن يوسف الثقفي .

شاب عبد الملك بن مروان باكراً [١] ، كما كان قد شدّ أسنانه بالذهب ، كما كان قد سقط بعضها [٢] . ثم انه مرض في آخر أيامه مرضاً كان يُلِحّ عليه العطش فيه ، وكان الماء يَضُرّه فقيل له : ان شَرِبْتَ (كثيراً) مِتَّ . فلم يَصْبِرْ عن الشّرب (الكثير) : وكانت وفاته في ١٤ شوال ٨٦ هـ (٨-١١-٧٠٥ م) .

٢ - كان عبد الملك بن مروان عاقلاً لبيباً وعالماً أديباً شديد الهيبة حسن السياسة . وكان خطيباً معدوداً في بني أمية [٣] ، وان لم يكن في ذلك كالحجاج مثلاً [٤] . وكان من عادة عبد الملك أن يحمل خَيْزُرانة في يده وكان يقول [٥] : « لو ألقَيْتُ الخَيْزُرانة من يدي لَذَهَبَ نِصفُ كلامي » .

وكان عبدُ الملك بن مروانَ من أكثرِ الناسِ علماً وأبرعهم أدباً [٦] يُطارح جُلَساءه حديثَ الشعر ويجول معهم في نقد الأبيات والمقطعات الشعرية [٧] . وعبد الملك هو الذي ردّ الاخطلَ إلى البَلاط الأموي وجعله شاعرَ بني أُمَيّةَ فأدّى عمله هذا إلى اتساع فن النقائض أو الهجاء القَبَلِيّ (الشعر السياسي) على ما رأينا مُفصّلاً في الكلام على الخصائص الأدبية في العصر الأموي ثم على ما سنرى في الكلام على الاخطل والفَرَزْدق وجَرير خاصة .

٣ - المختار من خطبه :

- خطب عبدُ الملك بن مروان في مَكّةَ فقال :

---

١ البيان والتبيين ١ : ١٣٥ .

٢ مثله ١ : ٦٠ ثم الكامل ٥٤٨ .

٣ و ٤ مثله ١ : ٣٥٣ ، راجع ٣٤٦ .

٥ مثله ٣ : ١١٩ .

٦ الكامل ٥٧٥ ، راجع ٥٣١ ، ٥٧٣ .

٧ راجع الكامل ١٠٢ - ١٠٤ ثم ٢٩ ، ٤٥ ، ١١٩، ١٣٥، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ٢٧٣، ٢٧٨، ٣١٥، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٩٨ .

أيُّها الناسُ : إني ، والله ، ما أنا بالخليفةِ المُسْتَضْعَف [١] ، ولا بالخليفة المُداهن [٢] ، ولا بالخليفة المأفون [٣] . فمن قالَ لنا برأسهِ كذا ، قُلنا له بسيفنا كذا !

– بعد مقتل مُصْعَبِ بن الزبير (سنة ٧١ هـ) دخل عبدُ الملك بن مروانَ الكوفةَ ثم خطب في أهلها فقال :

أيها الناسُ : ان الحربَ صَعْبَةٌ مُرّة ، وان السِلْم أمن ومَسَرّة . ولقد زَبَنَتْنا [٤] الحرب وزَبَنّاها فعرَفْناها وألِفْناها ، فنحن بَنوها وهي أمّنا .

أيها الناس : (ألا) فاسْتَقيموا على سُبُل الهُدى ودَعوا الأهواء المُرْدِيَة [٥] ، وتَجنّبوا فِراقَ [٦] جماعاتِ المُسلمين ، ولا تُكلّفونا أعمالَ المهاجرين والانصار [٧] – وأنتم لا تعمَلون أعمالَهم . ولا أظُنُّكم تزدادون بعد المَوْعظة إلا شَرّاً ، ولن نزداد بعد الإعذار اليكم والحُجّة عليكم [٨] إلاّ عقوبة . فمن شاء أن يعودَ بعدُ لِمِثْلِها فَلْيَعُدْ [٩] . فإنما مَثَلي ومَثَلُكم كما قال قيس بن رُفاعة الانصاري [١٠] :

... أنا النذيرُ لكم مني مُجاهَرَةً كيلا ألامَ على نَهْيٍ وإعذار .
فإن عَصَيْتُمْ مَقالي اليومَ فاعترفوا أن سوف تَلْقَونَ خِزْياً ظاهرَ العار .

---

١ عثمان بن عفان . المستضعف : الذي يطمع به الناس ثم يتغلبون على ارادته .

٢ معاوية بن أبي سفيان . المداهن : الذي يتملق أصحاب الحق والقوة حتى يصرفهم عما عزموا عليه . المداهنة : الغش ، اظهار المرء غير ما يبطن .

٣ يزيد بن معاوية . المأفون : الضعيف الرأي والعقل ، الذي يتمدح بما ليس عنده .

٤ زبنتنا الحرب : دفعتنا (عن النصر) – انهزمنا فيها مرة وانتصرنا فيها مرة .

٥ المردية : المهلكة .

٦ فراق : مفارقة ، مخالفة . – لا تخرجوا عن إجماع الأمة الاسلامية .

٧ لا تنتظروا منا أن نعمل مثل اعمال المهاجرين والانصار (راجع فوق ، ص٢٣٧–٢٣٨) من الحق والعدل ، فلسنا نحن مثلهم ولا أنتم مثلهم .

٨ أعذر : أبدى عذره ، (أبدى وجهة نظره سلفاً وحذر من عواقب الأمور) .... بعد الحجة عليكم : بعد إقامة الحجة من شخص على آخر (بعد تبيان أوجه القضية وموافقة الخصم على أحد تلك الاوجه) .

٩ – (قد خالفتمونا ثم رأيتم عقابنا لكم) فمن شاء أن يعود إلى مخالفتنا فليفعل (فسنعود إلى مثل عقابنا لمن خالفنا) .

١٠ قيس بن رفاعة الانصاري أو الواقفي من بني واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس ، شاعر مخضرم (معجم الشعراء ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م) ، ص ١٩٧.

وصاحبُ الوِتْرِ ليس – الدهرَ – مُدْرِكَه عِندي ، وإني لَدَرّاكٌ بأوْتارِ [1] .

– وأوصى عبد الملك أميراً سيّرَه بجيشٍ إلى أرض الروم فقال له :

أنتَ تاجرُ الله لِعبادِهِ ، فكُنْ كالمُضارِبِ الكَيّسِ [2] الذي إنْ وجد ربحاً اتّجرَ ، وإلاّ تَحَفّظَ برأس المال . ولا تَطْلُبِ الغنيمةَ حتى تُحْرِزَ السلامة [3] . وكُنْ مِنَ احْتِيالِكَ على عَدُوّكَ أشدَّ حَذَراً مِنَ احْتِيالِ عَدُوّكَ عليك .

– وخطب عبد الملك يوماً خُطبة فيها زُهْدٌ فقال :

أيها الناسُ : اعْمَلوا للهِ رَغْبَةً ورَهْبَةً ، فأنكم نَباتُ نِعمتِه وحَصيدُ نِقْمته . ولا تَغرِسُ لكمُ الآمالُ إلاّ ما تَجتنيه الآجال [4] . وأقِلّوا الرَغْبة في ما يُورثُ العَطَبَ [5] ، فكل ما تَزْرَعُه العاجلةُ تَقْلَعُه الآجلةُ [6] . وَاحْذَروا الجديدَيْنِ [7] فإنهما يَكُرّانِ عليكم . ان عُقبى من بَقِيَ لُحوقٌ بِمَنْ مضى [8] ، وعلى أثَرِ من سَلَفَ يمضي من خَلَفَ ، فَتَزَوّدوا فإن خيرَ الزاد التّقوى [9] .

٤ – •• عبد الملك بن مروان ، تأليف عمر أبي النصر ، بيروت (المكتبة الأهلية) ١٩٦٢ م .

عبد الملك بن مروان موحد الامبراطورية العربية : حياته وعصره ، تأليف

---

١ من كان له عندي ثأر لا يستطيع ادراكه (الأخذ بثأره مني) ، أما أنا فأستطيع أن أثأر لنفسي ممن شئت .

٢ المضارب : الذي يتاجر برأس مال من رجل آخر ثم يقاسمه الربح على نسبة معينة . الكيس : العاقل .

٣ حتى تحرز السلامة : حتى توقن أنك ستسلم .

٤ .... مهما كان زرعك كثيراً فانك لا تستفيد منه إلا بمقدار ما تقدر على استهلاكه في أجلك المحدود (؟) .

٥ العطب : الهلاك (لا تصر على تحقيق أمر قد يؤدي تحقيقه إلى هلاكك) .

٦ العاجلة : الدنيا . الآجلة : الآخرة . – كلّ ما تفعله في الدنيا (من الأمور المادية) يأتي عليه الموت (أو : لا يكون له فائدة في الآخرة) .

٧ الجديدان : الليل والنهار (تقلب الدهر) .

٨ لحوق بمن مضى : لحاق بمن ماتوا (الموت) .

٩ « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » (القرآن الكريم ٢ : ١٩٧ – سورة البقرة) .

محمد ضياء الدين الريّس ، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٩٦٢ م .

ليلى الأخيليّة [١]

١ — هي لَيْلى بنتُ عبد الله بن الرّحّال بن شَدّاد بن كعب بن مُعاوية الأخْيَل [٢] بن عُبادة بن عَقيل من بني كعب بن ربيعة من عامر بن صَعصعة . وبنو الأخْيَل كانوا من بني عَقيل رهط ليلى هذه [٣] ، وقد افتخرتْ بهم ليلى في شعرها [٤] .

ونشأت ليلى مَعَ ابن عمّ لها هو تَوْبَةُ بن الحُمَيِّر فأحبّها ثم خطبها إلى أبيها فردّه أبوها [٥] وزوّجها بعد ذلك لرجل من بني الأدلع ، وقد رزقت ولداً (راجع العقد الفريد ٧ : ٣) . ثم ان توبة ظلّ يزور ليلى حتّى شكاه أهل ليلى إلى السّلطان (الوالي) فأهدر الوالي دمَه (أذِنَ لأهلها أن يقتلوه إذا جاء مرّة أخرى لزيارتها) . ومهما كان من الأمر فان ليلى ظلت على وفائها لتوبة تقول فيه الشعر . ولمّا مات قالت في رثائه شعراً كثيراً .

ولأبي بكرٍ محمدِ بن أبي سليمانَ الأصفهانيِّ في كتابه « النصف الاول من كتاب الزّهْرة » تعليق (ص ١٦١) على حبِّ ليلى الاخيلية لتوبةَ يُنْكِرُ عليها فيه معرفتَها بأحوال العشق إذ يرى أنّها لم تَعْرِفْ من العشق إلا أطرافَه ، قال :

« فليلى الأخيلية — عفا اللهُ عنّا وعنها — ان كان ما حكاه لنا تَوْبَةُ عنها في البيت الثاني حقّاً (راجع الابيات الفائية لتوبة ، فوق ، ص٤٦٨—٤٦٩)، فانّها

---

١ جمع ابو الفراج الاصفهاني بين ترجمة ليلى الأخيلية وترجمة توبة بن الحمير (غ ١١ : ٢٠٣ .— ٢٥٠) .

٢ الاخيل : طائر ، قيل الصقر ، وقيل : الشقرق (الصقر) .

٣ القاموس ٣ : ٣٧٢ ، السطر الأخير .

٤ راجع البيان والتبيين ٣ : ٨٩ ؛ غ ١١ : ٢٤١ . — وقيل هذا البيت في الفخر بالاخايل إنما هو لجدها .

٥ راجع ترجمة توبة بن الحمير ، فوق ، ص٤٦٦ .

كانت جاهلةً بأحوالِ العشقِ غافلةً عمّا تُولّدُه روْعاتُ الفِراق . ولَعمْري إنّ من مراثيها في توبةَ بعدَ وفاته لَدالّةً على أنها لم تتعلّقْ مِنَ الهوى إلاّ بأطرافه ، إذ لو كان الهوى قد بَلَغَ بها أقصى الحالِ لكانت حياتُها بعدَ وفاةِ توبةَ ضَرْباً من المُحالِ » .

وكانت ليلى تَفِد على الحجّاج بن يوسف ، كما كانت تفد على عبد الملك أيضاً . وبعد مقتل توبة وفدت ليلى على الحجّاج مرّة ، وكانت قد أسنّتْ كثيراً ، وسألته أن يحملها إلى قتيبة بن مسلم في خراسان [1] ، فحملها على البريد [2] ، ولكنّها ماتت في أثناء الطريق ، في ساوي ، وقبرت بها [3] . فإذا صحّت هذه الرواية فيجب أن تكون وفاة ليلى قد وقعت بين سنة ٨٦ هـ (٧٠٥ م) ، وهي السنة التي تولّى فيها قتيبة خراسان ، وبين سنة ٩٥ هـ (٧١٣ م) ، وهي السنة التي توفّي فيها الحجّاج ، في نحو سنة ٩٠ هـ (٧٠٩م.) ، بعد توبة بنحو عشر سنوات . وهذا حدّ معقول يبرّره كثرة شعرها في رثاء توبة [4] .

٢ – ليلى الأخيلية من النساء المتقدّمات في الشعر لا يتقدّمها من النساء إلاّ الخنساء ، وقد أثارت ليلى بجودة شعرها إعجاب أبي العبّاس المبرّد فقال في كتابه المشهور (الكامل ٧٣٦) : « قال أبو العبّاس : وكانت الخنساء وليلى بائنتين [5] في أشعارهما متقدّمتين لأكثر الفحول (من الرجال) ، وربّ امرأة تتقدّم في صناعة ، وقلّ ما يكون ذلك » .

ويميل الاصمعي إلى تقديم ليلى الاخيلية على الخنساء (الموشح ٨١) .

وكانت ليلى الأخيلية فصيحة بليغة حسنة الانشاد . وشعرها متين السبك يجري

---

١ قتيبة بن مسلم هو القائد المشهور فاتح المشرق ، تولى خراسان سنة ٨٦ هـ ، ومات سنة ٩٦ هـ بعد الحجاج .

٢ البريد كان نظام النقل الذي تستخدمه الدولة لنقل الاخبار والرسائل والاشياء المتعلقة بالادارة والحكومة . وكانت الخيل تحمل هذه الاشياء ؛ وكانت تلك الخيل تبدل في أثناء المراحل الطوال مرة بعد مرة .

٣ الشعر والشعراء ٢٧٣ .

٤ ليلى الاخيلية .... توفيت في عشر الثمانين من الهجرة (فوات الوفيات ٢ : ١٧٦ ، السطر الأول) . وفي فوات الوفيات أيضاً (١ : ١٢٣) أن ليلى ماتت عند قبر توبة .

٥ ظاهرتين ، مشهورتين (؟) ؛ مختلفتين في ذلك من النساء (؟) .

على النهج القديم . ومعظم شعرها الرثاءُ في توبة ، ولها شيء من الرثاء في عثمان ابن عفّان (الكامل ٤٤٤) . ولها أيضاً فخر وحماسة ، ولها شيء من المديح في الحجّاج (الكامل ١٧٣) . وكذلك كان بينها وبين النابغة الجعدي المتوفّى سنة ٦٥هـ شيء من الهجاء [١] .

٣ – المختار من شعر ليلى الأخيليّة :

– قالت ليلى الأخيلية من قصيدة تمدح بها الحجّاج بن يوسف :

إذا هبَط الحجّاجُ أرضاً مريضةً ... تتَبّعَ أقصى دائِها فشفَاها :
شفاها من الداء العُضال الذي بها ... غُلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها [٢] :
سقاها دِماءَ المارقين وعلّها ، ... إذا جَمْجَمَتْ يوماً وخِيفَ أذاها [٣] .

– وقالت تفتخر بقومها :

نحنُ الأخايلُ لا يزالُ غُلامُنا ، ... حتّى يَدِبَّ على العصا ، مشهورا .
تَبْكي الرِماحُ إذا فَقَدْنَ أكُفَّنا ... جزَعاً ، وتَعرِفُنا الرِفاقُ بحُورا [٤] .

– وقالت ترثي توبة بن الحميّر :

فإنْ تكُنِ القَتْلى بَواءً فإنّكم ... فَتًى ما قَتَلْتُمْ ، آلَ عَوْفِ بنِ عامرِ [٥] !
فتًى كان أحيا من فتاة حَيِيّة ، ... وأشجع من ليث بخفّانَ خادر

---

١ راجع ، فوق ، ص ٣٤٣ .

٢ العضال : لا يرجى برؤه (شفاؤه) . هز القناة (الرمح) : قاتل . سقاها : أسال الدم من العدو ، ظفر في القتال .

٣ المارق : الخارج على السلطان ، الثائر ؛ الكافر . علها : سقاها مراراً ، انتصر مرات كثيرة . جمجم الكلام : جاء به غامضاً (اشتدت الحرب) .

٤ – ليس في الأرض أبطال غيرنا . بحور : كرماء .

٥ – إذا كان القتلى في العادة بواء (يعدل بعضهم بعضاً) ؛ فانكم ، يا آل عوف ، قد قتلتم سيداً بطلا لا مثيل له ولا كفؤ .

٦ خفان : موضع قرب الكوفة مشهور بالاسود .... خادر : مستتر ، مختف في أجمة (كناية عن قوته وضراوته) .

أتتْهُ المنـايا دون دِرْعٍ حَصينة   وأسمرَ خَطِّيٍّ وجرداءَ ضامر [1] .
فنِعْمَ الفتى ان كان تَوْبةُ فاجراً ،   وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر .

— ولها أيضاً في رثاء توبة :

آليتُ أبكي بعدَ توبةَ هالكـاً   أخا الحرب إنْ دارت عليه الدوائر [2] .
لَعَمْرُكَ ، ما بالموت عارٌ على الفتى   إذا لم تُصبْهُ في الحياة المَعاير [3] ،
فكلّ جديدٍ أو شبابٍ إلى بِلىً ،   وكلّ امرىء يوماً إلى الله صـائر [4] .

٤ — ** الاغاني ١١ : ٢٠٣ — ٢٥٠ ؛ الامالي ١ : ٨٦ وما بعدها ؛ بروكلمان ١ : ٥٨ ، الملحق ١ : ٩٣ — ٩٤ ؛ زيدان ١ : ٣٤٥ — ٣٤٧ .

مسكينٌ الدارميّ

١ — هو ربيعة بن عامر بن أُنَيْفٍ من بني دارم من تميم .

كانت صِلةُ مسكينٍ الدارمي بوالي البصرة زِياد بن أبيه (٥٠ — ٥٣ هـ) حَسَنَةً ، وكان زياد قـد أقْطَع مسكيناً أرضاً في العُذيب . وتهاجى الفرزدقُ ومسكينٌ زمناً ، لاختلاف موقفهما من زيادٍ ، ثم تَكافَا : لا يتهاجيان ، ولا يُعين مسكينٌ الدارمي جريراً على الفرزدقِ ، ولا يُعين الفرزدقُ عبدَ الرحمن ابنَ حسان بنِ ثابت على مسكينٍ .

وكانت وفاة مسكين الدارمي سنة ٩٠ هـ (٧٠٩ م) ، أو سنة ٨٩ هـ (معجم الأدباء ١١ : ١٣٢) .

٢ — مسكينٌ الدارمي شاعر مجيد شريف رقيق اللفظ حسن المعنى واضح الغاية

١ اسمر خطي : رمح ذابل ، دقيق (قوي ، متين) . جرداء ضامر : فرس دقيقة الخصر (فتية ، سريعة ، شديدة) .

٢ آليت أبكي : أقسمت أن لا أبكي . « أخا الحرب » مفعول بـه من « أبكي » . دارت عليه الدوائر : اجتاحته المصائب ، هلك . — لن أبكي بعد اليوم (بعد أن مات توبة) بطلا يموت في المعركة (لأن مصيبتي بتوبة أعظم من كل مصيبة أخرى عندي) .

٣ المعاير : المعايب (ما يعير به الانسان أو يعاتب به أو يذم به) .

٤ البلى : الهلاك ، الانحلال ، التهرؤ . عجز هذا البيت مأخوذ من قول لبيد (راجع فوق ، ص ٢٣٦) .

ولكنه مُقِلّ، فيما يبدو. وتدور أغراض مسكين على المدح والهجاء، وله شيء من الحماسة والحكمة ثم شيء مستحسن في الفخر بنفسه (ديوان المعاني ١ : ٧٩).

٣ – المختار من شعره :

– وفَدَ مسكينٌ الدارمي على مُعاوية وسأله أن يَفْرِضَ له عطاءً (أن يجعل له راتباً) فأبى معاوية لأنه كان يعطي اليمانية فقط، فقال مسكين :

أخاكَ أخاك، إن مَنْ لا أخاً له كساعٍ إلى الهَيْجا بغيرِ سِلاحِ [١].
وإنّ ابنَ عمّ المرء، فاعْلَمْ، جَناحُه؛ وهل يَنْهَضُ البازي بغير جَناح!
وما طالبُ الحاجات إلا مُغَرَّرٌ، وما نال شيئاً طالبٌ كجنساح [٢].

– أراد مُعاوية أن يبايع لابنه يزيدَ بوَلايةِ العهدِ، ولكنه تهيّب ذلك لكثرة الذين كانوا يطمعون في الخلافة ولأن الناس كانوا لا يَرَوْنَ يزيدَ أهلاً للخلافة. فدخل مسكينٌ الدارمي يوماً على مُعاوية، وعنده وجوه بني أمية، فأنشده :

فإنْ أُدْعَ مِسكيناً فاني ابنُ مَعْشَرٍ من الناس أحْمي عَنْهُمُ وأذودُ [٣].
إليْكَ، أميرَ المؤمنين، رَحَلْتُها تُثير القَطا لَيْلاً وهنّ هُجود [٤].
ألا ليت شِعْري، ما يقولُ ابنُ عامرٍ ومروانُ أم ماذا يقول سعيد [٥]؟
إذا المِنْبَرُ الغَرْبِيّ خَلاّهُ ربّه فإنّ أميرَ المؤمنين يزيدُ!
على الطائر المَيْمونِ والجَدّ صاعد؛ لكل أناس طائر وجُدود.
فلا زِلتَ أعلى الناسِ كَعْباً، ولا تزَلْ وُفودٌ تُساميها إليك وفود.
ولا زال بيتُ المُلْكِ فَوْقَكَ عالياً تُشَيَّدُ أطْنابٌ له وعَمود.

---

١ أخاك، أخاك : احفظ أخاك، اعتمد عليه (إشارة إلى أن مسكيناً ومعاوية أخوان وابنا عم لأنهما من قيس عرب الشمال، وتعريضاً بمعاوية لأنه كان يعطي اليمانية).
٢ من يطلب الحاجات (من غيره) يغرر بنفسه. الجناح : اليد، العضد (المساعد).
٣ أذود : أدافع.
٤ سيرت ناقتي اليك سيراً سريعاً تجفل منه طيور القطا. هجود : نيام.
٥ عبد الله بن عامر، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص من الطامحين إلى الخلافة.

– وقال مسكين الدارمي في حِفْظه لأسرارِ إخوانه (الكامل ٤٢٥) :

وفِتيانِ صِدْقٍ لستُ مُطْلِعَ بَعْضِهِم على سِرِّ بَعْضٍ ، غير أنّي جِماعُها ؛
يَظَلّونَ في الأرض الفضاء ، وسِرّهم إلى صخرةٍ أعْيا الرجالَ انْصِداعُها.
لكلّ امْرِىءٍ شِعْبٌ من القَلْبِ فارغٌ وموضع نَجْوى لا يُرامُ اطّلاعُها .

٤ – ** الاغاني ١٨ : ٦٨ وما بعدها ؛ معجم الأدباء لياقوت ١١ : ١٢٦ – ١٣٢ ؛ زيدان ١ : ٢٨١ – ٢٨٢ .

مزاحمٌ العقيليّ

١ – هو مُزاحمُ بن عمرو بن الحارث من بني عامر بن عُقيل بن كَعب ابن ربيعة بن عامر بن صَعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن ، كان يسكن الرَوْضات من بلاد بني عُقيل .

كان لمزاحم بن عمرو العقيليّ ابْنةُ عمّ يُحبّها اسمها ليلى (وقيل كان اسمها مَيّة) ، وقيل هي ليلى بنت مُوازِر القُشيرية ، وقيل بل كانت ليلى التي أحبّها مجنون بني عامر . أراد مزاحمٌ أن يتزوجَ ابْنةَ عمه هذه ولكنّ عمّه دافعه مدة (لأن مزاحماً كان مُمْلِقاً قليلَ المال) ثم زوّجها لرجل غني . فحزن مزاحمُ لذلك وقال في ابنة عمّه أكثر شعره .

وتشاجر مزاحم مرة معَ رجل من بني جَعْدة فضربه بعصاه على رأسه فشجّه . وحُبِسَ مزاحمٌ من أجلِ ذلك ثم خرج من السجن بشفاعة نفر من قومه .

كان مزاحم العقيليّ مُعاصراً للفرزدق وجرير في أيام عبد الملك بن مروان . وبما ان الفرزدقَ وجريراً مدحا مُزاحماً لجودة شعره ثم تمنى جريراً ان لو كان له ببعض شعره بعضُ شعر مزاحم بن عمرو العقيلي ، فيغلب على الظن ان ذلك كان في أول أيامهما حينما كانا لا يزالان يَرَيانِ لغيرهما فضلاً على نفسيهما (قبل أن يتمكّن الاعتداد بالنفس منهما حتى ما كانا يَرَيانِ لأحد عليهما فضلاً) .

ولعلّ وفاة مزاحم بن عمرو العقيلي كانت بُعيد سنة ٩٠ هـ (٧٠٨ م) * .

٢ – مُزاحم بن عمرو العُقيلي شاعر بَدَوِيّ فَصيح مُجيد مُحْسن له رَجَز وقَصيد . وشعره فصيح الألفاظ سهل التراكيب مَعَ متانة في السبك وعذوبة ورقّة . وشعره الذي وصل الينا في الغزل العُذري في الاكثر ، وكان له مدح قليل . ثم له أوصاف في البادية ، وفي الخيل خاصة [١] . وقد قال جرير فيه : « كان (مزاحم) يقول حوشياً [٢] من الشعر لا يستطيع أحدٌ أن يقول مثله (غ ١٧ : ١٥٢ ، ١٥٣) .

٣ – المختار من شعره :

– يقول مُزاحم بن عمرو العقيلي بصف البادية في مطلع قصيدة له :

خليليّ ، عُوجا بي على الدار نسألِ : متى عهدُها بالظاعن المُتَحَمّل ؟
فعُجْتُ وعاجوا فوق بَيْداء صَفّقتْ بها الريحُ جَوْلانَ التّرابِ المُنَخّل [٣] .

– ومن نسيبه الرائق قوله :

وَدِدتّ – على ما كان من سَرَفِ الهوى وغيّ الأماني – أن ما شئْتُ يُفْعَلُ [٤] ؛
فَتَرْجعَ أيامٌ مَضَيْنَ ولَذّةٌ تَوَلّتْ ، وهل يُثْنَى من العيش أول [٥] ؟

– ولمّا علم أن ابنة عمّه ليلى تزوّجت قال (والابيات الاربعة الاخيرة ليست

---

* في الاعلام للزركلي (٨ : ١٠٠) نحو سنة ١٢٠ هـ .

١ ديوان المعاني ٢ : ١١٠ . وكان له ديوان صنعه جماعة من الرواة (الفهرست ٧٨ ، ١٥٨) .

٢ الحوشي والوحشي : الغريب ، البدوي ، البعيد عن مألوف أهل الحضر .

٣ عاج : مال ، ترك طريقه الأصلي ليمر بمكان ما كان يقصده من قبل . صفقت بها الريح : هبت بها الريح هبوباً شديداً يحدث صوتاً قوياً . التراب المنخل : الناعم . الجولان (بسكون الواو) : التراب . الجولان (بفتح الواو) : المصدر من جال يجول . تصفق الريح جولان (يجب أن تكون بفتح الواو – وقد سكنها الشاعر هنا) : تحمل التراب ثم تحركه يميناً ويساراً .

٤ السرف : الخطأ . على ما كان من سرف الهوى : مع العلم بأن الحب خطأ من المحب . وغي (خداع) الأماني (ما يتمناه الانسان بينه وبين نفسه) ؛ خيبة الأمل في ما يتخيله الانسان عادة . يفعل (هنا :) يتحقق . في كتاب الزهرة (ص ٢٨٢) :

وددت على ما كان من شرف الفتى وجهل الاماني ان ما شئت يفعل .

٥ هل يثنى من العيش أول ؟ : هل يمكن أن تعود الأيام الاولى (التي مضت) ؟

من نمط سائر الأبيات في وضوح المعنى وسهولة التركيب) :

أتاني بظهرِ الغيبِ أن قد تَزَوّجَتْ ، فظَلّت بيَ الأرضُ الفَضاء تدورُ [1] ،
وقد زايَلَتْ لُبّي — وقد كان حاضراً — وكاد جَناني عند ذاك يطير [2] .
فقلت ، وقد أيْقَنْتُ أن ليس بَيْننا تَلاقٍ وعيني بالدموع تمور [3] :
أيا سُرْعَةَ الأحبابِ حينَ تزوجتْ ، فهل يأتيَنّي بالطلاقِ بشير [4] !
ولست بمُحْصٍ حبَّ ليلى لسائلٍ من الناس إلا أنْ أقولَ : كثيرُ !
وتُنْشَرُ نفسي بعد موتي بذِكرِها مراراً : فموتٌ مرةً ونُشور [5] .
عَجَجْتُ لربّي عَجّة ما مَلَكْتُها ، وربي بذي الشوقِ الحَزين بصير [6] ،
ليَرْحَمَ ما أبْقى ويَعْلَمَ أنني له — بالذي يُسْدى إليّ — شكور [7] .
لَئِنْ كان يُهْدي بَرْدَ أنْيابها العُلا لِأحْوَجَ منّي إنني لَفَقير [8] !

٤ — ** الاغاني ١٧ : ١٥٠ — ١٥٣ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٨٩ ؛ زيدان ١ : ٣٤١ .

---

١ بظهر الغيب : بشيء يشبه معرفتي بالغيب (لأن عمه كان يعلن أنه سيزوجه ليلى ويضمر غير ذلك) . فظلت بي الأرض الفضاء (الواسعة) تدور : أشعر أن الأرض تدور بي (لهول ما سمعت حتى حدث لي صداع يخيل إلي معه أن الأرض تدور بي) .

٢ زايلت لبي : زايلني (؟) : فارقني لبي (عقلي) . كان حاضراً : (موجوداً وافراً) — وقد كنت حصيف العقل . جناني (قلبي) يطير : يخرج من صدري (من خوفي مما سمعت — من تزويج ليلى لغيري) .

٣ عيني تمور : تموج (بالدموع — لكثرة ما بكيت) .

٤ — تزوجت بسرعة كأنما كانت وزوجها يحب بعضهما بعضا .

٥ تنشر نفسي : تعود إلى الحياة . النشور : القيامة من القبور .

٦ عج : صاح ورفع صوته . ما ملكتها : ما استطعت أن أملك نفسي (أمنعها) عن مثل تلك العجة (الصيحة العظيمة) .

٧ — ليرحم (الله) ما أبقى (لي الله من عقلي) : ليحفظ علي الله ما بقي لي من عقلي وصبري . اسدى (صنع اليه معروفاً) .

٨ برد أنيابها (أسنانها) : ريقها البارد « اللذيذ » . العلا (؟) . — إذا كان الله قد أهدى برد أنيابها لأحوج مني (لمن هو أحق بها مني : لزوجها) فانني سأكون (بعدها) فقيراً جداً (؟) .

وضّاح اليمن

١ — هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كلال بن داوود بن أبي أحمد ، أصله من اليمن : من عرب اليمن أو من الفرس الذين كانوا قد وفدوا على اليمن قبل الاسلام . والوضاح (الابيض) لقب غلب عليه لجماله وبهائه .

وكان الوضّاح يهوى امرأة من أهل اليمن اسمها رَوْضةُ قال فيها أكثر شعره . وأحبّ وضّاح أن يتزوج رَوْضَةَ فلم يقبلْ أهلها ثم زوجوها غيرَهُ ، ولكنّ وضّاحاً ظل يَحِنّ اليها . ثم ان روضة جُذِمَتْ [١] ، واتّفق أن لقِيَها وضّاح وهي مجذومة فخدَمها وواساها وأعطاها من مال كان معه .

ووضّاح اليمن كان غَزِلاً مُغامراً مُجاهراً هجّاماً على الحُرُمات متعرّضاً للشريفات : شبّبَ بفاطمةَ بنت عبد الملك وبأمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان امرأةِ الوليد بن عبد الملك . وله مع أمّ البنين قِصَصٌ هي بالخُرافات أشبه : قيل إنها عَشِقته وعشقها ، وأنه كان يأتي إلى الشام ويَنْزِلُ عندها . فبلغ الوليد مرةً أن وضّاحاً عندها فجاءها بغتة فأشارت إلى وضّاحٍ أن يختبئ في صُندوق في الغرفة . ودخل الوليد وجلس على الصندوق ثُمّ استَوْهَبَها الصندوق في حديث طويل وطَمَرَه في حديقة الدار . ويقال ان ذلك كان آخرَ العهد بأخبارِ وضّاح اليمن . فإذا صحّت هذه الرواية فان مقتل وضّاح اليمن يجب أن يكون في حدود سنة ٩٠ ﻫ (٧٠٩ م) .

٢ — وضّاح اليمن من الذين يُصَرِّحون في الغزل ، وهو في طبقة عُمَرَ ابن أبي ربيعة ، ولكنّ عُمَرَ أشهرُ منه . وأكثر شعر وضّاحٍ الغزلُ ، وخصوصاً في روضة وأم البنين ؛ على أن له شيئاً من الحكمة والفخر والرثاء ، ومن المديح في الوليد بن عبد الملك وفي غيره .

٣ — المختار من شعره :

— قال يتغزّل بروضةَ ويذكر بدء أمره معها :

---

[١] مرضت بالجذام (بضم الجيم) ؛ والجذام مرض يتساقط منه اللحم .

يا روضَ ، جيرانُكم الباكرُ ، فالقلبُ لا لاهٍ ولا صابرُ[1].
قالت : ألا لا تَلِجَنْ دارنا ، إنّ أبانا رجلٌ غائر [2].
قلتُ : فإنّي طالبٌ غِرّةً منه ، وسيفي صارم باتر.
قالت : فإنّ القصرَ من دوننا ؛ قلت : فإني فوقَه ظاهر [3].
قالت : فان البحر من دوننا ؛ قلت : فإنّي سابح ماهر.
قالت : فحوْلي إخوةٌ سبعةٌ ؛ قلت : فإني غالب قاهر.
قالت : فلَيْثٌ رابضٌ بيننا ؛ قلت : فإني أسدٌ عاقر [4].
قالت : فإنّ اللهَ من فوقنا ؛ قلت : فربّي راحمٌ غافر.
قالت : لقد أعْيَيْتَنا حُجةً ، فأتِ إذا ما هَجَعَ السامر [5] ،
فاسْقُطْ علينا كسُقوط النّدى ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجر !

– ومن غزله في أمّ البنين :

أصَحَوْتَ عن أمّ البنينَ وذِكرِها وعَنائها [6] ،
وهَجَرْتَها هجرَ امرىءٍ لم يَقْلُ صَفْوَ صَفائها [7]؟
قُرَشيّة كالشمسِ أشْـ ـرق نورُها ببهائها.
زادت على البِيض الحِسا نِ بحُسنها ونَقائها.
لمّا اسْبَكَرّتْ للشّبا بِ وقُنّعَتْ برِدائها [8].
لم تَلْتَفِتْ لِلِداتِها ، ومَضَتْ على غُلَوائها [9].

[1] روض : ترخيم روضة . جيرانكم ، كذا في الأصل ، والمعنى في الأغلب : يا روضة ، ان الباكر (المبكر في الامور – ويقصد نفسه) من جيرانكم ، ولذلك لا يستطيع الصبر عن الاجتماع بكم – والمعنى غامض في الاصل .
[2] ولج : دخل . الغائر : الذي يغار .
[3] ظاهر : متسلق إلى ظهره : أعلاه .
[4] رابض : متربص . عاقر : فاعل (من عقر الدابة : جرحها جرحاً بليغاً) .
[5] السامر : الساهر في الليل مع القوم .
[6] العناء : المشقة في سبيلها .
[7] قلا يقلو : كره .
[8] اسبكرت : مشت مستقيمة القامة .
[9] اللدات : الاتراب ، من هن من جيل واحد . الغلواء : ريعان الشباب .

لولا هَوى أمّ البنـــ ـــنَ وحـاجتي لِلِقـائهـا
قـد قُرِّبت لي بَغْلَـةٌ محبوسـة لِنَجائهـا [1] !

٤ — ** وضّاح اليمن أو الطيف العائد ، تأليف أكرم الرافعي ، بيروت ١٩٦٠م.
وضّاح اليمن لأحمد حسن الزيات (الرسالة — مصر ، العدد ٤٢ ، ابريل ١٩٣٤ م) .
غ ٦ : ٢٠٨ وما بعدها ؛ بروكلمان ١ : ٣٠ الحاشية ٢ ، ٨٢ — ٨٣ .

راعي الأبِل النُّميريّ

١ — هو أبو جندل عُبيد بن حُصين بن مُعاوية بن جندل من بني نُمير بن عامر بن صعصعة ، ولقّب براعي الإبِل لكثرة وصفه للابل أو لراعيها ولجودة ذلك الوصف .

وبيت الراعي بيت شرف ورئاسة في الجاهلية والاسلام : كان معاوية جدّ الراعي رئيساً سيّداً في الجاهلية ، وكان الراعي نفسه ماجداً ومن وجوه قومه ، ولكنه كان مع ذلك بذيئاً هجّاء لعشيرته . وكان قد نَصَرَ الفرزدقَ على جريرٍ ، فاستَكَفَهُ جريرٌ فلم يَكُفَّ فهجاه وفضحه ، فانحطّت بذلك مكانته الاجتماعية وسقطت منزلته في الشعر ، وخصوصاً بالإضافة إلى جرير والفرزدق والاخطل . ثم خَمَل ذِكْرُه بعد ذلك .

وكان الراعي في أول أمره زُبيريّاً ثم مال ، بعد مقتل ابن الزبير (٧٣ هـ) ، إلى الامويّين ومدح عبد الملك واعتذر اليه بأنه لم يكن يزور عبد الله بن الزبير اعتقاداً منه بحق ابن الزبير في الخلافة (الكامل ٥٤١) ولكن للتكسّب . فلم يَرْضَ عنه عبد الملك .

ناقض راعي الإبل نفراً من الشعراء منهم جرير :

اتّصل الهجاء بين جرير وراعي الابل منذ جاء جرير إلى البصرة في ولاية

[1] معنى هذا البيت غامض ، والمفهوم من سياق الابيات ما يلي : لولا أنني أحب أم البنين وأريد أن ألقاها لنجوت بنفسي على بغلة معدة لي .

بشر بن مروان على الكوفة (٧١ – ٧٣ هـ) ، بعد أن كان فيها الفرزدق . وجاء راعي الابل [١] يوماً إلى البصرة فلقيه عَرادة النميري ، وكان عرادة نديماً للفرزدق، فأكرمه ثم سأله أن يقول شيئاً في تفضيل الفرزدق على جرير ، فقال راعي الابل قصيدة مطلعها :

يا صاحبيّ ، دنا الرحيل فسيرا ، غلب الفرزدق في الهجاء جريراً .

ويبدو أن راعي الابل كان هواه مع الفرزدق ، على الرغم من أنه كان من قوم جرير ، فالمنافسة بين القريبين تكون عادة أقوى من المنافسة بين البعيدين . من أجل ذلك كان الراعي إذا سئل عن جرير والفرزدق قال : الفرزدق أكرمهما وأشعرهما . ولقي جرير ذات يوم راعيَ الابل فعاتبه على ما فعل . فاعتذر راعي الابل إلى جرير وقال له إنّه لن يعود إلى مثل ذلك .

وعاد راعي الابل إلى تفضيل الفرزدق . ولقي جرير راعي الابل مرّة أخرى، ومع راعي الابل ابنه جندل ، وكان في جندل شيء من الخطَل والعُجب . وأخذ راعي الابل يعتذر إلى جرير من جديد . فقال جندل لأبيه : « إنّي لأراك تعتذر إلى ابن الأتان » . ثم التفت جندل إلى جرير وقال له : والله ، لنفضّلن عليك ولنرْوِينّ هجاءك عليه [٢] ، ولنهجونّك من تِلقاء أنفسنا ؛ بعدئذ ضرب وجه بغلة جرير وقال :

ألم تر أن كلب بني كليـــب أراد حياض دِجلة ثم هابا [٣] !

من ذلك الحين أخذ جرير يهجو راعي الابل [٤] .

وكانت وفاة راعي الابل في سنة ٩٠ هـ (٧٠٩ م) ، وقد كان أعور ذهبت عينه في احدى المنازعات القبلية (راجع الكامل ٢٤) .

٢ – كان راعي الابل شاعراً فحلاً من الذين يَسْلُكونَ النهجَ القديم ،

---

١ راجع طبقات الشعراء ١٠٣ – ١٠٤٠ ، ١١٧ ؛ والاغاني (طبعة الساسي) ٢٠ : ١٦٩ – ١٧٣ ؛ ٨ : ٢٠ وما بعدها .

٢ كذا في طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي (ص ١٠٤ ، السطر ٩ – ١٠) ، والاصوب : هجاءه (هجاء الفرزدق) فيك .

٣ كان جرير قد انحدر من مساكن قومه في اليمامة إلى البصرة .

٤ راجع تفصيل ما بعد ذلك في ترجمة جرير .

(راجع الموشّح ٨٠) ، وقد جعله ابن سلاّم في الطبقة الأولى من الشعراء الاسلاميّين . والراعي كثير البديع في شعره (البيان والتبيين ٤ : ٥٦) ، وشعره سائرٌ على الألسنة ، قيل ان الفرزدق كان ينتحل بعض شعره (الموشّح ١٠٩) . أما فنونه فالهجاء والمديح ووصف الابل ، وله فخرٌ وحماسة ثم وصف وجداني وغزل قليلٌ . وقد تعرّض راعي الابل بهجائه لبني أميّة وللحطيئة وللخنزر ابن أرقمَ أحدِ بني بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نُمير ، ولكنّه لم ينهزم إلاّ أمام جرير .

٣ — المختار من شعره :

— لراعي الابل قصيدة عدّها أبو زيد القرشي في الملحمات (ص ٣٥٣ — ٣٥٩) معَ قصائدَ لجرير والاخطل والفرزدق . في المختارات التالية من هذه القصيدة نجد راعي الابل يعتذر في الابيات الثلاثة الأولى عن ذهابه حيناً إلى عبد الله بن الزبير . ثم تأتي ثلاثةَ عشَرَ بيتاً يذكر الراعي فيها أن عمّال بني أمية يظلمون بني نمير (قوم الراعي) في جمع الزكاة . ثم تأتي أربعة أبيات فيها مديح لعبد الملك ولبني أمية ثم خوف من أن يتشتّت أمر بني أمية (وأمر قريش) بمثل هذا الظلم . والقصيدة في الأصل أربعة وثمانون بيتاً :

إني حلفتُ على يَمين بَرَّةٍ   لا أكذبُ اليوم الخليفةَ قيلا ،
ما زُرتُ آلَ أبي خُبيبٍ طائعاً   يوماً أريدُ لِبَيْعتي تبديلا [١] .
من نِعمةِ الرحمنِ ، لا من حيلتي ،   أني أعُدّ له عَليّ فُضولا [٢] .
أخليفةَ الرحمنِ ، إنّا معْشَرٌ   حُنَفاءُ نَسْجُدُ بُكْرةً وأصيلا .
عَرَبٌ نرى لله في أموالنا   حقّ الزكاةِ مُنَزّلاً تنزيلا .

---

١ أبو خبيب كنية عبد الله بن الزبير . — ما زرت عبد الله بن الزبير (أو أخاه مصعباً) لأخلع طاعة بني أمية وأبايع آل الزبير ، ولكني كنت أزورهم تكسباً .

٢ — لآل الزبير فضل علي كان قد ساقه الله إلي ؛ ولم يكن ذلك بحيلتي : لم أحتل أنا له (لم أقصد أنا أن أذهب اليهم وأتحبب اليهم) . ولا ريب في أن الراعي يكذب في ذلك (لأنه شاعر متكسب) ، ولقد روى له الجاحظ (البيان والتبيين ١ : ٣٥٨) بيتاً هو :

بني أمية ، إن الله ملحقكم   عما قليل بعثمان بن عفان .

راجع مقتل عثمان بن عفان ، فوق ، ص ٢٣٩ .

إن السّعاةَ عَصَوْكَ يومَ دَعَوْتَهم، وأتَوْا دواهِيَ لو علِمْتَ وغُولا [1]

أخذوا العريف فقطّعوا حَيْزومَه بالأَصْبَحيّة قائماً مَغْلولا [2].

يدعو أميرَ المؤمنين ودونَه خَرِق تَجُرُّ به الرياحُ ذُيولا [3].

أخليفةَ الرحمنِ، إنّ عشيرتي أمسى سَوامُهُم عَرينَ فلولا [4].

قوم على الاسلام لمّا يَتْرُكوا ماعونَهم ويُضَيّعوا التهليلا [5].

قطعوا اليمامة يُطْرَدون كأنّهم قومٌ أصابوا، ظالمين، قتيلا.

وأتاهم يَحيى فشدّ عليهمِ عَقْداً يَراه المُسلمون ثقيلا:

كُتُباً تركن غَنيّهم ذا عَيْلَةٍ بعد الغنى وفقيرَهم مهزولا.

فارْفَعْ مَظالِمَ عَيّلَتْ أبناءنا عنّا وأنْقِذْ شِلْوَنا المأكولا [6].

إنّ الذين أمرتَهم أن يَعْدِلوا لم يفعلوا مِمّا أمرت فَتيلا [7]:

أخذوا الكرام من العِشار ظُلامة مِنّا، ويُكتب للامير أفيلا [8].

وإذا قُريشٌ أوقدَتْ نيرانَها وبلت ضغائنَ بينها وذحولا [9]،

---

١ السعاة الذين يجمعون الصدقات (الزكاة ، الأموال لبيت المال) ، راجع القاموس (٤ : ٣٤٢ ، السطر الثاني من أسفل) . عصوك : (لم يتقيدوا بنصحك في الرفق بجمع الصدقات) يوم دعوتهم (اخترتهم ليكونوا من جامعي الصدقات . أتوا دواهي : ارتكبوا أموراً عظيمة من الظلم ، أتوا غولا : أمراً داهياً منكراً (القاموس ٤ : ٢٧) .

٢ العريف رئيس القوم (القاموس ٣ : ١٧٤) ... الحيزوم : وسط الانسان ، من جانب بطنه أو من جانب ظهره . الاصبحي : السوط .

٣ يدعو : يستجير ، يطلب المعونة . الخرق : فلاة قفر واسعة . تجر به الرياح ذيولا : تعصف فيه الرياح مسافات طوالا (لسعته) .

٤ السوام الانعام التي ترعى في الأراضي العامة ... عرين : ذهب صوفها من قلة المرعى (؟) . فلولا : قد رق شعرها ، أو تتابع عليها الجدب أعواماً متوالية (راجع القاموس ٤ : ٣٢) .

٥ الماعون : الزكاة . التهليل : الاذان .

٦ الشلو : بقية الأعضاء من جسم الانسان إذا أكله السبع الخ .

٧ فتيل : شيء قليل .

٨ حينما تؤخذ زكاة الانعام يجب أن تؤخذ من أوساطها م(لا من أفضلها ولا من أسوأها . يقول الشاعر : ان الجباة كانوا يختارون في الزكاة أفضل ما في الانعام ثم يكتبون أنهم أخذوا أفيلا (ابن مخاض : صغير السن) ويأخذون فرق ما بين الاثنين لأنفسهم .

٩ أوقدت نيرانها : حارب بعضها بعضاً . بلت ضغائن بينها وذحولا : صار بينها عداوات وثأر .

فأبوكَ سيّدُها، وأنت أشدّها، ومن الزلازل في البلابلِ حولا[1]
وزَنَتْ أميةُ أمرَها ودعَتْ له من لم يكُنْ غمْراً ولا مجهولا[2].
مَروانُ أحزَمُهم إذا حلّتْ به حدَثُ الأمورِ وخيرُها مسؤولا[3].

– قال راعي الابل يمدح سعيدَ بن عبد الرحمن بن عتّاب بن أسد بن أبي العيص بن أميةَ :

ترَجّيْ من سعيدِ بني لُؤيّ أبي الأعياص أنواء غِزارا،
تلَقّيْ نَوْءَهن سِرارَ شهرٍ، وخير النوء ما لَقِيَ السِرارا[4].
خليلٌ تعزُبُ العِلاّت عنه إذا ما حان يوماً أن يُزارا.
متى ما تأتِهِ ترجو نَداهُ فلا بُخْلاً تخافُ ولاَ اعتذارا.
هو الرجلُ الذي نُسِبَتْ قُريشٌ فصار المجد منها حيثُ صارا!

٤ – ** الاغاني ٢٠ : ١٦٨ وما بعدها، طبقات الشعراء لابن سلاّم الجمحي (ليدن) ١٠٣ – ١٠٥، ١١٧ – ١٢١.
ملحمة الراعي لأحمد الشايب (مجلة كلّيّة الآداب، جامعة القاهرة، المجلّد الأوّل، الجزء الاول، مايو ١٩٥١ م، ص ٢٣ – ٦٠)؛ زيدان ١ : ٢٩٦ – ٢٩٧.

أعشى بني أبي ربيعة *

١ – هو أبو عبد الله عبدُ الله بن خارجةَ بن حبيب بن عمرو بن حارثة ابن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شَيْبان من بني بكر بن وائل بن قاسط، من ساكني الكوفة.

١ الزلازل : البلايا، المصائب. البلابل : الهموم المجتمعة في الصدر. حولا ..... (؟).
٢ الغمر : الذي لا تجارب له.
٣ حدث الأمور : الأمور العظام (المصائب الكبار).
٤ السرار : آخر الشهر القمري.
* هو أعشى بني أبي ربيعة، كما في الاغاني (طبعة الساسي) ١٦ : ١٥٧، في أسطر متعددة؛ ويقال عادة أعشى بني ربيعة (البيان والتبيين ٣ : ٨٦؛ الامالي ٢ : ٢٧٠)، وربما قيل أعشى ربيعة اختصاراً.

كان أعشى بني أبي ربيعة يَقْدُمُ على الشام يمدح عبدَ الملك قبل أن خرج عبد الملك إلى حرب ابن الزبير . ثم إنه اتّصل بالحجّاج بن يوسف ، بعد أن تولّى الحجّاج الكوفةَ (٧٥ هـ = ٦٩٤ م) . ونال أعشى بني ربيعة حَظْوةً عند الحجّاج ، ولكنّ الحجّاج غَضِبَ منه مرّة لأنه مدح عبد الله بن الجارود فاعتذر أعشى بني أبي ربيعة إلى الحجّاج .

ويبدو أن أعشى بني ربيعة كان متقدّماً في السِن جدّاً منذ أيام عبد الملك ابن مروان (توفي ٨٦ هـ = ٧٠٥ م) ، وفد على عبدِ الملك مرّة فقال له عبدُ الملك : ما الذي بَقِيَ منك ؟ قال أنا الذي أقول : وما أنا في أمري ... ثم إنّ أعشى بني أبي ربيعة عاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك . وليس في الاغاني ذكر لمديحٍ لأعشى بني أبي ربيعة في الوليد ، ولكنّ فيه أنه مدح سُليمانَ بن عبد الملك وسليمان يومئذاك وليّ للعهد . من أجل ذلك يجب أن تكون وفاة أعشى بني أبي ربيعة قبل سنة ٩٢ هـ (٧١٠ م) .

٢ – أعشى بني أبي ربيعة شاعر مُجيد له قَصيدٌ ورَجَزٌ ، كما أن له نثراً جيّداً . وشعر أعشى بني أبي ربيعة سهل عليه طَلاوةٌ وفيه متانة . وفنون شعره الباقي لنا هي المديح ، وفيها شيء من العِتاب والحماسة والحكمة .

٣ – المختار من شعره ونثره :

– قال أعشى بني ربيعة يمدح عبد الملك بن مروان :

وما أنا في أمري ولا في خُصومتي ... بمُهتَضَمٍ حقّي ولا قارعٍ سِنّي [1] ،
ولا مُسْلِمٍ مَوْلايَ عند جِنايةٍ ، ... ولا خائفٍ مولايَ من شرّ ما أجني [2] .
وانّ فؤاداً بين جَنبَيّ عالمٌ ... بما أبْصرتْ عَيْني وما سَمِعَتْ أذْني .

---

١ في أمري : في ميلي إلى بني أمية . في خصومتي (لعبد الله بن الزبير) . مهتضم حقي : خاسر شيئاً من حقي . قارع سني : نادم . – ناصرت بني أمية فاستفدت ولم أخسر ، وعاديت ابن الزبير فلم أندم .

٢ إذا أساء إلي مولاي مرة لا أسلمه (لا أتخلى عنه ولا أذهب إلى عدوه أطلعه على أسراره) . ثم اني واثق من أن مولاي (بني أمية) لا يظلمني .

وفضّلني في الشعرِ واللبّ أنني أقولُ على علمٍ وأعلَمُ ما أعني .
وأصبحتُ إذ فَضّلْتُ مَروانَ وابْنَه، على الناسِ ،قد فضّلتُ خيرَ أبٍ وَابْنِ !

— أمر عبد الملك لأعشى بني ربيعة بعشرة آلاف درهم وعطايا أخرَ فماطله فيها زَيْدٌ الكاتبُ ، فقال أعشى بني ربيعة يعاتبه :

يا زَيدُ : يا فِداكَ كلّ كاتبِ في الناس بين حاضرٍ وغائبِ ،
هلّ لكَ في حقٍ عليك واجبِ في مثله يرْغَبُ كلّ راغبِ .
وأنتَ عَفٌ طيّب المكاسبِ مُبَرّأٌ من كلّ عَيْبِ عائبِ .
ولستَ — إن كَفَيْتَني وصاحبي طولَ غُدُوّ ورَواحٍ دائبِ [1]
وسَدّةَ البابِ وعُنفَ الحاجبِ — من نعمةٍ أسْدَيْتَها بخائبِ [2] !

— دخل أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان ، وعبد الملك يتردّد في الخروج لحرب ابن الزبير ، فقال له :

يا أميرَ المؤمنين : ما لي أراك مُتَلَوّماً ، يُنْهِضُكَ الحَزْمُ ويُقْعِدُكَ العَزْمُ [3] ، وتَهِمّ بالإقدامِ (ثم) تَجْنَحُ إلى الإحجام . انْفُذْ لِبُصَرَتِكَ وَامْضِ لرأيكَ وتوجّهْ إلى عدوّك . فجَدّكَ مُقْبِلٌ وجَدّه مُدْبِر [4] ؛ وأصحابُه ماقِتون له [5] ، ونحن لك مُحِبّون ، وكَلِمَتُهم متفرّقةٌ وكلمتنا عليك مُجْتَمِعة . واللهِ ، ما نُؤْتَى من ضَعْفِ جَنانٍ [6] ولا قلّةِ أعوانٍ ؛

---

١ وصاحبي (الجمل أو الحصان الذي يصحبني في سفري – يحملني). غدو ورواح دائب : مجيء وذهاب مستمرين .
٢ وسدة الباب (اغلاقه في وجهي) وعنف (صلف ، شدة) الحاجب (الواقف على بابك). أسدى النعمة : منحها ، أعطاها . — إذا أنت يسرت لي أمري ووفرت علي هذه المصاعب (دفعت إلي ما أمر لي به أمير المؤمنين : عشرة آلاف درهم ، الخ) ، لن تكون خائباً (سأمدحك ، أو سأعطيك شيئاً مما سآخذه !) .
٣ تلوّم : تمكث ، انتظر ، أخر من يوم لآخر ، تردد . — تريد أن تسير ثم لا تجد في نفسك قوة على ذلك .
٤ الجد (بفتح الجيم) : الحظ .
٥ ماقتون : كارهون .
٦ ضعف جنان (بفتح الجيم : قلب) جبن وخوف .

ولا يُثَبِّطُكَ عنه ناصحٌ ولا يُحَرِّضُكَ عليه غاشٌ[1] ....

٤ — ٥٥ الاغاني (الساسي) ١٦ : ١٥٥ — ١٥٧ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٢٩ — ١٣٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٥ .

شبيب بن البَرْصاء[2]

١ — هو شَبيبُ بنُ يزيدَ بنِ جَمرةَ (وقيل : جبرة) بن عَوف بن أبي حارثة بن مُرّةَ بن نُشْبة بن غَيْظِ بنِ مُرّةَ بن سعد بن ذُبْيان ، وأمه قِرْصافة بنتُ الحارثِ بنِ عَوفِ بن أبي حارثة من قوم أبيه ، وقد غَلَبت أمه على نَسَبه فعُرِفَ باسم شَبيب بن البرصاء .

كان شبيب بن البرصاء من بيت شرف وسُؤدَد ، وكان يَنْزِلُ الباديةَ ولم يأتِ إلى الحَضَرِ إلاّ إذا جاء وافداً على أميرٍ أو خليفةٍ وإلاّ إذا انْتَجَعَ أحداً يتكسّبُ منه بشعره .

وكان بين شبيب وبين أرْطأ بن سُهيّة وعقيل بن عُلّفة — وهما من قومه — هجاء ومناقضات كثيرة .

فَقَدَ شبيبُ بن البرصاء إحدى عينيه في حرب مع بني طيّء ، ثم عَمِيَ في آخر أيامه . وكانت وفاته بعد وفاة أرطأة بن سُهيّة[3] .

٢ — شبيبُ بن البَرْصاء شاعرٌ إسلاميٌّ فصيحٌ من شعراءِ الدولةِ الأموية متينُ الشعر واضح المقاصد كثير المعاني ؛ وفنونه الفخر والحماسة والهجاء والرثاء والنسيب ، والحِكَمُ في شعرهِ كثيرةٌ .

---

١ الذي يشير عليك بالتأني والتأخر ليس ناصحاً لك ، والذي يحثك على الاسراع في حرب ابن الزبير ليس غاشاً لك .

٢ قيل لها البرصاء لأنها كانت بيضاء ، ولم يكن بها وضح (مرض البرص) ، وقيل : بل برصت (راجع الاغاني ١٢ : ٢٧١ ، الحاشية الأولى) .

٣ راجع الاغاني ١٢ : ٢٨٠ و ١٣ : ٣٣ س) .

٣ – المختار من شعره :

– قال شَبيبُ بن البرصاءِ في النسيب (وهذان بيتانِ يُغَنّى فيهما) :

سَلا أمَّ عمرٍو : فيمَ أضحى أسيرُهـا   تُفادى الأسارَى حَوْلَهُ وَهْوَ مَوثَقُ ؛
فلا هُوَ مقتولٌ ، ففي القتل راحةٌ ،   ولا مُنْعَمٌ يوماً عليه فمُطْلَقُ !

– أكثَرَ شبيبُ بن البرصاء هِجاءَ أرطأةَ بنِ سُهَيّةَ ، وكان يَعُمّ بالهجاء قومَ أرطأةَ كُلَّهم . فجاء قومُ أرطأةَ إلى عُثمانَ بنِ حَيّانَ المرّيّ ، والي المدينة من سَنَةِ ٩٣ إلى سنة ٩٦ هـ (٧١٢–٧١٤ م) ، في أواخرِ أيام الوليدِ ابن عبد الملك وشكَوْا شَبيباً اليه . فقال عُثمانُ بنُ حَيّانَ لشبيبٍ : «كم تَسُبّ أعراضَ قومِك وتَستطيلُ عليهم ! أقسِمُ قسَماً حقّاً ، لئِنْ عاوَدتَ هِجاءَهم لأقْطَعَنّ لِسانَك» . فقال شبيبُ بن البرصاء في ذلك :

سَجَنْتُ لِساني ، يا ابنَ حَيّان ، بعدَما   تَوَلّى شبابي ؛ إنّ عَقْدَك مُحْكَمُ[١] .
وَعيدُك أبقى من لساني قُـذاذةً   هَيوباً ، وصَمْتاً – بَعْدُ – لا يتَكلّمُ[٢] .
رأيْتُك تَحْلَوْلي ، إذا شِئْتَ ، لامْرِئٍ   ومُرّاً مُراراً فيه صابٌ وعَلْقَم[٣] .
يداكَ يدا خيرٍ وشرٍّ : فمنهمـا   تَضُرّ ، وللأخرى نَوالٌ وأنْعُم[٤] !

– خطب شبيب بن البرصاء ابنة ليزيد بن هاشم بن حرملة المُرّيّ ، فردّه. ثم عاد يسترضيه ويقبل به زوجاً لابنته ، في حديث طويل . ولكن شبيب بن البرصاء أبى أن يقبل بذلك ، بعد أن رُدّ طلبه في المرّة الأولى . ثمّ انّه قال

---

١ العقد : العزم ؛ التهديد . – ان عقدك محكم : ان تهديدك لي موثوق لا يتبدل .

٢ قذاذة : ما قطع من أطراف الذهب وغيره (شيء قليل من قول الهجاء) . هيوباً : يخافها الناس (على قلتها ، يخاف الناس هجائي على قلته وخفته أحياناً) . ثم جعلني أصمت : أترك الكلام (الهجاء) مع اني قادر عليه .

٣ تحلولي : تحلو كثيراً (تحسن معاملتك جداً) أحياناً ؛ المر ضد الحلو . المرار (بالضم) : شجر شديد المرارة (بفتح الميم) . الصاب جمع صابة : شجرة مرة الطعم . العلقم : الحنظل (شجر مر) . – اختار ناشرو الاغاني (١٢ : ٢٧٨ ، السطر ٧) أن يقرأوا مراراً (بضم الميم) : شجر مر ، فأصبح معنى أربع كلمات من الكلمات الخمس في الشطر : مر وشجر مر ، وهذا شيء مستكره . ولعل من الأصوب أن نقرأ : مراراً (بكسر الميم) : مرات كثيرة ، فيصبح معنى البيت حينئذ : تكون حلو المعاملة لانسان واحد مرة ثم مر المعاملة لأشخاص آخرين مراراً كثيرة .

٤ ... فمنهما (يد) تضر ؛ وفي (اليد) الأخرى نوال (عطاء) وأنعم (جمعة نعمة) .

هذه القصيدة المملوءة بالمعاني وبالحكمة :

لَعَمْري ، لقد أشرفتُ يومَ عُنَيـــزةٍ على رَغْبةٍ ، لو شدّ نفسي مَريرُها [1] .
ولكنّ ضَعْفَ الأمرِ ألاّ تَمُــرّه ، ولا خيرَ في ذي مِرّةٍ لا يُغيرها [2] .
تَبَيّنُ أدبارُ الأمورِ إذا مضتْ ، وتُقبِـلُ أشباهاً عليكَ صُدورُهـا [3] .
تُرجّي النفوسُ الشيءَ لا تَستطيعُه ، وتَخْشى من الأشياءِ ما لا يَضيرها [4] .
ألا إنّما يكفي النفوسَ ، إذا اتّقتْ ، تُقى اللهِ مِمّا حاذرتْ فيُجيرها [5] .
ولا خيرَ في العيدان إلاّ صِلابُها ، ولا ناهضاتِ الطيرِ إلاّ صُقورُها [6] .
إذا افتخرتْ سعدُ بن ذُبيانَ لم يَجِدْ – سوى ما بَنَيْنا – ما يَعُدّ فَخورها [7] .
وإنّي لتَرّاكُ الضغينةِ قـدْ بـدا ثَراها من المَوْلى فلا استَثيرها [8] .
مَخافةَ أن تَجْني عَليّ ، وإنّما يَهيجُ كبيراتِ الأمورِ صغيرُهـا !
إذا قيلتِ العَوْراءُ وَلّيْتُ سَمْعَها سِوايَ ولم أسمعْ بها ما دَبيرُهـا [9] .

١ أشرفت على رغبة : كادت تتم لي رغبة (زواجي بابنة يزيد بن هشام) .
٢ المرير : العزيمة (لو أن عزيمتي استطاعت السيطرة على عاطفتي وعنجهيتي وكبر نفسي) . المرة (بكسر الميم) الفتلة من الفتلات التي تبرم حتى يكون منها الحبل . أغار الحبل : أحكم فتله . يقول الشاعر : ان الأمر إذا لم يحكم يضعف ثم يفسد ولا تكون له فائدة . ولا خير من فتلات الحبل إذا لم تبرم تماماً (فانها تتقطع بعد ذلك واحدة واحدة) وكذلك العزيمة لا فائدة منها لصاحبه إلا إذا كانت أكيدة لا تردد فيها .
٣ حينما تكون الأمور (القضايا) مقبلة عليك بصدورها (بوجهها) تكون متشابهة يصعب عليك أن تميز بعضها من بعض أو أن تحكم في الصائب منها وغير الصائب . فاذا تولت عنك (بعد أن تكون قد اخترت واحدة منها اتفاقاً) تعلم حينئذ الذي كان يجب أن تختاره والذي كان يجب أن تتركه .
٤ من عادة الانسان أنه يميل إلى طلب الأشياء التي يصعب عليه الحصول عليها وأن يتخوف (يرفض) الأشياء المألوفة التي لا تضره (يميل الانسان إلى الاشياء الغريبة ولا يأبه للأشياء المألوفة) .
٥ إذا اتقت (خافت) النفوس أمراً تحاذره (تخشى منه الضرر) ، فاذا كانت تلك النفوس تتقي الله (تخشاه وتعمل بما سن لها) فان الله حينئذ هو الذي يجيرها (يحميها من الضرور) .
٦ لا خير في العيدان : الخشب الذي تصنع منه الأدوات (الرماح !) إلا صلابها (إلا ما كان في منتهى الصلابة) ولا خير في الطيور التي تنهض (تستطيع الطيران والصيد !) إلا في صقورها (جمع صقر) أقوى الطيور على الطيران وعلى الصيد .
٧ – لا يستطيع أحد من بني سعد بن ذبيان أن يذكر من مفاخر القبيلة إلا ما قمنا به نحن (أهل بيتنا نحن)
٨ ثراها : أثرها . المولى : القريب في النسب . استثيرها : أهيجها ، أحركها بعد هدوئها .
٩ – إذا قال أحد عني عوراء (كلمة قبيحة) تركت سماعها لغيري (لم أهتم بها) ولم (أحب أن) أسمع ما دبيرها (ما نشأ من التعليقات عليها بعد قولها) .

وحاجةِ نفسٍ قد بلغتُ ، وحاجةٍ   تركتُ – إذا ما النفسُ شحّ ضَميرُها [1] –
حياءً وصبراً في المَواطِنِ ، إنّني   حَيِيٌّ لدى أمثالِ هذي ستيرها [2] .
وأحبِسُ في الحقِّ الكريمةَ ، إنّما   يَقومُ بحقِّ النائباتِ صَبورها [3] .
أحابي بها الحَيَّ الذي لا تُهِمّه   وأحسابَ أمواتٍ تُعَدّ قبورُها [4] .
ألم تَرَ أنّا نُورُ قَومٍ ، وإنّما   يُبَيِّنُ في الظّلْماءِ للناسِ نُورُها [5] !

٤ – ** الاغاني ١٢ : ٢٧٠ – ٢٨١ ، راجع ١٣ : ٣٠ وما بعدها .

عُمَرُ بنُ [6] أبي رَبيعة

١ – هو أبو الخطّابِ وأبو حَفْصٍ عُمَرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي ربيعةَ

---

١ هنالك حاجات في الحياة نلتها ، وهنالك حاجات كنت أحب أن أنالها ، وكنت قادراً على أن أنالها ثم تركتها . إذا ما النفس شح ضميرها : إذا شكّت النفس في امكان الضرر من حاجة ما (فانها تتركها)...

٢ المواطن : مشاهد الحرب ، المواقف المختلفة في الحياة . – استحيي أن تنسب إلي بعض الاعمال ، وأصبر في بعض المواقف على المشاق .

٣ يقصد الناقة الكريمة (غ ١٢ : ٢٧٥ ، الحاشية ٨) . والكريمة في القاموس (٤ : ١٧٠) : كل جارحة (عضو) شريفة كالاذن واليد . – أنا أملك نفسي في المواقف كلها . ولا يقوم بحق النائبات « يتغلب على المصائب والمشاق » إلا صبورها (الصبور فيها) .

٤ معنى البيت غامض . – والملموح من المعنى : أفعل ذلك أنا لأن الحي(الشاب البعيد ما بينه وبين الموت) لا يهتم بها ، لا تهمه (الأمور المثالية ولا يصبر على المشاق في سبيل مبدأ) ، ولأن الاموات (جمع ميت : الذي لم يمت بعد ولكن دنا الموت منه) يود أن لو يفعلها ولكنه عاجز عما يريد بالشيخوخة . فأنا بذلك أحابي الشاب (أعطيه من الفخر ما ليس مستحقاً له) وأنصر الشيخ وأحافظ له على أحسابه (أعماله الحميدة التي صنعها في أيام قدرته ، وهو اليوم عاجز عن أن يعمل مثلها) .
تعد قبورها : تهيأ .

٥ النور هو الذي يبين للناس في الظلام (طريقهم) ، وكذلك نحن ندل سائر القبيلة على الطريق المحمود والاعمال الحميدة .

٦ تحذف الهمزة من « ابن » إذا جاء « ابن » بين اسمين علمين مفردين وكان الثاني منهما اسماً لوالد صاحب الاسم الأول . واسم عمر الكامل يخالف هذين الشرطين : ان « ابا ربيعة » جد عمر وليس والده ، ثم ان « أبا ربيعة » اسم مركب تركيباً إضافياً وليس اسماً مفرداً ، ولذلك يجب،اتباعاً لهذه القاعدة ان يكتب هكذا : « عمر ابن ابي ربيعة » . غير أن النقاد ومؤرخي الأدب قد درجوا على اجراء اسم عمر في الرسم المجرى العام من غير نظر إلى القاعدة الآنفة الذكر ، فهم يرسمونه دائماً هكذا : عمر بن أبي=

حُذَيْفة[1] (أو عمرو) بن المُغيرة بن عمر[2] بن مَخزوم من بني قُريش. أما أمّه فكانت امرأةً من اليمن اسمُها مَجْدٌ في الاغلب.

وُلِدَ عمر بن أبي ربيعة في المدينة، في الليلة التي قُتِلَ فيها عمرُ بنُ الخطّاب – في ٢٦ من شهر ذي الحجّة سنة ٢٣ هـ (٣–١١–٦٤٤ م). ولقد سُمّيَ عمرُ بِاسْمِ الخليفة المقتول وكُنّيَ أبا الخطّابِ وأبا حفصٍ بكُنْيَتَيْ عمرَ بنِ الخطّاب أيضاً. ثم هو يُعرَف باسمِ عمرَ بن أبي ربيعةَ منسوباً إلى جدّه أبي ربيعة حُذيفةَ لا إلى والده عبد الله (توفي ٣٥هـ = ٦٥٥ – ٦٥٦ م).

نشأ عمر في المدينة في أُسرةٍ غنيّة غيرَ محتاجٍ إلى طلب الرزق فوفّر وقتَه على التمتّع بالنعيم والتنقّل بين الحجازِ واليمن والعراق والشام. ويبدو أنه كان يعيش من صناعةٍ وتجارةٍ كانتا لأهلِه، وهما صناعة النسيج والاتّجار به، فقد كان لآلِ أبي ربيعةَ مناسجُ في اليمن خاصةً، فشبّ عمر مُثقّفاً يَعْرِفُ العلومَ التي كانت مألوفةً في عصرهِ من القرآنِ الكريم والحديث الشريف والفقه ورواية الادب، كما كان يَعرِفُ القِراءة والكتابة. ويبدو أن عمرَ بن أبي ربيعة انتقل من المدينة إلى مكةَ مَعَ مَنْ كان قد انْتَقَلَ اليها لمّا آلت الخلافةُ إلى يزيدَ بنِ معاويةَ (٦٠ هـ = ٦٨١ م) واضْطرب الأمرُ في المدينة: في الفتنة بين يزيدَ وعبدِ الله بن الزبير[3].

وإذا نحنُ اعتَمَدْنا ديوانَ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ أدركْنا أن عمرَ قد قضى قسماً كبيراً من حياته منصرفاً إلى اللهو، ولا نعلم له من ديوانه إلا لَهْواً واحداً هو التمتّع بالمغامرة في سبيلِ التعرّف إلى النساء الجميلاتِ من المشهوراتِ بالمكانةِ الاجتماعية أو بالمَنَعِ (بالصَّوْنِ والاحتجاب: ترك مخالطة الرجالِ). ولقد ساعدَ عمرَ على ذلك فراغٌ وجمالٌ ومالٌ، ثم إنه كان لَبّاساً حَسَنَ

= ربيعة. غير أن الاستاذ جبرائيل جبور يلزم في كتابه «عمر ابن أبي ربيعة» (راجع ثبت المصادر والمراجع في آخر هذه الترجمة) اثبات الهمزة. ومع أن الاستاذ جبور محق في رأيه، فاننا هنا نسلك مسلك القدماء من النقاد ومؤرخي الأدب.

١ أوفى ما كتب في عصر عمر بن أبي ربيعة وترجمته، وأدق ما كتب أيضاً، كتاب الاستاذ جبرائيل جبور الذي صدر منه جزءان (راجع ثبت المصادر والمراجع في آخر هذه الترجمة).

٢ الأغاني ١ : ٦١ (راجع السطر السادس)، مع العلم بأن الاسم عمر كان نادراً في الجاهلية.

٣ راجع، فوق، ص ٣٥١–٣٥٢، ٤٤١–٤٤٢، بعد ان كره الاقامة فيها (الكامل ٣٢٠).

الهِندامِ رَضِيَّ الخُلُقِ سَهْلَ المعاشرة جواداً عَذْبَ الحديثِ بصيراً بخِطاب النساء ، مَعَ شيءٍ من الدُعابةِ والمَرَح . ويبدو أن نشاطه هذا قد انْكَسَرَ في أواخرِ أيامه .

ولعلَّ وفاةَ عمرَ بن أبي ربيعة كانت باليمن ، في حدود سنة ٩٣ هـ (٧١١م) في أواخر خلافة الوليد بن عبد الملك .

٢ — عمر بن أبي ربيعةَ أشهرُ شعراءِ الغزَل ومن أكابرِهم ، « لم يكن في الحجاز مَنْ يتقدّم جميلاً وعمرَ في النسيب ، والناسُ لهما تَبَعٌ » (الامالي ٢ : ٧٧) . وكان عمر يميلُ إلى تَخيّر الألفاظِ الفصيحة العَذْبة ولو خالف فيها الجزالة : لقد كان يُحبّ أن يُعبّر عن المعنى الذي يجولُ في نفسه بأقربِ الألفاظِ تعبيراً عنه عند جُمهور الناس ، وعند النساء خاصّةً . وأولِعَ عُمَرُ بالمعاني القريبة من تلك التي تَعْرِضُ للناس في حياتِهِم اليومية العاديّة وخالف في ذلك مألوفَ عصرِه فمدحه أقوام من أجل ذلك وعابَ عليه هذا أقوامٌ[1] . وكذلك كانت تراكيبُه متينةً نقيّة من العُجْمة ، على أنه كان يتساهل أحياناً ، إذا لم يستطِعِ التعْبير عمّا يريد إلا بمخالفة عَدَدٍ من قواعدِ اللغةِ والنحوِ فيما لا يَضُرّ البَلاغة ، فقد قال مثلاً :

ثم قالوا : « تُحبّها ؟ » قلتُ « بَهْراً !   عَدَدَ النجمِ والحَصى والتّراب » .

فمن عيوب هذا البيتِ حذفُ همزة الاستفهام وحذف الفاء من « قلت » . ثمّ قولُه : « عَدَدَ النجم والحصى والتراب » من كلام الصِبيان والعامّة .

وفي شِعْرِ عُمَرَ شيءٌ من الصِناعة اللفظية غيرَ مقصودةٍ ولا بارعةٍ ، فان عصرَ الصناعةِ اللفظيةِ لم يكن بعدُ قد حان في أيام عمر . وقد كان عمرُ صادقاً في التعبير عن نفسهِ عَذْبَ الشعر . ولم يكن ، فيما أحْسَبَ ، شعرٌ أكثرُ موافقةً للغناء من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة . والقَصَصُ والحُوار الصحيح خاصّتان بارزتان في شعر عمر ، وخصوصاً ذلك الحُوار الذي يدور في العادة على ألْسِنةِ النساء . ولقد شُهِرَ بحسن حديثه إلى النساء حتّى قال فيه الشاعر العبّاسيّ مروانُ بن أبي حَفْصةَ (الكامل ٤١٦) :

---

[1] راجع في خصائص عمر المعنوية كتاب الكامل ٣٢٠ — ٣٢١ ، ٣٧٠—٣٨٥ ، بالاضافة إلى ما ذكر كتاب الاغاني منها (١ : ١٢٠ وما بعدها) .

وتَرَكْنَ لابْنِ أبي رَبيعةَ مَنْطِقـاً فيهن أصبَـحَ سـائراً مَحْمولا .

وكان للكناية في شعره مكانٌ بارزٌ ، فلمّا قال مثلاً « حان من نَجمِ الثّريا طلوعُ » ، فانّه كان يُكنّي بذلك عن الثّريّا بنتِ عليٍّ بنِ عبد الله بن الحارث ابن أميّةَ الاصغر (الكامل ٣٧٣ ، راجع ٤١٢) .

والخصائص الجديدة قليلة في شعر عمر . أما مَيّزةُ عمرَ الكبرى فهي أنها جَمعَ خصائصَ الغزل التي كانت قبلَه ثمّ أحسن تَصْريفَها في شعره . وعمر قَصَرَ شعرَهُ كلّه على الغزل ، ثم قَصَرَ القصائدَ على المعاني فانتهى بالقصيدةِ حيثُ كان ينتهي به المعنى . فكلّ قصيدة لعمرَ موضوعٌ تامٌ في نفسه ، سواءٌ أكانت أبياتاً قليلة أو أبياتاً كثاراً .

٣ — المختار من شعره :

— الرائيّة :

القصيدة التالية أشهر قصائد عمر وأحسنها له وللغته تمثيلاً . وعمر يصف في هذه القصيدة مغامرة قام بها للوصول إلى فتاة مَنيعة يذكر لنا أن اسمها نُعْم . وقد نظم عمر هذه القصيدة في حداثته ، « وهو يومئذ غلام » (الكامل ٥٧٠) . ويذكر المبرّد أن أبيات القصيدة ثمانون (الكامل ٥٧١) . وهنالك في بعض الروايات أبيات من بحر هذه القصيدة نفسه وعلى رويّها نفسه تأتي بعد الابيات المثبتة هنا وهي في وصف الناقة . ولعلّ تلك الابيات ليست من هذه القصيدة . أما الثابت عندنا من القصيدة ففي ما يلي * :

(أمنْ آلِ نُعمٍ أنتَ غـادٍ فمُبْكِـرُ غَداةَ غدٍ أم رائـحٌ فمُهَجّرُ ؟) [١]
(لحاجة نفسٍ لم تقـلْ في جوابهـا فتُبلغَ عُذراً ، والمقالةُ تُعْذِر) .
تَهيم إلى نُعْمٍ فلا الشملُ جـامـعٌ ولا الحبل موصولٌ ولا القلب مُقصِر ،
ولا قربُ نعمٍ ، إن دنتْ ، لك نافـعٌ ولا نأيُها يُسلي ولا أنت تَصْبِرُ .

---

* الأبيات المحصورة بين الاهلة ( ) كانت تغنى .

١ الغادي : المسافر في الصباح . المهجر : المسافر وقت الظهيرة (في نصف النهار) . الرائح المسافر في المساء . — أم رائح فمهجر : مسافر في الأصيل والشمس لا تزال ترسل حرها .

وأخرى أتتْ من دون نعمٍ ، ومثلُها ... نهى ذا النهى لو ترعوي أو تُفكّر [1] .
إذا زُرتُ نُعماً لم يزلْ ذو قرابة ... لها كلما لاقيتُها يتنمّر .
عزيزٌ عليه أن أُلِمّ ببيتها ، ... يُسِرّ ليَ الشحناءَ والبُغضُ مُظهَر .

*

ألِكْني إليها بالسلام فإنّني ... يُشهَّرُ إلمامي بها ويُنكَّر [2] .
بآيةِ ما قالت غَداةَ لقيتُها ... بمدفَع أكنانٍ : « أهذا المُشهّر [3] ؟
قِفي فانظُري ، أسماءُ ، هل تَعرِفينه ؟ ... أهذا المُغيريّ الذي كان يُذْكر ؟) [4]
أهذا الذي أطرَيْتِ نعتاً فلم أكن ، ... وعيشكِ ، أنساه إلى يوم أقبر » [5] .
(فقالت : « نعمْ ، لا شكّ غيّر لونَه ... سُرى الليل يُحيي نصّه والتَهجّر ؛) [6]
لئنْ كان إيّاهُ لقد حالَ بعدَنا ... عن العهدِ ، والإنسانُ قد يتغيّر » .
(رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمس عارضت ... فيَضْحَى وأمّا بالعشيّ فيَخصَر : [7]
أخا سفرٍ جوّابَ أرضٍ تقاذفتْ ... به فَلَواتٌ فهو أشعثُ أغبر ،)
قليلاً على ظهر المَطيّةِ ظِلّه ... سوى ما نفى عنهُ الرِداءُ المُحبر [8] .

*

وأعجبَها من عيشِها ظِلّ غُرفةٍ ... وريّانُ مُلتفّ الحدائقِ أخضر ،
ووالٍ كفاها كلّ شيء يَهُمّها ... فليست لشيء آخِرَ الليل تَسْهر .

---

١ ومثلها نهى ذا النهى : ان امرأة جميلة مثل هذه كان يجب أن تنسيك نعم التي تغامر بمكانتك أو بحياتك في المغامرة للوصول اليها .
٢ ألكني اليها : احمل مني اليها ألوكة (رسالة) . يشهر إلمامي بها وينكر : تعرف زيارتي لها وينتشر خبرها بسرعة ثم يلومني الناس عليها .
٣ بآية : بعلامة .
٤ المغيري : عمر بن أبي ربيعة .
٥ أطرى : بالغ في المدح .
٦ سرى الليل : السفر في الليل . يحيي : يبقى قائماً الليل كله بلا نوم . النص : أقصى سرعة الناقة . التهجير : السفر وقت الهاجرة (اشتداد الحر) . — يحيي نصه والتهجر : يسافر على ناقته باستمرار ليلا ونهار (بلا توقف) .
٧ عارضت : ارتفعت (قليلا) ، يضحي : يتأخر في النوم . يخصر : يتبرد ويستكن من الحر .
٨ المعني : لا يدفع عنه الشمس إلا ثوب حرير .

وليلةَ ذي دَوْرانَ جَشّمْتِني السُّرى ... وقد يَجْشَمُ الهولَ المُحِبّ المُغرَّر.)[1]

فبِتّ رقيباً للرفاق على شَفاً [2] ... أحاذِرُ منهم من يَطوفُ وأنْظر

اليهمْ ، متى يَسْتَمْكِنُ النومُ منهم. ... ولي مجلسٌ لولا اللُّبانةُ أوْعر [3] .

وباتت قَلوصي بالعَراءِ ، ورَحلها ... – لطارق ليل أو لمن جاء – مُعور [4]

وبِتّ أناجي النفسَ أين خباؤها، ... وكيف لما آتي من الأمر مَصْدر [5] .

فدلّ عليها القلبَ رَيّا عَرَفْتُها ... لها وهوى النفسِ الذي كاد يَظْهر .

فلما فَقَدتُ الصوتَ منهم وأُطفِئَتْ ... مصابيحُ شُبّتْ بالعِشاء وأنْوُرُ [6] .

وغاب قميرٌ كنتُ أهوى غُيوبَه ، ... ورَوّحَ رُعيانٌ ونَوّم سُمّرُ [7] ،

وخُفّض عني الصوتُ أقبلت مِشيةَ الـ ... ـحُباب وشخصي خَشيةَ الحيّ أزْوَر [8]

فحَيّيْتُ إذْ فاجأتُها فتولّهتْ ، ... وكادت بمكنونِ التحيةِ تَجْهَرُ .

وقالت،وعضتْ بالبَنانِ : « فضحتني! ... وأنتَ امْرُؤٌ ميسورُ أمرِك أعسر .

أرَيْتُكَ إذ هُنّا عليك ، ألمْ تخفْ ... رقيباً ؟ وحولي من عدُوّك حُضّر [9] .

فواللهِ ، ما أدري : أتعجيلُ حاجةٍ ... سرت بك ، أم قد نام من كنتَ تحذر ! »

فقلت لها : « بل قادني الشوقُ والهوى ... إليكِ وما نفسٌ من الناس تشعر » .

فقالت ، وقد لانتْ وأُفرِخ رُوْعها [10] : ... « كَلاكَ بحفظِ ربك المُتَكبر .

فأنتَ ، أبا الخطابِ ، غيرَ مدافَعٍ ... علي أميرٌ ما مكَثتَ مُؤمّر » .

---

١ ذو دوران : الموضع الذي كانت فيه المغامرة . جشمتني السرى : كلفتني السير ليلا .

٢ منحدر .

٣ اللبانة : الحاجة . أوعر : خطر .

٤ القلوص : الناقة . معور : « هنا » فرصة يمكن أن ينتهزها كل انسان فيأخذ الناقة .

٥ مصدر : رجوع (مخرج لها مما دخلت فيه ، خلاص) .

٦ شبت : أشعلت . أنور : نيران (جمع قلة من نار) .

٧ هذا البيت يدل على ان المغامرة كانت في أوائل الشهر القمري . راح : رجع في المساء .نوم (مبالغة من نام) . السمر والسمار : المتحدثون ليلا .

٨ الحباب : الحية .ازور : مائل (يعني مشيت بحذر شديد) .

٩ هنا عليك : هان عليك أمرنا (علمت أنني أسر بزيارتك في كل وقت) .

١٠ أفرخ (بضم الهمزة وكسر الراء ، بالبناء للمجهول) روعها (بضم الراء والعين) : سكن جأشها (القاموس ١ : ٢٦٦) وزال اضطرابها . كلاك = كلأك : حفظك ، حماك .

فبتّ قرير العين أعطيت حاجتي : أقبّل فاها في الخلاء فأكثر .
فيا لك من ليل تقاصر طوله ؛ وما كان ليلي قبل ذلك يقصر [١] .
ويا لك من ملهى هناك ومجلس لنا لم يكدّره علينا مكدّر :
يمجّ ذكيّ المسك منها مقبّل نقيّ الثنايا ذو غروب مؤشّر [٢] ،
تراه إذا ما افترّ عنه كأنه حصى برد أو أقحوان منوّر [٣] .
وترنو بعينيها إليّ كما رنا إلى ظبية وسط الخميلة جؤذر [٤] .
فلما تقضّى الليل إلا أقلّه وكادت توالي نجمه تتغوّر [٥] .
أشارت بأنّ الحيّ قد حان منهم هبوب ؛ ولكن موعد لك عزور [٦] !

*

فما راعني إلا مناد : « ترحّلوا » ؛ وقد لاح معروف من الصبح أشقر [٧] .
فلما رأت من قد تنبّه منهم وايقاظهم ، قالت : « أشر ، كيف تأمر ؟ »
(فقلت : « أباديهم ، فإما أفوتهم ، وإما ينال السيف ثأراً فيثأر » .) [٨]
فقالت : « أتحقيقاً لما قال كاشح علينا ، وتصديقاً لما كان يؤثر [٩] ؟

---

١ طول الليل كناية عن الهموم والقلق والخوف من المستقبل (راجع ، فوق ، ص ١١٧ ، ١٨٠) .
٣ مقبل : فم . نقي الثنايا (الاسنان) كناية عن النعمة وعن صغر السن أيضاً . غروب جمع غرب (بفتح الغين) : حد ، طرف ظاهر . مؤشر : محزز (في أسنانها حزوز : خطوط ظاهرة) . حينما يكون الانسان صغيراً تكون أسنانه نقية وحزوزها بادية للعين. ومع الأيام تمحي هذه الحزوز بالحت أو تمتلئ بالوسخ .
٣ – إذا افترت (انفرجت شفتاها) عنه (عن فمها) كأنه (كأن الاسنان فيه) حصى برد (حبات الثلج المتجمدة بعد انفصالها من الغيم ماء – كناية عن بياض لونها) أو أقحوان (أو بتلات زهرة الاقحوان – ان بتلات زهرة الاقحوان تشبه الاسنان ، كناية عن بياض الاسنان وظهور الحزوز فيها) . منور (بفتح الواو المشددة أو بكسرها) : متفتح ، في إبان إزهاره .
٤ ترنو : تتطلع . الجؤذر : ابن الظبية .
٥ توالي النجوم : النجوم التي تظل ظاهرة حين طلوع الفجر . تتغور : تغيب (عن البصر ، في ضوء النهار القادم) ، تغرب وراء الافق .
٦ ولكن لك موعد (جديد) في عزور . هبوب : استيقاظ ، نهوض من النوم .
٧ راعني : أخافني ، فجأني . ترحلوا (قوموا إلى رحالكم) ، استعددوا للسفر . لاح معروف من الصبح : ظهر بشكله المعروف المألوف . أشقر : مائل إلى الاحمرار (بعد سواد الليل) .
٨ أباديهم : أبدأهم بالهجوم . أفوتهم : أخلص (أنجو) منهم .
٩ الكاشح : المبغض ، العدو . كان يؤثر : كان يقال عنا .

فان كـان مـا لا بُدّ منه فغيرُه — من الأمرِ أدنى للخَفاء وأستَر :
أقُصّ على أختَيّ بـدءَ حديثِنا ؛ — وما لي مِنْ ان تعلما مُتَـأخَّر .
لعلّهما إن تطلُبـا لك مخرجـاً — وان تَرْحُبا سِرْباً بما كنت أحْصَر [1] » .
فقامت كئيباً ليس في وجههـا دَمٌ ، — من الحزنِ ، تُذْري عَبْرَةً تَتَحَدّر [2] .
فقالت لأُخْتيها : « أعينا عـلى فتىً — أتى زائراً ، والأمر للأمر يُقدَّر » [3] .
فقامت اليهـا حُرتانِ عليهمـا — كِساءان ، من خزّ ، دِمَقسٌ وأخضر .
فأقبلتـا فارْتاعتـا ، ثمّ قـالتـا : — « أقِلّي عليكِ اللوْمَ فالخطبُ أيسر » [4] .
فقالت لها الصُغرى : « سأعطيه مُطْرَفي — ودِرْعي وهذا البُردَ ، إن كان يحذَر [5] ،
يقومُ فيمشي بيننا مُتَنَكّراً ، — فلا سِرّنا يفشو ، ولا هو يظهر » .
فكان مِجَنّي دونَ من كنتُ أتقي — ثلاثُ شُخوصٍ : كاعبانِ ومُعْصِر [6] .

* * *

فلما أجَزْنا ساحةَ الحيّ قُلْنَ لي : — « ألم تتقِ الأعداءَ ، والليلُ مُقْمِر ؟ »
وقلنَ : « أهذا دأبُكَ الدهرَ سادراً ، — أما تستحي أو ترعوي أو تفكر [7] ؟
إذا جئتَ فامْنَحْ طَرْفَ عينيكَ غيرَنا — لكي يعلموا أنّ الهوى حيثُ تنظر » .

---

١ وأن ترحبا سربا (صدرا) : أن يتسع صدرهما ، أنْ تعرفا مخرجاً (من هذا الأمر) ... بما كنت أحصر : بما يضيق به صدري – ربما استطاعت أختاي أن تحل المشكلة التي عجزت (بفتح الجيم) أنا عن حلها .

٢ تذري دمعة : تنثر دمعها (تبكي) تتحدر : تتدحرج الدموع على خدها .

٣ تقدير الأمر : تدبيره . والأمر للامر يقدر : (أريد منكما تدبيراً يوازي الأمر الذي وقعت فيه) .

٤ ارتاعتا : خافتا (في أول الأمر) . أقلي عليك اللوم : خففي من لوم نفسك ، فالخطب (الأمر) أيسر : أهون (مما كان يبدو لك) .

٥ المطرف : رداء . الدرع : ثوب للمرأة . البرد : ثوب مخطط .

٦ المجن : الترس . مجني (ما يخفيني) دون من كنت أتقي (عن عيون من كنت أخاف أن يعرف أمري وأمرهن) . ثلاث شخوص (ثلاثة أشخاص من الاناث – وقد حذف الشاعر التاء من « ثلاثة » على غير قياس ليدل على أن أولئك الأشخاص كانوا إناثاً) . الكاعب : الفتاة يتم بروز ثدييها . المعصر : الفتاة بلغت شبابها وأدركت .

٧ دابك : عادتك وسيرتك . الدهر : طول الدهر ، دائماً . سادراً : قليل المبالاة . ترعوي : ترجع (عن غيك) ...

— هِنْد :

ليت هنداً أنْجزتنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفسَنا ممـا تَجِدْ [1] ،
واسْتَبَدّتْ مرةً واحدةً ، إنما العاجزُ من لا يستبدْ [2] !

* * *

زعموها سألتْ جاراتها — وتعرّتَ ذاتَ يوم تبترد [3] —:
أكما ينْعَتُنِي تُبْصِرْنَنِي — عَمْرَكُنّ اللهَ — أم لا يقتصد [4] ؟ »
فتَضاحكْنَ ، وقد قُلْنَ لها : « حَسَنٌ في كل عين مَنْ تَوَد! »
حَسَدٌ حُمّلنَهُ من أجلها ؛ وقديماً كان في الناس الحسد .
غادَةٌ يَفْتَرّ عن أشْنَبِها — حين تجلوه — أقاحٍ أو بَرَد [5] .
ولها عينانِ في طَرْفَيْهما حَوَرٌ منها ، وفي الجيد غَيَد [6] .

* * *

ولقد أذكرُ إذ قُلتُ لها — ودموعي فوق خدي تَطّرِدْ —:
قلت : « من أنتِ ؟» فقالت : « انا مَن شَفّه الوَجْدُ وأبلاه الكمد .
نحن أهلُ الخَيْف من أهل مِنًى ، ما لمقتولٍ قتلناه قَوَد [7] ! »
قلت : « أهلاً ، أنتمُ بُغيتنا ، فتَسَمّيْنَ » ، فقالت : « أنَا هند » .
إنما خُيّلَ قَلْبي فاحتوى صَعْدَةً في سابِرِيّ تَطّرِد [8] .

---

١ « وعد ، يعد » (بلغة أهل الحجاز) : توعد ، هدد . « وجد ، يجد موجدة » : غضب ، حزن (خاف)
— ليتها تنفذ وعيدها فنعرف مرادها ونتخلص من القلق الذي يساور نفوسنا .

٢ انها تهددنا كثيراً ، ليتها تنفذ تهديدها ولو مرة واحدة . ان العاجز هو الذي يهدد ثم لا يجسر على تنفيذ تهديده .

٣ تغتسل بالماء البارد .

٤ لم يقتصد : افرط وبالغ .

٥ الشنب : بياض الاسنان وحسنها . والمعنى : تفتح فمها عن أسنان كالاقحوان والبرد .

٦ الحور : شدة البياض في بياض العين وشدة السواد في سوادها . الجيد : العنق . الغيد : اللين والنعومة .

٧ أي لا تؤخذ ديته (ولا بثأره) .

٨ الصعدة : الرمح . السابري نسيج من حرير نسبة إلى سابور (فارسي) ، تطرد : تهتز .

إنمــا أهلُــك [١] جيرانٌ لنــا ، إنمــا نحنُ وهُم شيء احــد .

* * *

حَدّثوني أنهــا لي نَفَثَــتْ عُقَــداً ، يا حَبّذا تلك العقد [٢] !
كلمــا قلت : « متى ميعــادنا ؟ » ضَحِكت هندٌ وقالت : « بعدَ غد » .

– منية مستجابة (هل يخفى القمر !) :

هيّج القلبَ مَغانٍ وصِيَرْ دارساتٌ قد علاهُن الشجرْ [٣] .
ظِلْتُ فيه ذات يوم واقفــاً اسألُ المنزلَ هل فيه خــبر
للّتي قــالت لأترابٍ لهــا قُطُفٍ ، فيهنّ أنس وخَفَرْ [٤] ،
إذ تمشّينَ بجوٍّ مُؤنِــقٍ نيّرِ النبتِ تغشّاه الزَهَر [*] :
« قد خلَوْنا فتمنَّــينَ بنا ، إذ خلونا اليوم نبدي ما نُسِر » .
فعرفن الشوقَ في مُقلتها ، وحَبَاتُ الشوق يُبديه النظر .
قلنَ يَسْتَرضينَها : « مُنيتنا لو أتانــا اليومَ في سرٍّ عمر ! »

* * *

بينما يَنْعَتْنَني ابْصَرْنَــني دونَ قِيدِ الميل يعدو بي الأغرّ [٥] .
قالت الكبرى : « أتعرفن الفتى ؟ » قالت الوسطى : « نعم ، هذا عمر » .

---

١ كذا في الروايات . ولعل من الأصوب أن نقرأ :

إنما أهْلَكَ جيراناً لنا أننا نحن وهم شيء أحدْ

٢ صنعت لي سحراً . كانت السواحر تعقد عقداً في خيط وتنفث على كل عقدة بعد عقدها .
٣ المغاني : مساكن البشر المعمورة . الصير جمع صير (بكسر الصاد) : حظيرة للغنم والبقر . دارسات : ذهبت معا لمها (لأنها لم تسكن من عهد قديم) .
٤ الاتراب : المتقاربات في السن . قطف جمع قطوف (بفتح القاف) : المرأة التي تسير بخطى قصيرة (لا تعجل في مشيتها ولا توسع خطواتها) . أنس : تسلية ومتعة . خفر : حياء .
* الجو : الارض المنخفضة (تتجمع فيها المياه فيكثر فيها النبات) . مؤنق : جميل (بما فيه من النبــات والازهار المتنوعة) . قد تغشاه الزهر : غطاه الزهر .
٥ ينعتنني : يذكرن صفاتي ، يذكرنني . قيد (بكسر القاف) : مقدار . الميل : مقياس روماني (مختلف في مقداره) – المقصود : على مسافة قصيرة . يعدو بي الاغر : أركب حصاناً أبيض (أو له غرة بيضاء في جبينه) وأنا مسرع .

قالت الصغرى ، وقد تيَمَّتُها : « قد عرَفْناه،وهل يخفى القمر[1] ! »
ذا حبيب لم يُعرِّجْ دونَنا ، ساقه الحِينُ الينا والقدر[2] .
فأتانا حين ألْقى بَرْكَه جملُ الليل عليه واسبطر[3] .
قد أتانا ما تمنَّينا ، وقد غُيِّبَ الإبرامُ عنا والقدر »[4].

— عمر والثُرَيّا :

قال لي صاحبي ليعلمَ ما بي : « أتحبّ القَتولَ أختَ الرَّبابِ ؟ »
قلت : « وجدي بها كوَجْدِك بالعَذْبِ إذا ما مُنعتَ طَعْمَ الشَّراب[5] .
من رسولي إلى الثريا بأني ضِقت ذرعاً بهجرها ، والكتاب[6] » .
أزهقت أمُّ نَوْفَل ، إذ دعتها ، مهجتي ؛ ما لقاتلي من مَتاب[7] .
حين قالت لها : « أجيبي » . فقالت : « من دعاني ؟ » قالت: « ابو الخطاب »[8]
فأجابت عند الدعاء كما لبّى رجالٌ يرجون حُسن الثواب[9] .
أبرزوها مثل المَهاة تَهادى بين خمسٍ كواعبٍ أتراب[10] .

---

١ تيمتها : شغلتها بحبي ، أمرضها حبي .
٢ لم يعرج دوننا : لم ينزل في مكان آخر من قبل . ساقه الحين (بكسر الحاء) الينا والقدر : جاء اتفاقاً (من غير موعد) وفي هذا الحين .
٣ ألقى جمل الليل بركه : بدأ الليل ينزل (بدأ الظلام) . اسبطر : امتد (ثم تكاثف الظلام ، ثم أوغل الليل) .
٤ غيب عنا (زال عنا) الابرام (الملل ، السأم) والقدر (التضييق ، حجز الحرية) .
٥ وجدي : شغفي ، حبي . بالعذب : (بالماء) الحلو . إذا منعت طعم الشراب (بالصيام أو بفقدان الماء) .
٦ ضقت ذرعاً : قل صبري . والكتاب : أقسم بالكتاب (القرآن الكريم) .
٧ أزهقت أم نوفل اذ دعتها مهجتي : لما نادتها أم نوفل(وسمعت أنا اسمها) كادت مهجتي تزهق (كاد قلبي ينخلع ، يقفز من مكانه) .
٨ ابو الخطاب : عمر بن أبي ربيعة .
٩ عند الدعاء : لما سمعت النداء باسمها . كما لبى رجال يرجون حسن الثواب (كما يقول الحجاج على جبل عرفات : لبيك ، لبيك).
١٠ أبرزوها : أظهروها ، جاءوا بها . المهاة : البقرة الوحشية (نوع من الظباء) . تهادى = تتهادى : تتمايل في مشيتها (بكسر الميم) . الكاعب : الفتاة عند أول بروز ثدييها . الاتراب : المتقاربات في السن .

وهي مكنونـة تحيّـر منهـا ، في أديم الخدّين ، ماءُ الشباب [1] :
دُمية عند راهب ذي اجتهاد صوّروهـا في جانب المِحراب [2] .
ثمّ قالوا : «تحبّها ؟» قلت : «بهراً! عددَ النجم والحصى والتراب» [3] .

— ومن قصائد عمر البارعة قصيدته :

ألم تسأل الاطلال والمتربّعـا ببطن حُليّات دوارس بلقعا [4] .

٤ — ديوان عمر بن أبي ربيعة ، مصر (المطبعة الميمنية) ١٣١١ .
ديوان عمر بن أبي ربيعة (بول شفارتز) ليبزغ ١٩٠١ — ١٩٠٩ م .
ديوان عمر بن أبي ربيعة (المخزومي القرشي) شرح محمد العناني (مصر (مطبعة السعادة) ١٣٣٠ هـ .
ديوان عمر بن أبي ربيعة (بشير يموت) بيروت (المكتبة الاهليـة) ١٩٣٤ م .
ديوان عمر بن أبي ربيعة (ابراهيم الاعرابي) ، بيروت ١٩٥٢ م .
ديوان عمر بن أبي ربيعة ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦١ م .

** عمر بن أبي ربيعة ، تأليف جبرائيل جبّور : الجزء الأول (عصره) ، الجزء الثاني (حياته) ، بيروت (منشورات كليّة العلوم والآداب في الجامعة الاميركية ، بيروت : سلسلة العلوم الشرقية : الحلقة السابعـة والحلقة الثالثة عشرة) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٥ ، (المطبعة الاميركانية) ١٩٣٩ م .
حبّ عمر بن أبي ربيعة ، تأليف زكي مبارك ، القاهرة ١٩١٩ م .
عمر بن أبي ربيعة المخزوميّ ، تأليف عمر فرّوخ ، الطبعة الثانية ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

---

١ مكنونة : مخدرة ، محجوبة ، مصونة . تحير : تردد . أديم : جلد . — هي لا تزال في أول عمرها وفي كامل نضارتها لأنها محجوبة (لم تعمل أعمالا شاقة تذهب ببعض نضارتها في وقت باكر) .
٢ يشبهها بالتمثال الذي يكون عادة في مصلى الراهب .... ذو اجتهاد : شديد الورع كثير العبادة . المحراب : المكان الذي يقف الانسان فيه للصلاة .
٣ بهرا : عجبا !
٤ راجع الكامل ٤٩١ ، راجع ٣٥٠ ؛ الامالي للقالي ٢ : ٥١ — ٥٢ .

شاعر الغزل ، تأليف عبّاس محمود العقّاد ، مصر (مكتبة المعارف : سلسلة : اقرأ) ١٩٤٢ م .

وهل يخفى القمر ؟ تأليف رئيف خوري ، بيروت ١٩٣٩ م .

Umars Leben , Dichtung , Sprache uud Metrik , von Paul Schwarz , Leipzig 1909 .

بروكلمان ١ : ٤١ – ٤٣ ، الملحق ١ : ٧٦ – ٧٧ ؛ زيدان : ١ : ٣٢٤ – ٣٢٦ .

مالك بن أسماء

١ – هو مالكُ بنُ أسماءَ بنِ خارجةَ بنِ حصنِ بن حُذيفةَ بن بدرٍ الفَزاريّ ، كان جَدّه من سادات غَطَفان في نَجْد ثم نزل الكوفة في حيّ بني أسد فكان له ولولده من بعده جاهٌ وشرف في الكوفة . أما أم مالك فكانت أمَّ وَلَدٍ تدعى صَفِيّة .

وُلِدَ مالك بن أسماء في الكوفة ، نحو سنة ٣٥ ﻫ (٦٥٥ م) وشَبَّ تامَّ الخَلْق ذا جمال باهرٍ حَسَنَ الحديثِ ومُحبّاً مغامراً حتّى رُوِيَ (غ ١ : ١٤٧) أن عُمَرَ بنَ أبي ربيعةَ رأى رجلاً يطوف بالبيت قد بَهَرَ الناسَ بجماله وتَمامه ، فسأل عنه فقيل له : هذا مالكُ بنُ أسماءَ بن خارجةَ ! فجاء عُمَرُ فسَلّم عليه وقال له : يا أخي ، ما زِلْتُ أتشوّقُ إليك منذ بلَغني قَوْلُك :

إنّ لي عِندَ كلِّ نَفْحة بُستا ... نٍ من الوردِ أو من الياسمينا
نَظْرَةً والتِفاتةً أتمنّى ... أنْ تكوني حَلَلْتِ في ما يَلينا !

وكان لمالكٍ أخٌ اسْمُه عُيَيْنَةُ يبدو أنه كان مثلَه في الجمال وفي المغامرة . وكان له أختٌ بارعة في الجمال اسْمُها هِنْد ، من الاديبات وذوات الخبرة والحِنْكة والدهاء ، فشَغَلَتْ وُلاةَ العراقِ : تزوّجها عُبيدُ اللهِ بن زيادٍ (توفي ٦٧ ﻫ = ٦٨٦ م) ، ثم تزوّجها بِشْرُ بن مروان (توفي ٧٤ ﻫ=٦٩٣م) ، ثم تزوّجها الحجّاجُ وشُغِفَ بها على ما نَعْرِفُ من جِدِّ الحجّاج في الأمور وقَسوته في معاملة الناس .

وَلّى الحجّاجُ ، بعدَ زواجهِ بهِنْد ، مالكَ بن أسماء على إصبهان وولّى عُيَيْنَةَ على شيء من الجِبايات (في العراق في الاغلب) فظهر للحجّاج عليهما كِلَيْهما خِيانةٌ في الأموال فسَجَنَ مالكاً في الكوفة واشتطّ في تعذيبه حتّى كان لا يأذَنُ بأن يُسقى الماءَ إلا ممزوجاً بالمِلح والرَّماد[1] . ثم ان الحجّاج عفا عنهما إكراماً لأختهِما هند .

وكان لمالك بن أسماء شَعْرٌ طويلٌ جميل (ديوان المعاني ٢ : ١٦٢) ثم شاب وصار يَخْضِبُ بالحِنّاء (الامالي ٣ : ١١٢) قبل أن يَبْلُغَ الاربعين من العُمُر .

في العِقد الفريد[2] : « لمّا مات مالكُ بن أسماء .... قال الحجاج : ذلك عاشَ ما شاء ومات حينَ شاء » . فاذا نحن اعتمدنا هذه الجُمْلةَ وَجَبَ أن يكون مالكُ بن أسماء قد تُوُفِّيَ في أيام الحجاج ، وربما بعد سنة ٩٠ هـ (٧٠٨ م) ، وكان لا يزالُ فيه بَقيّةٌ من قوّة .

٢ – مالك بن اسماء بن خارجة شاعرٌ غَزِلٌ ظريفٌ مُكْثِرٌ ، وشعره فصيحُ الالفاظ سهل التركيب عَذْبٌ في التلاوة . وفنونه الغزل والخمريات ، وله شيء من العتاب القريب من الهجاء ، كما أن له أبياتاً سائرةً .

٣ – المختار من شعره :

– قال مالك بن أسماء في إحدى نسائه يستحسنُ كلامَها ، وكانت امرأتُه تلك تَلْحَنَ أحياناً (تُكْسِبُ كلامَها غُنّةً أو نَغَماً مخصوصاً) مَعَ أصابةِ المعني . وفَهِمَ الجاحظ اللَّحْنَ في هذه الابيات بمعنى الخطأ في القول (غ ١٦ : ٤٣ ، الاسطر ٥ – ١٢ ؛ البيان والتبيين ١ : ١٤٧ ، ٢٢٨) :

أمُغَطّىً مِني على بَصَري بالـ ـحبِّ ، أم أنتِ أكملُ الناسِ حُسنا؟
وحديثٍ ألَذُّه ، هو مما يَنْعَتُ الناعتون : يُوزَنُ وَزْنا .

---

١ الاغاني (طبعة الساسي) ١٦ : ٤٠ – ٤١ ؛ الامالي ٢ : ١٩٨ ؛ البيان والتبيين ٢ : ١٨١ .
٢ بتحقيق محمد سعيد العريان (توفي ١٩٦٤ م) ، القاهرة (مطبعة الاستقامة) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م ، ٣ : ٢١٥ .

مَنْطِقٌ صائبٌ ، وتَلْحَنُ أحيا   ناً ؛ وخيرُ الكلام ما كان لَحْنا !

— وله في اللهو (غ ١٦ : ٤٠ ، معجم البلدان ١ : ٨٦٥) :

حبّذا ليلتي بتَلّ بَـوَنّـا   حيث نُسقَى شرابنا ونُغنّى.
ومرَرْنا بنِسْوةٍ عَطِـرات   وغناءٍ وقَرْقَفٍ فنزَلْنـا [١] .
حيثُ ما دارتِ الزّجاجةُ دُرنـا   يَحْسَبُ الجاهلون أنّا جُنِنّـا
من شرابٍ كأنّه دَمُ جَوْفٍ   يتْرُكُ الشيخ كالفتى مُرْجَحِنّا [٢].

— كان مالك بن أسماء مُغْرَماً بالشّراب فنصحه الحجّاج بتركه فتركه مدّة ثمّ عاد اليه . وفي ذلك يقول :

ونَدمانِ صِدْقٍ قال لي بعد هَجْعة   من الليل : «قُمْ نَشْرَبْ»فقلت له : مَهلا [٣] !
فقال : « أبُخْلاً ، يا ابنَ أسماءَ ؛ هاكِها   كُمَيْتاً كريحِ المِسك تَزْدَهفُ العقلا » [٤]
فتابعته فيْ ما أراد ، ولم أكُـنْ   بخيلاً على النّدمانِ أو شَكِساً وَغْلا [٥] ؛
ولكنّني جَلْدُ القُوى أبْذُلُ النّـدى   وأشربُ ما أُعطَى ولا أقبلُ العَذْلا [٦] .
ضحوكٌ ، إذا ما دَبّتِ الكأسُ في الفتى   وغيّرَه سُكْرٌ — وان أكْثَرَ الجهلا [٧] .

٤ — ** الاغاني (طبعة الساسي) ١٦ : ٤٠ — ٤٤ .

الحجّاج بن يوسف الثقفي

١ — وُلِدَ الحجّاج بن يوسُفَ في سنة ٤٢ هـ (٦٦٠ م) في مدينة الطائف ، شرقَ مكّة ، ونشأ في أسرة مثقفة متعلمة : كان هو وأبوه وأخوه مُعَلّمين في الطائف . ثم ان الحجّاج ترك التعليم والتحق بالجيش الأموي ، وما زال يترقّى

١ القرقف : الخمر الباردة .
٢ ارجحن : مال واهتز .
٣ الندمان (بفتح أوله) : النديم الواحد (الذي يشارك غيره في مجلس الخمر) . وربما جاءت جمعاً . مهلا ! : استمع ، لا تدعني إلى ذلك ، اترك هذا القول أو العمل .
٤ كميت : حمراء اللون . تزدهف العقل : تستخف العقل ، تذهب به .
٥ الشكس : صعب الخلق ، سيء المعاشرة ، كثير الخلاف على من يعاشرهم . الوغل : النذل ، الساقط .
٦ العذل : اللوم .   ٧ الجهل : (الكلام القبيح ، الفج ، القاسي) .

في مراتبه حتى عَهِد إليه الخليفة عبد الملك بن مروان بقيادة جيش لمحاربة عبد الله ابن الزبير في مكّة . وكان عبد الله بن الزبير قد ثار على الدولة الأموية ونادى بنفسه خليفة في الحجاز والعراق ومصر . وانتصر الحجاج على ابن الزبير وخرّ ابن الزبير صريعاً في القتال في سنة ٧٣ هـ (٦٩٢ م) .

عندئذ ولّى عبدُ الملك الحجّاجَ على الحجاز واليمن فاستطاع الحجّاج في عامين اثنين (٧٣ – ٧٥ هـ) أن يُوطّد الأمن فيهما ويحملهما على طاعة بني أمية . فأضاف إليه عبد الملك من أجل ذلك الولاية على العراق (٧٥ هـ = ٦٩٤ م) .

وفي مدى عشر سنوات أقر الحجاج الأمن في العراق وقضى على الخوارج وعلى الثائرين على بني أمية وقام باصلاحات إدارية وعمرانية كثيرة ، منها : بناء مدينة واسط لتكون عاصمة له ، لأن الكوفة كانت شيعة لآل علي ولأن البصرة كانت شيعة لآل الزبير . ومسح العراق (قاسه وعين أماكنه وقيد الاملاك فيه) وكرى (أعاد حفر) الأقنية التي كانت قد طُمرت بالمعارك والحروب ، ووحّد المكاييل والمقاييس والموازين ، ونقل الدواوين (سجلات الحكومة) من الكتابة باللغة الفَهْلَوية (الفارسية القديمة) إلى اللغة العربية ، وسك العملة باللغة العربية ثم نظم الجيش فجعل الخدمة فيه اجبارية .

بعدئذ التفت الحجّاج إلى الفتوح فوجّه الجيوش إلى المشرق فَفَتَحَتْ بلْخ وطُخارستان وفرغانة (من أواسط آسية) وفتحت السند (غربي الهند) ووصلت إلى كاشغر على حدود الصين .

وبينما كانت الفتوح العربية في المشرق على أشد اتساعها توفي الحجاج لما وقعت في جوفه الأُكلَة (السرطان أو القرحة ؟) وذلك على الأغلب في رمضان ٩٥ هـ (٧١٥ م) فتوقفت الفتوح عند الحد الذي كانت قد بلغته .

ومات الحجاج ولم يخلف إلا سيفاً ومصحفاً وعشرة دراهمَ فضة .

٢ – كان الحجّاج من أعظم الرجال ، ذكره ابن خلدون في « الوزراء الذين عَظُمَتْ آثارُهم وعفَت على الملوك أخبارُهم » . فقد كان سياسياً قديراً وإدارياً حازماً ، وكان واسع المعرفة بالعلم وبالناس . ولكنه كان قاسياً شديداً في الحق .

وكان الحجّاج خطيباً بارعاً امتاز بجميع خصائص العصر من جزَالة اللفظ ومتانة التركيب وقِصَر الجمل والمُوازنة بينها . وكان السجع والصناعة في خطبه قليلين ، أما الاقتباس من القرآن الكريم خاصة ومن الشعر والأمثال فكثير . غير أنه فاق غيره في خطبه بأثر الحزم (فما هدّد في خطبه إلاّ نفّذ بعدها تهديده في من يُخالف أوامره) ، وبسعة الدراية بالناس ونفوذ بصره إلى دخائل نفوسهم .

٣ – المختار من خطبه :

– خطبته حين تولى العراق :

– ترك الحجّاج المدينة متوجهاً نحو العراق فوصل إلى الكوفة في رَمَضانَ من سنة ٧٥ هـ (كانون الاول ٦٩٤ م) . دخل الحجّاج المسجدَ فَرَقِيَ المِنْبَرَ وقرأ على الناس كتاب الخليفة بتوليته على العراق ثم ألقى خطبته المشهورة ، وسأوردها في ما يَلي مع الاحوال التي لابستها ، لأن تلك الأحوالَ تَكْشِفُ عن جانب من جوانبِ شخصية الحجاج وتدل على جانب من سياسته .

حدث عبد الملك بن عُمير الليثي ، قال :

بَيْنا نحن في المسجد الجامع بالكوفة – وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه – إذ أتى آتٍ فقال : « هذا الحجّاج قد قَدِمَ أميراً على العراق ! » فاذا به (بالحجّاج) قد دخل المسجد مُعْتَمّاً بعِمامة قد غَطّى بها أكثر وجهه ، مُتقلِّداً سيفاً متنكباً قوساً يَؤمّ المنبر .

فقام الناس نحوه حتى صَعِدَ المنبر ، (ثم) مكث ساعةً لا يتكلم . فقال (بعض الناس لبعض) : قبّح الله بني أمية إذ يستعملون مثل هذا على العراق . ثم قال عُمير بن ضابىء البُرجُمي : « ألا أحْصِبُه لكم » – يعني أرميه بالحصْباء (الحجارة) . وكان بعضهم قد أخذ حصىً يريد أن يحصبه بها – فقالوا : « أمْهِلْ حتى ننظرَ » .

فلما رأى (الحجاج) عيونَ الناس اليه حَسَّرَ اللِثامَ ونهض فقال :

(انا ابن جَلا وطَلاّع الثَنــايا ؛ متى أضَعِ العِمامةَ تعرِفوني) [١] .

يا أهلَ الكوفة ، إنّي لَأحْمِلُ الشرَّ بحمله ، واحذوه بنعله واجزيه بمثله . وإني لأرى أبصاراً طامحة وأعناقاً متطاولة ، ورؤوساً قد أينَعَت [٢] وحان قطافها وإني لَصاحبُها . وكأني أنظرُ إلى الدماء بين العمائم واللِحَى ترقرقُ .

(هذا أوانُ الشَدِّ فاشتدي ، زِيَمْ ؛ قد لَفَّها الليل بسوّاق حُطَــم ،
ليس براعي إبِلٍ ولا غنَم ، ولا بجزّار على ظهر وَضَم) [٣] .
(قــد لَفّهـا الليلُ بعَصْلَبِــيِّ أروعَ خــرّاجٍ مــن الــدَوِيّ
مُهاجرٍ ليس باعرابي) [٤] .
(قد شَمّرت عن ساقها فشُدّوا ، وجَدَّتِ الحربُ بكم فجِـدّوا .
والقوس فيهـا وَتَـرٌ عُــرُدٌ مثـلَ ذِراع البَكْر أو أشـدّ .
لا بُدَّ مما ليس منه بدّ) [٥] !

إني – والله – ، يا اهلَ العراق ومَعْدِن الشِقاق والنِفاق ومساوئ الأخلاق، ما يُقَعْقَع لي بالشِنان [٦] ولا يُغْمَز جانبي كتَغماز التين [٧] . ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء وفُتِّشت عن تجربة وجَرَيْت إلى الغاية القُصْوى . وان أمير المؤمنين – أطال الله بقاءَه – نثر كِنانته بين يديه فعَجَمَ عيدانها [٨] فوجدني أمرّها عوداً وأصلبَها مَكْسِراً فرماكم بي لأنكم طالما أوْضَعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسَنَنْتم سُنَنَ الغيّ .

أما والله ، لَألْحُوَنّكم لَحْوَ العصا ولَأقْرَعنّكم قَرْعَ المَرْوة ولأعْصِبَنّكم

---

١ البيت لسحيم بن وثيل الرياحي . ابن جلا : البين الرأي والامر – طلاع الثنايا (الطرق في الجبال) : المتغلب على الصعاب . وضع العمامة : رفع طرفها عن وجهه .
٢ اينع الثمر : نضج .
٣ يروى الشعر لرويشد بن رميض العنبري .الشد :الجري . زيم:اسم ناقة . حطم : الذي يجهد الناقة. وضم: قطعة خشب يقطع اللحام اللحم عليها .
٤ العصلبي : الشديد . اروع : ذكي الفؤاد . الدوي : الصحراء . مهاجر : (حضري) .
٥ عرد : شديد . البكر : ولد الناقة .
٦ اخوف باحداث الأصوات ورائي . الشن : الجلد اليابس .
٧ لا أسكت على الضيم .
٨ الكنانة : جعبة السهام . عجم العود : عضه ليختبر قوته وصلابته .

عَصْبَ السَلَمة ولأضْرِبَنّكم ضربَ غَرائبِ الابل [1] ، فانكم لَكَأهل « قرية كانت آمنةً مُطمئنةً يأتيها رِزْقُها رَغداً من كل مكانٍ ، فكَفَرَتْ بأنعُمِ الله فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون [2] » .

واني ، والله ، لا أعِدُ إلاّ وَفَيْتُ ، ولا أهُمّ إلاّ أمْضيت [3] ، ولا أخلُقُ إلا فَرَيْت [4]. فإياي وهذه الشُفعاءَ والزُرافات والجماعات وقالاً وقيلاً ؛ وما تقول ، وفيم أنتم وذاك ؟ أما والله، لَتَسْتقيمُنّ على طريق الحق أو لأدَعَنّ لكل رجل منكم شُغْلاً في جسده .

وإن أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعْطِياتِكم ، وان أوجِّهَكم لمحاربة عدوّكم مع المَهلّب بن أبي صُفرة . وأني أقسم بالله لا أجدُ رَجُلاً تخلّف بعد أخذ عَطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دَمَه وأنْهبت ماله وهدمت منزله .

لقد انطوت خطبة الحجاج هذه على ثلاثة أمور :

أ – تقريع لأهل الكوفة خاصة .

ب – طلب بالسير مع المهلب بن أبي صُفرة لقتال الخوارج .

ج – تصريح بأنه مخالف للولاة الذين سبقوه وانه سيعاملهم بالحزم والشدة .

* * *

واتفق ان تأخر عن الموعد الذي ضربه الحجّاج رجل شيخ اسمه عُمير بن ضابئ البرجمي [5] ، ثم جاء بعد ثلاثة أيام يُبدي عذراً من ضعفه . فأراد الحجاج في أول الأمر أن يعفوَ عنه ، ولكن ذكروا له ان هذا الرجل دخل على عثمان ابن عفّان مقتولاً فوطئ بطنه . عندئذ أمر الحجّاج بقتله وقال له : « ان في قتلك صلاحَ المسلمين » ، وأمر منادياً فنادى : ألا إن عُمير بن ضابئ أتانا بعد ثالثة – وكان قد سمع النداء – فأمرنا بقتله . ألا إن الذِمّة قد برئت من رجل رأيناه بعد هذا البعث متخلفاً .

---

١ لحا : قشر . المروة : الحجر . قرع : ضرب . السلمة : شجر ذو شوك ... يقصد الحجاج انه سيسير فيهم سيرة شديدة حازمة .

٢ القرآن الكريم ١٦ (النحل) ١١٢ .

٣ نفذ .

٤ خلق : قدر . فرى : قطع .

٥ الذي أراد أن يحصب الحجاج في المسجد قبل الخطبة .

– بعد ان استقر الحجاج في الكوفة وأرهب أهلها انتقل إلى البصرة وتوعّد أهلها خاصة وهددهم ، فقال :

أيها الناسُ : من أعياهُ داؤه فعندي دواؤه ، وَمَنِ استطالَ اجلَهُ فعليّ ان أعجلَهُ ، ومن ثَقُل عليه رأسُه وضعت عنه ثقْلَه ، ومن استطالَ ماضِيَ عُمُرِهِ قصّرت عليه باقيَه . إن للشيطان طَيْفاً وللسلطان سيفاً ، فمن سَقُمت سَريرتُه صحّتْ عقوبته ، ومن وضعه ذنبه رفعه صَلْبه ، ومن لم تَسَعهُ العافيةُ لم تَضِقْ عنه الهَلَكَةُ ، ومن سبقته بادرة فمه سبق بدنَه (؟) بسفك دمه .

إني أُنذِرُ ثم لا أُنظِر [1] ، وأُحَذّرُ ثم لا أعذُر ، وَأَتَوَعّدُ ثم لا أعفو . إنما أفسدكم ترنيقُ وُلاتِكم ، ومَنِ استرخى لَبَبُه [2] ساء أدبه . إن الحزمَ والعزمَ سلباني سَوْطِيَ وأبْدلاني به سَيْفِيَ ، فقائمه في يدي ، ونِجادُه [3] في عنقي ، وذُبابُه [4] قِلادَةٌ لمَنْ عَصاني . واللهِ ، لا آمُرُ أحدَكم أنْ يخرجَ من بابٍ من أبوابِ المسجِد فيَخْرُجَ من الباب الذي يليه إلاّ ضربتُ عنُقَهُ .

٤ ** – الحجاج بن يوسف ، تأليف ابراهيم الكيلاني ، دمشق ١٩٤٠ .
– الحجّاج بن يوسف الثقفي ، تأليف عمر فروخ ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م .
– الحجّاج بن يوسف ، تأليف خلدون الكناني ، دمشق ١٩٤٦ م .
– سيف بني مروان الحجّاج ، تأليف عبد الرزاق حميدة ، مصر ١٩٤٧ م .
– الحجّاج بن يوسف حاكم العراقين ، تأليف عمر أبي النصر ، بيروت (مكتبة الكشاف ومطبعتها) ١٩٣٨ م .
– جبار ثقيف الحجّاج بن يوسف ، تأليف رياض محمود رويحة ، بيروت (دار الأندلس) ١٩٦٣ م .
– الحجّاج – حياته وخطابته ، تأليف علي صافي حسين ، القاهرة (الدار القومية) بلا تاريخ .

---

١ انظر : اجل العقوبة وأخرها .
٢ ترنيق : ضعف . اللبب حزام صدر الدابة ؛ اشارة إلى ضعف الارادة .
٣ حمائل السيف .
٤ حد السيف .

الأخْطَل

١ – هو أبو مالك غِياثُ بن غَوْثٍ من بني عمرِو بن الفَدَوْكَسِ بنِ عمرِو بن مالك بن جُشَمَ بن بكرٍ من بني غُنْمِ بن تَغْلِبَ . وكانت أمّه تدعى ليلى وكُنيتها أمُّ كَعْبٍ .

وُلِدَ غِياثُ بن غَوْثٍ في الحيرة ، نحو سنة ٢٠ ه (٦٤٩ م) ونشأ فيها يقول الشعر مُغْرَماً بالهجاء ، وكانَ جريئاً على الناس سَفيهَ اللسانِ فلُقِّبَ بالأخْطَل . وكذلك كان له لقب في صغره ، هو « دوبل » [١] .

كان الاخطلُ نَصْرانياً ، غيرَ أن سُلوكَه ، كما يقول الأب هنري لامَنْس [٢] ، لم يكن مُتَّسِقاً مَعَ التقاليد المسيحية : لقد طلّق امْرأتَهُ ثم تزوّجَ امرأةً مُطلّقةً ؛ وأضاف ، فيما بعدُ ، إلى أهلهِ جاريةً أهداها اليه زِيادُ بن أبيه . وكذلك كان يعاشر القِيانَ . وكان القَسُّ يُعاقبه على أعماله فيَحْبِسُه أو يَضْرِبُه فيَسْتَخْذي بين يَدَيْه . ويقول نيكلسون [٣] : ان فضيلةَ النّصرانيةِ عندَ الأخطلِ كانت في أنّها كانت تَسْمَحُ له بشُربِ الخمر بالقَدْر الذي يريده .

ولم يَنْبُهِ الأخْطلُ ولا ذاع صيتُه إلاّ بعدَ اتصاله بِبَلاطِ بني أميّةَ في الشام .

اتّصل الاخطلُ بالبَلاطِ الأمويّ مرّتين :

شَبّبَ عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت برَمْلَةَ بنتِ مُعاويةَ فغضب أخوها يزيدُ وشكا ذلك إلى أبيه . وأراد مُعاويةُ أن يُعالِجَ هذه القضيّةَ بالحِلْمِ والدهاء – جرياً على عادتهِ في السياسة العامّة – فلم يَرْضَ يزيدُ وأرسل سرّاً إلى كعبِ بن جُعيلٍ وقال له : « ان عبدَ الرحمن بن حسّان قد فَضَحنا ،

---

١ القاموس (٣ : ٣٧٣ ، السطر الأخير) : « والدوبل الخنزير أو ولده ، وولد الحمار ، والذئب العرم (بفتح العين وكسر الراء) : الشرس ، الشديد الأذى ، ولقب الاخطل ، والثعلب » .
Lammens , in Enc . Isl . (first ed .) I 234 d .

٢ Enc . Isl . (first ed .) , I 235 a ، راجع أيضاً الاغاني ٨ : ٢٩٨ ، ٣٠٩ – ٣١٠ .

٣ A Literary History of the Arabs : Akhtal .

فاهْجُ الانصارَ » . فقال له كعبٌ : أرادّي أنتَ إلى الشرْكِ بعدَ الاسلام ؟ أأهجو قوماً نصروا رَسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم ؟ ولكنّي أدُلّك على غلامٍ منّا نَصرانيٍّ كافرٍ شاعرٍ » . ودلّه على الأخطل [1] .

فدعا يزيدُ بالأخطلِ وقال له : « اهْجُ الانصارَ » ، فقال له الأخطل : « أفْرَقُ (أخاف) من أمير المؤمنين (معاوية) ! » فقال له يزيد : « لا تخَفْ، أنا أحميك » . فقال الاخطل :

وإذا نَسَبْتَ ابْنَ الفُرَيْعَةِ خِلْتَه كالجَحْشِ بين حِمارةٍ وحِمارِ [2] .
لعن الالـهُ من اليهودِ عِصابةً بالجِزع بين صُلَيْصِلٍ وصِرار .
خلّوا المَكارِمَ لستمُ من أهْلِها ، وخُذوا مَساحيَكُمْ ، بني النّجّار [3] .
ذهبتْ قُرَيْشٌ بالمَكارمِ كلّها ، واللّؤمُ تحتَ عمائمِ الأنصار !

فلم يَرْضَ معاويةُ عن ذلك ، ولكنّ يزيدَ حمى الأخطلَ . ويبدو أن الأخطل بَقِيَ مَعَ يزيدَ أميراً ثم لَزِمَه في أيام خلافته . وبعد موتِ يزيدَ (٦٤ هـ) ترك الاخطلُ البلاطَ الأمويّ وعاد إلى مساكن قومه في الجزيرة .

بعدَ انتقالِ الخلافة الأموية من الفَرْعِ السّفياني إلى الفرع المَرواني وانتصار المروانيين على خُصومِهِم السياسيين كَثُرَ الهجاء عليهم من كلّ جانب ؛ فاحتاجَ عبدُ الملك بن مروان إلى شاعرٍ يردّ على شعراءِ خصومه فلم يَجِدْ إلاّ الأخطلَ فاستدعاه وأطلق له لسانَهُ على الانصار .

وقد كانتْ بينَ الاخطلِ وبين كَعْبِ بن جُعيل عداوةٌ (غ ٨ : ٢٨١–٢٨٢) ؛ ولكنّ الهجاءَ الذي اشْتدّ واسْتَطار كان بين جَريرٍ والاخطل :

قال الاصفهاني : « اجتمعَ الفَرَزْدقُ وجريرٌ والأخطلُ عند بِشْرِ بن مروان والي الكوفة (٧١ – ٧٣ هـ) – وكان بِشْرٌ يُغري بين الشعراء – فقال بِشْرٌ للأخطل : احكُمْ بين الفرزدقِ وجريرٍ .... فقال الأخطل : الفرزدقُ يَنْحَتُ من صخرٍ وجريرٌ يَغْرُفُ من بحرٍ . فلم يَرْضَ جريرٌ بذلك (لأن

---

١ الشعر والشعراء ٤١١ ؛ راجع أيضاً ، فوق ، ص ٣٨٤ .
٢ الفريعة أم حسان بن ثابت وجدة الشاعر المهجو .
٣ المساحي جمع مسحاة : أداة تسوى بها الأرض للزراعة . بنو النجار : أخوال والد الرسول صلى الله عليه وسلم . والأخطل يعير الانصار (أهل المدينة) بأنهم زراع فلاحون .

مَدارَ الشعرِ الجيّدِ في العصر الأموي كان صلابتَه لا سهولتَه) . فكان ذلك سبباً ظاهراً على الأقلّ للعداوة بين جريرٍ والاخطل[1] . ولعلّ العَصبيةَ والتكسّبَ كانا السببين الأساسيين لتلك العداوةِ ولذلك الهجاءِ . ثم اتّفق أن مُحمدَ بن عُطاردِ ابن حاجبِ بن زُرارةَ رشا الاخطلَ زِقاقَ خمرٍ وكساه حُلّةً على أن يفضّل الفرزدقَ ويهجوَ جريراً (غ ٨ : ١٧) ففعل . فقال جريرٌ يهجو الاخطل :

يا ذا الغَباوةِ ، إنّ بِشراً قد قضى ألاّ تجوزَ حُكومةُ النّشْوانِ[2] .
فدَعوا الحكومةَ ، لستُمُ من أهلِها ، ان الحكومةَ في بني شَيْبانِ[3] .
قتلوا كُلَيْبَكُمُ بِلِقْحةِ جارِهم. يا خُزْرَ تَغْلِبَ ، لستُمُ بِهِجانِ[4] !

فقال الأخطلُ يردّ على جرير :

ولقد تناسَبْتُمْ إلى أحْسابِكُمْ ، وجعلتُمُ حَكَماً من السّلطان ،
فاذا كُلَيْبٌ لا تُساوي دارِماً حتّى يُساوِىَ حَزْرَمٌ بأبانِ[5] .
وإذا وضعتَ أباكَ في ميزانِهِمْ رَجَحوا ، وشالَ أبوك في الميزان .

ثم استطار الهجاء بين جرير والأخطل .

وقد ظلّ الأخطل شاعراً لبني أميّةَ يمدحهم ويهجو خصومَهم حتّى مات سنة ٩٥ هـ (٧١٣ م) ، في خلافة الوليد بن عبد الملك .

٢ – أجمع النّقادُ على أن شعرَ الاخطل يُشْبِهُ شعرَ النابغة الذبياني للشّبَهِ بين حياتَيْهما : كانا كلاهما بَدَوِيَّيْنِ يعيشانِ في الحَضَر ، وكانا شاعرَيْ بَلاطٍ يتكسّبانِ بالمديح . وأغرم الاخطلُ بشعرِ النابغة فكان يقلّده في المعاني . وكذلك كان الاخطل يهذّب شعره . ويَبْرُزُ تقليدُ الأخطل للنابغة واضحاً في وصفه لنهرِ الفُراتِ وللثور الوحشي .

---

١ غ ٨ : ٣١٥ ، راجع ٨ : ١٧ – ١٨ .

٢ النشوان : السكران . الحكومة : التحكيم ، الفصل في الأمور الخلافية (الاختلاف بين الناس) .

٣ قتلوا كليب (سيد بني تغلب) لأنه قتل ناقة (راجع أسباب حرب البسوس في مواضعها) . اللقحة : الناقة.

٤ الخزر : الضيقو العيون (وهذه صفة من صفات الترك في أواسط آسية) : يعير بني تغلب بأنهم ليسوا عرباً . الهجان (هنا) : ذوي النسب المعروف .

٥ حزرم (بالزاي قبل الراء) جبل . وأبان (بفتح الهمزة) : جبل .– الملموح أن حزرم صغير و أبان كبير .

واشتهر الاخطل بمدح الملوك وصِفةِ الخمرِ خاصّةً ، كما أجادَ الفخرَ والهِجاء. وله حِكَمٌ قليلة .

مدح الأخطل الامويين مُشيراً إلى ماضيهِم وحقهمْ في الخلافة وعَظَمَةِ خلفائهم ، وتقرّبَ اليهم بهجاء الانصار خاصةً لأنهم كانوا خُصومَ بني أمية في الخِلافة . ولم يكن الأخطلُ معتقداً ما يقول ، ولكنّ مصلحتَه في التكسب منهم وفي الشهرة على أيديهم حملتْهُ على أن يَسْلُكَ تلك السبيلَ ، شأنُه في ذلك شأنُ النابغةِ من قبل .

وهجاءُ الاخطل مُقْذِعٌ (بذيء الكلام) على نحو ما كان معظمُ الهَجوِ في أيامه ، مؤلم لما فيه من المرارة وإصابة الغرض أحياناً . وكثيراً ما كان الأخطل يستعير فضائل قوم الفرزدق ليفتخرَ بها على جرير .

أما في الخمر فقد تأثر الأخطلُ في وصفها الأعشى فمدّ وصفها إلى حال السكران ، ثم وصف أدواتِها ومجالسَها وصفاً يسيراً . ولقد ساعدته نَصرانيته على ذلك إذ لم يكن بامكان الشعراء المسلمين أن يصفوها خوفاً من الحَسَدِ (العِقاب) ، وان كان بعضهم قد شربها . ومع ان الاخطل قد أطال وصف الخمر ، فان وصف الخمر قد ظل عنده «غرَضاً» من اغراض القصيدة ولم يصبح فناً مستقلاً بنفسه .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال الاخطل يمدح عبدَ الملك بن مروان ويهجو الانصارَ (أهلَ المدينة) وقيساً (عرب الشّمال) لأنهم كانوا أشياعَ عبد الله بن الزّبير ثم يُشيدُ باليمن (عرب الجَنوب) من أهل الشام خاصّة لأنهم وَقَفوا في صفّ الأمويّين عند قتال عبد الله بن الزبير . قال الاخطل :

خفّ القَطينُ فراحوا منك أو بَكَروا، وأزْعَجَتْهم نوىً في صَرْفها غِيَرُ [١].

١ خف (رحل) القطين (الساكنون) فراجوا منك (فارقوك في مساء أحد الايام) . أزعجتهم (حملتهم على الانتقال من مساكنهم الأصلية) . النوى : النية (القاموس ٤ : ٣٩٧ ، السطر ٢٠) ، قصد ، سبب . في صرفها غير : تنطوي على احداث ومصائب .

ثم يقول :

إلى امْرِيءٍ لا تُعَرِّينا نوافلُــهُ [1] أظفره اللهُ ، فلْيَهنأ له الظفرُ .
الخائضُ الغَمْرَ والميمونُ طـائرُه [2] خليفـةُ الله يُستسقى بـه المطر .
نفسي فِـداء أمـير المؤمنـين إذا أبدى النواجذَ يوماً عارمٌ ذكر [3] .
في نَبْعَةٍ من قريشٍ يَعْصِبون بها ، ما إنْ يُوازَى بأعلى نبتهـا الشجر [4] .
حُشدٌ على الحق عيّافو الخنا أُنُف إذا ألمّتْ بهم مكروهةٌ صبَروا [5] .
أعطاهمُ الله جَداً يُنصرون به ؛ لا جدّ إلا صغيرٌ ، بعدُ ، مُحْتقرُ [6] .
لم يأشَروا فيه إذْ كـانوا مواليـه ، ولو يكونُ لقومٍ غيرِهم أشِروا [7] .
شُمُسُ العداوةِ حتّى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدَروا [8] .
همُ الذين يُبارون الرياحَ إذا قلّ الطعامُ على العافين أو قتَروا [9] .
بني أميّةَ ، نُعْماكم مُجلّلَـةٌ تمّتْ فلا مِنّـةٌ فيها ولا كَدَر [10] .

---

١ لا نعرى من عطاياه : عطاياه دائمة .

٢ الغمر : الماء الكثير ، معظم البحر ، الأمر الشديد العظيم . الميمون : المبارك ، السعيد .

٣ ابدى النواجذ : ابدى أقصى أسنانه ، كناية عن اشتداد الأمر . العارم : الحادث العظيم . الذكر : الشديد .

٤ النبعة : مجتمع منبت القصب – هم أصل قريش . يعصبون ، بالبناء للمعلوم على الأصح ، أي يحمون من يلتجئ اليهم فيها . لا تبلغ الشجر (اشراف الناس) نبتهم (صغارهم) .

٥ حشد على الحق : مجتمعون عليه و على طلبه . عيافو الخنا : تاركون القول القبيح . ألم : نزل . مكروهة : مصيبة .

٦ جد : حظ . وكل حظ بجانب حظهم صغير محتقر .

٧ اشر : بطر .

٨ تظل عداواتهم شديدة حتى يتمكنوا من خصمهم . فاذا تمكنوا منه ورأوا انهم قادرون عليه عفوا عنه .

٩ يبارون : ينافسون (يزيدون على) الرياح (بالكرم) .العافي في القاموس : الذي يطلب العطاء ، ولعل الاخطل يستعملها هنا بمعنى « الذي يعطي » فيكون المعنى : إذا توقف الكرماء عن العطاء (لقلة المال و الطعام في أيديهم أو إذا أصابهم شيء من البخل) فأنتم تستمرون في العطاء ثم تكونون (في تلك الحال) أجود من الرياح الهابة .

١٠ مجللة : عامة ، تشمل جميع الناس . ثم ليس فيها منة (لا تذكرون الناس بفضلكم عليهم) ولا كدر (لا تؤذون الناس وانتم تتفضلون عليهم كأن تجعلوهم ينتظرون كثيراً أو تدفعوا اليهم العطايا على شكل مهين) .

بني أميّةَ ، قد ناضَلْتُ دونَكم أبناءَ قومٍ همُ آوَوْا وهم نصروا [1] :
أفْحَمْتُ عنكم بني النجّار – قد عَلِمتْ عُلْيا مَعَدٍّ – وكانوا طالما هَدَروا [2] .
فلا هَدَى اللهُ قيساً من ضَلالَتِهِمْ ، ولا لَعاً لبني ذَكْوانَ إن عَثَروا [3] .
كرّوا إلى حَرَّتَيْهِمْ يَعْمُرونَهما كما تُكَرّ إلى أوطانِها البقر [4] .
أمّا كُلَيْبُ بنُ يَرْبوعٍ فليس لهم عند التَّفارُطِ إيراد ولا صَدَر [5] .
وقد نُصِرْتَ ، أميرَ المؤمنين ، بنا لمّا أتاك ببطنِ الغوطة الخبر [6] ،
يُعرِّفونَك رأسَ ابنِ الحُبابِ ، وقد أضحى وللسيف في خَيْشومه أثر [7]

– قال الاخطل يفتخر بنفسه وبقومه ويهجو جريراً وقومه ويرفع شأن بني دارم قوم الفرزدق :

إنّا نُعَجّل بالعَبيط لضيفنا قبل العيال ، ونَقْتل الابطالا [8] .
أبني كُلَيْبٍ ، إن عمّيَّ اللذا قتلا الملوك وفكّكا الأغلالا [9] .

---

١ ناضلت : رميت بالنبال (هجوت) . أبناء قوم (الانصار) الذين آووا (الرسول) ونصروه (على قريش) .

٢ أفحمت (أسكت) بني النجار (شعراء بني النجار : الانصار) وكانوا طالما هدروا : خاروا وصوتوا كالثيران (طالما هجوكم) . علمت عليا معد : علم جميع العرب (انتشرت مدائحي فيكم وأهاجي في خصومكم بين جميع العرب) .

٣ بنو ذكوان : قبيلة من بني سليم كانت قد خرجت (ثارت) على بني أمية . لا لعاً لهم : لا أقال الله عثرتهم : لا أنهضهم من وقعتهم التي وقعوا فيها (انهزامهم وخسرانهم للخلافة) .

٤ كروا (رجعوا) إلى حرتيهم (قطعتين من الأرض البركانية قرب المدينة) يعمرونهما : يسكنونهما (مع أن الأرض الحرة لا تسكن ، ولكن لم يبق لهم أرض غير هذه يسكنونها) . كما تكر (ربما بضم التاء ، بالبناء للمجهول) : كما ترد البقر إلى أوطانها (مرابطها) سوقاً بالعصي .

٥ كليب بن يربوع : قوم جرير . التفارط : الذهاب إلى الماء . ليس لهم إيراد (استقاء من الماء) ولا صدر (رجوع بعد الاكتفاء من الماء) : لا حق لهم بالاستقاء والشرب لأنهم ضعاف أذلاء .

٦ و ٧ لما ورد اليك ، يا أمير المؤمنين ، الخبر إلى الشام بأن عمير بن الحباب السلمي القيسي (الذي كان ثائراً عليك) قد قتل ، فاننا نحن (بني تغلب) كنا قد قتلناه . الخيشوم : قصبة الأنف وما فوقها .

٨ نسرع بتقديم اللحم المذبوح حديثاً لضيوفنا قبل أن نقدم الطعام لأهلنا .

٩ اللذا = اللذان . يقصد بعميه : ابا حنش عصم بن النعمان الذي قتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو ، ثم عمرو ابن كلثوم الذي قتل عمرو بن هند ملك الحيرة ...

ولقد سما لكمُ الهُذيلُ فنالكم | بإرابَ حيثُ يُقسّم الأنفالا [1] ،
في فَيْلَقٍ يدعو الأراقمَ لم تكن | فرسانُها عزْلاً ولا أكفالا [2] .
ولقد جَشِمتَ ، جريرُ ، أمراً عاجزاً | ووهبت سَوءة أمّك الجُهالا [3] .
فانعقْ بضأنِك ، يا جريرُ ، فإنما | منّتْكَ نفسُك في الخلاء ضَلالا [4] :
منّتك نفسك أن تكون كدارم | أن أن تُوازن حاجباً وعِقالا [5] .
وإذا وضعتَ أباك في ميزانهم | قفزت حديدتُه إليكَ فشالا .
إنّ العَرارة والنّبوح لدارم | والمُستَخِفَ أخوهمُ الاثقالا [6] .
المانعيكَ الماءَ حتّى يَشْرَبوا | عفَواتِه ويُقسّموه سِجالا [7] .
وابن المَراغةِ حابساً أعيارَه | قَذْفَ الغريبةِ ما يَذُقْنَ بِلالا [8] .
وإذا سما للمجد فرعا وائلٍ | واستجمع الوادي عليك فسالا
كنت القَذى في لُجّ أكْدَرَ مُزْبِدٍ | قذفَ الأتيّ به فضَلّ ضَلالا [9] .

— وقال يصف حال السكران :

صريعُ مُدامٍ يرفَعُ الشَّربُ رأسه | لِيحيا ، وقد ماتت عظامٌ ومِفصَلُ [10] .

---

١ الهذيل : الهذيل بن هبيرة التغلبي ...
٢ الاراقم : قسم من بني تغلب . الاعزل : من لا سلاح معه . الكفل (بكسر الكاف وسكون الفاء) : الضعيف الجبان الذي لا يعرف ركوب الخيل ويحاول أن يهرب من المعارك .
٣ كلفت نفسك بأمر أنت تعجز عنه ، فكانت النتيجة ان اهانك الناس ...
٤ نعق : صاح . — انصرف إلى رعي الغنم .
٥ دارم وحاجب وعقال : أجداد الفرزدق . — هنا يفتخر الاخطل بقوم الفرزدق .
٦ العرارة : القوة والنجدة في القتال . النبوح : العدد الكثير . والمستخف بالفتح أو بالجر . المعنى: وكذلك الذي يقوم عن قومه بالمكارم هو من بني دارم أيضاً .
٧ عفوات الماء : فيضه وكثرته . سجال جمع سجل (بفتح فسكون) : الدلو الكبير . المعنى : يأتون أول الناس فيشربون ويستقون ما دام الماء كثيراً فائضاً ، ثم يقسمون الباقي بين الناس سجلا سجلا .
٨ ابن المراغة : جرير . اعياره جمع عير (بالفتح) : حمار . الغريبة : الناقة التي ترعى في غير قطيعها . المعنى : يظل جرير منتظراً بحميره حتى ينتهي بنو دارم؛ فاذا حاول أن يتقدم قبل ذلك قذفوه بالحجارة فتظل حميره لا تذوق قطرة ماء تبل به حلقها .
٩ فرعا وائل : بكر وتغلب . واستجمع ... : إذا هجم بنو وائل كالسيل العظيم . القذى : الأوساخ التي تطفو على وجه السيل . اللج : معظم الماء ، وسطه . اكدر : ممزوج بالتراب لاتساعه وشدته . مزبد من سرعته وقوة اندفاعه . به : بالقذى . الأتي : السيل لعظيم .
١٠ صريع مدام : سكران من الخمر . الشرب : الذين يشربون الخمر معاً . — يحركونه فلا يتحرك .

تُهـاديه أحيـاناً وحينـاً تَـجرّه ، وما كاد إلا بالُحشاشة يَعْقِـل [1] .
إذا رفعوا عظماً تحـامل صدرُه ، وآخرُ ممـا نال منها مُخبّل [2] .
فقلت: « اصبَحُوني ، لا أبا لأبيكُم ُ! » وما وضعوا الأثقالَ إلاّ ليَفْعلوا [3] .
أناخوا فجرّوا شاصيـاتٍ كـأنهـا رجالٌ من السودان لم يَتسرْبَلوا [4] .
وجاءوا ببَيْسانية ٍهيَ بعدَ مـا يُعَلّ بها الساقي ألذّ واسهَل [5] .
فصبوا عُقاراً في الإناء كأنها ، إذا لمحوها ، جُذوة تتأكّل [6] .
تَمُرّ بها الأيدي سَنيحاً وبارحاً ، وتُوضَعُ باللّهُم حَيٍّ وُتحمَل [7] .
تَدِبّ دَبيباً في العِظامِ كأنـه دَبيبُ ِنمالٍ في نَقاً يتهيّل [8] .

– قال يصف الثور الوحشي في ليلة باردة :

فبات في جَنْبِ أرطـاةٍ تُكَفّئـه ريحٌ شآميـةٌ هبّت بأمطـار [9] .
يجول ليلتَـه والعيْن تضرِبـه منها بغيثٍ أجشّ الرعدِ تيّار [10] .

---

١ تهاديه ... تجره أو تهاديه ... تجره . هاداه : اسنده فسار متمايلا . جره : سحبه بيده أو برجله أو برأسه . الحشاشة : بقية النفس في الصدر (قبل الموت) . عقل : فهم ، وعى .
٢ إذا أمسكوا بعضو من أعضائه فرفعوه ارتفع . أما سائر أعضائه فقد نالت منهـا الخمر فخدرتها حتى لا تتحرك .
٣ ومع ذلك فقد قلت لهم اسقوني الخمر صباحاً ؛ مع انهم هم لم ينيخوا الجمال ويفكوا أحمالها إلا ليقدموا لنا الخمر .
٤ الشاصية : يظهر انها وعاء من جلد أسود . يشبه وعاء الخمر الاسود بالزنجي العاري .
٥ بيسان في غور الأردن الاعلى ، أي بخمر من بيسان . عله يعله : سقاه شيئاً فشيئاً . اسهل : لينة في الشرب . يعل (بالبناء للمجهول) : يذوق منها الساقي (الجميل) .
٦ العقار : الخمر . الجذوة : القطعة الملتهبة من الحطب .
٧ سنيحا وبارحا : من اليمين ومن الشمال . وتوضع باللهم ......: توضع الكأس وترفع إلى الفم بالدعوة الصالحة (اللهم ، يا الله) .
٨ يشعر شارب تلك الخمر انهـا تتمشى في عظـامه بلطف وبطء . من خصائص النقـا – الرمل الابيـض – انه يتهيل (ينهـار تحت الارجل بسرعة وبأقل مس) ، ولذلك تترفق النملة إذا سارت عليه (؟) .
٩ أرطاة وأرطأة : نوع من الشجر الكبير . تكفئه : تدفعه من هنا ومن هنا . شآمية : شامية ، من ناحيـة الشام ، غربية بالنسبة إلى الجزيرة ، أي اعالي العراق .
١٠ يدور طول الليل لا يجد ما يكنه ويحميه من البرد والمطر . العين : السحاب ، أي يصيبه السحاب بمطر شديد رعده كثير عظيم الصوت . هـذا المطر تيار : يأتي من كل مكان إذ تتلاعب به الرياح الشديدة .

إذا أراد بهـا التغميضَ أرّقـــه ... سيلٌ يدِب بهدْم التُربِ موّار [1] .
كـأنه إذ أضـاءَ البرقُ بهجتَه، ... في أصفهانية أو مُطلّى قار [2] .
أما السَراةُ فمن ديبـاجةٍ لَهَقٍ ، ... وبالقوائمِ مثلُ الوشمِ بالنار [3] .
حتى إذا انجابَ عنه الليلُ وانكشفت ... سماوُه عن أديمٍ مُصْحِرٍ عـارِ [4] .
آنسَ صوتَ قَنيصٍ ، إذا حَسّ بهم ... كالجن يَهفُون من جُرْمٍ وأنمار [5] .
فانصاع ، كالكوكب الدُرّيّ ميْعتُـه ، ... غضبانَ يَخلِطُ من مَعْج وإحضار [6]
فأرسلوهن يُـذرينَ الترابَ كمـا ... يُذري سبائخَ قطنٍ ندفُ أوتار [7] .
حتى إذا قُلت نالتـه سوابِقُهـا ... وأرهقتْـــه بأنيـابٍ وأظفـار
أنحى اليهن عيناً غيرَ غافلـة ... وطعنَ مُحتَقِرِ الأقرانِ كرّار [8] .

٤ – شعر الاخطل رواية اليزيدي عن السكّري (صالحاني) ، بيروت (الكاثوليكية) ١٨٩١ م .

– شعر الاخطل مرسوم بتصوير النور وطبع الحجر (غريفيني) ، بيروت (الاباء اليسوعيين) ، ١٩٠٧ م .

---

١ لا يستطيع ان يستلقي أرضاً فينام ، لأن السيول الشديدة تجرف التراب حوله ومن تحته أيضاً . المواز : السيل يتردد يمنة ويسرة بشدة .

٢ – أسود : حالك السواد . الأصفهانية : ثوب حرير اسود . مطلى قار : مطلي ، مدهون بالزفت .

٣ السراة : الظهر . ديبـاج ، بفتح الدال وكسرها : الحرير الفاخر . لهق : شديد البياض . وكـأن أرجله موشومة بالنار ، لأن الثيران الوحشية (نوع من الغزال) تكون ارجلهـا مخططة بدوائر أفقية بيض وسود .

٤ في الصباح صحا الجو وصفت السماء من الغيم .

٥ آنس صوت قنيص : أحسن بصوت صيادين . وضمير النسوة يعود على جماعة الثور الوحشي . – شعر هذا الثور ان الصيادين يهفون أي يسرعون نحوه كالجن من جرم : من كثرة أصواتهم وعلوها ، ومن أنمار : من اختلاف ألوانهم وأشكالهم . وضبطت جرم بالكسر على انها وأنماراً قبيلتان ، وفي ذلك تكلف شديد . والبيت معقد ككثير من أبيات الأخطل .

٦ انصاع : انفتل . الميعة : أول الجري . المعج : الاسراع . الاحضار : ارتفاع الفرس في عدوه – أي كان مضطرباً لا يدري كيف يجب أن يهرب فيركض إلى هنا وهنالك .

٧ أطلق الصيادون كلابهم على الثور ، فأسرعت نحوه تقذف التراب بأرجلها كما تطير قطع القطن إذا ندفنا القطن بالقوس الخاص به .

٨ لما وصلت الكلاب إلى هـذا الثور وظن الظان انهـا ستمزقه بأنيابها وأظفارها دار نحوها وهجم عليهـا يطعنها بقرنيه .

– الشذر الذهبي في شعر الاخطل التغلبي (صالحاني) ، بيروت ١٩٢٥ م .
– نقائض جرير والاخطل لمحمد بن حبيب [١] (حرّرها الاب أنطون صالحاني) بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٢ م .
•• – رأس الأدب المكلّل في حياة الاخطل ، تأليف عبد الرحيم محمود مصطفى ، مصر ١٩١٠ م .
– الاخطل ، تأليف فؤاد أفرام البستاني ، بيروت (الكاثوليكية) ١٩٣٧م .
– الاخطل شاعر بني أمية ، تأليف مصطفى غازي ، الاسكندرية (دار نشر الثقافة) ١٩٥٧ م .
– الاخطل ، تأليف حنا نمر ، بيروت .

— Le Chantre des Omiades, notes biographiques et litteraires sur le poète arabe chrétien Ahtal, par Henri Lammens (Extrait du Journal Asiatique) .... Beyrouth 1891 .

– الاخطل ، بقلم خليل مردم (م م ع ٣٣ : ١٧٧) .
بروكلمان ١ : ٤٥ – ٤٩ ، الملحق ١ : ٨٣ – ٨٤ ؛ زيدان ١ : ٢٨٤ – ٢٨٨ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٧٠ – ١٩١ .

أبو دَهبَل الجُمَحيّ

١ – هو أبو دَهْبَل وَهْب بن زَمْعة بن أسيد من بني جُمَح من كعب بن لُؤيّ بن غالب من أهل مكّة ، وأمّه من بني هُذيل .

كان أبو دَهْبَلٍ جميلاً له جُمّةٌ يرسلها فتصل إلى مِنْكَبَيْه . وقد كان سيداً من أشراف قومه كريماً . وكانت له أرضٌ بمِصْرَ يزورها .

وأبو دهبل شاعر عفيفٌ بالاضافة إلى أهل زمانه ، وقد كانت له مُغامراتٌ : أحبّ امرأةً من قومه اسمُها عَمْرةُ ونظم فيها شعراً كثيراً ، ثم كانت له قصّة مع عاتكة بنت معاوية جرّت وراءها ذُيولاً طِوالاً . وكذلك كانت قصة مع امرأة شامية انتهت بزواج .

١ نسب الأب أنطون صالحاني هذا المجموع إلى حبيب بن أوس أبي تمام .

كان عبد الله بن الزبير قد ولّى عبدَ الله بن عبد الرحمن بن الوليد ، ويُعْرَف بابن الأزرق ، على بلد باليمن اسمه الجَنَدُ ، فوفد عليه أبو دهبل مادحاً فوجد منه جَفْوةً فمضى إلى عُمارة بن عمرو بن حزم ، وكان والياً على حَضْرَمَوْتَ من قِبَلِ ابن الزبير أيضاً . ثم إنه عاد إلى ابن الازرق وأكثرَ من مدحه ، ويبدو انه بَقِيَ في ذلك الحين مدة طويلة في اليمن .

وبعد أن عاد أبو دهبل من اليمن وَفَدَ على سليمان بن عبد الملك بمكّة ، سنة ٨١ هـ (٧٠٠ م) في الأغلب ، فلم يُحْسِنْ سليمانُ وِفادتَه وعاتبه في عداوته الماضية لبني أمية وانقطاعه إلى ابن الزبير . فاعتذر أبو دهبل عن ذلك كله ، فعفا عنه سليمان ولكنْ أقطعه أرضاً في اليمن إبعاداً له عن الشام والحجاز . ويبدو أن أبا دهبلٍ تُوُفّيَ في اليمن وشيكاً بُعيد سنة ٩٦ هـ (٧١٥ م) ، في أيام سليمان ابن عبد الملك .

٢ — أبو دَهْبَلٍ الجُمَحي أحد شعراءِ قريشٍ الخمسة المشهورين بدأ بقول الشعرَ منذ أواخر أيامِ الامامِ عليّ . وهو شاعرٌ حَسَنُ التشبيهِ عَذْبُ الشعرِ مُحْدَثُ الخصائص له تَصَرّف في فنون الشعر من فخر ومدح وهجاء ورثاء وطَرْدٍ وغَزَل ، وشعره في الغزل أكثرُ وأجود .

٣ — المختار من شعره :

— قال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحي يمدح الرسول (حماسة أبي تمّام ٢ : ٢٦١ — ٢٦٢) :

إنّ البيوتَ معادنٌ : فنِجارُه ذَهَبٌ ، وكلّ بيوتِه ضَخْمُ [١] .
عَقُمَ النساءُ فلم يَلِدْنَ شَبيهه، ان النساء بمثله عُقْمُ ،
مُتَهَلّلٌ بِنَعَمْ ، بلا مُتباعِدٌ. سِيّانِ منه الوَفْرُ والعُدْمُ [٢] !
نَزْرُ الكلامِ من الحياءِ ، تَخالُه ضَمِناً وليس بجِسْمِه سُقْمُ [٣] .

١ النجار : الاصل . ضخم : عظيم ، شريف . البيوت : القبائل ، مجامع النسب .
٢ متهلل : مشرق الوجه ، مسرور . بنعم : إذا قال نعم . بلا متباعد : يبتعد عن قول « لا » . الوفر : الغنى . العدم : الفقر .
٣ ضمن : سقيم .

– وقال في مقتل الامام الحسين والتعريض ببني أمية :

تَبيتُ سُكارَى من أميّةَ نُوّماً وبالطّفِّ قَتْلَى ما يَنام حَميمُها [1] .
وما أفسدَ الإسْلامَ إلا عِصابةٌ تأمّرَ نُوكاها ودامَ نَعيمُها [2]
فصارت قناةُ الدين في كفّ ظالمٍ إذا اعوَجّ منها جانب لا يُقيمها [3] .

– وله في الغزل (حماسة أبي تمام ٢ : ١٠٧ – ١٠٨ ، غ ٧ : ١٤٣) :

أأتْرُكُ ليلى ليس بيني وبينَها سوى ليلةٍ ، إنّي إذاً لَصَبور [4] .
هَبوني امْرَأً منكم أضَلّ بعيرَهُ له حُرْمَةٌ ، ان الذِمامَ كبير [5] .
ولَلصّاحبُ المَتْروكُ أعظمُ حُرْمَةً على صاحبٍ من أن يَضِلَّ بَعير .
عفا الله عن ليلى الغَداةَ فإنّها إذا وَلِيَتْ حُكْماً عليَّ تَجور .

– وقال في عَمْرة (من قصيدة طويلة) :

تطاولَ هذا الليلُ ما يَتَبَلّجُ ، وأعْيَتْ غَواشي عَبْرتي ما تَفَرّجُ [6] .
وبِتّ كئيباً ما أنام كأنّما خِلالَ ضُلوعي جمرةٌ تَتَوَهّج .
فطَوْراً أُمَنّي النفسَ من عمرةَ المُنى ، وطوراً ، إذاما لَجّ بي الْحُزْنُ ، أنْشِج [7]
لقد قطع الواشون ما كان بينَنا ، ونحن إلى أن يُوصَلَ الحبلُ أحوَج .

٤ – •• الاغاني ٧ : ١١٣ – ١٤٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٨٠ ؛ زيدان ١ : ٣٢٨ – ٣٢٩ .

F. Krenkow, JRAS, 1910, pp. 1017 — 1075; Enc. Isl. (new ed.) I 113 .

---

١ سكارى : فاعل « تبيت » . نوماً (حال من « تبيت ») : نائمين ، غافلين عن أمر الأمة . الطف : موضع قرب الكوفة كان فيه مقتل الحسين . حميمها : صديقها ، محبها .
٢ تأمر (نصب نفسه أميراً) نوكاها (الحمقى من أفرادها) .
٣ أأترك (زيارة ليلى) ... سوى (مسير) ليلة .
٤ أضل : أضاع . حرمة : حق في الحماية . الذمام : حق الصداقة والصحبة .
٥ ما يتبلج : ما يبيض فجره ، ما ينقضي هذا الليل . غواشي عبرتي : دموعي التي تنهمر بكثرة . أعيت : أعياني (استحال علي) أن أمنع هطولها . ما تفرج : لا تهدأ ، لا ينتهي بكائي .
٦ امني النفس : أعللها ، أعدها . النفس هنا مفعول به أول ، المنى مفعول به ثان .
٧ نشج : رفع صوته بالبكاء .

عَديُّ بن الرّقاع العامليّ

١ – هو أبو دُوَاد عَدِيّ بنُ زيدِ بنِ مالكِ بن عديّ بن الرقاعِ من بني مُعاويةَ بن الحارث من بني الحارث بن مُرّةَ بن أُدَدَ . وقومه يُنْتَسَبُون إلى عاملةَ بنت وَديعة القُضاعية أمّ مُعاوية بن الحارث . وكان عدي أبرصَ .

كان عديّ بنُ الرقاع العامليّ من أهلِ دِمَشْقَ مُنْقَطِعاً إلى بني أميّة ثم إلى الوليد بن عبد الملك خاصّة . وفي مجلس الوليد تعرّض عديّ لهجاء جَريرٍ فأفحمه جريرٌ (غ ٩ : ٣٠٧ – ٣٠٨) ، مَعَ أن عديّاً كان مشهوراً بالهجاء (راجع الكامل ١٤٩) . غير أنّ الوليدَ هدّد جريراً إنْ هو عاد إلى هجاء عديّ ، فعرّض جريرٌ بعَدِيّ في عدد من قصائده ، ولكن لم يَهْجُهُ صَراحةً . وعاش عديّ بن الرقاع العامليّ حتّى أدرك خِلافةَ سليمانَ بنِ عبد الملك (٩٦ هـ = ٧١٥ م) .

٢ – كان عديّ بنُ الرقاعِ العامليّ « شاعراً مُقَدّماً عند بني أميّةَ مدّاحاً لهم .... وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتِهِم » (غ ٩ : ٣٠٧) ، وكان يُعْنَى بتنقيحِ شعره ؛ ثم هو حَسَنُ التشبيه جيّد القول في الوصف [1] وفي الغزل مَعَ شيء من المُجون [2] . وكان يُحْسِنُ المديح والهجاء ، وله طَرْدٌ جيّد منه وصف بارع للحمامة (الكامل ٥٠٤) . وكذلك له شيء من الفخر والخمر والحكمة . على أن كُثَيّرَ بنَ عبدِ الرحمنِ العُذْرِيّ كان يقول في شعر عديّ ابن الرِقاع (غ ٩ : ٣١٦ س) : « هذا شِعْرٌ حِجازيّ مَقْرورٌ إذا أصابه قُرٌّ [3] الشامِ جَمَدَ وهَلَكَ » .

٣ – المختار من شعره :

– قال عديّ بن الرقاع قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك ويتغزّل فيها ويفتخر . وفي هذه القصيدة إشارة إلى أنه كان ينقّح شعره :

---

١ راجع الكامل ٥١٤ ؛ الموشح ٨٧ .

٢ راجع كتاب الصناعتين ٣٢٧ = ٣٣٧ .

٣ القر : البرد .

إني إذا ما لم تَصِلْني خُلّتي وتباعدت عني اغتفرت بُعادَها[1].
وإذا القرينة لم تزل في نَجْدةٍ من ضِغْنِها سئم القرينُ قيادها[2].
إمّا تَرَيْ شيبي تَفَشَّغَ لِمّتي حتّى علا وَضَحٌ يلوح سوادها[3]،
فلقد ثنيت يد الفتاة وِسادةً لي جاعلاً يُسرى يديّ وسادها .
وأصاحب الجيش العرمرم فارساً في الخيل أشهد كَرّها وطِرادها.
وقصيدةٍ قد بِتّ أجمع بينها حتّى أقوّم مَيْلها وسِنادها[4]،
نظرَ المُثَقِّفِ في كعوب قَناته حتّى يقيم ثِقافُه مِنآدها[5].
فسترت عيب معيشتي بتكرّم ، وأتيت في سَعة النعيم سِدادها[6].
وعلمت ، حتّى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لكي أزدادها!
صلى الآله على امرئ ودّعته وأتمّ نعمته عليه فزادها .
وإذا الربيع تتابعت أنواؤهُ فسقى خُناصرة الأحصّ فجادها[7].
نزل الوليد بها فكان لأهلها غيثا أغاث أنيسَها وبلادها[8].
ولقد أراد الله إذ ولاّكها ، من أمّةٍ ، إصلاحها ورشادها.
وعَمَرْتَ أرضَ المسلمين فأقبلت ، ونفيت عنها من يريد فسادها !

— وقال عديّ بن الرِقاع في الخمر (العقد الفريد ٤ : ١٠٤) :

---

١ الخلة : الصاحبة ، الخليلة .
٢ – إذا كانت زوجة المرء في نجدة (ضيق صدر وشدة) من ضغنها (من الحقد) كره زوجها قيادها (قيدها : ارتباطه بها) .
٣ فشغ : كثر . اللمة : الشعر في مقدم الرأس . وضح : بياض (الشيب) . لأح يلوح : لوح يلوح : غير ، بدل .
٤ الميل : الاعوجاج والاضطراب . والسناد من عيوب الشعر ، وهو أن يأتي في القافية كلمات مثل ريف (بكسر الراء) وصيف (بفتح الصاد) .
٥ ثقف القناة : جعل القصبة (التي ستكون رمحاً) فوق النار حتى يقومها إذا كانت منآدة (معوجة) .
٦ السداد (بكسر السين) : الكفاية من الرزق . – اكتفيت من النعيم بما يسد الخلة (بكسر الخاء) : الفقر ، فظهرت للناس كأني منعم .
٧ خناصرة الاحص : موضع قرب حلب . جادها : كثر فيها (المطر) .
٨ الانيس : المكان المسكون (المدن) . البلاد : الريف أو البادية .

كُمَيْتٌ إذا شُجّتْ،وفي الكأس وردةٌ، لها في عِظامِ الشاربين دَبيبُ [1] .
تُريكَ القَذى من دونِها،وهْيَ دونَه ، لوجهِ أخيها في الإناء قُطوب [2] !

– وقال عديّ بن الرقاع ، وذَكَرَ حمامةً (الكامل ٥٠٤) :

ومِمّا شجاني أنني كنت نائماً – أعلَّلُ من بَرْدِ الكَرى بالتَنسّمِ – [3]
إلى أن بَكَتْ ورقاءُ في غُصنِ أيْكَةٍ تَرَدّدُ مَبْكاها بحُسْنِ التَرنّمِ [4] .
فلَوْ قبلَ مبكاها بَكَيْتُ صَبابَةً بسُعْدى شَفَيْتُ النفسَ قبل التَنَدّمِ [5] ،
ولكن بكتْ قَبْلي فهاجَ لي البكا بكاها ، فقُلتُ : الفضلُ للمُتَقَدّمِ [6] !

٤ – ** الاغاني ٩ : ٣٠٥ – ٣١٧ ؛ الطرائف الأدبية (عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ؛ محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ٣ : ٢٧٣ – ٢٩٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٦ ،

Enc. Isl. (new ed.) I 196 .

---

١ كميت : مائلة إلى الاحمرار . شجت : مزجت بالماء . دبيب (كناية عن الخدر : فقدان الحس الذي يشعر به شارب الخمر تدريجاً) .

٢ تريك القذى الخ ... : انها لشدة صفائها ينعكس فيهـا القذى فتراه كأنه دونها (قبلها : بينك وبينها) ، مع أنها هي دونه (بعدها : هي بينك وبينه) (؟) . لوجه أخيها في الاناء قطوب : إنها شديدة حتى أن أخاها (المدمن لها) يظهر على وجهه القطوب (تقلص عضلات الوجه لطعمها المز الحريف – فما بالك بالذي لم يتعود شرب الخمر) .

٣ شجاني : حزنني (بفتح الحاء والزاي : جعلني أحزن) . أعلل الخ ... : يبدو أن الزمن كان في منتصف الصيف ، فكان يعلل نفسه (يمنيها ، يعدها) بأن يبرد الجو وشيكاً لينام ، ولكنه لم يكن يفوز من ذلك إلا بالنسمة الخفيفة بعد النسمة الخفيفة .

٤ الورقاء : الحمامة . الايكة : نوع من الشجر . بحسن الترنم – الترنم : ترجيع (ترديد ، تكرار) الصوت الواحد (وهذا التردد يكون عادة مملا) ولكن صوت هذه الحمامة كان شجياً (حزيناً) يؤثر في النفس فلا يضره التكرار .

٥ – (لم أكن أعرف من قبل ان البكاء يفرج الحزن عن المحب الذي هجره حبيبه) ، فلو أنني كنت أبكي كلما كنت أشعر بشوق إلى سعدى لكنت أشفي نفسي بالبكاء . أما الآن (بعد أن عرفت ذلك من هذه الحمامة) فانني نادم على أنني لم أعرف ذلك من قبل .

٦ هاج : هيج ، أثار ، حرك . البكا (مفعول به مقدما) . بكاها (فاعل « هاج ») .

العجّاج

١ ـ هو أبو الشَعثاءِ العَجّاجُ عبدُ اللهِ الطويلُ بنُ رُؤبةَ من بني مالكِ ابنِ سعدِ بنِ زيدِ مَناةَ بنِ تميمٍ. والشعثاءُ ابنَتُهُ يُكنَى بها.

وُلِدَ العجّاجُ في البصرة في أوائلِ خِلافةِ عُثمانَ (٢٣ ـ ٣٥ هـ) ونشأ فيها؛ وفي البصرة لَقِيَ العجّاجُ أبا هُرَيْرَةَ وسَمِعَ منه الحديثَ. وقد مَدَحَ العجّاجُ نَفَراً من بني أميّةَ كعبدِ العزيز بن مَروانَ وعبدِ الملك، ومدح الحجّاجَ أيضاً.

وكانت وفاةُ العجّاجِ نحوَ سنَةِ ٩٧ هـ (٧١٥ م) بعد أن فُلِجَ وأُقْعِدَ. وكان للعجّاجِ، سوى ابنَتِهِ الشعثاءِ، ولَدانِ ذَكَرانِ: رُؤبَةُ الراجزُ المشهورُ والقَطاميّ.

٢ ـ العَجّاجُ راجزٌ كثيرُ الغريبِ متينُ السبكِ مُطيل غيرُ مُكثِرٍ. وهو صحيحُ القوافي فقد قال أُرْجوزتَهُ «قَدْ جَبَرَ الدينَ الآلهُ فجَبَرْ» مائةً وثمانينَ شَطْراً مَوْقوفةَ القوافي (ساكنةً)، ولو أُطْلِقَتْ قوافيها (لو أظْهِرَتْ عليها الحركةُ) لكانتْ كلُها منصوبةً (غ ١٨ : ١٢٤). والعجّاجُ من الذين يَتَخَيّرونَ شِعْرَهم ولا يَقْبَلون كلّ ما يَجْري على لِسانِهِمْ، وقد عَدَّهُ الجاحظُ أرجزَ الناسِ (البيان والتبيين ١ : ٣٥٦)، وبالغَ المُرْتضى الزَّبِيدي فجَعَلَهُ أشْعرَ الناسِ (تاج العروس ٢ : ٧١).

والعجّاجُ بارعٌ في وصفِ الصحراء وما فيها من حَيَوانٍ، وفي وصفِ الإبِلِ خاصّةً؛ وعلماءُ اللغة كثيرو الاستشهاد بشعرهِ؛ ثمّ هو مُجيدٌ للمديح والفَخْر ـ وقد كانت بينه وبينَ أبي النّجم العِجْليّ الراجزِ مُفاخراتٌ كثيرة ـ غير مجيدٍ للهجاء؛ ولا رثاءَ له. وفي أشعاره نَفْحةٌ دينيةٌ وكثيرٌ من ألفاظ الاسلام.

---

١ كان فيها مائة وثمانون قافية. وهذه الارجوزة تدعى الغراء.

٣ – المختار من رجزه :

– قال العجّاج أرجوزةً يَشيعُ فيها نَفَسٌ دينيّ ، منها :

الحَمْدُ لله الذي اسْتَقَلَّتِ بإذْنِهِ السماءُ ، واطْمأنَّتِ
بأذنه الأرضُ وما تَعتَّتِ ، وَحَى لها القرارَ فاستقرّتِ[١] .
وشَدّها بالراسياتِ الثُبَّتِ ربُّ البلادِ والعبادِ القُنَّتِ[٢] ،
والجاعلُ الغَيْثَ غياثَ المُسنتِ ، والجامعُ الناسَ ليوم الموْقِتِ[٣]
بعدَ المماتِ ، وهو مُحْيِي المُوّتِ ؛ يوم ترى النفوس ما أعدّتِ[٤] ....

– وله في الغزل وفي حال الرجل الكبير مَعَ النساء :

إنّ الغواني قد غَنِينَ عنّي ، وقُلْنَ لي : عليكَ بالتغنّي[٥]
عنّا . فقلت للغواني : إنّي على الغنى وأنا كالمِظَنّ[٦] .
لمّا لَبِسْنَ الحقّ بالتجنّي غَنِينَ واستَبْدَلْنَ زيداً منّي[٧] :

---

١ وحى : أوحى ، ألهم . وحى اليها القرار : أشار إلى الأرض بأن تقر (تهدأ وتستقر فلا تضطرب) .

٢ الراسيات : الجبال . الثبت : جمع ثابت . شدها بالراسيات الثبت : جعل فيها جبالا رواسي حتى لا تميد ويختل توازنها – راجع القرآن الكريم ، في سورة النحل : « وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم (١٦ : ١٥) ثم في سورة لقمان (٣١ : ١٠) وسورة الأنبياء (٢١ : ٣١) . القنت جمع قانت : الحسن العبادة .

٣ الغيث : المطر . غياث : معونة ، انقاذ (أغاثه : نجاه من الكرب والضيق) . المسنت : المجدب ، الذي أمحلت أرضه فلم تنبت شيئاً . الجامع الناس : باعث الناس من القبور وجامعهم في مكان واحد يوم الموقت (يوم القيامة) .

٤ الموت (غير موجودة في القاموس) جمع ميت (بسكون الياء) : ضد الحي . يوم ترى النفس في الآخرة (يوم القيامة) ما (كانت قد) أعدت (من الأعمال الصالحة في الحياه الدنيا) لهذا اليوم . – هذا المعنى كثير الورود في القرآن الكريم ، راجع مثلا سورة آل عمران (بكسر العين) : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً (بضم الميم وفتح الضاد) ؛ وما عملت من سوء (محضراً أيضاً ، وعندئذ) تود (بفتح الواو) لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » (٣ : ٢٩) .

٥ الغانية : المرأة الجميلة المستغنية بجمالها (وشبابها) عن التجمل بالحلي . غني وتغنى : استغنى عن الشيء .

٦ الغنى : التزويج . المظن : الذي يكون موضعاً للتهمة أو اهلا للشيء (أريد الزواج ، ولعلي أصلح) .

٧ لبسن الحق بالتجني : خلطن الحق بالباطل . التجني : تهمة المرء بما هو براء منه (كان في رفضهن الزواج بي شيء من الحق لتقدمي في السن وشيء من الظلم والباطل لأني لا أزال على شيء كبير من النشاط) .

غُرانِقـاً ذا بَشَرٍ مكـتَنّ يَرْضى ويُرضيهن بالتمنّي [1] —
إذ شاب رأسي ، ورأين أني حَنّى قَناتي الكِبَرُ المُحَنّي [2] ...

— ثار أبو فُديك عبدُ الله بن ثورِ بن سَلَمَةَ أحدُ بني سعدِ بنِ قيسٍ من بني بكر بن وائلٍ في أتباعه من الحَرورية (الخوارج) في البحرين (شرقي بلاد العرب) ، فأرسل اليه عبدُ الملك بن مروان ، سنة ٧٢ هـ ، أميةَ بنَ عبد الله ابنِ خالدٍ ، فهزم أبو فُديك أميةَ وأخذ أمواله وأحماله وحَرَمَهُ (نساءه) أيضاً . ثم ان عبد الملك أرسل إلى أبي فديكٍ جيشاً بقيادة عُمرَ بنِ عُبيدِ الله بن مَعْمَرٍ فقاتل أبا فديك في البحرين فتغلّب عليه وقتله وقتل من كان معه من أتباعه ، سنة ٧٤ هـ (٦٩٤ م) ، واستنقذَ حَرَمَ أميّةَ بن عبد الله [3] . فقال العجّاجُ أرجوزةً يمدحُ بها عُمرَ بنَ عبيدِ الله ويهجو فيها بكر بن وائل من بني ربيعة ، ثم خرج مُتَحَفّلاً (متزيناً) عليه ثيابٌ حسانٌ يركبُ ناقة كَوْماء (سمينة عظيمة السنام) حتّى وقف بالمِرْبَد في البصرة فأنشدهم تلك الأرجوزة ، وكانت تسمّى « الغَرّاء » . تبلغ هذه الارجوزة مائةً وثمانين شطراً (تسعين بيتاً مزدوجاً) قافيتُها موقوفةٌ (ساكنة) ، ولو حُرّكت لكانت كلّها مفتوحةً ، وفي ذلك براعةٌ ومقدرة لا تَخْفَيان . على أن في هذه القافية عَيْباً هو أنها تجمع قوافيَ ثقيلةً مشدّدة (نحو : برّ ، فرّ) وقوافيَ خفيفةُ مهملة (نحو : شَكَرْ ، شجر ، غفر) . من هذه الأرجوزة :

قد جَبَرَ الدينَ الآلهُ فجَبَرْ وعوّرَ الرحمنُ مَنْ ولّى العَوَرْ [5] .

---

١ الغرانق (بضم الغين) : الشاب التام الشباب . البشر : ظاهر جلد الإنسان . المكتن : المكنون ، المستور (الذي لم يعرض جسمه للعمل المجهد فاحتفظ بنشاطه الجسماني) . التمني : الكذب (يبالغن في ادعاء الحب له فيخدع نفسه بذلك ويرضاه منهن ، ويبالغ هو في وصف شبابه وغناه فيخدعن أنفسهن بذلك ويرضينه منه) .

٢ القناة : القصبة والرمح . حنى قناتي (قامتي) الكبر (التقدم في السن) المحني (الذي من عادته أن يحني قامة كل من يتقدم في السن) .

٣ الطبري ٧ : ١٩٤ — ١٩٥ ثم ٢٠٥ — ٢٠٦ . كانت وفاة عمر بن عبيدة الله بن معمر سنة ٨٢ هـ(٧٠١م).

٤ الشعر والشعراء ٣٨٢ ؛ غ ١٠ : ١٥٢ .

٥ جبر الطبيب الكسر (بفتح الجيم) : أصلحه ، رده إلى أصله . جبر الكسر (بضم الراء) : صلح ، عاد إلى أصله . عور الغنم : عرضها للضياع . وعور (هنا) : أهلك ، أباد . من ولى العور : (من عمل على أن تفسد الأمور ويعم الاضطراب) .

فالحمدُ للهِ الذي أعطى الحَبَـر   مَواليَ الحقِ ، أنِ المَولى شكر [1] :

عهدَ نبيٍّ مـا عفـا وما دثر   وعهدَ صِدّيقٍ رأى بِرّاً فبرّ [2] ،

وعهدَ عُثمانَ وعهداً من عُمَـرْ   وعهدَ إخوان هُمُ كانوا الوَزَر [3] ،

وعُصبةَ النبيِّ إذ خافوا الحَصَـر   شدّوا له سُلطانَه حتّى اقتَسَر [4]

بالقتـلِ أقواماً وأقوامـاً أسَر ،   تحتَ الذي اختارَ له اللهُ الشّجَرْ [5]

---

١ أعطى الحبر (السرور) لموالي الحق : رد الحق إلى أصحابه (إلى الدولة الأموية باهلاك الخوارج) . أن (بفتح الهمزة ، أو إذ) المولى (الله) — . شكر الله الانسان (بنصب الانسان على أنه مفعول به) : جازاه (القاموس ٢ : ٦٣) عن (الفعل الجميل والطاعة) .

٢ عهد نبي : وصية رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (بمحاربة أصحاب الضلال) . عفا امحى : نسي (بالبناء للمجهول) . دثر : زال أثره . الصديق : أبو بكر خليفة رسول الله وأول الخلفاء الراشدين . رأى (وجد) براً (سبيلا إلى الطاعة بتنفيذ عهد رسول الله — في قتال المرتدين !) فبر (أطاع ، سار على خطى الرسول) .

٣ إخوان : أصحاب ، أنصار (سائر الصحابة) كانوا الوزر (الملجأ ، الذي حمى الدين ودافع عنه المنافقين والذين أرادوه بسوء) .

٤ العصبة : الجماعة . عصبة النبي : الذين كانوا حوله ينصرونه ويدافعون عنه ويحاربون معه ، من أهل مكة . راجع قول كعب بن زهير (فوق ، ص ٢٨٥) :

في عصبة من قريش قال قائلهم   ببطن مكة ، لما أسلموا : زولوا !

إذ خافوا الحصر : خافوا أن يمنعوا (بالبناء للمجهول) من دخول مكة ؛ إشارة إلى ما حدث في غزوة الحديبية (بضم الحاء ثم بكسر الباء وفتح الياء الثانية مهملة بلا تشديد) : في آخر سنة ٦ هـ (٦٢٨ م) خرج الرسول من المدينة يريد الحج ، فجمع مشركو مكة عدداً كبيراً من المقاتلين وعزموا على منعه من دخول مكة بكل سبيل ولقوه قبل أن يبتعد كثيراً عن مكة عند بئر اسمها الحديبية . فآثر الرسول أن يعقد مع المشركين هدنة ويعود إلى المدينة . شدوا له سلطانه : نصروه ، ساعدوه على تثبيت سلطانه (حكمه) أو أيدوا ، ثبتوا سلطانه بمعنى حجته (راجع القاموس ٢ : ٣٦٥ س) لأنه على الحق. اقتسر : غلب ، قهر .

٥ — (تغلب عليهم) فقتل أقواماً منهم (من المشركين المعاندين أعداء الاسلام) وأسر أقواماً آخرين ، (ثم من عليهم فأطلق سراحهم لما أسلموا أو لما قدموا للمسلمين فدية أو فائدة (بتعليم صبيان المسلمين القراءة والكتابة بعد معركة بدر ، سنة ٢ هـ ، مثلا) . تحت : (بقيادة) . الذي اختار له الله الشجر (أيده الله بالذين بايعوه تحت الشجرة في غزوة الحديبية) على أن يحاربوا معه المشركين وعلى ألا يفروا من القتال (راجع سورة الفتح ، السورة ٤٨ في المصحف ، في تفسير الآية ١٨) : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً » وما يليها .

مُحَمّداً ، واختــاره الله الخِيَــر ، فما وَنى محمّدٌ مُذْ أنْ غَـفَــر [1]

له الآلــهُ مــا مضى وما غَبر أنْ أظهرَ الدينَ به حتّى ظهر [2] .

هذا أوانُ الجِدّ إن جَدّ عمر وصَرّح ابنُ معمرٍ لِمَنْ ذَمَر [3] .

قد كنتَ من قومٍ إذا أُغْشوا العَسَر تَعَسّروا أن يَفْرِجَ اللهُ الضرَر [4] .

وزادَهُمْ فَضلاً ، فمَنْ شاء انتحر ، عَطيّةَ اللهِ الإلافَ والسُّــوَر [5] .

بكلِّ أخلاقِ الشُجاعِ قد مهــر مُعاوِدَ الإقدامِ قدْ كَرّ وفرّ [6] .

في الغَمَراتِ بعدَ مَنْ كَرّ وفــرّ ثَبْتٌ إذا ما صِيح في الناس وَقَر [7] ،

---

١ محمداً (بفتحتين في الأصل المطبوع ، ولعلهـا بكسرتين لأنهـا بدل من « الذي » في السطر السابق) . اختاره الله (من) الخير (جمع خيرة بكسر الخاء) أي الاخيار وخيار الخلق وأفاضلهم . (راجع القرآن الكريم في سورة الأعراف السابعة في المصحف ، الآية ١٥٤ أو ١٥٥ : « واختار موسى قومه سبعين رجلا » ، أي اختار من قومه سبعين رجلا) . ونى : فتر ، ضعف ، تعب .

٢ – غفر الله له (لمحمد رسول الله) ما مضى وما غبر : غفر الله له الذي مضى وغبر (تقدم من ذنوبه وبقي ، تأخر) .
– لقد أكرم الله رسوله محمداً بأن غفر له جميع ذنوبه لأن الله أظهر (أعلن ونشر) الدين (الاسلام) على يدي محمد حتى ظهر (انتصر ثم انتشر وساد في الدنيا) . في هذا البيت إشارة إلى أول سورة الفتح ، السورة الثامنة والاربعين في المصحف : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ... » .

٣ – الآن يجب الجد (العزم) في حرب أبي فديك الخارجي . ان جد عمر (إذا كان في عمر بن عبيد الله بن معمر جد) . لعل الاصوب : إذ جد عمر (لما جد عمر بمحاربة أبي فديك) . صرح : أعلن ، كشف (للناس) حقيقة الأمر (أمر أبي فديك) لمن ذمر (للذين حضهم على القتال) .

٤ – أنت من قوم إذا أغشوا العسر (إذا نزل بهم الضيق وعمهم) تعسروه (اشتدوا فيه ولم يذلوا لأحـد وحاولوا كشفه) أو (إلى أن) يفرج الله الضرر (الضيق) ويكشفه عنهم . في الأصل ، أن يفرج .

٥ وزادهم فضلا : زاد الله قوم عمر بن معمر فضلا فوق هذا الفضل أيضاً . فمن شاء انتحر : إذا غيظ أحد من أعدائهم لأنه لم يستطع أن يبلغ إلى مـا بلغوا اليه فليقتل نفسه إذا شاء ! عطية الله : أعطاهم الله الإلاف (الوعد والعهد بنصرهم وبحمايتهم – راجع سورة قريش ، وهي السورة ١٠٦ في المصحف : « لايلاف قريش .... وآمنهم من خوف ») . السور جمع سورة (بضم السين) : المنزلة (القـاموس ٢ : ٥٣ ، السطر ١٢) ، المكانة الرفيعة . وفي الشرح : السور سور القرآن (؟) .

٦ – قد برع في جميع الاعمال التي تنسب إلى الشجاع : الجرأة والكيد والصبر الخ ... وقد تعود الهجمات في الحروب مرة بعد مرة ...... الكر : الهجوم ..... الفر : رجوع (المحارب) من ميدان المعركة أو المبارزة من غير أن يستطيع خصمه أن يلحق به .

٧ الغمرة : الأمر الشديد الذي يغمر النـاس (يحيط بهم من كل جـانب) . الكر : الهجوم . الفر (هنا) : الفرار . ثبت : ثابت ، إذا مـا صيح في النـاس (الفرار ! الفرار ! لهول المعركة) قر هو (بقي ثابتاً في مكانه) .

واحتضرَ البأسَ إذا البأسُ حَضَــر – بمُجْمَعِ الروحِ إذاالحامي انْبَهَر [1]
يُمَكِّنُ السيفَ إذا الرّمحُ انـأطَر في هامةِ اللَّيْثِ إذا ما الليثُ هَرّ [2] .
لا قَدْحَ إن لم تُورِ ناراً بهَجَـر ذاتَ سَناً يُوقِدُها إذا افْتَخَــر [3]
مَنْ شاهدَ الأمصارَ مِنْ حَيِّ مُضَر [4] .
يا عُمرُ بنُ معْمَرٍ ، لا مُنْتَظر بعدَ الذي عدا القَروصَ فحَزَر [5]
واشْتَغروا في دينهم حتّى اشْتَغَــر من أمرِ قومٍ خالفوا هذا البَشَر [6] .
فاعْلَمْ بأنّ ذا الجلالِ قدْ قَدَر ، في الصُحُفِ الاولى التي كان سَطَر [7] ،
أمْرَكَ هذا فاحْتَفِظْ فيه النَتَــر وفَتْرَةَ الأمرِ ؛ ومُودٍ من فتر !

---

١ .... واحتضر (شهد) البأس (القتال الشديد) إذا البأس (الحرب) حضر (اشتد) بمجمع الروح (بنفس مجتمعة ، لا يهرب ولا يجبن) إذا الحامي (البطل الذي يعتمد الناس عليه في الدفاع عنهم) انبهر (انقطع نفسه وأخذه الربو : ضيق التنفس ، من الخوف) .

٢ – إذا انأطر (انثنى ، اعوج ، انكسر) الرمح يمكن السيف (يستخدم السيف ويضرب به ضرباً ثابتاً شديداً) في هامة الليث (الأسد : المقاتل البطل القوي الشجاع) . هر : كشر عن انيابه واستكلب على خصمه واشتد الخطر منه .

٣ – إذا لم تور (تشعل) ناراً (عظيمة) في هجر : إذا لم تشن معركة شديدة على أبي فديك تبيده بها وتبيد أتباعه فكأنك لم تشعل ناراً (كأنك لم تحارب قط) . ذات سنا : ذات ضوء عظيم (فتكون معركةعظيمة مشهورة) . يوقدها من افتخر ....

٤ .... من شاهد الامصار : إذا كان أحد في الامصار (جمع مصر : البلد الكبير ، المدينة) ثم أراد أن يفتخر ، فانه يفتخر بهذه المعركة . من حي مضر (إذا جاء إلى مكان يسكنه قوم من مضر – لأن أتباع أبي فديك الخارجي الذين انهزموا كانوا من بني ربيعة – مضر) . لا منتظر : لا سبيل إلى التريث والانتظار (والحلم) ....

٥ .... بعد أن جاوز هؤلاء الخوارج الحد ومرقوا من الدين (كفروا لما اعتقدوا رأي الخوارج) ، وخالفوا البشر (الكثرة من المسلمين ، جماعة المسلمين) . القارص : اللبن الذي يحذي (يقرص) اللسان بالحامض القليل الذي يبدأ فيه . حزر اللبن : اشتدت حموضته . جاوز اللبن القروص فحزر : مثل يضرب للرجل إذا أفرط في أقواله أو أعماله وجهل قدره والحد الذي يجب أن يقف عنده. – لا بد الآن من الاسراع في قتال الخوارج لأنهم مرقوا من الدين .

٦ واشتغروا (اختلفت آراؤهم) في الدين حتى اشتغر (الدين وكثر اختلاف رأي الناس فيه) . ذو الجلال : الله . قدر : قدر ، كتب ، أراد في سابق علمه . الصحف الأولى : الكتب المنزلة على الأنبياء قبل محمد رسول الله ،والصحف التي انزلت على ابراهيم وموسى . التي كان(الله)سطر : (منذ أن كانت مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل أن يوحي الله بها إلى الأنبياء الأولين) ....

٧ .... (قد قدر الله) أمرك هذا (قيادتك لهذه المعركة) فاحتفظ (احترس) من النتر (العجلة) : احذر (تجنب أن) يخرج منك أمر عن غير روية وتفكير ، أو أن يأخذك خصمك على حين غفلة .
واحذر أيضاً فترة الأمر (الكسل وهمود النشاط والتوقف عن متابعة القتال) . مود : هالك ، يهلك .

فأيْنما جَرَيْتَ أُعْطِيتَ الظَّفَــر شهادةٌ فيها طَهورُ مَنْ طَهَر ،
أو وقعةٌ تجلو عن الدين القَذَر ، أو شَرفاً يتِمّ نوراً قـد زَهَر
كما يتِمّ ليـلةَ البَدْرِ القمـر . لقد سما ابنُ مَعْمَرٍ حتّى اعتمـر
مغزىً بعيداً من بعيدٍ وضَبَرْ !

٤ – القصيدة الاولى من ديوان العجّاج :

Das erste Gedicht aus dem Dîwân al-Aǵǵâǵ (herausgegeben von Dr. Maximilian Bittner) , Wien (Alfred Hölder) 1896 .

•• ديوان العجاج – في

Sammlungen alter arabischen Dichter (Ahlwardt) II, Berlin 1903 .

الاغاني ١٨ : ١٢٤ – ١٢٥ ؛ ام الرجز بقلم محمد بهجة الاثري (م م ع ع المجلد ٨ ، عام ١٩٢٨ ، ص ٣٨٩ – ٣٩٤) ؛ بروكلمان ١ : ٥٦ – ٥٧ ، الملحق ١ : ٩٠ ؛ زيدان ١ : ٣٤٨ .

العُدَيل بن الفَرخ العِجليّ

١ – هو العُديلُ بنُ الفَرْخِ بنِ مَعْنٍ بن الأسودِ بن عمرِو بن عَوْفِ ابنِ ربيعةَ بن جابرِ بن ثعلبةَ من بني ربيعةَ بن عجلِ بن لُجيمٍ من بكر بن

١ – جعلك الله مظفراً أينما جريت (سابقت ، نافست ، حاربت) ، وذلك بأن تسقط شهيداً في القتال فيكون ذلك لك طهور (نقاء وغفران) لذنوبك.—وإما أن تظفر في وقعة (معركة) تجلو (تزيل) عن الدين القذر (الرجز ، الرجس، النجاسة) : تخلص الاسلام من بدعـة الخوارج؛ أو تصبح لك مكانة وشهرة (تامة : واسعة ، عظيمة) كأنها نورقد زهر (عظم ضوءه ولمعانه) .

٢ – كما يكون نور القمر ليلة البدر (في الليلة الرابعة عشرة من الشهر القمري (تاماً كاملا .. وقد سمت همة عمر بن عبيد الله بن معمر حتى اعتمر (قصد) ......

٣ ... مغزى : بلداً يغزو (يحارب) فيه . بعيد من بعيد : قصد مكاناً بعيداً (هجر ، البحرين ، في شرقي بلاد العرب) من مكان بعيد عنه (من الشام) . ضبر : جمع جمعاً كثيفاً ؛ أحكم أمره (غزوت بعدد كبير ، وهـذا بنفسه أمر صعب ، ثم رتبت ذلك العزو ترتيباً حكيماً صحيحاً مأموناً يقود إلى النصر !) .

وائلِ بن قاسطٍ من بني أسدِ بنِ ربيعةَ بنِ نزارٍ ، وقد كانت أمّه من بني شيبان .

كان العُديلُ بن الفَرخِ فارساً جريئاً غَدّاراً يشرب الخمر .

وكان العُديل بن الفرخ معروفاً بالشعر وبالغَزْو منذ أيام عبد الله بن الزبير [1] ثم برزت أعماله في أيام الحجّاج بن يوسف . وقد وقعت بين العديلِ وإخوته وبينَ ابْنِ عمٍ لهم يُدعى عمرو (بنَ معنِ بنِ الاسودِ بنِ عمرو) عداوةٌ ونَشِبَ بينَهم قِتالٌ جُرِحَ العُديلُ في أثنائه في رأسه فجاء إلى الشام فتداوى عند رَبْضةَ بنِ النُعمانِ الشَيْباني ؛ ويبدو أنَ العُديلَ قد مكث مدةً طويلةً في الشام حتى تَمّ شِفاؤه .

ورَجعَ العُديلُ من الشام قاصداً الحجّ فعَلِمَ ، في أثناء الطريق ، أن دابغاً (هو عبدٌ لعمرو ابن عمّ العديل ، وقد كان في القتال الذي جُرِحَ العديلُ في أثنائه) خرج للحجّ أيضاً وهو يأخذ طريق الشام . فجَدّ العُديلُ حتّى أدرك دابغاً وسايَرَهُ مُدّةً ثم غَدَرَ به وقتله . وبعث الحجاج رِجالاً للقبض على العُديل ، ففرّ العُديلُ إلى بلادِ الروم واستنجد بقَيْصَرَ [2] فأجارَهُ قيصرُ وأمّنه . عندئذٍ قال العُديلُ أبياتاً منها (في قِلّةِ المُبالاةِ بالحجّاج) :

أخَوّفُ بالحجّاج حتّى كأنّما | يُحرّكُ عَظْمٌ في الفُؤادِ مَهيضُ [3] .
ودونَ يدِ الحجّاجِ من أن تَنالَني | بِساطٌ لأيْدي الناعجاتِ عَريض [4] :
مَهامِهُ أشْباهٌ كأن سَرابَها | مِلاءٌ بأيْدي الغاسلاتِ رَحيض [5] .

---

١ قتل عبد الله بن الزبير سنة ٧٣ هـ = ٦٩٢ م ، ودخل الحجاج العراق واليأ سنة ٧٥ هـ .

٢ لعل ذلك كان في أيام طيباريوس الثالث الذي اغتصب عرش القسطنطينية عام ٦٩٨ م (٧٩ هـ) وبقي إلى عام ٧٠٥ م (٨٦ هـ) .

٣ — كانوا من قبل يخوفونني بالحجاج . وكنت إذا ذكر الحجاج أمامي أخاف وأتألم كأنما كان أحد يحرك في فؤادي (في جسمي). عظم مهيض (كسر بعد أن كان قد جبر مرة — ومس العظم المكسور يؤلم ألماً شديداً) .

٤ — و الآن أصبح بيني وبين الحجاج بساط عريض (مسافة طويلة جداً) لا تقطعه الناعجات (جمع ناعجة : الناقة البيضاء السريعة) ... من أجل ذلك لن تنالني الآن (لن تصل إلي) يد الحجاج .

٥ هذا البساط الواسع يتألف من مهامه (جمع مهمه ومهمهة : فلاة أو صحراء بعيدة الاطراف وبلد مقفر) أشباه : يشبه بعضها بعضاً ، ولذلك يضل السائر فيها ولا يهتدي . السراب : ما تراه نصف النهار كأنه=

ثمّ إنّ الحجّاج كتبَ بعد ذلك إلى قَيْصَرَ يَطْلُبُ إلَيْه أن يَرُدَّ العُديلَ ، فردّ قَيْصَرُ العُديلَ إلى الحجّاج . ولكنّ جماعةً من وجوه بني بكرِ بن وائلٍ جاءوا إلى الحجّاج ورَجَوْهُ أن يَعْفُوَ عَنِ العُديلِ فعفا الحجّاج عنه.

وقد اتّصلَ العُديلُ بيزيدَ بنِ المهلبِ ومدحه[1] ، كما كان في أواخر أيامه يُنادِمُ الفَرَزْدَقَ . ثم مات العُديلُ بن الفرخ ، نحو سَنَةِ ١٠٠ هـ (٧١٨ م) في الاغلب ، فرثاه الفرزدق .

٢ – العُديلُ بنُ الفَرْخِ العِجْليّ شاعرٌ إسلاميّ مُقِلّ في الدولة المَرْوانية ، له قصيدٌ ورَجَزٌ . وهو مُطيلٌ للقصائد متين السَّبْك ذو نَفَسٍ بَدَوِيّ ، ومعَ ذلك فإنّ بعض شعره فصيحٌ سَهْلٌ عَذْبٌ . وفنونُ شعره المدح والهجاء والغزل .

٣ – المختار من شعره :

– لما عاد العُديلُ من بلاد الروم وعفا عنه الحجّاجُ قال يمدح الحجّاجَ (من قصيدة طويلة في الاغلب) :

فلو كنتُ في سَلْمى أجا وشِعابِها   لكانَ لحجّاجٍ عليّ دليلُ[2] .
بنى قُبّةَ الإسلامِ حتّى كأنّما   هَدى الناسَ من بعد الضَّلالِ رَسولُ .
إذا جارَ حُكْمُ الناسِ ألْجأ حُكمَه   إلى الله قاضٍ بالكِتاب عَقولُ[3] .

= ماء (القاموس ١ : ٨١ س) . – سراب بأيدي الغاسلات رحيض (مغسول ، نظيف ، أبيض) : ترى بقع السراب في هذه الصحارى المترامية الاطراف (التي هي الآن بيني وبين الحجاج) كأنها ملاء (قطع من النسيج بيضاً مغسولة) لا معالم فيها يهتدى بها السائر (تتقلب في أيدي الغاسلات) لا تثبت على حال . حتى لو أن السائر في تلك الصحارى استطاع أن يجد أثراً ثابتاً يجعله أمامه ليحافظ به على اتجاه واحد في سيره، فان هذا الاثر يغيب أو يتبدل مكانه بعد قليل ،حينما يتبدل موقع الشمس في السماء فيتبدل مكان السراب وشكله على الارض) .

١ تولى يزيد بن المهلب على الكوفة من سنة ٩٦ إلى سنة ١٠٢ هـ (٧١٥ – ٧٢٠ م) . والملموح في الاغاني (الساسي ، ٢٠ : ١٣ ، السطران ١٣ و ٢١) أن العديل مدح يزيد بن المهلب في أثناء حياة الحجاج (توفي ٩٥ هـ = ٧١٤ م) .

٢ أجأ وسلمى : جبلان في بلاد طيء يصعب الوصول اليهما . الشعاب : جمع شعب (بكسر الشين) : الطريق في الجبل .

٣ الكتاب : القرآن الكريم . عقول : عاقل ، عارف ، عالم . – إذا ضل الناس في الحكم أصاب هو (أي الحجاج) ووافق حكمه الحكم الوارد في القرآن . (على أن الجملة « ألجأ حكمه إلى الله قاض » غامضة التخريج في الاعراب وفي المعنى) .

خليلُ أميرِ المُؤمنين وسَيْفُه ؛ لكلٍّ إمامٍ صاحبٌ وخليل !
بـه نَصَرَ اللهُ الخليفةَ منهم ، وثَبَّتَ مُلكاً كاد عنه يزول [١] .
فأنت كسَيْفِ الله في الأرضِ خالدٍ تَصولُ بعَوْن الله حين تصول [٢] .
وجازَيْتَ أصحابَ البَلاءِ بلاءَهم ، فما مِنْهُمُ عمّا تُحِبّ نَكول [٣] .
وَصَلْتَ بمَرّان العراق فأصْبَحَتْ مَناكبُها لِلْوَطْءِ وَهْيَ ذَلول [٤] .
أذَقْتَ الحِمام ابْنَيْ عُبادٍ فأصبحوا بمنزلِ مَوْهونِ الجَناح ثَكول [٥] .
ومِنْ قَطَرِيٍّ نِلْتَ ذاك ، وحَوْلَهُ كَتائبُ مِنْ رَجّالةٍ وخُيول [٦] .
إذا ما أتَتْ بابَ ابنِ يوسفَ ناقتي أتَتْ خيرَ منزولٍ بـه ونَزيل[٧] .
وما خِفْتُ شيئاً غير ربِّيَ وحْدَهُ إذا ما انْتَحَيْتُ النفسَ كيف أقول[٨] .
تَرَى الثَّقَلَيْنِ الجِنَّ والإنْسَ أصبحا على طاعة الحجاج حين يصول [٩] .

---

١ نصر الله الخليفة (عبد الملك) به (بالحجاج) منهم (من الخصوم والطامحين إلى الخلافة) .... كاد عنه يزول (بالحروب التي شنها عليه الخصوم كعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد الثقفي والخوارج) .

٢ خالد بن الوليد كان يسمى سيف الله لشجاعته وانتصاره على أعداء الاسلام . صال : سطا ، استطال (هاجم وتغلب) .

٣ جازيت : كافأت . أصحاب البلاء : الذين أبلوا في الحرب بلاء حسناً (قاتلوا بايمان ثم انتصروا) . بلاءهم : على قدر بلائهم (على قدر ما يستحقون) .

٤ – صدر البيت غامض . وصلت : اما أن تكون من وصل يصل أو من صال يصول . ومران (بفتح الميم وتشديد الراء) قرية قرب مكة ، و (بضم الميم وتشديد الراء) : الرماح . ويمكن أن يكون ثمت بيت محذوف أو أكثر من بيت . ولعل المعنى (وإلى تلك البلاد كالسند وما وراء النهر) وصلت بمران (بضم الميم) العراق ، أي بالجيوش المبعوثة من العراق ، فأصبحت أطراف تلك البلاد بلاد أمن يسهل التنقل فيها . ذلولة : خاضعة طائعة .

٥ الحمام : الموت . أذقت الحمام ابني عباد : قتلتهما (وتغلبت على من كان معهما) .ابنا عباد لعلهما عبدالله ومصعب ابني الزبير بن العوام (؟) . موهون الجناح : الخاضع الذليل . الثكول : الذي فقد ولداً له (الحزين) .

٦ وتغلبت أيضاً على قطري بن الفجاءه الخارجي . الرجالة : الجنود المشاة . الخيول : (هنا) الفرسان .

٧ ابن يوسف : الحجاج . خير منزول (عنده) وخير نزيل (ضيف ، يقصد المديل نفسه) . وفي نزيل اقواء لأنها هنا مجرورة وحقها الرفع . وربما : خير منزول به ونزيل : خير بيت وخير صاحب بيت (الحجاج).

٨ إذا ما انتحيت النفس : انتحيت بنفسي (خلوت بها ، كنت وحدي) . كيف أقول (غير الذي يقوله كل الناس ، غير الحق ، غير مدح الحجاج) .

٩ الثقلين : الجن والانس (جميع الخلائق) . حين يصول : حينما أصبح له الحكم والسلطان (؟) .

– قال العُديلُ بن الفَرْخ العِجليّ يفتخر بصنيع بني عجل في يوم ذي قار (نحو عام ٦١٠ م) يوم انتصر العرب على الفرس (العقد الفريد ٦ : ١٠٠) ·

ما أوقدَ الناسُ من نارٍ لمَكرُمَةٍ إلاّ اصْطَلَيْنا وكُنّا مُوقِدِي النّارِ[١].
وما يَعُدّون، من يومٍ سَمِعْتَ به، للنّاسِ أفضلَ من يومٍ بذي قار !
جِئْنا بأسلابِهِمْ، والخيلُ عابسةٌ، لمّا اسْتَلَبْنا لكِسْرى كلّ إسْوار[٢].

– بعد أن عفا الحجّاج عن العُديلَ بن الفَرْخ قال العديلُ قصيدةً، بارعة عَذْبة يتغزّل فيها ويفتخر. هذه القصيدة مطلعها :

صَرَمَ الغواني وَاستراحَ عَواذِلي، وصَحَوْتُ بعد صَبابة وتَمايُلِ[٣].

فمنها في الغزل :

لَعِبَ النّعيمُ بِهِنّ في أظْلالـه حتى لَبِسْنَ زمانَ عَيْشٍ غافل[٤]،
يأخُذْنَ زينتَهن أحسنَ ما ترى، وإذا عَطِلْنَ فهنّ غيرُ عَواطِلِ[٥].
وإذا جِنانُ خُدودِهنّ أرَيْنَنا حَدَقَ المَها وأخَذْنَ سَهْمَ القاتل[٦]،
ورَمَيْنَني لا يَسْتَتِرْنَ بجُنّةٍ، إلاّ الصِبا، وعَلِمْنَ أين مَقاتِلي[٧]،

---

١ اصطلى النار : اختبر حرها طوعاً (استفاد منها دفئاً) أو كرها (أحرقته). – ما دعا إلى مكرمة (صنيع حميد) إلا أجبناه إلى ما دعا أو كنا نحن موقدي النار (كنا الداعين إلى ذلك العمل الحميد).

٢ الاسوار : الفارس.

٣ الغواني : النساء الجميلات. صرم الغواني : قطعنني، تركن مواصلتي (لأنني أصبحت كبير السن). استراح عواذلي : الذين كانوا يلومونني على اسرافي في تتبع النساء وفي الغزل استراحوا الآن لأنهم لا يحتاجون إلى لومي (إذ تركت أنا من تلقاء نفسي حياة الجهل والعبث – بسكون الباء).

٤ لعب النعيم بهن في أظلاله : منحهن النعيم (الترف والغنى) جميع أنواع الجمال والدلال. في أظلاله (ظلاله، فيئه – لم يكلفهن عملا وسعياً وجهداً في الشمس وفي الصحراء الخ). ثم تعودن (طول حياتهم) عيش ناعماً غافلا عن كل مشقات الحياة.

٥ ... وإذا لم يتزيّن بالثياب والاصباغ والحلى فهن غير عواطل (من الجمال الطبيعي الذي لهن).

٦ جنائن خدودهن (التي فيها الورد) فيها أيضاً حدق المها (عيون كعيون الغزلان واسعة جميلة) وأخذن (تسلحن) بسهم القاتل (بسلاح المحارب).

٧ ثم رمينني (بدأن يرشقنني بالنبال) وكن يستترن مني بترس من جمالهن فلا أستطيع أن أرميهن بسهم (أو أن أؤثر فيهن)، بينما كنت أنا معرضاً لسهامهن وكن يعرفن كيف يصبن مني مقتلا – أوقعنني في هواهن من غير أن أستطيع أن أجعلهن يحببنني.

يَلْبَسْنَ أرْدِيَةَ الشبابِ لأهلِهـا ويَجُرّ باطِلُهنّ حَبْلَ الباطل [١] .

بعدئذٍ يذكُرُ شبابَه الاولَ ثم يفتخر بماضي قومه وقبيلته :

زعمَ الغواني أن شَيْبَكَ قد صحا ، وسوادُ رأسِك فضلُ شَيْبٍ شامل [٢] .
ورآكَ أهلُكَ مِنْهُمُ ورأيتَهم ، ولقد تكون مَعَ الشباب الخاذل [٣] .
وإذا تَطاوَلَتِ الجبالُ رأيْتَنـا بفُروعِ أرْعَنَ فوقَها مُتطاوِل [٤] .
وإذا سألتَ ابْنَيْ نِزارٍ بَيَّنَـا مَجدي ومَنْزِلَتي مِنَ ابْنَيْ وائلِ [٥] .
حَدَبَتْ بنو بكرٍ عَلَيَّ ، وفيهمُ لَهُمُ المكارِمُ بالعديد الكامل [٦] .
خَطَروا ورائي بالقَنا وتَجَمّعتْ منهم قَبائلُ أُرْدِفوا بقبـائل [٧] .
قومٌ إذا شَهَروا السيوف رَأَوْا لهـا حَقّاً ، ولم يكُ سَلّها للبـاطل [٨] .
وإذا فَخَرْتَ بتَغْلِبَ ابْنَةِ وائلٍ فاذكُرْ مَكارِمَ من نَدىً وأوائل [٩] .
ولِتَغْلِبَ الغَلْباءِ عِزٌّ بَيِّـنٌ عادِيَةٌ ويَزيدُ فوق الكاهل [١٠] .

١ — يظهرن أمامنا في ثوب رائق من الشباب والصبا . لأهلها : لمن هم من الرجال الذين لا يزالون من أهل أردية الشباب (لا يزالون شباناً) . الباطل : اللهو والهزل . ويجر باطلهن حبل الباطل : يقضين في اللهو زمناً طويلا .

٢ شيبك قد صحا : لما شبت أنت صحوت (انتبهت) من الغرور واللهو اللذين كنت منغمساً فيهما غافلا في أيام الشباب . سواد رأسك فضل شيب شامل : ان الشيب الذي لا يزال في شعرك ليس سوى بقية الشباب بعد الشيب (ضعف القوى الجسدية) الذي أصاب جسمك كله .

٣ أهلك (هنا) : أترابك (المقاربون لك في السن) — أصبحت الآن تجتمع مع أبناء سنك ويجتمعون بك . وكم قضيت أزماناً (في أيام الشباب) خاذلا (تاركاً صحبة أترابك تلهو وحدك) .

٤ وإذا علا بعض الجبال على بعض وجدت الجبل الذي نسكنه نحن أعلى الجبال كلها (إذا افتخرت القبائل فنحن أعظم القبائل كلها) . بفروع (بأطراف ، بأعالي) أرعن (أنف الجبل الذي يتقدم الجبل كله) .

٥ ابنا نزار (؟) : العرب كلهم . بينا : أظهرا لك ، دلاك على (مقامي في بني وائل : بني بكر وبني تغلب) .

٦ حدب عليه : حنا عليه وعطف ... وهم ذوو مكارم كثيرة وعدد كبير .

٧ خطروا ورائي : ساروا ورائي حاملين رماحهم يلوحون بها تهديداً لاعدائي (لعله يشير إلى شفاعة وجوه بني بكر وتغلب به إلى الحجاج) . القنا : الرماح . قبائل أردفوا بقبائل : قبائل كثيرة يتلو بعضها بعضاً . .. اردفت بقبائل ...

٨ — لا يسلون سيوفهم إلا في الدفاع عن الحق ولم يسلوها للاعتداء على غيرهم .

٩ .... فاذكر لها (لبني تغلب كلها) أعمالا حميدة من الندى (الكرم) ومن الاوائل (الأولين في المقام ومن الذين يعملون المحامد أول مرة — قبل غيرهم) .

١٠ الغلباء : القبيلة العزيزة (القوية) الممتنعة (التي يعجز المهاجمون عن الوصول اليها) . بيـن :—

تسطو على النّعمانِ وابن مُحَـرِّقٍ وابنَيْ قَطامِ بعِزّة وتَناوُلِ [1] .
قوم هم قَتَلوا ابْنَ هِنْدٍ عَنْـوةً وقَنا الرِماحِ تَذودُ وِرْدَ الناهل [2] .

٤ — ** الاغاني (الساسي) ٢٠ : ١١ — ٢٠ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ٢١٣ — ٢٢٨ .

الحارث بن خالد المخزوميّ

١ — هو الحارثُ بنُ خالدِ بنِ العاصِ بنِ هِشامِ بنِ المُغيرةِ بن عبدِ الله ابنِ عمرِو بنِ مَخزومٍ ؛ وأمّه فاطمةُ بنتُ أبي سعيد بن الحارث بن هشام . والعاصِ بنُ هشامٍ جدَّ الحارث بن هشامٍ قُتِلَ مَعَ المشركين في معركة بَدْرٍ (سنة ٢ هـ = ٦٢٤ م) ، قَتَلَهُ عليّ بن أبي طالبٍ .

نشأ الحارثُ بن خالدٍ المخزوميّ في مكّةَ ثم أصبح فيها رجلاً ذا قَدْرٍ وخَطَرٍ ومَنْظَرٍ في قريشٍ [3] ، وكان له اهتمامٌ باللغة وبالغريب في اللغة ، على أنه كان أيضاً شاعراً مغامراً يتتبّع الجمال ويشبّب بالنساء . وقد كان جميع بني مخزوم من أنصار عبد الله بن الزُّبير الا الحارثَ بنَ خالدٍ فقد كان من أنصار بني أميّةَ .

= ظاهر . عز : قوة غلبة . عـادية : قديمـة العهد من أيام عـاد (ولعل التاء المربوطة هنـا للمبـالغة فتكون « عادية » نعتـاً للاسم « عز » . ويزيد فوق الكاهل : تعلو (في المجد والقوة) كل قبيلـة أخرى (؟) .

١ تسطو : تغلب ، تقهر ... ابنا قطام : ابنا أم قطام : حجر بن الحارث (والد امرىء القيس) وابنـه امرؤ القيس . (لعله يشير إلى أن قبـائل نجد قتلت حجراً ثم منعت امرأ القيس من الأخـذ بثـأر أبيـه ورد الملك على نجـد إلى بني كندة) . النعمان : النعمان بن المنذر . ابن محرق (؟) المحرق : هـو عمرو بن هند بن المنذر . ولعله سمي هنـا ابن محرق لأن المنـاذرة كـانوا يعرفون باسم آل محرق .

٢ عمرو بن كلثوم قتل عمرو بن هند . عنوة : قوة واقتداراً . تذود : تمنع . ورد : شرب . الناهل : الآتي ليشرب من النهر أو النبع . وقنا الرماح تذود ورد الناهل : حينما كانت قوة آل محرق (المناذرة) وقوة عمرو بن هند خاصة في ذروتها ، تمنع الناس حتى من شرب الماء (؟) .

٣ غ ٣ : ٣١٢ . وقد كان له مقام كبير منذ مأساة كربلاء ، سنة ٦١ هـ (الطبري – ليدن ، راجع ٢ : ٢٧٣) .

كان يزيدُ بنُ معاويةَ (٦٠ – ٦٤ هـ) قد ولّى الحارثَ بنَ خالدِ المخزوميّ على مكّةَ ، ولكنّ عبدَ الله بنَ الزبير لم يُمكّنه من ذلك . ثم ان عبدَ الملك ابنَ مروانَ ولّى الحارثَ بن خالد المخزومي على مكّة ، في سنة ٧٥ هـ (٦٩٤ م) في رواية الاغاني (٣ : ٣١٧ ، السطر ٦) ، ولعلّ ذلك كان سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) [١] .

وكان الحارثُ بن خالدِ المخزوميّ يتعشّقُ عائشةَ بنتَ طَلْحَةَ ويُشَبّبُ بها . ففي ذلك العامِ حجّتْ عائشةُ بنتُ طلحةَ ، واتّفق أن تأخّرتْ في إتّمام طَوافِها حتّى حانت صَلاةُ العَصْرِ فأرسلت إلى الحارثِ بن خالد تسألُه أن يُؤخّرَ الأذانَ رَيْثَما تفرُغُ من طَوافها . فأمر الحارث المؤذّنينَ فأخّروا الأذانَ حتّى فَرَغَتْ من طَوافها [٢] . وبلغ ذلك إلى عبدِ الملك بنِ مَروانَ فعَزَلَ الحارثَ بن خالدٍ عنْ مَكّةَ سنة ٨١ هـ وولّى مكانَه خالدَ بنَ عبدِ الله القَسْريّ .

وعاش الحارثُ بن خالدِ المخزوميّ مدّةً بعد ذلك ، فقد توفّي عُمَرُ بن أبي رَبيعةَ ، سنة ٩٣ هـ (٧١١ م) ، والحارثُ بن خالد حيّ وفي عُنفُوانِ شبابِه ، فيما يبدو [٣] . ولا يُسْتَبْعَدُ أن تكون وفاةُ الحارثِ بن خالدٍ بعدَ سَنَةِ ١٠٠ هـ (٧١٨ م) .

٢ – « الحارثُ بنُ خالدِ (المخزوميّ) أحَدُ شعراءِ قُريشٍ المَعْدودين الغَزِلِينَ [٤] ، وكان يذهبُ مَذْهَبَ عُمَرَ بنِ أبي رَبيعةَ لا يتجاوزُ الغَزَلَ إلى المديحِ ولا الهجاءِ » (غ ٣ : ٣١٢) . ومع أن شِعْرَ الحارثِ بن خالد يُشْبِهُ شِعْرَ عُمَرَ (غ ٣ : ٣٤٢) ، فلا سبيلَ إلى الزعْمِ بأن الحارثَ أشْعرُ من عُمَرَ [٥] .

---

١ راجع معجم الانساب والاسر الحاكمة للمستشرق زامباور ٢٧ – ٢٨ .

٢ غ ٣ : ٣١٧ – ٣١٨ ، ٣٣٩ – ٣٤٠ .

٣ لما ورد نعي عمر بن أبي ربيعة على المدينة كثر الحزن على عمر وعلى موت شاعر غزل (بفتح الغين وكسر الزاي) مثل عمر ، فقال أحد فتيان مكة لامرأة شديدة الحزن من أجل ذلك : « خففي عليك (هوني الأمر عليك وخففي من حزنك) فقد نشأ ابن عم له (ابن عم لعمر بن أبي ربيعة ، يقصد الحارث بن خالد المخزومي) يشبه شعره شعره (غ ٣ : ٣٤٢) .

٤ في الاغاني (٣ : ٣١٢ ، السطر الاول) : الغزليين (بيائين) ، وليس بصواب .

٥ الموشح للمرزباني ٢٠٩ – ٢١٠ ؛ راجع الامالي للقالي ٢ : ١٧ .

والغزلُ هو الفنّ الذي توفّرَ عليه الحارثَ بن خالدِ المخزومي ، على أنّ له أشياءَ يسيرةً من الفخرِ والحماسةِ مثلاً (غ ٣ : ٣٢٨) ومن العِتاب (الكامل ٥١٧ ، غ ٣ : ٣٣٩) والهجاءِ (الكامل ٦٦٠ – ٦٦١) .

٣ – المختار من شعره :

– قال الحارثُ بن خالدِ المخزوميّ في عائشةَ بنتِ طلْحةَ بنِ عُبيدِ الله قصيدةً مطلَعُها :

أثْلَ ، جودي على المُتيّمِ ، أثْلا ، لا تَزيدي فؤادَهُ بِكِ خَبْلا [1] .

منها :

أنْعَمَ اللهُ لي بذا الوجهِ عَيْنا [2] ، وبهِ مَرْحَباً وأهْلاً وسهلاً !

حين قالت : « لا تُفْشِيَنّ حَديثي ،
يا ابْنَ عَمّي ، أقْسَمْتُ ! » قلتُ : « أجَلْ ، لا .... »

اتّقي اللهَ واقْبَلي العذْرَ منّي ، وتَجافَيْ عنْ بعضِ ما كان زَلاّ [3] .

لا تَصُدّي فتَقْتُليني ظُلْماً ؛ ليس قَتْلُ المُحبّ للحِبّ حِلاّ [4] .

ما أكُنْ سُؤتُكُم به فلَكِ العُتْـ بى ، وحَقّ ذاك وقَلاّ [5] .

لم أرَحّبْ بأنْ سَخِطْتِ ، ولكنْ مَرْحباً – إن رَضيتِ عنّا – وأهلا .

انّ وَجهاً رأيْتُهُ ليلةَ البَدْ رِ عليهِ انْثَنى الجمالُ وحَلاّ [6] .

---

١ أثل (مرخمة من أثلة) : يا أثلة (استعمل الشاعر أثلة كناية كي لا يذكر اسم عائشة فتعرف صاحبته) . خبلا : جنونا .

٢ أنعم الله لي بذا الوجه عينا : أكرمني الله برؤية وجه عائشة (راجع القاموس ٤ : ١٨١ ، الاسطر ١٧ – ١٩) – يقصد : زارتني عائشة (المرأة التي يتغزل بها) .

٣ تجافي (ابتعدي) عن بعض ما كان زلا (بعض ما كان خطأ مني من قول أو عمل ، من غير قصد مني) : اصفحي عن ذلك الشيء اليسير الذي كنت قد أخطأت به اليك .

٤ في القاموس (١ : ٥٠) : المحب : الذي يحب غيره : الحب (بكسر الحاء) : المحبوب . حل : حلال ، جائز .

٥ العتبى : الرضا . لك العتبى : (لك مني الاعتذار حتى ترضي – بفتح الضاد) ... وهذا حق لك وقليل في سبيل رضاك .

٦ .... انثنى الجمال وحل (عليه) : رجع الجمال عن كل وجه واستقر على وجهها وحده .

وجهُها الوجهُ لو يُسالُ به المُـزْ ... نُ ـمن الحسنِ والجمالِ ـاستهلاّ[1].
جَعَلَ اللهُ كلَّ أنثى فـداءً ... لكِ ، بَلْ خدَّها لرِجْلِكِ نَعْلا .
إنَّ عندَ الطَّوافِ حين أتَتْـهُ ... لَجَمالاً فَعْماً وخَلقاً رِفَلاّ[2] .
وكُسينَ الجمالَ إنْ غِبْنَ عنها ، ... فاذا ما بَدَتْ لَهُنَّ اضْمَحَلاّ[3] !

– وقال الحارثُ بن خالدٍ في ليلى بنت أبي مُرَّةَ بن عَوْفِ بنِ مسعودٍ ، وأمّها مَيْمونةُ بنتُ أبي سُفيانَ بن حَرْبٍ :

لقد ارسَلَتْ في السرِّ ليلى تَلومُني ... وتَزْعُمُني ذا مَلّةٍ طَرِفاً جَلْدا[4] .
وقد اخْلَفَتْنا كلَّ ما وَعَدَتْ بهِ ؛ ... وواللهِ ، ما أخْلَفْتُها عامِداً وَعْدا !
فقُلْتُ مُجيباً للرسولِ الذي أتى : ... « تُراهُ ـلَكَ الوَيْلاتُ ـمن قولِها جِدّا ؟
إذا جِئْتَها فاقرَ السَّلامَ ، وقُلْ لها : ... دَعي الجَوْرَ ، لَيْلى ، واسْلُكي منهجاً قصدا »[5]
أفي مُكْثِنا عنكم لَيالٍ مَرِضْتُها ... تَزيدينَني ، لَيلى ، على مَرَضي جُهْدا[6] ؟
تَعُدِّينَ ذَنْباً واحداً ـ ما جَنَيْتُهُ ـ ... عَلَيَّ ، وما أُحْصي ذُنوبَكُمُ عدّا[7]
فإنْ شِئْتِ حَرَّمْتُ النساءَ سِواكُمُ ، ... وان شِئْتِ لم أطْعَمْ نُقاخاً ولا بَرْدا[8] .

---

١ يسال = يسأل (أهل الحجاز يسهلون الهمزة فلا تظهر في لفظهم) . المزن : المطر . استهل المطر : (سقط) . – يبلغ من جمال وجهها وكرامته أنه لو انقطع عنا المطر ثم سألنا المطر أن ينزل اكراماً لوجهها لنزل المطر .

٢ – اجتمع في الطواف (في الحج في ذلك الموسم الذي حجت فيه عائشة) نساء كثيرات ذوات جمال فعم (تام كامل في جميع الاعضاء) وخلقا (بفتح الخاء : بناء الجسد) رفلا (كبيراً) – الشاعر يحب الجسم العظيم الممتلىء ، وذلك كان الجمال المستحب في العصر الأموي .

٣ – إذا لم تكن عائشة موجودة بين أولئك النساء فانهن كلهن يبدون جميلات ، فاذا حضرت كسف جمالها جمالهن .

٤ .... ذا ملة (سؤوماً ، يمل من استمرار الشيء الواحد مدة طويلة) طرفا (رغيب العين : لا يرى شيئاً جديداً إلا أحب أن يكون له ثم يترك الذي كان له : يحب التبديل !) جلداً (صبوراً ، يتكلف الصبر عن من يحب ليغيظه أو ليذله أو ليعذبه) .

٥ اقر : اقرأ (راجع الحاشية الاولى على هذه الصفحة) . اسلكي منهجاً قصداً : سبيلا معتدلا (لا تلوميني فوق ما يستحق ذنبي) .

٦ – كان انقطاعي عنك (عن لقائك) أياماً قليلة بسبب مرضي . فلا تجعلي ذلك عذراً لزيادة جهدي (تعبي من لومك فوق تعبي من المرض) .

٧ ما جنيته : ما أذنبته (بل تتوهمينه علي) .

٨ النقاخ : الماء البارد ، النوم الهنيء . البرد : (هنا) النوم .

وان شِئتِ غُرْنا بَعْدَكم، ثم لَمْ نَنزِلْ   بمكّةَ حتى تَجْلُسي قابِلاً نَجْدا [1] .

٤ — ٥٥ الاغاني ٣ : ٣١٠ — ٣٤٣ ، ٩ : ٢٢٥ وما بعدها ؛ زيدان ١ : ٣٢٧— ٣٢٨ .

الشَمَرْدل بن شَريك

١ — هو الشَمَرْدَلُ بنُ شَريكِ بنِ عبدِ الملك بن رُوْبة بن سَلَمة من بني ثَعْلبةَ بن يَرْبوعٍ من بني تميمٍ ؛ ويُعْرَفُ عادةً بابن شَريكِ اليَرْبوعيّ [2] وبابنِ الخَريطة أيضاً لأنه وُضِعَ ، وهو صبيٌّ صغيرٌ ، في خريطة [3] — وَهيَ وِعاءٌ شِبهُ الحقيبةِ تُوضع فيه الأشياء .

نشأ الشمردلُ في جَنوبيّ العراق ، وربّما في البصرة ، مُولَعاً بالخمر ثم لم يَترُكْ شُرْبَها بعد ذلك .

وكان للشمردل ثلاثةُ إخوةٍ : حَكَمٌ ووائلٌ وقُدامةُ ، فلمّا سار وكيعُ ابن أبي سُودٍ التميميُّ إلى خُراسانَ ، في أيامِ عبد الملك بن مروانَ ، كان الشمردلُ وإخوته الثلاثةُ في جيش وكيعٍ . وفي خُراسانَ بعث وكيع الاخوة الاربعة في أرْبَعِ وِجْهاتٍ مختلفةٍ فقُتِلَ حَكَمٌ ووائلٌ وقُدامةٌ في مدّةٍ يَسيرةٍ ، وبَقِيَ الشمردلُ بعد ذلك في خراسان زَمَناً ثم عاد إلى البصرة . في الاغاني (١٣ : ٣٥٦ — ٣٥٧) : « وقف الفَرَزْدَقُ على الشمردل وهو يُنْشِدُ قصيدةً له فمرّ فيها هذا البيتُ :

وما بَيْنَ مَنْ لم يُعْطِ سَمْعاً وطاعةً   وبينَ تميمٍ غيرَ جَزّ [4] الحَلاقِمِ ،

فقال له الفرزدقُ : واللهِ ، يا شَمَرْدَلُ ، لَتَتْرُكَنّ لي هذا البيتَ أو لَتَتْرُكَنّ لي عِرْضَكَ ! فقال (الشمردلُ للفرزدقِ) : خُذْهُ ، لا باركَ

---

١ غرنا بعدكم ، نزلنا معكم غور تهامة (سكنا في مكة) ثم بقينا في مكة حتى تجلسي (تستقري) قابلا (في العام المقبل) نجداً (الهضبة المرتفعة شرق الحجاز) — أسكن حيث تشائين .

٢ الشعر والشعراء ٤٤٣ ؛ الموشح للمرزباني ١٠٨ ؛ الامالي ٣ : ٦٣ .

٣ الشعر والشعراء ٤٤٣ .   ٤ الاصوب : حز .

اللهُ لك فيه . فادّعاه (الفرزدقُ) وجَعَلَه في قصيدةٍ ذكر فيها قُتيبة بن مُسْلمٍ أوّلُها :

تَحِنّ بِزَوْراءِ المدينةِ ناقتي حَنينَ عَجولٍ تَبْتغي البَوّ رائمِ [1] .

وقد ذكر الفرزدق في هذه القصيدة مقتلَ قُتيبةَ بن مسلمٍ ووصولَ رأسه إلى دِمَشْقَ — وكان وكيعُ بن أبي سُودٍ تولّى قتلَ قُتيبةَ في خُراسانَ في ذي القَعْدة من سنة ٩٦ هـ (٧١٥ م) ، في أيام سُليمانَ بنِ عبد الملك . والمعقول أن يكونَ الفرزدقُ قد سَمِعَ الشمردلَ يُنْشِدُ قصيدتَه في سَنَة ٩٦ هـ وأن يكونَ قد ادّعى البيت الذي أعجبه فيها وهو على أُهْبة مدح سليمانَ ابن عبد الملك بالخلافة ، وسليمانُ بن عبد الملك قد جاء إلى الخلافة في نصف جُمادى الآخرةِ من سنة ٩٦ هـ (٢٥ — ٢ — ٧١٥ م) . وليس من المعقول قطّ أن يكونَ الفرزدقُ قد سَمِعَ الشمردل يُنْشِدُ قبلَ ذَهابِه إلى خُراسانَ ، في أيامِ عبد الملك ، ثم انتظر بالبيت حتّى جاء سُليمانُ بعد عشرينَ سَنَةً أو خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً على الاقلّ فمدحه بقصيدة أدخلَ ذلك البيت فيها .

من هذا كلّه نَرى أن الشمردلَ قد عاد من خراسانَ إلى العراق وأنه كان يحيا في أيام سليمانَ بنِ عبد الملك . وإذا كان الشمردلُ من أتْرابِ الفرزدقِ وجريرٍ ، فمن المُنْتَظَرِ أن يكونَ قد عاش إلى ما بعد سنة ١٠٠ هـ (٧١٨ م) [2] .

٢ — الشمردل بن شريك شاعر وراجز مقتدر صحيح اللغة متين السبك ؛ وتجد له أحياناً شيئاً من غرابة الالفاظ . أما فنونه فأشهرها الرثاء في اخوته . وله طرد جيّد ، ثم له أشياءُ من المدح والخمر والغزل .

٣ — المختارَ من شعره ورجزه :

— قال الشمردلُ بن شريكٍ يرثي أخاه حَكَماً ، وقد جاء نَعْيُهُ بعدَ

---

١ راجع ديوان الفرزدق (عني بجمعه وطبعه والتعليق عليه عبدالله اسماعيل الصاوي) مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م ، ص ٨٥١ .

٢ في الاعلام للزركلي (٣ : ٢٥٥) أن وفاة الشمردل بن شريك كانت نحو ٨٠ هـ (٧٠٠ م) ، ولا وجه لذلك . وكذلك ضبط الزركلي كلمة (شريك) بضم الشين ، وليس الضم صواباً .

أيّامٍ قليلةٍ من تَوَجُّهِهِ إلى الغزو في خراسان (راجع الترجمة) :

يقولونَ : احتَسِبْ حَكَماً ، وراحوا　　بأبيضَ لا أراه ولا يراني [1] .
وقبلَ فِراقِهِ أيقَنْتُ أنّي　　وكلّ ابْنَيْ أبٍ مُتفارِقانِ !
أخٌ لي لو دَعَوْتُ أجابَ صَوْتي ،　　وكنتُ مُجيبَه أنّى دعاني [2] .
فقد أفنى البكاءُ عليهِ دَمْعي ،　　ولو أنّي الفقيدُ إذاً بكاني .

– ورأى الشمردلُ بن شريكٍ ، فيما يرى النائمُ ، أن سِنانَ رُمْحِه (النصلُ الذي في أعلى الرمح) قد سقط . فعَبَرَ مَنامَه على بعض من يَعْبَر الرُؤْيا (طلب تفسيرَه من بعض من يفسّر المنامات) ففسّره له بأنه موتُ قريب له . وحَدَسَ الشمردلُ أن يكون ذلك القريب أخاه وائلاً . وبعدَ ثلاثةِ أيّام من ورود نَعْيِ حَكَمٍ وَرَدَ نَعْيُ وائلٍ ، فقال الشمردلُ (غ ١٣ : ٣٥٧ ، ٣٥٣ – ٣٥٥ ، أمالي اليزيدي ٣١ – ٣٤) ، وكان وائلٌ أيضاً في غزوِ خُراسان :

لَعَمْري لَئِنْ غالَتْ أخي دارُ فُرْقَةٍ　　وآبَ إلينا سَيْفُهُ ورواحلُهْ [3] ،
وحَلّتْ به أثقالَها الارض ، وانتهى　　بمَثْواه منها ، وهو عَفٌّ مآكِلُهْ [4] ،
لقد ضُمِّنَتْ جَلْدَ القُوى كان يُتّقى　　بهِ جانبُ الثَّغْرِ المَخوفِ زلازلُه [5] .

---

١ احتسب : عده أنه مات في سبيل الله وأن لك أجره على فقده . الابيض : الرجل النقي العرض . لا أراه ولا يراني (بعد الآن) .

٢ أنى : أين ، كيف ، متى . – المقصود : وكنت كلما دعاني (في أي وقت أو في أي مكان أو في أية حال) أجبته بلا تردد .

٣ غالت : قتلت . دار غربة (مات) غريباً في خراسان (بعيداً عن البصرة) . وآب الينا سيفه ورواحله (لما قتل وائل أرسل إلى الشمردل سيف وائل وفرسه) .

٤ أثقال الأرض : ما في باطن الأرض – راجع سورة الزلزال : « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها » (٩٩ : ١ – ٢) . حلت (جملت ، حسنت) به (بوائل لما دفن فيها) أثقالها (ما في بطنها من الموتى ، فهو أفضلهم ، أو من المعادن كالذهب والفضة ....) . انتهى بمثواه منها : وصل إلى مرقده المقدر له في الأرض (مات) .... وهو عف مآكله : لم يأكل إلا من حلال (من كسب يده أو من كسب سيفه) .

٥ جلد القوى : صبور ، قوي على أحداث الدهر ، بطل . يتقي بـه : يدافع به (كان يحمي) . الزلازل : البلايا . الثغر : المكان الذي يخشى مجيء العدو منه (بحراً أو براً) . – يتقي به جانب الثغر المخوف : يعهد اليه بالدفاع عن أشد جبهات القتال خطراً .

أقولُ ، وقد رَجَمْتُ عنه فأسْرَعَتْ — إليّ بأخبارِ اليقينِ مَحاصله [1] :

إلى الله أشكو – لا إلى الناسِ – فَقْدَه — ولَوْعَةَ حُزْنٍ أوْجع القلبَ داخلُه [2] ،

وتحقيقَ رُؤيا في المنامِ رأيتُها : — فكان أخي رُمْحاً ترَفَّضَ عامله [3] .

أبى الصبرَ أنّ العينَ بعدَكَ لم يَزَلْ — يُخالِطُ جفْنَيْها قَذىً لا يُزايله [4] .

وكنتُ أُعيرُ الدمعَ قَبْلَكَ مَنْ بكى ، — فأنتَ على من مات بعدَكَ شاغله [5] !

فعَيْنَيَّ – إذ أبكاكما الدهرُ – فابْكِيا — لِمَنْ نَصْرُهُ قد بانَ منّا ونائله [6] .

فما كنتُ أُلْفي لامْرِىءٍ عند مَوْطِنٍ — أخاً بأخي ، لو كان حيّاً أُبادله [7] .

وكنتُ به أغْشى القِتالَ ، فَعزّني — عليه من المِقْدارِ مَنْ لا أُقاتله [8] .

لَعَمْرُكَ ، إنّ الموتَ مِنّا لَمُولَعٌ — بمَنْ كان يُرْجى نفعُه ونوافله [9] .

فما البُعدُ إلاّ أنّنا بعد صُحْبَةٍ — كأنْ لم نُبايِتْ وائلاً ونُقايله [10] !

– كان ذئبٌ قد لازم مرعى غنمٍ للشمردل ، وكان لا يزال يَفْرُسُ منها

---

١ رجمت عنه : لما رأيت المنام (راجع ص ٥٨٨) خطر لي أن يكون تفسيره موت أخي وائل . أسرعت .... الخ : صدق ظني ورجمي بالغيب .

٢ اللوعة : الحرقة (بضم الحاء) . قد أوجع قلبي داخل الحزن (الحزن العميق ، الشديد) .

٣ ترفض عامله : تشقق وتفرق عامله (العامل : صدر الرمح ، أعلاه) .

٤ قذى : وسخ يحدث في العين من الرمد (المرض) ومن ضعفها بالسهر أو البكاء . لا يزايله : لا يفارقه . – الدليل على عجزي عن الصبر على فقدك أن بكائي عليك دائم . الاصوب : لا يزايلها .

٥ لم يكن لي قبل اليوم حزن يبكيني ، فكان كلما مات أخ لانسان اعرته دمعي يبكي به على أخيه (كنت أبكي على الآخرين مواساة لأهلهم) فأصبح حزني عليك يذهب بكل دموعي (أصبح كل بكائي عليك) .

٦ .... نصره (ظفره في المعارك في الدفاع عنا) ونائله (عطاؤه ، تكرمه علينا) قد بانا (ذهبا ، انقطعا بموته) .

٧ – لو أردت أن أجد أخاً آخر بين الأحياء كفؤاً لأخي (في الشجاعة والكرم)أبادله به (يكون لي عوضاً عن أخي) لما ألفيت (لما وجدت) .

٨ كنت أغشى به القتال : (أملأ به ميدان المعركة وأسيطر على الخصوم المقاتلين) ، فعزني عليه(غلبني عليه ، سلبه مني) المقدار (القضاء والقدر الذي لا أستطيع أن أقاتله).

٩ مولع : محب ، متعلق . النفع : الفائدة المنتظرة من الشيء . النوافل جمع نافلة : ما يتبرع به الانسان . الموت مولَع بأن يأخذ خيارنا .

١٠ بايته : قضى الليل معه في مكان واحد . قايله : عاوضه (بادله شيئاً بشيء) . والمقايلة يمكن أن تكون أيضاً : القيلولة معاً (النوم بعد الظهر في مكان واحد) . والملموح من المعنى : كأن لم نعاشره ليلا ولانهاراً . – البعد الحقيقي أن ما بيننا قد انقطع الآن انقطاعاً تاماً (من غير أمل بالتقاء في هذه الدنيا) .

الشاةَ بعد الشاة . فرَصَدَ الشمردلُ ذلك الذئبَ ذاتِ ليلةٍ حتّى جاء الذئب لعادته ، فرماه الشمردلُ بسهم فقتله ثم قال :

هلْ خُبِّرَ السِرحانُ إذ يَسْتَخبِرُ ... عنّي ، وقد نام الصِحابُ السُمّرُ[1] .
لمّا رأيتُ الضأنَ منه تنفِـــرُ ... نَهَضْتُ وَسَنانَ وطار المِئْزَرُ[2] ،
وراعَ منها مَرَحٌ مُسْتَيْهِـرُ ... كأنّه إعصارُ ريحٍ أغبرُ[3] .
فلم أزلْ أطرُدُه ويعكِـرُ ... حتّى إذا استيقنتُ أنْلا أُعذَرُ[4]
وأنَّ عقرى غنمي ستكثُـرُ ... طار بكفّي وفؤادي أوجَرُ[5] .
ثمّتَ أهويتُ له - لا أُزجَرُ - ... سَهماً فولّى عنه وهو يعثُرُ[6] ؛
وبِتُّ ليلي آمِناً أُكبِّرُ[7] .

- وللشمردلِ أرجوزةٌ (غ ١٣ : ٣٦١ - ٣٦٢) تُذكِّرُنا بموضوعها وبقوافيها وبالنَفَسِ الغالبِ عليها أرجوزةً لأبي نُواسٍ . قال الشمردلُ :

قد أغتَدي والصُبْحُ في حِجابِـهِ ... والليلُ لم يأوِ إلى مآبـهِ
وعرَفَ الصوتَ الذي يُدعى بهِ ... ولمعةَ المُلْمِعِ في أثوابـه
فقلتُ للقانصِ إذْ أتى بـهِ ... الخ ، الخ .

٤ - ٥٥ الاغاني ١٣ : ٣٥٠ - ٣٦٣٢ ؛ زيدان ١ : ٣٤٣ .

---

١ السرحان : الذئب . السمر جمع سامر : الذي يسهر مع أصحابه ويحادثهم .
٢ الضأن : أحد قسمي الغنم (الضأن والمعزى) . وواحد الضأن : خروف . لما رأيت الضأن منه تنفر (تتفرق) : شعرت باقترابه منها (وهو لا يزال بعيداً) . نهضت وسنان : يغلب علي النعاس . طار المئزر : أسرعت في نهوضي فسقط عني أزاري .
٣ مرح : أشر ، بطر ، اختيال ، نشاط . مستيهر : متكرر ، متماد ، كثير . راع : روع (أفزع ، أخاف وخوف) . في الأصل راع منها ، ولعل الأصوب : راع منه (راعها منه : أفزع الضأن منه مرح ...) . الاعصار : الريح الشديدة تثير السحاب ، أو تثير التراب من الأرض نحو السماء . أعصار أغبر : اعصار يحمل غباراً .
٤ يعكر : يهرب ثم يعود . ولم أستطع أن أصيبه (أقتله) ..... أن لا = أنني لا أعذر : (جربت قتله مراراً) حتى لم يبق لي عذر في عجزي عن قتله .
٥ عقرى غنمي : المعقور (المقتول) من غنمي . الشطر « طار بكفي ... » غير واضح المعنى ....
٦ أهويت له : أطلقت عليه. لا أزجر : (اقتربت كثيراً منه فزجرني الناس عن الاقتراب منه هذا القدر خوفاً من أن يؤذيني فلم أسمع من أحد) . ولي : هرب . يعثر : يسير فيقع ثم ينهض .
٧ أكبر : أكبر الله (حمداً لله على تخلصي من الذئب) .

زِياد الأعجم

١ – اسْمُه زِيادٌ ، وكُنيتُه أبو أمامة ، واختلف الرُواةُ في سِياقة نسبهِ . وقد كان مَوْلىً لبني عبد القيس .

قيل إنّ أصلَه ومَوْلِدَه ومَنشأه في أصبهانَ وكان ينزل إصْطَخْرَ . وقد لُقّبَ زياداً الأعجمَ للُكْنة كانت في لسانه ، فقد كان يَعْجِزُ عن النطق بالعين والصاد وعما يَعْجِز عنه الاعاجم .

وكان زيادٌ الاعجم صديقاً لعُمَر بن عُبيد الله بن مَعْمرٍ ، فلما تولى عُمر ابن عبيد الله فارسَ من قِبَلِ عبدِ الله بن الزُّبير ، سنة ٦٧ ﻫ (٦٨٦ – ٦٨٧ م) قصده زيادٌ ومدحه ونال منه جوائزَ سَنِيّةً . وكذلك سكن زيادٌ خُراسانَ مدة ومدح والِيَها المُهلّبَ بن أبي صُفْرة (٧٨ – ٨٢ ﻫ) . ويبدو أنه جاء بعدَ ذلك إلى العراقِ فكان يُنْشد شعره في مَرْبِدِ البصرة (غ ١٤ : ١٠٧ ، ١٠٨) .

وإذا نحن قَبِلْنا ما جاء في بعض الروايات من أن زِياداً الاعجمَ شَهِدَ فتح اصْطَخْرَ مَعَ أبي موسى الاشعري (٣٠ ﻫ = ٦٥١ م) ثم أدْرك هِشامَ بن عبد الملك [1] الذي جاء إلى الخلافة سنة ١٠٥ ﻫ (٧٢٤ م) ، فيجبُ أن يكونَ زيادٌ قد أسَنّ جِداً وزادت سِنّهُ على مِائة . على أن شِبْهَ المُجْمَعِ عليه أنّ زياداً تُوُفّيَ سنة ١٠٠ ﻫ (٧١٨ م) ، قبلَ أن يتَولّى هشامٌ الخِلافةَ .

٢ – كان زيادٌ الأعجمُ خطيباً قديراً وشاعراً مجيداً وكاتباً داهِياً على الرّغمِ من لُكْنَته [2] . وأكثرُ شعرهِ الهِجاءُ ، وهجاوْه خبيثٌ : هاجى أبا جِلدةَ اليَشْكُريّ وكعبَ الأشقريّ وسواهما ، وتوعّد الفرزدقَ بالهجاء فأرْهَبَهُ ؛ ولكنه هاب أن يُهاجِيَ جريراً [3] . ولِزيادٌ رثاءٌ بارعٌ ومديح وشيءٌ من الشعر الوُجداني الجيّد .

---

١ راجع البيان والتبيين ١ : ٧١ الحاشية الثالثة (تعليق محمد عبد السلام هارون) .

٢ مثله ١ : ٧١ .

٣ مثله ٢ : ٢٥١ .

٣ – المختار من شعره :

– قال زيادٌ الاعجمُ في الهجاء (وفيها شيء من الحكمة) :

لله ِ دَرُّكَ مِنْ فَتىً   لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ .
لا خيرَ في كَذِبِ الجَوا   دِ ، وحبّذا صِدقُ البخيلْ !

– وقال يرثي المغيرة بن المهلّب :

ان المُروّةَ والسّماحةَ ضُمّنا   قبراً بمَرْوَ على الطريقِ الواضحِ .
فاذا مَرَرْتَ بقبرهِ فاعْقِرْ به   كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِرْفٍ سابحٍ[1] .
وانْضَحْ جَوانبَ قبرهِ بدِمائها ،   فلقد يكونُ أخا دمٍ وذبائحِ .
مات المغيرةُ بعدَ طولِ تَعَرّضٍ   للموتِ بين أسِنّةٍ وصفائح[2] .

– وقال يتوعّد الفرزدقَ بالهجاء :

وما تَرَكَ الهاجون لي ، ان أرَدتُه ،   مَصحّاً أراه في أديمِ الفَرَزْدقِ[3] .
وما تركوا لَحْماً يَدُقُّون عَظمَه   – لآكله – ألْقَوْهُ للمُتَعَرِّق[4] .
سأكسِرُ ما أبْقَوْهُ لي من عِظامه   وأنكُتُ مُخّ الساق منه وأنتقي[5] .
وإنّا – وما تُهْدي لنا إنْ هَجَوْتَنا –   لكالبَحْرِ ، مهما يُلْقَ في البحرِ يغرق!

– وقال يهجو قوم كعب بن مَعدان الأشقري :

قُبَيِّلَةٌ خيرُها شرُّها ،   وأصدقُها الكاذبُ الآثمُ .
وضَيْفُهُمُ وسْطَ أبياتِهم ،   وان لم يكنْ صائماً ، صائمُ .

٤ – ** الاغاني ١٥ : ٣٧٩ – ٣٩٤ ؛ بروكلمان ١ : ٥٧ ، الملحق ١ : ٩٢ ؛ زيدان ١ : ٣٠٨ – ٣١٠ .

---

١ عقر الناقة : ضرب ساقها لتقع أرضاً فيذبحها. الكوم جمع كوماء : الناقة العظيمة السنام . الكوم أيضاً : القطعة من الابل ، الابل الكثيرة . الهجان : الخيار من الابل البيض . الطرف : الكريم من الخيل . السابح : السريع .

٢ اسنة جمع سنان : رمح . صفائح : سيوف .

٣ – تناول الشعراء كل شيء في الفرزدق بالهجاء .

٤ المتعرق : الذي ينتزع اللحم عن العظم .

٥ نكت مخ العظم : استخرج المادة الدهنية من تجويف العظام .

الطِرِمّاحُ بن حكيم

١ — كان يُكنى أبا نَفْر وأبا ضُبَيْنةَ ، ويُلقّب الطرّاح . وهو الطِرِمّاح [١] ابنُ حكيم بنِ الحَكَمِ بنِ نَفْر بن قيس بن جَحْدَر بن ثعلبة من بني ثُعَل ابن عمرو بن الغَوْث بن طَيّء من قحطان .

وُلِدَ الطِرِمّاحُ قُبيلَ الهجرة ، فيما يبدو ، في الشام ونشأ فيها . ثم إنه قَدِمَ إلى الكوفة مَعَ جيوش الفتح . وفي الكوفة تلقّى الطِرِمّاحُ مذهبَ الشُراةِ الأزارقة [٢] من الخوارج واعتقده .

ولقد نشأتْ بينَ الطِرِمّاحِ وبين الكُمَيْت بن زيد صداقةٌ عجيبةٌ ، إذْ كانا يعيشان على الوفاء الخالص . قيل مرّةً للكُميتِ : لا شيءَ أعجبُ من صفاء ما بينكَ وبينَ الطِرِمّاحِ على بُعْدِ ما بينكما من النسبِ والمذهب والبلاد : هو شاميّ قحطانيّ خارجيّ وأنت كوفيّ نِزاريّ شيعيّ [٣] .

عاشَ الطرمّاحُ فقيراً لأنه كان أنوفاً لا يتكسّب بالشعر [٤] ، وان كان قد حاول شيئاً منه . وقد اشْتَغَلَ الطرمّاحُ بالتعلم حيناً ، قال عبدُ الأعلى بنُ عامرِ البصريّ [٥] : « رأيتُ الطرمّاحَ مؤدِّباً بالرّيّ [٦] فلم أرَ أحداً آخذَ لعقولِ الرجال ولا أجذبَ لأسماعِهم منه . ولقد رأيتُ الصبيانَ يَخْرُجون من عندِه وكأنّهم قد جالسوا العُلماءَ » .

وأسَنّ الطرّمّاحُ كثيراً ، إذ يبدو أنه تُوفّيَ بُعَيدَ سنة ١٠٠ ﻫ (٧١٨م) .

٢ — كان الطِرِمّاحِ بن حكيمٍ من فُحول الشعراء وفُصحائهم ومن الخطباء .

---

١ الطرماح : الطويل القامة .

٢ الازارقة : أتباع نافع بن الازرق (قتل ٦٥ ﻫ = ٦٨٥ م) ، وهم من أشد الخوارج تطرفاً يكفرون الذين اشتركوا في حربي الجمل وصفين من الطرفين ويبيحون قتل المخالفين لهم مع نسائهم وأطفالهم، ومرتكب الكبيرة (الذنب الكبير كشرب الخمر والزنا) كافر عندهم . ثم هم لا يجيزون التقية في عمل ولا في قول .

٣ القحطاني من عرب الجنوب (اليمن) ، والنزاري من عرب الشمال (قيس) .

٤ البيان والتبيين ٣ : ٢٠٠ ، راجع ٣٤١ .

٥ مثله ٢ : ٣٢٣ .

٦ الري على مسافة يسيرة من جنوب شرقي طهران (في فارس ، ايران) .

وشِعرُه متينٌ كثيرُ الغريبِ ، إلاّ أن شعره ليسَ حُجةً في اللغة لأنّه مولّدٌ ، فيما قيل [1] ولأنه كان يتكلّفُ إدخال الغريبِ في شعره بعد أن يَسأَلَ العلماءَ وأهلَ السَّواد (الآراميين) عن الألفاظِ من كلامهم [2] . وأكثرُ شعرِ الطرمّاحِ الحماسةُ والنقائض . وهو بارع في الوصف ، وفي وصف الثور والظَّلِيم (ذَكَرِ النّعام) خاصّة [3] . وهجاؤه مؤلم ، ولكنّ فيه مبالغاتٍ وتكراراً يَنْحَدِرُ بها إلى عَقْليّةِ العامّة فيفقدُ بذلك كثيراً من قيمته الفنيّة .

٣ — المختار من شعره :

— قال الطرمّاح بن حكيم يفتخر بنفسه ويصور نفراً من لؤماء النفوس :

لقد زادني حُبّاً لِنَفسيَ أنّني ... بَغيضٌ إلى كل امرِىءٍ غيرِ طائلِ [4] .
وإنّي شَقِيٌّ باللئامِ ؛ ولا ترى ... شقيّاً بهم الا كريمَ الشمائل .
إذا ما رآني قطّعَ الطرْفَ بينَه ... وبَيْنِيَ فِعْلَ العارفِ المُتَجاهل [5] ،
ملأتُ عليه الارضَ حتّى كأنّها ... من الضيقِ في عَيْنيه كِفّةُ حابل [6] .
أكلُّ امرىءٍ ألفى أباه مُقَصِّراً ... مُعادٍ لأهلِ المَكْرُماتِ الأوائلِ ؟
إذا ذُكِرَتْ مَسْعاةُ والدِه اضْطَنَى ... ، ولا يَضْطَني من شَتْمِ أهلِ الفضائل [7] .
وما مُنِعَتْ دارٌ ولا عزّ أهلُها ... من الناسِ إلاّ بالقنا والقنابلِ [8] !

— وللطرمّاح قصيدة اختارها أبو زيد القرشي في « الملحمات » من جمهرة اشعار العرب ، مطلعها :

---

١ الموشح ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٩ .
٢ غ ١٢ : ٣٦ ؛ الشعر والشعراء ٣٧١ ؛ الموشح ١٩٢ ، ٢٠٨ — ٢٠٩ .
٣ الشعر والشعراء ٣٧٤ ؛ كتاب الصناعتين ٨٥ ، ٢٥٣ ؛ ديوان المعاني ١٤١ .
٤ طائل : جدوى ، فائدة ، نفع .
٥ قطع الطرف (النظر) بيني وبينه : نظر إلي شزراً ، بغضب .
٦ الحابل : الذي يصنع الحبال ، والذي يعقد الحبل (ليجعله شركاً للصيد) . كفة حابل : شرك الصيد . ككفة حابل : ضيق .
٧ المسعاة : العمل الحميد . اضطنى من ضني : مرض مرضاً خفياً (تألم ، امتلأ أسفاً ثم حقد إذ ليس لأبيه مسعاة تذكر له) .
٨ القنا : الرماح . القنابل : جماعات الخيل (يقصد بالحرب) .

قلَّ في شطّ نَهْروانَ اغتماضي ، ودعاني هوى العيونِ المِراضِ [1] .

ومنها :

فتطَرّبْتُ للصبا ، ثُمّ أوْقفْـ ـتُ رِضاً بالتُّقى وذو البِرّ راضِ [2] .
وأراني المَليكُ رُشْدي ، وقد كُنْـ ـتُ أخا عَنْجَهيّةٍ واعتِراض [3] ،
غيرَ ما رِيبةٍ سوى رَيّقِ الغُـرّ ةِ . ثُمّ ارْعَوَيْتُ بعدَ البياض [4] !
فاذْهَبوا ، ما إليكُمُ خفَضَ الدهـ ـرُ عِناني وعُرّيَتْ أنْقاضي [5] .
إنّنا مَعْشَرٌ شمائلُنا الصبـ ـرُ ، إذا الخوفُ مال بالأحْفاض [6] :
نُصُرٌ للذليلِ في نَدْوةِ الحيِّ مَرائيبُ للثَّأى المُنْهاض [7] .
لم يَفُتْنا بالوِتْرِ قومٌ ، وللضَيْـ ـمِ رجالٌ يَرْضَوْن بالإغماض [8] .
فسَلي الناسَ ، إن جَهِلْتِ ، وإنْ شِئْـ ـتِ قضى بَيْنَنا وبينَكِ قاضِ !

– وقال الطرمّاح يتمنّى ميتة في معركة شهيداً في سبيل الله :

وإنّي لَمُقْتادٌ جَوادي فقاذِفٌ بهِ وبنفسي ، العامَ ، إحْدى المَقاذِفِ [9]
لأكْسِبَ مالاً أو أؤولَ إلى غِنىً من اللهِ يَكْفيني عِداتَ الخَلائف [10] .

---

١ نهروان أو النهروان : نهر جنوب الكوفة قاتل الإمام علي قربه الخوارج وهزمهم .

٢ – عملت أعمال الصبا (مدة) ثم تركتها وذو البر (الله) راض عني (لأني لم أرتكب ما يغضبه) .

٣ المليك : الله . العنجهية : التكبر مع الجهل . اعترض : سار مزهواً بنفسه ، تدخل في أمور كثيرة (من أمور الصبا) .

٤ – من غير أن آتي ريبة (بعمل مشين) إلا ما يفعله الشبان من الاعمال الدالة على الغفلة . ارعوى : رجع . البياض : المشيب .

٥ – اذهبوا عني ، اتركوني ؛ ان الدهر لم يخفض عناني (رسني : لم يذلني) من أجلكم ، ولا في سبيلكم عريت أنقاضي (بدا هزالي ، أجهدت نفسي) .

٦ الخوف : الحرب. مال بالاحفاض (جمع حفض : متاع البيت) : عرضها للضياع أو النهب ، إذا اشتدت الحرب .

٧ نصر (بضمتين جمع ناصر) . ندوة الحي : مجلس القوم أو العشيرة . مرائيب جمع مرأب بوزن منبر : الذي يضم الشق ويصلحه . الثأى : الضعف والفساد . المنهاض : المنكسر المتسع . – نصلح ما بين العشيرة مهما كان الفساد شديداً عاماً فيها .

٨ – لم يعتد علينا أحـد إلا أخذنا بوترنا منه . وهنالك أناس يغمضون أعينهم على الذل (يرضون به) .

٩ العام : هذا العام . – سأرمي بجوادي وبنفسي في احدى المعارك .

١٠ أؤول : أرجع . يكفيني : يغنيني عن . عدات جمع عدة (وعد بمال ...) الخلائف : الخلفاء . – يغنيني عن تكسب المال بشعري من الخلفاء ومن غيرهم .

فيا ربِّ ، إنْ حانتْ وفاتي فلا تكنْ على شَرْجَعٍ يُعْلى بخُضْرِ المَطارف[1] ،
ولكنّ قبْري بطنُ نَسْرٍ مَقيلُه بجوّ السماء في نُسور عَواكِف[2] ،
وأُمْسي شَهيداً ثاوياً في عِصابةٍ يُصابون في فَجّ من الأرض خائف[3] .
فَوارِسُ من شَيْبانَ ألّفَ بينَهم تُقى اللهِ نزّالونَ عند التزاحُف[4] .
إذا فارقوا دُنياهُمُ فارقوا الأذى وصاروا إلى ميعاد ما في المَصاحف[5] .

٤ – ديوان الطرمّاح (كرنكو) ، لندن ١٩٢٧ م .

** الطرمّاح بن حكيم لخليل مردم (م م ع ع ، المجلّد ١٧ ، عام ١٩٤٢م) غ ١٢ : ٣٤–٤٥ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٧–٩٨ ؛ زيدان ١ : ٣١٦–٣١٨ .

المرّار بن المنقذ العدويّ

١ – هو المَرّارُ بنُ مُنْقِذِ العَدَويّ بن عبدِ بنِ عمرِو بن صُدَيّ بن مالك بن حنظلة من زيد مَناة بن تميم . وأمّ صُدَيّ هي الحرام بنتُ خُزيمةَ ابن تميم بن الدُّؤَل بن جَلّ بن عَديّ ؛ ولذلك يقال لصديّ ولأولاده بنو العدويّة .

والمَرّار بن المنقذ العدويّ أو الحنظلي[6] شاعر أمويّ من أهل نجد كانت بينَه وبين جريرٍ عداوةٌ ومُهاجاة . وقد قيل ان المرّار سعى بجريرٍ إلى سليمانَ بن

١ شرجع : نعش . يعلى (يغطى) بخضر المطارف (الاردية من الحرير) . – لا أريد أن أموت على فراشي .

٢ – (ولكن أريد أن أموت في المعركة) فتأكل لحمي النسور ثم تحوم (بما أكلت من لحمي) في السماء . عكفت الطيور حول القتيل : استدارت (القاموس ٣ : ١٧٦) حوله في حلقة (بسكون اللام) .

٣ ثاوياً : باقياً (ميتاً) . عصابة : جماعة تآلفوا على مبدأ . يصابون : يقتلون . الفج : الطريق الواسع بين جبلين . خائف : مخوف (يخيف الذي يسلكه أو ينزل فيه) .

٤ التزاحف : لقاء الجيشين في المعركة . نزالون : راكبون خيولهم يقاتلون بالسيوف في المعركة التي يشتبك فيها المتقاتلون .

٥ صاروا إلى ميعاد (تحققَ لهم ما وعدوا به) في المصاحف (جمع مصحف : الكتاب الذي يدون فيه القرآن الكريم) : إلى الجنة أجراً لهم على استشهادهم في سبيل الله .

٦ معجم الشعراء ٣٣٨ .

عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ) وقال له : كان جريرٌ يريد أنْ لَوْ يحول الوليد ابنُ عبد الملكِ ولايةَ العهد منك لِيَجْعَلَها في ابنه عبد العزيز بن الوليد [١] .

ومع أنّ المَرّارَ كان أصغرَ سِنّاً من جرير ، فالظاهر أنه لَمْ يُعَمَّرْ كثيراً ، ولعلّ وفاته كانت سنة ١١٠ هـ (٧١٨ م) أو بعد ذلك بقليل .

٢ - كانَ المرّارُ بن المنقذ العدوي شاعراً قليل الغريب رائقَ الأسلوب ظاهرَ المعاني على الرّغم من أنه جاهليّ المنحى في أغراضه . وهو شاعر غَزِلٌ من الطبقة الأولى . وكان له هجاء ، وقد هاجى جريراً ولكن لم يَثْبُتْ له ، وقد ردّ عليه جرير رداً قبيحاً .

٣ - المختار من شعره :

للمرّار بن المنقذ العدويّ في المفضّليات [٢] قصيدةٌ مقصورةٌ على الغزل أبياتُها خمسةٌ وتسعون بيتاً ومطلَعُها :

عَجَبٌ خَوْلَةُ إذْ تُنْكِرُني ، أم ترى خَوْلَةُ شَيْخاً قد كَبِرْ !

يقول فيها :

ما أنا اليومَ على شيءٍ مضى ، يا ابنةَ العَمِّ ، تولّى بِحَسِرْ [٣] .
قد لَبِسْتَ الدهرَ من أفنانِــهِ كلَّ لونٍ حَسَنٍ منه حَبِرْ [٤] .
وتَعَلّلْتُ ، وبـالي ناعمٌ ، بغزالٍ أحوَرِ العَيْنَين غِرْ [٥] .
هل عَرَفْتَ الدار أم أنكرتَها بين تِبْراكٍ فشَسَّيْ عَبَقُرْ ؟
قد نرى البيضَ بها مثلَ الدُّمى لم يَخُنْهنّ زمانٌ مُقْشَعِر [٦] .

---

١ مثله ٣٣٨ .
٢ (رقم ١٦) . وللمرار في المفضليات قصيدة أخرى (رقم ١٤) .
٣ أنا لست حزيناً على شيء مضى من عمري .
٤ قد عرفت جميع ضروب الحياة وتمتعت بأحسنها .
٥ وتمتعت كثيراً وبالي هادىء بفتاة سوداء العينين غريرة معجبة بنفسها غير مجربة « صغيرة السن » .
٦ البيض : النساء . الدمى : اللعب ، التماثيل « الجميلة » . لم يخنهن زمان مقشعر : لم يرمهن الدهر بالشيخوخة ولا بالمصائب .

يتلهّيْنَ بنَوْماتِ الضّحى ... راجحاتِ الحِلم والأُنسِ خُفُر[1].

قُطُفُ المَشْيِ قريباتُ الخُطى ... بُدَّناً مثل الغَمام المُزْمَخِرِ[2].

يتزاوَرْنَ كتَقَطْاء القطا ... وطَعِمْنَ العيشَ حلواً غيرَ مُرّ[3].

لم يُطاوِعْنَ بصُرمٍ عاذلاً ... كاد من شِدّة لَوْمٍ يَنْتحِرِ[4].

وهوى القلبِ الذي أعجبه ... صورةٌ أحسنُ مَن لاثَ الخُمُر[5]،

راقه منها بَياضٌ ناصعٌ ... يُونِقِ العينَ وضافٍ مُسْبَكِر[6].

وإذا تَضْحَكُ أبدى ضِحْكُها ... أقحواناً قَيّدَتْهُ ذا أُشُر[7].

لو تَطَعّمْتَ به شَبّهتَه ... عَسَلاً، شِيبَ به ثلجٌ، خَصِر[8].

صَلْتَةُ الخدِّ، طويلٌ جِيدُها، ... ناهدُ الثّدْيِ ولمّا يَنْكسر[9].

فهي هيفاءُ هضيمٌ كَشْحُها ... فَخْمَةٌ حيث يُشَدّ المُؤتَزَرْ[10].

تَطأُ الخزّ ولا تُكرِمُه ... وتطيلُ الذّيلَ منه وتَجُرّ[11].

عَبَقَ العَنْبَرُ والمسك بها، ... فهي صفراء كعُرجون العُمُر[12].

إنما النومُ عِشاءً طَفَلاً ... سِنَةٌ تأخذُها مثلَ السُّكُر[13].

---

١ هن منعمات ينمن حتى ترتفع الشمس ، يؤنسن الصديق ولهن رجاحة عقل مع حياء كثير .

٢ قطف المشي : هادئات المشي . بدن : سمان . المزمخر : المرتفع ، وإذا ارتفع الغمام رق وابيض .

٣ تقطاء : مشي القطاة (نوع من الطير) ، مشي قصير الخطوات . طعمن : ذقن .

٤ نهاهن العاذل عن حبهن لي فلمنه لوماً شديداً حتى كاد ينتحر .

٥ هي أجمل من لبس خماراً .

٦ يونق : يعجب . ضاف مسبكر : شعر واف طويل .

٧ اقحوان : (اسنان . قيدته) : حزته بابرة ثم وضعت عليه اثمداً (كحلا) ليحلك لونه – فعلت ذلك بلثتهاي الاغلب .

٨ تطعمت به : ذقته . شيب : مزج . خصر : بارد .

٩ صلتة الخد : منجردة الخد، خدها طويل أملس غير مترهل . ناهد : مرتفع . لم ينكسر ثديها بعد لأنها صغيرة السن .

١٠ هيفاء : ضامرة . هضيم كشحها : خصرها نحيف . فخمة حيث يشد المؤتزر : ضخمة الاوراك .

١١ غنية مترفة تجعل الخز « الحرير » موطئاً لها (فرشاً لأرض بيتها) . وإذا لبست حريراً جعلته طويل الذيل .

١٢ عرجون العمر : قرط يلح السكر ، لونه أصفر جميل ، والعرب تحب اللون الممزوج بصفرة .

١٣ الطفل : الاصيل ، وقت العصر . سنة : نوم .

والضُّحى تَغْلِبُها رَقْدتُهــا خَرَقَ الجُوْذرِ في اليوم الخَدِرِ[1].
وَهْيَ لو يُعْصَرُ – من أردانها – عَبَقُ المسكِ لكادت تنعصر .
أملحُ الخَلْقِ إذا جرّدتها ، غيرَ سِمطين عليها وسُوُرْ[2] ،
لَحسبْتَ الشمسَ في جلبابهــا قد تبدّت من غَمام منسفر .
صُورةُ الشمسِ على صورتهــا كلما تَغرُب شمسٌ أو تَذُرّ[3] ،
تركتني ليسَ بالحيِّ ولا ميِّتٍ لاقى وفاةً فقُبر .
يسألُ الناسُ : أحُمّى داوُهُ أمْ به كان سُلالٌ مستسر[4] ؟
وهي دائي ، وشفائي عندَهــا مَنَعَتْه فهو مَلْوِيّ عَسِرْ[5] !

القَطاميّ التَغْلَبيّ[6]

١ – هو عُمير بنُ شُيَيْمٍ بن عمرٍو بن عبادٍ بن بكر بن عامر من بني غُنْم بن تَغْلِبَ . وهو أول من لُقِّبَ « صريعَ الغواني » من الشعراء . أما مولده ونشأته فلا نَعْرِف عنهما شيئاً ، ولا نكاد نَمُرُّ بذكرٍ له قبل معركة مَرْجِ راهطٍ (٦٤ هـ = ٦٨٤ م) . منذ ذلك الحين نشأت العَداوةُ بين بني قَيْسِ عَيْلانَ ، ورئيسُهم يومذاك زُفَرُ بن الحارث الكِلابيّ ، وبين بني تَغْلِبَ . ثم نَشِبَتْ بين الفريقين حروبٌ منها يوم ماكسينَ على الفرات جَنوبَ رأس العين ، نحو سَنَةَ ٦٦ هـ (٦٨٥ – ٦٨٦ م) فقُتِلَ من تَغْلِبَ زُهاءُ خمسمائةِ رجلٍ ووَقَعَ القَطاميّ أسيراً وأُخِذَتْ إبِلُهُ . فجاء القَطاميّ إلى زُفَرَ بن الحارث رئيسِ قيسٍ ، وكان بقرقيسيا ، فخلّى سبيلَه وردّ عليه

١ في رواية : وقدتها (حرها) . خرق الجؤذز : كخمول الجؤذر (الظبيء الصغير) في اليوم الخدر (البارد) .
٢ السمط : العقد . السؤر جمع سوار .
٣ ذرت الشمس : اشرقت .
٤ السلال : السل . مستسر : مختف .
٥ ملوي : مطول ، أي أسألها دواء لدائي فتعدني ولكن لا تفي .
٦ هو غير القطامي الكلبي وغير القطامي بن الحصين (راجع القاموس ٤ : ١٦٦ ، الاسطر ٥ – ٧ من أسفل ؛ الطبري – ليدن ، ٢ : ١٣٢٦ ، ١٣٨٩)، وهو أيضاً غير أبي المياس القطامي (الامالي ١ : ٣٠). وقد كان هؤلاء أيضاً شعراء . والقطامي : الصقر .

مائَةَ ناقة ، فكان ذلك سبباً لمدائحِ القَطاميّ في زُفَرَ . ثم كان يومُ الحشّاك أو يوم الثّرثار ، أحدِ روافد الفُرات ، (سنة ٧٠ هـ) عند التل (تل عَبْدَةَ) قرب مدينة تكريت فَانْهزَمَتْ فيه تَغْلِبُ . ثم كان يوم رَحوب أو يوم البِشر – والبِشر جبل الجزيرة في شمالي العراق – (٧٣ هـ) فانهزمت تَغْلِبُ أيضاً وقتل يومذاك أبو غياث ابْنُ الاخطل ، ونجا الاخطلُ نفسُه هرباً .

وقد ذكر الحاجي خليفة (٣ : ٥٦١٩) أن القَطاميّ تُوفيَ سَنَةَ ١٠١ هـ (٧١٧ م) ، ولكننا لا نعلم من أين جاء بهذا التاريخ .

٢ – القَطاميّ شاعرٌ مُقلّ يَفْضُلُ الأخْطلَ في ألفاظِه وتراكيبِه ومعانيه– ولا غروَ ، فهو بَدْوِيّ صميمٌ والأخطلُ قَرَوِيّ (حَضَرِيّ) وشاعرُ بَلاطٍ يُعَبّر عن عاطفة الذين يتكسّب منهم أكثرَ ممّا يعبّر عن نفسه هو – ، ولكنّه أقلّ منه شُهرةً . والقطامي فَحلٌ رقيقٌ حواشي الكلام حُلوُ الشعر حَسَنُ التشبيه قريبٌ في نَفَسِه الشعريّ من جريرٍ . ثم هو مُجيدٌ للمديح وللفخر ، خبيثُ الهجاءِ ، ووصفُه بارعٌ جدّاً ، وله شيء من الغزل والنسيب . وهو في غزله وذِكْرِه للنساء يشبهُ الاخطل . وله شيء من الخمر . أمّا الامثال من الحكمة فهي كثيرة في شعره [1] . وهو من أحسنِ الشعراءِ ابْتَداءاتٍ في مطالع قصائده [2] .

٣ – المختار من شعره :

– قال القَطاميّ يمدح عبدَ الواحد بن الحارث الأمويّ بقصيدةٍ منها :

إنّا مُحيّوكَ فَاسْلَمْ ، أيّها الطَلَلُ ، وإنْ بَلِيتَ وإنطالت بِكَ الطِّيَلُ [3] .
أنّى اهتَدَيْتَ لتسليمٍ على دِمَنٍ بالغَمْرِ غَيّرَهُنّ الأعْصُرُ الأُوَلُ [4] .

---

١ راجع في ذلك كله معجم الشعراء ٧٣ ؛ طبقات الشعراء ١٢١ ؛ الشعر والشعراء ٤٥٣ ؛ ديوان المعاني ٢ : ١٢٧ .
٢ العمدة ١ : ١٩٢ ، راجع ١٩١ .
٣ بلي : درس (امحى ، زال معظم أثره) . الطيل جمع طيلة (بكسر الطاء وفتح الياء) : العمر ، المدة ، الدهر . –وان مر عليك زمان طويل .
٤ الدمنة : آثار الدار بعد فراق ساكنيها لها ، الطلل . الغمر : موضع .

كانت منازلَ منّا قد نَحِلّ بهــا حتى تَغيّرَ دَهرٌ خائنٌ خَبِــلُ [1] .
ليس الجديدُ بــه تَبْقى بشاشَتُــه إلاّ قليلاً ، ولا ذو خَلّةٍ يَصِل [2] .
والعيشُ لا عَيْشَ إلاّ ما تَقرّ به عينٌ ، ولا حــال إلاّ سوف تَنْتَقِل [3]
والناسُ مَنْ يَلْقَ خيراً قائلون له ما يشتهي ، ولِأُمّ المُخْطِئِ الهَبَل [4].
قد يُدرِكُ المُتأنّي بعضَ حاجتهِ ، وقد يكونُ مَعَ المستعجِل الزَلَــل .
وقد تُباكِرني الصهباءُ يَرْفَعُهـــا إليّ لَيِّنَةٌ أعْطافُه ثَمِــل [5] .
أقولُ للحَرْف لمّا أنْ شَكَتْ أُصُلاً مَتّ السِفار ، وأفنى نَيّها الرحَل [6] :
إنْ تَرْجِعي من أبي عُثمانَ مُنْجِحَةً فقد يهونُ على المُسْتَنجِحِ العَمَل [7] .
أهلُ المدينة لا يَحْزُنْكَ شأنُهُمُ ، إذا تخطّأ عبدَ الواحد الأَجَل [8] .
أما قريشٌ فلن تلقاهُمُ أبــداً إلاّ وهُمْ خيرُ من يَحْفى ويَنْتَعِل [9] :
إلاّ وهم جبلُ اللهِ الذي قَصُرَتْ عنه الجبالُ فما ساوَى به جَبَل [10] .
قوم هُمُ ثَبّتوا الإسلامَ وَامْتَنَعُوا قومَ الرسولِ الذي ما بعدَه رُسُل [11] .
كم نالني مِنْهُمُ فضلٌ على عَدَمٍ ، إذ لا أكادُ من الإقتارِ أحْتَمِل.

---

١ خبل : مفسد ؛ مجنون .

٢ — كل جديد تبقى لذته مدة قصيرة ؛ والذي يريد بقاء دائماً لا يناله . الخلة : الفقر .

٣ — والعيش لا يكون عيشاً صحيحاً إلا إذا قرّت بـه عين صاحبه (إذا رضي صاحبه به) .

٤ — الناس يحكمون على نتائج أعمال الفرد : يمدحون الذي ينجح ويلومون الذي يخيب .

٥ تباكرني الصهباء : يؤتى إلي بالخمر صباحاً . لينة أعطافه : شاب . ثمل : سكران (من الشباب ، من غير خمر) .

٦ الحرف : الناقة الضامرة . شكت أصلا مت السفار : اشتكت من استمرار السفر إلى وقت العصر (والعادة أن السفر يكون ليلا ، ثم يتوقف مع طلوع الشمس) . المتّ : المدّ ، (الاستمرار) .

٧ ان ترجعي منجحة : ان تعودي بي وقد نلت عطاء من أبي عثمان (عبد الواحد بن الحارث). العمل : السفر ، السفر الطويل ، التردد بين البلدان .

٨ تخطأ : تخطي (لا يضر أهل المدينة مـا يصيبهم إذا ظل أبو عثمان حياً ، فانه يستطيع وحده أن يدفع عنهم جميع الشرور) .

٩ من يحفى وينتعل (يقصد : على كل حـال : في الضيق والشدة) : (قريش أفضـل من) جميع الناس .

١٠ — لم يبلغ جبل اليهم في الارتفاع (المجد) : لا يساويهم أحد (في علو مقامهم ومجدهم) .

١١ امتنعوا قوم الرسل : حموا المهاجرين الذين جاءوا (١ هـ = ٦٢٢ م) مع الرسول من مكة إلى المدينة . ما بعده رسل : محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل وآخرهم وبـه تمت الرسالة السماوية فلا يكون بعده رسول .

هم الملوكُ ، وابناءُ الملوكِ هُمُ ، والآخِذونَ بهِ والساسةُ الأُوَلُ [1] .

— وللقطامي أبيات يفضّل فيها البداوة على الحضارة ويذكر أن الغزو طبيعة في البدوي ، فاذا لم يجد البدويّ غريباً يغزوه غزا أخاه وقريبه ونسيبه (الكامل ٣٨) :

ومن تَكُنِ الحضارةُ أعْجَبَتْهُ ، فأيُّ رجالِ باديةٍ تَرانا [2] !
ومن رَبَطَ الجِحاشَ فإنّ فينا قَناً سُلُباً وأفراساً حِسانا [3] .
وكُنّ إذا أغَرْنَ على قَبيلٍ — فأعْوَزَهُنّ كَوْنٌ حيثُ كانا — [4]
أغَرْنَ من الضِبابِ على حِلالٍ وضَبّةَ ، إنّه من حانَ حانا [5] ؛
وأحياناً على بكرٍ أخينا إذا ما لم نَجِدْ إلاّ أخانا [6] !

— ومن أقوال القطاميّ المشهورة والجارية مجرى الحكمة :

أمورٌ لو تَدَبّرَها حَكيمٌ إذاً لَنَهَى وهَيّبَ مَا استَطاعا [7] .
ولكنّ الأديمَ إذا تَفَرّى بِلىً وتَعَيّناً غَلَبَ الصَّنّاعا [8] .

١ — هم ملوك فعلا (خلفاء) وأبناء الملوك (يفعلون فعل الملوك في الجود والكرم والسياسة والدهاءالخ) . الآخذون به (بالخير) : يفعلون الخير والعمل الصالح .
٢ ... فما أشد ايغالنا في الحياة البدوية !
٣ ربط الجحاش : اتخذ الجحاش (جمع جحش : ولد الحمار) أو الحمير للنقل البطيء في القرى . ان لنا (نحن نقتني) قنا (جمع قناة : قصبة) ، أي رماحاً ، سلباً (جمع سالب : يسلب الحياة ، يقتل) وأفراساً حساناً (جميلة) ، أي أصيلة كريمة .
٤ وكانت خيلنا هذه إذا أرادت الغارة (إذا أردنا نحن الغزو) على قبيل (جماعة) فأعوزهن (لم يجدن) كون (وجود قبيل غني نستفيد من غزوهم) حيث كانا : في مكان ما ....
٥ أغارت خيلنا (غزونا نحن) بني الضبـاب وبني ضبة ، مثلا (وليست هاتان القبيلتان من القبائل الغنية أو القوية) وهم حلال (نازلون ، مستقرون لا يفكرون بغزو) . انه من حان (قرب منا) حان : (هلك !) .
٦ — وفي بعض الاحيان نغزو أخانا (أخوتنا ، أبناء عمنا) بني بكر (بن وائل) إذا لم نجد أحداً غيرهم نغزوه .
٧ — (في الحياة) أمور لو تدبرها (نظر في عواقبها ، في نتائجها) الحكيم لنهى (انتهى عنها ، امتنع عن فعلها) . وفي القاموس (٤ : ٣٩٨ ، السطر ٦) أن « نهى » بهذا المعنى قليلة الاستعمال ، نادرة . هيب (خوف منها غيره) .
٨ الأديم : الجلد (هنا : الجلد المعد للصناعة) . تفرى (تقطع) بلى (اهتراء من القدم وطول الزمن). تعينا = تعين (تشوه) تشوهاً كبيراً غلب الصناع (لم يستطع الصانع الماهر أن يصنع منه شيئاً جيداً) .
— المقصود : ولكن الطبيعة البشرية قد فسدت إلى درجة أن النصح لا يفيد الآخرين ، وأصبح الحكيم نفسه لا ينتصح أيضاً .

وَمَعْصِيَــةُ الشفيقِ عليكَ ممّــا   يَزيدُكَ مَرّةً منـه استِماعا [١] .
وخيرُ الأمْرِ ما استَقْبَلْتَ منه،   وليسَ بِأنْ تَتَبّعَهُ اتّباعا [٢] .
تَرَاهُمْ يَغْمِزونَ مَنِ استَرَكّـوا   ويَجْتَنِبون مَنْ صَدَقَ المِصاعا [٣] .

٤ ــ ديوان القطامي (نشره يعقوب بارت) ، ليدن ١٩٠٢ م .
ديوان القطاميّ (تحرير ابراهيم السامرّائي وأحمد مطلوب) ، بيروت (دار الثقافة) ، ١٩٦٠ م .
غ ٢٠ : ١١٨ وما بعدها .
* بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٥ ــ ٩٦ ؛ زيدان ١ : ٣٤٤ ــ ٣٤٥ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٩١ ــ ٢٠٣ .

عمر بن عبد العزيز

١ ــ هو عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مَروانَ بن الحَكَم بن أبي العاص الأُمويّ ؛ وأمه أمّ عاصم ، وهي ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب .

وُلِدَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز سَنَةَ ٦٣ هـ (٦٨٢ ــ ٦٨٣ م) في المدينة [٤] ؛ وكان ابوه عبد العزيز وَلِياً للعهد ، الا ان عبدَ الملك كان يُحاول أن يُحَوِّلَ وِلايةَ العهد من أخيه عبدِ العزيز إلى ابنه الوليد . ففي مُسْتَهَلّ رَجَبَ من سنة ٦٥ هـ ولّى عبدُ الملك أخاه عبدَ العزيز على مِصرَ أرضاءً له وإبعاداً عن المطالبة بالخلافة . وحَرَصَ عبدُ العزيز على أن يَبْقى ابنُه عمرُ في المدينة يتعلّم فيها الحديثَ والفِقْهَ على علمائها ، وقد بَقِيَ عمر في المدينة حتّى تُوُفِيَ أبوه عبدُ العزيز

١ إذا عصيت الناصح الشفيق مرة فانك ستضر نفسك وستكون مضطراً إلى أن تستمع منه نصحاً آخر جديداً (أو أن تطلب منه أن يعيد عليك نصحه) .
٢ أفضل الأمور ما تقبلتها في أولها (ما انتهزت الفرصة فيهـا مـا دامت ممكنة) . وليس بأن تتبعه (تتتبعه) اتباعاً (تجهد في أن تتدارك الامور بعد أن تكون قـد ولت أو أن تصلح الشيء بعد أن يكون فسد الخ ...) .
٣ ــ ترى الناس يغمزون (ينخسون ، يضايقون ، يؤذون ، يغلبون) من استركوا (من وجدوه ركيكاً ، ضعيفاً ، ليناً) ويجتنبون (يتجنبون ، يبتعدون ، يحاسنون) من صدق المصاع (من يثبت في المجالدة والمقاتلة : من يرد على الاعتداء بمثله أو بأشد منه) .
٤ في ذلك الحين كان عبد الله بن الزبير قد استبد بالحجاز (راجع فوق ، ص ٤٤٢) .

في مصر ، سنة ٨٤ هـ (٧٠٣ م) .

وكتب عبدُ الملك إلى عمرَ بنِ عبد العزيز يستقدمه إلى دِمَشْقَ ثم زوّجه ابنته فاطمةَ بنت عبد الملك .

وفي شوّال من سنة ٨٦ (٧٠٥م) تُوُفِّيَ عبدُ الملك فخلَفَه ابنُه الوليدُ ، وفي ربيعِ الأوّل من سنة ٨٧ هـ (٧٠٦ م) ، بعد خمسة أشهر ، عيّن الوليدُ ابن عبد الملك ابنَ عمه عمرَ بن عبد العزيز والياً على المدينة ، فعاد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة التي كان يحبها كثيراً والتي اتفق أن قضى فيها قسماً كبيراً من حياته .

وفي سنة ٩٣ هـ (٧١٢ م) استقدم الوليدُ بن عبد الملك ابن عمه عمرَ من المدينة إلى دمشق من غير أن يُعلِنَ خلْعه أو أن يُسيء اليه ثم عيّن مكانه عثمانَ بن حيّانَ . وكان سبب تنحية عمر بن عبد العزيز عن المدينة إلحاح الحجّاج ابنِ يوسفَ على الوليد بذلك . كان الحجاج يسير في العراق سيرةَ حزمٍ وبطشٍ أحياناً ، فكان نفَرٌ كثيرون يَهْرُبون من العراق إلى المدينة فلا يستطيع الحجاج بعد ذلك أن يصل اليهم .

وفي صَفَرَ من سنة ٩٩ هـ (مطلع الخريف من عام ٧١٧ م) كان سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ) في مرج دابقٍ (شمالي سورية) في حملة على بلاد الروم فتوفي ؛ ولم يكن أحد من ولديه أهلاً للخلافة فأشير اليه بأن يَعْهَدَ بالخلافة إلى ابنِ عمّه عمرَ بن عبد العزيز (وكان عُمَرُ مَعَ سليمانَ في مرج دابق) .

سار عمر بن عبد العزيز في الخلافة سِيرةً صالحة : حكم بالعدل وعامَلَ الرعيةَ بالاحسان ومَنَعَ الظلم ، فقد أمر بإبطالِ لَعْنِ علي بن أبي طالب على المنابر في عَقِبِ خُطبة يوم الجمعة [١] وجعل مكان اللعن الآية الكريمة من سورة النحل : « إن اللهَ يأمُرُ بالعَدْل والإحْسان وإيتاء ذي القُرْبى ويَنْهَى عنِ الفَحْشاء والمُنْكَرِ والبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لعَلَّكُمْ تَذَكّرون » (١٦ : ٩٠) . وأمر عمرُ بن عبد العزيز بردّ الجيوشِ الاسلامية من حِصار القُسطنطينية [٢] ، كما

١ راجع فوق ، ص ٣٧٢ .

٢ راجع العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط للمؤلف . (بيروت ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م) ، ص ١١١ .

كان يريد أن يرد المسلمين من الاندلس . فلمّا قِيلَ له ان المسلمين أصبحوا كَثْرَةً قويةً في الأندلس أمر ببقائهم [1] . وعَمّ الغنى في أيامه فكان المسلمُ يحملُ زكاتَه ويطوفُ بها في الامبراطورية الإسلامية فلا يَجِدُ مُسْتَحِقّاً يدفعُها اليه . وكان بنو أمية يَتَشَدّدون في السّماح لغير العرب بالدخول في الاسلام ، فجاء إلى عمر بن عبد العزيز وفودٌ من مِصْرَ ومن بلاد التركستان تشكو اليه ذلك . فأمر عمرُ بأن تُتْرَكَ الحرية للناس ، فدخل أهل مصر وأهل التركستان في الاسلام في أيامه .

ومنع عمرُ بن عبد العزيز أعضاء البيت المالك من بني أمية أن يأخُذوا من بيت المال فوقَ ما يستحقّون فنَقَمَ عليه هؤلاء ، ويبدو أنهم هم الذين دَسّوا له السّمّ [2] . وإذا كان عمر بن عبد العزيز لم يَمُتْ من السم حالاً فإنه لم يُعَمّرْ بعد ذلك طويلاً ، فقد كانت وفاته في رَجَبَ من سنة ١٠١ ﻫ (٧١٩م) ، في دمشق .

٢ — كان عمرُ بنُ عبدِ العزيز من خُطَباء بني أميّة المَعْدودين (راجع البيان والتبيين ٢ : ٣٥٣) . وقد كان لهُ اهتمامٌ بالتأليف فقد أشار على محمدَ بن مُسْلِمِ بن عبيد الله بن شِهابِ الزُّهْري (٥٠ — ١٢٣ ﻫ) بجمع أحاديثِ رسولِ اللهِ . ونحن لا نعلمُ إذا كان الزهريّ قد جمعها ثم ضاعت مجموعته ، أو انه لم يَجْمَعْها .

وعلى خطابةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيز نفحةٌ دينية شديدة معَ سلاسة وعذوبةٍ . وله أقوالٌ مفردةٌ رائعة جداً تدل على تفكيرٍ صافٍ وعقلٍ نيّرٍ بالإضافة إلى صِحةٍ في اللغة ومتانةٍ في التركيب .

٣ — المختار من خطبه وأقواله :

— لمّا تُوُفّيَ سُليمانُ بن عبدِ الملكِ اجْتَمَعَ الناسُ (وكان قد أوصى بالخلافة لعمرَ بنِ عبدِ العزيز) ، فسار عمرُ بن عبد العزيز إلى المسجد ثم خَطَبَ في الناس فقال :

---

١ راجع العرب والاسلام في الحوض الغربي .... للمؤلف (بيروت ١٣٧٨ ﻫ = ١٩٥٩ م) ، ص ١١٣ .
٢ سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكيم (راجع رقم ٤ من هذه الترجمة) ، ١١٨ — ١١٩ ، ١٧١ .

أيها الناسُ : إنّي قَدِ ابتُليتُ بهذا الأمر من غيرِ رَغْبة كانت مني ولا مَشُورةٍ من المسلمين ، وإني قد خلَعتُ ما في أعناقكم من بَيْعتي فاختاروا لأنفسِكم .

(فصاح الناس كلهم أنهم يريدونه للخلافة ، فتابع كلامه وقال) :

أوصيكم بتَقْوى اللهِ فإنّ تقوى اللهِ خلَفٌ من كلِّ شيء ، وليس من تقوى الله عزّ وجل خلَفٌ [1] . وَاعمَلوا لآخرتِكم ، فانه من عَمِلَ لآخرته كفاهُ الله تعالى أمرَ دُنياه . وأصْلحوا سَرائرَكم يُصْلِحِ اللهُ الكريمُ علانيتَكم . وأكثِروا ذِكْرَ الموت وأحسنُوا الاستِعدادَ قبلَ أن ينزِلَ بكم هادمُ اللذّات[2] . وإنّ مَنْ لم يذكر من آبائهِ — فيما بينَه وبين آدمَ — حيّاً لَمُعرِقٌ في الموت [3] .

وإنّ هذه الامةَ لم تختلفْ في ربّها عزّ وجلّ ، ولا في نَبيّها صلى الله عليه وسلّم ولا في كتابها ، وإنّما اختلفوا (أي أفراد الامة) في الدينار والدِرْهم. واني ، الله ، لا أعطي أحداً باطلاً ولا أمنعُ أحداً حقّاً . إني لست بخازنٍ ، ولكني أضعُ حيثُ أُمِرْتُ [4] .

أيّها الناسُ : إنه كان قبلي وُلاةٌ تَجتَرّون مَوَدّتَهُمْ [5] بأنْ تَدْفعوا بذلك ظُلْمَهم عنكم . ألا لا طاعةَ لمخلوقٍ في مَعْصيةِ الخالق . من أطاعَ اللهَ وَجبَتْ طاعتُه [6] ، ومن عصى اللهَ فلا طاعةَ له . أطيعوني ما أطَعْتُ اللهَ فيكم [7] ، فاذا عَصَيْتُ اللهَ فلا طاعةَ لي عليكم . أقول قولي هذا وأستَغفرُ

---

١ لو أضاع الانسان كل شيء (من دنياه) لعوضته التقوى ذلك كله (في الآخرة) . ولكن لو ترك تقوى الله (في هذه الدنيا) لما نفعه شيء قط .

٢ هادم اللذات : الموت .

٣ إذا كان الانسان يعلم علم اليقين أن جميع أسلافه بلا استثناء قد ماتوا ، فهذا دليل على أنه هو أيضاً سيموت . معرق في الموت : الموت يأخذ من اسلافه واحداً واحداً منذ زمن قديم جداً .

٤ أنا لا أضن بشيء على أحد منكم ، ولكني أعطي من أمرني الله أن أعطيهم .

٥ تجترون مودتهم : تظهرون المودة لهم بأفواهكم (كالبهيمة تخرج الطعام من جوفها لتعيد مضغه من غير أن يكون في ذلك زيادة في طعامها) .

٦ إذا كان الخليفة يطيع الله فقد وجب على الرعية أن تطيع ذلك الخليفة .

٧ استمروا في طاعتي ما دمت أنا مستمراً في طاعة الله .

اللهَ العظيم لي ولكم .

– وخطب عُمَرُ بن عبد العزيز فقال :

أمّا بعدُ ، أيّها الناسُ : إنه ليس بعد نَبيِّكم صلى الله عليه وسلم نَبيٌّ ، وليس بعد الكتاب الذي أُنزِلَ عليه كتابٌ . فما أحَلَّ اللهُ على لِسانِ نَبيِّهِ فَهُوَ حَلالٌ إلى يوم القِيامة ، وما حَرَّم على لسان نبيه فَهُوَ حرامٌ إلى يوم القيامة . ألا إني لَسْتُ بقاضٍ ولكني مُنَفِّذٌ لله ، ولست بِمُبْتَدِعٍ ولكني مُتَّبِعٌ . ألا إني لست بخيرِكم ، ولكني رجلٌ منكم ، غيرَ أن اللهَ جعَلَني أثقَلَكُمْ حِملاً .

يا أيها الناسُ : إنّ أفضلَ العبادةِ أداءُ الفرائضِ وَاجْتِناب المحارمِ . أقول قولي هذا وأسْتَغْفِرُ الله العظيم لي ولكم .

– **ومن أقوال عمر بن عبد العزيز** (من البيان والتبيين) :

– ما قُرِنَ شيءٌ إلى شيء أفضلُ مِنْ حِلْمٍ إلى عِلْمٍ ، ومن عَفْوٍ إلى مَقْدِرة (١ : ٢٥٨) .

– من قال : لا أدري فقد أحْرَزَ نِصفَ العلم (١ : ٣٩٨) .

– وسأل رجلٌ عمرَ بنَ عبدِ العزيز عن القَتْلى في معركة الجَمل وصِفّين [١] فقال : تلك دماءٌ كَفَّ اللهُ يدي عنها ، فلا أُحِبُّ أن أغْمِسَ لِساني فيها (٢ : ٢٨٩ ، راجع ٣ : ١٣٠) .

– مرّ عمرُ بنُ عبدِ العزيز برجلٍ يُسَبِّحُ بالحَصى ، فاذا بلغ مِائَةً عزَلَ حَصاةً [٢] فقال له : ألْقِ الحَصى وأخْلِصِ الدّعاء (٣ : ٢٨١) .

– سَمِعَ الناسُ مرةً وَقْعَ الصواعق ودَوِيّ الريح وصوت المطر ففَزِعوا ، فقال عمرُ بن عبد العزيز : هذه رَحْمَتُه فكيفَ عذابُه (٣ : ٢٨٥) !

٤ – ** سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم (أحمد عبيد) ، مصر (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧ م .

---

١ أيهم أصاب وأيهم أخطأ . راجع الكلام على معركتي الجمل وصفين ، فوق ، ص ٢٣٩ ، ٣٨٠ ، ٤٠٥ .

٢ وضع حصاة واحدة جانباً للدلالة على أن سبح الله مائة مرة .

– سيرة عمر بن عبد العزيز لجمال الدين بن الجوزي ، مصر ١٣٣١ ﻫ .
– عمر بن عبد العزيز ، لأبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير ، الطبعة الثانية (أحمد الشرباصي) ، القاهرة (الدار القومية للطباعة) بلا تاريخ .
– عمر بن عبد العزيز ، تأليف أحمد زكي صفوت ، مصر (دار المعارف) ، سلسلة « اقرأ » رقم ٦٥ ، ١٩٤٨ م .
– الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، تأليف عبد العزيز سيد الاهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥٣ م .

كعب الأشقري

١ – هو أبو مالك كعبُ بن مَعْدانَ الأشقري ، من الأزْد من بني عائذ ابن دَوْس من اليمن (جَنوب بلاد العرب) ؛ وأمه من بني عبد القيس من الأزد أيضاً . وكعبٌ من شعراء خُراسان [1] النازلين فيها ، كان مسكنه في مرو (غ ١٤ : ٢٩٢ ، السطر ١٢) .

كان كعبٌ الأشقري فارساً شُجاعاً من أصحاب المُهَلّبِ بن أبي صُفرة المذكورين المشهورين في حرب الازارقة من الخوارج . وكان قد هرب من الحجاج بن يوسُفَ وهجاه . فلما طلبه الحجاجُ ولم يَبْقَ له مَفَرٌّ من المجيء اليه بعثه المهلب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان فأرسله عبد الملك إلى الحجّاج وأشار على الحجّاج بالإحسان اليه (الكامل ٦٩٤) . فناظره الحجّاج قليلاً ، ثمّ عفا عنه .

غير أن صِلَةَ كعب الأشقريّ بيزيدَ بن المهلّب بن أبي صفرة كانت سيئةً جدّاً ، فلما تَوَلّى يزيدُ بن المهلب خُراسانَ ، للمرة الثانية (٩٧ – ٩٨ ﻫ) هرب كعبٌ إلى عُمانَ [2] . ومع أنه لم يَسْتَطِبِ الإقامةَ في عُمانَ فقد بَقِيَ فيها إلى آخرِ عُمرِه . وقد كان بين كعبٍ وبينَ ابنِ أخٍ له عَداوةٌ ، فلما كانت

---

١ معجم الشعراء للمرزباني ٢٣٦ .
٢ الجانب الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة العرب .

فِتنةُ يزيدَ بن المهلّب [1] ، سَنَةَ ١٠٢ هـ (٧٢٠ — ٧٢١ م) ، عدا عليه ابنُ عَمّهِ فقتله ، في سنة ١٠٢ هـ نفسِها أو في السنةِ التي تليها .

٢ — كعبُ بن معدانَ الأشقريّ شاعرٌ مُجيد مُطيل قَرَنَهُ الفرزدقُ بنفسه (غ ١٤ : ٢٨٣) . في شعر كعبٍ الأشقري متانةٌ وشيء من المَرَح أحياناً . غير أن شعره ، على سُهولته قليل الطّلاوة . أما فُنونه فهي المدح والهجاء وشيء من الحماسة والفخر وقليل من الغزل وبعض الحكمة . وقدِ اسْتَفْرَغَ مديحه في آل المهلّب [2] ، ثم عاتبهم في آخر حياته فقال ، وهو في عُمانَ (غ ١٤ : ٢٩٢ السطر ١٥) :

أفْنَيْتُ خمسينَ عاماً في مديحِكُمُ ثُمّ اغْتَرَرْتُ بقول الظالم العادي .

وكان كعب الأشقريّ مُتَكَلّماً فصيحاً وخطيباً على البديهة أَعْجَبَ به الحجّاج (البيان والتبيين ١ : ٢٣١ ؛ الكامل ٦٩٤) .

٣ — المختار من شعره وكلامه :

— قال كعبٌ الأشقريّ يمدح المهلّبَ بن أبي صُفْرةَ وابناءه ويذكر قتال المهلب للخوارج الازارقة . وفي هذه القصيدة مَعانٍ كان يُعْجَبُ بها عبدُ الملك ابنُ مروان (غ ١٤ : ٢٨٦) وابو جعفرٍ المنصورُ العباسيّ (معجم الشعراء للمرزباني ٢٣٦) . وفي هذه القصيدة مديح وفخر :

---

١ كانت سياسة سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ) يمنية (يفضل بهـا عرب الجنوب على عرب الشمال في مناصب الدولة والعطاء) . فلما جاء يزيد بن عبد الملك (١٠١ — ١٠٥ هـ) انتهج سياسة قيسية فأغاظ اليمنية ، وهم الكثرة من القبائل التي كانت نازلة في الشام ، فثاروا بقيادة يزيد بن المهلب (وكان يزيد بن المهلب من المقربين إلى سليمان بن عبد الملك) . انتقل يزيد بن المهلب إلى العراق واستقر في البصرة وتسلط على الجزء الجنوبي من العراق وعلى جانب من غربي فارس أيضاً . عندئذ أرسل الخليفة يزيد بن عبد الملك إلى العراق جيشاً قوامه ثمانون ألفاً بقيادة أخيه مسلمة ، فنشبت بين مسلمة وبين يزيد بن المهلب معركة ضارية في واسط (جنوب الكوفة) ، في ١٤ صفر ١٠٢ هـ (٢٤—٨—٧٢٠ م) فانهزم يزيد بمن معه ثم سقط قتيلا .

٢ روى الطبري في أخبار سنة ٧٧ هـ (٦٩٦ م) لكعب الاشقري قصيدة طويلة (طبعة القاهرة ٧ : ٢٧٠ — ٢٧٣) يمدح بها المهلب بن أبي صفرة .

سلوا أهلَ الأباطحِ من قُرَيْشٍ	عن العزّ المُؤيَّدِ أين صارا [1] ؟
ومَنْ يحمي الثّغورَ إذا استَحَرّتْ	حُروبٌ لا ينُونَ لها غِرارا [2] ؟
لَقَوْمي الأزْدُ في الغَمَراتِ أمضى	وأوفى ذِمّةً وأعزُّ جارا [3] !
هُموا قادوا الجيادَ على وَجاها ،	من الأمصار يَقْذُفْنَ المِهارا [4] ،
إلى كَرْمانَ يَحْمِلْنَ المنايا	بكلِّ ثَنِيّةٍ يُوقِدْنَ نارا [5] ،
غَداةَ تركْنَ مَصْرعَ عبْدِ رَبٍّ	يُثِرْنَ عليه من رَهَجٍ عِصارا [6] .
ويومَ الزّحْفِ بالأهوازِ ظِلْنا	نُرَوّي منهمُ الأسَلَ الحِرارا [7] ،
فقَرّتْ أعيُنٌ كانت حديثاً ،	ولم يَكُ نَوْمُها إلاّ غِرارا [8] .
فلولا الشيخُ بالمِصْرَيْنِ يَنْفي	عَدُوَّهُمُ لقد تركوا الديارا [9] .

١ أهل الاباطح : سكان مكة النازلين في وسطها (تمييزاً لهم من أهل الظواهر الذين نزلوا في خارج مكة في الجاهلية لأنهم لم يكونوا من القوة بحيث ينزلون في مكة نفسها ويتولون الحكم).
العز : القوة والمجد . المؤيد : الثابت ، الخالد . أين صار : من ورثه ؟ (ورثه المهلب بن أبي صفرة) .

٢ الثغور : المناطق التي يخشى منها مجيء العدو . إذا استجرت الحروب : اشتدت وكثر القتل فيها . ينون : يفترون ، يكلون ، يضعفون . غرار جمع غار (بتشديد الراء) : غافل . — يستمرون في الحرب ولا يغفلون بل لا يذوقون النوم .

٣ ان قومي الازد أمضى (أحسن معرفة وأحسن إقداماً في الحرب) . الغمرات جمع غمرة : معظم الماء من البحر (وسط المعركة حيث يشتد القتال) .

٤ الجياد : الخيول . على وجاها : على تعبها (لكثرة السير ولكبرها في السن) . والوجى أن يرق باطن القدم من كثرة السير . من الامصار : من كل بلد كبير (دلالة على قوتهم واتساع ملكهم) . يقذفن يسبقن . المهار : الخيل الصغيرة (كناية على مقدرة فرسانها : هم جعلوا خيلهم المسنة تسبق — ببراعتهم في الفروسية — المهار الصغار النشيطة التي يركبها غيرهم) .

٥ كرمان : بلد بفارس . الثنية : العقبة (الطريق الصاعدة في الجبل) . يوقدن ناراً (تقدح حوافرها النار من حجارة الجبال لشدة وقع حوافرها على تلك الحجارة) .

٦ عبد ربه الصغير تولى أمر الخوارج الازارقة بعد مصرع قطري بن الفجاءة (راجع فوق ، ص ٤٥٨) . ونشبت بينه وبين المهلب معركة فسقط عبد ربه قتيلا . الرهج (بسكون الهاء أو بفتحها) : غبار الحرب . العصار : الغبار الشديد .

٧ ... وفي معركة الاهواز (جنوبي غربي فارس) روينا منهم الاسل (الرماح) الحرار (العطاش) لكثرة من قتلنا منهم .

٨ قرت أعين : بردت ، اطمأنت ، رضيت . كانت حديثاً : (؟) في الاغاني (١٤ : ٢٩٦ ، الحاشية ٨) : « ورواية ابن أبي الحديد : حزيناً . وحزين كقتيل يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع .

٩ الشيخ : المهلب بن أبي صفرة (كناية عن حكمته واختباره وحسن رأيه) . المصران : الكوفة والبصرة . ينفي : يجلي ، يطرد . لولا أن الشيخ (المهلب بن أبي صفرة) قد رد الخوارج عن الكوفة والبصرة لكان أهل هاتين المدينتين قد هاجروا منهما .

ولكن قارع الابطالَ حتى أصابوا الأمْنَ وَاجْتَنَبوا الفِرارا[1].
شِهابٌ تنجلي الظَّلْماءُ عنه يُرَى في كل مُبْهِمَةٍ مَنارا[2] .
بَراكَ اللهُ — حين براك — بحراً وفَجّر منك أنهاراً غِزارا [3] .
بَنُوكَ السابقون إلى المعالي إذا ما أعْظَمَ الناسُ الخِطارا [4] .
كأنهُمُ نجومٌ حول بَدْرٍ دراريٌّ تَكَمَّلَ فَاسْتَدارا [5] .
مُلوكٌ يَنْزِلونَ بكلِّ ثغْرٍ ، إذا ما الهَوْلُ يومَ الرَّوْعِ طارا[6].
رِزانٌ في الأمور تَرى عليهِمْ من الشيخ الشّمائل والنِجارا [7]
نجوم يُهتَدى بِهِمُ إذا ما أخو الظَّلْماء في الغَمَرات حارا[8] .

— في البيان والتبيين (٣ : ٣٥٨ — ٣٥٩) : قال كعب الأشقريّ لعمر بن عبد العزيز (يشير إلى أن عمر بن عبد العزيز نفسه عادل زاهد ، غير أن ذلك لا نفع منه ما دام العمال — جامعي الزكاة والضرائب — والولاة ليسوا مثله) :

---

١ — ولكن المهلب قارع (حارب) الابطال (الخوارج) . لعلها : « الابطال » (بكسر الهمزة) أي اعتقاد الخوارج الباطل . حتى أمن أهل الكوفة والبصرة وتركوا فكرة الهرب من مدينتهم .
٢ هو شهاب (نجم عظيم النور) تنجلي الظلماء عنه (يتبدد الظلام حيث يوجد) كأنه في كل مكان مظلم منار أو منارة يضيء ما حوله (يبدد الخوف في كل معركة : ينتصر فيها على أعداء الامة) . في الأغاني يرى (بفتح الياء) . « المبهمة » من أبهم الأمر : اشتبه (لا يرى فيه وجه الصواب) .
٣ براك = برأك (خلقك) . وفجر منك أنهاراً غزاراً (كثرة الماء) : وهبك أبناء عظماء أخذوا عظمتهم منك .
٤ أعظم (استعظم ، خاف) الناس الخطار (المخاطرة والمجازفة) .
٥ كأنهم نجوم دراري (مضيئة) حول بدر تكمل (تمت له أربع عشرة ليلة) فاستدار (أصبح كاملا : أنت بدر تام وأبناؤك حولك نجوم مضيئة) .
٦ ملوك (كناية عن أن المهلب وأبناءه كانوا ولاة في الكوفة والبصرة والموصل وخراسان الخ) .
ينزلون بكل ثغر : يحاربون في جميع أطراف الامبراطورية . الروع : الخوف . طار : تطاير واستطار (انتشر وعم) — إذا كانت معركة شديدة عهد الخليفة اليهم بخوضها (تترك المعارك الصغار لغيرهم) .
٧ رزان جمع رزين : وقور ، يتصرف بهدوء وحكمة . من الشيخ : من أبيهم (راجع الصفحة ٦١٠ ، الحاشية ٩) ، الشمائل جمع شمال (بكثر الشين) : الطبع ، الطبيعة . النجار : الأصل والحسب (العمل الحميد بالسليقة) .
٨ أخو الظلماء : السائر في الليل المظلم . في الغمرات : في الأماكن والاوقات الشديدة الظلام (في الأحوال الشديدة القاسية) .

إنْ كُنتَ تحفظُ ما يَليكَ فإنّما عُمّالُ أرضِكَ بالبلاد ذِئابُ [١] ،
لَنْ يَسْتَجيبوا للذي تدعو لــه حتى تُجلَّدَ بالسيوف رِقاب [٢] ،
بِأكُفِّ مُنْصَلِتينَ أهلِ بصــائرٍ في وَقْعِهِنَّ مَزاجرٌ وعِقاب [٣] .
هلا قُرَيْشٌ ذكرت (؟) بثغورِهـــا حَزمٌ وأحْلامٌ هناك رِغاب [٤] .
لولا قريشٌ نصرُهــا ودِفــاعهــا ألْفيتُ مُنْقَطِعاً بِيَ الأسباب [٥] !

فلما سمع (عمر) هذا الشعرَ قال : لمن هذا ؟ قال : لرجل من أزدِ عُمانَ ، يقال له كعبٌ الاشقريّ . قال : ما كنتُ أظن أهلَ عُمانَ يقولون مثل هذا الشعر !

– لما دخل كعب الأشقري على الحجّاج وأنشده قصيدةً سأله الحجّاج عن بني المهلب فقال كعب (الكامل ٦٩٤ – ٦٩٥ ؛ الاغاني ١٤ : ٢٨٥–٢٨٦) :

المُغيرةُ فارسُهُم وسيّدهم ، وكفى بيزيدَ فارساً شُجاعاً . وسَخِيّهم قُبَيْصةُ ، ولا يَسْتَحْيي الشجاعُ أن يَفِرَّ من مُدْرِك [٦] . وعبد الملك سُمٌّ ناقعٌ [٧] ، وحبيب موت ذُعاف ، ومُحَمّدٌ لَيْثُ غاب [٨] . وكفاك بالمُفَضّل نَجْدةً .

قال (الحجّاج) : فكيف خلّفْتَ جماعةَ الناس ؟ قال (كعب) : خلفتُهم بخيرٍ قد أدركوا ما أمّلوا وأمِنوا ما خافوا .... قال (الحجّاج) :

---

١ إذا كنت أنت تحفظ البلاد القريبة منك فان العمال (جامعي الضرائب) في البلاد البعيدة عنك ذئاب (يأكلون الناس) .

٢ لن يسيروا بسيرتك في الزهد و العدل حتى (تهددهم) بقتلهم أو حتّى تقتل بعضهم فير تدع الباقون عما يفعلون الآن .

٣ المنصلت : الرجل الحازم الذي يمضي (ينفذ) عزيمته بلا تردد . أهل بصيرة (عارفون) بالامور يعاقبون المجرم بالقتل فينزجر الذي يهم بالجريمة .

٤ – هل يتذكر بنو أمية المعروفون بالحزم ورجاحة العقل ما يمكن أن تصير اليه أطراف البلاد (من الضياع والثورات) إذا كان الولاة والعمال يستمرون في هذه السيرة الظالمة (؟) . رغاب : واسعة .

٥ لولا أنني حريص على نصرة بني أمية والدفاع عن ملكهم لقطعت صلتي ببني أمية .

٦ إذا أيقن الشجاع أن لقاء خصمه سيؤدي به إلى الهلاك فلا عار عليه في الهرب .

٧ سم ناقع : بالغ (يصل إلى القلب) ثابت (لا ينفع فيه ترياق : علاج) . – لا تتقي ضربته ، لا ينجو منه مقاتل .

٨ سم ذعاف : يقتل من ساعته .. غاب جمع غابة . – لا يستطيع أحد أن ينازله في معركة ، ومن تصدى له قتل من ساعته .

فكيف كنتم أنتم وعدوّكم ؟ قال (كعب) : كنا إذا أخذْنا عفوْنا ، وإذا أخذوا يئسنا منهم [1] ، وإذَا اجْتهدوا واجْتهدْنا طمعْنا فيهم . قال (الحجّاج) : فكيف كان لكم المهلب وكيف كنتم له ؟ قال (كعب) : كان لنا منه شفقةُ الوالد وله منا برّ الولد .... قال (الحجّاج) : أكُنتَ أعدَدتّ لي هذا الجوابَ؟ قال (كعب) : لا يَعْلَمُ الغَيْبَ إلاّ اللهُ !!

٤ — ** الاغاني ١٤ : ٢٨٢ — ٣٠٠ .

الحكم بن عبدل الأسدي

١ — هو الحَكَمُ بن عَبْدلٍ بن جَبَلة بن عمرو بن ثَعْلبةَ بن عِقال من بني غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد ، ولذلك شُهِرَ بِاسْمِ الحكمِ ابن عبدل الأسدي ، كما كان يُقال له أيضاً الحكم بن عبدل الغاضري . وقد كان منزلُه ومنشأه في الكوفة .

كان الحكم بن عبدل من أول أمره شيعةً لبني أميّة . فلمّا ظَفِرَ عبد الله ابن الزبير بالعراق ، سنة ٦٤ هـ ، وأخرج منه عُمّال بني أميّة **خرج الحَكَم ابن عبدل مَعَهم إلى الشام** . ويبدو أنه لم يتّصل بالبلاط الأمويّ اتّصالاً وثيقاً إلاّ بعد أن جاء عبد الملك إلى الخلافة ، (أواخر رمضان ٦٥ هـ ، أوائل ايار — مايو ٦٨٥ م) ... ثم انّه كان فيما بعد يتردّد بين بلاط دمشق وبين الكوفة يتكسّب من الخلفاء ومن الولاة . وبما أن الحكم بن عبدل كان أعْرَجَ أحدبَ فقد كان يترك الوقوف كغيره من الشعراء بأبواب الممدوحين . وكان يكتب حاجته على عصاه التي يستعين بالمشي بها ثم يبعثها إلى الذين يأمل في نَوالهم فلا يُحبَسُ له رسولٌ ولا تُؤخّر له حاجة . ولقد أعفاه الحجّاج بن يوسف وعمر ابن هبيرة من الغزو للزمانة (العاهة الدائمة) التي كانت فيه .

اتّصل الحكم بن عبدل بعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب

---

١ إذا تمكنا منهم عفونا عنهم . وان تمكنوا منا يئسنا من النجاة . وإذا بذل كل واحد منا جهده كنا نحن أكثر أملا في الانتصار عليهم .

أميرِ الكوفة (البيان والتبيين ٣ : ٧٦) ؛ وعبد الحميد هذا ناب في الكوفة عن يزيد بن المُهلّب سنة ٩٩ هـ . ثم ان الحكم اتّصل بعُمَرَ بن ِ هُبيرة ، فأعفاه عمر بن هبيرة من الجهاد (الاغاني ٢ : ٤١٧) ... وبما ان عمر بن هبيرة لم يَلِ البصرةَ إلاّ في سنة ١٠٢ هـ (٧٢١ م) ، فلعلّ وفاة الحكم بن عبدل الاسدي كانت بعد ذلك بمدّة (سنة ١٠٦هـ) ، لأن الحكم بن عبدل كان قد أقْعِدَ قبل موته.

٢ — كان الحكم بن عبدل بعيداً عن الخُلُق الكريم يتكسّب بالشعر ويُذلّ في ذلك نفسه بالخضوع وبالكذب ، وكان مدمناً للشراب كثير المُجون ، كما كان مَرِحاً في حياته فَكِهاً طيّب العِشرة والمُنادمة .

وكان الحكم بن عبدل شاعراً مُجيداً للقصيدِ وللرَّجَز ، وفي المُقَطّعات والطِوال . وأكثر شعره الهجاء ، فقد كان هجّاءً خبيث اللسان . ولقد كان له مدح ورثاء وغزل ومجون وقول كثير جيّد في الأدب (الحكمة) . وقد كان يتهم بأن كثيراً من اغراضه اغراض غير شريفة ، في «الفأر» وأمثاله (راجع الامالي ٢ : ٢٦٥) .

٣ — المختار من شعره :

— اختار أبو تمّام في ديوان الحماسة للحكم بن عبدل أبياتاً في الأدب منها :

أطلُبُ ما يَطلُبُ الكريمُ من الـرزق لنفسي ، وأجْمِلُ الطلبا [١] .
إنّي رأيت الفتى الكريمَ إذا رَغّبتَه في صَنيعةٍ رَغِبا [٢] .
والعبدُ لا يطلب العَلاءَ ولا يُعْطيك شيئاً إلاّ إذا رَهِبا .
ولم أجِدْ عُروةَ الخلائق إلاّ الديـنَ — لمّا اعتَبرتُ — والحَسَبا [٣] .
قد يُرْزَقُ الخافضُ المُقيمُ وما شدّ بعَنْسٍ رَحْلاً ولا قَتَبا [٤] ،

١ أجمل الطلبا : أطلب (الرزق) بغير عنف أو فظاظة بل باللين والخطة الجميلة .

٢ الصنيعة : العمل الحميد الكريم.

٣ عروة الخلائق : جامع الاخلاق ، الأساس الذي تقوم عليه الاخلاق كلها . لما اعتبرت : لما تأملت وفكرت . الحسب : العمل الحميد .

٤ الخافض : العائش في نعمة وترف . المقيم : الذي لا يبرح بلده . العنس : الناقة الصلبة. الرحل والقتب : ما يشد على الناقة ليركب عليه المسافر . — قد يرزق الانسان رزقاً حسناً من غير أن يسافر في طلب الرزق أو يكد .

ويُحْرَمُ المالَ ذو المَطيّة والسرّ حلْ ومَنْ لا يزال مُغْتربـا .

– كان الحكم بن عبدل ممّن يدخل على عبد الملك ويَسْمُرُ عنده ، فقال ليلةً لعبد الملك يتحبّب اليه بالتعريض بعبد الله بن الزبير وأنصاره :

يا ليت شِعري – وليتٌ ربّما نَفَعَتْ – هل أُبْصِرَنّ بني العوّامِ قد شُملوا [١]
بالذُلِّ والأسْرِ والتشريد ؟ إنّهمُ على البريّة حَتْفٌ أينما نزلوا ؛
أم هل أراك بأكنافِ العِراق ، وقد ذَلّت لعِزِّكَ أقوامٌ وقد نُكِلوا [٢] ؟

– كان الحكم بن عبدل الاسديّ مُنقطعاً إلى بِشْر بن مروان ، وكان بشرٌ يأنَسُ بـه ويُحبّه ويستطيبه . فلمّا وَلِيَ بشرٌ البصرةَ اصْطحب الحكمَ بن عبدل اليها . فلمّا مات بشر جَزِعَ الحكم عليه وقال يرثيه (وفي هذه المرثية تحليل وفيها حكمة) :

أصبحتُ جَمّ بلابلِ الصّـدْرِ مُتَعَجِّباً لِتَصَرّفِ الدهرِ [٣] .
ما زلتُ أطلُب في البلاد فتىً لِيكونَ لي ذُخْراً من الذخر [٤] ،
ويكونَ يُسْعِدني وأُسْعِـده – في كل نائبةٍ من الأمر – [٥] ،
حتّى إذا ظَفِرَتْ يـدايَ بـه جاء القضاءُ بِحَيْنـهِ يجري [٦] .
إنّي لَفي هَمٍّ يُبـاكرنـي منـه وهمٍّ طارقٍ يَسْري [٧] .
فَلأَصْبِرَنّ ، وما رأيتُ دَوًى لِلْهَمِّ غيرَ عزيمة الصبر [٨] .

---

١ بني العوام : أسرة عبد الله بن الزبير بن العوام . شملوا : أحيط بهـم (عمهـم الـذل والاسـر والتشريد) .
٢ أكناف : أطراف . نكلوا (بالبناء للمجهول) : أبعدوا عن المناصب وعن النعمة التي يتمتعون بها الآن ثم عذبوا .
٣ البلابل جمع بلبال : شدة الهم والقلق . تصرف الدهر : سلوكه الغريب في الناس .
٤ الذخر : ما يعده الانسان للمستقبل ليعتمده ويدفع به الأذى أو الحاجة عن نفسه . من الذخر : من أنواع الذخر المفيدة .
٥ الاسعاد : المساعدة والعون على احتمال الصعاب والمصائب . كل نائبة من الأمر : كل مصيبة مهما كان نوعها .
٦ القضاء : الأمر المحتوم على الناس . الحين : الموت .
٧ يباكرني : يأتي علي باكراً (في الصباح) . الطارق : القادم مع مجيء الليل . يسري : يسير في الليـل (يدوم طول الليل) .
٨ الدوى : الدواء ، العلاج .

والله ، مَا استْعظمتُ فُرْقَتَــه   حتّى أحاط بفَضْله خُبْري[1] !

– وللحكم بن عبدل أبيات في الأدب منها (الامالي ٢ : ٢٦٥ – ٢٦٦) :

وإنّي لأستَغْني فما أبطَرُ الغنى ،   وأعـرِض مَيْسوري لِمَنْ يبتغي عَرْضي[2].
وأُعسِرُ أحياناً فتشتدّ عُسْرتــي   فأُدْرِكُ مَيْسورَ الغنى ومعي عِرضي[3] ،
لأُكْرِمَ نفسي أن أُرى مُتَخَشّعاً   لذي مِنّة يُعطي القليل على النّحْض[4] .
أكُفّ الأذى عن أُسْرتي وأذُوده ،   على أنني أجْزي المُقارِض بالقَرض[5] .
وأبْذُلُ معروفي وتصفو خليقــتي   إذا كُدِّرَتْ أخلاقُ كلّ فتىً مَحْض[6] .
وأقْضي على نفسي ، إذا الحقّ نابَني ؛   وفي الناس من يُقْضى عليه ولا يَقْضي[7].
ولستُ بِذي وَجْهَيْنِ في مَنْ عرَفْتُه ،   ولا البخلُ – فاعْلَمْ – منْ سمائي ولا أرضي

٤ – ** الاغاني ٢ : ٤٠٢ – ٤٢٦ ؛ معجم الأدباء لياقوت ١٠ : ٢٢٨ – ٢٣٩ (موجز ما في الاغاني !) .

---

١ – ما أدركت عظم المصيبة بموت بشر بن مروان إلا بعد أن كنت قد اختبرت فضله وكرمه اختباراً عاماً صحيحاً .

٢ أبطر الغنى : أبطر بالغني ، يبطرني الغنى (يجعلني متكبراً فأسيء التصرف به) . « الغنى » مفعول به . وأعرض (أبدي استعداداً للمساعدة) ميسوري (بما يتيسر لدي من الخير ، بالخير القليل الحاضر لدي) لمن يبتغي (يريد ، يحتاج إلي ، يطلب ، يقبل) عرضي (استعدادي للمساعدة ، اقتراحي) .

٣ الاعسار والعسرة : اشتداد الحاجة إلى المال ، الفقر . أدرك : أنال ، أكسب . ميسور الغنى : الشيء الممكن من المال . ومعي عرضي : من غير أن أدنس عرضي (من غير أن أهدر كرامتي بعمل قبيح أو غير لائق ، من غير أن أذل نفسي) .

٤ متخشعاً : ذليلا ، مستكيناً ، راكعاً . النحض : كثرة اللحم (والمال) ؛ الالحاف (الالحاح) في السؤال . ذو المنة : الذي إذا أعطى أحداً شيئاً أذله وهو يعطيه ذلك الشيء ثم استمر يذكره بفضله عليه . – من الناس من يكون غنياً جداً ولا يعطي إلا شيئاً قليلا (بعد الحاح المحتاجين في الطلب منه) ثم هو يظل يذكرهم باحسانه اليهم .

٥ أذوده : أدفعه ، أرده (أحمي أسرتي من الأذى وأدفعه عنها) . أجزى المقارض (الذي يسلف إلي خيراً أو شراً) بالقرض (بمثل ما صنع معي من خير أو شر) .

٦ المحض : الخالص ، النقي . الفتى المحض : الرجل النبيل الشريف الاصل الحميد الافعال .

٧ – وأحكم على نفسي بما عليها من الحق أو الباطل . إذا الحق نابني (أصابني) : إذا كان الحق علي (إذا كنت مخطئاً) . وفي الناس فرد قد لا يعرف الحق من الباطل أو لا يحفظ كرامة نفسه فلا يرجع إلى الحق من تلقاء نفسه ، بل يجبره الآخرون دائماً على الاقرار على نفسه بأنه مخطئ .

كُثَيِّر عَزّة

١ – هو أبو صخر كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن بن الاسود بن عامر من بني خُزاعة بن ربيعة من الازد من قَحطان (غ ٩ : ٣ – ٤) ، وقيل هو من بني عمرو بن خُزاعة بن الصَلت بن النَضْر بن كِنانة من مُضَر [١] . وأمّه جُمعة بنت الاشْيَم [٢] ، ولذلك كان يقال أيضاً : كثير بن أبي جمعة .

وُلِدَ كُثَيّر ، فيما يبدو ، في بَيْسان بين المدينة وخيبر من شمالي الحجاز ، نحو سنة ٤٥ ﻫ (٦٦٥ م) . ومات أبوه وكان هو لا يزال صغيراً فكفله عمه فكان يرعى غنماً لعمّه . ويبدو أن كثيّراً اعتنق منذ صباه مذهب الكَيْسانية ، وهم فرقة من غُلاة الشيعة ينتسبون إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي ويزعُمون أن محمد بن الحنفية [٣] لم يمت وأنه موجود في جبل رَضْوى قرب المدينة وعنده ماء وعسل لمعاشه . وكذلك كان هؤلاء يؤمنون بالتناسخ وبالرَجعة [٤] .

وكذلك عشق كثيّر في صباه عَزّةَ بنت حُميل (بالحاء المهملة) بن وقّاص من بني حاجب من بني ضُمرة ، ولذلك يقال لها عزّة الضمريّة وعزّة الحاجبية . وأحب كثيّر عزّةَ وكانت لا تزال صغيرة جداً ، وكانت حُلوة حُميراء نظيفة الثوب حُلوة الحديث . وقد كان أهل عزّة يسكنون في شمالي الحجاز ، شرق أيْلة (العَقَبة) ، ولكنّ كثيّراً رآها في المدينة فأحبها . وكرهت عزّة في أول الأمر كثيّراً ، فقد كان صغير الرأس قبيحاً قصيراً جداً ، لكنّها عادت فشُغِفت به . وتزوّجت عَزّة فيما بعد ، غير أن كُثيّراً ظل محبّاً لها . وقد زعم قومٌ أنه لم يكن مخلصاً في حبها ، وأنه أحب بعدَها فتاةً اسمُها أم الحُوَيرث . وماتت عزّة قبل كثيّر ، ولكثيّر رثاء فيها .

ومع أن كثيّراً كان شيعياً غالِياً فانه نال حَظوةً عند بني أميّةَ فمدح

---

١ ديوان كثير ١ : ٥ – ٦ عن سيرة هشام (١ : ٦١ ؛ خزانة الأدب ٢ : ٣٨١) .

٢ الاشيم لقب الاسود جد كثير (راجع وفيات ٢ : ١٨٩) .

٣ خولة الحنفية زوج علي بن أبي طالب .

٤ التناسخ : تقلب النفس الواحدة في عدد من أجساد الناس والحيوان . الرجعة : رجوع النفس بعد الموت إلى الجسد الذي كانت فيه .

عبد الملك بن مروان وأخاه عبدَ العزيز واليَ مصر ؛ ومَعَ أن عمر بن عبدالعزيز لم يكن يُجيز الشعراء فقد أجاز كُثيّراً بثلاثمائة درهم .... ولكننا لا نرى لكثيّر اتصالاً بالوليد وبسليمان ابني عبد الملك .

وبعد مرض قصير توفّي كثير في المدينة ، سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) .

٢ — كُثيّرُ عَزّةَ شاعر مكثر من فحول الشعراء من الطبقة الثانية من الاسلاميين بعد جرير والفرزدق . « وهو عندَ أهلِ الحجاز أشعرُ من البعيث والقَطاميّ ، ومن الفرزدق وجَرير والأخطل وراعي الابل » (طبقات الشعراء ١٢١ ، ١٢٢ ، راجع ١٢٣) . وكثيّر شاعر رقيق بَدْوِيّ الاسلوبِ يُجيد الغزل والوصف والمديح ، وله رثاء قليل .

٣ — المختار من شعره :

— قال كُثيّر عَزّة يَنْسِب بعزّة :

خليليّ ، هذا رَبْعُ عَزّةَ فاعْقِلا ... قَلوصَيْكما ثم ابْكيا حيثُ حَلّتِ [١] .
ومُسّا تُراباً كان قد مَسّ جِلْدَها ... وبِيتاً وظلاّ حيثُ باتتْ وظلّتِ [٢] .
ولا تَيْأسا أن يَمْحُوَ اللهُ عنكما ... ذنوباً إذا صَلّيتما حيث صلّتِ .
وما كنتُ أدري قبل عَزّةَ ما البُكا ... ولا مُوجعاتِ القلبِ حتى تَولّت [٣] .
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها ... كناذرةٍ نذراً فأوْفَتْ وحلّت [٤] .
فقلت لها : يا عَزّ ، كلُّ مُصيبةٍ ... إذا وُطِّنت —يوماً— لها النفسُ ذلّت [٥] .

---

١ اعقلا قلوصيكما : اربطا ناقتكما . حلت : نزلت ، سكنت .

٢ بات : قضى الليل . ظل : قضى النهار .

٣ موجعات (بالرفع ، معطوفة على البكا : مبتدأ مؤخر) . موجعات (منصوبة بالفعل أدري وعلامة نصبها الكسرة) . حتى تولت : حتى أصبحت والية على قلبي (ملكته بحبي لها) .

٤ الناذرة : التي أقسمت أن تعمل عملا معيناً . أوفت = وفت : نفذت أو حققت العمل الذي كانت قد أقسمت أن تعمله . حلت : خرجت من احرامها (النذر قسم أو يمين يجب تنفيذه، فما دام المرء لم ينفذه فهو آثم . فاذا نفذه فقد حل نفسه من الاثم) .

٥ — إذا عزم الانسان على احتمال المصيبة فان المصيبة تهون وتخف .

ولم يَلْقَ انسانٌ من الحب مَيْعَةً	تَعُمُّ ولا عَمياء الا تجلّت [1] .
كأنّي أنادي صخرةً ، حين أعرضت ،	من الصُّمّ لو تمشي بها العُصْمُ زلّت [2] .
صَفوحاً فما تلقاكَ إلا بخيلةً ،	فمَنْ ملّ منها ذلك الوصلَ ملّت [3] .
فما أنصفتْ : أما النساءَ فبَغّضتْ	إليّ ، وأما بالنّوالِ فضَنّت .
يُكلّفها الغَيْرانُ شتمي ، وما بها	هَواني ، ولكنْ للمليك استذلّت [4] .
هنيئاً مَريئاً — غيرَ داءٍ مُخامِرٍ —	لعزّةَ من أعراضنا ما استحلّت [5] .
أسيئي بنا أو أحسني ، لا ملومة	لدينا ولا مَقْليّةٌ ان تَقَلّت [6] .
فما أنا بالداعي لعزّةَ بالجَوى ،	ولا شامتٍ إن نَعْلُ عزّةَ زلّت [7] .
فلا يَحْسَبِ الواشون أن صَبابتي	بعزّةَ كانت غَمرةً فتَجلّت [8] .
فواللهِ ثم اللهِ ، ما حلّ قبلَها	ولا بعدَها من خُلّةٍ حيث حلّت [9] .

---

١ الميعة : عنفوان النشاط . العمياء : الضلالة . — كل شدة من الحب (ومن غيره أيضاً) ستنجلي (ستنكشف ، ستزول) .

٢ — كأني حينما أنادي عزة أنادي صخرة صماء قاسية (لا تسمع النداء فلا تجيب) من تلك الصخور التي إذا سارت عليها العصم (الظباء والوعول التي في أيديهما بياض ، وهي تألف الجبال) زلت (تعثرت) . أعرضت : صدت .

٣ صفوحاً : صادة ، معرضة ، ملتفتة عني . لا تلقاك إلا بخيلة : لا تنعم عليك إلا نادراً . ذلك هو أقصى ما تمنحه للمحب من الوصل ، فمن لم يرض ذلك منها تركته مرة واحدة .

٤ الغيران (يقصد زوجها) . ما بها هواني : لا تريد اهانتي وشتمي . للمليك : للمالك (لزوجها) . استذلت : أطاعت . — اتفق أن عزة أرادت أن تشتري سمناً فدخلت خباء كثير اتفاقاً ، وكان كثير يبري سهماً ، فلما رآها ذهل وجعلت الشفرة تصيب ذراعه فدميت ذراعه . فأسرعت عزة تمسح دمه بثوبها . ثم ان كثيراً أعطاها نحي سمن كان عنده . فلما عرف زوجها بالقصة أمرها أن تخرج اليه وتشتمه بصوت مرتفع . فاضطرت إلى أن تفعل ذلك .

٥ — إذا كانت عزة قد استحلت عرضي (شتمتني) فانني قد سامحتها بذلك من غير أن أضمر لها كرهاً أو حقداً .

٦ الملول والملولة : التي تمل (بالبناء للمعلوم بمعنى كارهة ، أو بالبناء للمجهول بمعنى مكروهة) . مقلية : مبغضة (بالبناء للماء للمجهول) . تقلت : تبغضت (أظهرت البغض) .

٧ الجوى : المرض (بالحب) ، الألم الذي يصحب المحب .

٨ غمرة : شدة (عارضة ، كالموجة التي تغمر شيئاً ثم تمر) . تجلت : انكشفت ، زال أثرها .

٩ الخلة : الحبيبة . — ما أحببت أحداً إلا عزة .

وانّي وتَهْيامي بعزّةَ بعد ما … تَخلّيتُ ممّا بيننا وتخلّتِ [1] ،
لَكالمُرْتجي ظِلَّ الغَمامةِ ، كُلّما … تَبَوّأ منها للمَقيل استقلّتِ [2] .
فان سأل الواشون : فيمَ هجرتَها ؟ … فقل : نفسُ حرّ سُلّيَتْ فتَسَلّتِ [3] .

— وقال كثيّر مشيراً إلى أمور من عقيدة الكيسانية . (غ ٩ : ١٤ — ١٥) :

ألا إنّ الأئمةَ — من قُريشٍ — … ولاةَ الحقّ أربعةٌ سَواءُ [4] :
عَليّ والثلاثةُ من بَنيه … هم الاسباطُ ليس بهم خَفاء [5] .
فسِبْطٌ سِبط إيمانٍ وبِرّ ، … وسبط غَيّبته كَربلاء [6] .
وسبط لا تراه العين حتّى … يَقودَ الخيلَ يَقدُمها اللِواء [7] ،
تَغَيّب ، لا يُرى ، عنهم زماناً … برَضْوى عنده عسلٌ وماء .

— وقال كثيّر يمدح عمر بن عبد العزيز :

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ عَليّاً ، ولم تُخِفْ … بَرِيّاً ، ولم تقبلْ إشارة مُجرمَ ،
وصدّقتَ بالفعل المَقالَ ، مع الذي … أتيتَ ، فأمسى راضياً كلّ مُسْلِم .
وقد لَبِستْ — لُبْسَ الهَلوكِ ثيابَها … تَراءى لك — الدّنيا بكفّ ومِعْصَم [8] ،
وتُومض أحياناً بعينٍ مريضةٍ ، … وتَبْسِمُ عن مثل الجُمان المُنَظّم [9] .

---

١ و ٢ التهيام : شدة الهيام ، العشق الذي يؤدي بصاحبه إلى الوسوسة فالجنون . تخليت مما بيننا وتخلت : عزمت على ترك حبها وعزمت على ترك حبي. وتهيامي (الواو للقسم): أقسم بحبي العظيم لعزة . ويجوز أن يكون « وإني وتهيامي بعزة.... لكا لمرتجي » : مثلي في حبي لعزة (ومثلها) كمثل الذي يريد أن يستظل من حر الشمس بظل الغيمة المارة كلما جلس في ظلها تابعت الغيمة سيرها فيظل هو في حر الشمس (يقصد أنه لايزال يحب عزة ، ولكن عزة لا تبالي به) .

٣ — وأخيراً حمل كثير نفسه على نسيان عزة فنسيتها نفسه .

٤—٧ الخلفاء أربعة فقط وهم في مقام واحد : علي بن أبي طالب وأبناؤه الثلاثة . السبط (بكسر السين) : الحفيد من البنت (يقصد أبناء بنت الرسول). سبط ايمان وبر : الحسن . سبط غيبته كربلاء: الحسين. وسبط لا تراه العين .... : محمد بن الحنفية ، وهو ليس من أسباط الرسول ولكن جمع من الحسن والحسين تغليباً . يقود الخيل يقدمها اللواء : يرجع بجيش للقضاء على الظالمين .

٨ الهلوك : الفاجرة المتساقطة على الرجال ؛ الحسنة التبعل لزوجها .

٩ أومضت المرأة : سارقت النظر ، غمزت بعينها . عين مريضة : فاترة الجفون من الجمال والدلال . وتبتسم أسنانها كأنها الجمان (اللآلي الكبار) ، كناية عن الاغراء والاغواء .

فأعرضتَ عنها مُشْمئزّاً كأنّما سقتك مَدوفاً من سَمامٍ وعلْقم[1].
فلمّا أتاكَ المُلْكُ عَفْواً – ولم يكن لطالب دنياً بعدَه من تَكَلُّم – [2]
تركتَ الذي يفنى وان كان مُونِقاً ، وآثرتَ ما يبقى برأي مُصَمِّمِ [3]
فما بين شرق الارض والغرب كلِّها مُنادٍ يُنادي من فصيحٍ وأعجم ،
يقول : أميرَ المؤمنين ، ظلمتَني بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذِ دِرْهم –
ولا بَسطِ كفٍّ لامرئٍ غيرِ مُجْرم ، ولا السفكِ منه ظالماً مِلْءَ مِحْجَم[4].
ولو يستطيع المسلمون لَقَسّموا لك الشطرَ من أعمارِهم غيرَ نُدَّم !

٤ – شرح ديوان كثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي المعروف بكثيّر عزّة (اعتنى بجمعه هنري بيرس) ، الجزائر ١٩٢٨ .
* العشّاق الثلاثة : جميل وكثيّر وعبّاس فوز ، تأليف زكي مبارك ، مصر ١٩٤٥ .
غ ٩ : ٣ – ٣٩ ؛
بروكلمان ١ : ٤٤ ، الملحق ١ : ٧٩ ؛ زيدان ١ : ٣٣٢ – ٣٣٤ .

نُصيب بن رَباح

١ – كان ابو الحَجناء أو أبو مِحْجَن نُصيبُ بنُ رباحٍ عبداً رقيقاً نُوبيّاً لرجل من أهل وَدّانَ في وادي القُرى (شَماليّ الحجاز) ، قيل من بني كعب بن ضُمرة من كِنانة ، وقيل من بَليّ بن قُضاعة . وكان والدا نُصيبٍ عبدَيْنِ نوبيين أسودينِ ، فكان هو شديدَ السواد ، ولكنّه كان حَسَنَ الزِيّ نظيفَ الثياب .

وعاش نُصيب معَ أهله وولَدِه على الرقّ زماناً . ثم قال الشعر فكاتب على نفسه[5] ورَحَلَ إلى والي مصر عبدِ العزيز بن مروان (٦٥ – ٨٤ هـ)

١ كأنها تريد أن تسقيك السم القاتل مدوفاً (مخلوطاً ، ممزوجاً) بالعلقم (بالمرارة) .
٢ عفواً : من غير طلب له . ولا يطمع انسان بشيء وراء الملك (؟) .
٣ المونق : الحسن الذي يعجب العين . مصمم : حازم لا يثنيه شيء عما أراد .
٤ لم تعاقب إلا المجرمين والظالمين .
٥ كاتب العبد مولاه على نفسه : اتفق مع مولاه على مبلغ يؤديه إلى مولاه (سيده ، صاحبه – بالتقسيط) على أن يصبح حراً إذا وفى المبلغ المتفق عليه .

ومدحه . وأعجبَ عبدُ العزيز بنصيبٍ فاشتراه من مولاه مَعَ أهله وولده وأعتقهم جميعاً . فكان نصيب يرْحَلُ في كل عامٍ إلى عبد العزيز مادحاً اعترافاً بفضله .

وبعد اتصال نصيب بعبد العزيز بن مروان اتصل بعبد الملك وبسُليمان بن عبد الملك ، ثم بعُمَرَ بن عبد العزيز والياً على المدينة وخليفةً . ثم إنّه اتصل أيضاً بيزيد بنِ عبد الملك وأدرك هشاماً . وعلى هذا يجب أن يكون نُصيب قد تُوُفِّيَ بين سنة ١٠٥ وسنة ١١٠ للهجرة (٧٢٤ – ٧٢٨ م) وعُمْرُهُ نحو ستين سنة أو تزيد قليلاً .

٢ – كان نُصيبُ بنُ رَباحٍ شاعراً فَحْلاً فصيحاً جيّد الكلام مُقَدَّماً في المديح والنسيب والرثاء . وقد قال النسيب في مطلع حياته عفيفاً رقيقاً ثم تركه وتَوَفَّرَ على المديح . وكان له رَجَزٌ أيضاً . ولنُصيبٍ شيء من الحكمة والفخر . وله في سوادِ لونه شِعْر كثير على مِثال شعر عنترة في مثل ذلك . وقيل لم يكن نصيبٌ يُحبّ الهجاءَ ، ولم يكن يحسنه .

٣ – المختار من شعره :

– قال نصيب يمدح عبد العزيز بن مروان لما رحل اليه بمصر :

لِعبدِ العزيزِ على قومهِ ... وغَيْرِهِمُ نِعَمٌ غامِرَهْ :
فبابُك ألْيَنُ أبوابهِم ، ... ودارُك مأهولةٌ عامره ،
وكلبُك آنَسُ بالمُعْتَفينَ ... مِنَ الأُمِّ بالإبنة الزائره .
وكفّك ، حين تَرَى السائلين ، ... أنْدى من الليلة الماطره .
فمنك العطاءُ ، ومني الثناءُ ... بكلّ مُحَبَّرَةٍ سائره [١] .

– وقال يمدح سليمان بن عبد الملك :

أقولُ لركْبٍ صادرين لَقِيتُهُمْ : ... قِفُوا ، ذاتَ أوْشالٍ ، ومولاك قاربُ –
قفوا خَبّروني عن سليمانَ ، انني ... لمَعروفهِ من أهلِ وَدّانَ طالبُ .

١ محبرة : (قصيدة) حسنة الديباجة (تشبيهاً لهـا بالحبرة ، وهي نوع من الثياب الحريرية تأتي من اليمن) . سائرة على الالسن ، مشهورة ، تروى بكل مكان .

فعاجوا فأثنَوْا بالذي أنتَ أهلُـه ، ولو سكَتوا أثنَتْ عليكَ الحقائب [1] .
وقالوا : عَهِدْناه ، وكلَّ عَشيّةٍ بأبوابهِ من طـالبِ العُرْف راكب ؛
هو البدرُ ، والناس الكواكبُ حولَه . ولا تُشبهُ البدرَ المُضيءَ الكواكبُ.

– وقال يفتخر بنفسه ويذكر سواده :

ليس السوادُ بناقصي ما دام لي هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثـابتِ .
من كان ترْفَعُه منابتُ أصلهِ ، فبيوت أشعاري جُعِلْنَ منابتي .
كم بين أسودَ ناطـقٍ ببيـانه ماضي الجَنانِ وبين أبيضَ صامتِ [2] !
اني لَيَحْسُدُني الرفيعُ بنـاؤه فضلَ البيانِ ، وليس بي من شامت [3] .

– أحب نُصيبٌ فتاةً من بني مُدْلجٍ فكان أهلها يَحرُسُونها منه . لذلك كان يَقفُ لها في الطريق ، فاذا مرت أشار اليها بعينيه أو حاجبيه . وقد قال فيها (غ ١ : ٣٧٥) :

وَقَفْتُ لها كيما تَمُرُّ ، لعَلّني أخالسُها التسليمَ إنْ لم تُسلّمِ .
ولمّا رأتْني والوشـاةُ تَحدّرتْ مَدامعُهـا خوفـاً ولم تتكلّم .
مساكينُ أهلُ العِشقِ ، ما كنتُ أشتري جميعَ نفوسِ العاشقين بدرهم !

٤ – * * الاغاني ١ : ٣٢٣ – ٣٧٧ ؛ شاعر بني مروان نُصيب بن رباح لشفيق جبري (الثقافة – مصر ، ١١–٤–١٩٤٤) ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٩ ؛ زيدان ١ : ٣٤٣ – ٣٤٤ .

---

١ – عاج : عطف رأس البعير بالزمام ووقف . أثنوا بالذي أنت أهله : قـالوا فيك حقاً ، لم يبالغوا . ولو سكتوا .... : لو لم يمدحوك لدل على فضلك عطاياك التي كانت محملة في حقائبهم .
٢ ما أعظم « الفرق » بين رجل أسود اللون وهو حسن الكلام جيد البيان وبين رجل أبيض الجلد ولكنه صامت (لا يحسن من الكلام شيئاً) .
٣ – ان صاحب المجد (إشارة إلى ان نصيباً كـان عبداً أسود رقيقـاً) يحسدني على بلاغتي وحسن شعري .

دُكين بن رَجاء الفُقيميّ [1]

١ — هو دُكَيْنُ بنُ رَجاءٍ الفُقَيميّ ، من فُقَيم بني دارمٍ ، التّميمي [2] .

كان دُكينُ بن رجاءٍ يتكسّب بشعره ويَرْحَلُ به إلى الآفاق ، فقد مدح مُصْعَبَ بنَ الزّبيرِ في المدينة [3] في سنة ٦٦ ﻫ (٦٨٥ — ٦٨٦ م) أو في البصرة ، نحو سنة ٧٠ ﻫ (٦٨٩ — ٦٩٠ م) ، في الاغلب .

ووَفَدَ دُكينُ بن رجاء على الوليدِ بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦ ﻫ) في دِمَشْقَ . واتّفق أن كان الوليدُ يَتَأهّبُ في ذلك الحين لإقامةِ سباقٍ للخيلِ ، فأنزلَ دُكينُ بن رجاءٍ في السباق فرَساً لم يكن له غيرُه فجاء فرسُه هذا سابقاً [4] .

وكذلك وَفَدَ دُكين بن رجاءٍ على عُمرَ بنِ هُبيرةَ الفَزاريّ [5] ، سَنَةَ ١٠٣ ﻫ (٧٢١ — ٧٢٢ م) في الاغلب ، في الكوفة أو في البصرة ومدحه .

وكانت وفاةُ دُكينِ بن رجاء الفُقيميّ الدارمي التميمي سنة ١٠٥ ﻫ [6] ، في عام ٧٢٣ أو ٧٢٤ م .

٢ — دُكينُ بن رجاءٍ الفُقيميّ راجزٌ مشهور يَمْدَح رَجَزاً [7] . وابنُ قتيبةَ يَنْسبَ القصيدة :

---

١ هنالك دكين بن سعيد (أو سعد) الخثعمي المزني الذي كان من أصحاب رسول الله (تاج العروس ٩ : ٢٠١ ؛ راجع الاصابة ، رقم ٢٤٠١) . وهنالك أيضاً دكين بن سعيد الدارمي (توفي ١٠٩ ﻫ) ، وستأتي ترجمته .

٢ في القاموس (٤ : ١٦٠) : « النسبة إلى فقيم كنانة فقمي ، وإلى فقيم دارم فقيمي » .

٣ تولى مصعب بن الزبير المدينة لأخيه عبد الله بن الزبير من سنة ٦٥ إلى سنة ٦٨ ﻫ ، ثم تولى البصرة منذ عام ٦٧ ﻫ (٦٨٦ — ٦٨٧ م) إلى مقتله سنة ٧١ ﻫ (٦٩٠ م) . أما قول بروكلمان بأن دكين بن رجاء الفقيمي مدح مصعب بن الزبير في أيام الوليد بن عبد الملك (الملحق ١ : ٩١) فخطأ ظاهر .

٤ معجم الأدباء ١١ : ١١٣ .

٥ كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة (حيدر اباد الدكن ١٣٦٨ — ١٣٦٩ ﻫ = ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م) ١١٦ ولسان العرب ١٩ : ١١١ .

٦ معجم الأدباء ١١ : ١١٧ .

٧ معجم الادباء ١١ : ١١٣ .

إذا المرء لم يدنَس من اللؤم عِرضه فكلّ رداء يرتديه جميلُ ،

إلى دُكَينِ بن رجاء الفقيمي [1] .

٣ – المختار من رجزه :

– قال دُكينُ بن رجاءِ الفُقَيْمي يمدح مُصْعَبَ بنَ الزّبير :

يا ناقُ ، خُبّي بالقيودِ خَبَبَا [2]
حتّى تَزوري بالعراقِ مُصْعَبَا .
قد علم الأنــام إذ ينتخبــا [3]
بيانَــه ورأيَــه المُجرّبا [4]
وفي الأمور عَقْله المُؤدّبا .

* * *

يا مُرْسِلَ الريحِ الجَنوبِ والصَبا [5]
وآذِناً للفُلْكِ تَجْري خَبَبَا [6]
وخالقَ الماءِ وَشيجاً نَسَبا [7]
يُعيدُ خَلْقاً بعدَ خَلْقٍ عَجَبا [8] :

---

١ الشعر والشعراء ٣٨٨ – ٣٧٩ ؛ الاغاني ٩ : ٢٦١ – ٢٦٢ .

٢ الخبب (هنا) : السرعة . القيود جمع قيد : سمة في عنق الفرس أو البعير (كناية عن كرم الأصل والسرعة واحتمال السفر الطويل) .

٣ في معجم الأدباء (١١ : ١١٦) : علم الانام إذ ينتخبا (علم بفتح العين وكسر اللام ، الانام مرفوعة على انها فاعل . وقد حاول معلق أن يجد وجهاً لنصب الفعل المضارع (ينتخب) بعد « إذ » . ولعل الاوجه أن نقرأ : قد علم (بتشديد اللام المفتوحة) الانام (بالنصب على انها مفعول به) أن ينتخبا (أن يؤثر ، يفضل) .

٤ بيانه : فصاحة منطقه ووضوح كلامه وتعبيره .

٥ الجنوب (بفتح الجيم) : الريح الجنوبية (هنا): الريح الحارة. الصبا : الريح الشرقية العليلة المنعشة. مرسل الجنوب والصبا هو الله الذي يسير الريح كما يشاء .

٦ الفلك : السفينة أو السفن (للواحد والجمع) . الخبب: السرعة (لاحظ تكرار القافية) .

٧ خالق الماء : الخالق من الماء . الوشيج (جمع وشيجة) النسب : اشتباك القرابة بالنسب (بشراً ينتسب بعضهم إلى بعض) .

٨ يعيد خلقاً بعد خلق : يخلق النـاس واحداً بعد واحد يشبه كل واحد منهم الآخر في كل شيء .

عَظْماً ولحماً ودَماً وعَصَباً ،

خالاً وعمّاً وابْنَ عَمٍّ وأبَا —

أعْطِ الأميرَ مُضْعَباً ما احتْسَبَا [١] ،

واجعلْ لهُ من سلْسَبِيلٍ مَشْرَبا [٢]

فَرْعاً يَزِينُ المِنْبَرَ المُنَصَّبا [٣]

قلباً دَهِيّاً ولِساناً قَصْعَبا [٤] .

هذا ، وإنْ قِيلَ له : هَبْ وَهَبا

جوارياً وفِضّةً وذَهَبا

والخَيْلَ يَعْلُكن الحديدَ المنشبا [٥]

فوراً تلجلجن أبازِمَ الشّبا [٦]

قد جعلَ الناس اليه سببا

من صادرٍ واردٍ أيْدي سَبا [٧] .

---

١ أعط الامير مصعباً ما احتسب (ما أنفق من ماله في سبيل‌الله و الكرم ثم ضاعفه له) .

٢ (ثم) اجعل له من سلسبيل (عين في الجنة) مشرباً (أدخله الجنة) .

٣ يبدو أن قبل هذا الشطر شطراً محذوفاً أو أكثر من شطر .... الفرع : شريف القوم وأعلاهم (سيدهم) المنصب : العالي ، المرتفع . (ان له) فرعاً (قامة ، مقاماً) يليق بالمنبر العالي (بالامارة) .

٤ الدهي : العاقل . القصعب (كذا في الاصل ، وفي القاموس القمضب) : الجريء ، الشديد (٣ : ١١٩) .

٥ ليس في القاموس معنى يوافق « منشب » في هذا الشطر . والملموح أن الخيل تعلك (تعض على) حديدِ اللجام (كناية عن الغضب وشدة المعركة) .

٦ فوراً (؟) تلجلجن (الصواب : يلجلجن) : يرددن ، يحركن بشدة . أبازيم جمع ابزيم وابزام (بكسر الهمزة فيهما) : لسان في طرف المنطقة (بكسر الميم وفتح الطاء) : الحزام يدخل في حلقة أو نحوها ليشد (بالبناء للمجهول) . الشبا جمع شباة : الفرس العاطية (الرافعة رأسها في العنان : اللجام) والتي تقف على قائمتيها الخلفيتين . — المقصود : .... يعطي خيلا فتية نشيطة قوية . اقرأ : قوراً (ضامرة) .

٧ قد جعل الناس (في الأصل بضم السين) إليه سببا (وسيلة ، قرابة) .... الصادر : الراجع من عنده (محملا بالعطايا) . الوارد : القادم (اليه وهو واثق بعطية كبيرة) . أيدي سبا : أشتات ، متفرقون ، مختلفون .

المعنى الملموح : ان كثرة عطاياه كانت سبباً في أن يكثر قاصدوه (آملين) من كل مكان ومن كل جنس وطبقة .

٤ — ** معجم الأدباء ١١ : ١١٣ — ١١٧ ؛ كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ، حيدر اباد الدكن ١٣٦٨ — ١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩ — ١٩٥٠ م ، ص ١٥٦، ١٧٨ — ١٧٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩١ ،

Enc. Isl. (new edition) II 622 — 623 .

دكين بن سعيد الدارميّ

١ — كان دُكَيْنُ بنُ سعيدٍ القَطَنِيّ[1] الدارميّ التميميّ ، فيما يبدو ، من أهلِ المدينة .

حينما كان عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز يتولّى المدينةَ (٨٦ — ٩٣ هـ) في أيامِ الوليدِ بنِ عبدِ الملك كان دُكَيْنُ بنُ سعيدٍ الدارميّ مُنْقَطِعاً إليه يُسامرُه مع سالمِ بن عبد الله بن عُمَرَ بن الخطّاب ورجلٍ آخرَ اسْمُه أبو عَوْن[2] . وقد مدحَ دُكَيْنُ بنُ سعيدٍ عُمَرَ بنَ عبد العزيز في المدينة فأجازه عمرُ بخَمْسَ عَشْرَ ناقةً . ثم لمّا آلت الخِلافةُ إلى عُمَرَ ، سنة ٩٩ هـ (٧١٧ م) وفدَ عليه دُكَيْنُ ابن سعيدٍ إلى دِمَشْقَ ومدحه فأعطاه عمرُ ألفَ درهم[3] .

وكانتْ وَفاةُ دُكَيْنِ بن سعيدٍ القطنيّ الدارميّ التميميّ سَنَةَ ١٠٩ هـ[4] — في عام ٧٢٧ م — .

٢ — دُكَيْنُ بنُ سعيدٍ القَطَنِيّ الدارميّ التميميّ شاعرٌ بَدَوِيّ راجزٌ .

٣ — المختار من رجزه :

— لما وصل دُكَيْنُ بن سعيد الدارميّ إلى دِمَشْقَ وجد الناسَ يُحيطون

---

١ من بني قطن بن دارم (معجم الأدباء ١١ : ١١٨ ، السطر الخامس) .

٢ معجم الأدباء ١١ : ١١٧ ، السطر ١٣ . في الشعر والشعراء (ص ٣٨٧ و ٣٨٨) وفي الاغاني (٩ : ١٦١ ، السطران ٨ و ١٧) : أبو يحيى مولى الامير .

٣ الشعر والشعراء ٣٨٨ . في الاغاني (٩ : ٢٦٢) خمسمائة درهم ؛ وفي معجم الأدباء (١١ : ١١٨ — ١١٩) ثلاثمائة درهم جمعها عمر من نسائه .

٤ معجم الأدباء ١١ : ١١٩ .

بعُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ لأنه كان جالساً لِرَدِّ المظالمِ [1] فنادى :

يا عُمَرَ الخيراتِ والمكارمِ   وعُمَرَ الدَسائعِ العظائمِ [2] ،
إنّي امْرُؤٌ من قَطَنِ بنِ دارمِ   أطلُبُ دَيْني من أخٍ مُكارمِ [3]
أسُدَّ حقَّ المُسْلم المُسالمِ   بِبَيْعَ يمينٍ بالإخاءِ الدائمِ [4] .
إذ نَنْتَجي — واللهُ غيرُ نائمِ —   في ظُلمةِ الليلِ وليلٍ عاتمِ [5]
عندَ أبي عَوْنٍ وعند سالمِ .

٤ — ** معجم الأدباء ١١ : ١١٧ — ١١٩ ؛ راجع الشعر والشعراء ٣٨٧ — ٣٩٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩١ ؛

Enc. Isl. (new edition) II 622 — 623 .

---

١ كان الخلفاء يجلسون للمظالم . قد يتفق أن يعتدي نفر من أهل البيت المالك أو من أهل الدولة أو الوجاهة على أحد من عامة الناس فلا يستطيع أن يأخذ بحقه ممن اعتدى عليه وظلمه ، أو لا يستطيع القضاة العاديين أن ينصفوا ذلك الرجل (محاباة لخصمه القوي أو عجزاً منهم) . فكان الخليفة يجلس في كل أسبوع مرة بلا حاجب ، فيأتي المتظلمون اليه من عامة الشعب فينصفهم على خصومهم الأقوياء الوجهاء .

٢ الدسائع جمع دسيعة : العطية الكبيرة .

٣ لما كان عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة قال لدكين بن سعيد مرة : « يا دكين ، ان لي نفساً تواقة (متطلعة إلى المعالي : إلى الخلافة). ، فاذا أنا صرت إلى أكثر مما أنا فيه (في الولاية والامارة) فبعين ما أرينك (بتشديد النون) : إذا صرت خليفة فسأنظر اليك بعيني نظرة (بكسر النون) عطف وسأنعم عليك . فجاء دكين الآن يستنجز عمر بن عبد العزيز هذا الوعد .

٤ أسد حق المسلم المسالم : أي (بما سأناله منك) حقوقاً علي لنفر من المسلمين المسالمين (ربما أهله) . بيع يمين بالاخاء الدائم : ولك علي العهد (الذي كان من قبل) بالصداقة الدائمة .

٥ إذ ننتجي (نتكلم فيما اتفقنا عليه من قبل بالنجوى : سراً بين أنفسنا لا يسمعنا أحد) إلا الله الذي ليس بغافل عن شيء ولا غائب عنه علن ولا سر . في ظلمة الليل (ليلا) وليلٍعاتم (بعد أن مر قسم من الليل فأصبح الليل شديد الظلام).

٦ في الشعر والشعراء (ص ٣٨٨) والاغاني (٩ : ٢٦٢) : عند أبي يحيى .

أعشى تغلب

١ – هو ربيعة (وقيل النُعمان) بن يحيى [1] بن مُعاوية بن جُشَم بن بكرٍ من بني تَغْلِبَ بن وائل، المعروف باسْم أعشى تَغْلِبَ [2].

كان أعشى تغلب نَصْرانياً من أهل الجزيرة (شَمالِيّ العراق) يتنقل في البلاد؛ فكان إذا جاء إلى الشام سكن في الحَضَر (في دِمَشْقَ، مثلاً)، وإذا عاد إلى مساكن قومه في نواحي المَوْصل وديار رَبيعةَ نزل في البادية.

اتصل أعشى تَغْلِبَ بمَسْلَمَةَ بنِ عبد الملك ومَدَحَ الوليدَ أيضاً ونال عطاياهما. ثم اتصل – بحسب رواية الاغاني (١١ : ٢٨٣) – بعُمَرَ بنِ عبدِ العزيز فلم يُعْطِه شيئاً. وفي الاغاني أيضاً (١١ : ١٨١): «كان أعشى بني تَغْلِبَ يُنادِمُ الحُرَّ بن يوسف بن يحيى بن الحَكَم». والحُرّ هذا كان والياً على المَوْصل منذ سَنَةِ ١٠٨ هـ (٧٢٦ م) إلى أن تُوُفِّيَ في سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م). ويجب أن تكون مُنادمةُ أعشى بني تغلبَ للحرّ في أثناء ولاية الحر على الموصل. وقد اتفق أن أساء أعشى تغلب الأدبَ أمامَ قُبّةِ الحُرّ فلطمه عبدٌ خَصِيّ من عبيد الحُرّ، فجمع أعشى تغلب نفراً من قومه واقتحموا على الحُرِّ مكانَه (وكان في بُستانٍ له) ولطم الحُرّ. وفي ذلك يقول أعشى تغلب:

أنا الجُشَميّ – من جُشَمِ بنِ بكرٍ! – عَشِيّةَ رُعْتُ طَرْفَكَ بالبَنانِ [3].
فما يَسْطيعُ ذو مُلْكٍ عِقابي إذا اجْتَرَمَتْ يدي وجَنَى لِساني.

من أجل ذلك لا أرى وجهاً لما ذكره بروكلمان (الملحق ١ : ٩٥) من ان وفاة أعشى تغلب كانت في سنة ٩٢ هـ (٧١٠ م)، ولعلّ وفاتَه كانت نحو سَنَةِ ١١٠ هـ (٧٢٨ م).

---

١ وقيل اسمه عمرو بن الايهم بن أفلت أو عميرة بن الايهم (معجم الشعراء للمرزباني ٦٩، ٧٤)، وقيل: ربيعة بن نجران، نعمان بن نجوان، نعمان بن نجران، أو النعمان بن جاوان (راجع الاشارات إلى ذلك في «شعراء النصرانية بعد الاسلام» ١٢٢).

٢ يبدو أن الرواة قد مزجوا أخبار عدد من الاعشين (بفتح الشين وسكون الياء وفتح النون) الكثر الذين كانوا في الجاهلية وفي الاسلام.

٣ غ ١١ : ٢٨٢. – رعت (أخفت) طرفك (بصرك) بالبنان (أطراف الأصابع): لطمتك.

٢ – كان أعشى بني تغلب شاعراً مُكثِراً مُطيلاً ، في شعره جزالةٌ ومتانة أحياناً ، كما أن فيه ضَعْفاً في التركيب وإبهاماً في المعنى أحياناً أخرى ، إلى جانبِ ألفاظٍ غريبة في بعض الأحيان . وفي شعره شيء من الإقذاع (الألفاظ القبيحة) في الهجاء وشيء من المُجون (قبح المعنى) في الغَزَل . وفنونُ شعرهِ المدحُ والهجاء والحَماسة والوصف والغزل والخمر . وقد كانت لـه نقـائض (راجع ، فوق ، ص ٣٦١) ، وكان يُعينُ الاخطلَ على جريرٍ .

٣ – المختار من شعره :

– لأعشى تَغْلِبَ قصيدة مَطلَعها (الحماسة البصرية ٢ : ١١٧ ، شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٢٥ – ١٢٦) :

رَحَلَتْ أُمامةُ للفِراق جِمالَهـا كيما تَبينُ ، وما تُحِبّ زِيالَها [١] .

قال أعشى تغلب هذه القصيدةَ يمدح بها مَسْلَمَةَ بنَ عبدِ الملك ، ثم يهجو جريراً ويُعينُ الأخطلَ عليه . وفي هذه القصيدة غزل وخمر وحماسة ، على مِثال النقائض .

ففي الاغاني من هذه القصيدة (١١ : ٢٨٠) في الغزل :

دارٌ لقـاتلةِ الغَرانِقِ مـا بِهـا غيرُ الوُحوشِ خَلَتْ له وخلا لَها [٢] .
ظَلّتْ تُسائِـلُ بالمُتَيَّمِ ما به ، وَهْيَ التي فَعَلَتْ به أفعالَهـا [٣] !

وفي هذه القصيدة :

ارْبَعْ على دِمَنٍ تَقادَمَ عهدُها بالجَوْفِ ، واستَلَبَ الزمانُ حِلالَها [٤] .

٥ جمالها (مفعول به من الفعل « رحلت ») : انتقلت عنا إلى مكان آخر ، حتى تبتعد عنا (مضطرة). مع أنها هي لا تريد زيالنا (مفارقتنا ، البعد عنا) . ويمكن أن نقرأ : وما نحب (بالنون) .

٦ الغرانق (بضم الغين) : لفظ مفرد معناه : (الشاب الجميل) . قاتلة الغرانق : التي تتيم الفتى الجميل بحبها (تأسره ، تكبله) . – خلت قاتلة الغرانق (تلك المرأة الجميلة في تلك الأرض) لحبيبها وخلا حبيبها لها .

٧ المتيم : الذي نهكه (أضناه ، أنحله) الحب . وهي التي فعلت بـه أفعالهـا : صنعت بها ما صنعت (مـن النحول والضنى) .

١ اربع : أقم ، ابق . الدمنة : الموضع الذي كانت فيه الدار . الجوف : المطمئن (المنخفض) من الأرض؛ أو اسم علم على مكان . استلب الزمـان حلالهـا (ساكنها) : أخذهم ، أماتهم ، كانوا يسكنونها ثم ماتوا أو تفرقوا .

دار لقاتلة الغرانق .... (؟)

ظلت تسائل .... (؟)

كانت تُريكَ ، إذا نظرتَ أمامَها ، مَجْرى السّموطِ ومرّةً خَلخالَها [١].
دعْ ما مضى منها ، فرُبّ مُدامةٍ صهباءَ عاريةِ القَذى سَلساها [٢]
باكرتُها عندَ الصباحِ على نجاً ووضعتُ غير جلالِها أثقالَها [٣] .
صبّحتُها غُرَّ الوجوهِ غرانقاً من تغلبَ الغلباءِ لا أسفالَها [٤] .
اخسأْ إليكَ ، جريرُ ، إنّا معشرٌ نلْنا السماءَ : نجومَها وهلالَها [٥] .
ما رامَنا ملِكٌ يُقيمُ قناتَنا إلاّ استبحْنا خيْلَه ورجالَها [٦] .

— قال أعشى تغلب يذكُرُ كرمَ الوليدِ (بن عبد الملك) بعد وفاته ويُعرّض بمن جاء بعده — قيل بعمر بن عبد العزيز (غ ١١ : ٢٨٣) — :

لعَمْري لقد عاش الوليدُ حياته إمامَ هُدىً ، لا مُستَزادٌ ولا نَزْرُ [٧] .
كأنّ بني مَروانَ ، بعدَ وفاتِه ، جلاميدُ لا تَنْدى وإن بلّها القَطْرُ [٨].

٤ — ** الاغاني ١١ : ٢٨٠ — ٢٨٤ ؛ معجم الأدباء ١١ : ١٣٢ — ١٣٣ ؛

---

١ أمامها (اسم ، مفعول به من « تريك ») : الجانب الأمامي منها (صدرها) . مجرى السموط : مكان العقد من صدرها . و (تريك) مرة خلخالها (قدمها وأسفل ساقها) ...

٢ عارية (من) القذى : صافية ، لا رواسب فيها . السلسال : اللينة ، الخفيفة ، التي لا تسكر كثيراً . ان كلمة « سلساها » لا وجه لها في الاعراب معقولا ولا للضمير المتصل بها « ها » رجوع واضح إلى اسم سابق عليه .

٣ باكرتها : (شربتها) باكراً . على نجاً : على محل مرتفع (بعيداً عن الناس). ووضعت غير جلالها أثقالها ... (؟) .

٤ — سقيتها لجماعة من بني تغلب الغلباء (الغالبة لغيرها) غر الوجوه.(بيض الوجوه : وجهاء ، كرماء ، ومن أصل كريم) غرانقاً (جمع غرنوق بضم الغين : الشاب الجميل) لا اسفالها (لم أسقها للسفلة من بني تغلب) .

٥ خسيء : ذل وبعد . نلنا السماء : بلغ عزنا ومجدنا إلى السماء (إلى موضع النجوم منها) .

٦ رامنا : جاء الينا . يقيم قناتنا : (يريد) أن يؤدبنا (يعاقبنا) . استبحنا خيله ورجالها : اسرنا خيله وفرسانها .

٧ إمام هدى : خليفة . لا مستزاد : إسراف (في العطاء) ولا نزر (بخل ...) .

٨ جلاميد جمع جلمود وجلمد : صخر قاس . تندى : يبدو عليها ماء أو لين (لا يعطون مالا) . القطر : المطر (ولو كانوا أغنياء).

شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٢٢ — ١٢٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٥ ؛ زيدان ١ : ٣٤٧ .

الحزين الكنانيّ

١ — الحَزينُ الكِنانيّ هو أبو الحَكَمِ [١] عمرُو بنُ عبيدِ بنِ وُهيبِ بن أبي الشعثاء مالكٍ من بني بكرِ بنِ عبد مَناةَ بن كِنانةَ .

كان الحزينُ الكِنانيّ من أهلِ المدينة ، وكان قليل الرّغْبة في السفر ، قال الاصفهاني (الاغاني ١٥ : ٣٢٣) : و (الحزين الكناني) ليس ممن خَدَمَ الخلفاءَ ولا انْتَجَعَهُمْ بمدحٍ [٢] ، ولا كان يَرِيمُ [٣] الحجازَ حتّى مات . ولكنْ يبدو أنه زار مِصْرَ والشامَ ، فقد ذكر الاصفهانيّ [٤] أنّ مِنَ الناسِ مَنْ يقول إنّ الحَزينَ الكنانيّ كان في مصرَ مرّةً . وكذلك يذكر الحزينُ الكنانيّ نفسُه في شعرٍ له [٥] أنه كان أخاً صديقاً لِعُمَرَ بنِ عبد العزيزِ ، وقيل كان أيضاً أخاً صديقاً لِيَزيدَ بنِ عبد الملك . فاذا كانت صداقتُه لعُمَرَ بنِ عبد العزيز يمكنُ أن تكونَ قد نشأتْ حينما كان عمرُ بن عبد العزيز والياً على المدينة ، فلا بُدَّ من أن يكون قد زارَ الشامَ وجاء إلى دِمَشْقَ حتّى تكونَ المَودّةُ قد نشأت بَيْنَه وبينَ الوليدِ وسُليمانَ ويَزيدَ أبناءِ عبدِ الملك ... وكذلك يبدو من القصيدة التي مدح بها عبدَ اللهِ بنَ عبدِ الملك بن مروان (راجع المختار من شعره) أنه أكْثَرَ التَجْوالَ في اليمنِ والعِراقَيْنِ (البصرةِ والكوفةِ) وفي الجزيرةِ (شَماليّ الشامِ والعِراقِ) . ويُقالُ انه مدح بهذه القصيدةِ عبدَ العزيزِ ابنَ مروان لذِكْرِهِ الشامَ ومِصْرَ (غ ١٥ : ٣٢٩) .

---

١ يكنى أيضاً « أبا حكيم » (غ ١٥ : ٣٣٣ ، السطر ١٠) ، ويعرف أيضاً باسم « ابن أبي الشعثاء » غ ١٥ : ٣٣٤ ، السطر ٢) .

٢ الاغاني ١٥ : ٣٢٣ ، السطر ١٠ ، ١١ .

٣ لا يريم الحجاز : لا يبرحه ، لا يتركه (لا يسافر منه) .

٤ الاغاني ١٥ : ٣٢٩ ، السطر ٨ .

٥ الامالي لأبي علي القالي (مصر ، بولاق ١٣٢٤ هـ) ، ٣ : ١٠١ — ١٠٢ .

وكان الحزينُ الكِنانيّ يَشْرَبُ الخمرَ ، وقد حُدّ (عوقب بالجَلْد) على شُربها .

ويبدو أن وفاةَ الحزينِ الكناني كانت بعدَ سنة ١٠٠ هـ (٧١٨ م) . جاء في كتاب الامالي [١] أن سليمانَ بنَ نَوْفَلِ بن مُساحق سأل الحزينَ الكنانيّ أنْ يَرْثِيَ أباه نَوْفلاً . فرثى الحزين الكِنانيّ نوفلَ بن مُساحقٍ فلم يُنْبِهْ شيئاً (لم يَزِدْ شَيْئاً في مَكانةِ نوفلِ بنِ مساحق عند الناس ولاَ في مكانةِ ابْنِه سُليمان) . ويبدو أن سليمانَ أعادَ الكرّةَ على الحزين الكِنانيّ بعدَ مُدّةٍ طويلةٍ فلم يَشَأِ الحَزينُ الكِناني أن يَرْثِيَ نَوْفَلَ بن مساحق مرة ثانية ، بلْ قال :

فما كان مِنْ شَأني وشَأنِ ابْنِ نَوْفَلٍ وشأنِ بُكائي نَوْفَلَ بْنَ مُساحِقِ !
بَلَى ، إنّها كانت سَوابِقَ عَبْـرَةٍ — على نَوْفَلٍ — من كاذبٍ غيرِ صادق .
فهَلاّ على قبر الوَليدِ بَكَيْتُمـا وقبرِ سُلَيْمانَ الذي عِنْدَ دابِق !
وقبرَ أبي حفصٍ أخي وأخيكما بَكَيْتُ بِحزْنٍ في الجوانحِ لاصق.

وينقل أبو علي القالي (ص ١٠٢) تعليقاً على هذه الابيات فيقول : يَعْني (الشاعرُ) بالوليدِ وسليمانَ ابْنَيْ عبدِ الملك ، وبأبي حفصٍ عُمَرَ بنَ عبد العزيز ، ويُريدُ بقولهِ أخي وأخيكما يزيدَ بْن عبد الملك .

إن الكلمات : « الوليدَ — أبا حفص — أخي وأخاكما » لا تُوجِبُ حُكْماً ، فأبو حفصٍ مثلاً يُمْكِنُ أن يكونَ عُمَرَ بنَ الخطّاب (توفي ٢٣ هـ = ٦٤٤ م) ؛ والوليدُ يمكن أن يكون أيّ وَليدٍ اتّفق . وأخي وأخيكما كلمتان تَرْجِعان — بِحَسْبِ النصّ — إلى أبي حفصٍ (بخلاف التعليق الذي نقله القالي) . على أن الملموح في الشطر « وقبر سليمان الذي عند دابق » أن سليمان هذا هو الخليفةُ الأموي سليمانُ بن عبد الملك الذي توفّي سنة ٩٩ هـ (٧١٧م) في مرج دابق في شماليّ الشام ودفن هناك .

فاذا كان هذا هكذا فالاحتمالُ كبيرٌ بأن تكونَ هذه الأبياتُ قد **قيلت** بعدَ سنة ٩٩ هـ . ولكن يَعْتَرِضُنا هنا أنّ نوفلَ بنَ مُساحقٍ [٢] قد تُوفِّيَ سَنَةَ ٧٤ هـ (٦٩٣ م) . فيكون الجمعُ بين التاريخين أنْ نقولَ إنّ سليمانَ بنَ نوفلٍ

١ مثله ٣ : ١٠١ س .
٢ أبو سعيد نوفل بن مساحق بن عبد الله الاكبر بن مخرمة بن عبد العزى ، كان قرشياً من أهل المدينة ، وقد تولى القضاء في المدينة . وكانت وفاته سنة ٧٤ هـ .

قد أراد بعد مدّة أن يَرْثِيَ الحزينُ الكِناني أباه نوفلاً حتّى تَعْلُوَ مكانةُ سليمانَ نفسِه .

ثمّ إننا إذا اعتَبَرْنا عَدَداً من الاسماء التي اتّصلَ الحزينُ الكناني بأصحابها، ومنهم سعدُ بنُ ابراهيمَ بنِ عبدِ الرحمن بن عَوْف الذي كان والياً في المدينة في أيامِ هِشامِ بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ) أدْرَكْنا أنّ الحزينَ الكناني عاش إلى أواخرِ الدولةِ الأمويّةِ . وعلى هذا لا يَبْعُدُ أن تكونَ وفاةُ الحزين الكناني نحو سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) .

٢ – قال الاصفهاني (غ ١٥ : ٣٢٣) : الحزينُ الكِنانيّ « من شعراءِ الدولةِ الاموية حِجازيٌّ [١] مطبوعٌ ليس من فُحول طبقتهِ . وكان هَجّاءً خَبيثَ اللسان ساقطاً : يُرضيه اليَسيرُ ، ويتكسّبُ بالشرِ وهجاءِ الناسِ » ، كما كان سفيهاً نَذْلاً يَمْدَحُ بالنَزْر (العَطاء القليل) إذا أعْطِيَهُ ويَهْجو على مِثْلِه (غ ١٥ : ٣٣٩ س) . وكان الحزين يُفْحِشُ في الهجاء ثم يُوَرّي فيه مَعانِيَ أعْظَمَ فحشاً ، ولو كانَ في ذلك ظالماً للمَهْجُوِّ ظُلْماً كَبيراً . ولقدِ اعْتذر عن فعله هذا بأن الناسَ يَرْغبون في مثل هذا المَسْلَكِ في الشعر (غ ١٥ : ٣٣٩ ع) .

وشعرُ الحزين الكِنانيِّ فصيحٌ سهلٌ عَذْبٌ فيه أحياناً شيءٌ من المَرَح وفيه أيضاً شيء من الضَعَفِ والإقذاع . أما فنونه ، مما نرى من شعره في كتاب الاغاني ، فهي المديح والهِجاء ، وله عِتاب ورثاء وأدب (حكمة) .

٣ – المختار من شعره :

– قصيدةُ الحزين الكِناني في عبدِ الله بنِ عبدِ الملك بنِ مروانَ .

لمّا حجّ عبدُ الله بنُ عبدِ الملك بنِ مَروانَ ، فيما ذَكَرَ الاصفهانيّ (غ ١٥: ٣٢٤) ، دخل عليه الحزينُ الكِنانيّ ومدحه . وكان عبدُ الله بنُ عبدِ الملك ابنِ مروان من فِتْيانِ بني أميّةَ وظُرَفائهم ، وكان حَسَنَ الوجهِ حَسَنَ

---

[١] رقيق العاطفة و الشعر ، غير متين السبك جداً (وهذا يكون في شعراء المدن ، بخلاف ما يكون عليه الشعراء البدو) .

المَذْهَبِ (غ ١٥ : ٣٢٣) . أما القصيدة (أو الباقي منها) فهي [١] :

اللهُ يَعْلَمُ أني جُبْتُ ذا يَمَنٍ ، ثُمَّ العِراقَيْنِ لا يَثْنيني السَّأَمُ [٢] ،
ثمَّ الجزيرةَ أعلاها وأسفَلَها ، كذاكَ تَسْري على الأهوالِ بي القدمُ [٣] ،
ثمَّ المَواسِمَ قد أوْطَنْتُها زمَناً ، وحيثُ تُحْلَقُ عندَ الجَمْرةِ اللِّمَمُ [٤] .
قالوا دِمَشْقُ يُنَبِّيكَ الخبيرُ بها ، ثُمَّ ائْتِ مِصرَ فثَمَّ النائِلُ العَمَمُ [٥] .
لمّا وَقَفْتُ عليه في الجُموعِ ضُحىً ، وقد تَعَرَّضَتِ الحُجّابُ والخَدَمُ [٦] ،
حَيَّيْتُه بِسَلامٍ وهُوَ مُرْتَفِقٌ ، وضجّةُ القومِ عند البابِ تَزْدَحِمُ [٧] .
في كَفِّهِ خَيْزُرانٌ ريحُه عَبِقٌ : في كفِّ أرْوَعَ في عِرنينهِ شَمَمُ [٨] .

١ يذكر الاصفهاني أن من الناس من يروي هذه الأبيات أو بعضها للفرزدق يمدح بها زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (غ ١٥ : ٣٢٥) ؛ ومنهم من يرويها لداود بن سلم (بفتح السين وسكون اللام) في مديح قثم (بضم القاف وفتح الثاء) بن العباس (غ ١٥ : ٣٢٧ س) أو في مدح زين العابدين (غ ١٥ : ٣٢٨) . ومنهم من قال : انها لخالد بن يزيد في قثم بن العباس (غ ١٥ : ٣٢٧ س) . ثم يقول الاصفهاني (غ ١٥ : ٣٢٨) : «والصحيح انها للحزين في عبد الله بن عبد الملك .... وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة تنبىء عن نفسها» .

٢ جاب الرجل البلاد : أكثر التطواف فيها (من جانب إلى آخر) . ذو يمن : بلاد اليمن . العراقين : البصرة والكوفة . لا يثنيني السأم : لا أسأم ، لا أمل (بفتح الهمزة والميم) من التنقل فيها (مع كثرة ما تنقلت فيها) .

٣ الجزيرة : شمالي الشام والعراق (جزيرة ابن عمر) . تسرى على الاهوال بي القدم : أنا جريء تسري بي القدم (أسافر ليلا) على الأهوال (مع علمي بأن في بعض البلاد مخاوف وأهوالا) .

٣ المواسم : مناسك الحج حول مكة . أو الاسواق الدورية (حول مكة أيضاً) . الجمرة : مكان من ثلاثة أمكنة في مكة حيث يكون الرجم : القاء سبع حصيات (بضم الحاء : حجارة صغيرة) على صخرة يرمز بها إلى إبليس . وفي الاصل ، قبل الاسلام ، كان الرجم لقبر أبي رغال (بكسر الراء) الثقفي الذي دل الجيش الحبشي (في عام الفيل ، عام ٥٧٠ م) على منفذ إلى مكة من غير أن يشعر المكيون . حيث تحلق (اللمم) (في المكان الذي يحلق فيه الحجاج شعر رؤوسهم قبل الاحرام) قبل أن يلبسوا ثياب الاحرام ويبدأوا بالقيام بمناسك الحج .

٥ .... فثمت (هنالك) النائل (العطاء ، الكرم) العمم (العميم : الكثير الذي يعم كل شيء) .

٦ تعرضت الحجاب والخدم (وقفوا في صف عريض قد امتد مسافة طويلة ، كناية عن كثرة الحجاب والخدم مما يدل على الجاه والثروة) .

٧ ارتفق : اتكأ على مرفق يده أو على المخدة (بكسر الميم) . والمرتفق : الواقف الثابت (المعنى الأول كناية عن النعيم والاخلاد إلى الراحة لقلة العمل ولعظم الثروة ؛ والمعنى الثاني كناية عن اليقظة والسهر على الجند والتأهب للحرب) .

٨ – يحمل في كفه خيزران (بفتح الخاء وضم الزاي : عود لدن بسكون الدال ، أي طري) له رائحة =

يُغْضِي حياءً ويُغْضَى من مَهابَتِه ، فما يُكَلَّمُ إلاّ حينَ يبْتَسِم [1] .
تَرى رُؤوسَ بني مَرْوانَ خاضِعَــةً يَمْشونَ حَولَ رِكابَيْهِ وما ظُلِموا [2] .
إنْ هَشَّ هَشّوا لَهُ واسْتَبْشَروا جَذَلاً ،
وإن هُمو آنَسوا إعْراضَه وَجَموا [3] .
كِلْتا يَدَيْه ربيعٌ عند ذي خُلُفٍ: بَحْرٌ يَفيضُ وهادي عارِضٍ هَزِمُ [4] !

— قال الحزينُ الكِنانيّ يهجو عمرَو بنَ عمرِو بنِ الزّبير بن العوّام ويمدح محمدَ بنَ مَرْوانَ بنِ الحكم [5] . وفي القصيدة حِكَمٌ كثيرة وليس فيهــا الشتمُ الذي كان مألوفــاً في العصر الأموي عندَ شعراءِ السياسة . قال الحزين :

إذا لم يكنْ للمرءِ فضلٌ يَزينُــه سِوى ما ادّعى يوماً فليس له فَضْلُ .
وتَلْقى الفتى ضَخْماً جميلاً رُواؤهُ يَروعُكَ في النادي وليس له عقلُ [6] ؛

= طيبة عبقة (قوية ولازمة له لا تفــارقه) . ويمكن أن يكون المعنى : هو رجل يلازمه الطيب (كنــاية عن التنعم) ثم هو في الوقت نفسه يحمــل خيز رانة (رمح : كناية عن الشجاعة والتأهب الدائم للحرب) . أروع : شجاع . العرنين : عظم الانف . شمم : ارتفــاع (في عرنينه شمم : كنــاية عن شرف الأصل) .

١ — يغضي (يخفض بصره نحو الأرض) حياء (من الذين يخــاطبهم) ويغضى من مهابته (يخفض النــاس أبصارهم في حضرته خوفاً من أن ينظروا اليه وجهاً لوجه لوقاره وسطوته) .

٢ ترى رؤوس (رؤساء) بني مروان خاضعة (مطيعين له) يسيرون في ركابه (وهو راكب فرســاً) يحمونه ويخدمونه وما ظلموا (لأنه فوقهم في المقام والمكانة: مقامه أن يركب فرساً ومقامهم أن يسيروا راجلين حوله) .

٣ ان هش (بدا السرور على وجهه ، أقبل بوجهه على الناس ، وجد في نفسه ميلا إلى محادثة الناس) هشوا له (فعلوا مثل ما فعل) . آنسوا : لمحوا ، استشعروا ، أحسوا . اعراضه : انقباضه ، كرهه للمباسطة . وجموا : سكتوا ، لزموا الصمت .

٤ كلتا يديه ربيع (هو كريم جداً يعطي باليدين معــاً ، مع أن العــادة أن يعطي الناس بيد واحــدة) . ذو خلف (في القاموس بضم الخــاء وسكون اللام) : الذي يخلف وعده . — إذا أخلف الكرام بوعدهم (فقراً أو بخلا) فانه يظل يعطي عطــاء كثيراً (بكلتا يديه) . ثم هو بحر يفيض (كرمــه وعطــاؤه دائمان لا ينقطعان) كــأنه هادي (أول) عارض (سحاب يعترض الأفق : كثيف متسع) هزم (يمطر بلا توقف) .

٥ الاغاني ١٥ : ٣٣٧ ، راجع ٣٣٦ .

٦ الرواء : المنظر . يروعك : يعجبك . النادي : مجتمع القوم . — .... إذا رأيته بين جماعة من الناس أعجبك من دونهم .

وآخرَ تَنبو العينُ عنه مُهَذّبٌ ... يجودُ إذا ما الضخمُ نَهْنَهَهُ البُخْلُ [1]
فيا راجياً عمرَو بنَ عمرٍو وسَيْبَه ، ... أتَعْرِفُ عمراً أم أتاك به الجهل [2] ؟
فإنْ كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخْطِيءُ الفتى؛ ... وان كنتَ ذا حَزْمٍ ،اذن حارت النَّبْلُ [3] !
جَهِلْتَ ابنَ عمرٍو فالْتَمِسْ سَيْبَ غيرِه ، ... ودونَكَ مَرْمىً ليس في جِدّهِ هَزْلُ [4] :
عليك ابنَ مروانَ الأغرّ مُحمّداً ... تَجِدْهُ كريماً لا يَطيشُ له نَبْلُ [5] .

٤ — ** الاغاني ١٥ : ٣٢٣ وما بعدها .

الاحوص

١ —.هو أبو محمّد عبدُ الله بنُ محمد بنِ عبد الله بن عاصم بن ثابت بن الأقلح الأنصاري من بني ضُبيعة بن زيد من الأوس . وأمّه أُثَيْلة بنت عُمير بن مَخْشِيّ .

وُلِدَ الاحْوَصُ في المدينة نحو عام ٣٥ ﻫ (٦٥٥ م) ونشأ بها ، وكان أحمر أحوصَ العينين [6] . ثم إنّه كان دَنِيء الطبع ، قليل المُرُوءة والدين ، هَجّاء للناس مُخَنّثاً [7] . وبلغ من استهتاره أن سُكينة بنت الحسين افتخرت مرة بجَدّها

١ — وقد يكون هنالك رجل آخر تنبو العين عنه (تنفر منه ، تجده قبيحاً) ولكنه مهذب . نهنهه (كفه ، رده ، منعه) البخل (عن الكرم) .

٢ السيب : العطاء . -- أتعرف أن عمراً بخيل ثم جئت اليه(على أملٍ أن يعطيك شيئاً قليلا) أم أتاك بهالجهل: أتى بك اليه جهلك بأنه بخيل ؟

٣ .... وان كنت عارفاً ببخله ثم حزمت أمرك على أن تأتي اليهلتأخذ منه شيئاً من العطاء فقد خاب أملك. حار (البصر) : نظر إلى الشيء فغشي (بضم الغين وكسر الشين وفتح الياء) عليه ولم يهتد لسبيله(القاموس ٢ : ١٦) . النبل : الذكاء والنجابة .

٤ ودونك مرمى : أقصد مرمى (هدفاً — أقصد ممدوحاً كريماً موثوقاً يعطي عطاء كريماً) هو محمد بن مروان (المذكور في البيت التالي) .

٥ الاغر : الابيض ، النبيل . النبل جمع نبلة (بفتح النون) . طاش السهم : انحرف عن الهدف (لم يصب الهدف) . — لا يطيش اه نبل : (هنا) يصيب الفراسة فيعلم الشعراء المجيدين الذين يستحقون العطاء .

٦ أحمر : شديد الشقرة . والحوص (بفتح ففتح) : ضيق في مؤخر العين .

٧ غ ٤ : ٢٣٣ ، ٢٣٥ — ٢٣٦ ، ٢٥٤ .

رسول الله ففاخرها الاحوص بجدّه فأمر الوليدُ بن عبد الملك واليـَهُ على المدينة عمرَ بن عبد العزيز (٨٦ – ٩٣ هـ) بجَلْدِه لذلك ولما كان قد شاع عنه من التخنيث والتعدّي على الاعراض.

ويبدو أن الاحوص أصلح بعد ذلك علانِيَتَه واتّصل بالوليد ومدحه. وفي سنة ٩٦ هـ (٧١٤ م)، في آخر أيام الوليد في الاغلب، أثار الاحوص سُخْط قاضي المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بسوء أعماله وبشيء كان بينهما أيضاً فهجاه الاحوص. ثم جاء سليمان بن عبد الملك إلى الخلافة (نصف جمادى الثانية ٩٦ هـ = أواخر شباط – فبراير ٧١٥ م) والاحوص على استهتاره واستخفافه بالحُرُمات، فنفاه سليمان إلى جزيرة دَهْلَك في جنوب البحر الاحمر، فبقي هنالك تتمّةَ أيام سليمان ثم أيام عمر بن عبد العزيز كلّها (٩٩ – ١٠١ هـ = ٧١٧– ٧٢٠ م)، نحو خمس سنوات [١]. فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة، وكان خليعاً مستهتراً، ردّ الاحوص من منفاه واتّخذه نديماً.

ولم يعشِ الاحوص بعد ذلك طويلاً فقد مرض مرض الموت وتوفّي سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م)، مع يزيد بن عبد الملك في عام واحد؛ وقيل بل توفّي في سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م).

٢ – الاحوص شاعرُ غَزَلٍ صريح كعمرَ بن أبي ربيعة، وكان يَنْسِبُ بنساء ذوات أخطار. وكذلك له مديح وهجاء. وهو سَمْح الطبع سهل الكلام صحيح المعنى متين التركيب، ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة. على أن الاحوص أقل شهرة مما تستحق شاعريته، فقد حطّ من منزلته دَناءة طبعه وتعرّضه للحرمات [٢]، وإن كان هو يدّعي خلاف ذلك [٣]. وفنونه الغزل والفخر والحكمة والمدح والهجاء.

٣ – المختار من شعره :

– كان الاحوص مشغوفاً بامرأة من الانصار هي أمّ جعفرٍ بنتُ عبدِ الله بن

---

١ في الاغاني ٤ : ٢٥٢ أن الاحوص نفي إلى دهلك حينما كان عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة (٨٦– ٩٣ هـ).

٢ راجع غ ٤ : ٢٣٢.

٣ الامالي، راجع ١ : ٤٧ – ٤٨.

عرْفُطة من بني مالك بن الأوس أهل المدينة ، فأكثر فيها قولَ الاشعار واستهتر في ذلك حتّى استَعْدى عليه أخوها أيمنُ واليَ المدينة عمرَ بنَ عبدِ العزيز .

ومن أقوال الأحوص في أم جعفر هذه :

لقد مَنَعَتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ ، وإنّي إلى معروفِها لَفَقيرُ .
وقد انكرتْ بعدَ اعترافِ زِيارتي ، وقد وَغَرت فيها عليَّ صُدور [1] .
أدورُ ، ولولا أنْ أرى أمَّ جعفرٍ بأبياتِكم ما دُرْتُ حيثُ أدور .
أزورُ البيوتَ اللاصقاتِ ببيتِها ، وقلبي إلى البيت الذي لا أزور [2] .

– ومن أقوال الاحوص في أمّ جعفر أيضاً :

وإنّي لَيَدْعوني هَوى أمِّ جعفرٍ وجاراتِها من ساعةٍ فأجيبُ [3] .
وإنّي لآتي البيتَ ما إنْ أحِبّه ، وأُكْثِرُ هَجْرَ البيتِ وهو حبيب .
وأغضي على أشياءَ منكم تَسوءُني ، وأدْعى إلى ما سَرَّكم فأجيب .
هبيني امْرَأً – إمّا بريئاً ظَلَمْتِه وإمّا مُسيئاً مُذْنِباً فيتوب –
فلا تَتْرُكي نفسي شُعاعاً فإنّها من الحُزنِ قد كادت عليك تذوب [4] .

– سمعت سُكينة بن الحُسين الاذان يوماً ففخَرت بأن تكون حفيدة لرسول الله ، فقال الاحوص وهو يدري أنّ قوله جهل :

فَخَرَتْ وانتمت ، فقلت : ذَريني ، ليس جهلٌ أتَيْتِه ببديعٍ [5] .
فأنا ابنُ الذي حَمَت لحمَه الدَّبْرُ قتيلِ اللِحْيان يوم الرَّجيع [6] .

---

١ وغرت (بفتح العين أو بكسرها) فيها علي صدور : امتلأت صدور كثير من الناس بالعداوة والحقد علي فيها (بسببها ، لأنني أحب أم جعفر) .
٢ كذا في الأصل ، واستقامة اللفظ تقتضي حرفاً متحركاً بين « لا » وبين « أزور » ، وذلك زحاف (بكسر الزاي) من عيوب الشعر الجائزة ، إلا أنه هنا بارز جداً .
٣ من ساعة : من مسافة ساعة (من مكان بعيد) .
٤ (ذهبت) نفسه شعاعاً : متقسمة متفرقة (من الخوف) .
٥ انتمت : ذكرت نسبها (وصلته برسول الله) . ذريني : اتركيني (افتخر أنا أيضاً) . بديع : بدعة أمر مبتدع ، جديد .
٦ استشهد جد الاحوص يوم الرجيع (٤ هـ) فحامت عليه الدبر (النحل) . وكان المشركون قد أرادوا أن يصلبوه فلم يتأت لهم ذلك لكثرة ما كان عليه من النحل .

غسلتْ خاليَ الملائكةُ الأبـ ـرارُ ؛ طوبى له من صريع !

ـ مدح الاحوص يزيد بن عبد الملك فقال فيه :

كريمُ قريشٍ حين يُنْسَبُ ، والذي أقرّت له بالملك كهلاً وأمردا .
وليس وان أعطاك في اليوم مانعاً ، إذا عُدتَ ، من أضعاف أضعافِه غدا.
أهان تِلادَ المال في الحمد ، إنه إمامُ هدىً يجري على ما تعوّدا [1] .
تشرّف مجداً من أبيه وجدِّه ، وقد ورِثا بُنْيان مجدٍ تشيّدا .

ـ وللاحوص في تبرير استهتاره وفسقه :

ألا لا تلُمْهُ اليومَ أن يتبلّدا ، فقد غُلِبَ المحزونُ أن يتجلّدا .
إذا كنت عزْهاةً عن اللهو والصبى فكن حجَراً من يابس الصخر جَلْمدا [2].
فما العيشُ إلاّ ما تحبّ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشَّنان وفنّدا [3] .

ـ واختار أبو بكر الأصفهاني في كتاب الزهرة للأحوص :

أدعو إلى هجرها قلبي ليتبعَني ؛ حتّى إذا قلت : هذا صادقٌ ، نزعا .
قد زاده كلَفاً بالحبّ أن مُنِعت ، **أحبّ شيءٍ إلى الأنسان ما مُنعا !**

٤ ـ ** الاغاني ٤ : ٢٢٣ ـ ٢٦٨ ، ٦ : ٢٥٣ ـ ٢٥٩ ، ١٥ : ٢٩٢ وما بعدها ، ثم الاغاني (طبعة الساسي) ١٦ : ٨٨ وما بعدها ، ١٨ : ١٩٥ وما بعدها ؛ بروكلمان ١ : ٤٤ ، الملحق ١ : ٨٠ ؛ زيدان ١ : ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

ثابت قُطنة

١ ـ هو ابو العلاء ثابت بن كعب (أو ابن عبد الرحمن بن كعب) من بني أسد بن الحارث بن العتيك من الأزْد ، وقيل بل كان مولىً لهم .

١ تلاد المال : المال القديم الموروث .
٢ العزهاة : المبتعد عن اللهو والنساء .
٣ الشنان لغة في الشنآن : البغض . فنده : نسبه إلى الفند (الجنون) .

كان ثابت بن كعب فارساً شجاعاً قضى مُعْظَمَ حياته ، فيما يبدو من أخباره ، ومنذ عام ٧٣ هـ (٦٩٢ م) ، في خراسانَ محارباً أو قائداً أو والياً [١] ؛ وقد كان يزيد بن المهلّب قدِ استَعْمله على بعض كُوَرِ خراسان [٢] لشجاعته ولحسن كتابته .

وكان ثابت يُجالسُ في خراسانَ قوماً من الشُّراة (الخوارج) وقوماً من المُرْجئة فمال إلى رأي المرجئة وأصبح شاعراً لهم يتكلّم باسمهم .

والإرجاء مذهب كلامي سياسي يقوم على أن الايمان وَحْدَهُ يكفي لِعَدِّ الرجلِ مؤمناً ، ولو لم يعملْ عملاً صالحاً (وهذا خِلاف رأي الخوارج) . أما الذنوب عند المرجئة فلا تضُر مهما كانت . وأصحاب الذنوب يُرْجأ أمرهم إلى الله فهو الذي يحاسبهم على ما فعلوا ويَحْكُمُ عليهم بما يستحقون . وهم لا يجيزون قتال الفاسق (وهذا أيضاً خلاف رأي الخوارج) .

في سنة ١٠٢ هـ (٧٢٠ م) تولّى مَسْلَمَةُ بنُ عبدِ الملك الكوفةَ والبصرة ؛ ثم أضيفت اليه خراسانُ ، فعين مسلمةُ على خراسان سعيدَ بنَ عبدِ العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص نائباً عنه . وخاض ثابتٌ في ذلك الحينِ معاركَ في خراسانَ ذهبت في أحدها عينه فكان يضع عليها قُطنةً ، فسُمّي من أجلِ ذلك ثابت قطنة . وفي سنة ١٠٩ هـ (٧٢٧ م) غزا ثابت مع أشرس ابن عبد الله بلاد سَمَرْقَنْدَ . وفي العام التالي وجّهه أشرسُ في خيلٍ إلى آمُل (في طَبَرستان) لقتال التّرك فقاتلهم وظَفِرَ بهم ثم ظفروا هم به فقتلوه (١١٠ هـ = ٧٢٩ م) .

٢ — ثابتُ قطنةٍ خطيبٌ قدير وشاعر مُجيد مُوجز يبلغ المعاني الكثيرة بالالفاظ اليسيرة [٣] . ويبدو أيضاً أنه كان كاتباً مترسّلاً . أما في الشعر فكان ثابت قطنة مدّاحاً هجّاء ، ثم له رثاءٌ حسنٌ وشيء من الشعر الفلسفي في قصيدته الدالية المختارة في هذه الترجمة .

---

١ هنالك قائد آخر اسمه ثابت قطنة (راجع الطبري ، ليدن ٢ : ١٤٢٤) .
٢ تولى يزيد بن المهلب على خراسان مرتين من ٨٢ — ٨٥ هـ ، ومن ٩٧ — ٩٩ هـ .
٣ راجع البيان والتبيين ١ : ١٤٩ .

٣ — المختار من شعره :

— قال ثابت قطنة يُوجز عقيدةَ الإرجاء ، وهذه القصيدة من شعره القديم :

يا هِنْدُ ، فَاسْتَمِعِي لي : إنّ سِيرَتَنا ... أن نَعْبُدَ اللهَ لم نُشْرِكْ به أحَدا .
نُرجي الأُمورَ إذا كانت مُشَبَّهَةً ، ... ونَصْدُقُ القولَ في من حار أو عَنَدا ١ .
المُسْلمون على الإسلامِ كُلُّهُمُ ، ... والمُشركونَ اسْتَوَوْا في دينهم قِدَدا ٢ .
ولا أرى أن ذَنْباً بالغاً أحداً ... م الناسِ * شِركاً إذا ما وَحّدَ الصَمَدا .
لا نَسْفِكُ الدّمَ ، إلاّ أن يُرادَ بنا ... سَفْكُ الدماءِ طريقاً واحداً جَدَدا ٣ .
مَنْ يَتّقِ اللهَ في الدّنيا فإنّ له ... أجرَ التَقِيّ إذا وُفّي الحسابَ غَدا .
وما قضى اللهُ من أمرٍ فليس له ... ردّ ، وما يَقْضِ من شيءٍ يَكُنْ رَشَدا .
كلّ الخوارجِ مُخْطٍ * في مَقالتِهِ ، ... ولو تَعَبّدَ في ما قالَ واجْتَهَدا .
أمّا عليٌّ وعُثْمانٌ فإنّهما ... عَبْدانِ لم يُشْرِكا باللهِ مُذْ عَبَدا ٤ .
وكان بينَهما شَغْبٌ ، وقد شَهِدا ... شَقّ العَصا ، **وبعينِ اللهِ ما شَهِدا** ٥ .
يُجزَى عَلِيٌّ وعُثْمانٌ بسعيِهِما ، ... **ولستُ أدْري بحقٍّ أيّةً وَرَدا** ٦ .
اللهُ يَعْلَمُ ماذا يَحْضُرانِ بهِ ؛ ... وكلّ عَبْدٍ سيلقى اللهَ مُنْفَردا !

٤ — ** الاغاني ١٤ : ٢٦٢ — ٢٨١ ؛ زيدان ١ : ٣١٠ — ٣١١ .

---

* م الناس = من الناس . مخط = مخطيء .

١ نرجي الأمور : نرجيء (نؤخر) البت فيها (إلى الله يوم القيامة) . مشبهة : متشابهة (لا يتضح فيها الحق من الباطل) . حار : ضل جهلا منه . عند : ضل عن علم وأصر على ضلاله .

٢ — جميع المسلمين سواء في الايمان ، وجميع المشركين سواء في الكفر (مهما عمل المسلمون من الذنوب ومهما عمل المشركون من الاعمال الصالحة) ، لأن مدار الايمان عند المرجئة على الاعتقاد لا على العمل .

٣ — لا نقاتل إلا من يريد قتالنا قصداً . الجدد : الواضح .

٤ علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان .

٥ شغب : تهييج الشر (هنالك قوم أثاروا بينهما القتال) . شق العصا : اختلاف (المسلمين) . بعين الله ما شهدا : الله يعلم حقيقة ما كان بينهما ، وهو الحكم في أعمالهما .

٦ — لست على علم بالمكان الذي صاروا اليه (من جنة أو نار ؛ أو من سبيل مستقيم أو ضلال) .

اسماعيل بن يَسار

١ – كان إسماعيلُ بنُ يَسارٍ من العجم : أصله من آذربَيْجان ومولده ومنشأه في المدينة . وقد كان يَسارٌ والدُ اسماعيلَ يَبيع النّجْد والفُرُشَ ويُعِدّ الطعامَ الذي يُتّخذُ للأعراس ، ولذلك سُمِّي «النِسائيّ» . وكان يسارٌ مولىً لبني مُرّة من بني التَيْم (تيم قُريش) من كِنانة .

نشأ اسماعيل بن يسار في أسرة عُرِفت بقول الشعر : كان أبوه يسارٌ شاعراً ، وكان أخوه موسى شَهَوات شاعراً [١] ؛ وكذلك كانَ ابْنُهُ مُحمّدٌ شاعراً ثم نشأ حفيدُه عُبيد الله بن محمد شاعراً [٢] .

وكان اسماعيل بن يسار طيّبَ النفس مَليح الحديث فَكِهاً كثيرَ الهَزْل والمُزاح . وقد كان منقطعاً إلى آل الزّبير لأنّه كان مُبْغضاً لبني أمية . وكذلك كان شعوبي اللسانِ يُفضّل العجمَ على العرب في شعره .

ووفد اسماعيل بن يسار على الوليد بن عبد الملك ثم على هِشام بن عبد الملك في الرُّصافة ومدحه ، ولكن لم يكن له حظّ ولا نصيب عند بني أُميّة لشعوبيّته.
وكانت وفاة اسماعيل بن يسار نحو سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) .

٢ – اسماعيل بن يسار شاعرٌ مُجيد فصيح الألفاظ سهل التراكيب قريب المعاني عَذْبُ الشعر ، وتكاد تكون خصائصه منقطعةً عن خصائص معاصريه من أمثال الفرزدقِ وجريرٍ ، إذ هي من حيثُ الاغراضُ والأسلوبُ أقربُ إلى أن تكونَ مُحْدَثَةً ، وفي بعض شعرِه شَبَهٌ بشعر عُمَرَ بن أبي ربيعة . وأغراضُه الغزلُ والهِجاء والفخر بقومه الفرسِ على العرب ، وله رثاء ومديح .

٣ – المختار من شعره :

– لإسماعيل بن يسار قصيدة يتغزّل في مطلعها فيقول :

---

١ الشعر والشعراء ٣٦٦ ؛ راجع الاغاني ٣ : ٣٥١ ومعجم الشعراء ٢٨٦ .
٢ معجم الشعراء ٣٤٦ .

ما علَى رَسْمِ منزلٍ بالجَنابِ لو أبانَ الغَداةَ رَجْعَ الجوابِ [1] .
غيّرتْهُ الصَّبا وكلّ مُلِثٍّ دائمِ الوَدْقِ مُكفَهرٍّ السحاب [2].
دارُ هندٍ ، وهل زماني بهندٍ عائدٌ بالهوى وصَفْوِ الجَناب
كالذي كانَ ، والصفاءُ مَصونٌ لم تَشُبْهُ بهجْرةٍ واجتناب ؟
ذاكَ منها إذ أنتَ كالغُصْنِ غَضٌّ ، وهي رَؤْدٌ كدُمْيَةِ المِحراب [3] .

– وفي هذه القصيدة يفخر بالعجم على العرب :

رُبَّ خالٍ مُتَوَّجٍ لي وعَمٍّ ماجدٍ مُجْتَدىً كريمِ النِصاب [4] .
إنّما سُمِّيَ الفوارسُ بالفُرْ سِ مُضاهاةَ رِفْعَةِ الأنساب .
فاتْرُكي الفَخرَ ، يا أُمامَ ، علينا ، واترُكي الجَوْرَ وانْطِقي بالصواب
واسألي – إنْ جَهِلْتِ – عنّا وعنكم كيفَ كنّا في سالفِ الأحقاب :
إذ نُرَبّي بناتِنا ، وتَدُسّو نَ سَفاهاً بناتِكم في التّراب !

– وله مغامرة شعرية تشبه رائية عمر في بعض وجوهها ، منها :

كُلْثُمُ ، أنتِ الهَمّ ، يا كلثُمُ ! وأنْتُمُ دائي الذي أكْتُمُ .
أكاتِمُ الناسَ هوىً شفَّني ، وبعضُ كِتْمانِ الهوى أحزَم .
قد لُمْتِني ظُلْماً بلا ظِنّةٍ ، وأنت – فيما بينَنا – ألْوَم !
أبْدي الذي تُخْفينَه ظاهراً : أرْتَدّ عنه فيه أو أُقْدِم ؟
أوْفي بما قُلْتِ ولا تَنْدَمي ، إنّ الوَفيّ القولِ لا يَنْدَم .
آيةُ ما جئتُ على رِقْبَةٍ بعد الكرى والحيّ قد نَوّموا [5] .
أخافتُ المَشْيَ حِذارَ العِدى ، والليلُ داجٍ حالكٌ مُظْلِم .

---

1 الجناب (بفتح الجيم وكسرها) : اسم موضع . ليس من الضروري أن يكون الشاعر قد عنى به هنا موضعاً معيناً .
2 الصبا : ريح الشرق . ملث : دائم . الودق : البرق . مكفهر السحاب : غيم أسود (دلالة على امتلائه بالماء) .
3 رؤد : لين ، طري . دمية المحراب : تمثال العذراء عند النصارى .
4 مجتدى : يقصده الناس لجوده . النصاب : الأصل .
5 آية : بعلامة . رقبة : حذر .

حتّى دخلتُ البيتَ فاستذرفتْ   من شفَقٍ عيناكِ لي تسجُم [1] .
فبِتّ في ما شئتُ من نِعمةٍ   يمنحُنيها نحرُها والفمُ .
حتّى إذا الصُبحُ بدا ضوءُه   وغارتِ الجوزاء والمرزَمُ [2] ،
خرجتُ — والوطءُ خفيٌّ — كما   ينسابُ من مكمَنه الأرقمُ [3] .

٤٤ — ** الاغاني ٤ : ٤٠٦ — ٤٢٧ ؛ بروكلمان ١ : ٦٠ ، الملحق ١ : ٩٥ ؛ زيدان ١ : ٣٢٠ .

الحسن البصريّ

١ — كان يَسارُ ، والدُ الحسن البَصريّ ، قد سُبِيَ في أيام الفُتوح في مَيْسان (جنوبيَّ العراق) ثم جيء به إلى المدينة فأسلَمَ وأصبَحَ مولىً لزيد ابن ثابتٍ الانصاريّ .

أما أبو سعيد الحسنُ بنُ يَسارٍ البصريّ فقد وُلِدَ في المدينة ، سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) ، فنشأ في وادي القُرى (شَماليّ الحجاز) ثمّ انتقل إلى البصرة . وفي البصرة وَليَ الحسنُ البصريّ القضاءَ (الكامل ١٥٢) .

ولقد كان الحسن البصريّ يرى أنّ عثمانَ بنَ عفانٍ قُتِلَ مظلوماً . وكذلك كان يرى أنّ التحكيمَ بين عليّ بن أبي طالبٍ وبين معاويةَ بن أبي سُفيانَ بعد معركة صِفّين لم يكن صواباً لأن صاحبَ الحقّ يجب ألاّ يقبل تحكيماً (راجع الكامل ٥٦٢) .

وإلى الحسن البصريّ تَرْجِعُ نشأة الاعتزال :

كانت نشأةُ الاعتزالِ تقوم على قضيّتين : أولاهما : آلانسانُ مُسَيَّرٌ أم مُخَيَّرٌ ؟

---

١ استذرفت : استفرغت دمعها (؟) . شفق : اشفاق ، رحمة . تسجم : تهطل .
٢ الجوزاء : صورة (مجموع نجوم في رأي العين) ، والمرزم : نجم تابع للشعرى (الجوزاء والشعرى من مجموعات النجوم التي تظهر في سمائنا في الصيف) .
٣ انساب : زحف خفية . المكمن : المخبأ . الارقم : الحية .

الانسانُ في الاسلام مُسَيّر ، واللهُ سُبحانَه وتعالى هو الذي كتب عليه جميعَ أعماله منذ الازل . ثم نشأ في أيام الحسن البصري من يقول بأنّ الانسانَ مُخيّر يَفْعَلُ جميعَ أعماله باختياره وإرادته ، وأنه مِنْ أجل ذلك يستحق الثوابَ على ما أحسن والعِقابَ على ما أساء . وقد قال بذلك واصلُ بن عطاءٍ وعمرو بن عُبيدِ بن بابٍ تلميذا الحسن البصري وخالَفَهُما الحسن.

وأما القضية الثانية فهي مَنْزِلَة صاحبِ الكبيرة .

الذنوب في الاسلام كبائر وصغائرُ . فالكبائر هي الإشراك بالله وتكذيبُ الرسل وإنكار البعث (وهذه كفر يُخْرِجُ من المِلّة) ثم شرب الخمر والزنا ومعصية الوالدين (وهذه هي التي نَشِبَ الخلاف فيها بين المعتزلة وبين خصومهم) :

(أ) يرى الخوارجُ أنّ الايمانَ « كُلّ » ، وأن كلّ ذنبٍ مهما كان صغيراً يُبْطِلُ الايمان ويَخْرُجُ بصاحبه إلى الكفر ، فيستحقّ صاحبه القتلَ في الدنيا والخلودَ في جهنّمَ في الآخرة ، كالسّرِقة والكَذِب .

(ب) ويرى أهلُ السُّنةُ والجماعة (المسلمون الاولون) أن الذنوب قابلةٌ للعفو من لَدُنِ الله ، وأن ما يستوجب القتلَ في الدنيا والخلودَ في النار في الآخرة « ذنوبٌ » نُصّ عليها في الدين كالارتداد عن الاسلام وزنا المُحْصَن (المتزوّج) والقاتلِ المُتَعَمّد للقتل بغيرِ حقّ .

(ج) وسُئِلَ الحَسَنُ البصريّ مَرّةً عن صاحبِ الكبيرةِ فتَوَقّفَ في الجواب قليلاً (كأنه كان يُريد أن **يفْصِل في أمره**) ولكنّ تلميذَه واصلَ بنَ عطاءٍ استَبقَ الجوابَ الفاصلَ وأعلن أن **صاحبَ الكبيرةِ هو في منزلةٍ بين منزلتينِ** (انه ليس مؤمناً مُطلقاً لأنه ترك أمراً من أمور الايمان ، ثم هو ليس كافراً مطلقاً لأنه لا يزال يَعْمَلُ أعمالاً كثاراً من الايمان) ولكنه **فاسق** (فهو إذَنْ في منزلةِ الفِسْق التي هي بين منزلةِ الإيمان ومنزلة الكُفْر) . فصاحب الكبيرةِ عند واصل إذَنْ لا يُقْتَلُ في الدنيا ولا يَخْلُدُ في الآخرة في النار (كما كان يرى الخوارج) .

من أجل ذلك فارقَ واصلٌ أستاذَه الحسنَ البصريّ ، وأخذ يُقرّرُ على

الذين أرادوا أن يأخذوا برأيهِ أنّ الانسان حُرّ في أفعاله يفعلُ ما يشاء بارادته وَحْدَه ، ومن ذلك الحين سُمّي الذين يذهبون هذا المذهب المُعْتَزِلة .

وكانت وفاة الحسن البصري في البصرة في أول رجب من سنة ١١٠ هـ ، (١٠-١٠-٧٢٨ م) .

٢ - كان الحسن البصري من رواة الحديث [١] وقصّاصاً واعظاً [٢] وخطيباً قيل فيه : أخطب الناس صاحب العِمامة السوداء ، أي الحسن البصري . كما كان فصيحاً بليغاً بارعاً في اللغة والفقه ، تقياً زاهداً ، واسع الحلم حسن الاخلاق .

٣ - المختار من كلامه :

- من أقوال الحسن البصري :
- التقديرُ نِصْفُ الكَسْبِ ، والتَوَدّد نصف العقل ، وحُسْنُ طلب الحاجة نصف العلم .
- بِعْ دنياك بآخرتِك تَرْبَحْهما جميعاً ، ولا تَبِعْ آخرتك بدنياك فتَخْسَرَهما جميعاً .
- تَهادَيْتُمُ الاطباقَ ولم تَتَهادَوْا النّصائِحَ .
- ما أطالَ عبدٌ الاملَ إلاّ أساء العمل .
- إذا سَرّك أن تنظر إلى الدنيا بعدَك فانظر اليها بعدَ غيرِك .
- كان مروانُ بن المهلّب بالبصرة يَحُثّ الناسَ على حرب أهل الشام ، فكان الحسنُ البصريّ يُثَبِّطُهُم عن ذلك ويقول :

أيّها الناسُ ، الْزَموا رِحالَكم [٤] ، وكُفّوا أيْديَكم ، واتّقوا اللهَ مولاكم . ولا يَقْتُلْ بعضُكم بعضاً على دنيا زائلةٍ وطَمَعٍ فيها يَسيرٍ ليسَ لأهلِها بباقٍ ،

---

١ راجع البيان والتبيين ٢ : ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ١١٣ ، ٢٧٨ ، ٣ : ١٢٥ ، ١٧٨ الخ .

٢ مثله ١ : ١١٩ ، ٢٩٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ .

٣ مثله ١ : ٢٦١ ، ٣٥٤ ، ٣٩٨ ، ٢ : ٢٦٨ .

٤ الرحال جمع رحل (بفتح الراء) : مركب البعير ، والمسكن . الزموا رحالكم : ابقوا في بيوتكم (لا تشتركوا في الفتنة والقتال وفي ما يختلف فيه الناس) .

وليسَ اللهُ عنهم في ما اكْتَسَبوا بِراضٍ . انه لم يكن فِتنةٌ إلا كان أكثرُ أهلِها الخُطباءُ والشعراءُ والسّفهاءُ وأهلُ التِيهِ والخُيَلاءِ ، وليس يَسْلَمُ منها إلا المجهولُ الخَفِيّ والمعروفُ التقيّ ....

– لما وَلِيَ عمرُ بنُ عبد العزيز الخلافة (٩٩ هـ = ٧١٧ م) كتب إلى الحسنِ البصريّ يسأله أن يَصِفَ له الإمامَ (الخليفة) العادل ، فكتب اليه الحسنُ البصريّ :

اعْلَمْ ، يا أميرَ المؤمنين ، أن الله جَعَلَ الإمامَ العادلَ قِوامَ كلِّ مائلٍ وقَصْدَ كل جائرٍ وصلاحَ كل فاسدٍ وقوة كلّ ضعيفٍ ونِصْفَةَ كل مظلومٍ ومَفْزَع كل مَلْهوف [١] .

والإمامُ العادل ، يا أميرَ المؤمنين ، كالراعي الشفيق على إبِلِهِ يرتادُ له أطيبَ المرعى ويَذودها عن مراتِعِ الهَلَكَةِ .... والامام العادل ، يا أميرَ المؤمنين، كالاب الحاني على وَلَده : يَسْعى لهم صِغاراً ، ويعلّمهم كِباراً ،ويَكْتَسِبُ لهم في حياته ويَدّخِرُ لهم بعد مماته .... [٢] .

فالآنَ ، يا أميرَ المؤمنين ، وأنت في مَهَلٍ قبلَ حلولِ الأجلِ وانقطاع الأمل ، لا تَحْكُمْ في عِبادِ الله بحُكْمِ الجاهلين ولا تَسْلُكْ بهم سبيلَ الظالمين ، ولا تسلّطْ المُستكبِرين على المُسْتَضْعَفين فانهم لا يَرْقُبونَ في مؤمن إلاّ ولا ذِمّة فتبوءَ بأوزارك وأوزارٍ معَ أوزارك ، وتَحْمِلَ أثقالَكَ وأثقالاً معَ أثقالك . ولا يَغُرّنّكَ الذين يَتَنَعّمون بما فيه بُؤْسُك ، ويأكلون الطيباتِ في دنياهم بإذهابِ طيّباتك في آخرتك ....

٤ – ** الحسن البصري : سيرته ، شخصيّته ، تعاليمه وآراؤه ، تأليف احسان عبّاس ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٥٢ م .

---

١ قوام (بفتح القاف) : عدل ، إقامة ، الوسيلة إلى تصحيح الخطأ . القصد : الاعتدال (والرجوع إلى قصد الطريق : إلى الحق) . الجائر : الظالم ، المائل عن الحق . المفزع : الملجأ . المظلوم المضطر الذي يستغيث بالناس لينقذوه مما هو فيه .

٢ يرتاد : يطلب ، يبحث عن . يذودها : يدفعها (يدفع عنها) ، يحميها .

الفَرَزْدق

١ — هو أبو فِراسٍ َهمّامُ بن غالبِ بن صَعْصَعَةَ ، من ُمجاشعٍ بن دارمٍ من بني تميم .

كان الفرزدق من فرع قويّ من بني تميم . وعُرِفَ جَدّه صعصعة بأنه ُمحْيِي المَوْؤودات لأنه كان في الجاهلية يَفدي كل فتاة يبلغ اليه أن أهلها يريدون أن يَئِدوها من فقر . وكان والده غالبٌ يَحْيا حياةً بَدْوية ويَمْلِك إبِلاً وأنعاماً كثيرة . فلما بُنِيَتِ البصرة (١٤ ه) نَزَل جنوبَها ، واشتهر هنالك بكرمه . وأمّ الفرزدق لِينة بنت قَرَظة الضبّيّة * ، وجَدّته لأبيه ليلى بنت حابس [١] أختُ الاقرع بن حابس [٢] .

أما الفرزدق نفسه فقد ُولِدَ في كاظمة [٣] نحو سنة ٢٠ ه (٦٤٢ م) في خلافة عمر بن الخطاب ونشأ هنالك نشأةً بَدْوية . والفرزدق لقب له لِغِلَظ وجهه وشَبَهِه بالرغيف [٤] .

لم يتصلِ الفرزدقُ بأحدٍ من الخلفاء قبل الإمام عليٍّ : لما بدأ الفرزدق ينظم الشعر حمله أبوه إلى الإمام علي في البصرة نحو سنة ٣٦ ه (٦٥٧ م) وعُمُرُه يومذاك نحو خَمْسَةَ عَشَرَ عاماً ، وجعله ينشد أمامه شيئاً من شعره . ويقال إن الإمامَ عليّاً نصحه يومذاك بأن يحفظ القرآن . إنّ ذلك يمكن أن يعني شيئين اثنين ، أولهما إنّ شعر الفرزدق جيد فيَحْسُنُ تثقيفُه بلغة القرآن ؛ وثانيهما ان شعره رديء فيجب أن يترك قول الشعر ويشتغل بالقرآن فذلك أعْوَدُ عليه . وعلى كل فانّ الفرزدق عمِل بنصيحة الإمام عليّ وقيّد نفسه بقيد من حديد ولم َينزِعْه إلاّ بعد أن حفظ القرآن فيما يُروى [٥] . وقد اثرت شخصية الإمام علي في الشاعر الناشئ تأثيراً عميقاً .

---

* غ ١٩ : ٢ .

١ معجم الشعراء ٤٦٦ .

٢ راجع ، فوق ، صفحة ٢٧٢ ، راجع ٢٧٣ — ٢٧٤ .

٣ راجع الشعر والشعراء ٢٩٠ ، السطر الأخير . كاظمة : هي الجهرة الحالية ، شرق مدينة الكويت اليوم .

٤ الفرزدق : تعريب للكلمة الفارسية « برازده » (خبز ، رغيف) .

٥ الكامل ١٦ .

نشأ الفرزدق على حب آل البيت وعلى الاعتقاد بحقهم في الخلافة ، ولكنه كان أحياناً يتظاهر بغير ما يعتقد حِرصاً على أن يتكسب من غير آل البيت أيضاً . وكانت حياة الفرزدق الشخصية حَفِلَةً بالقَصْف والمغامرات ، وخصوصاً في ولاية زياد بن أبيه على البصرة (٤٥ — ٥٣ ھ) ،والفرزدق يومذاك في عُنْفوان شبابه .

وبعد استشهاد الحُسينِ (٦١ ھ = ٦٨٠ م) ومقتل عبدِ الله بن الزبير سنة ٧٣ ھ (٦٩٢ م) ، وكان العَلَويّون قد خَسِروا جاهَهم السياسي وخسروا معه أموالهم التي كانوا يُجيزون منها الشعراء ، انضمّ الفرزدق إلى شعراءِ الامويين تكسّباً لا اعتقاداً .

مهاجاة الفرزدق وجرير :

تزوّج تميم بن عُلاثةَ ، وهو رجل من بني سَليط ، بَكْرة بنت مُليص من بني كُليب ؛ وقد اتّفق يوماً أن ضربها فشَجّها ، فلَقِيَه أخوها فلامه ، فوقع بينهما لِحاءٌ . فضرب أخو بَكْرة تميماً فشجّه . فهجا عَطِيّةُ بن الخَطَفى (والدُ جريرٍ) تميماً ، لأن بَكْرة كانت من بني كُليب قوم عطيّة ....

وبعد زمن تجاور بنو جُحيش من بني سَليط (أقارب تميم بن عُلاثة) وبنو الخَطَفَى (أقاربُ جريرٍ) في غدير بالقاع فتنازعوا ، فجعل بنو الخَطَفى يهجونهم . وكان بنو جُحيش لا يقولون الشعر فاستعانوا بغَسّان بن ذُهيل .... ابن سليط فهجا بني الخطفى .

عَلِمَ جرير بذلك — ولم يكن قد قال الشعر بعدُ — فانتصر لأهله وهجا غسّانَ بن ذُهيل برَجَزٍ هو أوّل ما قاله من الشعر .... ولَحِمَ الهجاء بين جرير وغسّان .... ثم ان البَعِيثَ جعل يُعين غسّان على جرير ، فأخذ جرير يهجو البعيث (غ ٨ : ١٦) . ولمّا أعان الفرزدق البعيث انقَلَبَ جريرٌ إلى الفرزدق يهجوه .

وكانت وفاة الفرزدق في سنة ١١٤ ھ (٧٣٢ م) .

٢ — الفرزدق شاعر مقتدر ألفاظه جزَلة فخمة كثيرةُ الغريب . هذه الألفاظ

تبلُغ في ديوان الفرزدق نحو أربعين ألفاً حتّى قيل : لولا الفرزدقُ لَذَهَب ثُلُثُ اللغة ، وقيل لذهب ثُلُثاها . وتراكيب الفرزدق متينة شديدة الأسْر إلى حدٍّ أنها تميلُ إلى التعقيد . أما معانيه فهو كثيرة متنوّعة لأن الفرزدق من الشعراء الذين قالوا في كلّ باب من أبواب الشعر ، على أن في معانيه شيئاً من الغموض في بعض الأحيان . وكان في طبع الفرزدق جفاء حمل إلى شعره شيئاً من الخُشونة والصَّلابة . وشعره مطوّلات ومقطّعات ، وهو ذو بَديهةٍ . ولقد جعله نفرٌ من الرواة والنقّاد شبيهاً بزهير بن أبي سلمى .

ومع كثْرة الفنون التي قال فيها الفرزدق فان فضلَه الأوّلَ في الفخر ، وهو أحسن شعراء العصر الأموي فخراً [1] . ثم ان فخره قد غَلَبَ على جميع فنونه حتّى أضرّ ذلك به في التكسب فقد كان لا يتمالك أن يُدخِلَ الفخرَ بنفسه وقومه في مدائح بني أمية فيغضب بنو أُمية ثم يَقْطعونه ولا يُعْطونه . وقد أحسن الفرزدق في المدح والهجاء بعض الاحسان ، إلا انه شديد الإقذاع في هجائه . وقد أساء في الرثاء والغزل . ثم إن له أشياءَ تُستجاد في الوصف البَدوي كوصف الذئب مثلاً . وله أبيات مقلّدة (فيها حكمة) .

— للفرزدق نَقيضةٌ [2] من طوالِ قصائده تبلُغ مائَةً وخَمْسَةً وعِشْرين بيتاً فيها نسيبٌ بَدويّ يُخالطه شيء من الألوان الحَضَرية ، إلاّ أن فيه أيضاً شيئاً من السَماجة . والفرزدقُ يمدح في هذه النقيضة (عبدَ الملك) بن مروان متكسّباً وهو يعتذر بالقَحْط الشديد الذي كان جاء على البلاد . قال الطبري في أخبار سنة ٦٨ هـ (٦٨٧ — ٦٨٨ م) : « وفي هذه السَنَةِ كان القحطُ الشديد بالشام حتّى لم يَقْدروا من شدّته على الغزو » (طبعة القاهرة ٧ : ١٦٧) . ويفهم من قصيدة الفرزدق أن القحط توالى ، ومن المُنْتَظَر أن يكون قد امتد إلى البلاد التي هي أقل خصباً في الأصل . وفي القصيدة أيضاً فخر شُهِرَ به الفرزدق وهجاء لجريرٍ . وفيها بيتان ذكر الفرزدق فيهما أميرُ المؤمنين (عبد الملك) بن مروان ليتخلّص منهما إلى وصف القحط فالى الفخر بقومه وبكرم قومه حتّى في مثل هذا القحط . قال الفرزدق :

---

١ طبقات الشعراء ٨٧ ؛ العمدة ١ : ٧٩ .

١ راجع ، فوق ، ص ٣٦١ .

عزَفْتَ بأعشاشٍ ، وماكنتَ تعزِفُ ، وأنكرتَ من حَدراءَ ما كنتَ تعرِفُ[1] ،
ولَجّ بكَ الهِجرانُ حتى كـأنّمـا ترى الموتَ في البيت الذي كنتَ تألَفُ[2] :
لَجاجةَ صُرمٍ ليس بالوصلِ ، إنّمـا أخو الوصل من يدنو ومن يتَلَطّفُ[3] .
إذا انتَبَهَت حَدراءُ من نَومة الضُحى دعت ، وعليها دِرعِ خزّ ومُطرَفُ[4] ،
بأخضرَ من نَعمانَ ثمّ جلَت بـه عِذابَ الثنايا طَيّباً حين يُرشَفُ[5] .
ومُستَنفِزاتٍ للقلـوب كـأنّهـا مَهاً حول مَنتوجاتها تتَصَرّفُ[6] ،
إذا هنّ ساقَطنَ الحديثَ كـأنّـه جَنى النحل أو أبكارُ كَرمٍ تُقطّفُ[7] .
موانعُ للأسرارِ إلاّ لأهلِهـا ، ويُخلِفنَ ما ظنّ الغَيور المُشفْشَفُ[8].

---

١ عزفت بأعشاش : صددت عن اللهو مع النساء في أعشاش وكرهته ، وما كنت تفعل ذلك من قبل . حدراء بنت زيق : فتاة نصرانية تزوجها الفرزدق بعد امرأته النوار . وماتت حدراء في أيام الفرزدق فرثاها الفرزدق رثاء يسيراً بلا مبالاة . أنكرت ما كنت تعرف : (أصبحت كارهاً للأمور التي كنت تحبها في حدراء) .

٢ وتطرفت في الكره حتى هجرت زيارة حدراء هجراً تاماً .....

٣ تطرفاً يدل على أنك تريد قطع صلتك بها من غير أن ترجع إلى وصلها (استئناف صلتك بها)، لأن أخو الوصل (الذي يريد انشاء صلة) يتقرب إلى الناس ويرفق في كلامهم ومعاملتهم .

٤ الضحى : ارتفاع النهار (كانت حدراء منعمة تنام إلى ارتفاع النهار لأنها لم تكن مضطرة إلى قضاء حاجات بيتها بنفسها) . الدرع : قميص تلبسه المرأة . خز : حرير . المطرف (بضم الميم أو كسرها وبالراء المفتوحة) : رداء من خز (حرير) مربع وفيه أشكال (يرتدى فوق الملابس) .

٥ – .... (طلبت غصناً) أخضر من (شجر الأراك الذي ينبت في وادي) نعمان (وراء جبل عرفات قرب مكة) ثم جلت به (غسلت أسنانها ثم فركتها بذلك الغصن) . غصن الاراك يتشعث ويصبح كالمرشاة . عذاب : حلوة (الريق) . الثنايا (المقصود الاسنان) . طيباً (ريقها) حين يرشف (يشرب ، يمص) .

٦ مستنفزات (محركات) للقلوب : مثيرات للعاطفة . مها جمع مهاة : البقرة الوحشية (نوع من الغزلان) . منتوجاتها : أولادها . تتصرف : تذهب وتجيء (إذا كان للانثى طفل فانها تكون ذات حنان وعطف) .

٧ ساقطن الحديث : تحدثن ، تبادلن الحديث ، إذا حاورن أحداً . جنى النحل : العسل . أبكار كرم: العنب في أول نضجه (يكون فيه شيء من الحموضة ومن الطعم الواضح) . تقطف : تقطع من الشجيرة (حديثاً) .

٨ الاسرار جمع سر : الزواج . موانع للأسرار إلا لأهلها : لا يتزوجن إلا أكفاءهن . المشفشف : الشديد الغيرة . – يخلفن ما ظن الغيور : لا يعملن ما يحمل أحداً على ظن السوء بهن (هن مصونات عفيفات) .

يُحَدِّثْنَ ، بعد اليأسِ من غير رِيبةٍ ، أحاديثَ تَشْفي المُدنَفين وتَشْغَف ١

إذا القُنْبُضاتُ السّود طَوّفْنَ بالضُحى، رَقَدنَ عليهن الحِجال المُسَجّف ٢ .

وإن نَبّهتْهُنّ الولائدُ بعدَ ما تَصعّد يومُ الصيف أو كاد ينصف ٣ ،

دَعَونَ بقُضبانِ الأراك التي جَنى لها الرّكْبُ من نَعمانَ أيام عرّفوا ٤

فمِحْنَ به عَذْباً رُضاباً غُروبُه رِقاقٌ وأعلى حيثُ رُكِّبْنَ أعجف ٥ .

لَبِسْنَ الفِرِنْدَ الخُسْرُوانيَّ ، دونه مشاعِرَ من خزِّ العِراق المُفَوَّف ٦ .

فكيف بمحبوسٍ دعاني ، ودونه دُروبٌ وأبوابٌ وقصر مُشَرَّف ٧

وصُهْبٌ لِحاهُم راكزونَ رِماحَهم لهم دَرَقٌ تحت العَوالي مُصفّف ٨ .

---

١ يحدثن (يبذلن الحديث) بعد اليأس (بعد أن قنط المحب من عطفهن) من غير ريبة (تهمة ، سوء ظن ، ما يدعو إلى الفساد) . المدنف : الذي ثقل مرضه (من الحب) . تشغف : تمتلك العقل وتغلب على القلب .

٢ القنبضة : المرأة القصيرة الدميمة (المحتاجة إلى السعي على رزقها أو إلى خدمة بيتها) طوفن بالضحى (بدأن يعملن منذ الصباح الباكر) رقدن (أولئك النسوة الجميلات الغنيات المنعمات) عليهن (مسدولا عليهن) . الحجلة (بفتح ففتح) : ستر تنام المرأة وراءه : المسجف : المرخى

٣ الوليدة : الخادم . تصعد اليوم : مر قسم منه . نصف (بفتح الصاد) ينصف (بضم الصاد) وأنصف : صار نصفه .

٤ دعون بقضبان الاراك (راجع ، فوق ، ص ٥٦٢ ، الحاشية ٥) . التي جنى لها (قطفها خصيصاً لهن) الركب من نعمان أيام عرفوا (الحجاج بعد أن نزلوا من جبل عرفات) — لم يقطفها التجار بل الحجاج ثم قدموها اليهن هدية بعد أن تخيروا الأفضل منها (تحبباً اليهم واكراماً لهن لا حباً بالربح).

٥ ماح : استاك ، نظف أسنانه بالسواك أو بفرشاة الاسنان .عذباً رضاباً : (فما ذا ريق حلو) . غروبه : (أسنانه) . وأعلى حيث ركبن (أي اللثة) أعجف (نحيله، لأن اللثة المتضخمة تكون مريضة ومستقية فيها دم فاسد وقيح) .

٦ الفرند الخسرواني: نوع من الثياب (ثياب ملوكية) . دونه : تحته : مشاعر جمع مشعر : ثوب يلبس مما يلي الجسد (مشاعز منصوبة على الحال) . مفوف : كثير الألوان .

٧ محبوس : (فتاة) مصونة . دعاني : دعاني الحب اليها . دونها : بينها وبين الناس (لا يصل اليها أحد) . الدرب : الطريق (الصعب) في الجبل . أبواب : أبواب كثيرة عليها حجاب . مشرف : له شرفات (كناية عن علوه) .

٨ — .... وحراس لحاهم صهب (حمر) ، فهم روم يونانيون . ركز الرمح : غرزه في الأرض (منصوباً) . درق جمع درقة (بفتح الدال والراء) : الحجفة (بفتح الحاء والجيم) : قطعة من جلد تلبس تحت الدرع لتزيد في حماية الصدر عند القتال (راجع القاموس ٣ : ١٢٦ ، ١٦٣ ، ٢٣٠) . مصفف : قطع جلد بعضها فوق بعض (؟) .

يُبَلِّغنا عنها بغير كلامِها إلينا من القصر البَنان المُطَرَّف [1] .
دَعَوتُ الذي سَوّى السماواتِ أيدُه ؛ ولَلّهُ أدنى من وريدي وألطف [2] ،
لِيَشْغَلَ عنّي بَعْلَها بزَمانةٍ تُدَلِّهُهُ عنّي وعنها فنُسْعَف [3]
بما في فؤادَيْنا من الهَمّ والهوى فيَبْرأ مُنهاضُ الفُؤادِ المُسَقَّف [4] :
فأرسلَ في عَيْنَيْه ماءً علاهُما وقد عَلِموا أني أطَبّ وأعْرَف [5] .
فداوَيْتُه عامين ، وَهْيَ قريبةٌ أراها وتدنو لي مِراراً فأرشُف [6]
سُلافَةَ جَفْنٍ خالطَتْها تَريكةٌ على شَفَتَيْها والذكيّ المُسوَّف [7] .
فيا لَيْتَنا كنّا بعيرينِ لا نَرِدْ على حاضرٍ إلاّ نُشلّ ونُقْذَف [8] ،
كِلانا به عَرّ يُخاف قِرافه على الناس مَطْلِيّ المساعِرِ أخشَف [9] ،
بأرضٍ خَلاءٍ وحدَنا وثيابُنا من الرَّيط والدّيباج دِرع ومِلْحَف [10] .

---

١ البنان : أطراف الأصابع . المطرف : المصبوغ .— تشير الينا من القصر بيدها التي صبغت أطرافها باللون الأحمر (كناية عن الجمال والتنعم) فنفهم ما تريد .
٢ أيده : قوته . والله أدنى (أقرب) من وريدي (من حبل الوريد : العرق الناقل للدم حينما يصل إلى العنق) . اللطيف : العالم بخفايا الأمور .
٣ الزمانة : العاهة المزمنة (القديمة الصعبة الشفاء) . تدلهه : تحيره حتى يغفل عما حوله . نسعف ، نساعد ، (يتسع لنا المجال حتى نتلاقى) .
٤ المنهاض : (العظم) الذي كان قد كسر ثم جبر ثم كسر ثانية . المسقف (الكسر) الذي لا تزال عليه الجبيرة .
٥ الماء الازرق أو الأسود إذا علا العين (جاء تحت غشائها) منع البصر . أطب (أحسن تطبيباً) وأعرف (أكثر معرفة بهذا المرض) .
٦ أرشف : أمص الريق عند التقبيل .
٧ السلافة : أول عصير العنب . الجفن لعله نوع من العنب ينمو في الطائف (راجع القاموس ٤ : ٢٠٩ السطرين ٦ — ٧ من أسفل) . تريكة : بقية من ريقها (على شفتيها) . الذكي (المسك) الشديد الرائحة المسوف (المرغوب في شمه) .
٨ لا نرد على حاضر : لا نمر بمكان معمور (مسكون) . نشل : نطرد . نقذف : نرمي بالحجارة . لا وجه لجزم « نرد » . في رواية : لا نرى .
٩ العر : الجرب . القراف : العدوى بداء يقتل (راجع القاموس ٣ : ١٨٤ ، السطرين ١٣ — ١٤) . مطلي : مدهون (بالقطران) . المسعر : أثناء الجسد (كالابط وما بين الأصابع) . أخشف : يابس (من اشتداد الجرب فيها) .
١٠ الريطة : ثوب من قطعة واحدة منسوجة نسجاً ليناً رقيقاً . الديباج : الحرير . الدرع : ثوب تلبسه المرأة مما يلي جسدها . الملحف : رداء يلبس فوق الثياب ليدفع البرد (القاموس ٣ : ١٩٥ ع) .

ولا زادَ إلاّ فَضلتانِ : سُلافةٌ وأبيضُ من ماء الغَمامة قَرقَفُ [1] ،
وأشلاءُ لحمٍ من حُبارى يَصيدها ، إذا نحن شئنا ، صاحبٌ متألِّفُ [2] .
لنا ما تَمَنّينا من العيش ما دعا هديلاً حماماتٌ بنَعمان هُتَّفُ [3] .
إليكَ ، أميرَ المؤمنين ، رمت بنا هُمومُ المُنى والهَوجَلُ المُتَعسِّفُ [4] .
وعضّ زمانٌ ، يا ابنَ مروانَ ، لم يدع من المال إلاّ مُسحَتاً أو مُجرَّفُ [5]
إذا اغبَرَّ آفاقُ السماءِ ، وكَشَّفَت كسورَ بيوتِ الحيِّ نكباءُ حَرجَفُ [6] ،
وهَتّكتِ الاطنابَ كلٌّ عظيمةٍ لها تامكٌ من صادق النَّيِّ أعرَفُ [7] ،
وجاء قريعُ الشَّوْل قبل إفالها يَزِفُّ ، وراحت خَلْفَه وهي زُفَّفُ [8]
وباشرَ راعيها الصَّلى بلَبانه وكَفَّيْه حرَّ النارِ ما يَتَحَرَّفُ [9] ،

---

١ زاد : طعام . فضلة : بقية (شيء يكفي لدفع الجوع) . سلافة : خمر . وأبيض من ماء الغمامة : شيء من ماء المطر الصافي . القرقف : البارد (راجع القاموس ٣ : ١٨٥ ، السطر ٣) .

٢ أشلاء : قطع من لحم . حبارى : نوع من الطير . صاحب متألف : صقر أو بازي يحسن الصيد .

٣ الهديل (هنا) : فرخ الحمام (القاموس ٤ : ٦٧ ، السطر الأخير) . هتف جمع هاتف وهاتفة : صائح . ما دعت الحمام أفراخها (دائماً) .

٤ – جاء بنا اليك هموم المنى (آمالنا بما سنناك منك) والهوجل (الأرض الواسعة) المتعسف (الصعبة المسلك إذ لا علامات يهتدى بها المسافر فيها) . – آمالنا العظيمة في عطاياك جعلنا نأتي من مكان بعيد ونقطع فلاة واسعة شديدة على المسافرين .

٥ – اشتد الزمان علينا بالقحط حتى أنه ما ترك شيئاً يقتات أحد به . المسحت : ما بقي من الشيء بعد استئصاله (القاموس ١ : ١٤٩ ، السطر ٧ من أسفل) . المجرف : الباقي من الشيء بعد أن يجرفه السيل الخ) . وبعد هذا البيت أبيات في وصف الصحراء والناقة .

٦ إذا اغبر (أظلم) آفاق (أطراف : نواحي) السماء بالغبار الأحمر (للجفاف وقلة الغيوم) ثم ان النكباء (الريح التي تهب من كل مكان) الحرجف (الشديدة الهبوب الباردة) كشفت (أطارت الاستار والامتعة في) كسور البيوت (الكسر بفتح الكاف أو كسرها : جانب البيت) .

٧ – ثم جاءت النياق العظيمة ذوات التامك (السنام العظيم) من صادق الني (من السمن الخالص الصرف) . أعرف : طويل العرف . لها تامك أعرف (طويل) . وهتكت الاطناب (لما اشتد البرد جاء النياق تريد الدخول إلى البيوت من البرد فقطعت حبال الخيام وهدمت الخيام) .

٨ القريع : فحل الابل الذي يترك سارحاً ولا يربط بحبل . الشول : الابل التي شالت (ارتفعت ، خفت) ألبانها . افالها : صغارها . زف : أسرع . – جاء القريح (نحو الخيمة هرباً من البرد) وكانت الابل الصغار تتبعه مسرعة وراءه .

٩ – وألصق راعي الابل صدره وكفيه بموقد النار ولم يكن يتزحزح عنه أو يميل يمنة أو يسرة .

وأوقدَتِ الشِّعرى معَ الليلِ نارَها   وأمست مُحولاً جِلدها يتَوسَّف [1]
وأصبح موضوعُ الصّقيع كأنّه   على سَرَوَاتِ النيبِ قُطنٌ مُنَدَّف [2] ،
وقاتل كلبُ الحيِّ عن نار أهلِه   ليَربِضَ فيها والصَّلى مُتكَنَّف [3] ؛
وَجَدتَ الثَّرى فينا – إذا يَبِسَ الثّرى – ومن هو يرجو فضلَه المُتَضَيِّف [4] :
ترى جارنا فينا يُجيز ، وإن جنى   فلا هو ممّا يُنْطِفُ الجارَ يُنْطَف [5] .
وقد علِمَ الجيرانُ أن قُدورَنا   ضوامنُ للأرزاقِ والريح زَفزَف [6]
نُعَجِّلُ للضِّيفان ، في المَحْلِ ، بالقِرى   **قُدوراً** بمَعبُوطٍ تُمَدّ وتُغْرَف [7]
ترى حولَهن المُعْتَفين كأنّهم   على صنمٍ في الجاهلية عُكّف [8]
قعوداً ، وخلْفَ القاعدين سطورُهم   جُنوحٌ وأيديهم جُموسٌ ونُطّف [9] .
وما حُلَّ ، من جهلٍ ، حُبى حُلَمائنا ،   ولا قائلٌ بالعُرفِ فينا يُعَنَّف [10] .

١ الشعرى الشامية: نجم يظهر في الشتاء أول الليل على الأفق الشرقي ثم يبلغ في منتصف الليل كبد السماء . أوقدت نارها : أصبحت في ذروة ظهور نورها (في منتصف الليل حينما يبلغ البرد أشده) . وأمست (الأرض) قاحلة يطير التراب عن وجهها لشدة القحط .
٢ – الثلج على ظهور الابل كالقطن المندوف .
٣ – وقاتل الكلب أهله ليبعدهم عن النار ويبرك هو مكانهم ، بينما كان الناس يتكنفون النار (يحيطون بها من كل جانب) .
٤ (في مثل هذه الحال من القحط) تجد الثرى (الخير الكثير والكرم) إذا يبس الثرى (وجه الارض بالقحط) ووجدت فينا الرجل المضياف الكريم الذي يثق الناس بكرمه .
٥ ثم ترى جارنا ضيفنا يجيز : يحمي (الناس الذين يلجأون اليه اعتماداً على قوتنا وعزنا وكرمنا) . ثم يكون عندنا آمناً ولا يهلك (بالجوع أو باعتداء الآخرين عليه ، كما يتفق لجيران غيرنا) .
٦ زفزف : شديدة الهبوب باردة .
٧ المحل : القحط . القرى : الضيافة . المعبوط : اللحم الطري الذي ذبحت ابله أو غنمه حديثاً . تمد (تملأ باستمرار كلما نقصت) وتغرف (يغرف منها ، يسكب منها للناس) .
٨ المعتفون : طالبو المعروف ، المحتاجون . عكف : يقفون حول شيء ما في دائرة (مع المواظبة والخشوع) .
٩ ....تجد قسماً منهم قعوداً ، وقسماً كبيراً آخر وقوفاً ، بعضهم قد أكل وشبع فكان السمن قد جمس (جمد) على كفه ، وآخرون لا يزالون يأكلون ولا تزال أيديهم تنطف (تقطر ، تسيل) بالسمن .
١٠ الحبوة (بفتح الحاء) : شملة يربطها سيد القوم من ظهره إلى ركبتيه ويجلس وقوراً يحكم بين الناس . يقول الفرزدق (حسب قراءة النقائض ٥٦٤ : حل بضم الحاء) : لا يبلغ الجهل من سادتنا أن يحل أحدهم حبوته (أي إلى أن يغضب) . وأود أنا أن أقرأ : حَل (بفتح الحاء) : لا يغضب سادتنا مهما خاطبهم الناس بجهل وافتراء .(من جهل: من حرف جر زائد، جهل مجرور لفظاً مرفوع محلا على أنه فاعل «حل»). ولا يعنف : لا يلام (لا يخطىء) أحد منا مع أنه يقول بالعرف (بالحكم الشخصي مع غير رجوع إلى قانون موضوع – أقوالنا قوانين وقواعد للسلوك) .

وما قام منّا قائمٌ في نَديّنا فيَنْطِقَ إلاّ بالّتي هي أعْرَف [1] .
ولو تَشْرَبُ الكَلْبى المِراضُ دِماءنا شَفَتْها ، وذو الداء الذي هو أدنَف [2] .
وجدنا أعزّ الناس أكثَرَهم حَصىً ، وأكرَمهم مَن بالمكارم يُعْرَف [3] .
وكلتاهما فينا إلى حيثُ تَلْتَقي قبائلُ لاقى بينهن المعرَّف [4] .
فما أحدٌ في الناس يَعْدِلُ دَرْأَنا بعزٍّ ، ولا عزٌّ له حين نَجْنَف [5] .
سيعلَمُ من سامَى تميماً إذا هَوَت قوائمهُ في البحر مَن يَتَخَلَّف [6] .
لنا العِزّةُ القَعْساءُ والعددُ الذي عليه إذا عُدَّ الحصى يَتَخَلَّف [7] .
ولا عِزَّ إلاّ عزُّنا قاهرٌ له ؛ ويسألُنا النِصف الذليلُ فيُنصَف [8] .
ومنّا الذي لا يَنْطِقُ الناسُ عندَه، ولكن هو المُسْتَأْذَنُ المُتَنَصَّف [9]
تراهُم قُعوداً حولَه وعيونُهم مُكَسَّرَةٌ أبصارُها ما تَصَرَّف [10].

---

١ الندي : مجتمع القوم . أعرف : أعلم (بالأمور ، لا يخفى عليه شيء منها) .

٢ ولو شرب المرضى المصابون بالكلب (بفتح الكاف واللام) دماءنا لشفوا (بفتح اللام وضم الشين والفاء) لأننا ملوك (تقول الخرافات : ان دماء الملوك تشفي من داء الكلب) . ومن هو أدنف (وكذلك دماؤنا شفاء لمن كان مرضهم أشد من مرض الكلب) .

٣ أعز الناس : أقواهم . أكثرهم حصى : أكثرهم عدداً . بالمكارم يعرف : يشتهر بالمكارم .

٤ المعرف : جبل عرفات حيث يجتمع الحجاج من كل أمة (حيث يجتمع كل الناس) . – نحن أقوى البشر وأكثر الأمم عدداً في كل مكان .

٥ يعدل : يوازي (يقاربنا ، يشبهنا) . الدرء : الدفاع (القدرة والشجاعة) . ولا عز له حين نجنف : ليس لأحد من الناس عز (قوة) يستطيع أن يدفع بـه جنفنا (ظلمنا ، اعتداءنا) عنه .

٦ الماء قليل في البادية ، لذلك كانت القبائل القوية إذا وردت الماء مع غيرها من القبائل تتقدم فتستقي هي أولا وتسقي انعامها . وإلى هذا يشير الفرزدق فيقول : إن من اراد أن ينافس بني تميم في عزهم وقوتهم سيعلم مقامه الحقيقي إذا ذهب إلى الماء ورأى الانعام التي تسبق إلى الشرب فيحكم لأصحابها بالتقدم . إنها أنعامنا نحن .

٧ العزة : القوة . القعساء : العالية ، العظيمة . عددنا يقل عنه عدد الحصى (الحجارة الصغيرة) .

٨ ويسألنا (الرجل الضعيف) الذليل النصف (الانصاف ، الانتصاف ، أن نأخذ له بحقه من الذين ظلموه) فينصف (فنستطيع أن نأخذ له بحقه من جميع الناس) .

٩ وفينا نحن فقط ذلك الرجل الذي إذا كان في مجلس ثم تكلم فلا يجسر أحد أن ينطق في حضرته (لا يجسر أن يقاومه ولا أن يقول كلاماً صائباً مثله) . المستأذن : الذي يطلب الآخرون الاذن منه بالكلام . المتنصف . السلطان (الوالي) الذي يلجأ اليه الناس طلباً للانتصاف من الذين ظلموهم (راجع القاموس ٣ : ٢٠٠ ، السطر ٧ من أسفل) .

١٠ عيونهم مكسرة أبصارها : مطرقون إلى الأرض احتراماً له وهيبة منه . ما تصرف = ما تتصرف : لاتنظر يمنة أو يسرة .

وبيتان : بيتُ اللهِ نحن وُلاتُــهُ ، وبيتٌ بأعلى إيلياءَ مُشَرَّف [1] .
إذا هبَطَ الناس المُحَصَّب من مِنَــى عَشيّةَ يوم النّحْرِ من حيثُ عرّفوا [2]
ترى الناسَ ،ما سِرنا ،يَسيرون خلْفَنا ؛ وإن نحنُ أومأنا إلى الناس وقّفوا [3] !
ألوفُ ألوفٍ من دُروعٍ ومن قَنــاً وخيلٌ كرَيْعانِ الجَراد وحَرَشَف [4] .
فإنّك إن تسعى لِتُدرِكَ دارِمــاً لَأنتَ المُعَنّى ، يا جَرِيرُ ،المُكَلّف [5] !

– هذه قصيدة طويلة تبلُغُ أبياتُها مِائَةً وأربعةَ أبياتٍ هجا الفرزدقُ بها جريراً ، وكانت تُسمّى الفَيْصلَ (راجع البيت السادسَ عَشَرَ وشرحَه) . من هذه القصيدة :

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا بَيْتــاً دعائمُه أعــزّ وأطولُ [6] :
بيتاً بناه لنا المليكُ ، ومــا بــنى حَكَمُ السماء فانّه لا يُنْقَــل [7] ؛
بيتاً زُرارةُ مُحْتَبٍ بفِنــائِــه ومُجاشِعٌ وأبو الفوارس نَهْشَل [8] ،
يَلِجُونَ بيتَ مُجاشعٍ ؛ وإذا احتَبَوا بَرزوا كأنّهُمُ الجِبالُ البُــزّل [9] .

١ بيت الله : الكعبة ، وايلياء القدس (يقصد المسجد الأقصى) .
٢ المحصب : المكان الذي يلقي فيه الحاج الحصباء (الحصا ، الحجارة) لرجم الشيطان ، وذلك من مناسك الحج . والمحصب في منى (بكسر الميم وفتح النون وياء مقصورة بلا تنوين) شرق مكة . النحر : ذبح الانعام وهو من مناسك الحج أيضاً . يوم النحر : يوم الذبح ، يوم عيد الأضحى ، بعد تمام مناسك الحج . عرفوا : وقفوا بعرفة (قبل يوم النحر) .
٣ أومأ : أشار .
٤ القنا : الرماح . كريعان الجراد : مثل الجراد في العدد وفي اشتداد الحركة . الحرشف : الرجالة (القاموس ٣ : ١٢٦ ، السطر ٤ من أسفل) ، المشاة في الحرب .
٥ لتدرك دارماً : حتى تبلغ منزلة دارم (قوم الفرزدق) . المعنى : الذي يتعب نفسه . المكلف : الذي يطلب منه أمر فوق طاقته !
٦ سمك : رفع . بنى لنا بيتاً (من العزة والجاه والحكم) . الدعائم جمع دعامة (بكسر الدال) : عمود البيت . أعز (أشد) وأطول (أعلى) من كل ما بنى الآخرون .
٧ المليك ، حكم السماء : الله . – ما جعله الله لـ[illegible] يعطى لغيرنا .
٨ زرارة بن عدس (بضم العين والدال) و[illegible] ونهشل ابنا دارم : من سادة بني تميم في الجاهلية. محتب : (راجع ص ٦٥٦ ، حاشية ١٠) . فناء بيت : باحته . –هؤلاء المشاهير كانوا سادة في بني تميم ، ونحن ورثنا السيادة (على الناس) منهم .
٩ – كانوا إذا دخلوا بيت مجاشع ليعقدوا مجلس القبيلة ظهروا وكأن كل واحد منهم جبل قائم (لعظمتهم وهيبتهم ووقارهم) .

لا يَحْتبي بفِناء بيتِكَ مثلُهُم ... أبداً إذا عُدّ الفَعالُ الأفضَل [1] .
مِن عِزّهِم حَجَرتْ كُليبٌ بيتَهَا ... زَرَباً لَدَيْهِ كأنّهن القُمّل [2] .
ضربتْ عليكَ العَنْكبوتُ بنَسْجِها، ... وقضى عليك به الكتابُ المُنْزَل [3]
إنّ الزِحامَ لغَيْرِكُمْ ، فتَحَيّنوا ... ورْدَ العَشِيِّ اليه يَصْفو المَنْهَل [4] .
حُلَلُ الملوكِ لِباسُنا في أهلنا ، ... والسابغاتِ إلى الوَغى نَتَسَرْبَل [5] .
أحلامُنا تَزِنُ الجبالَ رَزانةً ، ... وتَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَل [6] .
فادْفَعْ بكَفّكَ–إن أردتَ بِناءَنا– ... ثَهْلانَ ذا الهَضَباتِ،هل يَتَحَلْحَل [7] ؟
يا ابنَ المَراغةِ ، أينَ خالُك ؟ إنّني ... خالي حُبيشٌ ذو الفَعال الأفضل [8] :

١ – لا يجتمع مثل هؤلاء ، يا جرير ، في بيتك (للأمور الحميدة العظيمة ، لكن قد يجتمع نفر منكم للشر والدناءة) .

٢ كان بنو كليب (في ذلك الزمن) يلزمون بيوتهم من خوفهم من هؤلاء (لم يكن لأسلافك ، يا جرير ، مكانة في أيام أسلافي هؤلاء) . القمل (هنا) : نوع من الجراد صغير لا أجنحة له . والقمل أيضاً : النمل الأحمر الصغير ؛ وحشرات صغيرة تكون في شعر الانسان وبدنه . والتشبيه هنا للاحتقار والهجاء، ولكن وجه الشبه فيه غير واضح .

٣ – أنت ضعيف إلى درجة أن نسج العنكبوت يقيدك ويمنعك الحركة . وقضى عليك به (دل على ضعف بيت العنكبوت) الكتاب المنزل (القرآن الكريم) : في القرآن الكريم في سورة العنكبوت : « .... وإن أوهن (أضعف) البيوت لبيت العنكبوت ، لو كانوا يعلمون » (٢٩ : ٤١) .

٤ الزحام : المنافسة ، المسابقة (لورود الماء في طليعة الواردين) لغيركم (يا بني تميم ، انه للأقوياء) . تحينوا : انتظروا انتهاء جميع الناس من ورود الماء للشرب وللاستقاء ، عند المساء ، حينئذ يكون المورد صافياً لكم (لا أحد عليه ، ولكن الماء نفسه لا يكون حينئذ صافياً ، ولا يكون هنالك أحياناً ماء أصلا) .

٥ الحلل جمع حلة (بضم الحاء) : ثوب من قطعتين له بطانة . السابغات جمع سابغة : الدرع . الوغى : الحرب . نتسربل : نلبس .

٦ الاحلام : العقول . رزانة : ثقل ، وقار . الجهل ؛ (الاندفاع مع العاطفة) .

٧ – إذا أردت ، يا جرير ، أن تهدم بناءنا (عزنا ، أن يأخذ قومك مكانتنا في القبيلة) فجرب قوتك في زحزحة جبل ثهلان من موضعه . الهضبة : البقعة من الأرض المنبسطة إذا كانت مرتفعة عن سطح البحر . ذو الهضبات : كناية عن اتساع هذا الجبل وعظمه .

٨ المراغة : الاتان ، الحمارة . ابن المراغة : ام جرير لقبها بذلك الفرزدق (القاموس ٣ : ١١٢ ، السطر الثاني من أسفل) فلزمها وثبت عليها . أين خالك : ما مكانة خالك في الناس ؟ حبيش بن دلف (بضم الدال وفتح اللام) بن عسير بن ذكوان الضبي كان قد أسر عمرو بن الحارث بن أبي شمر (بفتح الشين وكسر الميم) الغساني من أمراء الشام فجز ناصيته واشترط عليه أن يبعث اليه في كل سنة بحباء (عطاء ، غرامة) حتى يموت . الفعال (بفتح الفاء : مفرد مذكر) : العمل الحميد .

خالي الذي غَصَبَ الملوكَ نفوسَهم ، واليه كان حِباءُ جَفْنَةَ يُنْقَل [1] .
إنّا لَنَضْرِبُ رأسَ كلِّ قَبيلةٍ وأبوك خَلْفَ أتانِه يَتَقَمَّل [2] .
وشُغِلْتَ عن حَسَبِ الكرام وما بَنَوْا ، إنّ اللئيمَ عنِ المكارم يُشْغَل [3] .
إنّ التي فُقِئَتْ بها أبصارُكُمْ ، وهْيَ التي دَمَغَتْ أباكَ : الفَيْصَلُ [4] .

. . . . [5]

إنّ استراقَكَ ، يا جريرُ ، قصائدي مثلُ ادِّعاءِ سوى أبيك تَنَقَّل [6] .
ليسَ الكرامُ بناحِليكَ أباهُمُ حتّى تُرَدَّ إلى عَطيّةَ تُعْتَل [7] .
وزَعَمْتَ أنّك قد رَضيتَ بما بَنَى فاصبِر ، فما لكَ عن أبيكَ مُحَوَّل [8] .

– وقال الفرزدق يمدح الحجّاج بن يوسف :

أميرَ المؤمنين ، وقد بَلَونا أمورَك كلّها رُشْداً صوابا ،

---

١ آل جفنة : الغساسنة أمراء الشام (راجع الحاشية السابقة) .
٢ – نحن نقاتل الملوك بينما يقضي أبوك حياته قاعداً وراء أتانه يتقمل (ينقي ثيابه من القمل) .
٣ ان صغارة نفسك شغلتك (ألهتك) عن حسب الكرام (الاعمال الحميدة العظيمة التي يعملها كرام الناس وعظماؤهم) .
٤ – هذه القصيدة فقأت أبصاركم (سردت من مخازيكم ما لا تستطيعون انكاره وألزمتكم الخضوع) ، ثم هي دمغت أباك خاصة (أصابته على دماغه لأنها تناولت الكلام على دناءته وهوانه وضعفه) ، ثم كانت فيصلا (فاصلا بين الحق والباطل بيننا وبينكم فاقتنع الناس كلهم بقوتنا وبحقنا في رئاسة بني تميم دونكم) .
٥ هنا أبيات يفتخر فيها الفرزدق بأنه ورث الشعر الجيد عن نفر من القدماء (راجع ، فوق ، ص ٨٧) .
٦ استرق فلان شيئاً : جاء مستتراً إلى حرز (مكان مغلق) فأخذ ذلك الشيء منه (أنت تحاول ، يا جرير ، أن تسرق قصائدي : أن تنظم قصائد جياداً مثل قصائدي) . هذا العمل يشبه دعواك بأنك تنتسب إلى تميم (بينما أنت تنتسب إلى بني كليب بن يربوع الفرع الضعيف من بني تميم لا إلى مجاشع بن دارم الفرع القوي من تميم) . تنقل محاولة للانتماء إلى أب قوي عظيم (؟) لعلها « تنفل » (بالفاء بنقطة واحدة) : أن يطلب الانسان فوق حقه (راجع القاموس ٤ : ٥٩ ، السطرين ٧ – ٨ من أسفل) .
٧ – ان الكرام لا يهبونك آباءهم (لا يقبلون أن تنتسب اليهم ، بل يردونك إلى عطية) يذكرونك بأنك ابن عطية بن الخطفى الذي هو من بني كليب بن يربوع . وإذا أصررت على الانتساب اليهم، ظلوا يعتلونك (يضربونك بالعتلة – بفتح العين والتاء – وهي الهراوة الغليظة) حتى تقنع بأبيك الحقيقي .
٨ – بعدئذ زعمت (ادعيت) أنك مسرور بأبيك وصرت تفتخر بأعماله . فاقتنع ، اذن ، بذلك ؛ انك لن تستطيع ان تتحول عن (الضعف والهوان اللذين ورثتهما عن) أبيك !

تَعَلَّم أنما الحجّاجُ سيفٌ تَجُذّ به الجماجم والرِقابا .
هو السيفُ الذي نصر ابنَ أروى به مروانُ عثمانَ المُصابا [1].
فمن يَمْنُنْ عليك النصرَ يَكْذِبْ سوى الله الذي رَفَعَ السحابا .
ولو أنّ الذي كَشَفْتَ عنهم من الفِتَنِ البَلِيّةَ والعَذابا .
جَزَوكَ بها نفوسَهُمُ وزادوا لك الأموالَ ما بلغوا الثوابا .

— وصف الذئب :

خرج الفرزدق في قافلة ومعه شاة مذبوحة قد أعجله المسيرُ عن أكلها . وشم ذئب رائحة الدم فلحق بالقافلة — والفرزدق في نوبته من الحراسة . خاف الفرزدق فقطع يد الشاة وألقى بها بعيداً عن القافلة . رجع الذئب وأكل اليد ثم تَبِعَ القافلة من جديد ... وما زال الفرزدق يقطع من الشاة عُضواً عضواً ويرميها للذئب حتى شبع الذئب من لحم الشاة ورجع عن اللحاق بالقافلة . ولكن الفرزدق يَروي في القصيدة أنه هو الذي دعا الذئب إلى القِرى (الضيافة) وإنه لم يقتله كرماً منه :

وأطلسَ عَسّالٍ ، وما كان صاحباً ، دَعَوتُ بناري مَوهِناً فأتاني [2]
فلما دنا قلت : « ادْنُ دونَك ، إنني وإياك في زادي لَمُشْتَرِكانِ » .
فَبِتّ أسوّي الزادَ [3] بيني وبينَه على ضَوء نارٍ مرّةً ودُخانِ .
فقلت له لمّا تَكَشّرَ ضاحكاً وقائمُ سيفي من يدي بمكان [4] :
« تَعَشّ ؛ فإن واثقتني لا تخونُني نكُنْ مثلَ مَنْ ، يا ذئبُ ، يصطحبان [5] .

---

١ مروان بن الحكم نصر عثمان بن عفان المقتول ، واروى هي أم عثمان . والمعروف ان الحجاج بن يوسف انتقم من بعض الذين قتلوا عثمان .

٢ أطلس : (ذئب) أغبر ، لونه لون الغبار . عسال : يتلوى في مسيره لنحوله (من الجوع) . دعوت بناري أضرمت النار حتى يراها فيأتي . — كان الجاهليون يوقدون ناراً خاصة اسمها نار القرى تكون علامة لكل محتاج إلى الضيافة أو إلى الطعام . موهناً : بعد نصف الليل .

٣ أقسمه بالسوية .

٤ تكشر : أبدى أسنانه ، كناية عن التهديد . الفرزدق يفسر ذلك بأن الذئب مسرور بالضيافة . وقائم سيفي الخ : السيف قريب من يدي لأضربه به إذا هجم علي .

٥ نكن ، يا ذئب ، مثل من يصطحبان : أي صديقين .

وانتَ امرُؤٌ ، يا ذئبُ ، والغَدرُ كنتما أُخيَّيْنِ كانا أُرضِعا بلبـانِ [١] .
ولو غيرَنا نبّهْتَ تلتمسُ القِـرى أتاك بسهمٍ أو شَباة سِنانِ [٢] .
وكلُ رفيقَيْ كلِّ رَحْلٍ – وإن همـا تعاطى القَنا قوماهما – أخوانِ » [٣] .

– حجّ هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد اخيه ومعه رؤساء أهل الشام ، فجَهِد ليستلم الحجر (الأسود) فلم يقدر من ازدحام الناس . فنُصب له مِنْبر فجلس عليه ينظر إلى الناس . وأقبل علي بن الحسين فطاف بالبيت فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم وأخلَوا له الحجر ليستلمه هيبة وإجلالاً له . فقال رجل لهشام : من هذا ، أصلح الله الامير ؟ قال : لا أعرفه، وكان به عارفاً ، ولكنه خاف أن يَرغَب فيه أهل الشام ويسمعوا منه . فقال الفرزدق ، وكان لذلك كله حاضراً : أنا أعرفه . ثم قال :

هذا الذي تعرِفُ البطحاءُ وطـأته ، والبيتُ يعرِفه والحِلّ والحَرَمُ [٤] .
هذا ابنُ فاطمةٍ ان كنت جاهِلَهُ ، بِجَدّه أنبياءُ الله قـد خُتِموا [٥] .
وليس قولك : « مَن هذا ؟ » بضائرِه ؛ العُربُ تعرِفُ من أنكرتَ والعجم .
ما قال : « لا » قطُّ إلاّ في تَشَهّدِه ؛ لولا التشهدُ كانت لاؤه نعم [٦] !
يُغضي [٧] حياءً ويُغضَى من مهابتـه فما يُكَلّمُ إلاّ حينَ يبتسِمُ .
يَكادُ يُمْسِكُهُ – عِرفانَ راحتهِ – ركْنُ الحَطيمِ إذا ما جاء يستَلِمُ [٨] .

١ اللبان (بفتح اللام) : الثدي ؛ (وبالكسر) : الرضاع ، اللبن . – يقول : كنت ، يا ذئب، أنت والغدر أخوين صغيرين ورضعتما من ثدي واحد (الغدر) فالغدر طبع لك (رضعته مع الحليب) .
٢ الشباة : نصل الرمح . – لو طلبت ضيافة غيرنا في الليل لقتلك .
٣ كل رفيقين في السفر صديقان ، وان كان شعباهما عدوين .
٤ البطحاء : أرض مكة . وطـأته : سيره على الأرض . البيت : الكعبة . الحل : السنة ما عدا موسم الحج. الحرم : موسم الحج ، حينما يحرم الناس فينقطعون عن كل شيء إلا العبادة . – المعنى : كل الناس يعرفون هذا الذي تسأل عنه وكل الأشياء تعرفه .
٥ فاطمة بنت محمد رسول الله . بجده أنبياء الله قد ختموا : جده أفضل الأنبياء ، ولا نبي بعده .
٦ التشهد قراءة التحيات في جلوس الصلاة، وفيها : اشهد ان «لا» اله إلا الله . – لا يقول « لا » إلا في التشهد: يجيب الناس إلى كل ما يطلبون كرماً منه وحسن أخلاق .
٧ أغضى : غض من بصره . راجع ص ٦٣٥ ، الحاشية ١ ، وص ٦٣٦ السطر الاول .
٨ الحطيم : جانب الكعبة حيث يوجد الحجر الاسود . استلم : الحجر الاسود : قبله . – حتى الحجر الاسود يعرفـه : فـاذا جـاء ليقبله أمسك براحته لأنه يعرفهـا (يفهم من هـذا البيت ان الاستلام هو المس بالكف . ويمكن أن يكون هـذا من الادلة على ان القصيدة ليست للفرزدق ، لأن الفرزدق لا يمكن أن يجهل ان الاستلام هو التقبيل بالفم لا الأخـذ باليد ، كما أصبح معنى الكلمة في الأعصر المتأخرة) .

ينشقّ ثوبُ الدّجى عن نور غُرّتِــه كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظُلَمُ .
مِن معشرٍ[1] حُبُّهُم دينٌ ، وبُغضُهم كُفرٌ ،وقُربُهُم مَنْجىً ومُعْتَصَم.

فحبسه هشام .

٤ – ديوان الفرزدق ، رواية محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي R. Boucher باريس ١٨٧٠ – ١٨٧٥ م .
ديوان الفرزدق ، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٣ هـ .
ديوان الفرزدق (القسم الثاني – تحرير J. Hell) ، منشن ١٩٠٠ – ١٩٠١ م .
كتاب النقائض : نقائض جرير والفرزدق (أنطوني أشلي بيفان) ليدن (بريل) ١٩٠٥ – ١٩١٢ م .
نقائض جرير والفرزدق ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
ديوان الفرزدق (جمعه محمد جمال) ، بيروت (المكتبة الأهلية) ، الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م .
ديوان الفرزدق (عني بجمعه .... عبد الله اسماعيل الصاوي) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م .
الكواكب السماوية في شرح قصيدة الفرزدق العلوية : « هذا الذي تعرف البطحاء وطــأته » (محمد بن طاهر السماوي) ، النجف ١٣٦٠ هـ .
ديوان الفرزدق ، بيروت (دار صادر ودار بيروت)١٩٦٠ م.

** Das Leben des Farazdak, von Joseph Hell, Leipzig 1903 ·
الاغاني ١٩ : ٢ – ٥٢ .
الفرزدق ، بقلم خليل مردم ، دمشق (مكتبة عرفة) ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .
الفرزدق ، تأليف ممدوح حقّي ، بيروت ١٩٥٠ م .
على هامش الأدب القديم : مكانة الفرزدق ، لعبد العزيز سيد الاهل ، (الاديب – بيروت ، كانون الاول – ديسمبر ١٩٥٣ م وكانون الثاني – يناير ثم شباط – فبراير ١٩٥٤ م) ؛ بروكلمان ١ : ٤٩ – ٥٢ ، الملحق ١ : ٨٤ – ٨٦ ؛ زيدان ١ : ٢٩٣ – ٢٩٦ .

---

١ من معشر ... : من آل بيت رسول الله .

جرير

١ – هو جَريرُ بن عَطيّةَ بن الخَطَفَى (وهو حُذَيْفة) بن بدرِ بن سَلَمَةَ بن عَوفِ بن كُليب بن يَربوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم. وهو يلتقي بالفرزدقِ في جَدّيهما الاعلى تميم. وأمّه هي أمّ قيسٍ بنتُ معيد من بني كُليب بن يربوع. وكذلك كانت جدته لأبيه، وهي النوار بن يزيد، من بني كليب.

وُلِدَ جَريرٌ خَدَيجاً [1] لسبعة أشهر باليمامة، سنة ٣٠ ه‍ (٦٥٠ م)، ونشأ فقيراً يرعى إبِلَ قومه.

بدأ جرير نظم الشعر في مطلع حياته رجزاً، منذ المهاجاة بين غسّان بن ذُهيل وبني الخطفى [2]، في أيام معاوية في الاغلب. ثم ان جَريراً مدح يزيد بن معاوية وأخذ منه جائزة كانت أولَ جائزة نالها من خليفة. بعد هذا عاد إلى اليمامة.

ولمّا اشتدّ النزاعُ بين بني أميّة وبين عبد الله بن الزّبير وقف جَريرٌ في صفوف القيسيين من أنصارِ ابن الزبير يُهاجي اليمانيين أنصارَ بني أميّة. ثم لَجّ الهجاءُ بين الشعراء فانحدر جريرٌ من اليَمامةِ إلى البصرة مركزِ الحركة السياسية ومَيْدان شُعراءِ المُناقضات، وذلك في أثناء ولاية بِشْر بن مروان على الكوفة (٧١ – ٧٤ ه‍). ثم اتصل جريرٌ بالحَكَم بن أيوب، ابنِ عمّ الحجّاجِ وزَوْجِ ابنتِه وعاملِه على البصرة (أواخر ٧٥ ه‍ = أوائل ٦٩٥ م)، فوجّهه الحكمُ إلى الحجّاج [3]، فوجّه بـه الحجّاجُ إلى عبد الملك [4]. وكان عبدُ الملك لا يستمع إلى شعراءِ القيسيين، ولكنّ توصيةَ الحجّاج بجريرٍ أقنعت عبد الملك بالاسماع إلى جرير، فنال جريرٌ بعدَ ذلك حَظْوة عند عبد الملك.

وظل جريرٌ أثيراً عند الوليدِ بن عبد الملك، ولكنه هجرَ البَلاطُ الأمويّ في

---

١ الخديج والخديجة: الولد الذي يولد قبل تمام مدة الحمل (لأقل من ٢٨٣ يوماً).

٢ راجع ترجمة الفرزدق.

٣ لما مدح جرير الحجاج أعطاه الحجاج جارية اسمها أم حكيم أمامة فولدت له صبياً سماه موسى (راجع الكامل ٣٠٠ – ٣٠١).

٤ راجع تفصيل اتصال جرير بعبد الملك (الأمالي ٣: ٤٣ – ٤٦).

أيام سليمان (٩٦ – ٩٩ هـ) وفي أيام عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١ هـ) ، لأن جريراً كان قد حضّ الوليدَ على صَرْفِ الخلافةِ عن أخيه سليمان إلى ابنه عبد العزيز بن الوليد ، ثم لأن عمرَ بن عبد العزيز لم يكن يُجيز الشعراءَ . غير أن جريراً عاد فمدح يزيدَ بن عبد الملك (١٠١ – ١٠٥ هـ) وهشامَ بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ) .

وكانت وفاة جريرٍ باليمامة سنة ١١٤ أو ١١٥ هـ ، بعد وفاةِ الفرزدقِ بستةِ أشهرٍ أو بعامٍ واحد .

٢ – جريرٌ شاعرٌ وُجْدانيّ مَطبوع يجمعُ وضوحَ المعاني إلى فصاحةِ الالفاظ ومتانة التركيب وعذوبةِ السبك . وشعره يجمع وضوح المعاني إلى فصاحة الالفاظ ومتانةِ التركيب وعذوبة السبك . وشعره كثير السَيْرورة على الألسن شديدُ العُلوق بالذاكرة ، مُطاوعٌ للغناء . وقد امتاز جرير بالفنون الوجدانية : بالنسيبِ والغزلِ ، وبالرثاء وبالهجاء . ولجريرٍ براعة في المديح والوصف . وكان جرير يجيد الرجز أيضاً .

وهجاء جريرٍ حلوٌ مرّ : هو حلو بما ألْبسه شاعرُه من حسن اللفظ وقدّم بين يديه من الغزل ليجعل السامع أكثر استعداداً لسماعه . وهو مُرٌّ أي مُمِضٌّ يتألم منه المهجُوّ .

والاجماعُ واقعٌ على أن جريراً قد فاق أقرانَه في الغزل والرثاء والهجاء ، وأنه قد تغلّب على جميع الذين هاجَوْهُ ثم أخملَ ذِكْرَهُمْ ما عدا الأخطلَ والفرزدقَ لأنهما اجْتمعا عليه ، ولو تفرّقا لغَلَبهما وأخملَ ذِكْرُهُما أيضاً .

٣ – المختار من شعره :

– قال جرير يمدح الحجّاج بن يوسف :

دعا الحجاجُ مثلَ دعاء نوحٍ ... فأسمعَ ذا المعارج فاستجابا [١] .
صبرتَ النفسَ ، يا ابن ابي عقيل ، ... محافظةً ؛ فكيف ترى الثوابا [٢] ؟

١ دعاء نوح في سورة نوح من القرآن الكريم (٧١ : ٢٦) : « قال نوح : رب ، لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » ، يقصد جرير أعداء بني أمية . ذو المعارج : الله (راجع سورة المعارج من القرآن الكريم): « من الله ذي المعارج » (٧٠ : ٣) .
٢ صبرت النفس في الحرب .

ولو لم يرضَ ربُّك لم يُنَزِّلْ مَعَ النصر الملائكةَ الغِضابا [1] .
إذا سَعَرَ الخليفةُ نارَ حرب رأى الحجّاج أثْقَبَها شِهابا [2] .
ترى نصرَ الامامِ عليك حقاً إذا لَبِسوا بدينِهِمُ ارتيابا [3] .
تشُدّ فلا تُكَذِّبُ يومَ زحفٍ إذا الغَمَرات زعزعت العُقابا [4] .
عفاريتُ العراق شفيتَ منهم فأمْسَوْا خاضعين لك الرِقابا [5] .
وقالوا : لن يُجامِعَنا أميرٌ اقامَ الحدّ واتّبع الكتابا [6] .
إذا أخذوا — وكيدُهُمُ ضعيفٌ — بباب يمكُرون فتحتَ بابا .

— وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

أتصحو أم فؤادُكَ غير صاحِ عَشِيّةَ هَمّ صحبُك بالرَّواحِ [7] .
يقول العاذلات : علاك شَيْبٌ ؛ أهذا الشيبُ يمنعني مَراحي [8] ؟

*

تَعَزّتْ أمّ حَزْرَةَ ثم قالت : « رأيتُ المُوردين ذَوي لِقاحِ » [9] .
تُعَلِّلُ — وهْيَ ساغِبَةٌ — بنيها بأنفاس من الشَبِمِ القَراحِ [10] .
سأمتاحُ البحورَ فَجَنّبيني أذاة اللومِ وانتظري امتياحي [11] .

---

١ لو لم يرض الله عن حربك لا عدائك لما أنزل الملائكة يحاربون معك ، لما نصرك .
٢ إذا أراد الخليفة خوض حرب أمر عليها الحجاج .
٣ الإمام : الخليفة . لبسوا بدينهم ارتياباً : نافقوا ؛ كفروا .
٤ شد : هجم . كذب : جبن ، تراجع . زحف : حرب . الغمرات : اشتداد القتال في قلب المعركة. زعزعت العقاب : أخرت الراية عن مكانها . — إذا اضطرب أمر الجيش فأنت لا تتراجع .
٥ عفاريت العراق : يقصد الخوارج . خضع (فعل لازم ومتعد) : حنى .
٦ لا نقبل بأمير شديد العقاب لنا .
٧ الرواح : الذهاب في المساء . — واعترض النقاد على هذا المطلع في مخاطبة عبد الملك .
٨ المراح والمرح : الاندفاع في السرور .
٩ أم حزرة : امرأة جرير . الموردون : الذين يأخذون أنعامهم إلى الماء . — تقول له : ليس عندك لقاح (نياق) كثيرة نسقيها . تعزت : صبرت .
١٠ ساغب : جائع . تعلل بنيها الخ : إذا طلبوا طعاماً ليأكلوا أسكتتهم باسقائهم ماء بارداً صافياً (لاطعام فيه، ولا هو سخن أيضاً في أيام الشتاء) .
١١ امتاح : استقى من البئر . سأمتاح البحور : سأطلب العطاء من الكرماء ... فلا تلوميني الآن .

ثقي بالله ، ليس لـه شـريكٌ ، ومن عنـد الخليفـة بالنجـاح .

*

أغِثْني ، يا فِـداك أبي وأمي ، بسَيْبٍ منك إنك ذو ارتيـاح [1] .
فإني قـد رأيتُ عليّ حقّـاً زيارتـيَ الخليفـةَ وامتداحي .
سأشكُرُ إن رَدَدتَ عليّ ريشي وأنبَتّ القوادِمَ في جَناحي [2] .
ألَسْتُمْ خيرَ من رَكِبَ المطـايـا وأندى العـالمين بُطونَ راح [3] !

— وقال جريرٌ يهجو الاخطل :

حيِّ الغَداةَ بِرامَـةَ الأطـلالا رَسْماً تَحَمّلَ أهلُه فأحالا [4] .
طَرِبَ الفؤادُ لذِكْرهن وقد مضت بالليلِ أجنحـةُ النجوم فمـالا .
فجعلن بُرْقـة عـاقليْنِ أيامِنـاً، وجعلن أمْعَزَ رامتَيْنِ شِمالا :
لا يتّصلْن ، إذا اعْتَزَيْنَ [5] ، بتغلِب ، ورُزِقن زُخرفَ نعمة وجمالا .
إني جُعِلتُ ، فلن أعافيَ تغلبـاً ، للظـالمين عُقوبـةً ونَـكالا .
قَبَحَ الإلهُ وجوهَ تغلبَ إنهـا هانت عليَّ مَراسناً وسِبالا [6] .
قبح الإلهُ وجوه تغلب كلمـا شَبَحَ الحجيجُ وكبّروا إهلالا [7] .
عبدوا الصليبَ وكذّبوا بمحمـد وبجبرئيل وكذّبوا ميكالا [8] .
هل تمْلِكون من المشـاعر مَشْعـراً أو تَنْزِلون من الأراك ظِلالا [9] ؟

---

١ السيب : العطاء . الارتياح : هو السرور الذي يجده الكريم إذا أعطى من ماله .
٢ القوادم جمع قادمة : الريشة الكبيرة في طرف الجناح (إذا قصت قوادم الطير عجز عن الطيران) . — سأشكرك إذا رددتني غنياً .
٣ الراح جمع راحة : باطن الكف (أكرم الناس يدا : أكرم الناس) .
٤ الغداة (مفعول فيه ، في الغداة) : باكراً . رامة مجرورة وعلامة جرها الفتحة لأنها ممنوعة من الصرف (اسم علم مؤنث) . الاطلالا مفعول به منصوب . رسماً بدل من الاطلال . تحمل : رحل : أحال : مر عليهحول (عام) ، تغير .
٥ انتسبن .
٦ مراسن جمع مرسن : الأنف . السبال : جمع سبلة (بفتح ففتح) : جانب اللحية ...
٧ شبح الحجيج : رفع الحجاج أيديهم بالتلبية (قولهم على جبل عرفات : لبيك اللهم لبيك ؟) كبروا إهلالا : رفعوا صوتهم بقولهم : الله أكبر !
٨ جبرئيل : جبريل ، الملك (بفتح اللام) الذي ينزل بالوحي على قلوب الرسل.ميكال : ملك من الملائكة .
٩ المشعر : المكان المقدس ، الحج . الأراك : شجر ، المقصود أراك عرفة.انكم لا تسكنون بقعة مقدسة ولا تحجون .

فَلَنَحْنُ أكرم في المنازل منزلاً منكم وأطولُ في السماء جبالا .
تمت تميمي [1] ، يا أُخيْطلُ ، فاعترفْ : خزيَ الأخيطلُ حين قُلت وقالا .
ولَوَ انّ تغلبَ جمّعت أحلافَها ، يومَ التفاضُل ، لم تزنْ مثقالا .
تلقاهمُ حُلَماءَ عن أعدائهم وعلى الصديق تراهُمُ جُهّالا .
لولا الجزا قُسِمَ السوادُ وتغلبٌ في المسلمين فكنتمُ أنفالا [2] .

— قال جرير يرثي امرأته خالدة بنت سعد بن أوس بن معاوية بن خلف من بني أوس بن كليب ، وهي أم ابنه حزرة ، ولذلك كانت تكنى أمَّ حزرة . وقد شُهرت هذه القصيدة وسارت في البلاد فعرفت باسم الجوساء أو الحوساء . والقصيدة اثنان وسبعون بيتاً ثمانية وخمسون بيتاً من الغزل السهل الرقيق العذب ثم تليها أربعةَ عشَرَ بيتاً من الهجاء .

قال جرير :

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ولزُرْتُ قبركِ ، والحبيبُ يُزارُ [3] .
ولقد نظرتُ ، وما تَمتُّعُ نظرةٍ في اللّحْدِ حيثُ تمكّنَ المِحفارُ [4] .

---

١ تمت تميمي : بلغت ذروة المجد .

٢ الجزى والجزاء بكسر الجيم فيهما كما في الأصل (نقائض جرير والاخطل ٩٧) جمع جزية : ضريبة شخصية كانت تؤخذ من غير العرب إذا لم يدخلوا في الاسلام .
وأحب أنا أن أقرأها : الجزاء بفتح الجيم مرخمة من الجزاء أي المكافأة ، إذ لا معنى للجزا أو الجزى بالكسر ، لأن بني تغلب لم يكونوا يدفعون جزية ، بل كانوا يدفعون صدقة (كالمسلمين) ولكن مضاعفة . جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف : قال عبادة بن النعمان التغلبي لعمر بن الخطاب ... ان بني تغلب من علمت شوكتهم (قوتهم) وانهم بازاء العدو (الفرس والروم) . فان ظاهروا (نصروا) عليك العدو ، اشتدت مؤونتهم (احتجت إلى جند كثير للتغلب عليهم) . فان رأيت أن تعطيهم شيئاً (تخصهم بشيء) فافعل .. فصالحهم عمر على ألا يغمسوا أولادهم في النصرانية فيسقط عنهم الجزية ويضع عليهم الصدقة (كالمسلمين) ولكن مضاعفة (ص ١٤٣ — ١٤٥ ، ١٦١ ؛ راجع كتاب الخراج للقرشي ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٦٥ — ٦٧) .
يقول جرير : لولا مكافئة عمر بن الخطاب لبني تغلب على وقوفهم بجانب العرب ضد الفرس خاصة (في معركة القادسية بالعراق) لجعلت بلادهم انفالا (غنائم حرب) .

٣ الاستعبار : البكاء .

٤ لقد نظرت إلى قبرك طويلا . ولكن ما يفيد التطلع إلى قبر جعلته (المسحاة : اداة يحفر بها ، مجرفة) عميقاً ؟

وَلَّهْتِ قَلبيَ إذ علتني كَبْرَةٌ ... وذَوُو التمائمِ من بَنيكِ صغار [1] .
أرعى النجوم ، وقد مضت غَوْرِيّةً ... عُصَبُ النجوم كأنهنّ صُوارُ [2] .
نعمَ القرينُ ، وكنتِ عِلْقَ مَضِنّةٍ ... وَارَى بنَعْفِ بُلَيّةَ الأحْجارُ [3] .
عَمَرَتْ مُكرَّمةَ المَساكِ ، وفارقت ... ما مَسّها صَلَفٌ ولا إقْتارُ [4] .
كانت مُكَرَّمةَ العَشيرِ ، ولم يكن ... يخشى غوائلَ أمِّ حَزْرَةَ جارُ [5] .
صلّى الملائكة الذين تُخُيّروا ... والصالحون عليك والأبرار .
لا يُلبِثُ القرناءَ أن يتفرقوا ... ليلٌ يكُرّ عليهمُ ونهارُ [6] .
أفأُمّ حَزْرَةَ ، يا فرزدقُ ، عِبتُمُ ؟ ... غَضِبَ المليكُ عليكُمُ الجبّار !
كانت إذا هَجَرَ الحليلُ فِراشَها ... خُزِنَ الحديثُ وعَفّتِ الأسْرار [7] !
قَتَلَتْ أباكَ بنو فُقَيمٍ عَنْوةً ... إذ جُرّ ليس على أبيك إزار [8] .
عَقَروا رواحِلَه فليسَ بقتلهِ ... قَتْلٌ وليس بعَقْرِهِنّ عقار [9] .
كَذَبَ الفرزدقُ ، ان عُودَ مُجاشعٍ ... قَصِفٌ وإنّ صَليبَهم خَوّار [10] .

---

١ ملأت قلبي بالحزن بعد أن أصبحت كبير السن بينما أبناؤك لا يزالون صغاراً عليهم التمائم (جمع تميمة : حجاب أو حرز يعلق في عنق الصغار لدفع العين واذاها) .

٢ أراقب النجوم ، أسهر الليل حتى غابت مجموعات النجوم كأنها قطيع يسير معاً .

٣ نعم الزوج أنت . العلق : الشيء النفيس . مضنة : يضن به ، يصان ، يحفظ . وارته الحجارة (مدفون) في نعف بلية .

٤ عاشت طول عمرها في عصمتي (أي زوجة لي) وهي محترمة . فارقت : ماتت ولم اتكبر عليها ولم أبخل عليها بشيء أملكه . ٥ العشير : الزوج . لم تسيء إلى جار من جيرانها .

٦ القرناء جمع قرين : الزوج . وفي رواية: لن يلبث . -انمجيء الليل والنهار سيفرق كلزوجين بموت احدهما) .

٧ - إذا غاب حليلها (زوجها) في عمل أو في سفر كتمت الأحاديث التي كانت بينهما وعفتالاسرار(جمع سر : الزواج) . كانت عفيفة في نفسها بعيدة عن التهمة .

٨ عنوة : قوة واقتداراً . ثم جروه عارياً (احتقاراً له)

٩ الرواحل جمع راحلة : ما يرحل عليه (يركب عليه الانسان ويحمل أمتعته في السفر) . ليس بقتله قتل (رجل آخر) : لا يؤخذ بثأره . العقار (العين بفتح) : ذبح الابل . (القاموس٢ : ٩٣ السطر١٧) ليس بعقرهن عقار : (لا يعقر رواحل أولئك الذين عقروا رواحله : لا يثأر لنفسه ممن يعتدون عليه) .

١٠ العود : الخشبة ، المادة التي يصنع الشيء منها . قصف قابل للتقصف(ينكسر ويتقطع بسهولة).عودهم قصف : عزيمتهم ضعيفة . الصليب : القاسي ، الشديد خوار : ضعيف.وصليبهم خوار : القوي الشديد منهم ضعيف ، فما بالك بغيره .

قد كان قومُك يَحْسَبونك شاعراً حتّى غَرِقْتَ وضَمّكَ التيّار [1] .
ان الفرزدق لا يزال مقنّعاً ، وإليه بالعمل الخبيث يشار [2] .
لا يَخْفَيَنَّ عليكَ أنّ مُجاشعاً لو يُنْفَخون من الخُؤور لَطاروا [3] :
إذ يُؤسَرون فما يُفَكّ أسيرُهم ، ويُقَتَّلون فتَسْلَمُ الأوتار [4] .

— كان راعي الابل أبو جندل عُبيد بن حُصين بن معاوية بن جندل (راجع ترجمته) يميل إلى الفرزدق ويعادي جريراً ، وقد هجا جريراً بقصيدة مطلعها :

رأيت الجحش جحش بني كُليب تيمّم حوض دِجلة ثم هابا [5] .

فقال جرير يرد عليه [6] :

أقِلّي اللومَ ، عاذلَ ، والعتابا ، وقولي ، إن أصبتُ : « لقد أصابا [7] ! »
أجَدَّك ، ما تَذَكّرُ أهلَ نجدٍ وحيّاً طالما انتظروا الإيابا [8] ؟
وهاج البرقُ ليلةَ أذْرِعاتٍ هوىً ما تستطيع له طِلابا [9] .
فقلتُ بحاجةٍ وطويتُ أخرى ، فهاج عليّ بينهما اكتئابا [10] .

---

١ — كان قومك يعدونك شاعراً حتى سمعوا شعري فاحتقروا شعرك ، ثم انك غرقت في بحري (تغلبت عليك وأخملت ذكرك) وضمك التيار (غمرك موج شعري كما غمر غيرك فنسيكم الناس جميعاً) .

٢ — عمل الفرزدق في حياته أعمالا مخجلة فهو الآن يتقنع (يغطي وجهه خجلا من سوء ما كان صنع) ولكن الناس لم ينسوا ذلك منه ، فكلما رأوا عملا قبيحاً أشاروا اليه (نسبوا ذلك العمل القبيح إلى الفرزدق) .

٣ بنو مجاشع قليلو العدد خفيفو الأوزان ضعاف في أنفسهم حتى لو أن أحداً من الناس نفخ عليهم لطاروا كلهم . الخؤور : الضعف .

٤ — إذا أسر أحد من بني مجاشع فلا يفتديه قومه (لفقرهم ولقلة الفائدة من ذلك الذي أسر) ، وإذا قتل أحد منهم لم يأخذ قومه بثأره (لعجزهم عن ذلك) .

٥ لهذا البيت روايتان ، غ ٢٠ : ١٧٠ و ١٧١ .

٦ راجع غ ٨ : ٢٠ ؛ ٢٠ : ١٦٩ وما بعدها ؛ الحيوان ١ : ٢٥٨ — ٢٥٩ ، ٣١٦ ؛ راجع نقائض جرير والفرزدق ٤٢٨ وما بعدها .

٧ عاذل : يا عاذلة (مرخمة بحذف التاء) : التي تلوم .

٨ تذكر = تتذكر . — الا تتذكر قومك في نجد واناساً ينتظرون رجوعك اليهم لشوقهم اليك .

٩ اذرعات بلد في الشام (سورية) . يظهر ان جريراً كان مرة هنالك ثم تذكر حبيبة له (أو هو يزعم ذلك) . — ما تستطيع له طلاباً : لا يمكن أن تناله .

١٠ هذا الهوى هاج اكتئاباً : أثار ، حرك (هاج فعل لازم ومتعد) .

سألناها الشِفاءَ فما شفتْنا ، ومَنّتْنا المَواعدَ والخِلابا [1] .

أباحت أمّ حَزْرَةَ من فُؤادي شِعابَ الحُبِّ ، إنّ له شعابا [2] .

ابى لي ما مضى لِيَ من تميم وفي فَرْعَيْ خُزَيْمَةَ أنْ أعابا [3] .

ستعلم مَنْ يَصير أبوه قَيْناً ، ومَنْ عُرفت قصائدُه اجتلابا [4] .

فلا وأبيك ، ما لاقيتَ حيّاً كيَرْبوعٍ إذا رفعوا العُقابا [5] .

وما وجد الملوكُ أعزّ منّا وأسْرع من فوارسنا استلابا .

لنا تحتَ المحاملِ سابغاتٌ كنسج الريح تَطّرِدُ الحَبابا [6] .

وذي تاجٍ له خَزَراتُ مُلْكٍ ، سلبناه السُّرادقَ والحِجابا [7] .

ألا قبح الآله بني عِقالٍ وزادَهُمُ بغَدْرِهُمُ ارتيابا [8] .

اجيرانَ الزّبَيْر ، بَرِئْتُ منكم ، فَألْقُوا السيفَ واتّخذوا العِيابا [9] .

لقد غرّ القُيونُ دماً كريماً ورَحْلاً ضاع فانتُهِبَ انتهابا [10] .

علامَ تَقاعَسون ، وقد دعاكم ؟ أهانَكُمُ الذي وضع الكتابا [11] .

---

١ الخلاب : الكذب .

٢ أم حزرة : امرأة جرير . ام حزرة (امرأتي)ملكت علي جميع سبل الحب فلا أحب غيرها .

٣ فرعا خزيمة : بنو كنانة وبنو أسد .

٤ يعيره بأن أباه قين (حداد) .

٥ اذا رفعوا العقاب (الراية) : اذا ساروا للحرب .

٦ المحامل : جمع محمل (بكسر الميم الأولى) ، سير من جلد يعلق به السيف إلى الكتف . سابغات : دروع. تطرد : تدفع أمامها . الحباب : فقاقيع تطفو على وجه الماء . — دروعنا محبوكة جيداً وحلقاتها ظاهرة كالتعاريج التي يحدثها مرور الريح فوق الماء الهادي (يقصد : دروعنا جديدة متينة) .

٧ ذو تاج : ملك . الخرزات : جواهر التاج . السرادق : قبة يسكنها الملك . الحجاب : منع العامة من الدخول على الملك ؛ أو الذين يمنعون العامة من الدخول على الملك . — يقول رب ملك عظيم مهيب قد طردناه من ملكه ولم نحفل بحجابه .

٨ بنو عقال (بكسر العين) من اسلاف الفرزدق ، بنو عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ابن دارم بن تميم . الارتياب : الاتهام . وزادهم بغدرهم ارتياباً : هم متهمون (من قبل) بالغدر ؛ والشاعر يدعو الله انيزيدهم تهمة بهذا الغدر .

٩ العياب جمع عيبة (بفتح ففتح) : صندوق أو وعاء توضع فيه الثياب . يقول لهم : أنتم نساء فاتركوا السيوف لأنها لا تنفع في أيديكم ، فقد قتل الزبير وأنتم جيرانه فلم تدافعوا عنه .

١٠ غر القيون دماً ... ظن ابن الزبير ان جيرانه (بني مجاشع) سيدافعون عنه ، ولكنه كان مخدوعاً بظنه هذا . الرحل متاع البيت . قتل الزبير وذهب ما يملك ثم لم يؤخذ بثأره .

١١ دعاكم الزبير لتنصروه فلم تفعلوا فلماذا تقاعستم : تأخرتم، تباطأتم . أهانكم الله(الذي وضع الكتاب: أنزل القرآن الكريم) .

لقد خَزِيَ الفرزدقُ في مَعَـدٍّ ... فأمسى جُهْدُ نُصرته اغتيابا [1] .
فما هِبْتُ الفرزدقَ ، قد علمتم ؛ ... وما حقّ ابنِ بَرْوَعَ أن يُهابا [2] !
أعَـدَّ اللهُ للشـعراء مني ... صَواعِقَ يَخْضَعون لها الرِقابا [3] .
قرنتُ العبدَ عبدَ بني نُميرٍ ... مَعَ القَيْنَيْنِ إذ غُلبا وخـابا [4] .
أتاني عن عُرادَةَ قولُ سوء ؛ ... فلا وأبي ، عُرادَةُ ما أصـابا [5] .
عرادة من بَقيّةِ قومِ لوطٍ ؛ ... ألا تَبّـاً لِمَا عمِلوا تَبـابا [6] .
أنا البـازي المُدِلّ على نُمَيْـرٍ ... أُتِحْتُ من السماء لهـا انصبـابا [7] ،
إذا عَلِقَتْ مَخالِبُـه بقِـرْنٍ ... أصاب القلبَ أو هتَكَ الحِجابا [8] .
ترى الطيرَ العِتاقَ تَظَلّ منـه ... جوانحَ للكلاكلِ أن تُصـابا [9] .
إذا وُضعت فِقـاحُ بني نُميرٍ ... على خَبَثِ الحَديدِ إذاً لَذابا [10] .

---

١ يقول : اخزيته (بهجائي) فلم يكن عنده انتصار لنفسه (دفاع عنها وافتخار بها) إلا الاغتياب فقط — نقائض جرير والفرزدق ٤٤٢ .
٢ هاب : خاف . بروع اسم ناقة ذكرها راعي الابل في شعره، ولذلك كان جريريدعو الراعي « ابن بروع» وقيل بل بروع هي ام راعي الابل حقيقة (تاج العروس ٥ : ٢٧٣) .
٣ سلط الله علي الشعراء قصائد لي كالصواعق،فأصبح الشعراء يخافون ثم يعترفون بمقدرتي في الشعر ثم يحنون رقابهم (خضع فعل لازم ومتعد) إذعاناً .
٤ قرن الحيوانات : ربط عدد منها بقرن (بفتح الراء : حبل) واحد . عبد بني نمير راعي الابل . القينان : الفرزدق ثم محمد بن عطارد في الاغلب (راجع ، فوق ، ص ٥٥٧) .
٥ عرادة : راوية راعي الابل . اتاني عنه قول سوء : كان عرادة صديقاً للفرزدق،وهو الذي اغرى راعي الابل بهجاء جرير (نقائض جرير والفرزدق ٤٢٧ — ٤٢٨) .
٦ قوم لوط كانوا يأتون الفاحشة . تباً : هلاكاً لهم .
٧ يروى : المطل ... من السماء له (لراعي الابل) . — انا البازي المحوم (بتشديد الواو) فوق بني نمير أنقض (بتشديد الضاد) عليهم .
٨ القرن : البطل — إذا أمسك ببطل في الحرب فعل به ما يفعل البازي : (نفذت مخالبه إلى قلب الطريدة فقتلها ، أو مزق حجاب القلب على الأقل ؛ فقتلها أيضاً) .
٩ عتاق الطير : الطيور الكاسرة كالنسر والبازي والصقر . جوانح : مـائلات . الكلاكل : الصدور. — حتى عتاق الطير تخاف هـذا البازي (يعني جرير نفسه) فتلصق صدورهـا بالارض حتى لا يراها فينقض عليها ويفترسها .
١٠ فقاح جمع فقحة : مقعد الانسان (بكسر الميم) ، المكان الذي يجلس عليه من جسمه . خبث الحديد : يقصد مـا يرسب من الحديـد بعد الصهر ، وهو قـاس لا تصهره النار عـادة . — وفي البيت كنـايـة قبيحة جداً .

فلا صلّى الإلهُ على نُمـير ، ولا سُقِيَتْ قبورُهُمُ السّحابا .
وخضراءِ المغابنِ من نمير يَشِينُ سَوادُ مَحْجِرِها النِقابا [1] .
إذا قامت لغيرِ صلاةِ وِتْرٍ بُعَيْدَ النوم أنبحتِ الكلابا [2] .
وقد جلّت نساء بني نمير ، وما عرَفَتْ أنامِلُها الخِضابا [3] .
ولو وُزِنَتْ حلوم بني نمير على الميزان ما وَزَنتْ ذُبابا [4] .
ألم نَعْتِقْ نساءَ بني نمير ؟ فلا شُكْراً جَزَيْنَ ولا ثوابا [5] .
فغُضَّ الطَرْفَ إنّك من نمير فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا [6] !
وحُقَّ لمن تَكَنّفَهُ نميرٌ وضَبّةُ ، لا أبًا لك ، أن يُعابا [7] .
لعلك ، يا عُبَيْدُ ، حَسِبْتَ حَرْبي تَقَلُّدَكَ الأصِرّةَ والعِلابا [8] .
إذا نَهَضَ الكِرامُ إلى المعالي نَهَضْتَ بعُلْبَةٍ وأثَرْتَ نابا [9] .

---

١ خضراء : سوداء . المغابن : ثنايا الجلد من جسم الانسان . المحجر : العظم الذي تستقر فيه العين . هي شديدة النحول ولذلك كان جلدها كثير الثنايا . ثم ان هذه الثنايا وسخة أيضاً . ما حول عينيها اسود (لنحولها وإسرافها في قواها) . يشين سواد محجرها النقابا – المفروض ان النقاب يستر المعائب . ولكن نقاب هذه المرأة (وربما مع كثافته واسوداده) لا يمنع سواد محجرها بالوسخ من البروز والظهور .

٢ صلاة الوتر : نافلة بعد العشاء (ليست بفرض) . إذا قامت لتصلي الصبح مع الفجر ظلت قذرة كريهة الرائحة (رغم غسلها ووضوءها) حتّى ان رائحتها الكريهة تضايق الكلاب وتجعلها تنبح .

٣ الجلة (بالفتح والكسر والضم ، والكسر افصح) : البعر . وجل البعر بيده : لقطه وجمعه . يقول : ان ايدي نساء بني نمير مصفرة من التقاط الجلة لا من الخضاب . جل أيضاً : كبر واسن . ان نساء بني نمير قد شخن (أصبحن شيخات كبيرات في السن) ولم يعرفن الخضاب (التنعم) .   ٤ حلوم : عقول .

٥ نعتق نساء بني نمير : نعفو عنهن ؛ نطلقهن من الرق ، أو من الأسر (؟) فلا هن اثبننا بشيء ولا شكرن معروفنا اليهم بالكلام .

٦ نمير وكعب وكلاب : قبائل . اجمع النقاد ورواة الأدب على ان في هذا البيت هجاء مريراً شديداً . ولن يستطيع أحد ان يدرك ما عناه هؤلاء الا إذا أدرك افتخار العرب يومذاك بالانساب الكريمة . ومن النقاد من جعل قيمة هذا البيت في سهولة تركيبه سهولة جعلته يسير على الالسن .

٧ يعني قريع (بالتصغير) بن الحارث بن نمير وضبة بن نمير (نسب راعي الابل من جانب ابيه وجانب امه).

٨ الأصرة جمع صرار (بكسر الصاد) : خيط يربط به ضرع الناقة حتّى لا يرضعها ولدها . العلاب جمع علبة (بالضم) : وعاء من جلد أو خشب يحلب فيه الحليب . – اتظن ان هجائي وعدائي شيء سهل كسهولة حملك للاصرة والعلب (لانك راع) .

٩ الناب : الناقة المسنة . إذا طمح الناس إلى العلا فأنت تحمل علبتك وتصيح بناقة مسنة (لا تملك غيرها) . يعيره بأنه راع وفقير.

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنو تميمٍ حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضابا .
أَلَسْنا أكثرَ الثَّقَلَيْنِ رَجْلاً ببطن مِنًى وأعْظَمَه قِبابا [1] ؟
لنا حوضُ النبيِّ وساقِياه ومن وَرِثَ النُّبُوَّةَ والكِتابا [2] !

وكانت هذه القصيدة وحدها كافيةً لأن تُخْزِيَ بني نمير . ولقد سارت هذه القصيدة على الالسن سَيرورة لم تَسِرْ مثلها قصيدة ، حتى إن بني نمير بعد ان قال جرير هذه القصيدة – هربوا عن منازلهم فكانوا كلما جاءوا إلى منزل لينزلوه وجدوا أهله يَرْوُونها . وعلّق ابن رشيق على ذلك فقال [3] :

« وممن وضعه .. الشعر حتى انكسر نسبه وسقط عن رتبته ... بنو نمير ، وكانوا جَمْرَةً من جَمَرات العرب ... وهذه القصيدة تُسَمّيها العرب الفاضحة . وقيل سمّاها جريرٌ الدمّاغةَ والدَّهْقانةَ [4] والمنصورة [5] . وقيل عُرِفَت باسم الدامغة ، أي الضربة التي تَشِجّ الرأس حتى تَصِلَ إلى الدِماغ [6] فتقتلَ لساعتها .

وكان أثر هذه القصيدة في راعي الابل عظيماً جداً حتى انه تُوُفّيَ في العام الذي قيلت فيه ، كما ذكر ابن سلاّم .

– ولجرير أبيات من الغزل الرقيق في مقدمة نقيضة يهجو بها الاخطل :

يا أمَّ عمرٍو ، جزاكِ اللهُ مغفرةً ، رُدّي عَليّ فؤادي كالذي كانا .
ألستِ أملحَ من يمشي على قدمٍ ، يا أملحَ الناسِ كلِّ الناس إنسانا [7] .

---

[1] الثقلان : الانس والجن (جميع الناس ، العالمين) . رجلا : رجالا (الرجال المحاربون) . ببطن منى : في الحج . القبة : الخيمة العظيمة من الجلد (وتكون عادة للملوك) . – نحن كثير والعدد وعظماء .

[2] حوض النبي : بئر زمزم في مكة (كانت بئر زمزم في الجاهلية في عهدة قوم يتولون سقاية الناس) . لعله يقصد : كان حق اسقاء الماء في الجاهلية من زمزم قبل الاسلام لنا ، ولا يزال هذا الحق لنا في الاسلام . ومنا أيضاً الذي ورث النبوة والكتاب (الحكم بما جاءت به النبوة وبما نزل في القرآن) : الخليفة .

[3] العمدة ١ : ٣٦ – ٣٧ .

[4] دهقانة ، لعلها فعلانة من دهق : ضرب .

[5] نقائض جرير والفرزدق ٤٣ س .

[6] القاموس ٣ : ١٠٥ .

[7] إنساناً تمييز من أملح . – اجمل الاشخاص في الناس كلهم .

يَلْقَى غريمُكُمُ من غير عُسْرتِكم ... بالبَذْلِ بُخْلاً وبالإحسان حِرْمانا [1] .
قد خُنتِ من لم يكن يخشى خيانَتَكم ، ... ما كنتِ أوّلَ موثوقٍ بـه خانا .
لقد كتمتُ الهوى حتى تَهَيَّمَني ؛ ... لا أستطيعُ لهـذا الحبِ كِتْمانا [2].
كاد الهوى يومَ سلمانَيْن يقتلني ، ... وكـاد يقتلني يومـاً ببَيْدانـا .
لا باركَ اللهُ في من كان يَحْسَبُكم ... إلاّ على العهد حتى كان ما كانا .
لا باركَ اللهُ في الدنيـا إذا انقطعـت ... أسبابُ دُنياكِ من أسباب دنيانا [3] .
ما أحدثَ الدهرُ ممـا تعلمين لكـم ... للحبل صَرْماً ولا للعهد نِسْيانا [4] .
إنّ العيونَ التي في طَرْفها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنا ثم لَمْ يُحيِينَ قَتْلانا [5] :
يَصْرَعْنَ ذا اللبِّ حتى لا حَرَاكَ به ، ... وهُنّ أضعفُ خلق الله أركـانا !
يا حبّذا جبلُ الرَّيّانِ من جبلٍ ، ... وحبذا ساكنُ الرَّيّانِ من كانا ،
وحبذا نَفَحـاتٌ مـن يَمانيـةٍ ... تأتيك من قِبَلِ الريان أحيـانا [6] .

ثم يلتفت جرير إلى هجاء الشعراء ويخصّ بالهجاء الأخطل . والهجاء في هذه القصيدة عفيف اللفظ والمعنى بخلاف ما نعرف من قصائد الهجاء الأخرى التي لا تخلو عادة من الاقذاع .

يقول جرير :

ما يَدّري شُعراءُ الناسِ ، ويْحَهُم ، ... مِنْ صَوْلةِ المُخْدِرِ العادي بخَفّانا [7] .

---

١ الغريم : الدائن ، وهنا : المحب . أنت تستطيعين أن تبذلي لي قربك ولكنك لا تفعلين . وأنا أبذل نفسي لك وأنت تبخلين علي . وأنا أحسن في محبتك وأنت تحرمينني . – هذا البيت مبني على اشارة إلى القرآن الكريم في حق الدائن والمدين : وان كان ذو عسرة فنظرة (بفتح النون وكسر الظاء) إلى ميسرة (سورة البقرة ٢٨٠).

٢ تهيمني الحب : كاد يذهب بعقلي .

٣ لا لذة للعيش إذا ابتعدت عنك . ٤ الصرم : القطع ، الهجر ، البعد .

٥ الحور : شدة بياض بياض العين وشدة اسوداد سوادها . يحيين فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم بحرف الجزم لم ؛ والنون نون النسوة وهي فاعل .

٦ ما أحلى النسيم الذي يأتي من الجنوب (من جهة اليمن) .

٧ يدري الصيد : يختله (يحاول أن يمسكه على غفلة) . الصولة : الهجمة ، الوثبة ، السطوة . المخـدر : (الاسد) الساكن في الاجمة أو العرين . العادي : الاسد ، العدو ، الظالم . خفان : مأسدة (مكان يكثر فيه الاسود) في طريق الكوفة . – مـا يأمل هؤلاء الشعراء أن ينالوا بهجاء جرير (إلا كما يأمل الناس من صيد الاسد المخدر ، الشديد الصولة والسطوة) .

جهلاً تَمَنّى حُدائي من ضَلالتِهِمْ ؛ فقد حدَوْتُهُمُ مَثْنَى ووُحْدانا ١ :
غادرتُهم من حسير مات في قَرَنٍ وآخرين نسُوا التَهدار خِصيانا ٢ .
ما زال حَبْلِيَ في أعناقهم مَرِساً حتّى اشْتَفَيْتُ وحتّى دانَ مَنْ دانا٣.
إنّي امرُؤٌ لم أرِدْ ، في من أناوئه ، للناسِ ظُلْماً ولا للحرب إدهانا ٤ .
أحمي حِمايَ : بأعلى المجد منزلتي من خِنْدِفٍ ،والذُّرى من قَيسِ عَيلانا٥ .
قال الخليفةُ ــ والخِنزيرُ مُنْهزِمٌ ــ ! ما كنتَ أول عبدٍ مُجْلَبٍ خانا ٦ .
لاقى الأُخَيْطِلُ بالجَوْلان فاقِرَةً مِثْل اجتداعِ القوافي وَبْرَ هزّانا ٧ .

٤ ــ ديوان جرير ، القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٣ ﻫ .
ديوان جرير (عبد الله اسماعيل الصاوي) ، مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٣ ﻫ = ١٩٣٥ م .
نقائض جرير والفرزدق (بيفان) ، ليدن ١٩٠٥ ــ ١٩١٢ م .
نقائض جرير والفرزدق ، القاهرة ١٣٥٣ ﻫ .
نقائض جرير والاخطل (صالحاني) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٢ م .

---

٢ ــ كان كل واحد من هؤلاء الشعراء يظن أن بامكانه أن يحدوني (يسوقني، يغلبني في الهجاء)فكان أن حدوتهم أنا (تغلبت عليهم) أفراداً وجماعات . لعلها : تمنوا (بتشديد النون المفتوحة) .

٣ ــ نازلتهم كلهم مرة واحدة ثم تركتهم ورائي : منهم الحسير (الذي تعب من كثرة الجري) في هجائي ثم مات (خمل ذكره) في قرن (واحداً بعد واحد !) . ومنهم من تركتهم خصياناً (تغلبت عليهم وفضحتهم فآثروا أن يتركوا قول الشعر) . التهدار : صوت البعير أو الثور (الخصاء يفقد المخصي كثيراً من أوجه نشاطه) .

٤ مرساً : ناشباً (معقوداً) ، فمنهم من شفيت نفسي منه (وهو لا يزال خصمي) ، ومنهم من خضع لي وسالمني .

٥ أناوئه : أعاديه . الادهان : المداراة . ــ لا أريد أن أظلم أحداً ، ولا أسكت عمن يريد أن يظلمني .

٦ أدافع عن نفسي . أنا من جهة أمي من خندف من أعلاهم ، والذرى (أعلى نسبي ، من جهة أبي) من قيس عيلان (من أسمى عرب الشمال ــ من تميم إحدى القبائل العظيمة من قيس) .

٧ الخنزير (كناية عن الاخطل) . العبد المجلب : المجلوب كبيراً ،خلاف الذي ربي صغيراً في الأسرة الذي هو فيها (كناية عن أن الاخطل جيء بـه لنصرة الامويين بأجر ، ولم يكن يشعر شعور الامويين) .

٨ الجولان : الحرب (الهجاء) . الفاقرة : الضربة التي تقطع فقار (بفتح الفاء) الظهر فتشل حركة الجسم (تقتل) . مثل اجتداع القوافي وبر هزانا : كما اتفق في شأن هزان .

ديوان جرير بن عطية ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠ م .
** جرير ، قصة حياته ودراسة شعره ، تأليف جميل سلطان ، دمشق ١٩٣٦ م .
جرير بن عطية ، تأليف محمد ابراهيم جمعة ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٧ م .
غ ٨ : ٣ – ٨٩ ، ١١ : ٦١ – ٦٦ ؛
جرير بقلم خليل مردم (م م ع ع ، المجلّد ٣٠ ، ١٩٥٥ م ، ثلاث مقالات : ص ١٧٧ ، ٣٥٣ ، ٥٢٩) ؛ بروكلمان ١ : ٥٣ – ٥٥، الملحق ١ : ٨٦ – ٨٧ ؛ زيدان ١ : ٢٨٨ – ٢٩٢ .

ذو الرُّمة

١ – هو أبو الحارث غَيلانُ بنُ عُقبَةَ بن بُهيش بن مسعود بن عمرو ابن ربيعة من بني عَدِيّ بن عبد مَناة بن أُدّ ؛ وأمّه امرأة من بني أسد يقال لها ظَبْيَة . وسُمّي ذا الرّمّة (بضمّ الراء : الحبل القصير) لأنه وصف وتداً قديمَ العهد لا تزال عليه قِطعةٌ من الحبل التي كانوا شدّوا بها اليه أحد جوانب الخيمة ، وقد تهرّأت أيضاً ، فقال (من بحر الرجز) : « أشْعَثُ باقي رُمّةِ التقليدِ » !

وُلِدَ ذو الرّمّة غَيلانُ بن عُقبة سنة ٧٧ هـ (٦٩٦م) ونشأ في البادية ، ولكنّه كان كثيرَ التّرْداد إلى الكوفة والبصرة فغلَب عليه شيء من سيّئات الحضَر في حياته وفي كلامه . وقد ذكروا في صفته أنه كان قصيراً نحيلاً أسودَ دَميماً (قبيحاً) مُدوّرَ الوجهِ قد برز كَتِفاهُ فوقَ صَدرِه . وكذلك كان جَعْدَ الشعرِ أنزعَ (خفيفَ الشعرِ من جانبَي الرأس) . على أنه كان فَطِناً بصيراً بالأمور فصيحاً يَخُطّ ويقرأ الخطّ مع أن ذلك كان عَيْباً في البادية . وكان رصيناً عفيفاً تَقِيّاً . ثم انه كان يُعلّم القراءةَ والكتابةَ في البادية [1] .

---

١ غ ١٦ : ١٢١ ؛ الشعر والشعراء ٣٣٤ .

ذو الرمّة من عُشّاق العرب المشهورين ، وقد كانت له قِصّتا حبّ :

في نحو العشرين من العُمُرِ أحب ذو الرمّة ميّةَ بن مُقاتل بن طَلَبَةَ [1] ابن قيس بن عاصم المِنْقريّ ؛ ويبدو أنّها كانت متقدّمةً في السنّ وأمّاً لعدد من الأولاد ولكنّها كانت على جانب من الجمال الرائع . ولقد تغزّل بها ذو الرمّة عشرين سنة من غير أن ينالَ منها مَنالاً ؛ ولم تكن هي تميل اليه . فيقال إن ذا الرمّة أظهر الحبّ بفتاة شابّةٍ هي خَرْقاء العامرية (أو كذلك سمّاها ذو الرمّة) ، من بني البكّاء بن عامر بن صعصعة فكان يتغزّل بها ، فيما قيل ، إغاظة لميّةَ .

ولم يَعِشْ ذو الرمّة بعد أن عَرَفَ خرقاءَ هذه إلاّ عاماً أو بعضَ عام ثم تُوُفّيَ سنة ١١٧ هـ (٧٣٥ م) بعد أن مَرِضَ أياماً ، وله من العُمُر نحوُ أربعين سنة . وقبره كان معروفاً في البادية .

٢ — ذو الرمّة شاعرٌ مُكثِر مُطيل مُجيد مُشهور . وقد كان في أول أمره يقول رَجَزاً ثم وجد أنه مُقصّرٌ في ذلك عن العجّاج وابنه رُؤبة فانتقل إلى القَصيد جُملةً . وشعر ذي الرمّة مُتفاوتٌ في الجودة ، قال فيه ابن قتيبة [2] : « أحسن الناس تشبيهاً وأجودُهم تشبيباً (غزلاً) وأوصفهم لرمل وهاجرة [3] وفلاة وماء .... وأحسن الناس وصفاً للمطر ، فاذا جاء إلى المديح والهجاء خانه الطبع » ؛ ولم يكن يُحسن الفخر أيضاً . ومع أنه بَدَوِيّ الشعر فانه كان يُكرِهُ نفسَه عليه ، وربّما نقّح شعره أيضاً [4] . وهو لا يُحْسِنُ مطالعَ القصائد ولا خِطابَ الممدوحين [5] لبداوته في الأغلب . على أن علماء اللغة يهتمّون بشعره لما فيه من الكلمات الغريبة والكلماتِ النادرة في الاستعمال . وقد كان الشعراء والعلماء يسألونه عن الألفاظ في اللغة [6] .

---

١ وفيات ٢ : ١٣٧ ، أو بنت عاصم بن طلبة . وفي الشعر والشعراء (ص ٣٣٥) : مية بنت فلان بن طلبة . وفي الاغاني (١٦ : ١١٩) : مي بنت طلبة بن قيس .

٢ الشعر والشعراء ٢٩ ، ٤١ ، ٣٤١ ؛ راجع غ ١٦ : ١٢١ ؛ الكامل ٤٤٨ — ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، راجع أيضاً ٢٥٩ .

٣ الهاجرة : اشتداد الحر إذا تكبدت الشمس السماء (نصف النهار) .

٤ الموشح ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ٢٣٩ .

٥ الصناعتين ٤٣١ ؛ الموشح ٥٤ ، ١٧١ ، ٢٣٧ — ٢٣٨ ، ٢٣٩ ؛ وفي غيرها .

٦ الكامل ٧٩ — ٨٠ .

٣ – المختار من شعره :

– قال ذو الرمّة يتغزّل بميّة من قصيدة قالها في مديح عبد الملك بن مروان :

وَقَفْتُ على رَبْعٍ لِمَيّةَ ناقتي ،   فما زِلْتُ أبكي عنده وأُخاطبُهْ ،
وأسْقيهِ حتى كاد مما أبُثّه   تُكلّمني أحجارُهُ وملاعبه .
وقد حلَفَتْ بالله ميّةُ ما الذي   أُكلّمها إلاّ الذي أنا كاذبه .
إذاً فرماني اللهُ من حيثُ لا أرى ؛   ولا زال في أرضي عَدوّ أُحاربه .
إذا نازعتك القولَ ميّةُ ، أو بدا   لك الوجهُ منها ، أو نضا الدرع سالبه[1] ،
فيا لكَ مِنْ خدّ أسيلٍ ومَنْطِقٍ   رخيم ومن خَلْقٍ تَعَلّل جادبه[2] .
ألا لا أرى مثلَ الهوى داءَ مُسْلِمٍ   كريمٍ ، ولا مثلَ الهوى لِيمَ صاحبه!

– وقال يمدح بِلال بن أبي بُرْدة بن أبي موسى الاشعريّ :

ولم أمدحْ – لِأُرْضِيَهُ بشِعْري –   لئيماً أنْ يكونَ أصاب مالا .
ولكنّ الكِرامَ لهم ثَنائي ،   فلا أخزَى إذا ما قيل : قالا !
سمعت الناسَ ينتجعون غَيْثاً ،   فقلت لصَيْدحَ : انْتَجعي بِلالا[3] .
تُناخيْ عند خيرِ فتىً يَمانٍ   إذا النّكباء ناوحَتِ الشّمالا[4] .
كأنّ الناسَ ، حين تَمُرّ ، حتّى   عواتقَ لم تَكُنْ تَدَعُ الحِجالا ،
– قِياماً ينظرونَ إلى بلالٍ –   رِفاقُ الحج أبْصَرَتِ الهِلالا[5] .
وقد رفع الالـهُ بكل أرضٍ   لضوئك ، يا بِلالُ ، سَناً طُوالا[6]

١ نازعتك القول : حادثتك . الدرع (مذكر) : ثوب تلبسه الفتاة . نضا الدرع سالبه : عرى الرجل الفتاة من ثوبها .

٢ أسيل : طويل . رخيم : عذب ، حلو ، مطرب . الخلق : الخلقة ، بناء الجسم . تعلل جادبه .....

٣ صيدح : اسم ناقة ذي الرمة .

٤ النكباء : الريح التي تهب بين ريحين . ناوحت : قابلت . – إذا هبت الريح من الجهة الشمالية الشرقية أو الشمالية الغربية (كناية عن اشتداد البرد) .

٥ العاتق : الفتاة أول ادراكها . الحجلة (بفتح ففتح) : خباء المرأة . أبصر الهلال : استبشر بمجيء العيد ، باقتراب الموسم . – فرح الناس بقدومك ؛ حتى الفتيات اللواتي لم يسبق لهن أن غادرن بيوتهن خرجوا إلى الطريق وجعل الجميع ينظرون اليك .

٦ السنى : نور البرق . طوال (بضم الطاء) : طويل . – جعل الله نورك بعيد الانتشار يستضيء به كثيرون .

كضوء البدر ليس به خَفاءٌ ؛ وأُعْطِيتَ المَهـابة والجمالا !

– وقال ذو الرمّة :

إذا هبّتِ الأرياحُ من نحوِ جانبٍ به أهلُ ميّ ٍ هاج شَوْقي هُبوبُها :
هَوىً تَذْرِفُ العَيْنانِ منه ، وإنّما هوى كلّ نفسٍ حَيثُ حلّ حبيبُها !

– وقال أيضاً :

لها بَشَرٌ مثلُ الحرير ، ومَنْطِقٌ رخيمٌ الحواشي لا هَراءٌ ولا نَزْرُ[1] ،
وعينانِ قال اللهُ : كونا ، فكانتا ، فَعولانِ بالألبابِ ما تفعلُ الخمر .

٤ – ديوان غيلان بن عقبة المعروف بذي الرمّة (كارليل هنري هيس مكارتني) كامبردج ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م .

ديوان ذي الرمّة (بشير يموت) ، بيروت (المكتبة الأهلية) ١٣٥٢هـ=١٩٣٤م .

الشوامخ (محمد صبري) الجزء الثالث : ذو الرمّة ، القاهرة ١٩٤٤–١٩٤٦ م .

** بروكلمان ١ : ٥٥ – ٥٦ ، الملحق ١ : ٨٧ – ٨٩ ؛ زيدان ١ : ٣٣٩–٣٤٠ .

العَرجيّ

– هو عبد الله بنُ عُمَرَ بنِ عُمَرَ بن عُثْمانَ بن عَفّان ؛ وأمّه آمنة بنت عمر (وقيل بنت سعيد) بن عثمان . ولقّب بالعَرْجيّ لأنه كان يسكن عَرْجَ الطائفِ ، وهي قرية من نواحي الطائف في أول تِهامة ، على ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة ، وكان له هنالك أراضٍ وأموالٌ .

كان العَرْجِيّ أشقرَ أزرقَ العينين جميلَ الوجه ، الا أنه كان كَوْسَجاً (خفيف اللحية) ناتئَ الحنجُرة . وكذلك كان من الفرسان المعدودين ومن البارعين في صنع السِهام وفي الرِماية . وقد غزا في بلاد الروم معَ مَسْلَمة بن عبد الملك ، وأبلى في القتال بَلاء حَسَناً وأنفق في سبيل الله أموالاً كثيرة . ويبدو أنه كان يأملُ بذلك أن يَصِلَ إلى مَنْصِب من إمارة في جيش أو وِلاية على بلد ، ولكن

١ البشر : ظاهر جلد الانسان . المنطق : الكلام . الرخيم : السهل اللين . الهراء : المنطق (الكلام) الكثير الفاسد الذي لا نظام له . النزر : القليل .

لم يَتِمَّ له ذلك فاعتزل إلى الحجاز وانصرف إلى اللهو والمكائد .

لما جاء هشام بن عبد الملك إلى الخلافة (١٠٥ هـ = ٧٢٤ م) ولّى على مكّة خالَه ابراهيمَ بنَ هشامِ بن اسماعيل المخزومي (١٠٦ هـ = ٧٢٥ م) ؛ وفي سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) ولّى عليها خاله محمداً ، فنَشِبَ النزاع بين العَرْجي ومحمد ابن هشام باطناً وظاهراً . وأراد العرجي أن يزيد في إغاظة محمد بن هشام فتغزّل بأمه جَيْداء . عندئذ غَضِبَ محمد بن هشام على العرجيّ وألقاه في السجن إلى أن توفّي فيه ، في الاغلب ، سنة ١٢٠ هـ (٧٣٨ م) .

٢ ــ كان العرجيّ من شعراء قريشٍ صاحبَ غزل وفُتوّة ينحو في شعره ومغامراته منحى عمر بن أبي ربيعة ، وفي الاستهتار وقلة المُبالاة منحى الأحوص . وشعر العرجيّ في الغزل ؛ ولكنّ له أشياءَ يسيرةً في الأدب والمدح والهجاء والفخر . وبعض شعره على النَمَط القديم ؛ وفي بعضه نفس مُحْدَث .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال العرجيّ في الغزل ، وهو قول مشهور وفيه غناء :

أماطت كِساءَ الخزّ عن حُرّ وجهِها ... وأدنتْ على الخدّين بُرْداً مُهَلْهَلا ١ ؛
من اللاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ... ولكن لِيَقْتُلْنَ البريءَ المُغَفّلا ٢ .

ــ ومما قاله في جيداءَ أم محمد بن هشام المخزومي :

عوجي علينا ، رَبّةَ الهَوْدَجِ ! ... إنّكِ ان لم تفعلي تَحْرَجي ٣ .
إني أُتيحَتْ لي يَمانيّةٌ : ... إحدى بنات الحارثِ من مَذْحِجِ .
نَلْبَثُ حَوْلاً كاملاً كلّهُ ... لا نلتقي إلاّ على مَنْهَجِ ٤
في الحجِّ ، إن حَجّت . وماذا مِنًى ... وأهلُه إنْ هِيَ لم تَحْجُجِ ؟

---

١ الخز : الحرير . حر الوجه : الوجه الابيض الناقي الجميل . المهلهل : الرقيق .
٢ حسبة : احتساباً ، ابتغاء رضى الله .
٣ عوجي : ميلي الينا ، انزلي عندنا ، زورينا . تحرجي : تأتين حرجاً ، ترتكبين ذنباً
٤ الحول : العام . المنهج : الطريق .

أيسرُ ما نال مُحبٌّ لدى بيْنٍ حبيبٍ قوْلُه : عرّج [1] !

— لمّا حُبِسَ العرجيّ قال في سجنه يذكر ما يلاقي من التعذيب :

أضاعوني ، وأيَّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِداد ثغْرِ [2]
وصبرٍ عندَ مُعْتَرَكِ المنايا وقد شُرِعَتْ أسِنَّتُها بِنَحري [3] .
أجرَّر في الجوامع كل يوم ، فيا لله مظلمتي وصبري [4] .
كأنّي لم أكن فيهم وَسيطاً ، ولم تكُ نِسْبَتي في آل عمرو [5] .

— وقال في الأدب :

إذا أنت لم تَغْفِرْ ذُنوباً كثيرةً تُريبُك لم يَسْلَمْ لك الدهرَ صاحبُ .
ومن لا يُغَمِّضْ عَيْنَه عن صديقهِ وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتب .

٤ — ديوان العرجي من رواية ابن جنّي (شرحه وحققه خضر الطائي ورشيد العبيدي) ، بغداد (الشركة الاسلامية للطباعة والنشر) ١٩٥٦ م .

•• غ ١ : ٣٨٢—٤١٧ . بروكلمان ١ : ٤٤ ، الملحق ١ : ٨٠ ؛ زيدان ١ : ٣٢٧ .

ابو النجم الراجز

١ — هو أبو النّجْم الفضلُ (أو المُفضّل) بن قُدامة العِجليّ ، من بني ربيعة بن مالك بن عِجل من بني بكر بن وائل . ويبدو أن مولده كان سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) وأن مسكنه كان في ضواحي الكوفة ؛ وكان يأوي إلى المساجد .

اتّصل أبو النجم ببني أميّة منذ أيام عبد الملك ومدحهم ومدح الحجّاج أيضاً . ثم انّه وفد على هشام (١٠٥ — ١٢٥ هـ) ، وكان قد ناهز السبعين ، فأقطعه هشام

---

١ عرج :(بتضعيف الراء) مال الى المكان وأقام فيه.

٢ كريهة : حرب . سداد ثغر : دفاع عن حدود الوطن .

٣ شرعت : سددت ، وجهت . الاسنة : رؤوس الرماح . النحر : أعلى الصدر ، المكان الذي يكون فيه النحر (الذبح) .

٤ الجوامع جمع جامعة: القيد وسيط في قومه : ذو رئاسة و مجد . في آل عمرو : في آل عمرو بن عثمان بن عفان.

٥ الوسيط في القوم : أوسطهم نسباً (أصيل فيهم) وأرفعهم محلا .

موضعاً في سواد الكوفة يُدعى الفِرْك [1] فكان ينزله إلى ان توفّي ، سنة ١٢٠هـ (٧٣٨ م) في الاغلب .

٢ – أبو النجم من رُجاز الاسلام الفُحول المُقَدَّمين المشهورين ، ومن الطبقة الأولى منهم ، وكان مُكْثِراً يقول رَجَزاً وقصيداً فيُجيد . غير أن شعره مُتفاوِت فيه الجيّد وفيه الرديء . وربّما قال بَدِيهة أيضاً . أما فنون شعره فهي المديح والهجاء والطَرْد – في وصف الفرس والابل خاصّة . – وكان مُظفَّراً في الهجاء: كان يُهاجي العَجّاج ، هاجاه في مربد البصرة فغلبه . واجتمع الشعراء مرّة عند سليمان بن عبد الملك فأبَوْا أن يُفاخروه رَجَزاً ، فقال قصيداً وغلبهم (غ ١٠ : ١٥٣ – ١٥٤) .

٣ – المختار من شعره :

– يرى ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٣٨١) أن أرجوزة أبي النجم التالية أجود أراجيز العرب ، قال فيها :

الحمدُ لله الوَهوبِ المُجْزِلِ ... أعطى ، فلم يبخلْ ولم يُبَخَّلِ [2] ،
كُومَ الذُرى من خَوَلِ المُخوِّلِ ... تَبَقَّلَتْ من أول التَبَقُّلِ [3] ،
بين رِماحَيْ مالك ونَهْشَلِ ... يدفع عنها العِزُّ جَهْلَ الجُهَّلِ [4] .
حتى إذا الشمسُ بَدَتْ للقُيَّلِ ... بالنصف من حيث غدت والمنزلِ [5] ،
جاءت تَسامى في الرعيل الأول ... والظِلُ عن أخفافها لم يَفْضُلِ [6] ،

---

١ الشعر والشعراء ٣٨١ ؛ راجع القاموس ٣ : ٣١٥ « الفرك قرية قرب كلواذى » . وكلواذى (بفتح الكاف) قرية أسفل (جنوب) بغداد (القاموس ١ : ٣٥٨) .

٢ المجزل : المعطي كثيراً . لم يبخل (بتشديد الخاء) : لم ينسبه أحد إلى البخل .

٣ يصف أبو النجم الابل في الابيات التالية . كوم جمع كوماء (عظيمة) الذرى (السنام) . من خول (عطايا) المخول (الله تعالى) . تبقلت : زعت البقل . في أول التبقل : أول نبت البقل (أول الربيع) فأسنمت (عظم سنامها) وسمنت .

٤ – رعت في حماية بني مالك وبني نهشل ، فكان عزهم (قوتهم) تدفع عنها جهل الجهال (الذين يفكرون بالغارة عليها) .

٥ القيل الذين يقيلون (ينامون بعد الظهر) ، يقصد « حتى إذا انتصف النهـ

٦ جاءت (إلى الماء) تسامى : رافعة أعناقها لنشاطها . في الرعيل الأو طليعة لسائر الابل (جاءت تشرب قبل جميع الابل لأننا نحن أصحابها أقوى سائر القبائل) . والظل عن أخفافها لم يفضل : الشمس في كبد السماء وظل كل شيء تحته تماماً .

مائرةَ الأيدي طِوال الأرْجل	يُهدى بها كلُّ نِيافٍ عَندل [1] .
لو جُرَّ شِنٌّ وسْطَها لم تَحفِل	من شهوة الماء ورِزٍّ مُعْضِل [2] ،
وهْيَ على عَذْبٍ رِواء المنهل	دَحلِ أبي المِرقال خيرِ الأدْحُل [3] ،
من نَحْتِ عادٍ في الزمان الأول	على جَوابٍ وخليجٍ مُرْسَل [4] .
وحَبْلِ جِلدٍ من جلود البُزَّلِ	أملسَ لا رثٍّ ولا مُوَصَّل [5] ،
على دُموكٍ أمرُها للأعجل	تَئِطّ أحياناً إذا لم تَصهَل [6] .
حتى إذا الشمسُ اجتلاها المُجتلي	بين سِماطَيْ شَفَقٍ مُهوِّل [7] !
فهْيَ على الأفق كعين الأحول	صَغْواءَ قد كادتْ ولما تفعل [8] .
نشَّطها ذو لِمَّةٍ لم تُغسَل	صُلبُ العصا جافٍ عن التغَزّل [9] ،
مختلط المَفرِق جَشْبِ المأكل	إلا من القارص والمُمَحَّل [10] .

١ مائرة الايدي : من صفات الابل الكريمة أنها تفتح ما بين أيدي عند الجري (مار : تحرك) . يهدى بها : يهتدى بها ، يتبعها . نياف : الجمل الطويل (ما بين العنق والذنب) المرتفع (كناية عن سرعته) . العندل : الغليظ (كناية عن قوته وقدرته على الجري).—ومع ذلك فان إبلنا تهدى بها سائر الابل (تسبق الابل) .

٢ الشن : الجلد اليابس يقرقع به خلف الابل فتخاف وتنفر . ولكن إبلنا لا تخاف هذا الصوت لأنها كانت شديدة العطش حتى كأن العطش قد أصبح مرضاً في جوفها لا يشفى .

٣ الدحل : هوة في الأرض . أبو المرقال : رجل من بني عمرو بن تميم : وفي القاموس (٣ : ٣٨٦) كنية لآخرين .

٤ من نحت عاد : عظيمة الاجسام (يقصد الابل) . الجوابي جمع جابية : حوض ضخم . الخليج : النهر المرسل : المتدفق الذي لا يقف .

٥ الحبل : الرسن . البزل جمع بازل : الجمل الذي تمت أسنانه فبلغ أشده (أربع سنوات) . حبل جلد من جلود (غامضة المعنى) ؛ المقصود : لها ارسان جديدة (ورحال جديدة) !

٦ الدموك : بكرة عظيمة تكون على البئر لرفع الماء . أمرها للأعجل : يبدأ باستعمالها (باستقاء الماء) اسرع الواصلين إلى الماء . تئط : تحدث صوتاً من مرور الحبل عليها . إذا لم تصهل : إذا لم تستطيع أن تصهل كالخيل (لأنها خشب) .

٧ اجتلاها : رآها . سماط : صف ، طبقة . الشفق : احمرار الأفق عند المغيب . مهول : مختلف الألوان (لوجود غيوم قريبة من الأفق) .

٨ كعين الاحول (!) . صغواء : مائلة للغروب . قد كادت (تغيب) ولكن لم تفعل (لم تغب بعد) .

٩ نشطها : سمنها (أحسن رعايتها) . راع ذو لمة لم تغسل (لا يهتم بفسل شعره لأن كل اهتمامه منصرف إلى حسن القيام على الابل التي في عهدته) .

١٠ مختلط المفرق : مشعث الشعر (لا يفرق شعره بالمشط ولا يتعهده بالدهن) . جشب (غليظ) المأكل . القارص والممحل : اللبن إذا حمض كثيراً أو قليلا (كناية عن أن هذا الراعي يبقى أبداً مع أبله ولا يرجع إلى المدينة أو إلى بيته) .

يَحلِفُ باللهِ ، وان لم يُسأل ، ما ذاق ثُفلاً بعدَ عامٍ أوّل [1] .
يمرّ بين الغانيات الجُهّل كالصقر يجفو عن طِراد الدُخّل [2] .
فصَدَرتْ بعد أصيلِ المُوصل تمشي من الرِدّة مشي الحُفّل [3] :
مشيَ الروايا بالمَزاد الأثقلِ يرْفِلْن بين الأدَم المُعَدّل [4] .

٤ — الطرائف الأدبية (عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م . ص ٥٥ وما بعدها .

** الاغاني ١٠ : ١٤٩ — ١٦١ ؛ م م ع ع (تموز ١٩٢٨ م) ؛ بروكلمان الملحق ١ : ٩٠ ، (دائرة المعارف الاسلامية — النسخة الانكليزية — الطبعة الثانية ١ : ١٤٢ ؛ زيدان ١ : ٢٩٧ — ٢٩٩ .

نابغة بني شيبان

١ — هو عبد الله بن المُخارق بن سُليم بن خُضيرة من بني ربيعة بن ذُهل ابن شَيْبان بن ثَعْلبة من بني بكر بن وائل من بني أسد بن ربيعة بن نِزار . وهو شاعر أمويّ مدح عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) والوليد بن عبد الملك ثم أدرك الوليد بن يزيد (١٢٥ — ١٢٦ هـ) ومدحه أيضاً .

قال أبو الفرج الاصفهاني (غ ٧ : ١٠٦) : « وكان ، فيما أرى ، نَصْرانياً لأنّي وجدتّه في شعره يَحْلِفُ بالانجيل والرّهبان وبالأيْمان التي يحلف بها

[1] — يقسم أنه لم يذق ثفلا (حباً كالعدس أو الفول) ولم يتغذ إلا باللبن . بعد عام أول : منذ العام الماضي .

[2] — يمر بالغواني فلا يهتم بهن ، كما لا يهتم الصقر باصطياد الدخل (الطائر الصغير) . لأنه ، لطول مكثه في البادية البعيدة عن العمران ، قد نسي حياة الغزل .

[3] فصدرت : شربت ورجعت عن الماء . الاصيل : ارتفاع النهار (وقت العصر) . من الردة : من كثرة ما شربت (كناية عن أنقبيلة الشاعر قوية تشرب ابلها حتى ترتوي قبل أن يجوز لإبل القبائلالأخرى أن تشرب) الحفل : الممتلئة ضروعها لبناً (تمشي بتثاقل) .

[4] — كما تمشي الابل التي تحمل الروايا (أوعية الماء) متثاقلة على مهل وبحذر لئلا تصاب أوعية الماء التي تحملها بأذى . رفل اختال في أثوابه . الادم الجلد المصنوع أوعية للماء . المعدل : المتوازن (وعاء من كل جانب) .

النصارى » . واعتمد الأب لويس شيخو هذه الجملةَ – وجملةٌ للصفدي في « الوافي بالوفيات » هي « قيل : إنه كان نصرانياً » ، ثم على غضبةٍ لعبد العزيز بن مروان على نابغة بني شيبان أشار اليه فيها بأنه « ابن النصرانية » – فجعله من شعراء النصرانية بعد الاسلام (ص ١٣٧ – ١٦٢) .

على أن الذي يبدو من الديوان أن نابغةَ بني شَيْبانَ كان مُسلماً . وأما الجملتان الواردتان في الأغاني وفي الوافي بالوَفَيات للصَّفَدي ثم الجملةُ المَرْوِيةُ عن عبد العزيز بن مَروان فيُمْكِنُ أنْ تَدُلَّ على أن نابغةَ بني شَيْبانَ نشأ نَصْرانياً ثم انْتَقَلَ إلى الاسلام . ففي ديوانه مثلاً (ص ١٧) :

وتُعْجِبُني اللّذّاتُ ، ثم يَعُوجني ويَسْتُرُني عنها من اللهِ ساتِرُ [1] .
ويَزْجُرُني الاسلام والشيبُ والتقى ، وفي الشيبِ والاسلام للمرء زاجر .

ومثلُ هذه الاشاراتِ الاسلاميةِ كثيرةٌ في ديوان نابغة بني شيبان ، كقوله مثلاً : « خير الجِبالِ حِراءُ [2] » .

ولمّا مدح نابغة بني شَيبانَ الخليفةَ الوليدَ بنَ عبدِ الملك أشار إلى فتحِ طُرَنْدَة ، وهي بلدةٌ في أواسط آسيةَ الصغرى ، على يد مَسْلَمَةَ بنِ عبد الملك فأشار إلى الروم عامةً وخاصةً فقال (ديوان ٥٢ – ٥٣) :

يا أيها الأجدعُ الباكي لمَهْلِكِهِمْ ، هل بأسُ ربِّك عمّن رام مصروفُ [3] ؟
تدعو النصارى لنا بالنصر ضاحيةً ، والله يَعْلَمُ ما تُخفي الشراسيف [4] .
قَلَعْتَ بِيعتَهُمْ عن جوفِ مَسْجِدِنا ،
فصخرُها عن جديدِ الارض منسوف [5] .
كانت إذا قامَ أهلُ الدينِ فابتَهَلُوا باتتْ تجاوِبُنا فيها الأساقيف [6] :

---

١ يعوجني : يردني.
٢ ديوان ٥١ . حراء : جبل قرب مكة كان يتعبد فيه محمد عليه الصلاة والسلام قبل البعثة .
٣ الاجدع : المقطوع الأنف .
٤ ضاحية : ظاهرة ، متظاهرة . الشراسيف : غضاريف تصل الاضلاع بالكتف ، يقصد : الصدر .
٥ البيعة (بكسر الباء) : معبد النصارى ، الكنيسة.
٦ أهل الدين : المسلمون . ابتهلوا : دعوا الله . الاساقيف جمع أسقف : رئيس النصارى . تجاوبنا (هنا) : تقطع صلاتنا .

أصواتُ عُجْمٍ إذا قاموا بقُرْبَتِهِمْ كما تُصَوِّتُ في الصبح الخَطاطيفُ [1] .
فاليومَ فيها صلاةُ الحقِّ ظاهرةٌ وصادقٌ من كتابِ الله معروفُ !

٢ — نابغةُ بني شَيبانَ شاعرٌ بَدْويّ طويل النفس ، في ديوانه عشرونَ قصيدةً اثنتا عَشْرَةَ منها تزيدُ على خمسين بيتاً منها اثنتان تَعُدّان مائةً وأحَدَ عَشَرَ بيتاً ومائةً وأرْبَعَةَ عَشَرَ بيتاً . وشعره كثير الغريب مَعَ سهولةٍ في التركيب عموماً ومَعَ شيء من اللين أحياناً . وأغراضه الفخر والمديح . ويكثُرُ في ديوانه الغزل ووصف الخمر والأدب (الحكمة) وله شيء من الهجاء . وبعض قصائده وجدانية لا تختصّ بمدح أو هجاء ، بل يكثر فيها الوصف والحكمة والزهد . والاثر الديني في شعر نابغة بني شيبان بارزٌ جداً . وله معانٍ دينيةٌ واقتباسٌ من القرآن الكريم (راجع الامالي ٢ : ٢٧٢) .

٣ — المختار من شعره :

— قال نابغةُ بني شَيبانَ يمدحُ الوليدَ بنَ يزيدَ (١٢٥ — ١٢٦ هـ) . ونَجِدُ في هذه القصيدة أبياتاً كثيرة الغريب إلى جانب أبياتٍ لا غريبَ فيها ، كما نجد فيها المعاني البَدْويةَ الجافيةَ إلى جانب المعاني الحَضَريّة العادية السائرة . والعنصرُ الديني في هذه القصيدة بارز جداً ، والمديح فيها يسيرٌ عاديّ :

آذنَ اليومَ جيرتي بارتحالِ وبِبَيْنٍ مودّعٍ واحتمالِ ،
وانْتَضَوْا أيْنُقَ النّجائبِ صُعْراً أخذوها بالسير في الإرقالِ [2] ،
وعَلَوْا كلّ عَيْهَمٍ دَوْسَرِيٍّ أرْحَبيٍّ يَبُذُّ وسْعَ الجِمالِ [3] .

---

١ العجم جمع أعجم : لا يفصح ، غير العربي . هذا يدل على أن نابغة بني شيبان لم يكن مسيحياً قط ، والا لفهم كلام الاساقفة الذي كان بالسريانية ، وكانت السريانية لغة الكنائس ولغة الكثيرين من النصارى في حياتهم اليومية . ولا يزال أهل معلولا ، في الشام ، يتكلمون اللغة السريانية . القربة : العمل الذي يتقرب به الانسان من الله ، الصلاة . الخطاف : طائر أسود صغير .

٢ انتضى : جرد (وهنا معناها : أخرج الدابة وأسرجها استعداداً للسفر) . أينق جمع ناقة . النجيبة : الأصيلة . الصعراء : الناقة في عنقها أو جنبها ميل (شديدة البناء قوية فتية) . الارقال : السير صعداً بسرعة .

٣ علوا : ركبوا . العيهم : (الجمل) الشديد السريع . الدوسري : الضخم .

كلّ عيشٍ ولذّة ونعيمٍ وحياة تُودي كفيْءِ الظِلال [1] .
كفّني الحِلْمُ والمشيبُ وعقلي ، ونهى اللهُ عن سبيلِ الضلال .
وأرى الفقرَ والغنى بيد اللهِ وحتفَ النفوس في الآجال .

وبعد أن يطيلَ الشاعر في الكلامِ على أحوالِ الحياة ، وبعد أن يتبسّطَ في وصف الفَلاة والناقة يقول عن ناقته :

تَنْتَوي من يزيدَ فضلَ يديه أريَحيّاً فَرْعاً سمين الفعال [2] ،
حَكَميّاً بين الاعاصي وحَرْبٍ، أبْطَحِيّ الأعمام والأخوال [3] .
أمّه مَلْكَةٌ نَمَتْها ملوكٌ ، وهي أهلُ الإكرام والإجلال [4] .
أُعْطِيَ الحِلْمَ والعفاف مَعَ الجو د ورأياً يفوقُ رأيَ الرجال .
يقطعُ الليلَ آهةً وانتحاباً وابتهالاً لله أيّ ابتهال[5] .

٤ — ديوان نابغة بني شيبان . القاهرة (دار الكتب) ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م .

** الاغاني ٧ : ١٠٥ — ١١٣ ؛ بروكلمان ١ : ٥٩ ، الملحق ١ : ٩٤ ؛ زيدان ١ : ٣٠٣ — ٣٠٤ .

---

١ أودى يودي : هلك ، زال . كفيء الظــلال : كرجوع الظل (أي بمقدار انتقال الظل من الغرب إلى الشرق ، نصف النهار) .
٢ انتوى : قصد . الاريحي الكريم الذي يسر بصنع المعروف . الفعال (بالفتح) الكرم ، العمل النبيل .
٣ حكمياً بين الأعاصي : من نسل عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص . وحرب : منتسب أيضاً إلى أبي سفيان بن حرب (يقصد : جمع النسب الأموي من جانبيه العظيمين) . أبطحي الاعمام و الأخوال : نسله من قبل أبيه وأمه من البطحاء (مكة) .
٤ نمتها : رفعتها (في النسب) — هي تنتسب إلى ملوك .
٥ آهة : توجعاً (من الذنوب) ، انتحاباً : بكاء (حزناً على ما أذنب في الحياة) . ابتهالا : دعاء (لله) كي يعفو الله عنه .

الوليدُ بن يزيدَ

١ — الوليدُ بن يزيدَ هو الخليفةُ الأمويّ الحادي عَشَرَ وحفيدُ الخليفةِ الأموي الخامسِ عبدِ الملك بن مروان ؛ وأمه أمّ الحجّاجِ بن مُحمّد بنِ يوسف الثقفي ، بنتُ أخي الحجاجِ المشهور . وكان الوليدُ بن يزيدَ يُكنى أبا العباس .

وُلِدَ الوليد بن يزيد سنة ٩٠ هـ (٧٠٨ م) . وفي أواخر سنة ١٠١ هـ (٧٢٠ م) أراد أبوه يزيد بن عبد الملك أن يَعْقُدَ له ولايةَ العهد فقالوا له إنّ الوليد طِفْلٌ فاجعلْ ولاية العهد لأخيك هِشامٍ ثم لابنِك الوليدِ ففعل . وتُوُفّيَ يزيدُ بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ (٧٢٤ م) فخلفه أخوه هشام وبقي في الخلافة عشرين سنة ، وكان في أثناء ذلك يسعى إلى تحويل ولاية العهد إلى ابنه مَسْلَمَةَ فلم يَتَأَتّ له ذلك .

ولمّا توفي هشام سنة ١٢٥ هـ (٧٤٤ م) خلفه الوليدُ . والوليد هذا « كان من فِتْيانِ بني أميّة وظُرَفائهم وشُجْعانهم وأجوادِهم وأشدّائهم ، مُنْهَمِكاً في اللّهْوِ والشراب وسَماع الغناء ، مُسْتَهْتِراً بالمعاصي عاكفاً على اللذات منتهكاً للحُرُمات زِنْديقاً » [١] . فلما وَلِيَ الخلافةَ أمْعَنَ في ذلك كله [٢] وترك أمرَ الدولة . فساءَ الناسَ ذلك منه وأطْمعَ به الطامحين إلى الخِلافة فقتلوه في ٢٧ من جُمادى الآخرة من سنة ١٢٦ (١٧ نيسان ٧٤٤ م) .

٢ — كان الوليدُ بن يزيد شاعراً مُجيداً في الخمر خاصة له فيها أشعاراً كثيرة أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم أو سَلَخوا مَعانِيَها كما فعل أبو نواس والحُسين الخليعُ بن الضحّاك [٣] . وكانت له أشياءُ في الفخر والرثاء والهجاء والحكمة والمُجون . وعلى شعره نَفْحَةٌ مُحْدَثَةٌ ، ولكنّ كثيراً من شعره في اللهو سخيفٌ تافه . ومُعْظَمُ شعره مُقَطّعاتٌ قِصارٌ . ومَعَ أن الخمريات الخالصة عنده قليلةٌ ، فإنّ خصائِصَها واقتصارَها على الخمرِ وَحْدَها تجعله أول من خرج

---

١ الفخري ٩٧ .

٢ غ ٧ : ٢ ، ٤٦ س ، ٥٩ الخ .

٣ راجع تحت ص ٦٩١ .

بالخمر من أن تكونَ غرَضاً ، كما رأينا عند الأعشى والاخطل مثلاً ، إلى أن تُصْبِحَ فنّاً كما سنرى عند أبي نواس .

٣ – المختار من شعره :

– قال الوليد بن يزيد يفتخر بنسبه في بني أميّة وبني هاشم :

أنا ابن أبي العاصي ، وعثمانُ والدي ، ومروانُ جدّي ذو الفَعال ، وعامرُ[١] .
أنا ابن عظيمِ القَرْيَتَيْنِ ، وعزّها ثقيفٌ وفِهرٌ والعُصاة الاكابر[٢] .
نَبِيّ الهُدى خالي ؛ ومن يكُ خالَهُ نبيُّ الهدى يَقْهَرْ به من يفاخر[٣] .

– لما نُعِيَ له هِشامُ وصارتِ الخلافةُ اليه قال :

طاب يومي ، ولَذّ شُربُ السُّلافَهْ إذ أتانا نَعِيُّ من بالرُّصافه[٤] .
وأتانا البَريدُ يَنْعَى هِشاماً ، وأتانا بخاتَمِ للخلافه ،
فاصْطَبَحْنا من خمرِ عانَةَ صِرْفاً ، ولَهَوْنا بقَيْنَةٍ عزّافه[٥] .

– وقال في الخمر أبياتاً « من بديعِ الكلامِ ونادرِه ، وقد جوّد فيه منذ

١ يشير إلى نفر من المشهورين في عمود نسبه : فهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس .... وكانت جدته لأبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وأم عبد الله بن عامر كانت بنت عبد المطلب بن هاشم . وعبد المطلب هو جد الرسول . وعثمان : عثمان بن عفان – ويقصد بقوله والدي : متصل بعمود نسبي .

٢ كانت أم الوليد بن يزيد بنت محمد بن يوسف الثقفي من الطائف .ويقصد الوليد بن يزيد بعظيم القريتين (مكة والطائف)-عروة بن مسعود الثقفي ، وهو أحد اللذين كانا في الجاهلية يطمعان بالنبوة ، وفيهما نزلت الآية الكريمة (٤٣ : ٣١ من سورة الزخرف) تقريعاً لجماعة من أهل تينك المدينتين : « وقالوا : لولا نزل (بضم النون وتشديد الزاي) هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » . فهر : قريش . العصاةالاكابر : أهل الطائف لأنهم حاربوا الرسول سنة ٨ ه ، ثم دخلوا في الاسلام في العام التالي من تلقاء أنفسهم . وعزها (؟)

٣ نبي الهدى : محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ويلتقي نسب الوليد بن يزيد من جهة جدته لأبيه بنسب الرسول في عبد المطلب بن هاشم .

٤ النعي : الذي يحمل النعي (بسكون العين : خبر الموت) . الرصافة : مدينة بناها هشام بن عبد الملك غرب الرقة على الفرات .

٥ اصطبح : شرب الخمر صباحاً . عانة : بلدة على الفرات في أعلى العراق . القينة : الجارية الجميلة المغنية. عزافة : حسنة العزف (الضرب على العود) .

ابتدأ إلى أن ختَمَ . وقد نقلهـا أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما »[1] :

اصْدَعْ نَجِيَّ الهمومِ بالطَّرَبِ ، وانْعَمْ –على الدهر – بابنةِ العِنَبِ[2] .
واستقبلِ العيشَ في غَضارتـهِ ، لا تَقْفُ منه آثار مُعْتَقِبِ[3] ،
من قَهوةٍ زانَهـا تقادُمُهـا ، فهي عجوزٌ تعلو على الحِقَبِ[4] ؛
أشْهى إلى الشَّرْبِ يومَ جَلوَتِهـا من الفتـاةِ الكريمـةِ النسب[5] .
فقد تَجلَّتْ ، ورقَّ جوهَرُها ، حتى تَبَدَّتْ في مَنْظَرٍ عَجَبِ :
فهي بغيرِ المِزاجِ مـن شَرَرٍ ، وهي لدى المَزْجِ سائلُ الذهب[6] .
كـأنّهـا في زُجاجِهـا قَبَسٌ تَذْكو ضياءً في عينِ مُرْتَقِبِ[7] .
في فِتْيـةٍ من أمَيّـةَ أهـ ـلِ المجد والمـأثُراتِ والحسب[8] .
ما في الورى مِثْلُهُمُ ، ولا فيـ ـهِمُ مثلي ، ولا مُنْتَمٍ لمثلِ أبي[9] .

٤ – ديوان الوليد بن يزيد (جمع وترتيب ف. غابريلّي وخليل مردم) ، دمشق ١٩٣٧ م .

** الوليد بن يزيد والدولة الاموية ، تأليف ابراهيم الابياري ، القـاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٦ م .
مرح الوليد ، تأليف علي الجارم ، مصر ١٩٤٨ م .

---

١ غ ٧ : ١٢ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ؛ ثم راجع ديوان أبي نواس ٢٤٨ – ٢٤٩ .
٢ صدع : شق ، أعلن ، فرق ، جاهر . النجي : السر ، الخفي . نعم : تنعم ، رفه نفسه . على الدهر : طول الدهر . ابنة العنب : الخمر . – أزل همومك الخفية (حتى الصغير منها) بسماع الغناء ، وكن طول عمرك منعماً بشرب الخمر .
٣ غضارة العيش : لين العيش ورغده ولذيذه . قفا يقفو : تبع (قلد) . المعتقب : الحريص على المال. – لا تقلد البخلاء ولا تقتد بهم فتضيع عليك لذات العيش .
٤ القهوة : الخمر المطبوخة بالنـار . زانها تقادمها : جادت بطول الزمن عليها . تعلو على الحقب : يزيد عمرها على عمر الدهر . الحقب : جمع حقبة (بالكسر) : البرهة الطويلة من الزمن .
٥ الجلوة للخمر : استخراجها من الدن (من الخابية) .
٦ المزج والمزاج للخمر : خلطها بالماء . من شرر (نار) : شديدة الحمرة . وهي .... سائل الذهب : صفراء .
٧ ذكت النار : اشتعلت .
٨ المـأثرة : العمل الحميد :
٩ الورى : الناس . المنتمي : المنتسب .

الوليد بن يزيد لمحمد حسن (مجلّة كلّية الآداب بجامعة الاسكندرية ، المجلّد الاول ، عام ١٩٤٣ م ، ص ١٥٠ – ١٦٩) .

الاغاني ٧ : ١ – ٨٤ ، ٩ : ١٣٠ وما بعدها ؛ بروكلمان ١ : ٦٠ – ٦١ ، الملحق ١ : ٩٦ .

يزيد بن الوليد

١ – هو يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملك بن مَروانَ ، كان مولده سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) .

كانت أحوال بني أميّة قدِ اضْطَربتْ في كل مكان فَنَشِبَتِ العَصبياتُ (القتال بينَ قيسٍ واليمن – بين عرب الشّمال وعرب الجَنوب) في الشـام (وخصوصاً في فِلَسْطين) وفي العراق وفي خُراسان . ثم ان الدعوة العباسية قَوِيَتْ في خراسان .

وقد طَمِعَ يزيد بن الوليد بتولّي الخلافة فَاتّخَذَ من هذه الاحوال المضطربة ومن فِسْق ابنِ عمه الوليدِ بنِ يزيدَ (راجع ، فوق ، ص ٦٨٩) حُجة فجمع حوله نفراً من بني أميّة – وفيهم الذين كانوا طامعين في الخلافة مثله كمروانَ بنِ محمدِ بن مروان – وثار على الوليد بن يزيد . وفي ٢٧ جُمادى الآخرة من سنة ١٢٦ هـ (١٦–٤–٧٤٤ م) تولى يزيد بن الوليد الخلافة ، بعد أن قَتَلَ ابْنَ عَمّه الوليدَ بن يزيد .

وكان الوليد بن يزيد قد زادَ الأُعطياتِ والأرزاقَ للجند ولأهل الحجاز ، فلما جاء يزيدُ بنُ الوليد نَقَصَها[1] وردّها إلى ما كانت عليه من قبلُ ، فسُمّيَ يزيدَ الناقصَ . وكذلك كانت سياسته يَمَنية فاشتدت بعد مجيئه إلى الخلافة مقاومةُ المُضَرية (القيسية) . ثم امتنع مروانُ بن محمد عن بَيْعته ، وكان يتولّى قيادة الجيوش في ارمينية ، فَعَظُمَ الاضطرابُ في أيامه في كلّ مكان .

---

١ « نقص » فعل متعد مثل « انقص » .

وفي أواخر سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤ م) مَرِضَ يزيدُ بن الوليد ثم توفي في دمشق، بعد أنْ كانت النِقْمة عليه قد عمّت .

٢ – كان يزيد بن الوليد يُظْهِرُ التنسّكَ ، ومع ذلك فقد كان يقولُ بالقَدَرِ [١] . فلمّا أظهر ذلك انصرف عنه كثيرون ممن كانوا يَنْصُرونه . وكان يزيد بن الوليد من خُطباءِ بني أمية المعدودين [٢] .

٣ – المختار من خطبه :

– لمّا قَتَلَ يزيدُ بن الوليد ابنَ عمّه الوليدَ بن يزيد قام في الناس خطيباً فقال :

أيّها الناسُ : واللهِ ، ما خرَجْتُ أشَراً ولا بَطَراً ، ولا حِرْصاً على الدنيا ولا رَغْبةً في المُلك [٣] ، وما بي إطراءُ نفسي وإني لَظَلومٌ لها [٤] . ولقد خَسِرْتُ ان لم يَرْحَمْني ربّي ويَغْفِرْ لي ذنبي . ولكني خرجتُ غَضَباً لله ودينِه ، وداعياً إلى الله وسُنّة نَبيّه ، لمّا هُدِمَتْ معالمُ الهُدى وأُطْفِيءَ نورُ التّقى وظهر الجبّارُ العنيد ، وكَثُرَتْ حوله الحزَقُ والجنود [٤] ، المُسْتَحِلّ لكلِّ حُرْمة والراكب لكل بِدْعة . مَعَ أنه ، واللهِ ، ما كان يؤمن بيوم

١ القول بالقدر (بفتح القاف والدال) هو القول بقدرة الانسان على أن يعمل مايريد ويختار وبانكار القضاء والقدر (الاعتقاد بأن كل ما يصيب الانسان من خير أو شر مكتوب عليهم منذ الأزل) . والقائلون بالقدر يعتقدون أن الانسان مخير وليس مسيراً .

٢ الاشر : نشاط الجسم والنفس مما يحمل على الاسراف (في الاعتداء على الآخرين وعلى تجاوز ما ألفه الناس في سلوكهم) . البطر : قلة احتمال النعمة والطغيان بها(إذانالالانساننعمةلايستحقها ثم كان ضعيف العقل فانه يسرف فيها ويتظاهر بالكزم والقوة) .

٣ وما بي اطراء نفسي : لا أحتاج إلى أن أمدحها وأقيم الدليل على قيمتها . ظلوم لنفسي : اكفها عن كثير مما هو حق لها .

٤ الجبار العنيد : الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، قيل انه استفتح في القرآن فاتفقت له الآية الكريمة : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » ، فألقى المصحف من يده ورماه بسهم ثم أنشد :

تهددني بجبار عنيد ؛ نعم ! أنا ذاك جبار عنيد .
إذا ما جئت ربك ، يوم حشر ، فقل : يا رب ، خرقني الوليد .

الفخري – المطبعة الرحمانية بمصر – ص ٩٧ .
الحزق : جمع حزقة (بكسر الحاء) : الجماعة .

الحساب ولا يُصدّق بالثواب والعقاب ، وانه لابْنُ عَمّي في النّسَب وكُفْئي في الحسب .

فلمّا رأيتُ ذلكَ استَخَرْتُ اللهَ في أمرهِ وسألتُه ألا يَكِلَني إلى نفسي [1] ، ودَعَوْتُ إلى ذلك مَنْ أجابني إلى وَلايتي حتى أراح اللهُ منه العبادَ وطهّر منه البلادَ بحَوْل الله وقُوّته ، لا بحَوْلي وقوّتي .

أيّها الناسُ : إنّ لكم عليّ ألاّ أضعَ حَجَراً على حجرٍ ، ولا لَبِنَةً على لبنة ، ولا أكْري نهراً [2] ولا أكنِزُ مالاً ولا أعطيه زَوْجاً ولا وَلَداً [3] ، ولا أنقلُ مالاً من بلد إلى بلد حتى أسُدّ فقرَ ذلك البلدِ وخَصاصةَ أهله بما يُغنيهم ؛ فإنْ فَضَلَ شيء نقلتُه إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوجُ اليه منه و (اني) لا أجَمّـِرُكم في ثُغورِكم فأفتِنَكم وأفتِنَ أهالِيَكم [4] ، ولا أُغْلِق بابي دونكم فيأكلَ قويُّكم ضعيفَكم ، ولا أحْمِلُ على أهل جِزْيَتِكم ما أجليهم بهِ عن بلادهم وأقطعُ نَسْلَهم . ولكم عندي أعْطِياتُكم في كل سَنَةٍ وأرزاقُكم في كلّ شهر حتى تَسْتَدِرّ المعيشةُ [5] بين المسلمين فيكونَ أقصاهم كأدناهم .

فإنْ أنا وَفَيْتُ فعليكم السمعُ والطاعةُ وحُسنُ المؤازرة والمُكانفة [6] . وإن أنا لم أوْفِ لكم فلَكُمْ أن تَخْلَعوني ، إلاّ أن تَستَتيبوني . فإنْ أنا تِبْتُ

---

١ استخار الله : سأل الله أن يلهمه الصواب النافع . وكله إلى نفسه : تركه يكافح المصاعب بنفسه (تخلى الله عنه) .

٢ اللبنة (بفتح اللام وكسر الباء) : حجارة للبناء تصنع من طين . لا أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة : لا أبني بناء (لا اتخذ بناء لنفسي) . كرى النهر : نظف حوضه من الرواسب .

٣ لا اكنز مالا (لنفسي) ولا أعطي نسائي ولا أولادي مالا .

٤ سد فقره : كفاه حاجته . الخصاصة (بفتح الخاء) : الفقر . ممن هو أحوج (البيان والتبيين ٢ : ١٤٢) ولعلها « مما » .... جمر الجيش : تركه مدة طويلة في بلاد العدو . الثغر : المكان الذي يخشى منه مجيء العدو (مناطق الحدود) . أفتنكم (أجعل عيونكم تمتد إلى النساء الموجودات في البلاد التي تعسكرون فيها) أفتن أهاليكم : أجعل ذلك سبباً في ان تمتد عيون نسائكم (في اثناء غيابكم مع الجيش) إلى الرجال الباقين في بلادكم .

٥ لا أحمل على (لا أرهق وأظلم) اهل جزيتكم (غير المسلمين الذين يعيشون في مناطقكم) ما أجليهم بـه عن بلادهم (ما يحملهم على مغادرة البلاد حيث تقيمون – لأن ذلك يقود إلى اضطراب الحياة الاقتصادية) . الاعطيات والارزاق : الرواتب والمساعدات التي تستحق للناس من بيت المال . استدرت المعيشة (كثرت أسباب العيش) .

٦ المؤازرة : المساعدة والعون . المكانفة : (كأن تحوط الشيء وتحافظ عليه وترد عنه الاعتداء) .

قَبِلْتُمْ مني ، وان عرَفْتُم أحداً يقومُ مَقامي — ممن يُعْرَف بالصلاح — يُعْطيكم من نفسهِ مثلَ الذي أعطيكم فأرَدتُمْ أن تُبايِعوه فأنا أوّلُ مَن يُبايعه ويدخلُ في طاعته .

أيّها الناسُ : لا طاعةَ لمخلوقٍ في مَعْصِيَةِ الخالق . أقولُ قولي هذا وأستَغْفِرُ اللهَ لي ولكم .

— لما بايع الناسُ يزيدَ بن الوليد ثم جاءه الخبرُ عن مروانَ بنِ محمدٍ [1] ببعض التَلَكّوء كتب اليه :

بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ . من عبدِ الله أميرِ المؤمنين يزيدَ بن الوليدِ إلى مروانَ بنِ محمدٍ . أما بعدُ ، فإني أراكَ تُقَدِّمُ رِجْلاً وتُؤخِّرُ أخرى . فإذا أتاك كتابي هذا فاعْتَمِدْ على أيّهما شِئْتَ . والسلام .

حمزة بن بِيض

١ — هو حَمْزَةُ بن بيضٍ (بكسر الباء) من بني حَنيفة من بني بكر بن وائل ومن أهل الكوفة ، كان ماجناً خليعاً يتكسّب بالشعر ، ولكننا لا نَعْرف له أخباراً قبل عبد الملك بن مروان . انقطع إلى المهلب بن أبي صفرة والي خراسان (٧٨ — ٨٢ هـ) ثم إلى ابنه يزيد من بعده في خُراسان ثم في البصرة منذ سنة ٩٦ هـ (٧١٥ م) . فلما جاء عمر بن عبد العزيز إلى الخلافة ، سنة ٩٩ هـ (٧١٧ م) ، نقم من يزيد بن المهلب أنه كان يُسْرِفُ في العطاء للشعراء ويقصّر في أداء حقوق بيت المال [2] ، فعزله وسجنه فكان حمزة بن بيض يدخل السجن على يزيد ويمدحه . ولقد تكسّب حمزة من ممدوحيه مالاً جزيلاً ، إلاّ أنه كان مسرفاً فيما يبدو فافتقر في بعض أيامه .

وإذا صحّتْ رواية الاصفهاني (غ ٧ : ٢١) من أنّ الوليد بن يزيد لما تولى الخلافة (١٢٥ هـ = ٧٤٣ م) وعد أهل المدينة بأن يَرُدّ عليهم الأُعْطياتِ

---

١ مروان بن محمد بن مروان بن الحكم كان والياً اسمياً في الموصل منذ سنة ١١٤ هـ (فقد كان معه ولاة تعاقبوا على الموصل رسمياً) . ثم كان مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين .

٢ أداء حقوق أصحاب الحقوق في بيت المال : الفقراء والمساكين .... الخ .

التي كان هِشامٌ قد منعها عنهم – ثم أخْلَفَ – وأن حمزة بن بِيض هجا الوليد من أجل ذلك ، فان وَفاةَ حمزة تكون في ١٢٦ هـ (فوات ١ : ١٨٨) لا في ١١٦ هـ = ٧٣٤ م (معجم الأدباء ١٠ : ٢٨٩) .

٢ – كان حمزةُ بن بِيضٍ شاعراً مُجيداً ظريفاً سائِرَ الشعرِ ، ولكن كثيرُ المُجون . وشعرُه فصيحٌ متين فيه جِدٌّ حيناً ومرحٌ حيناً . أما فنونه فهي الفخر والمديح والعِتاب والهِجاء ، وله مُقَطّعاتٌ في عدد من الاغراض الوجدانية .

٣ – المختار من شعره :

– وقع بين بني حنيفة ، في الكوفة ، وبين بني تميم شرٌّ حتى نَشِبت الحرب بينهم . فقال رجل لحمزة بن بِيض : ألا تأت هؤلاء القوم فتَدْفَعَهم عن قومك فإنك ذو بياض وعارضة[1] ؟ فقال حمزةُ :

ألا لا تَلُمْني ، يا ابنَ ماهانَ ، إنني ... أخاف على فَخّارتي أن تَحَطّما .
ولو أنني أبتاع في السوق مِثلَها ، ... وجَدِّك ، ما باليْتُ أن أتقدّما !

– وقال يمدح مَخلد بن يزيد بن المهلّب (غ ١٥ : ١٥) :

أتيناكَ في حاجةٍ فاقْضِها ، ... وقلْ : « مرحباً » ، يَجِبِ المرحبُ !
ولا تَتّكلنا إلى معشرٍ ... متى يَعِدوا عِدَةً يَكْذِبوا .
فانّك في الفرع من أُسرةٍ ... لهم خَضَعَ الشرقُ والمغرب .
وفي أدبٍ مِنهُمُ ما نشأ ... تَ ، ونِعمَ ، لعَمرُك ، ما أدّبوا !
بلغتَ لعَشرٍ مضت من سِنِيـ ... ـك ما يبلغ السيّدُ الأشيب .
فهَمّك فيها جِسامُ الأمور ، ... وهمّ لِداتك أن يلعبوا[2] .
وجدتَ فقلت : ألا سائلٌ ... فيُعطى ولا راغبٌ يرغب .

– دخل حمزة بن بِيض على يزيد بن المهلّب السجن فأنشده :

أُغلِق ، دون السَماح والجود والـ ... ـنجدة ، بابٌ حديدُه أشِبُ[3] .

---

١ ذو بياض وعارضة : (المقصود) أصل كريم ومقدرة في القول .
٢ اللدات : الأولاد الذين هم في سن واحدة .
٣ الاشب : (الباب) المغلق بحديد معتراض عليه (سجن) .

ابنُ ثلاثٍ وأربعينَ مَضَتْ ، لا صَرِعٌ واهن ولا نَكِب[1] .
لا بَطِرٌ ان تتابعت نِعَمٌ ، وصابر في البلاء مُحتَسِب .
برزتَ سبقَ الجوادِ في مَهَلٍ[2] ، **وقصّرتْ دون سَعْيك العرب !**

٤ – ** الاغاني (الساسي) ١٥ : ١٤ – ٢٥ ؛ زيدان ١ : ٣١١ – ٣١٢ .

الكُميتُ بنُ زَيْدٍ الاسدي

١ – وُلِدَ أبو المُسْتَهِلّ الكُميتُ بنُ زيدٍ الاسديّ نحو سنة ٦٠ هـ (٦٨٠ م) في الكوفة ونشأ فيها مُعلّماً للصبيان ، وكان أصمّ أصْلَخ[3] لا يسمع شيئاً . والكميت كان مُتَشيّعاً لآلِ البيت يمدح الهاشمين ويتعصّب لمُضَرَ على اليمنِ ؛ وكانت حياته مليئةً بالاضطراب والمُناقضات . قال ابن قتيبة (ص٣٦٩) : « وكان بين الكُميتِ وبينالطِرِمّاح من المودّة والمخالطة ما لم يكن بينَ اثْنَيْنِ ، على تباعُدِ ما بينهما في الدين والرأي : لأن الكميت كان رافضيّاً وكان الطِرِماح خارجياً صُفْرياً[4] ، وكان الكميت عَدْنانياً عَصبياً وكان الطِرِماح قحطانياً عصبياً ، وكان الكميت متعصباً لأهل الكوفة وكان الطِرِمّاح يتعصّب لأهل الشام ». على أن الطِرِمّاح كان أحسن تماسكاً في مذهبه وحياته : احتاج الشاعران إلى التكسّب فرَضِيَ الكميت أن يمدح بني أمية وأبى ذلك الطرماح .

غَضِبَ خالدُ بن عبد الله القَسريّ والي الكوفة (١٠٥ – ١٢٠ هـ) على الكميت لموقفه من بني أمية فسجنه ؛ ولكن الكميت فرّ من السجن ولجأ إلى هشام بن عبد الملك ومدحه ثم مدح خالداً ، فرضي عنه خالد فيما يبدو . ولما عزل هشامٌ خالداً القسريَّ عن الكوفة وولاّها يوسف بن عُمَرَ الثقفي (١٢٠ هـ = ٧٣٨ م)

---

١ في السنوات الثلاث والاربعين (قبل سجنك الآن) لم يتغلب عليك أحد : لم يصرعك ولم ينكبك (يطرحك أرضاً) ، ولا أنت كنت في خلالها واهناً ضعيفاً .

٢ سرت على مهلك فسبقت الناس كما يسبق الفرس الجواد سائر الخيل .

٣ أصلخ : الأصم جداً لا يسمع البتة .

٤ الصفرية : فرقة من الخوارج أتباع زياد بن الاصفر يوافقون الازارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون ولكن لا يقتلون أولاد المشركين ونساءهم كما يفعل الازارقة .

اشتط يوسف في معاملة الكميت فأكثر الكميت من هجاء يوسف . وفي سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤ م) استفزّ الكميتُ يوسفَ فثار الحرس بالكميت وقتلوه خبطاً بالسيوف .

٢ – كان الكميت من الفقهاء والخطباء والشعراء ، عالماً بآداب العرب ولُغاتها وأخبارها وأنسابها . وهو شاعر مُكثِر يقدر على القصائد الطِوال والمُقطّعات القِصار ، غير أنه يتكلّف الغريب ويَقْصِد أحياناً إلى الصناعة اللفظية . وأشهر فنونه مدائحُه في الرسول وفي بني هاشم ، وتُدعى الهاشميّات . والقيمة التاريخية للهاشميات أكبر من قيمتها الأدبية ، إذ هي تعبّر عن رأي المعتدلين من الشيعة في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة . ومع أنّ الكُميت مدح الأمويين تكسّباً فان مدائحه فيهم أجودُ من مدائحه في بني هاشم ؛ فالاجادة في المديح تَرْجِعُ أحياناً إلى الأمل بكثرة العطاء أكثر مما ترجع إلى الاعجاب والموافقة في المبادئ[1] . ومن المستغرب أن الكميت احتاط مرةً في مدح الرسول فقد قال :

إلى السِراج المنيرِ أحمدَ لا تَعْدِلُني رَغْبَةٌ ولا رَهَبُ[2]
عنه إلى غيرهِ ، ولو رَفَعَ الناسُ إليّ العيونَ وارتقبوا ،
وقيل أفرطْتَ – بل قَصَدتُ – ولو عَنّفَني القائلون أو ثَلَبوا[3] .

وقد فنّدَ الجاحظُ رأيَ الكميت ثم قال[4] : « فمَنْ رأى شاعراً مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم فاعترضَ عليه واحدٌ من جميعِ أصنافِ الناس حتى يَزْعُمُ هو أن ناساً يَعيبونه ويَثْلبونه ويُعنّفونه » .

٣ – المختار من شعره :

– قال الكُميتُ بن زيدٍ الاسديّ يمدح مَسْلَمَةَ بنَ عبدِ الملك ، وقد اختار هذه الابياتَ أبو تمّام في الحماسة (٢ : ٣٤٣) :

---

١ راجع الشعر والشعراء ١٨ .
٢ ... – لا تميل بي عنه رغبة في عطاء (الأمويين) أو خوفاً منهم .
٣ قصد : اعتدل ، سار سيرة وسطا . ثلب : عاب ، ذم . – زعموا انني بالغت في مدحه ، مع أنني قصدت (كنت معتدلا جداً) .
٤ البيان والتبيين ٢ : ٢٣٩ – ٢٤٠ ، راجع الموشح ١٩٨ .

فما غابَ عن حِلْمٍ ولا شَهِدَ الخَنا ولا استَعْذَبَ العَوْراءَ يوماً فقالَها [1] .
وتَفْضُلُ أيْمانَ الرجالِ شِمالُه كما فَضَلَتْ يُمنى يَدَيْه شِمالَها .
وما أجِمَ المعروفَ من طول كَرِّه وأمراً بأفعالِ النَّدى وافتعالِها [2] .
ويَبْتَذِلُ النَفسَ المَصونةَ نفسَه إذا ما رأى حقّاً عليه ابْتِذالَها [3] .
بَلَوْناكَ في أهل النَّدى فَفَضَلْتَهُمْ ، وباعَكَ في الأبواعِ قِدْماً فطالها [4] .
فأنت النّدى في ما يَنوبُكَ والسَّدى إذا الخَوْدُ عدّتْ عُقْبَةَ القِدْرِ مالها [5] .

— للكميت بن زيد الاسدي قصيدة طويلة يعاتب فيها قريشاً (بني أميّة) على عداوتهم لبني هاشم (وللعلويين خاصّة) . والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ، ومنها أبيات في « الشعر والشعراء » (ص ٣٧٠ — ٣٧١) . من هذه القصيدة :

ألا لا أرى الايّامَ يَقْضي عَجيبُها بطولٍ ، ولا الأحداثُ تَفْنى خُطوبها [6] ،
ولا عِبَرَ الايّامِ يَعْرِفُ بعضَها ببعضٍ من الأقوام إلاّ لبيبُها [7] .

---

١ الخنا : العمل القبيح . العوراء : الكلمة القبيحة .
٢ ما أجم (كره) المعروف (الأمر بالخير) من طول كره (من طول تكراره ، لكثرة ما فعل من الخير) ولا كره أيضاً الأمر بالمعروف على كثرة ما فعل من المعروف .
٣ ابتذل النفس المصونة : أذل النفس (في خدمة الناس وفي سبيل الخير) المصونة (التي من حقها أن تصان وتكرم لأنها تكون عزيزة على صاحبها) . نفسه = النفس المصونة (بدل من النفس المصونة) . — يغامر بنفسه في الحرب إذا ما وجب أن يغامر بها .
٤ بلوناك : اختبرناك . في أهل الندى : بين الكرماء . وبلونا باعك (مقدار ذراعيك ، المقصود يدك ، قدرتك) .... فكانت باعك أطول من جميع الابواع (كنت أقدر من جميع أصحاب القدرة) .
٥ أنت الندى (الكرم) والسدى (المعروف) : أنت أكثر الناس كرماً وعملا للخير . إذا الخود (المرأة الجميلة) عدت عقبة القدر (الشيء اليسير من المرق يبقى في القدر ويرده الذي يستعير القدر عادة من القدر : شيء لا قيمة له) . — إذا كثر الجدب والقحط وأصبحت المرأة الجميلة (التي يخطبها الرجال ويدفعون مهرها مبالغ كبيرة) تعد كل ثروتها وقدرها الشيء القليل من المرق الذي يبقى عادة في القدر ، فأنت تكون كثير الكرم والعطاء .
٦ — مهما طالت الأيام فان عجيبها (عجبها أو الشيء الذي يتعجب الناس منه — القاموس ١ : ١٠١ ، السطر ١٣ وما بعده) لا يقضي (بفتح الياء) : لا ينقضي ، لا يفنى (القاموس ٤ : ٣٧٩) . الاحداث : أحداث الدهر (نائباته ومصائبه) . الخطوب جمع خطب : الشأن أو الأمر (سواء أكان صغيراً أو عظيماً) . — لا تنتهي الأمور التي تجلب المصائب على الانسان .
٧ — والانسان عادة لا يتعظ بعبر الأيام (لا يتعلم مما ينزل بغيره من المصائب) إلا إذا كان لبيباً (عاقلا ، موصوفاً ، معروفاً ومشهوراً ، بالعقل) .

ولم أرَ قولَ المرءِ إلاّ كنَبلــهِ : به وله مَحرومها ومُصيبها [1].
وما غُبِنَ الأقوامُ مِثلَ عقولِهم، ولا مثلَها كسباً أفاد كسوبهـا [2] .
وما غُيّبَ الأقوامُ عن مِثل خُطةٍ تغَيّبَ عنها يومَ قيلت أريبهـا [3] .
ولم أرَ باب الشرِّ سهلاً لأهلهِ ، ولا طُرُقَ المعروف وَعْثاً كثيبها [4] .
رَمتّني قُريشٌ عن قِسِيِّ عَـداوةٍ وحقدٍ ، كأنْ لم تَدْرِ أني قريبها !
تُوقِعُ حَوْلي تـارةً وتُصيبني بنَبْلِ الأذى ، عفواً جزاها حَسيبها [5] .
أفي كلّ أرضٍ جِئْتُها أنا كـائن لخوفِ بني فِهْرٍ ، كأنّي غريبها [6] !
وان كنتُ في جِذمِ العشيرةِ أقبلتْ عليّ وجوهُ القوم كَرْهاً قُطوبها [7] .
لنا الرّحِمُ الدُّنيا وللناسِ عندكم سِجالٌ رَغيباتُ اللّهى وذَنوبها [8] .
ملأتم حِياض المُلْحمين عليكُمُ ، وآثارُكم فينا تَصُبّ نُدوبها [9] .

١ النبل اسم جمع لا مفرد له من لفظه : السهام . – أقوال الانسان كالنبال (السهام) التي يطلقها هو المسؤول عنها (قادر على أن يجعلها تصيب أو تخطئ) .
٢ – لا يفقد الانسان شيئاً أعظم من عقله (مهما تعوض على فقد عقله) ، ولا استفاد شيئاً أعظم من العقل . الكسوب : الرجل الطيب الكسب .
٣ الخطة : الأمر المقدر ، الطريقة المرسومة المتفق عليها . الأريب : العاقل الحكيم (في وضع الأمور مواضعها) – ما جهل قوم تدبير أمورهم كجهلهم حينما يعملون عملا (أو يتفقون على عمله) من غير أن يستشيروا العقلاء الحكماء منهم .
٤ الكثيب : التل من الرمل . الوعث : اللين المتخلخل الذي تغيب القدم عند السير فيه (الذي يعسر السير فيه ويصعب) . – ليس عمل الشر سهلا (كما يظن الناس) ولا عمل المعروف (الخير) صعباً .
٥ توقع حولي (تسقط سهامها قريبة مني من غير أن تصيبني)..... – تنزل بي قريش (بنو أمية خصوم العلويين) الأذى حيناً وتوقع حولي (تهددني بالاذى) حيناً آخر . عفى الله عنها (الحسيب : الله الذي يرجع اليه حساب جميع الناس على ما يفعلون) .
٦ أنا كائن لخوف بني فهر (قريش) : أنا في كل مكان ألقى ما يخيفني من بني أمية .
٧ الجذم : الأصل . كره (بفتح الكاف) مكروه . القطوب : تقلص عضلات الوجه من الغضب أو البغض. – وإذا كنت مع جماعة من قومي (من مضر ، قيس ، عرب الشمال) فان بعضهم ينظر إلي وهو عابس غاضب (لأني أحب بني هاشم وأكره بني أمية) .
٨ الرحم : القرابة .
السجال جمع سجل (بفتح السين) : الدلو العظيمة إذا كانت مملوءة ماء . الرغيبة : العطاء الكثير . اللهى جمع لهوة (بضم اللام أو بفتحها) : العطية الكبيرة ، ألف دينار . الذنوب : الدلو الملأى . وأنتم تثيبون سائر الناس (غيرنا ، غير بني هاشم وأنصار بني هاشم) بعطايا كثيرة كريمة مع الاسراف .
٩ الملحم : الشاتم للعرض ، المقاتل ، الخصم والعدو . الندوب جمع ندبة (بفتح النون) : اثر الجرح الباقي على سطح الجسم . – تحسنون إلى أعدائكم وتسيئون الينا كثيراً (نحن أقاربكم) .

سَتَلْقَوْنَ ما أحْبَبْتُمُ في عـدوِّكم   عليكم ، إذا ما الخيلُ ثار عُصوبها [1]
فلم أر فيكم سيرةً غيرَ هـذه ،   ولا طُعمةً إلاّ التي لا أعيبها [2] .
جَمَعْنا نفوساً صاديات إليكُـمُ   وأفئِـدةً منّا طويلاً وَجيبها [3] .
فقائبة مـا نحن يومـاً ، وأنتم   بني عبد شمس أن تفيئوا ، وقُوبها [4] .
وهل يَعْدُوَنْ بين الحبيبِ فراقـه ؟   نعم ، داء نفس أن يَبِينَ حبيبها [5] .
ولكنّ صبراً — عن أخٍ لك ضائرٍ —   عزاءٌ ، إذا ما النفس حَنّ طَروبها [6] .
رأيت عِذاب الماء إن حِيل دونـه   كفاك لمـا لا بُدّ منه شَريبها [7] .
وإن لم يكن إلاّ الأسِنّةَ مركـبٌ   فلا رأيَ للمُضْطرِّ إلاّ ركوبها [8] !

— وللكميت « هاشميّةٌ » مشهورةٌ طويلة تبلغُ مِائَةً واربعين بيتاً مطلَعُها :

طَرِبْتَ ، وما شَوْقاً إلى البِيض أطربُ   ولا لَعِباً منّي ، وذو الشوق يَلْعَبُ [9] .

قال فيها :

---

١ — ومع ذلك فستجدون منا ما يسركم من الدفاع عنكم إذا حاربكم أعداؤكم . العصوب جمع عصبة (بضم العين) : جماعة من الرجال أو الخيل أو الطير عددها ما بين عشرة وأربعين .

٢ — لن يكون لنا خطة في معاملتكم غير هذه (الخطة الحسنة) . ولا طعمة (مأكلة ، دعوة إلى طعام ، تكسب) إلا التي لا أجد فيها عاراً علي أن أقبلها : لن أهجوكم ! الواقع أن هاشميات الكميت خاصة عتاب لبني أمية أكثر منها هجاء) .

٣ جمعنا نفوساً صاديات (ظماء ، عطاشاً) اليكم (يا بني أمية) ، وأفئدة (قلوباً) طويلا وجيبها (كثيراً خفقانها) : نحن نميل اليكم ونحبكم وقلوبنا تخفق عليكم (نخاف عليكم ونشفق) .

٤ — ولكن إذا لم تفيئوا (تعدلوا عن عداوتنا وظلمنا) ، بني عبد شمس (يا بني أمية الحاكمين في دمشق) فسنكون يوماً ما كالقائبة (البيضة التي يخرج منها الفرخ) والقوب (الفرخ الذي يخرج من البيضة) : سينقطع ما بيننا وبينكم (لأن الفرخ إذا خرج من البيضة لا يعود اليها أبداً) .

٥ يعدو : يزيد على ، يتجاوز . البين : البعد (الموقت) ، الفصل . الفراق : الفرقة ...

٦ — إذا كان لك أخ يلحقك منه ضرر ثم صبرت نفسك عنه (عن لقائه والاجتماع به) ، مع شوقك إلى لقائه ، فان ذلك يكون تعزية لك : احتمال القليل من فراقه في سبيل النجاة من الكثير من شره .

٧ — إذا تعذر عليك الحصول على (جرعات) عذاب (حلوة) من الماء فسيكفيك ما لا بد منه (سيكفيك القدر الضروري من الماء) الشريب : الذي تقبل النفس أن تشربه .

٨ الاسنة : رؤوس الرماح (المصاعب ، المكاره) .

٩ طرب الرجل : هاج شوقه . البيض جمع بيضاء : المرأة الحسنة الجميلة . اللعب : المزح والهزل (ضد الجد) . وذو الشوق يلعب : ان نفراً من الذين يبدون الشوق يكونون أحيانا كثيرة هازلين غير جادين .

إلى النَّفَرِ البيضِ الذين بِحُبِّهِم ... إلى الله فيما نابَني أتقرَّب [1] :
بني هاشمٍ رهطِ النبيِّ ، فإنَّني ... بِهِم ولَهُم أرضى مراراً وأغضب [2].
خَفَضْتُ لهم منّي جَناحَ مَوَدَّةٍ ... إلى كَنَفٍ عِطفاه أهلٌ ومَرْحب [3] .
إليكُم ، ذوي آلِ النبيِّ ، تطلّعتْ ... نَوازعُ من قلبي ظِماءٌ وألْبُب [4] ،
فإنّي عنِ الأمرِ الذي تكرَهونَه ... بقَولي وفِعلي-ما استطعتُ-لأجْنُب [5].
يُشيرون بالأيْدي إليَّ ، وقولُهم : ... «ألا خابَ هذا !» والمُشيرون أخْيَب [6].
فطائفةٌ قد كَفَّرتني بحُبِّكم ، ... وطائفةٌ قالوا : مُسيءٌ ومُذْنب .
فما ساءني تكفيرُ هاتيك مِنهُم ... ولا عَيْبُ هاتيك التي هي أعْيب .
وقالوا : «تُرابِيٌّ هواه ورأيُه !» ... -بذلك أدعى فيهِمُ وأُلَقَّب [7] .

* * *

وقالوا : «وَرِثْناها أبانا وأمَّنا !» ... وما ورَّثَتْكم ذاك أمٌّ ولا أب [8] .
يَرَوْنَ لهم حقّاً على الناس واجباً ... سَفاهاً ، وحقُّ الهاشميّين أوْجب !
ولكنْ مواريثُ ابنِ آمِنَةَ الذي ... به دان شَرْقيٌّ لكم ومُغَرِّب [9] .

---

١ البيض جمع أبيض : الرجل النقي العرض ، الشريف ، النبيل . — أنا أتقرب إلى الله (أرجو ثوابه) على ما نابني (أصابني ، نزل بي من المصائب) بحبهم (بسبب حبي لآل البيت من بني هاشم) .
٢ رهط النبي : قوم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، آله ، نسله . أرضى وأغضب لهم (أرضى بما يرضيهم وأغضب لما يغضبهم ، في حياتهم) ، وأرضى وأغضب بهم : (.... بعد موتهم) . — أنا متمسك بولائهم (عامل بما يرضيهم تارك لما يسخطهم في حياتهم و بعد مودتهم) .
٣ — حبهم يحملني على خفض الجناح لهم (الخضوع في محبتهم خضوعاً كاملا) في كنف : ستر ، كتمان (لأن اظهار حب آل البيت كان يعرض صاحبه للاضطهاد) . كنفاه (جانباه) أهل (قرابة ، صلة وثيقة) ومرحب (سعة) .
٤ تطلع : استشرف (نظر من بعيد متشوقاً إلى قرب اللقاء) . نوازع جمع نازع (ونازعة): الناقة التي تحن إلى وطنها . نوازع من قلبي : عواطفي . ألبب جمع لب : العقل .
٥ جنب (بفتح النون) يجنب (بضم النون) الشيء : إبتعد عنه (المعجم الوسيط ١ : ١٣٨) .
٦ يقولون : خاب هذا : ضل الكميت (في حب آل البيت) .
٧ ترابي : يحب أبا تراب (علي بن أبي طالب) . هواه ورأيه : في العمل والقول .
٨ .... ورثنا (الخلافة) عن أبينا وأمنا (من عثمان بن عفان الأموي ثالث الخلفاء الراشدين— أو من بني عبد مناف (بفتح الميم) لأن عبد مناف والد أمية وهاشم (؟) .
٩ ابن آمنة : محمد رسول الله . — ان ارث الخلافة لم يأت من النسب وقرابة الدم حتى يكون لبني أمية حق فيها لاجتماعهم مع بني هاشم في بنوة عبد مناف ، بل جاءت من الدين (فحينما كان بنو هاشم يؤمنون بمحمد ويتبعونه كان بنو أمية يكذبونه ويقاتلونه) .

بكَ اجْتَمَعَتْ أنسابُنا بعد فُرْقَة ، فنحن بنو الاسلام نُدعى ونُنْسب[1] .
يقولون : «لم يُورَثْ !» — ولولا تُراثُه لقد شَرِكَتْ فيه بكيل وأرحب[2]
وعكٌّ ولَخْم والسّكونُ وحِمْيَر وكِنْدة ، والحَيّان: بكر وتَغْلِب[3] .
فإن هي لم تَصْلُحْ لقومٍ سواهم فإنّ ذوي القُربى أحقّ وأقرب[4] .

* * *

فيا مُوقِداً ناراً لغيرك ضوءُها ويا حاطباً في غير حَبْلِك تَحْطِب[5] ،
ألم تَرَني من حبّ آل محمّد أرُوحُ وأغْدو خائفاً أترقّب[6] ؟
كأنّيَ جانٍ مُحْدِثٌ ، وكأنّما بِهِمْ أُتّقَى من خشية العار أجْرب[7] .
على أيّ جُرمٍ أم بأيّة سِيرة أُعنّف في تقْريظهم وأؤنّب[8] ؟
أناسٌ بهم عزّتْ قُريشٌ فأصبحوا وفيهم خِباء المَكْرُمات المُطَنّب[9] !

---

١ — بعد أنْ كنا في الجاهلية متفرقين قبائل جئت أنت ، يا رسول الله ، وجمعتنا بالاسلام ، فنحن ندعى اليوم مسلمين (والخلافة هي من أجل ذلك بالاسلام وبالصلة الروحية من محمد لا بصلة الدم) .

٢ و ٣ يقول الكميت : ان الامويين يقولون : ان محمداً رسول الله لم يورث (لم يترك الخلافة ارثاً لأحد). ولو لم تكن الخلافة ارثاً (لبني هاشم) لكانت لجميع القبائل : لبكيل وارحب وعك ولخم ... ولما أصر بنو أمية على الاستبداد بها .

٤ — فاذا كانت الخلافة لا تصلح إلا للذين هي ارث لهم ، فذوو القربى من محمد رسول الله أحق بها .

٥ الموقد النار لغيره والحاطب (الجامع الحطب) بحبله هو (ولكن لغيره) : هو الذي يتعب في سبيل الآخرين . — في هذا البيت وفي الأبيات التالية يثبت (بتشديد الباء) الكميت اولئك الذين يحبون ال البيت ثم لا ينتفعون بهذا الحب بل ينالهم منه أذى ثم يشجعهم الكميت على الاستمرار في حبهم هذا .

٦ أروح وأغدو (أذهب وأجيء) : أقضي أيامي . أترقب : انتظر أن ينالني الأذى في كل ساعة (وأنا مستعد لقبول ذلك راض به) .

٧ جان : مجرم ، مرتكب جناية نزل بها ظلم على قوم آخرين ... المحدث : الذي ارتكب ذنباً لم يسبقه أحد إلى مثله . وكأنما أنا عند الناس جمل أجرب (يكرهونني ويبتعدون عني): يخافون أن تنالهم بسببي نقمة من بني أمية لأنني أحب آل البيت .

٨ — بعض الناس (أشياع الأمويين) يعنفونني (يوبخونني بشدة وقسوة) ويؤنبونني (يلومونني) على تقريظ (مديح آل البيت) ، فأي جرم (ذنب) في ذلك ؟ وما السيرة (السنة ، الطريقة ، العادة) التي تبرر هذا التعنيف والتأنيب ؟

٩ — (ان بني هاشم) هم الذين جعلوا جميع قريش عزيزة (قوية ، محترمة ، محبوبة) بالاسلام حتى أصبح في قريش خباء (خيمة ، قبة : خيمة من جلد كبيرة) المكرمات (المآثر والاعمال الحميدة) المطنب (الثابت . والطنب حبل تشد به الخيمة) ، كناية عن رسوخ الملك في قريش . — الملك ثبت في قريش من اتصالهم بالاسلام وبالخلافة من محمد رسول الله ، وليس من نسبهم وصلتهم بعبد مناف أو أمية !

٤ — القصائد الهاشميّات (هوروفيتس) ، ليدن ١٩٠٤ م .
الهاشميّات (اعتنى بتصحيحها محمد شاكر الخياط ، القاهرة ، بلا تاريخ .
الهاشميّات للكميت بن زيد ، القاهرة (مطبعة الموسوعات الاسلامية) ١٣٢١ هـ .
الهاشميّات للكميت بن زيد ، القاهرة (شركة التمدن الصناعية) ١٣٢٩ هـ.
شرح الهاشميّات بقلم محمّد محمود الرافعي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩١٢ م .

** الكميت بن زيد شاعر العصر المرواني وقصائده الهاشميّات ، تأليف عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٤٣ م (؟)
الكميت بن زيد الاسدي شاعر الشيعة السياسي ، تأليف أحمد صلاح نجا ، بيروت ١٩٥٧ م .
الاغاني (طبعة الساسي) ١٥ : ١٠٨ — ١٢٤ ، أعيان الشيعة ؛
مجلة العرفان (صيداء) ٧ : ٢٧٩ ؛ بروكلمان ١ : ٦١ ، الملحق ١ : ٩٦ — ٩٧ ؛ زيدان ١ : ٣١٤ — ٣١٦ .

يزيد بن الطَّثْرية

١ — هو أبو المكشوح يزيدُ بن الصِمّة القُشيري من بني عامر بن صعصعة ؛ والطَثْريّة (بفتح الثاء وبسكونها) أمّه لأنها من بني طَثْر وهم حيّ من اليمن ، من عرب الجنوب . وكان يزيد بن الطَّثْرية جميلَ الوجه وافرَ الشعْر حلو الحديث حسن التحديث للنساء ، فكان يُلقّب مُودّقاً[1] لافتتان النساء به وبحديثه . وكان يزيد بن الطَّثْرية مع ذلك كله شريفاً سخيّاً شجاعاً صاحبَ نجدة وحربٍ كاملَ الأدبِ وافرَ المُروءة ، أتلف مالَه في وجوه الكرم حتى لَزِمَهُ الدينُ وحُبِس به .

في الكامل (ص ٣٣٣ — ٣٣٤) :

كان يزيدُ بن الطَثْريّة غَزِلاً (يحبّ محادثةَ النساء) ، وكان أخوه ثورٌ ذا

١ راجع غ ٨ : ١٥٦ والحاشية ٥ .

مالٌ . فكان يزيدُ يأتي إلى العطّار (بائع العطر) فيقول (له) : ادْهُنّي دَهْنَةً بناقة من إبِلِ ثورٍ ، فيفعل (العطّار) ذلك .... فاذا كَثُرَ عليه الدينُ هرب فتبَدّى (أقامَ في البادية زمناً) . فاذا ذَكَر حُوشيّة بنت أبي فُديك ابن قرّة بن حنظلة – وكان يشبّب بها – قَدِمَ واقتطع من إبِلِ أخيه ما يسدّد به دينَه . وفي ذلك يقول :

قَضى غُرمائي حبُّ أسماءَ بعدَ ما تَخَوّنَني ظُلْمٌ لهم وفجورُ .
فذلك دأبي ما حَيِيتُ ، وما مشى لِثَوْرٍ على ظهرِ الفَلاة بعير !

(فشكا ثورٌ أخاه يزيدَ إلى الوالي فأمر الوالي بحلق رأس يزيد ، وكانت ليزيد جُمّةٌ حسنةٌ ، فقال يزيد) :

أقولُ لثورٍ ، وهو يَحلِقُ لِمّتي بعقفاءَ مردود عليها نصابُها[1] :
تَرَفّقْ بها ، يا ثورُ ، ليس ثوابُها بهذا ؛ ولكنْ عند ربّي ثوابها .
ألا ربّما ، يا ثورُ ، فرّق بَيْنَها أناملُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضابها[2] !

وليزيد بن الطثرية مُغامرات غزَلية في سبيل نِسْوة كثيرات منهن وَحْشية الجَرْمية وأسماء الجعفرية ونساء أُخَرُ لم يذكر صاحب الاغانيّ أسماءهن ، مع أنهم ذكروا أن يزيدَ كان حَصوراً[3] .

وقُتِل يزيدُ بن الطثرية يوم الفَلَج ، في اليمامة من شرقيّ بلاد العرب ، وهو يومٌ انتصر فيه بنو عامر – قومُ يزيدَ – على بني حَنيفة ، ويزيد يومذاك صاحب الراية . وكان يوم الفلج في النصف الثاني من سنة ١٢٦ ﻫ (٧٤٤ م) .

٢ – يزيد بن الطثرية شاعر غَزِلٌ مطبوعٌ فصيح عفيف اللفظ .

٣ – المختار من شعره :

– قال يزيد بن الطثرية في الغزل والنسيب ، وهذه القطعة من اختيارات أبي تمّام في ديوان الحماسة :

---

١ يقصد المقص .
٢ فرق بينهـا : فرق بعض شعري عن بعضـه . أنامل : أصابع رخصات (لينة) حديث (جديد) خضابها (صباغها بالحناء) . – كم مر على شعري من أيدي النساء الجميلات تحبباً وغزلا !
٣ الحصور الذي لا يأتي النساء عفة أو عجزاً .

عُقَيْلِيَّةٌ أما مَلاثُ إزارِها ... فدِعْصٌ، وأما خَصْرُها فبَتيلُ[1]؛
تَقَيَّظ أكنافَ الحِمى، ويُظِلُّها ... بنَعْمانَ من وادي الأراك مَقيلُ[2].
أليسَ قليلاً نظرةٌ إن نظرْتُها ... إليك؟ وكلاّ، ليس منك قليلُ[3].
فيا خُلّةَ النفسِ التي ليس دونها ... لنا مِن أخلاّءِ الصفاء خليل[4]،
ويا من كتمنا حبّه لم يُطِعْ به ... عَدَوٌ ولم يُؤمن عليه دَخيل،
أما مِن مَقامٍ—أشتكي غُرْبةَ النَوى ... وخوفَ العِدى فيه اليك—سبيلُ؟
فَديتُكِ، أعدائي كثيرٌ، وشُقّتي ... بعيد، وأشياعي لديك قليل.
وكنتُ إذا ما جِئتُ جئت بعِلّة، ... فأفْنَيْتُ عِلاّتي فكيف أقول؟
فما كلَّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ، ... ولا كلَّ يومٍ لي اليك رسول.
صحائفُ عندي للعتاب طويتُها ... ستُنْشَر يوماً والعِتاب طويل.
فلا تَحْمِلِي ذنبي وأنت ضعيفةٌ، ... فحملُ دمي يومَ الحساب ثقيل!

— وله بيتان وصفا بأنهما مُغْنِجان:

بنفسيَ مَن لو مَرّ بَرْدُ بَنانِهِ ... على كَبِدي كانت شِفاءً أناملُهْ،
ومَنْ هابني في كلّ شيء وهِبْته، ... فلا هُوَ يُعطيني ولا أنا سائله!

— ومن أحسن الغزل العفيف قوله:

حَنَنْتَ إلى ريّا، ونفسُك باعدتْ ... مَزارَك من ريّا—وشعباكما مَعَا[5].
فما حَسَنٌ أن تأتيَ الامرَ طائعاً ... وتَجزَعَ إنْ داعي الصَبابة أسمعا.
قِفا ودِّعا نجداً ومن حلّ بالحِمى؛ ... وقلّ لِنَجْدٍ عندنا أن يُوَدَّعا.
ولمّا رأيتُ البِشْرَ أعرَضَ دونَنا، ... وحالت بَناتُ الشوق يُحْسَبْن نُزّعا[6]،

---

١ عقيلية : من بني عقيل . ملاث ازارها : محل عقد الازار من وسط الجسم (العجز والكفل) . الدعص : التلة من الرمل (كناية عن عظم كفلها) . بتيل : دقيق .

٢ تقيظ = تتقيظ : تقضي القيظ (الصيف) ، وتنام بعد كل ظهر (في الصيف) في وادي الاراك (كناية عن التنعم) . ٣ ليس منك شيء قليل (كل شيء تنعمين به كثير في نظرنا) .

٤ الخلة : الخليلة ، الصديقة . ليس لنا خليل غيرها .

٥ — لا تستطيع أن تلتقي بريا مع ان قومك وقومها يسكنان في مكان واحد .

٦ البشر : جبل في نجد . اعرض : ظهر منتصباً . حالت (أقبلت) بنات الشوق (الهموم) يحسبن (كأنهن) نزعا (نياق مسرعات !) .

بكتْ عينيَ اليُمنى ، فلمّا زَجَرْتَهـا عن الجهلِ بعد الشَيْبِ أسبلتا معا .
وليستْ عَشِيّاتُ الحِمى برواجـعٍ عليك ، ولكن خلِّ عَيْنَيْك تَدْمَعا !
وأذْكُرُ أيّامَ الحِمى ثم أنثـني على كَبِدي من خَشْيةٍ أن تَقَطّعا!

٤ — ** الاغاني ٨ : ١٥٤ — ١٨٤ ؛ زيدان ١ : ٣٤٠ — ٣٤١ .

يزيد بن ضَبة الثقفيّ

١ — هو يزيد بن مِقْسَم ؛ وضبّة اسم أمّه غلبتْ على نسبهِ فعُرِفَ بها دون أبيه . وسبب ذلك أن مقسماً مات وترك ابنَه يزيدَ صغيراً ، فكانت ضبّة تَحْضُن أولاد المُغيرة بن شُعبة الثَقَفي في الطائف ثم كانت تحضن أولادَ ابنهِ عُروةَ بنِ المغيرة ، وهكذا أصبحت نسبة يزيد بن مِقسم : يزيد بن ضبّة الثقفيّ .

ويزيد بن ضبّة هذا مولىً ، ولعلّ أباه مقسماً — لا أمّه ضبّه — لم يكن عربيّاً . ولعلّ يزيد هذا كان غير عربي من جهة أبيه وأمّه معاً . ولقد كان ولاؤه في ثقيف لبني مالك بن حُطيط ثم لبني عامر بن يَسار .

انتقل يزيد بن ضبّة من الطائف إلى الشام ثم اتّصل بالوليد بن يزيد وصَحِبَه مُنْذُ أيام أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان (١٠١ — ١٠٥ هـ) ، ولم يكن يفارقه .

فلمّا أفْضَتِ الخلافةُ إلى هشام بن عبد الملك ، سنة ١٠٥ هـ (٧٢٤ م) ، وَفَدَ يزيدُ بنَ ضبّة عليه مهنّئاً بالخلافة وأراد أن ينشده قصيدة يمدحه بها . فلم يقبل هشامٌ منه وقال له : « عليك بالوليدِ فامْدَحْهُ وأنْشِدْهُ » . ثم أمر هشامٌ باخراج يزيدَ بن ضبّة من حضرته .

علم الوليد بذلك فبعث إلى يزيدَ بن ضبّة بخمسمائة دينار وأشار عليه بأن يترك الشام ويعودَ إلى الطائف ويعيش فيها على أموال له (للوليد) ، خوفاً من أن يذكره هشام مرّة ثم يأمر بسجنه أو قتله . وقد بَقِيَ يزيد بن ضبّة في الطائف مدّة خلافة هشام كلّها (١٠٥ — ١٢٥ هـ) .

ولمّا مات هشام وبُويِعَ الوليدُ بن يزيد بالخلافة ، سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣م) ، أقبل يزيد بن ضبّة من الطائف إلى الشام فقرّبه الوليد وأحسن اليه .

غير أن الوليدَ بن يزيد لم يَعِشْ في الخِلافةِ إلاّ نحوَ ثلاثة أشهر [١] ، ولا نعلم شيئاً من حال يزيد بن ضبّة بعد ذلك . ولكن بما أن يزيد بن ضبّة كان شاعراً قديماً في بني أميّة عرف عبد الملك وعرف أول الخلفاء [٢] معاوية ، كما نلمح في قصيدته التي قالها بعد حادثته مع هشام ، فان من المحتمل ألاّ تكون الحياة قد امتدّت به إلى ما بعد سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ – ٧٤٨ م) .

٢ – يزيد بن ضبّة الثقفي شاعر مولّد وُجداني فصيحُ الالفاظ سهل التراكيب ، قال الاصفهاني (غ ٧ : ١٠٣) : « كان يزيد بن ضبّة مولى ثقيف ، ولكنّه كان فصيحاً ... وكان يطلب القوافي المُعْتاصة والحُوشيّ من الشعر [٣] » . فاذا نحن تأمّلنا شعر يزيد بن ضبّة وجدنا أن شعره في الطَّرْد بدوي كثير الغريب ، وهذا راجع إلى طبيعة الطرديّات (القصائد التي تصف الصيد خاصة وأنواع الحيوان عامّة) . أما شعره الوجداني في المديح والعتاب والغزل فهو شعر فصيح سهل . ويزيد بن ضبّة شاعر مُكثر مُطيل ، روى الاصفهاني (٧ : ١٠٣) فقال : « قال يزيد بن ضبّة ألف قصيدة ، فاقتسمتها شعراء العرب [٤] وانتحلتها فدخلت في أشعارها » . وهذا يدلّ على ان الكثْرة من قصائد يزيد بن ضبّة كانت بدويّة الاسلوب غريبة الألفاظ . ومما يَلْفِتُ النظرَ في قصائد يزيد بن ضبّة التي وصلت الينا أنّها من بحورٍ قِصارٍ مُطربة ، ثم هي تحمل طابعاً مُحْدَثاً يجعلها كثيرة الشبه بالشعر العبّاسي .

٣ – المختار من شعره :

– لمّا أمر هشامُ بن عبد الملك بإخراج يزيدَ بن ضبّة من حَضْرته ، عادَ

١ راجع ترجمة يزيد بن الوليد ، فوق ، ص ٦٩٢ .

٢ راجع الاغاني ٧ : ٩٦ ، البيتين ١٦ – ١٧ ؛ ثم راجع المختار من القصيدة «أرى سلمى تصد وماصددنا» مع شرح البيتين المذكورين : وكان أبوك ... كذلك أول الخلفاء ....

٣ القوافي المعتاصة : القوافي التي يتكلفها الشاعر لغرابتها فلا يكاد القارئ أن يهتدي لمعناها في مكانها من البيت. الحوشي : الغامض من الكلام .

٤ شعراء البدو .

يزيدُ بن ضبّة إلى الطائف عَمَلاً بنصيحةِ الوليد بن يزيد . وفي الطائف قال يزيدُ بن ضبّةَ قصيدةً فيها نسيب وفخر وتعريض بهشام بن عبد الملك :

أرى سَلْمى تَصُدّ وما صَدَدْنا ، وغَيْرَ صُدودِها كنّا أرَدْنا [١] .
لقد بَخِلَتْ بنائِلِها علينا ، ولو جادتْ بنائِلِها حَمِدْنا [٢] .
وقد ضَنّتْ بما وعدَتْ ، وأمْسَتْ تَغَيّرَ عهدُها عمّا عَهِدْنا .
ولو عَلِمَتْ بما لاقَيْتُ سلمى فتُخْبِرَني وتعلمَ ما وَجَدْنا [٣] .
تُلِمّ على تَنائي الدارِ منّا فيُسْهِرُنا الخَيالُ إذا رَقَدْنا [٤] .
ألَمْ تَرَ أنّنا لمّا وَلِينا أموراً خُرِّقَتْ فوَهَتْ سَدَدْنا [٥] .
رأيْنا الفَتْقَ حين وَهَى عليهم ، وكم من مِثْله صَدْعٍ رَفَأْنا [٦] !
إذا هاب الكريهة من يَلِيها ، وأعظمَها الهيوبُ ، لها عمدنا [٧] .
وجَبّارٍ تَرَكْناهُ كَليلاً ، وقائدَ فِتْنَةٍ باغٍ أزَلْنا [٨] .
فلا تَنْسَوْا مَواطِنَنا ، فإنّا إذا ما عاد أهلُ الجُرْمِ عُدْنا .
وما هِيضَتْ مَكاسِرُ من جَبَرْنا، ولا جُبِرَتْ مُصيبةُ مَنْ هَدَدْنا [٩] .

---

١ تصد : تعرض ، تبعد . وغير صدودها كنا أردنا : كنا ننتظر منها غير صدودها (قربها ووصالها) .

٢ النائل : العطاء (والمقصود هنا : الوصال) .

٣ ولم تعرف سلمى ما أصابنا (من المصائب بعد فراقها) فليتها تخبرني بما حدث لها وليتها تسمع مني ما حدث لي. وجد : لقي . ووجد : أحب . عظم حبه .

٤ تلم : تزور زيارة خفيفة . تنائي الدار : بعد دارنا عن دارها . — أنا أقضي معظم الليل سهران من حبي لها ومن حزني لبعدها عني . فاذا اتفق أن نمت زارني خيالها (في المنام) فأكون كأني سهران .

٥ لما ولينا : لما تولينا الحكم (لما حكمنا ، أو لما حكم الذين هم أهل عصبيتنا) والدولة كثيرة الخروق (من الثورات والاضطراب والعجز المالي الخ) حتى وهت (ضعف أمرها وكادت تزول) سددنا (تلك الخروق: أصلحنا ما كان قد فسد) .

٦ — اتسع الفتق (الخرق ، الفساد) فعجزوا هم عن اصلاحه فأصلحناه ، نحن ؛ وكم كنا قد رفأنا (رتينا ، أصلحنا) صدعاً (شقاً ، انشقاقا ، نزاعاً بين أهل الدولة) مثل هذا من قبل .

٧ — إذا خاف الذي يلي الكريهة (يكون قائداً لخوض الحرب) وأعظمها الهيوب(وفزع الخائف من الاقدام عليها)، عمدنا نحن لها (قصدناها) .

٨ كليل : ضعيف ، عاجز . تركناه كليلا : حاربناه حتى فقد قواه . وأزلنا (قضينا على ، قتلنا) صاحب ثورة باغ (ظالم) .

٩ هيض العظم : انكسر . جبر العظم : رد المكسور منه إلى موضعه وشفاه . — من نصرناه نحن لم يستطع أحد أن يغلبه ، ومن غلبناه لم يستطع أحد أن ينصره .

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي هِشاماً ، فما مِنّا البَلاءُ ، وما بَعُدْنا [1] .
وما كُنّا إلى الخلفاء نُفْضي ، ولا كنّا نُؤخَّرُ ان شَهِدْنا [2] .
ألَمْ يَكُ بالبلاءِ لنا جزاءٌ فنُجزى بالمَحاسنِ ، أم حُسِدنا [3] ؟
وقد كان الملوكُ يَرَوْنَ حقّاً لوافِدِنا فنُكْرَمُ إنْ وَفَدنا [4] .
وَلِينا الناسَ أزماناً طِوالاً وسُسْناهم ودُسْناهم وقُدْنا [5] .
وكانَ أبوكَ قد أسْدى إلَيْنا جَسيمةَ أمرِهِ ، وبِهِ سَعِدنا [6] .
كذلك أولُ الخُلَفاءِ كانوا بنا جَدّوا كما بهمُ جَدَدْنا [7] .
همُ آباؤنا ، وهُمُ بَنونا : لنا جُبلوا كما لَهُمُ جُبِلنا [8] .
ونَكوي بالعَداوةِ مَن بَغانا ، ونُسْعِدُ بالمَوَدّة مَنْ وَدِدْنا [9] .
نرى حَقّاً لسائِلِنا علينا فنَحْبوه ، ونُجزِلُ إنْ وَعَدْنا [10] .
ونَضْمَنُ جارَنا ونراه مِنّا فنَرْفُدُه ، ونُجزِلُ ان رَفَدنا [11] .

---

١ .... ان المصيبة التي نزلت بك ليست منا ، ولكننا ما بعدنا نحن عنها (كانت بسببنا ، أو كنا نحن نتمنى لك مثلها !) .

٢ – لم يكن من عادتنا أن نفضي (؟) إلى الخلفاء : نقصدهم ، نأتي اليهم . ومع ذلك فاننا كنا إذا حضرنا اليهم اتفاقاً اذن (بضم الهمزة وكسر الذال) لنا بالدخول عليهم حالا بلا تأخير .

٣ البلاء : بذل الجهد في الحرب (أو في خدمة الآخرين) . – أما كان الأولى (بك ، يا هشام بن عبد الملك) أن تكافئنا بالاحسان على ما كنا قد أحسنا إلى بني أمية من قبل ، أم انك تحسدنا (ترى أن ما نستحقه من المكافأة كبير جداً ؟)

٤ كان الملوك (الخلفاء الذين كانوا قبلك) يرون أن من حق الوافد (القادم) عليهم منا أن يكرموه .

٥ سسناهم : حكمناهم باللين (حينما كانوا طائعين) ودسناهم : أخضعناهم ، قمعناهم (لما اظهروا العصيان) وقدنا : قدناهم (تقدمناهم ، بالاحسان اليهم) .

٦ – وكان أبوك (عبد الملك بن مروان) قد ألقى الينا (اعتمد علينا) في جسيمة أمره : الخلافة حينما نازعه فيها عبد الله بن الزبير فنصرناه) ثم به سعدنا (نلنا عنده اكراماً) .

٧ أول الخلفاء : الخلفاء الأمويون الأولون . جدوا (نالوا حظاً) بنا وجددنا (نلنا حظاً) بهم .

٨ هم آباؤنا : يعطفون علينا . وهم بنونا : أبناؤنا (نعطف عليهم) . جبلوا لنا : طبعوا على محبتنا . وجبلنا : طبعنا على محبتهم .

٩ بغانا = بغى علينا : ظلمنا ، جار في معاملتنا عن الحق . ود : أحب .

١٠ نحبوه : نعطيه . نجزل : نكثر .

١١ نضمن جارنا : نحميه ، ندافع عنه ، نجعله آمناً مطمئناً في جوارنا . نرفده : نعطيه .

وما نَعْتَدّ دون المجدِ مالاً ، إذا يُغلى بمَكْرُمة أفَدْنا [1] .
وأتْلَدُ مجدِنا أنّا كِرامٌ ، بحَدّ المَشْرَفيّةِ عنه ذُدْنا [2] .

— لمّا وَلِيَ الوليدُ الخلافةَ وَفَدَ عليه يزيدُ بن ضبّة ومدحه بقصيدة سُرّ الوليدَ بها فأمر أن تُعَدّ أبياتُها ويُعْطى على كلّ بيتٍ منها ألفَ درهمٍ . فعُدّتْ أبياتُها فوجِدَتْ خمسين ، فأعطاه الوليدُ عليها خمسين ألفَ درهمٍ ، وهذا مبلغٌ كبير جداً حتّى بالاضافة إلى ما سنرى في العصر العبّاسي . وفي القصيدة نسيب ومديح . والقصيدة مطلعها :

سُلَيْمى تِلْكَ في العِيرِ ، قِفي نُخْبِرْكِ أو سيري [3] .

وبعد أن يَصِفَ يزيدُ بن ضبّة المطايا وصْفاً بَدْوياً جميلاً يقول :

لِتَعْتامَ الوليدَ القَرْ مَ أهلَ الجودِ والخِيرِ [4] ،
كريمٌ يَهَبُ البُزْلَ مع الخُور الجَراجيرِ [5] ،
ويُعْطي الذهبَ الأحمـ ـرَ وزْناً بالقناطيرِ .
بَلَوْناه فأحْمَدْنا هُ في عُسْرٍ ومَيْسور [6] .
إمامٌ يُوضِحَ الحقّ ؛ له نورٌ على نورٍ .

---

١ — لا نعد المال غنيمة بلا مجد . فاذا وجدنامكرمة (عملا كريماً مجيداً) تنال بالمال الكثير وهبنا المال الكثير ونلنا نحن تلك المكرمة .

٢ اتلد : (أقدم) ما في مجدنا أننا أناس كرام (لا يصبرون على ضيم أو ظلم أو أذى) . من أجل ذلك كنا دائماً نذود (ندافع) عنه (عن مجدنا) بحد المشرفية (السيوف) .

٣ — العير : القافلة . سليمى ركبت جملها استعداداً للارتحال . قفي ، يا سليمى ، نخبرك (بحالنا) ، (وإذا لم تشائي أن تتوقفي لتسمعي مني ما أريد أن أخبرك به) فسيري (على بركات الله) .

٤ تعتام : (تزور الزيارة السنوية ، مرة في كل عام) ؛ وفي حاشية الاغاني (٧ : ٩٩) « اعتام : اختار ، اصطفى . يريد : تقصد اليه مختارة له » . القرم : البطل الكريم. الخير (بكسر الخاء) كالخير (بفتح الخاء) .

٥ البزل : جمع بازل : الجمل إذا بزلت نابه (انشقت لثته عن نابه الاخيرة ، وذلك في نحو التاسعة من عمره) ويكون حينئذ في تمام قوته . الخور (بالخاء المضمومة والواو المهملة بلا شدة) جمع خوارة (بالخاء المفتوحة والواو المشددة) : الناقة الغزيرة اللبن ... الجراجر (والجراجير) جمع جرجور (بضم الجيمين): الضخم من الابل (راجع القاموس ١ : ٣٨٨ ، السطر الثاني من أسفل) . والجرجور أيضاً : الابل الكريمة (القاموس ١ : ٣٨٩ ، السطر الثامن) .

٦ بلوناه : اختبرناه ، جربناه .

مَقـــال من أخـــي وُدّ ٍ بحفـظ الصِـــدق مـــاثور [1] .

– طلب الوليدُ بن يزيدَ من يزيدَ بن ضبّة قصيدةً في الغزل ليُغْنّى بها فنظم يزيدُ بن ضبّة المقطوعةَ التالية :

إلى هِنْـــدٍ صَبـــا قلبي ، وهندٌ مِثْلُها يُصبي [2] .
وهِنْـــدٌ غـــادةٌ غَيْـــدا ءُ من جُرثومة غُلْب [3] .
ومـــا إن وَجَدَ النـــاسُ مِنَ الأدواءِ كالحُبّ [4] !
لقـــد لَجّ بهـــا الإعـــرا ضُ والهَجْر بلا ذنب [5] ،
ولـمّـــا أقْضِ من هنـــدٍ ومن جاراتِها نَحْبي [6] .

٤ – ** الاغاني ٧ : ٩٤ – ١٠٣ ؛ زيدان ١ : ٣٤٩ .

أبو حمزة الشاري [7]

١ – وُلِدَ أبو حَمْزَةَ المُختارُ [8] بن عَوْفِ بن سُليمانَ بنِ مالكٍ الأزدي

١ كذا البيت في الاغاني (٧ : ٩٩) ولعله :
مقال من أخي صدق بحفظ الود مـأثور ،
بتبديل مكاني « صدق » و « ود » . الود والوداد : الصداقة والمحبة . مأثور : معروف بذلك منذ زمن قديم .

٢ صبا إلى المرأة : حن ، اشتاق . وأصبته المرأة: شاقته(أثارت في نفسه الشوق اليها) ودعته إلى الصبا (اللهو المتعلق بأيام الشباب) .

٣ الغادة : المرأة (الشابة الجميلة) الظاهرة الجمال واللينة . الغيداء : التي لا تزال في أول شبابها فيتثنى جسمها ويتمايل بسهولة . الجرثومة : أصل الشيء (من قبيلة قديمة كريمة الأصل) غلب (جمع أغلب : الاسد) : شجعان .

٤ « إن » زائدة . الأدواء جمع داء .

٥ الاعراض : الصد ، الابتعاد . الهجر : الفراق . بلا ذنب (مني ، وليس لي أنا ذنب ، لم أسيء اليها حتى تعرض عني وتهجرني) .

٦ ولما أقض (« أقض » مجزومة بحرف الجزم « لما ») : إلى الآن لم أتمتع بكل مـا أريـد . النحب : الحاجة.

٧ الشاري : أحد الشراة (بضم الشين) من الخوارج لأن الخوارج شروا (بفتح الراء: باعوا)أنفسهم في سبيل الله .

٨ البيان والتبيين (٢ : ١٢٢) : اسمه يحيى بن المختار ؛ وفي غ (٢٠ : ٩٩) المختار بن عوف الازدي.

السَّليمي [1] في البصرة ، وفيها نشأ ثائراً فتّاكاً وخطيباً بارعاً ثم أخذ بمذهب الإباضية [2] . وكان أبو حمزة يأتي في كل عام إلى مكّة في الموسم فيدعو الناس إلى الخروج على مروانَ بن محمد . وفي سنة ١٢٨ ﻫ (٧٤٦ م) التقى أبو حمزة بعبدِ الله بن يحيى الكِنْدي الشاري ولحق بـه إلى حَضْرَمَوْتَ وبايعه بالخلافة . ثم ان عبد الله بن يحيى أعلن خروجه على مروان بن محمد وتسمّى بطالب الحق وبث أتباعه لقتال ولاة بني أمية ، في منتصف سنة ١٢٩ ﻫ .

وبعد أن استولى طالب الحق على اليمن بعث أبا حمزة الشاريَ إلى الشام لقتال مروان بن محمد ، فمر أبو حمزة بالحجاز فشُغِلَ مُدةً بقتال أهل مكة والمدينة حتى قُتل على مُقْرُبَةٍ من مكة ، في منتصف سنة ١٣٠ ﻫ (٧٤٨ م) .

٢ — قال الجاحظ (البيان والتبيين ٢ : ١٢٢) : « أبو حمزة الخارجي ... أحد نُساكِ الإباضية وخطبائهم » . ويبدو من خطب أبي حمزة أنه كان مُلِمّاً بالتاريخ عارفاً بالفقه ذا بَصَرٍ بالقرآن . وخطبه تشهد له بالبلاغة وقوّة الحجة وبالبراعة في الخطابة وعظم التأثير في السامعين .

٣ — المختار من كلامه :

بلغ أبا حَمْزةَ الشاري أن أهلَ المدينة يَعيبون أصحابهَ (أتباعه) بأنهم شُبّان صِغارُ السِن ، فخطب فيهم خطبة طويلة. قال في آخرها :

.... شَبابٌ ، والله ، مُكْتَهِلون في شَبابِهم ، غَضيضة عن الشر أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرْجُلُهم ، أنضاءُ عِبادةٍ وأطلاحُ سَهَرٍ [3] . ينظر الله اليهم في جَوْفِ الليل مُنْحَنِيَةً أصلابُهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدُهم بآيةٍ من ذِكر الجَنّةِ بكى شوقاً اليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شَهِقَ شَهْقة

---

١ نسبة إلى سليمة على وزن « سفينة » .

٢ الاباضية : فرقة من الخوارج أتباع عبد الله بن اباض (بكسر الهمزة) ، وهم معتدلون في آرائهم الدينية والسياسية يتمسكون بالقرآن وبالسنة . ويقولون ان الله يغفر الصغائر من الذنوب ولا يغفر الكبائر . وهم يخالفون أهل السنة والجماعة في أشياء يسيرة كقولهم بأن عثمان وعلياً قد خالفا نهج رسول الله وأن القرآن كلام الله المخلوق الخ .

٣ النضو (بكسر النون) : المهزول ، النحيف من التعب والمشقة . الطلح (بكسر الطاء) : المتعب .

كأنّ زفيرَ جهنّمَ بين أذُنَيْه . موصولٌ كَلالُهم [1] بكَلالِهم : كَلالُ الليل بكلال النهارِ . قد أكلتِ الأرضُ رُكَبَهم وأيْديَهُمْ وأنوفَهم وجِباهَهم ، واستقلّوا ذلك في جَنْبِ الله . حتّى إذا رأوا السِهامَ قد فُوِّقَتْ ، والرماحَ قد أُشْرِعَتْ ، والسيوفَ قد انتُضِيَتْ ، ورَعَدَتِ الكتيبة بصواعق الموت وبَرَقَتْ ، استخفّوا بوعيد الكتيبة لوعدِ الله ، ومضى الشابّ منهم قُدُماً حتى اختلفتْ رِجلاه على عُنُقِ فرَسه ، وتَخَضّبتْ بالدماء محاسنُ وجهه فأسرعتْ اليه سِباعُ الارض ، وانْحَطّتْ عليه طيرُ السماء . فكم من عينٍ في مِنقارِ طائرٍ طالما بَكى صاحبُها في جوف الليل من خَوْفِ الله ، وكم من كَفٍّ زالت عن مِعْصَمِها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله .

عروة بن أُذَيْنة

١ — هو أبو عامرٍ عُروةُ بن يحيى بن مالك بن الحارث من بني الليث (الشعر والشعراء ٣٦٧) ولذلك يقال له الليثي (الكامل ١١٠) ، من بني كِنانة . وأذينة لقب والدِه يحيى .

كان عروة بن أُذَيْنَةَ من أهل المدينة ، وقد سمع الحديثَ من عبد الله بن عمرو بن الخطّاب (توفي ٦٣ هـ) . ولعلّ هذا يجعل مولدَ عُروةَ بن أذينة نحو عام ٤٠ هـ (٦٦٠ م) أو بعد ذلك بقليل .

وعُروة بن أذينة معدودٌ في الفقهاء والمُحَدِّثين (غ ٢١ : ١٦٢) ، ثم هو من أعيان العلماء وكِبار الصالحين (وفيات ١ : ٣٧٧) ، وهو شيخ مالكِ بن أنَسٍ (الكامل ١١٠) . وعن عروة روى جماعة من العلماء والفقهاء .

وقد زار عروةُ بن أذينة مكّة مراراً . ومع أننا لا نعلم أن عروة قد تكسّب بشعره ، فان ابن قتيبة (ص ٣٦٧ — ٣٦٨) يذكر أن عروة وفد على هشام بن عبد الملك فأنّبه هشام (على وفادته في سبيل التكسّب) فأدرك عروة ذلك ورجع

---

١ الكلال : التعب . كلال الليل موصول بكلال النهار : تعبهم (من العبادة) في الليل موصول بتعبهم (من القتال) في النهار .

من فَوْره « فأتْبَعَهُ هشامٌ جائِزَتَه » .

وتُوُفِّيَ عروة بن أذينة في حدود سنة ١٣٠ ﻫ (٧٤٧ م) ، وقد أسنّ كثيراً .

٢ – عروة بن أذينة شاعر غَزِلٌ مُقَدَّمٌ ، على ما كان عليه من العِفَّة والتقوى . وله غَزَلٌ رقيق ورثاء بارع وحكمة كثيرة .

٣ – المختار من شعره :

– لعروة بن أذينة مقطوعة بارعة في الغزل (غ ٢١ : ١٦٨) اختار أبو تمّام منها أربعة أبيات في حماسته :

إن التي زعمتْ فؤادَك ملّها ... خُلقتْ هواك كما خلقتَ هوىً لهَا .
بيضاءُ باكرها النعيمُ فصاغها ... بلَباقة فأدقّها وأجلّها [١] .
حجبتْ تحيّتَها فقلتُ لصاحبي ، ... ما كان أكثَرَها لنا وأقلّها !
وإذا وجدتُ لها وساوسَ سَلوةٍ ... شفَعَ الضمير إلى الفؤاد فسلّها .

– وله في الفخر والحكمة مع الزهد :

لقد علمتُ – وما الاسرافُ من خُلُقي – ... أن الذي هو رزقي سوف يأتيني .
أسعى له فيُعَنّيني تَطَلّبُهُ ، ... ولو جلست أتاني لا يُعنّيني [٢] .
وان حظّ امرِىءٍ غيري سيبلغه ؛ ... لا بدّ ، لا بدّ أن يَخْتارَه دوني .
لا خيرَ في طمع يُدني لمَنْقَصة ، ... وغُبّرٌ من كَفاف العيش يكفيني [٣] .
لا أركب الأمر تُزْري بي عواقبه ... ولا يُعاب به عِرضي ولا ديني .
كم من فقيرٍ غنيٌّ النفس تَعْرِفه ، ... ومن غنيّ فقيرِ النفس مسكين !
إنّي لأَنْطِقُ في ما كان من أرَبي [٤] ، ... وأُكْثِرُ الصمتَ في ما ليس يَعْنيني .

---

١ أدقها : جعل أعضاء جسمها دقيقة (لطيفة ، حسنة) . أجلها : عظم مكانتها في النفوس .
٢ يعنيني : يتعبني .
٣ غبر : بقايا (أشياء قليلة) .
٤ أربي : حاجتي .

لا أبتغي وصلَ من يبغي مُفارقتي ، ولا ألينُ لمَنْ لا يبتغي ليني .

٤ — ** الاغاني (طبعة الساسي) ٢١ : ١٠٥ — ١١١ ؛ زيدان ١ : ٣٤٨ .

أبو وَجْزة السَعْدي

١ — هو أبو وَجْزَةَ يزيدُ بن عُبيد ، وقيل ابن أبي عبيد [١] ، أصله من بني سُليم بن ضَبيس بن هِلال من بني بُهْثَةَ بن سُليم . غير ان عبيداً (والد ابي وجزة) ، أو أبا عبيد ، كان قد سُبي وهو صغير في الجاهلية فَبِيعَ بسوق المَجاز فابتاعه وُهيب بن خالد بن عامر من بني نصر بن سعد بن بكر بن هَوازن . ونشأ أبو وجزة مع أبيه في بني سعد وكان ولاؤه فيهم فانتسب اليهم فقيل : هو أبو وجزة السعدي .

ويبدو أن موالي عبيد قد عاملوه بالاحسان فلم يفكر بالتحرر . ثم جاء الاسلام — وكان قد اتفق أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مُسْتَرْضَعاً في بني سعد هؤلاء ، أرضعته حليمة بنت أبي ذُؤيب السعدية — فأصبح الولاء في بني سعدٍ والانتساب اليهم في النسب أيضاً شرفاً عظيماً .

وفي أيام عُمرَ بن الخَطّاب (١١ — ٢٣ ﻫ) ضرب عُبيدٌ ناقةً لمولاه فأدمى ضِرعَها فضربه مولاه . وجاء عُبيد إلى عُمرَ يشكو اليه فقال : « يا أمير المؤمنين : أنا رجل من بني سُليم .... أصابني سِباء في الجاهلية .... وأنا معروف النسب . (وقد) أساء إليّ (مولاي) وضرب وجهي . وقد بلغني أنْ لا سباءَ في الاسلام ، ولا رقّ على عربي في الاسلام » . وجاء وُهيب ابن خالد ، مولى عُبيد ، فقال : « يا أمير المؤمنين : هذا غلامٌ ابتَعتُه (في الجاهلية) .... فأساء فضربته ضَربةً ، والله ، ما أعلمني ضربتُه غيرَها قطّ — وإنَ الرجلَ ليَضرِبُ ابنَهُ أشدّ منها ، فكيف بعبدِه — وأنا أُشهِدُكَ على أنه حرّ لِوَجهِ الله تعالى » .

---

١ غ ١٢ : ٢٣٩ ؛ الشعر والشعراء ٤٤٢ . وفي الكامل : أبو وجزة السلمي (بضم السين) المعروف بالسعدي (ص ١٠٦) .

عندئذ قال عمر لعُبيد : « قَدِ امْتَنّ عليك هذا الرجلُ وقطع مَؤونةَ البَيِّنَة (إقامة الدليل) ، فان أحْبَبْتَ فَأقِمْ معَه ، فله عليك مِنّةٌ ، وان أحببت فَالحَقْ بقومكَ » . فآثر عُبيد أن يبقى في بني سعد وقد قال (بعد أمد) : لا أترُكُ قوماً يُكرمونني ويُشرّفونني [1] ، ولا أحبُ أن أرْجِعَ إلى قومي فيُعَيِّرونني في كل يوم بأنني كنت عبداً ثم لا ينادونني إلاّ بقولهم : « يا عبدَ بني سعدٍ » !

فأقام عبيدٌ مع مولاه وُهيبِ بن خالد السعدي ، ثم تزوج زينب بنت عرْفُطَةَ المُزَنيّةَ ، فولدت له يزيد (أبا وجزة) وعبيداً .

اتّصلَ ابو وجزة بعدد من الممدوحين منهم آل الزُبير بن العوّام وبنو الحسن ابن الحسن (مكررة مرتين) بن علي بن أبي طالب ، ومنهم عبد الملك بن يزيد ابن محمد بن عَطيّةَ السّعدي ، ومنهم عمرو بن سهل بن مُكدّم بن عُقيل من بني مُرّة بن مازن بن عوف .

ويبدو أنّ أبا وجزة يزيد بن عُبيد قد أسَنّ كثيراً ، ولكن كيف نَحلّ المشكلةَ الناتجةَ من الروايةِ القائلةِ بأن أبا وجزة قد رأى عُمرَ بن الخطاب — وعمرُ قد قُتِلَ سَنَةَ ٢٣ هـ — إلى جنب روايةِ ابْنِ قُتيبة [2] التي تجعل وفاة أبي وجزة هذا سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ — ٧٤٨ م) ؟ وتتعقد هذه المشكلةُ حينما نجد لأبي وجزة قصيدةً في مديح عبدِ الله بن الحسن بن الحسن المُثنّى [3] بن عليّ بن أبي طالب (غ ١٢ : ٢٤٩) — وعبد الله هذا قد تُوُفّي سَنَةَ ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) .

في الاصابة لابن حجر العسقلانيّ [4] اثْنانِ اسْمُ كل واحدٍ منهما أبو وجزة

---

١ لأن رسول الله قد أرضعته احدى نساء بني سعد (حليمة السعدية) .

٢ الشعر والشعراء ٤٤٢ . — ان ابن قتيبة لا يثبت سنوات الوفيات في العادة . ولعل السنوات القليلة المثبتة في كتابه في ترجمات أبي وجزة السعدي وأبي نواس وأبي العتاهية الخ (ص ٤٤٢ ، ٥٠١ ، ٥١١ الخ) زيادات من النساخ . ثم ان هذه السنوات مثبتة بالارقام والعادة القديمة ان تذكر السنوات بالاحرف . أضف إلى ذلك ان ابن قتيبة لا يهمّ بسنوات الوفيات ، فانه لا ينسق تراجمه نسقاً تاريخياً دقيقاً .

٣ « الحسن » مكررة مرتين .

٤ الاصابة ٧ : ٢١٥ (رقم ١٢١٩) .

السعدي ، الاول منهما جدّ الثاني . وقد كان الأول منهما أيضاً شاعراً مدح خالد بن الوليد في أيام عمر بن الخطاب . وهكذا يبدو ان الرواة أدخلوا حوادث حياة الجَد بحوادث حياة الحفيد . فيبقى عندنا أن أبا وجزة يزيد بن عبيد قد توفي سنة ١٣٠ هـ ، أو قريباً من ذلك ، وأنه روى الحديث عن أبيه [١] . غير أننا نميل إلى أن نؤخّر ولادته قليلاً ثم نقدم وفاته شيئاً يسيراً .

٢ – أبو وَجْزَةَ السّعديّ رجل من التابعين رَوَى الحديثَ عن جماعة من أصحاب رسول الله ، ثم هو شاعر وراجز مُجيد مُطيل مُكثر ، وشعره كثيرُ الغريب أحياناً فصيح الالفاظ أحياناً أخرى . وتراكيبه صحيحة متينة . أمّا فنونه فهي المدح والهجاء والغزل ، وله تَشْبيبٌ بِعجوزٍ . وله شيء من الخمر (الموشح ٢٤٤) .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو وَجْزَةَ لابنِه عُبيدٍ (يتخيل أنه يُحمّلَ شخصاً رِسالةً يُبلّغها إلى عبيد) :

يا راكبَ العَنْسِ كمِرداةِ العَلَمْ — أصلحك اللهُ وأدنى ورَحِمْ [٢] ،
إنْ أنت أبلغتَ وأدّيْتَ الكَلِمْ — عني عُبيدَ بنَ يزيدٍ لو عَلِمْ [٣] –
قد علمَ الأقوامُ انْ سيَنْتَقِمْ — منكَ ومن أمٍّ تَلَقّتْكَ وعَمّ
رَبٌّ يُجازي السيّئاتِ مَنْ ظَلَمْ. — أنذرتُكَ الشدّةَ من لَيْثٍ أضِم [٤]

١ هنالك في رواية أبي وجزة الحديث عن أبيه موضع نظر : كيف يمكن أن يكون عبيد (والد أبي وجزة) من رواة الحديث ثم لا يعلم « أن لا رق في الاسلام » حتى أيام عمرو بن الخطاب وبعد أن يكون مولاه قد أساء اليه ؟

٢ العنس : الناقة الصلبة . المرداة : الصخر الكبير الصلد . العلم : الجبل . – أيها المسافر على هذه الناقة القوية الشديدة (التي تستطيع أن تصل إلى المكان البعيد) . اصلحك الله وأدناك (من المكان الذي تقصده : أوصلك اليه) ورحمك .

٣ لو علم (مغبة ما يفعل. يبدو أن أبا وجزة لم يكن مرتاحاً إلى سلوك ابنه ولا مسروراً بمعاملة امرأتهومعاملة أخيه – عم ابنه) .

٤ « رب » فاعل « سينتقم » (في البيت السابق) . « من » مفعول بـه من « يجازي » (رب يجازي الذين ظلموا بسيئات مثل سيئاتهم) . الشدة (بفتح الشين) : الحملة ، الهجمة ، الوثبة . اضم : غاضب (يقصد أبو وجزة بقوله « من ليث أضم » نفسه) .

عادٍ أبي شِبْلين فَرفارٍ لَحِم .   فَارْجِعْ إلى أمِّكَ تُفْرِشْكَ ونَمْ [1] :
إلى عجوزٍ رأسُهـا مثل الإرَم ،   وَاطْعَمْ فإنَّ الله رَزّاقُ الطُّعَمْ [2] !

— وقال أبو وجزة يمدح عبدَ الملكِ بنَ يزيدَ بنِ محمدِ بنِ عطيةَ السَّعديَّ بقصيدة أولها غزلٌ ونسيب رقيقان :

حَنَّ الفُؤادُ إلى سُعْدى ولم تُثِبِ .   فِيمَ الكثيرُ من التَحْنان والطَرَبِ [3] !
قالت سُعادُ : أرى من شيبهِ عَجَباً ؛   مهلاً ، سعادُ ، فما في الشيب من عجب .
أما تَرَيْني كساني الدهرُ شَيْبَتَهُ ،   فإنَّ ما مَرَّ منه عنك لم يَغِبِ [4] .
سَقْياً لسُعْدى على شيبٍ ألَمَّ بنـا   وقبلَ ذلك : حينَ الرأسُ لم يَشِبِ [5] .
أهدي قِلاصاً عناجيجاً أضَرَّ بها   نَصَّ الوجيف وتقحيمٌ من العُقَبِ [6]
يَقْصِدْنَ سَيِّدَ قيسٍ وابنَ سيدِها   والفارسَ العِدَّ منها غيرَ ذي الكَذِبِ [7] .
مُحَمَّدٌ وأبوه وَابْنُهُ صنعـوا   له صنائعَ من مجدٍ ومن حسب [8] .
إني مدحتُهمُ لمّـا رأيت لهـم   فضلاً على غيرِهم من سائرِ العرب .

---

١ عاد : عدو ظالم . أبو شبلين : له ولدان (وذلك أبو وجزة نفسه) . الفرفار : الذي يفرفر الأشياء (يكسرها ، يحطمها) . لحم : ضار ، أكول للحم . فارجع إلى أمك (تعيش في بيتي وأنا لها كاره) . تفرشك : تجعل لك فراشاً (في بيتي) .

٢ الارم : الحجارة .... ثم كل أيضاً في بيتي ، فان الذي تأكله (في بيتي) هو رزقك من الله الذي يرزق الناس كلهم ما يعيشون به .

٣ لم تثب : لم تنـل ، لم تصل (لم تمنحك ودها) . التحنان والطرب : التشوق والحزن (لقد جربت حبها فلم تنل منها وداً ، فلماذا هذا الاستمرار في الشوق اليها والحزن على ما يفوتك منها ؟) .

٤ .... ان الذي مر بي (أصابني من الدهر) لم يغب عنك (لقد عرفته) .

٥ سقى الله أيامنا مع سعدى ما أحسنها قبل أن أشيب وبعد أن شبت .

٦ أهدي (أدل ، اركب في السفر إلى مكان المحبوبة) قلاصاً (نياقاً) عناجيج (كريمة ، فتية) أضر بها (أهزلها ، جعلها نحيلة لبعد السفر ومشقة الطريق) نص (اجهاد الناقة بالسير) الوجيف : سير الابل (بسرعة) وتقحيم (موالاة السفر بلا راحة) من العقب (جمع عقبة بضم العين : النوبة، المرحلة من السير) . يقول : ان ناقته لا ترتاح بين سفر ليلة وسفر ليلة أخرى ، بل هو يسافر عليها ليلا ونهاراً .

٧ العد (بكسر العين) : الماء الذي لا ينفد . القرن (بكسر القاف) : الشجاع، الكفوء لكل خصم . الكذب : التراجع في المعركة والجبن .

٨ محمد (جد عبد الملك الممدوح) وابوه (عطية : والد جد الممدوح) وابنه (ابن محمد ، أي يزيد : والد الممدوح) . صنائع جمع صنيعة : فعل حميد .

إلاّ تُثِبْني به لا يَجزِني أحدٌ . ومن يُثيبُ إذا ما أنت لم تُثِبِ[1] ؟

— وكان أبو وجزة السعدي أحدَ من شبّب بعجوزٍ[2] :

يا أيّها الرجلُ المُوَكّلُ بالصِبا ، فيمَ ابنُ سبعينَ المُعَمَّرُ من دَدِ[3] !
حتامَ أنتَ مُوَكّلٌ بقديمةٍ أمست تَجَدَّدُ كاليَماني الجيِّدِ[4] .
زان الجلالُ كمالَها ، ورسا بها عَقْلٌ وفاضلةٌ وشيمة سيِّدِ[5]
ضَنّتْ بنائلِها عليكَ ، وأنتما غِرّانِ في طَلَبِ الشبابِ الأغيدِ[6] ،
فالآنَ ترجو أن تُثيبَكَ نائلاً ، هيهاتِ ! نائلُها مكانَ الفَرْقَدِ[7] .

٤ — •• الاغاني ١٢ : ٢٣٨ — ٢٥٢ .

واصل بن عطاء

١ — وُلِدَ أبو حُذيفةَ واصلُ بن عَطاء في المدينة سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) ، وكان مولى لبني ضَبّة أو لبني مخزوم . ثم ان واصلاً هاجر إلى البصرة في مطلع حياته ولَقِيَ هنالك الحسنَ البصري ، والحسن في أواخر عمره . أما سبب الخلاف بينه وبين الحسن البصري فمبسوط في ترجمة الحسن .

١ إذا أنت لم تعطني (على هـذا المدح) لم يجزني أحـد : لم يعطني أحد غيرك (لن أجد أحداً غيرك يستحق المديح) . « ما » في الشطر الثاني زائدة . ورواية بعض الكلمات واردة باختلاف يسير عند ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٢ ٤٤٢) .

٢ غ ١٢ : ٢٤٢ ؛ الشعر والشعراء ٢ ٤٤٢ (من قصيدة يمدح بها بني الزبير بن العوام) .

٣ الموكل بالصبا : المتعلق بالهوى . الدد : اللعب واللهو .

٤ قديمة : امرأة قديمة ، مسنة . تجدد كاليماني الجيد (تجدد لون وجهها حتى تجعله في كل مرة كالنسيج اليماني بألوانه المختلفة !) .

٥ تزين كمالها بجلال (بوقار وهدوء ؛ وليس ذلك من صفات المرأة التي تصلح للغزل) . الفاضلة : الفضيلة .

٦ — بخلت عليك بنائلها (بوصالها) لأنها لا تستطيعه . وانتما غران : أنتما مغروران تطلبان في مثل سنكما (في الشيخوخة) شيئاً يطلبه الناس في الشباب . الاغيد : اللين .

٧ مكان الفرقد : بعيد يستحيل الوصول اليه . الفرقد : اسم على عـدد من النجوم أحدهما « النجم الذي يهتدي النـاس بـه في أسفارهم » (راجع القاموس ١ : ٣٢٣) ، لعله النجم القطبي أو نجـم قريب منه .

ويبدو أن واصلاً كان قد اتّصل بجَهْم بن صَفْوانَ [1] وبشارِ بن بُرْد [2] وصادقهما من غير أن يتأثّر بآرائهما . وكذلك كان قد اتّصل بعمرو بن عُبيد وأصْهر اليه [3] . وألِفَ واصلٌ سوقَ الغَزْل بالبصرة ، وكان يُجالس فيه أبا عبدالله مولى قَطَن الهِلالي [4] ، فلقّب بالغزّال .

وتوفّي واصل سنة ١٣١ هـ (٧٤٨ م) .

٢ — واصل بن عطاء رأسُ المعتزلة الذين يُقدّمون العقل (الأخذ بما يُوجبه العقلُ والمنطق) على النقل (الاخبار من طريق الرواية الدينية) إذا تعارض العقل والنقل . ويقول واصلٌ بأربعِ قواعدَ [5] :

(أ) نَفْيِ الصِفاتِ عن الله (لأننا لو قلنا ان لله صِفةً كالعِلم والارادة والسمع الخ ... لاقتضى أن تكون تلك الصفة قديمةً ، فتشاركَ اللهَ في القِدَمِ ؛ والقِدَمُ أخص صفاتهِ فكأننا نقول حينئذ بقديمين ، أي إلهين .

(ب) القولِ بالقَدَرِ ، أي بقُدْرَةِ الانسانِ على أعماله (إن الانسان مُخَيّرٌ يفعلُ الخيرَ والشرَّ باختيارهِ وارادتهِ) .

(ج) القول بالمنزلةِ بين المنزلتين (إن مرتكب الذنب الكبير ليس مؤمناً حقاً ولا كافراً مطلقاً ، ولكنّه فاسق : بين المؤمن والكافر) .

(د) كان أهلُ السُنّة والجماعة (المسلمون الأولون) يعتقدون أن المسلمين

---

١ جهم بن صفوان (قتل ١٢٨ هـ = ٧٤٦ م) ، كان يقول بالجبر (بأن الانسان مجبر على أعماله) وبخلق القرآن .

٢ بشار بن برد (قتل ١٦٦ أو ١٦٧ أو ١٦٨ هـ=٧٨١ — ٧٨٤ م) ، وكان زنديقاً قليل الاحتفال بأوامر الدين ، وكان يفضل ابليس على آدم لأن ابليس من نار وآدم من تراب ، والنار أفضل (في قول المانوية وقول بعض الفلاسفة) من التراب .

٣ عمرو بن عبيد (ت١٤٤ هـ = ٧٦١ م) من الزهاد المشهورين ومن أتباع واصل بن عطاء؛ وكان واصل قد تزوج أخت عمرو .

٤ الكامل ٥٤٦ ؛ البيان والتبيين ١ : ٣٣ . هنالك من يقول ان واصلا كان غزالا فعلا ، ومنهم من يقول ان واصلا كان يجلس في سوق الغزل لأن اللواتي يعملن في غزل الصوف في بيوتهن يكن من المتعففات المحتاجات ؛ فكان واصل يتصدق عليهن .

٥ راجع فوق (ص ٣٥٦ ، ٦٤٥ — ٦٤٦) ثم الشهرستاني ١ : ٥٧ — ٦٢ .

الذين اقتتلوا في معركة الجَمَل ومعركة صِفّين ليسوا مخطئين لأن كل فريق اجتهد برأيه وعمل باجتهاده فهو مُصيب في ما قصده ولا ذَنْبَ عليه . ولكنّ واصلاً قال : إنّ أحد الفريقين فاسقٌ لا مَحالةَ .

قالوا [1] : « كان واصلُ بنُ عَطاء أحدَ الأعاجيب ، وذلك أنه كان ألْثَغَ قبيحَ اللثْغة في الراء فكان يُخلّص كلامَه من الراء ولا يُفطَنُ لذلك لاقتداره وسهولة ألفاظه .... معَ إطالته الخطب واجتنابه الراء على كثرة تَرْدادها في الكلام حتّى كأنّها ليست فيه .... وممّا يُحكى عنه ، وذَكَرَ بشاراً : « أما لهذا الأعمى المُكْتَنَى بأبي مُعاذ من يقتُله . أما ، واللهِ ، لولا أن الغيلة خُلُقٌ من أخلاق الغالية [2] لبعثتُ اليه من يَبْعَجُ بطنَه على مَضْجَعِه ثم لا يكون (ذلك الذي أبعثه) إلاّ سَدوسيّاً أو عُقَيليّاً [3] » . قال : هذا الاعمى ، ولم يقلْ : بشاراً ولا ابنُ بُرْدٍ ولا الضريرُ ؛ وقال : من أخلاق الغالية ، ولم يقل : من أخلاق المُغيرية ولاَ المَنصورية ؛ وقال : لَبَعَثْتُ اليه ، ولم يقل : لأرسلت اليه ؛ وقال : على مضجعه ، ولم يقلِ : على فِراشه ولا مَرْقَده ؛ وقال : يبعج ، ولم يقل : يَبْقُر .

٣ – المختار من كلامه :

وَلِيَ عبدُ الله بنُ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز الكوفة والبصرة (١٢٦ هـ = ٧٤٤ م) ليزيدَ بنِ الوليد فدخل عليه قوم فيهم شَبيبُ بن شَيبةَ وخالد بن صَفوان والفضل بن عيسى وواصل بن عَطاء ، فخطب شبيبٌ وخالدٌ والفضل ؛ ثم ارتجل واصلٌ خطبة عَرِيّةً من الراء قال فيها :

الحمدُ لله القديمِ بلا غايةٍ ، الباقي بلا نهايةٍ ، الذي علا في دُنُوّه ودنا في عُلُوّه فلا يَحْويه زمانٌ ولا يُحيط به مكانٌ ولا يَؤودُه [4] حِفْظُ ما خَلَقَ ، ولم

١ الكامل ٥٤٧ – ٥٤٨ ؛ راجع الكلام على لثغة واصل بن عطاء بالتفصيل (البيان والتبيين ١ : ١٤ – ١٧ ، ٢١ – ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ – ٣٣ ، ٣٦ ، ٣ : ٣٥٦).

٢ المغيرية والمنصورية من الغالية (من الشيعة المتطرفين كالباطنية) .

٣ كان بشار ينتسب بالولاء إلى بني عقيل ، وينزل في بني سدوس . – يقصد : لأرسلت اليه قريباً له (من قومه وجيرانه) ليقتله .

٤ يؤده : يعجزه .

يَتخَلَّقْه على مِثال سَبَقَ ، بل أنشأه ابتداعاً وعَدَّله اصطناعاً فأحسنَ كلَّ شيء خَلْقَهُ وتَمَّم مَشيئته وأوْضَح حِكْمته فدَلَّ على أُلوهيَّته فسُبحانَه لا مُعَقِّبَ لحُكْمِه ولا دافعَ لقضائه : تَواضَعَ كلُّ شيءٍ لعَظَمته وذلَّ كلُّ شيء لسُلطانِه ووَسِعَ كلَّ شيء فضلُه ؛ لا يَعزُبُ عنه مِثقالُ حبَّةٍ [1] ، وهو السميع العليم ...

عبد الحميد بن يحيى الكاتب

١ — هو أبو غالبٍ عبدُ الحميد بنُ يحيى بنِ سعد ، وكان جدُّه سعدٌ مولى العَلاء بن وَهْبٍ العامري من بني عامر بن لُؤيٍّ بن غالب ؛ وكان يُعْرَفُ بعبد الحميد الأكبر [٢] تمييزاً له من عبد الحميد الاصغر الذي كان كاتباً لسليمان ابن عبد الملك [٣] .

ولعلَّ مَوْلدَ عبدِ الحميد بن يحيى كان في سنة ٦٠ هـ (٦٨٠ م) في مدينة الأنبار على نهر الفُرات ثم انتقل به أهلُه إلى الرَّقَّة ، وكانت نشأتُه في الشام . ومن الواضح أن عبد الحميد لم يكن عربياً ، بل كان مولَّداً : فارسيّاً أو آراميّاً .

وتكسَّب عبد الحميد بن يحيى في أول أمره بتعليم الصبيان . ثمَّ انَّه تعلَّم صِناعة الكتابة على خَتَنِه (صِهره ، زوج اخته) أبي العلاء سالم بن عبد الله مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه [٤] .

وفي العِقد الفريد [٥] أن عبد الحميد بن يحيى كَتَبَ ليزيدَ بن عبد الملك (١٠١ — ١٠٥ هـ) . ثم ان عبد الحميد اتَّصل بمروان بن محمَّد بن مروان في أثناء وِلاية

---

١ لا معقب لحكمه : لا راد له . يعزب عنه : يغرب ، يغيب ، يفوته علم ذلك . مثقال : مقدار ، وزن .

٢ البيان والتبيين ١ : ٢٠٨ ؛ العقد ٤ : ٢١٨ ، ٢٢٤ ؛ غير أن بروكلمان (الملحق ١ : ١٠٥) يجعل عبد الحميد بن يحيى هذا « عبد الحميد الاصغر » .

٣ العقد ٤ : ٢١٩ .

٤ الفهرست ١١٧ .

٥ العقد ٤ : ٢١٩ .

مروانَ بن محمّد على أرمينية وآذربيجان (١١٤ — ١٢٦ ﻫ) وكتب له وأحسن خدمته . فلمّا انتقلتِ الخلافةُ إلى مروان بن محمّد في أوائل ١٢٧ ﻫ (أواخر ٧٤٤ م) انتقل معه عبد الحميد من أرمينية إلى دِمَشْقَ وأصبح الكاتب الأول (رئيس ديوان الانشاء) في الخلافة الأمويّة .

لمّا انتصرتِ الدعوةُ العبّاسية كان عبد الحميد بن يحيى في من قُتِلَ من أشياع بني مروان ؛ وكان مقتله مَعَ مروان بن محمّد ، في الاغلب ، في بوصير من أرض الفيوم بمصر ، في ٢٦ من ذي الحِجّة ١٣٢ ﻫ (٥—٨—٧٥٠ م) .

٢ — يبدو أن ثقافة عبد الحميد بن يحيى في العلوم الاسلامية والعلوم العربية كانت واسعةً ، ولا نستطيع أن نَتجزِمَ بمقدارِ ما كان يَعْرِفُه من الفارسية والأرمنية مثلاً . لمّا نَقَلَ صالحُ بن عبد الرحمن ديوان العراق من الفارسية إلى العربية[١] « كان عبد الحميد بن يحيى يقول : لله دَرّ صالحٍ ما أعظمَ مِنّتَه على الكتّاب » (الفهرست ٢٤٢) .

وعبد الحميد بن يحيى كاتب مترسّل جعل من الترسّل فنّاً قائماً بنفسه له قواعدُه وأصوله ، وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الرسائل[٢] وأطالها ... وعنه أخذ المترسّلون ولطريقته لَزِموا ، وهو الذي سهّل سبل البلاغة في الترسّل (الفهرست ١١٧) ثم جعل من الكتابة الديوانية صِناعة من الصناعات . ورسائل عبد الحميد كثيرة تبلغ نحو ألف ورقة (٢٠,٠٠٠ سطر) منها الرسائل القِصار جداً والرسائل الطِوال جداً ؛ وبعضها في أغراض غير ديوانية بَحْتٍ .

قال أبو هلال العسكري (توفي ٣٩٥ ﻫ = ١٠٠٥ م) : « وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلةَ الكتابة الّتي رسمها من اللسان الفارسي فحوّلها إلى اللسان العربي »[٣] . ويتابع أبو هلال العسكري كلامه فيقول : « ويدلك على ذلك

---

١ راجع ، فوق ، ص ٣٥٢ .

٢ في بدء كل مقطع من مقاطع الرسالة الواحدة .

٣ ديوان المعاني (عنيت بنشره مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٢ ﻫ) ص ٢ : ٨٩ ؛ راجع أيضاً كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ١٣٧١ ﻫ = ١٩٥٢م) ص ٦٩ .

أيضاً أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم **هي على نَمَط خطب العرب ورسائلها** ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنىً وصيغة(؟)، وربّما كان اللفظ الفارسي في بعضها **أفصحَ** من اللفظ العربي .... »

وبين الدارسين العرب وغير العرب خلاف على الأصل الذي اشتقّ منه عبدُ الحميد بن يحيى **أسلوبَه** [1] .

لا خلافَ في أن العرب قد نقلوا عدداً من كتب الفرس في السياسة وآداب السلوك ، من أجل ذلك نجد عدداً كبيراً من **المعاني** في السياسة والسلوك وغيرهما في كتابات العرب وأشعارهم منذ الجاهلية أيضاً معروفة مألوفة في الأدب العربي ، ولكن ما **صلة أسلوب عبد الحميد** بالاسلوب الفَهلوي ؟

لا يمنعُ مانعٌ من أن يكونَ أسلوبُ عبدِ الحميد الكاتبِ في ترسّله قد **تأثر** بشيء من الاسلوب الفَهلويّ في الخصائص اللفظية . غير أننا اليومَ لا نستطيع الجزمَ في مَدى ذلك الأثرِ ، ما لم يَقُمْ علماءُ اللغة الفَهلوية من المُستعربين ويستخرجوا من النصوص الفهلوية الباقيةِ خصائصَ **الاسلوبِ الفهلوي** في العهدِ الساسانيّ ثم يُوازنوا بينها وبين أسلوبِ عبد الحميد . على أن مثل هذا الجُهْدِ لن يكونَ كبيرَ الجَدْوى في ما أرى . قال الجاحظ [2] : « ونحنُ لا نستطيعُ أن نعلمَ أن الرسائل التي بأيدي الناسِ للفرسِ ، أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمةٌ غير مولّدة ، إذْ كان مثلُ ابنِ المقفّع وسهل بن هرون وأبي عبيدَ الله وعبدِ الحميد وغَيْلانَ يستطيعون أن يُولّدوا مثل هذه الرسائل ويصنعوا مثل تلك السيَرِ » .

ثم ان هذا الاسلوبَ الانيقَ القائمَ في الدرجة الأولى على الموازنة [3] وعلى التكرار في المواضع التي يَحتاج فيها القارئُ إلى التكرار لإدراك مقاصدها واستيعاب معانيها وما يتّصل بذلك من الجِناس والطِباق معروف لدى العرب

---

١ في كتاب « تطور الأساليب النثرية » للأستاذ أنيس المقدسي (الطبعة الأولى ١ : ١٥٦ – ١٥٩) كلام على خصائص عبد الحميد ومختارات من رسائله .

٢ البيان والتبيين ٣ : ٢٩ . « أنها » زائدة . ابو عبيد الله الكاتب وغيلان الدمشقي القدري (البيان والتبيين ١ : ٢٩٥) .

٣ الموازنة في البلاغة بناء جمل من كلمات تتقارب في العدد وفي الصيغ .

منذ الجاهلية قبل أن يتّصل العرب بالفرس اتّصالاً يُطْلِعهم على الاساليب الأدبية في اللغة الفهلوية . ثم إنّ في القرآن الكريم نماذجَ كِثاراً من ذلك . وخُطَبُ العرب ورسائلهم قبل عبد الحميد كلّها مُمَهِّدة إلى ذلك **الإغراق والتكلّف اللذين قَصَدَ عبدُ الحميد اليهما في رسائله .**

في عام ١٩٤١ تقدّم مُحمّد مُحَمّدي إلى الجامعة الاميركية في بيروت برسالة (أطروحة) لنيل درجة أستاذ في الأدب موضوعها : « النظم الإدارية الساسانية في دولة الخلفاء الراشدين وما ظهر لها من أثر في الأدب العربي »[1] . في هذه الرسالة جُهْدٌ أبداه صاحبُه في جمعِ الشواهد على تأثر العرب بألوانِ الحياة الفارسية ، وخصوصاً من المصادر العربية . أن محمّد محمّدي قد مسّ الاسلوبَ الفهلويّ والاسلوبَ العربي مسّاً رفيقاً جداً (ص ٤٥ ، ٨٩) ثم قال (ص ١٢٢) : « إن الكتبَ والرسائلَ الفارسية كانت تفرّغ في العصر الساساني في قالب فنّي وسبك صناعيّ مقرّر . وكان الكتّاب يُعْنَوْنَ بذلك عِناية بالغة ، وكان يظهر فيها الميْل إلى الصنايع البلاغية والمحاسن اللفظية بحيث كانت تُعَدّ من القطع الأدبية وتتجلّى فيها الظرافة والجمال » . ويشير محمّد محمّدي ، في أثناء ذلك ، إلى كتاب كريستنسن[2] « ايران في عهد الساسانيين » . غير أن المصادر الفهلوية الباقية لنا ، على ما ذكره كريستنسن (ص ٣٧ — ٦٠) ، لا تفي بشيء من الموازنة التي نحن بسبيلها .

فإلى أن يقومَ عالم بالأدب الفهلوي والأدب العربي ثم يجد نصوصاً فهلويةً صالحة لمثل هذه الموازنة **يظلّ عبدُ الحميد الكاتب صاحبَ فنِّ الترسّل الذي شُهِرَ به** ، استخرجه من الأساليب العربية السابقة على زمانه مع الإيغال في الصناعة المعنوية ثم الصناعة اللفظية خاصّة .

وكان لعبد الحميد الكاتب شيء يسير من الشعر ، قال الجاحظ[3] : « وكان

---

١ رسالة غير مطبوعة في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ، رقمها T 37 A .

٢ ايران في عهد الساسانيين ، ألفه بالفرنسية أرثر كريستنسن ، ترجمه يحيى الخشاب وراجعه عبد الوهاب عزام (نشرت هذا الكتاب وزارة التربية والتعليم — الادارة العامة ، قسم الترجمة) ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٧ م :

L'Iran sous les Sassanides, par Arthur Christensen, 2 ème éd. Copenhague (Munkesgaard) 1944 .

٣ البيان والتبيين ١ : ٢٠٨ .

عبد الحميدِ الأكبرُ وابن المقفع ، مع بلاغة أقلامهما وألْسِنَتِهما ، لا يستطيعان من الشعر إلاّ ما لا يُذْكَرُ مثلُه » (لانحطاطه عن مُستوى الجَوْدة) . على أن ابن قُتَيْبة [1] روى لعبد الحميد أبياتاً من الرَجَز .

٣ – المختار من رسائله :

– لعبد الحميد بن يحيى الكاتبِ تحميدٌ كَتَبَ به بعدَ أحد الفتوح (الانتصارات) . وهذا تحميدٌ مشهور يُسمَع بعضُه أحياناً في مُقدمة خُطبة يوم الجُمُعة :

الحمدُ لله العليِّ مكانُه ، المنيرِ برهانُهُ ، العزيزِ سلطانُه ، الثابتةِ كلماتُه ، الشافيةِ آياتُه ، الذي قَدرَ على خلقه بمُلْكه ، وعزّ في سماواته بعظمته ، ودبّرَ الأمورَ بعِلمه ، وقدّرها بحُكمِه على ما يشاء من عَزْمه ، مُبْتَدِعاً لها بإنشائه إياها وقدرته عليها واستصغار عظمها .... لا تجري إلاّ على تَقْديره ، ولا تنتهي إلاّ على تأجيله ، ولا تَقَعُ إلاّ على سَبْقٍ مِنْ حَتْمِه ، كلّ ذلك بلُطفه وقُدرته وتصريفِ وَحْيه ، لا مَعْدِلَ لها عنه ولا سبيلَ لها غيرُه ، ولا يَعْلَمُ أحدٌ بخفاياها ومَعادها إلاّ هو ، فإنه يقول في كتابه الصادق [2] : « وعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلاّ هو ، ويَعْلَمُ ما في البَرِّ والبَحْرِ ؛ وما تَسْقُطُ من وَرَقَةٍ إلاّ يَعْلَمُها ، ولا حبّةٍ في ظُلُماتِ الأرضِ ولا رَطْبٍ ولا يابسٍ إلاّ في كتابٍ مُبين » .

– في سنة ١٠٦ وسنة ١١٥ وسنة ١١٦ هـ (٧٢٤ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ م) وَقَعَ في الشام طواعينُ . ويبدو أن هشامَ بن عبد الملك أراد أن يكتبَ إلى الوُلاة ، في إحدى هذه السنوات ، ما يُطَمْئِنُهُمْ ويَزْجُرُ الرعيةَ عن الإرجاف والفِتَن ، فكتب عبد الحميد بن يحيى إلى يوسفَ بنِ عُمَرَ بنِ محمد بن الحكم الثقفي والي اليمن (١٠٦ – ١٢٠ هـ) رسالةً جاء فيها :

.... فان أمير المؤمنين كتب إليك ، وهو في نِعَمِ الله عليه وبلائه عنده في وَلَده وأهل لُحْمَته [3] ، والخاصّ من أموره والعامّ ، والجنودِ والقواصي

---

١ الشعر والشعراء ٥٥٣ .

٢ القرآن الكريم – سورة الانعام (٦ : ٥٩) .

٣ أهل لحمته : أقاربه .

والثغور والدَّهْماء [1] من المسلمين ، على ما لم يزل وَلِيّ النِعَم يتَولاّه من أمير المؤمنين حافظاً له فيه ، مُكرماً له بالحياطة لِما ألْهمَهُ اللهُ فيه من أمر رَعِيّته على أعظم وأحسنِ وأكملِ ما كان يَحوطُه فيه ويَذُبّ له عنه [2] . والله محمودٌ مشكور اليه فيه مرغوب .

وأحبّ أميرُ المؤمنين – بسرورك به – أن يكتبَ اليك بذلك لتَحمَدَ اللهَ عليه وتَشكُرَهُ به ، فان الشكرَ من الله بأحسنِ المواضع وأعظمِ المنازل ؛ فازْدَدْ منه تَزْدَدْ بـه ، وحافظْ عليه تُحفَظ به ، وارْغَبْ فيه يَمهْدِ إليك مَزيدَ الخيرِ ونفائسَ المواهب وبقاءَ النِعَم . **فاقرَأْ على مَنْ قِبلَكَ كتابَ أميرِ المؤمنين لِيُسَرّ به جُنْدُك ورعيّتك ومَنْ حَمّلَه اللهُ النِعَمَ بأميرِ المؤمنين** ليَحمَدوا ربّهم على ما رزق اللهُ عبادَه من سلامة أميرِ المؤمنين في بَدنِه ، ورأفتهِ بهم واعتنائهِ بأمورهم ، فإن زيادةَ اللهِ تعلو شُكرَ الشاكرين . والسلام !

– رسالة موجزة في التوصية بصاحب حاجة :

« حق مُوصِلِ كتابي إليك كحقه عليّ ، إذْ جعَلَكَ موضعاً لأمله ورآني أهلاً لحاجته . وقد أنجزتُ حاجتَه فصَدِّقْ أمَلَه » .

– رسالة موجزة في الرد على عامل أهدى إلى مروان عبداً أسودَ :

« لو وجدتّ لوناً شراً من السواد وعدَداً أقلّ من الواحد لأهديتَـه ، والسلام » .

– رسالة مطولة جداً ، بل هي أطول رسائله ، كتبها إلى أبي مسلم الخراساني لما اتسعت دعوةُ بني العبّاس . قيل ان الرسالة حُمِلَتْ على جملٍ لطولها (المقصود أن الرسالة طويلة جداً وليس معنى ذلك انه كتبت على ورقٍ مقدارِ حمل جمل) .

وتقول الرواية إنّ أبا مُسْلمٍ أحرق هذه الرسالةَ لما وصلت اليه ، ولم يُعْرَفْ منها بعد ذلك إلاّ الجملة التالية :

---

[1] القواصي جمع قاصية : البعيدون عن حضرة الخليفة عن العاصمة . الثغور جمع ثغر : أطراف البلاد ، المواضع التي يخشى منها مجيء العدو ، طلائع الجند التي تحمي الحدود . الدهماء : جماعة الناس ، السواد الاعظم .

[2] يذب عنهم : يدفع عنهم ، يحميهم .

« ... إذا أراد اللهُ إهلاكَ نَمْلة أنبتَ لها جناحين ... »

– رسالة مطولة [1] في نصيحة ولي العهد عبدِ الله بن مروان بن محمد – وكان على الجزيرة – لما خرَجَ الضحّاكُ بن قيسٍ الشَيْباني على الامويين ١٢٧ – ١٢٨هـ = ٧٤٤ – ٧٤٥ م) :

« أمّا بعدُ ، فإن أميرَ المؤمنين عندما اعتزمَ عليه من توجيهكَ إلى عدوِ الله الجِلْفِ الجافي ... أحبّ أن يَعْهَدَ ... عهداً يُحمِّلُك فيه أدبَه ويَشْرَعُ لك عِظَتَه ، وان كنتَ – والحمدُ للهِ – من دينِ الله وخلافته بحيث اصطنعك لِولاية العهدِ ...

« اعلمْ أن للحكمة مَسالكَ تُفضي مَضايقُ أوائلها ... إلى سَعَةِ عاقبتها ... وقد تَلَقَّتْكَ أخلاقُ الحِكمة من كل جهة بفضْلِها من غير تعبِ البحثِ في إدراكِها ...

« واعلم أن كل أعدائك لك عدوٌ يُحاولُ هَلَكتَك ويعترض غَفْلَتَك لأنها خِدَعُ إبليسَ وحبائلُ مكرِه ومَصائدُ مَكيدتِه فاحذرْها مُجانباً ... وجاهِدْها إذا تناصرتْ عليك بعزمٍ صادقٍ لا وِنْيَةَ فيه ، وحَزْمٍ نافذٍ لا مَثْنَوِيَّةَ لرأيك بعد إصدارِه عليكَ ، وصِدْقٍ غالبٍ لا مَطْمَعَ في تكذيبه ... فاجتلبْ لنفسكَ محمودَ الذكر وباقيَ لِسانِ الصِدْقِ بالحذر لِمَا تَقَدَّمَ فيه أميرُ المؤمنين ...

– رسالة إلى الكُتّاب – هذه رسالة تخرج عن معنى الرسائل الإدارية ، إنها في الحقيقة « موضوعٌ في رسالة » أو هي أساسٌ لكتابٍ يُؤَلَّف في آداب الكتابة وقواعدها . وفي هذه الرسالة فكرة اجتماعية جديدة في تاريخ العرب وتاريخ غير العرب أيضاً ، فان عبد الحميد نظر إلى « كُتّاب الدواوين » على انهم هيئة منظّمة ونِقابة محدودة . فأوصى بعضَ الكُتّاب ببعضٍ وحثّ الاقوياءَ منهم وذوي الجَدّ واليَسار على مُساعدة الفقراء ومن عجَزَ عن متابعة صِناعته :

« أما بعدُ ، حَفِظَكُمُ اللهُ ، يا أهلَ صناعة الكِتابة ... فان الله عزّ وجلّ جعل الناسَ بعدَ الأنبياء والمرسلين ، صَلَواتُ الله وسَلامُه عليهم أجمعينَ ،

[1] صبح الأعشى ١ : ١٩٥ – ٢٣٣ ، رسائل البلغاء (الطبعة الثانية) ١٣٩ – ١٦٤ .

ومن بعد الملائكة المُقَرَّبين أصنافاً – وإنّ كانوا في الحقيقة سَواءً – وصرَّفهم في صنوف الصناعات وضُروب المُحاولات إلى أسباب مَعاشِهم وأبواب رِزقهم. فجعلكم – معشرَ الكُتّاب – في أشرف الجِهات، أهلَ الادب والمُروءات. بِكُم تنتظم للخلافةِ محاسنُها وتستقيم أمورُها ... فموقِعكم من الملوك مَوْقعُ أسماعِهِمُ التي بها يسمعون وأبصارِهم التي بها يُبْصِرون، وألسِنَتِهِمُ التي بها يَنْطِقون وأيديهمُ التي بها يَبْطشون ...

فتنافسوا – يا معشرَ الكُتّاب – في صُنوف الآداب وتفقّهوا في الدينِ وابدأوا بعلمِ كتاب الله عزّ وجلّ، ثم العربيةِ فانها ثِقافُ ألسنتكم. ثم أجيدوا الخَطّ فإنه حِلْيَةُ كُتُبكم، وارْوُوا الاشعارَ واعْرِفوا غريبها ومعانِيَها وايامَ العربِ والعَجَمِ وأحاديثَها وسِيَرَها، فإن ذلك مُعينٌ لكم على ما تسمو اليه هِمَمُكُم. ولا تُضيعوا النظرَ في الحِساب فانه قِوام كتابِ الخَراج. وارغبوا بأنفُسِكم عن المطامع سَنِيِّها ودَنِيِّها ... ونَزِّهوا صناعتكم عن الدّناءة واربأوا بأنفسِكم عن السِّعاية والنّميمة.

« وتحابّوا في اللهِ عزّ وجلّ في صناعتكم وتَواصَوا عليها بالذي هو أليَقُ لأهلِ الفضل والعدل والنُبْل من سَلَفِكم. وإن نبا الزمانُ برَجُلٍ مِنكُم فاعْطِفوا عليه وواسوه حتى تَرْجِعَ اليه حالُه ... وإن أقْعَدَ أحداً مِنْكُمُ الكِبَرُ عن مَكْسَبِهِ ولِقاء إخوانه فزوروه وعظِّموه وشاوِروه واستظهروا بفضل تجرِبَتِهِ وقديم مَعْرِفته. ولْيَكُنِ الرجلُ منكم على مَنِ اصْطَنَعَهُ واسْتَظْهَرَ بِه ليومِ حاجتهِ اليهِ أحوطَ منه على وَلَدِهِ وأخيه، فإنْ عَرَضَت في الشُّغْل مَحْمَدة فلا يَصْرِفْها إلاّ إلى صاحبه، وإن عرضت مَذَمّةٌ فَلْيَحْمِلْها هو مِنْ دونِه ... »

٤ – رسائل عبد الحميد بن يحيى (الشيخ طاهر الجزائري ومحمّد كرد علي) رسائل عبد الحميد الكاتب، تونس ١٣١٨ هـ.

•• رسائل البلغاء (عني بجمعها محمّد كرد علي)، مصر (دار الكتب العربية الكبرى لمصطفى البابي الحلبي) ١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م.

جمهرة رسائل العرب ٢ : ٤٣٢ – ٤٣٨، ٤٧٣ – ٥٥٦ ؛ عبد الحميد

الكاتب لخليل مردم (م م ع ع ، المجلّد الأول ، ١٩٣٦ م ، ص ٣٩٥ — ٤٠١) ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٠٥ ؛
Enc. Isl. (new ed.) I 65 — 66 .
زيدان ١ : ٣٥٥ — ٣٥٦ .

البعيث المجاشعي [١]

١ — هو أبو مالكٍ أو أبو يزيدَ خُداشُ بنُ بِشْرِ بن خالد من بني مُجاشع ابن تميم ؛ وأمّه أصفهانية (وقيل من سِجستان) يقال لها مَرْوة أو وردة (وقيل بل كانت تسمّى فَرْتنا ، كما ورد في شعر جرير ؛ ولكن من المحتمل أن يكون جرير قد كنّى بفرتنا — في مَعْرِضِ هجائه للبعيث — عن المرأة الفاجرة ، وتلك كناية معروفة في القاموس) ، ولذلك كان يُقال له : ابن حمراء العِجان .

وكان البعيثُ من أهل البصرة دخل في الهجاء بين الشعراء وهاجى جريراً مدةً طويلة وأعانه الفرزدق (الكامل ١٦) . وقد توفي في البصرة نحو سنة ١٣٤ هـ (٧٥١ م) في الاغلب بعد أن أسَنّ .

٢ — ذكر الجاحظ [٢] أن الكميتَ والبعيثَ والطِرِمّاح كانوا شُعراءَ خُطباءَ ، وكان البعيثُ أخطبَهم ؛ أما في الشعر فعدّه ابن سَلاّم [٣] رأسَ الطبقة الثانية من الاسلاميّين (بعد جرير والفرزدق والاخطل) ، ووصفه بأنه فاخرُ الكلام حُرّ اللفظ . وأكثر شعر البعيث الهجاء .

٣ — المختار من شعره :

— ومن البارع الفصيحِ في بخل المعشوق قولُ البعيثِ (ديوان المعاني ١ : ٢٧٧) :

---

١ تمييزاً له من البعيث الهاشمي (راجع الامالي ١ : ١٩٩) .
٢ البيان والتبيين ١ : ٤٥ ، ٢٠٤ ، ٣٧٤ ، ٣ : ١١ ، ٤ ، ٨٤ .
٣ طبقات الشعراء ١٢١ .

أزارتْكَ لَيْلى والنجومُ خواضعُ ... وقد بَهَرَ الليلَ النجومُ الطوالعُ ،
فأعْطَتْكَ آياتِ المُنى ، غيرَ أنها ... كواذبُ – إن حَصَّلْتَها – وخوادع !
على حين ضمَّ الليلُ من كلِّ جانبٍ ... جناحَيْه ، وانقَضَّتْ نجومُ ضواجعُ [1] .
وأعْجلَها عن زَوْرةٍ لم أفُزْ بها ... من الصبحِ حادٍ يُزْعِجُ الليلَ ساطع .

– وقال البعيثُ يهجو جريراً :

إذا أيْسَرَتْ مِعْزى عَطِيّةَ وارْتَعَتْ ... تِلاعاً من المَرْوتِ أحْوى جَميمُها [2] ،
تَعَرَّضْتَ لي حتى صَكَكْتُكَ صكّةً ... على الوجه يكبو لليدين أميمُها [3] .
ألَيْسَتْ كُلَيْبٌ ألأمَ الناسِ كلِّهم ؟ ... وأنت – إذا عُدَّتْ كُلَيبٌ – لَئيمها ؟

– وله أيضاً في هجاء جرير :

كُلَيبٌ لئامَ الناسِ ، قد يعلمونها ، ... وأنت – إذا عدّت – كُليب لئيمها .
أترجو كُليبٌ أن يَجيءَ حديثُها ... بخيرٍ ، وقد أعيا كُليباً قديمها !

– جاء في البيان والتبيين (١ : ٢٠٤) : قال البَعيثُ الشاعرُ وكان أخطبَ الناس : إنّي ، واللهِ ، ما أرسلُ الكلامَ قضيباً خشيباً ، وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا بالبائتِ المُحَكَّكِ [4] .

٤ – ** . Enc. Isl. (new ed.) I 951 – 2.

خالد بن صَفوانَ

١ – هو أبو صَفوانَ خالدُ بنُ صَفوانَ بنِ عبد الله بن عمرو بن الأهتم

١ الضواجع جمع ضاجع : النجم المائل الى المغيب . – صار آخر الليل .
٢ الجميم : العشب . الاحوى : الاصفر اليابس . المروت : أرض لا يجف ثراها (لأنها مستنقع) ولا ينبت مرعاها (بما يكفي لأن تَرعاه الماشية) . التلاع : مساقط الماء . عطية : والد جرير . – يقول الشاعر عن معزى أهل جرير أنها أبداً جائعة وأن جريراً وأهله مهتمون دائماً بالبحث عن مراع لها . فاذا رعت هذه المعزى عشباً قليلا يابساً وشعر جرير بشيء من الراحة والفراغ تعرض لي (بدأ يهجوني) . ٣ صك : ضرب . كبا الفرس : سقط على وجهه . الاميم : الذي أصيب رأسه بشق .
٤ قضيباً : مقتضباً (ناقصاً) . خشيباً : فجاً لم يصقل . يوم الحفل : يوم اجتماع الناس . البائت : الذي بات صاحبه يجيل الرأي فيه . المحكك : المنقح ، المهذب .

المِنْقَري التميميّ ؛ ولعلّ أصلَ آلِ الأهتم قومِ خالد من الحِيرة ، كانوا أُشابةً (أخلاطاً) من الروم فدخلوا في بني مِنْقر (الكامل ٦٤٩) . كان خالد ابن صفوان رجلاً من أهل البصرة معتدلَ القامة أسودَ . ولمّا تقدّمت به السن صَلِعَ وشَمِطَ ثم كُفّ بصرُه . وكذلك كانَ غَنيّاً ولكن شديدُ البخل . وكان مِطْلاقاً مِزواجاً يحبّ أن يتبدّلَ امرأةً مكانَ امرأةٍ باستمرار .

وَفَدَ خالدُ بن صفوان على عُمَرَ بنِ عبد العزيز فسأله عمرُ أن يَعِظَه فوعظه عِظَةً بكى عمر منها بُكاء شديداً . ووَفَدَ أيضاً على هشام بن عبد الملك أميراً وخليفةً . وقد كانت بينَه وبين بِلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري أميرِ البصرة وقاضيها (توفي ١٢٠ هـ) عداوةٌ ، وكان خالد قد كفّ بصره ، فعذّبه بلالٌ عذاباً شديداً (الكامل ٢٥٣ ، ٦٤٩) .

وأدرك خالد بن صفوان السَفّاحَ العبّاسي وجالسه ثم توفّي سنة ١٣٥ هـ (٧٥٣ م) قبل السفاح بنحو سنة .

٢ — كان خالد بن صفوان خطيباً مُفَوّهاً وفصيحاً بليغاً صاحبَ بديهةٍ ، ولكنّه كان يَلْحَنُ أحياناً فلازم مسجد البصرة حتّى تعلّم الإعراب (الكامل ٢٥٣) . وكان خالد بن صفوان معاصراً لشَبيب بن شَيْبة ومُنافساً له ، وهما أجود الناس خُطباً ، وكان خالد أسنّ من شبيب [1] . وكذلك كان خالد راوية للأخبار بارعاً . وقد جُمِعَ كلام خالد بن صفوان في كتب [2] كانت متداولة في أيام الجاحظ [3] . ويَرْوي المبرّد (الكامل ٢٥٤) أن خالد بن صفوان لم يكن يقول الشعر ، بينما ذكره ابن النديم في الذين وضع العلماء كتباً في أشعارهم [4] ؛ وروى له الجاحظ (البيان والتبيين ١ : ٣٢) أحدَ عَشَرَ بيتاً من الشعر .

٣ — المختار من كلامه :

— إني عاهدتّ اللهَ عزّ وجلّ ألاّ أخلُوا بملك إلاّ ذكّرتُه اللهَ عزّ وجلّ.

---

١ البيان والتبيين ١ : ٤٧ ، ٣١٧ ؛ غ ١٨ : ١٧٣ .
٢ الفهرست ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ١٢٥ .
٣ البيان والتبيين ١ : ٣٤٠ .
٤ الفهرست ١٠٤ ، السطر ٤ ، راجع ص ٣ .

– ان جعلكَ الأميرُ أخاً فاجعلْهُ سيّداً ، ولا يُحْدِثَنَّ لك الاستئناسُ بـه غَفْلَةً عنه ولا تَهاوناً .

– إنَّ أولى الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلاً مَنْ ظَلَمَ مَنْ هو دونه .

– لا تطلُبوا الحاجاتِ في غير حينها ، ولا تطلبوها إلى غير أهلها ، ولا تطلبوا ما لستم له بأهلٍ فتكونوا للمنع أهلاً .

– سأل هشامُ بن عبد الملك خالد بن صفوان عن الاخطل والفرزدق وجرير ، فقال خالد[1] :

أما أعظمُهم فخراً وأبعدهم ذِكْراً وأحسنهم عُذْراً وأسيرهم مَثَلاً وأقلّهم غزلاً وأحلاهم عِللاً ، الطامي إذا زَخَرَ[2] والحامي إذا زأر والسامي إذا خَطَرَ ؛ الذي إن قدر قال ، وإن خَطَرَ صال ، الفصيح اللسان الطويل العِنان فالفرزدق .

وأما أحسنُهم نَعْتاً وأمدحهم بيتاً وأقلّهم فَوْتاً ، الذي ان هجا وضع وإن مدح رفع فالاخطل .

وأما أغزرهم بَحْراً وأرقّهم شِعراً وأهتكهم لعدوّه سِتراً ، الأغرّ الابلَقُ الذي إن طَلَب لم يُسْبَق وإن طُلب لم يُلْحق فجرير .

وكلهم ذكي الفؤاد رفيع العِماد واري الزِناد !

---

١ غ ٨ : ٨١ .

٢ أبعدهم ذكراً : أشهرهم . أحسنهم عذراً : عتاباً (؟) . وأسيرهم مثلا : أكثرهم أمثالا (حكمة) تسير على الألسن وتنتشر بين الناس . أحلاهم عللا : .... الطامي : (البحر أو النهر على الأصح) ، الطامي أي الكثير الماء الذي يغمر كل شيء . زخر : مد ، علا ، هاج وتدافعت مياهه .

٢ الحامي : المحامي ، المدافع (بالفخر أو بالهجاء) . إذا زأر : إذا غضب ورفع صوته (كالاسد) . السامي : المرتفع ، العالي (المنتصر) . خطر (الفحل) : ضرب بذنبه يميناً وشمالا (كناية عن النشاط والبطر) . ولعلها حضر : عدا (الفرس ، كناية عن الجري والسباق والمنافسة) . هدر : صوت من غير شقشقة (هياج يخرج به الريق إلى الشفتين) ، والملموح أن الذي يهدر هو الذي يكثر الصياح من غير قدرة على الفعل المنتج . قال : أحسن القول وأفصح واجاد الكلام (راجع القاموس ٤ : ٤٢) – إن هدره (أقل كلامه وضوحاً) كلام واضح جيد (بالاضافة إلى كلام غيره) .

— قال خالد بن صفوان لرجل يصف له رجلاً :

ليس له صديق في السر ولا عدوّ في العلانية .

— قال خالد بن صفوان (الموشح ٢٣٢) :

فإنْ صورةٌ راقتْكَ فاخبُرْ فربَّما أمرَّ مَذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ !

٤ — معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١ : ٢٤ — ٣٥ ؛ بروكلمان ١ : ٥٧ — ٥٨ ، الملحق ١ : ٩٣ ، ١٠٥ .

أبو العباس الأعمى المكي

١ — هو أبو العبّاس الأعمى ، واسمُه السائبُ بن فرّوخ مَوْلى بني جُذيمة ابن عَدِي بن الدِيل بن بكر بن عبد مَناة من بني عبد شمس ؛ أصله من آذربيجان ، ومولده ومنشأه في المدينة . ثم انه انتقل إلى مَكّةَ فكان لا يُفارقها حتّى نفاه عبدُ الله بن الزبير إلى الطائف .

وكان أبو العبّاس الاعمى من شعراء بني أُميّةَ شديدَ التعصّبِ لهم منحرفاً عن حبّ آل البيت انحرافاً قبيحاً وخصيماً لآلِ الزُبير غيرَ مُصْعَبٍ لأنّ مُصعباً كان يُحْسِنُ إليه ، ولمّا مات مُصعبٌ، سنة ٧٢ هـ (٦٩١ م) ، رثاه أبو العبّاس الأعمى .

وكان بنو أميّة يرْسلون جوائزَهم وعطاياهم إلى أبي العبّاس الأعمى في مَكّة ، وكذلك كان سائر القرشيين يَبُرّونه بالعطايا خوفاً من لِسانه . ولم يدخلْ أبو العبّاس الأعمى في الهجاء القَبَلي الذي كان مُستطيلاً في أيّامه ، ولكنّه هجا البَعيثَ هجاء شخصياً لأن البعيثَ كان سَؤولاً مُلْحِفاً قبيحَ الاقتضاء (قليل الذوق في طلب العطاء) . وقد هجا أيضاً عُمَرَ بن أبي ربيعة لأنّ عمرَ

---

٣ خطر الفحل (راجع الحاشية السابقة) . خطر (الرجل) بسيفه أو رمحه : رفعه (في الهواء) مرة ووضعه (خفضه) مرة أخرى . وخطر الرجل في مشيته (بكسر الميم) : رفع يديه ووضعهما (مرة بعد مرة) ، كناية عن تهديد الخصم . صال : سطا واستطال (تغلب) . العنان : سير (من جلد) تمسك به الدابة . طويل العنان : (الطويل النفس ، الذي يظل يجيد القول مهما طال كلامه) .

كان يحاولُ الوصولَ إلى جاريةٍ له .

وأبو العبّاس الأعمى من أهْلِ الحديث روى عن نَفَرٍ من الصّحابة منهم عبدُ الله بن عمرو بن العاص (معجم الأدباء ١١ : ١٧٩) ومنهم عبدُ الله بن عُمَرَ[١] بن الخطّاب ، كما روى عنه جماعة . ثم روى له أصحاب الصِحاح الستّة[٢] .

وأدرك أبو العبّاسِ الأعمى خِلافةَ المنصورِ العبّاسيّ[٣] ، ولعلّ وفاتَه كانت قُبيل ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) .

٢ — أبو العبّاس الأعمى المكّيّ شاعرٌ سهلُ الشعرِ عَذْب القول وعلى شعره دِيباجة مُحْدَثة . وأكثر شعره المديحُ والرثاء ، وله هجاء كثيرٌ في آل الزبير خاصّةً ، وفي عمرو بن الزبير بن العوّام على الأخصّ ، ولم يَهْجُ مصعبَ ابن الزبير . والوصف في شعره قليل .

٣ — المختار من شعره :

— قال أبو العبّاس الاعمى يَصِفُ مُنافقاً (البيان والتبيين ١ : ٢١٨) :

إذا وَصَفَ الاسلامَ أحْسَنَ وصفَه بفيه ، ويأبى قلبُهُ ويُهاجِرُهْ[٤] .
وإن قام قال الحقّ ما دام قائماً ؛ تَقِيّ اللسانِ كافرٌ ، بعدُ ، سائره[٥] .

— وقال في مدح بني أميّة ، في أيام مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويّين (الاغاني — طبعة الساسي — ١٥ : ٥٧) :

---

١ غ (طبعة الساسي) ١٥ : ٥٧ ، السطر ١٦ .

٢ أصحاب كتب الحديث الستة (وهي الكتب الصحاح الستة) هم : البخاري ومسلم والترمذي (بكسر التاء والميم) وابو داوود والنسائي (بفتح النون) وابن ماجة . ومن كتب الحديث الموثوقة أيضاً موطأ الإمام مالك بن أنس .

٣ راجع غ ١٥ : ٥٧ ، السطرين الخامس والسادس من أسفل .

٤ يهاجره : يهجره ، يبتعد عنه (يقول فيه قولا قبيحاً) .

٥ ما دام قائماً (على المنبر) ؛ ما دام بين الناس .... ثم هو يداري المسلمين بلسانه ، وكل شيء فيه بعد ذلك (كل أعماله) دال على الكفر .

لَيْتَ شِعري أفاحَ رائحةُ المِـ ـسك ؟ وما إنْ إخالُ بالخَيْف نفسي [1].
حين غابتْ بنو أميّةَ عنه والبهاليلُ من بني عبد شمس [2] ،
خُطَباءٌ على المَنابِرِ فُرسا نٌ عليها ، وقالَةٌ غير خُرْس [3] .
لا يُعابون صامتينَ ؛ وان قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْس [4] .
بحُلومٍ إذا الحلوم تَقَضّتْ ، ووجوهٍ مثلَ الدنانيرِ مُلْسِ [5] .

— وقال يهجو آل الزبير :

بني أسد ، لا تذكروا الفخرَ ، إنكم متى تذكُروه تَكْذِبوا وتُحَمَّقوا .
متى تُسألوا فَضْلاً تَضِنّوا وتَبْخَلوا ، ونيرانكم بالشّرّ فيها تَحَرّق [6] .
إذا استبقت يوماً قريشٌ خرَجْتُمُ ، بني أسدٍ ، سُكتاً وذو المجد يَسْبِقُ [7] .
تَجيئون خَلْفَ القومِ سوداً وُجوهُكُمْ إذا ما قريشٌ للأضاميمِ أصفقوا [8] .
وما ذاكَ إلاّ أنّ لِلُّؤمِ طابَعاً يلوحُ عليكم وَسْمُه ليس يَخْلَق [9] .

٤ — ** الاغاني (طبعة الساسي) ١٥ : ٥٦ — ٦١ .

---

١ ... المعنى الملموح : كيف تفوح رائحة المسك (كيف يكون للملك أبهة) وأنا لست في الخيف من منى (أحد مناسك الحج) .
٢ .... وكذلك ليس المالكين في الحجاز بنو أمية . البهلول : السيد الجامع لكل خير .
٣ قالة جمع قائل وقؤول : اللسن الحسن القول .
٤ اللبس : الغموض .
٥ إذا الحلوم (العقول) تقضت : فقدت من الناس . وجه أملس : ناضر .
٦ نيرانكم (حميتكم) تتحرق (تتقد) بالشر فقط لا بالخير .
٧ استبق القوم : خرجوا يتسابقون . السكت هي الخيل التي تأتي في آخر الحلبة .
٨ الاضاميم : جماعات الخيل التي تخرج للسباق . أصفقوا : أطبقوا . — إذا جاء قريش كلهم سابقين أمام جميع الخيل .
٩ الوسم : العلامة . يخلق : يمحي ، يتقادم عهده .

عدد من أعلام الاشخاص ورد في المقدّمة ولم يدخل في الفهرس العام

٧ — ٧ — ١٩٦٥

فهرس أبجدي لأعلام الاشخاص وللمدارك الأدبية

ب

ح

خ

ز

س

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

هـ

كتب ودراسات أخر

تاريخ الأدب العربي : الأدب القديم	
(منذ مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية)	١٤٠٠
تاريخ الأدب العربي : الأدب المحدث	
(منذ مطلع العصر العبّاسي إلى سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩م)	١٢٠٠
تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون	١٢٠٠
الفكر العربي في منهاج البكالوريا	٨٠٠
تاريخ الجاهلية	٤٠٠
الشابيّ شاعر الحبّ والحياة	٣٥٠
القومية الفصحى	٣٠٠
التبشير والاستعمار في البلاد العربية (الطبعة الثالثة)	٣٠٠
الأسرة في الشرع الإسلامي	٤٠٠
عبقرية العرب في العلم والفلسفة	٣٠٠
وثبة المغرب	٥٠٠
أبو تمّام : دراسة تحليلية	٣٥٠
أبو نواس	١٥٠
أبو العلاء المعرّي	٢٠٠
حكيم المعرّة	٢٠٠
العرب والفلسفة اليونانية	٢٥٠
شاعران معاصران : ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابيّ	٣٠٠
العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط (ط ٢)	٣٠٠
العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط	٤٠٠

* * *

(الكتب الثلاثة التالية موضوعة حسب المنهاج الرسمي اللبناني)

المنهاج الجديد في الأدب العربي ، الجزء الأول (للسنة الأولى الثانوية ــ الخامسة قديماً) ٥٤٠
المنهاج الجديد في الأدب العربي ، الجزء الثاني (للسنة الثانية الثانوية ــ السادسة قديماً ، صف البكالوريا .

تحت الطبع

كتب منقولة عن اللغة الانكليزية

أصدقاء لا سادة

السيرة السياسية للمشير محمّد أيوب خان بقلمه ١٢٠٠

الطريق إلى النجوم

من تأليف فان در ريت وللي

(رئيس المرصد الفلكي في غرينيش) ٤٠٠

الإسلام على مفترق الطرق (الطبعة السادسة)

(من تأليف ليوبولد فايس – محمّد أسد) ١٥٠

الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط

(من تأليف المستشرق جورج سارطون

مؤلّف كتاب : مقدّمة إلى تاريخ العلم) ١٥٠

* * *

1000 Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode Umars, 1—23 d. H. (622-644 n. chr).

300 Qur'anic Arabic.

300 L'arabe coranique.

1200 On Public and Private Law in Islam, by Ibn Taimiyya (728 A.H. = 1328 C.E.). — Translated from the Arabic.

تاريخ الأدب العربي

الأعصر العباسية

الأدب المحدَث : الى آخر القرن الرابع الهجري

١٣٢ ــ ٣٩٩ هـ (٧٥٠ ــ ١٠٠٨ م)

تأليف

عمر فروخ

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الطبعة الأولى ١٩٦٨
الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

تاريخ الأدب العربي

فهرست تفصيلي للموضوعات

٣ ـ تجزّؤ الخلافة والعودة إلى الخصائص القديمة

مقدّمة

يتناولُ هذا الكتابُ تاريخَ الأدبِ العبّاسيِّ إلى آخرِ القرن الرابعِ الهجْريِّ ، بعدَ أن كان قد صَدَرَ أخٌ له من قَبْلُ تَناوَلَ الأدبَ القديمَ منذ مَطْلَعِ الجاهلية إلى سقوط الدولة الأمويّة [1] .

هذا الكتاب في قسمهِ الراهنِ لم يتناولِ الأدباءَ الوُجْدانيّين فَقَطْ ، بل تناول النُقّاد واللّغويّين والنّحاة ومؤرّخي الأدب ثمّ نَفَراً من مؤرّخي الدول أيضاً ، إمّا لِصِلَةِ هؤلاء كلّهم صلةً مباشرةً بالأدب وبتاريخ الأدب ، أو لأنَّ مُطالِعَ هـذا الكتابِ يحتاجُ أحياناً إلى خصائصِ هؤلاءِ فأردتُ أن أسهّل عليـه الوصولَ إلى أشياءَ من حيـاةِ هؤلاء وخصائصِهِم من غيرِ أن يَرْجِعَ إلى مصادرَ أخرى (إلاّ إذا أراد التقصّي) .

---

١ تـاريخ الأدب العربي : الأدب القديم ، ٧٧٦ صفحـة ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٣٨٥ ﻫ (١٩٦٥ م) .

ولا ريبَ في أن هذهِ الفترة التي يُعالِجُها هذا الكتابُ ، من العصر العبّاسي ، هي ذِرْوَةُ العصر العبّاسي في الأدب الوُجْداني وفي زَهْــو الشعر العربي والنثر . من أجل ذلك قــد أوردِ الترجمة لأديبٍ وليس لــه من الشّهرةِ إلاّ قصيدةٌ واحـــدةٌ أو عدد من الأبيات : لقد كانت هذه القصيدة أو تلك الأبيات ، في رأيي ، تُمَثّل عبقريةً في أحدِ جوانبِ الحياة العربية في الفترة التي تتَناولُها الصفحاتُ التي بين يَدي القارىء .

ولم يكن بالإمكان أن أتنـــاولَ جميعَ الأدبـــاء الذين كان بالامكانِ أن أتناولهم ، ومعَ ذلك فقــدِ اخترتُ مـــن هذه الفَتْرة نحوَ مِائتَيْ أديب : ما بين ناثرٍ وشاعرٍ وناقد ولغويّ ونَحْويّ ومؤرّخ . ومع العلم بأنّ العملَ في العصر القديم كانَ أصعبَ لنُدْرَةِ المادّة ، فــان العمل في الفترة العبّاسية أشدّ تعقيداً لِتَشَعّب أسبابِ النقد واختلافِ الآراء في قيمة الأدب الجيّد .

ولا يزال القــارىء يرى أنّني أذهب في التــأليف مذهبَ الإيجــاز والتركيز وأتنَكّبُ طريقَ الإنشاء المُتَمَطّي والكلامَ الذي لا حاجــةَ اليـه في التعبير عن المقاصد . وكذلك لا يزال القارىء يرى أنّني أعْنَى بالأحداث البارزة في حياة الأديب ، ذلك لأنّ هذه الأحداثَ تفسّر كثيراً من غوامض أدب الأديب ثم تؤكّدُ جوانبَ كثيرةً من سبيلهِ في التفكير والتعبير .

ولعلّ القارىءَ يظنّ أن الأدب العبّاسي لا يحتاجُ إلى مِثْلِ

الشّرح الذي احتاج إليه الأدبُ القديم. إنّ ذلك ظنّ الكثيرين من الذين يُعانون الأدب. ولكنّ الواقعَ يخالف ذلك: إن الأديبَ العبّاسي أكثرُ ميْلاً إلى التأنّق والتكلّف وإلى صناعة التعبير. من أجل ذلك كانت آراؤه أحياناً أشدّ إيغالاً في الغموض من آراء الشاعر القديم الذي كان يجري في إنتاجه الوُجْداني على السليقة ثمّ لا يَغْمُضُ علينا شعرُه خاصّةً إلاّ في ناحيتين: بُعْدِ بيئته البَدْوية عن بيئتنا الحَضَرية ثمّ وُرودِ الكلماتِ التي كانتْ مألوفةً في زمنهِ وبيئتهِ وَهيَ اليومَ غيرُ مألوفةٍ في زمننا وبيئتنا. انّ كثيراً من الصّوَرِ البلاغية (في الشعر العبّاسي خاصة) تحتاج إلى شرح وافٍ وتمثيل عليها كافٍ حتّى تَضِحَ في ذهن القارىء المُعاصِرِ، ولو كان أحياناً من الذين يُعانون الأدبَ.

* * *

وهنا موضعُ ملاحظةٍ ضرورية:

ذَكَرَ نَفَرٌ من الذين أخذوا الكتابَ الأوّلَ أنني أوْرَدتُ فيه كثيراً من الشعر المعروفِ. ولقدْ غابتْ عن هؤلاءِ أمورٌ:

أوّلاً — لَقَدْ غَفَلَ هؤلاءِ عن أنّ الكتاب الأوّل قد جَمَعَ تراجمَ ومختاراتٍ لأكثر من خمسينَ أديباً في الجاهلية وحدَها، مع أنّ الأسماءَ المعروفةَ المُتَداوَلة — حتى

في الكتبِ المؤلّفة – لا تَبْلغ إلى ثُلُثِ هذا العدد في معظم الأحيانْ . فالجديد اذن كثير .

ثانياً – ان هذا الكتابَ كتابٌ في تاريخ الأدب ، والمشهور المعروف من نتاج الأديب هو المُعْتَمَدُ في إبراز الخصائص وفي تِبْيان قيمة الناثر والشاعر في مراتب الأهمّيّة والعبقرية بالإضافة إلى أثرِ هذا النِتاجِ المشهور المعروف في إظهار الصّوَر العامّةِ للأدبِ عُموماً ولصاحبِ ذلك النِتاج خُصوصاً .

ثالثاً – إنّ المختاراتِ الطّريفة تكونُ طريفةً بالنِسَبِ والإضافاتِ ، فقد يكون البيتُ من الشعر طريفاً عندكَ غيرَ طريفٍ عند غيرِك ، وقد يكون طريفاً عندك اليومَ غيرَ طريفٍ عندك أنتَ غداً ، ذلك لأنّك كنت في حال من الحزن فاستجدتَ بيتاً فيه معنىً تتراءى لك فيه حالُكَ ثمّ أصبحتَ فَرِحاً لا يَقَعُ ذلك البيتُ من نفسك كما كان قد وَقَعَ منها بالأمسِ .

رابعاً – حتّى الطريفُ الطريفُ فانّه لا يبقى على الزمن . جاء الشاعر العظيمُ أبو تمّامٍ فاختارَ مجموعاً من شعر الشعراء القدماء – ومن شعر الشعراء المُقِلّين خاصّةً – سمّاه « ديوانَ الحماسة » . ولقدِ آختارَ أبو تمّامٍ في ديوانِ الحماسةِ لآلىء الشعرِ العربي حتّى قيل فيه إنّه كان

أشعرَ في اختيارِ « ديوان الحماسة » منـه في شعرهِ الذي نَظَمَهُ . ثمّ جـاء بعدَ ذلك بأمدٍ رجـلٌ لا نكاد نَعْرِفُ غيرَ اسمهِ ، ولا نكادُ نَثِقُ مـن مَعْرِفتِنا اسمَهُ ، ثم نحْنُ لا نَعْرِفُ العصرَ الذي عاشَ فيه على التأكيد . هذا الرجلُ أبو زيدٍ القُرَشِيّ جمعَ نحو خمسين قصيدةً من شعر القدماء (في الجاهلية والإسلام) في مجموعٍ سمّـاه « جَمْهَرة أشعـار العرب » ، فكان في هـذا المجموع أشهرُ قصائدِ العَصْرين وأكثرُهـا تَداولاً بين الناس . ومع ذلك فكلّ من أرادَ أنْ يُصَوِّر صورةً للشعر في الجاهلية وفي صدر الإسلام ، فإنّما كـان يعتمدُ « جمهرةَ أشعار العرب » اعتماداً كبيراً ، ورُبّما أشارَ إلى « ديوان الحماسة » بين الحين والحين .

وعلى كلّ فإن في هذا الكتاب اشياءَ كثيرةً جديدةً لم تكن سائرةً على الألسن .

وأرجو أن أكون قد حقّقت بعض ما أمّلت .

ولا بدّ من كلمة هنا تتعلّق بالمصادر والمراجع التي اعتمدتُها في التأليف :

إن عدداً من المصادر والمراجع التي اعتمدتها لم تكنْ مـن الطبَعات المشهورة ، بل مـن تلك التي اتّفق أن كانتْ بين يدَيّ . من هذه مثلاً :

وفَيات الأعيانِ لابن خلّكان (في ثلاثــة أجزاء) ، القاهرة (وان لم يُذْكَرِ اسمُ القاهرة) مطبعة الوطن ١٢٩٩ هـ .

فَوَاتُ الوَفَيات لابن شاكر الكُتُبي (في جُزْءين) ، بولاق ١٢٨٣ هـ .

يتيمةُ الدهــر للثعالبي (في أربعة أجزاء) (بنفقة علي محمّد عبد اللطيف صاحب المكتبة الحسينية المصريــة) ، مصر (مطبعة الصاوي) ١٣٥٤ هـ .

• • •

وآتى الآنَ إلى تفسيرِ شيءٍ مــن خُطّة العمل في المصادر والمراجع معَ ذكر عدد من هذه المصادر والمراجع .

نلاحظ أن في كلّ ترجمة تقريباً أربعة أرقام :

١ – ترجمة الأديب ،

٢ – خصائصه الفنّيّة ،

٣ – المختار من آثاره ،

٤ – المصادر والمراجع

ثمّ نلاحظ أن بعض التّراجم تخلو مــن هذه الأرقام ، ذلك لأن هــذه التّراجم تعود إلى لُغويّين ونُحاةٍ ومؤرّخين، مــن الضروريّ وجودُهم في هذا الكتاب كي أوفّرَ عــلى القارىء

الرجوعَ إلى المصادر أو إلى مراجعَ أخرى . وأنَـا لا أستشهد عادة بشيء من آثار أصحاب هذه التراجم ، إمّا لأنّه ليس لهم آثارٌ ألبتّــة أو لأنّ آثارهم ليست ذات أثر مباشِرٍ في تاريخ الأدب . أمّا إذا أنا وَجدتُ مـن الضروريّ الاستشهادَ بشيء من آثـــار هؤلاء ، فـإنّني حينئذٍ أُجري تراجمهم مجرى سائر التراجم وأُثبت الأرقام الأربعة .

ويَجِدُ القارىء في القِسْم المَوْسوم بالرقم « ٤ » ثلاثــةَ أشياءَ :

أ — الكُتُبَ المطبوعة مـن مُصَنّفاتِ صاحب الترجمــة (إذاً كان له مثل هذه الكتب) .

ب — الكتبَ التي أُلّفت عـن صاحب الترجمة ، مسبوقــاً أولُها بنجمين صغيرين : **

ج — الأماكن التي تُعالج ترجمــة ذلك الأديب أو تذكر خصائصه أو يرد فيها شيء من آثاره .

وحباً بتوفير شيء من المِساحة عَمَدتُ إلى الاختصار التالي، مثلاً :

٤ — كتاب الطبقات الكبير (نشره جماعة من المستشرقين) ؛ ليدن (بريل) ١٣٢١ هـ (١٩٠٤ م) وما بعدها = الطبقات الكبرى ، بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٥٧ — ١٩٥٨ م .

تفسير ذلك : اسم الكتاب : « كتاب الطبقـات الكبير » ،
ولا أذكر اسم المؤلف لأنّ مؤلّف هذا الكتاب هو صاحب الترجمة نفسه (محمّد بن سعد) . ولكن بعد اسم الكتاب مباشرةً أورد بين هلالين كبيرين (......) اسمَ الذي نشر الكتاب أو حقّقه أو أشرف على طبعه أو أسماء الذين فعلوا ذلك (هذا إذا كان للكتاب المذكور ناشر أو محقّق الخ) . بعد ذلك يـأتي اسم البلد الذي طُبع فيــه الكتاب (وهو هنا) « ليدن » . وبعد اسم البلد يــأتي بين هلالين كبيرين اسم الطابع ، وهو هنا « بريل » . ثمّ يأتي تاريخ الطبع بالسنة الهجرية وبالعام الميلادي ، إذا كان ذلك معروفاً أو إذا آستطعت أنا أن أصِلَ اليه .

ونلاحِظُ هنا ما يلي « = الطبقات » . ومعنى ذلك أن الكتاب نفسه قد طبع طبعة ثانية باسم آخر ....

وعلى الصفحة ٣١٤ مثلاً نلاحظ ما يلي :

٤ ـ البخلاء (نشره فان فلوتن) ، ليدن (بريل) ١٩٠٠ م ، القـاهرة (الساسي) ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ؛ (نشره مكتب العوامري والجارم) ، القــاهرة (دار الكتب) ١٩٣٨ ؛ (نشره مكتب النشر العربـي) ، دمشق (مطبعة ابن زيدون) ١٩٣٨ م ، دمشق (دار اليقظة) ١٩٦٣ م ، .... الخ ومعنى ذلك أن كتاب البخلاء طبع مرات عديدة وفي أمكنة

عديدة . ونحن نلاحظ أن عدداً من الطبعات لا يُشْرِفُ عليها أحدٌ (أو لا يُذْكَرُ عليها أنه أشرف عليها أحد) فأكتفي حينئذٍ بذكرِ اسمِ مكان الطبع وتاريخِه إذا كان ذانك مَعْروفينِ أيضاً .

أما إذا كان الكتاب مطبوعاً مرّة واحدة فإنّ عنوانه واسم مؤلّفه ومكان طبعه وتاريخ طبعه تأتي كلّها في سطر مستقلّ أو سطرين مستقلّين أو أكثر حسب الحاجة.

وبعدَ أن أنتهي من سرد الكتب المطبوعة التي ألّفها صاحب الترجمة (بحَسْبِ ما وَصَلَ إليه اطّلاعي) آتي إلى سَرْدِ الكتب المؤلّفة عنه (ويَسْبِق الكتاب الأوّلَ منها نَجْمان صغيران **) . وأنا في العادة لا أُثْبِتُ كتاباً في هذا القسم إلاّ إذا كان يتعلّق كلّه بصاحب الترجمة أو بوجهٍ من أوجه نِتاجه الأدبيّ (على أنّني قد تساهلت مرّتين أو أكثرَ فأثْبَتتَ كتاباً يتناول بالبحث أديبينِ أو ثلاثةً في الأكثر) . وكذلك تساهلت أحياناً فأوْرَدتُ عدداً من المقالات من مجلّة المَجْمع العلمي العربي في دِمَشْقَ ومن عدد آخرَ من المجلاّت حينما رأيتُ أن تلك المقالاتِ ضروريةٌ ضرورةً يجوز أن أُخالِفَ من أجلها القاعدةَ التي كُنْتُ قد وَضَعْتُها من قبلُ بألاّ أذكرَ إلاّ الكُتُبَ .

غير أنّني لم أجِدْ حاجةً إلى إيراد المُوجزاتِ التي فُرِّعَتْ

من كتابِ الأغاني مَثَلاً أو من كتاب العِقدِ الفريد ، وان كان عدد منها مخصوصاً بأديبٍ أديبٍ .

وكذلك أغفلتُ طبَعاتٍ « تجاريةً » ليسَ فيهـا ضَبْطٌ ولا عناية .

وبعدَ الانتهاء من إيراد الكتب المطبوعة التي أُلِّفَتْ عـن صاحبِ الترجمـة آتي إلى ذكر الصفحات المتعلّقة بصاحبِ الترجمة في عدد من أمّهات المصادر والمراجع . ولم أر هنا أيضاً أنْ استَنْفِدَ هذه المصادرَ والمراجع ، وخصوصاً بعـد أن حرَصْتُ على أن أوردَ أرقامَ الصفحات التي تتعلّق مباشرةً بصاحبِ الترجمة في كتاب « تاريخ الأدب العربي » من تأليف كارل بروكلمان (في الأصل الألماني) فهُوَ يحاول أن يُثْبِتَ كـلّ ما ألّفه الأديبُ وما أُلِّفَ عن ذلك الأديب وظهر مطبوعاً في كتاب أو مجموعٍ أو مجلّةٍ أو مخطوطاً أيضاً . وكذلك حرَصْتُ على أن أثْبِتَ من كتاب « تاريخ آداب اللغـة العربية » لجرجي زيدان (وان كـانَ هذا الكتابُ قد فقَدَ اليومَ كثيراً مـن قيمته الأولى ، برُغْمِ التعليقاتِ التي أضافَها الدكتور شوقي ضيف اليه هنا وهناك) تلك الصفحات المتعلّقـةَ بالأديب المقصود .

ويحسن أن نَعْلَمَ أن في كتابنا هذا تراجمَ لأدباءَ لم يَرِدْ لهـم ذِكْرٌ في كتابِ جرجي زيدانَ ولا في كتابِ كارل بروكلمان .

لم يكن ثمّتَ سبيلٌ إلى ذِكْرِ جميعِ المصادرِ والمراجع التي اعتمدتُها في وضع هذا الكتاب في المدة الطويلة التي وُضِعَ هذا الكتاب في خِلالِها ، ولا أن أُثْبِتَ أيضاً بعدَ كلٍّ ترجمة جميعَ الكتب التي رَجَعْتُ إليها في إعداد كل ترجمة . ولكن لم يكن بُدٌّ من إثبات عدد من المصادر المشهورة القريبة التناول على سبيل الإشارة التي تُساعد الباحثَ المتقصِّيَ على التوسّع حينما يريد التوسّع ، إمّا في الحواشي أحياناً وإمّا بعد ذكر الكتب في العادة . ومعَ أنّ ذِكْرَ الكتب التي ألّفها صاحبُ الترجمة وذكرَ الكتب التي أُلِّفَتْ عنه (إذا كان هنالك مثل تلك الكتب) تَفِيان بكلّ حاجةٍ وتُغْنِيانِ بعدَ ذلك عن ذِكْرِ المصادرِ العامّةِ والمراجعِ ، فإنّني حرَصْتُ على أن أثْبِتَ بعدَ كلّ ترجمة (سواء أكان ثَمّةَ كُتُبٌ ألّفها صاحبُ الترجمة أو أُلِّفَتْ عنه أو لم يكن) عدداً من المصادر والمراجع العامّة ما أمكنني ذلك ، كما يلي (ص ٥٦١) :

الفهرست ١٣٢ ، ١٣٤ ؛ يتيمة الدهر ٢ : ٢١٨ — ٢٨٦ ؛
معجم الأدباء ٢ : ٢٠ — ٩٤ ؛ شذرات الذهب ٣ :
١٠٦ وما بعدها ؛ بروكلمان ١ : ٩٥ ، الملحق ١ :
١٥٣ — ١٥٤ ، ٢ : ٣١٦ — ٣١٧ ، النثر الفنّي ٢ :
٢٩٠ — ٣٠١ .

إذا كانت الصفحات دالّة على كتاب واحد ، نحو (الفهرست ١٣٢ ، ١٣٤) أو على أجزاء من كتاب واحد ، نحو (بروكلمان

١ : ٩٥ ، الملحق ١ : ١٥٣ – ١٥٤) فإنّ الفصل بين الأجزاء يكون حينئذ بفاصلة (،) ، أمّا القاطعة (؛) فتدلّ على الفصل بين كتابين .

هذه المصادرُ العامّةُ والمراجع التي كنت أشير اليها في الأسطر السابقة هي :

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (راجع ، تحت ، معجم الأدباء) .

أشعار أولاد الخلفاء لأبي بكرٍ الصولي ، القاهرة (مطبعة الصاوي) ١٩٣٦ م .

إعلام النبلاء بتاريخ حَلَبَ الشهباء ، تأليف محمّدِ راغبِ الطبّاخ ، حلب (المطبعة العلمية) ١٩٢٣ – ١٩٢٦ م .

أعيان الشيعة ، تأليف محسن الأمين ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٠ م وما بعدها . — بدأت الطبعة الأولى من هذا الكتاب تظهر في دمشق ، عام ١٩٣٦ م ، ثم أخذت تظهر في بيروت . وقد ظهر منها ثمانية وأربعون جزءاً . من أجل ذلك حرَصْتُ في أكثر الأحيان على أن أذْكُرَ بعد الجزء المثبت بعد الترجمة تاريخ طبع ذلك الجزء تسهيلاً على المراجع . ومع أن هذا الكتاب واسع جدّاً يكاد يستنفدُ كلّ ما حَفِظَتِ المصادرُ والمراجع عن أصحاب التراجم التي أوردها العلاّمةُ (عبد) المحسن

الأمين ، فإن الوصول إلى كلّ شيء في هـذا الكتاب ليس سهلاً ، وخصوصاً في التراجم المستفيضة . ولكن لا غنى للباحث عن هذا الكتاب .

الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني .

– لهذا الكتاب الآن خمس طبعات :

طبعة دار الكتب المصرية في القاهرة . وهـذه طبعة محقّقة ، ولكن طُبع منها ستّة عشر جزءاً (١٩٢٧ – ١٩٦١ م) ؛

طبعه بولاق في عشرين جزءاً (١٢٨٥ هـ) .

جزء وُسِمَ بالجزء الحادي والعشرين (فيه تراجم سقطت من طَبْعة بولاق جمعها المستشرق برونو) ، ليدن (بريل) ١٣٠٥ هـ .

طبعة بتصحيح أحمد الأمين الشنقيطي طبعها محمّد الساسي في القاهرة (بلا تاريخ) – وهي واحد وعشرون جزءاً تتألف من الأجزاء العشرين من طبعة بولاق ومن الجزء الموسوم بالحادي والعشرين الذي أخرجه برونو . وأجزاء طبعة الساسي مقسّمة كأجزاء طبعة بولاق ، والصفحات في كلّ جزءين متقابلين من الطبعتين متقاربة جداً ، وفي بعض الأحيان لا تختلف .

وقد أشرت مرّة واحـ[illegible]ـي هذا [illegible]كتاب إلى طبعة [illegible]ار الثقافة في بيروت .

إنباه الرواة على أنْباه النُحاة ، تأليف أبي الحسن عليّ بن يوسف القِفْطي (بتحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم) ظهر منه ثلاثةُ أجزاء (إلى آخرِ حرف الهاء : الهَيْثَم بن عَدِي) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٦٩ – ١٣٧٤ هـ (١٩٥٠ – ١٩٥٥ م) .

بُغْية الوُعاة في طَبَقات اللغويّين والنُحاة ، تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (عُنِيَ بتصحيحها محمّد أمين الخانجي بقراءته على أحمد بن الأمين الشنقيطي) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .

تاريخ آداب اللغة العربية ، تأليف جرجي زيدان (طبعة جديدة علّق عليها الدكتور شوقي ضيف) ، القاهرة (دار الهلال) ١٩٥٦ – ١٩٥٨ م .

تاريخ بغداد ، تأليف الخطيب الغدادي ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٣١ م .

تاريخ الكامل لابن الأثير ، ليدن (بريل) ١٨٥١ – ١٨٧١ م . وقد اضْطُرِرْتُ أحياناً إلى الرجوع إلى طبعة القاهرة (١٣٠٣ هـ) . – بما أن تاريخ الكامل لابن الأثير حوليّات (مرتّب على السنين) فانّ الوصول إلى أماكن الاستشهاد في الطبعات المختلفة ليس كبير الصعوبة .

التاريخ الكبير : (تهذيب) تاريخ ابن عساكر اختصره أحمد بدران وغيره ، دمشق ١٣٢٩ – ١٣٣٢ هـ .

تتمّة اليتيمة للثعالبي ، طهران (مطبعة فردين) ١٣٥٣ هـ .

حُسْنُ المحاضرة في أخبار مِصْرَ والقاهرة ، تأليف جمال الدين عبد الرحمن السيوطي ، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ .

شَذَرات الذهب في أخبار من ذَهَبَ ، القاهرة . (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ : وقد أعيد طبعها بالتصوير في بيروت (المكتب التجاري) - لا خلاف في صفحات الطبعتين ، ولا ذِكْرَ على طبعة المكتب التجاري لسنة الطبع .

طبقات الشعراء ، طبقات ابن المعتزّ ، لعبد الله بن المعتزّ (تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج) القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٦ م .

طبقات الزبيدي ، طبقات النحويّين واللغويّين (تحقيق محمّد أبي الفضل ابراهيم) ، القاهرة (سامي الخانجي) ١٩٥٤ م .

الفهرست لابن النديم (استخرجه غوستاف فلوغل) ، ليبزغ ١٨٧١ م . = وقد أعادت طبعه بالتصوير مكتبة خيّاط في بيروت ١٩٦٤ م .

فوات الوفيات (راجع ، فوق ، ص ٢٠) .

القاموس المحيط للفيروزابادي (نصر الهوريني) ، مصر (المكتبة الحسينية المصرية) الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ .

معجم الأدبـــاء في عشرين جزءاً (مطبوعات دار المأمون) ، القاهرة (مطبعة دار المأمون) ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) .

النثر الفنّي في القرن الرابع ، تـأليف زكي مبارك ، القـــاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤ م) .

نَكْتُ الهِمْيان في نُكَتِ العُمْيان للصَفَدي (وقف عـــلى طبعه أحمد زكي) ، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩١١ م .

نور القَبَس المختصر من المُقْتَبَس في أخبـــار النحاة والأدباء والشعراء ، اختصار أبي المحاسن بـــن يوسف اليغموري (عني بتحقيقه رودولف زُلهايم) ، فيسبادن (شتاينر) ١٩٦٤ م .

الوافي بالوفيات للصفدي (استخرجه نفر من المستشرقين) خرج منه أربعـــة أجزاء من حرف الميم (أسماء المحمّدين) ، دِمَشْق واستانبول وفيسبادن ١٩٣١ — ١٩٥٩ م .

كتاب الورقة لأبي عبد الله محمّد بـن داوود الجرّاح (تحقيق عبد الوهّاب عزّام وعبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٣ م .

وفيات الأعيان (راجع ، فوق ، ص ٢٠) .

• • •

بروكلمان [1] ،

Geschichte der arabischen Litteratur,
von Carl Brockelmann, Leiden (Brill) 1943 - 1949.

بروكلمان ، الملحق

Geschichte der arabischen Litteratur, Supplementbände,
von Carl Brockelmann, Leiden (Brill) 1937 - 1942.

Enc. Isl. (new ed.)[2]

---

١ لكتاب بروكلمان هذا طبعة أولى ظهرت في برلين ١٨٩٢ – ١٩٠٢ م . الاستشهاد في هذا الكتاب بالطبعة الثانية الجديدة من كتاب بروكلمان .

٢ تظهر « دائرة المعارف الإسلامية » (باللغات الانكليزية والفرنسية والالمانية) في طبعة جديدة ، ظهر منها إلى الآن من أول حرف الهمزة إلى كلمة « حيل » ، ليدن – لندن ١٩٦٠ م وما بعد . والطبعة التي أرجع اليها عادة هي النسخة الانكليزية . وربما رجعت أيضاً إلى الطبعة الأولى .

١ ـ وَحْدةُ الخِلافة والشِعْرُ المُحْدَث

العصر العبّاسي

العصر العبّاسيّ هو العصر الذي بدأ في التاريخ السياسي سَنَةَ ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) بسقوط الدولة الأُمويّة في الشام وقِيام دولة بني العبّاس في الكوفة (العراق) . وينتهي العصر العبّاسي في التاريخ السياسي بسقوط بغدادَ على يد هولاكو التتريّ في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .

هذا التحديد عُرْفيّ قليل الصلة بالحقيقة التاريخية : إن هذا العصر قد بَطَلَ أن يكون عبّاسيّاً منذ أيامِ الخليفة المتوكّلِ الذي جاء إلى عرش بغدادَ في آخرِ سَنَة ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م) والقوّادُ الاتراك يَمْلِكون الدولة من جميع جوانبها ، ثم لم يَكُنْ للخليفة المنصوبِ على عرش بغدادَ بعد المتوكّل من الأمر شيءٌ

وكَثُرَتِ الدّوَلُ والدّوَيْلاتُ في العصر الذي نسمّيه عبّاسيّاً : كان بَعْضُها دولاً غيرَ عربيةٍ ولا عبّاسيّة تَنْبُعُ في أطراف الخلافة ثم تستقلّ بما تحت يَدِها ، وربما مدّ بعضُها نفوذَه إلى بغدادَ نفسِها

غير أن حظّ الأدب كان غير حظّ السياسة . إنّ الخصائص العبّاسية في الأدبِ قد ظلّتْ سائدةً في النِتاج الوُجْداني من الشعر والنثر إلى سقوط بغدادَ في يد التَتَرِ ثم إلى الفتح العُثْماني للبلاد العربية ٩٢٣ هـ ، ١٥١٧ م) ثم إلى مطلع القرن الثالثِ عَشَرَ الهجريّ (التاسعِ عَشَرَ الميلاديّ) . ولا يزالُ نَفَرٌ كثيرون من الناثرين والناظمين يَنْهَجون النهجَ العبّاسيّ في الأدب أصالةً أو تقليداً . والأصيلون من هؤلاء همُ الأدباء الذين يَخْلُدون في حياتنا الأدبية .

أمّا في هذا الكتاب فسنَجعَلُ العصرَ العبّاسيّ يتّصل إلى السّنَة التي فتَحَ فيها السلطانُ سليمٌ الأولُ العثمانيّ مصرَ (٩٢٣ هـ ، ١٥١٧ م) وقضى على المَنْصِب الرّمزيّ الذي كان العبّاسيون قد احتفظوا به في مصر بعد سقوط دولتهم في العراق .

هذه الحِقْبَةَ الطويلةَ من سنة ١٣٢ إلى سنة ٩٢٣ للهجرة تنقسم من الناحية السياسية والأدبية أيضاً فتَرات متفاوتةً في الطول وفي الأهميّة . فإذا نحن اعتبرنا تلك الفتَرات وما كان فيها من الدول التي اتّسع نفوذها في أقسام مختلفة من بلاد الخلافة الإسلامية وجدْناها التاليةَ :

الفترةَ العبّاسية الأصيلة (نفوذٌ فارسي ثم تُركي)	١٣٢ — ٢٣٤ هـ
عصرَ الدويلات ودولةَ بني بُوَيْهِ (فارسيةٌ شيعية)	٢٣٢ — ٤٤٠ هـ
دولة السلاجقة (تركية سنّيّة)	٤٢٩ — ٥٧٩ هـ
الاتابكةَ آلَ زَنْكي (من السلاجقة)	٥١٦ — ٦٣٩ هـ
الدولة الأيوبية	٥٥٥ — ٧٣٢ هـ
دولتَيِ المماليك : المماليكَ البحرية	٦٤٨ — ٧٨٤ هـ
المماليكَ البرجية	٧٨٤ — ٩٢٣ هـ

في الفترة العبّاسية الأصيلة

انتقلتِ الخلافةُ ، في سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) ، من الشام إلى العراق : من بني أميّةَ الذين كانت دولتهم عربيةً عَصَبيّةً إلى بني العبّاس الذين أصبحت دولتهم دينية جامعة . وقد كانتِ البداوة غالبةً على المجتمع الأُمَويّ تتَبَدّى في المُثُلِ العُلْيا التي كانت بَدْويةً جاهلية ، وفي اللغة أيضاً فقد كان عددٌ من معاني الأدب إسلامياً جديداً . أمّا الأسلوبُ الذي آستهوى الأُمويّين فقد ظلّ جاهلياً . وأما المجتمعُ العبّاسي فقدِ آستبحرتْ فيه الحضارةُ وانتشرَ التّرَفُ ، وإنْ كانتْ طبقاتٌ كثيرةٌ قد ظلّتْ بعيدةً عن تلك الحضارة وعن ذلك الترف . أما الدولة والحكم فقد كانا متنازَعَين بين أصحابِ تيّارَيْنِ : بين العَلَويين الشِيعة يُظاهِرُهم الفُرْسُ وَعَربُ الْجَنوب عامّةً ، وبين العبّاسيين يَعْضُدُهم أهلُ السُنّة والجماعة وأبناء الدولة .

وفي ما يلي رؤوسُ الاحداث السياسية في تلك الفترة :

كان المقصودَ من الدعوة إلى آل محمد أن يتولى العَلَويّون [1] الخلافة . ولكن العبّاسين – وهم أيضاً من نسل العَبّاس عمِّ الرسول كما كان العلويون من نسل أبي طالب عمّ الرسول – استطاعوا أن يستبدّوا بالأمر وأن يبايعوا واحداً منهم هو أبو العبّاس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس المشهورُ بأبي العباس السفّاح . وتتبّع السفّاح بني أمية وأنصارهم بالقتل والتشريد حتى خلّص الأمرُ للعبّاسيين . في هذه الاثناء كان السفّاح قد اتخذ الكوفة عاصمةً له ثم هجرها لأنها كانت مركزاً للعلويين وأنصارهم واتخذ الأنْبار (على الفُرات في شماليّ العراق) عاصمة جديدة . وحكم السفّاح أربع سنوات ثم توفي سنة ١٣٦ هـ (٧٥٤ م) فخلفه أخوه أبو جَعْفَر المنصورُ ، وكان أسَنّ منه ولكن كانت أمّهُ أمَةً فتأخر عن السفّاح لأن أمّ السفّاح كانت حرة .

كانت الأنْبار متطرفة في العراق فبنى المنصور بَغدادَ سنة ١٤٥ هـ وجعلها عاصمة الدولة العباسية بعيدة عن الشام ، ولكنها كانت قريبة من فارس ومن الجوالي الفرس في العراق نفسه . وقد نبَعَت في أيام المنصور حركات دينية كالراوندية وحركة سُنْباذ اللتين كانتا تحملان طابعاً مجوسياً من الشيوع في المال والنساء وطابعاً وثنياً من تأليه البشر . فأخذ المنصور هذه الحركات بالشدة وقتل رؤساءها والداعين اليها وكثيرين من أنصارها .

ولعل أهم ما حدث في أيام المنصور أن تولى الوزارةَ خالدُ بن برْمَكَ ثم استمر بعدَه ابنُه يحيى وحفيداه الفضلُ وجعفر يتَوَلّوْنها حتى نكبهم هرون الرشيد سنة ١٧٨ هـ (٨٠٣ م) بعد أن استبدّوا بكل سلطة في الدولة وبعد أن طغت أسباب الحياة الفارسية على بغداد . فانصرف الناس بعد نكبة البرامكة عن أوجه الحضارة الفارسية وعادوا إلى التظاهر بالميل إلى البداوة وإلى العصبية العربية : منهم من فعل ذلك خوفاً من أن يُتّهم بمثل ما اتُّهِم به البرامكة فيصيرَ أمره إلى ما صار أمرهم اليه ، ومنهم من فعل ذلك مُصانعة لأرباب الدولة فإنّ الناس على دين ملوكهم .

---

[1] الدعوة إلى آل محمد : أن يأتي إلى الخلافة رجل من نسل محمد رسول الله . والعلويون : نسل علي بن أبي طالب .

وكَثُرَ العُمْرانُ في أيام هرونَ الرشيدِ وٱستبحرتِ الحضارة وعمَّ الترف وازدهرتِ العلوم والآداب وعَظُمَت هيبة الدولة . ويُعَدّ عصرُ هرونَ الرشيدِ ذِرْوةَ القوة السياسية للعرب وأزهى ما بلغت اليه عصورهم في العُمران والحضارة والأدب والعلوم .

وخلف هرونَ الرشيدَ ثلاثةٌ من بنيه : الأمينُ والمأمونِ والمُعْتَصِم . وكان الرشيد قد قسم الامبراطورية سنة ١٧٥ ﻫ (٧٩١ م) بين الأمين والمأمون ، فأوصى للأمين بالملك على غرب الامبراطورية (بغدادَ وما يقع غربَها) حيثُ يسود العنصر العربي ويكثر أنصار الأمين ، وأوصى للمأمون بالملك على شرقيّ الامبراطورية (ما يقع شرق بغداد) حيث يكثر العنصر الفارسي وأنصار المأمون . ويبدو أن القسمة على هذا الشكل كانت راجعة إلى أن أمّ الأمين كانت عربية بينما أمّ المأمون كانت فارسية . وسَرْعانَ ما نَشِبَ النزاع بين الأخوينِ وانتهى بمقتل الأمين سنة ١٩٩ ﻫ (٨١٣ م) وإعادة وَحْدة الامبراطورية تحت سلطة المأمون . ولكنّ المأمونَ ٱنقلب بعد مقتل أخيه على السياسة الفارسية العَلَوية وترك عاصمته مَرْوَ (في خُراسان) وعاد إلى بغداد سنة ٢٠٤ ﻫ . غير ان النفوذ الفارسي في الدولة والجيش والحياة لم يَضْعُفْ . فلما جاء المعتصم سنة ٢١٨ ﻫ (٨٣٣ م) فتح أبواب الجيش للاتراك ليقاوم بِهِمُ النفوذَ الفارسي . ولكن لما كثر الجُنْد الاتراك في بغداد كثر شَغَبهم فيها فبنى لهم المعتصمُ مدينة سامَرّا (على أربعين كيلومتراً شَمالَ بغداد) لتكون لهم معسكراً . ويَحْسُنُ أن نذكرَ أن أمّ المعتصم كانت تركية . من أجل ذلك أصبحت سامرّا ، في فترة من الزمن ، عاصمةً للخلافة العباسية . وقد حدث في خلافة المعتصم حدَثانِ هامّان : القضاءُ على فِتنة بابَكَ الخُرَمّيّ وقطع دابر الفتن السياسية الدينية ، ثم فتحُ عَمُّورِيَة (في آسيةَ الصُغرى) وخَضْدُ شوكة الروم .

وخلف المعتصم اثنانِ من أولاده : الواثقُ سنة ٢٢٧ ﻫ (٨٤٢ م) والمُتَوَكّل سنة ٢٣٢ ﻫ (٨٤٧ م) ، ولم يحدُثْ في أيامهما إلاّ اتساعُ نفوذ الاتراك في الجيش ، حتى صار رؤساء الجند يتلاعبون بالخلفاء فيقتلون من شاءوا ويُوَلّون من شاءوا . وقد بدأ استعلاؤهم بقتل المتوكل نفسِه ، سنة ٢٤٧ ﻫ (٨٦١ م) ، ثم لم يبق للخلافة زهوٌ بعد ذلك ولم يبق للخلفاء سُلطان .

التطور الاجتماعي في العصر العباسي

إن البيئة العربية لم تنقلب فجأة ، بل بدأ التبدل فيها منذ خرجت جيوش الفتح إلى أقطار العالم في الشرق والغرب ، ومنذ أخذ الاسلام يسود بين غير العرب ، ومنذ شرع البدو يتخلّوْن عن سكنى البادية وينزلون الحواضر ، ومنذ شُغف الفاتحون العربُ الساميّون بالجمال الآري فتزوجوا الفارسياتِ والتركيات والروميات . إلا ان هذا التبدّل التدريجي كان قد بلغ معَ قيام الدولة العباسية مبلغاً لفت الانظار وغطى على خصائص الشعر البدْوي الاولى .

١ – وقد نُتج من ذلك **احتكاكُ العرب بغيرهم من الامم** واقتباسهم أموراً كثيرة من أوجه الحضارة المادية ومن أساليب التفكير . ثم ان الموالي (المسلمين من غير العرب) الاولين احتفظوا بكثير من أساليب تفكيرهم ومن عاداتهم في الجدال خاصة ، وأخذوا يتساءلون عن كثير مما في الإسلام من فروضٍ وأحكام وعقائدَ – بعد الموازنة بينها وبين ما عرفوا في أديانهم القديمة – كالتفريق بين ذات الله وصفاته ، والبحث في شأن الجنة والنار وفي أعمال الانسان ، وهل هو مُخيّر يأتي أعماله حُراً مختاراً أم مُسيّر مُجبْرٌ على أعماله . وهكذا نشأت منذ أواسط العصر الأموي حركة الاعتزال ثم اتسعت في العصر العباسي اتساعاً كبيراً . والاعتزال حركة فكرية تقوم على أن العقلَ وحدَهُ حَكَمٌ في جميع الأمور حتى في العقائد .

ولم يَضِقْ صدرُ الإسلام بهذه الحركة ، لأنها حركة أصيلة فيه ، ولكنّ أهلَ الدولة حملوا الامر على ظاهره فكانوا إذا ضاقوا ذَرْعاً بخصم سياسي ثم وجدوا عنده شيئاً من حرية الفكر قالوا عنه إنه زِنْديق وأخذوه في الظاهر بهذه التهمة بينما هم كانوا في باطنهم ينقمون منه خصومتَه السياسية .

٢ – وكان أبعدَ الاسباب أثراً في تبدل المجتمع الإسلامي **الزَواجُ بغير العربيات** ، فقد تبدلت به الحياة البيتية في المطعم والملبس وآداب السلوك ، وفي نشوء جيل له عُمومة عربية وخُؤولة فارسية أو رومية أو تركية . وبينما كان العرب الاولون خُلّصاً لا يَرَوْنَ للأمم على العرب فضلاً في شيء ، أصبح الجيل المُولّد الجديد يتعصب أيضاً لخؤولته ويرى أن العرب ليسوا أفضل من

سواهم في كل شيء . هذه التسوية بين غير العرب وبين العرب هي التي سمّاها أهلُ الحميّةِ العربيةِ « الشعوبيةَ » .

وكان في البيئة العبّاسية طبقة أثّرت في حياة المحدَثين تأثيراً عميقاً ، تلك هي طبقة الجواري . والجارية في الأصل هي الفتاة ، أو الفتيّة من النساء ، ولكنها أصبحت تطلق على الإماء — أي الجواري المملوكات . على ان الجواري في العصر العباسي لم يَكُنَّ يُمْتَهَنَّ في خِدمة البيوت ، أو اننا نحن لا نعني هؤلاء منهن . بل كان هنالك استاذون واستاذات يعلمون الجواريَ أصنافَ العلوم كالفِقه والكلام وأنواع الفنون كالغناء والرقص والشِعر ، حتى انهنّ كُنَّ يُتّخَذْن للمباهاة والمناظرة . وقد يبلغ ثمن جارية مثل هذه مئاتِ ألوف الدراهم أو الدنانير . وقد زعموا ان محمداً الامين أغرى ابنَ عمه جعفراً بمليون دينار حتى رضي أن يبيعه جارية عنده اسمها بَذْل . وقد كان بعض هؤلاء الجواري شاعرات .

ورغب الناس في الزواج بالجواري فأنْجَبْنَ الأولاد ، وكثيراً ما كان أبناء الجواري أشهرَ وأقدر من أبناء الحرائر ، نعد لك من هؤلاء المنصور والرشيد والمأمون والمعتصم .

إلا أن كثرة الجواري في بيوت الخلفاء والأمراء وفي مراتع اللهو كان أيضاً مَدعاة إلى الفساد الاجتماعي الذي أنتنْ منه البيئة العباسية . ولقد زاد في هذا الفساد نشوء طبقة الغِلمان والخِصيان .

٣ — وكثر **التَعَرّب** (التشبّه بالعرب) بين الموالي ، وبلغ من إعجابهم بالعرب أنهم كانوا يُلفّقون لأنفسهم أنساباً عربية ، فأبو تمّام الرومي أصبح حبيب بن أوْس بن الحارث بن قيس ... بن عَدِيّ بن عمرو بن الحارث بن طيء بن أدُد ... بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان (تاريخ بغداد ٨ : ٢٤٨) . وهكذا أصبح المسلمون من الترك والفرس والروم يشعرون شعوراً قومياً عربياً : فاللغة العربية أصبحت لغتَهم ، والتاريخ العربي تاريخَهم ، والحياة العربية حياتَهم . حتى إن الذين لم يدخلوا في الإسلام بل ظلوا في أهل الكتاب من النصارى واليهود والصابئة كانوا لا يختلفون في شعورهم الظاهر عن المسلمين في شيء ، وربما تسمَّوْا بالأسماء الإسلامية وتكَنَّوْا بالكُنى العربية .

٤ — والعرب في الأصل ، إلا أقلَّهُم ، بَدْوٌ رُحَّلٌ يحملون عَصَبِيّاتِهم وعَداواتِهم معَ خيامهم وينتقلون بهـا من مكان إلى آخر لا يذكرون إلا صِلَةَ النسب أو ما هو بمعنى النسب من الولاء والحِلْف . فدعاهم النزول في الحضر إلى الترف واللهو وإلى ضَياع كثير من محامدهم الأولى من الفِطـرة الخيِّرة والشجاعة والنجدة ، ثم انتشر بينهم كثير من مساوئ المدنية كالشراب والانغماس في اللذات وتناسي الوفاء ومسايرة أهل السلطان حقاً أو باطلاً . وقد كان لسكنى الحضَر حسنات أيضاً منها اتساع العُمران واستبحار العلم وازدهار الفن وكَثْرة الأسفار التي سهّلت معرفةَ بعضِ الأممِ بعضاً ومعرفةَ ما كان عند كل أمة منها من وجوه الحضارة والثقافة .

٥ — إن شكل **الدولة والحكومة** الذي كان للعرب قبل الإسلام لم يصلـح للامبراطورية الجديـدة وللمجتمع الجديـد . وكان للبلاد المفتوحـة حكومات فلم يستنكف العرب أن يستفيدوا مِنَ اختبار من نَزَل في تلك البلاد قبلهم من الدول ، فاستعانوا بالأنظمة القديمة وبرجال الدول القديمة . وبمـا ان الفرس هم الذين ساعدوا العبّاسيين على نيل الخلافـة لم يكن مستغرباً أن يُلْقـيَ العبّاسيون قِيادَ دولتهم إلى الفُرس جُملـة ، حتى أصبحت الدولة العبّاسيّة فارسية في كلّ شيء ، وحتى أصبـح الفُرس والخُراسانيون خاصة يُدْعَوْن « أبناء الدولة » . فأثار ذلك نقمـة العرب والشيعة منهم خـاصة على العبّاسيين .

الادب العباسي وخصائصه

إن الأدب الذي ساد في صدر الدولة العبّاسية يسمّى **الادبَ العباسي** نسبةً إلى الدولة التي قيل في أيامها ؛ ويسمّى **الادب المُولَّد** لأن معظم الأدباء في ذلك العصر كانوا مُوَلّدين (مُوْلودِينَ من أبوين أحدُهما عربي والآخر غير عربي) ، أو **الادب المُحْدَث** لأن أولئك الادباء كانوا مُحْدَثين (جُدُداً أو متأخّرين بالاضافة إلى أدباء الجاهلية وأدباء العصر الاموي) . ثم ان الادب نفسه كان ، بهذا المعنى ، مُوَلّداً : لم يكن عربياً خالصـاً في معانيه وأسلوبه ،

فقد دخل في الادب العربي فنونٌ وأغراض ومعانٍ لم يألفها الادب العربي من قبلُ كالغزل المذكر والخمريات والتوفّر على الاوصاف الحضرية واهمال العصبية العربية البدوية . ثم « دالت دولة الجمل والطلل » ، وقام على انقاضها « دولة الرياض والحسان » ؛ وزالت من الشعرِ المطبوع بالطابع الجديد آثارُ التقليد للأقدمين والإحترامِ لهم وحلّ مكانها النفور من حياتهم وأغراضهم ، لا منهم ، وبدأ الابتكار . ثم مات التستّر والكناية وظهر مكانهما التصريح وقلّة المبالاة .

أما الأُسلوب فدخل عليه شيء من الضَعف في معرفة خصائص الألفاظ وفي التركيب أيضاً ، ولكن اكتسب رِقّة في التعبير ودخل عليه التكلّف بالإكثار من الصِناعة (الجِناس والطِباق خاصة) . **وتطوّر النثر** في العصر العباسي تطوراً كبيراً **وبدأ التأليف** على ما نعرف اليوم .

وحدث تطوّر آخر في الشعر ، إذ مال المُحدَثون إلى الأوزان القصيرة وإلى نظم المُقَطّعات : الأبيات المعدودة في أغراض محدودة ، كما أحبّوا القوافيَ التي كانت إلى ذلك الحين مهجورة أو شبه مهجورة ، فَبَنَوْا بعض مقطّعاتهم على ما عَذُب من الذال والطاء والضاد ، فلم تنفر في السمع ، لأنهم لم يطيلوا القصائد فيُضطروا إلى الإستعانة بقوافٍ غريبة .

الالفاظ الجديدة

إن البيئة العباسية بما جد فيها من مظاهر الحضارة المادية ومن أوجه الثقافة الأجنبية خاصة وبما حدث فيها من جوانب الحياة الاجتماعية اقتضت ألفاظاً جديدة للتعبير عن تلك المظاهر والأوجه والجوانب . وقد تجلّت العبقرية اللغوية في العرب عن ثلاثة أنواع من الالفاظ : **الالفاظ المولّدة** وهي صيغ مشتقّة من جذور عربية نحو « تلاشي » أي اضمحل ، و « استأهل » بمعنى استحق ، و « الإيقاع » أي الضرب على الدف ونحوه على نظام معين ، وكذلك لفظة « أدب» الدالة على الإنتاج الراقي من الشعر والنثر . وربما كان التوليد في استعمال صيغة عربية قديمة لتأدية معنى جديد ، نحو : استعرض ، فان معناها الجاهلي « قتل بالسيف » فاستُعمِلت في العصر العباسي بمعنى « تَصَفّح الأوجه المختلفة في شيء

ما » كقولنا اليوم : « استعرض القائدُ الجيشَ » .

ثم حدث في البيئة العباسية مظاهرُ ومعان لم يجدِ العرب لها في لغتهم ألفاظاً تؤديها من قرب أو من بُعد فعرّبوا ألفاظها الأجنبية « أي أجْرَوْا اللفظ الأجنبي في صيغة عربية قَدْرَ الامكان » نحو « أنذزاه » الفارسية فانها أصبحت هندسة و « كليما » اليونانية فانها أصبحت إقليم . فهاتان وأمثالهما هي **الالفاظ المعرّبة** .

وبقي عدد من الكلمات لم يمكن تعريبها أيضاً فظلت مدة على لفظها الأجنبي ، نحو « أباذميا » و « اسطقس » و « اسطرونوميا » ثم أوجدت لها ألفاظ عربية هي « الوباء ، العنصر ، والهيئة أو الفلك » . ثم بقي ألفاظ لم يجد العرب حاجة إلى تعريبها أو لم يتأتَّ لهم تعريبُها نحو قانون ، جغرافية ، أسطرلاب ، كاغد ، الخ . وهذه كلها تسمّى **الالفاظ الدخيلة** لأن العجمة ظلت ظاهرة عليها .

المذهب البغدادي والمذهب الشامي

انقسم الشعراء ، منذ الجاهلية ، فريقين : فريقاً أخذ شعرَه بالتنقيح والتهذيب مثل أوْسِ بن حَجَر وزُهَير بن أبي سُلْمى والنابغة الذُبياني ، وفريقاً جرى في نظم الشعر على السليقة مثل طرفة وعنترة والخنساء . وكانت قيمة شِعر الفريق الثاني بالمعاني التي فيه ؛ أما تراكيبهم فكانت تتعقّد أحياناً حتى تكاد تَسْتَغْلِق كما نرى في شِعْرِ طرفة ، أو تضعف حتى تَرِكّ كما نرى في شِعْر عنترة . أمّا الفريق الاول فكانت قيمة شِعْرهم في « العناية بالتعبير عن المعاني » وفي « تَطَلُّب التشابيه والاستعارات وإخراجها مخرجَ الصور الشعرية » .

وعاش المذهبان إلى العصر الأُموي : فالأخطل كان من الذين يأخذون شعرَهم بالتنقيح ، بينما عمرُ بن أبي ربيعة كان يجري في شعره على السليقة . فلما جاء العصر العبّاسي كان الميل فيه إلى نظم الشعر سليقةً وطبعاً كما نرى عند بَشّار بن بُرد وأبي نُواسٍ وابن الرومي . وبما أن مُعْظَمَ الشعراء الذين كانوا يفضّلون المعنى على اللفظ كانوا يعيشون في بغداد ، فقد عُرِفَت طريقتُهم بِٱسْم

المذهب البغدادي . ثم كان هنالك شعراءُ مالوا إلى « التأنّق » في اللفظ » ؛ وبما أن مُعْظَم هؤلاء كانوا ممن نشأوا في الشام ثم اتفق أنِ انتقلوا إلى بغداد مثل أبي تمّام وتلميذه البحتري ، أو كانوا من الذين آثروا الشام في السُكنى مثل ديك الجن الحمصي استاذِ أبي تمّام ، ومثل المتنبي وأبي فِراسٍ والمعرّي ، فقد سمّيت طريقتهم في الشعر المذهب الشامي . ويحسن أن نشير هنا إلى أن نفراً من شعراء بغداد كمُسْلِم بن الوليد والشريف الرضي كانوا من أتباع المذهب الشامي . ثم اننا كثير ما نجد لأتباع المذهب الشامي مقاطع وقصائد تجري على المذهب البغدادي ، كما نرى للبغداديين أبياتا يتأنّقون فيها ويُغالون .

خصائص الشعر الشامي

من أبرز خصائص الشاعر الشامي الجِدّ فقلما مال الشاعر الشامي إلى الهزل أو المرح في شعره . ومنها **اعجابه بالفنون القديمة كالنسيب القديم** ، سواء أأحبّ حباً عفيفاً أو حباً مادياً أو لم يُحِبّ قَطّ . ومنها **الفخر** بالعرب في شعره ، سواء أكان عربياً كالبحتري والمتنبي ، أو فارسياً كمسلم بن الوليد ، أو رومياً كأبي تمّام . ومنها **الحماسة (الفروسية ووصف المعارك)** سواء أكان فارساً وخاض المعارك كالمتنبي وأبي فراس ، أو جباناً كالبحتري . ومنها **تكلف المعاني البعيدة والغوص عليها** . ومنها **تكلّف الألفاظ الغريبة** . ومنها **تكلّف التشابيه والاستعارات والبديع** (الجِناس والطِباق) خاصة ، حتى أن الشاعر الشامي ليُحاوِلُ ألاّ يُخلِيَ بيتاً له من ضَرْب من ضروب البديع . ومنها **الاتكاء** في التشابيه والاستعارات **على قضايا المنطق والنحو والفِقه** وغيرها من العلوم . من أجل ذلك ظلت **القصيدة** عند الشاعر الشامي على شكلها القديم **تجمع فنوناً مُتَعَدّدة** .

أمّا سببُ اتّساعِ المذهبِ الشاميّ منذُ صدرِ العصر العبّاسيّ فراجعٌ إلى أن خصائصَ الادب المُحْدَث (ومُعْظَمها على المذهب البغدادي) كانت شائعةً في شعر شعراءَ اتّهموا بالزندقة حيناً وبالشُعوبية حيناً آخرَ ثمّ كانوا من الذين يفضّلون الحياةَ الفارسية ومِمّن نالوا حظوة عند رِجال الدولةِ الفُرْسِ ، فلمّا

نَكَبَ الرشيدُ البرامكةَ (راجع ، فوق ، ص ٣٥) حدثت رِدّة إلى الحياة البَدْوية وإلى خصائصِ الشعر البَدْوي (وهذه جانبٌ من المذهب الشاميّ) . ولمّا أصرّ الخلفاء والوزراء والأمراء على أن يُمْدَحوا بشعرٍ على المذهب القديم مَعَ الوقوف على الاطلال لم يَجِد الشعراءُ المتكسّبون بُدّاً من موافقة هؤلاء على هَواهم وإن لم يكنْ ذلك رأياً لهم ، كما كان شأنُ أبي نواسٍ مثلاً . وكذلك كان ثمّت شعراءُ لم يشاءوا أن يتركوا المذهب البغداديّ ولو أدّى ذلك إلى أن يَخيبوا عند الممدوحين ويَخسروا دَخْلهم من المديح بالشعر ، كما كان شأنُ ابن الروميّ .

الوصف في العصر العباسي — وَحدة الموضوع

اتّسع الوصف في العصر العباسي اتساعاً كبيراً وتناول مظاهر البيئة الجديدة : الهياكل والجنائن ، والمطاعم والملابس ، والخمر والزهر . ثم تعرّض الشعراء للأحوال الفكرية والاجتماعية من إدخال مدارك النحو والمنطق والفلسفة في الشعر ومن وصف مجالس الغناء . وكذلك اتسع التحليل النفسي ، إذ أخذ الشعراء خاصة ينظرون إلى ما وراء أعمال الانسان الظاهرة فتكلموا في الصبر والمكر واستقرأوا شعور السكران والغضبان والثاكل والمهزوم والغني والمتكبر والكريم والبخيل ، كما نرى عند معظم الشعراء ، وعند أبي نواس وابن الرومي على الاخص . ولقدِ اقتضى ذلك كلّه أن يحاول الشاعر أن يستوفيَ كثيراً من عناصر الوصف والتحليل في مكان واحد من قصيدته وفي أبيات متتالية فنشأ شيء من وَحدة الموضوع أو برزت وحدة الموضوع في الشعر العباسي بروزاً ظاهراً .

اتّساع الفنون الأدبيّة — في الشعر والنثر

إذا نحنُ استَثْنَيْنا الغزلَ المُذكّر وحدَه فإننا لا نَجِدُ في الشعر العبّاسيّ فنّاً لم يكن في الجاهليّة أو لم يكن له صلةٌ بفنّ جاهليّ . فالفخر والمديح والرثاء والغزَل والأدب (الحِكْمة) والوصف والزُهد والمُجون فنونٌ معروفةٌ أصولُها في الشعر الجاهليّ .

تضاءل الفخرُ القبليّ القديمُ واتّسع الفخر الشخصيّ بالنفس وخصائصِها الذاتيّة والاخلاقية وبنتاجها الشعري . وكذلك اتّسع المديح بالشجاعة والكرم وشَرَفِ الأصل وأصالة الرأي وزادت عليه خصائصُ منها المَقْدِرة في لَعِبِ الشِطْرنج مثلاً ، كما نرى عند ابن الرومي ، ومنها المدح الغزليّ ، كما نرى عند أبي نُواسٍ في مدح الامين . وأصبحت خِدمةُ الإسلام في الحرب والإدارة والعدل من عناصر المدح العبّاسي . وكثيراً ما كان الشعراء يَمُنّون على الممدوحين أنهم يمدحونهم وأنهم ينظمون فيهم شعراً يَعْجِزُ غيرهم عن مثله ، كما نرى عند أبي نواس وابن الرومي وعند المتنبي فيما بعدُ .

ورقّ ٱلِاعتذار الذي رأيناه عند النابغة الذبيانيّ واتّسع فيه العتاب الرقيق الذي نراه عند البُحتريّ . وكَثُرَ الزهد والأدب (الحكمة) وأصبحا فنّينِ يعالجهما نفرٌ من الشعراء في قصائدَ أو مقطّعاتٍ تامّة ، واتّسع القول فيهما في الاغراض والأسلوب .

وكان الطَرْدُ (وصف الصيد) معروفاً في الأدب القديم فأصبح في العصر العبّاسي باباً مستقّلاً . ولم يقتصرِ الطردُ على الصيد فحَسْبُ بل تناول كلَّ ما يتعلّق بالحَيَوان حتّى وَصْفَ « قِتالِ الدِيَكَة » ، كما نرى عند أبي نواس . وكذلك الخمر أصبحت فنّاً قائماً بنفسه مستقلاً في القصائدِ والمقطّعات ، مَعَ ما يَتْبَع ذلك من آداب المُنادمة مثلاً .

أما الفنّ الذي نستطيع أن نقول إنّه نشأ في العصر العبّاسي بعدَ أنْ لم يَكُن فهو الغزلُ المذكّر : إنّه إعجابٌ بالذكور نَظَرِيّاً وعَمَلِيّاً لم يكنْ موجوداً عند الأُمويّين ولا عند الجاهليّين . وأمّا الذي دعا إلى نشأة هذا الفنّ في الشعر فهو مزيج من الحاجة والأُلفة والتَرَف تَسَرّبَ إلى العرب من الفُرسِ مَعَ مجيء جيوش أبي مُسْلِمٍ الخُراسانيّ . وقد ذكر الجاحظ سبب انتشار هذه الفاحشة بين العرب في « كتاب المعلّمين » فقال حمزة الاصفهاني [1] :

« إنّ الشعراء قاطبةً من أيّام مولد الشعر قُبيلَ الإسلام في آخر بني أميّةَ كان تَشْبيبهم بالنساء لا غيرَ ، إذ كانت دواعي عِشْقِهم من جهة النساء .

---

[1] كتاب المعلمين مفقود ، ولكنني عثرت على صفحة منه منسوخة في مخطوطة لديوان ابي نواس من جمع حمزة بن حسن الاصفهاني Hss. in der Staatsbibliothek zu Berlin, Nr. 7532

فلمّا أقبلت المُسَوِّدة [1] من المشرق مَعَ أهل خُراسانَ أحْدِث فيهم اللِواطُ لارْتِباطِهِم [2] الغِلْمانَ فشبّب شعراء الدولة ..... بالذُكران . وكان لحدوث هذه الفاحشة في الخراسانيّين سببٌ حكاه الجاحظ في كتاب المعلّمين ، زعم ... :

« أنّ السببَ الذي أشاع اللواطَ في أجْناد خراسانَ خروجُهم في البُعوث [3] مَعَ الغلمان ، وذلك حين تَعَذّر عليهِمُ اصطحابُ النساء والجواري حين سنّ أبو مُسْلِمٍ (الخراسانيّ) صاحبُ الدولة في تلك العساكر ألاّ يَصْحَبَها النساءُ خِلافاً على بني أميّةَ في إخراجهم النساءَ مَعَهم في العساكر ؛ ولم يكن لهم بُدّ من غِلمان يخدمونهم .... فتعوّد القومُ ذلك في أسْفارهم فلم يقْفُلوا منها إلى منازلهم إلاّ وقد تمكّنت منهم ....

« ولو كانت هذه الشهوةُ شائعةً في الاعراب لتعَشّقوا الغلمانَ بهـا ، ولو تعشّقوا الغلمان لنَسَبوا بهم [4] ولتَهاجَوْا ولتَفاخروا ولتنافسوا (فيهم) ؛ ويجري في ذلك من الشرّ ما لا يَخْفى مكانُه » .

أما النثرُ فكان أكثر تطوّراً واتّساعاً في العصر العبّاسي من الشعر .

نشأت التوقيعاتُ ، وهي جُمَلٌ قِصارٌ مُقْتَبَسة أو مُنْشأة كان الخلفاء خاصّةً يُوقّعون بها (ومن هنا جاء اسمُها) في آخر القِصَص (الرِقاع والاوراق التي تُعْرَضُ عليهم وفيها اقتراحٌ بعملٍ أو طَلَبٌ من مُحتاجٍ أو حُكْم من قضاءٍ أو مَبْلَغ من المال للصَرْف والإنفاق) . ومَعَ أن التوقيعاتِ كانت معروفةً منذ عصر الخلفاء الراشدين ، فانها اتّسعت في العصر العبّاسي اتساعاً جَعَلَها خاصّة من خصائصِ هذا العصر . فمن التوقيعات العبّاسية مَثَلاً : شكا أهلُ الكوفة إلى أبي جَعْفَر المنصور سوءَ مُعاملة عامِلِهم (المكلّفِ بجمع الضرائب منهم) فوقّع أبو جَعْفَرٍ في أسفل رُقْعَتِهم التي رفعوها اليه في هذا الشأن : **كما تكونون يؤمّرُ عليكم** (المقصود : ان المنصور ردّ طلب أهل الكوفة فلم يقبل بتبديل العامل) .

---

١ المسودة : دعاة بني العباس سَمَّوْا أنفسهم بذلك بعد أنِ اتّخذوا ثياباً سوداً ورايةً سوداءَ خلافاً لبني أمية الذين كانت رايتهم بيضاء .

٢ ارتبط الخدم والخيل : جعلهم قريبين منه لخدمته .

٣ البعث : الجيش الذاهب إلى الحرب .

٤ نسب وشبب : تغزل .

واتّسعت الكتابةُ الديوانية (تبادلُ الرسائلِ بين الخلفاء والولاة ، الخ) — كما كثُرت الرسائل الإخوانية — فقلّ بذلك شأنُ الخطابة .

التدوين والتأليف خاصّة

أمّا المظهرُ الأدبيّ الذي برز في العصر العبّاسيّ بُروزاً عظيماً فكان التدوينَ .

كان الادبُ القديم قائماً على الرواية (يتَناقَلُه الناسُ من طريق اللسان) . أما في العصر العبّاسيّ فغلَبَ التدوينُ وجعل الرُواةُ والعلماءُ يُدوّنون (يَكْتُبون) ما يَسْمعونه وما يَخْطُرُ في بالِهم .

ويتناول التدوين جوانبَ عديدةً :

أ — إثبات الرِواياتِ كما سُمِعَتْ (وخصوصاً فيما يتعلّق بالحديث وبالتاريخ) .

ب — إثباتَ معاني الروايات ، بعد إيجازِ ما طال منها أو ما تكرّر فيها (وخصوصاً فيما يتعلّق بتاريخ الأدب وبالأحوال الاجتماعيّة ، عند تعدّد الروايات) .

ج — تنسيقَ الرواياتِ (جمعَ المُتَشابه منها ما أمكن في محلّ واحد) كما نَجِدُ في كتاب الكامل للمبرّد مثلاً . على أن هذا التنسيق لم يكنْ جامعاً ، فقد يَنْسى المدوّنُ أمراً فيعودُ إلى ذِكْره في مكان تالٍ .

د — التأليفَ ، وذلك أن يَضَعَ المدوّنُ نِظاماً معيّناً لمادّته الأدبية أو العِلمية ، كما نرى في كتاب كَلَيلةَ ودِمْنَةَ لابن المُقفّع وكتابِ الحَيَوانِ للجاحظ .

هـ — النقل : وقدِ اتّسع النقلُ في العصر العبّاسي ودُوّنَ المنقولُ من الحِكَم وآدابِ السُلوك وفنون العلم والفلسفة ، عن اللغة الفارسية والسُريانية واليونانية والهندية .

و — وربمّا كان الذي يُدوّن الرواياتِ يُبدي رأياً بعدَ رأيٍ في صحّة الرواية أو في قيمتها أو يفسّرُ ما يدوّنُ من بعض الشعر أو النثر ،

وذلك طليعةُ النقد . ثمّ ان هؤلاء جعلوا في كتبهم مقاطعَ خاصّةً بالنقدِ اللغوي أو البلاغي أو الأدبيّ . ثمّ نشأت ، فيما بعد ، كتب النقد .

المذاهب اللغوية والأدبية

إن جميع بحوثِ العربِ في اللغة (في الألفاظ والتراكيب وفي صيَغ الكلمات المختلفة وفي الإعراب ، وفي ما وَرَدَ عن العرب وما لم يَرِدْ ، وفي ما ورد عن قبيلة دونَ قبيلة) إنما قُصِدَ بها ضبطُ لُغة القُرآن **حتّى يظلّ القُرآنُ يُقْرأ كما نَزَلَ على الرسولِ فقرأه الرسولُ على المسلمين الاولين** . ويَحْسُنُ أن نعلمَ أن جمعَ أشعار العرب الجاهليين وأخبارَهم وأمثالَهم إنما قُصِدَ به أيضاً ما قُصِدَ من جمع لُغاتِهم (في ألفاظهم واعرابها) .

ولا ُبدّ ، في فَهْمِ ما يسمّيه مؤرخو التاريخ والأدب « الاختلاف بين علماءِ البَصْرة وعلماءِ الكوفة » في ذلك كلّه ، من اعتبار ما يلي :

(١) اللغة تتطوّر بالإضافة إلى الأمكنة والأزمنة حتى تَظَلّ موافقةً لحاجاتِ المتكلّمين بها . وقدِ اُختلفتِ اللغةُ العربية بحَسْبِ ذلك بين القبائل الشّمالية نفسها قليلاً ، كما اختلفت من لُغةِ العَرَبِ الجَنوبيّين (لغة القبائل اليَمَنيّة) كثيراً حتى أصبحَ أهلُ اليمن قبلَ الإسلام يتكلّمون لغةً مُخالفةً لِلُغَةِ مُضَرَ (عرب الشّمال) .

(٢) لمّا نَزَلَ القرآنُ الكريمُ نزل بلغةِ قريشٍ — أفصح قبائلِ العربِ عند علماءِ اللغة — فعُدّ كلّ ما بَعُدَ عن لغة قريشٍ ، في لفظه وصيغته وإعرابه ، غريباً نادراً في اللغة العربية .

إن علماء اللغة لمّا جَمعوا ألفاظ اللغة لم يَجْمعوا ألفاظَ مُضَرَ فقطْ ، بل جمعوا كلّ ما سَمعوه من البَدْو لأن البَدْوَ كانوا في رأي أولئك العلماء **يتكلّمون سَليقةً ولا يُخْطِئون** . من هذا **الافتراض** انطلقَ العلماء يُصنّفون الألفاظَ فصيحةً وغريبةً وحُوشيةً ودَخيلةً .

(٣) إن الذي نسمّيه « اختلافَ الرواة » ليس في الواقعِ سِوى تَمَسّكِ كلّ

فريق بما سَمِعَ في البيئة المحيطة به ، ويبدو أن الفرقَ بين رأي علماء البَصْرة وبين رأي علماء الكوفة في طرُقِ اشتقاق الألفاظ وفي الدفاع عن بعض أوْجُه الإعراب وفي إقامة الأدلّة على رأي دون رأيٍ إنما هو من عَمَلُ العُلماء المتأخّرين ، بدأ مَعَ المُبَرّدِ وثعْلبٍ في الاغلب .

لمحة تاريخية :

جاء عُمَرُ بنُ الخطّاب إلى الخلافة (١٣ هـ) ثم بُنِيَت البصرة والكوفة في العامين التالِيَيْنِ فأنزلَ عُمَرُ في الكوفة أنصارَ المَدَنِيّين وآلِ أبي طالب الذين كانوا يُريدون الخلافة بعد رسول الله للإمام عليٍّ ، وأنزلَ في البصرة خصومَهُمُ السياسين . وجاء الإمامُ عليٌّ وثارتِ الحربُ بينه وبين عائشةَ وطلحةَ والزُبير في مَعْرَكة الجَمَل ، فكان أهلُ الكوفة مَعَ الإمامِ عليٍّ وأهلُ البصرة مَعَ عائشةَ وطَلحةَ والزُبير .

ولقد اتّفق أن يكونَ أهلُ الكوفة مُخالفين لأهلِ البصرة في اللّغة والنَحْو أيضاً .

وأقْدَمُ مَنْ شَغَلَ بالَه بالنحو فيما ثَبَتَ من التاريخ أبو عُمَرَ عيسى بنُ عُمَرَ الثَقَفيّ (ت ١٤٩ هـ ، ٧٦٦ م) ، وكان من أهلِ البصرة ، قيل إنه ألّف في النحو كتابين ولكنّهما لم يَصِلا إلينا . وقيل إن المُبَرّدَ رأى منهما أوراقاً ، وقال ياقوتٌ الروميّ إنه لم يَرَهما ولا رأى من رآهما .

واتّجاه عيسى بنِ عُمَرَ في اللغة والنحو هو الاتّجاهُ الذي عُرِفَ به علماء اللّغة والنحو البصريون : **التمسّكُ بالنّص والمَثَلِ كما سُمِعا من البَدْو** من غير تحكيمٍ لِقاعدة أو تذليلٍ لِمَنْطِق . من أجل ذلك تبقى اللّغة بألفاظها وتراكيبها وإعرابها عند البصريين أمثلةً مُفْرَدة كلّ لفظةٍ صحيحةٌ بنفسها لأن العرب (البَدْوَ والجاهليين منهم خاصةً) قد جاءوا بها على ذلك الوجه المَخْصوص . إننا مثلاً نجمع « باب » على « أبواب وبيبان وأبْوِبة » (أما أبوبة فجَمْعٌ نادر : لم يُسْمع كثيراً) . أما ناب (السِنّ التي في الفمّ) فتُجْمع على أنْيُب وأنياب ونُيوب . وكذلك دف ، رفّ ، صفّ فانّها تجمع على دفوف ، رفوف ، صفوف ليس إلاّ ذاك ، أما كفّ فانها تجمع على أكفّ

وكفوف وكُفّ . ولا يجوز عند البصريين أن نجمع كلّ كلمة من الكلمات التي ذكرت إلاّ على ما سمعنا في جمعها عن العرب ؛ فلا يجوز أن نجمع « ناب » على نيبان (قياساً على بيبان في جمع باب) ، كما لا يجوز أن نجمع دَفّ وصَفّ على أدُفّ وأصُف (قياساً على أكفّ) . **أما علماء الكوفة فقالوا : إن ذلك جائز** ، فما دام الاسم دَفّ موازياً في صيغته للاسم كَفّ فيجوز أن نَجْمَعه على أدُفّ كما جمعنا كَفّ على أكُفّ !

وكان للبصريين رأي أشدّ خطَراً من ذلك : كانوا يأخذون بالتواتر . إذا كثُرَ سَماع اللفظ كانت كثْرة سَماعه عندهم دليلاً على صحّته : إن الجمع « أبواب » عندهم جمعٌ صحيحٌ يجوز لنا أن نَسْتَعْمله في كلامنا . أما الجمع « أبوبة » فهو نادر أو شاذّ قد قَبِلْناه من الأعرابي الذي قاله ، ولكننا لا نستعمله نحن في كلامنا ؛ فإذا استعمله أحد في نثر أو شعر عَدَدْنا ذلك « خطأ » منه . أما الكوفيون فاحترموا اللفظ الواصل اليهم من الأعراب سَواءٌ أسُمِعَ هذا اللفظُ من الأعراب ألفَ مرّة أو سُمِعَ من أعرابيٍ واحد مرّةً واحدةً ، ذلك لأن الأعراب — في رأي الكوفيين — يتكلّمون سَليقةً فلا يُخطئون ، فنحن نَقْبَلُ كلّ ما وَصَل إلينا عَنْهم على مُسْتوىً واحد من الصحة والأصالة. ثم يخطو الكوفيون خطْوةً أبعدَ فيعدّون ذلك الذي سُمِعَ من أعرابيٍ واحد مرّةً واحدةً أساساً للقياس عليه فيُجيزون أن نقولَ أنيبَةً (في جَمْع ناب) وأجورة (في جمع جار) وأتوجة (في جمع تاج) .

ويبدو أن لهذا الاختلاف في الرأي ، بين البصريين والكوفيين ، وجهاً من التعْليل : كانتِ البصرةُ أقربَ إلى البادية حقيقةً ومَجازاً ، وكان الأعراب أكثرَ وروداً على البصرة ، وبالبصرة كان المَرْبدُ الذي كان العربُ يتوافدون إليه للبيع والشراء ولإنشاد الشعر وإلقاء الخُطَب : لقد كان مربد البصرة عكاظَ العراق . من أجل ذلك كان علماء البصرة أكثرَ لقاءً للبدو وأكثرَ أخذاً عنهم . ثم ان الكوفة كانت أكثرَ إيغالاً في العراق وأكثر سواداً (أرضاً مزروعة) وأشدّ صلة بغَيْرِ العَرَبِ (بالآراميين والفرس) **فاعتاض العلماء الكوفيون عن سَماع الأعراب بالاتّجاه نحو القياس المنْطقي .**

على أن هذا لا يَعْني أن البصريين اكْتَفَوْا بالسماع ولم يَلْجأوا إلى القياس البتّةَ ، ولا أنّ علماء الكوفة لَزِموا القياسَ ولم يتَزَحْزحوا عنه إلى قَبول

السَماع . إن علماء المذهبين قد أخذوا في أوّل الأمرِ بالمبدأين : مبدإ السَماع ومبدإ القياس ؛ ولكنّ المتأخرين من علماء البلدين اتّخذوا اللّغة والنَحْوَ مَيْدانَ مَعْرَكة لُغَوية كما كانوا قد اتّخذوا الخلافة مَيْدان معركة سياسية دينية .
والواقع أن أهلَ البَلاط العبّاسي كانوا يُفضّلون الرأيَ من العلماء الكوفيين على الرأيِ من العلماء البصريين ، بقَطعِ النظر أحْياناً عن صِحّة الرأي نفسهِ ، لأن أهلَ الكوفة كانوا شيعةً لبني العباس .

ثم يَحْسُنُ أن نعلم أن العلماء من البصريين والعلماء من الكوفيين لم يَلْتزموا بَلَدَيْهِم ، فقد أخذوا ينتقلون — مُنْذُ أواسطِ القرن الثالث للهِجرة (العاشر للميلاد) — إلى بَغْدادَ ، ثم أخذوا يتزحزحون عن تشدّدِهم شيئاً فشيئاً ليأخذوا بالتلفيق بين المذهبين .

من وجوه الخلاف بين الكوفيّين والبصريين

— يأتي رأي الكوفيين ثم يَتْبعه رأيُ البَصْريين (بين هِلالين) :

قال الكوفيون : الاسْمُ مُشْتَقٌ من الوَسْمِ — بمعنى العَلامة (وقال البصريون: الاسم مُشتق من السُمُوّ — بمعنى العلوّ) .

* المبتدأ مرفوع بالخَبَر ، والخبر مرفوع بالمبتدأ (المبتدأ مرفوع بالابتداء ، والخبر مرفوع بالمبتدأ) .
* المفعول به منصوب بالفاعل (الفاعل مرفوع بالفعل ، والمفعول به منصوب بالفعل أيضاً) .
* نِعْم وبِئْس اسْمانِ (نعم وبئس فِعلانِ ماضيان لا يتصرّفان) .
* يجوز بِناءُ اسْمِ التفضيل من السَواد والبَياض على أفْعَلَ ، نحو أبْيَض : أشدّ بياضاً (لا يجوز) .
* المصدر مشتقّ من الفِعل (الفعل مشتقّ من المصدر) .
* الاسم المُنادى المفرد مُعْرَب مرفوع بغير تنوين (... مَبْنِيّ على الضَمّ ومَوْضعه النصبُ لأنه مفعول به .
* فعل الأمر مُعْرَب مجزومٌ (فعل الأمر مَبْنِيّ على السكون) .

* « حتى » حرف نصب تَنْصِبُ الفعلَ المضارع بعدها (« حتى » حرف جر يُنْصَبُ الفعلُ المضارع بعدها بحرف النصب « أنْ » مُضْمراً) .

مخضرمو الدولتين

المخضرم هو الرجل الذي عاش في عصرين . والمخضرمون باطلاق هم « الشعراء الذين كانوا في الجاهلية ثمّ أدركوا الاسلام » . أما **مخضرمو الدولتين** فهم الذين اشتهروا في دولة بني أميّة ثم أدركوا دولة بني العبّاس .

عبد الله بن المقفع

١ — كان داذويه (والدُ عبدِ اللهِ بنِ المقفّع) رَجُلاً فارسيّاً مجوسياً أصلُه من قريةِ جورَ (فيروزابادَ اليوم) ، جاء إلى البصرة وتَوَلّى فيها بعضَ أعمالِ الخَراج ، في أيام الدولةِ الأموية ، فاُحْتَجَنَ شيئاً من المال (سرقه) ، فَضَرَبَهُ الحجّاجُ بنُ يوسفَ فتقفّعتْ يدهُ (تجمّع باطنُها) فعُرِفَ بالمُقَفّعِ .

وفي البصرةِ رُزِقَ داذويه وَلداً سمّاهُ روزبه اُسْماً فارسيّاً ولقّبه أبا عمرٍو تقرّباً إلى أهل البيئة العربية التي كان يحيا فيها .

نشأ روزبه في البصرة نشأةً عربيةً إلى جانبِ الثّقافةِ الفارسية التي وَرِثَها من أسرتِهِ . وفي أواخرِ العصرِ الأمويّ أصبح كاتباً في خِدْمَة آل هُبيرةَ ، مُختَصّاً بداوودَ بنِ عُمَرَ بنِ هُبيرة أخي يزيدَ بن عمر والي البصرة والكوفة (١٢٩ — ١٣٢ ه) . غير أن نجمَه لم يتألّقْ حتّى اتّصلَ بعيسى بن علي عمّ الخليفةِ العبّاسيّ أبي جعفرِ المنصور ووالي الاهواز (١٣٣ — ١٣٥ ه) وأسْلَمَ على يَدَيْهِ وتَسمّى بعبدِ الله وتلقّب أبا محمّدٍ . ومُنْذُ ذلك الحينِ أصْبَحَ يُدْعى **عبدَ الله بنَ المُقَفّعِ** .

ولكنّ عبدَ اللهِ بنَ المقفّعِ لم يَعِشْ في الإسلام طويلاً ، فقد أوْعزَ

أبو جعفرٍ المنصورُ إلى سُفْيانَ بن مُعاويةَ بنِ يزيدَ بنِ المهلّبِ والي البصرة (١٣٩ – ١٤٥ هـ) بقتله ، قيل لأنه كان على الزّندقة ، وقيل بل أراد المنصورُ أن يَستدرِجَ عمّه عبدَ الله بنَ عليٍّ ، وكان قدْ ثارَ عليه سنَةَ ١٣٧ هـ ، فعهِدَ إلى ابنِ المُقفّعِ أنْ يكتُبَ اليه رِسالةً يُؤمّنه فيها (أماناً ظاهراً) . ولكنّ ابنَ المقفّع بالغ في التأكيدِ والصّراحة حتّى لم يَدَعْ مَجالاً لِتأوّلِ شيء ، إذ قال (على لسانِ المنصور) : « وإنْ أنَا نِلْتَ عبدَ الله بن علي أو أحداً ممن أقْدمُه معَه بصغيرٍ من المكروه أو كبير ... سراً أو علانية ... فأنا نَفِيٌّ من محمدِ بنِ علي بن عبد الله ... وقد حلّ لجميعِ أمةِ محمّدٍ خلْعي وحَرْبي والبرَاءةُ مني » . وقيل بل ألّف ابنُ المقفع كتابَ كليلة ودِمْنة تعريضاً بالمنصور وتلميحاً اليه .

وكان مقتلُ عبدِ الله بنِ المقفّعِ في البصرة سنَةَ ١٤٢ هـ (٧٥٩ م) .

٢ – كان ابنُ المقفّع شديدَ الذكاء ، عقلُه أكبر من علمه ، دقيقَ المُلاحظة بارعاً في مُعالجة الموضوعاتِ المادية الحِسّيّة والعقْليةِ المُجردةِ مَعَ سَعَةٍ في المعرفة واتّزانٍ في الأحكام وإصابةٍ في الرأي .

وابن المقفّع بارع في البحث والتحليل وفي سردِ القِصَص وضَرْبِ الأمثال . ثم إنه يأتي بالبحث وبالقِصَص والأمثال متداخلةً في استطراد مُحكَمٍ : يبدأ قِصةً فإذا سار فيها شوْطاً انتقل إلى غيرها ، ثم ينتقلُ على هذا الشكلِ إلى ثالثة ثم إلى رابعةٍ فخامسةٍ في بعض الأحيان . ويكون البحث والتحليل والحِكَم موزّعةً بين أقسامِ القِصّةِ الواحدة وبين الأمثال المضروبة . فإذا استوفى ابنُ المقفّع مَدى الفِكرة التي يُعالجها عاد فأتمّ القِصةَ الأخيرةَ ثم التي قبْلَها فالتي قبلهما حتى يعودَ إلى القِصة الأولى فيُتِمّها . وهكذا يتَحمّلُ ابنُ المقفع القارئ العاديّ على قِراءةِ البحث والتحليل وهو يُحاولُ أن يتَتبّعَ أقسامَ القِصةِ والأمثالَ المضروبةَ .

والألفاظُ عند ابنِ المقفّع فصيحةٌ إلّا إذا اضْطُرّ إلى استعمال ألفاظٍ فنّيّةٍ مثل شُبْهة (التبَسَ ، اختَلَطَ) ، مِرْية (شكٌّ ، رَيْب) ، خافِر (ناقِض للعَهْدِ) ، السِباخ (الأرضُ المُهْمَلة) ، السِرْجين (الزِبْل) . والتركيب عنده صحيحٌ سهلٌ . إلا أن جُمَلَه طويلةٌ متعانِقَةٌ مما يُؤدّي أحياناً إلى شيءٍ من الغُموض في التعبير . وابن المقفع بارعٌ في التَصَرّفِ بأحرفِ الجرّ

الكثيرةِ وبأسماءِ المَوْصول . وأسلوبُه خالٍ من الصناعة ، إلا ما يَقَعُ له منها عَفْواً مرةً بعد مرةٍ وفي مواقفِ التهكّمِ في الأكثر .

كان ابن المقفّع كاتباً مترسّلاً (مُوَظّفاً في الديوان أيام بني أمية) . ولكنّ شهرتَه تقومُ على كتاب كليلةَ ودِمنة ، وهو أشهرُ كُتُبه وأعظمُها وأدلّها على أسلوبه وأجلّها في تاريخ الكِتابة الأدبية . وعليه تقومُ شهرتُه الأدبية .

في كتاب كليلةَ ودِمنةَ أربعُ مُقدّماتٍ ثم خمسةَ عَشَرَ باباً تدورُ حولَ أسئلة يُلْقيها مَلِكٌ من ملوك الهند يَدْعونه دَبْشَليمَ على فَيْلسوفٍ مُعاصر له يَزْعُمون أنّ اسمَه بَيْدَبا . وقد أجاب بَيْدبا على هذه الأسئلة بأجوبةٍ مُناسبة ثم ضرب على ما أجاب به أمثلةً واستخرجَ من كل شيء مَغزىً صرّح به تصريحاً أو تركه ملموحاً .

وفي هذا الكتاب يَتَعَلّمُ الأُمراء كيفَ يحكُمون الرعايا وكيف يَتّقي بعضُهم بعضاً وكيف يَتَعايش الناسُ فيما بينَهم أو يَسيرون على طاعةِ أولي الأمرِ منهم . وعُمْدَةُ الكتاب أن ثمّةَ مُثُلاً عليا ثابتةً من طاعة السلطان وحُسْنِ الصداقةِ ومن الصِدْق في القول والعمل ، ومن أدب الضِيافة .

ولابن المقفّع كتبٌ أخرى ضاع بعضُها وبَقِيَ بعضُها الآخر . وكل هذه الكتب أقلّ أهميةً من كتاب كليلة ودمنة :

كتاب الأدب الصغير : مجموعُ حِكَم يَسوقُها ابنُ المقفّع مجردةً من القِصَص والأمثال ، على خلاف أسلوب كليلة ودِمنة . وبعض هذه الأقوال مذكور في كتاب الأدب الصغير وفي كليلة ودمنة معاً كالقطعة المشهورة : «... ما الإخوانُ ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلاّ بالمال ...» . أما كلامه فمُوَجّهٌ إلى العامّةِ أكثرَ مِنْهُ إلى الحُكّام والوُلاة . والكتاب مجموعٌ من كلامِ الناس وحِكَمِ الشعوب . وسُمّيَ «الصغيرَ» دَلالةً على حَجْمه لا تَعْييناً لمادّتِه وأهميّته .

الأدب الكبير : مجموعُ حِكَم أكبرُ من «الادب الصغير» ، وفيه كلام مبسوطٌ على الصِلة بين الحُكام والرعية أكثرَ مما في الأدب الصغير . ثم فيه أمور تتعلق بالمخالقة بين الناس أنفسِهم .

ويظهرُ أن ابنَ المقفّع أحبّ أن ينظّمَ آراءه هنا أكثرَ مما فَعَلَ في «الأدب

الصغير » فأعطانا « بابَ السلطان » و « بابَ الصديق » . لقد حاول فعلاً أن يضم بعضَ الآراء إلى ما يشاكلها .

أمنقولٌ كتابُ كليلة ودمنة أم موضوع ؟

هنالك ثلاثُ نَظَريات :

(١) الكتاب منقول عن اللغة الفهلوية : إن عبد الله بن المقفّع أعلن في « باب عرض الكتاب » ، وهو مقدمة وضعها بنفسه ، أن الكتابَ هنديّ الأصلِ ، نقله الفُرس إلى لغتهم ، ثم جاء هو فنقله من الفهلوية (الفارسية القديمة) إلى العربية .

(٢) وقال آخرون ان الكتاب غير معروف في الآداب القديمة — بهذا الشكل — وما « دَبْشَلِيمُ الملك » ولا « بَيْدَبا الفيلسوف » ولا « فُورُ ملكُ الهند » إلا أعلامٌ منسوبةٌ إلى زمنٍ لم تكن فيه وأمكنةٍ لا تعرفها. ثم ان ما في الكتاب من احتقارٍ للثور ومن آياتٍ قرآنيةٍ كريمةٍ وأحاديثَ نبويةٍ شريفة ومن آراءٍ لا شكَّ في أنها من صُلْبِ الفِقه الإسلاميِّ ، يدُلّ على أنَّ الكتاب نشأ في بيئةٍ إسلامية عربية مَحْضٍ . على أن الرَّغبة التي كانت آنئذ في الكتب المنقولة لا الموضوعة ، واتّهامٌ عبد الله ابن المقفّع — فيما يقال — بكُرهِ أبي جعفرٍ المنصور حَمَلاه على أن يَنحَل كتاب كَليلةَ ودِمْنَةَ لبيدبا الفيلسوف الهندي وأن يقول إنه نقله من اللسان الفهلوي إلى اللسان العربي .

(٣) على ان تتبّعَ بعضِ الباحثين أثبتَ ان « القِصَصَ » الواردةَ في كتاب كليلةَ ودِمْنَةَ معروفة بأعيانها أو بأشباهها عند اليونانِ وعند الفرس وعند الهنود وعند اليابانيين [١] : وعلى هذا يكونُ عبدُ الله بن المقفّع قدِ اُسْتقى « القِصَصَ » من الأدب الفارسي والهندي ثم ساقها سِياقاً هو أوجده ، واسْتَخلص منها العِبَرَ التي يُريدُها هو وأضاف اليها أو حذف منها . فيكون كتاب كليلة ودمنة إذَنْ غيرَ منقولٍ عن اللغة الفارسية إذا اعتبرنا أن النقل إنما هو وضع الآراء الأجنبية

---

١ راجع مجلة الامالي (بيروت ٣ : ١٧) ٢٨-٨-١٩٤١ ، ص ٢ — ٦ .

في لغة عربية معَ التقيّد بكل شيء . وكذلك لا يكون الكتاب مُؤلّفاً تأليفاً مستقلاً إذا اعتبرنا ان ذلك يقتضي الابتكار والاستقلال عن المجاري الأجنبية الخارجية . وهكذا يكون عبدُ الله بن المقفّع – حَسْبَ هذه النظرية – قد استقى رُوحَ الكتاب من مصدرٍ أجنبي ثم صاغه صياغة عربية تلائم البيئة العربية .

٣ – مختارات من كتاب كليلة ودمنة :

– من باب عرض الكتاب (وهو من إنشاء ابن المقفّع وليس من الأصل المَقُولِ إنه منقول) ، وفيه وصفٌ لكتاب كليلة ودِمْنة والغايةُ من وضعه . وهذا الفصل يمثل الأسلوب الأصيل لابْن المقفّع . وفي أسلوب هذا الفصل ونَسَقِه دليل على النظرية الثالثة في أصل كتاب كليلة ودمنة :

"هذا كتاب كَلِيلَةَ ودِمْنَةَ . هو ممّا وضعته علماءُ الهند من الأمثالِ والأحاديث التي أُلهِموا أن يُدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا . ولم يزلِ العلماء ، من كل أمّةٍ ولِسان ، يلتمسون أن يُعْقَلَ عنهم ويحتالون لذلك بصنوف الحِيَلِ ويبتغون إخراج ما عندهم من العِلَلِ في إظهار ما لديهم من العلوم والحِكَم ، حتى كان من تلك العلل وضعُ هذا الكتاب على أفواه البهائم والطير ، فاجتمع لهم بذلك خِلالٌ . أما هم فوجدوا مُنْصَرفاً في القول وشِعاباً يأخذون منها ووجوهاً يسلُكون فيها .

وأما الكتابُ فجَمَعَ حِكْمةً ولهواً . فاختاره الحكماء لحكمته والأغرارُ للهوه . والمتعلم من الأحداث ناشطٌ في حفظ ما صار إليه من أمر يُرْبَط في صدره ولا يدري ما هوَ ، بل عرَف أنه قد ظهر من ذلك بمكتوب مرقوم ، وكان كالرجل الذي لما استكملَ الرجوليةَ وجَدَ أبويهِ قد كنزا له كنوزاً وعقَدا له عُقَداً [١] استغني بها عن الكدْح فيما يعمله من أمر معيشتِه فأغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة إلى غيرها من وجوه الأدب .

"فأول ما ينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يَعرِفَ الوجوهَ التي وُضعت له والرموز التي رُمزت فيه ، وإلى أيّ غايةٍ جرى مؤلفه فيه عندما نَسَبَهُ إلى البهائم وأضافه إلى غير مُفصح ، وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالاً . فإنّ قارئه متى

---

١ العقدة (بضم العين) : الضيعة والعقار (بفتح العين) ، أي الأراضي والأبنية التي يتخذها الانسان ملكاً له.

لم يفعَلْ ذلك لم يَدْرِ ما أريد بتلك المعاني ولا أيَّ ثمرة يجتني منها ولا أيُّ نتيجة تحصُل له من مقدّمات ما تضمنه هذا الكتاب . وإنه إن كانت غايته منه اُستتمامَ قراءته والبلوغَ إلى آخره دون تفهّمِ ما يقرأ منه لم يَعُدْ عليه شيءٌ يرجِعُ اليه نفعه ...

«وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهمْ ما فيه ولم يعلم غرضَه ظاهراً وباطناً لم ينتفع بما يبدو له من خطه ونَقْشِه . كما لو أنّ رجُلاً قُدّمَ له جوْزٌ صحيح لم ينتفع به إلاّ أنْ يكسِرَه ويستخرجَ ما فيه . وكان أيضاً كالرجل الذيْ طلب عِلْمَ الفصيح من كلام الناس ، فأتى صديقاً له من العلماء له علمٌ بالفصاحة فأعلمه حاجتَه إلى علم الفصيح . فرَسَمَ له صديقُه في صحيفةٍ صفراءَ فصيحَ الكلام وتصاريفَه ووجوهَه ؛ فانصرف بها إلى منزله ، فجعلَ يُكثر قراءتَها ولا يَقِفُ على معانيها ولا يعلم تأويلَ ما فيها حتى استظهرها كلَّها . فاُعتقد أنه قد أحاط بعلم ما فيها . ثم إنهُ جلس ذات يوم في مَحْفِلٍ من أهل العلم والأدب فأخذ في مُحاورتهم ، فجرتْ له كلِمةٌ أخطأ فيها . فقال له بعض الجماعة : إنّك قد أخطأتَ ، والوجه غير ما تكلّمتَ به . فقال : كيف أُخطىء وقد قرأتُ الصحيفةَ الصفراءَ وهي في منزلي ؟ فكانت مقالته هذه أوْجَبَ للحُجّة عليه ؛ وزاده ذلك قُرْباً من الجهل وبُعْداً من الأدب ...

«وقد يُقال إن العلم لا يتِمّ إلاّ بالعمل ، وأنّ العلم كالشجرة والعملَ به كالثمرة . وإنما صاحبُ العلم يقوم بالعمل لينتفعَ به ، وإنْ لم يستعملْ ما يعلمُ فليس يُسَمّى عالماً . ولو أن رجلاً كان عالماً بطريق مَخوفٍ ثم سلَكه على علمٍ به سُمّيَ جاهلاً .

«وأقل الناس عُذراً في اُجتناب محمود الأفعال واُرتكاب مذمومها مَنْ أبصر ذلك ومَيّزه وعرَف فضلَ بعضه على بعضٍ . كما أنه لو أنّ رجلين أحدُهما بصيرٌ والآخر أعمَى ساقهما الأجل إلى حُفْرة فوقعا فيها كانا ، إذا صارا في قعرها ، بمنزلةٍ واحدة . غير أن البصير أقلُّ عُذراً عند الناس من الضرير ، إذ كانتْ له عينانِ يُبْصِرُ بهما ؛ وذاك بما صار إليه جاهلٌ غير عارف .

«وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا ألاّ تكونَ غايتُه التصفحَ لتزاويقه ، بل يُشْرِفُ على ما يتضمن من الأمثال حتى يأتيَ عليه إلى آخره ، ويَقِفَ عند كل مَثَلٍ وكَلِمة ويُعْمِلَ فيها رَويّته ، ويكونَ مِثْلَ ثالثِ الإخوةِ الثلاثة

الذين خلّف لهم أبوهم المال الكثير فتنازعوه (اقتسموه) بينهم. فأما الاثنان الكبيران فإنهما أسرعا في أتلافه وإنفاقه في غير وجهه. وأما الصغير فإنه عندما نظر ما صار اليه أخَواه من إسرافهما وتخلّيهما من المال أقبل على نفسه يُشاورهـا وقال: يا نفسُ، إنما المال يطلبُه صاحبُه ويجمَعُه من كل وجه لبقاء حاله وصلاح مَعاشه ودُنياه وشرفِ منزلته في أعين الناس، واستغنائه عما في أيديهم، وصرفه في وجهه من صِلَة الرَحِمِ والإنفاق على الولد والإفضال على الإخوان. فمن كان له مالٌ ولا يُنْفِقُه في حقوقه كان كالذي يُعَدّ فقيراً وإن كان مُوسِراً. وإنْ هو أحْسَنَ إمساكَه والقيامَ عليه لم يَعْدَمِ الأمرينِ جميعاً، من دُنيا تَبْقى عليه وحمدٍ يُضاف إليه. ومتى قصد إنفاقه على غير الوجوه التي حُدّت له لم يلبَثْ أن يُتلِفه ويبقى (هو) على حَسرة ونَدامة. ولكنّ الرأيَ أنْ أمْسِكَ هذا المال فإني أرجو أن ينفعني الله به ويُغنيّ إخْوتي على يَدَيّ فإنما هو مالُ أبي ومال أبيهما. وإنّ أولى الإنفاق على صِلة الرَحِمِ وإنْ بَعُدَت، فكيف بإخوتي. فأنْفذَ فأحضرهما وشاطرهما ماله.

«وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب أنْ يُديم النظرَ فيه من غير ضَجَرٍ، ويلتمسَ جواهرَ معانيه، ولا يظُنّ أنّ نتيجتَه إنما هي الإخبار عن حيلة بهيمتين أو مُحاورة سَبُع لثورٍ، فينصرفَ بذلك عن الغرض المقصود ويكون مَثَلُه مَثَلَ الصيّاد الذي كان في بعض الخُلُج يصيد فيه السمك في زَوْرق. فرأى ذات يوم في عَمِيق الماء صَدَفة تَتلألأ حُسناً فتوهمها جوهراً له قيمة. وكان قد ألقى شبكته في البحر فاشتملتْ على سَمَكة كانت قُوتَ يومِه، فخلاّها وقذف نفسَه في الماء ليأخذَ الصدفة؛ فلما أخرجها وجدها فارغةً لا شيءَ فيها مما ظنّ. فندِم على ترك مـا في يده، للطمع، وتأسفَ على ما فاته. فلما كان اليومُ الثاني تنحّى عن ذلك المكان وألقى شبكته فأصاب حوتاً صغيراً ورأى أيضاً صدفة سَنيّةً فلم يلتفت إليها وساء ظنّه بها فتركها. واجتاز بها بعض الصيّادين فأخذها فوجد فيها دُرّة تساوي أموالاً ....

«... ويَنْبغي للناظر في هذا الكتاب أنْ يعلَمَ أنه ينقسم أربعةَ أغراض:

«أحدُها ما قُصِدَ فيه إلى وَضْعه على ألْسِنَةِ البهائمِ غير الناطقةِ من مُسارعة أهل الهَزْل من الشبان إلى قراءته فيستميلُ به قلوبَهم، لأن هذا هو الغرضُ بالنوادر من حِيَل الحيوانات.

"والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكونَ أنساً لقلوب الملوك ويكون حرصُهم عليه أشدّ للنزهة في تلك الصور .

"والثالث أن يكونَ على هذه الصفة فيتّخذَه الملوك والسُوقَةُ فيكثُرَ بذلك انتساخه ولا يَبْطُلَ فيَخْلَقَ على مرور الايام ؛ ولِيَنْتَفِع بذلك المصوّرُ والناسخ أبداً .

"والغرض الرابع ، وهو الأقصى ، مخصوصٌ بالفيلسوف خاصة".

٤ — كليلة ودمنة :

طبعات كليلة ودمنة كثيرَة (بروكلمان ١ : ١٥٢ ، الملحق ١ : ٢٣٣ وما بعدها) منها : (ده ساسي) ، باريس ١٨١٦ ؛ (شولتس) ، ليدن ١٨٧٦ ؛ القاهرة (بولاق) ١٢٥١ هـ ؛ (شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٤ م ؛ (محمّد حسن المرصفي) ، القاهرة (المطبعة التجارية) ١٩٣٥ ؛ بيروت (المطبعة الاهلية) .... ؛ بيروت (المطبعة الادبية) .... ؛ (طه حسين وعبد الوهّاب عزّام) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤١ م ؛ كليلة ودمنة (مهذّبة مادّة وأسلوباً بقلم الياس زخريّا) ، بيروت (دار الاندلس) ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م) .

الدرّة اليتيمة : الادب الكبير (شكيب أرسلان) ، بيروت (المطبعة الادبية) ؛ الطبعة الثانية ١٨٩٧ م ؛ (عني بضبطها شاهين عطية) ، بيروت (مكتبة صادر) بلا تاريخ .

الادب الكبير والادب الصغير (يوسف أبو حلقة) ، بيروت (مكتبة البيان) ١٩٥٦ م ، ثم ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) .

الحكمة المدنية : الادب الكبير (محمّد حسن المرصفي) ، القاهرة (مطبعة الحمزاوي) ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) .

الادب الصغير (أحمد زكي) ، القاهرة ١٣٢٩ هـ ؛ القاهرة (دار المعارف) ١٩٣٢ م .

الادب الوجيز للولد الصغير (ترجمة وتحقيق محمّد غفراني الخراساني) ، القاهرة ، بلا تاريخ .

** نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة لابن الهبّارية ، بعبدا — لبنان ١٩٠٠ م .
ديوان الصادح والباغم لابن الهبّارية ، مصر ١٩٣٦ م .
ابن المقفّع تأليف خليل مردم ، دمشق (مطبعة الاعتدال) ١٩٣٠ م .
ابن المقفّع ، تأليف عبد اللطيف حمزة ، الطبعة الثانية ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٥؟ م .
ابن المقفّع ، تأليف سليم الجندي ، دمشق .
ابن المقفّع وكتاب كليلة ودمنة ، تأليف عمر فرّوخ ، بيروت (مكتبة منيمنة) الطبعة الثانية ، ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) .
شرح حال عبد الله بن المقفّع ، تأليف عبّاس اقبال ، برلين ١٩٢٦ م .
ابن المقفّع ، تأليف حنّا الفاخوري ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٧ م .
عبد الله بن المقفّع : دراسة في الادب والتاريخ ، تأليف جورج غريّب ، بيروت (دار الثقافة) نحو ١٩٦٦ م .
كتاب مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب ، استخراج أبي عبد الله بن حسين بن عمر اليمنيّ (نشره محمد يوسف نجم) ، بيروت ١٩٦١ م .
الفهرست ١١٨ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٨ ، الملحق ١ : ٢٣٣ — ٢٣٧ ؛ زيدان ٢ : ١٥٢ — ٢٥٦ .

هلال بن الأسعر المازنيّ

١ — هو هِلال بْنُ الأسعر بن خالد بن الأرقم من بني مازنٍ بن مالك بن عمرٍو بن تميمٍ ، من أهل بادية البصرة . ويبدو أنه كان يتّجِرُ وأنه زار المدينة بشيء من تجارته .

كان هلال بن الأسعر رجلاً طويلًا عظيمَ الجِسْمِ قويّاً أكولاً رَوَوْا عنه الأعاجيبَ في الصِراع والطعام . ومعَ ذلك فقد كان يَصْبِرُ على الجوع صبراً طويلاً . وكذلك كان فتّاكاً قتلَ مرّة رجلاً من بني جَلاّن من بكر بن وائل كان جاراً لبني عمّه ، فطلبه الحجّاجُ بن يوسفَ وتخلّى عنه قومُه حتّى قَبَضَ عليه الحجّاجُ وحَبَسه مُقَيّداً . غير ان هلالاً استطاع ، في حديثٍ طويلٍ ،

أن يَهْرُبَ ثم يَصِلَ إلى اليمن حيث بَقِيَ مُدّة طويلةً جداً . ثم عاد إلى بلاده .

وعاش هلال بن الاسعر المازنيّ دهراً طويلاً حتّى أدرك الدولةَ العبّاسية ، وقد رآه أبو عمرو بن العَلاء (ت ١٥٤ هـ) ميّتاً (غ ٣ : ٧٠) . ولعلّ وفاة هِلالٍ كانت بين ١٤٥ و ١٥٠ هـ (٧٦١ – ٧٦٦ م) .

٢ – هلال بن الاسعر المازني شاعرٌ وراجزٌ قديمُ الاسلوبِ جاهليّ النَفَسِ ، ولكنّ شعره عذْبٌ كثير السّهولة أحياناً ، وبعض ألفاظهِ غريبٌ . أما فنونه فهي الحماسة والرثاء وشيء من الغزل وبعض الحكمة .

٣ – المختار من شعره :

– كان رجل من بني مازن يقال له المُغيرة بن قَنْبر يَعولُ هِلالَ بن الأسعر ويُفْضِل عليه (يحسن اليه) فمات فقال هلالٌ يرثيه :

ألا ليتَ المُغيرةَ كان حيّاً … وأفنى الناسَ كلّهُمُ الفناءُ .
لِيَبْكِ على المُغيرةِ كلُّ حيّ … إذا أفنى عرائكَها اللِقاء [١] .
فتى الفتيانِ فارسُ كلِّ حربٍ … إذا شالتْ وقد رُفِعَ اللواء [٢] .
لقد وارَى جديدُ الأرضِ منه … خِصالاً عَقْدُ عِصْمَتِها الوفاء [٣] .
فصبراً للنوائب إن ألَمّتْ ، … إذا ما ضاقَ بالحَدَثِ الفضاء .

---

١ العريكة : السنام (الرجل العظيم في قومه الشريف) . اللقاء (في القتال) : الحرب .

٢ شالت الناقة : رفعت ذنبها (هياجاً للقاح) . شال ذنب الناقة : ارتفع . شالت الحرب : (تجمعت أسباب نشوبها ، تهيأ الناس للحرب) . رفع اللواء (استعداد للسير إلى الحرب) .

٣ جديد الأرض : القبر المشقوق جديداً (غ ٧ : ٥٣ ، الحاشية ١) . الخصال جمع خصلة (بفتح الخاء) : الفضيلة . العصمة (بكسر العين) : القلادة . عقد عصمتها الوفاء – يشبه الشاعر الممدوح بعصمة (قلادة) يعقد أحد طرفيها بطرفها الآخر الوفاء (هو وفي أمين في جميع خصاله ؛ أو أن رأس خصاله كلها الوفاء) .

فان تَكُنِ المَنيّةُ أقْصَدَتْـه	وحُمَّ عليه بالتَّلَفِ القَضاءُ [1]،
فقد أوْدى بــه كرمٌ وخيرٌ	وعَوْدٌ بالفضائل وابْتِداءُ [2].

– وقال هِلالُ بنُ الأسعرِ المازني ، لمّا هَرَبَ إلى اليمن ، يُعاتِبُ قومه :

بني مازنٍ ، لا تَطْرُدوني فإنّني	أخوكم وإنْ جَرّتْ جرائرَها يدي [3] ؛
ولا تُثْلِجوا أكْبادَ بكرِ بنِ وائلٍ	بتَرْكِ أخيكم كالخَليعِ المُطَرَّدِ [4] ،
فإنّ القريبَ ، حيثُ كان ، قريبُكُم ؛	وكيفَ بقَطْعِ الكفِّ من سائر اليد !
وانّي ثَقيلٌ حيثُ كنتُ على العِدا ،	وانّي –وإن أُوحِدتَ– لستُ بأوْحدِ [5].

٤ – الأغاني ٣ : ٥٠ – ٧٢ .

رؤبة بن العجّاج

١ – وُلِدَ أبو الجَحّاف أو أبو العَجّاج رُؤبةُ بن العجّاج ، سنة ٦٥ هـ

---

١ المنية : الموت . أقصدته : قتلته فجأة (أقصد السهم إنساناً : أصابه في مقتل فصرعه فوراً في مكانه) . حم القضاء : حل الأجل المحتوم والوقت المقدر المعلوم . التلف : الموت هدراً (حتف الانف : بلا قتال ، بلا سبب ظاهر) .

٢ أودي بـه : هلك بهلاكه . الخير (بكسر الخاء) : الخير (بفتح الخاء) . – مات ومات معه الخير والكرم ، ومات معه الابتداء بالفضـائل (جمع فضيلة : الدرجة الرفيعة في الفضل) . والأصوب أن تكون الفواضل (الايادي الجسام الجميلة : الاحسان على الآخرين احساناً كبيراً جليلا) . الابتداء بالفواضل : أن تحسن إلى انسان لأول مرة (من غير أن تكون قد عرفته) . العود : تكرار الاحسان مرة بعد مرة .

٣ جرت (جنت ، أذنبت ، ارتكبت) جرائرها (جمع جريرة : الجناية ، الذنب) . جرت جرائرها يدي : (جنيت جنايات كثاراً عظاماً حملتم انتم تبعتها) .

٤ لا تثلجوا (تبردوا) أكباد (المقصود : قلوب) بني بكر بن وائل (لا تجعلوهم يفرحون أو يشمتون) بترك أخيكم (بأن تتخلوا عني وأنا أخوكم : واحد منكم) . الخليع : المخلوع ، الذي تبرأ منه قومه . المطرد : الذي يطارده (يتبعه) الوالي (الدولة) من مكان إلى آخر للقبض عليه أو لقتله .

٥ أوحد الرجل (بضم الهمزة بالبناء للمجهول) : تركه قومه وحده مع أعدائه (راجع القاموس ١ : ٣٤٣ ، السطر الثالث من أسفل) . لست بأوحد : لست وحيداً منفرداً وحدي (بل معي شجاعتي) . راجع قول المتنبي :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر	وحيداً ؛ وما قولي كذا ومعي الصبر !

(٦٨٥ م) ، في بادية البصرة ونشأ فيها أعرابياً جافياً يأكلُ الفأر (غ ١ : ٨٧) ثم سكن البصرة .

وظَهَرَ رُؤبةُ في الحياة العامة باكراً : لما وَجّهَ الحجّاجُ إلى عبد الملك نَفَراً من الشعراء ، في سنة ٧٦ هـ (٦٩٦ م) فيما يبدو ، كان فيهم العجّاجُ . وصحب رؤبة والده في هذه الرحلة ؛ ثمّ تطوّف كثيراً في البلاد ، بين العراق واليمامة وخُراسان ، يتكسّب بشعره ، وقد صَحِبَ جيوشَ الفَتْحِ الذاهبةَ إلى المشرق قبل أن يَبْلُغَ الثلاثين من عُمُرِه .

في سنة ٩٤ هـ (٧١٣ م) عاد محمد بن القاسم الثقفي من السِنْد ظافراً فمدحه رؤبة . وفي السنة التالية ذهب إلى خُراسان ، ومدح نفراً من الذين اشتركوا في الاضطرابات التي حدثت في خراسان بعد موت قُتيبةَ بن مُسْلم الباهلي ٩٦ هـ (٧١٥ م) . وكان هجاؤه للمُهلّب ومدائحه في مَسْلمة بن عبد الملك ، قاتل المهلّب ١٠٢ هـ (٧٠٢ م) ، تدل على أنه كان قَيْسيّ الهوى مُعادياً لليمانية في الشعر على الأقل . ومدَحَ رُؤبةُ عبدَ الملك بن قيس الذيبي والِيَ السِند سنة ١٠٥ هـ (٧٣٣ م) ، كما مدح خالدَ بن عبد الله القَسْريّ في ولايته الثانية على العراق كلّه وعلى خراسان والسند (١٠٥ — ١٢٠ هـ) . ومدح أيضاً محمدَ بن الاشعث الخزاعيّ حينما كان في كرمان ، سنة ١٢٩ هـ (٧٤٧ م) ، والياً على فارس في الأغلب . ولرؤبة مدائحُ في نَصْر بن سَيّارٍ آخرِ وُلاةِ الامويين على خراسان ، وفي مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين .

لما جاءت الدولة العباسية أخذ رؤبة يمدح نفرٍ من رجالِها فمدح أبا العباس السفّاح وسُليمان بن علي والي البصرة (١٣٢ — ١٣٧ هـ) وأبا جعفرٍ المنصورَ .

ولما خرج ابراهيم بن عبد الله بن الحسن على المنصور ، سنة ١٤٥ (٧٦٢م) ، فارق رُؤبةُ البصرةَ — خوفاً من الفتنة — إلى ناجية ، وهي موضع على الطريق بين البصرة والمدينة ، فلم يكد يصل اليها حتى توفّي (١٤٥ أو ١٤٧ هـ) .

٢ — كان رؤبة بن العجّاج من رُجّاز الإسلام وفُصَحائهم والمذكورين المقدّمين فيهم بصيراً باللغة قَيّماً بغريبها ، ولذلك كَثُرَ الاحتجاجُ بشعرِه فرَوَى عنه أبو عبيدة وأبو عمرو بْنُ العلاء وخَلَفُ الأحمرُ والنَضْر بن شُميل .

وشِعر رؤبة كله رجَز ؛ وأراجيزُ رؤبةَ طوالٌ جيادٌ ، وهو جيّد

الكلام كان إذا نظم أرجوزة موقوفة (ساكنة) كان إعرابُها واحداً [1] . ورؤبةُ بارعٌ في وصف الإبلِ أكثرَ منه في وصفِ الخيل . وله أيضاً مدائح . ولكن بما أن الرجز ليس طيّعاً للرواية وللسيْرورة على الألسن ، فقد ضاع كثير من شعر رؤبة ، كما قلت شهرة رؤبة نفسه .

٣ — المختار من رجزه :

— مَنْ كان ذا بَتٍّ فهذا بتّي مُقَيّظٌ مُصَيّفٌ مُشْتّي [2]
أخذْتُه من نَعَجاتٍ ستِّ .

— إذا العجوزُ غضبَتْ فطلّقِ ، ولا ترَضّاها ولا تمَلّقِ ،
وأَعْمُدْ لأخْرى ذاتِ دَلٍّ مُؤنِقِ لَيّنَةِ المَسِّ كمسِّ الخِرْنِقِ ،
إذا مضت مثل السياط المُشّقِ [3] .

— وقال يمدح أبا مسلم ويُعَرِّضُ بمروان بن محمد ، وكان يلقّب بمروانَ الحمارِ :

ما زالَ يأتي الأمْرَ من أقطارِه على اليمين وعلى يَسارِهِ ،
مُشَمّراً لا يُصْطَلَى بنارِهِ ، حتى أقرَّ المُلْكَ في قَرارِه ،
وفَرَّ مروانُ على حمارِهِ [4] !

٤ — ديوان رؤبة في Sammlung Altarabischer Dichter , Berlin 1903

---

١ أي لو أردت أن تقرأ الارجوزة متحركة (غير ساكنة) القوافي لكانت جميع قوافيها مفتوحة أو مكسورة أو منصوبة .

٢ البت : الطيلسان من خز (حرير) ونحوه . القيظ : أشد أيام الحر . — من كان يلبس طيلساناً من حرير ، فأنا ألبس هذا الثوب في القيظ وفي الصيف (الربيع والخريف؟) وفي الشتاء ، وهو من صوف (أخذته من ست نعجات لي) .

٣ العجوز : الزوجة . واعمد لأخرى : تزوج امرأة ثانية . الدل : الدلال والغنج . مونق : جميل ، يعجب الناظر . الخرنق : الأرنب . السياط : قضبان الكراث . المشق : الممشوقة الطويلة . إذا مضت : إذا سارت (تبدو طويلة ممشوقة القوام) .

٤ المشمر : المستعد للأمور . لا يصطلى بناره (ناره شديدة الحرارة) : لا يقاوم ، لا يخالف أمره .

** الاغاني ٢١ : ٨٤ (طبعة الساسي ٩١) ؛ معجم الادباء ١١ : ١٤٩ — ١٥١ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٣٣ — ٣٣٤ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٢٣ ؛ بروكلمان ١ : ٥٦ — ٥٧ ، الملحق ١ : ٩١ — ٩٢ .

أبو الهِندي

١ — هو غالبُ بن عبد القُدّوس بن[١] شَبَث بن رِبْعيّ ، من بني رِياح ابن يَرْبوع بن حَنْظلةَ . وهو عربيّ نزل خُراسانَ ثم انتقل إلى سِجِستان واستقر بها ، ولكنه كان يزورُ خراسان من حين إلى حين .

بَلَغَ أبو الهنديّ أشُدّه في الدولة الأموية وحجّ في أحد المواسم مَعَ نَصْرِ بن سيّارٍ . ولقد شُهِرَ بحبّهِ للخمر والاستهتارِ بشُربها وبالجُرأة على المعاصي .

ومات أبو الهندي في إحدى قُرى مَرْوٍ (طبقات ابن المعتز ١٣٨) بخُراسان ، في أوائل الدولة العباسية .

٢ — كان أبو الهنديّ شاعراً مَطبوعاً فصيحاً جَيّدَ البديهةِ جَزْلَ الشِعْرِ حَسَنَ الالفاظ لطيفَ المعاني ، وقدِ آستَفرَغَ شِعْرَهُ في وَصف الخمر ؛ وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام فجعل وَصفَها وُكْدَه . ويبدو أن أبا نواسٍ أخذ كثيراً من معاني أبي الهندي (غ ٢١ : ٢٧٧) . وفي خَمْرِيات أبي الهنديّ ظَرْفٌ ومَرَحٌ وتفصيل في الوصفِ واستهتارٌ مَعَ اتّكالٍ على عفو الله يوم القيامة .

٣ — مختارات من شعره :

— قال أبو الهندي في وصف الخمر وزِقّها :

---

١ في طبقات ابن المعتز (ص ١٣٦) هو عبد الله بن ربعي بن شعيب بن ربعي . وقيل اسمه غالب ، أو عبد المؤمن .

تَصبّحْ بوجهِ الراحِ والطائرِ السّعْد كُمَيْتاً ، وبعدَ المَزْجِ في صِفة الوَرْدِ .
تَضَمّنها زِقٌّ أزبٌّ كأنّه صريعٌ من السّودانِ ذو شَعَرٍ جَعْدِ [1] .
ولمّا حلَلْنا رأسَه من رِباطه وفاضَ دَماً كالمِسْكِ أو عَنْبَرِ الورد .
وجدناه في بعضِ الزوايا كأنّه أخو قِرّة يَهْتَزّ من شِدّةِ البرد :
أخو قِرّة يُبدي لنا وجهَ صَحْفة كلونِ رقيق الجلْد من ولد السِنْد .

– ومما ينسب إلى أبي الهندي ، وقد وُجِدَ مكتوباً على قبره :

اجعلوا – إنْ مِتّ يوماً – كَفَني وَرَقَ الكَرْمِ ، وقَبْري مَعْصَرَهْ .
إنني أرجو من اللهِ غداً – بعد شُرْبِ الراح – حُسْنَ المَغْفِرةْ !

٤ – ** طبقات ابن المعتزّ ١٣٦ – ١٤٣ ؛ الاغاني (الساسي) ٢١ : ١٧٧ – ١٨٠ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٥١ – ١٥٢ .

سُديف بن مَيمون

١ – كان سُديفُ بنُ مَيْمونَ مولىً أسودَ لِإمرأةٍ من بني خُزاعةَ من أهل مكّة . وكان لهذه المرأة الخُزاعية زَوجٌ من آل أبي لَهَبٍ . فلما شَبّ سديفٌ انتقل من وَلاءِ اللهبيين إلى ولاء الهاشميين .

وكان سُديفٌ شديدَ التعصّب على بني أميّةَ يُجادِلُ أنصارهم في الحجاز ويُسابّهُمْ ويُشارّهم . فلما سقطتْ دولةُ بني أمية وجاءت دولةُ بني العباس وَفَدَ سديفٌ من مكّة على أبي العبّاس السَفّاح في الحِيرةِ وأنشدَهُ قصائدَ يَحُضّهُ فيها على الانتقامِ من الأُمويينَ وعلى قَتْلِ أعقابِهم ، فكانت قصائدُ سديفٍ سبباً في غَدْرِ السفاحِ بمن كان قد أمّنهم من الأمويين .

ولكن سديفاً كان أميلَ إلى العلويين منه إلى العباسيين . فلما ثار النفسُ

---

١ الزق : وعاء من جلد للخمر . أزب : قصير الشعر .

الزكية (وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) في المدينة سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) بايعه أهلُ مكّة والمدينة . وكان سديف في مَن بايعه . وقُتِلَ النفسُ الزكية وشيكاً فنهض أخوه ابراهيمُ للأخذ بثأره وثار على العباسيين في البصرة ، ولكنه قُتل في سَنة ١٤٥ هـ نفسها .

بعدَ ذلك ٱستتر سديفٌ مدةً ثم وفَدَ على المنصور بقصيدة يعتذر اليه فيها (راجع غ ١٤ : ١٦٢) . ولكنّ المنصور لم يَقْبَلِ ٱعتذارَهُ لِأنّ شعرَه كان لا يزال دالاً على مُشايعته لآل عليّ . ثم ان المنصورَ كتب إلى عبد الصمد بن عليّ والي مكّة (١٤٦ — ١٤٩ هـ) يأمره بقتل سديف . فقتله . وقيل بل مات سديف حَتْفَ أنفه (في أيام المنصور) .

٢ — سديفُ شاعرٌ مطبوعٌ مُقِلٌّ من شعراء الحِجاز ومن مُخَضْرَمي الدولتين ، كان أديباً بارعاً وشاعراً مُفْلِقاً مُحْسِناً وخَطيباً مِصْقَعاً ذا عارضَةٍ وجَدَل . وأكثر شعرِه الهجاء والمدح والغزل .

٣ — مختارات من شعره

— لما صارتِ الخلافة إلى العبّاسيين وَفَدَ سديف على السفّاح ، وعنده بنو أمية ، فأنشده :

أصبَحَ المُلْكُ ثابتَ الآساسِ ... بالبَهاليلِ من بني العباسِ [١] .
لا تُقيلَنّ عبدَ شَمْسٍ عِثاراً ... واقْطَعَنْ كلّ رَقلةٍ وغِراس [٢] .
ولقد ساءني وساءَ سِوائي ... قربُهم من مَنابرٍ وكراسي .
فاذْكروا مَصْرَعَ الحسين وزَيْدٍ ... وقتيلاً بجانب المِهْراس [٣] ،
والقتيلَ الذي بحَرّان أضْحى ... رَهْنَ رمسٍ وغُربةٍ وتَناس [٤] .

---

١ البهاليل جمع بهلول (بالضم) : السيد الجامع لكل خير .
٢ الرقلة : النخلة التي علت إلى ما فوق يد الواقف . الغراس : الشجرة التي غرست حديثاً .
٣ الحسين بن علي ؛ زيد بن علي بن الحسين قتل أيام هشام بن عبد الملك . ثم حمزة بن عبد المطلب قتل في غزوة أحد (والمهراس ماء قرب أحد) .
٤ قتيل حران هو ابراهيم بن محمد بن علي رأس الدعوة العباسية .

ذلُّها أظهرَ التودّدَ منها ؛ وبها منكمو كحزِّ المواسي .
أنزلوها بحيثُ أنزلها اللهُ : بدارِ الإتعاسِ والإنكاس .

– ثم دخل سديف على السفّاح في اليوم التالي فإذا بنو أمية عنده كحالهم بالأمسِ ، فأنشده قصيدةً جاء فيها :

يا ابنَ عمِّ النبيِّ ، أنت ضياءٌ إستبنّا بك اليقينَ الجليّا ،
لا يغرّنْكَ ما ترى من أُناسٍ ، إنّ تحتَ الضلوعِ داءً دويّا [1] .
جرّدِ السيفَ وارفعِ العفوَ حتى لا ترى فوق ظهرِها أمويّا [2] .
بطنَ البغضُ في القديم فأضحى ثاوياً في قلوبهم مطويّا ،

٤ – ** الاغاني ١٦ : ١٣٥ – ١٣٦ ؛ شذرات الذهب ١ : ١٨٧ – ١٨٨ .

ابن ميّادة

١ – هو أبو شرحبيل أو أبو شراحيل الرمّاح بن أبردَ بن ثوبان بن سراقةَ من بني سعد بن ذبيان من أهل نجد . وكانتْ أمّه ميادةُ صقلبيةً من أهل إسبانية الذين سكنوا المغرب (غ ٢ : ٢٦٤) ، زوجة نهبل – وهو عبدٌ لرجلٍ من بني كلب في الشام – فاشتراها بنو ثوبان وقدموا بها إلى نجد [3] فاستولدها أبردُ أولاداً منهم الرمّاح وثوبان وخليل وبشير . وكانت ميّادة امرأةَ صدقٍ .

وبلغ ابنُ ميّادةَ أشدّه فكان رجلاً طويلاً عظيمَ الجسم أحمرَ سبطاً (حسن القامة) طويل اللحية لبّاساً عطِراً كثيرَ المغامرات في طلب النساء .

---

١ الداء الدوي : الثابت الشديد .

٢ هذه رواية الأغاني . وفي طبقات ابن المعتز (ص ٤٠) والشعر والشعراء (ص ٤٨٠) : « فضع السوط وارفع السيف » فجعلها محقق الكتاب : فضع السيف وارفع السوط . فوق ظهرها : فوق ظهر الأرض .

٣ يقول ابن ميادة : « بحرة ليلى حيث ربتني اهلي » ، وحرة ليلى قرب المدينة .

وأشهر مغامراته كانت في سبيل امرأة هي أم جَحْدر بنت حسان المُرّيّة أحبّها وأحبّته زمناً ، ثم تقاطعا ثم تواصلا فاشتهر أمرُهما فزوّجها أبوها رجلاً من أهل الشام رَحَلَ بها عن نَجْد . فلَحِقَ بها ابن ميّادة إلى الشام . ثم مات الشامي زوجُ أم جحدر ومات ابنٌ كان لها فعادت إلى نجد . ثم تُوُفّيَتْ هي في حياة ابن ميّادة .

وابن ميّادة أدرك أعقاب عصر المُناقضات فهاجى الحَكَمَ بن مَعْمَر الخُضْري زماناً ثم تصالحا ، وكذلك هاجى عُلّفة بن عقيل وغلبه .

ولا نَعْرِف إشارة إلى حياة ابن ميّادة قبل أن اعْتَمَرَ (زارَ مكّة حاجّاً) في رجب من سنة ١٠٥ هـ (آخر ٧٢٣ م) ، في الشهر الأخير من خلافة يزيدَ ابن عبد الملك . ثم مرّت عِشرونُ سَنَةً قبل أن يتّصل بالوَليد بن يزيد (١٢٥–١٢٦ هـ) وينال عنده حظوة . ثم اتصل ابن ميّادة بعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك والي المدينة (١٢٧ – ١٣٠ هـ) ومدحه وصَحِبه .

ولما جاءت الدولة العبّاسية وتولّى المنصورُ الخلافةَ ، ١٣٦ هـ (٧٥٤ م) ، أراد ابن ميّادة أن يمدحه ، ولكن لم يَفِدْ عليه لأن المنصور لم يكن راغباً في المديح ولا كان يُعطي الشعراء على المديح . غير أنه اكْتَفَى بمدح وُلاةِ المدينة فمدح رِياح بن عثمان بن حيّان المرّيّ لما ولي المدينة سَنة ١٤٤ هـ (٧٦١ م) . غير أن رِياحاً قُتِلَ وَشيكاً في ثورة النفس الزكية (١٤٥ هـ) . فلما وَلِيَ جعفرُ بن سليمان بن علي بن عبد الله المدينةَ ، سنة ١٤٦ هـ ، مدحه ابن ميّادة .

وكانت وفاة ابن ميّادة سنة ١٤٩ هـ (٧٦٦ م) .

٢ – ابنُ مَيّادةَ شاعرٌ فصيحٌ يَحْتَجّ الرّواةُ بشعره ، وهو يُجيدُ الرَجَزَ والقصيدَ ولا يُنَقّحُ شعرَه . قال شيخ عالم من بني غَطَفانَ ، قوم ابنِ ميّادةَ والنابغةِ ، عن ابن ميّادة : إنه كانَ أشعرَ غَطَفانَ في الجاهلية والإسلام ، وكان خَيْراً لِقَوْمه من النابغةِ لم يَمْدَحْ غيرَ قريشٍ وقيسٍ . وكان النابغةُ إنما يَهْذي باليمن مُضَلّلاً حتى مات (غ ٢ : ٢٦٩) . أما فنون ابنِ ميّادةَ فالمدحُ والرثاء والهجاء والمناقضات والنسيب ، وكان عِرّيضاً للشّرّ يُحبّ المُهاجاة .

٣ — المختار من شعره :

— قال ابنُ ميّادةَ يفتخر بنسبه من أبيه وأمّه :

أنا ابنُ أبي سلمى ، وجدّيَ ظالمٌ ، وأمّي حصانٌ أخلَصتْها الأعاجمُ .
أليسَ غلامٌ بينَ كِسرى وظالمٍ بأكرمَ مَنْ نيطت عليه التمائم [1] ؟

— وله أيضاً بيتانِ في مثل ذلك الفخر انتحلهما الفرزدق (غ ٢ : ٢٦٧) :

لوَ انّ جميعَ الناس كانوا بتلْعة ، وجِئتُ بجدّي ظالمٍ وابن ظالمٍ [2] ،
لظلّت رِقابُ الناسِ خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامِنا بالجماجمِ !

— وقال يتشوق إلى أم جحدر :

فأعْجَبُ دارٍ دارُها ، غيرَ أنني إذا ما أتيتُ الدارَ ترْجِعُني صِفْرا [3] ،
عشيّةَ أثْني بالرداءِ على الحشى ، كأنّ الحشى من دونِه أُسْعِرَتْ جمْرا [4] .
يَميلُ بنا شحط النوى ، ثمّ نلتقي عِدادَ الثُّريّا صادفت ليلةً بَدْرا [5] .
ألا ليتَ شعْري ، هل إلى أمّ جحْدرٍ سبيلٌ ؟ فأمّا الصبرُ عنها فلا صبرا !
فان يكُ نذرٌ راجعاً أمّ جحْدرٍ عليّ ، لقد أوْذَمْتُ في عُنُقي نَذْرا [6] .
وإنّي لأسْتنْشي الحديثَ مِنَ اجْلِها لِأسْمَعَ منها ، وهي نازحةٌ ، ذِكرا [7] .
واني لأستَحْيي من اللهِ أن أُرى — إذا غدَرَ الخِلاّنُ — أنْوي لها الغدرا !

٤ — ** الاغاني ٢ : ٢٦١ — ٣٤٠ ؛ معجم الادباء ١١ : ١٤٣ — ١٤٨ .

أبو نُخَيْلَةَ الراجز

١ — قال ابنُ قُتيبةَ : « اسْمُهُ يَعْمُر ، وإنّما كُنّيَ أبا نُخَيْلَةَ لأنّ

١ نيطت عليه (علقت في عنقه) التمائم (جمع تميمة : الحرز) . يقصد أكرم الناس .
٢ تلعة : مسقط الماء من الجبل .
٣ ترجعني (تردني) الدار صفرا (خائباً) .
٤ أسعرت : أوقد عليها ، أشعلت .
٥ عداد الثريا صادفت ليلة بدراً : مرة في كل شهر . (المقصود : نادراً) .
٦ راجعاً : راداً . أوذم : أوجب .
٧ استنشى الحديث : بحث عنه ، أثاره من جانب خفي . — لأسمع ، في عرض (بضم العين) الحديث ، ذكرا منها لي (حتى اسمعها تذكرني) .

أمّه ولدته إلى جَنْب نَخْلة »[1] . أمّا الاصفهاني فقال[2] : « أبو نخيلة اسْمُه لا يُعْرَفُ له اسمٌ غيرُه ، وله كُنْيتان : أبو الجُنيد وأبو العِرماس » . وهو ابن عَدَنَ بْنُ زائدةَ بن لَقيطٍ من بني سعدِ بْنِ زيدِ مَناةَ بنِ تميمٍ ، ولذلك يُعْرَف بالسعديّ .

تعرّض أبو نخيلةَ لغضب أبيه فنفاه أبوه فخرج يَطْلُبُ الرزقَ لنفسه فتأدّب في البادية حتّى شَعَرَ وقال رَجَزاً كثيراً وقَصيداً . ثم إنّه اتّصل بمَسْلَمَةَ ابن عبد الملك ومدحه فوصله مَسلمةُ بالخلفاء فأغْنَوْهُ ، وقد نال حَظْوة كبيرة عند هشام بن عبد الملك . ولمّا انْقَضَتْ دولةُ بني أميّة وجاءت دولة بني العباس جعل أبو نُخَيْلة يمدح بني العبّاس ويهجو بني أميّة ، وسَمّى نفسه شاعرَ بني هاشم .

ثم إن أبا نخيلة نظم أرجوزةً يمدح بها أبا جعفرٍ المنصورَ ويحضّه فيها على تحويل ولاية العهدِ من ابنِ عمّه عيسى بن موسى إلى ابنه محمّدٍ المَهْديّ ، فغَضِبَ عيسى بنُ موسى ودبّر مقتلَ أبي نخيلة . وبما أن المنصور قد حَمَلَ عيسى بن موسى على أن يَخْلَعَ نفسَه من ولاية العهد ، سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) فان مقتل أبي نخيلة يجب أن يكون قد وقع قُبيل ذلك .

٢ ــ أبو نُخيلةَ الراجزُ شاعرٌ مُكثر غَلَبَ عليه الرَجزُ ، سَهْلُ الشعرِ ظاهر المعاني . وفنونه المديح والهجاء وشيء من الغزل التقليدي .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال أبونخيلة الراجز يمدح مَسْلَمَةَ بنَ عبدِ الملك :

أمَسْلَمَ ، إنّي ــ يا ابنَ كلّ خليفةٍ ، ويا فارسَ الهيجا ويا جَبَلَ الارضِ[3] ،

---

١ الشعر والشعراء ٣٨١ .

٢ الاغاني (الساسي) ١٨ : ١٣٩ . وفي تاج العروس (٨ : ١٣١) : ابو نخيلة السعدي أو الحماني (وبكسر الحاء) ، وهو اسمه ، وكنيته أبو الجنيد بن حزن بن زائدة بن لقيط بن حمان بن عبد العزى (بضم العين) بن كعب بن سعد بن زيد مناة من تميم .

٣ يا جبل الارض : الجبل الذي يرسو على الأرض فيمنعها من أن تميل (راجع سورة النحل ، ١٦ : ١٥ : « وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم » ؛ راجع أيضاً سورة الأنبياء ، ٢١ : ٣١ وسورة لقمان ٣١ : ١٠) : أنت ، يا مسلمة ، الجبل (القائد العظيم) الذي يحفظ ملك بن أمية .

شكرتُك ، ان الشكر حبْلٌ من التقى ؛ وما كلّ من أوْليْتَه نِعمَةً يقْضي [1] .
وألْفَيْتَ ، لمّا أنْ أتيْتُكَ زائراً ، عليّ لِحافاً سابغَ الطول والعرضِ [2] ،
وأحْيَيْتَ لي ذكْري وما كان خامِلاً ؛ ولكنّ بعضَ الذكرِ أنْبَهُ من بعض [3] .

— ونظم أبو نخيلة أرجوزة يحضّ فيها المنصور على نقلِ وِلايةِ العهد إلى ابنهِ محمّدِ المهديِّ مطلعُها :

لم يُنْسِني ، يا ابنةَ آلِ معْبَدِ ، ذكْرَاك تكْرارُ الليالي العُوّدِ .

عرّض فيها بعيسى بن موسى فقال :

ليسَ وليّ عهدِنا بالأسْعَدِ عيسى ، فزَحْلِقْها إلى مُحمّدِ ،
فقد رَضِينا بالغُلامِ الأمردِ وقد فرَغْنا غيرَ أن لم نُشْهِدِ ،
وغيرَ أنّ العَقْدَ لم يُؤكّدِ . فلو سَمِعْنا قولَكَ : أُمْدُدْ أمْدُدِ [5] !
فنادِ للبَيْعَةِ جمعاً نَحْشُدِ في يومِنا الحاضر هذا أو غَدِ [6] .
ورَدِّهِ منكَ رِداءً يرْتَدِ ، فهو رِداءُ السابقِ المُقَلّدِ [7] .

٤ — ** طبقات ابن المعتزّ ٦٢ — ٦٧ ، الاغاني ١٨ : ١٣٩ .

---

١ وما كل من أوليته نعمة (أسلفت اليه نعمة) يقضي (يفي بحقها لك من الشكر) .

٢ الزائر : طالب العطاء — كان الشعراء الوافدون على الأمراء للتكسب يسمون (بضم الياء وفتح الميم المشددة) السؤال (بضم السين وتشديد الهمزة) فساهم خالد بن برمك « الزوار » (الفخري ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١١٣) ؛ الاغاني ٣ : ١٧٣ .

٣ أنبه : أشهر .

٤ الامرد : الشاب . فرغنا : تمت عزيمتنا (؟) . لم نشهد : لم نعلن ذلك على الناس ولم نقل لهم : اشهدوا على هذا الامر .

٥ العقد : العهد ، العزيمة . وكد العهد وأكده : أوثقه ، ثبته ، قيده باليمين ، الخ ... فلو قلت لكل واحد منا : أمدد (مد يدك للمبايعة) لمددتها (لكنت أول من يمد يده ، يبايع) .

٦ — وإذا أردت فاننا نأتيك بجموع كثيرة تبايع أيضاً .

٧ رده (من الرداء) ألبسه (ثياب الخلافة) يرتد (يلبسها ، يكن أهلا لها) . المقلد : السابق من الخيل . فهو رداء السابق المقلد (؟) .

سعيد الدارميّ

١ – هو سعيدٌ الدارميّ من بني تَميم ، ويَرْجِعُ نسبُه إلى سُويدِ بن زيد الجاهليّ . وهو من أهل مكّةَ نشأ فيها شاعراً ومُغنيّاً ، وكان ظريفاً حَسَنَ المُنادمة على ما كان فيه من البُخل .

يبدو أن الدارميّ كان شابّاً في أيام عمرَ بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١ هـ) ثم عاش إلى الدولة العبّاسية ومدح عبدَ الصمد بن عليّ (غ ٣ : ٤٨ – ٥٠) ، وعبدُ الصمد كان والياً على مكّة (١٤٦ – ١٤٩ هـ) ثم على المدينة (١٥٦ – ١٥٩ هـ) . وكذلك مدح مُحمّد بنَ ابراهيمَ الإمامِ ، وكان محمدُ بن ابراهيم والياً على مكّة مرّتين : مرّةً من سنة ١٤٩ – ١٥٨ هـ ثم مرّة في أيام الرشيد ، سنة ١٧٨ هـ ، ولا أحْسَبُ أن سعيداً الدارميّ أدركها .

وخرجتْ للدارمي في أواخر حياته قَرْحة في جوفه (أو صدره) فبزق منها بزقة خضراء فتشاءم من ذلك وخاف ألا يعيشَ بعدها . ولعلّ وفاته كانت نحو سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) أو بعدها بقليل .

٢ – سعيدٌ الدارمي شاعر مُقِلّ ومُغَنّ قليل الشهرة ، وله أصواتٌ (أغانٍ) قليلةٌ . وشعره الواصل إلينا سَهْل عَذْب فيه مَرَح وشيء من الهَزْل . وفنونه المدح والغزل والزهد .

٣ – المختار من شعره :

– تقوم شهرة سعيد الدارمي على بيتين من الشعر قالها وغنّاهما .

جاء في الاغاني (٣ : ٤٥ – ٤٦) : أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخُمُر [١] فباعها كلّها وبَقِيَت السُودُ منها فلم تَنْفُقْ . وكان (هذا التاجرُ) صديقاً للدارمي فشكا اليه أمره – وقد كان (الدارمي) نَسَك وترك الغِناء وقول

---

١ الخمر (بضم فضم) جمع خمار (بكسر الخاء) : غطاء تستر المرأة به رأسها (شعرها) وعنقها وأعلى صدرها .

الشعر ، فقال له : لا تَهْتَمّ بذلك فانّي سأُنفِقُها لك حتى تبيعها أجمع . ثم قال (الدارمي) :

قُلْ لِلْمليحةِ في الخِمارِ الأسودِ : ماذا صَنَعْتِ براهبٍ مُتَعَبِّدِ ؟
قد كان شمّر للصلاةِ ثيابَه حتّى وقَفْتِ له ببابِ المسجدِ !

وغنّى فيها ، وشاعَ (أمرُها) في الناس وقالوا : قد فَتَكَ الدارميّ ورَجَعَ عن نُسْكه . فلم تَبْقَ في المدينة ظَريفةٌ إلاّ ابْتاعَتْ خِماراً أسود حتّى نَفِدَ ما كان مَعَ (التاجر) العِراقيّ منها .....

— وقال الدارمي بيتينِ وغنّاهما (وهما صوتٌ من المائةِ الاصواتِ المُختارة) [1] :

أفِقْ ، يا دارميّ ، فقد بُليتا ، وإنّك سوف تُوشِكُ أن تَموتا .
أراكَ تَزيدُ عِشْقاً كلّ يومٍ ، إذا ما قُلتَ إنّك قد بَريتا .

٤ — ** غ ٣ : ٤٧ — ٥٠ ، زيدان ١ : ٣٤٣ .

أبو عمرو بن العلاء

١ — هو أبو عَمرٍو زبّان بن العَلاء بن عمّارٍ المازني ، وُلِدَ في مكّة سنة ٦٧ هـ (٦٨٧ م) ، وقيل سنة ٦٥ هـ . قرأ العلمَ في مكّة والمدينة وفي البصرة والكوفة : قرأ على أنَس بن مالك وعلى الحسن البَصْري وسعيد بن جُبير وأخذ النحوَ عن نَصْر بن عاصم الليثي . وفرّ أبو عمرٍو مَعَ أبيه من الكوفة خوفاً من الحَجّاج ، ولكنّهما عرَفا في أثناء فِرارهما أن الحجاج مات ٩٥ هـ (٧١٥ م) . ولعلّهما عادا وشيكاً إلى العراق .

وكانت وفاة أبي عمرو بن العلاء في الكوفة سنة ١٥٤ هـ (٧٧١ م) .

---

١ برئ (بفتح الباء وكسر الراء) : تخلص من دائه (انجلى عشقه : مر الزمن الذي يعشق الانسان فيه عادة) .

٢ – أبو عمرو بن العلاء أحدُ القُرّاء السبعة ؛ وقد قال الجاحظُ (البيان والتبيين ١ : ٣٢٠ – ٣٢١) فيه :

فأمّا أبو عمرٍو فكان أعلمَ الناس بأمورِ العربِ ، معَ صِحّة سَماعٍ وصدق لسان . حدّثني الاصمعيّ قال :

جلستُ إلى أبي عمرٍو عَشْرَ حُجَجٍ ما سَمِعْتُه يَحْتَجّ ببيتٍ إسلامي . قال (الاصمعي) وقال (أبو عمرو) مرّة : لقد كَثُرَ هذا المُحْدَثُ وحَسُنَ حتّى لقد هَمَمْتُ أن آمرَ فِتيانَنا بروايتِه ، يَعْني شِعرَ جَريرٍ والفرزدقِ . وحدّثني أبو عبيدة قال : كان أبو عمرو أعلمَ الناس بالغريبِ والعربيةِ وبالقرآنِ والشعرِ وبأيامِ العرب وأيام الناس » .

ولأبي عمرٍ من الكتب : كتاب مرسوم المصحف ، شرح ديوان الخِرنق .

٣ – المختار من كلامه :

– أبو عمرو بن العَلاء ورَجُلٌ من مُضَرَ [١] :

فاخرَ مضريّ يمانيّاً فعَلاه اليمانيّ [٢] فقال أبو عمرو : قُلْ له :

لنا النُبُوّةُ والخِلافة ، والكَعْبَة والسِدانة والسِقاية ، واللِواء والرِفادة ، والنَدْوة والشّورى ، والهِجْرة وفَتوح الآفاق . وبِنا سُمّيَتِ الانصارُ أنصاراً [٣] ، ومنّا أولُ من تَنْشَقّ عنه الأرضُ ، وصاحبُ الحَوْض ، وأوّل

---

١ مجالس العلماء للزجاجي (بتحقيق عبد السلام محمد هارون) ، الكويت (وزارة الارشاد والأنباء) ١٩٦٢ ، ص ٢٣٣ . مضر هم عرب الشمال في مقابل اليمن عرب الجنوب .

٢ علاه اليماني : غلب اليماني المضري في الفخر والجدال .

٣ – يقصد : كان محمد رسول الله والخلفاء (الراشدون والأمويون والعباسيون) من عرب الشمال . والكعبة في مكة (مركز الثقل من عرب الجنوب : قريش) والسدانة (الولاية على الكعبة) والسقاية (اسقاء الناس في أيام موسم الحج) واللواء (قيادة الحرب) والرفادة (اطعام الناس في موسم الحج) والندوة (دار الندوة : مجمع الاشراف الذين كانوا يحكمون مكة) والشورى (أهل الحل والعقد الذين يتشاورون في أمر الحكم بين الناس) والهجرة (انتقال المسلمين الأولين من أهل مكة المضريين إلى =

شافع ومُشفَّع ، وأوّلُ من يدخلُ الجنّة [1] . و (منّا) سيّد ولَد آدمَ وأكرمُ الناسِ أباً وأمّاً ، وأخاً وأختاً ، وجدّة وجدّا ، وعمّاً وعمّة ، وخالة وخالا [2] . ومنا الأسباطُ ، ولنا الملوكُ ، وفينا الأنبياءُ . فمن عزّ منكم فنحن أعْزَزْناه ، ومن ذلّ منكم فنحن أذْلَلْناه [3] .

— الشاعر والخطيب (البيان والتبيين ١ : ٢٤١) :

قال أبو عمرو بن العَلاء : كان الشاعرُ في الجاهليةِ يُقَدّمُ على الخطيب لِفَرْطِ حاجتهم إلى الشعر الذي يُقَيّدُ عليهم مآثرَهم ويُفَخّمُ شأنَهُم ويُهَوّلُ على عدُوّهم ومن غزاهم ويُهَيّبُ من فُرْسانهم ويُخَوّف من كثْرة عَدَدِهم ، ويَهابُهم شاعرُ غيرِهم فيُراقِبُ شاعرَهُمْ . فلمّا كثُرَ الشعرُ والشعراءُ واتّخذوا الشعرَ مَكْسَبَةً ورَحَلوا (به) إلى السُوقةِ وتَسَرّعوا إلى أعراضِ الناسِ (بالهجاء) صارَ الخطيبُ عندهم فوقَ الشاعر . ولذلك قال الاول : الشعر أدْنى مُروءة السَّرى وأسْرى مروءة الدنيّ [4] .

٤ — ** الفهرست ٢٨ ؛ طبقات الزبيدي ٢٨ — ٣٤ ؛ بغية الوعاة ٣٦٧ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٣٧ — ٢٣٨ ؛ معجم الادباء ١١ : ١٥٦ — ١٦٠ (ترجمة منقولة من « طبقات القرّاء ») ، بروكلمان ١ : ٩٧ ، الملحق ١ : ١٥٨ ، زيدان ١ : ١١٤ . Enc . Isl . (new ed) I 105 - 6

= المدينة ، وكان أهلها يمانية) وفتوح الآفاق (قيادة جيوش الفتح في صدر الإسلام) ، كل هذه كانت لعرب الشمال . وبنا سميت الانصار أنصاراً : أهل المدينة يفتخرون بأن اسمهم الأنصار (الذين نصروا رسول الله) . ولكن لولا هجرة أهل مكة المضريين إلى المدينة لما أصبح اسم أهل المدينة « الانصار » .

١ هذه صفات محمد رسول الله . تنشق عنه الأرض : يبعثه الله من الموت يوم القيامة . صاحب الحوض : الذي يقف على الحوض يوم القيامة يسقي الناس . الشافع : الذي يطلب العفو عن ذنوب الناس يوم القيامة . المشفع : الذي تقبل منه الشفاعة يوم القيامة .

٢ وهذه أيضاً صفات لرسول الله ، وكلها يمكن أن تفسر إلا قوله « واخاً وأختاً » لأن محمداً رسول الله كان واحداً وحيداً (لا أخ له ولا أخت) .

٣ الاسباط : أبناء بنت الرجل (أبناء فاطمة بنت محمد رسول الله) . الملوك : الخلفاء . الأنبياء : محمد رسول الله واسماعيل وسواهما ممن هم من الفرع الشمالي من العرب .... منكم (منكم ، أيها اليمانية ، عرب الجنوب) .

٤ الاول (الناقد) الاول : القديم . أدنى (أقل) مروءة (شرف) السري (الشريف ، إذا مدح غيره بالشعر) وأسرى (أكثر ، أشرف) مروءة الدني (إذا مدح غيره) .

أبو عَطاءٍ أفْلَحُ بنُ يَسارٍ السِنديّ

١ – وُلِدَ أفلحُ بن يَسارٍ في السِند ، غَربيّ الهِند (في باكستانَ اليومَ) ثمّ انْتَقَلَ مَعَ أبيه إلى الكوفة فنشأ فيها مولىً لبني أسَد بن خُزيمة أو مملوكاً على الاغلب . ولمّا حَسُنَتْ حالُه فيما بعد كاتبَ مواليه على أربعة آلافِ دِرْهَمٍ فأعتقوه .

كانَ أفلحُ بنُ يَسارٍ أسودَ وفي لسانه لُكْنَةٌ ولَثْغَة [1] ، وكان يغضب إذا عرّضَ به أحدٌ من أجلِ ذلك . ثم انه اتّخذ غُلاماً فصيحاً يُنْشِدُ عنه اشعارَه وسمّاهُ عَطاءً وتَكنّى به .

كان أبو عطاءٍ من أنصارِ الأمويّين شَهِدَ مَعَ غلامه عطاءٍ قتال المُسَوِّدةِ إلى جانب بني أميّة . وقد قتل عطاء ، ٨ المحرّم ١٣٢ ﻫ (٢٧–٨–٧٤٩ م)، لما انهزم يَزيدُ بن عُمَرَ بن هُبيرة أمام قَحْطَبَةَ بن صالحٍ أحدِ قُوّادِ العبّاسيين ؛ وهرب أبو عطاءٍ من الأنبارِ التي هي قُرْبَ الكوفة إلى واسط .

ولما قامت دولةُ بني العبّاس حاولَ أبو عطاءٍ أن يتّصل بأبي العبّاسِ السَفّاح . ثم مَدَحَ العبّاسيين وعرّض بالأمويين ، ولكنّ السَفّاح لم يُلْقِ اليه بالاً ؛ فانقلبَ أبو عطاءٍ يهجو العباسيين . ولم ينل أبو عطاءٍ رِضا المنصور فتخفّى منه زَمَناً . ولمّا تُوُفّيَ المنصورُ ظهر أبو عطاء في الناس ولكنّه مات بعدَ قليل . وقيل بل توفي في أواخر خِلافة المنصور [2] .

٢ – كان أبو عطاءٍ السِنديّ شاعراً فَحْلاً من مُخَضْرمي الدولتين مُكثِراً مُجيداً حاضرَ البَديهةِ حَسَنَ التصَرّفِ في فنون الشعر . ومَعَ أن شِعره الذي وَصَلَ إلينا قليلٌ ، فإنّ فيه مَدْحاً ورثاءً وهِجاءً وحِكمةً وغَزَلاً . وكان ينبغي أن يكون فيه أيضاً خمرياتٌ لأنه كان يشرب الخمر . وشعر أبي عطاء فصيح الألفاظ متين التركيب مَعَ سُهولة وعُذوبة ، وعلى بعضه نفحة قديمة .

---

١ كان ابو عطاء يلفظ الجيم زاياً ، والشين سيناً مهملة ، والظاء زاياً ، والعين همزة ، والحاء هاء .

٢ توفي أبو جعفر المنصور في أوائل الحجة ١٥٨ ﻫ (أوائل تشرين الأول ٧٧٥ م) . وفي فوات الوفيات (١ : ٩٥) أن أبا عطاء توفي بعد ١٨٠ ﻫ (٧٩٦ م) ، ولا وجه لذلك .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو عطاء يرثي يزيدَ بنَ عُمَرَ بنِ هُبيرةَ حين قتله أبو جعفرٍ المنصورُ بواسط بعد أن أمّنه :

ألا إنّ عَيْناً ، لم تَجُدْ يومَ واسطٍ   عليكَ بجاري دَمْعِها ، لَجَمودُ ؛
عَشيّةَ قام النائحاتُ ، وشُقّقتْ   جُيوبٌ بأيْدي مأتَمٍ وخُدود [١] .
فان تُمْسِ مَهجورَ الفِناءِ فرُبّما   أقامَ به بعدَ الوفودِ وُفودُ [٢] .
فإنّكَ لم تَبْعَدْ عَلى مُتَعَهّدٍ ؛   بَلى ، كلُّ من تَحْتَ التّرابِ بعيد[٣] !

– وقال في الفقر والغنى وطلب الرزق وفي نظر الناس إلى الفقر :

إذا المرء لم يَطْلُبْ مَعاشاً لنفسه   شكا الفقرَ أو لام الصديقَ فأكثرا ،
وصار على الأدْنَيْنَ كَلاً ، وأوشكتْ   صِلاتُ ذوي القُربى له أن تَنَكّرا [٤] .
فسِرْ في بلادِ الله والْتَمِسِ الغِنى   تَعِشْ ذا يَسارٍ أو تموتَ فتُعْذرا .
وما يُدرِكُ الحاجاتِ ، من حيث تُبْتَغى ،   من الناس إلاّ من أجَدّ وشَمّرا .
ولا تَرْضَ من عيشٍ بدونٍ ، ولا تَنَمْ .   وكيفَ ينام الليلَ من بات مُعْسِرا !

– وقف أبو عطاء بباب السفّاح ومعه قصيدة في مدح بني هاشم فيها :

إن الخِيارَ من البَريّةِ هاشمٌ ،   وبنو أميّة أرذلُ الأشرار .
وبنو أميّة عودُهم من خِرْوَعٍ ،   ولهاشمٍ في المجد عود نُضارِ [٥] .
أما الدُعاةُ إلى الجِنان فهاشم ،   وبنو أميّة من دُعاة النارِ .
وبهاشم زَكَتِ البلادُ وأعْشَبَتْ ،   وبنو أميّة كالسَراب الجاري .

ولكن لم يؤذن له بالدخول فانصرف وقال :

يا ليتَ ظلمَ بني مَروانَ عاد لنا ،   وأن عدلَ بني العبّاس في النارِ .

---

١ المأتم : النساء المجتمعات لوفاة إنسان .
٢ الفناء (بكسر الفاء) : باحة البيت .
٣ المتعهد : الذي يدأب على زيارتك للعناية بك .
٤ الأدنون : الأقارب . كلا : عالة ، عبئاً .
٥ الخروع : نبات هش الاغصان ، ضعيف . نضار : شجر لا تسقط أوراقه في الشتاء ، قوي .

— وقال في الغزل ، وعليه نفحة قديمة :

ذكرتُك والخَطّيّ يَخْطُر بَيْنَنـا وقد نَهِلَت منّا المُثَقّفَةُ السُّمْرُ [1] .
فوالله ، ما أدري وإنّي لصادقٌ ، أداءٌ عَراني من حِبابك أم سِحر [2] ؟
فان كان سحراً فاعذريني على الهوى ، وان كان داءً غيرَه فلكِ العُذر !

٤ — الاغاني (بولاق) ١٦ : ٨١ — ٨٧ ، فوات الوفيات ١ : ٩٣ — ٩٥ ؛ Islamic Culture, July 1949, p. 137 بروكلمان ١ : ٦٢ .

حَمّاد عَجْرَدٍ

١ — هو أبو عَمْرٍو (أو أبو يحيى) حَمّادُ بنُ عُمَرَ بنِ يونسَ بن كُلَيب ، أصله ومنشأه في الكوفة ثم انتقل إلى واسطٍ . وهو مولىً لبني سُوأة ابن عامرِ بنِ صَعْصعة .

عاش حمادٌ رَدْحاً في العصر الأموي ونادم الخليفةَ الوليدَ بن يزيد ، (ت ١٢٦ هـ = ٧٤٤ م) ثم أدرك الدولةَ العبّاسيّة . ويذكر الاصفهاني (غ ١٣ : ٩٦) أن أبا جَعْفَرٍ المنصورَ ولّى محمدَ بنَ أبي العباس السّفّاح على البصْرة ، فقَدِمَها محمدٌ ومَعَهُ نَفَرٌ من الشعراء والمُغنين والنُدَماء منهم حمّادُ عجردٍ . وكان حمادٌ من قبلُ مُؤدِّباً لمحمدٍ . ثم ان حماداً جاء إلى بغدادَ في أيامِ المَهْدي ، بعدَ سنة ١٥٨ هـ (٧٧٥ م) ، وجاء اليها معه نفر من الشعراء المُجّان منهم مُطيعُ بنُ إياسٍ ويحيى بن زِياد . وكان هؤلاء كلّهم مُجّاناً مُتّهَمين بالزندقة .

كان حمادُ عجردٍ صديقاً لعددٍ من الشعراء مرّةً ومُهاجياً لهم مرة أخرى : من هؤلاءِ الشعراء والِبَةُ بن الحُبابِ ، وقد عرَفَهُ بلا ريبٍ في الكوفة ؛ ومن هؤلاء بَشّارُ بن بُرْدٍ ، وقد عرفه في بغدادَ .

---

١ الخطي : الرماح . نهلت : شربت ، أسالت دمي . المثقفة السمر : (الرماح) المستقيمة الضامرة (الشديدة) .
٢ الحباب (بكسر الحاء) : المحبة .

ويبدو أن حمادَ عَجْرَد كان من الذين نالَتْهُمْ نِقمةُ الدولة على الزندقة فاضْطُرَّ إلى أن يبتعدَ عن بغدادَ ، فطال تَطَوُّفُهُ في البلادِ ثم مَرِضَ ومات ، قيل بينَ البصرة والأهواز ، وقيل في شيرازَ بفارسَ . وكانت وفاتُهُ في الاغلب سنة ١٦١ هـ (٧٧٨ م) . وقيل بل قُتِلَ .

٢ - كان حمادُ عجرد شاعراً مُحْسِناً مُجيداً عَذْبَ الشعرِ ظريفاً . وكانت أغراضُ شِعْرِه المدحَ والرثاء والهجاءَ والوصف ، وله وصف بارعٌ للطبيعة وغَزَلٌ ؛ وقد سَبَقَ أبا نواسٍ في الغزل المُذَكّر . وهجاؤه مؤلم .

٣ - المختار من شعره :

- لحمّادِ عَجْرَدٍ في بشارِ بن بُرْدٍ أهاجٍ كثيرةٌ كثيرةُ المُجونِ والإقذاع. وممّا يجوزُ الاستشهادُ به من ذلك قولُهُ :

إنْ تاهَ بَشّارٌ عليكُمْ فقَدْ أمْكَنْتُ بشّاراً من التيهِ .
وذاك إذ سَمَّيْتُه بِاسْمِهِ ، ولم يَكُنْ حرّاً تَسَمّيه [١] .
فصار إنساناً بذِكْري لهُ ، ما يَنْبَغي [٢] من بعدِ ذِكْريه !
لم أهْجُ بشّاراً ، ولكنّني هَجَوْتُ نفسي بهِجائيه .
لم آتِ شيئاً قطّ فيما مضى ، ولست فيما عِشْتُ آتيه :
أسْوَأَ في الناس أُحْدوثةً من خَطأٍ أخْطأتُه فيه :
فأصْبَحَ اليومَ ، لسَبّي له ، أعْظَمَ شأناً من مَواليه !

- وشَرِبَ حمادُ عجردٍ الخمرَ بفارسَ مَعَ نَفَرٍ من أبناء الملوك فقال في ذلك :

ربّ يومٍ بفُساءٍ ليس عندي بذَميمِ
قد قَرَعْتُ العيشَ فيه مَعَ نَدْمانٍ كريم [٣] ،

---

١ ولم يكن رجلا حراً حتى يستحق أن تسميه باسمه .
٢ كذا في الأصل . ولعلها : يبتغي : يريد ، يطمع .
٣ الندمان (بفتح الميم) : النديم .

في جِنانٍ بين أنْهارٍ وتَعْريشِ كُرومِ ،
نَتَعاطى قَهْوَةً تُشْخِصُ يَقْظانَ الهُموم [1]
بِنْتَ عَشْرٍ تَتْرُكُ المُكْثِرَ منها كالأميمِ [2] .
فبِها دأباً أُحَيّي ، ويُحَيّيني نَديمي [3] ،
في إناءٍ كِسْرَوِيٍّ مُسْتَخِفٌّ لِلْحَليم [4] ،
شَرْبَةً تَعْدِلُ منه شَرْبَتَيْ أمِّ حَكيم [5] .
عِنْدَنا دَهْقانَةٌ حَنّانَةٌ ذاتُ هَميم [6]
جَمَعَتْ ما شِئْتَ من حُسْنٍ ومن دَلٍّ رَخيم [7] ،
في اعْتِدالٍ من قَوامٍ وصَفاءٍ من أديم [8] ،
وبَنانٍ كالمَداري وثَنايا كالنّجوم [9] .
لمْ أنَلْ منها سِوى غَمْزَةِ كَفٍّ أو شَميم ،
غيرَ أنْ أُرْقِصَ منها عَكْنَةَ الكَشْحِ الهَضيم [10] .
ويْلَتا ! أظْلِمُ منها [11] خَدَّها لَطْمَ رحيم .

---

١ أشخص الشيء : أزعجه ، أزاله عن موضعه ، أبعده .

٢ الاميم : الذي شج رأسه (فغاب عن الوعي) .

٣ دأباً : دائما .

٤ في إناء : بإناء . كسروي : منسوب إلى كسرى (ملكي ، ثمين) . مستخف للحليم : يستميل العاقل (الذي لا يشرب الخمر) الى أن يشرب به .

٥ تعدل : تساوي . أم حكيم : لعلها خمارة كانت تسقي بكؤوس كبيرة .

٦ دهقانة : سيدة فارسية تملك أرضاً (ويكون عندها حانة للخمرة) . حنانة : الكثيرة الحنو والتي تقبل على من يعرض عنها ، والتي كان لها زوج . هميم : المطر الضعيف (القاموس) ، ذات اهتمام .

٧ الدل : الدلال ، الدلع المستحب . الرخيم : اللين ، السهل .

٨ صفاء الاديم : صفاء لون الجلد (كناية عن صغر السن والجمال) .

٩ البنان (جمع بنانة) : رؤوس الاصابع ، والمقصود هنا : الاصابع . كالمداري : كالمشط ، كأسنان المشط (طويلة ومستقيمة) . وثنايا كالنجوم : أسنان بيض تلمع .

١٠ كنت أجس (ثنية) الكشح (الخصر) الهضيم (النحيل) .

١١ ويلتا : ويلي ، ويح لي ، ما أقساني . أظلم : اعتدى . لعلها : ألطم . أو : إنني أظلم خدها حتى حينا ألطمه لطمة خفيفة للتحبب .

وبِنَفْسي ذاك ، يا أسـ ـودُ ، من خَدٍّ لَطيم[1] .

٤ — ** تاريخ بغداد ٨ : ١٤٨ — ١٤٩ ؛ الاغاني ١٤ : ٣٢١ — ٣٨١ ؛ معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٩ — ٢٥٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٩٤ — ٢٩٦ ؛ زيدان ٢ : ٨٤ — ٨٥ .

حَمّادُ الراوِيَةُ

١ — هو أبو القاسم حَمّادُ بن أبي ليلى سابورَ (وقيل : مَيْسرة أو هُرْمُز) ابنِ المُبارَكِ بن عُبيد ، أصله من الدَيْلَم ومولده في الكوفة نحو سنة٧٥ ه (٦٩٥ م)[2] ، ولذلك يُعْرَفُ بحمّاد الديلمي وحمّاد الكوفيّ . ثم هو مولى مِكْنَفِ بنِ زيدِ الخيلِ بن مُهَلْهِلٍ الطائي (الشعر والشعراء ١٧٥) ، وقيل مولى بني شَيْبان (غ ٦ : ٧٠) أو مولى بكر بن وائل (ياقوت ١٠ : ٢٥٨) . أما لقبه حمّاد الراوِيَةُ فجاء من أنه كان يحفظ عدداً كبيراً من القصائد الجاهلية .

نشأ حمادٌ الراويةُ في الكوفة يُعاشر المُجّانَ كحمّادِ عَجْرَدٍ وحمّاد بن الزِبْرِقان ، وكانوا كلّهم يُرْمَوْنَ بالزندقة .

ونال حمّادٌ الراوِيةُ حَظوةً عند خلفاء بني أميّةَ : كانوا يسألونه عن أخبار الجاهليين وأشعارِهم وكان يُجيبهم — وخصوصاً هشامَ بن عبد الملك (١٠٥ — ١٢٥ ه) والوليدَ بن يزيد (١٢٥ — ١٢٦ ه) — ثم أدرك خِلافةَ المَهْديّ[3] العبّاسي سنة ١٥٨ ه (٧٧٥ م) . ولعلّ وفاته كانت سَنَةَ ١٦٠ ه أو بعد ذلك بقليل[4] .

---

١ أسود : هو الاسود بن خلف كاتب عيسى بن موسى . وبنفسي ذاك من خد لطيم : ما أجمل ذلك الخد حين يحمر من أثر اللطمة الخفيفة للتحبب .

٢ الفهرست ٩١ .

٣ في معجم الأدباء (١٠ : ٢٢٦) : ولد حماد الراوية سنة ٩٥ ه ثم توفي سنة ١٥٥ ه . ولا وجه لرواية الاغاني (٦ : ٩٣) ورواية المرزباني (الموشح ٢٣٨ — ٢٣٩) عن وفود حماد الراوية على زياد ابن أبيه (ت ٥٣ ه) .

٤ غ ٦ : ٧٠ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٩٢ .

٢ – قال ابن سلّام [١] : « كان أولَ من جمَعَ أشعارَ العربِ وساق أحاديثَها حمّادٌ الراويةُ ، وكان غيرَ موثوق به : كان يَنْحَلُ شعرَ الرجل غيرَه ويزيدُ في الاشعار » . وقد كان أعلم الناس بأيامِ العربِ وأشعارِها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ، وهو الذي جمَعَ السبعَ الطِوالَ [٢] أو المُعلّقاتِ السبعَ . ولكن يُقالُ إنّ معرفته بالعربية كانت قليلةٌ فقد كان يلحن [٣] . ولم يُرَ لحمّادٍ كتابٌ ، وإنما رُوِيَ عنه وصُنِّفت الكتب بعده [٤] .

٣ – **المختار من آثاره :**

– روى الاصفهاني (غ ٦ : ٦٩) صوتاً من المائةِ المختارة لحمّادٍ الراوية ، وهو البيتان التاليان :

تَنَكّرَ من سُعْدى وأقْفَرَ من هِنْدِ مُقامُهما بين الرّغامين فالفَرْدِ ،
مَحَلٌّ لسُعْدى طالَما سَكَنَتْ به فأوْحَشَ ممّا كان يَسْكُنُهُ بَعدي .

٤ – الاغاني ٦ : ٦٩ – ٩٥ ؛ معجم الأدباء ١٠ : ٢٥٨ – ٢٦٦ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٩٢ – ٢٩٤ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٣٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٠ ، ٩٨ ؛ زيدان ٢ : ١١٩ – ١٢١ .

الحُسينُ بن مُطيرٍ الأسديّ

١ – هو الحُسينُ بنُ مُطيرِ بن مُكَمّلٍ ، وكان مكمّلٌ مولىً لبني أسد فأعتقوه .

كان الحُسينُ بن مُطير من ساكني زَبالة ، من التغلبية وداره بها . ويبدو أن مولده كان بين سنة ٩٠ وسنة ٩٥ هـ (٧٠٩ – ٧١٣ م) ؛ وقد وَفَدَ على الوليد

١ طبقات الشعراء ١٤ س ، (القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٢) ٤٠ – ٤١ .
٢ غ ٦ : ٧٠ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٩٢ .
٣ الفهرست ٩١ .
٤ الفهرست ٩٢ .

ابن يزيد (١٢٥ – ١٢٦ هـ) ومدحه ، ثم أدرك بني العبّاسِ فوَفَدَ على مَعْنِ ابن زائدةَ ، وهو والٍ على اليمن (١٤٠ – ١٤٩ هـ) . ولعله توفي في أوائل خلافة المهدي ١٥٨ – ١٦٩ هـ (٧٧٥ – ٧٨٥ م) .

٢ – كان الحُسين بن مُطيرٍ في زيّهِ وكلامه يُشْبِهُ مذاهبَ الأعراب وأهل البادية . وهو شاعر من مخضرمي الدولتين فصيحٌ مُقَدَّمٌ في الرَجَز والقصيد ، ومن المُكْثِرين المُجيدين . وهو بارعٌ في المدح والفخر والوصف والغزل والنسيب وفي الاغراض الوُجْدانية . وقد أطبق ابن المعتز (طبقات ١١٨) وأبو هلالٍ العَسكريّ (ديوان المعاني ٢ : ٦) على أن الحُسينَ بن مُطيرٍ أحذقُ الشُعراء في وصف السحاب .

٣ – المختار من شعره :

– قال الحسين بن مُطير يرثي معن بن زائدة الشيباني :

أَلِمّا على مَعْنٍ وقولا لقبرِه : سقتْكَ الغوادي مُرْبِعاً ثم مُرْبِعا [١] .
فيا قبرَ معنٍ ، أنت أولُ حُفْرةٍ من الارض خُطّت للسَماحة مَضْجَعا .
ويا قبر معن ، كيف واريتَ جودَه ، وقد كان منه البَرّ والبَحْر مُتْرَعا ؟
بلى ، قد وَسِعتَ الجودَ والجودُ ميّتٌ ؛ ولو كان حيّاً ضِقْتَ حتى تَصَدّعا [٢] .
فتىً عِيشَ في مَعْروفهِ بعدَ موته ، كما كان بعد السيل مَجراه مَرْتعا [٣] .
ولمّا مضى معنٌ مضى الجود فانقضى ، وأصبح عِرنين المكارم أجْدَعا [٤] !

– وله في الغزل والنسيب :

لقد كُنتُ جَلْداً قبل أن تُوقِدَ النَوى عل كَبِدي ناراً بَطيئاً خُمودُها !
وقد كنتُ أرجو أن تموتَ صَبابتي إذا قَدُمَتْ أيّامُها وعُهودها .

---

١ الغادية : الغمامة في الصباح . المربع : الغيث العظيم .
٢ تصدعا : تتصدع : تتشقق ، أيها القبر .
٣ – لا ينبت العشب ويكون مرعى إلا إذا جاء السيل ثم ذهب .
٤ – .... قطع أنف المكارم (لم يبق أحد يأتي المكارم) .

فقد جعلت في حَبة القلب والحَشا عِـهادَ الهوى تُولي بشوق يُعيدها :
بسودٍ نواصيها وحُمرٍ أكفُّهـا وصُفرٍ تراقيها وبيضٍ خدودها [1] .
مُخَصَّرةُ الأوساطِ زانتْ عقودَها بأحسنَ مما زيّنتها عقودها !
يُمَنّيننا حتى ترفَّ قلوبنا رَفيفَ الخُزامى بات طَلٌّ يَجودها [2] .

٤ ــ ** طبقات ابن المعتز ١١٤ ــ ١١٩ ؛ الاغاني ١٦ : ١٦ ــ ٢٧ ؛ معجم الادباء ١٠ : ١٦٦ ــ ١٧٨ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٨٥ ــ ١٨٦ .

أبو دُلامةَ

١ ــ كان أبو دُلامةَ زَنْدُ بنُ الجَوْنِ أسودَ حَبَشياً مَوْلىً لبني أسدٍ ، نَشأ في الكوفة في أواخر دَوْلة بني أُميّة . غير أنه قال الشعر ونَبَغ فيه في دَوْلةِ بني العبّاس فاتّصل بالسَفّاحِ والمنصور والمَهْدِيِّ . وكانت وفاتُه سَنَةَ ١٦١ هـ (٧٧٧ م) في الأغلب .

٢ ــ كان أبو دُلامةَ رجلاً فيه دُعابةٌ وظَرْفٌ مُتّهماً بالزَنْدقة فاسدَ الدين مُولَعاً بالشراب . وكان شاعراً مَطْبوعاً مُكْثِراً مُفْلِقاً صاحبَ بَديهةٍ سَهْلَ التركيبِ عَذْبَ الكلامِ قريبَ الإشارة ظاهرَ المعاني . وفنونُه المشهورةُ المدحُ والرثاء والعتاب والهجاء ، وقد هجا نَفْسَه ، والطَرْدُ . ثم له عَدَدٌ من الأغراض الوُجدانية الدائرة في الهَزْلِ وفي النُفرة من القِتال خاصّةً .

٣ ــ **المختار من شعره :**

ــ قال أبو دُلامة يرثي أبا العبّاس السَفّاح ، وكانت وفاته بالأنبار :

أمْسَيْتَ بالأنبارِ ، يا ابْنَ مُحَمّدٍ ، لم تستطع من عُقرِها [3] تَحْويلا .

---

١ الترائب : جوانب الصدر .
٢ رف : لمع من النضارة (انتشى ، فرح) . بات طل يجودها : سقاها مطر معتدل ينعشها من غير أن يجرفها بشدته .
٣ العقر : وسط الدار وأصلها .

مات النّدى إذْ مِتَّ ، يا ابن محمد ، فجَعَلْتَه لك في الثّراء عَديلا [1] .
اني سألتُ الناس بعدَكَ كلَّهم فوجدتُ أسْمَحَ من سألتُ بخيلا !
ألِشقْوتي أُخِّرْتُ بعدكَ لِلّتي تَدَعُ العزيزَ من الرجالِ ذليلا .
فَلأحْلِفَنَّ يمينَ حقٍّ بَرَّةً باللهِ ، ما أُعْطِيتُ بعدكَ سُولا [2] .

— وقال يمدح المنصور ويذكر شيئاً من أمر زوجته :

أذابَكِ الجوعُ مذ صارتْ عِيالتُنا على الخليفة منه الريّ والشِّبَعُ [3] .
لا والذي ، يا أميرَ المؤمنين منه قضى لك الخِلافةَ في أسبابِها الرِفَعُ [4] ،
ما زِلتُ أُخْلِصُها كَسبْي فتأكله دوني ودون عِيالي ، ثم تضطجعُ .
شوهاءُ مَشْنَأةٌ في بطنها ثَجَلٌ ، وفي المفاصل من أوصالها فَدَعٌ [5] .
ذكّرتُها بكتابِ اللهِ حُرمتَنا — ولم تَكُنْ بكتابِ الله تَنْتَفِعُ [6] —
فاخْرَنْطَمَتْ ثم قالت ،وهي مُغْضَبةٌ : أأنتَ تتلو كتابَ الله ، يا لُكَعُ [7] ؟
اخرُجْ تَبَغَّ لنا مالاً ومُزْدَرَعاً كما لِجيرانِنا مالٌ ومُزْدَرَعُ [8] ،
واخْدَعْ خَليفتَنا عنها بِمَسْألةٍ ؛ انّ الخليفةَ للسُّؤّالِ ينخدعُ !

— وقال يهجو نفسَه (على سبيل التجريد : مُخاطبةِ الانسانِ نفسَه) :

ألا أبْلِغْ اليك ، أبا دُلامَه — فلستَ من الكِرامِ ولا كَرامَه —
إذا لَبِسَ العِمامةَ كان قِرداً ، وخِنزيراً إذا نَزَعَ العِمامه .

---

١ الثراء : التراب . عديل : مثيل ، كفؤ . الندى : الكرم .
٢ السول = السؤل : السؤال : (ما طلبت شيئاً من أحد بعدك فأعطانيه) .
٣ العيالة = الإعالة : مؤونة أهل البيت (الانفاق على العيال) .
٤ ... من أسباب اختيارك خليفة ما فيك من الرفع (جمع رفعة – بكسر الراء) : ما فيك من أوجه الرفعة والسمو والفضل على الناس .
٥ أخلصها كسبي : أعطيها ما أكسبه من مال (لها وحدها) .
٦ مشنأة (في القاموس ١ : ١٩ مشنأ يستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والجمع) : قبيحة . ثجل (في القاموس ٣ : ٣٤١ الثجلاء : المزادة الواسعة = وعاء من جلد للماء) . الفدع : انحناء في رسغ (بضم الراء) اليد أو الرجل .
٧ اخرنطم : رفع أنفه استكباراً وغضباً . اللكع : اللئيم ، الأحمق .
٨ تبغ = ابتغ : اطلب . مزدرع : أرض للزراعة .

جَمَعْتَ دَمامةً وجمعت لُؤْما ، كذاك اللؤمُ تتبعه الدمامه .
فان تَكُ قد أصبتَ نعيمَ دنيا ، فلا تَفْرَحْ فقد دَنَتِ القيامه !

– جِيءَ بأبي دُلامة سكرانَ إلى الخليفة المنصور أو المهدي فعاقبه بأن أخرجه معَ رَوْح بن حاتم المهلبي إلى حرب الخوارج . ثم ان رَوْحاً أمره بأن يَخْرُجَ إلى بِرازَ رجل من الخوارج فقال :

إني أعوذ بِرَوْحٍ أن يُقَدِّمَني إلى البِراز فتَخزى بي بنو أسدِ .
إن البرازَ إلى الأقران أعْلَمُه مِمّا يُفَرِّقُ بين الروح والجسد .
إنّ المُهلَّبَ حُبَّ الموتِ أوْرَثَكُمْ ، وما وَرِثْتُ اختيارَ المَوْتِ عن أحَدِ .
لو أن لي مُهْجَةً أخرى لَجُدْتُ بها لكنّها خُلِقَتْ فَرْداً فلم أجُدِ !

٤ – • طبقات ابن المعتزّ ٥٤ – ٦٢ ؛ الاغاني ١٠ : ٢٣٤ – ٢٧٣ ؛ تاريخ بغداد ٨ : ٨٨ – ٩٣ ؛ معجم الأدباء ١١ : ١٦٥ – ١٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٣٨–٣٤٣ ؛ شذرات الذهب١ : ٢٤٩ – ٢٥٠ ؛ بروكلمان١ : ٧٢ – ٧٣ ، الملحق ١ : ١١١ ؛ زيدان ٢ : ٨٣ – ٨٤ .

ابن المولى

١ – هو ابو عبد الله محمّدُ بنُ عبد الله بن مُسْلِمٍ مولى بني عمرو بن عَوْفٍ الانصاري ، كان مَنْزِلُه بقِباءِ شَمالَ المدينة وكانَ رجلاً ظريفاً عفيفاً نظيفَ الثياب حَسَنَ الهيْئة . وإذا صحّت روايات الأغاني التي تجعل ابن المولى يمدح عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ = ٧٠٥ م) فيُكثِّرُ ويمدح المهديّ العبّاسي الذي جاء إلى الخلافة في آخر سَنَةَ ١٥٨ هـ (٧٧٥ م) ، فإن عُمُرَ ابن المولى يكون قد طال حتّى زاد على مِائةٍ وهو نشيطٌ يطوفُ البلاد ويَقْرِضُ الشعرَ .

ولمّا انصرفَ يزيدُ بن حاتم من حرب الأزارقة (الخوارج) مَدَحَه ابن المولى ، ثم مدحه لمّا تولّى مِصْرَ في آخرِ سَنَةِ ١٤٤ هـ (أوائل ٧٦٢ م) ، سار اليه من المدينة فَلَقِيَهُ في الطريق ثم وَفَدَ عليه في مِصْرَ ومدحه ، فأعطاه يزيدُ عِشرين ألفَ دينارٍ واعتذر اليه . وفي مصر مرض ابن المولى حتى أشفى على الهلاك .

ولمّا وَلِيَ المَهديّ الخِلافةَ وحجّ مدحه ابن المولى فأعطاه المَهديّ جائزة سنيّة استطاع ابن المولى أن يبني ببعضها بيتاً في المدينة . وكذلك قال ابن المولى المديح في الحسن بن زيدٍ لمّا تولّى الحسنُ بن زيد المدينةَ (١٥٠ – ١٥٥ هـ) كما مدحه في أيام المَهديّ أيضاً . وعلى هذا كلّه يجب أن يكون ابن المولى قد عاش إلى سنة ١٦٠ هـ (٧٧٧ م) أو إلى ما بعد ذلك قليلاً .

٢ – ابن المولى شاعرٌ مُجيد من مُخَضرمي الدولتين الأموية والعبّاسية ومن مدّاحي أهليهما ، ويدورُ شعره على المدح والغزل . أما مديحه فقد قال معظمه في يزيدَ بنِ حاتِم ؛ وأما غزله فمعظمه في قوس كانت له سمّاها ليلى ثم جعل يتغزّل بها كيلا يتغزّل بنساء الناس فيأثمَ . وشِعره عفيف متين السبك على النهج القديم .

٣ – المختار من شعره :

– وَفَدَ ابن المولى على يزيد بن حاتم في مصر ومدحه بقصيدة يقول فيها :

يا واحدَ العرب الذي أضحى وليس له نَظيرْ ،
لو كان مثلُكَ آخَرٌ ما كان في الدنيا فقير !

– ومدح الخليفة محمداً المَهديّ بقصيدة عرّض فيها بالمطالبين بالخلافة من آل أبي طالب :

وما قارع الاعداءَ مثلُ محمّدٍ إذا الحرب أبدتْ عن حُجول الكواعب[١] .
فتىً ماجد الأعراق من آل هاشمٍ تَبَحبَح منها في الذُرى والذوائب[٢] .
أشَمُّ من الرهْط الذين كأنهم لدى حِندِسِ الظَلماءِ زُهْرُ الكواكب .
إذا ذُكِرتْ يوماً مناقبُ هاشمٍ ، فإنّكُمُ منها بخير المناصب .
ومن عِيب في أخلاقه ونِصابه ، فما في بني العبّاس عيب لعائب[٣] .

---

١ حجول الكواعب : بيوت النساء ، الخدور – إذا أوشك الاعداء أن ينتصروا ويستبيحوا الأموال والأعراض .

٢ تبحبح : جلس في البحبوحة (بضم الباء) : وسط الدار ، أي تمكن في المقام : كان مقامه ثابتاً مكيناً . الذرى (الرؤوس) والذوائب (ضفائر الشعر) كناية عن أسمى المقامات وأشرفها .

٣ النصاب : الأصل والنسب .

وانّ أمير المؤمنين ورهطَه لأهلُ المعالي من لُؤيِّ بن غالب
وما نقموا إلاّ المودّةَ منهمُ وأنْ غادروا فيها جزيل المواهب [1] ،
وأنّهم نالوا لهم بدمائهم شفاءَ نفوسٍ من قتيل وهارب .
وانّ أمير المؤمنين لَعائدٌ بأنعامه فيهم على كلّ تائب .
إذا ما دَنَوْا أدناهمُ ، وإذا هَفَوْا تجاوز عنهم ناظراً في العواقب [2] .

٤ — ** غ ٣ : ٢٨٦ — ٣٠٢ ؛ الصفدي ٣ : ٢٩٦ — ٢٩٧ .

اسماعيل بن عمّار

١ — هو اسماعيلُ بنُ عمّارِ بنِ عُيَيْنَةَ بن الطُفيل من بني كَعب بن مالك ابن ثَعلبةَ بن دُودانَ بن أسد بن خُزيمةَ ، من أهل الكوفة ، وقد كان مُدْمِناً للشّراب مُولَعاً بسماع الغناء . ولا نَعْرِفُ من أخباره إلاّ نتفاً .

يبدو أنه كان لاسماعيلَ بن عمّارٍ شيءٌ من النشاط السياسي ، فقد اتّهمَهُ يوسفُ بنُ عُمَرَ والي العراق (١٢٠ — ١٢٦ هـ) بأنه من الخوارج (غ ١١ : ٣٧٥) . ثمّ إنه أتّهِمَ (١٢٨ هـ) بأنه كان يجتمع بدُعاة عبد الله بن يحيى وأبي حمزةَ المُختار بن عَوْفِ الازديّ ، فحُبِس عاماً كاملاً . فلمّا تولّى الحَكَمُ بنُ الصَلْت أطلقَ سَراحه .

وكان في الكوفة رجلٌ يقالُ له ابن رامينَ عنده جَوارٍ منهن سَلاّمة الزرقاء وسُعدى ورَبيحة ، فكان أصحاب الشّراب والغِناء يأتون إلى ابن رامين ليشربوا ويستمعوا إلى جواريه . وكان اسماعيل بن عمّار مُغْرماً بهنّ كلّهن ولا سيما ربيحةَ (وكانت تَلْثَغُ في الزاي والسين) . وقد اتّفق أن ابن رامين ذهب معَ

---

١ وما نقموا (أي آل أبي طالب) إلا المودة منهم (أي رأوا بني العباس يعاملون جميع بني هاشم من أنصارهم وخصومهم بالمودة ، بما تقضي عواطف القرابة) وأنهم كانوا كرماء جداً على ذوي قرباهم .

٢ هفا : أخطأ ، أذنب . تجاوز عنهم : عفا عنهم . ناظراً في العواقب (في نتيجة الأمر) : إذا هو عاقب جميع الكارهين له من بني هاشم فانه يقتل قوماً كثيرين منهم ، وهذا يجعل بني هاشم ضعافاً .

جواريه إلى الحجّ في أيام ولاية محمّد بن سليمانَ بن عليٍّ على مكّةَ ، في خلافة أبي جعفرٍ المنصور ، فاشترى محمدُ بنُ سليمانَ سلامةَ الزرقاءَ بمائة ألفِ درهمٍ . ويبدو أن ذلك قد زاد في تشوّقِ إسماعيلَ بنِ عمّارٍ إلى سلاّمة وزميلاتِها . ثم يَحسُنُ أن نُشيرَ هنا إلى أن سلاّمةَ الزرقاءَ (ذات العينينِ الزرقاوين) هذهِ غير سلاّمةَ زميلةِ حبّابةَ جاريتَيْ يزيدَ بنِ عبدِ الملك الأمويّ (١٠١ – ١٠٥ ﻫ) .

ولعلّ وفاةَ إسماعيلَ بنِ عمّارٍ لم تتأخّرْ عن سنةِ ١٦٥ ﻫ (٧٨١ م) .

٣ – المختار من شعره :

– قال اسماعيل بن عمّار في جواري ابن رامين :

هل من شفاءٍ لقلبٍ – لجّ – محزونِ ... صبا وصبّ إلى رئمِ ابنِ رامينِ [١] :
إلى ربيحةَ إن اللهَ فضّلها ... بحُسْنِها وسماعٍ ذي أفانين [٢] ،
وهاجَ قلبيَ منها مَضْحَكٌ حَسَنٌ ... ولَثْغةٌ ، بعدُ ، في زاي وفي سين [٣] .
أنتِ الطبيبُ لداءٍ قد تلبّسَ بي ... من الجوى فانْفُثي في فيّ وارْقيني [٤] .
لا أنسَ سعْدةَ والزرقاءَ يومَ هُما ... باللُّجّ شرقيّهِ فوقَ الدكاكين [٥] .
تُغنّيانِ ابنَ رامينٍ على طربٍ ... بالمِسْجَحيّ وتشبيبِ المُحبّين [٦] .

---

١ لج في الأمر : لزمه وأبى ان ينصرف عنه ، تمادى فيه . صبا : مال إلى ، اشتاق . صب : أحب ، عشق . رئم : الغزال الأبيض . رئم ابن رامين (كناية عن ربيحة المغنية جارية ابن رامين ، شبهها بالرئم ، أي بالغزل الابيض ، لجمالها وحسنها ورخامة صوتها) .

٢ مضحك : فم .

٣ افانين : انواع .

٤ تلبس بي : خالطني ولزمني . الجوى : ألم الحب . نفث : نفخ . في : فمي . رقاه : قرأ عليه شيئاً من القرآن ليشفيه من شر او من مرض نفسي .

٥ انس = انسى (لا وجه لجزمها – والأصوب : لم انس) . اللج : جانب الوادي ، معظم الماء (لعل هاتين المغنيتين كانتا تغنيان بالعراء على الجانب الشرقي من نهر الفرات في الحيرة – يحسن ان نعلم ان دجلة والفرات لم يكونا في ذلك الزمن قد اتصلا وشكلا شط العرب على ما هي الحال اليوم) . الدكان : مصطبة او بناء من خشب مرتفع قليلا يقف عليه الخطيب او المغني الخ .

٦ المسجحي : غناء ابي عثمان سعيد بن مسجح (راجع غ ٣ : ٢٧٦ – ٢٨٤) ؛ ولعل الشاعر قد قصد بالغناء المسجحي الذي يجتمع فيه فن الغناء مع رخامة الصوت والتطعيم باللحن الأجنبي . التشبيب : الغزل .

أذ ذاك أنْعَمُ أمْ يومٌ ظَلِلْتُ بِهِ فِراشِيَ الوردُ في بُستان شُورين[١] ؟
– نُسقَى طِلاءً لعِمرانٍ يُعتّقُه يمشي الأصحّاءُ منه كالمجانين[٢] ،
يُزِلّ أقْدامَنا من بعدِ صِحّتِها كأنّها ، ثِقَلاً ، يُقْلَعْنَ من طين[٣] .
نمشي وأرْجُلُنا مَطْوِيّةٌ شَلَلاً مشي الإوزِّ التي تأتي من الصين[٤] ،
أو مَشْيَ عُميانِ دَيْرٍ ، لا دليلَ لهم سوى العِصِيِّ ، إلى يوم السعانين[٥] ،
في فِتيةٍ من بني تَيْمٍ لَهَوْتُ بِهِمْ : تَيْمِ بن مُرّةَ لا تيمِ العَدِيّين ،
حُمْرَ الوُجوهِ كأنّا مَن تَحَشّمِنا حسناءُ شمطاءُ جاءت من فلَسْطين[٦] !

– كان لإسماعيلَ بنِ عمّارٍ جارٌ ينهاه عن السُّكْر وعن هجاء الناس فلم يرتدع اسماعيلُ ، فبنى ذلك الجارُ مسجداً مُلاصقاً لبيت اسماعيلَ وكان يَجْلِسُ فيه مَعَ قومٍ من أولي السِتر والصلاح[٧] عامّةَ نهارِهم . فكان اسماعيلُ لا يَقْدِرُ أن يَشْرَبَ في داره ولا أن يَدْخُلَ دارَه أحدٌ ممن كان يألَفُهُ من مُغَنٍّ أو مُغَنّيةٍ أو غيرِهما من أهل الرِيبة . وكان الجارُ يتولّى شيئاً من أمور الوَقْف للقاضي في الكوفة ، فقال اسماعيل يهجوه :

بنى مسجداً بُنْيانُه من خيانةٍ ؛ لَعَمْري ، لَقِدْماً كنتَ غيرَ مُوَفَّقِ[٨] .

---

١ أنعم (اسم تفضيل من النعيم) : أهنأ ، أجمل ، أكثر سعادة وسروراً . شورين أو سورين : رجل (فارسي) كان له بستان في الكوفة يقدم فيه الخمر والدجاج المشوي ....
٢ الطلاء : الخمر . عمران = عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله (راجع غ ١١ : ٣٦٦ ، الحاشية الثامنة) .
٣ ثقلا : من ثقلها (من عجزنا عن رفعها ونقلها – لأن الخمر قد خدرتها) .
٤ نمشي وأرجلنا مطوية : لا نستطيع المشي منتصبي القامة .
٥ يوم السعانين أو الشعانين : عيد للنصارى يأتي في الربيع . مشي عميان .... : بتأن وهدوء (يتحسسون مواضع أقدامهم كيلا يعثروا ثم هم يعثرون) .
٦ تحشمنا : حياؤنا ، استحياؤنا (من حالتنا ونحن عاجزون عن المشي الصحيح السليم) ، فكانت تحمر وجوهنا خجلا . حسناء شمطاء جاءت من فلسطين ....
٧ الصلاح : التقوى وحب الخير . اولي (أهل) الستر : الذين يقل المال في أيدهم .
٨ بنيانه من خيانة : (الشاعر يتهم باني المسجد بأنه بنى مسجده من مال كان قد سرقه من أموال الوقف) .

كصاحبةِ الرّمّانِ ، لمّا تصدّقَتْ   جرَتْ مَثَلاً للخائنِ المُتصدّقِ [1] —
يقولُ لها أهلُ الصلاحِ نَصيحةً :   رُوَيْدَكِ ، لا تزْني ولا تتصدّقي !

٤ — ** الاغاني ١١ : ٣٦٤ – ٣٨١ .

صالحُ بن عبدِ القُدّوس

١ — هو صالحُ بنُ عبدِ القدّوسِ بنِ عبدِ اللهِ بن عبدِ القُدّوسِ الأزديّ من أهل البصرة ، كان يَجلِسُ في مَسْجِدِ البصرة للوعظِ ويَقُصّ الأخبارَ . غير أنه كان يُزَيِّنُ الثَّنَوِيَّةَ (الدينَ الفارسيّ القديمَ) . فلما اشتهر أمره بالزندقة استقدمه المَهْديّ من البصرة ، ولكنّه استطاع أن يَهرُبَ إلى دِمَشق . وجِيء به إلى بَغدادَ مقبوضاً عليه فقَتَلَهُ المَهْديّ بيدِهِ ، سَنَةَ ١٦٧ هـ (٧٨٣ م) ثم أمرَ بهِ أن يُعلّقَ بِضْعَةَ أيامٍ للناس .

وكان صالحُ بنُ عبد القُدّوس قد أسَنّ ثم عَمِيَ في آخرِ أيامه .

٢ — صالحٌ بنُ عبد القُدّوس شاعرٌ مُكثِرٌ مجيد وأديبٌ فاضلٌ . قال ابن المعتز (طبقات ٩٠) : « وله في الزُهْد في الدنيا والترغيب في الجنة والحَثّ على طاعة الله والأمْر بمحاسن الاخلاق وتذكّر الموت والقبر ما ليس لأحد ؛ **وكان شِعْرُهُ كلّه أمثالاً وحِكَماً** . ويَمْدَحُ الجاحظُ شِعْرَ صالحٍ ولكنه ينتقد ازْدِحامَه بالحِكَم ويقول (البيان والتبيين ١ : ٢٠٦) : « لو أن شِعْر صالحِ ابن عبد القُدّوس وسابقٍ البربريّ [2] كان مُفرّقاً في أشعار كثيرة لصارتْ تلك الاشعارُ أرفعَ مما هي بطبقات ، ولَصارَ شعرُهما نوادرَ سائرةً في الآفاق . **ولكنّ القصيدةَ إذا كانتْ كلّها أمثالًا لم تَسِرْ** [3] .

---

١ كصاحبة الرمان (لعلها امرأة كانت من قصر الرمان في واسط — بين البصرة والكوفة — كانت تزني وتربي أيتاماً . والبيت المشهور في الرواية :

ومطعمة الايتام من كسب فرجها ؛   رويدك ، لا تزني ولا تتصدقي ؛

٢ ابو سعيد سابق بن عبد الله البربري شاعر مغربيالأصل من موالي بني أمية سكن الرقة ووفد على عمربن عبد العزيز ، وله في الزهد أشعار جياد .

٣ لم يسر على الألسنة : لم يشتهر .

٣ – المختار من شعره :

– من أبيات صالح بن عبد القُدّوس في الحكمة :

لا تَدْخُلَنْ بنَميمَةٍ بين العصا ولِحائِها .
– وإنّ عَناءً أن تُفَهِّمَ جاهلاً ويَحْسَبُ ، جهلاً ، أنه منك أعلمُ .
متى يَبْلُغُ البُنْيانُ يوماً تَمامَهُ إذا كُنتَ تَبنيه وغيرُك يَهْدِمُ !
– والشيخُ لا يَتْرُكُ أخلاقَه حتى يُوارى في ثَرى رَمْسِهِ .
إذا ارْعَوَى عادَ إلى جَهْلِه كذي الضَّنَى عادَ إلى نُكْسه.

– وأشهرُ شِعرِه قصيدتُه البائية (معجم الأدباء ١٢ : ٨) ، ومنها :

صَرَمَتْ حِبالَك بعدَ وصْلِكَ زينبُ، والدهرُ فيه تَصَرُّمٌ وتَقَلّبُ .
فدَعِ الصبا فلقد عَداكَ زمانُه ، واجْهَدْ فعُمْرُك مرّ منه الأطيب .
وَاحْذَرْ مُعاشرةَ الدنيء فإنّهـا تُعدي كما يُعدي الصحيحَ الأجرب :
يلقاك يَحْلِفُ أنه بك واثقٌ ؛ وإذا تَوارى عنك فهو العَقْرَبُ .

٤ – ** طبقات ابن المعتزّ ٩٠ – ٩٢ ؛ تاريخ بغداد ٩ : ٣٠٣ – ٣٠٥ ؛ معجم الادباء ١٢ : ٦ – ١٠ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٤٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١١٠ – ١١١ ، زيدان ٢ : ١٠٠ – ١٠١ .

بَشّارُ بن بُرْدٍ

١ – أصلُ بشارٍ من طُخارِسْتان في أقصى خُراسان وقع جَدّه يَرْجوخ في سَبْيِ المُهلّبِ بن أبي صُفْرة حينما كان والياً على خُراسان (٧٨ – ٨٢ هـ) فأهداه إلى امرأته خَيرةَ بنتِ ضَمْرةَ القُشَيرية ، وكانت تقيم بضيعة لهـا بالبصرة . ولمّا وصل يرجوخ إلى البصرة كان معه طِفْلٌ صغيرٌ له اسمه بُرْد . ولما بلغ بردٌ مَبْلَغَ الرجال زوّجته مولاته خيرةُ فتاةً من بني عُقَيل ، فُولِدَ له بَشارٌ سَنَةَ ٩١ هـ (٧١٠ م) في الأغلب .

ولِدَ بَشّارٌ أكْمَهَ (لا يُبْصِرُ) ونشأ على الفقر ، وكان شِرّيراً يُنازع أتْرابَه . ثم بدأ قولَ الشعر وهو لا يزال حَدَثاً وأخذ يهجو الناسَ . ويَتَمَ بَشارٌ من أبيه وهو بعدُ صغيرٌ . ثم قضى بشار مُعْظَمَ حياتِه في البصرة وتلقّى فيها ضُروباً من العلم تَسَرّبَ اليه معَها كثيرٌ من الزندقة . وفي البصرة تعَرّضَ بشارٌ لجريرِ بنِ عَطِيّةَ بالهجاء (نحو ١٠٠ هـ = ٧٢٠ م) ولكن جريراً اسْتَصْغَرَهُ فأعْرَضَ عنه .

لم يَنَلْ بَشارٌ حَظْوةً في العصر الأُموي لأنه كان مولىً . غير أنه مَدَحَ يزيدَ بنَ عُمَرَ بنِ هُبيرة ، سنة ١٢٨ هـ (٧٤٤ م) ، بعدَ أنِ اشْتَرَكَ يزيدُ في حرب الضحّاك بن قَيْسٍ الشَيْباني الخارجي بالقصيدة المشهورة : جفَا وُدّه فازْوَرّ أو مَلّ صاحبُه !

ولما جاءتِ الدولةُ العباسية لَقِيَ شِعْرُ بَشارٍ حَظْوة ، ولكنّ السَفّاحَ والمنصورَ كانا مشغولَيْنِ بتثبيت أركانِ الدولة فلم يُلْقِيا بالاً للشعراء . غير أن بَشاراً نال حظوة عند خالدِ بن بَرْمَكَ وزيرِ السَفّاح ، ثم عند الخليفة المَهْدِيّ . وطال لسانُ بَشارٍ بالهجاء وتناول وزيرَ المَهْدِيِ يعقوبَ بنَ داوودَ والمَهْدِيَّ نفسَه ، فاتّهم بالزندقة وبأنّ غزلَه فاحشٌ يدعو إلى الفِسق ثم قُتِلَ في البصرة نحو سنة ١٦٧ هـ (٧٨٢ م) .

٢ — كان بشار شُعوبياً زنديقاً يميل إلى التفكير الحرّ ويأخذ بالشك وبالجبر . وقد أوْرثتْه عاهتُه تبرُّماً بالناس ونِقمة عليهم . وكان معَ فِسقه مَرِحاً خفيفَ الروح حلو الحديث .

وبشّار رأس المُحدَثين ، أي أولُ الشعراء العبّاسيين المكثرين المجيدين ، وبذلك يرتفع كثيراً فوق معاصريه من الشعراء مخضرمي الدولتين الذين شَهِدوا الدولة الأمويّة والدولة العبّاسية . وبَشارٌ شاعرٌ مُكثر مطبوع متنوع الأغراض كثير المعاني المختَرَعة يمزج الجِدّ بالهزل ويجيد التهكّم ، إلّا أن شِعره متفاوت في الجودة .

وكان بَشار من المتفنّنين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه (غ ٣ : ١٣٩) ، ولكنه بَرعَ في الفخر والغزل والهجاء والحكمة . وكذلك كان « خطيباً وصاحب منثور ومُزدَوِج ، وله رسائلُ معروفة » (البيان والتبيين ١ : ٤٩) .

٣ – المختار من شعره :

– قال بشارُ بن بُرْدٍ في الوصف والحكمة (على الأسلوب القديم) :

إذا كُنتَ في كلّ الأُمور مُعاتِباً   صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ .
فعِشْ واحداً أوْ صِلْ أخاكَ فإنّه   مُقارِفُ ذَنْبٍ مرّةً ومُجانبه [١] .
إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القَذَى   ظَمِئتَ ؛ وأيّ الناس تصفو مَشاربه .
ومَنْ ذا الذي تُرْضي سَجاياه كلُّها   كَفَى المَرْءَ نُبْلاً أن تُعَدّ مَعائبه .
وجَيْشٍ كجُنْحِ الليل يزْحَفُ بالحَصى   وبالشّوك والخَطّيّ حُمْراً ثَعالبه [٢]
غَدَوْنا له والشمسُ في خِدر أمّها   تُطالِعُنا والطّلّ لم يَجْرِ ذائبه [٣] ؛
بضَرْبٍ يذوقُ المَوْتَ من ذاقَ طَعْمَهُ   وتُدْرِكُ مَنْ نَجّى الفِرارُ مَثالِبه [٤] .
كأنّ مُثارَ النّقْع فوقَ رؤوسِنا   وأسيافَنا ليلٌ تَهاوى كَواكبه [٥] !

– وقال يمدح عُقْبَةَ بن سَلْمٍ (على الأسلوب المُحدَثِ) :

حَرّمَ اللهُ أن ترى كابْنِ سَلْمٍ   عُقْبَةِ الخيرِ مُطْعِمِ الفُقَراءِ .
إنّما لَذّةُ الجَوادِ ابْنِ سَلْمٍ   في عَطاءٍ ومركَبٍ لِلّقاءِ [٦] .
ليسَ يُعْطيكَ للرجاءِ ولا الخَوْ   فِ ، ولكن يَلَذّ طَعْمَ العَطاء .
يَسْقُطُ الطيرُ حيثُ يَنْتَثِرُ الحَبّ ، وتُغْشَى مَنازِلُ الكُرَماء !

– ومن أبرعِ الهِجاء في اللفظ المُهذّب والمَعْنى المُؤلم هجاءُ بشّارٍ لعُبَيد الله

---

١ قارف الذنب : ارتكب الذنب ، أتى ذنباً . جانب الشيء : تركه .

٢ كجنح الليل : شديد السواد (لكثرة سلاحه) . الحصى : العدد الكثير . الشوك : السلاح . الثعالب : النصال في رؤوس الرماح . حمراً ثعالبه : رؤوس رماحه حمر لكثرة ما عليها من دماء الاعداء .

٣ والشمس في خدر أمها : لم تطلع بعد . والطل لم يجر ذائبة : في الصباح الباكر قبل أن تطلع الشمس ويذوب الندى الذي كان قد جمد على أغصان الشجر في أثناء الليل .

٤ من وصلت اليه ضربات سيوفنا مات ؛ ومن هرب لحقته المثالب (المثلبة : العار) .

٥ كأن الغبار الاسود الذي يغطي رؤوسنا في المعركة ليل ، وكأن أطراف سيوفنا التي يكثر نزولها على رؤوس الاعداء شهب تسقط من السماء .

٦ مركب للقاء : للقاء الاعداء في الحرب .

ابن قَـزْعَـةَ :

خَليليّ من كَعْبٍ ، أعينا أخاكمـا [1] على دَهْرِه ، إنّ الكريمَ مُعينُ .
ولا تبْخَلا بُخْلَ ابنِ قُزْعَةَ ، إنـه — مَخافةَ أن يُرْجى نَداه — حَزين .
كأنّ عُبيدَ اللهِ لم يَلْقَ ماجـداً ولم يَدْرِ أنّ المُكْرُماتِ تَـكون .
إذا جِئْتَه في حاجةٍ سَدّ بابَــهُ فلم تَلْقَهُ إلاّ وأنتَ كَمين !

— وقال بَشارٌ يهجو الخليفةَ المَهْدِيّ ووزيرَه يعقوبَ بنَ داوودَ :

بَني أمَيّةَ ، هبّوا ، طالَ نَوْمُكُمُ ؛ إنّ الخَليفةَ يعقوبُ بنُ داوودِ .
ضاعتْ خِلافتُكم ، يا قومُ ، فالْتَمسوا خليفةَ اللهِ بين الزّقّ والعود !

— بما أن بَشاراً كانَ أعْمَى فانه كثيراً ما كان يُرَدِدُ أن الجَمال يُعْرَفُ من طريقِ الأُذُنِ أحسنَ ممّا يُعْرَفُ من طريق العَيْنِ أو مِثْلَما يُعْرَف بالعين على الأقلّ :

يا قومُ ، أُذْني لِبَعْضِ الحَيّ عاشقةٌ ؛ والأُذْنُ تَعْشَقُ قبلَ العينِ أحْيانا .
قالوا « بمنْ لا تُرى تَهذي ؟ » فقلتُ لهم : « الأذنُ كالعينِ تُوفي القلبَ ما كانا ! »

٤ — ديوان بشّار بن برد (لناشره محمّد الطاهر عاشور) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٩ — ١٣٧٦ ﻫ (١٩٥٠ — ١٩٥٧ م) .

المختار من شعر بشّار للخالديّين (بدر الدين العلويّ) ، مصر (مطبعة الاعتماد) ١٩٣٤ م .

•• بشار بن برد : شعره وأخباره ، تأليف حسنين القرنيّ ، القاهرة (المطبعة العربية) ١٩٢٥ م .

بشّار بن برد ، تأليف أحمد حسين منصور ، القاهرة (المطبعة الرحمانية) .

بشّار بن برد ، تأليف ابراهيم عبد القادر المازني ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٩٤٤ م .

[1] يقصد نفسه .

بشّار بن برد، تأليف عمر فرّوخ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٩هـ(١٩٤٩م).
بشّار بن برد ، تأليف محمّد النويهي ، القاهرة (مكتبه النهضة المصرية) ١٩٥١ م
بشّار بن برد ، تأليف طه الحاجري ، بيروت (دار المعارف) بعيد ١٩٥٠ م .
الفهرست ١٥٩ ؛ الاغاني ٣ : ١٣٥ – ٢٥٠ ، ٦ : ٢٤٢ – ٢٥٣ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ١١٢ – ١١٨ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١٥٦ – ١٥٨ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٦٤ – ٢٦٥ ؛ بروكلمان ١ : ٧٢ ، الملحق ١ : ١٠٨ – ١١٠ ؛ زيدان ٢ : ٦٣ – ٦٦ ؛ محاضرات المجمع العلمي العربي في دمشق ٢ : ١٨١ – ٢٠٣ .
Enc . Isl . (new ed .) I 1080 - 82

ابراهيم بن هَرْمَةَ

١ – هو ابراهيم بن عليّ بن سَلَمَةَ بن عامر بن هُذيل من فِهر (قُريش) وقيل من قَيْس عَيْلان .

وُلِدَ ابن هَرمة سنة ٩٠ هـ (غ ٤ : ٣٩٧) في المدينة ونشأ فيها وكان قصيراً دَميماً أرمصاً [١] ، ومن البخلاء .

أدرك ابنُ هَرمة جَريراً (ت ١١٥ هـ = ٧٣٣ م) . ولما تولى عبدُ الواحد ابن سليمان بن عبد الملك مكّة والمدينة (١٢٧ هـ = ٧٤٥ م) مدحه ابن هرمة [٢] . ولما تولى المنصور الخلافَة وَفَدَ اليه وامتدحه ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) .

وكان ابن هَرْمةَ شَغوفاً بالشَراب مشتهراً به فأخذه مرةً خَثيمُ بن عراك صاحب الشرطة في المدينة [٣] .

يقول ابن المعتز (طبقات ٢٠) أن ابن هرمة بقي إلى آخر أيام المنصور ؛ وفي الاغاني أن ابن هَرمة مدح المنصور سنة ١٤٠ هـ ثم عُمِّرَ طويلاً (غ ٤:٣٩٧)

---

١ الرمص : قذى يجتمع في أطراف العين .
٢ طبقات ابن المعتز ٢٠ .
٣ كان خثيم صاحب الشرطة لزياد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي الذي كان والي مكة والمدينة (١٣٣ – ١٣٦ هـ) من قبل السفاح ، ثم أصبح والي المدينة (١٣٧ – ١٤١ هـ) من قبل المنصور .

ووفد على المَهْديّ (غ ٤ : ٣٧٠) . ومرض ابن هرمة قبل موته . ولعل وفاته كانت سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) .

٢ — ابن هَرمة من ساقَةِ الشعراء (آخرِ الشعراء القدماء الذين يَحْفِل بهم الرُواة والنُقّاد) ، كان شاعراً متكسباً مَدَحَ الفاطميين والأمويين ومدح العباسيين . وشِعْره جَزْلُ الألفاظِ مَتينُ السَبكِ قديم المعاني مرةً ومُحْدَثُ المعاني مرة أخرى ، وفي شعره شيء من الصِناعة . قال الجاحظ (البيان والتبيين ١ : ٥١) : « ولم يكن في المُوَلّدين أصوبَ بديعاً من بشّارٍ وابن هَرمة » . وفنون ابن هرمة المدحُ والهجاء والفخر والحكمة ، وله أوصاف بَدْوية في السحاب وفي الأثافي [١] والرماد وفي الكَلْب عند مجيء الضيوف . وله أيضاً حكمة .

٣ — المختار من شعره :

— قال الجاحظ (البيان والتبيين ٣ : ٣٧٢) : ولما مدح ابن هرمة أبا جعفر المنصور أمر له (المنصور) بألفي درهم فاستقلّها . وبلغ ذلك أبا جعفر فقال : أما يرضى أني حقنت دمه وقدِ استوجب إراقتَه ، ووفّرت مالَه وقدِ استحقّ تلفه ، وأقرَرْته وقدِ استأهل الطردَ ، وقرّبته وقد استجزى البعدَ ؟ أليس هو القائلَ في بني أميّة :

إذا قيل : مَنْ عند رَيْب الزمان — لِمُعْتَرّ فِهْرٍ ومُحتاجِها [٢] ،
ومن يُعْجِلُ الخيلَ يومَ الوغى — بإلجامها قبلَ إسراجها ؟
أشارتْ نِساءُ بني مالكٍ — إليك به قبلَ أزْواجها !

— قال ابن هَرمة : فاني قد قلت فيه أحسن من هذا ! قلت :

إذا قلت : أيُّ فتىً تَعْلَمونَ — أهشُّ إلى الطعن بالذابل [٣] ،
وأضْرَبُ للقِرْنِ يومَ الوغى ، — وأطعمُ في الزمن الماحل ؟
أشارت إليك أكفّ الورى — إشارةَ غَرْقى إلى ساحل !

---

١ الأثافي : الحجارة التي تنصب عليه القدر (بكسر القاف) فوق النار.
٢ المعتّر : المحتاج الذي يتعرض للناس بحاله من غير أن يسأل بلسانه .
٣ الذابل : الرمح (النحيف ، القاسي ، الجاف) الجيد .

– واستجاد ابن قتيبة (ص ٤٧٤) لابن هرمة قوله :

قد يُدْرِكُ الشرفَ الفتى ورِداؤهُ خَلَقٌ ، وجَيْبُ قميصه مرقوعُ[١].
إمّا تَرَيْني شاحباً مُتَبَذّلاً كالسيفِ يَخْلَقُ جَفْنُه فيَضيع ،
فلَرُبَّ ليلةِ لَذّةٍ قد بِتّها وحَرامُها بحَلالها مَدفوع !

– واختار له أبو تمّام في الحماسة (٤ : ١٥٨٠) وأبو هِلالٍ العَسكريُّ في ديوان المعاني (١ : ٣٣ ؛ راجع الحيوان ١ : ٣٧٧ – ٣٧٨) في صفة الضيف وصفة الكلب الذي تَعوّد رُؤية الضِيفان :

ومُسْتَنبِحٍ تستكشط الريح ثَوْبَه لِيَسْقُطَ عنه ، وهو بالثوب مُعْصِمُ[٢].
عَوى في سَوادِ الليل ، بعدَ اعْتسافهِ ، لِيَنْبَحَ كلبٌ أو لِيَفْزَعَ نُوّم[٣].
فجاوَبَه مُسْتَسْمِعُ الصوتِ للقِرى له مَعَ إتيانِ المُهَبّين مَطْعَم[٤] ،
يَكاد إذا ما أبْصَرَ الضيفَ مُقْبلاً يُكلّمُه ، من حُبّه ، وهْوَ أعْجَم !

٤ – ** الفهرست ١٥٩ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٢٠ – ٢١ ؛ الاغاني ٥ : ٢٥٩ – ٢٦٥ ؛ بروكلمان ١ : ٨٣ ، الملحق ١ : ١٣٤ . اعيان الشيعة (ط ٢) ٥ : ٣٠٣ – ٣١٢ .

الأُحَيْمِرُ السّعديُّ

١ – هو الأُحَيْمِرُ بنُ فُلانٍ[٥] بنِ الحرثّ (!) بن يزيدَ السّعديّ ، كان لِصّاً جَريئاً كثيرَ الجِنايات فخَلَعَهُ قومُه . وخاف الأحيمرُ من الوالي جَعفرَ

---

١ خلق : متهرئ ، قديم . الجيب : فتحة الثوب عند العنق .
٢ استنبح الرجل الكلب : استدرجه إلى النباح . تستكشط الريح ثوبه : تحاول نزعه . معصم : متمسك .
٣ – عوى الضيف بعد أن اعتسف الليل (لقي في السفر ليلا مشقة) . ليفزع منه النائمين فيستيقظوا ليستقبلوه أو لينبح كلب فيستيقظ أصحابه .
٤ فجاوبه مستسمع (كلب) منتظر قدوم الضيوف . وهذا الكلب يأكل إذا ورد على أصحابه مهبين (ضيوف في الليل يوقظونهم من نومهم) .
٥ «فلان» كناية عن جهل الرواة لاسم صاحب الاسم .

ابن سُليمانَ [1] فخرج في الفَلَوات وقِفار الأرض وأوغل فيها كثيراً . ويقول ابن قُتيبة (ص ٤٩٦) : « وهو متأخرٌ قد رآه شُيوخُنا » [2] . وإذا صحّ أن الأحَيْمِر قد كان من شُعراء الدَوْلتين الأموية والعبّاسية (المؤتلف ٣٦ – ٣٧) ، فيجبُ أن يكونَ قد أسَنّ ، إذ يبدو أنه عاش إلى نحْو سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) .

٢ – يبدو لنا من القِطعةِ التي وَصَلَتْ إلينا من شِعْر الأُحَيْمِر أنّ الأحيمر كان برُغْمِ بَداوته وجَفائه ولُصوصيّته شاعراً فصيحَ الألفاظ واضحَ المعاني نبيلَ النفسِ ثاقبَ الرأيِ . ومطلعُ هذه القِطعةِ مشهورٌ جدّاً .

٣ – المختار من شعره :

– قال الأحَيْمِرُ السعدي يرى الأُنْسَ في الوِحْدة ويتكرّه لِقاءَ الناس :

عَوى الذئبُ فاستأنَسْتُ بالذئبِ إذ عوى ؛ وصَوّتَ إنسانٌ فكِدت أطيرُ [3] .

رأى الله أنّي للأنيس لَشانِىءٌ ، وتُبْغِضُهم لي مُقلة وضَمير [4] .

فلِلّيْلِ ، إنْ وارانِيَ الليلُ ، حُكْمُه ؛ ولِلشّمْسِ ، ان غابت، عَلَيّ نُذور [5] .

---

١ كان جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله العباسي والياً على مكة (١٦١ – ١٦٣ هـ) والمدينة (١٦١ – ١٦٦ هـ) ثم على البصرة (بعد ١٧٣ هـ) .

٢ شيوخنا : أساتذتنا الذين نأخذ عنهم العلم .

٣ استأنس : ذهب توحشه (قا ٢ : ١٩٨) : زالت عنه رهبة الوحشة والانفراد . صوت : صات وأصات (نادى) – إذا ناداني إنسان ليؤانسني ... طار طائره : غضب . والطيرة (بكسر الطاء أو بكسر الطاء وفتح الياء) والطور (بضم الطاء) : ما يتشاءم به الإنسان من الفأل الرديء (قا ٢ : ٨٠) .

٤ الأنيس : المؤانس (الذي يصاحب الانسان ليزيل عنه الوحشة) وكل مأنوس به (كل ما ألفه الإنسان واطمأن اليه) . شانىء : مبغض . وتبغض مقلتي (عيني) الناس (أي إذا رأيتهم) . وضميري : سري داخل خاطري (أي أكره أن يخطر الناس في بالي) .

٥ ان واراني الليل (غطاني) : إذا جاء الليل جعلت له علي الحكم (رضيت به) .... ثم أقضي نهاري أتمنى غياب الشمس وأكثر من النذور (أقول : إذا غابت الشمس فسأعطي مالا أو بعيراً أو ثوباً أو شيئاً آخر) فإذا غابت الشمس أصبح علي الوفاء بنذور كثيرة لكثرة ما قد كنت تمنيت غياب الشمس في أثناء النهار (حباً بمجيء الليل) .

وإنّي لأسْتَحْيِي لِنَفْسِيَ أن أرى أمُرّ بحبلٍ ليس فيه بَعير [1] ،
وأنْ أسألَ العبدَ اللئيمَ بعيرَهُ ، وبُعرانُ ربّي في البِلاد كثير [2] .

والبة بن الحُباب

١ — هو أبو أسامةَ والبةُ بن الحُباب الأسديّ ، أصلُه من دِمَشْقَ ومولدُه ومسكنه في الكوفة . وفي هجاء أبي العتاهية لوالبةَ أنّ والبةَ كان صغيرَ الرأس [3] أبيضَ اللون مُشْرَباً بحُمرةٍ أشقرَ الشعر يُشْبِهُ الروم [4]

لما ولّى أبو جعفرٍ المنصورُ على الاهواز أبا بُجيرٍ الاسديّ ، في نحو ١٤٧ ﻫ (٧٦٤ م) ، اصطحب أبو بُجير والبةَ . في تِلْكَ الرِحلةِ التقى والبةُ بأبي نواسٍ في البصرة واصطحبه ثم خرّجه في الشعر . ومن والبةَ تعلّم أبو نواسٍ كثيراً من فنونِ الشعر ومن أوجهِ الحياة الماجنة .

وقَدِمَ والبةُ في أواخر أيامِه إلى بَغدادَ ، في أيام المَهْدِيّ ، وهاجى فيها بَشّاراً وأبا العتاهية فغلَبَاه فعاد إلى الكوفة وخَمَلَ ذِكْرُهُ بعد ذلك .

ويبدو أن والبة تُوُفِّيَ وَشيكاً بعد ذلك ، قُبيل سنة ١٧٠ ﻫ (٧٨٦ م) . وقد رثاه أبو نواس .

٢ — كان والبةُ بن الحُباب طيّبَ النادرة عارفاً بأيام العرب بارعاً في فنون الأدب ، وكان فاسد الدين مَرْمِيّاً بالزندقة . وهو شاعر غَزِلٌ رقيقٌ وصّاف للخمر وللغلمان ، وله في المُجون والفَتْك والخلاعة — قولاً وعملاً — ما ليس لأحد . ثم له شيء من الهجاء والمديح والأدب . ويُنْسَبُ إلى والبةَ مُقَطّعات تُنْسَبُ أيضاً إلى أبي نُواسٍ . وليس البَتّ فيها سهلاً .

---

١ أمر بحبل : أقوى على حمله (أن يكون عندي حبل – وهو شيء رخيص وتافه جداً) من غير أن يكون لي بعير أملكه وأربطه بذلك الحبل .

٢ ثم أجد نفسي مضطر إلى أن أستعير بعيراً أركبه لأنتقل من مكان إلى آخر (أو أن أسأل رجلا أن يردفني (خلفه) على بعيره بينا البعران التي خلقها الله كثيرة في البلاد (في كل مكان وعند كل انسان) .

٣ البيان والتبيين ٣ : ٤١ .

٤ تاريخ بغداد ١٣ : ٤٨٩ .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال والبة بن الحباب في الغزل المؤنث :

ولَها ــ ولا ذَنْبٌ لَها ــ حُبٌّ كأطرافِ الرِماحِ
في القلبِ يَجْرَحُ والحَشا ، فالقلبُ مجروحُ النواحي !

ــ وقال يهجو أبا العتاهية (و « أبو اسحاق » كنية أبي العتاهية) :

كانَ فينا يُكْنى أبا إسحاقِ ، وبها الرّكب سار في الآفاقِ .
فتَكَنّى مَعْتوهُنا بعُتاه ؛ يا لَها كُنْيَةٌ أتَتْ باتّفاقِ !
خلقَ اللهُ لِحيَةً لك لا تَنْفَكُّ مَعْقودةً لَدى الحَلاّقِ .

ــ وله في الفخر والأدب (تاريخ بغداد ١٣ : ٤٨٨) :

وليسَ فتى الفِتيانِ مَنْ راحَ أو غدا لِشُربِ صَبوح أو لشرب غَبوقِ[١] .
ولكنْ فتى الفِتيانِ من راحَ أو غدا لضُرِّ عَدُوٍّ أو لنَفْعِ صديقِ !

٤ ــ ** طبقات ابن المعتزّ ٨٧ ــ ٨٩ ؛ الاغاني (بولاق) ١٦ : ١٤٨ ــ وما بعد ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٤٨٧ ــ ٤٩٠ .

مُطيعُ بنُ إياسٍ

١ ــ كان إياسُ بنُ مسلمِ بنِ أبي قُرْعَة سَلمى بن نَوْفل من بني كِنانة يسكن فِلَسْطين . وقد اتّفق أن كان في المَدَدِ الذي وَجّهَ به عبدُ الملك ابن مروان إلى الحَجّاجِ لقتال عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمّد بن الاشعث . وبعد مقتل ابن الاشعث ، ٨٥ هـ (٧٠٤ م) ، استقرّ إياسُ بن مسلم في الكوفة ثم تزوّج .

وفي الكوفة وُلِدَ مُطيعُ بن إياسٍ أبيضَ أشقرَ ثم نشأ ظريفاً حُلْوَ العِشْرةِ سريع البديهةِ يلعب بالشِطرنج وماجناً خليعاً مُتّهماً بالزندقة وصديقاً لحَمّاد

١ الصبوح شرب الخمر في الصباح ، والغبوق شربها في المساء .

عجردٍ ويحيى بن زيادٍ الحارثي ووالبةَ بنِ الحُباب ولعبد الله بن المُقَفَّع (غ ١٣ : ٢٧٩) .

ووفَدَ مُطيعُ بن إياسٍ إلى دِمَشْقَ على الوليدِ بن يزيدَ ، سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) ، ونادمه . ولكنْ لمّا ثار عبدُ الله بن مُعاويةَ بن جعفرِ بن أبي طالب في نواحي خُراسان وإصبهان وقُمّ ونَهاوند ، سنة ١٢٩ هـ (الطبري، المكتبة التجارية ٦ : ٣٩) ، كان مُطيع بن إياسٍ معه ينادمه ولا يفارقه (غ ١٣ : ٢٧٩ س) .

ولمّا جاءتِ الدولةُ العبّاسية وَفَدَ مُطيعُ بن إياسٍ على مَعْنِ بن زائدةَ في مطلع وِلايته على اليمن (١٤٠ – ١٤٩ هـ) ثم انقطع إلى جَعْفَر بن أبي جعفرٍ المنصورِ لمّا تولّى جَعْفرٌ المَوْصِلَ سَنَةَ ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) ومكث فيها سنةً واحدة . وكان جعفر هذا ماجناً ويُصاب بالصَّرْع – وكان أبو جعفرٍ المنصورُ قد حَذَّرَ مطيعَ بن إياس من إفساد جعفرٍ بالزندقة . على أن المنصور كان قد فَقَدَ الأملَ في ابنه جعفرٍ فبايع لابنه الآخرِ محمّدٍ بولايةِ العَهْدِ وسمّاه المَهْدِيّ سنة ١٤٧ هـ (الطبري ٦ : ٢٧٢) ففارقَ مُطيع بن إياسٍ جعفراً بعد ذلك بقليل (لاشتداد الصرع على جعفر) .

وكذلك وَفَدَ مُطيعُ بن إياسٍ على هِشامِ بن عمرو التَغْلَبي والي السِند (١٥١ – ١٥٧ هـ) ومدحه (غ ١٣ : ٢٩٠) . ويَرْوي الاصفهاني أيضاً (غ ١٣ : ٣٠٣ – ٣٠٤) أن مُطيعَ بن إياس وَفَدَ على جَرير بن يزيدَ بن خالد بن عبد الله القَسْريّ ، وهذا رجل تولّى البصرة للرشيد مرتين بين سنة ١٧٣ هـ (٧٨٩ م) وسنة ١٩٣ هـ (٨٠٩ م) بعد موتُ مُطيع بن إياس . على أن مطيع بن إياس يذكر في قصيدته شخصاً اسمُه أبو خالد جَريرُ بن يزيد البَجْلي [1] ، وهو في الأرجح جَرير بن يزيدَ بن عبد الله من وَلَدِ جرير بن عبد الله البجلي ، وقد كان من أصحاب المنصور ذا خِلابة وتَأَنٍّ في الأمور ومكيدة [2] . ومما يُرَجّحُ ذلك أن جريراً هذا أجاز مُطيعاً (أعطاه جائزة على مدحه) سِرّاً واتّفق معه على أن يجيبه في اليوم التالي أمامَ النـاس بجوابٍ فيه جَفاءٌ خوفاً من أبي جعفرٍ المنصورِ [3] .

---

١ غ ١٣ : ٣٠٣ .

٢ غ ١٣ : ٣٠٣ الاسطر ١١ ، ١٣ ، ١٧ ، ثم ص ٣٠٤ السطر الأول .

٣ الأخبار الطوال (القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد ، ١٩٦٠ م) ٣٧٩ س .

واستقرّ مُطيع بن إياس في آخرِ حياتهِ في بغدادَ ، وكان له في الكرْخ (الجانب الغربي) بُستانٌ اسمه بستان صَبّاح ، ولكنّه لم يَحْمَدْ إقامته فيها فذمّها مِراراً . ومات مطيع بن إياس في ربيع الثاني من سنة ١٦٩ [1] ، بعد أن أسنّ كثيراً وبعدَ عِلّةٍ نَزَلَتْ به .

٣ – المختار من شعره :

– كان مُطيع بن إياس مقيماً بالريّ وعنده جارية فأُضْطُرّ إلى مغادرة الري وبيعِ الجارية . فلما وصل إلى حُلوان ، آيباً من خراسان إلى العراق ، رأى نخلتين فتذكر حاله وحال جاريته فقال :

أسعِداني ، يا نخلتَيْ حُلْوانِ ، وابكِيا لي من رَيب هذا الزمان ؛
واعلما أن ريبَه لم يزل يَفْـ ـرِقُ بين الأُلاّف والجيرانِ .
ولَعَمْري ، لو ذُقْتُما ألَمَ الفُرْ قة أبْكاكُما الذي أبكاني .
أسعِداني وأيقِنا أنّ نحساً سوف يَلْقاكما فتَفْترقان !
كم رَمَتْني صُروفُ هذي الليالي بفِراقِ الأحبابِ والخُلاّن !
غيرَ أني لم تَلْقَ نفسي كما لا قَيْتُ من فُرقةِ ابنةِ الدّهقان :
جارةٍ لي بالرّيّ تُذهِب همّي ، ويُسلّي دُنُوُّها أحزاني .
فجَعَتْني الأيامُ – أغبطَ ما كنـ ـتُ – بصِدعٍ للبين غير مُدان [2] .
وبِرُغمي أنْ أصبحت لا تراها الـ ـعين مني ، وأصبحت لا تراني .
ان تكن ودّعت فقد تركت بي لَهَبًا في الضمير ليس بِوان [3] ،
كحريق الضِرام في قَصَب الغا ب رمته رِيحانِ تختلفانِ !

– كان مُطيع بن إياس صديقاً حميماً ليحيى بن زياد ثم تقاطعا وتهاجبا .

---

١ تشرين الاول (أكتوبر) ٧٨٥ م . – في الاغاني (١٣ : ٣٣٥) : مات مطيع بن اياس بعد ثلاثة أشهر مضت من خلافة الهادي ؛ والهادي تولى الخلافة في ٢٢ من المحرم سنة ١٦٩ .

٢ أصابتني المصائب من الأيام وأنا على أسعد ما أكون . الصدع : الشق . البين : البعاد . مدان : متقارب ، يمكن أن يلتئم .

٣ الواني : الضعيف ، الذي يدركه التعب .

وفي القطعة التالية يصف مُطيع حالها من قبلُ ومن بعدُ :

كُنتُ ويحيى كَيَدَيْ واحدٍ نَرمي جميعاً ونُرامى معا [1] :
ان عضّني الدهرُ فقد عضّه ؛ أو مُوجِعٌ نال فقد أوجعا !
أو نام نامت أعينٌ أربعٌ منّا ، وان صُمّ فلن أسمعا .
حتى إذا ما الشيبُ في مَفْرِقي لاحَ ، وفي عارِضه أسرعا ،
سعى سُعاةٌ بيْنَنا دائباً فكاد حبلُ الوصل أن يُقطَعا .
فكاد أعداءٌ لنا لم تزَلْ تطمع في تفريقنا مَطْمعا [2] .
حتى إذا استَمْكنَ من عَثْرة أوْقَدَ نيرانَ القِلى مسرعا !

٤ — ** الاغاني ١٣ : ٢٧٤ — ٣٦٦ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٢٢٥ — ٢٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٧١ — ٧٢ ، الملحق ١ : ١٠٨ ؛ زيدان ٢ : ٩٧ — ٩٨

عكاشة العمّيّ

١ — هو عُكاشة بن عبد الصمد العَمّي نِسبةً إلى العَمّ ، والعمّ لقب مالك ابن حنْظلة التميميّ . وقيل : بل هو من الأهواز ، وانتِسابُه إلى العمّ إنّما هو بالوَلاء . وفي القاموس (٤ : ١٥٤) : « والعمّ (بالفتح) قرية بين حلَب وأنطاكِيَةَ » منها عُكاشة العمّي .

وُلِدَ عُكاشة العمّيّ نحو سنة ٧٥ ﻫ وعاش في البصرة ولم يشتهر كثيراً ولا عرّفْنا كثيراً من أخباره لأنه لم يَخْدُم الخلفاء .

شُغِفَ عُكاشةُ بجارية في البصرة اسمُها نُعمُ كانت لبعض الهاشميين ، فكان يَلْقاها في الحِين بعد الحين فتَشْرَبُ الخمرَ معَه وتُغنّيه . ثم إنّ رَجلاً من أهل بَغدادَ اشتَراها ورَحَلَ بها من البصرة إلى بغداد ، فاستُهِيمَ بها عكاشة

---

١ .... مثل يدين لرجل واحد . نرمي جميعاً : ندافع عن أنفسنا مجتمعين . نرامي معاً : يهاجمنا الناس كلينا مرة واحدة .

٢ كاد يكيد : نصب الحيلة والكيد ، أراد الاضرار بالآخرين . تطمع مطمعاً ـ مفعول مطلق للتأكيد) .

طولَ عُمُرِه فاستحالت صُورته وطَبْعه وخُلُقه .

وعاصرَ عُكاشةُ العَمّيُّ المَهْدِيَّ والهادِيَ[1] ؛ ولعلّ وفاته كانت سَنَةَ ١٧١ هـ (٧٨٧ م) .

٢ – عُكاشةُ بن عبد الصمد العَمّي شاعرٌ مُقِلٌّ لا يزيدُ شعرُه على ثلاثين ورَقةً (الفهرست ١٦٢) أو نحو ستّمائة بيتٍ ، ولكنّه مُجيد متين السَّبْكِ نقيّ الديباجة ؛ وشعرُه يدورُ على الخمر والغزل والنسيب ، وأكثر غزله في نُعيمَ . ولم يَشِعْ شعرُه بين الناس .

٣ – المختار من شعره :

– قال عُكاشة بن عبد الصمد العمّي :

وجاءوا إليه بالتّعاويذِ والرُّقى ... وصبّوا عليه الماءَ من ألمِ النُّكسِ[2].
وقالوا : به من أعْيُنِ الجنِّ نَظرةٌ ؛ ... ولو صدقوا قالوا : به أعين الإِنْس !

– زارت نُعيمُ المغنّية عُكاشةَ يومَ خميسٍ فشَرِبَتْ عنده وغنّته ثمّ انصرفت . فكتب اليها أبياتاً يذكر فيها ذلك اليوم ويتشوق إليها :

سَقياً لمجلسنا الذي كنا بـه ... يوم الخميس جماعةً أترابا ،
في غرفة مَطرَت سَماوة سَقْفها ... بحَيا النّعيم من الكروم شَرابا[3].
إذ نحن نُسقاها شَمولاً قَرْقَفاً[4] ... تَدَعُ الصحيحَ بعقله مرتابـا .
حمراءُ مثلَ دَمِ الغزال ، وتارةً ... – بعد المِزاج – تَخالُها زِريابا[5] .
من كفّ جاريةٍ كأن بَنانهـا ... من فِضّةٍ قد قُمّعت عُنّابا[6] .

---

١ توفي المهدي سنة ١٦٩ هـ ، وتوفي الهادي سنة ١٧٠ هـ .
٢ العوذة (بالضم) والتعويذة : ألفاظ دينية سحرية مكتوبة في ورقة مطوية ومختومة (تميمة ، حجاب) . الرقية (بضم فسكون) : ألفاظ دينية تقرأ على المريض . النكس : عودة المرض .
٣ السماوة : السماء (السقف) . الحيا : المطر . – في البيت اشارة إلى كثرة ما شربوا من الخمر .
٤ الشمول : الباردة . القرقف : الشديدة البرودة .
٥ الزرياب : الذهب .
٦ هي بيض ورؤوسها حمر .

تزدادُ حُسْناً كأسُها من كفِّها ، ويَطيب منها نَشْرُها أحقابا [1] .
وإذا المِزاج علا فشَجَّ جبينَها نَفَثَتْ بألْسِنةِ المِزاج حَبابا [2] .
والعُود مُتَّبِعاً غِناءَ خَريدةٍ غَرِداً يقولُ — كما تقولُ — صَوابا [3] .
وكأنَّ يُمناها إذا نَطَقَتْ بهِ تُلْقي على يدها الشِمالِ حِسابا !
آلَيْتُ لا أُلْحى على طَلَبِ الهوى مُتَلَذِّذاً حتى أكونَ تُرابا [4] .

٤ — ** الاغاني ٣ : ٢٥٧ — ٢٦٥ .

آدم بن عبد العزيز

١ — هو أبو عُمَرَ آدمُ بنُ عبدِ العزيزِ بن عُمَرَ بن عبد العزيز (حفيدُ الخليفةِ الأمويّ عمرَ بنِ عبد العزيز) .

كان آدمُ من فِتيانِ بني أميّة المُنْهَمِكين في الشراب . فلما سقطتِ الدولةُ الأموية وجاءتِ الدولةُ العباسيةُ كان آدمُ في مَنْ حُملوا من بني أميّةَ إلى أبي العباس السَفّاح في نهر أبي فُطْرُسَ [5] . فاستَشْفَعَ آدمُ إلى السفّاح بقولِه : « لم يكن أبي (يقْصِدُ جَدّه عمرَ بن عبد العزيز) كآبائهم » (في مُعاملةِ آل عليّ) . فمَنّ السَفّاحُ عليه في مَنْ مَنّ عليهم مِنْ بني أمية .

انتقلَ آدمُ بعدَ ذلك إلى العراق ثم نَزَلَ بغدادَ . وكان من أول أمره ماجناً مُنْهَمِكاً في الشراب حتى ضَرَبَهُ المَهْدِيّ على شُرْبِ الخمر والزندقة . ثم انه تاب فقرّبه المَهْدي إليه واصطفاه

وعُمِّرَ آدمُ طويلاً ، ولعلّه أدركَ هرونَ الرشيدَ .

٢ — كان آدمُ بن عبد العزيز شاعراً ظريفاً جَيّدَ الشعرِ في الخمر خاصةً ،

---

١ النشر : الرائحة . أحقاباً : أي مدة طويلة .
٢ إذا صب الماء عليها جعلت الفقاقيع تتولد على وجهها .
٣ الخريدة : المرأة الجميلة .
٤ آلى : أقسم . ألحى : ألوم . حتى أكون تراباً : حتى أموت .
٥ نهر في فلسطين قرب الرملة ومخرجه من جبال نابلس .

ولكنّ انْهماكَه في الشراب أخْمَلَ ذِكْرَه . وخصائصُ شعره مُحْدَثةٌ . أما فنونه فهي الخمر والهجاء وشيء من الفخر والمديح .

٣ – المختار من شعره :

– لما سقطت دولة بني أمية خوطب آدم بن عبد العزيز بحاله من قبلُ ومن بعدِ فقال (تاريخ بغداد ٧ : ٢٧) :

وان قالتْ : «رجالٌ قد تَوَلّى زمانُكُمُ ، وذا زَمَنٌ جديدُ» .
فما ذهبَ الزمانُ لنا بمَجْدٍ ولا حَسَبٍ ، إذا ذُكِرَ الجُدود .
وما كنا لِنَخْلُدَ إذ مَلَكْنا ؛ وأيّ الناسِ دام له الخُلود !

– وقال يذم ليلَ بغداد وبَراغيثَه :

هَنيئاً لأهلِ الرّيِّ طيبُ بلادِهِمْ ووالِيهِمُ الفضلُ بنُ يحيى بن خالدِ[١] .
تَطاوَلَ في بَغدادَ لَيْلي ، ومن يَبِتْ ببغدادَ يَلْبَثْ ليلَه غيرَ راقد :
بلادٌ إذا زالَ النهارُ تَقافَزَتْ براغيثُها ما بين مَثْنَى وواحد[٢] .
ديازِجَةٌ شُهْبُ البُطونِ كأنّها بِغالُ بريدٍ سُرّجٌ في مَوارد[٣] .

– وقال في الخمر :

اسْقِني واسْقِ غُصَيْنا ؛ لا تُرِدْ بالنَقْد دَيْنا[٤] .
اسْقِنيها مُزّةَ الطَعْمِ تُريك الشّيْنَ زَيْنا[٥] .

---

١ الري عاصمة خراسان . – لا أدري وجه الاستطراد من الري والفضل بن يحيى الى بغداد .

٢ زال النهار : انتصف (زالت الشمس عن كبد السماء : أصبح الوقت بعد الظهر ، ويكون حينئذ الحر شديداً) .

٣ الديزج : نوع من الخيل . – يقصد أن البراغيث كبيرة (يشبهها بالخيل) . شهب جمع أشهب : أبيض . سرج : مسرجة (لكبرها ، فانها تسرج كالخيل) . المورد والموردة (بكسر الراء فيهما) : مكان الماء ..... (البراغيث تشرب من دمي كما تشرب البغال من الماء) .

٤ لا ترد (لا تقبل) بالنقد (المال والثمن الحاضر) ديناً (وعداً بالدفع ، أمراً غائباً بعيداً في المستقبل) .

٥ الشين : العيب والقبح . الزين : الأمر الحسن . سقى وأسقى بمعنى ، وهكذا يأتي فعل الأمر منهما : «اسق» (بهمزة وصل من «سقى» وبهمزة قطع من «أسقى») .

– وله في الخمر أيضاً

اسْقِنِي وَاسْقِ خليـلي في مَدى الليلِ الطويـلِ
قَهْوَةً صهباءَ صِرفاً سُبِيَتْ من نهر بيـل [1] .
لونُها أصفرُ صافٍ وهي كالمسك الفتيـل [2] .
في لِسان المرء منهـا مثلُ طَعْم الزّنجبيـل .
ريحُها يَنْفَح منهـا ساطعاً من رأس ميـل [3] .
مَنْ يَنَلْ منها ثلاثـاً يَنْسَ مِنْهاجَ السبيل [4] .
فمتى مـا نال خمسـاً تَرَكَتْهُ كالقتيـل .
قُلْ لِمَنْ يَلْحاكَ [5] فيها من فقيهٍ أو نبيـلِ :
أنتَ دَعْها وَارْجُ أُخرى من رَحيق السَّلْسَبيل [6] .

– وآدم بن عبد العزيز هو الذي يقول (غ ١٥ : ٢٨٩) :

أُحِبّكَ حُبّين : لي واحدٌ ، وآخرُ أنّك أهلٌ لذاكَ .
فأمّا الذي هو حُبّ الطِباعِ فشيءٌ خُصِصتَ به عن سواك ،
وأمّا الذي هو حبّ الجَمـالِ فلست أرى ذاك حتّى أراك .
ولستُ أَمُنّ بهذا عليكَ ؛ لك المَنّ في ذا وهذا وذاك !

٤ – ** الاغاني ١٥ : ٢٨٦ – ٢٩٧ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٢٥ – ٢٧ .

---

١ بيل : ناحية قرب الري في خراسان ، وقرية في السند .
٢ المسك الفتيل اضطرار للقافية مكان « فتيق » أو « فتيت » : (شديد الرائحة) . راجع أيضاً تعليق محققي كتاب الاغاني (١٥ : ٢٨٧ ، الحاشية الثانية) .
٣ نفح : ذاعت راحته وانتشرت . ساطعاً : قوياً . في القاموس (٣ : ٣٨) : سطعتك رائحة المسك : طارت إلى أنفك . من رأس (مسافة ، بعد) ميل .
٤ منهاج السبيل : الطريق التي يعرفها الانسان ويسير عليها كل يوم .
٥ يلحى : يلوم ، يشتم .
٦ لا ريب في أن هذا البيت ، مع أبيات أخرى له ، تدل على زندقة ظاهرة : ان هذا البيت يتعرض للخمر المذكورة لأهل الجنة .

السَّيِّدُ الحِمْيَرِيُّ

١ ـ هو أبو هاشمٍ إسماعيل بن محمد بن يزيدَ بن ربيعةَ بن مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِيّ وأمّه امرأة من الأزْد من بني الحُدّان ومن أهل البصرة .

وُلِدَ السيّد الحِمْيَرِيّ سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ ـ ٧٢٤ م) ، وكان أدْلَمَ تامّ القامة جسماً وسيماً أشنبَ ذا وَفْرة[١] ، جميل الخِطاب إذا تحدّث في مجلس قوم أعطى كُلَّ رجل في المجلس نَصيبَه من الحديث . وكان والدا السيد الحِمْيَرِيّ خارجيَّيْنِ على مذهب الإباضية ، فانتقل هو منذ صِباه إلى مذهب الكَيْسانيّة يقول برَجْعة محمد بن الحَنَفية (ابن علي بن أبي طالب من خوْلةَ الحنفية) .

ولما جاءتْ دَوْلةُ بني العبّاس مدح السيّد الحِميريّ خلفاءها : مدح السفّاح والمنصور والمَهْدِيّ . ومرض السيد الحميري بداء الشَّرَى[٢] ثم تُوُفِّيَ ، في بغدادَ ، سنة ١٧٣ هـ (٧٨٩ م) ، في أيام الرشيد .

٢ ـ السيد الحِميري شاعر مطبوع مُجيد مُكثر جداً من مُخَضْرَمي الدولتين . وقد كان السيد الحَميري معَ بشّار بن برد أشعرَ المُحْدَثين له طرازٌ من الشعر ومذهبٌ قلّما يُلْحَقُ فيه . ولشعره جزَالة ومتانة ورَوْنقُ معنىً . وقد وَقَفَ السيد الحِميري شِعْرَه على مدح آل هاشم عامّة ومدح عليّ وأبنائه خاصة : أخذ على نفسه أن يَنْظِم فضائلَ الإمام علي شعراً ، ومدح الحسين . غير أنه هجا صحابة رسول الله وهجا عائشة زَوْجَ الرسول . من أجل ذلك هجر الناس شعره .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ قال السيد الحميري في الحسين بن عليّ :

أُمْرُرْ على جَدَثِ الحُسَينِ قلْ لأعظُمِه الزكيّهْ :

---

١ أدلم : شديد السواد . أشنب : شديد بياض الاسنان . ذو وفرة : له شعر طويل .

٢ الشرى : بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالباً وتشتد ليلا (القاموس ٤ : ٣٤٨) .

« آأعْظُماً ، لا زِلتِ من وَطفاءَ ساكبةٍ رَوِيّهْ [١] » .
وإذا مررتَ بقبرهِ فأطِلْ به وَقْفَ المَطِيّهْ ،
وابْكِ المُطهّرَ للمطهّرِ والمطهّرةِ النقيّهْ .
كبُكاء مُعْوِلَةٍ أتتْ يوماً لواحدِها المَنيّهْ !

— لما استقام الأمرُ لبني العباس مدح السيد الحميري أبا العبّاس السَفّاح بقوله :

دُونَكُمُوها ، يا بني هاشمٍ ، فجدّدوا من عهدِها الدارسا .
دونكموها ، لا علا كعبُ من كان عليكم ملكَها نافسا .
دونكموها ، فالبَسوا تاجَها ؛ لا تَعْدَموا منكم له لابسا .
لو خُيّرَ المِنبَرُ فرسانَهُ ما اختار إلاّ منكمُ فارسا .
قد ساسَها قبلَكُمُ ساسةٌ لم يَتْرُكوا رَطْباً ولا يابسا .

— وقال في عليّ وفي أبنائه ، وفي الحسن والحسين سِبْطي الرسول (حفيديه من ابنته فاطمة) . وقد جعل السيد الحميري محمدَ بن الحنفية سبطاً على المجاز (لأنه أخو الحسن والحسين لأبيهما) .

ألَا إنّ الأئمّةَ من قريشٍ ولاةَ الحقّ أربعةٌ سواءُ :
عليّ والثلاثةُ من بنيه همُ أسباطه والأوْصياءُ .
فسِبْطٌ سبطُ إيمانٍ وحِلمٍ ، وسبطٌ غيّبته كَرْبلاءُ ،
وسبطٌ لا يذوقُ الموتَ حتى يقودَ الخيلَ يَقْدُمُها اللواء .

— وقال يمدح بني العباس وأنشدها للمهدي لما بايع لابنيه موسى الهادي وهرون الرشيد :

ما بالُ مَجْرَى دمعِكَ الساجمِ ، أمن قَذىً بات بها لازمِ ؟ [٢]
أم من هوىً أنت له ساهرٌ صَبابةً من قلبك الهائم ؟

---

١ الوطفاء : السحابة المسترخية يتدلى منها ذيول ، كثيرة انهمار المطر . ساكبة : دائمة المطر . روية : مملوءة بالماء .

٢ الساجم : السائل ، المنهمر .

آليْتُ لا أمدحُ ذا نائـِلٍ مِن مَعْشَرٍ غيرَ بني هاشمِ [1] .
أولَتْهُمُ عندي يدُ المُصطفى ذي الفضلِ والمَنّ أبي القاسمِ [2] .
فإنهـا بيضـاءُ محمودةٌ جزاؤها الشكرُ على العـالمِ .
جزاؤها حفظ أبي جعفرٍ خليفـةِ الرحمن والقـائمِ ،
وطاعة المَهْديّ ثم ابنِـه موسى على ذي الإرْبة الحازمِ [3] .
وللرشـيدِ الرابـعِ المرتضى مُفْتَرَضٌ من حقّه اللازمِ .
مُلْكُهُمُ خمسونَ معدودةٌ بِرُغْمِ أنفِ الحاسدِ الراغمِ .
ليسَ علينا ما بَقُوا غَيْرُهـم في هذه الامّةِ من حاكمِ !

٤ – ديوان السيد الحميري (جمعه شاكر هادي شكر) ، بيروت (مكتبة الحياة) ١٩٦٦ م .

** شاعر العقيدة ، تأليف محمّد تقيّ الحكيم ، بغداد ....
طبقات ابن المعتزّ ٣٢ – ٣٦ ؛ ٢٧٨ – ٢٩، الاغاني ٧ : ٢٢٩ – ٢٨٧ ؛
فوات الوفيات ١ : ٢٣ – ٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٨٢ ، الملحق ١ : ١٣٣ ؛
زيدان ٢ : ٦٧ ؛ اعلام الشيعة (١٩٣٩) ١٢ : ١٣٣ – ٢٧٨ .

الخَليلُ بنُ أحمدَ

١ – هو أبو عبدِ الرحمنِ الخليلُ بن أحمدَ بنِ عُمَرَ بنِ تميمٍ الفَراهيديّ أو الفُرْهودي الأزديّ من أزْدِ عُمانَ .

وُلِدَ الخليلُ بنُ أحمدَ في البصرة ، سنة ١٠٠ هـ (٧١٨ م) ونشأ فيها . وقد تَلَقّى النحوَ عن عيسى بن عُمَرَ الثقَفيّ المُتوفّى سَنَةَ ١٤٩ هـ (الفهرست ٤١) وضروباً أخرى من العلم على أيوبَ السخْتيانيَ وعاصمٍ الأحولِ والعوّام بن الحَوْشَبِ وأبي عمرِو بن العَلاء . وكان الخليل في أول أمره على مذهـب الإباضية فتحوّل عنه إلى مذهبِ أهل السنّة ، نصحه بذلك أيوبُ السختياني .

عاشَ الخليلُ بن أحمدَ في شبابه فقيراً محروماً من كلّ شيء يَسْكن خُصّاً

---

١ آلى : أقسم . نائل : عطاء .

٢ للمصطفى أبي القاسم (محمد رسول الله) الفضل والنعمة علي في حبي لهم (أحببتهم لأنهم من نسله) .

٣ للإربة في القاموس عدد من المعاني ، المقصود منها هنا : الدين ، التقوى .

في البصرة . فلمّا جاءت الدولة العبّاسية اتّصل باللّيْث بن نَصْرِ بن سيّار – وكان الليثُ كاتباً للبرامكة عَظُمَتْ وجاهتُه بهم وكَثُرَتْ ثروتُه منهم – فأقبلت بذلك الدنيا على الخليل بن أحمد .

وكانت وفاة الخليل بن أحمد نحو سنة ١٧٤ هـ (٧٨٩ م) في الأغلب .

٢ – كان الخليل بن أحمد الفراهيدي إماماً في علم اللغة والنحو ، ومن الرّواة والنسّابين (العارفين بأنساب العرب) والعلماء . وهو أوّل مَن استخرج عِلْمَ العَروض (أوزانِ الشعْر وأحكامِه) وأول من وضع مُعْجَماً للّغةِ العربية . وله من الكتب الثابتة بلا خِلاف كتابُ الشَكْل والنُقَط (في القُرآن الكريم) ، كتاب الشواهد ، كتاب العَروض . وله ، فيما ذكروا ، كتاب الإيقاع ، كتاب النغَم ، كتاب الجُمَل ، كتاب العَيْن ، كتاب فائت العين . أما كتاب العوامل فيقال إنه منحول (انباه الرواة ١ : ٣٤٦) .

وفي **كتاب العين**[١] روايات مختلفة :

قال ابن النديم (الفهرست ٤٢) : «لم يَرْوِ هذا الكتاب عن الخليل أحَدٌ ، ولا رُوِيَ في شيءٍ من الأخبار أنه عَمِلَ هذا البتّةَ» .

قال ابن المُعْتَزّ (طبقات الشعراء ٩٧ – ٩٨) : «كان الخليلُ بن أحمدَ مُنْقَطِعاً إلى الليثِ بن نَصْرِ بن سيّار ... فأجزلَ (الليثُ) له وأغْناه . وأحَبَّ الخليلُ أن يُهْدِيَ إليه هَدِيّةً تَليقُ به ... فجَهَدَ نَفْسَهُ في تصنيفِ كتاب العين ، فصنّفه للّيث دونَ سائرِ الناس» . وأُعْجِبَ الليثُ بالكتاب فبدأ بحفظه حتى حَفِظَ نِصْفَهُ . ثم وقعتْ بين الليث وبينَ زوجته وَحْشَةٌ بسبب هذا الكتاب لانصرافه عنها إلى مُطالعته فأحرقتِ الكتاب ، وذلك بعدَ موتِ الخليلِ بن أحمد . «فاستدرك (الليث) النصفَ من حِفْظِه وجَمَعَ على (استدراك) النصفِ الباقي علماءَ أهلِ زمانه ... فمثّلوا عليه (أتمّوه على نَمَطِه) فلم يَلْحقوه .... فأنتَ تَرى ما في أيدي الناس من ذلك ، فإذا تأمّلتَه وجدتَه نِصْفَيْنِ : النصفَ الأولَ (وهو) أتقنُ وأحْكمُ ، والنصف الثاني (وهو) مُقَصّرٌ عن ذلك» .

---

١ الفهرست ٤٢ ، ٤٣ ؛ إنباه الرواة ١ : ٣٤٦ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٧٤ – ٧٥ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٠٨ .

والذي يَطْمَئِنّ اليه الباحثُ [١] أن الخليلَ بن أحمدَ قد أدركَ الفائدةَ من تقييدِ ألفاظِ اللغة تقييداً شاملاً آليّاً . أما التقييدُ الشاملُ ففي جمعِ ألفاظ اللغة كلّها على خلافِ ما جرت به الرواية ثم جرى عليه التأليفُ فيما بعد من تصنيف كلام العرب : الألفاظ المتعلّقة بالنبات (بالنَخْل مثلاً) أو بالحَيوان (بالإبِل ، بالخَيل) أو بالإنسان . وأمّا التقييد الآلي فهو ترتيب الكلمات بحَسْبِ صورتها الظاهرة من الحروف لا على الترتيب المنطقي (تَعْدادِ أسماءِ الأعضاءِ وأفعالِها في الحَيَوان مثلاً : الرأسِ ثم الصدرِ ثم البطنِ وما فيها أو يتعلّق بها) .

وإذا كان ليس ثمّةَ مانعٌ من أن يكونَ الخليلُ بن أحمد قد وَقَعَ على هذه الفِكْرةِ المُزْدَوِجَةِ ثم وَضَعَها موضعَ التنفيذ بأنْ بدأ تأليف أوّلِ مُعْجَمٍ للّغةِ العربية ، فإنّ من المعقول جدّاً أنّ تأليفَه هذا كان ناقصاً مُشَوّشاً كثيرَ الخَلْط والخَطأ وأن يكون الذين جاءوا بعدَه قد أستدركوا عليه أشياءَ ناقصةً فأضافوها وأشياءَ خاطئة فأصلحوها .

وقد سَمّى الخليلُ بنُ أحمدَ كتابَه : كتابَ **العين** لأنه نَسَقَ الكلماتِ فيه بحَسْبِ مخارجِها من الفَمِ وبَدَأ بأقصى تلك الحروفِ مَخْرَجاً من أقصى الحَلْقِ فإذا هو **العين** ، فإذا الترتيب كالتالي : ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ء ي . ويَحْسُنُ أن نُشيرَ إلى أنّ ترتيبَ الكلماتِ كان على الحرفِ الأخير لا على الحرف الأوّل : نبع ، منع ، ينع ، جمح ، صدح ، بده ، دله الخ ... ثم ان الدارسين المعاصرين يرَوْنَ أن هـذا الترتيبَ منقولٌ عن السِنسكريتية (لغةِ الهِنْد) لشبهه بالترتيبِ في المعاجم السِنسكريتية .

قال ابنُ سَلاّمٍ الجُمَحيّ [١] : « ثم كان الخليلُ بن أحمد .... فاستَخْرج العَروض واستَنْبَطَ منه ومن عِلَلِه ما لم يستخرجه أحدٌ ولم يَسْبِقْهُ إلى مِثله سابقٌ » (ولم يذكر هنا كتاب العين) .

---

١ راجع المزهر للسيوطي (شرحه .... محمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي) ، مصر (مطبعة عيسى البابي الحلبي) ، الطبعة الأولى (بلا تاريخ) ١ : ٧٦ – ٩٢ ؛ تاريخ آداب *اللغة العربية* ، تأليف جرجي زيدان (طبعة جديدة راجعها وعلق عليها الدكتور شوقي ضيف) ، مصر (دار الهلال) ٢ : ١٤٠ – ١٤٤ ؛ نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب ، للدكتور أمجد الطرابلسي ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م ، ١ : ٢١ – ٢٥ .

قال الجاحظُ (البيان والتبيين ١ : ١٣٩) : « وكما وَضَعَ الخليلُ بن أحمد لأوزانِ القصيدِ وقِصارِ الأرجازِ ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب ..... » (ولم يذكر هنا كتاب العين) .

قال ابن قُتيبة في كتاب المعارف [١] : « الخليلُ بن أحمد هو صاحب العَروض » .

قال القفطي في إنباه الرواة (١ : ٣٤٣) : « وأما **كتاب العين فقد** اختَلَفَ الأئمّةُ فيه : فمنهم من يَنْسِبُه اليه ، ومنهم من يُحيلُ نسبته إلى الخليلِ ؛ وقدِ اسْتَوْفى ابن دَرَسْتَويهِ الكلامَ في ذلك في كتابٍ له مُفْرَدٍ لهذا النوع » .

وقال ابن خلِّكانَ (وفيات الاعيان ١ : ٣٠٨) : « وللخليلِ من التصانيف كتابُ العين في اللغة ، وهو مشهورٌ .... وأكثرُ العلماء العارفين باللغة يقولون : إن كتابَ العينِ في اللغة المنسوبَ إلى الخليلِ بن أحمد ليس تَصْنيفَه ، وإنّما كان قد شَرَعَ فيه ورَتّبَ أوائله وسَمّاه بالعين ، ثم تُوُفّيَ فأكمَلَه تلامِذَتُه : النَضْر بن شُميل ومن (هم) في طبقته كمؤرِّج السّدوسي ونصر بن عليّ الجَهْضمي وغيرهما فما جاءَ عَمَلُهم مناسباً لِما وضعه الخليلُ في الأول ، فأخرجوا الذي وضعه الخليلُ منه وعَمِلوا أيضاً الاول . فلهذا وَقَعَ فيه خَلَلٌ كثيرٌ يَبْعُدُ وقوعُ الخليلِ في مثلهِ » .

قال ابن خلدون في مقدّمته ص ١٠٥٩ : « وكان سابقَ الحَلْبَةِ في ذلك الخليلُ ابن أحمد الفراهيدي ، ألّف كتابَ العين فحَصَرَ فيه مركّباتِ حروفِ المُعْجَم كلِّها من الثنائي والثلاثي والرّباعي والخماسي .... واسْتَوْعبه أحسنَ استِعاب وأوْفاه » .

وكان الخليلُ بنُ أحمدَ على شيءٍ من العلم بالإيقاع والنَغَم [١] فألّف فيهما تمهيداً ، في الأغلب ، لوضع عِلم العَروض . ولسنا نوافق الجاحظ على قوله في الخليل بن أحمد (الحيوان ١ : ١٥٠) : « وغَرّه من نفسه حينَ أحسنَ في النحو والعَروض ، فظنّ أنه يُحْسِنُ الكلام [٢] وتأليف اللُحون فكتب فيهما كتابين

١ الايقاع : ايقاع ألحان الغناء ، وهو أن يوقع (الرجل) الألحان ويبينها (القاموس ٣ : ٩٦) ، أي أن يحسب توالي النقرات وما بينها من المدد الطوال أو القصار .

٢ يقصد الجاحظ « علم الكلام » ، مما يبدو من كلامه (البيان والتبيين ١ : ١٣٨ – ١٣٩) ؛ راجع الجزء الأول من هذا الكتاب ١ : ٣٥٥ – ٣٥٦ .

يدلاّن على جهله » .

لقد وضع الخليلُ بن أحمد علم العَروض ، وذلك بأنِ استْعرضَ أشعارَ العرب واستخرج الأبحر التي نظم العربُ تلك الاشعار عليها ووضع لها أسماءها في الغالب : الطويلَ ، البسيطَ ، المديد الخ إلاّ الخَبَبَ فإنّ تمييزه من غيره جاء متأخراً . ولا ريبَ في أن العرب قد نظموا على جميع الأبحر منذ الجاهلية ، وإن كانوا بلا ريب قد أكثروا من النظم على بعضها وأقلّوا من النظم على بعضها الآخر . لا شكّ مثلاً في أن نظمهم على البحر الطويل (كمعلّقات امرئ القيس وطرفةَ وزهير) والبسيط (كمعلّقة النابغة الدالية) والكامل (كمعلّقة عنترة) كان أكثرَ من نظمهم على البحر الخفيف (كمعلّقة الحارثِ بن حِلّـِزة) . وأما الرَجَزُ فكان كثيراً .

ويبدو أنه كان للعرب منذ الجاهلية شيء من هذا العلم وأحكامه وأسماء أوجهه[1] ، ولكنّ الخليل بن أحمد دوّنَ هذا العلم تامّاً كاملاً وجعل له قواعدَه وأشار إلى شواذّه .

وللخليل بن أحمد شِعْر من شعر العلماء ، يدور في الأكثر على الحكمة ، حَسَنُ المعنى جيّدٌ ولكنّه قليلُ الطلاوة .

٣ – المختار من شعره :

– كان الخليل بن أحمد في أولِ أمرهِ فقيراً عازفاً عن الدنيا ، وكان سُليمانُ ابن حبيبِ بن أبي صُفرةَ والي الاهواز وفارسَ قد جعل له راتباً . واتّفق أن سُليمانَ استدعى الخليل يوماً فكتب اليه الخليل :

أبْلِـغْ سُليمانَ أني عنه في سَعَةٍ ... وفي غِنىً ، غيرَ أني لستُ ذا مال ،
شُحّاً بنفسيَ ، إني لا أرى أحداً ... يموتُ هزلاً ولا يبقى على حال[2] .
الرزقُ عن قَدَرٍ : لا الضَعفُ يَنْقُصُه ، ... ولا يَزيدُك فيه حَوْلُ مُحتالِ[3] .
والفقر في النفس لا في المال نَعْرِفُه ؛ ... ومثل ذاك الغِنى في النفس لا المال !

---

١ راجع البيان والتبيين ١ : ١٣٩ – ١٤٠ .
٢ ... يبقى على حال واحدة من الغنى .
٣ الحول القوة . المحتال : الذي يتطلب الأمور من أوجه مختلفة .

فقطع سليمانُ بن حبيب الراتبَ فقال الخليل بن أحمد :

إنّ الذي شقّ فمي ضامنٌ للرزقِ حتّى يتوفّاني .
حرَمْتَني مالاً قليلاً ، فما زادك في مالِك حرماني ؟

فاضطربَ سليمانُ من الأبيات وكتب يعتذر اليه وأضعفَ له الراتبَ ، فقال الخليل :

وزلّةٍ يُكثِرُ الشيطانُ ـ إن ذُكرت ـ منها التعجّبَ جاءت من سُليمانا[1] .
لا تعْجَبَنَّ لخيرٍ زلّ عن يدهِ ، فالكوكبُ النحس يسْقي الأرضَ أحيانا[2] .

ـ وللخليل بن أحمد :

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتَني ، أو كنتَ تعلمُ ما تقولُ عذلتُكا .
لكنْ جهِلتَ مقالتي فعذَلْتَني ، وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذَرْتُكا !

ـ وله أيضاً :

يقولون لي : دارُ الأحبّةِ قد دنَتْ وأنتَ كئيبٌ ، إنّ ذا لعَجيبُ .
فقلت : وما تُغْني الديارُ وقربُها إذا لم يكن بين القلوب قريب ؟

٤ ـ كتاب العين (تحرير أنستاس الكرملي) ، بغداد ١٩١٤ م .

** المعاجم العربية مع اعتناء خاصّ بمعجم العين للخليل بن أحمد ، تأليف عبد الله درويش ، القاهرة (مطبعة الرسالة) ١٩٥٦ م .

قصة عبقري : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تأليف يوسف العشّ ، مصر (دار المعارف) سنة ١٩٤٦ (سلسلة أقرأ رقم ٤٢) .

الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تأليف مهدي المخزومي ، ١٩٦٠ م .

الفهرست ٤٢ ـ ٤٣ ؛ طبقات الزبيدي ٤٣ ـ ٤٧ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٧٢ ـ ٧٧ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٠٧ ـ ٣١٠ ؛ انباه الرواة ١ : ٣٤١ ـ ٣٤٧ ؛ بغية الوعاة ٢٤٣ ـ ٢٤٥ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٧٥ ـ ٢٧٧ ؛ اعيان الشيعة (١٩٤٩ م) ٣٠ : ٥٠ ـ ٩١ ؛ بروكلمان ١ : ٩٨ ـ ٩٩ ، ١٥٩ ـ ١٦٠ ؛ زيدان ٢ : ١٤٠ ـ ١٤٤ .

---

١ زل عن يده : جاء عن غير قصد منه .

٢ كان القدماء يعتقدون أن بعض الكواكب تجلب السعد على الناس وأن بعضها الآخر كواكب تجلب النحس . وكذلك كانوا يرون أن ثمت صلة بين طلوع بعض الكواكب (ظهورها فوق أفق بلد ما) وبين سقوط المطر . وربما اتفق سقوط المطر مع طلوع كوكب يعدونه كوكب نحس .

نُصَيْبٌ الأصغرُ مولى المهدي

١ – نُصَيْبٌ هذا عبدٌ أسودُ زَنْجِيٌّ من أُحْبوشة الزِّنج ، كما يقول هو عن نفسه (غ ٢٠ : ٢٥) . كان منشأه ببادية اليَمامة فاْشتُرِيَ للمَهْديّ في حياة أبيه المنصور ، فلما سَمِعَ المَهْديّ شعْرَهُ أُعْجِبَ به وأعتقه وكنّاه أبا الحجْناء وأقطعه ضيْعَةً بسَوادِ الكوفة ، ثم زوّجه أمَةً يقال لها جَعْفرةُ . فلما رُزِقَ نُصيبٌ بِنْتاً سمّاها حَجْناءَ .

وتكسّبَ نُصيبٌ بالشعر فكانت أكثرُ مدائحه في المَهْدِيّ ، كما مدح الرشيدَ (غ ٢٠ : ٢٥) والبَرامكةَ . ومدح أيضاً شَيْبَةَ بنَ الوليدِ العَبْسي وأخاه ثُمامة ، وكان شيبة وثمامة من قُوّاد المَهْدِيّ . وكذلك وَفَدَ نُصيبٌ على عبدِ الله بن محمدِ بن الأشعث وهو يتقلّد صنعاءَ للمهدي ومدحه فلم يُثِبْه عبد الله فهجاه .

وكان المَهْدِيّ قد أرسل نُصيباً إلى اليمن لشراء إبِلٍ مَهْريّة وكتب إلى عامل اليمن أن يدفع لنصيب عِشرينَ ألفَ دينارٍ . ولكنّ نُصيباً أتلفَ المال في الطعام والشراب واللهو وشراء الجواري ، فسُجِنَ في اليمن طويلاً ثم أرسل مُوثَقاً بالحديدِ إلى بغدادَ ؛ غير أن المَهْدِيّ رَضِيَ عنه وأطلقَ سراحه . ثم إنّ هرونَ الرشيدَ ولاّه بعضَ كُوَرِ الشامِ فأفادَ من ذلك مالاً كثيراً [١] ولعل وفاته كانت قبل سنة ١٧٥ هـ (٧٩١ م) .

٢ – يجري شعر نصيب على الاسلوب القديم ، وبعضه فصيح الالفاظ سهل التراكيب . وفنونه المدح والفخر بنفسه والغزل التقليدي . وقد كان ملعوناً هجّاء (غ ٢٠ : ٢٩ ع) .

٣ – المختار من شعره :

– قال نُصيبٌ الأصغرُ يمدح المَهْدِيّ لمّا حُمِلَ اليه من اليمن مُوثقاً في الحديد :

إليكَ – أميرَ المؤمنين – ولم أجِـدْ   سِواكَ مُجيراً منك يُدْني ويَمْنَعُ .

تَلَمّستُ هل من شافعٍ لي فلم أجِدْ   سوى رَحْمةٍ أعطاكَها اللهُ تَشْفَعُ !

---

١ طبقات ابن المعتز ١٥٥ .

لئِنْ جلّتِ الأجْرامُ مني وأفظعتْ؛ لَعَفْوُكَ عن جُرْمي أجَلُّ وأوسع .
لئِنْ لم تَسَعْني ، يا ابنَ عمِّ محمّدٍ ، فما عجِزَتْ عنّي وسائلُ أرْبَع [1]
طُبِعْتَ عليها صِبْغَةً ، ثم لم تَزَلْ على صالحِ الأخلاق والدين تَطْبَع [2] :
تَغاضيكَ عن ذي اللُّب ترجو صَلاحَه ، وأنت ترى ما كان يأتي ويصنع ،
وعَفْوُكَ عمّن لو تكونُ جَزَيْتَه لطارتْ به في الجو نَكْباءُ زَعْزَع [3] ،
وأنك لا تَنْفَكُّ تُنْعِش عاثِراً ولم تَعْتَرِضْهُ حين يَكبو ويَخْمَع [4] .
وحِلْمُكَ عن ذي الجهلِ من بعد ما جرى به عَنَقٌ من طائش الجهل أشْنع [5] .

— وله البيت الجيد المشهور في الفضل بن يحيى :

ما لَقِينا من جودِ فَضلِ بن يَحْيى؛ تَرَكَ الناسَ كلَّهم شُعَراءَ !

٥ ٤ — ** طبقات ابن المعتز ١٥٥هـ — ١٥٧ ؛ الاغاني ٢٠ : ٢٥ — ٣٥ ؛ معجم الادباء ١٩ : ٢٣٤ — ٢٣٧ .

الاخفش الأكبر

هو أبو الخطّاب عبد الحميد بن عبد المجيد المعروفُ بالأخفش الأكبر أو الاخفش الكبير ، مولىً من أهل هجَرَ ، سكن البصرة . وكانت وفاته نحو سنة ١٧٧ هـ (٧٩٣ م) .

الأخفش الأكبر من أئمّة اللغة والنحو ، وله ألفاظ انفرد بها . وهو أوّل من شرح الشعر بيتاً بيتاً .

---

١ الوسائل جمع وسيلة : الأمر الذي يتوسل به الإنسان (يطلب به التوصل) إلى غيره .
٢ طبعت عليها : كانت طبيعة فيك . الصبغة : الدين والملة . وصبغة الله : فطرة الله (الإسلام) .... (القاموس ٣ : ١٠٩) . وفي سورة البقرة : « صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة » (٢ : ١٣٨ ، راجع ١٣٠ وما بعدها).
٣ جزيته : عاملته بمثل فعله (السيء) . نكباء : ريح تهب من كل مكان . زعزع : تحرك الاشياء تحريكاً شديداً . لطارت به في الجو نكباء زعزع : لتبدد وتشتت أمره (هلك) .
٤ يكبو : يعثر (يذنب) . يخمع : يعرج (بفتح الراء) ، — أي ثم لا يستطيع أن يصلح حاله بنفسه .
٥ العنق (بفتح ففتح) سير مسبطر للإبل (فيه سرعة وتتابع وخطوات واسعة) .

— ** طبقات الزبيدي ٣٥ ؛ وراجع وفيات الاعيان ١ : ٣٧١ ، ٢ : ٧ ؛ انباه الرواة ٢ : ١٥٧ — ١٥٨ ؛ بغية الوعاة ٢٩٦ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٦٥ ؛ Enc . Isl . (new ed .) I 321

المُفَضَّل الضَّبِّيّ [1]

هو أبو عبد الرحمن (أو أبو العبّاس) المُفَضّلُ بنُ محمّدِ بن يَعْلَى بن عامر ابنِ سالم الضبّيّ الكوفيّ ، كان جدّه يعلى على خراج الريّ وهَمَذانَ .

وُلِدَ المفضّلُ الضَّبّيّ في الكوفة بعد سنة ١٠٠ هـ (٧١٨ م) ، وسمع من سَمّاك بن حَرْب وأبي اسحق السَّبيعي وعاصم بن أبي النَّجود ومُجاهد بن رومي وغيرهم .

لمّا خَرَجَ (ثار) ابراهيمُ بن عبد الله بن الحسن على المنصور ، سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) ، خرج المُفَضّلُ معه ؛ فلمّا قُتِلَ ابراهيمُ وقع المفضّل في الاسر ، ولكنّ المنصور عفا عنه ثم ألزمه تخريجَ ابنه المَهْديّ (في الأدب والاخلاق) فاختارَ له «المُفَضّليات» ليَحْفَظَها غَيْباً ويتَثَقّفَ بها بأخلاقِ العرب وأساليبِهِمْ في القول . ثم إنّ المفضّلَ وَفَدَ على الأمير المَهْدِيّ في عيساباذ فوَصَلَهُ المَهْدِيّ بخمسينَ ألفَ دِرْهمٍ لصِدْقه وصِحّة روايته .

وجاء المفضّلُ إلى البصرة ثم إلى بغداد وافِداً على الرشيد . وكانت وفاتُه في الأرجح سنة ١٧٨ هـ (٧٩٤ م) .

كان المفضّل الضبّيّ من القُرّاء ، وكانَ رَاويةً إخبارياً ولُغَويّاً نَحْوِيّاً أديباً وناقِداً للشعر . والمفضّل مُصَنّفٌ له «المفضّليات» ، وهي ثمانونَ قصيدةً مُختارةً من شِعْر الشُعراء المُقِلّين من الجاهليين والمُخَضْرمين ؛ وقد زِيدَ عليها مع الأيام . والمفضّليات أولُ مجموعٍ من الشعر وصل إلينا . وللمفضلِ أيضاً كتابُ الاختْيارات ، كتاب مَعاني الشعر ، كتاب الأمْثال ، كتاب الألفاظ ، كتاب العَروض .

---

١ هو غير المفضل بن سلمة اللغوي النحوي الكوفي (معجم الأدباء ١٩ : ١٩٣) ، وغير المفضل بن محمد ابن مسعر المتوفى نحو سنة ٢٤٢ هـ (معجم الأدباء ١٩ : ١٦٤) .

٤ ـ المفضّليات (توربكه) ، ليبزغ ١٨٨٥ م .
المفضّليات (أبو بكر الداغستاني) ، مصر ١٣٢٤ هـ .
المفضّليات بشرح الانباري (تشارلس ليال) أوكسفورد (بيروت : المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٠ .
المفضّليات (حسن السندوبي) ، مصر ١٣٤٥ هـ .
المفضّليات (أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون) ، مصر ١٣٦١هـ، (١٩٤٢ م) ؛ الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ ؛ (١٩٥٢ م) .
كتاب الامثال ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ، ١٣٠٠ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) .

** الفهرست ٦٨ـ٦٩ ؛ طبقات الزبيدي ٢١٠ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ١٢١ـ١٢٢ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ١٦٤ ـ ١٦٧ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٩٨ ـ ٣٠٥ ؛ بغية الوعاة ٣٩٦ ؛ بروكلمان ١ : ١١٨ ـ ١٩٨ ، الملحق ١ : ١٧٩ ؛ زيدان ٢ : ١٢١ .

سِيبَوَيْهِ

١ ـ هو أبو بِشْرٍ سِيبَوَيْهِ عمرُو بنُ عثمانَ بنِ قَنْبرٍ مَوْلى بني الحارث بن كعب . وُلِدَ في البيضاء قرب شيراز (فارس) نحو سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) ثم جاء إلى البصرة شاباً فأخذ عن الخليلِ بن أحمدَ وعيسى بن عُمَرَ ويُونسَ ابن حَبيبٍ وعن أبي الخطّاب الأخفشِ الكبير (ت ١٧٧ هـ ، ٧٩٣ م) .

وقَدِمَ سِيبَوَيْهِ إلى بغدادَ في أيام الرشيد وافداً على يحيى بن خالدٍ البرمكيّ يريدُ الاجتماع بالكسائي ، وعُمُرُهُ يومذاك قد أربى على الثلاثين . فقال الكسائي (الكوفي) لسِيبَوَيْه : يا بَصْرِيّ ، كيف تقول : قد كُنتُ أظنّ أن العَقْرَبَ أشدّ لَسْعَةً من الزّنْبورِ فاذا هُوَ هِيَ أو فاذا هُوَ إيّاها ؟ فقال سيبويه (أقول) : فإذا هو هِيَ ؛ ولا يجوز النّصب . فقال الكسائي : بل يَجوزُ الوجْهانِ . ووافق أهلُ المجلس الكِسائيَّ (وإنْ كان قولُه خطأ) .

عندئذٍ انصرفَ سِيبويهِ إلى فارس ، ويبدو أنه لم يَعِشْ بعد ذلك طويلاً ،

فتُوُفِّيَ نحو سَنَةِ ١٨٠ هـ (٧٩٦ م) فوق الاربعين من العمر ؛ وقبرُه معروف بشيراز .

٢ – سِيْبَوَيْه أكبرُ علماءِ النَّحْوِ وأشهرُهم ، وهو أوّل من بَحَثَ في النحو بحثاً مُنْتَظَماً وأولُ من ألّف فيه كتاباً شامِلاً لم يَدَعْ شيئاً من علم النحو إلا ضمّه فيه . غير أن أسلوبَ سيبويه كان ضعيفاً فتعهّدَ الناسُ « كتاب سيبويه » بالشرح والتوضيح ، وأشهر شرّاحِه أبو سعيد الحسن بن عبد الله السِيرافي (ت ٢٨٠ هـ ، ٨٩٣ م) . وقد اشتهر هذا الكتاب شُهْرَةً عظيمةً حتّى أنه يُعْرَف باسم « كِتابِ سيبويه» وباسم « الكتاب » .

٤ – كتاب سيبويه (ديرنبورغ) ، باريس (المطبع العامّ) ١٨٨١ – ١٨٨٥ م ؛ كلكتّا ١٨٨٧ م ؛ مصر (بولاق) ١٢١٦ – ١٢١٧ هـ ؛ برلين ١٨٩٥ – ١٩٠٠ م ؛ (بتحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (دار القلم) ١٩٦٦ م .

** الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية ، تأليف أبي بكر محمّد الزبيدي (نشره غويدي) روما ١٨٩٠ م .

سيبويه إمام النحاة ، تأليف علي النجدي ناصف ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٣ م .

أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، تأليف خديجة الحديثي ، بغداد (مكتبة النهضة) ١٩٦٥ م .

الفهرست ٥١ – ٥٢ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ١٩٥ – ١٩٩ ؛ طبقات الزبيدي ٦٦ – ٧٤ ؛ معجم الادباء ١٦ : ١١٤ – ١٢٧ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ١٠٣ – ١٠٥ ؛ انباه الرواة ٢ : ٣٤٦ – ٣٦٠ ؛ بغية الوعاة ٣٦٦ – ٣٦٧ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٥٢ – ٢٥٥ ؛ بروكلمان ١ : ٩٩ – ١٠٠ ، الملحق ١ : ١٦٠ ؛ زيدان ٢ : ١٣٢ – ١٣٣ ؛ اختلاف المبرّد مع سيبويه لمحمّد الفاضل بن عاشور (مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق ، كانون الثاني – يناير ١٩٦٥ ، المجلّد ٤٠ ، ص ٣٠ – ٤٥) ؛ ابن هشام أنحى من سيبويه لصالح الأشتر (المجلة نفسها والعدد نفسه ، ص ٢٩٥ – ٣٠٩) .

خلَفٌ الاحمر

١ — هو أبو مُحْرِز خَلَفُ بنُ حَيّانٍ الاحمرُ البصريّ مولى أبي بُردة ابن بِلالِ بن أبي موسى الاشعري ، أصله من فَرغانةَ ومسكنه البصرة ؛ وكان يتعصّب لليمانية (غ ١٤ : ٣٢) .

أخذ خَلَفٌ عن حمّادِ الراوية . وعنه أخذ جميع أهلِ البصرة ، فهو مُعَلِّمُ الأصمعي وأستاذ أبيّ نُواسٍ ومُعَلِّمُ الكِسائي (غ ١٨ : ٧٧) أيضاً. ولقي خَلَفٌ بَشّاراً وابنَ مُناذِرٍ ومروانَ بن أبي حَفْصَةَ والمُبَرِّد في مباسطات ومهاجاة . وكان خَلَفٌ ضَيّقَ الصدر بالتعريض به .

ومَرِضَ خلفٌ قبل وَفاته ثم تُوُفِّيَ نحو سنة ١٨٠ ﻫ (٧٩٦ م) . وقد رثاه أبو نواس .

٢ — كان خَلَفٌ الأحمرُ من الرُواة والنسّابين والعلماء : عالماً بغَريب اللغة والنحو والنَسَب والأخبار وبالشعر رِوايَةً ونَقْداً ، قال ابن سلام (ص ٩) : « كان خلف أفْرَسَ الناس [١] ببيتِ شِعْرٍ وأصدَقهم لِساناً ، كنا لا نُبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو (إذا) أنْشَدَنا شِعراً ألاّ نسْمَعَه من قائله [٢] . وخلف هو الذي رَوَى غَزَلَ الأعرابِ فَزَهِدَ الناسُ بعد ذلك في غزل العباس بن الأحنف وكانوا من قبلُ يَحْرِصون على غزل العباس أشدّ الحِرْص [٣] .

على أن ابن قُتيبة يذكر (ص ٤٩٧) أن خلفاً الأحمرَ « كان يقول الشعر ويَنْحِلُه المتقدّمين » ، ثم يَضْرِبُ على ذلك مثلاً القصيدةَ المنسوبة مرة إلى تأبّطَ شرا ومرة إلى ابن أخته الشَنفَرَي [٤] .

وكذلك كان خلفٌ الأحمرُ شاعراً مُكثراً مطبوعاً مُفْلِقاً كثيرَ الشِعْر جَيّدَه ، وأراجيزُه كثيرةٌ ؛ وشعره موجود بأيدي الناس . وكان يُكْثِرُ قولَ الشعر في

---

١ أحسن الناس فراسة وعلماً .

٢ راجع طبقات ابن المعتز ١٤٧ ؛ ابن قتيبة ٤٩٦ ؛ البيان والتبيين ١ : ٣٦٠ — ٣٦١ .

٣ راجع البيان والتبيين ٤ : ٢٣ — ٢٤ .

٤ راجع ابن قتيبة ٤٩٧ ؛ الحيوان ١ : ١٨٢ ؛ طبقات ابن المعتز ١٤٧ — ١٤٨ ؛ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٨٢٧ .

وصف الحياة [1] . وقال ابن قُتيبة (ص ١١) : « وأشعارُ العلماء ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسُهولة كشعرِ الاصمعي وشعر ابن المقفّع وشعر الخَليل ، خلا خلفٍ الأحمرِ فانه كان أجودَهم طبعاً وأكثرَهم شِعراً » . ولم يكن في نُظَرائه من أهل العلم والأدب أكثرَ شِعراً منه [2] ؛ وكان ، في هذا ، نسيجَ وحدِه في الشعر (طبقات ابن المعتز ٢١٠) .

٣ – المختار من شعره :

– قال محمدُ بن خلاّدِ بن يزيدَ الباهليّ – وكان حَسَنَ العِلْمِ بالشعر يَرْويه ويَقولُه – لخلفٍ الاحمرِ : « بأيّ شيء تَرُدّ هذه الاشعارَ التي تُرْوى ؟ » قال (خلف) له : « هل تَعْلَمُ أنتَ منها ما إنه مصنوعٌ لا خيرَ فيه ؟ » قال : « نعم ! » قال (خلف) : « أفتعلمُ في الناس من هو أعلم منك بالشعر ؟ » قال : « نعم ! » فقال (خلف) : « فلا تُنْكِرْ أن يَعرِفوا من ذلك ما لا تَعْرِفُه أنت ! »

وقال قائلٌ لخلفٍ : **إذا سَمِعْتُ أنا بالشعر واستحسنتُه فما أُبالي ما قلتَ فيه أنتَ وأصحابُك !** فقال له (خلف) **إذا أخذْتَ أنتَ دِرهماً فاستحسنتَه ، فقال لك الصرّاف : إنه رَدّيءٌ ! هل يَنْفَعُك استحسانُك له ؟**

قيل لخلف : من أشعرُ الناس ؟ فقال : **ما يُنْتَهَى إلى واحدٍ يُجْمَعُ عليه** كما لا يُجتمع على أشجعِ الناسِ وأخْطَبِ الناسِ وأجملِ الناس !

– قال خلفٌ الأحمرُ :

وبعضُ قريضِ القومِ أولادُ عَلّـةٍ يَكُدّ لِسانَ الناطقِ المُتَحَفِّظِ [3] .

– وقال خلفٌ في قومٍ تُهْدَي اليهم أشياءَ ثمينةً فيُهْدُون إليك أشياءَ تافِهةً :

سَقى حُجّاجَنا نَوْءُ الثُرَيّا على ما كان من بُخْلٍ ومَطْلِ [4] .

---

١ راجع طبقات ابن المعتز ١٤٧ ؛ ابن قتيبة ٤٩٧ .

٢ طبقات ابن المعتز ١٤٧ ؛ ابن قتيبة ٤٩٦ .

٣ أولاد علة : أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفات (يقصد أن شعرهم متفاوت مختلف المخارج ، يتعب لسان القدير على النطق المتحفظ أي المحترز عن الخطأ) .

٤ سقى حجاجنا (الآيبين من الحج يحملون لنا هدية) بنوء الثريا : في زمان مطر الثريا (لأنه يكون غزيراً) .

همو جَمعوا النِعال فأحرَزوها — وسَدّوا دونَها باباً بقُفْل .
إذا أهْدَيْتُ فاكهـةً وشـاة — وعَشْرَ دَجائجٍ بَعثوا بنَعْل
ومِسْواكَيْنِ طولهُما ذِراعٌ ، — وعَشْرٍ من رَديّ المُقْل خَشل[1].
أُناس تائِهُونَ لهم رُواءٌ — تَغيم سماؤهم من غير وَبل[2] .
إذا انتسبوا فَفَرعٌ من قُريشٍ ، — ولكنّ الفِعال فِعالُ عُكْل[3] .
فان أهْدَيتُ ذاك ليَحْمِلوني — علىَنعْلٍ ، فدَقّ اللهُ رِجلي[4] !

٤ — مقدّمة في النحو (تحقيق عز الدين التنوخيّ) دمشق (وزارة الثقافـة) ١٩٦١ م .

** الفهرست ٥٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٧٧ — ١٨١ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٦٦ — ٧٢ ؛ انباه الرواة ١ : ٣٤٨ — ٣٥٠ ؛ بغية الوعاة ٢٤٢ ؛ بروكلمان ١ : ١١١ ؛ زيدان ٢ : ١٢١ — ١٢٢ .

ابنُ الدُمَيْنَة

١ — هو عبدُ اللهِ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ عمرو بن مالكٍ الخَثْعَمي ؛ والدُّمينة أمّه ، وهي بنت حُذيفة من بني سَلولٍ .

يبدو أن ابن الدمينة وُلِدَ في البادية من جَنوبيّ الحِجاز في أواخر العصر الأموي ، ثم سكن المدينة حيناً ؛ ولعلّه نَزَلَ في البصرة أيضاً . وكان ابن الدمينة جميلاً فصيحاً وفارساً شجاعاً فاتكاً فقد رأيناه يتعرض في حياته للسجن والعِقاب مِراراً .

---

١ المسواك : قطعة من غصن شجر الأراك تساك (تجلى وتنظف) به الاسنان . ردي : رديءٌ . المقل : شجر الدوم (لا يصلح لتكون أغصانه سواكاً) . خشل : يابس خفيف سخيف (يتفتت بدلا من أن يتفرق أليافاً تصلح لسواك الاسنان) .

٢ رواء : منظر جميل . الوبل المطر الشديد (والمقصود هنا : المطر مطلقاً) . تائه : متكبر ؛ مضطرب العقل .

٣ العكل (بضم العين أو كسرها) : اللئيم . وعكل (بضم العين) : قبيلة في أفرادها غباوة .

٤ — إذا كنت أنا أهديت اليهم ما أهديت لأنني محتاج إلى النعل التي أهدوها إلي فكسر الله رجلي (حتى لا ألبس هذا النعل) .

ونشأ ابن الدمينة مُحِبّاً مغامراً في الأغلب ، ولكنه لم يكن موفقاً في ذلك توفيقَ عُمَرَ بنِ ابي ربيعةَ . وأخيراً تزوج حَمّاءَ بنتَ مالكٍ السلولية ورُزِقَ منها بِنْتاً ، ثم عَلِمَ أنها تَخْتانُهُ فكمن لعشيقها مزاحم بن عمرٍو السلولي فقتله ثم انثنى إلى زوجته وابنته فقتلهما . وثارت الحربُ بين الحَيَّيْنِ ، خثعمٍ وسلولٍ ، من أجل ذلك زمناً فأخذ الوالي جماعة من الحيين فألقاهُمُ في السجن .

وكانت وفاة ابن الدمينة في نحو سَنَةِ ١٨١ أو ١٨٢ هـ (٧٩٦ م) ، قتله مُصْعَبُ بنُ عمرٍو السلولي ثأراً بأخيه مُزاحِمٍ ، بعد أن شَبَّ فقد كان — لما قَتَلَ ابنُ الدمينة أخاه مُزاحماً — طِفلاً صغيراً .

٢ — ابن الدمينة شاعر عباسي ما زالت تَغْلِبُ عليه الخصائصُ الأمويةُ . وهو شاعرٌ مكثر « يجتمع له مَعَ رِقّة المعاني الفصاحةُ ، ومَعَ العُذوبةِ الجزالةُ . وكان مُقَدّماً في المتغزّلين نقيّ الكَلِمِ بعيداً عن التكلّف ، يَخْلِطُ بمذاهبِ الاعرابِ حَلاوةَ الحِجازيين . وأكثرُ شعرِه النسيبُ » .

٣ — المختار من شعره :

— قال ابن الدمينة في الغزل (ديوان ٨٢ — ٨٥) :

وقد زعموا أنّ المُحِبَّ إذا دنـا ... يُمَلُّ ، وأن النأيَ يَشْفي من الوَجْدِ .
بكلٍّ تداوَيْنا فلم يُشْفَ ما بنـا ، ... على أن قُربَ الدار خيرٌ من البُعـد .
فمِنْ حُبِّنا أحبَبْتُ من لا يُحِبّني ، ... وصانعتُ من قد كنت أُبْعِدُه جُهدي .
ألا يا صَبا نَجْدٍ ، متى هِجتَ من نجد ؟ ... لقد زادني مَسراك وَجْداً على وجد .
أإنْ هتَفَتْ وَرْقاءُ في رَوْنقِ الضُحى ، ... على فَنَنٍ غَضّ النباتِ من الرَنْـد ،
بكيتَ كما يبكي الوليدُ ، ولم تكـنْ ... جليداً ، وأبديتَ الذي لم تكن تُبدي ؟

— « تقدّم ابن الدمينة الشعراء في غزله بقوله » (ديوان ١٣) :

سَلي البانةَ الغَنّاء بالأبطَحِ الذي ... به الماءُ : هل حَيّيتُ أطلالَ دارِكِ ! [١]
وهل قُمت بعد الرائحين عَشِيّـةً ... مَقام أخي البغضاء واخترتُ ذلك .

---

١ الغناء : الكثيرة الورق والأغصان ، فإذا ضربتها الريح غنت .

فيا بانةَ الوادي ، أليستْ مُصيبـةً من الله أن تُحْمى علينا ظِلالُك ؟
يقولون : ذَرْها واعتزلْها ، وإنّما يُساوي ذهابَ النفس عندي اعتزالك .
ولو قلتِ : طَأْ في النار ، أعلَمُ أنه هُدىً منك أو مُدْنٍ لنا من وِصالك ،
لَقَدّمتُ رِجلي نحوَها فوَطِئتُها هُدى منك لي أو غَيّةً من ضَلالك [1]
أرى الناسَ يَرْجُونَ الربيعَ ، وإنما ربيعي الذي أرجو جَدَاً من نَوالك [2] .
أبِيني أفي يُمنى يديك جعَلْتِني فأفرحَ ، أم صيّرتِني في شِمالك .
لئن ساءني أن نِلْتِني بمَساءةٍ لقد سرّني أني خَطَرتُ ببالك !

٤ – ديوان أبي السرّي ابن الدمينة الخثعمي (شرحه محمّد هاشم البغدادي) ، دمشق (مطبعة المنار) ١٩١٨ م .
ديوان ابن الدمينة (تحقيق أحمد راتب النفّاخ) ، القاهرة (مكتبة العروبة) ١٩٥٩ م .

** الاغاني (بولاق) ١٥ : ١٥١ – ١٥٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٨٠ .

---

١ هدى منك ... غية : نصيحة منك تهديني بها ... الغية : ضلالا (وتحكماً منك) .
٢ جداً : عطاء ، هبة .

٢ - ذِروَةُ الشِّعْرِ المُحدَث

لمّا أوغلَ العصرُ العبّاسيّ وقلّ الادباءُ الذين كانوا قد وُلِدوا في العصر الأُمويّ وشَهِدوا منه مدّةً يسيرةً أو طويلة بدأ الادبُ في الشعر والنثر يبتعد عن عَمود الشعر وتَدْخُلُه الخصائص التي سُمّيَتْ فيما بعدُ مُحْدَثَةً : فَقَدَتِ الكلماتُ جَزالتَها والتركيبُ مَتانَتَه والأغراضُ بَداوَتَها ، ولكنّ الادبَ اعتاض من ذلك فصاحةَ الالفاظِ (فيما يتعلّق بالحياة الجديدة) وسُهولةَ التركيب (فيما يتّصل بالتعبير عن الحاجات الحَضَرية) والعنايةَ في الأغراضِ بوجوه الحياة الجديدة . إنّنا نحنُ اليوم أميلُ إلى هذا الشعر المُحْدَثِ بأسبابِ اجتماعية — وذلك أنّ حياتَنا الحاضرةَ أشبهُ بتلك الحياةِ التي كان يَصِفُها الشعراءُ المُحْدَثون (في أواخرِ القرن الهِجْريّ الثاني وأوائلِ القرن الثالث) — لا بأسباب تَمُتّ إلى الأدب جُملةً . إنّ الرَّوْعَةَ الأدبية الخالصة التي جاءت في الشعر القديم كانت أشدّ تعبيراً عن الشُعور الفِطريّ في الفَرْدِ المُتّصل بقومه وبتاريخِ قومه الأدْنَيَيْنَ ؛ وبهذا المَعْنى كان الأدبُ القديم أحسنَ تعبيراً عن معاني الإنسانية الصافية . أمّا الأدبُ المُحْدَثُ فنَظَرَ صاحبُه إلى منازِعِ النفس الشخصية مُنْقَطِعَةً عن كلّ شيء إلاّ عن وَساوِسِها الآنِيّة النابعة في الأكثر من رَغَباتها الشخصية . ولو لم يكن في الشعراءِ المُحْدَثين نفر ظلّوا متمسّكين بعَمود الشعر العربي (القديم) قليلاً أو كثيراً ، أو بين الفَيْنة والفينة على الأقلّ ، لَغابَ الشعر المُحْدَثُ كلّه من الذاكرة .

إنّ مُعْظَمَ الشعراء المُحْدَثين شعراءُ مُكْثِرون ؛ ومَعَ ذلك فانّ المَحْفوظ من شِعْرهم قليلٌ ؛ والمُسْتَشْهَدَ به من شِعْرِهم أقلّ .

لا يستطيعُ الدارسُ أن يُنْكِرَ أثرَ المَنْطِق في الشعر المُحْدَثِ وأثرَ الصناعة وتعدّدَ الفنون وتَشَعّبَ الاغراض ممّا جاءت به الحياة الحَضَرية ، ولكنّنا نَفْقِدُ في الشعر المُحْدَثِ تلك البراءةَ وذلك الاخلاصَ وهذا الصِدق من تلك

التي تَجلّتْ في الشعر القديم . على أنّنا لا نَزال نُحِلّ الشعر المُحدَث مَحلّه المرموقَ لأنّه يُمثّلُ مرْحَلَة التاريخ التي مرّ قائلوه فيها ؛ وتلك خاصّةٌ صحيحةٌ تستحقّ العنايةَ وتُوسِعُ للشعراء المُحدَثين مكاناً في تاريخ الادب كبيراً

وبعدُ ، فانّنا في بعض أدوارِ حياتنا ، بين العشرينَ والثلاثينَ ، نُوغِلُ في الإعجاب بنفرٍ من الشعراء المُحدَثين لِتَطرّفِهم في الانفلاتِ ممّا حاولتْ أنْ تُقَيّدَهُمْ به أحوالُ أزمانِهم لأننا نحن نُحاولُ في تلك الفترة من حياتنا أن نَنفلِتَ ممّا انفلتوا هم منه ، فنحن — من أجل ذلك — نُحبّ أن نُجارِيَهم تَعَصّباً لأنفُسِنا لا إذعاناً لِما في شعرهم ذلك من الحقّ أو من القيمة . نحن نُحبّ بَشّاراً وأبا نُواسٍ وابنَ الروميّ حُبّاً جمّاً ، ويُعْجِبُنا شِعرُهم إعجاباً كبيراً . ولكنّنا لا نَكادُ نَجوزُ السنّ التي يندفعُ فيها الانسان معَ عاطفتِه الثائرةِ حتّى نعودَ إلى الأدباءِ القدماءِ أو نَنْتظِرُ مجيءَ أبي تمّامٍ والمتنبي كي نرتاحَ في حدائقِ شِعْرِهم ونجِدَ في قصائدهم صَدىً لحقائق الإنسانية المطلقةِ وصِقالاً دائماً للعقل الذي هو الفارقُ الوحيدُ بين الإنسانِ المتطوّر صُعُداً وبين الإنسان الذي انحرفت به منازعه الأولى مرّة ثمّ لم يعُدْ بعدَها إلى سمْتِ الإنسانية الأصيل .

رابعة العدوية

١ — هي أمُّ الخيْرِ رابعةُ العدَويّةِ [١] القيْسية البصرية مولاة بني عدوة من آل عَتيك . وُلِدَتْ رابعةُ في أسرة فقيرةٍ لا نعرِفُ شيئاً عنها ولا نعرف اسْمَ رَبِّ تلك الأسرة ولا شيئاً عن نسبه وأصلِه . ويبدو أن مولدَها كان في أوائل القرن الثاني للهِجرة (الربع الأول من القرن الثامن للميلاد) .

ويبدو أن قَحْطاً لَحِقَ البصرةَ فهامتْ رابعةُ وأخواتها على وُجوهِهنّ ثم وقعتْ رابعةُ في الرِقّ ، ولكنّ سيّدها أعتقها بعدَ مدّة في حديث طويل فتكسّبت بُرْهةً بالغِناء والنفخ في الناي وبما يتّصل بهذينِ عادةً . إلاّ أنها

١ هي غير رابعة (أو رايعة) بنت اسماعيل الشامية التي كانت زوجة لأحمد بن أبي الحواري والمتوفاة سنة ٢٣٥ ﻫ .

تابت بعد ذلك وحملها ندَمُها على ماضيها على أن تُمْعِنَ في الزهد وترتجفَ من الخوف من الله . غير أن كثيراً من الأخبار المنسوبة إلى رابعةَ في هذا الباب من بابِ الاختراعِ والخُرافة ، ثم إن هذه الأخبارَ تختلط بأخبار نفرٍ آخرين من الزاهدين .

والأقرب إلى الصواب أن تكون رابعةَ العدوية قد توفّيت في البصرة بين سنة ١٨٠ وسنةِ ١٨٥ هـ (٧٩٦ — ٨٠١ م) .

٢ — كانت رابعة العدوية ذاتَ اتّجاهٍ روحيّ منذ مطلع حياتها . ويبدو أن وقوعها في الرِقّ وتكسّبها بعدَ ذلك من وجوهٍ غيرِ حِلٍّ قد زادا في هذا الاتّجاه الروحيّ الذي كان لها ، فقضت باقِيَ حياتها زاهدةً مُتَبَتِّلَةً لم تتزوجْ ولا ملكتْ من عَرَضِ الحياة الدنيا شيئاً ، وكانت تقضي أيامَها بالصيام ولياليَها بالصلاة والتهجُّد ثم تقضي أوقاتَها كلّها بتذكّر الموت والتشوّق إلى الله . ولقد أُغْرِمَتْ بالذهاب إلى الحجّ سعْياً على قدمَيْها أو تقلّباً على جَنْبَيْها ، فيما رَوَوْا . ورابعةُ من الجيل الاول من المتصوّفة المسلمين وإلَيْها يَنْسِبُ مؤرّخو الصوفية البدءَ بالكلام على الحُبِّ الالٓهي والتوسّع فيه .

كانت رابعةُ شخصيةً تاريخية ، وكان لها بلا ريب أقوالٌ نثراً ونظماً ، إلاّ أن كثيراً مما يُنْسَبُ إليها من النثر والشعر منسوب لغيرها أو تظهَرُ عليه آثار الصَنْعَة والتكلّف مما يُوحي بأنّ كثيراً من تلك الآثار من عَمَلِ الأعصرِ التالية لعصر رابعةَ . ذكر جَماعةٌ منهم أبو طالب المكّي والإمام الغزالي والسيّد المرتضى الزَبيدي أن لرابعةَ العدوية أربعةَ أبياتٍ هي :

أُحِبّكَ حُبّينِ : حبّ الهوى   وحبّـاً لأنّك أهلٌ لذاكـا .
فأمّا الذي هو حبّ الهـوى   فشُغْلي بذِكْرِك عمّن سواكا ،
وأما الذي أنت أهلٌ لـــه   فكشفكَ لي الحُجْبَ حتّى أراكا .
فما الحمدُ في ذا ولا ذاك لي ،   ولكنْ لك الحمدُ في ذا وذاكا .

وجميع الذين كتبوا عن رابعةَ في التصوّف من المتأخرين إلى أيامنا يذكرون تلك الأبيات لرابعة . على أن صاحب الاغاني يذكُرُ هذه الأبيات (غ ١٥ : ٢٨٩) لآدمَ بنِ عبدِ العزيزِ بن عمر بن عبد العزيز [١] ، وهو من مُخضرمي

١ راجع فوق ، ص ١٠٨ .

الدولة الأُمويّة والدولة العبّاسيّة قبل رابعةَ . والأصفهاني صاحب الاغاني قد تُوفّيَ سنة ٣٥٦ للهجرة قبل أبي طالبٍ المكّي ، أقدمِ من علِمْنا أنه روى هذه الأبياتِ لرابعةَ ، بثلاثين سنة .

٣ – المختار من آثارها :

– من أقوال رابعة العدوية في أول الليل ثم في آخره :

إلـهي أنارت النجومُ ونامتِ العيون وغلّقتِ الملوكُ أبوابَها وخلا كلُّ حبيب بحبيبه ، وهذا مُقامي بين يديك . – إلـهي ! هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شِعري أقبلْتَ منّي ليلتي فأهنأَ ، أم رددتها علي فأعزّى [1] ؟ فوَعِزّتِكَ ، هذا دأبي ما أحييْتَني وأعنتني . وعزّتك ، لو طردتني عن بابك ما برِحت عنه لِمَا وقع في قلبي من محبّتك .

– ويُروى لرابعة :

إنّي جعلتُك في الفؤاد مُحدِّثي ، وأبَحْتُ جسمي من أراد جُلوسي .
فالجسم منّي للجليس مؤانسٌ ، وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي .

٤ – ** شهيدة العشق الالـهي رابعة العدوية ، تأليف عبد الرحمن بدوي (دراسات إسلامية ٨) ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ، بلا تاريخ .

رابعة العدوية والحياة الروحية في الإسلام ، تأليف طه عبد الباقي سرور ، القاهرة ، الطبعة الثالثة (دار الفكر العربي) ١٩٥٧ م .

وفيات الاعيان ١ : ٣٢٣ – ٣٢٥ ؛ شذرات الذهب ١ : ١٩٣ .

مروان بن أبي حَفْصَةَ

١ – كان يزيدُ أبو حفصة يهودياً من سَبْيِ إصْطَخْرَ اشتراه عثمانُ بن عفّان ووهبه لمروانَ بنِ الحَكَم . وشهِدَ يزيدُ يومَ الدار (يوم مقتل عثمانَ) معَ مروان ودفع عن مروانَ القتلَ فأعتقه مروانُ ونزل له عن أم ولدٍ له

---

[1] عزي يعزى (من وزن رضي يرضى) : تعزى وتأسى .

يقال لها سُكَّر ، ولمروان منها بنت اسمها حفصة . فتزوج يزيد سكرَ وحضن حفصة وتكنّى بها : يزيد أبا حفصة . وكذلك شَهِدَ يزيد أبو حفصة مَعَ مروان ابن الحكم معركة الجمل .

ثمّ إن يزيد أبا حفصة تزوج لحناء بنت ميمون من ولد النابغةِ الجَعْدي ، ومن بني عامر بن حنيفة ، من أهل العَرض باليمامة ، وذلك في إحدى رِحْلاته إلى اليمامة في وِلاية مروانَ بن الحكم على اليمامة للمرة الثانية (٥٦ — ٥٧ هـ) ورُزِقَ منها يحيى فمحمداً فعبدَ الله فعبدَ العزيز . وكان يحيى جواداً مُمَدَّحاً وشاعراً مكثراً هنـأ الوليدَ بن عبد الملك بالخلافة وعزّاه بأبيه (٨٦ هـ ، ٧٠٥ م) . وتزوج يحيى بنتاً لزيادِ بن هَوْذَةَ بن شمّاس من بني لُؤيّ بن أنفِ الناقة ورزق منها سليمانَ وعُمَرَ وجميلاً . ويبدو أن يحيى بن أبي حفصة قد غادر الشام ، بعد أن اضطرب حال بني أمية ، ورَجَعَ إلى اليمامة . وفي الجفر دعا يحيى أبناءه وزوجهم بفتيات من نسل قيسِ بن عاصمِ المشهورِ ، فتزوج سليمان خَوْلَةَ بنت مقاتل بن طِلبة ، طلبة بن قيسٍ بن عاصم .

وفي ربيعِ الأوّلِ من سنة ١٠٥ هـ (مطلعَ الخريف من عام ٧٢٣ م) وُلِدَ ابو السِمط ، قيل أبو الهندام مروان بن سليمان المشهور باسم مروان بن أبي حفصة في اليمامة في الاغلب وشبّ ناصبياً يكره آل البيت ؛ وكان بخيلاً يرتدي ثياباً غليظة رخيصة ويقتّر في طعامه وأسباب معيشته . ويبدو أن مروان لم يَقُلِ الشعرَ باكراً لأنه كان لا يجد جرأة من نفسه على ذلك ، فذكروا أنه وقف في إحدى جيئاته إلى البصرة على يونس بن حبيب (٩٠ — ١٨٢ هـ) وقال له : « قد قلت شعراً (أحبّ أن) أعرِضه عليك ، فان كان جيداً أظهرته ، وان كان رديئاً سترته » . (ثم) أنشده قوله : طَرَقَتْكَ زائرة فحيِّ خَيالَها ! فقال له يونس : « يا هذا، اذهَبْ فأظْهِرْ هذا الشعر ، فأنت ، والله ، فيه أشعر من الاعشى في قوله : رَحلَتْ سُمَيّةُ غَدْوَةً أجمالَها » .

ولم يأتِ مروان بن أبي حفصة إلى بغدادَ قبل سنة ١٥٩ هـ (٧٧٥ م) ، بعد أن تولّى المَهْدِيّ الخلافة . وانقطع مروانُ إلى المهديّ ثم إلى هارونَ الرشيدِ يمدحهما . واتخذه الرشيدُ شاعر بلاط للمواقف الرسمية ولمرافقتـه في الغَزَوات ؛ فلقد كان الرشيد لا يرضى عن سلوك أبي نواس في العلن فاختصـه بمجالس أنسه ولَهْوه وأبعده عن مجالسه العامة .

وفي ربيع الاول من سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨ م) اغتيل مروان بن أبي حفصة، قيل لأنه تعرّض للعلويّين بشيء من الهجاء.

٢ – مروان ابن أبي حفصة شاعرٌ مُكثر من الشعراء المُجيدين والفحول المتقدمين المُحكّكين للشعر على مذهب زهيرِ بن أبي سُلْمى، وشعرُه كله جيد، وعلى الاسلوب القديم. وقَصَرَ مروانُ شعره على المديح والرثاء وعلى عدد من الاغراض الوجدانية، وكان لا يمدح إلا الخلفاء والوزراء؛ وتُستَحسن مدائحه ومراثيه في مَعْنِ بنِ زائدةَ الشيبانيّ والي اليمنِ للعباسيين (١٤٠ – ١٥٣ هـ). وكان الاصمعي يقول: «كان مروانُ مُوَلّداً لا علمَ له باللغة» (غ ٩ : ٤٢).

وكان مروانُ بن أبي حفصة مشهوراً بالمَيْل عن العلويّين مُعرِّضاً بهم في شِعره لا يرى لهم حقّاً في الخلافة، فلمّا قال:

أنّى يكونُ؟ وليس ذاك بكائنٍ : لبني البناتِ وِراثةُ الأعمام،

هجاه عليُّ بن الجَهْم هجاء مُقْذعاً قلّد فيه الحُطيئة (العمدة ١ : ٦٣).

٣ – المختار من شعره:

– قال مروانُ بنُ أبي حفصة يمدح المهدي:

طَرَقَتْكَ زائرةٌ، فحيِّ خيالَها، بيضاءُ تَخْلِطُ بالجَمال دَلالَها،
قادَتْ فُؤادَك فٱستقادَ، ومثلُها قاد القلوبَ إلى الصِبا فأمالها [١].
أحيا أميرُ المؤمنين محمدٌ سُنَنَ النبيِّ حَرامَها وحلالَها [٢].
مَلِكٌ تفرّع نَبْعَةً من هاشمٍ؛ مدّ الالَهُ على الأنام ظِلالَها.
كِلْتا يديه جعلتَ فضلَ نَوالِها للمسلمين، وللعدوّ وَبالَها [٣].
هل تَطْمِسون من السماء نجومَها بأكفّكُمْ، أم تَحْجِبون هِلالَها؟
أم تَجْحَدون مقالة عن ربّكم جبريلُ بلّغها النبيّ فقالَها!

---

١ استقاد: انقاد، استجاب.
٢ .... – اتبع حلالها وتجنب حرامها.
٣ الوبال: الهلاك.

شَهِدَتْ من الأنفالِ آخرُ آيةٍ ... بتُراثِهم فأردتّمو إبطالها [1] .

— وقال يرثي مَعْنَ بنَ زائدةَ :

مضى لسبيله مَعْنٌ وأبقى ... مَكارمَ لن تَبيدَ ولن تُنالا .
كأنَّ الشمسَ ، يومَ أصيبَ معنٌ ، ... من الإظلام مُلْبَسَةٌ جِلالا .
هو الجبلُ الذي كانت نِزارٌ ... تَهُدّ من العدوّ به جِبالا .
تعطّلتِ الثغورُ لفَقْدِ معنٍ ، ... وقد يَرْوي بها الأسل الطوالا [2] ،
وظلّ الشامُ يَرْجُفُ جانباه ... لِرُكْنِ العزّ حين وَهَى ومالا ؛
وكادت من تِهامةَ كلّ أرضٍ ، ... ومن نجد ، تزول غَداةَ زالا .
فإنْ يَعْلُ البلادَ له خشوعٌ ، ... فقد كانتْ تطول به اختيالا .
وكان الناسُ كلّهُمُ لمعنٍ ، ... إلى أن زارَ حُفرَتَه ، عِيالا !
ولم يك طالبٌ للعُرْفِ [3] يَنْوي ... إلى غيرِ ابنِ زائدةَ ارتحالا .
مضى مَنْ كان يَحْمِلُ كلّ ثِقْلٍ ، ... ويَسْبِقُ فيضُ نائلِه السُؤالا .
وما عَمَدَ [4] الوفودُ لمثل معن ، ... ولا حلّوا بساحته الرحالا ،
ولا بلغتْ أكفّ ذَوي العطايا ... يميناً من يديه ولا شِمالا !

٤ — ** طبقات ابن المعتزّ ٤٢ — ٥٤ ؛ الاغاني ١٠ : ٧٠ — ٩٥ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ١٤٢ — ١٤٥ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٥٢٣ — ٥٢٦ ؛ شذرات الذهب ١ : ٣٠١ — ٣٠٢ ؛ بروكلمان ١ : ٧٣ ، الملحق ١ : ١١٢ — ١١٣ ؛ زيدان ٢ : ٨٥ — ٨٧ .

يونس بن حَبيب

١ — هو أبو عبد الرحمن يونسُ بن حبيبٍ الضَبّيُّ مولى ضبّةَ أو مولى بني ليثِ بن بكر بن عبد مَناف بن كِنانة ، وقيل على التخصيص مولى بِلال

---

١ التراث (هنا : الخلافة) . وفي آخر آية من سورة الانفال (٨ : ٧٥) : « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ، يقصد (الشاعر) أن بني العباس أقرب نسباً إلى الرسول (من بني أمية او بني علي !) فهم أحق بالارث منه (بالخلافة) .

٢ — بطل الغزو إلى الثغور (التخوم ، للدفاع عن البلاد الاسلامية) ... وكان (معن) يذهب اليها بالرماح الطوال (وينتصر على العدو) .

٣ العرف : المعروف (النوال ، العطاء) .

٤ عمد : قصد .

بن هَرَمِيّ أحد بني ضُبيعة بن بَجالة .

وُلد يونس بن حبيب بين سنة ٨٠ و سنة ٩٠ ه (٦٩٩ – ٧٠٨ م) في بُليدة اسمها الجَبّول أو جُبّل على نهر دِجلةَ بين بغداد وواسط .

أخذ يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء والأخفش الكبير ، ثم كانت له حَلْقة في البصرة يختلف اليها الأدباء وفصحاء العرب وأهل البادية . ولم يتزوّج يونس ولا تَسرّى (وفيات ٣ : ٥٤٦) . وقد أسنّ كثيراً ، وكانت وفاته سنة ١٨٢ ه (٧٨٩ م) .

٢ – كان يونس بن حبيب إمامَ نُحاةِ البصرة في عصرِه عالماً بالشعر نافذَ البصر في تَمييز جيّدِه من رديئه عارفاً بطَبَقات الشعراء حافظاً لأشعارهم وللنوادرِ من ألفاظِ اللغة وللأمثال ، إلاّ أن النحوَ كان عليه أغلبَ ؛ وكان يُملي كلّ ذلك من حفظهِ فقطْ (لايستعينُ بكتاب) . وكان فوق ذلك جيدَ قِراءة القُرآنِ عارفاً بالحديث . ولقد كانت له في اللغة والنحو مذاهبُ وأقيسةٌ ينفرد بها ؛ وأحكامُه في الشعراء مشهورةٌ . وليونسَ بن حبيب كتب منها : كتابُ معاني القرآن الكبيرُ ، كتابُ معاني القرآن الصغيرُ ، كتاب اللغات ، كتاب النوادر وكتاب الامثال .

٣ – **عدد من أقواله** (من البيان والتبيين) :

– لولا شعرُ الفرزدقِ لذهبَ نصفُ أخبار الناس (١ : ٣٢١) .

– سئل عن أشعر الناس فقال :

لا أُومِئُ إلى رجلٍ بعينهِ ، ولكنّي أقول : امرُؤُ القيسِ إذا رَكِبَ ، والنابغةُ إذا رَهِبَ ، وزهيرٌ إذا رغِبَ ، والأعشى إذا طَرِبَ .

– ليس لعَيِيٍّ مُروءةٌ ، ولا لمنقوصِ البيانِ بهاءٌ ، ولو حَكّ يافوخُه أعنانَ السماء .

٤ – ** الفهرست ٤٢ ؛ طبقات الزبيدي ٤٨ – ٥٠ ؛ معجم الأدباء ٢٠ : ٦٤ – ٦٨ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٥٤٥ – ٥٤٨ ؛ بغية الوعاة ٤٢٦ ؛ شذرات الذهب ١ : ٣٠١ ؛ بروكلمان ١ : ٩٧ – ٩٨ ، الملحق ١ : ١٥٨ .

سلم الخاسر

١ ـ هو سَلْمُ بن عمرِو بن حمّاد بن عطاء البصريّ مَوْلى بني تَيْم بن مُرّة . كان سَلْمٌ مزّاحاً لطيفاً وماجناً متظاهراً بالخلاعة والفِسق والمُجون . وقد سُمّيَ الخاسرَ لأنه كان قد وَرِثَ عن أبيه مُصْحَفاً فباعه واشترى به طُنبوراً؛ وقيل اشترى به دفترَ شعرٍ .

كان سلمٌ الخاسرُ تلميذاً لبشّارٍ فبرعَ في الشعرِ براعةً حَمَلَتْ بشاراً على حَسَده . فلما قال بشّارٌ :

مَنْ راقبَ الناسَ لم يظفرْ بحاجتـهِ ؛ وفاز بالطيّبات الفاتِكُ اللّهِجُ ،

ثم قال سلمٌ :

مَنْ راقبَ الناسَ مات غمّاً ؛ وفاز باللّذةِ الجَسورْ .

غَضِبَ بشارٌ وقال : أخذَ سلمٌ مَعانِيَّ التي تَعِبْتَ فيها فكساها ألفاظاً أرقَّ من ألفاظي ، وسَيُنْسى بيتي ويسيرُ بيتُه . ثم قَطَعَهُ (رفض أن يتابع تخريجَه في الشعر) . ولكنّ الادباءَ ما زالوا يَسْتَرضُونَ بشاراً على سَلْمٍ حتى رَضِيَ بشارٌ .

وكان سَلْمٌ في أول أمرِه صديقاً لأبي العَتاهية ثم تَهاجيَا . وكذلك كان بَيْنَه وبينَ مَروانَ بنِ أبي حَفصةَ شيءٌ من المُشادّةِ سَبَبُها أُعطيـاتُ الخلفاءِ لمَروانَ . ثم نال سَلمٌ على شعرِه مرّةً ثمانينَ ألفَ درهمٍ فجعل يفتخر بذلك على مروانَ (العمدة ١ : ٦٨) .

تكسّب سلمٌ بالشعر منذ أيام المنصور (ت ١٥٨ هـ) ثم مدح المَهْدِيَّ والهادِيَ . وبعدئذ انقطعَ إلى الرشيدِ والبرامكة .

وكانت وفاةُ سَلْمٍ بن عمرِو الخاسِر سَنَةَ ١٨٦ هـ (٨٠٢ م) قبل أن تتَقدّم به السِنّ ، فيما يبدو .

٢ ـ سلمُ بن عمرِو الخاسرُ شاعرٌ مُكثرٌ مُجيد ؛ وهو أحدُ المطبوعين المُحسنين كثيرُ البدائعِ والروائعِ في شعرِه ، عارفاً بالشعر ونقدِه . أما فنون شعرِه فهي الفخر والمدح والهجاء والوصف والادب والخمر ، وله وصف في الحِصان (كتاب الورقة ١٠٨) . وله شعر على حرفين (قصير التفاعيل) مدح

به الهاديَ أوّله :

موسى المَطَــرْ غَيْثٌ بَكَــرْ
ثُمَّ انهَمَــرْ ألْوَى المِرَرْ .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ بويع الهادي بالخلافة وهو بجُرجان ، فدخل عليه سلم الخاسر يمدحه :

لمّا أتتْ خيرَ بني هاشمٍ خِلافةُ اللهِ بجُرجانِ ،
شَمّرَ للحزمِ سرابيلَه برأيِ لا غَمْرٍ ولا واني [1] .
لم يُدْخِلِ الشورى على رأيه ؛ **والحَزْمُ لا يُمْضيه رأيان !**

ـ وقال يمدح يحيى بن خالد البرمكي :

وفتىً خلا من مالهِ ، ومن المُروءة غيرُ خالِ .
وإذا وَأى لك موعداً كان الفِعالُ معَ المَقال [2] .
للهِ درّك من فتىً : كافيك من كرَم الخِلالِ !
أعطاكَ قبلَ سؤالِه فكفاكَ مكروهَ السؤال .

ـ وقال يهجو أبا العتاهيةِ الشاعر :

ما أقبحَ التزهيدَ من شاعرٍ يُزهّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ .
لو كان في تزهيدِه صادقاً أضحى وأمسى بيتَه المسجد ،
ورفض الدنيا ولم يَلْقَها ، ولم يكن يسعى ويَسْترفِد .
(قد) خاف أن تنفدَ أرزاقُه ؛ **والرزقُ عند الله لا يَنْفَد :**
الرزقُ مقسومٌ على من ترى ينالُه الابيض والأسود .
كلٌّ يُوَفّى رِزقَه كاملاً : من كفّ عن جَهْدٍ ومن يَجْهَد !

٤ ـ ** الاغاني ٢١ : ٧٣ ـ ٨٤ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٩٩ ـ ١٠٦ ؛ تاريخ بغداد ٩ : ١٣٦ ـ ١٤٠ ؛ معجم الادباء ١١ : ٢٣٦ ـ ٢٤١ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ، بروكلمان ، الملحق ١ : ١١٣ ؛ زيدان ٨٧ ـ ٨٨ .

---

١ الغمر : الغر الجاهل الذي لا تجارب له . الواني : التعب الضعيف .
٢ وأي : وعد .

الكِسائيّ الكبير

١ ـ هو أبو الحسن عليّ بن حَمزةَ بن عبد الله بن بَهْمَنَ بن فيروزَ المعروف بالكِسائي [١] ، كان من أهل الكوفة فقرأ على أبي مسلم مُعاذ بن مُسلم الهرّاء وعلى الرؤاسي الكوفيَّيْنِ ، ثم جاء إلى البصرة فسمع من الخليل بن أحمد ، فنصحه الخليل بالتبدّي فقضى وقتاً طويلاً في بادية بغدادَ عند أعراب الحُطَمِيّة (ولم يكونوا في الطبقة العالية من الفصاحة) . ولمّا عاد الكسائي إلى البصرة كان الخليل قد مات وجلس للإملاء مكانه يونس بن حبيب . وتلقّى الكسائي قراءة القرآن على حَمزة الزيّات (ت ١٥٦ هـ ، ٧٧٣ م) ثم اختار لنفسه قراءةً .

وقَدِمَ الكسائي إلى بغداد في أيام المَهْدِيّ (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ) فكان يقرأ القرآن في شهر رمَضانَ في قصر الخليفة . ثم أدّب (علّم) الأمين والمأمون ابني هرون الرشيد . واصطحبه الرشيد في إحدى رِحْلاته إلى خُراسان ، سنة ١٨٩ هـ (٨٠٥ م) فتوفّي في بلدة يقال لها رنبويه قُربَ الريّ .

٢ ـ الكِسائيّ أحدُ القُرّاء السبعةِ . وكان إماماً في اللغة والنحو ، إلا أنه بالغ في القِياس ، إذ «كان يسمع الشاذّ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعرِ غير أهل الفصاحة والضروراتِ فيجعل ذلك أصْلاً ويَقيس عليه حتّى أفسد النحو» في رأي بعضهم (معجم الادباء ١٣ : ١٨٣) . وله شعر قليل .

والكسائي مصنّف له : ما تشابه من ألفاظ القرآن وتناظر من كلمات الفرقان (لعلّه كتاب المتشابه في القرآن وكتاب المتشابهات) ـ كتاب لحن العامّة ـ كتاب القراءات ـ كتاب مقطوع القرآن وموصوله ـ كتاب النوادر الكبير ـ كتاب أشعار المعاياة وطرائقها ـ كتاب مختصر في النحو .

٤ ـ كتاب لحن العامّة (في «ثلاث رسائل» ، حرّرها عبد العزيز الميمني) ، القاهرة ١٣٣٤ هـ .

** الفهرست ٢٩ ـ ٣٠ ، ٦٥ ـ ٦٦ ؛ طبقات الزبيدي ١٣٨ ـ ١٤٢ ؛ تاريخ بغداد ١١ : ٤٠٣ ـ ٤١٥ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ١٦٧ ـ ٢٠٣ ؛

---

١ الكسائي الكبير تمييزاً له من الكسائي الصغير محمد بن يحيى (راجع معجم الأدباء ١٣ : ١٦٨) .

وفيات الاعيان ٢ : ٣ ـ ٥ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٢٥٦ ـ ٢٧٤ ؛ بغية الوعاة ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ؛ شذرات الذهب ١ : ٣٢١ ـ ٣٢٤ ؛ اعيان الشيعة ٤١ : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ؛ بروكلمان ١ : ١١٧ ـ ١١٨ ، الملحق ١ : ١٧٧ ـ ١٧٨ ؛ زيدان ٢ : ١٣٤ .

المُؤمَّل بن أُمَيْلٍ

١ ـ كان المُؤمَّلُ بن أُمَيْلٍ بن أسد المحاربي ، ويقال له البارد [١] ، ابنَ عمٍّ مروانَ بن أبي حفصة ، من أهل الكوفة ومن الجنود المرتزقة عند بني العباس ، انقطع حيناً إلى جعفرِ بن سُليمانَ بن علي والي المدينة (١٤٦ ـ ١٥٠ هـ) ، ثم وفد على المَهْديِّ ـ وهو أميرٌ ـ بالرَّيِّ ومدحه فأعطاه المَهْديّ عشرينَ ألفَ درهمٍ . ولكن المنصور استكثر المبلغ فاستَرد منه ستة عشر ألفاً . فلما وَلِيَ المَهديّ الخلافة رد إلى المؤمل ما كان المنصور قد استَرده منه وزاده عشرين ألفاً جديدة . ثم انقطع المؤمل إلى المَهديّ .

وعاش المؤمّل طويلاً ثم عَمِيَ في آخرِ أيامه وأصبحَ نحيفاً أصفرَ . وكانت وفاته في حدود سنة ١٩٠ هـ (٨٠٥ م) .

٢ ـ المؤمل شاعر وَسَطٌ غَزِلٌ لطيف ، على شِعره شيء من الطّبع وفيه شيء من اللين . وكان يهوى امرأة في الحِيرة اسمُها هند تَدَلّه بحُبّها وأكثر فيها قول الشعر حتى لُقِّبَ قتيلَ الهوى . وأشهر شِعره المدح والنسيب . ولما مات الخليفة المَهْدِيّ دخلَ المؤمّل بن أميلٍ مسجدَ الكوفة ثم رفع صوته منْشداً : « مات الخليفةُ ، أيّها الثقلان ! » فقال نَفَرٌ من الأدباء : هذا أشعر الناس : نَعَى الخليفةَ إلى الجن والإنس في نصف بيتٍ . فلما أتمَّ البيت : « فكأنني أفطرتُ في رَمَضانِ » ضحك الناس لغثاثة الشطر الثاني [٢] .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ وفد المؤمّل على الأمير المَهْدي ، وهو في الري ، قَبْلَ أن يَلِيَ المَهديّ الخلافةَ ، وأنشده مديحاً جاء فيه :

---

١ معجم الشعراء ٢٩٨ .

٢ راجع الموشح ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

هوَ المهديّ ، إلاّ أن فيه مَشابِهَ صورةِ القمرِ المنيرِ [1] .
تَشابَهَ ذا وذا ، فهُما إذا ما أنارا مُشْكلانِ على البصير [2] :
فهذا في الظلام سِراجُ ليلٍ ؛ وهذا في النهار ضِياء نور .

— ومن جيد قوله في النسيب :

حلَمْتُ بكم في نَوْمَتي فغَضِبْتُمُ ؛ ولا ذنبَ لي إنْ كنت في النوم أحلُمُ .
سأطرُدُ عنّي النومَ كيلا أراكمُ ، إذا ما أتاني النوم والناسُ نُوّم .
تُصارِمني ، واللهُ يعلمُ أنني أبَرُّ بها من والدَيها وأرحم .
وقد زعموا لي أنها نَذَرَتْ دَمي ؛ وما لي — بحمدِ الله — لحمٌ ولا دم .
بَرَى حُبُّها لحمي ولم يُبْقِ لي دماً ، وإنْ زعموا أني صحيح مُسَلَّم .
فلمْ أرَ مثل الحُبّ صحّ سَقيمه ، ولا مِثلَ من لم يَعْرِفِ الحُبّ يَسْقَم .
ستقتُلُ جِلْداً بالياً فوقَ أعْظُمٍ ، وليس يُبالي القتلَ جِلْدٌ وأعظم !

٤ — ** الاغاني ١٩ : ١٤٧ — ١٥٠ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ١٧٧ — ١٨٠ ؛ معجم الادباء ١٩ : ١٠١ — ٢٠٤ .

منصورٌ النَمَريّ

١ — هو ابو الفضل أو أبو القاسم منصورُ بن سَلَمَةَ بن الزِبرقان من بني سعد بن الخَزرج بن تَيْم الله بن النَمِر بن قاسطٍ من بني أسدِ بن ربيعةَ ابن نِزارٍ ، كان مولده ومنشأه ومسكنه في بلدة رأس العين في جزيرة ابن عُمَرَ في شَمالِيّ الشام .

كان منصور النَمَريّ تلميذَ كُلثومِ بن عمرٍو العتّابي في الشعر وراويته . وقد وصله العتّابي بالفضلِ بن يحيى البرمكي ، فوصله يحيى بالرشيد فحَظِيَ عند الرشيد . ومعَ أن النمريّ كان يتشيّعَ ويدين بالإمامة سِرّاً ، فانه اضطرّ في

[1] مشابه جمع شبه (بفتح ففتح أو بكسر وسكون) وشبيه . هو المهدي (إنسان) ولكن فيه أوجهاً من الشبه بالقمر .

[2] أشبه كل واحد منها الآخر ... فصعب التمييز بينهما حتى على الخبير في الأمور .

سبيل التكسب من الرشيد إلى أن يَنْحُوَ نحوَ مروانَ بن أبي حَفصةَ في تفضيل آل العباس على آل عليّ من غير أن يُصَرِّحَ بهجائهم .

ثم ساء ما بين العتابي ومنصورٍ النَمَريّ فتقاطعا وتهاجيا . بعدئذٍ غضب الرشيد على منصورٍ لمّا صحّ عنده أنّ منصوراً يَحُثّ العلويين بشعرِه على الخروج عليه وأرسل إلى رأس العين من يقتلُه ، ولكنْ وَجَدَهُ قد توفي . وكانت وفاته بعد نكبة البرامكة في وزارة الفضل بن الربيع للرشيد (١٨٧ – ١٩٣ هـ ، ٨٠٣ – ٨٠٨ م) .

٢ – منصورٌ النَمَريّ من فحول الشعراء المُحْدَثين أخذ عن أستاذه العَتّابيّ شيئاً من تكلّف البديع [١] ، كما كان كثير الرواية عن سُديف بن ميمون [٢] . وله الشعر الجَزْل السهل المُطْمِع المُمْتِع القريب الممكن المتعذّر (على غيره) ، وشِعرُه جيّدٌ كلّه [٣] ؛ وهو بطيءُ النظمِ ينقّح شِعرَه [٤] . وفنونُ شعره المديحُ والهجاء والغزل والوصف ؛ وأشعاره في آلِ رسولِ الله كثيرةٌ جِيادٌ ، وقد أجادَ وصفَ الشيب والنهود والسيف .

٣ – المختار من شعره :

– قال منصور النمري يمدح هرونَ الرشيدَ :

ما تنقضي حَسْرةٌ مني ولا جَـزَعُ إذا ذَكرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ .
أودَى الشبابُ ، وفاتَتْني بشِرّتـه صُروفُ دهرٍ وأيامٌ لها خِـدَعَ .
ما كنت أُوفي شبابي كُنْهَ غُرّتـه حتى انقضى ، فإذا الدنيا له تَبَع .
ان كنتِ لم تَطْعَمي ثُكلَ الشبابِ ولم تَشْجَيْ بغُصّتِه فالعذرُ لا يَقَعُ .
يا ابنَ الأئمّة ، من بعد النبيّ ، ويا ابـ نَ الأوصياء – أقرّ الناسُ أمْ دفعوا –
إن الخلافةَ كانت إرثَ والدِكـم من دون تَيْمٍ وعفوُ الله مُتّسِع .
وما لآلِ عليٍّ في إمارتِكـم حقٌّ ، وما لهمُ في إرثِكم طمع .

---

١ راجع البيان والتبيين ١ : ٥١ .
٢ طبقات ابن المعتز ٤٢ . راجع «سديف بن ميمون» ، فوق ، ص ٦٥ – ٦٧ .
٣ ديوان المعاني ١ : ٥٨ ، ٥٩ ، ٢ : ١٥٦ .
٤ راجع الموشح ٢٥٦ .

العمَّ أولى من ابْنِ العمِّ ، فاستمعـوا قولَ النصيـحِ ، فان الحقَّ يُسْتمع !

– قال ابن المعتزّ (طبقات ٢٤٧) : «وميميّته في المأمون ، وهو وليّ عهد ، عجيبة ؛ ومطلعها :

لَعَلَّ لها عُذراً وأنتَ تلومُ ، وكم لائمٍ قد لامَ وهو مُليم [١] .

٤ – ** طبقات ابن المعتزّ ٢٤٢ – ٢٤٨ ؛ الاغاني ١٣ : ١٤٠ – ١٥٧ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٦٥ – ٦٩ ؛ زيدان ٢ : ٨٨ – ٨٩ .

العبّاس بن الاحنف

١ – هو أبو الفضلِ العبّاسُ بنُ الأحنفِ بنِ الأسود بن طَلْحةَ مـن بني عَديّ بن حَنيفةَ ، وقيل من بني الدُؤَل بن حنيفة . وذكر هو أن نسبه متصل ، من جِهةِ بعض أمهاته (جَدّاته) ، بهَوْذَةَ بن عليٍّ الحَنَفي الذي مدحه الأعشى في الجاهلية .

وأصلُ بني حنيفةَ قومُ العبّاسِ من اليمامة من الذين كانوا قد نَزَحوا إلى خُراسانَ . ولكن يبدو أن العبّاس وُلِدَ ونشأ في بغدادَ . وكان العباسُ بن الاحنف جميلاً مقبولاً فصيحَ اللسانِ ظريفَ الحديثِ ظاهرَ النِعمة مُلوكيَّ المذهبِ يأخذُ في التَرَفِ في الحياة . ولم يكن خليعاً برُغْم أنه صَحِبَ نَفَراً من الخُلَعاء . ومَع ذلك فإنه كان يتعاطى الفُتُوّةَ على سِترٍ وعِفّة ، وله مع ذلك كَرَمٌ ومحاسنُ أخلاقٍ وفضلٌ في نفسِه . وكان لا يُليقُ (يحفظ ، يدّخِر) دِرهماً ولا يَحْبِسُ ما يَمْلِكُ .

واتصل العباس بن الأحنف بالرشيدِ ونال عندَهُ حَظوةً ، واصطحبه الرشيد في رحلته إلى خُراسان وأذربيجان وأرمينية . وطالت رحلتهما فاشتاق العباس إلى بغداد .

وتُوُفّيَ العباسُ بن الأحنف في بغدادَ سنة ١٩٨ هـ (٨١٤ م) في الأغلبِ ، وعُمْرُهُ نحو ستين سَنةً .

---

١ المليم : الملوم ؛ المذنب .

٢ – كان العباسُ بن الأحنفِ شاعراً مطبوعاً مُجيداً ظريفاً رقيقَ المعاني يتناولُها من قُربٍ ، جزْلَ الألفاظ متينَ التركيب . ولشعرِه ديباجةٌ ورَونقٌ ، ولذلك كثُرَ الغناء فيه . وقصَرَ العباسُ بن الأحنف شعرَه على الغزَل والوصف لم يتجاوَزْهما إلى مدحٍ أو هجاءٍ ولا يتصرّف في شيء من هذه المعاني (معاني المدح والهجاء) . وقد قال الجاحظ فيه ، في هذا الشأن :

« لولا أنّ العباسَ بن الأحنف أحذقُ الناس وأشعرُهم وأوسعُهم كلاماً وخاطراً ما قَدِرَ أن يُكثِرَ شعرَه في مذهبٍ واحد لا يُجاوِزُه ، لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسّب ولا يتصرّف . وما نعلمُ شاعراً (غيره) لَزِمَ فناً واحداً لزومَه فأحسنَ فيه وأكثَرَ .

وكان النُقّادُ يُشبّهون العباسَ بن الأحنف في غزلِه بعمرَ بن أبي ربيعةَ ، إذْ كان كلامُه – ككلامِ عُمَرَ – مُشاكِلاً لكلامِ النساء وموافقاً لطباعِهِنّ . ثم انه كان في غزله هذا غزيرَ الفكر واسعَ الكلام كثير التصرف ، وكان العلماء بالشعر يُقدّمونه على كثيرٍ من المُحْدَثين .

وأشار غرونباوم إلى أثر شعر العباس بن الأحنف في شعر الشعراء التروبادور [١] .

٣ – المختار من شعره :

– قال العباس بن الأحنف في الوفاء في الهوى :

إنّ الهوى لو كان ينْـ ـفُذُ فيه حُكْمي أو قضائي
لَطَلَبْتُهُ وجمعتُـه من كلِّ أرضٍ أو سماء ،
فقَسَمْتُه بيني وبَيْـ ـنَ حبيبِ نفسي بالسَواء .
فنعيشُ ، ما عِشْنا ، على مَحْضِ المَودّةِ والصفاء .
حتّى إذا مِتْنا جميـ ـعاً ، والأمورُ إلى انْقِضاء ،

---

١ دراسات في الأدب العربي ٢٠٧ وما بعدها .
الواضح اليوم أن الشعر العربي المشرقي والاندلسي كان الأساس الذي قام عليه شعر التروبادور الذين نشأوا في جنوب فرنسة ونظموا شعراً كان الأصل للشعر الحديث في اللغات الأوروبية الحديثة .
راجع Abbâs ibn al Ahnaf ..., von Joseph Hell (Islamica, 1926, SS . 271 - 307) ; Hispano - Arabic Poetry , by A . R . Nykl , Baltimre 1946 .

مات الهوى من بعدنا أو عاش في أهل الوفاء !

– وله في فوز التي كان يتغزّل بها (ولعلّها من عمل خياله) :

يا فوزُ يا مُنْيَةَ عبّاسِ ، قلبي يُفَدّي قلبَكِ القاسي !
أسأتُ إذ أحسنتُ ظنّاً بِكُمْ ؛ والحزمُ سوء الظنّ بالناس .
يُقْلِقُني الشوقُ فآتيكُمُ والقلبُ مملوء من الياس .
أعطيتُ قلبي فيكُمُ سُؤْلَهُ فعاد إعطائي على راسي .

– وقال في نميمة الدمع :

لا جزى اللهُ دمعَ عينيَ خيراً ، وجزى اللهُ كلَّ خيرٍ لساني .
نمّ دمعي فليس يَكْتُمُ شيئاً ، ووجدتُ اللسانَ ذا كِتْمانِ .
كُنْتُ مثلَ الكتابِ أخفاهُ طيٌّ فاستدلّوا عليه بالعُنْوانِ .

– وقال العباس بن الأحنف وهو يُحْتَضَر :

يا غريبَ الدارِ عن وطنهْ – مُفْرَداً يبكي على شَجَنِهْ .
شَفَّهُ ما شَفَّني فبكى ، كُلُّنا يبكي على سَكَنِهْ[1] .
ولقد زادَ الفؤادَ شجاً طائرٌ يبكي على فَنَنِهْ .
كُلَّما جَدَّ البكاءُ به دبّتِ الأسقامُ في بَدَنِهْ .

٤ – ديوان العبّاس بن الأحنف ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ ؛ (نشرته عاتكة الخزرجي) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٤ م .

شرح ديوان العبّاس بن الأحنف شاعر الحبّ والفتنة والجمال (عبد المجيد الملاّ) ، بغداد (المكتبة العربية) ١٩٤٧ م .

** العشاق الثلاثة : جميل وكثيّر عزّة وابن الأحنف ، تأليف زكيّ مبارك ، القاهرة ١٩٤٥ م .

الاغاني ٨ : ٢٥٢ – ٢٧٢ ، ١٥ ، ٤١ وما بعده ، ٢١٠ : ٢٤٧ وما بعده ؛
تاريخ بغداد ١٢ : ١٢٧ – ١٣٣ ؛ معجم الادباء ١٢ : ٤٠ – ٤٤ ؛
وفيات الأعيان ١ : ٤٣٨ – ٤٤٠ ؛ شذرات الذهب ١ : ٣٣٤ ؛
بروكلمان ١ : ٧٣ ، الملحق ١ : ١١٤ ؛ زيدان ٢ : ١٠٢ ؛
طبقات ابن المعتزّ ٢٥٤ – ٢٥٧ ؛
Enc. Isl. (new ed.) I 9 - 10

---

[1] السكن ما يسكن ، أي يطمئن ، الإنسان اليه ، وتقال على الزوجة وعلى الوطن .

أشجعُ السُلَميّ

١ – كان عمرٌو السُلَمي والدُ أشجعَ ذاَ مالٍ من أهل البصرة فعَلِقَ امرأةً من أهل اليمامة فتزوّجها وذهب معَها ليعيشا في اليمامة ؛ وفي اليمامة وُلِدَ أشجعُ . ثم مات عمرٌو فانتقلت أم أشجعَ بابنها إلى البصرة ليعيشا في مال عمرٍو . وتُوُفّيَتْ أم أشجعَ وشيكاً في البصرة فنشأ أشجع يتيماً ، ولكن استطاع أن يتأدّبَ على نفَرٍ من أعلام البصرة . وأراد أشجعُ أن يتكسبَ بالشعر فاتّصل ، أولَ ما اتصل (غ ١٧ : ٤٠) ، بجعفرِ بن المنصور حينما كان والياً على البصرة ، في الأغلب ، في أيام الرشيد . ثم وفد أشجعُ إلى الرقّة ، حيثُ كان الرشيد يقضي الصيفَ ، واتصل بجعفرٍ البرمكيّ ، فوصله جعفرٌ بالرشيدِ فأصبح من مُدّاح الرشيد ونُدْمانه . غير أنه انقطع إلى جعفرٍ خاصةً فولاّه جعفرٌ عملاً (في الدولة) . ولكن يبدو أن أشجعَ كان شديداً على الناس فتظلّموا منه فصرفه جعفرٌ عن ذلك العمل . ولم يستقرَّ أشجعُ في بغدادَ ، بل كان يتردد بينها وبين البصرة . وفي الاغاني (١٧ : ٣٦) أنّ أشجعَ مدح جعفراً لما تولّى خُراسانَ ؛ ونحن نعلم أن جعفراً تولى خراسان عِشرين يوماً من أيام سنة ١٨٠ هـ (٧٩٦ م) ثم كانت نكبة البرامكة .

وفي سنة ١٩٢ هـ (٨٠٦ م) غزا هرونُ الرشيدُ بلادَ الروم واستولى على هِرَقْلَةَ وطُوانة وفرض على الامبراطور نَقْفورَ الاول غَرامةً باهظةً ثم عاد إلى قصره في الرقة . في هذه الاثناء وفَدَ أشجعُ على الرقّة ومدح الرشيدَ . وفي العام التالي تُوُفِّيَ الرشيدُ (جُمادى الثانية ١٩٣ هـ ، آذار – مارس ٨٠٩ م) فرثاه أشجع .

وكانت وفاة أشجعَ السُلمي بين وفاة أخيه أحمدَ ووفاةِ أخيه يزيدَ (غ ١٧ : ٥١) ، ربما سنة ١٩٥ هـ (٨١١ م) .

٢ – كان أشجعُ السُلمي من الفحول ظريفاً سائرَ الشعرِ . وشِعرُه جيّدٌ يجري في اللفظ الجَزْل والتركيب المتين . وهو صاحب بديهةٍ ولا يُطيل . ولكنّه كان أحياناً يُخْلي : أي ربّما مرّت له أبياتٌ مغسولةٌ ليس فيها بيتٌ رائعٌ (العمدة ١ : ١٧٩ ، ٢٥٥) في معناه أو في لفظه (أخبار البحتري ١٧٢ – ١٧٣ ؛ الموشّح ٢٩٥) . أمّا فنونُه فهي المديحُ والرثاء والعتاب والهجاء

والوصف والحكمة والنسيب والغزل . وأكثرُ ما بَقِيَ لنا من شعرِه المدائحُ ، وهي رصينةٌ ، ثم عددٌ من المراثي . والفخر عنده في الأصل قليل .

٣ – المختار من شعره :

– قال أشجع السلمي يمدح جعفر بن يحيى لما تولّى خُراسان بعد مطلع من النسيب البارع :

غداً يتفرّق أهل الهوى ويكثُرُ باكٍ ومُسْترجِعُ [١] .
وتختلف الأرضُ بالظاعنين وُجوهاً تُشَدّ ولا تُجْمَعُ [٢] .
وتَفْنى الطلولُ ، ويبقى الهوى ، ويصنع ذو الشوق ما يصنع .
وأنت تُبَكّي وهم جِيرة ؛ فكيف يكون إذا ودّعوا ؟
أتطمع في العيش بعد الفراق ؟ فبئس – لَعَمْرُك – ما تطمع !
بَديهتُهُ مثلُ تدبيرِه ، متى هِجْتَه فهو مُسْتَجْمِع .
إذا هَمّ بالأمر لم يَثْنِه هُجوعٌ ولا شادنٌ أفْرَع .
ففي كفّه للغنى مطلبٌ ؛ وللسر في صدره موضِع .
وكم قائلٍ إذ رأى بَهْجَتي وما في فُضول الغنى أصنع :
غداً – في ظِلالِ نَدى جعفرٍ – يجرّ ثيابَ الغنى أشْجع !

– ومن مديحه الرائع في هرون الرشيد :

وَصَلَتْ يداك السيفَ يومَ تَقَطّعَتْ أيدي الرجالِ وزلّت الاقدامُ .
وعلى عَدُوِّكَ ، يا ابنَ عمِّ محمدٍ ، رَصَدانِ : ضوءُ الصُبح والإظلام .
فإذا تَنَبّه رُعْتَهُ ، وإذا غَفا سلّتْ عليه سُيوفَكَ الأحلامُ !

– وقال يرثي محمد بن منصور بن زياد :

أنْعَى فَتَى الجود إلى الجودِ ؛ ما مِثلُ مَنْ أنْعَى بموْجودِ !
أنعى فتىً أصبح معروفه مُنتشراً في البيضِ والسود .
أنعى فتى مَصّ الثرى بعدَه بَقيّةَ الماء من العود .

١ المسترجع : الذي يقول : إنا لله وإنا اليه راجعون (في المصيبة الشديدة) .
٢ وجوهاً تشد ولا تجمع : يتفرق أصحابها في اتجاهات مختلفة !

قد ثَلَمَ الدهرُ به ثُلْمــةً جانبُهــا ليسَ بمسدود .
الآنَ نَخْشى عثَراتِ النَــدى وعَدْوَةَ البُخْلِ على الجود !

٤ — ** طبقات ابن المعتزّ ٢٥١ — ٢٥٤ ؛ الاغاني ١٧ : ٣٠ — ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٤٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١١٨ — ١١٩ ؛ زيدان ٢ : ٩٥ .

الرؤاسي النيليّ

هو أبو جعفر محمّد بن الحسن بن أبي سارة الرُؤاسيّ النيلي نسبة إلى نيل الكوفة ، ولقّب بالرؤاسيّ لعِظَم رأسه . كان الرؤاسي يسكن البصرة وقد زار الكوفة مرّتين ؛ وعاصر الخليل بن أحمد وتوفّي في أيام الرشيد ، نحو سنة ١٩٥ هـ ، فيما يبدو .

كان الرؤاسي بارعاً في العربية وإماماً في النحو ؛ وهو رأسُ المذهب الكوفي ، حتى إذا قيل « الكوفي » فإنما كان القائل يَعْني « الرؤاسي » . وللرؤاسي شِعر قليل .

والرؤاسي أول من ألّف كتاباً في النحو ، له : الفيصل في النحو — كتاب معاني القرآن — كتاب التصغير — كتاب الوقف والابتداء الكبير — كتاب الوقف والابتداء الصغير .

— ** الفهرست ٦٤ ؛ طبقات الزبيدي ١٣٥ ؛ بغية الوعاة ٣٣ ، ٣٩٣ ؛ معجم الادباء ١٨ : ٢١ — ٢٥ (وفي الجزء نفسه ترجمة موجزة مكرورة ، ص ٢٥٢ — ٢٥٤) ؛ بروكلمان ١ : ١١٧ ، الملحق ١ : ١٧٧ .

مؤرِّجٌ السَدوسيّ البصريّ

١ — هو أبو فَيْدٍ مؤرِّجُ بنُ عمرِو بن الحارث السَدوسي العِجلي ، وُلِدَ في بادية البصرة ، وأخذ في البصرة عن الخليل بن أحمدَ وأبي عمرِو

ابن العلاء ، وروى عن أبي زيدٍ الانصاري ، كما روى الحديث عن شُعبةَ ابن الحجاج .

في سنة ١٨٩ هـ (٨٠٥ م) سار الرشيد إلى الرّي (خُراسانَ) ومعه ابنُه المأمونُ ، وكان مؤرّجٌ في حاشية المأمون ، فسكن مَرْوَ حيناً ثم انتقل إلى نيسابورَ ؛ وقد أخذ عنه مشايخ البلدين ومشايخ جُرجانَ في الأغلب . وكانت وفاة مؤرّجٍ السدوسيّ سنة ١٩٥ هـ (٨١٠ - ٨١١ م) ، في نيسابور في الأغلب .

٢ - كان مؤرّج السدوسي عالماً بالحديث واللغة والنحو والأنساب والشعر ، والغالبُ عليه اللغةُ والشعر . ووصف مؤرّجٌ مذهبَهُ فقال (وفيات ٣ : ١١ ؛ راجع معجم الادباء ١٩ : ١٩٧) : « قَدِمْتُ من البادية ولا معرفةَ لي بالقياس في العربية ، وإنما كانت معرفتي قَريحةً . وأوّل ما تعلّمتُ القِياس في حَلْقة أبي زيدٍ الانصاري بالبصرة » . وكان مؤرّجٌ ينظم الشعر . أما مصنفاتُه فأشهرها : كتاب غريب القرآن ، كتاب الانواء ، كتاب المعاني ، كتاب جماهر القبائل ، كتاب نسب قريش ، كتاب حذف من نسب قريش ، كتاب الامثال .

٣ - المختار من كلامه :

- من كتاب حذف من نسب قريش [١] :

هذا كتابُ حذف مِنَ النَسَبِ ، ولو كَتَبْتُ كتابَ استِئْصالٍ لشَغَلَتْني سيرةُ النبيّ صلّى الله عليه وسيرةُ بني العبّاس دَهْراً .

وَلَدَ عبدُ مَنافِ بنُ قُصَيٍّ هاشماً والمُطّلِبَ وعبدَ شمسٍ ، أمّهم جميعاً عاتكةُ بنتُ مُرّة بن هِلالِ بن فالجِ بنِ ذَكْوانَ من بني سُلَيْمٍ ، و(ولد) نَوْفَلاً ، أمّه وافدةُ ابنةُ أبي عَدِيّ من بني مازنِ بنِ صَعْصَعة . واسمُ هاشمٍ عَمْرٌو ، وإنّما سُمِّيَ هاشماً لأنّ قُريشاً أصابَتْهم أزْمةٌ [٢] ، فخرجَ إلى

---

١ وضع الدكتور صلاح المنجد حاشية يفسر فيها اسم هذا الكتاب (ص ٢) فقال : « الحذف » مصدر قولهم : حذف الشيء يحذفه (بفتح الذال في الماضي وكسرها في المضارع) إذا قطعه من طرفه ، كما يحذف الشعر وكما يحذف ذنب الدابة . و « الاستئصال » : قطع الشيء من أصله . وأراد مؤرج أنه أخذ من أطراف النسب ولم يستوعبه .

أقول : لعل الاسم حذف (بضم الحاء وفتح الذال) من نسب قريش !

٢ أزمة : سنة مجدبة .

فلَسْطين فابتاع طحيناً وخبزه ثم حمله [1] . فلمّا قَدِمَ مَكّةَ نَحرَ الإبِلَ التي قَدِمَ عليها وهَشَمَ الخبْزَ وثَرَدَ . ويقال : هُوَ أوّلُ من ثَرَدَ فسُمّـِيَ هاشماً .....

٤ — كتاب حذف من نسب قريش (نشره الدكتور صلاح المنجّد) ، القاهرة (مكتبة دار العروبة) ١٩٦٠ م .

** الفهرست ٤٨ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٢٥٨ — ٢٥٩ ؛ معجم الادباء ١٩ : ١٩٦ — ١٩٨ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١١ — ١٣ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٣٢٠ — ٣٢٧ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٠ — ١٠١ ، الملحق ١ : ١٦٠ ؛ زيدان ٢ : ١٤٤ .

أبو الشيص

١ — هو أبو جعفر محمّدُ بن عبد الله بن رَزين بن سُليمانَ بن تَميمٍ الخُزاعيّ من اليمن ، فيما قال ابن رشيق (العمدة ١ : ٧٢) ، وهو ابن عمّ دِعْبِلِ ابن عليّ الشاعر (ت ٢٤٦ هـ) .

وكان أبو الشيص من أهل بغدادَ صديقاً لأبي نُواسٍ وأشجعَ السُلَمي ومُسلم ابن الوليد فخَمَلَ ذِكرُه مَعَهم . ويبدو أنه كان في أولِ أمرِه مُنقطعاً إلى أميرِ الرّقّة عُقبة بن جعفر بن الأشعث الخُزاعي مدحه بأكثر شعرِه ونال منه عطايا كثيرةً . ثم إنه عاش في بَلاط الرشيد يمدحُه . وعَمِيَ أبو الشيص في أواخرِ أيامه ثم اتفق أن قتله غلامٌ لعُقبة بن جعفر في حديث طويل (غ ١٥ : ١١٢ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٧٤) ، في سنة ١٩٦ هـ (٨١٢ م) في الاغلب .

٢ — أبو الشيص سَهْلُ الشعرِ مَرِحٌ في قوله ، وشِعْرُه متوسطٌ في الجَوْدة . ويدورُ شعرُه على المديح والرثاء والوصف والعتاب والغزل . وهو حَسَنُ المدحِ بارعٌ في وصف الخمرِ وفي الطرْد وفي وصف الليل . وقد رثى عينيه فأكثر وأجاد .

---

١ كذا في الأصل : وخبزه ثم حمله !

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو الشيص في النسيب :

وقف الهوى بيَ حيثُ أنتِ ، فليس لي مُتَـأخَّر عنـه ولا مُتَقَدَّمُ .
أجِدُ المَلامةَ في هواك لذيـذةً حُبّـاً لذِكرك ، فلْيَلُمْني اللُوّم .
وأهنتِـني فأهنتُ نفسي جاهداً ؛ ما مَنْ يَهونُ عليك مِمّن يُكْرَم[١].
أشْبهْتِ أعدائي فصِرتُ أُحِبُّهم إذ كان حظّي منك ِ حظّي ِمنْهُمُ .

– وقال يرثي الرشيد ويهنّئ الامين :

جرتْ جوارٍ ، بالسعد والنحسِ ، فنحن في وَحْشة وفي أُنسِ :
العين تبكي والسِنّ ضاحكة ، فنحن في مـأتم وفي عُرس ؛
يُضحكنا القـائمُ الامينُ ، ويبـكينا وفاة الإمـام بالأمس .
بدران : بدرٌ هنا ببغدادَ في الـخُلد ، وبدر بطوسَ في الرمس[٢] .

– وله في وصف الخمر :

نهى عن خُلّة الخمـرِ بياضٌ لاح في الشَعر .
وقد أغدو ، وعين الشمـس في أثوابها الصُفر[٣] ،
على عذراءَ لم تُفْتَـق بنارٍ لا ولا قِـدر[٤] .
عجوزٌ نسَج المـاءُ لها طوقاً من الشَذْر ،[٥]
كـأن الذهبَ الأحمـر في حافاتِهـا يجـري .

٤ – ** طبقات ابن المعتزّ ٧٢–٨٧ ؛ الاغاني (بولاق) ١٥ : ١٠٨–١١٣ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٤٠١–٤٠٢ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٨١ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣٠٢ ؛ بروكلمان ١ : ٨٣ ، الملحق ١ : ١٣٣ ؛ زيدان ٢ : ٩٩ .

---

١ .... ان الذي تهينينه لا يستحق الاكرام .
٢ الخلد : قصر الخلد في بغداد . طوس : بلد في خراسان توفي فيها الرشيد .
٣ الشمس في أثوابها الصفر : نورها ضعيف (في الصباح ، أو في المساء) .
٤ فتق : اختمر .
٥ الشذر : قطع صغيرة من الذهب .

العُمانيّ الراجز

١ – هو أبو عبد الله محمّدُ بن ذُؤيب بن مِحجَن بن قُدامة من بني فُقَيم ابن جَرير بن دارم (أو فُقَيم بن دارم) من بني حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناةَ بن تميم؛ ولذلك يقال له الفُقَيمي [١] والحَنظلي الدارمي [٢].

كان محمّد بن ذؤيب من أهل البصرة لا من أهل عُمان، ولكنّه حينما كان صغيراً كان مُصْفَرَّ الوجهِ ضريراً مطحولاً فرآه مرة دُكين الراجزُ (ت ١٠٥ ﻫ) فقال: «من هذا العُماني!» فلزمه الاسم، لأن عُمان وَبِيّة وأهلُها مصفرّةٌ وجوهُهم مَطْحولون [٣].

أدرك العُمانيّ خلافة هرون الرشيد وشَهِدَ مُبايعة محمّدٍ الامينِ بولاية العهد، سنة ١٧٤ ﻫ، ثم صَحِبَ الرشيد في الغزو إلى هِرَقْلَةَ من بلاد الروم، سنة ١٩٠ ﻫ [٤]. غير أنّ ابن قُتيبة يقول (الشعر والشعراء ٤٧٥ – ٤٧٦): «دخل (العماني) على الرشيد .... وقال: يا أميرَ المؤمنين، قد – والله – أنشدتُ مروانَ ... ثم يزيدَ بنَ الوليد وابراهيمَ بن الوليد ثم السفّاحَ ثم المنصورَ ثم المَهْدِيّ، كلّ هؤلاء رأيتُ وجوهَهم وقبّلت أيْديَهم وأخذتُ جوائزَهم». فليس من المعقول أن يكونَ العماني شاعراً يأخذُ الجوائزَ من الخلفاء: من مَروان ابن الحكم (٦٤ – ٦٥ ﻫ)، كما يمكن أن يفهم من هذه الجملة، ثم يعيشُ إلى ما بعدَ سَنَةِ ١٩٠ ﻫ. والمعقول أن يكونَ العُماني قد مَدَحَ مروانَ بن محمدٍ في أثناء ولايته على أرمينية وآذربيجان والموصل [٦] ثم مدح يزيدَ بن الوليد

---

١ الشعر والشعرا ٤٧٥.

٢ الاغاني (الساسي) ١٧ : ٧٨.

٣ الشعر والشعراء ٤٧٥. وفي سبب تسمية العماني رواية أخرى (غ ١٧ : ٨١ س). وما دام العماني من البصرة، فلعله منسوب إلى العمانية، وهي نخلة في البصرة لا يزال عليها طلع جديد وكبائس مثمرة وأخر مرطبة (القاموس ٤ : ٢٤٩) – أي يدوم الحمل عليها طوال العام فيكون على بعضها بسر أخضر فج وعلى بعضها الآخر رطب (تمر) ناضج. ونخلة اسم لمكان في (جنوب) العراق (القاموس ٤ : ٥٥ س). ونخيلة (تاج العروس ٨ : ١٣٠ – ١٣١) في العراق قرب الكوفة في اتجاه الشام. والضرير (هنا) : المريض المهزول (النحيل) لا الاعمى (راجع القاموس ٢ : ٧٥، السطرين ١٢ – ١٣). والمطحول الذي في طحاله مرض، ويكون عادة منتفخ البطن.

٤ الشعر والشعراء ٤٧٥ – ٤٧٦.

٥ غ ١٧ : ٨٢؛ راجع الاخبار الطوال، القاهرة (وزارة الارشاد القومي)، ١٩٦٠ م، ص ٣٩١.

٦ تولى مروان بن محمد هذه البلاد سنة ١١٤ ﻫ.

وأخاه ابراهيمَ بن الوليد ، وقد وَليا كِلاهما الخلافةَ نحو سَبْعَة أشهرٍ من سَنَتَيْ ١٢٦ و ١٢٧ هـ .

وبما أن العُماني قد أسَنَّ كثيراً فالراجحُ أن مولدَه كان بُعيدَ سَنَةِ ٩٥ هـ (٧١٤ م) وأن وفاته كانت قُبَيْلَ سنة ٢٠٠ هـ (٨١٥ م) .

٢ - العُمانيّ محمدُ بن ذُؤيبٍ شاعرٌ وراجز غير مُكثِرٍ فديوانه خمسون ورقةً (الفهرست ١٦٢) أو نحو ألفِ بيت . وكان العمانيّ ممن يجمعُ الرَجَزَ والقَصيدَ [1] ، غير أنه كان شاعراً متوسّطاً أدنى درجةً من أشْجَعَ السُلَميّ وسَلْمٍ الخاسِر ومروانَ بن أبي حَفْصةَ [2] . وشعر العمانيّ سهلٌ عذب برُغم أنّه رجز ، وهو قليل الغريب . ومن فنون العُماني المدحُ والوصف ، وقد أجاد وصف الفرس ووصف النّعام [3] .

٣ - المختار من شعره :

- مدح العُمانيّ عبدَ الملك بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس (أحدَ أقارب هرونَ الرشيدِ وممن كان ذا حقّ في الخلافة فصرفه المنصورُ عنها ونقلها إلى نسله) مُتَوسّلاً به إلى الوصول إلى الرشيد مع الشعراء فقال :

نَمَتْهُ العرانينُ من هـاشمٍ ... إلى النسبِ الأوضحِ الأصْرحِ [4]
إلى نَبْعةٍ فرعُها في السماء ... ومَغْرِسُها سُرّةُ الأبْطح [5] .

- ثم إن عبدَ الملك بن صالح أدخلَ العُمانيّ على الرشيد فأنشدَ العمانيّ بين يدَيِ الرشيد :

هرونُ ، يا ابنَ الأكرمين حَسَبَا [6] ، ... لمّا تَرَحّلتَ فكنتَ كَثَبا .

---

١ البيان والتبيين ١ : ٢٠٩ ، ٤ : ٨٤ .
٢ راجع الاغاني ١٧ : ٧٨ .
٣ الشعر والشعراء ٤٧٦ ؛ الكامل ٥١٣ ؛ ديوان المعاني ٢ : ١٣٧ .
٤ العرانين جمع عرنين (بكسر العين) : الانف ؛ مقدم الجبل (الرجل الشريف المقدم في قومه) .
٥ النبعة : مجتمع أصول النبات (كما نرى في حبة القمح مثلا يخرج منها سنابل كثيرة) ... مغرسها : أصلها ، منشأها . السرة : العقدة الظاهرة في جلد البطن . الابطح : الباحة التي في مكة . مغرسها في سرة الابطح : منشأها ومسكنها في وسط مكة (في أشرف مكان منها - هم أشرف الناس) .
٦ الحسب : الفعل الجميل الحميد ... لما ترحلت (انتقلت ، سافرت) - فكنت كثباً (قريباً) من أرض بغداد (عاصمتك ومكان سكناك وراحتك) .

من أرضِ بغدادَ تَوَمَّ المَغْرِبا ، طابت لنا ريح الجَنوب والصَبا [1]
ونزل الغيثُ لنا حتّى رَبا : ما كان من نشر وما تَصَوَّبا [2] ،
فمَرْحباً ومرحباً ومرحبا !

— كان هرون الرشيد يَهُمّ بتحويل الخلافةِ من أبناء عُمومته إلى أبنائه . ويبدو أن الرشيدَ أطلقَ طرفاً من هذا الخبرِ بينَ الناسِ فدخل العُمّاني على الرشيد ، وعنده رؤساء الجند قائمين صفوفاً ، ثم أنشده :

لمّا أتانا الخبَرُ المُشَهَّرُ أغرَّ لا يَخْفى على من يُبْصِرُ [3]
يُخبِّرُ الناس وما يُسْتَخْبَرُ قلتُ لأصحابي ، ووجهي مُسْفِرُ [4] ،
وللرجالِ : حسبُكُمْ ، لا تُكثروا . فازَ بها مُحَمّدٌ فأقْصِروا [5] .
فقل لِمَنْ كان قديماً يَتْجُر : قد نُشِرَ العدلُ فبيعوا واشتروا [6] ،
وشَرّقوا وغَرّبوا وبَشّروا قد قُلّدَ الأمرَ الأغرُّ الأزهر
وابْتَهَجَ الناسُ به واسْتَبْشروا وهَلّلوا لربّهِمْ وكَبّروا !
يا أيّها الخليفةُ المُطَهَّرُ والمؤمنُ المُبارَكُ المُوَقَّر ،
ما الناسُ إلاّ غنم تَنَشَّر إن لم تَدارَكْهُمْ براعٍ يخطر [7] .

---

١ توم (تقصد) المغرب (الجانب الغربي من الخلافة : البلاد غرب بغداد) ، طابت لنا ريح الجنوب (وهي ريح حارة) وريح الصبا (الريح الشرقية ، وهي بليلة عليلةمنعشة) . هذان الوصفان للريحين ينطبقان على العراق لا على الشام ، مثلا . — ان انتقالك في البلاد جعل البلاد كلها طيبة المناخ فاستوت جميع أنواع الرياح في الطيب والجودة .

٢ ربا : زاد ، كثر . نشر الكلأ (العشب) : يبس ثم أصابه مطر في أواخر الصيف فعاد إلى الاخضرار (القاموس ٢ : ١٤٢) . والنشر أيضاً بدء النبات . التصوب : كثرة المطر . — ان جميع الغيث الذي نزل قد نفع الزرع ، في أول الزرع و في آخره .

٣ الخبر المشهور برغبة الرشيد بمبايعة محمد الأمين بولاية العهد . أغر : أبيض (واضح) .

٤ يخبر الناس وما يستخبر : يعلن على الناس مضمونه بوضوح من غير أن يحوج أحداً إلى الاستفهام والاستفسار . وجهي مسفر (مكشوف) : مسرور ، راض .

٥ حسبكم (يكفيكم تسمية محمد الامين لولاية العهد) فلا تكثروا (من تسمية أشخاص آخرين) . أقصروا : توقفوا عن بذل الجهود (في سبيل غير محمد الامين) .

٦ بشروا الذين يتجرون : يسافرون بالتجارات (أن الامن قد استقر والعدل قد عم) .

٧ غنم تنشر (أو تنسر) تتفرق (فيعدو عليها الذئاب) . ان لم تداركهم (تسرع اليهم قبل أن يفوت الأوان) براع (ولي للعهد وخليفة مقبل) يخطر (يرفع رمحه ويخفضه — يهدد به أهل الشر من الناس كما يحمي الراعي بسلاحه الغنم من الذئاب) .

فَامْنُنْ علينا بيَدٍ لا تُكْفَرْ واجْسُرْ كما كان أبوك يجسر [1] .
لا خيرَ في مُجَمْجَمٍ لا يظهر ولا كتابِ بَيْعَةٍ لا يُنْشَر [2] .
وقد تَرَبَّصتَ فَلَسْتَ تَغْدِرِ ؛ فليتَ شعري ، ما الذي تنتظر [3] :
أنائم أنت به ، أم تسهر ، ما لك ؛ في مُحمّدٍ لا تُعذَر . [4]
وليتَ شعري ، والحديث يُؤثَر ، أترقُدُ الليلَ ونحن نَسْهر [5]
خوفاً على أمورِنا ونَضْجَر . واللهِ ، واللهِ الذي يُسْتَغْفَر ،
لأَنْ يَموتَ مَعْشَرٌ ومعشر خيرٌ لنا من فِتْنَة تَسَعَّر [6]
يَهْلِكُ فيها دينُهم ويُوزَروا . وأَعْلَمْ ، وانتَ المرءُ لا يُبَصَّر [7]
أنّ الرجالَ إنْ وَلُوها آثَروا ذوي القَرابات بها واستَأْثَروا [8]
بها ، وضلّ أمرُهُمْ واستكبروا . فَأحْكِمِ الأمر وأنت تَقْدِرِ [9] ،
فمثلُ هذا الأمرِ لا يُؤخَّر !

٤ — ** طبقات ابن المعتزّ ١٠٩ — ١١٤ ؛ الاغاني ١٧ : ٧٨ — ٨٢ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٢٧٠ — ٢٧١ ؛ الوفي بالوفيات ٣ : ٦٦ — ٦٧ .

---

١ أمنن علبهم (امنحهم ، أعطهم) بيد (بنعمة) لا تكفر (لن ينسوها ، سيظلون يذكرونها لك) . واجسر (كن جريئاً في تحويل الخلافة إلى أبنائك) كما جسر أبوك المهدي حينما حول الخلافة من ابن عمه عيسى بن موسى بن محمد بن علي إلى ولديه (إلى أخيك موسى الهادي واليك) .

٢ لا خير في (أمر مفيد) مجمجم (مكتوم ، يجول في الصدر ولا يجسر صاحبه على اعلانه) . الكتاب (هنا) : الحكم (العهد) .

٣ تربصت : انتظرت المدة المطلوبة (فلم تجد الذين كانت لهم ولاية العهد يستحقونها بعمل حميد أو نباهة ذكر !) إذا بايعت لابنك لا تكون غادراً (لأنك لم تجد خيراً منه) .

٤ في الاغاني (١٧ : ٧٩) : أألنت نائم به أم تسهر . — أغافل أنت عن استحقاق ابنك محمد الأمين أم مدرك لذلك ، وإلا فما بالك تتأخر . إن الناس لا يعذرونك في هذا التأخر الذي لا مبرر له .

٥ الحديث يؤثر : ينتقل من شخص إلى شخص ويدور بين الناس : أيغفل الخليفة عنا ونحن نظل أيقاظاً (خائفين على مستقبلنا) ثم نضجر : نسأم ، نمل (من الانتظار) .

٦ إذا مات جماعة (من الغيظ) أيسر من أن تحدث فتنة (إذا جاء إلى الخلافة شخص لا يرضاه الناس) . تسعر : تشتعل ، تتسع (يكثر القتلى فيها) .

٧ يهلك (يضيع) دينهم : يحدث فيه انشقاق . يوزر (بفتح الياء بالبناء للمعلوم أو بضم الياء بالبناء للمجهول ، وبفتح الزاي في الحالين) : يحمل وزراً ، يكسب ذنباً أو خطيئة . يبصر : يدل على موضع الصواب .

٨ و ٩ الملموح في البيتين : ان الرجال (الآخرين) إذا ظفروا بالخلافة فضلوا مصلحة ذوي قرباهم على مصلحة الأمة واستبدوا بأمرها (وظلموا الامة حقوقها) واستكبروا (طغوا وتجبروا) . اذن ، أحكم الأمر (أتقنه ، صنه من الفساد ، رتبه ترتيباً عاقلا حكيماً) وأنت تقدر (ما دمت قادراً على ذلك) .

ابن مُناذرٍ [1]

١ – وُلِدَ محمّد بن مُناذرٍ في عَدَنَ في أواخر العصر الأُمويّ . ولمّا شَبّ جاء إلى البصرة وأخذ العلمَ عن أهل الفقه والحديث والأدب ثم بدأ نجمُه يعلو منذ أيام المنصور . وتكسّب ابن مناذرٍ بالشعر وانقطع إلى البرامكة ومدح الرشيدَ ونال منهم كلِّهِم جوائزَ سنيّةً .

وكان ابن مناذر في أول أمره حميدَ الأمر حسن المُروءة عفيفاً متألّهاً ذا صلاحٍ وحِلم ووَقار ، وكان يُملي شيئاً من الأخبار وغريب الحديث والنحو في مسجد البصرة ، إلاّ أنه كان كثيرَ النِزاع للعلماء والشعراء : نازع الخليلَ ابن أحمدَ وأبانَ اللاحقيّ وأبا العَتاهية وغيرَهم ثم اشتهر عنه أنه زِنديق دَهْرِيّ فساءت سمْعته عند الخاصة والعامة .

بعد هذا كلّه تبدّلت نفسيةُ ابن مناذرٍ وحياتُه تبدّلاً عظيماً لمّا تطوّرت صِلته بشابّ اسمُه عبد المجيد الثّقَفيّ : كان عبدُ المجيد الثقفي شابّاً من أحسن الناس وَجْهاً وأدباً وحالاً ، وقد نشأت بينَه وبين ابن مناذر صداقةٌ ثم تعلّق ابن مناذر بعبد المجيد فأصبحَ يتعشّقه ويتغزّل به . تزوّج عبد المجيد وأقيمت له الأفراح فاتّفق أن قام في أثناء ذلك لِيُصْلِحَ سِتارةً على سطح دارِه فسقط على رأسه وتُوُفِّيَ وعُمُرُهُ إذ ذاك عِشرونَ سنَةً ، وذلك قبل نَكبة البرامكة (١٨٧ هـ ، ٨٠٣ م) . فحَزِنَ ابن مناذر على عبد المجيد حُزناً شَغَلَ نفسَه واستغرق بالَه وزاد فيه على حُزن أخَوات عبد المجيد وأمّه ، ثُمّ أكْثَرَ من رِثائه .

وعَمِلَتِ المُصيبة في نفس ابن مناذر فظهر تَهتّكه وانكشف أمرُه ، وكان يَؤُمّ الناسَ في مسجد البصرة فأحْجَمَ الناسُ عن الصلاة وراءه ثم أخرجوه من البصرة فهرَب إلى مكّة وجاوَرَ فيها لا يبرحُ مسجدَها ، وكان في أثناء ذلك يُملي أشياءَ من الأخبار والنحو وغريب الحديث . وكُفّ بصرُ ابنِ مناذرٍ في آخرِ أيّامهِ ثم توفّي في مكّة في مطلع سنة ١٩٩ هـ (٨١٤) ، أو مطلع سنة ١٩٨ هـ .

---

١ راجع مقالا مفصلا في حياة ابن مناذر للمؤلف في مجلة « العلوم » (بيروت) تشرين الاول (أكتوبر) السنة السادسة (١٩٦١) العدد ١٠ ، ص ٨ – ١١ .

٢ ـ ابن مناذر شاعرٌ مُكثر مُطيل من حُذّاق المحدَثين وفحولهم ومذكوريهم ، ومن الخُطباء الكِبار المشهورين . وله في شعره شِدّةُ كلامِ العربِ (الجاهليين) وحلاوة كلامِ المحدَثين مع الإتيان بالمَثَلِ السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل والقول المُتّسِقِ النبيل . أما فنون شعره فهي المدح والرثاء والهجاء والوصف والغزل والأدب ، وله وصف جيّد في الفرس . وقد غلَبَ على شعره شيءٌ من المُجون ، وخصوصاً بعد وفاةِ عبد المجيد الثقفي . ومرثيتُه في عبد المجيد ، كما يرى ابن المعتزّ ، قد سارت في الدنيا وذُكِرَتْ في المراثي الطوال الجِياد ، وهي فَحْلة فصيحة جداً ، وقد عارض فيها قصيدة أبي زُبيد الطائي في رثائه لأخيه [١] .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ قال ابن مناذر يرثي عبد المجيد الثقفي :

كلُ حيٍّ لاقي الحِمامِ فمُودي ؛ ما لحيٍّ مُؤمَّلٌ من خلودِ .
لا تَهابُ المنونُ شيئاً ، ولا ترْ عى على والدٍ ولا مَوْلود !
يَقْدَحُ الدهرَ في شَماريخِ رَضْوى ويَحُطُّ الصخورَ من هَبّود [٢] .
أين ربُّ الحِصنِ الحَصينِ بسورا ءِ ، وربّ القصر المُنيف المَشيد [٣]
شادَ أركانَه وبَوّبه با بَيْ حديدٍ وحَفّه بجُنود ،
كان يُجبَى اليه ما بين صَنعا ءَ فبُصْرى فقريتَيْ يَبْرود [٤] .
فرمى شخصَه ، فأقصدَه ، الدهـ ـرُ بسَهْمٍ من المنايا سَديد .
ثم لم يُنْجِهِ من الموت حِصنٌ دونه خَنْدقٌ وبابا حديد .
ولَوَ ان المنونَ أخْلَدْنَ شخصاً لعَلاءٍ أخْلَدْنَ عبدَ المجيد :
إن عبد المجيد يومَ تَوَلّى هدّ رُكناً ما كان بالمهدود .

---

١ راجع الجزء الأول (الادب القديم) ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٧ .
٢ يقدح : يقطع . شماريخ : رؤوس . رضوى اسم جبل . يحط : يلقي من عل . هبود كلمة متخيلة يقصد بها ابن مناذر اسماً لجبل .
٣ سورى (بضم السين) وسوراء موضع من أعمال بغداد ، ولعل ابن مناذر يعني به الحيرة ومملكتها القديمة .
٤ صنعاء في اليمن ، بصرى في حوران جنوب الشام ، يبرود في شمالي الشام .

ما دَرى نعشُه ولا حـاملوه ... ما على النعش من عَفافٍ وجود !
ويحَ أيدٍ حَثَت عليه ، وأيـدٍ ... غَيَّبته ؛ ما غيّبت في الصعيد ! [1]
هدّ رُكني عبدُ المجيد ، وقد كنـ ... ـتُ بركنٍ منه – أبوءُ – شديد [2] .
وسقاه ماءُ الشبيبـة فـاهتـ ... ـزّ كغُصن الأراكةِ الأُملود [3]
وسمَتْ نحوه العيونُ ، وما كا ... ن عليـه لزائـدٍ من مزيد .
فإذا ما ذكرتُـه عرَضَتْ لي ... غُصّةٌ في اللّهـا وحبلِ الوريد [4].
وكأنّي أدْعوه – وهو قريـبٌ ... حين أدعوه – من مكانٍ بعيد .
فلئِنْ كان لا يجيبُ ، فقد كا ... ن سميعاً هَشّاً إذا هو نُودي [5] .
يا فتىً كان للمقامات زَيْنـاً ... – لا أراه في المَحفِلِ المَشْهود –
خنتُكَ الوُدَّ : لم أمُتْ جزَعاً بعـ ... ـدُ . فإني عليك حق جَليد .
لو فَدى الحيُّ ميّتاً لَفَدَتْ نفـ ... ـسَكَ نفسي وطارِفي وتليدي .
فبكُرْهي كنتَ المُعَجَّلَ قبلي ، ... وبرُغْمي دُلِّيتَ في مَلْحود.
كنتَ لي عِصمةً ، وكنتَ سماءً ... بك تحيا أرضي ويَخْضَرُّ عودي!

٤ – ** الكامل للمبرّد (ليبزغ) ٧٤٧ – ٧٥٠ ؛ طبقات ابن المعتزّ ١١٩ – ١٢٦ ؛ الاغاني ١٧ : ٩ – ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٥٥ – ٦٠ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٥ – ٢٢٦ (في ترجمة يحيى بن خالد) .

ربيعة الرَّقّيّ

١ – هو أبو شَبابة (وقيل أبو ثابت) ، وقيل : أبو أسامة (غ ١٥ : ٤٢) ربيعةُ بن ثابتٍ [6] بن لَجَأ بن العَيزار بن لجأٍ الاسديُّ الانصاريّ مولى بني

١ حثت : هالت عليه التراب في قبره . غيبته : دفنته . الصعيد : التراب .
٢ أبوء : أرجع (إذا حزبني أمر) .
٣ الاراكة : شجرة في الحجاز يؤخذ منها المساويك . الاملود : اللين الذي يتمايل .
٤ اللهاة (بفتح اللام) : الحنجرة . حبل الوريد : عرق غليظ في جانب العنق .
٥ هشاً : بشوشاً في وجه الضيف .
٦ في العمدة (١ : ١٦٤ – ١٦٥) : ربيعة بن عبد الرحمن .

سُليم ؛ وكان يلقب بالغاوي .

كان مولدُ ربيعةَ ومنشأه في مدينة الرَقة على الفُرات الأعلى ، وكان ضَريراً . ولم يشتهر لبُعده عن العِراق ولتركه الوِفادةَ على الخلفاء ومُخالطةَ الشعراء . ويبدو أنه وُلِدَ في أيام بني أمية ، ولكننا لا نَعْرِفُ له نَباهةً قبلَ أيام بني العباس .

هجا ربيعةُ الرَقي يزيدَ بن أبي أُسيد السُّلمي الذي تولّى أرمينية زماناً طويلاً ، في أيام المنصور ثم في أيام المَهديّ . ثم أدرك ربيعةُ أيامَ الرشيد .

٢ – ربيعة الرَقّي شاعرٌ مطبوعٌ مُجيد مُكثر اختار له ابنُ المعتزّ في طبقاته (ص ١٥٧ – ١٧٠) نحو مائتي بيتٍ . ولكنْ شِعرَه لم يَكْثُرْ بأيدي العوامّ. وشعرُه كلّه مليحٌ عَذْبٌ جيدٌ هيّنٌ ؛ وفي الأغاني (١٥ : ٣٩) : "في شعرِه لِينٌ". ولربيعةَ الرَقّيِ مدحٌ وهجاء وغزل . وغزلُه يَفْضُلُ غزلَ أهلِ زمانِه وغزلَ أبي نواسٍ أيضاً ، لأنّ في غزل أبي نواس برداً كثيراً ؛ وغزلُ هذا سليمٌ عَذْبٌ سهلٌ[١] .

٣ – المختار من شعره :

– قال ربيعة الرقي يمدح يزيد بن حاتِم بن قَبيصةَ بن المهلّب بن أبي صُفْرة الأزديّ ، وهو يومئذ والي أرمينية (١٥٤ – ١٧٠ هـ) ، وكان إليه مُحْسناً . والشاعر يُعَرِّضُ هنا بيزيد بن أسيد السُلمي ، وكان قد ولي أرمينية أيضاً قبل ذلك لبني العباس فمدحه الشاعر فقصّر في حقه . وكان يزيد بن حاتم من أشراف قيس وشجعانهم ، وكان في يزيد بن أسيد تَمْتَمةٌ :

لَشتّانَ ما بينَ اليزيديْنِ في النّدى: يزيدَ سُلَيمٍ والأغرِّ ابنِ حاتِمِ .
يزيدُ سُليمٍ سالمُ المالِ ؛ والفتى أخو الأزدِ للأموال غيرُ مُسالم .
فَهَمّ الفتى الأزديِّ إتلافُ ماله ؛ وهَمّ الفتى القَيْسي جَمْعُ الدراهم !
فلا يَحْسَبِ التَمْتامُ أني هَجَوْتُه ، **ولكنني فَضّلتُ أهلَ المكارم !**
فيا ابن أُسيدٍ ، لا تُسامِ ابنَ حاتمٍ فتَقْرَعَ – إنْ سامَيتَه – سِنّ نادم .

---

١ وفيات الاعيان ٣ : ٢٩٥ .

هو البحرُ إن كلّفتَ نفسَك خوضَه تهالكْتَ في آذيّه[1] المُتلاطم .
تمنّيتَ مجداً في سُليمٍ سَفاهةً : أمانيَّ خالٍ[2] أو أمانيَّ حالِمِ .
ألا إنما آلُ المُهلّبِ غُرّةٌ ، وفي الحربِ قاداتٌ لكم بالخَزائم[3]

— ومدح العباسَ بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فقال :

لو قيل للعبّاس : يا ابنَ محمدٍ ، قلْ : « لا » ، وأنتَ مخلّدٌ ، ما قالَها !
ما إنْ أعُدّ من المكارمِ خصلةً إلاّ وجدتُك عمّها أو خالها .
وإذا الملوكُ تسايروا في بلدةٍ كانوا كواكبَها وكنتَ هلالَها .
إنّ المكارمَ لم تزَل معقولةً حتى حلَلْتَ براحتيك عِقالها[4]

٤ — ** طبقات ابن المعتزّ ١٥٧ — ١٧٠ ؛ الاغاني (بولاق) ١٥ : ٣٨ — ٤٤ ؛
معجم الأدباء ١١ : ١٣٤ — ١٣٦ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٩٤ — ٢٩٥
(في ترجمة خالد بن يزيد الازديّ) ؛ زيدان ٢ : ١٠٤ — ١٠٦ .

أبو نُواسٍ

١ — وُلدَ أبو نُواسٍ الحَسَنُ بن هاني في سوق الأهْواز ، إحدى قُرى خُوزِسْتانَ في الجَنوب الغربيّ من فارسَ ، سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) . وهُو مُوَلّدٌ : عربي من جهة الأبِ ، فارسي أو سِنْديّ من جهة الأمّ . ولما بلغ أبو نواس السادسةَ من عُمُرِه وفَدَت به أمه إلى البصرة ووضعته خادماً عند عطّار فيها . واتفق أن الشاعرَ الكوفيّ الخليعَ والِبةَ بن الُحباب قَدِمَ الكوفةَ فأبصر أبا نواس عند العطار — وقد بلغ عشرَ سنينَ — فَراقَهُ وأُعْجِبَ بِظَرَفه فأقنعه بأن يسوقه إلى الكوفة ليُخَرِّجَهُ في الشعر (راجع ، فوق ، ص ١٠٠) . ومعَ أن والبةَ قد أفسد أبا نُواسٍ فانه اكتشف مواهبَه وصَقَلَ شاعريته . ثم إن أبا نواس ترك الكوفة وعاد إلى البصرة يطلب التوسع في العلم ، ولكنه عاش فيها أيضاً عيشة لهو وترف .

١ تهالك : سقط عن ارادة منه . الآذي : الامواج .
٢ الخالي : الذي لا عمل عنده (يقطع أيامه بأماني لا يقصد تحقيقها) .
٣ وفي الحرب قادات لكم بالخزائم : يأسرونكم فيربطونكم ليجروكم .
٤ معقولة : مربوطة . والعقال : الرباط .

ولما بلغ أبو نواس الثلاثين من عُمُرِه انتقل إلى بغدادَ ، في أول خلافة هرونَ الرشيدِ (١٧٠ – ١٩٣ هـ) وبدأ حياته فيها بمنادمة أمراء البيت العباسي . وفي بغدادَ تألّفتْ حولَ أبي نواسٍ عصابة سُوء من الشعراء المُجّان أمثال مُطيعِ ابنِ أياسٍ والحسينِ الخليعِ بن الضحّاك وحمّادِ عجْرَدٍ وأبان بنِ عبدِ الحميد اللاحقِيِّ والجارية عِنانَ . وكان أبو نواس يمثّل معَ هؤلاء ناحية اللهو من البيئة العباسية في القرن الهجريّ الثاني .

وكان بَلاطُ هرون الرشيد يجمع عدداً كبيراً من الأدباء والشعراء . وكان أبو نواس نديماً لهرونَ في مجالس أنسه لا يَصْحَبه في الغَزَواتِ ولا يظهر معه في الأعياد . أما الشاعرُ الرسميّ للرشيد فكان مروانَ بن أبي حَفْصَة الكبيرَ .

ويبدو أن الوَحْشة وقعت بين أبي نُواسٍ وهرونَ الرشيدِ بعد نكبة البرامكة، وكان أبو نواس يمدحهم ويُكثر ، كما كانَ استهتارُ أبي نواس قد زادَ وظهر وجَعَلت الألسنُ تتناول الرشيدَ من أجل نديمه – فذهب أبو نواس إلى مصرَ ومدح عاملَها الخَصيب . فزاد ذلك في غضب الرشيد على أبي نواس ، لأن أبا نواس مدح عاملاً من عماله (موظّفيه) ثم بالغ في مدحه حتى بَدَتْ تلك المبالغة وكأنها تعريض بالرشيد نفسه . فلما عاد أبو نواس الى بغداد أخذه الرشيدُ ببعض أقواله في الخصيب وفي الخمر وسَجَنه . وتُوُفّي الرشيد (١٩٣ هـ = ٨٠٩ م) وأبو نواسٍ في السجن . وخلف الأمينُ أباه الرشيدَ على سُدّة الخلافة العباسية فأطلق سَراح أبي نواس واتخذه شاعراً ونديماً .

وتوفي أبو نواس في سنة ١٩٩ هـ (٨١٣ م) ، بعد الأمين بمدة وجيزة .

٢ – كان أبو نواس قليلَ الاهتمام بالشعوبية التي كانت ثائرة في أيامه : لم يكن مُتَعَصّباً للعرب على الفرس ، ولا لغير العرب على العرب . على أنه كان ، بلا ريب ، يُفَضّل الحيـاة الحضرية وتَرَفَها (كما عرَفَها الفرس) على الحياة البدويةِ وشَظَفِها (وهي عربية بدوية في الأصل) . وكان يهجو الأعراب ومُستوى معيشتهم لا العربَ وأمجادَهم ، قال في ذلك :

ولا تأخُذْ عنِ الأعرابِ لَهْواً ... ولا عَيْشاً فعيشُهُمُ جَديبُ .

ذَرِ الألْبانَ يشربها أُنـاسٌ ... رقيقُ العيش عندهمُ غريب .

فأطيبُ منه صافيةٌ شَمولٌ ... يطوف بكأسِها ساقٍ أريب :

فهذا العيشُ ! لا خيَمُ البوادي . وهذا العيش ! لا اللبنُ الحليب .

فأينَ البدوُ من إيوانِ كِسْرى ؟ وأين من الميادين الزّروب ؟

وأما في الدين فكان أبو نواس وطيد الايمان بالله ، ولكنْ قليلُ الاحتفال بما شُرع في الدين من عبادات وبما جاء فيه من أوامرَ ونواهٍ ، ولذلك أُتّهِمَ بالزندقة :

أيها العاتبُ في الخمر ، متى صِرت فقيهـا ؟

لو أطعْنا ذا عِتـاب لأطَعْنـا اللهَ فيهـا !

– يا من يلومُ على صَهْباءَ صافيـةٍ صِرْ في الجِنانِ ودَعْني أسكنُ النارا.

وأما في الحياة فكان يتطلّب اللّذّةَ المادية العاجلة معَ الاستهتار : لقد نظر إلى الحياة بآستخفافٍ لأنها فُرصةٌ عابرة ، ثم انه لم يُقِمْ للناس ولا لقوانينِهِم الاجتماعيةِ وَزْناً :

غَدَوْتُ على اللذاتِ منهتكَ السترِ ؛ وأفضت بنات السرِ مِنّي الى الجَهْرِ .

وهان عليَّ الناسُ في ما أُريدُهُ بما جِئْتُ فاستَغْنَيْتُ عن طلب العذرِ .

رأيتُ الليالي مُرْصَدات لمُـدّتي فبادرتُ لذّاتي مُبـادَرَةَ الـدهر .

رَضيتُ من الدنيـا بكأسٍ وشادنٍ تحيّر في تفصيلِه فَطِنُ الفِكر .

وأبو نواسٍ شاعرٌ على المذهب البغدادي . وهو الشاعر المُحْدَثُ الذي يمثّل الاتجاهَ الأدبي في صدر العصر العباسي أصدَق تمثيل . ثم هو شـاعر مُـكْثِرٌ تَصَرّفَ في مُعْظَم فنون الشعر من مديـح وهجاء ورثاء وعتاب وغزل مؤنث ومذكر ، ومن طَرْدٍ وخمر وزهد . وكان بصيراً باللغة متينَ الأُسلوبِ يميل إلى الألفاظ الفصيحة والتركيب السهل الواضح ، وخصوصاً في فنونه الوجدانية . وكان يكره الصِناعة كُرْهاً شديداً .

يتمثل اللهو في شعر أبـي نواس في ثلاثة أغراض : في الغزل وفي الطَرد (وصف الصيد) وفي الخمر .

أبو نواس شاعر الخمر قال فيها أشعاراً لم يَقُلْ أحدٌ مثلَها . ثم هي أحسنُ شعره ، ما أجاد في فنٍ إجادَته فيها : فقد سبَقَ إلى معَانٍ في الخمر لم يأتِ بها أحَدٌ قبله ؛ وأجرى أبو نواس شاعريته في الخمر على سَجِيّتها فـكانت خمرياته من أجل ذلك ، مَجْلى شخصيتهِ . إنّه شرب الخمر وخَبَرَ بنفسـه

حسناتِها وسيئاتِها فوصفها عن مَعْرفة صحيحة. وجعل أبو نواس من الخمريات موضوعاتٍ تامةً ذاتَ تفاصيلَ، **وقَصَرَ القصيدةَ على الخمر كما قَصَرَ عمرُ من قبل القَصيدةَ على الغزل**، وأدخل القَصص على شعره في الخمر.

يصف أبو نواس دَوَران الخمر على الشَرْب (الذين يشربون الخمر معاً) بعد أن يستنفد القولَ في وصف كَرْمها وعَصْرها وصُنعها ودِنانِها وكؤوسها، وبعد أن يتفنّن في ذكر قِدَمِها. ثم انه يصف طعمها ولونها ورائحتها، ثم ينتقل إلى وصف الشاربين. بعدئذ يصف تأثيرَها التدريجي في نفسه ونفوس نُدمانه بكل لَباقة ودِقّة. ثم هو لا يكتفي بذلك ويعترف بذنبه ليتوبَ منه، بل يَنْتَصِبُ نفسه للدفاع عنها وعن نفسه، وعن الذين يشربونها ويُناصب من لا يشربها العِداء.

٣ – مختارات من خمريات أبي نواس

– يا شقيق النفس من حكم!

يا شَقيقَ النفسِ من حَكَمٍ، نِمْتَ عن ليلي ولم أنَمِ[١]،
فاسْقني البِكرَ التي اختمرتْ بخِمار الشيب في الرَحِمِ[٢].
عُتِّقت حتى لَوِ اتّصلتْ بلسانٍ ناطقٍ وفَمِ،
لاحتَبَتْ في القوم ماثلةً ثم قصت قِصّةَ الأمم[٣].
فَرَعَتْها بالمِزاج يدٌ خُلِقَتْ للسيف والقلم[٤].
في نَدامَى سادةٍ زُهُرٍ أخذوا اللذّاتِ من أمَمِ[٥].
فتمشّت في مفاصِلهم كتَمَشّي البُرْءِ في السَقَمِ.

١ حكم: قبيلة انتسب أبو نواس اليها بالولاء.

٢ (الخمر) البكر: التي لا تزال في دنها مختوماً. خمار الشيب: نسج العنكبوت. – يشبه الخمر بجنين لا يزال في بطن أمه (في الدن) منذ عهد بعيد حتى أن العنكبوت نسج حوله خماراً أبيض (علامة على الشيب).

٣ احتبى: جلس القرفصاء ثم جعل شملة أو نحوها حول ركبتيه وظهره (وذلك يساعد على طول الجلوس من غير تعب). ماثلة: بارزة، ظاهرة، مقبلة على الناس.

٤ فرع: شق؛ فرع الخمر بالمزاج: مزجها بالماء.

٥ زهر جمع أزهر: أبيض، عظيم مشهور. أخذوا اللذات من أمم (قرب): تمتعوا باللذات على مهل وكانوا قادرين عليها (لغناهم مثلا).

فَعَلَتْ في البيت ، إذ مُزِجَتْ ، مثلَ فعلِ الصُبْحِ في الظُلَمِ ،
فَٱهْتَدَى ساري الظَلامِ بهـا كاهتداءِ السَفْرِ بالعَلَمِ [1] .

— مغامرة خمرية :

وفِتيانِ صِدْقٍ قد صَرَفْتُ مَطِيَّهُم إلى بيت خمّارٍ نَزَلْنا به ظُهْرا [2] .
فلما حَكَى الزُنّارُ أنْ ليس مُسلِمـاً ظَنَنّا به خيراً فظن بنا شرّا [3] .
فقلنا : على دِينِ المسيحِ بنِ مريمٍ ؟ فأعرض مُزْوَرّاً وقال لنا هُجْرا [4] ،
ولكنْ يَهوديٌّ يُحِبّكَ ظـاهِراً ويُضْمِرُ في المكنونِ منه لك الغَدْرا !
فقلت له : ما الاِسْمُ ؟ قال : سَمَوْأَلٌ ، ولكنني أُكْنى بعمرٍو ولا عَمْرا [5]
وما شرّفتني كُنْيَـةٌ عربيـة ، ولا أكسبتني لا ثناءً ولا فخرا ،
ولكنها خَفّتْ وقلّ حُروفُها . وليست كأخرى إنما جُعِلَتْ وَقرا [6] .
فقُلنا له عُجْباً بظَرْفِ لسانهِ : أجَدتَ ، أبا عمرٍو ، فجوّدْ لنا الخمرا .
فأدبر كالمُزْوَرِّ يَقْسِمُ طَرَفَـه لِأرْجُلِنا شَطْراً وأوجهِنا شطرا [7] .
وقال : لَعَمْري ، لَو نزلتم بغيرنـا لَلُمْناكُمُ ، لكن سنُوسِعُكم عُذْرا [8] .
فجاء بهـا زَيْتِيَّةً ذهبيـة ، فلم نَسْتَطِـعْ دونَ السُجودِ لها صبرا .
خرجْنا على ان المُقـامَ ثلاثةٌ ، فطابتْ لنا حتى أقمنا بها شهرا [9] .
عِصابةُ سوءٍ لا ترى الدهرَ مِثْلَهم ، وإن كنتُ منهم لا بريئاً ولا صِفْرا [10] .

---

١ الساري : المسافر في الليل . السفر (بفتح فسكون) : الذين يسافرون معاً . العلم : الجبل .

٢ المطي جمع مطية : الدابة التي يركبها الإنسان . صرفت مطيهم : وجهت سيرها وجهة أخرى .

٣ كان غير المسلمين في العصر العباسي يلبسون زناراً ، وكان ذلك خاصاً بهم . ثم عم لبس الزنار فيما بعد .

٤ ازور : أدار وجهه . الهجر : الكلام القبيح .

٥ أكنى بعمرو : يقال لي : أبو عمرو . ولا عمرا : ليس لي ولد اسمه عمرو .

٦ كأخرى : مثل كنية أخرى . جعلت وقراً (ثقيلة على السمع أو طويلة) .

٧ طرفه : لحظه ، بصره . يقسم طرفه ... : ينظر الينا من أسفل إلى أعلى فعل المستغرب أو قليل الاهتمام .

٨ يظهر أن الخمار رآهم يقصدون غيره ثم جاءوا اليه ، فهو يعاتبهم ولكنه يقول سأعذركم هذه المرة .

٩ المقام : المكث والاقامة . ثلاثة : ثلاثة أيام .

١٠ الدهر : طول الدهر . — أنا أقول عنهم إنهم عصابة سوء مع أني واحد منهم .

إذا ما دنا وقتُ الصَّلاةِ رأيتَهـم   يَحثّونها حتى تَفوتَهُم سُكْرا [1] .

– وداوني بالّتي كانت هي الداء :

دَعْ عنكَ لَوْمي فإنّ اللومَ إغراءُ ،   وداوِني بالّتي كانت هي الداءُ [2] :
صفراءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ ساحتها ،   لو مَسّها حجرٌ مسته سَرّاءُ [3] !
قامت بإبريقها والليـل معتكِـرٌ   فَلاحَ من وجهِها في البيت لألاء [4] .
فأرسلتْ من فمِ الإبريقِ صافيـةً   كأنما أخْذُهـا بالعين إغفـاء .
رقّتْ عنِ الماء حتى ما يُلائمهـا   لَطافةٌ وجفا عن طبعِها المـاء .
فلو مزجتَ بهـا نوراً لَمازجَهـا   حتى تَوَلّدَ انوارٌ وأضواء .
دارتْ على فِتْيةٍ دارَ الزمان بهم   فما يُصيبهمُ إلّا بما شـاءوا [5] .
لِتلكَ أبكي ولا أبكي لِمَنْزِلَةٍ   كانت تَحِلّ بهـا هِندٌ وأسماء [6] .
حاشا لِدُرّةَ أن تُبنى الخيامُ بها ،   وأن تروحَ عليها الإبْلُ والشاء [7] .
فقلْ لمن يَدّعي في العلم معرفةً:   حَفِظتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياء [8] .
لا تحْظُرِ العَفْوَ إنْ كنتَ امْرَأً حَرِجاً   فأن حَظْرَكَهُ بالدين إزراء [9] .

---

١ – إذا دنا وقت الصلاة أسرعوا في شرب الخمر فيحل وقت الصلاة ثم ينقضي وهم سكارى لا صلاة عليهم (أخذ أبو نواس هنا باحدى الآيات التي نزلت في الخمر قبل أن تحرم الخمر قطعاً : « يا أيها الذين آمنوا، لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » – سورة النساء ، ٤٣ – ولكن هذه الآية نسخت ، أي بطل حكمها . غير أن أبا نواس يحتج بها . وذلك من زندقته !

٢ – ان لومك لي على شرب الخمر يغريني (يدفعني إلى الاكثار من شربها) . يبدو أن الذي أصيب بالخدر من تعاطي مادة ما إذا أخذ مقداراً جديداً من تلك المادة كان ذلك المقدار منبهاً له إلى حين !

٣ سراء : سرور ، طيب العيش .

٤ قامت الساقية تحمل ابريق الخمر والليل لا يزال مظلماً فأضاء البيت من جمال وجهها .

٥ – تقلب الدهر بهم ولم يصبهم إلا بما شاءوا (بالسرور والنجاح الخ) .

٦ أبكي إذا فقدت الخمر يوماً ، ولا أقف على أطلال لهند وأسماء وأبكي .

٧ يبدو أن درة كانت مكاناً يكثر فيه العنب الجيد – . أجل درة عن أن تكون منزلا للبدو ينصبون فيها خيامهم وترعى فيها غنمهم وجمالهم .

٨ يخاطب أبو نواس في هذا البيت ابراهيم النظام ، وكان النظام من علماء الكلام الذين يعتقدون أن من أتى ذنباً كبيراً (كشرب الخمر ، وبالتالي مثل أبي نواس) يخلد في النار .

٩ لا تحظر (تمنع) عفو الله عن المذنب مهما كبر ذنبه ومهما كنت أنت حرجاً (متشدداً) . ازراء : عيب ، احتقار .

– ومن هجائه المشهور المؤلم هجوه لأحمد بن يَسارٍ الجُرجاني :

بما أهجوكَ ؟ لا أدري ! لساني فيك لا يَجْـري .
إذا فكّرتُ في عِرْضِـ ـك أشفَقْتُ على شِعري .

– خمر واستهتار :

ألا فاسْقِني خمراً وقلْ لي: « هي الخمرُ »! ولا تَسْقِني سِرّاً إذا أمكن الجَهْرُ.
فعيشُ الفتى في سَكرةٍ بعد سكرة ؛ فإنْ طال هذا عنده قَصُرَ الدهر .
وما الغُبن إلاّ أن تراني صاحيـاً ، وما الغُنْمُ إلّا أنْ يُتَعْتِعَني السُكر .
فبُحْ بأسْم من أهوى ودَعْني من الكُـنى فلا خيرَ في اللذّاتِ من دونها سِتر .
ولا خيرَ في فَتكٍ بغير مَجانة ؛ ولا في مُجون ليس يتبعه كفر .

– ندامة فتوبة فزهد :

أسرفَ أبو نُواسٍ في الشراب واللهو حتى انكسر نشاطُه وعجَز عن متابعة سيرته الأولى فانقلب إلى نفسه يلومُها ويُظْهِرُ الندمَ على ما أسْلَفَ في الايام الخالية ويطلبُ العفوَ من الله . وقد قال أبو نواس في هذه الحال أبياتاً في الزهد هي من أجودِ شِعره ، تَتّسِمُ بالجِدّ والصِدق والصَراحة وبالسَلاسة :

دبّ فِيّ السَقامُ سُفْلاً وعُلْواً ؛ وأراني أموت عُضْواً فعضوا .
ليس تمضي من لحظةٍ بِيَ إلاّ نَقَصَتْني – بمَرّها فِيّ – جُزْوا.
ذهبتْ جِدّتي بطـاعـةِ نفسي ، وتذكّرت طاعةَ الله نِضوا[1] .
لَهْفَ نفسي على لَيالٍ وأيّـا مٍ تَمَلّيْتُهُنّ لِعْباً ولَهْوا .
قد أسَأنا كلّ الإساءةِ فاللّـ ... ـهمّ صَفْحاً عنّا وغُفْراً وعَفْوا !

٤ – ديوان أبي نواس (اسكندر آصاف) ، القاهرة (المطبعة العمومية) ١٨٩٨م ثم ١٩٠٥ م ؛ بيروت (المكتبة الوطنية بنفقة لطف الله الزهّار) ١٨٨٤ ؛ (نشره أحمد عبد المجيد الغزّالي) ، القاهرة (مطبعة مصر) ١٩٥٣ م ؛ (فاغنر) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٨ م ؛ بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٦٢ م .
ديوان أبي نواس : الخمريات (نشرها آلوارت) ، غرايسفلد ١٨٦١ م .

---

١ الجدة : الحداثة ، (هنا) الشباب والقوة . وفي رواية : شرتي (بكسر الشين) : نشاط الشباب . النضو : الضعيف ، المهزول من المرض أو الكبر .

حديقة الايناس في شعر أبي نواس ، بومباي ١٣١٢ هـ .
الفكاهة والائتناس في مجون أبي نواس ، القاهرة ١٣١٦ هـ .
** أخبار أبي نواس ، تأليف ابن منظور ، القاهرة ١٩٢٧ م ؛ (نشره محمّد عبد الرسول ابراهيم وشكري محمود أحمد) ، بغداد (مكتبة المعارف) بعد ١٩٢٤ – ١٩٥٢ م .
أخبار أبي نواس ، تأليف عبد الله بن أحمد بن هفّان المهزمي (تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (مكتبة مصر) ١٩٥٣ م .
سرقات أبي نواس ، تأليف أبي فضلة مهلهل بن يموت بن المزرّع (نشره محمد مصطفى هدّارة) ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٥٧ م .
أبو نواس : دراسة ومختارات ، تأليف عمر فروخ ، بيروت (مكتبة الكشاف) ١٣٥١ هـ ، ١٩٣٢ – ١٩٣٣ م ، الخ . ثم (منشورات دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م .
النواسي ، تأليف زكي المحاسني ، دمشق ١٩٣٩ م .
ألحان الحان ، تأليف عبد الرحمن صدقي ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٨ م .
أبو نواس ، تأليف عبد الرحمن صدقي ، القاهرة ١٩٤٢ م .
أبو نواس الحسن بن هاني ، تأليف محسن الامين ، دمشق (مطبعة الاتقان) ١٩٤٧ .
أبو نواس ، تأليف عبد الحليم المصري ، القاهرة (دار المعارف) ، ١٩٤٤ م .
نفسيّة أبي نواس ، تأليف محمد النويهي ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٣ م .
الحسن بن هاني أبو نواس ، تأليف عبّاس محمود العقّاد ، القاهرة (مكتبة الأنجلو) ١٩٥٤ م .
غزل أبي نواس ، تأليف علي شلق ، بيروت (دار بيروت) ١٩٥٤ .
مجلّة الهلال (عدد خاصّ ، أغسطس ١٩٣٦ م) ، القاهرة .
الاغاني ١٦ : ٤٨ – ١٥١ ، ١٨ : ٢ – ٨ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٤٣٦ –

٤٥٧ ؛ تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٢٥٤ — ٢٧٩ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٤٠ — ٢٤٣ ؛ شذرات الذهب ١ : ٣٤٥ — ٣٤٧ ؛ بروكلمان ١ : ٧٤ — ٧٦ ، الملحق ١ : ١١٤ — ١١٨ ؛ زيدان ٢ : ٦٨ — ٧٢ ، Enc. Isl. (new ed) I 143 - 4

نُويب [١]

١ — وُلِدَ نُويب ، وهو عبد الملك بن عبد العزيز السَلولي ، في اليمامة ونشأ فيها ثم تُوُفِّيَ فيها أيضاً ، لم يرتحلْ إلى خليفة ولا إلى أحدٍ من الاكابر والرؤساء مادحاً . وجميع أخباره المروية مع سُعْدى بنتِ أزهرَ ، وهي امرأة من أهل اليمامة كان نُويبٌ يهواها ويقول فيها الشعر . ولم تكن سعدى تعْرِفه ، ولكنّ شعرَه كان يصل إليها من وراءٍ وراءٍ . فاتّفق أن رأته يوماً — وكانت معَ أترابٍ لها — فقُمْنَ اليه جميعاً فضَرَبْنَهُ وخرّقْنَ ثيابَه ، فاسْتعدى عليهن الواليَ فلم يَسْمَعْ له .

ثم إن سُعْدى أخذتْ تتعرّض له ، إذا مرّ ببيتها ثم تتغافل عنه إغاظةً له . بعدئذ زُفّتْ سعدى إلى أبي الجَنوب يحيى بن أبي حفصةَ فحَجَبَها يحيى فانقطعَ ما كان بينها وبين نُويب . إلا أن نُويباً هجا زوجَها ثُمّ استمرّ يَنْسِب بها .

ولا نعلم من تاريخ نُويبٍ الاّ أنه كان من طَبَقة يحيى بن طالبٍ وبني أبي حَفصةَ وذويهم (غ ٢٠ : ٧٩) ، ويحيى بن طالبٍ الحَنَفي شاعرٌ من أهل اليمامة توفي أيام هرون الرشيد (غ ٢٠ : ١٥٠) .

٢ — كان نُويب شاعراً فصيحاً رقيقاً روى له الأصفهانيّ مختاراتٍ تبلُغُ سبعين بيتاً . وجميع شعرِه هذا في النسيب ، وله هجاء في أبي الجنوب زوجِ سُعدى .

٣ — المختار من شعره :

— قال نويب يَنْسِبُ بسُعدى :

ما تَزالُ الديارُ في بُرقة النجْـ ـد لسُعْدى بقَرْقرى تُبْكيني .

[١] في طبعة دار الثقافة (بيروت) للاغاني : نويت (٢٣ : ٣٩) .

قد تَحَيَّلْتُ كي أرى وجهَ سُعدى، فـإذا كلّ حيـلةٍ تُعْيِيني .
قلت لمّا وَقَفْتُ في سُدّةِ البـا ب لسُعدى مقالةَ المِسكين [1] :
« افْعَلي بي ، يا ربّةَ الدارِ ، خيراً ؛ ومن المـاء شَرْبةً فاسْقِيني ! »
قالتِ : « الماءُ في الرَكِيِّ كثيرٌ » . قلتُ : « ماءُ الركيّ لا يَرْوِيني » [2] .
طَرَحَتْ دونِيَ الستورَ وقالت : « كلّ يومٍ بعِلّـةٍ تأتيني ! »

— ورأى نُوَيب سُعدى راحلةً نحو مكّةَ حاجّةً ، فأخذ بخِطامِ بعيرِها وقال :

هلْ للتي بَكَرَتْ تُريدُ رحيـلا للحَجّ ، إذ وجدتْ إليه سبيلا :
ما تَصْنعينَ بحِجّةٍ أو عُمْـرةٍ لا تُقبَلانِ وقـد قَتَلْتِ قتيلا ؟ [3]
أحْيِي قتيلَكِ ثم حُجّي وانسُـكي فيكونَ حَجُّكِ طاهراً مقبولا !

٤ — ** الاغاني ٢٠ : ٧٩ — ٨٢ .

أبانُ بن عبد الحميد اللاحقيّ

١ — هو أبانُ بنُ عبدِ الحميد بنِ لاحقٍ بن عفير مولى بني رَقاش ، كان شاعراً خليعاً ماجِناً مُتّهَماً بالزندقة والإلحاد ، وكان فيه مَيلٌ عن العرب إلى الفرس ، إلاّ أنه لم يكن يُظْهِرُ ذلك . ويبدو أنه كان مُقيماً في البصرة إلى نحو سنة ١٨٠ هـ (٧٩٦ م) ، ثم انتقل إلى بغدادَ واتصل بالبرامكة ليوصلوه إلى هرونَ الرشيد . فصارحه البرامكة بأنّ الرشيد لا يرتاحُ إلى شاعر إلا إذا كان فيه ميل على آلِ أبي طالب ، فنظم أبانُ قصيدة يفضّل فيها بني العباس . ثم حَسُنَتْ حالُ أبانٍ عند الرشيد وعند البرامكة حتى أصبح يُزاحِمُ في مدحِهم جميعاً أبا نواسٍ ومروانَ بنَ أبي حَفصةَ . وفي سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) عيّنه يحيى بن خالدٍ رئيساً لديوان الشعر : تُحال إليه قصائدُ المديح ليَحكُمَ في

١ السدة : باب الدار .
٢ الركي : البئر .
٣ العمرة : القيام بمناسك الحج في غير شهر الحج المكتوب (في غير شهر ذي الحجة) .

ما تَستحقّه من عَطاء . فكان ذلك سببَ عداوةِ الشعراء لـه ، وخصوصـاً أبا نواس .

وكانت وفاة أبان بن عبد الحميد سنة ٢٠٠ هـ (٨١٥ – ٨٠٦ م) .

٢ – أبانُ بن عبد الحميد أديبٌ شاعر ظريف مطبوعٌ مُقَدَمٌ في العلم بالشعر والحِفظ له . وهو عند الجاحظ (البيان والتبيين ١ : ٥٠) أحسنُ طبعاً من نفر من المحدثين حاشا بشّاراً . ويرى ابن المعتزّ (طبقات ٢٤٠ – ٢٤١) أن أباناً في جميع أحواله أرفعُ طبقةً من أبي نواس . وشعر أبانِ أكثره الهجاءُ ، وله أيضاً مديح وغزل ووصف . ومن أوصافه وصف بارع للمسلول ، ولكن تَغلِب عليه الشماتة ، مع الأسف . وله خطبٌ ورسائلُ .

ولأبان شعر قصصي : نقل كتاب كليلة ودِمنة إلى الشعر في أربعةَ عَشَرَ ألفَ بيتٍ فأعطاه يحيى ابن خالد عليه عشرين ألفَ دينارٍ ، وأعطاه الفضل بن يحيى خمسةَ آلافِ دينار . وله مُزدَوِجاتٌ منها مزدوجة اسمُها ذاتُ الحُلَل ذكر فيها بدءَ الخَلْق وشيئاً من أمر الدنيا ومن الفَلَك والمنطق . ثم له مزدوجات أخرى في تاريخ الفرس : بيلوهر وبوداساف ، مزدك ، سندباد ، سيرة أردشير ، سيرة أنوشروان . وله كتاب حلم الهند وكتاب الصيـام والاعتكاف ، ولـه رسائل .

٣ – المختار من شعره :

– توسّل أبانُ بن عبد الحميد برجلٍ من بني هاشم ليُوصله إلى الفضل بن يحيى فقال فيهما :

يا عزيزَ النّدى ويا جوهرَ الجو ... هرِ من آلِ هـاشم بالبِطاحِ[1] ،
إنّ ظنّي –وليس يُخْلَفُ ظني – ... بك في حـاجتي سَبيلُ النجاح .
إنّ من دونهـا لَمُصْمَتَ بابٍ ... أنت من دون قِفلهِ مِفتاحي .
تاقتِ النفسُ ، يا خليلَ السماحِ ، ... نحوَ بحرِ النّدى مُجاريْ الرياح .
ثم فكّرت : كيف لي ؟ واستخرت الـ ... ـلّهَ عنـد الإمساء والإصباح ،

---

١ البطاح : الاراضي المستوية . والمقصود هنا : بطحاء مكة : وسطها (أشرف أهلها) .

وامتدحتُ الأميرَ ، أصلحه الـ لّهُ ، بشِعْرٍ مُشَهَّرِ الأوضاح :
أنا من بُغيةِ الأميرِ وكَنـْـزٌ من كُنوزِ الأميرِ ذو إرباح :
كاتبٌ حاسب خطيب أديب ، ناصحٌ زائد على النُصّاح ،
شاعِرٍ مُفْلِقٌ ، أخفٌّ من الريـ ـشة مما يكون تحت الجَناح !
إن دعاني الأمير عايَنَ مني شَمرِيّاً كالبلبل الصيّاح [1]

— وقال يهجو أبا نواس :

أبو نواسِ بنُ هـاني ، وأُمّـه جُلّبانِ .
والنـاس أفطنُ شيء إلى حُروف المعاني . [2]
إن زِدتّ بيتاً على ذي ، ما عشتُ ، فاْقطَعْ لِساني !

٤ — ** الفهرست ١١٩ ، ١٦٣ ؛ الاغاني ٢٠ : ٧٣ — ٧٩ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٢٤١ — ٢٤٢ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٤٤ — ٤٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢٣٨ — ٢٣٩ ؛ زيدان ٢ : ٩٢ — ٩٣ .

الفضل بن عبد الصمد الرقاشي

١ — هو الفضْلُ بن عبد الصمد ، أصله من الرَيّ ، مولىً لبني رَقاشٍ من ربيعةَ في بني بكر بن وائل . وكان الرقاشي من أهل البصرة ثم وَرَدَ إلى بغدادَ ومدح الخلفاء والكبراء ، ولكنه انقطع إلى البرامكة فأغنَوْه عمّن سواهم . فلما نكب الرشيدُ البرامكةَ بَقِيَ الرقاشي على الوفاء لهم وجعل يرثيهم فيُكْثِرُ فعاتبه الرشيدُ ، فاعتذر بالوفاء . فقال له الرشيد : كم كان يَصِلُك منهم ؟ فقال له الرقاشي : ألفُ دينار في السَنَة . فوظّف له الرشيد ألْفَيْ درهمٍ .

وبعد موتِ الرشيد وانقراض البرامكة خرج الرقاشي إلى خُراسان واتصل بطاهر بن الحسين وما زال فيها حتى مات (طبقات ابن المعتز ٢٢٧) ، نحو سنة ٢٠٠ هـ (٨١٥ م) .

---

١ الشمري : ذو المجد القديم . الصياح : الصداح .

٢ يقصد أن الناس سيفطنون إلى حرف المعنى (حرف العطف : و) ويعلمون أن قولنا : أمه جلبان للتهكم ، لأن جلبان ليست أمه .

٢ – كان الفضل الرقاشي من فُحول الشعراء من طبقة أبي نواسٍ ، مطبوعاً مُكثِراً سَهْلَ الشعر وصّافاً ماجناً . وله الرثاء العجيب في البرامكة .

٣ – المختار من شعره :

– لما نكب الرشيد البرامكةَ مرّ الرّقاشي بالفضل بن يحيى [١] مصلوباً فقال :

أما ، واللهِ ، لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفـــة لا تنـــامُ
لَطُفْنا حولَ جِذعك واسْتلمنا ، كما للناس بالحَجَر استلام [٢] !
فما أبصرتُ بعدَك ، يا ابنَ يحيى ، حُساماً حتفُه السيفُ الحُسام .
على اللّذاتِ والدنيا جميعـاً ودولةِ آلِ بَرْمَكٍ السلام !

– لما قال أبو دُلَفِ العِجلي دِرعيّته [٣] عارضه الرّقاشي فقال :

جنّبيني الدِرعَ قد طا ل عن القَصف جِمامي [٤] ،
وٱكْسري البَيضةَ والمِطـ ـرَدَ وٱبْدَيْ بالحسام [٥] ،
وٱقذُفي في لُجّة البحـ ـر بقَوْسي وسِهامي ،
وبتُرسي وبرُمحـي وبَسرجي ولِجامي .
أنا لا أطلُبُ أن يُعْـ ـرَفَ في الحرب مَقامي .
وبحَسْبي أن ترَيْـني بين فِتيانٍ كِرامِ !

٤ – ** طبقات ابن المعتزّ ٢٢٦ – ٢٢٧ ؛ الاغاني ١٦ : ٢٤٥ – ٢٥٠ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥ – ٣٤٦ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٥٦ – ١٥٧ ؛ زيدان ٢ : ٩٤ – ٩٥ .

الإمام الشافعيّ

١ – هو أبو عبد الله محمّدُ بن إدريسَ بنِ العبّاسِ بنِ عُثمانَ بنِ شافعٍ بن

---

١ كذا في غ ١٥ : ٣٦ ، والصواب : جعفر بن يحيى .
٢ الحجر : الحجر الاسود في جانب الكعبة . استلم : قبل .
٣ راجع تحت ، توفي ابو دلف سنة ٢٢٥ هـ .
٤ القصف : اللهو . الجمام : الراحة ، الانقطاع عن بذل الجهد .
٥ البيضة : طاسة حديد يضعها الرجل على رأسه في الحرب . المطرد : الرمح القصير : أبدي : ابدأي .

السائب بن عُبيد بن يزيدَ بنِ هاشمِ بنِ عبد المطلب ، فهو قُرَشِيٌّ هاشمي .

وُلِدَ الشافعيّ في غزّة (فِلَسْطين) ، سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) ، ثم جاءت به أمّه إلى مكّةَ وعُمرُه سنتان .

حَفِظَ الشافعي القرآنَ الكريم ودرس الحديثَ والفِقه ثم أبْدى (سكن الباديةَ) مَعَ بني هُذيل فأخذَ عنهم اللغةَ الفصيحة وروى أشعارَ شعرائهم .

وفي نحو سَنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) نُصِحَ له بأن يلْقى الإمامَ مالكَ بنَ أنسٍ فقيهَ أهلِ المدينة فحفظ المُوطّـأ ، ثم ذهبَ إلى المدينة وقرأه على الإمامِ مالكٍ ثم زار اليمن . فلمّا ظهر فيها يحيى بن عليّ بايعه فجيء به مَعَ جَماعة من العَلَويين إلى هرونَ الرشيدِ فضَرَبَ الرشيدُ أعناقَ العلويّين وشَفَعَ الفضل ابنُ الربيع وزيرُ هرونَ الرشيدِ بالشافعي فعَفا عنه الرشيد . وبَقِيَ الشافعي في بغداد مدّة ثم تنقّل بين بغداد ومكّة ومِصرَ مراتٍ في فَتَراتٍ متقاربة . وكان نزوله في مصر في ٢٨ شوال سنة ١٩٨ هـ (٢١-٦-٨١٤ م) .

وتوفّي الشافعي في مِصْرَ يوم الجُمُعة آخرَ يومٍ من رَجَبَ سنة ٢٠٤ هـ (٢٠-١-٨٢٠ م) ودُفِنَ في الفُسطاط (مصر القديمة) بالقَرافة الصُغرى ؛ ومقامه فيها مشهورٌ إلى اليوم .

٢ ــ مُحمّدُ بن إدريسَ الشافعي أحدُ الائمّة الأربعة وصاحبُ المذهب المعروف باسمه ، كان عالمـاً بالحديث والفقه أميناً ثقةً عَدْلاً ، وهو الـذي استنبط علمَ أصول الدين (الأسس التي يقوم عليها التوحيد في الإسلام) كما كان عالمـاً باللغة والأدب وبالنجوم والأنساب . وحَسْبُهُ مقاماً في الأدب أنّ الأصمعي قرأ عليه أشعار الهُذَليين . على أن شُهرتَه ومكانته إنما هما في الفِقه : كـان الشافعي في أول أمره من أصحاب الإمام مالكٍ كثيرَ الاعتماد على الحديث ، ولا يحكُمُ في القضايا بالرأي . فلمّا نزَل في بغدادَ ولَقِيَ أصحابَ الامـامِ أبي حنيفةٌ مال إلى الرأي ونقّح مذهبَه على أساسِ ذلك . ثم لمّا نزل في مِصْرَ ، ووجد حالَ مصرَ مختلفةً من حال الحجاز وحالِ العراق ، نقّح مذهبه للمرّة الثانية . وللشافعي كتبٌ جليلة منها : السُنَن المـأثورة ، المُسْند ، في أصول الفقه ، كتاب المبسوط . وينسب اليه كتاب الأمّ .

والشافعي شاعرٌ مُقِلٌ قريبُ المعاني سهل الأسلوب نَجِدُ في بعض مقطوعاته

شيئاً من النفس الشِعري ، وبعض أشعارِه مشهور .

٣ – المختار من شعره :

– ولولا الشِعْرُ بالعلماء يُــزري لكنتُ اليومَ أشعرَ من لَبيد[١] !

– قال الشافعي في الرفض (مذهب الذين رفضوا اتّباع زيدِ بنِ عليٍّ لأنه أبى أن يُبْطِلَ خلافة أبي بكرٍ وعمرَ) :

يا راكباً ، قِفْ ، بالمُحَصَّبِ من مِنَى واهتِفْ بقاعدِ ضيفِها والناهضِ[٢] ،
سَحَراً إذا فاض الحَجيج إلى مِنَى فَيْضاً كمُلْتَطِمِ الفُراتِ الفائض[٣] :
إنْ كان رِفْضاً حبُّ آلِ محمّدٍ فَلْيَشْهَدِ الثقلانِ أنـي رافضي !

– وقال في الاغتراب :

ما في المُقامِ لذي عقلٍ وذي أدَبٍ من راحةٍ فدَعِ الأوطانَ واغتربِ .
سافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عمّنْ تُفارقــه وانْصَبْ فان لَذيذَ العيش في النَصَب[٤].
إني رأيتُ وقوفَ الماء يُفْسدُه : ان ساح طابَ ، وان لم يَجْرِ لم يَطِبِ .
والأُسْدُ لولا فِراقُ الغاب ما افترستْ ، والسهم لولا فراقُ القوس لم يُصِبِ .
والتِبرْ كالتُرْبِ مُلْقىً في أماكنه ؛ والعُودُ في أرضه نوع من الحَطَب[٥].

٤ – ديوان الإمام محمّد بن ادريس الشافعي (جمعه ... محمود ابراهيم هيبة ؟) مصر (المكتبة العبّاسيّة) ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) ؛ – ديوان الشـافعي (جمعه زهدي يكن) ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٢ .[٦]

رحلة الإمام الشافعي (رواية تلميذه الربيع بن سليمان الجيزي) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٠ هـ .

---

١ أزرى : عاب ، حط من قدر (الناس) .
٢ المحصب : منسك من مناسك الحج يجتمع فيه الحجاج لرمي الجمار (الحصيات السبع) ويكون اجتماعهم في يوم واحد فيكثرون .
٣ الفرات الفائض : نهر الفرات في ابان فيضانه .
٤ النصب : التعب ، الجهد (بضم الجيم : أن يبذل الانسان أقصى ما يستطيع من النشاط) .
٥ العود : نوع من الشجر ذو رائحة يحرق فتفوح منه رائحة طيبة .
٦ راجع أسماء كتبه الفقهية في أماكنها .

** مناقب الإمام الشافعي لفخر الدين الرازي ، مصر ١٣٧٩ هـ .
الإمام الشافعي ، تأليف مصطفى عبد الرازق ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) بلا تاريخ .
الشافعي : حياته وعصره وآراؤه وفقهه ، تأليف محمّد أبي زهرة ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٤٨ م .
تاريخ الإمام الشافعي بقلمه ، ويليه تاريخ شامل للإمام الشافعي تأليف حسين محمّد الرفاعي ، القاهرة (مطبعة الحرّية) ١٣٦٦ هـ .
تاريخ بغداد ٢ : ٥٦ — ٧٣ ؛ معجم الأدباء ٧ : ٢٨١ — ٣٢٧ ، طبقات الشافعية للسبكي ١ : ١٠٠ وما بعد ، ١٨٥ وما بعد ، الخ .
وفيات الاعيان ٢ : ٢١٤ — ٢١٨ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٩ — ١١ ؛ راجع ٢١ ؛ بروكلمان ١ : ١٨٨ — ١٩٠ ، الملحق ١ : ٣٠٣ — ٣٠٥ ؛ زيدان ٢ : ٦٣ .

النَضْر بن شُميل البصريّ *

١ — هو أبو الحسن النَضْر بن شُميلٍ المازني التميمي ، وُلِدَ في مَرْوَ ثم نشأ في البصرة وأخذ عن الخليلِ بنِ أحمدَ وغيرِه . ثم ضاقتْ به الحالُ في البصرة فعاد إلى مرو وصَحِبَ المأمونَ فولاّه المأمونُ القضاءَ في مرو فأقام العدل . وكان النضر من أهلِ السنّة فشَهَرَ السنّةَ في خُراسان ، وكان أولَ من فعَلَ ذلك فيها . وكانت وفاتُه في آخر ذي الحِجّة ٢٠٤ هـ (١٦—٦—٨٢٠ م) .

٢ — كان النضر بن شُميل لُغَوِيّاً نَحْوِيّاً أديباً وفقيهاً راويةً للحديث متمكّناً مما يَعرِف ، ثِقَةً في ما يَرْوي ، له من الكتب : كتاب الصِفات (في اللغة) خمسة أجزاء — المُدْخِل إلى كتاب العين — كتابُ المعاني — كتاب السلاح — كتاب المصادر — كتاب الأنواء — كتاب خَلْق الفرس — كتاب الجيم — كتاب الشمس والقمر — كتاب البُلْغة في شذور اللغة الخ .

٤ — البلغة في شذور االغة (شيخو وهافنر) بيروت ١٩١٤ .
** الفهرست ٥٢ ؛ طبقات الزبيدي ٥٣ — ٦٠ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٢٣٨ — ٢٤٢ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٧٠ — ٧٤ ؛ انباه الرواة ٣ :

٣٤٨ — ٣٥٣ ؛ بغية الوعاة ٤٠٤ — ٤٠٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٧ — ٨ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٠ ، الملحق ١ : ١٦١ ؛ زيدان ٢ : ١٤٥ .

قُطرُب [1]

هو أبو علي محمدُ بن المستنير بن أحمد المعروف بقُطرُب ، مولى سَلم ابن زِياد ، وُلِدَ في البصرة وأخذ اللغة والنحو عن سيبويه والبصريين ، وأخذ علم الكلام عن ابراهيم النظّام . وكان يتبع مذهبه في الاعتزال . ولقد عَهِدَ أبو دُلَفٍ العِجليّ بأولاده إلى قطرب ليؤدّبهم . وكانت وفاتُه في بغداد سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ — ٨٢٢ م) .

لقطرب تصانيفُ جِيادٌ منها : تفسير القرآن الكريم (على مذهب المعتزلة) ، الرد على المُلحدين في تشابه القرآن (الآيات التي تعالج موضوعات هي في الأصل موضع جدال بين العلماء) ، غريب الحديث ، كتاب النوادر ، كتاب الهمزة ، كتاب فعل وأفعل (جمع وأجمع الخ) ، الأضداد ، ما خالف فيه الإنسان البهيمة ، كتاب خلق الانسان ، كتاب خلق الفرس ، الاشتقاق ، الأصوات ، الصفات ، كتاب القوافي ، كتاب العِلل في النحو ، كتاب الأزمنة . وأشهر كتبه كتاب المثلّث جمع فيه أسماءً ثلاثية يأتي أولها مفتوحاً ومكسوراً ومضموماً فيدل على معان مختلفة . والكتاب صغير الحجم إلا أنه أول كتاب من نوعه (وقد يُلْفى باسم المثلّث في اللغة أو مثلّثات قطرب) .

— المثلّث (محمد بن شنب) ، الجزائر ١٩٠٧ م .

•• الفهرست ٥٢ — ٥٣ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ٢٩٨ — ٢٩٩ ؛ طبقات الزبيدي ١٠٦ — ١٠٧ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٥٢ — ٥٤ ؛ وفيات الاعيان ٢ — ٣٠٣ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢١٩ — ٢٢٠ ؛ بغية الوعاة ١٠٤ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٥ — ١٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٠١ — ١٠٢ ، الملحق ١ : ١٦١ ؛ زيدان ٢ : ١٤٥ — ١٤٦ .

---

١ قطرب دويبة تدب ولا تفتر ، وقد لقبه بهذا اللقب سيبويه لأن سيبويه كان اذا جاء الى املاء دروسه على تلاميذه وجد قطرب قد سبقهم جميعاً فيقول له : ما أنت إلا قطرب ليل !

أبو عمرٍو الشَّيباني

هو أبو عمرو إسحاقُ بنُ مِرار الشيباني ، كان من الموالي فنزل في رَمادةِ الكوفة مُجاوراً لبني شَيْبان يؤدّبُ أولادَهم فنُسِبَ اليهم . وقد سكن بغدادَ مُدّة . ويبدو أن أبا عمرٍو الشيباني قد وُلِدَ نحو عام ١٠٠ هـ وعاش حتّى أنافت سنه على مِائةٍ وتوفّي سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م) .

كان أبو عمرٍو الشيبانيّ من الائمّة الأعلام في اللغة والشعر على المذهب الكوفيّ ، وكان ثقة في العلم والرواية ، والغالب عليه النوادر (العلم بالألفاظ القليلة الورود في كلام الناس) . له من الكتب : كتاب الخيل ، كتاب اللغـات ، (ويُعرف أيضاً بكتاب الجيم أو كتاب الجيم في اللغة أو كتاب الحروف) ، كتاب النوادر الكبير ، كتاب غريب الحديث ، كتاب خلق الانسان ، كتاب الإبِل ، كتاب النحلة (وفيات الاعيان ١ : ١١٤) ، وقد عمل نحو ثمانين مجموعاً من أشعار القبائل وجعلها في مسجد الكوفة ، منها : أشعار بني جَعدةَ ، أشعار تَغْلِبَ .

— ** الفهرست ٦٨ ؛ تاريخ بغداد ٦ : ٣٢٩ — ٣٣٢ ؛ طبقات الزبيدي ٢١١ — ٢١٢ ؛ معجم الأدباء ٦ : ٧٧ — ٨٤ ؛ وفيات الاعيـان ١ : ١١٣ — ١١٤ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٢١ — ٢٢٩ ؛ بغية الوعاة ١٢٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٣ — ٢٤ ، ٣١ ؛ بروكلمان ١ : ١١٥ ، الملحق ١ : ١ : ١٧٩ ؛ زيدان ٢ : ١٢٢ — ١٢٣ .

الفرّاء

هو أبو زكريّا يحيى بن زِيادٍ الدّيلمي مولى بني أسد ، وُلِدَ في الكوفة سنة ١٤٤ هـ (٧٦١ م) . وأخذ الفرّاء عن الكِسائي ويونسَ بن حبيبٍ وغيرِهما . ثم انه انتقل إلى بغداد واتّصل بالمـأمون فكان مُؤدّباً لولديه . وكان الفرّاء يُملي على الناس في مسجدٍ قريب من بيته ، وكان الناس يَرْغَبون في مجـالس إملائه وفي كتبه . ومات الفرّاء في طريق مكّة سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٣ م) .

كان الفرّاء واسعَ العلمِ بمعارفِ عصرِه : باللغة والنحو وبأيام العرب

وأخبارها وأشعارها ، وبالفِقه وٱختلاف الفقهاء ، وبالطِبّ والنجوم وبعلم الكلام . وكان ميالاً إلى رأي المعتزلة يتفلسف في تصانيفه ويستعمل ألفاظ الفلاسفة . على أن شُهرتَه ومقدرته كانتا في النحو ، فهو أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكِسائي . واشتهر عن الفرّاء سَعَةُ القول في الحرف « حتّى » ، ولقد رُوِيَ عنه أنه كان يقول : « أموت وفي نفسي شيء من حتّى ، فانها ترفَعُ وتَنْصِبُ وتَجُرّ » .

وللفرّاء كتبٌ كثيرة منها : كتاب الحدود ألّفه بأمر المأمون وجمع فيه أصول النحو وما سمع من العرب وانتهى من إملائه على الورّاقين في سنتين ، وكان المأمون قد أمر بأن تُفرد للفرّاء حُجرةٌ في القصر يكون فيها كلّ ما يحتاج اليه حتّى لا تتعلّق نفسه بغير تأليف هذا الكتاب . وبعد كتاب الحدود أملى كتاب المعاني أو معاني القرآن (في تفسير القرآن) في أربعة أجزاء (نحو ألف ورقة ، عشرين ألف سطر) ، ألّفه لعُمَرَ بن بَكير . وله كتاب البهيّ أو البهاء (في فصيح الكلام) صغير الحجم ، وقد ألفه لعبد الله بن طاهر . وله كتاب المشكل الكبير (في اللغة) ، كتاب المشكل الصغير ، كتاب المصادر في القرآن ، كتاب التثنية والجمع في القرآن ، كتاب الوقف وٱلِابتداء ، كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف ، كتاب اللغات ، كتاب النوادر ، كتاب الواو ، كتاب المقصور والممدود ، كتاب المذكّر والمؤنّث ، كتاب فَعَلَ وأفْعَلَ ، كتاب الفاخر (في الامثال) ، كتاب حروف المعجم ، كتاب آلة الكتّاب ، كتاب يافع ويافعة ، كتاب ملازم ، كتاب الأيام والليالي .

— كتاب المذكّر والمؤنّث (في « مجموعة لغوية ») ، حلب ١٣٤٥ ﻫ .

الايام والليالي والشهور (بتحقيق ابراهيم الابياري) ، القاهرة (المطبعة الاميرية) ١٩٥٦ م .

** الفهرست ٦٦ — ٦٧ ؛ تاريخ بغداد ١٤ : ١٤٩ — ١٥٥ ؛ طبقات الزبيدي ١٤٣ — ١٤٦ ؛ معجم الأدباء ٢٠ : ١٠ — ١٤ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٩٤ — ١٩٨ ؛شذرات الذهب ٢ : ١٩ — ٢٠ ؛ بروكلمان ١ : ١١٨ ، الملحق ١ : ١٧٨ — ١٧٩ ؛ زيدان ٢ : ١٣٤ — ١٣٦ . Enc . Isl . (new ed) II 806 - 8

مُسلِمُ بنُ الوليد صَريعُ الغواني

١ ـ هو أبو الوليد مُسْلِمُ بن الوليد الانصاريّ مَوْلى الانصار ، كان مولدهُ في الكوفة بين سنة ١٣٠ هـ (٧٤٨ م) و سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) ، وفيها نشأ. ثم انه جاء إلى بغداد في أيام الرشيد قبل نكبة البرامكة (١٨٧ هـ = ٧٩٤ م) .

كان أول اتصالٍ لمسلم بن الوليد بالفضلِ بنِ يحيى البرمكي ، فوصله الفضلُ بالرشيد . ثم اتصل مسلم بن الوليد بيزيدَ بن مزْيدِ بن زائدةَ الشّيباني ، والي آذربيجانَ وأرمينيةَ من قِبَلِ الرشيد ، ولكنْ في ولايتهِ الثانية (١٨٣ ـ ١٨٥هـ) ، فيما يبدو لي ؛ وكان اتصاله به في الرَّقّة ، والرشيد يومذاك فيها أيضاً . ولقد كان في مسلم بن الوليد كِبْرٌ وبَسْطةٌ في اللسان فأغْضبَ الرشيد . فانقطع عن الرشيدِ وعن يزيدَ . ولما تُوُفِّيَ يزيدُ بن مزيد (١٨٥ هـ = ٨٠١ م) خلفه على أرمينية ابنُه أسدٌ ثم ابنه محمّدٌ (١٨٦ هـ) ، فاتصل مسلم بن الوليد بمحمد ولكن لم ينلْ عنده حَظوةً . ثم لم نسمع لمسلم بن الوليد باتصال بأهل الدولة إلى أيام المأمون ، فانه اتصل بالفضل بن سهل قبل أن يَليَ الفضلُ الوزارة (١٩٦ هـ = ٨١٢ م) ، ولكن بعد أن دَخَلَ في الإسلام على يَدِ المأمون (١٩٠ هـ = ٩٠٦ م) فكان نديماً له . فلما وَلِيَ الفضلُ الوزارةَ جاءه مسلمٌ مادحاً ، فأراد الفضلُ أنْ يرْفَعَهُ عن التّرددِ بين أبوابِ الممدوحين ، لأنه كان قد شاخ ، فولاّه البريدَ في جُرجان ، وقيل بل ولاّه فيها المَظالمَ ، فبَقِيَ فيها إلى أن مات سنة ٢٠٨ هـ (٨١٣ م) .

٢ ـ مُسْلِم بن الوليد شاعرٌ مُقَدّمٌ من شعراء الدولة العبّاسيّة حَسَنُ النّمَطِ سليمُ الشعر متين السبك صحيح المعاني قليل التكلّف في القول . وكان صاحبَ رَوِيّةٍ وتفكير لا يرتجل ولا يبتدئ . وزعموا أنه أولُ من قال الشعر المعروف بالبديع ، والصحيح أن مُسلماً لم يَسْبِقْ إلى هذا الفن ، ولكنه أكثر منه في شِعره . وكذلك كان مسلم بن الوليد مُتَفَنِّناً مُتصرفاً في فنون الشعر مدحاً ورثاءً وهجاءً وغزلاً ونسيباً ، وبعض الرُواةِ يَقْرِنه في الخمريات بأبي نواسٍ .

٣ المختار من شعره :

– قال مسلم بن الوليد يمدح يزيدَ بن مَزْيَدَ الشيباني :

أجْرَرْتُ حبلَ خليعٍ في الصبا غَزِلٍ ، وشَمَّرتْ هِمَمُ العُذّال في العَذَلِ [١] .
هاجَ البكاءَ على العينِ الطَموحِ هوىً مُفَرَّقٌ بين تَوْديعٍ ومُرْتَحَلِ .
كيف السُلُوُّ لقلبٍ راح مُخْتَبِلاً يَهْذي لصاحب قلب غيرِ مُخْتبلِ .
عاصى العَزاءَ ، غداةَ البَيْنِ ، مُنْهملٌ من الدموع جَرَى في إثْرِ منهملِ .
لولا مُداراةُ دمعِ العينِ لَأنْكَشَفَتْ مِنّي سَرائرُ لم تَظْهَرْ ولم تُخَلِ [٢] .
أمَا كَفَى البَيْنَ أن أُرْمَى بأسْهُمِهِ حتى رماني بلَحْظِ الأعْيُنِ النُّجُلِ !
ماذا على الدهرِ لو لانتْ عَريكتُهُ وردَّ في الرأس مِنّي سَكْرة الغَزَلِ .

ثم تخلص إلى المديح فقال في الممدوح :

يَغْشى الوغى ، وشِهابُ الموتِ في يدهِ يرمي الفوارسَ والأبطالَ بالشُعَلِ ؛
يَفْتَرّ عندَ أفترارِ الحرب مبتسماً إذا تغيّر وجه الفارس البطلِ [٣] .
مُوفٍ على مُهَجٍ ، في يوم ذي رَهَجٍ [*] ، كأنّه أجلٌ يسعى إلى أمَلِ ،
يَنال بالرِفْق ما تَعْيا الرجالُ به كالموت مُسْتَعْجِلاً يأتي على مَهَلِ .
لا يَرْحَلُ الناسُ إلاّ نحو حَجْرته ، كالبيت يُضْحِي إليه مُلْتَقى السبلِ [٤] .
يَقْري المَنيّةَ أرواحَ الكُماةِ ، كما يَقْري الضيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ [٥] ،
يَكْسو السيوفَ دِماءَ الناكثين به ويجعل الهامَ تيجانَ القنا الذُبُلِ [٦] !
يغدو فتغدو المنايا في أسِنّتِهِ شَوارعاً تَتَحدّى الناس بالأجَلِ [٧]

---

١ أمعنت أنا في اللهو وأكثر اللائمون لومي .

٢ .... لولا أنني أداري دموعي (أمنع عينيّ البكاء) لكشفت دموعي أسراراً لا يعرفها الناس مني ولا يتأتى لهم أن يتخيلوها .

٣ افترّ الرجل : ابتسم . افترت الحرب : اشتدت (كلما زاد اشتداد الحرب زاد سروره بخوضها) .

* الرهج : الغبار (اي في المعركة).

٤ البيت : البيت الحرام (الكعبة) في مكة ؛ الحج .

٥ الكماة جمع كمي : البطل التام السلاح . الكوم (هنا) جمع كوماء : الناقة العظيمة السنام (السمينة) . البزل جمع بازل : الجمل البالغ أشده (حينما يبزل : تنشق سنه ، في الرابعة من عمره) .

٦ يخضب سيوفه بدم الناكثين (الثائرين على الدولة) ، ويرفع رؤوس الاعداء على رؤوس القنا (الرماح) ، الذبل (النحيفة السمراء ، كناية عن صلابتها وجودتها) .

٧ شوارع : مسددة ، مصوبة . – آجال الناس تنتهي برؤوس رماحه (كناية عن كثرة الذين يقتلهم) .

وقال في الشيب :

الشيبُ كُرْهٌ ، وكرهٌ أن يُفارقَني ، أعْجِبْ بشيءٍ على البَغْضاء مَوْدودِ :
يمضي الشبابُ وقد يأتي له خَلَفٌ ، والشيبُ يذهب مَفقوداً بمفقود !

— كان لمسلم بن الوليد زوجةٌ ماتتْ فجَزِعَ عليها جَزَعاً شديداً . واتفق أن زار صديقاً له فقدّم له خَمْراً فأبى أن يشرَب ثم قال :

بُكاءٌ وكأسٌ كيف يَتّفقانِ ؟ سبيلاهُما في القلب مُخْتلفانِ .
دَعاني وإفراطَ البكاءِ[1] ، فإنني أرى اليومَ فيه غيرَ ما تَرَيان .
غَدَتْ والثرى أولى بها من وَليِّها إلى منزل ناءٍ بعينِكَ دانِ .
فلا حُزْنَ حتّى تَنْزِفَ العينُ ماءَها وتَعْتَرِفَ الأحشاءُ بالخفَقان[2] .
وكيف بدفعِ اليأسِ والوَجْدِ بعدَها وسَهْماهما في القلب يَعْتلجان .

— وقال يهجو دِعبلاً الخُزاعيّ :

مياسُ ، قل لي : أينَ أنتَ من الورى ؟ لا أنتَ معلومٌ ولا مجهولُ .
أما الهجاءُ فدقّ عِرْضُك دونَه ؛ والمدحُ عنك ، كما علمت ، جَليل .
فاْذْهَبْ ، فأنتَ طَليقُ عِرْضِك ، إنّه عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأنتَ ذليل !

— وقال في الصداقة :

إذا المرء لم يَبْذُلْ من الوُدّ مثل ما بَذَلْتُ له فاعْلَمْ بأني مُفارقُهْ .
فلا خيرَ في وُدِّ امرئٍ مُتكارِهٍ عليكَ ، ولا في صاحبٍ لا تُوافقه !

٤ — ديوان أبي الوليد مسلم بن الوليد الانصاري الشهير بصريع الغواني (نشره ده خويه) ، ليدن (بريل) ١٨٧٥ م ؛ ديوان مسلم بن الوليد ، بومباي ١٣٠٣ هـ ، القاهرة ١٣٢٥ ، ١٣٣٠ هـ ؛ (نشره سامي الدهّان) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٧ م .

** صريع الغواني ، تأليف جميل سلطان ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٩٣٢ م .

---

١ اتركاني وحدي أبكي كثيراً .

٢ في الحماسة (ص ٩٤٢) : فلا وجد . والوجد الحزن . والمعنى : لا أكون حزيناً حقاً إلا إذا جف دمع عيني من كثرة البكاء .

صريع الغواني مسلم بن الوليد ، تأليف حسن علوان ، القاهرة (لجنة البيان العربي) ١٩٤٩ م .
طبقات ابن المعتز ٢٣٥ — ٢٤٠ ؛ الاغاني (دار الثقافة ، بيروت) ١٨ : ٣١٥ — ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٩٦ — ٩٨ ؛ بروكلمان ١ : ٧٦ ، الملحق ١ : ١١٨ ؛ زيدان ٢ : ٧٢ — ٧٣ .

أبو الشَمَقْمَقِ [١]

١ — هو أبو محمّدٍ مَروانُ بنُ محمّدٍ من أهلِ بُخارى ومَوْلى مَروانَ ابنِ مُحمّدٍ آخرِ خُلفاءِ بني أميّةَ ، نشأ في البَصْرَةِ ولَقِيَ بشّاراً وأبا نواسٍ وأبا العتاهيةَ في أيامِ المنصورِ ، ثم قَدِمَ إلى بَغْدادَ في أوّلِ خلافةِ الرشيد .
اتّصل أبو الشَمَقْمَقِ بخالدِ بن برمكَ وبابنه يحيى ، قبل نكبةِ البرامكة (١٨٧ هـ) ، وبيزيدَ بنِ مَزْيَدٍ الشيبانيّ (ت ١٨٥ هـ) . ثم أدرك خلافة المأمونَ . فلعلّ وفاتَه كانت ، على هذا ، نحو سَنَةِ ٢٠٥ هـ (٨٢٠ م) . فإذا نحن قَبِلْنا روايةَ ابن خلّكان (وَفَيات ٣ : ٣٠٧) التي تقولُ إنّ أبا الشَمَقْمَقِ كان مَعَ خالدِ بنِ يزيدَ بن مَزْيدٍ لمّا تولّى خالدٌ المَوْصِلَ (وأرمينية) سنة ٢٠٩ هـ ، وَجَبَ أن تتأخّر وفاةُ أبي الشَمَقْمَقِ بِضْعِ سَنَواتٍ أُخَرَ .

٢ — أبو الشَمَقْمَقِ شاعر سهلُ الشعر ، وليس من الطبقةِ الأولى ؛ وفي شِعرِهِ جِدّ ومَزح . وشعره كلّه نوادرُ (أشياءُ طريفةٌ) منها شيءٌ في المديح والخمر وكثير من الهجاء والمُجون .

٣ — المختار من شعره :

— قال أبو الشمقمق يهجو بغداد (تاريخ بغداد ١٣ : ١٤٦) :

ليس فيها مُروءَةٌ لشريفٍ غيرُ هذا القِناعِ [٢] بالطَيْلسانِ .

---

١ أبو الشمقمق لقب له ، والشمقمق الطويل .
٢ القناع : يقصد لبس الطيلسان .

وبَقينا في عُصبة من قُريش يشتهون المديح بالمَجّان

– وقال في المديح :

يا أيّها الملكُ الذي جمَعَ الجلالةَ والوقارهْ ،
ورِث المكارِمَ صالحاً والجودَ منه والعِمارهْ ،
إني رأيتك في المنا م وعدتّني منك الزياره ؛
فغدَوْتُ نحوك قاصداً ؛ وعليك تصديقُ العِباره [١] .
ان العِيالَ تركتُهم بالمِصْر خُبْزُهُمُ العُصاره (؟)
ضجّوا فقلت : تصبّروا – فالنُجح يُقرَنُ بالصَّباره [٢] –
حتى أزورَ الهاشِميَّ أخا الغضارة والنَضاره [٣]
ولقد غدوتُ وليس لي ، إلاّ مديحُك ، من تِجاره !

٤ – * طبقات ابن المعتز ١٢٦ – ١٣٠ تاريخ بغداد ١٣ : ١٤٦ – ١٤٧ ؛

الهيثم بن عديّ

هو أبو عبد الرحمن الهَيْثَمُ بن عَدِيّ بن عبد الرحمن بن زيدٍ الطائيُّ البُحتريّ ، كان أبوه نازلاً بواسطَ ، وكانت أمه من سَبْيِ مَنْبِجَ . أمـا الهَيْثَمُ نفسُه فوُلِدَ في الكوفة قبل سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ م) .

اتّصل الهيثمُ بالمنصورِ والمَهديّ والهادي والرشيدَ وجالسهم وحدّثهم وروى عنهم . ولكنه كان مكروهاً لأنه كان يتعرّض لأحوال الناس فيرويها على وجوهها (صحيحة) ويُشيع ما يَحرِصون على كتمانه من أمورهم . ويبدو أيضاً أنه كان يولّد الاخبار [٤] .

وكَثُرَ الكلامُ في نسب الهيثمِ بن عديّ ، وقيل إنه لم يكن عربياً بل كان دعِيّاً في

١ العبارة : يقصد تعبير الرؤيا (تفسير المنام) .
٢ الصباره : الحجارة (والشاعر يقصد الصبر) .
٣ الغضارة : الخضرة الكاملة في النبات . النضارة : الحسن .
٤ راجع البيان والتبيين ٢ : ٢٣٨ ، الخ ....

العرب ، وقد هجاه أبو نواس بذلك ، لأن أبا نواس حضر حَلْقةَ الهيثم فلم يعرفه الهيثم فيحتفلَ به . وكان الهيثم متزوّجاً فتاة من بني الحارث بن كعب فحَمِيَتْ عصبيّةُ نفرٍ من الحارثيّين وجاءوا إلى هرونَ الرشيدِ يطلبون منه أن يفرّق بين الهيثم وبين زوجته الحارثية . ويبدو أنهم قد زعموا للرشيد في ذلك الحين أن الهيثم قد ذكر العباس بن عبد المطلب (جد العبّاسيين) بما لا يَليق . فأمر الرشيدُ بالتفريق بين الهيثم وبين زوجته ثم أمر به فسُجِن سنواتٍ عديدةً .

وكانت وفاة الهيثم بن عديّ بفم الصلح ، سنة ٢٠٩ هـ (٨٢٤ م) في الأغلب .

كان الهيثمُ بن عديّ إخبارياً علاّمةً وراويةً واسِعَ الرِوايةِ نَقَل أشياءَ كثيرةً من لغاتِ العربِ وأشعارِها وأخْبارها ، وروى شيئاً من الحَديث ، ولكنّ علماءَ الحديث لا يُوَثِّقونه . وروى الجاحظ أن الهيثم كان يَرى رأيَ الخوارجِ (البيان والتبيين ١ : ٣٤٧) .

وللهيثم بن عديّ مُصَنّفاتٌ كثيرة ، منها : كتاب هبوط آدم وافتراق العرب ونزولها منازلها ، كـ نزول العرب بخراسان والسواد ، كـ بيوتات العرب ، كـ المثالب الكبيرة ، كـ المُعَمَّرين ، كـ نسب طيّء ، كـ الدولة ، تاريخ العجم وبني أمية ، تاريخ الاشراف الكبير ، أخبار زياد بن أبيه ، كـ خِطط الكوفة ، كـ النساء ، كـ فخر أهل الكوفة على أهل البصرة ، كـ قضاة الكوفة والبصرة ، أخبار الحسن بن عليّ ، التاريخ (مرتب على السنين) ، كـ الصوائف ، كـ الخوارج ، كـ النوادر ، مقطعات الأعراب ، أخبار الفرس .

— ** الفهرست ٩٩ — ١٠٠ ؛ تاريخ بغداد ١٤ : ٥٠ — ٥٤ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٣٠٤ — ٣١٠ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٤٩ — ١٥٥ ؛ انباه الرواة ٣ : ٣٦٥ — ٣٦٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٩ ؛ بروكلمان ١ : ١٤٥ — ١٤٦ ، الملحق ١ : ٢١٣ .

أبو عُبَيْدَةَ بن المُثَنَّى

١ — هو أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بن المُثَنّى ، كان أبوه من باجروان بنواحي أرمينية . أما هو فوُلِدَ في البصرة ، في رجب ١١٠ هـ (خريف ٧٢٨ م) ،

وكان مولى بني التَّيْم من قريش .

أخذ أبو عبيدةَ العِلمَ عن أبي الخطّاب الأخفشِ الكبير (ت نحو ١٧٧ ﻫ) وعن أبي عمرِو بن العلاءِ (ت ١٥٤ ﻫ) وعيسى بن عُمَرَ الثّقفيّ (ت ١٨٧ ﻫ) ويونسَ بنِ حبيبٍ (ت ١٨٧ ﻫ) وغيرِهم . وكان مُعْتَقِداً مذهبَ الخوارجِ الصُّفْرية ، وقيل مَذْهَبُ الإباضيّة (معجم الأدباء ١٩ : ١٥٦) ، شُعوبيّاً شديدَ التعصّبِ على العرب ، ولم يكُنْ يَسْلَمُ من لِسانِه أحدٌ من الناس .

ويبدو أنه جاء إلى بَغدادَ أكثرَ من مرّة : جاء مرّةً واتّصل بجعفرِ بن يَحْيى البَرْمكيّ (قتل ١٨٧ ﻫ) فلم يَرْضَ جعفرٌ أنْ يُدْخِلَه على هرونَ الرشيد[١] . ثم استقدمه الرشيدُ بعدَ ذلك بمدةٍ يسيرةٍ ، وكان وزيرَه في ذلك الحين الفضلُ بنُ الربيع (منذ المُحرّم ١٨٧ ﻫ ، كانون الثاني – يناير ٨٠٣ م) ، فحَظِيَ أبو عبيدة عند الفضلِ بن الربيع وقرأ عليه هرونُ الرشيدُ شيئاً من كُتُبِه (وفيات الاعيان ٢ : ٥٥٤) .

ولا نَدْري متى رَحَلَ أبو عبيدة إلى فارسَ واتّصل بموسى بن عبدِ الرحمن الهِلاليّ الذي أكْرَمَهُ إكراماً كبيراً .

وكانت وفاةُ أبي عُبيدةَ في البصرة ، نحو سنة ٢١٠ ﻫ (٨٢٥ م) وقد قاربتْ سِنّه مِائةَ سَنَةٍ ، فلم يشيّعْ أحدٌ جِنازتَه لكُره الناس له .

٢ – أبو عبيدةَ واسعُ العلمِ بالشعر وبأنسابِ العرب وأيامها . وهو كثيرُ التصنيف تزيد كتبه على مِائَتَيْنِ ، منها : كتاب غريب القرآن ، كتاب مجاز القرآن ، كتاب غريب الحديث ، كتاب اللغات ، كتاب الأضداد ، كتاب ما تلحَن فيه العامة ، كتاب أشعار القبائل ، كتاب الأمثال السائرة ، كتاب نقائض جريرٍ والفرزدق ، كتاب بيوتات العرب ، كتاب أيام بني مازن وأخبارهم ، كتابُ القبائل ، كتاب إيادِ الأزد ، كتاب مقاتل الفرسان ، كتاب مقاتل الاشراف ، طبقات الفرسان ، كتاب الغارات ، كتاب مآثر العرب ، كتاب مثالب العرب ، كتاب الأيام الكبير ، كتاب الحُمس في قريش ، كتاب قِصة الكعبة ، كتاب الأوس والخزرج ، كتاب الموالي ، كتاب خوارج البحرين واليمامة كتاب مقتل عثمان ، أخبار الحجاج ، كتاب مرج راهط ، كتاب الأعيان ،

---

١ طبقات الزبيدي ١٩٣ .

كتاب الجمل وصِفّين ، كتاب مكّةَ والحرمِ ، كتاب فضائل الفرس (راجع معجم الأدباء ١٩ : ١٦٠ – ١٦٢ ، وفيات ٢ : ٥٥٦ – ٥٥٧) .

٣ – المختار من آثاره :

– من مقدمة مجاز القرآن :

بسم الله الرحمن الرحيم : حدّثنا ابو الحُسين محمدُ بنُ هارونَ الزّنجانيّ الثّقفيّ قال : أخبرنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ قال : حدّثنا عليّ بن المُغيرةِ الأثرمُ عن ابي عُبيدةَ مَعْمَرِ بنِ المُثَنّى التَيْميّ قال : القرآنُ اسْمُ كتابِ الله خاصةً ، ولا يُسمّى به شيءٌ من سائر الكُتُب غيرُه . وإنّما سُمّي قُرآناً لأنه يَجْمَعُ السُّوَرَ فيَضُمّها ، وتفسيرُ ذلك في آيةٍ من القُرآن : قال جلّ ثناؤه : « إنّ علينا جَمْعَهُ وقُرآنَه [١] » ، مجازه : تأليفُ بعضِه إلى بعضٍ . ثم قال : « فإذا قرأناه فاتّبِعْ قرآنه » ، مجازه : فإذا ألّفنا منه شيئاً فضمَمْناه إليك فخُذْ به واعْمَلْ به وضُمّه إليك ...

– فصل من « مجاز القرآن » :

قالوا : إنما أُنزلَ القُرآنُ بلِسان عربيٍ مبينٍ . وتِصْداقُ ذلك في آيةٍ من القُرآن [٢] ؛ وفي آيةٍ أخرى : « وما أرسَلْنا من رَسولٍ إلاّ بلِسانِ قومِه » [٣] ، فلم يَحْتَجِ السّلَفُ ولا الذين أدركوا وَحْيَهُ [٤] إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنْ يَسألوا عن مَعانيه لأنّهم كانوا عُرُبَ الألْسُنِ فاسْتَغْنَوْا بعِلْمِهِمْ به عن المسألةِ عن مَعانيه وعمّا فيه مما في كلام العرب مِثْلُه من الوجوه والتلخيص . وفي القُرآنِ مِثْلُ ما في الكلام العربيّ من وُجوه الإعراب ومِنَ الغَريب والمعاني ....

ومن مَجاز ما حُذِفَ وفيه مُضْمَرٌ ، (قوله ، فقد) قال : « وسَلِ القَرْيَةَ [٥] التي كُنّا فيها والعِيرَ الّتي أقْبلنا فيها » . فهذا محذوفٌ فيه ضميرٌ ،

---

١ ٧٥ : ١٧ – ١٩ (من سورة القيامة) .

٢ ٢٦ : ١٩٢ – ١٩٥ « وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » (سورة الشعراء) .

٣ ١٤ : ٤ (من سورة ابراهيم) .

٤ وحيه : وحي القرآن : نزوله (على محمد رسول الله) .

٥ ١٢ : ٨٢ (سورة يوسف) : « واسأل القرية .... »

مَجازُه : وسَلْ أهْلَ القَرية ... ، ومَنْ في العير ...

– من مقدمة كتاب الخيل :

.... لم تَكُنِ العَرَبُ في الجاهلية تَصونُ شيئاً من أموالِها ولا تُكْرِمُهُ صِيانَتَها الخيلَ وإكرامَها لها لِمَا كان لهم فيها من العِزّ والجَمال والمَنَعَة [1] والقوّة على عَدُوِّهم حتّى أن كانَ الرجلُ من العرب لَيَبيتُ طاوياً ويُشْبِعُ فَرَسَهُ ويُؤثِرُه على نفسِه وأهلِه ووَلَدِه فيَسْقِيه المحض ويَشْربون الماءَ القَراح ، ويُعَيِّرُ بعضُهم بعضاً بإذالة [2] الخيل وهُزالها وسوء صيانتها .....

قال أبو عبيدة : فلم تَزَلِ العربُ على ذلك من تثمير الخيل والرَّغْبَة في اتّخاذها وصيانتها والصبرِ على مُقاساة مؤنتها معَ جُدوبة [3] بِلادِهم وشِدّة حالِهم في معيشتهم لِما كان لهم فيها من العزّ والمَنَعَة والجَمال حتّى جاء الله بالإسلام فأمَرَ نَبِيَّه صلّى اللهُ عليه وسلّم باتّخاذها وارْتِباطها لِجِهادِ عَدُوِّه ؛ قال الله تبارك وتعالى [4] : « وأعِدّوا لهم ما ٱسْتَطَعْتُم مِنْ قُوّةٍ ومن رِباط الخَيْل تُرهِبون به عدوَّ اللهِ وعدوّكم » . فاتّخذها رسولُ الله صلّى الله عليه وآلِه وسلّم وحَضَّ المسلمينَ على ٱرتباطها ....

– من متن كتاب الخيل : ما تَسْتَحِبّ العرب في الخيل :

تَسْتَحِبّ أن تكونَ ناصيةُ الفرسِ شديدةَ السوادِ ، وتستحبّ لِينَها ولينَ شَكيرِها وطُمَأنينةَ عُصفورِها . والشَّكير ما أطافَ بِمَنْبِت ناصيته من الزَّغَب [5] ، والعصفور منبت الناصية . وذلك كلّه للحُسن إلاّ لِينَ ناصيته ولينَ شَكيرِها فإنّ ذلك ممّا يُسْتَدَلّ به على عِتْقِه ، وهو أبين شاهد في

---

١ العز : القوة والمجد . المنعة : الحماية من العدو .

٢ طاوياً : جائعاً . المحض : اللبن (الحليب) الخالص . القراح : الصافي (اللبن مغذ مشبع ، والماء لا يشبع) . الاذالة : الاذلال ، والهزال .

٣ تثمير الخيل : تكثيرها (بالتناسل) . المؤنة (بفتح الميم وضم الهمزة) ترسم هكذا تلفظ مؤونسة (بالهمزة المضمومة مشبعة) : الكلفة (من الطعام والعناية وما شابههما) . الجدوبة : قحط الأرض وفقدان النبات فيها .

٤ القرآن الكريم ٨ : ٦٠ (سورة الانفال) .

٥ الناصية : مقدمة الرأس ، أعلى الجبهة : الزغب : الشعر اللين .

الفرس على عِتقه يَجِدُه اللامس تحت يديه كأنّه السُّخامُ من لِينه [1] ، فإن وَجَدَ فيه خشونةً فإنّه لَمْ يَسْلَمْ من هُجْنةٍ شائنةٍ من العُروق من غير العِراب [2] ...

٤ — كتاب الخيل ، حيدر اباد الدكن (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣٥٨ ﻫ .
مجاز القرآن (عارضه بأصوله وعلّق عليه محمّد فؤاد سزكين) ، مصر (محمّد سامي أمين الخانجي) ١٣٧٤ ﻫ (١٩٥٤ م) .
كتاب النقائض : نقائض جرير والفرزدق (تحرير أنطون بيفان) ، ليدن (بريل) ١٩٠٧ — ١٩١٢ م) ؛ (تحرير محمد اسماعيل عبد الله الصاوي) ، القاهرة (المكتبة الحسينية) ١٣٧٤ ﻫ (١٩٣٥) م .
** الفهرست ٥٣ — ٥٤ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٢٥٢ — ٢٥٨ ؛ طبقات الزبيدي ١٩٢ — ١٩٥ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ١٥٤ — ١٦٢ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٥٥٤ — ٥٦٠ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٧٦ — ٢٨٧ ؛ بغية الوعاة ٣٩٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٤ — ٢٥ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٢ — ١٠٣ ، الملحق ١ : ١٦٢ ؛ زيدان ٣ : ١١٤ — ١١٥ ،
Enc . Isl . (new ed) I 158

عُلَيّةُ بِنْت المَهْديّ

١ — وُلِدَتْ عُلَيّةُ بِنْتُ الخليفةِ مَحَمّدٍ المَهْديّ سَنَةَ ١٦٠ ﻫ (٧٧٥—٧٧٦ م) . وقد تزوّجها موسى بنُ عيسى بنِ موسى ، ويبدو أنه كانَ يَكْبَرُها في السِنّ جِداً . وحَجّتْ عليّةُ في أيام الرشيد . ومعَ أن أخبارَها تدلّ على أنها كانت دائماً في بغدادَ ، فلا ريبَ في أنها كانت تَتَنَقّل مَعَ زوجها في الأماكنِ الكثيرةِ التي كان يتولاّها . ونحن نعلم أنّ أخاها الرشيدَ

---

١ العتق (بكسر العين) الكرم (كرم الاصل) والجمال والنجابة (الاتيان بنسل صحيح سليم كريم) . السخام (بضم السين) : الريش الناعم تحت الكبير في جسم الطير ، الثوب اللين من الخز (الحرير) أو القطن ، السواد الذي يعلق بالقدر من النار (ويكون في المس عادة شديد الملاسة والليونة لنعومة جزيئاته والمادة الزيتية فيه) .

٢ الهجنة : اختلاط النسب . شائنة : معيبة (تخرج به عن كرم الأصل وصفاء النسل) . العروق والاعراق : أصول النسب . العراب : (الخيل) العربية الصريحة (الصافية النسب) .

استقدمها مرّةً من الرّقّة . وماتتْ عُليّةُ سَنَةَ ٢١٠ هـ (٨٢٥ م) .

٢ – كانت عُلَيّةُ بِنْتُ المَهْديّ شاعرةً وراجزةً مُكْثِرَةً وصاحبةَ صَنْعةٍ في الغِناء . وقد كانت معَ ذلك ديّنة عَفيفةً ممّا لا يتّفق عادةً في أصحاب هذه الطّبَقة من الناس ، غير أنها كانت تَشْرَبُ الخَمْرَ أحياناً . وكان شِعْرُها حَسَناً وأكثره النسيبُ . ولها مديحٌ وهجاء بارعٌ ماجن أحياناً وشيءٌ من الخمر . وتكثر في شعرها الكِناية والتَعْمِيَةُ : كانت تُكْنّي عن أسماءِ الرجال الذين تَتَغزّلُ بهم بأسماءِ النساءِ ، وربّما عمّت في الكِنايـة بأن تَسْتعْمِلَ كلمة رَيْب مثلاً تعمية لاسم زَيْنبَ الذي كانت تُكنّي به عن غلامٍ لها كانتْ تتعشّقه .

٣ – المختار من شعرها :

– قالت عُليّةُ بنتُ المَهْديّ في رَغْبَتِها في الكِناية :

كتَمْتُ اسْمَ الحَبيبِ عن العِبادِ ، وردّدتُ الصَّبابةَ في فُؤادي .
فواشَوْقي إلى بَلَـدٍ خَلِيٍّ لَعَلّي باسْمِ من أهْوى أنادي !

– وقالت تَتَغزّلُ بغلامٍ لها اسْمُهُ طَلّ ، وقد كَنّتْ عنه بكلمة ظِلّ :

أيا سَرْوَةَ الفِتْيانِ ، طالَ تَشَوّقي ؛ فهلْ لي إلى ظِلٍ لَدَيْكِ سَبيلُ [1] .
متى يَلْتقي من لَيْس يُقْضى خُروجه وليس لِمَنْ يَهْوى إليه وُصولُ [2] ؟

– وقالت في الخمر :

خَلَوْتُ بالراح أُناجيهـا آخُذُ منها وأُعطيها .
نادَمْتُها إذ لم أجِدْ صاحباً أرضاه أن يُسْكِرَني [3] فيها !

– ولعُليّة بنت المهدي هجاءٌ بارعٌ مُقْذِعٌ في جاريةٍ اسْمُها طُغيانُ :

لِطُغْيانَ خُفّ مُذْ ثلاثينَ حِجّةً جديدٌ فما يَبْلى ومـا يَتَخرّقُ .

---

١ السروة : نوع من الشجر ، الشجرة الطويلة – الفتيان (فيها تورية) : جمع فتى (الشاب) ، قبيلة من بجيلة (بفتح الباء) ، والشاعرة تقصد المعنى الأول وتوري عنه (تغطيه) بالمعنى الثاني . من هنا ندرك أن طلا الذي كانت علية تحبه كان رجلا طويل القامة .

٢ لما عرف الرشيد بالحب بين علية وطل حجب طلا ومنعه من الخروج .

٣ يشركني (؟)

وكيفَ بلِيَ خفٌّ هو الدهرَ كلَّه على قدمَيْها في السماء معلّق !
فما خرّقت خفّاً ولم تُبلِ جَورباً، وأما سَراويلاتُها فتمزَّق .

٤ – ** أشعار أولاد الخلفاء ٥٥٤ – ٨٣ ؛ الاغاني ١٠ : ١٦٢ – ١٨٦ ؛
فوات الوفيات ٢ : ١٢٤ – ١٢٦

أبو حيّة النمريّ (النميري)

١ – هو الهَيْثَمُ بن الربيع بن زُرارةَ من بني عامر بن نُمير بن عامر ابن صَعصعةَ من بكر بن هَوازن . كان أبو حية من أهل البادية [1] ومن ساكني البصرة ، شَهِدَ دولةَ بني أمية وروى فيها عن الفرزدق ومدح هشام بن عبدالملك ثم أدرك دولة بني العبّاس ووفد على المنصور فمدحه وهجا بني الحسن .

قال ابن المعتزّ (طبقات ١٤٦) : تزوّجَ أبو حيّةَ ابنةَ عمٍّ له فماتت فكاد يَخرُجُ عليها من الدنيا . ثم أصابته لُوثةٌ . ويرى ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٣٥٥) أن لُوثة أبي حية كانت كلوثةِ مجنون ليلى . أما الجاحظُ فيقول : «وسنذكر في الجزء الثاني [2] من أبوابِ العِيّ واللّحن والغلط أبواباً طريفة ، ونذكر فيه النَّوكي من الوُجوه العرب ، ومن ضُرب المثل به منهم ، ونوادرَ من كلامهم ؛ ومجانينَ الشعراء . ولستُ أعني مثلَ مجنونِ بني عامرٍ .... وإنما أعني مثل أبي حيةَ في أهل البادية ....

ولأبي حية في هذا الباب أخبارٌ طريفةٌ منها [3] :

كان لأبي حيّةَ سيفٌ يسمّيه لُعابَ المنيّة ، ليس بينه وبين الخَشَبة فرْقٌ . ودخل كلبٌ إلى بيتِه لَيْلاً فظنّه لصّاً فانتضى «لُعابَ المنية» ووقف في وَسَطِ الدار ، وهو يقول : أيّها المُغترُّ بنا ، بِئسَ – واللهِ – ما اخترتَ لنفسك : خيرٌ قليلٌ وسيفٌ صقيلٌ . أما سمعتَ بلُعابِ المنيةِ ، ثكلَتْكَ أمُّكَ ؟ مشهورةٌ ضربتُهُ ، لا تُخافُ نَبْوَتُه [4] . اخرُجْ بالعفوِ عنكَ قبل أن أدْخلَ

---

١ البيان والتبيين ١ : ٣٨٥ .
٢ راجع البيان والتبيين ٢ : ٢٢٥ ، ٢٢٩ – ٢٣٠ .
٣ غ ١٥ : ٦٤ ؛ طبقات ابن المعتز ١٤٣ – ١٤٤ .
٤ النبوة : ارتداد السيف عن الضريبة (عن الجسم الذي نضربه بالسيف) .

بالعقوبةِ عليك . اني ، والله ، إن أدْعُ قيساً اليك لا تَقُمْ لها .... فبيْنا هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً !

ويبدو أن حالة أبي حيّةَ النفسية ثقُلت فأصبح أهوج جباناً بخيلاً كذّاباً معروفاً بذلك أجمعَ . قيل : وكان يُصرَع أيضاً .

وكانت وفاة أبي حيّة في حدود سنة ٢١٠ ﻫ (٨٢٤ م) .

٢ – كان أبو حيّةَ النمَري شاعراً فصيحاً مُقَصِّداً وراجزاً ، وكان أبو عمرٍو بن العلاء يُقَدّمه . وأبو حيّة عند ابن رشيق (العمدة ١ : ١٧٢ – ١٧٣) : « من أحسن الناس شِعراً وأنظفِهم كلاماً مؤتمّاً بالفرزدقِ آخذاً عنه ، كثيرَ التعصب له ... والعلماء مُجْمِعون على تقديم أبي حيةَ النمري في الترديد ، أي في الإتيان بلفظة متعلّقة بمعنى ثم ترديدها بعينها متعلّقة بمعنى آخر في البيت نفسه » (راجع العمدة ٣٠٠ ، ٣٠١) .

ولأبي حيّة أشعارٌ جيادٌ أكثرُها في وصف زوجتِه في حياتِها وفي رثائِها بعد موتِها . أما فنون شعرهِ فهي المديحُ والرثاء والنسيب والغزَل والحكمة والمُجون .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو حيةَ النمَريّ يمدح المنصور ويشبّهه بالاسد والسيف ويعرّض ببني الحسن :

أحين شِيم – فلم يترُكْ لهم تِرَةً –	سيفٌ تقلّده الرئبال ذو اللبِدِ [١] ،
سَلَلْتُموه عليكم ، يا بني حَسَنٍ ؛	ما إنْ لكم من فَلاحٍ آخرَ الأبَدِ !
قد أصبحتْ لبني العباس صافيةً [٢]	لجَدْعِ آنافِ أهلِ البَغْيِ والحسد ،
وأصبحت كلَهاةِ الليث في يده ؛	ومن يُحاولُ شيئاً في فم الاسد؟

– وله في الغزل والنسيب :

رَجَعْنَ لنا الخاليات القِصارا [٣] :	زمانَ الصِبا ، ليْتَ أيامَنا

---

١ شام السيف يشيمه : استله . الرئبال الاسد . اللبد : الوبر على كتفي الاسد (كناية عن البأس والشدة).

٢ فقد أصبحت الخلافة ..... آناف جمع أنف .

٣ رجع هنا فعل متعد : رد . الخاليات القصار : الأيام الماضية التي تبدو لنا قصاراً لما كان لنا فيها من النعيم .

لِياليَ رأسي غُرابٌ غُدافٌ فطيّره الشيبُ عني فطارا [1] .
أجارتَنا ، إن ريبَ الزمـا نِ قَبلِيَ أفنى الرجالَ الخيارا .
وهازئةٌ إذ رأت كَبْرَةً تَلَفّعَ رأسي بها فاستنارا [2] ،
فإمّا تَرَيْ لِمّتي هكذا فأكثَرتِ بما تَرَيْنَ النفارا [3] ،
فقد أغتدى وهْيَ هَمّ الحِسانِ ، وقد أسلُبُ العَطِراتِ الخِمارا .
وقد كُنتُ أسحَبُ ذيلَ الصبا ، وأُرْخي على العَقِبَيْنِ الإزارا .
ورَقْراقةٍ لا تُطيقُ القيـامَ إلاّ رُوَيْداً وإلاّ ابتِهارا [4] ،
خلوتُ بها نتَجارى الحَديثَ : شيئاً عِلاناً وشيئاً سِرارا!

٤ — ** طبقات ابن المعتزّ ١٤٣ — ١٤٦ ؛ الاغاني (بولاق) ١٥ : ٦٤ — ٦٥ ؛ زيدان ١ : ٣٤٩ !

أبو العتاهية

١ — هو أبو العَتاهية اسماعيلُ بن القاسم مَوْلى عَنَزة ، وُلِدَ سَنَةَ ١٣٠ هـ (٧٤٨ م) في بلدة عين التمر قربَ الكوفة . وكان أبو العتاهية في أول أمره فقيراً يَبيع الخزَفَ (الفخّار) فلم يستطعْ لفقرِه أن ينقطعَ إلى حَلَقات العلماء وشيوخِ الأدب فنَقِمَ من أجلِ ذلك على الأغنياء وعلى الطبقة الحاكمة وألِفَ عِصابةَ والبةَ بنِ الحُباب وأبي نواس زَمناً .

وَفَدَ أبو العتاهية إلى بغدادَ في مَطْلَعِ خِلافة المَهْدِيّ (١٥٨ — ١٦٩ هـ) فمدح المهديّ وتكسّب بالشعر حتى حَسُنَتْ حالُه . ثم انه عَلِقَ جاريةً من جواري المهديّ اسمُها عُتْبَةُ وأخذ يَنْسِبُ بها . وأراد المهديّ أن يَهَبَه إياها ، ولكنّها رَفَضَتْ . ويُقال إن هذا الرفضَ كان سَبَبَ تَرْكِ أبي العتاهيةِ

---

١ غداف : شديد السواد (يقصد شعر رأسه) . — نزل الشيب الابيض فطار الغراب الاسود .
٢ تلفع التف (بالشيب) . استنار رأسي : أصبح أبيض (بالشيب) .
٣ اللمة : شعر مقدم الرأس ، وهو آخر ما يشيب . هكذا : أبيض ، شائباً . النفار : النفور والصد .
٤ الرقراق : التي كأن الماء يجري على وجهها (من النضارة والشباب) . لا تطيق القيام : لا تقدر أن تنهض من قعودها لسمنها . رويداً : قليلا قليلا . ابتهاراً : بنفس منقطع من التعب .

للمديحِ والغزلِ وانتقالِه إلى القولِ في الزهْد . ومعَ أن أبا العتاهية تركَ اللهوَ ولَزِمَ الزهدَ فانه ظلَّ بخيلاً حريصاً على الدنيا بعواملِ بيئتِه الأولى وفقرِه الأول .

وتُوُفِّيَ أبو العتاهية في بغدادَ ، في ٨ جمادى الثانية ٢١١ هـ (١٥–٩–٨٢٦م) .

٢ – أبو العتاهية شاعرٌ مطبوعٌ مُكْثِر [1] سَهْلُ الألفاظِ قريبُ المعاني قليلُ التكلّف . ويَسْهُلُ شعرُه أحياناً حتى يَضْعُفَ ويَرِكّ ، وخصوصاً في الزهد . وسار شعره على ألسنة الخواصّ والعوامّ لسهولته ولنَغْمته الدينية . وهو كثير

---

[1] في الروايات كلها أن أبا العتاهية شاعر مكثر . ومع أن أبا العتاهية شاعر مطبوع ، فان الاهتمام بشعر كان قليلا لغلبة الزهد عليه ولأسلوبه الذي يرك أحياناً ولمعانيه المكرورة . واستناداً إلى هذا نستطيع أن نقول إن كثيراً من شعره قد ضاع . في سنة ١٨٨٦ م أخرج اليسوعيون في بيروت مجموعاً مصنوعاً من شعر أبي العتاهية سموه « الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية » . ولقد كان من المنتظر أن تكون هذه النسخة مشوهة ، ككثير من الآثار التي تناولها اليسوعيون ، إذا كانت متصلة بالأدب العربي وبالاسلام. ولكن لم ينل أبو العتاهية عناية صحيحة من الأدباء العرب ولا طبع ديوانه غير المرات الثلاث أو الأربع في المطبعة اليسوعية (الكاثوليكية) في بيروت .

ولقد عني الدكتور شكري فيصل بديوان أبي العتاهية واعتمد في ذلك نسختين له هما نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق ونسخة وجدها في توبنجن (ألمانية) يرقى نسخها إلى مطلع القرن السابع للهجرة (مطلع القرن الثالث عشر للميلاد) . وبمقارنة طبعة اليسوعيين بهاتين المخطوطتين تبين للدكتور شكري فيصل أن طبعة الآباء اليسوعيين عنيت بالزهد خاصة وتهاونت بأبيات ومقاطع من سائر الفنون . ولقد استطاع الدكتور شكري فيصل أن يجمع في الديوان الذي استخرجه لشعر أبي العتاهية (أبو العتاهية : أشعاره وأخباره – مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م) خمسة آلاف وخمسمائة بيت أو تقل قليلا .وهذا العدد أيضاً يجب أن يكون أقل من العدد الذي بلغ اليه شعر أبي العتاهية . ثم اتضح للدكتور شكري فيصل أن الآباء اليسوعيين قد تلاعبوا بشعر أبي العتاهية تلاعباً يتبدى في الأوجه التالية : كانت بعض الكلمات في الديوان محرفة (وهذا التحريف يمكن أن يكون نتيجة للجهل أو أن يكون مقصوداً) . ويبدو أن الآباء اليسوعيين قد بدلوا عدداً من الكلمات مثل « الحب » فقد جعلوها « الود » ، كما وضعوا كلمة « النوى » مكان كلمة « الهوى » ، وكلمة « نديم » مكان كلمة « جارية » . (ص ١١) . وكذلك حذف الآباء اليسوعيون من ديوان أبي العتاهية الالفاظ الإسلامية ككلمة « محمد » وجملة « لا شريك له » وما ماثل ذلك . وكانوا يحاولون ان يشوهوا الأبيات التي فيها مدارك إسلامية بتحريفها ، فإذا لم يتأت لهم تحريف البيت حتى يغيب منه المدرك الإسلامي حذفوا البيت جملة واحدة (ص ١٢ – ١٣) .

فالدكتور شكري فيصل مشكور على جهوده ، وان كان التحريف للأدب العربي والغض من الثقافة الإسلامية صناعة لليسوعيين وللذين خرجوا من معاهد اليسوعيين ، إلا من رحم ربك . (راجع مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب ، ص ٢٣ ؛ وراجع كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، للدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ ، الطبعة الثالثة ، بيروت . ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م ص ٢١٧ وما بعدها) .

الترديد للمعاني وللتراكيب . ولقد شك المعاصرون لأبي العتاهية ومؤرّخو الأدب من بعدِهم في صِدق أبي العتاهية في زُهدِه ، واعتقدوا أنه كان يَصْطَنِعُ القول فيه اصْطناعاً ، حتى قال فيه سَلْمٌ الخاسر :

ما أقبحَ التزهيدَ من شاعرٍ يُزهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ !

وحمل الناسَ على الشكِ في زهدِه أنه كان بخيلاً مُقَتِّراً على أهله وعلى نفسه ، مُحِبّاً للّهوِ حتى بعد انتقاله إلى القولِ في الزهد . وقد كانت زُهْديات أبي نواسٍ — عند جميعِ النقاد — أصدقَ وأجودَ .

وقال أبو العتاهية في مُعْظَمِ فنونِ الشعر ، ولكنه برَعَ في الغزل وفي الزّهد والأمثال (الحكمة) .

٣ — المختار من شعره :

— قال أبو العتاهية يتغزّل بعُتْبة :

عيني على عُتْبَةَ مُنْهَلّةٌ بدمعها المُنْسكِبِ السائلِ .
كأنها من حُسْنها دُرَّةٌ أخرجها اليَمّ إلى الساحل [١] .
كأن في فِيها وفي طَرْفها سواحراً أقبلْنَ من بابل [٢] .
بَسَطْتُ كفّي نحوكم سائلاً ، ماذا تَرُدّون على السائل ؟
إن لم تُنيلوه فقولوا له قولاً جميلاً بَدَلَ النائل .
لم يُبْقِ مني حبُّها ما خلا حُشاشةً في بدنٍ ناحل [٣] .
يا من رأى قبلي قتيلاً بكى ، من شدّة الوَجْد ، على القاتل !

— قال أبو العتاهية يبكي الشباب :

بَكَيْتُ على الشباب بدمع عيني . فلم يُغْنِ البكاء ولا النحيبُ .
عَريتُ من الشباب — وكان غضّاً — كما يَعْرى من الورَق القضيب .

---

١ الدرة : اللؤلؤة . اليم : البحر .

٢ في فيها : في فمها . طرفها : عينها . بابل مدينة قديمة كانت قرب الكوفة ، اشتهر أهلها بالسحر .

٣ النائل : العطاء . أناله : أعطاه .

ألا لَيْتَ الشبابَ يعودُ يوماً فأُخْبِرَهُ بما فَعَلَ المَشيبُ !

— وقال في التزهيد في الدنيا :

لِدُوا للموت وٱبْنوا للخَراب ، فكُلُّكُمُ يصير إلى تَبَابِ [1] .
لِمَنْ نبني ؟ ونحن إلى تُرابٍ نصير ، كما خُلِقْنا من تراب .
ألا يا موتُ ، لم أرَ منك بُدّاً . أتَيْتَ وما تَحِيفُ وما تُحابي [2] .
كأنّك قد هجمتَ على مَشيبي كما هجم المشيبُ على الشباب .

— وقال يخاطب سلْمَ بنَ عمرو المعروفَ بسلمٍ الخاسر ، قيل ورث سلْمٌ عن أبيه مُصحفاً قديماً فرهنه عند خمّار :

لقد أيقنتُ أني غير باقٍ ، ولكنّي أراني لا أبالي .
سأقنع ما بَقِيتُ بقوتِ يومٍ ولا أبغي مُكاثرةً بمال [3] .
تَعالى اللهُ ، يا سَلْمَ بن عمرو ، أذَلَّ الحِرْص أعْناقَ الرجال [4] .
هَبِ الدُّنيا تُساقُ إليك عَفْواً ، أليس مصيرُ ذاك إلى الزوال ؟
خَبَرْتُ الناسَ قَرْناً بعد قَرْن فلم أرَ غيرَ خَتّالٍ وقالٍ [5] .
وذُقْتُ مَرارةَ الأشياء طُراً فما طَعْمٌ أمرّ من السؤال .

— من « الارجوزة ذاتِ الامثالِ » [6] :

حَسْبُكَ مما تَبْتَغيهِ القوتُ ؛ ما أكثرَ القوتَ لمَنْ يموتُ .
ان كان لا يُغنيكَ ما يَكْفيكا فكلّ ما في الارض لا يُغنيكا .
عَلِمْتَ، يا مُجاشِعُ بنَ مَسْعَدَه ، أن الشبابَ والفَراغَ والجِدَهْ [7]
مَفْسَدَةٌ للمرءِ أيُّ مفسده !

---

١ التباب : الهلاك .

٢ يحيف : يظلم . يحابي : يصانع ، يمالئ شخصاً على آخر .

٣ المكاثرة : مباهاة الآخرين بكثرة (المال أو الأولاد الخ) .

٤ الحرص : الشره إلى أعراض الدنيا وشدة التمسك بها .

٥ الختال : الذي ينتهز الفرصة ليغدر بغيره ، ويسلب منه شيئاً . قال : مبغض .

٦ قيل كانت هذه الارجوزة أربعة آلاف بيت (غ ٤ : ٣٦) لم يصلنا منها إلا أبيات قليلة ؛ ثم استطاع الدكتور شكري فيصل أن يجمع منها نحو ثلاثمائة وعشرين بيتاً (أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٤٤٤ — ٤٦٥) .

٧ مجاشع بن مسعدة أخو عمرو بن مسعدة (ت ٢١٧ هـ ؛ راجع تحت) ، وقد كان شاباً جريئاً قليل المبالاة بالعواقب . الفراغ : اتساع الوقت من غير عمل مفيد . الجدة : الغنى وكثرة المال .

يا لَلشّبابِ المَرِحِ التّصابي؛ روائحُ الجنّةِ في الشبابِ [1] !
هي المقاديرُ ، فلُمْني أوْ فَذَرْ ، تجري المقاديرُ على غَرْزِ الإبَرْ ؛
إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرْ ! [2]
كذا قضى اللهُ فكيفَ أصنعُ ؟ والصّمْتُ إنْ ضاق الكلامُ أوسعُ.
وكلّ خيرٍ تَبَعٌ للعَقْلِ ، وكلّ شَرّ تبعٌ للجهلِ .
ما زالتِ الدّنيا لنا دارَ أذى ممْزوجةَ الصّفْوِ بألوانِ القَذى.
من يسألِ الناسَ يَهُنْ علَيهِمُ ؛ بؤْسى لِمَنْ حاجتُه إليْهِمُ .
طوبى لمن طاب له الحديثُ ؛ ما يَسْتوي الطيّبُ والخبيثُ [3].

٤ — الانوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ، بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٨٨٦ م ، ١٩١٤ م .
أبو العتاهية : أشعاره وأخباره (عني بتحقيقها الدكتور شكري فيصل) ، دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٣٨٤ هـ (١٩٦٥ م) .
ديوان أبي العتاهية ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦١ م .
** أبو العتاهية الشاعر العالمي ، تأليف عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة (مطبعة الشرق الإسلامية) ١٩٣٩ م .
أبو العتاهية ، تأليف أحمد برانق ، القاهرة (لجنة البيان العربي) ١٩٤٧ م .
أبو العتاهية رائد الزهد في الشعر العربي ، تأليف أسامة عانوتي ، بيروت ١٩٥٧ م .
أبو العتاهية شاعر الزهد والحبّ الخائب ، تأليف عبد اللطيف شرارة بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٢ م .

---

١ المرح : النشيط في التمتع بالسرور . التصابي : لهو الشباب . المرح التصابي : المقتدر على اللهو لوفرة نشاطه . روائح الجنة في الشباب (ومع هذا كله ، فالشباب زمن السعادة التامة حتى أنه ليذكرك بالجنة — منه رائحة الجنة ، رائحة الخلود في النعيم) .
٢ ذر = ذرني : اتركني (دع لومي ، لا تلمني) . تجري المقادير على غرز الابر : تطال كل الناس من غير أن تترك أحداً منهم (كما تمر الابرة على جميع خيوط الثوب) .
٣ .... لمن طاب له (هذا) الحديث : حديث الوعظ والتزهيد في الدنيا .

الفهرست ١٦٠ ؛ الاغاني ٤ : ١ — ١١٢ ؛ تاريخ بغداد ٦ : ٢٥٠ — ٢٦٠ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١٢٥ — ١٣٠ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٥ — ٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٧٦ — ٧٧ ، الملحق ١ : ١١٩ — ١٢٠ ؛ وزيدان ٢ : ٧٣ — ٧٤ . Enc. Isl. (new ed) I 107 - 8

عليّ بن جَبَلَةَ العَكَوَّك

١ — هو أبو الحسن عليُّ بن جَبَلَةَ بن عبد الله الأنباري المعروف بالعَكَوَّك (السمين القصير) — قيل سَمّاه بذلك الأصمعي .

وُلِدَ عليّ بنُ جَبَلَةَ في بغدادَ ، سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) ، أكْمَهَ ، وقيل بل كُفَّ بَصَرُه وهو صغير . ولقد تردّد على حَلَقاتِ الأدباء فبَرَعَ في الأدبِ وقول الشعر في مدّة قصيرة . وقضى العكّوك معظم حياته في العراق يمدح أبا دُلَفٍ العِجليّ وأبا غانمٍ حُميد بن عبد الحميد الطوسي والوزيرَ الحسن ابن سهل .

وغَضِبَ المأمونُ على العكّوك لمبالغته في مديح رجالِ دولته ولِخُروجه في ذلك المديح عن الايمان الصحيح كقوله في مديح أبي دُلَفٍ القاسمِ بن عيسى العِجلي :

أنتَ الذي تُنْزِلُ الأيامَ مَنْزِلَهـا وتَنْقُلُ الناسَ من حالٍ إلى حالِ .
وما مَددتَّ مَدى طَرْفٍ إلى أحـد إلاّ قَضَيْتَ بأرزاقٍ وآجـال !

فزعم قومٌ أن المأمون أمرَ بقتلِه ؛ وأنكر ذلك ابنُ المُعْتَزّ (طبقات ١٧٣) والأصفهاني (غ ١٨ : ١٠١) وقالا إنّ العَكوكَ اسْتَتَرَ خوفاً من المأمون حتّى وافاه أجلُه حتَفَ أنفِه ، سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) .

٢ — عليّ بن جَبَلَةَ العكوّكُ شاعرٌ مطبوع مُجيد ، وهو أحدُ فحولِ الشعراء فصيحُ الألفاظِ لطيفُ المعاني متين التركيب مَعَ رَوْنَقٍ وسُهولة وصِناعة بارعة ، حسنُ الإنشاد . ولقد أحْسَنَ التصرّفَ في المديح وأجاد الرثاء والوصفَ والغزل .

٣ — المختار من شعره :

— قال عليّ بن جَبَلَةَ العكوّكُ يمدح أبا دُلَفٍ القاسمَ بن عيسى العجليّ

بقصيدة جيّدة مشهورة منها :

ذادَ وِرْدَ الغَيِّ عن صَدَرِهْ ، فارْعَوى ، واللّهْوُ من وَطَرِهْ [1] .

وأبَتْ إلاّ الوَقارَ له ضَحِكات الشيب في شَعَرِه .

نَدَمي أنّ الشبابَ مضى لم أبَلّغْه مَدى أشَرِه [2] .

جارتنا ، ليس الشبابُ لمن راح مَحْنِيّاً على كِبَرِه .

ذهبتْ أشياءُ كنتُ لها صارفاً حِلْمي إلى صورَه [3] ،

طَرَقَتْ تَلْحِي فقلتُ لها : مَذهبٌ ما أنت من سُوَره [4] !

دع جَدا قَحطانَ أو مُضَرٍ في يمانيه وفي مُضَره ،

وامْتَدِحْ من وائلٍ رَجُلاً عَصَرُ الآفاقِ من عُصُره [5] :

المنايا في مَنَاقِبه ، والعطايا في ذُرا حُجَرِه [6] .

هَضَمَ الدنيا بنائله ، وأقالَ الدينَ من عَثَره [7] .

مَلِكٌ تَنْدَى أنامِلُهُ كابتسام الرَوْضِ عن زَهَرِه ،

مُسْتَهِلٌّ عن مواهبه كانبلاجِ النَوْءِ عن مَطَرِه [8] .

جَبَلٌ عزّتْ مناكِبُهُ أمِنَتْ عَدْنانُ في ثُغُره [9] .

---

١ ذاد : دفع ، رد . الورد : الذهاب إلى الماء للشرب . الصدر : الرجوع عن الماء (بعد الري) — صد (ظهور الشيب) طالب الملذات عن لهوه فأذعن وترك طلب الملذات ، مع أنه لا يزال فيه بقية من النشاط تحمله على طلب اللهو .

٢ الاشر : البطر من نشاط الشباب . — لم أتمتع بجميع نشاطي في عهد شبابي .

٣ عرضت لي في شبابي أمور (تعرض للشبان) فكنت أصرف نفسي عنها بأوجه من الخلق والعقل .

٤ طرقت : جاءت بليل ، تلحاني : تلومني (على تركي ملذات الشباب) فقلت لها : هذا مذهب لا تليقين به ولا تستطيعينه (السورة : المنزلة ، الشرف) .

٥ عصر الآفاق في عصره : أهل الأرض كلهم ضمن عشيرته (كناية عن العزة والمنعة بكثرة القبيل) .

٦ اقرأ : مقانبه مكان مناقبه . المقانب : أكف الاسود ، العطايا . ذرى (فضلات ، ما تناثر من الشيء) . حجره (غرف بيته) .

٧ هضم (اقرأ : خضم : أعطى من ماله) . النائل : العطاء . وأقال الدين من عثره : أنهض الدين من عثرته (بقتال أعدائه) .

٨ مستهل : متدفق . كانبلاج النوء عن مطره : كانبلاج المطر عن نوئه : كسقوط المطر بعد تبدل الفصول .

٩ أمنت عدنان (العرب) في ثغره (ثغوره : مناطقه المتاخمة لبلاد العدو) .

إنّما الدنيا أبو دُلَـــفٍ بين باديه ومُحْتَضَرِه[1] ؛
فاذا وَلّى أبو دلَـــفٍ ولّتِ الدنيا على أثَرِه !
يا دواءَ الأرْض ان فَسَدَتْ ، ومُجيرَ اليُسْرِ من عُسُره ،....

اليتيمة

اليتيمةُ قصيدةٌ بارعةٌ في الغزل وفيها شيءٌ من التصريح والمُجون .

زعموا أن أميرةً نَجْديةً بارعةَ الجمالِ نَذَرَتْ ألاّ تتزوّجَ إلاّ فتىً يُرضيها شعرُه ، فتقرّب إليها شعراءُ كثيرون بقصائدِهم فلم تَرْضَ منها شيئاً . وعَمِلَ شاعر تِهاميّ قَصيدةً وسارَ بها فلَقِيَ في طريقهِ شاعراً آخرَ يَقْصِدُ مَقْصِدَهُ فتناشدا قصيدتيهما . وكانت قصيدةُ التِهامي أبرعَ فقتله رفيقُه وانتحل قصيدته وقَدِمَ بها على الأميرة . وأدركتِ الأميرة من لفظِ الشاعرِ ومن قرائنَ في القصيدة نفسِها أن القصيدةَ ليست للذي أنْشَدَها بين يديها . واعترف الشاعر بجَريمته فأمَرَتْ بقتله .

قال بعضُهم ان القصيدةَ جاهليةٌ ، وقال آخرون هي أُموية . والأكثر أنها عبّاسيّة[2] .

وقال العُكبريّ (ت ٦١٦ هـ) في شَرْحِ قولِ المتنبّي (ت ٣٥٤ هـ) : « .... وبضدّها تتميّزُ الأشياءُ »[3] إنه مأخوذٌ من قول المنبجي : « والضدّ يُظْهِر حسنَه الضدّ » . فإذا كان العكبريّ مُنصفاً مُخلصاً فالمنبجي هذا يجبُ أن يكونَ سابقاً على المتنبّي في الزمن سَبْقاً كبيراً ، لأن المتنبّي لم يكنْ لِيُقِرَّ لمعاصريه في شيء حتّى يأخذَ من مَعانيهم هذا الأخذَ الواضح .

---

١ المحتضر : الحواضر (المدن) . البادي : البادية .

٢ راجع استعراضا لنسبة اليتيمة في « المختارات السائرة » للأستاذ أنيس المقدسي ، بيروت (المطبعة الاميركانية) ١٩٤٦ ، ص ٢٤١ . يورد الاستاذ المقدسي من المراجع : فهرست آداب اللغة لدار الكتب المصرية ٤٣٧ (الذي ينسب القصيدة إلى العكوك) ؛ « البينات » لعبد القادر المغربي (١ : ٢٠٤ – ٢٠٦) ؛ شرح العكبري على ديوان المتنبي ١ : ١٦ ؛ مجلة الهلال (القاهرة) ١٤ : ١٧٤ .

٣ راجع أيضاً شرح ديوان المتنبي للعكبري (ضبطه وصححه .... مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي) ، مصر (مطبعة البابي الحلبي) ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م . ١ : ٢٢ .

وقيل هي لدَوْقَلة المَنبجي [1] ، وقد ورد في تاج العروس (٧ : ٣٢٣) : « ودوقلة شاعر » . وقيل إن القصيدة لأبي الشيص [2] .

على أن في مكْتَبَه المَجْمَعِ العِلمي العربي في دِمَشْقَ مجموعاً وَرَدَتْ فيه « اليتيمةُ » منسوبةً إلى العَكوّك عليِّ بن جَبَلَةَ . بهذا النظر تأتي هذه القصيدة هنا :

هل بالطُلولِ لسائلٍ ردُّ ... أم هلّ لها بتَكَلّمٍ عَهْدُ [3] ؟
دَرَسَ الجديدُ جديدَ معهدِها ... فكأنما هي رَيْطَةٌ جَرْدُ [4]
من طولِ ما تبكي الغُيومُ على ... عَرَصاتِها ويُقَهْقِه الرعد [5] .
فوَقَفْتُ أسألُها وليس بها ... إلاّ المَها ونقانِقٌ رُبْدُ [6] ،
فتناثرتْ دُرَرُ الشُؤونِ على ... خدّي كما يتناثر العِقْدُ [7] .

---

١ في « يتيمة الدهر » للثعالبي أبيات على وزن هذه القصيدة وعلى رويها لأبي العلاء الاسدي (٣ : ١٩١)، ثم أربعة أبيات على وزنها ورويها ، وفي الغزل أيضاً ، لأبي محمد عبد الله بن أحمد الخازن الاصفهاني (٣ : ٢٩٦) .

وتجد واحداً وستين بيتاً من هذه القصيدة في مجموعة « الحديقة » ، جمعها محب الدين الخطيب (الجزء السادس ، الطبعة الثانية) ، القاهرة (المطبعة السلفية ومكتبتها) ١٣٤٩ ﻫ ، ص ١٩٦ — ٢٠٥ ، وفي مقدمتها : « القصيدة اليتيمة لدوقلة المنبجي ، نقلها عبد العزيز الميمني الرجكوتي في آخر مخطوطة للمقامات وجد في الهند » . غير أن عبد القادر المغربي يذكر (البينات ١ : ٢٠٤ — ٢٠٦) أن هذه القصيدة نيف وسبعون بيتاً ، وقد نحلت لأربعين شاعراً متفرقين بين الجاهلية والعصر العباسي ؛ وبعد نزاع طويل صح أنها للعكوك الكندي .

أما نسبة القصيدة إلى العكوك ونصها فقد اعتمدت صورة لمخطوط تفضل المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) في دمشق باهدائه الي ، وقد كانت أبياتها في هذا المخطوط نيفاً وستين بيتاً .

٢ ابو الشيص شاعر عباسي . انظر ، فوق ، ص ١٤٨ .

٣ أم هل لها بتكلم عهد : هل سبق أن تكلمت الاطلال حتى ترد علي الآن؟

٤ الجديد = الجديدان : الليل والنهار (الزمن الذي لا يزال جديداً لأنه خالد) . جديد معهدها : منزلها (المكان المسكون فيها منذ أمد يسير) . ريطة : رداء واسع من حرير . جرد (بفتح الجيم) : خلق (بفتح الخاء واللام) قديم العهد متهرئ . (المكان الجرد : الأجرد ، الذي لا نبات فيه) .

٥ العرصة (بفتح العين والراء) : المكان الخلاء .

٦ المها جمع مهاة : بقر الوحش (نوع من الغزلان البرية) . النقانق جمع نقنق (بكسر النونين) : الظليم (ذكر النعام) وجمع نقنقة : النعامة . الربد جمع أربد وربداء : القاتمة اللون .

٧ درر جمع درة : لؤلؤة . الشؤون : أطراف العيون . درر الشؤون : الدموع .

لَهْفي على دَعْدٍ ، وما خُلِقَتْ   إلاّ لطولِ تَلَهُّفي دعد [1] .
بَيْضاءُ قد لَبِسَ الأديمُ أدِيـ   ـمَ الحُسْنِ فهو لجِلْدها جلد [2] .
ويَزِينُ فَوْدَيْها إذا حَسَرَتْ   ضافي الغَدائرِ فاحِمٌ جَعْدٌ [3] ،
فالوجهُ مِثْلَ الصُبْحِ مُبْيَضٌّ ،   والشَعْرُ مثل الليلِ مُسْوَدّ :
ضِدّانِ لمّا ٱسْتُجْمِعا حَسُنا ؛   والضِدّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِدّ !
وجبينُها صَلْتٌ وحاجِبُها   شَخْتُ المَخَطِّ أزجُّ مُمْتَدّ [4] .
فكأنّها وَسْنى إذا نَظَرَتْ   أو مُدْنَفٌ لَمّا يُفِقْ بعْدُ [5] ،
بفُتورِ عينٍ ما بها رَمَدٌ ؛   وبها تُداوى الأعينُ الرُمْدُ .
وتُريكَ عِرْنيناً به شَمَمٌ   أقْنى وخدّاً لَوْنُه وَرْد [6] .
وتُجيلُ مِسواكَ الأراكِ على   رَتْلٍ كأنّ رُضابَه شهْد [7] .
والجيدُ منها جيد جازئـةٍ   تَعْطو إذا ما طالَها المَرْد [8] ،

١ لهفي ، يا لهفي (بفتح اللام أو بفتح اللام والهاء معاً) : كلمة تقال للتحسر على ما فات . والتلهف مثلها (لن يتاح لي الوصول إلى دعد !)
٢ .... قد لبس أديمها (جلدها) أديم الحسن (جمعت الحسن كله) .
٣ الفود : الشعر في جانب الرأس (قريباً من الاذن) . حسر : كشف عن رأسه . الغدائر جمع غديرة : الذؤابة (بضم الذال) ، مقدار من الشعر يتدلى من الرأس . الضافي : السابغ ، الوافي ، الزائد . فاحم : أسود (كالفحم) . جعد : متموج (ليس مستقيماً كشعر الصينيين مثلا) .
٤ صلت : واضح (بارز ومستو : لم ينخسف إلى الوراء ولم يزحف عليه الشعر من جانبيه وأعلاه) ..... شخت : دقيق . حاجبها شخت المخط (يظهر حاجبها كالخط الرفيع الضيق فوق عينها) . الزجج (بفتح ففتح) : دقة الحاجبين في طول ، والنعت منه أزج وزجاء (القاموس ١ : ١٩١) .
٥ وسنى : غلب عليها الوسن (النعاس) . المدنف : المريض الذي ثقل مرضه (فغاب عن الوعي) .
٦ العرنين : قصبة الانف (الانف) . شمم : ارتفاع (ليست خنساء مخصورة الانف) . أقنى : طويل مستقيم (كالقناة : القصبة ، الرمح) .
٧ المسواك : قطعة من غصن تشعث (تفرق أليافها) من طرفها وتفرك بها الاسنان لتنظيف الاسنان . الأراك : نوع من الشجر تتخذ منه أجود أنواع المساويك . الرتل : حسن التناسق والتنضيد (استواء الرصيف ، الاشياء تصف على نسق واحد) وبياض الاسنان . الرضاب : الريق ما دام في الفم . الشهد (بفتح الشين ، ويجوز ضمها) : العسل (أو العسل ما دام في شمعه قبل أن تمسه يد الانسان) .
٨ الجيد : العنق . الجازئة : (الظبية) الأم الوالدة حديثاً (لا تريد أن تترك طفلها فتبالغ في مد عنقها حتى تطال بها الأشياء) . عطا يعطو : مد عنقه لتناول غصن الشجرة أو نحوه . إذا ما طالها : إذا كان (غصن الشجرة ، أو الشيء المراد) أطول (أعلى) مما يستطيع الإنسان أن يصل اليه في وقفته الطبيعية . المرد : ثمر شجر الاراك إذا كان لا يزال غضاً (طرياً ، قبل أن ييبس) .

وكأنما سُقِيَتْ ترائبُهـــا والنحرُ ماءَ الوَرْدِ إذ تبدو [1]
والمِعْصَمانِ فما يُرى لهمـا من نعمةٍ وبضاضةٍ زَنْـد [2] .
ولها بَنان لو أردتَ له عَقْداً بكفّك أمْكَنَ العَقْد [3] ،
وبصدرِها حُقّانِ خِلْتَهمـا كافورتَيْنِ عَلاهُما نَدّ [4] .
والبطن مَطْوِيّ كما طُوِيَـتْ بيضُ الرياطِ يَزينُها المَلْد [5] .
وبخَصْرِهـا هَيَفٌ يزيّنـه ؛ فاذا تَنوءُ يَكادُ يَنْقَدّ [6] .
والتّفَّ فَخْذاها وفوقَهمـا كَفَلٌ ، يُجاذِبُ خصرَها ، نَهْد [7]
فقيامُها مَثْنَى إذا نَهَضَـتْ من ثِقْلِه وقُعودها فَرْد [8] .
ما شأنَها طُولٌ ولا قِصَـرٌ في خَلْقِها فقِوامُها قَصْد [9]
ان لم يكنْ وصلٌ لَدَيْكِ لنا يَشْفي الصَبابةَ فلْيَكُنْ وعـد .
قد كان أوْرَقَ وصلُكم زمناً ؛ فذَوى الوِصالُ وأورق الصدّ .
للهِ أشواقي إذا نَزَحَـتْ دارٌ بِنا ونأى بكم بُعْد .

---

١ الترائب جمع تريبة : عظم جانب الصدر . النحر : أعلى الصدر إلى العنق . سقيت ماء الورد (كناية عن لون ضارب إلى الحمرة أو كناية عن رائحة زكية) .

٢ النعمة : قلة الابتذال في العمل والخدمة . البضاضة : اللين والامتلاء (مع بياض اللون) . الزند : العظم الذي يصل الكف بالساعد .

٣ البنان : الأصابع (تنعقد للينها) .

٤ الحق (بضم الحاء) : وعاء من خشب (أو فخار) ، كناية عن كبر الثدي . الكافورة : طلعة النخل (الوعاء الذي يكون فيه قرط البلح قبل أن ينشق ، أو هو الطلعة نفسها = قرط البلح في أول خروجه من وعائه) كناية عن الكبر والاستدارة والبياض . الند نوع من الطيب ، أو هو العنبر (ويكون لونه أسمر) .

٥ الملد (بفتح الميم واللام) : النعومة واللين (وقد سكن الشاعر اللام للضرورة) .

٦ الهيف (بفتح الهاء والياء) دقة الخصر . يزينه : يزين خصرها . ناء : نهض ، قام من قعوده . ينقد : ينقطع ، ينكسر (لأن خصرها النحيل الدقيق الضامر الضعيف لا يستطيع أن يحمل بدنها الممتلىء السمين الثقيل) .

٧ الكفل : جانب الفخذ . نهد : عال ، مرتفع .

٨ قيامها مثنى : إذا نهضت نهضت دفعتين (بضم الدال) : تنهض أولا فترفع جسمها عن الأرض معتمدة على يديها ، ثم تتم نهوضها فتنتصب واقفة . وقعودها فرد : مرة ، دفعة واحدة .

٩ ما شانها (عابها) طول (كثير) ولا قصر (كثير) في خلقها (صورة جسمها) . قصد : معتدل .

ان تُتْهِمي فتِهامةٌ وَطَني ، أو تُنْجِدي إنّ الهوى نَجْد [1] .
وزعَمْتِ أنك تُضمِرينَ لنـا وُدّاً ، فهلاّ يَنْفَعُ الودّ ؟
وإذا المُحِبّ شكا الصدودَ ولم يُعْطَفْ عليه فقَتْلُه عمد [2] !
ولَقَدْ علِمْتِ بأنّني رَجُلٌ في الصالحاتِ أروح أو أغدو :
سَلْمٌ على الأدنى ومَرْحَمة ، وعلى الحوادث مارِنٌ جَلْد [3] ؛
مُتَجَلْبِبٌ ثوبَ العفافِ وقد غَفَلَ الرقيبُ وأمْكَنَ الوِرْد .
آليتُ أمدحُ مُقْرِفاً أبـداً ؛ يَبْقى المديح ويَنْفَدُ الرِفْد [4] :
هيهاتِ ، يأبى ذاك لي سَلَفٌ خَمَدوا ولم يَخْمَدْ لهم مَجْد .
والجَدّ كِنْدَةُ والبنونَ هُمُ ، فزكا البنونَ وأنجبَ الجَدّ [5] .
فلَئِنْ قَفَوْتُ جميلَ فِعْلِهِمُ بذميمِ فِعْلي إنّني وَغْـد [6] .
أجْمِلْ إذا ما كنتَ ذا طَلَبٍ ، فالجَدّ يُغْني عنك لا الجِدّ [7] .
وإذا صبرتَ لجُهْدِ نازلـةٍ فكأنه ما مسّكَ الجَهْد [8] .
لِيَكُنْ لديكَ لسائلٍ فَرَجٌ ؛ إنْ لم يَكُنْ فَلْيَحْسُنِ الردّ .

---

١ ان تتهمي : ان تكوني من أهل تهامة (ساحل شبه جزيرة العرب على البحر الأحمر) فتهامة وطني (أنا أيضاً من أهل تهامة) أو تنجدي : وإذا كنت من أهل نجد (الهضبة المرتفعة في شمالي شبه جزيرة العرب) . إن الهوى نجد : ان حبي لك يجعلني أنضم إلى أهل نجد .

٢ – إذا شكا المحب (مرض) من الصدود (الهجر) ثم لم يعطف عليه حبيبه (بالقرب والوصال) ، فان الحبيب يكون قد قتل محبه عمداً .

٣ الأدنى : القريب (واحد الأقارب في النسب) . مارن : صلب ولدن (لين) في وقت واحد (بصير بمعالجة الأمور) . جلد : صبور ، قاس ، ذو عزم . سلم = سلام ، مسالم .

٤ آليت : أقسمت . أمدح : ألا أمدح (تسقط علامة النفي في القسم قبل الفعل المضارع) .
المقرف : الذي تكون أمه عربية وأبوه غير عربي (أي الشخص الذي لا يتصف بصفات العرب الاقحاح من كرم الأصل والشجاعة والكرم ؛ يقصد الشاعر : الدنيء اللئيم البخيل) . الرفد : العطاء .

٥ والبنون هم : المشهورون المعروفون بالشجاعة والأصل والكرم ...

٦ قفوت : اتبعت . الوغد : الرذل (بفتح الراء وسكون الذال) . الدنيء ، الأحمق .

٧ – إذا كانت لك حاجة عند أحد فاطلبها منه باحسان وتعطف . إن الجد (بفتح الجيم : الحظ) هو الذي يفيد في الحياة لا الجد (بكسر الجيم : الكد ، الجهد ، السعي والتعب) .

٨ – إذا صبر الإنسان على الشدائد والمصائب فانها تمر من غير أن يشعر أنها نالت منه أو أتعبته .

وطريدَ ليلٍ ـ ساقه سَغَبٌ وَهْناً إليّ وشفّه بَرْدُ [1] ـ
أوْسعتُ جُهْدَ بَشاشةٍ وقِرىً ؛ وعلى الكريمِ لِضَيْفِهِ جُهْدُ [2] .
فتصرّمَ المَشْتى ، ومَرْبَعُه رَحْبٌ لَدَيّ وعَيْشُه رَغْدُ [3] .
ثمّ اغتدَى ورِداؤه نِعَمٌ أسْدَيْتُها ورِدائيَ الحَمْدُ [4] .
يا ليت شِعْري بعدَ مَهْلكَتي ، ـ ومَحارُ كلّ مُعَمَّرٍ لَحْدُ [5] ـ
أصريعُ كَلْمٍ أم صريعُ ضَنىً أردى ؟ فليس من الرَّدى بُدّ [6] !

٤ ـ ** طبقات ابن المعتزّ ٧١ ـ ١٨٥ ؛ الاغاني ١٨ : ١٠٠ ـ ١١٤ ، تاريخ بغداد ١١ : ٣٥٩ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٦ ـ ٣٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٠ ـ ٣١ ؛ بروكلمان ١ : ٧٧ ، الملحق ١٢٠١ ؛ زيدان ٢ : ٩٩ ـ ١٠٠ . Enc . Isl . «new ed» I 315-6

ابن هشام صاحب السيرة

هو أبو محمّدٍ عبدُ الملكِ بنِ هِشامِ بنِ أيّوبَ الحِمْيَريّ المُعافِريّ البَصْري ، أصلُه من البَصْرة ، سكَنَ حيناً في الكوفة حيثُ سَمِعَ «السيرة» من زيادِ بنِ عبدِ الله . ثم جاء إلى مِصْرَ .

وماتَ ابن هِشامٍ في الفُسْطاط ، في ١٨ من ربيعٍ الآخِرِ ٢١٨ هـ (٨ـ٥ـ٨٣٨ م) ، وقيل سنة ٢١٣ هـ .

---

١ طريد ليل : الذي أزعجه الجوع في الليل فجعل يسير على غير هدى يطلب طعاماً . طريد منصوبة لأنها مفعول به من الفعل «أوسعت» في البيت التالي . ساقه : دفعه ، سيره . سغب : جوع . وهناً : بعد منتصف الليل . شفه البرد (لذعه البرد) .

٢ أوسعت جهد بشاشة وقرى : بذلت له أقصى ما أستطيع من حسن اللقاء ومن الطعام . ـ والكريم يبذل لضيفه جهده (أقصى ما يستطيع ، سواء أكان ذلك كفاية للضيف أو أقل مما يجب أو أكثر) .

٣ ـ وقد ظل ضيفاً عندي حتى تصرم (انتهى) المشتى (فصل الشتاء) . مربعه : مكثه ، نزوله ، بقاؤه عندي (كأنه في ربيع) . رغد : سعة وطيب وخصب .

٤ ـ ثم ذهب من عندي وقد أنعمت عليه كثيراً وقد نلت أنا منه حمداً كثيراً .

٥ محار : رجوع (نهاية) . معمر (بتشديد الميم المفتوحة) : الذي طال عمره . لحد : قبر (موت) .

٦ ماذا سيقول الناس بعد موتي : أتراهم يقولون : مات من كلم (من جرح في المعركة) أو من الضنى : الهزال والنحول بسبب الحب ؟ أردى (على وزن «أرضى») : أهلك ، أموت .

كان عبدُ الملكِ بن هشامٍ عارفاً بالأخبار والأنساب وباللغةِ والنحوِ أديباً راويةً للأشعار . وذُكِرَ أنّ له تصانيفَ ، ولكنْ لم يَصِلْنا منه إلاّ «سيرةُ رسولِ الله» ، وهي في الحقيقة مِنْ وَضْعِ محمدِ بنِ اسحقَ [1] هذّبها ابنُ هشامٍ ولخّصها فانتشرتْ عنه فأصبحت تُنْسَبُ إليه . وفي هذه «السيرة» جوانبُ من حياة محمّدٍ رسولِ الله ومن الغَزَوات ، كما أنّ فيها أخباراً كثيرةً تتعلّق بالصّحابة . وفيها أيضاً كثيرٌ من الشعرِ المُعاصر للدَّعْوةِ الإسلامية ووَصْفٌ لعددٍ من جوانبِ الحياة الاجتماعية والأدبية في ذلك العصر . ولا يَبْعُدُ أنْ يكونَ في هذه السيرة شيء من الشعر المَنْحول [2] ومن الأخبار الخارجة عن نطاق التاريخ كما هو مألوفٌ في جميع الأخبار القديمة ؛ ولكن «سيرة ابن هشام» تَظَلّ مَصْدراً مُهِمّاً من مصادرِ الحياةِ الإسلامية في القرنِ الأوّلِ قبلَ الهِجْرةِ والقرنِ الأولِ بعدَ الهجرة .

— سيرة رسول الله (نشرها F. Wuestenfeld) ، غوتنجن ١٨٥٨ — ١٨٦٠م ثمّ ليبزغ ١٨٩٩م ؛ بولاق ١٢٥٩ هـ ، ثمّ ١٢٩٥ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٤ هـ ؛ (نشرها محمّد السقّا وابراهيم الابياري وأحمد شلبي) ، القاهرة ١٩٣٦م ؛ (نشرها محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة ١٩٣٧م . الخ .

** وفيات الاعيان ١ : ٥٢٠ — ٥٢١ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٤ ؛ بغية الوعاة ٣١٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٤٥ ؛ بروكلمان ١ : ١٤١ ، الملحق ١ : ٢٠٦ — ٢٠٧ ؛ زيدان ٢ : ١٧٤ .

---

١ أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار (٨٥ — ١٥١ هـ) من أسرة فارسية سباها خالد بن الوليد من العراق ثم جيء بها إلى المدينة (نحو ١٩ هـ = ٦٤٠ م) ودخلت في الإسلام فأعتقها آل قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف . زار محمد بن اسحق مصر ثم عاد إلى الحجاز فلم يطق الاقامة فيه ، فقد كان متطرفاً في تشيعه ، وكان يقول بالقدر فاستوجب نقمة مالك بن أنس فقيه المدينة وأمام الحجاز فانتقل في الايام الاولى من الدولة العباسية إلى العراق واتصل بأبي جعفر المنصور ثم صحب الأمير المهدي بن المنصور إلى الري . ثم انه عاد إلى بغداد حيث توفي . والعلماء الثقات يردون عدداً من الاخبار والاشعار التي كان محمد بن اسحق يرويها (راجع تاريخ بغداد ١ : ٢١٤ — ٢٣٤ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٥ — ٨ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٣٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢٠٥ — ٢٠٦ ؛ زيدان ٢ : ١٧٥) .

٢ راجع الجزء الأول ، ص ٨٦ — ٨٨ .

أبو زيدٍ الأنصاري

هو أبو زيدٍ سعيدُ بن أوْسٍ الخَزرجيّ الانصاري ، وُلِدَ في البصرة قُبيلَ سَنَةِ ١٢٥ ﻫ (٧٤٣ م) .

أخذ أبو زيدٍ الأنصاريّ عن أبي عمرٍو بن العَلاء والمُفضَّل الضَبّي ، وروى الحديثَ عن أبي عَوْنٍ وغيره . ولمّا بُويع المَهْديّ بالخلافة ، سنة ١٥٨ ﻫ (٧٧٥ م) ، دعا إلى بغدادَ جماعةً من العلماء كان أبو زيدٍ الانصاريّ فيهم . وكانت وفاته في البصرة ، سنة ٢١٥ ﻫ (٨٣٠ م) بعد أن جاوز التسعين .

أبو زيدٍ الانصاريّ لُغويّ موثوق الرِواية حتّى كان سيبويه يُسمّيه « الثقة » . وله كتب منها : كتاب الابل والشاء ، كتاب إيمان عُثمان ، كتاب خلق الانسان ، كتاب الجود والبخل ، كتاب الامثال ، كتاب غريب الاسماء ، كتاب قراءة أبي عمرو ، كتاب القوس والترس ، كتاب اللبَن ، كتاب المطر ، كتاب المنطق ، كتاب النبات والشجر ، كتاب النوادر ، كتاب الهمزة ، كتاب الوحوش الخ .

— النوادر في اللغة (مع تعاليق لمصحّحه سعيد الخوري الشرتوني) ، بيروت (على نفقة مصحّحه) ١٨٩٤ م .

كتاب المطر (نشره شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٥ م .

كتاب الهمز وتخفيف الهمز (نشره شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩١٠ م .

في كتاب البلغة في شذور اللغة (نشره هفنر وشيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٨ م :

كتاب المطر (ص ١٠٠ — ١١٦) ،

كتاب اللبأ واللبن (ص ١٤٢ — ١٤٥) .

** الفهرست ٥٤ — ٥٥ ؛ تاريخ بغداد ٩ : ٧٧ — ٨٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٨٢ — ١٨٣ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢١٢ — ٢١٧ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٧٠ — ٣٧١ ؛ انباه الرواة ٢ : ٣٠ — ٣٥ ؛ بغية الوعاة ٢٥٤ — ٢٥٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٤ — ٣٥ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٣ —

١٠٤ ، الملحق ١ : ١٦٢ – ١٦٣ ؛ زيدان ٢ : ١١٦ – ١١٧ ،
Enc. Isl. (new ed) I 167

الأَصمعيّ

١ – هو أبو سعيدٍ عبدُ الملك بن قُريب بن عبد الملك بن عليّ بن أصْمَعَ من بني مالكٍ بن أعْصُرٍ من قَيْسِ عَيْلانَ من مُضَرَ. وقيل له الباهليّ نِسبة إلى باهلةَ امرأةِ مالك بنِ أعْصُرَ.

وُلِدَ الاصمعيّ نحوَ سَنَةِ ١٢٣ هـ (٧٤٠ م) في البصرة وأخذ العلم عن نَفَرٍ كثيرين من العلماء منهم عيسى بن عُمَرَ الثقفي وشُعبة بن الحجّاج وحمّاد بن سَلَمَةَ وحمّاد بن زيد ومُسْعِر بن كِدام الهِلاليّ ، وقد أخذ قِراءة القُرآن ومُعْظَمَ علوم العربية عن أبي عمرٍو بن العلاء كما أخذ نَقْدَ الشعر عن خَلَفٍ الأحمرِ .

ولَقِيَ الأصمعي هرونَ الرشيدَ في البصرَة ثم وَفَدَ عليه في بغدادَ بدعوة من الأمين ، وهو بعدُ أميرٌ ؛ ثُمّ أدخله الفضلُ بن الربيع على الرشيد ، فسَمِعَ الرشيدُ منه أسماءَ أعضاء الفرس والشواهدَ عليها في أشعار العرب . ولما جاء المأمون إلى بغدادَ استدعى الأصمعي من البصرة ، ولكنّ الأصمعي اعتذر عن تلبية دعوة المأمون بكِبَرِ سنه .

وكانت وفاة الأصمعي في خُراسانَ سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) ، وقيل في البصرة سنة ٢١٣ هـ .

٢ – كان الأصمعي صاحبَ لغة ونحوٍ وإماماً في علم الشعر ورواياته ونقده ثقةً في الأخبار بارعاً في النوادر والمُلَح والغَرائب ، كثيرَ الحِفظ حَسَنَ العِبارة. وقد كان كثير الاحتراز في تفسير الكتاب (القرآن الكريم) والسُنّة (الحديث الشريف) . أما كتبه فكانت كثيرة جداً [1] .

٣ – من كلام الأصمعي :

– حدّثنا عبدُ الله بن اسحق الخُراساني ، حدّثنا أحمدُ بن عبد بن ناصحٍ

---

١ راجع ثبتاً بأسماء كتب الاصمعي في كتاب الفهرست ، في كتاب انباه الرواة ثم في ملحق بكتاب الاضداد للاصمعي (راجع رقم ٤) .

قال حدّثنا الأصمعيّ قال :

وَلِيَ الحجّاجُ العِراقَ عشرين سنةً ، صار إليها في سَنة خَمْسٍ وسبعينَ . وكانت وِلايتُه في أيامِ عبدِ الملك أحدَ عَشَرَ سنةً ، وفي أيام الوليدِ تِسْعَ سنين. وبنى واسطَ في سنتين وفَرَغَ منها في السنة التي مات فيها عبدُ الملك ، سَنَةَ سِتٍّ وثمانين . وكان الحجّاج لما احْتُضِرَ اسْتَخْلَفَ يزيدَ بن أبي كَبْشَةَ على الصلاة والحربِ . ومات الوليدُ بعدَ الحجّاج بتسعةِ أشْهرٍ .

٤ — كتاب الفرق في اللغة (ملّر) ، فينّا ١٨٧٦ م .
كتاب أسماء الوحوش وصفاتها (جاير) ، فينّا ١٨٨٨ م .
كتاب الخيل (هفنر) ، فينّا ١٨٩٥ م .
كتاب الشاء (هفنر) ، بيروت ١٨٩٦ م .
كتاب الدارات (هفنر) بيروت ١٨٩٨ م ، ثم ليبسيغ ١٩٠٥ م .
كتاب النبات والشجر (هفنر) ، بيروت (المطبعة اليسوعية) ١٨٩٨ م .
كتاب النخل والكرم (هفنر) ، بيروت ١٨٩٨ م .
وللأصمعي في كتاب « الكنز اللغوي في اللسن العربي » (سعى في نشره أوغست هفنر) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٣ م :
كتاب الابل (ص ٦٦ — ١٣٥) .
كتاب الابل (نصّ آخر) (ص ١٣٧ — ١٥٧) .
كتاب خلق الإنسان (ص ١٥٨ — ٢٣٢) .
وله في كتاب « البلغة في شذور اللغة) » (نشره هفنر وشيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٨ م .
كتاب الدارات (ص ٤ — ١٦) .
كتاب النبات والشجر (ص ١٨ — ٥٩) .
كتاب النخل والكرم (ص ٦٤ — ٩٤) .
الاصمعيّات (آلواردت) ، ليبسيغ ١٩٠٢ م ؛ ثم (بتحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) .
كتاب الاضداد (شيخو) ، بيروت (المطبعة اليسوعية) ١٩١٢ م .
كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام (تحقيق محمد حسن آل ياسين) ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥٩ م .

** المنتقى من أخبار الأصمعي لضياء الدين محمّد بن عبد الواحد المقدسي (عني بنشره عزّ الدين التنوخي)، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٩٣٦ م.

الأصمعي: حياته وآثاره، تأليف عبد الجبّار الجومرد، بيروت (دار الكشّاف) ١٩٥٥ م.

الأصمعي، تأليف أحمد زكيّ، القاهرة (المؤسسة المصرية العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) بلا تاريخ.

الفهرست ٥٥ ـ ٥٦؛ طبقات الزبيدي ١٨٣ ـ ١٩٢؛ تاريخ بغداد ١٠: ٤١٠ ـ ٤٢٠؛ وفيات الاعيان ١: ٥١٦ ـ ٥٢٠؛ انباه الرواة ٢: ١٩٧ ـ ٢٠٥؛ بغية الوعاة ٣١٣ ـ ٣١٤؛ شذرات الذهب ٢: ٣٦ ـ ٣٨؛ بروكلمان ١: ٤، الملحق ١: ١٦٣ ـ ١٦٥؛ زيدان ٢: ١١٥ ـ ١١٦؛

Enc. Isl. (new ed.) I 717 - 719.

عبدُ المَلِكِ بنُ عبدِ الرحيمِ الحارثيُّ[1]

١ ـ هو أبو الوليدِ عبدُ الملكِ بنُ عبدِ الرحيمِ الحارثيّ من بني الحارثِ ابنِ كَعْبٍ، وهم بطنٌ من مَذْحِجٍ من عرب الجنوب، ومن هؤلاءِ بنو عبدِ المَدانِ وبنو الديّانِ (تاريخ ابن خلدون ٢ : ٢٥٥) ـ وبنو الديّانِ أجدادُ عبدِ الملك هذا، وكانوا يسكنون الفَلَجَةَ من أرض دِمَشْقَ (جُنْدِ الشام) قريباً من الأرْدُنّ.

وضاقتِ الفَلَجَةُ بشاعريّة عبد الملك الحارثيّ فقصدَ بَغْدادَ في مطلع شبابهِ، فيما يبدو، ولكن لم يَنَلْ فيها توفيقاً، فقيل إنّ هرونَ الرشيدَ غَضِبَ عليهِ ـ لسببٍ لا نعلَمُهُ ـ وسَجَنه. ثم تَغيبُ أخبارُ عبد الملك الحارثي من الكُتُبِ.

---

[1] هذه الترجمة مبنية على بحث قيم لخليل مردم (ت ١٩٦٤ م) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، تموز ـ يوليو وتشرين الأول ـ أكتوبر ١٩٥٧ م (افتتاحيتان).

وأوّلُ من نعلم أنّه ذَكَرَ شعرَ عبد الملك الحارثيّ أبو تمّامٍ (ت ٢٣٢ ﻫ) في «ديوان الحماسة»، ثم أورد له ابنُ المُعْتزّ (ت ٢٩٦ ﻫ) تَرْجمةً موجزة وأبياتاً كثيرةً — وابنُ المعتزّ يُوردُ في كتابه «طَبَقات الشعراء» تراجمَ الشعراء المُعاصرين له والقَريبينَ من زمانه. وكذلك أورد الثعالبيّ (ت ٤٢٩ ﻫ)، شيئاً من شعر عبد الملك الحارثيّ في كتابه «خاصّ الخاصّ»، والثعالبيّ أيضاً يُعْنى عادةً بقريبي العهدِ منه. وإذا صحّ أن ما حال بينَ شاعرنا وبين الشُهْرة أنّه كان بَدْوِيّ الشعر في زمن اتّسعتْ فيه الخصائصُ المُحْدَثةُ على يَدَيْ أبي نواسٍ والعبّاسِ بنِ الأحنفِ وصريعِ الغواني وأبي العَتاهية، فمن الراجحِ أن يكون الحارثيّ هذا قد أدركَ صدرَ القرنِ الهِجْريّ الثالثِ (في الربعِ الأوّل من القرن التاسع للميلاد).

٢ — كان عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثيّ شاعراً مُفْلِقاً مُفَوّهاً مقتدراً مطبوعاً لا يُشْبِهُ شِعرُه شعرَ مُعاصريه من المُحْدَثين الحَضَريّين، بل كان أشْبه بشِعر الأعرابِ [1]. ويبدو أنّه كان مُكثِراً ومُطيلاً، غير أن بعضَ شعرِه قد ضاع، كما نُسِبَ بعضُ شعره إلى غيره من الشعراء. وأسلوبُه عربيّ خالص متأثّرٌ بالإسلام جَزْلٌ متينٌ رصينٌ. أمّا فنونه فهي الحماسةُ والفخر والغزل والرثاء — وله في رثاء أخيه سعيدٍ قصائدُ يبلغُ بعضُها مِائَةَ بيتٍ. وليس، فيما بَقِيَ من شعره، مدحٌ ولا هجاء.

وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري [2] أبيات مَطْلَعُها:

شهرُ الصِيام، وإن عظّمتَ حُرمته ، شهرٌ طويلٌ بطيءُ السَيْرِ والحركهْ.

وهذه الأبياتُ تَرِد في ديوان ابن الرومي [3]. على أنّ أهم من هذه الابياتِ القصيدةُ اللامية:

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللُؤم عِرْضُه فكُلُّ رِداءٍ يرتديهِ جميلُ.

فقدِ اشتهر عند الناس، ومُنْذِ زمنٍ متقدّم، أنّها لِلسَمَوْأَل بن عاديا

---

١ البدو. — في شعره تقليد للشعر القديم، ومع ذلك نلمح فيه شيئاً من الضعف مما يجعله في صدر العصر المحدث.

٢

ديوان ابن الرومي (اختيار وتصنيف كامل كيلاني)، ص ٧٧.

الجاهليّ ، ولكن رُواةَ الأدب كابن طَباطبا العَلَويّ (ت ٣٢٢ هـ) وأبي بكْرٍ الصوليّ (ت ٣٣٥ هـ) وابن الاعرابي (ت ٣٤١ هـ) والمَرْزوقي (ت ٤٢١ هـ) والتبْريزي (ت ٥٠٢ هـ) قد ذكروا أنّها لعبدِ الملكِ بن عبدِ الكريم الحارثي ونَبّهوا على أنّها تُنْسَبُ خطأً إلى السموأل

ويبدو أن شُهْرةَ السموأل عند الناس ، لاتّصاله بقِصّة امْرِئِ القيس ورَهْن امرئ القيس دروعَه عنده ، ثمّ خمولَ ذكر الحارثيّ وأن للسموأل أبياتاً مرويةً على وزن هذه القصيدة ورَوِيّها أسبابٌ جعلتْ غيرَ النقّادِ للشعر يَنْسِبون هذه القصيدةَ إلى السموأل . وفي خصائص هذه القصيدة ما يُحيل أن تكونَ للسموأل الجاهليّ ، منها أن التعبير « ماتَ حتفَ أنفهِ » تعبيرٌ إسلاميّ وَرَدَ أولَ ما ورد في حديثٍ لرسول الله . ثُمّ ان بني الديّانِ الذين يَرِدُ ذِكْرُهم في القصيدة في مَجالِ الفخر قومُ الحارثيّ وليسوا قومَ السموأل ، فالسموأل يهوديّ .

– المختار من شعره

– قال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في النسيب :

خُذي بِيدي ثمّ ارْفَعي الثوبَ فانظُري ... بِيَ الضُرّ إلاّ أنّني أتَستّر .
فما حيلتي إن لم تكنْ لكِ رحمةٌ ... عليّ ، ولا لي عنك صَبْرٌ فأصبرُ .
فوالله ، ما قَصّرتُ في ما أظُنّه ... رِضاكِ ، ولكنّي مُحِبٌّ مُكَفَّرُ [1] :

– وله مثلُ هذا النسيبِ الرقيق أيضاً :

وكذّبتُ طرفي عنك ، والطرف صادقٌ ... وأسْمعتُ أذني فيك ما ليس تَسْمَعُ .
وما أسكُنُ الأرضَ التي تَسْكُنينَها ... لِئَلاّ يقولوا صابرٌ ليس يَجْزَع [2] .
فلا كَمَدي يُغني ، ولا لكِ ذِمّةٌ ، ... ولا عنك إقصارٌ ، ولا فيك مَطْمَع [3] .
لَقيتُ أموراً فيك لم ألْقَ مِثْلَها ، ... وأعظمُ منها منكِ ما أتَوَقّع [4] .

---

١ مكفر : هي تنسب إلي الكفران ، قلة الوفاء .
٢ أنا لا أسكن حيث تسكنين لئلا يقول الناس إنني قريب منك ثم لا أحاول الاتصال بك .
٣ الكمد : الحزن الشديد . ولا عنك إقصار : لا أستطيع نسيان حبك والسلو عنك .
٤ أتوقع : أنتظر (ان يحل بي من المصائب) .

– وقال يَرْثي أخاه سعيداً بقصيدة طويلة منها :

فلو أنَّ شيئاً في لِقائِكَ مُطْمِعٌ صَبَرْتُ ، ولكنْ لا أرى فيك مَطْمَعا[1] .
فأُقْسِمُ لا تَنْفَكُّ نفسي شَجِيَّةً عليك ووَجْهي حائلُ اللّونِ أسْفعا[2]
وقد كنتُ أَلْحَى مَنْ بكى لِمُصيبةٍ ، فهَانَذا قد صِرْتُ أبْكَى وأجْزَعا[3] .
فلو أن طَوْداً من تِهامةَ ضافَه من الوَجْد ما قد ضافَني لَتَضَعْضَعا[4] .
فيا سَيِّداً قد كان لِلْحَيِّ عِصْمةً ، ويا جبلاً قد كان للحيِّ مَفْزَعا[5] ،
وأبيضَ وضّاحَ الجبينِ كأنَّه سَنا قمرٍ أوفى معَ العَشْرِ أرْبعا ،
ومُجْتَنِباً للقولِ في غير حِينه حِفاظاً ، وقَوّالاً – إذا قال – مِصْقَعا[6]
يصونُ بِبَذْلِ المالِ نفساً كريمةً وعِرْضاً حِمىً من كلِّ سوءٍ مُمَنَّعا[7] .
فتى الخيرِ : لم يَهْمُمْ بغدرٍ ولم يُعَبْ بعَجْزٍ ولم يَمْدُدْ إلى الذمِّ إصبعا[8] .
وما زال حمّالاً لكلِّ عَظيمةٍ – إلى أن قضى من نَحْبِه – مُذْ تَرَعْرَعا[9] .
فتىً كان لا يدعو إلى الشرِّ نَفْسَه ؛ فإن جاءه الشرُّ امتطاهُ فأَوْضعا[10] :
فيوماً تراهُ بالعَبير مُضَمَّخا ، ويوماً تراه بالدماء مُلَمَّعا[11] ،

---

١ لا انتظر أن ألتقي بك (بعد أن مت) .
٢ شجية : حزينة . حائل اللون (متغير اللون ، أصفر) . اسفع : أسود .
٣ ألحى : ألوم . أبكى وأجزعا : أشد (أكثر) بكاء وجزعاً (الجزع : الحزن مع الخوف والاضطراب) .
– كنت ألوم الذين يبكون على موتاهم فأصبحت عليك أكثر بكاء منهم (على موتاهم) .
٤ الطود : الجبل . الوجد : الحزن . ضافني : نزل بي . تضعضع : تقوض وتهدم .
٥ عصمة : مكان يعتصم (يحتمي) الناس به . المفزع : الملجأ .
٦ المصقع : البليغ العالي الصوت والذي لا يتتعتع في الكلام .
٧ حمى من كل سوء : شريف لا يتدنس بشيء .
٨ لم يعب بعجز : لم يدركه عجز يعيبه الناس به . الذم : ما يستحق الذم . لم يمدد إلى الذم اصبعا : لم يعمل عملا يستحق الذم مهما كان قليلا (بقدر اصبع) .
٩ حمال لكل عظيمة : كفؤ للقيام بكل عمل وللصمود في وجه كل شدة . قضى من نحبه = قضى نحبه : مات . ترعرع : نما ، جاوز الطفولة الأولى .
١٠ أوضع : أسرع . – إذا فرض عليه الشر (الحرب ، الخ) قبل التحدي واشتد فيه .
١١ العبير : الرائحة الطيبة . مضمخ : ملطخ . ملمع : عليه بقع . (ينصرف في بعض أيامه إلى النعيم واللهو وفي بعضها الآخر إلى القتال والحرب) .

ويوما تراه يَسْحَبُ الوَشْيَ غادياً ، ويوماً تراه في الحديد مُقَنَّعاً [1] .
إذا نال من أقصي مَدَى المجدِ غايةً سما طالباً من تلك أسْنى وأرفعا [2] .
له راحةٌ فيها حِباً لصديقـهِ ، وأُخْرى سَقَتْ أعداءه السّمَّ مُنْقَعا [3] .
فما فُجِعَ الأقوامُ من رُزْءِ هـالكٍ بأعْظَمَ مِمّا قد رُزِئْتُ وأفْظعـا .
ومن طاب نفساً عن أخٍ لِوَداعِهِ ، فما طِبْتَ نفساً عن أخي يومَ وَدّعا .
فوا عَجَباً للأرضِ ، كيف تألّبَـتْ عليه ووارَتْ ذلك الفضلَ أجْمعا [4] .

— وقال يفتخر (معيار الشعر ٦٦ — ٦٧ ؛ شرح الحماسة للمرزوقي):

تُعَيّرنا أنّا قليـلٌ عديدُنـا فقُلْتُ لهـا إنّ الكِرام قليلُ .
وما قلّ مَنْ كانت بقاياهُ مِثْلَنا : شبابٌ تَسامى للعُلا وكُهول [5] .
وما ضَرّنا أنّا قليلٌ — وجارُنـا عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل !
لنـا جبلٌ يَحتلّه من نُجيرُه منيعٌ يَرُدّ الطرفَ وهو كليل [6] ،
رسا أصلُه تحت الثّرى ، وسما به إلى النجم فَرْعٌ لا يُنال طويل [7] .
ونحن أُناسٌ لا نرى القتلَ سُبّةً إذا مـا رأته عـامرٌ وسَلول [8] .
يُقَصِّرُ حبُّ الموت آجالَنا لنا ، وتكرَهُـه آجالُهم فتَطول .
وما مات مِنّا سيدٌ حَتْفَ أنفِهِ ، ولا طُلّ منّا — حيثُ كان — قتيل [9] .

١ الوشي : الزخرف والتطريز في الثوب . مقنع في الحديد : لابس خوذة (معنى هذا البيت كمعنى البيت السابق) .
٢ ... — كلما نال منزلة سامية جدد السعي لينال ما فوقها .
٣ راحة : كف ، يد . حبا : عطاء . السم المنقع (الناقع) : بالغ ، ثابت (تأثيره أكيد وشديد) .
٤ تألبت الأرض عليه : تغلبت عليه . وارت فضله : أخفته (على عظمه وكثرته) .
٥ تسامى = تتسامى : ترقى ، تعلو .
٦ منيع : لا يستطيع أحد أن يقتحمه . الطرف = طرف العين (البصر) . كليل : ضعيف .
٧ رسا : استقر ، ثبت . الثرى : التراب . فرع : أعلى كل شيء . (جبلنا عميق الأساس في الأرض عال مرتفع جداً = يفتخر بالقوة وبضعف الناس عن مهاجمة قومه) .
٨ القتل : (الموت في المعارك) . سبة : عار ، عيب . عامر وسلول قبيلتان (لعله يقصد : إذا خاف كل الناس من أن يقتلوا في المعارك فنحن لا نخاف) .
٩ حتف أنفه : على فراشه ، في غير قتال . طل (بضم الطاء) دم القتيل : ذهب هدراً (لم يأخذ أحد بثأر القتيل) .

تَسيلُ على حَدِّ الظُّباةِ نفوسُنا ، وليستْ على غيرِ الحديدِ تسيل .
ونُنْكِرُ إن شِئْنا على الناس قولَهم ، ولا يُنْكِرون القولَ حين نقول .
إذا سيّدٌ مِنّا خلا قامَ سَيِّدٌ قؤولٌ لِما قال الكِرامُ فَعول .
وما أُخْمِدتْ نارٌ لنا دونَ طارِقٍ ، ولا ذَمّنا في النازلينَ نَزيل .
وأيّامُنا مشهورَةٌ في عَدُوِّنا لها غُرَرٌ معلومةٌ وحُجول [1] .
وأسْيافُنا في كلِّ شرقٍ ومَغْرِبٍ بها من قِراعِ الدارعين فُلول [2] ،
مُعوَّدةٌ ألاّ تُسَلَّ نِصالُها فتُغْمَدَ حتّى يُسْتَباحَ قتيل [3] .

٤ – ** طبقات ابن المعتزّ ٢٧٦ – ٢٨٠ ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي ٣٢ : ٣ و ٤ (١٩٥٧) ، جزء تموز (يوليو) وجزء تشرين الاول (أكتوبر) .

سهل بن هرون

١ – هو أبو محمّدٍ (أبو عمرَ) سَهْلُ بنُ هرونَ بن راهْبون (راهيون [4]) الأهوازي أو الخُوزي .

وُلِدَ سهلُ بن هرونَ في مَيْسان ، بين واسطِ والبصرة ، أو في دَسْتُمَيْسان سَنَةَ ١٤٠ هـ (٧٥٨ م) أو بعد ذلك بقليل . ثمّ انّه انتقل مَعَ أهلِه إلى البصرة فنشأ فيها ودرس على عُلمائها ، ولكنّنا لا نَعْرِفُ أحداً من الذين درس عليهم على وجه الحَصْر .

---

١ أيامنا : معاركنا . الغرة (بضم الغين) : بياض في جبهة الحصان . الحجل (بكسر الحاء) : البياض في قائمة الفرس . – معاركنا (وانتصاراتنا على عدونا) مشهورة جداً كأنها غرة بيضاء في جبهة الفرس ....

٢ القراع والمقارعة : النزال والقتال في الحرب . الدارع : الذي يلبس درعاً . فلول جمع فلّ (بفتح الفاء) : ثلمة ، تقطيع (سيوفنا مثلمة لكثرة ما نضرب بها الابطال الذين يلبسون الدروع) .

٣ سيوفنا مغمدة دائماً (نحن قوم نحب السلام) ولا نخرجها من أغمادها (لا نحارب) إلا إذا استبيح قتيل منا (قتل بلا حق) .

٤ أو راهويه ، رامويه .

وجاء سهلُ بن هرون بعدَ ذلك إلى بغدادَ واتّصل بهرونَ الرشيدِ وأدرك نكبةَ البرامكة (١٨٧ هـ = ٨٠٣ م) . ولمّا نكَبَ الرشيدُ يحيى بنَ خـالد وحبَسَه جعَلَ سهلَ بن هرون صاحبَ ديوانه . واعتزل سهلُ بن هرون الفِتنةَ بين الأمين والمأمون (١٩٥ ــ ١٩٨ هـ) ، فلمّا دخلَ المأمون إلى بغدادَ (٢٠٤ هـ) جعَلَه خازنَ بيتِ الحكمة [١] .

ويبدو أن وفاةَ سهلِ بنِ هرون كانت سنة ٢١٥ هـ (٨٣٠ م) .

٢ ــ كان سهلُ بن هرون شيعيّاً مُعتدلاً ومُعتزِليّاً . وكذلك كان شُعوبياً . ثم انه كان عالِماً حكيماً حليماً حسَنَ العِشْرةِ ، كما كان بخيلاً مشهوراً بالبُخل .

وكان سهل بن هرون مُتَرَسِّلاً بليغاً وخطيباً فصيحاً ومُصَنِّفاً للكُتُب ، تَروجُ كُتُبُه عند الناس لِحُسْنِ أسلوبها وطَلاوتها ولأنها كانت تدور في الأكثر على القِصَصِ والخُرافات والأسمار على لِسانِ الناسِ والبَهائم والطَّيْر . وقد كان الجاحظُ في أولِ أمرِه يكْتُبُ الكتبَ ثم يَنْسِبُها إلى سهلِ بن هرون حتى تلقى عند الناس قَبولاً ورَواجاً .

والجانب المعنوي في آثار سهلِ بن هرون أحسنُ من الجانب اللفظي ، ومعَ ذلك فقد كان عَذْبَ الألفاظِ واضحَ التعبيرِ بعيداً عن التكلّفِ ليس في كتابته من السَّجْع إلاّ ما يَجيء عفواً . وكان له شيءٌ من الشِعر الوُجداني في عدد من الاغراض الاجتماعية . وقد كان له اهتمامٌ بالغٌ بالحكمة .

ولسهلِ بنِ هرونَ من الكتب : كتابُ ثَعْلَةَ وعَفْرة ، كتاب النَمِرِ والثعلبِ (وكلاهما على مِثالِ كتاب كَليلةَ ودِمْنة) ، كتاب الاخوان ، كتاب المخزومي والهُذَلية ، كتاب الوامق (المحبّ) والعَذراء ، كتاب المسائل ، كتاب تدبير المُلك والسياسة ، كتاب إلى عيسى بن أبان في القضاء . وله الرسالة المشهورة في البخل وتبرير مسلك البخلاء الخ .

٣ ــ المختار من شعره ونثره :

ــ قال سهل بن هرون يهجو رجلاً :

١ بيت الحكمة أو دار الحكمة : دار جمع فيها المأمون نفراً من العلماء والفلاسفة لنقل الكتب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، كما جمع فيها ما وصلت اليه يده من الكتب .

مَنْ كان يَعْمُرُ ما شادت أوائلُه ، فأنت تَهْدُمُ ما شادوا وما سَمَكوا [1] .
ما كان في الحقّ أنْ تأبى فِعالَهُـمُ وأنت تَحوي من الميراث ما تركوا .

ـ وقال سهل بن هرون يصف يحيى بن جعفر البرمكي :

عَدُوّ تِلادِ المالِ في ما يَنوبُه ، مَنوعٌ إذا ما مَنْعُه كان أحزمـا ،
مُذَلِّلُ نفسٍ قد أبَتْ غيرَ أن ترى مَكارهَ ما تأتي من العيشِ مَغْنمـا .

ـ ومن الأقوال المـأثورة لسهل بن هرون :

* اللسانُ البليغُ والشعرُ الجيّد لا يكادانِ يجتمعان في واحدٍ ، وأعسرُ من ذلك أن تجتمع بلاغة الشعرِ وبلاغة القلم (النثر) .

* إذا كان الحُبّ يُعمي عن المساوئ فالبغضُ أيضاً يُعْمي عن المحاسن . وليس يَعْرِفُ حقائقَ مقاديرِ المعاني ومحصولَ حدودِ لطائفِ الأمور إلاّ عالمٌ حكيمٌ ومعتدلُ الأخلاط عليم ، وإلاّ قويّ المِنّة الوثيقُ العُقْدة [2] والذي لا يَميل معَ ما يستميلُ الجُمهورَ الأعظمَ والسوادَ الأكثر .

ـ وقال في رسالته التي ألّفها في الدفاع عن البخل :

.... وعِبْتُموني حينَ زَعَمْتُ أني أقدّمُ المالَ على العِلمِ لأنّ المالَ بـه يُغاث العالِمُ وبه تُقَوَّمُ النفوسُ قبل أن تُعْرَفُ فضيلةُ العِلم ، وإنّ الأصلَ أحقّ بالتفضيل من الفَرْع . وإنّي قلت : وإن كنّا نَستبينُ الأمورَ بالنفوس ، فإنّا بالكفاية نَستبينُ وبالخَلّة نَعْمى [3] .

وقلتم : كيف تقولُ هذا ، وقد قيلَ لرئيسِ الحكماء ومقدّمِ الأدباء : العلماء أفضلُ أمِ الأغنياء ؟ قال : بل العلماءُ . قيل (له) : فما بالُ العلماءِ يأتونَ أبوابَ الأغنياء أكثرَ ممّا يأتي الأغنياءُ أبوابَ العلماء ؟ قال (المسؤول) لِمَعْرفة العلماء بفضلِ الغِنى وجهلِ الأغنياء بفضلِ العلم . **فقلت حالُهما هي القاضيةُ بينَهما** : وكيف يَستوي شيءٌ تُرى حاجةُ الجميعِ اليه وشيءٌ يُغْني فيه بعضُهم عن بعضٍ !

---

١ سمك البنيان : علاه ، جعله عالياً .

٢ معتدل الاخلاط : معتدل المزاج ، صحيح الجسم . قوي المنة : شديد القوة . وثيق العقدة (الثابت الأمر والولاية ، المالك للمال أو للأرض) .

٣ الكفاية : الغنى . الخلة (بفتح الخاء) : الفقر . ـ الغني تتضح له الأمور والفقير يعمى عن التصرف الصحيح في أموره .

٤ – رسالة سهل بن هرون في البخل (في مقدمة كتاب البخلاء للجاحظ) – راجع الجاحظ .

** الفهرست ١٢٠ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢٦٦ – ٢٦٧ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٣١ – ٢٣٢ ؛ وهنالك اشارات كثيرة إلى سهل بن هرون في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، م م ع ع (بقلم محمّد كرد علي) ٧ : ١ (كانون الثاني – يناير ١٩٢٧) ص ٥ – ٢٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢١٣ ؛ زيدان ٢ : ١٥٦ .

عمرو بن مسعدة

١ – هو أبو الفضلِ عمرُو بنُ مَسْعَدَةَ بن سعيد (سعد) بن صُول ، أصلُه تركيّ قيل من بيتِ المُلْك في جُرْجان .

لمّا فتح يزيدُ بنُ المُهَلّب بن أبي صُفْرةَ جُرجانَ ، في خلافة سُليمانَ ابن عبد الملك (٩٦ – ٩٩ هـ) أسْلَمَ صولُ . ثم إنّ مَسعدةَ بن صول أصبحَ مولىً لخالدِ بن عبد الله القَسْريّ حينما كان خالدٌ والياً على العراق كلّه وعلى خُراسانَ والهندِ (١٠٥ – ١٢٠ هـ) فكان يكتب له (كاتباً عنده) . ثم أصبح مسعدةُ كاتباً لخالدِ بن برْمَكَ ، ربّما في أيام وزارته للسفّاح والمنصور ، ثم لأبي أيوب المُورياني وزيرِ أبي جعفرٍ المنصور .

لَعلّ عمرَو بنَ مَسعدةَ نشأ في بَغدادَ وأخذ عن علمائها . وقد برَع في الترسّل فأصبح يُوقّع [١] بين يدَيْ جعفرِ بنِ يحيى البرمكي في أيامِ الرشيد . ولم يدخلْ عمرُو بن مَسعدةَ إلى ديوان الرسائل حتّى توفّي الفضلُ بن سهلٍ (٢٠٢ هـ = ٨١٧ م) فكتب للمأمون (في مَرْو) ثم جاء مع المأمون إلى بغدادَ (٢٠٤ هـ) فأصبح رئيسَ ديوان الرسائل وديوان الخاتَمِ وتكسّبَ من عمَلِه مالاً جزيلاً قيل ثمانون مليونَ درهمٍ .

وكان عمرُو بن مَسعدةَ مقصوداً مُمَدّحاً ، مرض يوماً فعاده مروانُ بن أبي حَفْصَةَ وهنّأه (غ ٩ : ٤٧) . وتعرّض مُجاشِعٌ أخو عمرِو بن مسعدة

---

١ راجع فوق ، ص ٤٥ .

لحَماد عَجْرد بالهجاء ، وكان مجاشع صغيراً ، فشبّبَ حمادٌ بأم مُجاشِع فبعث عمرٌو بهدية إلى حماد واعتذر اليه واستكفه ثم لامَ أخاه مُجاشِعاً (غ ١٣ : ٨٦) .

ولما غزا المأمون بلادَ الروم كان عمرُو بن مسعدةَ معَه فأدركتْه الوفاةُ في أذنةَ ، قرب طرَسوسَ ، في ربيعِ الآخِرِ من سَنة ٢١٧ ﻫ في الأغلب (٨٣٢م) .

٢ – كان عمرُو بن مسعدةَ صاحبَ توقيعٍ ورسائلَ وفصول مُوجزة [١] ، ولكنْ ليس له كتابٌ مؤلّفٌ في موضوعٍ معيَّن . وهو فصيحُ الألفاظ سهلُ التراكيب حسَنُ السَبْكِ كثيرُ الايجاز معَ شيء من الغموض المقصود تقتضيه عادةً اللباقةُ السياسية . وكذلك كان ينظم الشعر . ووصف الفضل بن سهل بلاغة عمرو بن مسعدة فقال (معجم الأدباء ١٦ : ١٢٩) : «هو أبلغ الناس ، ومن بلاغته أن كلّ أحد إذا سمع كلامه ظنّ أنّه يكتب مثله ، فإذا رامه بَعُد عنه» .

٣ – المختار من كلامه :

– كتب عمرو بن مسعدة إلى الحسن بن سهل :

أما بعد ، فانك ممن إذا غرَسَ سقَا وإذا أسّسَ بنى ، ليَستْتِم تَشييدَ أسُسِهِ ويَجْتني ثِمارَ غرْسِهِ . وثناؤك عندي قد شارَفَ الدروس وغرْسُكَ مُشْفٍ على اليُبوس [٢] . فتدارك بناء ما أسّست وسَقْيَ ما غرست ، إن شاء الله [٣] .

– لعمرو بن مسعدة كَلِماتٌ جوامعُ للحِكَم ، منها :

العُبوديّةُ عبوديةُ الاخاء لا عبوديةُ الرقّ – الوُدّ أعطف من الرّحِم [٤] –

---

١ فصول موجزة : أقوال مختصرة .

٢ قد شارف : أشرف على ، أوشك ، اقترب من الدروس (الامحاء والزوال) . وغرس (يدك) مشف : قريب ، مقبل .

٣ تدارك الرجل الشيء : أدركه (وصل اليه) وأنقذه (من البوار والهلاك والتلف) قبل أن يحل به التلف فلا يبقى للانسان حيلة في انقاذه .

٤ العبودية (الحقيقية) ليست عبودية الرق (الاسترقاق والظلم) لأن الإنسان يحاول التخلص منها ، بل عبودية الاخاء (الصداقة) لأن الانسان لا يريد أن يتحرر منها . الود : المحبة والصداقة . اعطف : أشد وأحسن عطفاً (ميلا ، عناية صلة – كعطف الأم على ولدها) من الرحم (القرابة من النسب والولادة) .

عليكم بالإخوان فانّهم زينةٌ في الرّخاء وعُدّة للبلاء [1] — ما تواصلَ اثنانِ فدامَ تواصلُهما إلاّ لِفَضْلِهما أو فضلِ أحدِهما — علامةُ الصديق إذا أرادَ القطيعةَ أن يؤخّرَ الجوابَ ولا يَبتدىءَ بالكِتاب [2] — ظاهرُ العتاب خيرٌ من باطن الحِقْد — لا تتعرّضْ لعَدوّك في دولته ، فانّها إذا زالت كَفَتْكَ مَؤونَتَه — نُصْحُ الصديقِ تأديب ، ونصح العدوّ تأنيب .

— كتب عمرو بن مسعدة إلى المأمون رسالةً في شأن رجل كان المأمون قد وَعَدَهُ عِدَةً :

إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَفُكَّ أسْرَ عبدهِ من رِبْقة المُطْلِ بقضاء حاجته أو يأذَنَ له بالانصراف إلى بلدِه فَعَلَ ، إنْ شاءَ اللهُ .

٤ — ** معجم الأدباء ١٦ : ١٢٧ — ١٣١ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ١١١—١١٤ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٢٠٣ — ٢٠٤ ؛ م م ع ع ٧ : ٥ (أيار — مايو) ١٩٢٧ ، ص ١٩٣ — ٢١٨ ؛ Enc. Isl. (new ed.) I 453

الأخفش الاوسط

هو أبو الحسن سعيد بن مَسْعدةَ مولى بني مُجاشع بن دارم ، أصله من بَلْخ أو من خوارزم ، يبدو أنه ولد في البصرة قبل مولدِ سيبويهِ (١٤٠ — ١٨٠) وأخذ العلم عن أساتذة سيبويهِ ثم عن سيبويه (معَ أنه كان أسنَّ من سيبويه) . ثم إنه دخل بغدادَ وأقام بها مدّة . وكانت وفاته سنة ٢١٥ هـ (٨٣٠م) في الأغلب .

الأخفش الأوسط أحدُ أئمّةِ العربية من علماءِ البصرة ، كان بارعاً في اللغة والنَحْوِ وعلوم الأدب ، وهو الذي حَفِظَ لنا كتابَ أستاذه سيبويه (في النحو) وإن كان يُخالفُ أستاذَه في عددٍ من مسائل ذلك الكتاب . أما في العَروض فقد زادَ الأخفشُ الأوسطُ بحرَ المُتدارَك (فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن — مرتين) ،

---

١ الرخاء : أيام السعة والقوة . عدة البلاء : ذخيرة يعتمد الإنسان عليها إذا نزلت به مصيبة .

٢ ان يؤخر الجواب على رسالة صديقه (إذا كان فيها ما يسوءه) ولا يبدأ هو بارسال مثل تلك الرسالة . الكتاب (مصدر) : الكتابة .

وبحر الخبَب المشتقّ منه (فَعِلن فعلن فعلن فعلن – مرتين ، وفعلن بتحريك العين) .

وكان الأخفش الأوسط مُعتزِلياً عالماً بالكلام حاذقاً في الجدل .

وللاخفشِ الأوسط تصانيفُ منها : غريب القرآن ، تفسير معاني القرآن ، كتاب معاني الشعر ، كتاب العَروض ، كتاب القافية ، شرح أبيات المُعاياة ، كتاب الاشتقاق ، كتاب الأصوات ، كتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها (؟) وأسبابها ، كتاب الملوك . أما كتبه في النحو خاصة فأشهرها : الكتاب الأوسط ، كتاب المقاييس ، كتاب المسائل الكبير ، كتاب المسائل الصغير ، الخ ...

– ** الفهرست ٥٢ ؛ طبقات الزبيدي ٧٤ – ٧٦ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢٢٤ – ٢٣٠ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٧١ – ٣٧٢ ؛ انباه الرواة ٢ : ٣٦ – ٤٣ ؛ بغية الوعاة ؛شذرات الذهب ٢ : ٣٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٤ – ١٠٥ ، الملحق ١ :١٦٥ ؛ Enc. Isl. (new ed) I 321

كُلْثوم بن عمرٍو العَتّابيّ

١ – هو أبو عمرٍو ، وقيل أبو عليٍّ (البيان والتبيين ١ : ٢٢١) ، كُلثومُ ابن عمرو بن أيوب العَتّابي التَغْلَبي ، من نسل عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي ، أصله من الشام من أرض قِنّسْرين ، ومسكنه في رأس العين من جزيرة ابن عُمَرَ .

وُلِدَ العَتّابي نحو سنة ١٣٥ هـ (٧٥٢ م) ، ولكن لم تُعْرَفْ له نَباهةٌ قبل أيام الرشيد ، فانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكي ثم إلى ابنه جعفر . ويبدو أن نكبة البرامكة كانت نكبةً عليه أيضاً ، فقد غَضِبَ عليه الرشيدُ لصلته الأولى بهم فهرب إلى اليمن . ثم ان الرشيد رضي عنه .

وتولى العَتّابي الكتابة في الديوان ، ويبدو أنه كان يعرف اللغة الفارسية .

ونال العَتّابيّ حَظوةً عند طاهر بن الحسين لما تولّى طاهرٌ المَوْصلَ والجزيرة (١٩٨ – ٢٠٢ هـ) ، ثم لمّا تولّى خُراسان (٢٠٥ – ٢٠٧ هـ) . وحَظِيَ أيضاً عند عبد الله بن طاهر بن الحسين في أثناء وِلايته على الشام (٢٠٥ – ٢٠٧ هـ) وعلى خُراسان منذ سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢ م) ، كما حظي عند المأمون نفسه .

وكان العتّابي منذ أول أمره قليلَ العناية بملبسه وهيْئته قليلَ الاحتفالِ بالناس والاحترامِ للعامة ، ثم تزهّد في آخر عمره فزاد تقشّفه وانصرافه عن الناس . وكانت وفاة العتّابي قبيل سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) وقد أسنّ ، وقيل ٢٠٨ هـ .

٢ – كلثوم بن عمرٍو العتّابي أديبٌ مصنّف له كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الألفاظ ، وكتاب الخيل وغيرها . وكان يعمل الأسمار والخُرافات على لسان الحيوان وغيره . ثم هو خطيب مترسّل وشاعر ، قال الجاحظ (البيان والتبيين ١ : ٥١) : « ومن الخطباء الشعراء ، ممن كان يجمعُ الخَطابة والشعرَ الجيدَ والرسائلَ الفاخرة ، كُلثومُ بن عمرٍو العتّابي ، وعلى ألفاظه وحَذْوه ومِثاله في البديع يقول جميع من يتكلّف مثل ذلك كمنصورٍ النَمَريّ ومُسلمِ بن الوليد الأنصاريّ وأشباههما . وكان العتّابي يحتذي حَذْوَ بَشّارٍ في البديع » .

والعتّابي شاعر مُقِلّ مطبوع متصرف في فنون الشعر يُنَقّحُ شِعْرَهُ ويتخيّر الألفاظَ الجَزْلَةَ والصُوَرَ البلاغيةَ الجميلة معَ الإتيان بالبديع (راجع العمدة ١ : ١٤٠) من غير إغراب ولا تكلّفٍ . « وأشعاره كلها عيونٌ ليس فيها بيت ساقط » (طبقات ابن المعتز ٢٦٤) : ويدور شعره الباقي لنا على المدح والهجاء والنسيب والحكمة ، وأكثره الحكمة .

٣ – المختار من نثره وشعره :

– الشيب تاريخ الكتاب (آخر الكتاب : نهاية العمر) .

– البلاغة إظهار ما غَمُض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق .

– دخل العتّابي على المأمون ، فقال له المأمون : ياكلثوم ، بلَغَتْني وفاتُك فساءتني ثم بلغتني وِفادتُك فسرّتني . فقال العتّابي :

يا أميرَ المؤمنين ، لو قُسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لَوَسِعَتاهم فضلاً وإنعاماً . وقد خَصَصْتَني منهما بما لا تتّسع له أمْنية ولا يُبسط لسواه أملٌ ؛ لأنه لا دِينَ إلا بك ، ولا دنيا إلا معَك .

– كتب العتّابي إلى صديق له يشير إلى عُسْرَةٍ نزلت به :

أما بعد ، أطال الله بقاءَك وجعله يمتدّ إلى رِضْوانهِ والجنةِ . فإنك كنتَ

عندنا رَوْضةٌ من رياض الكرم تبتهج النفوسُ بها وتستريح القلوب اليها ، وكُنا نُعفيها من النُّجْعَة استماماً لزهرَتها وشفقةً على خُضْرتها وادّخاراً لثمرَتها ، حتى أصابَتْنا سَنَةٌ كانت عندي قطعةً من سِني يُوسفَ واشتدَّ علينا كَلَبُها وغابت قطتها وكَذَبتنا غيومُها وأخلفتنا برُوقُها . وفقدنا صالحَ الإخوان فيها فانتَجعتُك ، وأنا بانتجاعي إليك شديدُ الشفقة عليكَ ، معَ علمي بأنّك موضعُ الرائدِ ، وأنك تُغطّي عينَ الحاسد . واللهُ يعلمُ أني ما أعُدّكَ إلاّ في حوْمةِ الأهل .... (راجع ديوان المعاني ١ : ١٥٤) .

— كان للعتّابي زوجة من بني باهلةَ ، فلامته يوماً وقالت : هذا منصور النمَري (تلميذُك) قد أخذ الأموال فحلّى نساءه وبنى داره واشترى ضياعاً ، وأنت هنا كما ترى . ، فأنشأ يقول :

تلومُ على ترْكِ الغنى باهليـةٌ   زَوى الفقرُ عنها كلَّ طرفٍ وتالدِ[1] ،
رأت حولَها النِسوانَ يرفُلْنَ في الكُسا   مُقَلّدةً أجيادُهـا بالقلائد[2] .
يَسُرّك أني نِلتُ ما نالَ جعفـرٌ   من المُلْكِ ، أو ما نال يحيى بن خالد ،
وأنّ أميرَ المؤمنـين أغَصّني   مَغَصّهما بالمُرْهَفات البوارِد[3] !
ذريني تَجِئْني ميتَتي مُطمئنّةً   ولم أتَجَشّمْ هولَ تلك الموارد .
فإنّ كريماتِ المعـالي مَشوبـةٌ   بمُسْتَوْدَعاتٍ في بطون الأساود[4] .

— أراد الرشيدُ أن يقتلَ العَتّابي فما زال جعفرُ بن يحيى البرمكي يستعطف الرشيدَ عليه حتى عفا عنه الرشيدُ ، فقال العَتّابي يمدح جعفراً :

ما زلتُ في غَمَراتِ الموتِ مُطّرَحـاً   قد ضاق عني فسيحُ الارض من حِيَلي ،
ولم تزلْ دائباً تَسْعى بلُطفِك لي   حتى اختلستَ حياتي من يدَيْ أجلي .

٤ — ** الفهرست ١٢١ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٢٦١ — ٢٦٤ ؛ الاغاني ١٣ : ١٠٩ — ١٥٧ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٤٨٨ — ٤٩٢ ؛ معجم الأدباء

---

١ أبعد عنها الفقر (حرمها) كل طرف (مال جديد) وتالد (مال قديم) .
٢ الاجياد : الاعناق .
٣ المرهفات : السيوف . البوارد : التي تبرد (بضم الراء) : تقطع في الحديد .
٤ مشوب : مخلوط ، ممزوج . الاساود جمع أسود : الحية العظيمة .

١٧ : ٢٦ ـ ٣١ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٧٣ ـ ١٧٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٢٠ ؛ زيدان ٢ : ١٠٣ ـ ١٠٤ ؛
Enc . Isl . (new ed) I 751 .

محمّد بن يَسير الرِياشيّ

١ ـ هو أبو جعفر محمّدُ بن يَسيرٍ الرِياشي مولى بني رِياشٍ من بني خَثعَم . الرياشي من أهل البصرة لم يفارِقْها ولا قصدَ خليفةً أو كبيراً بمدحٍ . وكانت له بالبصرة قِطعةُ أرضٍ صغيرةٌ مقدارَ أربعةِ طوابيقَ [١] زرَع فيها أَصلَ رُمّانٍ وفَسيلةً لطيفةً وشيئاً من البَقْل ثم سَمّى ذلك بُستاناً ، وكان يُعْنى بتربية الحمام (الاغاني ١٤ : ٣٤) .

وكذلك كان الرياشي ماجناً مشغوفاً بالشّراب ما بات لَيلةً إلا سَكرانَ ، فإذا لم يَجِدْ يوماً نبيذاً يَشْرَبُهُ كاد يُجَنّ . وكان شديدَ البُخْل رثّ الثياب .

عاصر الرياشي هرونَ الرشيدَ على القطعِ ، وإذا صحّ أنه رثى أحمدَ بن يوسف ابن صبيح الكاتبَ المُتَوَفّى سنة ٢١٣ أو ٢١٤ ﻫ (٨٢٨ ـ ٨٢٩ م) فيجب أن تكونَ وفاتُه في حدود سنة ٢٢٠ ﻫ (٨٣٥ م) أو قُبيل ذلك بقليل .

٢ ـ كان الرياشي أديباً وشاعراً ظريفاً ، ولم يكُ مُكثِراً . وشعره سَهْلٌ عَذبٌ رائقٌ يدور أكثره على الهجاء والوصف والخمر والغزل والمُجون وعلى الحِكمة ، وخصوصاً في ما يتّصل بالموت . وله رثاء أيضاً .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ قال محمّد بن يسير الرياشي يصف بستانه والشاة التي عاثت فيه .

لِيَ بُستانٌ أنيقٌ زاهـــرٌ ناضر الخُضْرةِ ريّانٌ تَرِفْ ،
راسخُ الأعراق ريّانُ الثّرَى ، غَدِقٌ : تُربتُه ليست تَجِفّ .

---

[١] الطوابيق جمع طاباق : الآجرة (بمد الهمزة وضم الجيم وتشديد الراء) القرميدة الكبيرة ، وعلى هذا يجب أن تكون مساحة (بكسر الميم) هذه الأرض أقل من ثلاثة أمتار مربعة (المقصود : صغيرة جداً) .

لمجاري الماء فيه سَنَنٌ كيفما صَرّفته فيه انصرف .
يكتسي في الشرق ثَوْبيَ يَمْنَةٍ ، ومَعَ الليل عليها يَلْتَحِف[1] .
فيه للخارف من جيرانِه كلُّ ما احتاج اليه مُخْتَرِف[2] :
أُقحُوانٌ وبَهار مُونِقٌ وسوى ذلك من كل الطُرَف[3] .
أعْفِهِ ، يا ربّ ، من واحدةٍ ؛ ثم لا أحفِلُ أنواعَ التلف :
اكْفِهِ شاةَ مَنيعٍ وحدَها يوم لا يصبح في البيت علف[4] .

— ويبدو أن له قصيدة في الحكمة منها :

ماذا يُكلّفُكَ الرَوْحاتِ والدَلَجا : البرُّ مرّاً ، ومرّاً تركب اللُجَجا[5] .
كم من فتىً قَصُرت في الرزق خطوته أَلْفَيْتَه بسِهام الرزق قد فَلَجا[6] .
لا تيأسنَّ ، وإنْ طالت مُطالبةٌ ، إذا استعَنْتَ بصبرٍ ، أن ترى فَرَجا !
إن الأمور إذا انسدّتْ مَسالِكُها فالصبر يفتح منها كلَّ ما ارْتَتَجا[7] .
أخْلِقْ بذي الصبر أن يَحْظى بحاجتِه ، ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يَلِجا !

— وقال في الموت :

لكل أُناسٍ مَقْبَرٌ بفِنائهم ، فهم يَنْقُصون ، والقبور تَزيدُ .
همُ جيرةُ الأحياء : أما مَحلّهم فدانٍ وأما المُلتقى فبعيد !

— وقال في نفسه :

كأنّه قد قيل في مجلسٍ قد كنت آتيهِ وأغشاهُ :
محمدٌ صار إلى ربّهِ ؛ يرحمنا الله وإياه !

— ومن أقواله الحكيمة (البيان والتبيين ٣ : ٢٠٩ = ٢٣٠) :

تأتي المكاره ، حين تأتي ، جملة ؛ وترى السرور يجيء في الفَلَتات .

---

١ في الشرق : مع طلوع الشمس . ثوبي يمنة : ألواناً كثيرة مثل الثوب اليماني (من صنع اليمن) .
٢ خرف (الثمر) خاصة : قطفه .
٣ البهار : زهر أصفر يكون في أول الربيع .
٤ منيع صاحب الشاة . — حينما لا يكون في بيت منيع علف لشاته .
٥ الدلج : السير ليلا . مرا : مرة . تركب اللججا : تسافر في البحر .
٦ فلج : فاز .
٧ ارتتج : انغلق ، انسد .

٤ – ** الاغاني ١٤ : ١٧ – ٥٠ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٢٨٠ – ٢٨٣ ؛ زيدان ٢ : ١٠٢ – ١٠٣ .

أبو مِسْحَلٍ الأعرابيّ

١ – لَقَبُه أبو مِسْحَلٍ [١] وكُنْيته أبو محمّد ؛ أمّا اسْمُه فهو في الأصحّ : عبد الوهّاب بن جَرِيش [٢] ؛ وقد كان أعرابياً (بَدَوِيّاً) من بني رَبيعة بن عبد الله بن أبي بكر من بني عامر بن صَعْصعة من بني تميم . وكانت مساكن قومه في نَجْد .

والذي يُروى أن أبا مِسْحَلٍ أخذ اللغة والنحو وقِراءة القُرآنِ عن الكِسائي الكبير (ت ١٨٩ هـ) ثم صَحِبَه مدّةً طويلة وكان من جُملة أصحابه ، كما كان يَرْوي (اللغة والنحو) عن عليّ بن المبارك الأحمر (ت ١٩٤ هـ) . وفي الرواية أن أبا مِسْحَلٍ انتقل معَ أبيه من البادية إلى بغدادَ وسكنها . فاذا نحن علمنا أن الكسائيّ جاء إلى بغداد في أيام الخليفة المَهْديّ (١٥٨ – ١٦٩ هـ) ، فيجب أن يكون مَوْلِدُ أبي مسحل قُبيل سنة ١٥٠ هـ .

وفي الروايةِ أيضاً أن أبا مِسْحَلٍ « قدم بغدادَ وافداً على الحسن بن سهل » [٣] ثم نال عنده حَظْوة . وفي بغداد كان أبو مِسْحَلٍ يَجْلِسُ للناس في مَسْجِدِ السُّويقة فيقرأ عليهم القرآن أو يقرأون عليه اللغة ، وقد كانت بينه وبين الأصمعيّ (ت ٢١٦ هـ) في أثناء ذلك مُناظراتٌ كثيرةٌ يُلْمَحُ منها أن أبا مِسْحَل كان أصغرَ من الاصمعيّ سِنّاً . ولقد كان من الذين قرأوا على أبي مسحل أبو العباس ثعلبٌ (ت ٢٩١ هـ) . من كلّ هذا نرى أن وفاة أبي مسحل لا يجوز أن تكون قد تقدّمت على ٢٢٥ هـ ، وأن أبا مِسْحَل يجب أن يكونَ قد أسنّ كثيراً .

---

١ المسحل في القاموس (٣ : ٣٩٤) : المنحت والمبرد (بكسر الميم فيهما) والميزاب لا يطاق ماؤه (أي ما كان الماء المنصب منه كثيراً جداً) والمنخل (بضم الميم) وفم المزادة (بفتح الميم : وعاء من جلد للماء) واللجام ، ثم جانب اللحية ، أو أسفل العذارين (بكسر العين) إلى مقدم اللحية ، والحبل المفتول ، ثم اللسان والخطيب البليغ والماهر بالقرآن و (الرجل) الغاية في السخاء ، والجلاد الذي يقيم الحدود ، والساقي النشيط ، والشجاع والثوب النقي (المصنوع) من القطن .

٢ ورد خلاف في اسمه واسم أبيه (راجع كتاب النوادر) المقدمة ، ص ٥ .

٣ الحسن بن سهل (ت ٢٣٦ هـ) تولى الوزارة للمأمون في مرو (٢٠٢ هـ) ثم دخل بغداد مع المأمون(٢٠٤ هـ).

٢ ــ كان أبو مِسْحَلٍ كوفيَّ المذهبِ ، وكان أكثرُ اشتغاله باللّغة (كما كان شأنُ الكوفيين عامّةً) . ثم كان يهتمّ بقراءة القرآن وبالنحو أيضاً ، ولكنّه لم يشتهر كثيراً . وقد رُوِيَ له شيءٌ من الشعر .

قال الدكتور عزّة حسَن [١] : «لم يصِلْ إلينا (ممّا ألّف أبو مِسْحَل) إلاّ كتاب النوادر [٢] ، وهذا كتابٌ في اللغة ، والمادّة فيه تُمثّلُ لُغَةَ البادية في الجاهلية وصدر الإسلام في ألفاظها وعباراتها وأمثالها وأساليبها تمثيلاً جيّداً . والكتاب بمجموعه أثبتُ وأوسعُ نصّ [٣] لغويّ وَصَلَ إلينا عن [٤] المرْحلةِ الأولى لجمع اللغة وتدوينها ... وهو يُعَدّ بذلك مِثالاً جيّداً للخُطّة البِدائية الـتي اتّبعها الرّواةُ والعلماء في بادئ الأمر لجمع اللغة وتدوينها» .

٣ ــ المختار من آثاره :

ــ يقال : شطّ النهر وشاطئه وعِبره وبِينه وجِيزه وجِيزته وضَفّه وضَفّته [٥] وضِيفه وحافّته (بفتح الفاء غير مشدّدة) وجُدّه وجُدّته وجِدّه ، وذلك في معنى ناحيتِه . ويقال : فلان كَفيلي وصبيري وجريّي وزعيمي وحميلي وقبيلي وأذيني . وكلّ هذا بمعنى واحدٍ .

ــ وله شعر يندب فيه شبابَه :

ألا ليس مِن هذا المشيبِ طبيبُ ؛ وليس شبابٌ بأنّ عنك يؤوبُ [٦] .
لعَمْري ، لقد بانَ الشبابُ ؛ وإنّني عليه لَمَحزونُ الفؤادِ كئيب !
وليس على باكي الشبابِ ملامةٌ ، ولو أنّه شُقّت عليه جُيوب [٧] .
أقولُ لضيفِ الشيبِ ، لمّا أناخ بي جزاؤك منّي جفوة وقُطوب [٨] ،

---

١ كتاب النوادر ، المقدمة ، ص ١٣ .
٢ الفهرست ٨٨ .
٣ اقرأ : أثبت النصوص وأوسعها .
٤ اقرأ : من .
٥ في القاموس (٣ : ١٦٦) بفتح الضاد ، وقد تكسر الضاد .
٦ بان : بعد ، ذهب (إلى غير رجعة) . آب : عاد .
٧ الجيب : جانب العنق من الثوب . شق الجيب (على الميت) كناية عن شدة الحزن .
٨ أناخ : نزل ، حل (من غير أمل بالارتحال أو الانتقال) . القطوب : تقلص عضلات الوجه دلالة على التكره .

حرامٌ عليه أن ينالَكَ عِنْدنـــا   كَرامةُ بِرٍّ أو يَمَسَّكُ طِيبُ [1] .

٤ – كتاب النوادر (عني بتحقيقه الدكتور عزّة حسن) ، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) ١٣٨٠ – ١٣٨١ هـ (١٩٦٠ – ١٩٦١ م) .

** تاريخ بغداد ١١ : ٢٥ ؛ طبقات الزبيدي ١٤٨ ؛ انباه الرواة ٢ : ٢١٨ ؛ بغية الوعاة ٣١٨ ؛ زيدان ٢ : ١١١ .

أبو حَفْصٍ الشِطرنجيّ

١ – هو أبو حَفْصٍ عُمَرُ بن عبدِ العزيز ، كان أبوه أعجمياً مولىً للمنصور ولم يكن اسمه عبد العزيز ، فلما نشأ عمرُ وتأدّب جعل اسم أبيه « عبد العزيز » . وكان هو مشغوفاً بالشِطرنج بارعاً في لُعبه فلُقِّب « الشِطرنجيّ » .

نشأ أبو حفصٍ الشِطرنجي في بغداد في دار المَهْديّ مَعَ أولاد مواليه . ولما مات المهديّ انقطع أبو حفص إلى ابنته عُلَيّةَ . ولما تزوجت عُلَيّةُ خرج أبو حفص مَعَها ؛ ثم لما عادت إلى القصر عاد مَعَها . والأصفهاني يذكره فيقول: « صاحب عُلية وشاعر علية » [2] .

وتكسّب أبو حفص الشِطرنجي من يحيى بن خالد البرمكي ومن الرشيد ، وكان له عند الرشيد حَظوة . واعتل في آخر حياته ثم مات في أيام المعتصم .

٢ – أبو حفصٍ الشِطرنجي شاعرٌ رقيقٌ سَهْلُ الشعر ، وشعره نسيب وعتاب وإخوانيات .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو حفص الشطرنجي :

تَحَبّبْ فإنّ الحُبّ داعيةُ الحبِّ ،   وكم من بعيد الدار مُستوجِبُ القُرْبِ !

---

١ مس الرجل طيباً (رائحة طيبة) : دهن شعره أو بعض بدنه بالطيب تزيناً وفرحاً بالحياة .

٢ غ ١٩ : ٧١ السطر ٣ ، السطر ١٢ من أسفل ، ٧٢ السطر ٥ من أسفل .

إذا لم يكن في الحب عتْبٌ ولا رضاً   فأين حلاواتُ الرسائلِ والكُتُب ؟
تفكّرْ ، فان حُدّثتَ أنّ أخا هوىً   نجا سالماً فارْجُ النجاةَ من الحب .
وأطيبُ أيام الهوى يومُك الذي   تُروَّعُ بالتحريش فيه وبالعَتْب .

— وله في الحب ، وفيه شيء من المزح والمجون :

عرّضَنْ للذي تُحِبّ بحُبٍّ ،   ثم دَعْهُ يَرُوضُه إبليسُ .
فلعلّ الزمانَ يُدنيكَ منه ؛   ان هذا الهوى جليلٌ نفيس !
صابِرِ الحُبّ لا يُصَرِّفْكَ عنه   -- من حبيبٍ تجهُّمٌ وعُبوس
وأقِلَّ اللَّجاجَ ، واصْبِرْ على الجُهْدِ ، فان الهوى نعيم وبُؤس !

— وله أيضاً :

وقد حسَدوني قُرْبَ داريَ مِنْكُم ،   وكم من قريبِ الدارِ وَهْوَ بعيدُ .
دُخولك من باب الهوى ، إنْ أردتَهُ   يسيرٌ ، ولكنّ الخروج عسيرُ !

٤ — ** الاغاني ١٩ : ٦٩ —   ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٣٢ — ١٣٣ .

عَوفَ بن مُحَلِّم الخُزاعيّ

١ — هو أبو المِنْهالِ عَوْفُ بنُ مُحَلِّمٍ الخُزاعي من أهل حرّانَ من قرية رأسِ العين ، في شَماليّ العِراق ، كان مَوْلِدُه نحوَ سنة ١٣٦ هـ (٧٥٣ م) .

اتّصل عَوفُ بن محلّم بطاهرِ بنِ الحسنِ في أيامِ الفتنة بين الأمين والمأمون بُعَيْدَ ١٩٥ هـ ، فاختاره طاهرٌ لمنادمته فبَقيَ معَه في خُراسانَ ثلاثين سَنَة لا يُفارِقُهُ في حَضَرٍ ولا سَفَرٍ . ولمّا تُوُفّيَ طاهرٌ (٢٠٧ هـ) استَبْقاه عبدُ الله ابنُ طاهر . ونال عوفٌ من طاهرِ بنِ الحسنِ ومن ابنه عبدِ الله أموالاً جَزيلةً فتعوّدَ السَخاء والكرَم ، وكان الشعراءُ الأصاغِرُ يَمْدَحونه فيُعْطيهم .

ثم أسنّ عوفُ بن محلّم وتاقتْ نفسُه إلى أهله وبلدِه ، فاستأذن عبدَ الله ابن طاهر بالرجوعِ إلى وطنه ، ولكنّه تُوُفّيَ في أثناء الطريق ، في حُدودِ سَنَةِ ٢٢٠ هـ (٢٣٥ م) .

٢ — كانَ عوفُ بن محلّم الخزاعيّ صاحبَ أخبارٍ ونوادرَ ومعرفةٍ بأيامِ

العربِ ومن الرُواةِ البارعين والعُلماءِ الفُهَماء والأدباء الفصحاء ومن الندماء الظُرفاء . وكان شاعراً وُجْدانيـاً فصيحاً مُجيداً ؛ وفنونُه المديحُ والغزل والأدب، وله شيءٌ من الفخر والخمر .

٣ – المختار من شعره :

– قال عَوْفُ بن مُحَلِّم الخزاعيّ يمدح طاهرَ بن الحسين وقد ركب طاهر حرّاقة (سفينة) :

عَجِبْتُ لحرّاقةِ ابنِ الحسينِ : كيف تسيرُ ولا تَغرَقُ ،
وبحرانِ : من تَحْتِها واحدٌ، وآخرُ من فوقها مُطْبِقُ[1] .
وأعْجَبُ من ذاك عِيدانُها – وقد مَسّها – كيف لا تُورِقُ[2]!

– وقال يمدح عبد الله بن طاهر ويفتخر بنفسه ولكن لا يرى عاراً أن يتكسب من عبد الله :

إليك ! فما حظّي لغيري بصائرٍ ، ولا أجلي ، إن حُمّ ، عنّي بقاصرِ[3] .
أعِفُّ واسْتَغْني ، وإنّي لمُقْتِرٌ ، فتَسْتُرُ عِفّاتي عليّ مَفاقري[4] .
وإني لَيَـأتيني الغِنى غيرَ ضارعٍ[5] فأدْنو به من صاحبي ومُجاوري .
لِساني وقلبي شاعرانِ كلاهما ، ولكنّ وجهي مُفْحَمٌ غيرُ شاعر[6] .
ولو كان وجهي شاعراً أكْسَبَ الغنى[7] ؛ ولكن وَجْهي مثلُ وجه ابن طاهر :
فتىً يختشي أن يَخْدِشَ الذمُّ عِرْضَهُ ، ولا يتّقي حَدّ السيوف البواتر .
غليل وقد اوردتُ دلوي ببحره[8] ؛ ولا عيبَ في وِرْدِ البحور الزواخر !

---

١ بحران : دجلة وطاهر بن الحسين (جعله بحراً لأنه كريم جداً) . مطبق : مطابق ، مساو (لدجلة) في الكرم .
٢ عيدانها : ألواح الخشب التي فيها .
٣ حم أجلي : دنا موتي .
٤ مقتّر : فقير .... – عفة نفسي تستّر فقري عن عيون الناس (لأنني لا أطلب شيئاً من أحد) .
٥ غير ضارع : (وأنا) غير ذليل .
٦ وجهي مفحم غير شاعر : أنا أخجل من التكسب ولا أستطيعه لو أردته .
٧ أكسب الغنى : لأكسب الغنى ، أي لجعلني (بالتكسب) غنياً .
٨ غليل : عطشان . أوردت دلوي ببحره : أتيت بدلوي لاستقي به من بحر (كرمه) .

— وقال يمدح عبد الله بن طاهر ويسأله السماح له بالرجوع إلى أهله :

يا ابن الذي دان له المشرقانِ ، وأُلبِسَ الأمنَ به المغرِبانِ ،
ان الثمانين — وبُلِّغْتَها — قد أحوجتْ سمعي إلى تَرْجُمانِ !
وأبْدَلَتْني بالشِطاطِ انحناءً ، وكنت كالصَعْدة تحت السِنان [1] ،
وعَوّضَتْني من زِماع الفتى وهَمِّه همَّ الهَجينِ الهِدان [2] .
وهِمْتُ بالأوطان ، وَجْداً بها ، وبالغواني . أين مني الغَواني !
فقَرِّباني — بأبي أنتما — من وطني قبلَ اصْفرار البَنان [3] ،
وقبل مَنْعايَ إلى نِسْوةٍ أوطانُها حَرّانُ فالرقمتان [4] .
سقى قُصورَ الشادياخ الحَيا ، من بعد عَهْدي ، وقصور المِيان [5] .
فكم وكم من دعوةٍ لي بها أن تتخطّاها صروفُ الزمانِ .

٤ — ** طبقات ابن المعتزّ ١٨٦ — ١٩٣ ؛ معجم الأدباء ١٦ : ١٣٩ — ١٤٥ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٤٨ — ١٥٠ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٢ — ٣٣ .

القاسم بن سَلّام الهَرَوِيّ

هو أبو عُبيد القاسم بن سَلاّم الهَرَوِيّ ، كان أبو ه مملوكاً رومياً لرجل من أهل هَراة . وُلِدَ القاسم في هَراة ، سنة ١٥٤ هـ (٧٧ م) . ثم انه جاء إلى البصرة والكوفة وسمع من أبي زيدٍ الانصاري والأصمعي وأبي عُبيدةَ مَعْمَرٍ ومن ابن الاعرابي والفرّاء والكِسائي . وقد كان اشتغاله بالقراءات والحديث

---

١ الشطاط : الطول وحسن القوام واعتداله . الصعدة : القصبة الفارسية (والقصب الفارسي تصنع منه الرماح (كناية عن الاستقامة) .

٢ الزماع : الهمة والمضاء في الامور . الهجين : غير الأصيل (الذي ليس ذا نسب صاف واضح) . الهدان الاحمق الثقيل (الفاتر العزيمة) .

٣ اصفرار البنان (كناية عن الموت) .

٤ تشوقت إلى وطني وإلى الغواني (النساء الجميلات) التي كنت قد عرفتهن فيه . أما الآن (بعد تقدمي في السن) فلا قيمة لتشوقي اليهن .

٥ الشادياخ وميان في خراسان .

والفِقه وبالأخبار واللغة والأدب . واشتغل بالتأديب والتعليم .

وتولّى القاسم بن سلاّم القضاء في طرسوس في أيام ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي [1] ثَمانِيَ عَشْرَةَ سَنةً . ويبدو أنه استعفى من القضاء سنة ٢١٠ ﻫ وجاء إلى بغداد [2] . وفي سنة ٢١٤ ﻫ (٨٢٩ م) سار إلى مكّة للحج ثم بقي في الحجاز إلى أن توفّي (في مكّة أو في المدينة) سنة ٢٢٣ ﻫ (٨٣٨ م) في الأغلب .

كان القاسم بن سلاّم متفنّناً في أصناف العلوم ، إلا أنه كان أقدرَ في العلوم الإسلامية (القراءات والحديث والفقه) منه في العلوم العربية (اللغة والنحو والشعر) . قال ياقوت (١٦ : ٢٥٥) إن القاسم بن سلاّم كان كثيراً ما يأخذ المادّة لكتبه من كتب الذين سبقوه ، لضيق وقته عن الرِحلة للرِواية عن الرجال ، ثم يُحْسِنُ تنسيقَها وتبويبها .

وللقاسم بن سلاّم كتب تزيد على عِشرينَ بعض موضوعاتِها تَلْفِتُ النظرَ بالإضافة إلى ذلك الزمن المتقدّم ، منها : كتاب القراءات ، كتاب معاني القرآن كتاب غريب القرآن ، كتاب عدد آي القرآن ، كتاب فضائل القرآن ، كتاب الناسخ والمنسوخ ، كتاب غريب الحديث ، كتاب غريب المصنّف ، كتاب أدب القاضي ، كتاب الأموال ، كتاب الحَجْر والتفليس ، كتاب النسب ، كتاب الأحداث ، كتاب الأمثال السائرة ، كتاب الشعراء ، الخ (راجع معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٠) .

– رسالة في ما ورد في القرنِ الكريم من لغات القبائل (مطبوع مع تفسير الجلالين) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) بلا تاريخ .

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري (حقّقه عبد المجيد

---

١ كان ثابت بن نصر والياً في حلب (وما والاها غرباً) في سنة ١٩٢ – ١٩٣ ﻫ (٨٠٧ – ٨٠٨ م) في آخر أيام الرشيد .

٢ قالوا : التقى القاسم بن سلام بعبد الله بن طاهر لما جاء عبد الله إلى بغداد وهو لا يزال حدثاً ، وكان اللقاء بوساطة ابراهيم بن اسحق . وفي التاريخ أن اسحق بن ابراهيم كان والي بغداد سنة ٢١٤ ﻫ ، وفي سنة ٢١٣ ﻫ (٨٢٨ م) أصبح عبد الله بن طاهر والي خراسان . وفي سنة ٢١٤ ﻫ سار القاسم بن عبيد الله إلى الحج . ولما قدم القاسم كتابه « غريب الحديث » ، بعد أن عمل فيه ثلاثين سنة الى عبد الله بن طاهر (معجم الادباء ١٦ : ٢٥٥) أو أربعين سنة (وفيات ٢ : ١٦٣) أجازه عبد الله بن طاهر بألف دينار . ان التوفيق بين هذه التواريخ ليس سهلا .

عابدين واحسان عبّاس) ، الخرطوم (جامعة الخرطوم) ١٩٥٨ م .
غريب الحديث (تحت مراقبة محمد عبد المجيد خان) ، حيدراباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٩٦٤ — ١٩٦٥ م .
كتاب الأموال (صحّحه ... محمّد حامد الفقي)، القاهرة (مطبعة حجازي) ١٣٥٣ .
** الفهرست ٧١ — ٧٢ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٣ — ٤١٦ ؛ طبقات الزبيدي ٢١٧ — ٢٢١ ؛ معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٤ — ٢٦١ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ١٦٣ — ١٦٥ ؛ انباه الرواة ٣ : ١٢ — ٢٣ ؛ بغية الوعاة ٣٧٦ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٥٤ — ٥٥ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٥ — ١٠٧ ، الملحق ١ : ١٦٦ — ١٦٧ ؛ زيدان ١١٧ — ١١٨ .

ابراهيم بن المهدي

١ — هو أبو إسحقَ إبراهيمُ بنُ الخليفة المَهْدِيّ وأخو هرونَ الرشيدِ ، وُلِدَ في أول شهر ذي القَعْدة من سنة ١٦٢ هـ (١٩—٧—٧٧٩ م) . وكانت أم ابراهيم جاريةٌ سوداءَ اسْمُها شكْلة (بفتح الشين أو كسرها) فنشأ هو أسودَ عظيمَ الجُثّة فكان يُسمّى التِنّين .

كان ابراهيم بن المهدي مُنْصَرِفاً إلى الغناء والعزْف على الطُنْبور وإلى قول الشعر ، وقد أخذ بعض غنائه عن أخته عُلَيّةَ . وليس في حياتِه من الأحداثِ سوى مبايعتِه بالخلافة :

لمّا جعل المأمونُ ، وهو في مَرْو ، وِلايةَ العهدِ لعليّ الرضا ، في٢ رمضان سنة ٢١٠ هـ (٢٤—٣—٨١٧ م) غَضِبَ العبّاسيون في بَغدادَ فخلعوا طاعةَ المأمونِ وبايعوا إبراهيم بن المهدي (آخر ذي الحِجّة ٢٠١ هـ =أواخر تموز — يوليو ٨١٧ م) . فبعث المأمونُ لقتال ابراهيمَ جيشاً بقيادةِ الحسن بن سهلٍ فهزم الحسنُ بنُ سهل جيوشَ ابراهيمَ ودخلَ بَغدادَ (أواخر سنة ٢٠٣ هـ = ٨١٩ م) ، فانسحبَ ابراهيمُ من مَيدانِ الحَياة العامّ ، ولكنّه ظلّ يَهْجو المأمون .

ثم انتقل المأمونُ من مَرْو إلى بَغدادَ (٢٠٤ هـ) ، ولكن لم يَظْفَرْ بابراهيم إلاّ بعد بِضْعِ سِنينَ فسجنه مدّة (سنة ٢١٠ هـ) لفحش هجائِه فيه ثم أطلقه . وكانت وفاةُ ابراهيمَ بن المهديّ في سامرّا في ٧ رمضان ٢٢٤ هـ (تموز — يوليو ٨٣٩ م).

٢ ـ كان ابراهيمُ بن المهديّ شاعراً مُكثراً مُحسناً رقيقَ الشعر ، وكان حسن الضَرْب على الطُنْبور حَسَنَ الغِناء يغنّي في أشعاره . وفنون شعره الغـزل والنسيب والمدح والهجاء ، وله رثاء وخمر ثم شيء من النثر في رسائلَ إخوانيةٍ .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ بعد أن أكثر ابراهيم بن المهدي من هجاء المأمون اعتذر اليه وقال يمدحه بقصيدة مطلعها :

يا خيرَ من ذَمَلَتْ يَمانيةٌ به بعدَ الرسولِ لآيسٍ أو طامعٍ [١] ،

ثم قال :

وعَفَوْتَ عمّن لم يكن عن مِثْلِه عَفْوٌ ، ولم يَشْفَعْ إليك بشافعِ
إلاّ العلوَّ عنِ العُقوبةِ بعدَ مـا ظَفِرَتْ يداك بمُسْتكينٍ خاضع .
فرَحِمْتَ أطفالاً كأفراخِ القَطـا وعويلَ عانسةٍ كقَوْسِ النازع [٢] .
قَسَماً ـ وما أُدْلي إليكَ بحُجّـةٍ إلاّ التَضرّعَ من مُقِرٍّ خاشع ـ
ما إنْ عَصَيْتُكَ ، والغُواةُ تَمُدُني أسْبابُها ، إلاّ بنِيّةِ طائـع [٣] !

ـ لما استخفى ابراهيم بن المهديّ من المأمون ، كانت تقوم على خدمته جارية جميلة فقال في النسيب بها :

يا غزالاً لي إلَيْـهِ شافعٌ من مُقْلَتَيْهِ ،
والذي أجْلَلْتُ خَدْ دَيْهِ فقبّلتُ يَدَيه .
بأبي وَجْهُكَ مـا أكثَرَ حُسّادي عليه .
أنا ضَيْفٌ ، وجزاءُ الضيفِ إحسـانٌ إلَيْه .

---

١ ذملت يمانية به : (سارت به ناقة يمانية سيراً ليناً) .

٢ أفراخ القطا : كناية عن صغار الطير التي لا تستطيع نهوضاً (طيراناً ولا العناية بنفسها في مطعمها الخ) .. العويل : شدة البكاء . العانسة (في القاموس : العانس) الفتاة التي كبرت ولم تتزوج . والعانسة : الناقة السمينة . كقوس النازع : شديدة الانحناء (كناية عن كبرها في السن) ـ لأن القوس إذا نزع فيها الانسان (جعل سهماً في وترها ثم جذبه اليه) كثر انحناؤها .

٣ ـ أنا اضطررت إلى مجاراة الغواة (الذين ضلوا ثم دفعوني إلى العصيان عليك) بينما كنت بيني وبين نفسي مطيعاً لك (لا أريد الثورة عليك) .

— وله في النسيب :

ونَهَيْتُ نَوْمِيَ عن جُفوني فانْتَهى ، وأمَرْتُ لَيْلي أن يَطولَ فطالا .
نَظَرُ العُيونِ إلى العيونِ هُوَ الذي جَعَلَ العيونَ على العيونِ وَبالاً [1] !

٤ — ** ابراهيم بن المهدي ، تأليف منير الحسامي ، بيروت (المكتب التجاري) ١٩٦٠ م . كتاب الورقة ١٩ — ٢٢ ؛ أشعار أولاد الخلفاء ١٧ — ٤٩ ؛ الاغاني ١٠ : ٦٩ — ٧٠ ؛ تاريخ بغداد ٦ : ١٤٢ — ١٤٨ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١٢ — ١٤ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٥ .

الجَرْميّ

هو أبو عُمَرَ صالحُ بنُ اسحقَ الجَرْمِيّ مولى بني جَرْم بن زَبّان اليمنيّين [2] كان من أهل البصرة ، أخذ علوم العربية عن يونسَ بنِ حبيبٍ ، وعلومَ اللغة عن أبي زيدٍ الانصاريّ وأبي عبيدة ؛ وقرأ ديوان الهُذَليّين على الأصمعي ، وقرأ كتاب سِيبويهِ على أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ثم قرأ الناسُ كتابَ سيبويه على الجَرْمي . ولمّا جاء الجرميّ إلى بغدادَ ناظر الفرّاء ، ثم أخذ عنه المبرّدُ والمازني .

الجرمي فقيهٌ ومن الأئمّة الأجلاّء في الحديث والأخبار ولكنّه شُهِرَ باللغة والنحو ، إذ كان عالماً باللغة حافظاً لها قديراً في النحو . وللجرمي كتب منها كتاب الفرخ (فرخ كتاب سيبويه) ، كتاب المختصر في النحو ، كتاب التنبيه ، كتاب السير ، كتاب الأبنية ، كتاب العروض ، كتاب غريب (كتاب) سيبويه .

** الفهرست ٥٦ — ٥٧ ؛ تاريخ بغداد ٩ : ٣١٣ — ٣١٥ ؛ معجم الأدباء ١٢ : ٥ — ٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٠٧ — ٤٠٨ ؛ انباه الرواة ٢ : ٨٠ — ٨٣ ؛ بغية الوعاة ٢٦٨ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٥٧ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٨ .

---

١ الوبال : الهلاك .

٢ في وفيات الاعيان (١ : ٤٠٧) أن أبا نعيم الاصبهاني ذكر الجرمي في تاريخ « أصبهان » ، فهو على ذلك فارسي الأصل . — يقال فيه البجلي (بفتح الباء والجيم) مولى بجيلة (بفتح الباء) ثم نزل في بني جرم بن زبان فنسب اليهم .

أبو دلف العجليّ

١ – هو أبو دُلَفَ القاسمُ بنُ عيسى بنِ إدريسَ من بني عِجْلِ بن لُجيمٍ من بني بَكْرِ بنِ وائلٍ ، ومن أهلِ الكَرَج (القاموس ١ : ٢٠٤) ، وهي بلدة بين إصبهانَ وهَمَذانَ من شرقيّ بلادِ فارسَ . وقد كان مغالياً جِداً في التشيّع (وفيات الاعيان ٢ : ١٧٤ س) .

كان أبو دُلَفَ من أوّلِ أمرهِ سَرِيّاً كريماً شُجاعاً ذا وقائعَ مشهورةٍ وصنائعَ مأثورة . وقد كان من قُوّاد المأمون ثم من قوّاد المعتصم ، واشتهر في حرب بابَكَ الخُرَّمِيّ معَ القائد التركي حَيدَرِ بن كاووس الإفشين [١] ، وكان صديقاً له ثم غَضِبَ الإفشينُ عليه وأراد قتله ولكن أُنقِذَ .

مدح أبا دُلَف نفرٌ من الشعراء منهم أبو تمّام والعَكَوّك وبكر بن النطّاح [٢] والخُرَيمي [٣] وغيرهم . وقد كان جواداً في اجازتهم وفي عطاء غيرهم حتى رَكِبَتْه الديونُ . ومرض أبو دلف في آخر أيامه وثَقُلَتْ حالُه ثم تُوُفّي في سنة ٢٢٥ ﻫ أو ٢٢٦ ﻫ (٨٣٩ م) ، وقيل سنة ٢٢٨ ﻫ .

٢ – كان أبو دلف مُصَنِّفاً له من الكتب كتاب البُزاة والصيد ، كتابُ السِلاح وكتاب سياسة الملوك وغيرها (وفيات ٢ : ١٧٢) . وكذلك كان من أصحاب الصَنْعة في الغِناء يضع الألحانَ للأشعار ويغنّي غِناءً حَسَناً . (غ ٨ : ٢٤٨) .

وأبو دلف شاعر مجيد حَسَنُ البديهة حاضرُ الجواب ، وشعره في الغزل والحماسة والوصف .

٣ – **المختار من شعره :**

– قال أبو دُلَف في الغزل والحماسة ، وفي شعره شيء من نفس عنترة :

بنفسي ، يا جِنانُ ، وأنتِ منّي مَحلُّ الروحِ من جسد الجبانِ [٤]

---

١ في غ ٨ : ٢٥٠ خيذر (بالخاء والذال المعجمتين) . الإفشين بكسر الهمزة والشين .

٢ طبقات ابن المعتز ٢١٩ ، ٢٢٠ – ٢٢٦ .

٣ البيان والتبيين ١ : ١١١ – ١١٢ .

٤ بنفسي ، يا جنان : أفديك ، يا جنان ، بنفسي . وفي رواية : أحبك ، يا جنان .

ولو أني أقول مكانَ روحي خَشيت عليك بادرةَ الزمــان
لإقدامي إذا مــا الخيلُ خامتْ ، وهابَ كُماتُها حرّ الطعـان !

– وله أيضاً في النسيب والحماسة :

لَيْلَتي بالسّرادِنِ كُلّلَتْ بالمحاسِنِ
وجَوارٍ أوانِـسٍ كالظِباء الشّوادن[1] .
بُدّلَتْ بالمُمَسّكا ت ادّراعَ الجَواشن[2] .

– وله في الشيب :

في كلّ يوم أرى ببضاءَ طـالعـةً كأنّما أُنبِتَت في ناظرِ البَصَرِ .
لئن قَصَصْتُكِ بالمِقراض عن بَصري لما قَطعتُكِ عن هَمّي وعن فِكَري.

– وقال أبو دلف العجلي (ديوان المعاني ١ : ٩١) في الحماسة :

وكنْ على الدهر فارساً بطلاً ، فانّما الدهرُ فارسٌ بطلُ .
لا بُدّ للخيل أن تجولَ بنــا – والخيل أرحامُنا التي نَصِلُ – :
فمرّة باللُجين نَنْقلها ، ومرّة بالدماء تنتقـل[3] ،
حتى ترى الموت تحت رايتِنا تُطْفـأ نيرانُها وتشتعل !

– ولأبي دُلَف قصيدةٌ في الحماسة يقول فيها (البيان والتبيين ٢ : ٢١٧) :

ألبسيني الدِرعَ قد طـا لَ عن الحربِ جِمامي[4] .

٤ – * طبقات ابن المعتزّ ١٧١ – ١٧٩ (في أخبار عليّ بن جبلة العكوّك) ، ٢١٨ – ٢١٩ (في أخبار بكر بن النطّاح) ؛ الأغاني ٧ : ١٥٣ – ١٦٤ ، ٢١ : ١٧٦ – ١٧٧ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٦ – ٤٢٣ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ١٧١ – ١٧٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٥٧ .

---

١ الجواري جمع جارية : الفتاة الصغيرة . الأوانس : اللواتي يؤنس بهن من غير ريبة . الشوادن جمع شادن : الظبي الصغير .

٢ تبدلت (فضلت) بالممسكات (التطيب بالمسك) ادّراع (لبس) الجواشن (الدروع)، أي فضلت الحرب على الحياة المترفة .

٣ – نسابق على الخيل مرة (نلهو) حتى يتكاثر الزبد (الأبيض) كاللجين (الفضة) عليها ، ونحارب عليها مرة حتى تكتسي بالدم .

٤ الجمام : الراحة ، ترك بذل الجهد .

العُتبي الشاعر

١ ــ هو أبو عبد الرحمن محمد بن عُبيد الله بن عَمْرَ بن معاويةَ بن عمر ابن عُتْبة بن أبي سفيان القُرَشي الأموي المعروف بالعُتبي ، كان من أهل البصرة . ونسبته العُتبي إما أن تكون إلى جَدّه المذكور في نسبه أو إلى فتاة اسْمها عُتبة كان يهواها وقد أكثر من قول الشعر فيها .

كان العُتبيّ عارفاً بالأخبار وبأيامِ العربِ روَى ذلك عن أبيه وعن سفيان ابن عُيَيْنَةَ وعن لوط بن مِخْنف ، ثم قَدِمَ بغدادَ وحَدّثَ فيها بذلك فأخذ عنه جَماعةٌ من أهل بغدادَ منهم أبو حاتمٍ السِجِسْتاني وأبو الفضل الرِياشي واسحقُ بن محمد النَخْعي . وكان العُتبي مشهوراً بالشَراب وبحُب فتاة اسمها عُتبة .

وأسنّ العُتبي كثيراً ، ولعلّ وفاته كانت في حدود سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) أو بعد ذلك بقليل .

٢ ــ كان العُتبي أديباً فصيحاً راويةً للأخبار والآداب عن الأعرابِ وكاتباً مترسّلاً وشاعراً بارعاً . وشِعرُه كثيرٌ جيّدٌ وفيه شيءٌ من المرحِ . وشُهِرَ في آخرِ أيامه بالرثاء فقد مات له بَنونَ في الطاعون الذي جاء على البصرة ، سَنَةَ ٢٢٩ هـ (٨٤٤) فرثاهم رثاءً وُجْدانيّاً رقيقاً . وكان له أيضاً شيءٌ من الغزل والعِتاب والأدب .

والعتبي مُصنّفٌ له من الكتب : كتاب الخيل ، كتاب أشعار الأعاريب ، كتاب أشعار النساء اللاتي أحْببن ثم أبْغَضْنَ ، كتاب الذبيح ، كتاب الأخلاق .

٣ ــ **المختار من شعره :**

ــ قال في الاعتذار عن اللهو بَعْدَ تقدّم السِنّ .

لمّا رأتْني سُلَيْمى قاصِراً بَصَري عنها ، وفي الطَرْفِ عن أمثالِها قِصَرُ[١] ،

---

١ قاصراً بصري عنها : خافضاً بصري لا أنظر اليها . وفي الطرف : البصر (في بصري الآن) عجز عن النظر اليها (التشوق لها) .

قالت : عَدَدتُكَ مَجنوناً ، فقلتُ لها : إنّ الشّباب جُنونٌ بُرؤه الكِبَرُ [١] !

– وقال يرثي بعضَ أولاده :

أضْحَتْ بخدّي للدّموعِ رُسومُ ، أسَفاً عليكَ ، وفي الفُؤادِ كُلومُ [٢] .

والصبرُ يُحْمَدُ في المواطنِ كلِّها إلاّ عليكَ فإنّه مذموم .

– كَلّ لساني عن بعض ما أجِدُ ، وذُقْتُ ثُكْلاً ما ذاقه أحَدُ [٣] .

ما عالج الحُزْنَ والحرارةَ في الـ ـأحشاء من لم يَمُتْ له ولد !

– ولمّا تتابعَ أبناءُ العُتبي الستّةِ في الطاعون (٢٢٩ هـ) قال :

وكنتُ أبا ستّةٍ كالبُدورِ قد فقَئوا أعيُنَ الحاسدينا [٤] .

فمرّوا على حادثاتِ الزمان كمرِّ الدراهمِ بالناقدينا [٥] .

وحسْبُكَ من حادثٍ بامْرِئٍ يرى حاسديه له راحمينا !

٤ – ** طبقات ابن المعتزّ ٣١٤ – ٣١٦ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٣٢٤ – ٣٢٦ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٤ – ٣٥٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٦٥ – ٦٦ .

محمود الورّاق

١ – كان محمودُ بنُ حَسَنٍ الورّاقُ صديقاً لأبي عاصم بن وَهْبٍ ، وكان أبو الشبل كوفي المولد بصري المنشأ . واشتهر الصديقان بالاستهتار في الخمر والمعاصي (غ ١٣ : ٢٢ ، ٢٤) .

كان لمحمودٍ الورّاق جاريةٌ جميلةٌ أديبة اسمها سَكَنُ يُحبّها وتحبّه . ثم ان حاشيةَ محمودٍ رقّتْ فاضطُرّ إلى بيْعها فاشتراها منه أحد الطاهرين بمائةِ ألف

١ – قالت : ظننتك مجنوناً (بالجمال) . فقلت لها : كان شبابي جنوناً بالجمال (كنت في شبابي مجنوناً بالجمال) . أما الآن فان الكبر (التقدم في السن = الشيخوخة) قد شفاني من هذا الجنون .

٢ ان كثرة الدموع جعلت علامات في خدودي . كلوم : جروح .

٣ كل : تعب عن وصف جانب مما أجد (أشعر به من الحزن) . الشكل : أن يفقد الوالدان ولداً لهما .

٤ فقأوا أعين الحاسدين : أغاظوا الحاسدين بجاهلم ونجاحهم في الحياة .

٥ كمر الدراهم بالناقدينا (بالجهابذة : الخبيرين العارفين بصحيح الدراهم وزائفها) يختاز لنفسه أحسنها (كذلك الموت أختار أحسن الناس فكانوا أولادي) .

درهم . فلما أرادت أن تَخْرُجَ من البيت قالت لمحمودٍ : « أهذا آخرُ أمري وأمرِك . اخْتَرْتَ عليّ مائةَ ألفِ درهم ؟ » فقال لها محمودٌ ، أفتَجْلِسِينَ على الفقر ؟ فقالت : « نعمْ » . فأعتقَها ليتزوّجَها ؛ ثم قال للطاهريّ : هذا مالُكَ فخُذْهُ . وكان الطاهريّ شَهْماً فقال لمحمودٍ : « أما إذا فعلتَ ما فعلتَ فالمالُ لكما . واللهِ ، لا رَددتُه إلى مُلْكِي » .

وكانت وفاة محمودٍ الوراق في حدود سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) وقد أسنّ في الأغلب .

٢ – محمودٌ الوراقُ شاعرٌ مُكثِرٌ ، وأكثرُ شِعرِه في الأدب والمواعظ والحِكَم والأمثال ، وليس يُقَصِّرُ في هذا الفن عن صالحِ بنِ عبد القُدّوس (طبقات ابن المعتزّ ٣٦٨) . وله شيءٌ من الغزل . وشعره الذي وصل الينا مُقطّعات قِصارٌ .

٣ – المختار من شعره

– لمحمود الوراق مقطوعة بارعة في الأدب (طبقات ابن المعتزّ ٣٦٨) :

يُمَثِّلُ ذو الحزمِ في نفسهِ ... مَصائبَهُ قبلَ أن تَنْزِلا .
فإنْ نَزَلَتْ بَغْتَةً لم تَرُعْــهُ ... لِمَا كان في نفسهِ مَثّــلا .
رأى الهَمَّ يُفضي إلى آخَـرٍ ... فصَيّر آخِرَه أوّلا .
وذو الجهل يأمَنُ أيامـَه ... ويَنْسى مَصارِعَ من قد خَلا.
فان بَدَهَتْه صُروفُ الزمـانِ ... ببعضِ مصائبه أعْوَلا [1] .
ولو قَدّم الحزمَ في نفسـهِ ... لعَلّمه الصبرَ عندَ البَلا !

– وقال في الغزل (فوات الوفيات ٢ : ٣٥٧) :

سَقْياً لأيّامٍ خَلَتْ ... وكأنّ أوجُهَها رِياضُ ؛
أيامَ يُحْيِينا الهوى ، ... وتُميتُنا الحَدَقُ المِراض [2] !

---

١ بدهته (جاءته فجأة وبغتة) صروف الزمان (حدثانه ونوائبه = مصائبه) . أعول : رفع صوته بالبكاء والصياح .

٢ الحدق : العيون . المراض : الذابلة من الدلال والجمال لا من المرض .

— وقال :

لَبِسْتُ صُروفَ الدهرِ كَهْلاً وناشئاً وجرّبتُ حالَيْهِ على العُسْرِ واليُسْرِ .
فلم أرَ بعدَ الدينِ خيراً من الغنى ، ولم أرَ بعدَ الكُفْرِ شرّاً من الفقر !

— وقال محمود الورّاق (البيان والتبيين ٣ : ١٩٧ — ١٩٨) :

ألَيْسَ عَجيباً بأنّ الفتى يُصابُ ببعضِ الذي في يَدَيْهِ :
فمِنْ بين باكٍ له مُوجَعٍ وبين مُعَزٍّ مُغِذٍّ إليْه[1] ؛
ويَسْلُبُه الشيبُ شَرْخَ الشبابِ فليس يُعزّيه خَلْقٌ عليه !

— الحلم أبلغ في الانتقام :

رَجَعْتُ على السفيه بفَضْلِ حِلمي فكان الحلم عنه له لِجاما .
وظنّ بيَ السَّفاهَ فلم يَجِدْني أسافِهُه ، وقلتُ له : سَلاما !
فقامَ يَجُرّ رِجْليه ذَليلاً وقد كَسَبَ المَذَلّةَ والمَلاما .
وفضلُ الحِلمِ أبلغُ في سفيهٍ وأحرى أن تَنالَ به انتقاما .

— ما إن بَكَيْتُ زماناً إلاّ بكيتُ عليه .
ولا ذَمَمْتُ صديقاً إلاّ رَجَعْتُ اليه .

— تَعْصي الإلَهَ وأنتَ تُظْهِرَ حبَّه ، هذا ، لَعَمْري،في القياسِ بَديعُ .
لو كان حبُّك صادقاً لأطَعْتَه؛ إنّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحبّ مُطيع !

٤ — ** طبقات بن المعتزّ ٣٦٧ — ٣٦٨ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٥٦ — ٢٥٨ .

بَكْر بن النّطّاح

١ — هو أبو وائلٍ بكرُ بن النطّاح بن أبي حِمارٍ الحَنفي من أهل البصرة ، كان صُعلوكاً شُجاعاً يقطعُ الطريقَ ثم أقصر (انتهى عن ذلك) وقَدِمَ إلى بغدادَ وانقطع إلى أبي دُلَفَ العِجْليّ يَصْحَبُهُ ويمدحه حتى تُوفّي أبو دُلَفَ (بين ٢٢٦ و ٢٢٨ هـ) . وكان بكر قد مدح مالكَ بن عليٍّ الخُزاعيّ والِيَ

١ مغذ : مسرع .

البصرة ومالكَ بن طوقٍ واليَ دِمَشْقَ (وكلاهما كان في أيام الرشيد) .
ولا أعرف الوجه في قول الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد ٧ : ٩١ س) :
« بلغني أن بكراً لمّا مات رثاه أبو العتاهية » ، فأبو العتاهية تُوُفّيَ سنة ٢١١ هـ .

٢ – بكر بن النطّاح شاعرٌ جيّد القولِ حَسَنُ التصرّفِ في فنون الشعر فصيحُ الألفاظِ سهلُ التراكيب يُجيدُ في المُطوّلات وفي المُقَطّعاتِ . وعلى شِعره نَفْحةُ البداوةِ لِما فيه من المَتانةِ مَعَ سهولته ، وفيه أيضاً استطراداتٌ حسنةٌ : مدح مالكَ بن طوقٍ واستطرد إلى ذم قيس فقال (العمدة ١ : ٣٩) :

فتىً شُفيَتْ أموالُه بعُفـاتِـهِ . كما شُفيَتْ قيس بأرماحِ تَغْلِبِ[1] .

أما فنونه فالفخر والحماسة والمديح والرثاء والهجاء ، وهو بارع في الغزل .

ولبكرِ بن النطّاحِ رأيٌ في نظم الشعر (العمدة ١ : ١٧٩ – ١٨٠) .

٣ – المختار من شعره

– قطع نفرٌ من الأكراد الطريقَ في أيام أبي دُلَفَ ، فخرج اليهم أبو دلف فلقي اثنينِ على حِصانٍ واحدٍ فطعنهما فشكّهما بالرمح ، فقال بكرُ ابن النطّاح :

قالوا : « ويَنْظِمُ فارسينِ بطعنةٍ ، يوم اللقاءِ ، ولا يراه جَليلا » .
لا تَعْجَبوا ، لو أنّ طولَ قَناتِه ميلٌ إذاً نَظَمَ الفوارسَ مِيلا !

– وله في أبي دُلَفَ القاسم بن عيسى العِجلي قصيدةٌ رائعة يمدحه فيها ، منها :

قِفا واسْألاها إنْ أجابتْ وجَرِّبا أبا دُلَفٍ في شأنِها الحسَناتِ[2] .
فتىً – إنْ أقلّ السيفَ والرُمحَ – مُخْرِجٌ عِداهُ من الدنيا بغير بَيات[3] .
هو الفاضلُ المنصور والرايةُ التي أدارت على الأعداء كأسَ ممات !

---

١ العفاة : طالبو العطاء . – كانت أمواله محبوسة مريضة فأطلقها وشفاها باعطائها لأصحاب الحاجات ؛ كما أن بني بكر (من قيس = عرب الشمال) شفوا من عداوتهم لتغلب (عرب الجنوب) بأرماح تغلب (بانتصار تغلب عليهم) .

٢ كذا في الأصل : في شأنها الحسنات . ويقول محقق طبقات ابن المعتز (ص ٢٢٣ ح) لعلها : ذي الشأن والحسنات (ذا الشأن ....)

٣ البيات : أن يدبر القائد خطة لمهاجمة عدوه . أقل : حمل (ذهب إلى الحرب) .

عَدَتْ خيلُه حُمرَ النُحور ،وخيلُهم مُخَضَّبةُ الأكفالِ والربَلات [١] ،
وصَبَّحَ صُبْحاً عسقلانَ بعسكرٍ بَكى منه أهلُ الروم بالعبَرات [٢].
بدينِ أميرِ المؤمنينَ ورأيهِ نَدينُ ونَنْفي الشكَّ والشُّبُهات .
فكلَّ قبيلٍ من مَعَدٍّ وغيرِها يرى قاسماً نوراً لَدى الظُلُمات [٣].
أبا دُلَفٍ ، أوقعتَ عِشرينَ وقعةً وأفنيتَ أهلَ الأرضِ في السّنوات [٤]
تركتَ طريقَ الموتَ بالسيفِ عامراً تَخَرّقُه القَتْلى بغيرِ وفـاة [٥] .
صبرتَ لأنّ الصبرَ منك سَجيةٌ على غَدَرات الدهرِ ذي الغَدَرات.
ولبّيتَ هارونَ الخليفةَ إذ دعا فألْفَيْتَه في الله خَيْرَ مُؤاتِ [٦] .
وألبَسْتَ نُعماكَ الفقيرَ وغيرَه ، وأتبعْتَ بِرّاً واصلاً بصِلات .
فعِزّك مقرونٌ بعلمٍ وسُؤدَدٍ ، وجُودُكَ مقرونٌ بصِدق عِدات [٧] .
أبو دُلَفٍ أفنى صِفاتي مديحُه ، وإنّي لَيَكْفي الناسَ بعضُ صِفاتي !

– وقال بكرُ بنُ النطّاح يفتخر في قصيدةٍ مدح بها يزيدَ بنَ مزيدَ الشيبانيّ :

ومن يَفْتَقِرْ منّا يَعِشْ بحُسامـهِ ، ومن يفتقر من سائرِ الناس يسألِ [٨] .
ونحنُ وُصِفْنا ، دونَ كلِّ قبيلةٍ ، بشدّةِ بأسٍ في الكتاب المُنَزّل .

– وقال في الأدب (الحكمة) :

أهْدَى إليكَ نصيحتي ومَوَدّتي قبلَ اللّقاءِ شواهدُ الأرْواحِ .
وعلى القُلوبِ مِنَ القلوب دلائلٌ بالوُدِّ قبل تَشاهُدِ الأشباح !

٤ – •• الاغاني ١٧ : ١٥٣ – ١٥٨ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٢١٧ – ٢٢٦ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٩٠ – ٩١ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٠٠ – ١٠١ .

١ الاكفال والربلات في مؤخر الجسم (كناية عن قتاله هاجماً وعن قتلهم مدبرين) .
٢ عسقلان ثغر بحري في فلسطين .
٣ من معد وغيرها : من العرب وغير العرب .
٤ في السنوات : في سنوات قليلة (سنوات جمع قلة) .
٥ .... – يرتمي فيها القتلى في كل ناحية .
٦ هرون الخليفة (هنا) الواثق . في الله خير مؤات : موافق للحق في ما طلب .
٧ العدات جمع عدة : وعد (بمعروف أو عطاء) .
٨ يسأل : يستعطي ، يشحذ ، يطلب صدقة .

محمّد بن سعد

هو أبو عبدِ الله مُحمّدُ بنُ سعدِ بنِ مَنيعٍ الزُهْريّ ، وُلِدَ سَنَة ٢٦٨ هـ (٨٨١ – ٨٨٢ م) .

سَمِعَ ابنُ سعد مِنْ سُفْيانَ بن عُيَيْنَةَ [١] ، ثم كان كاتباً للواقديّ [٢] . وكانت وَفاتُه في بَغدادَ ، في ٤ جُمادى الآخِرَةِ من سَنَةِ ٢٣٠ هـ ، (١٧–٢–٨٤٥ م) .

كان محمّدُ بنُ سَعْد من أهل العَدالة والصدق يَتَحرّى الصحّة في رواياته ، وكان غزيرَ العِلْم عالماً بالحديثِ والفِقْه . وقد وَصَل إلينا منه كتابُ الطَبَقات الكبيرُ ، ويُعْرَف بطبقاتِ ابنِ سَعْد ، أوْرَدَ فيه تَرْجَمَة رسولِ الله ثم تَراجِمَ الصَحابةِ والتابعين إلى أيّامه ، وعَدَدُهم نَحْو ثلاثةِ آلاف . وأقسام الطبقاتِ هي التالية : سيرة الرسول ، المغازي (غزوات الرسول) البَدْريون (الذين شَهِدوا غزوة بدرٍ ، سَنَةَ ٢ هـ) ، الأنصار والمهاجرون الذين لم يَشْهَدوا بدراً ثم أسلموا قبلَ فتحِ مكّة ، سنة ٨ هـ) ، سائرُ (باقي) أهلِ المدينةِ ثم أهلِ مكّةَ والطائفِ واليمنِ واليَمامة والبَحْرين ، الكوفيّون ، البصريون ، النساء .

– كتاب الطبقات الكبير (نشره جماعة من المستشرقين) ، ليدن (بريل) ١٣٢١ هـ (١٩٠٤ م) وما بعدها = الطبقات الكبرى ، بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٥٧ – ١٩٥٨ م .

---

١ ولد أبو محمد سفيان بن عيينة في الكوفة سنة ١٠٧ هـ (٧٢٥ م) ، وكان عالماً زاهداً وراوية للحديث ثبتاً صادقاً صحيح الرواية . مات سنة ١٩٨ هـ (٨١٤ م) في مكة . (راجع وفيات الاعيان ١ : ٣٧٤–٣٧٥) .

٢ أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد المعروف بالواقدي ، ولد في المدينة في أول سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ م) وانتقل (١٨٠ هـ = ٧٩٦ م) إلى بغداد حيث تولى القضاء ، وفيها توفي (٢٠٧ هـ = ٨٢٣ م) . وللواقدي كتب كثيرة في القرآن والحديث والفقه والتاريخ أشهرها « فتوح الشام » ؛ وله كتاب الترغيب في علم القرآن ، كتاب التاريخ الكبير ، كتاب أخبار مكة ، كتاب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، كتاب مقتل الحسين ، كتاب فتوح العراق ، كتاب ضرب الدنانير والدراهم ، الخ ... (راجع معجم الأدباء ١٨ : ٢٧٧ – ٢٨٢) .

مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدية (نشره محمّد حميد الله)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤١ م.

** الفهرست ٩٩؛ تاريخ بغداد ٥ : ٣٢١ - ٣٢٢؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٢٦؛ شذرات الذهب ٢ : ٦٩؛ بروكلمان ١ : ١٤٢ - ١٤٣، الملحق ١ : ٢٠٨؛ زيدان ٢ : ١٧١ - ١٧٢.

ابن الأعرابيّ

هو أبو عبد الله محمّدُ بن زيادٍ المعروفُ بابنِ الأعرابي، كان أبوه عبداً رَقيقاً سِنْدياً من أهل الكوفة ثم مَوْلىً للعبّاس بن محمدٍ بن عليّ بن العبّاس الهاشميّ (ت ١٨٦ هـ).

وُلِدَ ابنُ الاعرابي في رَجَبَ من سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) ونشأ ربيباً للمُفَضَّلِ الضبيّ، لأنّ المفضّل كان قد تزوّج أمّه. وأخذ ابن الاعرابي علومه عن المفضّل وأبي مُعاوية الضريرِ وثَعلبٍ والكِسائي وابنِ السِكّيت. وكانت وفاتُه في سامرّا، في ١٤ شعبان ٢٣١ هـ (٨٤٦ م).

كان ابن الاعرابي عالماً باللغة ورأساً (مُقدّماً على أندادِه) في الكلامِ الغريبِ. وقد كان يقول: انه جائز في كلام العرب أن تُعاقِبَ بين الضاد والظاء (أنْ نقولَ مثلاً: غائظ وغائض، من غير اختلافٍ في المعنى). وكان عالماً بأنساب العرب، راويةً لأشعار القبائل، غزيرَ الروايةِ، واسعَ المعرفة بالنحوِ خاصّةً. وهو كوفيّ المذهب، ولكنّه معَ ذلك يُقارب البَصريّين. ولم يكن ابنُ الأعرابي يُجيبُ السائلين من كتابٍ، بل كان يُملي عليهم من حِفظه. وأكثرُ كتبهِ في اللغة، له: كتاب النوادر، كتاب الألفاظ، كتاب الأنواء، كتاب النبات، كتاب النبت والبقل، كتاب صفة الزرع، كتاب صفة النخل، كتاب الخيل، كتاب نسب الخيل، كتاب الذباب، كتاب صفة الدرع، كتاب تفسير الامثال، كتاب معاني الشعر، كتاب تاريخ القبائل، كتاب نوادر بني فقعس، كتاب نوادر الزبيريين، الخ.

- نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، ويليه أسماء خيل العرب وفرسانها

(عني بنشره جرجس لوي دلاويدا) ، ليدن (بريل) ١٩٢٨ م .
** الفهرست ٦٩ ؛ طبقات الزبيدي ٢١٣ — ٢١٥ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٢٨٢ — ٢٨٥ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ١٨٩ — ١٩٦ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٢٩٩ — ٣٠١ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٧٩ ؛ انباه الرواة ٣ : ١٢٨ — ١٣٧ ؛ بغية الوعاة ٤٢ ؛ بروكلمان ١ : ١١٩ — ١٢٠ ، الملحق ١ : ١٧٩ — ١٨٠ ؛ زيدان ٢ : ١٤٦ .

محمّد بن أُميّةَ البصري

١ — كان محمّدُ بنُ أميّةَ بنُ أبي أميّةَ الكاتبُ البَصْريّ مشهوراً منذ أيامِ الرشيدِ ومُنْقَطِعاً إلى إبراهيمَ بنِ المَهْديّ يكتُبُ له على بيتِ مالِهِ ويُنادمه ، وقد أدْرك أيامَ المُعْتصم . ولعلّ وفاته كانتْ سَنَةَ ٢٣٠ هـ (٨٤٥ م) .

٢ — كان محمّدُ بنُ أميّةَ كاتباً وشاعراً ظريفاً مُقِلاً يَنْظِمُ المُقَطّعات في الغزل والنسيب والهجاء ، وتَغْلِبُ على شعرِهِ الرِقّة ، وبعضُ شعرِهِ مَتينٌ . وكان بينَه وبين الفضلِ الرَقّاشي بُغْضةٌ ومُهاجاة [١] .

٣ — المختار من شعره

— قال محمّدُ بن أميّةَ بن أبي أميّة في النسيب :

رُبّ وعدٍ مِنْكِ — لا أنساه — لي أوجبَ الشكرَ وإنْ لم تَفْعلي .
أقطعُ الدهرَ بظنٍّ حَسَنٍ ، وأجلّي غَمْرةً ما تَنْجلي .
كُلّما أمّلتُ يوماً صالحاً عَرَضَ المكروهُ لي في أملي.
وأرى الأيّامَ لا تُدني الذي أرْتَجي منكِ وتُدْني أجلي !

— وله في جارية اسمها خِداعُ كان يحبّها :

خَطَراتُ الهوى بِذِكْرِ خِداعٍ هيجْنَ شَوْقي ، لا دارساتُ الطّلولِ .

---

١ راجع البيان والتبيين ١ : ٤٠٤ .

حُجِبَتْ أن تُرى ، فلستُ أراهـا ؛ وأرى أهلَها بكُلِّ سبيلِ .
وإذا جاءها الرسولُ رآهـا ؛ ليتَ عيني مكانَ عينِ الرسولِ .
قد أتاكِ الرسولُ يَنْعَتُ ما بي ، فاسْمَعي منه ما يقولُ وقولي !

— وقال أيضاً :

أُحِبّكَ حُبّاً لو يُفَضّ يَسيرُهُ على الخَلْقِ ماتَ الخلقُ من شِدة الحبِّ .
وأعْلَمُ أني بعدَ ذاك مُقَصِّرٌ ، لأنكَ في أعلى المَراتب من قلبي .

٤ — ** الفهرست ١٦٢ ؛ الاغاني ١٢ : ١٤٥ — ١٥٤ ؛ كتاب الورقة ٤٧ — ٥٠ ، معجم الشعراء ٣٥٤ ، تاريخ بغداد ٢ : ٨٦ — ٨٧ ، الصفدي : ٢ ٢٢٩ — ٢٣١ ، زيدان ٢ : ١٠٠ .

محمّدُ بن سَلّامٍ الجُمَحيُّ

١ — هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ سلاّم بنِ عُبيدِ الله بن سالمٍ ، مولى قُدامة ابن مظعون الجُمَحي القُرَشي .

وُلِدَ محمّد بنُ سلامٍ في البصرة نحو عام ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) ، وسَمِعَ العلمَ والأدبَ من نفر كثيرين منهم[١] أبوه ومنهم : الأصمعي وبَشّارِ بنِ بُرْدٍ وأبو البَيْداء الرياحي وأبو عُبيدة مَعْمَرِ بن المُثنّى ومروانَ بن أبي حَفْصة والمُسَيَّبِ بن سعيد والمفضَّل الضبّي ويُونس بن حبيبٍ .

أمّا وفاةُ محمّدِ بن سلاّم الجمحي فكانت في بغداد سنة ٢٣١ هـ (٨٤٦ م) ، وقد زادتْ سِنّه على تسعين سنة .

٢ — محمّدُ بن سلاّمٍ الجُمحيّ من رُواةِ اللغةِ والأشعار ، إلاّ أنه أوسع شُهْرةً وأثبتُ قدماً في رِواية الشعر . ولابن سلاّم عددٌ من الكتب ذكر منها ابن النديم (الفهرست ٣٥ ، ١١٣) : كتاب غريبَ القُرآنِ ، كتاب الفاصل[٢] في مُلَحِ الأخبارِ والاشعار ، كتاب بيوتاتِ العرب ، كتاب طبقات الشُعراء

---

١ طبقات الشعراء (طبعة محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٥٢ م) ، راجع المقدمة ، ص ١٢ — ١٣ .
٢ كذا في الفهرست (راجع طبقات الشعراء ، ص ١٤ و ٢٨ في الحاشية : لعله الفاضل) .

الجاهليين ، كتاب طبقات الشُعراء الاسلاميّين ، كتاب الحلاب واجر الخيل [1] .

على أن شُهرةَ محمّد بن سلاّم الجُمَحي وقيمتُه في تاريخ الأدب والنقد وفي تاريخ التأليف العربي تَرْجِعان إلى كتابه الذي وصل الينـا باسم **طبقات الشعراء** [2] .

إن قيمة كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلاّمٍ الجمحي حملت المُسْتَشْرِقَ يوسفَ هَلّ [3] على أن يناقش في مقدمة هذا الكتاب **طريقةَ التأليف** التي اتبعها ابن سلاّمٍ والتي كانت مألوفةً في عصره وبعد عصره أيضاً [4] .

يرى يوسف هلّ أن التأليف القديم كان قائماً على الرِواية : على نقل الخبر بمعناه أو بلفظه واحداً عن واحد . إن ابن دُريد مثلاً كان الراوية الثقة لكتاب **فحولة الشعراء للأصمعي** [4] ، بينما أبو حاتم السِجْزي أو السِجِسْتاني [5] هو الذي جَمَعَ الكتابَ وَدوّنه . أمّا الأصمعي نفسُه فهو موُجِدُ فكرة الكتاب ومؤلّفه [6] . وكذلك الشأن في كتاب **طبقات الشعراء لابن سلاّم الجُمَحِيّ** ، فانّ أبا طاهر محمد بن أحمد القاضي كان راويةَ الكتاب ، بينما كان أبو خليفة الفضل بن الحُباب جامع الكتاب ومدوّنه . أما **محمدُ بنُ سلاّمٍ الجُمَحِيّ** فكان الموجدَ الروحي لكتاب **طبقات الشعراء** والمؤلّف له . على أن قسط ابن سلاّم الجُمَحِيّ في الكتاب المتّصل باسمه أعظم كثيراً من قسط الأصمعي في

---

١ في الفهرست : الحلاب . لعلها الحلائب جمع حلبة (بفتح الحاء) : الدفعة (بضم الدال) من الخيل في الرهان ، وخيل تجتمع للسباق (القاموس ١ : ٥٨ ع) . اجر الخيل ، لعلها اجراء الخيل (طبقات الشعراء ، ص ١٤ الحاشية) .

٢ طبعة يوسف هل ، أعدها في عام ١٩١٤ م ، وطبعت في مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩١٦ م . راجع اسم الكتاب « طبقات الشعراء » في الصفحات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ من المقدمة الالمانية .

٣ ولد يوسف هل Joseph Hell سنة ١٨٧٥ م في بلدة فلزبيبورغ في بافارية (ألمانية) . درس اللغات الشرقية في جامعة منشن (ميونيخ) ووجه اهتمامه إلى اللغة العربية والإسلام . قضى عاماً (١٨٩٨ – ١٨٩٩ م) في الشرق العربي وعاماً آخر (١٩٠٥ م) في تونس والجزائر واسبانية . ثم أصبح منذ عام ١٩١١ استاذاً للغات والآداب الشرقية في جامعة أرلنغن . توفي عام ١٩٥٠ . نشر أقساماً من شعر الشعراء الهذليين ومن شعر الفرزدق . وله من التآليف : ترجمة الفرزدق ، حضارة العرب (نقل إلى الانكليزية) ، من محمد إلى الغزالي ، الاسلام والمدنية الغربية ، الشعر العربي في اطار الادب العالمي .

٤ طبقات الشعراء (طبعة يوسف هل) ، المقدمة ، ص ١٥ ، السطران ١ – ٢ .

٥ بروكلمان (الأصل الالماني) ، الملحق ١ : ١٦٤ ، السطر ٢٦ .

٦ في الأصل الألماني Geistiger Urheber مؤلف ، موجد ، مؤسس ، مبتدع : جهد عقلي .

فحولة الشعراء . فبينما كان الاصمعي يُبْدي الرأيَ بعد الرأيِ في الشاعر بعد الشاعر – يَعْرِضُ لذلك على غير نظام معلومٍ ولا سبيلِ تنظيمٍ معيّنٍ في سلسلة ما ، كان ابن سلاّمٍ يَحرِصُ على نظامٍ في تقسيم الشعراء طبقاتٍ معلومةً ويبدى في كلّ شاعر من كلّ طبقة رأياً ثم يَخرُج من الآراء في الشعراء المُفْرَدِيْنَ إلى رأيٍ جامع متكامل في شعراءِ كلّ طبقة . وكان هنالك فرقٌ آخرُ بين كتابِ الأصمعي وكتابِ ابن سلاّم : كان الأصمعيَ من أقدمِ علماء اللغة فلم يكن يبني مَعارفَه وآراءَه على رُواةٍ أقدمَ منه عهداً ، بل كان يكتفي بأن يُبْدِيَ آراءً شخصيةً . أما ابنُ سلاّمٍ العالمُ الذي جاء بعد الأصمعي ببضعَ عَشْرةَ سنةً فكان يعتمد آراءَ الذين جاءوا قبلَه ، على الطريقةِ العلمية الصحيحة ، إلاّ فيما نَدَرَ حيث كان يقول : قال ابن سلاّمٍ ....[1] .

.... وإنّ ما عدّه ابنُ النديمِ من آثارِ ابنِ سلاّمٍ الجُمَحِي **كتابين** : كتابَ طبقات الشُعراء الجاهليين وكتاب طبقاتِ الشعراء الاسلاميين إنّما هما في الحقيقةِ **كتابٌ واحدٌ** قدّم له مؤلّفُه **بمقدّمةٍ واحدةٍ** . ولقد قصدَ المؤلّف (ابن سلاّمُ) ، على ما نرى في مقدّمته ، أن يجعلَ من الشعراء المُخَضْرَمين [2] « طبقةً وَسيطةً » بين الشعراء الوَثَنيّين (الجاهليّين) وبينَ الشعراء الإسلاميين ليعالجها مُعالجةً مستقلّةً . ثم بَدّلَ فيما بعدُ « الترتيبَ » الذي كان قد وضعه وأضافَ إلى الطبَقاتِ العَشْرِ الجاهليةِ طبقةً حاديةَ عَشْرةَ من أصحابِ المَراثي. بعدئذٍ خالفَ (أيضاً) التقسيمَ الواحدَ فتكلّم على شعراءِ القُرى [3] : شعراءِ المدينةِ ومكّةَ والطائفِ والبحرينِ وعلى الشعراء اليهودِ في المدينة . ثم ليس في هذا الكتابِ « طبقات الشعراء » شيءٌ من كتابٍ هو « كِتابُ الفُحول أو « كِتاب الفُرسان » ؛ فلعلّ هذا الكتابَ قد دخلَ في « كتابِ الفُرسان » المنسوب إلى أبي (الفضل بن الحُباب) ، وهو كتابٌ يبدو ، على كلِّ حالٍ ، أنه فُقِدَ منذ زمنٍ بعيد ....[4] .

---

١ طبقات الشعراء (يوسف هل) ، المقدمة ، راجع ص ١٤ – ١٥ .

٢ راجع الجزء الأول ، ص ٢٦٠ .

٣ شعراء المدن (لأن الشعراء الجاهليين ، ولأن الشعراء المعترف لهم بالتقدم هم شعراء البادية) .

٤ طبقات الشعراء (يوسف هل) المقدمة ١٦ – ١٧ .

أما بناءُ المتنِ الذي وَصَلَ الينا ، معَ كل ما تسرّب إليه من النقص ، فهو مَرْضِيٌّ . وأما أنَ التأليف [1] ليس لابنِ سلاّم ، بل لأبي خليفةَ فيبدو من (الذي ذُكرَ على) الصفحة الخامسةَ عشْرةَ [2] أنه أكيد ؛ حتى لو أنَّ أحداً فرض أنَّ أبا خليفةَ قد اتخذ في أحدِ كُتُبه عن الجاهلية ترتيباً للطبقاتِ غيرَ ذلك الذي وَضَعَه ابنُ سلاّم [3] ...

ومثلُ ذلك الاختصارُ الواضحُ الذي يقَعُ في أواخرِ أقسامِ شعراءِ الإسلام ، فإنه يجب أن يكونَ قد دخل على الكتاب شيئاً فشيئاً ، فإنَّ (صاحبَ) الخزانةِ (خزانة الأدب للبغدادي) كان لا يزال يعْرِفُ — ١ : ١٢٨ وما بعدها — نصاً أكثر تماماً . [4] ....

وكذلك ليس من المُمْكِنِ في الوقتِ الحاضرِ أن نَفْصِلَ في ما إذا كانت المخطوطةُ التي بيْنَ أيدينا هي الكاملةَ أوِ المُخْتَصَرةُ : إنَّ الشواهدَ المَرْويّةَ (في عددٍ من كتب الأدبِ القديمة) عن ابن سلاّمٍ أغنى لُغَةً من كلِّ وجهٍ وأوضحُ تعبيراً من النصوص التي تُقابلها (في هذه النسخة المطبوعة) . والذي يبدو لي أن « الإيجازَ الشديدَ » في اللُغةِ (في التعبير) دلالةٌ على قِدَمِ اللغة ، أكثرَ منه بُرهاناً على عكس ذلك ، أي إن المعقولَ أن يكونَ النصُّ المُوجَزُ الغامِضُ قد وُسِّعَ فيما بعدُ فأصبحَ بهذا التوسيع أكثرَ (وضوحاً وأقربَ إلى الفهم) لا العكسُ (بأن التعبيرَ المَبْسوطَ قد اخْتُصِرَ) . ثم إنَّ الشواهدَ المَرْوية عن محمّدِ بن سلاّمٍ والتي لا نستطيعُ أن نَهْتَدِيَ إلى مَظانِّها في نسختنا هذه أبداً (وأكثرها من رواية أبي خليفة) ، والتي نَلْقاها في كتاب الأغاني وفي سواه من المؤلّفات ، لا تَدُلُّ على أن نسختنا هذه غيرُ كاملة ، ما دامَ الذين يَسْتَشْهِدون بأقوالِ محمد بن سلاّم لا يذكرون صَراحةً أن شواهِدَهم مأخوذةٌ من « طبقات الشعراء » ، ذلك لأن محمّد بن سلاّمٍ مؤلّف كُتُبٍ أخرى (في الشعر) .

---

١ التركيب ، التنظيم . والتأليف : جمع بعض الأشياء إلى بعض .

٢ هنا يستشهد الدكتور يوسف هل بالاغاني : « أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي عن محمد بن سلام عن أبي زيد الانصاري والحكم بن قنبر ، قال » ... (١٨ : ١٢٤) : ... أخبرني أبو خليفة في كتابه عن محمد بن سلام عن يونس قال ... (١٨ : ١٢٥) .

٣ طبقات الشعراء (يوسف هل) ، المقدمة ١٦ — ١٧ .

٤ مثله ١٧ .

على أن كتاب طبقات الشعراء للجُمحي يمثل دوراً وَسَطاً في التأليف الإسلامي : إنّه خُروجٌ من التقيّد اللفظي بالرِوايات المُفردة مُثْبَتَةً بعد أسانيدِها [1] إلى التَحلّلِ من قيدِ الرِواية باختصار الأسانيد وبِجَمْع بعض الرواياتِ إلى بعض [2] . ثم خطا المؤلفون خُطوةً جديدةً بِالاْستِغْناءِ على الأسانيد وسِياقة المادّة سِياقةً منظّمةً قَدْرَ الإمكانِ ، كما نرى في كتابِ **الشعر والشعراء** لابن قُتَيْبَةَ [3] .

وتتلخّص آراء يوسف هلّ في ما يلي :

أ — في كتاب **طبقات الشعراء** مرحلةٌ أساسيةٌ : مرحلةُ ابتكارِ الفِكرة لهيكَلِ الكتاب بجَعْلِ الشعراءِ طبقات بعضُها تحتَ بعضٍ حَسْبَ شاعريةِ الشعراء. وقد أراد ابن سَلاّم الجُمَحِيّ أن يَجْعل شعراءَ الجاهلية عَشْرَ طَبَقاتٍ في كلّ طَبقة أربعةُ شعراءَ ، وأن يجعلَ شعراءَ الإسلام مثل ذلك .

ب — ثم بدا له أن ثمّةَ شعراءَ بين الجاهلية والإسلام يستحقّون الذكرَ ، فلم يجعَلْهم في طَبَقاتٍ على حَسْبِ شاعريّتهِمْ ، بل جمع قسماً منهم باسمِ الفنّ الذي برَعوا فيه فجعلهم « شعراءَ المراثي » . أما الباقون فقد قسّمهم بِحَسْبِ المُدُن التي نشأوا فيها .

ج — هنالك مرحلةٌ ثانيةٌ قام فيها أبو خليفةَ الفضلُ بنُ الحُبابِ الجُمَحي (ابنُ أختِ محمّدِ بنِ سَلاّم) المُتَوفّى نحوَ سنة ٣٠٥ ﻫ باسْتملاءِ الكتابِ وتدوينِه وترتيبِه (وسياقُ الكتابِ يدلّ على أن ابن سَلاّم حدّث بالكتاب ولم يَخُطّه بيدِهِ ، وذلك على مجرى العادةِ في صدر التأليف الإسلامي)

د — وتأتي المرحلةُ الثالثة ، وفيها قام أبو طاهرٍ محمّدُ بن أحمدَ بنِ عبدِ الله الذُهَلي المُتَوفّي ٣٦٧ ﻫ برِوايةِ الكتاب عن أبي خليفةَ .

ه — ويبدو أن الكتابَ لم يبقَ على ما كان عليه في المرحلةِ الثالثة ، بل تسرّبتْ إليه زياداتٌ متتاليةٌ .

---

١ الاسانيد جمع إسناد وسند : سلسلة الرجال الذين تروى الأخبار من طريقهم . ففي كتاب الاغاني مثلا (٣ : ٢٥٨) : « أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني علي بن الحسن عن ابن الاعرابي قال حدثني سعيد بن حميد الكاتب البصري قال قال أبي : ... » هذه الطريقة متبعة في رواية الحديث وفي تاريخ الطبري وأمثاله .

٢ كما يفعل كتاب الاغاني أحياناً فانه يلفق الروايات بجمع بعضها الى بعض بعد اختصارها وبعد اختصار أسانيدها.

٣ قلما يحفل ابن قتيبة بذكر الاسانيد .

وفي عام ١٩٥٢ م أخرجت دارُ المعارفِ للطباعة والنشر كتابَ محمد بن سلاّم الجُمَحي بالعنوان التالي : **طبقات فُحول الشعراء** ، شَرَحَهُ محمودُ محمدِ شاكرٍ . والواقع أنّ في الكتاب أكثر من الشرح : فيه مقدّمةٌ قيّمةٌ وفيه تحقيقٌ وشرح وتعليق . غير أن محمودَ محمدِ شاكرٍ يَتحَمِلُ على مقدّمةِ يوسف هلّ ويقول (المقدمة ١٧) : «**وكل** ما جاءَ بهِ يوسفُ هلّ لا يكادُ يَثْبُتُ على نقدٍ» . وسببُ تحاملِ محمودِ شاكرٍ على مقدمة يوسف هل أمران :

الأول : إن الأصلَ الذي اعتمده محمودُ شاكر غيرُ الأصلِ الذي اعتمده يوسف هلّ ، ثم هو ثلاثةُ أضعافِ الاصل الثاني (المقدمة ٨) . **ولعلّ** هذا مما يبرّر قولَ يوسف هلّ من أن زياداتٍ تسرّبت إلى الكتاب .

والثاني : قول محمودِ محمّدِ شاكر (المقدمة ، ص ١٤ ، الحاشية ٣) :

« اعتمدتّ في **نقلي لأقوال هذا المستشرقِ** على صديقي الدكتور عبدِ الرحمنِ بدوي ، قرأ الاصلَ الألمانيّ **وأملى عليّ مُلخّصاً** لِمَا جاء فيه . ثم أعادَ عليّ صديقي الدكتور أحمدُ بدوي قراءته **ونَقَلَ لي فَحواه** ، فلهما منّي أجزل الثناء والشكر » .

إن هذه الطريقةَ تُعينُ على الكشفِ عنِ اتّجاهِ المؤلّفِ ، ولكنّها **لا تُجيزُ** هذه المناقشةَ المُطوّلة والتي غابَ فيها عن محمودِ محمدِ شاكر غرضُ يوسف هلّ ، وهو استخراج طريقةِ التأليفِ لكتابٍ هو **أقدمُ كتبِ تاريخ الأدبِ** التي وصلتْ إلينا . وليس في قولِ يوسف هلّ إنكار لنسبةِ **طبقات الشعراء** إلى محمدِ بن سلاّم الجُمَحي . وفي اللغة العربية أمثلة كثيرةٌ من هذا الباب ، فكتابُ كليلةَ ودِمنةَ مثلاً مِثالٌ واضحٌ على هذا التطوّر في التأليف .

ومعَ ثقتي بعلم الدكتور عبدِ الرحمنِ بدوي والدكتور أحمدَ بدوي وبثقتي بقُدرة محمودِ أحمدِ شاكر في التحقيق واحترامي لهم جميعاً ، فإنني أرى أن لُغَةَ يوسف هلّ لا تُنْصَفُ بالنقلِ الشّفوي ولا بالتلخيص[1] . إن لُغته مُوجزَةٌ جِداً تَعْيا على التلخيص وإن اشاراته كثيرةٌ . وعلى كلّ فمقدّمةُ محمودِ شاكرٍ تحتاج إلى عنايةٍ ، ولا أستطيع أن أحكُمَ فيها في هذا المكان .

---

١ يوسف هل استاذي تعلمت عليه عامين وصحبته في أثناء اكثر العطل الدراسية، وهو الذي أشرف على أطروحتي (باللغة الالمانية) . ولا أزال أذكر ان ابنته عائشة (وهي مستشرقة ايضاً) كانت تقول له : لماذا تلجأ ، يا أبي ، الى هذا الاسلوب ؟ (إذ كان يغلب على أسلوبه الالماني عدد من خصائص اللغة اللاتينية) .

٣ – مختارات من مقدمة كتاب « طبقات الشعراء »

– الشعرُ وروايته ونَحْله :

والشعرُ صِناعةٌ وثقافةٌ يَعْرِفُها أهلُ العِلمِ كسائرِ أصنافِ العلمِ والصِناعات: منها ما تَثْقَفُهُ العينُ[١] ، ومنها ما تثقفه الأُذُنُ ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يَثقفه اللِسان . من ذلك اللؤلؤ والياقوتُ لا يُعْرَفُ (كلاهما) بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يُبْصره . ومن ذلك الجِهْبِذُ[٢] بالدينار والدرهم لا يَعْرِفُ جودتَهما بلونٍ ولا مسٍّ ولا طِرازٍ ولا حِسٍّ ولا صِفَةٍ ، ويَعْرِفُها الناقدُ عند المُعاينة : فيَعْرِفُ بَهْرَجَها[٣] وزائفَها وستّوقَها ومُفَرَّغها ....

وإنّ كَثْرةَ المُدارسةِ تُعينُ على العلم .

وكان ممن هجّنَ الشعرَ وأفسده وحَمَلَ كل غُثاء[٤] محمدُ بنُ إسحقَ ، وكان من علماءِ الناس بالسِّيَرِ ، فنقل الناسُ عنه الأشعارَ . وكان يعتذرُ منها ويقول : « لا عِلْمَ لي بالشعر ، إنما أُوتَى به فأحْمِلُه » . **ولم يكن ذلك له عُذراً !** فكتَبَ (ابنُ اسحقَ) في السِّيَرِ من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ومن أشعارِ النساء... ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودَ . **أفلا يَرْجِعُ إلى نفسه فيقولَ : من حَمَلَ هذا الشعرَ ومَنْ أدّاه إلَيْنا منذُ ألوفٍ من السنين ؟** واللهُ يقول : « وأنّه أهْلَكَ عاداً الأُولى وثمودَ فما أبقى »[٥] ....

ففَصَّلْنا (في هذا الكتابِ) الشعراءَ من أهلِ الجاهليةِ والإسلامِ والمُخَضْرَمين ، ونَزَّلْناهم مَنازِلَهم ، واحتَجَجْنا لكلِ شاعرٍ بما وَجَدْنا له من حُجَّة وما قال العلماءُ فيهم . وقدِ اختَلَفَ الرُواةُ فيهم : فنَظَرَ قومٌ من أهل العِلْم

---

١ تثقفه العين : تفطن له وتدركه ثم تحذق فيه حتى يصبح ملكة لها .

٢ الجهبذ (بكسر الجيم والباء) : الناقد الخبير (من الناحية النظرية) . الناقد : العارف (من الناحية العملية) بتمييز الدراهم والمتعود قبضها (راجع القاموس ١ : ٢٤١ – ٢٤٢) .

٣ البهرج : الباطل الرديء (المصنوع على شكل الدرهم والدينار ، ليس عملة أصلا !) . الزائف : الدرهم أو الدينار إذا مزجا بمعدن غريب (في أثناء سكهما) . الستوق (بفتح السين أو ضمها وبتشديد التاء وبالقاف) والتستوق (بضم التاءين) : الدرهم الملبس بالفضة (والدينار الملبس بالذهب) . المفرغ : (الدرهم أو الدينار الذي يثقب فيستخرج شيء من معدنه ثم يملأ مكانه بمعدن آخر يدانيه في الوزن النوعي ويقل عنه في القيمة) .

٤ هجن الشعر : أدخل فيه ما ليس من جنسه (زاد فيه ما ليس منه) . حمل كل غثاء : روى (من الشعر) ما لا صحة له . السير جمع سيرة : تاريخ رجل واحد .

٥ القرآن الكريم ٥٣ : ٥٠ – ٥١ (سورة النجم) .

بالشعرِ والنَفاذِ في كلام العرب والعلم في العربية ، إذا اختلف الرواة ، وقالوا بآرائهم . وقالتِ العشائرُ بأهوائها . فلا ينفعُ الناسَ في ذلك إلا الروايةُ عمّن تقدّم .

فلما راجعتِ العربُ روايةَ الشعرِ وذِكْرَ أيامِها ومآثرِها [1] ، استقلَّ بعضُ العشائرِ شعرَ شُعَرائهم وما ذهب * من ذِكْرِ وقائعهم . وكان قومٌ قلّتْ وقائعُهم وأشعارُهم — وأرادوا أن يَلْحَقوا بمن له الوقائعُ والأشعار — فقالوا على ألْسُنِ شعرائِهم . ثم كان الرواةُ بعدُ فزادوا في الأشعارِ . وليس يُشْكِلُ على أهلِ العلم زيادةُ ذلك ، ولا ما وَضَعَ المُوَلّدون . وإنما عضل بهم أن يقولَ الرجلُ من أهلِ باديةٍ من وَلَدِ الشعراء أو الرجلُ ليس من وَلَدِهِمْ ، فيُشْكِلُ ذلك بعضَ الإشكال [2] .

وكان أوّلَ مَنْ جَمَعَ أشعارَ العربِ وساق أحاديثَها حَمّادٌ الراويــةُ ، وكان غيرَ موثوقٍ به : كان يَنْحَلُ شعرَ الرجلِ غيرَه ، وكــان يزيدُ في الأشعار .

٤ — طبقات الشعراء (يوسف هلّ) ، ليدن (بريل) ١٩١٦ م ؛ طبقات الشعراء (حامد عجّان الحديد الكتبي) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٢٠ م ؛ = طبقات فحول الشعراء (شرحه محمود محمّد شاكر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٢ م . وهنالك طبعات عادية .

** الفهرست ١١٣ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٣٢٧ — ٣٣٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٩٧ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٤ — ٢٠٥ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١١٤ — ١١٥ ، انباه الرواة ٣ : ١٣٤ — ١٤٥ ؛ بغية الوعاة ٤٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٧١ ؛ بروكلمان الملحق ١ : ١٦٥ ؛ زيدان ٢ : ١٢٣ — ١٢٥ .

أبو تمّام

١ — كان في جاسمٍ من قُرى حورانَ بالشامِ أُسْرَةٌ رُوميّةٌ مَسيحيــة

---

١ المآثر جمع مأثرة (بفتح الثاء أو بضمها) : المكرمة، الصفة الجميلة المتوارثة . استقل الشيء: وجده قليلا .

* ضاع .

٢ أشكل : غمض ، احتمل وجهين أو معنيين . عضل بهم الأمر : اشتد ، عز عليهم .

رأسُها رَجُلٌ اسْمه ثَدوسُ أو ثيودوثيوسُ العَطّارُ . في سنة ١٨٨ هـ (٨٠٤م) وُلِدَ لثدوسَ هذا ابنٌ عرَفْناه فيما بعد باسم « حَبيب » . نزح ثدوسُ بأسرته من جاسمٍ إلى دِمَشْقَ وفتح فيها حانوتَ خمرٍ . ثم أرسل ابنَه حبيباً ليعملَ عند حائك أو عند قزّازٍ (بائع قزّ ، وهو الحرير) . وفي دِمَشْقَ نشأ حبيب وشبَّ ورأى قوماً يَحْنُونَ عليه حسّنوا له الإسلامَ فاعتنقَهُ ، وقد بلَغَ سِنَّ الرُشْد في الأغلب . ويبدو أن حبيبَ بن ثيودوسيوس (أبا تمّامٍ حبيبَ بن أوسٍ ، كما يُعْرفُ في تاريخ الأدب العربي) أراد أن يبتعدَ عن أهله الذين ظلّوا على النصرانية ، فغادر دِمَشْقَ إلى حِمْصَ واتصل بأسْرةِ عُتَيْبَةَ ابنِ عبدِ الكريم الطائيِّ فمدَحَها وانتسبَ إليها بالولاء ، فعُرِفَ من ذلكَ الحين باسم أبي تمّامٍ الطائيِ . ولَقِيَ أبو تمامٍ في حِمْصَ ديكَ الجِنِّ الشاعرِ وأخذَ عنه الجَوْدة في الرِثاء والتَشْبيْعَ الحَسَنَ .

في سنة ٢٠٨ هـ (٨٢٣ م) رَحَلَ أبو تمّامٍ إلى مِصْرَ طَلَباً للتكسّب فجعَلَ يَسْقي الماءَ في المَسْجد الجامعِ – مَسْجِدِ عَمرٍو – ويستمعُ إلى ما يُلْقى في حلَقاته من أمالي العِلْم والأدبِ . في هذه الأثناء بدأ أبو تمّام حَياتَه الشعْرية بمَدْحِ عيّاشِ بنِ لَهيعَةَ الحَضْرَميِّ ، ولكن لم يَجِدْ منه إلاّ مُطْلاً فأخذ بِهجْوه . ثم اضْطَرَبَ أمرَ مِصْرَ بنشوبِ العَصَبيّاتِ فيها منذ سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥ م) فعاد أبو تمام إلى الشام سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) . وفي العامِ التالي مرّ المأمونُ بدِمَشْق آيِباً من غَزْوِ الرومِ فتعرّض له أبو تمّامٍ بالمديح ، ولكنّ المأمونَ أعرَضَ عن أبي تمّامٍ ووبّخه على مَيْله إلى العَلَويّينَ . فخاف أبو تمّامٍ واعتزلَ إلى شَماليِّ الشامِ وشَماليِّ العِراقِ والى ارْمينية وقضى مُعْظَمَ أوقاته في المَوْصِل .

وفي سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) تُوُفّي المأمونُ وخلَفَه أخوه المُعْتَصِمُ ، وكان نَجْمُ أبي تمّامٍ قد بزَغَ وقصائدُه قد كَثُرَتْ فاستدعاهُ المعتصمُ . ومكَثَ أبو تمّامٍ مدة يسيرةً في بغدادَ ثم قَصَدَ خُراسانَ ليَمْدَح واليَها عبدَ الله بنَ طاهرٍ . وفي خُراسانَ اتّصل أبو تمّامٍ أيضاً بالقادةِ أبي دُلَفَ العِجْليِّ وحَيْدر[1] بن كاوُس الإفشينِ وأبي سعيدٍ محمدِ بنِ يوسفَ الثَغريِّ .

١ خيذر ، في بعض الروايات .

ولما تغلّبَ عبدُ الله بنُ طاهرٍ على بابَكَ الخُرّميّ (٢٢٢ ﻫ = ٨٣٧ م) وقَدِمَ به أسيراً على المُعْتصمِ في سامَرّا عادَ أبو تمّام معَه فوصلوا إليها كلّهم في صَفَرَ سنة ٢٢٣ ﻫ (أوائل ٨٣٨ م) . وقد رافق أبو تمام المُعْتصمَ إلى غَزْوِ عَمّوريّةَ في منتصف سنة ٢٢٣ ﻫ (منتصف ٨٣٨ م) . ولما عاد المعتصم إلى سامرا أنشدَهُ فيها أبو تمّام قصيدتَهُ : « السيفُ أصدقُ إنباء من الكُتُبِ » .

علا نجمُ أبي تمامٍ بعدَ ذلك وعُنِيَ به الحَسَنُ بن وَهْبٍ رئيسُ ديوانِ الرسائلِ وأراد أن يُوَفّرَ عليه شيئاً من التَطْواف فولاّه بَريدَ المَوْصِلِ . ثم إنّ أبا تمّامٍ تُوفّي بَعْدَ ذلك بنَحْوِ عامينِ أو ثلاثةٍ ، سنة ٢٣٢ ﻫ (٨٤٦م) في الأغلب . وقَبْرُهُ في المَوْصل .

٢ – أبو تمّامٍ شاعرٌ على المَذْهَبِ الشاميّ جَزْلُ الألفاظِ متينُ التراكيبِ يتَكلّف الصناعةَ المَعْنوية والصناعة اللفظيةَ مُولَعٌ بالإغرابِ في تقصّي أوجهِ المعَاني وفي التشابيهِ والاسْتعارات يَمْلأ شِعْرَهُ بالإشاراتِ التاريخية والفَلْسفية والنَحْوية . ومعانيه المُخْتَرَعةُ كثيرةٌ . وفنونُ أبي تمّام البارعةُ الرثاءُ ثم المديحُ ، وله حِكَمٌ كثيرةٌ منثورةٌ في ثَنايا القصائدِ . ولأبي تمّام وصفٌ وعِتاب وهِجاء ولكنها لا تُداني شِعْره في الرِثاء ولا في المديحِ . وكان أبو تمّام يُجيد المدائحَ والمراثِيَ في الاشخاص الذين كانوا له أصدقاءَ كبني حُمَيْدٍ الطُوسي أو الذين كان مُعْجَباً بِهِمْ لما قاموا به في سبيل العُروبة والإسلامَ كالمعتصم .

لأبي تمّامٍ عَدَدٌ من الكتب التي اختار فيها من أشْعار القدماء والمُحْدَثين أشْهرها **ديوانُ الحماسة** . ألّف أبو تمامٍ « الحَماسةَ » وسمّاها بهذا الاسمِ في أثناء إحْدى أوْباتهِ من عند عبدِ الله بن طاهرٍ من خُراسانَ ، وقد نَزَلَ ضَيْفاً على أبي الوفاء بن سَلَمَةَ ، في الجِبال شرقَ العراق ، في الشتاء : اتفق أنْ نَزَلَ ثلجٌ عظيمٌ سدّ الطرق فانتهز أبو تمّامٍ الفُرصةَ وعَمِلَ ديوانَ الحماسة من الدواوين الوفيرة التي كانت في مَكْتَبَةِ أبي الوفاء . وعُنِيَ أبو تمّام باخْتيار الأبيات الجِيادِ من القصائدِ المُخْتلفة وأكْثرَ من الاخْتيار لشُعْراء طيءٍ . ولقد قَبِلَ النُقّاد قَوْلَ التبريزي : « إنّ أبا تمّامٍ كان في اخْتيارِه الحماسةَ أشعرَ مِنْه في شعره » . ويتألف ديوانُ الحماسةِ من أبوابٍ هي : الحماسةُ ، وبِها

سُمّي الكتابُ – المَراثي – الأدب (الحِكمة) – النَّسيب – الهِجـاء – الأضياف – المديح – السَّيْر والنُّعاس – المُلَح – مذمة النساء .

ولأبي تمّام أيضاً كتاب الوحشيّات (أو الحماسة الصغرى) ، وتقسيمها كتقسيم « كتاب الحماسة » . وكذلك له كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، كتاب الاختيار من شعر القبائل ، كتاب الفحول .

٣ – المختار من شعره

– من قلائد أبي تمّام في الأدب (الحكمة) :

نَقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئتَ من الهوى ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأولِ !
كم منزلٍ في الأرض يألَفُهُ الفتى وحَنينُه أبداً لأوّلِ منزلِ .

* وإذا أرادَ الله نشرَ فضيلةٍ طُوِيَتْ ، أتاح لها لسانَ حَسودِ .
لولا اشتعالُ النار في ما جاورتْ ما كان يُعرَفُ طيبُ عَرْفِ العود [١] .

* وطول مُقام المرء في الحيّ مُخْلِقٌ لديباجتَيْهِ ، فاغترِبْ تتجدّدِ [٢] .
فاني رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ محبّةً إلى الناس ، انْ ليست عليهم بسَرْمَدِ [٣] .

* ليس الغَبيُّ بسيّدٍ في قومهِ ، لكنّ سيِّدَ قومهِ المتغابي [٤] .

* ينالُ الفتى من عيشهِ وهو جاهلٌ ، ويُكْدي [٥] الفتى في دهره وهو عالِمُ .
ولو كانتِ الأرزاقُ تأتي على الحِجى هلكْنَ ، إذَنْ ، من جَهْلِهنّ البهائم .

* إن الكرامَ إذا ما أيْسروا ذكَروا من كان يألَفُهم في الموطِنِ الخَشِنِ [٦] .

– وقال أبو تمّام يرثي القائد جعفراً الخياطَ الطائيَّ :

رَحِمَ الله جعفراً ، فلقد كا (م) ن أبيّاً ، وكان شهماً رحيما .

---

١ العود خشب ذكي الرائحة (له رائحة طيبة شديدة) .

٢ ان طول مكث (بقاء) الإنسان في بلده يجعل العيون تألفه فيبطل اهتمام الناس به ، فإذا تغيب عن بلده مدة ثم رجع زاد اهتمام أهل بلده به لأنه سيبدو لعيونهم وكأنه شخص جديد . الديباجتان : الخدان .

٣ السرمد : الدائم . – الناس يحبون الشمس لأنها تغيب وتطلع ، ولأن غيوم الشتاء تسترها حيناً فيشتاق الناس اليها وإلى حرارتها .

٤ المتغابي : المتظاهر بالغباوة .

٥ يكدي : يفتقر .

٦ الموطن الخشن : أيام الشدة والفقر .

مثلَ الموتَ ، بين عينيه ، والـذ (م) لَ ، فكُلاً رآه خَطْباً عظيما .
ثم ثارتْ به الحميّة قِدْماً فأمات العِدى ، ومات كريما !

— وقال أبو تمّامٍ يمدحُ عبدَ اللهِ بنَ طاهرٍ واليَ خراسانَ بقصيدةٍ منها :

أعاذِلتي ، ما أخشنَ الليلَ مركباً ! وأخشنُ منه في المُلِمّاتِ راكبُه ۱ .
ذَريني وأهوالَ الزمانِ ، أُفانِها ! فأهوالُه العُظمى تَليها رغائبه ۲ .
فإنَّ الحُسامَ الهِنْدوانيَّ إنّما خُشونتُه مالم تُفَلَّلْ مضاربه ۳ .
وقَلْقَلَ نَأيٌ من خُراسانَ جأشَها فقلتُ : اُطْمئِنّي ، أنضرُ الروضِ عازبه ٤ .
ورَكْبٍ كأطرافِ الأسنّةِ عرّسوا على مثلِها ، والليلُ تسطو غياهبه ٥ !
لأمرٍ عليهم أنْ تتِمَّ صُدورُه ، وليس عليهم أن تتِمَّ عواقبه ٦ ،
إليكَ جزَعْنا مَغْرِبَ المُلْكِ ، كلّما وَسَطْنا مَلاً صلّتْ عليكَ سَباسبه ٧ .

---

۱ العاذلة : التي تلوم الإنسان على فعل لا يرضيها . ما أخشن الليل – مركباً : ما أشق (أصعب) السفر في الليل (كناية عن الزمن الشديد القاسي) . الملمات : الاحداث الشديدة والمصائب .

۲ ذريني (دعيني ، اتركيني) وأهوال الزمان (مع أهوال الزمان) أفانها : أقاتلها وأقتلها (وأقتلها : أتغلب عليها واحداً بعد واحد) . تليها : تتبعها . الرغائب جمع رغيبة : الإمر المرغوب فيه .

۳ خشونة السيف : مضاؤه وشدة الضرب به (القطع والقتل) . تفلل مضاربه : يتشقق حده فلا يقطع كما ينتظر من السيف . – اتركيني أقاسي الأهوال في السعي الى الغنى والمجد ما دمت شاباً (كالسيف الذي لم يتشقق حده بعد) .

٤ قلقل نأي من خراسان جأشها : أقلق بعد خراسان قلب (امرأتي ، أو عاذلتي الشفيقة علي) . فقلت لها : اطمئني ، أنضر الروض (أحسنه وأكثره عشباً = أكثر تكسباً للمال بالشعر) عازبة (البعيد عن المرعى لأنه لا يذهب اليه أناس كثيرون بقطعانهم – لا يذهب اليه شعراء كثيرون) .

٥ الركب : الجماعة المسافرون معاً . أطراف الاسنة : نصال الرماح (الحديدة التي في رأس الرمح) . عرسوا : قضّوا الليل . على مثلها : على ابل مثل (أطراف الاسنة) . تسطو غياهبه : يشتد سواده فيغطي على كل شيء . – كنا نحولا من طول السفر ومشاقه ، ومع ذلك فقد كنا نقضي الليل على ظهور الابل (بدلا من أن ننزل مرة بعد مرة لننام ونأخذ قسطاً من الراحة = كان سفرنا متصلا) ، وكذلك كانت الابل التي نركبها نحيلة من طول السفر ومشاقه .

٦ صدوره : أوائله . عواقبه : نهايته ، الغاية منه . – كنا في سفرنا الشاق نقصد أن نحقق هدفاً ، ولكننا لا نلام إذا لم يتحقق ذلك الهدف .

٧ جزع : قطع . مغرب الملك : الأقطار الغربية من الخلافة العباسية . وسطنا : أصبحنا في وسط ، وصلنا الى . ملا : الأرض الواسعة . السبسب : الأرض القاحلة . صلت عليك سباسبه : شكرتك الأرض التي كانت سباسب ثم أصبحت بفضلك عامرة .

إلى مَلِكٍ لم يُلقِ كَلْكلَ بأسه على مَلِكٍ ، إلاّ وللذُّلّ جانبه [١] ؛
إلى سالبِ الجبّارِ بَيْضةَ مُلْكه ، وآملُه غادٍ عليه فسالبه [٢] .
إذا أنت وجّهتَ الركابَ لِقَصْدِهِ تبيّنْتَ طعمَ الماءِ ذو أنت شاربه [٣] .
سما للعُلى من جانبيْها كِلَيْهما سُمُوّ حباب الماء جاشت [٥] غواربه [٤] ،
فنوّلَ حتّى لم يجِدْ مَنْ يُنيلُه ، وحارب حتّى لم يجِدْ من يحاربه [٥] .
ففي كل نَجدٍ في البلاد ، وغائر ، مواهبُ منه ، وهي ليست مواهبه [٦] .
فوالله ، لو لم يُلبِسِ الدهرَ فعلَه لأفسدتِ الماءَ القَراحَ معائبه [٧] .
ويا أيُّها الساري فسِرْ غيرَ حاذرٍ جَنانَ ظلامٍ ، أو ردىً أنت هائبه [٨] ،
فقد بثّ عبدُ الله خوفَ انتقامه على الليل ، حتّى ما تَدِبّ عقاربه [٩] .

– كان محمّد بن حُميد الطوسي يقاتل بابَكَ الخرّمي في جبال البُدّ (خراسان) فكرّ عليه رجالُ بابك فانهزم مَنْ كان معه فثبت هو ما أمكنَ الثباتُ ثم سار يطلُبُ الخلاص ، فرأى جماعةً وقتالاً ، فقصدهم فرأى الخرّميّة يقاتلون طائفة من أصحابه ، فلما رآه الخرمية قَصَدوه ، لما رأَوْا عليه من حُسن هيئته ، فقاتلهم

---

١ الكلكل : المصدر . بأسه : بطشه . – اذا جار الزمان على انسان أذله .
٢ الجبار : الملك العظيم . بيضه ملكه : عاصمة بلاده .. والبيضة كل شيء يدافع صاحبه عنه . آمله : الشخص الذي يأتي اليه يطلب معونة . غاد : آت باكراً (اذا جاء جاء باكراً) . سالبه : مستول على أمواله . – انه بقوته وبطشه يسلب الملوك ممالكهم ، ثم هو حليم كريم اذا جاءه في الصباح الباكر شخص عادي يطلب منه معونة يسيرة أعطاه كل ما يملك (فكأنه سلبه كل شيء يملكه) .
٣ ذو : الذي (بلهجة طيء ، وهي مبنية على السكون ، تلزمها الواو في جميع حالات الاعراب) . تبينت طعم الماء ذو أنت شاربه : أدركت أن الماء الذي ستشربه عذب (قبل أن تصل الى عبد الله بن طاهر تعلم سلفاً أنك ستنال عنده حظوة وستنال منه خيراً كثيراً) .
٤ عباب الماء : الماء الكثير المتسع السطح . جاشت : هاجت ، اضطربت . الغوارب جمع غارب : ما علا من الموخر .
٥ نول : أعطى .
٦ النجد : ما ارتفع من الأرض ، الهضبة . الغائر : ما انخفض من الأرض : الوادي (أي في كل مكان) . مواهب ليست منه وهي مواهبه : أنواع من الإحسان لم يفعلها هو ولكن فعلها أناس تعلموا فعلها منه ، فكأنها أصبحت من فعله هو .
٧ القراح : الخالص الصافي . معايبه : معايب الماء .
٨ الساري : المسافر في الليل . حاذر : هائب ، خائف . جنان ظلام : قلب الظلام ، شدته .
٩ لقد صارت العقارب تهاب سطوة عبد الله بن طاهر فلا تخرج من أوكارها لا نهاراً ولا ليلا .

وضربوا سيفه ، ثم أكبّوا عليه فقتلوه » . فقال أبو تمّام يرثيه :

كذا فلْيَجِلَّ الخطبُ، وليَفْدَحِ الأمرُ. فليس لعين لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ[1] !
تُوُفِّيَتِ الآمالُ بعد مُحَمَّد ، وأصبح في شُغْلٍ عن السَفَر السَفْرُ[2] .
وما كان إلاّ مالَ من قلّ مالُه ، وذُخراً لمن أمسى وليس له ذخر[3] .
وما كان يدري مُجْتدي جود كفّه ، إذا ما ٱسْتهلّتْ ، أنه خُلِق العُسر[4] .
أَلَا في سبيل الله من عُطّلت له فِجاجُ سبيل الله وانثغر الثَغر[5] .
فتىً ، كلما فاضت عيونُ قبيلة دَماً ضَحِكت عنه الأحاديث والذِكر[6].
فتى دهرُه شَطْرانِ فيما ينوبُه : ففي بأسه شَطرٌ وفي جوده شطر[7] .
فتىً مات ، بين الطعن والضرب ، ميتةً تقومُ مَقامَ النصرِ إنْ فاته النصر[8] .
وما مات حتى مات مَضرِبُ سيفه من الضرب ، وٱعتلّت عليه القنا السُمْر[9]
وقد كان فَوتُ الموت سهلاً ، فردّه اليه الحِفاظُ المُرّ والخُلُقُ الوَعْر[10]

---

١ جل : عظم . الخطب : الشأن ، الأمر (المصيبة) . الأمر : الحادث ، الشأن . فدح : ثقل حتى يعجز الإنسان عن حمله أو احتماله . – إذا لم تكن المصيبة عظيمة كمقتل محمد بن حميد الطوسي فلا يقال لها : خطب جليل أو أمر فادح . لم يفض ماؤها : لم يكثر بكاؤها .

٢ توفيت الآمال : فقد الناس الأمل في تحقيقها . وأضرب المسافرون عن سفرهم الذي كانوا قد عينوه في ذلك اليوم وفي ما بعده .

٣ كان مالا حاضراً للفقير ، وثروة مجموعة للذين سيحتاجون في المستقبل .

٤ وكان اذا طلب أحد منه مالا أعطاه مبلغاً كبيراً ينسيه أن في الدنيا فقراً .

٥ اننا نحتسب في سبيل الله (نرضى ما شاءه الله من موت محمد بن حميد) رجلا عطلت له سبيل الله (توقف الجهاد بعد موته) . انثغر الثغر : أصبحت حدود البلاد الإسلامية مهددة (غير محروسة) . الفج : الطريق الواسع . الثغر : المكان الذي يخشى منه هجوم العدو .

٦ فاضت عيون قبيلة دما : نزل بتلك القبيلة مصيبة . ضحكت عنه الأحاديث والذكر : واسى تلك القبيلة بنفسه وماله حتى يتحدث الناس بحسن أخلاقه وبكثرة كرمه .

٧ ينوبه : يصيبه (يتعلق به) . – نصف أيامه في الحرب (الانتصار على الأعداء) ونصف أيامه في الكرم والإحسان الى الناس ......

٨ تقوم مقام النصر ان فاته النصر : ان الميتة النبيلة التي ماتها تعد نصراً أكبر من النصر العادي المألوف عند الناس .

٩ ذلك لأنه لم يسقط في المعركة قتيلا الا بعد أن تشقق حد سيفه و بعد أن تكسرت رماح كثيرة وهو يقاتل بها .

١٠ قد كان من السهل عليه أن ينجو من الموت (وكان هو قد انصرف فعلا من المعركة، ولكنه عرف أن الحرمية يقاتلون جماعة من رجاله فرجع ليدافع عنهم ، وكان وحده) . الحفاظ : الدفاع عن المحارم (عما يدخل في واجب الإنسان أن يدافع عنه من الدين والشرف) . الوعر : الصعب . الخلق الوعر : الخلق المستقيم الذي لا يتزحزح صاحبه عن موقفه فيه واعتقاده .

ونفسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنمـا هو الكفرُ يومَ الرَّوْع ، أو دونَه الكُفر [1].
فأثبتَ في مُستنقَع الموتِ رِجلَـه ، وقال لها : « من تحتِ أخمَصِك الحَشْر »[2].
غدا غُدوةً والحمدُ نَسْجُ رِدائه ، فلم ينصرفْ إلا وأكفانُه الأجر [3] .
تردّى ثياب الموت حُمراً ، فما دَجا لها الليل إلاّ وهي من سُندُس خضر [4] !

– فتح عَمُّورية

خرج توفيل (ثيوفيلوس) امبراطور الروم إلى زِبَطْرَة ، وهي بلدة وُلِدَ فيها المعتصم ، وقيل : بل وُلدت أمّه فيها ، وسَبى من أهلها وارتكب فظائعَ هائلةً . ورووْا أن امرأة هاشمية صرخت ، لمّا وقعتْ في السبي : وامُعتصماهُ ! اتّصلَ خبرُ ذلك بالمعتصم فتجهّز أعظمَ جَهازٍ وقصد عَمّوريةَ (منشأ الأُسرة الرومية المالكة : الأُسرة العمورية Amorian) التي ينتسب إليها توفيل ، (رَمَضانَ ٢٢٣ هـ = صيف ٧٣٨ م) ، فتركها قاعاً صَفْصَفاً . وكان أبو تمّام معَ المعتصم ، فلمّا عـاد المعتصم إلى عاصمته سامرّا ، سَنَةَ ٢٢٤ هـ ، أنشده أبو تمّام هـذه القصيدة :

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ ، في حَدِّه الحدُّ بين الجِدّ واللَعِبِ [5] .

---

١ ورده أيضاً الى الموت نفس تخاف أن يلزمه العار (العيب طول حياته) اذا لم ينجد بني قومه في القتال . وتخلف العربي عن نجدة أخيه في الحرب يعد كفراً ، بل الكفر أقل منه .

٢ فأثبت في مستنقع الموت رجله : أدرك أنه مقتول لأنه وحده والأعداء كثيرون ، فصمم على أن يموت وهو يقاتل . وقال ، يا رجلي ، الحشر (البعث من الموت ودخول الجنة) تحت باطنك : قريب جداً .

٣ غدا غدوة (هجم هجمة واحدة) . والحمد نسج ردائه (لأنه كان مخلصاً في هجمته جاداً فلم ينصرف) لم يتوقف عن هجمته لا وأكفانه الأجر (الا لما مات ونال أجر شهيد في سبيل الله ، والشهادة في سبيل الله تدخل صاحبها الجنة) .

٤ تردى ثياب الموت حمرا : مات مقتولا (صبغ الدم الأحمر ثيابه) . دجا (اسودّ) لها الليل : جاء عليها الليل (صار الليل) . الا وهي من سندس خضر : الا أصبحت من حرير أخضر (دخل الجنة) . الثياب السندس الخضر من لباس أهل الجنة (سورة الكهف ١٨ : ٣١) .

٥ في حد السيف (الحرب) فاصل بين الرصانة والهزل (الحق والباطل) : كان المنجمون في البلاط الرومي قد ذكروا للامبراطور أن العرب لن يستطيعوا فتح عمورية قبل نضج التين والعنب ، على مـا تقول النجوم .

بيضُ الصفائحِ ، لا سود الصحائفِ في ... مُتونهنّ جَلاءُ الشكّ والرِيَب [1] .

والعِلمُ في شُهُبِ الأرماح ، لامعةً ... بين الخَميسيْنِ ، لا في السبعةِ الشُهُب[2] .

أينَ الروايةُ ، بل أين النجومُ ، وما ... صاغوه من زُخْرُفٍ فيها ومن كَذِب ؟

تَخَرُّصاً ، وأحاديثاً مُلَفّقَـةً ، ... ليست بنَبْعٍ إذا عُدّتْ ولا غَرَب [3] !

عجائباً ، زعَموا الأيامَ مُجْفِلـةً ... عنهن ، في صَفَرِ الاصفار أو رَجَب .

وخوّفوا الناسَ من دَهْياءَ مظلمـة ... إذا بدا الكوكبُ الغربيّ ذو الذَنَب [4] .

وصيّروا الأبرُجَ العُلْيـا مرتّبـةً ... ما كان مُنقَلِباً أو غيرَ منقلب .

يَقْضون بالأمر عنها ، وَهْيَ غافلةٌ : ... ما دار في فلَكٍ منها وفي قُطُب .

لو بيّنت قطّ أمراً قبل موْقِعِـهِ ... لم تُخفِ ما حلّ بالأوثانِ والصُلُب !

فتحُ الفُتوحِ ! تعالى ان يُحيطَ بـه ... نظمٌ من الشعر أو نثرٌ من الخُطَب .

فتحٌ تَفَتّحُ أبوابُ السماءِ له ، ... وتبرُزُ الأرضُ في أثوابها القُشُب .

يا يومَ وقعةِ عَمّوريّةَ انْصرفَتْ ... منكَ المُنى حُفّلاً معسولةَ الحَلَب [5] .

أبْقَيْتَ جَدّ بني الإسلام في صُعُد ، ... والمشركين ودار الشِرْكِ في صَبَب [6] .

---

١ الحديد المصقول (السيوف : الحرب ، القتال) لا الصفحات السود (المكتوبة بالحبر الأسود : الرسائل) تزيل الشك من النفوس في انتصار العرب .

٢ المعرفة بانتصار أحد الجيشين على الآخر تأتي من العلم باستعمال الرماح (بالحرب) إذا التقى الخميسان (الجيشان) لا من العلم المزعوم بحركات الشهب السبعة (الكواكب السبعة السيارة) ، أي من فن التنجيم الخرافي .

٣ التخرص : الكذب . النبع : شجر تصنع من أغصانه الرماح . والغرب : شجر آخر . إن الذي زعمه منجمو الروم لا أصل له ولا يعتمد عليه (لا هو خشب تصنع منه الرمـاح ولا خشب يستعمل لأمور أخرى) .

٤ دهياء : مصيبة . الكوكب الغربي ذو الذنب . قال ابن الأثير (٦ : ١٩٤) : وفيها (في سنة ٢٢٢ هـ = ٨٣٧ م) ظهر عن يسار القبلة كوكب له شبه الذنب ، وكان طويلا جداً فهال الناس ذلك . هذا الكوكب المذنب المعروف باسم مذنب هالي ، وهو يظهر في سمائنا مرة كل ٧٦ سنة ، وكانت آخر مرة ظهر فيهـا في الخامس من أيار (مايو) من عام ١٩١٠ .

٥ حفل : حافلة ، مزدحمة ، مملوءة . معسولة الحلب : لبنها حلو الطعم . -- رجع الجيش الإسلامي من معركة عمورية منصوراً محققة أمانيه (شبه الأماني بضروع الناقة المملوءة باللبن الحلو الطعم) .

٦ دار الشرك : القسطنطينية (عاصمة الامبراطورية الرومية) . في صعد : في ارتفاع (سرور) . في صبب : في انحدار (حزن) .

أمٌّ لهم ، لو رَجَوْا أن تُفتدى جعَلوا فداءها كلَّ أمٍّ برّةٍ وأب .
وبَرْزَةُ الوجهِ قد أعيَتْ رياضتُها كِسرى ، وصدّت صُدوداً عن أبي كَرِبِ[1]
من عهد إسكندرٍ ، أو قبلَ ذلك ، قد شابتْ نَواصي الليالي وَهْيَ لم تَشِب .
بِكْرٌ فما افْترَعتْها كفُّ حادثةٍ ، ولا ترَقّتْ اليها هِمّةُ النُوَب[2] .
حتى إذا مخّض اللهُ السنينَ لها ، مَخْضَ البخيلة ، كانت زُبدةَ الحِقَب[3] .
أتتهُمُ الكرْبةُ السوداءُ سادرةً ، منها ، وكان اسْمُها فرّاجةَ الكُرَب[4] .
جرى لها الفألُ بَرْحاً يوم أنْقرةٍ إذ غودرتْ وَحْشةَ الساحاتِ والرِحَب[5] .
لما رأتْ أختَها بالأمسِ قد خرِبتْ كان الخرابُ لها أعْدى من الجَرَب .
كم بين حِيطانِها من فارسٍ بطلٍ قاني الذوائبِ من آني دَمٍ سَرِب![6]
بسُنّة السيفِ والخَطّيِّ من دمِهِ ، لا سُنّةِ الدينِ والإسلام ، مُختَضِب[7] .

---

١ البرزة : المرأة الجليلة تبرز للناس تحادثهم . شبه عمورية بالمرأة البرزة التي لم يستطع كسرى (يقصد : ملوك الفرس) ولا أبو كرب (بن حسان ملك اليمن ؛ يقصد : ملوك اليمن) على كثرة حروب الفرس و اليمن وانتصارهم ، أن يسيطروا عليها (وسيطر عليها العرب) — لم يقدر على فتح عمورية لا الفرس ولا اليمن (ولا غيرهم) وفتحها العرب بسهولة .

٢ بكر : عذراء . افترع الجارية : دخل بها . — ان الاحداث الكبرى لم تستطع أن تؤثر في عمورية ، والمصائب الشديدة لم تستطع الرقي إلى عمورية .

٣ مخض اللبن : خضه حتى ينفصل الزبد منه . مخض البخيلة : أي بالغت في الخض حتى لم تدع في ماء اللبن شيئاً من الزبدة . كانت زبدة الحقب : اجتمعت فيها (في عمورية) كنوز الدهور (ثم جاء المسلمون فظفروا بتلك الكنوز كلها) . والاستعارة في هذا البيت من اختراع أبي تمام .

٤ سادرة : حائرة . و (سادرة) حال ، وصاحب الحال هنا (عمورية) . — المعنى : وعمورية حائرة متعجبة كيف استطاع المعتصم أن يفتحها . كان اسمها فراجة الكرب : كان الروم إذا خافوا خطراً من شيء احتموا بها لأنهم كانوا قد أعدوها لمثل ذلك ، فجاءهم الآن الخطر منها نفسها .

٥ الفأل : الأمل الحسن . البرح : الشؤم والنحس . الساحة والرحبة (بكسر الراء وسكون الحاء ، أو بفتح الراء والحاء) : الأرض الواسعة المسكونة . وحشة الساحات والرحب : خالية ، مهجورة . يوم أنقرة : يوم معركة أنقرة وفتحها . غودرت : غادرها أهلها ، هجروها ، فروا منها . — لما سمع أهل عمورية بتخريب المعتصم لأنقرة أيقنوا أنه سيحل ببلدتهم ما حل بأنقرة فهربوا من بلدتهم .

٦ قان : شديد الحمرة . آن : حار . سرب : سائل جار . كثرت فيها الفوارس القتلى من الروم ، وكثرت الدماء حتى بلت ذوائب الفرسان (كان الفرسان يرخون ذوائبهم) .

٧ على ان هذا القتل الذريع في الروم لم يكن بالقانون الإسلامي (لاختلاف الدين بين المتحاربين) بل بالقانون الطبيعي : قانون السيف والرمح (لأن الروم اعتدوا على بلد إسلامي) .

لقد تركتَ ، أميرَ المؤمنين ، بهـا ... للنار يوماً ذليلَ الصخر والخشب [١] .
غادرتَ فيها بهيمَ الليل وهو ضُحـىً ... يشُلّه ، وسَطْها ، صُبحٌ من اللهَب [٢] ؛
حتى كأنّ جلابيبَ الدُجى رَغِبـت ... عن لونها ، أو كأن الشمسَ لم تَغِب [٣] :
ضوءٌ من النار ، والظلماءُ عاكفةٌ ، ... وظُلْمةٌ من دُخَانٍ في ضُحى شَحِب [٤] ؛
فالشمس طالعةٌ من ذا ، وقد أفَلَت ... والشمس واجبةٌ في ذا ، ولم تَجِب [٥] .
تصرّحَ الدهرُ تصريحَ الغمامِ لهـا ... عن يومِ هيجاءَ منها طاهرٍ جُنُب [٦] .
لم تطلُعِ الشمسُ فيه يومَ ذاك على ... بانٍ بأهلٍ ، ولم تغرُبْ على عَزَب [٧] .
ما رَبْعُ ميّةَ ، معموراً يُطيفُ بـه ... غَيْلانُ ، أبهى رُبىً من ربعها الخَرِب [٨] ؛
ولا الخدودُ وقد أُدمينَ ، من خجـلٍ ، ... أشهى إلى ناظري من خدّها التَرِب .
سماجةٌ غَنِيتْ منا العيونُ بهـا ... عن كلّ حُسنٍ بدا أو منظرٍ عَجَب .
وحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تبدو عواقبـه ... جاءت بَشاشتُه من سوء منقلب [٩] .

---

١ لقد كثرت النار التي أوقدها العرب لاحراق البلد واشتدت تلك النار حتى احترقت الصخور فيهـا بعد أن احترق الخشب .

٢ يشله : يطرده . – كان ضوء النار يبدد ظلام الليل في عمورية المحترقة حتى كأن الصبح كان يطلع فيها في ذلك الحين .

٣ جلابيب جمع جلباب : ثوب . رغب عن الشيء : تركه ، كرهه . – كأن السواد لم يبق لوناً لليل .

٤ عاكفه : نازله ، دائمة (الوقت ليل) . شحب : متغير اللون ، قليل اللون (يخالطه بيـاض أو صفرة) .

٥ أفلت : غربت . واجبة : غاربة . – ان اشتعال النار في الليل يوهمنا أن الشمس طالعة ، وان كثرة الدخان في النهار توهمنا أن الشمس غائبة .

٦ بوغتت عمورية بالخراب ، كما ينشق الغيم عن صفحة السماء (فجأة) . يوم هيجاء : حرب . طاهر لأن المسلمين خرجوا غازين في سبيل الله ، فالقتال في عمورية كان حلالا لأنه رد على اعتداء الروم عليهم . جنب : لأن الدم سال فيه . والشراح يفسرون « جنباً » على الحقيقة فيقولون : ان المسلمين أسروا نساء وتغشوهن .

٧ بان : متزوج . الأهل : الزوجة . العزب : من لم يتزوج بعد . – لما دخل المسلمون المعركة (مع طلوع الشمس) لم يكن فيهم أحد متزوج ، ولما انتهوا من المعركة (قبل غروب الشمس) لم يكن قد بقي أحد منهم بلا زوجة (كناية عن كثرة السبي من النساء خاصة) .

٨ غيلان بن عقبة الشاعر المعروف بذي الرمة شغف بمية بنت طلبة وظل يهيم في ديارها أملا في رؤيتها عشرين سنة . – ما كان منزل مية ، ومية فيه ، أحب الى غيلان من عمورية الخربة (بعد تلك الحروب) في نظر المسلمين .

٩ كانت نتيجة المعركة ظفراً للمسلمين وسروراً لهم : سرور المسلمين جاء من انهزام الروم ونكبتهم .

لو يعلمُ الكفرُ كم من أعصرٍ كَمَنَتْ ... له المَنِيّةُ بين السُّمْرِ والقُضُبِ [1] .
تدبيرُ مُعْتَصِمٍ باللهِ ، منتقمٍ ... للهِ ، مرتقبٍ في اللهِ ، مرتَغِبِ [2] .
ومُطعَمُ النصرِ لم تَكْهَمْ أسِنَّتُهُ ... يوماً ، ولا حُجِبت عن روحِ مُحتجِبِ [3] .
لم يغزُ قوماً ، ولم ينهض إلى بلدٍ ، ... إلا تقدمه جيشٌ من الرُعُبِ [4] .
لو لم يقُدْ جحفلاً يوم الوَغَى ، لغدا ... من نفسِهِ وحدَها في جحفلٍ لَجِبِ [5] .
رمى بك اللهُ بُرجَيْها فهدّمها ؛ ... ولو رمى بك غيرُ اللهِ لم تُصِبِ [6] .
من بعدَ ما أشّبوها واثقينَ بها ؛ ... واللهُ فتّاحُ باب المَعْقِلِ الأشِبِ [7] .
وقال ذو أمرهم : «لا مرتعٌ صَدَدٌ ... للسارحين ، وليس الوِردُ مَن كَثَبِ» [8] .
أمانياً سلَبتهم نُجْحَ هاجِسِها ... ظُبى السيوفِ وأطرافُ القنا السُلُبِ [9] .

---

١ السمر : الرماح . القضب جمع قضيب : السيف . — ان العرب كانوا قد صبروا طويلا على اعتداءات الروم .

٢ ان الخليفة المعتصم معتصم بالله (متكل في ما يعمل على الله) ، منتقم لله (قد غزا الروم لأنهم نكثوا عهد الله بالسلام) ، مرتقب في الله (يعمل كل ما يعمل وهو حريص على ألا يخالف أوامر الله في شيء) ، مرتغب : راغب (في هذه الحرب) في ما يرضي الله وفي ما يقربه الى الله .

٣ النصل السيف . كهم : كل فلم يقطع . — قاتل بسيفه كثيراً وقتل كثيرين ، ولم يكل سيفه ولا استطاع أحد أن يستتر عنه فلا يقتل .

٤ يدخل الرعب من المعتصم على الاعداء قبل أن يصل المعتصم اليهم . في هذا البيت نظر الى الحديث الشريف : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد ... ونصرت بالرعب مسيرة شهر (أو ما معناه) .

٥ الجحفل : الجيش العظيم . اللجب : الصخب الكثير الأصوات (لكثرة الرجال والخيل فيه) .

٦ ان الله سخرك لتهديمها فاستطعت تهديمها ، ولو أنك أردت من غزو عمورية عرضاً من أعراض الدنيا من عند نفسك لما استطعت ذلك ؛ راجع الآية الكريمة : «وما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى» (٨ : ١٧ سورة الانفال) .

٧ أشب البلدة : بالغ في تحصينها . واثقين بها : مطمئنين الى أنها لا تفتح . وهذا صحيح ، ولكن في هذه المرة لم يفتحها انسان مثلهم ولكن الله هو الذي أراد فتحها على يد المعتصم .

٨ ذو أمرهم : رئيسهم . لا مرتع صدد : لا عشب قريب (لخيلهم) . وليس الورد (استقاء الماء) من كثب (في مكان قريب) .

٩ الهاجس : الفكر الذي يدور في النفس . الظبى جمع ظبة (بضم الظاء وفتح الباء) : حد السيف . طرف القناة : نصل الرمح . السلب جمع سلب (بفتح السين وكسر اللام) : الطويل ، أو جمع سلوب : يسلب الناس أموالهم وأرواحهم . — ان ظفر المسلمين في القتال أفسد على الروم آمالهم وأمانيهم .

ان الحمامينِ : من بيض ومن سُمُرٍ دَلْوا الحياتين : من ماء ومن عُشُب [1] .
لَبّيْتَ صوتا زِبَطْرِيّاً هرَقْتَ لـه كأس الكرى ورضاب الخُرّدِ العُرُب [2].
عداك حرُّ الثغور المُستضامةِ عن بَرْدِ الثغور وعن سَلْسالها الحَصِب [3] .
أجَبْتَه مُعلِناً بالسيف ، مُنْصلتاً ، ولو أجبْتَ بغيرِ السيفِ لم تُجِب [4] ،
حتى تركتَ عَمود الشِرْك منقعِراً ، ولم تعرّجْ على الأوتاد والطُنُب [5] .
لما رأى الحربَ رأيَ العينِ تُوفِلِسٌ ؛ والحرب مشتقةُ المعنى مِنَ الحَرَب [6].
غدا يُصرِّفُ بالأموالِ جِرْيَتَها ، فعزّه البحرُ ذو التَيار والحَدَب [7] .
هيهاتِ ! زُعزعتِ الأرضُ الوَقورُ به عن غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غزوِ مكتسب [8].
لم يُنفقِ الذهبَ المُربي بكثرتِه على الحصى ، وبه فقرٌ إلى الذهب [9] :

---

١ ان الحمامين (الموتين ، القاتلين) من بيض (سيوف) ومن سمر (رماح) هما الدلوان (الوسيلتان) للحياتين (سببا الحياة) من الماء والعشب .

٢ لبيت صوتاً زبطرياً (راجع مقدمة القصيدة) . هرق : سكب (تخلى عن) . الكرى : النوم . الرضاب : الريق . الخرد : جمع خريدة : المرأة الجميلة . العرب جمع عريب (بفتح العين) : المرأة المتحببة الى زوجها . — تركت راحتك ونعيمك في سبيل نصرة المظلومين .

٣ عداك : تعدى بك ، تجاوزت ، تركت . الثغور الأولى : البلدان التي يخشى منها مجيء العدو ؛ حر الثغور : الحرب . المستضامة : المهضومة الحق ، المظلومة . الثغور الثانية جمع ثغر الذي هو فم الإنسان . برد الثغور : ريق الثغور البارد (كناية عن النعيم مع النساء) . السلسال الحصب : الماء الصافي الذي يكون في المجاري الصخرية التي يكثر فيها الحصى (كناية أيضاً عن اللهو مع النساء) .

٤ منصلتاً : مجرداً من غمده (للقتال) . لو لم تحارب لما أخذت بحق أهل زبطرة .

٥ عمود الشرك : قاعدة الروم في آسية الصغرى (عمورية) . — منعقر : متهدم . لم تعرج : لم تمل الى (لم تحفل) . الأوتاد والطنب : قطع صغيرة من الخشب تشد بها أطراف الخيمة الى الأرض (كناية عن القرى التي كانت حول عمورية) .

٦ الحرب (بفتح الحاء والراء) : السلب .

٧ جريتها : مجراها (مجرى الحرب) بطلب الصلح . عزه : غلبه . البحر (كناية عن جيش العرب الكبير) . ذو التيار : المتدافع المتوالي . الحدب : ذو الأمواج العالية (كان هجوم العرب وانتصارهم سريعين جداً حتى أنهما لم يتركا مجالا أمام ثيوفيلوس حتى يطلب فيه الصلح) . ذكر فنلاي (Byz. Emp . (Everyman's (ص ١٤٧) أن ثيوفيلوس عرض على المعتصم ٢٤٠٠ ليبرة من الذهب (نحو ١١٠٠ كيلو) .

٨ هيهات : ما أبعد ذلك ! زعزعت الأرض الوقور به : ان الأرض الثقيلة الثابتة قد ارتجت بعنف تحت أقدام ثيوفيلوس لأن غزو المعتصم لبلاد الروم كان احتساباً في سبيل الله لا تكسباً للمال .

٩ لو كان محتاجاً الى المال لما أنفق في سبيل هذه الغزوة مالا أكثر عدداً من حجارة بلاد الروم .

ان الأسودَ ، اسودَ الغاب ، هِمّتُهـا   يومَ الكريهة في المسلوب لا السلَبِ [1].
ولىّ وقد ألْجَمَ الخطّيُّ مَنطِقَـه   بسَكتة خَلْفها الأحشاءُ في صَخَبِ [2] .
أحْذى قرابينَهُ صَرْفَ الرَدى و مضى   يَحتَثّ أنجى مَطـاياه من الهرب [3] ،
مُوكّلاً بيَفاعِ الأرض يُشرِفُـه   من خِفّةِ الخوف لا من خفة الطرب [4] .
ان يَعْدُ من حرّها عَدْوَ الظَليم فقـد   أوسعت جاحِمَها من كثْرة الحطب [5] .
تسعون ألفاً كآساد الشرى نَضِجَتْ   جلودُهم قبلَ نُضْجِ التين والعِنَبِ [6] .
يا رُبَّ حَوْباءَ لما اجْتُثّ دابرُهُـم   طابتْ، ولو ضُمِّختْ بالمِسْك لم تَطِبِ [7].
ومُغضَبٍ رجعَتْ بِيضُ السيوفِ به   حَيَّ الرِضى من رَداهم ميّتَ الغضب [8] .
والحربُ قائمة في مأزِقٍ لَجِـجٍ   تجثو الكُماةُ به ، صُعراً ، على الرُكب[9] .

---

١ ان أسود الحرب (الابطال الحقيقيين) يقصدون قتل الابطال من أعدائهم لا سبي المتاع .

٢ ولى : هرب . ألجم الخطي منطقه : أصبحت الرماح لجاماً في فمه (منعته الهزيمة من الحق في الكلام) . تحتها الاحشاء في صخب : كان قلبه مضطرباً بكلام يريد أن يقوله فلا يستطيع .

٣ ترك خاصته الابطال المقربين اليه للموت ثم ركب أسرع خيوله ليهرب عليه .

٤ موكلا بيفاع الأرض : كأنه وكيل على يفاع (مرتفعات) الأرض يقفز من واحد منها الى آخر (في أثناء هربه) ، ثم يشرفه (يعلو على اليفاع = المرتفع من الأرض) ليرى هل يتبعه أحد . ان الخوف قد جعله سريعاً في ركضه لا الفرح والمرح .

٥ عدا يعدو عدواً : ركض يركض ركضاً . الظليم : ذكر النعام (وهو معروف بسرعة الجري) ان ثيوفيلوس معذور في هربه من ميدان المعركة بهذه السرعة لأنك أكثرت (ايها الخليفة المعتصم) النار فيها (أثرت عليه حرباً شديدة لا قبل له باحتمالها) .

٦ تسعون الفاً من الروم كأسود الشرى (الجبال) المعروفة ببأسها . نضجت جلودهم : ماتوا حرقاً في عمورية . راجع قوله تعالى : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ... » قبل نضج التين والعنب : قبل الصيف (الوقت الذي حدده منجمو امبراطور الروم وكهنته لامكان فتح عمورية) . عظم أبو تمام شأن الروم حتى يبين مدى شجاعة العرب . وقد ذكر فنلاي (ص ١٤٧) أن القتلى الروم كانوا ثلاثين ألفاً سوى الاسرى .

٧ الحوباء : النفس . لما اجتث دابرهم : لما قتل المحاربون الروم عن بكرة أبيهم . طابت : أصبحت مسرورة . ضمخت بالطيب : طليت بمادة زكية الرائحة . — كم من نفس قد سر صاحبها بهلاك هؤلاء الاعداء من الروم اكثر مما كانت تسر لو أن صاحبها دهن نفسه بالطيب .

٨ غضب المعتصم لما بلغت اليه استغاثة الهاشمية وما نال المسلمين في زبطرة (راجع مقدمة القصيدة) ، فلما قتل أولئك المعتدين عاد اليه رضاه وذهب غضبه .

٩ مأزق لجج : مكان ضيق (بمساحته وبازدحام المتقاتلين فيه) . جثا : ركع (على ركبتيه) صعرا : مائلين بأجسامهم الى الامام (من شدة القتال) . الكماة جمع كمي : البطل .

كم نِيلَ ، تحت سناها ، من سنى قمر ؛ وتحت عارضها ، من عارض شَنِب [1] .

كم كان ، في قطع أسباب الرقاب بها ، إلى المُخَدَّرَةِ العذراء من سبب [2] ! .

كم أحْرَزَتْ قُضُبُ الهنديّ ، مُصلتةً تهتزُّ ، من قُضُبٍ تهتزُّ في كُثُب [3] :

بِيضٌ إذا انتُضِيت من حُجبها رجَعَتْ أحقَّ بالبيض ، أبداناً ، من الحجب [4] .

خليفةَ الله ، جازى اللهُ سَعْيَكَ عن جُرثومةِ الدين والإسلام والحَسَب [5] .

بَصُرْتَ بالراحة الكُبرى فلم تَرَها تُنالُ إلاّ على جِسْرٍ من التعب .

إنْ كان بين صُروفِ الدهر من رَحِمٍ موصولةٍ ، أو ذِمامٍ غير منقَضِب [6] .

فبينَ أيامِكَ اللاتي نُصرتَ بها وبين أيام بَدْرٍ أقربُ النسب [7] :

أبقتْ بني الأصفرِ المُصْفَرِّ كاسْمِهِمُ صُفرَ الوجوهِ ، وجَلّتْ اوجهَ العرب [8] !

---

١ سناها : سنى الحرب (نيرانها) . سنى قمر : جمال امرأة (امرأة جميلة) . عارضها : عارض الحرب (اشتدادها . شبه اشتداد الحرب بالعارض من المطر المتلاحق) . عارض شنب : ناب أو ضرس بارد الريق (كناية عن المرأة الجميلة) . — أسر العرب في تلك الحرب عدداً كبيراً من الروميات الجميلات .

٢ أسباب الرقاب : عروق الرقبة . المخدرة العذراء : المرأة المصونة البكر . سبب : وسيلة . لم يكن الوصول الى تلك النساء الروميات ممكناً الا بقتل الابطال اليونانيين الذين اعتدوا على زبطرة التي كانت في حكم العرب .

٣ القضب جمع قضيب : السيف الرقيق . الهندي : صنع الهند . مصلتة : مجردة من أغمادها . تهتز : يلوح بها المجاهدون العرب . قضب هنا جمع قضيب : الغصن المستقيم من الشجر (كناية عن المرأة ذات القوام الطويل الجميل) . تهتز : تتمايل من الجمال والدلال . الكثب جمع كثيب وهو الرمل الملتف (كناية عن المرأة الضخمة الجسم) . — سبت سيوف العرب نساء جميلات (من الروم) .

٤ بيض الاولى جمع أبيض : سيف . حجبها الاولى جمع حجاب : غمد السيف . انتضيت (السيوف) : سلت (أخرجت من أغمادها) . البيض الثانية جمع بيضاء : المرأة الجميلة . الحجب الثانية جمع حجاب : ستر المرأة (بيتها) . — ان السيوف التي انتصرت في موقعة عمورية أصبحت أحق بالنساء الروميات من بيوت الروميات (أصبح العرب أحق بنساء الروم من رجال الروم أنفسهم) .

٥ الجرثومة الاصل . الحسب : العمل الجميل الكريم .

٦ صروف الدهر : أحداثه الكبرى . رحم : قرابة . ذمام : عهد . منقضب : منقطع .

٧ أيامك اللاتي نصرت بها (معركة عمورية) . بدر : معركة بدر (رمضان سنة ٢ هـ = ٦٢٤ م) أول معارك الإسلام ضد المشركين والتي فتحت باب النصر أمام المسلمين .

٨ بنو الاصفر : الروم . المصفر : المعتل ، المريض . كاسمهم : كاسم أبيهم ، كأبيهم . صفر الوجوه : معتلين (مرضى على الحقيقة) مثل أبيهم الذي اكتسب اسمه من لون وجهه . جلت : بيضت ، كرمت . هذه الموقعة (موقعة عمورية) جعلت أوجه الروم تصفر (تسود) وأوجه العرب تبيض . هذا البيت معقد

٤ – ديوان أبي تمّام ، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٩ م ؛ فسّر ألفاظه .... محيي الدين الخيّاط) ، بيروت (طبع بمناظرة والتزام محمّد جمال) نحو ١٣٢٣ هـ ؛ (نشره أحمد عثمان عبد المجيد) ، القاهرة ١٩٤١ م ؛ القاهرة (محمّد صبيح) ١٩٤٢ م ؛ القاهرة (حجازي) ١٩٤٢ م .

ديوان أبي تمّام بشرح التبريزي (نشره عزّام) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١ – ١٩٥٧ م .

بدر التمام في شرح ديوان أبي تمّام للملحم الاسود ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٢٨ م .

همزيات أبي تمّام (نشرها عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٢ م .

جداول ديوان أبي تمّام (مجلّة المشرق) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٥ م ، ص ١٠٥٨ وما بعد .

المختار من شعر المتنبّي والبحتري وأبي تمّام (صنعه عبد القاهر الجرجاني) في مجموع اسمه « الطرائف » (تأليف عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م .

ديوان الحماسة (مع شرح مختصر) طبعات عديدة .

شرح ديوان أشعار الحماسة (بشرح التبريزي) ، القاهرة (بولاق) ١٢٩٢ هـ ؛ (نشرها فرايتاخ) ، بون (ألمانية) ١٨٢٢ م .

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (نشره أحمد أمين وعبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٢ – ١٣٧٤ هـ = ١٩٥١ – ١٩٥٣ م .

كتاب الوحشيّات : الحماسة الصغرى (علّق عليه .... عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، وزاد في حواشيه محمود محمّد شاكر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٣ م .

** الموازنة بين الطائيّين : أبي تمّام والبحتري في الشعر ، للآمدي ،

= وقاصر في التعبير قليلا ، ويمكن أن يقرأ هكذا (لاحظ مكان الفاصلتين) :

أبقت بني الاصفر المصفر ، كاسمهم صفر الوجوه ، وجلت أوجه العرب .

ثم ان كلمة « أوجه » يمكن أن تكون منصوبة بالفعل «جلت» (وفاعل الفعل ضمير مستتر يرجع الى معركة عمورية) ، ويمكن أن تكون مرفوعة على الاستئناف : جلت أوجه العرب !

قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٨٧ ﻫ ؛ بيروت (مطبعة جريدة الاقبال) ١٣٣٢ ﻫ ؛ القاهرة (مكتبة محمد علي صبيح) بعيد ١٩٣٠ م ، (حقّق أصوله .... محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (محمود توفيق) ١٩٤٤ م ؛ (تحرير أحمد صقر) القاهرة (دار المعارف) ١٩٦١ م .

أخبار أبي تمّام للصولي (نشره .... خليل محمود عساكر ومحمّد عبده عزّام ونظير الاسلام الهندي ، القاهرة ١٣٥٦ ﻫ (١٩٣٧ م) .

هبة الأيّام في ما يتعلّق بأبي تمّام ، تأليف يوسف البديعي ، القاهرة (مطبعة العلوم) ١٩٣٤ م .

أبو تمّام ، تأليف عمر فرّوخ ، بيروت (مكتبة الكشّاف) ١٩٣٥ م .

أبو تمّام : دراسة تحليلية ومختارات ، تأليف عمر فرّوخ (المكتب التجاري) ١٩٦٤ م .

أبو تمّام الطائي : حياته وحياة شعره ، تأليف نجيب البهبيتي ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٤٥ م .

أعيان الشيعة (الجزء التاسع عشر : أبو تمّام) ، تأليف محسن الأمين ، دمشق ١٣٦٥ ﻫ (١٩٤٦ م) .

ليال خمس مع أبي تمّام ، تأليف محمّد عبده عزّام ، القاهرة (دار الكاتب المصري) ١٩٤٨ م .

عبقرية أبي تمّام ، تأليف عبد العزيز سيّد الأهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥٣ م .

شرح المشكل من ديوان أبي تمّام والمتنبّي للمبارك بن أحمد الاربيلي (نشره محمّد عبده عزّام) ، القاهرة ١٩٣٥ م .

الكلام في شعر البحتري وأبي تمّام ، تأليف محمّد طاهر الجبلاوي ، القاهرة ١٩٤٨ م .

دراسة حماسة أبي تمّام ، تأليف علي النجدي ، ناصف ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٥ م .

أبو تمام الطائي ، تأليف خضر الطائي (منشورات وزارة الثقافة والارشاد — مديريّة الثقافة العامّة) ، سلسلة الكتب الحديثة ١٠ ، بغداد (دار الجمهورية) ١٩٦٦ م .

الرثاء بين أبي تمّام والبحتري والمتنبّي ، تأليف أديبة فـارس ، الاسكندرية ١٩٣٢ م .
أبو تمّام ، تأليف جميل سلطان ، دمشق ١٩٥٠ م .
الفهرست ١٦٥ ؛ الاغاني (بولاق) ١٥ : ١٠٠ — ١٠٨ ؛ تاريـخ بغداد ٨ : ٢٤٨ — ٢٦٣ ؛ تاريـخ ابن عساكر ٤ : ١٨ — ٢٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢١٤ — ٢١٨ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٧٢ — ٧٤ ؛ بروكلمان ١ : ٨٣ — ٨٤ ، الملحق ١ : ١٣٤ — ١٣٧ ؛ زيدان ٢ : ٧٧ — ٧٩ . Enc. Islam I 153 - 5.

محمدُ بنُ عبدِ الملكِ الزيّاتُ

١ — هو أبو جعفرٍ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ أبانَ بنِ أبي حَمزةَ الزيّات، كان جَدّه أبانٌ من قرية الدَسْكرةِ قربَ بلدةٍ يُقال لها جيل جَنوبَ بغدادَ (قا ٣ : ٣٥٣) ، وكان يَجلُبُ منها الزيت إلى بَغدادَ . أما والده فكان تاجراً مُوسراً من أهل الكَرْخ وكان يَحُثّه على العمل في التجارة . غير أنّ عبدَ الملك مالَ إلى الأدب وصِناعة الكِتابة وطَمِحَ إلى نَيْل المَناصب .

سار عبدُ الملك بن الزيّات إلى الحسنِ بن سَهْلٍ في فمِ الصلح (قرية على دِجلةَ قربَ واسطَ) ومدحه بقصيدةٍ أعطاه الحسنُ عليها ألفَ درهم . ولعلّ ذلك كان بُعيدَ سنة ٢٠٤ هـ ، بعد أن أصبحَ الحسن وزيراً للمأمون وبعد أن جاء المأمون إلى العراق .

ووَزَرَ ابنُ الزيّات للمعتصم (٢٢٥ هـ) ثم بَقِيَ وزيراً للواثقِ بن المعتصم مُدّةَ خِلافته (٢٢٧ — ٢٣٣ هـ) . وجاء المتوكّل إلى الخِلافة بعد أخيه الواثق ، وكان ناقماً على ابنِ الزياتِ فاستوزره نحوَ أربعين يوماً ثم قتله في ١٩ ربيع الأول ٢٣٣ هـ (٢-١١-٨٤٧ م) .

٢ — كان ابنُ الزيّاتِ عالماً باللغة والنحو والأدب ، وكان شاعراً مُجيداً لا يُقاس به أحدٌ من الكُتّاب ، وكان يُطيل فيُجيد . وكذلك كان كاتباً مترسّلاً بليغاً حَسَنَ اللفظ إذا تكلّم وإذا كَتَب . وشِعرُ ابن الزيّات مديحٌ وهجاء وغزل ومُجون وعِتاب وخمرٌ وله رثاء جيّد . ويبدو أن ابنَ الزيّاتِ كان قد

هاجى عدداً من الشعراء . وقد هجاه دِعْبِلٌ ولكنّ ابنَ الزيّات لم يشأ أن يتعرّضَ لدِعْبِلٍ بالردّ عليه .

وكانَ بينَ ابنِ الزيّاتِ وبينَ القاضي أحمدَ بنِ أبي دُؤادٍ عداوةٌ ، منذ أيامِ المـأمون في الأغلب . ويبدو أنّ ابنَ الزيّاتِ لما وَلِيَ الوِزارة هجا أحمد بقصيدةٍ طويلة فردّ أحمدُ عليه ببيتَيْنِ :

أحسنُ من خمسينَ بيتاً سُدىً جَمْعُكَ معناهُنّ في بَيْتِ :
ما أحوجَ الدَسْتَ إلى مَطْـرةٍ تَغْسِلُ عنه وَضَرَ الزَيْتِ [1] !

٣ ـ المختار من نثره وشعره

ـ كتب ابن الزيات على لسان الخليفة إلى أحد العمال :

أما بعدُ فقد انْتهى إلى أمير المؤمنين ... ما أنكره ، ولا تخلو (أنتَ) من إحدى مَنْزِلتين ليس في واحدةٍ منهما عُذرٌ يُوجِبُ حُجّةً ولا يُزيلُ لائمة : إما تقصيرٌ في عَمَلِك دعاكَ إلى الإخلال بالحَزْم والتفريطِ في الواجب ، وإما مُظاهرةٌ لأهل الفساد ومُداهنةٌ لأهل الرِيَبِ [2] . وأيّةُ هاتين كانت منك مُحِلّةٌ للنُكْرِ بك ومُوجِبةٌ للعقاب عليك ، لولا ما يَلْقاك به أميرُ المؤمنين من الأناةِ والنَظِرة والأخذ بالحُجّة والتقدم في الإعْذار والإنذار [3] . وعلى حَسْبِ ما أُقِلْتَ من عظيم العَثْرة يَجِبُ اجتهادُك في تلافي التقصيرِ والإضاعة [4]، والسلام .

---

١ الدست : صدر البيت وصدر المكان ؛ كرسي الوزارة (منصب الوزارة) . الوضر : وسخ الدسم واللبن أو غسالة (بضم الغين المعجمة) السقاء (الوعاء) والمقصود هنا الوعاء الذي يوضع فيه الزيت اشارة الى صناعة جد محمد بن عبد الملك الزيات .

٢ التفريط : التقصير واضاعة الحقوق والاهمال . مظاهره : مساعدة ، اعانة ، موافقة . أهل الفساد : أهل العصيان على الدولة والاخلال بأمن البلاد وتعدي الحدود . المداهنة : المداراة . أهل الريب : المتهمون الذين يعملون أعمالا مريبة (ولكن ليس فيها ذنب ظاهر) .

٣ محلة : مجيزة ، موجبة . النكر : الأمر الشديد ، العقاب . الاناة : الحلم ، التأني في تنفيذ العقاب . النظرة : الامهال ، فسح المجال للإنسان كي يتوب من سوء ارتكبه أو ليحاول الاحسان في عمل كان قد أساءه . الأخذ بالحجة : المعاقبة بعد وضوح الذنب . التقدم بالانذار (التنبيه على الأمور التي وقع فيها التقصير لعل المقصر يتلافى أمثالها في المستقبل) والاعذار (أن يكون السلطان معذوراً ومحقاً اذا عاقب بعد وضوح الذنب) .

٤ أقلت من عظيم العثرة : سومحت بعد الذنب العظيم الذي ارتكبته (لأول مرة) . ـ الاجتهاد : بذل الجهد (بضم الجيم) التلافي : الاحتياط للمستقبل ، محاولة الاصلاح لما كان قد فسد .

– وقال يرثي زوجته وقد ماتت وتركت طِفلاً رضيعاً :

ألا مَنْ رأى الطِفلَ المُفارقَ أُمَّـــه بُعيدَ الكَرى عَيناه تنسكبانِ ؛
رأى كلَّ أمٍ وابنَها ، غيرَ أُمِّه ، يَبيتان تحتَ الليل يَنْتَحِيان[1] ،
وباتَ وحيداً في الفِراش تَجِنُّــه بَلابلُ قلبٍ دائمِ الخَفَقان[2] .
فلا تَلْحياني إنْ بَكَيْتُ فإنَّما أُدواي بهذا الدمعِ ما تَرَيان[3] .
فهَبْني عزمتُ الصبرَ عنها لأنني جليدٌ ، فمن بالصبر لابن ثَمانِ[4]
ضعيفِ القُوى ، لا يطلُبُ الأجرَ حِسْبَةً ،
ولا يأْتسي بالنـاسِ في الحَدَثان[5] ؟
فلم أرَ كالأقدار كيف تُصيبني ، ولا مثلَ هذا الدهرِ كيف رماني .
أعينيَّ ، إنْ لم تُسْعِدا اليومَ عَبْرتي فبئسَ – إذَنْ – ما في غدٍ تَعِداني[6] .

– دخل ابنُ الزيّات دارَ المعتصم وابنُ أبي دؤاد هنالك . ولم يَشَأْ ابنُ أبي دؤاد أن يَلْقى ابنَ الزيّات فتَشاغل عنه بالصلاة . فقال ابن الزيّات :

صلّى الضُحى[7] لما استفادَ عَداوتي ، وأراه يَنْسِكُ بعدَها ويصومُ .
لا تَعْدَمَنَّ عَـداوةً مـأجورة تركَتْك تقعُدُ تارةً وتقومُ !

٤ – ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيّات (جميل سعيد) ، القاهرة (مطبعة نهضة مصر) ١٩٤٩ م .

---

١ – يرى كل طفل آخر وأمه يبيتان (يقضيان الليل) منتحيين (متخذين مكاناً أميناً مريحاً) .
٢ تجنه : تغطيه (تحيط به) . بلابل : هموم . دائم الخفقان (من الخوف والحزن) .
٣ لحاه : شتمه ، لامه .
٤ الجليد : الصبور ، الذي لا تؤثر فيه الاحداث . ابن ثمان : ابن ثماني ليال (اشهر) .
٥ لا يطلب الأجر حسبة : لا يدرك أن المصيبة محتسبة (لها أجر) عند الله . يأتسي : يقلد الناس في أعمالهم الحميدة (في الصبر والتجلد) .
٦ أسعده : ساعده في البكاء مجاراة له وتخفيفاً عنه . ما تعداني غدا (من الاسعاد والمعاونة على البكاء ، أو من الأجر على هذه المصيبة !)
٧ الضحى : صلاة نافلة (سنة ، ليست فرضاً) يقوم بها الإنسان اختياراً بعد طلوع الشمس بمدة . على أن المسلم اذا أخذ على نفسه أن يصلي الضحى يحسن أن يحافظ عليها يومياً (وركعات هذه الصلاة اثنتان على الاقل) .

** الفهرست ١٢٢ ؛ الاغاني ٢٠ : ٤٦ — ٥٦ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٤٥٨ — ٤٦٣ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٧٨ — ٧٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٢١ .

ديك الجنّ الحمصي

١ — هو ديكُ الجِنّ عبدُ السلام بن رَغبانَ بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رَغبان بن زيدِ بنِ تميم ، دخل جدّه الأعلى في الإسلام وشَهِدَ مُؤتة (٨ هـ = ٦٢٩ م) . ويبدو أن أسلاف ديك الجِنّ انتقلوا فيما بعد إلى سَلَمِيَةَ وتأثّروا فيهـا بالدعوة الفاطمية ، ثم انتقـل قومٌ منهم إلى حمص .

وُلِدَ ديكُ الجِنّ في حِمصَ سنة ١٦١ هـ (٧٧٧ م) ، وفيها نشأ خليعاً ماجناً ثم لم يُغادِرْها إلا في فَترات يسيرة قَصَدَ فيها سَلَمِيةَ ليمدح جعفراً وأحمدَ ابنَيْ عليٍّ الهاشميَّين . وكانَ ديك الجِن يتشيّع تَشَيُّعاً حسناً ، غيرَ أنه كان شديدَ التشعّب والعصبية على العرب ، يقول : « ما للعرب علينـا فضلٌ ، جَمَعَتْنا وإياهم وِلادةُ إبراهيم ، وأسْلَمْنا كما أسلموا ، ولم نَجِدِ اللهَ فضّلهم علينا » بعد أن جمعنا الإسلام (غ ١٢ : ١٤٢) .

ولمّا مر أبو نواس بحمص في طريقه إلى مِصرَ زار ديكَ الجن .

كان لديكِ الجِنِ جاريةٌ اسمها وَرْدُ ، وكان شديدَ الحب لها ، فاتَّهَمَ بها غُلاماً له ، وقيل بلِ اتّهم بها أخاه (العمدة ٢ : ١٤٢ ، ٢٤١) فقتلها ، ثم نَدِمَ وقال فيها أشعاراً كثيرة .

وكانت وفاة ديك الجنّ سنة ٢٣٥ هـ (٨٤٩ م) .

٢ — ديك الجِنّ شاعرٌ مُجيدٌ ، وهو رأسُ المذهب الشامي ، وكان في أيامه شاعرَ الشام إلاّ أنه لم يُذْكَرْ مَعَ أبي تمّام إلاّ مَجازاً (العمدة ١ : ٨٣) . وشِعرُ ديكِ الجِنِ مُتفاوِتٌ ظاهرُ التكلّفِ أحياناً ، وفي شعرِه ترصيعٌ (تقسيم الألفاظ على المعاني في البيت الواحد) بارعٌ جداً (العمدة ٢ : ٢٧ ، ٢٨) . وفنونه المدح والرثاء والهجاء والخمريات والغزل مؤنّثاً ومذكّراً . ومُعْظَمُ رثائهِ في آل البيت ، وله في الحسين بن عليّ مراث منها مرثية : « يا عينُ ، لا للقضاء ولا للكتب » مشهورة عند الخاص والعامّ يُناح بها . وهو في الرثاء أشهرُ من أبي تمّام ، إذ يَغْلِبُ الرثاءُ على طبعه (العمدة ٢ : ١٤١) . أمـا غزله المؤنّث فقد استفرغه في جاريته ورد .

٣ – المختار من شعره :

– هَوِيَ ديك الجن جارية نصرانية من حمص فأسلمت على يديه وتزوّجها ، وفيها يقول :

انظُرْ إلى شمس القصور وبدرِها ، وإلى خُزاماهـا وبهجة زَهرِها .
لم تَبْكِ عينُك أبيضاً في أسـودٍ جمَعَ الجمالَ كوجهِها في شَعرِها .
ورديّةُ الوَجنَات ، يختبر اسمَهـا من ريقِها من لا يُحيط بخِبْرِها [1] .
وتمايَلَتْ فضَحِكتُ في أردافهـا عَجَبًا ، ولكني بكَيْتُ لخَصْرِها[2] .
تسقيك كـأس مُدامةٍ من كفّهـا ورديّةً ، ومُدامةً من ثغرِهـا !

– وتوهّم ديك الجِنّ على زوجته ورد خِيانة فقتلها ثم ندم على ذلك فقال – ويقول الأصفهاني إن هذه الأبيات تروى للشاعر القديم السُليك بن محمّع . ولكن خصائص هذه الأبيات محدثة لا قديمة – :

يا طلعةً طلع الحِمامُ عليْهـا ، وجنى لهـا ثمرَ الردى بيدَيْها ،
روّيتُ من دَمِها الثرى ، ولَطالَما روّى الهوى شفتيَّ من شفَتَيْها .
قد بات سيفي في مَجال وِشاحها ، ومدامعي تجري على خَدّيْهـا .
فوحقّ نَعْلَيْها ، وما وَطِئَ الثرى شيءٌ أعزّ عليَّ من نعليهـا ،
ما كان قَتْلِيها لأني لم أكُـنْ أبكي إذا سقط الذُباب عليها ،
لكن ضَنَنْتُ على العيون بحسنها ، وأنِفْتُ من نظر الحسود اليها .

– ولديك الجن خمرية هي أو منها :

بها غيرَ معدولٍ فداوِ خُمارَهـا وصِلْ بعُشيّات الغَبوق ابتكارَها [3] .
ونَلْ من عظيم الوزر كلّ عظيمـةٍ إذا ذُكرتْ خاف الحفيظان نارها [4] .
وقُمْ أنت فاحثُثْ كأسها غيرَ صـاغرٍ ولا تَسْقِ إلا خمرَها وعُقارَها [5] .
فقام تكاد الكأس تُحرِق كفّـه ، من الشمس أو من وَجْنتيه استعارها .

---

١ الخبر (بكسر الخاء) : العلم بالشيء واختباره .

٢ سررت من أردافها (لكبر اردافها) وبكيت (أشفقت على) خصرها (لنحوله) اذ تعجبت كيف يستطيع أن يحمل جسمها الممتلىء .

٣ الغبوق : شرب الخمر مساء . الابتكار : الصبوح (شرب الخمر صباحاً) .

٤ الحفيظان : ملكان من الملائكة يكتبان أعمال الانسان . – خافا النار عليه .

٥ خمرها وعقارها (العقار الخمر) ، كذا في الأصل ؛ لعل الأصوب : صرفها وعقارها .

ظَلِلْنا بأيدينا نُتَعْتِـعُ روحَها ، فتأخذ من أقدامنا الراحُ ثارَهـا [1] .
مورّدةٌ من كفِّ ظبْيٍ كأنّما تناولهـا من خدِّهِ فأدارها !

٤ — ديوان ديك الجنّ الحمصي (عبد المعين الملّوحي ومحيّي الدين الدرويش) ، بلا اسم لمكان الطبع وبلا تاريخ .

ديوان ديك الجنّ الحمصي (حقّقه .... أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري) بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م .

** ديك الجنّ الحمصي ، تأليف يعقوب العويدات ، مصر (مطبعة المقتطف والمقطّم) ١٩٤٨ م .

الاغاني ١٤ : ٥١ — ٦٧ ؛ وفيات ١ : ٥٢٥ — ٥٢٧ ؛ بروكلمان ١ : الملحق ١ : ١٣٧ ؛ زيدان ٢ : ٩٦ — ٩٧ ؛

Enc . Isl . II 275 - 6 .

محمّدُ بنُ وُهيبٍ

١ — هو أبو جعرٍ محمّدُ بنُ وُهيبٍ الحِمْيَريَ ، وُلِدَ في البصرة ونشأ فيها ثم سكن بغداد . وقد كان مُضَيَّعاً مَطْروحاً يتصدّى للعامّـة وأوْساطِ الكتّاب (غ ١٧ : ١١٤) يتكسّبُ منهم بشعرِه ، حتى دخل المأمونُ بغدادَ (٢٠٤ هـ) فمدحه ثم مدح المعتصمَ (٢١٨ — ٢٢٧ هـ) فحَسُنَتْ حالُه قليلاً .

مدح ابن وهيب المُطّلبَ بن عبدِ الله بن مالكٍ والِيَ المُوْصِلِ (١٩٦ — ١٩٨ هـ) ومصرَ (١٩٨ — ٢٠٠ هـ) وعليَّ بنَ هِشامٍ والِيَ الرّيِّ وأذربيجان (٢١١ — ٢١٧) . ثمّ انه انقطع إلى الحسنِ بن سَهْلٍ (ت ٢٣٦ هـ) فما مدح بعدَ ذلك أحداً غيرَه .

وكانت وفاة محمّد بن وهيب في بغداد ، ولعلّها لم تتأخرْ عن ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) [2] .

---

[1] كنا نتناول الخمر بأيديناونعبث بهـا ، فكانت تنتقم من أرجلنا (تجعلنا مضطربي الخطى في السير) .

[2] كان الاستاذ حسن الكرمي قد ذكر شيئاً عن محمد بن وهيب هذا (هنا لندن ، رقم ١٣٦ ، بتاريخ ١٢—٦—١٩٦٥ م) . ثم اني سألته اذا كان قد وقع على تاريخ وفاة هذا الشاعر فكتب الي رسالة (بتاريخ ٢٧—٦—١٩٦٥ م ، لندن) يذكر فيها أنه لم يعثر على مصدر ذكر ذلك . ثم ذكر أيضاً أن الأبيات الجيمية قد تلفى منسوبة لصالح بن جناح اللخمي (كتاب الصناعتين للعسكري ، القاهرة ١٩٥٢ م ، ص ٣٤٦) والى محمد بن خازم الباهلي (معجم الشعراء للمرزباني ، بتحقيق عبد الستار أحمد فراج) .

٢ – محمّد بن وهيبٍ شاعرٌ مطبوع رقيقٌ ومكثرٌ مُطيل ومُجيد مُحسن ، ولكنّ ابنَ النديم يذكرُ أن ديوانَه خمسون ورقةً (الفهرست ١٦٥) أو ألفُ بيتٍ . ثم هو متين السبك سَهْلُ الشعرِ واضح المعاني . وفنونه الحكمة والمدح والغزل والنسيب والهجاء والفخر .

٣ – المختار من شعره

– قال محمدُ بنُ وهيبٍ في الفخر والحكمة :

لئنْ كُنتُ مُحتاجاً إلى الحِلْم ، إنني إلى الجهل في بعض الأحايينِ أحوجُ [١] .
ولي فَرَسٌ للحِلم بالحِلم مُلْجَمٌ ، ولي فرس للجهل بالجهل مُسْرَجُ .
فمَن رامَ تقويمي فإني مُقَوَّمٌ ، ومَن رام تعويجي فإني مُعَوَّجُ .
وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْناً وصاحباً، ولكنني أرضى به حين أُحْرَجُ [٢] .
ألا ربما ضاق الفضاءُ بأهلِه وأمكن من بين الأسِنَّةِ مَخْرَجُ .
وإنْ قال بعضُ الناسِ : فيه سماجةٌ ، فقد صدقوا ؛ والذُلّ بالحرّ أسمَجُ !

– وقال محمّد بن وهيب يمدح أبا اسحقَ محمداً المعتصمَ بالله العبّاسي :

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدّنيا ببَهْجَتِهِمْ ، شمسُ الضُحى وأبو اسحقَ والقمـرُ .
تحكي أفاعيلَه في كلّ نائبـةٍ الغيثُ والليثُ والصَمْصامةُ الذّكَر [٣].

– لمّا تولى المطّلب بن عبد الله بن مالك الخُزاعي على المَوْصِل (١٩٦ هـ) قصده محمد بن وهيب ومدحه فقال :

دِماءُ المُحِبّينَ لا تُعْقَلُ . أما في الهوى حَكَمٌ يَعْدِلُ [٤] !

---

١ الجهل : خلاف الحلم (معاملة الناس معاملة جافية مع الاعتداد بالقوة) .

٢ الخدن : الصاحب الذي يوافقك في ظاهر أمورك وباطنها .

٣ تحكي : تشبه . الغيث : المطر . الليث : الاسد . الصمصامة : السيف الذي لا ينثني . الذكر : (السيف) الذي توضع فيه الذكرة (بضم الذال) = حديدة توضع في رأس السيف (والأصوب هو الذي سقي بالماء وهو شديد الحرارة – والماء بارد – فأصبح أكثر صلابة) .

٤ لا تعقل : لا تدفع ديتها (بكسر الدال وفتح الياء بلا تشديد) . يعدل : يجعل للقتيل في الهوى دية كما للقتيل المادي دية .

تَعبّدَني حَوَرُ الغانيــــاتِ | ودانَ الشّبابُ ـ له الأخْضَل [1] .
ونَظْرةِ عينٍ تَلافَيْتُهــا | ضِراراً ، كما يَنْظُر الأحول .
مُقَسّمَةٍ بينَ وجهِ الحبيبِ | وطَرْفِ الرقيبِ متى يَغْفُل .
أذمّ على غَرَبات النّــوى | إلياكِ السُلُوَّ ولا أذْهَــل [2] .
وقالوا : عَزاؤك ، بعد الفراق ، | إذا حُمّ مَكْروهُه أجْمَل [3] .
أقيدي دَماً سَفَكَتْهُ العُيونُ | بإِغماضِ كَحْلاءَ لا تُكْحَل [4] ،
فكلّ سِهامِكِ لي مُقْصِدٌ ، | وكلّ مَواقِعُهــا مَقْتَــل [5] .
سلامٌ على المَنْزِلِ المُسْتَحيلِ | وإن ضنّ بالمَنْطِقِ المنزل .
وغضِّ الضَريبةِ يَلْقى الخُطوبَ | يَجِدّ عن الدهر ما ينكُل [6]
تغلغل شَرْقاً إلى مَغْرِبٍ ؛ | فلمّا تَبَدّتْ لـه المَوْصِـل
ثَوى حيثُ لا يُستَمالُ الأريبُ | ولا يُؤلَفُ اللّقِنُ الحُوّل [7] ،
لدى مالكٍ قابَلَتْهُ السّعودُ | وجانَبَهُ الأنْجُمُ الأُفّل [8] ؛
لأيّامهِ سَطَواتُ الزمــانِ ، | وإنعامُه حَيْثُ لا مَوْئِل [9] .
سما مالكٌ بِكَ للباهراتِ ، | وأوْحَدَكَ المَرْبَأُ الأوّل [10] .

---

١ الحور : اشتداد البياض في بياض العين واشتداد السواد في سوادها . الاخضل : الندي ، المبتل (الشباب الذي في شدته وعنفوانه) .
٢ الغربات جمع غربة (بفتح الغين وسكون الراء) : البعد ، البعاد . النوى : البعاد أيضاً .
٣ حم الفراق : نزل ، وقع .
٤ أقيدي دماً : خذي بثأر قتيل لك في الهوى بنظرة ثانية اليه من عينيك تحييه . العين الكحلاء التي فيها كحل طبيعي .
٥ مقصد : قاتل ، الذي يصيب مقتلا من الانسان .
٦ غض : طري ، ناعم . الضريبة : الطبيعة . غض الضريبة (الشاب !) . نكل عن الامر : جبن ورجع عنه.
٧ الاريب : العاقل . اللقن : السريع الحفظ والفهم . الحول : الواسع الحيلة السريع التقلب . — معنى البيت ان الشاعر مكث في الموصل مع انه لا شيء فيها يغري بالمكث لولا وجود الممدوح فيها (راجع البيت التالي) .
٨ الافل : التي تأفل (تغيب) لأن النجوم التي لا تغيب (في رأى العين) كانت عند القدماء أشرف من النجوم التي تغيب .
٩ حيث لا موئل : لا موئل (مأمن) من سطواته ولا موئل (ملجأ عند غيره) للحصول على النعم .
١٠ الباهرات : الأمور الباهرة (العظيمة) في الكرم والشجاعة الخ . أوحدك : جعلك واحد زمانك (لا نظير لك) . المربأ : المكان العالي يشرف الانسان منه على ما حوله (جدك القديم) .

وليسَ بعيداً بأن تَحتَــذي مَذاهِبَ آسادِها الأشْبُــل .

٤ — ** عيون الاخبار ٣ : ٢٨٩ ؛ الاغاني (الساسي) ١٧ : ١٤١ — ١٥٠ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٣١٠ — ٣١٣ ؛ معجم الشعراء للمرزباني ٣٥٧ — ٣٥٨ ؛ المصون في الأدب ١٢٦ ، ١٦٨ ؛ أعيان الشيعة (١٩٦٠م) ٤٧ : ١٤٥ — ١٤٧ .

عبد الصمد بن المعذّل

١ — هو أبو القاسمِ عبدُ الصَمَدِ بن أبي عمرٍو المُعَذّلِ بن غَيلانَ بن الحكم بن البُختري من بني أسدِ بن ربيعةَ ؛ وأمّه أمّ وَلَدٍ اسمُها الزرقاء . كان مولده ومنشأه في البصرة ، وكان له فيها بستانٌ نظيفٌ عامر . وكان عبد الصمد بن المعذّل خبيثَ اللسان وخبيث القلب ، فيما يبدو ، متكبّراً شديدَ العداوة : كان له أخٌ اسْمهُ أحمدُ أديبٌ شاعرٌ تقيٌ وجيهٌ عند الناس ومن رؤساء المعتزلة في وقته ، وكان بين الأخوَيْنِ جفوةٌ .

وكانت وفاة عبد الصمد في حدود ٢٤٠ هـ (٨٥٣ م) .

٢ — كان عبدُ الصمد بن المعذّل شاعراً فصيحاً ظريفاً سريعَ القول في الشعر شديدَ العارضة ، يَنْظِمُ رَجَزاً وقصيداً ، مشهوراً بجودة المُقَطّعات ؛ ثم هو من فُحول المُحْدَثين وصدورِهم المعدودين ، ولكن غَمَرَهُ أبو تمّامٍ (العمدة ١ : ١٦٣ ، ٨٣ ، راجع ٨٩ — ٩٠) . وفي شعره شيءٌ من المتانة وكثير من المَرَح حتى في مواقفه الجِدّية في المديح . وفنون شعره المديح والرثاء والهجاء قليلاً ثم الوصف والغزل بنوعيه . وكذلك له فخر بنفسه وعتاب . وفي فخره يمدح نفسه بالقناعة ويعتذر عن مظهره الرثّ . وله أوصاف في الحقول والرياض والأزهار والخمر والنخل ، وله وصف للحمّى .

٣ — المختار من شعره

— استحسن عبد الله ابن المعتزّ لعبد الصمد بن المعذّل قوله :

ناديته ، وظلام الليل معتكــرٌ تحت الرُواق دَفيناً في الرياحين ،

فقلت : قم ، قال : رِجلي لا تُطاوعني . فقلت : خُذْ ، قال : كفّي لا تُواتيني .
إني غَفَلْتُ عن الساقي فصيّرني — كما تراني — سَليبَ العقل والدين!

— وقال أبو الهلال العسكري (ديوان المعاني ١ : ١٢٥) : أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعذّل :

رأتنا أمُّ عمرٍو فازْدَرَتْنـا ، ونِقْضُ الحرب [١] منظرُه زَرِيّ .
إذا لم تقدحي زَنْدَيْكِ يوماً ، فما يُدْريك أيُّهما الوَرِيّ ! [٢]
سلي بي تُخْبَري أني طَـروبٌ إلى الأيسار أبلجُ بُختُري [٣] .
واني حين تختلف العَـوالي إلى الأبطال أكْيَسُ قَسْوَري [٤] .
كِلِيني للندى والبأس ، إني بكلٍّ بَسالةٍ ونَدىً حَرِيّ !

— وله في وصف الرياض والبساتين (ديوان المعاني ٢ : ١٥) :

معانٍ من العيش الغَرير ومَعْمَرٌ ، ومَبْدىً أنيقٌ بالعُذيب ومَحْضَرُ [٥] .
نما الروضُ منه في غَداةٍ مَريعـةٍ لها كوكبٌ يَستأنقُ العينَ أزْهَر [٦] .
ترى لامعَ الأنوار فيها كأنّه ، إذا اعترضته العين ، وَشْيٌ مَدَنَّر [٧] .

---

١ ازدرى : احتقر . الزري : الرث المنظر . نقض الحرب (بكسر النون) : المهزول من معاناة الحروب؛ المكافح في الحياة .

٢ — اذا كان عندك زندان (حديدتان لقدح النار من الحجر) فلا تغتر بمظهرهما ، بل جربهما ، فان أفضلهما ما كان أحسن قدحاً لا أحسن هيئة .

٣ حين تختلف العوالي (الرماح) : في الحرب . أكيس : أكثر عقلا ، كثير العقل والمعرفة (بفن الحرب) . قسوري : شجاع (القسورة : الاسد) .

٤ طروب الى الايسار (هنا : الجمال التي تذبح) : كريم ، جواد . أبلج : أبيض ، وضاح الوجه : من أصل كريم . البختري : الحسن المشي والجسم . وهو أيضاً المنسوب الى البختري (أحد أجداد الشاعر) .

٥ الغرير : الذي يغر ويعجب . معمر : مكان مسكون . مبدى : مكان ينزله الناس في البادية . المحضر : مسكن في الحضر . — هذا البستان يجمع خصالا حميدة جمة : هو مأهول وبعيد عن (ضجة) العمران وقريب من (الوصول الى) المدينة . العذيب : واحة مشهورة في

٦ الكوكب : ما طال من النبات . يستأنق : يعجب . أزهر : أبيض مشرق . — نما نباته في صباح (ليلة) كان فيها (مطر) كثير .

٧ يتخلل النور أغصانها فتحتاله العين كأنه زركشة مدنرة (فيها دوائر صغيرة ، كالدنانير) .

تسابق فيه الأُقحُوانُ وحَنْوَةٌ ، وساماهما رَنْدٌ نضير وعَبْهَر ١ .
يَمُجّ ثراها فيه عَفْراءَ جَعْدَةً كأن نَداها مـاءُ وَرْدٍ وعَنْبر ٢ .
بدا الشيح والقَيْصوم ، عند فروعه ، وشتٌ وطُبّاقٌ وبانٌ وعَرْعَر ٣ ،
وناضرُ رُمّانٍ يَرِفّ شَكيرُهُ يكاد ، إذا ما ذَرّت الشمس ، يقطُر ٤ ،
ويانعُ تفّاحٍ كأن جَنيّه نجومٌ على أغصانه الخُضْرِ تَزْهَر ٥ .
إذا زُرْتَه يومـاً تغرّدَ طـائرٌ ، وراناك ظَبْيٌ ، بين غُصْنين ، أحور ٦ .

٤ — ** طبقات ابن المعتزّ ٣٦٨ — ٣٨٠ ؛ الاغاني ١٣ : ٢٦٦ — ٢٥٨ ؛ فوات الوفيات ١ : ٣٥٣ .

ابراهيم بن العبّاس الصولي

١ — هو أبو اسحقَ إبراهيمُ بن العبّاس بن محمّد بن صول تَكين . كان تكين أحدَ ملوك جُرجانَ تركيّاً مَجوسياً فأسلمَ على يدِ يَزيدَ بنِ المُهلّب .

---

١ — تسابق (في النمو) في هذا البستان الاقحوان (زهرة لها بتلات بيض أفقية تحيط بقلب أصفر يشبه نصف الكرة) . والحنوة : آذريون البر (زهر أبيض مقعر في قلبه بقع سمر) . سامى : نافس . الرند : شجر طيب الرائحة ، الآس . النضير : الدائم الخضرة . العبهر : النرجس أو الياسمين .

٢ — ترى سطح أرضها متجعداً أسمر صافياً كأن نداه (مزاجه ليترطب) بماء الورد والعنبر (مادة طيبة الرائحة سمراء اللون) .

٣ الشيح والقيصوم : نباتان طيبا الرائحة . الشت ليست في القاموس ، ولعلها الشبت (بكسر الباء) : البقلة . الطباق : شجر منابته جبال مكة نافع للسموم والحكة والحمى واليرقان . البان : شجر له أغصان طوال مستقيمة سمر تميل الى الحمرة . عرعر : شجر السرو . — يبدو أن الشاعر لا يريد أن يسمي أشجاراً بأعيانها بقدر ما يريد أن يقول أن بستانه يجمع أنواع النبات الجميلة والنادرة .

٤ رفّ : لمع ، أشرق . الشكير : الغصون الطرية الخارجة من الاغصان الكبيرة حديثاً . — تلمع في ضوء الشمس حتى تبدو (لنضارتها وطراوتها) وكأنها سيقطر منها ماء . ذرت : طلعت .

٥ اليانع : الناضج القريب الحصاد أو القطاف . الجني (في القاموس) : الثمر الذي قطف لساعته . وهنا الثمر الذي دنا وقت قطفه .

٦ رانى : (في القاموس) دارى ؛ (وهنا) : يتطلع اليك بحذر . الأحور : شديد سواد سواد العين وشديد بياض بياضها .

وكان محمد بن صول تكين ، وكُنيته أبو عُمارةَ ، من رجال الدولة العبّاسية ودُعاتها .

وُلِدَ إبراهيم بن العبّاس صاحب هذه الترجمة سنة ١٧٦ هـ (٧٩٢ م) ، وقيل سنة ١٦٧ هـ . وهو بغداديّ المنشأ والمسكن ، نال حظوةً في الدولة فتقلّب في عدد من الوظائف الجليلة : كان كاتباً للفضل بن سهل وزيرِ المأمون في مرو، وقد قتلَ المأمونُ وزيرَه الفضلَ في شعبان سنة ٢٠٢ هـ (٨١٨ م) . وفي أيام الواثق (٢٢٧ – ٢٣٣ هـ) كان عاملاً على الأهواز . في هذه الأثناء وقعتِ الوَحشة بينَه وبين الوزير محمد بن عبد الملك الزيّات ، بعد أنْ كانا صديقين حميمين ، فعزله عن عمله على الأهواز . وفي أيام المتوكّل تولّى إبراهيم ديوانَ النفقات والضِياع في سامرّا ، وظلّ يتولاّه إلى أن تُوُفِّيَ في منتصف شعبانَ سنة ٢٤٣ هـ (٨–١٢–٨٥٧ م) .

٢ – كان ابراهيم الصولي مُجانباً للجِدّ منصرفاً في حياته إلى المَرَح واللهو والقَصْف والمُجون . وهو شاعرٌ وكاتبٌ ومترسّل جَمَعَ إلى جودةِ الشعر جودةَ النثر ، ونثرُه بديع . ثم هو شاعرٌ مُجيد رقيق يقول بعد رَوِيّةٍ ويقول ارْتجالاً ولكنّه مُقِلّ لأنه يختار شعرَه ويُنقّحه ، وربّما نظم القصيدةَ ثم رَجَعَ فيها بالحذفِ حتى لا يدعَ منها إلاّ البيتين أو البيت ، ولذلك كان شعره مُقطّعات قلّ أن زادتْ على عَشْرةِ أبياتٍ . أما فنون شعره فهي المدح والهجاء والغزل والحماسة والأدب ، وكان في شعره شُعوبية جريئة . وقد مدح ابراهيمُ الصوليّ نفراً منهم المتوكّلُ وعليّ الرِضا والفضلُ بن سهلٍ والمعتزّ ، ولكنّه لم يتكسّبْ بالمديح . وهجا ابراهيم الصولي عَدُوّه ابنَ الزيّاتِ حياً ومَيْتاً .

٣ – المختار من شعره ونثره

– كتب ابراهيم بن العبّاس إلى محمّد بن عبد الملك الزيّات يُعاتبه :

وكنتَ أخي بإخاء الزمانِ ، فلما نَبا صِرت حرباً عَوانا[١] .
وكنتُ أذُمّ اليك الزمـانَ ، فأصبحتُ فيك أذمّ الزمانا .

[١] باخاء الزمان : لما كان الزمان أخاً (مصافياً) لي . نبا : بعد ، جفا (لما عاداني الزمان) . عوان : شديدة .

وكنتُ أُعِدّك للنائباتِ ، فها أنا أطلبُ منك الأمانا !

– وتوفي ابن له فقال يرثيه :

كنتَ السوادَ لناظري ، فبكى عليك النــاظرُ .
من شاءَ بعدك فليَمُتْ ، فعليك كنتُ أحاذر !

– اتّهمَ ابراهيمُ بنُ المدبرِ ابراهيمَ الصوليّ في عملهِ ، فجمع الخليفـةُ المتوكّلَ بينهما لجلاء التُهْمة . فلما وصلَ ابراهيمُ الصوليّ إلى ديوان الخلافة ، في أول المساء ، اتفق أن رأى الهلالَ (الجديد) . فلما سلّم على المتوكّلِ هنّأه بالشهر الجديد . ثم أخذ المتوكّلُ في استجلاء التُهمة فأراد ابراهيمُ الصوليّ أن يدفعَ التهمة عن نفسهِ بالبلاغة لا بالحُجّة ، لأن التهمة كانت صحيحة إلى حدّ ما . فقال عندئذ للمتوكّل : ان الأمر كما قلت فيك :

رَدَّ قولي وصدّقَ الأقوالا ، وأطاع الوُشاةَ والعُذّالا .
أتراهُ يكونُ شهرَ صدودٍ وعلى وَجْههِ رأيتُ الهِلالا !

فصرف المتوكل النظر عن قول ابن المدبر .

– وله أشعار كِثارٌ في الشكوى من الإخوان ، منها :

لو قيل لي : خُذْ أمــانــاً من أعْظَمِ الحِدْثانِ ،
لَمَا أخــذتُ أمـــانــاً إلاّ من الخُلاّن !

– ومما يُستجادُ له مدحُه للفضل بن سهل :

لِفَضْلِ بنِ سهلٍ يدٌ تَقاصَرَ عنها الأملْ :
فباطِنُهــا للنَّــدى[1] ، وظاهِرُهــا للقُبَــلْ .
وبَسْطَتُها للغِـنى ، وسَطوتُهــا للأجلْ !

– ولَرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بهــا الفتى ذَرْعاً ، وعندَ الله منها المَخْرَجُ.
ضاقت ، فلمّا اسْتَحْكَمَتْ حلَقاتُها فُرِجَتْ ، وكنتُ أظنّها لا تُفْرَجُ !

– قال ابراهيم بن العباس الصولي يهنّىءُ الواثقَ بالخِلافة ويُعزّيه بأبيهِ المُعْتصمِ :

١ الندى : الكرم .

إنّ أحقّ الناسِ بالشُكْر مَنْ جاء به عن الله [1] ، وأولاهم بالصبر من كان سَلَفَهُ رسولُ الله . وأميرُ المؤمنين أعزّه الله ، وآباؤه نَصَرَهُمُ اللهُ ، أولو الكتابِ الناطقِ عن الله بالشكر وعِترةُ [2] رسولِ الله المخصوصون بالصبر . وفي رسول الله أحسنُ العزاء . وقد كان مِنْ وَفاةِ أمير المؤمنين المعتصمِ بالله ، ومن مشيئة الله في وِلاية أمير المؤمنين الواثقِ بالله ، ما عفا [3] على أوّلِه آخرُه وتلافت بَدْأتُه عـاقبتُه . فحَقُّ الله في الأولى الصبرُ ، وفَرْضُه في الأُخرى الشكرُ . فإن رأى أميرُ المؤمنين أنْ يَسْتَنْجِزَ ثوابَ الله بصبرهِ ويَسْتَدعِيَ زِيادتَه بشُكرِهِ فَعَلَ ، إن شاءَ اللهُ وحدَه !

٤ ـ شعر الكاتب الشاعر المطبوع ابراهيم بن العبّاس الصولي ، صنعه ابن أخيه أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي (ع العزيز الميمني) ، مجموع في «الطرائف الأدبية» ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧م.

** الفهرست ١٢٢ ؛ الاغاني ١٠ : ٤٣ وما بعد ؛ تاريخ بغداد ٦ : ١١٧ ـ ١١٨ ؛ معجم الأدباء ١٦٤ ـ ١٩٨ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١٥ ـ ١٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٠٢ ـ ١٠٣ .

ابن السِكّيت

١ ـ كان اسحقُ السكّيت من أهل دَوْرَق في خُوزستان ، ومن أصحاب الكِسائي ، عالمـاً باللغة والنحو والشعر ؛ وسمّي السكّيت لطول سكوته (راجع الفهرست ٧٢) .

أما أبو يوسف يعقوب ، ابن اسحق السكّيت ، فقد وُلِدَ نحو سنة ١٨٥ هـ (٨٠١) وتلقّى علومَه الأولى على أبيه ثم جعل يساعد أباه في تعليم صِبيانِ العامّة في بغداد .

بعدئذ انصرف ابن السكّيت إلى تعلّم النحو من البصريين والكوفيين فأخذ عن أبي عمرٍو الشيباني والفرّاء وابن الأعرابي ، وروى عن الأصمعي وأبي عُبيدةَ وغيرهم .

---

١ كذا في الأصل . ٢ أسرة (عائلة) . ٣ عفّى !

وانتقل ابن السكّيت إلى سامرّا فكان يُؤدّبُ فيها أولادَ المتوكّل . وغَضِبَ المتوكّل على ابن السكّيت فأمر بضربهِ وتعذيبه فمات ابن السكّيت متأثّراً بذلك في خامس رجب ٢٤٤ هـ (١٧-١٠-٨٥٨ م) .

٢ - كان ابن السكّيت عالماً بالقرآن وبنَحْوِ الكوفيين وراوية ثِقَةً للّغةِ والشعر ، وشاعراً مُحْسِناً .

ولابن السكّيت كتب أشهرُها إصلاح المنطق ، وله كتاب الأمثال ، كتاب الأيام والليالي ، كتاب سَرِقات الشعراء وما تواردوا عليه ، كتاب معاني الشعر (نسخة كبيرة ونسخة صغيرة) . ثم له كتاب النوادر ، كتاب الأضداد ، كتاب النبات والشجر ، كتاب الإبِل ، كنز الألفاظ ، القلب والإبدال ، شرح ديوان طَرَفَةَ ، شرح ديوان طُفيلٍ الغَنَوِيّ ، شرح ديوان عُروةَ ، شرح ديوان المزرّد ، شرح ديوان الخنساء ، الخ ... (راجع معجم الأدباء ٢٠ : ٥٢ ، وفيات ٣ : ٣٤٩ ، الفهرست ٦٢) .

٣ - المختار من شعره

- إذا اشْتملتْ على اليأسِ القلوبُ ، وضاق لِمَا به الصدرُ الرَّحيب [١] ،
وأوطنتِ المكارهُ واستَقَلّتْ وأرْسَتْ في أماكنها الخُطوب [٢] ،
ولم تَرَ لانْكشافِ الضّرِ وَجْهاً ولا أغْنى بحيلتهِ الأريب [٣] ،
أتاك على قُنوط منه غَوثٌ يَمُنُّ به اللطيفُ المستجيب [٤] .
وكلّ الحادثاتِ وإنْ تناهتْ فموصولٌ بها فَرَجٌ قريبُ !

٤ - كنز الحفّاظ في تهذيب الألفاظ ، هذّبه أبو زكريا التبريزي (وقف على طبعه شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٨٩٥ م .

كتاب مختصر تهذيب الالفاظ (نشره شيخو) ، بيروت (المطبعة

---

١ الرحيب : الواسع .
٢ الخطوب : المصائب .
٣ الاريب : العاقل .
٤ غوث : عون ، مساعدة . اللطيف المستجيب = الله تعالى .

الكاثوليكية) ١٨٩٧ م .

كتاب الالفاظ بشرح التبريزي (شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٨٩٦ — ١٨٩٨ م .

كتاب القلب والابدال (في كتاب « الكنز اللغوي في اللسن العربي » ، نشره هوفنر ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٣ م ، ص ٣ — ٦٥) .

كتاب الاضدّاد (نشره هوفنر في « ثلاث رسائل ») ، بيروت ١٩١٢ م .

اصلاح المنطق (نشره صالح بن علي) ، القاهرة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) ؛ نشره بدر الدين النعساني) ، القاهرة ١٩١٣ م ؛ نشر في حيدر اباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٥٤ هـ ؛ (نشره أحمد محمد شاكـر وعبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٩ م .

ديوان الحطيئة بشرح ابن السكّيت والسكّري والسجستاني (تحقيق نعمان امين طه) ، القاهرة (البابي) ١٩٥٨ م .

شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكّيت (اعتنى بتصحيحه محمّد بن أبي شنب) ، الجزائر (كربونل) ١٩٢٦ م ؛ (حقّقه عبد المعين الملّوحي) ، دمشق (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٩٦٦ م .

** الفهرست ٧٢ — ٧٣ ؛ تاريخ بغداد ١٤ : ٢٧٢ — ٢٧٤ ؛ طبقـات الزبيدي ٢٢١ — ٢٢٣ ؛ معجم الأدباء ٢٠ : ٥٠ — ٥٢ ؛ انباه الرواة (راجع ١ : ٢٢٠) ، بغية الوعاة ١٩١ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٠٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٢٠ — ١١١ ، الملحق ١ : ١٨٠ — ١٨١ ؛ زيدان ٢ : ١٣٦ — ١٣٧ .

محمّد بن حبيب [١]

هو أبو جَعْفرٍ محمّدُ بنُ حبيبَ ، وحبيبُ أمّه ولا يُعْرَفُ اسْمُ أبيه في الأغلب . وكانت أمّه مولاةً لبني هاشمٍ ثم لمُحمّدِ بن العبّاسِ بن محمدِ الهاشميّ

١ قيل في محمد بن حبيب أنه ولد ملاعنة (لم يعترف زوج أمه أنه ابنه) فحبيب اسم أمه ، وعلى هذا يكون « حبيب » ممنوعاً من الصرف .

(راجع معجم الأدباء ١٨ : ١١٣) .

كان محمدُ بن حبيبَ من أهلِ بغدادَ ، وكان له مكتبٌ يعلّم فيه الصبيانَ ؛ ولم يكن يُملي في المساجد بل في مكتبهِ . وقد كانت وفاته في سامرّا ، في ٢٣ من ذي الحِجّة ٢٤٥ ه (٢١–٣–٨٦٠ م) .

لمحمدِ بنِ حبيبَ كتبٌ كثارٌ مختلفة الموضوعاتِ ، وقد اتُّهِمَ بأنه كان يُغير على الكتب فيدّعيها (معجم الأدباء ١٨ : ١١٣) – من كُتبهِ : كتاب النسب ، كتاب القبائل الكبير ، كتاب أمّهات أعيان بني عبد المُطّلِب ، كتاب الأرحام التي بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين أصحابه سوى العَصَبة (ما عدا أعمامه من بني هاشم) ، كتاب المُحبَّر والموشّى (كلاهما في التاريخ) الخ . أما كتبه المتعلّقة بالأدب فمنها : كتاب المنمّق (مجموع أمثال على « أفعل ») ، المذهّب في أخبار الشعراء وطبقاتهم ، نقائض جرير وعمر بن لجأ ، نقائض جرير والفرزدق ، كتاب من سُمّيَ ببيت قاله ، كتاب الشعراء وأنسابهم ، كتاب كُنى الشعراء ، كتاب أيام جريرٍ التي ذكرها في شعره ، ديوانِ زُفَرَ بن الحارث ، كتاب شعر الشمّاخ ، شعر الأُقيشر ، شعر الصِمّة ، شعر لَبيد .

– مختلف القبائل (فستنفلد) ، غوتنغن ١٨٥٠ م .

** الفهرست ١٠٦ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٢٧٧ – ٢٧٨ ؛ طبقات الزبيدي ١٥٣ – ١٥٤ ، ٢١٦ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ١١٢ – ١١٧ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣٢٢ ؛ انباه الرواة ٣ : ١١٩ – ١٢١ ؛ بغية الوعاة ٢٩ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٥ ، الملحق ١ : ١٦٥ – ١٦٦ ؛ زيدان ٢ : ٢٢٥ – ٢٢٦ .

دعبل بن عليّ الخزاعيّ

١ – هو دِعْبِلُ بنُ عليِّ بنِ رَزينٍ من بني خُزاعةَ ، وُلِدَ في الكوفة ، سَنَةَ ١٤٨ ه (٧٦٥ م) ، ونشأ فيها يُعاشر المُجّان والخُلعاء . ثمّ إنّه انتقل إلى بغدادَ ، في أولِ شَبابه ، فلَقِيَ فيها مُسْلِمَ بنَ الوليدِ فعُنِيَ

به مسلمٌ وكان أستاذَه في نَظْمِ الشِعر .

في سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) جاء هرونُ الرشيدُ إلى الخلافة فأوصلَ مُسْلِمُ بنُ الوليدِ تِلْميذَه دِعْبِلاً إلى الخَليفة الجديد . ولكنّ هرون الرشيدَ لم يَحْفِلْ بهذا الشابِ ، فآثرَ دِعْبِلُ أنْ يُغادرَ بَغدادَ لِيتَطوّفَ في البلادِ مُتَكَسِّباً .

في سنة ١٧٣ هـ (٧٨٩ م) ، خَلَفَ العباسُ بن جعفر بن محمّدِ بن الأشعث أباه في وِلاية نيسابور ، فجعل دِعبِلاً عاملاً له على سَمَنْجان من بـلاد طُخارستان ، ولعلّ شيئاً من القَرابة كان يجمع بين العباس وبين دِعبلٍ . ويبدو أن عملَ دعبلٍ على سمنجانَ انتهى بانتهاء ولاية العبّاس على نيسابور (١٧٤ هـ) ، فعاد دِعْبِلٌ إلى بَغدادَ واستقرّ فيها مُدّةً طويلةً كانت صِلَتُه في أثنائها بِبَلاطِ هرونَ الرشيدِ وثيقةً . غير أن دِعْبِلاً آثرَ أن يُغادرَ البَلاطَ بعدَ نَكْبة البرامكة (١٨٧ هـ = ٨٠٣ م) خوفاً من أنْ تَعُمَّه نِقْمةُ الرشيد .

ثم عادَ العبّاسُ بن جَعْفَر بنِ محمّدِ بنِ الأشعثِ إلى وِلايـة نيسابورَ (١٩٣ هـ ، ٨٠٩ م) ، ولكننّا لا نَعْلَمُ إذا كان دِعْبِلٌ قد عاد مَعَه إلى عَمَلٍ ما في تلك النواحي . غير أنّ الذي نَعْلَمُه أنّ الفضلَ بنَ سَهْلٍ وَزَرَ للمأمونِ (١٩٦ هـ = ٨١٢ م) ، والمأمونُ بَعْدُ في مَرْو ، فولّى مُسْلِمَ ابنَ الوليدِ الشاعرَ وأستاذَ دِعْبِلٍ عَمَلاً من أعمال خُراسان ، فذهب دعبلٌ إلى مُسْلِمٍ ومدحه .

وبعدَ مَقْتَلِ الأمينِ في ٢٦ من المُحرّم من سنة ١٩٨ هـ (٢٦-٩-٨١٣ م) زادَ اضطرابُ الأحوالِ في بَغدادَ فآثرَ دِعْبِلٌ أن يَسير في تلك السنة إلى الحجّ . وما كاد مَوْسِمُ الحجّ ينتهي حتى تولّى أبو القاسم المطّلبُ بنُ عبدِ الله ابنِ مالكٍ الخُزاعيّ مِصْرَ للمرّة الثانية (١٩٩ - ٢٠٠ هـ) فسارَ إليه دِعْبِلٌ ومدحه ، فأجاز المطّلبُ دِعْبِلاً ثم جَعَلَه عاملاً على أُسْوان . ولكنْ سَرْعانَ ما وقعتِ الوَحْشةُ بينَ المطّلبِ ودعبلٍ فعادَ دِعبلٌ وشيكاً إلى بَغدادَ . فلما نَصَبَ نفرٌ من العبّاسيين إبراهيمَ بن المَهديّ خليفةً في بغدادَ مُنافسةً للمأمون ، في ٢٥ من ذي الحجّة ٢٠١ هـ (١٤-٧-٨١٧ م) هجا دِعبلٌ ابراهيمَ بنَ العباس والعباسيين .

ثم دخل المأمون بغدادَ (٢٠٤ هـ = ٨١٩ م) ونال دِعبلٌ شيئاً من الحظوةِ فسكت حيناً عن هجاءِ العباسيين ، لأنّ المأمون كان لا يزالُ يُحاسِنُ العلويين . فلما ترك المأمون لباسَ الخُضرةِ شعارَ العلَويين وعاد إلى لُبسِ السّوادِ شعارَ العباسيين وقلّبَ للعلويين ظهرَ المِجَنّ استأنفَ دِعبلٌ هجاءَ العباسيين وهجاء رجالِ دَولتهم ، وعظُمَ هجاؤه على المُعتصم والمُتوكّل خاصّةً ، وكان قد غادرَ بغدادَ إلى البصرة .

ونَشِبَتْ بينَ دِعبِلٍ وبينَ أبي سَعْدٍ عيسى بنِ خالدٍ المخزوميِّ الشاعرِ عَداوةٌ ومُهاجاة ومُناقضة : أبو سعْدٍ يهجو اليمَنَ ويفتخرُ بقيسٍ ، ودعبِلٌ يهجو قيساً ويمدح اليمن . فأخذ عاملُ البصرة دِعبِلاً وسجنه مدةً ثم أطلق سَراحه ؛ فأراد دِعبل أن يرحَلَ عن العِراق فسار إلى الأهواز ، ولكنْ أدركه رجلٌ عند بلدة الطيّب (٢٤٦ هـ = ٨٦٠ م) ، وقتله بتحريض من مالكِ بن طَوْقٍ ، فيما قيل .

٢ — كان دِعبِلُ بنُ عليٍّ الخُزاعيّ شاعراً متقدّماً مطبوعاً مُجيداً بديعَ المعاني متينَ التركيب له مديحٌ وغزل جيّدان ، ومدائحُه في آل البيتِ أحسنُ شعرِه ومنْ أحسنِ الشعر . ومعَ تطرّفه في عصَبيّته وتَشيّعه ، فإنّنا نَلْمَحُ أنّ تشيّعَه لا يزالُ التشيّعَ السياسي : نِقْمةً شديدةً على ما فعله رجالُ الدولتين الأمويّة والعبّاسية بعليٍّ بن أبي طالبٍ وبآلهِ في أيامه وبعد أيّامه . وللدعبلِ وصفٌ بارع للفلَوات وهجاء كثير فاحش . وكان دعبلٌ صديقاً للبحتري متعصباً على أبي تمّام برُغم أنّ ميولَ أبي تمّامٍ كانت علَويّةً ظاهرةً ، وأن المأمون كان قد قَطَعَهُ من أجلها .

وكذلك كان دِعْبِلٌ من رُواةِ الشعر ونُقّادِهِ ومن أهلِ التصنيف في التاريخ والشعر والشعراء ، ولكن لم يَصِلْ الينا شيء من الكُتُبِ التي يُنْسَبُ تأليفُها إليه .

٣ — المختار من شعره

— قال دِعْبل بن عليّ قصيدة بارعة رقيقة في آل رسول الله ، وقد أثبت ياقوت (معجم الأدباء ١١ : ١٠٣ — ١١٠) ما صحّ من هذه القصيدة عنده فكان

خمسة وأربعين بيتاً ، منها :

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تِلاوةٍ ومَنزلُ وحيٍ مقفرُ العَرَصاتِ [1]
لآلِ رسولِ الله بالخَيْف من مِنَى وبالرُّكْن والتعريف والجَمَرات [2] :
ديارُ عليٍّ والحسين وجعفرٍ وحمزةَ والسجّادِ ذي الثَّفِنات [3] .
قفا نسألِ الدارَ التي خفَّ أهلُها : متى عهدُها بالصوم والصلوات ؟
ملامَكَ في أهل النبيِّ ، فإنّهم أحبّايَ ما عاشوا وأهلُ ثِقاتي [4] ؛
تَخَيَّرتُهم رُشداً لأمري ، فإنهم على كل حال خِيرة الخِيَرات .
فيا ربِّ ، زِدْني من يقيني بَصيرةً ؛ وزِدْ حُبَّهم ، يا ربِّ ، في حَسَناتي .
ألم ترَ أني مُذْ ثلاثينَ حِجَّةً أروحُ وأغدو دائمَ الحسرات :
أرى فَيْئَهم في غيرهم مُتَقَسَّماً ، وأيدِيَهُمْ من فَيْئِهم صَفِرات [5] .
فآلُ رسولِ الله نُحْفٌ جسومُهم ، وآلُ زِيادٍ حُفَّل القَصَرات [6] .
بناتُ زيادٍ في القصور مَصونةٌ ، وآلُ رسولِ الله في الفَلَوات .
إذا وُتِروا مدّوا إلى واتِريهِمُ أكُفّاً من الأوتارِ مُنْقَبِضات [7] !

---

١ العرصة (بفتح فسكون) : البقعة الواسعة أمام البيوت لا بناء فيها .

٢ منى والركن والتعريف والجمرات من مناسك الحج . بعد التعريف (الوقوف في عرفة) يبيت الحجاج في منى. وفي اليوم التالي يضحون (يذبحون الاضحيات) . والجمرات في المحصب حيث يلقي الحجاج سبع حصيات رمزاً لرجم الشيطان .

٣ علي بن أبي طالب وابنه الحسين وجعفر بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب (عم الرسول) والسجاد علي بن الحسين بن أبي طالب (زين العابدين) . الثفنة (بفتح فكسر) : البقعة المتصلبة من الجلد . — كان لزين العابدين ثفنات في المواضع التي تمس منه الأرض في سجوده (جبهته وكفيه وركبتيه) لكثرة صلاته .

٤ ملامك = كفي ملامك (لومك) عني : لا تلوميني (على حب أهل بيت النبي) .

٥ الفيء : النصيب من مال الدولة (من الحرب والأرض المأخوذة سلما بلا قتال) . صفرات (بكسر فسكون) : خالية .

٦ زياد : زياد بن أبيه . كان مقتل الحسين بن علي في أثناء ولاية عبيد الله بن زياد على العراق . حفل القصرات ممتلئة الرقاب (كناية عن السمنة والتنعم) .

٧ — إذا ظلموا (إذا ظلمهم أعداؤهم : بنو أمية) كانوا يضطرون إلى أن يمدوا أيديهم الى بني أمية ليطلبوا اليهم أن ينصفوهم . ولكن أيديهم كانت لا تطاوعهم (كانت أعصاب أيديهم تأبى الامتداد كبراً وتعالياً أو أنها كانت جافة لشظف عيشهم فلا يمكن أن تمتد) . الاوتار جمع وتر (بفتح ففتح) : العصب في الجسم ؛ وجمع وتر (بكسر فسكون) : ثأر .

– قال دعبل بن علي في الشيب :

أينَ الشبابُ ؟ وأيــةً سَلَكا ؟ ... لا ، أين يُطلَبُ ؟ ضلَّ ، بل هلَكا !
لا تَعْجَبي ، يا سَلْمَ ، من رجلٍ ... ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى .
يا ليت شعري كيف يومُكما ، ... يا صاحبيّ ، إذا دَمي سُفِكا ؟
لا تأخذا بظُلامتي أحــداً ؛ ... قلبي وطَرْفي في دمي اشتركا ! [١]

– وقال دعبل (الكامل ٤٧٦) :

ولَوْ أنّي بُليتُ بهاشميٍّ ... خُؤولَتُه بنو عبدِ المَدانِ
لَهانَ عليّ ما ألقى ؛ ولكنْ ... تعاليْ فانْظُري بِمَنِ ابْتَلاني !

٤ – ديوان دعبل بن عليّ الخزاعي (جمع عبد الصاحب الدجيليّ) ، النجف (مطبعة الآداب) ١٩٦٢ م .

ديوان دعبل بن عليّ (محمد يوسف نجم) ، بيروت (دار الثقـافة) ١٩٦٢ م .

شعر دعبل بن عليّ الخزاعي (صنعه الدكتور عبد الكريم الاشتر) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٩٦٤ م .

** أعيان الشيعة ، تأليف السيد محسن الأمين ، الجزء الأوّل ، بيروت (مطبعة الانصاف) ١٩٦٠ م .

دعبل الخزاعي ، للسيّد محمد محسن الأمين ، دمشق (مطبعة الاتقان) ١٣٦٨ هـ (هو ترجمة الشاعر في الجزء الثلاثين من أعيان الشيعة للسيّد محمد محسن الأمين نفسه) .

حياة دعبل الخزاعي ، لبدر المقداد ، دمشق ١٩٥٤ م .

دعبل الخزاعي ، لجرجس كنعان ، بغداد (مطبعة الهلال) بلا تاريخ .

ما كتب عن الشاعر دعبل بن عليّ في القديم والحديث (دراسة نقد وتقويم للأستاذ عبد الكريم الأشتر – في مجلّة المجمع العلمي العربي

---

٨ الظلامة : ما يحتمله الإنسان من الظلم ، ما لا قدرة له على دفعه . – طرفي (بصري) رأى الجمال ، وقلبي أحب ، فليس لأحد غيرهما في ذلك ذنب .

في دمشق ، نيسان ـ ابريل ١٩٦٣ م ، ص ٢٢١ وما بعدها) .
ـ وقد طبع هذا البحث على حدة باسم :
شعر دعبل بن عليّ الخزاعي (راجع البحث السابق) .
دعبل بن عليّ الخزاعي شاعر آل البيت (دراسة تحليلية لحياته وشعره) للدكتور عبد الكريم الاشتر ، دمشق (دار الفكر) ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٤ م .
ثلاثة من الأعلام (الشريف الرضيّ ، دعبل الخزاعي ، عكاشة العميّ) ، تأليف خليل رشيد ، النجف (مطبعة الغريّ الحديثة) ١٩٥٥ م .
الملحق بشعر دعبل (انظر : شعر دعبل بن عليّ الخزاعي) .
دعبل بن عليّ الخزاعي شاعر آل البيت ، تأليف علي عبد عبدان الخزاعي ، بغداد (المطبعة العلمية) ١٩٦٥ م .
طبقات ابن المعتزّ ٢٦٤ ـ ٢٦٨ ؛ الاغاني ١٨ : ٢٩ ـ ٦١ ؛
** الفهرست ١٦١ ؛ تاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢ ـ ٣٨٥ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٩٩ ـ ١١٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٣١٧ ـ ٣٢٠ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١١١ ـ ١١٢ ؛ اعيان الشيعة ٣٠ (١٩٤٩ م) : ٢٦٠ ـ ٣٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٧٧ ، الملحق ١ : ١٢١ ـ ١٢٢ ؛ زيدان ٢ : ٨٠ .
Enc . Isl . (new ed) II 248 - 9

عليّ بن الجهم

١ ـ كان في قُرَيْشٍ فرعٌ يُدعى قريشاً العازبةَ لأنهم سكنوا في البَحْرين . ثم ان قسْماً من هؤلاء هاجروا إلى مَرْوَ ، وفيهم آلُ الجَهْم . وفي أوائل الدولة العبّاسيّة عادَ الجَهْمُ بنُ بدرِ بن الجهمِ إلى بغدادَ .

وُلدَ عليّ بن الجهم في بغدادَ ، سنة ١٨٨ هـ (٨٠٤ م) ، ثم نشأ يقرأ كُتُبَ الفلسفة ويُناظر في قضايا علم الكلام ويهاجم المُعتزلة ويُجادِل الزنادقةَ . ولكنّ حُبّ الأدب وقولَ الشعْر غلبا عليه . وقد كان صديقاً حميماً لأبي تمّام .

وحَظِيَ عليٌّ بن الجهم في مَطلعِ حياته عند نفرٍ من خلفاء بني العبّاس فولاّه المعتصمُ ديوانَ المظالم في حُلوان ، وقد كان في هذا المَنْصِب سنة ٢٢٢ هـ (٨٣٧ م) . ثم عَظُمتْ منزلةُ ابن الجهم عند المتوكّل إلى أنَ أفسد الحُسّاد بينهما فأبعده المتوكّلُ ، سنة ٢٣٩ هـ (٨٥٣ - ٨٥٤ م) إلى خُراسان ، وكتب إلى واليها طاهرِ بن عبد الله بن طاهر بأنْ يَصْلُبَه من الصباح إلى الليل ، فصلبه طاهرٌ ثم أعاده إلى السجن .

ورَضِيَ المتوكّلُ عنِ ٱبنِ الجَهْم فعاد ٱبنُ ٱلجهم إلى بغدادَ ، سَنَةَ ٢٤٠ أو ٢٤١ هـ (٨٥٥ م) وعاش فيها مُهْمَلاً عيشةَ لَهْوٍ وفِسق . وبعد وفاة المتوكّل (٢٤٧ هـ) بعامين سار ابن الجَهْم إلى غَزْوِ الروم ، ولكنّ جماعةً من أعرابِ بني كَلْبٍ خرجوا عليه وعلى من مَعَه فجُرِح هو في أثناء القتال فحمله أصحابه عائدين به إلى بغداد ، ولكنّه توفّي على مَرْحَلة من حَلَبَ ، في مَوْضِعٍ يُقال له خُساف ، سنة ٢٤٩ هـ (٨٦٣ م) .

٢ - عليّ بن الجَهْم شاعرٌ مطبوع جَزْلُ الألفاظِ صحيحُ السَبْك مَعَ سهولة في التركيب ووُضوح في المعنى ، ثم هو من الفُضلاء في علمِ الشعر وفي صناعته (العمدة ١ : ١٧٠) . وابنُ الجهم قديرٌ على التصرّف بالمعاني قليلُ الاحْتفال بالصناعة حتّى إنه يَتْرُكُ قصائدَه في بعضِ الأحيانِ غيرَ مُصَرَّعةٍ ؛ وشعره فيّاضُ العاطفة عَذْبٌ في التلاوة . أما فنون شعره فهي الغزل والفخر والحكمة والهجاء ، وهو يُجيد الهجاءَ ، إذْ هو قادر على أن يُصيب به حيثُ شاءَ مَعَ الإقذاع . ثم هو قليلُ الرَغبة في التكسّب بشعره لم يَمْدَحْ إلا الخلفاءَ ؛ وغزلُه بارع عذب الألفاظ يُجيد فيه تصوير الشوقَ ويُجريه في حُوارٍ بَينه وبين النساء . وهو مُجيد للوصف ، وخصوصاً في وصف الطبيعة الحيّة والجامدة من نباتٍ وحَيَوانٍ وقُصورٍ . وله مُجونٌ استطاعَ أن يُجْرِيَه في اللفظ البريء .

٣ - المختار من شعره

- قال علي بن الجَهْم لما حَبَسَهُ المُتَوَكِّلُ :

قالتْ : «حُبِسْتَ !» فقلتُ : ليس بضائرٍ حَبْسي ، وأيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ ؟

أوَما رأيتِ اللّيْثَ يألَفُ غيلَهُ ... كِبْراً ، وأوْباشُ السباع تَرَدّدُ [1] !
والشمسُ لولا أنها مَحْجوبةٌ ... عن ناظرَيْكَ لما أضاء الفَرْقَدُ [2] .
والبَدرُ يُدْرِكُه السِرار فتَنْجَلي ... أيّامُه وكأنّه مُتَجَدِّد [3] .
صَبْراً فإنّ الصبرَ يُعْقِبُ راحةً ، ... ويدُ الخليفةِ لا تُطاوِلُها يَدُ .
والحبسُ ما لم تَغْشَهُ لِدَنِيّةٍ ... شَنْعاءَ ، نِعْمَ المَنزِلُ المُتَوَرَّدُ [4] !

– ولما صُلِبَ في الشاذياخ بخُراسانَ قال :

لم يَنْصِبوا بالشاذياخ صَبيحةَ الـ ... اثْنَيْنِ مَغْموراً ولا مجهولا .
نَصَبوا – بحمدِ الله – مِلْءَ عُيونِهمْ ... شَرَفاً ومِلْءَ صُدورِهم تَبْجيلا .
هلْ كان إلاّ الليثُ فارقَ غيلَه ... فرَأيْتَهُ في مَحْمِلٍ محمولا .
ما عابه أن بُزّ عنه لِباسُه ؛ ... فالسيفُ أهولُ ما يُرى مسلولا !
إنْ يُبْتَذَلْ فالبدرُ لا يُزْري بِه ... أن كان ليلةَ تِمّه مبذولا [5] .
أو يَحْبِسوه فليسَ يُحْبَسُ سائرٌ ... من شعره يَدَعُ العزيزَ ذليلا !
إنّ المصائبَ – ما تعدّتْ دِينَهُ – ... نِعَمٌ ، وإنْ صَعُبَتْ عليه قليلا [6] .
واللهُ ليسَ بغافلٍ عن أمرِهِ ؛ ... وكَفَى بربّك ناصراً ووَكيلا !
هل تَمْلِكون لدينِه ويَقينِه ... وجَنانِه وبَيانِه تبديلا ؟
لم تَنْقُصوه وقد ملَكْتُمْ ظُلمَه ؛ ... ما النقصُ إلاّ أن يكون جَهولا.
كادت تكون مصيبةً لو أنّكم ... أوضحتمُ ذَنْباً عليه جَليلا .
أو كان سَفّ [7] إلى الدَنيّةِ ، أو رأى ... غيرَ الجميل من الأمور جميلا !

---

١ الغيل : الشجر الملتف . السبع : كل ذي ناب وظفر ، الحيوان المفترس . الأوباش : الأخلاط والسفلة . أوباش السباع : السباع الضعيفة والمحتقرة مثل بنات آوى والكلاب والجرذان . تردد : تتردد ، تروح وتجيء حرة .

٢ الفرقدان : نجمان معروفان . والمقصود بالفرقد هنا : النجم مطلقاً .

٣ السرار : آخر الشهر القمري ، ولا يكون للقمر فيه نور ، ومع ذلك فان ذلك يكون ايذاناً بتجدد القمر .

٤ المتورد : الذي يدخله الناس .

٥ مبذول : ظاهر للعيون غير محجوب عن أحد (لأنه مرتفع ، عال) .

٦ – إذا لم تنزل المصائب بدين المرء فهي نعم (لأنها تزيد في اختباره من غير أن تعرضه لخسارة حقيقة) .

٧ انحدر ، نزل .

– ولعلي بن الجَهْم قصيدةٌ مشهورة بمطلعها في الغزل مدح فيها المتوكلَ . ولا ريبَ في أنها من أحسن الشعر أيضاً :

عُيونُ المَها بينَ الرُّصافةِ والجسْرِ ... جَلَبْنَ الهوى من حيثُ أدري ولا أدري[1] .

أعَدْنَ لِيَ الشوقَ القديمَ ولم أكُـنْ ... سَلَوْتُ ، ولكنْ زِدتُ جمراً على جمر .

ولكنّه أوْدَى الشبابُ ، وإنمـا ... تُصادُ المَها بين الشبيبة والوَفر[2] .

وبتْنا ، على رُغم الوُشاة ، كـأنّنـا ... خليطان من ماء الغَمامة والخمر .

خليليّ ، ما أحلى الهوى وأمَـرَّه ... وأعلمَني بالحُلو فيه وبالمُرّ !

بما بينَنا من حُرمةٍ ! هل رأيتُمـا ... أرقَّ من الشكوى وأقسى من الهَجر ؟

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَهـا ... لجارتِها : « ما أوْلَعَ الحُبَّ بالحرّ ! » [3]

فقالت لها الأُخرى : « فما لِصَديقنـا ... مُعَنًّى ؟ وهل ، في قتلهِ ، لكِ من عُذر ؛

صِليهِ لَعلّ الوصلَ يُحيِيه ، واعْلمي ... بأنّ أسيرَ الحُب في أعظم الأسر » .

وأيقَنَتا أنْ قدْ سَمِعْتُ ، فقالتا: ... «منِ الطارقُ[4] المُصْغي إلينا وما ندري ؟»

فقلتُ : « فتىً إنْ شِئتُما كَتَمَ الهوى ، ... وإلاّ فخَلاّعُ الأعِنّةِ والعُذْر » [5] .

فقالتْ : « كأنّي بالقوافي سَوائـراً ... يَرِدْنَ بنا مِصْراً ويَصْدُرْنَ عن مِصر»[6] .

فقلتُ : « أسأتِ الظنّ ، لستُ بشاعرٍ ؛ ... وإنْ كان أحياناً يَجيش به صدري .

صِلي واسألي مَنْ شِئتِ يُخبِرْكِ أنني ... على كلّ حال نِعْمَ مُستودَعُ السر ! »

وما أنا ممّن سار بالشعر ذِكْرُهُ ، ... ولكنّ أشعاري يسير بها ذِكري .

وما الشعرُ ممـا أسْتَظِلُّ بظلّـه ، ... ولا زادني قَدراً ولا حطّ من قدري .

ولكنّ إحسانَ الخليفةِ جعفرٍ ... دعاني إلى ما قلت فيه من الشعر ،

---

١ الرصافة : الجانب الشرقي من بغداد . الجسر : الجسر الذي يصل الرصافة بالكرخ (الجانب الغربي) .

٢ أودى ، ذهب ، هلك ، انقضى . الوفر : وفرة الشعر ، كثرته (في أيام الشباب) .

٣ .... – ما أكثر علوق الحب بالرجل الحر (النبيل السامي الخلق) .

٤ الآتي ليلا .

٥ كتم الهوى : صبر على الحب . خلاع الاعنة (العنان بكسر العين : الرسن) والعذر (العذر بضمتين جمع عذار بالكسر : جانب اللحية) : سلك سلوك الصغار في السن ، انهمك في الغي ، انغمس في الملذات .

٦ .... شهرتنا في الشعر ، فأصبحت قصائدك فينا تنتقل من مصر (بلد) إلى مصر .

فسار [1] مسيرَ الشمسِ في كل بلدة ، وهبّ هُبوبَ الريح في البر والبحر .
ولو جَلّ عن شُكر الصَّنيعة مُنْعِـمٌ لَجَلّ أميرُ المؤمنين عن الشكر .
ومن قال إن البحر والقَطْر [2] أشْبَهـا نَداه فقد أثنى على البحر والقطر .
ولو قُرِنَتْ بالبحر سبعةُ أبحـرٍ لَمَا بلغت جَدْوى أناملِه العَشْر [3] .
ولا يجمعُ الأموالَ إلّا لِبَذْلِها ، كما لا يُساق الهَدْيُ إلاّ إلى النَّحر [4] !
وفرّقَ شملَ المال جودُ يمينِه ، على أنّه أبقى له حَسَنَ الذِكْر .
إذا ما أجال الفكرَ أدرك فكـرُهُ غرائبَ لم تَخْطُرْ ببالٍ ولا فِكر .
أغيرَ كتابِ اللهِ تَبْغونَ شـاهداً لكم ، يا بني العباسِ ، بالمجد والفخر ؟
كفاكُمْ بأنّ اللهَ فوّض أمرَهُ اليكم ، وأوْحَى أنْ أطيعوا أُولي الأمر [5]

٤ — ديوان علي بن الجَهْم (عني بتحقيقه خليل مردم) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م) .

** طبقات ابن المعتزّ ٣١٩ — ٣٢٢ ؛ تاريخ بغداد ١١ : ٣٦٧ — ٣٦٩ ؛ الاغاني ١٠ : ٢٠٣ — ٢٣٤ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٩ — ٤١ ؛ بروكلمان ١ : ٧٨ ، الملحق ١ : ١٢٣ ؛ زيدان ٢ : ٨٩ — ٩١ .
Enc . Isl . (new ed) I 386 .

أبو عثمان المازنيّ

هو أبو عُثمانَ بكرُ بن محمّدِ بن بَقيّةَ (أو ابن عَدِيّ) بن حبيبٍ المازنيّ النحويّ ، وهو من بني شَيْبان بن ذُهْل ثم من بني بكرِ بن وائلٍ . وقيل بل

١ فسار شعري ....
٢ المطر .
٣ الجدوى : الجود ، الكرم . يلمح في هذا البيت قوله تعالى : « ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، ما نفدت كلمات الله » (٣١ : ٢٧) ؛ قل : لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ، ولو جئنا بمثله مدداً » (١٨ : ١٠٩) .
٤ الهدي : الحيوانات الاليفة (الجمل ، البقر ، الضأن) التي تضحى (تذبح) في عيد النحر .
٥ فوض أمره اليكم : جعلكم خلفاء تحكمون في خلقه . وفي القرآن الكريم (٤ : ٥٨) : « يا أيها الذين آمنوا ، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » .

كان مولىً لبني سَدوس ٍ ثم نزل في بني مازن ٍ بن شَيبانَ فنُسِبَ اليهم .

وُلِدَ أبو عثمان المازني في البصرة ، نحو ١٧٥ هـ (٧٩١ م) . وقد أخذ عن الأصمعي وأبي زيد الانصاري والجَرميّ . ثمّ انه وَرَدَ بغدادَ في أيام المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ) فأخذ عنه أهلُها . وجاء إلى سامرّا في أيام الواثق (٢٢٨ — ٢٣٢ هـ) مرّة أو مرّتين ثم في أيام المتوكّل .

وكانت وفاة المازني في البصرة سنة ٢٤٩ هـ (٨٦٣ م) في الاغلب .

كان أبو عثمان المازني أحدَ أئمّةِ اللغة والنحو والأدب وروايةِ الشعر في زمانه ثِقةً فيها كلّـِها . وكان أيضاً حاذقاً في عِلْمِ الكلام ، كان إماميّـاً (شيعياً) ويقول بالإرجاء (معجم الأدباء ٧ : ١٠٨) ، وقيل بل كان معتزلياً (مثله ١٢٥) . وله شعرٌ قليل .

وللمازني من الكتب : كتاب في القرآن ، كتاب ما يَلْحَنُ فيه العامّة ، كتاب الألف واللام ، كتاب التصريف ، كتاب علل النحو ، كتاب تفسير كتاب سيبويه ، كتاب الديباج في جوامع كتاب سيبويه على خلاف كتاب أبي عبيدة ، كتاب العَروض ، كتاب القوافي .

— ** الفهرست ٥٧ ؛ تاريخ بغداد ٩٣ — ٩٤ ؛ طبقات الزبيدي ٩٢ — ١٠٠ ؛ معجم الأدباء ٧ : ١٠٧ — ١٢٨ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٦٢ — ١٦٤ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٤٦ — ٢٥٦ ؛ بغية الوعاة ٢٠٢ — ٢٠٣ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١١٣ ؛ بروكلمان، الملحق ١ : ١٦٨ ؛ زيدان ٢ : ٢٠٨ — ٢٠٩ .

محمّد بن صالح العَلَويّ

١ — هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بن صالحِ بنِ عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن حسنِ بن حسن بن عليِّ بن أبي طالب ، لا نَعْرِفُ من تفاصيلِ حياتِه إلاّ إشارةً إلى اشتراكه ، سنة ٢٤٠ هـ (٨٥٤ — ٨٥٥ م) ، في ثورةٍ على الخليفةِ المتوكّل نَشِبَتْ في مِصرَ والحِجاز . وبعد القضاءِ على هذه الثّورةِ حُمِلَ محمدُ بن صالحِ العلويّ من الحجاز إلى سامرّا وأُلْقِيَ في السجن ثلاثةَ أعوامٍ .

ثمّ انه مدحَ المتوكّلَ فأطلق المتوكّلُ سَراحَه ، ولكن لم يسمحْ له بالرجوع إلى الحجاز ، في الأغلب .

بقي محمدُ بن صالحٍ العلويّ في سامرّا بقيةَ عُمُرِهِ ثم جُدِرَ وتُوُفّيَ فرثاه سعيدُ بن حُميدٍ صاحبُ فضلَ الشاعرةِ ، وعلى هذا تكون وفاته قبلَ سنة ٢٥٠ ﻫ (٨٦٤ م) .

٢ – محمّدُ بن صالحٍ العلويّ حجازيٌّ ظريفٌ صالحُ الشِعرِ مُكثّر ؛ وفنون شعره المدح والغزل الرقيق والفخر والهجاء وشيء من الوصف .

٣ – المختار من شعره

– قال محمّد بن صالح العلوي لمّا حبسه المتوكّل في سامرّا :

طَرِبَ الفؤادُ وعاوَدَتْ أحزانُهُ ، وتَشَعّبت شُعَباً به أشجانُه [١] .
وبدا له من بعدِ ما انْدَمَلَ الهوى برْقٌ تَألّقَ مَوْهِناً لمَعانه [٢] :
فالنارُ ما اشْتَمَلَتْ عليه ضُلوعُه ، والماءُ ما سَحّتْ به أجفانه [٣] .
وبدا له أنّ الذي قد نالَـهُ ما كان قَدّرَهُ له دَيّانه [٤] .
يا قلبُ ، لا يَذْهَبْ بحِلْمِكَ باخِلٌ بالنَيْلِ باذلُ تافهٍ مَنّانه [٥] ،
يَعِدَ القضاءَ وليس يُنْجِزُ مَوْعِداً ، ويكونُ قَبل قَضائه لِيّانه [٦] .

– مرّ محمد بن صالح العلوي بقبرٍ لبعضِ وَلَدِ المتوكّل فرأى الجواريَ يَلْطِمْنَ عنده فقال :

---

١ طرب : هاج ، تأثر (فرحاً أو حزناً ، وهنا : من الحزن) . عاود : عاد أو رجع مرة بعد مرة . تشعبت شعباً به أشجانه (أحزانه) : خيلت له أشياء سيئة كثيرة (قتله ، بقاءه في السجن طويلا ، الخ) .

٢ موهناً : نصف الليل . بعد ما اندمل الهوى : بعد أن كان نسي الحب (لوجوده في السجن) .

٣ – نور البرق كان من النار التي بين ضلوعه ، والمطر الذي سح (هطل بكثرة) كان مما سحت به أجفانه (من دموعه) .

٤ ديانه ، ربه (الله) . – كان حبسه بتقدير من الله .

٥ لا يذهب بحلمك باخل : لا ينسك تعقلك ورصانتك باخل (فتاة جميلة تبخل بالوصل على عشاقها) . النيل (هنا) : الوصل ، الوصال . باذل تافه : (فتاة) تجود بشيء تافه (قليل ، لا قيمة له : بابتسامة مثلا أو بوعد) . منانه (ثم تمن على المحبين بما فعلت من الشيء التافه) .

٦ يعد القضاء (الوفاء بالوعد) . الليان (بكسر اللام) اللي (بفتح اللام) : المطل ، إخلاف الوعد .

رأيتُ بسامَرّا صبيحةَ جُمْعَةٍ عُيوناً يَروقُ الناظرين فُتورُها [1] ،
تَزورُ العِظامَ الباليات لَدى الثّرى ؛ تجاوَزَ عن تلك العِظامِ غَفورها [2] !
فلولا قضاءُ اللهِ أن تُعْمَرَ الثرى إلى أن يُنادى يَومَ يُنْفَخُ صُورُها [3] ،
لَقُلْتُ عساها أنْ تَعيشَ ، وإنّها ستُنْشَرُ مِن ْجرّا عيون تَزورها [4] .
أسِيلاتُ مَجْرى الدمعِ إمّا تَهَلّلَـتْ شُؤونُ المَآقي ثمّ سَحّ مَطيرها [5]
بِوَبْلٍ كأتْوامِ الجُمانِ يُفيضُـه على نَحْرها أنفاسُها وزفيرها [6] .
فيا رَحْمتا ما قد رَحِمْتُ بَواكيـاً ثِقالاً تَواليها لِطافاً خُصورها [7] .

— ولمّا خطب محمد بن صالح العلويّ ابنةً لعيسى بن موسى العبّاسيِّ ردّه عيسى بن موسى خوفاً من غَضَبِ المتوكّل ، فقال محمد بن صالح يذكر ذلك ثم يفتخر :

خطبتُ إلى عيسى بن موسى فرَدّني ؛ فللّهِ والي حُرّةٍ وعَليقُها [8] .
لقد ردّني عيسى — ويَعْلَمُ أنّـني سُليلُ بَناتِ المُصْطفى وعَريقها [9] ؛

---

١ الفتور (في العين) : الانكسار والذبول (من التنعم وقلة المبالاة بأمور الجد في الحياة) .
٢ العظام الباليات : (الموتى) . غفورها = الغفور : الله .
٣ و ٤ — لولا أن الله قد قضى بأن تظل الارض مملوءة بأجساد الموتى حتى ينادي المنادي (يوم القيامة) بعد النفخ في الصور (آلة تحدث صوتاً) تلك الاجساد الهامدة أن تقوم من قبورها (للحساب) لقلت ان أمثال هذه العيون تحيي الموتى .... من جرا = من جراء : بسبب ، من أجل ذلك ....
٥ أسيلات (طويلات) مجرى الدمع (الخدود) . امـا = إن ما : اذا ما ، اذا . تهلل المطر : سقط ، هطل . شؤون جمع شأن : العرق الذي يوصل الدمع إلى العين . المآقي جمع مأق ، مؤق وماق ومؤق الغ : طرف العين مما يلي الأنف ، مجرى الدمع من العين .
٦ الوبل : المطر الشديد . الاتوام غير موجودة في القاموس = توائم وتؤام (بضم التاء وفتح الواو) : (في الأصل) : المولود مع أخ له في بطن واحد ، الذي يشبه شيئاً آخر حتى كأنه هو . الجمان جمع جمانة : اللؤلؤة الكبيرة .
٧ فيا رحمتا ما قد رحمت : ما أكثر ما رحمت (أشفقت) — لقد أشفقت كثيراً على تلك البواكي (الجواري الباكيات من الحزن على ذلك القبر) . ثقال تواليها : (أردافها ، الجزء الأوسط من جسمها — يصفها بكبر الارداف) . لطاف جمع لطيفة : نحيلة ، نحيفة .
٨ الحرة : المرأة الحرة : الجميلة الشريفة . واليها : الوالي عليها ، القيم عليها (أبوها ....) عليقهـا : عاشقها ، محبها . فلله والي حرة وعليقها : أنصف الله محب تلك المرأة من وليها !
٩ سليل (من نسل) بنات المصطفى (المصطفى : محمد رسول الله) . العريق : القديم (البين النسب ، الذي لم يختلط نسبه بغير أفراد أسرته) .

وأن لِنا بعدَ الوِلادةِ نَبْعَـةً نبيّ الالَـهِ صِنْوُها وشَقيقها [1] .

٤ – ** الاغاني الساسي ١٥ : ٨٤ – ٩١ ؛ معجم الشعراء ٤٣٤ ؛ فوات الوفيات ٢ . ٢٧٥ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٥٤ – ١٥٥ ؛ أعيان الشيعة (١٩٥٩ م) ٤٥ : ٢٣٣ – ٢٣٤ ؛ زيدان ٢ ٠ ١٠٠ .

الحسينُ الخليعُ بن الضحّاكِ

١ – وُلِدَ أبو عليّ الحسينُ بن الضَحّاك بن ياسرٍ في البصرة نحوَ سنة ١٥٥ هـ [2] (٧٧٢ م) ونشأ فيها ثم انتقل إلى بغدادَ في أواخر أيام هرونَ الرشيد ونادم وَلَدَيْ هرونَ صالحـاً والأمينَ . ولما وَلـِيَ الأمينُ الخلافةَ كانت صلةُ الحُسين به وثيقةً جِدّاً . من أجل ذلك قَطَعَهُ المأمونُ مُدّةً ثم رَضِيَ عليه . غير أنه عاد إلى الحَظوةِ عند المعتصم وابنَيْه الواثقِ والمُتوكّلِ وحفيدِه المُنْتَصِرِ . وعاش الحسينُ الخليعُ إلى أيام المُستعين ولكنه كان قد فَنِيَ من الكِبَرِ . أما وفاتُه فكانت سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) .

٢ – عُرِفَ الحسينُ بن الضحّاكِ بلقب الخليعِ لِمَا كان عليه منَ الاستهتارِ في الفِسق والمُجون . أمّا في الشاعرية فهُوَ من أقرانِ أبي نواسٍ لا يَنْحَطّ عن أبي نواس في طَرافة أغراضِه واختراع معانيه ، ولكنّ شعرَ أبي نواس أكثرُ تنوّعاً وأحسنُ ديباجة وأدلّ على المقدرة في القول . ولم يُرْزَق الحسينُ الخليع تلك الشُهرةَ التي رُزِقَها أبو نواسٍ – على قِصَرِ حياة أبي نواسٍ وطولِ حياة الحسينِ الخليع – ولذلك كان الناس يَنْسِبون ما حَسُنَ من شعرِه إلى أبي نواس ؛ وكان أبو نواس أحياناً يُغير على معاني الحسين الخليع فيكسوها تعبيراً أسهلَ وديباجة أحسنَ أو يَنْتَحِلُها بمعانيها وألفاظها وتراكيبها جُمْلَةً . والحسينُ الخليعُ شاعرٌ مطبوعٌ ظريفٌ ماجنٌ ، وهو غُلامٌ أستاذِه والبةَ بن الحُباب

---

١ نبعة : مجمع النبتة (كحبة القمح الواحدة مثلا يخرج منها سنابل كثيرة) . نبي الالَه : محمد رسول الله . صنوها وشقيقها : أخوها (من أسرة مقابلة لها في المجد – يقصد هنا بني أبي طالب وبني العباس ، وهما أبناء عم للرسول) .

٢ معجم الادباء ١٠ : ٦ .

(طبقات ابن المعتزّ ٢٧١) ، وعلى شعرِه شيء من نَفَسِ بَشّارٍ ؛ وله مَيْلٌ إلى الأبحر القِصار . أما فنونه فهي المديح والعتاب والرثاء والهجاء والخمر والغزَلانِ .

٣ ــ المختار من شعره

ــ قال الحسين الخليع بن الضحّاك هذه القصيدةَ في الخمر ، وهي التي عارضها أبو نواس وألَمّ بعددٍ من معانيها ، كما عارضها ابن المعتزّ أيضاً ، منها :

بُدِّلتَ من نَفَحات الورد بالآءِ ، ومن صَبوحك دَرَّ الإبْلِ والشاءِ [١] .
فعَدِّ هَمَّكَ عن طِرْفٍ يمارسه جِلفٌ تلفّع طِمْراً بين أحناء [٢] .
ففي غـدٍ لك من زهراءَ صافيةٍ بطَيْرَناباذَ ماءٌ ليس كالماء [٣] .
ممّا تخيَّرَ أولاهـا وأودعَهـا ربُّ الخَوَرْنَقِ في جوفاء مَيْثاء [٤] .
راحَ الفُراتُ عليها في جداوله ، وباكَرتْهـا سَحـابات بأنواء .
صِينتْ عن الشمس في قَيْطونِ مُحْتَنِكٍ من اليهود لأُمِّ الراح غدّاء [٥] .
ما زال يُهْمِلُها كالمُسْتَخِفِّ بها ــ عصرَ الشباب ــ كناسٍ غير نَسّاء .
يُطري سِواها إذا سِيمتْ ، مدافعـةً عنها ، ويُوسعها من كل إزراء [٦] .
يَسومُها البيعَ أحياناً فيَمْنَعُـه أنْ قد يُؤمِّلُها يوماً لإثراء [٧] .
حتّى إذا الدهرُ أبقى من سُلالتها جُزءَ الحياةِ وقد ألْوى بأجزاء [٨] .

---

١ ــ يلوم الذي يستبدل برائحة الورد الزكية العيس ثمر شجر الآء (الكريه الرائحة في البادية) ، والذي يستبدل بالصبوح (شرب الخمر في الصباح) بدّر (حليب) الابل والغنم .

٢ الطرف : الحصان الأصيل . يمارسه : يهتم به ، يمدحه . جلف : جاف ، قاس (كناية عن البدوي) . الطمر : الثوب الممزق من القدم . تلفع : تغطى ، ألقى على نفسه . أحناء (؟) .

٣ زهراء صافية (كناية عن الخمر) . طيرناباذ : ضاحية جنوب بغداد مشهورة بالعنب .

٤ الميثاء : الأرض السهلة الطرية (هذه الخمر اختمرت في باطن الأرض بحرارة قليلة ولم تطبخ بالنار) .

٥ قيطون : غرفة داخلية في البيت (بعيدة عن حر الشمس) . المحتنك : الداهية ، ذو الاختبار .

٦ ــ يعيبها ويمدح سواها ليبيع سواها وتبقى هي عنده معتقة ....

٧ ــ ... حتى يبيعها ذات يوم بثمن يغتني به .

٨ ألوى : أذهب أضاع .

لم يَبْقَ من شخصها إلاّ تَوَهُّمُه ؛ فالشيء منها – إذا استَثْبتَّ – كاللاء[1] .
تُمازِجُ الروحَ في أخفى مداخله ، كما تَمازَجُ أنوارٌ بأضواء .
لا يُدرِكُ الحِسّ منها حين تبْعَثُهـا إلاّ التنسّمَ أو لَذْعاً بأحشاء .
تلك التي وَسَمتْني – غيرَ مُحتشمٍ – وَسْمَ المُجون وسمّتني بأسماء !
هذا النعيمُ ، ولا عيشٌ تكونُ به هندٌ برابيةٍ من بعد أسماء[2] .

– وقال يتغزّل ويَنسب بغلام اسمه يُسْر :

أيا مَنْ طَرْفُه سِحرُ ومَنْ رِيقَتُه خمرُ ،
تَجاسرتُ فكاشفْتُـ ـك لمّا غُلِبَ الصبر .
ومـا أحسنَ في مثلـ ـكَ أن يَنْهتكَ السترِ !
وإنْ لامَنِيَ النـاسُ ، ففي وجهك لي عُذر .
فدَعْني من مواعيـ ـدِكَ إذ حيّنكَ[3] الدهر .
فلا واللهِ ، لا تَبْـرَ حُ أو يَنْقضِيَ الأمر[4]:
فإمّا الغَضْب والذمّ ، وإمّا البذلُ والشكر .
وإنْ شئتَ تَيَسّرتَ – كما سُمّيتَ – يا يسر !
وكنْ كاسمِكَ لا تَمْنَـ ـعْكَ النَخْوةُ والكِبْر .
فلا فُزتُ بحظّي منـ ـكَ إن ذاع له ذِكر !

٤ – أشعار الخليع الحسين بن الضحّاك (جمعها وحقّقها عبد الستّار أحمد فرّاج) ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٠ م .

** نديم الخلفاء ، أي الحسين بن الضحّاك ، تأليف عبد الستّار أحمد فرّاج ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٢ م .

طبقات ابن المعتزّ ٢٦٨ – ٢٧١ ؛ الاغاني ٧ : ١٤٦ – ٢٦٢ ؛ تاريخ بغداد ٨ : ٥٤ – ٥٥ ؛ معجم الأدباء ١٠ : ٥ – ٢٣ ؛ وفيات

---

١ كاللاء : مثل « لا » ، لا شيء .
٢ .... هند برابية من بعد أسماء : كناية عن العيش في البادية .
٣ حينك الدهر : جاء بك الي على غير موعد .
٤ أو ينقضي الأمر : أنال منك مبتغاي .

الاعيان ١ : ٢٧٥ – ٢٧٦ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٢٣ – ١٢٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١١٢ ؛ زيدان ٢ : ٩١ – ٩٢ .

ابو زيدٍ القُرَشيُّ

١ – وصل إلينا مجموعٌ قيّم من الشعر القديم اسمه « جمهرة أشعارِ العرب » ، ذكر مؤلّفه في المقدّمة أن اسمه أبو زيد محمدُ بن أبي الخطّاب القرشيّ . ثم هو يقول مرّة بعد مرّة[١] : « فمن ذلك ما حدّثنا به المفضّل بن محمّد الضبيّ »[٢] ؛ أو يقول (ص ١٤) : « حدّثنا سُنيد بن محمّد الازدي عن ابن الاعرابي عن مالك بن أنس عن هشام عن عُروة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... » مما يدلّ على أن أبا زيد القرشي هذا يجب أن يكون من أحياء النصف الثاني من القرن الهِجري الثاني ، وعلى أنه من أهل الكوفة في الغالب .

على أننا إذا نظرنا إلى المجموع من جانبٍ آخرَ ، بدا لنا أمرٌ آخرُ : ان أبا زيدٍ هذا قد قسم مجموعَه سبعةَ أقسام جعَلَ كلّ قِسم منها سبعَ قصائدَ ، وهذا ترتيب جاء إلى العرب من اليونان ولم يُصْبِحْ مألوفاً قبل أواسطِ القرن الرابع للهجرة .

على أنّ ثمّت ملاحظةً جانبيةً مهمّةً هي أنه جعل القسم الأول (المُعلّقات) ثمانيَ قصائدَ ، ثم جعل القسم الثاني (المُجَمْهرات) ستّ قصائدَ فيها معلّقة عَبِيدِ بن الأبرص فتكون المعلّقات عنده تِسعاً ويكون هو قد أغفل الحارث ابن حِلِّزَةَ .

ويبدو لي أن أبا زيدٍ هذا يجب أن يكونَ ، وهو لا يزالُ في مطلع شبابه ، قد أدرك المُفضّل بن محمّدِ الضبيّ ، والضبيّ في أُخرَياتِ أيامهِ ، ثم عاشَ إلى أواسطِ القرنِ الهِجري الثالثِ . ومع ذلك فان مشكلة زمانِه تظلّ بلا حلٍّ صحيح .

---

١ جمهرة أشعار العرب ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م ، ص ١ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٦ .

٢ ان المفضل بن محمد الضبي الكوفي الراوية المشهور توفي سنة ١٧٨ هـ .

٢ ــ جمهرة أشعار العرب قسمان : مقدّمةٌ في استعراض شيءٍ من تاريخ الشعْر ومن نقده ، ثم تسعٌ وأربعون قصيدةٌ مختارة : المعلّقات ، المجمهرات ، المُنْتَقَيات ، المُذْهَبات ، المراثي ، المَشُوبات ، المَلْحمات . وجميع هذه القصائد من الشعر القديم (الجاهلي والمخضرم والأمويّ) .

ومقدّمة جمهرة أشعار العرب طويلةٌ تبلغ ثمانيَ وأربعين صفحة تتكلّم عن صِلَة لُغَةِ القرآن بلغةِ الشعر الجاهلي وعلى أنّ ما في القرآن من الكلام كلّه عربيٌّ . فإذا نحن وجدنا في القرآن لفظَ الإسْتبرَق ورأينا أنه في الفارسية استبره، فما ذلك إلاّ من المقاربة بين اللفظين ، وليس معناه أن الكلمة القرآنية استبرق دخيلةٌ غير عربية خالصة . ثم يتكلّم الجامع في المقدّمة على أول من نَطَقَ بالشعر ويُفيض في الكلام على أشعار الجنّ . ثم يذكر رأي النبي عليه السلامُ في الشعر . وأخيراً يَعْرِضُ رأيَ النُقّاد في نَفَرٍ من أصحاب المعلّقات .

٣ ــ المختار من مقدمة جمهرة أشعار العرب

ــ هذا كتابُ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام الذين نَزَلَ القرآنُ بألْسنتهم واشتُقّتِ العربية من ألفاظهم ، واتُّخذتِ الشواهدُ في معاني القرآن وغريب الحديث من أشعارهم ، وأُسْنِدَتِ الحكمةُ والآدابُ إليهم ، تأليف أبي زيدٍ محمدِ بن أبي الخطّاب القُرَشي ، وذلك أنه لمّا لم يوجدْ أحدٌ من الشعراء بعدَهم إلاّ مضطرّاً إلى الاختلاس من مَحاسن ألفاظهم وهم مُكْتفون بمعرفتِهم عن سواهم ....

ولم يزَلِ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلّم يُعْجِبُه الشعرُ ويُمْدَحُ به فيُثيب عليه ويقول : هو ديوانُ العرب . وفي مِصداق ذلك حدثنا سُنيد بن محمّد الأزدي عن ابن الاعرابي عن مالك بن أنس عن عُروةَ عن أبيه قال : قالَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ان من الشعر لَحِكْمَةً وان من البيانِ لسِحراً ....

قال الذين قدموا زُهيراً على امرِئِ القيسِ هو (زهير) أشعرُ العرب .... لأنه لا يُعاظل بين الكلامين ولا يَتَتَبَّعُ وَحْشِيّ الكلام ولا يَمْدَحُ أحداً إلا بما فيه ....

٤ ــ جمهرة أشعار العرب ، بولاق ١٣٠٨ هـ ؛ مصر (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٥هـ

(١٩٢٦ م) ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣م).
** بروكلمان ، الملحق ١ : ٣٨ – ٣٩٩ ؛ زيدان ٢ : ١٢٥ – ١٢٦ .

محمّد بن عبد الرحمن العَطَويّ

١ – هو أبو عبد الرحمن محمّد بن عبد الرحمن العَطَويّ بن أبي عَطيّةَ ، وُلِدَ ونشأ في البصرة ، وقد كان مولىً لبني لَيْثِ بن بكر بن عبد مَناةَ بن كِنانةَ .

أخذ العَطَويّ في البصرة عن الحُسين بن محمّد النجّار (ت نحو ٢٣٠ هـ) مذهبَ الاعتزال . وكان أتباع النجّار يوافقون أهلَ السّنّةِ والجماعة في أشياءَ ثم يُخالفونهم في أشياء : كان أتباع النجّار ينكرون صفات الله ورؤية الله يوم القيامة ويقولون بأن القرآن محدث (كما يقول المعتزلة)[١] . ويبدو أن العَطَويّ لم ينظم شعراً في البصرة ، وإنّما بدأ قول الشعر لمّا انتقل إلى سامرّا ولزم القاضيَ أحمدَ بن أبي دُؤادٍ وتقرّب اليه بالقول بمذهب المُعتزلةِ – وكان ابنُ أبي دُؤادٍ من المُتَطرّفين في هذا المذهب – ثم مدحه وتكسّبَ منه مالاً كثيراً . ولمّا تُوفّيَ ابنُ أبي دؤادٍ ، في المُحرّمِ من سَنَةِ ٢٤٠ هـ (حَزيران – يونيو ٩٥١ م) رثاه العطوي . وكانَ أيضاً صديقاً للوزيرِ أحمدَ بنِ الخصيب (٢٤٧ – ٢٤٨ هـ) .

في الأغاني (٢٠ : ٦٠) : قال اسحقُ بن الخصيب الكاتبُ : جاءني يوماً أبو عبد الرحمن العطوي ، بعد وَفاةِ عمّي أحمدَ بنِ الخصيب بسنتين .....» وفي شذرات الذهب (٢ : ١٤٩) أن أحمد بن الخصيب الوزير توفيّ سنة ٢٦٥ هـ ؛ وعلى هذا تكون وفاة العطوي سنة ٢٦٧ هـ (٨٨٠ – ٨٨١ م) .

٢ – محمّد بنُ عبدِ الرحمن العَطَويّ مقتدر في الجِدال بارع في علمِ الكلام ، وكان يَخْلِطُ شِعْرَه بآراء من هذا العلم . وقد سار شعره على الألسنة واحتذى نفرٌ من الشعراء معانِيَهُ . ثمّ هو كاتب محسن أيضاً . أما فنونُ شعرِه فهي المدحُ والرثاء والخمريات والغزل والحِكمة .

٣ – المختار من شعره

– قال محمّد بن عبد الرحمن العطوي يرثي محمّد بن أبي دؤاد :

---

١ راجع الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (القاهرة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) ١٢٦ – ١٢٧ .

وليسَ صَريرَ النّعْشِ ما تسمعونَهُ، ولكنّه أصْلابُ قومٍ تَقَصّفُ [1] .
وليسَ نسيمَ المِسْكِ ريّا حَنوطهِ ، ولكنّه ذاكَ الثناءُ المُخَلّفُ [2] .

ــ وقال في الإنسان الذي لا يَكِدُّ نفسَه في جمعِ المال ، ولكنه إذا جَمعَ مالاً أنفقه في وجوهه :

أرْفِهْ بعيشِ فتىً يَغْدو على ثِقَةٍ أن الذي قسم الأرزاقَ يرْزقُهُ.
فالعِرْضِ منه مَصونٌ لا يُدَنّسُه، والوجه منه جديدٌ ليس يُخْلقه [3] .
جَمَعْتَ مالاً ففكّرْ هل جمعتَ له ، يا جامعَ المالِ ، أيّاماً تُفَرّقُه !
المالُ عندك مَخزونٌ لِوارثِهِ ؛ ما المالُ مالُك إلاّ حين تُنْفِقه !

ــ وقال في الخمر :

أدرِ الكأسَ قد تَعالى النهارُ ؛ ما يُميتُ الهمومَ إلاّ العُقارُ .
صاحِ ، هذا الشتاءُ فَاغْدُ عليها ؛ إنّ أيّامَه لِذاذٌ قِصار .
أيّ شيءٍ ألَذّ من يومِ دَجْنٍ ، فيه كأسٌ على النّدامى تُدار [4]
وقِيانٌ كأنّهنّ ظِباءٌ فإذا قُلْنَ قالتِ الأوْتار ! [5]

ــ وقال العطوي في الهوى :

وما لَبِسَ العُشّاقُ ثوباً من الهوى ولا خلعوا إلاّ الثيابَ التي أبْلي ،
ولا شَرِبوا كأساً من الحُبّ حلوةً ولا مُرّةً إلاّ وشُرْبُهُمُ فَضْلي !

٤ ــ ** الفهرست ١٨٠ ؛ الاغاني (الساسي) ٢٠ : ٥٨ ــ ٦١ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٣٩٥ ــ ٣٩٦ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ١٣٧ ــ ١٣٨ .

الجاحظ

١ ــ هو أبو عُثمانَ عَمرُو بنُ بحرٍ الجاحظُ ، وُلِدَ نحو سَنَةِ ١٦٠ هـ

---

١ الاصلاب : الظهور (جمع ظهر) .
٢ الحنوط : مواد كياوية يغسل بها الميت .
٣ يخلقه : يبليه (يذله بالسؤال من الناس) .
٤ الدجن : الغيم الكثير .
٥ القينة : المغنية . ــ اذا غنت القيان غنت أوتار العود مثلها .

(٧٧٧ م) في الأغلب في مدينةِ البصرة وفيها نشأ وقضى أكثرَ عُمُرِه . وقد كان أسودَ اللون : قيل لم يكن عربيّاً ، بل مولىً لأبي القَلَمَّسِ عمرِو ابن قَلْعٍ الكِناني (معجم الأدباء ١٦ : ٧٤) ، وقيل بل كان عربيّاً خالصاً ، وإنّما جاءه السوادُ من قِبَلِ إحدى جدّاته في عَمودِ نَسبِه .

وتعلّم الجاحظ على الأدباء المَسْجِديّين (وهم الذين كانوا يجتمعون في المسجدِ الجامعِ في البصرة) ، كما أخذ كثيراً من علومِ العربيةِ عن أبي عُبيدةَ مَعْمَرِ ابن المُثَنّى والأصمعي وأبي زيدٍ الأنصاريّ ، وأخذ النحوَ خاصّة عن الأخفش[1] وعلمَ الكلام عن أبي اسحقَ ابراهيمَ النظّامِ . على أنّ علمَه الواسعَ جاء من مطالعاتِه الخاصّة في الكتب .

كان الجاحظُ في أول أمره ضيّقَ الرزقِ يبيع الخُبْزَ والسمكَ بسَيْحان[2] ؛ ولم يبزُغْ نجمُه إلاّ بعدَ أنِ انتقل من البصرة إلى بغدادَ لَمّا دخلَها المأمون آيِباً من خُراسانَ ، سنة ٢٠٤ هـ . ثم علا نجمُه لمّا اتّصل بوزير المعتصم محمّدِ بن عبد الملكِ الزيّاتِ فأصبح من المُوسرين . ويبدو أن الجاحظ عَمِلَ مُدّةً يسيرةً في ديوان الرسائلِ مَعَ ابراهيمَ بنِ العبّاسِ الصوليّ ، في أيامِ المأمونِ ، ولكنّه كَرِهَ حياةَ الديوان وَشيكاً فتركها .

في ذلك الحين كان الجاحظ صديقاً لابن الزيّات الوزير مُناوئاً للقاضي أحمدَ ابنِ أبي دُؤاد (لأن ابن الزيّات كان عدوّاً لابن أبي دُؤاد) وكان يقول فيه : « ابنُ أبي دُؤاد أعلمُ ما هو أعلمُ بالفِقهِ ، وهو لا يعلَمُ من الفقهِ شيئاً » . فلمّا نَكَبَ الخليفةُ المتوكّلُ وزيرَه محمدَ بنَ عبدِ الملك الزيّات وقتلَه (٢٣٣ هـ = ٨٣٧ م) وأصبحتْ لابن أبي دُؤادٍ اليدُ العُليا في الدولة استقدمَ الجاحظَ مُقَيّداً في الحديدِ ثم عفا عنه في حديثٍ طويلٍ وقرّبه وأحسن جَوائزَه . ثم اتّصل الجاحظُ بالفتحِ بن خاقانَ الذي وَزَرَ للمتوكّل ، نحوَ سَنَةِ ٢٤٠ هـ

---

١ في معجم الأدباء (١٦ : ٧٥) : « وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن ، وكان صديقه » . غير أن أبا الحسن الأخفش هو علي بن سليمان المعروف بالأخفش الصغير أو الأخفش الأصغر الذي توفي سنة ٣١٥ هـ (معجم الأدباء ١٣ : ٢٤١ ، ٢٥٧) ، وكان مولده نحو سنة ٢٣٥ هـ ، فليس من المعقول أن يكون استاذاً للجاحظ الذي ولد سنة ١٦٠هـ . ولعله يقصد الأخفش الاوسط سعيد بن مسعدة الذي توفي نحو ٢٢١هـ (وفيات الاعيان ١ : ٣٧٢) .

٢ معجم الأدباء ١٦ : ٧٤ . وسيحان نهر بالبصرة .

(٨٥٤ م) ونال حظوةً عنده .

في هذه الاثناء زارَ الجاحظُ سامرّا ثم زار دِمَشْقَ وأنْطاكِيَةَ ؛ ولعلَّ ذلك كان في صَفَرَ من سَنَةِ ٢٤٤ ﻫ (أيّار – مايو ٨٥٨ م) حينما نقلَ المتوكّلُ العاصمةَ إلى دمشْقَ ثم عاد فردّها إلى سامرّا بعد شهرين لأن مُناخَ الشام لم يُوافِقْه . وبعد مقتلِ الفتح بن خاقانَ والمتوكّلِ (٢٤٧ ﻫ = ٨٦١ م) ، أو قبلَ ذلك بقليلٍ ، عاد الجاحظُ إلى البصرةِ نهائياً .

وفُلِجَ الجاحظُ في أواخر عُمُرِه وعاش في الفالج سَبْعَ سَنَواتٍ ، ولكنه ظل حاضرَ الذهنِ قويَّ الذاكرة قادراً على التأليف . وفي المُحَرّم من سَنَةِ ٢٥٥ ﻫ (شباط – فبراير ٨٦٩ م) سقطت عليه مُجلّداتٌ من كُتُبٍ فمات ، وعُمُرُه نحو ستٍّ وتسعين سنةً .

كان الجاحظُ ، كما يدل لَقَبُهُ ، جاحظَ العينين (أي بارِزَهما) ، أسودَ دَميمَ الخَلْق قصيراً ، ولكنه كان قويَّ البُنية نشيطَ الجسم .

٢ – كان الجاحظ عظيمَ الذكاءِ قويّ الملاحظة واسعَ التفكير بارعاً في كثير من علوم اللغة والأدب ومن العلوم الطبيعية والعقلية . وكان يجمع إلى ذلك حبَّ اللهو والدُعابة والمَرَح الأصيل . وكذلك كان مفكّراً حرّاً قليلَ الاهتمام بما تواضع عليه الناسُ ، وخصوصاً فيما يتعلق بسلوكه الشخصي في الحياة ، ولم يتزوّجِ الجاحظُ ، ولكنّه كان يتّخِذُ جاريةً بعد أخرى .

اتخذ الجاحظُ أصولَ البلاغة أساساً **للنقد** ولِتبيان مَراتبِ الكلام . ومعَ أنه لم يَجرِ في ذلك على أسلوبٍ منظّم أو شاملٍ ، فانه حاول أن يَضَعَ أُسُساً لمعرفة الكلامِ الجيّد .

يرى الجاحظ أن حقيقة البيان هي الكشفُ عن المعنى بألفاظٍ تؤدّي إلى الفهم والإفهام : إن المعانيَ كثيرةٌ متشعبةٌ ولكنها مستورة في الصدور ، وإنما الفضلُ في الدّلالة عليها باللفظِ الحَسَن . والجاحظ يرى أن الكلام الفاسدَ الساقط آلَفُ لِآذان الناس (العادين) وأسرعُ إلى العُلوق بألْسِنتهم وأشدُّ التحاماً بالطبائع . والإنسان بالتعلم والتكلف وبطول الاختلاف [1] إلى العلماء ومُدارسة

[1] التردد ، الذهاب .

كتب الحكماء بجود لفظه ويحسُن أدبُه [1] . « وكما لا ينبغي أن يكون الكلام عامياً ساقطاً سُوقياً ، فكذلك لا ينبغي له أن يكون غريباً وحشياً إلا أن يكونَ المتكلمُ بهِ أعرابياً ، فان الوحشي من الكلام يَفْهَمه الوحشي [2] من الناس كما يفهم السوقي رَطانة السوقي — . وكلام الناس في طبقاتٍ كما أن الناس أنفسَهم في طبقات . فمن الكلام الجَزْلُ والسخيفُ والمليح والحسن والقبيحُ ... وكلُّه عربيٌّ ... وقد يُحتاج إلى السخيف في بعض المواضع ، وربما أمتَع (السخيفُ) بأكثرَ من إمتاع الجزْل الفخمْ من الألفاظ الشريفة الكريمة المعاني [3] . والجاحظ يوافق بعض الربّانيين من الأدباء في قوله : « إن المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغُ مخرجاً سهلاً ومنحه المتكلم قولاً متعشّقاً صار في قلبك أحلى ولصدرك أملا [4] . والمعاني إذا كُسيَتِ الألفاظَ الكريمة وأُلبِسَتِ الأوصافَ الرفيعة تحوّلتْ في العيون عن مقادير صُوَرِها وأَرْبَتْ على حقائق أقدارها بقدر ما زُيّنَتْ به وعلى حَسْبِ ما زُخْرِفت» [5] .

وكان للجاحظ شيءٌ من الشعر ، هو من بابِ شعرِ العلماء : معانيَ ومنطقاً ومتانةٌ في التعبير ولكنْ بلا طَبْعٍ ولا ديباجة ولا رَوْنقٍ . ويبدو أن الجاحظ كان قد حاول التكسّبَ بالشعر في أوّلِ أمرِه. وفي شعره شيء من الحِكمة .

كُتُبَ الجاحظِ كثيرةٌ جداً ومتنوعةُ الموضوعات ، فقد كتب الجاحظ في معظم الفنون التي كانت معروفة في أيامه . فمن كتبه (بعد حذف كلمة « كتاب ») : نظم القرآن ، مسائل القرآن ، فضيلة المعتزلة ، الردّ على اليهود ، الردّ على النصارى ، الردّ على العثمانية [6] ، إمامة معاويةَ ، إمامة بني العبّاس ، كتاب اللصوص ، صياغة الكلام ، تصويب عليّ في تحكيم الحكَمَيْن ، افتخار الشتاء والصيف ، كتاب المعلّمين ، كتاب الجواري ، فخر القحطانية والعدنانية ، أخلاق الملوك ، التسوية بين العرب والعجم ، المُزاح والجِدّ ، رسالة في القلم ،

---

١ البيان والتبيين ١ : ٨٥ — ٨٦ ؛ راجع ٧٧ ، وما بعدها .
٢ الوحشي من الناس الذي يسكن بعيداً عن العمران .
٣ البيان والتبيين ١ : ١٣٢ — ١٣٣ .
٤ أملأ ، أكثر ملا .
٥ البيان والتبيين ١ : ٢١١ .
٦ أنصار عثمان بن عفان وخصوم علي بن أبي طالب في النزاع بين علي وعثمان .

فضل اتّخاذ الكتب ، رسالة في مدح النبيذ ، رسالة في ذمّ النبيذ ، رسالة في مدح الكتّاب ، رسالة في ذمّ الكتّاب ، رسالة في من يُسمّى من الشعراء عمراً ، الاستبداد والمشاورة في الحرب ، رسالة في القضاء والولاة ، كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية ، النرد والشِطرنج ، غِشّ الصِناعات ، كتاب ذوي العاهات .

للجاحظ في كتبه **أسلوبانِ** : أسلوبٌ أنيقٌ (فيه صِناعة ومُوازنة وسَجْع وتأنّق في اختيار الألفاظ وترديدٌ للمعنى الواحدِ في تراكيبَ مختلفة) . ويكادُ يكونُ هـذا الأسلوبُ مقصوراً على مُقَدّماتِ كتبه ومطالعِ فصولهِ . ثم له أسلوبٌ يجري فيه على السليقةِ ويعالجُ به الموضوعاتِ التي يتناولهـا في مُتونِ كتبه .

والجاحظُ في أسلوبهِ فصيحُ الألفاظ متينُ التركيب يَمْزُج الجدّ بالهَزْل ويُكثّر التهكّم ، كما يكثر من الإِستطراد . والاستطرادُ هو أن يخرُجَ الكاتب عن الموضوع الذي يعالجه إلى موضوعٍ آخرَ قريبٍ منه أو بعيد . وكان الجاحظ يفعل ذلك ترويحاً عن القارئ ودَفعاً للملَلِ عنه .

والأسلوب الذي يجري فيه الجاحظ على السليقة شديدُ الصلةِ بأسلوبِ ابن المُقَفّعِ في كتاب كَليلةَ ودِمنةَ . إلاّ أن أسلوب الجاحظ أمتنُ وآنقُ . ونحن اليومَ إذا أردنا أن نَخْطُبَ في أمرٍ عامّ أو أن نُحاضر في موضوع عِلْميّ أو أن نكتب في مجلّةٍ أو جريدة لجأنا في الأكثر إلى أسلوب ابن المقفع . أما إذا أردنا أن نكتب مقدّمةً لكتابٍ أو أن نُطنِبَ في وصف أمرٍ من الأمور ، خَطابةً أو كِتابة ، فإننا نَلْجأ عادةً إلى أسلوب الجاحظ .

وفي ما يلي عَرْضٌ مُوجزٌ لخُطّة الجاحظ في كتبه الثلاثة المهمّة :

– **كتاب الحيوان** أكبرُ كتبِ الجاحظ حَجْماً وأجمعها لفنون العلم والأدب معاً . وقد جمع الجاحظ في هذا الكتابَ كلّ مفيدٍ وكل طَريف لأنه كان يريد أن يحبّب العلم إلى الناس ، لا أن يعلّمَهمُ العلمَ .

وكتاب الحيوان جامع للكلام على أنواع الحيوان وأجناسه وأعضائه ولأحواله وطُرُق حياته . وقد استمدّ الجاحظُ معلوماتهِ في هذا الكتابِ من القرآن الكريم والحديثِ الشريف ومن الشِعر العربي وأقوال العرب . واعتمد الجاحظُ في هذا

الكتاب اعتماداً كبيراً على كتابِ الحَيَوان للفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس ، (ت ٣٢٢ ق. م.) ، إلاّ أنه كان ينتقد أرسطو في كثير من الأمور . وفي كتاب الحيوانِ ٱستطرادٌ كثير إلى ذِكْر القِصَص المتعلّقة بالحيوان وإلى شيءٍ كثير من الشِعر ومن أخبار الأدب والفلسفة ومن الكلام على الحياة الاجتماعية . ومَعَ أنّ القصدَ الأولَ من وَضْع هذا الكتاب كان الإحاطةَ بعلم الحيوان ، فإنّ قيمته لنا اليومَ إنّما هي في أخباره الأدبيةِ والتاريخية التي كان الجاحظ قدِ ٱستطرد اليها ٱستطراداً . إنّ في كتاب الحيوان مثلاً خمسين طَرْدِيَّةً (قصيدة في وصف الصيد) لأبي نواس . أمـا الأمور العلمية المتعلقة بالحيوان فليس لها اليومَ قيمةٌ علمية لأن عِلْم الحيوان قد تقدّم كثيراً في الألفِ والمائةِ سنةٌ التي تَفْصِلُنا عن الجاحظ .

— **كتاب البخلاء** كتابٌ جَمَعَ فيه الجاحظُ قِصَصاً عن البُخْل والبُخلاء ، وخصوصاً البُخلَ بالطعام . وأكثر هذه القِصص واقعة ولكنّ الجاحظَ سَتَر أسماءَ نَفَر من أصحابها . ويَقْصِد الجاحظ أن يُصَوِّرَ في هذا الكتاب طبائع الناس وخصوصاً أولئك الذين يبخلون بشيءٍ دون شيءٍ أو يبخلون على أنفسهم خاصة ويتحملون كل مشقة في أجسامهم وفي أنفسهم في سبيل ٱدّخار المال ، كما يتساهلون في سبيل ذلك بكثيرٍ من مُثُلِهِمُ العُلْيا .

ثم إن الجاحظ يُريد أن يَصِفَ جانباً من الحياة في العصر العبّاسي : حياةِ البخل في خِضَمّ من الترَف ، وحياةِ أولئك الذين كانوا فُقراءَ ثم أيْسروا فَجْـأةً من طريق رَواجِ تجارتهم أو صِناعتهم أو ارتفاع أثمان أراضيهم بعدَ ذلك الانقلابِ الاقتصادي الذي حدث في العراق في صدر العصر العباسي .

وأسلوب الجاحظ في كتاب البخلاء حِسّي ماديّ ، فهو يَحْرِص على استعمال الكلمات التي تُقَرِّبُ الصورةَ الحِسّية من الذهن ولو كانت قريبة من العامّيّة ، نحو « قوّر الرغيفَ » . وقلّما يذكُرُ الجاحظُ المَغْزى المقصودَ من القِصّة التي يَحْكيها ، بلْ يترُكُ ذلك للقارئ يستنتجُ ما يَسْتطيع أن يَتَخيّلَ به القِصّةَ واضحةً أوِ البُخْلَ الذي تُشير اليه مُجسّماً مُبالغاً فيه . وليس في كتابِ البخلاء ٱستِطْرادٌ ، لأنّ موضوعَ الكتابِ كلّـه فُكاهيّ .

ألّفَ الجاحظُ في أواخر عُمُرِه ، بعدَ تصنيفِ كتاب الحيوان ، كتاباً سمّاه

البيان (وُضوحَ كلام العرب) **والتبيين** (التعبيرَ بوضوحٍ عن مقاصد الإنسان). وكانت غايةَ الجاحظ من تأليف هذا الكتاب أن يُدافعَ عن تفوق البيانِ العربي في جميع مظاهره وأن يَرُدَّ على الشُعوبية الذين كانوا يريدون أن ينتقصوا العربَ بالتعريض ببعض أحوالهمُ الإجتماعية والأدبية كَحَمْلِهِمُ العصا عندَ الخَطابة، حتى إنّه عقد فصلاً طويلاً في هذا الكتاب سماه **باب العصا** للرد على الشعوبية خاصة.

وقد تكلم الجاحظ في هذا الكتاب على الألفاظ والتراكيب وعلى لَهَجَات العرب في البَدْو والحَضَر ثُمّ تكلم على الشعراء والخطباء والنساك والمعتزلة وعلى مَكانة البيان العربي بالاضافة إلى عبقرية الأمم، وعلى أن عبقرية العرب إنما هي في لُغتهم وبيانهم وشِعرهم. وجمع الجاحظ في هذا الكتاب نماذجَ من الشِعر والنثر تمثّلُ أوجه التعبير عن المقاصد وتَصِفُ أحوالَ الإنسان وتأتي شواهدَ على الآراء والمعتقدات وعلى حقائق الأمور. وفي هذا الكتاب استطرادٌ كثير.

٣ — المختار من آثاره

— من كتاب البخلاء:

قال خاقانُ بنُ صَبيحٍ: دخلتُ على رجلٍ من أهل خُراسان، وإذا هُوَ قد أتانا بِمِسْرَجَةٍ فيها فَتيلةٌ في غاية الدقّة، وقد ألقى في دُهْنِ المِسْرَجة شيئاً من مِلْحٍ، وعلّق على عَمُودِ المَنارة عوداً بخيطٍ وقد حزّ فيه حتى صار فيه مكانٌ للرِباط. فكان المِصْباح إذا كاد ينطفئُ أَشْخَصَ رأسَ الفتيلة بذلك العود.

قال خاقان: فقلت له: ما بالُ العودِ مربوطاً؟

قال: هذا عودٌ قد تَشَرّبَ الدُهْنَ، فإذا ضاع ولم يُحفَظ احْتَجْنا إلى واحدٍ عَطشانَ. فإذا كان هذا دأبَنا ودأبَه ضاع من دُهْنِنا في الشهر بِقَدْرِ كِفاية لَيْلة.

قال خاقانُ: فبَيْنا أنا أتَعَجّبُ في نفسي وأسألُ اللهَ جَلّ ذِكْرُهُ العافيةَ والسِتْرَ، إذ دخل شيخٌ من أهلِ مَرْوَ، فنظر إلى العود فقال: يا أبا فُلان، فَرَرْتَ من شيءٍ فوقعتَ في شبيهٍ به! أمَا تعلمُ أن الريحَ والشمسَ تأخُذانِ

من سائرِ الاشياء ؟ أوَليْسَ قد كان (هذا العود) البارحةَ عندَ إطفاءِ السراجِ أروى وهوَ عند إسراجك الليلةَ أعطشُ ؟ قد كنتُ أنا جاهلاً مثلَكَ حتى وَفقني اللهُ إلى ما هو أرشدُ ! أرْبِطْ – عافاك اللهُ – بَدَلَ العود إبرةً أو مِسلّةً صغيرة ، وعلى أن العود والخِلالَ [1] والقَصَبة ربما تعلّقت بها الشعْرة من قُطْن الفتيلة إذا سوّيناها بها فتَشَخّص بها [2] ، وربما كان ذلك سبباً لانطفاء السراج . والحديدُ أملسُ ، وهو معَ ذلك غيرُ نَشّاف .

قال خاقانُ : ففي تلك الليلةِ عرَفْتُ فضلَ أهلِ خُراسانَ على سائر الناس، وفضلَ أهل مَرْوَ على سائر أهلَ خُراسان !

– من كتاب البيان والتبيين : الشعر :

والعربُ يتَذكّرون الكلامَ الموزون ويتَمَدّحون به . وكان الشاعرُ في الجاهلية يُقَدّم على الخطيب لفرْط حاجتهم إلى الشعر الذي كان يُقَيّد عليهم مآثرَهم ويفخّم شأنهم ويهوّل على عدوِّهم . فلما كَثُرَ الشعرُ والشعراءُ واتخذوا الشعر مَكْسَبَةً ورَحَلوا إلى السوقة وتسرّعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر [3] . ولقد قال الأول : الشعر أدني مُروءة السَريِّ [4] وأسرى مروءة الدنيء [5] . قال : ولقد وَضَعَ [6] قولُ الشعر من قدر النابغة ، ولو كان في الدهر الاول [7] ما زاده ذلك إلا رُفْعة . والخطباءُ كثيرون ، والشعراءُ أكثرُ . ومَن يَجْمَعُ الخَطابةَ والشعرَ قليلٌ ... وأجودُ الشعر ما رأيته متلاحمَ الأجزاء سهلَ المخارج [8] ، قد أُفرِغ إفراغاً واحداً وسُبِك سبكاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدِهان .

وقد يتّفق الوزنُ في الكلام ولا يكون شِعراً . وقد طُعِنَ في قوله عليه

---

١ عود رفيع من خشب تنظف به الاسنان مما يعلق بها .
٢ يرتفع (بغير قصد) .
٣ راجع الجزء الأول ١٧٩ – ١٨٠ .
٤ السري : الشريف (يقصد : الشعر أقل محاسن الرجل إذا اتخذه حرفة يمدح به الآخرين) .
٥ يقصد : الشعر أشرف ما يتصف به الدنيء (الوضيع) إذا مدحه الآخرون به .
٦ وضع : حط ، نقص .
٧ الزمن القديم (قبل أن يتعود الشعراء التكسب بالشعر) .
٨ متجانس الالفاظ ، سلساً في القول .

السلام[1] : هل أنتِ إلّا إصبعٌ دَميتِ ، وفي سبيل الله ما لَقيتِ[2] . وكذلك (طعن في) قول الباعة : «من يشتري باذنجان» ، أو قولِ الغلامِ المريض : «اذهبوا بي إلى الطبيبِ وقولوا قد ٱكتوى» .

ومن شعراء العرب من كان يَدَعُ القصيدة تمكث عنده حَوْلاً يردِّد فيها نَظَرَه إشفاقاً على أدبه . وكانوا يسمّون تلك القصائد الحَوْليّات والمُقَلّدات والمُنَقّحات والمُحَكّكات .

– من كتاب البيان والتبيين : الخطابة :

وكانوا يمدحون الجَهيرَ الصوتِ ويذمّون الضئيلَ الصوتِ .

ثم ٱعْلَمْ بعدَ ذلك أن جميعَ خُطَبِ العرب من أهل المَدَر والوَبَر والبَدْو والحَضَر على ضربين ، منها الطِوال ومنها القِصار ، ولكلٍّ ذلك مكانٌ يليقُ به وموضع يَحْسُنُ فيه . ومن الطِوال ما يكون مُستوياً في الجودة ومُشاكِلاً في ٱستواء الصَنعة ، ومنها ذاتُ الفِقَر الحِسان والنُّتَف الجِياد وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ . ووجدنا عددَ القِصارِ أكثرَ ورواةَ العلمِ إلى حفظها أسرع . وكانوا يُحبون ترصيعَ الخُطَبِ بآياتِ القرآنِ حتى قال بعضهم : هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن . وأكثر الخطباء يتمثّلون في خطبهم الطِوالِ بشيء من الشعر ، ولا يكرهونه في الرسائل إلاّ أن تكون إلى الخلفاء .

– من كتاب البيان والتبيين : فضل العصا :

قال الجاحظ : كانت العرب تَخْطُب بالمخاصر[3] وتعتمد على الارض بالقِسِيّ وتُشير بالعِصِيّ والقَنا حتى كانت المخاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها .

قال أبو عثمان[4] : وقد طَعَنَتِ الشعوبيةُ على أخذِ العربِ المِخْصرةَ في

---

١ المقصود : نفيت عنه صفة الشعر ، لأن الوزن اتفق فيه اتفاقاً ، ولم يقصد الرسول أن ينظم شعراً لما قال هذه الجملة .

٢ ويقال ان الرسول استشهد بهذا البيت (وهو في الأصل شعر) .

٣ المخصرة : عصاً قصيرة ، وقد تكون لينة .

٤ الجاحظ .

خطبها والقَنا [١] والقضيبَ ، والاتّـكاءَ والاعتماد على القَوْس ، والخدّ [٢] في الأرض ، والإشارة بالقضيب ، بكلام مُستَنكَره .

ونبدأ على اسم الله تعالى بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلّى باسم التَسْوية [٣] وبمطاعنهم على خطباء العرب : بأخذِهِمُ المِخْصرةَ عند مُناقلة الكلام ومُساجلة الخصوم بالمنثور والمقفّى والموزون الذي لم يُقَفَّ وبالأرجاز عند المَتْح [٤] ، وفي مَقامات الصلح والقول عند المُعاقدة والمعاهدة ، مَعَ الذي عـابوا من الإشارة بالعِصيِّ والاتّـكاء على أطراف القِسيِّ وخَدّ وجه الارض بهـا ، ولُزومِها العمائمَ في أيام الجُمَع وأخذِها المخاصرَ في كل حال وجلوسها في خُطَب النِكاح [٥] وقيامها في خطب الصُلح وكل ما دخل في باب الحَمالة [٦] .

– من كتاب الحيوان : تقسيم الحيوان :

إنّ العالَمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثةِ أنحاءِ : مُختلفٍ ومُتّفق ومُضادّ ، وكلّها في جُمْلة القول جَمادٌ ونامٍ [٧] .... ثُمَّ إن النامِيَ على قِسْمين : حَيَوانٍ ونباتٍ . والحيوان أربعة أقسامٍ : شيءٌ يمشي ، وشيءٌ يطيرُ ، وشيء يَسْبَح ، وشيء يَنْساح [٨] . والشيء الذي يَمْشي ناسٌ وبهائمُ وسِباعٌ وحشراتٌ ....

– من كتاب الحيوان : عجائب الوجود :

ثمّ اعْلَمْ أنّ الجَبَلَ ليس أدلَّ على اللهِ من الحَصاةِ [٩] ، ولا الفَلَكُ

---

١ القنا جمع قناة : القصبة ، الرمح . القسيّ جمع قوس .

٢ خد الارض : جرح وجهها ، شقها .

٣ القائلون بالتسوية : غير العرب الذين كانوا يقولون ان العرب وغير العرب سواء ولا فضل لأمة على أخرى .

٤ المتح : استقاء الماء من البئر بالحبل جذباً .

٥ عند عقد الزواج يخطب أحد رؤساء القبيلة خطبة قصيرة في فضل الزواج .

٦ الحمالة : الكفالة : حمل الدية عن الذين يعجزون عن أدائها .

٧ النامي : الذي ينمو ، الحي .

٨ ينساح : يزحف على بطنه (كالحية) .

٩ الحصاة : الحجر الصغير (المتكون على ما هو عليه لا المنفصل من غيره) .

المشتملُ على عالـَمِنا هذا بأدلَّ على الله من بَدَنِ الإنسانِ . وإنَّ صَغيرَ ذلك ودَقيقَه كعظيمهِ وجليلهِ . ولم تَفْتَرِقِ الأمورُ في حقائِقِها وإنّما افترقَ المفكّرون فيها .

– من كتاب الحيوان : الحية التي تصيد طعامها :

إنّ في رمال بَلْعَنْبَرِ [1] حيّةً تصيدُ العصافيرَ وصغارَ الطيرِ بأعجبِ صيْد . زعموا أنّها إذا ٱنتصَفَ النهارُ واشتدّ الحرّ وامْتَنَعَت الأرضُ على الحافي والمُنْتَعِلِ ورَمِضَ الجُنْدُبُ [2] غمَسَتْ هذه الحيّةُ ذنَبَها في الرملِ ثمّ انتصبت كأنّها رُمْحٌ مركوزٌ أو عودٌ ثابت . فيجيءُ الطيرُ الصغيرُ أو الجرادةُ ، فإذا رأى عوداً قائماً وكَرِهَ الوقوعَ على الرمل لِشدّةِ حَرّهِ وقَعَ على رأسِ الحيّة على أنها عودٌ . فإذا وَقَعَ على رأسِها قَبَضَتْ عليه . فإنْ كان جَرادةً أو جُعَلاً [3] أو بعضُ ما لا يُشْبِعُها مثْلُه ابتَلَعَتْهُ وبَقِيَتْ على انتِصابِها ، وإن كان الواقعُ على رأسِها طائراً يُشْبِعُها مِثْلُه أكَلَتْه وانصَرَفَتْ .

– من كتاب الحيوان : إلحاح الذِبّان [4] على الجاحظ :

فأما الذي أصابني أنا من الذِبّان فإنني خرَجْتُ أمشي من عند ابن المبارك أريد دَيْرَ الربيع ، ولم أقْدِرْ على دابّة . فمررتُ بعُشْبٍ ونبات مُلْتفّ كثيرِ الذِبانِ ، فسقط ذُباب من ذلك الذبان على أنفي ، فطردته فلم أقدر فتحوّل إلى عيني . فزدتّ في تحريك يدي فتنحّى بقَدْرِ شدة حركتي وذَبّي [5] عن عيني . ولِذِبّانِ الكلأ والغِياض والرياض [6] وقعٌ ليس لغيرها . ثم عاد

---

١ بلعنبر = بنو العنبر .

٢ الجندب : نوع من الجراد صغير الحجم يقفز ولا يطير . رمض : اشتد الحر على صدره الملامس للرمضاء (الرمل الحار) .

٣ الجعل : خنفساء ، دويبة سوداء كريهة الريح والمنظر .

٤ في القاموس (١ : ٦٨) : الذباب (بضم الذال) : اسم جمع ، والواحدة ذبابة والجمع ذبان (بكسر الذال) . والملموح من النص أن الجاحظ يطلق « الذباب » على الواحدة من الذبان .

٥ الذب : التنفير ، الطرد .

٦ للذبان الموجود في الكلأ (العشب ، منابت العشب المرتفع) والغياض (جمع غيضة بفتح الغين : الشجر المجتمع في أرض منخفضة وفيها ماء) والرياض (جمع روضة بفتح الراء وجمع ريضة بكسر الراء : مكان في الرمل فيه ماء مستنقع وعشب – القاموس ٢ : ٣٣٣) .

إليّ فعُدتّ عليه . ثم عاد فعُدتّ بأشدّ من ذلك . فلما عاد استعملتُ كُمّي فَذَبَبْتُ بـه عن وجهي . ثم عاد ، وأنا في ذلك أحُثّ السيرَ أؤمِلُ بسُرعتي انقطاعَه عني . فلما عاد نَزَعْتُ طَيلساني من عُنُقي فَذَبَبْتُ به عني بَدَلَ كَمّي . فلمّا عاد ولم أجدْ له حيلةً استعملتُ العَدْوَ[1] فعَدَوْتُ منه شَوْطاً لم أتكلّفْ مثلَه منذ كنتُ صَبِيّاً . فتلقّاني الأندلسيّ فقال لي : ما لكَ ، يـا أبا عُثمانَ ؟ هلْ من حادثةٍ ؟ قلت : نعمْ ، أريد أن أخرجَ من موضعٍ للذِبّان عليّ فيه سلطانٌ ! فضَحِكَ حتى جَلَسَ . وانقطع عني ، وما صَدّقت بانقطاعه عني حتى تباعد جداً .

– من شعره : الشيخوخة والشباب :

أترجو أن تكونَ وأنتَ شَيْـخٌ كما قَدْ كُنْتَ أيّامَ الشّبابِ ؟
لقدْ كَذَبَتْكَ نفسُكَ : ليس ثوبٌ دريسٌ كالجديد من الثِيابِ[2] !

٤ – البخلاء (نشره فان فلوتن) ، ليدن (بريل) ١٩٠٠ م ؛ القاهرة (الساسي) ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ؛ (نشره العوامري والجارم) ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٨ م ؛ (نشره مكتب النشر العربي) ، دمشق (مطبعة ابن زيدون) ١٩٣٨ ؛ دمشق (دار اليقظة) ١٩٦٣ ؛ (نشره طه الحاجري) ، القاهرة (الكاتب المصري) ١٩٤٨ م ؛ بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ – ١٩٥٨ م) ؛ (نشره محمّد علي الزعبي) ، بيروت (مكتبة العرفان) ١٩٥٥ م .

البيان والتبيين (الفاكهاني) ، القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١١ – ١٣١٢ هـ ؛ (نشره محبّ الدين الخطيب) ، القاهرة (الفتوح) ١٣٢٢ هـ (١٩١٤ م) ؛ (نشره السندوبي) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ؛ (نشره عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٧ – ١٣٦٩ هـ (١٩٤٨ – ١٩٥٠ م) .

كتاب الحيوان ، القاهرة (الساسي) ١٣٢٥ هـ ؛ (نشره محمّد عبد السلام

---

١ العدو (بفتح العين وسكون الدال) : الجري ، الركض .
٢ الدريس : البالي ، الخلق (بفتح الخاء واللام) ، المتهرئ .

هارون) ، القاهرة (عيسى البابي الحلبي) ١٣٥٦ - ١٣٦٦ هـ (١٩٣٨ - ١٩٤٥ م) .

التربيع والتدوير (بلا) ، دمشق (المعهد الفرنسي) ١٩٥٥م .

رأي الجاحظ في معاوية والأمويين (نشره عزت العطار) ، القاهرة (عزت العطار) ١٩٤٦ م .

ثلاث رسائل (فان فلوتن) ، ليدن (بريل) ١٩٠٣ م ؛ (فنكل) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٤ هـ .

مجموع رسائل الجاحظ (الساسي) ، القاهرة (مطبعة التقدم) ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) ؛ (السندوبي) ، القاهرة (المطبعة التجارية) ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) ؛ (باول كراوس وطه الحاجري) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٣ م .

فلسفة الجد والهزل (رسالة الجد والهزل ورسائل أخرى عني بنشرها محمد علي الزعبي) ، بيروت (منشورات حمد) بلا تاريخ .

كتاب العثمانية (عبد السلام محمد هارون) ، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٣٧٣ هـ (١٩٥٥ م) .

مناقب الترك ، القاهرة (مطبعة مصباح الشرق) ١٨٩٨ م .

القول في البغال (بلا) ، القاهرة (البابي) ١٩٥٥ م .

مفاخرة الجواري والغلمان (بلا) ، بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٧ م .

تهذيب الأخلاق (محمد كرد علي ؟) ، دمشق ؟ ١٩٢٤ م ؟

ومن الكتب المشكوك فيها :

التاج في أخلاق الملوك (بتحقيق أحمد زكي باشا) ، القاهرة (المطبعة الاميرية) ١٩١٤ م .

التبصرة بالتجارة (نشره حسن حسني عبد الوهاب) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٥٢ هـ (١٩٣٢ م) .

الحنين إلى الأوطان (طاهر الجزائري) ، القاهرة (مطبعة المنار) ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) .

الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (محمد راغب الطبّاخ) ، حلب (المطبعة العلمية) ١٩٢٨ م .

المحاسن والاضداد (نشره فان فلوتن) ، ليدن (بريل)١٨٩٨ م ؛ القا هرة (محمّد توفيق) ١٣٣٢ ﻫ ؛ بيروت (مكتبة العرفان) ١٩٥٠ م .

•• الجاحظ ، تأليف خليل مردم ، دمشق (مطبعة الاعتدال) ١٩٣٠ م .

أدب الجاحظ ، تأليف حسن السندوبي ، القاهرة (المطبعة التجارية الكبرى) ١٩٣١ م .

الجاحظ وفنّ القصص في كتاب البخلاء ، تأليف محمّد المبارك ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٩٤٠ م .

الجاحظ معلّم العقل والأدب ، تأليف شفيق جبري ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٨ م .

الجاحظ ، تأليف حنّا الفاخوري ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٣ م .

النثر الفنّي وأثر الجاحظ فيه ، تأليف عبد الحكيم بلبغ ، القاهرة (مكتبة الانكلو) ١٩٥٤ م .

الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّا ، تأليف شارل بلّا (ترجمة ابراهيم كيلاني) ، دمشق (دار اليقظة) ١٩٦١ م .

أصالة الجاحظ ، تأليف شارل بلّا ، الدار البيضاء (دار الكتاب) ١٩٦٢ م .

الجاحظ : حياته وآثاره ، تأليف طه الحاجري ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٢ م .

الجاحظ ومجتمع عصره ، تأليف جميل جبر ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٨ م .

البيان والتبيين وأهمّ الرسائل ، تأليف جميل جبر ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٩ م .

نوادر الجاحظ ، تأليف جميل جبر ، بيروت (دار الاندلس) ١٩٦٣م .

الجاحظ : حياته وأدبه وفكره ، تأليف جميل جبر ، بيروت (دار الكتاب اللبناني) ١٩٥٩ م .

الجاحظ والحاضرة العبّاسية ، تأليف وديعة طه النجم ، بغداد (مطبعة الارشاد) ١٩٦٥ م .

تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٤ وما بعدها ؛ معجم الأدباء ١٦ : ٧٤ — ١١٤ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ١٠٨ — ١١١ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٢١ — ١٢٢ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٨ — ١٦٠ ، الملحق ١ : ٢٣٩ — ٢٤٧ ؛ زيدان ٢ : ١٩٣ — ١٩٦ ؛

Enc . Isl (new ed) II 385 - 7

أبو حاتِمٍ السِجِسْتانيّ

١ — هو أبو حاتِمٍ سَهْلُ بن محمّدِ بنِ عُثمانَ بن يَزيدَ الجُشَمِيّ السِجِسْتانيّ ، مولى بني جُشَمٍ ، وجُشَمٌ اسمٌ لعددٍ من قبائلِ العرب .

وُلِدَ أبو حاتِمٍ السجستانيّ في البصرة نحو سنة ١٦٥ ﻫ (٧٨١ م) ، وأخذ علوم العربية عن الأصمعي وأبي عبيدةَ وأبي زيدٍ الانصاري ، وقرأ كتابَ سيبويهِ مرّتين على الأخفش الاوسط .

جاء أبو حاتِمٍ إلى بغدادَ فشَغَبَ عليه العامّة في المسجد ، في أثناء مُناقشةٍ في تفسيرِ القرآن ، فأخذه الشرطة هوَ ومَن كان معَه ، فعاد من أجل ذلك إلى البصرة . وفي البصرة كان أبو حاتِمٍ إمامَ جامِعِها ، وكان يَجْمَعُ الكُتُبَ ويَتَّجِرُ بها .

وكانت وفاةُ أبي حاتِمٍ السِجِسْتاني سَنَةَ ٢٥٥ ﻫ (معجم الأدباء ١١ : ٢٦٥) .

٢ — أبو حاتِمٍ السِجِسْتاني من أئمّة البصريين في القراءة واللغة والعَروض وفي الغريب والشعر ، ولكنه أهمل النحو . وقد كان شاعراً وسطاً . ومن كتبه : كتاب القراءات ، إعراب القرآن ، كتاب الإدغام ، كتاب الأضداد ، المقصور والممدود ، كتاب الفصاحة ، كتاب ما تلحن فيه العامّة ، كتاب النخلة ، كتاب الطير ، كتاب الوحوش ، كتاب خَلق الإنسان ، كتاب المعمَّرين ، كتاب الليل

والنهار ، كتاب الوصايا ، كتاب الهجاء ، كتاب الزرع ، كتاب الحنين إلى الأوطان ، كتاب الفرق بين الآدميين وبين كل ذي روح .

وكان أبو حاتم يعرف الكتابة بالحبر السرّي (وفيات الاعيان ١ : ٣٩٠) .

٣ — المختار من شعره

— قال أبو حاتمٍ السجستانيّ في الغزل :

أبرزوا وَجْهَهُ الجميـ ـلَ ولاموا مَنِ اُفْتَتَنْ .
لو أرادوا عفافَنـا سَتَراوا وجهَهُ الحَسَنْ !

— وله في الغزل أيضاً :

الدمعُ من عَيْنَيّ مُرْفَضٌ ، وللْهوى في كَبدي عَضّ .
أخْلَقَ وَجْهي شادنٌ وجهُهُ عندي جديدٌ أبداً غَضّ ،
أرْعَدُ ، إن أبْصرتُه مُقْبلاً ، كأنّما بي تَزْحَفُ الأرض!

٤ — كتاب المعمَّرين (غولتسيهر) ، ليدن ١٨٩٩ م ؛ القاهرة (المكتبة المحمودية) بلا تاريخ ؛ القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٩٦١ م .

كتاب الوصايا ، كمبردج ١٨٩٦ م .

كتاب الأضداد (في «ثلاث رسائل» ، نشرها هفنر) ، بيروت ١٩١٢ م .

كتاب النخل (أو النخلة) ، بالرمو ١٨٧٣ م ؛ ثم رومية ١٨٩١ م .

ديوان الحطيئة (راجع ابن السكّيت) .

•• الفهرست ٥٨ — ٥٩ ؛ طبقات الزبيدي ١٠٠ — ١٠٣ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢٦٣ — ٢٦٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٩٠ — ٣٩١ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٥٨ — ٦٤ ؛ بغية الوعاة ٢٦٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٢١ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٧ ، الملحق ١ : ١٦٧ ؛ زيدان ٢ : ٢١٥ — ٢١٦ .
Enc. Isl. (new ed.) I 125

العبّاسُ الرِياشيُّ النَحْوي

هو أبو الفضلِ العبّاسُ بنُ الفَرَجِ ، كان أبوه عبداً لرجلٍ من بني جُذامٍ يُدْعى رِياشاً فنُسبَ اليه ثمّ باعه لرجل من بني هاشمٍ ، فهو مَوْلى محمّدِ ابنِ سُليمانَ بنِ عليّ .

وُلدَ العبّاسُ الرياشي في البصرة سَنَةَ ١٧٧ ﻫ (٧٩٤ م) فتلقّى علمَ اللغة والأدب على الاصمعيّ وأكثر مُجالسته وحَفِظَ كتبه كما سَمِعَ (الحديث) من أبي مَعْمَرٍ عبد الله بن عُمَرَ البصريّ المُقْعَدِ (ت ٢٢٤ ﻫ) . وقرأ كتاب سيبويهِ على المازنيّ . وقد حفظ كتبَ ابي زيدٍ الأنصاريّ ولكن لم يجالسه كثيراً .

وفي سَنَةِ ٢٣٠ ﻫ (٨٤٥ م) جاء الرِياشي إلى بغدادَ فحدّث فيها مُدَيْدَةً ثمّ عاد إلى البصرة . وكذلك حُمِلَ إلى الخليفةِ المتوكّلِ في سُرّ مَنْ رأى فعَرَضَ عليه المتوكّلُ أن يُوَلّيَهُ القضاءَ في البصرة ، فاستعفاهُ الرياشي من ذلك .

وقُتلَ الرياشي في فتْنَةِ الزّنْج في البصرة قُبيل منتصف شوالٍ من سنة ٢٥٧ ﻫ (نحو ٣-٩-٨٧١ م) .

كانَ العبّاسُ الرياشي عالماً باللغة والنحو والشعر مُلمّاً بالحديث وله تصانيفُ منها : كتاب الخيل ، كتاب الإبلِ ، كتابُ ما اختلفتْ أسماؤه من كلام العرب . وكذلك كان من أهل الأدب يقول شعراً عادياً قليلاً .

— ** الفهرست ٥٨ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ١٣٨ — ١٤٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٠٣ — ١٠٦ ؛ معجم الأدباء ١٢ : ٤٤ — ٤٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٤٠ — ٤٤١ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٣٦٧ — ٣٧٣ ؛ بغية الوعاة ٢٧٥ — ٢٧٦ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٣٦ .

الحُسينُ المِصْريُّ الجَمَلُ

١ — هو أبو عبد الله الحسينُ بن عبدِ السلام المصْريّ المعروف بالجملِ ،

وُلِدَ قبل سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) .

تكسّب الحسينُ المصري بالشعر فوفَدَ على أحمدَ بنِ المُدَبّرِ في دِمَشْقَ ، وكذلك مدح المأمون لما جاء المأمون إلى مصر (معجم الأدباء ١٠ : ١٢٣ ع) . ومدح عبدَ الله بنُ طاهرٍ أيضاً .

وعُمِّرَ الحسينُ المصري وتُوُفّيَ في ربيع الآخر ٢٥٨ هـ (٨٧٢ م) .

٢ – كان الحسينُ المصري من الفُقهاء ورُواةِ الحديث ، كما كان أديباً شاعراً . وكان هَجّاء ، ولكنه برع أيضاً في المديح والأدب . وشعره متين .

٣ – المختار من شعره

– للحسين المصريّ الجمل أبياتٌ في الأدب والحماسة بارعةٌ جداً :

إذا أظمأتْكَ أكُفُّ اللئامِ ... كَفَتْكَ القَناعةُ شِبْعاً وريّا .
فكُنْ رجلاً رِجْلُه في الثرى ... وهامةُ همّتهِ في الثريّا ،
أبيّاً لنائلِ ذي ثَروةٍ ... تراه بما في يَدَيْهِ أبيّا .
فإنّ إراقةَ ماء الحيا ... ةِ دونَ إراقةِ ماء المُحَيّا[1]

٤ – ** معجم الأدباء ١٠ : ١٢١ – ١٢٣ .

فَضْلُ الشاعرةُ

١ – فَضْلُ الشاعرةُ ، أو فضل العَبْدِيّةُ ، جاريةٌ مُوَلّدةٌ كانت أُمّها لرجلٍ من بني عبد قيس باليمامة فاستولدها فضلَ . وسكنت فضلُ البصرةَ حيناً وتأدّبتْ وبرَعَتْ في كلّ فنّ ثم تقلّبت بها الأحوالُ حتى اشتراها المتوكّل .

وتُوُفّيتْ فَضْلُ سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٤ م) .

---

١ المحيا : الوجه – الموت افضل من سؤال الناس .

٢ ـ قال ابن المعتزّ (طبقات ٤٢٦) : « كانتْ فضلُ الشاعرةُ نهايةً في الجمال والكمال والفصاحة واللَسَنِ وجودة الشعر ، يجتمع عندها الأدباء ، ولهـا في الخُلفاء والملوك المدائحُ الكثيرة . وكانت تتَشَيّع وتتَعَصّبُ لهذه العصابة وتَقْضي حَوائجَهم بجاهها ومنزلتها عند الملوك والاشراف . وكان من خبَرِها أنها عَشِقَتْ سعيدَ بن حُميدِ الكاتبَ ، وكان سعيدٌ من أشدّ الناس نَصْباً (بغضاً لعلي بن أبي طالب) وانحرافاً عن آل الرسول عليهم السلام ، وكانت فضلُ في الغاية والنهاية من التشيع . فلما هويتْ سعيداً انتقلت إلى مذهبِه ولم تزَلْ على ذلك إلى أن تُوُفِّيَتْ » .

وكانت فضلُ الشاعرةُ بارعةً في الشعر والنثر والترسّل . وهي شاعرةٌ مطبوعةٌ فصيحةٌ سريعة البديهة . وفنون شعرها المديح والهجاء وعـددٌ من الاغراض الوجدانية .

٣ ـ المختار من شعرها

ـ قالتْ فضلُ الشاعرةُ في النسيب :

الصبر يَنْقُصُ ، والسَقام يزيدُ ، والدارُ نائيَةٌ ، وأنتَ سعيدُ .
أشكوك أم أشكو إليكَ ؟ فإنــه لا يستطيعُ سواهما المَجْهود .
إني أعوذُ بحُرمتي بكَ في الهوى مِنْ أن يُطاع لديك فيّ حسود !

ـ وبلغَ فضلَ الشاعرةَ أنّ سعيدَ بن حُميد عَشِقَ جاريةً من جواري القِيانِ فغارتْ منها وكتبت اليه تَصِفُ سُلوك هذه الطَبَقة من النساء .

يا حَسَنَ الوجهِ سيّء الادبِ ، شِبْتَ وأنت الغُلامُ في الأدبِ .
وَيْحَك ، إنّ القِيانَ كالشَرَك المَنْصوبِ بينَ الغُرورِ والكَذِب .
لا يَتَصَدّيْنَ للفقــير ، ولا يَتْبعن إلاّ مواضع الذّهَب .
بَيْنَا تَشَكّى إليك إذ خرَجَتْ من لحَظاتِ الشكوى إلى الطلب.
تَلْحَظُ هذا وذا وذاك وذا لحظَ مُحِبٍّ بعينِ مُكْتَسِب !

٤ ـ •• طبقات ابن المعزّ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ؛ الاغاني ١٩ : ١٧٦ ـ ١٨٥ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٥٧ ـ ١٥٩ .

سعيد بن حُميد الكاتب

١ – هو أبو حُميدٍ سعيدُ بن حُميدِ بن سعيد بن حُميد بن بَحْرٍ ، كان أبوه من أولاد الدهاقين ومن أهل النهروانِ الأوسط ، جَنوبَ البصرة . كان مولده في سامرّا ، وكان أبوه يتنقّل به بين سامرّا وبغدادَ فتلقّى سعيدٌ شيئاً من العلم على ابن الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) ثم أصبح في أيام المأمون من الأدباء المعروفين ومن كُتّاب الدواوين البارزين . ولكنّ سعيداً كان ماجناً كثيرَ التنقّل بين النساء ، إلاّ أنّ تعلّقَه كان بفضلَ الشاعرةِ ؛ وكانت هي تودّه إلى أن فَسَدَ ما بينَهما .

٢ – سعيد بن حُميدٍ شاعرٌ ظريفٌ رقيق عَذْبُ الألفاظِ صاحبُ بَديهةٍ وعلى شيء من القدرة في قول الشعر . وفنونه العتاب والهجاء والغزل والمجون . ثم هو مترسّل بارع . ولسعيدِ بن حُميدٍ ديوان شعر وديوان رسائلَ وكتاب انتصاف العجم من العرب ويعرف بكتاب التسوية .

٣ – المختار من شعره ونثره

– كتب سعيد بن حميد إلى فضلَ الشاعرةِ رُقْعَةً فيها :

تظنّونَ أني قد تَبَدّلْتُ بعدَكم بَديلاً ؛ وبعضُ الظنّ إثمٌ ومُنْكَرُ .
إذا كان قلبي في يَدَيْكِ رهينةً ، فكيف – بلا قلبٍ – أصافي [١] وأهْجُرُ ؟

– تغاضب سعيدٌ وفضلُ الشاعرةُ أياماً ثم كتب اليها :

تَعالَيْ نُجَدّدُ عهدَ الرضا ونصفَحُ في الحب عمّا مضى ؛
ونجري على سُنّةِ العاشقين ونَضْمَنُ عنّي وعَنْكِ الرِضا ؛
ويبذُلُ هذا لهذا هواه ، ويَصْبِرُ في حُبّهِ للقضا .
ونخضعُ ذُلاًّ خضوعَ العبيدِ لمولىً عزيزٍ إذا أعرضا .
فإنّيَ مُذْ لَجّ هذا العِتابُ كأنّيَ أبْطَنْتُ جَمْرَ الغَضا .

---

١ كيف أستطيع – وقلبي معك – أن أصافي (أحب) غيرك؟

– كتب سعيدُ بن حميدٍ إلى صالحِ بن يزدادَ في يوم نوروزٍ (ديوان المعاني ١ : ٩٥ – ٩٦) :

النفسُ لك والمالُ منك والرجاء مَوْقوفٌ عليك والأمرُ مصروف اليك ، فما عسانا أن نُهْدِيَ لك في هذا اليومِ وهو يومٌ قد شَمِلَتْ فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء ، وكَرِهْنا أن نُخْلِيَهُ من سُنَّتِهِ فنكونَ من المُقَصِّرين أو نَدَّعي أن في وُسْعنا ما يَفي بحقّك فنكونَ من الكاذبين . فاقْتَصَرْنا على هَدِيّةٍ تَقْضي بعضَ الحق وتقومُ عندك مَقامَ أجملِ البرِّ، وهي الثناءُ والدُّعاء الحَسَنُ ؛ فقلت : لا زِلْتَ ، أيّها السيدُ الكريمُ ، دائمَ السرور والغِبْطة [١] في أتمّ العافية وأعلى منازِلِ الكَرامة ، تَمُرُّ بك الأيامُ المُفْرِحَةُ والأعياد الصالحة فتُخْلِقُها وأنتَ جديدٌ !

٤ – ** الاغاني (بولاق) ١٧ : ٢ وما بعد ؛ ثمّ راجع فضل الشاعرة (ص ٣٢٠ – ٣٢١) .

بكر بن خارجة

١ – كان بكرُ بن خارجةَ من الكوفة مولىً لبني أسد . وقد كان ورّاقاً يتكسّب بالوراقة ، وكان ضيّقَ العيش . ثمّ انه كان ماجناً مُولَعاً بالخمر . ومن غريبِ أخلاقه أنه كان يتَعَشّقُ صوتَ هُدْهُدٍ يأوي إلى إحدى الخرائب، فكان يذهبُ إلى تلك الخَرِبَةِ يشرب عندها ويستمع إلى صوت ذلك الهدهد . وفي أواخر عُمُرِه فسد عقلُه بالخمر وجعل يمدحُ ويهجو بدِرهمٍ وبدرهمين فاطّرَحه الناسُ .

وإذا صحّ من روايةِ الاغاني (الساسي ٢٠ : ٨٧ – ٨٨) أن الجاحظ في أواخر أيامه أنْشدَ أبياتاً قالها بكر بن خارجة في الخمر آنذاك ، وَجَبَ أن يكونَ بكر بن خارجة قد عاش إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجْري وبَقيَ بعدَ ذلك زمناً .

---

١ في الأصل : العطية .

٢ – بكر بن خارجة شاعرٌ وراجزٌ طيّبُ الشعرِ مطبوعٌ ، وكان كثيرَ الحفظ للشعْر حسَنَ الروايةِ له . ويبدو أنه كان بارعَ القولِ في الغزل والنسيب وفي الخمر . وأشهرُ شعرِ بكرِ بن خارجةَ مزدوجةٌ يذكر فيها النصارى وشرائعَهم وأعيادَهم ويتغزّل فيها بغُلام يُقال له عيسى بن البراء العِبادي الصَيْرفي .

٣ – المختار من شعره

– قال بكر بن خارجة في مُزْدَوَجَته المشهورة :

وشادنٍ قلبي بـه مَعْمودُ شيمتُـه الهِجْرانُ والصُّدود [١] .
لا أسأمُ الحِرْصَ ؛ ولا يَجودُ ؛ والصبر عن رُؤيته مفقود [٢] .
زُنّارُه في خَصْرِه مَعْقود كأنّه من كَبِدي مَقْدود [٣] !

– لبكر بن خارجة أبياتٌ رواها بعضهم للعبّاس بن الأحنف ، منها .

قلبي إلى ما ضرّني داعـي يُكثِرُ أحزاني وأوْجاعي [٤] .
لَقَلّما أبقى على ما أرى : يُوشِكُ أن يَنْعانِيَ الناعي [٥] .
كيف احتراسي من عَدُوّي إذا كان عدوّي بين أضْلاعي [٦] !

٤ – ** الاغاني ٢٠ : ٨٧ – ٨٨ .

خالدُ بنُ يزيدَ الكاتبُ البغداديُّ

١ – هو أبو الهَيْثم خالدُ بن يزيدَ الكاتبُ البغدادي ، أصلُه من خُراسانَ

---

١ الشادن : الغزال الصغير (كناية عن المحبوب) . معمود : مصاب (مضروب) بالعمود ، مضنًى ، شديد اللوعة بالحب . شيمته : عادته (الدائمة) خصلته ، طبيعته .
٢ لا أملّ الحرص (الرغبة الدائمة الملحة إلى رؤيته) ولا يجود (لا يعطف علي بأن أراه) .
٣ زناره في خصره معقود (كناية عن أنه نصراني) ، فقد كان من الخلاف (مخالفة النصارى للمسلمين في اللباس عقد الزنار في الخصر) . – كأن هذا الزنار (الزيق من الجلد) مقطوع من كبدي (فان ألمي دائم بسبب ذلك) .
٤ إلى ما ضرني : إلى ما ينحل جسمي (إلى الحب) .
٥ نعاه ينعاه : حمل خبر موته . الناعي : الذي يأتي بخبر الموت .
٦ .... إذا كان عدوي (قلبي الذي يدعوني إلى الحب) ....

وسكَنَ بغدادَ . وفي أيام المُعتَصِمِ (٢١٨ – ٢٢٧ ﻫ) كان خالدُ بن يزيدَ أحدَ الكُتّاب في الجيش . ويبدو أنه كان من أقران أبي تمّامٍ (١٨٨ – ٢٣٢ ﻫ) أو أصغرَ سنّاً منه بقليلٍ ، وكان يُهاجيه .

وكان محمّدُ بن عبد الملك الزيّاتِ في أثناءِ وزارتهِ (٢٢٥ – ٢٣٣ ﻫ) قد ولّى خالدَ بن يزيدَ الكاتبَ عملاً في بعضِ الثغور (أطراف البلاد) ولكنّ خالداً توسوس وذهبَ عقلُه وَشيكاً ؛ وبَقِيَ كذلك إلى أن تُوُفّيَ سنَةَ ٢٦٩ ﻫ (٨٨٢ – ٨٨٣ م) في بغداد ، بعد أن أسنّ .

٢ – خالدُ بن يزيدَ الكاتبُ ناثرٌ شاعرٌ ، وشِعرُه حَسَنٌ رقيقٌ جداً ، وأكثر شِعرِهِ الغزلُ والحكمة . وله شيء من الهِجاء والمُجون .

٣ – المختار من شعره

– قال خالدُ بن يزيدَ في اللّيلِ (ديوان المعاني ١ : ٣٥٠) :

لستُ أدري ، أطالَ ليْلِيَ أم لا ؟ كيف يَدري بذاك من يَتَقلّى[١] !
لو تَفَرّغتُ لِاستطالةِ ليلي ولِرَعْيِ النجومِ كنت مُخلّى[٢] .

– وقال في البكاء على فراق الأليف (ديوان المعاني ١ : ٢٨٤) :

بَكَيْتُ دماً حتى بكيتُ بلا دمِ بُكاء فتىً فَرْدٍ على شَجَنٍ فَرْدِ[٣] .
أأبكِي الذي فارقتُ بالدمعِ وحدَه ؟ لقد جَلّ قَدْرُ الدمعِ فيه ،إذَنْ ،عندي[٤]

– وله في النسيب (معجم الأدباء ١١ : ٥١) :

كَبِدٌ شَفّها غليلُ التصابي بينَ عَتْبٍ وجَفْوة وعذابِ[٥] ؛

---

١ يتقلى (من قلا يقلي : أنضج بالنار) كناية عن احتمال المشقة والعذاب .
٢ المخلى : الخالي ، الفارغ (الذي لا هم له ، ليس محباً) .
٣ – ما زلت أبكي دماً إلى أن جف دمي فأصبحت أبكي فلا يسيل من عيني دم . فرد = فريد (في حبه) على (من) شجن (حزن) فرد (فريد : مصيبة فريدة كبيرة لم يصب مثلها أحداً غيري) .
٤ – اذا كنت أبكي على الحبيب الذي فارقته بدمع فقط (لا بدم) ، فيكون قدر الدمع عندي اذن عظيما (والدمع لا قيمة له ، أي لا يكون للمحبوب الذي فارقته قيمة عندي !)
٥ الغليل : حرارة الحب والحزن . التصابي : التشوق الى المحبوب . شف كبدي غليل التصابي = هزلني وانحلني الحب .

كلَّ يومٍ تَدْمى بجُرحٍ من الشَّوْ ... قِ ونَوعٍ مُجَدَّدٍ من عِتاب .
يا سقيمَ الجُفونِ ، أسقَمْتَ جِسْمي ، ... فاْشْفِني كيفَ شِئتَ ؛ لا بِكَ ما بي[1] !
ان أكنْ مُذنباً فكنْ حَسَنَ العَفْـ ... ـوِ أوِ أجْعَلْ سِوى الصُدودِ عذابي !

٤ — ** الاغاني ، تاريخ بغداد ٨ : ٣٠٨ — ٣١٤ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٤٧ — ٥٤ ، طبقات ابن المعتزّ ٤٠٥ — ٤٠٦ ، وفيات الاعيان ١ : ١٩٠ — ١٩١ .

أبو العنبس الصيمري

١ — هو أبو العَنْبَسِ محمّدُ بنُ اسحقَ بنِ ابراهيمَ بنِ أبي العَنْبَسِ ابن المُغيرة بن ماهان الصَيْمري ، وُلِدَ في الكوفة في رمضان من سنة ٢١٣ هـ (آخر ٨٢٨ م) ، وكان قاضي الصيمرة [2] فنسب اليها . قدم أبو العنبس إلى بغداد ثم صَعِدَ إلى سامرّا فكان منجّماً ونديماً للخليفة المتوكّل (ت ٢٤٧ هـ) والمعتمد (٢٥٦ — ٢٧٩ هـ) ؛ وله قِصّةٌ ماجنةٌ مَعَ البُحتُري في حَضْرةِ الخليفة المُتَوكّل (معجم الأدباء ١٨ : ١٢ — ١٤) .

مات أبو العَنْبَس الصَيْمريّ في بَغدادَ ، سَنَةَ ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) ، ودُفِن في الكوفة .

٢ — كان أبو العَنْبَسِ الصَيْمريّ رجلاً شريفاً عارفاً بعِلْم النجوم وشاعراً مُجيداً مَتِينَ السبكِ حَسَنَ المعاني . غيرَ أنه رأى الهزلَ والسُخْف أغلبَ على الناسِ فانصرف إلى الفُكاهة فجَعَلَ مُعْظَمَ شِعرِه في الهَزْلِ والسُخْف ، وألّف كُتباً كثيرةً في الرَقاعة . فمن كُتبه الرصينة : كتابُ أحكام النجوم ، كتاب الرّدّ على المنجّمين ، كتاب الردّ على ميخائيل الصَيْدناني في الكيمياء ، كتاب الدولتين في تفضيل الخلافتين . ومن كتبه في الرقاعة والسخف مما يجوزُ ذكرُ أسمائها : كتاب طِوال اللِحى ، كتاب الثُقلاء ، كتاب كُنى الدوابّ .

١ لا بك ما بي : أرجو ألا يكون بك ما بي (ألا يصيبك ما أصابني من الحب المضني) !
٢ الصيمرة : ناحية بالبصرة .

٣ – المختار من شعره

– قال أبو العَنْبَسِ الصَيْمريّ في الموت والآجال :

كَمْ مريضٍ قد عاش ، من بعدِ يأسٍ ، بعدَ موتِ الطبيبِ والعُوّادِ .
قد يُصاد القَطا فينجو سَليماً ، ويَحِلُّ القَضاءُ بالصَيّاد !

– وقال يهجو أحمدَ بنَ المُدَبِّرِ :

أسَلُ [1] الذي عَطَفَ المواكِبَ والمراكبَ نَحْوَ بابِكْ ،
وأراكَ نَفْسَكَ مالِكاً ما لم يَكن لَكَ في حِسابِكْ [2] ،
وأذلَّ مَوْقِفِيَ العَزيزَ على وُقوفٍ في رِحابِكْ –
ألاّ يُطيلَ تَجَرّعي غُصَصَ المَنيّةِ من حِجابِكْ [3].

٤ – ** الفهرست ١٥١ ، ٢٧٨ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٢٣٨ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٨ – ١٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٣٩٦ .

أبو سعيد السُكّري

١ – هو أبو سعيد الحسن بن الحسين السكّري من أهل البصرة ، كان مولده سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) . سمع السكّري من أبي حاتم السجستاني ومحمد بن حبيب وغيرهما . ثم جعل يقرئ القرآن . وقدم إلى بغداد . وكانت وفاته [4] سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) .

٢ – كان السكّري عالماً باللغة والنحو يروي أشعار العرب رواية موثوقة ، وقد اشتهر بجمع دواوين الشعر لم يجمع أحد منها ما جمع هو .

عَمِلَ السكّريّ من أشعار القبائل أشعار بني : هُذيل ، شَيبان ، ربيعة ،

---

١ أسل = أسأل : أدعو (الله) . عطف المواكب نحو بابك : جعل لك جاهاً يقصدك الناس بسببه .

٢ « ما » مفعول به من اسما الفاعل « مالكاً » .

٣ من حجابك : من منعي من الدخول عليك .

٤ في طبقات الزبيدي (ص ٢٠٠) توفي سنة تسعين ومائتين .

يربوع ، طيّ ، كِنانة ، ضبّة ، بَجِيلة ، تميم ، يَشْكُر ، حَنيفة ، مُحارب ، الأزد ، نَهْشل ، عَدِيّ ، أشجع ، نُمير ، عبد وُدّ ، مخزوم ، الأزد ، أسد ، الحارث ، الضِباب ، فَهْم ، عَدوان ، مُزينة ، تَغْلِبَ .

وعمل السكّري من أشعار الافراد ديوان : أُمرئِ القيس ، مُهَلْهِل ، النابغة ، زُهير ، لَبيد ، تميم بن أبيّ بن مُقبل، بِشْر بن أبي خازم ، المُتَلَمِّس ، الأعشى ، دُريد بن الصِمّة . وعمل أيضاً ديوان : النابغة الجَعدي ، الحُطيئة ، مُتَمِّم بن نُويرة ، أعشى باهلة ، الزِبْرقان بن بدر ، الراعي ، الشَمّاخ ، الكُميت ، ذي الرِّمة ، الفرزدق ، الخنساء ، كعب بن زهير ، الطرمّاح ، الاخطل ، قيس بن الخطيم ، هُدبة بن الخَشرم ، مزاحم العقيلي ، النعمان بن بشير ، الخ ، وعمل من ديوان أبي نواس نحو ثلثيه في ألف ورقة وتكلّم على معانيه وغريبه . وللسكّري من دواوين الجماعات : كتاب شعراء هذيل ، كتاب أشعار اللصوص ، كتاب من قال بيتاً فلقّب به ، كتاب الشعراء المعروفين بأمّهاتهم ، نقائض جرير والفرزدق ، كتاب أشعار الانصار [1] . وله أيضاً : كتاب النبات ، كتاب الوحوش ، كتاب المناهل والقرى ، كتاب الأمثال السائرة .

٤ ــ أخبار اللصوص (أشعار اللصوص !) ، ليدن ١٨٥٩ م .

شرح أشعار الهذليّين (كوزيغارتن) ، لندن ١٨٥٤ م .

شرح أشعار الهذليّين ، برلين ١٨٨٤ م .

مجموعة أشعار الهذليّين (اعتنى بنشرها يوسف هل) ، ليبزغ ١٩٣٣ م .

ديوان أبي ذؤيب الهذليّ (يوسف هل) ، هانّوفر ١٩٢٦ م .

كتاب شرح أشعار الهذليّين (حقّقه عبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (دار العروبة) ١٩٦٣ م .

ديوان الهذليّين ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٦٤ ــ ١٣٦٩ هـ (١٩٤٥ ــ ١٩٥٠ م ؛ بيروت (مكتبة خياط) .

---

١ راجع سرداً لهذه الكتب كلها في الفهرست ١٥٧ ــ ١٥٨ ، معجم الأدباء ٨ : ٩٧ ــ ٩٩ ، ثم حاشية في كتاب انباه الرواة (١ : ٢٩٣) .

ديوان الاخطل (نشره الأب صالحاني) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٨٩١ م .
ديوان طهمان بن عمرو الكلابي في «جزرة الحاطب وتحفة الطالب» ، (نشرها وليم رايت) ، ليدن (بريل) ١٨٥٩ م .
ديوان الحطيئة (راجع ابن السكّيت) .
شرح ديوان زهير (راجع ابن السكّيت) .

** الفهرست ٧٨ ، ١٥٧ ــ ١٥٨ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٢٩٦ ــ ٢٩٧ ؛ طبقات الزبيدي ٢٠٠ ؛ معجم الأدباء ٨ : ٩٤ ــ ٩٨ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٩١ ــ ٢٩٣ ؛ بغية الوعاة ٢١٨ ــ ٢١٩ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٨ ــ ١٠٩ ، الملحق ١ : ١٦٨ ؛ زيدان ٢ : ١٩٦ ــ ١٩٧ .

ابنُ قُتَيْبَةَ الدِينَوَرِيُّ

١ ــ هو أبو محمّد عبدُ الله بن مُسلمِ بنِ قُتَيْبَةَ ، أصلُه من مَرْوِ الرّوْذِ أو من بلاد التّرك ، وُلِدَ في الكوفة سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) ونشأ في بغدادَ وأخذ عن علمائها التفسيرَ والحديث واللغة والنحو والأدب والتاريخ ؛ فمن شيوخه إسحاق بن راهوية وأبو حاتِمٍ السِجِسْتاني .
تَوَلّى ابنُ قُتيبةَ القضاءَ في الدِينَوَرِ وطال مُقامه فيها فسُمّيَ الدِينَوَرِيّ . ثم إنه عاد إلى بغداد .
كان ابن قُتيبةَ خطيبَ أهلِ السُنّة شديداً على المُعْتزلة من أمثال النظّام والجاحظ والعلاّف ، وقدِ اُتّهَمَ الجاحظَ بأنه توسّع في علوم الدنيا وقَصَدَ بكتبه التَسْلِيَةَ أكثرَ مما قصد إلى التهذيب ورَفْعِ شأن الدين . وكان لابن قتيبة موقفٌ وَسَطٌ من الحركةِ الشّعوبية : فضّل العرب وعلومَهم وبرّأ العجمَ من بُغض العرب وألقى تَبِعَةَ بُغْضِ العرب على أوْبرناش العَجَم وسَفَلَتِهِمْ .
واشتغل ابن قُتيبة في بغداد بالتدريس وكان يدرّس في كتبه .
وكانت وفاة ابن قُتيبةَ في بغدادَ ، في أول رجب ٢٧٦ هـ (٣٠ــ١٠ــ٨٨٩م) .

٢ ــ ابن قتيبةَ فقيهٌ عالم وأديب ناقدٌ ولُغَويٌّ ونحْويٌّ ، وهو رأسُ

المذهب البغداديّ في اللغة والنحو . وكتبه كثيرة العدد واسعة النِطاق ثم هي موجزة مثقـفة موثوقةٌ .

من كتبه : مشكل القرآن ، المشتبه من الحديث والقرآن ، تأويل مختلف الحديث ، عيون الأخبار ، أدب الكاتب ، كتاب الأشربة ، القِداح والمَيْسر ، كتاب المعارف . ومن كتبه المشهورة القيّمة «الشعر والشعراء» (أو طبقات الشعراء) جمع فيه طبقات الشعراء الجاهليين والأمويين ونفراً من شعراء صدر الدولة العبّاسية . وفي هذا الكتابِ مقدّمةٌ قيّمةٌ في غايةِ الكِتاب وخُطّته وفي نَقْدِ الشعر ونقد موقفِ نفرٍ من رُواةِ الشعر . بعدئذ يَنْسق ابن قُتيبة تراجم الشعراء نَسْقاً تاريخيّاً عامّاً . غير أنه لا يذكرُ تواريخ مواليدِ الشعراء وَوَفَياتِهم ، ولا هو يَتَوسّعُ في الكلام عليهم ؛ وإنّما يذكر نُتَفاً من أخبارهم . ومع كل ترجمة نماذجُ مختارةٌ من شعرِ صاحِبها .

٣ — المختار من مقدمة كتاب الشعر والشعراء

.... ولمْ أسْلُكْ في ما ذكرتُه من شِعرِ كل شاعرٍ مختاراً له سبيلَ من قلّد أو اَستَحْسَنَ باَستحسانِ غيرِه ، ولا نظرْتُ إلى المتقدّم منهم بعينِ الجَلالةِ لتَقَدّمِهِ وإلى المتأخر منهم بعينِ ٱلِاحتقارِ لتأخره ، بل نظرتُ بعينِ العدل على الفريقَيْنِ وأعطيتُ كلاّ حَظّه ووَفّرتُ عليه حقّه . فإني رأيتُ من عُلمائنا من يَسْتجيدُ الشعر السخيفَ لتقدم قائلِه [1] ويَضَعُه في مُتَخَيّرِه ، ويَرْذُلُ الشعرَ الرصين ولا عيبَ له عنده إلاّ أنه قيل في زمانِه أو أنه رأى قائلَه . ولم يَقْصُرِ اللهُ العلمَ والشعرَ والبلاغةَ على زمنٍ دونَ زمنٍ ، ولا خصّ بهِ (بها) قوماً دون قومٍ ، بل جعل ذلك مُشْتَرَكاً مقسوماً بين عبادِه في كل دهرٍ ، وجعل كل قديمٍ حديثاً في عصره وكل شَرَفٍ خارجيةٌ [2] في أوّلِه . فقد كان جريرٌ والفرزدقُ والأخطلُ وأمثالُهم يُعَدّونَ مُحْدَثين ، وكان أبو عمرٍو بنُ العَلاء يقول : لقد أكثر هذا المُحْدَثُ وحَسُنَ حتى لقد هَمَمْتُ بروايتِه . ثم صار هؤلاء قُدماءَ عندنا ببُعْدِ العهدِ منهم . وكذلك يكون مَنْ بَعْدَهم لِمَنْ

---

١ لسبقه في الزمن على زمن الناظر في الشعر .

٢ الخارجي : من يسود بنفسه من غير أن يكون له قديم (سلف أقدم في الشرف والمكارم منه) .

بعدَنا كالخُرَيميّ والعتّابيّ والحسنِ بن هاني وأشباهِهم . كل من أتى بحَسَنٍ من قَوْلٍ أو فِعْلٍ ذكرناه له وأثنَيْنا به عليه ، ولمْ يَضَعْهُ[1] عندنا تأخّرُ قائلِه أو فاعله ولا حَداثةُ سنِّه . كما أن الرديءَ إذا وَرَدَ علينا للمتقدّمِ أو الشريف لم يَرْفَعْهُ عندنا شَرَفُ صاحبِه ولا تقدّمُه .

.... (و) تَدَبَّرْتُ الشعرَ فوجدتُه أربعةَ أضْرُب : ضربٌ منه حَسُنَ لفظُه وجاد معناه .... وضرب منه حَسُنَ لفظُه وحَلا ، فإذا أنت فَتّشْتَه لم تَجِدْ هنالك فائدةً في المعنى .... وضرب منه جاد معناه وقَصّرتْ ألفاظُه .... وضرب منه تأخّر معناه وتأخر لَفظُه .

.... ومن الشعراءِ المتَكَلِّفُ والمطبوعُ . **فالمتكلّفُ** هو الذي قَوّمَ شِعرَه بالثِّقافِ ونَقّحه بطُول التَفْتيشِ وأعاد فيه النظرَ بعد النظرِ كزُهيرٍ والحُطَيئةِ ....

.... وليس كلّ الشعر يُختارُ ويُحفَظُ على جودةِ اللفظِ والمعنى ، ولكنه قد يُختارُ ويُحفظ لأسبابٍ : منها الإصابة في التشبيه ، .... وقد يُحفَظَ ويُختار على خِفّة الرويِّ ، .... وقد يُختار ويُحفظ لأن قائله لم يَقُلْ غيرَه ، أو لأن شعره (شِعر قائله) قليلٌ عزيز ، .... وقد يُختار ويُحفظ لأنه غريبٌ في معناه ، .... وقد يختار ويحفظ أيضاً لنُبْلِ قائلِه....

.... والمُتَكَلَّفُ مِنَ الشعر ، وإنْ كان جيّداً مُحكَماً ، فليس به خَفاءٌ على ذَوي العلم لتبيُّنِهِمْ فيه ما نَزَلَ بصاحبه من طول التفكّرِ وشِدّةِ العَناء ورَشْحِ الجَبينِ وكَثْرَةِ الضّروراتِ وحَذْفِ ما بالمعاني حاجةٌ اليه وزيادةِ ما بالمعاني غِنىً عنه .... وتَتَبَيّنُ التكلّفَ في الشعر أيضاً بأنْ تَرى البيتَ فيه مقروناً بغيرِ جارِه ومضموماً إلى غير لِفْقِه[2] .... **والمطبوعُ** مَنْ سَمَحَ بالشعرِ واقْتَدَرَ على القوافي ، وأراك في صَدْرِ بيته عَجُزَهُ وفي فاتحتَه قافيتَهُ ، وتبيّنتَ على شعرِه رَوْنَقَ الطبعِ وَوَشْيَ الغَريزةِ ؛ وإذا امتُحِنَ لم يتَلَعْثَمْ ولم يتَزَحّرْ[3] .

---

١ وضعه : خفض منزلته .

٢ اللفق (بكسر اللام) من الملاءة (بضم الميم) : أحد شقيها (بكسر الشين)، كناية عن الشبه والملاءمة بينهما.

٣ تزحر : أحدث صوتاً فيه تنفس مثل الأنين (مد صوته بالكلام حتى يدع لنفسه مجالا للتذكر) .

.... والشعراءُ أيضاً في الطَبْعِ مُختَلِفو نَ : مِنْهُمْ مَنْ يَسْهُلُ عليهِ المديحُ ويَعْسُرُ عليه الهجاءُ ، ومنهم من يتَيَسّرُ له المراثي ويتَعَسّرُ عليه الغَزَلُ .... فهذا ذو الرُّمّةِ أحسنُ الناس تَشْبيهاً وأجودُهم تشبيباً وأوصفُهم لرملٍ وهاجِرَةٍ وفَلاةٍ وماء وحيّةٍ ، فإذا صارَ إلى المديحِ والهجاءِ خانَه الطبعُ ؛ وذلكَ أخَرهُ عن الفُحولِ . وكان الفَرَزْدَقُ زِيرَ نساء وصاحبَ غَزَلٍ ، وكان مَعَ ذلك لا يُجيد التَشْبيبَ . وكان جريرٌ عفيفاً عَزْهاةً [1] عنِ النساءِ ، وهُوَ مَعَ ذلك أحسنُ الناس تَشْبيبًا ....

٤ ــ كتاب مشكل (مشكلات) القرآن ، القاهرة ١٩٣٥ م .

تأويل مختلف الحديث ، مصر (مطبعة كردستان العلمية) ١٣٢٦ ﻫ .

الاختلاف في اللفظ والردّ على الجهمية والمشبّهة (نشره محمّد زاهد الكوثري) ، القاهرة (مطبعة القدسي) ١٣٤٩ ﻫ .

كتاب القرطين أو كتابا مشكل القرآن وغريبه ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٥٥ ﻫ .

أدب الكاتب (غرونرت) ، ليدن ١٩٠٠ م ؛ القاهرة ١٣٠٠ ، ١٣١٠ ، ١٣٢٨ ، ١٣٤٧ ، ١٣٥٠ ﻫ ، ١٣٥٥ ﻫ ، (١٩٣٦ م) ؛ على هامش المثل السائر ، القاهرة (المطبعة البهيّة) ١٣١٢ ﻫ .

شرح أدب الكاتب (شرحه الجواليقي) ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ ﻫ .

الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ــ شرحه البطليوسي (نشره عبد الله البستاني) ، بيروت ١٩٠٠ ، ١٩٠٥ م .

الانواء في مواسم العرب ، حيدر اباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٥٦ ﻫ .

كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني ، حيدراباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٩ م = ١٣٦٨ ﻫ .

كتاب المعارف (ڤستنفلد) ، غوتنجن ١٨٥٠ م ؛ القاهرة (المطبعة الشرقية = الشرفية ؟) ١٣٠٠ ﻫ ؛ المطبعة الإسلامية ١٣٥٣ ﻫ .

---

١ العزهاة : الرجل الذي يعزف (يميل) عن النساء ويترك اللهو .

الشعر والشعراء [1] أو طبقات الشعراء (دي خوية) ، ليدن (بريل) ١٩٠٢ — ١٩٠٤ م ؛ (نشره مصطفى السقّاء) ، القاهرة (المطبعة التجارية) ، الطبعة الثانية ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) ؛ (نشره محمود محمّد شاكر) ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٦٤ هـ ؛ بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م .

عيون الاخبار ، فايمار — ستراسبورج ١٨٩٨ — ١٩٠٨ م ؛ القاهرة (دار الكتب) ١٣٤٣ — ١٣٤٨ هـ (١٩٢٥ — ١٩٣٠ م) .

كتاب الشراب [2] أو كتاب الاشربة (دي غي) ، في مجلّة المقتبس (دمشق) ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) ؛ (عني بنشره محمد كرد علي) ، دمشق (منشورات المجمع العلمي العربي) ١٩٤٧ م .

كتاب الميسر والقداح (نشره محبّ الدين الخطيب) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٣ هـ .

وصية ابن قتيبة إلى ولده (نشرها اسحاق موسى الحسيني) ، بيروت ١٩٥٤ م .

كتاب المسائل والأجوبة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

كتاب الرَّحل والمنزل (نشره شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) في « عشرة رسائل قديمة » .

تلخيص أدب الكتّاب (لخّصه طاهر بن صالح الجزائري المتوفّى في دمشق ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) ؛ القاهرة ١٣٣٩ هـ .

** ابن قتيبة ، تأليف محمّد زغلول سلاّم ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٧ م .

ابن قتيبة العالِم الناقد ، تأليف عبد الحميد سند الجندي ، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م .

الفهرست ٧٧ — ٧٨ ؛ تاريخ بغداد ١٠ : ١٧٠ — ١٧١ ؛ طبقات

---

١ راجع مجلة Islamic Culture Jan . 1961

٢ ويسمى أيضاً : الشراب والاشربة واختلاف الناس فيها ، أو اختلاف العلماء فيما يحل من الاشربة ويحرم وحجة كل فريق منهم .

الزبيدي ١٢٩ ؛ إنباه الرواة ٢ : ١٤٣ - ١٤٧ ؛ بغية الوعاة ٢٩١ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٦٩ ؛ بروكلمان ١ : ١٢٤ - ١٢٧ ، الملحق ١ : ١٨٤ - ١٨٧ ؛ زيدان ٢ : ١٩٧ - ١٩٩ .

ابراهيم بن المدبّر

١ - هو أبو اسحق ابراهيمُ بن محمدِ بن عُبيدِ اللهِ بن المُدَبِّرِ الكاتبُ ، وُلِدَ في بغدادَ ، سنة ١٩٥ هـ (٨١١ م) في الاغلب .

خرج ابن المدبّر في جيش المأمونِ إلى بلاد الروم (٢١٥ هـ = ٨٣٠ م) يَطْلُبُ الرزقَ كما يفعل الأحداث (غ ١٨ : ١٨٠) . ثم علا نجمُهُ في أيامِ المتوكّل فأصبحَ من وُجوهِ كتّابِ الدواوين في العراق ومن ذوي الجاه المتصرّفين في كِبارِ الاعمال ومذكور الولايات .

ونشأت بين ابن المدبّر وبين عُبيد الله بن يحيى بن خاقانَ - الذي وَزَرَ (٢٤٠- ٢٤٧ هـ) للمتوكّل ثم (٢٥٦ - ٢٦٣ هـ) للمعتمد - عَداوةٌ . وكان ابراهيمُ يَلِي عملاً في البصرة فصَرَفَهُ ابنُ خاقانَ وحبسه مدّة ؛ ثم خرج ابراهيمُ من السجن على يَدِ محمدِ بن عبدِ الله بن طاهرٍ وبشفاعة الجارية عَرِيبَ إلى المتوكّل . بعد هذه النكبةِ تولّى ابراهيمُ الثغورَ الجزَرية (شماليَّ الشامِ والعراقِ) فكان أكثرُ مُقامه في أثناء ذلك في مَنْبِجٍ . ويبدو أنه عاد إلى بغدادَ وَشيكاً إذْ كانت صِلاتُه باسماعيلَ بنِ بلبلٍ وزيرِ المُعْتَمَدِ من سنة ٢٦٥ إلى سنة ٢٧٧ هـ وَثيقةً جداً . وقد نشأ بين ابراهيم وعَريبَ حُبٌّ بلغ ذُرْوتَه سنة ٢٦٧ هـ (٨٨٠ م) ؛ وكانت عَريبُ (١٨١ - ٢٧٧ هـ) أسنَّ منه .

وتُوُفّيَ ابراهيمُ بنُ المدبّر سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) وهو يتولّى للمعتضد ديوان الضِياع ببغداد .

٢ - ابراهيم بن المدبّر أديبٌ مترسل وشاعرٌ ، كان له هجاءٌ مُقْذِعٌ ؛ ولكنه ليس من فحول الشعراء . أما قيمته فهي في نثرِه الذي يُشْبِهُ نثرَ الجاحظ في التأنّقِ في المقدّمات .

٣ ـ المختار من نثره وشعره

ـ من مقدمة الرسالة العذراء (وأسلوبها شبيه بأسلوب الجاحظ) :

« فتَقَ اللهُ بالحكمةِ ذِهنَكَ ، وشرَحَ بها صدركَ ، وأنطقَ بالحقِّ لِسانك ، وشرّف بها بيانَك . وَصَلَ إليَّ كتابُك العجيبُ الذي اُستفهمتَني فيه بجوامعِ كَلِمِكَ جوامعَ أسبابِ البلاغة ، واستكشفتني عن غوامض آدابِ أدَواتِ الكِتابة ، وسألتني أن أقِفَ بِكَ على عُذوبةِ اللفظِ وحلاوتهِ ، وحدود فَخامةِ اللفظ وجزالته ، ورَشاقة نَظْمِ الكِتاب ومُشاكلةَ سَرْدِهِ ، وحُسْنِ افتتاحه واختتامهِ ، وانتهاء فُصولهِ واعتدال أصوله ، وسلامتِهما من الزَلَلِ وبُعْدِهِما من الخَطَل ، ومتى يكونُ الكاتبُ مُستَحِقاً اسمَ الكِتابةِ ، والبليغُ مُسَلَّماً له معانِيَ البَلاغة في إشارته واستعارته ، وإلى أي أدواتهِ هو أحوجُ ، وبأي آلاتهِ هو أعمَلُ ـ إذا حَصْحَصَ الحق ودُعِيَ إلى السَّبْق ـ وفهمتُه [١] .

وأنا راسمٌ لك ـ أيدَكَ اللهُ ـ من ذلك ما يجمع أكثرَ شرائطِك ويُعَبِّرُ عن جُمْلَةِ سُؤالك ، وإنْ طوّلتُ في الكِتاب وعرّضت ، وأطنبْتُ في الوصف وأسهبت ، ومستقصٍ على نفسي في الجَواب على قَدْرِ استِقْصائِكَ في السؤال ، وإنْ أخَلَّ به اُلتياثُ الحال [٢] وسكونُ الحَركة وفُتور النَشاط وانتشار الرَوِيّة وتَقَسّمُ الفِكْر واشتراك القَلب ، واللهُ المُستعانُ ....

« واعلم أنه لا يجوزُ في الرسائل ما أتى في آي القرآن مِنَ اُلإِخْتصارِ والحَذْفِ ومُخاطبةِ الخاصِّ بالعامِّ والعامِّ بالخاصِّ ، لأن اللهَ سُبْحانَه وتعالى إنما خاطب بالقُرآنِ أقواماً فُصَحاءَ فَهِموا عنه ـ جلّ ثناؤه ـ أمرَه ونَهْيَه ومُراده ، والرسائلُ إنما يُخاطَبُ بها قومٌ دُخَلاءُ على اللغةِ لا علمَ لهم بلسانِ العرب » .

ـ وقال ابراهيمُ بنُ المدبّرِ في النسيبِ :

يا كاشفَ الكَرْبِ بَعْدَ شِدّته ومُنْزِلَ الغَيْثِ بعدَ ما قَنَطوا ،

---

١ « فهمته » معطوفة على « وصل الي كتابك العجيب ..... (فقرأته) » .

٢ التياث الحال : اختلاط الحال (اضطراب الأمور) .

لا تَبلُ قَلْبي بشَحْطٍ[1] بيْنِهِمُ، فالمَوْتُ دانٍ إذا هم شحطوا .

– زار ابراهيمُ بن المدبّر الخليفةَ المتوكّلَ – والمتوكّلُ شديدُ المرض – فلما رآه المتوكّل استدناه واستَنْطَقَهُ ، فأنشده ابراهيمُ أبياتاً منها :

لمّا اعْتَلَلْتَ تَصَدّعَتْ شُعَبُ القلوبِ من الصدورِ :
من بينِ مُكْتَئِبِ الفوا دِ وبينَ مكتئب الضميرِ .
يا عُدّتي للدينِ والدنـ ـيا ولِلْخَطْبِ الخَطيرِ ،
كانتْ جفوني ثَرّةَ الآ ماقِ بالدمعِ الغَزيرِ .
لوْ لَمْ أمُتْ جزعاً – لعَمْـ ـرُكَ إنّني عينُ الصبورِ .
يومي هُنالكِ كالسنيـ ـنَ ، وساعتي مثلُ الدهورِ .
يا جَعْفَرُ المتوكّـ ـلُ العالي على البدر المنيرِ ،
اليومَ عادَ الدينُ غـ ـضّ العُودِ ذا وَرَقٍ نَضيرِ ،
اليومَ أصبحتِ الخِلا فَةُ وهْيَ أرْسى من ثَبيرِ[2] .

٤ – الرسالة العذراء (في « رسائل البلغاء لمحمّد كرد علي ، الطبعة الثانية ، مصر ، دار الكتب العربية الكبرى ، ١٣٣١ هـ ، ١٩١٣ م ، ص ١٧٦ – ١٩٣) ، (نشر زكى مبارك مع مقدّمة بالفرنسية) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٥٠ هـ ، ١٩٣١ م .

** الفهرست ١٢٣ ، ١٦٦ ؛ الاغاني (الساسي) ١٩ : ١١٤ – ١١٩ ؛ معجم الأدباء ١ : ٢٢٦ – ٢٣٢ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٥٢ – ١٥٣ .

ابن أبي الدنيا

هو أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عُبيدِ اللهِ بن سُفيانَ بن قَيْسٍ

---

١ الشحط : البعد ، البعاد ، الفراق .
٢ ارسى (اثبت) من ثبير (ثبير : جبل) .

القُشَيْرِيّ المعروف بابن أبي الدنيا مَوْلَى بني أميةَ ، وُلِدَ في بغدادَ سنة ٢٠٨ هـ (٨٢٣ م) .

كان ابنُ أبي الدنيا مُؤدِّباً لأحمدَ بنِ المُوفَّق طَلْحَةَ الذي أصبح خليفةً باسم المُعْتَضِد ثم لِعَلِيِّ بن المعتضد (الذي أصبح فيما بَعْدُ خليفة باسم المُكتفي ، ٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ) مرّة في الأسبوع يومَ السبت .

توفّي ابن أبي الدنيا في ١٤ جُمادى الآخرة ٢٨١ هـ (٢٢-٨-٨٩٤ م) ، وقيل سَنة ٢٨٢ هـ .

٢ ـ كان ابنُ أبي الدنيا أحدَ الثِقات في رِواية الأخبار والسِيَر ، حسنَ التحديث إن شاء أضْحَكَ وان شاء أبْكى ، وقد صنّف ما يزيدُ على مِائةِ كتابٍ أشهرُها « كتاب الفَرَج بعد الشِدّة » (وقد قلّد فيه « كتاب الفرج بعد الشِدّة » للمدائني [١] ؛ وكتابُ المدائني مفقود) . ومنها (بعد حذف كلمة « كتاب ») [٢] :

مكارم الأخلاق (الفضائل التي هي اقْتداء بالرسول) ، كتاب من عاش بعد الموت ، الأولياء ، قضاء الحوائج ، تخريجات أهل الحديث . ومنها مجموع رسائل (التوكّل على الله ، الحلم ، حسن الظن بالله ، الأولياء) . ومنها أيضاً : فضائل شهر رَمَضانَ ، فضائل عَشْرِ ذي الحِجّة ، التَهَجُّدُ وقِيام الليل ، الرِضا عن الله والصبرُ على قضائه ، حسن الظن بالله ، التوكّل على الله ، الأجل والتوثّق بالأمل ، قِصَرُ الأمل ، ذم الدنيا ، ذم الملاهي ، ذم المسكر ، العظمة (في عجائب الخلق) ، الأحاديث الأربعين ، اليقين ، الشكر ، اصطناع المعروف ، قرى الضيف ، الخمول والتواضع ، العزلة والانْفراد ، الصمت ، الرِقّة والبكاء ، الغيبة والنميمة ، المنّان ، الحلم ، الجوع ، محاسبة النفس والإزراء عليها ، الصبر والثواب ، المرضى والكفّارات ، الهمّ والحزن ، المتمنّين ، العقل وفضله ، المطر والرعد والبرق والريح ، الليالي والأيام لبني آدمَ ، الاِعْتبار في أعقاب السرور والأحزان ، آخر الزمان ، تاريخ الخلفاء ، مواعظ الخلفاء ، الأشراف .

---

١ وقلد ابن أبي الدنيا جماعة منهم القاضي التنوخي (ت ٣٨٤ هـ) : كتاب الفرج بعد الشدة (مصر ١٩٠٤ م).
٢ راجع م م ع ع بدمشق ، المجلد ١٠ (عام ١٩٣٤ م؟) ، ص ٥٧٧ ـ ٥٧٨ .

– الفرج بعد الشدّة ، الله آباد ١٣١٣ هـ ؛ أحمد آباد ١٣٢٣ هـ ؛ القاهرة ١٩٠٦م.
مجموعة رسائل ، القاهرة ١٩٣٥ م .
العقل وفضله ، مصر (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ١٩٤٦ م .
كتاب الشكر (نشره محمد أحمد رمضان المدنيّ) ، القاهرة (مطبعة المنار) ١٣٤٩ هـ .

** الفهرست ١٨٥ ؛ تاريخ بغداد ١٠ : ٨٩ – ٩١ ؛ فوات الوفيات ١ : ٣٠١ – ٣٠٢ ؛ بروكلمان ١ : ١٦٠ ، الملحق ١ : ٢٤٧ – ٢٤٨ ؛ زيدان ٢ : ١٩٩ – ٢٠٠ .

أبو العيناء

١ – هو أبو عبدِ الله محمّدُ بن القاسم بن خلّاد[١] بن ياسرِ بن سليمانَ اليمامي ، مولى بني هاشمٍ من بني العبّاس (طبقات ابن المعتزّ ٤١٥) ، لقّبه بذلك أبو زيدِ الانصاريّ لأنه سأله عن تصغير عَيْن (وفيات ٢ : ٣٢٤) .
وُلِدَ أبو العيناء في الأهواز سنة ١٩١ هـ (٧١٩ م) ثم انتقل إلى البصرة وتلقّى العلم فيها على الأصمعي وأبي عُبيدةَ وأبي زيدِ الأنصاريّ وغيرِهم ، وقد عَمِيَ في ذلك الحين ، وكان قد بلغَ الأربعين من عُمُرِه . ثمّ انه بارح البصرةَ ، وهو عازمٌ على ألاّ يعودَ إليها ، وجاء إلى بغدادَ . وقد نال أبو العيناء حظوةً عند الخليفةِ المتوكّلِ ، وعاش حيناً في بغداد وسامرّا ثم عاد إلى البصرة (وفيات ٢ : ٣٢٤) ، فتُوفّي فيها في العشرين من جُمادى الثانيةِ من سنةِ ٢٨٣ هـ[٢] (٥–٨–٨٩٦ م) في الأغلب .

٢ – كان أبو العيناء أديباً إخبارياً فصيحاً بليغاً « من ظُرَفاءِ العالمِ ، آيةً في الذكاءِ واللّسَنِ وسُرعةِ الجواب » (معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٦) . وكان كثيرَ المزحِ حسَنَ الحديثِ والتحديثِ واسعَ المعرفةِ بالناس جريئاً عليهم . وكان شاعراً مُقِلاً ولكن كثيرَ الإحسان والإجادة قريبَ المعاني واضحَ القصدِ سهلَ التركيب ظاهرَ النُكتة . وفنونه الحكمة والفخر والهجاء .

---
١ في معجم الأدباء (١٨ : ٢٨٦) : محمد بن القاسم وقيل ابن خلاد .
٢ ٢٨٢ هـ (نكت الهميان ٢٦٥) .

٣ – المختار من شعره

– قال أبو العيناء في ذَهاب بصره :

إن يأخذِ اللهُ من عَيْنَيَّ نُورَهما … ففي لِساني وسَمْعي منهما نُورُ :
قلبٌ ذَكِيٌّ ، وعقلٌ غيرُ ذي خَطَلٍ ، … وفي فَمي صارمٌ كالسيفِ مشهورِ

– وقال في المال :

مَن كان يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تعلّمتْ … شَفَتاهُ أنواعَ الكلامِ فقالا ،
وتقدّمَ الفُصحاءَ فاسْتَمعوا له ، … ورأيتَه بين الوَرى مُختالا .
لولا دراهمُه التي في كِيسهِ … لَرأيتَه شَرَّ البَرِيّةِ حالا .
إن الغَنِيّ إذا تكلّم كاذِباً … قالوا : صَدَقْتَ وما نَطَقْتَ مُحالا .
وإذا الفقيرُ أصابَ قالوا : لم تُصِبْ ، … وكَذَبْتَ – يا هذا – وقُلْتَ ضَلالا .
إن الدارهمَ في المَواطِنِ كلِّها … تكسو الرجالَ مَهابةً وجَلالا :
فهْيَ اللِسانُ لِمَنْ أراد فَصاحةً ، … وَهْيَ السِلاحُ لِمَنْ أرادَ قِتالا !

– وقال يَفْخَرُ بنفسهِ :

ألَمْ تَعْلَمي ، يا عَمْرَكِ اللهُ ، أنني … كريمٌ على حينِ الكرامُ قليلُ .
وإنّيَ لا أخزَى إذا قِيل مُقْتِرٌ … جواد ؛ وأخْزَى أن يُقال بَخيل [1] !
وإلاّ يَكن عَظْمي طويلاً فانّني … له بالخِصال الصالحات وَصول [2] .
إذا كُنتُ في القوم الطِوال فَضَلْتُهم … بطَوْلي لهم حتّى يُقالَ طويل [3] .
ولا خيرَ في حُسْنِ الجُسومِ وطُولها … إذا لم يَزِنْ طولَ الجسومِ عُقول .
ولَمْ أرَ كالمعروفَ ، أما مَذاقُه … فحُلْوٌ وأما وَجْهُه فجميل .

---

١ خزى : وقع في بلية وعار ثم اشتهر بذلك . مقتّر : فقير .

٢ طويل العظم : طويل الجسم . وصول (بفتح الواو) : زائد في طوله (تعبير مأخوذ من الحرب : إذا كان السيف أو الرمح قصيراً فان المحارب يمد به ذراعه حتى يصل به الى خصمه) . يقول الشاعر : إذا كنت قصير القامة فان أعمالي الصالحة تعوض علي ما فقدت من الطول في الجسم .

٣ – إذا كنت بين جماعة كلهم أطول قامة مني كنت أنا أطول (من الطول بفتح الطاء بمعنى الفضل والغنى ، وهو ما تتطول أو تتفضل به على الآخرين) حتى يقال إنني أطول منهم كلهم .

٤ — ** الفهرست ١٢٥ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٤١٥ — ٥١٦ ؛ معجم الشعراء ٤٠٢ — ٤٠٣ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ١٧٠ — ١٧٩ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٦ — ٣٠٦ ؛ نكت الهميان ٢٦٥ — ٢٧٠ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٢١ — ٣٢٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ٢٤٨ — ٢٤٩ .

ابن الروميّ

١ — هو أبو الحسن عليّ بنُ العبّاسِ بن جُريجٍ . وجُريجٌ هذا أو جَرجيسُ أو جُورجيوسُ رجلٌ روميّ (يوناني) أسْلَمَ على يدِ عُبيد الله بن عيسى بن جعفرِ بن الخليفةِ المنصورِ العبّاسيّ فألحقَ وِلاءه ، من أجلِ ذلك ، ببني العبّاس . وكانتْ أمّ ابنِ الروميّ حَسَنَةُ بنت عبدِ اللهِ السِجزيّ (السِجِسْتاني) فارسيةً .

وُلِدَ ابنُ الروميّ في الجانبِ الغربيّ من بغدادَ في جُمادى الأولى [١] من سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) ونشأ في بيتٍ على شيءٍ من الثروة جاءتْ إليه من مواليه بني العبّاس أهلِ البيتِ المالكِ الذين كان ابنُ الروميّ يعيشُ في كَنَفِهم .

نال ابنُ الروميّ طَرَفاً صالحاً من علومِ العربيةِ كاللغةِ والنحوِ والأدبِ ومن العلوم العقلية والطبيعية ، كما ألمّ بأخبارِ الفلاسفةِ وبعلمِ الكلام . ولكنْ من التمَحّلِ البعيدِ أن نَنْسِبَ اليه معرفةً باللغة اليونانية أو اللغة الفارسية . وكان ابن الروميّ من كُتّابِ الدواوينِ ، ولكنّ الشعرَ غَلَبَ عليه (العمدة ١ : ٩) فلم يُعرَفْ إلاّ بالشعر .

وتزوّجَ ابن الروميّ مرتينِ ورُزِقَ من زَوْجَتَيْهِ كِلْتَيْهما أولاداً . ولكنه لم يكنْ وادعاً في زواجهِ ولا سعيداً في ما رُزق من أولادٍ . وقد تُوُفّيتْ

---

١ في وفيات الاعيان (٢ : ٤٢) : « وكانت ولادته يوم الاربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب سنة احدى وعشرين ومائتين ببغداد في الموقع المعروف بالعقيقة (في معجم الشعراء ١٤٥ : العتيقة) ودرب الختلية في دار بازاء قصر عيسى بن جعفر (بن أبي جعفر) المنصور ..... وتوفي يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقيل أربع وثمانين ، وقيل ست وسبعين ومائتين ببغداد ، (في معجم الشعراء ١٤٥ : في شوق العطش) ، ودفن في مقبرة باب البستان » .

إحدى زوجتيه في حياته ومُعْظَمُ أولاده أيضاً . وكذلك تُوُفِّيَتْ أمّه في حياته وتوفي أخوه الذي كان يُعينه على الحياة فاستقر في نفسه من أجل ذلك كثيرٌ من التشاؤم والنِقْمة . وكان ابن الرومي يَخاف الأسفارَ وما فيها من الأخطارِ فلم يُغادرْ بغدادَ إلاّ مرةً واحدةً زار فيها سامرّا ، على أربعينَ كيلومتراً من بغداد شَمالاً .

وتُوُفّيَ ابنُ الرومي مَسموماً ، تولّى وَضْعَ السّمِّ له أبو فِراسٍ الكاتب بأمرِ القاسم بن عُبيد الله وزيرِ الخليفة المُعْتَضِدِ ، لأنه كان قد أكثر من هجاء القاسمِ بن عُبيد الله وأفحش . وكانت وفاته بالجانب الشرقي من بغدادَ في جُمادى الأولى أيضاً من سنة ٢٨٣ هـ (٨٩٦ م) .

٢ — يبدو من ديوان ابن الرومي أن بعض المُتَنَطّعين كانوا يُعَرِّضون بنسب ابن الرومي ويطعنون بذلك على أدبه (يُنكرون ان يُحْسِنَ غيرُ العربي قولَ الشعر في اللغة العربية) ، فاستفزّوه بعملهم هذا (راجع العمدة ١ : ٦١) فقال :

قد يُحْسِنُ الرومُ شِعْراً ما أحسنته العُرَيْبُ !
يا مُنكرَ الفضلِ فيهم ، أليْسَ منهم صُهيب[1] ؟

وكان ابن الرومي مُصاباً بالسُوَيْداء مُضْطَرِبَ النفسِ لا يَمْلِكُ أعصابَه ، فظهر عليه أربعةُ أعراضٍ بعضُها تابعٌ لبعضٍ : هي الطِيَرَةُ والتشاؤم والغرور وسوء المخالقة للناس .

وذكر ابن رشيقٍ (العمدة ١ : ٥٣) أن ابن الرومي كان كثيرَ الطِيَرَةِ : رُبّما أقامَ المدة الطويلة لا يَتَصَرّف تَطَيّراً بسوء ما يراه أو يسمعه ، حتى إنّ بعضَ إخوانه من الأمراء افتقده فأُعْلِمَ بحاله في الطيرة ، فبعث اليه خادماً اسمه إقبالٌ ليتفاءلَ به . فلما أخذ (ابن الرومي) أهْبَتَهُ للركوب قال للخادم : انْصرِفْ إلى مَوْلاك ، فأنت ناقصٌ ، ومَنْكُوسُ اسْمِك : لابقا — لا بقى .

وإذا كانتِ الطيرة تتعلق بالحوادثِ المُفردةِ في الحياة ، فإنّ التشاؤم هو

---

[1] صهيب عبد رومي دخل في الإسلام في أيام الرسول وأصبح من كبار الصحابة .

النظرةُ القاتمة إلى المُستقبل عموماً . وابن الرومي كان كارهاً للحياة لا يرى في الدنيا أكثرَ من طريق إلى الآخرة . إنه كان أيضاً مغروراً غرورَ ضَعْف : يعتقد أنه مظلوم في الحياة الدنيا ، فهو أبداً يشكو إدْبارَ الدنيا عنه وإقبالَها على من همْ أقلّ منه قيمةً . وكذلك كان سيء المُخالقة للناس قليلَ الاحتفالِ بهم كثير التوَثّب عليهم يهجو الاكابرَ ويُنابذ الاصدقاء حتى قَطَعَه الناسُ وكَرِهَه من كان له مُحِبّاً . ومن سوء سلوكه في المجتمع أنه كان نَهِماً كثير التطلّب للطعام رديءَ التناولِ له مَعَ الجَشَع . وأدرك ابن الرومي أخيراً أنه قد خسر معركة الحياة وخاب في فرض إرادته على مجراها فاندفع مَعَ التيار وانغمس في لا مبالاةٍ مطلقة . وعلى هذا قوله :

لاح شَيْبي فَرُحْتُ أمرحُ فيه مَرَحَ الطَرْفِ في العَذارِ المُحلّى[1] .
وتَوَلّى الشبابُ فازْدَدتُ رَكْضاً في ميادينِ باطلي إذْ تَوَلّى .
إنّ من ساءه الزمانُ بشيءٍ لَأحَقّ امْرِئٍ بأن يتَسَلّى !

ابنُ الروميّ شاعرٌ مطبوع يجري في شعره على السليقة ولا يتكلّف أبداً ، على الرّغم من أنه طويلُ النفس ، فقد يبلُغُ بالقصيدة نحوَ ثلاثمائةِ بيتٍ . وابن الرومي يهتمّ بالمعاني أكثرَ منَ اهتمامِه بالألفاظ . والمعاني في شعره كثيرة وفيها ابتكار . إن ابن الروميّ مُغْرَمٌ بالمعاني : « يُؤثِرُ المعنى على اللفظ فيطلُبُ صِحتّه ثمّ لا يُبالي حيثُ وقع (معناه) من هُجْنَةِ اللفظ وقُبحه وخُشونته » (العمدة ١ : ١٠٦) . بعدئذٍ تراه يأخذُ المعنى الواحدَ فيُقَلّبُه على جميعِ وجوههِ حتى لا يَتْرُكَ فيه ناحيةً .

وابنُ الروميّ ميّال إلى استيفاء المعنى في مكانٍ واحدٍ من القصيدةِ (وهذا ما يُسمّيه بعضُهم « وَحْدةَ الموضوع ») ، إذ تراهُ يُعالجُ المعاني أحياناً ويُناقشها ويَجْمع أطرافَها ويَربِطُ بعضَها ببعضٍ رَبْطاً يكاد يكون منطقيّاً حتى لَيُخَيّلُ إليك أنه يكتُبُ مقالةً لا يَنْظِمُ قصيدة .

أما ألفاظه فهي فصيحة مألوفة ولكنه أحياناً يردد الصِيَغ المختلفة من الجِذْرِ الواحد ترديداً غير مُسْتَحْسَنٍ ، كقوله :

---

١ الطرف : العين ، النظر . العذار : الشعر النابت في الوجه . – يقول : كسروز العين من النظر إلى وجه بدأ الشعر ينبت فيه (كناية عن النضارة والشباب) .

إنّ مِنْ أضعفِ الضِعافِ لدى اللهِ قَوِيّاً يَسْتَضْعِفُ الضعَفاءَ .

أما **فنونُ** ابن الرومي **وأغراضُه** فكثيرةٌ جداً ، فله مديحٌ وعتاب وفخر وتهديد وهجاء ، وله وصف وحكمة وغزل ونسيب ورثاء . وقد امتاز في مُعْظمِ هذه الفنون ، وخصوصاً في الفنون الوُجدانية كالغزل والنسيب والرثاء والهجاء وفي الوصف خاصة .

الوصف يَغْلِبُ على جميع فنون ابن الرومي : أجاد ابن الرومي **وصف الطبيعة** بما فيها من حياةٍ وأشجار وأطيار ، وأجاد وصفَ المطاعم والمشارب . على أنه امتاز بشيئين في وصفه امتيازاً ظاهراً : إنه وصف لنا **الحياة الدنيا** كالبؤس والأطعمة والصناعات العادية . ثم انه كان ميّالاً في أوصافه إلى **التشخيص** : إلى أن يبعثَ في الموصوفِ حياةً ويَخْلَعَ على الأشياء المادية صفاتِ الأشخاص العاقلين . فمن أوصافه الجِياد المشهورة وصفُ العِنَبِ الرازقيّ (وهو نوع ينمو في مدينة **الطائف** قربَ مكّة ، حبته طويلة مجموعة في وسَطها ، أعلاها أحمر وأسفلها أصفر) :

ورَازِقيٍّ مُخْطَفِ الخُصورِ ، كأنه مَخازِنُ البلّورِ ،
قد ضُمِّنَتْ مِسْكاً إلى الشّطور ، وَفي الأعالي ماءُ وَردِ جُوري [1]
لم يُبْقِ منه وَهَجُ الحَرورِ إلاّ ضياءً في ظُروفِ النورِ .
لو انه يَبْقى على الدهورِ قَرّط آذانَ الحِسانِ الحورِ [2] .

وله أيضاً وصف قالي الزّلابية ، والزلابية نوع من الحَلوى يُصنَع من العجين الرخْوِ ويُقلى بالزيت على شكلِ خُطوط تتابع في استدارة وتتقاطع ثم يُغْمَس في القطر (السُكّر المغلي في الماء) :

وَمُسْتَقِرٍّ على كُرْسيّه تَعِبِ ، روحي الفداءُ له من مُنْصَبٍ تَعِبِ [3].
رأيتُه سحَراً يَقْلي زَلابِيَةً في رِقّةِ القِشرِ ، وَالتجويفُ كالقصَب .
كأنما زَيْتُه المَقْليّ حين بدا كالكيمياءِ التي قالوا ولم تُصِبِ :

---

١ ورد منسوب إلى مدينة جور في فارس ، وهو شديد الحمرة .

٢ اتخذته النساء الجميلات أقراطاً (حلقاً) في آذانهن .

٣ المنصب : الذي بلغ منه الهم والاعياء (تلاشي القوى من بدل الجهد – بضم الجيم) مبلغاً عظيماً . التعب (بكسر العين) : المتعب (بضم الميم وفتح العين) : الذي مر عليه وقت طويل لم يسترح فيه .

يُلْقي العجينَ لُجيناً[1] من أناملــه فيستحيلُ شبابيكاً من الذهب .

ومِثْلُ ذلك في الجَمال والإجادة وصفُه لصانع الرُقاق (الخبّاز) ، وهو من الوصف الحِسي البارع :

ما أنْسَ لا أنْسَ خبّازاً مررتُ به يَدحو الرُقاقة مثلَ اللمحِ بالبصرِ[2] .
ما بين رُؤيتِها في كَفّـهِ كُـرَةً وبين رُؤيتها قَوْراءَ كالقمرِ
إلاّ بمِقْدارِ ما تَنْداح دائرَةٌ[3] في صفحهِ الماء يُرمى فيه بالحجرِ .

ولابن الرومي قصيدة يمدح بها عُبيد الله بن عبد الله بن طاهرٍ ويهنئه فيها بيوم المَهْرجان (أحد الأعياد التي أخذها العرب عن الفرس) . وفي القصيدة وصفٌ حِسّيّ وتحليل نفسي وشيء من الغزل . وفي ما يلي مقطع منها يصف فيه ابن الرومي قِياناً يَعْزِفْنَ ويُغَنّين :

وقِيـانٍ كأنهـا أُمّهـاتٌ عاطفاتٌ على بَنيها حَوانِ .
مُطفِلاتٌ وما حَمَلْنَ جَنيناً ، مُرْضِعاتٌ ولَسْنَ ذاتَ لِبـانِ ؛
مُلقَماتٌ أطفالهنّ ثُديـّاً ناهداتٍ كأحسن الرُمـان
مفعَماتٍ كأنهـا حافِـلاتٌ وهي صِفرٌ من درة الألبان[4] .
كلّ طِفلٍ يُدعى باسماءَ شتّى بين عود ومِزْهَر وكِران[5] .
أمّه دهرَها ترجمُ عنه ، وهو بادي الغنى عن التَرْجُمان .
غير أنْ ليس ينْطِقُ الدهرَ إلا بالْتزامٍ من أمّه واحتضان .
أُوتيَ الُحكْمَ والبَيانَ صَبيّاً مثلَ عيسى بنِ مريمٍ ذي الَحنان .
وتَغَنّتْـهُ بالمدائـح فيـه كلّ غيداءَ غـادة مِفتان
ذاتُ صوتٍ تَهُزّه كيف شاءت، مثْلَ ما هزّتِ الصَبا غُصْنَ بان .

---

[1] فضة .
[2] يدحو الرقاقة : يمد الرغيف على الدف بمتابعة الخبط عليه بيديه .
[3] تتسع وتعظم .
[4] مفعمات : نعت متعدد مع ناهدات في البيت السابق . مفعم : مملوء . حافل : مملوء . صفر : فارغة .
[5] العود والمزهر والكران : آلات موسيقية . وقد منع ابن الرومي كلمة « اسماء » من الصرف ، وذلك خطأ .

يَتَثَنّى فيَنفُضُ الطَلّ عنه   في تَثَنّيه مِثلَ حَبّ الجُمان[1] .
جَهْوَريّ بلا جَفاءٍ على السمـ   ـعِ مَشوبٌ بغُنّةِ الغـزلان .
فيه بَمٌّ وفيه زِيرٌ من النغـ   ـم وفيه مَثالِثٌ ومَثـان [2] .
فتراه يَجِلّ في السمع حيناً ،   وتراه يَدِقّ في الأحيـان .
يَلجُ السمعَ مُستمراً إلى القلـ   ـب بلا إذنٍ لا ولا استئذان .
صِيغَ من طَبْع صوتها كلّ لَحْنٍ   مَعَها من لُحون تلك الأغاني .
أعْجَمِيّ ، آيينُهُ [3] عَرَبيٌّ   مجدُه ينتمي إلى عَدنـان .

الوصف يتناول الموضوعات الحسية ، أما **التحليل** فيتناول الموضوعات المعنوية (المجردة) . ولقد برع ابن الرومي في هذا الباب من أبواب الشعر حتى حاز فيه الشّهرةَ والإجادة دونَ سائر الشعراء . إن وصف الغناء والإحاطةَ بأثرِ الحقْد أوِ الحسد في النفوس ، والكلامَ في العزْلَةِ عن البشر ، ثم وصفَ الشيب والخِضابِ ووصفَ الزّهادِ والبَحْثَ في الصبر والكلامَ على الحظّ ، كل هذا يدخل في باب التحليل . قال ابن الرومي يحلل طبعَه :

شُكْري عَتيدٌ [4] ، وكذلك حِقدي .   للخيرِ والشرِ بقـاءٌ عنـدي ،
كالأرض مهما استُودِعَتْ تُؤدِّي .   وأيْنَ عن طينَتِنا نُعَدّي [5] :
أحفَظُ للأعـداءِ والأوَدّ   ما استَوْدَعوا من بُغْضَةٍ أوْ وُدّ .
ماذا يقول القائلون بعـدي [6] !

وقال في الشيب والخضاب :

رأيتُ خِضابَ المرءِ عند مَشيبِه   حِداداً على شَرْخِ الشبيبة يُلْبَسُ [7] .

---

١ الطل : حبات الندى . الجمان جمع جمانة : اللؤلؤة الكبيرة .
٢ البم والزير والمثاني والمثالث من أسماء الاوتار في الآلات الموسيقية . يقصد ابن الرومي أن هذه المغنية تستطيع الإتيان بطبقات الغناء العالية والواطئة .
٣ آيين كلمة فارسية معناها آداب السلوك ، الحضارة .
٤ عتيد حاضر ، مهيأ — أنا أشكر الذي يحسن الي على الفور وأحقد على الذي يسيء إلي على الفور أيضاً .
٥ مهما زرعت في الأرض تحصد منها . نحن لا نستطيع أن نخالف طينتنا (طبيعتنا) .
٦ لا آبه لما يقول الناس بعد ذلك !
٧ شرخ الشباب : أوله .

وإلاّ ، فما يغزو امرُؤٌ بخضابهِ : أيطمعُ أن يَخْفي شبابٌ مُدَلّس [1] ؟
وكيفَ بأنْ يخفي المشيبُ لخـاضبٍ وكلٌّ ثلاثٍ صُبْحُه يتَنَفّسُ ؟
وهَبْهُ يُواري شَيْبَهُ ! أيْنَ ماؤهُ ، وأيْنَ أديمٌ للشبيبةِ أمْلَسُ ؟

ومن أبيات ابن الرومي المشهورة في هذا الباب أبيات في الوطن هي :

ولي وطنٌ آليْتُ ألاّ أبيعَـه وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا .
عهِدتُ به شَرْخَ الشباب ونعمـةً كنعمةِ قوم أصبحوا في ظِلالكا ،
وحبّب أوطانَ الرجـال إليهـمُ مآربُ قضّاها الرجالُ هنالكا .
إذا ذكروا أوطانهمْ ذكّرتْهـمُ عهودَ الصبى فيهـا فحنّوا لذلكا .

فانظرْ كيف يحلل ابن الرومي صلة الإنسان بوطنه وكيف يعلل هذا الارتباط برغم ما يمكن أن ينال الانسان في وطنه أحياناً من الأذى . انه لا يبيع وطنه مع ان قوماً نالوا فيه نعمة لم ينلها هو .

ابن الرومي من أقدر الهجّائين في تاريخ الأدب العربي . وكان الوصف والتحليل يَغلِبان على **هجائه** فيُكْسبانِه صُوراً رائعة تحمل السامع على الهزؤ بالمهجوّ وتجعل الهجاءَ دائراً على الألسن . وابن الرومي يهجو بالعيوب الخُلُقية كالجُبن والبخل والتقاعس ، ولكنّ ميزتَه البارزة كانت في تناول العيوبِ الخَلْقية (الجِسْمية) كالعَرَج والاحديداب والقبح وطول اللحية ، وفي حسن التهكّم بذلكَ . وهجاء ابن الرومي جيد سواءٌ أكان في مقاطعَ قصارٍ أو في قصائدَ طوالٍ . قال يهجو عيسى بن منصور :

يُقَتّرُ عيسى على نفسـهِ ، وليس بِباقٍ ولا خـالدِ ،
فلو يستطيعُ لِتَقْتـيرِهِ تَنَفّسَ مِنْ مِنْخَرٍ واحد !

ومن أهاجي ابن الرومي القصار والّتي تنطوي على تصوير وتحليل وتهكم مؤلم أهاجيه التالية :

قَصُرَتْ أخادِعُه وطـال قَذالـهُ فكـأنه مُتَرَبّصٌ أنْ يُصْفَعا [2] .
وكأنما صُفِعَتْ قَفـاه مـرّةً وأحَسّ ثانيـةً لهـا فتجمّعا .

---

١ يغزو : يبلغ ، يستفيد (؟) . شباب مدلس : شباب زور .
٢ قالها في رجل أحدب ؛ الاخادع عروق في جانبي العنق . القذال : مؤخر الرأس .

ـ ان تَطُلْ لِحْيَةٌ عليك وتَعْرُضْ	فالمخالي معروفةٌ للحميرِ .
علّقَ اللهُ في عذاريْكَ مِخْلاةً	ولكنها بغير شعير [1] .
لو غدا حُكْمُها إليّ لطارت	في مَهَبِّ الرياحِ كلّ مَطيرِ .
لحيةٌ أهمِلَتْ فَسَالَتْ وفاضتْ	فإلَيها تُشيرُ كفّ المُشيرِ .
ـ وَصَلْعَةٍ لأبي حَفْصٍ مُمَرَّدَةٍ	كأنّ صَفْحَتَها مِرآةُ فولاذِ [2] .
تَرِنّ تحتَ الأكُفِّ الواقعاتِ بها	حتى تَرِنّ بها أكنافُ بَغداذِ .

ليس في **غزل** ابن الرومي من البراعة سوى ما فيه من الوصف . أما **نسيبه** فرقيق عذب شديد الأثر في النفس بادي الصدق :

أعانقُها والنفسُ بَعْدُ مَشوقةٌ	اليها ، وهل بعدَ العِناق تَدانِ ؟
وألْثِمُ فاها كي تَزولَ حَرارتي	فيشتدّ ما ألْقَى من الهَيمان [3] .
وما كان مِقْدارُ الذي بي من الجَوى	لِيَشْفِيَهُ ما تَلْثِمُ الشّفَتان .
كأنّ فؤادي ليس يَشْفي غليلَه	سوى أنْ يَرى الرّوحَيْنِ يمتزجان !

رثاء ابن الرومي قسمانِ : قسم قاله الشاعر في أهلِه ، وقسم قاله في غير أهله . فأمّا هذا الأخيرُ ففيه تكلّفٌ كثير وهو مجرد من العاطفة . وأما **رثاؤه في أهله** فشعر صحيحٌ فيه عاطفةٌ ولَوْعة ، وفي أثنائه تحليل بارع . وابن الرومي في رثائه هذا يُحَلّل ما يشعر هو به في ساعة الرزْءِ وبعدها : ان رثاءه صورة صادقة لنفسه في الدرجة الأولى ثم للميت في الدرجة الثانية .

والعجيب أن فن ابن الرومي يتغلب على عاطفته حتّى في رثاء أولاده ، فإنك إذا قرأت مَرْثِيتَهُ في ابنه الاوسط – وهي أجَلّ مراثيه – رأيتَ العبقريةَ الفنية تَطْغَى على عاطفة الأُبُوّة : بدأ بخطاب عينيه ثم وصف المرض الذي مات به ابنه . بعدئذٍ ذكر شعوره هو نحو الموت عموماً ونحو ابنه :

بُكاؤكُما يشفي وإن كان لا يُجْدي ،	فجُودا فقد أوْدى نظيركُما عندي [4] .

---

1 العذاران : منبتا الشعر على جانبي الوجه .
2 ممردة : مبلطة .
3 الهيمان : الحب أو أشد الحب .
4 يجدي : يفيد . نظيركما : شبيهكما ، مثيلكما في القيمة .

تَوَخّى حِمامُ الموت أوْسَطَ صِبيتي ، فلله كيفَ اختار واسِطَةَ العِقد [1] ،
طواه الرّدَى عني فأضحى مَـزارُه بعيداً على قُرب قريباً على بُعْدِ !
لقد قلَّ بينَ المهدِ واللحدِ لُبثُه ، فلم ينسَ عهد المهد إذ ضُم في اللحد .
ألَحّ عليهِ النّزْفُ حتى أحالَـهُ إلى صُفرةِ الجادِيِّ عن حُمرةِ الوَرْدِ .
عَجِبْتُ لقلبي كيف لم ينفطرْ لـه ولو أنّه أقْسى من الحجر الصَّلْد .
وأولادُنا مثل الجَوارح ، أيُّهـا فَقدناه كان الفاجعَ البَيِّنَ الفَقْدِ [3] ؛
لكُلٍّ مكانٌ لا يَسُدّ اختلالَـه مكانُ أخيه من جَزوع ولا جَلْد [4] :
هل العَينُ بعدَ السَّمْعِ تَكفي مكانه ، أم السمع بعد العين يَهدي كما تَهدي ؟

لابن الرومي أبيات في **الادب أو الحكمة** ترد متفرقة في قصائده :

— فما كلُّ مَنْ حطَّ الرِحالَ بمُخْفِقٍ ، ولا كلُّ من شدَّ الرِحالَ بكاسبِ [5] .
أرى المرءَ مُذْ يَلْقَى التُرابَ [6] بوجهه ، إلى أنْ يُوارَى فيـه ، رَهْنَ النوائب .
— ومُحالٌ أنْ يَسْعَدَ السُعَداءُ الدهـ ـرَ إلاَّ بشَقْوَةِ الأشـقياءِ .
— إنَّ مَنْ لامَ جاهلاً لَطَبيبٌ يَتَعاطى عِلاجَ داءٍ عَياءِ [7] .
— وإذا ما مَخابِرُ النـاسِ غابَـتْ عنكَ فاستَشْهِدِ الوُجوهَ الوِضاء [8] .

ولكنَّ له أيضاً حِكَماً ترد في قطعٍ مُستقلةٍ أو شبهِ مستقلة وتمثل فِكرةً واحدة أو فكراً متقاربة . بهذه الحكم التي ترد مجموعةً مستوفاة في مكان واحد اشتهر ابن الرومي وامتاز من سائر أقرانه . من ذلك قوله :

١ توخى : طلب . واسطة العقد . اللؤلؤة الكبرى التي تكون في أوسط العقد .
٢ النزف : نزيف الدم من الجسم . الجادي : الزعفران ، وهو أصفر اللون .
٣ الجوارح : الاعضاء كالأيدي والارجل والعيون ... الخ .
٤ الجزوع : الحزين ، الكثير التأثر . الجلد : الصبور ، المتحمل للمصائب والمشاق .
٥ ما كل من لزم بلده افتقر ، ولا كل من سافر إلى مكان بعيد اغتنى .
٦ يلقى التراب بوجهه : يولد .
٧ الداء العياء : المستعصي على الطب . — الجاهل لا يفهم النصيحة .
٨ كان ابن الرومي من الذين يعتقدون ان حسن الخلق تابع لحسن الوجه ، وسوء الخلق تابع لقبح الوجه .

عَدُوُّكَ مِنْ صديقِكَ مُسْتَفادٌ ... فلا تستَكْثِرَنَّ مِنَ الصِحابِ .
فإنَّ الداءَ أكثَرَ ما تراه ... يَحولُ مِنَ الطعامِ أوِ الشرابِ .
إذا انْقَلَبَ الصديقُ غدا عَدُوّاً ... مُبيناً ، والأُمورُ إلى انقلاب .
ولو كان الكثيرُ يَطيبُ كانت ... مُصاحبَةُ الكثيرِ مِنَ الصواب .
ولكن قَلّما استكثَرتَ إلاّ ... وقعتَ على ذِئابٍ في ثِيابِ .
فَدَعْ عنكَ الكثيرَ : فكَمْ كثيرٍ ... يُعافُ ، وكم قليلٍ مُسْتطاب !
وما اللُجَجُ المِلاحُ بمُرْوِياتٍ ... وتَلْقَى الرِيَّ في النُطَفِ العِذابِ [1] .

٣ — قصيدة مختارة : وحيدُ المغنيّة :

هذه القصيدة تجمعُ كثيراً من خصائصِ ابن الرومي في الغزل والنسيب والوصف والتحليل ، فهي من أجل ذلك وجدانية خالصة . ثم هي تمثل ابن الرومي تمثيلاً صحيحاً وتعبّر عن نفسه وتكشف عن خيبته في مجالس الانس . كان ابن الرومي مُعْجَباً بوحيدَ وبغنائها ولم تكن هي تعبأ به :

يا خليليَّ ، تيَمَّتْني وَحيدُ ، ... ففُؤادي بها مُعَنًّى عَميدُ [2] .
غادةٌ زانها مِنَ الغُصْنِ قَدٌّ ، ... ومِنَ الظَبْيِ مُقْلتانِ وَجيدُ [3] .
وزَهاها ، من فَرْعِها ومن الخَدَّيْنِ ، ذاك السوادُ والتَوْريد [4] .
أوقَدَ الحسنُ نارَهُ في وحيدٍ ... فوقَ خدٍّ ما شانه تخديد [5] .
فهي بَرْدٌ بخدّها وسلامٌ ، ... وَهْيَ للعاشقين جَهْدٌ جَهيد [6] ،
لم تَضِرْ قطّ خدّها وَهْوَ ماءٌ ، ... وتُذيبُ القلوبَ وهيَ حديد .
ما لما تَصْطليهِ من وَجنَتَيْها ... غيرُ تَرْشافِ ريقِها تبريد [7] .

---

١ اللجة : الماء الكثير . الملاح : المالحة . النطفة : الماء القليل . العذاب : الحلوة .
٢ تيمتني وحيد : ذللتني بالحب . معنى : متعب ، حامل ما لا يطيق . العميد الذي هده العشق .
٣ الغادة : المرأة الناعمة اللينة . القد : القوام . الجيد : العنق .
٤ زهاها ... : جعلها زاهية ناضرة جميلة ، أو متكبرة . الفرع : الشعر . السواد في الشعر والتوريد في الخد .
٥ شانه : عابه . تخديد : تشقق .
٦ برد وسلام : لا ضرر منه . جهد جهيد : تعب شديد . لعل الأصوب : في خدها .
٧ الاصطلاء : التعرض لحر النار (تصطلي أنت) . ترشاف : رشف : أخذ الماء بالشفتين قليلا قليلا .

مِثلُ ذاك الرُّضابِ أطفأ ذاك الـ ـوَجْدَ ، لولا الإباءُ والتَّصْريد [1] .

* * *

وغَرِيرٌ بحُسْنِها قال : « صِفْها » . قُلْتُ : « أمران ، بَيِّنٌ وشديد [2] :
يَسْهُلُ القَوْلُ إنّها أحْسَنُ الأشـ ـياءِ طُرّاً ، ويَصْعُبُ التحديد » .
شمسُ دَجْنٍ ، كِلا المُنيرين من شمـ ـسٍ وبدرٍ من نورِها يَسْتفيدُ .
تَتَجلّى للناظرين إلَيْها ، فَشَقِيٌّ بحُسْنِها وسعيد .
ظَبْيَةٌ تَسْكُنُ القلوبَ وتَرْعا ها ، وقُمْريّةٌ لها تَغْريد [3] .
تَتَغَنّى كأنّها لا تُغَنّي ، من سُكون الأوصالِ ، وهْيَ تُجيد :
لا تراها – هناك – تَجْحَظُ عَيْنٌ لك منها ، ولا يَدُرّ وريد [4] ؛
من هُدُوٍّ وليس فيه انقطاعٌ ، وسُجُوٍّ وما به تَبْليد [5] .
مَدّ في شأوِ صوتِها نَفَسٌ كا فٍ ، كأنفاسِ عاشقيها مَديد [6] ،
وأرَقّ الدّلالُ والغُنْجُ منه ، وبَراهُ الشّجا فكاد يَبيدُ [7] .
فتَراهُ يَموتُ طَوراً ويحيا ، مُسْتَلَذٌّ بسيطُه والنَّشيدُ [8] :
فيه وَشْيٌ وفيه حَلْيٌ ، من النَّغْـ ـمِ ، مَصوغٌ يَختالُ فيه القصيد .
طابَ فوها وما تُرَجِّعُ فيه ! كلّ شَيْءٍ لها بذاك شهيدُ [9] .

---

١ الرضاب : الريق ما دام في الفم . الإباء : التمنع . التصريد : الانقطاع .

٢ الغرير : الشاب الذي لا تجربة له . بين : ظاهر ، واضح . شديد : عسير ؛ في العقاد (ص ٣٥٢) : هين وشديد .

٣ ترعاها : ترعى فيها : تأكل منها . القمرية : الحمامة .

٤ جحظت : برزت . الوريد : يقصد به الشاعر أحد العروق الممتدة في العنق . لا يدر وريد : لا يمتلئ بالدم ، يتضخم (عند الغناء) .

٥ هدو : لعلها هدوء ، أو لعل الهمزة حذفت منها للتوكيد مع سجو . السجو : مد الصوت بالغناء .

٦ الشأو : هنا طول النفس في الغناء .

٧ الشجا : البحة (بضم الباء) في الحلق تجعل في الصوت شيئاً من الحزن والشكوى . فكاد يبيد : كاد أن يخفى .

٨ النشيد : رفع الصوت بالغناء . البسيط؟ – المقصود : كل أنواع غنائها لذيذة .

٩ رجع (بتشديد الجيم) ردد الصوت .

ثَغَبٌ يَنْقَعُ الصّدى ، وغِنـاءٌ عنده يُوجَدُ السّرورُ الفَقِيدُ [١] .
فلها — الدهرَ — لائِمٌ مُسْتَزِيدٌ ، ولها — الدهرَ — سامِعٌ مُسْتَعِيدُ .
في هوى مِثْلها يَخِفّ حلِيمٌ راجِحٌ حِلْمُهُ ، ويَغْوَى رشيد .
ما تُعاطي القُلوبَ إلاّ أصابت بهواهـا منهن حيثُ تُرِيـدُ [٢] .
وَتَرُ العَزْفِ في يَدَيْها مُضـاهٍ وَتَرَ الرَّجْفِ ، فيه سهمٌ شديد [٣] .
وإذا أنْبَضَتْهُ للشَّرْبِ يومـاً أيقَنَ القومُ أنها ستَصيد [٤] .
مَعْبَدٌ في الغِناء وابن سُرَيجٍ ، وَهْيَ في الضَّرْبِ زَلْزَلٌ وعَقِيد [٥] .
عَيْبُها أنّها إذا غَنّتِ الأحْـ ـرارَ ظَلّوا وهم لَدَيْها عبيد ،
واستزادتْ قُلوبُهم من هواهـا بِرُقاهـا ، ومـا لديهـم مَزِيد [٦] .

* * *

وحِسانٍ عَرَضْنَ لي ، قُلتُ : « مَهْلاً عن وحيدٍ ، فحقُّهـا التوحيد .
حُسْنُها في العيونِ حُسْنٌ جديدٌ ، فلهـا في القلوب حب جديد [٧] » .

* * *

ونصيحٍ يلومُني في هواهـا ، ضلّ عنه التَّوْفيقُ والتسـديد .
لو رأى من يَلومُ فيه لأضْحَـى وَهْوَ لي المُسْتَرِيثُ والمستزيدُ [٨] .

---

١ ثغب ينقع الصدى : ماء يطفى العطش ، يروي . يشبه غناءها للمعجبين بها بالماء للعطاش .
٢ تعاطي : تغالب ، تناول ، تعامل . إذا غنت أسرت القلوب .
٣ وتر العزف : وتر العود الذي يعزف عليه . مضاه : مشابه : وتر الرجف؟ — المعنى الملموح : إذا ضربت على وتر العود فكأنها تضرب على وتر القلوب .
٤ أنبض القوس ، أو أنبض في القوس : حرك وترها لترن : — قبل العزف يحرك الضارب على العود أوتار العود ليعين طبقة الغناء .
٥ تشبه في حسن الصوت معبداً وابن سريج ، وهما أشهر المغنين في العصر الأموي . وزلزل كان مشهوراً بالضرب على العود ، ومثله عقيد .
٦ الرقى : السحر ، الجمال — الناس يحبونها لغنائها ، ثم هم يريدون أن يحبوها أيضاً لجمالها ، ولكـن لا يستطيعون لأنهم منحوها كل حبهم أولا لحسن غنائها .
٧ في العقاد (ص ٣٥٣) : وحيد (مرتين) مكان : جديد .
٨ يطلب مني البقاء على حبها والزيادة فيه .

ضِلَّـةٌ للفؤاد يحنو عليهـا ، وَهْيَ تزهو – حياتَه – وتَكيد [1] .
سحرته بِمُقْلَتَيْها فأضحت ، عنده ، والذميمُ منهـا حميـد .
خُلِقَتْ فِتْنَةً ، غِناءً وحُسناً ما لهـا فيها جميعاً نَديد [2] .
فَهْيَ نُعْمَى يَميدُ منها كبيرٌ ، وَهْيَ بلْوَى يَشيبُ منها وَليدُ .
لِي – حَيْثُ انصرفتُ منها – رفيقٌ مِنْ هواها ، وحَيْثُ حلَلْتُ قَعيد [3]
عن يَميني وعن شِمالي وقُدّا مي وخَلْفي ، فأيْنَ عنه أحيد ؟
سَدَّ شَيْطانُ حُبِّها كلَّ فَجٍّ ، إنَّ شَيْطانَ حُبِّها لَمَريدُ [4] .

* * *

لَيْتَ شِعْري – إذا أدام إلَيْها كَرَّةَ الطرْفِ مُبْدِئٌ ومُعيد – [5] .
أهْيَ شيءٌ لا تَسْأمُ العينُ منه أم لهـا كلَّ سـاعةٍ تجديدُ ؟
بل هي العيشُ لا يزالُ متى استَعْـ ـرِضَ – يُملي غرائباً ويُفيد [6] .
مَنْظَرٌ ، مَسْمَعٌ ، مَعانٍ من اللهـ ـوِ عَتادٌ لما يُحَبّ عتيد [7] .
لا يَدِبّ المَلالُ فيها ، ولا يُنْـ ـقَضُ من عِقْدِ سحرها توكيد [8] .

* * *

١ ضلة للفؤاد : ما أضله ! ما أجهله ! تزهو : تستخف به : حياته مفعول فيه : طول حياته. كاده: مكر به ، ضايقه .
٢ نديد : شبيه ، شريك .
٣ القعيد : القاعد معك ، لا يفارقك للمحافظة عليك .
٤ الفج : الطريق الواسع في الجبل – لا أستطيع التخلص من حبها . مريد : شديد ، قوي .
٥ المبدىء هنا : الذي يراها لأول مرة . المعيد : الذي يراها للمرة الثانية أو الثالثة ، الخ . كرة الطرف (بفتح الكاف) : ترديد النظر .
٦ استعرض (صيغة مولدة) : تصفح الشيء ، رآه من أوله إلى آخره .
٧ منظرها (جمال وجهها) ومسمعها (حسن صوتها) وما فيها من دواعي الأنس ، كل ذلك عتاد (مؤونة ، غذاء ، حاجات ضرورية) عتيد (حاضر) .
٨ لا هي تمل من استهواء الناس بما فيها من سحر (من جمال وغناء) ، ولا يستطيع أحد أن يتخلص من سحرها .

أخَذَ الدهرُ ، يا وحيدُ ، لقلبي ... منكِ ما يأخُذُ المُديلُ المُعيد [1] .
حَظُّ غيري من وصلِكُمْ قُرَّةُ العيـ ... ـنِ ، وحظّي البُكاءُ والتَسْهيد [2]
غيرَ أنّي مُعَلَّلٌ منك نفْسي ... بِعِدات خِلالَهُنَّ وعيد [3] .
ما تزالين نَظْرةٌ منك موتٌ ... لي مُميتٌ ، ونَظْرَةٌ تخليد .
نتلاقى ، فلحظةٌ منك وعدٌ ... بوِصال ، ولَحْظَةٌ تهديد .
قد تركتِ الصِحاح مَرْضَى يَميدو ... نَ نُحُولاً وأنْتِ خُوطٌ يميد [4]
والهوى ، لا يزال فيه ضَعيفٌ ... بينَ ألحاظِه صَريعٌ جليد [5] .
ضافَني حُبُّكِ الغريبُ فألْوَى ... بالرُّقاد النسيبِ فهو طَريد [6] .
عَجَباً لي : إنّ الغريبَ مُقيمٌ ... بَيْنَ جَنْبَيّ ، والنّسيبُ شَريد .
قد مَلِلْنا من سَتْرِ شيءٍ مليحٍ ... نَشْتَهيه ، فهَلْ لهُ تَجْريدُ [7] ؟
هُوَ في القلبِ ، وَهْوَ أبْعَدُ من ... نَجْمِ الثُرَيّا ؛ فَهْوَ القَريبُ البَعيد [8] .

٤ — ديوان ابن الرومي (نشره محمّد سليم شريف) ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩١٧ م .
ديوان ابن الرومي (اختيار وتصنيف كامل كيلاني) ، مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٢٤ م .

---

١ المديل المعيد : الله . أخذ الدهر منك لقلبي : انتقم لك منه . في العقاد (ص ٣٥٤) المديل المقيد ؛ أقاد القاتل بالقتيل : قتله به . قراءة العقاد أصوب .

٢ ينال غيري منك ما يشتهي ، وحظي أنا منك البكاء والسهر .

٣ العدات جمع عدة (بكسر العين وفتح الدال) : وعد .

٤ الصحاح جمع صحيح : القوي الجسم . يميدون : يضطربون في وقوفهم ومسيرهم من الضعف الذي ألمّ بهم من حبك ، بينما أنت خوط (غصن ناعم) يميد (يميل من لينه وطراوته) .

٥ الصريع : المغلوب ، المقتول . جليد : صبور ، محتمل للشدائد . — يكثر أن نرى في الهوى ان صاحبة الجسم اللين الناعم الضعيف تصرع بألحاظها الاشداء من الرجال .

٦ ضافني : نزل علي ضيفاً . ألوى به (هنا) : جحده اياه ، منعه . نزل حبك (وهو غريب عني) بقلبي ، فمنعني النوم مع ان النوم قريب للإنسان ضروري له ، فشرد نومي .

٧ و ٨ معنى هذين البيتين غامض . والملموح فيهما : أنا أكتم حبك في قلبي ولكن أود أن أجرده (أعلنه) ، فهل أستطيع؟ ... هذا الحب قريب مني جداً (لأنه في قلبي) ، وبعيد عني كثيراً (لأنك أنت لا تعطفين علي) .

** ابن الرومي : حياته من شعره ، تأليف عبّاس محمود العقّاد ، القاهرة ١٩٣١ م ، .... الطبعة الخامسة ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) .

ابن الرومي ، تأليف عمر فرّوخ ، بيروت (مكتبة منيمنة) ، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م) .

ابن الرومي ، تأليف مدحت عكاشة ، دمشق ١٩٤٨ م .

ابن الرومي ، تأليف محمّد عبد الغني حسن ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٣ م ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٥ م .

ابن الرومي : فنّه ونفسيّته ، تأليف ايليّا سليم حاوي ، بيروت (دار الكتاب اللبناني) ١٩٥٩ م .

ابن الرومي في الصورة والوجود ، تأليف علي شلق ، بيروت (دار النشر للجامعيّين) ١٩٦٠ م .

ابن الرومي : حياته وشعره ، تأليف روفون جست ، ترجمة حسين نصّار ، بيروت ١٩٦١ م .

ابن الرومي : كيف أغفله صاحب الأغاني (مجلّة المقتطف ، القاهرة ٧٤ : ٥٣٩) .

فتنة الزنج ورثاء البصرة في شعر ابن الرومي لمحمّد الشرقاوي (مجلّة الرسالة ، القاهرة ، المجلّد التاسع ، ص ١١٦ ، ١٨٤ ، ٣٩٠) .

الفهرست ١٦٥ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٢٣ — ٢٦ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٨٨ — ١٩٠ ؛ أعيان الشيعة ٤١ : ٢٨١ — ٢٨٤ ؛ بروكلمان ١ : ٧٩ ، الملحق ١ : ١٢٣ — ١٢٥ ؛ زيدان ٢ : ١٨٢ — ١٨٤ .

أبو العبّاس المبرّد [1]

١ — هو أبو العبّاس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عُميرة [2] بن حسّان

١ المبرد بفتح الراء (وفيات ٢ : ٣٠٧) ، وقيل سماه المازني المبرد (بكسر الراء) (المزهر ٢ : ٤٢٧) . راجع رواية أخرى بشأن هذا اللقب في انباه الرواة ٣ : ٢٤٦ .

٢ في طبقات الزبيدي (ص ١٠٨) : ... بن عمير بن حسان بن سليم (بضم السين) ...

ابن سليمان ، قيل من ثُمالة من الأزد ، وُلِد في البصرة ، في العاشر من ذي الحجة سنة ٢١٠ هـ (٢٢–٣–٨٢٦ م) .

أخذ المبرّد العلم عن الجَرمي والمازني وقرأ عليهما كتاب سيبويه ، وعن أبي حاتم السِجستاني ، ثم أصبح إمامَ أهل العربية . وقد كانت بينَه وبينَ أبي العبّاس ثَعْلَب (ت ٢٩١ هـ) منافسةٌ شديدة ، وكان ثعلبٌ يكرهُ الاجتماع به لأن المبرّد كان أفصحَ لِساناً وأحسن إشارةً فكان الناس يتحكّمون له على ثعلب .

واختلف أهلُ مجلسِ الخليفةِ المتوكّلِ في قراءة آيةٍ من أيِ القُرآنِ الكريمِ فاستُدْعِيَ المبرّدُ من البَصرة إلى سامرّا ، سَنَةَ ٢٤٦ هـ ؛ ثم بَقِيَ فيها مُكرَّماً . فلمّا قُتِلَ المتوكّل في أواخر السنة التالية انحدَرَ المبرّد إلى بغدادَ ، ولم يكن قد جاء اليها من قبل ، وجلس للتدريس والإملاء.

وكانت وفاة المبرّد في بغداد ، في ٢٨ من ذي الحجّة سنة ٢٨٦ هـ (٤–١–٩٠٠ م) .

٢ – كان المبرّد إماماً في اللغة والنحو ثِقَةً ، وكان فصيحاً بليغاً مليحَ الأخبارِ كثيرَ النوادرِ حسَنَ المحاضرةِ فيه ظَرْفٌ ولَباقة . وللمبرّد تواليف كثيرة في اللغة والنحو والأدب والقُرآن والتاريخ والأخلاق والسُلوك أشهرُها كتاب الكامل (في الأدب واللغة) . وله أيضاً المُقْتَضَبُ (في النحو) ، معاني القرآن ، الأنواء والازمنة ، قواعد الشعر ، الحث على الأدب والصدق ، آداب الجليس ، طَبَقات النحويين البصريين وأخبارهم . وكان له شعر .

٣ – المختار من كتاب الكامل

– من المقدمة :

.... هذا كتابٌ ألّفناه يجمع ضُروباً من الآداب ما بين كلامٍ منثور وشعر مرصوف ومَثَل سائرٍ وموعظة بالغة واختيار من خطبةٍ شريفةٍ ورسالة بليغة . والنيّةُ فيه أن نُفَسِّرَ كلَّ ما وقع في هذا الكتاب من كلامٍ غريبٍ أو معنًى مُسْتَغْلِقٍ وأن نشرح ما يَعْرِضُ فيه من الإعرابِ شرحاً شافياً حتّى يكونَ هذا الكتاب بنفسه مُكْتَفِياً وعن أن يُرْجَعُ إلى أحدٍ في تفسيره مُسْتَغْنِياً ....

– كلام العرب (ص ١٧ من طبعة ليدن) :

قال أبو العبّاس : من كلام العرب الاخْتصارُ المُفَهِّم والإطنابُ المُفَخِّم . وقد يَقَعُ الإيماء إلى الشيء فيُغْني عند ذَوِي الألباب عن كَشْفة ، كما قيل ، لمحةٌ دالّةٌ [١] . وقد يُضْطَرّ الشاعرُ المُفْلِقُ والخطيب المِصْقَع والكاتب البليغ فيقع في كلامِ أحدِهِمُ المعنى المستغلِقُ واللفظُ المُسْتَكْرَهُ ، فان انعطفت عليه جَنَبات الكلام غطّتا على عُواره وسترتا من شَيْنه [٢] . وان شاء قائل أن يقول: بل الكلامُ القبيحُ في الكلام الحسن أظهر ومجاورته له أشهر كان ذلك لـه . ولكنْ يُغْتَفَرُ السيّءُ للحسَن والبعيدُ للقريب . فمن ألفاظِ العربِ البيّنةِ القريبة المُقْنِعة الحَسَنَةِ الوصفِ الجميلة الرصفِ قولُ الحُطَيْئة :

وذاك فتىً إن تأتِهِ في صَنيعـةٍ ... إلى مالِهِ لا تأتِهِ بشفيـعِ !

٤ – الكامل (نشره رايت) ، ليبزغ ١٨٧٤ – ١٨٩٢ م ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٨ هـ ؛ (وقف على طبعه ابراهيم الدلجموني) ، مصر (المطبعة الازهرية) ١٣٣٩ هـ ، (عارضه بأصوله .... أبو الفضل ابراهيم والسيّد شحاتة) ، مصر (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها) ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) .

الفاضل (عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٥٦ م .

شرح لامية العرب للشنفرى (مع أعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري) ، القسطنطينية (الجوائب) ١٣٠٠ هـ .

ما اتّفق لفظه واختلف معناه (عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (السلفية) ١٣٥٠ هـ .

نسب عدنان وقحطان (الميمني) ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٥١ م .

رسالة في اعجاز أبيات (عبد السلام هارون) ، القاهرة ١٩٥١ م .

•• اختلاف المبرّد مع سيبويه لمحمّد الفاضل بن عاشور (مجلّة المجمع

---

١ الايماء : الاشارة الخفيفة . قد تغني اللمحة الدالة عن تفسير القول الموجز .

٢ فان انعطفت جنبات الكلام غطتا على عواره : اذا كان ما قبل الكلام السيّء الضعيف وما بعده حسناً فان ذلك الكلام الحسن يغطي على ما جاء في أثنائه من الكلام السيء . العوار (بفتح العين وكسرها وضمها وباهمال الواو بلا تشديد) العيب . الشين : ضد الزين ، القبح .

العلمي العربي ، دمشق ، ٤٠ : ١ ، كانون الثاني — ينـاير ١٩٦٥ م ، ص ٣٠—٤٥) .

الفهرست ٥٩ — ٦٠ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ٣٨٠ — ٣٨٧ ؛ طبقـات الزبيدي ١٠٨ — ١٢٠ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ١١١ — ١٢٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٠٤—٣٠٨ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٢٤١—٢٥٣ ؛ بغية الوعاة ١١٦—١١٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٩٠—١٩١ ؛ أعيان الشيعة ٤٧ : ١٥٢ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٩ — ١١٠ ، الملحق ١ : ١٦٨—١٦٩ ؛ زيدان ٢ : ٢١٦—٢١٧ .

البُحْتُرِيُّ

١ — وُلِدَ أبو عُبادةَ الوليدُ بن عُبيدٍ البُحْتُرِيّ في مدينة مَنْبِج ، شَرْقَ حَلَبَ ، سَنَةَ ٢٠٦ هـ (٨٢٢ م) ، ونَشأ فيها وفي باديتها ، في قبائلَ من بني طَيِّءٍ ، عربياً خالصاً وفصيحاً بارعاً .

طاف البحتريّ في بُلدانِ الشام يتكسّبُ بمديح أشخاصٍ عـادين حتّى اتّفَقَ له لِقاءُ أبي تمّامٍ . قال البُحتريّ عن نفسه[١] : « كان أولَ أمري في الشعر ونباهتي فيه أن صِرْتُ إلى أبي تمّامٍ ، وهو بحِمْص ، وعرَضْتُ عليه شعري — وكان الناس يَعْرِضون عليه أشعارهم — فأقبل عليّ وتركَ سائرَ الناس . فلمّا تفرّقوا قال لي : أنتَ أشعرُ من أنشدني ، فكيف حالُك ؟ فشكَوْتُ اليه خَلّةً[٢] ، فكتب إلى أهلِ مَعَرّةِ النُعْمانِ وشَهِدَ لي بالحِذْق وشَفَعَ لي إليْهِمْ . وقال إمتدِحْهُم (وكان نصّ الكتاب : يَصِلُ كِتابي معَ الوليدِ أبي عُبادة البُحتري الطائيّ . وهو على بَذاذته[٣] شاعرٌ فأكرموه) ، فأكرموني ووظّفوا لي أربعةَ آلافِ درهمٍ (في العامِ) . فكان (ذلك) أولَ مال أصَبْتُه بالشعر » .

وكان أبو تمّامٍ أعظمَ شعراءِ زمانه فاحتاز جوائزَ الممدوحين حتّى قـال

---

١ راجع أخبار البحتري ٦٥ .

٢ حاجة ، فقر .

٣ سوء حاله ورثاثة مظهره .

الأصفهانيّ (غ ١٥ – ٩٨) : «ما كان أحدٌ من الشُعراء يَقْدِرُ أن يأخذَ دِرْهماً بالشعرِ في حياة أبي تمّامٍ ؛ فلما ماتَ اقتسمَ الناسُ ما كان يأخُذه» .

فلما تُوُفّيَ أبو تمّامٍ (٢٣٢ هـ = ٨٤٦ – ٨٤٧ م) ، أو قبلَ ذلك بزمنٍ يسير كما يبدو لي ، أمَّ البُحتريّ العراقَ ليتكَسّبَ بشعرِه فلم يَنَلْ حَظوةً عند أحد ، فعاد وَشيكاً إلى الشامِ خائباً حزيناً ناقماً . ثم توفّي الخليفةُ الواثقُ وخَلَفَهُ أخوه المُتوكّلُ (٢٣٣ هـ = ٨٤٧ م) فعادَ البُحتريّ إلى العراقِ ، في رَجَبَ أو شَعبانَ من السَنَةِ ٢٣٣ هـ [١] (آذارَ ٨٤٨ م) واتصل بالفتح ابن خاقانَ وزيرِ المتوكّلِ وبالمتوكّلِ نفسِه (٢٣٣ – ٢٤٧ هـ) وتكسّب منهما مالاً جزيلاً . فلما قُتِلا عادَ البُحتري إلى منبج ، ولكن سَرْعانَ ما نازعَتْهُ نفسُه إلى التكسّبِ فرَجَعَ إلى بغدادَ ومدح من الخلفاءَ المُنتصرَ والمُستعينَ والمُعتزَّ والمُعتمِد . ولكنّ الحظوةَ التي كان قد نالَها لدى المُتوكّلِ والفتح ابن خاقانَ لم ينلْ مثلَها ولا قريباً منها عند هؤلاء الخلفاءِ الذين كانوا خلفاء اسماً لا يَمْلِكون شيئاً من تصريفِ أمورِ الدولة ولا من التصرّفِ ببيت المال .

وغادرَ البُحتريّ العراقَ نهائياً سنة ٢٧٩ هـ [٢] إلى الشام – والدَوْلة الطُولونيةُ يومذاك مستطيلةٌ في مصر والشام – . ويرى الدكتور صالحُ الأشتر في مقدمته لأخبار البحتري (ص ٨ – ٩) أن البحتريّ تكسب من الطولونيين ، ولكن أخبارَ هذا التكسبِ لم يَعِمَّ انتشارُها ولا تَضَمّنَتِ النسخُ المشهورةُ من ديوانِ البحتري ذلك المديحَ .

ثم اعتزل البُحتريّ في منبجَ وتُوُفّيَ فيها بمرض السكتة سنة ٢٨٦ هـ [٣] .

٢ – كان البُحتريّ قبيحَ الوجه أسمرَ طويلَ اللحية ، وكان وَسِخَ الثوبِ ثقيل الظل يتزاورُ في مَشيهِ ذاتَ اليَمين وذات الشِمال . وكذلك كان قليلَ الوفاء متقلّبَ الهوى يُحبّ المالَ حتى جمع ثروةً طائلة عَيْناً وعَقاراً . وكان شديدَ البخلِ بما يَمْلِكُ .

شعر البُحتري قريب الأغراض ظاهرَ المعاني حُلْوَ الالفاظ سهل التراكيب .

---

١ راجع أخبار البحتري ٨٣ – ٨٤ .

٢ مثله ١١١ .

٣ مثله ٤٩ – ٥٠ ، راجع اجتهاد الدكتور صالح الاشتر في الصفحات ٥ ، ٦ ، ٥٠ الحاشية الأولى .

قال الآمديّ[١] : « البُحتريّ أعرابيّ الشعرِ مطبوعٌ وعلى مذهب الأوائل ، ما فارقَ عَمودَ الشعرِ قطُّ . وكان يتجنّبُ التعقيدَ ومُستكرَهَ الألفاظ ووَحشِيَّ الكلام » . وقال الثعالبيّ[٢] : « الإجماع واقعٌ على أنه أطبعُ المُحدَثين والمُولّدين ، وأنّ كلامَه يجمعَ الجَزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة » . وقال فيه ابن رَشيق[٣] : « وأما البُحتريّ فكان أملحَ صَنعةً[٤] وأحسنَ مذهباً في الكلام : يَسْلُكُ فيه دَماثةً وسُهولةً مَعَ إحكام الصَنْعة وقُرْب المأخذ لا يظهرُ عليه كُلْفَةٌ ولا مَشَقّة » . وقال فيه ابن الأثير : « إن مكانَه من الشعراءِ لا يُجهَل . وشعرُه هو السهل المُمْتَنِع الذي تراه كالشمس قريباً ضوءُها بعيداً مكانُها . وَهُوَ على الحقيقة قَيْنَةُ[٥] الشعراءِ في الإطراب وعَنْقاؤهم[٦] في الإغراب » . وكذلك قال الصوليّ[٧] : « ولا أعرِفُ أحداً بعد أبي تمّامٍ أشعرَ من البُحتريّ ، ولا أغَضّ كلاماً ، ولا أحسنَ دِيباجة . وهو مُستَوِي الشعر[٨] حلوُ الألفاظ مقبولُ الكلام » .

والبُحتريّ شاعرٌ مُكثرٌ متكسّبٌ يُحسِنُ المديح ويُجيد العِتاب ، بل هو أحسنُ المُحدَثين عِتاباً واعتذاراً . قال عبدُ الله بن المُعتَزّ : « واعتذاراتُه في قصائدهِ إلى الفتحِ بن خاقانَ ليسَ للعرب ، بعد اعتذاراتِ النابغةِ إلى النُعمانِ ، مثلُها » . وفخرُه جَيّدٌ قليلٌ ، ورثاؤه وهِجاؤه قليلانِ رديئان . وغزله عَذْبٌ جميل ولكنه تقليديّ لا يَصْدُرُ عن عاطفةٍ . وأحسنُ خصائصه في الغزلِ حسنُ العتاب وبراعةُ الوصف وذكر الطَيْفِ والخَيال . أما الفن الذي فاق البُحتريّ فيه أقرانَه فالوصفُ بنوعيه وبأوجهه جميعِها ، ولقد غَلَبَ الوصفُ على فنون البحتري كلّها وكَثُرَتْ عنده أوصافُ القصور والرياض .

---

١ الموازنة ٢ .
٢ ثمار القلوب ، مستشهداً به في أمراء الشعر ١٩٤ .
٣ العمدة ١ : ١٠٩ .
٤ المقصود : من أبي تمام .
٥ الجارية المغنية (الجميلة) .
٦ العنقاء طائر خرافي . يقصد أن شعر البحتري لا يمكن النسج على مثاله .
٧ أخبار البحتري ١٤٨ .
٨ متقارب في الجودة ، ليس فيه رديء بالغ ولا جيد بالغ .

ومدح عبدُ الله بنُ المعتزّ سينيّة البحتريّ في إيوانِ كِسْرى فقال [1] : « ليس للعربِ سينيةٌ مثلها » .

وذكر ابنُ رشيقٍ (العمدة ١ : ٢٠٤) أن البحتريّ كان يصنعُ الابتداءَ (مَطْلَعَ القصيدة) سَهْلاً ويأتي به عَفْواً ، وكان كلّما تمادى (طالتْ قصائدُه) قَوِيَ كلامُه . غير أنّ تخلّصَه (انتقالَه في القصيدة من غَرَضٍ إلى غرض — كالانتقال من الغزلِ إلى المديحِ مثلاً) رديءٌ في أحيانٍ كثيرةٍ .

أبو تمّام والبحتري

أبو تمّام والبُحتريّ من أتباعِ المذهب الشاميّ [2] ، إلاّ أنّ أبا تمّامٍ أكثر تكلّفاً في الصِناعة المعنوية والصناعة اللفظية وأشدّ غَوْصاً على المعاني من البُحتريّ :

كان أبو تمّامٍ يُوغِلُ في الغوص على المعنى ثم يُحاول أن يَعْرِضَه عَرْضاً غريباً عن المألوفَ في صُوَرٍ مبتكرةٍ ، بعدئذ يُحاول أن يَزْحَمَ البيتَ الواحدَ من القصيدةِ بأوجهِ الصناعتين اللفظيّة والمعنوية ، كقولهِ مثلاً :

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتبِ : في **حَدّه الحَدّ** بين **الجِدّ واللّعِبِ** .
بيضُ الصفائحِ لا **سودُ الصحائفِ** في متونِهِنّ جلاءُ **الشكّ** و**الرِيَبِ** .

أما البُحتريّ فكان يتناولُ الأوْجُهَ الظاهرةَ من المعنى ثم يَسوقها في أسهلِ ما يُمْكِنُ من التركيب مَعَ الاقتصاد في أوجه الصناعة ، يُمَثّلُ ذلك كلّه ما يلي :

(١) وصفَ أبو تمّامٍ الأرضَ التي انقطعَ عنها المَطَرُ مُدّةً فصوّر لنا تلك الأرضَ العَطْشَى لا تُريدُ أن تَصْبِرَ حتّى يَنْزِلَ عليها المطرُ ، بل أرادت أن لَوْ تَنْهَضُ هيَ إلى لقاءِ ماء المطر قبل أن ينزلَ هو عليها ، فقال عن السّحابة المُقْبلة تَحْمِلُ ذلك المطرَ :

لَذّ شُؤْبوبُها وطابَ ، فلو تَسْطِيـ ـعُ قامتْ فعانَقَتْها القلوبُ .

---

١ أخبار البحتري ٧٢ .
٢ راجع ، فوق ، ص ٤١ وما بعدها .

(٢) أُعْجِبَ البحتريّ بالصورة الشعرية التي في بيتِ أستاذه أبي تمّام ، ولكنّه وَجَدَها مَزْحومةً جِداً ، واتّفق أنه أرادَ أن يمدحَ الخليفةَ المتوكّلَ عند خروجه إلى المسجد لإلقاء خُطبة العيد والإمامة في الصلاة ، فقال يُخاطبُ الخليفةَ المتوكّل مُشيراً إلى أن المِنْبَرَ في المَسْجِدِ لم يَبْقَ في استطاعته أن ينتظرَ وصولَ الخليفةِ إلى المسجدِ فوَدَّ أنْ لو كانَ باستطاعتِه هو أن يَخْرُجَ للقائِه ، فقال :

فَلَوَ انَّ مُشْتاقاً تَكَلَّفَ فوقَ ما في وُسْعِهِ لَسَعَى إليْكَ المِنْبَرُ !

والذي أجمعَ عليه النُقّادُ القُدماءُ أنّ في شعرِ أبي تمّامٍ مَعانيَ وصُوَراً شعرية مُبْتَكَرَةً لم يأتِ أحدٌ بها من قبلُ ، وأنّ له أيضاً أبياتاً جِياداً يُقصّر عن مِثْلها جميعُ الشعراء . غيرَ أن في قصائد أبي تمّامٍ أيضاً أبياتاً رديئةً أخرجها التكلّفُ عن مألوفِ الشعر ومألوف اللغة العربية كلّها فأصبحت تُعَدّ في معائبِ أبي تمّام . ولهذا قال النقّاد : إنّ شعر أبي تمّام **مُتفاوتٌ** (تَجِدُ فيه أبياتاً جِياداً من الطَبَقَة العليا وأبياتاً رديئة من درجة دُنْيَا ثم أبياتاً وَسَطاً بين هذه وبين تلك . أما البُحتريّ فشعرُه **مُسْتَوٍ** (يشبه بعضُه بعضاً) وكلّ أبياتِه وَسَطٌ في الجَوْدة : ليس فيها الجِيادُ الجِيادُ من أمثالِ الأبياتِ الجِيادِ في شعرِ أبي تمّام ، ولا فيها الأبياتُ الرديئةُ التي تُلْفى أحياناً عند أبي تمّام . ولقد أنْصَفَ الآمِديّ لمّا قال (في مطلع «الموازنة») : «.... إنّ شعرَ أبي تمّام لا يتعلّقُ بجيّده جيّدُ أمثاله ، ورديئُه مطروحٌ مرذول ؛ فلهذا كان مختلفاً لا يتشابهُ . وانّ شعرَ البحتريّ صحيحُ السبكِ حَسَنُ الديباج وليس فيه سَفْسافٌ ولا رديءٌ مطروح ، ولهذا صار مُسْتَوِياً يُشْبِهُ بعضُه بعضاً» .

٣ – المختار من شعره

– قدوم الربيع :

أتاكَ الربيعُ الطَلْقُ يختالُ ضاحكاً من الحُسْنِ حتى كاد أن يتكلّما .
وقد نَبّهَ النَوْروزُ في غَلَسِ الدُجى أوائلَ وردٍ كُنَّ بالأمسِ نُوَّما [١] .

---

١ النوروز أول الربيع (أول السنة الفارسية) . – كانت براعم الورد نائمة (مطبقة) ، ففي صباح النوروز بدت وقد أخذت تتفتح (كأنها تستفيق من ليل الشتاء) .

يُفتّقُها بَرْدُ النّدى فكأنّما يَبُثّ حديثاً كان قبلُ مُكتّما.
ومن شجرٍ كان الربيعُ لباسَه عليه كما نَشّرتَ وَشْياً مُنَمْنَما [1] .
أحَلّ فأبدى للعيونِ بَشاشةً ، وكان قَذىً للعينِ إذْ كان مُحْرِما [2] .

— مصرع الذئب :

وليلٍ كأنّ الصُبح في أخرياتِه حُشاشةُ نَصْلٍ ضَمّ إفْرِنْدَهُ غِمْدُ [3]
تَسَرْبَلْتُه — والذئبُ وَسْنانُ هاجعٌ بعينِ ابنِ ليلٍ ما له بالكَرى عَهْدُ [4] ؛
أثيرُ القَطا الكُدْرِيّ عن جَثَماتِه ؛ وتألَفُني فيه الثعالبُ والرُبْد [5] .
سما لي ، وبي من شِدّةِ الجوع ما به ، ببَيْداءَ لم تُعْرَفْ بها عِيشةٌ رَغْد .
كِلانا بها ذئبٌ يُحَدّثُ نفسَه بصاحبِه ، والجَدّ يُتْعِسُه الجَدّ [6] .
عَوى ثم أقْعى ، فارْتَجَزْتُ فهِجْتُه فأقبلَ مثل البرقِ يتبعُه الرعدُ [7] .
فأوْجَرْتُه خَرقاءَ تَحْسَبُ رِيشَها على كوكبٍ يَنْقَضّ والليلُ مُسْوَدّ [8]
فما ازدادَ إلا جُرأةً وصَرامة ، وأيقنتُ أن الأمرَ منه هو الجِدّ [9] .

---

١ الوشي : الثوب الموشى (المطرز ، المزخرف) . منمنم : مزدحم بالزخرف الدقيق .

٢ هذه استعارة مأخوذة من الحج في الإسلام : قبل أن يدخل الحاج إلى مكة يحرم (يلبس ثوباً أبيض غير مخيط) فيبدو جميع الحجاج في شكل واحد فيه مساواة وخشوع وتواضع ولكن ليس فيه تنوع يلفت النظر . وكذلك الأشجار في الشتاء لا يكون عليها إلا لحاؤها (قشرها) . فاذا انتهت مناسك الحج أحل الحجاج (لبسوا ثيابهم العادية بأشكالها المختلفة وألوانها المتعددة . وهكذا الأشجار ، إذا جاء الربيع بدأت تكتسي بأوراقها وأزهارها المختلفة الأشكال والألوان) .

٣ الفرند (بكسر فكسر) والافرند (بكسر فسكون فكسر) : نصل السيف .

٤ تسربلته : لبسته ، سرت فيه وهو مظلم . وسنان : نعسان . هاجع : نائم. ابن ليل : اللص ، وعمله يقوم على السهر .

٥ القطا : طير صغير شهير بالسرعة وبقلة النوم . — بينما كانت الذئاب والقطا نائمة ، وهي المشهورة بالسهر ، كنت أنا يقظان أقطع البادية . الربد جمع أربد وربداء ، يقصد النعام . — ان الثعالب والنعام ، وهي المشهورة بنفارها، قد أصبحت تألفه لطول ما سكن معها .

٦ الجد يتعسه الجد : الحظ يتحول شؤماً إذا اصطدم بحظ (أكبر منه) .

٧ أقعى : اعتمد قليلا على مؤخرته متهيئاً للوثوب . ارتجزت : أنشدت شعراً من بحر الرجز انتمى فيه (أذكر مفاخري ومفاخر قومي في القتال) . هجته : أثرته ، هيجته .

٨ أوجرته : طعنته بالرمح طعنة . خرقاء : تخرق الجسم ، تنفذ فيه من جانب إلى آخر . تحسب ريشها ... سريعة كأن نصلها الابيض شهاب يسقط في ليلة مظلمة .

٩ صرامة : حدة .

فأتْبعْتُها أخرى فأضللتُ نَصْلَهـا   بحيث يكونُ اللُبّ والرُعب والحِقْد [1]
فخرّ ، وقد أوْردته مَنْهَلَ الرَدى   على ظَمأٍ لو أنه عَذْبَ الوِرْد [2] .
وقُمت فجمّعت الحَصى فاشتويتُـه   عليها وللرَمْضاءِ من تحته وَقْد [3] .

— وصف بِرْكة المتوكّل في سامرّا :

يا مَنْ رأى البِركةَ الحسناءَ رؤيتُهـا   والغانياتِ إذا لاحتْ مغانيهـا ! [4]
بحَسْبِها أنها في فَضْلِ رُتْبتها   تُعَدُّ واحدةً والبحرُ ثانيهـا [5] .
كأن جِنّ سُليمانَ الذين وَلُوا   إبداعَهـا فأدقّوا في معانيهـا .
فلو تمرّ بها بَلْقيسُ عن عَرَضٍ   قالت : هي الصَّرْحُ تمثيلاً وتشبيها [6] .
تَنْصَبّ فيها وُفودُ الماءِ مُعْجَلَةً   كالخيلِ خارجةً من حبلِ مُجريها .
كأنما الفِضّةُ البيضاءُ سائلةً   من السبائكِ تَجْري في مجاريهـا .
إذا علَتْها الصَبا أبدتْ لهـا حُبُكـاً   مِثْلَ الجَواشِنِ مصقولاً حواشيها[7] .
فحاجبُ الشمس أحياناً يُضاحِكُها ،   ورَيّقُ الغيث أحياناً يُباكيها [8] .
إذا النجومُ تراءت في جوانبهـا   ليلاً حَسِبْتَ سماءً رُكّبَتْ فيها .
لا يبلُغُ السمكُ المحصورُ غايتَها   لبُعْدِ ما بين قاصيها ودانيهـا :

— خروج المتوكّل إلى عيد الفطر (أول شوال ٢٣٣ هـ ؛ ٩—٥—٨٤٨ م) :

أُخفِي هوىً لكَ في الضلوعِ وأُظْهِرُ   وأُلامُ مِن كَمَدٍ عليك وأُعذَرُ .

---

١ بحيث يكون اللب ... : في القلب .
٢ سقيته من منهل (نبع) الموت ، ولكن لم يكن ورده (الماء الذي شربه) عذباً حلواً .
٣ الرمضاء : الرمل الحار .
٤ المغاني جمع مغنى : المسكن ، الديار .
٥ بحسبها : يكفيها . واحدة : الأولى .
٦ بلقيس : ملكة سبأ في اليمن . الصرح : القصر . — في هذا البيت اشارة إلى قصة سليمان وبلقيس (راجع القصة في سورة النمل ، ٢٧ : ٤٤) ؛ يقصد هذه البركة تشبه قصر بلقيس العجيب .
٧ الصبا : ريح الشرق . الحبك : الغيم . الجواشن : الدروع . — إذا هبت الريح على سطح هذه البركة تموّج وسطها وظلت أطرافها هادئة ملساء .
٨ — تنعكس عنها أشعة الشمس وهي تبرق فكان البركة والشمس تتضاحكان . وأحياناً يسقط رذاذ المطر على سطح البركة فتبدو كأنها والغيم يتباكيان .

وأراكَ خُنْتَ على النَّوى من لم يَخُنْ عهدَ الهوى وغَدَرْتَ من لا يَغْدُرُ .
وطَلَبْتُ منك مَوَدّةً لم أُعْطَها ؛ إنّ المُعنّى طالبٌ لا يظفَرُ [1] .
هل دَيْنُ عَلْوةَ يُستطاعُ فيُقْتضى ، أو ظُلمُ علوةَ يستفيقُ فيُقْصِر [2] .
بيضاءُ يُعْطيكَ القضيبُ قَوامَها ، ويُريكَ عَيْنَيْها الغَزالُ الأحْوَر [3] .
إنّي — وإنْ جانَبْتُ بعضَ بَطالتي ، وتَوَهَّمَ الواشونَ أنّيَ مُقْصِر [4] —
لَيَشوقُني سِحرُ العُيونِ المُجْتلى ويَروقُني وَرْدُ الخُدودِ الأحمر .

بالبِرّ صُمتَ ، وأنت أفضلُ صائمٍ ، وبسُنّة الله الرَّضيّة تُفْطِرُ .
فانْعَمْ بيومِ الفِطْرِ عيْناً إنه يومٌ أغَرُّ من الزمانِ مُشَهَّر .
أظهرتَ عِزَّ الملك فيه بجَحْفَلٍ لَجِبٍ يُحاط الدين فيه ويُنْصَر [5] .
خِلنا الجِبالَ تسيرُ فيه وقد غدتْ عُدَداً يسير بها العَدِيدُ الاكثر .
فالخيل تَصْهَلُ والفوارس تَدّعي والبيضُ تَلْمَعُ والأسِنةُ تَزْهَر [6] ؛
والأرض خاشعة تميد بثِقْلها ، والجوّ معتكرُ الجوانب أغبر .
والشمسُ ماتِعَةٌ تَوَقّدُ بالضُحى طَوْراً ، ويُطْفِئُها العَجاج الأكْدر [7] .
حتّى طلعتَ بضوء وجهكَ فانْجَلَتْ تلك الدُجى وانجابَ ذاك العِثْيَر [8] .
وافْتَنّ فيك الناظرون ، فإصْبَعٌ يُوما إليك بها وعينٌ تنظر [9] .
يَجِدون رؤيَتَك التي فازوا بها من أنْعُمِ الله التي لا تُكْفَرُ [10] .

١ المعنى : الذي يتكلف الأمور ويريد الحصول عليها بسرعة ومن كل وجه .
٢ علوة بنت زريقة الحلبية ، وزريقة أمها ، كان البحتري يكثر ذكرها في شعره ؛ وهو يدعي حبها .
٣ الأحور من كان في عينيه حور (بفتح الحاء المهملة وفتح الواو) : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .
٤ البطالة (بفتح الباء) : الهزل .
٥ الجحفل : الجيش . اللجب : الكثير الاصوات لكثرة ما فيه من المقاتلين ومن آلات القتال .
٦ تدعي : تنتمي ، تفتخر بمحامدها ومحامد أقوامها في القتال . تزهر : تلمع .
٧ ماتعة : مشرقة . العجاج : غبار الحرب .
٨ العثير : الغبار الثائر فوق رؤوس المتحاربين .
٩ يوما هي يومأ : يشار .
١٠ لا تكفر : لا تنكر . لا يستقل شأنها .

ذكروا بطلعتِك النبيَّ فهلّلوا ... لما طلعتَ من الصفوف وكبّـروا .
حتّى انتهيتَ إلى المُصَلّى لابسـاً ... نورَ الهُدى يبدو عليك ويظهـرَ .
ومَشَيْتَ مِشْيَةَ خاشعٍ مُتواضعٍ ... لله لا يُزْهَى ولا يتَكَبّر [1] .
فلَوَ انّ مُشْتاقـاً تكلّف فوقَ مـا ... في وُسْعِهِ لَسعى اليك المِنْـبر !

— إيوان كسرى :

لما جاء البُحتريّ إلى بغدادَ في المرةِ الأُولى ولم يَلْقَ حَظوةً فيها أراد أن يَبُثّ شكواه فذهبَ إلى المدينة البيضاء أو المدائنِ ، وهي على عِشرينَ ميلاً من بغدادَ شرقـاً ، وفيها إلى اليوم بقـايا قصرٍ كان لكسرى . ولكن يبدو من وصفِ البحتريّ أنّ القصرَ كان لا يزال سالمـاً في ذلك الحين ، وخصوصاً بما كان فيه من رسومٍ لمعركة أنطاكيـةَ ، بين الرومِ والفُرس ، تتصل على جُدران الإيوان . والأبياتُ السبعةُ التي تَلي البيتَ الحاديَ والعشرين من أحسنِ نماذجِ الوصفِ الحِسّي عند البحتريّ :

صُنْتُ نفسي عمّا يُدَنّـس نفسي ، ... وتَرَفّعتُ عن جَدا كُلّ جِبْسِ [2]
وتماسكتُ حـين زعزعني الدهـ ... ـرُ التماساً منه لتَعْسي ونَكْسي .
بُلَغٌ من صُبابة العيش عنـدي ... طَفّفَتْها الأيامُ تطفيفَ بَخْس [3] .
وبعيدٍ مـا بـين واردِ رِفْهٍ ، ... عَلَلٍ شُربُه ، ووارد خِمْس [4] .
وكـأنّ الزمانَ أصبـح محمـو ... لاً هَواهُ مَعَ الأخَسّ الأخسّ .
واشترائي العِراقَ خُطّةُ غَبْنٍ ... بعد بيعي الشآمَ بَيْعَةَ وَكْس [5] .
لا تَرُزْني مُزاولاً لاختبـاري ، ... بعد هذي البَلْوى ، فتُنْكِرَ مَسّي [6] .

---

١ زهي الرجل : اغترّ بنفسه .
٢ الجبس : اللئيم .
٣ بلغ جمع بلغة : ما يتبلغ به الإنسان ، ما يسد رمقه فقط . طفف : نقص الكيل . البخس : أن تنقص شيئاً بعض حقه .
٤ وارد رفه : يشرب الماء متى شاء . الخمس : أن ترد الإبل الماء مرة في كل أربعة أيام لا يدخل فيها اليوم الذي شربت فيه (فيكون ورودها كل خمسة أيام) .
٥ — هجرت الشام لأتكسب في العراق فكان أن خسرت الشام ولم أربح العراق .
٦ لا تحاول معرفة وزني (قيمتي) بعد هـذه البلوى (المصيبة ، مجيئي إلى العراق) فترى وزني قليلا جداً .

وقديماً عَهِدتَني ذا هَنَـاتٍ آبياتٍ على الدنيئات شُمْس [1] .
ولقد رابني نُبُوّ ابنِ عَمّي بعد لينٍ من جانبَيْه وأنس .
وإذا ما جُفيتُ كنتُ حَرِيّاً أن أرَى غيرَ مُصْبِحٍ حيثُ أُمْسي [2] .

* * *

حَضَرَتْ رَحْلِيَ الهُمُومُ فوجّهْـ ـتُ إلى أبيضِ المدائن عَنْسي [3] .
أتسلّى عن الحظوظِ وآسى لمَحَلٍّ من آلِ ساسانَ دَرْس [4]
ذكّرتنيهمُ الخطوبُ التوالي ؛ ولقدْ تُذكِرُ الخطوبُ وتُنْسي .
وهمُ خافضون في ظِلٍّ عالٍ مُشرفٍ يُحْسِرُ العيونَ ويُخْسي [5] .
مُغْلَقٌ بابُه على جبل القَبْـ ـقِ إلى دارتَيْ خِلاط ومُكس [6] .
حِلَلٌ لم تكن كأطلال سُعدى في ديارٍ من البسابس مُلْس [7] .
ومساعٍ لولا المُحاباةُ منّي لم تُطِقْها مَسْعاةُ عَنْس وعَبْس [8] .
نقل الدهرُ عهدَهُنَّ عن الجِدّ ةِ حتى غَدَوْنَ أنضاء لِبس [9] .
فكأنّ الجِرْمازَ من عَدَمِ الأُنْـ ـسِ وإخلالِه بَنِيّةُ رَمْس [10] .

---

١ – وأنت تعرفني منذ أمد أن لي خصالا (بكسر الخاء) شمس (حرونة ، عنيدة) لا ترضى الذل .

٢ حرياً : خليقاً بي ، جديراً بي .

٣ – كثرت همومي في وطني فركبت نياقي إلى المدينة البيضاء . الرحل (بفتح الراء): متاع البيت ، سرج الدابة .

٤ – أحاول أن أتناسى ما ناله غيري من الحظوظ . آسى : أحزن (لما أصاب قصر بني ساسان ملوك الفرس الذين غدر بهم الدهر ، فأتخذهم اسوة) . درس : ممحو ، بالٍ .

٥ خافض : يعيش عيشة منعمة . في ظل (قصر) عال . يحسر العيون ويخسي : يردها كليلة عاجزة عن موالاة النظر .

٦ القبق : جبل في آخر حدود أرمينية متصل بباب الأبواب واللان (في فارس) . خلاط : قصبة أرمينية الوسطى . مكس : موضع في أرمينية قرب قاليقلا . – يشرف على كل هذه الأراضي الشاسعة .

٧ حلل جمع حلة (بكسر فتشديد) : مدينة . البسابس : القفار . الملس : التي لا نبات فيها .

٨ مساع : محامد ، آثار حضارية . لولا المحاباة مني : لولا أنني عربي أميل بطبعي إلى العرب لقلت ان عنساً (من عرب الجنوب) وعبساً (من عرب الشمال) ، يقصد جميع العرب ، لا يستطيعون أن يجيئوا بمثلها .

٩ – أبلاها (أبلى تلك القصور) الدهر حتى أصبحت كالثياب البالية المتهرئة .

١٠ الجرماز : بناء عظيم كان عند المدائن ثم عفا (امحى) أثره . – هذا القصر قد هجر حتى أصبح كأنه مدفن .

لو تراه علمتَ أن الليـــالي جعلت فيه مأتماً بعد عُرْس .

* * *

وهو يُنْبيكَ عن عجائبِ قومٍ لا يُشاب البيـانُ فيهم بلَبْس [1] .
فإذا ما رأيتَ صورة أنطا كيّةَ ارْتَعْتَ بين رومٍ وفُرس .
والمنـايا مواثِلٌ وأنوشِرو وانُ يُزْجي الصّفوفَ تحتَ الدِرَفْسِ [2]
في اخضرارٍ من الثيـابِ على أصفَـ ـرَ يختالُ في صَبيغة وَرْس [3] .
وعِراكُ الرجـال بين يَدَيْـهِ في خُفُوتٍ منهم وإغماض جَرْس [4] :
من مُشيحٍ يَهْوي بعامـل رُمْـحٍ ومُليـحٍ من السِنان بتُرْس [5] .
تَصِفُ العيـنُ أنهم جِدّ أحيا ءٍ لهم بينَهم إشارةُ خُرس .
يغتلي فِيهِمُ ارتيـابيَ حتّى تَتَقَرّاهُمُ يداي بلَمْس !

* * *

حُلُمٌ مُطْبِقٌ على الشكّ عيني ، أمْ أمانٍ غَيّرْنَ ظني وحَدْسي ؟
وكأن الإيوان من عَجَبِ الصَنْـ ـعة جَوْبٌ في جنبِ أرْعَنَ جِلْس [6] .
عكستْ حظّه الليـالي وباتَ الـ ـمشتري فيه وهو كوكبُ نحس .
فهو يُبْدي تجلّـداً وعليـه كَلْكَلٌ من كلاكِلِ الدهر مُرْس .
لم يَعِبْهُ أن بُزّ من بُسُط الديـ ـباج واستُلّ من ستُور الدِمَقْس .

---

[1] اللبس : الغموض ، الابهام . فضائلهم مشهورة لا تحتاج إلى شرح وتبيان .
[2] كسرى أنوشروان (٥٣٥ – ٥٧٨ م) أشهر ملوك الفرس عند العرب . يزجي : يرسل ، يوجه . الدرفس (الدرفش) : راية ملوك الفرس ، وكانت من جلد .
[3] الورس : نبات أحمر .
[4] الجرس : الصوت .
[5] مشيح يهوي بعامل رمح : هاجم بالرمح (على خصمه) . العامل : صدر الرمح . مليح من السنان بترس : الذي يحتمي بالترس من سنان الرمح الموجه اليه .
[6] جوب : الدلو العظيمة ، الدرع ، الترس ، الحفرة . الأرعن : الأحمق . الجلس : الغدم ، الرجل الغليظ – ان التشبيه في هذا البيت غامض .

مُشمَخِرٌ تعلو لــه شُرُفـاتٌ رُفِعَتْ في رؤوس رَضْوى وقُدْس [1] .
ليس يُدْرى : أصنعُ إنْس لجِـنٍّ سكنوه أمْ صُنعُ جِنٍّ لإنس ؟
ذاك عندي ، وليستِ الدارُ داري باقترابٍ منها ولا الجِنْسُ جنسي [2] ،
غيرَ نُعمى لأهلهـا عنـد أهـلي غرسوا من ذَكائها خيرَ غرس .
أيّدوا مَلْكنـا وشدّوا قُــواه بجنودٍ تحت السَنَوّرِ حُمْس [3] ،
وأعــانوا على كتـائبِ أريـا طَ بطعنٍ على النحور ودَعْس :
وأراني من بعدُ أكلفَ بالاشـرا فِ طُرّاً من كل سِنْخ وإس ! [4]

— وللبحتري البيتُ المشهورُ (ديوان ٢ : ١٨٣) :

عليّ نَحْتُ القوافي مِنْ مَعادِنِها ، وما عليّ إذا لم تَفْهَمِ البَقَرُ !

٤ — ديوان البحتري ، قسطنطينية (الجوائب) ١٣٠٠ هـ ؛ (نشره رشيد عطية) بيروت (المطبعة الأدبية) ١٩١١ م ؛ (بتحقيق حسن كامل الصيرفي) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٣ م ؛ بيروت (دار صادر) ١٩٦٣ م .

الحماسة (غاير ومرغوليوث) ، ليدن ١٩٠٩ م ؛ (نشرهـا شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩١٠ م ؛ (نشرها كامل مصطفى) ، القاهرة ١٩٢٩ م .

** أخبار البحتري للصولي (حققها .... صالح الاشتر) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) .

الموازنة بين أبي تمّام والبحتري للآمدي ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٨٧ هـ ؛ بيروت (مطبعة جريدة الاقبال) ١٣٣٢ هـ ؛ القاهرة (محمّد علي صبيح) ١٩٣٢ م ؛ (نشرها محمّد محيي الـدين

---

١ مشمخر : عال . رضوى : جبل بالمدينة قرب ينبع ؛ جبل منيف (عال) ذو شعاب وأودية . قدس : جبل عظيم بأرض نجد . — القصر عال جداً كأن شرفاته على الجبال .

٢ في هذا البيت والابيات التي تليه يبرر البحتري اشادته بالفرس مع انه ليس من بلاد فارس وليس أصله من الفرس . غير ان الفرس أسرعوا الى نجدة اليمن (والبحتري طائي من اليمن) لما غزاها أرياط الحبشي .

٣ أيدوا (ساعدوا ، نصروا) . كماة : أبطال . السنور : الدروع . الحمس : الشجعان .

٤ السنخ أو الاس : الاصل . أنا أعجب (بضم الهمزة وفتح الجيم) بالأشراف من أي أصل كانوا .

عبد الحميد) ، القاهرة (محمّد توفيق) ١٩٤٤ م ؛ (نشرها أحمد صقر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦١ م .

أبو عبادة البحتري ، تأليف محمّد صبري ، القاهرة ١٩٤٦ م .

طيف الوليد أو حياة البحتري ، تأليف عبد السلام رستم ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٧ م .

عبقرية البحتري ، تأليف عبد العزيز سيّد الأهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥٣ م .

حياة البحتري وفنّه ، تأليف أحمد أحمد بدوي ، القاهرة (مكتبة الانكلو) ١٩٥٥ م .

البحتري ، تأليف نديم مرعشلي ، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م .

الفهرست ١٦٥ ؛ الاغاني ١٨ : ١٦٧ — ١٧٥ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٤٤٦ — ٤٥٠ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٢٤٨ — ٢٥٨ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٩٦ — ١٠٣ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٨٦ — ١٨٨ ؛ بروكلمان ١ : ٧٩ ، الملحق ١ : ١٢٥ — ١٢٧ ؛ زيدان ٢ : ١٨٤ — ١٨٧ ؛
Enc . Isl . I 1289 - 1290

الاشناندانيّ [1]

١ — هو أبو عثمانَ سعيدُ بنُ هرونَ من أهلِ البصرةِ ، أخذ عن أبي محمّدٍ عبدِ الله بن محمّدٍ التوّزيّ (ت ٢٣٠ هـ) مولى قُريش [2] . وكانت وفاتُهُ سنة ٢٨٨ هـ (معجم الأدباء ١١ : ٢٣٢) ، ٩٠١ م .

٢ — كان أبو عثمانَ الأُشْنانداني من أئمّة اللغةِ والنحوِ وممن جمَعَ بين

---

١ الاشناندانيّ نسبة إلى أشنان (محلة في بغداد) ، والدال زائدة (معجم الأدباء ١١ : ٢٣٢) ؛ وقيل نسبة إلى اشنان ذان موضع الاشنان واليه ينسب الاشنانداني هذا (تاج العروس ٩ : ١٢٣) . والاشنان نبات منظف يقوم مقام الصابون .

٢ طبقات الزبيدي ١٠٦ .

مذهبي أهلِ البصرةِ وأهلِ الكوفةِ في ذلك . وهو أستاذُ ابن دُريدٍ . واشتهر الأُشْنانْدانيّ بكتابه « معاني الشعر » رواه عنه ابنُ دريدٍ (في البصرة) ؛ وقد وذَهب فرتز كرنكو [1] إلى أن هــذا الكتاب لابنِ دريدٍ . وللاشناندانيّ أيضاً كتابُ الأبيات .

٣ – المختار من آثاره

– قال ابنُ دريدٍ : وأنشدني أبو عثمانَ لذي الخِرَق الطُهَويّ [2] أو لغيره :

ولمّا رَأيْنَ بني عــاصمٍ ذَ فَرْنَ الذي كُنّ أُنسِينَهُ ،
فوَارَيْنَ ما كُنّ يَحسِرْنَهُ وأخفَيْنَ ما كُنّ يُبْدِينَهُ !

يَعْني نِساءً (من بني عاصم) سُبِينَ فنَسِينَ الحياءَ وأبْدَيْنَ وُجوهَهُنّ . فلمّا رأينَ بني عاصمٍ أيْقَنّ أنّهنّ قد استُنْقِذْنَ (نَجَوْنَ مِنَ الأسْرِ والسَبْيِ) فراجَعْنَ حَياءَهن فستَرْنَ ما كنّ أبْدَيْنَه . يعني بني عاصمِ بن عبدِ اللهِ بن ثَعْلبةَ .

٤ – كتاب معاني الشعر (طبع بنفقة جمعية الرابطة الأدبية في دمشق) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) ؛ القاهرة ١٩٣٢ م ؛ بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٤ م .

** الفهرست ٦٠ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢٣٠ – ٢٣٢ ؛ بغية الوعاة ٢٥٨ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٦٩ .

أبو العبّاس ثعلب

هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ يحيى بن يَسارٍ مَوْلى بني شَيْبانَ ،

١ Fritz Krenkow , JRSA , 1924 , p. 134

٢ ذو الخرق (بكسر الخاء وفتح الراء جمع خرقة : قطعة من النسيج) هو قرط أو ابن قرط الطهوي الشاعر القديم – وأصل التسمية « ذو الخرق » للنعمان بن راشد لأنه كان في الحرب يرفع خرقاً حمراً وصفراً (راجع القاموس ٣ : ٢٢٥ – ٢٢٦) .

وُلِدَ في بَغدادَ ، في ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٢٠٠ هـ (خريفَ ٨١٥ م) ونَشأ فيها .

تلقّى أبو العبّاسِ ثعلبٌ العلمَ على الفرّاء بضْعَ سَنَواتٍ (٢١٨ – ٢٢٥ هـ) ثم لازم ابنَ الأعرابيّ عَشْرَ سَنَواتٍ (منذُ سَنَةِ ٢٢٥ هـ) أو تزيدُ يأخذُ عنه اللُغَةَ . وأخذ النحوَ عن سَلَمَةَ بنِ عاصمٍ . وكذلك قرأ على محمدِ بن حبيبَ والمبرّد .

وصُمّ ثعلبٌ في آخرِ حياتهِ ، واتّفق أن خرجَ من المسجدِ بعدَ صَلاةِ العَصْر ، في ١٦ جُمادى الأولى من سنة ٢٩١ هـ (٨-٤-٩٠٤ م) ، فصدمته فرسٌ فتهشّم جِسْمُه وتُوُفّيَ في اليوم التالي . وقد كان دَيّناً وَرِعاً .

كان ثعلب إمامَ الكوفيين في النحو واللغة يُشْبِهُ المبرّدَ في البصريين . ومعَ أنّ ثعلباً قد جَمَعَ بَيْنَ مذهبِ الكوفيين ومذهب البصريين فإنّ مذهب أهلِ الكُوفة كان أغلبَ عليه ، وكان في النحوِ أبرعَ منه في اللغة . وكان ثعلب مصنّفاً مُكْثِراً ، له من الكتب[١] : معاني القرآن ، إعراب القرآن ، الوقف والابتداء ، المصون ، كتاب الفصيح ، حدّ النحو ، اختلاف النحويين ، التصغير ، ما ينصرف وما لاينصرف ، الأمثال ، شرح ديوان زهير ، ديوان ابن الدُّمينة ، مجالس ثعلب (وتعرف أيضاً باسم الأمالي) .

– كتاب الفصيح (بارت) ، ليبزغ ١٨٧٦ م .

مجالس ثعلب (شرح وتحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، مصر (دار المعارف) ١٩٤٨ م .

فصيح ثعلب والشروح عليه (محمّد عبد المنعم خفاجي) ، القاهرة (مكتبة التوحيد) ١٩٤٩ م .

قواعد الشعر (بتحقيق محمّد عبد المنعم خفاجي) ، مصر ١٩٤٨ م ؛ (تحقيق رمضان عبد التواب) ، القاهرة (دار المعرفة) ١٩٦٦ م .

ومن المطبوع من دواوين الشعر التي هي من رواية ثعلب : شرح ديوان زهير ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٤٤ م ؛ ديوان الأعشى (رودولف غاير) ، يانا ١٩٢٧ م ؛ ديوان ابن الدمينة (محمد راتب النفّاخ) ،

---

١ راجع ثَبتاً بمصنفات ثعلب (مجالس ثعلب ، المقدمة ٢٤ – ٢٨) .

** الفهرست ١١٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٥٥ – ١٦٧ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٢٠٤ – ٢١٤ ؛ معجم الأدباء ٥ : ١٠٢ – ١٤٦ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥١ – ٥٣ ؛ إنباه الرواة ١ : ١٣٨ – ١٥١ ؛ بغية الوعاة ١٧٢ – ١٧٤ ؛شذرات الذهب ٢ : ٢٠٧ – ٢٠٨ ؛ بروكلمان ١ : ١٢١ – ١٢٢ ، الملحق ١ : ١٨١ – ١٨٢ ؛ زيدان ٢ : ٢٠٩ – ٢١٠ .

المفضّل بن سلمة

١ – هو أبو طالبِ المُفَضّلُ بنُ سَلَمَةَ بن عاصم [1] من أهلِ بيتِ علمٍ ونُبلٍ في بَغدادَ ؛ وقد كان أبوه سلمةُ بنُ عاصمٍ صاحبَ الفرّاءِ وراويتَه ، ثم كانَ ابنُه أبو الطيّبِ محمّدُ بن المفضّل [2] من كِبار الفقهاء .

وُلِدَ المُفَضّل بنُ سلمةَ بن عاصمٍ في مطلع القرن الثالث وأخذ العلمَ عن أبيه وعنْ ثَعْلَبٍ وابن السِكّيت وابنَ الأعرابي . وقد كان مُتّصلاً بالوزيرين الفتحِ بن خاقانَ (قتل ٢٤٧ ﻫ) واسماعيلَ بنِ بُلْبُلٍ ؛ وقيل كان بينَه وبينَ ابن الرومي عداوة .

ومات المُفَضّل بن سلمة سنة ٢٩١ ﻫ (٩٠٣ م) ، أو بُعيدَ ذلك .

٢ – المُفَضّل بن سَلَمَة بن عاصم من علماء اللغة والنحو وعلى مذهب أهلِ الكوفة (وقد كان في ذلك مخالفاً لوالده) . وللمفضّل هذا من الكتب [3] : ضياء القلوب في معاني القرآن ، كتاب الاشتقاق ، كتاب البارع في اللغة ، كتاب خلق الإنسان ، كتاب الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر ، كتاب الردّ على الخليل واصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمُحال ، كتاب الفاخر في ما

---

١ في وفيات الاعيان (١ : ٢٤٠) : المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي ؛ وأخذ ذلك بروكلمان (١ : ١٢١ ، الملحق ١ : ١٨٨) ، ويرى زيدان (٢ : ٢١٨) أن ذلك خطأ ؛ راجع أيضاً مقدمة الفاخر ، الصفحة ق – ر .

٢ توفي أبو الطيب محمد بن المفضل في المحرم سنة ٣٠٨ ﻫ (٩٢٠ م) وهو غض الشباب (وفيات ٢ : ٢٤٠) .

٣ معجم الادباء ١٩ : ١٦٣ .

يَلْحَن فيه العامّة ، المدخل إلى علم النحو ، المقصور والممدود ، كتاب آلة الكتاب (كتاب ما يحتاج اليه الكاتب) ، كتاب الأنواء والبوارح ، كتاب الخط والقلم ، كتاب العود والملاهي ، كتاب الطيف ، كتاب المطيّب (الطِيب) ، كتاب جلاء الشبهة (الشبه) ، كتاب جماهير القبائل . وذكر ابن خلّكان له (وفيات ٢ : ٢٤٠) كتاب التاريخ في علم اللغة .

وللمفضّل شعر كثير (إنباه الرواة ٣ : ٣٠٨) ، ولكنّه شعر عاديّ .

٣ – المختار من آثاره

– من كتاب الفاخر :

حَدّثنا أبو طالبِ المُفضّلُ بنُ سَلَمَةَ بنِ عاصمٍ قال : هذا كتابُ مَعاني ما يَجْري على ألْسُنِ العامّة في أمثالهم ومُحاوراتهم من كلامِ العَرَبِ وهم لايَدْرون مَعنى ما يتكلّمون به من ذلك ، فبَيّنّاهُ من وُجوهِه على اخْتلاف العُلماءِ في تفسيرِه ليَكونَ مَنْ نَظَرَ في هذا الكتابِ عالماً بما يجري من لَفْظه ويدور في كلامه . وبالله التوفيق .

– قولهم : مَرْحباً وأهلاً

قال الفرّاء : مَعناه رحّبَ الله بكَ وأهّلَكَ على الدعاءِ له ، فأخْرجه مَخْرَجَ المصدرِ فنَصَبَهُ . وقال الأصمعيّ : أتيْتَ رَحْباً ، أي سَعَةً ، وأهلاً كأهلك فاسْتأنسْ !.... وذكر ابن الكلبي وغيرُه أن أوّلَ من قال «مَرْحباً وأهلاً» سيفُ بنُ ذي يَزَنَ الحمْيريّ لعبدِ المطّلب بن هاشمٍ لمّا وَفَدَ إليه معَ قُرَيْشٍ ليُهَنّئوه برُجوعِ المُلْكِ إليه ، وذلك أنّ عبدَ المطّلب استأذَنَه بالكلامِ ، فقال له سيفٌ : إنْ كُنتَ ممّن يتكلّم بين يَدَيِ المُلوكِ فقد أذنّا لك . فقال عبدُ المطّلب ، بعد أنْ دعا له وقَرّظه [١] وهَنّأه : نحنُ أهلُ حَرَمِ الله وسَدَنَتُهُ ، أشْخَصَنا [٢] إليك الذي أبْهَجَنا بك ، فنحن وَفْدُ التَهْنئةِ لا وَفْدُ المَرْزئةِ . فقال (سيف بن ذي يزن) : فأيّهمْ

---

١ قرظه : مدحه . حرم الله : بيت الله (الكعبة) . السدنة جمع سادن وهو الخادم والحاجب للهياكل الدينية .

٢ أشخصنا : أرسلنا من بلد إلى بلد . أبهجه : سره ، فرحه . المرزئة : المصيبة والنقص والخسارة.

أنتَ ؟ قال : أنا عبدُ المطّلب . فقال سَيفٌ : مَرْحَباً وأهْلاً ، وناقةً ورَحْلاً [1] ومُناخاً سَهْلاً ومَلِكاً رِبَحْلاً يُعْطي عَطاء جَزْلاً !

— وله من أبيات يذكر فيها فراق أحبّته :

إلى اللهِ أشكو ما ألاقي من الجَـوى ... ومن طول وَجْدٍ تَحْتويه الضَمائرُ .
إذا هَبّتِ الريحُ الشّمالُ هفا لها ... فؤادي حَنيناً نَحْوَهم فَهوَ طائر .

٤ — الفاخر ، استانبول ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٧ هـ ؛ ليدن ١٩١٥ م ؛ (تحقيق عبد العليم الطحاوي ، مراجعة محمّد علي النجّار) ، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي — في سلسلة : تراثنا) ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) .

كتاب الملاهي (العود والملاهي) (جايمس روبسون وهنري فارمر) ، غلاسكو ١٩٣٨ م .

** الفهرست ٧٣ — ٧٤ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ١٢٤ — ١٢٥ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٤٠ (في ترجمة ابنه أبي الطيّب ١ : ٢٣٩ — ٢٤٠) ؛ إنباه الرواة ٣ : ٣٠٥ — ٣١١ ؛ بغية الوعاة ٣٩٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٢١ ، الملحق ١ : ١٨٨ ؛ زيدان ٢ : ٢١٧ — ٢١٨ .

الناشىء الأكبر

١ — هو أبو العبّاس عبدُ اللهِ بنِ محمّد الناشي [2] الاكبرُ المعروف بابن شِرشير ، وُلِدَ في الأنبار وأقام مُدّةً في بغدادَ ثم خرج إلى مِصْرَ وأقام فيها إلى أنْ تُوُفّيَ سنة ٢٩٣ هـ (٩٠٦ م) .

٢ — كان الناشي الاكبرُ من علماءِ اللغة والنحو والعَروض حاذقاً قويّ

---

[1] رحل : سرج (للناقة) . المناخ : المنزل « المكان الذي يبيت فيه أهل القافلة » . ربحل : عظيم الشأن . الجزل : العظيم ، الكثير .

[2] يثبت ابن خلكان « الناشي » بلا همزة ، اذ يقول (وفيات الاعيان ١ : ٤٧٢) : والناشي بفتح النون وبعد الالف شين معجمة وبعدها ياء .

الفِطْنة ، ثمّ كان مُتَبَحِّراً في عِدّةِ علومٍ منها المَنْطِقُ وعلمُ الكلام ، وقد مزَجَ النحوَ والعَروض (قواعد الشعر) بقواعد المنطق والكلام . وكانت له تصانيفُ منها رسالة في تفضيل السُودانِ على البيض ، كتاب المفاخرة بين الذّهَب والزّجاج وكتاب تفضيل الشِعْر .

والناشي الأكبرُ شاعرٌ مُكثِرٌ من الشعراء المُجيدين في طبقة ابن الرومي والبُحتري (وفيات الأعيان ١ : ٤٧١) له أشعارٌ في الخمر والغزل وأشعارٌ كثيرة في الصَيْد وآلاته وفي الطَرْد (على مِثالِ طَرْديّات أبي نواس) . وله قصيدة في فُنون العلم تبلُغُ أربعةَ آلافِ بيتٍ على رَوِيٍّ واحدٍ .

٣ – المختار من شعره

– قال الناشي الأكبرُ في الخمر والغزل بقَيْنةٍ مُغَنّية :

وَليتَ قضاءً فلم تَعْدِلِ   سَفاهاً ، وقُلْتَ فلم تَفْعَلِ .
هَجَرْتَ فأشْمَتَّ بي الحاسدِيـ   ـنَ وأشْفَقْتَ من عَذّلِ العُذّلِ[١]
لئِنْ لم أُبادِرْ غداً قَهْوَةً   تُصَفَّقُ بالبارِدِ السَلْسَلِ[٢] :
مُداماً إذا جارَ بي حُكْمُها   رَكِبْتُ على السَنَنِ الأعدلِ[٣] .
إذا ما انتشى الحُرُّ من كأسِها   دَعَتْهُ إلى الخُلُقِ الأفضلِ[٤] ،
ترى آخِرَ القومِ قد ألحقتـ   ـهُ أيْدي نَداماه بالأوّلِ[٥] .

---

١ ظلمتني فجعلت كل الناس ، حتى أعدائي ، يشفقون على من ظلمك (لي سراً) ثم تقف بين الناس تبدي رحمة علي . – يمكن أن نقرأ البيت الأول والثاني على أنهما خطاب لمؤنث : وليت (بكسر التاء) قضاء فلم تعدلي ... الخ . ويبدو أن بعد هذين البيتين بيتاً أو أكثر من بيت ناقص في الأصل الذي أخذت عنه .

٢ أبادر : أسبق (بها طلوع الفجر) وأعجل بذلك . قهوة : خمرة مطبوخة بالنار (شديدة الفعل) تصفق : تمزج . السلسل : الماء العذب أو البارد .

٣ المدام : الخمر (لأن شربها يدوم ، يتعوده الانسان) . – اذا جار بي حكمها (اذا أسكرتني ومالت بي عن المجرى المألوف في الوعي) ركبت على السنن (الطريق) الاعدل (العادل ، المستقيم) : أكون قد فعلت ما ينتظر من (شاب) مثلي أن يفعل .

٤ – هذه الخمر إذا شرب منها رجل حر كريم حملته على فعل الأمور الحميدة .

٥ – إذا جاء أحد إلى مجلسها (متأخراً) فان الندمان يظلون يسقونه حتى ينتشي (يسكر) كمثل أول رجل من أهل المجلس بدأ بالشرب .

يُراحُ إلى الخير مُعتادُهـــا فيُعطي الجزيلَ ولم يُسْأل [1] .
(أديرا المُدام ، ولا بُدَّ لي من السُكْرِ منها ولا عُذْرَ لي) [2]
وقد آذنُونا بوقتِ الرحيل ، فإن كُنْتِ تَهْوَيْنَنِي فارْحَلي [3] .

– وله طَرْدِيّةٌ في وصفِ بازٍ :

لمّا تَفَرّى الليلُ عن أثباجِــهِ وارتاحَ ضوءُ الصبح لابْتِلاجِهِ [4]
غَدَوْتُ أبغي الصيدَ في مِنْهاجِه بأقمَرٍ أبْدِعَ في نِتــاجِه [5] .
ألْبَسَهُ الخالق من ديباجِــه وَشْياً أحارَ الطَرْفَ في اندراجِه ،
في نَسَقٍ منه وفي انْعِراجِــه وزانَ فَوْدَيْهِ إلى حِجاجِه [6] ،
بِزِينَةٍ كَفَتْهُ نَظْمَ تاجِـــه مِنْسَرُه يُنْبِئُ عن خِلاجِه [7] ؛

---

١ يراح (يرد) إلى (فعل) الخير (بعد أن يكون قد مال إلى الشر) معتادها (الذي يشربها مرة بعد مرة) . الجزيل : الكثير . – راجع في أراح (بمعنى رد) قول النابغة : وصدر أراح الليل عازب همه (رد اليه همه الذي كان قد نسيه).

٢ هذا البيت مضمن جاء في مطلع صوت غنته القينة التي يتغزل الناشي الاكبر بها .

٣ آذنه بالشيء : أعلنه بـه وحـدد له وقتاً . فان كنت تهوينني (تحبينني) فارحلي (معي) .

٤ تفرى : تقطع . تفرى الليل : مرت أنوار الفجر في سواده فبدا كأنه متقطع . أثباج جمع ثبج (بفتح ففتح) : معظم الشيء (وهنا معظم الظلام) . ارتاح ضوء الصبح لانبلاجه (ظهور الضوء) : حينما تمكن ضوء الفجر ووضح .

٥ غدوت : خرجت غدوة (باكراً) . في منهاجه = في منهاج الصيد «(العادة في الصيد أن يخرج اليه الصائد باكراً) . الاقمر : (باز أو بازي) ذو لون أقمر : أكدر (فيه بياض وسمرة ، أو ميل إلى الخضرة أو السواد) . أبدع في نتاجه : في تأصيله (استولد من بزاة أصيلة سليمة) . الديباج : نوع من النسيج الحريري اللامع . الوشي : النقش ، ويكون من كل لون . أحار ، يقصد « حير » (أحار : رد) . اندراج (يقصد الشاعر تجاور الألوان المختلفة وتدرجها من الخفة إلى الشدة أو من لون إلى آخر) .

٦ في نسق : مستو ، على نظام واحد وترتيب معين . الانعراج : التوالي على غير نظام واحد ولا على ترتيب معين ولا على استقامة . الفود : جانب الرأس . الحجاج (بفتح الحاء ، وقد يكسر) العظم الذي ينبت عليه الحاجب (الشعر الذي فوق العين) = من قرب أذنه إلى عينه .

٧ بزينة (بألوان جميلة) كفته نظم تاجه : أغنته عن أن يكون له تاج . المنسر (بفتح الميم وكسر السين ، أو بكسر الميم وفتح السين) : المنقار . الخلاج (بكسر الخاء) : نوع من الثياب المخططة (قا ١ : ١٨٦) ؛ ولا معنى لها هنا ؛ والملموح أن الشاعر يقصد اصطياده ، أخذه للطريدة .

وظُفْره يُخبر عن عِلاجه . لو استضاءَ المرءُ في إدلاجه [1]
بعَيْنه كَفَتْهُ عن سِراجه ! [2]

٤ – ** طبقات ابن المعتزّ ٤١٧ – ٤١٨ ؛ تاريخ بغداد ١٠ : ٩٢ – ٩٣ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٧١ – ٤٧٢ ؛ إنباه الرواة ٢ : ١٢٨ – ١٢٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢١٤ – ٢١٥ ؛ بروكلمان ١ : ١٢٨ ، الملحق ١ : ١٨٨ .

عبد الله بن المعتز

١ – هو أبو العبّاس عبدُ اللهِ بنُ الخليفةِ المُعْتَزّ بنِ الخليفةِ المُتَوكّل بنِ الخليفة المُعْتَصم بن الخليفة هرونَ الرشيدِ ، وُلِدَ في ٢٣ شعبان سنة ٢٤٧ ه (٢–١١–٨٦١ م) في مدينة سامرّا ، في أيام جدّه المتوكّل ؛ وقد كان النزاع ، في ذلك الحين ، على الخلافة وعلى ولاية العهد ، ثائراً ومُنْذِراً بالحِدّة .

كان رُؤساءُ الجُنْدِ الاتراك قد بدأوا يتَلاعبون بالخلافة والخُلفاء . فظاهرَ محمّدُ بنُ المتوكّلِ الجنودَ الأتراكَ على أبيه المُتوكّل حتى قَتلوا أباه (٢٤٧ ه) فتولّى هو الخلافة باسم المُنتَصر . ثم ان المُنْتَصِرَ مات بعدَ ستة أشهرٍ فخلفه ابن عمه أحمد المستعين ، وكان ضعيفاً مُسْتَضْعَفاً . ثم خُلِعَ المنتصر (٢٥٢ه) فخلفه ابن عمه محمد بن المتوكّل باسم المعتزّ بالله . ولكنّ الجُندَ الأتراك سَرعان ما طالبوا المعتزّ بالأموالِ فلم يكن لَدَيْه منها شيءٌ يرضيهم بـه فخلعوه (٢٥٥ ه) ثم قتلوه . ثم جاء المُهْتَدي وكان كريماً صالحاً ولكنه لم يَنْجُ من يَدِ الجند الأتراك فخلَعوه بعد أن بَقِيَ في الخلافة سَنَةً إلاّ عَشْرَةَ أيام . وجاء المعتمد ، وكان مُسْتَضْعَفاً فاستبد بأمرِ الدولة أخوه طَلْحَةُ المُوفّق . وفي أيامه كانت ثورة الزّنْج . ولما مات المعتمد ، سنة ٢٧٩ ه (٨٩٢ م) ، خلفه

---

١ علاجه (تدبيره في القبض على الطريدة) . – لو أن إنساناً استضاء في أثناء ادلاجه (سيره في الليل) ....

٢ .... بعينه (بعين هذا البازي ، لشدة صفائها ولمعانها) لكفته (أغنته بضوئها) عن سراجه (عن أن يتخذ سراجاً) .

المعتضد ، «وكان شهماً عاقلاً فاضلاً ، ولكنّه وَلِيَ والدنيا خرابٌ» . ثم مات المعتضد (٢٨٩ هـ = ٩٠٢ م) فخلفه المكتفي ، وفي أيامه ظهر القَرامطةُ . ولما مات المكتفي (٢٩٥ هـ = ٩٠٨ م) خلفه المقتدر .

في هذا العاصفِ السياسي لم يكن لابنِ المعتز ، ولا لأحدٍ غيره ، أن يتمنّى الخلافةَ . من أجلِ ذلك كان ابن المعتزّ منْصَرِفاً إلى تلقّي العلمِ ونظم الشعر وتأليفِ الكتب ، وإلى حياةٍ ناعمةٍ لاهيةٍ . كان من أساتذة عبد الله بن المعتزّ المبرِّدَ المشهور (ت ٢٨٥ هـ) وأبو جعفرٌ بن زيادٍ الضّبّي صاحب القِراءات والنحو ، ثم الاديب أبو الحسن الدِمَشْقي ، وأبو علي العَنَزي (ت ٢٩٠ هـ) وأبو العبّاسِ ثَعْلَبٌ (ت ٢٩١ هـ) الإمام في اللغة والنحو وغيرهم .

غيرَ أنّ الجنْدَ الأتراكَ لم يرْضَوْا عن المقتدر طويلاً وأرادوا أميراً عباسياً يُوَلّونه الخلافة فوقعوا على عبد الله بن المعتزّ فبايعوه (٢٠ ربيع الأول ٢٩٦ هـ = ١٧–١٢–٩٠٨ م) ، بعد أن سجنوا المقتدر . غيرَ أن أنصارَ المقتدر عادوا فجمعوا صفوفهم ، في اليوم التالي ، وأخرجوا المقتدر من السجن ثم أخذوا عبد الله بن المعتزّ فعذبوه حتى مات .

وعاد المقتدر إلى الخلافة .

٢ – كان عبدُ الله بن المعتزّ أديباً شاعراً وناقداً عالماً مُصنّفاً يُجيد فنّي النظمِ والنثر ، واسعَ الثّقافةِ بعددٍ من فُنونِ المعرفة بصيراً بصَنْعة الألحانِ . ومن كتب ابن المعتزّ : كتاب الآداب (في الأخلاق ؟) ، كتاب البديع ، تباشير السرور ، فصول التماثيل ، طبقات الشعراء المحدثين (ألّفه نحو سنة ٢٨٠ هـ) ، أشعار الملوك ، سرقات الشعراء ، الزهر والرياض ، مكاتبات الاخوان بالشعر ، الصيد بالجوارح ، الجامع في الغناء ، حلى الأخبار .

وعبد الله بن المعتزّ شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيدٌ حَسَنُ الطَبْعِ جيدُ القريحة بليغاً صاحب صِناعة . ثم هو قريبُ المأخذِ حسنُ الاختراعِ للمعاني فصيحُ الألفاظ سَهْلُ التركيب جميلُ الديباجة يُصيبُ التشابيهَ والاستعارات . أما فنونُه فهي الأدبُ والفخرُ والمَدْحُ والرِثاء والهِجاء والوصف والنسيب والطَرْدُ والزُهْد .

ووصفه خاصةٌ يتناول وجوهَ الحياة المُتْرَفَةِ في القصورِ ، وهو يُكْثِرُ من وصف الخمرِ ووصف الُحلَى والجواهر . وله في الهِلال والنجوم أوصافٌ بارعةٌ هي بلا ريبٍ أفضلُ شعرِه .

٣ – المختار من آثاره

– قال ابن المعتز في الحسود :

اصْبِرْ على كَيدِ الحَسو   دِ ، فانّ صَبْرَكَ قاتِلُهْ .
كالنّارِ تأكُلُ بعضَها   إن لم تَجِدْ ما تأكُلُه .

– وقال في رأي الناس في الغِني والغَنيّ :

إذا كنتَ ذا ثروةٍ من غِنىً   فأنتَ المُسَوَّدُ في العالمِ .
وحَسْبُكَ من نَسَبٍ صورةٌ   تُخبّر أنّك من آدمِ !

– واشتهر ابن المعتز بوصف الهِلال والنجوم ، من ذلك قوله :

– زارني والدّجى أحَمّ الحواشي ،   والثُّرَيّا في الغربِ كالعُنْقودِ ،
وهلالُ السما كطَوْقِ عَروسٍ   بات يُجْلَى على غَلائِلَ سود .
– أهلاً بفِطْرٍ قد أنارَ هلالُه   – فالآن فَاغْدُ إلى المُدامِ وبَكّرِ –
وَانْظُرْ اليه كزَوْرَقٍ من فِضّةٍ   قد أثْقَلَتْهُ حُمولةٌ من عَنْبَرِ .
– أنْظُرْ إلى حُسنِ هِلالٍ بدا ،   يَهْتِكُ من أنوارِه الحُنْدُسا ،
كمِنْجلٍ قد صِيغَ من فِضّةٍ   يَحْصُدُ من زُهْرِ الدُّجى نَرْجِسا !
– وكأنّ المَجرّ جَدْوَلُ ماءٍ   نَوّر الأُقْحوانُ في جانبيه .
وكأن الهلالَ نِصْفُ سِوارٍ   والثّريّا كَفٌّ تُشير اليه .

– وقال يصف مجلس خمر تحت عريشة :

شَرِبْنا عَصيرَ الكَرْمِ تحتَ ظِلالهِ   على وجه مَعشوقِ الشّمائل أغْيَدِ .
كأنّ عناقيدَ الكُرومِ وظِلّها   كواكبُ دُرٍّ في سماءٍ زَبَرْجَدِ !

– قال في الحُسن والقبح :

قَلْبِيَ وثّابٌ إلى ذا وذا ،   ليس يَرى شيئاً فيأباهُ :

يَهِيمُ بالحُسْنِ كما يَنْبغي ، ويَرْحَمُ القُبْحَ فيَهواه !

— وقال في زيارة الحبيب :

كم فيهِمُ من مليحِ الوجهِ مُكْتَحِلٍ بالسِحْرِ يُطْبِقُ جَفْنَيْهِ على حَوَرِ.
لاحظتُه بالهوى حتّى استَقادَ له طَوْعاً وأسْلَفني الميعادَ بالنظـر .
وجاءني في قميصِ اللَّيْلِ مُسْتَتِراً يستعجلُ الخَطْوَ من خوفٍ ومن حَذَر.
فقُمْتُ أفرُشُ خَدّي في الطريقِ لـه ذُلاً ، وأسحَبُ أذيالي على الأثر .
ولاحَ ضوءُ هِلالٍ كاد يَفْضَحُنا ، مثلَ القُلامةِ قد قُدَّتْ من الظُفُر .
وكان ما كان مِمّا لستُ أذكُرُهُ فظُنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخَبَر !

— من مقدّمة طبقات الشعراء :

الحمدُ لله الذي أفْحَمَ مَصاقِعَ الفُصحاءِ بمُعْجِزِ كلامِه وأخْرَسَ شَقاشِقَ البُلَغاءِ بتَرتيبه ونِظامِه وبَهَرَ العَرَبَ العَرْباءَ باختراعِ مُفْتَتَحِه وختامِه .... والصلاةُ والسلام على مَنِ اهتَزّتْ بأرواحِ نَصرِه أعطافُ دولةِ العَرَبِ فماج بها خِضَمٌّ دولةِ الاكاسِرَةِ والقياصرة فاضْطَرَب ، وخَضَعَ من أعمالِ حُسامِه ربَّ التاجِ والسرير لصاحب الشاةِ والبعير فعَطَسَتِ العرَب فَرَحاً بأنْفِ العِزِّ الشامخ وجرّت مَرَحاً ذَيْلَ الشرف الباذخ ....

عَقَدَ الفِكْرُ طَرْفي بالنجوم لواردٍ وَرَدَ عليَّ من الهُموم نَفَضَ عن عَيْنيَّ كُحُلَ الرُقاد وألْبَسَ مقلتي حُلَلَ السُهاد ، فتأمّلتُ فخَطَرَ عليَّ الخاطرُ في بعض الأفكار أنْ أذْكُرَ في نُسْخَةٍ ما وَضَعَتْه الشعراءُ من الأشعار في مدح الخُلفاء والوزراء والأُمراء من بني العبّاس ليكون مذكوراً عند الناس ، مُتابِعاً لما ألّفه ابن نُجيمٍ قَبْلي بكتابِه المسمّى **بطبقاتِ الشعر (الشعراء؟) الثقات** ، مُستعيناً باللهِ المُسَهِّلِ الحاجاتِ وسَمّيته **طبقات الشعراء المتكلّمين من الأدباء المتقدّمين** .

فكان أولَ تَرْجمةِ ابنِ نُجيمٍ بشّارُ بنُ بُرْدٍ وما له من الأشعار والآثار ، فنظرتُ في ذلك أن أجمعهم في هذا الكتاب فرأيتُ الاختصارَ لأشعارهم عينَ الصواب . ولو اقتصيت جميعَ الاشعارِ لطال الكتابُ وخرج عن حدّ القَصْد . فاختصرت ذلك وذكرتُ ما كان شاذاً من دواوينهم وما لم يُذْكَرْ في الكتبِ من أشْعارهم واقتصرت ما كان من مُطوّلات قصائدِهم ....

٤ – ديوان ابن المعتزّ ، القاهرة ١٨٩١ م ؛ (نشر محيي الدين الخيّاط) ، بيروت (مطبعة الاقبال) ؛ دمشق ؟ ١٣٧١ ﻫ ؛ بيروت (دار صادر) ١٩٦١ م .

طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء (نشره عبّاس اقبال) ، لندن (لوزاك) ١٩٣٩ م ؛ (نشره عبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٦ م .

كتاب البديع (اعتنى بنشره ... اغناطيوس كراتشقوفسكي) ، لينينغراد – لندن (لوزاك) ١٩٣٥ م ؛ (شرحه .... محمّد عبد المنعم خفاجي) ، مصر (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٦٤ ﻫ (١٩٤٥ م).

ابن المعتزّ .... شعره ، صنعة أبي بكر الصولي (عني بتصحيحه لوين) ، استانبول (مطبعة المعارف) ١٩٤٥ – ١٩٥٠ م .

رسائل ابن المعتزّ في النقد والأدب والاجتماع ، جمعها محمّد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة (مطبعة الحسين التجارية) ١٩٤٩ م .

يوم وليلة ، تأليف عبد العزيز سيّد الأهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥١ م .

عبد الله بن المعتزّ : أدبه وعلمه ، تأليف عبد العزيز سيّد الاهل (دار العلم للملايين) ١٩٥١ م .

عبد الله بن المعتزّ العبّاسي : حياته وانتاجه ، تأليف محمّد عبد العزيز الكفراوي ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) بلا تاريخ .

التشبيه في شعر ابن الرومي وابن المعتزّ ، تأليف محمّد عبد المنعم خفاجي ، (المطبعة الفاروقية) ١٩٤٨ م .

** الفهرست ١١٦ ؛ الاغاني ١٠ : ٢٧٤ – ٢٨٦ ؛ تاريخ بغداد ١٠ : ٩٥ – ١٠١ ؛ أشعار أولاد الخلفاء للصولي (لندن ١٩٣٦ م) ص ١٠٧ – ٢٩٦ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٤٦١ – ٤٦٤ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢١٣ – ٣٠٨ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٢١ – ٢٢٤ ؛ بروكلمان ١ : ٧٩ – ٨٠ ، الملحق ١ : ١٢٨ – ١٣٠ ؛ زيدان ٢ : ١٨٧ – ١٨٩ .

محمّدُ بنُ داوودَ بن الجرّاحِ

١ – هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ داوودَ بن الجرّاح نشأ في أسرةٍ من الأدباء المؤلّفين (الفهرست ١٢٨ – ١٢٩) وأخذ عن العلماءِ والفصحاء والشعراء . ولمّا جاء المعتضدُ إلى الخلافة ، سَنَةَ ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) استوزرَ عبيدَ الله ابنَ سُليمانَ بنِ وَهْبٍ (ت ٢٨٨ هـ) فاتّخذ عبيدُ الله محمّدَ بنَ داوودَ بن الجرّاحَ كاتباً له . وكذلك تولّى محمدُ بنُ داوودَ هـذا دواوينَ الخَراجِ والضِياع والجَيْش في أيام المُكْتفي (٢٨٩ – ٢٩٥ هـ) وفي الفَتْرة الأولى من أيام المُقْتدر (٢٩٥ – ٢٩٦ هـ) . ولمّا تولّى عبدُ الله بن المعتزّ الخلافةَ اتّخذ محمّدَ بنَ داوودَ وزيراً . ولكنّ ابنَ المعتزّ لم يَبْقَ في الخلافة سوى يومٍ واحد ، فلمّا قُتِلَ تخفّى محمّدُ بنُ داوودَ مدّةً يسيرة ثمّ ظهر فقُبِضَ عليه وقُتِلَ ، سَنَةَ ٢٩٦ هـ (٩٠٨ – ٩٠٩ م) .

٢ – كان محمّد بنُ داوودَ الجرّاح كاتباً عارفاً بأيامِ الناس وأخبارهم وبأحوال الدول ، كما كان شاعراً مُقِلّاً متوسّطاً . وله تآليفُ منها : كتاب الوَرَقة في أخبار الشعراء « سمّاه بذلك لأنّه لا يَزيدُ في خبرِ الشاعر الواحد على وَرَقة » (الصفدي ٣ : ٦٢) . وكان له أيضاً كتابُ الشعر والشعراء (طبقات الشعراء ، أخبار الشعراء) ، وهو لَطيفٌ (مختصر) – كتابُ من سُمّيَ من الشعراء عَمْراً في الجاهلية والإسلام – كتاب الوزراء (أخبار الوزراء) – كتاب الاربعة (على مثال أبي هَفّان) .

٣ – المختار من شعره

– قال محمّدُ بن داوود بن الجرّاح في الشكوى من الدهر والناس :

قد ذَهَبَ الناسُ فلا نــاسُ ، وصار بَعْدَ الطمعِ الياسُ ؛
وساسَ أمرَ الناسِ أدْناهُمُ ، وصارَ تحت الذَنَبِ الراس .

– وقال في معاملته لإخوانه :

أُعينُ أخي أو صاحبي في مُصابهِ : أقومُ له يومَ الحِفاظ وأقعدُ ١ .

١ يوم الحفاظ : يوم الحاجة إلى الحفاظ (الدفاع عن القوم أو عن العرض أو عن الصديق) . أقوم وأقعد :أبذل جهدي (بضم الجيم) كله .

ومن يُفْرِدِ الاقوامَ في ما يَنوبُهُـم   تُبِتْهُ اللّيالي مرّةً وهو مُفْرَدُ[1] .

٤ ــ الورقة (عبد الوهاب عزّام وعبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٣ م .

** الفهرست ١٢٨ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٢٥٥ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٥٠ ــ ٢٥١ ؛ الصفدي ٣ : ٦١ ــ ٦٢ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٢٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢٢٤ ــ ٢٢٥ .

أبو بكر محمّد بن داوود الاصفهاني

١ ــ هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ أبي سُليمانَ داوودَ بنِ عليِّ بنِ خلَفٍ الاصفهانيّ الظاهريّ ، وُلِدَ سنَةَ ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) ودَرَس على أبيه داوودَ ابنِ عليّ (ت ٢٧٠ هـ) صاحبِ المذهب الظاهريّ[2] وعلى أحمدَ بنِ يحيى الشيبانيّ ؛ ثمّ إنّه خلَفَ أباه في رِئاسةِ المذهبِ وفي حلْقة التدريس وعُمُرُه ستَّ عَشْرَةَ سنَةً .

وتُوُفّيَ أبو بكرٍ الاصفهانيّ باكراً ، في التاسعِ من رمَضانَ ٢٩٧ هـ (٨٩٨ م) .

٢ ــ كان أبو بكرٍ محمّدُ بن داوودَ الظاهريّ فقيهاً وأديباً وشاعراً ظريفاً على شِعْرِه شيءٌ من جَفاف شعرِ الفُقهاء . على أن نثره كان أحسنَ من شعره. ونثرُه مسجوعٌ سهْلٌ رائقٌ يجري على المَنْطِق ، ولكنْ يتَخلّله شيءٌ من الغُموض في بعض الأحيان . ثمّ هو مؤلّفٌ له كتابُ الوصول إلى معرفة الأصول ، كتاب الإنذار ، كتاب الإعذار (وهي في الفقه) . أما شهرتُه فراجعةٌ إلى كتاب الزَهْرة ، وهو كتاب صنّفه في شبابه وجمع فيه أبياتاً في

---

١ يفرد الاقوام : يتخلى عنهم . ينوبهم : يصيبهم . تبته = تبيته « تجعله » . مرة : يوما ما . وهو مفرد : وحده (وقد تخلى عنه الناس كما كان قد تخلى هو عنهم) .

٢ المذهب الظاهري : مذهب يتقيد أتباعه بظاهر النص الوارد في القرآن الكريم والحديث الشريف . على انه مذهب باد (بطل العمل به الآن) .

الغزل منها المُقَطّعاتُ القِصارُ ومنها الأبيات المختارةُ من القصائد الطِوال . هذه المختاراتُ تمتدّ في الزمن مِنَ امرئِ القيس إلى الشعراء الذين عاصروا المؤلّف . وفي كتاب الزهرة مِائَةُ بابٍ كلّ باب منها في حال من أحوال الهوى والعشق ، وفي كلّ باب مِائَة بيتٍ تتعلّق بكلّ حالٍ من تلك الأحوال . والمؤلّف يُقَدِّمُ كلّ بابٍ ببضعةِ أسطرٍ من نَثْرِهِ الرائق في وصف حال الهوى المعيّنة في كل باب ؛ وربّما عَقّبَ على عدد من المختارات بملاحظة تَطولُ قليلاً أو تَقْصُرُ .

٣ ـ من مقدّمة كتاب الزهرة

قال أبو بكر محمّد بن داوود الاصفهاني يخاطب الذي ألّف هذا الكتاب له :

.... واعلمْ ـ أدامَ اللهُ تأييدَك ـ أن المُرْتَضَيَنَ ١ مِنَ الإخوانِ مَعْدومونَ في هذا الزمان . وانّما بَقِيَ قوم يَنْتَصِفون ولا يُنْصِفون : إن بَسَطْتَهم لم يَهابوكَ ، وإن أحْشَمْتَهُم اغتابوكَ ؛ ما داموا لك راجينَ أو خائفين فهُمْ إليك منقطعون . فإنْ زايَلوا هاتيْنِ الحالتَيْنِ لم يَرْعَوْا لك إخاءً ولم يعتقدوا لك وفاءً . فإذا ظَفِرتَ بمُنافِقٍ فتَمَسّكْ بهِ فإنّه على كلّ حالٍ خيرٌ من غيرِه لأنّه يُظْهر لك بلسانه ما تُسَرّ به وإن كان يُضْمِرُ خلافَه بقلبهِ . وحَسْبُكَ بقومٍ خيرُهُمُ المنافقونَ وأهلُ الوفاءِ مِنْهم مَفْقودون !

.... وقد عزَمْتُ ـ لمّا رأيتُ بكَ من غَلَبات الاشتياقِ ومن مَيْلِكَ إلى تَعَرُّفِ أحوال العُشّاق ـ أنْ أوَجّهَ لك نديماً يُشاهِدُ بك أحوالَ المتقدّمين ويُحْضِرُكَ أخبارَ الغائبين ، يَنْشَطُ بنَشاطك ، ويَمَلّ بمَلالِك إن أدنيْتَه دنا وإن أقْصَيْتَه نأى ، لا يَزْهى ٢ عليكَ عند حاجته إليك ٣ ..... انتزعتُه لك من خَواطري واختَرْتُهُ من غريب ما اتّصل بمَسامعي . إن اختَصَصْتَ به مَنْ تُحِبّ من إخوانك لم تَفْتَقِدْهُ من دِيوانك ، وإنِ استَبْدَدْتَ به دون أوليائك فَضُلْتَ به على نُظَرائك ، وهوكتابٌ سَمّيته

---

١ الضاد في الأصل الذي نقلت منه مكسورة ، والصواب فتحها .

٢ يزهى (بضم الياء ، وتكون بفتح الياء أيضاً ولكن على قلة) : يتيه يتكبر .

٣ الكلام على الكتاب هنا يشبه « وصف الجاحظ للكتاب » .

كتاب الزَهْرة واستودعْتُه مِائَةَ باب ضَمّنْتُ كلّ باب مائَةَ بيت أذْكُرُ في خمسينَ باباً منها جِهاتِ الهوى وأحكامَه وتصاريفه وأحوالَه ، وأذكرُ في الخمسينَ الثانيةِ أفانينَ الشعرِ الباقيةَ ، وأقتَصِرُ في ذلك على قليلٍ من كثير وأقنع من كلّ فنٍّ باليسير ، إذْ كانَ ما نَقْصِدُه أكثرَ من أن يتَضَمّنَهُ كتابٌ أو يُعَبِّرُ عن حقيقته خطابٌ . ومثل هذا الكتاب إنّما يَطْلُبُهُ أهلُ الآدابِ ليَخفّ على الألفاظ ويَتَسَهّلَ للحُفّاظ ، فان بَعُدَ آخِرُه نُسِيَ أوّلُه . ولَسْنا وإنِ اجْتَهَدْنا في إطالته راجِينَ التناهيَ إلى غايتهِ ، ومن لم يَرْجُ الكمالَ في الإكثارِ كانَ حقيقاً أن يَقْنَعَ بالاختصار ....

وقد جَعَلْتُ الأبوابَ المنسوبةَ إلى الغَزَلِ من هذا الكتابِ أمثالاً ورتّبتها على ترتيب الوقوعِ حالاً فحالاً ، فقدّمْتُ وصفَ كَوْنِ الهوى وأسبابهِ وبَسَطْتُ ذِكْرَ الأحوالِ العارضةِ فيه بعد استحكامه[1] من الهَجْر والفِراق وما تُوجِبُه غَلَباتُ التَشَوّقِ والاشْتياقِ ثمّ خَتَمْتُها بذِكْرِ الوَفاء بعد الوَفاة ....

وأنا ، إن شاءَ اللهُ ، أذكرُ بعَقِبِ كلّ باب منها ما يُشاكله من الأشعار واقتصرُ على القليل من الأخبار لأنّها قد كَثُرَتْ بأيدي الناس فقَلّ مَنْ يَسْتَفيدُها ، وأفاضِلُ بين الأشعار على ما تُوجِبه الحالُ التي ادّعاها صاحِبُها .... ولن يَعْدَمَ كتابُنا هذا أنْ يُصادِفَ عاقلاً وجاهلاً مُتَحاملاً ، والمتحاملُ يَعْرِفُ مَغْزاه من فَحْواه ، والعاقلُ لا يرى لنفسه أن يَعيبَ من لم يَدّعِ أنّه قد كَمُلَ بما يَرى في كتابه من الخَلَل[2] ....

٤ – النصف الأول من كتاب الزهرة (اعتنى بنشره لويس نيكل بمساعدة ابراهيم طوقان) (حقوق الطبع للمعهد الشرقي في جامعة شيكاغو) ، بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٣٢ م (١٣٥١ هـ) .

** تاريخ بغداد ٥ : ٢٥٦ – ٢٦٣ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٢ – ٢٧٣ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٢٤٩ – ٢٥٠ .

---

١ استحكم الأمر : ثبت ، اشتد .
٢ في هذه الجملة اضطراب ونقص .

ابن بَسّامٍ البغداديُّ الشاعرُ

١ ــ هو أبو الحسن عليُّ بنُ محمّدِ بنِ نصرِ بن منصور بن بسّامٍ العَبَرْتائي [١] البغداديّ ، وأمّه أمامة شقيقة أحمدَ بنِ حَمدونَ النديمِ (لأمّه وأبيه) . كان من بيتٍ خدم نفرٌ من أهله في الدواوين كُتّاباً ، كما كان لبيته شيء من الوَجاهة والغنى : فجَدّه نصرُ بن منصورِ بن بسّام كان يتولّى ديوان الخاتَم والنفقات والأزِمّة ، وقد مدحه أبو تمّام ؛ وأبوه محمّدُ بن نصرٍ كان مُتْرَفاً حَسَنَ الزّي مُنَعّماً في مَطْعمه وملبسه ومسكنه .

وُلِدَ أبو الحسن علي بن محمّد بن بسّام نحو سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٧ م) ونشأ هَجّاءً خبيثَ اللسان لم يَسْلَمْ من لسانه أميرٌ ولا وزير ولا رجلٌ من جِلّة الناس وأفاضلهم ، كما هجا أباه وأمّه وأهله ، فهو لذلك أحد العَقَقَة [٢] .

تقلّدَ ابنُ بسّامٍ البغداديّ البريدَ في مصر ، في أيّام الوزير عُبيد الله بن سُليمان بن وَهْب (٢٧٧ ــ ٢٧٩ هـ) ؛ وتعلّق ابن بسّام الشاعر بهجاء القاسم ابن عُبيد الله حتّى أنه شَمِتَ بموتِ ولدٍ له (٢٨٤ هـ) ، وكان ينظم فيه الأهاجي ثم يَنْحَلُها لابن الروميّ [٣] . ولمّا تولّى القاسم بن عبيد الله الوزارة (٢٨٨ ــ ٢٨٩ هـ) أراد أن ينتقمَ من ابن بسّامٍ ، ولكنّ الخليفةَ المعتضد ردّه عن ذلك وحمله على أن يُحْسِنَ اليه وأن يُولّيَهُ بريد الصَيْمرة [٤] وما والاها ؛ وقد بَقِيَ ابن بَسّامٍ في هذا المَنْصِبِ إلى أواخر أيامِ المعتضد (٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ) .

وكانت وفاةُ أبي الحسن عليّ بن محمّد البسّامي الشاعر في صَفَرَ من سنة ٣٠٢ هـ (ايلول ــ سبتمبر ٩١٤ م) .

٢ ــ كان ابن بسّام البغداديّ شاعراً وكاتباً مُنْشِئاً مُتَرَسّلاً وأديباً مُصَنّفاً للكُتُب ، ولكنّ الشعرَ غَلَبَ عليه . وكذلك كان لَسِناً فَصيحاً ظريفاً ماجناً

---

١ عبرتى : قرية قرب النهروان (جنوب العراق) .

٢ العققة جمع عاق : الذي يعق (بكسر العين) : يعصي أباه ويستخف به .

٣ كانت بين ابن الرومي وبين القاسم بن عبيد الله عداوة ، وكان ابن الرومي كثير الهجاء للقاسم هذا .

٤ الصيمرة : اسم لعدد من البلدان ، لعل المقصود بها هنا بلدة في نواحي البصرة .

مُقْذِعاً . ثم كان له رِثاءٌ حَسَنٌ في آل البيتِ أبانَ فيه عن مذهبه في التَشَيّع (معجم الشعراء ١٥٤) ، وشيء من المدح والنسيب والوصف والحكمة ، ولكنّه كان يحسن المُقَطّعات ولا يُحْسِنُ إذا أطال .

ولابن بسّام البغداديّ من الكتب كتابُ أخبار عمر بن أبي ربيعة ، وقد مدحه ابن النديم وسائر الذين ترجموا لابن بسّام . وله أيضاً كتاب أخبار الأحوص ، وله كتاب الزنجيّين وهم المعاقرون أو كتاب المعاقرين [1] ، كتاب مناقضات الشعراء ، ديوان رسائل .

٣ ــ المختار من شعره

ــ يبدو أن والد ابن بسّام البغدادي كان بخيلاً أو كان يضنّ على ابنه بالمال لأن ابنه كان ماجناً مسرفاً ، فقال ابن بسّام يهجو أباه (لا أعانه الله) :

هَبْكَ عُمّرْتَ عُمْرَ عِشْرِينَ نَسْراً ؛ أترى أنّني أموتُ وتَبْقى ؟

فَلَئِنْ عِشْتُ بعدَ موتِكَ يوماً لأشُقّنّ جيبَ مالِكَ شَقّا [2] !

ــ لمّا هدّمَ الخليفةُ المتوكّل قبرَ الحسين بن عليّ رضي الله عنه ، سنة ٢٣٦ هـ ، قال ابن بسامٍ البغداديّ :

تاللهِ ، إن كانتْ أُميّةُ قد أتتْ قَتْلَ ابنِ بِنْتِ نَبيّها مَظلوما ،

فلَقَدْ أتاه بنو أبيه بمِثْلِه ؛ هذا ــ لَعَمْرُكَ ــ قبرُه مَهدوما :

أسِفوا على ألاّ يكونوا شاركوا في قتلهِ فتَتَبّعوه رَميما [3] !

ــ لمّا تولّى أبو علي محمّد بن عُبيد الله بن يحيى بن خاقانَ الوِزارة (٢٩٩ ــ ٣٠١ هـ) للخليفةِ المُقْتَدِرِ أساء السيرة والتدبير وأخذ الرَشْوَةَ من كلّ طالبِ وظيفةٍ ، وربّما عيّن للوظيفة الواحدة عدداً من الموظّفين في وقت

---

١ الزنج (بفتح الزاي أو كسرها) : جيل من السودان . والزنج (بفتح الزاي وفتح النون) : شدة العطش . والمعاقرون : الذين يكثرون شرب الخمر ولا يرتوون (؟) .

٢ لأشقن جيب مالك شقا : لأسرفن بانفاق المال الذي سأرثه منك !

٣ الرميم : البالي ، المتفتت .

واحد : قيل إنه ولّى في يوم واحد تِسْعَةَ عَشَر ناظراً للكوفة وأخذ من كلّ واحد رَشوةً . وقد هجاه الشعراء ، فمما قاله فيه ابن بسّام البغدادي :

وزيرٌ ما يُفيقُ من الرَّقاعهْ : يُوَلّي ثُمّ يَعزِلُ بعدَ ساعهْ ،
ويُدني من تَعَجّل منه مالٌ ويُبْعِدُ من تَوَسّل بالشفاعه .
إذا أهْلُ الرُّشا[1] صاروا اليه فأحظى القومِ أوفرُهم بِضاعه .
فلا رَحِمٌ تُقَرِّبُ منه خَلْقاً — سوى الوَرِق[2] الصِحاحِ — ولا شَفاعه.
وليس بِمُنْكَرٍ ذا الفعلُ منه ، لأن الشيخ أفْلَتَ من مَجاعه .

٤ — •• الفهرست ١٥٠ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٦٣ ؛ معجم الأدباء ١٤ : ١٣٩ — ١٥٢ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٤٤ — ٤٥ ؛ أعيان الشيعة ٤٢ (١٩٥٨) : ٢٤ ؛ زيدان ٢ : ١٨٩ — ١٩٠ .

أبو جَعْفَرٍ الطَبَريُّ

هو أبو جَعْفَرٍ مُحمّدُ بنُ جريرِ بنِ يزيدَ بنِ خالد الطَبَرِيّ ، وُلِدَ في آمُلَ (قَصَبَة طَبَرِسْتانَ) في آخرِ سَنَةِ ٢٠٤ هـ أو أوّلِ سنة ٢٠٥ هـ (٨٢٠ م) .

بدأ أبو جعفرٍ الطَبَرِيّ كِتابةَ الحديثِ عن علماء بَلَدِه ثم انتقلَ إلى الريّ والبُلْدانِ المُجاورةِ فَسَمِعَ ممن فيها كلّها من العُلماء . ثم أنّه قَصَدَ بَغدادَ ليسمع من الإمام أحمد بن حنبل ، فلمّا دخلها كان أحمد بن حنبل قد تُوُفّيَ (٢٤١ هـ = ٨٥٥ م) . فمَكثَ مدّةً ثم انحَدَرَ إلى البصرة فسَمِعَ من علمائها . بعدَئذٍ انتقل إلى الكوفة ثم عاد إلى بَغدادَ .

بعدئذ قصد الطبريّ مِصْرَ وجعل في أثناء طريقهِ يكتُبُ عن العلماء في البُلدان

---

١ جمع رشوة .

٢ الورق (بفتح الواو وكسر الراء) : الفضة . الورق الصحاح : الدراهم من الفضة الصحيحة الوزن .

الشامية إلى أن دخل الفُسطاطَ ، سنة ٢٥٣ هـ (٨٦٧ هـ) . ثم عاد إلى الشام ورجع بعدَ ذلك إلى مصر (٢٥٦ هـ) . وأخيراً استقرّ في بغداد يقضي بعضَ وقته في التدريس والإملاء والمناظرات ويقضي معظم وقته في التأليف حتى تُوُفّي في ٢٦ شوّال من سنة ٣١٠ هـ (١٦-٢-٩٢٣ م) .

كان أبو جعفرٍ محمّدُ بنُ جريرٍ الطبَريّ إماماً في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والنحو واللغة والعَروض والأدب ومُلمّاً بالحساب والجبْر والمَنْطِق والطبّ وسواها . ومعَ أنّه كان من الأئمّة في القراءات ، فانّه لم يُقْرِئ أحداً اختياراً وإنّما كان يقرأ عليه الفَرْدُ بعدَ الفرد . أما التفسير فكان إماماً مُقدّماً فيه بَصيراً بمعاني القرآن فقيهاً بأحكامه عارفاً بالتأويل . وكذلك كان عارفاً بالحديث والسُنَن عليماً بطُرُق رِواياتها وبصَحيحها وسَقيمها وبناسخها ومَنْسوخها عارفاً بأقوال الصَحابة . وأما في الفقه فقد كان أحدَ الأئمّة أصحابَ المذاهب لم يُقلِّدْ أحداً بل خَطّ لنفسه مَذْهباً كان له فيه أتباعٌ . غيرَ أنّ مذهبَه بادَ (بَطَلَ العمَلُ به) ؛ ونَجِدُ إشاراتٍ إلى مَذْهبه الفقهي في معجم الأدباء (١٨ : ٥٣ ، ٥٧ — ٥٨ ، ٨٢ ، ٨٣) . وكان في النحو من أتباعِ المذهب الكوفي .

وتصانيفُ الطبَريّ كثيرةٌ مَبْسوطةٌ (كبيرة) مُتَنوّعةُ الموضوعاتِ يهمّنا منها :

(أ) كتابُ الأمم والملوك (يُعْرَفُ أيضاً بتاريخ الرُسُلِ والأنبياء والملوك ، وهو مشهورٌ باسم « تاريخ الطبري ») : كان هذا الكتابُ ثلاثينَ ألفِ وَرَقة (٦٠٠,٠٠٠ سطرٍ) ، فلمّا أرادَ إملاءه على أصْحابه (طلاّبه) استكثروه فاختصره لهم في ثلاثةِ آلافِ وَرَقة (٦٠,٠٠٠ سطرٍ) . هذا التاريخ يبتدأ بآدَمَ ويقفُ عند سنة ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) ، وهو حَوْليّات على السنين يُورد الطبَريّ فيه الأحداثَ مرتّبةً سَنَةً فسَنَةً في رِوايات مُسْتَقلّة ، كلّ رواية مُخْتصّةٌ بحادثٍ تاريخيّ أو بجُزْء من حادث تاريخيّ . وربّما كرّرَ ذِكْرَ الحادثِ الواحدَ ، إذا كان هُنالك رِواياتٌ مختلفة تتعلّق بذلك الحادث . والطبري في تاريخه يُثْبِتُ الرواياتِ المختلفةَ والمتناقضةَ أحياناً كما وَصَلَتْ إليه من غير أن يُبْدِيَ فيها رأياً ، بل يَتْرُكُ للباحثِ أن يُقارِنَ الرواياتِ ويختارَ منها

ما يَثْبُتُ عِنده على النقد . وفضلُ هذه الطريقةِ أنها تَحْفَظُ كلَّ الرواياتِ – ولو كانَ بعضُها خاطئاً – كَيْلا تَحْذِفَ رِوايةً ربّما كان فيها شيءٌ من الحقيقة .

(ب) جامع البيان عن تأويلِ آي القرآن أو .... عن تأويلِ القرآن ، ويُعْرَفُ باسم « تفسير الطبري » : كان هذا الكتابُ أيضاً نحوَ ثلاثينَ ألفِ ورَقة فاختصره لأصْحابه في ثلاثةِ آلافِ ورَقة . والطبَريّ يَسْلُكُ في تفسيرِ القرآنِ المَسْلَكَ التاريخيَّ في الدرَجةِ الأولى : إنّه يُحاول أن يَجْمَعَ الرِواياتِ المتعلّقة بكلّ آيةٍ من الناحيةِ التاريخيةِ أو اللّغوية أو الفِقْهية ثم يُوازِنُ بينَ الرِواياتِ (بخِلافِ مَسْلَكِه في التاريخ) لِيَسْتَخْرِجَ المَعْنى المقصود ، وكان يقولُ (معجم الأدباء ١٨ : ٦٣) : « إنّي أعْجَبُ ممّن قرَأَ القُرآنَ ولم يَعْلَمْ تأويلَه كيفَ يَلْتَذّ بقِراءته ! » وقد شَرَحَ الطبريّ طريقةَ تَفْسيره في مُقَدّمةِ « جامع البيانِ » ولخّصها ياقوتُ الحمويّ (١٨ : ٦٣ – ٦٥) .

– جامع البيان عن تأويل القرآن ، القاهرة (المطبعة الميمنيّة) ١٣٢١ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٩٥٤ م ؛ (نشره محمود محمّد شاكر وأحمد محمّد شاكر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٣٧٤ – ١٣٧٨ هـ .

تاريخ الرسل والملوك (دي خويه وغيره) ، ليدن (بريل) ١٨٧٩ – ١٩٠١ م ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٣٦ هـ ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٩ م ؛ (نشره ابو الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٠ م .

الجزء الخامس من تاريخ الرسل والملوك (يقابل الجزء الرابع من طبعة ليدن) (نشره يوهان وغيره) ، غرايسفلد ١٨٣١ م .

كتاب الجهاد وكتاب الجزية واحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء (نشرها يوسف شاخت) ، ليدن (بريل) ١٩٣٣ م .

دلائل الإمامة ، النجف (المطبعة الحيدرية) ١٩٤٩ م .

** مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدية ، تأليف

محمّد حميد الله ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤١ م .

الطبري ، تأليف أحمد محمّد الحوفيّ ، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٩٦٣ م .

الفهرست ٢٣٤ ــ ٢٣٥ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ١٦٢ ــ ١٦٩ ؛ تاريخ الكامل ٨ : ٤٥ ــ ٤٦ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٤٠ ــ ٩٤ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٢٣٢ ــ ٢٣٣ ؛ الصفدي ٢ : ٢٨٤ ــ ٢٨٧ ؛ انباه الرواة ٣ : ٨٩ ــ ٩٠ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٦٠ ؛ بروكلمان ١ : ١٤٨ ــ ١٤٩ ، الملحق ١ : ١٢٧ ؛ زيدان ٢ : ٢٣١ ــ ٢٣٢ .

الزّجاج

هو أبو اسحقَ ابراهيمُ بن السَّرِيِّ بنِ سَهْلٍ النحويّ المعروفُ بالزجّاج . وُلِدَ الزجّاجُ نحوَ سنَةِ ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) ، وكان في صِباه يَخرُطُ الزّجاجَ (ومن هنا جاء لَقَبُه) ثمّ تاقَتْ نفْسُه إلى تعلّمِ النحو فرَغِبَ إلى المبرّدِ أن يُعَلِّمَه النحوَ وضَمِنَ له أن يُعْطِيَهُ دِرْهَماً كلّ يوم إلى وَفاةِ أحدِهما .

بدأ الزجّاجُ تكسّبَه بتعليمِ نفرٍ من أبناء بني مارقةَ من أهل الصَّراة [١] . ثم طلبه الوزيرُ عُبيدُ الله بن سليمانَ بنِ وهبِ بن سعيدٍ الذي وَزَرَ للخليفةِ المُعْتَضِد [٢] لتعليم ابنه القاسمِ بن عبيد الله . ونال الزجّاجُ حَظوةً عند الوزير عبيد الله بن سليمان فجعله كاتبَه واتّخذه نديماً . ولمّا ماتَ عبيدُ الله (٢٨٨ هـ = ٩٠١ م) خلفه ابنُه القاسمُ في الوزارة فزادتْ منزلةُ الزجّاجِ رُفعة وأفاد بذلك

١ الصراة (بفتح الصاد) : نهر في العراق (قا ٤ : ٣٥٢) أي قناة (شمال الحلة ، جنوب بغداد) تصل بين نهر دجلة ونهر الفرات ؛ والمقصود منطقة قناة البصرة .

٢ كان عبيد الله بن سليمان وزيراً للمعتمد (٢٥٦ ــ ٢٧٩ هـ) منذ سنة ٢٧٧ هـ . فلما جاء المعتضد إلى الخلافة استمر عبيد الله بن سليمان في الوزارة .

أموالاً كثيرةً فقد فوّضه القاسمُ بأن يَقْبَلَ رِقاعَ أصحابَ الحاجات في الدولة ويُساومهم على إنجازها (وكان الوزير) يُكْرِمه بإنجازها (مما يدلّ على أنّ الفسادَ والرّشوة في إدارات الدولة داءٌ قديم مزمن). ولمّا تُوُفِّيَ القاسمُ بن عبيد الله، سنة ٢٩١ هـ، كان الزجّاج قد جَمَعَ بوَساطتهِ مَبْلَغاً يزيد على أربعين ألفَ دينارٍ.

وكانت وفاة الزجّاج في جُمادى الثانية سنة ٣١١ هـ (٩٢٣ م) في الأغلب.

كان الزجّاج حَسَنَ العِلْمِ بالنحو ضعيف العلم باللغة (معجم الأدباء ١ : ١٥٠). وكان له شعرٌ. ومصنّفاته كثيرة منها: كتاب معاني القرآن (أو إعراب القرآن ومعانيه)[١]، الإبانة والتفهيم عن بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب خَلْق الإنسان، كتاب خلق الفرس، كتاب الفَرْق، كتاب النوادر، كتاب العَروض، كتاب القوافي، كتاب مختصر النحو، كتاب فَعَلْتُ وأفعلتُ، كتاب ما ينصرفُ وما لا ينصرف، كتاب شرح أبياتِ سيبويه.

— إعراب القرآن المنسوب إلى الزجّاج (تحقيق ابراهيم الابياري)، القاهرة (الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية) ١٩٦٣ م.

رسائل في اللغة (نشرها ابراهيم السامرّائي)، بغداد (مطبعة الارشاد) ١٩٦٤ م.

** الفهرست ٦٠ — ٦١؛ طبقات الزبيدي ١٢١ — ١٢٢؛ تاريخ بغداد ٦ : ٨٩ — ٩٥؛ معجم الأدباء ١ : ١٣٠ — ١٥١؛ وفيات الأعيان ١ : ١٨ — ١٩؛ إنباه الرواة ١ : ١٥٩ — ١٦١؛ بغية الوعاة ١٧٩ — ١٨٠؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٥٩ — ٢٦٠؛ بروكلمان ١ : ١١١ — ١١٢، الملحق ١ : ١٧٠؛ زيدان ٢ : ٢١٠.

أبو عثمان الناجم

١ — هو أبو عثمان سَعْدُ بنُ شَدّادٍ السمَعي[٢] المعروف بالناجمِ، من

١ بدأ الزجاج باملاء هذا الكتاب في صفر ٢٨٥ (آذار – مارس ٨٩٨ م) وأتمه في ربيع الأول ٣٠١ هـ (تشرين الأول – أكتوبر ٩١٣ م).

٢ في القاموس (٣ : ٤١): السمع (بفتح ففتح أو بكسر ففتح) هو السمع بن مالك بن زيد بن سهل أبو قبيلة من حمير (اليمن).

أهلِ بَغدادَ ، كان بينَه وبينَ ابنِ الروميّ صُحبةٌ ومَودّة ومُخاطبات . وكانت وَفاتُه سنة ٣١٤ ه (٩٢٦ م) .

٢ ــ كان الناجمُ أديباً فاضلاً وشاعراً مُجيداً حُلوَ الكلامِ متينَ التركيبِ ، ومن فُنونهِ النسيبُ والوصف والهجاء . وكان راوِيَةً لابنِ الروميّ .

٣ ــ المختار من شعره

ــ قال في وصف الشَدْوْ (الغناء) :

شَدْوٌ ألَذُّ مِنَ ابْتَدا ءِ العَيْنِ في إغفائِهـا ،
أحلى وأشهى من مُنَى نَفْسٍ ونَيْلِ رَجائها .

ــ وقال في النسيب :

لئِنْ كانَ عَنْ عَيْنَيَّ أحمَدُ غائباً ، فما هُوَ عن عينِ الضمير بغائبِ .
له صورةٌ في القلب لم تُقْصِها النّوى ولم تَتَخَطّفْها أكُفّ النَوائب .

٤ ــ ** معجم الأدباء ١١ : ١٩٣ ــ ١٩٤ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢١٧ ــ ٢١٨ .

الاخفش الاصغر

هو أبو الحسنِ عليّ بنُ سُلَيْمانَ بنُ الفَضْلِ (المُفَضّلِ) المعروف بالأخفش الأصغرِ أو الصغير ، يبدو أن مَوْلِدَه كان في سنة ٢٣٥ ه (٨٥٠م) .

روى الاخفشُ الأصغرُ عن أبي العبّاس المُبرِّدِ وأبي العبّاس ثعلبٍ وعن ابي العيناء الضريرِ (ت ٢٨٣ ه) .

كان الأخفشُ الأصغرُ ضيّقَ الرزق جِدّاً ، وكانت بَيْنَه وبينَ ابنِ الرومي الشاعرِ منافسةٌ تحوّلتْ عداوةً فكان ابن الروميّ يهجوه هجاء مُرّاً مُقْذِعاً ثم رَضِيَ عنه ومدحه .

جاء الأخفش الأصغر إلى مِصْرَ سنة ٢٨٧ ه (٩٠٠ م) ثم غادرَها سَنة ٣٠٠ ه (٩١٢ م) إلى حَلَبَ . ومِنْ حلبَ عاد ، سنة ٣٠٥ ه ، إلى بغدادَ حيثُ

تُوُفِّيَ فَجأةً في شَعبانَ سنة ٣١٥ هـ (تشرين الأوّل — أكتوبر ٩٢٧ م) في الأغلب .

كان الأخفشُ الأصغر عالِماً ثِقَةً ، ولكنّه لم يكنْ كثيرَ الرِوايةِ لِلّغةِ ولا واسعَ الرِواية في الشِعرِ . وقد كانت له تعاليقُ على كتاب الكامل للمبرّد وكتاب النوادر لأبي زيدٍ الأنصاريّ وشيءٌ من الشَرْحِ على كتاب سيبَوَيْهِ وشيءٌ من الأمالي عامّةً . وذكروا له كِتاب الأنواء وكتاب التَثْنِية والجمع .

— ** الفهرست ٨٣ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٤٣٣ ؛ طبقات الزبيدي ١٢٥ — ١٢٧ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ٢٤٦ — ٢٥٧ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٧ — ٨ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٢٧٦ — ٢٧٨ ؛ بغية الوعاة ٢٣٨ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٧٠ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٠ ، الملحق ١ : ١٨٩ .
Enc . Isl . (new ed) I 321 .

ابن العلّاف

١ — هو أبو بكرٍ الحسنُ بنُ عليّ بنِ أحمدَ بن بشّار بن زيادٍ المعروف بابن العَلّافِ من أهلِ النَهْروان ، وهي بُلَيْدَة قديمة قُرْبَ بغدادَ [١] . ويقال إن أباه كان يَبيع القَتّ [٢] في قنطرة بَرَدانَ [٣] ، وبذلك سُمّيَ ابنَ العَلّاف (ابنَ بائعِ العَلَفِ) . وكان ابن العلّاف أعمَى (وفيات الاعيان ١ : ٢٤٥) أو مُصاباً بعينٍ واحدةٍ (طبقات ابن المعتزّ ٣٥٩) . ويبدو أنه عاش قسماً كبيراً من حياته في بغداد فنادم المُعْتَضِدَ (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ) ، وكان صديقاً لعبدِ الله بن المعتزّ (قتل ٢٩٦ هـ) ولأبي الحسنِ عليّ بنِ محمّد

١ وفيات الأعيان ١ : ٢٤٨ . والنهروان اسم لثلاث قرى على مسافات مختلفة بين واسط وبغداد (راجع القاموس ٢ : ١٥٠) .

٢ نبات عشبي ذكرته القواميس العربية باسمه الفارسي (أسفست أو أسبست) وباسم عربي آخر هو الفصفصة (بكسر الفائين) . والعامة في الشام يقولون فصة (بالضم) وفي مصر يقولون برسيم .

٣ طبقات ابن المعتز ٣٥٩ . البردان قرية قرب بغداد (القاموس ١ : ٢٧٧) .

ابن الفُراتِ الذي وَزَرَ للخليفةِ المقتدرِ في فتَرات مختلفةٍ بينَ سنة ٢٩٦ ﻫ (٩٠٩ م) وبين مقتله (٣١٢ ﻫ = ٩٢٤ م) .

وتوفي ابن العلاّف سنة ٣١٨ ﻫ (٩٣٠ م) أو ٣١٩ ﻫ ، في بغداد في الأغلب ، وقد قاربت سنه المائة .

٢ – ابنُ العَلاّف مُحَدِّثٌ وراويةٌ للشعر وشاعرٌ مُكثِرٌ عدّه ابن المعتزّ (طبقات ٣٦٠) من المُجيدين . غيرَ أنّ على شِعره شيئاً من التكلّف والصَنعة ومن جَفاف شعرِ العلماء . وشعرُه يدور على المدح والرثاء والغزل والأغراض الوُجدانية . وفي شعره أيضاً رَمزٌ ومَرَحٌ : كان له هِرّ يأنَسُ به . وكان هذا الهر يذهب إلى أبراج الحَمام عند جيرانه فيأكلُ من الحَمام . فأمسكه أصحاب الحمام وقتلوه . فحزِنَ ابن العلاّف على هِره ورثاه بقصيدةٍ بارعةٍ أبياتُها خمسةٌ وستون ؛ وقيل بل رَمزَ بهذه القصيدةِ إلى رثاء عبدِ الله بن المعتزّ . وقيل إنما كَنى بالهرِ عن المُحْسِنِ بن الفُرات (ابن الوزير علي بن محمّد ابن الفرات) في أيام محنْتَه ؛ وقيل بل كانتْ لعليِ بن عيسى بن الجرّاح وزيرِ المُقتدر جاريةٌ هَوِيَتْ غُلاماً لابن العَلاّفِ ثم فُطِنَ لهما فقُتِلا كلاهما ، فهذه القصيدة فيهما . والصفدي يرى أنها في هِرّ حقيقة (نكت الهميان ١٤٢) .

٣ – المختار من شعره

– قال ابن العلاّف يرثي هراً كان عنده :

يا هرُّ ، فارقتَنا ولم تَعُدِ ، وكنتَ منا بمنزل الوَلَدِ .
فكيف نَنفكّ عن هواك وقد كنت لنا عُدّةً من العُدَد:
تطرد عنّا الأذى وتحرُسنا بالغيب من حيّة ومن جُرَد [1]
يلقاك في البيت منهمُ مَدَدٌ ، وأنت تلقاهمُ بلا مدد .
لا ترْهبُ الصيف عند هاجرةٍ ولا تَهاب الشتاء في الجَمَد .
وكان يجري – ولا سَداد لهم – أمرُك في بيتنا على سَدَد [2] .

١ بالغيب : عند غيابنا (عن البيت) . جرد (خطأ عامي ، والمقصود جرذ واحد الجرذان) .
٢ السداد والسدد بمعنى واحد : الصواب والتوفيق .

حتّى اعتقدتَ الأذى لجيراننا ، ولم تكن للأذى بمُعْتَقِد [1] !
وحُمتَ حول الردى بظلمِهِمُ ، ومن يَحُمْ حول حوضِه يَرِد [2] .
تدخل برجَ الحمام مُتّئِداً ، وتبلعُ الفرْخ غيرَ متّئِد [3] .
أطعمَكَ الغيّ لحمَها ، فرأى قتلَكَ أربابُها من الرَشَد .
عاقبة الظلم لا تنام ، وان تأخّرت مُدّةً من المدد .
أردتَ أن تأكلَ الفِراخَ ولا يأكلَك الدهرُ أكلَ مُضْطهَد .
هذا بعيد من القياس ، وما أعزَّه في الدُنُوّ والبُعُد [4] .
لا بارك الله في الطعامِ ، إذا كان هلاكُ النفوس في المِعَدِ !

— وقال في المدح :

يتلقّى النَدى بوجهِ حَيِيٍّ ، وصدورَ القنا بوجهِ وَقاحِ [5] .
هكذا هكذا تكون المعالي ؛ طُرُقُ الجِدّ غير طُرْق المُزاح !

— وقال في النسيب :

أداري بضِحكي عن هواك ، وربما سَهِرتُ فتُبدي ما أُجِنّ المدامع [6] .
وأمنع طَرْفي ، وهو ظمآنُ ، وِرْدَه وأُخفي الذي تحنو عليه الاضالع [7] .

---

١ — حتى تعودت ايذاء جيراننا بأكل حمامهم ، ولم تكن تقصد الايذاء لهم لأن أكل الحمام سبيل من سبل معاشك .
٢ — تعرضت للموت ظلماً منهم (لأنهم لم يستطيعوا أن يفهموا وجهة نظرك في أكل حمامهم) . ومن يقترب من حوض الموت يرد (يشرب منه : يمت) .
٣ متئد : على مهل .
٤ أردت أن تقتل فراخ الحمام (لتأكلها) ولم تحسب حساب الدهر الذي يترصدك بالقتل (انتقاماً أو نفاداً لعمرك) . وهذا أمر مخالف للقياس المنطقي والفقهي ؛ وإذا جاز (بقاء الذنب بلا عقاب) ، قليلا أو كثيراً فإن هذا الجواز أمر عزيز (نادر) .
٥ يدفع المال على حياء منه (لأنه يرى دائماً قلة ما يعطي) ، ويخوض الحرب بوجه رجل وقاح (صبور على ركوب الخيل شديد على العدو) .
٦ أجن : أخفي ، أكتم (من حبك) .
٧ أمنع عيني أن تنظر اليه ، مع أنها مشتاقة إلى رؤيته . تحنو (الاصوب : تحنى بالبناء للمجهول) عليه الاضالع : هواك وحبي لك .

عَجِبتُ لطرفي كيف يبقى على الهوى ،   وليس لقلبي من ضميرك شافع .
أذوب وأبلَى من رَسيس هواكمُ ،   وتسهر عيني والعيونُ هواجع .

٤ — ** تاريخ بغداد ٣ : ٣٧٩ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٤٥ —٢٤٨ ؛ نكت الهميان ١٣٩ — ١٤٢ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٧٧ — ٢٧٩ ؛ بروكلمان ١ : ٨٠ — ٨١ ؛ زيدان ٢ : ١٩٠ — ١٩١ .

٣ - تجزُّؤ الخلافة
والعودة إلى الخصائص القديمة

يَمْتَدّ هذا العصرُ من أواسِط القرن الثالث إلى أواسط القرن الخامس للهجرة (نحو ٨٥٠ – ١٠٥٠ للميلاد) ، ولكنّ الحِقبةَ الأساسية فيه هي القرن الرابع الهجري (٩١٠ – ١٠١٠ م) .

الخلافة

كان الخلفاء العبّاسيون قد خَسِروا نُفوذَهم كلّه منذ الثُلُثِ الثاني من القرن الثالث ثمّ أصبحت الخلافةُ اسْماً لغير مُسمّى ، معَ أن نفراً من الخلفاء كانوا قد حكموا مُدَداً طِوالاً كالمُطيع (٣٣٤ – ٣٦٣ هـ) والقادر (٣٦٣ – ٣٨١ هـ) والقائم (٣٨١ – ٤٢٢ هـ) في فتْرةٍ مُتّصلة . ويبدو أن الخلفاء أنفسَهم لم يكونوا من الناحية المادّية في حال غيرِ حَسَنة بل كانوا في أكثر الأحيان مُتْرَفين مُنَعّمين ، قيل إنّه كان في دار الخليفة المقتدر (٢٩٥ – ٣٢٩ هـ) أحدَ عشَرَ ألفَ خادمٍ من الروم والسودان ، وكانت خزانة الجواهر في أيامه مُتْرَعَةً بالجواهر النفيسة .... ففرّق ذلك جميعَه وأتلفه في أيْسر مُدّة (الفخري ١٩١ هـ) .

على أن الحالة النفسية في الخلفاء كانت سيئة ، فان المقتدر خُلِع وأعيد إلى الخلافة بِضْعَ مرّات ؛ ومن ذلك مثلاً أن عبد الله بن المعتزّ بويع في أيام المقتدر يوْماً واحداً (سنة ٢٩٦ هـ) ثمّ خُلِع وقُتِل . ثمّ قُتِل المقتدر وقُطِع رأسُه .

وكذلك سُمِلَتْ عَيْنا المُتّقي وقُتل (سنة ٣٣٣ هـ) . ثم سُمِلَتْ عَيْنا المُسْتكفي أيضاً واعتُقل فمات في معتَقَله مَقْتولاً (سنة ٣٣٤ هـ) ، كما قُتِل نفرٌ من الخلفاء بعد ذلك . ولم يكنِ الوزراءُ أحسنَ حالاً في ذلك من الخلفاء .

تجزّؤ بلاد الخلافة

بدأ تساقُطُ المُقاطعات من الخلافة العبّاسيّة منذ قامتِ الدولة العبّاسيّة . غير أن الدُويلاتِ الأولى التي قامت في المشرق والمغربَ لم تكن مُعاديَـةً للعبّاسيين في بغداد : كان بعضُها يحكم المقاطعات باسم الخلافة العبّاسية كالدولة الأغلَبيّة في تونُسَ ، تلك الدولة التي قامت على اتّفاق بين ابراهيمَ بنِ الأغلبِ وبين الخليفةِ هرونَ الرشيدِ ، سَنَةَ ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) . ومعَ أنّ عبدَ الرحمن ابنَ مُعاويةَ المعروف باسم عبدِ الرحمنِ الداخلِ قد قَطَعَ الأندلس كلّها عن سُلطان بغدادَ (١٣٨ هـ = ٧٥٥ م) ، بعد قِيام الدولةِ العبّاسية بستّ سَنَوات ، ثمّ أنشأ فيها دولة أمَويّة مستقلّة ، فانه لم يُعادِ العبّاسيّين . وقريبٌ من ذلك كان شأنُ الدولة الإدريسيّة التي أنشأها إدريسُ بنُ الحسن في المغرب الأقصى ، سَنَةَ ١٧٢ هـ (٧٨٩ م) . أما أحمدُ بن طولونَ فانه بدأ والياً على مِصْرَ في خِلافة المعتزّ بالله (٢٥٢ – ٢٥٥ هـ) . فلمّا غزا الرومُ بلادَ الشام سار أحمد من مصر ليَرُدّ الرومَ عن بلاد الخِلافة فهزَمَهم ورَدّهم إلى مـا وراء الإسكندرونة ، (سنة ٢٦٤ هـ) . ثمّ انه رأى الخلفاء العبّاسيّين عاجزين عنِ الدِفاع عن الشام وعن مِصْرَ أيضاً فأقام فيهما دولة مستقلّة ليس فيها عِداء للعبّاسيّين .

ولم تكنِ الحال في المشرق بعيدة عن ذلك كثيراً فانّ المـأمون لمّا عاد من مَرْوَ إلى بَغدادَ (٢٠٤ هـ = ٨١٩ م) ترك أحدَ قُوّاده طاهرَ بنَ الحسين والياً على خُراسان وما وراءها ، فاستعان طاهرٌ بنَفَرٍ من أتباعـه على حكم بـلاد ما وراءِ النهر وبعض بلاد خُراسانَ نفسها . ومع الأيّام أصبحت الدولـة الطاهرية مستقلّة في خراسان عن بغدادَ كما أصبحت الدولة السامانيّة في ما وراء النهر (نهر جيْحونَ) مستقلّة عن بغدادَ أيضاً ، ولكن من غير عداء بينهما وبين العبّاسيّين .

منصب أمير الأمراء

في أثناء هذا الضَعْف البالغ ، وفي اواخر خلافة المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠ ﻫ) برز شخصٌ خَصِيّ من موالي العبّاسيّين اسْمُهُ مُؤنُسٌ الخادمُ . كان مؤنسٌ من قبلُ رئيساً للشُرطة في بغدادَ ثمّ نُفيَ عنها إلى مكّة . ثمّ إنّه تمكّن من العَوْدة إلى بغدادَ وفَرَضَ سُلْطانه على الخليفة المقتدر وتلقّب بلقَبِ أميرِ الأمراء (الحاكم العسكري وقائد الجيوش) وتسمّى مؤنساً المُظَفّرَ ، وذلك في أول سنة ٣١٧ ﻫ (٩٢٩ م) واستبدّ بأمر الخَليفة والخِلافة . وثار النِزاعُ بين الخليفةِ المقتدرِ وبين أميرِ الأمراء مؤنسٍ المظفّرِ فسَقَطَ المقتدر قتيلاً في إحدى المعارِك بينهما (٣٢٠ ﻫ) .

على أنّ ثَمّت دُوَلاً تساقطت من الخلافة العبّاسيّة ثمّ كان لها أثرٌ كبير في الحياة السياسيّة والاجتماعية والأدبيّة :

أ — **الدولة الإخشيديّة** التي أسّسها **محمّدُ** بن طُغْجٍ في مدينة **الفُسطاط** (مِصْرَ) ، شرقَ القاهرة اليوم . كان محمّد بن طُغْجٍ قد تولّى على مِصْر ، سنة ٣٢١ ﻫ (٩٣٣ م) ثمّ استبدّ بها سنة ٣٢٦ ﻫ وبَسَطَ نفوذَه على الشام كلّها ، بما فيها فِلَسْطينُ ، وعلى الحجاز ؛ فلمّا تُوُفّي ترك طِفْلَين صغيرين كان أستاذُهما والقيّمُ عليهما عبداً نُوبيّاً أسودَ اسْمُهُ أبو المِسْك كافورٌ ، فاستبدّ كافورٌ بالمُلْك دونهما .

ب — **الدولة الحمدانيّة** التي أسّسها في المَوْصِل (شَماليّ العِراق) ناصرُ الدولة أبو محمّدٍ الحسنُ بن حَمْدانَ (٣١٧ ﻫ = ٩٢٩ م) . وفي سنة ٣٣٣ ﻫ (٩٤٥ م) سار أبو الحسن عليّ بن حَمدانَ أخو ناصرِ الدولة على الشام وانتزع مدينة حَلَبَ من أيدي الإخشيديّين وأقام فيها دولة من أزهى الدُويلات في تاريخ العرب الأدبيّ والحَرْبي . إن عليّ بنَ حَمدانَ المعروفَ بلقب **سيفِ الدولةِ** قد دافع عن الخِلافة الإسلامية وقاتل الروم وهزمهم في معارِكَ كثار كما أنشأ في حَلَبَ بَلاطاً جَمَعَ من الأدباء والشُعراء والعلماء ما لم يجتمعْ مِثْلُه إلا في بلاط هرونَ الرشيدِ في بغدادَ ، نَعُدّ من هؤلاء المتنبّيَ وأبا فراسٍ وأبا الفرجِ الأصفهانيّ والثعالبيّ وابنَ خالوية والفارابيّ . وقد كان سيفُ الدولة

نفسُه أديباً شاعراً مُحِبّاً للعلم وللأدب .

على أن الدولة الحمدانية في حلبَ كانت مُعادية للدولة الإخشيدية في مِصْرَ ، وكانت الدولتان تتنازعان على أواسط الشام : مَرّةً يَمْتَدّ مُلْكُ الحمدانيّين إلى دِمَشْقَ جَنوباً ومرّة يتراجع إلى قُرْبِ حِمْصَ شَمالاً .

ج ـ الدولة البويهيّة

في ذلك الحين كان ثلاثةُ إخوة من آل بُوَيْه الفرس قد تقلّبوا في جيوش الدُويلات في المشرق حتّى تمكّن أحدهم عِمادُ الدولة أبو الحسن عليّ بن بويه من منازعة مَرْداويج بن زيار وإقامة دولة في فارس ، سنة ٣٢٠ هـ ، هي **الدولة البويهية** . ووسّع بنو بويه مُلْكَهم وتقسّموا الحكمَ على المقاطعات ؛ ثمّ غلا طموح أحدهم ، مُعزِّ الدولة أحمدَ ، فسار إلى بغدادَ ووصل اليها في جُمادى الثانية من سنة ٣٣٤ هـ (أول شهور سنة ٩٤٦ م) واتّخذ لقب أمير الأمراء ثمّ خلَعَ الخليفةَ المُسْتكفيَ وسَمَلَ عينيه واعتقله إلى أن تُوُفّي بعد أمد .

واتّخذ بنو بويه (عِماد الدولة وركن الدولة ومعزّ الدولة) بلاطات في حواضرهم وأظهروا الترف وشجّعوا الأدبَ ، كما شجّعوا جماعة إخوان الصفا . وكان البويهيون شيعيّي الهوى يُمالئون الفاطميين في مصر على العبّاسيّين في بغداد .

وامتدّ سُلطانُ بني بُوَيْهِ في فارسَ والعراقِ ، وقد ضمّ بنو بُوَيْهِ إلى دولتِهم دولةَ بني حمدانَ في المَوْصل (٣٧١ هـ = ٩٨١ م) . ولكنّ النزاعَ بين الحمدانيّين والبويهيّين لم يهدأ .

الفاطميّون والدولة الفاطمية

كان لجعفرِ الصادقِ ، السادسِ من أئمّةِ الشيعة ، ابْنانِ : إسماعيلُ ، وهو بِكْرُهُ ، ثم موسى . ولم يكنْ إسماعيلُ مَرْضِيَّ السلوكِ في الحياةِ فخَلَعَهَ أبوه من الإمامة وجَعَلَها لموسى المعروفِ باسم موسى الكاظِمِ ، وكان يُدْعى العَبْدَ الصالحَ . ثم تُوُفّيَ إسماعيلُ ، سنةَ ١٤٣ هـ (٧٦٠ ـ ٧٦١ م) ، قبل أبيهِ جعفرِ (ت ١٤٨ هـ = ٧٦٥ م) .

بعدَ وفاةِ جعفرِ الصادقِ افترقَ الشيعةُ فرْقَيْنِ واضِحَيْنِ :

(١) فَرْقاً يتألّفُ من الكَثْرة من الشيعة الذين قَبِلوا عَمَلَ جَعْفرِ الصادقِ وساقوا الإمامة في موسى الكاظِمِ ونَسْلِه ، وهؤلاء يُسَمَّوْنَ الشيعةَ الجَعْفرِيةَ أو الإمامية أو الاثْنَيْ عَشَرِيّةَ أو « الشيعةَ » باطلاقٍ . والخِلافُ بين الشيعة الجَعْفرية وبين أهل السُنّة قليلٌ جداً .

(٢) فَرْقاً يتألّف من قِلّةٍ من الشيعة خالفوا عَمَل جعفرِ الصادق وظلّوا يعتقدون باستمرارِ إمامة إسماعيلَ ، وحُجّتهم في ذلك :

– أنّ الإمامةَ حقٌّ منصوصٌ عليه للأكبر من أولادِ الإمام ، فليسَ من حقِّ جعفرٍ أن يَنْقُلُ الإمامة من صاحبِها .

– أنّ سُلوكَ إسماعيلَ الخارجَ على المألوف لا يبرّر حِرْمانه من الإمامة ، فالإمام في الأصل « معصومٌ » فإذا اتّفق أن فَعَل فِعْلاً على غير مقتضى المألوف بين البشرِ فلا يُؤاخَذُ عليه لأنه أعْلى طبقةً من البشر ، ثم إنّه إمامٌ يُشَرِّعُ للبشر وليس عليه أنْ يَخْضَعَ لما يَفْرِضُه عليهم .

ثمّ ساق هؤلاءَ الإمامةَ إلى محمّد بن إسماعيل . وقد عُرِفَ هؤلاء في التاريخ باسم الشيعة السَبْعية لأنّهُمُ اكْتَفَوْا من الأئمة الأوّلين بسَبْعةٍ فقط [١] . وهم يُسَمّونَ أنفسَهم الاسماعيليةَ ، نِسْبَةً إلى إسماعيل بنِ جعفرٍ ، أو الفاطميين نِسْبَةً إلى فاطمةَ بِنْتِ مُحمّدٍ .

ولَقِيَ الشيعةُ الإسماعيلية أو السبعية اضْطهاداً كبيراً لأنهم كانوا قِلّةً فَعَمَدوا إلى « سَتْر » الدعوة إلى مذهبهم فكانوا يَنْشُرون المذهب الفاطميَّ سِراً بينَ الأفراد والجماعات القليلةِ العددِ ، ثمّ عدوا الحِقْبَةَ التي بدأت بعدَ وفاة محمّدِ بنِ إسماعيلَ (١٩٨ هـ = ٨١٤ م) « دَوْرَ السِتر » ولم يَشْهَروا أسماءَ أئمّتهم في هذا الدور ، وإن كان قد قِيلَ بعدَ ذلك أن هؤلاء الأئمّة المستورين كانوا عبدَ الله بنَ محمدِ بنَ اسماعيلَ ، فأحمدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ محمّدٍ ، ثم الحسينَ بنَ أحمدَ بنِ عبدِ الله . على ان الغموض والشكّ يَعْتَوِران هؤلاء

---

١ الأئمة السبعة الأولون هم: علي بن أبي طالب وابناه الحسن والحسين ثم يأتي من نسل الحسين : محمد الباقر فجعفر الصادق فاسماعيل .

الأئمّةَ في حياتهمُ العامّةِ وفي صِحةِ نَسَبِهم أيضاً .

د – الدولة الفاطمية

نَشطَت الدعوة الفاطمية في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ، ثم استطاع عُبيدُ الله المَهْدِيّ أن يؤسّس **الدولة الفاطمية** (الشيعية) في المغرب الأدنى (٢٩٦ هـ = ٩٠٩ م) واتخذ بلدة رَقّادة ، إحدى ضواحي القَيْروان ، جَنوب مدينة تونس ، عاصمة له وقضى على دولة بني الأغلب . ثم بسطت الدولة الفاطمية نفوذها على شَماليّ إفريقية وعلى مالطة وصِقِلّية وسَردانية وكورسيكا .

وفي أيام المُعزّ لدين الله ، رابع أئمّة الدولة الفاطمية ، استطاع القائد جوهرٌ الصِقِلّيّ أن يفتح مصر باسم الفاطميين (٣٥٨ هـ = ٩٦٩ م) وأن يقْضِيَ على الدولة الإخشيدية . وبنى الفاطميون القاهرة عاصمة لهم والجامع الازهر (نسبة إلى فاطمة الزهراء : البيضاء) مركزاً لدعوتهم . وسَرْعانَ ما امتدّ نفوذ الفاطميين إلى الحجاز والشام فاصطدموا بالحمدانيين وانتزعوا حلب (٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م) من أبي الفضائل سعيد الدولة ، حفيد سيف الدولة .

وبنى الحاكمُ بأمر الله ، سادسُ الخلفاء الفاطميين ، دارَ الحِكمة أو دار العِلم (٣٩٦ هـ = ١٠٠٥ م) على مِثال بيت الحكمة في بغداد . ثم احتجب الحاكمُ ، سنة ٤١١ هـ (١٠٢١ م) ، قيل قتلته أخت له .

وأعظم ما يتّصل بإمامة الحاكم نشوءُ **المذهب الدّرزي** . ويرى الدروز أن بابَ الدعوة إلى المذهب أُغْلِقَ بموت الحاكم ، فجميعُ الدروز اليوم ينتسبون إلى أسلافِهم الذين كانوا قد قَبِلوا الدعوةَ الدرزية قبل احتجاب الحاكم بأمر الله .

ويزعم المؤرّخون الافرنج أن سياسة الفاطميين القاسية على الحُجّاج النصارى إلى بيتِ المقدس كانتِ السببَ في حَمَلات الصليبيين على المشرق .

وظلّت الدولة الفاطمية متبسّطة في الأرض ومنازِعة للخلافة العباسية في بغدادَ وللدولة المروانية في قُرطبة حتى قضى عليها الأيوبيون .

وفي الجانب السياسي للحركات العلويّة عامة وللدعوة الفاطمية خاصّة أمرٌ جدير بالاعتبار : لا ريبَ في أن أهل أهواءٍ مختلفة قد استغلّوا العاطفة الدينية في العلويّين وحاولوا من خلالها الوصول إلى تهديم الدولة الإسلامية وإلى إضعاف الإسلام نفسهِ في بعض الأحيان . وإذا كان الخلفاء الفاطميّون صادقين مخلصين في اتجاههم السياسي ، فان القوى المحركة وراءهم كانت بعيدة عن المذهب العلويّ وعن الإسلام كلّه أحياناً .

ممّا يَلْفِتُ النظرَ أن نَفَراً كثيرين من رجال الدولة الفاطمية ، من الوزراء ومن القائمين بالمصالح الاداريّة ، كانوا غير فاطميّين وغير عَلَويّين وغير مسلمين . إن كثيرين منهم كانوا يهوداً أو نَصارى من الذين بَقُوا على دينهم أو من الذين اعتنقوا الإسلامَ رِياءَ الناس . ولقد كان معاصرو هؤلاء ينظرون إلى إدارة الدولة الفاطمية هذه النِظْرة .

ولقد كان من المنتظر في هذه الحال أن تَعْلُوَ مكانةَ اليهود والنصارى في الدولة والمجتمع وأن تنخفض مكانة المسلمين على نِسْبة ذلك ، والدلائل على ذلك كثيرة جداً ، يكفينا منها هنا قول أحد الشعراء في ذلك :

يهودُ هذا الزمانِ قد بَلَغوا غايةَ آمالِهم وقد مَلَكوا .
العِزّ فيهم ، والمالُ عندهُمُ ، ومنهم المستشارُ والمَلِك .
يا أهلَ مِصْرَ ، إنّي نَصَحْتُ لكم :
تَهَوّدوا ، قد تَهَوّدَ الفَلَك [1] !

ومن الحركاتِ الفاطمية المتطرفة حركةُ **القرامطة** التي بدأها في سنة ٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) داعية اسماعيلي من أهل الكوفة اسمه حَمْدانُ قُرْمُط . اتسعت هذه الحركة في بادية الشام وفي شرقي شبه جزيرة العرب ، ثم كَثُرَ عَيْثُ القرامطة في أيام رئيسهم أبي طاهرِ سليمانَ (٣٠١ – ٣٣٢ هـ) الذي قطع طريق الحاجّ ونزع الحجر الاسود من الكعبة وحمله معه إلى عاصمته الأحساء (شرقي شبه جزيرة العرب) . ولكن ابنه سابورَ ردّ الحجر الاسود إلى مكانه سنة ٣٣٩ هـ (٩٥١ م) ، في أيام الخليفة المطيع .

---

١ كان الحاكم بأمر الله يريد ان ينقذ الدولة الفاطمية من نفوذ اليهود الهدام ويقوم فيها باصلاح صحيح . وكان ذلك سبباً من اسباب الحملة عليه في حياته وبعد احتجابه .

هـ ــ الدولة المرداسيّة

في سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) استطاع أمير بَدْوي اسمه صالحُ بن مِرْداس أن ينتزع حَلَبَ من الفاطميين وأن يؤسس فيها **الدولة المرداسية** . وقد امتد نفوذ المرداسيين إلى بَعْلَبَكّ جَنوباً وإلى الفُرات شرقاً . ولكنّ النزاعَ استمرّ بين المرداسيين والفاطميين . واستفاد شرفُ الدولة الحمداني صاحبُ المَوْصِل من هذا النزاع فحاصر حلبَ وفتحها (٤٧٣ هـ = ١٠٨٠ م) واستنقذها من الفاطميين والمرداسيين معاً .

الجانب الاجتماعي

كان القرن الهِجريّ الرابع (٩١٢ ـــ ١٠١٠ م) عصراً بارزاً جداً في حياة العرب والمسلمين في كلِّ جانب . وقد كان أثرُ الدولة البُوَيْهيّة فيه شديداً جداً ، لأن البويهيين وصلوا تاريخَهم بتاريخ الخِلافة العبّاسيّة صِلَةً وثيقة ؛ ولم يكن لسائر الدول في ذلك العصر مِثلُ تلك الصِلة .

ومَع أن البويهيّين قدِ استَوْلَوْا على الأقطار بالقوّة والحَرْبِ ثمّ أقرّوا نفوذَهم في العراق وفي بغدادَ نفسِها فانّهم لم يُزيلوا الخلافة العبّاسية بل تركوها آلةً في أيْديهم يحكُمون مكانتَها فعلاً ويَجْعلون لها السُلطةَ الاسْمية الظاهرةَ في كلّ شيء . وقد كان ذلك أكثرَ تَثْبيتاً لسُلطتهم مما لو أنهم كانوا قد أزالوا الخلافة وتَسَمَّوْا بألقابها وحكموا مباشرة .

ونشر بنو بويهِ الإقطاع في العراق .

آثر بنو بُوَيْهِ أن تَصِلَ إليهم أموالُ الجِباية من أيسرِ السُبُلِ فكانوا يُقْطِعون الأرضَ والمناصبَ لمن يدفع لهم مبلغاً مقطوعاً مُعيّناً في كلّ عام . وإذا كان الوزير يأتي إلى مَنْصِبه من هذه الطريق في أحيانٍ كثيرة ، فانّه كان يَسْلُكُ في تَوْلِيَةِ أعمال الدولة مثلَ هذا المسلك . وقد يُعيّن الوزيرُ عاملاً (جابياً للأموال) ويستَوْفي منه مبلغاً مقدّماً ، ثمّ بَعْدَ أمدٍ طويل أو قصير يُعيّن عاملاً آخرَ مكانَ العاملِ الاول ويستوفي منه مبلغاً جديداً .

واتّسع هذا النظام الفاسِد حتّى شَمِلَ الحِسْبة [1] والقضاء .

---

[1] الحسبة : منصب مراقبة الاخلاق والاسعار في الاسواق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساعدة الضعفاء والعاجزين . ومتولي هذا المنصب يسمى المحتسب (بضم الميم وكسر السين) .

وكَثُرَت الأجناس والجماعات في هذا العصر وخصوصاً في العراق . وليس معنى ذلك أن هذه الأجناسَ لم تكن موجودةً من قبلُ ، ولكنّ معناه أن هذه الاجناسَ والجماعاتِ أخذتْ تتكتّلُ وتتراصُّ وتتنازعُ غيرَها : كانت هذه الجماعات من العربِ والكُرد والفُرس والتُرْك والزَنج والآراميين والروم . وتَبَدّى خطرُ هذه الجماعاتِ في اختلافها في المذاهب والآراء وفي تنازُعها على ذلك الاختلاف ، وخصوصاً بعد أن ضَعُفَتْ سلطةُ الخلافة المُسْلمة السنّيّة وعَمِلَ بنو بُوَيْهِ على تشجيعِ الحركاتِ المناهضة لأهل السُنّة والجَماعة ظاهراً وباطناً . وكثيراً ما قاد هذا النزاع إلى فِتَنٍ وقتالٍ في الشوارع بين السُنّة والشيعة أو بين أتباعِ المذاهب السنّيّة أنفسِهم .

وإلى جانب هذا النزاع المذهبيّ كان ثَمّتَ نِزاعٌ فِكْريّ — وان لم يَخْرُجْ إلى قتالٍ ظاهر — بين المسلمين وبين النصارى والمَجوسِ والبوذيّين ، وكان هؤلاء يُريدون أن يحاربوا السلطة السياسية في الإسلام من طريق الحركات والاتّجاهات الفكرية المخالفة للإسلام . ونحن لا نستطيعُ أن نُشيرَ إلى هذه الحركات على سبيلِ الحصر لأنها كانت في الأكثر حرَكاتٍ باطنيةً (سِرّيّةً) ولأنّها في الدرَجة الأولى لم تَنْجَحْ في ما كانت ترمي إليه . حتى الحركة الفاطمية (وهي حرَكة شيعية متطرّفة كانت قد أنشأتْ دولةً استطالتْ في المغرب وفي مِصْرَ ثمّ نالت عَطْف بني بويهِ الحاكمينَ في بغدادَ نفسِها) لم تستطعْ أن تُزيلَ الخِلافةَ العبّاسيّة مَعَ كَثْرة سَعْيِها إلى ذلك .

وشَهِدَ القرنُ الهجريّ الرابعُ حَضارةً مُزدهرة وترَفاً بالغاً في المَطْعم والملبس والمسكن ، فقد غلب طرازُ الحياة الفارسي على هذا العصر غَلَبَةً ظاهرة عامّة شاملة وأصبحتِ الأعياد الفارسية كالنَيْروز (رأس السَنَة الفارسية : ٢١ مارس — آذار) والمِهْرَجانِ (في أول الخريف) أعياداً للعامّة والخاصّة من الفُرس وغير الفرس . وأسرف الفاطميون خاصة في إقامة المآدب للعامّة .

وكذلك اتّسَعَ اللَهْوُ وتعدّدتْ أنواعه وخرج في كثير من وُجوهِهِ إلى الاستهتار والمُجون . على أن المفكّرين والأدباء قد هوّلوا كثيراً في وصف ذلك اللَهْو ومَدى انتشاره . إن أحوالَ اللهو عامّة موجودةٌ في كلّ زمان ومكان ، ولكنّها تَستَتِرُ في عصور القوّة السياسية ثمّ تَظْهَر وتشتهر في عصور الضَعْف

السياسيّ ، وهذا ما جعل اللهو ظاهراً شاملاً منتشراً في القرن الهجري الرابع حينما فَقَدَ العرب سُلطانَهم السياسي وتقسّم الحُكْمُ الإسلامي بين دُوَيلاتٍ متنازعة .

على أن المؤرّخ المُنْصفَ لا يستطيع أن يُنْكِرَ ازدهارَ الحضارة في هذا العصر ولا اتّساعَ العُمران ولا رُقِيَّ العلم والأدب على ما سنرى . غير أن الثَرَوات كانت مُوزّعة توزيعاً جائراً — كما هي الحالُ في جميع العصور إلى اليوم — فقد كان هنالك أفرادٌ من رجال الدولة ومن ذوي الجاه في المجتمع يَمْلِكونَ الملايينَ ويُسْرِفون في المآدب والملاهي ، بينما كان ثَمّت ملايينُ من الناس لا يجدون أحياناً ما يُنْفقون ولا ما يَشْبعون به .

الخصائص الأدبية

تَجَمّعَتْ في القرنِ الهِجْريِّ الرابعِ خَصائصُ أدبيّةٌ كثيرةٌ ثمّ اتّسعتْ في الشعر والنثر وبرزت بروزاً ظاهراً . ولم تقتصر هذه الخصائص الأدبيّة ، في جانبها الفنّيّ القائم على التأنّق والمبالغة ، على الإنتاج الوُجْداني بل تعدّته إلى التأليفِ الذي يَميل إلى النَهْج العلمي أيضاً .

(أ) الخصائص اللفظيّة : أولُ ما يَلْفتُ النظرَ من خصائص الادب في الشعر والنثر الإسراف في الصناعة اللفظيّة خاصّةً مِنَ التزام السَجْعِ في الجُمَل وأقسام الجمل ومن الموازنة بين الجمل ومن كَثْرة التضمين للأشعار والأمثال وللآيات والأحاديث في النثر ، ومن الإغراق في تَطَلّب التشابيه والاستعارات والتفنّن في الصُوَر الشعرية والمَيْل بها إلى الجوانب الطريفة من الحياة والتفكير ، من ذلك مثلاً رسالةٌ لبديع الزمان فيها :

« عافاكَ اللهُ ! مَثَلُ الإنسانِ في الاحسان مَثَلُ الأشجار في الإثمار : سَبيلُ من أتى بالحَسَنة أن يُرَفّهَ إلى السَنَة . وأنا ، كما ذكرتُ ، لا أملك عُضْوَيْنِ في جسدي : وهما فُوادي ويَدي . أما الفؤادُ فيَعْلَقُ بالوُفود ، وأما اليَدُ فتُولَعُ بالجود .... »

ويخرُجُ مِنَ الالتزام مَطالعُ الرسائل . كانتِ الرسائل منذ صدر الإسلام كالخطب تبدأ باسْمِ اللهِ وحَمْدِه وبالصلاة على رسوله ويُؤتى فيها عادةً

بفَصْلِ الخِطاب «أما بعْدُ» ليَبْدأ بسطُ الغَرَض من الرسالة بعدَ الافتتاح بالتحميد . أما في القرن الرابع فخالَف كُتّابُ الرسائل هذه السُّنّةَ وتحرّروا من المطلَع المفروض فكان كاتبُ الرسائل يبدأ كما يبدو له في حينِه . ففي رسائل أبي بكرٍ الخَوارزميّ مثلاً :

كتابي – وأنا بينَ مِحْنةٍ قد أدْبرتْ ونِعمَة قد أقبلت ، ووَليٍّ قد مَلَكَ وعَدُوٍّ قد هلَكَ . والحمدُ لله الذي ابْتَلَى ثُمّ أبْلَى [1] فأنْعَمَ . وصلّى الله على سيّدِنا محمّدٍ وعلى آله الأكرمين .

ورقّ أسلوبُ الشعر ولانَ وأريد مِنْه أن يكونَ عَذْباً سهلاً قريباً من فَهْم الرجل العاديّ ، مَعَ الطرافة والظرافة ، كقول أبي بكرٍ الخوارزمي يُعَرّض بخلفاء بني العبّاس الذين لم يَجِدوا في خَزائنهم مالاً يُنْعِمون به على المستحقّين فجعلوا يَمْنحون الناسَ ألقاباً (لا قيمة لها) :

ما لي رأيتُ بني العبّاسِ قد فتحوا مِنَ الكُنَى ومن الألقاب أبوابا ؟
قَلّ الدراهمُ في كَفّيْ خَليفتِنا هذا فأنفَقَ في الأقوام ألقابا !

على أن الجانبَ الأكبرَ من الشعر ظلّ على الأسلوب الرصين المتين القريب من نَفْحة الجاهلية وخُشونة البَداوة وخصوصاً في بَلاطات الأمراء وفي مديح الكُبَراء وفي الأغراض المألوفة ، كما نرى في شِعْر المُتَنبّي والشريف الرضيّ والمعرّي .

(ب) الخصائص المعنوية : لا نُنكِرَ في أن الأدبَ يتأثّر بالبيئة التي يُقال فيها . وقد تأثّر الأدب في القرن الرابع الهِجْري بتَعَدّد أوْجُه المجتمع وبتشجيع الملوك والأمراء في بَلاطاتِ المقاطعات ، كما تأثّر بنُفوذ البويهيين السياسيّ والاجتماعي وبالتَشيّع الذي كانَ مُستطيلاً في ذلك العصر . إن بَلاطَ سيفِ الدولة في حَلَبَ وبَلاطَ كافورِ الإخشيدي في الفُسْطاطِ (مِصْرَ القديمة) وبَلاطاتِ البويهيّين في شيرازَ وأرْجانَ قد كانت ميداناً فسيحاً لازدهار الادب .

عَظُمَ التمدّح بالفُرس والفارسيّة تَزلّفاً واعتقاداً : بالأصل الفارسي ،

---

[1] أبلى (هنا) معناها : أنقذ من البلاء ، شفى من المرض أو كشف المصيبة عن الإنسان .

بالأعياد الفارسيّة وبمظاهر الحياة الفارسيّة ، فبعد أن قال ابن الروميّ : يمنّ اللهُ طلعةَ المِهرجان ، وقال : أعْجَميّ آيينُه (حضارتُه) عربيّ . والبُحتريّ العربي الخالصُ كان قد خصّ ايوانَ كِسْرى بقصيدةٍ بارعة مشهورة ؛ جاء الآن مِهيارُ الديلميّ ففَخَرَ فوقَ كلّ فخرٍ لمّا قالَ : « وأبي كِسرى علا إيوانَه » (راجع ترجمته) .

ولقد هالَ المتنبّيَ أن يرى النفوذَ الفارسيّ يزْحَفُ على النفوذ العربيّ ثم ينحدر بالعرب إلى الفساد والذِّلّة فقال :

وإنّما الناسُ بالملوكِ ، وهل تَصْ لُحُ عُرْبٌ ملوكُها عَجَمُ !

ويُنْكِرُ بديعُ الزمان الهَمَذانيّ على العربِ احتفالَهم بالأعياد الفارسية وبلَيْلة السَذَق[1] خاصّة ، فهو يقول : « إنّ عيدَ الوَقود لَعيدُ إفْك ، وإنّ شِعار النار لَشِعارُ شِرْك . وما أنزل اللهُ بالسَذقِ سُلطاناً ، ولا شَرّف نَيْروزا ولا مِهْرجاناً ؛ وإنّما صبّ اللهُ على فُروقَ العجم[2] لِما كَرِهَ من أديانها وسَخِطَ من نيرانها » .

إن التشيّعَ الذي مُزِجَ بالآراء الفارسيّة الوثنيّة أصبح التشيّعَ المتطرّف ، ذلك التشيّعَ الذي اعتقد بالتناسُخ والرجعة وبتأليه عليّ وبحُلول روحِ الله في بنيه .

ويبدو أن بني بُوَيْهِ كانوا يشجّعون هذا التشيّعَ المتطرّفَ سِرّاً . غير أنّهم كانوا يشجّعون مظاهر التشيّع المُعتدل لِيَخْرُجوا به إلى التطرّف إنِ استطاعوا أو ليُثيروا بذلك الفِتَن بين أهلِ السُنّة وبين الشيعة . إنّهم لم يكتفوا بأن يشجّعوا الاحتفالَ بيوم عاشوراءَ[3] على ما يحتفل به جميعُ المسلمين بالصَوْم والتقوى وبِرّ الأقربين وبَبَذْلِ الصَدَقات وبذِكْر الله وبالتأسّي بصُمود الحُسين بنِ عليٍّ رَضِيَ الله عنهما في وجه الظُلم والطغيان وببَذْل النفس في سبيل الحِفاظ على المبدأ ، بل حسّوا على التظاهر بأمورٍ لم يَشْرَعْها اللهُ ولا يَرْضى

---

١ السذق : ليلة الوقود ، كان الفرس يشعلون فيها النيران العظيمة ويضيئون الشموع .

٢ جمع فرق : افتراق الشعر في مقدمة الرأس (المقصود : رؤوس العجم) ، كناية عن تغلب العرب بالإسلام على الفرس يوم كانوا مجوساً .

٣ العاشر من الشهر الأول (المحرم) من السنة القمرية (الهجرية) . في عاشوراء من سنة ٦١ هـ كانت مأساة كربلاء واستشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما .

عنها الحسين ، رضي الله عنه . جاء في تاريخ ابن الأثير (٧ : ٤ ، ٧) ، في أخبار سنة ٣٥٢ هـ ، أمرَ معزّ الدولة الناسَ (في يوم عاشوراء) أن يُقفلوا دكاكينَهم ويُبطلوا الأسواق والبيع والشراء ويُظهروا النياحة وينصبوا القباب ويخرجَ النساء منتشراتِ الشعورِ مسوّداتِ الوجوه قد شققن ثيابهن ، يدُرْنَ في البلد بالنوائح ويلطمنَ وجوههنّ على الحسين ابن عليّ . ففعل الناسُ ذلك . وكان هذا أولَ يوم نيحَ فيه على الحسين ببغداد .

ونحن نجدُ في أدبِ هذا العصر نوعَيِ التشيّعِ المعتدلِ والمتطرّفِ كما نجد اشياء من العقيدة الفاطمية الاسماعيلية . ولا شكّ في أن الشريف الرضيّ هو الذي يُمثّل الشعرَ الشيعي المعتدل المتين الجميل .

اتسع **الوصف** في هذا العصر **في الطبيعة** ، في الشعر والنثر ، فكثُرَ وصفُ الرياض بما فيها من ماء وأشجار وأزهار وأثمار ، وبما يتقلّب فيها من الرياح والأمطار والبرْد والثلج ، كما كثُرَ وصف الحيوان من الاطيار والوحوش . ولقد رأينا غرضاً في وصف الطبيعة يصبح في هذا العصر فنّاً قائماً بذاته هو فن **الزهريّات** ؛ وأشهرُ ما يُشار اليه هنا **روضيّات الصنوبري** . وقصيدة المتنبّي في شعْبِ بوّانَ تصف الطبيعة بمائها وأثمارها ورياحها وحرّها وصفاً بارعاً . وقد كثُرَ أيضاً وصفُ مجالس الشراب ووصف الأطعمة ووصف الأشربة ووصف الحُلى والأقلام والجيوش والسفن والدوابّ وأثاثِ البيوت وأدوات الصُنّاع . ولا نقول إن هذه الاغراضَ قد استجدّتْ في هذا العصر ، بل يلفتُ نظرَنا فيها أمرانِ : أن القولَ فيها قد اتّسع وأنّها كانت تأتي في الشعرِ والنثرِ فنّاً وُجدانيّاً مخصوصاً بالكلام .

وكذلك اتّسع القولُ في هذا العصر في **الأدب الاجتماعيّ الوجداني** في الشعر والنثر أيضاً : في السياسة والأخلاق وأحاديث النفس . إن كثيراً من قصائد المتنبّي مثلاً تُعنْوَنُ في الديوان على أنها قصائدُ مديحٍ أو رثاء أو فخْر ، بينما هي في الحقيقة تعالج جوانبَ من حياةِ المجتمع وتستقري أخلاقَ سيف الدولة وكافورٍ وأبي شجاعٍ فاتكٍ . أمّا ديوانُ اللزوميّات لأبي العلاء المعرّي فديوانٌ مقصورٌ على هذا الجانب من الحياة الاجتماعيّة ، على النقد الاجتماعي بأوسع معانيه وأدقِّ دلالته .

وبالغ أدباء هذا العصر في الغَزَل المؤنّث والمذكّر في الشعر والنثر وزادوا في ذلك كلّه على مَنْ تقدّمهم ، ثمّ وسّعوا القول في وجوه اللهو وأسبابه وألوانه حتّى خرَج كثيرون منهم من ذلك إلى المُجون والاستهتار والفُحْش . والذي يطالع هذا النوعَ من النِتاج الأدبي في العصر الذي نَصِفه يُخيّلُ إليه أن كثيراً من الألفاظ الجنسية وما إليها قد فقد معناه ومدلولَه ، إذ نجد الأدباء يذكرون الألفاظ الجنسية والتعابير البذيئة والمدارك الفاسقة ذِكراً عاديّاً مألوفاً كما يذكرون ألفاظ الفَلَك والشجاعة وتعابير الدين والأخلاق وكما يُعالجون المدارك الرصينة النبيلة الشريفة سواءً بسواء .

ومن بارعِ الغزل في النثر قولُ ابن العميد :

سألَتْني عمّن شَغَفني وَجْدي به ، وشغفني حُبّي له . وزَعَمْتَ أنّي لو شِئتُ لَذَهِلْتُ عنه ، ولو أردتّ لاعْتَضْتُ منه ، زَعْماً لَعَمْرُ أبيك ليس بِمَزْعَم[1] ! كيف أسْلو عنه وأنا أراه ، وأنساه وهُوَ لي تجاه[2] ؟ هو أغلبُ عليّ وأقربُ إليّ من أن يُرْخي لي عِناني أو يُخلّيني واختياري بعدَ اخْتلاطي بمُلْكه وانخراطي في سِلكه .

واتّسع أيضاً فنّ الإخوانيّات وتعدّدتْ أغراضُه وتنوّعت .

الإخوانيّات رسائلُ يتبادلها الإخوان (الأصدقاء والأقارب على السواء) وتكون في النثر كما تكون في الشعر ، وإن كانت في النثر أكثر . فمن الاخوانيّات في الشعر تلك القصائدُ التي كان أبو فراس الحَمْداني يبعث بها من أسْرِه في بلاد الروم إلى أهلِه وأصدقائه ، وإلى سيف الدولة خاصّةً ، يحثّهم فيها على أن يَفْتَدوه من الأسر . أما في النثر فأشهرُ ما يُشار اليه رسائلُ بديع الزمان الهمذانيّ ورسائل أبي بكرِ الخَوارزميّ .

كانت هذه الرسائل تدور على أغراضٍ وُجْدانيّة خاصّة بالمتراسلين من العِتاب والتشوّق واللّوْم والشكر واسْتنجاز وَعْد وطلب معروف . على أنها قد تتناول أحياناً بحثاً أدبياً أو جدَلاً نَظَرِيّاً أو نقداً اجتماعيّاً أو نُصْحاً شخصيّاً . والمُهِمّ في هذه الرسائلِ الإخوانيّاتِ أنها كانت تُصاغ صِياغةً أنيقةً مُثْقَلةً أحياناً بأوجه البلاغة : من مُوازنة وسَجْع واستعارات وتَوْريات ، مَعَ مَيْل

[1] هذا عجز بيت من معلقة عنترة .
[2] تجاه (بفتح التاء او كسرها او ضمها) : مقابل .

ظاهرٍ إلى التضمين والاقتباس من القُرآن الكريم والحديث الشريف ومن الأمثال والأشعار والأقوال ، ممّا يَدُلُّ على مقدرَةٍ لُغويةٍ وبراعة أدبية وإحاطة بعَدَدٍ من وجوه المعرفة . من هذه الناحية تبدو لنا الرسائلُ الإخوانيّات وكأنّها مقدّمةٌ مُمَهِّدَةٌ للمقامات !

واتّسعَ فَنّ القَصَص في هذا العصر في أغراضٍ مختلفة وعلى أساليبَ متنوّعة، فكان منه القَصَص الفنّي البارع يُقْصَدُ به المثقّفون تَحَيّلاً على النقد الاجتماعيْ والنُصْح أو إبرازاً لخصائصَ أدبيةٍ ومقدرة شخصية أو كَشْفاً عن جانب من جوانبِ الفكر في معالجة القضايا العامّة ، كما كان منه الحكاية العاديّة لتَسْلية جُمهور الناس . وربّما جاءت القِصَصُ والحكايات قائمةً بنفسها مقصودةً بالسَرْد ، كما نرى في أحاديثِ ابنِ دُريدٍ مثلاً ؛ وربّما جاءت للتَرْويح عنْ القارئ في ثنايا البُحوث الأدبية أو العِلمية استطراداً بين الفَيْنة والفينة على غير نسق مخصوص ، كما نَجِد في كتاب الأغاني للأصفهاني ؛ ولا ريب في أن أشياءَ من سيرة عنترة ومن قصص ألف ليلة وليلة كانت قد وجدت طريقها ، في ذلك الحين ، إلى المجالس في المجتمع العربي .

ولقد كان هذا الاستطرادُ عامّاً عند الكتّاب والمؤلّفين حتّى أنّه أفْقَدَ التأليفَ وَحْدَتَه المَنْطقية فأصبح كثيرٌ من الكُتب مجاميعَ شخصيةً وأقوالاً مُتراكِمَةً يُذْكَرُ القولُ فيها في مكانٍ ثمّ يُخرَجُ عنه إلى غيرِه قبل الاستيفاءِ ثمّ يعودُ إليه الكاتبُ مرّةً بعد مرّة .

والمقامات جمع مَقامة ؛ والمقامة هي المجلس . والمقصود بالمقامة في الأدب « قصّة تدور حوادثها في مجلس واحد » .

المَقامَةُ قِصّةٌ وجيزةٌ أو حكاية قصيرة مبنية على الكُدْيَةِ (الاستعطاء) وعناصرها ثلاثة :

(١) راويةٌ ينقلها عن مجلس تحدُث فيه .

(٢) مُكدٍ (بطل) تدور القصة حوله وتنتهي بانتصاره في كل مرة .

(٣) مُلحة (نكتة ، عُقْدة) تُحاك حولها المقامة ؛ وقد تكون هذه الملحة بعيدة عن الاخلاق الكريمة وأحياناً تكون غثّة أو سَمْجة . وتبنى المقامة على الإغراق في الصَناعة اللفظية خاصة والصَناعة المعنوية عامة .

تحدر فن المقامات :

ليس فيما أُثِرَ عن العرب مقامات سابقة على مقاماتُ بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ — ٣٩٨ هـ) ، فهو من أجل ذلك مخترع هذا الفن [١] . على ان نَفَراً من الأدباء يحبون أن يقولوا إن بديع الزمان اشتقّ فن المقامات من فن قصصي سابق . ويريد الدكتور زكي مبارك[٢] أن يثبت ان مقامات بديع الزمان مشتقّة «من أحاديث ابن دُريد» ؛ وابن دريد هذا كان راوية وعالماً ولغويّاً وقد عُني برواية أحاديث عن الاعراب وأهل الحضَر . ولا ريب في ان بيْن أحاديث ابن دُريد وبين المقامات شَبَهاً قوياً من حيثُ القَصَصُ والسَجْعُ ، ولكنّ هناك أيضاً فروقاً كبيرة في الصّناعة وفي العقدة وفي وجود بطل للمقامات هو المكدي ، وفي انبناءِ المقامة على الكُدْيَةِ وعلى الهزء من عقول الجماعات معَ إظهار المقدرة في فنون العلم والأدب ، إلى ما هنالك من خصائص فن المقامات .

على ان هذا لا يعني أن بديع الزمان لم يطلع على أحاديث ابن دُريد أو على ما رُوي عن العرب من قِصَصٍ وأحاديثَ وأسمارٍ ، ولكن الفرق بين تلك الأحاديث وبين المقامات من حيث الغاية والاسلوب كبير جداً . وعلى كل فان بديع الزمان إن لم يكن مخترع فن المقامات ، فان مقاماته أقدم ما وصل الينا من هذا الفن الأدبي الرائع .

خصائص المقامات

وللمقامات خصائص نستعرضها مع شيء من التبيان لأوجهها .

١ . المجلس : يجب أن تدور حوادث المقامة في مجلس واحد لا تنتقل منه إلا في ما شذّ وندر (وحدة مكان ضيقة) .

٢ . الراوية : ولكل مجموع من المقامات راويةٌ واحدٌ ينقلها عن المجلس الذي تحدث فيه .

٣ . المكدي : ولكل مجموع من المقامات مُكْدٍ واحد أيضاً — أو بطلٌ .

---

١ مقامات الحريري (بيروت ١٨٧٣) ص ١٣ .

٢ النثر الفني ١ : ١٩٧ وما بعدها .

وهو شخص خيالي في الأغلب ، أبرز ميزاته انه واسعُ الحيلة ذَرِبُ اللسان ذو مقدرة في العلم والدين والأدب ، وهو شاعر وخطيب ، يتظاهر بالتقوى ويُضمر المُجون ، ويتظاهر بالجِد ويضمر الهزل . وهو يبدو غالباً في ثوب التاعس البائس إلا أنه في الحقيقة طالب منفعة .

وتنعقد المقامة دائماً بأن يجتمع الراوية بالمكدي في مجلس واحد . ويكون المكدي دائماً متنكراً ، ولذلك قلما يفطن الراوية لوجوده — إذا كان قد سبقه إلى المجلس — أو لحضوره إذا حضر بعده . وتنحلّ عقدة المقامة بأن ينكشف أمر المكدي للراوية في الأقل أو يَكْشِفَ المكدي أمره للراوية (وأحياناً للحاضرين) في الأغلب . ولا يَكْشِف المكدي أمره إلا بعد أن يكون قد نال من أهل المجلس مالاً أو ثياباً ، بعد أن استدر عطفهم . وكثيراً ما يعلم أهل المجلس ان المُكْدِيَ قد خدعهم وسلبهم ، ولكنهم لا يُضْمِرون له شراً لأنه أطربهم أو سلاّهم أو أفادهم .

٤ . المُلحة (النكتة أو العقدة) . وهي الفكرة التي تدور حولها القصة المُتَضَمَّنَةُ في المقامة ، وتكون عادة فكرةً طريفة أو جريئة ، ولكنها لا تَحُثّ دائماً على الاخلاق الحميدة ، وقد لا تكون دائماً موفقة .

٥ . القصة نفسها : كل مقامة وَحْدَةٌ قَصَصِيّةٌ قائمة بنفسها ، وليس ثمّة صلة بين المقامة والمقامة إلا أن المؤلف واحد والراوية واحد والمكدي واحد . وقد تكون القصص من أزمنة مختلفة مُتباعدة وان كان الراوية واحداً .

٦ . موضوع المقامة : موضوعات المقامات مختلفة منها أدبي ومنها فقهي ومنها فكاهي ومنها حماسي ، ومنها خمري أو مجوني . وهذه الموضوعات تتوالى على غير ترتيب مخصوص عند بديع الزمان . أما الحريري (فيما بعدُ) فالتزم أن تكون الموضوعات متعاقبة على نسق مخصوص . وقد تكون المقامة طويلة أو قصيرة .

٧ . اسم المقامة : واسم المقامة مأخوذ عادة من اسم البلد الذي انعقد فيه مجلس المقامة نحو : المقامة الدمَشْقية ، التَبْريزية ، الرَمْلية (نسبة إلى الرملة بفلسطين) ، المغربية ، السَمَرْقَنْدية ، البَلْخية ، الكُوفية ، البَغْدادية ،

العِراقية ، الخ ... أو من المُلحة التي تنطوي عليها المقامة نحو المقامة الدِينارية ، الحِرْزية ، الشِعْرية ، الإبْليسية ، الخمرية الخ ...

٨ . شخصية المقامة : ان الشخصية التي تبدو في المقامة ليست شخصية المكدي ولكنها شخصية المؤلف . وتنبني هذه الشخصية على الدراية الواسعة بكل شيء يطرقه المكدي ، أو المؤلف على الأصح ، فهو واسع الاطلاع على العلوم العربية خاصة ، بصير بالفنون الأدبية من شعر ونثر وخطابة ، حاد الذهن قوي الملاحظة في حل الألغاز وكشف الشبهات ، مَرِحٌ طَروب في اجتياز العقبات وسلوك المصاعب .

٩ . الصناعة في المقامات : فن المقامات فن تصنيع وتأنق لفظي (وخصوصاً عند الحريري) فهناك إغراق في السجع وإغراق في البديع من جناس وطباق ، وإغراق في المقابلة والموازنة وفي سائر أوجه البلاغة حتى ما لا يدخلُ في باب البلاغة على وجه الحصر : كالخُطبة التي تقرأ طَرْداً وعكساً والخُطبة المُهْمَلة (التي لا نُقَط فيها) أو التي تتعاقب فيها الأحرف المُهْمَلة والأحرف المعجمة (المنقوطة) وما إلى ذلك .

١٠ . الشعر : المقامة قصة نثرية ولكن قد يتخللها شعر قليل أو كثير من نظم صاحبها على لسان المكدي ، أو من نظم بعض الشعراء ، فيما يروى ، على لسان المكدي أيضاً . وقد يكون إيراد الشعر لإظهار المقدرة في النظم أو لاظهار البراعة في البديع (عند الحريري خاصة) .

ويَتْبَعُ القَصَصَ والمقاماتِ فنٌ الفُكاهةِ وهي رِوايَةُ الحِكاية في حال من المَرَحِ مَعَ الاشارة إلى مـا يَسْتطيبه الناسُ عادةً من اللهو والجِنْسِ والهُزُؤ والإضحاك والإطراف . والمقاماتُ نفسها مملوءة بالفُكاهة . وتجيء الفُكاهة في الشعر أيضاً ، وتكون في الشعر لَفتةً بارعة أو مُلْحة نادرة أو نُكْتة صائبة أو تعبيراً جديداً طريفاً ، وقد تكون عَرْضاً لأمور لا تقتضي الإنسانَ تفكيراً بل يأخذ الإنسانُ منها بظاهِر القول هَوْناً . وفي هذا الباب أخبارُ المُكْدين (المُتَسَوِّلين) والطُفَيليّين [١] . ومِثْلُ ذلك الأحاجي ، وهيَ

---

[١] الطفيلي هو الذي يذهب إلى المآدب من غير أن يكون مدعواً اليها (ويسلك مسلكاً فيه لباقة أو وقاحة) .

أسئلةٌ على غير المِنْهاج المَنْطِقي تحتاج في الإجابة إلى نَباهة وذكاء أكثرَ مما تحتاج إليه من العقل والمَعْرفة . وفي المقاماتِ شيءٌ كثير من هذا كلّـه مبنيّ على التَوْريات وراجعٌ إلى أحوالٍ مُفْرَدة ، وهو المسمّى «ألغازاً» . فمن الفُكاهةِ العاديّة قول ابنِ لَنْكَك :

لا تَخْدَعَنْكَ اللّحى ولا الصّــوَرُ   تِسْعَةُ أعشارِ مَنْ ترى بَقَــرُ .

ومن الألغاز سُؤال في مقاماتِ بديعِ الزمان هو : أيّ بَيْت (من الشعر) أولُه يَغْضَبُ وآخره يَلْعَب ؟ – وجواب هذا السؤال المُلْغَزِ : هو قولُ عمروِ بنِ كُلْثوم :

كأنّ سُيوفَنا مِنّا ومنهــم   مَخاريقٌ بأيْدي لاعبينا[1] !

(لأنّه يبدأ بالكلام على السيوف – وهي من آلات الحرب – ثم ينتهي باللّعِبِ بالمخاريق ، والمِخْراق خِرْقة مَلفوفة يتَضارب بها الصبيانُ) .

ويدخل في هذا البابِ كتبُ الجِدال والمُناظرات والخُصومات ، كما نَجِدُ عند أبي حَيّانَ التَوْحيدي وفي كتب علماء الكلام من الأشعرية والمُعتزلة ، وما نراه في كتب التوحيد وأصول الدين ؛ كما يدخل فيه الكُتُبُ التي تَعرِض الآراء والمذاهب كرسائلِ إخوانِ الصفا وجميع الكتب المؤلّفة في فنون السلوك والعلم وفي علوم العربية من اللغة والنحو والنقد . وأكثر ما يدخل في باب الإنتاج الوُجداني أو الحُكْم على الانتاج الوجداني (أي النقد) من هذا الباب مذكورٌ في تراجم أهلِه في هذا الكتاب .

ابن دريد

١ – هو أبو بكرٍ محمدُ بن الحَسَنِ بن دُريدٍ الأزْديّ من أزد عُمانَ . وقدِ انتقل أهلُه إلى البصرة بعدَ تَمَصيرِها من غير أن تَنْقَطِعَ صِلَتُهم بموطنهمُ الأول .

وُلِدَ بن دُريد في البصرة ، سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٨)[2] ونشأ فيها وأخذ العلم عن

---

١ المخراق : منديل (أو قطعة من نسيج) يلف على شكل العصا ويضرب به .

٢ في طبقات الزبيدي (ص ٢٠١) : توفي ابن دريد سنة ٣٢١ هـ وهو ابن ثلاث وتسعين ، فيكون مولده ، بحسب ذلك ، سنة ٢٢٨ هـ .

عَمّه الحسنِ وعن أبي عثمان الإشْناندي وأبي حاتمِ السجستاني وسواهما . ولما دخل الزّنج البصرة ، سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) هجرها ابن دُريد إلى عُمانَ حيث بَقِيَ اثْنتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً . وفي نحو سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٩ م) ذهب إلى الاهواز في صُحْبة واليها عبدِ الله بن محمدِ بن ميكالَ مؤدِّباً لابنه اسماعيلَ الميكالي المشهور . ثم ان عبد الله بن ميكال ولّى ابنَ دريدٍ على ديوانِ فارسَ فمكث ابنُ دُريد في ولايته هذه نحوَ ستِّ سَنَوات . ثم انتهتْ ولايةُ عبدِ الله على الأهواز وذهب إلى خراسان فذهب ابن دريد معه . ولما تُوُفّيَ عبدُ الله عادَ ابن دريد إلى بغداد (٣٠٨ هـ = ٩٢٠ م) فأجرى الخليفةُ المقتدرُ عليه خمسينَ ديناراً في الشهر .

وفُلِجَ ابنُ دُريد في آخرِ عُمُرِه وشُفِيَ ، ثم عاوده الفالجُ فأبطل نصْفَه الأسفلَ ، وطال عليه ذلك سَنَتَيْنِ حتى تُوُفّيَ في ١٨ شعبان ٣٢١ هـ (٤-٨-٩٣٣ م) .

٢ – ابنُ دُريدٍ من علماءِ اللغة البارعين ومن النُقّاد والشعراء أخذَ العلمَ عنه جماعةٌ من المشاهير منهم السيرافيّ والمَرْزُبانيّ وأبو الفَرَج الأصفهانيّ والقالِي والزّجاجيّ وابنُ خالَوَيْهِ . وأشهرُ كتبِهِ وأعظمُها كتابُ الجَمْهرة في اللغة ألّفه لبني ميكالَ حينما كان في بَلاطهم . وله أيضاً كتاب الملاحن ، غريبُ القرآن ، أدب الكاتب ، المقصور والممدود ، المجتنى (من أقوال الرسول) ، المقتنى ، الخ .

ولابنِ دُريدٍ ديوانُ شعرٍ صغيرٌ يجري فيه على أسلوب العلماء بعيداً عن الطبع والرَّوْنق . وفي هذا الديوان مدح وهجاء ورثاء وغزل ووصف وأغراض وُجْدانيةٌ مختلفة . وتَكثُرُ في شعره الحكمة . وقد اشتهر ابن دُريدٍ بقصيدته المقصورةِ المعروفة بمقصورة ابن دريد .

٣ – المختار من شعره

– قال ابنُ دريد في وصف الخمر :

وحمراءُ قبلَ المَزْجِ صفراءُ بَعْدَهُ ... أتتْ بين ثَوْبَيْ نَرْجِسٍ وشَقائقِ .
حكتْ وَجْنَةَ المعشوقِ قبلَ مِزاجها ، ... فلما مزجناها حكتْ خَدَّ عاشق .

– وله في نِفطويه النحْوي هجاءٌ مشهور :

لو أُنزِلَ الوَحْيُ على نفطويــهِ لَـكانَ هذا الوحيُ سُخْطاً عليهِ .
وشاعرٌ يُدْعى بنصفِ اسمهِ مُسْتأهِلٌ للصَفْعِ في أخدعيه [1] .
أُفّ على النَحوِ وأربابــه ، قد صار من أربابهِ نفطويــهِ .
أحرَقَــهُ اللهُ بنصفِ اسمهِ وصَيّر الباقي صُراخاً عليه [2] !

واشتهر ابن دريد بقصيدة له على الألِفِ المقصورة تبلغ مائتين وستةً وأربعين بيتاً مدح بها بني ميكال وطواها على حكم كثيرة . وفي هذه المقصورة وصف للإبل وللمطر وللخيل وفيها غزل وفخر كثير ؛ فمنها :

يا ظبيةً أشبهَ شيءٍ بالمَهــا ترعى الخُزامى بين أشجار النَقا [3] ،
أما تَرَيْ رأسِيَ حاكى لونُــه طُرّةَ صبحٍ تحت أذيال الدُجى ،
واشتعل المُبْيَضّ من مُسْوَدّه مثلَ اشتعال النار في جزْل الغَضا [4] .
ان الجديدينِ إذا ما استَولَيَــا على جديدٍ أدْنَياه للبِــلى [5] .
ان العراقَ لم أفارقْ أهلَـه عن شَنَـآنٍ صَدّني أو عن قِلى [6] .
والناسُ كالنَبْتِ : فمنه رائــقٌ غضٌّ نضيرٌ عودُه مُرّ الجَنى ؛
ومنه ما تقتحمُ العينُ ، فــإن ذُقْتَ جَناه انساغ عذباً في اللَها [7] .
وهم لمَنْ أمْلَقَ أعداءٌ ،وان شاركَهم في ما أفاد واقتنى [8] .
لا يرفعُ اللّبُّ بلا جَدٍّ ، ولا يَحُطّك الجهلُ إذا الجَدّ علا [9] !

---

١ نصف اسمه : لا يقال مثلا : ابن فلان أو أبو فلان الخ . الاخدعان : عرقان في جانبي العنق .
٢ نصف اسمه هنا : نفط ؛ والنصف الباقي : ويه (أداة ندبة) .
٣ المهاة : بقر الوحش (نوع من الظباء) . الخزامى : نبت طيب الرائحة . النقا : الرمل الابيض – ظبية أشبه شيء بالمها : صغيرة السن ولكن تدرك ما تدركه المتقدمات في الشباب (؟) .
٤ الجزل : الغليظ . الغضا : شجر يدوم اشتعاله .
٥ الجديدان : الليل والنهار . البلى : الفناء .
٦ الشنآن والقلى : البغضاء والبغض . صدني : ردني ، صرفني عنه .
٧ اقتحمت العين فلاناً : رأته قميئاً ، لم تبال به . الجنا : الثمر . اللها : الحلق .
٨ أملق : افتقر . أفاد : استفاد ، جنى مالا او نفعاً ....
٩ الجد : الحظ . اللب : العقل . حطه : خفض منزلته .

من لم تُفِدْه عِبَراً أيامُــه كان العمى أولى به من الهُدى.
والناس ألفٌ منهمُ كواحدٍ ، وواحدٌ كالألف ان أمر عَنَى[1].
وللفتى من ماله ما قدّمت يداه قبلَ موته لا ما اقتنى .
وإنمــا المرء حديثٌ بعــدَه فكن حديثاً حسناً لمن وَعى .
واللوم للحر مُقيم رادعٌ ، والعبد لا يردعُه إلا العصا .
وآفةُ العقل الهوى ، فمن علا على هواه عقلُه فقد نجـا .
إذا بلَوْتَ السيفَ محموداً فلا تَذْمُمْه يوماً إن تراه قـد نبا .
والدهرُ يكبو بالفتى ، وتـارة يُنْهِضُه من عَثْرة إذا كَبا .
لا تَعجبَنْ من هالك كيف هوى ، بل فاعجبنْ من سالم كيف نجـا .

٤ — الاشتقاق (فستنفلد) ، غوطا ١٨٥٤ م ؛ (نشره عبد السلام محمّد هارون) القاهرة (الخانجي) ١٩٥٨ م .
جمهرة اللغة ، حيدراباد ١٣٤٤ — ١٣٤٥ هـ (١٩٤٤ — ١٩٤٥ م) .
في « جزرة الحاطب وتحفة الطالب » (جمعها وليم رايت) ، ليدن (بريل) ١٨٥٩ م : صفة السحاب والغيث (أو كتاب السحاب والغيث وأخبار الروّاد) ؛ صفة السرج واللجام .
كتاب وصف السحاب والمطر (حقّقه عزّ الدين التنوخي) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٩٦٣ م .
الملاحن ، هايدلبرغ ١٨٨٢ م ؛ (نشره أبو اسحاق ابراهيم اطفيش الجزائري) ، القاهرة (المكتبة السلفية) ١٣٤٧ هـ .
المجتنى ، حيدر اباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣٦٢ هـ .
فصيح ثعلب والشروح عليه (نشره محمّد عبد المنعم خفاجي) ، القاهرة (مكتبة التوحيد) ١٩٤٩ م .
ديوان شعر الإمام ..... ابن دُريد (محمّد بدر الدين العلوي) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٦ م .

---

١ عنى : لزم وأتعب .

المقصورة الدريدية (نشرها أحمد جودت القدسي المشهور بالعكّاوي)، لا ذكر لمكان الطبع، ١٣١٩ هـ.

شرح المقصورة الدريدية، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠، ١٣١٩ هـ (مع شرح لامية العرب).

شرح مقصورة ابن دريد مصر (محمّد علي صبيح) بلا تاريخ.

شرح مقصورة ابن دريد للخطيب البغدادي، دمشق (المكتب الإسلامي للنشر) ١٩٦١ م.

** الفهرست ٦١ — ٦٢؛ تاريخ بغداد ٢ : ١٩٥ — ١٩٧؛ طبقات الزبيدي ٢٠١؛ معجم الأدباء ١٨ : ١٢٧ — ١٤٣؛ الصفدي ٢ : ٣٣٩ — ٣٤٣؛ إنباه الرواة ٣ : ٩٢ — ١٠٠؛ بغية الوعاة ٣٠ — ٣٣؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٨٩ — ٢٩١؛ بروكمان ١ : ١١٢ — ١١٤، الملحق ١ : ١٧٢؛ زيدان ٢ : ٢١٨ — ٢٢٠؛ النثر الفني ١ : ٢٢٧ — ٢٣٣، ٢٤٦ — ٢٥٣.

ابن طباطبا العلَويّ

١ — هو أبو الحسنِ محمّد بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ ابراهيم ابن طَباطبا من نسل الحسن بن عليّ بن أبي طالبٍ. وُلِدَ ابن طَباطبا هذا في إصبهانَ ونشأ فيها ولم يُغادِرْها قطّ، وأخذ العلمَ والأدبَ عن أئمّتها. وكانت وفاتُه في إصبهانَ سَنَةَ ٣٢٢ هـ (٩٣٤ م).

٢ — كان أبو الحسن محمّد بن طباطبا العلَويّ شاعراً وناقداً ومؤلّفاً. ويبدو أنّه كان مُكْثراً من الشعر، ولكنّ شعرَهُ قليلُ البراعة وإنْ كان ينكشفُ عن مَقْدِرةٍ فإنّ له، مثلاً، قصيدةً مطلَعُها:

يا سيّداً دانتْ له الساداتُ وتتابعتْ في فعْله الحسَناتُ،

أبياتُها تسْعةٌ وأربعون أخلاها من حرْفَيِ الراء والكاف [1]. ويَبْرُزُ في

---

١ راجع القصيدة وسبب نظمها في معجم الأدباء ١٧ : ١٤٥ — ١٤٩.

شعره المَرَح والهَزْل . وله مدحٌ وهجاء ووصفٌ . وهو ناقدٌ له كتابُ «عيار الشعر» جعل فيه مقدّمةً موجزة في نقد الشعر استند في مُعْظَمِها إلى رأيِ ابنِ قُتَيْبةَ ورأي الجاحظ ؛ وهو يُصِرّ على أهميّة استكمال عُدّة الشعر قبلَ نظمه وعلى ترديد النظر فيه بالتنقيح بعد نظمه . وله أيضاً من الكتُب : تهذيبُ الطبع ، كتاب العَروض ، المُدْخِل إلى مَعْرِفة المُعَمّى من الشعر ، كتاب في تقريظ الدفاتر .

٣ – المختار من آثاره

– الطبع وأدوات الشعر :

.... فمَن صحّ طَبْعُه وذوْقه لم يَحْتَجْ إلى الاستعانةِ على نَظْم الشِعر بالعَروضِ التي هي ميزانه ، ومَنِ اضْطَرَبَ عليه الذوقُ لم يَسْتَغْنِ من تصحيحه وتقويمه بمَعْرِفةِ العَروض والحذق به [١] .

وللشعر أدَواتٌ يجب إعدادُها قبل مِراسِه وتكلّف نظمه : فمن تَعَصّتْ عليه أداة من أدواته لم يَكْمُلْ له ما يتكلّفه منه ، وبانَ الخللُ في ما يَنْظِمُه ، ولَحِقَتْهُ العُيوبُ من كلّ جهة .

فمنها التوسّع في علم اللغة والبراعة في فَهْم الإعراب والروايةُ لفنون الآداب والمعرفة بأيام الناس ومَناقِبِهِمْ ومَثالبهم والوقوفُ على مذاهبِ العرب في تأسيس الشعر والتصرّف في معانيه – في كلّ فنّ قالته العربُ فيه – وسلوكُ مَناهِجِها في صِفاتها [٢] ومُخاطباتها .... وإطالتها وإيجازها .... وعُذوبةِ ألفاظِها وجَزالةِ معانيها وحسنِ مبادئها وحلاوة مقاطعها وإيفاء كلّ معنىً حَظّه من العِبـارةِ وإلباسِه ما يُشاكله من الألفاظ حتّى يَبْرُزَ (الشعر) في أحسنِ زِيّ وأبهى صورة (و) حتّى لا يكونَ مُتفاوِتاً مَرْقوعاً ، بل يكونُ كالسبيكة المُفْرَغَة [٣] والوَشْيِ المُنَمْنَمِ [٤] والعِقْد المنظّم واللباس الرائق فتُسابِقُ معانيه ألفاظه

١ العروض (بفتح العين ، وهي لفظة مؤنثة) : ميزان الشعر . ولعل «الحذق به» = الحذق في علم الشعر .

٢ الصفات : الأوصاف (جمع وصف ؛ أحد فنون الشعر) .

٣ السبيكة (القطعة المصبوبة من المعدن) المفرغة (المصبوبة مرة واحدة حتى لا يعرف أحد من أين تبتدئ ولا إلى أين تنتهي) .

٤ الوشي : التطريز . المنمنم : المزخرف (زخرفاً دقيقاً على نظام معلوم) .

فيلتذّ الفَهْم بحسن معانيه كالتذاذِ السمْعِ بمُونِقِ [1] كلامه .....

فإذا أراد الشاعرُ بِناءَ قصيدةٍ مَخَضَ [2] المَعْنى الذي يريدُ بناء الشعر عليه في فكره نثراً وأعدّ له ما يُلبِسُه إياه من الألفاظ التي تُطابقه والقوافي التي توافقه والوزنِ الذي يَسْلَسُ [3] القولُ عليه . فإذا اتّفق له بيتٌ يُشاكل المعنى الذي يَرومُه [4] أثبتَه وأعملَ فِكْرَهُ في شَغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تَنْسيقٍ للشعر وترتيب لفنون القول فيه ، بل يُعَلّق [5] كلّ بيتٍ يتّفق له نظمُه على (ما يمكن أن يكونَ من) تَفاوت [6] بينَه وبينَ ما قبله . فإذا كَمُلَتْ له المعاني وكَثُرت الأبياتُ وَفّق بينَها بأبياتٍ تكون نِظاماً لها وسِلْكاً جامعاً لما تشتّت منها . ثمّ يتأمّل ما قد أدّاه إليه طبعه ونتيجةَ فكرته فيستقصي انتقاده ويَرِمّ ما وَهَى [7] منه ويُبَدِّل بكلِّ لفظةٍ مُسْتَكْرَهة لفظةً سهلةً نقيّة . وان اتّفقتْ له قافيةٌ قد شَغَلَها في مَعْنًى من المعاني واتّفق له معنًى آخرُ مضادٌّ للمعنى الآخر – وكانت تلك القافيةُ أوقعَ [8] في المعنى الثاني منها في المعنى الأوّل – نَقَلَها إلى المعنى المُخْتار الذي هو أحسنُ وأبْطَلَ ذلك البيتَ أو نَقَضَ بعضَه [9] وطَلَبَ لمعناه قافيةً تشاكله ....

وقد جَمَعْنا ما اخترناه من أشعار الشعراء في كتابٍ سمّيناه « تهذيب الطبع » يرتاض مَنْ تعاطى قولَ الشعر بالنظر فيه ويَسْلُكُ المِنهاجَ الذي سَلَكه الشعراءُ ويتناول المعانِيَ اللطيفةَ كتناوُلِهِمْ إيّاها ويَحْتذي على تلك الأمثلة التي طَرّقوا أقوالهم [10] فيها ....

---

١ المونق : الجميل الذي يسر العين .

٢ مخض فلان اللبن : (وضعه في وعـاء ثم حركه) حتى ينفصل الزبد من المخيض (الماء الباقي بعد انفصال الزبد) .

٣ يسلس : يلين ويسهل .

٤ يشاكل : يشابه ، يوافق . يروم : يطلب .

٥ علق : أثبت ، دون ، كتب .

٦ التفاوت : التباين ، اختلاف الشيء الواحد في أحوال متعددة (على غير نظام معين) .

٧ رم : أصلح . وهى : ضعف .

٨ أوقع : أحسن موقعاً (أكثر موافقة) .

٩ نقض : هدم .

١٠ احتذى فلان شيئاً : صنع الأشياء على مثاله .طرقوا أقوالهم فيها : جعلوا أقوالهم (شعرهم ونثرهم) طرائق (أنواعاً) ...

٤ – عيار الشعر (بتحقيق طه الحاجري ومحمّد زغلول سلاّم) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٥٦ م .

** معجم الأدباء ١٧ : ١٤٣ – ١٥٦ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٤٦ .

نِفطوَيه

هو أبو عبدِ الله ابراهيمُ بنُ محمّدِ بنِ عرَفَةَ بن سليمانَ بنِ المغيرةِ بن حبيبِ بن المهلّبِ بن أبي صُفْرَةَ الأزديّ ، وُلِدَ في واسطِ ، سَنَةَ ٢٤٤ هـ (٨٥٨ م) ، وقيل سنة ٢٥٠ هـ ، آدَمَ (شديدَ السوادِ) دَميماً فلُقّبَ نِفْطَوَيْه .

سكَنَ نِفْطَوَيْه بغدادَ وأخذَ عن المبرّدِ وثعلبٍ وغيرهما . وقد كانَ قليلَ العِناية بنَظافة بدَنه ، كما كان كثيرَ الهجومِ على الناس ، فكَرِهَهُ مُعاصروه وأهانَه بعضهم [١] . وقيل إنّه هجا ابنَ دُريد بأبيات مَطْلَعُها : « ابنُ دُريدٍ بقَرَهْ ... » فردّ عليه ابنُ دريدٍ بأبياتٍ آخرها :

أحرَقَهُ اللهُ بنِصْفِ اسْمِهِ ، وصيّرَ الباقي صُراخاً عليْهْ [٢] .

وكان نفطويهِ يَجلِسُ بالغَدَواتِ في جامعِ الأنباريّين ببَغدادَ يُقْرِئُ القُرآنَ على قراءةِ عاصمٍ ، ثم يُقرِئ كتابَ سيبَوَيْهِ وسواهُ من الكُتُبِ ، فعَلَ ذلك خمْسينَ سَنَةً .

وكانت وفاةُ نِفْطَوَيْهِ في بَغدادَ ، في مَطْلَع سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) في الأغلب .

---

١ راجع معجم الأدباء ١ : ٢٦٧ .

٢ النصف الأول من اسمه « نفط » (مادة محرقة) ، والنصف الثاني « ويه » (بسكون الهاء وكسرها) و « ويها » للإغراء (القاموس ٤ : ٢٩٦) ، ولعل استعمالها للندبة من كلام العامة . أما الأبيات نفسها فيرويها ياقوت (معجم الأدباء ١ : ٢٦٤) لابن دريد (راجع ، فوق ، ص ٤١٨) ؛ وأما ابن خلكان (وفيات الأعيان ١ : ١٨) فيرويها لأبي عبد الله محمد بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي المتكلم المشهور صاحب الإمامة وكتاب اعجاز القرآن .

كان نفطويه حَسَنَ الحفظِ للقُرآنِ عالماً بالحديث وفَقيهاً ظاهرياً [1] على مذهب داوودَ الأصفهانيِّ (ت ٢٧٠ هـ) . وكذلك كان كثيرَ العلْم بالشعرِ ، وبشعرِ جريرٍ خاصّةً ، يَحْفَظُ نقائضَ جريرٍ والفرزدق وشعرَ ذي الرُّمّة وشعرَ غيرهم . على أن شُهْرَتَه كانت في النَحْوِ . ومَعَ أنه كانَ يَجْري على طَريقة سيبويه ، فانّه كان يُلَفّقُ بينَ مَذْهب الكوفيين ومذهب البصريّين .

ونَظَمَ نِفْطَوَيْهِ الشعرَ في الهجاء والغَزَل وما جَرَى مَجْرى الغزل ، وقد رَوى ياقوتٌ له عدداً من المُقطّعات .

ولنفْطويهِ كُتُبٌ منها : كتابُ غريب القرآن ، كتاب الاستثناء والشرط في القراءة ، كتاب أمثال القرآن ، كتاب الرد على من قال بخَلْق القرآن ، كتاب في أن العرب تتكلّم طَبْعاً لا تَعَلّماً ، كتاب الردّ على من يزعُمُ أن العرب يُشْتَقّ كلامُها بعضُه من بعضٍ ، كتاب المُقْنع في النحو ، كتاب الردّ على على المفضّل بن سَلَمة في نقضهِ على الخليل ، كتاب التاريخ ، الخ .

— ** تاريخ بغداد ٦ : ١٥٩ — ١٦٢ ؛ طبقات الزبيدي ١٧٢ ؛ معجم الأدباء ١ : ٢٥٤ — ٢٧٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٧ — ١٨ ؛ إنباه الرواة ١ : ١٧٦ — ١٨٣ ؛ بغية الوعاة ١٨٧ — ١٨٨ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٩٨ — ٢٩٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٨٤ .

جَحظةُ البَرْمكيُّ

١ — هو أبو الحسنِ أحمدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ موسى بنِ يحيى بنِ خالدِ ابنِ بَرْمَكَ ، كانتْ وِلادتُه في شَعبانَ سَنَةَ ٢٢٤ هـ .

---

[1] القول بالظاهر في الفقه هو تفسير ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف على ظاهرهما ، إلا إذا كانت قواعد اللغة العربية تمنع ذلك التفسير الظاهر . وقد نشأ هذا المذهب رداً على المعتزلة والصوفية الذين كانوا يزعمون أن عدداً من ألفاظ القرآن وتراكيبه صور بلاغية لتقريب المعنى المقصود من أذهان جمهور الناس ، وخصوصاً فيما يتعلق بخلق العالم وبالجنة والنار .

كانَ أحمدُ بنُ جعفرٍ هذا قبيحَ المَنْظَرِ ناتئَ العَيْنين فلَقّبَه عبدُ الله ابنُ المعتزّ جَحْظَةَ . وقد نشأ جحظةُ ، على الرُغم من غِنى أسلافه ، فقيراً مُحتاجاً إلى العطاء يتكسّبُ بالشعرِ والغناء والعزف على الطُنبور من غير أن يستطيعَ تدبيرَ معاشه . ولا شكّ في أن جحظة قد عُمِّرَ كثيراً فقد جاء في شعره ما يُفْهَمُ منْه أنّ سنّه زادتْ على التسعين [1] . وكانت وفاته في شَعبان سنة ٣٢٤ هـ في جيل [2] أو في واسطٍ [3] .

٢ - كان جحظةُ البرمكيّ حَسَنَ الأدب كثيرَ الروايةِ للأخبارِ متصرّفاً في فنونٍ من العلمِ كالنحوِ واللغة والنُجوم ، وكانَ ظريفاً مليحَ الشعر حاضرَ النادرةِ ، كما كان حاذقاً في العَزْفِ على الطُنبور . وكان أيضاً مُصنّفاً له كتاب الطُنبوريين ، كتاب فضائل السكباج ، كتاب الترنّم ، كتاب المُشاهدات ، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله ، كتاب ما جمعه ممّا جرّبه المنجّمون فصحّ من الأحكام .

٣ - المختار من شعره

- قال جَحظةُ البرمكيّ في صديقٍ له يرغَبُ في قُربه وسَماع شَدْوه (غنائه) ثم لا يُثيبه إلاّ بقوله له : أحْسَنْتَ !

لي صديقٌ مُغْرىً بقُربي وشَدْوي، ولهُ عندَ ذاك وجهٌ صفيقُ —
قولهُ إنْ شَدَوْتُ : «أحسنتَ، زِدْني»! وبأحسنتَ لا يُباعُ الدّقيــق [4] !

- وقال في النسيب بفتاةٍ تَسْتَكثرُ عليه أن يَنام إذا كان يُحبّها :

فقُلْتُ لها : بَخلْتِ عَليّ يَقْظَى فجُودي في المنـامِ لمُسْتَهامِ .
فقالتْ لي : **وصِرتَ تَنامُ أيضاً وتَطْمَعُ أن أزوركَ في المَنام !**

- وقال في الرزْقِ المَقْدورِ على الإنسان :

أنْفقْ ولا تَخْشَ إقلالاً ، فقد قُسِمَتْ بينَ العبادِ مَعَ الآجالِ أرْزاقُ .

---

١ « هي التسعون قد عطفت قناتي .... » (معجم الأدباء ٢ : ٢٤٨) ؛ وراجع ، تحت ،ص ٤٢٦ .
٢ جيل قرية أسفل (جنوب) بغداد (القاموس ٣ : ٣٥٣) .
٣ واسط بلدة بين البصرة والكوفة .
٤ لا يستطيع الإنسان أن يعيش (يتغذى) بقول الناس له : « أحسنت ! » ، بل يجب أن يدفعوا له مالا

لا يَنْفَعُ البُخْلُ مَعْ دنيا مُوَلّيَةٍ ، ولا يَضُرّ مَعَ الإقبالِ إنْفاق !

– وقال جَحْظَةُ يَصِفُ حالَه ويُعَرِّضُ بأهلِ زمانه :

تَعَجّبَتْ إذ رأتني فوق مكسورٍ، منَ الحميرِ ،عقيرِ الظَهْرِ مَضْرور[1] ،

مِنْ بعدِ كلِّ أميرِ الرسْغِ مُعْتَرِضٍ في السيرِ تَحْسَبُهُ إحدى التَصاوير[2] .

فقُلْتُ : لا تَعْجَبي مِنّي ومِنْ زَمَنٍ أخنَى عليَّ بِتَضْبِيقٍ وتَقْتير[3] ،

بَلْ فاعْجَبي من كِلابٍ قدْ خَدَمْتُهُمُ تِسْعينَ عاماً بأشْعاري وطُنْبوري !

٤ – ** تاريخ بغداد ٤ : ٦٥ – ٦٩ ؛ معجم الأدباء ٢ : ٢٤١ – ٢٨٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٧١ – ٨٢ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٠١ – ٣٠٢ .

الوَشّاء

١ – هو أبو الطيّب محمّدُ بن أحمدَ بنِ اسحقَ بن يحيى الوشّاءُ ويُعْرَفُ أيضاً بالأعرابيّ ، تلميذُ المُبَرِّدِ وثعلبٍ ،كان مُعَلّماً (للصبيان) في مكْتبِ العامّة . وتُوُفّيَ الوشّاء سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) .

٢ – كان الوشّاءُ أحدَ الأُدباء الظُرفاء ، وهو نَحْوِيٌّ وإخباريّ وشاعرٌ رقيقٌ ومُصَنِّفٌ بارعٌ ، له من الكتب : كتابٌ مُختصرٌ في النحو ، الجامع في النحو ، المقصور والممدود ، المذكّر والمؤنّث ، خَلْق الإنسان ، خَلْق الفرس ، أخبار صاحب الزّنج ، أخبار المتظرّفات ، الحنين إلى الأوطان ، الزاهر

---

١ مكسور (إحدى القوائم : يعرج – بفتح الراء) . عقير : معقور (مجروح جرحاً مزمناً لا يندمل) . مضرور : به ضر (مريض ، سقيم ، ضعيف ضعفاً عاماً ، عاجز عن الحمل والجري) .

٢ من بعد كل (حصان) أمين الرسغ : متين ، قوي الرسغ (المفصل الذي بين حافر الحصان وقائمته) . معترض : يمر (يركض مسرعاً) عارضاً على جنب واحد (لكثرة نشاطه لا يستطيع راكبه أن يسيطر عليه) .

٣ أخنى علي : جار علي ، ظلمني (أفقرني وأتعسني) . بتضبيق (مذاهبي في طلب الرزق) وتقتير (قلة رزقي من الأوجه التي أعمل فيها : التكسب بالشعر وبالغناء) .

في الأنوار والزهر [1] ، المُوَشّح ، المُوَشّى ، وصايا ملوك العرب من أولاد الملك قَحْطانَ بنِ هودٍ النبيِّ ، تفريج المُهَج وسبب الوصول إلى الفرج (سرور المهج والألباب في رسائل الأحباب) ، الفاضل من الأدب الشامل (الكامل) .

٣ – المختار من شعره وكلامه

– قال أبو الطيّب الوشّاء في النسيب :

لا صبرَ لي عنكَ سوى أنني أرضى مِنَ الدهرِ بما يَقْدُر [2] .
من كان ذا صبرٍ فلا صبرَ لي ؛ مِثْلِيَ عن مِثْلِكَ لا يَصْبِرُ !

– وقال في النسيب والشكوى :

يا مَنْ يقومُ مَقامَ الروح في الجسدِ ، لا تَحْسَبنّي خَلِيَّ البالِ من سهَدِ [3] .
حُزْني عليكَ جديدٌ لا نَفادَ له أوْهَى فؤادي وأوهى عُقْدَةَ الجَلَدِ [4] .
والصبرُ عنك قليلٌ مُضْرِمٌ قَلَقاً بين الضلوعِ كصَبْرِ الأمّ عن ولد [5] .

– من مقدمة الموشّى أو الظرف والظرفاء :

.... يَجِبُ على المتأدّب اللبيبِ والمتظرّف الأريب المُتَخَلّقِ بأخلاقِ الأدباءِ والمُتحلّي بحِلْيَة الظرفاء أنْ يَعْرِفَ ، قبلَ هجومهِ على ما لا يعلَمُه وقبل تعاطيهِ ما لا يفهمه ، تَبَيّنَ الظَرْفِ وشَرائعَ المُروءة وحدودَ الأدبِ ؛ فإنّه لا أدبَ لِمَنْ لا مُروءةَ له ، ولا مُروءةَ لِمَنْ لا ظَرْفَ له ، ولا ظرفَ لمن لا أدب له .

وقد وَصَفْنا في كتابنا هذا [6] ، على قَدْرِ ما بَلَغَهُ عِلْمُنا واحتوى عليه فِكْرُنا ، وجعلناه حدوداً مَحْدودةً ومَعالِمَ مقصورةً وشرائع بَيِّنَةً وأبواباً نَيِّرَةً . وشريطتُنا على قارئ كتابِنا الإقصارُ عن طَلَبِ عيوبِ خَطائنا والصفحُ

---

١ الأنوار جمع نور (بفتح النون) : الزهر الابيض .
٢ يقدر : يقضي ، يوجب .
٣ السهد : الأرق ، ذهاب النوم .
٤ أوهى : أضعف . الجلد : التجلد ، الاحتمال .
٥ مضرم : مشعل . كصبر الأم عن ولد : كما تضطر الأم أن تصبر عن موت ولدها (مع الحزن والاضطراب)
٦ هذا الذي ذكرناه في الأسطر السابقة .

عمّا يقف عليه من إغفالنا والتجاوزُ عمّا ينتهي اليه من إهمالنا[1] .... لأنّنا قد تقدّمنا بالإقرار ؛ ولا بُدُّ للإنسان من عثّار . وليس كلّ الأدبِ قرأناه ، ولا كلّ العلم دَرَيْناه ؛ وعلينا في ذلك الاجتهادُ وإلى الله الإرشاد . وقلّ ما نجا مؤلّفٌ لكتابٍ من راصدٍ بمكيدةٍ أو باحثٍ عن خطيئة . وقد كان يقال : من ألّف كتاباً فقدِ اسْتُشْرِفَ ، فإذا أصاب فقد استُهْدِفَ ، وإذا أخطأ فقد اسْتُقْذِف[2] ....

٤ — تفريج (تفريح) المهج ، القاهرة ١٩٠٠ م .

الموشّى (برونوف) ، ليدن ١٨٨٧ م ؛ الموشّى أو الظرف والظرفاء ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، الطبعة الثانية (تحقيق مصطفى كمال) ، القاهرة (الخانجي) ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) ؛ بيروت (دار صادر) ١٩٦٥ م .

وصايا ملوك العرب ، القاهرة ١٣٣٢ هـ .

** الفهرست ٨٥ ؛ تاريخ بغداد ١ : ٢٥٣ — ٢٥٤ ؛ معجم الأدباء ١٧ : ١٣٢ — ١٣٤ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣١ — ٣٢ ؛ بروكلمان ١ : ١٢٩ ، الملحق ١ : ١٨٩ ؛ زيدان ٢ : ٢٠١ .

عبد الرحمن الهمذاني

١ — هو أبو الحسنِ عبدُ الرحمنِ بنُ عيسى الهَمَذانيّ ، نِسبةً إلى هَمَذان من بلاد الجبالِ في فارس ، كان كاتباً لبكرِ بنِ عبدِ العزيزِ بن أبي دُلَف .

تُوُفّي عبدُ الرحمن الهمذانيّ سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٨ — ٩٣٩ م) في الاغلب وبعدَ أنْ أسنّ جِدّاً لأنّه كانَ قديمَ المَوْلد (إنباه الرواة ٢ : ١٦٦) .

---

[1] الاغفال : ترك الشيء قصداً (السبب وجيه عند المغفل) . التجاوز : المرور بالخطأ مراً كريماً ، العفو ، الصفح . الاهمال : ترك الشيء جهلاً أو تقصيراً . انتهى إلى علم الشيء : وصل من طريق التعلم أو الاختبار إلى ما لم يصل اليه غيره .

[2] استشرف (بالبناء للمجهول) : نظر الناس اليه من بعيد يضعون أكفهم فوق عيونهم (ليتبينوا صورتـه جلية) . استهدف (بالبناء للمجهول) : جعله الناس هدفـاً يرمونه بسهام انتقادهم (حقاً أو باطلا) استقذف (صيغة مولدة غير موجودة في القاموس) : إذا أخطـأ فقد وجب أن يقذفه الناس بالحجارة (أن يبينوا أخطاءه) كأنما هو قد دعاهم إلى ذلك لما أخطأ في التأليف .

٢ ــ كان عبدُ الرحمنِ الهمذانيّ إماماً في اللغةوالنحو وكاتباً وشاعراً ، ولكنّ شُهْرَتَه في اللُغة . له كتابُ الألفاظ [١] (الفهرست ١٣٧) ويُعْرَفُ بكتابِ ألفاظِ عبدِ الرحمن (إنباه الرواة ٢ : ١٦٦) ، وقد طُبِعَ باسْمِ « الألفاظ الكتابية » .

ــ من مقدمة الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني :

.... ووَجَدتّ من المتأخرين في الآلة [٢] قوماً أخطأهُمُ الاتّساعُ في الكلامِ فهم مُتَعلقون في مُخاطباتهم وكُتُبِهم باللفظةِ الغريبة والحَرْف الشاذّ ليتميّزوا بذلك من العامّة ويرتفعوا عند الأغبياء عن طَبَقة الحَشْو . والخَرَسُ البَكَمُ أحسنُ من النُطْق في هذا المذهبِ الذي تذهب اليهذه الطائفة في الخِطاب ... وألفَيْتُ آخرين قد توجّهوا بَعْضَ التوجّه وعَلَوْا عن هذه الطبقة ، غيرَ أنهم يَمْزِجون ألفاظاً يسيرةً قد حفِظوها من ألفاظ كُتّاب الرسائلِ بألفاظِ كثيرةٍ سخيفةٍ من ألفاظ العامّةِ استْعانةً بها وضَرورةً إليها لِخفّة بِضاعتهم [٣] . و (هم) لا يَستطيعون تغيِيرَ معنىً بغيرِ لفظهِ لضيق وُسْعهم ؛ فالتكلّف والاختْلال ظاهران في كُتُبهم ومُحاوراتهم إذ كانوا يُؤلّفون بين الدّرة والبَعْرة في نِظامهم .

فجمعت في كتابي هذا لجميعِ الطَبَقات أجناساً من ألفاظِ كُتّاب الرسائلِ والدواوينِ البعيدةِ عنِ الاشتباه والالتباس ، السليمةِ من التَقَعْير [٤] ، المحمولة على الاستعارة والتلويح ، على مذاهب الكُتّاب وأهلِ الخَطابة دونَ مذاهب المُتَشدّقين والمتفاصحين ... في كل فن من فنون المخاطبات ، مُلْتَقَطَةً من كتب الرسائلِ وأفواهِ الرجال ... ومُتَخَيّرة من بطون الدفاتر ومُصَنّفات العلماء . فليست لفظةٌ منها إلاّ وهي تَنوب عن أُختها في موضعها من المكاتبة

---

١ يقول المستشرق فريتز كرنكو Fritz Krenkow (Z D M G 65 , 392) ان هذا الكتاب ينسب إلى عبد الرحمن الانباري (بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٥) .

٢ الآلة : وسائل الاجادة في صناعة الكتابة (الألفاظ ، النحو ، البلاغة ، المحفوظ من القرآن والحديث والشعر والأمثال ، الخ) .

٣ قلة معرفتهم بقواعد الكتابة .

٤ التقعير : التكلم (بملء الصوت) من أقصى الفم (شدة التكلف في طلب الكلمات الغريبة) .

أو تقومُ مَقامها في المعاورة[1] ، إما بمُشاكَلَة أو بمَجانسة أو بمجاورة . فإذا عَرَفَها العارفُ بها وبأماكنِها التي توضع فيها كانت له مادّةً قويةً وعَوْناً وظهيراً[2] . فإن كتب (أحدهم) عِدّةَ كُتُبٍ في مَعْنى تَهْنئة أو تعزية أو فتحٍ أو وَعْدٍ ... أو شُكْرٍ ... أو تأسيسِ جماعةٍ .... أو صَدْرِ دُسْتورٍ أو حِكاية حسابٍ ... أمكنه تغييرَ ألْفاظها مَعَ اتفاق معانيها ؛ وأن يجعل مكان «أصلِحَ الفاسدَ» «لَمَّ الشعَثَ» ، ومكان «لِمَّ الشعَثَ» «رَتَقَ الفتوق» و «شَعَبَ الصَدْعَ» . ولهذا قياس في ما سواه من هذا الكتاب . وان قعد به حُسْنُ المعنى لم يعدم من ألفاظه ما هو من بناء الكَلِمَةِ ....

٤ – الألفاظ الكتابية ، استانبول ١٣٠٢ هـ ؛ (نشره لويس شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٨٨٥ م ثم ١٨٩٨ م ؛ (نشره محمّد توفيق) ، القاهرة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ؛ القاهرة ١٩٣١ م .

** الفهرست ١٣٧ ؛ إنباه الرواة ١٦٥ – ١٦٦ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٥ ؛ زيدان ٢ : ٢٢٠ – ٢٢١ .

الخُبز أُرْزيّ

١ – هو أبو القاسم نصرُ بنُ أحمدَ بنِ نصرِ بن المأمون الخُبْزأرزي ، كان يَخْبِزُ خُبْزَ الأُرْز في دُكّانٍ له في مَرْبِدِ البصرة . وكان الخبزأرزي أمّيّاً لا يقرأ ولا يكتُبُ ، ومَعَ ذلك فقد كان الناسُ يجتمعون عليه لاستماعِ شعرِه وللتمتّع بمَرَحِه وظَرْفه . وزار الخبزأرزي بغدادَ وأقام فيها بباب خُراسانَ زمناً طويلاً . وكانت وفاته سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) .

٢ – كان الخبزأرزي رقيقَ الشعرِ سهلَ التراكيب مَعَ شيء من اللين والضَعْف ، إلاّ أن شعرَه رُزِقَ سَيْرورةً وشُهرةً في أيامه لموافقة مَعانيهِ وتراكيبه لهَوى العامّةِ . وكذلك مالَ اليه الخاصّةُ استظرافاً لِما يقول . وقد

---

١ وضع شيء مكان شيء آخر .
٢ الظهير : المساعد (سرا) .

عُنِيَ الشاعر ابن لَنْكَكَ بشعرِه . ويكادُ يكونُ شعرُ الخُبزأرزي مقصوراً على الغزل لولا مُقطّعاتٌ في عددٍ من الاغراض الوجدانية .

٣ ـ المختار من شعره

ـ من شعر الخبزأرزي في الغزل :

رأيتُ الهلالَ ووجهَ الحبيب، فكانا هلالَيْنِ عند النظرْ .
فلم أدرِ من حَيْرتي فيهما هلالَ السما من هلال البشر.
ولولا التورّدُ في الوجنتينِ وما راعني من سَواد الشَعَرْ ،
لكُنْتُ أظُنّ الهِلالَ الحبيبَ ، وكنت أظنّ الحبيبَ القَمَرْ !

ـ وقال في الأدب :

إذا ما لِسانُ المرءِ أكْثرَ هَذْرُه فذاك لسان بالبَلاء مُوَكّـلُ .
إذا شئتَ أن تحيا عزيزاً مسلّماً، فدبّرْ وميّزْ ما تقولُ وتفعل !

٤ ـ ** تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩٦ ـ ٢٩٩ ؛ يتيمة الدهر ٢ : ٣٣٧ ـ ٣٤٠ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٢١٨ ـ ٢٢٢ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٥٥ ـ ٦٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣١ ؛ زيدان ٢ : ١٩٠ .

أبو بكر بن الانباريّ

١ ـ هو أبو بَكْرٍ محمّدُ بنُ القاسم بن بشّار بن الحسنِ الانباريّ ، وُلِدَ في بَغْدادَ في الحادي عَشَرَ من رَجَبَ من سَنَةِ ٢٧١ هـ (٨٨٥ م) وأخذ طَرَفاً من العلم عن أبيه القاسم بن محمّدٍ [١] كما أخذ النحو عن ثَعْلَبٍ . وقد تصدّرَ للتعليم باكراً فكان يُمْلي هو في جانبٍ من المسجد (جامع المنصور في بغداد) ويملي أبوه في جانبٍ آخر . وكان ابن الانباريّ يُمْلي من حفظه لا من

---

١ توفي سنة ٣٠٤ هـ (٩١٦ ـ ٩١٧ م) ، راجع الفهرست ٧٥ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٤٤٠ ـ ٤٤١ ؛ طبقات الزبيدي ٢٢٨ ؛ معجم الأدباء ١٦ : ٣١٦ ـ ٣١٩ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٢٨٠ ؛ بغية الوعاة ٣٨٠ .

كتاب . أما وفاتُه فكانت في التاسعِ من ذي الحِجّة من سنة ٣٢٨ هـ (٢٦-٩-٩٣٩م) في الأغلب .

٢ – كان أبو بكرٍ الانباريّ أديباً عالماً باللغة والنحو وتفسير القرآن وبالحديث جامعاً لأخبار الناس [١] ثِقَةً في ما يَرْوي ويقول . ولكن بما انه كان يُمْلي من حِفظه فقد كانت الكتب التي خلّفها قليلة . وله شيء من الشعر العاديّ .

ولأبي بكرٍ الانباريّ من الكتب : كتاب المُشكل في معاني القرآن . رسالة المشكل (ردّ فيها على ابن قُتَيْبَة وعلى أبي حاتم السِجِسْتاني : في مشكل القرآن) ، كتاب الردّ على مَنْ خالف (هجاء !) مُصْحَف عُثْمانَ ، كتاب نقض مسائل شَنَبوذ (في قراءاتِ القرآن) ، كتاب الوقف والابتداء ، كتاب الهاءات في كتاب الله عزّ وجلّ (في القرآن) ، كتاب اللامات ، كتاب الهجاء ، كتاب غريب الحديث . وله في اللغة : كتاب الزاهر في معاني الكلمات التي يستعملها الناس في صَلاتهم ودُعائهم وتسبيحهم وعبادة ربّهم ، كتاب المقصور والممدود ، كتاب المذكّر والمؤنّث ، كتاب الاضداد ، دقائق التصريف ، كتاب أدب الكاتب . وله في النحو خاصّة : كتاب الواضح ، كتاب الموضح ، شرح الكافي . وله في الأدب والشعر : كتاب الجاهليّات (السبع الطوال : المعلّقات) ، شرح المفضّليات ، كتاب المجالس (الأمالي) ، شعر النابغة ، شرح شعر الأعشى ، شرح شعر زهير ، شرح شعر راعي الابل ، النابغة الجعدي ، الخ .

٣ – المختار من آثاره

– من كتاب الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري :

... هذا كتاب ذِكْرِ الحروف التي تُوقعها العرب على المعاني المتضادّة فيكون الحرف منها مؤدّياً عن معنيين مختلفين . ويظن أهل البِدَع والزَّيغ والإزراء بالعرب ان ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقِلة بلاغتهم وكثْرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم فيَسألون عن ذلك ويحتجّون بأن الاِسْمَ مُنبئٌ عن المعنى الذي تحته ودالّ عليه ومُوضِحٌ تأويله ؛ فاذا اعْتَوَرَ

[١] لاخبارهم وحكاياتهم (راجع النثر الفني لزكي مبارك ١ : ٢٥٤ – ٢٥٧) .

اللفظة الواحدة مَعْنيان مُختلفان لم يَعْرِفِ المخاطَبُ أيَّهما أراد المخاطبُ ، وبَطل بذلك معنى تعليق الاسم على المُسمّى .

فأجيبوا عن هذا الذي ظنّوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة : أحَدُهنّ أن كلام العرب يُصَحِّحُ بعضُه بعضاً ويرتبط أوّلُه بآخره ، ولا يُعْرَف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال حروفه . فجاز وقوعُ اللفظة على المعنيين المتضادّين لأنه يَتَقَدّمها ويأتي بعدها ما يدل على خُصوصيّة أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يُراد بها في حالِ التكلّم والإخبار إلاّ معنىً واحدٌ . فمن ذلك قولُ الشاعر :

كل شَيْء ما خلا الموتَ جَلَلْ والفتى يَسعى ويُلهيه الأمــل .

فدلّ ما تقدم قبل « جلل » وتأخر بعده على أن معناه : كلّ شيء ما خلا الموت يسير ، ولا يتوهّم ذو عقل وتمييز ان « الجَلَلَ » هاهنا معناه « عظيم » .

٤ – شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات (نشره عبد السلام محمّد هارون) القاهرة ١٩٦٣م ،

شرح المفضّليات (نشره كارلوس ليال) ، أوكسفورد (كلارندون) ١٩١٨ – ١٩٢٤ م .

الاضداد في اللغة (هوتسما) ، ليدن (بريل) ١٨٨١ م ؛ القاهرة (المكتبة الازهرية الحسينية ؟) ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) ؛ (نشره محمّد أبو الفضل ابراهيم) ، الكويت ١٩٦٠ م .

شرح معلّقة طرفة (نشره ريشر) ، قسطنطينية (نيفاست) ١٣٢٩ هـ .

** الفهرست ٧٥ ؛ طبقات الزبيدي ١٧١ – ١٧٢ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ١٨١ – ١٨٦ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٣٠٦ – ٣١٣ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣١٩ – ٣٢١ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٢٠١ – ٢٠٨ ؛ بغية الوعاة ٩١ – ٩٢ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣١٥ – ٣١٦ ؛ بروكلمـان ١ : ١٢٢ ، الملحق ١ : ١٨٢ – ١٨٣ ؛ زيدان ٢ : ٢١١ .

Enc . Isl . (new ed .) I 485

قُدامةُ بن جَعْفرٍ

١ – هو أبو الفرج قُدامة بن جعفرٍ ، وُلِدَ في بغدادَ سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨م) على الاغلب ونشأ فيها على النصرانية . ثم انه دخل في الإسلام على يد الخليفة المكتفي (٢٧٩ – ٢٩٥ هـ) . وفي سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٨ م) تولّى مجلس الزمام (في ديوان الأموال) في بغداد . وكانت وفاته سنة ٣٣٧ هـ (٩٥٨ م) ، وقيل سنة ٣٢٧ هـ ؛ ويميل بروكلمان إلى أن يجعل وفاته سنة ٣١٠ هـ (١ : ٢٦٢ ، الملحق ١ : ٤٠٦) . ويبدو أنه كان لا يزال حياً في سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) .

٢ – قرأ قدامة بن جعفر علوم اللغة والأدب وقرأ الفقه والمنطق والحساب والفلسفة ولكن غلب عليه علم اللغة والأدب والبلاغة ونقد الشعر ، وكان حسن التصنيف للكتب مع الايجاز في اللفظ والسهولة في التركيب والتقريب للمعاني . وعلى أسلوبه شيء من الضَعْف ناتجٌ من رَغبته في التقرير العلمي والتقسيم المنطقي .
ومن كتب قدامةَ بن جعفرٍ التي وصلت الينا : «كتاب الخراج وصناعة الكتابة» ، «كتاب نقد الشعر» فصّل فيه الكلام على أربعة أشياء هي في رأيه قِوام الشعر : اللفظ والوزن والقوافي والمعاني ، ثم تكلّم على ائتلاف الألفاظ مع المعنى ، واللفظ مع الوزن ، والمعنى مع الوزن ، والمعنى مع القافية ، فأصبحت أسسُ نقد الشعر عنده ثمانية . وكذلك تعرّض للكلام على الخصائص والفنون . وعنده أن «فَحاشة المعنى في نفسه ليست مما يُزيل جودةَ الشعر فيه (نقد الشعر ٥ ، ١٠ ، ١٢ وما بعدها) ؛ يَقْصِدُ أن جَوْدةَ الشِعر إنما هي في التعبير الفنّي الجميل ، سواءٌ أكان المعنى شريفاً مما يدلّ على سُمُوّ الاخلاق وبُعْد الهِمّة أو كان فاحشاً يصف الفِسق والأمور الوضيعة . غير أن إغراق قُدامةَ في تطلّب المقاييس والقواعد حمله على أن ينظر إلى الناحية الفنّيّة (أصول النظم) أكثر من نظره إلى روح الشعر . ونُسب إلى قدامة كتاب نقد النثر [١] .

---

١ نشر هذا الكتاب طه حسين وعبد الحميد العبادي (القاهرة ١٩٣٣ م) . غير أن مادة الكتاب وأسلوبه يدلان على أن الكتاب متأخر جداً عن عصر قدامة (راجع «كنوز الاجداد» لمحمد كرد علي ، دمشق ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م ، ص ١٥١) .

٣ — المختار من آثاره

— من «كتاب الخراج» : الصوائف والشواتي (غزوات الصيف والشتاء) :

.... إنّ أجْهَدَها ، مما يَعْرِفُه أهلُ الخِبرة من الثَغْرِيّين [١] ، أن تَقَعَ الغَزاةُ التي تُسمّى الربيعية [٢] لِعَشْرةِ أيام تخلو من أيار [٣] بعد أن يكون الناس قد أربعوا دوابَّهم وحَسُنَتْ أحوالُ خيولهم ، فيقيمون ثلاثينَ يوماً هي بقيّة أيار وعَشْرةً من حزيران ، فانهم يَجدون الكَلأَ في بلاد الروم مُمْكِناً وكأنّ دوابّهم ترتبع ربيعاً ثانياً . ثم يَقْفُلُون فيُقيمون إلى خمسةٍ وعشرين يوماً ، وهي بقية حزيران وخمسةٌ من تَموز ، حتّى يَقْوى ويَسْمَنَ الظَهْر [٤] . ويجتمع الناسُ لغزوِ الصائفة [٥] ثم يَغْزُون لعَشْرٍ تخلو من تَموز .

وأما الشّواتي فاني رأيتهم جميعاً يقولون : ان كان لا بُدّ منها فَلْيَكُنْ مما لا يُبْعَدُ فيه ولا يُوغَلُ ، ولْيَكُن مَسيرةَ عِشرينَ لَيْلةً بمِقْدارِ ما يَحْمِلُ الرجل لفرسه ما يَكْفيه على ظَهْرِه ، وأن يكون ذلك في آخرِ شباطَ ، فيقيمِ الغُزاةُ إلى أيامٍ تمضي من آذار فانهم يَجدون العَدُوَّ في ذلك الوقتِ أضعفَ ما يكون نفساً ودوابَّ ويجدون مواشِيَهم كثيرة . ثم يَرْجِعون ويُرْتِعُون دوابّهم .

— من كتاب «نقد الشعر [٦]» :

.... لما كانت فضائلُ الناسِ — من حيثُ أنهم ناسٌ ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائرِ الحَيَوان ، على ما هو عليه أهلُ الآداب من الاتّفاق في ذلك — إنّما هي العَقْلُ والشجاعة والعدل والعِفّة [٧] ، كان القاصدُ لِمَدحِ الرجال بهذه الأربعِ الخِصالِ مُصيباً والمادح بغيرها مُخْطِئاً . وقد

---

١ الثغريون : المرابطون (الذين يعيشون على أطراف البلاد — على حدودها — ليدفعوا عنها الاعداء) .

٢ الربيعية : الغزوة في زمن الربيع . الغزاة : الغزوة .

٣ الأشهر الآرامية المذكورة في هذا النص هي : أيار (مايو) ، حزيران (يونيو) ، تموز (يوليو) .

٤ الظهر : الدواب التي تحمل الاثقال .

٥ الصائفة : الغزوة في الصيف . الشاتية : الغزوة في الشتاء .

٦ نقد الشعر (محمد عيسى منون) ، ص ٣٩ .

٧ يبسط قدامة بن جعفر هنا الفضائل اليونانية القديمة . وكان العرب في الجاهلية يمدحون بأربعة خلال : النسب الشريف (القديم) والحلم (العقل) والشجاعة والكرم .

وقد يجوزُ في ذلك أن يَقْصِدَ الشاعرُ للمدح منها بالبعض والإغراق فيه دون البعض ، مثلَ أنْ يَصِفَ الشاعرُ إنساناً بالجُود – الذي هو أحدُ أقسامِ العَدل – وَحْدَهُ فيُغْرِقَ فيه ويتَفَنَّنَ في معانيه ، أو بالنَّجْدة فقطْ فيَعْمَل فيها مثلَ ذلك ، أو بهما كِلَيْهما ، أو يَقْتَصِرَ عليهما دونَ غيرهما فلا يُسَمَّى مُخْطِئاً لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله ؛ لكنْ يُسمَّى مُقَصِّراً عنِ استعمال جميعِ المدح . فقد وَجَبَ أنْ يكونَ ، على هذا القياسِ ، المُصيبَ [1] من الشعراء بهذه الخلاف [2] لا بغيرها ، والبالغَ في التجويد إلى أقصى حدودهِ مَنِ استَوْعَبَها ولم يقتصرْ على بعضها ....

٤ – كتاب الخراج وصنعة الشعر (نشره ده خويه مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه) ، ليدن (بريل) ١٨٨٩ م .

نقد الشعر ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب ١٣٠٢ هـ) ؛ (نشره محمّد عيسى منون) ، القاهرة (المطبعة المليجية) ١٣٤٣ هـ ، ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤ م) ؛ (نشره بونيباكر) ، ليدن (بريل) ١٩٥٦ م ؛ (نشره عيسى ميخائيل سابا) ، حريصا – لبنان (المطبعة البوليسية) ١٩٥٨ م . (تحرير كمال مصطفى) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٦٣ م .

جواهر الالفاظ (مكتبة الخانجي) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) .

** قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، تأليف بدوي طبانه ، القاهرة (مكتبة الانجلو) ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) .

الفهرست ١٣٠ ؛ معجم الأدباء ١٧ : ١٢ – ١٥ ؛ كنوز الاجداد لمحمّد كرد علي ١٥٠ – ١٥٣ ؛ بروكلمان ١ . ٢٦٢ ، الملحق ١ : ٤٠٦ – ٤٠٧ ؛ زيدان ٢ : ٢٠٠ – ٢٠١ و ٢٣٦ – ٢٣٧ .

---

١ « المصيب » و « البالغ » خبر متعدد مقدم من « يكون » في قوله : « فقد وجب أن يكون » ؛ واسم الموصول « من » في قوله « من استوعبهما » اسم « يكون » مؤخر ، لأن اسم الموصول لا يجوز أن يكون خبراً، أو الاصح ألا يكون خبراً .

٢ كذا في الأصل . – وهي : الخلائق أو الخلال (الخصال) .

الصَنَوْبَريّ الحَلَبيّ

١ ــ هو أبو بكرٍ أحمد بنُ محمّدِ بنِ الحسنِ بنِ مُرادٍ الضبّيّ المعروف بالصَنَوْبري [١] الحَلَبي ، وُلِدَ في أنْطاكِيَةَ نحوَ سَنَةَ ٢٨٤ هـ (٨٩٧ م) .
قَدِمَ الصنوبريّ إلى دِمَشْقَ ثم اتّصلَ في أواخرِ حياتهِ بسيفِ الدولةِ . ولعلّ وفاتَه كانتْ سَنَةَ ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) أو بُعَيْدَ ذلك .

٢ ــ الصنوبريّ شاعرٌ مُحْسِنٌ مُطيلٌ ، في شعره سهولةٌ وعذوبةٌ أحياناً ، ويَسمّونه حَبيباً الأصغرَ [٢] لجَوْدَةِ شعره . وأكثر أشعارِه في وصفِ الرياضِ والأنوار والأزهار ، وله وصفٌ في دِمَشْقَ وشيءٌ من الرثاء في أولادِه ومن النسيب والمُجون .

٣ ــ المختار من شعره

ــ قال الصنوبريّ الحلبي يَصِفُ ديكاً :

مغرّدُ الليل لا يألوكَ تغريـدا ، مَلّ الكَرى فهو يدعو الصُبحَ مَجْهودا [٣] .
لمّا تطرّبَ هَزّ العِطف من طَـرَبٍ ومدّ للصَوْتِ ــ لمّا مَدّهُ ــ الجِيدا [٤] .
كلابسٍ مُطْرَفاً مُرْخىً ذوائبُـه تُضاحِكُ البيضُ من أطرافه السُودا [٥] .
حالي المُقَلَّدِ ، لو قِيستْ قِلادتُــه بالوردِ قَصّر عنها الوردُ تَوْريدا [٦] .

---

١ في سرد عمود نسبه اختلاف . ثم يذكر كامل الغزي (م م ع ع ١٠ : ٤٨٧ ع) : أحمد بن محمد الصيني الصنوبري ؛ وكلمة الضبي الواردة في ما ترجمه ابن عساكر محرفة عن الصيني . ويرى بروكلمان (الملحق ١ : ١٤٥) أن الصيني محرفة عن الضبي .
٢ حبيب = أبو تمام الطائي ؛ ولعل الصنوبري أشبه بالبحتري .
٣ لا يألوك : لا يقصر عنك ، لا يبطئ ، لا يتأخر (إنه دائم الصياح) . الكرى : النوم – مجهود : تعب (بفتح التاء وكسر العين) : تعبان .
٤ تطرب : تغنى ، رفع صوته وحاول تحسينه . الجيد : العنق (يصف حركة جسم الديك وهو يصيح) .
٥ ــ كأن على هذا الديك مطرف (ثوب حرير فيه أعلام : صور) وله ذوائب (خيوط مجدولة ومتدلية) بيض وسود ، فالبيض منها تضحك (تلمع في ضوء الفجر فيبدو لمانها على السود) .
٦ حالي : (مزين) المقلد (موضع القلادة : العنق) . قلادته (الريش المختلف الألوان الذي في عنقه) . توريداً = توردا : احمراراً .

– وقال يصف شقائق النّعمانِ :

وكأنّ مُحْمَرّ الشّقيـ ــقِ إذا تَصَوّبَ أو تَصَعّدْ[1]
أعلامُ ياقوتٍ نُشِـ ـرْنَ على رِماحٍ من زَبَرْجَدْ[2] !

– وقال في غلامٍ جميلٍ يَشْرَبُ خَمراً (يُشبّهها بالشمس) :

بَدْرٌ غدا يَشْرَبُ شَمساً غَدَتْ –وحَدُّها في الوصف من حَدّهِ – [3]
تَغْرُبُ في فيهِ ، ولكنّهـا من بَعْدِ ذا تَطْلُعُ في خَدّهِ !

٤ – ديوان الصنوبري : الروضيّات (نشره محمّد راغب الطبّاخ) ، حلب ١٩٣٢ م.

** فوات الوفيات ١ : ٧٧ – ٧٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٣٥ ؛ أعلام النبلاء ١ : ٢٣ وما بعدها ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٤٥ ؛ م م ع ع ١٠ : ٤٨٤ – ٤٩١ (١٩٣١ م) .

أبو بكر الصوليّ

١ – هو أبو بكرٍ محمّد بنُ يحيى بنِ عبدِ الله بن العبّاس بن محمّد بن صولِ تِكين ، كان في نحو سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٤ م) في بغدادَ شابّاً صُلْبَ العودِ يتردّد على حَلَقات نفرٍ من الأعلام منهم[4] أبو العبّاس المبرّدُ (ت ٣٨٥ هـ) وأبو العبّاس ثعلبٌ (ت ٢٩١ هـ) ؛ وقد اجتمع الصولي بالبحتري الشاعرِ في مجلس المبرّد سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) .

بَرَعَ الصوليّ في علوم العربيةِ فأصبح إماماً في اللغة والأدب والأخبار يأخذ عنه الرواةُ والأدباء . ثمّ اتّخذه الخلفاء مُؤدِّباً لأبنائهم وكاتباً ونديماً لهم : نادمَ

---

١ إذا تصوب أو تصعد (ما كان متجهاً إلى أدنى : مائلا على ساقه في أول تفتيحه ، أو قائماً على ساقه متجهاً إلى أعلى في أول تفتيحه) .

٢ الياقوت : حجر كريم أحمر . والزبرجد : حجر كريم أخضر .

٣ حدها في الوصف من حده : لونها كلون وجهه وفعلها كفعل عينيه (؟) .

٤ في معجم الأدباء (١٩ : ١١٠) ووفيات الأعيان (٢ : ٣٢٨) أن أبا بكر الصولي أخذ عن أبي داود السجستاني (ت ٢٥٧ هـ) أيضاً .

من الخلفاء المُكْتَفِيَ والمقتدرَ والراضِيَ ، بين سَنَةِ ٢٨٩ وسَنَةِ ٣٢٩ هـ (٩٠٢ – ٩٤٠ م) .

ثم عُرِفَ عن الصولي مَيْلٌ على آلِ البيتِ فضاقت به الحالُ في بغدادَ فهجرها إلى البصرة حيثُ عاش مُعتزلاً متخفّياً إلى أنْ مات في سنة ٣٣٥ هـ (٩٤٦ – ٩٤٧ م) ، وقد أسنّ .

٢ – أبو بكر الصولي راويةٌ ولُغويّ وأديبٌ مصنّفٌ ثم هو بارعٌ في الغناء ولَعِبِ الشِطْرنج . ومن كُتُبِ أبي بكرٍ الصولي : كتابُ الأوراق في أخبار الخلفاء وأشعارهم ، أدب الكاتب ، أخبار أبي تمّام ، أخبار البحتري ، كتاب الوزراء ، أخبار ابن هَرْمة ، أخبار أبي عمرو بن العلاء ، أخبار اسحق المَوْصلي أخبار السيد الحِمْيري الشاعر ، أخبار القرامطة ، الخ [1] .

٣ – المختار من نقده

– قال أبو بكرٍ الصوليُّ في أبي تمّام والبحتري (أخبار البحتري ٦٠ – ٦١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢) :

قيل للبُحْتُريّ : الناسُ يزْعَمون أنك أشعرُ من أبي تمّامٍ . فقال : واللهِ ، ما يَنْفَعُني هذا القولُ ولا يَضُرّ أبا تمّامٍ . واللهِ ، ما أكلت الخبزَ إلاّ بـه ، ولَوَدِدتُ أنّ الأمرَ كما قالوا ؛ ولكنّي ، واللهِ ، تابعٌ له ، لائذٌ به ، آخذ منه ؛ نسيمي يَرْكُد عند هوائه ، وأرضي تنخفِضُ عند سمائه .

قال الصولي : وهذا من فضلِ البُحتريّ أنْ يَعْرِفَ الحقّ ويُقِرّ بـه ويُذْعِنَ له ، واني لأَراه يَتْبَعُ أبا تمّامٍ ومَعانيَهُ حتى يستعيرَ مَعَ ذلك بعضَ لفظه فلا يقعُ إلاّ دونه ، ويعودَ في بعضه طبعُه تكلّفاً وسَهْلُه صَعْباً ... ولا أعْرِفُ أحداً بعدَ أبي تمّام أشعرَ من البُحْتَريّ ولا أغضّ كلاماً ولا أحسنَ ديباجةً ولا أتمّ طبعاً . وهو مُسْتَوي الشعرِ حلوُ الألفاظ مقبولُ الكلام ، يقع على تقدمه الإجماعُ . وهُوَ مَعَ ذلك يلوذ بأبي تمّامٍ في معانيه . فأيّ دليلٍ على فضلِ أبي تمامٍ ورئاسته يكونُ أقوى من هذا ؟

---

[1] راجع ثبتاً بكتب أبي بكر الصولي للدكتور صالح الأشتر (أخبار البحتري ٢٢ – ٢٦) .

ومَنْ تَبَحَّرَ شِعرَ أبي تمّامٍ وَجَدَ كلَّ مُحْسِنٍ بعدَه لائذاً بـه ، كما أن كلَّ مُحسنٍ بعدَ بشّارٍ لائذٌ ببشّارٍ ومنتسبٌ اليه في أكثر احسانه .

ولولا أنّ بعضَ أهل الأدبِ ألّف في أخذ البُحتري من أبي تمّام كِتاباً لَكُنْتُ سُقْتُ كثيراً (من) مثل ما ذكرنا ، ولكنّني أكره إعادة ما أُلِّـف ، وأجتنبُ أن أجتذبَ من الأدب ما مُلِكَ قبلي .

– أبو تمّام وابن أبي عيينة (أخبار البحتري ١٦٥ – ١٦٦) :

وكان أبو تمّام يُبْصِرُ الشعرَ كلّه ويَنْقُدُه ، ويفضّل الجيّدَ منه وان كان على غيرِ مذهبه . ولا أعلمُ شاعرينِ أشدّ تبايُناً ولا أبعدَ شَبَهاً من أبي تمّام وابن أبي عُيَيْنةَ المطبوعِ : فان أبا تمّام يَصْنَعُ الكلامَ ويَخْتَرِعُه ، ويتْعَبُ في طلبهِ حتى يُبْدِعَ ، ويَستعيرُ ويُغْرِب[1] في كل بيت إنِ اسْتطاع . وابن أبي عُيَيْنَةَ لا يصنَعُ من هذا شيئاً ، ويُرْسِلُ نفسَه في شعره علـى سَجيّته ، ويُخْرِجُ كلامَه مَخْرَجَ نفسِه بغير كُلْفة ؛ وربّما اختلّ معناهُ ولانَ لفظُه . وأبو تمام لا يَسْقُطُ معناه البتّةَ وإنما يختلّ في الوقت لفظُه . **فإذا استوى له اللفظُ فهو الجيّدُ من شعرِه النادرُ الذي لا يُتَعَلَّقُ به** . وقد أحكمتُ وصفَه في رسالةٍ أحْتَجّ فيهـا عنه ، وعَمِلْتُ بِعَقِبِها شِعْرَه . **وكان ابن أبي عُيينةَ عند أبي تمّام** ، مَعَ هذا التباعدِ بينهما ، **شاعراً مُجيداً** :

حدّثني أبو الحسنِ الكاتبُ قال : حدّثني عليّ بنُ العباسِ الروميّ[2] قال : حدّثني أبو يوسفَ الدقّاق قـال : كُنّا مَعَ أبي تمّام وبينَ يَدَيْه أشعارُ المُحْدَثين يختارُ منها ، **فلما بَلَغَ إلى شعرِ أبي عُيينةَ هذا قال : وهذا كلّه مُختارٌ !**

٤ – أخبار الراضي بالله والمتّقي لله (نشره هيورث دنّ) ، القاهرة (مطبعة الصاوي) ١٩٣٥ م .

أشعار أولاد الخلفاء (نشره هيورث دنّ) ، القاهرة (مطبعة الصاوي) ١٩٣٦ م .

---

١ يغرب : يأتي (بالمعنى) الغريب ، البعيد ، الجميل .

٢ ابن الرومي (ص ٣٤٠ وما بعدها) .

شعر ابن المعتزّ (عني بتصحيحه ب. لوين)، استانبول (مطبعة المعارف) ١٩٤٥ - ١٩٥٠ م.
أخبار أبي تمّام (نشره خليل محمّد عساكر، محمد عبده عزّام، نظير الإسلام الهندي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧م.
أخبار البحتري (حقّقها .... صالح الاشتر)، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٩٥٨ م بيروت؛ (المكتب التجاري) ١٩٦٧.
أدب الكتّاب (نشر محمّد بهجة الاثرى)، بغداد (المكتبة العربيـة) ١٩٤١ م.
كتاب الأوراق (راجع أشعار أولاد الخلفاء).
** الفهرست ١٥٠ - ١٥١؛ تاريخ بغداد ٣ : ٤٢٧ - ٤٣٢؛ معجم الأدباء ١٩ : ١٠٩ - ١١١؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٢٨ - ٣٣٢؛ إنباه الرواة ٣ : ٢٣٣ - ٢٣٦؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٣٩ - ٣٤٢؛ أعيان الشيعة ٤٧ - ١٤٧ - ١٤٩؛ بروكلمان ١ : ١٤٩ - ١٥٠، الملحق ١ : ٢١٨؛ زيدان ٢ : ٢٠٣.

أحمد بن الداية يوسف[١] بن ابراهيم المصري

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ يوسفَ المعروفُ بابنِ الدايةِ بنِ ابراهيمَ المصريّ كاتبُ آلِ طُولونَ، وُلِدَ في مصْرَ بُعَيْدَ سَنَةَ ٢٤٠ هـ (٨٥٥ م) ونشأ كاتباً، كما كانَ والدُه. ولكنّ صلَتَه وصلَةَ أبيه بأحمدَ بنِ طولونَ لم تكن حَسَنَةً. ثم ان أحمدَ بنَ يوسفُ خَدَمَ أخلافَ أحمدَ بنِ طولونَ: خَمارويهِ بنَ أحمدَ وجيشاً وهرونَ ابنَيْ خمارويهِ وشَيْبان بن أحمدَ بنِ

١ كانت أم يوسف جدة أحمد بن يوسف لأبيه ظئراً (مرضعاً ومربية) لابراهيم بن المهدي أخي هرون الرشيد ومرضعاً للمعتصم بن هرون الرشيد. ولذلك كان يوسف بن ابراهيم يعرف باسم ابن الداية.
وكان أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم المعروف بابن الداية كاتباً وحاسباً وذا اطلاع على علـوم الرياضيات والفلك. ولد في بغداد سنة ١٨٠ هـ وتوفي في مصر سنة ٢٦٠ هـ. ذكر له ياقوت (معجم الأدباء ٥ : ١٥٩) من الكتب «أخبار الطب»، وأضاف محمود محمد شاكر (كتاب المكافأة وحسن العقبى، ص ٩ من المقدمة) كتاب الطبيخ وأخبار ابراهيم بن المهدي.

طولونَ وحاسَنَهم . وكذلك استطاع أحمدُ بن يوسفَ أن يَنْجوَ من سوء المعاملة التي لَقيَها الطولونيون وأتباعُهم على يَدِ محمّدِ بنِ سليمانَ العبّاسيّ [1] . ولكن يبدو أنه انقطع مُنْذُ ذلك الحينِ عن خِدْمة الدولةِ واعتزل الفُسطاطَ (مدينةَ مصرَ القديمةَ) ليعيشَ في بعضِ ضياعه في الأغلب.

وعُمّرَ أحمدُ بنُ يوسفَ وتُوُفّيَ قُبيلَ سنة ٣٤٠ هـ (٩٥٠ م).

٢ ـ أحمدُ بن يوسفَ بن الدايةِ أديبٌ ناثرٌ يَسْلُكُ مَسْلَكَ الجاحظ في تنميق مُقدّماتِ الكتب وفي الجَرْي على السليقة في مُتون الكتبِ ، وربّما أوْرَدَ اللحنَ في أثناء نَثْره حُبّاً بتقريبِ المَوْضوع إلى القارئ على غِرارِ ما كان الجاحظُ [1] يفعل في كتابِ البخلاء خاصّةً . ثم هو كاتبٌ مترسّل قدير . أما شعره فكان قليلاً ، والمقطوعة التي يُوردُها لنفسِه في كتاب المُكافأة (ص ٢٢) تقليدٌ لأبي تمّامٍ .

وأحمد بن يوسف مُصنّف له كتبٌ في الأدب والتاريخ والعلوم ، منها سيرة أحمد بن طولون ، سيرة أبي الجيش خمارويهِ ، سيرة هرونَ بن أبي الجيش ، أخبار غِلْمان بن طولون ، شرح الثمرة (من أقوال بطليموس) ، كتاب المنطق ، كتاب النسبة والتناسب ، كتاب الصحيفة (فلك) ، كتاب المكافأة ، كتاب حسن العقبى .

٣ ـ المختار من آثاره

ـ من مقدّمة كتاب المكافأة :

سَدّدَ اللهُ فِكْرَكَ وأحسنَ أمرَكَ وكفاكَ مُهِمَّكَ [2] . إنّ أشدّ (؟) على المُمْتَحِنِ في مِحْنَتِه [3] عدولُه في سعيهِ عن مَصلحتِه وتَنَكّبُه الصوابَ في بُغْيته . ولكلّ وِجْهَةٍ من الجَدْوى مأتىً تَسْتَنْزَلُ بهِ عوائدُها ويُقَرّب معَه ما استُصْعِبَ

---

١ راجع ص ٣٠٧ ، ثم راجع مطلع كتاب الحيوان .

٢ المهم : الذي يشغل بالك . كفاك مهمك : صرف عنك ما يشغل البال .

٣ المحنة : الشدة ، اختبار الإنسان بأمر لا يحتمله (مادياً أو معنوياً) . عدوله : ميله ، تركه (بارادته) . التنكب : الحيد عن الطريق الصحيح المستقيم . الجدوى : الفائدة . العوائد جمع عائدة : ما يرجع على الإنسان بفضل أو منفعة أو نتيجة حسنة . حسن الرواية (لأخبار الماضين) .

منها يَسْتَثيره حسنُ الرِواية ويَهْدي إليه صالحُ التوفيق ....

وقد كتبتُ لكَ في هذه الرسالةِ أخباراً – في المكافأةِ على الحَسَنِ والقبيحِ تُنْعِمُ (تُنَعِّمُ) الخاطرَ وتقرّبُ بُغيةَ الراغب – مِمّا سمعناه مِمّن تقدّمنا وشاهدْناه بعصرِنا ، وباللهِ التوفيقُ .

– من المكافأة على القبيح :

إنّ أحمد بن طولون [1] كان مذعوراً من خروج أبي عبدِ الرحمن العُمَري [2] ، فوافاه الخبرُ بقتلِ غِلْمانِ أبي عبد الرحمن إيّاه وانتشارِ أمرِه [3] . ثم صار إليه جماعةٌ تُقاربُ العَشَرَةَ ، ومعَهم رأسٌ ، فقالوا : « نحن غِلْمانُ العُمريّ ، وهذا رأسُه ! »

فجمع (أحمدُ بنُ طولونَ) الخاصَّ والعامَّ وأدْخلَهم إليه ، واستحضَرَ قوماً استأمنهم إليه وسألهم ، فأجْمَعوا على أنه رأسُ أبي عبدِ الرحمنِ وأنّ الغِلْمانَ من خاصّتِه . فقال أحمدُ بن طولون لهم : هل كان (العمري) مُسيئاً إليكم ؟ قالوا : لا ، واللهِ ، فلقدْ كان مُحْسِناً إلينا ومُفْضِلا علينا ! قال : فما حَمَلَكُمْ على قتلهِ ؟ قالوا : طَلَبنا الحَظْوَةَ عندكَ والمكانةَ منكَ ! فقال (أحمد بن طولون) : قتلتُمْ مَوْلاكُمُ المُحْسِنَ إليكم بالتَطرّب إلى المزيد [4] ؟

ثمّ أمرَ بهم فشُقّ عن جَماعتهم وأخذَتْهُمُ السياطُ حتّى سَقَطوا ، (ثم) ضُربوا على رُؤوسِهم بالشّدوخ حتّى ماتوا جميعاً . وأمرَ بدفنِ رأسِ عبدِ الرحمن .

---

١ أحمد بن طولون ولاه المأمون على مصر سنة ٢٥٤ ﻫ (٨٦٨ م) ثم استبد بأمر مصر سنة ٢٦٦ ﻫ ، وتوفي سنة ٢٧٠ ﻫ (٨٨٤ م) فخلفه خمارويه ثم جيش (٢٨٢ ﻫ) ثم هارون (٢٨٣ ﻫ) ثم شيبان في ١٨ صفر ٢٩٢ ﻫ (آخر ٩٠٤ م) . وبعد أحد عشر يوماً (٩٠٥ م) استولى محمد بن سليمان العباسي على مصر .
وقد كان أحمد ابن طولون قاسياً عنيفاً في معاملة أنصار العباسيين كما كان محمد بن سليمان شديد القسوة في معاملة الطولونيين وأتباعهم .

٢ كان أبو عبد الرحمن سوار العمري من نسل عمر بن الخطاب يسكن ، في أيام أحمد بن طولون في صعيد مصر ، فخرج (ثار) عليه .

٣ انتشر أمره : تفرق ، اضطرب ، تفرق أتباعه ثم لم يقم فيهم رئيساً يجمعهم .

٤ التطرب إلى المزيد : الفرح بأن يزدادوا خيراً فوق ما كان لهم من قبل .

– الروم والعرب !

وحدّثني يوسفُ بن ابراهيمَ والدي أنه سَمِعَ بطرسَ يحدّث ابراهيمَ بن المَهْديّ :

أنّ نَقْفورَ الملكَ لمّا تأدّى إليه الخبرُ بوفاة الرشيد جَعَلَ ذلك اليومَ عيداً للروم . ثم جَعَلَ عيداً أعظمَ منه في اليوم الذي تأدّى إليه وقوعُ الشرّ بين الأمينِ والمأمونِ . ثمّ عيّدَ عيداً ثالثاً في الوقت الذي خرج فيه أبو السرايا [1] .

٤ – كتاب السياسة لأفلاطون (نشره جميل العزيز) ، بيروت بلا تاريخ .

كتاب المكافأة (نشره أمين عبد العزيز) ، القاهرة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ؛

كتاب المكافأة وحسن العقبى (حقّقه .... محمود محمّد شاكر) ، مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) .

** معجم الأدباء ٤ : ١٥٤ – ١٦٠ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٥ ، الملحق ١ : ٢٢٩ ؛ النثر الفنّي لزكي مبارك ١ : ٢٩٤ – ٣١١ ؛ أعيان الشيعة ١٠ : ٣٥٢ – ٣٨٤ .

أبو القاسم الزجّاجيّ

١ – هو أبو القاسم عبدُ الرحمن بن اسحقَ النَهاونديّ ، أصلُه من الصَيْمرة ، بين ديار الجبل وديار خوزستان (في الجنوب الشرقيّ من العراق) . كان في أوّل أمره يَعْمَلُ مَعَ أستاذه أبي اسحقَ إبراهيمَ بنِ السريّ الزجّاج (ت ٣٢١ هـ) وكان يَخْرُطُ الزُجاجَ فاكْتَسَبَ منه النسبةَ « الزجّاجيّ » . ثمّ بدا للزجّاجِ وللزجّاجيّ أن يَتْرُكا صناعة خَرْطِ الزجاج ويتعلّما النَحْوَ ، ولذلك عرف كلَّ واحد منهما بلقب « النحويّ » أيضاً .

أخذ الزجّاجي النحوَ عن الزجّاج ومحمّد بن العبّاس اليزيدي وابنِ دُريد وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش الأصغر . ثمّ إنه ذهب إلى مكّةَ وجاوَرَ

---

١ أبو السرايا ثار في الكوفة والبصرة في أوائل خلافة المأمون ، سنة ١٩٩ هـ (٨١٤ م) وجعل يدعو إلى آل علي ، ثم قتل وشيكاً ، سنة ٢٠٠ هـ .

فيها مدّة ألّف في أثنائها كتاب الجُمَل ثم جاء إلى حَلَبَ وأقام بها مدة ثم جاء إلى دِمَشْقَ وصنّف فيها . بعدئذ عزم على الذّهابِ إلى مصْرَ ولكنّه تُوُفّيَ في طريقهِ اليها ، في طَبَرِيّةَ (*) ، في رَمَضانَ من سنة ٣٤٠ هـ (٩٥٢ م) .

٢ – أبو القاسم الزجّاجي نَحويّ متوسّط المَكانةِ ألّف كتابَ الجمل الكبير (في النحو) وطوّله وأكثر فيه من ضَرْبِ الأمثلة [١] . ومَعَ الإجْماع على أن الكتابَ قاصرٌ من الناحية العلْمية فان الاجماع أيضاً واقعٌ على أنه مُفيدٌ جدّاً من الناحية العَمَلية « ما قرأه أحدٌ إلاّ انتفعَ به » . وللزجّاجي أيضاً كتابُ القوافي (الفهرست ٨٠) . وكذلك له كتابُ مجالس العلماء جمع فيه عدداً كبيراً من المُناظرات والمُجادلات بين علماء اللغة وعلماء النحو ** .

٣ – المختار من كتاب مجالس العلماء (ص ٢٧٢ – ٢٧٣) :

– حدّثني محمّدُ بن يزيدَ (المبرّد) قال : حدّثني أحدُ العلمـاء بالشعر والمتقدّمين فيه أنْ ابنَيْ عبدِ الملك : الوليدَ وسُليمانَ اختلفا في امرِئِ القيسِ والنابغةِ . فقدّمَ الوليدُ النابغةَ ، وقدّم سليمانُ امرأ القيس . فذُكِرَ ذلك لعبدِ المَلك فَبَعَثَ إلى أعرابيٍ فصيحٍ فذَكَرَ له ذلك . فقال (الاعرابي) : أنا لا أقَدّمِ الرجالَ على أسمائها ، ولكنْ **أنْشِدوني لهما وقاربوا بين المَعْنَيَيْنِ .**
فقال الوليدُ : صاحبي الذي يقولُ :

وصَدْرٍ أراحَ الليلُ عـازِبَ همّــهِ ... تضاعفَ فيه الحزنُ من كلّ جانبِ :
تَطاوَلَ حتّى قُلْتُ ليس بمُنْقَضٍ ، ... وليس الذي يرعى النجومَ بآيبِ [٢] .

فقال (الأعرابي للوليد) : ما ينبغي أن يكونَ في الدنيا أشعرُ من صاحبِكَ .
فقال سليمانُ : لا تَعْجَلْ حتى تَسْمَعَ صاحبي الذي يقولُ :

وليلٍ كمَوْجِ البحرِ مُرْخٍ سُدولَــه ... عليّ بأنواعِ الهمــوم ليَبْتَلي .

---

* في طبقات الزبيدي (ص ١٢٩) : توفي بدمشق في رجب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .
١ راجع وفيات الأعيان ١ : ٤٩٧ .
** راجع ثبتاً مفصلا لمؤلفات الزجاجي في كتاب « الايضاح » (ص ٤ – ٨) .
٢ راجع الجزء الأول ١٨٠ .
٣ راجع الجزء الأول ١١٨ .

قال (الأعرابيّ) : حَسْبُكَ ، صاحبُك أشعرُ منك [1] . قال سليمان : فاسْمَعْ ما بعْدَهُ . قال : لا أحتاجُ .

٤ ــ الامالي (بشرح أحمد بن الامين الشنقيطي) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٤ هـ ؛ (بتحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (المؤسسة العربية الحديثة) ١٣٨٢ هـ .

الجُمَل (اعتنى بتصحيحه محمّد ابن أبي شنب) ، الجزائر (مطبعة كربونل) ١٣٢٦ هـ .

الايضاح في علل النحو (تحقيق مازن المبارك) ، القاهرة (مكتبة دار العروبة) ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م) .

الابدال والمعاقبة والنظائر (حقّقه عزّ الدين التنوخي) ، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٦٢ م .

مجالس العلماء (تحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، الكويت (وزارة الارشاد والانباء) ١٩٦٢ م .

** الفهرست ٨٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٢٩ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٤٩٧ ــ ٤٩٨ ؛ إنباه الرواة ٢ : ١٦٠ ــ ١٦١ ؛ بغية الوعاة ٢٩٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧ ؛ بروكلمان ١ : ١١٢ ، الملحق ١ : ١٧٠ ــ ١٧١ ؛ زيدان ٢ : ٢١٢ ــ ٢١٣ .

القاضي أبو القاسِمِ التَنوخيُّ

١ ــ هو أبو القاسمِ عليّ بنُ محمّدِ بنِ داوودَ التَنوخيّ الإنطاكيّ ، وُلِدَ في أنطاكيَةَ في ذي الحِجّة من سَنَةِ ٢٧٨ هـ (٨٩٢ م) وتَفَقّهَ فيهـا على مذهبِ أبي حَنيفة ؛ وقَدِمَ إلى بَغْدادَ ، سَنَةَ ٣٠٦ هـ ، ثم تَولّى القَضاء في البَصْرةِ والأهوازِ بِضْعَ سِنينَ ثم صُرِفَ عَنْهُ فَذَهَبَ إلى سيفِ الدولة

[1] كذا في الأصل ، ويجب أن يكون الصواب : أشعر من صاحبه .

(ت ٣٥٦ هـ) زائراً ومادحاً فأكرمَهُ سيفُ الدولة ثم كَتَبَ إلى أُولي الأمرِ في بَغدادَ في شأنه فأُعِيدَ إلى مَنْصِبه وزِيدَ في رُتْبته ومَكانته . بعدَئذٍ تقلّبَ في مَنْصِبِ القضاءِ في بُلْدانٍ عديدةٍ .

وتوفّي القاضي ابو القاسمِ التَنوخيّ في البصرة في ربيعٍ الأولِ سنة ٣٤٢ هـ (٩٥٣ م) .

٢ – كان القاضي أبو القاسم التَنوخيّ حافظاً للحديثِ عارفاً بالفِقْه والفَرائض (قواعد تقسيمِ الإرث) وما يتّصل بأعمالِ القضاء والإدارة ، بارعاً في الهندسة وعِلْم الفلك قديراً في اللُغَةِ والنحو ، أديباً وشاعِراً مُكْثِراً ومجيداً . وكان أيضاً مُصنّفاً له كتابٌ في العَروض (قيل ما عُمِلَ أجودُ منه) ، كتابٌ في عِلم القوافي ، وكُتُبٌ كثيرةٌ في الفقه .

٣ – المختار من شعره

– قال القاضي أبو القاسمِ التَنوخيّ يَصِفُ البَدْرَ طالعاً فوقَ دِجْلَةَ :

لم أنسَ دِجْلَةَ والدُجى مُتَصَوّبٌ والبَدْرُ في أُفُقِ السماءِ مُغَرِّبُ ؛
فكأنّهــا فيه بِساطٌ أزْرقٌ ، وكأنّه فيها طِرازٌ مُذْهَبُ .

– وله في مُداراة العَدُوّ :

اِلْقَ العَدُوّ بوجهٍ لا قُطوبَ به يكاد يَقْطُرُ من ماء البَشاشاتِ .
فأحزَمُ الناسِ مَنْ يلقى أعادِيَهُ في جِسْمِ حِقْدٍ وثَوْبٍ مِنْ مَوَدّات .
الصبرُ خيرٌ ، وخيرُ القولِ أصْدَقُــه ؛ وكَثْرَةُ المَزْحِ مِفْتاحُ العَداوات !

– وقال في النسيب :

رِضاك شَبابٌ لا يَليهِ مَشيبُ ، وسُخْطُكَ داءٌ ليس منـه طبيبُ .
كأنّكَ من كلِّ النفوسِ مركّــب فـأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ!

– وقال يَصِفُ النُجومَ في أواخرِ الليل وقد بدأ الفجر يَلوحُ :

ولَيْـلةِ مُشْتاقٍ كأنّ نُجومها قد اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الكَرى وهي نُوّمُ .
كأنّ عيونَ الساهرينَ – لِطولِها – إذا شَخَصَتْ لِلأنجُمِ الزُهْرِ ، أنْجُمُ .
كأنّ سوادَ الليلِ والفجرُ ضاحِكٌ ، يلوحُ ويَخْفى ، أسْوَدٌ يَتَبَسّمُ !

– وله قصيدة في مفاخرة اليمن تبلغ ستّمائة بيت مطلعها (تاريخ بغداد ١٢ : ٧٨) :

أفيقي من مَلامِك ، يا ظَعينا ، كفاكِ اللَّوْمَ مرُّ الأربعينا !

٤ – ** يتيمة الدهر ٢ : ٣٠٩ – ٣١٨ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٧٧ – ٧٩ ؛ معجم الأدباء ١٤ : ١٦٢ – ١٩١ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٦ – ٤٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٦٢ – ٣٦٤ ؛ أعيان الشيعة ٤٢ : ٨٨ – ٩٤ .

أبو عمرَ الزاهدُ

١ – هو أبو عُمرَ محمّد بنُ عبدِ الواحد بنِ أبي هاشمٍ المُطَرِّزُ المعروف بالزاهدِ الباوَرْديّ غُلامُ ثعْلبٍ . أصله من باوَرْدَ (أبيوردَ) ومنشأه في بغدادَ .

كان مولدُ أبي عمرَ الزاهدِ في سَنَةِ ٢٦١ ﻫ (٨٧٤ م) . وكانت صنعتُه التطريزَ . ولقد صَحِبَ أبا العبّاسِ ثعلباً وأكثرَ الأخذَ عنه حتّى عُرِفَ بغلام ثعلبٍ ، كما أخذ عن المُبَرّدِ وسَمِعَ الحديثَ من موسى بن سَهْلٍ الوشّاءِ . ولقدَ كان كثيرَ الإقبال على العلمِ قليلَ الاحتفالِ بأمر الدنيا حتّى عُرِفَ بالزاهدِ . كذلك كان يُؤدِّبُ ولَدَ القاضي أبي عُمَرَ بنِ محمّدِ بن يوسفَ بن يعقوبَ الازديّ[١] .

وتوفّي أبو عمر الزاهدُ في بغدادَ ، في ١٢ من ذي القعدة سنة ٣٤٥ ﻫ (١٦–٢–٩٥٧ م) .

٢ – كان أبو عُمرَ الزاهدُ من كِبار علماء اللغةِ على مذهب أهلِ الكوفة واسعَ الحِفْظِ ثقةً يُملي من غير كتاب ؛ غير أن أعداءه كانوا كثيرين لأنه كان مُغالياً في المَيْلِ إلى مُعاويةَ بن أبي سُفيانَ مُتَّهَماً بالتحامُلِ على عليّ

---

١ تولى القضاء في بغداد (٢٨٤ – ٢٩٦ ﻫ ، ثم في فترة أخرى بعد ذلك) وكانت وفاته ٣٢٠ ﻫ .

ابن أبي طالب . ثمّ كانت له تخريجاتٌ غريبةٌ فنَسَبَهُ بعضُهم من أجْلِها إلى الكَذِبِ .

ولأبي عمر الزاهد كتبٌ كثيرةٌ [1] منها ما لا يزال موجوداً : كتاب المُداخلات ، كتاب اليواقيت أو الياقوت في اللغة ، كتاب غريب الحديث (صنّفه على مُسْنَدِ أحمدَ بن حنْبل وكان يستحسنه جدّاً) ، كتاب شرح الفصيح لثعلب ، كتاب الموشّح (الموضّح) ، ما أنكره الأعراب على أبي عبيدة في ما رواه وصنّفه ، كتاب فائت العين ، كتاب الجمهرة والردّ على ابن دُريد ، كتاب فرق ما بين الضاد والظاء ، كتاب فضائل معاوية ، كتاب تفسير أسماء القرّاء (الشعراء) ، كتاب النوادر ، كتاب العشرات ، الخ .

٣ — المختار من آثاره

— من كتاب المداخل [2] :

قال (أبو عُمرَ الزاهدُ) : أخبرنا ثعْلبٌ عن ابنِ الأعرابيّ ، قال :

الكِرْيِزُ : القِثّاء الكِبار جمع كِبَرٍ ، والكبر : الطَبْل ، والطبل : السَدّ ، والسدّ : السَلّة [3] ، والسلّة : الناقة التي لم يَبْقَ لها سِنٌّ من الكِبَر ، أي الهَرَم ، والسنّ : الثَوْر ، والثور : السَيّد ، والسيّد : الزَوْج ، والزوج : النَمَطُ من الديباج ، والديباج : الناقة اللَيّنة المَسّ ، والمسّ : الجُنون ، والجُنون : سَتْر الليل وسَوادُ الليل ، والليل : فَرْخ الكَرَوانِ [4] ....

٤ — المداخل في اللغة (قدّم له وحقّقه وعلّق عليه محمد عبد الجواد) ، القاهرة (مكتبة الانكلو المصرية) ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) .

كتاب المداخلات (هو الكتاب السابق) (نشره عبد العزيز الميمني الراجكوتي) م م ع ع ٩ : ٤٤٩ — ٤٦٠ .

** الفهرست ٧٦ — ٧٧ ؛ طبقات الزبيدي ٢٢٩ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٢٥٦ — ٢٥٩ ؛ معجم الأدباء ٢٢٦ — ٢٣٤ ؛ وفيات الأعيان

---

١ راجع ثبتاً مفصلا منسقاً في (م م ع ع ٩ : ٦١٢ — ٦١٦) .

٢ المداخل : تداخل الألفاظ بمعانيها (يكون للفظ معنى هو بدوره لفظ لمعنى آخر ثم يتسلسل ذلك) .

٣ السلة : سقوط الأسنان .

٤ الكروان (بفتح ففتح) : الحجل (بفتح ففتح) .

٢ : ٣١٣ ـ ٣١٦ ؛ إنباه الرواة ٢ : ١٧١ ـ ١٧٧ ؛ بغية الوعاة ٦٩ ـ ٧٠ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٧٠ ـ ٣٧١ ؛ بروكلمان ١ : ١٢٣ ، الملحق ١ : ١٨٣ ـ ١٨٤ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٢ ؛ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ايلول ـ سبتمبر ١٩٢٩ م : أبوعمر الزاهد لعبد العزيز الميمني الراجكوتي) .

المسعوديّ

١ ـ هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ الحسينِ المَسْعوديّ ، نِسبةً إلى الصَّحابيّ المشهورِ عبدِ الله بن مسعودٍ ، وُلِدَ في بَغْدادَ سَنَةَ ٢٨٥ هـ (٨٩٨ م) .

دَرَسَ المسعوديّ النحوَ على نِفْطَوَيْه ودرسَ عُلومَ الحديث . ثم أغْرِمَ بالأسفارِ فبدأ (٣٠٥ هـ = ٩١٧ م) بالمناطق الشرقية الجنوبية : فارس والهند وسَرَنْديبَ (سَيْلانَ) والصين وجزيرتي مَدْغَشْقَرَ وزَنْجبارَ وعُمَان . بعدئذ بدأ رِحلةً ثانية (٣١٤ هـ) زارَ فيها المناطق الشمالية الغربية : أذربيجانَ وجُرجانَ (منطقة بحر الخزَر ـ قَزْوين) والشام . وفي سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) زارَ الشام ثانيةً وجَعَلَ يتنقّل بين الشامِ ومِصْرَ إلى أن توفّي في مدينة الفُسْطاط في جُمادى الثانية من سنة ٣٤٦ هـ (تشرين الأول ـ اكتوبر ٩٥٦ م) .

٢ ـ المسعوديّ جغرافيٌّ رحّالة كَتَبَ في فنونٍ مختلفةٍ ولكنّه اشْتَهَرَ بالتاريخ ، وقد كان كثيرَ الاستِطْراد كمُعاصريه ، وكانتْ مصادرُ المعارف في كُتُبه أربعةً : مشاهداتِه ، شيوخَه الذين تلقّى عنهم العلم ، احتكاكه بالذين لَقِيَهُمْ في أسفارِه ، ثم كُتُبَ المؤرّخين . وقد كانت طبيعةُ الجَمْع والمَيْل إلى الإطراف بالأخبار النادرةِ من أسْبابِ تَسَرّبِ الأوهام والخُرافات ، في بعضِ الأحيانِ ، إلى كُتُبه . غير أنه كان يَتَحرّى الحقائق حينما يَنْقُلُ من كتب المؤرّخين .

للمسعوديّ : التنبيهُ والإشراف (وفيه كلام على الفَلَك والجغرافية واللُّغات والعلوم ثم موجز التاريخ مُنْذُ أقدمِ الأزمنة إلى سنة ٣٤٥ هـ) وله مُروجُ الذهب ومعادن الجوهر (وهو موجز من كتاب آخرَ له اسمه كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحَدَثانُ من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الداثرة ـ وقد

ضاع أكثره) . بدأ المسعودي كتابَ مروج الذهب بذكر الخليقةِ وبذكر الأنبياء، ثم وَصَفَ البحارَ وما فيها من العَجائب ، ثم تواريخ الأمم القديمة من الفرس والسّريان واليونان والروم والإفرنج والعرَب القدماء فتكلّم على عاداتِهم وأديانِهم. بعدَئذٍ بدأ بظهورِ الإسلام حتّى انتهى إلى خلافةِ المُطيع العبّاسيّ الذي بُويع بالخلافة سنة ٣٣٤ هـ .

٣ ـ المختار من كلامه

ـ من مروج الذهب : سَبَبُ تسميةِ الكتاب بهذا الاسم :

ولَقَدْ وَسَمْتُ كتابِيَ هذا بكتابِ « مروج الذهب ومعادن الجوهر » لِنَفاسةِ ما حَواه وعِظَمِ خَطَرِ ما استولى عليه من طَوالعِ بَوارعِ ما تَضَمّنَتْه كُتُبُنا السالفةُ في معناه وغُرَرِ مؤلّفاتنا في مَغْزاه . وجَعَلْتُه تُحْفةً للأشراف من الملوك وأهلِ الدِراياتِ لِمَا ضَمّنْتُهُ من جُمَلِ ما تدعو الحاجةُ إليه وتُنازِعُ النفوسُ إلى عَمَلِه من دِرايةِ ما سَلَفَ وغَبَرَ من الزمان ، وجَعَلْتُه مُنَبّهاً على أغراضِ ما سَلَفَ من كُتُبنا ومشتملاً على جوامعَ يَحْسُنُ بالأديب العاقل مَعْرِفَتُها ولا يُعْذَرُ بالتغافلِ عنها . ولم نَتْرُكْ فَرعاً من العلوم ولا فَنّاً من الأخبار ولا طَريفة من الآثارِ إلاّ أوْرَدْناه في هـذا الكتاب مُفَصّلاً أو ذكرناه مُجْمَلاً أو أشَرْنا اليه بضَرْبٍ من الإشاراتِ أو لوّحْنا إليه بفَحْوَى من العِبارات .

٤ ـ مروج الذهب (نشره باربييه دي مينارد وبافه دي كورتاي) ، باريس ١٨٦١ ـ ١٨٧٦ م ، ثمّ طبع في مصر (بولاق) ١٢٨٣ هـ ؛ (أعيد طبع طبعة باريس بعناية شارل بلاّ) ، بيروت (الجامعة اللبنانية) ١٩٦٦ م ؛ وعلى هامش نفح الطيب للمقّري ، القاهرة ١٣٠٢ هـ ؛ وعلى هامش تاريخ الكامل لابن الأثير ، القاهرة ١٣٠٣ هـ ؛ (بعناية محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٥٨ م .

التنبيه والاشراف (نشره دي خويه) ، ليدن (بريل) ١٨٩٤ ، (أعاده بالطبع عبد الله اسماعيل الصاوي ، القاهرة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) ؛ (أعاده بالتصوير مكتبة خيّاط) ، بيروت ١٩٦٤ م .

رسالة في اثبات الوصيّة لعليّ بن أبي طالب ، طهران ١٣٢٠ هـ ؛ النجف (المطبعة المرتضوية) ، ط ٣ (بلا تاريخ) .

أخبار الزمان ... (تحرير عبد الله الصاوي) ، القاهرة (عبد الحميد أحمد حنفي) ١٩٣٨ م ؛ ثمّ بيروت مكتبة الأندلس) ١٩٦٦ م .
رسالة في أحوال الإمامة ، طهران ١٣٢٠ هـ .

** الفهرست ١٥٤ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ٩٠ – ٩٤ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٥٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٧١ ؛ أعيان الشيعة ٤١ : ١٩٨– ٢١٣ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٠ – ١٥٢ ، الملحق ١ : ٢٢٠ – ٢٢١ ؛ زيدان ٢ : ٣٦٣ – ٣٦٤ .

الفارابيّ اللغويّ

وُلِدَ أبو ابراهيمَ اسحقُ بنُ ابراهيمَ الفارابيّ في فاراب وتلقّى فيها العلْم ثم جلَسَ فيها للتدريس . ثمّ إنّه انتَقَلَ إلى زَبيدَ في اليَمَن . ويبدو أنه لمْ يَعِشْ كثيراً . وكانت وَفاتُه في اليمن سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) في الأغلب .

كانَ الفارابيّ اللغويّ من أئمّةِ اللغةِ ومن الذين وَضَعوا أسُسَ المعاجم العربية .

وللفارابي اللغوي من الكتب : بيانُ الإعراب ، شرحُ أدبِ الكاتب ، ديوان الأدب .

صنّف الفارابيّ اللغويّ ديوانَ الأدب في زَبيدَ ، وهو مُعْجَمٌ جُعِلَتِ الكَلِماتُ فيه ستّةَ أقسام : السالمَ (ما ليس في أحرُفهِ الأصلية حرفُ علّةٍ أو همزةٌ أو تضعيف ، نحو : سمع) ، المضاعفَ (ما كانَ الحرفانِ الثاني والثالثُ منه حرفاً واحِداً ، نحو : جدّ ، ملّ) ، المِثال (ما كان أوّلُه حرفَ علّةٍ ، نحو : وعد ، يبس) ، ذواتَ الثلاثة (الأجوف : ما كان وَسَطُه حرفَ علّةٍ ، نحو قال ، راب) ، ذواتَ الأربعة (الناقص : ما كان آخرُه حرفَ علّةٍ ، نحو دعا ، رمى ، خَشِيَ) ، الهمزة .

واتّبع الفارابيّ اللغويّ في ترتيب مُعْجَمه الترتيبَ الشكلي للأحرف الهجائية : ب ت ث ج ح الخ . واعتمد الحرفَ الأخيرَ من الكلمة عند سَرْد الكلمات في كلّ قسم ، نحو : حسب ، ذهب ، ضرب ، نبت ، لبث ، سمج ، ربح ، الخ .

** معجم الأدباء ٦ : ٦١ – ٦٥ ؛ بغية الوعاة ١٩١ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٣ ، الملحق ١ : ١٩٥ – ١٩٦ ؛ راجع « الصحاح ومدارس المعجمات العربية » تأليف أحمد عبد الغفور عطّار ، القاهرة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) ، ص ١٠٦ – ١٠٨ وغيرها .

جعفر بن ورقاء الشيباني

١ – هو جَعْفَرُ بنُ مُحمّدِ بنِ ورقاءَ الشَّيْبانيّ ، وُلِدَ في سامرّا سَنَةَ ٢٩٢ ﻫ (٩٠٥ م) .

تَولّى جَعْفَرُ بنُ ورقاءَ عدداً من الولايات في أيامِ الخليفة المُقْتدر ، ثم كانَتْ بَيْنَه وبينَ سيف الدولة مكاتباتٌ إخوانية شِعراً ونَثْراً .

وتُوُفّي جعفرُ بن محمّدِ بن وَرْقاءَ الشيباني في رَمَضان من سنة ٣٥٢ ﻫ (تشرين الثاني – نوفمبر ٩٦٣ م) .

٢ – كان جعفرُ بن ورقاءَ الشيباني كاتباً شاعراً جيّدَ البديهةِ والرويّة حَسَنَ العِتاب والرثاءِ والوصف والنسيب .

٣ – المختار من شعره

– قال جعفر بن ورقاءَ في العتاب :

هَزَزْتُكَ ، لا أنّي عَلِمْتُكَ ناسِياً لِحقّي ، ولا أنّي أسأتُ التَقاضِيا .
ولكنْ رأيتُ السيفَ من بَعْدِ سَلّهِ إلى الهزّ مُحتاجاً وإن كانَ ماضِيا !

– وقال يصف العَزْفَ (لعلّه يُشَبّهُ الحَمامَ بالعازفاتِ على العود)[1] :

ولمّا عَبَثْنَ بأوْتارهـ ـنّ قُبيلَ التَبَلّجِ[2] أيْقَظْنَني :
جَسَسْنَ (البِهام) وأتْبَعْنها بنَقْرِ المَثاني فهَيّجْنَني .
عَمَدْنَ لإصْلاحِ أوتارهـ ـنّ فأصْلَحْنَهن وأفْسَدْنَني

٤ – ** فوات الوفيات ١ : ١٣٥ – ١٣٦ .

منصورُ بن كَيْغَلِغَ

١ – نَعْرِفُ رجلاً اسمُه كَيْغَلِغَ كان والِياً في الدولة الطاهريّةِ على

١ وردت هذه الابيات ، مع عدد من اختلاف القراءات في ديوان كشاجم (ص ١٧٥) .
٢ التبلج : طلوع الصبح .

الريّ (٢٦٢ – ٢٧٥ ﻫ) ، ثمّ نَعْرِفُ ثلاثةَ أبناءٍ لأحدِ أمراءِ الاتراكِ في الشام (سورية) كان اسمه كَيْغلِغَ . كان هؤلاءِ الإخوةُ الثلاثةُ شعراءَ اهمهم ابراهيمُ (فوات الوفيات ١ : ٣٨) وأحمدُ ومنصورٌ (يتيمة الدهر ١ : ٧٥ – ٧٧) ، وكانوا من أحياءِ القرنِ الهجريّ الرابع ؛ ولعلّ وفاةَ منصورٍ كانت بين سَنَةِ ٣٥٠ ﻫ (٩٦١ م) وبين سنة ٣٦٠ ﻫ .

٢ – كان منصور بن كَيْغلِغَ أديباً بارعاً وشاعراً رقيقاً يُجيد الوصفَ ويأتي في شعره بالمُلَح المُستَطابة . وشعره الذي رُوِيَ لنا يدور على الوصفِ والغزل والنسيب .

٣ – المختار من شعره

– قال منصورُ بنُ كيغلغَ يَصِف فتاةً وجهُها كالبدر والقُرْط الذي في أذنها ككوكب المُشْتري إذا اقترب من القمر في رأيِ العين . ولا ريب في أن التشبيهَ بلاغيّ مَحْضٌ ، لأنه إذا اتّفق أن يكونَ كوكبُ المُشتري قريباً في رأي العين من البدر فانّه لا يظهَرُ للعين ، لأن المشتري من الكواكب التي لا تَسْهُلُ رُؤيتها ، ولأن نورَ البدر يَحْجِب حينئذٍ كلّ نجمٍ حولَه :

كأنّها والقُرْطُ في أذْنِها بدرُ الدُجى قَرّطَهُ المُشْتري .
قد كتبَ الحُسْنُ على وجهِها : يا أعيُنَ الناسِ ، قِفي وانظري !

– وقال في الغزل والنسيب والخمر :

عادَ الزمانُ بِمَنْ هَوِيتُ فأعْتَبا[١] ، يا صاحِبيَّ ، فسَقّياني واشْرَبا .
كم لَيْلةٍ سامرْتُ فيها بَدْرَها من فوقِ دِجْلَةَ قبلَ أنْ يتَغَيّبا
قام الغلامُ يُديرُها في كَفِّه فحَسِبْتُ بدرَ التمِ يَحْمِلُ كَوْكبا .
والبدرُ يَجْنَحُ للغُروبِ كأنّه قد سَلّ فوقَ الماءِ سَيْفاً مُذْهَبا !

– ومن مليحِ قولهِ :

كَتَبْتُ اليكَ بماءِ الجُفو نِ ، وقلبي بماءِ الهَوى مُشْرَبُ ؛

---

١ أعتب : أرضى .

فكَفّي تَخُطّ وقلبي يَمَـ ل، وعَيْنِي تمْحو الذيأكْتُبُ[1].

٤ — ** يتيمة الدهر ١ : ٧٥ — ٧٧ ؛ بروكلمان ١ : ٨٥ — ٨٦ .

أبو الطيّب اللغوي

١ — هو أبو الطيّب عبدُ الواحدِ بن عليّ ، وُلِدَ في عسكرِ مُكرَمٍ (الاهواز) ولذلك يُعْرَفُ بالعسْكري . وتَلَقّى أبو الطيّب هذا علومَه الأولى اليسيرةَ في عسكر مُكرَمٍ . وبما أن أبا الطيّب بدأ بتلقي شيءٍ من علم الرواية في اللغة معَ أبي هلالٍ العسكري على أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد اللغوي العسكري (وكانَ أبو أحمد العسكري خال أبي هلال العسكري) ، فالراجح أن يكون أبو الطيّب تِرْبَ أبي هلال العسكري (وُلِدَ سنة ٢٩٣ هـ) . وعلى هذا يبدو أن مَوْلِدَ أبي الطيّب اللغويّ لم يكن قبل ٢٩٠ هـ .

وانتقلت أسرة أبي الطيّب إلى بغدادَ ، فقرأ أبو الطيّب العلم فيها على أبي عُمرَ الزاهدِ : قرأ عليه فصيحَ اللغة ، و « إصلاح المنطق » (لابن السِكّيت) كما أخذَ عن أبي بكرٍ محمّد بن يحيى الصولي وعن غيره .

وجاءت أسرةُ أبي الطيّب إلى حَلَبَ واستوطنَتْها ، وتابعَ أبو الطيّب في حَلَبَ توسّعه في العلم ثم اتّصل ببَلاطِ سيفِ الدولة وَوَقَفَ بجانب المتنبّي وابنِ جِنّي في وجه ابن خالويه وأنصارِه . وفي حَلَبَ عُرِفَ أبو الطيّب بلقب اللغوي الحلبي .

وفي أواخر سنة ٣٥١ هـ هاجمَ الرومُ حَلَبَ وعَجزَ سيفُ الدولة عن الدفاع عنها فدخلوها وأكثروا القتلَ في أهلِها فقُتِلَ أبو الطيّب اللغوي ، في ٢١ من ذي القعدة ٣٥١ (٢٣—١١—٩٦٢ م) .

٢ — أبو الطيّب اللغوي الحلبي من عُلماء اللغة الكبار ، وعلمِ الصرف

---

١ في القاموس (٤ : ٥٢) : أمله يمله : قال له (أملِ عليه) فكتب . في الأصل : تكتب (لعل الضمير فيها يكون راجعاً إلى « كفي » ، كما يمكن ، من باب أولى أن يرجع إلى عيني . لذلك جعلتها : أكتب لتلافي هذا الغموض ولموافقة أول البيت الأول : كتبت اليك ....) .

خاصّة. وقد خُلِعَ عليه بعد موته لَقَبُ « حجّة العرب » . وكان لأبي الطيّب اللغوي شعرٌ يسيرٌ هو من شعر العلماء يَضْعُفُ فيه العُنْصر الوُجداني ويَبْرُزُ فيه أثرُ الثقافة . وأما نثره فعاديّ فيه سَجْعٌ وموازنة وعددٌ من الجُمَلِ المُعْتَرِضة في الدعاء للقارئ على نَمَطٍ ما كنّا نرى للجاحظ وللذين جاءوا من بعدِه ، وكان أبو الطيّب هذا من المُعْجَبينَ بالجاحظ .

ولأبي الطيّب اللغوي من الكتب :

كتاب الإبدال (وهو يستعرض الكلمات التي تختلف أحدُ حروفها من غير أن تختلف معناها ، نحو هثرم وهذرم : خلط في كلامه ، العتَهَ والعلَه : الجنون ، المِحراث والمِحراك : الخشبة التي تُحرّكُ بها النارُ ، يحرف ويقرف : يكسب) — مراتب النحويين — شجر الدرّ (وهو يستعرض الكلمات المتداخلة المعاني : التي يكون لمعنى كلّ كلمة منها معنى آخر ، نحو الهايم : السائح في الأرض ، السائح : الصائم ، الصائم : القائم ، القائم : صومعة الراهب ، الراهب : المتخوّف ، المتخوّف : الذي يقتطع مال غيره ....) — المثنّى — الإتباع (توكيد معنى الكلمة بتكرارها بعد تبديل حرف واحد ، في أولها في الغالب ، نحو : جائع نائع ، شديد أديد ، حسن بسن ، شحيح أنيح ، مجنون مخنون) — كتاب الاضداد — كتاب الفرق أو الفروق — طبقات الشعراء .

٣ — المختار من آثاره

— لأبي الطيّب اللغوي أبياتٌ التزم في قافيتها كلمةَ الغروب بمعنى : غروب الشمس ، جمع غَرْب أيِ الدّلْو العظيمة ، ثم جمع غرب بمعنى الوَهْدة (المكان الشديد الانخفاض) :

يا ويحَ قلبي من دواعي الهوى إذ رَحَلَ الجيرانُ عند الغُروبْ .
أتْبَعتُهُم طَرْفي وقد أزْمعوا ، ودَمْعُ عيني كفَيْض الغُروب .
كانوا ، وفيهم طَفْلَة حُرّةٌ تَفْتَرّ عن مِثل أقاحي الغُروب .

— من مقدّمة شجر الدرّ :

الحمدُ للهِ حَمْدَ مُسْتَدْعٍ مزيدَه ومعتقدٍ توحيدَه ومصدّقٍ وعدَه

---

١ راجع ، فوق ، ص ٤٤٩ : كتاب المداخل .

ووعيدَه . وصلّى الله على محمّدٍ خاتَمِ الرّسُلِ إلى أقْصَدِ السبل .....

العلمُ سهلٌ وعَوِيص وذَلول وجَموح ، لا يُستَغْنى باحتواء سهله عن معرفة عويصه ، بل لا يتوصّل إلى تقصّي ذَلوله إلا باستنباط جامحه ....

هذا كتاب مُداخَلَةِ الكلام بالمعاني المختلفة سمّيناه **شجرة الدر** لأنّا ترجمنا كلّ باب منه بشجرة وجعلنا لها فروعاً . فكلّ شجرة مِائَةُ كَلِمَةٍ أصلُها كلمةٌ واحدة تتضمّن من الشواهد عَشْرَةَ أبيات .... وإنّما سَمّينا الباب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض ، أي تداخُلِه ؛ وكلّ شيء تداخل بعضُه ببعضٍ فقد تشاجر ، ومنه سُمّيَتِ الشجرةُ شَجرةً لتداخل بعض فروعها ببعض .....

٤ ــ كتاب الإبدال (حقّقه .... عز الدين التنوخي) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠ م) .

كتاب الابدال (هفنر) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٣ م .

كتاب الاتباع (حقّقه .... عز الدين التنوخي) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م) .

شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة (قدّم له وحقّقه .... محمد عبد الجواد) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٧ م .

* اعلام النبلاء ٤ : ٣٦ ؛ بغية الوعاة ٣١٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٠ .

أبو الطيب المتنبي

١ ــ هو أبو الطَيّبِ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ بن عبدِ الصمدِ الجُعْفيّ من بني جُعْفى[1] بن سعدِ العَشيرةِ بن مَذْحِج من اليمن عرب الجنوب .

وُلدَ أبو الطَيّب أحمد بن الحسين سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ ــ ٩١٦ م) في حي بني كِنْدة في الكوفة ولذلك يُقال له الكِنْديّ والكوفي أيضاً . ولا نعلم من

---

١ كان اسم جعفى مالكاً .

نسبه شيئاً آخرَ إلاّ أنه كانَ يفتخر ، فيما بَعْدُ ، بشرف قومه وشَجاعتهم وبأسهم وبقوم جَدّته لأمّه خاصّةً . وكان أبوه الحُسينُ دقيقَ الأطرافِ ، فيما يَبْدو ، فقد جاء في القاموس[1] : «وعيدانُ السقاء بالكسر (بكسر السين) لَقَبُ والد أحمدَ بن الحُسينِ المتنبئ» .

نشأ أبو الطيبِ في الكوفة وتَلَقّى فيها جانباً من العلوم ثم غادرَها ، مع أبيه في الأغلب ، سَنَةَ ٣٢٥ هـ (٩٣٧ م) ، أو قُبيل ذلك في الأصحّ . ويَذْكُرُ بعضُهم أنّ أبا الطيّبِ وأباه غادرا الكوفةَ لمّا انْكَشَفَتْ لهما صِلةٌ بالقرامطة[2] . ومعَ أن حالَ القرامطةِ كانتْ في ذلك الحين شَديدةَ الاضطرابِ ، فإنّنا لا نَسْتطيعُ أن نَجزِمَ بشيءٍ لم يَذْكُرْهُ التاريخُ ولا أشارَ إليه أبو الطيّب نفسُه من قريبٍ ولا من بعيدٍ . على أن في ديوانِ المتنبّي أن أبا الطيّب تطوّفَ مدّةً في الشام يَتَلَقّى شيئاً من العلم في بَعْلَبَكَّ وطَرابُلُس واللاذقيّةِ — وقد كانتْ هذه المُدُنُ في ذلك الحينِ مراكزَ للعلمِ وللتعليم .

ويَغْلِبُ على ظَنّنا أن أبا الطيّب لم يكنْ فقيراً ، ولكنّ أباه تُوُفّي وَشيكاً في الشام ثم احتاج أبو الطيّب إلى المال ولم يَسْتَطِعْ التكسّبَ بشعره في ذلك الطَوْرِ الباكرِ من حياته ، فطَمِحَ إلى شيءٍ من النفوذِ لنيل ولايةٍ وتَحْصيلِ عَيْشٍ رَغْدٍ فأثارَ في نواحي حِمْصَ فتنةً بين الأعراب ودعاهم إلى الامتناعِ عن دَفْعِ الضرائب — وليس أحبُّ إلى البَدْوِ من مثلِ هذه الدعوة — : فأخذه لؤلؤٌ والي حِمْصَ من قِبَلِ الإخشيديّين واتّهمه بالتنبّؤ ثم سَجَنَهُ مدّةً ؛ فلَزِمَهُ منذُ ذلك الحينِ لَقَبُ المتنبّي . وكان أبو الطيّب يَكْرَهُ هذا اللقبَ (وقيل في أصل هذا اللقبِ قَوْلانِ آخَرانِ) . على أن لاتّهام أبي الطيّب بالتَنَبّؤ سَنَداً ظاهراً ، هو أنّ أبا الطيّب لمّا أرادَ استِمالةَ البَدْوِ في باديةِ حمصَ كان يَزْجُرُ لَهُمُ المطرَ[3] أو يَتَنَسّمُ لَهُمُ الأخبارَ

---

١ القاموس المحيط للفيروزابادي ١ : ٣٢٠ ، السطر الأول ؛ راجع تاج العروس ٢ : ٤٤٠ .

٢ القرامطة جماعة قاموا بدعوة علوية متطرفة في البحرين (شرقي شبه جزيرة العرب) وقاوموا الخلافة العباسية وأعملوا القتل في أهل السنة .

٣ زجر المطر : التعرف إلى ظواهر علوية (بضم العين) في أحوال الجو تدل على اقتراب سقوط المطر كاحمرار الأفق الغربي في المساء والإحساس بزيادة الرطوبة في الهواء (وذلك محتاج بالطبع إلى شيء من الحس المرهف ومن الاختبار) .

ثم يُخبرُهم بها قبلَ انتشارها .

وفي السجن نظم المتنبّي قصيدةً يَمْدَحُ فيها الواليَ ويعتذرُ اليه بأنّ ما فعَله كان ذنباً دعا اليه طَيْشُ الصبا ، ثم بالغ فقال عن نفسه إنّه صغيرُ السنّ لم يَجبْ عليه السُجودُ (*) بعدُ ، فلا يجوزُ أن يُعاقبَ بالحبس . وأراد الوالي التخلّصَ منه فأخرجه من السجن على أن يَبْتَعِدَ عن منْطَقَةِ حمْصَ ما أمكنَ . فذهب المتنبّي إلى جَنوبِ الشام (فِلَسْطِين) وجَعَلَ يتطوّف في البلادِ ويمدحُ نفراً من الأُمراء والوُلاةِ والأعيان .

في هذا الدورِ الأوّلِ نظمَ المتنبي شعرَه الموسومَ بشعرِ الصبا ، في أغراضٍ مختلفةٍ ؛ وكان بعضُه قصائدَ مُطَوّلةً في المديحِ والفخر وذم الزمان ، وفي الحِكَمِ التي يَحْمِلُ عليها الشبابُ من التهوّرِ والمُغالاة في الاعْتزازِ بالنفسِ ومن الطُموح :

فُؤادٌ ما تُسلّيه المُدامُ ، وعَيْشٌ مثلَما تهَبُ اللئامُ .
وما أنا منْهمُ بالعيشِ فيهمْ ، ولكنْ مَعْدِنُ الذهبِ الرَغام[1] .
أرانبُ ، غيرَ أنهُمُ مُلوكٌ مفتّحةٌ عيونُهُمُ نيامُ .

ـــ أطاعنُ خيلاً من فَوارسها الدهرُ وحيداً ؛ وما قولي كذا ومَعي الصبر ؟
وأشْجَعُ مني كلَّ يومٍ سَلامتي ، وما ثَبَتَتْ إلاّ وفي نفسها أمر .
تمرّستُ بالآفاتِ حتى تركتُها تقولُ : أماتَ الموتُ أمْ ذُعِرَ الذُعْر ؟
وأقدمتُ إقدام الأتيِّ كأنّ لي سوى مُهجتي أو كان لي عندها وترْ[2] .
ذَرِ النفسَ تأخذْ وُسْعَها قبل بَيْنها ؛ فمفترقٌ جارانِ دارُهما العُمْر .
ولا تحسبنّ المجدَ زِقّاً وقَيْنة ، فماالمجدُ إلا السيفُ والفتْكةُالبكْر[3]
وتضريبُ أعناق الملوكِ ، وأن تُرى لك الهَبَواتُ السودُ والعسكر المَجْر[4] ؛

---

* يؤمر الأطفال في الإسلام بالصلاة إذا بلغوا سبع سنوات ويضربون على ترك الصلاة إذا بلغوا عشراً .

١ الرغام : التراب . معدن : أصل .

٢ الأتي : السيل . وتر (بفتح الواو او كسرها) : ثأر .

٣ الزق : وعاء الخمر . القينة : الجارية المغنية . البكر : العظيمة ، التي لم يسبق مثلها .

٤ الهبوة : العدد الكثير . السود الكثيرة السلاح . المجر : الكثير .

وتركُكَ في الدُنيا دَوِيّاً كأنما — تَدَاوَلَ سَمْعَ المرءِ أَنْمُلُه العشرُ [1] !

ومن خصائصَ المتنبّي في هذا الدورِ الغموضُ في المعاني والتعقيدُ في التراكيب وتكلُّفُ الاستعاراتِ والكِنايات والتصنيع :

اتصاله بسيف الدولة (الدور الثاني من حياته)

واتفق أن كان المتنبي في أنطاكية سنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) ، يمدح واليَها أبا العشائر الحَمْداني ، لما قَدِمَ إليها سيفُ الدولة . « فعرّف أبو العشائر سيفَ الدولة مقامَ المتنبّي وشاعريتَه وفروسيتَه » . وكان سيفُ الدولة أديباً محبّاً للأدب قد جمع في بَلاطه من الأدباء والشعراء والعلماء ما لم يجتمع مثله إلا في بلاط هرون الرشيد . فعَرَضَ سيف الدولة على المتنبّي أن يَصْحَبَهُ إلى حَلَبَ ؛ فاشترط المتنبّي على سيف الدولة ألاّ يُنْشِدَه إلاّ جالساً وألا يُقَبِّلَ الأرضَ بين يديه وأن يَضْمَنَ له سيفُ الدولة ثلاثةَ آلافِ دينارٍ في العامِ على ثلاثِ قصائدَ سوى ما يَعِنّ له .

وعَظُمَ مقام المتنبّي في بلاط سيف الدولة ، في الشعرِ والحرب ، كما عَظُمَ مَيْلُ سيفِ الدولة إليه . ولعلّ سيفَ الدولة أدْرَكَ الطُموح في نفس المتنبّي إلى السلطانِ والحُكم فأقطعه قريةً قُرْبَ حَلَبَ اسمُها سبعين (القاموس ٣ : ٣٦ ؛ تاج ٥ : ٣٧٣) . ولكنّ قريةَ سبعين لم تُطْفِىءْ غُلّة المتنبّي إلى الإمارة — إلاّ أنّ تلك الغلّةَ لم تكنْ بعدُ قد اشتدّت ، فانّ المتنبي كان لا يزال يَشْعُرُ بشيءٍ مِنَ الاطمئنان الروحيّ والرِضا النَفْسي من الناحيةِ العمليةِ على الأقلّ إذ كان يَذْهَبُ في الغَزَواتِ مَعَ سيفِ الدولة مُقدَّماً على الجُنود والقُوّاد .

غير أن ذلك كلّه كانَ يُؤجّجُ حَسَدَ رِفاقِ المتنبّي في بَلاطِ سيف الدولة : لقد كان المتنبّي — بالإضافةِ إلى الحظوةِ العظيمةِ لدى سيفِ الدولة — ينال من سيفِ الدولة على القصيدةِ الواحدةِ ألفَ دينارٍ ، بينما كان في البلاط مِائَةُ شاعرٍ لا ينالُهم كلّهم مِثْلُ هذا المبلغِ . فما زالَ هؤلاء يُوقِعون بينَ

---

١ دوياً : صوتاً ، ضجة ، شهرة . تداول سمع المرء انمله (بتثليث الميم والهمزة — وهكذا تصح قراءتها على عشرة وجوه) العشر : ازداد سماع الناس بشهرته حتى لكأنهم يسمعون بعشر أصابع مكان سماعهم بأذنين .

المتنبّي وبينَ سيف الدولة . وضاق صدرُ سيف الدولة بمن معه : إذ كانوا يتنازعون في الألفاظِ والإعراب والأشعارِ ويطلُبون العطاءَ ليُنْفِقَهُ مُعْظَمُهم على الغزَلِ والخمْر ، بيْنما الرومُ يُهاجمون البلادَ وهو عاجزٌ عن قتالهم إلا قليلاً . وفي سنة ٣٤٥ هـ دخل الرومُ ميّافارقين (بلدَ سيف الدولة) فهدموها وأحرقوها وقتلوا مَنْ قتلوا مِنْ أهلِها وسَبَوْا مَنْ سَبَوْا ثم عادوا عنها بعد أن نَهبوا الأموال .

ثم وقعَتِ الحربُ بينَ مُعِزِّ الدولة بن بُوَيْهِ (أميرِ الأمراء في بغدادَ والمتسلّطِ على الخلافة) وبين ناصرِ الدولة صاحبِ الموْصل (وهُوَ أخو سيفِ الدولة) ، منذُ سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) . وظلّتِ الحربُ بينهماسِجالاً حيناً ثم انهزم ناصرُ الدولة ولجأ إلى أخيه سيفِ الدولة في حلَبَ . وعزم مُعِزّ الدولةِ على المسير إلى حلب ، ولكنّ سيفَ الدولة راسلَ مُعِزّ الدولة في طلَبِ الصلح ، فأبى مُعِزّ الدولة تضْمينَ ناصرِ الدولةِ ولايةَ الموْصل من جديدٍ ، لأن ناصرَ الدولة كان كثيرَ الإخلافِ بما يَعِدُ . فضَمِنَ سيفُ الدولة لمعزّ الدولة عن أخيه ناصرِ الدولة ٢,٩٠٠,٠٠٠ دِرْهمٍ (نحو مائة وعشرين ألف ليرةٍ ذهباً بعملتنا الحاضرة) في العام ، وأن يُطْلِقَ سَراح الأسرى من رجال مُعِزّ الدولة ؛ وكان ذلك في المُحرّمِ من سنَةِ ٣٤٨ هـ (ربيع عام ٩٥٩ م) . والذي حمَلَ مُعِزّ الدولة على قَبولِ عرْضِ سيفِ الدولة ، معَ أنه كان متمكّناً من البلادِ قادراً على أن ينالَ ما يُريد بالحربِ ، أن الأموالَ قلّتْ في يديه ، إذ «تقاعد الناسُ في حملِ الخَراج (دفع الضرائب) واحتجّوا بأنهم لا يَصِلون إلى غلاّتهم وطلَبوا حمايتَهم من العرَب (الأعرابِ ، البدْوِ) من أصحابِ ناصر الدولة». فلمّا ورَدَتْه رسالةُ سيفِ الدولة في طلَب الصلح ودَفْعِ ثلاثةِ ملايينَ درهمٍ ، عدّ ذلك ظفراً كبيراً إذ كفاه مؤونة حربٍ جديدةٍ فعادَ إلى بغدادَ (راجع تاريخ الكامل ٨ : ١٨٥ وما بعدها) .

في مثلِ هذه الحال كان سيفُ الدولة يُضْطَرّ إلى أنْ يَسْتَمِعَ إلى الشعراءِ في بَلاطهِ يتناقشون في شِعرِ للمتنبّي : يزْعُمُون مرّةً أن المتنبّي سرق معناه من شاعرٍ سبقه ؛ ويقولون للمتنبي مرةً أخرى : أسأت التشبيهَ الفُلانيّ أو أتيتَ بوجهٍ ضعيفٍ من الإعراب . فيقالُ إنّ سيفَ الدولة حذَفَ المتنبّي ، والمتنبّي يُنْشِدُ شِعْرَه ويَرُدّ على المنتقدين ، بدَواةٍ كانت بينَ يديه فأصابه بجُرْحٍ في وجههِ .

وقيل بل إنّ ابن خالَوَيْه (وكان من قَبلُ مُعلِّماً لسيفِ الدولة ولنفرٍ آخَرينَ من بني حَمْدانَ) حَذَفَ المتنبّي بمِفتاحٍ كان يَحْمِلُه. فغَضِبَ المتنبّي وغادَرَ حَلَبَ، سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م).

هذا الدورُ عند المتنبّي هو دورُ العَظَمة، فيه تتجلّى عظمةُ نفسه وبُعْدُ هِمّته واندفاعُه في تصويرِ عظمة العربِ وعظمة الإسلام. وقد بَرَعَ المتنبّي في وصف المعارك لأنه كان فارساً شجاعاً عالماً بأمور الجيوش عارفاً بأساليب القتال، ولأنه خاضَ المعارك فعلاً وأبلى فيها بلاءً حسناً. وفي هذا الدور هَجَرَ المتنبّي التكلّفَ وجرى في شِعره على السَّليقة، فأخذ شعرُه يتدفّقُ حَماسةً وفخراً.

ذهابه إلى كافور (الدور الثالث من حياته)

ذَهَبَ المتنبّي إلى مِصْرَ ليمدح كافوراً الإخشيديّ المستبدَّ يومذاك بحُكْمِ مِصْرَ، وهو يرجو أن ينالَ من كافورٍ إمارة أو وِلايةً يُغيظ بها الذين كادوا له في حلب وأخرجوه منها — ظَنّاً منه أن كافوراً المغتصبَ للسلطانَ يَهونُ عليه أن يتنازلَ عن قِطعةِ أرضٍ بأيسرَ مما يتنازلُ عنها أميرٌ أصيلٌ استْولى عليها بسيفِه كسيف الدولة.

ولم يُخْدَعْ كافور عن قِطعةٍ من مُلْكه فانقلَبَ عليه المتنبّي. وأدرك كافورٌ ذلك فضَرَبَ حولَ المتنبّي نِطاقاً من الرّقابة حتّى لا يَهْرُبَ ويُعْلِنَ أهاجِيَهُ، بعد أن كان المتنبي قد بدأ يُعَرِّض بكافورٍ جهراً أو يهجوه سراً. وأعَدَّ المتنبّي عُدّته للهرب، ثم انتهز فرصة اشتغالِ الناس ليلةَ عيد الأضحى من سَنَة ٣٥٠ هـ (كانون الثاني ٩٦٢ م) فانسلَ من مِصْرَ آيباً إلى المشرق.

في هذا الدور بَلَغَ شِعر المتنبّي غاية نُضْجه وكثُرتْ فيه الحِكَمُ والأمثال المضروبة، كما خَلا من التعقيدِ والتكلّف. ثم ارْعوى المتنبّي فتَرَكَ التهوّرَ واعتدل في طموحِه وأخذ يَنْظُرُ إلى الأمورِ بعينِ العقل بعد أن صَدَمَتْهُ الحياةُ في حَلَبَ وفي مِصْرَ صَدَماتٍ متواليةً. فليس من المُسْتَغْرَبِ، إذنْ، أن تظهرَ الشكوى في شعره وأنْ يُعَرِّضَ هُوَ بسيفِ الدولة من غير أن تَسْمَحَ له نفسُه بهجائه. ولكن لما عَظُمَتْ نِقْمَتُهُ على كافورٍ وهجاه قال في آخر قصيدتِه:

أوْلى الأنامِ كُوَيفيرٌ بمَعْذِرَةٍ في كل أمرٍ ، وبعضُ العُذر تَفْنيدُ[1] :
وذاك أن الفُحولَ البيضَ عاجزةٌ عن الجميلِ ؛ فكيف الخِصْيَةُ السود ؟[2]

ذهابه إلى المشرق (الدور الرابع من حياته) وموته

توجّهَ المتنبّي إلى الكوفة مَسْقَطِ رأسِه . وبعد مدّة صَعِدَ إلى بَغْداد ، سنة ٣٥١ ﻫ ، فلم يجد الأمورَ على ما يشتهي ، ولا رأى أن يمدح فيها أحداً : لا الخليفةَ المُطيعَ ، ولا أميرَ الأمراء مُعِزّ الدولة بن بُوَيْهِ ، ولا الوزيرَ المُهَلّبيّ . فأغرى المهلبيّ به الشعراء فأخذوا بهجائه وشَتْمه .

واتفقَ أنّ الأديب المشهور ابن العَميد ، وزيرَ رُكْنِ الدولة بن بويه ، كتب إلى المتنبّي من أرّجانَ يستزيرُه ، فذهب اليه المتنبّي في عام ٣٥٤ ، (٩٦٥ م) ومدحه . ثم كتب اليه عَضُدُ الدولة بن بويه من شِيراز يستزيره أيضاً فسار اليه المتنبي (٣٥٤ ﻫ) ومدحه .

وفي ذلك العامِ نفسِه استأذن المتنبي عَضُدَ الدولة لزيارةِ الكوفة ، وكان في الحقيقة يُريد أن يذهبَ إليها ليقيمَ فيها ، بما كان مَعَه من المال الذي جَمَعَه من ممدوحيه ، إمارة في مسقط رأسِه . وفي أثناء الطريق عرَض له فاتِكٌ الأسديّ ، أحدُ رؤساء الأعراب ، وقاتله طمعاً بما كان مَعَه من المال وقتله (٢٨ رمضان ٣٥٤ ﻫ = أواخر تشرين الثاني ١٩٦٥ م) ، قيل في موضع يقال له الصافية ، قرب النعمانية عند دير العاقول على نحو ميلين من الضواحي الغربية لبغداد .

إن شِعر المتنبّي في هذا الدور أدنى من شِعره في حَلَبَ ومِصْرَ ، فقد خلا من الحِكمة ومظاهرِ العظمةِ ومن وَصْفِ المعارك ثم ضَعُف بناؤه . وتفسير ذلك سهل ، هو أن المتنبّي ترك مِصْرَ مكسورَ النفس بعد أن كان قد غادر حلب مجروحاً في كبريائه فلم يكن شِعره يعبّر عن ذلك العُنْفوان وذلك الطموحِ اللذَيْنِ كانا له في حلب . غير أن شِعره اكتسب في هذا الدور رِقّةً وبَرَزَ فيه الوصفُ . قال المتنبّي يمدح عَضُدَ الدولة ويَصِفُ شِعْبَ

---

١ التفنيد : اللوم والتقريع . — عذرك لشخص ما دليل على انه مذنب ، فإذا أنت عذرته فكأنك تلومه .
٢ الفحول البيض : أمثال سيف الدولة . الخصية السود : أمثال كافور لأنه كان خصياً أسود مملوكاً .

بوّان [1] :

مغاني الشِعبِ – طِيباً في المغاني – بمنزلةِ الربيعِ من الزمـانِ [2] .
ولكنّ الفتى العربيّ فيهـا غريبُ الوجهِ واليدِ واللسان [3] .
ملاعبُ جِنّةٍ لو سار فيهـا سُليمانٌ لسارَ بترْجُمـان [4] !
طَبَتْ فُرسانَنا والخيلَ حتى خَشيتُ – وانْ كَرُمْنَ – من الحِران [5] .
غَدَوْنا تَنْفُضُ الأغصانُ فيهـا على أعْرافها مثلَ الجُمـان [6] .
فسِرْتُ وقد حَجَبْنَ الحرّ عني وجِئْن من الضياء بما كَفاني [7] .
وألقى الشرقُ منها في ثيـابي دَنانيراً تَفِرّ من البَنـان [8] .
لهـا ثمرٌ تُشير إليك منه بأشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بلا أوان [9] ،
وأمواهٌ تَصِلّ بهـا حَصاها صليلَ الحَلْيِ في أيدي الغواني [10] .

عناصر شخصيته – خصائصه وفنونه

كان المتنبي بعيدَ الطموح شديدَ العصبية مُعْتَدّاً بنفسه يتعاظم على الناس . ولقد غفرَ الدارسون له ذلك عند الكلام على صِفاته لأنه كان فارساً شجاعاً ، بعيدَ التفكير واسع المعرفة ، وفيّاً لمن عرَفَهم عفيفاً النفس واليد .

امتاز المتنبّي بالإكثار من المعاني وبضَرْبِ الأمثال والمبـالغة في كل شيء .

---

١ شعب بوان في أرض فارس ، بين أرجان والنوبندجان ، وهو أحد متنزهات الدنيا (ياقوت ١ : ٧٥٠) .
٢ نسبة شعب بوان للأماكن المسكونة في العالم كنسبة الربيع إلى سائر الفصول .
٣ كانت اللغة الفارسية ، في أيام المتنبي ، قد أخذت تستعيد مقامها في ايران .
٤ الجنة : الجن . – ان سليمان الذي كان يعرف لغات الناس والطير يحتاج في فارس إلى ترجمان .
٥ طبت : دعت ، طابت ، أفادت .
٦ جاء الليل فجمد الماء في الاغصان ، فلما مررنا في الصباح أخذ الماء المتجمد في الاغصان يذوب ويسقط على أعناق الخيل كأنه اللؤلؤ .
٧ الأغصان الكثيفة كانت تحجب حر الشمس عني وتسمح بالمقدار الضروري من النور بالوصول إلى طريقي .
٨ وكان الضياء يخترق الفروج بين أوراق الشجر ويظهر على ثيابي كأنه دنانير .
٩ وكان لتلك الاشجار ثمر ناضج جداً حتى لكأنه بلا قشر (قشره شفاف جداً) .
١٠ والمياه الجارية تحدث عند مرورها على الحصا في مجاريها صوتاً ناعماً عذباً كصوت الحلى في معاصم النساء الحسان .

وكان أسلوبُه فخماً متيناً جداً وغنياً بالتشابيه البارعة والاستعارات الأنيقة وبعض الصِناعة اللفظية ، فلقد كان المتنبّي من أتباع المذهبِ الشاميّ القائمِ على التأنّق في التعبير .

ولم يُعِرْ أسلوبُ المتنبّي نفسَه إلاّ للفخر والمديح ، وكان الفخرُ والمديح يَغْلِبانِ على كل فنّ آخرَ من فنون المتنبّي . أما الحِكمة فنثرها المتنبي في جميع قصائدِه . وله شيءٌ مِنَ الوصفِ ومن الشعر الوُجداني الخالص .

أما مَقامه في الشعر فقد أفاض فيه النقاد وأجْمعوا على أنه في المقام الأول بين جَميع الشُعراء وفوْقهم . وأشهرُ الأقوال في ذلك ، عند الموازنة بين الشعراء كلهم ، قولُ ابنِ رشيقٍ القَيْرواني[1] : « وليس في المُوَلّدين أشهرُ اسْماً من الحسن أبي نواس ، ثُمّ حبيب[2] والبُحتريّ ، ويُقالُ إنهما أخملا في زمانِهما خَمْسَمِائَةِ شاعرٍ كلُّهم مُجيد . ثم يتبعهُما في الاشْتهارِ ابنُ الرومي وابنُ المعتز ، فطار اسْمُ ابن المعتز حتى صارَ كالحسنِ في المولّدين وامرئ القيسِ في القدماء . فإنّ هؤلاء الثلاثةَ (أبا نواسٍ وأبا تمّامٍ والبُحتريّ) لا يَكاد يجهلُهم أحدٌ من الناس . **ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشَغَلَ الناسَ** » .

وفي سَنَةَ ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) احتفل العالمُ العرَبي بمرور ألف سَنَةٍ قَمَرِيةٍ (٣٥٤ – ١٣٥٤ هـ) على وَفاة المتنبّي ، وقد أقام عدد من الدول الأجنبية اجتماعاتٍ لمناسبة هذه الذكرى .

أ – فخره : كان المتنبّي متعاظماً شديدَ الذَهابِ بنفسِه لا يرى أحداً فوقه ولا أحداً مثله . وقد ملأ قصائده بالفخر ، حتى تلك التي كان يُلقيها بين يَدَيِ المَمْدوحين . وربما رفع نفسَه فوقهم . وكان المتنبّي يفتخر بأسلافه وبأهله وبنفسه : يفتخر بعفته ووفائه وعزمه وبنفوذِ بصره في الأمور ، كما كان يفتخر بشعره ويجعل معانيَ الشعراء المعاصرين له تَبَعاً لمعانيه هو : أخذوها منه ثم نَسَبوها إلى أنفسِهم ومدحوا بها ممدوحيهم . فمن فخره المشهور قوله (في دوره الاول) :

---

[1] العمدة ١ : ٨٢ .

[2] حبيب : أبو تمام (حبيب بن أوس) .

أينَ فضلي إذا قَنِعتُ من الدهـ ـرِ بعيشٍ مُعَجَّلِ التنكيـدِ ؟
عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنتَ كـريمٌ بين طعن القَنـا وخفق البنود .
لا كما قد حَيِيتَ غيرَ حَميدٍ ، وإذا مِتَّ مِتَّ غيرَ فقيـد .
فاطلُبِ العزَّ في لَظَى ودعِ الذ لَّ ولو كان في جِنانِ الخلود[1] .
ما بقومي شَرُفْتُ ، بل شَرُفوا بي . وبنفسي فَخَرْتُ لا بجدودي .
وبِهِمْ فخرُ كلِّ من نَطَقَ الضا دَ وعَوْذُ الجاني وغَوْث الطريد .
إنْ أكُنْ مُعْجَباً فعُجْبُ عَجيبٍ لم يَجِدْ فوقَ نفسِه من مزيد .
أنا تِرْبُ النّـدى وربّ القوافي وسِمامُ العِدى وكيدُ الحسود[2] .
أنا من أمّـةٍ ، تداركهـا اللـ ـهُ ، غريبٌ كصالحٍ في ثمود[3] .

ورثى المتنبّي جدّته بقصيدة ملأها بالفخر بنفسه ، فمما قـاله في هـذه القصيدة :

ألا لا أري الأحداثَ مدحاً ولا ذمّـا ؛ فما بطشُها جهلاً ولا كَفّها حِلْما .
عرَفْتُ الليالي قبل مـا صنعت بنا ، فلما دَهَتْني لم تَزِدْني بها عِلْمـا .
أتاها كتابي بعدَ يأسٍ وتَرْحـةٍ فماتت سُروراً بي فمِتّ بها غمّا .
وكنت قُبيلَ الموتِ أستعظم النَوَى ، فقد صارت الصغرى التي كانت العُظمى[4].
هَبيني أخذتُ الثأرَ فيك من العِدى ، فكيف بأخذ الثأرِ فيك من الحُمّى ؟
ولو لم تكوني بنتَ أكرمِ والـدٍ لكانَ أباكِ الضَخْمَ كونُكِ لي أُمّا[5] .
تغرّب لا مُسْتَعْظِماً غيرَ نفسـه ولا قـابلاً إلا لخالقه حُكمـا .
يقولون لي : ما أنتَ في كل بلدةٍ وما تبتغي ؟ ما أبتغي جلَّ أن يُسْمى !
واني لمن قومٍ كـأن نفوسَهـم بها أنَفٌ أن تسكن اللحمَ والعظما .

---

١ لظى اسم علم مؤنث (لا يحلى بلام التعريف ولا ينون) على جهنم .
٢ الترب هو الشخص المولود مع شخص آخر في عام واحد (أنا والندى — الكرم — تربان ، لي من المقام ما للكرم عند العرب) . سمام : السموم ، الريح الحارة التي تقتل .
٣ صالح : نبي أرسل إلى قوم ثمود فلم يصدقوه ، وقد أمرهم مرة ألا يذبحوا ناقة فما أطاعوه .
٤ — كنت أرى البعد عن جدتي أمراً شديداً علي ، فلما ماتت أدركت أن البعاد أمر عادي تافه ، بالنسبة إلى الموت.
٥ الأم : الوالدة وكل جدة في عمود النسب .

وللمتنبّي فخر كثير فيه مبالغة وتعاظم واحتقار لبني دهره ، قال يمدح سيف الدولة ويعاتبه :

واحرَّ قلباهُ ممن قلبهُ شَبِمُ ... ومن بجسمي وحالي عنده سَقَمُ [1] .
ما لي أُكتّمُ حبّاً قد برى جسدي ، ... وتدّعي حبَّ سيفِ الدولة الأممُ .
ان كان يجمعُنا حبٌّ لغُرّتِه ... فليت أنّا بقدْرِ الحبّ نقتسم .
يا أعدلَ الناسِ إلاّ في معاملتي ، ... فيك الخصامُ وأنت الخصْمُ والحكَم .
أُعيذُها نظراتٍ منك صادقةً ... أن تحسَبَ الشحمَ في من شحمُهُ ورم .
وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره ... إذا استوتْ عندَه الأنوارُ والظُّلَم؟
سيعلَمُ الجمعُ مِمّنْ ضمّ مجلسُنا ... بأنني خيرُ مَنْ تَسْعى به قدم .
أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي ... وأسمعتْ كلماتي من به صَمَمُ .
أنامُ ملءَ جفوني عن شواردِها ... ويسهرُ الخلْقُ جرّاها ويختصم [2] .
وجاهلٍ مدّه في جهلهِ ضَحِكي ... حتى أتته يدٌ فرّاسةٌ وفمُ [3] .
إذا رأيتَ نيوبَ الليث بارزةً ... فلا تظنَّنّ أنّ الليثَ يبتسم .
الخيلُ والليلُ والبيْداء تعرفُني ... والسيفُ والرمح والقرْطاس والقلم .
يا من يعِزّ علينا أنْ نفارقَهم ، ... وجدانُنا كلَّ شيءٍ بعدَكم عدَم .
إنْ كان سرّكُمُ ما قالَ حاسدُنا ... فما لجُرْحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ .
كم تطلُبون لنا عيْباً فيُعْجِزُكُمْ ! ... ويكْرَهُ اللهُ ما تأتون والكرم .
ما أبعدَ العيبَ والنُقصانَ من شرفي ! ... أنا الثُريّا وذانِ الشيبُ والهرم [4] .
ليتَ الغمامَ الذي عندي صواعقُه ... يُزيلُهُنّ إلى مَنْ عنده الدِيَمُ [5] .
إذا ترحّلت عن قومٍ وقد قدَروا ... ألاّ تفارقَهم فالراحلون همُ .
شرّ البلاد مكانٌ لا صديقَ به ، ... وشرّ ما يكْسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ [6] .

---

١ شبم : بارد ، مطمئن .
٢ – أنظم الشعر بسهولة والناس يسهرون الليالي في محاولة فهمه والمجادلة في معانيه .
٣ فراسة : مفترسة ، شديدة الافتراس .
٤ أنا لا آتي ما يعيب الإنسان أو يحط من قدره طبعاً وخليقة ، كما أن الثريا لا تشيب ولا تهرم .
٥ سيف الدولة يهددني ويحسن إلى غيري . فليته يهدد الذين يحسن اليهم .
٦ يصم : يعيب . شر مكاسب الإنسان ما كانت مصادرها غير شريفة .

بأيِّ لفظٍ تقولُ الشعرَ زِعنِفَةٌ ... تجوزُ عندك لا عُربٌ ولا عَجَم[1] !

وفي ذي الحِجّة من السَنَة ٣٤٨ هـ (نَيْسان – أبريل ٩٦٠ م) أصيب المتنبّي ، وهو في مِصْرَ ، بحُمّى الرِبْع (الحُمى الراجعة ، لأنها تعود في كل أربعةِ أيامٍ مرةً – الملاريا) فقال يشكو المرضَ والألم ، وكَنّى عن الحُمّى بكَلِمة زائرة . وليسَ في هذه القصيدةِ غير شكواه من المرض ومن إقامته في أرضِ مِصْرَ لا يحارب ولا يقوم بعملٍ عظيم :

ولما صارَ وُدُّ الناسِ خِبّاً ... جَزَيْتُ على ابتسام بابتسامِ[2] .
ولستُ بقانعٍ من كلِّ فضلٍ ... بأنْ أُعزى إلى جَدٍّ هُمام.
ولم أرَ في عيوبِ الناسِ عيباً ... كنقص القادرين على التَمام .
أقمتُ بأرضِ مِصْرَ، فلا ورائي ... تَخُبُّ بيَ الرِكابُ ولا أمامي .
قليلٌ عائدي ، سَقِمٌ فؤادي ، ... كثيرٌ حاسدي ، صَعْبٌ مَرامي.
وزائرتي كأنَّ بها حَياءً : ... فليسَ تزورُ إلاَّ في الظلام .
بذلتُ لها المَطارفَ والحَشايا ... فعافَتْها وباتتْ في عِظامي[3] .
يَضيقُ الجِلْدُ عن نَفَسي وعنها ... فتُوسِعُه بأنواع السَقام .
كأن الصُبْحَ يَطْرُدُها فتجري ... مدامعها بأربعةٍ سِجام[4] .
أُراقبُ وقتَها من غيرِ شَوْقٍ ... مُراقبةَ المَشوقِ المُسْتَهام .
ويَصْدُقُ وعدُها ، والصِدق شرٌّ ... إذا ألقاك في الكُرَبِ العِظام.
يقولُ لي الطبيبُ : أكلتَ شيئاً ؛ ... وداؤك في شرابك والطعام .
وما في طِبِّه أني جَوادٌ ... أضرَّ بجسمِه طولُ الجِمام[5] .
تعوّدَ أنْ يُغبِّرَ في السَرايا ... ويدخُلَ من قَتامٍ في قَتام[6] .

---

١ زعنفة (بالكسر أو الفتح) : جماعة لا وزن لها ولا قيمة . تجوز عندك : تقبل قولها .

٢ الخب : المكر .

٣ المطرف (بالكسر) : الثوب الثمين . الحشية : الفراش . – نمت على فراش ولبست ثياباً ، ومع ذلك لم يفارقني البرد .

٤ – مع اقتراب الصبح ينضح جسم المصاب بالبرداء عرقاً وتذهب عنه الحمى ويفارقه البرد. في البيت أيضاً تورية : كأن العرق دموع للحمى (حزناً على فراقه) .

٥ الجواد : الحصان الأصيل . الجمام : الراحة واللهو .

٦ – تعود أن يحارب دائماً . السرية : الغزوة . القتام : غبار الحرب .

فأمسكَ لا يُطالُ له فيَرْعى ؛ ولا هو في العَليق ولا اللِجامِ [1] .

فان أمرَضْ فما مَرَضَ اصطباري ، وان أحْمَمْ فما حُمَّ اعتزامي .

وان أسْلَمْ فما أبقى ، ولكنْ سَلِمْتُ من الحِمام إلى الحمام .

ب – **مديحه** : المتنبّي شاعرٌ مدّاحٌ متكسّبٌ ، وقصائدُ المديحِ تؤلف القِسْمَ الأعظمَ من ديوانه . وهو يُبالغ في وَصْفِ الممدوح بالشجاعة والكرم والمروءة وأصالة النسب وبالذكاء . ومدائح المتنبّي في سيف الدولةِ أحسنُ مدائِحه كلّها ، لأنه كان يحبّ سيفَ الدولة فوقَ احترامِه له وإعجابِه بـه . والمتنبّي يرفع ممدوحه أحياناً فوق مرتبة البشر ، قال يمدح سيف الدولة :

لكلّ امرئٍ من دهرِه ما تعوّدا ، وعادةُ سيف الدولة الطعنُ في العِدا .

هو البحرُ غُصْ فيه – إذا كان ساكناً – على الدرّ ، واحذَرْهُ إذا كان مُزْبدا .

ورُبَّ مُريدٍ ضُرَّه ضَرَّ نفسَه ، وهادٍ إليه الجيشَ أهْدى وما هَدَى [2] .

ومُسْتَكْبِرٍ لم يَعْرِفِ اللهَ ساعةً رأى سيفَه في كفّهِ فتشهّدا .

تَظَلّ ملوكُ الأرضِ خاضعةً له : تُفارِقُه هَلْكى وتلقاه سُجّدا .

وأحسن مديحِ المتنبي يأتي مَعَ وَصْفِ المعاركِ ، ذلك لأن المتنبي فارسٌ شَهِدَ المعاركَ مَعَ سيف الدولة . وأحسن شاهِد على ذلك وصفُ قلعة الحَدَث الحمراء ومديح سيف الدولة في خِلال ذلك :

على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ، وتأتي على قدرِ الكِرامِ المكارمُ .

وتَعْظُمُ في عينِ الصغيرِ صِغارُها ، وتَصْغُرُ في عينِ العظيمِ العظائمِ .

يُكلّفُ سيفُ الدولة الجيشَ هَمَّه وقد عَجزَتْ عنه الجيوشُ الخضارم [3] .

ويطلُبُ عند الناسِ ما عندَ نفسِه ، وذلك ما لا تَدّعيه الضَراغم [4] .

---

١ « ولا هو في العليق ولا اللجام » مثل ضربه المتنبي لنفسه : لا يعمل عملا .

٢ هدى : دل ، قاد . أهدى : قدم ، أعطى . – قد يقود ملك جيشاً لقتال سيف الدولة فيكون هذا الجيش هدية (غنيمة) لسيف الدولة .

٣ الخضرم (بالكسر) : الكثير . – يريد سيف الدولة من جميع الناس أن يفعلوا فعله ، وذلك امر تعجز عنه الجيوش الكثيرة .

٤ الضرغام : الاسد . – يظن سيف الدولة أن جميع الناس مثله (أسود) .

هلِ الحَدَثُ الحمراءُ تَعرِفُ لونَها،   وتَعلَمُ أيُّ الساقِيَيْنِ الغمائمُ ؟
سَقَتْها الغَمامُ الغُرّ قبلَ نُزولِه ،   فلما دنا منها سقَتْها الجَماجم [1] .
بناها فأعْلى والقَنا يَقْرَعُ القنـا   ومَوْجُ المنـايا حَوْلها مُتلاطم .
وكان بها مِثْلُ الجُنونِ فأصبحتْ   ومن جُثَثِ القَتلى عليها تمائم [2] .
طريدةُ دهرٍ ساقها فرددتَها   على الدين بالخَطّيّ والدهرُ راغم [3] .
وكيف تُرَجّي الرومُ والروسُ هدمَها   وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائم ؟
وقد حاكموها ، والمنايا حَواكمٌ ،   فما ماتَ مظلومٌ ولا عاش ظالم .
أتَوْكَ يجُرّون الحديد كأنمـا   سَرَوْا بجِيادٍ مـا لهنّ قوائم .
إذا بَرَقوا لم تُعرَفِ البيضُ منهمُ ؛   ثيابُهُمُ من مِثْلِهـا والعمائم [4] .
خميسٌ بشرقِ الارضِ والغربِ زَحْفُه   وفي أذُنِ الجَوْزاء منه زَمازم [5] .
تجمّع فيه كلّ لِسْنٍ وأمّةٍ ،   فما يُفْهِمُ الحُدّاثَ إلا التَراجم [6] .
وقَفْتَ وما في الموت شكٌّ لواقف: كأنك في جَفْنِ الرَدى وهو نائم .
تمرّ بك الابطال كَلْمى هزيمةً ،   ووجهُك وضّاحٌ وثغرك باسم .
تجاوزتَ مِقْدارَ الشّجاعة والنُهى   إلى قولِ قومٍ : أنتَ بالغيب عالم .
ضَمَمْتَ جَناحَيْهِمْ على القلب ضمّة   تموتُ الخوافي تحتَهـا والقوادم [7] .
بضَرْبٍ أتى الهاماتِ والنصرُ غائبٌ ،   وصار إلى اللبّاتِ والنصر قادم [8] .

---

١ غسلها ماء المطر ثم لونتها الدماء .
٢ – كثرت الجثث حول القلعة حتى أصبح من المستحيل الوصول اليها . التميمة : الحرز ، الحجاب (لرد الاذى عن حامله) .
٣ رددت القلعة إلى حكم المسلمين بالخطي (بالرماح ، أي بالقوة) .
٤ جميع ملابسهم (الخوذات والدروع والاحذية) وسلاحهم من حديد ، فاذا طلعت الشمس عليهم وانعكست أشعتها عنهم لم يدر الناظر إذا كانت الشمس تنعكس عن ثيابهم أو خوذهم .
٥ الخميس : الجيش . الجوزاء : برج من أبراج السماء . زمازم أصوات . – الاصوات المنبعثة من هذا الجيش مرتفعة جداً (لأن عدده كبير) تصل إلى نواحي السماء .
٦ هذا الجيش مؤلف من أمم مختلفة تتكلم لغات مختلفة ، فما يستطيعون التفاهم إلا بواسطة التراجمة .
٧ الجناحان : جانبا الجيش . القلب : وسط الجيش . القوادم : الريش الطوال في جناح الطائر . الخوافي: الريش الصغار والزغب في باطن جناح الطائر . – طوقت هذا الجيش وقضيت على جميع أفراده .
٨ الهامة : الرأس . اللبة : أعلى الصدر . انتصرت عليهم بسرعة (بمقدار ما يصل السيف من أعلى الرأس إلى أعلى الصدر) .

حَقَرْتَ الرُّدَيْنيّاتِ حتى طَرَحْتَها ... وحتى كأن السيفَ للرمح شاتم [1] .
ومن طَلَبَ الفتحَ الجليلَ فإنّما ... مفاتيحُه البِيضُ الخِفافُ الصوارم [2] .

يختلف مديح المتنبي في كافور من مدحه في سيف الدولة . كان المتنبي يحب سيفَ الدولة ويُجلّه ويُكْبر أعماله إكباراً صحيحاً . ولكن المتنبي لم يجد في كافورٍ ، منذ نزوله في مِصْرَ ، سبباً للحب أو الإكبار . من أجلِ ذلك امتلأتِ القصائدُ التي قالها المتنبي في كافورٍ بالتعريض والغَمْز ؛ وكان التعريض في القصائد المتأخرةِ خاصةً بارزاً جداً لا يكاد يخفى على أحدٍ لكثْرة ما ذُكِرَ فيها من ألفاظ الغَدْر والكَذِب والتمويه . قال المتنبّي يمدحُ كافوراً في آخرِ رمَضانَ من سَنَةِ ٣٤٦ ﻫ (٢٥-١-٩٥٨ م) . :

مَنِ الجآذرُ في زيِّ الأعاريبِ ... حُمْرَ الُحلى والمَطايا والجلابيبِ [3] ؟
ما أوجهُ الحَضَرِ المُسْتحسناتُ بـه ... كأوجـهِ البَدَوِيّات الرَّعابيب [4] :
حُسْنُ الحَضارة مجلوبٌ بتَطْريَةٍ [5] ، ... وفي البَداوة حسن غير مجلـوب !
أفدي ظِباء فَلاةٍ ما عَرَفْنَ بها ... مَضْغَ الكلامِ ولا صبغ الحَواجيب [6] .
ومن هَوى كُلِّ من ليست مُمَوِّهَـةً ... تركتُ لونَ مشيبي غيرَ مخضوب .
ومِنْ هوى الصِدْق في قولي وعادته ... رَغِبْتُ عن شَعَرٍ في الرأس مكذوب .
ليتَ الحوادثَ باعتني الذي أخَـذتْ ... مني بعلمي الذي أعطتْ وتجريبي .
فما الحداثةُ من حِلمٍ بمانعةٍ ؛ ... قد يُوجد الحِلْمُ في الشُبّان والشِيب !
ترعرعَ الملكُ الأُستاذُ مكتهلاً ... قبلَ اكتهالٍ أديباً قبل تأديب .
يدبّر المُلْكَ من مِصْرٍ إلى عَدَنٍ ... إلى العراق فأرض الروم فالنُوبِ [7] .

---

١ الرديني : الرمح . تركت الحرب بالرماح وقاتلت بالسيوف (قاتلتهم بالسلاح الأبيض) .
٢ الجليل : العظيم . البيض الصوارم : السيوف الحادة .
٣ الجآذر : الظباء الصغار ، يقصد النساء الشابات . في زي الاعاريب : يلبسن ثياباً بدوية . المطايا : (هنا) النوق .
٤ الرعبوبة : الفتاة الممتلئة الجسم .
٥ التصنيع في الوجه (بالمطريات والاصباغ) .
٦ فلاة : بادية . مضغ الكلام : التكلف فيه .
٧ النوبة : مقاطعة جنوب مصر .

قالوا : هجرتَ إليه الغيثَ ! قلت لهم : إلى غُيوث يديه والشآبيب ؛
إلى الذي تَهَبُ الدُولاتِ راحتُه ولا يَمُنّ على آثار موهوب .
ولا يرَوعُ بمغدورٍ به أحداً ، ولا يُفزِعُ موْفوراً بمنكوب [1] .
وجدتُ أنفعَ مالٍ كنت أذخُرُهُ ما في السوابق من جرْيٍ وتقْريب [2].
لما رأينَ صروفَ الدهر تغْدُرُ بي وَفَيْنَ لي ، ووَفَتْ صُمّ الأنابيب .
وكيف أكفُرُ ، يا كافورُ ، نعمتَها وقد بلَغْنَك بي ، يا كلّ مطلوبي .
أنتَ الحبيبُ ، ولكنّي أعوذُ به من أن أكونَ مُحبّاً غير محْبوب !

ج – **رثاؤه** : رثاء المتنبي بابٌ من أبوابِ مديحه ، ليس فيه شيءٌ من عاطفة الخنساء أو جرَيرٍ أو ابنِ الرومي . وليس فيه تفَجّع أو جزَعٌ . والمتنبي إذا رثى ذكَرَ حسناتِ الميْت في الحياة ومدَحَ أهله . وربما افتخر المتنبّي في رثائه بنفسه إذا كان الميْتُ قريباً له . ثم انه ، في الحالين ، يتأمل الحياةَ واقعياً وفلسفياً ويستجمع الحِكَمَ ويضْرِبُ الأمثالَ ؛ توفيت أمُّ سيف الدولة سنة ٣٣٧ ﻫ (٩٤٨ م) فقال المتنبي يرثيها :

نُعِدّ المشرفيّةَ والعوَالي وتقتُلُنا المَنونُ بلا قِتالِ [3] .
ومن لم يعْشَقِ الدُنيا قديماً ؟ ولكنْ لا سبيلَ إلى الوصال .
رماني الدهرُ بالأرزاء حتى فؤادي في غِشاءٍ من نِبال.
فصِرْتُ إذا أصابتني سِهامٌ تكسّرتِ النِصالُ على النِصالِ
أطابَ النفسَ أنكِ متّ موتاً تمنّته البواقي والخوالي [4] ؛
وزِلْتِ ولم ترَيْ يوماً كريهاً تُسَرّ النفس فيه بالزوال.
رِواق العزّ فوقك مُسْبَطِرّ ، ومُلك عليٍ ابنِكِ في كمال [5] .

---

١ لا يغدر بأحد حتى يخيف بعمله خصومه . ولا ينكب أحداً (يصادر أمواله) ليهدد الأغنياء حتى ينزلوا له عن شيء من أموالهم .
٢ أنفع شيء كنت أدخرته السوابق (الخيل) وما لها من الجري (السرعة) والتقريب (القفز ببطء) .
٣ المشرفية : السيوف . العوالي : الرماح .
٤ – من لم يرد الخلود في الدنيا؟
٥ مسبطر : وارف ، ممتد . علي : سيف الدولة .

يعلّلُها نُطاسيّ الشكايا ... وواحدُها نُطاسيّ المعالي [1] .
إذا وصفوا له داءً بثَغْرٍ ... سقاه أسِنّةَ الأسَلِ الطوال [2] .
وليستْ كالإناثِ ولا اللواتي ... تُعَدّ لها القبورُ من الحِجال [3] .
مَشى الأُمراء حَوْلَيْها حُفاةً ... كأن المَرْوَ من زِفّ الرِئال [4] .
وما التأنيثُ لاسْمِ الشمسِ عَيْبٌ، ... ولا التذكير فخرٌ للهِلال .
ولو كان النساءُ كمَن فقَدْنا ... لَفُضّلَتِ النساءُ على الرجال .
يُدفَنّ بَعْضُنا بعضاً ، ويمشي ... أواخِرُنا على هامِ الأوالي [5] .
أسيفَ الدولة، استَنْجِدْ بصبرٍ . ... وكيف بمِثْلِ صبرِكَ للجبال !

وفي سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) تُوُفّيَ أبو شُجاعٍ فاتكٌ ، وكان قائداً زميلاً وصديقاً لكافورٍ ، فلما استبَدّ كافورٌ بحكمِ مِصْرَ وقعتِ الوَحْشَةُ بينهما فاعتزل فاتكٌ إلى ضيعة له بالفَيّوم . ونمَت الصداقة بين المتنبّي وفاتك لكرههما كافوراً . والمتنبّي يرثي فاتكاً بالشجاعة والكرم وسموّ الهمّة ويستطرد إلى الوعظ والحكمة :

الحُزْنُ يُقلقُ والتجمُّل يَرْدَعُ ، ... والدمعُ بينهما عَصِيٌّ طَيِّعُ .
أني لأجْبُنُ عن فِراقِ أحِبّتي ، ... وتُحِسّ نفسي بالحِمام فأشْجَعُ .
تصفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ ... عمّا مضى فيها وما يُتوقّعُ ،
ولمن يُغالطُ في الحقائقِ نَفْسَه ... ويَسومُها طلبَ المُحال فتطمعُ .
أين الذي الهَرَمانِ من بُنْيانه : ... ما قومُه ؟ ما يومه ؟ ما المَصْرَعُ ؟
تَتَخَلّفُ الآثارُ عن أصحابها ... حيناً ، ويُدْرِكُها الفناءُ فتتبع .
يا من يبدّل كلّ يومٍ حُلّةً ، ... أنّى رَضِيتَ بحلّةٍ لا تُنْزَعُ !

---

١ يعللها : يداويها . نطاسي الشكايا : الطبيب . النطاسي : العالم (الطبيب البارع القدير) . واحدها ابنها الوحيد (لم يكن لها ابن غيره) .
٢ – إذا ثارت فتنة في ثغر (تخم من تخوم بلاده) داواه بالرماح الطويلة (بالحرب) .
٣ الحجال جمع حجلة (بفتح ففتح) : ستر المرأة .
٤ المرو : الحصا . زف الرئال : ريش النعام .
٥ – يدفن المتقدمون تحت الأرض ثم يسير المتأخرون (الاحياء) فوق الأرض ، كأنهم يسيرون فوق هام (رؤوس) الذين سبقوهم في الحياة .

ما زِلْتَ تدفَعُ كلَّ أمرٍ فادحٍ حتى أتى الأمرُ الذي لا يُدْفَعُ !
قُبْحاً لوجهِك ، يا زمانُ ، فانه وجهٌ له من كلِّ لُؤْمٍ بُرْقُعُ :
أيموتُ مثلُ أبي شُجاعٍ فاتكٍ ويَعيشُ حاسِدُهُ الخَصِيّ الأوْكَعُ[1] ؟
أبْقيْتَ أكذبَ كاذبٍ أبقيْتَه ، وأخذت أصدقَ من يَقول ويَسْمع .
من كان فيه لكلّ قومٍ مَلْجأ ، ولسيفهِ في كلّ قوم مَرْتع .

وتُوُفّيَتْ خَوْلَةُ ، أختُ سيف الدولة الكبرى ، سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) ، وبلغ الخبر إلى المتنبي — وكان قد ترك مِصْرَ وجاء إلى الكوفة — فنظم في رثائها قصيدةً بارعةً بعث بها إلى سيف الدولة يُعزّيه . هذه المَرْثية فوق مراثي المتنبّي كلّها جَوْدَةً واتّقادَ عاطفةٍ . إنها رثاء صحيحٌ . وقد وَقفَ نفرٌ من النُقّادِ ومؤرخي الأدبِ من المتنبّي ، من أجلِ هذه القصيدةِ ، مَوْقفاً قاسياً : قالوا إنّ المتنبّي كانَ يُحبّ خَوْلَةَ ، ولولا ذاك لما جرى رثاؤها على لسانِه بمثل هذهِ العاطفةِ والجَوْدة . قد يكونُ ذلك صحيحاً ، ولكنّ هنالك ملاحظةً واحدةً : ان هذهِ القصيدةَ من الدَوْرِ الرابعِ في حياةِ المتنبّي ، وشعرُ المتنبّي كان قد رَقّ في هذا الدورِ فَجرَتْ قصيدتُه في خَوْلَةَ هذا المجرى :

يا أختَ خيرِ أخٍ ، يا بنتَ خيرِ أبٍ — كِنايةً بهما عن أشرف النسبِ —
أُجِلُّ قدْرَك أن تُسْمَيْ مُؤبّنةً ؛ ومَنْ يَصِفْكِ فقد سمّاك للعرب !
طوى الجزيرةَ حتّى جاءني خبرٌ فَزِعْتُ فيه بآمالي إلى الكَذِبِ .
حتّى إذا لم يدعْ لي صِدقُه كَذِباً شَرِقْتُ بالدمع حتّى كاد يَشْرَقُ بي.
أرى العراقَ طويلَ الليل مذ نُعِيَتْ ؛ فكيف ليلُ فتى الفِتيان في حلب ؟
يَظُنُّ أنّ فؤادي غيرُ مُلْتَهِبٍ ، وأن دمعَ جفوني غيرُ منسكب .
بَلى ! وحُرْمةِ من كانت مُراعِيَةً لحُرْمة المجد والقُصّاد والأدب .
وإنْ تَكُنْ خُلِقَتْ أنثى لقد خُلِقَتْ كريمةً غيرَ أنثى العقل والحسب .
وان تكنْ تَغْلِبُ الغَلْباءُ عُنْصُرَها فإنّ في الخمر معنىً ليس في العِنَبِ !

---

[1] الاوكع : اللئيم ، يقصد كافوراً .

فليتَ طالعةَ الشمسين غائبةٌ ، وليت غائبةَ الشمسين لم تَغبِ [1] .
وليتَ عينَ التي آبَ النهارُ بها فداءُ عينِ التي غابتْ ولم تؤُبِ [2] .
وما ذكرتُ جميلاً من صنائعها إلا بَكَيْتُ ؛ ولا وُدٌّ بلا سبب !

د ــ **هجاؤه** : كانت طبيعةُ المتنبي وخصائصُ شعره بعيدةً عن الهجاء : كان مترفّعاً لا يُريد أنْ يَضعَ نفسه في مثلِ منزلةِ خصومه ؛ وكان شعره فخماً رصيناً لا يُعير نفسَه للهجاء بسهولة . ومعَ ذلك فإنّ له شيئاً مُستجاداً في الهجاء ، قال في الدور الأول يتهكم برَجُلين قتلا جُرَذاً ثم أبرزاه يُعَجّبان الناسَ من كِبَرِه :

كِلا الرجلين اتّلى قتلَه ؛ فأيُّكما غلّ حُرّ السَلَبْ ؟ [3]
وأيُّكُما كان من خلفِه ؟ فإنّ بهِ عَضّةً في الذنب !

وكثر تعريضُ المتنبّي بخصومِه في بَلاطِ سيف الدولة على ما ترى في كثيرٍ من قصائدِ الدور الثاني . أما الهجاءُ الحقيقي عند المتنبّي فنجدُه ، في الدورِ الثالث ، في كافورِ الأخشيديِّ تلميحاً وتصريحاً . وأشهر هجاء المتنبّي وأجودُه داليّتُه التي أنشدها في كافورٍ بعد أن هرب من مِصْرَ :

عيدٌ ، بأيةِ حالٍ عُدتَ ، يا عيدُ ؟ بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟
اني نزلت بكذّابين ضيفُهُمُ عن القِرى وعن الترحال محدود [4] .
جودُ الرجال من الأيدي ، وجودُهُمُ من اللسانِ . فلا كانوا ولا الجود !
ما يَقبِضُ الموتُ نفساً من نفوسِهِمُ إلاّ وفي كفّه ، من نَتْنِها ، عود [5] .
أكُلّما اغتالَ عبدُ السوء سيّدَه ، أو غاله ، فله في مِصْرَ تمهيد ؟

---

١ و ٢ ليت طالعة الشمسين (شمس النهار) هي التي غربت إلى الأبد ؛ وليت غائبة الشمسين (خولة) لم تغب (لم تمت) . وليت شمس النهار التي طلعت مرة جديدة كانت فداء لخولة التي غابت (بالموت) ولم ترجع .
٣ كل واحد منهما أقسم انه هو الذي قتله .
٤ لا يحسنون ضيافته ولا يدعونه يذهب في سبيله .
٥ يمكن أن يفهم هذا البيت على وجهين : إذا أراد عزرائيل قبض أرواحهم وضع في كفه عوداً (طيباً) حتى تغلب راحة الطيب على نتنهم . والمعنى الثاني : إذا أراد عزرائيل قبض أرواحهم أخذ بيده عوداً (قضيباً) حتى لا يباشر قبض أرواحهم بيده .

صارَ الخَصِيّ إمامَ الآبقينَ بها ، فالحرّ مُستَعبَدٌ والعبدُ معبود [1] .
نامتْ نواطيرُ مِصرٍ عن ثعالبهـا وقد بَشِمنَ ، وما تَفنى العناقيد .
لا تَشترِ العبدَ إلاّ والعصا معه ؛ ان العبيدَ لأنجاسٌ مناكيـدُ !

الأدب والحكمة والمثل المضروب

الحِكَمُ في شعرِ المتنبّي كثيرةٌ ، وهي منثورةٌ في جميعِ قصـائده . وتدورُ حِكَمُ المتنبّي في الأكثر حولَ كُرْهِه للنـاس وسوء الظن بهم وقِلّة المُبالاة بالدهرِ ؛ وهو مُعْجَبٌ بالقوة أشدّ الإعجاب . وله في الحياة والموتِ وأحداث الدهر أقوالٌ كثيرةٌ صائبة . على أنّ المُهِمّ في حِكَمِ المتنبّي أنه أخرج بعضَهـا مَخْرَجَ المَثَلِ المضروبِ فسارتْ على ألسُنِ الناسِ واستَشْهَدَ بها الكُتّابُ في كتاباتِهم ومناقشاتهم . من ذلك كله قوله :

– إنّ السِلاحَ جميعُ الناس تَحْمِلُه ؛ وليسَ كلّ ذواتِ المِخْلَبِ السَبُعُ .
– بذا قضتِ الأيامُ ما بين أهلِها : مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائـدُ .
– إذا رأيتَ نُيوبَ الليثِ بـارزةً فلا تظُنّنّ أنّ الليثَ يَبتَسِمُ .
– إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكته ، وإنْ أنتَ أكرمْتَ اللئيمَ تمرّدا .
– ما كلّ ما يتمنّى المرءُ يُدْرِكه ؛ تجري الرياح بمـا لا تشتهي السّفُنُ .
– ومن يكُ ذا فَمٍ مُرّ مريضٍ يَجِدْ مرّاً بـه المـاءَ الزُلالا .
– واحتمالُ الأذى ورُؤيةَ جانبـ ـه غِذاءٌ تضوى بـه الأجسامُ [2] .
ذلّ من يَغْبِطُ الذليلَ بعيشٍ ؛ ربّ عيشٍ أخفُ منه الحِمام .
كلّ حِلْمٍ أتى بغير اقتـدارٍ حُجّةٌ لاجيءٌ إليهـا اللئـام .
من يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوانُ عليـه ، مـا لجرح [3] بميّتٍ إيـلامُ .
– فلا مجدَ في الدنيا لِمَنْ قلّ مالُه ، ولا مالَ في الدُنيا لمن قلّ مَجْدُه !

---

٣ الخصي يقصد به كافوراً . الآبق : العبد الهارب من سيده .
١ إذا كان المجرم يسرح أمامك ويمرح وأنت عاجز عن الاقتصاص منه (أو إذا رأيته يقوم بجنايته وأنت عاجز عن منعه) فذلك الذي يجعل الأجسام هزيلة بالتأسف والتحرق .
٢ الرواية بضم الجيم . ولعل فتح الجيم ابلغ .

ومن الحكم المتوالية في قصائده قولُه :

ذو العقلِ يَشْقى في النعيم بعقله ، وأخو الجَهالة في الشَقاوة يَنْعَمُ .
لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ .
والظُلم من شِيَمِ النفوسِ ، فان تَجِدْ ذا عِفّةٍ فَلِعِلّةٍ لا يَظْلِمُ .
ومِنَ البليّة عَذْلُ من لا يَرْعوي عن جَهْله وخِطابُ من لا يَفْهَم .
والذُلّ يُظْهِر في الذليلِ مَوَدّةً ؛ وأودّ منه لِمَنْ يَوَدّ الأرْقَم [1] .

للمتنبّي مقطوعة في الحكمة تامّةٌ نظمها في مِصْرَ . ويبدو أنه كان يريد أن يُنْشِدَها كافوراً ثم لم يفعلْ :

صَحِبَ الناسُ قبلَنا ذا الزمانا ، وعَناهم من أمرهِ ما عَنانا [2] .
وتَوَلَّوْا بغُصّةٍ كلّهم منـ ـه وإنْ سَرّ بعضَهم أحيانا .
ربما تُحْسِنُ الصنيعَ لياليـ ـهِ ولكنْ تُكَدّرُ الإحسانا .
وكأنّا لم يَرْضَ فينا بريْبِ الـ ـدَهْر حتى أعانه من أعانا [3] .
كُلّما أنبتَ الزمانُ قناةً رَكّبَ المرء في القناةِ سِنانا [4] .
ومُرادُ النفوس أصغرُ من أنْ تَتَعادى فيه وأن تَتَفاني [5] .
غيرَ أنّ الفتى يُلاقي المَنايا كالحاتٍ ولا يُلاقي الهَوانا .
ولَوَ انّ الحياةَ تبقى لَحيٍّ لعَدَدْنا أضلّنا الشُجْعانا [6] .
وإذا لم يكنْ من الموتِ بُدٌّ فمن العَجْزِ أنْ تكونَ جَبانا .
كلّ ما لم يكنْ من الصَعْبِ في الانْـ ـفُس سهلٌ فيها إذا هو كانا [7] .

١ الذليل (المغلوب على أمره) يظهر الحب لك ، ولكنه يبطن لك عداوة أشد من شداوة الحية .
٢ عناهم : أهمهم ، شغلهم .
٣ من الناس من لا يرى مصائب الدهر كافية ، فيكيد هو أيضاً لاخوانه .
٤ كلما نبتت قصبة وضع الناس في رأسها حديدة (جعلوها سلاحاً للقتل) .
٥ مطالب الناس في الحياة أحقر من أن يعادي بعضهم بعضاً من أجلها وأن يفني بعضهم بعضاً في سبيل الوصول إليها .
٦ لو كانت الحياة تدوم لأحد لعددنا الشجعان (الذين يخوضون المعارك ويتعرضون للقتل) أضل الناس ، أسوأهم رأياً .
٧ الإنسان يستصعب الأمور قبل أن تحدث ، فإذا حدثت وجدها سهلة يسيرة .

مصادر الحكمة في شعره

لما وَرَدَ المتنبّي بغداد تعاظم على أدبائها . واتّفق أن زاره أبو عليّ الحاتميّ فلم يُحْسِنِ المتنبّي لِقاءَهُ ، فوضع الحاتميّ رسالةً يعزو فيها نحوَ مائة من معاني المتنبّي في الحكمة إلى أرسطو[1] ؛ ذكر مثلاً أن أرسطو قال : « من أفنى مدته في جَمْعِ المالِ خوفَ العَدَمِ فقد أدّى بنفسه إلى الفقر » ، ثم زَعَمَ أن المتنبّي سَرَق هذا المعنى فقال :

ومَنْ يُنفقِ الساعاتِ في جميعِ مالِهِ مخافةَ فقرٍ فالذي فَعَلَ الفقرُ .

ثم زَعَمَ أيضاً أن أرِسْطو قال : « خَوْفُ وقوعِ المكروه قبلَ تناهي المدة خَوَرٌ في الطبع » ، فسرقه المتنبّي فقال :

وإذا لم يكنْ مِنَ الموتِ بُدٌّ فمن العَجْزِ أن تكونَ جبانا !

لقد كان ذلك تَحاملاً من الحاتمي على المتنبّي وتَمَحُّلاً بعيداً في تَطَلّبِ الشَبَه بين ما قال أرسْطو ، ان صحَ ذلك ، وبين ما قال المتنبي . غيرَ أنَّ هذا لا يَعْني أن المتنبي لم يَقْتَبِسْ بعضَ معانيه في الحِكمة وغير الحكمة من أحدٍ ، فإنَّ كتبَ البلاغة والنقد والأدبِ مملوءةٌ بمآخذ الشعراء وسَرِقاتِ بَعْضِهم من بعض .

لحكمةِ المتنبّي مصادرُ أشهرُها وأهمها أسفارُه وتَجارِبُهُ واحْتكاكُه بالناس . ثم إنه اطّلَعَ على بعضِ الآراء في الكتب فأَعْجِبَ بها وأخذها . ولعل المتنبّي قرأ في كتاب الحَيَوان للجاحظ « أن الجُعَل[2] متى دَفَنْتَه في الوَرْدِ سكنتْ حركتُه في رأي العين » فقال عن قصائده :

بذي الغباوةِ من إنشادِها ضَرَرٌ كما تَضُرُّ رِياحُ الورد بالجُعَلِ .

ويبدو أيضاً أنّ المتنبّي قرأ في كتابِ كَليلةَ ودمنةَ « إذا لَقِيَ الرجُلُ عدوّه في المواطن التي يعلم فيها أنه هالكٌ سواء أقاتلَ أم لم يقاتلْ ، كان حقيقاً أن يقاتلَ عن نفسِه حِفاظاً وكَرَماً » ، فقال وأحسن في الإيجاز وفي التعبير :

---

[1] راجع ترجمة الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ) . وأرسطو أو أرسطوطاليس فيلسوف يوناني (ت ٣٢٢ ق. م.) .

[2] الجعل : دويبة صغيرة سوداء كريهة المنظر والرائحة (خنفساء) .

وإذا لم يَكُنْ من الموتِ بُـدٌّ فمن العجز أن تكونَ جباناً .

وكذلك وَرَدَ في كتاب كليلة ودمنةَ : « ان الحيلة تُجْزِئ[1] ما لا تجزئ القوةُ » ، ثم رأينا في ديوان المتنبّي :

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُجعانِ ؛ هو أوّلٌ وَهْيَ المَحلّ الثاني .

٤ — لديوان المتنبّي[2] وشروحه طبعات كثيرة[3] أقدمها ظهر في الهند : كلكتا ١٢٣٠ هـ (١٨١٤ م) ، ١٢٥٧ هـ ، ١٢٦١ هـ . ثمّ في أماكن أخرى من الهند : بشرح الواحدي ، بومباي ١٢٧١ هـ (١٨٥٥ م) . ثم في مصر : بولاق (القاهرة ، المطبعة الاميرية) ١٢٦١ ، ١٢٧٧ هـ ؛ بشـرح الواحدي ، بولاق ١٢٨٧ هـ ؛ القاهرة ١٢٨٣ هـ الخ ؛ وفي الشام : دمشق ، ١٣٠٦ هـ (١٨٩٨ م) .

ديوان المتنبّي (نشره بطرس البستاني) ، بيروت ١٨٦٠ م ، ١٩٠٠ م ؛ (علّق على حواشيه وفسّر كلماته اللغوية سليم ابراهيم صادر) ، بيروت (المطبعة العلمية) ١٩٠٠ و ١٩٢٦ م .

ديوان المتنبّي (شرحه عمر الرافعي من شرح العكبري والواحدي) ، القاهرة ١٢٨٣ ثمّ ١٣١٥ هـ .

— شرح ديوان المتنبّي للواحدي (ديتريصي) ، برلين (ميتلر) ١٨٦١ م .

العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب (الشيخ ناصيف اليازجي) ، (المطبعة الأدبية) ١٨٨٩ م ، (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٤ م .

شرح التبيان عن ديوان أبي الطيّب أحمد بن الحسين المتنبّي للعكبري ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٨ هـ ؛ (ضبطه مصطفى السقّا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي) ، القاهرة (مطبعة البابي) ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .

---

١ تغني ، تسد ، تقوم بما لا تقوم به القوة .

٢ كان راوية المتنبي أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد المغربي أحد الائمة الادباء والاعيان والشعراء خدم سيف الدولة ولقي المتنبي ونفرا من أئمة الادب . وكان أبو الحسن المغربي شاعراً وصاحب تصانيف مذكورة مشهورة (راجع معجم الادباء ١٧ : ١٢٧ — ١٣٢) .

٣ راجع ذكراً مفصلا لطبقات ديوان المتنبي في بروكلمان ١ : ٨٧ — ٨٨ ، الملحق ١ : ١٤١ — ١٤٢ .

شرح ديوان أبي الطيّب المتنبّي (عبد الرحمن البرقوقي) ، القاهرة ١٩٢١م، الطبعة الثانية ، القاهرة (المطبعة التجارية الكبرى) ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) وما بعد .
ديوان أبي الطيّب المتنبّي (عبد الوهّاب عزّام) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٤ م .
ديوان المتنبّي ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٨ م .
زيادات شعر المتنبّي (لعبد العزيز الميمني الراجكوتي) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٥ هـ .
•• أبو الطيّب المتنبّي : ما له وما عليه ، تأليف أبي منصور الثعالبي ، القاهرة (محمد علي عطية) ١٣٣١ هـ (١٩١٥ م) .
الصبح المنبي عن حيثية المتنبّي ، تأليف يوسف البديعي (على هامش شرح التبيان) ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٨ هـ ؛ (نشره ياسين عرفات) ، دمشق (مطبعة عرفة) ١٣٥٠ هـ (١٩٣٠ م) .
الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، تأليف عبد العزيز الجرجاني (عبد المتعالي الصعيدي وأحمد عارف الزين) ، القاهرة (مطبعة صبيح) ١٩٤٨ م ؛ (تحقيق وشرح محمّد أبي الفضل ابراهيم وعلي محمّد البجاوي) ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) ، ١٩٥١ م .
أمثال المتنبّي ، جمعها الصاحب بن عباد (شرحها زهدي يكن) ، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥٠ م .
الأمثال السائرة من شعر المتنبّي والروزنامجة (تحقيق محمّد حسن آل ياسين) ، بغداد (مكتبة النهضة) ١٩٦٥ م .
الرسالة الحاتميّة في ما وافق المتنبّي في شعره كلام أرسطو في الحكمة ، تأليف أبي عليّ الحاتمي (نشرها فؤاد افرام البستاني) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣١ . = الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبّي وساقط شعره ، تأليف أبي عليّ الحاتمي (تحقيق محمّد يوسف نجم) ، بيروت (دار صادر) ١٩٦٥ م ؛ (منشورة في «التحفة البهية والطرفة الشهية») ، استانبول ١٣٠٢ هـ .

الإبانة عن سرقات المتنبّي لفظاً ومعنى لأبي سعيد محمّد بن أحمد العميدي (بالتزام مكتبة نخلة قلفاط) القاهرة ، (المطبعة العباسية) بلا تاريخ (ربّما ١٨٩٥ م) .
الكشف عن مساوئ المتنبي للصاحب بن عبّاد ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٩٤٩ م ؛ (تحقيق محمّد حسن آل ياسين) ، بغداد (مكتبة النهضة) ١٩٦٥ م .
الأدب المربّي في حياة المتنبّي ، تأليف حسين حسني حسن ، الاسكندرية ١٩١٧ م .
أبو الطيّب المتنبّي ، تأليف محمّد كرد عليّ ، القاهرة ١٩٢١ م .
النهج العربي إلى شرح حكم المتنبّي ، تأليف ابراهيم عبد الخالق ، القاهرة ، بلا تاريخ .
أبو الطيّب المتنبّي : حياته ، خلقه ، شعره ، أسلوبه ، تأليف كمال حلمي ، القاهرة (مطبعة الشباب) ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) و١٩٣٠م .
المتنبّي مالئ الدنيا وشاغل الناس ، تأليف شفيق جبري ، دمشق (مطبعة الشرق) ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) .
أمثال المتنبّي وحياته بين الألم والأمل ، تأليف أحمد سعيد البغدادي ، القاهرة ١٩٣٢ م .
ذكرى أبي الطيّب بعد ألف عام ، تأليف عبد الوهاب عزّام ، بغداد ١٩٣٦ م ؛ القاهرة ١٩٥٦ م .
أبو الطيّب المتنبّي ، تأليف محمّد محمود شاكر ، القاهرة (مطبعة المقتطف) ١٩٣٦ م .
مع المتنبّي ، تأليف طه حسين ، القاهرة ١٩٣٦ م الخ .
شاعر الطموح : المتنبّي ، تأليف عليّ الجارم ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٧ م .
المتنبّي ، تأليف زكي المحاسني ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٦ م .
أبو الطيّب المتنبّي ، تأليف جوزيف الهاشم ، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٥٩ م .

نظرة إجمالية في حياة المتنبّي ، تأليف معروف الرصافي ، بغداد (دار المعارف) ١٩٥٩ م .
أبو الطيّب المتنبّي عملاق الواقعيّة في الأدب العربي ، تأليف رضوان الشهّال ، بيروت (مطابع البحتري) ١٩٦١ م .
فنّ المتنبّي بعد ألف عام ، تأليف ابراهيم العريّض ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٢ م .
المتنبّي بين ناقديه في القديم والحديث ، تأليف محمّد عبد الرحمن شعيب ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٤ م .
المتنبّي : دراسة عامّة ، تأليف جورج غريّب ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٧ م .
غرام المتنبّي بخولة أخت سيف الدولة ، بيروت (مطبعة ديب) بلا تاريخ .
المتنبّي وشوقي ، تأليف عبّاس حسن ، القاهرة (مكتبة البابي) ١٩٥١ م .
الشعراء الثلاثة : المتنبّي ، أبو العلاء المعرّي ، الشريف الرضيّ ، تأليف نور الدين نور الدين ، بيروت (دار الانصاف) ١٩٥٦ م .
المتنبّي وسعدي : أثر الثقافة العربية في سعدي الشيرري ، تأليف حسين علي محفوظ ، طهران (مطبعة الحيدري) (١٩٥٧ م) .
ديوان المتنبّي في العالم العربي وعند المستشرقين ، تأليف ريجيس بلاشير ، نقله إلى العربية أحمد أحمد بدوي ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) بلا تاريخ .

محاضرات المجمع العلمي العربي في دمشق ، الجزء الثالث ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م) : المتنبي وسيف الدولة لأحمد أحمد ص ٧٥ ؛ فلسفة القوّة في شعر المتنبّي لأحمد أمين ص ٩٢ ؛ المتنبّي رسول العروبة لأمين الريحاني ص ١٠٢ ؛ سيفيّات المتنبّي لمحمّد اسعاف النشاشيبي ص ١٢٨ ؛ لغة المتنبّي لعبد القادر المغربي ص ٢٠١ ؛ روح الطموح في المتنبّي لأحمد رضا ص ٢١٢ ؛ ثقافة المتنبّي

ومصادرها لمحمّد سليم الجندي ص ٣٩١ .
المتنبّي وغوركي (عدد خاصّ من مجلّة الطليعة) ، بيروت ١٩٣٦ م (المجلّد الثاني ، العددان ٦ و ٧) .
مناقب المتنبّي ومعائبه لتوفيق البكري (مجلّة المقتطف ، القاهرة ، ١٧ : ٣٦١) .
أبو الطيّب المتنبّي ونسبه العلويّ لوديع تلحوق (المقتطف ٨٩ : ٢٣١)
بين المتنبّي والحاتمي لكامل كيلاني (المقتطف ٧٦ : ١٨٩ و ٣٢٤) .
شرح ديوان المتنبّي لابن عدلون لا للعكبري ، بقلم مصطفى جواد (م م ع ع ١٩٤٧ م) .
أبو الطيّب والنحاة لمحمد محيي الدين عبد الحميد (م م ع ع ١٤ : ٢٩٤) .
الطبيعة في شعر المتنبي لأحمد زكي أبي شادي (الحديث – حلب ٩ : ٥٢٥) .
أبو الطيّب وشراح ديوانه لعيسى اسكندر المعلوف (الضاد ٦ : ٧٥) .
المتنبي بعد ألف عام : منزلته في أندية الشعر ومحاكم النقد لخليل الخالدي (مجلّة الكليّة العربية بالقدس ١٨ : العددان ١ و ٢) .

يتيمة الدهر ١ : ٩٠ – ١٨٧ ؛ تاريخ بغداد ٤ : ١٠٢ – ١٠٣ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٦٢ – ٦٦ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٣ – ١٦ ؛ أعيان الشيعة (١٩٦٠) ٨ : ٤٢ – ١٩٩ ؛ بروكلمان ١ : ٨٦ – ٨٨ ، الملحق ١ : ١٣٨ – ١٤٢ ، ريدان ٢ : ٢٨٥ – ٢٨٩ ،
Enc . Isl . (first ed .) III 845 ff . , JROS 1915 , 108 - 122 . Islamica II 439 ff . RSO XI (1926) 27 - 42 .

سيف الدولة

١ – هو سيفُ الدولةِ أبو الحسن عليّ بنُ أبي الهيجاءِ عبدِ الله بن حَمْدانَ ، وُلِدَ في ١٧ من ذي الحِجّة من سنَةِ ٣٠٣ هـ (صيف ٩١٦ م) أو قبلَ ذلك ذلك بقليلٍ ، في مدينة المَوْصِل في الاغلب حيثُ كان والدُه أميراً مُستَبِداً بتلك

الناحية عن سُلْطة الخِلافة وعن سِيادة بني بُوَيْه .

كان الحَسَنُ أخو سيف الدولة الأكبرُ مُسْتولياً على المَوْصل بعد وَفاةِ أبيهما فالتفت سيفُ الدولةِ إلى جَنوبِ العِراق واستطاع أن يكون له شيءٌ من المُلْك على واسطٍ وما حوْلَها .

حاسَنَ الحمدانّيون بني العبّاسِ ونَصَروهم على الذين كانوا يَسْتبدّون بالحُكْمِ في بغدادَ وفي سائرِ بلاد الخِلافة ، سواءٌ أكان هؤلاءِ من بني بُوَيْهِ أو من غيرِهم . ولمّا قتَل أمراءُ من آلِ حمدانَ أميرَ الأمراء محمدَ بنَ رائقٍ ، خلَعَ الخليفةُ المتّقي علَيْهم الألقابَ : لَقّبَ الحسنَ « ناصرَ الدولة » ، ولقّب عليّاً « سيفَ الدولة » .

في سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٤ — ٩٤٥ م) استولى سيفُ الدولة على حلَبَ من يد أحمدَ بن سعيدِ الكِلابي وَالِي الإخْشيديين . وبعد حربٍ سِجالٍ طويلةٍ بين سيفِ الدولة وبين الاخشيدِ محمدِ بنِ طُغْج صاحب مِصْرَ ، اصطَلحَ الخَصْمانِ على أن تكون البلاد من مصرَ إلى دِمَشْقَ للإخشيدِ وتكونَ البلادُ وراءَ دِمشق شَمالاً لسيفِ الدولة . واستقرّ الأمر على ذلك ، إلاّ أن دِمَشْقَ نفسَها كانت دائماً مَحِلّ نِزاعٍ بين الخصمين .

لم يَصْفُ الحُكمُ لسيفِ الدولة قطّ ، فإلى جانبِ الحُروب الشديدةِ التي كان سيف الدولة يخوضُها مَعَ الإخشديين ، كان القرامطة يُثيرون عليه القلاقلَ ؛ وكان الأعراب في بادية الشام من بني كِلابٍ وبني كَعْبٍ خاصةً لا تَهْـدأ ثَوْراتُهم . ثم كانت حروبه مَعَ الروم شِبْهَ متّصلةٍ ، وكان قلّما انتصر في معركة بالمعنى المعروف من الانتصار ، إلاّ أنه استطاعَ بقتالِ الروم أن يَردّ خطَراً كبيراً عن بلادِ الخِلافة الإسلامية في العِراق خاصّة ، كما استطاعَ المتنبّي أن يَجْعَلَ هزائمَ سيفِ الدولة انتصاراتٍ . حتّى مَعْركةُ الحَدَثِ الحمراء التي قال فيها المتنبّي أحسنَ مدحه في سيف الدولة لم تكن نصراً خالصاً ، ألم يقل المتنبّي لسيف الدولة :

وقَفْتَ ، وما في الموت شكّ لواقفٍ : كأنّكَ في جَفْنِ الرّدى وهو نائمُ .
تَمُرّ بِكَ الأبطالُ كَلْمى هزيمةً ، ووَجْهُكَ وضّاحٌ وثغرُكَ باسمُ !

وعلى كلّ فان الحرب في تلك الأيام كانت غاراتٍ ، ولم تكن الغايةَ منها أن يستقرّ خصم في أرض خصمه : لقد كانت غاية سيف الدولة من حرب الروم

أن يهدّم حصونهم وأن يبيد رجالهم ويتلف معدّاتهم مما كانوا يقصدون به أن يغيروا على بلاد الخلافة .

وفي سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) أصيبَ سيفُ الدولة بفالج نِصْفيّ خفيفٍ لم يَمْنَعْهُ من الذهاب إلى الحرب . ثم أصيب بقُولَنْج (إمساك مُزْمن) وباحتباس البَوْل . وكانت وفاته باحتباس البول في حَلَبَ في ٢٤ صفر ٣٥٦ هـ (١٨ –٢– ٩٦٧ م) ، ودُفن في ميافارقين .

٢ – سيفُ الدولةِ أديبٌ مُحِبّ للأدباءِ والشعراء ، ولَقَدِ اجتمع في بَلاطه بحلبَ من الأدباء والشعراء والعلماء والفلاسفة ما لم يَجْتمع مثلُه إلاّ في بَلاطِ هرونَ الرشيدِ . ولقد كان له بَصَرٌ بالأدبِ وحُسْنُ نقدٍ للشعر . وشعره المَرْوِيّ له بعضه منحولٌ وبعضه الآخرُ لا بَراعةَ خاصّةً فيه . وإنّما كان ذكرُ سيف الدولة هنا لأنّه يُمَثّلُ عصراً في الأدب العربي وأثراً في اتّساع الأدب ما كان مُمْكِناً لولاه ولولا تشجيعُه للشعراء .

٣ – المختار من أبياته

– كانتْ لسيفِ الدولةِ جاريةٌ بارعةُ الجمالِ فحَسَدَتْها سائرُ جواريه فخاف أن يُوقِعْنَ بها مكروهاً فنقلها إلى بعض حصونه ثم قال :

راقَبَتْني العُيونُ فيك فأشْفَقْـ ـتُ ، ولم أخْلُ قطُّ من إشفاقِ ؛
ورأيتُ العَذولَ يَحْسُدُني فيـ ـك مُجِداً ، يا أنفسَ الأعلاق[1] ،
فتَمَنّيْتُ أنْ تكوني بَعيداً – والذي بيْنَنا من الحبّ باق .
ربّ هَجْرٍ يكونُ من خَوفِ هجرٍ، وفِراقٍ يكون خَوْفَ فراقِ !

– ولسيف الدولة في الغزل أيضاً :

قد جرى في دَمْعِه دَمُهُ ، فإلى كم أنتَ تَظْلِمُهُ ؟
رُدّ عنه الطَرْفَ منك ، فقد جرّحَتْه منكَ أسْهُمه[2] .

---

١ الاعلاق جمع علق (بكسر العين) : الشيء الثمين العزيز الذي يضن الإنسان به ويحرص عليه . أنفس : أغلى ، أعلى ما يتنافس الناس في الحصول عليه .

٢ ... جرحته أسهم طرفك (بصرك ، عينك) .

كيف يَستطيعُ (؟) التجلّدَ مَن خَطَراتُ الوَهْمِ تُؤلِمُه [1]

– وجرت وحشة بين سيف الدولة وبين أخيه ناصر الدولة فقال سيفُ الدولة [2] :

رَضيتُ لكَ العَلْيا ، وقد كنتَ أهلَها ، وقلت لهم : بيني وبين أخي فَرْقُ ؟
ولم يكُ لي عنها نُكولٌ ، وإنّما تجافَيْتَ عن حقّي فتَمَّ لكَ الحقّ .
ولا بُدَّ لي من أن أكون مُصلّياً ، إذا كنتُ أرضى أن يكونَ لكَ السبَق [3] .

٤ – •• نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار سيف الدولة الحمدانيّ ، جمعها ماريوس كانار ، الجزائر (مطبعة جول كاربونيل) ١٩٣٤ م .

سيف الدولة وعصر الحمدانيّين ، تأليف سامي الكيّالي ، حلب ، (المطبعة الحديثة) ١٩٣٩ م .

يتيمة الدهر ١ : ١١ وما بعدها ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٦٦ – ٧٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٠ – ٢١ ؛ اعيان الشيعة (١٩٦٠) ٤١ : ٣١٣ – ٣٢٧ ؛ بروكلمان ١ : ٨٦ ، الملحق ١ : ١٣٨ ، وما بعدها (بلاط سيف الدولة) .

أبو عليّ القالي

١ – هو أبو عليٍّ اسماعيلُ بنُ القاسم بن عَيْذون بن هرون ... القالي البَغداديّ ، وُلِدَ في بلدة منازَجِرْد بديارِ بكرٍ (شَمالي العراق) . قال أبو عليّ القالي (معجم الأدباء ٧ : ٢٧ ، ٣١ – ٣٢) : « لمّا دخلتُ بغدادَ في رُفْقَةٍ من أهل قالي قلا ، وهي قريةٌ من قُرى منازجِرْد وثغر من ثغور المسلمين ، وأهلُها مُرابطون (في وجه الروم دِفاعاً عن البلاد الإسلامية) ، وكان أهلُها يُكْرَمون لذلك . فانتسبت اليها رجاءَ ان أنتفع بذلك . ثم ثبتت عليّ تلك النِسبة .

١ يؤلمه خطران الوهم على باله (بأن المحبوب سيهجره) .

٢ الوحشة : الفتور ، توهم العداوة . يبدو أن هذه الأبيات قد قالها سيف الدولة في أول أمره حينما استبد أخوه الأكبر بالموصل دونه .

٣ مصلياً : ثانياً (بعدك ، يا أخي) في المرتبة أو الحكم ... إذا كنت قد تنازلت لك عن المرتبة الأولى في دولة بني حمدان .

كان دخول القالي إلى بغدادَ سنة ٣٠٣ هـ فسَمِعَ من أبي القاسم عبد الله ابن محمّد البغوي وأبي بكر عبد الله بن سليمان السِجستاني وقرأ على ابن دريد وأبي بكرٍ السرّاج ونِفطويه وأبي اسحق الزجّاج وأبي الحسن عليّ بن سليمان الأخفش . وقرأ كتاب سيبويه على ابن دَرَسْتَوَيْه . وفي أول نزوله في بغداد صَعِدَ إلى المَوْصل وسمع فيها الحديث من أبي يَعْلَى المَوْصلي ثم عاد إلى بغدادَ سنة ٣٠٥ هـ ، ليستأنفَ تَلَقّي العلمِ على علمائها .

وبعد أن قضى القالي خمساً وعشرينَ سنه في بَغدادَ أدرك أنْ لا حظّ له فيها فغادرها سنة ٣٢٨ هـ إلى المغرب ووصل إلى قرطبة في سنة ٣٣٠ هـ ، في أيام الخليفةِ عبد الرحمنِ الناصرِ ، فنالَ عند الناصر وعند ابنه ووليّ عهدهِ الأمير أبي العاصِ الحَكَمِ حظوةً عظيمة . ويقال ان أبا العاص الحَكَمَ هو الذي كتب إلى القالي يَستَقْدِمه إلى قرطبة .

وأدرك القالي ستّة أعوامٍ من خِلافةِ الحكمِ المُستنصرِ ، إذ توفّي في قُرْطُبَةَ في ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) .

٢ — كان القالي من أعاظم علماء العربية في اللغة والشعر واسع المعرفة والرواية ، وخصوصاً لنحو البصريين ؛ وكتبه على غاية التقييد والضبط والإتقان ، وكان أكثرُها مما أملاه (ألقاه على الذين يسمعون منه) في الأندلس . فمن هذه الكتب : كتاب الامالي (في الشعر واللغة في الأكثر) ، كتاب البارع في اللغة على حروف المعجم جمع فيه كتب اللغة في ثلاثة آلاف ورقة (ابن خلّكان ١ : ١٣٠ خمسة آلاف) ، كتاب المقصور والممدود ، كتاب فعلت وأفعلت ، كتاب الإبل ونتاجها ، كتاب حُلى الإنسان والخيل وشياتها ، كتاب تفسير السبع الطوال (شرح المعلّقات) ، كتاب مقاتل الفرسان .

٣ — المختار من كلامه

— من مقدمة كتاب الامالي :

.... إنّي لمّا رأيتُ العلمَ أنفسَ بِضاعة أيْقنتُ ان طلبَه أفضلُ تجارة ، فاغتربتُ للرِواية ولَزِمْتُ العلماءَ للدِراية . ثم أَعْملتُ نَفْسِيَ في جمعهِ وشَغَلْتُ ذِهنِي بحفظه حتّى حويتُ خطيرَه وأحرَزْتُ رفيعَه ورَوَيْتُ جليلَه وعرَفْتُ دَقيقه .... ثم صُنْتُه بالكِتمان عمّن لا يَعْرِف مِقْدارَه ونَزّهته عن الإذاعة

عند من يجهل مكانَه . وجعلت غرَضي أن أودِعَه من يَستَحقّه .... وأنشُرُه عند من يُشرّفه وأقصِدُ به من يُعَظّمه .... فمكَثتُ دهراً أطلُبُ لإذاعته مكاناً، وبقِيتُ مُدّةً أبتغي له مُشرّفاً ، وأقمْتُ زماناً أرْتاد له مُشتَرياً حتّى تَواتَرَت الأنباءُ المُتّفِقَةُ .... بأن مشرّفَه في عَصْرِه أفضلُ من ملَكَ الوَرى وأكرمُ من جاد باللُّهى [١] .... أميرُ المؤمنين وحافظُ المسلمين وقامعُ المشركين ودامغ المارقين وابنُ عمّ خاتَمِ النبيّين محمّدٍ صلّى اللهُ عليه وسلّم ، عبدُ الرحمن ابنُ محمّد [٢] ، مُحيي المكارِم ومُبْتني المفاخر .... وأنّ مُعظّمه ومُشْتَريَه وجامعه ومُقْتَنيه .... ذو الفضلِ والتمام والعقل والكمال المُعْطي قبل السؤال .... الحَكَمُ وَليّ عهدِ المسلمين وابنُ سيّد العالم أميرِ المؤمنين عبدِ الرحمن بن محمّدٍ الإمامِ العادلِ والخليفةِ الفاضل [٣] ....

فخرجت [٤] جائلاً بنفسي .... أجوبُ مُتونَ القِفاز وأخوض لُجَجَ البِحار ... مؤمّلاً أن أُوصِلَ العلْقَ النَفيسَ إلى من يَعْرِفُه وأنشُرَ المَتاعَ الخَطيرَ [٥] ببلدِ مَنْ يُعَظّمه .... فمَنّ اللهُ جلّ وعزّ بالسلامة .... حتّى حَلَلْتُ بعُصْرة الخُوّافَ وعِصْمة المُضاف .... فِناء أمير المؤمنين عبدِ الرحمن بن محمّد ... وصَحِبْتَ الحَيا المُحْسِب [٦] والجوادَ المُفْضِل .... الحَكَمَ فرأيته – أيّده اللهُ –

---

١ اللهى جمع لهوة (بضم اللام) : العطية أو العطية العظيمة .

٢ دامغ = الذي يدمغ : يضرب على الدماغ (يقتل بضربة واحدة) . المارق : الخارج من عصمة الدين . الثائر (وكان عبد الرحمن الناصر قد قضى على ثورة عمر بن حفصون بعد أن دامت خمسين سنة . وكان عمر ابن حفصون يظهر الإسلام ويبطن النصرانية) . عبد الرحمن بن محمد أو عبد الرحمن الناصر أعظم خلفاء الأندلس (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ) .

٣ الحكم الثاني المستنصر بن عبد الرحمن الناصر تولى الخلافة في الأندلس بعد أبيه . ولما ذهب أبو علي القالي إلى الأندلس كان الحكم لا يزال ولياً للعهد .

٤ خرجت : غادرت بغداد .

٥ أجوب : أتجول . متون جمع متن : ظهر . القفار جمع قفر : الصحراء . – يقصد أجول جميع البلاد باحثاً . العلق : الشيء الثمين . النفيس : الذي يتنافس الناس في الحصول عليه . المتاع : البضاعة . الخطير : الذي له خطر (قيمة ، شرف) .

٦ عصرة الخواف : المكان الذي يلجأ اليه الخائفون فينجون . العصمة : المكان الذي يحتمي به الإنسان ويمتنع فيه من عدوه . المضاف : (هنا) الذي أحيط به في الحرب (كثر أعداؤه من كل جانب) . الفناء (بكسر الفاء) : باحة الدار . الحيا : المطر (الجود ، الكرم) . المحسب : الذي يسقي فيروي (ويطعم فيشبع) .

أجلَّ الناسِ بعد أبيه خَطَراً .... فتابَعَا لَدَيَّ النِعْمة وَواتَرا عليَّ الإحسانَ حتّى أبْدَيْتُ ما كنتُ له كاتماً ونَشَرْت ما كنت له طاوياً وبَذَلْت ما كنت به ضَنيناً ومَذَلْتُ [1] بما كنت عليه شَحيحاً .

فأمْلَلْتُ هذا الكتاب من حِفْظي في الأخْمِسةِ بقُرْطُبَةَ ، وفي المسجد الجامعِ بالزهراءِ المُباركةِ [2] . وأوْدَعْتُه فُنوناً من الأخبار وضروباً من الأشعار وأنواعاً من الأمثال وغرائبَ من اللّغات [3] . على أني لم أذكُرْ فيه باباً من اللغة إلا أشْبَعْتُه ، ولا ضرباً من الشعر الاّ اختَرْتُهُ ، ولا فنّاً من الخبر الاّ انْتَخَلْته ، ولا نوعاً من المعاني والمَثَلِ إلاّ اسْتَجَدْتُه [4] . ثمّ انّي لم أُخْلِه من غريبِ القُرآن [5] وحديثِ الرسولِ صلّى الله عليه وسلّم . على أنّني أوْردتّ فيه من الإبدالِ ما لم يُورِدْهُ أحدٌ ، وفسّرت فيه من الإتباعِ [6] مالم يفسّره بَشَر لِيكونَ الكتابُ الذي اسْتَنْبَطَهُ إحسانُ الخليفةِ جامعاً ، والديوان الذي ذُكِرَ فيه اسم الإمامِ كاملاً . وأسألُ اللهَ عِصْمَةً من الزّيْغِ والأشَرِ [7] ، وأعوذ به من العُجْبِ والبَطَر ، وأسْتَهْدِيهِ السبيلَ الأرْشَدَ والطريقَ الأقْصَدَ [8] .

---

١ تابع النعمة عليه : والاها ، أنعم عليه مرة بعد مرة . واتر : تابع ، أعطى بين الحين والحين . حتى أبديت (أظهرت) مـا كنت له كاتمـاً .... : أي « كتاب الأمالي » . مذل الشيء : أفشاه ؛ مذل بالشيء : سمح للآخرين باستعماله .

٢ أملل : أملى (قرأ على الناس) . الأخمسة : أيام الخميس . الزهراء : مدينة بناها عبد الرحمن الناصر قرب قرطبة (عاصمة الأندلس) .

٣ غرائب اللغات : الألفاظ النادرة في اللغة .

٤ انتخل الشيء : انتقاه ، تخيره . استجاد الشيء : اختاره من أجود الأشياء الحاضرة . لم أخله : لم أجعله خالياً .

٥ غريب القرآن : الألفاظ الغريبة (التي يجهلها عامة الناس وبعض خاصتهم) .

٦ الابدال اللغوي (ص ٤٤٩) : استعمال ألفاظ يقوم بعضها (في المعنى مكان بعض) ؛ وهو غير الابدال في النحو . الاتباع : المجيء بألفـاظ يؤكد بعضها بعضاً (ولو لم يكن لعدد منهـا معنى) ، نحو حسن بسن ، جوعا وثوعا ، الخ (راجع ص ٤٥٦) .

٧ استنبطه : استخرجه (من باطن) الأرض ، كان سبب تأليفه ونشره . الإمام : الخليفة . الزيغ : الحيد عن الصواب . الأشر : البطر من العجب (بضم العين) بالنفس أو بما يملك الإنسان .

٨ الأقصد : المستقيم ، المعتدل .

٤ ــ الأمالي ، بولاق ١٣٢٤ هـ ؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٤٨ هـ .
كتاب البارع في اللغة (نشره وقدّم له فولتون) ، لندن (المتحف البريطاني) ١٩٣٣ م .
** فهارس الشواهد الشعرية لكتاب الأمالي : أسماء الشعراء (فريتز كرنكو) القاهرة (مطبعة بولاق) ١٣٢٤ هـ ، القوافي (بيفان) ، ليدن (بريل) ١٩١٣ م .
سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (نشره عبد العزيز الميمني الراجكوتي) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٦ م .
التنبيه على أوهام أبي عليّ القالي للبكري أيضاً ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٢٦ م .
طبقات الزبيدي ١٣٠ ــ ١٣٣ ؛ ابن الفرضي ١ : ٨٣ ــ ٨٤ ؛ جذوة المقتبس ١٥٤ وما بعد ؛ بغية الملتمس ٢١٦ ــ ٢١٩ ؛ معجم الأدباء ٧ : ٢٥ ــ ٣٣ ، وفيات الأعيان ١ : ١٣٠ ــ ١٣١ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٠٤ ــ ٢٠٩ ؛ بغية الوعاة ١٩٨ ؛ شذرات الذهب ١ : ١٨ ؛ نفح الطيب (بولاق) ٧٢٣ ــ ٧٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٩ ، الملحق ١ : ٢٠٤ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٣.

أبو الفرج الاصفهاني

١ ــ هو أبو الفرج عليّ بن الحسينِ بن محمّدِ بن أحمدَ الأصفهانيّ (أو الإصبهاني) ، كان من نسل مروانَ بنِ الحَكَمِ أمويّاً قُرَشيّاً عربيّاً ، وكان شيعيّ المَذْهب ، وهذا ــ كما يقول ابن الأثير [١] ــ من العَجَبِ !

وُلِدَ أبو الفرج الأصفهانيّ في إصبهانَ ، سَنَةَ ٢٨٤ هـ (٩٨٧ م) ونشأ في بَغدادَ وتلقّى العلمَ فيها على ابنِ دُريدٍ وأبي بكرِ بن الأنباريّ والأخفشِ الأصغرِ ونِفْطَوَيْهِ والطبري وسواهم . ثمّ نال حَظْوة عند مُعِزِّ الدولة البُوَيْهِيّ وعند

١ تاريخ الكامل ، مصر ، ٨ : ٢٢٩ (اخبار سنة ٣٥٦) .

وزيره أبي محمدٍ الحسنِ المُهَلَّبي .

وبعد أن كان الأصفهاني قد قضى خمسينَ سَنَةً في تأليف كتابِ الأغاني جاء إلى حَلَبَ وقدّمه إلى سيف الدولة فأعطاه سيفُ الدولة ألفَ دينارٍ (وكان سيفُ الدولة يُعطي المتنبّي ألفَ دينارٍ على القصيدةِ الواحدة) . ولم تَطُلْ إقامةُ الأصفهانيّ في حَلَبَ ، فقد عاد إلى بغدادَ حيثُ تُوُفّيَ في ١٤ من ذي الحِجّة سَنَةَ ٣٥٦ ه (خريف ٩٦٧ م) .

٢ – الاصفهانيّ من الأدباء المُحْسنين والمُصَنّفين المُكثِرين ، كان حافظاً للحديث والأشعار ولِأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم ، عالماً باللغة والنحو وبعدد من العلوم الطبيعية كعلمِ الطيور الجوارحِ والطِب والنجوم . وله شعرٌ يجمع إتقانَ العلماء وإحسان الشعراء الظرفاءِ . ويدور شعره على المدح والهجاء وعلى عددٍ من الأغراض الوجدانية .

ومؤلّفات الأصفهانيّ كثيرة [1] منها كتاب الأغاني ، كتاب المماليك الشعراء ، كتاب مقاتل الطالبين ، كتاب الخمّارين والخمّارات ، كتاب نسب بني عبد شمس ، كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها ويسمّى أيضاً جمهرة أنساب العرب . وجمع الاصفهاني عدداً من دواوين الشعراء منها : ديوان أبي تمّام وأبي نواس والبحتري .

كتاب الاغاني : كان هرونُ الرشيد قد أمر المغنّين أن يختاروا له مائة صوت [2] ، ثم طَلَبَ منهم أن يختاروا من هذه عَشْرَةً ثم ثلاثةً . فلما جاء الأصفهاني جعل الأصواتَ المائةَ أساسَ كتابٍ له سماه **كتاب الاغاني** . بدأ الأصفهاني كتابه بالأصوات الثلاثةِ وأصحابِها : بدأ بأبي قَطيفة ثم بمَعْبَدِ ابن وهبٍ الذي غنّى صوتَ بي قطيفة . وثنّى بعُمَرَ بن أبي ربيعةَ ثم بابن سُرَيجٍ الذي غنّى صوتَ عُمَرَ . وثلّث بنُصيبِ بنِ رباحٍ ثم بمُسْلِمِ بن مُحْرِزٍ الذي غنّى صوتَ نُصيب . بعدئذ جاء بالشعراء والمغنين على غير نَسَقَ مخصوصٍ .

---

١ معجم الادباء ١٣ : ٩٩ – ١٠٠ .
٢ الصوت أبيات من الشعر تغنى على لحن معين .

في كتاب الأغاني أربعمائة من الشعراء في الأكثر ومن المغنين في الأقلّ ترجم لهم الأصفهاني تراجمَ مقصودةً مبسوطةً تناول فيها أنسابَهم وأخبارهم وأشعارهم وأصواتَهم . فإذا اعتبرت الشعراء والمغنّين الذين وَرَدَ ذِكْرُهم في كتاب الاغاني عَرَضاً **مَعَ شيء من أخبارهم وأشعارهم** ، بلغَ هؤلاء ألفاً ومائتين . فإذا اعتبرتَ سائرَ الأعلامِ من الأدباء والولاة والخلفاء واللغويين والقُوّاد والأعيان والعوامّ كان لك في كتاب الأغاني ثروةٌ تاريخية أدبية لا مثيلَ لها .

ثم إنّ في كتاب الأغاني صورةً مبسوطةً للحَضارة العربية منذ الجاهلية إلى أواخر القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) تتناول الحياةَ الاجتماعية في جانبها الهيّن المَرِح في الأكثر : مجالسَ اللهوِ والخمر ، حياةَ البلاط ، الأسواق الأدبية ، اللباسَ والطعام ، صِلاتِ الخلفاء والأمراء بالشعراء وبالعامة ، الغناءَ وأسبابه وقواعدَه ، الخ .

على أن الأصفهاني لم يُحاولْ أن يُتّبع في كتابه كلّه نَسَقاً مخصوصاً ولا قاعدةً ثابتة ، ولا هو أرادَ أن يَسْتَنْفِدَ الأخبار التي جاء بها أو أن يُحَقّقها أو أن يأتيَ بها دائماً منسوبةً إلى رُواتِها ، بل ربما لَفَّق الخَبَرَ إلى شِبْهِه ، أو ترك الخبر الأوثق ليأتيَ بالخبر الأطرف . إن الأصفهاني **لم يُرِدْ أن يؤلّفَ كتاباً في قواعدِ الغناء أو تاريخ الشعر ، ولا كان هَمَّهُ الإتيانُ بالتاريخ على وجهه** . ولكن بما أن الكُتُبَ التي اعتمدها الأصفهانيّ قد ضاعتْ ، فإنّ كتاب الأغاني يُعَدّ اليومَ مَصْدراً أساسياً [1] للشعر العربي وللحياة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام وفي صدر الدولة العبّاسيّة ، ثم مَصْدراً مُهِمّاً في التاريخ العربي .

٣ ـ مختارات من مقدّمة كتاب الاغاني

قال مؤلّف هذا الكتاب : « ولعل بعضَ من يتصفّح (كتابنا) ينكر تَرْكَنا تصنيفَه أبواباً على طرائق الغناء أو على طبقات المغنّين في أزمانهم ومراتبهم ، أو على ما غُنّيَ به من شعر شاعر . والمانع من ذلك والباعث على ما نَحَوْناه عِلَلٌ : **منها** أنّا لمّا جعلنا ابتداءه الثلاثةَ الاصواتَ المختارةَ كان شعراؤها من

---

١ كتاب الأغاني في الحقيقة مرجع يقوم مقام المصدر (راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف، بيروت ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م ، ص ١٢) .

المتأخّرين ، وأوّلهم أبو قَطيفة ، وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول ، ثم عمر بن أبي ربيعة ثم نُصيب . فلمّا جرى أول الكتاب هذا المجرى ، ولم يمكن ترتيبُ الشعراء فيه ، أُلْحِق آخرُه بأوله وجُعِل على حسب ما حَضَرَ ذِكْرُه . وكذلك المائةُ الصوتِ المختارةُ فانها جاريةٌ على غير ترتيب الشعراء والمغنين . وليس المغزى في هذا الكتاب ترتيبَ الطبقات وإنما المغزى فيه ما ضُمِّنَه من ذكر الاغاني بأخبارها ، وليس هذا مما يَضُرّ فيها . ومنها أن الاغاني قلّما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراك بين المغنين في طرائقَ مختلفة لا يمكن معها ترتيبُها على الطرائق ، إذ ليس بعض الطرائق ، ولا بعض المغنّين ، أولى بنسبة الصوت اليه من الآخر . ومنها أن ذلك لو لم يكن كذلك لم يَخْلُ فيها — إذا أتينا بغناء رجلٍ رجلٍ وأخبارِه ، وما صَنّف اسحاق وغيره — من أن نأتيَ بكل ما أتى به المصنّفون والرواة منها ، على كَثْرة حشوه وقلّة فائدته ، وفي هذا نقض ما شَرَطْناه من إلغاء الحشو ، أو أن نأتي ببعض ذلك (فقط) فيُنْسَبَ الكتابُ إلى قُصورٍ عن مَدى غيره .

وكذلك تجري أخبار الشعراء ، فلو أتينا بما غُنّي به من شعر شاعر منهم ولم نتجاوزْه حتى نَفْرُغَ منه .... لكانت للنفس عنه نَبْوةٌ وللقلب منه مَلّة . وفي طباع البشر محبّةُ الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحة من معهود إلى مستجَدّ . وكلّ مُنْتَقَلٍ اليه أشهى إلى النفس من المنتقَل عنه ، والمُنتظَر أغلب على القلب من الموجود . وإذا كان هذا هكذا فما رتّبناه أحلى وأحسن ليكونَ القارئُ له — بانتقاله من خبر إلى غيره ، ومن قِصّة إلى سواها ، ومن أخبار قديمة إلى مُحْدَثَة ، ومليكٍ إلى سُوقة ، وجِدّ إلى هزل — أنشطَ لقراءته وأشهى لتصفّح فنونه ، لا سيّما والذي ضَمّنّاه اياه أحسنُ جنسه وصَفْوُ ما أُلّف في بابه ولُباب ما جُمع في معناه ! »

لأبي الفَرَج الأصفهانيّ دِفاعٌ عن أبي تمّامٍ يتكافأ فيه الأدبُ الرفيعُ والخُلُق النبيل . قال أبو الفرج (الاغاني ١٥ : ٩٦ ، ١٢ : ٦٧ ، بولاق ١٢ : ٧٠) :

« وفي عَصْرِنا هذا مَنْ يَتَعَصّبُ له فيُفْرِطُ حتّى يُفَضّلَه على كلّ سالفٍ وخالف ، وأقوامٌ يتعمّدون الرَديءَ من شعرِه فيَنْشُرونه ويَطْوون محاسنَه ، ويَسْتَعْمِلون القِحَة والمُكابرةَ في ذلك ليقولَ الجاهلُ بهم إنّهم لم يَبْلُغوا علمَ هذا وتمييزَه إلا بأدبٍ فاضلٍ وعلمٍ ثاقبٍ . وهذا مما يَتَكَسّبَ

به كثيرٌ من أهلِ هذا الدهر ويجعلونه ، وما جرى مجراه من ثَلْبِ الناس وطلب مَعائبِهِمْ ، سَبَباً للترفعِ وطلباً للرئاسة . وليستْ إساءةُ من أساء في القليلِ وأحسَنَ في الكثير مُسْقِطةً احسانَه . ولو كَثُرَتْ إساءتُه أيضاً ثم أحْسَنَ لم يُقَلْ له عند الإحسان اسأتَ ، ولا عندَ الصوابِ أخطأتَ ! والتوسّط في كل شيءٍ أجملُ ، والحقّ أحقّ أن يُتّبَعَ ...

« ... وقد فَضّلَ أبا تمّامٍ من الرؤساء والكُبَراء والشعراء مَنْ لا يَشُقّ الطاعنون عليه غُبارَه ولا يُدْرِكون — وان جدّوا — آثارَه ، وما رأى الناسُ بعدَه إلى حيثُ انْتَهَوْا له في جدّه نظيراً ولا شكلاً ... وكان في ابنِ مَهْرَوَيْهِ تحاملٌ على أبي تمّامٍ لا يَضُرّ أبا تمامٍ هذا منه ؛ وما أقلَّ ما يقدحُ مثلُ هذا في مثلِ أبي تمّامٍ » .

٤ — كتاب الأغاني ، القاهرة (بولاق) في عشرين جزءاً ١٢٨٥ ﻫ . — الجزء الحادي والعشرون (حرّره رودولف برونو) ، ليدن (بريل) ١٣٠٥ﻫ .

** جداول كتاب الأغاني الكبير (جمع أغناطيوس غويدي) ، ليدن (بريل) ١٩٠٠ م .

تصحيح كتاب الأغاني لمحمّد محمود الشنقيطي (عني بجمعه محمّد عبد الجواد الأصمعي) ، القاهرة (المطبعة الجمالية) ١٩١٦ م .

مختارات الاغاني في الإخبار والتهاني لابن منظور (حقّقه ابراهيم الابياري) ، القاهرة (المؤسّسة العامّة للتأليف والنشر) ١٩٦٥ م .

مهذّب الأغاني ، صنعه محمّد الخضري ، القاهرة (مطبعة مصر) بلا تاريخ .

كتاب الأغاني (بتصحيح أحمد الشنقيطي) ، القاهرة (محمّد الساسي) بلا تاريخ ؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ظهر منه ستّة عشر جزءاً من سنة ١٣٤٥ إلى ١٣٨١ ﻫ (١٩٢٧ — ١٩٦١ م) ؛ بيروت (دار الثقافة) ١٩٥٥ — ١٩٦٤ م .

مقاتل الطالبيّين ، النجف ١٣٥٣ ﻫ ؛ (شرح وتحقيق أحمد صقر) القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٩ م . وهنالك طبعات أخرى .

** أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني ، تأليف محمّد عبد الجواد الأصمعي ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١ م .

صاحب الأغاني أبو الفرج الراوية (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٣ م .

أبو الفرج الأصفهاني ، تأليف شفيق جبري ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٥ م .

تاريخ بغداد ١١ : ٣٩٨ — ٤٠٠ ؛ يتيمة الدهر ٣ : ٩٦ — ١٠٠ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ٩٤ — ١٣٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ١٠ — ١٢ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٢٥١ — ٢٥٣ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٩ ؛ اعيان الشيعة (١٩٦٠) ٤١ : ١٥٥ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٢—١٥٣ ، الملحق ١ : ٢٢٥ — ٢٢٦ ؛ زيدان ٢ : ٣٢٥ — ٣٢٨ ، النثر الفنّي ١ : ٢٣٤ — ٢٤٥ .

Enc · Isl . (new ed .) I 118

أبو فراس الحمداني

١ — هو أبو العَلاءِ الحارثُ بنُ سعيدِ بنِ حَمْدانَ بن حمدونِ بن الحارث ، وُلِدَ في المَوْصل سَنَةَ ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) ، ونَشأ يتيماً لأنّ ناصرَ الدولة أخا سيفِ الدولة قتل أباه ، فكَفَلَ سيفُ الدولة أبا فراس . وتنقّلتْ أم أبي فراس بابنها بينَ المَوْصل وآمِدَ وميّافارقين وماردين والرّقّة ثمّ استقرّت به في مَنْبِج قُرْبَ حلَبَ .

وتلقّى أبو فراسٍ علومَ زمانهِ على علماء بَلاطِ سيف الدولة وأشهرهم ابنُ خالويه . ولمّا بلغ السادسةَ عَشْرَةَ قلّده سيفُ الدولة ولايةَ مَنْبِج وحرّانَ وعَهِدَ اليه بالدفاعِ عن التخوم الشّمالية ضِدّ الروم وبقتال القبائل البَدْوية التي تَشُقّ عصا الطاعة على الحمدانيين .

في سنة ٣٣٧ هـ دخلَ المتنبّي بَلاطَ سيف الدولة ، أراد سيف الدولة بذلك أن يَكْسِفَ نور أبي فراس في الشعر والحرب . ثم وقَعَ أبو فراسٍ في أسرِ الروم في شَوّال من سنة ٣٥١ هـ وبَقِيَ فيه إلى رجب ٣٥٥ هـ (٩٦٢ — ٩٦٦ م) ولم يَرْغَبْ سيفُ الدولة في افْتدائه افتداء خاصّاً بعظيم من عظماء الروم ، بل تَرَكَه في الأسر حتّى فُودِيَ بالطريقة العاديّة في مبادلة الأسرى .

وتُوُفّي سيفُ الدولة وشيكاً (صفر ٣٥٦ هـ = كانون الثاني — يناير ٩٦٧ م) فخلفه ابنه أبو المعالي ، فاستبد أبو فراسٍ بحِمصَ ثم وقَعَتِ الحربُ بين أبي المعالي وبين أبي فراسٍ فسقط أبو فراسٍ في المَعْرَكَة قتيلاً (٣ جمادى الأولى ٣٥٧ هـ = ٤—٤—٩٦٨ م) .

٢ – أبو فراس شاعر مطبوعٌ مشبوبٌ العاطفةِ يقولُ الشعر إرضاءً لنفسه ولم يتّخذِ الشعرَ حِرفةً . وشعرُه وُجداني خالصٌ يدور على فنّين : الفخرِ والغزلِ. وهو من أتباعِ المذهب الشامي ولكن قد يبدو على شعره أحياناً شيء من الضّعْف . وغزله المؤنّث عفيفٌ رقيق ، وبعض شعرِه صريحٌ . وفخره على عمودِ الشعرِ متينٌ فَخْمٌ . وله وَصْفٌ للطبيعة وخمرٌ .

نظم أبو فراسٍ في الأسر قَصائدَ عرفت بالأسريات والرُّوميّات ، وكان بَعْضُها إخوانيّات (يُرْسِلها إلى إخوانه كما تُرسَلُ الرسائل) ، ولكن لم يظهر على هذه الروميّات خَصائصُ جديدةٌ سوى أنها كانت أكثرَ رِقّة وأكثر شكوى . وقد صنع ديوانه بنفسه .

٣ – المختار من شعره

– قال أبو فراس يفتخر :

ألم تَرَنا أعزَّ النّاسِ جَاراً · وَأمْنَعَهُمْ وَأمْرَعهُم ، جَنَابَا [١] !
لنا الجَبَلُ المُطِلّ عَلَى نِـزَارٍ · حَلَلْنا النّجْدَ مِنْهُ والهِضَابا .
تُفَضّلُنا الأنامُ ولا نُحاشي ، · وَنُوصَفُ بالجميلِ وَلا نُحَابى .
وَقَدْ عَلِمَتْ رَبيعَةُ بَل نِزَارٌ · بِأنّا الرأسُ وَالنّاسَ الذُنابى .
مَنَحْنَاهَا الحَرَائبَ ، غيرَ أنّا – · إذا جارَت – مَنَحناها الحِرَابَا [٢] .
وَلَمّا ثَارَ سَيْفُ الدّين ثُرْنا · كَمَا هيّجْتَ آساداً غِضابا .
أسِنّتُهُ إذا لاقى طِعاناً ، · صَوَارِمُهُ إذا لاقى ضِرَابا .
دَعانَا – وَالأسِنّةُ مُشْرَعَاتٌ – · فَكُنّا عِنْدَ دَعْوَتِه الجَوابا .

– وسمع هديل حمامة على شجرة قرب سجنه في القسطنطينية فقال :

أقولُ وقد ناحتْ بقُرْبي حَمامةٌ : · أيا جارتا ، لَوْ تَشْعُرينَ بحالي !
مَعاذَ الهوى ! ما ذُقْتِ طارقةَ النّوى ، · ولا خَطَرَتْ مِنْكِ الهمومُ ببال .

---

١ أمنعهم : أكثرهم منعة (بكسر الميم : تحصناً) أبعدهم عن وصول العدو . أمرعهم : أخصبهم .

٢ الحرائب جمع حريبة : المال المسلوب من العدو (أحسنا اليهم باعطائهم الأموال التي نغنمها) . جارت : حادت عن طريق القرابة (ثارت على دولتنا وهم أقاربنا) . منحناها الحرابا (جمع حربة : سلاح) : حاربناها ، قاتلناها (تغلبنا عليها وقتلنا رجالها) .

أتَحْمِلُ محزونَ الفؤادِ قوادمٌ على غُصُنٍ نائي المَحَلّةِ عال ؟
أيا جارتا ، ما أنْصفَ الدهرُ بينَنا ! تعالَيْ أقاسِمْكِ الهمومَ تعالي .
أيَضْحَكُ مأسورٌ وتبكي طَليقةٌ ، ويَسْكُتُ محزونٌ ويَنْدُبُ سال ؟
لقد كنت أولى مِنْكِ بالدَمْع مُقْلَةً ، ولكنَّ دمعي في الحوادث غال !

— ومن قصيدة يستحث بها سيف الدولةِ على فِدائه :

دَعَوْتُكَ للجَفْنِ القريحِ المسهّد لديَّ ، وللنومِ القليلِ المُشرّدِ .
وما ذاكَ بُخْلاً بالحياة ، وإنّها لَأوّلُ مبذولٍ لأولِ مُجتَدِ [1] .
ولكنّني أختارُ موتَ بني أبي على صَهَواتِ الخيل غيرَ مُوسَّد [2] .
وتأبى وآبى أنْ أموتَ مُوَسّداً بأيدي النّصارى موْتَ أكمدَ أكبد [3] .
نَضَوْتُ على الأيّام ثَوْبَ جَلادتي ، ولكِنّني لم أنْضُ ثَوْبَ التَجلّدِ .
متى تُخْلِفُ الأيّامُ مِثْلي لكم فتىً طويلَ نجادِ السّيف رَحبَ المُقلّد [4] ؟
فإنْ تَفْتدوني تَفْتدوا شرَفَ العُلا وَأسْرَعَ عوّادٍ إلَيْها مَعَوّدِ [5] .
وَإنْ تَفتدوني تَفْتدوا لعُلاكُمُ فتىً غيرَ مرْدودِ اللسان أو اليَدِ .
يُطاعِنُ عَنْ أعْراضِكُم بِلِسانهِ ، ويَضْرِبُ عَنْكم بالحُسامِ المُهنّد .

— وله من قصيدة في الفخر والغزل :

أراكَ عَصِيَّ الدمعِ شيمَتُكَ الصّبرُ . أما للهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ ولا أمْرُ ؟
بلى ، أنا مُشْتاقٌ وعِنْديَ لوعَةٌ ؛ ولَكِنَّ مِثْلي لا يُذاعُ له سِرّ !
إذا اللّيْلُ أضْواني [6] بَسَطْتُ يَدَ الهوى
وأذْلَلْتُ دَمْعاً من خَلائِقِهِ الكِبْرُ .

---

١ مجتد : طالب للمال (أغامر بحياتي عند أول مهاجم من الأعداء) .
٢ على صهوات الخيل : في الحرب . غير موسد : لا أريد أن أموت حتف أنفي على الفراش .
٣ الأكمد و الأكبد ليستا في القاموس بالمعنى الذي يقصده أبو فراس(المملوح : شديد الحزن وشديد التألم) .
٤ طويل نجاد (حمالة)السيف : طويل القامة (يقصد :شجاع قادر على الوصول إلى اعدائه) . رحب المقلد : واسع مكان القلادة (أعلى الصدر) : حليم !
٥ عواد اليها : إلى الحرب بجانبكم في وجه أعدائكم الروم .
٦ إذا الليل أضواني :جاء علي وغطاني ، جعلني أشعر أني وحيد . بسطت يد الهوى : جعلت أفكر في طلب الرحمة منك . واذللت دمعاً من خلائقه الكبر : وبكيت ، مع أنني لا أبكي عادة حتى لا يرى أحد ضعف عزيمتي (أما بيني وبين نفسي فأنا أبكي وأظهر التذلل في الحب) .

تُسائِلُني : «من أنتَ ؟» وَهيَ عليمةٌ . وهَلْ بفتىً مِثْلي عَلى حالِهِ نُكْرُ ؟
فَقُلْتُ ، كَما شاءَتْ وشاءَ لها الهوى :
« قَتيلُكِ ! » قالَتْ : « أيُّهُمْ ؟ فهُم كُثْرُ » .
فقُلْتُ لها : « لَوْ شِئتِ لم تَتَعَنَّتي [1] ولم تسألي عَني ، وعِنْدكِ بي خُبرُ ! »
فقالتْ : « لقدْ أزْرَى بكَ الدهرُ بَعْدَنا [2] » ؛
فقُلْتُ : « مَعاذَ الله ، بَلْ أنتِ لا الدّهرُ » .
ويا رُبّ دارٍ ، لَمْ تُخِفْني ، منيعَةٍ
طَلَعْتُ عليها بالرّدَى أنا والفَجْرُ [3] .
وساحِبَةِ الأذيالِ نَحْوي ، لقِيتُها فَلَمْ يَلْقَها جَهْمُ اللقاء ولا وَعرُ .
وَهَبْتُ لها ما حازَهُ الجيشُ كُلَّهُ ، ورُحتُ ولم يُكشَفْ لأبياتِها سِترُ .
ولا راحَ يُطغيني بأثوابِه الغِنى ، ولا باتَ يَثْنيني عَنِ الكرَمِ الفقرُ .
وَمَا حَاجَتي بالمالِ أبْغِي وفورَهُ ؟ إذا لم أفِرْ عِرْضي فلا وَفَرَ الوَفر [4] .
أُسِرتُ وَما صَحْبي بعُزْلٍ ، لدى الوغى ،
ولا فَرَسي مُهْرٌ ولا رَبّهُ غمْرٌ ! [5]
ولكن إذا حُم القَضاءُ على امرِئٍ فَلَيْسَ له بَرّ يَقيهِ ولا بَحْرُ ! [6]
وقالَ أُصَيْحابي : « الفِرارُ أو الرّدى » ؛ فقُلْتُ : « هُما أمرانِ أحْلاهما مـرّ » .
ولكِنّني أمْضي لِما لا يَعيبُني . وحَسبُكَ مِنْ أمرينِ خيرُهُما الأسر .
يَمُنّونَ أن خلَّوْا ثيابي ؛ وإنما عليّ ثيابٌ من دمائهمُ حُمر .
سيذكرني قومي إذا جدّ جِدهم ؛ وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر .
ونَحْنُ أُناسٌ لا توَسُّطَ عِنْدنا : لنا الصّدْرُ دونَ العالمينَ أوِ القَبرُ .

---

١ تعنتين : تتشددين ، تتطلبين فوق ما يألفه الناس في الأمور .
٢ أزرى الدهر به : عابه (أصبح مظهرك رثا) .
٣ الردى : الموت (هاجمتها باكراً (.
٤ الوفر : المال ، الغنى .
٥ العزل جمع أعزل (بلا سلاح) . غمر : جاهل ، غير مجرب .
٦ حم القضاء : نزل القضاء . إذا أراد الله أمراً قضاه .

تَهُونُ علَيْنا في المعالي نُفوسُنا ، وَمِنْ خطَبَ الحسناء لم يُغْلِها المَهرُ.
أعزّ بَني الدّنْيا وأعلى ذَوي العُلا وأكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التُرابِ ولا فخرُ.

٤ – ديوان أبي فراس (نشره نخلة قلفاط) ، بيروت ١٩٠٠ ثمّ ١٩١٠ م .
ديوان أبي فراس الحمداني (عني بجمعه ونشره .... سامي الدّهّان) ، بيروت (المعهد الفرنسي في دمشق) ١٩٤٤ م ، بيروت (دار بيروت) ١٩٥٩ م .
إيناس الجُلاّس بتشطير وشرح قصيدة أبي فراس ، الطبعة الثانية ، بولاق (المطبعة الأميرية) ١٩٠١م .
أبو فراس شاعر وبطل ، تأليف رودولف دفوراك ، ليدن (بريل) ، ١٨٩٥ م . (النصّ بالألمانية والعربية) .
فخر أبي فراس وأبي الطيّب ، تأليف عبد الغني باجقني ، دمشق ١٩٣٢ م .
أبو فراس الحمداني ، تأليف محسن الأمين ، دمشق ١٩٤١ ثمّ ٩٤٥ م .
فارس بني حمدان ، تأليف علي الجارم ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٥م. (سلسلة اقرأ ٣٤)
شاعرية أبي فراس ، تأليف نعمان ماهر الكنعاني ، بغداد ١٩٤٧ م .
شاعر بني حمدان ، تأليف أحمد أحمد بدويّ ، القاهرة (مكتبة الانكلو) ١٩٥٢ م .
أبو فراس فارس بني حمدان وشاعرهم ، تأليف عمر فرّوخ بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) .
أبو فراس الحمداني ، تأليف أحمد أبي‌حاقة ، بيروت (دار الشرق الجدبد) ١٩٦٠ م .
أبو فراس الحمداني ، تأليف جورج غريّب ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م .

** يتيمة الدهر ١ : ٢٧ – ٧١ ؛ تاريخ حلب لابن العديم ١ : ١٥٦ وما بعد ؛ وفيّات الاعيان ١ ٢٢٤ – ٢٢٧ ؛ شذرات الذهب

٣ : ٢٤ — ٢٥ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٤٤ — ٤٩ ؛ أعيان الشيعة (١٩٤٥ م) ١٨ : ٢٩ — ٢٨٩ ؛ بروكلمان ١ : ٨٨ — ٨٩ ؛ الملحق ١٤٣٢ — ١٤٤ ؛ زيدان ٢ : ٢٨٩ — ٢٩٢ ؛
Enc. Isl. (new ed) I 119 - 120.

أبو الفضل بن العميد (الأوّل) [١]

١ — أسرة ابن العميد فارسية من بلدة قُمّ كانت ذات وجاهة وأدب.

أمّا ابن العميد هذا نفسه فهو **أبو الفضل** محمّد بن العميد أبي عبد الله الحسن؛ والعميد لقب والده (وفيات الاعيان ٢ : ٤٦٣). وقد ولد أبو الفضل بن العميد نحو سنة ٣٠٠ ﻫ (٩١٢ م) ونشأ في بيئة علم وفضل، ولكننا لا نَعْرِفَ شيوخه وأساتذته على الحَصْر. وشَبّ ابنُ العميد عارفاً بالفلسفة والأدب والتاريخ. وفي سنة ٣٢٨ ﻫ (٩٤٠ م) وَلِيَ الوزارة لرُكْن الدولة بن بُوَيْهِ، وكان والده في ذلك الحين وزيراً للملكِ السعيدِ نَصْر بن أحمدَ السامانيّ.

ولما ثار حَسْنَوَيْهِ بن الحسن الكُردي بنواحي الدِينَوَر بعثَ رُكنُ الدولة لقتاله جيشاً بقيادة ابن العميد. فلما وصل ابن العميد إلى هَمَذان، والزمانُ بردٌ، اشْتدّتْ علته عليه، وكان مصاباً بالنِقْرِس (داء المفاصل) والقُولَنْج (الإمساك المزمن)، فتوفّي في صفر ٣٦٠ ﻫ (آخر ٩٧٠ م).

٢ — ابن العميد ناثرٌ شاعرٌ، ولكنه شُهِرَ بنثرِه وفاق أقرانَه حتى قيل: بُدِئَتِ الكِتابة بعبدِ الحميدِ [٢] وخُتِمَت بابنِ العميد. وابن العميد صاحبُ مذهبٍ في الكتابة هو **مزيجٌ من أسلوب ابنِ المقفع وأسلوب الجاحظِ مَعَ التوسّعِ في الصِناعة والمَيْل إلى التكلّف**. وكان يُسمّى الجاحظَ الثاني (وفيات الأعيان ٢ : ٤٦٣ س).

---

١ تمييزاً له من ابنه أبي الفتح : علي ذي الكفايتين (ت ٣٦٦ ﻫ)، وقد تولى الوزارة بعده (راجع معجم الأدباء ١٤ : ١٩١ — ٢٤٠).

٢ راجع الجزء الأول ٧٢٣ — ٧٣١.

وفي نثر ابن العميد موازنةٌ كثيرةٌ وسَجْعٌ قليلٌ مَعَ التأنّق والإسهاب والتضمين للأشعار والأمثال . ولكنّ في نثره شيئاً من الغُموض مَردّه إلى الإسهاب وإلى كَثْرة ما يَجْمَعُهُ في رسائله من فنون المَعْرفة والإشارات التاريخية واللغوية وإلى تَداخُل جُمَله أحياناً .

وعلى شعر ابن العميد شيءٌ من الطَبْع والرَوْنَق ، ولكنه مُثْقَلٌ بالصناعة والتكلّف ، وهو على كلّ حالٍ أقلّ شأناً من نثرِه .

٣ — المختار من نثره وشعره

لما استَعصى ابنُ بلكا على رُكن الدولة كَتَبَ اليه ابنُ العميد يَلُومُـهُ ويَتَوَعّده معاً :

كتابي وأنا مُتَرَجّحٌ بين طَمَعٍ فيك ويأسٍ منك ، وإقبال عليك وإعراض عنك ؛ فإنّك تُدِلّ بسابقِ حُرمةٍ وسالفِ خِدمة أيسرُهما يُوجب رِعايةً ويقتضي مُحافظة وعِناية . ثم تشفعهُا بحادثِ غُلول وخيانة [1] ، بآنِفٍ [2] خِلافٍ ومَعْصية ؛ وأدنى ذلك يُحبِط أعمالَك ويَسْحق كل ما يُرْعى لك .

لا جَرَمَ أني وَقَفْتُ بين مَيْلٍ اليك ومَيْلٍ عليك ، أُقَدِّمُ رِجلاً لصدّكِ وأُؤخّرِ أخرى عن قَصْدِك ، وأبْسُط يداً لاصْطِلامِك واجتياحِك [3] وأثْني ثانيةً لاستبقائك واستِصْلاحك ، وأتَوَقّف عن امتثالِ بعض المأمورِ فيك ضِنّاً بالنِعمةِ عِندَك ومُنافسةً في الصَنيعة لَدَيْكَ وتأميلاً لفَيْئَتِكَ وانصرافِك ،

---

١ — مترجح (متردد في الحكم) بين طمع (في رجوعك إلى الطاعة) . الحرمة : الصلة من القرابة أو العهد أو الدين أو العرض لا يجوز أن تهتك . سالف : سابق . خدمة : القيام بعمل فيه ولاء وطاعة ونفع لشخص آخر . أيسرهما (أقل شيء قمت به منهما نحو الدولة) يوجب (على الدولة) رعاية (مراعاتك والاهتمام بأمرك) . الغلول : الخيانة في احتجان (سرقة مال الدولة) المال خاصة .

٢ آنف : مستجد ، متجدد .

٣ أقدم رجلا (أحاول مرة ، وأنا مطمئن) لصدك (عن العصيان) ؛ بالنصيحة وأوخر (رجلا) أخرى (أتحرج ، أمنع نفسي) عن قصدك (بالجيوش لمحاربتك) . الاصطلام : قطع جزء من كل . الاجتياح : الذهاب بالشيء كله . اثني ثانية : ...... عن امتثال (طاعة ، تنفيذ) بعض المامور به (معاقبتك) . ضناً بالنعمة عندك : محافظة على أن تبقى نعمة الدولة عليك (وتبقى لها صداقتك) . ومنافسة للصنيعة لديك : ليكون لنا عندك فضل أكبر مما كان لك من الخدمة عندنا . الفيئة : الرجوع (إلى الحق ، أو الطاعة) .

ورجاءً لمُراجعَتك وانعطافك ؛ فقد يَغرُبُ العقل ثم يؤوبُ ، ويَعزُبُ اللّب ثم يَثوب [1] ، ويَذهَبُ الحزْمُ ثم يَعود ، ويَفسُدُ العزمُ ثم يَصلُح ، ويُضاعُ الرأيُ ثم يُستَدرَك ، ويَسكَرُ المرءُ ثم يَصحو ، ويَكدُر الماء ثم يَصفو . وكلُّ ضِيقةٍ إلى رَخاءٍ ، وكل غَمْرةٍ إلى انجِلاء ....

وكتب إلى القاضي ابن خلاّد :

وصل كتابُك الذي وَصَلْتَ جناحَه بفنون صِلاتك وتفقّدك ، وضُروب بِرّك وتعَهّدك [2] ؛ فارتَحتُ لكلِ ما أوْليْتَ ، وابتهجتُ بجميع ما أهدَيْتَ ، وأضَفتُ إحسانَك في كل فَضلٍ إلى نظائره التي وَكَلتُ بها ذِكري ، ووَقفتُ عليها شُكري . وتأمّلت النظمَ فَمَلَكني العَجَبُ به ، وبَهَرَني التعجّب منه . وقد رُمتُ أن أجرِيَ على العادةِ في تَشبيهه بمُستَحسَنٍ من زَهرٍ جَنِيّ ، وحُلَلٍ وحُليّ ، وشُذورِ الفرائدِ في نُحور الخرائد [3] :

كالعذارى غَدَوْنَ في الحُلَلِ البيـ ... ـضِ وقد رُحْنَ في الخُطوط السود !

فلم أرَهُ لشيءٍ عِدلاً ، ولا أرضى ما عَدَدتُه له مِثلاً . والله يَزيدُك من فضله ولا يُخْليك من إحسانه ، ويُلهِمَك من بِرّ إخوانك ما تُتمّمُ به صَنيعَك لدَيهِم ويَرُبُّ معَه إحسانك إليهم [4] .

---

١ المراجعة : أن يعاود الرجل التفكير في ما كان قد عزم عليه . غرب = عزب : غاب ، زال ، بعد . آب = ثاب : عاد ، رجع . الرخاء : السعة في العيش . الغمرة : الموجة العظيمة ، معظم الماء من البحر (المصيبة تأتي فتغمر الناس : تصيبهم جميعاً) . انجلاء : انكشاف ، انقضاء ، زوال .

٢ فنون = ضروب : أنواع . الصلات والتفقد ثم البر والتعهد : العطاء والاحسان (الماديان والمعنويان) . النظائر : الأمثال (ما يماثل أو يشابه بعضه بعضاً) . أضفت احسانك في كل فضل إلى نظائره : أحسنت إلي الآن احساناً جديداً مثل الذي كنت قد أحسنته إلي من قبل (فذكرت أنا الفضلين معاً) . وكلت بها ذكرى : جعلت دأبي أن أتذكرها دائماً . وقفت عليها شكري : جعلت كل شكري لها (لم أشكر غير على فضل إلي) .

٣ النظم : الشعر ، القصيدة . زهر جني : طري (مقطوف حديثاً) . الحلل : الثياب الثمينة . الحلي : الزينة الثمينة من الذهب والجواهر . شذور الفرائد : عقود من الفرائد (اللآلي الكبار) تفصل فيها بين كل لؤلؤة ولؤلؤة شذرة (قطعة صغيرة من الذهب) . الجيد : أعلى الصدر . الخريدة : الفتاة البكر لم تمس بعد .

٤ العدل (بكسر العين) : الند (بكسر النون) : المثيل والشبيه المكافئ . يلهمك من بر اخوانك = البر باخوانك : اصطناع المعروف إلى اخوانك .... رب يرب : زاد .

– ولابن العميد من قصيدة اخوانية وجدانية :

قد ذُبتُ غيرَ حُشاشةٍ وذَماءِ ما بين حرّ هوىً وحرّ هواءِ [1] .
لا أستفيق من الغَرام ، ولا أرى خِلواً من الأشجان والبُرَحاء [2] .
وصروفُ أيامي أقمْنَ قيامي بنَوَى الخليطِ وفُرقة القُرَناء ،
وجَفاءِ خِلٍّ كُنت أحسَبُ أنه عَوْني على السَرّاء والضَرّاء ؛
أبكي ويُضْحِكه الفِراقُ ، ولن تَرى
عَجَباً كحاضرِ ضِحكِه وبُكائي .
من يُشْفَ من داءٍ بآخرَ مثلِه أثْرَتْ جَوانِحُه من الأدْواء !
لا تَغْتَنِمْ إغضاءتي فلعلّها كالعينِ تُغْضيها على الأقذاء .
واسْتَبْقِ بعضَ حُشاشتي فلعلّني يوماً أقيك بها من الأسواءِ .

٤ – ** مثالب الوزيرين : أخلاق الصاحب بن عبّاد وابن العميد ، تأليف أبي حيّان التوحيدي (بتحقيق ابراهيم الكيلاني) ، دمشق (دار الفكر) ١٩٦١ م =؛ أخلاق الوزيرين : مثالب الوزيرين : الصاحب ابن عبّاد وابن العميد ، تأليف أبي حيّان عليّ بن محمّد التوحيدي (حقّقه محمّد تاويت النجي) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) المطبعة الهاشمية ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

ابن العميد ، تأليف خليل مردم ، دمشق (مكتبة عرفة) ١٩٣١ م .

يتيمة الدهر ٣ : ١٣٧ – ١٦٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٦٣ – ٤٧٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣١ – ٣٤ ؛ بروكلمان، الملحق ١ : ١٥٣ ؛ زيدان ٢ : ٣١٢ – ٣١٥ ؛ النثر الفنّي ٢ : ١٩٣ – ٢٠١ ؛
Isl . Culture , January 1961 .

١ الحشاش والحشاشة (بضم الحاء فيهما) : بقية الروح في المريض أو الجريح . الذماء (بفتح الذال) : بقية النفس (بسكون الفاء) .

٢ الأشجان جمع شجن (بفتح ففتح) : الحزن . البرحاء : شدة الأذى (من الشيء الذي يصاب الإنسان به ، كالحمى والحب الخ) .

ابن لنكك

١ – هو أبو الحسن مُحمّدُ بنِ محمّدِ بنِ جعفَرٍ المعروف بابن لَنْكَكَ البصريّ ، لم يَصِلْ إلينا من أخبار حياته إلاّ أنه كان مُعاصراً للمتنبّي فخَمَلَ ذِكْرُه وكَسَدَ شِعْرُه فجعل يَهْجو المتنبّيَ . وقد زار بغداد . ويبدو أنّ وفاته كانت بين سنة ٣٦٠ وسنة ٣٦٢ هـ (٩٧٠ – ٩٧٢ م) .

٢ – أكثر شعر ابنِ لَنْكَكَ في الشكوى من الزمن وفي هجاء الشُعراء المعاصرين له . وأبلَغُ شِعْرِه ما لم يتَجاوزِ البيْتينِ أو الثلاثةَ . وشِعْرُه سهلٌ واضحُ المعاني متين التركيبِ ينكشفُ عن إحاطةٍ بمعارفِ عصرِه . غير أن ابن لنكك ليس مِنْ نَجْرِ المُتَنبّي في النفَسِ الشِعْريّ ولا في صِناعةِ الشِعر ولا في العِلْم .

وابنُ لَنْكَكَ مُصَنِّفٌ جَمَعَ ديوانَ الخُبْزأرزي ، وله رسالةٌ في فَضْلِ الوردِ على النسرين (... على النرجس) .

٣ – المختار من شعره

– قال ابن لنكك في الزمان وأهله :

يَعيب الناسُ كلّهم الزمانا ، وما لزمانِنا عيبٌ سوانا .
نعيب زماننا والعيبُ فينا ؛ ولو نَطَقَ الزمان إذَن هجانا !
ذئابٌ كلّنا في زِيّ ناسٍ ، فسُبحانَ الذي فيه برانا .
يَعافُ الذئبُ يأكلُ لحمَ ذئبٍ ؛ ويأكلُ بعضُنا بعضاً عِيانا !

وقال يهجو المتنبّي ويزعُمُ أن أباه كان سقّاء في الكوفة ويعرض بمجافاة أهل بغداد له :

قولا لأهل زمان لا خَلاقَ لهم، ضلّوا عن الرشد، من جهل بهم، وعمُوا:
أعطيتُمُ المتنبّي فوقَ مُنْيَتِه فزوّجوه بِرُغمٍ أمّهاتِكُمُ .
لكنّ بغدادَ ، جادَ الغيثُ ساكنَها : نِعالُهم في قَفا السقّاء تزدحم !

– وقال يصف الخمر والرياض :

قد شَرِبْنا على شَقائقِ روضٍ شَرِبَتْ عَبْرَةَ السّحاب السَكوبِ .

صُبِغَتْ من دمِ القلوب ، فما تُبْـ ـصَرُ إلاّ تعلّقَتْ بالقـلوب !

٤ — ** يتيمة الدهر ٢ : ٣٢٠ — ٣٢٤ ؛ معجم الأدباء ٨ : ٢٤٤ ح ، (١٩) :٦ — ١١ ؛ الوافي بالوفيات١ : ١٥٦ — ١٥٧ ؛ راجع فوات الوفيات ١ : ٣٨ .

كشاجم

١ — هو أبو الفتحِ محمودُ بنُ الحسينِ بنِ شاهكَ المعروفُ بكُشاجمٍ ، كان جدّه من السِند ، كما سكن أبوه سِجِسْتان فكان يُعلّم الصبيانَ في قرية من قراها تُدعى شامستيان . ويبدو أن كُشاجماً تقلّب في بلادٍ كثيرة : قيل وُلِدَ في قرية من قرى بَلْخَ ، ثمّ سكن الشام فقضي مدّة طويلة في الرمْلَة (فلسطين) فعُرِف من أجل ذلك بالرمليّ ، وكذلك سكن حلَبَ فكان طبّاخاً ومنجّماً لسيف الدولة . وذهب إلى مصر مرّتين وطال مكثه فيها وقال في وصفها شعراً كثيراً . وكذلك عرَفَ العراق وأقام في المَوْصل معَ جماعة كان منهما الخالديّان (راجع ، تحت ، الخالديان) . وعُرف كُشاجمٌ بلقبِ السندي نسبةً إلى جدّه ، كما أن لقبه كُشاجم مقْطوعٌ من ألفاظٍ تدلّ على صِفاته وعلى الفنون التي برَع فيها : الكاف من كِتابة ، والشين من شعر ، والألف من انشاء ، والجيم من جدل ، والميم من منطق . أمّا وفاته فكانت سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠ — ٩٧١ م) في الأغلب .

٢ — كان كُشاجمٌ من أهل الفصاحة والبلاغة كاتباً أديباً وشاعراً مشهوراً مدح أميرَ الزاب جعفرَ بنَ عليِّ بنِ حَمْدانَ بقصيدة فأجازه جعفرٌ عليها بألف دينار . وكذلك كان كُشاجم مصنّفاً ، له : كتاب أدب النديم ، أدب الندماء ولطائف الظرفاء ، كتاب البيزرة ، المصايد والمطارد . وله ديوان شعر .

٣ — المختار من آثاره

— من مقدّمة كتاب «أدب النديم» لكشاجم :

.... فانّي وجدتُ من تقدّمَ من العلماء وعُنِيَ بتأليف الكتب من الأدباء

قد جرّدوا بِذِكْرِ الشراب [1] كُتُباً ضَمّنوها من نُعوتِ أصنافِه ، وأوصافِ مُحَلَّلِه ومُحَرَّمِه وتَبْيينِ خِصالِه ولَطائفه وحدودِ منافعه ومَضارِّه وضُروب [2] مَلاذِّه ومَسارِّه ما استغرقوا فيه المَعنى واستَوفَوْا به المَدى . وأغفلوا ذِكْرَ النديمِ بما يَجِبُ ذِكْرُهُ والتَنْبيهُ على مَنْزِلته ومَوْقِعه وإفرادَه من القول بما يُبَيّنُ عن فضله ويَدُلّ على مَحلِّه ، إلاّ في جُمَلٍ أدْرجوها ولم يَبْسُطوها ولُمَعٍ في أطراف الكتب فرّقوها ولم يُؤلّفوها .

فأحببتُ أن أجرّدَ [3] في ذلك كتاباً أفصّلُه وأبوّبه وأفيَ كلّ معنىً فيه حقّه وأضُمّ إلى كلّ شكل شَكْلَه ، وأجمعَ إلى ما تَستَطيبه القريحةُ أحسنَ ما وَجدتُه في هذا المعنى مُتَفرّقاً في أمثالِ الحكماءِ ومنظومِ الشعراء ومنثور البُلَغاء وأخبار الظرفاء ، وأودعَه من **أدب النديم** ما لا يَستغني عنه شريفٌ ولا يجوزُ أن يُخِلّ به ظريفٌ لِيكونَ منهاجاً واضحاً لِمَنْ نَظَرَ فيه وإماماً يَقْتَدي به مَنْ وقع اليه .....

– باب أخلاق النديم (من كتاب أدب النديم) :

وليسَ أحدٌ من أصحابِ الملوك وخُلَطائهم هو أوْلى باستجماعِ محاسنِ الأخلاق وأفاضل الآدابِ وطرائف المُلَح وغرائبِ النُتَف من النديم . حتّى إنه لَيَحتاجُ (إلى) أن يكونَ فيه أشياءُ مُتَضادّةٌ فيكونَ فيه مَعَ شَرفِ الملوك تواضعُ العبيد ، ومَعَ عفافِ النُسّاك مُجونُ الفُتّاك [4] ، ومَعَ وَقار الشيوخ مُزاحُ الأحداث . وكلّ واحدةٍ من هذه الخِلال هو مُضْطَرٌّ إليها في حال لا يَحسُنُ أنْ يُخِلّ فيها ، ووَقْتٍ لا يَسَعُه العدولُ [5] عنها ، وإلى أن يَجتَمع إليه من قوّة الخاطر ما يفهمُ به ضميرَ الرئيس الذي يُنادمه على حَسَب ما يَبْلوه [6] من أخلاقه ويعلمُ من معاني لَحْظِه وإشارته ما يُغْنيه عن تَكلّفِ عبارته

---

١ الشراب : الخمر .
٢ ضروب : أنواع .
٣ أجرد في ذلك كتاباً : أجمع أخباره (مجردة من غيرها) في كتاب .
٤ الفتك : اتيان ما تميل اليه النفس من المعاصي .
٥ العدول : الحيد ، الانصراف ، الرجوع .
٦ يبلوه : يختبره ، يعرفه .

والإفصاح بـه فيَسْبِقُهُ إلى شهوتـه ويَبْدُرُه [1] إلى إرادته ، كما قال بعض الكُتّاب :

ونديمٍ حُلْوُ الحديثِ يُجـاريـ ـلك بما تَشْتهيه في مَيْدانِكْ ؛
ألْمَعِيٍّ [2] كأنّ قَلْبَكَ في أضْـ ـلاعِهِ أو كلامَهَ بِلِسانِكْ !

– وقال كشاجم يتغزّل :

ورأيتُه في الطِرْسِ يكتبُ مـرّةً غَلَطـاً ويُوصِلُ مَحْوَه بِرُضابِهِ [3] .
فَوَدِدتُ أنّي في يَدَيْهِ صَحيفـةٌ ، ووَدِدتُه لا يَهْتدي لِصَوابـه !

– وقال يتغزّل أيضاً :

لاعَبْتُ بالخـاتَمِ إنْسانـةً كالبدرِ في داجي الدُجى الفاحِمِ ؛
ثمّ إذْ تابَعْتُ أخْذي لـه من البَنان المُتْرَفِ النـاعم [4]
خبّتْه في فيها فقُلْتُ : انْظُروا، قد خبّتِ الخاتَمَ في الخاتَمِ [5] !

– وقال يفتخر :

بَكَرَتْ تلومُ على السَماحِ وتَعُدّ ذلك من صَلاحي [6].
هيهاتِ ! ليسَ يَصونُ لي عِرْضي سوى المالِ المُبـاحِ .
وأبي اللّواحي ، إنّـني لَهِجَ بعِصْيانِ اللواحي [7] ،
مُعْطي البَطالَةِ مـا تُحِبّ من البَطالةِ والمِراحِ [8] ،
مُتَفرّقٌ : في الجِدّ أحـْـ ـياناً ، وحيناً في المُزاحِ .

---

١ يبدره : يسبقه ، يعجل قبله (إلى تنفيذ ارادته) .
٢ الألمعي : الذكي المتوقد الذكاء .
٣ الطرس : الورق . الرضاب : الريق ما دام في الفم .
٤ البنان : جمع بنانة : عقدة الاصبع (المقصود : الاصبع) .
٥ الخاتم الثانية : الفم (كناية عن صغره) .
٦ السماح : (الكرم) . تعد ذلك : تحسب لومها أياي على الكرم . من صلاحي : حبا بي .
٧ اللواحي جمع لاحية : لائمة . وأبي اللواحي : أقسم بأبي اللواحي . لهج بالشيء : أغرم بـه ، تعلقت بـه نفسه .
٨ البطالة (بفتح الباء) : الهزل واللهو . المراح (بكسر الميم) : النشاط والاختيال والتبختر .

بَيْنَاً أجُرّ من الغَـــلا   ئِلِ رُحْتُ في شكّ السِلاح[1].
ومريضةِ الأجفانِ تعــ   ـمَلُ في ضَنى المُهَجِ الصِحاح[2]؛
رُودُ القَوامِ خريــدةٌ   أعْطافُها طَوْعُ الرِّياح[3]،
رَيّا الروادفِ طَفْلَــةٌ   ظَمأى الحَشا غَرْثى الوِشاح[4].
في حُجْرها مُتَرَنّـــمٌ   يشدو بأوتارٍ فِصاح[5].
تُغْضي على حَوَرٍ وتضـ   ـحك حين تضحك عن أقاح[6].
قومي بنو سامانَ ليــ   ـس حِماهُمُ بالمُسْتباح[7].
العاقدي التيجـانِ تضــ   ـحك عن وُجوهِـهِـمُ الصِباح[8].
وإذا تَشاجرتِ الرِّما   حُ فانّ أقلامي رماحي[9].
يا ويلَ دهري ! لو تبَيّنَني لأحْجَمَ عن كِفـاحي[10].
ولقدْ عَجِبْتُ من الليا   لي كيف هاضتْ من جَناحي[11].

---

١ في بعض الأحيان ألبس غلالة (بكسر الغين) : ثوب رقيق يلبس تحت الدثار (كناية عن البقاء في البيت والعيش في هدوء ونعمة) ؛ وفي بعض الأحيان تراني في شك (بكسر الشين) جمع شكة (بكسر الشين) : المجموعة الكاملة من السلاح (كناية عن الذهاب إلى الحرب) .

٢ مريضة الاجفان : ناعسة العيون . تعمل (تسبب) ضنى (مرض) المهج (القلوب) .

٣ رود : لينة . القوام : القامة ، بناء الجسم . الخريدة : المرأة البكر الحيية (الجميلة) .أعطافها طوع الرياح : تمايل كثيراً (للين جسمها ودلالها) كأنما تتلاعب بها الرياح .

٤ طفلة (بفتح الطاء) : لينة . ظمأى الحشا : جائعة البطن (كناية عن دقة خصرها) غرثى (شبعى ، ملأى) الوشاح : الرداء تلقيه المرأة على كتفيها (كناية عن اتساع صدرها وعرض كتفيها) .

٥ في حجرها (حضنها) مترنم (مغن ، أي عود) . فصاح ، فصيحة : ظاهرة المعاني والمرامي .

٦ تغضي : تطبق أجفانها . الحور : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها . وإذا ضحكت ظهرت أسنانها مثل بتلات زهرة الاقحوان (كناية عن بياضها وجمالها وصحتها) .

٧ بنو سامان : قوم من الترك من أهل بلخ أصبحوا ملوكاً . الحمى : المسكن وما يحامى عنه . المستباح : الذي يقتحمه العدو أو يستولي عليه .

٨ عقد التاج : لبسه . الوجه الصبيح : الأبيض المشرق الجميل .

٩ تشاجرت الرماح : اشتبك بعضها ببعض (وقعت الحرب) . فان اقلامي رماحي : أنا أجاهد بأقلامي (كما أجاهد برماحي أو كما يجاهد غيري برماحه) .

١٠ لو تبينني : لو عرف مقداري ومنزلتي . لأحجم : لتراجع وهاب . كفاحي : صراعي وقتالي .

١١ هاض جناحه أو من جناحه : جعله ضعيفاً ذليلا .

لكنّها حَرْبُ الحَيِـيِّ وسَلْمُ ذي الوَجْه الوَقاح[1] .
وعليّ أن أسْعى ، وليـ ـس عليّ إدراكُ النجاح !

٤ ــ أدب النديم ، بولاق ١٢٩٨ ﻫ .
ديوان .... كشاجم ، بيروت ، (المطبعة الانسية) ١٣١٣ ﻫ .
أدب الندماء ولطائف الظرفاء ، الاسكندرية ١٣٢٩ ﻫ .
المصايد والمطارد (نشره محمّد أسعد طلس) ، بغداد ١٩٥٤ م .
•• الفهرست ١٣٩ ؛ زهر الآداب ١ : ٣١٦ وما بعد ؛ وفيات الأعيان ١ : ٣٥٨ ــ ٣٦٠ (في ترجمة السريّ الرفّاء) ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٧ ــ ٣٨ ؛ أعيان الشيعة ٤٧ : ١٦٦ ــ ١٧٢ ؛ بروكلمان ١ : ٨٥ ، الملحق ١ : ١٣٧ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٢ .

السَرِيُّ الرَفّاء

١ ــ هو أبو الحسنِ السَريّ بنُ أحمدَ بنِ السري الكِنديّ المَوْصليّ الرفّاء، وَضَعَهُ أبوه صغيراً عندَ الرفّائين (في سوق البزّازين) فتعلّمَ صِناعةَ الرَفْوِ والتطريزِ ليتكسّبَ بها ، ولكنّه كان مَيّالاً إلى قول الشِعر . فلما جادَ شِعرُه تركَ صِناعةَ الرَفْوِ واشتغل بالوِراقةِ (نسخ الكتب) . غير أن رزقه لم يتّسعْ .

ويبدو أن المُنافسةَ بينَه وبين الخالديّيْنِ (انظر : تحت) بدأتْ منذ كانوا كلّهم في المَوْصِلِ . ثم اجتمعوا في بلاط سيف الدولة في حلب فحالتِ المنافسةُ بينه وبينَهما عداوةً وضَغينةً . ويبدو أن سببَ ذلك كلّهِ كان فقرَ السَريّ الرفاءِ وحسدَه بينما كانا هما يتمتعانِ بحَظْوة عند الأمراء والكُبراء أقبلتْ بها الدُنيا عليهما .

ولما تُوُفّـيَ سيفُ الدولة ، سنة ٣٥٦ ﻫ (٩٦٧ م) ، رَحَلَ السّريّ عن حلَبَ

[1] لكنها : لكن الدنيا . حرب الحيي وسلم الوقاح : تحارب الحيي ذا المروءة وتقاومه ثم تسالم الوقح وتنيله مطالبه .

إلى بَغدادَ ؛ وكان المُهلّبي قد تُوُفّـِيَ قبلَ أربعِ سَنَوات ، فتكسّب بمدحِ الكُبراء والأعيان ؛ ولكنّ الدنيا أبتْ أن تُقْبِلَ عليه حتّى توفّي سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) ، في رواية ياقوت (معجم الأدباء ١١ : ١٨٥) .

٢ – كان السَريّ الرفّاءُ شاعراً مطبوعاً عَذْبَ الألفاظِ مليحَ المأخَذِ كثيرَ الافتنان (التفنّن) في التشابيهِ والأوصاف ، ولكنّه كان لا يُحْسِنُ من العُلوم إلا قولَ الشعر . وكان مُعْجَباً بكُشاجم « في طريقهِ يذهَبُ وعلى قالَبه يَضرِب » . أما فنونُ شعره فكانت المديحَ والرثاء والهجاء والغزل والخمريات والأوصافَ . وكل شعرِه جيّدٌ .

واشتغالُ السريّ الرفّاءِ بالوِراقةِ سَهّل عليه تصنيفَ الكُتُبِ ، فمن تصانيفه كتاب المُحِبّ والمحبوب والمشموم والمشروب[١] . وديوان شِعره جَمَعَه بنفسه .

٣ – المختار من شعره

– قال يصف الهلال :

مرحباً بالصَبوح في الظلماء ، وبعذراءَ من يَدَيْ عذراءِ ،
وبُسكرين : من لِحاظِ غزالٍ ساحرٍ لحظُه ، ومن صهبـاء .
وكأن الهلال نونُ لُجَيْنٍ غَرِقتْ في صحيفةٍ زرقاء!

– وقال في النسيب :

أظباءُ وَجْرَةَ أقْصَـدَتْـ ـكَ بسحر أجفانٍ فواترْ[٢] !
جنَتِ الهوى وتنَصّلتْ باللحظ من تلك الجرائر .
لأُخاطِرَنّ ، ومـا المُـنى في الحُبّ إلاّ للمُخاطر ،
ولأُوضِحَنّ صَبـابـتي بالدّمْع في الدِمَنِ الدوائر[٣] .

---

١ يلمح من النسخة المطبوعة من معجم الأدباء ان هذه الألفاظ الأربع اسمان لكتابين .

٢ أظباء (مختارات البارودي ٤ : ٢٦٧) مضبوطة بالنصب . وجرة : علم بين مكة والبصرة مشهور بالظباء ، يبدو أنه قريب من الكويت اليوم . أقصد : أصاب فقتل .

٣ سأشرح صبابتي (شدة عشقي) وأقيم الدليل عليها بكثرة بكائي في المنازل التي هجرت بعد أن كانت معمورة .

تالله ، أغـــدُرُ في الهَوى ما دُمْتُ مُسْوَدَّ الغدائر [1] .

— وله في الهجاء :

كيفَ يَخْشى المَلْحِيّ رِقّةَ حـالٍ بعد أن فاز من قَفاه بكَنْزٍ [2]
قد لعَمْري ، رَفعْتُه بهجائي ؛ وارتفاعُ المَصلوبِ ليس بعزّ

— وقال يمدح الوزير المهلّبي :

وتاجرةٍ بالخَمْر تُؤثِرُ صَوْنَهـا عن البَيْعِ أو تلقى الغنى فتَبيعُها.
إذا زارها وَفْدُ الرّضاع تَبرّعت بعذراءَ لا يَهْوى الفِطامَ رَضيعُها [3]
فلا طيبَ إلاّ أنْ يَفوحَ نسيمُها ، ولا فجرَ إلاّ أن يَلوحَ صَديعهـا .
أقمْنا لَدَيْها في رِياضٍ أنيقـةٍ نَمارِقُها مَوْشيّةٌ وقُطوعها [4] ،
نَروعُ بأسيافِ المُدام هُمومَنـا كأنّا بأسياف الأمير نَروعها [5] .
وأزهرَ ينقادُ الزمان لأمره ، وتأمره زُهْرُ العُلا فيطيعهـا ؛
هُمامٌ وقى الاعداءَ من سطواتـه تباعدُها من سخطه فنزوعها [6] :
أعَلّ صدورَ السُمْر وهو حَبيبها ، وفلّ شِفارَ البيض وهو ضَجيعها [7].
وقد علِمَتْ أموالُه حين سامَها حِفاظَ المعالي أنّه سيُضيعهـا .

---

١ أغدر : لا أغدر (الفعل المضارع في جواب القسم يكون منفياً من غير حرف نفي . قال الله تعالى : تالله ، تفتأ تذكر يوسف — سورة يوسف ، رقم ١٢ : ٨٥) مسود الغدائر (الضفائر) : اسود الشعر ، شاب .

٢ الملحي = الملتحي : الذي نبتت لحيته . في الشطر الثاني من هذا البيت كناية قبيحة .

٣ وفد الرضاع كناية عن الجماعة الذين يريدون شرب الخمر . عذراء : (خمر في دن لم يشرب أحد منه بعد) . لا يهوى الفطام رضيعها : الذي يشرب من هذه الخمر لا يريد أن ينقطع عنها (لطيبها ولاكتفائه بالعيش عليها) .

٤ النمارق والقطوع : الطنافس والبسط (والمقصود هنا أن أرض الرياض ونباتها المرتفع عن مستوى الأرض مزدهر بأنواع الازهار المختلفة الألوان) .

٥ نروع : نخيف . — شبه الخمر بجيش يحمل أفراده السيوف ويهجمون على الهموم فتخاف الهموم وتهرب عنا . في هذا البيت استطراد بارع من وصف الخمر إلى مدح الأمير .

٦ حمى الاعداء من بطشك بهم أنهم يسكنون بلاداً بعيدة عنك ونزوعهم (امتناعهم عن الاقدام عليك : مسالمتك) .

٧ — لقد أمرض السمر من الرماح لكثرة ما طعن بها (مع أن السمر من النساء يحببنه) ، ثم هو قد قطع حد البيض من السيوف (مع أنه يحب البيض من النساء) . لاحظ التورية أيضاً بين شفار السيوف (حدها) وبين شفار العيون (الشعر النابت في أجفانها) .

ومعركةٍ يَسْوَدُّ للنقع أفقُها ، وتَحْمَرّ من فيض الدماء رُبوعها ،
إذا ازدحمتْ فيها السيوف حَسِبتَها يَنابيعَ ماءٍ ضاقَ عنها نَجيعهـا .
وكم خُطّة حاولتَها فاستطعتَها بسيفِكَ ، والأيامُ لا تستطيعها !

— قال السري الرفّاء في السلوّ والنسيان :

سَلَوْتُ محمّداً لمّا تَمادى به الهِجْرانُ وانقَطعَ العتابُ .
وقدْ يُنْسى الربيعُ إذا تَوَلّتْ لياليهِ ، وقد يُسْلى الشباب !

— وقال في الإخفاق في السعي للغنى :

سَفَرٌ رَجَوْتُ به النِهايةَ في الغِنى فبلغتُ منه نِهايةَ الإملاقِ [١] ،
مِثْلَ الهِلالِ أغذَّ شَهْراً كاملاً فرماه آخرُ شَهرِه بمُحاق [٢] .

— وقال يصف منزل لهو :

مِنْزِلٌ في فِناء دِجلةَ ، يَسْرُ تاحُ اليه الخليعُ والمَستورُ [٣] ،
طائرٌ في الهواءِ : فالبرقُ يَسْري دونَ أعلاه ، والحمام يطير .
ليس فيه إلاّ خُمار وخَمْرٌ ، ومَمات من سَكْرة ونُشور [٤] .

٤ — ديوان السريّ الرفّاء ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٥ هـ .

** السريّ الرفّاء ، تأليف يوسف أمين قصير ، بغداد (مطبعة الشباب) ١٩٥٦ م .

الفهرست ١٦٩ ؛ تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤ ؛ يتيمة الدهر ٢ : ١٠٣ — ١٦٥ ؛ معجم الأدباء ١١ : ١٨٢ — ١٨٩ ؛ وفيات الأعيان ١ :

---

١ النهاية في الغنى : غاية الغنى (المال الكثير) . الاملاق : الفقر .

٢ أغذ السير : أسرع . المحاق : الامحاء الكامل لنور القمر في آخر الشهر .

٣ الفناء : البساحة الفسيحة أمـام البيت وغيره . الخليع : الذي لا يبالي بكلام الناس . المستور : الذي يحاذر أن يتكلم الناس فيه (فإما أن يجتنب اللهو مرة واحدة وإما أن يأتي شيئاً يسيراً من اللهو في ستر) .

٤ الخمار (بضم الخاء) : السكر (ما يصيب الإنسان بعد شرب الخمر) . مماث : سكر من الخمر (غيبة عن الوعي) . النشور في الأصل : قيام الأموات من القبور يوم القيامة (هنا : الاستفاقة والوعي = الصحو من السكر (حتّى نعاود شرب الخمر لنرجع إلى السكر ، فصحونا وسكرنا متصلان) .

٣٥٨ – ٣٦٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٧٣ – ٧٤ ؛ بروكلمان ١ : ٨٩ – ٩٠ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٢ – ٢٩٤ ؛ أعيان الشيعة ٣٤ : ٣٥ (؟) – ١٤٦ .

الناشىء[١] الاصغر

١ – هو أبو عليّ الحلاّء عليّ بنُ عُبيدِ الله بنِ وَصيفٍ المعروف بالناشئ الأصغر ، وُلِدَ في الجانب الشَرقيّ من بَغدادَ ، سَنَةَ ٢٧١ هـ (٨٨٤ – ٨٨٥ م) .

كان الناشي الأصغرُ يعملُ حلاّءً في صِناعة الصُّفْر (النحاس الأصفر) وتخريمِها ويصنع القناديلَ وغيرَها مِنَ الأدواتِ التي تُصنعُ عادةً من النّحاس ، إلى جانبِ تكسّبهِ بالشعر . واتّصل الناشي بآل البَريديّ المُستبدّينَ بالبصرة (٣٢٠ – ٣٣٤ هـ) فمدح أبا عبدِ الله أحمدَ البريديّ الكبيرَ الذي وَزَرَ فيما بعد للخليفة الراضي وللخليفة المتّقي ثلاثَ مرّاتٍ في فَتَرات مُختلفة بين سنة ٣٢٥ وسنة ٣٣٢ هـ . وفي مطلع تلك الفترةِ زارَ الناشي الأصغرُ الكوفةَ ، فقد قال (معجم الأدباء ١٣ : ٢٩٠) : « كنتُ بالكوفةِ في سَنة ٣٢٥ ، وأنا أُملي شِعري في المسجدِ الجامعِ بها والناسُ يكتبونه عنّي . وكان المتنبّي إذ ذاك يَحْضُرُ مَعَهُم ، وهُوَ بَعْدُ لم يُعْرَفْ ولم يُلَقّب بالمتنبّي .... فلمحتُه يكتُبُ .... » ثم اتّصل الناشي الأصغر بالخليفة الراضي (٣٢٢ – ٣٢٩ هـ) على يد ابن رائقٍ الذي تولّى إمارة الأمراء في بَغدادَ من أولِ سَنة ٣٢٤ إلى أواخرِ سَنة ٣٢٦ للهجرة (أواخر سنة ٩٣٥ إلى أواخر ٩٣٧ م) ومدح ابنَ رائقٍ أيضاً . وكذلك اتّصل الناشي الأصغرَ بسيفِ الدولة (٣٣٣ – ٣٥٦ هـ) اتّصالاً وثيقاً ومدحه ، كما مدح عَضُدَ الدولة بنَ بُوَيْه صاحبِ فارسَ وخوزستانَ (٣٣٨ – ٣٧٢ هـ) وابنَ العميدِ الذي وَزَرَ لركْنِ الدولة بن بويه في أرّجانَ من سَنة ٣٢٨ إلى ٣٥٩ للهجرة ، وكافوراً الإخْشيديّ (٣٥٥ – ٣٥٧ هـ) .

وكانت وفاةُ الناشي الأصغرِ يومَ الاثنين في الخامس من صفر سنة ٣٦٥ هـ (١٤–١٠–٩٧٥ م) .

١ الناشىء بالهمزة ، ولكن كثيراً ما يرد اسمه « الناشي » بلا همزة .

٢ – كان الناشي الأصغر أديباً وشاعراً ، كما كان متكلّماً بارعاً على مذهب المُعْتَزِلَة . وكان يعتقدُ حقّ آلِ أبي طالبٍ في الإمامةِ ويُجادِلُ عنهم ، وقد استنفدَ مُعْظَمَ شِعرِه في مديح آل البيتِ .

٣ – المختار من شعره

– قال الناشي الأصغرُ قصيدة في مديح آل البيت جاء فيها :

بني أحمدٍ ، قلبي لكم يَتَقَطّعُ ؛ بمِثْلِ مُصابي فيكُمُ ليس يُسْمَعُ .
عَجِبْتُ لكم تَفْنَوْنَ قتلاً بسَيْفِكِم ، ويسطو عليكم مَنْ لكم كان يَخضَع [١] .
كأنّ رسولَ اللهِ أوصى بقَتْلِكُمْ وأجسامِكم في كلّ أرضٍ تُوَزّع [٢] !

– وقال يصف الثريّا :

ولَيْلٍ تَوارى النّجمُ من طولِ مُكْثِه كما ازْوَرّ محبوبٌ لخوفِ رقيبه [٣] .
كأنّ الثريّا فيه باقَةُ نَرْجِسٍ يجيءُ بها ذو صَبْوة لحبيبه .

– وله قصيدة يصف فيها الخمر ، بعد أن وصف الديار فقال :

وَقَفْتُ على أرجائها أسألُ الرُّبى عن الخُرّدِ الأتراب والدارُ صَفْصَفُ [٤] .
وكيف يجيبُ السائلينَ مرابعٌ عَفَتْها شآبيبٌ من المُزنِ وُكّفُ [٥] ؟
دِنانٌ – كرُهبانٍ عليها برانِسٌ من الخزّ – دُكْنٌ يومَ فُصْحٍ تُصَفّفُ [٦] ؛

---

١ تفنون قتلا بسيفكم : تقتلون بالسيف (بالحكم ، بالدولة) الذي هو بالاصل لكم (من حقكم) . – ويستبد بكم (يحكمكم) من كان رعية لكم .

٢ .... وكأنه أوصى بأن توزع أجسامكم في كل أرض (بأن تقتلوا في كل مكان من الأرض) .

٣ لعل الشاعر يصف الليل في آخره حينما لا يبقى من النجوم إلا ما كان في أطراف السماء (النجوم ذوات الاقدار الكبيرة) .

٤ الخرد جمع خريدة : الفتاة البكر ، الحيية الطويلة السكوت ، الخافتة الصوت ، المتسترة (قا ١ : ٢٩١) . الاتراب : الأولاد في سن واحدة . الصفصف : الأرض المستوية (التي لا بناء فيها ولا نبات الخ ... أو التي خربت بعد أن كانت عامرة) .

٥ عفتها : محت معالمها ، أزالت ما عليها من العمران . شآبيب جمع شؤبوب (بضم الشين) : الدفعة الشديدة من المطر . المزن : المطر . وكف جمع وكوف (في الأصل الناقة الغزيرة اللبن) : الغمامة التي تهطل بلا انقطاع .

٦ دنان جمع دن (بفتح الدال) : وعاء كبير للخمر . خز : حرير . دكن جمع أدكن : قاتم اللون (صفة لدنان) . الفصح : عيد للنصارى يأتي في الربيع .

يُنَظِّمُ منها المَزْجُ سِلْكاً كأنّـه ، إذا ما بدا في الكأسِ ، دُرٌّ مُنَصَّفُ[1] .

— ومما يروى له :

إذا أنا عاتبْتُ المُلوكَ فإنّمـــا أخُطُّ بأقلامي على الماءِ أحرُفا .

وهَبْهُ ارْعَوى بعدَ العِتابِ ، ألَمْ يكنْ

تَوَدُّدُهُ طبعاً فصار تَكَلُّفا !

٤ — ** الفهرست ١٧٨ ؛ يتيمة الدهر ١ : ١٩٧ — ١٩٨ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ٢٨٠ — ٢٩٩ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٧ — ٤٩ ؛ اعيان الشيعة (١٩٦٠ م) ٤١ : ٣٢٩ — ٣٤١ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٨٨ في الحاشية .

أبو سعيد السيرافي

١ — هو أبو سعيدٍ الحسنُ بن عبدِ الله[2] السيرافي ، وُلِدَ في سيرافَ[3] سَنَةَ ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م) في الأغلب وبدأ تحصيلَ العلمِ في بَلَدِهِ . وفي نحو سنة ٣٠٠ هـ رَحَلَ إلى عُمان ودرس شيئاً من الفِقْه ثم عاد إلى سيراف . ثم إنه انتقل إلى عسكر مُكْرَمٍ وقرأ النحو على أبي بكر المَبْرَمان . وكذلك قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد ، والأصولَ على محمد بن عُمَرَ الصَيْمري ، وتبحّر في النحو على أبي بكرِ بن السرّاج . وكذلك درسَ أشياءَ من الرياضيات والهندسة والفَلَك والمَنْطق .

ولعل السيرافي دخلَ إلى بغدادَ بُعَيْدَ سَنَة ٣١٠ هـ ودرس فيها اللغةَ على أبي بكرِ بن دُريد (توفي سنة ٣٢١ هـ) . ويبدو أن قاضيَ القُضاةِ أبا محمدٍ

---

١ — إذا مزجت هذه الخمر بالماء ظهرت (على سطح المزيج) في الكأس أسلاك (عقود) من الحباب (بفتح الحاء : فقاقيع) كأنه در (لؤلؤ) منصف (مفصول بين حباته في العقد) — يقول : حينما تمزج هذه الخمر بالماء تطفو على وجهها فقاقيع كأنها عقود من اللؤلؤ ، ولكن على غير نظام معين .

٢ كان أبوه على المجوسية وكان اسمه بهزاد ثم أسلم فسماه عبد الله . ويبدو أن أباه كان مرزباناً (حاكماً على مقاطعة) ولذلك نجد في نسبه : .... أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان ....

٣ سيراف : بلدة على الشاطئ الجنوبي الغربي من فارس ، على خليج البصرة .

ابن معروف قَدْ جعَلَ السيرافي نائبَه في القضاء في الجانبِ الشرقيّ من بغدادَ (في الرّصافة) نحو سنة ٣١٨ ﻫ ثم أنابَه مكانَه في الجانب الشرقي والجانب الغربي (في الكَرْخ) .... وفي سنة ٣٢٠ ﻫ كانت المناظرة بين السيرافي وبين أبي بِشْر متّى بن يونس القنّائي المَنْطيقي في المنطق ، وقد خرَج السيرافي منها منصوراً. وفي سنة ٣٤٠ ﻫ كان جاهُه قد عَظُم وانتشر صيتُه ووردتْهُ المكاتبات من أقطار العالم الإسلامي تخاطبه بالألقاب : إمام المسلمين والشيخ الفَرْد وشيخ الإسلام . في هذه الأثناء كان السيرافي يدرّس ويَلِي القضاءَ من غير أن يأخذَ على التدريس أو على الحُكم مالاً ، بل كان يعيشُ من كسب يده في نَسْخ الكتب . وفي هذه الفَتْرة كان السيرافي مُؤدِّباً لأبي اسحقَ بنِ مُعزِ الدولة [1] . وفي سنة ٣٦٤ ﻫ جرت المناظرة بينه وبين أبي الحسن العامري الفيلسوف النيسابوري .

وكان السيرافي تقيّاً زاهداً كثيرَ الصوم . أمّا وفاته فكانت في الثاني من رَجَبَ سَنَةَ ٣٦٨ (٣-٢-٩٧٩ م) .

٢ — كان السيرافي عالماً بعلوم القرآن وبالحديث أميناً ثقة ، وله علمٌ بالفرائضِ (تقسيم الإرْث) وبالفقْه والكلامِ واللغة والنحو والشعر . وقد كان مُعْتَزِليّ الرأي إلاّ أنه لم يُظْهِرْ شيئاً من الجدال في ذلك . وهو الذي سهّل تعليمَ النحو ، وشرح كتاب سيبويه فأجاد . ويبدو أنه كان على جانب وافرٍ من المعرفة بالحساب والهندسة والفلك .

وكان السيرافي مقتدراً في المناظرة جيّدَ الأُسلوبِ جامعَ الرأي قادراً على استمالةِ السامعين وعلى إقناعهم .

وللسيرافي كُتُب منها : شرح كتاب سيبويه (٣٠٠٠ ورقة) ، شواهدُ كتابِ سيبويه ، المدخل إلى كتاب سيبويه ، ألِفات الوصل والقطع ، أخبار النحويين البصريين ، الوقف والابتداء ، صنعة الشعر والبلاغة ، الاقناع في النحو ، شرح مقصورة ابن دريد ، كتاب جزيرة العرب .

٣ — المختار من نثره

— من مقدّمة كتاب أخبار النحويين البصريين :

بسم الله الرحمن الرحيم : كتابٌ فيه ذِكْرُ مَشاهيرِ النَحْويّين وطُرَفٌ من

[1] أصبح معز الدولة أمير الأمراء في بغداد سنة ٣٣٤ ﻫ .

أخبارِهم وذِكْرُ أخْذِ بَعْضِهم عن بعضٍ والسابقُ منهم إلى عِلْمِ النحو . اختلفَ الناسُ في أولِ من رَسَمَ النحوَ فقال قائلون أبو الأسودِ الدُؤليّ ؛ وقال آخرونَ نَصْرُ بن عاصمٍ الدّؤليّ ، ويُقال الليْثي . وقال آخرون عبدُ الرحمن بن هُرْمُزَ . وأكْثرُ الناسِ على أبي الأسودِ الدُؤليّ ، واسْمُه ظالمُ بنُ عَمْرِو بنِ سُليمانَ بن عمرو بن حِلْس بن نُفاثة بن عَديّ بن الدُؤل ابنِ بكرِ بن كِنانة ، وكان من سُكّان البصرة . والنسبة اليه دُؤَلي ، كما يُنْسَبُ إلى نَمِرٍ نَمَرِيّ فيُفْتَحُ استثقالاً للكَسْرة . ويجوزُ تخفيفُ الهمزة فيُقال دُوَليّ بقلبِ الهمزة واواً محضة [١] ، لأن الهمزة إذا انفتحتْ وكان ما قبلَها ضمةٌ فتَخْفيفُها بقَلْبِها ووا محضة ، كما يُقال في جُؤَن [٢] جُوَن . وقد يُقال الدُيَليّ بقلبِ الهمزة ياء حينَ انكسرت ؛ فإذا انقلبتْ ياءً كُسِرتِ الدالُ لِتَسْلَمَ الياء كما تقول قِيل وبِيع ....

٤ – كتاب أخبار النحويين البصريين (اعتنى بنشره وتهذيبه فريتس كرنكو) ، بيروت وباريس (المطبعة الكاثوليكية ومكتبة بول كتنر) ١٩٣٦ م .

** الفهرست ٦٢ – ٦٣ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٣٤١ – ٣٤٢ ؛ طبقات الزبيدي ١٢٩ – ١٣٠ ؛ معجم الأدباء ٨ : ١٤٥ – ٢٣٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٣١ – ٢٣٢ ؛ إنباه الرواة ١ : ٣١٣ – ٣١٥ ؛ بغية الوعاة ٢٢١ – ٢٢٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٦٥ – ٦٦ ؛ بروكلمان ١ : ١١٥ ، الملحق ١ : ١٧٤ .

أبو منصور الازهريّ الهرويّ

١ – هو أبو منصورٍ محمّدُ بنُ أحمدَ الأزهريّ – نِسْبةٌ إلى جَدّه أزهرَ ابنِ طلحةَ بنِ نوحِ بنِ أزهرَ – وُلِدَ في هَراةَ سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٥ – ٨٩٦ م) .

---

١ كذا في الأصل المطبوع ، والصواب أن تكون محضاً لأنها مصدر يقوم مقام النعت ، والمصادر لا تؤنث .

٢ الجؤنة والجونة : سلة صغيرة مستديرة مغشاة أدماً (جلداً) .

أخذ أبو منصور الأزهري العلم عن أبي الفضل المنذري عن ثعلب [1] وعن نفر كثيرين من أئمّة الدين وأئمّة اللغة [2] .

حجّ أبو منصور الأزهري في سنة ٣١١ ﻫ (٩٢٤ م) . ثم غادر المدينة مع القوافل الأولى من أهل العراق . فلمّا وصلت قافلتُهم إلى الهَبير [3] سقط عليهم القرامطة [4] ، في ١٨ من المحرّم سنة ٣١٢ ﻫ (٢٦-٤-٩٢٤ م) فقتلوا جماعةً منهم وأسروا جماعةً . ووقعَ الازهري في أسرِ قومٍ من البدوِ فكانوا يَحْملونه معهم في رحلاتهم يَشْتو في الدَّهناء ويرتبع في الصَّمّان ويَقيظ (يَصيف ، يَقْضي الصيفَ) في الستارَين [5] . ويبدو أن الأزهريّ أقام في هذا الأسرِ بِضْعَ سَنَواتٍ جَمَعَ في خِلالِها كثيراً من ألفاظِ اللغة من قبائلَ لم يكن قد تَطَرَّقَ إلى كلامِها لَحْنٌ كثيرٌ .

ولمّا نجا الأزهريّ من أسره دَخَلَ بغدادَ وأدركَ فيها ابنَ دُريدٍ (توفي سنة ٣٢١ ﻫ) ولكن لم يأخذْ عنه شيئاً لِكِبَرِ سنّه ، غير أنه أخذ عن نِفْطويه (ت ٣٢٣ ﻫ) . ثمّ انه عاد إلى هَراةَ قبل وفاةِ أستاذه المُنْذري (توفي ٣٢٩ ﻫ) واشتغل فيها بالتعليم .

وكانت وفاةُ أبي منصورِ الأزهريّ في هَراةَ ، سَنَةَ ٣٧٠ ﻫ (أواخر ٩٨٠ م) في الأغلب .

٢ — كان أبو منصورِ الأزهريّ إماماً في التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب ، ولكنْ غَلَبَتْ عليه اللغةُ . وله من الكتب : التقريبُ في التفسير ، تفسير أسماء الله عزّ وجلّ ، كتاب عِلل القراءات ، كتاب الروح وما جاء فيه من القرآن والسنّة ، كتاب معاني شواهد غريب الحديث ، كتاب تفسير شواهد

---

١ أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهروي ، أخذ عن أبي الهيثم الرازي ثم جاء إلى بغداد وسمع من أبي العباس ثعلب . وللمنذري من الكتب : كتاب نظم الجمان ، كتاب الملتقط (بفتح القاف) ، كتاب الشامل ، كتاب الفاخر ، الخ ... وكانت وفاة المنذري في رجب ٣٢٩ ﻫ = ٩٤١ م (معجم الأدباء ١٨ : ٩٩ - ١٠١) .

٢ راجع أسماء أساتذته في معجم الأدباء (١٧ : ١٦٥) .

٣ الهبير : أرض منخفضة على الطريق بين المدينة والكوفة .

٤ القرامطة (انظر ، فوق ، ص ٤٠٤) .

٥ الدهناء والصمان والستاران في شرقي شبه جزيرة العرب .

غريب الحديث (!) ، كتاب معرفة الصبح ، تفسير ألفاظ المزني (أبي محمّد) ، كتاب تفسير اصلاح المنطق (لابن السكّيت) ، كتاب الأدوات ، **كتاب التهذيب في اللغة** ، كتاب تفسير السبْع الطوال ، كتاب تفسير شعر أبي تمّام (معجم الأدباء ١٧ : ١٦٥) . وله أيضاً الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (بروكلمان ١ : ١٣٥) ، ولعله كتاب غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء (وفيات الأعيان ٢ : ٣١٦) .

روى أبو منصورٍ الأزهريّ كتابَ التهذيب عن شيخه المنذري ثمّ دوّنه نحو سنة ٣٥٠ هـ ، [1] ولكن أضاف اليه إضافات كثيرة ثم رتّبه على مخارج الحروف، على مثال كتاب العين للخليل بن أحمد [2] . وأدخل الأزهري أسماءَ الأماكن والمياه في كتاب التهذيب الذي أصبح بذلك يَضُمّ مادّةً جغرافية مهمّةً جدّاً.

٣ ـ المختار من كلامه

ـ من مقدّمة كتاب التهذيب لأبي منصورٍ الأزهريّ :

.... وسَمّيتُ كتابي تهذيبَ اللغة لأني قَصَدتُ بما جمَعتُ فيه نَفْيَ ما أدْخِلَ في لُغة العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيَغها ، فهذّبتُ ما جَمَعْتُ في كتابي من التصحيف والخطأ بقَدْرِ علمي . ولم أحرِصْ على تطويلِ الكتاب بالحَشْو الذي لم أعرِفْ أصلَه والغريبِ الذي لم يُسْنِدْهُ الثقاتُ إلى العرب (البدو) . ولو أنني أودعتُ كتابي هذا ما حوَتْه دفاتري وقرأته من كتبِ غيري ووَجَدتُه في الصحف التي كتبها الورّاقون وأفسدها المصحّفون لطالَ كتابي ، ثمّ كنتُ أحدَ الجانينَ على لغة العرب ولسانها ؛ ولَقَليلٌ لا يُخزي صاحبَه خيرٌ من كثير يَفْضَحُه . ولم أُودِعْ كتابي إلاّ ما صحّ لي سَماعاً منهم أو رِوايةً عن ثِقةٍ أو حكايةً عن خَطِّ ذي مَعْرفةٍ ثاقبةٍ اقْتَرَنَتْ إليها معرفتي .... »

٤ ـ تهذيب اللغة (حقّقه عبد السلام محمّد هارون وغيره ـ راجعه محمّد عليّ النجّار) ، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة) ١٩٦٤ م وما بعدها .

---

١ يرى بروكلمان (١ : ١٣٥ ، الملحق ١ : ١٩٧) أن كتاب التهذيب بهذا المعنى للمنذري .

٢ راجع ، فوق ، ص

** معجم الأدباء ١٧ : ١٦٤ ــ ١٦٧ ؛ طبقات الشافعيّة ٢ : ١٠٦ وما بعدها ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣١٦ ــ ٣١٧ ؛ بغية الوعاة ٨ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٧٢ ــ ٧٣ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٤ ــ ١٣٥ ، الملحق ١ : ١٩٧ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٦ ؛

Enc . Isl . (new ed) I 822 .

ابن خالويه

١ ــ هو أبو عبد الله الحسينُ بن أحمد (وقيل : ابن محمد) بن خالَوَيْه ، أصلُه من هَمَذانَ دخلَ ، بغدادَ سَنَةَ ٣١٤ هـ (٩٢٦ م) طالباً للعلم فقرأ القرآنَ على ابن مجاهد المُقرئ ، وقرأ النحوَ والأدب على ابن أبي بكرِ ابن دريدٍ وأبي بكرِ بنِ الأنباريّ ونِفْطَوَيْه ، وأخذ اللغة عن أبي عمرو الزاهدِ ، وسَمِعَ من محمّد بنِ مخلّد العطّار وأبي سعيدِ السيرافي وغيرهما . وقد دَرَسَ الحديثَ ثم حدّثَ به مُدّةً في مَسْجِدِ المدينة[1] .

ثم إنه انتقلَ إلى الشام فنزَلَ في حَلَبَ في بَلاطِ سيفِ الدولة فأكرمه سيفُ الدولة وقرأ عليه مَعَ نَفَرٍ من آلِ حمدانَ كثيراً من العلم . وكانت له مَعَ سيف الدولة والمتنبّي وغيرِهما مُناظرات أو مُطارحات .

وكانت وفاة ابن خالويه في حَلَبَ سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) .

٢ ــ ابن خالويه أحَدُ كِبارِ العلماء في اللغة والنحو والأدب بصير بقراءة القرآنِ ثِقَةٌ مشهور . وله أيضاً شعر بعضه حسن .

ولابن خالويه تصانيفُ كثيرةٌ منها : رسالة في إعراب ثلاثين سورة (من القرآن الكريم) ، أسماء الاسد (ذكر فيه خمسمائة اسم) ، كتاب البديع في القراءات ، كتاب الاشتقاق ، كتاب « ليس (في كلام العرب ...) » ، كتاب الجُمَل (في النحو) ، كتاب المقصور والممدود ، كتاب المذكّر والمؤنّث ، كتاب الآل (آل محمد ، آل فلان الخ ، ذكر فيه الائمّة الاثني عشر عند الشيعة وذكر فيه مواليدهم ووفياتهم وغير ذلك) ، شرح مقصورة ابن دريد ،

---

١ في مسجد مدينة الرسول في الحجاز (بروكلمان ١ : ١٣٠) .

ديوان أبي فراس ، كتاب الشجر (في أسماء النبات ، ولعلّه رواية عن أبي عمرو الزاهد) ، الخ .

٣ — المختار من شعره

إذا لم يكنْ صَدْرُ المجالس سَيِّـداً فلا خيرَ في من صَدَّرتْهُ المجالسُ .
وكم قائلٍ : ما لي رأيتُك راجِلاً ؟ فقلت له : من أجلِ أنك فارس !

— من كتاب ليس في كلام العرب :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمدُ لله مُوجدِ الخَلْقِ ومُبْدِئِه ، ومُبْقيه ما شاء ومُفْنِيه ، وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وأقربيه . قال ابنُ خالويه : « ليسَ في كلامِ العربِ » إنّما هو على ما أحاطَ به حِفْظي . وفَوقَ كلِّ ذي علمٍ عليمٌ [١] .

باب ليسَ في كلامِ العربِ فَعَلَ يَفْعَلُ مما ليس فيه حَرفُ الحَلْقِ عَيْنا ولا لاماً [٢] إلاّ عَشْرَةَ أحْرفٍ : أبَى يأبَى ، قَلَى يَقْلَى ، جَبَى يَجْبَى (جَمَعَ الماء في الحوض) ....

٤ — رسالة في اعراب ثلاثين سورة (من القرآن الكريم) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) .
كتاب الشجر ، برلين ١٩٠٩ م .

---

١ القرآن الكريم ١٢ : ٧٦ (سورة يوسف) .
٢ يعد علماء الصرف « فعل » ميزاناً لسائر الافعال . ففي الفعل نصر مثلا : النون فاء الفعل (لأنها تقابل الفاء في « فعل ») ، والصاد عين الفعل والراء لام الفعل . حروف الحلق : الهمزة والحاء (المهملة ، بلا نقطة) والخاء (بواحدة من فوقها) والعين المهملة والغين المعجمة والهاء . — القاعدة العامة أن الفعل إذا كانت عينه أو لامه (الحرف الثاني أو الثالث فيه) حرف حلق أن تكون عينه (الحرف الأوسط فيه) مفتوحة في الماضي وفي المضارع في العادة ، (أو في الماضي وحده أو في المضارع وحده) ، نحو : سأل يسأل ، جنح يجنح ، جمع يجمع ، نهى ينهى ، فانها كلها مفتوحة العين (وسط الفعل) في الماضي والمضارع معاً . غير أن هنالك شواذ لهذه القاعدة العامة ، نحو : سمع (بكسر الميم = عين الفعل) يسمع (بفتحها) ، رجع (بفتح الجيم = عين الفعل) يرجع (بكسرها) . والأمثلة التي يأتي بها ابن خالويه هنا هي الافعال المفتوحة العين في الماضي والمضارع معاً من غير أن تكون عين الفعل أو لامه فيهما حرفاً من حروف الحلق .

ليس في كلام العرب (ديرنبورغ) ،   ؛ (بتصحيح ... أحمد ابن الأمين الشنقيطيّ) ، مصر (محمّد أمين الخانجي الكتبي وشركاه) ١٣٢٧ هـ .

كتاب الريح (كراتشقوفسكي)

** الفهرست ٨٤ ؛ يتيمة الدهر ١ : ٨٨ – ٨٩ ؛ معجم الأدباء ٩ : ٢٠٠ – ٢٠٥ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٨١ – ٢٨٢ ؛ إنباه الرواة ١ : ٣٢٤ – ٣٢٧ ؛ بغية الوعاة ٢٣١ – ٢٣٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٧١ – ٧٢ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٠ – ١٣١ ، الملحق ١ : ١٩٠؛ زيدان ٢ : ٣٢٧ .

الوأواء الدمشقي [١]

١ – هو أبو الفَرَجِ محمّدُ بن أحمدَ الغسّاني الدِمَشْقي ، وُلِدَ في دِمَشْقَ ونشأ فيها فقيراً يبيع الخُضَرَ والفاكهةَ ويَقْضي يومَه رائحاً وغادِياً بها يتغنّى عليها مُنادياً بصوت يشبه الوأوأة (صِياح ابنِ آوى أو صياح الكلب) ، ومن هنا جاء لقبه . ولعَلّ وِلادَته كانت بين سنة ٣١٠ وسنة ٣١٥ هـ (٩٢٢ – ٩٢٧ م) .

مالَ الوأواء إلى المطالعة والأدب فحَفِظَ دَواوينَ نفرٍ من فُحولِ الشعراء كعُمَرَ بنِ أبي ربيعةَ وأبي نُواسٍ وأبي تمّامٍ والبُحتري وابن المُعْتَزّ والمُتَنبّي حتّى قال الشعرَ وأجادَه فبدأ حَياته الأدبية العَمَلية بمدحِ الشريف العقيقي (توفي سنة ٣٧٨ هـ) ، وهو رجل علَوِيّ من أعيانِ دِمَشْقَ كان شُجاعاً كريماً مُمدّحاً كما كان عالماً ومن ذوي المراتبِ العالية . ثم اتفق أن وَرَدَ سيفُ الدولة إلى دِمَشْق (٣٣٤ هـ = ٩٤٥ – ٩٤٦ م) فتعرّض له الوأواء بمدْحة فضمّه سيفُ الدولة إلى بَلاطه في حلب . ولكنّ مُقامَ الوأواء لم يَطُلْ في حلب ، فإنه عاد إلى دمشق وقد حَسُنَتْ حالُه فعاش على شيءٍ من الترَف

---

١ تمييزاً له من أبي الفرج الوأواء الحلبي عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين النحوي الشاعر (ت ٥٥١ هـ) الذي شرح ديوان المتنبي .

واللهو إلى أن أدْركته الوفاةُ ، سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ – ٩٨١ م) في الأغلب .

٢ – الوأواء الدِمَشْقي شاعرٌ غيرُ مُكثِرٍ ، في ديوانه نحوُ ألفٍ وخمسمائة بيتٍ هو فيها من فُحول الشعراء في مَتانةِ الأُسلوب وإصابة التشبيه والاستعارة ، وإنْ كان شعرُه يَضْعُفُ أحياناً حتى يَرِكّ . والوأواء مُقِلٌّ في المديح (قصر مَدْحَه على الشريف العَقيقي وسيفِ الدولة) وفي الهجاء (ففي ديوانِه قصيدةٌ واحدة منه) . وهو مُكثِرٌ في الوصفِ : في الوصفِ الحِسّيِ لمظاهرِ الطبيعةِ ؛ وفي الخمر يَغْتَرِفُ في وصفِها من أبي نواسٍ ثم يُضيفُ إلى ذلك شيئاً من صِناعة زمانِه . وغزلُه أيضاً كثيرٌ وفيه مُذَكّر ومُؤنّث ومُجونُ . وأكثر شِعره مقطّعات .

ويبدو أن الوأواء كان كثيرَ الأخذ من الشعراء ، إلاّ أنه كان يُحَسِّنُ كثيراً مما كان يأخذُه . قال أبو نواس لمّا رأى جنان جارية آل عبد الوهاب الثقفي تبكي في مأتم سيدها :

يَبْكي فيُذْري الدُرّ من نَرْجِسٍ ويَلْطُمُ الخدّ بعُنّابِ [١] .

فلمح الوأواء هذا المعنى فأخذه وأبدَعَ فيه لمّا قال :

وأسبلتْ لُؤلؤاً من نَرْجِسٍ وسَقَتْ ورداً وعَضّت على العُنّاب بالبَرَدِ !

٣ – المختار من شعره

– قال الوأواء في الخمر :

هي الحياة ، فلو تأتي إلى حَجَرٍ لولّدتْ فيه منها نَشْوةَ الطربِ .
كأنّها – ولسانُ الماء يَقْرَعُها – دمعٌ ترقرقَ في أجفان مُنتَحِبِ .
إذا علاها حَبابٌ خِلتَه شَبَكاً من اللُجين على أرضٍ من الذهبِ .
تصورتْ من أديمِ الكأس سَوْرتُها فأنْبَتَتْ بَرَداً منها على لَهَبِ .
تخال منها بِجيدِ الكأس إن مزجت عِقداً من الدُرّ أو طَوْقاً من الحَبَبِ.

---

١ يذري : يساقط . الدر : اللؤلؤ (الدمع) . العناب : الثمر الأحمر المعروف (أطراف الأصابع المصبوغة بالحمرة لتجميلها) .

– وقال في الغزل :

قالت ، وقد فتكتْ فينا لواحظها : كم ذا ؟ أما لقتيل الحبّ من قوَدِ !
وأمطرتْ لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت وَرْداً وعضّت على العُنّاب بالبرَد .
أنسيّةٌ لو رأتْها الشمسُ ما طلعت من بعْدِ رؤيتها يوماً على أحد .
كأنّما بينَ غابات الجفون لها أُسْدُ الحِمام مُقيماتٍ على الرّصَد .

– وقال يصف شمعة (مضيئة تقْصُرُ قليلاً قليلاً) :

ممشوقةٌ في قدّها تحكي لنا قدّ الأسَلْ
كأنها عُمْرُ الفتى والنارُ فيها كالأجل .

– وقال يمدح الشّريفَ العقيقيّ (وهي أول قصيدة له في المدح) :

تظلّمَ الوردُ من خدّيه إذْ ظلَما وعلّمَ السُقْمُ من أجفانه السقَما .

منها :

إلى الذي افتخرتْ أرضُ العقيقِ به ، ومن بهِ أصبحتْ بَطْحاؤها حرَما .
إلى فتىً تضْحكُ الدُنيا بغُرّتِه فما ترى باكياً فيها إذا ابتسما .
لو أن للبُخْلِ أغصاناً وقابلَها بوجهِه أنبتتْ من وقْتِها كرَما :
أزْرى على الغيثِ غيثٌ من أناملِه في روضةِ الشُكرِ لمّا بخّل الديَما .

٤ – ديوان الوأواء الدمشقي (عني بنشره سامي الدهّان) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٣٦٠ ﻫ (١٩٥٠ م) .

** يتيمة الدهر ١ : ٢٣٥ – ٢٤٤ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٨٢ – ١٨٥ ؛ بروكلمان ١ : ٨٥ ، الملحق ١ : ١٣٨ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٥ – ٢٩٦ ، الوأواء الدمشقي لعارف النكدي (م م ع ع آب – أغسطس ١٩٢٤ م ، ص ٣٣٩ – ٣٤٨) .

الحسن بن بشر الآمدي

١ – هو الحسَنُ بنُ بِشْرِ بنِ يحيى الآمديّ الكاتبُ النحويّ من أهلِ البصرة ، أخذ عن أبي الحسنِ عليِّ بنِ سليمانَ الأخفش (الأصغر) وأبي إسحق

الزّجّاج وأبي بكرٍ بن دُريدٍ وأبي بكرٍ السرّاج . وسمع كتاب القوافي للمبرِّد على نفطويه (ت ٣٢٣ ه) .

انتقل الآمديّ إلى بَغدادَ فكتب فيها (كان أمين سِرّ) لأبي جعفرٍ هرونَ ابن محمّدٍ الضّبّي خليفةِ أحمدَ بن هلالٍ صاحبِ عُمانَ بحضرةِ المقتدر باللهِ ووزارته ، ثمّ كتب لغيره من بعدِه .

عادَ الآمدي إلى البصرةَ قبل سنة ٣٥٠ ه (٩٦١ م) فكَتَبَ لأبي الحَسَنِ أحمدَ وأبي أحمدَ طلحةَ بنِ الحَسَن بن المُثنّى . ثم كتب بعدَهما لقاضي البلدِ أبي جعفرِ بنِ عبد الواحدِ الهاشميّ على الوُقوف[1] التي يليها القُضاة ، ثم (بعد سنة ٣٥٠ ه) لأخيه أبي الحسنِ محمّدِ بن عبدِ الواحد .

وجعل الآمديّ في آخر أيامه يَرْوي الأخبار بالبصرة . ثم إنه لزم بيته إلى أن مات سنة ٣٧١ ه (٩٨٧ م) .

٢ - كان الآمديّ حَسَنَ الفَهْمِ جيّد الدراية سريعَ الإدراك واسعَ المَعْرِفَةِ بالأدبِ واللغة والأخبار . وهو شاعر مُكثِر حسنُ الطَبْع جيّدُ الصَنعة مشتهر بالتشبيهات الحِسان . وكان يكتب خَطاً حسناً . وقد جَمَعَ الآمديّ أشعار عددٍ من القبائل وشرحَ عدداً من دواوين الشعراء . وكان يتعاطى مذهبَ الجاحظ في ما يَعْمَلُه من الكتب . وهو شديدُ التحاملِ على أبي تمّام .

للآمديّ من الكتب : ديوان شعره (نحو مائة ورقة) ، المختلف والمؤتلف من أسماء الشعراء وألقابهم ، كتاب الشعراء المشهورين ، تفضيل شعر امرئ القيس على (شعر الشعراء) الجاهليين ، الموازنة بين أبي تمّام والبحتري ، الردّ على ابن عمّار في ما خطّأ به أبا تمّام ، تبيين غلط قُدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر ، كتاب ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ ، كتاب نثر المنظوم ، كتاب فرق ما بين الخاص والعام من معاني الشعراء ، كتاب في أن الشاعرين لا تتفقُ خواطرُهما .

٣ - المختار من آثاره

- من مقدمة الموازنة بين أبي تمّام والبحتري :

---

[1] الوقوف جمع وقف : أرض أو بناء مما يجعله أصحابه هبة موقوفة على أعمال الخير .

.... ووجدتُ – أطالَ الله عُمُرَكَ – أكثرَ من شاهدتَه ورأيتُه من رُواةِ الأشعار المتأخرين يزعُمون أنّ شعرَ أبي تمّام لا يتَعلّقُ بجيّدِه جيّدُ أمثاله ، ورديئُه مطروحٌ ومرذولٌ ، ولهذا كان مُختلفاً لا يتشابهُ ؛ وأنّ شعرَ الوليدِ ابن عُبيد الله البُحتريّ صحيحُ السبكِ حسنُ الديباج ليس فيه سَفْسافٌ ولا رديءٌ مطروحٌ ، ولهذا صارَ مُستوياً يُشبِهُ بعضُه بعضاً . ووجدتُهم فاضَلوا بينَهما لغَزارةِ شعرَيْهِما وكثرةِ جيّدِهِما وبدائعِهما ، ولم يتّفقوا على أيّهما أشعرُ كما لم يتّفقوا على أحدٍ ممن وقَعَ التفضيلُ بينهما من شُعراءِ الجاهليةِ والإسلامِ والمتأخّرين . وذلك كمَنْ فضّل البحتريّ ونَسَبَه إلى حَلاوةِ النَفْس وحُسْنِ التخلّص ووضعِ الكلام في مواضعه وصِحّةِ العِبارة وقُربِ المأتى وانكشافِ المعاني ، وهُمُ الكُتّابُ والأعرابُ والشعراءُ المطبوعون وأهلُ البلاغة ؛ ومثل من فضّل أبا تمّام ونَسَبَه إلى غموض المعاني ودِقّتها وكثْرة ما يُورده ممّا يُحتاج (فيه) إلى استنباطٍ وشرحٍ واستخراجٍ ، وهؤلاء أهلُ المعاني والشعراءُ أصحابُ الصَنعةِ ومن يَميلُ إلى التدقيقِ وفَلْسَفيِّ الكلامِ .... وإنّهما لَمُختلفانِ لأن البحتريّ أعرابيّ الشعرِ مَطبوع وعلى مذهبِ الأوائل ما فارقَ عَمودَ الشعر قطُّ ، وكان يتجنّبُ التعقيدَ ومُستَكرَهَ الألفاظِ ووَحشيَّ الكلام .... ولأن أبا تمّامٍ شديدُ التكلّفِ صاحبُ صَنعةٍ ومُستكرَهُ الألفاظِ والمعاني[1] ، وشعرُه لا يُشْبِهُ شعرَ الأوائل ولا (هو) على طَريقتهم لِمَا فيه مِنَ الاستعاراتِ البعيدةِ والمعاني المُوَلّدة ....

ولست أُحِبّ أن أُطْلِقَ القولَ في أيّهما أشعرُ عِندي لتَبايُنِ الناسِ في العِلم واختلافِ مذاهِبِهِمْ في الشعر .... فان كنتَ – أدام اللهُ سلامتَكَ – ممن يُفَضِّل سهلَ الكلامِ وقريبَه ويُؤثر صِحّةَ السَبْكِ وحُسْنَ العِبارةِ وحُلْوَ اللَفْظِ وكثْرَةَ الماءِ والرونقِ فالبُحتريّ أشعرُ عِنْدَكَ ضَرورةً . وإنْ كُنْتَ تَميلُ إلى الصَنْعةِ والمَعاني الغامِضَة التي تُستَخرَجُ بالغَوْصِ والفِكْرة ثم لا تَلْوي على غيرِ ذلك فأبو تمّام عندك أشعرُ لا مَحالةَ . فأمّا أنا فلستُ أُفْصِحُ بتفضيلِ أحدِهما على الآخرِ ، ولكنّي أقارِنُ بينَ قصيدتين من شعرِهِما إذا (اتفقتا) في الوزن والقافيةِ وإعراب القافيةِ ، وبينَ معنىً ومعنىً ، فأقولُ

---

1 المستكره : الشيء الذي يؤتى به كرهاً أو اقتداراً (على غير المجرى الطبيعي العادي المألوف) .

أيّهما أشعرُ في تلك القصيدةِ وفي ذلك المعنى ثم احكُمْ أنتَ على جُمْلَةِ ما لكلٍّ واحدٍ منهما إذا أحطتَ عِلماً بالجيّدِ والرديء .

٤ — الموازنة بين أبي تمّام والبحتري ، الاستانة (مطبعة الجوائب) ١٢٨٧ ﻫ ؛ بيروت (مطبعة جريدة الاقبال) الطبعة الثانية ١٣٣٢ ﻫ ؛ القاهرة (مكتبة محمّد علي صبيح) ١٩٢٨ ﻫ (١٩٣٢ م) ؛ (حقّق أصوله محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (محمود توفيق) ١٩٤٤ م ؛ الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري (تحرير أحمد صقر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦١ م .

المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكُناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم (بتصحيح فريتز كرنكو) مطبوع مع معجم الشعراء للمرزباني ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٤ ﻫ ؛ (تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٦١ م .

** الفهرست ١٥٥ ؛ معجم الأدباء ٨ : ٧٥ — ٩٣ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٨٥ — ٢٨٩ ؛ بغية الوعاة ٢١٨ ؛ بروكلمان ١ : ١١٢ ، الملحق ١٧١ — ١٧٢ ؛ زيدان ٢ : ٣٣٥ ؛ النثر الفنّيّ ٢ : ٨٢ — ٩٣ .

ابن نباتة الفارقيّ

١ — هو أبو يحيى عبدُ الرحيمِ بنُ محمّدِ بن اسماعيلَ الحُذاقيّ (نسبةً إلى قبيلة بني حُذاقة من قُضاعة أو من إياد) الفارقيّ (نسبةً إلى بلدهِ ميّافارقين) .

وُلِدَ ابنُ نُباتةَ الفارقيّ في ميّافارقينَ سَنَةَ ٣٣٥ ﻫ (٩٤٦ — ٩٤٧ م) ، ولا نَعْرِفُ من أحداثِ حياتِهِ إلاّ أنه كان خطيباً في بَلاطِ سيفِ الدولةِ في حلَبَ ، وهنالك لَقِيَ المتنبّي .

يَرْوي ابنُ نُباتةَ أنه رأى رسولَ الله في مَنامه وأن رَسولَ الله مَدَحه على خطبه وسمّاه « خطيباً » . والذي يَلْفِتُ النظرَ أنّ ابنَ نُباتةَ — فيما رُوِيَ — لم يَذُقْ بعدَ هذه الرؤيا طعاماً ولا شراباً ، ثم مات بعد ثمانِيَةَ عَشَرَ يوماً

في ميّافارقين ، سَنة ٣٧٤ هـ (٩٨٤ م) ، قبل أن يَبْلُغُ أربعين سَنَةً من العُمر .

٢ — ابن نباتة الفارقي صاحبُ خُطَبٍ مِنبَرِيّةٍ :

الخُطبة المِنْبرية هي الخطبة التي تُلقى في صلاةِ الجُمُعة والعِيدَيْنِ وفي النوازلِ العظيمة : في الخُسوف والكُسوف والزلازلِ وانحباسِ المَطر والمَوْتان والأمراض العامّة . وتتألّف الخُطبة المِنْبرية من خطبتينِ : خطبةٍ أساسيّةٍ وخطبةٍ ثانيةٍ أو لاحقةٍ يَجْلِسُ الخطيبُ بينهما بِضْعَ ثَوانٍ . وتبدأ كلُ خطبةٍ بحمدِ الله وبالصلاةِ على رسولِ الله . ويتكلّم الخطيبُ في الخطبة الأولى على مَوْضوع من الموضوعات أو على حَدَثٍ من الاحداث أو على أمر من الأمور الجارية ممّا يَهُمّ المسلمينَ عموماً وخصوصاً . وتنتهي الخطبة الأولى عادةً بقِراءة آيةٍ من آيِ القرآنِ الكريم أو حديثٍ من أحاديث رسولِ الله يَتَعَلّقان بموضوع الخطْبة . وتشتمل الخطبة الثانية من الخُطبة المِنْبرية على دُعاء عامّ للمسلمين ودعاء خاصّ بالخليفةِ أو بالحاكم المحلّي والحُكّامِ الآخرينَ في العالم الإسلامي . وتنتهي الخطبة الثانية عادةً بقِراءةِ آيةٍ من القُرآن الكريم ، هي في العادة [١] : « إنّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبَى ، ويَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لعَلّكُمْ تَذَكّرون » .

وكان ابنُ نُباتةَ الفارقي خطيباً مُكْثِراً لِحاجةِ سيفِ الدولةِ إلى كَثْرةِ تَحْريضِ الناسِ على الجِهاد لِتَجْييشِ الجُيوشِ للغَزْوِ في بلاد الروم ولِصَدّ الجيوش الرومية عن بلادِ الشامِ والعراقِ . وخُطَبُ ابن نباتَةَ قريبةُ المعاني ظاهرةُ المقاصد واضحةٌ سهلةُ التركيبِ يستشعرُ السامعُ منها خَشْيةً دينية صادقةً . أمّا موضوعاتُ تلك الخطبِ فكان التذكيرَ بتقوى الله وبالموتِ والحَثّ على طَلَبِ رِضْوانِ الله بالعمل الصالح والزُهد في الدنيا والسرور بالآخرة . وكان ابنُ نباتة يستمدّ موضوعاتِ الخُطَبِ من « الزمن الجاري » فلكلّ أسبوعٍ من كلّ شهر خُطبةٌ خاصّةٌ ، ولكلِّ مناسبةٍ دينيةٍ : كعاشوراءَ ورَمَضانَ وعيدِ الفِطْرِ وعيد الأضحى خطبةٌ ، بالاضافةِ إلى ما يحدُثُ في أثناء السنة من الأحداث

---

١ القرآن الكريم ١٦ : ٩٠ ، سورة النحل .

العارضة كالمعركة التي أسَر سيف الدولة فيها عدداً كبيراً من جنود الروم فيهم الدُمُسْتُقُ (قائد جيوش الروم) : ابنُ أختِ الإمبراطور وقائد الجيش الرومي .

٣ - المختار من خطبه

- خطب ابن نباتة الفارقي يذكر الجهاد ويشير إلى أسر الدُمُستُق :

الحمدُ للهِ الفائت حدودَ النُعوتِ والأوصاف ، العائد بتجديدِ النعَم وخفيِّ الألطاف [١] .... أحْمَدُهُ على نعَمه التي لا تُحْصى عَدداً ، وأشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ اللهُ شَهادةً لا تنقطعُ أبداً ، وأشْهَدُ أنّ مُحمّداً عبدُه ورسولُه أرْسَلَهُ حين مَدّ الشِقاقُ على القلوب ظُلَلَهُ ونصب للكافّةِ بكل صِراط حِيَلَه [٢] .... صلّى الله عليهِ وعلى آلهِ صلاةً يُنْجِزُ بها يومَ القيامةِ ما ضَمِن لَه [٣] ، وسَلّمَ تَسليماً .

أيّها الناسُ : اتّقوا اللهَ تَقْوى مَنْ أنابَ اليه ، واحْذَروا مُخالَفَتَهُ حَذَرَ من يُوقِنُ بالعَرْضِ عليه ، واشْكُروا نِعَمَهُ يَزِدْكُمْ من فَضْلِه وسَعَةِ ما لَدَيْه ، واسألوه التوفيقَ فإنّ أزِمّةَ الأمورِ في يَدَيْه [٤] . واعلموا أنّ اخْتِلافَ الاهواءِ هاتكٌ سُتورَ النَعْماء وباتكٌ أسْباب الرجاء ومُؤذِنٌ بحُلولِ البلاء . وما هَلَكَتْ أمّةٌ من الأمَمِ السالفةِ إلاّ بتَشاحُنِها وأهوائِها المُتخالِفَة . فراقبوا اللهَ ، عِبادَ اللهِ ، في السِرّ والجَهْر ؛ وأخْلِصوا الضمائرَ في طاعة أولي الأمْر .... وانظروا إلى صَنيعِ اللهِ بِعَدُوِّكُمْ طاغِيَةِ الرومِ الذي ضلّتْ في انْتظامِ أحْواله ثَواقبُ الأحْلامِ والفُهوم حينَ دَوّخَ الأقطارَ وفتحَ الأمصارَ وأخْرَبَ الديارَ وجاوَزَ بَغْيُهُ وعُتُوّه المِقدار . حتّى إذا ارْتَعَدَتْ منهُ فرائصُ الإسلامِ وخامَتْ عَنه جُيوشُ الإقدامِ .... وتقاعَسَتْ

---

١ اللطف الخفي : عناية الله بالإنسان من حيث لا يدري الإنسان وفوق ما ينتظر .

٢ الظلل جمع ظلة : القطعة العظيمة من الظلام أو من الغيم الذي يحجب كل شيء . الكافة : السواد الاعظم من الناس (خلاف الخاصة) . الصراط : الطريق الواسع المعبد (يسهل عليه السير) .

٣ ينجز لهم .... : يفي لهم بما وعدهم من المغفرة ودخول الجنة .

٤ أناب اليه : رجع إلى الله بالطاعة . من يوقن بالعرض عليه : يثق بأنه معروض أمامه يوم القيامة للمحاسبة على ما صنع في الدنيا . هاتك لستور النعماء : ممزق لأستار النعم (التي تمتد عليهم بالخير والبركة) . باتك : قاطع .

عن الفتكِ به صُروف الليالي والأيام ، ووقع اليأسُ من دَفْعِه ، لَطَفَ اللهُ الكريمُ لكم بلَطيفِ صُنْعه ، وأتاه مِنْ مأمنِه وقَتَلَهُ بأنصارِه في وَطَنِهِ : مِنّةً من اللهِ لم تَسْتَوْجِبُها أفعالُنا ....

فالآنَ ، عِبادَ اللهِ ، فاسْتَدِيموا بإصلاحِ السّرائرِ وقابِلوها بالإقلاعِ عن الصغائرِ والكبائرِ ، وخُذوا على أيْدي سُفهائكم [1] ، والْزَموا طاعةَ وُلاتِكُمْ وأمرائِكُمْ ، وعُودوا بفَضْلِ أموالِكم على فُقَرائِكم ، وسُدّوا ثَغْرَكُم باتّفاقِ أخْلاقِكم وآرائِكم يُعْزِزْكُمُ اللهُ ويَنْصُرْكُمْ على أعدائكم ....

عَصَمَنا اللهُ وإيّاكُم بتَقْواه ، ووفّقنا وإيّاكم لِما يُحِبّه ويَرْضاه ، وجَمَعَ الكلمةَ على اتّباعِ هُداه .... إنّ أنْجَعَ الوَعْظِ وأنْهاهُ وأنفعُ الإنذارِ وأشْفاه [2] كلامُ مَنْ لا إله سِواه . يا أيّها الذينَ آمنوا : أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمْرِ مِنْكُم ؛ فإنْ تنازَعْتُمْ في شيءٍ فرُدّوه إلى اللهَ والرسولِ ، إنْ كُنْتُم تُؤمنون باللهِ واليومِ الآخِرِ . ذلكَ خيرٌ وأحسنُ تأويلا [3] .

— خُطبةٌ من الخُطَبِ الثواني أو اللّواحق :

(بعدَ أن يُلْقِيَ الخَطيبُ الخُطبةَ الأُولى — كالخُطبةِ السابقةِ — يَجْلِسُ بِضْعَ ثَوانٍ ثم يَنْهَضُ فيَخْطُبُ الخُطْبَةَ الثانيةَ) . قال ابن نباتة في خطبة من الخطب الثواني :

الحمدُ للهِ اتّباعاً لِمَا أمَرَ ، وأشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له إرغاماً لِمَنْ جَحَدَ بهِ وكَفَرَ . وأشْهَدُ أنّ مُحَمّداً عَبْدُهُ ورَسولُه سَيّدُ البَشَرِ . صلّى اللهُ عليه وعلى آلهِ ما اتّصلتْ عَيْنٌ بنَظَرٍ . إن اللهَ أمَرَكُمْ بأمرٍ بَدَأَ فيهِ بنفسِه وثَنّى بملائكته وأيّه بالمؤمنين من عِباده [4] ،

---

١ الاقلاع : الامتناع ، ابطال ، ترك . الصغائر : الذنوب الصغيرة . الكبائر : الذنوب الكبيرة . خذوا على أيدي سفهائكم : امنعوهم من عمل الشر والاعتداء على الناس .

٢ أنجع : أنفع . أنهاه (على خلاف القاعدة) : أقدر وسيلة للنهي والزجر والمنع (عن الشر) . أشفاه (على خلاف القاعدة) أقربه إلى الشفاء وحسم الخلاف .

٣ القرآن الكريم ٤ : ٥٩ ، سورة النساء . — تنازعتم : اختلفتم في تفسير شيء أو في الفصل فيه . ردوه إلى الله ورسوله : ارجعوا فيه إلى حكم الله (في القرآن) وإلى رسول الله (في الحديث) . ذلك خير (لكم) وأحسن تأويلا (تفسيراً وتعليلا) .

٤ أيه : نادى ، خاطب بقوله تعالى : « يا أيها » .

فقالَ عزَّ مِنْ قائلٍ [1] : إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصلّونَ على النبيِّ ؛ يا أيّها الذينَ آمنوا : صَلّوا عليهِ وسلّموا تَسليماً .... اللّهمَّ : صَلِّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ ، وارحَمْ محمّداً وآلَ محمّدٍ ، وبارِكْ على مُحمّدٍ وعلى آلِ محمّد ، كما صلّيتَ وباركتَ وترحمتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ ؛ إنّكَ حميدٌ مجيدٌ ....

اللّهُمَّ : أصْلِحْ عَبْدَكَ وخليفتَكَ أميرَ المُؤمنينَ بما أصلحتَ به الخُلفاءَ الراشدين المَهْدِيّينَ الذين قَضَوْا بالحقِّ .وكانوا به يَعْدِلون [1] . اللّهُمَّ : وأصْلِحَ الأميرَ صَلاحاً تُعِزّ بهِ نَصْرَهُ وتُعْلي به قَدْره ، وتَرفع به ذِكره . اللّهُمَّ : سَهِّلْ له سَبيلَ الظَفَر في الجهادِ وأعِنْهُ على ذوي الكُفْرِ والعِناد .... إنّكَ كريمٌ جَوادٌ . اللّهُمَّ : سَدِّدِ الإسلامَ وثَقِّفْ أوَدَهُ وشَيِّد بُنْيانَه وارْفَعْ عَمَده .... وضَعْضِعِ الكُفرَ ودَكْدِكْ سَنَده ، وشَتِّتْ شَمْلَه واقْطَعْ مَدَدَه ....

وبعد هذا يقول الخطيبُ مثلاً :

عِبادَ الله : إن الله يأمر بالعدل والإحسان (الآية ؛ ١٦ : ٩٠ سورة النحل) . أقم الصلاة .

٤ – ديوان خطب ابن نباتة (مشروحاً .... بقلم الشيخ طاهر الجزائري) ، بيروت (مطبعة جريدة الاقبال) ١٣١١ هـ .

ديوان خطب ابن نباتة ، القاهرة ١٨٨٢ م و ١٣٠٢ هـ .

ديوان خطب ابن نباتة ، بومبي ١٢٨٢ هـ .

** وفيات الأعيان ١ : ٥٠٧ – ٥٠٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٨٣ – ٨٤ ؛ بروكلمان ١ : ٩٢ ، الملحق ١ : ١٤٩ – ١٥٠ ؛ النثر الفنّي لزكي مبارك ٢ : ١٥٩ – ١٦٥ .

تميم بن المعز الفاطمي

١ – هو الأميرُ أبو عليٍّ تميمُ بنُ المُعِزِّ لدينِ الله الفاطميّ ، وُلِدَ في

[1] القرآن الكريم ٣٣ : ٥٦ ، سورة الأحزاب .

المَهْدية (القطر التونسي) سَنَةَ ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) .

كان تميمٌ أكبرَ إخوتِه ، ولكنّه لمّا مالَ إلى الفِسْقِ والفُجور والاستهتارِ بِهِما صَرَفَ أبوه الإمامةَ عنه[١] إلى أخيه نِزارٍ . ولمّا بُنِيَتِ القاهرة وانتقلتِ الدولةُ من القَيْرَوانِ إلَيْها ودَخَلَها المُعِزّ الفاطميّ في رَمَضان سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) كان تميمٌ مَعَهُ ، وعُمُره يومذاك خمسٌ وعشرونَ سَنَةً .

اتّخَذَ تميمٌ في مِصْرَ بساتينَ وقصوراً واستمرّ على مِنهاجِهِ في حياةِ اللّهْوِ وما يَتْبَعُ اللّهْوَ . ثم تُوُفِّيَ والدُه المُعِزّ وخَلَفَه نِزارٌ العزيزُ (أخو تميمٍ) في ٥ ربيعِ الثاني سنة ٣٦٥ هـ (١١-١٢-٩٧٥ م) فكانتْ صِلةُ الأخَوَيْنِ حَسَنَةً ثم ساءتْ بأقوالِ الذين كانوا يُكْثِرون من نَقْلِ أخبارِ تميمٍ إلى أخيه العزيزِ ، فنفى العزيزُ أخاه تميماً إلى الرّملة (فِلَسْطين) ؛ ثمّ إنه رَضِيَ عنه وأعادَه .

وكانت وفاةُ تميمٍ في القاهرةِ في ١٣ ذي القَعْدة ٣٧٤ هـ (١٠-٣-٩٨٥ م).

٢ — تميمُ بنُ المُعِزّ شاعرٌ مُكثِرٌ مُطيلٌ مُقْتَدِرٌ في التشابيهِ والاستعاراتِ يَذْهَبُ فيها مذهبَ ابنِ المعتزّ : ألفاظُه فصيحةٌ وتراكيبه سهلَةٌ ، ولكنَّ له تكلّفاً في تَطَلّبِ أوجهِ البلاغةِ والاستكثار منها . وعلى شعرِه شيءٌ من المَرَحِ . أما فنونُه فهي المَدحُ والتهنئةُ لأبيه المُعِزّ وأخيه العزيزِ ، وله فخر بآلِه ونفسِه . ثم له رثاءٌ في بعضِ أهله وفي آل البيت . وله غَزَلانٍ وخمرٌ يذهبُ فيها كلّها مذهبَ أبي نواسٍ مَعَ المُجونِ والزندقة . وله طَرْدِيّاتٌ وعِتابٌ وشكوى من الدّهر . ووصف الطبيعة عنده كثيرٌ أكثره على مِثالِ أوصافِ ابن المُعتزّ . ومَعَ أنه لم يَعِشْ طويلاً فانّ له زهداً يُظْهِرُ فيه الندمَ على ما بَدَرَ منه ويتخوّف من مَصيرِ المُذنبين في الآخرة .

٣ — المختار من شعره

— قال تميم بن المُعِزّ يصف نافورة في بستان (السجسج : ما لا حرّ فيه ولا برد) :

---

[١] في أدب مصر الفاطمية لمحمد كامل حسين ، القاهرة (١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠) ، ص ١٧٠ .

وقاذفةٍ بالماءِ في وسط بِرْكـة قد التَحَفَتْ ظِلاً من الأيْكِ سَجسَجا[1] ؛
إذا انبثقت بالماءِ سَلّته مُنْصُلاً ، وعاد عليها ذلك النّصل هَوْدجا [2] .
تحاول إدراك النجوم بقذفهـا كأنّ لها قلباً على الجوّ مُحْرَجا [3] .

— وقال يفتخر :

أنا ابنُ المُعِزّ سليلِ العُلا وصِنوُ العزيزِ إمامِ الهدى [4] .
سما بي مَعَدٌّ إلى غايـة من المجد ما فوقها مُرتقى ،
فَرُحْتُ بهـا فاطميّ الجَنى حُسَيْنيّةُ عَلَوِيّ الجَنى (؟) .
ولست بِوانٍ إذا ما أمَـرّ زمانٌ ، ولا فَرِحٌ إن حَلا [5] .
إذا أصبح الموت حَتْماً فـلا تَخَفْهُ دنا وقتُه أو نأى .

— وقال في الخمر (وفيها زندقة) :

دع مقال العـاذلاتِ والْهُ عن سَعْي السُعاة[6] ،
واشربِ الراح وشُبْهَـا بالثنـايا العَطِرات [7] ؛
وانْتَقِلْ ، ان شِئتَ ، تُفّا حَ رياض الوَجَنات [8] .
أنا ، مـا بـين نَدامـا ي وراحي وسُقاتي ،
ثَمِلٌ لا أعرِفُ الصَحْـ ـوَ ولا وقتَ الصـلاة .
وإذا نَوّمني السُـكْـ ـر على تلك الهَيات [9] .

---

١ الايك : شجر الاراك . سجسجاً : معتدلا ، ليس (ظله) حاراً ولا بارداً .
٢ — إذا خرج الماء من النافورة ارتفع دقيقاً كحد السيف ، فإذا وصل إلى غاية ارتفاعه انفرج واتسع حتى يصبح كالهودج .
٣ محرجاً : ضيقاً (ناقماً ، غضبان) .
٤ المعز والعزيز ومعد (في البيت التالي) من خلفاء الفاطميين .
٥ وان : تعبان ، قليل الهمة . أمر : صار مراً (اشتد الزمان علي) .
٦ السعاة جمع ساع : (هنا) الذي ينقل أخبار قوم إلى آخرين ليوقع بينهم العداوة .
٧ شبها = شب (بضم الشين وسكون البـاء) امزج . ها (مفعول به راجع إلى الخمر) .
٨ انتقل = تنقل : أكل نقلا (بفتح النون) وهو حبوب وقسطل (أنواع الجوز واللوز الخ) يأكلها السكارى عادة وهم يشربون الخمر .
٩ الهيات = الهيأة = الهيئة : ... على تلك الحال ، على ذلك الشكل .

لمّ يُنَبّهني سوى حِس متاني الغانيات [1]
وغِناهنّ سُحيراً : «سقّنيها ، بحياتي [2] ! »

— وقال يصف النيلوفر (زنبق ينمو في الماء) :

وبِركة تزهو بنَيْلُوفر نسيمُه يشبه نَشْرَ الحبيبْ :
مُفتّح الأجفانِ في نومه ، حتّى إذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جَفْنَيْه على خدّه وغاص في البِركة خوفَ الرقيب !

٤ — ديوان تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٧٧ هـ ، (١٩٥٧ م) .

** يتيمة الدهر ١ : ٣٩٠ — ٣٩٨ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٧٢ — ١٧٣ ؛ أعيان الشيعة (٩ ١٩٣) ١٤ : ٣٠٨—٣٢٥ ؛ بروكلمان ١ : ٩١ ، الملحق ١ : ١٤٧ .

أبو الحسن الانباريّ

١ — هو أبو الحسنِ محمّدُ بنُ أبي محمد عُمَرَ بنِ يعقوبَ الانباريّ ، ولا نَعلَمُ من أحداثِ حياتهِ إلاّ أنّه كان أحدَ العُدولِ [3] في بَغْدادَ صديقاً لناصرِ الدولةِ أبي طاهرٍ محمّدِ بن بَقيّةَ وزيرِ عزّ الدولةِ بَختيارَ . وكان ابنُ بقيّةَ قد حرّض عزّ الدولة على قتال ابنِ عمّهِ عَضُدِ الدولة . فلمّا انتصر عضدُ الدولة سَمَلَ عَيْنَيِ ابنِ بقيّةَ ثمّ قتله — في حديثٍ طويل — في السادسِ من شوّالٍ من سَنَةِ ٣٦٧ هـ (١٦—٥—٩٧٧ م) وصلبه . فرثاه أبو الحسن الأنباريّ . ولعلّ وفاة أبي الحسن الأنباريّ كانت ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) أو بعدها بقليل .

٢ — كان أبو الحسن الأنباريّ صوفيّاً واعظاً وشاعراً مُقِلاً شُهِرَ بقصيدته

---

١ المثاني من أوتار العود . ... — لم ينبهني من نومي سوى عزف النساء الحسان على الآلات الموسيقية .
٢ أي وهن يغنين في الصباح (غير الباكر) : « سقنيها ، بحياتي ! » (أقسم عليك أن تسقيني خمراً) .
٣ العدول جمع عدل (بفتح العين وسكون الدال) وعادل : الرجل المنصف الذي يرضي الناس حكمه وشهادته .

في رثاء ابن بقيّة ، و « هي قصيدة مُستَحسَنة معروفة » . ولأبي الحسن الأنباري أبياتٌ تدلّ على براعته في الوصف [1] .

٣ ـ المختار من شعره

ـ قال أبو الحسنِ الأنباريّ يرثي محمّدَ بنَ بَقيّةَ :

عُلُوٌّ في الحياة وفي المماتِ ؛ لَحَقٌّ ، تلك إحدى المُعجزاتِ !
كأنّ الناسَ حولَكَ حين قاموا وُفودُ نَداكَ أيامَ الصِلات [2] .
كأنّكَ قائمٌ فيهِم خطيباً وكلّهُمُ قيامٌ للصَلاة .
مَددتَ يدَيْكَ نحوَهُمُ احتفاءً كمَدّهما إليْهِم بالهِبات [3] .
ولمّا ضاق بَطْنُ الأرضِ عن أنْ يَضُمّ عُلاكَ من بعدِ الوَفاة ،
أصاروا الجوّ قبْرَكَ ، واستعاضوا عن الأكفانِ ثَوْبَ السافيات [4] .
لِعُظْمِكَ في النُفوس بَقيتَ تُرْعى
بحُفّاظٍ وحُرّاس ثِقات [5] .
وتُوقَدُ حولَكَ النيرانُ ليْلاً ـ كذلك كُنْتَ أيامَ الحياة !
ولم أرَ قبل جِذْعِكَ قطُّ جِذْعاً تمكّن من عِناق المَكْرُمات [6] .
أسأتَ إلى النوائبِ فاستَثارتْ ، فأنت قتيلُ ثأرِ النائبات [7] .
وكُنْتَ تُجيرُ من صَرْفِ الليالي فصارَ مُطالِباً لك بالتِرات [8] .

---

[1] ذكر الثعالبي (يتيمة الدهر ٢ : ٢٤٥) أن أبا الحسن الأنباري أخذ بعض معانيه من ابن الرومي .
[2] وفود نداك : الوفود (الآتية لنيل) نداك . الندى : الكرم . الصلة : العطية .
[3] الاحتفاء : المبالغة بالاكرام واظهار السرور (بالقادم) . الهبة العطية .
[4] السافيات : الريح (الشديدة) التي تحمل التراب .
[5] العظم (بضم العين) : الكبر ، علو المقام ، المكانة الرفيعة . ثقات جمع ثقة : (الرجل) الموثوق به . ـ خوفاً من أن ينزله الناس عن الخشبة التي صلب عليها (تحدياً لإرادة الدولة) .
[6] الجذع : ساق الشجرة الطويل (الخشبة التي يرفع عليها المصلوب) . العناق : المعانقة .
[7] استثارت : طلبت الثأر (لنفسها) . النائبات = النوائب : المصائب (كنت بكرمك وحسن معاملتك قد قضيت على المصائب) .
[8] أجار الرجل أخاه : جعله في جواره (منعه من الضيم ، دفع عنه المصائب) . صرف الليالي : حادث الدهر (المصائب) . فصار صرف الليالي مطالباً لك (طالباً لك ، ملاحقاً لك) بالترات (جمع ترة ، بكسر التاء وفتح الراء : ثأر) . ـ كنت تثأر للناس (تأخذ بحقهم) من الدهر فصار الدهر يثأر منك .

ولو أنّي قَدِرْتُ على قِيامٍ   بفَرْضِك والحُقوقِ الواجبات .
ملأتُ الأرضَ من نَظْم القوافي   ونُحْتُ بها خِلافَ النائحات ١ ،
ولكنّي أصَبّرُ عنك نفسي   مَخافةَ أن أُعَدّ من الجُناة ٢ .
وما لك تُرْبَةٌ فأقولَ تُسْقى ،   لأنّك نُصْبُ هَطْلِ الهاطلات ٣ .
عليك تَحِيّةُ الرحمن تَتْرى   برَحْماتٍ غَوادٍ رائحات ٤ .

لم أعثر لأبي الحسن الأنباري على تاريخ وفاة ولا على ترجمة مفصّلة . وأكثر ما نجد شيئاً عنه عند الكلام على مقتل ناصر الدولة أبي طاهر محمّد بن محمّد بن بقيّة الذي قتله عضد الدولة بن بويه في السادس من شوّال من سنة ٣٦٧ هـ ؟

٤ — ** يتيمة الدهر ٢ : ٣٤٤ — ٣٤٦ ؛ راجع تاريخ بغداد ٣ : ٥٣ ؛ حياة الحيوان للدميري (القاهرة ، المطبعة الميمنية ١٣٠٥ هـ) ١ : ٨٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٧٤ — ٤٧٧ (في ترجمة محمّد بن بقيّة) ؛ الصفدي ١ : ١٠٠ وما بعد ؛ شذرات الذهب ٣ : ٦٣ — ٦٤ ، راجع أيضاً تاريخ الكامل لابن الأثير (أخبار سنة ٣٦٧ هـ) ؛ تاريخ ابن عساكر ، الخ .

ابو عليٍّ الفارسيُّ

١ — هو أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الغفّارِ الفَسَوِيّ الشيرازيّ ، وُلِدَ سنَةَ ٢٨٨ هـ (٩٠٠ م) في مدينة فَسا (أو بَسا) لأبٍ

---

٢ النائحة : المرأة التي تبكي زوجها (أو ابنها أو أخاها الخ) .
٩ مخافة أن أعد من الجناة (الذين يقتلون أنفسهم بالحزن) .
١ ما لك (ليس لك) تربة (مكان في الأرض يدفن فيه الناس) . فأقول تسقى : أقول سقى الله تربتك ! نصب : منصوب، مرفوع . الهطل : نزول المطر متتابعاً، متوالياً . الهاطلة : السحابة يتوالى منها سقوط المطر .
٢ تترى : متوالية ، متتابعة . غواد جمع غادية : السحابة الحاملة للمطر في الصباح . الرائحات جمع رائحة : السحابة الحاملة للمطر في المساء .

فارسيّ وأمٍ من الجـالية العربية تَنْتمي إلى بني سَدوسِ بنِ شَيْبانَ من ربيعةِ الفرَسِ .

في سَنَةِ ٣٠٧ هـ (٩١٩ م) جاء أبو عليٍّ الفارسيّ إلى بَغدادَ ودَرَسَ على الزجّاجِ وابنِ السرّاجِ . وفي سنة ٣٤١ هـ (٩٥٢ م) جاء إلى حَلَبَ ، إلى بَلاط سيف الدولة . ثم إنّ عَضُدَ الدولة استدعاه إلى شيراز لِيُؤدِبَ أبناءَ أخيه خُسْروَهْ (كِسْرى) فنـالَ حَظوة عند عَضُدِ الدولة وألّف له الإيضاحَ والتكملةَ .

وكانتْ وفاةُ أبي عليٍّ الفارسيِّ في بغدادَ في أوائلِ سنة ٣٧٧ هـ [1] (في صيف ٩٨٧ م) .

٢ — كان أبو عليّ الفارسيّ إمامَ وقتهِ في النحو ، وكانتْ له في علمِ اللغة العربيةِ تَخريجاتٌ جِيادٌ . وربّما نَظَمَ شعراً مقبولاً . وكتبه كثيرةٌ منها : كتاب تفسير قولهِ تَعالى [2] : « يا أيها الذين آمنوا : إذا قُمْتُمْ إلـى الصلاة .... » ، كتاب التتبّع لكلام أبي عليّ الجُبّائي [3] في التفسير ، كتاب الحجّة (في القراءات) ، كتاب الإيضاح (في النحو ، ألّفه لعضد الدولة ، فلم يجد فيه عضد الدولة إلاّ أشياءَ يسيرةً معروفةً فألّف له أبو عليٍّ الفارسيّ بعدَ ذلك كتابَ التكملةِ (لكنّ كِتابَ التكملة كان كثيرَ الغموض) ، كتاب التذكرة ، كتاب الإغفال (وهو مجموع مسائل في المعاني أصلحها أبو عليّ الفارسيّ على أستاذه الزجّاج) ، كتاب المقصود والممدود ، كتاب الترجمة . ثم له كتب عديدة تُعْرَف بالمسائل (لعلّها في موضوعاتٍ مختلفةٍ كان أبو عليّ الفارسيّ يستدرك فيها على العلماء) منها : المسائل المنثورة ، المسائل (البَغدادية) ، المسائل الحلبية (ألّفها لسيف الدولة) ، المسائل الشيرازية (ألّفها لعَضُد الدولـة) ، المسائل البصرية ، المسائل العسكرية ، المسائل المُصْلَحة من كتاب ابن السرّاج ، كتاب الشعر (أو الايضاح الشعري ، ألّفه لعضد الدولة) .

---

١ في تاريخ الكامل (٩ : ٣٦) : سنة ٣٧٦ هـ .

٢ القرآن الكريم ٥ : ٧ ، سورة المائدة .

٣ أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (تلفظ باسقاط الألف) : أحد أئمة المعتزلة (٢٣٥ — ٣٠٣ هـ) .

٣ – المختار من شعره ونثره

– قال أبو عليّ الفارسي في الشيب :

خَضَبْتُ الشَّيْبَ لمّا كان عَيْباً ، وخَضْبُ الشيبِ أوْلى أن يُعابا .
ولم أخْضِبْ مَخافَةَ هَجْرِ خِلٍّ ، ولا عَيْباً خَشِيتُ ولا عِتابا .
ولكنّ المَشيبَ بـدا ذَميمـاً فصَيّرتُ الخِضابَ له عِقـابا !

– وصف كتاب الحجّة : ألف أبو عليٍّ الفارسيّ هذا الكتابَ في الريّ للصاحبِ بنِ عبّادٍ وكتب إلى الصاحب على ظهر هذا الكتاب (شِبْهَ إهداءٍ معَ رَغبةٍ في شيءٍ من التقريظ) :

« أطالَ اللهُ بقاءَ سيّدِنا الصاحبِ الجليلِ ، أدامَ اللهُ عِزّه ونَصْره وتأييده وتَمْكينه : كتابي في قُرّاء [1] الأمصارِ الذين بيّنتُ قراءاتِهِمْ في كتاب أبي بكرٍ أحمدَ بنِ موسى ، المعروفِ بكتاب السَّبْعة [2] . فما تَضَمّنَ من أثرٍ وقِراءة ولُغةٍ فهو عن المشايخ الذين أخذْتُ ذلك عنهم وأسْنَدتَه إليهم . فمتى أثَرَ [3] سيدُنا الصاحبُ الجليلُ – أدامَ الله عِزّه ونَصرَه وتأييدَه وتمكينه – حكايةَ شيءٍ منه عَنْهم ، أو عَنّي ، لهذه المُكاتبةِ فعَلَ .

٤ – أسماء الأفعال (نشره يوهانّس روديغر) هالّه ١٨٧٠ م .

** أبو علي الفارسي ، حياته الخ ، تأليف عبد الفتّاح اسماعيل شلبي ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٣٧٧ هـ .

الفهرست ٦٤ ؛ طبقات الزبيدي ٨٦ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٣٤١ – ٣٤٢ ؛ معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ – ٢٦١ ، وفيات الأعيان ١ : ٢٣٢ – ٢٣٤ ؛ بغية الوعاة ٢١٦–٢١٧ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٧٣ – ٣٧٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٨٨ – ٨٩ ؛ بروكلمان ١ : ١١٦ ، الملحق ١ : ١٧٥ – ١٧٦ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٠ – ٣٥١ ؛
Enc . Isl (new ed) II 802 - 803

---

١ قراء القرآن الكريم (الذين يحفظون القرآن ويقرأونه ويقرئونه للناس)
٢ بعض الالفاظ في القرآن الكريم تقرأ على وجهين معينين معروفين أو أكثر . ومجموع أوجه القراءة المتفق لعدد من من الالفاظ لا تزيد على سبع (تسمى سبعة أحرف) ، غير الشواذ .
٣ أثر : روى ، نقل عن .

الخالديّان

١ ـ الخالديّان أخوان كانتْ لهما حياةٌ أدبيةٌ واحدةٌ ، وهما : أبو بكرٍ محمّدُ بنُ هاشمِ بن وعلةَ بن عثمانَ بن بلالِ بن خالدِ بن عبدمُنبّهِ من بني عبد القيْس ، ثم أخوه أبو عثمانَ سعيدٌ .

وُلِدَ الخالديانِ قُرْبَ المَوْصلِ ، في قرية اسمها الخالديّةِ فيما يبدو . وإذا صحّتْ رواية ياقوتُ (معجم الأدباء ٣ : ١٠٦) ، وهي أنّ أبا بكرٍ محمداً ، وهو أسنّ الأخوينِ ، قد شَهِدَ مُناظرةً جرتْ في مجلس الوزيرِ أبي الفتح الفضْل بنِ جعفرِ بن الفُراتِ بينَ الفيلسوفِ متّى بن يُونس وبين أبي سعيد السيرافي ، في سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) ، فيجبُ أن يكونَ مولدهُ قبل أنِ انْصَرَمَ القرنُ الهجريّ الثالثُ بزمنٍ كيما يُتاحُ له أن يَدْخُلَ مجلسَ الوزيرِ لِمِثْلِ تلك المناسبة .

وتَذْكُرُ الرواياتُ أن الأخوَيْنِ تلقّيا العِلم على أبي بكرٍ محمدِ بنِ منصورٍ الخياطِ النحوي (توفي ٣٢٠ هـ) وعلى ابن دُريدٍ (توفي ٣٢١ هـ) وجَحْظَةَ البرمكي (توفي ٣٢٤ هـ) والصولي (توفي ٣٣٥ هـ) . ولعلّهما لم يُدْرِكا جحظة البرمكيّ مثلاً ، كما يَرى سامي الدهانُ [١] ، بل كانا يأخذانِ من كُتبه فقط .

واتّصل الخالديانِ ببِلاطِ سيف الدولة قبْل أنْ دَخلَه المتنبي (٣٣٧ هـ = ٩٤٨ م) وبَقِيا فيه بعدَ أن غادَره المتنبّي (٣٤٦ هـ = ٩٥٧ م) .

وفي نحو سَنَةَ ٣٤٩ هـ تولّى ابو اسحق الصابي ديوانَ الرسائل للوزيرِ المُهلّبي ، وكانت بينَه وبين الخالديَّيْنِ مودةٌ ، وكان هو بهما مُعْجَباً ؛ واتفقَ أن وَقَعَتْ وَحْشةٌ بين سيفِ الدولة والخالديين وافقتْ تمهيدَ الصولي لهما للاتصال بالمُهلبي ، فغادرا حَلَبَ إلى بَغدادَ . ثم تُوفّيَ المهلّبيّ سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) وغابتْ أخبارُ الخالديين ؛ ولا يُسْتَبْعَدُ أن يكونا قدِ انقطعا بعدَ ذلك إلى التصنيف .

وشِبْهُ المُجْمَعِ عليه أن أبا بكرٍ الخالديّ توفّي سنة ٣٧٠ أو سنة ٣٧١ هـ (٩٨١ م) وأن أبا عثمانَ توفّي في حُدود سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) . غير أن

---

١ كتاب التحف والهدايا ، م ٢٥ . ويستبعد جداً أن يكون أبو عثمان قد أدرك ابن دريد وسمع منه .

سامي الدهانَ (التحف والهدايا م ٢٢ ، م ٢٥) يَميل إلى جعل وَفاتَيْهما بين سنة ٣٨٠ و ٣٩٠ هـ (٩٩٠ – ٩٩٩ م) .

٢ – قال الثعالبي في الخالديين : « كانَ يَجْمَعُهما من أُخُوّةِ الأدب مثلُ ما يَنْظِمُهما من أخوّة النسب . فهما في الموافقة والمساعدة يَحْيَيان بروح واحدة . ويشتركان في قَرْض الشعر وينفردان . ولا يكادانِ في الحَضَرِ والسَفَرِ يفترقان » . ثم هما شاعران مُحْسنان مُجيدان رقيقان ، في شعرهما تأنّق ولفتاتٌ بديعة . وأما فنونهما فهي المديح والهجاء والخمر والغزل . وكانا يهاجيان السريّ الرفّاء مهاجاة عنيفة .

وقد أكثرَ الرواةُ ونُقّادُ الأدب في أخذهما من الشعراء مَعانِيَ يصوغانِها صياغةً أسنى أو أدنى وأبياتاً ومقاطع ليست لهما يَنْتَحِلانها . والذي يتأمّلُ شِعْرَهما (يتيمة الدهر ٢ : ١٦٥ – ١٩٣) يرى أنهما يُلِمّانِ بمَعاني الشعراء من أمثال أبي نواسٍ وأبي تمّامٍ والبُحتريِّ وابن المعتزّ وسواهم إلماماً قريباً ثم يُلْقيان عليها تَراكيبَ أسهلَ وألْيَنَ . ففضلُهما في اللّفْظ العَذْبِ لا في المعنى المُقْتَنَص .

وأما نثرُهما فعليه أثرٌ من أسلوب الجاحظ .

وكان الخالديّان مُصَنِّفَيْنِ لهما : التحف والهدايا ، حماسة الخالديين (الأشباه والنظائر) ، حماسة شعر المحدثين ، أخبارُ المَوْصل ، اختيار شعر بشّار ، أخبار أبي تمّام ومحاسن شعره ، اختيار شعر البحتري ، اختيار شعر ابن الرومي ، اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره ، اختيار شعر ابن المعتزّ والتنبيه على معانيه ، كتاب الديارات ، الخ .

٣ – المختار من شعرهما ونثرهما

أ – من شعر أبي بكرٍ محمّدِ بن هاشمٍ الخالديّ :

قام ، مِثْلَ الغُصُنِ المَيّا — دِ في غَضّ الشَبابِ ،
يَمْزُجُ الخمرَ لنا بالصَفْـ — ـو من ماء الشراب [1] .
فكأنّ الكأسَ ، لمّا — ضَحِكَتْ تَحْتَ الحَباب ،
وَجنةٌ حمراءُ لاحتْ — لك من تحت النِقاب !

---
[1] لعلها من ماء السحاب .

– وسحابٍ يَجرُّ في الأرضِ ذَيْلَــيْ مُطْرَفٍ زرّه على الأرضِ زرّا ؛
برْقُه لَمْحةٌ ، ولكنّ لـه رَعْـــدًا بَطيئاً يكسو المسامع وَقْـرا :
كخَليليّ مُنافق للـذي يَهْـــواه يَبْكي جَهْراً ويَضْحَكُ سرّا .

– يا مُعيري بالصَدِّ ثَوْبَ سَقامٍ ، أنتَ همّي في يَقْظتي ومنـامي ،
أنت أمْنيتي ، فإنْ رُمْتُ غَمْضـاً سَلّمَتْكَ المُنى إلى الأحـلام !

– يا خَليليّ ، مَنْ عَذيري من الدُنْـيا ومن جَوْرها عليّ وصبري ؟
عَجَباً ، إنّني أنافِسُ في عُمْـرانِ أيّامِها وتَخرِبُ عُمْري !

ب – من شعر أبي عثمانَ سعيدِ بنِ هاشمٍ الخالدي ، وقد كان يتشيّع ويُدْخل المداركَ الشيعيةَ في شعره :

وحَمائمٍ نَبّهْنَني والليلُ داجي المَشْرقَيْنِ ؛
شَبّهتُهُنَّ ، وقدْ بَكَيْـنَ وما ذَرَفْنَ دموعَ عَيْنِ :
بنِساءِ آلِ مُحمّـدٍ لما بَكَيْنَ على الحُسَيْنِ !

– ومن القول البارع في استنجاز العَطاءِ قولُ أبي عثمان الخالدي (اليتيمة ٢ : ١٩٣) :

أهزُّكَ ، لا أنّي عرَفْتُكَ ناسِياً لوَعْدٍ ، ولا أنّي أرَدتُ التَقاضيا ؛
ولكنْ رأيْتُ السيفَ من بَعْدِ سَلّهِ إلى الهزِّ مُحتاجاً وإنْ كان ماضيا !

– ومُدامٍ كَسَتِ الكـأ سَ من النُورِ وِشاحا .
ظَهَرَتْ في جُنْحِ ليـلٍ فكأنّ الفَجْـر لاحا .
لم يَكُنْ وقتُ صباحٍ فحَسِبْناهُ صَباحـا !

ج – من مقدمة الأشباه والنظائر (ص ٢) :

.... فلسنا نطعن على (الشعراء) المُحدَثين ، ولا نَبْخَسُهم تجويدَهم ولُطْفَ تدقيقِهم وطريفَ معانيهم وإصابة تشبيههم وصحّة استعاراتهم . إلا أنّا نَعْلَم أن الأوائلَ من الشُعراء رسموا رسوماً تَبِعها مَنْ بَعْدَهم وعَوّل عليها من قَفَا أثرَهم . وقلّ شِعْرٌ من أشعارهم [1] يَخلو من معانٍ صحيحة وألفاظٍ

١ الملموح : من أشعار الجاهليين .

فصيحة وتشبيهات مصيبة واستعارات عجيبة . ونحن – أطالَ اللهُ بقاءك وكَبَتَ بالذُلّ أعداءك – نُضَمّـِنُ رسالتَنا هذه مُختارَ ما وقع إلينا من أشعار الجاهلية ومَنْ تَبِعَهم من المخضرمين ، ونجتنب أشعارَ المَشاهير لكثرتها في أيدي الناس فلا نَذْكُرُ منها إلاّ الشيءَ اليسيرَ ولا نُخليها من غُرَرِ ما رَوَيْنا للمُحْدَثين ، ونذكُرُ شيئاً من النظائرِ إذا وَرَدَتْ والإجازاتِ إذا عَنَتْ . ونتكلّم على المَعاني المُخْتَرعة والمُتَّبعة . ولا نَجْمَعُ نظائرَ البيتِ في مكانٍ واحدٍ ، ولا المعنى المسروقَ في موضعٍ ، بل نجعلُ ذلك في موضع ذِكْرِه .... »

(ومعنى الجملة الأخيرة غامض ، ولكنه يتّضح إذا قرأنا في الصفحة ٢٠٦) :

لولا أننا شَرَطْنا ألاّ نُقَدِّمَ في هذا الكتابِ إلا أشعارَ المُتقدمين ، ثم نأتيَ بعدَ ذلكَ بالنظائرِ للمُحْدَثين والمُتقدمين [١] .

٤ – المختار من شعر بشّار (اعتنى بنسخه محمّد بن بدر الدين العلوي) ، القاهرة (مطبعة الاعتماد) ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) .

التحف والهدايا (بتحقيق سامي الدهّان) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٦ م .

الأشباه والنظائر (حقّقه محمّد يوسف) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٨ م .

** الفهرست ١٦٩ ؛ يتيمة الدهر ٢ : ١٦٥ – ١٩٤ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢٠٨ – ٢١٢ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢١٨ – ٢٢٠ و ٢ : ٣٣٩؛ أعيان الشيعة ٤٧ : ١٠٧ – ١٠٩ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٣ ، الملحق ١ : ٢٢٦ ؛ زيدان ٢ : ٣٣٦ .

أبو أحمد العسكري

١ – هو أبو أحمدَ الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سعيدِ بن زيد بن حكيمٍ

---

١ نورد أولا الأبيات الجاهلية ذات المعنى المبتكر في غرض من الاغراض ، ثم نأتي بالأبيات المحدثة التي قيلت في الاغراض نفسها وشابهت الابيات الجاهلية في سياقة المعنى .

العسكريّ اللّغويّ ، وكان خالَ أبي الهِلال العسكريِ المشهور .

وُلِدَ الحسنُ بنُ عبدِ الله بنِ سعيد في ١٦ شوّال سنة ٢٩٣ هـ (١١–٨–٩٠٦ م) في عسكر مُكرَم . وكان له مشايخُ كثارٌ أخذ عنهم ، منهم أبو بكر ابن دُريد وأبو بكر الصولي وأبو محمّدٍ عبدانُ الاهوازي ونفْطويهِ وأبو القاسم البَغَويّ وأبو حاتم السجِستاني . ثم جلس للإملاء في عسكر مُكرَمٍ وتُستَرَ وما جاورهما وزار أصفهانَ مِراراً . في هذه الأثناء كلّها كان يبيعُ البزّ (الثيابَ من الحرير) ليعيشَ من كَسْبِ يده نَزاهةً عن أن يتكسّب بالأدب .

وارتفعتْ مَكانةُ أحمدَ العسكريِ وذاعتْ شُهرته حتّى قصَده الصاحبُ بن عبّادٍ وفخرُ الدولة بن بُوَيْهِ في عسكرِ مكْرم ، سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) .

وكانت وفاةُ أحمدَ العسكري في ٧ من ذي الحِجّة من سنة ٣٨٢ هـ (٣–٢–٩٩٣ م) ، وقيل في ٩ من ذي الحِجّة من سنة ٣٨٧ هـ (ابن الأثير ٩ : ٥١) .

٢ – كان أبو أحمد العسكري راويةً للأدب متصرّفاً في أنواع الفنون جيّدَ التأليف حَسَنَ التصنيف ذوّاقةً للشعرِ والنثر عارفاً بالنقد معَ سَعَةٍ في الرواية وكثْرةٍ للمحفوظ . على أن الأدب والشعر غلبا عليه . وقد كان يَنظِم الشعر أيضاً .

ولأبي أحمد العسكري من الكتب : المُختلف والمؤتلف (من أسماء الرجال وكُناهم ، مما يشتبه على الرواة والأدباء) ، ما لَحَن فيه الخواصّ من العلماء ، علم النظم (صِناعة الشعر) ، الحِكَم والأمثال ، الزواجر والمواعظ ، عِلْم المنطق ، تصحيح الوجوه والنظائر ، راحة الأرواح ، الورقة ، المصون في الأدب ، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف .

٣ – المختار من كلامه

– من كتاب المصون في الأدب (ص ٥٧) :

– العرَبُ تُشبّهُ على أربعةِ أضْرُبٍ : تشبيهٌ [١] مُفْرِط وتشبيه مُصيب وتشبيه مُقارب وتشبيه يحتاج إلى التفسير لا يقوم بنفسه . فمن المفرط قولُهم للسّخِيّ : هو كالبحر ، وسما حتّى بلَغ النّجْم . ثمّ زادوا في ذلك ، فمنه

---

١ كذا في الأصل ؛ والأصوب : تشبيهاً .

قول بعضهم [١] :

له هِمَمٌ لا منتهى لكِبارِها، وهِمّتُه الصّغرى أجلّ من الدهر ....

ومن تشبيههم المتجاوز الجيّد قوله [٢] :

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهم دُجى الليلِ حتّى نَظّم الجَزْعَ ثاقِبُه .

٤ – التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه ، القاهرة (مطبعة الظاهر)١٩٠٨ م ؛
شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف (تحقيق عبد العزيز أحمد) ، القاهرة (مصطفى البابي الحلبي) ١٩٦٣ م .
المصون في الأدب (تحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، الكويت (دائرة المطبوعات والنشر) ١٩٦٠ م .

** معجم الأدباء ٨ : ٢٣٣ – ٢٥٨ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٣٤ – ٢٣٥ ؛ إنباه الرواة ١ : ٣١٠ – ٣١٢ ؛ بغية الوعاة ٢٢١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٠٢ – ١٠٣ ؛ بروكلمان ١ : ١٣١ – ١٣٢ ، الملحق ١ : ١٩٣ . Enc . Isl . I 712

أبو بكرٍ الخوارزميّ

١ – هو أبو بكرٍ مُحمّدُ بنُ العبّاس الخوارِزميُّ ، ويُقالُ له أيضاً الطَبَرْخَزَيَ لأنّ أباه كان من خَوارِزْمَ ، وكانت أمّه من طَبَرستانَ أختاً للمؤرخِ مُحمّدِ بنِ جريرٍ الطَبَريّ (توفي ٣١٠ هـ = ٩٢٣ م) ، فنُحِتَتْ له نِسْبَة مِنِ اسْمَيْ البَلَدَيْنِ .

وُلِدَ أبو بكرٍ الخوارِزميّ سَنَةَ ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) في خَوارِزْمَ . ولمّا شَبّ بدأ يتَطوّفُ في البلاد في سبيل العِلْم والمالِ . وقدْ أقامَ حيناً في الشامِ واتّصل بسيفِ الدولةِ . ثمّ انه غادَرَ حَلَبَ إلى بُخارى واتّصل بأبي عَليّ البَلْعميّ وزيرِ منصورِ (الأول) بنِ نوحٍ السامانيّ (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ) ، ولكنّه فارَقَهُ وَشيكاً وذهب إلى نيسابور . ثمّ اسْتَأنَفَ رِحْلَةً إلى سِجِسْتانَ ولكنّه

---

١ بيت من ثلاثة أبيات لبكر بن النطاح ؛ راجع ، فوق ، ص ٢٣٨–٢٤٠ .
٢ البيت لأبي الطمحان القيني ؛ راجع الجزء الأول ، ص ٣١٦ .

لم يُسَرّ فيها فهجا والِيَها طاهرَ بنَ محمّد فأُلْقِيَ في السجن مُدّةً . بعدئذ قَصَدَ الصاحبَ بن عبّادٍ في أرّجانَ ، ولكنّه هجاه أيْضاً وغادَرَ أرّجانَ . ثم عاد إلى نيسابور ؛ فلمّا لم يَنَلْ حَظْوة عندَ الوزيرِ أبي نصرٍ العُتْبيّ هجاهُ ، فصادَرَ العُتبيُّ أموالَه وألْقاه في السِجن . ولكن الخوارزميّ اسْتطاعَ أن يَنْجُوَ مِنَ السِجْنِ وهَرَبَ إلى جُرْجانَ . فلمّا قُتِلَ العتبي (؟) خَلَفَه أبو الحسنِ المُزَنيّ فاستقدمَ الخوارزميّ إلى نيسابور ، فقد كان صديقاً له ومُحِبّاً ، ثمّ عَوّضَهُ عمّا كان قدْ صُودِرَ من أموالِه .

وتعرّضَ أبو بكرٍ الخوارزميّ في أواخر أيامِه لمُنافسةِ بديعِ الزمانِ الهَمَذانيّ ونالَه من جرّاء ذلك أذىً كبيرٌ ، وخصوصاً في المناظرة المشهورة [1] .

وكانت وفاةُ الخوارزمي في نيسابور في مُنتصفِ رَمَضانَ من سَنَة ٣٨٢ هـ (٩٩٣ م) في الأغلب .

٢ — أبو بكرٍ الخوارزميّ أديبٌ شاعرٌ ناثرٌ . لقد كان إماماً في اللغة عالماً بأشعار العرب عارفاً بأنسابها وأخبارها كثيرَ الحِفْظ للأشعار . أما شِعْره القليلُ الذي سَلِمَ من الضَياعِ فهو أقربُ إلى شِعْرِ الكُتّابِ منه إلى شعر الشُعراء المطبوعين : إنه حَسَنُ المعاني قويّ السَبْكِ صافي الأُسلوبِ ولكنّه قليلُ الروْنق والطَلاوة . ومن فنونِ شعره الهجاءُ والمديح والرثاء مَعَ شيء من الحكم المنثورةِ فيها . وأما نَثْره فكان تَرَسُّلاً ، وكانَ أسْمى طَبَقَةً من شِعره . ومَعَ جودَةِ رَسائله فإنّنا نرى عَلَيْها شيئاً من الجَفاف والجَفاء إذا قِيسَتْ برسائلِ بديعِ الزمانِ الهَمَذانيّ . وأبو بكرٍ الخوارزميّ يتكلّف الصِناعة في رسائله ، ولكنّه يُصيبُها في أحيانٍ كثيرةٍ . ويَقْصِدُ إلى الفُكاهة والتَهَكّم فيُجيدُهما حيناً .

٣ — المختار من شعره ونثره

— قال الخوارزميّ يرثي رُكْنَ الدولةِ الحسنَ بن بُوَيْهِ :

أَلَسْتَ ترى السيفَ كيفَ انثَلَمْ ورُكْنَ الخلافةِ كيف انهَدَمْ .
طوى الحَسَنَ بنَ بُويْهِ الرَدى ؛ أيَدْري الرَدى أيَّ جَيْشٍ هزم [2] !

---

[1] راجع ترجمة بديع الزمان الهمذاني .
[2] الردى : الموت .

فصيحُ اللسانِ بديعُ البَيانِ   رَفيعُ السِنانِ سريعُ القلم[1] .
إذا تَمَّ شيءٌ بدا نَقْصُهُ ؛   تَوَقَّعْ زَوالاً إذا قيلَ تَمّ !

— وقال يذكر ضَعْفَ خلفاءِ بني العبّاس :

أما رأيتَ بني العبّاسِ قد فتَحوا   مِنَ الكُنى ومن الألقابِ أبْوابا ؟
ولَقّبوا رَجُلاً لو عاشَ أوّلُهم   ما كان يَرْضى به للقَصْرِ بوّابا[2] !
قلّ الدراهمُ في كَفّيْ خَليفتِنا   هذا فأنْفَقَ في الأقوامِ ألْقابا .

— وقال أبو بكر الخوارزمي يَصِفُ والياً ظالماً عاتياً :

وَرَدَ علَيْنا فُلانٌ ونحنُ نِيامٌ نومَ الأمَنَةِ وسُكارى سُكْرَ الثَرْوَةِ (؟) ومُتَّكِئونَ على فِراشِ العَدْلِ والنَصَفَة[3] ؛ فما زال يفتحُ علينا أبوابَ المظالمِ ويحتلب فينا ضِرْعَيِ الدنانيرِ والدراهمِ ويسيرُ في بلادِنا سيرةً لا يسيرها السِنَّوْرُ في الفار ولا يَسْتَحْبِرها المُسلمون في الكُفّار[4] ، حتّى افتَقَرَ الأغنياءُ وانْكَشَفَ الفُقَراء ، وحتّى تَرَكَ الدِهْقانُ ضَيْعَتَه ، وجَحَدَ صاحبُ الغَلّة غلّته وحتّى نَشّف الزَرْعَ والضَرْعِ وأهْلَكَ الحَرْثَ والنَسْلَ[5] ، وحتّى أخْرَبَ البلادَ ، بلْ أخربَ العِبادَ ، وحتّى شَوّق إلى الآخرةِ أهلَ الدُنيا وحبّب الفقرَ إلى أهل الغِنى ، وحتّى لُقّبَ بالجَراد وكُنّي أبا الفَساد ، وحتّى صارَ الدِرْهم في أيامه أقلّ من الصدقِ في كلامه ، وصار الأمْن في أعْماله أعزّ من السَداد في أفعالِه[6] . فلَيْتَهُ إذْ أوْحَشَ الرجالَ حَصّلَ

---

[1] رفيع السنان سريع القلم (كناية عن الظفر في الحروب وعن نفاذ أوامره !) .
[2] لو عاش أولهم : لو كان الخلفاء العباسيون الاولون أحياء .
[3] الأمنة (بفتح الهمزة والميم والنون) : الأمن ، الأمان ، السلامة . النصفة (بفتح النون والصاد والفاء) : الانصاف ، المساواة في المعاملة .
[4] السنور : الهر ، القط . الكفار : الذين ليس لهم كتاب سماوي ولا نبي مرسل ، والذين يجحدون الله أو يشركون به غيره .
[5] ترك الدهقان (صاحب الأراضي) ضيعته وجحد (أنكر ، تبرأ من) غلته لأن الضريبة عليهما أكبر من قيمتهما . الزرع : نبات الأرض . الضرع : ثدي الأنعام الحلوبة (كالغنم والبقر والإبل) . الحرث : الزرع . النسل : ما يتكاثر بالتوالد من الإنسان (والحيوان) — استولى على نتاج كل شيء ثم أهلك جميع المنتجين .
[6] أعز : أندر ، أقل . السداد (بفتح السين) : الصواب في القول والعمل .

المالَ ، وليته إذ ضيّع المالَ أرضى الرجال [1] ؛ ولكنّه حُرِمَ الاثنَيْنِ فأفلس من الجهتين . ووالله ، ما الذئبُ في الغَنَم بالقياسِ إليه إلاّ من المُحْسنين ، ولا السُوس في الخزّ في الصيفِ إلاّ من المُصلحين ، ولا الحَجّاجُ بنُ يوسُفَ الثَقَفيّ في العِراقِ إلاّ أولُ العادلين ، ولا يزْدَجرْدُ الأثيمُ في أهلِ فارسَ بالإضافة إليه إلاّ من النبيّينَ والصِدّيقين ، ولا فِرْعَونُ في بني إسرائيلَ إذا قابَلْتَهُ به إلاّ من الملائكةِ المقرّبين .

— مَرِضَ أبو بكرٍ الخوارزميّ فأغفَلَهُ أحَدُ أصدقائه : لم يَعُدْهُ (يزُرْه) في عِلّتهِ ولا كتَبَ إليه مُهنّئاً بزَوالِ العِلّةِ عنه . فكتَبَ الخوارزميّ إلى ذلك الصديقِ :

كتابي — وقدْ خرَجْتُ من البَلاء خروجَ السيفِ من الجِلاء [2] وبُروزَ البَدْرِ من الظَلْماء ؛ وقد فارقَتْني المِحْنة وهيَ مُفارِقٌ لا يُشتاقُ اليه ، ووَدّعَتْني وهي مُوَدّعٌ لا يُبْكى عليه . فالحَمْدُ لله تعالى على محْنة يُجْليها ونعمة يُنيلُها ويُولّيها . كنتُ أتوقَعُ أمْسِ كتابَ سيّدي بالتَسْلية ، واليومَ بالتَهنئة : فلم يكاتِبْني في أيامِ البُرَحاء [3] بأنّها غَمّتْهُ ولا في أيّام الرَخاء بأنّها سرّتْه . وقدِ اعتَذَرْتُ عنه إلى نفسي وجادَلْتُ عنه قلبي فقُلْتُ : أمّا إخلالُه بالأولى فلأنّه شَغَلَه الاهتمامُ بها عن الكلام فيها ، وأما تغافُلُه عنِ الأُخرى فلأنّه أحَبّ أن يُوفّرَ علَيّ مرْتَبَةَ السابق إلى الابتداء ويَقِفَ بنفسه على مَحَلّ الاقتِدا [4] لِتكونَ نِعَمُ الله تعالى موْقوفةً من كلّ جانبٍ عليّ ومحفُوفة من كلّ بيئَة [5] بي . فإنْ كُنْتُ أحسَنْتُ الاعتِذارَ عن سيّدي فلْيَعْرِفْ لي حقّ الإحْسان ولْيَكْتُبْ لي بالاستِحْسان . وإنْ كُنْتُ أسأتُ فلْيُخْبِرْني بعُذْرِه فإنّه أعْرَفُ منّي بسِرّه ، ولْيَرْضَ منّي بأنّي حاربْتُ عنه قلبي ، واعتَذَرْتُ من ذنبِه حتّى كأنّه ذنْبي ، وقلتُ :

---

[1] أوحش الرجال : نفرهم منه . حصل المال : جمع مالا (للدولة) . — إنه بأعماله قد نفر الناس من الدولة وجعلهم لها أعداء ثم لم يستطع أن يجمع الخراج والضرائب لأنه أفسد كل شيء وأفقر البلاد .

[2] الجلاء (بكسر الجيم) : صقل السيف ، شحذه ، سنه (بفتح السين) .

[3] البرحاء (بضم الباء وفتح الراء) : شدة الأذى (من المرض وغيره) .

[4] يقف بنفسه على محل الاقتداء : لا يتقدم علي في عمل بل يقتدى بي في كل شيء .

[5] البيئة (بكسر الباء) : المحل ، المكان ؛ الحال .

يا نَفْسُ ، اعذُري أخاكِ وخُذي منه ما أعطاكِ ، فمعَ اليومِ غدٌ ، والعَوْدُ أحمَدُ !

— كلماتٌ لأبي بكرٍ الخوارزميِّ تَجْري مَجْرى الأمثال (يتيمة الدهر ٤ : ١٨٢ — ١٨٥) :

الشُكْرُ على قَدْرِ الإحسان ، والسِلَعُ بإزاء الأثْمان [١] . النفسُ مائلةٌ إلى أشكالها ، والطيرُ واقعةٌ على أمثالِها . الأيام مِرآةُ الرجال . الاعتذارُ في غير مَوْقعه ذَنْبٌ . الدَواء لغيرِ حاجةٍ إليه داءٌ . الغَضَب ينسي الحُرُمات [٢] ويَدْفِن الحَسَناتِ ويخلُقُ للبريءِ جِنايات . الدنيا عَروسٌ كثيرةُ الخُطّاب المُلْك سِلْعةٌ كثيرةُ الطُلاّب . الشُجاعُ مُحَبَّبٌ حتّى إلى مَنْ يُحاربه . حِفْظُ الصِحّة أيْسَرُ من عِلاجِ العِلّة . في الزوايا خَبايا ، وفي الرجال بَقايا . نِعْمَ الشفيعُ الحُبّ . نِعْمَ العُدّةُ المُدّةُ [٣] ، ونِعْمَ الوِقاية العافية . بِئْسَ الخَصْمُ الزمانُ ، وبئس الشفيعُ الحِرْمان ، وبئس الرفيقُ الخِذْلان .

٤ — رسائل أبي بكر الخوارزمي (محمّد قسطة العدوي) ، القاهرة (عبد الرحمن رشدي) ١٢٧٩ هـ ؛ ثمّ استانبول ١٢٩٧ هـ ؛ مصر (المطبعة العثمانية) ١٣١٢ هـ ؛ بومباي ١٣٣١ هـ الخ .

** يتيمة الدهر ٤ : ١٨٢ — ٢٢٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٥ — ٣٥٧ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٩١ — ١٩٦ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٠٥ — ١٠٦ ؛ بروكلمان ١ : ٩٢ — ٩٣ ، الملحق ١ : ١٥٠ ؛ زيدان ٢ : ٣١٥ — ٣١٦ ؛ أعيان الشيعة (١٩٥٩ م) ٤٥ : ٢٥٨ — ٢٦٢ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٢٩٥ — ٢٧٦ .

القاضي أبو عليّ التنوخيّ

١ — هو أبو عليّ المُحَسِّنُ بنُ عليِّ بنِ محمّدٍ المعروف بالقاضي التَنوخي كان مَوْلِدُهُ في البَصْرةِ في ٢٦ من ربيعِ الأول من سنة ٣٢٧ هـ .

٨ جودة السلعة (البضاعة) تابعة لمقدار ثمنها .

٦ الحرمات جمع حرمة (بضم الحاء المهملة) : ما يجب على الإنسان الدفاع عنه كالعرض والكرامة ...

٧ العدة : الاستعداد ، التهيؤ . المدة : الزمن (طول العمر) .

دَرَسَ أبو عليّ التنوخيّ الحديثَ والفقهَ ثم قرأ الأدبَ (واللغة) على أبي بكرٍ الصوليِّ وأبي العبّاس الأثرم وأبي الفرَجِ الأصفهاني ، ونالَ من أبي الفرَجِ الأصفهاني إجازَةً بروايةِ كتابِ الأغاني .

في سنة ٣٤٩ هـ (٩٦٠ م) تَقلّدَ أبو عليّ التنوخي القضاءَ ، من قِبَلِ أبي السائب عُتْبَةَ بنِ عُبيدِ الله بالقَصْرِ وبابلَ (نواحي الكوفة) وما والاهما . وفي سنة ٣٤٩ هـ ولاّه الخليفةُ المطيعُ لله القضاءَ في عَسْكر مُكْرَمٍ وإيذجَ ورامهُرمزَ . ثم انه تولّى القضاء في أماكنَ مختلفة .

وفي سنَةِ ٣٦٩ هـ (٩٧٩ م) أرْسَله الخليفةُ الطائعُ لله إلى عَضُدِ الدولة ابنِ بُوَيْهِ رسولاً ، حينما أرادَ الطائعُ خِطْبَةَ أختِ عَضُدِ الدولة لنفسه .

وكانت وفاةُ أبي عليّ التنوخيّ في بَغْدادَ ، في ٢٥ من المُحرّم سنة ٣٨٤ هـ (٢-٣-٩٩٤ م) .

٢ - كان أبو عليٍّ التنوخيّ أديباً إخبارياً حَسَنَ الحَديثِ والتَحْديث ، وكان له شعرٌ عاديّ ؛ ثم هو مصنّف بارِعٌ له من الكُتُبِ : الفرجُ بعد الشدّة ، المُسْتَجاد من فَعَلاتِ الأجواد ، نِشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (أو جامع التواريخ) ، عنوان الحكمة .

٣ - المختار من آثاره

- قال القاضي أبو عليّ التنوخيّ يُعَرِّضُ بأحدِ الفُقَهاء :

خرَجْنا لِنَسْتَسْقي بيُمْنِ دُعائِه ، وقدكادَ هدبالغَيْمِ أن يَبْلُغَ الأرضا[1] .
فلمّا ابتدا يَدْعو تَقَشّعتِ السما ؛ فما تَمّ إلاّ والغَمامُ قد انْفضّا[2] .

- من «المستجاد من فعلات الأجواد» ، من المقدّمة :

.... انّكَ طلبتَ منّي أن أجْمَعَ لك من أخبار الأجوادِ أجودَها ، ومن فَعالات الكِرامِ أسْناها وأرْشَدَها . فاستخرتُ الله في المَقال ، وتَخَيّرتُ من ذلك ما سَنَحَ لي في الحال ، ممّا أحْسَبُهُ يَسْتَفِزّ القارئ والسامعَ ويَقَعَ منه أرفعَ

---

١ الاستسقاء : الدعاء إلى الله بسقوط المطر . اليمن : البركة . هدب (في الأصل) : شعر أشفار العين ، في أطراف الجفون (وهنا أطراف) .
٢ انقشع الغيم وتقشع : انكشف وتفرق .

المواقع . وألّفتُه كتاباً سمّيته «المُستجاد من فَعالات الأجواد» فكان لِلَقبه مُطابقاً ولغرَضِك موافقاً ، ولِمَا يُستَحسَنُ سابقاً ....

— من المستجاد ، قصّة :

اشترى عبدُ الله بنُ عامرٍ من خالدِ بنِ عُقْبَةَ بنِ أبي مُعَيْط داره التي في السوق[1] بتسعين ألفَ دِرْهَم . فلمّا كان الليلُ سَمِعَ بكاءَ آلِ خالدٍ ، فقال لأهلِه : ما لِهؤلاء ؟ قالوا : يَبْكون لِدارِهِمُ التي اشْتُرِيَتْ . قالَ : يا غُلامُ ، إيتِهِمْ فأعلِمْهُمْ أنّ الدارَ والمالَ لَهُمْ جميعاً !

من كتاب الفرج بعد الشدّة :

— من (المقدّمة)[2] :

.... وكثيراً إذا عَلِمَ اللهُ تعالى من وَلِيِّه وعبده انقطاعَ آمالِه إلاّ من عنده ، لم يَكِلْهُ إلى سعيه وجُهده ، ولم يَرْضَ له باحتماله وطَوْقِه ، ولم يُخْلِه[3] من عِنايته ورِفْقه . وأنا بمشيئةِ اللهِ تعالى جامعٌ في هذا الكتاب أخباراً من هذا الجنس والباب أرجو بها انشراحَ صدورِ ذوي الألباب ، عندما يَدْهَمُهم من شِدّة ومُصاب . إذ كنتُ قد قاسَيْتُ من ذلك في مِحَنٍ دُفِعْتُ إليها ما يَحْنو بي على المُمْتَحَنين ويحدو بي على بذل الجُهد[4] في تفريج غموم المكروبين .

وكنت وَقَفْتُ في بعض مِحَني على خمس أو ستّ أوراق[5] جمعها

[1] في سوق مكة .

[2] لم أستشهد بشيء من متن الكتاب لأن مواده جمع ليس فيها نتاج للمؤلف ولا أسلوب . وأبواب هذا الكتاب تدور على أحوال يكون فيها الفرج بعد شدة : آيات من القرآن الكريم — أحاديث لرسول الله ثم أخبار للصحابة وغيرهم تتصل بذلك أو لا تتصل — قصص في أحوال مختلفة (أحد عشر باباً) ينال فيها أصحابها فرجاً بعد شدة — مختارات من الشعر توافق القصص التي ذكرت في الأبواب السابقة .

[3] وكله إلى سعيه (إلى سعي نفسه) : تركه يتدبر أموره بنفسه . الطوق : الطاقة ، القدرة . لم يخله من عنايته : لم يتخل عن العناية به .

[4] ... إلى ما يجعلني أحنو (أشفق) على الذين وقعوا في محنة (بكسر الميم) : في مصاعب تمتحن (تختبر) قدرتهم على الصبر (مصائب فوق احتمالهم) . يحدو بي : يدفعني . الجهد (بفتح الجيم) : التعب ، (بضم الجيم) : أقصى ما يستطيع الإنسان بذله أو عمله ، القيام به .

[5] هذا التركيب خطأ (لإضافة مضافين إلى مضاف اليه واحد) . اقرأ : خمس أوراق أو ست .

أبو الحسن عليّ بنُ محمّد المَدِيني[1] وسمّاها **كتاب الفرج بعد الشدّة والضيق** ، وذكر فيها أخباراً تدخل جميعُها في هذا المعنى فوجدتُّها حسنةً ، ولكنّها لقِلّتِها نَموذَجٌ صغيرٌ ؛ ولم يأتِ بها مؤتلِفَةً ولا سَلَك بها سبيلَ الكتب المُصَنَّفة ولا الأبواب الواسعة المُؤلّفة مَعَ اقتدارِه على ذلك . ولا أعلمُ غَرَضَهُ في التقصير ، ولعلّه أرادَ أن يَنْهَجَ طريقَ هـذا الفنّ من الاخبار ويَسْبِقَ إلى فتح هذا الباب فيه بذلك المِقْدار ويَنْقُلَ جميعَ ما عنده فيه من الآثار .

ووَقَعَ إليّ كتابٌ لأبي بكرٍ عبدِ الله بنِ أبي محمّدِ بنِ أبي الدّنيا[2] قد سمّاه **كتاب الفرج بعد الشدّة** في نحو عشرينَ ورقةً ؛ والغالبُ فيه أحاديثُ عن النبيِّ صلّى الله عليه وعلى آلهِ وصَحْبه وسلّمَ وأخبارٌ عن الصحابة والتابعين رَحِمَهُمُ الله تعالى يدخُلُ بعضُها في معنى طِلْبَتِهِ ولا يخرجُ عن قَصْدِهِ وبُغْيَته ، وباقيها أحاديثُ وأخبارٌ في الدعاء والصبر والأرزاق والتوكّل والتعرّض للشدائد بذِكْرِ الموت وما يَجري مَجْرى التعازي ويُتَسَلّى به عن طوارقِ الهمومِ ونوازلِ الأحداث والغموم ويُسْتَحَقّ عليها من الثواب في الأُخرى[3] مَعَ التَمَسّك بالحَزْمِ في الأولى[4] . وهو عِنْدي خالٍ من فَرَجٍ بعدَ شِدّةٍ غيرُ مستحقٍ أن يدخلَ في كتابٍ مقصورٍ على هذا الفنّ . وضَمّنَ الكتابَ نُبَذاً قليلةً من الشعر وروى فيه شيئاً يسيراً جداً ممّا ذكره المدايني ، إلاّ أنّه جاءَ به بلا إسنادٍ له الاّ عن المدايني .

وقرأتُ أيضاً كتاباً للقاضي أبي الحسينِ عُمَرَ بنِ القاضي أبي عمرٍو محمّدِ ابن يوسفَ القاضي رَحِمَهُمُ اللهُ ، في مقدارِ خمسينَ ورقةً ، قد سمّاه

---

[1] أبو الحسن علي بن محمد المدائني ، ولد في البصرة سنة ١٣٥ هـ ونشأ فيها ، وعاش مدة في المدائن (شرق بغداد) ثم انتقل إلى بغداد فسكنها إلى أن توفي فيها ، سنة ٢٢٥ هـ (٨٣٩ – ٩٤٠ م) في الأغلب . وللمدائني كتب كثيرة تبلغ نحو مائتين وأربعين كتاباً في الاخبار خاصة ، في التاريخ والسير (بكسر السين وفتح الياء) : في أخبار رسول الله ، وفي أخبار قريش وأخبار الخلفاء وأخبار الشعراء ، الخ . (الفهرست ١٠٠ – ١٠٤ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٥٤ – ٥٥ ؛ معجم الأدباء ١٤ : ١٢٤ – ١٣٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٥٤ ؛ بروكلمان ١ : ١٤٦ ، الملحق ١ : ٢١٤ – ٢١٥) .

[2] راجع ، فوق ، ص ٣٣٦ – ٣٣٨ .

[3] الأخرى : الحياة الآخرة . الأولى : الدنيا .

كتاب الفرج بعد الشدّة أوْدَعَهُ أكثرَ ما رواه المدايني وجمعه وأضافَ إليه أخباراً أخرَ أكثرُها حسنةٌ وفيها ما هو غيرُ مُماثِل عِنْدي لِما عناه ولا مُشاكِل لما نحاه [1] . وأتى في أثنائها بأبياتِ شِعْرٍ يسيرةٍ من معادنَ لأمثالها [2] جمة كثيرة . ولم يُلِمَّ بما أورده ابنُ أبي الدنيا . ولا أعلمُ أتعَمَّدَ ذلك أم لم يَقِفْ على الكتاب . ووجدتُ أبا بكرِ بنَ أبي الدنيا والقاضيَ أبا الحسين لم يَذْكُرا للمدايني كتاباً في هذا المعنى : فإن لم يكونا عرَفا هذا فَهُوَ طَريفٌ ، وإن كانا تعَمّدا ترْكَ ذِكْرِه — تثقيفاً لكتابيهما وتَغْطِيَةً على كتاب الرجل [3] — فهو أظرف . ووجدتُهما قد استحسنا لَقَبَ كتاب المدايني على اختلافهما في الاستعارة وَحَيْدِهما عن أن يأتيا بجميع العبارة [4] . فتوهّمتُ أن كلَّ واحدٍ منهما لمّا زاد على قَدْرِ ما أخرجه المدايني اعتقد أنه أوْلى منه بلقب كتابه . فان كان هذا الحُكْمُ ماضياً والصواب به قاضياً [5] فيجب أن يكون من زادَ عليهما أيضاً في ما جمعاه أوْلى منهما بما تعبا في تصنيفه ووضعاه .

فكانَ هذا مِنْ أسبابِ نَشاطي لتأليف كتابٍ يحتوي من هذا الفنّ على أكثرَ ممّا جَمَعه القوم وأبين للمعنى وأكشفَ وأوضحَ ، وإنْ خالف مذهبَهم في التصنيف وعَدَل عن طريقهم في الجمع والتأليف . فانّهم نَسَقوا ما أوْدعوه كُتُبَهُمْ جملةً واحدة وربّما صادفتْ مَلَلاً من سامعيها أو وافقت سَآمةً من الناظرين فيها . فرأيتُ أن أُنوِّعَ الأخبارَ وأجْعَلَها أبواباً ليزدادَ مَنْ يَقِفَ على الكتب الاربعةِ بكتابي من بينها إعجاباً ، وأنْ أضَعَ ما في الكتب الثلاثة في مواضعه من أبواب هذا الكتاب إلاّ ما أعتقد أنّه يجب ألاّ يَدْخُلَ

---

١ مشاكل : مشابه . نحاه : قصد اليه ، قصده .

٢ ربما كان ينقص هنا كلمة : أشياء ، أقوال . أو ربما كانت الجملة ... أمثالها جمة كثيرة .

٣ تثقيفاً (؟) . تغطية على كتاب الرجل : طمساً لذكره . لاختلافهما في الاستعارة : لاختلافهما في ما استعاراه (نقلاه من الكتاب) وحيدهما (ابتعادهما) عن أن يأتيا بجميع العبارة (بنقل عبارة الكتاب الذي نقلوا منه بكاملها) .

٤ ماضياً : صحيحاً ، عادلا . الصواب به قاضياً : يقضي به (يوجبه) الصواب .

٥ نسقوا ما أودعوه كتبهم جملة واحدة : أوردوا القصص المختلفة مسرودة تباعاً من غير تمييز بين أنواعها .

فيه وأنّ تَرْكَهُ وتَعَدّيه [1] أصوبُ وأولى والتشاغل بذكرِ غيره ممّا هو أدْخَلُ في هذا المعنى — ولم يَذْكُرْهُ القوم — ألْيَق وأحْرَى ، وأن أعزُوَ ما أُخْرِجُه ممّا في الكتب الثلاثة إلى مؤلّفيها تأديةً للأمانة واستيثاقاً في الرواية وتبْيِيناً لِما آتي به من الزيادة وتَنْبيهاً على مَوْضع الإفادة .

فاستَخَرْتُ [2] اللهَ عزّ وجلّ ذِكْرُه وبدأتُ بذلك في هذا الكتاب ولقّبته بكتاب **الفرج بعد الشدّة** تَيَمّناً لقارئه بهذا المَقال ولِيَسْتَسْعِدَ في ابتدائه بهذا الفال . ولم استَبْشِعَ إعادةَ هذا اللقب ، ولم أحْتَشِمْ تكريرَهُ على ظهور الكتب ، لأنّه قد صار جارياً مجرى تَسْمِيَةِ رَجُلٍ ابْنَهُ محمّداً أو محموداً أو سَعْداً أو مسعوداً ، وليس لقائلٍ — مَعَ التَداوُلِ لهذين الاسْمَيْنِ — أن يقولَ لِمَنْ سمّى بهما الآنَ إنّك انْتَحَلْتَ هذا الاسْمَ أو سرقته . ووَجَدتني متى أعْطَيتُ كتابيَ هذا حقّه مِنَ الاستقصاء وبلغتُ به حَدّه من الاستيفاء جاء في ألوفِ أوراق لِطول ما مضى من الزمان وأنّ [3] الله سُبْحانَه وتعالى بحِكْمَته أجْرَى فيه أُمورَ عباده مُنْذُ خَلَقهم وإلى أن يَقْبِضَهُمْ على التَقلّب بين شِدّة ورَخاء ورَغْدٍ وبلاء وأخذٍ وعطاء ومنعٍ وصُنْعٍ وضيق ورَحْب وفَرَحٍ وكَرْبٍ ، عِلْماً منه تعالى بعواقبِ الأمور ومصلحة الكافّة والجُمهور فأخبار ذلك كثيرة المقدار عَظيمة التَرْداد والتكرار ، وليست كلّها بمُسْتَحْسَنَة ولا مُستفادة [4] ولا مُستطابةِ الذكْرِ والإدعاء . فاقْتَصَرْتُ على أحسنِ ما رويتُه من هذه الأخبار وأصحّ ما بلغني في معانيهنّ من الآثار وأملح ما وجدتُ في فنونها من الأشعار . وجعلتُ قَصْديَ إلى الإيجاز والاختصار وإسقاط الحَشْوِ وترك الإكثار ، وإنْ كان المُجْتَمِعَ من ذلك جُملةٌ يَسْتَطيلُها المَلول ولا يَتَفَرَّغُ لقراءَتِها المَشْغول .

وأنا أرغبُ إلى مَنْ يَصِلُ اليه كتابي هذا ويَنْشَطُ للوقوف عليه أن يَصْفَحَ عمّا يَعْثَرُ بهِ من زَلَل ويُصْلِحَ ما يجد فيه من خطأٍ أو خَلَل . واللهَ أسألُ

---

[1] تعديه : تجاوزه .

[2] استخرت الله في فعل كذا : طلبت من الله أن يختار لي ما يجب أن أعمله .

[3] .... ولأن الله جعل أمور الناس في الحياة كلها تتقلب في تلك الأحوال ، فالكلام عليها كلام على حياة جميع الناس في جميع أيامهم .

[4] ولا مستفادة : لا تستحق أن يستفيدها (يكتسبها) الإنسان .

السلامةَ من المَعاب والتوفيقَ لِبُلوغ المَحابّ والإرشاد إلى الصواب . ويَفْعَلُ اللهُ ذلك بكرمهِ ، إنّه جَوادٌ وَهّاب .

٤ — الفرج بعد الشدّة ، القاهرة (محمود رياض) ١٩٠٣ — ١٩٠٤ م ؛ بومباي ١٩١٩ م ؛ الفصل السابع منه (جمال الرحمن) بومباي ١٣٢٩ هـ .
المستجاد من فَعلات الاجواد (نشره محمّد الزهري الغمراوي) ، القاهرة ١٩٠٣ — ١٩٠٤ م ؛ (نشره باولي) شتوتكارت ١٩٣٩ م ؛ (عني بنشره وتحقيقه محمّد كرد علي) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) .
نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (نشره مرغوليوث) ، لندن ١٩١٨ — ١٩٢١ م ثم دمشق (المعهد العلمي العربي) ١٩٣٠ م .
•• تاريخ بغداد ١٣ : ١٥٥ ؛ يتيمة الدهر ٢ : ٣١٩ — ٣٢٠ ؛ معجم الأدباء ١٧ : ٩٢ — ١١٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢١١ — ٢١٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١١٢ ؛ أعيان الشيعة ٤٧ : (١٤٧) ؛ بروكلمان ١ : ١٦١ — ١٦٢ ، الملحق ١ : ٢٥٢ — ٢٥٣ ؛ زيدان ٢ : ٣٢٨ ؛ النثر الفنّي ١ : ٣١٥ — ٣٣٨ .

المرزبانيّ

١ — هو أبو عُبيدةَ محمّدُ بن عِمرانَ بن موسى بن سعيد بن عبيد الله المَرْزُباني البَغدادي الكاتب ، كان من بيت رِئاسةٍ ووَجاهةٍ ، يَرْجِعُ أصله إلى أحد مَرازِبة الفُرس[1] ، وكان أبوه نائبَ صاحِبِ بابِ خُراسانَ (رئيس الحرس) في بغداد .

وُلِدَ محمّد بن عِمرانَ المَرْزُباني في جُمادى الثانية من سَنَةِ ٢٩٦ هـ (٩٠٩ م) في بَغداد ؛ وأخذ العِلم عن عبد الله بن محمّد البَغَوِيّ وأبي بكرِ ابن أبي داوود السجِسْتاني ، وكذلك روى عن أبي بكر بن الأنباري وأبي بكر بن دُريد وأبي القاسم البَغدادي (وفيات ٢ : ٣٢٨) . ثمّ انه نالَ حَظوة عِنْد بني بُوَيْهِ .

[1] المرزبان (عند الفرس) : الرئيس ، الحاكم على مقاطعة من المقاطعات الفارسية .

وكانت وفاة المرزباني في بَغداد ، في الثاني من شوّال سنة ٣٨٤ هـ (٩-١١-٩٩٤ م) .

٢ - كان المرزباني ذكيّاً مُمْتِعَ المُحاضرةِ والمذاكرة راويةً للأدب صاحبَ أخبارٍ جميلةٍ واسعَ العلمِ بفنونِ اللغةِ والأدب مائلاً إلى مذهب المُعْتَزِلة . وكذلك كانَ بارعاً في تصنيف الكتب حَسَنَ التنسيقِ لما يكتبه ، كثيرَ التأليف . ومُعْظَمُ كُتُبِه مُطَوّلة ، له من الكتب [1] : الموثّق ، المستنير ، المفيد ، المُعجم ، الموشّح ، كتاب الشعر ، أشعار النساء ، أشعار الخلفاء ، كتاب المراثي ، شعر الشيعة ، أخبار عبدالصمد بن المعذّل ، أخبار أبي تمّام ، كتاب أعيان الشعر في المديح والفخر والهجو ، شعر يزيد بن معاوية (وكلّ هذه في الشعر والشعراء) . ثمّ له المعلّى في فضائل القرآن ، المفضّل في البيان والفصاحة ، المشرّف في آداب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والصحابة وفي الوصايا وحكم العرب والعجم ، أخبار الأجواد ، المقتبس في أخبار النحويين واللغويين والناسبين ، المرشد في أخبار المتكلّمين أهل العدل والتوحيد (المعتزلة) ، الرياض في أخبار المتيّمين والعاشقين ، الرائق في أخبار الغناء والأصوات ونسبتها إلى المغنّين ، الخ .

٣ - المختار من كلامه

- من مقدّمة كتاب المُوَشّح :

.... سألتَ - حَرَسَ اللهُ النعْمةَ عليْكَ وأسبغ الموهِبَةَ لديْكَ - أن أذْكُرَ لك طَرَفاً ممّا أُنْكِرَ على الشُعراء في شعرهم من العيوب التي سبيلُ أهلِ عصرِنا هذا ومَنْ بعْدَهم أن يَجْتَنِبوها ويَعْدِلوا عنها . فأجَبْتُكَ إلى ما سألتَ وعَمِلْتُ بما أحْبَبْتَ . و (قد) أوْدعتُ هذا الكتابَ ما سَهُل وجودُه وأمكن جمعُه وقَرُبَ مُتناوَلُه من ذِكْرِ عُيوبِ الشعراء التي نَبّهَ عليها أهلُ العِلم وأوضحوا الغلط فيها : من اللّحن والسِناد والإيطاء والإكفاء والتضمين

---

١ راجع ثبتاً بمصنفات المرزباني في مقدمة الموشح (القاهرة ، جمعية نشر الكتب العربية ، ١٣٤٣ هـ) ص٧-٩؛ معجم الأدباء ١٨ : ٢٦٩ - ٢٧٢ . ثم وصفاً لعدد منها في الفهرست (ص ١٣٢ - ١٣٤) .

والكسر [١] والإحالة والتناقض واختلاف اللفظ وهَلْهلة النسج وغير ذلك من سائر ما عِيبَ على الشعراء قديمهم ومُحْدَثِيهم في أشعارهم خاصةً – سوى عيوبهم في أنفسهم وأجسامهم وأخلاقهم وطبائعهم وأنسابهم ودياناتهم وغير هذه الخصال مِنْ مَعايبهم فإنّا قد استَقْصَيْناه في كتابنا الذي اقتبناه بالمفيد وغيره من كتبنا التي ضمّناها أخبارَ الشعراء وشرحنا فيه أحوالهم – ؛ وسوى سَرِقاتِ معاني الشعراء فإنّها أحدُ عيوبه ، وخصوصاً إذا قصّر قولُ السارق عن مَدى المسروق ، فإنّا قد أتَيْنا بكثيرٍ من ذلك في كتاب الشعر الذي نبّهنا فيه على فضائله ووصف نُعوته وعيوبه .

وابتَدَأنا (هذا الكتاب) بباب أبَنّا فيه عن حال السناد والإيطاء والإقواء والإكفاء ، وإن لم يكن هذا الكتابُ مفتقراً إلى ذِكْره .... وختَمنا الكتابَ بباب أتَيْنا فيه بما رُوِيَ من ذمّ رديء الشعرِ وسَفْسافه والمُضْطَرِبِ منه ، وعلى أنّ [٢] كثيراً ممّا أُنْكِرَ في الأشعار قد احتُجّ له جَماعةٌ من النَحْوِيين وأهلِ العِلمِ بلُغاتِ العَرَبِ وأوْجَبوا العُذْرَ للشاعرِ في ما أوْرَدَه ورَدّوا قولَ عائبه وضربوا لذلك أمْثِلَةً قاسوا عليها ونظائرَ اقْتَدَوْا بها ، ونَسَبَهُ بعضُهم إلى ما يَحْتَمله الشعرُ أو يُضْطَرّ اليه الشاعر ....

٤ – الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء (عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية في القاهرة) ، القاهرة (المطبعة السلفية ومكتبتها) ١٣٤٣ هـ (١٩٢٦ م) ؛ (تحقيق علي محمّد البجاوي) ، القاهرة (دار نهضة مصر) ١٩٦٥ م .

معجم الشعراء (نشره فريتز كرنكو مع « كتاب المؤتلف والمختلف »)

---

١ اللحن : (المجيء باللفظة أو بالصيغة لم ترد في كلام فصحاء العرب) . السناد : اختلاف كل حركة قبل الروي (عروشا – قريشا : إذا جاءتا قافيتين في قصيدة واحدة) . الايطاء : تكرار القافية في بيتين قريب أحدهما من الآخر في القصيدة الواحدة . الأقواء : اختلاف حركة القافية في القصيدة الواحدة كقول النابغة : عجلان ذا زاد وغير مزود (بكسر الدال) .... وبذاك خبرنا الغراب الأسود (بضم الدال) . الاكفاء : اختلاف حرف الروي كأن يكون في قوافي القصيدة الواحدة « ليل » و « قين » . التضمين في الشعر ألا يتم معنى بيت إلا في الذي يليه (القاموس ٤ : ٢٤٣) . والكسر (الشذوذ الكثير في وزن أبيات القصيدة الواحدة) .

٢ مع ان .... على الرغم من أن .... برغم ان ....

القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٤ هـ .
أخبار السيّد الحميري (تحقيق محمّد هادي الاميني) ، النجف (منشورات دار الباقر) (مطبعة النعمان) ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .
نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد اليغموري (عني بتحقيقه رودولف زلهام) ، فيسبادن (شتاينر) ١٩٦٤ م .
** الفهرست ١٣٢-١٣٤ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٢٦٨ - ٢٧٢ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ١٣٥ - ١٣٦ ، وفيات الأعيان ٢ : ٣٢٧ - ٣٢٨ ، إنباه الرواة ٣ : ١٨٠ - ١٨٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١١١ - ١١٢ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٠ - ١٩١ ؛ النثر الفنّي ٢ : ١٢٠ - ١٣٠ .

الرُّمّانيّ

١ - هو أبو الحسن عليّ بن عيسى الرُّمّانيّ الإخْشيديّ الورّاق الكاتبُ البَغداديّ ، أصلُه من سامرّا .

وُلِدَ الرمّانيّ في بَغدادَ سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) وأخذ علومَ العربية عن أبي بكر محمّدِ بن السّريِّ بن السرّاجِ اللغويّ البَغداديّ (توفي سنة ٣١٦ هـ) وعن ابن دُريد والزجّاجِ ، كما أخذ الاعتزالَ وعلمَ الكلامِ عن ابن الإخشيد المتكلّم .

وكانت وفاةُ الرمّانيّ في بَغدادَ ، يومَ الاحد ١١ من جُمادى الأولى سنة ٣٨٤ هـ (٢٤-٦-٩٩٤ م) .

٢ - قال ياقوت (١٤ : ٧٤ - ٧٥) عن الرّمّاني : « كان إماماً في علم العربية علاّمةً في الأدب ، في طَبَقة أبي عليٍّ الفارسيّ وأبي سعيدِ السيرافي .. وله تصانيفُ في جميعِ العلوم من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة . وكان يَمْزُجُ كلامَه في النحوِ بالمَنْطِقِ ، حتّى قال أبو عليٍّ الفارسيّ : ان كان النحوُ ما يقوله الرمّانيّ فليس معَنا منه شيءٌ ، وان كان النحوُ ما نقوله نحن فليس معَه منه شيء » . وكان كلامُه على النحوِ لا يُفْهَم بسهولة .

وللرمّانيّ من التصانيفِ : كتاب تفسير القرآن المجيد ، كتاب إعجاز القرآن ، كتاب الألفات في القرآن ، كتاب الهجاء (التهجئة) ، كتاب معاني الحروف ، كتاب الحدود الأكبر ، كتاب الحدود الأصغر ، كتاب الاشتقاق الكبير ، كتاب الاشتقاق الصغير ، كتاب التصريف ، كتاب الايجاز في النحو . ثم له شروح على عدد من كتب الذين تقدّموه ، منها : كتاب شرح مختصر الجَرمي ، كتاب شرح المدخل للمبرّد ، كتاب شرح سيبويه ، كتاب شرح معاني الزجّاج ، كتاب شرح الموجز لابن السرّاج ، كتاب شرح أصول ابن السرّاج ، كتاب الخلاف بين النحويين . وكذلك له كتاب الرد على الدهرية ، كتاب تفضيل علي .

٣ ـ جملة من كلامه

ـ قال أبو حيّان : سَمِعْتُ عليّ بن عيسى يقولُ لبعض أصحابهِ :
لا تُعادِيَنّ أحداً وإنْ ظَنَنْتَ أنه لن ينفعكَ ، فانّك لا تدري متى تخافُ عَدُوّكَ أو تحتاجُ إليه ، ومتى ترجو صديقَكَ أو تَسْتَغني عنه . وإذا اعتذرَ اليك عدوّك فاقبلْ عُذْرَهُ ، ولْيَقِلّ عَيْبُه على لِسانِكَ [١] .

٤ ـ النكت في مجاز القرآن (نشره الدكتور عبد العليم) ، دلهي ١٩٣٤ م ؛ (نشره محمّد خلف الله ومحمود زغلول سلاّم في « ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٥ م .

** الفهرست ٦٣ ـ ٦٤ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ١٦ ـ ١٧ ؛ معجم الأدباء ١٤ : ٧٣ ـ ٧٨ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٦ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٢٩٤ ـ ٢٩٦ ؛ بغية الوعاة ٣٤٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٠٩ ؛ بروكلمان ١ : ١١٥ ، الملحق ١ : ١٧٥ .

أبو اسحق الصابي

١ ـ هو أبو إسحقَ إبراهيمُ بنُ الهِلالِ بنِ ابراهيمَ الحَرّاني الصابي ، وُلِدَ في ٥ رَمَضان من سَنَةَ ٣١٣ هـ (٩٢٥ م) ، في بَغْدادَ في الأغلب ونشأ

---

١ لا تكثر من ذكر معائبه .

فيها على دينِ الصابئَةِ الحَرّانيّين [1] ، عفيفاً في مذهبهِ حَسَنَ العِشرة للمسلمين يصوم رَمَضانَ ويحفَظُ القُرآنَ ويصرّف آياته في رسائله . وقد كانتْ بينَه وبينَ الصاحبِ بن عَبّاد والشريفِ الرضي مودّةٌ أكيدةٌ ومراسلاتٌ كثيرة .

في سنة ٣٤٩ ه (٩٦٠ م) تقلّد أبو اسحقَ الصابي ديوانَ الرسائلِ فكانت تَصْدُرُ عنه مكاتباتٌ إلى عَضُدِ الدولة تُؤلِمُه . فلمّا ماتَ عزّ الدولةِ أميرُ الأمراء واستولى عَضُدُ الدولة على بَغدادَ (٣٦٧ ه = ٩٧٨ م) حبس أبا اسحقَ الصابي فبقي أبو اسحق في السجن حتّى تُوُفّيَ عَضُدُ الدولة (٣٧٢ ه = ٩٨٣ م) وخَلَفَهُ ابنُه صَمصامُ الدولة فأطلق سراح أبي اسحق .

ومات أبو اسحق الصابي في بَغدادَ ، في ١٢ شَوّال من سَنَة ٣٨٤ ه (٢٠-١١-٩٩٤ م) .

٢ — كان أبو اسحقَ الصابي أديباً بارعاً وكاتباً مترسّلاً بليغاً وشاعراً مقتدراً رَقيقاً . وفنونُ شعره المدحُ والهجاء والأدب والغزل والنسيب والخمر . وللصابي هذا من الكتب : المختار من رسائله (ألفَ وَرَقة ، عِشرين ألفَ سَطْرٍ) ، كتاب أخبار أهْلِه ، كتاب أخبار بني بويه (ألّفه في السجن) ، كتاب اختيار شعر المهلّب .

٣ — المختار من آثاره

— في يومِ المهرجان من أحد الأعوام أهدى أبو اسحق الصابي اصطرلاباً (منظاراً للنجوم) صغيرَ الحجم دَقيقَ الصَّنْعة ، قيل أهداه إلى عَضُدِ الدولة ، وقيل أهداه إلى المُطَهّر بنِ عبدِ الله وزيرِ عَضُدِ الدولة ، وكتب معَه الأبياتَ التاليةَ :

أهْدَى إليْكَ بنو الحاجاتِ ، واختلفوا، في مَهْرجانٍ عظيمٍ أنْتَ مُبْليه [2] .
لكنّ عبدَك ابراهيمَ حين رأى عُلوّ قَدْرِك لا شيءٌ يُساميه ،
لم يَرْضَ بالأرضِ يُهْديها إليك فقد أهْدى لك الفَلَكَ الأعلى بما فيه !

---

[1] الصابئة أهل حران (في شمالي العراق) يقولون إنهم على دين نوح ، وقبلتهم (بكسر القاف) نحو الشمال وهم يقدسون النجوم .

[2] بنو الحاجات : الذين لهم في التقرب منك أغراض وغايات . أنت مبليه (شبه الشاعر عيد المهرجان بثوب يلبسه الممدوح فيتهرأ الثوب فيتبدله بغيره) : يدعو له أن يعيش طويلا ويشهد أعياداً عديدة .

– وَرَدَتْ على عَضُد الدولة رسائلُ فأخذَ بقراءتها ، وكان يقومُ بجانبه غلامٌ تُركيّ له جميلٌ يَحجبُ عنه الشمسَ ، فقال أبو اسحق الصابي [١] :

قامَتْ تُظَلّلني من الشَّمْسِ نَفْسٌ أحبّ إليّ من نفسي ؛
قامت تُظَلّلني ، ومِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظلّلني من الشمس !

– وله في الغزل :

إنْ نَحْنُ قِسْناكَ بالغُصْنِ الرطيبِ فَقَدْ
حِفْنا عَلَيْكَ به ظُلْماً وعُدْوانا [٢] ،
لأنّ أحسنَ ما نَلْقاهُ مُكتَسِياً ، وأنتَ أحسنَ ما نَاقاك عُرْيانا !

– تُوُفِّيَ أبو سعيدٍ سِنانٌ ، بِكْرُ أولادِ أبي اسحقَ الصابي ، فكتب الشريفُ الرّضِيّ إلى أبي اسحقَ رِسالةً يعزّيه فيها ؛ فأجابه أبو اسحق برسالةٍ منها :

وَصَلَتِ الرُقْعَةُ – أطالَ اللهُ بقاءَ سيّدي الشريفِ الجليلِ ، وأدام عزّه وتأييدَه ونِعْمته وكِفايتَهُ وحِراسته ووِقايته – بالتفَضّلِ الذي زادَ وأوْفى ، والقولِ الذي نَفَعَ وشَفَى ، والتَعْزِيَةِ التي غَمَرَني إحْسانها وبَهَرَني استِحْسانها [٣] ، فصادفتْ منّي قلباً عَليلاً وخاطراً كليلاً ونفساً قد أثْخَنَتْها الرزِيّة [٤] .... ولو جَرَيْتُ في مَيْدانها وطالبت نفسي بجوابِ مِثْلِها لما شَقَقْتُ غُبارَها .... وإذا أفَقْتُ من السَكرةِ وخرجتُ من الغَمْرَة بدأتُ بقَصْدِ [٥] حَضْرته الجليلةِ ومُشاهدة غُرّته الشريفةِ النَبيلة ، ثم واظبتُ على حقّهِ الذي قد لَزِمَني ، وتأديةِ فرضه الذي قدِ اسْترقّني وارْتَهَنَني ، إنْ شاء اللهُ ، وهُوَ حَسْبُنا ونِعْمَ الوكيلُ .

---

١ الشمس مستعملة حقيقة (الجرم السماوي الذي يبعث الضوء إلى أرضنا فيكون في أرضنا نهار) ومجازاً (للفتاة الجميلة التي تشبه الشمس بجمالها) – وهنا : للغلام . راجع معجم الأدباء ٢ : ٥٦ .

٢ حاف : جار ، ظلم (بخس الآخرين حقوقهم) .

٣ بهرني استحسانها : غشي على بصري نور حسنها (فعجزت عن كتابة مثلها في الرد عليها) .

٤ خاطر كليل : قريحة ضعيفة تعبة . أثخنتها (أكثرت الجراح فيها) الرزية (المصيبة) .

٥ بقصد حضرته الجليلة : توجهت الى حضرته (الدار التي هو حاضر فيها) لزيارته . الجليلة : السامية المقام التي تقابل بالاحترام

٤ – المختار من رسائل أبي اسحق ... الصابي (نقّحه شكيب أرسلان) ، بعبدا – لبنان (المطبعة العثمانية) ١٨٩٨ م ؛ بيروت (دار النهضة الحديثة) .... رسائل الصابي والشريف الرضيّ (تحقيق الدكتور محمّد يوسف نجم) ، الكويت (التراث العربي : سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت) ١٩٦٠ م .

** الفهرست ١٢٢ ، ١٣٤ ؛ يتيمة الدهر ٢ : ٢١٨ – ٢٨٦ ؛ معجم الأدباء ٢ : ٢٠ – ٩٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٠٦ وما بعدها ؛ بروكلمان ١ : ٩٥ ، الملحق ١ : ١٥٣ – ١٥٤ ؛ زيدان ٢ : ٣١٦ – ٣١٧ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٢٩٠ – ٣٠١ .

الصاحبُ بنُ عبّاد الطالقاني

١ – هو كافي الكُفاةِ أبو القاسمِ اسماعيلُ بنُ أبي الحسن عبّادٍ (توفي سنة ٣٣٥ هـ) بنِ العبّاسِ بنِ عبّادِ بنِ أحمدَ بنِ إدريسَ ، وُلِدَ في الطالقان من أعمال قَزْوينَ في ١٦ من ذي القَعْدة من سنة ٣٢٦ هـ (١٤–١٠–٩٣٨ م) في الأغلب ، في بيتِ علمٍ وجاهٍ .

تلقّى اسماعيلُ بن أبي الحسنِ العلمَ على أحمدَ بنِ فارسٍ وابنِ العميدِ وعلى جماعةٍ من البَغْداديّين والرازيّين ، ثم بدأ حياتَه العمليةَ في خدمةِ ابنِ العميدِ – وكان ابنُ العميدِ يَعْطِفُ عليه ويُجِلّه فكَثُرَتْ ملازمةُ إسماعيل له حتّى سُمِّيَ « صاحبَ ابنِ العميدِ » أو « الصاحبَ » فاشتهر باسم « الصاحبِ ابنِ عبّادٍ » . ثم انّ ابن العميدِ وَصَلَ الصاحبَ بنَ عبّادٍ بخِدمةِ مُؤيّدِ الدولة ابنِ رُكْنِ الدولة البُوَيْهيّ في إصْبهان (قُبيل ٣٤٧ هـ = ٩٥٨ م) .

رَحَلَ مؤيّدُ الدولةِ إلى بَغدادَ فرافقه الصاحبُ إليها فأعجبَتْه فأخذَ عن بعضِ عُلمائها وناظر بعضَهُمُ الآخرَ وتعاظم على نفرٍ منهم .

ولمّا جاء المتنبّي إلى العراقِ كَتَبَ إليه ابنُ العميدِ من أرّجانَ يستزيره ، فذهب إليه المتنبّي (٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م) ومدحه ؛ فتعرّض الصاحبُ بن عبّاد للمتنبّي وبَذَلَ له عِشرينَ ألفَ دينارٍ على أن يمدحَه فلم يَقْبَلِ المتنبّي (فإنّ الصاحبَ لم يكنْ في ذلك الحينِ قد بلغ الثلاثينَ من عُمرِه) .

ولمّا تُوُفّيَ أبو الفضلِ بنُ العميدِ (٣٦٠ هـ) خلَفَهُ ابنُه أبو الفتحِ ابنُ العميد في الوزارة لمؤيّدِ الدولة ، فنشأ — من أجل ذلك في الأغلب — شيءٌ من العَداوةِ بين الصاحبِ وبين أبي الفتح . ثمّ اغتيلَ أبو الفتح ابن العميد (٣٦٦ هـ) فخلَفَه الصاحبُ في الوزارة لمؤيّدِ الدولة . ولمّا تُوُفّيَ مؤيّدُ الدولةِ (٣٧٣ هـ) وخلَفَهُ أخوه فَخْرُ الدولة استمرّ الصاحب في الوزارة .

اعتلّ الصاحبُ بن عبّاد ثم توفّي في الرَيّ في ٢٤ من صَفَرَ سَنَةَ ٣٨٥ هـ (٣١—٥—٩٩٥ م) .

٢ — كان الصاحبُ بن عبّادٍ أديباً مُترسّلاً وشاعراً وعالماً . وهو يتخيّر ألفاظه الفصيحةَ ويَسُوقُها في التركيبِ المتين . ثم هو شديدُ التكلّف في الصناعتين المَعنوية واللفظية مولعٌ بالسَجْع بلَغَ من وُلوعِه به أنْ كَتَبَ إلى قاضٍ بقُمومِسَ : « أيها القاضي بِقُمْ ، قد عزَلْناك فَقُمْ ! » فعزَلَ قاضياً كَيلا تُفلِتَ منه سَجْعةٌ . وشعرُ الصاحب يتّسمُ بخصائصِ نثره إلاّ أنه أقلّ قيمةً . وفي شِعرِه مَدْحٌ ورثاء وهجاء وغزل وحكمة ومُلَحٌ ومُداعباتٌ ، وفيه إخوانيات . وكان الصاحب مُعتَزِلِيّاً .

وللصاحبِ بن عبّادٍ تواليفُ كثيرةٌ منها : كتاب الوقف والابتداء ، المُحيط في اللغة ، الكَشْف عن مساوئ المتنبّي ، كتاب الإمامة في تفضيل عليّ بن أبي طالب وتصحيح إمامة من تقدّمه ، نهج السبيل في الأصول ، تاريخ المُلْك واختلاف الدول ، كتاب الإبانة عن مذهب أهل العَدْل بحجج من القرآن والعقل. ثم له ديوان شعرٍ وديوان رسائلَ .

٣ — المختار من نثره وشعره

— كتب ابنُ العميدِ إلى الصاحبِ بن عبّادٍ يَصِفُ له البحرَ ، فرد عليه الصاحبُ برسالة منها :

وصل كتابُ الأستاذِ الرئيسِ صادراً عن شطّ البحر بوصفِ ما شاهَدَ من عجائبِه ، وعايَنَ من مَراكبه ورآه من طاعةِ آلاتِها للرياحِ كيفَ أرادَتْها، واستجابَةَ أدَواتِها لها متى نادَتْها ، وركوبَ الناس أثباجَها والخوفُ بمرأىً

ومسمعٍ ، والمنونُ بمَرْقبٍ ومَطْلَع .... وعرَفْتُ ما قاله مِنْ تمنّيه كَوْني عِنْدَ ذلك بحضرته وحُصولي على مساعدته . ومن رأى بحرَ الأُستاذ كيف يَزْخُرُ[1] بالفضل وتتلاطم فيه أمواج الأدبِ والعلمِ لم يَعْتُبْ على الدهرِ فيما يُفيتُه من مَنْظَر البحر . ولا فضيلةَ له (للبحر) عندي أعظمَ من إكبار الاستاذ لأحواله واستعظامه لأهواله ....

– وقال يصف الخمر (وفيات ١ : ١٣٣) :

رقّ الزّجاجُ ورقّتِ الخمرُ وتَشابَها ، فتشاكلَ الأمرُ .
فكأنما خَمْرٌ ولا قَدَحٌ ، وكأنما قَدَحٌ ولا خمرُ !

– وكتب إلى أبي الفضل بن شُعيب :

يا أبا الفضلِ ، لِمْ تأخّرتَ عنا ؟ فأسأنا بحسنِ عَهْدِكَ ظَنّا .
كم تمنّتْ نفسي صديقاً صَدوقاً ، فإذا أنْتَ ذاكَ المُتَمَنّى .
فَبِغُصْنِ الشبابِ لمّا تثنّى ، وبعهدِ الصبا وإنْ بانَ منا[2] ،
كُنْ جوابي إذا قرأتَ كِتابي ؛ لا تقلْ للرسول : كان وكُنّا[3] !

٤ – المقصور والممدود (نشره برونوله) لندن – ليدن ١٩٠٠ م .

رسالة الهداية والضلالة (نشرها حسن علي محفوظ) ، طهران (مطبعة الحيدري) ١٩٥٥ م .

عنوان المعارف في ذكر الخلائق (حرّره محمّد حسن آل ياسين) ، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ – ١٩٥٥ م .

رسالة في أحوال عبد العظيم الحسني (حرّرها محمّد حسن آل ياسين) ، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ – ١٩٥٥ م .

الإبانة عن مذهب أهل العدل (حرّره محمّد حسن آل ياسين) ، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ – ١٩٥٥ م .

---

١ زخر : امتلأ وعلا وفاض واضطرب .
٢ فبغصن (الباء للقسم) . بان (الصبا) منا : أصبحنا متقدمين في السن .
٣ كن جوابي : احضر إلي . لا تقل : كان وكنا : لا تتعلل بأعذار (كيلا تجيب على رسالتي اليك) .

التذكرة (حرّرها محمد حسن آل ياسين) ، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ ــ ١٩٥٥ م .
ديوان الصاحب بن عبّاد (تحقيق الشيخ محمّد حسن آل ياسين) ، بغداد (منشورات المجمع العلمي العراقي) ، (مكتبة النهضة) ١٣٨٤ هـ (١٩٦٥ م) .
أمثال المتنبّي ، جمعها الصاحب بن عبّاد (شرحها زهدي يكن) ، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥٠ م .
** الكشف عن مساوئ المتنبّي ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٤٩ هـ .
شرح على متن الحكم لابن عطاء السكندري ، أو : غيث المواهب العليّة بشرح الحكم العطائية ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ هـ .
رسالة الارشاد في أحوال الصاحب بن عبّاد ، تأليف أحمد بن محمّد الحسيني الحسني (نشرها جلال الدين الحسيني الطهراني) ، طهران (مطبعة المجلس) ١٣٤٢ هـ .
الصاحب بن عبّاد ، تأليف خليل مردم ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٩٣٣ م .
الصاحب بن عبّاد ، تأليف حامد حفني داوود ، ١٩٥١ م .
الصاحب بن عبّاد : حياته وأدبه ، تأليف محمّد حسن آل ياسين ، بغداد (مكتبة المعارف) ١٩٥٧ م .
مثالب الوزيرين : ابن العميد والصاحب بن عبّاد ، تأليف ابي حيان التوحيدي (عني بتحقيقه ابراهيم الكيلاني) ، دمشق (دار الفكر) ١٩٦١ م ؛ = أخلاق الوزيرين : «مثالب الوزيرين الصاحب بن عبّاد وابن العميد» (حقّقه محمّد بن تاويت الطنجي) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .
الصاحب بن عبّاد : الوزير الأديب العالم ، بقلم الدكتور بدوي طبانه ، أعلام الأدب رقم ٢٧ ، القاهرة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) .
الفهرست ١٣٥ ؛ يتيمة الدهر ٣ : ٦٩ ــ ٢١٥ ؛ معجم الأدباء ٦ : ١٦٨ ــ ٣١٧ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٣١ ــ ١٣٤ ؛ إنباه الرواة

١ : ٢٠١ – ٢٠٣ ؛ بغية الوعاة ١٩٦ – ١٩٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١١٣ – ١١٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٦ – ١٣٧ ، الملحق ١ : ١٩٨ – ١٩٩ ؛ زيدان ٣ : ٣١٧ – ٣١٨ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٢٤٣ – ٢٥٨ .

ابنُ سُكّرةَ

١ – هو أبو الحسنِ محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ محمّدٍ الهاشمي ، من ذُرّيـة أبي جعفرٍ المنصور ومن أهل بَغدادَ . كان ابنُ سُكّرةَ على فقرِه يأخذُ الحياةَ هَوْناً ويَسْلُكُ سَبيلَ الهَزْل والمُجون . وقد توفّي في بغدادَ في ١١ ربيعِ الآخر ٣٨٥ هـ (١٤–٥–٩٩٥ م) .

٢ – ابنُ سُكّرةَ شاعرٌ مُكثرٌ ، قيل : ديوانُه خمسونَ ألفَ بيتِ شعرٍ منها عشرةُ آلافٍ في جاريةٍ سوداءَ اسمُها خَمْرةُ . وأكثرُ شِعره الهَزْل والمُجون؛ وهو فائقُ القَول في المُلَح والإحماض .

٣ – المختار من شعره

– قال ابنُ سُكّرةَ في الشّباب :

لقد بانَ الشبابُ وكان غُصْنـاً ... له ثمرٌ وأوراقٌ تُظلُّكْ .
وكان البعضُ منكَ فماتَ ؛ فاعْلَمْ ... متى ما مات بَعْضُكَ ماتَ كُلّكْ !

– وقال في الغزل :

أنا ، واللهِ ، هـالِـكٌ آيسٌ من سَلامتي ،
أو أرى القـامةَ الـتي قـد أقـامَتْ قِيامتي !

– ولِيمَ في حبّ غُلام أعرَجَ فقالَ :

قالوا : بُليتَ بأعرجٍ ! فأجَبْتُهُمْ : ... العيبُ يَحْدُثُ في غصونِ البـانِ .
إني أريـدُ حـديثَه وأريـدُه ... للنّومِ ، لا للجَرْي في المَيْدانِ !

– وروى الحريريّ في المَقامةِ الكَرَجيّة بَيْتَيْ ابنِ سُكّرةَ في كافاتِ الشّتْوة (في

سبعةِ أشياءَ يريدها ابن سكّرة في الشتاء يبدأ اسْمُ كُلِّ شيءٍ منهــا بكافٍ) :

جاء الشتاءُ وعِندي من حَوائجِـهِ سَبْعٌ ، إذا القَطْرُ عن حاجاتِنا حبَسا[1]
كِنٌ وكِيسٌ وكانونٌ وكأسُ طِـلا بعــد الكُباب و ـ ناعمٌ وكِسا [2] ؛

٤ ـ ** يتيمة الدهر ٣ : ٣ ـ ٢٥ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٦١ ـ ٣٦٣ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣٠٨ ـ ٣١٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١١٧ ـ ١١٨ ؛ بروكلمان ١ : ١٣١ ، الملحق ١ : ٣٠٧ ؛ زيدان ٢ : ٣٠٧ .

ابن النديم

١ ـ هو أبو الفرجِ مُحمّدُ بنُ أبي يعقوبَ إسحاقَ النديمِ الورّاقِ البَغداديِّ ، كان أبوه ورّاقاً (يَنْسَخُ الكُتُبَ ويجلّدها ويَبيعُها) في مدينةِ بغدادَ ، ولكن لا نَعْرِفُ من أينَ جاءه لقبُ **النديم** ، مَعَ شُهْرَته عليه .

وُلِدَ أبو الفرجِ ابنُ النديمِ في بغدادَ سَنَةَ ٣٢٠ ﻫ أو قُبيلَ ذلك ثم عَمِلَ في الوراقةِ صِناعةِ أبيه ؛ وسافرَ مَعَ أبيه مراراً إلى المَوْصِلِ . وكانت وَفاتُه في ١٩ شَعبانَ من سنة ٣٨٥ ﻫ (١٨ـ٩ـ٩٩٥ م) في الأغلب . وقد كان شيعيّاً معتزلياً .

٢ ـ تقومُ شهرة ابن النديمِ على **كتاب الفِهْرِسْت** ، ولم يَتّصِلْ إلينا منه إلاّ هذا الكتابُ . وابنُ النديمِ أوّلُ مَنْ عرَفْنا أنه دوّنَ أسماءَ الكُتُب وتكلّم على أصحابها . ثم إنّ كتابَه أولُ سِجِلٍّ مَوْضوعي للثقافاتِ التي كانت ظاهرةً في القرنِ الرابعِ للهجرةِ [3] . ويبدو مِنْ مُقَدّمةِ كتابِ الفِهْرست أنّ ابنَ

---

١ القطر : المطر .

٢ الكن : البيت ، المأوى . الكيس : غلاف يضع الإنسان فيه الطعــام . كانون : موقــد للنــار (للتدفئة) . الطلا = الطلاء : الخمر . الكباب : اللحم المشرح (بفتح الراء المشددة) .... الكسا = الكساء : الثوب .

٣ إن رسائل اخوان الصفا ، وهي أيضاً صورة للحيــاة العقلية في القرن الهجري الرابع ، قد عنيت بالجانب النظري من الحيــاة في الأكثر وجاءت بالثقافات ممزوجاً بعضها ببعض وعلى سبيل الرمز ثم اتخذت ما أثبتته منها وسيلة إلى بث آراء اخوان الصفا الدينية في الأكثر .

النديمِ كانَ يُحبّ الإيجازَ ويُؤثِرُ تَدْوينَ النتائجِ على سَوْقِ المُناقَشاتِ . ولقد جَمَعَ في كِتابِ الفِهرِسْت **أسماءَ الكُتُبِ** وشيئاً من الأخبارِ المتعلّقة بأصحابها مَعَ التطويل أحياناً أوِ الاختصارِ (وربّما أهمَلَ ذلك جملةً كما نرى في المقالة المتعلّقة بالشعر والشعراء) . وفي كِتابِ الفهرست ملاحظاتٌ قيّمة جِدّاً في تاريخ العُلوم وتاريخ التأليف . والكتاب مُقَسّمٌ عَشْرَ مقالاتٍ ؛ والمقالةُ تُسَمّى أيضاً جُزْءاً (راجع ص ٢٠٣ ، ٣٥١) . أما المقالات العَشْرُ ففيها :

(١) وصفُ لغاتِ الأُمَمِ وخُطوطِها ثم ذكر الشرائعِ والكتب السماوية : القرآن الكريم والكتب المؤلّفة في علوم القرآن ، ثم التوراة والإنجيل . (٢) النحو واللغة والنحويون واللغويون . (٣) الأخبار والآداب والإخباريون والرُواة والكُتّاب (موظّفو الدولة) والمترسّلون وعُمّال الخَراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم ثم أخبارُ النُدَماءِ والمغنّينَ والمضحكين الخ . (٤) الشِعر والشعراء . (٥) علم الكلام والمتكلّمون (المعتزلة والشيعة) والجَبْرية والخوارج والزهاد والمُتَصوّفة . (٦) الفقه والفُقهاء والمُحَدّثون . (٧) الفلسفة والعلوم القديمة (الحساب والهندسة والموسيقى والتنجيم والطبّ) الخ . (٨) الأسمارُ والخُرافات والسحر الخ ، ثم الكتب المصنّفة في أسماءٍ شتّى لا يُعْرَفُ مصنّفوها ولا مؤلّفوها . (٩) المذاهبُ والاعتقادات (غيرَ الإسلام واليهوديةِ والنصرانيةِ) . (١٠) أخبار الكيماويين والصَنْعَوِيين (الذين يَعْمَلون في محاولة تحويل المعادنِ الخَسيسة كالنحاس والرّصاص إلى معادنَ شريفةٍ كالذهب والفضّة) .

وقدِ انْتهى ابنُ النديمِ من تأليفِ كتابه هذا سَنَةَ ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) وجمع فيه أسماءَ كتبٍ كثيرةٍ . ولا شكّ في أنه رأى مُعْظَمَ هذه الكتبِ وكانَ حَسَنَ الاطّلاعِ عليها مُحيطاً بكثيرٍ من فنونِها . ومَعَ العلمِ بأنّ مُعْظَمَ هذه الكتبِ قد ضاعَ ، فانّنا نَعْرِفُ من أسمائها جانباً كبيراً من الحياة العقلية والاجتماعيةِ والفنّية للعربِ وللمُسلمين في القرون الأربعة الأولى من الإسلام .

٣ – المختار من آثاره

– من مقدّمة كتاب الفهرست :

رب ، يسّر برحمتك . النفوس تشرابّ [١] إلى النتائج دون المقدّمات ، وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات . فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات في صدر كتابنا هذا ، إذ كانت دالّة على ما قصدناه في تأليفه – ان شاء الله – فنقول ، وايّاه نستعين ، وايّاه نسأل الصلوة على جميع أنبيائه وعباده المخلصين في طاعته ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم :

هذا **فهرست** كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مصنّفيها وطبقات مؤلّفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم ، منذ ابتداء كلّ علم اخترع إلى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة [٢] .

– مقدار دواوين الشعراء :

قال محمّد بن اسحق (ص ١٥٧) : غرضنا في هذه المقالة [٣] أن نبيّن عن ذكر صنّاع أشعار القدماء [٤] وأسماء الرواة عنهم ودواوينهم وأسماء أشعار القبائل ومن جمعها وألّفها . ونذكر ، في الفن الثاني من هذه المقالة و (هو) يحتوي على أشعار المحدثين ، مقدار شعر كلّ شاعر والمكثر منهم والمقلّ . والله يعين على ما ألزمناه نفوسنا من ذلك بمنّه ولطفه .

قال محمّد بن اسحق (ص ١٥٩) : قد قلنا في أول هذه المقالة إنّا لا نستحسن أن نطبّق [٥] الشعراء لأنّه قد قدمنا (تقدمنا) من العلماء والأدباء من

---

١ تشراب = تشرإب = تشرئب : تتطلع (ترغب في أن) .

٢ ٩٩٥ م .

٣ المقالة الرابعة .

٤ صناع الاشعار (هنا) : الذين يجمعون شعر الشعراء ويدونونها (يرتبونها في دواوين) .

٥ أن نطبق الشعراء : أن نجعل الشعراء طبقات (مجاميع بعضها فوق بعض بالاضافة إلى أزمنتها أو إلى درجتها في الشاعرية أو بحسب الفنون الشعرية ، الخ) .

فعل ذلك . وانّما غرضنا أن نورد أسماء الشعراء ومقدار حجم شعر كلّ شاعر منهم ، سيّما المُحدَثين ، والتفاوُتَ الذي يقَعُ في أشعارهم ليَعْرِفَ الذي يُريدُ جمعَ الكتب والاشعار ذلك ويكونَ على بَصيرة فيه . فإذا قُلْنا إنّ شعر فُلان عَشْرُ ورَقات فانّه إنّما عَنَيْنا بالورقة أن تكون سُلمانية ، ومقدارُ ما فيها عِشرونَ سَطراً ، أعني في صَفْحة الوَرَقة فَلْيُعْمَلْ على ذلك في جميع ما ذَكَرْتُه من قليل أشعارهم وكثيره . وعلى التقريب قُلْنا ذلك ، وبحَسَبِ ما رأيناه على مرّ السنين ، لا بالتحقيق والعَدَدِ الجَزْمِ .

٤ — الفهرست (نشره غوستاف فلوغل) ، ليبسيك ١٨٧١ م ، وقد أعادت مكتبة خيّاط (بيروت) طبعه بالتصوير ١٩٦٤ م ؛ القاهرة (المطبعة التجارية) ١٣٣٨ ه ؛ مصر (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٨ ه .

** تتمّة اليتيمة ٢ : ٣٠ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ١٧ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ١٩٧ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٣ ، الملحق ١ : ٢٢٦ — ٢٢٧ ؛ زيدان ٢ : ٣٦٥ — ٣٦٦ .

أبو عليّ الحاتميّ

١ — هو أبو عليّ محمّدُ بنُ الحسنِ المُظَفّرِ الكاتبُ اللّغَويّ البَغداديّ المعروفُ بالحاتِمِيّ [١] ، كان مَوْلِدُه — فيما يبدو [٢] — نحوَ سَنَةِ ٣١٠ ه (٩٢٢ م) . أخذَ الحاتميّ عن أبي عمر الزاهدِ (توفي ٣٤٥ ه) وأدركَ ابنَ دُريدٍ (توفي ٣٢١ م) ، ولكنّنا لا نُوافق ياقوتاً (معجم الأدباء ١٨ : ١٥٤) في قوله إنّ الحاتميّ أخذَ عن ابنِ دُريدٍ .

يقولُ الحاتميّ عن نفسه [٣] إنّه اتّصلَ بسيفِ الدولةِ ونالَ عنده حَظوةً جعلته في مرتبةِ أبي عليّ الفارسيّ وابنِ خالويهِ وأبي الطيّب اللغويّ وسِنّهُ لم تكنْ زادتْ بعدُ على تسعَ عَشْرةَ . غيرَ أننا لا نعلَمُ إذا كان هذا الاتّصالُ

---

١ في كتاب وفيات الأعيان (٢ : ٣٣٦) : الحاتمي بتاء مكسورة نسبة إلى أحد أجداده اسمه حاتم .
٢ راجع قول الحاتمي أنه كان في التاسعة عشرة لما اتصل بسيف الدولة (سنة ٣٣٠ أو ٣٣٣ ه) .
٣ معجم الأدباء ١٨ : ١٥٦ س .

بسيفِ الدولة قد كان في المَوْصِلِ بعدَ أن قام ناصر الدولة وأخوه سيف الدولة بقتلِ أميرِ الأمراء محمّدِ بنِ رائقٍ (سنة ٣٣٠ هـ) ونالا على ذلك لَقَبَيْهِما : ناصرَ الدولة وسيفَ الدولة ، أو بعدَ أنِ انتقلَ سيفُ الدولة إلى حَلَبَ (٣٣٣ هـ) .

غير أنّ الحاتميّ لم يبلغ إلى المنزلةِ العُليا التي صارتْ له في السياسة والأدب إلاّ بعدَ أنِ اتّصل بأبي محمّد الحسن بن محمدٍ المُهَلّبيّ الذي أصبح ، في سَنَةَ ٣٣٩ هـ (٩٤٩ ــ ٩٥٠ م) كاتباً لمُعزّ الدولةِ بن بُوَيْهِ . ثم زادتْ منزلته عُلُوّاً لمّا أصبح المهلّبيّ يُدَبِّرُ الوزارة للخليفةِ المُطيع (٣٣٤ ــ ٣٦٣ هـ) من غيرِ تَسْمِيَةٍ بلقبِ « وزير » .

أما الذي شَهَرَ أبا عليٍّ الحاتميّ في تاريخ الأدب فهو لِقاؤه للمتنبّي في بغدادَ ــ لمّا وردَ المتنبّي إلى بغدادَ ، سَنَةَ ٣٥٠ هـ ــ ومناظرتُه في معاني شعره ثم تأليفه للرسالة المُوضِحة ، وهِيَ المشهورةِ بالرسالة الحاتِميّة والتي تدور على الشَّبَهِ الملموحِ بينَ معاني المتنبّي في الحكمةِ وبين الأقوالِ التي كانتْ رائجةً في ذلك الحينِ ومنسوبةً إلى الفلسفةِ اليونانية وإلى أرسطو خاصةً أو غيرَ منسوبة .

وتوفّي أبو عليٍّ الحاتميّ في ٢٦ ربيعٍ الثاني من سنة ٣٨٨ هـ (٢٦ــ٤ــ٩٩٨ م) .

٢ ــ كان أبو عليٍّ الحاتميّ واسعَ الاطّلاعِ ومِنْ حُذاقِ أهلِ اللّغةِ والأدبِ كثيرَ الحِفْظِ شديدَ العارضةِ (في الجِدال والمُناظرة) ، ولكنْ كان فيه اعجابٌ شديد بنفسه وغرورٌ مَعَ شيءٍ كثيرٍ من البُغْض لأهلِ العِلم (معجم الأدباء ١٨ : ١٥٤) والجرأةِ عَلَيْهِمْ . ثم كان أيضاً شاعراً قديراً حَسَنَ التَصَرّف في فنون الشعر ، كما كان يَجْمَعُ بينَ البلاغة في النثر والبَراعةِ في الشعر ؛ غير أنّ شعرَه كان ، كشعرِ سائر العلماء ، قليلَ الرونق .

وأبو عليٍّ الحاتميّ مُصَنِّفٌ له : حِلية المحاضرة ، الهِلباجة [١] ، سر الصِناعة ، الحالي والعاطل ، كتاب المجاز (وكلّها في الشعر وصِناعته) ، الرسالة الناجية ، مختصر العربية ، كتاب الشراب ، مُنْتَزَعُ الأخبار ومطبوع الاشعار ،

---

١ صنف الحاتمي كتاب الهلباجة للوزير أبي عبد الله بن سعدان في رجل سبه (شتمه) عنده ، وسمى الرجل الهلباجة (الأحمق) ولم يصرح باسمه .

كتاب المغسّل (في خصال أبي الحسن البتّي) . ثم له كتاب الموَضّحة في مساوئ المتنبّي (وهو المعروف بالرسالة الحاتمية) في ستَّ عَشْرَةَ كرّاسةً (نحو مائةِ صفحةٍ) شَرح فيها ما جرى بينه وبين أبي الطيّب المتنبّي من إظهار سَرِقاتِه وإبانة عيوبِ شِعره (وفيات ٢ : ٣٣٢)[١] .

٣ ـ المختار من نثره وشعره

ـ من الرسالة الحاتمية :

.... وقد ثبت عند ذوي العقل والتمييز أنّ الإنسان إنّما فضَل سائرَ الحيوان بالعقل المتناولِ علمَ ما غاب عن الحواسّ ، وثبت أن النظر الفكري في النفس مُفصح عمّا تناول علمُه العقلَ ، وهو على ضربين : ضربٍ منه منثور الألفاظ مبثوث المعاني تتصرّف النفس في اجتلابه من حيث يَسنح ، وضربٍ منظوم موجز مفهوم .

ووجدنا أبا الطيّب المتنبّي قد أتى في شعره بأغراض فلسفية ومعان منطقية . فان كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد أغرق في درس العلوم ، وإن يك ذلك منه على سبيل الاتّفاق فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والألفاظ الغريبة . وهو في الحالين على غاية من الفضل وسبيل نهاية من النبل . وقد أوردتّ من ذلك ما يستدلّ به على فضله في نفسه وفضل علمه وأدبه واغراقه في طلب الحكمة ممّا أتى في شعره موافقاً لقول أرسطوطاليس في حكمته . **قال أرسطو** : إذا كانت الشهوة فوق القدرة ، كان هلاك الجسم دون بلوغها .

---

١ في معجم الأدباء (١٨ : ١٥٩ س) يورد ياقوت « مخاطبة جرت بين أبي الطيب المتنبي وأبي علي الحاتمي حكيتها كما وجدتها . قال أبو علي الحاتمي : كان أبو الطيب المتنبي عند وروده مدينة السلام (بغداد) .... » مما يدل على أن « هذه المخاطبة » غير الرسالة الحاتمية . وفي وفيات الأعيان (٢ : ٣٣٣) يقول ابن خلكان : « وله الرسالة الحاتمية التي شرح فيها ما جرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي من اظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره . ولقد دلت على غزارة مادته وتوفر اطلاعه . وحكى في أول الرسالة السبب الحامل له على ذلك فقال : لما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام .... »مما يوحي بأن الحاتمي دون في الرسالة الحاتمية ما جرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي في المجلس المذكور ، فتكون الرسالة الحاتمية وما سماه ياقوت «مخاطبة» شيئاً واحداً . ويرى زكي مبارك (النثر الفني ٢ : ١١٥ ع) أن الحاتمي ترك في انتقاد المتنبي رسالتين . ـ راجع في خصائص الحاتمي في النقد وفي مكانته الأدبية عموماً (النثر الفني ٢ : ١١١ ـ ١١٩) .

فقال المتنبّي :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مُرادها الأجسام .

.... **قال أرسطو :** علل الأفهام أشدّ من علل الأجسام ، **فقال المتنبّي :**

يهون علينا أن تُصاب جسومنا وتسلمَ أعراض لنا وعقول .

.... **قال أرسطو :** بالغريزة يتعلّق الأدب لا بتقادم الميلاد . **فقال المتنبّي :**

وإذا الحِلم لم يكن عن طباع ، لم يحلّمْ تقدّم الميلاد .

— وقال أبو عليّ الحاتمي يصف الثّريا قبيل طلوع الفجر :

وليل أقمنا فيه نُعمل كأسَنا إلى أن بدا للصبح في الليل عسكرُ ،

ونجم الثّريّا في السماء كأنّه على حِلّةٍ زرقاءَ جيبٌ مدنّر .

٤ — الرسالة الحاتمية في ما وافق المتنبّي في شعره كلام أرسطو في الحكمة (نشرها فؤاد أفرام البستاني) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣١ م ؛ = الرسالة الموضّحة في ذكر سرقات المتنبّي وساقط شعره (تحقيق محمّد يوسف نجم) ، بيروت (دار صادر) ١٩٦٥ م ؛ (منشورة في «التحفة البهيّة والطرفة الشهيّة») ، استانبول ١٣٠٢ هـ .

** يتيمة الدهر ٣ : ٩١ — ٩٤ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٢١٤ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ١٥٤ — ١٧٩ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٣٢ — ٣٣٦ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣٤٣ — ٣٤٤ ؛ إنباه الرواة ٣ : ١٠٣ — ١٠٥ ؛ بغية الوعاة ٣٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٢٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٣ ؛ النثر الفنّي ٢ : ١١١ — ١١٩ .

مدرك بن عليّ الشيباني

١ — كان مُدْرِكُ بنُ عليٍّ الشَيّباني أعرابيّاً «من باديةِ البَصرة ، دَخَل بَغْدادَ صغيراً ونشأَ بها فتَفَقّهَ وحَصّل العربيةَ (النحو) والأدب» ، وقد تَولّى القضاء في بَغْداد .

في حياةِ مُدْرِكٍ الشَيبانيّ هذا حادثٌ واحدٌ وَصَلَ إلينا هو أنه كان يذهب

أحياناً إلى دَيْر الروم (حيّ النصارى) في الجانبِ الشرقيّ من بَغدادَ (الرُّصافة) فتَعشّقَ غُلاماً اسْمُهُ عَمْرو بنُ يوحنّا حتّى ذَهَبَ عقله.

ويبدو أن مُدْرِكَ بن عليّ تُوُفّـِيَ في أعقابِ القرن الرابع الهجري، ربّما في سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م).

٢ – كان مُدْرِكُ بن عليّ شاعراً أديباً فاضلاً، فلمّا هام بعمرِو بنِ يوحنّا قال فيه أرْجوزةً مُزْدَوِجَةً جَمَعَ فيها عَدداً كبيراً من مُصْطَلَحات النصارى في عقائدِهم وأوْردها على سبيل الحِكاية وهو، مَعَ ذلك، يَعْلَمُ أنّ ما فعله مخالف للمَدْرَك الإسلاميّ في الدين. إلا أنّ مُدْرِكاً كانَ يَسْتَحْلِفُ حَبيبَه بما يُورد من المُصْطَلَحات النَصرانية حتّى يَعْطِفَ عليه.

٣ – المختار من الارجزة المزدوجة (نُلاحظُ أن كلّ بيتين يؤلفانِ وَحْدَةً في القافية):

– قال مدرك الشيباني يتغزّل بعمرو بن يوحنّا ويَتَعَطّفه:

من عاشقٍ ناءٍ هواهُ دانِ ناطقِ دَمْعٍ صامتِ اللسانِ[1]
مُعَذّبٍ بالصدّ والهِجران مُوثَقِ قلبٍ مُطْلَق الجثْمان.
من غير ذنبٍ كَسَبَتْ يداهُ غيرَ هوىً نَمّتْ به عَيْناه[2]؛
شَوْقاً إلى رُؤيةِ من أشْقاه كأنّما عافاه مَنْ أضْناه.
ما أبصرَ الناسُ جميعاً بَدْراً ولا رَأوْا شَمساً وغُصْناً نَضْرا[3].
أحسنَ من عَمْرٍو– فَدَيْتُ عَمْرا.
ظَبْيٌ بعَيْنَيْهِ سقاني خَمرا.
يا عُمرو، ناشَدتُكَ بالمسيحِ، إلاّ سَمِعْتَ القولَ من نصيح
يُخْبِرُ عن قلبٍ لـه جريحِ باحَ بما يَلْقَى من التَبْريح[4].

---

١ ناء: بعيد (في الدين والسن والحياة الاجتماعية). هواه دان: قريب بحبه لك.
٢ نمت به عيناه: وشت به، أظهرته عيناه. كأنما عافاه من أضناه (؟) – (الذي أسقمه وأشقاه قادر على شفائه واسعاده!).
٣ النضر: الأخضر اللين (الذي يلمع فيه النشاط من الصحة).
٤ التبريح: الشدة، التعذيب.

بحقِّ قومٍ حلَقوا الرؤوسا وعالجوا طُولَ الحَياة بُوسا [1]
وقرَعوا في البيعَةِ الناقوسا مُشْمِعِلين يَعْبُدُونَ عيسى ...

٤ — ** تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٣ ؛ معجم الأدباء ٤ : ١٢٢ — ١٢٦ (في ترجمة أحمد بن كليب) ثمّ ١٩ : ١٣٥ — ١٤٦ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣٢ — ١٣٣ .

ابنُ الحجّاجِ الكاتبُ

١ — هو أبو عبدِ الله الحسينُ بنُ أحمدَ الكاتبُ المعروفُ بابنِ الحجّاج ، من كِبارِ الشيعةِ ، تَوَلّى الحِسْبَةَ [2] في بغدادَ زمناً ، وتُوُفِّيَ في بلدةِ النيل على الفُرات (بين الكوفة وبغدادَ) ، في ١٧ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٣٩١ هـ (٢٥—٤—١٠٠١ م) عند مَشْهَدِ موسى الكاظمِ في ظاهِرِ بغدادَ (في الكاظمية اليومَ) . وقد رثاهُ الشريفُ الرضيّ .

٢ — ابن الحجّاجِ شاعرٌ مُكثِرٌ مُحسِنٌ تكسّبَ بشعره من الملوكِ والأُمراء والوزراء ، ولكنّه أكثَرَ القول في الهِجاء والمُجون والسُخْف والخَلاعة وملأَ شِعره بألفاظِ العَوامّ والسُوقة ومزَجَه بالدُعابة والمَرح فعَظُمَ ميلُ الناسِ اليه . وكانت له في الجِدِّ أشياءُ حسنةٌ .

٣ — المختار من شعره

— قال يعْتذِرُ عن كثْرةِ المُجون والسُخف في شِعره بميلِ الناس إلى هذا النوعِ من الكلام :

لَوْ جَدَّ شِعْري رأيتَ فيه كواكبَ اللّيْلِ كيف تَسْري .

---

١ قوم حلقوا الرؤوس : الرهبان . البوس = البؤس : الشقاء والفقر والشدة . البيعة (بكسر الباء) : الكنيسة . في القاموس (٣ : ٤٠٤) : شمعلة اليهود : قراءتهم (للصلاة في التوراة) .

٢ الحسبة : منصب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (لمنع الغش في الصناعات والتلاعب بالأسعار وللمحافظة على الأخلاق في الأسواق) .

وإنّما هزْلُهُ مُجونٌ يمشي به في المَعاش أمري !

– قال في وصف فوّارة :

صنعتَ في دارك فوّارةً أغرقْتَ في الأرض بها الأنجُما .
فاض على نجم السُّهى ماؤها فأصبحتْ أرضك تَسقي السما .

– وقال يصف فرسا :

كالدجى تُبصر من غُرّته فوق أطباق دُجاه فَلَقا [1] .
جلَّ أن يُلحقَ مطلوباً ؛ ومن طلب الريح عليه لَحِقا .
فتراه واقفاً في سَرجه يتلظّى من ذَكاه قَلِقا [2] .
فإذا طاب به المشيُ مضى وهو كالريح يَشُقّ الطرقا .

– وقال في بخيل نزل به ضيوف :

يا رائحاً في داره غاديا بغير معنىً وبلا فائدهْ ،
قد جُنَّ أضيافُك من جوعهم فاقرأْ عليهم سورةَ المائدهْ !

– وقال يصف سوء حاله :

وأيَّ دارٍ تيَمّمْتُها تيَمّمَ بوّابُها حُجّتي [3] .
وان أنا زاحمت حتّى أموتَ دخلتُ وقد زَهِقت مُهجتي ،
فيرْفعني الناسُ عند الوصول إليهم وقد سقطت عِمّتي .
ولا لي غلامٌ فأدعو به سوى من أبوه أخو عمّتي [4] .
وكنت مليحاً أروق العيو نَ قَبْلاً فقد قَبُحَت خِلقتي .
وقوّسني الدهرُ حتّى انطويتُ فصِرت كأنّي أبو جدّتي .
وكان المُزيّن ، فيما مضى ، تُكسّر أمشاطَه طُرّتي [5] ....

---

[1] الفلق : ضوء الصبح .
[2] الذكا والذكاء : الحرارة .
[3] الحجة : الخصومة .
[4] الغلام : الخادم (ليس لي خادم يخدمني إلا من أبوه أخو عمتي = أنا خادم نفسي) .
[5] المزين : الحلاق (كان شعري كثيفاً يكسر أمشاط المزين) .

٤ – ** تاريخ بغداد ٨ : ١٤ – ١٥ ؛ يتيمة الدهر ٣ : ٢٥ – ٨٧ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٧٦ – ٢٧٧ ؛ معجم الأدباء ٦ : ٢٠٦ – ٢٣٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٣٦ – ١٣٧ ؛ بروكلمان ١ : ٨١ ، الملحق ١ : ١٣٠ ؛ زيدان ٢ : ٣٠٧ .

أبو الفتح بن جِنّي

١ – وُلِدَ أبو الفتحِ عُثمانُ بنُ جِنّيّ في المَوْصِلِ قبل سَنَةَ ٣٣٠ هـ[١] (٩٤١ م) . وقد كان والدُه جنّي مملوكاً رومياً لسُليمانَ بن فهدِ بن أحمد الأزديِّ الموصليّ .

قرأ ابنُ جِنّيّ العِلمَ في العراق والموصل والشام وفي غيرِها ، ولكنّ تَتَلْمُذَه الصحيحَ كان على أبي عليٍّ الفارسيّ في الموصل وبغدادَ : فارقه مُدَيْدَةً ثم عادَ إليه ، ويُقالُ إنه سَمِعَ منه أربعين سَنَةً . ولمّا تُوُفِّيَ أبو عليٍّ الفارسيّ (٣٧٧ هـ = ٩٨٧ م) تصدّرَ ابن جِنّيّ للتدريس مكانَه في بغداد .

ولما كان المتنبّي في بَلاطِ سيف الدولة كان مَعَه ابن جِنّي وأبو علي الفارسيّ . وكان بين ابن جِنّي والمتنبّي مودّةٌ واحترام ، وكانا يتفاوضان أموراً في النحو .

ومات ابن جِنّي في بغدادَ ، في ٢٧ صفر سنة ٣٩٢ هـ[٢] .

٢ – كان ابن جِنّي إماماً في اللغة والنحو ومن أحذقِ أهلِ الأدبِ وأعلمهم بالتصريفِ خاصةً . وموقفه وسط بين الكوفيين والبصريين . وكان ناثراً شاعراً رثى المتنبّي بقصيدةٍ جَيّدة مَطْلَعُها :

غاضَ القريضُ وأَذْوَتْ نُضْرَةُ الأدبِ ،
وصَوّحت بَعْدَ رِيٍّ دَوْحةُ الكُتُبِ .

ولابن جِنّي مُصنّفاتٌ كِثارٌ كبارٌ جِيادٌ منها : الخصائص (ألف ورقة) ،

---

١ وفيات الاعيان ١ : ٥٦٣ . – اذا اعتبرنا صلة ابن جني بالمتنبي فى بلاط سيف الدولة فيجب ان تكون ولادته أسبق على سنة ٣٣٠ كثيراً .

٢ أوائل عام ١٠٠٢ م . وفي تاريخ الكامل لابن الأثير (٩ : ٦٧) سنة ٣٩٣ هـ .

التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله السكّري (خمسمائة ورقة) ، سر الصناعة ، تفسير تصريف المازني ، شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها ، شرح المقصور والممدود عن ابن السكيت ، تفسير ديوان المتنبّي الكبير ، رسالة في مدّ الأصوات ومقادير المدّات ، كتاب الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام ، كتاب المحتسب في علل شواذّ القراءات .

٣ ــ المختار من كلامه

ــ من عقود الهمز :

بسم الله الرحمن الرحيم : للهمزة المَصُوغة في نفس الكلمةَ [١] من التقدّم والتأخّر ثلاثُ أحوالٍ : حالٌ تكونُ (الهمزةُ) فيه مُبْتَدَأةً ، وحالٌ تكونُ فيها حَشْواً ، وحالٌ تكون فيه طَرَفاً [٢] . فإذا وقعتْ مبتدأةً كُتِبَتْ ألفاً البتّةَ ، مضمومةً كانت أو مفتوحةً أو مكسورةً ؛ فالمضمومةُ نحو : أُذُنَ وأخْت وأتْرُجّة ، والمفتوحةُ نحو : أخٌ وأبٌ وأحَدٌ وأحْمَدُ ، والمكسورةُ نحو : إبْرة وإثْمِد وإبراهيم . فإذا وقعتِ الهمزةُ حَشْواً لم يَعْدُ أنْ تكونَ ساكنةً أو متحرّكةً . فان كانتْ ساكنةً وانضمّ ما قبلَها كُتِبَتْ واواً نحو : جُؤْنة وبُؤس وثُؤلول ، وانِ انْفَتَحَ ما قبلَها كُتِبَتْ إلِفاً نحو : رَأس وفأس وفأل ، وانِ انْكَسَرَ ما قبلَها كُتِبت ياءً وذلك نحو : بِئْر وذِئب وبِئْسَ الرجلُ زَيْدٌ . فإنْ كانتْ مفتوحةً وانفتح ما قبلَها كُتبت ألِفاً نحو سَأل وبَأر وزَأر . وإنِ انضمّ ما قبلَ المفتوحةِ كُتِبت واواً نحو جُؤَن ويُؤذّن .... فإنِ انضمّتْ الهمزةُ حَشْواً وانضمّ ما قبلَها كُتِبت واواً وذلك (نحو) : شُؤُون وعُؤُود (؟) وتُؤمّل . وكذلك إذا انفتح ما قبلَ المضمومةِ كُتِبت واواً أيضاً وذلك نحو : لَؤُم الرجُل وضَؤُل جسمُه . ولا يَقَعُ قبلَهما في هذا الموضعِ الكسرةُ لأنّه ليسَ في كلامِ العربِ خُروج من كسْرٍ (إلى ضمّ) بناءً لازماً . فانْ كانتِ الهمزةُ المتوسّطةُ مكسورةً كُتِبت ياءً على كل حالٍ ، انفتحَ ما قبلَها أوِ انْكَسَرَ أوِ انْضَمّ . فالمفتوحُ ما قبلَها نحوُ سَئِم

---

١ كذا في الأصل المطبوع ، والصواب : في الكلمة ، أو في الكلمة نفسها .

٢ حشواً : في وسط (بفتح السين) الكلمة . طرفاً : في آخر الكلمة .

وحَثِر ، والمكسور ما قبلها نحو بِئس وسئم وحئر [1] ، والمضمومُ ما قبلها نحو سُئِل ورُئِد أي أُفْزِع ....

– من كتاب الخصائص : باب القول على اللغة وما هي ؟

أمّا حَدّها فإنّها أصواتٌ يُعَبّـِرُ بها كلّ قَوْمٍ عن أغراضهم . هذا حدّها . وأمّا اختلافُها فَلِما سنذكُرُهُ في باب القول عليها : أمُواضَعَةٌ هيَ أم إلْهام [2] ؟ وأمّا تصريفُها ومعرفةُ حروفها فإنّها فُعلَةٌ من لَغَوْتُ ، أي تَكَلّمتُ . وأصلُها لُغَة كَكُرَة وقُلَة وثُبَة كلّها لاماتُها واواتٌ [3] لقولهم : كَرَوْتُ بالكُرة وقَلَوْت بالقُلَة ، ولأنّ ثُبَة من مقلوب « ثاب – يثوب » . وقد دَلَلْتُ على ذلك وغيرِه من نحوه في كتابي في سر الصناعة . وقالوا (في الجمع) : لُغاتٌ ولُغونَ كَكُرات وكُرون ....

٤ – مختصر التصريف الملوكي (تحرير غودفريدوس هوبرغ) ، ليبريـغ (بروكهاوس) ١٨٨٥ م .

ثلاث رسائل : المقتضب من كلام العرب ؛ ما يحتاج اليه الكاتب ؛ عقود الهمز (عني بنشرها فارس الكيلاني) ١٣٤٢ ﻫ (١٩٢٣ م) .

الالفاظ المهموزة على سياق حروف المعجم (حقّقها .... صلاح الدين المنجّد) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٩٤٧ م .

المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة (حماسة أبي تمّام) (عنيت بنشره مكتبة القدسي والبدير) ، دمشق (مطبعة الترقي) ١٣٤٨ ﻫ .

سرّ صناعة الاعراب (بتحقيق مصطفى السقّا وغيره) ، القاهرة (البابي) ١٩٥٤ م .

الخصائص ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩١٢ م ؛ (بتحقيق محمّد علي النجّار) ، الطبعة الثانية ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٢ – ١٩٥٤ م .

المنصف : شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني (بتحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين) ، القاهرة (البابي) ١٩٥٤ – ١٩٦٠ م .

---

١ ليس في القاموس رسم يوافق بئس وسئم وحئر بكسر الحرف الأول والثاني فيها .

٢ آتفق الناس على الكلمات التي يتفاهمون بها أم أن الله هو الذي ألهم الإنسان الكلام ؟

٣ لام الفعل : الحرف الأخير من الفعل نحو « قلو » ، فان الواو هي لام الفعل لأنها تقابل اللام في « فعل » . وكذلك الراء في « نصر » مثلا تقابل اللام في « فعل » .

التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري (حققه .....
أحمد ناجي القيسي ، خديجة الحديثي ، أحمد مطلوب ، وراجعه مصطفى جواد) ، بغداد (مطبعة العاني) ١٩٦٢ م .
تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع (تحقيق محمد بهجة الاثري) ، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) ، المطبعة الهاشمية ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

** الفهرست ٨٧ ؛ يتيمة الدهر ١ : ٨٩ ؛ دمية القصر ٢٩٧ — ٢٨٩ ؛ تاريخ بغداد ١١ : ٣١١ ؛ معجم الأدباء ١٢ : ٨١ — ١١٥ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٦١ — ٥٦٣ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٣٣٥ — ٣٤٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٤٠ — ١٤١ ؛ بروكلمان ١ : ١٣١ ، الملحق ١ : ١٩١ — ١٩٣ ؛ زيدان ٢ : ٢٤٨ — ٣٥٠ .

السَلاميُّ الشاعرُ

١ — هو أبو الحسنِ محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ محمّدٍ من بني الوَليدِ بن الوليد ابن المُغيرةِ [١] بن عبد الله بن عُمَرَ بنِ مُخْزومٍ ، يلتقي نسبَه بخالدِ بنِ الوليدِ بالوليدِ بنِ المُغيرة .

وُلِدَ أبو الحسن محمّدُ بنُ عبدِ الله في ٦ رَجَبَ من سَنَةِ ٣٣٦ هـ (٢٢—١—٩٤٨ م) في الكَرْخ (الجانب الغربي من بَغدادَ) ، وقد نشأ في مدينة السَلامِ فعُرِفَ بالسَلاميّ (بفتح السين) وبالبَغداديّ .

خرَجَ السَلاميّ إلى المَوْصِل ، وهو صَبيّ (ربّما في حُدود سنة ٣٦٠ هـ) ، فاجتمع فيها بالخالديّيْنِ والببّغاء وأبي الحسن التلعفري . ثم إنّ السَلاميّ قَصَدَ الصاحبَ بن عبّادٍ في أرّجانَ وأقام عنده مُدّة . بعدئذ أحبّ أنْ يتوجّهَ إلى عَضُدِ الدولةِ في شيرازَ ، فكتب له الصاحبُ بن عبّادٍ رسالةً إلى أبي القاسمِ عبدِ العزيزِ بن يوسُفَ الكاتبِ ، كاتبِ عَضُدِ الدولة ، فوَصَلَهُ أبو القاسمِ بعَضُدِ الدولة .

---

١ كان الوليد بن الوليد بن المغيرة أخا خالد بن الوليد ...

نال السَّلاميّ عند عَضُدِ الدولة مكانةً رفيعةً ودَرّتْ عليه الدنيا . وبعدَ وفاةِ عَضُدِ الدولة (٣٧٢ هـ = ٩٨٣ م) تراجعتْ حالُ السَّلاميّ وتقلّبت به الدنيا . ثم مات في ٤ جُمادى الأولى سنة ٣٩٣ هـ (١٠-٣-١٠٠٣ م) .

٢ ـ السَّلاميّ شاعرٌ مطبوعٌ مُحْسِنٌ ، وكانت أمّه أيضاً شاعرةً . نَظَمَ الشعر منذ حَداثته الأولى (قيل كان عُمُرُهُ عَشْرَ سنينَ) وقال قصيداً ورَجَزاً ، رَوِيّةً وارْتجالاً . وله السَّبْكُ المتين واللفظ العَذْب . وفنونُ شعره الوصف البارع والغزل معَ شيءٍ من المُجون ، والخَمرياتُ ، وله مديحٌ وهجاء وعِتاب .

٣ ـ المختار من شعره

ـ قال السَّلاميّ يَصِفُ دِرْعَه : تُحْسِنُ اليه إذ تدفع عنه الموتَ ثم هو يُسيءُ اليها غيرَ مُفنَّدٍ (غير مُخْطئ) إذ يُعَرِّضُها لوقع السيوف :

يا رُبَّ سابغةٍ حَبَتْني نِعْمةً ، كافأتُها بالسوء غيرَ مُفَنَّدِ [١] :
أضحتْ تصونُ عن المنايا مُهْجَتي ، وظَلِلْتُ أبْذُلُها لكلِّ مُهَنَّدِ !

ـ وقال السَّلاميّ من قصيدةٍ يَمْدَحُ بها عضد الدولة :

إليكَ طوى عَرْضَ البسيطةِ جاعلٌ قُصارى المَطايا أنْ يلوحَ لها القَصْرُ [٢] .
فكنتُ وعَزْمي في الظلامِ وصارمي ثَلاثةَ أشباهٍ كما اجْتَمَعَ النَسْر [٣] .
وبَشّرتُ آمالي بمَلْكٍ هُوَ الوَرى ! ودارٍ هِيَ الدنيا ، ويومٍ هُوَ الدهر [٤] !

ـ وقال في الغزل :

وفيهن سَكْرى اللحظِ سَكرى مِنَ الصِبا تعاتب حلو اللفظ حلو الشمائل [٥] .
أدارتْ عَلَيْنا من سُلافِ حديثِها كؤوساً وغَنّتنا بصوتِ الخَلاخل !

---

١ السابغة : الدرع الواسعة .
٢ جاعل = رجل جاعل (فاعل « طوى ») . قصارى المطايا = أقصى همها ، غاية ما تريده .
٣ كما اجتمع النسر (!) .
٤ ملك (بسكون اللام) = ملك (بفتح الميم وكسر اللام) .
٥ تعاتب (؟) حلو اللفظ (فيها) حلو الشمائل – الاستمارة غير واضحة لي .

– وقال السَّلاميّ يصف مجلساً للخمر ، وفي قوله شيءٌ من الزندقة :

اشْرَبا واسْقِيا فَتىً يُصْحِبُ الأيـ ـامَ نَفْساً كثيرةَ الأوطـارِ .
ونفوسُ الكبارِ تأنَفُ للـ ـسادةِ أنْ يشربوا بغَيْرِ الكِبار [1] .
في جِوارِ الصِبا نَحِلّ بُيوتـاً عَـمَرَتْ بالغُصونِ والأقمار [2] .
ونصلّي على أذانِ الطَنابيـ ـرِ ونُصْغي لنَغْمة الأوتـار ،
بين قومٍ إمامُهم ساجدٌ للـ ـكأسِ أو راكعٌ على المِزْمار !

٤ – ** يتيمة الدهر ٢ : ٣٦٤ – ٣٩٨ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٣٣٥ – ٣٣٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٧ – ٣٦٠ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣١٧ – ٣١٩ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٦ – ٢٩٧ .

ابن وكيع التنّيسيّ

١ – هو أبو محمدٍ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ محمّدٍ (وكيعٍ) بن خلَفٍ، أصلُه من بَغدادَ ومولده في تِنّيسَ قربَ دُمْياط (مصر) .

نشأ ابن وكيع التنّيسي في بيتٍ على شيءٍ من اليَسار وشيءٍ مثله من العِلم فقد كان جدّه وكيعُ (محمّدُ بنُ خلَفٍ) عالماً مُصنّفاً للكتب وشاعراً (توفي سنة ٣٠٦ هـ في بغدادَ) . وتنّيسُ بلدٌ خِصْبٌ جميلٌ آثرَ ابنُ وكيعٍ فيه أن يَنْصرفَ إلى تركِ الكِفاح في الحياةِ للاستمتاع باللهوِ وحدَه فلم يُعْرَفْ أنه عَمِلَ عَملاً في الحياة ولا تكَسّبَ بشعرِه . وكانت وفاتُه أيضاً في تِنّيس في ٢٣ جُمادي الأولى ٣٩٣ هـ (٣٠–٤–١٠٠٣ م) .

٢ – ابن وَكيعٍ التِنّيسي شاعرٌ بارعٌ ظريفٌ خفيفُ الروحِ وقَفَ شِعْرَه على الوصفِ والغزل ، ومالَ إلى المُجون فاتّخذه مَذْهباً في الحياة يدعو إليه

---

١ نفوس (الناس) الكبار .... بغير (الكؤوس) الكبار .
٢ في جوار الصبا لا نزال قريبين من عهد الشباب .... عمرت (امتلأت بحسان قاماتهن) كالغصون و (وجوههن) كالبدور .

ويُدافعُ عنه ويُحسّنه في العيونِ والآذان . وشعره الباقي مُقطّعاتٌ حسنةُ المعاني جميلة السبْكِ واضحةُ القصْد. ثم له مُرَبّعةٌ (قصيدةٌ كلّ بيتين فيها بقافيةٍ واحدةٍ في صَدْرَيْهما وعَجزَيْهما معاً) ، نحو :

رسالة من كَلِفٍ **عميدِ** ... حياتُه في قبضة **الصدودِ**
بلّغه الشوقُ مدى **المجهودِ** ... ما فوق ما يلقاه من **مزيدِ**
جارَ عليه حاكمُ **الغرامِ** ... فدقّ أن يُدْرَكَ **بالأفهامِ**
فلو أتاه طارقَ **الحمام** [1] ... لم يرَهُ من شدّة **السقّام**

وكذلك له مُزْدَوِجَةٌ (قصيدة كلّ بيت فيها بقافيةٍ واحدةٍ في صَدْره وعَجزْه) ، نحو :

يا سائلي عن أطيب الدهورِ [2] ، ... وَقَعْتَ في ذاك على الخبيرِ .
سألتني : أيُّ الزمانِ أحلى ، ... وأيّه بالقَصْف عندي أولى [3] !
عِنْدِيَ في وصف الفصول الأربعه ... مقالةٌ تُغني اللبيب مُقْنِعَهْ .

وأكثر مَيْلِ ابن وكيعٍ إلى المقطّعات أو ما يُشْبِهُ المقطّعاتِ (في قصائده المربّعة مثلاً) . وأوسعُ فنونِ شعرهِ وصفُ الازهار والخمرُ والغزل ، وله شيءٌ من الهجاء والحكمة .

ولابن وكيعٍ كتاب «المُنْصف» بيّن فيه سَرِقاتِ أبي الطيّب المتنبّي :

٣ – المختار من شعره

– لقد قَنِعَتْ همّتي بالخمول ... وصدّت عن الرُّتَب العاليهْ ؛
وما جَهِلت طعمَ طيبِ العلا ... ولكنّها تؤثر العافيهْ !
– جانبت بعدَك عِفّتي ووَقاري ... وخلعت في طُرُق المُجون عِذاري ،
لا تأمُرَنّي بالتَستّر في الهوى ؛ ... فالعيش أجمع في رُكوب العار .
من تابعت أمرَ المُروءة نفسُه ... فَنِيَتْ من الحسَرات والأفكار .

---

١ الحمام (بكسر الحاء) : الموت .
٢ الدهور : العصور = الأزمنة .
٣ القصف (غير عربية) : اللهو (القاموس ٣ : ١٨٥) .

خوّفتني بالنار جُهْدَك دائباً ... ولَجَجْتَ في الإرهاب والإنذار.
خوفي كخوفك ؛ غير أني واثقٌ ... بجميل عفو الواحد القهّار .
انظُرْ إلى زهر الربيعِ وما جلَتْ ... فيه عليك طرائفُ الأنوار [1] ؛
أبدت لنا الأمطارُ فيه بدائعاً ... شَهِدت بحكمة مُنْزِل الأمطار :
ما شئتَ للازهار في صحرائه ... من دِرْهَمٍ بَهِجٍ ومن دينار ،
وجواهراً لولا تغيّرُ حُسْنِها ... جلّتْ عن الأثمان والأخطار :
من أبيضٍ يَقَقٍ وأصفرَ فاقعٍ ... مثل الشموس قُرِنّ بالأقمار ؛
ناحت لنا الأطيار فيه فأرْهجت [2] ... عِرسَ السرور ومأتَمَ الأطيار .
دارٌ لوِ اتّصلَ السرورُ لأهلها ... لم يَحْفِلوا بنعيم تلك الدار [3] .
فانهضْ بنا نحوَ السرور فانّه ... ما زال يسكن حانة الخمّار ،
واشربْ مُعَتّقَةً كأن نسيمَها ... مسكٌ تَضَوّعَه يدُ العطّار ،
أخفى دبيباً في مفاصل شَرْبِها ... وأدقّ ألطافاً من المِقدار [4] !

٤ — ** ابن وكيع التنيسي ، جمع شعره وحقّقه دكتور حسين نصّار ، القاهرة (بلا تاريخ) .
يتيمة الدهر ١ : ٣١٧ — ٣٤٣ ؛ تتمة اليتيمة ١ : ١٢٩ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٤٣ — ٢٤٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١ : ١٤١ — ١٤٢ ؛ بروكلمان ١ : ٩١ ، الملحق ١ : ١٤٧ .

الواسانيّ الدمشقيّ

١ — هو أبو القاسمِ الحسينُ بنُ الحسنِ بن واسانَ بن محمّدٍ الواسانيّ الدِمَشْقيّ ، كان مُعادياً لرجلٍ يَهوديٍ اسمه منشّا بنُ إبراهيمَ القزّازُ . ويبدو

---

١ النور (بفتح النون) : الزهر الابيض ؛ (وهنا) الزهر عامة .
٢ أرهج = أرهجت السماء : همت بالمطر . أرهج الرجل : كثر (فعل لازم) . بخور بيته (« بخور » فاعل « كثر ») ، الرائحة الطيبة في بيته . — المعنى غير واضح .
٣ تلك الدار = الجنة .
٤ الشرب (بفتح الشين) : الذين يشربون الخمر معاً . المقدار : القضاء والقدر . الموت .

أن ابن القزّاز هذا كان يغدو على نفرٍ من حُكّام دِمَشْقَ باللهو ، فهجاه الواساني مرّةً بقصيدة واسْتطردَ فيهـا إلى التعريض بأبي الفَضْل يوسفَ بن عليّ بن قُسطا بن صمع يَتّهِمُهما بالفِسق والفاحشةِ ، فكانت تلك القصيدةُ سبباً لعزْلِ الواسانيّ من مَنْصِبه . وتوفي الواسانيّ سَنَةَ ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ م) .

٢ – الواساني شاعرٌ مُحْسِنٌ طويلُ النفسِ برَع في الهجاء فكان في دمشق في أيامه كما كان ابن الرومي في زمانه في بغداد . وفنونه الهجاء الذي يَسُوده الهزْل والإقذاع والفُحش . ومن فنونه الوصفُ والغزل والمجون والخمريات . وأشهر شعره قصيدته النونية التي يَصِفُ فيها دَعوةً لنفر من أصحابه في قرية قُرْبَ دمشق ، وهي مائة وخمسة وتسعون بيتاً (يتيمة الدهر ١ : ٣٠٠ – ٣٠٩) .

٣ – المختار من شعره

– من القصيدة النونية :

ضُرِبَ البوقُ في دِمَشْقَ ونادَوْا — لِشقائي – في سائرِ البُلدانِ :
النفيرَ النفيرَ : بالخيلِ والرَّجْلِ إلى قَفْرٍ[١] ذا الفتى الواساني .
جَمَعوا لي الجُموعَ من جِيل جيلا — نَ وفَرْغانةٍ ومن دَيْلَمان[٢] ،
ومن الروم والصَقالبِ والتر — ك وبعض البُلغارِ واليونان ؛
لم يُحاشوا، مِمّنْ عَدَدتَ من الآ — فاقِ ، من مُسْلِمٍ ومن نَصْراني .
كلّ ذي مِعْدَةٍ تُقَعْقِعُ جوعاً، — وهو شاكي السِلاح بالأسنان:
كل ذي اسمٍ مُسْتَغربٍ أعْجَميّ — مَنَعَتْهُ صَرْفَ اسْمِهِ عِلّتان ،
كَمَرَنْدٍ وطُغْتَكِينَ وطَرخا — نَ وكِسْرى وخُرّمٍ وطغاني .
لستُ أنسى مُصيبتي يومَ جاءو — ني وقد ضاق عنهمُ الواديان[٣] .
قَصَدَتْ هذه الطوائفُ خمرا — يا[٤] ابتلاءً ونَكْبَةً لامْتحاني ،

---

١ وفي رواية : فقر (؟) .
٢ فرغانة = بلاد الشاش وراء النهرين (في التركستان) . – يسمي الشاعر أقواماً كثيرين من غير أن يقصد تعيين مواطنهم .
٣ يقصد أن الذين جاءوا إلى أن يأكلوا عنده أشخاص وأقوام لا يعرفهم .
٤ خمرايا بلدة الشاعر ....

وأناخوا بنا – فيا لكَ من يو م عصيبٍ من حادثاتِ الزمان !
أكلوا لي من الجِداءِ [1] ثلاثيـ ـنَ وسبْعاً بالخَلّ والزعفران ؛
أكلوا ضِعْفَها شِواءً وضِعْفَيْـ ـها طبيخاً من سائر الألوانِ ؛
أكلوا لي سبعينَ حوتاً من النهـ ـر كبيراً من أعظم الحيتان[2] .
ثم لمّا أتَوْا على كلّ شيءٍ ختَموا مِحنتي بكسر الأواني !

٤ – ** يتيمة الدهر ١ : ٢٩٥ – ٣١٧ ؛ معجم الأدباء ٩ : ٢٣٣ – ٢٦٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣٨ ؛ زيدان ٢ : ٣٠٧ .

القاضي الجرجانيّ

١ – وُلِدَ أبو الحسنِ عليّ بنُ عبدِ العزيزِ الجُرجانيّ في جُرْجانَ وتطوّف في صِباه في فارسَ والعراقِ والشامِ ، وسَمِع الحديثَ في نيسابور . وقدْ تولّى القضاءَ على المذهبِ الشافعيّ مِراراً في بُلدانٍ مختلفةٍ حتّى أصبح قاضِيَ القُضاةِ في الريّ .

اتّصل القاضي الجرجاني بالصاحبِ بن عبّادٍ وتوثّقتِ الصلةُ بينَهما بِرُغْمِ ما كان بينَهما مِنَ اختلافِ الرأيِ في المتنبّي : فلمّا ألّفَ الصاحبُ بنُ عبّادٍ رسالته في الكشف عن مساوئ المتنبّي ألّف الجُرجانيّ كتابَه القيّمَ « الوساطةَ بينَ المتنبّي وخصومه ». ولمّا مات الصاحبُ بن عبّادٍ (سنة ٣٨٥ هـ) تصرّفتِ الأحوالَ بالجُرجانيّ كثيراً . ثم تُوفّي الجُرجاني ، وهو قاضي القُضاةِ في الريّ، سنة ٣٩٣ هـ [3] (١٠٠٢ – ١٠٠٣ م) ، ودفن في جرجان .

---

١ الجداء جمع جدي : الخروف الصغير .
٢ الحوت : السمكة .
٣ ابن الأثير (٩ : ٦٧) . في معجم الأدباء (١٤ : ١٥) : مات بالري يوم الثلاثاء لست (ليال) بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، وورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة . وفي وفيات الأعيان (١ : ٥٨٤) : ذكر الحاكم في تاريخ النيسابوريين أنه (الجرجاني) توفي في سلخ (آخر) صفر سنة ٣٦٦ هـ بنيسابور ، وعمره ست وسبعون سنة ؛ وورد به أخوه محمد نيسابور في سنة ٣٣٧ هـ وهو صغير غير بالغ ؛ وسمعا من سائر الشيوخ : مات بالري سنة ٣٩٢ هـ .... ونقل الحاكم أثبت وأصح .

٢ – كان القاضي الجُرجاني إماماً فاضلاً وشاعراً وناثراً وفقيهاً ومتكلّماً ، ولكنّه شُهِرَ بالشعر وبالتأليف في الأدب . وشعرُه متينُ السبكِ عالي النفَس مَعَ سُهولة وعُذوبة في المُقَطّعات والقصائد على السواء . وهو مُكثِر ، وأحسنُ فنونه الحِكمة والغزلُ . أمّا نثرُه فسَهْلٌ مُمْتَنِعٌ مُرْسَل حَسَن التقسيم والمُعالجة للمَوْضوعات التي يتَناولُها . وله كُتُبٌ منها : تفسيرُ القرآن المجيد ، تهذيب التاريخ ، الوَساطةُ بينَ المتنبّي وخصومه ، وقد ألّفه للردّ على الصاحب بن عبّاد (راجع فوق ، ص ٥٦٢) .

٣ – المختار من شعره ونثره

– قال عليّ بنُ عبد العزيزِ القاضي الجُرْجانيّ في حقّ العِلْم على العالِمِ :

يقولون لي : فيكَ انْقباضٌ ، وإنّما رأَوْا رَجُلاً عن موقف الذُلّ أحْجَما[١] .
أرى الناسَ : من داناهُمُ هان عِندهم ، ومن أكْرَمَتْهُ عِزّةُ النَفْسِ أُكْرِما .
إذا قِيلَ : هذا مَشْرَبٌ ؛ قلتُ : قد أرى ، ولكنّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَما .
وما كلّ بَرْقٍ لاحَ لي يَسْتَفِزّني ، ولا كلّ أهلِ الأرضِ أرْضاهُ مُنْعِما[٢] .
ولم أقْضِ حقّ العِلْم إن كنتُ كلّما بدا طَمَعٌ صَيّرته ليَ سُلَّما[٣] .
ولم أبْتَذِلْ في خِدْمَةِ العِلْمِ مُهْجَتي لأخْدُمَ من لاقَيْتُ لكن لأُخْدَما .
أأشْقى به غرساً وأجنيه حَنْظَلاً ؟ إذَنْ ، فاتّباعُ الجهلِ قد كان أحْزَما[٤] .
ولو أنّ أهلَ العِلمِ صانوه صانَهُمْ ، ولَوْ عَظّموهُ في النُفوسِ لعُظِّما ،
ولكنْ أهانوهُ فهانَ ، ودَنّسوا مُحَيّاهُ بالأطماعِ حتى تَجَهّما[٥] .

– وقال القاضي الجرجاني في الغزل والخمر :

أفدي الّذي قالَ وفي كَفِّهِ مَثَلُ الذي أشْرَبُ من فيه[٦] :

---

١ انقباض : انكماش ، قلة رغبة في الانبساط إلى الناس . أحجم : تأخر ، أمسك نفسه عن الاقدام .

٢ – لا أركض وراء كل أمل يبدو لي ، ولا أرضى التفضل علي من أي انسان اتفق .

٣ .... صيرت (العلم) سلماً (وسيلة) إلى كل حاجة أو مطمع مادي .

٤ طال شقائي وتعبي في غرس العلم (في التعلم وأنا صغير) فلا أريد أن أقطف الآن ثمراته بإذلال نفسي للآخرين (تسخير علمي للاستفادة المادية من الناس) . لو كنت أرغب في مثل ذلك لما كنت تعلمت (فأنا أستطيع بإذلال نفسي للآخرين أن أتكسب منهم كثيراً ، سواء أكنت عالماً أو جاهلا) .

٥ المحيا : الوجه . تجهم : غلظ ، قبح (لقد سخر نفر من الناس علمهم في سبيل أغراضهم الدنيا حتى كره الناس العلم) .

٦ مثل الذي أشرب من فيه « كناية عن الخمر وتشبيه ريق المحبوب بها » .

الوردُ قد أينَعَ في وَجْنَتي ؛ قُلْتُ : فَمي باللّثْمِ يَجْنيه [1] .

– وقال في الوِحْدةِ (البعد عن الناس) :

ما تَطَعَمْتُ لَذّةَ العيشِ حتّى صِرتُ للبيتِ والكتابِ جَليسا .
ليسَ شيءٌ عِندي أعَزّ من العِلْـ ـمِ ، فَلِمْ أبْتَغي سِواهُ أنيسا [2] ؟
إنّما الذُلّ في مُخالطةِ النّا سِ ، فَدَعْهُمْ وعِشْ عزيزاً رئيسا .

– الشعر والشعر المحدَث (من الوساطة بين المتنبّي وخصومه ٢٣) :

ومتى سَمِعْتَني أختارُ للمُحْدَث هذا الاختيارَ ، وأبْعَثُه على التَطَبّعِ وأُحَسِّنُ له التسهيلَ ، فلا تَظُنّنَ أني أريدُ بالسَمْحِ السَهْلِ الضعيفَ الركيكَ ، ولا باللطيفِ الرشيقِ الخَنِثَ المُؤنّثَ ، بل أريد النَمَطَ الأوْسَطَ : ما ارْتفعَ عن الساقطِ السُوقي وانْحطّ عن البَدْويّ الوَحْشيّ ، وما جاوزَ سَفْسَفَةَ نَصْرٍ ونُظَرائه ولم يَبْلُغْ تَعَجْرُفَ هَمْيانَ بنِ قُحافةَ [3] وأضْرابه . نعَمْ ، ولا آمُرُك بإجراءِ أنواعِ الشِعْر كلّه مَجْرىً واحداً ، ولا أن تَذْهَبَ بجميعه مذهبَ بعضِه . بل أرى لك أنْ تُقَسِّمَ الألفاظَ على رُتَبِ المعاني ، فلا يكونُ غَزَلُكَ كافتخارِك ، ولا مديحُكَ كوعيدِك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هَزْلُكَ بمنزلةِ جِدّك ، ولا تعريضُكَ مثلَ تصريحك ؛ بل تُرَتِّبُ كُلاً مرتبتَه وتُوَفّيه حقّه : فتَلَطّفُ إذا تغزّلتَ ، وتفخّمُ إذا افتخرتَ ، وتتصرّفُ للمديح تصرّفَ مواقِعه ، فإنّ المدحَ بالشجاعةِ والبأس يتَمَيّزُ عنِ المدحِ باللَباقةِ والظَرْف ، ووصفُ الحربِ والسلاحِ ليسَ كوصفِ المجلسِ والمُدام . فلكلّ واحد من الأمرينِ نَهْجٌ هو أمْلَكُ بهِ وطريقٌ لا يُشارِكُه الآخَرُ فيه ..... فأمّا الهجوُ فأبْلَغُه ما جرى مَجْرى الهَزْلِ والتهافُتِ ، وما اعتَرضَ بينَ التصريحِ والتعريضِ ، وما قَرُبَتْ معانيه وسَهُلَ حِفْظُه وأسْرَعَ عُلوقُه بالقلبِ ولُصوقه بالنفس . فأما القَذْفُ والإفحاشُ فسُبابٌ مَحْضٌ ، وليسَ للشاعرِ فيه إلاّ إقامةُ الوزنِ وتصحيحُ النظم .

---

١ الورد في الخد (حمرة الخد ، جمال الوجه) لا يقطف باليد (كورد الشجر) بل يلثم (يقبل بالفم) .

٢ .... فلماذا أبتغي (أطلب) مؤنساً سوى العلم .

٣ نصر = الخبزأرزي (راجع ، فوق ، ص ٤٣٠ – ٤٣١) ؛ هميان بن هميان بن قحافة : شاعر قديم (أموي) راجز من بني عامر .

ـ المطبوعون في الشعر والنقد الصحيح (الوساطة ٢٣ ـ ٢٤) :

وإذا أردتَ أن تعرِفَ موقعَ اللفظِ الرشيقِ من القلب ، وعِظَمَ غَنائه في تحسين الشعر ، فتصفّحْ شِعرَ جميلٍ وذي الرُمّة في القدماء ثم البُحتري في المتأخرين ، وتتبّعْ نسيبَ مُتيَّمي العرب ومتغزّلي أهلِ الحجازِ كعُمَرَ وكُثَيِّرٍ وجَميلٍ ونُصيبٍ وأضرابِهم وقِسْهُمْ بمَنْ هم أجودُ منهم شِعراً وأفصحُ لفظاً وسَبْكاً ، ثمّ انظُرْ واحكُمْ وأنصِفْ ، ودَعْني من قولِكَ : هل زادَ على كذا ، وهلْ قالَ إلاّ ما قالَ فُلانٌ ! **فإنّ رَوْعَةَ اللفظِ تُفْضي بك إلى الحُكْمِ** (السريع) ، **وإنما تُفْضي** (أنت) **إلى المَعْنى عند التفتيش والكَشْف** . ومِلاكُ الأمر تركُ التكلّفِ ورفضُ التعمّلِ والاسترسالُ للطبع وتجنّبُ الحَمْلِ عليه والعُنْفِ به . **ولستُ أعني بهذا كلّ طبعٍ ، بل المهذّبَ الذي صَقَلَهُ الأدبُ وشحَذَتْهُ الرِوايةُ وجَلَتْهُ الفِطْنَةُ وأُلْهِمَ الفصلَ بين الرديء والجيّدِ وتصوَّرَ أمثلةَ الحُسْنِ والقُبْحِ** .

ـ القول في المتنبّي (الوساطة ٤٨) :

إن خَصْمَ هذا الرجلِ فريقانِ : أحدُهما يَعُمّ بالنقصِ كلّ مُحْدَث ، ولا يرى الشعرَ إلاّ القديمَ الجاهليّ وما سُلك به ذلك المنهجَ وأُجْرِيَ على تلك الطريقة .... فإذا نَزَلْتَ به إلى أبي تمّامٍ وأضرابه نَفَضَ يدَه وأقسَمَ واجتَهَدَ أنّ القومَ لم يَقْرِضوا بيتاً ولم يَقَعوا من الشعر إلا بالبُعْدِ . وأنا أرى لَكَ ، إذا كنتَ مُتَوخّياً للعَدْلِ مُؤثراً للإنصافِ أنْ تَقْسِمَ شِعْره (شعرَ المتنبّي) فتجعلَه في الشطرِ الأولِ تابعاً لأبي تمام ، وفيما بَعْدَهُ واسطةً بينه (بين أبي تمّامٍ) وبينَ مسلمٍ (بن الوليد) ....

٤ ـ الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، صيداء (مطبعة العرفان) ١٣٣٦ هـ ؛
(نشرها أحمد عارف الزين) ، القاهرة (مكتبة صبيح) بلا تاريخ ؛
(تحقيق وشرح محمّد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجاوي) ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) .

*ح يتيمة الدهر ٤ : ٣ ـ ٢٥ ؛ معجم الأدباء ١٤ : ١٤ ـ ٣٥ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٨٣ ـ ٥٨٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٥٦ ـ ٥٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٩ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٧ ـ ١٦ .

أبو هِلالٍ العسكريّ

١ ـ هو أبو هلالٍ الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ بن سهلٍ العَسْكريّ تلميذُ أبي أحمدَ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ العسكريّ . كان أبو هلالٍ العسكريّ فارسيّ الأصلِ من أهلِ إصبهانَ في الغالبِ ثم سكَنَ البصرةَ وبغدادَ وتلقّى العلمَ فيهما . ولا نَعْلَمُ تاريخَ ولادتِه ولا تاريخَ وفاتِه ، سوى أن ياقوتاً ذكَرَ (معجم الأدباء ٨ : ٢٦٤) أنه وَجَدَ على كتاب الاوائل لأبي هلالٍ العسكريّ : « وفرَغْنا من إملاء هذا الكتابِ يومَ الاربعاء لعَشْرٍ خلَوْنَ من شعْبان سنة خمسٍ وتسعينَ وثلاثِمائةٍ » (٢٢ـ٥ـ١٠٠٥ م) ، فلعلّ وفاتَه كانت بعدَ ذلك بقليلٍ .

٢ ـ كان أبو هلال العسكريّ لُغوياً وناثراً وشاعراً ، الاّ أن شُهرتَه وبراعته إنما هما في النثرِ وفي النَقْدِ على الأخصّ ، وهو يَرى أن الألفاظَ يَجِبُ أن تكونَ وافيةً بالمعاني ، و (تكون) المعاني على قَدْرِ الألفاظ . ثم هو يَرى أن جَوْدَةَ الشعر راجعةٌ إلى جودة التشبيهِ والاستعارة والتَوْرِيَةِ والمُطابقة ، ثم إلى تحسين اللفظ وتجميل الصورة .

ولأبي هلال العسكري من الكتب ديوان شعر ، جمهرة الامثال ، المحاسن في تفسير القرآن (خمس مجلّدات) ، كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة ، شرح الحماسة ، كتاب التلخيص (في اللغة) ، العمدة ، التبصرة ، كتاب ما تلحن فيه العامّة والخاصّة ، كتاب الدرهم والدينار ، كتاب فضل العطاء على العُسر ، **كتاب صناعتي النظم والنثر** (اختصر هو منه كتاب الصناعتين سنة ٣٩٤ هـ) ، كتاب معاني الأدب ، اعلام المعاني في معاني الشعر ، كتاب الأوائل (فرَغ من تأليفه ٣٩٥ هـ) .

٣ ـ المختار من آثاره

ـ قال أبو هِلالٍ العسكريُّ في الشكوى من الدهر والناس :

جلوسيَ في سوقٍ أَبيعُ وأشتري   دليلٌ على أن الأنـام قـرودُ .
ولا خيرَ في قومٍ تَذِلّ كرامهم،   ويَعْظُمُ فيهم نَذْلُهم ويَسود .

ويهجوهُمُ عني رثاثةُ كُسوتي هِجاءً قبيحاً ما عليه مزيد .

– وقال في الغزل :

يا هلالاً من القصور تَدلّى صام وجهي لمُقلتيه وصلّى.
لستُ أدْري أطالَ ليليَ أم لا ؛ كيف يدري بذاك من يتَقلّى !

– وكان يفضّل البرد على الحر ، قال من قصيدة :

ان روحَ الشتاء خلّص روحي من حَرورٍ تشوي الوجوه وتَكْوي[1] .
لستُ أنسى منه دماثةَ دَجْنٍ ثُمّ من بعده نَضارةَ صَحْوٍ[2] ،
وجَنوباً تُبَشّرُ الأرضَ بالقَطْرِ كما بُشّرَ العليلُ ببُرْوٍ[3] !

– من كتاب الصناعتين :

وقد عَلِمْنا أنّ الإنسانَ إذا أغْفَل عِلْمَ البلاغة وأخَلّ بمعرفة الفَصاحة لم يقَعْ علمُه بإعجاز القُرآن من جِهَةِ ما خصّه الله بـه من حُسْنِ التأليف وبراعة التركيب .... وضَمّنه من الحلاوة وجلّله من رونقِ الطّلاوةِ مَعَ سُهولة كَلِمهِ وجَزالتها وعُذوبتها وسلاستها ، إلى غير ذلك من محاسنه التي عَجَزَ الخلقُ عنها وتحيرت عقولهم فيها .... فينبغي من هذه الجهة أن يُقَدَّمَ اقتباس هذا العلمِ على سائرِ العلومِ بعدَ توحيدِ الله تعالى ومعرفة عَدْله والتصديق بوعده ووعيده على ما ذكرنا ، إذ كانت المعرفةُ بصحّة النبوّة تتلو المعرفةَ باللهِ جَلّ اسمُه .... فلمّا رأيتُ تخليطَ هؤلاء الأعلامِ (الذين ألّفوا في البلاغة والبيان) في ما راموه مِنَ اختْيار الكلام ، وَوَقَفْتُ على موقعِ هذا العلم من الفضل ومكانه من الشرف والنُبْل ووجدتُ الحاجةَ إليه ماسّةً والكُتُبَ المُصنّفة فيه قليلةً .... رأيتُ أنْ أعملَ كِتابيَ هذا مشتملاً على جميع ما يُحْتاج اليه في صَنعة الكلام نثرِه ونظمِه ويُستعملُ في محلولهِ وعقده ، من غيرِ تقصير وإخلال وإسهاب وإهذار .... وليس الغرَضَ في هذا الكتابِ سلوكُ مذهبِ المتكلّمين (في الجدال ؟) ، وإنّما قصدتُ فيه مَقْصِدَ صُنّاع الكلام من الشعراء والكُتّاب ، فلهذا لم أطِلِ الكلامَ في هذا الفصل .

---

[1] الحرور : الحر .

[2] الدجن : الغيم الذي يطبق (يملأ ما بين) الأرض والسماء ، المطر الكثير .

[3] البرو = البرء : الشفاء .

ونحن نفهم رَطانة السُوقيّ وجَمْجمة الأعجمي للعادة التي جرَتْ لنا في سماعها (في المدن التي تُخالِطُ فيها السوقةَ والأعاجم) ، لا لأن تلك بلاغة . ألا ترى أنّ الأعرابي (لمكانه في البادية بعيداً عن أهلِ المدن) إذا سَمِعَ ذلك لم يَفْهَمْه ، إذ لا عادةَ له بسماعه .

وأبلغُ من هذه المنزلة (التصرفِ في فنون القول المختلفة) أن يكونَ في قوّة صائغ الكلام أن يأتِيَ مرّةً بالجزل ومرّة بالسهل فيَلينُ إذا شاء ويشتدّ إذا أراد . ومن هذا الوجهِ فضّلوا جَريراً على الفَرَزْدَقِ وأبا نُواسٍ على مُسْلمِ (بن الوليد) .

٤ ــ كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ، الاستانة (محمود بك) ١٣٢٠ هـ ؛ القاهرة ، الطبعة الثانية ، (مكتبة صبيح) بلا تاريخ ؛ (نشره محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٩٥٢ م .

ديوان المعاني ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٢ هـ .

اللمعة من الفروق (اللغوية) ، مكة المكرمة (مطبعة الترقّي الماجدية) ١٣٢٩ هـ .

ديوان أبي محجن الثقفي وشرحه في كتاب « طُرَف عربية » (لاندبرغ) ، ليدن (بريل) ١٣٠٢ ــ ١٣٠٦ هـ .

الفروق في اللغة (اللغوية) ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٣ هـ .

الكرماء (مفسّر ألفاظه محمود الجبّال) ، القاهرة (مطبعة الشورى) ١٣٢٦ هـ .

جمهرة الأمثال (بهامش مجمع الأمثال للميداني) ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ .

المعجم في بقية الاشياء (أكمله وعلّق عليه ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) .

التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ، الاستانة ....

« مجموعة رسائل ودواوين من روايته » في « طرف عربية (جمعها كارلو لاندبرغ) ، ليدن (بريل) ١٣٠٣ ــ ١٣٠٦ هـ .

•• أبو هلال العسكري ومقاييسه اللغوية ، تأليف بدوي أحمد طبانه ، القاهرة (مخيمر) ١٣٥٢ هـ = أبو هلال العسكري ومقاييسه النقدية والبلاغية ، الطبعة الثانية (مزيدة منقّحة) ، القاهرة (مكتبة الانكلو المصرية) ١٩٦٠ م .

معجم الأدباء ٨ : ٢٥٨ — ٢٦٧ ؛ بغية الوعاة ٢٢١ ؛ بروكلمان ، راجع ١ : ١٣٢ ع ، الملحق ١ : ١٩٣ ؛ زيدان ٢ : ٣٢٨ — ٣٢٩ ؛ Enc · Isl . (new ed .) I 712 ؛ النثر الفنّي ٢ : ٩٤ وما بعد .

أحمد بن فارس

١ — هو أبو الحسينِ أحمدُ بنُ فارسِ بنِ زكريا بنِ حبيبٍ القَزويني الهَمَذاني الرازي اللغوي ، وُلِدَ في هَمَذانَ أو قَزوين نحو سنة ٣٠٦ هـ (٩١٨ م) أو بعدها بقليل . ويبدو انه زار بلاداً كثيرةً .

بدأ أحمدُ بنُ فارسٍ تَلَقّي العِلمِ على أبيه (وكان أبوه لغوياً) ثم أخذ أكثر علمهِ عن أبي الحسنِ عليِّ بنِ ابراهيمَ بنِ سَلَمَةَ بنِ حربٍ القَطّانِ القَزْويني (توفي سنة ٣٤٥ هـ) ، كما قرأ على أبي بكرٍ أحمدَ بنِ الحسنِ الخطيبِ راويةِ ثعلبٍ وعلى أحمدَ بنِ طاهرِ بنِ المُنَجِّمِ . وأقام ابنُ فارسٍ زمناً في خدمة ابن العميد (ص ٥٠٠) فمالَ عنه الصاحبُ بن عَبّادٍ (ص ٥٦١) ، فلمّا تُوُفِّيَ ابنُ العميد (٣٦٠ هـ) تَقَرّبَ ابنُ فارسٍ من الصاحبِ بن عَبّادٍ فرَضِيَ عنه الصاحبُ وقرّبه . وبعدَ سَنَةِ ٣٧٣ هـ (٩٨٣ م) دُعِيَ ابنُ فارسٍ إلى الريّ لِيَقْرَأَ عليهِ مجدُ الدولة أبو طالبِ بنِ فخرِ الدولة بنِ أبي الحسنِ ابنِ بُوَيْهِ .

ومات ابن فارسٍ في الريّ في صَفَرَ سنة ٣٩٥ هـ (أواخرَ ١٠٠٤ م) .

٢ — كان أحمدُ بنُ فارسٍ فارسياً ولكنّه ردّ على الشُعوبية ردّاً شديداً . وكان بارعاً في علوم كثيرة كارهاً للفلسفة اليونانية ويرى إعجازَ القُرآنِ فوقَ كلّ شيءٍ ، كما كان مُعْجَباً بالشِعْرِ العَرَبي لا يَرى لأُمّةٍ من الأمم مِثْلَه .

وابنُ فارسٍ لُغَويّ ثقةٌ مشهورٌ وأديبٌ كبير وله تصانيفُ كثارٌ [1] منها الصاحبي في فِقْه اللغة ، جامع التأويل في تفسير القرآن ، سيرة النبيِّ صلّى الله عليه وسلم ، أصول الفِقه ، كتاب حلية الفقهاء ، المُجْمَل (في اللغة) ، مقالة في أسماء أعضاء الإنسان ، شرح رسالة الزُّهري إلى عبد الملك بن مروان ، كتاب قِصَص النهار وسَمَرَ الليل ، الخ [2] ...

ولابن فارسٍ شيءٌ من الشِعْر الجيّد ورسائلُ أنيقةٌ ومَقامة وعددٌ من مسائل الفقه على سبيل المُعاناة والمعاياة ، وقد اقتبس ذلك منه الحريري صاحبُ المقامات . وكانت له آراء في النقد أيضاً .

٣ – المختار من آثاره

قال ابن فارس في الحكمة :

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً ، وأنت بها كَلِفٌ مُغْرَمُ ،
فأرسلْ حكيماً ولا توصه ؛ وذاك الحكيم هو الدِرْهم !

– اسمعْ مقالةَ ناصحٍ جمع النصيحة والمِقَهْ [3] :
إيّاك واحذَرْ أن تبيتَ من الثِقاةِ على ثِقَهْ .

– من نثره : من مقدّمة الصاحبي :

– ان « بعض علمائنا ذَكَرَ ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال : ولذلك لا يَقْدِرُ أحدٌ من التراجم على أن يَنْقُلَه إلى شيء من الألسنة كما نُقل الإنجيل عن السُريانية إلى الحبشية والرومية ، وتُرجمت التوراة والزَبورُ وسائرُ كتبِ الله عزّ وجلّ بالعربية ، لأن العَجَمَ لم تتّسع في المجاز اتّساعَ العرب . ألا ترى أنك لو أردتَ أن تنقل قوله جلّ ثناؤه : **وإمّا تخافَنّ من قومٍ خيانةً فانبُذْ إليْهم على سَواء** ، لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مُؤدِّيةً عن المعنى الذي أودِعَتْهُ حتّى تَبْسُطَ

---

١ راجع مناقشة الخلاف في عمود نسبه وفي موطنه في «التعريف بابن فارس» لعبد السلام محمد هارون ، في «معجم مقاييس اللغة» .

٢ هنالك ثبت (بفتح الثاء والباء) مفصل بتآليفه في « الصاحبي » (تحقيق مصطفى الشويمي ، ١١ – ١٩) ؛ راجع أيضاً ثبت هذه التآليف في مقدمة « معجم مقاييس اللغة » (بتحقيق عبد السلام محمد هارون) .

٣ المقة : الحب والمودة .

مجموعها وتَصِلَ مقطوعها وتُظْهِرَ مَسْتورها فتقول : ان كان بينك وبينَ قومٍ هُدنةٌ وعهدٌ فخِفْتَ منهم خيانةً ونقضاً فأعلمهم أنّك قد نَقَضْتَ ما شرطته لهم وآذِنْهُمْ بالحربِ لتكونَ أنت وهم في العِلْم بالنقض على استواء ...

– مقدمة معجم مقاييس اللغة :

أقول ، وباللهِ التوفيقُ : إنّ للغة العربِ مقاييسَ صحيحةً وأصولاً تتفرّعُ منها فُروعٌ . وقدْ ألّفَ الناسُ في جوامعِ اللغةِ ما ألّفوا ، ولم يُعْرِبوا في شيءٍ من ذلك عن مِقياسٍ من تلك المقاييسِ ولا أصلٍ من الأصول . والذي أوْمأنا إليه بابٌ من العِلمِ جليلٌ ، وله خَطَرٌ عظيمٌ . وقدْ صَدّرْنا كلَّ فصلٍ بأصلِه الذي تتفرّعُ منه مسائله حتّى تكونَ الجُملةُ المُوجزةُ شاملةً للتفصيل ، ويكونَ المُجيبُ عمّا يُسألُ عنه مُجيباً عن الباب المبسوطِ بأوْجَزِ لفظٍ وأقربه . وبِناءُ الأمرِ في سائرِ ما ذَكَرْناه على كُتُبٍ مشهورةٍ عاليةٍ تَحْوي أكثرَ اللغة . فأعلاها وأشرفها كتابُ أبي عبدِ الرّحمنِ الخليلِ بنِ أحمدَ المُسمّى **كتابَ العَيْنِ** .... ومنها كِتابَا أبي عُبيدةَ في **غريبِ الحديثِ ومُصنّفِ الغريب** .... ومنها **كتابُ المَنْطق** .... لابنِ السكّيت . ومنها كتاب أبي بكرِ ابنِ دُريدٍ المُسمّى الجَمْهَرَةَ . فهذه الكُتُبُ الخَمْسَةُ مُعْتَمَدُنا في ما استَنْبَطْناهُ من مَقاييسِ اللغةِ ، وما بعدَ هذه الكُتُبِ فمَحْمولٌ عليها وراجعٌ إليها ، حتّى إذا وَقَعَ الشيءُ النادرُ نَصَصْناه إلى قائلهِ ، إن شاءَ اللهُ .

– من مُقَدّماتِ الفُصول (وهو ما يُسمّيه ابنُ فارسٍ **أصولاً** تتّخذ **مَقاييسَ**) :

* **أبّ** : اعلَمْ أنّ للهمزة والباء في المُضاعف أصلَيْنِ : أحدهما المَرْعى والآخر التهَيّؤ ....

* **بور** : الباء والواو والراء أصلان : أحدهما هَلاكُ الشيء وما يُشبهه من تَعَطلِه وخُلُوّه ، والآخرُ ابتلاءُ الشيء وامتحانه ....

* **جزأ** : الجيم والزاي والهمزة أصل واحد هو الاكتفاء بالشيء ....

٤ – أوجز السير لخير البشر ، بومباي ١٣١١ هـ .

الاتباع والمزاوجة (تحرير برونوف) ، غيسن (توبلمان) ١٩٠٦ ﻫ .
الصاحبي في فقه اللغة ، القاهرة ١٣٢٨ ﻫ ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٩١٠ م ؛ (حقّقه مصطفى الشويمي) ، بيروت (مؤسّسة بدران للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م .
مقالة كلاّ وما جاء منه في كتاب الله (منشورة في « ثلاث رسائل » نشرها عبد العزيز الميمني الراجكوتي) ، القاهرة ١٣٤٤ ﻫ .
ذمّ الخطأ في الشعر (مطبوع مع « الكشف عن مساوئ المتنبي » للصاحب ابن عبّاد) ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٤٩ ﻫ .
مجمل اللغة (تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٦٧ ﻫ (١٩٤٧ م) .
معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٦٦ — ١٣٧١ ﻫ .

•• الفهرست ٨٠ ؛ يتيمة الدهر ٣ : ٣٦٥ — ٣٧٤ ؛ دمية القصر ٢٩٧ ؛ معجم الأدباء ٤ : ٨٠ — ٩٨ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٦١ — ٦٢ ؛ إنباه الرواة ١ : ٩٢ — ٩٥ ؛ بغية الوعاة ١٥٣ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٣٢ — ١٣٣ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٥ — ١٣٦ ، الملحق ١ : ١٩٧ — ١٩٨ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٧ — ٣٥٨ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٢٧ — ٤٧ .

بديع الزمان الهمذانيّ

١ — هو بديع الزمانِ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ الحسينِ بن يحيى بنِ سعيدِ ابنِ بِشْرٍ ، وُلِدَ في مدينة هَمَذانَ ، في شماليّ فارسَ ، في ١٣ جمادى الثانية سنة ٣٥٨ ﻫ (٥—٥—٩٦٩) ، وفيها نشأ .
دَرَسَ بديعُ الزمان على أحمدَ بنِ فارسٍ (توفي سنة ٣٩٠ ﻫ) وأخذ عن عيسى بن هِشامٍ الأنصاري .
في سنة ٣٨٠ ﻫ (٩٩٠ م) غادر بديعُ الزمان هَمَذانَ إلى الرّيّ واتّصل فيها بالصاحبِ بنِ عبّادٍ وأدرك عندهُ جاهاً ومالاً ، ولكن سَرْعانَ ما ساءَ

ما بينَهما وتَهاجَيا . ثم قَدِمَ جُرجانَ وأقام فيها مُدّة على مُداخلة الإسماعيلية والتعَيّش في أكنافهِم . وغادرَ بديعُ الزمان جُرجانَ إلى نيسابور (٣٨٢ هـ) حيث « نَشَرَ بَزّه وأظهرَ طَرْزه » ، وأملى فيها على أحدِ الكُتّاب أربعَمِائةِ مقامة ، فيما قيل . في هذه المدينة اتّصل بديع الزمان بأبي سعيد محمّد بن منصور أحدِ أعيانِ البلدِ ، ثم حرَصَ على الاتّصال بأبي بكرِ الخوارزمي لِينالَ شيئاً من الحظّ الأدبي على يديه . ولكنّ الخوارزميّ لم يُحسنِ استقبالَ بديعَ الزمان فأخذَ بديعُ الزمان يُراسله مُعاتباً ويُطاوله مُتَجَرّئاً عليه ، حتّى استُفِزَ قَوْمٌ فجمعوا بينَهما في مناظرةٍ [١] رَكِبَ بديعُ الزمان في أثنائها سبيلَ التهَجّمِ والقِحَةِ (مَعَ بوارقَ من الذكاء) فحكم النظّارة له بالغلب على الخوارزمي . وقدِ اغتمّ الخوارزميّ ثم جعَلَ يَطْعَنُ في مقاماتِ بديعِ الزمان ، ولكنه مات قبلَ أن يَحولَ الحَوْل على هذه المناظرة ، في سنة ٣٨٣ هـ (٩٩٣ م) .

وزار بديع الزمان سِجِسْتان ونالَ حظوةً عند أميرها أبي أحمدَ خلَفِ ابنِ أحمدَ (توفي سنة ٣٩٩ هـ) ، ولكنّه انتقل وَشيكاً إلى غَزْنَةَ واستقرّ فيها حيناً . ثمّ مات في هَراة ، على نحو ثلاثمِائةِ كيلومتر من غزنةَ شرقاً ، قبلَ أن يُجاوزَ الأربعين من العُمُر ، وذلك في ١١ جُمادى الآخرةِ سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٧ م) مسموماً ، وقيل أصيبَ بالسكتة ودُفِنَ قبلَ أن يموتَ ، فسُمِعَ صوتهُ بالليل فنبشوا عنه ولكنهم وجدوه ميْتاً من هَوْل القبر .

٢ — كان بديعُ الزمان مقبولَ الصورة خفيفَ الروح قويّ النفس حلْوَ الصداقة مُرّ العداوة . ولكنّه كان ظاهر الأنانية والغُرور . وكان عظيمَ التقى كثيرَ التعصب لأهلِ الحديثِ والسّنّةِ شديدَ المَيل على المعتزلة يُحِبُّ العرب ويكره الشعوبيين ، لأنه عربي .

وبديعُ الزمانِ كان صافيَ الذهن قويّ الذاكرة سريعَ الخاطر يَحفَظُ القصيدة الطويلةَ من مرةٍ واحدة ، وينتهي من الرسالة أو الكتابِ حينما يُطلب ذلك منه بلا إبطاء . وربما بدأ بآخرِ سطرٍ من الرسالة أو بآخرِ بيتٍ من القصيدة ثم

---

١ راجع تفاصيل هذه المناظرة في رسائل بديع الزمان الهمذاني (الجوائب ، ص ٢٨– ٨٣) ؛ وفي معجم الأدباء (٢ : ١٧٣ – ١٨٢) ؛ وفي النثر الفني لزكي مبارك (٢ : ٣٣١ – ٣٥٠) .

انتهى إلى المطلعِ عَكْساً . وتراه يُدخل الشعرَ في النثر أحسنَ إدخالٍ واقتباس . « وكلامه كله عَفْوُ الساعةِ وفَيْضُ اليد » . وربما ارْتجلَ تَعريبَ الشعرِ الفارسيّ إلى العربية فيأتي بأحسنِ الشعرِ مَعَ محافظة على المعنى والمبنى .

بديع الزمان شاعرٌ وناثرٌ ، ولكنه اشتهر بنثره . ونثره رسائل ومقامات . ورسائله إخوانيةٌ مَحْضٌ لأنه لم يدخل خِدمة الدواوين (لم يعيّن كاتباً في دواوين الدولة) .

مقاماتُ بديعِ الزمان قِصارٌ في الأغلب وفيها فَصاحةٌ وسُهولة ووُضوح إلى جانب الدُعابة والمَرَح والتَهَكّم . وبديعُ الزمان حَسَنُ الابتكار قلّ أنْ تَجِدَ له مقامتَيْنِ في مَعْنىً واحد ، وهو يُجيد في مقاماتِه السَرْدَ والوَصْف الحِسّيّ والتحليلَ ويُحْسِنُ دِراسةَ الطبائع وتصويرَ المعائبِ وعَرْضَ مساوئ المُجْتَمع . غيرَ أنّه لا يَقْصِدُ أنْ يُصْلِحَ هذه المساوئ بِنُصْحٍ أو بِرَدْعٍ ، وإنّما غايتُه التهكّم بأصحابِها وإطرافُ الآخرينَ بتصويرِها واستعراضها . وهو كثيرُ الاحتقارِ للناس .

وأسلوب بديعِ الزمانِ ، في مقاماتِه خاصّةً ، حُلْوُ الألفاظِ سائغُ التركيب جميلُ الرَصْف كثيرُ الصِناعة المَعْنوية (في الاستعاراتِ والكِنايات والتَوْريات خاصّة) من غير تكلّف ولا إغراق في السجع .

وللمقاماتِ الخَمسينَ التي بَدَأها بديعُ الزمان في سَنَة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) راوِيَةٌ واحدٌ هو عيسى بن هِشامٍ ومُكْدٍ (بَطَلٌ) واحدٌ هو أبو الفتحِ الإسكندريّ (نِسبةً إلى الإسكندرية التي هِيَ قُرْبَ الكوفةِ على الفُرات) ، وهما شَخصيّتانِ تاريخيّتانِ .

٣ ـ المختار من آثاره

ـ المقامة الحِرزية

حدّثنا عيسى بن هِشامٍ ، قال : لما بلَغَتْ بِيَ الغُربةُ بابَ الابواب [١] ، ورضِيتُ من الغنيمة بالإياب [٢] ، ودونه من البحر وثّابٌ بغاربه ، عسّاف

١ باب الأبواب : ناحية بشمالي فارس .

٢ رضيت من الغنيمة بالاياب : رضيت أن أرجع من سفري بلا ربح . في هذه الجملة تضمين من قول امرئ القيس .

وقد طوفت في الآفاق حتى … رضيت من الغنيمة بالاياب

براكبه ، استَخرْتُ اللهَ في القفول ، وقعَدتُ من الفُلْكِ بمَثابة الهُلْك . ولمّا ملكنا البحرُ وجَنَّ علينا الليلُ غشيتنا سحابةٌ تمُدّ من الامطارِ حبالاً وتحوذ [1] من الغيم جبالاً ، بريح تُرْسِلُ الأمواجَ أزواجاً والأمطارَ أفواجاً . وبقينا في يَدِ الحَينِ ، بين البحرَيْنِ لا نملكُ عُدّةً غيرَ الدعاء ، ولا حيلةً إلاّ البُكاء ، ولا عِصْمَةً إلا الرجاء [2] . وطويناها ليلةً نابغية [3] . وأصبحنا نتَباكى ونتَشاكى . وفينا رَجُلٌ لا يَخْضَلّ جَفنُهُ ولا تبتلّ عينه ، رَخِيّ [4] الصدر منشرِحُه ، نشيط القلب فرِحه .

فعجبنا ، واللهِ ، كل العَجَب ، وقلنا له : ما الذي أمّنك من العَطَب ؟ فقال : حرزٌ لا يغرق صاحبه ؛ ولو شئت أن أمنحَ كلّ واحد منكم حِرْزاً لفعلت . فكلٌّ رَغِبَ إليه ، وألَحّ في المسألةِ عليه . فقال : لن أفعل ذلك حتى يعطيَني كل واحد منكم ديناراً الآن ، ويعِدَني ديناراً إذا سَلِم .

قال عيسى بن هشام : فنقدْناه ما طلب ووعدناه ما خَطَب [5] . وآبت يده إلى جيبه فأخرج منها قطعْة دِيباج فيها حُقّةُ عاج ، قد ضُمّن صدرُها رِقاعاً وحَذَف كلّ واحد منها بواحدةٍ منها .

فلما سلمَت السفينةُ وأحلّتْنا [6] المدينةَ اقتضى الناسَ ما وعدوه فنقدوه [7] . وانتهى الأمرُ إليّ ، فقال : دَعُوه ! فقلت : لك ذلك على أن تعلمني سِرّ

---

١ دونه : دون باب الأبواب، بين باب الأبواب والعراق . وثاب بغاربه : بحر ثائر بأمواجه يثب إلى ظهور المراكب . عساف براكبه : يدفع راكبه يميناً وشمالا على غير هدى وبشدة .

٢ استخار الله : اتجه بقلبه إلى الله ليلهمه ما يعمل ، أو رجع معتمداً على الله في توفيقه في عودته . القفول : الرجوع . الفلك : السفينة . بمثابة الهلك : كأني هالك ، لا أرجو النجاة . ملكنا البحر : صرنا على ظهره لا نستطيع الرجوع إلى البر لو أردنا . تحوذ : تدفع ، تسوق .

٣ الحين : الموت . البحران : بحر من فوقنا هو المطر ، وبحر من تحتنا هو البحر . العدة : السلاح . العصمة : الملجأ . ليلة نابغية : ليلة طويلة سوداء شاقة ، نسبة إلى قول النابغة :

كليني لهمّ يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

٤ يخضل : يبتل . رخي الصدر : واسع الصدر ، مطمئن .

٥ خطب : طلب . آب : رجع . الجيب : شق القميص عند العنق . ديباج : حرير فاخر . حقة : وعاء . عاج : سن الفيل . حذف : رمى .

٦ أحلتنا المدينة : أنزلتنا (سالمين) إلى المدينة . اقتضى الناس : طلب منهم تأدية الدين .

٧ نقدوه : دفعوه له عيناً (ذهباً) .

حالك . قال : أنا من بلاد الإسكندرية . فقلت : كيف نصَرَكَ الصبرُ وخذَلنا[1] ؟ فأنشأ يقول :

ويكَ ، لولا الصبرُ ما كنـــ تُ ملأت الكيسَ تِبرا[2] .
لن ينالَ المجدَ من ضـــاق بمــا يغشــاه صــبرا[3] .
ثم مــا أعقبــني الســـا عةَ ما أعطيتُ ضرّا[4] .
بل بـــه أشتدّ أزراً وبـه أجْبُرُ كسرا[5] .
ولَوَ اني اليومَ في الغَرْ قى لما كُلِّفْتُ عُذْرا[6] .

ـ المقامة البغدادية :

حدّثنا عيسى بنُ هِشامٍ قال : اشتهيتُ الأزاذَ وأنا ببغداذَ ، وليس معي عَقْدٌ على نَقْدٍ[7] . فخرجتُ أنتهزُ مَحالّهُ حتى أحلّني الكَرْخَ ، فإذا أنـا بسَواديّ يَسوقُ بالجَهْدِ حِمارَهُ ويُطرِفُ بالعَقْدِ إزارَه[8] . فقلت : ظَفِرْنا ، واللهِ ، بصَيْدٍ . وحيّاكَ اللهُ ، أبا زَيْدٍ ! من أيْنَ أقبلتَ ؟ وأينَ نزَلْتَ ؟ ومتى وافَيْتَ ؟ وهلُمّ إلى البيتِ» .

فقال السَواديّ : لست بأبي زيدٍ ، ولكني أبو عُبَيْدٍ ! فقلت : نعَمْ ، لعَنَ اللهُ الشيْطانَ وأبعَدَ النسْيانَ . أنسانيكَ طولُ العَهْدِ واتصالُ البُعْدِ . فكيفَ حالُ أبيكَ : أشابٌ كعَهْدي أم شابَ بَعْدي ؟ فقال : قد نبَتَ الربيعُ على دِمْنَتِهِ[9] وأرْجو أن يُصيّرَهُ اللهُ إلى جَنّتِه . فقلتُ : إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجِعونَ ، ولا حَوْلَ ولا قُوّةَ إلاّ باللهِ العَليِّ العَظيمِ .

---

١ خذله الصبر : فارقه عند الحاجة اليه .
٢ ويك : ويل لك . التبر : الذهب .
٣ غشيه : أتى عليه .
٤ ما حرف نفي . أعقبني : أثر في ، حصل لي . الضر (بالفتح والضم) : الضرر .
٥ الازر : الظهر ـ ازداد قوة .
٦ لو غرقنا لما طالبني أحد بشيء ، ولا بأن اعتذر .
٧ الازاذ : تمر جيد . ليس معي عقد على نقد : ليس معي مال (النقد : العملة المسكوكة من ذهب أو فضة . والعادة انها تصر ، يعقد عليها) .
٨ الكرخ الجانب الغربي من بغداد . السوادي : الفلاح من أهل سواد (اخضرار ، الأرض المزروعة) الكوفة يطرف بالعقد ازراره : يعقد جانبي ازراره على عدد من قطع العملة .
٩ توفي منذ زمن بعيد حتى نبت العشب على قبره الذي أصبح دمنة (أثراً ممحواً) .

ومددتُ يَدَ البِدارِ إلى الصِدارِ أريدُ تَمْزيقَهُ . فَقَبَضَ السَوادِيّ على خَصْري بجُمعه [١] ، وقال : ناشَدتُكَ الله لا مَزّقْتَهُ . فقلتُ : هَلُمّ إلى البيتِ نُصِبْ غَداءً ، أو إلى السوقِ نَشْتَرِ شِواءً . والسوق أقْربُ ، وطعامُه أطيبُ » .

فاسْتَفَزّتْهُ حُمَةُ القَرَمِ ، وعَطَفَتْهُ عاطفةُ اللّقَمِ . وطَمِعَ ولم يعلم أنّه وَقَعَ . ثم أتينا شَوّاءً يَتَقاطرُ شِواؤه عَرَقاً ، وتتَسايَلُ جُوذاباتُه مَرَقاً [٢] ، فقلتُ : افرِزْ لأبي زيدٍ من هذا الشِواءِ ، ثم زِنْ له من تلك الحَلْواء . واخْتَرْ له من تلك الأطباقِ ، وانْضِدْ عليها أوراق الرُقاق ، ورشّ عليها شيئاً من ماء السُمّاق ليأكُلَه أبو زيد هَنيئاً [٣] .

فانْحَنى الشَوّاءُ بساطورِه على زُبْدَةِ تَنّوره فَجَعَلَها كالكُحْلِ سَحْقاً وكالصَحْنِ دَقّاً . ثم جَلَسَ (أبو زيد) وجلستُ ، وما يَئِسَ ولا يئستُ حتى استَوْفَيْنا [٤] . وقلتُ لصاحبِ الحَلْوى : زِنْ لأبي زيدٍ مِنَ اللّوْزينَجِ [٥] رَطْلَيْنِ ، فَهُوَ أجْرى في الحُلوقِ وأمْضى في العُروق ؛ وَلْيَكُنْ لَيْليّ العُمْرِ يَوْمِيّ النَشْرِ رَقيقَ القِشْرِ كَثيفَ الحَشْوِ لُؤْلُؤِيّ الدُهْنِ كَوْكَبِيّ اللّوْنِ ، يَذوبُ كالصَمْغِ قبلَ المَضْغِ ، لِيأكله أبو زيدٍ هَنيّاً . فَوَزَنَهُ . ثم قَعَدَ (أبو زيد) وقَعَدتَ . وجَرّدَ وجَرّدتّ حتى استَوْفَيْناه [٦] .

---

١ مددت يد البدار : بادرت ، أسرعت . الصدار : ثوب يلبس على الصدر . جمعه : قبضة كفه .

٢ حمة القرم : لذع الشهوة إلى أكل اللحم . اللقم : جعل اللقمة كبيرة ، النهم . الشواء : بائع اللحم المشوي . يتقاطر .... عرقاً : يقطر منه الدهن بكثرة . الجوذابة : خبز مندى بدهن اللحم المشوي .

٣ نضد : صف . أوراق الرقاق : رقاق (أرغفة) رقيقة كرقة الورق . السماق : شجر له ثمر حامض يظهر عناقيد .

٤ التنور : الموقد . زبدة تنوره : أحسن قطعة لحم عنده . الساطور : آلة كالسكين ولكن سميكة جداً يكسر بها العظم ويرقق اللحم . ما يئست : (المعنى غامض) ، وفي رواية : فلا نبس ولا نبست (بفتح الباء) : ما تكلمنا ، بل كنا نأكل ونحن سكوت . استوفينا : أكلنا كل ما كان أمامنا .

٥ اللوزينج : حلواء تصنع بالدقيق ودهن اللوز وتحشى بالجوز أو اللوز (تشبه القطائف) . الرطل (بفتح الراء أو كسرها) : وزن قديم (٤٥٣ غراماً ؟) .

٦ ليلي العمر : صنع في الليل (صنع في وقت كاف ينضج فيه جيداً) . يومي النشر : طازج جديد . لؤلؤي الدهن : دهنه متكاثف متبلور (جيد) . كوكبي اللون : أبيض ، ناصع (نظيف) . جرد : استعمل يده في الأكل كأنه يضرب بها بالسيف .

ثم قلت : يا أبا زيدٍ ، ما أحْوَجَنا إلى ماءٍ يُشَعْشَعُ بالثلجِ ليَقْمَعَ هذه الصارّةَ ويَفْثَأ هذه اللُقَمَ الحارّة [1] . أجْلِسْ ، أبا زيد ، حتى آتيكَ بسَقّاءٍ يأتيكَ بِشَرْبَةِ ماء » . ثم خرجتُ وجلستُ بحيثُ أراه ولا يَراني أنْظُرُ ما يَصْنَعُ . فلمّا أبْطَأتُ عليه قام السّواديّ إلى حِمارِه ، فاعتَاقَ الشوّاءُ بإزارِه ، وقال : أينَ ثَمَنُ ما أكلتَ ؟ فقال أبو زيد : أكلته ضَيْفاً ! فلَكَمَهُ لَكْمَةً ، وثنّى عليه بلَطْمَةٍ . ثم قال الشوّاءُ : هاكَ ، ومتى دَعَوْناكَ ؟ زِنْ ، يا أخا القِحَةِ ، عِشْرينَ [2] . فجَعَلَ السّواديّ يَبْكي ويَحُلّ عُقَدَهُ بأسنانه ، ويقولَ : كم قلت لذلك القُرَيْدِ : أنا أبو عُبيدٍ . وهُوَ يقول : أنتَ أبو زيدٍ . فأنشدتُ :

أعْمِلْ لرِزْقِكَ كلَّ آلَهْ ... لا تَقْعُدَنّ بكلِّ حالَهْ [3] .
وانْهَضْ بكلِّ عظيمةٍ ، ... فالمَرْءُ يَعْجِزُ لا مَحالَهْ .

ـ المقامة المضيريّة

ـ المقامة المضيريّة : هذه مقامة رائعة ، ولكنّها تخالف الخصائص العامّة لمقامات بديع الزمان . إنّها طويلة جداً (بالاضافة إلى مقاماته) ثم ليس فيها كُدية (احتيال على النظّارة بمال) . والسرد والوصف فيها بارعان إلى درجةٍ أن قارئها لا يشعر بملل البتّة . وبديع الزمان الهمذاني يريد أن يصوّر في هذه المقامة طبيعة نفر من الذين استجدّ لهم غنىً فهم يحبّون دائماً أن يقصّوا على الآخرين وصف أحوالهم بالتفصيل من غير أن يملّوا من الكلام على أنفسهم :

حدّثنا عيسى بنُ هِشامٍ ، قال : كنتُ بالبصرةِ ، ومعي أبو الفتح الإسكندريّ ، رجلُ الفصاحةِ يدعوها فتُجيبه ، والبلاغةِ يأمرها فتطيعه . وحضَرْنا معه دعوةَ بعضِ التجّار ، فقَدِمَتْ إلينا مَضيرَةٌ تُثني على الحضارة ، وتترجرج في الغضارة ، وتُؤذِنُ بالسلامة ، وتَشْهَدُ لمعاويةَ ، رحمه الله ،

---

١ يشعشع : يمزج . يقمع : يقهر ، يذهب . الصارة : العطش . يفثأ : يسكن ، يكسر حدة الحرارة .
٢ هاك : خذ . القحة : الوقاحة . زن عشرين : ادفع ثمن ما أكلت زنة عشرين درهماً . يحل العقد التي عقدها على قطع من العملة في أطراف ازاره . (راجع الحاشية ٧ ص ٥٩٩) .
٣ افعل كل ما يخطر ببالك قبل أن تعجز عن عمل مثله .

بالإمامة ١ ، في قَصْعة يَزِلّ عنها الطَّرْفُ ، ويموج فيها الظَّرْف ٢ . فلمّا أخذتْ من الخِوان مكانَها ، ومن القلوب أوطانَها ، قام أبو الفتح الاسكندريّ يلعنُها وصاحبَها ، ويَمْقُتُها وآكلَها ، ويَثْلُبُها وطابخَها . وظَنَنّاه يَمْزَحُ ، فإذا الأمر بالضِدّ ، وإذا المُزاحُ عَيْنُ الجِدّ . وتَنَحّى عن الخِوان ، وترك مُساعدةَ الإخوان ٣ . ورفعناها ، فارْتَفعتْ معها القلوبُ ، وسافرت خَلْفَها العيون ، وتَحَلّبَتْ لها الأفواهُ ، وتَلَمّظَتْ لها الشفاهُ ، واتّقدت لها الأكباد ، ومضى في إثْرها الفؤاد ٤ . ولكنّا ساعدناه على هَجْرِها ، وسألناه عن أمرها ، فقال : قِصّتي معها أطولُ من مصيبتي فيها . ولو حدثتكم بها ، لم آمَنِ المَقْتَ ٥ وإضاعةَ الوقتِ . قلنا : هات . قال : دعاني بعض التجّار إلى مَضيرة ، وأنا ببَغْدادَ ، ولَزِمَني مُلازمةَ الغَريم والكلبِ لإصحاب الرّقيم ٦ ، إلى أنْ أجَبْتُه إليها ، وقمنا . فجعل طولَ الطريق يُثْني على زوجته ، ويُفَدّيها بمُهْجَتِه ، ويصف حِذْقَها في صَنْعتها وتأنّقَها في طَبْخِها ، ويقول : يا مَوْلاي ، لو رأيتَها والخِرْقَةُ ٧ في وَسَطها ، وهِيَ تَدورُ في الدور من التنّور إلى القُدور ، ومن القدور إلى التنّور ، تَنْفُثُ بفيها النار ، وتَدُقّ بيَدَيها الأبْزار ؛ ولو رأيت الدّخان وقد غبّر في ذلك الوجه

---

١ المضيرة : لبن يطبخ بمرقة اللحم . تثني على الحضارة : فيها تأنق أهل الحضر . تترجرج : تهتز . الغضارة : سعة العيش ، الترف – متقنة الصنع . تؤذن بالسلامة : ان الاسراف منها لا يضر الآكل لطيبها وإتقان صنعها وفائدتها . تشهد لمعاوية بالإمامة : لو طبخها معاوية لخصومه لشهدوا له بالإمامة (بالخلافة) .

٢ قصعة : وعاء . يزل عنها الطرف : يزلق عنها البصر لملاستها ونقاوتها إذ لا يقع فيها على عيب أو سوء . يموج فيها الظرف : سكبت المضيرة في القصعة بذوق .

٣ الخوان : منضدة الطعام . ثلب : ذم . تنحى : ابتعد . مساعدة الاخوان : موافقتهم .

٤ تحلبت الأفواه : سال ريقها شوقاً اليها . تلمظت الشفاه : تحركت كأنها تتذوق طعاماً .

٥ الكره والبغض

٦ الغريم : الدائن . لزمني : لحق بي ولم يفارقني . الرقيم : لوح من بلاط منقوش . وأصحاب الكهف والرقيم بضعة أشخاص أنامهم الله في كهف ثلاثمائة وتسع سنوات ثم أيقظهم . وكان معهم كلب طول هذه المدة (راجع سورة الكهف الآية التاسعة وما بعدها) .

٧ الخرقة : قطعة نسيج تعقدها المرأة في وسطها في أثناء مكوثها في المطبخ لتدفع عن ثيابها رشاش الماء والطعام . تدور : تعتني بغرف البيت الكثيرة . التنور : موقد يخبز فيه العجين . القدور جمع قدر : وعاء لطبخ الطعام . الابزار : جمع بزر كالصنوبر وكبش القرنفل والكزبرة اليابسة وسواها مما يوضع في الطعام .

الجميل ، وأثّر في ذلك الحدّ الصقيل ، لرأيتَ منظراً تحار فيه العيون ! وأنا أعشقها لأنها تعشقني . ومن سعادة المرء أن يُرزق المُساعدةَ من حليلته ، وأن يُسعَدَ بظعينته ، ولا سيّما إذا كانت من طينته . وهي ابنة عمي لحّاً : طينتها طينتي ، وأرومتها أرومتي [١] . لكنها أوسع مني خُلقاً ، وأحسن خَلْقاً .

وصدّعني [٢] بصفات زوجته ، حتى انتهينا إلى محلته . ثم قال : يا مولايَ ، ترى هذه المحلة ؟ هي أشرف محالّ بغدادَ ، يتنافس الأخيار في نزولها ، ويتغاير [٣] الكبارُ في حلولها . ثم لا يسكنُها غيرُ التجّار ، وإنما المرء بالجار . وداري في السِّطّةِ من قلادتها ، والنُّقطة من دائرتها [٤] . كم تُقدّرُ ، يا مولايَ ، أُنفِقَ على كلّ دارٍ منها ؟ قُلْهُ تخميناً إن لم تعرِفْه يقيناً . قلتُ : الكثيرُ ! فقال : يا سُبْحانَ الله ! ما أكبرَ هذا الغلَطَ ! تقولُ : الكثيرُ فقطْ ! وتنفّس الصُعَداء [٥] ، وقال : سبحانَ مَنْ يعلَمُ الأشياء .

وانتهينا إلى باب داره ، فقال : هذه داري . كم تُقدّرُ ، يا مولايَ ، أنفقت على هذه الطاقة [٦] ؟ أنفقت ، والله ، عليها فوق الطاقة ، ووراء الفاقة . كيف ترى صَنْعتها وشكْلَها ؟ أرأيتَ ، بالله ، مثْلَها ؟ انظُرْ إلى دقائقِ الصَّنْعَة فيها ، وتأمّلْ حُسْنَ تعريجها ! فكأنما خُطّ بالبركار [٧] ! وانْظُرْ إلى حِذْقِ النجّار في صَنْعَةِ هذا الباب ! أتّخذه من كم ؟ قلْ : ومن أين ؟ اعْلَمْ . هو ساجٌ من قِطْعة واحدةٍ لا مأروضٌ ولا عفِنٌ ؛ إذا حُرّك أنّ ، وإذا نُقِرَ طَنّ [٨] . مَنِ اتخذه ، يا سيّدي ؟ اتخذه

---

١ المساعدة : الموافقة . حليلته : زوجته . الظعينة : المرأة المسافرة في الهودج ، يقصد امرأته أيضاً . طينته : من مستواه الاجتماعي . ابنة عمي لحا : ابنة عمي اخي ابي مباشرة . الأرومة : الأصل .

٢ أصابني بالصداع : اوجع رأسي (؟) .

٣ يتغاير : يغار بعضهم من بعض .

٤ السطة : الوسط ، الجوهرة الكبيرة (؟) . القلادة : العقد – يقصد في وسط المحلة .

٥ تنفس الصعداء : تنهد .

٦ الحنية أو القنطرة المعقودة فوق المدخل .

٧ البركار : اداة ترسم بها الدائرة (بيكار) = برجل .

٨ الساج : شجر كبير من شجر الهند . مأروض : أكلته الأرضة (بكسر الهمزة وفتح الراء) ، منخور . عفن ، متهرئ بالرطوبة . أنّ : أحدث صوتاً لثقله . نقر : ضرب باليد . طن : أحدث صوتاً متسقاً (ينقر الاناء حتى يعرف أمكسور هو أم سليم) .

أبو إسحقَ بنُ مُحمّدٍ البَصْريّ . وهو ، والله ، رجلٌ نظيف الأثواب ، بصيرٌ بصَنْعه الأبواب ، خفيفُ اليد في العمل . لله درّ ذلك الرجل ! بحياتي ، لا استعنت إلا بـه على مثله [1] ! وهذه الحَلْقة ، تراها ؟ اشتريتها ، في سوق الطرائف من عِمرانَ الطرائفيّ ، بثلاثة دنانيرَ مُعزّيّة . وكم فيها ، يا سيّدي ، من الشَّبَه [2] ؟ فيها ستةُ أرطالٍ . وهي تدورُ بلَوْلَبٍ في الباب . بالله ، دوّرها ! ثُمّ انقُرْها وأبْصِرْها ! وبحياتي عليك ، لا اشتريتَ الحلَقَ إلاّ منه ! فليس يبيعُ إلاّ الأعلاق [3] .

ثُمّ قرَعَ البابَ ، ودخلْنا الدهليزَ ، وقال : عمّركِ الله ، يا دارُ ! تأمّلْ ، بالله ، معارِجَها ؛ وتبيّنْ دَواخلَها وخوارجَها ! وسَلْني : كيف حصّلْتُها ؟ وكم من حيلةٍ احتلْتُها حتى عَقَدْتها ؟ [4] كان لي جارٌ يُكنْى أبا سُليمانَ يسكن هذه المحلّةَ ، وله من المال ما لا يَسَعُه الخَزْنُ ، ومن الصامت ما لا يَحْصِرُه الوَزْنُ . مات ، رحمه الله ، وخلّف خلَفاً أتلَفَه بين الخمر والزَمْر ، ومزّقه بين النّرد والقَمْر [5] . وأشفقتُ أن يسوقَه قائدُ الاضْطرار إلى بَيْعِ الدار ، فيبيعها في أثناء الضَجر [6] ، ويجعلُها عِرْضةً للخطر . ثم أراها ، وقد فاتني شِراها فأنْقطعُ عليها حَسَراتٍ إلى يوم الممات . فعمدت إلى أثواب لا تَنِضّ تجارتُها ، فحمَلْتُها إليه ، وعرَضْتُها

---

١ الدر : الحليب . لله دره : ما أحسنه ! لا استعنت إلا بـه على مثله : لا تصنع باباً إلا عنده . الحلقة : أداة معدنية تعلق في الباب ليقرع الباب بها . سوق الطرائف : السوق التي تباع فيها الأشياء النفيسة .

٢ معزية : نسبة إلى معز الدولة بن بويه ؛ ويظهر انها كانت دنانير راجحة . الشبه : النحاس الأصفر .

٣ الرطل (بالفتح و الكسر) اربعمائة وثمانون درهماً (راجع القاموس المحيط ٣ : ٣٨٥) = نحو ١٥٣٦ غراماً (راجع ، فوق ، ص ٦٠٠ ، الحاشية ٥ : يبدو أن الاوزان كانت مختلفة المقادير في الاماكن المختلفة) . اللولب مسمار مخروط خرطاً حلزونياً (برغي) . الاعلاق جمع علق (بالكسر) : الشي النفيس .

٤ الدهليز : ممر يفضي إلى الدار . المعارج جمع معرج : المرقى ، المرقاة ، السلم . عقد البيت : ملكه .

٥ الصامت : المال من الذهب والفضة . الخلف : الذرية ، الأولاد . الزمر : سماع الغناء . النرد : لعبة الطاولة . القمر : الخسارة في القمار .

٦ اشفق ، خاف ، خشي . الضجر : الضيق واليأس من الفرج .

عليه ، وساومته على أنْ يَشْتَرِيَها نَسِيَّةً ، والمُدْبِرُ يَحْسَبُ النَّسِيَّةَ عَطِيَّةً والمُتَخَلِّفُ يَعْتَدُّها هَدِيَّةً [1] . وسألته وثيقة بأصل المال ، ففعل وعقدها لي . ثم تغافلتُ عن اقتضائه ، حتى كادت حاشيةُ حاله ترقّ فأتيتُه فاقتضيتُه ، واستمهلني فأنظرته [2] ، والتمسَ غيرَها من الثياب فأحضرتُه . وسألته أن يَجْعَلَ دارَه رهينةً لديّ ، ففعل . ثم دَرَّجْتُه بالمعاملات إلى بيعها ، حتى حَصَلَتْ لي بجَدٍّ صاعد ، وبَخْتٍ مُساعِد ، وقوّة ساعد ؛ وربَّ ساعٍ لقاعد ! [3] وأنا بحمدِ الله مجْدود ، في مثل هذه الأحوال محمود . وحَسْبُكَ [4] ، يا مولايَ ، أني كنت منذُ ليالٍ نائماً في البيت ، مع من فيه ، إذ قُرِعَ علينا البابُ . فقلتُ : مَنِ الطارق المُنْتاب ؟ فإذا امرأةٌ معها عِقد لآلٍ ، في جِلْدَةِ ماءٍ ورِقَة آلٍ ، تَعرِضه للبيع . فأخذته منها إخْذَةَ خَلْسٍ ، واشْتَرَيته بثمنٍ بَخْس ، وسيكونُ له نفع ظاهرٌ وربحٌ وافرٌ ، بعون الله ودولتك [5] . وإنما حدثتُك بهذا الحديثِ لِتَعْلَمَ سعادةَ جَدّي في التجارة ؛ والسعادة تُنْبِطُ [6] الماءَ من الحجارة . اللهُ أكبرُ ! لا يُنْبِئُكَ أصدقُ من نفسك ، ولا أقْرَبُ من أمْسِكَ ! اشْتَرَيتُ هذا الحصيرَ في المُناداة ، وقد أخرج من دور آلِ الفُرات وقتَ المُصادرات وزمن

---

١ لا تنفق تجارتها : (الملموح) لا تروج تجارتها ، كاسدة . نسية : ديناً . المدبر : المفتقر ، الشقي ، يظن ان النسية منحة . والمتخلف (المتأخر تجارياً) يظنها هدية . وعندي ، المدبر (بضم الميم وفتح الدال وكسر الباء المشددة) : المفكر بعواقب الأمور ، الداهية ، إنه يعتبر ان ما أعطاه ديناً كأنه منحه أو صدقه لا يهمه أيرجع أم لا . والمتخلف يظن أنه هدية لأنه لن يدفع ثمنه نقداً .

٢ وثيقة بأصل المال : سند بالدين . عقدها لي : تعهد لي فيها بالوفاء . الاقتضاء : المطالبة بالدين . رقت حاله : افتقر . أنظرته : أمهلته ، اجلت الدين .

٣ درجته بالمعاملات : جررته إلى البيع شيئاً فشيئاً . الجد والبخت : الحظ . ساعد : من اليد إلى المرفق ؛ بقوة ساعد : بجهد ونشاط ؛ رب ساع لقاعد مثل (فرائد اللآلي ١ : ٢٤٦) : قد يكون انسان في بيته بينما هنالك آخر يسعى له في خير .

٤ مجدود : محظوظ . حسبك : يكفيك .

٥ المنتاب (في القاموس) : الذي يأتي مرة بعد مرة . (وهي في رأيي هنا) : المفاجئ . لآل : جمع لؤلؤ جمع لؤلؤة . جلدة ماء : صاف كأنه في غشاء من ماء . الآل : السراب ؛ كناية عن الرقة والصفاء أيضاً . بدولتك : برعايتك .

٦ يجعلها تنبع .

الغارات [1] . وكنت أطلبُ مثلَه منذ الزمن الأطول فلا أجد ؛ والدهر حبلى ليس يُدرى ما يلِد . ثم اتّفق أني حضَرت باب الطاق [2] ، وهذا يُعْرض في الأسواق ، فوزنت فيه كذا وكذا ديناراً . تأمّل ، بالله ، دِقّته ولينَه وصَنْعته ولَوْنه ! فهو عظيمُ القَدْرِ ، لا يَقَع مثلُه إلا في النَدْر ! [3] وان كنت سمعت بأبي عِمران الحَصيريّ ، فهو عمله ؛ وله ابنٌ يَخْلُفُه الآنَ في حانوته ، لا يوجد أعلاق الحُصُر إلا عنده . فبحياتي ، لا اشتريت الحُصُرَ إلا من دُكّانه ! فالمؤمن ناصح لإخوانه ، لا سِيّما مَنْ تَحرّم بخوانه [4] .

ونعود إلى حديث المَضيرة ، فقد حانَ وقتُ الظهيرة . يا غلامُ ، الطَسْتَ والماء . فقلت : الله أكبرُ ! ربما قَرُبَ الفَرَجُ وسَهُلَ المخرج ؟ وتَقَدّمَ الغلام ، فقال : ترى هذا الغلام ؟ انه رُوميّ الأصل عِراقي النَشْء . تَقَدّمْ ، يا غلامُ ، وَاحْسُرْ عن رأسك ، وشَمّرْ عن ساقك ، وانضُ عن ذِراعك ، وافتَرّ عن اسْنانك ، وَأقْبِلْ وَأدْبِرْ . ففَعَلَ الغلام ذلك . وقال التاجر : بالله ، مَنِ اشْتراه [5] ؟ اشتراه ، والله ، أبو العَبّاس من النخّاس . ضعِ الطَسْتَ وهاتِ الإبريقَ . فوضعه الغلام ، وأخذه التاجر وقلّبه وأدار فيه النَظَرَ ، ثم نقره فقال : انظُرْ إلى هذا الشَبَه ، كأنه جُذوة اللَهَبِ أو قطعةٌ من الذهب ! شَبَهُ الشام وصَنْعَةُ العِراق ! ليس من خُلْقانِ الأعلاقِ [6] ! قد عَرَفَ دُورَ الملوك ودارَها ! تأمّل حسنه ! وسَلْني متى اشتريتُه ؟ اشتريتُه ، والله ، عامَ المَجاعة ، وَادّخرته لهذه الساعة . يا غلامُ ، الإبريقَ [7] ، فقدمه . وأخذه التاجرُ فقلّبه ، ثم قال : وأنْبوبُه

---

١ الحصير : السجادة . المناداة : البيع بالمزاد العلني . آل الفرات : أسرة وليت الوزارة للعباسيين ، نكبوا وصودرت أموالهم في أيام الخليفة المقتدر (ت ٣٢٠ هـ) الغارات : النهب (الفرهود بعامية أهل بغداد) .

٢ سوق ببغداد .

٣ نادراً ، قليلا جداً .

٤ أكل عنده ...

٥ النشأة ، المربى . حسر : كشف . نضا عن ذراعه : نزع ثوبه عن ذراعه . افتر عن أسنانه : ضحك . الضمير في اشتراه تعود على الغلام .

٦ هو علق (بكسر العين) نفيس وليس بخلق (بفتح اللام) قديم بل هو جديد أيضاً .

٧ مفعول به لفعل محذوف تقديره (هات) .

منه ! لا يَصْلُحُ هـذا الابريق إلا لهذا الطَسْت ، ولا يَصْلُحُ هذا الطَسْت إلا مع هذا الدست [١] ، ولا يَحْسُنُ هـذا الدست إلا في هذا البيت ، ولا يَجْمُلُ هذا البيت إلا معَ هذا الضيف . أرسلِ المـاءَ ، يا غلامُ ، فقـد حانَ وقت الطعام . باللهِ ، ترى هذا المـاء مـا أصْفاه : أزرقُ كعـين السِنَّور ، وصافٍ كقضيبِ البِلَّوْر ! استُقِيَ من الفُرات ، واستُعمل بعد البَيات ، فجاء كَلِسانِ الشمعة في صفاءِ الدمعة . وليس الشأن في السقّاء ، الشأن في الإناء ! [٢] لا يَدُلّك على نظـافةِ أسبابـه أصدقُ من نظـافة شرابه .

وهذا المِنْديل ؟ سَلْني عن قِصّته ! فهو نَسْجُ جُرْجان ، وعمل أرّجان . وقعَ إليّ فاشْتريته ، فاتخذت امرأتي بعضه سراويلا [٣] ، واتخـذتْ بعضـه منْديلاً . دَخَلَ في سراويلهـا عشرونَ ذِراعاً ، وانتزعتُ من يدهـا هذا القَدْرَ انْتِزاعـاً ، واسلمته إلى المُطَرِّز ـ بَي صَنعه كما تراه وطرّزه . ثم رَدَدْتُه من السوق وخزنته في الصُّندوق ، وادّخرته للظِراف من الأضياف ، لم تُذِلّه عرَبُ العامّةِ بأيديها ، ولا النساء لمآقِيها . فلكل عِلْقٍ يوم ، ولكل آلة قوم ! يا غلام ، الخِوانَ فقد طال الزمانُ ، والقِصاعَ فقد طال المصاعُ [٤] ، والطعامَ فقد كثُر الكلام .

فأتى الغُلامُ بالخِوان ، وقَلّبه التاجر على المكان ، ونقره بالبنان ، وعجمه بالأسنان [٥] ، وقال : عَمّرَ اللهُ بَغدادَ ! فما أجودَ مَتاعَها ، وأظـرفَ صُنّاعَها ! تأمّلْ ، بالله ، هذا الخِوان ! وانْظُر إلى عَرْضِ مَتْنه [٦]

---

١ البيت ؛ وفي الأصل : المجلس الفخم ، المنصب . يقال دست الوزارة .

٢ السنور : الهر . كثيرون من أهل بغداد كانوا يفضلون الشرب من ماء الفرات لأنه أعذب من ماء دجلة ، مع ان بغداد مبنية على نهر دجلة مباشرة . البيات : ترك الماء في الآنية مدة الليل حتى يترسب ما فيه من عكر . السقاء : الذي ينقل الماء .

٣ المنديل : المنشفة . جرجان وأرجان مقاطعتان في فارس ، اشارة إلى جودة نسجه وجنسه . والسراويل مفرد سروال وشروال : ثوب للقسم الأدنى من البدن .

٤ الظراف : جمع ظريف . عرب العامة : البدو . القصاع جمع قصعة : وعاء يسكب فيه الطعام . المصاع : (الجدال ، الكلام) .

٥ على المكان : حالا . البنان جمع بنانة : رأس الاصبع . عجمه : عضه ليعرف قساوته .

٦ متنه : ظهره ، كناية عن أن ظهره عريض ومع ذلك فهو من قطعة واحدة .

وخفّة وزنه وصلابة عُوده وحُسن شكله ! فقلتُ : هذا الشكلُ ، فمتى الأكل ؟ فقال : الآنَ . عَجِّلْ ، يا غلامُ ، الطعامَ . لكنّ الخِوانَ قوائمه منه .

قال أبو الفتح : فجاشَتْ نَفْسي ، وقلتُ : قد بَقِيَ الخبْزُ وآلاتُه ، والخُبزُ وصِفاته ، والحِنْطَةُ من أين اشتريَتْ أصلاً ، وكيف أُكْتُرِيَ لها حَمْلاً ، وفي أيّ رَحىً طُحِنَ ، وإجّانة عُجِنَ ، وأيّ تنّورٍ سَجَرَ [1] ، وخبّازٍ استَأجَرَ ؛ وبَقِيَ الحَطَبُ من أين احتُطِبَ ، ومتّى جُلِبَ ، وكيف صُفّفَ حتّى جُفّفَ ، وحُبِسَ حتّى يَبِسَ . وبَقِيَ الخبّاز ووصفُه ، والتلْميذ ونعتُه ، والدقيق ومَدْحُه ، والخمير وشرحُه ، والملح ومَلاحتُه . وبَقِيَتِ السُكُرّجات [2] مَنِ اتّخذها ، وكيف انتقدها ، ومَنْ عملها ؛ والخَلّ ، كيف انتُقِيَ عنبُه أوِ اشتُرِيَ رُطَبُه ، وكيف صُهْرِجَتْ مَعْصرتُهُ واستُخْلِصَ لُبّه ، وكيف قُيّرَ حُبّه ، وكم يساوي دنّه [3] . وبَقِيَ البَقْلُ ، كيفَ احتِيلَ حتّى قُطِف ، وفي أيّ مبقَلة رُصِف ، وكيف تُؤُنّقَ (فيه) حتّى نُظّف [4] . وبَقِيَتِ المَضيرةُ كيف اشتُرِيَ لَحْمُها ، ووُفّيَ شَحْمُها ، ونُصِبت قدرُها ، وأُجّجَتْ نارها ، ودُقّتْ أبزارُها حتّى أُجيدَ طَبْخُها وعُقّدَ مَرَقُها . وهذا خَطْبٌ يَطُمّ ، وأمْرٌ لا يَتِمُّ ! [5]

---

١ الرحى : الطاحون . اجانة : وعاء كبير يعجن فيه . التنور : حفرة اسطوانية الشكل يخبز العجين فيها أو على أطرافها . سجر التنور : أشعل فيه النار .

٢ التلميذ هنا صبي الفران . ولا يزال معلم الفرن يدعى في بغداد إلى الآن أستاذ . السكرجات : الصحاف والاطباق التي يسكب فيها الطعام .

٣ الرطب : التمر . صهرج الحفرة : طلى أسفلها وجدرانها بالطين والكلس الخ . المعصرة في الأصل بكسر الميم . والصواب فتحها على انها اسم مكان لا اسم آلة ، فان الذي صهرج مكان العصر لا آلة العصر . الحب : الجرة الضخمة لها عروتان . قير الحب : طلي خارجه بالقار (الزفت) . الدن : وعاء طويل له عسعس (بضم العينين) أي ان أسفله مخروطي الشكل لا يثبت على الأرض ولذلك يجعلون له أداة من خشب يضعونه عليها .

٤ البقل : النبت ، الخضرة كاللوبياء والسلق الخ . المبقلة : المكان المعد لخزن أنواع البقل . رصف : وضع بعضه إلى جانب بعض ، أو فوق بعض .

٥ الابزار : أنواع من البزر تضاف إلى الطعام المطبوخ كالصنوبر والجوز والكزبرة ... الخ . المرق : ماء اللحم المغلي . عقد : خثر ، أصبح غليظاً سميكاً بفعل الغلي . خطب يطم : أمر يتعاظم ويتفاقم ، مصيبة كبيرة .

فقمت . فقال : أينَ تريدُ ؟ فقلتُ : حاجـةٌ أقْضيها . فقـال : يا مولايَ ، تريد كَنيفاً يُزْري بربيعيّ الأمير ، وخريفيّ الوزير [1] ؟ قد جُصِّصَ [2] أعْلاه ، وصُهْرِجَ أسفَلُه ، وسُطِّـح سَقْفُه ، وفُرِشَتْ بالمرمر أرْضه ؟ يَزِلّ عن حائطه الذَّرّ فلا يعْلَقُ ، ويمشي على أرضه الذُّباب فيَزْلَق؟ عليه باب غيرانُه خَليطَيْ ساجٍ وعاجٍ ، مُزْدَوِجَيْن أحسنَ ازدواج [3] ، يَتَمنّى الضيفُ أن يأكلَ فيه ! فقلت : كُلْ أنت من هذا الجِراب ، لم يكنِ الكَنيفُ في الحِساب !

وخرجتُ نحوَ الباب ، وأسْرَعتُ في الذّهاب ، وجعلت أعْدو [4] ، وهو يتْبَعُني ويَصيحُ : يا أبا الفتح ، المَضيرةَ ! وظَنّ الصِبيانُ أن المَضيرة لَقَبٌ لي ، فصاحوا صِياحَه ! فرَمَيْتُ أحدَهم بحجر ، من فَرْطِ الضَّجَر . فلَقِيَ رجلٌ الحجَرَ بِعِمامته ، فغاصَ في هامته [5] . فأُخِذْتُ من النِّعال بما قَدُمَ وَحَدُث ، وَمِنَ الصَفْع بما طاب وخَبُث . وحُشِرْتُ إلى الحبس ، فأقمت عامين في ذلك النَّحس [6] . فنذرت ألاّ آكُلَ مضيرة ما عِشْتُ ! فهل أنا في ذا ، يا آل هَمْدانَ ، ظالمُ ؟ [7] .

قال عيسى بنُ هشامٍ : فقبِلْنا عُذْرَه ، ونَذَرْنا نَذْرَه ، وَقُلْنا : قديماً جَنَتِ المَضيرةُ على الأحرار ، وقَدّمتِ الأراذلَ على الأخيار .

---

١ يزرى بربيعي الأمير : يظهر ربيعي الأمير بجانبه حقيراً صغيراً . الربيعي والخريفي : مسكن للربيع ومسكن للخريف .

٢ جصص الجدار : طلاه بالجص (بالكلس) .

٣ يزل عن حائطه الذر : يزلق عنه النمل الصغير (لملاسته) . غيرانه (كذا بالأصل) فسرها الشارح : الغيران جمع غار أصله الاخدود بين اللحيين من الفم استعمله في الفواصل بين الواح الباب ... من خليطي ساج وعاج : أي من خشب هندي (اسود) مطعم (بتشديد العين) بالعاج (الابيض) . مزدوجين أحسن ازدواج : منسقين تنسيقاً جميلا .

٤ اركض .

٥ رأسه .

٦ أخذتني النعال ، أي أن الناس ضربوني بالنعال وصفعوني كثيراً ...

٧ في الأصل : همذان (بفتح الميم والذال المعجمة) والصواب : همدان (بسكون الميم وبالدال المهملة) وهذا اقتباس من قول عمرو بن براق الهمداني :

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم؟ فهم أنا في ذا – يا لهمدان – ظالم؟

– كتَبَ بديعُ الزمانِ الهَمَذانيّ إلى ابنِ أختهِ يُعزّيهِ بأخيه ويحضّه على المُثابرة على تحصيل العِلْم :

كتابي ، وقد ورَدَ كتابُكَ بما ضَمَّنْتَهُ من تَظاهُرِ نِعَمِ الله عَلَيْكَ وعلى وَالِدَيْكَ . فسَكَنْتُ إلى ذلك من حالِكَ ، وسألْتُ الله إبقاءكَ ، وأن يَرْزُقَني لِقاءكَ[1] .

وذَكَرْتَ مُصابَكَ بأخيكَ ، فكأنّما فَتَتَّ عَضُدي[2] وطَعَنْتَ في كَبِدي . فقَدْ كُنْتُ مُعْتَضِداً بمكانه[3] والقَدَرُ جارٍ لِشانه . وكذا المَرءُ يُدَبِّرُ ، والقضاء يُدَمِّر ، والآمالُ تَنْقَسِمُ ، والآجالُ تَبْتَسِمُ . واللهُ يَجْعَلُهُ فَرَطاً[4] ولا يُريني فيك سُوءاً أبَداً . وأنتَ – أيّدكَ اللهُ – وَارِثُ عُمُرِه وسِدادُ ثَغْرِه ، ونِعْمَ العِوَضُ بقاؤك :

إنّ الأشاء إذا أصابَ مُشَذِّبٌ منهُ أغَلَّ ذُرىً وأثَّ أسافِلا[5] !

وأبوك سيّدي – أيّدَهُ اللهُ وألْهَمَهُ الجَميلَ ، وهُوَ الصَبْرُ ، وآتاهُ الجَزيلَ ، وهُوَ الأجرُ ، وأمْتَعَهُ بِكَ طويلاً فما سُئْتَ بَديلاً . أنْتَ وَلَدي ما دُمْتَ والعِلْمُ شانُكَ ، والمَدْرَسَةُ مَكانُكَ والدَفْتَرُ نَديمُكَ . وإن قَصَّرتَ ، ولا إخالُكَ ، فغَيْري خالُكَ ؛ والسلام .

– وكتب إلى أبي بكر الخُوارزميّ :

أنا لِقُرب الاستاذ – أطالَ الله بقاءه (كما طَرِبَ النَشْوانُ مالَتْ بِهِ الخَمْرُ) ، ومِنَ الارتياح للقائه (كما انْتَفَضَ العُصْفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ) ، وَمِنَ الامتزاجِ بوَلائه (كما الْتَقَتِ الصَهْباءُ وَالْبارِدُ العَذْبُ) ، وَمِنَ

---

١ (هذا) كتابي (أكتبه اليك) . تظاهر : توالي ، تتابع . فسكنت إلى ذلك من حالك : اطمأننت عليك . يرزقني لقاءك : يتيح لي أن أجتمع بك قريباً .

٢ فتتت عضدي : كسرت عظم ساعدي (كناية عن الألم من المصيبة النازلة) .

٣ كنت معتضداً بمكانه : عظيم الأمل بحسن مستقبله ، أرجو أن يكون في المستقبل (لي ولك) عوناً . والقدر جار لشانه : تنفذ أحكامه من غير أن يلقي بالاً إلى آمالنا (ونحن غافلون عما يخبئه لنا) .

٤ الفرط : المتقدم ، السابق (جعله الله ثواباً لنا مقدماً عند الله ليوم القيامة) . سداد (بكسر السين) ثغره : تقوم مقامه (في الأمور التي كان ينتظر منه أن يقوم هو بها ، لو كتبت له الحياة) .

٥ الاشاء جمع اشاءة : النخلة الصغيرة . التشذيب : قطع الأغصان اليابسة أو الزائدة . أغل ذرى : حمل (في أعلاه) حملا كثيراً . أث كثر ، التف ، كثف (إذا شذبت الأشجار انبسطت أغصانها وكثر ثمرها واشتد جذعها) .

الابْتهاج بمرآه (كما اهْتَزَّ تَحْتَ البارِحِ [1] الْغُصْنُ الرَّطْبُ) — . فكيفَ نشاطُ الاستاذ لصديقٍ طوى إليه [2] ما بين قَصَبَتَيِ العراق وخُراسان ، بل ما بين عَتَبَتَيْ نَيْسابورَ وجُرجان ؟ وكيف اهتزازه لضيف في بُرْدَةٍ [3] جَمّال . وجلدة حمّال :

رَثِّ الشَّمائِلِ [4] مُنْهَجِ الأثْوابِ
(بَكَرَتْ عَلَيْهِ مُغِيرَةُ الأعْرابِ [5]) .

وَهُوَ — أيّدَهُ اللهُ — وليّ إنعامه ، بإنفاذ غُلامه [6] إلى مُسْتقرّي ، لأُفْضِيَ إليه بِسِرّي ، إن شاء الله تعالى .

٤ — رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني (على هامش خزانة الأدب لابن حجّة الحموي) ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤ هـ ؛ الاستانة (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ ؛ القاهرة (مطبعة هندية) الطبعة الرابعة ١٩٢٨ م ؛ (على هامش المقامات) ، القاهرة ٣١٥ هـ .

كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان (بشرح ابراهيم الاحدب) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٢٠٨ هـ ؛ ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) .

مقامات بديع الزمان الهمذاني ، بولاق (المطبعة الأميرية) ١٢٩١ هـ ؛ قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٤ هـ ، ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) ؛ على هامش المقامات ، القاهرة ١٣١٥ هـ .

مقامات بديع الزمان الهمذاني (بشرح محمّد الرافعي) ، القاهرة (بلا تاريخ) ؛ (بشرح الشيخ محمّد عبده) بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٣٠٦ هـ وطبعات أخر (حذفت من هذه الطبعات أشياء مُقذعة) ؛

---

١ البارح : الريح الحارة في الصيف (القاموس) !!
٢ طوى الأرض : قطعها ، سافر .
٣ البردة : الثوب ؛ جمال : راعي الجمال . الحمال : العتال (كناية عن رثاثة الثياب وعن الفقر) .
٤ الشمائل جمع شملة : ثوب يلف على البدن . منهج (بالبناء للمجهول) : متهرئ .
٥ بكرت ..... : غدا عليه قطاع الطريق من البدو فسلبوه ما كان يحمله من مال ومتاع . وهذا الشطر مطلع قصيدة للسري الرفاء (بتشديد الياء والفاء) .
٦ خادمه .

(بشرح محمد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) .

ديوان بديع الزمان الهمذاني (نشره عبد الوهاب رضوان ومحمّد شكري المكّيّ) ، القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) .

** الرسائل والمقامات : عبد الحميد ، بديع الزمان ، الحريري ، تأليف عمر فرّوخ ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) ، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) .

بديع الزمان الهمذاني ، تأليف مارون عبّود ، بيروت (دار المعارف) ١٩٤٥ م .

بديع الزمان الهمذاني : تاريخه وأدبه ، تأليف مصطفى محمّد الشكعة ، ١٩٥١ م .

بديعيّات الزمان : بحث تاريخي تحليلي في مقامات بديع الزمان الهمذاني، بقلم فيكتور الكك ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٦١ م .

يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٠ ــ ٢٨٤ ؛ معجم الأدباء ٢ : ١٦١ ــ ٢٠٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٦٨ ــ ٦٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٥٠ ــ ١٥١؛ أعيان الشيعة (١٩٦٠) ٨ : ٢١٤ ــ ٢٤٦ ؛ بروكلمان ١ : ٩٣ ــ ٩٤ ، الملحق ١ : ١٥٠ ؛ زيدان ٢ : ٣١٩ ،

Enc . Isl . (new ed) III 106 - 107 .

ابو الفرج الببّغاء

١ ــ هو أبو الفرج عبدُ الواحدِ بنِ نصرِ بنِ محمّدٍ النَصيبي من أهلِ نَصيبين في جزيرةِ ابنِ عُمَرَ ، وكانَ يُعْرَفُ أيضاً بالمخزوميّ ولكن لم يكُنْ من بني مخزومٍ . أما لَقَبُه الببّغاءُ فلُقِّبَ به لِلثّغة بالفاء كانت في لسانه ، ولذلك كان ابن جِنّيّ يسمّيه الففّغاء بفاءين (وفيات ١ : ٥٣٥) .

وُلِدَ أبو الفرجِ الببّغاءُ في نَصيبينَ ، نحوَ سَنَةِ ٣١٥ هـ (٩٢٧ م) ، ولا نَعْرِفُ من أخبارِه شيئاً قبلَ اتّصاله بسيفِ الدولة (نحو سنة ٣٣٤ هـ = ٩٤٥ ــ ٩٤٦ م) ، فقد نالَ حَظوةً عندَ سيفَ الدولة وكان أكثرُ مُقامِه في

حَلَبَ . وربّما تنقّل بين حَلَبَ ودِمَشْقَ (حينما تكونُ دِمَشْقُ تحتَ حُكْمِ سيف الدولة) ، كما اتّفق له أن زارَ بغدادَ في ذلك الحينِ ولَقِيَ فيها المتنبّيَ ، حينما زارها المتنبّي (٣٥٠ هـ) بعدَ رجوعِه من مِصْرَ .

وبَقِيَ الببّغاءُ ، بعدَ وفاةِ سيفِ الدولة (٣٥٤ هـ) ، مُدّةً في حَلَبَ ثم سارَ إلى بغدادَ . ثم إنّه استقرّ في المَوْصِلِ ولكنّه ظلّ يتردّدُ على بغدادَ ، وقد كان فيها سَنَةَ ٣٩٠ هـ (يتيمة الدهر ١ : ٢١٠) .

وكانت وفاةُ الببّغاءِ في أواخرِ شَعبانَ من سنة ٣٩٨ هـ (أوائل أيار — مايو ١٠٠٨ م) .

٢ — أبو الفرج الببّغاءُ شاعرٌ مُكثرٌ فخم الألفاظِ متينُ التركيب يميل إلى الصَنعة ولا يتكلّف فتأتي معانيه جياداً وصوره الشعريةُ جميلةً ، ثم هو مُعْجَبٌ بالمتنبّي يَطْبَعُ الشعرَ على غِرارِه أحياناً وعلى غرارِ شعرِ البُحتريّ . وهو بارع في الوصف والخمر والغزل حسَنُ المديح والرثاء .

وأبو الفرج الببّغاء أديبٌ ناثرٌ جيّد الترسّلِ والسرْد ، غيرَ أنه لا يَبْلُغُ في ذلك مبلغَ أعلامِ عصره كبديع الزمان مثلاً . إنه أقرب في نثرِه إلى السليقة وأبعدُ عن التكلّف ، لذلك كان نثره سَهْلاً عَذْباً .

٣ — المختار من شعره ونثره

— قال أبو الفرج الببّغاء يصف رَكْضَ الخيلِ (في أثناء مديح) :

وكأنّما نَقَشَتْ حوافرُ خَيْلِـهِ ... للناظرين أهِلّةً في الجَلْمَدِ [١] .

وكأنّ طَرْفَ الشمسِ مَطْروفٌ وقد ... جُعِلَ الغُبارُ له مَكانَ الإثْمِدِ [٢] .

---

١ — يصف الشاعر اقتدار الممدوح (سيف الدولة) على الغزو باستعارة تمثيلية مأخوذة من أثر حافر الخيل . الجلمد (الصخر الصلد) — كل حافر حصان ينقش هلالا في الصخر .

٢ إذا طرفت العين صعب عليها التفتح المستمر للرؤية بثبات ووضوح . إن الشمس كانت مطروفة بالغبار (الذي أثارته خيول سيف الدولة في الذهاب إلى الغزو) فهي لا تظهر باستمرار ولا تضيء بوضوح . وبما أن الشمس في مثل هذه الحال تكون أطرافها أقل لمعاناً ، فقد شبهها الشاعر بعين كحلت بالاثمد .

— وقال الببّغاء في الغزل :

ومُهَفْهَفٍ لمّا اكتَسَتْ وَجَناتُـه حُلَلَ المَلاحة طُرِّزَتْ بعِذارِه [1] .
لمّا انتصرتُ على عَظيمِ جَفائـه بالقَلْبِ ، كان القلبُ من أنصاره [2] .
كَمُلَتْ مَحاسنُ وجهِهِ فكانّما اقْـ تَبَسَ الهلالُ النورَ من أنواره .
وإذا ألَحّ القلبُ في هِجرانِـه قال الهوى لي: لا بُدّ مِنْهُ فَدَارِه :

— وللببّغاء في وصف الربيع والخمر :

زَمَنُ الوَرْدِ أظرفُ الأزمـانِ ، وأوانُ الربيع خيرُ أوانِ [3] .
أدركَ النَرْجِسُ الجَنيّ ، وفُزْنـا منهما بالخُدودِ والأجفان [4] .
أشَرَفُ الزَهْرِ زارَ في أشرفِ الدَهْـ ـرِ ، فَصِلْ فيه أشرفَ الإخوان ،
وَاجْلُ شمسَ العُقارِ في يَدِ بدرِ الـ ـحُسْنِ يَخْدِمْكَ منهما النَيّران [5] .
وأدِرْها عَذْراءَ وَانْتَهِـزِ الـ ـإمكانَ قبلَ عوائق الإمكان ،
في كؤوسٍ كأنّها زَهَرُ الخَشْـ ـخاشِ فيه شَقائقُ النُعمان [6] .
واخْتَدِعْها عندَ البِـزالِ بألفـا ظِ المثاني ومُطْرِباتِ الأغـاني [7] ،

١ المهفهف : النحيف الضامر الخصر . — لبست خدوده ثوباً من الجمال ثم بدأ عذاره (لحيته) بالظهور في ذلك الثوب كأنها طراز (علامة مزخرفة) .

٢ انتصرت بالقلب : استعنت بقلبي حتّى ينصرني (يساعدني) على المحبوب ....

٣ الأوان : الحين (الزمن المناسب ، الموافق) .

٤ أدرك الثمر : نضج ، بلغ أحسن حاله . أدرك الزهر : نور كله وأصبح في أحسن حاله . الجني : الذي تم وصار بالامكان قطفه . منهما : من الورد (المقابل للخدود بلونه) والنرجس (المقابل للعيون للعيون بشكله) .

٥ اجل : أبرز ، أظهر . شمس العقار : الخمر . في يد بدر الحسن : في يد ساق جميل . يخدمك منهما النيران = تتمتع بالنيرين : بالشمس (بالنشوة من الخمر التي تشبه الشمس) وبالجمال من الساقي (الذي يشبه بالبدر) .

٦ أدرها : أسق (صحبك) الخمر . زهر الخشخاش أبيض اللون (كناية عن زجاج الكأس) وشقائق النعمان حمراء اللون (كناية عن لون الخمر) .

٧ اختدعها (اختدع الخمر : خادعها ، احتل عليها ، قاربها بالحيلة) عند البزال ؛ البزال (بضم الباء) : الثقب الذي يثقب في جنب الدن حتّى تخرج منه الخمر . والشاعر يستعمل البزال مصدراً متعدياً : استخراج الخمر من الدن ، وليست هذه الصيغة بهذا المعنى في القاموس . اختدعها بالعزف على العود وبالاغاني (لأن الخمر تود أن تبقى مصونة في الدن لا تخرج منه) .

فَهيَ أولى من العَرائس ، ان زُفْـت ، بعَزْفِ النايات والعِيدان .

– وقال يَصِفُ بِرْكةً ثم يستطرد من وصف مائها إلى وصفِ كَرَم الممدوح :

وقَوْراءَ كالفَلَكِ المُستديـرِ تَروق العُيونَ بلألائها [1] ،
حَبَتْها البِحارُ بأمواجِها ، وسُحْبُ السماء بأنوائها [2] .
كأنَّ تدفّقَ تيّارِهـا يَداكَ تَفيضُ بنَعْمائها .
وجودُك أغزرُ من جرْيها ، وخُلْقُك أعذبُ من مائها !

– من رسالة كتبَ بها إلى سيفِ الدولة بعد غزوة ظافرة لسيف الدولة :

الرياسةُ – أيّدَ اللهَ سيّدَنا – حُلّةٌ مَوْموقة ومَرْتَبَة مَرْموقة [3] يتَفاضلُ الناسُ فيها بِقَدْرِ الهِمَمِ ويَنالونها بِحَسْبِ مَراتِبِهم من الكَرَم ، فما تُدْرَكُ إلاّ بالسَماح ، ولا تُمْلَكُ إلاّ بأطرافِ الرماح .... فكلٌ من أدركَها طلَباً واستحقّها بأفعاله لَقَباً – من غيرِ الدُخولِ لسيّدنا تحتَ شَرَفِ التعبّد ، وَرِقِّ الإخلاصِ لا التودّدِ – فقد حُرِمَ نيْلَ الكمالِ وعَدَلَ عن الحقيقة إلى المُحال :

لأنّه الغايةُ القُصْوى التي عَجَزَتْ عن أنْ تُؤمّلَ إدراكاً لها الهِمَمُ .
ما تَستَحِقّ ملوكُ الأرضِ مَرْتَبَةً في الفَضْلِ إلاّ له من فَوْقِها قَدَمُ ...

٤ – ** تاريخ بغداد ١١ : ١١ – ١٢ ؛ يتيمة الدهر ١ : ٢٠٠ – ٢٣٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٥٣٤ – ٥٣٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٥٢ – ١٥٣ ؛ بروكلمان ١ : ٩٠ ، الملحق ١٤٥ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٧ ؛ النثر الفنّي ١ : ٢٨٦ – ٢٩٣ ؛ ٢ : ٢٢٦ – ٢٤٢ ؛
Enc . Isl (new ed) I 845 - 6

الجوهريّ صاحب الصِحاح

١ – هو أبو نَصْرٍ إسماعيلُ بنُ حَمّادِ بنِ نصرٍ الجَوْهري ، وُلِدَ في

---

١ قوراء : مستديرة .
٢ النوء : المطر الشديد (في الأصل : النجم الذي يوافق طلوعه سقوط أمطار غزيرة) .
٣ مومومقة : محبوبة . مرموقة : يتطلع الناس إلى الحصول عليها .

أوائل القرن الهِجْريّ الرابعِ في فاراب من بلاد الترك وراء نَهر جيحون (ويقال لها الآن أطرار أو أترار) ؛ ولذلك يُقال له الفارابي أيضاً .

أخذَ الجوهريّ عن خاله أبي ابراهيم بن اسحق الفارابي (توفي سنة ٣٥٠ ﻫ) صاحب ديوان الأدب (وهو كتاب في اللغة يَقْرُبُ من أن يكونَ قاموساً) . ثمّ انه جاء إلى بغداد وسَمِعَ من أبي عليّ الفارسي ومن أبي سعيد السيرافي . وتنقّل بعدَ ذلك في البَدْوِ والحَضَر وزارَ ديارَ رَبيعةَ (شَماليَّ العِراق) والحِجازَ ونجداً يأخُذُ اللغةَ عن البَدْوِ مُباشرةً وسؤالاً . بعد ذلك عادَ إلى المشرق يتكسّب بإقراء القرآنِ والتدريسِ وتعليمِ الخطّ ونَسْخ الكتب ويؤلّف في أثناء ذلك .

ووُسْوِسَ الجوهريّ في آخرِ عُمُره فصَعِدَ إلى سَطْحِ الجامع في نيسابور وشَدّ إلى ذِراعيه مِصْراعَيْ بابٍ ثم قَذَفَ بنفسه من سطح الجامع مُحاولاً أن يطيرَ ، ولكنّه سَقَطَ فماتَ سنة ٣٩٨ ﻫ (١٠٠٨ م) في الأرجح .

٢ — كان أبو نصرٍ الجوهريّ إماماً في اللغة والأدب ، ألّف كِتاب « تاج اللغة وصِحاح [1] العربية » ، وهو قاموس بالمعنى المألوف . و « للصحاح » خاصّتان بارزتان : أولاهما أنّ الجوهري اقتصر في الأكثر على الألفاظ التي « ثبتت صحتّها » عنده ، ولذلك سمّاه « تاج اللغة **وصحاح** العربية » . والخاصّة الثانية هي ابتكارُه لترتيبٍ قاموسيّ عاقلٍ . لقد رتّب الجوهريّ الكلماتِ في قاموسِه على الحرفِ الأخيرِ في الكلمة . فالبحث عن الكلمة في « الصحاح »

---

١ لصحاح اللغة مختصر اسمه « مختار الصحاح » للرازي . والرازي هذا هو زين الدين محمد بن محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي ، من أهل الري ، كان من علماء اللغة والنحو ومن ذوي الإلمام بعلوم القرآن والحديث وعلوم الأدب والتاريخ ومن البارعين في النثر والنظم . وللرازي هذا عدد من التآليف أشهرها « مختار الصحاح » الذي اقترن به اسمه في عالم المعاجم . اختصر الرازي « صحاح اللغة » وجرده من الشواهد ، وفرغ (بفتح الراء) من تأليفه سنة ٦٦٠ ﻫ (١٢٦٢ م) . ولعل الرازي قد أدرك أواخر القرن الهجري السابع . وقد طبع « مختار الصحاح » في بولاق سنة ١٢٨٢ ﻫ ثم طبع مراراً بعد ذلك . وطبعته وزارة المعارف المصرية (١٣٢٢ — ١٣٣٥ ﻫ) طبعة أشرف عليها محمود خاطر والشيخ حمزة فتح الله . وقد غير ترتيب هذه الطبعة فجعلت الكلمات على أوائل الحروف كما هذبت فحذف منها الألفاظ البذيئة (راجع « صاحب مختار الصحاح » لأحمد تيمور ، م م ع ع ٨ : ١١ تشرين الثاني ١٩٢٨ م ، ص ٦٤١ — ٦٦١ : ثم الصحاح ومدارس المعجمات العربية ، تأليف أحمد عبد الغفور العطار ، مصر ١٣٧٥ ﻫ = ١٩٥٦ م ، ص ٢٣٧ — ٢٣٩) .

يكون باتّخاذ الفعل المجرّدِ الثلاثيّ أساساً ، ثم يبدأ الباحث عنِ الكلمة بالبحث عن الحرف الثالث (الأخير) منها (ويسمّى الباب) ثم عن الحرف الأول منها (ويسمّى الفصل) ثم عن الحرف الثاني (الاوسط) . فكلمة « قرب » نجدها في باب الباء ــ فصل القاف ، و « نزل » نجدها في باب اللام ــ فصل النون . ومشتقّات الفعل الثلاثي تتبعه (نَجِدُ نازلة ومنزلة وتنزّل مع « نزل ») . ولقد اتّبع الجوهري هذا الترتيب لأن الحرف الأخير من الفعل المجرّد أثبت في العادة من سائر أحرفه عند التقلّب في الصِيَغ المختلفة ، فاللام في نزول ونزيل وتنزيل واستنزل ومنزل وفي تنازل الرجلان أثبت وأظهر من النون والزاي (وان كان عندنا نازلة ومنزلة ــ تتراجع فيهما اللام عن مكانها في آخر الكلمة) . وهذا الترتيب مفيد خاصّة في الافعال المعتلّة من مثل وعد ، وثق ، يقظ فان فيها عِدَةً وموْعداً وميعاداً وثِقَةً وموْثقاً وميثاقاً وإيقاظ وأيقاظاً واستيقاظ ؛ فالحرف الأخير فيها أثبت .

٤ ــ تاج اللغة وصحاح العربية ، تبريز ١٢٧٠ ه ؛ (بتصحيح نصر الهوريني ، مصر (بولاق) ١٢٨٢ ه ، ١٢٩٢ ه ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠١ ه .

مختار الصحاح ، اختاره زين الدين محمّد بن أبي بكر الرازي ، القاهرة (المطبعة الشرقية) ١٣٠١ ه ؛ (بولاق) ١٣٠٢ ه ؛ القاهرة (المطبعة الاميرية) ١٩٢٠ م .

** الصحاح ومدارس المعجمات العربية ، تأليف أحمد عبد الغفور عطّار ، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٣٧٥ ه (١٩٥٦ م) .

يتيمة الدهر ٤ : ٣٧٣ ــ ٣٧٤ ؛ دمية القصر ٣٠٠ ؛ معجم الأدباء ٦ : ١٥١ ــ ١٦٥ ؛ إنباه الرواة ١ : ١٩٤ ــ ١٩٨ ؛ بغية الوعاة ١٩٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٤٢ ــ ١٤٣ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٣ــ ١٣٤ ، الملحق ١ : ١٩٦ ــ ١٩٧ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٨ ــ ٣٥٩ ؛
Enc . Isl . (new ed) II 495 - 7 .

أبو العبّاس النامي

١ ــ هو أبو العبّاس أحمدُ بن محمّدٍ الداريّ المِصّيصيّ النامي من أهل

المَصِّيصة ، وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) . ويبدو أنه قد زار العِراقَ في طلبِ العِلم ، فقد كانت له أمالٍ أملاها في حَلَبَ ورَوى فيها عن أبي الحسنِ عليِّ بن سليمان الأخفشِ الأصغر وابن دَرَسْتَوَيْهِ وأبي عبد الله الكرماني وأبي بكرٍ الصولي وابراهيمَ بنِ عبد الرحمن العَروضي وعن أبيه محمدٍ المصّيصي .

وكان النامي ذا حَظْوةٍ في بَلاط سيفِ الدولةِ بحَلَبَ ، وقد كانت له مع المتنبّي وقائع ومُعارضاتٌ في الأناشيد (إنشاد الشعر) . ولمّا غادرَ المتنبّي بَلاطَ سيفِ الدولةِ ، سَنَةَ ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) ، خَلَفَهُ فيه مُقَدَّماً على سائرِ الشعراء .

وكانت وَفاةُ أبي العبّاس النامي سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م) في الأغلب .

٢ – كان أبو العبّاس النامي أديباً بارعاً عارفاً باللغة والأدب وشاعراً مُفْلِقاً من فحولِ شعراءِ عصرِه . ومَعَ أنّ شعرَ النامي مُثْقَلٌ بالكِنايات والتَوْريات خاصةً فاننا نَسْتَشِفَ منه صُوَراً شِعْريةً جميلةً ، ونَجِد فيه ألفاظاً حلْوةً وديباجةً رائقةً أحياناً . غير أنّنا نرى كذلك أثرَ شِعْرِ المتنبّي في كثيرٍ من مَقاطعه .

٣ – المختار من شعره

– قال أبو العبّاس النامي يفتخر بشعره :

أحقّـاً أنّ قـاتلتي زَرودُ وأن عهودَها تلك العهودُ[١] ؟
وَقَفتُ وقد فَقَدتُ الصبرَ حتّى تبيّنَ مَوْقفي أني الفَقيد[٢] ،
وشكّتْ فيّ عُذّالي فقـالوا لِرَسْمِ الدار : أيّكُما العميد[٣] ؟

---

١ – أصحيح أن زرود (التي أنا أحبها) هي التي قتلتني (أضنتني وأسقمتني بحبها) وأن عهودها لي هي تلك العهود (التي لا يفي صاحبها بها) .

٢ أطلت الوقوف (حتى ظننت) أنه لم يبق لي صبر . ولكن موقفي (المكان الذي كنت أقف فيه) أدرك أن صبري لم يفقد (بدليل أني صبرت طويلا على الوقوف هنالك) وإنما الفقيد (الذي قتله الحب) هو أنا .

٣ وعذالي : أعدائي وخصومي في الحب أو حاسدي على الحب شكوا في حالي وسألوا رسم الدار (المكان المهجور أو الخراب الذي أقف أندبه) : أأنت ، يا رسم الدار العميد ، (المعمود : المضروب بالعمود ، المصاب بالخراب) أم الشاعر (الواقف يندبك) هو الذي ذهب الحب بصحته وعقله؟

إليك صَدَعْنَ أفْئِدَةَ اللّيالي وفيهِنّ السخائِمُ والحُقود [1] ؛
فعيدانُ الأراكِ لها عِظامٌ ، وأسْقِيَةُ السِنانِ لها جُلود [2] .
وشِعرٌ لوْ عَبيدُ الشعر أصْغى إليه لظَلّ لي عبداً عَبيدُ [3] ؛
كأنّ لفِكْرِهِ نُشِرَ ابنُ حُجْرٍ ونُودِيَ من حَفيرتِه لَبيد [4] .

— ابْيَضّ شَعْرُ أبي العبّاس النامي كُلُّه إلاّ شَعْرةٌ واحدةٌ ظَلّت سوداءَ، فقال في ذلك :

رأيتُ في الرأسِ شعرةً بَقِيَتْ سوداءَ تَهْوى العُيونُ رؤيتَها .
فقلتُ للبيض ، إذ تُروِّعُها : باللهِ ، إلاّ رَحِمْتِ غُرْبَتَها .
فقَلّ لُبْثُ السوداءِ في وَطَنٍ تكونُ فيه البَيْضاءُ ضَرّتَها .

— وللنامي قصيدة في مديح سيف الدولة جاء في مطلعها :

أرَتْنا جَنَى العُنّابِ للوَرْدِ ظالماً ، ومن أقْحُوانٍ مُرْمَضٍ مُتَظَلِّما [5] .
طوى البينُ ديباجَ الخُدودِ ونَشّرتْ يدُ البَيْنِ وَشْياً للخدودِ مُنَمْنَما [6] .
تَقَسّمَتِ الأهواءُ قلبي كما غدا نَوالُ عليٍّ في العُلا مُتَقَسّما [7] .

---

١ — يا سيف الدولة ، ان نياقي شقت في سبيل الوصول اليك أفئدة الليالي (قلب الظلمات = شدة الظلام) ، وفي أفئدة الليالي أنواع الحقد علي (والعداوة لي) .

٢ قوائمها تشبه عيدان شجر الأراك (في نحولها ، كناية عن السرعة) وأسقية السنان (ما يسقيه سنان الرمح ، ما يسيل على سنان الرمح : الدم) لها جلود (جلدها أحمر ، كناية عن أصلها الكريم) . — ولعل في ذلك كناية عن التعب .

٣ — لو سمع شعري عبيد بن الابرص (راجع الجزء الأول ١٢٤ — ١٢٧) لجعلني سيده في الشعر .

٤ كأن معاني شعري ردت امرأ القيس بن حجر إلى الحياة (ظن الناس أن شعري هو شعر امرئ القيس) أو شعر (لبيد بن أبي ربيعة) .

٥ ان المحبوبة قد برهنت لنا (بحالها) أن العناب (أطراف أصابعها المجملة باللون الأحمر قد جنت على الورد (على الخدود) — ان أصابعها غصبت اللون الأحمر من خدودها . ولكن هذا العناب الظالم للخدود يتظلم بدوره من الاقحوان (العيون) المرمض (بالبناء للمجهول) الذي آذاه الحر فذبل . ويرى المحبون أن العيون إذا ذبلت (نعست) تصبح جميلة وذات أثر في نفس المحب . وتظلم الاصابع من العيون الذابلة أنها لا تستطيع أن تأخذ منها اللون الأحمر (!) أو أن العيون أشد تأثيراً في المحب من الخدود .

٦ البعاد أحال الخدود الحمراء صفراء ، ثم ترك البعاد أثراً على الخدود (من البقع الصفراء المخلوطة باللون الأحمر الأصلي للخدود فكأنه وشي (زخرف) على الخدود .

٧ أهواء (نزعات قلبي في الحب إلى فلانة وفلانة . فلانة) قسمت قلبي بينهن كما أن نوال (عطاء) علي (سيف الدولة) أصبح متقسماً في سبيل العلا والمجد .

ويوم كأجيادِ العَذارى حُليُّهُ فريدُ نَدىً في جيده قد تنظّما [1] ،
جَلَوْنا بهِ وجْهَيْ عَروسٍ وكاعبٍ على طِفلِ زَهْرٍ قد بكى وتَبَسّما [2] ،
وأخرسَ يُصْبِينا بخمسةِ ألْسُنٍ إلى أيّها مُدّ البَنانُ تَكلّما [3] ؛
لَدُنْ غَدْوَةٍ حتّى إذا الشمسُ وَدّعتْ مَغاربَها واستأذَنَتْها التَصَرُّما [4] ،
ثَوَيْنا كأنّا بعضُ أبناءِ قَيْصَرٍ غدا فيهِمُ سيفُ الأميرِ محكّما [5] .
أطعتَ العُلا حتّى كأنّك عبدُها ، وإن كنتَ مَوْلاها وكنتَ لها ابْنَما[6] .
مكارمُ لا تَنْفَكّ تُتْعِبُ حاسداً يُؤخّرُه سَعْيٌ لها قد تَقَدّما [7] .
زَكَتْ فِكَري فيها وأيْنَعَ هاجسي فظِلْتُ على أهلِ القَريضِ مُقدَّما [8] .
ووَلّدَ شِعري فيك شِعْراً لِمَعْشَرٍ فكنتُ عَلَيْهِمْ مثلَ نُعْماكَ مُنْعِما[9] !

---

١ ويوم كأجياد (جمع جيد : أعلى الصدر) العذارى (الفتيات الشابات) : أبيض أملس (يوم يصلح للهو) . حليه : زينته ، يزينه . فريد ندى : قطرات ندى تشبه الفريد (اللؤلؤ) كناية عن أن ذلك اليوم من أيام الربيع لا يزال الصباح فيه يجعل قطرات الندى جامدة على الأغصان . في جيده : في جيد ذلك اليوم (في صباحه) تنظم : تشكل في كل مكان على الأغصان . — ويمكن أن نقرأ ؛ : في جيدهن تنظماً فنزيد في البيت استعارة جديدة .

٢ جلونا به : أبرزنا فيه ، أظهرنا (لهونا) . عروس وكاعب (خمر وساقية جميلة !) على طفل زهر : زهر في أول موسمه (في أول الربيع) . بكى (كناية عن وجود قطرات الندى فيه من أثر الصباح البارد) وتبسما : بدأ يتفتح .

٣ أخرس : (عود ، من خشب لا يتكلم في الأصل) . يصبينا : يميل بنا إلى الصبوة (الشوق إلى اللهو والغزل) بخمسة ألسن (خمسة أوتار) كلما مسست ببنانك (بأطراف أصابعك) وتراً منها تكلم بلغة غير لغات الاوتار الأخر (أحدث نغماً خاصاً به) .

٤ — من الصباح الباكر إلى قبيل مغيب الشمس .

٥ بقينا كأنا من قواد الروم الذين حكم فيهم سيف الأمير سيف الدولة (قتلهم) : أمسينا صرعى (سكارى) من الخمر !

٦ أطعت العلا (يا سيف الدولة) : أصبحت تعمل جميع الأعمال التي تتطلبها العلا منك . — وأنت مولى (سيد) العلا وابنم (ابن) لها : أنت العلا ! أنت صانع المعالي كلها .

٧ ان المكارم التي أتيتها تتعب الحاسد (الذي يريد أن يصنع مثل ما صنعت أنت) . ولكن الذي يؤخره عن ذلك أنك قد قمت بمساع في سبيلها منذ زمن بعيد .

٨ — هذه المكارم التي صنعتها أنت هي التي جعلت فكري (معانيّ الشعرية) تزكو : تكثر وتطيب (تسمو ، تبدع) . أينع هاجسي : نضج خيالي (صار صوراً شعرية جميلة) ؛ وهذا الذي جعلني أتقدم على سائر الشعراء .

٩ — وهنالك معشر يشتقون من معانيّ في شعري معاني لشعرهم ، فأنا أنعم عليهم بمعاني الشعر كما أنت تنعم عليهم بالعطاء .

٤ — ** يتيمة الدهر ١ : ١٩٠ — ١٩٧ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٦٦ — ٦٨ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٥٣ — ١٥٤ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٦٩ — ٧١ ؛ بروكلمان ١ : ٩٠ ، الملحق ١ : ١٤٥ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٨ .

أبو الرَقَعْمَق

١ — هو أبو حامدٍ أحمدُ بنُ محمّدٍ الأنطاكيّ المَنْبوزُ[١] بأبي الرَقَعْمَقِ ، وُلِدَ في أنطاكيَةَ . وبعدَ أن قضى في الشام مدّةً ذهب إلى مصرَ ، نحو سنة ٣٦٣ هـ لأنّه أدْرَكَ المُعزّ أبا تَميمٍ مَعَدّاً الذي انتقل إلى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ ثم تُوُفّيَ فيها سَنَةَ ٣٦٥ هـ (أواخر ٩٧٥ م) . وتوفّي أبو الرقعمق في مصر في الأغلب ، سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م) .

٢ — أبو الرَقَعْمَقِ شاعرٌ مُحْسِنٌ مُجيدٌ فصيحُ الألفاظِ متينِ السَبْكِ ، إلاّ أن الهَزْلَ والمُجون غلَبَا على شعره ؛ وهو يحتجّ لذلك بأنّ الهزلَ والسُخْفَ والحُمْقَ والمُجون أنفَقُ عند الناس وأقربُ إلى نفوسهم من الجِدّ والرَصانة والعقل والأدب . ومِمّا يُسْتَغْرَب جِدّاً أنّه كانَ يأتي بالمُجون الفاضِح في مَطالعِ الأماديحِ في رجالِ الدولة الفاطمية ، كما فَعَلَ في مديح الأميرِ تميمِ بنِ المُعزّ أو بالسُخْفِ الواضح كما فعل في مديح الإمام الحاكمِ ، فبعد أن يقولَ مثلاً :

فلأمْنَعَنّ حِمارتي سَنَتَيْنِ من علَفِ الشعير ،

يَتَخَلّصُ إلى مديح الحاكم بأمر الله (أبي عليّ المنصورِ) مُشيراً إلى رِواية الشيعةِ في إيصاء الرسولِ إلى عليٍ بن أبي طالبٍ بالخلافة يومَ غديرِ خُمّ فيقولُ (اليتيمة ١ : ٢٨٤) :

لا والذي نَطَقَ النَبيّ بفَضْلِهَ يوم الغَديرِ ،
ما للامامِ أبي عليٍ في البَرِيّة مِنْ نظيرِ !

---

١ المنبوذ (بالذال أخت الدال) : المتروك ، المهجور ، الذي خلعه قومه وتبرأوا منه . والمنبوز (بالزاي أخت الراء) : الملقب بلقب فيه استصغار أو احتقار . الرقعمق : ...

وفنونُ شعرِ أبي الرَّقَعْمَق المديحُ والرثاء والهجاء والخمر والغزل . ومُعْظَمُ مديحه في رجال الدولة الفاطمية : مدح المُعِزَّ والحاكمَ بأمر الله ومدح جَوْهراً الصِقِلِيَّ — وهُوَ الذي فتحَ مصرَ باسم المُعزِّ لدين الله الفاطمي ثم بنى مدينةَ القاهرة — والوزيرَ ابن كلّس [1] وسواهم .

٣ — المختار من شعره

— أعْجِبَ الثعالبيّ (اليتيمة ١ : ٢٦٩ — ٢٧٠) وابن خَلّكان (وفيات الاعيان ١ : ٧٠ — ٧١) بهذه القَصيدة لأبي الرقَعْمَق في أبي الفرج يَعقوبَ ابنِ كِلّسٍ :

قد سَمِعنا مَقالَه واعتِذارَهْ   وأقَلْناهُ ذَنْبَه وعِثارَهْ [2]

قال فيها يمدح ابن كلّسٍ ويُشير إلى سياسة الفاطميين في بَذْلِ المال :

لم يَدَعْ للعزيزِ في سائرِ الأر   ضِ عَدُوّاً إلاّ وأخْمَدَ نارَهْ .

فلهذا اجْتَباهُ دونَ سِواهُ   واصْطفاه لِنَفْسه واخْتاره [3] .

كلّ يومٍ له على نُوَبِ الدهْـ   ـرِ وكرِّ الخطوب بالبذل غارَهْ :

هِيَ فَلّتْ عن العزيزِ عِداه   بالعَطايا وكَثّرت أنْصاره [4] .

هكذا كلّ فاضلٍ : يَدُهُ تُمْـ   ـسي وتُضْحي نَفّاعَةً ضَرّارَهْ .

— وله ، في تبرير ميله إلى السخف والمُجون في شعرِه ، قصيدةٌ نَظَرَ فيها إلى

---

١ أبو الفرج يعقوب بن يوسف يهودي من أهل العراق انتقل إلى الشام ثم إلى مصر واتصل بكافور الاخشيدي وأصبح ناظراً على أملاكه وشؤونه . ثم أسلم سنة ٣٥٦ ﻫ (في السنة التي مات فيها كافور) . ثم أنه اتصل بالفاطميين منذ نزولهم في مصر وأصبح وزيراً سنة ٣٦٥ ﻫ . وكانت وفاته سنة ٣٨٠ ﻫ . وكانت معظم مدائح أبي الرقعمق في أبي الفرج يعقوب بن كلس (وفيات الأعيان ٣ : ٣٩٣) .

٢ أقال الرجل عثار (بكسر العين) أخيه : أنهضه من عثرته (أعانه ، ساعده ، صفح عن هفواته وذنوبه) .

٣ اجتباه : قربه .

٤ فلت : هزمت .

قصيدةٍ لأبي نواس في الخمر والمجون * :

كُفّي مَلامَك ، يا ذاتَ المَلامات ، فما أريدُ بَديلاً بالرّقاعات[1] .
كأنّني ، وجُنودُ الصَفْعِ تَتْبَعُني — وقد تَلَوْتَ مَزاميرَ الرّطانات —
قِسّيسُ دَيْرٍ تلا مِزْمارَه سَحَراً على القُسوس بتَرْجيعٍ ورَنّات .
وقد مَجَنْتُ وعَلّمتُ المُجونَ فما أُدْعى بشيءٍ سِوى رَبِّ المَجانات ،
وذاك أنّي رأيتُ العقلَ مُطّرحاً فجئت أهلَ زماني بالحَماقات[2] .
سَقْياً ورَعياً لأيّامٍ لنا سَلَفَتْ بالقَفْص قَصّرها طيبُ اللّذاذات[3] ،
إذ لا أروحُ ولا أغدو إلى وَطَنٍ إلاّ إلى رَبْعِ خَمّارٍ وحانات[4] ** !

٤ — ** يتيمة الدهر ١ : ٢٦٩ — ٢٩٥ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٧٠ — ٧١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٥٥ — ١٥٦ ؛ بروكلمان ١ : ٩١ ، الملحق ١ : ١٤٧ .

* لا أستزيد حبيبي من مؤاتاتي (الديوان ٢٤٩ — ٢٥٠) .

١ يلمح في شعر أبي الرقعمق أن الصفع (ضرب بعض الرفاق بعضاً) كان من أسباب اللهو والمرح .

٢ الحمق والتبالد مع الوقاحة .

٣ القفص (بفتح القاف والفاء) : الخفة والنشاط (وسكنت الفاء لضرورة الشعر) . ولعلها : القصف (بفتح القاف وسكون الصاد) : اللهو ، وإن كانت اللفظة غير عربية (قا ٣ : ١٨٥ ، السطران ١٧ و ١٨) .

٤ غدا : ذهب في الصباح . راح : رجع (أو ذهب) في المساء . الربع : الدار ، المنزل . الخمار : بائع الخمر .

** لعل ابراهيم طوقان (ت ١٩٤١ م) نظر إلى بعض معاني هذه القصيدة لما نظم قصيدته : « .... يا شهر أيار يا شهر الكرامات ! » .

الفهرست الأبجدي لأعلام الاشخاص وللمدارك الأدبية

م = مكرر ، ح = في الحاشية

أ

ب

ح

خ

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ي

فهرست الكتب

المطبوعة أو التي وُصفت في هذا الكتاب أو كانت موضوع بحث ومناقشة أو إذا كان قد اختير منها نماذج

(يذكر عنوان الكتاب بعد تجريده من كلمة « كتاب » إلا إذا كانت كلمة « كتاب » جزءاً أساسيّاً في العنوان ، نحو كتاب سيبويه ، كتاب الحماسة . ومثل ذلك دواوين الشعر والكتب التي يبدأ عنوانها بكلمة « ديوان » ، نحو يوان الأدب ، ديوان الحماسة ، فهي تأتي تحت كلمة « ديوان » . ومثل ذلك أيضاً الكتب التي تبدأ بكلمة « رسالة، رسائل » تأتي في الترتيب الأبجدي تحت هاتين الكلمتين . أما الكتب المذكورة عناوينها عرضاً أو الكتب المذكورة في قسم الخصائص الأدبية – رقم ٣ – فانّها لا تذكر) .

ا

ن

ه

و

ي

نخبة من دراسات وكتب للمؤلف

١ ـ دراسات قصيرة

١ ـ الحجّاج بن يوسف (الطبعة الثانية)
٢ ـ عمر بن أبي ربيعة (الطبعة الثانية)
٣ ـ عبد الله بن المقفّع (الطبعة الثانية)
٤ ـ الرسائل والمقدمات (الطبعة الثانية)
٥ ـ ابن الرومي (الطبعة الثانية)
٦ ـ أحمد شوقي (الطبعة الثانية)
٧ ـ ابن خلدون (الطبعة الثانية)
٨ ـ أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوروبية (الطبعة الثانية)
٩ ـ شعراء البلاط الأموي (الطبعة الثانية)
١٠ ـ الفارابيان : الفارابي وابن سينا (الطبعة الثانية)
١١ ـ أربعة أدباء معاصرون (الطبعة الثانية)
١٢ ـ خمسة شعراء جاهليون (الطبعة الثانية)
١٣ ـ بشّار بن برد (الطبعة الثانية)
١٤ ـ نهج البلاغة (الطبعة الثانية)
١٥ ـ اخوان الصفا (الطبعة الثانية)
١٦ ـ ابن باجّه (الطبعة الثانية)
١٧ ـ ابن طفيل (الطبعة الثانية)
١٨ ـ التصوف في الإسلام
١٩ ـ الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب
٢٠ ـ موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الإسلامية
٢١ ـ أبو فراس

٢ — كتب ودراسات أخر

تاريخ الأدب العربي : الأدب القديم
(منذ مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية)

تاريخ الأدب العربي : الأدب المحدث
(منذ مطلع العصر العبّاسي إلى سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩م)

تاريخ الأدب العربي : الأعصر العباسية
(من سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) إلى الفتح العثماني)

تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون

الفكر العربي في منهاج البكالوريا

تاريخ الجاهلية

الشابّيّ شاعر الحبّ والحياة

القومية الفصحى

التبشير والاستعمار في البلاد العربية (الطبعة الثالثة)

الاسرة في الشرع الإسلامي

عبقرية العرب في العلم والفلسفة

وثبة المغرب

أبو تمّام : دراسة تحليلية

أبو نواس

أبو العلاء المعرّي

حكيم المعرّة

العرب والفلسفة اليونانية

شاعران معاصران : ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابيّ

العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط (ط ٢)

العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط

* * *

(الكتب الثلاثة التالية موضوعة حسب المنهاج الرسمي اللبناني)

المنهاج في الأدب العربي وتاريخه (للسنة الرابعة الثانوية)

المنهاج في الأدب العربي وتاريخه (للسنة الخامسة الثانوية)

المنهاج في الأدب العربي وتاريخه (للسنة السادسة الثانوية)

كتب منقولة عن اللغة الانكليزية

أصدقاء لا سادة

السيرة السياسية للمشير محمّد أيوب خان بقلمه ١٢٠٠

الطريق إلى النجوم

من تأليف فان در ريت وللي

(رئيس المرصد الفلكي في غرينيش) ٤٠٠

الإسلام على مفترق الطرق (الطبعة السادسة)

(من تأليف ليوبولد فايس — محمّد أسد) ١٥٠

الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط

(من تأليف المستشرق جورج سارطون

مؤلّف كتاب : مقدّمة إلى تاريخ العلم) ١٥٠

* * *

1000 Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode Umars, 1—23 d. H. (622-644 n. chr).

300 Qur'anic Arabic.

300 L'arabe coranique.

1200 On Public and Private Law in Islam, by Ibn Taimiyya (728 A.H. = 1328 C.E.). — Translated from the Arabic.

تاريخ الأدب العربي

الجزء الثالث

من مطلع القرن الخامس الهجريّ

الى الفتح العثماني

٤٠٠ – ٩٢٣ هـ

١٠٠٩ – ١٥١٧ م

(في المشرق)

تأليف

عمر فروخ

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الطبعة الأولى ١٩٧٩

الطبعة الثالثة
نيسان (ابريل) ١٩٨١

تاريخ الأدب العربي

مقدمة الجزء الثالث

يتناولُ هذا الجزءُ فترةً طويلةً جداً من تاريخ الأدب العربي: من أوّلِ القرن الخامسِ إلى أواخرِ الثُلُثِ الأوّلِ من القرن العاشرِ للهجْرة (١٠٠٩ - ١٥٢٥ م). هذه الفترةُ غنيّةٌ جداً بأنواعِ الأدب ووُجوهِه وبنِتاجِ الحياةِ الثقافية، وإن كانَ الأسلوبُ العربيُّ قد عانى في أثنائها مقاديرَ متفاوتةً من الركاكة. وفي أعقابِ هذه الفترةِ بلَغَ التكلّفُ في البلاغة عامّةً وفي الصِناعة اللفظيةِ خاصّةً — وفي الكِناية والتَوْريَةِ على الأخصّ — مبْلَغاً عظيماً.

هذه الفترةُ ليستْ قليلةَ الشُهرةِ فحَسْبُ، ولكنّها مظلومةٌ أيضاً، إذْ يُسمّى القِسْمُ الأخيرُ منها «عَصْرَ الانحطاطِ» تَسْميَةً فيها قليلٌ من الصَوابِ والحقّ وكثيرٌ من الخطأ والباطل. ويَجِد القارئُ شَرْحَ جوانبَ من هذه التسميةِ الخاطئةِ الظالمة في مُقَدّماتِ فصولٍ مختلفةٍ من هذا الجزء.

وفي هذا الجُزءِ أمرانِ جديدان: ضمُّ نَفَرٍ من شُعراءِ الفُرسِ والتُرْكِ الذين كان لهم نَظْمٌ ونَثْرٌ في اللغة العربية يبلُغان إلى أن تُختارَ مِنْهُما نَماذجُ في كتاب يُؤرِّخُ الأدبَ العربي. إنّ هؤلاء النَفَرَ من أدباءِ العربيةِ — وهُمْ في الأصلِ غيرُ عَرَبٍ ومن الأدباءِ الشعراءِ الفُرْسِ أوِ التُرْكِ الكِبارِ المشهورين — يَكْشِفون عن وَجْهٍ ثقافيٍّ في تاريخِنا وعن عبقريّةٍ في أدَبِنا. وأمّا الأمرُ الآخَرُ فهو الاهتمامُ بكُتُبِ النُحاةِ العَرَبِ ومُحاولةُ نَسْقِ المطبوعِ منها نَسْقاً مَنْطقيّاً، كما نَجِدُ في ترجمة ابنِ هِشامٍ الأنصاريّ (ص ٧٨٨-٨٧١). وكذلك أوْلَيْتُ الكُتُبَ المطبوعةَ مِنْ كُتُبِ جلالِ الدين السيُوطيّ (ص ٩٠٢ - ٩١٤) أخصبِ المؤلّفين العَرَبِ في عَدَدِ الكُتُبِ وفي تَنوُّعِ موضوعاتِها مثلَ هذه العناية.

وحُبّاً بتَسْهيلِ السُبُلِ على الذين يُحبّون التوسُّعَ في تراجمِ الأدباء أُوردُ عَدَداً من المصادر والمراجع (العامة الواردة في أعقاب التراجم) مُعَرَّفَةً (إذْ كانت المصادِرُ والمراجعُ الباقيةُ معروفةً مشهورة أو لم يُطْبَعْ منها إلاّ طبعةٌ واحدةٌ).

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨٥ — ١٣٨٧ هـ (١٩٦٥ — ١٩٦٧ م) .

إخبار الحكماء : للقفطي (تحرير يوليوس ليبرت) ، ليبزيغ ١٩٠٣م .

بروكلمان و بركلمان ، الملحق Geschichte der arabischen Literatur, Von Karl Brockelmann und Supplementbaende, Leiden (Brill) 1937 — 1949.

تاج العروس (الأجزاء ١ — ٩) ، الكويت ١٩٦٦ م وما بعد ؛ عشرة أجزاء ، مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ — ١٣٠٧ هـ .

حسن المحاضرة : للسيوطي ، مصر (مصطفى فهمي الكتبي — مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ .

دائرة المعارف الاسلامية Encyclopaedia of Islam, Leiden & London (Brill & Luzac)

الطبعة الثانية (صدر منها ثلاثة أجزاء) 1960 — 1971.

(الطبعة الاولى) أربعة أجزاء . 1913 — 1936.

الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني (حقّقه محمّد سيّد جاد الحق) ، القاهرة (دار الكتب الحديثة) ١٣٨٥ = ١٩٦٦ م وما بعد .

دمية القصر للباخرزي (طبعة محمّد راغب الطبّاخ) ، حلب (المطبعة العلمية) ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٠ م .

زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (طبعة جديدة راجعها وعلّق عليها الدكتور شوقي ضيف) ، القاهرة (دار الهلال) بلا تاريخ .

الطالع السعيد : للأدفوي (تحقيق سعد محمّد حسن) ، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ١٩٦٦ م .

طبقات الأطبّاء : لابن أبي أصيبعة ، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٩هـ = ١٨٨٣م.

طبقات الشافعيّة أو طبقات السبكي : طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ، القاهرة (المطبعة الحسينيّة) ١٣٢٤ هـ.

العبر : العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي ، الكويت ١٩٦٠ م وما بعد .

فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبي ، مصر (مطبعة بولاق) ١٢٨٣ هـ .

القاموس ، قا : القاموس المحيط للفيروزابادي ، مصر (المطبعة الحسينية) ، الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ .

ذيل وفيات الأعيان — درّة الحجال في أسماء الرجال : لأبي العبّاس أحمد بن محمّد المكناسي الشهير بابن القاضي (تحقيق محمّد الأحمدي أبي النور) ، القاهرة (دار التراث) وتونس (المكتبة العتيقة) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق (أصبح اسمها « مجلّة مجمع اللغة العربية ») — م م ع ع .
المحمّدون من الشعراء وأشعارهم للقفطي (حقّقه حسن معمريّ — راجعه حمد الجاسر) الرياض (دار اليمامة) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .
معجم الأدباء : لياقوت الحموي (مطبوعات دار المأمون) ، مصر (مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه) ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .
من ذيول العبر : للحافظ الذهبي وللحسيني ، الكويت (في سلسلة التراث العربي التي تصدرها وزارة الارشاد والأنباء — رقم ١٧) ، الكويت بلا تاريخ .
النثر الفنّيّ في القرن الرابع للدكتور زكي مبارك ، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م .
نفح الطيب للمقّري (حقّقه احسان عبّاس) ، بيروت (دار صادر) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .
وفيات الأعيان : لابن خلّكان ، مصر (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ .
يتيمة الدهر : للثعالبي (نشرها محمّد اسماعيل الصاوي) ، القاهرة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٥ م .

*

ووقعتْ في هذا الجزء إشارةٌ الى الفِرْقة الشيعية العَلَويّة بِضْعَ مرّاتٍ فجعَلْتُ اسم « العلويّين » واسم « النُصيرية » مُتَرادفَيْنِ . واطّلع الصديقُ الدكتور أسعدُ العلي على ذلك فقال لي إنّ الاسمين مختلفان . وبما أنّه أكثرُ منّي اطّلاعاً على هذا الجانب فقد أوردتّ هذه الملاحظةَ هنا .

وإنّ كتاباً مثلَ هذا في اتّساعِ النطاق وحُبِّ الضبط لكلّ لَفْظٍ من حيثُ الشكلُ ومن حيثُ المؤدّى — وخصوصاً فيما يتعلّقُ بالمصادر والمراجع وإيرادِ طَبَعاتها المختلفةِ بتواريخها — لا يُمْكِنُ أن يخلُوَ من هَنات أو أخطاءٍ (ولا أقْصدُ الأخطاءَ المطبعيةَ العارضة) . فإذا أرادَ القارىءُ ان يُؤاخذَني بهذه الأخطاء فهذا حَقّه وحقُّ العِلْم . وإذا هو عَذَرَني على ذلك كان المتفضّلَ . وأرجو في كلّ حال أن يَعْمَدَ القارىءُ المُطّلِعُ على هذه الأخطاء فَيُصَحّحها في نسختِه على الأقلّ .

١٨ جمادى الأولى ١٣٩٢ — ع . ف
٢٩/ ٦/ ١٩٧٢ .

الفهرست

عصر المماليك

اللغة والأدب والقوميّة والسياسة

هذا العنوان الواسعُ يجب أن تكونَ له معالجةٌ موجزة هنا.

هناك نفرٌ من الناس يحبّون أن يجرّبوا آراءهم في كلّ شيء حولَهم. وفي كثير من الأحيان يُمدّون آراءهم تلك إلى أمور بعيدةٍ في الزمن ويحسَبون أنّهم يُحسنون فيها صُنعاً. وبما أن الكلام قد كثُر في صِلة اللغة بالأدبِ وبِصلة الأدب بالقوميّة ثمّ بصِلة هذه كلِّها بالسياسة، فقد أصبحَ من الضَّروريِّ أن يُحاوِلَ أحدُنا أن يرُدّ هذه المداركَ المختلفة (لغةً، أدباً، قوميّةً، سياسةً) إلى نِصابها أو إلى نِصابِ قريب من نِصابها.

لا شكَّ في أن اللغة قد بدأت وسيلةً إلى التعبير عن مقاصدِ الإنسان العاقل وعن آرائه. في أوّلِ الأمرِ لم يكُنْ للإنسان سِوى مقاصدَ أو قصودٍ يُريدُ التعبيرَ عنها. وقد كانتْ تلك القُصودُ في أوّل الأمْر قاصرةً على التعبير عن حاجاته الشخصيّة، لأنّ حياةَ الناس في مطلَع وُجودِهم كانتْ فرديّة: كان كلُّ فردٍ يعتقدُ أنّه موجودٌ بمفردِه في هذا العالم، وأن لكلِّ شيءٍ في هذا العالم قيمةً إذا كان هو مُحتاجاً إليه. أمّا إذا لم يكنِ الفردُ محتاجاً إلى شيءٍ ما، فإنّ ذلك الشيءَ لم يكُنْ له عند ذلك الفرد قيمة.

ثم أخذ الإنسانُ يشعرُ أنّه مرتبطٌ بهؤلاء الذين يعيش معَهم في هذا العالم (أو في رُقعةِ الأرضِ التي كان هو يعيشُ فيها) فآحتاجَ إلى التَّفاهُمِ مَعَ هؤلاء - وكان في أوّل الأمر يَكْفِيهِ أن ينقُلَ قُصودَه المُعبّرةَ عن حاجتهِ إلى رفيقتهِ ولو لم يكُنْ يشعُرُ بحاجةِ تلك الرفيقةِ إليه.

في هذا الطَّوْر المتأخِّرِ بدأتِ الحياةُ الآجتماعيةُ وأصبحَ كلُّ فردٍ يشعُرُ أنّه جُزْءٌ من هذا المجموع الذي فَرَضَتْ عليه الحَياةُ أن يكونَ مع غيره في مكانٍ واحد.

من أجل ذلك مرّتِ اللغةُ الإنسانية في ثلاثةِ أطوارٍ متلاحقةٍ:

الطور الأوّل: طورُ اللغةِ التي كانت حَركاتٍ:

لعلّ أقدمَ ما بدا.للإنسان أن ينقُلَ به مَقاصِدَه إلى الآخرين كان الحركاتِ: حركاتِ الإنسان بيدِه أو برِجْله أو بأعضاء وَجْهِه (كالشِّفاهِ والجُفون والحواجب) أو بأسارير وجهِهِ (بتبدُّلِ مواضعِ الخطوطِ التي على وجهه). وكانتِ الحركاتُ قد أصبحتْ للإنسانِ الأوّلِ الأعجمِ (الذي لا يَنْطِقُ نُطقاً فصيحاً مُعَبِّراً) لغةً ثابتةً لها قواعدُها، وكانتِ القصودُ منها معروفةً كما نَعرِفُ نحنُ اليومَ معانِيَ الألفاظِ التي نَتَداوَلُها في كَلامنا.

ونَحْنُ نَعرِفُ اليومَ هذه الحركاتِ ومَعانِيَ هذه الحركاتِ ممّا نُشاهده عند الأطفالِ أو عندَ الشعوب الفِطريّة أو عند الأفراد الذين فَقَدوا حاسَّةَ السَّمْعِ أو حاسّةَ النُّطق أو فَقَدوهُما معاً[1]. نحن نَعْرِفُ أشكالَ الحَركاتِ التي تعبّرُ عن الرَّغْبَة في الطعام أو الشراب وعنِ السرور أو الحُزن وعن الرِّضا وعنِ الغضب وعنِ الاَستدعاء وعنِ الطَّرْد. ولا يزالُ الإنسانُ المُتَحَضِّرُ إلى اليوم إذا هو ٱنفعَلَ ٱنفعالاً شديداً لَجأ في التعبير عن قُصودهِ إلى الحركاتِ التي تُرافِقُ كلامَه أو إلى تلك الحَركاتِ وحدَها. وهنالك عددٌ من الحركاتِ قد أصبحِ لها دَلائلُ مُعيَّنَةٌ في الأمم المُختلفةِ كما أصبحَ للألفاظِ من الدلائل الخاصّة بكل لفظٍ.

حينما كنتُ في ألمانيا، اتّفق لي - وأنا في أحَدِ المطاعم - أن أستَدْعِيَ النَّدْلَ (الخادم القائمَ على الإتيانِ بالطعام إلى الموائد)، فَرَفَعتُ يَدِيَ (وباطنُها إلى أسفلَ) وأشَرْتُ إليه بالسَّبّابةِ (الإصْبَع التي تلي الإبهام). جاء الرجلُ إليّ وأبدى الملاحظةَ التالية. قال لي: إذا أَنت ٱحتَجْتَ إلى أحدٍ مرّةً ثانيةً وأردْتَ أن تُنادِيَهُ وهُوَ بعيدٌ عنك، فٱجْعَلْ باطِنَ يَدِكَ إلى أعلى. إنّ استدعاءَ إنسانٍ وكفُّكَ إلى أسفَل يكونُ في حالةِ الغَضَبِ أو الخِصام. أمّا إذا كان باطنُ الكفّ إلى أعلى، فإنّ ذلك يكون في الرِّضا أو في الحاجات المألوفة. إنّ ذلك يدُلّ على أن للحركاتِ في عالَمِنا المتحضرِ دلائلَ كدلائلِ الكَلِمات.

وخرج الإنسانُ من طور الحركاتِ إلى طور الأصوات، من غيرِ أن تَفْقدَ الحركاتُ وُجوهَ ٱستخدامِها إلى جانبِ الأصوات.

---

(١) كان الناس قبل عصرنا الحاضر (وقبل اختراع وسائل نقل الكلام: بالتلّغراف والتلفون والتلكس) يتخاطبون بإشعال النيران وبحركات اليدين (في الكشّافة). وبحركات أذرع من خشب (بين السفن إذا مرّ بعضها ببعض)، وكما يفعل الخرسان إلى اليوم.

والاجماع اليوم يكادُ يكونُ مُنْعَقِداً على أنَّ الانسانَ قد تعَلّمَ الأصواتَ من الطبيعة: لقدّ قلّدَ الإنسانُ في التعبيرِ عن قُصودِه أصواتَ الحَيَوانِ والجمادِ والنباتِ (صوتَ الرعد وصوتَ الكلب وصوتَ الأغصان في الرياح). وليس ذلك عندَنا بِمُسْتَبْعَدٍ، بل لا بدَّ من أنْ يكونَ الإنسان قد نقَلَ عدداً من أصواتِه عن الطبيعة. غير أنّ حَقَّنا أن نقول إنّ الإنسانَ قد أخرَجَ عدداً كبيراً من أصواتِه من عِنْدِ نفسِه. إنّ الإنسان إذا فتح فاهُ وهُوَ راضٍ مُطْمَئِنٌّ خرجَ من فِيهِ صوتٌ غيرُ الصوتِ الذي يُمْكِنُ أن يخرج من فيهِ إذا هو كان غضبانَ مُضْطَرِباً.

ويحسُنُ أن أشيرَ هنا إلى أن اللغة بالحركاتِ وبالأصواتِ كانتْ لغةً مَنْطِقِيَّةً، أي ذاتَ صِلةٍ واحدةٍ واضحةٍ: كان لكلِّ قَصْدٍ حركةٌ خاصّةٌ به أو صوتٌ خاصّ به. ثمّ كانتِ الحركاتُ والأصواتُ هذه كلُّها طبيعيّةً: لم يكن هنالك حاجةٌ إلى تَعلُّمِها، بل كان القَصْدُ هو الذي يُخْرِجُ الحركةَ المطلوبةِ أوِ الصوتَ المطلوبَ. إنّ الأصواتَ الدَّالَّة على التأوُّهِ والتوجُّعِ والتنهُّد والتعجّب والاستحسانِ والاستهزاء والرَّدْع أو الزَّجْر والحَثِّ معروفةٌ ومرتبطةٌ بأفعالِها ارتباطاً وَثيقاً طبيعيّاً، حتّى إنك لَتَجِدُ هذه «الأصواتُ» دالةً على أفعالها عِندَنا (في اللغة العربية) وعند غيرِنا.

وحينما ننتقلُ من الأصوات وأسماءِ الأصوات[1] إلى الألفاظ نَجِدُ أن الأمرَ ما زال (في الألفاظ الأولى في اللغة) مَنْطِقيّاً طبيعيًّا كالقَهْقهة والزغردة والنُّواح والهَدير والحفيف والرنين والطنين والصفير والحَسيس (الصوت الخفيّ)، فإنّ كلّ لفظٍ من هذه الألفاظ يَحْمِلُ صوتَ الفِعْلِ الذي يدُلُّ ذلك اللفظُ عليه.

وهنالك ظاهرة تبدو غريبةً، وهي أنّ الألفاظَ الدالّةَ على مظاهر الطبيعةِ نَجِدُ فيها غالباً حرفَ الراء، نحو: رعد، برق، ريح، مطر، بَرَد (بفتح ففتح)، بَرْد (بفتح فسكون)، حرّ، أرض، تُراب، صخر، حَجَر، مَدَر (طين)، شجر، ورق، زهْر، ثمر، بِذر، بِزر، إلخ. هذا ونحنُ الآنَ نستعرضُ الألفاظَ الموجودةَ في أيامنا. ولعلّنا لو رَجَعْنا إلى ماضي اللغة (إلى الألفاظِ التي خَرَجَتْ من التداوُلِ بَيْنَنا) وَجَدْنا أن هذه الألفاظَ

(١) اسم صوت مثل «صه»: اسكت (والعامّة يقولون: هص).

التي تدخلُ الراء في تَهْجِئَتِها أكثرُ عدداً. ثمّ إنْك إذا أنتَ رَجَعْتَ إلى اللغات الأجنبية عن اللغة العربية وجدْتَ هذه الظاهرةَ في تلك اللغاتِ أيضاً(٢).

وأحسَبُ أنَّ « التاءَ » أقدمُ الألفاظ التي آحتاج إليها الإنسان فبدأ بالتلفُّظ بها.

وما كانَ الإنسانُ مُحتاجاً إلى الكلام قبلَ أن وَجَدَ أمامَه إنساناً مِثلَه يُريدُ مُخاطبتَه. والمخاطبة تحتاج إلى لفظ يدلُّ على الإشارة إلى المخاطب. من أجلِ ذلك كانت « التاءُ » أولَ ألفاظِ الإنسان، فيما أحسَبُ. وكانتِ التاءُ بعدَ صَوْتٍ آخَرَ هو « أَنْ »- والتاء هنا هِيَ المقصودةُ، أمّا « أَنْ » (صوتٌ مركَّبٌ مع فتح فسكون) فَهِيَ للتَّنْبيه.

وكانتْ هذه التاءُ دالّةً على معنًى ثانٍ يجمَعُ المخاطِبَ (بكسر الطاء) والمخاطَبَ (بفتح الطاء) وهُما آثنان. فدخلتِ التاءُ المهموسة في لفظِ الآثنينِ (وفي اللغة العامّيّة: نَلْفِظها بالتاء المنقوطة بنُقْطَتَيْنِ من فوقُ لا بثلاثِ نُقاطٍ).

ثمّ اتّفق أن يُخاطِبَ الرجلُ أُنْثاه، فكانتْ هذه التاء المهموسة داخلةً في لفظ « الأُنثى » (وعوامَّ الناسِ يَلْفِظون هذه الكَلِمة بالتاء ذات النُّقْطَتين فَحَسْبُ، لا بالثاء ذاتِ النُّقاطِ الثّلاثِ).

وهكذا كانتِ « التاء » في مطلَع عهدِ الإنسان باللُّغة دالةً على ثلاثةِ مداركَ مُرْتَبطٍ بعضُها ببعضٍ: أنتَ - آثنينِ - أُنْثى.

وأغْرَبُ من هذا كُلِّه أنّ هذه التاءَ موجودةٌ في المداركِ نفسِها في اللُّغات الأخرى (مَعَ شيء من التطوُّرِ في اللفظ أو التبدُّل أو من التشوُّه). ففي اللفظ « أنتَ » نَجِدُ التاءَ كما يلي:

تو (في الفرنسية وأَخَواتها)، دو (في الألمانية وأَخواتها)، ذَاوْ (في الإنكليزية). ولعلّكَ تستغربُ جِدًّا إذا قِيل لك إنّ « أنتَ » في اليابانيةِ هي « أناتا ».

ونأتي إلى لفظِ اثنين، وفيها التاءُ والدال:

---

(٢) Erde, earth, terre, rain, storm, mer, pierre, rock, river, arbre, tree, fruchte, fruit, etc.

دو (في الفارسية والفرنسية)، تو (في الانكليزيّة)، الخ.

وقبل أن أُغادِر حرفَ التاء أَوَدُّ أن أُشيرَ إلى تقدُّمِ بعضِ اللُّغاتِ على بعضٍ (من دراسة الألفاظ).

– ومن لفظِ «أنت» التي هي موضوعُ كلامِنا هنا.

نحن نقول في اللغة العربية: أنتَ.

وكانوا يقولون في الآرامية: أنت (بخطٍّ على النون دَلالةً على سُقوطِها في النُّطق).

أمّا اليهود فيقولون: أتْ.

إنّ الكَلمةَ التامّةَ «انت» (في العربية) هي الأصلُ، يدُلُّنا على ذلك أنّ الآراميّين كانوا يَلْفِظونها «أنت» كأسْلافِهِمُ العربِ، ثمّ تبدَّلَ نُطْقُهم فأخذوا يقولون: آتْ، ولكنّهم يتذكّرون أن الكَلِمة تضُمّ الحرفَ «نوناً»، فتركوا هذه النونَ في الكتابة وأشاروا إليها بخطٍّ رَسَموه فوقَها دَلالةً على أنّها قد سقطتْ عندَهم في النُّطق. ثمّ جاء اليهود الذين لم يَعْرِفوا هذه النونَ في لُغتِهِمُ البِنْتِ فأسْقطوا النونَ التي كانتْ في أُمِّها خطًّا ولفظاً (في العربية) ثم في أُخْتِها الكُبرى خطاً لا لفظاً (في اللغة الآرامية).

وظلّ هذا المَنْطِقُ في اللُّغة (أوِ آرتباطُ اللفظ بالمعنى آرتباطاً طبيعيًّا) مُدّةً من الزمن. من ذلك الطَّورِ المتقدّم (وإنْ لم يَكُنِ الأوّلَ) حرفُ القافِ الذي يأتي حيناً في أوّل الكَلِمة وحيناً آخرَ في آخِرِها.

فمن الكَلِماتِ التي تبدأُ بحرفِ القاف (وَهِيَ مُتقارِبَةٌ في المعاني): قَتَّ، قَدّ، قَسَمَ، قَصَمَ، قطّ، قطع، قتل (والآشوريّون كانوا يقولون: قطل؛ ونحن أيضاً نقول في عاميّتنا: قطل). ومن الكَلِمات التي تَنْتهي بالقاف ومعانيها متقاربة: سَحَق، محق، نَفَق (مات)، دَقّ، شقّ.

* * *

لا أريد أنا هنا أن أسْتَوْفِيَ فِقْهَ اللغة، ولكنّي أُريدُ أن أُشيرَ إلى أن اللغة كائنٌ حيّ ينشأُ وينمو ويتطوّر ويَشِيخ ويموت أيضاً.

ولكنّ هنالك مُلاحظتين:

- أولى تَبْنِكَ المُلاحظتين أن تطوّرَ اللغة يستنِدُ إلى قواعدَ تكادُ تُشبهُ القوانينَ الطبيعيّةِ. واللُّغات تتغيّرُ (تتطوّر) بِحَسْبِ الحاجات الداعية إلى ذلك التطوُّر فتَتَوسّعُ في الألفاظِ والتعابيرِ والمعاني (كما سيأتي بعدَ قليلٍ). ولكنّ اللغاتِ لا تتبدّلُ إذا كان من أهلها فردٌ جاهلٌ أو أفرادٌ جاهلون تصعُبُ عليهم ألفاظٌ أو يجهلون معانِيَ ألفاظٍ فيحتجّون بحُجَجٍ واهيةٍ ويطلُبون تغييرَ اللغة. فَمِنَ الأيسرِ على هؤلاءِ أن يتعلّموا اللغةَ، وذلك أهونُ من تبديلها.

- وثاني تَبْنِكَ المُلاحظتين أن اللغةَ العربية ذاتُ طاقةٍ عظيمةٍ وقُدرة على الحياة. إنّ هذه اللغةَ التي تَرْجِعُ في التاريخ أربعةَ آلافِ سَنَةٍ لا تزالُ قادرةً على التعبير عن كلّ شيء، ولا تزالُ (برُغم كلّ عداوةٍ لها وإساءة إليها) تَحْيا قويّةً زاهرة.

وأُحِبُّ أن أقولَ لهؤلاء الجُهّال الذين يزعُمون أنّ اللغةَ العربيةَ صعبةٌ ما يلي:

(١) في اللغة العربية أداةُ تعريفٍ واحدةٌ (وليس فيها أداة تنكير راتبة).

(٢) في اللغة الإنكليزيّة أداةُ تعريفٍ واحدةٌ ولكنْ تُلْفَظُ على وجهين (على وجهٍ قبلَ الكَلِمات التي تبدأ بحرف صامتٍ ثمّ على وجهٍ آخَرَ قبلَ الكَلِمات التي تبدأ بحرفٍ صائت).

(٣) في الفرنسية ثلاثُ أدَواتٍ للتعريف راتبةٌ (واحدة للمذكّر وواحدة للمؤنّث وواحدة للجمع). ثمّ هنالك أداةٌ غيرُ راتبةٍ هي دو du (التي يُخْطىء في أوجهِ آستخدامِها كثيرٌ من الإفرنسيّين أنفسهم).

(٤) في اللغة الإيطاليّة أربعُ أدواتٍ راتبةٌ.....

(٥) وفي اللغة الألمانية أربعُ أدواتٍ راتبةٌ تختلفُ أيضاً باختلافِ حالاتِ الإعراب الأربع من رفع ونصب وجرّ وإضافة (وعلامةُ الجر وعلامة الإضافة في العربية واحدةٌ) والطِّفل الألمانيّ حينما يتعلّم أشكالَ لام التعريف عنده (وَهِيَ عَشَراتٌ) لا يقولُ عَن لُغته إنّها صعبة.

(٦) وفي اللغة الإيسلندية (الجزيرة القُصوى في شَمالِ غربّي أوروبّةَ) أشكالٌ أُخرى للام التعريف التي تختلف قبلَ الاسم منها قبل الصفة أيضاً.

★ ★ ★

وسَرعانَ ما تخرُجُ اللغةُ من طورها الطبيعيّ إلى طورها الاجتماعيّ. في هذا الطور الاجتماعيّ تَنْقَطِعُ الصِّلةُ بين اللفظ والنُّطق، إذ ينشأ المجازُ ويصبح لِلْكَلمة الواحدة عددٌ من المعاني لآختلاف الأحوالِ التي تُستخدَمُ فيها. فالشمسُ مثلاً تظلّ دالّةً على الجِرْم السماويّ المنير الذي يبدو فيجعلُ يومَنا نهاراً مضيئاً ثمّ يخفى (يغيب) فيجعلُ يومنا ليلاً مُظلِماً. ثمّ هو يدلّ عندنا نحن العربَ على المرأة الجميلة. وهنالك عند الفرنسيس «الملكُ الشمسُ» (لويسُ الرابعَ عشرَ) لأنّ بلاطَه كان يضيء البلاد.

وتتداخل الصِّيَغ من الجذور التي تكون قد نُسِيَتْ أصولُها فينشأُ في اللغة ألفاظٌ واحدةٌ تدلّ على معانٍ مختلفةٍ أو متناقضة. هنالك عندنا «قَدَرَ» بمعنى آستطاعَ ثمّ قَدَرَ بمعنى ضيّقَ. فهل جاءتْ هاتانِ اللفظتانِ «قدر» من جِذْرَيْنِ مختلفين تقارَبَ معَ الأيام لفظُها (وهذا ما أراه) أمّ أنّها جاءتا من جِذْرٍ واحدٍ ثمّ جعَلَ لها المتكلّمُ معنيَيْنِ مختلفين؟ (وهذا أيضاً ممكن).

في اللغة العربية كلمة «أكْحلَ»، فهي تَعْني في دير الزور (بتفخيم الواو) وفي المغرب «الأسود»، بينما هي في الشام (على الشاطىء الشرقي من البحر الأبيض المتوسّط) تَعْني «المائل إلى الزرقة» وتعني «الذي يضع في عينيه كُحلاً».

وعندنا في العربية أيضاً كلمة«آنسة».كان معناها في الجاهلية «المرأةَ التي يلهو مَعَها الرجل في كلّ شيء إلاّ الزَّواجَ» ثمّ أصبحَ معناها عندنا اليومَ «الفتاةَ الصغيرة المهذّبة». ومن الآتّفاق أنّ كَلِمةَ «آنسة»[١] كانتْ في القرن السابعَ عَشَرَ (عند الفرنسيين) تدُلّ على المرأة المتزوّجة ثمّ أصبحتِ اليومَ تدُلّ عندهم على ما تُدلُّ عليه عِندَنا الآنَ.

ومثل ذلك نجده في كثير من اللغات.

في اللّغة الالمانية كلمة «عام»[٢]، وهي تدلّ على الشيء المألوف الشائع. أمّا في

---

(١) Mademoiselle.

(٢) gemein.

الاستعمال الحديث فقدِ اكتسبتْ معنَيَيْنِ جديدين مختلفين: في جَنوبِ ألمانية تَعْني « الرجل النافع في مجتمعه »، وفي شَمالِيّ ألمانيةَ تَعْني « السافل ».

★ ★ ★

ثمّ إنّ اللغة، بالإضافة إلى أنّها أداةٌ للتفاهُمِ، جامعةٌ لِثقافةِ الأمّة ومُعبِّرة عن عبقريّة الأمّة، ومُمثّلة لشخصيّة الأمّة. إنّ الرَّجُلَيْنِ العربيّينِ إذا هُما تكلّما بالفرنسية أو بالانكليزيّة لا يشعُرانِ بما يشعُرانِ به إذا هُما تكلّما لغتَهُما الواحدةَ. وحينما يقولُ لك رجُلٌ عربيٌّ إنّه يَنْظِمُ الشعرَ الفرنسيَّ، وأن الفرنسيّين يَرَوْنَ أن شِعرَه يُشبِهُ شِعْرهم، فَأَفْهَمْ ذلك منه على وَجْهينِ:

- إمّا أن يكون أولئك الفرنسيّون يتألّفونَه بالقول.
- وإمّا أن يكونوا جاهلين بِلُغَتِهِمْ.

حينما كنتُ تلميذاً في ألمانيةَ كُنتُ أحاولُ أن أنْظِمَ شيئاً من الشعر بالألمانية. وكان في أيامي هنالك وفي صَداقتي طالبٌ ألمانيٌّ يُحْسِنُ نظمَ الشعر بلغته. وعَرَضْتُ عليه يوماً شيئاً من شعري بالألمانية فقال لي:

- لم أَجِدْ بعدُ شعراً فيه مثلُ هذا الجمال ثمّ فيه مثلُ تلك الأخطاء.

لقد أصابَ صاحبي. فأنا قد عَرَفْتُ المقاييسَ الخارجيّة في نَظْمِ الشعرِ باللغة الألمانية، ولكنّني لم أحْذِقِ الرّوحَ الذي يَجْعَلُ من النظمِ بالألمانية شعراً ألمانيًّا. ولا شكَّ في أنّ صاحبي لمّا استعملَ التعبيرَ « مِثْلَ هذا الجمالِ » قد أرادَ أن يُخَفّفَ وَقْعَ التعبيرِ التالي عَلَيَّ: « مثلَ هذه الأخطاء ». ولقد قالَ العرب من قبلُ: « ليستِ النائحةُ المُستأجَرَةُ (وهي تُبْـدي من التفجُّعِ على المَيْتِ ما لا يَقْدِرُ عليه إلاّ أمثالُها) كالنائحة الثَّكْلى »[1]. وإنّ الرَّجُل إذا قضى كلّ عُمُرِه في بلدِ آخَرَ (كأواسِطِ إفريقِيَةَ مثلاً أو كشَمالِيِّ أوروبّةَ) فإنه لا يدركُ الثقافةَ في أواسطِ إفريقيةَ أو في شَمالِيِّ أوروبّةَ كما يُدْرِكُها المُواطنُ في ذَيْنِكَ المكانين. إنّ تعلُّمَ ثقافةٍ جديدةٍ لا يقومُ مقامَ وِراثةِ تلك

---

(١) الثكلى: الأمّ التي فقدت ولدها.

الثقافةِ أباً عن جدٍّ. من المُمْكِنِ أن أدرُسَ تاريخَ الشعر الإيطاليَ على مدًى أوسعَ وأعمقَ ممّا يَعْرِفُه رجُلٌ إيطاليٌّ، ولكنْ إذا أُنشِدَ أمامي شعرٌ إيطاليٌّ، فلا يمكنُ أن أُحِسَّ أنا بعِلْمي بالشعرِ الإيطاليّ تلك الهِزّةَ التي يَجِدُها الإيطاليُّ عِندَ سَماعِ شِعْرٍ يُنْشِدُهُ إيطاليٌّ مِثلُه باللغة الإيطالية.

واللغةُ كما قيل- وأحْسَبُ أن قائلَ ذلك فيكتورُ هيغو الفرنسيُّ-: عَمَلُ الحياة بِمَعْنَيَينِ (بمعنى أنّها تحتاجُ في إتقانها إلى عُمُرِ الفرد كلّهِ ثمّ بمعنى أنّها لا تَلينُ إلّا للذي يَحْيا في أهلِها: يُولَدُ فيهم ويذهَبُ مذهبَهم ويُحِسُّ إحساسَهم).

لقد نَقَلَ نَفَرٌ في الشرق وفي الغرب رُباعيّاتِ عُمَرَ الخيّامِ إلى لُغاتهم (وفي اللغةِ العربية عددٌ من النُّقول لتلك الرُّباعيّات). ولا شكّ في أن تلك النّقولَ تَتَفاضَلُ فيما بَيْنَها، فبعضُها أصحُّ في النقل من بعضٍ، وبعضُها أحسنُ في اللُّغة من بعض، وبعضُها أجمل في القول من بعض. ولكّن عُمَرَ الخيّامِ لا يبدو إلّا في رُباعيّاته التي نَظَمَها هو باللغة الفارسيّة. أمّا النُّقولُ فإنّها تُمثّل الذين نَقَلوها، ولا صِلةَ لها بعُمَرَ الخيّام إلّا في أنّ عدداً من معانيها قد جاء في بعضِ شعرِ عُمَرَ الخيّامِ.

في الشعر خاصّةً، وفي الأدب عامّةً، عددٌ من المُقَوِّمات: المعاني والتعبيرُ والبلاغةُ ثم الثقافةُ الموروثة. وناقلُ النُّصوص الأدبيةِ يستطيعُ أن يُدرِكَ المعانيَ الظاهرةَ وأن يأتِيَ بالتعبير الآلي، ولكنْ يَسْتعصي عليه الخَيالُ القائم على البلاغة ويستحيلُ عليه ٱستلهامُ الثقافةِ القوميّة.

نحن نتكلّمُ على القمر المنير، والإنكليز يتكلّمون على البدر الشاحبِ اللونِ. والقمر عندنا وعند الألمان مذكّر (والشمس عندنا وعندهم مؤنّثة). أمّا عند الفرنسيّين والإنكليز، فالقمر مؤنّث والشمس مذكّرة. لمّا قال محمّدُ إمامِ العبدِ (ت ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م)- وكان أسودَ اللونِ-:

أنا ليلٌ وكلُّ حسناءَ شمسٌ　　فٱجتماعي بها مِنَ المستحيلِ،

كان قولُه هذا مفهوماً لَدَيْنا. ولكنّ الفرنسيَّ والإنكليزيَّ لا يفهمانِ من قولهِ هذا سوى المعنى الفلكيّ (وذلك أن الشمس لا تُرى في الليل، أو لا يكونُ هنالك ليلٌ إلّا

إذا لم يكنْ هنالك شمسٌ)، وليس بإمكانِ الفرنسيٍّ أو الإنكليزيّ أن يفهَمَ المعنى الذي قَصَده مُحمّدُ إمام العبدِ، وهو أنّه يريدُ أن يتزوّجَ امرأةً حسناءَ كالشمسِ، وذلك مُستحيلٌ عليه لأنّه ليلٌ. إنّ مثل هذه التوريةِ[1] لا يمكن أن تخطُرَ للفرنسيّ أو للإنكليزيّ لأن الشمسَ عندهما مذكّرةٌ، ولا صِلةَ لها عندَهُما بالزّواج.

إنّ للكَلِمات حياةً اجتماعيّةً مقطوعةً أحياناً من الصِّلة اللغويّة. كان بَيْنَنا يوماً رجُلٌ أميركيّ قد تَعَلّم شيئاً من اللغة العربية. وأرادَ في يومٍ من أيامِ الشتاء أن ينقُلَ إلينا شُعورَه بالبرد (حقيقةً أو مجازاً) فقال:

– أنا بارد.

فَضَحِكْنا. وكان يجب أن يقولَ: «أنا بردانُ». ذلك لأنّ في صيغة فَعْلان من الفعل «برد» معنًى لُغويًّا، بينَما في صيغة فاعلٍ من الفعل نفسه معنًى اجتماعيٌّ. فإذا نحن انتقلْنا إلى الفعل «نعس» مثلاً، وَجَدْنا للصيغتين فاعلٍ وفعلانَ معنًى مختلفاً منهما في الفعل «برد». إنّك لو قُلْتَ: لِفلانةٍ طَرْفٌ (عين) ناعس لكان ذلك مدحاً لها. أمّا إذا قُلتَ: لها طرفٌ نعسانُ فإنّ ذلك لا يكونُ لها مدحاً.

والحِفاظُ على اللغة حفاظٌ على الصِّلة بين حاضرِ الأمّة وماضيها، وذلك يدعو إلى حِفاظ الأمّة على مُسْتَقْبَلِها. وما دُمنا قد قُلْنا إنّ اللغة كائن حيّ يُولَدُ وينمو ثمّ يموتُ، فمَوْتَ اللغة موتٌ للأمّة نفسِها. إنّ النسل لا يَقِفُ، فالذين كانوا قبل عشرةِ آلافِ سنةٍ لا يزالُ نسلُهم يَتَوالى إلى اليوم، ولكنّ وُجودَهُمْ في أمّةٍ راهنةٍ رَهْنٌ بِبَقاء لُغَتِهم وحَضارتهم. بهذا المعنى يُفهَمْ بقاءُ الأممِ وانقراضُها.

---

(١) التورية كلمة لها معنيان: أحدهما قريب واضح والثاني منها بعيد ملموح. والذي يأتي بالتورية يوهم القارىء أو السامع أنّه يريد المعنى القريب المشهور بينما هو يقصد المعنى البعيد المستور. قال الشاعر: «فإنّ غصون الروض تصلح للقصف». فالمعنى القريب أن أغصان الشجر في الجنينة يسهل أن تقطع من أشجارها ويظلّ لها نفع. أمّا قصد الشاعر فكان أن هذه الأغصان المورقة المزهرة تجعل الروض جميلًا فيصلح الروض حينئذ للتمتّع بعدد من اللذات فيه.

ومن العواملِ التي تَتْرُكُ أثراً في تطوُّرِ اللُّغَةِ: الموسيقى (أوِ المَيْلُ إلى سُهولَةِ اللَّفظِ). إنّ للأحرفِ مخارجَ في الفَمِ (بينَ أقصى الحَلْق وظاهرِ الشَّفتَيْنِ). ويسهُلُ لَفْظُ الكَلِمَةِ إذا كانتْ أحْرُفُها مُفَرَّقَةً بينَ تلك المخارجِ تفرُّقاً مُتقارِباً. أمّا إذا تقاربتِ المخارجُ جِدًّا (نحو: ضغطت) أو تباعدتْ جدًّا (نحو: فقدت) عَسُرَ النُّطقَ بها، حتّى ذَكَرَ علماءُ اللغةِ أنّ الكَلِمَةَ التي تجتمعُ فيها الحاء والعين أو القاف والجيم لا تكون مِنَ اللُّغة العربية[١].

وهذا العاملُ الموسيقي نَجِدُهُ عِندنا وعندَ غيرِنا:

ربّما لم تكُنِ الكَلِمَةُ عسيرةً في اللفظ، ولكنْ يَجِدُ الناسُ في تبديل حُروفِها يُسْراً جديداً، فيُدخلون عليها شيئاً من التبديل. وهذا نَجِدُه عندَنا وعندَ غيرِنا أيضاً.

في اللُّغةِ الفرنسيّة واللُّغة الإنكليزيّةِ لا يجد الناسُ حَرَجاً (ضيقاً) في لَفْظِ التاءِ بعدَ الكاف (في الكَلِمَةِ الواحدة): فِكْتوريا، بِكْتورَسْك، إلخ[٢]. وكَرِهَ الإيطاليون ذلك، فهُمْ يقولون: فِتّوريا، بِتّورسكو[٣]، إلخ. والإسبان يكرَهونَ التضعيفَ في الفاء وفي الپاء الفارسيّةِ (المنقوطةِ بثلاثِ نُقَطٍ من تَحْتها)، ولا يكْرَهونه في الراء.

والعرب أيضاً لا يُحِبّونَ التضعيفَ حُبًّا جَمًّا، فنحنُ نستطيعُ أن نقولَ لم يَمُدَّ (بتضعيفِ الدال وفَتْحِها) ولكنَّ فَكَّ الإدغامَ (لم يَمْدُدْ - بضمّ الدال الأُولى وتسكينِ الدال الثانية) أجودُ. ودَحْرَجَ في الحقيقة تَرْجِعُ إلى درَّج، فَكَرِهَ العربُ تشديدَ الراء هنا. ثمّ فَسْكَلَ (جُعِلَتْ فيها الكافُ مكانَ إحدى السِّينَيْنِ) من فَسَّلَ[٤].

ونحن نَعْرِفُ بابَ الإعلال والإبدال (جَعْلِ بعضِ الحروفِ مكانَ بعضِها الآخرِ). فهذا أيضاً بابٌ من الموسيقى (المَيْلِ إلى سُهولةِ اللَّفْظِ في اللُّغةِ). إنّ « قال » أهونُ في النُّطْقِ من قَوَلَ (بفَتْحٍ فتح). وكذلك يَقُولُ (بفتح فضمّ) أيسرُ في النُّطْق من يَقْوُلُ

---

(١) هنالك أحرف لا تتوالى على نسق مخصوص لتنافر حروفها. في القاموس (٣:٢١٧) مثلاً: « لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة إلّا (إذا كانت تلك الكلمة) معرّبة أو صوتاً ».

(٢) Victoria, picturesque.

(٣) Vittoria, Pittoresco.

(٤) فسكل الفرس: جاء في السباق آخراً. وفسكل الرجل: جاء متأخراً تابعاً. فسّل الرجل الشيء: أرذله وزيّفه. وفسّل فلان فلاناً: فتّره وكسر نشاطه.

(بفتح فسكون فضمّ).

وإذا نحن جئْنا إلى صيغة « ٱفْتَعَلَ » قُلنا مِنْ « سَمِعَ » ٱسْتَمَعَ، ومن « دَرَجَ » ٱسْتَدْرج (فتَبْقى التاءُ هنا تاءً لٱعتدالِ البُعْدِ بين تاءِ « ٱستفعل » والأحرف في « سَمِعَ » و « دَرَجَ »). أما إذا أتَيْنا إلى الفعل « صَنَعَ » فنحن لا نقولُ فيه « ٱصتنع » (لِبُعْدِ ما بينَ الصاد الأَصلية والتاء في المخرج)، بل نقولُ: اصْطَنَعَ (لأنّ الطاءَ أقربُ في التفخيم إلى الصاد)، إذ الموسيقى هنا تُفَضّل لفظَ الطاء بعدَ الصاد على لفظِ التاءِ بعدَ الصاد.

غيرَ أن هذه القاعدةَ الموسيقيّةَ يختلفُ عمَلُها بيْنَ أُمّةٍ وأُمّة، فإنّ الأحباشَ لا يرَوْنَ بأساً في أنْ يقولوا: قَوَلَ (بفتح فتح) ورَمَيَ (بفتحٍ فتح ففتح)، ونحن نقول: قالَ ورَمَى.

وفي هذا المجالِ من الموسيقى تختلفُ الأُمَمُ. إنّ اللاتين لم يكونوا يَلْفِظونَ النون قبلَ الميم وقبلَ الباء، بل كانوا يُبْدِلونَها « ميماً ». ومثل ذلك يفعَلُ الفرنسيّون والإنكليزُ(١).

أمّا الإسبان فيَقْلبون النونَ ميماً قبلَ صوتِ الباء (مِثلَ الفَرَنسيّين والإنكليز) بينما هم يُبقونَ النونَ نوناً قبلَ الميم(٢):

والعَرَبُ يَتْرُكون النونَ نوناً قبل الميم (إذا توالتا في كَلِمَةٍ واحدةٍ، نحو « يَنْمو ». أمّا النونُ الساكنةُ فإنّها تُقْلَبُ أحياناً ميماً (قبل الكَلمَةِ المبدُوءةِ بميم) أو ياءً (قبلَ الكَلمَةِ المبدوءة بياء) في مِثْلِ « مِنْ مكانٍ » أو « مَنْ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلاّ اللهُ »، ونحو « مِمّا » (مِنْ ما)(١).

ويبدو أن الذال (المُعجَمة: المنقوطة) والثاءَ المُثَلَّثة صوتانِ قديمانِ في اليونانية والعَرَبية وفي الإيسلنديّة والدانمركية وفي البَهْلوية (الفَهْلوية: الفارسيةِ القديمة). ومَعَ أنّ الثاءَ المثلّثة لا تزالُ في اليونانية والعَربية والدانمركيّة (مَعَ ٱختلاف في القُوّة والضَّعف)، فإنّ الذالَ المُعجمة لا تزال ظاهرةً في العَرَبيةِ والإيسلنديّة والإنكليزيّة.

---

(١) Immediat(e), important, imbecile.

(٢) Inmediato, Inmenso.

(١) هذا يقال له في التجويد (قراءة القرآن الكريم): ادغام بغنّة.

ولكنّ هذه الذالَ قد ٱنْقلَبَتْ الآنَ دالاً مُهْمَلَةً (بلا نُقطةٍ) في اليونانيّة والفارسيّة والنُّروجيّة والأَسوجية والألمانية وفي الفرَنْسيةِ، ولكنّها مَلْموحةٌ في الإسبانية(٢).

كُلُّ هذا راجعٌ إلى الموسيقى (أو إلى ٱسْتِسْهالِ لَفْظِ صَوْتٍ دونَ صوتٍ آخَرَ في أُمَّةٍ دونَ أُمّة).

ويدعو إلى الدهشة أحياناً أن نَجِدَ ألفاظاً مُتقارِبةً للمَدْرَكِ الواحد في اللُّغاتِ المختلفة. هنالك كلمة « شَمْس » العربيةُ، فإنّها في العِبريّة شمش (بإمالة حركة الميم)، وفي الآراميّة شمشا. ثمّ نَجِدُ في العوامِّ عندَنا وفي الأطفال أيضاً من يقول: سمش وسمس. فمن أين يجيء هذا الٱختلافُ إذا نحنُ أهمَلْنا عاملَ الموسيقى في كلام الناس؟

والموسيقى في اللغة ليستْ قاصرةً على الألفاظ المُفردة وحدَها، بل هي تتناولُ التركيبَ أحياناً إلى جانبِ الإعراب والمَنْطِق أيضاً.

حينما نقولُ في اللغة العربية: رأى عليٌّ سعيداً أو رأي سعيداً عليٌّ، فالإعراب هنا هو الذي يَدُلُّ على الفاعلِ ويَدُلُّ على المفعولِ به (سواءٌ أتقدّمَ الأوّلُ على الثاني أمْ تقدّمَ الثاني على الأوّل). وكذلك إذا نحن قُلنا أكَلَتْ هندُ التُّفّاحةَ أو أكلتِ التفّاحةَ هندُ، فإنّ الأعرابَ والمَنْطِقَ يعمَلان هنا معاً في تمييزِ الفاعلِ من المفعول به. أمّا إذا قُلْنا: رأى عيسى موسى أو زارتْ سلمى ليلى، فالمَنْطِق يَقْضي هنا أنّ نجعَلَ الٱسْمَ المُتقدّمَ فاعلًا.

ويتَنَدّرُ الناسُ بالتركيب التالي: أكَلَ الكوسى موسى، فالفاعلُ هنا موسى، سواءٌ أتأخَرّ (كما في هذه الجُملةِ) أو تقدّمَ (كقَوْلنا: أكل موسى الكوسى). غيرَ أنّ النُّحاة يتَنَدّرون بجُملةٍ أشدَّ شُذوذاً ويُهْمِلون الإعرابَ في سبيلِ المَنْطِق ويقولون: خَرَقَ الثوبُ (بالضمّ) المِسمارَ (بالفتح). ومَعَ أنّ « الثوبَ » هو هنا (بحَسَبِ الإعراب) الفاعلُ، فإنّ

---

(٢) في الفارسية القديمة: باذ (ريح)، داذ (أعطى). والآن هما: باد، داد.
والمثل من الإسبانية: Nada، ولا تزال هذه الدال الإسبانية تلفظ في الجنوب وفي عدد من المناطق الأخرى « ذالًا » معجمة. وقد تسقط في اللفظ (إذا جاءت طرفاً أو قبل الطرف بحرف)، في عدد من الأماكن أيضاً.

المَنْطِقَ يَقْضي بأنْ نجعَلَ الثوبُ مفعولاً به (برُغْمِ علامةِ الرفع التي لَحِقَتْه)، وأن يكونَ المِسمارَ هو الفاعلَ (برُغْمِ الفتحةِ على آخرِه).

وهذا الذي نَجِدُه في اللُّغةِ العربيّةِ نَجِدُ مِثلَه أيضاً في اللُّغاتِ الأجنبيّة، وخصوصاً تلك اللُّغاتِ التي فيها إعرابُ (كاللاتينيةِ والألمانيّة).

يقولون في اللُّغةِ اللاتينية:

Inter filios agricolae semper discordia erat.

ومجرى هذه الجُملةِ في اللُّغةِ العربيّة كما يَلي:

بينَ أبناءِ الفلّاحين دائماً خِلافٌ كان.

وكذلك نَجِدُ في اللغة الفارسيّة هذا النَّسَقَ نفسَه:

دو زنْ براي طِفْلي دَعْوى ميكَرْدَنْدْ:

اثنتانِ نساء في شأنِ طِفْلٍ دَعْوى رَفَعْنَ[1].

هذا التركيبُ الغريبُ على القارىء العربيّ (وعلى النحو العربيّ أيضاً) هو التركيبُ المألوفُ في اللُّغَتَيْنِ اللاتينية والفارسية. وحُجّةُ اللاتين والفُرس أنّ الجُملةَ - وخصوصاً إذا هي طالتْ[2] - تَغيبُ ألفاظُها المتقدمةُ من الذِّهْنِ، فيجعَلون الكَلِماتِ المُهِمَّةَ في آخرِ الجُملة حتّى يظَلَّ الذِّهْنُ واعياً حافظاً لها.

ورُبما ٱقتضَتِ البَلاغةُ العربيّةُ أن يكونَ، في الجُملة بعدَ الجُملة، شيءٌ من التَّقْديم والتأخير، كما نَجِدُ في قولِهِ تعالى: ولا أنفسَهم ينصُرون (٧:١٩٢، سورة الأعراف) - منها خَلَقْناكم وفيها نُعِيدُكم (٢٠: ٥٥، سورة طه) - ... ومَعارجَ عليها يظْهَرون (٤٣:٣٣، سورة الزخرف). إنّ تقديمَ المَفعولِ به هنا وتقديمَ الجارِ والمجرورِ غايتُه التأكيدُ (وهو وَجْهٌ من البُلاغة). إنّ قولَه تعالى: ﴿منها خَلَقْناكم﴾ دَعَتْ إليه ضَرورةُ التأكيد على الجارِ والمجرور «منها» (مِنَ الأرض). أمّا «خَلَقْناكم» فلم يكُنْ

(١) كان في الفارسية القديمة مثنى، ثمّ فقد المثنى وحل محله الجمع.

(٢) والعرب يقولون أيضاً: إن الكلام إذا طال أنسى بعضه بعضاً.

هنالك (في هذه الجُملةِ) حاجةٌ لتأكيدها، لأنّ اللهَ خالقُ كُلِّ شيءٍ.

وجاءتِ الجملةُ في اللُّغة الألمانيةِ على نَوْعَيْنِ: جملةً أساسيّةً مُستقيمة النَّسَقِ ثمّ جملةً فرعيّةً مَقْلوبةَ النَّسَقِ:

Kluge Menschen sprechen wenig und können whol dass derjenige der viel spricht wenig versteht.

الناسُ الأذكياءُ يتكلّمون قليلاً ويعلَمون جيِّداً أن ذلك الذي كثيراً يتكلّمُ قليلاً يفهَمُ.

أمّا اللُّغةُ العربيّةُ فاتّبعتِ النَّسَقَ المُستقيمَ:

﴿إنّ اللهَ يأمرُكُمْ أنْ تُؤدّوا الأماناتِ إلى أهْلِها، وإذا حَكَمْتُمْ بينَ الناسِ أن تحكُموا بالعَدْل﴾[1].

وقلّما يلجأُ الكاتبُ بالعربيّةِ إلى النَّسَق المقلوب إلّا إذا قَصَدَ وجْهاً من أوجهِ البلاغةِ يُؤكّدُ به أمراً يُخيَّلُ إلى القارىء أو إلى السامعِ أن ذلك الأمرَ غيرُ مُهِمٍّ أوْ غيرُ مقصودٍ لذاتهِ في الجُملة.

واللُّغاتُ الحديثةُ مِنَ الدانمَرْكيّة والهولندية والإنكليزيّة والفرَنْسية والإسبانية والإيطالية وغيرِها تَجْري على النَّسَقِ المُستقيم كاللُّغةِ العربية.

---

(١) القرآن الكريم ٤: ٥٨، سورة النساء.

القرن الخامس الهجري

(الحادي عشر للميلاد)

قبل الحروب الصليبية

(٤٠٠ ـ ٤٩٣ هـ = ١٠٠٩ ـ ١٠٩٦ م)

لمّا بدأتْ هذه الفترةُ كان الخليفةَ في بغدادَ أبو العبّاس أحمدُ بنُ اسحقَ ابنِ المقتدرِ، وهُوَ المعروف بلقب القادر بالله (٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ). كان القادرُ بالله رجلاً صالحاً تقيّاً عاش في الخِلافة واحدةً وأربعين سَنَةً، ولكنّ شؤونَ الدولة كلَّها كانت قد أصبحتْ في أيــدي البُويهيّين ـ وهمُ الذين كانوا يَتَوَلَّوْنَ مَنْصِبَ أمير الأمراء[1] ـ فلم يكن للقادرِ ولا للخلفاءِ الذين جاءوا بعدَه أثرٌ في الحُكْم، حتّى إنّ الخِلافة العبّاسيّة عاشتْ في ذلك الزمن نحو مِائَة سَنَة لم يكنْ فيها وزراءُ على الحقيقةِ بل كُتّابٌ يديرون الشؤونَ الخاصّةَ بالخلفاء. أمّا شؤونُ الدولةِ الصحيحةُ فكان يُصَرِّفُها أميرُ الأمراء؛ وقد تَعاقَبَ على هذا المَنْصِبِ من البويهيّين، في هذهِ الفترة، ستّةٌ هم بَهــاءُ الدولة (٣٧٩ ـ ٤٠٣ هـ) ومُشَرِّفُ الدولة وجَلال الدولة (٤١٦ ـ ٤٣٥ هـ) وعِماد الدولة وخَسْرو فَيْروز الذي تولّى هذا المنصبَ سَنَةَ ٤٤٠هـ (١٠٤٨ م).

وزاد في تعقيدِ الحياةِ السياسية والاجتماعية في هذهِ الفترةِ رجلٌ يُعْرَفُ بالبَساسيري.

كان البَساسيريُّ، واسمُه أبو الحارثِ أرْسَلانُ، رَجُلاً فارسيّاً ـ وقيل: تُركيٌّ ـ نشيطاً في حَوْكِ المكائد، وقد رأيناه منذ سَنَةِ ٤٢٤ هـ (١٠٣٣ م) يتدخّلُ في شؤون الدُوَيْلات يَنْصُرُ بعضَها على بعضٍ وينصر بعضَ أفرادِ الدويلةِ الواحدةِ على بعضِ أفرادِها الآخرينَ، كما كان مُوقِداً للفِتَنِ بين السُنّةِ والشيعة

(١) الحاكم العسكري وقائد الجيوش. راجع الجزء الثاني، ص ٤٠٠.

في كلّ مكان ، وفي بَغدادَ خاصّة . وعَظُمَ نفوذُ البساسيري وتعاظم شَرّه لمّا أصبحَ وزيراً للملكِ الرحيمِ خسرو فيروزَ البويهيّ أميرِ الأمراء في بغـــداد (٤٤٠ ـ ٤٤٧ هـ) .

وفي سنة ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) بدأتِ النُفرةُ بينَ الخليفةِ القائمِ بالله العبّاسيّ وبينَ خسرو فيروزَ ووزيرِه البساسيريّ لكثْرة استبداد هما بأمور الدولة ولكثْرة الفِتَن التي كانت تثور على أيديهما بين السُنّه والشيعة . ثمّ تحدّثَ الناسُ بأن البساسيريّ يكاتبُ الخليفةَ المستنصرَ بالله الفاطميَّ ليأتِيَ به من القاهرة الى بغدادَ ويُولِّيَهُ مكانَ القائمِ العبّاسيّ فتنقلبَ الخلافةُ العبّاسيّةُ خلافةً فاطميةً .

في هذه الأثناءِ اتّفق أنّ السلاجقةَ ــ وهم عشائرُ تركيّةٌ من أواسطِ آسيَةَ ــ كانوا قد أقاموا لأنفسهم مُلْكاً سَرعانَ ما امتدّ ، في أقلَّ من قَرْنٍ (٣٥٠ ــ ٤٥٠ هـ) ، من حُدودِ الصين إلى العراق . وكان الخليفةُ العبّاسيّ عاجزاً عن كَبْحِ جِماح البويهيّين وجماح وزيرِهِمُ البساسيريّ فاستنجدَ بطُغْرُلَ بَكْ السلْجوقي فانجدَه طُغْرُلُ بك ودخلَ بغدادَ وقتل خصومَ الخليفة القائمِ بالله العبّاسيّ وردّ إليه مكانتَه وللخلافـــة العبّاسيّة والوزارةِ رونَقَهُما ، وذلك سَنَةَ ٤٤٧ هـ (١٠٥٦ م). ولكنّ البُوَيْهيّين والبساسيريَّ لم يتركوا إثارةَ الفِتَنِ وإيقادَ نارِ القتال ، وعاونَهُمْ في ذلك الفاطميّون ورؤساءُ عددٍ من الدُويلات .

انقراض البويهيين ومجيء السلاجقة

في هذه الفترة ــ بعد سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩ م) وقبل عُدْوانِ الإفرنجِ الصليبيّين على بـــلادِ الشام سَنَةَ ٤٩١ هـ (١٠٩٧ م) ــ انقرضَ البيتُ البويهيّ وزالَ مَنْصِبُ أميرِ الأمراء معاً ، سَنَةَ ٤٤٧ هـ . وكذلك زالتْ دولةُ بني حَمْدانَ في المَوْصِلِ ودولتُهم في حَلَبَ (٤٠٦ هـ) وقام في حَلَبَ دويلـــةٌ لبني مِرْداسٍ (٤١٥ ــ ٤٧٣ هـ) ، وهم بَدْوٌ من بني كِلابٍ اشتدّ ساعدُهم في أثناء النِزاع بين الحَمْدانيّين والفاطميّين على الشام . ثمّ اتّصلَ النِزاعُ على الشامِ بـــين المِرْداسيّين والفاطميّين حتّى استولى السلاجقةُ على حَلَب وما حولَها . وكذلك كانتْ قدْ نشأتْ ، في سَنَةِ ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) ، دُويلةٌ لبني عُقَيل في حَلَبَ وما حولها ، ودويلة لبني مَروانَ في مَيّافارقينَ وآمدَ وما حولَهما ، ودويلةٌ للنُميريّين في الرُها وحَرّانَ وسَروجَ والرَقّةِ ، فدخلتْ هذه الدويلاتُ كلُّها في مُلْكِ

السَلاجقة قبلَ عُدوانِ الإفرنجِ الصليبيين أو في مَطْلَعِ ذلك العُدوانِ ، بين سَنَةِ ٤٧٨ ﻫ (١٠٨٥ م) وسنة ٥١٩ ﻫ (١١٢٥ م) .

وانقرضَ من دُويلاتِ اليَمَنِ — في هذه الفترةِ نفسِها — دويلةُ بني زِيادٍ في زَبيدَ (٢٠٤ — ٤١٢ ﻫ) ودويلةُ الصُليحيِّين في زَبيدَ وصَنعاءَ (٤٢٩ — ٤٩٢ ﻫ) . وقد تداخلتْ فترتا هاتينِ الدويلتين ثمّ حلَّ مَحلَّهُما دولةٌ لبني نَجاحٍ ، وهم أحباشٌ(١) اسْتَوْلَوْا على مُعْظَمِ المناطقِ التي كان يحكُمُها بنو زِيادٍ والصليحيّون .

واستطالَ مُلْكُ السلاجقةِ في فارسَ والعراقِ والشامِ وبلادِ الرومِ (آسيةَ الصُغرى) وانطوتْ مُعْظَمُ دويلاتِ تلكَ الأصقاعِ في دُوَلِهِمُ المتفرّقةِ . ومعَ أن السلاجقةَ قد استبدّوا في الحُكْمِ ، كما فعلَ البُويهيّون من قَبْلِهِمْ ، ومعَ أنّ المنازعاتِ كانتْ كثيرةً في أيّامِهِمْ أيضاً ، فإنّهم حافظوا على هَيْبَةِ الخِلافةِ العبّاسيّة وحَفِظوا للخلفاءِ كرامتَهم وحَرَصوا على خيرِ الإسلامِ وخيرِ البلاد .

الفاطميّون والنزاع المذهبي

ظلّ في العالمِ الإسلاميّ في المَشْرِقِ ، سِوى المَغْرِبِ والأنْدَلُسِ ، دولتانِ كبيرتانِ الى جانبِ الدولةِ السُلجوقية : الدولةُ الغزْنَوِيّةَ في الأفْغانِ والهِنْدِ ، وهي دَوْلةٌ مُحايدةٌ ولكن حريصةٌ على خَيْرِ الإسلام كَحِرْصِ السلاجقة ؛ ثمّ الخلافةُ الفاطميةُ في مِصْرَ وجَنوبيّ الشام (جَنوبيّ سوريةَ) ، وكانتْ مُعاديةً للخِلافة العبّاسية وللسَلاجقة ومُسالِمَةً للرومِ في كثيرٍ من الأحيان . والخطرُ الذي كان كامناً في الدولة الفاطمية أنّها كانتْ دولةً باطنيةً ، ومنها نشأتْ مُعْظَمُ الحَركاتِ الهدّامة في الإسلام . ثمّ انّ الدولةَ الفاطميةَ لم تكن دولةً مُوَحَّدَةَ الهَدَفِ موحّدةَ العَمَلِ ، فقد تفرّعتْ ، في هذا الدورِ نفسِه ، فروعاً ثمّ انشقّ منها المَذْهَبُ الدُرْزيُّ (مذهبُ التوحيد) والمذهب النُصيريُّ العَلَويّ (مذهب التأليه) ومذهبُ الحشّاشين (مذهب العُنْفِ للوصول الى السيادة الدينية بالاغتيال السياسيّ) . وكانت هذه المذاهبُ التي تَرْجِعُ الى مدركٍ فاطميٍّ واحدٍ مُتنافسةً متنازعةً .

---

(١) كان نجاح عبداً حبشياً أسس دولة (٤١٢ — ٥٥٤ ﻫ) .

ومنذُ غُرّة القرنِ الخامس الهجري كانتْ قوّةُ الفاطميّين في ذِروتهما ، فقــد خُطِبَ لهم[1] (٤٠١ هـ) بالمَوْصِلِ والكوفة . فبدأ العبّاسيّون منذ ذلك الحين يقاومون الدعوة الفاطمية بكلّ سبيل وفي كلّ شكل . ففي سنة ٤٠٢ هـ اجتمع في بغداد نفر من علماء السُنة كأبي حامدِ الإسفراييني ونفرٌ أكثرُ من علماء الشيعة منهم الشريفُ الرضيّ وأخوه الشريف المرتضى وأبو عبد الله بن النُعمان فقيهُ الشيعة وكتبوا مَحْضراً يتضمّن القَدْحَ في نَسَبِ العلويّين (الفاطميّين) خلفاءِ مِصْرَ (ابن الأثير ، بيروت ، ٩ : ٢٣٦) . وفي سنة ٤٠٣ هـ أصبحَ الشريف الرضيّ نقيباً للطالبيّين (مكان أبيه) ولبس السوادَ (شِعار العبّاسيّين) . وفي ٤٠٦ هـ مُنِــعَ أهلُ الكرخ (غربيّ بغداد) من النَوْحِ يومَ عاشوراء ومن نشر المُسوح (تعليق الثياب السود على بيوتهم) .

وكان القائمون بالدولة الفاطمية في مِصْرَ هم الذين يُسيّرون الدولةَ الفاطمية لا الخلفاءُ الفاطميّون ، وكان كثيرٌ من هؤلاء يهوداً ونَصارى ، كما كان سلوكُهُمُ الشخصيّ والسياسي — فيما يتعلّق بالدعوةِ الفاطمية وسياسةِ الدولة معاً — داعياً إلى الاستغراب ، كما سنرى في أثناء الحروب الصليبية . ولقد كان في مقتل الحاكم بأمرِ الله (٤١١ هـ) مجالٌ واسعٌ للتفكير والاعتبار .

يبدو أنّ الحاكمَ بأمرِ الله كــان مفكّراً كبيراً وحــازماً قديراً فأرادَ أن يَجْعَلَ الدولةَ الفاطميةَ فاطميّةً صحيحةً بأن يَرُدَّ أمرَها الى أيدي الفاطميّين فقامَ بِعَدَدٍ من وجوهِ الاصلاحِ الصحيح . غيرَ أنّ أخبارَ الحاكم بأمرِ الله مختلطٌ بعضُها ببعض منها الصحيحُ في الرواية ومنها غير ذلك[2] .

وكانت الدعوةُ قد بَقِيَتْ عامّةً حتّى جاء الحاكمُ بأمر الله فأوجد دعوةً جديدةً وأرسلَ إلى الشام داعيةً اسمه نَشتكينُ الدَرَزيّ (بفتح الدال والراء) . ومَعَ أنّ الدرزيَّ قد خان الدعوة ، فقُتِل من أجل ذلك (٤١٠ هـ = ١٠١٩ م) ، فانّ الحركــة الجديدة تُسمّى المذهبَ الدرزيّ (بضمّ الدال وسكون الراء)

---

(١) إن الدعاء للخليفة في خطبة يوم الجمعة أمر ديني ومظهر من مظاهر السلطة السياسية .

(٢) إذا أتيح لأحد أن يدرس حياة الحاكم بأمر الله في كتب التاريخ وكتب الأدب فإنه يستطيع أن يجلو للحاكم صورة سياسية جميلة جداً . ولعل مثل هذه الدراسة تلقي ضوءاً جديداً على الخلافة الفاطمية في القاهرة فتدل على أن تلك الخلافة كانت خلافة فاطمية في الظاهر فقط (وعلى أن مقتل الحاكم كان لأنه أراد أن يعيد تلك الخلافة فاطمية صحيحة) .

وأتباعَ هذه الحركة يُسمّوْنَ « الدروزَ » (بضمّ الدال) ، معَ أنّهم يكرهون هذا الاسمَ ويُسمّون أنفسَهم « الموحّدين » . والمشهورُ أنّ صاحبَ هذا المذهب هو الحاكمُ بأمر الله ، ويقال إنّه هو الذي كتب كتاب « الحِكمة » (وهو كتاب جمع أُسُسَ المذهب على طريقة الرمز لا يَفْهَمُ ما فيه إلاّ من قرأه على شيوخهم) . أمّا الجانبُ الفقهي والفلسفي من المذهب فمن وضع حمزةَ بنِ عليٍّ ابنِ أحمدَ . وقد كان حمزةُ هذا دائماً معَ الحاكم لم يفارقْه ، ويبدو أنّه قتل قبله ، ذلك لأنّ حمزة هذا كان كثيرَ التطرُّف في الدعوة فقتله بعض المعتدلين.

وبعدَ الحاكمِ بأمرِ الله الفاطمي جاء ابنُه أبو الحسن عليٌّ الظاهرُ لإعزازِ دين الله فافترقتِ الدعوة الفاطمية فرقَينِ هما :

ـ فُرقةُ الإسماعيلية : أجازتْ خِلافةَ الظاهر لإعزازِ دين الله وقبلت أعماله . ثم تركتبابَ الدعوة (للدخول في المذهب الفاطمي) مفتوحاً .

ـ فرقة الموحّدين : لم يُجيزوا خلافة الظاهر (لأنّهم أنكروا بنوّته) ولا قَبِلوا أعماله (لأنّها كانت مخالفة لأعمال الحاكم) ثم قالوا بأن باب الدعوة (للدخول في المذهب الفاطمي) قد أُغلق باحتجاب الحاكم .

وفي الوقتِ نفسهِ نبعت من المذهب الفاطمي فرقةٌ ثالثة هي الفرقة النُصيرية أتباع الداعية محمدِ بنِ نُصيرٍ . وقد كان انتشارُها في الشام أيضاً ، وكانت شديدةَ العَداوة لمذهبِ الموحّدين (للمنافسة المحلّية في البلاد الشامية) .

ولكنّ القائمين على استغلال الدعوة الفاطميّة لم يُلْقوا سلاحَهم ، فقد وَجَدوا (سنة ٤٣٤ ﻫ) شَخْصاً في مِصْرَ يُشْبِهُ الحاكمَ بأمرِ الله فأبرزوه للناسِ وادّعَوْا أنّ الحاكم قد عاد الى الحياة، ولكن أُلْقِيَ القبضُ على هذا الرجلِ وعلى من كان معَه وقُتلوا كلُّهم .

وفي سنة ٤٤٤ ﻫ عُمِلَ في بغداد محضرٌ يتضمّن القَدْحَ في نسبِ العلويّين أصحابِ مصر ، وأنّهم كاذبون في ادّعائِهِمُ النَسَبَ إلى عليٍّ ، عليه السلام ، وَعَزَوْهُمْ (نَسَبَهم أصحاب المحضر) فيه إلى الديصانية من المجوس والقدّاحية من اليهود » (ابن الاثير ٩ : ٥٩١) .

ثمّ عادتِ الدعوةُ الفاطميةُ الى القوّة فاستطاعَ القائمون بها أن يَحْمِلوا خطيبَ جامعِ المنصور في بَغْدادَ على أن يخطب (٤٥١ ﻫ) للمستنصر العلويّ (الفاطميّ) .

واستطاع الفاطميّون أن يجعلوا الخُطبةَ في مكّةَ لهم مرّةً بعد مرّة . ولكنّ الخُطبة في مكّةَ عادت الى العبّاسيّين سنة ٤٦٨ هـ .

وبدا للعبّاسيّين أن الذين يقومون بهذه الأعمالِ المُغايرة للاسلام إنّما همُ الباطنيةُ المتستّرون بالدعوةِ العلوية رِياءً وظُلْماً . «وهم الإسماعيلية وهمُ الذين كانوا قديماً يُسَمَّوْنَ قَرامطةً» (ابن الاثير ١٠ : ٣١٣) . ومَعَ نُشوبِ الحروبِ الصليبية اتّضحتْ مخطّطاتُ الباطنية في مُمالئة الصليبيّين وعداء الإسلام واغتيال رجالِ العلمِ والسياسةِ من المسلمين ، فأدْرَكَ العبّاسيّون أنّ أمرَ هؤلاء الباطنيةِ لا يَصلُحُ بالدعوةِ الصالحةِ فأخذوا بقِتالهم وقَتْلهم .

ولم يكنِ التنازعُ دائراً بين المذاهبِ الفاطميّة وحدَها ، ولا بينَ الشيعةِ وأهل السنّةِ فحَسْبُ ؛ ولكنّ أتباعَ المذاهبِ السنّيّةِ أيضاً كانوا في نزاعٍ شديد جِدّاً الى حدّ الاقتتالِ في الشوارع : كان الحنابلةُ — أتباعُ المذهب الحنبليّ[1] — متشدّدين جِدّاً في مسائلِ العبادةِ وفي الأمرِ بالمعروف والنَهْيِ عن المُنْكَر . ثمّ كانوا لا يكتفون بظاهرِ أمرِ الناسِ بل يُحاولون النفوذَ الى حقيقةِ أمرِهم . من ذلك مثَلاً أنّهم كانوا يَطوفون الأحياءَ ويدخُلون الى الدكاكينِ والبيوت يَبحثون عن الخمر وآلاتِ الغِناء واللّهوْ فإذا وجدوا منها شيئاً أتْلَفوه . وكذلك كانوا يعترضون السائرينَ في الطُرُقات ، فإذا رأَوْا رجُلاً يسيرُ معَ امرأةٍ أو مَعَ صبيٍّ تَصَدَّوْا له وسألوه عن صِلته بتلك المرأةِ أو بذلك الصبيّ[2] . ولم يكنِ الأحنافُ أوِ الحَنَفيّة — أتباعُ أبي حنيفةَ[3] — أقلَّ تُقىً ولا أقلّ مُحافظةً على مكارمِ الأخلاقِ من الحنابلة، ولكنّهم كانوا يرَوْنَ أنّ الإسلامَ لا يُجيزِ للمسلمِ

---

(١) أسس هذا المذهب أحمد بن حنبل (ت بغداد ٢٤٢ هـ = ٨٥٥ م) على الحديث (أقوال محمد رسول الله) والسنة (أعمال رسول الله) ، ولم يكن يقبل الرأي في أمور الفقه ، ولا لجأ إلى القياس إلا إذا اضطر إلى ذلك .

(٢) عن درجة القرابة التي تسمح له بمرافقتها . (لئلا تكون رفقته لأحدهما مؤدية إلى ريبة) . راجع ابن الأثير (دار بيروت — بيروت) ٨ : ٣٠٧ — ٣٠٨ .

(٣) المذهب الحنفي أسسه أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت بغداد ١٥٠ هـ = ٧٦٨ م) . وكان أبو حنيفة قليل الاعتماد على الحديث لا يأخذ إلا بما يثق هو به من الحديث . من أجل ذلك كان كثير الأخذ بالرأي (الاجتهاد الشخصي) في المعاملات (التجارة والزواج وسائر الأمور الاجتماعية) لا في العبادات (الصلاة والصوم ، الخ) . وكان يأخذ بالقياس (يحكم في أمر جديد ، لم يكن في أيام الرسول ، بحكم قريب من الحكم في أمر يشبهه في أيام الرسول) وبالاستحسان (قبول ما تواضع عليه الناس في معاملاتهم إذا لم يرد في الدين نص مخالف لذلك) .

أن يعترضَ المسلمَ في الأمور التي هي بينَه وبينَ نفسه أو بينَه وبينَ الله ، إذ كانوا يأخذون بالقولِ المأثور : لنا الظاهرُ (من أعمال الناس) والله يتولّى السَرائرَ . من أجلِ ذلك كان الحنابلةُ والحَنفية يتنازعون علَناً ويقتتلون .

واشتهرَ في هذا الدور من الأُسَرِ الحاكمةِ بنو عمّارٍ في طرابُلُسِ الشام — وكانوا شيعةً — وقد حكَموا طَوالَ النِصفِ الثاني من القرن الخامسِ الهجْريّ (النصف الثاني من القرن الميلادي الحادي عَشَرَ) . وامتدّ حكمُ بني عمّارٍ على جانبٍ كبيرٍ من ساحلِ الشام وأقاموا للامارة أبّهةً وشجّعوا العلم والأدب . ومع أنّ بني عمّارٍ لم يكونوا مُوالينَ للخلافة العبّاسيّة ، فانّهم قاتلوا الإفرَنْجَ (الصليبيّين) قتالاً شديداً صادقاً — بخلاف الفاطميّين عموماً والحشّاشين خصوصاً [1] — وانتصروا عليهم كثيراً : بالقوّةِ مرّةً وبالخديعة مرّة . في سَنَةِ ٤٩٥ ﻫ (عام ١١٠١ م) نَصَبَ القُومُسُ صَنْجيل (الكونت ريموند ده صان جيل) الحِصارَ على طرابُلُسَ . وبرُغْمِ القَلْعَةِ التي أقامَها صنجيل على نهر أبي علي (نهر قاديشا) وبرُغْمِ الإمداداتِ التي كانت تَرِدُ عليه من نصارى الجبل [2] وراءَ طرابُلُسَ ، فانّ صنجيل لم يستطعْ أن يَستَوْلِيَ على طرابُلُسَ الاّ في أواخرِ سَنَةِ ٥٠٢ ﻫ (صيف ١١٠٩ م) .

والذي يبدو — مَعَ الأسفِ — أنّ تاريخ شبهِ جزيرةِ العرب ، في الحِجاز واليمنِ ، لم يتأثرْ بحروبِ الإفرنجِ الصليبيين في الشام .

المعتزلة والأشعريّة والتصوّف

ولا بدّ هنا من الإشارة الى عددٍ من الحركات التي ثارتْ في هذا الدَّوْرِ ثمّ الى أثرِ تلك الحرَكات على الناسِ وعلى الأدب . لقد ثارَ النزاعُ بين الأشعرية والمعتزلة : كانَ المعتزلةُ (الذين يُفسِّرون العقائدَ الإيمانيةَ بالعقل) ينضمّون الى

(١) الحشاشون فرقة متطرفة من الشيعة السبعية أسسها حسن الصباح (ت ٥١٨ ﻫ) . والحشاشون كانوا يلجأون إلى اغتيال خصومهم السياسيين (من أهل السنة خاصة) سعياً إلى بسط سلطتهم المذهبية اجتماعياً وسياسياً .

(٢) راجع تاريخ ابن الاثير (دار بيروت) ١٠ : ٣٤٤ ؛ تاريخ ابن خلدون ٥ : ١٨٦ . وانظر « تاريخ العرب » للدكتور فيليب حتّي ، الطبعة الرابعة من النسخة الانكليزية ٦٤١ ، والنسخة العربية (١٩٥١ م) ، ص ٧٥٩ .

الشيعة والبُوَيْهِيّين في مُقاومةِ الأشعرية (أهلِ السنّة والجَماعة الذين يُقَدّمون نُصوصَ الدين في تفسير العقائد الإيمانية على أحكام العقل) وفي مقاومة الخلافة العبّاسيّة . ولمّا بَرَزَ السلاجقةُ على مسرحِ التاريخ والسياسةِ نَصَروا الأشعرية على خُصومهم . ولكنّ الإسماعيليّين (المتطرّفين من الشيعة الفاطميّة) الذين فَقَدوا الآن مُعاضَدَةَ البويهيّين – بعدَ أن قَضَى السلاجقةُ على الحُكْمِ البويهيّ – سَلَكوا سبيلَ الاغتيالِ السياسيّ .

ولا بدّ هنا أيضاً من الإشارة الى الحركة الصوفية ، هذه الحركةِ التي يَزْعُمُ أتباعُها أنّها بدأت في صدرِ الإسلامِ الأوّلِ ، ولكنّها – على كلّ حالٍ – بدأتْ زُهْداً في العصر الأُمويّ ثمّ اتّخذتْ شكلاً خاصّاً من المبالغة في التعبّد وفي تعليلِ مظاهرِ الحياة الطبيعيّة والإنسانية . ومَعَ الايّامِ انقسمتْ هذه الحَرَكةُ مَسْلَكَيْنِ : مسلكاً معتدلاً أراد أصحابُه أن يَرَوْا كلّ شيءٍ من خلال الحياةِ الدينية الإسلامية ، ثمّ مسلكاً متطرّفاً أرادَ أصحابُه أن يَفْرِضوا على الوُجودِ الطبيعيّ والوجودِ النفسي الإنسانيّ مظهراً من خَيالِهِمْ يَصِلونَ به الى القولِ بأنّ اللهَ والإنسانَ مَدْرَكانِ نِسْبِيّانِ ينتهيانِ الى حقيقةٍ واحدةٍ هي أن الانسانَ هو المظهرُ الوحيدُ لمعرفةِ الله ، لأنّ جميعَ الموجوداتِ الأُخرى من الجَماد والنَبات والحَيَوان البَهيم لا تُدْرِكُ هذا الموجودَ المُطلَق . ثمّ انّ الدين والكُفْرَ والإيمان والخَيْرَ والشّرّ والطاعةَ والمَعْصية والبحرَ والجبَل والقُبْحَ والجَمال مظاهرُ لذلك الوجودِ العظيم الذي هو الألوهية .

ومَعَ أن التصوّفَ بمَسْلَكَيْهِ المعتدلِ والمتطرّف قد أعطانا أدباً جميلاً وأتاحَ لِنَفَرٍ كثيرين منّا تربيةً نفسيةً صحيحةً ، في بعضِ الأحيانِ ، فانّ موقفَ المتصوّفين كُلِّهِمْ من الكفاح في الحياة ، ومِنَ الدفاعِ عن الوطنِ والحِفاظ على الوَحْدَةِ السياسية والقومية والدينية أيضاً ، كان موضعَ ريبةٍ ، إذا نحن نَظَرْنا الى موقفِهِمْ ذلك من خلال مقاييسنا الموروثة المألوفة . ولا ريبَ في أن التصوّف المتطرّفَ كان أشدّ خَطَراً . ولكن يجب ألاّ نَمْزُجَ بينَ المتصوّفةِ أصحابِ « الطرق الشكليّة في العبادة » وبين « المُرابطين » الذين كانوا يَتَستّرون بالمَسْلَكِ الصوفيّ ، على أطرافِ بلادِ الدولة الإسلاميةِ ، ليقوموا بأعمالِ الجهاد في سبيلِ الاسلام والأُمّة والوطن ، أولئك الذين كانوا عُبّاداً في الليلِ فُرْساناً في النهار .

وكَثُرَ العيّارون[1] في العهد البُويهيّ وانتشروا وقوِيَ أمرُهم ، ولكن أخبارَهم تُطالعنا في الأكثر في بَغْدادَ . والذي يبدو أن العيّارين كانوا في الأصل نَفَراً من المُعْدِمين الكارهين للعمل وبَذْلِ الجُهْدِ المُنْتج فآثروا أن يُحَصِّلوا مَعاشَهم بالتشرُّر وبالسلب والغصب. ولمّا كَثُروا وقَوُوا أصبحوا طَبَقةً اجتماعيةً مقسّمةً فرقاً لكلّ فرقةٍ رئيسُها . وكَثُرَ عَيْشُهم حتّى أصبحوا يَفْرِضون سُلْطَتَهم على الأغنياء والتجّار ويقاومون رجالَ الشُرطة ويتغلّبون عليهم في بعض الأحيان .

ومَعَ أن العيّارين قد تَلَبّسوا أحياناً بمظاهرَ دينيةٍ أو سياسةٍ ، فإنّهم كانوا في الواقع جَماعاتٍ من المُفْسدين الذين ينتهزون ضَعْفَ الحُكّامِ وفَوْضى الأحكامِ فيَسْلُبون أو ينهَبون أو يقتُلون ، إذا احتاجوا الى القتل، في سبيلِ الحصول على أسبابِ المعاش .

الخصائص الأدبية

بلغ الشعرُ خاصّةً مُنتهى قوّته قبلَ أن يُطِلَّ القرنُ الخامس للهِجْرة (الحادي عَشرَ للميلاد) . واذا نحن استَثْنَيْنا الشريفَ الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ) وأبا العَلاء المعرّيَّ (ت ٤٤٩ هـ) — وهُما من نِتاجُ القرن الهجريّ الرابع (لأنّ ، الشريفَ الرضيَّ لم يُدْرِكْ من القرن الخامس سوى بِضْعِ سَنَوات ، ولأنّ أبا العلاء كان يطبَعُ شِعْره على غِرارِ المتنبّي) — لم نَجِدْ في القرون التالية للقرن الهِجْري الرابعِ من يبلُغُ في ابتكار الأغراض والمعاني وفي صحّة اللغة ومتانة الأُسلوب ولا في استشرافِ الآفاق الإنسانية والعقلية مَنْ نَقْرِنُهُ بالمتنبّي (ت ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م) والبُحتري (٢٨٦ هـ) وابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ) وأبي نُواسٍ (ت ١٩٩ هـ = ٨١٣ م) .

لقد كان في القرنِ الرابع الهجريّ شعراءُ مُكْثِرون ، ولكنّ الشعراءَ المكثِرين والشعراءَ المُقلّين على السواءِ قد اشتهروا بالقصيدةِ والقصدتين وبالمَقْطوعة والمقطوعتين، كأبي الفَتْحِ البُسْتيّ (ت ٤٠١ هـ) وابي الحَسَن التِهامي (ت ٤١٦ هـ) وابن زُريقِ البغداديّ (ت نحو ٤٢٠ هـ) — ان صَحّتْ قِصّته — ومِهيارِ الديلميّ (ت ٤٢٨ هـ) .

---

(١) العيار (القاموس ٢ : ٩٨) : الذكي الكثير التطواف .

ولا يبعدُ مجرى النثرِ في هذه الحقبة كلّها عن مجرى الشعر كثيراً، إذا نظرنا الى النثر على أنّه براعة فنّيّة. إنّ الأدبَ العربي أدبُ شعرٍ أكثرَ منه أدبَ نثرٍ، والناثرون البارعون أقلُّ عدداً في اللغة العربية من الشعراء البارعين. ثمّ إذا نحنُ اعتمدنا النسبةَ العدَدية بينَ الشعراء والناثرين عموماً وجدْناها نسبةً ضئيلةً جدّاً ووجَدْنا الفرقَ بينَ عددِ الناظمين وعددِ الناثرين كبيراً جدّاً.

والناثرون المنشئون، من كُتّاب الرسائلِ ومن الطابعين نثْرَهم على أسلوب الرسائلِ، كثيرو العدد في القرن الرابعِ الهجْري وفي القرون التي تلَتْه. ولكنّ هؤلاء كانوا يجْرون على رواسِمَ[1] وَرِثوها من القرن الرابع، وكانوا أكثرَ تلاعُباً بالكلمات والتراكيبِ والجُمَلِ — ممّا يدُور على اللفظِ (في التوْرياتِ، مثَلاً) — منهم براعةً في الكشفِ عن عبقريّة الألفاظ والتراكيب. ثمّ انّ نفراً كثيرين من أولئك الناثرين كانوا كُتّاباً (موظّفين) في دواوينِ الإنشاء، ولعلّ نِتاجَهم لم يكنْ سوى استملاءٍ من رؤساءِ ديوانِ الإنشاء أو نَسْخٍ لرسائلِ رؤسائهم أو تقليدٍ لأساليبِ رؤسائهم. وبعدُ، فإنّ رسائلَ هؤلاء كانت في أغراضِها ومعانيها وأساليبها متقاربةً جداً حتى ليَسْتَحيلُ على الدارسِ أن يستخرجَ منها خصائصَ هؤلاء الكتّابِ واضحةً مستقلّة.

أمّا ذوو الاتّجاهِ العقليّ المنطقيّ — من الذين أرّخوا العِلْم والاجتماع وعانَوُا النقدَ الأدبي — كأبي بَكْرٍ الباقلانّيّ (ت ٤٠٣ هـ) وأبي حيّانَ التوحيديّ (ت ٤١٤ هـ) أو من الذين اتّكأوا على الصناعة اتّكاءً كبيراً كالثعالبيّ فهم، بعدُ، من نِتاج القرن الرابع الهِجْري. إنّ التقسيمَ الصناعي العَمَلي لتاريخ الأدب يَحْمِلُنا على أن نَجْعَلهم في التأليف معَ أدباءِ القرنِ الرابع لأنّ عادةَ المؤرّخين أن يعتمدوا في التصنيفِ والترتيب والتطْبيق[2] سَنَةَ الوفاةِ؛ ولو أنّهمُ اعتمدوا في هذا المَجالِ سَنَةَ الوِلادةِ لانتقلَ عند التأليفِ نفرٌ كثيرون من كلِّ عَصْرٍ الى العصرِ الذي سبَقَه.

— في بغداد وفارس:

أمّا في الأدبِ الخالص، وفي الشعر خاصّةً، فقدِ اتّسعَ وصفُ الطبيعة لجَمال

---

(١) الروسم طابع يطبع به، والعلامة، وخشبة مكتوبة بالنقر يختم بها. يجرون على رواسم: يقلدون الخصائص الظاهرة (اللفظية) من الأساليب المشهورة.

(٢) التطبيق: جعل الأشياء طبقات (بعضها فوق بعض) في عدد من خصائصها.

الطبيعةِ في شرقيِّ الدولةِ الإسلامية ولأنَّ الدولةَ البويهيَّةَ كانتْ دولةَ حضارةٍ ونعيمٍ وترَفٍ. من أجلِ ذلك كَثُرَ وصفُ الربيعِ والنيروز (عيد الربيع) والرياضِ والأزهار والفواكه. ولقدْ كان ذلك كلُّه معروفاً منذ أيامِ البُحتريّ وابن الروميّ، بل منذُ أيام بَشّارٍ وأبي نُواس ؛ غيرَ أن هذا الفنَّ القديمَ قد اتّسع الآنَ اتّساعاً كبيراً لأنّ الدولة البهويهيّة لم يكنْ لها فتوحٌ كبيرةٌ تقتضي شِعْرَ العَظَمة والحماسة مثلاً. حتّى إنّ المتنبّي - شاعرَ العظمة والمعارك - لمّا مَدَحَ البويهيّين اعتاضَ عنِ الحماسةِ ووصفِ المعاركِ اللذين ملأا شعْرَه عند سيف الدولة بوصفِ الطبيعة. أمّا التنافسُ الداخليّ بين البويهيين أنفسِهم فما كان الشعراءُ يذكُرونه كثيراً - إذ لم يكونوا يجسُرون على أن يذكروه ولا كان في مَصْلَحَتِهِمْ في التكسّبِ أن يذكُروه - ولا كان هو نفسُه موضوعاً جليلاً في الشعر.

وكَثُرَ الكلامُ في الرسوم الفارسية من النعيمِ والأعياد (كالنيروز والمِهْرجان) وفي الفخر بتلك الأحوال وبماضي الحَضارة الفارسية في المُلْكِ والنَسَبِ أيضاً.

وظهر أثر التشيّع في الأدب في عصرِ البويهيّينِ ظهوراً كبيراً، غيرَ أنّ مُعْظَمَ هذا الاثرِ كان تَعْبيراً عن آلامِ الشيعة منذُ مأساةِ الحُسين، كما نرى عندَ الشريفِ الرضيّ مثلاً وأبن أبي حصينة المعري (ت ٤٥٧ هـ).

وقد كَثُرَ أيضاً وُرودُ المُجون في الأدبِ كَثْرةً كبيرةً. وإذا نحنُ اكْتَفَيْنا بالإشارة إلى « محاضرات الأدباء » للراغبِ الأصفهاني (ت نحو ٥٠٢ هـ) - وهذا الكتابُ يمثّل القرنَ الخامسَ الهجريَّ، لأنّ صاحبَه وضَعه في ذلك القرن - أدْرَكْنا أن المُجونَ في القول والعمل كان قد أصبحَ عادةً لا يُسْتَحْيَى منها كثيراً. وكان المُجونُ يُذْكَرُ في مجالس الادب والقضاء ذِكْراً عاديّاً كأنّه موضوعٌ لا يتّصل بجانبٍ هو جانبٌ مستورٌ في حياة الناس.

ولكن لا بدّ من إعادة القولِ هنا بأن هذه الخصائصَ كانت موجودةً في النصف الثاني من القرن الرابع الهجْري - وقبلَ ذلك أيضاً - ثمّ اتّسعَ القولُ فيها في النِصْفِ الأول من القرن الخامس.

- في الشام ومصر :

لم يكن بينَ خصائصِ الأدبِ في الشام ومصْرَ وبينَ خصائصه في العراقِ وفارسَ اختلافٌ كبير، فقد كان الإسلام يَعُمُّ هذه الأقطارَ كلّها، كما كانت

الأحوالُ الاجتماعية والسياسيةُ متقاربةٌ. غيرَ أنّ الفارقَ الذي يُمكِنُ أن يكونَ وحيداً بين شَرْقِ الدولةِ الإسلامية وغربِها إنّما كانَ غلَبةَ المذهبِ الفاطميّ على مصْرَ وعلى الشام في بعضِ الأحيان، ثمّ العنصُر القوميّ الذي كان يبتعد في المَشْرق عن العصبيّة العربية. ومعَ أنّ المشرقَ كان مُمزّقاً بالنزاعِ بين المُعتزلةِ والأشعريةِ، فانّ النزاعَ نفسَه كان ذا مَظهرَيْنِ متقاربينِ في بعضِ الأحيان للمذهبِ السنّيّ. لقد كان المعتزلةُ والأشعريةُ يريدون الدفاعَ عن الإسلام السنّي (لأنّ الاعتزال والمذهبَ الأشعريَّ كانا يدوران حول العقائدِ الإيمانية كما وردتْ في القُرآنِ الكريمِ، ولم يتَطرّفا في الاعتقادِ ولا خالفا أصولَ الفِقْه الاسلاميّ).

ازدهرَ الشِعْرُ في العصر الفاطميّ ازدهاراً كبيراً لكَثْرة الثَراء وللسَخاء على الشعراء في بَلاط الفاطميّين في مصر وفي البلادِ التابعة لمصر ثمّ لكَثْرة الإمارات في الشام. وكذلك ازدهرَ النَثْرُ الذي كان في الأكثر ترَسُّلاً لاتّساعِ ديوانِ الإنشاء الفاطميّ خاصّةً. وقد كان في العصرِ الفاطميّ رسائلُ إخوانيةٌ أيضا.

ومعَ أنّ شيئاً كثيراً من الشعر الفاطميّ خاصّةً قد ضاع، فإنّ الذي بَقِيَ لنا منه يَدُلُّ على وَفْرتِه في ذلك الحين. ويبدو أن قولَ الشعر كاد في ذلك العصر أن يكونَ عامّاً: قاله الخلفاءُ وأهلُ بيتِهم، وقاله الوزراءُ والكُتّاب وكثيرٌ من الأدباء. ثمّ كان هُنالِكَ جماعةٌ من عَوامّ الناس يقولون الشِعْر المُثقّفَ حيناً والشعر السخيفَ الضعيف احياناً كثيرةً فيزيدونَ الثروةَ الأدبية في المِقْدار وفي التنويع.

ولعلّ أبرزَ خصائصِ الادبِ الفاطميّ في الشعرِ خاصّةً امتلاءُ جانبٍ كبيرٍ منه بالألفاظ الفلسفية والمعاني الباطنيّة الدائرةِ على تأليهِ الائمّة الفاطميّين، فالفاطميّون لم يكونوا يكتفون بالاعتقاد بأن إمامَهم مظهرٌ للعقل وبالتالي للألوهيّة، بل كانوا يعتقدونَ أنّ إمامَهم هو العقلُ نفسُهُ، وهو الله ذاتُه، وإذا كانوا لا يريدون أن يقولوا ذلك تصريحاً، فإنهم كانوا يَعْنونه على كلّ حالٍ. قال أبو الحسنِ عليُّ ابنُ محمّدٍ الأخفشُ يمدحُ الإمامَ الفاطميّ الحافظَ (٥٢٥ – ٥٤٤ هـ):

بَشَرٌ في العين، إلاّ أنّــه ... من طريق العقلِ نورٌ وهُدى.
جلّ أن تُدْرِكَهُ أعيُنُنا، ... وتَعالى أن نَراه جَسَــدا.
فَهْوَ في التَسْبيح زُلْفى راكعٌ ... سَمِـعَ اللهُ بهِ مَنْ حَمِدا.
تُدْرِكُ الأفكارُ فيــه بانيــاً ... كاد من إجلاله أن يُعْبَــدا.

وقال المؤيّدُ في الدينِ داعي الدعاةِ الفاطميُّ يُخاطِبُ الإمامَ المُسْتَنْصِرَ (ت ٤٨٧ ﻫ) :

لستَ دونَ المَسيحِ : سَمّاهُ رَبّاً أهلُ شِرْكٍ ، ولا نُسمّيك ربّا !

وقال شاعرٌ آخرُ في الإمام الفاطمي :

هذا أميرُ المؤمنين بمَجْلِسٍ أبصَرْتُ فيه الوَحْيَ والتنزيلا .
وإذا تَمَثّلَ راكباً في مَوْكِبٍ عايَنْتُ تَحْتَ رِكابِهِ جِبريلا .

ومَعَ أنّ الفاطميّين يتأوّلون هذه الألفاظَ ليقولوا إنّها رموزٌ عن مَعانٍ أُخَرَ ، فإنّ في هذه الألفاظِ اعتقاداً بالحلول (حلول الله في البشر) واضحاً .

ومن أقبحِ ما اتّسَخَ بهِ الشعرُ في العصر الفاطميّ كَثْرةُ المُجونِ والإقذاع في المعنى واللفظ وتقديمُ أشياءَ من القَذَرِ والسُخْف في مطالع قصائدِ المَديح حتّى في أئِمّةِ الفاطميّين أنفسِهم .

وكان للكتّابِ في دواوينِ الإنشاء مكانةٌ ساميةٌ وأُعْطياتٌ سَنيّة . وكان الكتّابُ في العصر الفاطميّ يُطيلون مَطالعَ (مقدّمات) الرسائلِ ، ولا يُخْلونَ رِسالةً من رسائِلِهِمْ من ذِكْرِ رسولِ الله وآلِ بيتهِ ومن القولِ بأن رسولَ اللهِ جَدُّ الائمّة الفاطميّين . ثمّ نَجِدُ في هذه الرسائلِ كثيراً من آياتِ القرآنِ الكريم مُسْتَشْهَداً بها على مُقْتَضى الباطنِ ، كما نَجِدُ كثيراً من ألفاظِ الرَمْزِ الفاطمي بالإضافة الى تَكَلُّفِ كثيرٍ للسجع والاستعاراتِ والجِناس والتَوْريات .

* * * *

ابن عُمَير اليمني

١ — هُوَ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ الحسينِ بنِ عُميرٍ اليَمَنيُّ المَغرِبيّ ، يبدو أنّه وُلِدَ في اليَمَن. ولقد رَحَلَ إلى الشامِ فالى المَغْرِبِ ثم دَخَلَ مِصْرَ واسْتَوْطَنَها .

ويَرْوُونَ أنّ ابنَ عميرٍ اليمنيّ قد أخذ العِلْمَ عن أبي جَعْفَرٍ أحمدَ بنِ محمّد ابنِ سَلامانَ الطَحاويّ المِصْريّ المُتَوفّى سنة ٣٢١ ﻫ (٩٣٣ م) وعن أبي القاسمِ جَعْفَرَ بنِ محمّدِ بنِ عليٍّ النَحْوي ؛ ويبدو لي أن أخْذَه عن الطَحاويّ مستبعدٌ جِدّاً إلاّ أن تكون سِنُّهُ قد جاوزتْ المائةَ بمدّةٍ .

اتّصلَ ابنُ عميرٍ اليمني بالدولة الفاطمية القائمة ودَرّس في دارِ العِلْمِ في القاهرة

واعتنقَ العقائدُ الفاطمية . وكانتْ وفاتُه سنَةَ ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ — ١٠١٠ م) .

٢ — كان ابنُ عمير اليمنيُّ نحويّاً وأديباً ينظم الشعرَ في الأغراضِ من الحِكْمَة والهجاء . غير أنّه اشتهر بالتصنيف ، فمن تصانيفه كتاب التنبيه على بلاغات القرآن — أخبار النُحاة وطبقاتهم ، وهو كتاب على طوله قليلُ القيمة لأنّ ابنَ عمير ترْجَمَ فيه لنفرٍ قليلين ولكنْ أطالَ الكلام عليهم — كتاب مُضاهاة أمْثال كليلةَ ودِمْنةَ بما أشْبَهَهُ من أشعار العرب .

فرَغَ ابْن عُميرٍ اليمني من تصنيف كتاب المُضاهاة بُعَيْدَ ٣٤٠ هـ (٩٥٢ م) ثمّ قدّمه الى المُعزِّ الفاطمي في مدينة المَنْصورة (القطر التونسي) قبلَ انتقال المُعز الى القاهرة . وكانت غايةَ ابن عُميرٍ اليمنيّ من تأليفِ هذا الكتاب أن ينْقُضَ القولَ بأن كتابَ كليلةَ ودمنةَ منقولٌ عن اللغة الفارسية وأن يُثْبتَ أن ابنَ المقفع ألّف هذا الكتابَ ابتداءً من عند نفسه ولكن جاء به منسوباً الى الفُرْسِ . أما سبيلُ ابنِ عُميرٍ الى إقامة الدليلِ على رأيه فكان في أنْ ابنَ عميرٍ يأتيَ بالرأي الحكيمِ في كتابِ كليلة ودمنة ثمّ يُوردُ بيتاً أو أكثرَ من الشعْرِ القديمِ فيه هذا الرأيُ الحكيمُ نفسُه دَلالةً على أن ابن المقفّع جاء بهذا الرأيِ من الشعر العربي لا من أقوال حكماء الفرس .

وهنا موضعُ ملاحظتينِ أولاهما أنّ أبياتاً كثيرةً ممّا يُورده ابنُ عميرٍ اليمنيّ دليلاً على إثبات رأيه غيرُ معروفةٍ في دواوينِ الشعراء الذين تُنْسَبُ اليهم . وثانية الملاحظتين إنّ كثيراً من النُصوص التي أوْردَها ابنُ عميرٍ من كتابِ كليلةَ ودمنةِ تختلفُ كثيراً أو قليلاً من النصوص المألوفة في ما بين أيدينا من نسخ كتاب كليلة ودمنة .

٣ - مختارات من آثاره

— من مقدّمة كتاب المضاهاة (*)

... ولمّا رأيتُ كَلَفَ أهلِ عصرِنا بكتابِ كليلةَ ودِمْنةَ ومواظبتَهم على قراءته والاحتيالَ لأبنائهم على حفْظه ودَرْسه ، بما مَوّهوا من الصُّوَر وأجْرَوْهُ مَجْرى السَّمَر(١) ليَلْهُوَ به فتْيانُهم ويتقبّلَه صِبْيانُهم، وصدوفَهم عن كلامِ العربِ وحِكَمِها وتَفْتيشَهم عن مِثْلِ ما أعْجبَهم من أمثال هذا الكتاب معَ ما ينْضاف

(*) المضاهاة : المشاكلة ، المشابهة (الإتيان بشيء مشابه لشيء آخر) .

(١) موه الرجل الحديد أو النحاس : طلاه بفضة أو بذهب . موهوا من الصور : جعلوا صوره كثيرة ملونة . أجروه مجرى السمر : جعلوه قصصاً وأحاديث يقصونها في الليالي .

إلى ذلك من سُرْعةِ قَبولِ النَّفْسِ لِلْكَلِمِ المَوْزونِ إذ كـان ذلك مُشاكِلاً لِلطِّباعِ وداخِلاً في الإيقاع[1] .....

هذا ، على أنّه قد بَلَغَني أنّ عبدَ اللهِ بنَ المُقَفَّعِ المُدَّعِيَ نَقْلَ هذا الكتابِ مِنَ اللُّغَةِ الفارسيةِ هُوَ واضعُهُ وناسِبُه إلى عِنايةِ الفُرْسِ تَشْييداً بِذِكْرِها وتَنْويهاً بِمَآثِرِها[2] . فانْ كانَ ذلك كما ذَكَرَ فَلِقائِلٍ أن يَقولَ : عبدُ اللهِ بنُ المقفّعِ أخَذَ مَعانيَ أشْعارِ حُكَماءِ العَرَبِ فنَثَرَها[3] وألّفَ عليها هذا الكتاب .....

وبعدُ ، فنَحْنُ نُسَلِّمُ لابن المقفّعِ صِدْقَ ما حَكاه ونُضاهي أمثالَ[4] هذا الكتابِ بِما رَوَيْناهُ من أشعارِ بعضِ العربِ تَصديقاً لما قَدَّمْناه ؛ فكتابُ كليلةَ ودِمْنَةَ أصغرُ وأحقرُ من أن يُضاهى بأمثالِ كتابِ اللهِ عزَّ وجــلَّ .

فلِذلكَ أحْبَبْتُ أن أُنَبِّهَ ذَوِي الألْبــابِ بِمُضاهاةِ أمْثالِ هذا الكتابِ بما ضُمِّنَتْ مِثْلَه أشعارُ المُتَقَدِّمينَ من الجاهِليّين والمُخَضْرَمين الذينَ لَمْ يُعْنَ (!) لهم بنَقْلِ حِكَمِ الأوّلين ولا خَرَجوا عن بَرِّيَّتِهِمْ إلى الحَضَرِ ولا قَرأوا كُتُبَ السِياسة والسِيَر[5] . فاسْتَخْرَجْتُ الأمثالَ التي في كِتابِ كَلِيلَةَ ودِمْنَةَ من بــين حَشْوِ كلامِه وأحاديثِه الجارِيةِ مَجْرى الاخْتِلاف فكانَ جميعُ ما فيه منها عَشْرَ أوْراقٍ ، وكانَ ما سواها هُذاءً وكالزَبَــدِ يَذْهَبُ جُفاءً[6] . وجَعَلْتُ بإزاءِ كلِّ مَثَلٍ مِثْلَهُ من مَنْظوم شعرٍ لِمُتَقَدِّمٍ جاهليٍّ وفصيحٍ عَرَبِيٍّ وذَكَرْتُ اسْمَه ونَسَبَه لِئَلاّ يَظُنَّ جاهِلٌ بالشِعْرِ والشُعَراءِ أنّي نَحَلْتُ أحَــداً ما ليس لَهُ لِلتَّعَصبِ واحْتِجاجاً بالتَكَذّب .....

– نموذج من المضاهاة (ص ١٧) :

---

(١) الصدوف العزوف ، الزهد في الاشياء وتركها والانصراف عنها . مشاكل (بضم الميم) : مشابه ، موافق . الايقاع : وضع الالحان وتبيينها ، تفصيل الانغام .

(٢) المآثر : الاعمال المجيدة .

(٣) نثر (الاشعار) : حلها ، قلبها من المنظوم الى المنثور .

(٤) الامثال (القصص ذات المغزى والعبر) ثم الاقوال الجامعة و الحكم .

(٥) الجاهليون : الذين كانوا قبل الاسلام . المخضرمون : الذين شهدوا أواخر الجاهلية وأوائل العصر الاسلامي . لم يعن لهم بنقل حكم الاولين : لم يهتم أحد بأن ينقل لهم تلك الحكم الخ . البرية : البادية ، المكان البعيد عن العمران . الحضر : اجتماع الناس في المدن . السير جمع سيرة : تاريخ الفرد من عظماء الرجال .

(٦) الهذاء : الهذيان ، الكلام المختلط الذي لا يدل على معنى . الجفاء : البعد . يذهب جفاء : يذهب به بعيداً ، يذهب باطلا (بلا فائدة) . احتجاجاً : لئلا يظن أحد (اذا رويت الشعر من غير أن اثبت اسم قائله الخ) أني أكذب .

قال صاحبُ الكتاب[1] : يُقال اذا لَقِيَ اللاقي عَدُوَّه في المواطنِ التي يَعلَم أنه غير ناجٍ مِنْهُ فيها كان حَقيقاً بالمُقاتلة كَرَماً وحِفاظاً[2] ؛

قال الاصمّ بُكَيْرٌ يومَ ذي قارٍ :

إذا كُنْتَ تَخشى من عَدُوِّكَ صَوْلَةً ولم تَسْتَطِعْ دَفْعاً له حين يُقْدِمُ ،[3]
فقاتِلْ حفاظاً أو فَمُتْ مَوْتَ فارسٍ ؛ ولَلْمَوْتُ في أمثالِ هاتيكَ أكرم[4] .

— ولابنِ عميرٍ اليمنيّ أربعةُ أبياتٍ زَعَمَ أنّه ليس لها بيتٌ خامسٌ على حَرْفِ رَويّها (الوافي بالوفيات ٢ : ٣٨٠) :

أسْقَمَني حُبّ مَنْ هَويتُ فقد صِرْتُ بِحُبِّه في الهوى آيَهْ .
يا غايةً في الجَمالِ صوّرَهُ اللهُ ، أما لهذا الصُدودِ من غايه[5] ؟
تَرَكْتَني للسَّقامِ مُشْتَهِراً أشْهَرَ للعالمين من رايه .
أُحِبُّ جيرانَكُمْ من أجْلِكُمُ ؛ بحُجّةِ الطِفْلِ تَشْبَعُ الدايه[6]

— لَعلّ البيتينِ اللذينِ رَواهما ابنُ خلّكان لأبي عبدِ الله الحسين بنِ اليَمني الشاعرِ المَشْهور صاحبِ الرسالةِ المشهورة (وفيات الاعيان ٥٥٢ — ٥٦) هما لابنِ عُميرٍ اليمني هذا :

أُنْبِئْتُ أنك قد أتَتْكَ قوارِصٌ عَنّي ثَنَتْكَ على الضمير الواجدِ[7] ؛
عَمِلَتْ رُقى الواشينَ فيك ، وإنّها عِنْدي لَتَضْرِبُ في حديدٍ باردِ![8]

٤ — مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب (تحقيق محمّد يوسف نجم) ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦١ م .

** الوافي بالوفيات ٢ : ٣٧٩ — ٣٨٠ ؛ بغية الوعاة ٣٧ — ٣٨ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢٠٢ ؛ زيدان ٣ : ٨٠ — ٨١ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٢٩ .

---

(١) أي عبد الله بن المقفع صاحب كتاب كليلة ودمنة .
(٢) الحفاظ : الدفاع عن النفس أو الشرف أو القبيل (قوم الرجل) .
(٣) الصولة : الهجمة ، الوثبة ، السطوة . يقدم : يهجم .
(٤) في أمثال هاتيك — في القتال للدفاع عن النفس ...
(٥) غاية : نهاية .
(٦) الداية : المرضع الأجنبية ، الحاضنة (المعجم الوسيط ١ : ٣٠٥ ، السطر الأخير) . « بحجة » الطفل تشبع الداية » يبدو أنه مثل من أمثال العوام (تعطى المرضع الطعام الكافي حتى تتمكن من ارضاع الطفل ارضاعاً كافياً .
(٧) أتتك (بلغتك) قوارص (من الكلام : ما يسيء اليك ويؤلمك) عني (زعموا أنني أنا قلتها) ثنتك (طوتك) على الضمير الواجد (الغضبان) = جعلتك تضمر لي حقداً .
(٨) الرقى جمع رقية (بضم الراء : كلام خرافي زعموه يؤثر في الانسان خيراً أو شراً) . الواشي : الذي ينقل =

أبو الفتح البستي

١ – هو أبو الفتح عليُّ بنُ محمّدِ بنِ الحسينِ بنِ يوسفَ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ العزيزِ البُستيُّ ، نِسبةً الى بُست من بلادِ كابُل (الأفْغان) بين هَراة وغَزْنه .

لعلّ مولدَ أبي الفتحِ البُستيِّ كان في نحو سَنَةِ ٣٣٠هـ (٩٤١م). وقد قرأ الحديثَ على محمّدِ بن أحمدَ بن حِبّان البُستي (ت٣٥٤ = ٩٦٥م) ثمّ حَمَدِ بنِ محمّدِ بنِ ابراهيمَ الخطّابيّ البُستيّ (ت نحو ٣٨٦ هـ = ٩٩٦ م) – وكان مُحدِّثاً وشاعراً – وأصبح صديقاً له .

بدأ أبو الفتح البُستي حياته العَمَليّة مُعلّماً للصبية في بُست، ثمّ ما لَبِثَ أن أصبح كاتباً لدى بايتوز (والي بست) . فلمّا استولى سُبُكْتُكينُ على بست (سنة ٣٦٦ هـ) دخل البستي في خِدمتِه . وقد حَدَثَتْ وحشة بينَه وبينَ سُبُكْتُكينَ فنفاهُ سبكتكينُ الى مِنْطقةِ روهَجَ أو رُخّاجَ (قربَ نَيْسابور) ، ثمّ رَضِيَ عنه فاستدعاه . وبَقِيَ البُستيُّ في خِدمة الدولة الى أيامِ محمودِ الغَزْنَوِيّ بنِ سبكتكينَ . بعدئذٍ وقعتِ الوحشةُ بينَه وبينَ رِجالِ الدولةِ من جديدٍ فآثرَ أن ينتقلَ الى بلادِ التُرك (وراءَ نهرِ جَيْحونَ) حيثُ تُوُفّيَ سَنَةَ ٤٠١هـ (١٠١٠ م) في مدينةِ بُخارى أو أوزجند .

٢ – البُستيُّ شاعرٌ بارعٌ وكاتبٌ مُجيدٌ صاحبُ الطريقةِ الأنيقة والتجنيسِ الأنيسِ البديعِ التأسيسِ ، وهو كثيرُ التجنيس والتسهيم (الموازنة في الجملة بين الكلماتِ وبين صِيَغِ تلك الكلمات أيضاً) في نثره وشعره . واشتهرَ البستي بقصيدتهِ « زيادةُ المرءِ » في الحكمةِ ، وقد شَرَحَها نَفَرٌ من الأدباء .

٣ – مختارات من آثاره :

– من القصيدة النونية المشهورة :

زِيادةُ المرء في دنياه نُقصانُ ، وربْحُه غيرَ مَحْضِ الخير خُسران.

ومنها :

أحْسِنْ الى الناس تستعبدْ قلوبَهُمُ ؛ فطالما استْعبدَ الإنسانَ إحسانُ .

= الكلام بين اثنين للايقاع بينهما (المبغض) . – عملت رقى الواشين فيك : أثرت (صدقت أنت ما قيل لك عني) . تضرب في حديد بارد = بلا فائدة .

وكنْ على الدهرِ مِعواناً لذي أمـلٍ ... يرجو نَداكَ ، فإنّ الحرّ مِعوان .
واشدُدْ يَدَيْكَ بحبلِ الله مُعْتصماً ، ... فإنّه الركنُ إنْ خانَتْكَ أركان .
منْ جاد بالمالِ مالَ الناسُ قاطبـةً ... إليه ؛ والمـالُ للانسان فتّـان .
مَنْ يزْرَعِ الشرَّ يَحْصُدْ في عواقبهِ ... ندامةً ؛ ولحَصْدِ الـزرع إبّان .
مَنِ استنام الى الأشرار نام وفي ... قميصهِ منهـمُ صِلٌ وثُعبـان .
أحْسِنْ اذا كان إمكانٌ ومَقْدِرةٌ ؛ ... فلنْ يدومَ على الإنسان[1] إمكان .
لاظِلَّ للمرء يَعْرى من نُهىً وتُقىً ، ... وإنْ أظَلَّتْهُ أوراقٌ وأغصان .
فالناس أعوانُ من وَالَتْهُ دولتُه ؛ ... وهم عليه ، إذا عادَتْهُ ، أعوان .
لا تَحْسَبِ الناسَ طبعاً واحداً ، فلهمْ ... غرائـزٌ لست تَدْريهـا وأركان .
اذا نبا بكريمٍ موطنٌ فلَـهُ ... وراءه ، في بسيطِ الارض ، أوطان .
يا نائماً ، فَرِحاً بالعزّ سـاعَدَهُ ؛ ... إن كنتَ في سِنَةٍ[2] فالدهر يقظان .
لا تَحْسَبَنَّ سروراً دائماً أبداً ؛ ... من سرّه زمنٌ ساءتْه أزمـان .
إذا جفاك خليلٌ كنتَ تألَفُـهُ ... فاطْلُبْ سواه ، فكلّ الناس إخوان.
وان نَبَتْ[3] بكَ أوطانٌ نشأتَ بها ... فارْحَلْ ، فكلّ بلاد الله أوطان .

— ومن مقطوعاته القصيرة البارعة معنى وتجنيسا :

وقد يَلْبَسُ المرءُ خزَّ الثيـابِ ... ومن دونهِ حالُه مُضْنِيَـهْ[4] .
كَمَنْ يكتسـي خدُّه حُمـرةً ... وعِلّته وَرَمٌ في الـرئَهْ[5] .

— اذا تحدّثتَ في قوم لتُؤْنِسَهُمْ ، ... بما تُحَدِّثُ من ماضٍ ومن آتِ ،
فلا تَعُدْ لحديثٍ ؛ إنّ طبعَهُـمُ ... مُوكّل بِمُعاداة المُعادات[6] !

— قلْ للأمير ، أدام ربّي عِـزّهُ ... وأنالَهُ من فَضله مَكْـنونَهُ :

(١) كذا في الأصل ، ولعلها : فلن يدوم على « الاحسان » إمكان .
(٢) السنة (بكسر السين وفتح النون) : النعاس ، أول النوم ، الاستغراق في النوم .
(٣) نبا جنبه عن الفراش : لم يطمئن فيه . نبا به المنزل (والوطن) : لم يوافقه .
(٤) الخز : الحرير . ومن دونه : تحت الثياب الحرير (الانسان نفسه) .
(٥) في مرض الرئة (السل) يظهر على الخد الشاحب حمرة متحلقة غير شائعة في الوجه كله .
(٦) المعادات (جمع معادة : قصة مروية مرة بعدأخرى) .

إنّي جَنَيْتُ، ولم يَزَلْ أهلُ النُّهى يَهَبُونَ للخُدّام ما يَجْنُونه[1].
ولقد جمعتُ من العيوبِ فنونَهـا، فاجمعْ من العَفْوِ الكريم فنونه.
من كان يرجو عفوَ من هو فوقَـه عن ذنبهِ، فَلْيَعْفُ عن مَنْ دونه.

— ومن نثره البارع أيضاً:

من أصلح فاسدَهُ أرغم حاسده. من أطاعَ غضبَهُ أضاع أدبه. عاداتُ الساداتِ ساداتُ العاداتِ. مِنْ سعادة جَدّك[2] وقوفك عند حَدّك. الرّشوة رِشاء[3] الحاجات. أجهلُ الناس من كان للإخوان مُذِلاً وعلى السلطان مُدِلاً[4]. الفهم شُعاع العقل. المَنيّةُ تَضحكُ من الأُمْنيّة[5].

٤ — ** يتيمة الدهر ٤ : ٣٨٤ — ٤١١ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٥٢ — ٥٣ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٥٩ — ١٦٠ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩١ — ٢٩٢ ، الملحق ١ : ٤٤٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٣٨٤ ؛ زيدان ٢ : ٣٢ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٤٤ .

أبو بكر الباقـلاني

١ — هو أبو بكرِ محمدُ بنُ الطيّبِ بنِ محمدِ بنِ جعفرِ بنِ القاسمِ الباقِلاّنيُّ أو ابن الباقلاّنيّ ؛ كان مولـده في البصرة ، بُعيد ٣٣٠ هـ (٩٤١ م) في الاغلب[6] ونشأ في بغداد . تلقّى الباقلاّنيُّ العلمَ عـلى أتباع أبي الحسنِ الاشعريّ كأبي الحسن الباهلي البصري (ت ٣٧٠ هـ) وأبي عبد الله الطائي ؛ وأخذ الحديثَ عن أبي بكرِ القَطيعي (ت ٣٦٨ هـ) وعلمَ الاصولِ عن أبي عبد الله الشيرازي (ت ٣٧١ هـ) والفِقهَ عن أبي بكرِ الأبهري شيخِ المالكية في عصره (ت ٣٧٥ هـ) .

استقدم عَضُدُ الدولة البويهيُّ ، نحو سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠ — ٩٧١ م) ، أبا بكرٍ

(١) جنى : قطف الزهر أو التمر . جنى : أذنب . الخادم : الأجير . الخادم (الموظف ، الوزير في بعض الأحيان) . يهبون للخدام ما يجنونه (تورية) : يتنازلون لخدامهم عن نتاج أرضهم — يعفون عن ذنوبهم.

(٢) الجد : الحظ .

(٣) الرشاء : الحبل يستخدم في رفع الماء من البئر .

(٤) أدل : أظهر الطمع أو الدلع وكانت له جرأة على المحب أو على الصديق .

(٥) المنية : الموت . الأمنية : الأمل ، الرغبة .

(٦) لما رغب عضد الدولة في استدعاء الباقلاني الى شيراز كان الباقلاني شاباً ولكن مشهوراً بأنه من رجال علماء الاشعرية وفرسان علم الكلام . وجاء عضد الدولة الى الحكم سنة ٣٣٨ هـ ولكنه كان أولا تحت وصاية أبيه . ولعل بلاط عضد الدولة لم يبرز في عالم الفكر والادب الا بعد ٣٥٠ هـ . وقد زار المتنبي عضد الدولة سنة ٣٥٤ هـ .

الباقلاّنيَّ من البصرة الى شيراز . ولمّا تغلّب الباقلاّنيّ في مجلس عَضُدِ الدولة على الذين ناظروه من أئمّة المعتزلة علتْ منزلته جدّاً، ثم لمّا دخل عضد الدولة بغدادَ وتولّى فيها مَنْصِبَ أمير الامراء (٣٦٧ هـ) كان الباقلاّنيّ في صحبته .

وسَفَّرَ الباقلاّنيُّ لعَضُدِ الدولة الى باسيليوس الثاني ملكِ الروم ، نحو سنة ٣٧١هـ، للمفاوضة في سبيل سِلمٍ أو تبادلِ أسرى؛ في هذه الأثناء ناظر علماء النصرانية، في بلاط القسطنطينية وبحضور الملك ، وتغلّب عليهم .

وفي العام التالي عاد الباقلاّنيُّ الى بغدادَ وتولّى القضاء في بلدة عُكْبُرةَ ؛ وكان أيضاً يتصدّرُ للتدريس .

وكانت وفاةُ أبي بكر الباقلاّنيّ في بغدادَ في ٢٣ من ذي الحجّة ٤٠٣ هـ (٥/ ٦/ ١٠١٣ م) في الأغلب .

٢ – كان القاضي أبو بكرٍ الباقلاّنيُّ فقيهاً كبيراً وأصوليّاً متعمّقاً ومن المتكلمين والنُظّار المعدودين انْتَهَتْ إليه رئاسةُ المذهبِ الأشعريّ في زمانه . وكان يُطيل في الجدالِ ويُجيد الاستنباطَ مَعَ الإسراع في الجواب . ثم هو من أعلام الأدب والبلاغة القادرينَ على المُوازنةِ بين الأساليب والتراكيب مَعَ نظر ثاقب في مواطن القوّة والضعفِ فيها . والباقلاّنيّ يرى أن اللُّغَةَ العربيةَ فوقَ اللغاتِ الأعجمية ، وأنّ القرآنَ الكريم فوق جميع ما قاله العرب . ومَعَ أنّ القرآنَ ليس من جنسِ كلام العرب (ليس من نوع الكلام الذي يَنْظُمونه ويَنْثُرونه في العادة) فانّه ليس أعجمياً . وإعجاز القرآن قائمٌ ، في رأي الباقلاّنيّ ، على استواء التعبير في جميع الأغراض التي وردت في القرآن مَعَ جودةِ اللفظ وصفاء التركيب .

للباقلاني من الكتب : إعجاز القرآن – تمهيد الدلائل وتلخيص الاوائل – كتاب الانتصار لصحّة نقل القرآن والردّ على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان – كتاب الاستبصار في القرآن – كتاب الانصاف في مسائل الخلاف ، الخ[1] .

٣ – المختار من آثاره

– من كتاب إعجاز القرآن (القاهرة ، دار المعارف ، ٥٤ – ٥٦) :

.... انّ عَجيبَ نَظمهِ وبديعَ تأليفه لا يتَفاوَتُ ولا يتَبايَنُ، على ما يتَصَرّف

(١) راجع ثبتاً بمؤلفات القاضي الباقلاني في اعجاز القرآن (دار المعارف) ، ص ٤٢ – ٥٦ .

إليه مِنَ الوُجوه الّتي يتَصَرّفُ فيهـا : من ذِكْرِ قِصَصٍ ومواعـظَ واحتجاجٍ ، وحِكَمٍ ، وإعذارٍ وإنذار ، ووعدٍ ووعيد .... ونَجِدُ كلامَ البليغِ الكاملِ والشاعرِ المُفْلق والخطيب المِصْقَع يختلفُ على حَسْبِ هذه الأمور ؛ فمِنَ الشعراء من يُجَوِّدُ في المدحِ دونَ الهجاء ، ومنهم من يُبَرِّزُ في الهَجْو دون المديح .... ومنهم من يُغْرِبُ في وصف الإبل أو الخيل .... أو وصف الخَمْر أو الغَزَل ..... ومتى تأمّلتَ شعرَ الشاعرِ البليغ رأيتَ التفاوُتَ في شعرهِ على حَسْب الأحوالِ التي يتصرّف فيها فيأتي بالغايةِ في البَراعة في مَعْنىً ؛ فإذا جاء الى غيرِه قَصّر عنـه وبانَ الاختلافُ عـلى شعرِه ....

وقد تأمّلنا نَظْمَ القُرآنِ فوجدْنا جميعَ ما يتصرّف فيه من الوُجوه التي قدّمنا قد ذَكَرها على حَدٍّ واحدٍ في حُسْنِ النظم وبَديع التأليف والرّصْف لا تَفاوتَ فيه ولاانحطاطَ عن المنزلة العُليا... وكذلك فد تأمّلنا ما يتصرّفُ اليه(من !) وجوه الخطاب، من الآياتِ الطويلةِ والقصيرةِ ، فرأينا الإعجاز في جميعها على حـدٍّ لا يختلفُ . وكذلك قد يتفاوَتُ كلامُ الناسِ عند إعادة ذِكْرِ القِصة الواحدةِ تفاوُتاً بيّناً ويختلفُ اختلافاً كبيراً . ونظرنا في القرآنِ فيما يُعادُ ذِكْرُه من القِصة الواحدةِ فرأيناه غيرَ مختلف ولا متفاوت ، بل هُوَ على نهايةِ البلاغة وغاية البراعة ، فعَلِمْنا بذلك أنه مما لا يَقْدِرُ عليه البشرُ ، لأنَّ الذي يَقْدِرون عليه قد بَيّنا فيه التفاوُتَ الكثيرَ عِنْدَ التَكرارِ وعند تبايُنِ الوُجوهِ واختلافِ الأسبابِ التي يتضمّن .

٤ ــ اعجاز القرآن (على هامش الاتقان للسيوطي) ، القاهرة ١٣٤٩هـ ؛ القاهرة (عطا الله الجزّار) ١٣١٥ هـ ؛ (شرح وتعليق محمّــد عبد المنعم خفاجيّ) ، القاهرة (مكتبة ومطبعة محمّد علي صبيح) ١٩٥١ م ؛ (تحقيق سيّد أحمد صقر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٤ م.
الانصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (عني بنشره عزّة العطّار) ، القاهرة ١٩٥٠ ؛ (تحقيق محمّد زاهد الكوثري) ، القاهرة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠ م) ، الطبعة الثانية القاهرة (موسّسة الخانجي) ١٩٦٣ م .
كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات (عني بنشره ريتشرد يوسف مكارثي) ، بغداد (منشورات جامعة الحكمة ــ سلسلة علم الكلام ، رقم ١) ، بيروت (المكتبة الشرقية) ١٩٥٧ م ؛ بيروت (المكتبة الشرقية) ١٩٥٨ م .
التمهيد في الردّ على الملحدة والمعطّلة والرافضة والخوارج والمعتزلة (ضبطه محمود محمّد الخضيري ومحمّد عبد الهادي أبي ريدة) ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

** تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٩ – ٣٨٣ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٧٧ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٧٨ – ٢٧٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٦٨ – ١٧٠ ؛ بروكلمان ١ : ٢١١ ، الملحق ١ : ٣٤٩ ؛ زيدان ٢ : ٣٨٢ – ٣٨٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٩٥٨ – ٩٥٩ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٥٩ – ٨١ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٤٦ .

قابوس بن وشكمير

١ – هو الامير شمسُ المعالي قابوسُ بنُ أبي طاهرٍ وَشْكَميرَ بن زِيار بن وَردانَ شاه الجيليّ الدَيْلميّ .

في المُحرّم من سَنَةِ ٣٥٦ كان ظهيرُ الدولةُ أبو منصورٍ وشكميرُ بن زيار (أميرُ جُرجانَ وطَبَرستانَ وما حولهما) في الصيد فوقع عن فرسه فلاقى حَتْفَهُ ، فخلفه ابنه بيستون . وفي شعبان من سنة ٣٦٦ (٩٧٧ م) توفّي بيستونُ ، فأراد أنصارُه أن يُمَلّكوا بعدَه ابنَه ، وكان طِفْلاً صغيراً ، فاستطاع قابوسُ (ابنُ وشكميرَ وأخو بيستونَ) أن يَستَوْليَ على الإمارة بالقوة .

وكان بينَ البُوَيْهيّين وبينَ أمراء جُرجانَ نزاعٌ قديمٌ استمرّ الى أيــام قابوسَ ثم استطاع فخرُ الدولة أبو الحسنِ عليُّ بنُ بُويهِ (أميرُ الرّيّ وهَمَذانَ وإصْبَهان) أن يتغلّبَ على قابوسَ (٣٧١ هـ = ٩٨١ – ٩٨٢ م) وأن يُقْصيَهُ عن مُلْكه . ثم مات فخرُ الدولة (٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م) فاستَرد قابوسُ ملكه في شهر شَعْبانَ من سنة ٣٨٨ (صيف ٩٩٨ م) .

ويذكر المؤرخون أن قابوسَ كانَ كثيرَ الاسْتبدادِ ظاهرَ القَسْوةِ فثار عليــه جُنْده ثم خَلَعوه ونَصَبوا مكانَه ابنه مَنُوجَهْرَ ، سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ، ولكنّهم خافوا أن يعودَ فيستوليَ على الملك وينتقم منهم فقتلوه في شهر ربيعٍ الآخَر من سنة ٤٠٣ نفسها .

٢ – كان قابوسُ بنُ وَشْكَميرَ عالماً أديباً له مشاركةٌ في شيء من علم الفلك ، كما كان شاعراً ظريفاً مُقلاً وكاتباً مُتَرسِّلاً ؛ والصناعة في شعرِه أقلّ من الصناعة في نثرِه . وهو يُغْرِبُ في الاستعاراتِ خاصّةً فيأتي بالبارع منها كثيراً وبغير البارع قليلاً . وله في نثرِه فصولٌ (أقوالٌ حكيمة موجزة).

٣ – مختارات من آثاره

– من الأبياتِ المشهورةِ التي تُنْسَبُ الى قابوسَ بنِ وَشْكميرَ قولٌ يَصِفُ

تصرّفَ أحوالِ الدهر بالناس :

قُلْ للّذي بصروفِ الدهرِ عيّرنا : هل حاربَ الدهرُ إلاّ مَنْ له خطَرُ؟
أما ترى البحرَ تعلو فوقَه جيَفٌ ، ويَستقِرّ بأقصى قَعْره الدُرَر ؟
فإنْ تكُنْ نَشِبَتْ أيدي الزمانِ بنا ونالَنا من تَمادي بؤسِه الضرر ،
ففي السماءِ نجومٌ ما لها عددٌ ؛ وليس يُكْسَفُ إلاّ الشمسُ والقمر !

– ومن الفصول البارعة لقابوسَ بنِ وَشْكميرَ :

الكريمُ اذا وَعَدَ لم يُخْلِفْ ، واذا نهض لفضيلةٍ لم يَقِفْ . اذا سَمَحَ الدهرُ بالحِباء فأبشر بوَشْكِ الانقضاء ، واذا أعارَ فاحْسُبْهُ قَدْ أغار . كلّ غمٍّ إلى انحسارٍ ، وكلّ عالٍ الى انحدارٍ . غايةُ كلِّ متحرّك سكونٌ ، ونهايةُ كلّ متكوّنٍ ألاّ يكونَ ؛ وآخرِ الأحياءِ فَناءٌ ، والجزَعَ على الأموات عَناء ؛ واذا كان ذلك كذلك ، فلِمَ التَهالُكُ على هالك ؟

– من رسالة لقابوسَ بنِ وشكميرَ إلى بعضِ إخْوانه :

كتَبْتُ – أطالَ اللهُ بقاءَ مَوْلايَ – وما في جِسْمي جارِحَةٌ الاّ وهِيَ تَوَدُّ لو كانتْ يَداً تُكاتِبُه ولِساناً يُخاطبه وعَيْناً تُراقبه وقَريحةً تُعاقبه[1] ، بنَفْسٍ ولْهى وبصيرةٍ وَرْهى وعَيْنٍ عَبْرى وكَبِدٍ حَرّى[2] ، مُنازِعَةً إلى ما يُقَرِّبُ منه ..... فَلْيَرِقَّ لِكَبِدٍ قَذَفَها البُعادُ وعينٍ أرّقها السُهادُ وأحشاءٍ مُحْرَقَةٍ بنار الفِراق وأجفانٍ مقروحةٍ بدَمْعِها المُهَراق .....

٤ – كمال البلاغة (مجموع رسائله) (جمعها عبد الرحمن بن عليّ اليزدادي ونشرها نعمان الأعظمي ومحبّ الدين الخطيب) ، (على نفقة المكتبة العربية في بغداد)، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤١ هـ .

كتاب النصيحة المعروف باسم قابوس نامه (تعريب محمّد صادق نشأت وأمين عبد المجيد بدوي) ، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٥٨ م .

** يتيمة الدهر ٤ : ٥٦ – ٥٩ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٩ – ٣٨٣ ؛ معجم الادباء ١٦ : ٢١٦ – ٢٣٣ ؛ ابن الاثير ٩ : ٢٣٨ – ٢٤٠ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ١٧٥ – ١٧٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٦٨ – ١٧٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٥٤ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٢٧٧ – ٢٨٩ ؛ مم ع ع ٣ : ٩ (أيلول – سبتمبر ١٩٢٣ م) ؛ ص ٢٧١ ثمّ ٣ : ١ (تشرين الثاني – نوفمبر ١٩٢٣ م) ص ٢٣٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٨٥٨ – ٩٥٩ ؛ الأعلام الزركلي ٦ : ٣ .

(١) تسير على اعقابه (تتبع اعماله وأفكاره) .
(٢) ولهى: حزينة. ورهى: حمقاء. عبرى: دامعة. حرّى: يابسة من عطش أو حزن.

أبو الحسن البتي الكاتب

١ – هو أبو الحسنِ أحمدُ بنُ علـيٍّ البتّيُّ ، من أهلِ العراق فيما يبدو . قرأ القرآنَ الكريم على شيوخِ عصره ومنهم زيدُ بن أبي بِلالٍ وسَمِعَ الحديث، كما تلقّى كثيراً من فنون اللغة والعلم .

ولمّا هَرَبَ أحمدُ بنُ اسحقَ بنِ المقتدرِ من الخليفةِ الطائعِ لله ، سَنَةَ ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) الى البطيحة (ما بين واسطَ والبصرةِ ، جَنوبيّ العراق) واحتمى بها ، كان البتّي مَعَه يكتُبُ له. ثمّ تولّى أحمدُ بنُ اسحقَ الخلافةَ باسمِ القادرِ بالله ، سَنَةَ ٣٨١ هـ (٩٩١ م) فجعل البتّيَّ صاحبَ الخَبَرِ والبريدِ في ديوانه .

وكان بينَ البتّيّ وبينَ الوزراءِ والوجهاء مودّةٌ ومطارحاتٌ لحسن معاشرتهِ وكَثْرة ما يُورده من النوادر حتّى توصّلَ الى منادمة فخر المُلْك أبي غالب محمّد بنِ عليّ (ت ٤٠٧هـ) وزيرِ بهاءِ الدولة بنِ عَضُدِ الدولة البُويهيّ . ولمّا توفّي البتّيُّ رثاه الشريفُ الرَضيّ والشريف المرتضى .

وكانتْ وَفاةُ البتّي في شَعْبانَ من سَنَةِ ٤٠٥ (أوائل ١٠١٥ م) .

٢ – كان أبو الحسنِ أحمدُ بنُ عليٍّ البتّيّ حافظاً للقرآنِ حَسَنَ التلاوة مُلِمّاً بعَدَدٍ من فنون الأدب والعلم يكتُبُ خطّاً مَليحاً ، كما كانت له معرفةٌ بالغناء وصنعته. ثمّ انّه كان يذهبُ في أصولِ الدين مذهبَ المُعتزلة ويذهب في فروع الفِقْه مذهبَ أبي حَنيفةَ . وكذلك كان حَسَنَ المذاكرة مُحيطاً بالأخبار والآداب ظريفاً .

وكان له نَظْمٌ وتَرَسُّلٌ؛ وشعرُه عاديّ أحياناً، متينٌ بارعٌ في بعضِ الأحيان. وكان يتعصّب للطائيّين ، ولكنْ يُفَضِّلُ البحتريَّ على أبي تمّامٍ . وله تصانيفُ منها : القادري – العَميدي – الفَخْري .

٣ – مختارات من آثاره

– أمرَ فخرُ المُلك أبو غالبٍ بإرسالِ مِائَتَيْ دينارٍ مَعَ رسالة غُفْلٍ الى البتّيّ ، فأخذ البتّيُّ المالَ وكتب على ظهر الرسالة :

« مالٌ لا أعرِفُ مُهدِيَهُ فأشكرَ له ما يُولِيه ، إلاّ أنّه صادفَ إضاقةً دَعَتْ الى أخذه والاستعانةِ به في بعض الأمور ، وقُلْتُ :

ولم أدْرِ من ألْقى عليـه رِداءه ؛ سوى أنّه قد سُلَّ عن ماجدٍ مَحْض
واذا سهّلَ اللهُ اتّساعاً رَدَدتُ الْعوِضَ مَوْفوراً ، وكان المُبتدىءُ بالبرِّ مشكوراً » .

— وقال في تعليلِ احمرارِ العينِ مِنْ أثرِ البُكاء أحياناً عند خَجَلِ صاحبِها من أن يراها المحبوبُ تنظرُ الى وجهِ محبوبٍ آخرَ :

ما احمرّتِ العينُ من دَمْعٍ أضرَّ بها في عَرْصَتَيْ طَلَلٍ أو إثْرَ مُرْتَحِلِ ؛
لكنْ رآها الذي تَهْوى — وقد نَظَرَتْ في وجهِ آخرَ — فاحمرّتْ منَ الخَجَلِ !

— وللبتّي قصيدةٌ يمدح بها ابن صالحانَ منها :

سأسْتَعْتِبُ الدهرَ الخؤونَ بِسَيِّدٍ يَرُدُّ جِماحَ الدهرِ إذ هو قائِدُهْ ؛
سواءٌ عليه طارفُ المـالِ في النّدى — إذا ما انتحاه السائلون — وتالده !

— وللبتّي أيضاً قصيدةٌ أخرى في صالحانَ منها :

مِنْ مَعْشَرٍ وَرِثوا المكارمَ والعُلا وتَقَسّموها كابـراً عن كابرِ .
قومٌ يقومُ حديثُهم بقديمِهم ، ويسيرُ أوّلُهم بمجدِ الآخرِ .

٤ ** تاريخ بغداد ٤ : ٣٢٠ ؛ معجم الادباء ٣ : ٢٥٤ — ٢٧٠ ؛ الوافي بالوفيات : ٧ : ٢٣١ — ٢٣٤ ؛ الأعلام الزركلي ١ : ١٦٥ ؛ ابن الأثير ٩ : ٣٥١ .

ابن نباتة السعدي

١ — هو أبو نصرٍ عبدُ العزيزِ بن عُمَرَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ نُباتةَ السَعديُّ ، كان مَوْلده في بغدادَ ، سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) . قال ابن خلّكان (١ : ٥٢٨) عن ابن نُباتة إنّه « طافَ البلادَ ومدح الملوكَ والوُزراء والرّؤساء ، ولَهُ في سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ غُرَرُ القصائدِ ونُخَبُ المدائح » ؛ ولكنّه لم يَشْهَدْ مِنْ حُكْمِ سيفِ الدولةِ نفسهِ سنينَ كثيرةً : لمّا ضَعُفَ البَلاطُ الحَمْدانيُّ بعدَ سيفِ الدولةِ غادره ابنُ نُباتَةَ الى المشرق فوصل الى الريّ ومدح فيها ابنَ العميدِ المشهورَ فمَطَلَه ابنُ العميد . ثم إن ابنَ نُباتَةَ عَتَبَ على ابن العميد ولم يُفِدْهُ ذلك العتاب شيئاً (وفيات الأعيان ٢ : ٤٦٤ — ٤٦٦).

* البيت لأبي خراج الهذلي ، راجع تاريخ الأدب العربي ١ : ٤٧١ .

وتُوُفِّيَ ابنُ نُباتةَ السّعديُّ في بغدادَ في ٣ شوّال ٤٠٥ (١/ ٣/ ١٠١٥ م) .

٢ ــ ابنُ نُباتةَ السّعديُّ ناثرٌ صاحِبُ رسائلَ ومقاماتٍ وشاعرٌ مُكْثِرٌ ؛ ومعظمُ شِعره جيّد يَجْمَعُ حُسْنَ السبكِ إلى جودة المعنى مع السّلاسة والرقّة . وله أبياتٌ سائرةٌ منها :

ومَنْ لم يَمُتْ بالسيفِ ماتَ بغيرهِ ؛ تنَوّعَتِ الأسبابُ والموتُ واحدُ !

وابن نباتة السّعديُّ مصنِّفٌ له كتاب المفاوضة .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال ابن نُباتةَ السعديّ في الدنيا ولذّاتها :

ودارٍ يُغَـرُّ بها أهلُهـا غرورَ المُحِبِّ بطيفِ الحُلُـمْ .
تأمُّلُها يقْظـةٌ من كرًى ، ولَذّتُهـا راحةٌ من ألَـمْ .
عَناءُ الحيـاةِ ورَوْحِ الوفـاةِ : تقاربَ وُجْدانُها والعدم .

ــ وقال في دلالة المظاهر على الحقائق :

وهل ينْفعُ الفِتْيانَ حُسْنُ وُجوهِهِمْ إذا كانت الأعراضُ غيـرَ حِسانِ ؟
فلا تَجْعَلِ الحُسنَ الدليلَ على الفتى ؛ فما كلُّ مصقولِ الحديدِ يمـانِ !

ــ وقال يَنْسِبُ بسُعْدى ويذكر نواحيَ الشام ثم يَعْطِفُ على وصف الخمر :

أشتاقُ غُوطةَ داريّا ، ويُعْجِبُني ــ على افتقاريَ ــ أنْ تَغْنَى مَغانيها .
لَهْفي على شَرْبة من مـاء جُوسيّةٍ ، ونَظْرة يُدْرِكُ الجَوْلانَ رائيها[1] ؛
ونَفْحة من صَبا لُبنـانَ خالصة تُميت غُلّـة نفسٍ أو تُداويهـا .
يا دَهرُ ، لا غَفَلاتُ العيشِ عائـدةٌ ولا الشبابُ الذي أبْلَيْتُه فيهـا !
عَسى السيوفُ تُقاضي ما مَطَلْتَ بها ؛ فقد رَضِيتُ بمـا تقضي قواضيهـا .
إن كنتَ تَمْنَعُ سُعدى من مَطالبِها ، فلستَ تمنع سُعدى من تَمَنّيهـا !
لله نَغْمةُ أوتـارٍ ومُسْمِعَةٌ باتت تَدُلُّ على شوقي أغانيها ،

---

(١) داريا : بلدة ذات أعناب وفاكهة جنوب دمشق . المغاني: الاماكن المسكونة . جوسية : قرية من قرى حمص . الجولان (بفتح الجيم) : منطقة في حوران .

وقهوةٌ كشُعاعِ الشمسِ طالعةٌ أفنَيْتُ بالمَزْج فيهـا ريقَ ساقيها .
لو كنتُ أخْضَعُ في الدنيـا لنائبةٍ خَضَعْتُ من هَجْرها أو من تَجَنّيها .
تَسْتَعذِبُ الدمعَ عيني في مَحَبَّتِها ؛ كأنّ ما تَمْتَريه العينُ من فيهـا[1] .

٤ – * * يتيمة الدهر ٢ : ٣٤٩ – ٣٦٤ ؛ تاريخ بغداد ١٠ : ٤٦٦–٤٦٧؛ ابن الأثير ٩ : ٢٥١ – ٢٥٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٢٨ – ٥٣٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٧٥ – ١٧٦؛ بروكلمان ١ : ٩٤ ، الملحق ١ : ١٥٢ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٨ – ٢٩٩ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٤٨ .

الشريف الرضي

١ – هو أبو الحسنِ محمدُ بنُ الحسينِ بنُ موسى الكاظم من نَسْلِ الحُسينِ ابنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ . وقد كان أبوه نقيباً للطالبيينَ (رئيساً دِينياً للعَلَويين).

ولد الشريف الرضيّ في بغداد (٣٥٩ ه = ٩٧٠ م) ونشأ فيها وبرع في علوم الفقه واللغة والادب ؛ وقال الشعر وعمره خَمْسَ عَشْرَةَ سنة. وفي ٣٨٨ه(٩٩٨م) اعتزل أبوه نَقابة الطالبيين فخلفه هو فيها نائباً عنه . وفي ذي القَعْدة ٤٠١(١٠١١م) منحه الامير البويهي بهاء الدولة لقب الشريف . ثم انه عُين نقيباً أصيلاً يوم الجمعة في ١٦ المحرم ٤٠٢(آب ١٠١٢م). بعدئذ ضُمت اليه الاعمال التي كان يقوم بهـا أبوه وهي النظر في المظالم[2] وا لحج بالناس.

وكان الشريف الرضي أبياً عاليَ الهمة طَموحاً الى المعالي لم يقبل صِلَةً من أحد ولا جائزة . وقد رد جميع الصِلات التي كانت جاريةً عـلى أبيه من قبله ، فخافه الخليفة المقتدر (٢٩٥ – ٣٢٠ ه) فاتّهمه بالمَيْل الى العلويين والفاطميين[3] فَصَرَفَه (عزله) عن المظالم والحج .

وتوفي الشريف الرضي في السادس من المحرم ٤٠٦ (٢٤ / ٦ / ١٠١٦ م) ودفن في بيته في محلة الأنباريين احدى ضواحي الكرخ (الكاظمية اليوم) .

٢ – كان الشريف الرضي شاعراً بارعـاً ، « وشعره يجمع الى السلاسةِ متانةً والى السهولةِ رَصانةً ، ويشتمل على معانٍ يَقْرُب جناها ويبعد مداها » . وشعره على

---

(١) امترى الماء : استحلبه ، استخرجه . من فيها : من فمها .

(٢) المظالم : الحكم بين العامة وبين من يتعدى عليهم من الأمراء وذوي الجاه .

(٣) العلويون والفاطميون نسل الأمام علي . والفاطميون خاصة المتطرفون (راجع فوق ، ص ٣٥).

الاسلوب القديم : جزالةٌ في اللفظ وفخامةٌ في المعنى . وقد غلَبت على شعره الحماسة والفخر وبرع في الرثاء والغزل العفيف، وفي شعرِه رمزٌ بارعٌ وغزل بالبِقاعِ الشريفة في الحجاز خاصةً . وتغلِبُ على شعرِه النفْحةُ الدينيةُ . ولشِعره عُذوبةٌ وطلاوة على كثْرةِ تكلُّفه .

والشريف الرَّضيّ مُترَسِّلٌ ومُصَنِّفٌ ، له كتاب معاني القرآن – كتاب مجاز القرآن – وقد جمع ما وصل اليه من خطب الامام علي وسمّاه « نهج البلاغة » .

٣ – مختارات من شعره

– قال الشريف الرضي يمدح الخليفة المقتدر بالله ويفتخر بنفسه :

للهِ يومٌ أطْلَعتْكَ بـه العُلا ... عَلَماً يُزاوَلُ بالعيون ويُرْشَقُ ،
لما سَمَتْ بـك عِزَّةٌ مَوْموقـةٌ ... كالشَّمْسِ تَبْهَرُ بالضياء وتُومَقُ[١]
وبرزتَ في بُرْدِ النبيّ ، وللهُدى ... نورٌ على أسرارِ وَجْهِك مُشرق[٢] ،
في موقفٍ تُغْضي العُيونُ جلالةً ... فيه ويَعْثُرُ بالكلام المَنْطِق .
مالُوا إلَيْك محبَّةً فتجمعوا ، ... ورأَوْا عليك مَهابةً فتفرّقوا .
مَهْلاً ، أميرَ المؤمنين ، فإنّنا ... في دَوْحةِ العَلْياء لا نتفرق ،
ما بينَنا يومَ الفَخارِ تَفاوُتٌ ... أبداً ، كِلانا في المَعالي مُعْرِق[٣] ،
إلاّ الخِلافةَ مَيّزَتْك فإنني ... أنَا عاطلٌ منها وأنت مُطوّق[٤] ،

– وقال يفتخر بعلوّ همته وشرف نفسه :

لغيرِ العُلا مني القِلى والتَجنُّبُ ... ولولا العُلا ما كنتُ في الحب أرغب[٥] ،
ملكتُ بحلمي فُرصةً ما استَفادَها ... من الدهر مَفْتولُ الذراعينِ أغلَبُ .
وللحِلْمِ أوقاتٌ وللجهلِ مثلُها ؛ ... ولكنّ أوقاتي إلى الحِلم أقرب ،

(١) مومقة : محبوبة . تبهر بالضياء وتومق : تضر العين بنورها الشديد ويحبها الناس في وقت واحد .
(٢) البرد : الثياب . كان الخلفاء يتوارثون بردة للرسول يلبسونها في أيام الجمع والاعياد وفي المناسبات الدينية (للمبايعة بالخلافة مثلا) .
(٣) معرق : أصيل ، قديم النسب .
(٤) عاطل : لا يلبس حلياً (لجماله فهو لا يحتاج إلى الحلى). المطوق: يلبس طوقاً (قلادة في العنق). – أنا مثلك، ولكنك أنت خليفة وأنا لست خليفة.
(٥) القلى : البغض ، الكره .

يَصولُ عليّ الجاهلون فأعتلي ، ويُعْجِمُ في القائلون وأُعرِبِ[1] ،
ولا أعْرِفُ الفحشاءَ إلاّ بوَصْفِها ، ولا أنْطِقُ العَوْراءَ والقلبُ مُغْضَبُ[2].

— وله أبيات تجمع بين الحكمة كثيراً والفخر قليلاً :

وكم صاحبٍ كالرُمح زاغتْ كُعوبُه أبى بعدَ طولِ الغَمْزِ أن يتَقوّما ؛
تَقَبّلت منه ظاهراً مُتَبَلّجاً ، وأدْمَجَ دوني باطناً مُتَجَهّما .
ولَوْ أنني كَشَفْته عن ضَميرِه أقمنا على ما بينَنا اليومَ مأتما .
دَعِ المرء مَطْويّاً على ما ذَمَمْتَه ولا تَنْشُرِ الداءَ العُضالَ فتندَما .
إذا العضوُ لم يُؤلِمْكَ إلاّ قطعتَه على مَضَضٍ لم تُبْقِ لَحْماً ولا دما .
ومن لم يُوَطِّنْ للصغيرِ من الأذى تعرّض أن يَلْقى أجلّ وأعظما .

— ومن أجمل ما قيل في الشوق الى ديار الأحبّة قوله :

ولقد مَرَرْتُ على ديارِهِمُ وطلولُها لِيَدِ البِلى نَهْبُ ؛
فوَقَفْتُ حتى لَجّ من لَغَبٍ نِضْوي ، ولَجّ بَعَذْلِيَ الرَّكْبُ[3] .
وتَلفّتتْ عيْني ، فمُذْ خَفِيَتْ عنّي الطُلولُ تَلَفّتَ القلب !

— وقال في التغزّل بالديار المقدّسة

يا ظبيةَ البانِ ترعى في خمائله ، لِيُهْنِكِ اليومَ أن القلب مرعاكِ[4] .
الماء عندك مبذولٌ لشاربه ؛ وليس يُرويكِ إلاّ مَدْمَعُ الباكي !
هبّت لنا من رياح الغَوْر رائحة بعد الرُّقاد عَرَفْناها بريّاك[5] .
ثمّ انْثَنَيْنا اذا ما هزّنا طربٌ على الرِحال تَعَلّلْنا بذِكراك .
سهمٌ أصاب — وراميه بذي سَلَمٍ — مَنْ بالعراق ؛ لقد أبعدتِ مرماك[6]

---

(١) أعجم : قال كلاماً لا يفهم (ذم) . أعرب : بين ، قال كلاماً مفهوماً (مدح).

(٢) الفحشاء : العمل القبيح . العوراء : الكلمة القبيحة .

(٣) ... حتى تعبت ناقتي المنهوكة وأكثر رفاقي لومي .

(٤) البان : نوع من الشجر أملس أسمر مستقيم الغصون من نبات الحجاز يضرب به المثل في الجمال . ليهنك : ليهنئك . أنت تسكنين الحجاز ولكن لا ترعين (بفتح العين وسكون الياء وفتح النون) شجر البان ، ولكن تأكلين من القلوب (الذين يحبونك كثار) .

(٥) الغور : ساحل الحجاز .

(٦) ذو سلم في الحجاز (كناية عن البعد) .

وعدٌ لعينَيْكِ عندي ما وَفَيْتِ به؛ يا قُربَ ما كَذَبَتْ عَيْنيَّ عَيْناك!
حَكَتْ لِحاظُكَ ما في الريم من مُلَحٍ — يوم اللقاء — فكان الفضل للحاكي[1]
كأنَّ طَرْفَكَ يوم الجزع يُخبرنا بما طوى عنكِ من أسماء قتْلاك[2].
أنت النعيمُ لقلبي والعذاب لـه ؛ فما أمـرَّكِ في قلبي وأحـلاك !
عندي رسائلُ شوقٍ لست أذكُرها ؛ لولا الرقيبُ إذَنْ بلّغتُها فاك[3].
سقى مِنَى وليالي الخَيْف ما شَرِبَتْ من الغَمـام وحَيّاهـا وحيّاك ؛
اذ يلتقـي كلّ ذي ديـن وماطِلَهُ منا ، ويجتمـع المَشْكُوُّ بالشـاكي.
لمّا غدا السِرب يَعْطو بين أرْحُلِنـا ما كان فيه غريمُ القلب إلاّك[4].
هامت بك العينُ لم تتبعْ سِواكِ هوًى ؛ من علّم العينَ أن القلـب يهواك !

-- وللشريف الرَضيّ قصيدةٌ مقْصورةٌ يَصِفُ فيها مقتلَ الحُسينِ بنِ عـليٍّ رَضِيَ الله عنهما في كَرْبلاء[5]

كَرْبَلا ! لا زِلْتِ كَرْباً وبَـلا ؛ ما لَقِي عِندَكِ آلُ المُصطفى[6] !
كم عـلى تُرْبِكِ لمّـا صُرِعوا من دمٍ سالَ ومن دَمْعٍ جَرى[7] !
وضُيوفٍ لفَـلاةٍ قَفْـرَةٍ نَزَلوا فيهـا على غيـرِ قِرى[8] ؛
لم يَذوقوا الماءَ حتّى اجتَمعـوا بحِدا السيف على وِرْدِ الرَدى[9].

(١ج) الريم : الغزال الابيض . ملح : اشياء مليحة جميلة .
(٢) الطرف : العين . الجزع : الوادي ؛ والجزع أيضاً بلدة عن يمين الطائف (شرق مكة) وبلدة عن شمالها .
(٣) لا أحب أن أصف لك شوقي بلساني (لا فائدة من ذلك الكلام لي) ، ولولا أن ثمت رقيباً علينا لبلغت ذلك الشوق فاك (لقبلتك) .
(٤) السرب جماعة الظباء (جماعة النساء الجميلات) . يعطو : يرفع عنقه (يتلفت) . الأرحل : سروج الخيل الخ .... يقصد : لما كثر النساء الجميلات حولنا وأمام عيوننا ، لم يحب القلب أحداً منهن سواك .
(٥) كربلا موضع قرب الكوفة استشهد فيه الحسين بن علي يوم عاشوراء ، في العاشر من المحرم من سنة ٦١ (١٠-١٠-٦٨٠ م) ، في أيام يزيد بن معاوية .
(٦) لا زلت كربا وبلا = دومي أبداً كرباً (حزناً يتملك النفس فلا يتركها) وبلاء (غما يكاد يتلف الجسم) . ما (أشد) ما لقي (أصاب) عندك آل (أقارب ، أهل بيت) المصطفى (رسول الله) .
(٧) تربك = ترابك = أرضك (أرض كربلاء) . صرعوا : طرحوا أرضاً (قتلوا) . كم من دم سال (كناية عن كثرة الذين قتلوا) ومن دمع جرى (كناية عن كثرة البكاء لشدة الحزن) .
(٨) كان الحسين بن علي يسكن المدينة (في الحجاز) فدعاه أهل الكوفة مع أهل بيته ليبايعوه بالخلافة وليقاتلوا تحت لوائه بني أمية . فهو وآل بيته ، اذن ، ضيوف في العراق . الفلاة : الارض الواسعة . قفرة : لا عمران فيها (ولا ماء ولا طعام) . القرى : الضيافة (لم يعاملوا معاملة الضيوف) .
(٩) الحدا = الحداء (بضم الحاء أو كسرها) : سوق الابل أو الغنم الخ بعضها ببعض. بحداء السيف : بقسوة =

أدْرَكَ الكُفْـرُ بِهِمْ ثاراتِـه ، وأُدِيـلَ الغَيُّ منهم فاشْتفى[1] .
يا قتيلاً قَـوَّضَ الدهرُ بـه عَمَدَ الدينِ وأعلامَ الهُدى.
قَتَلوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمُ أنه خامسُ أصحاب الكِسا[2] .
مَيِّتٌ تبكـي له فاطمـةٌ وأبوها وعليٌّ ذو العُـلا[3] .
لو رسولُ الله يَحْيـا بَعْدَه قَعَدَ اليومَ عليه للعَـزا[4] .
جَعَلَ اللهُ الـذي نابَكُمُ سَبَبَ الوجدِ طويلاً والبُكا[5].
لا أرى حُـزْنَكُمُ يُنْسى ولا رُزْءُكُم يُسْلى ــ وإن طالَ المَدى[6] .

٤ــ ديوان الشريف الرضي ، بومباي (مطبعة نخبة الأخبار)١٣٠٦ هـ ؛ (مع تعليقات للشيخ أحمد عبّاس الازهري ومحمّد سليم اللبابيدي) ، بيروت (المطبعة الأدبية)١٣٠٧ــ ١٣١٠ هـ ؛ (أعيد طبعه)ّ، بغداد (مطبعة البيان) بلا تاريخ ؛ (نشره كامل سليمان) ، بيروت (دارالفكر ومكتبة العرفان) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت)١٣٨٠ هـ = ١٩٦١م.

شرح ديوان الشريف الرضيّ (محمّد محيي الدين عبد الحميد)، مصر (دار احيـاء الكتب العربية) ١٩٤٩ م .

= وعنف . الورد (بكسر الواو) : الذهاب الى الماء للشرب. الردى : الموت. لم يشربوا ماء (لم ينالوا شيئاً من اكرام الضيف) فلما عطشوا وطلبوا ماء سقوهم الموت (قتلوهم) .

(١) كان الكفر (أعداء الاسلام من الروم والفرس) قد أراد قتل آل رسول الله (لأن الاسلام قضى على دولتي الروم والفرس) فلم يقدر فقتلهم بنو أمية المسلمون . الغي : الضلال . أديل (انتصر ، انتقم) ــ المعقول في الكفاح أن الحق يجب ان ينتصر على الباطل ، أما في كربلا فقد انتصر الباطل على الحق . قوض : هدم . عمد الدين : الدعامة التي تسند الدين . الاعلام جمع علم : العلامة العالية الظاهرة التي يهتدي الناس بها في أسفارهم .

(٢) قتلوه = قتلوا الحسين بن علي . ــ أصحاب الكساء (أو الرداء أو العباء) خمسة : محمد رسول الله وفاطمة بنت محمدوعلي بن أبي طالب وابناه الحسن والحسين ، اجتمع بهم رسول الله يوماً في بيته ثم ألقى على نفسه وعليهم كساءه (ثوبه) وتلا قوله تعالى في سورة الاحزاب : « ... إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ، أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً . (٣٣ : ٣٣).أهل البيت : يا أهل بيت رسول الله .

(٣) أبوها : أبو فاطمة (محمد رسول الله) .

(٤) ــ لو كان رسول الله حياً لقعد يتقبل التعزية بموت الحسين (لجلالة قدر الحسين) .

(٥) نابكم: أصابكم . الوجد: الحزن الشديد . ــ ان الله تعالى قد جعل المصيبة التي حلت بالمسلمين في كربلاء سبباً لحزن شديد ولبكاء دائم .

(٦) الرزء : المصيبة بانسان (موت انسان) لا يقوم مقامه أحد غيره. يسلى: ينسى مع مرور الزمن . المدى: المدة ، الزمن .

رسائل الصابي والشريف الرضيّ (نشره محمّد يوسف نجم)، الكويت (مطبعة الحكومة الكويتية) ١٩٦٠ م
نهج البلاغة (بشرح الشيخ محمّد عبده)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية)؛ ثمّ طبعات عديدة.
نهج البلاغة ومعه شرح ابن أبي الحديد، القاهرة (البابي) ١٣٢٩ هـ؛ (حققه محمد محيي الدين عبد الحميد) القاهرة (المطبعة التجارية) بلا تاريخ. بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦٣ — ١٩٦٥ م.
تلخيص البيان في مجازات القرآن، طهران (مجلس الشورى) ١٣٧٢ هـ؛ بغداد (المطبعة العلمية) ١٩٥٥ م.

** عبقرية الشريف الرضيّ، تأليف زكي مبارك، بغداد (مطبعة الجزيرة) ١٩٣٨هـ، ١٩٤٠ م.
الشريف الرضيّ، تأليف محمّد رضا آل كاشف الغطاء، بغداد (دار النشر والتأليف) ١٩٤١ م.
الشريف الرضيّ: بودلير العرب وواضع أسس الرمزية العالية في الشعر العربي، تأليف عبد المسيح محفوظ، بيروت (مكتبة بيروت) ١٩٤٤ م.
الشريف الرضيّ، تأليف احسان عبّاس، بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٥٩ م.
ثلاثة من الأعلام: الشريف الرضي، دعبل الخزاعي، عكاشة العمّي، تأليف خليل رشيد، النجف (مطبعة الغريّ الحديثة) ١٩٥٥ م.
الشعراء الثلاثة: أبو الطيّب المتنبّي، أبو العلاء المعرّيّ، الشريف الرضيّ، تأليف نور الدين يوسف نور الدين، بيروت (مطبعة الانصاف) ١٩٥٦ م.
حياة الشريف الرضيّ، تأليف عبد الحسين الحلّيّ، (مطبعة الحرّية) ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م.
ترجمة الشريف الرضيّ لأحمد عارف الزين (العرفان — صيداء بلبنان، المجلّد ٣). الشريف الرضيّ لعبد الرحمن شكري (الرسالة — القاهرة، المجلّد ٧؛ عدد ٥).

تاريخ بغداد ٢ : ٢٤٦ — ٢٤٧؛ يتيمة الدهر ٣ : ١١٦ — ١٣٥؛ المحمدون من الشعراء ٢٤٣ — ٢٤٤؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٢٧٤ — ٣٧٦؛ انباه الرواة ٣ : ١١٤ — ١١٥؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٦٣ — ٣٦٧؛ شذرات الذهب ٣ : ١٨٢ — ١٨٤؛ زيدان ٢ : ٢٩٩ — ٣٠١؛ بروكلمان ١ : ٨١، الملحق ١ : ١٣١ — ١٣٢؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٢٩ — ٣٣٠.

عبد الصمد بن بابك

١ — هو أبو القاسم عبدُ الصمد بنِ منصورِ بن الحسين بن بابَكَ من أهل غمى! (١) في اصفهانَ، ولعلّ مولده كان في حُدود ٢٤٠ هـ. وليس في ما بين أيدينا من المصادر إشارةٌ الى أحداث حياتهِ سوى أنه كان مُتَّصِلاً بالصاحبِ بن عبّادٍ (ت ٣٨٥ هـ)

(١) ؟

يألَفُهُ ويمدحُه ، فيَشْتي مَعَ الصاحب في ريف جُرجانَ ويَصيفُ في موطنه من أرضِ أصفهانَ . وفي سَنَةِ ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ م) كان في الرَّي ؛ ولعلّه جـاء إليها قبلَ ذلك أيضاً لمّا مَدَحَ أبا عليٍّ الحسنَ بن أحمد الضبيّ الذي تقلّد الوَزارة لفخرِ الدولة سنة ٣٨٥ هـ[1] . أما وفاتُه فكانت ببَغْدادَ في حُدود سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) .

٢ ـ عبدُ الصمدِ بن بابَكَ شاعرٌ مُفْلِق مُجيدٌ (القاموس ٣ : ٢٩٣) مكثر . يجمَعُ الجَزالةَ والمتانةَ اللتين في الشعرِ القديمِ إلى السلاسةِ والحَلاوةِ اللتين في شعرِ المُحْدَثين المُوَلَّدين . وهو حَسَنُ السَبْكِ جميلُ الرصفِ بارع الوصف حُلْوُ الألفاظِ سهل التراكيب . وفنونُه الوصفُ وهو أحسنُها ثم الخمرُ والأدب والمدح . وقد عَمِلَ مجموعاً مُختاراً من شعرِه كان قد طلبه منه أبو نصرٍ سهلُ بن المَرْزُبانِ من بغدادَ . ويبدو أن ديوان شعره قد وَصَلَ إلينا (بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٤٥) .

ولمّا قَدِمَ عبدُ الصَمَدِ بن بابَكَ على الصاحبِ بنِ عَبّادٍ (٢ : ٥٦١) قال له الصاحبُ : « أنتَ ابنُ بابَكَ ؟ » فقالَ له : أنا ابنُ بابِكَ ! » فاستحسَنَ الصاحبُ منه هذا الردّ .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال عبدُ الصمد بن بابَكَ في وصف الطبيعة وفي النسيب والخمر :

ربَّ لَيْلٍ مَرَقْتُ مِنْ فَحمَتَيْهِ   أنا والعيسُ والقَنا والبُروقُ[2]
ورُقادٌ كَخَفْقَةِ النَّبْضِ يَغْشَى   مُقلةً راعَها الخَيالُ الطَروقُ[3] .
واستهلّتْ لمَصْرَعِ اللَّيْلِ وُرْقٌ   ثاكلاتٌ حِدادُها التطويقُ[4] .

---

(١) راجع يتيمة الدهر ٣ : ٣٤٩ ثم قارن ذلك بما في زامباور ٣٢٦ .

(٢) مرق : مر خلال الشيء ولم يتأثر به (يمرق السهم من الرمية ــ الحيوان ــ من غير أن يعلق به دم) . من فحمتيه (التثنية هنا للمبالغة في شدة سواد الليل) وكنت (وحدي) راكباً العيس (النياق) والقنا (الرماح ، استعداداً لقتال الاعداء واللصوص) والبروق (كثرة البرق والأمطار ، كناية عن هول الليل ومشقة السفر فيه) .

(٣) رقاد (اغفاء ، نوم) كخفقة النبض (خفيف جداً لا يكاد الانسان يشعر به ، كما لا نشعر بضرب النبض الا اذا أمسكنا بموضع أحد العروق الرئيسة في الجسم) ، يغشى (يأتي مرة بعد مرة وقليلا قليلا) مقلة (عيناً) راعها (أخافها) الخيال الطروق (الوهم ، التخيل بأن عدواً أو لصاً سيطرقها ــ سيأتي فجأة في ذلك الليل ، ولذلك تظل تلك المقلة يقظى إلا ما يغشاها من غفلة النعاس مرة بعد مرة) .

(٤) استهلت : بدأت بالصدح والتغني . لمصرع الليل : لانتهاء الليل ومجيء الصباح . ورق جمع ورقاء : حمامة . ثاكلات : مات أحد أهلها (حزينات على الليل !) . حدادها : ثيابها السود الدالة على الحزن. التطويق الطوق الموجود في عنقها (الطوق للحمامة : ريش حول العنق لماع كثير الألوان من الاخضر والازرق والبنفسجي خاصة . حتى الحمام الاسود يكون له طوق يختلف من سائر الريش باللمعان .

فتضاحكتُ شامتاً وكأنّ الصُّبْـ ـحَ جَيْبٌ على الدُّجا مشقوق[1] .
سَبَكَ الشرقُ منه تِبراً مُذاباً لِفِرِنْدِ الشُّعاعِ منه بَريق[2] .
وتمشّتْ على الريـاضِ النُّعامى ، وثَنى قَدَّهُ القَضيبُ الرَّطيب[3] .
إنّما العيشُ رَنّةٌ مِنْ حَمامٍ وسُلافٌ يَشُجُّه مَعشوق[4] ،
ومَهَبٌّ من الشَّمال عليلٌ ووِشاحٌ من الرياضِ أنيق[5] ،
ومُلاءٌ من الشبابِ جديدٌ ، ورِداء من النسيم رقيق[6] .
لا تَرِدْ مَشرعَ الصَّبابة ، فاليأ سُ رفيقٌ اذا استقلّ الفريق[7] .
شافهِ الهَمَّ ، إن طَغى ، بحريقٍ سَلَّه من زِنادِه الراوُوق[8]
صَفَّقَتْهُ يدٌ كأنّ عليها صَدفاً فيه لُؤلُؤٌ وعَقيق[9] .

---

(١) شامتا بذهاب (انهزام الليل أمام الصباح) . الصباح جيب على الدجا مشقوق : ظهور شعاع من النور لا يزال الظلام يحيط به من ثلاث جوانب .

(٢) سبك (صاغ ، صنع) الشرق تبراً مذاباً (ذهباً سائلا) . منه (أبرزه من نفسه عند الافق الشرقي) لفرند الشعاع (يشبه الشاعر ألواح الشعاع البارزة من الشرق قبيل طلوع الفجر بفرند أي بنصال سيوف محمرة أطرافها من النور الطالع قبيل الفجر) .

(٣) النعامي : ريح الجنوب ، أو ريح تهب بين الجنوب والشرق . وثنى قده القضيب الرطيب : الغصن الاخضر الناعم أخذ يتمايل مع هبوب النعامى .

(٤) رنــة : صوت (غنــاء) . السلاف والسلافــة (بضم السين فيهما) : الخمر . يشجه (يشجها) : يمزجها بالماء . معشوق : ساق جميل (يتعشقه الانسان لجماله) .

(٥) الشمال : ريح الشمال . عليل : بارد ولطيف . وشاح : قطعة من النسيج مزركشة تضعها المرأة حول كتفيها (كناية عن البستان نبتت فيه أزهار مختلفة تغطي منه بقعة واسعة) . أنيق : حسن (يعجب العين) .

(٦) الملاء في لأصل جمع ملاءة (بضم الميم) : الريطة (الثوب الواسع من الحرير). الملاءة الجديدة كناية عن عنفوان الشباب . رداء من النسيم رقيق (خفيف) ؛ هواء يهب برفق فينعش النفس من غير أن يسبب إزعاجاً.

(٧) الورود : الذهاب الى الماء للشرب . المشرع : مكان الشرب من النهر . الصبابة : الحب ، الميل الى اللهو والغزل . لا ترد مشرع الصبابة : لا تطلب الحب ... فانك اذا أحببت انساناً ثم فارقك استولى عليك اليأس (من الحياة كلها) . استقل : ذهب ، سافر ، ابتعد . الفريق : جماعة الناس (في هذا الشطر تكلف في الجمع بين « رفيق » « وفريق » – المقصود : اذا خالطت انساناً ثم رحل عنك رافقك اليأس في حياتك كلها بعد ذلك .

(٨) شافه الهم : اقترب من الهم (اذا نزل بك هم فلاقه) . وطغى : زاد وتعاظم . بحريق (بخمر لها لون الحريق أو النار – حمراء) . الراووق : إناء الخمر الذي تصب الخمر منه في الكؤوس . الزناد (بكسر الزاي) والزند (بفتح الزاي): حديدة تقدح بها النار من الحجر – سله من زناده الراووق : أبرزه الراووق سلا (يشبه الخمر بالسيف المسلول في الصفاء والبريق) وكأنه يقدح من حجر فيتطاير منه شرر أحمر (كما تتطاير فقاقيع ثاني أوكسيد الكربون مع الخمر وهي تصب في الكأس فينعكس عنها لون الخمر فتبدو تلك الفقاقيع حمراً كشرر النار) .

(٩) صفقه : مزجته بالماء . – يد كأن عليها صدفاً (بقع لامعة) فيه لؤلؤ (لون أبيض) وعقيق (لون أحمر) . = انعكاس النور عن سطح الخمر الى يد الساقي توهم أن على يد ذلك الساقي صدفاً يتموج باللونين الابيض الاحمر .

٤ ــ يتيمة الدهر ٣ : ٣٤٣ ــ ٣٥٠ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٣٢ ــ ٥٣٣ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٩١ ؛ ابن الأثير ٩ : ٣١٣ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٤٥ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٣٤ .

ابراهيم بن سعيد النحوي

١ ــ هُوَ أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ سعيدِ بنِ الطيِّبِ الرُفاعي النحْويّ من بني عبد القيس من رَبيعةَ الفَرَسِ (إنباه الرواة ١ : ١٦٧) ، يبدو أن مَوْلِدَهُ كان قُبيلَ سَنَةَ ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) . وقد كان ضَريراً .

قَدِمَ ابراهيمُ بنُ سعيدِ النحويُّ إلى واسطَ صَبيّاً ذا فاقةٍ فدخل جامعها ولازمَ حَلْقَةَ عبدِ الغفّار الحُضيني وتَلَقَّنَ عنهُ القُرآنَ الكريمَ . بعدَئذٍ انتقلَ إلى بَغْدادَ وصَحِبَ أبا سعيدِ السيرافيَّ (ت ٣٦٨ هـ) وقرأ عليه شَرْحَ كتابِ سِيبَوَيْهِ وسَمِعَ منه كُتُبَ اللغةِ ودواوين الشعر .

وفي سَنَةِ ٣٦٧ هـ (٩٧٧ ــ ٩٧٨ م) تُوُفّيَ الحُضينيُّ فعاد إبراهيمُ بنُ سعيدٍ إلى واسطَ وتَصَدَّرَ للإقراء (مكانَ الحُضيني) .

كانت وفاةُ ابراهيمَ بنِ سعيدِ النحويِّ سَنَةَ ٤١١ هـ (١٠٢٠ ــ ١٠٢١ م) في الأغلب .

٢ ــ كان ابراهيمُ بنَ سعيدِ النحويُّ غايةً في العِلم (في إقراء القرآن والنحو) شاعراً حَسَنَ الشِعْر .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال ابراهيمُ بن سعيدِ النَحْويُّ في سُلوانِ الأحِبَّةِ على البُعْد :

وأَحِبَّةٍ ما كُنْتُ أَحْسَبُ أنّني أُبْلى بِبَيْنِهِمُ ؛ فَبِنْتُ وبانوا[٢] ؛
نأتِ المَسافةُ فالتَذَكُّرُ حَظُّهُمْ مِنّي ، وحَظّي مِنْهُمُ النِسْيان[٣] !

٤ ــ معجم الادباء ١ : ١٥٤ ــ ١٥٧ ؛ نكت العميان ٨٨ ــ ٨٩ ؛ إنباه الرواة ١ : ١٦٧ ــ ١٦٨ ؛ بغية الوعاة ١٨٠ ــ ١٨١ .

---

(١) ربيعة الفرس أو ربيعة الخيل ورث من أبيه الخيل (بينما أخوه مضر ــ بضم الميم وفتح الضاد ــ ورث الذهب فقيل له : مضر الحمراء) .

(٢) أبلى : أصاب (بضم الهمزة) البين : البعاد ، الفراق . بان : بعد ، ابتعد .

(٣) نأى : ابتعد . ــ أنا أتذكرهم ، وهم نسوني .

ابن القليـــوبي الكاتب

١ – هُوَ عَلِيُّ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ حبيبٍ القليوبيِّ ، أصلُه من قليوبَ في مِصْرَ السُفلى (الوجهِ البحري) ، كانَ يكتُبُ في ديوانِ الدولة الفاطمية ، أدْرَكَ العَزيز بالله (٣٦٥ – ٣٨٦ ﻫ) وشَهِدَ أيامَ الحاكمِ ثُمّ لَحِقَ مُدّةً يسيرةً من أيام الظاهر (٤١١ – ٤٢٧ ﻫ) . وتكسّبَ ابنُ القليوبيّ بالشعرِ من الأئمّةِ الفاطميّين ومن رجالِ دَوْلَتِهِمْ . وكانت وَفاتُه في ٤١٢ ﻫ (١٠٢١ – ١٠٢٢ م) .

٢ – كان ابنُ القليوبيّ كاتباً مُتَرَسِّلاً يُجيد التَشْبيهاتِ ويَنْتَزِعُ صُوَرَهُ الشعريةَ من الطبيعة ومن النجوم خاصّةً ، تقليداً لعبدِ اللهِ بنِ المُعْتَزّ . ومِنْ أغراضِ شِعرِهِ الخمرُ والغزلُ والمُجون .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ القليوبيِّ الكاتبُ يَصِفُ الخَمْرَ ثمّ يَسْتَطْرِدُ الى وصف النجوم :

وصافيةٍ باتَ الغُلامُ يُديرُهــا ... علىالشَرْبِ في جُنْحٍ مناللّيْلِ أدْعَجِ [١] ؛
كأنّ حَبابَ المــاء في وَجَناتِهــا ... فَرائدُ دُرٍّ في عَقيــقٍ مُدَرّجِ [٢] .
ولا ضوءَ إلاّ من هِــلالٍ كأنّمــا ... تَفَرّقَ مِنْه الغَيْمُ عَنْ نِصْفِ دُمْلَجِ [٣] .
وقد حالَ دونَ المُشتري من شُعاعِهِ ... وميضٌ كمِثْلِ الزِئبَقِ المُتَرَجْرِجِ [٤] .
كأنّ الثُرَيّــا في أواخِرِ لَيْلِهــا ... تحيّةُ وردٍ فوق زَهْــرِ بَنَفْسَجِ [٥] .

٤ – فوات الوفيات ٢ : ٨٧ – ٨٨ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٤٠ .

---

(١) الشرب (بفتح الشين) : الذين يشربون الخمر معاً . الجنح (بضم الجيم) : قسم من الليل . الدعج (بفتح ففتح) : سواد العين ؛ والدعجاء : أول ليلة المحاق (بالضم) : ليلة ٢٨ من الشهر القمري (حينما لا يبقى للقمر نور) .

(٢) حباب الماء : الفقاقيع الممتلئة هواء . في وجناتها : على وجه الخمر (في الكأس) . فرائد (جمع فريدة) الدر (اللؤلؤ ، اللآلي) اذا نظمت في سلك ثم أفردت (فصل بينها بشذرات ، أي بقطع صغيرة ، من الذهب) . العقيق : حجر كريم أحمر اللون (كناية عن الخمر) . مدرج (درّ مدرج) منسوق بحسب الحجم (المقصود : در مختلف الاحجام منسوق بحسب حجمه) .

(٤) المشتري : كوكب من الكواكب السيارة بعيد جداً وضئيل النور جداً . وميض كمثل الزئبق المترجرج (وميض مضطرب) . – لم تمكن رؤية المشتري جيداً لأن نوره الضئيل مضطرب .

(٥) الثريا : عنقود (مجموعة) نجوم . في أواخر ليلها (حينما تختفي أكثر النجوم وتظل هي وحدها ظاهرة . =

صريــــع الدلاء

١ ــ هو أبو الحسن محمّدُ بنُ عبدِ الواحدِ القصّار المعروفُ بصريعِ الدلاء[1]، وُلِدَ في البصرة ونشأ فيها ثمّ صَعِدَ إلى بَغْدادَ. وقدِ اتّصلَ بفخرِ المُلْك أبي محمّد غالبِ بنِ عليٍّ بنِ خلَفٍ (٣٥٤ ــ ٤٠٧ هـ) وزيرِ بهاءِ الدولة البُوَيهي فنال منه مِنَ المال ما أغناه. وفي وَفَيات الأعيان (٢: ٥٦ ــ ٥٧) أنّ صريعَ الدلاء راسلَ أبا العلاء المَعرّي (ت ٤٤٩ هـ) يطلُبُ شيئاً من شَرابٍ وغيرِه فبعَثَ إليه أبو العلاء قليلاً من المال واعتذر إليه بمقطوعةٍ مطلَعُها:

دُعيتَ بصارعٍ فتَداركتَهُ مُبالغةٌ فصارَ الى فَعيلِ (صريع).

وفي سَنَةَ ٤١٢ هـ ذهب صريعُ الدلاء الى مِصْرَ ومدح الظاهرَ لإعزاز دين الله الفاطميّ ثمّ تُوُفِّيَ فيها وشيكاً فجأةً من شَرْقَةٍ لَحِقَتْه، في سابعِ رَجَبَ من سَنَةِ ٤١٢ (١٨/ ١٠/ ١٠٢١ م).

٢ ــ صريعُ الدلاءِ شاعرٌ مشهورٌ كان ينحو مَنْحى الجِدّ، ثمّ «لمّا رأى سُخْفَ زمانهِ نَزَعَ ثيابَ الجِدّ (وَسَلَكَ سبيلَ السُخْف والمُجون) وتلقّب بصريعِ الدلاء ونَفَقَتْ سُوقُه». وكان يُقلِّدُ أبا الرَقَعْمَق (ت نحو ٣٩٩ هـ) وله في الجِدّ المزْوجِ بالهَزَل أرجوزةٌ مطلَعُها: «قَلْقَلَ أحْشائي تباريحُ الجَوى» عارض بها مقصورةَ ابن دريدٍ (ت ٣٢١ هـ).

٣ ــ مختارات من أرجوزته

مَنْ لم يُرِدْ أنْ تَنتقب (!) نعالُه يَحْمِلُها في كَفِّهِ اذا مشى؛
ومن أرادَ أن يصونَ رِجْلَه فلُبْسُه خيرٌ له من الحَفا.
من صَفَعَ الناسَ ولم يَدَعْهُمُ أن يَصْفَعوه فعَلَيْهِمُ اعتَدى.
من طَبَخَ الديكَ ولا يَذْبَحُهُ طار من القِدرِ الى حيث يشا.

= تحية ورد = رفع اليد للتحية بباقة من الورد (كناية عن لمعان النجوم في عنقود الثريا). فوق زهر بنفسج = على سطح مظلم من السماء!

(١) وقيل: أبو الحسن علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي، صريع الدلاء وصريع الغواني وقتيل الغواشي وذو الرقاعتين. ويقال له أيضاً صريع الغواشي، ويلقب أيضاً «القصار» =

من فاتَهُ العِلْمُ وأخطاه الغِنــى   فذاك والكَلْبَ عــلى حَدٍّ سَوا !

٤ — وفيات الأعيان ٢ : ٥٦ — ٥٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٩٥ — ٢٩٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٨ — ٢٦٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٩٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣٢ ؛ زيدان ٢ : ٣٠١ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٣٣ .

محمد بن آدم الهروي

هُوَ أبو المُظَفَّرِ محمّدُ بنُ آدمَ بنِ كَمالٍ الهَرَوِيُّ النَّحْوِيّ ، تَتَلْمَذَ على أبي بَكْرٍ الخَوارِزْمِيِّ ؛ وقرأ النَّحْوَ على القاضي أبي الهَيْثَمِ ثمّ أعادَ قِراءته على أبي العَلاءِ صاعدٍ ؛ ودَرَسَ الحديثَ أيضاً .

تَصَدَّرَ محمّدُ بنُ آدمَ لإقراءِ النحوِ والصَرْفِ وتَفْسيرِ الشِعْرِ . وتُوُفِّيَ بَغْتَةً (في بَغْدادَ) ، سَنَةَ ٤١٤ ﻫ (١٠٢٣ — ١٠٢٤ م) .

كان محمّدُ بنُ آدمَ الهرويّ إماماً في النحو والأدب وفي تفسير الشِعْر خاصّةً ، وكانله عِلْمٌ واسعٌ بأصولِ الدينِ ؛ وَيُظَنُّ أنّه كان من أهلِ العَدْلِ (مِنَ المُعْتَزِلَة) ثمّ هُوَ مُصَنِّفٌ له شرح ديوان الحماسة — شرح ديوان المتنبّي — شرح الإصلاح (إصلاح المنطق ؟) — أمثال أبي عُبيد .

** معجم الادباء ١٧ : ١١٦ — ١١٧ ؛ الوافي بالوفيات ١ : ٣٣٣ (نقلاً عن السياق لعبد الغافر الفارسي) ؛ بغية الوعاة ١٤ . الاعلام للزركلي ٦ : ١٨٠ .

أبو حيان التوحيدي

١ — هو أبو حَيّانٍ عليُّ بنُ محمدِ بنِ العبّاسِ التَوْحيديُّ ، قِيلَ كان أبوه يَبيعُ نوعاً من التَمْرِ يُسمّى التوحيدَ ؛ أو لعلّ هذه النسبةَ جاءتهُ من أنه كان من المُعْتَزِلة أهلِ العَدْل والتَوْحيد .

قضى التَوْحيديُّ مُعْظَمَ حَياتهِ في بَغدادَ فتلقّى فيها علومَ زمانِه على الفَقيهِ

=(الذي يعمل في قصر النسيج : تبييضه) البصري (راجع وفيات الاعيان ٢ : ٥٦) ؛ وفي دمية القصر (ص ٧٧) بيتان لابي الحسن القصار ، وهو صريع الدلاء في الاغلب .

أبي حامد المَرْوذَيّ (ت ٣٦٢ هـ)، والمَنْطِقيّ يَحْيى بن عَدِيّ (ت ٣٦٤ هـ)، والفقيهِ أبي بكرِ محمدِ الشاشِيّ (ت ٣٦٥ هـ)، والنحوي أبي سعيدِ السيرافيّ (ت٣٦٧ هـ) واللُّغوي عليّ بن عيسى الرُّمّانيّ (ت ٣٨٤ هـ)، والمنطقي أبي سُليمانَ السِجِسْتانيّ (ت ٣٩١ هـ).

اتّصلَ التّوحيديُّ مدّةً يسيرةً بــأبي الحسنِ المُهَلّبيّ الذي وَزَرَ في بَغدادَ لأميرِ الأُمراءِ مُعِزِّ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ منذُ ٣٣٩هـ. ولمّا تُوفّيَ مُعزّ الدولة (٣٥٢ هـ) رَحَلَ التوحيديُّ الى ابْنِ العميدِ في الريِّ؛ وبعدَ بِضْعِ سَنَواتٍ ذهبَ إلى الريّ مرّةً أُخرى إلى الصاحبِ بن عَبّادٍ؛ غير أنه لم يَنَلْ عندَهما كِلَيْهما حَظْوَةً ما، فعاد الى بغدادَ (٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م) وبَقِيَ فيها إلى نحوِ سَنَةِ ٤٠٠ هـ. ثم تَنَقّلَ فيما بعدُ في البلاد فأدْرَكَهُ الموتُ في شيرازَ (٤١٤ هـ = ١٠٢٣ م)

٢ ـ أبو حيّانِ التَوْحيديُّ أديبٌ مفكّرٌ ألَمّ بعَدَدٍ من فُنونِ المعرفةِ ثمّ صَرّفَ جانباً كبيراً منها في كُتُبهِ. وكان التوحيديُّ فقيهاً ومعتزليّاً على مذهبِ الجاحظِ وذا مَيْلٍ إلى التصوّف، وكان يُرْمى بالزندقة. وأسلوبُ التوحيديّ سهلٌ واضحٌ متينُ السبكِ يجري على السليقة خالياً مِنَ التكلّف. وكان للتوحيديّ عِنايةٌ بترتيبِ الأفكارِ وتخريجِ المعاني وعنايةٌ بالتراكيب مَعَ اهتمامٍ ظاهرٍ بالمناقشةِ المنطقية والجِدال الفلسفيّ والموازنة بين الآراء.

كُتُبُ أبي حيّانِ التوحيديّ كثيرة أشهرها: المقابسات (وهي مذكّرات كان يَكْتُبُها بعدَ الجَلَسات التي كان يَعْقِدُها مَعَ الأدباء والمفكّرين والأعيان، فهي من أجل ذلك مجموع من الموضوعات المختلفة في الأمور التي كان يهتمّ بها أهلُ عصره.) — الإمتاع والمُؤانسة (وهو أيضاً مجموعٌ من الموضوعات التي كان البحث فيها ثائراً في أيامه) — رسالةٌ في الصداقة والصديق — رسالة في علم الكِتابــة — بصائر القدماء وسرائر الحكماء — الإشارات الالهية والأنفاس الروحانية — رسالة في أخبار الصوفية — رياض العارفين — رسالة الإمامة — الهوامل والشوامل — ثلب (أو مثالب، ذم الخ) الوزيرين (الصاحبِ بن عبّاد وابن العميدِ) — تقريظُ الجاحظ — الحنين الى الاوطان — النوادر.

٣ ــ مختارات من نثره

ـ من مقدّمة المقابسات (ذمّ أهل الزمان):

... فقد أصْبَحْنا في هذه الدارِ وكأنما هِيَ قاعٌ أمْلَسُ أوْ أثَرٌ أخرسُ لم يَبْقَ

من يُرْضى هَدْيُه او يُقتبَس علمه .... او يُعْرَفُ حَدُّه بأدبٍ من الآداب عليه او يُباش"[1] بوَجْهٍ من الوُجوه إليه، وما ذلك إلا لِنَغَل القلوب ودَخَل الأعراق وخُلوقة الدين وغَلَبة القِحة وارْتفاع المُراقبة وسُقوط الهَيْبة ورَفْض السياسة والتَبَجُّح بالفَحشاء والمُنْكر[2].

ولَعَمْري، ما زالتِ الدُنيا على سَجيتها المَعْروفة وعاداتها المألوفة ؛ ولكنِ اشْتَدَّتْ مؤونتُها وتضاعفتْ زينتُها اليومَ بفَقْدِ السائسِ الصارمِ وبِعَدَمِ العابدِ العالم وبانْقراض أهلِ الحياءِ والتَكَرُّم وبتصالح الناس على التعادي والتظالم. ولِلَّه - جلَّ وَجْهُه وتقدّس اسْمُه - في هذا الخَلْقِ غَيْبٌ لا يُعرف مآبُه ولا يُفْتَح بابُه[3]، ولا يَقَعُ القياسُ عليه ولا يَهْتدي الإحساسُ إليه ؛ ومِنْ أجْلِه سقط الاعتراض ووَجَبَ التسليمُ[4] والانْقياد. وأدَعُ هذا، فهوسُلَّم طويل وفضاء عريض".

- وصفُ الصاحبِ بن عبّاد :

قلتُ إن الرجلَ كثيرُ المحفوظ : قد نَتَفَ من كُلّ أدبٍ خَفيفٍ أشياءَ، وأخذَ من كلّ فنّ أطْرافاً. والغالبُ عليه كلامُ المتكلّمين المُعْتزِلَة ؛ وكتاباتُه مُهَجَّنَةٌ بطرائقِهِمْ، ومناظرتُه مَشُوبةٌ بعبارةِ الكُتّاب. وهو شديدُ التعصّب على أهلِ الحِكْمة والناظرين في أجزائها كالهَنْدسة والطِب والتنجيم والمُوسيقى والمَنْطقِ والعَدد (الحساب)، وليسَ عِنْدَه بالجُزْءِ الالهيِّ (علمِ ما وراء الطبيعة) خَبَرٌ، ولا له فيه عينٌ ولا أثَر. وهو حَسَنُ القِيام بالعَروض والقوافي، ويقول الشعر وليسَ بذاك !

---

(١) هذه الدار : الحياة الدنيا. الهدى (بالفتح) = الهدى (بالضم) : السلوك القويم، اتباع الحق. يباش (الصيغة غير موجودة في القاموس) : يقبل أحدنا عليه فرحاً ضاحك الوجه.

(٢) نغل القلوب : فساد النية، تغير المودة. دخل الأعراق : فسادها (فساد الطبيعة البشرية بحيث لم يبق جنس من البشر على طبيعته البريئة الخيرة). الخلوقة : التهرئ، البلى من أثر القدم.. خلوقة الدين : ذهاب الدين من القلوب. ارتفاع المراقبة : فقدان الوازع الذي يمنع الناس عن اتيان الشر جهراً. سقوط الهيبة : قلة مبالاة الناس بأوامر الدولة (أو الدين) ونواهيها. رفض السياسية : ترك المداراة، وحسن المعاملة. التبجح بالفحشاء والمنكر : التفاخر باتيان الافعال القبيحة.

(٣) اشتدت مؤونتها : أصبحت مطالب الحياة كثيرة وملحة. تضاعفت زينتها : ازداد جذبها لابصار الناس وعظم اقبال الناس على التمتع بأسباب الحياة الهينة فيها. تصالح الناس على التعادي والتظالم : ألف الناس اعتداء القوي منهم على الضعيف. لا يعرف مآبه : غبه، نتيجته، آخرته. لا يفتح بابه : لا تعرف الحكمة منه.

(٤) - سقط تساؤل المخلوق عن فعل الخالق في هذه الدنيا ووجب الرضا بما قدر الله.

ثم يَعْمَلُ في أوقات كالعيد والفصل[1] شِعرا ، ويَدْفعُه الى أبي عيسى المنجّم ويقول: قد نَحلْتُك هذه القصيدةَ امدَحْني بها في جُملة الشعراء ، وكنِ الثالثَ من الهَمَجِ المُنْشدين . فيفعلُ أبو عيسى ، وهو بَغداديٌّ مُحَكّك قد شاخ على الخِداع وتحكّك . وينشد (أبو عيسى) فيقولُ (الصاحبُ بن عبّادِ) عند سَماعهِ شعرَه في نفسه .... : أعِدْ ، يا أبا عيسى ، فانّك واللهِ مُجيدٌ . زهْ ! يا أبا عيسى ، واللهِ ، قد صفا ذِهْنُك وزادَتْ قريحتُك وتنقّحت قوافيك ، (ولكن) ليس هذا من الطِراز الأوّل حينَ أنشدتَّنا في العيد الماضي .... ثم لا يَصْرِفُه عن مَجْلسهِ الا بجائزة سَنيّة وعَطيّة هَنيّة ، ويُغيظ الجماعةَ من الشُعراء وغيرِهم أنّهم يَعْلَمون أنّ أبا عيسى لا يَقْرُض مِصْراعاً ولا يَزِنْ بيتاً ولا يَذوقُ عَروضاً .

٤ ــ المقابسات ، بومباي ١٣٠٣ ه ؛ شيراز ١٣٠٦ ه ؛ (نشره حسن السندوبي) القاهرة (المطبعة التجارية الكبرى) ١٣٤٧ه = ١٩٢٩م ؛ (حققه محمد توفيق حسين) ، بغداد (مطبعة الارشاد) ١٩٧٠ م .

الامتاع والمؤانسة (نشره أحمد أمين وأحمد الزين) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٩ ــ ١٩٤٠ م .

الهوامل والشوامل (للتوحيدي ومسكويه) (نشره أحمد أمين وأحمد صقر) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥١ م .

ثلاث رسائل (الرسالة الثانية : في علم الكتابة للتوحيدي) (نشرها ابراهيم الكيلاني) ، دمشق (المعهد الفرنسي) ١٩٥١ م .

الاشارات الالهية والأنفاس الروحانيــة (نشره عبد الرحمن بدويّ) ، القاهرة (جامعة فؤاد الأوّل) ١٩٥٠ م ؛

البصائر والذخائر (نشره أحمد أمين وأحمد صقر) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٣ م ؛ (نشره عبد الرزّاق محيي الدين) ، بغداد (مطبعة النجاح) ١٩٥٤ م ؛ (تحقيق ابراهيم الكيلاني) ، دمشق (مكتبة أطلس ومطبعة الانشاء) ١٩٦٤ م .

رسالتان في الصداقة والصديق : في العلوم ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠١ ه ؛ القاهرة ١٣٢٣ ه ؛ (نشرهما ابراهيم الكيلاني) ، دمشق ١٩٥١ م ؛ ــ رسالة الصداقة والصديق (عني بتحقيقها ابراهيم الكيلاني) ، دمشق (دار الفكر) ١٩٦٤ م .

مثالب الوزيرين : الصاحب بن عبّاد وابن العميد (نشره ابراهيم الكيلاني) ، دمشق ١٩٦١ م

اخلاق الوزيرين : مثالب الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد (حقّقه محمّد ابن تاويت الطنجي) ،

(١) مواسم الاعياد (الفطر ، الاضحى) والفصول (النيروز ، المهرجان) الخ .

= دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .
** أبو حيّان التوحيدي : أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ، تأليف ابراهيم زكريّا — أعلام العرب رقم ٣٥ — القاهرة (المؤسّسة المصرية للتأليف والنشر) ١٩٦٤ م .
أبو حيّان الوحيدي : سيرته وآثاره ، تأليف عبد الرزّاق محيي الدين ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٤٩ م .
أبو حيّان التوحيدي ، تأليف أحمد محمّد الحوفي ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ م) .
أبو حيّان التوحيدي ، تأليف احسان رشيد عبّاس ، بيروت (دار بيروت) ١٩٥٦م .
أبو حيّان التوحيدي ، تأليف ابراهيم الكيلاني ، بيروت دار المعارف ١٩٥٧ م .
معجم الادباء ١٥ : ٥ — ٥٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٧٤ (في آخر ترجمة ابن العميد) بغية الوعاة ٣٤٨ ؛ بروكلمان ١ : ٢٨٣ ، الملحق ١ : ٤٣٥ — ٤٣٦ ؛ زيدان ٢ : ٣٣٦ ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي (مقال لمحمّد كرد عليّ) آذار — مارس ١٩٢٨ م ؛ (مقال لأحمد الجندي) كانون الثاني — يناير ١٩٦٥ م ؛ « دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٢٦ — ١٢٧ ؛

Islamic Culture, Apr 1954.

النثر الفنّي لزكي مبارك ١ : ٢٨١ — ٢٨٥ ، ٢ : ١٣٣ — ١٤٤ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٤٤ .

ابن خلف النـــيرماني

١ — هو أبو سعد عليُّ بنُ محمّدِ بنِ خَلَفٍ الكاتبُ النيرمانيُّ ، نِسبَةً إلى نيرمانَ — قرية من قُرى الجَبَل قُرْبَ هَمَذانَ (بلادَ فارس) — كانَ يَخْدِمُ في ديوانِ الإنشاء في دولةِ بني بُوَيْه ، وقد حَظِيَ عند بهاء الدولةِ أبي نصرٍ فيروزَ فَنّا خَسْرو البويهيِّ أميرِ الأمراءِ في بَغْدَاد (٣٧٩ — ٤٠٣ هـ) . وكانت وفاة ابنِ خَلَفِ النيرمانيِّ سَنَةَ ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) .

٢ — كان ابنُ خَلَفِ النيرمانيُّ من جُمْلةِ الكُتّابِ الفُضلاء ناثراً وشاعراً ومُصَنِّفاً صَنَّفَ لبهاءِ الدولةِ البُوَيهيِّ كتابَ « المنثور البهائي » — وهو نَثْرٌ لكتابِ الحماسةِ (لأبي تمّام) — . ولابنِ خَلَفِ النيرمانيِّ شعرٌ عاديٌّ يَغْلِبُ عليه تقليدُ القُدماءِ منه قصيدةٌ على الأسلوب الأُمويِّ في الغَزَلِ العُذْريّ ، ولكنّ فيها عدداً من المعاني الجيـادِ البارعةِ في إصابةِ الغَرَض وجَمال التعبير .

٣ — مختارات من شعره

— لابنِ خلفِ النيرمانيّ قصيدةٌ يَتَشَوّقُ فيها إلى بَغدادَ ويُبَرِّرُ مُغادرتَه إياها :

خَليليّ في بَغْدادَ ، هل أنْتما ليــا على العَهْد مثلي أم غدا العَهْدُ باليا ؟
وهل أنا مذكــورٌ بخيرٍ لَدَيْكُمــا إذا ما جرى ذِكْرٌ لِمَنْ كان نائيا[1] !
كتابيَ عن شَوْقٍ شديدٍ إليكمــا كأنّ على الأحشــاء منه مَكاويــا .
فلا تَيْأسا أن يَجْمعَ اللهُ بيْنَنــا كأحسنِ مــا كُنّا عليه تصافيــا ؛
فقد يَجْمَعُ اللهُ الشّتيتَيْنِ بعدَ ما يَظُنّان كُلّ الظنّ أن لا تَلاقيا[2] !
وخَبّرْتُماني أن تَيْماءَ مَنْــزِلٌ لِلَيْلى إذا ما الصيف ألْقى المَراسيا[3] ؛
فهذي شُهورُ الصيفِ عنّا قد انْقَضَتْ ؛ فما لِلنّوَى تَرْمي بليلى المَراميــا[4] ؟
فِدًى لكِ ، يا بَغدادُ ، كلُّ مدينــةٍ من الأرضِ حتّى خِطّتَيَّ ودارِيا[5] .
فقد سِرْتُ في شرقِ البلادِ وغَرْبِهــا وطَوّفْتُ خَيْلي بَيْنَها وركابيــا ،
فلم أرَ فيها مِثْلَ بَغدادَ مَنْزِلاً ، ولم أرَ فيها مثلَ دِجْلَةَ واديــا[6] ،
ولا مِثْلَ أهْليهــا أرَقّ شَمائلاً وأعذبَ ألفاظاً وأحْلى مَعانيا[7] .
وكم قائلٍ : « لو كانَ وُدُّكَ صــادقاً لِبَغْدادَ لم تَرْحَلْ » . وكان جَوابيا :
« يُقيمُ الرجالُ المُوسِرونَ بأرضِهِمْ ، وتَرْمي النّوى بالمُقْتِرين المَراميا[8] » .

٤ ** فوات الوفيات ٢ : ٩١ ـ ٩٢ ؛ اعلام الزركلي ٥ : ١٤٥ .

أبو الحسن التهامي

١ ـ هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بن نَهْدٍ التِهامِيُّ من مَكّةَ أو مِنْ جِوارِها ، كان في أوّلِ أمرِهِ من السُوقة ثم رَحَلَ إلى الشام واتّصل ببني الجَرّاح شُيوخِ بني طَيّ المُستبدّين بحكم الرَمْلة وعَسْقَلان (فِلَسْطين) فأخذ بِمَدْحِهم وطالَ مُكْثُه عندهم.

---

(١) النائي : البعيد .
(٢) الشتيتان : المفترقان .
(٣) تيماء : واحة قرب المدينة ، وهي هنا رمز وليست للدلالة على بلد معين . ألقى المراسي : استقر ، ثبت (اشتد حره) .
(٤) النوى : البعاد . المرامي : الاماكن البعيدة .
(٥) الخطة (بكسر الخاء) : القطعة من الارض .
(٦) دجلة : نهر تقوم عليه بغداد . الوادي : النهر .
(٧) الشمائل جمع شمال (بكسر الشين) : الخلق ، الخصلة ، العادة .
(٨) الموسر : الغني . النوى : البعاد . المقتر : الفقير .

يُخبِرُنا ابنُ خلكانَ (٢ : ٥٤ – ٥٥) أنّ التِهامي « وَصَلَ الى الديارِ المِصْرية مُستَخفِياً ومَعَه كُتُبٌ (رسائلُ) كثيرةٌ من حَسّانِ بن مفرّج بن دغفلٍ البَدَوِيّ ، وهو متوجّهٌ بها إلى بني قُرّة . فظَفِرَ به (رجالُ الحاكمِ بأمر الله) فقال لهم : أنا من بني تميم . فلمّا انكشفتْ حالُه عُرِفَ أنه التِهاميُّ الشاعرُ فاعتُقِلَ في خِزانة البُنود ، وهي سِجْنٌ بالقاهرة ، وذلك لأربعٍ بقِينَ من شهر ربيعٍ الآخَرِ ٤١٦ (١٠٢٥ م). وقد كان يَحمِلُ رسائلَ الى بني قرّة البدوِ للثورة على الحُكْم الفاطمي في مصر [١] . وبعد نَحْوِ أسبوعين قُتِلَ التِهاميّ في سِجنه سِرّاً .

٢ – التِهاميُّ شاعرٌ مُقِلٌّ ، ولكنّهُ مُجيدٌ مُحْسنٌ فصيحُ الكلامِ سهلُ التراكيب رقيقٌ ، غير أنّ له مبالغاتٍ . وله مديحٌ ورِثاء وغَزَل ووصف وحكمة وذمّ للدنيا .

٣ – مختارات من شعره

– قال التهامي في الرحمة للحاسدين :

إنّي لأَرْحَمُ حاسِدِيَّ لِحَرِّ ما ... ضَمّتْ صُدورُهُمُ من الأَوْغارِ [٢] ؛
نظروا صنيعَ اللهِ بي ، فعُيونُهُمْ ... في جنّةٍ وقلوبُهم في نار .
ومن الرجالِ معالمٌ ومجاهلٌ ؛ ... ومن النجوم غوامضٌ ودَرارِ [٣] .
والناسُ مُشْتَبِهون في إيرادِهم ؛ ... وتَبايُنُ الأقوام في الإصدار [٤] .
ذهب التَكَرُّمُ والوفاءُ من الوَرى ... وتَصَرّما ، إلاّ من الأشعار !
وفَشَتْ خِياناتُ الثِقاةِ وغيرِهم ... حتى اتّهمنا رُؤيةَ الأبصار .

– وقال يرثي ابنه وقد مات صغيرا :

حُكْمُ المَنيةِ في البَرِيّةِ جارٍ ؛ ... ما هذه الدنيا بدارِ قَرارِ .
بَيْنَا يُرى الإنسانُ فيها مُخْبِراً ... حتى يُرى خَبَراً من الأخبار !
طُبِعَتْ على كَدَرٍ ، وأنتَ تُريدُها ... صَفْواً من الأقْذار والأكْدار .

(١) راجع ترجمة الوزير أبي القاسم بن المغربي (ت ٤١٨ ﻫ) ، تحت ، ص ٧٨ .
(٢) الاوغار جمع وغر (بسكون الغين أو بفتحها) : الحقد ، الضغن ، التوقد من الغيظ .
(٣) معالم : مشهورون ، يهتدى بهم . مجاهل : مغمورون ، لا قيمة لهم . غوامض : خفيات ، لا ترى . درارى : لامعات .
(٤) مشتبهون : مستوون ، يشبه بعضهم بعضاً . ايرادهم : حضورهم ، مجيئهم الى الدنيا ، تكوينهم . – ولكن الناس يختلفون في إصدارهم (ما يصدر عنهم من السلوك والاعمال) .

ومُكَلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طِباعِها مُتَطَلِّبٌ في الماء جُذْوَةَ نارِ !.
وإذا رَجَوْتَ المُسْتحيلَ فإنّما تَبْني الرَّجاءَ على شفيرٍ هارِ[1] ؛
فالعيشُ نَوْمٌ ، والمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ ، والمرءُ بينَهما خَيالٌ سارِ .
والنفسُ ، إنْ رَضِيَتْ بذلك أو أبَتْ ، مُنقادةٌ بأزِمَّةِ المِقْدارِ[2] .
إنّي وُتِرْتُ بصارمٍ ذي رَوْنَقٍ أعْدَدْتُه لِطِلابَةِ الأوتارِ .
يا كوكباً ما كان أقصرَ عُمْرَه ؛ وكذا تكونُ كواكبُ الأسحارِ .
وَلَدُ المُعَزّى بَعْضُه ؛ فإذا انقضى بَعْضُ الفتى فالكُلُّ في الآثارِ[3] .
جاوَرْتُ أعدائي وجاوَرَ رَبَّه ؛ شَتّانَ بينَ جِوارِه وجِواري !

– وقال في الغزل والنسيب :

إنّي لأعْجَبُ من جَبينِكَ كيف لا يُطْفي لَهيبَ الوَجْنَتَيْنِ بمائِهِ :
ما أبْصَرَتْ عَيْنايَ شيئاً مُونِقاً إلاّ ووَجْهُكَ قائمٌ بإزائه .
حَرِّقْ سِوى قَلْبي ودَعْه ، فإنّني أخْشى عليكَ فأنتَ في سَوْدائه[4] .

– وله في الغزل :

قُلتُ لِخِلّي – وثغورُ الرُّبا مُبتسماتٌ وثغورُ المِلاحْ :
أيُّهما أحلى ، تُرى ، مَنْظَراً ؟ فقال : لا أعلمُ ، كلٌّ أقاحْ !

٤ – ديوان التهاميّ ، الاسكندرية (مطبعة الاهرام) ١٨٩٣ ؛ دمشق الطبعة الثانية (المكتب الاسلامي) ١٩٦٤ م .

مرثية (التعليقة الشريفة على جملة من القصائد الحكمية – نشرها محمود الشريف – القاهرة ١٣١٠ هـ) .

** يتيمة الدهر .... دمية القصر ٤٤ – ٥٠ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٥٣ – ٥٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٠٤ – ٢٠٥ ؛ بروكلمان١ : ٨٦ ، الملحق١ : ١٤٧ ؛ مجلّة الاقلام (بغداد) ، أيلول (سبتمبر) ١٩٦٥ م ، ص ١٥٨ وما بعد . الأعلام للزركلي ٥ : ١٤٥ – ١٤٦ .

---

(١) الشفير : المنحدر الحاد . الهاري : الذي لا يثبت تحت الاقدام (لأنه من رمل) .
(٢) المقدار : القضاء والقدر .
(٣) في الآثار : تابع على الاثر .
(٤) سوداء القلب : وسطه (البطين الذي يلفى فيه الدم بعد الموت) .

الوزير المغربي

١ ـ هو أبو القاسم الحُسينُ بنُ عليٍّ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ محمّدِ بنِ يوسفَ المعروفُ بالوزيرِ المَغْربيّ[1].

كان أبو القاسم الحسينُ بن أبي الحُسين عليّ (جدُّ صاحبِ هذه التّرجمة) كاتباً لسيف الدولة بن حَمدانَ. ثم كان أبو الحسن عليُّ بنُ المَغْربي (والدُ صاحبِ التّرجمة) آخِرَ وزراءِ سيفِ الدولة ؛ ثمّ استوزره سعدُ الدولةِ أبو المعالي شريفُ بنُ حَمدانَ (ابنُ سيفِ الدولة وخَلَفُهُ في حُكْمِ حلب)، غير أننا لا نعلم مــاذا اتّفق له بعد أن اضطربَ أمرُ أبي المعالي. ثـم نجده في سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) مع شَرَفِ الدولةِ البويهيّ صاحبِ المَوْصل (٣٧٦ ـ ٣٧٩ هـ). ثم ان أبا الحسن عليّاً اختَلَفَ وَشيكا مَعَ بَدْرِ الكُرْدِيَ(!) وغادر العراق الى مِصْرَ في أيام الحاكم بأمر الله الفاطميّ (٣٨٦ ـ ٤١١ هـ).

في هذه الفترة المضطربة من حياة هذه الأُسرة وُلِدَ أبو القاسمِ الحُسين بنُ عليّ (صاحب هذه التّرجمة)، في الثالثِ عَشَرَ من شهر ذي الحِجّة سنة ٣٧٠ هـ (٢٠/ ٦/ ٩٨١ م). وقد حَفِظَ القرآنَ العزيزَ وعِدّةً من كُتب اللغة والنحو ومن مجاميع الشعر القديم، كما قرأ شيئاً من علم الحساب والجَبر والمُقابلة.

ثم أنّ الحاكم بأمر الله تغيّر على وزيره أبي الحسن فَقَتَلَه وَقَتَلَ مَعَهُ ابْنَيْه المُحسِّن ومحمداً وأخاه أبا عبد الله، في الثالث من شهر ذي القَعْدة سنة ٤٠٠ (١٥/ ٦/ ١٠١٠ م). وهرب أبو القاسم الحسين (صاحب هذه التّرجمة) وجاء الى صاحب الرملةِ حَسّانِ بنِ الحسنِ بن مُفَرِّج بن دَغْفَل بن الجرّاح الطائي واستجار به ومدحه، فأجاره حسّان. وبعد مدّة استطاع أبو القاسم الحسين إفسادَ ما بين صاحبِ الرملة وبين الحاكم بأمر الله ؛ ثم انتقل الى مكّة وأطمع أميرها أبا الفتوح الحسن بن جعفر[2] بالتّسمي

(١) يبدو أن أسرة الوزير المغربي كانت قد لفقت لنفسها نسباً يتصل بيزدجرد بن بهرام بن جور ملك فارس. ويميل ابن خلكان الى أن الوزير المغربي كان مغربي الأصل فعلا (وفيات الاعيان ١ : ٢٨٠، السطر الثاني من أسفل)، وأرى أنه لقب (أو لقب أبوه) بذلك لأنه كان في مصر وزيراً للحاكم بأمر الله الفاطمي (والدولة الفاطمية في أصلها مغربية النشأة).

(٢) في تاريخ الكامل (بيروت ٩ : ٣٣١) أن الوزير المغربي ولد في مصر سنة ٣٧٠ هـ.

بالخلافة وعاد فأقنع حسانَ بن الحسن بن مفرّج بمبايعة أبي الفتوح[1] .

وأدرك الحاكم بأمر الله مَغبَّةَ هذه الحركة فاستمال إليه حساناً الطائيَّ بالمال الكثير فاضطُرّ أبو الفتوح الى أنْ يعودَ هارباً الى مكّةَ ، كما اضطرّ أبو القاسم الحسين أن يُغادِرَ الشامَ فجاء الى العراق حيث اتّصل بفخر الملك أبي غالبِ بنِ خلَف وكان وزيراً لسُلطان الدولة البويهيّ صاحب البصرة ونائباً له على واسط (٤٠١ ـ ٤٠٦ هـ) . ولكنّ الخليفةَ العبّاسيَّ القادرَ بالله ظنّ في أبي القاسم الحُسينِ أنه يُريدُ إفساد الدولة العبّاسية (وكانت الدعوة الفاطمية قد وَجدَتْ سبيلاً الى العراقِ وخُطِبَ للحاكم بأمرِ الله في المَوْصل والأنبار والكُوفة ، في سنة ٤٠١ هـ ، ثم قطعت الخطبة له وعادت للقادر بالله العبّاسي) .

ووزر أبو القاسم الحسينُ بنُ عليّ بعد ذلك لعدد من الأمراء في العراق ـ وهو يتنقّل من أمير الى أمير[2] ـ حتّى مات في ميافارقين في ١٣ رمضان ٤١٨ (١٠٢٧ م) .

٢ ـ كان الوزيرُ المغربيُّ أبو القاسم بن عليّ أديباً بارعاً ومترسّلاً وشاعراً مُحْسِناً . وفنونه المديحُ والرثاء والغزل والنسيب والأدب . وكذلك كان مصنّفاً له : كتاب سيرة النبيّ (موجز من سيرة ابن هشام) ـ كتاب أدب الخواصّ في المختار من بلاغة قبائل العربْ وأخبارها وأنسابها وأيّامها ـ كتاب الإيناس بعلم الانساب (مرتّب على حروف المعجم وفيه شواهد من الشعر وعدد من التعليقات التاريخية) ـ كتاب في السياسة ـ كتاب المأثور من ملح الحدور .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال الوزيرُ المغربيُّ أبو القاسم الحسينُ بن عليّ[3] :

أقولُ لها ، والعيسُ تُحْدَجُ للسُرى : أعِدّي لِفقْدي ما استطعتِ من الصَبْرِ[4]

---

(١) أبو الفتوح الحسن بن أبي محمد جعفر من آل فليتة أشراف مكة تولى مكة مرتين (٣٨٤ ـ ٤٠١ و ٤٠٣ ـ ٤٣٠ هـ) ، وطالب بالخلافة سنة ٤٠٢ هـ . ويبدو أن أبا الحسن التهامي الشاعر (راجع ، فوق ، ص ٧٦) بدأ يتردد على مصر لهذه المهمة منذ ذلك الحين .

(٢) راجع كثرة تنقله بين البلاطات في معجم الادباء (١٠ : ٨٠ ـ ٨٢) .

(٣) الابيات الثلاثة التالية رواها ياقوت (معجم الادباء ١٠ : ٨٨) للوزير المغربي، وهي تروي لغيره راجع ص ٩٨) .

(٤) العيس : النياق . تحدج (بالبناء للمجهول) : يشد عليها الحدج (بكسر الحاء : مركب للنساء يرفع على الابل) ـ كناية عن الاستعداد للسفر .

سأُنْفِقُ رَيْعانَ الشبيبةِ آنِفاً   على طَلَبِ العَلْياء أو طلب الأجرِ[1].
أليسَ من الخُسْرانِ أنّ لَيالِياً   تَمرّ بلا نَفْعٍ وتُحْسَبُ من عُمْري !

— وله في الغزل :

حَلَقوا رأسَه لِيَكْسوهُ قُبْحاً   غَيْرةً مِنْهُمُ عَلَيهم وشُحّا .
كان صُبْحاً عليه لَيْلٌ بَهيمٌ ،   فَمَحَوْا لَيْلَه وأبقَوْهُ صُبْحا !.

— وممّا قاله في آخرِ أيامه وأوْصى أن يُكْتَبَ على قَبْرِه :

كُنْتُ في سَفْرةِ الغَوايةِ والجَهْـ   لِ مُقيماً ، فحانَ مِنّي قُدومُ[2] .
تُبْتُ من كلّ مأثمٍ ، فعسى يُمْـ   حى بهذا الحديثِ ذاك القديمُ ؛
بعدَ خَمْسٍ وأربعينَ — لقد ما   طَلْتُ ! — ألاّ إنّه الغَريمُ[3] الكريم .

٤ ** تتمّة اليتيمية ١ : ٢٤ — ٢٥ ؛ دمية القصر ٤٠ - ٤٢ ؛ معجم الادباء ١٠ : ٧٩— ٩٠ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٧٧ — ٢٨١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢١٠ ؛ بروكلمان ١ : ٤٣٤ ، الملحق ١ : ٦٠٠ — ٦٠١ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٦٦ — ٢٦٧ .

عبد المحسن الصوري

١ — هو أبو محمّد عبدُ المُحْسِنِ بنُ محمد بنِ أحمدَ بن غالبِ بنِ غَلْبونٍ من أهلِ صُور (في بلاد الشام) ، كان مولدُه قُبَيل سنة ٣٤٠ ه[4] .

يذكر ابن خلّكان أنّ عبدَ المُحْسن الصوريَّ مدح عليَّ بنَ الحُسينِ والدَ الوزيرِ أبي القاسمِ بنِ المَغْربي[5] . فعلى هذا يَجِبُ أن يكونَ عبدُ المحسن قد ذَهَبَ الى مِصْرَ قبلَ سنة ٤٠٠ ه ، وهي السنةُ التي قُتِلَ فيها علي بن الحُسين هذا .

ومات عبدُ المحسن الصوري في ٩ شوّالٍ ٤١٩ ه (٣٠/ ١٠/ ١٠٢٨ م) .

٢ — عبدُ المحسن الصوريُّ شاعرٌ مُجيد فصيحُ الألفاظِ سهلُ التراكيبِ عذبُ الكلامِ قريبُ المعاني طيّبُ النفسِ فَكِهٌ ، وكان بعضُ شِعرِه يُغنّى . وأوسعُ فنونه الغزلُ ، وله مديحٌ ورثاء وهجاء وشيءٌ من الخمر .

(١) آنفاً : مستأنفاً : بادئاً من جديد ؛ أو قائماً بأعمال جديدة لم يلمم بها غيري من قبل .
(٢) ... قدوم = قدوم على الله (موت) .
(٣) الغريم : المطالب بالدين . — كناية عن ان الوزير المغربي يشعر بأنه أذنب الى الله وأن الله سيعفو عنه .
(٤) يذكر عبد المحسن أنه جاوز السبعين في بيت له (يتيمة الدهر ١ : ٢٦٩ ، السطر ١٤) .
(٥) راجع ترجمة الوزير المغربي (ص ٧٨) .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال عبدُ المحسن الصوري في الغزل والنسيب :

بِالّذي ألْهَمَ تَعْـذيبي ثَنَاياكِ العِذابا[١] ،
والذي ألْبَسَ خَدّيْـكِ من الوَرْدِ نِقابا ،
والذي صَيَّرَ حَظّي منكِ هَجْراً واجْتِنابا
ـ يا غَزالاً صادَ بالـلَحْظِ فؤادي فأصابا ـ
ما الذي قالَتْهُ عَيْـناكَ لقَلْبي فأجابا ؟

ـ وقال يمدَحُ عليَّ بن الحسين المغربيَّ :

أتُرى بثأرٍ أمْ بدَيْـنِ عَلِقَتْ مَحاسِنُها بعَيْني ؟
في لَحْظِها وقَوامِها ما في المُهَنّدِ والرُدَيني[٢] .
وبوِجْهِها ماءُ الشبا بِ خليطَ نارِ الوَجْنَتين .....
هل بعدَ ذلكَ من يُعَرِّ فُني النُضار من اللُجين[٣] ؟
فَلَقَدْ جَهِلْتُهما لبُعْـدِ العَهْدِ بَيْنَهُما وبَيْني :
مُتَكَسِّباً بالشِعْرِ ؛ يا بِئْسَ الصِناعةُ في اليَدَين .
كانتْ كذلكَ قبلَ أن يأتِي عليٌّ بنُ الحُسينِ ! .....

ـ وقال يستنجزُ وعداً من بعضِ الممدوحين :

عِندي حدائقُ شِعرٍ غَرْسُ جودِكُمُ قدْ مسّها عطشٌ ؛ فَلْيَسْقِ منغَرَسا :
تداركوها وفي أغْصانِها رَمَقٌ[٤] ، فلن يعودَ اخضرارُ العودِ إنْ يَبِسا ! .

٤ ** يتمية الدهر ١ : ٢٥٧ ـ ٢٦٩ ؛ تتمّة اليتمة ١ : ٣٥ ـ ٣٦ ؛ وفيات الإعيان ١ : ٥٥٢ ـ ٥٥٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢١١ ـ ٢١٢ ، مجلّة العرفان ٣٢ : ١٥ وما بعد ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٢٩٥ .

---

(١) بالذي : أقسم عليك بالذي ... ألهم تعذيبي ثناياك : أشار على أسنانك (الجميلة) أن تعذبني .
العذاب : جمع عذب (ذات الريق العذب ، أي الحلو) .
(٢) المهند : السيف . الرديني : الرمح .
(٣) النضار : الذهب . اللجين : الفضة .
(٤) أسرعوا الى إنقاذها ما دام فيها رمق (بقية من حياة) .

المنتجب العاني

١ – هو أبو الفضل محمّدُ بنُ الحسنِ الحَديجي المُضريّ المعروفُ بلقب المُنْتَجَب العانيّ ، وهو يَفتَخِرُ في شعرهِ بأنّه من بني نُمير مِنْ مَضَرَ الحمراءِ من عرب الشّمال. وكذلك أبواه فانّنا لا نَعرِفُ من أمرهما شيئاً .

يَغْلِبُ على الظنِّ أن المُنْتَجَبَ العانيَّ وُلِدَ في عانةَ على الفُرات الأعلى ونَشأ فيها وفي بغدادَ حيثُ استقرّ مُدّةً ؛ ثمّ انتقل الى حَلَبَ وسَكَنَها . ويبدو أن سُكْناه لم تَطُلْ في حلبَ فانتقل الى جِبال اللاذقيّةِ (غَرْبيّ الشام) . ثمّ انّ مَعْرِفتَنا بشيخه الحُسين بن حَمْدانَ الخَصيبي قليلةٌ جداً .

تلقّى المنتجبُ العانيّ العقيدةَ الباطنيةَ عن حسينِ بنِ حمدانَ الخصيبي (ت ربيع الأوّل ٣٥٨ = أوائل ٩٦٩ م) زعيمِ طائفة العلويّين النصيرية[١] ، أصلُه من مِصْرَ ثمّ انتقلَ الى جُنبلا (بضمّ الجيم) في العراق . بعدئذٍ جاء الى بغدادَ . ثمّ استقرّ في حَلَبَ الى حينِ وفاتهِ . والخصيبيّ هذا تلقّى الدعوةَ الباطنيّة عن عبدِ الله بن محمّدِ الحنّان الجُنبلاني (من أهل جنبلا) الفارسيّ داعيةِ العلويّين وعالِمهم ورئيسهم في عصرِه ومؤسّسِ الطريقةِ الجنبلانية، تلك الطريقةِ التي أصبح اسمُ أتباعِها فيما بعدُ « العلويّين » (أهلَ منطقة اللاذقية في سورية) . وكانت وفاة الجُنبلاني في جنبلا ، سنَةَ ٢٨٧ هـ (٨٠٠ م)[٢] .

فالمنتجبُ العانيّ ، إذَنْ ، ليسَ شاعراً فحَسْبُ ، بل هو من كبارِ الأشخاص في سلسلةِ الدُعاة العلويّين المنشقّين عن الدعوةِ الفاطميّة والمختلفين من أتباع مذهب التوحيد (الدروز) .

وكانت وفاةُ المُنتجب في عانةَ ، فيما يُظَنّ ، حوالي سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ – ١٠١٠ م) ، فيما ذَكَرَ بروكلمان (الملحق ١ : ٣٢٧) ، غيرَ أن خصائصَ شعرِه تَدُلّ على أنّه أكثرَ تأخّراً في الزّمن الى ٤٢٠ أو أبعدَ[٣] .

(١) راجع ص ٧.

(٢) راجع في هذا كله : تاريخ العلويين ١٩٥ وما بعد ؛ أعيان الشيعة ٥ : ٣٤٥ ؛ الأعلام للزركلي ٣ : ٢٥٥ ، ٤ : ٢٦١ .

(٣) ولعل أحداث حياة المنتجب لا تتسق مع حياة الخصيبي اذا نحن أصررنا على سنتي وفاتيهما ثم لا تتفق اذا نحن باعدنا بين سنتي وفاتيهما ، كما يجب أن نفعل. ومن الخصيبي ، فيما يبدو ، تحدرت العقيدة الباطنية الى المنتجب ، غير مباشرة في الاغلب ؛ وبهذا يكون الخصيبي شيخاً للمنتخب .

٢ ـ المُنْتَجَبُ العانيُّ شاعرٌ وجدانيٌّ وصلَ إلينا من شعرِه اثْنَتا عَشْرَةَ قصيدةً طويلة تَعُدّ ألْفَيْ بيتٍ . وللمنتجب مَقْدِرَةٌ لُغَوِيّةٌ ظاهرةٌ ، ولكنّ في شعرِه أيضاً أشياءَ من الخطأ (رسالة فــن المنتجب العاني ص ٥٨ ، ١٢١ ، ١٨٣ الخ) . وكذلك نَجِدُ له السبكَ المتينَ الى جانب التركيبِ الذي يَرِكُّ أحيانــاً . وهو غزيرُ المعاني ، ولكنّه أيضاً شديدُ التقليدِ لِنَفَرٍ من الشعراء كالمتنبّي (ت ٣٥٤ ﻫ) . والشريفِ الرضيّ (و ٤٠٦ ﻫ) والمَعَرّي (ت ٤٤٩ ﻫ) كثيرُ الأخذِ منهم مِمّا يُوحي بتأخّره في الزمن.

والمنتجب العاني شاعرٌ باطنيّ متطرّفٌ عنيفٌ ، وفي شعرِه كثيرٌ من ألفاظ الباطنية ورُموزهم . أما فنونُه فهي مَدْحُ الرسولِ وآلِ البيت والفخرُ والرثاء والخمر والغزل . ويَغْلِبُ التصوّفُ على فنون شعره . فاذا لم نأخُذْ باتّجاهِ الصوفيّ فإنّ مُعْظَمَ غزلِه يُصْبِــحُ حينئذٍ مذكّراً .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال المُنْتَجَبُ العاني في الغزل :

ورُبَّ أهْيَفَ ساجي الطَرْفِ مُعْتَدِلٍ ... أغَنَّ أحْوى دقيقِ الخَصْرِ واهيهِ [١] ،
أعار أمَّ الطَلا من غُنْجِ مُقْلَتِهِ ... وعلّم البان ضَرْباً من تَثَنّيه [٢] ؛
خَلَوْت أجْلو دُجى لَيْلي بطَلْعَتِه ... حتّى الصباحِ وأجْني الراحَ مِنْ فيه [٣] .
تجمّعت فيه أوصاف مُفَرَّقَــةٌ ... في الناس فازدادَ عُجْباً من تناهيه [٤] .
قضيب بانٍ على حِقْفٍ يلوح على ... عَلْيائهِ بَدْرُ تِمٍّ تحتَ داجِيه [٥] ؛
فالنَرْجِسُ الغَضُّ مِنْ عَيْنَيْه أنْهَبُهُ ، ... والورد بِاللَّحْظِ من خَدَّيْهِ أجْنيه .

---

(١) أهيف : دقيق الخصر ، نحيل . ساجي : هادئ ، مكسور . الطرف : العين ، الجفن . معتدل : مستقيم القامة . أغن : ذو غنة (نغمة حلوة) في صوته . أحوى : أسمر الشفة . واهية : واهي (ضعيف) الخصر .

(٢) أم الطلا : الغزالة . الغنج : الدلال والدلع . البان : شجر أغصانه مستقيمة ملساء سمراء . ضربا : نوعا . التثني : التمايل .

(٣) الدجى : سواد الليل . أجني : أقطف (أتناول) . الراح : الخمر .

(٤) العجب : الاعجاب بالنفس ، الكبرياء . التناهي : بلوغ النهاية أو الغاية في الأمر (هنا : في أوصاف الجمال) .

(٥) الحقف : الجانب العظيم المستدير من الرمل (يقصد : وسط جسمه) . بدر تم : البدر ليلة تمامه وامتلائه (يقصد : وجه المحبوب) . الداجي : (الليل) المظلم .

ذَلَلْتُ من بعدِ عِزّي في هــواهُ إلى أن صار يُسْخِطُني تِيهاً وأُرْضيه[١] .
ولي فُؤاد على التعْذيب مُصْطَبِرٌ ؛ فها هُو الآن يُقْصيني وأُدنيــه .
لا يَرْعَوي لِعِتابي في تَجَنُّبِهِ ، ولا يَرِقُّ لحـالي في تَجَنِّيــه[٢] .
وكُلّما قُلتُ يَثْنيهِ الحيــاءُ إلى حُسْنِ الوفاء تَمادى في تَمــاديه[٣] ؛
مَعْ عِلْمِه أن ذُلّي في تَعَــزُّزِه ، وأن فَرْط تَــلافي في تَلافيه[٤] .
قالوا إلى كم تُلاطفه (!) فقلت لهم مِنه الــدلال ومنّي أن أُداريه[٥] .

. . . . . .

ما النفع بالطَلَلِ البالي وقد دَرَسَت أقمارُه ونــأت عنّي دراريــه[٦] !
مَهْما نَسِيت فلَن أنسى به زَمَناً صَفا فكَدَّرَتِ الأيــام صافيه .
يا مَرْبَعاً طالما غَنَّيْتُــه طَرَبــاً من السرورِ فعُدتُ اليَوْم أبْكيه[٧] .
ما بالُ مَغْناك لا يَرْثي لِذي شَجَنٍ ولا يُجيب أخــا شَجْوٍ يُناديه[٨] ؟
تَهَضَّمَتْك يد البَلْوى وغَيَّرتِ الـ أتْراح ما كُنْت بالأفراحِ مُبْديه[٩] .
وأصبح الشَّمْل بعد الجَمْعِ مُفْتَرِقاً مُذْ جارَ ــ في الحُكْمِ والتَشْتيتِ ــ قاضيه[١٠]
(ماضٍ مِنَ العيشِ لو يُفْدى بَذَلْتُ له) روحي ورَخَصْتُ في ما كُنْتُ أُغْليه[١١]

---

(١) التيه : العجب (بضم العين) والكبرياء .
(٢) ارعوى : رجع أو عاد عن ذنبه . التجنب : البعاد ، الهجر . التجني : نسبة الذنب الى غير مذنب .
(٣) يثنيه : يرده (سيرده) . تمادى : استمر .
(٤) تلافي (الاولى) : هلاكي . تلافيه : تجنب الاجتماع بي (ابتعاده عني) .
(٥) « تلاطفه » ساكنة لضرورة الوزن وحقها الرفع بضمة على الفاء . وهذا من أخطاء الشاعر .
(٦) الاقمار والدراري (النجوم) كناية عن النساء الحسان . نأى : ابتعد .
(٧) المربع : المكان المخصب (الذي ينزل الناس فيه في الربيع) المسكون .
(٨) المغنى : المكان المسكون عامة . الشجن : الحزن . الشجو : الحزن (أيضاً) .
(٩) تهضمتك : نهكتك (أتعبتك) وهزلتك (أنحلتك) .
(١٠) في الاصل : بالحكم . جار قاضيه (قاضي المحبوب أو قاضي الغرام) في حكمه (ظلم) اذ حكم علي بالتشتيت (افتراق الشمل ، بالبعاد) .
(١١) الشطر الاول مضمن من شعر الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) :
ماض من العيش لو يفدى بذلت له كرائم المال من خيل ومن نعــم .

– وقال في ما بين الخمر والغزل :

وليلةٍ بِتُّ أجلوها بشمسِ ضُحىً ... صَهباءَ تُخبرُ عن نوحٍ وعن هودِ [1]
مَع كُلِّ هيفاءَ مَصقولٍ ترائبُها ... ماسَت بِقَدٍّ كَغُصنِ البانِ أُملودِ [2] ؛
تَخالُها إن شَدَتْ ، والكأس دائرةٌ ، ... قد أُوتِيَتْ نَغمَةً من آلِ داوُودِ [3] .
قد كان ذاك ووقتي يانِعٌ نَضِرٌ ... والعيش غَضٌّ وعَصْري ناعم العودِ [4] .
بانَ الشبابُ فبِنَّ الغانياتُ ؛ ومَن ... يَشِبْ يَجِدْ طولَ هَمٍّ ثم تَنكيدِ [5] .
لو كان يُرجى لِماضي العيشِ مُرتَجَعٌ ، ... لقُلتُ : باللهِ ، يا أيّامَنا عودي !

. . . . . .

إلى عَليِّ بنِ بَدْرانَ الجوادِ خُذي : ... ربَّ المكارمِ نَجّازِ المَواعيدِ [6] ؛
حِلْفِ السحائبِ فلاّلِ النوائبِ بَذْ ... لِ الرغائب مأوَى كلِّ مَطْرودِ .
فتىً جرَى وسَحابَ الجَوِّ فانبَجَسَتْ ... كَفّاهُ إذ ضَنَّ صَوْبُ المُزْنِ بالجودِ [7] .

– وقال في معاني الصوفية :

فيا صاحبي – والصَّبُّ ما انفَكَّ في الهوى ... يُناجي بِشَجْوِ الحُبِّ مَنْ باتَ يَصْحَبُ ،
أعِنّي على وَجْدي القديمِ بوَقْفَةٍ ... على مَلْعَبٍ لم يَبْقَ لي فيه مَلْعَبُ [8] .

---

(١) ليلة بت أجلوها : قضيت الليل كله أفرق ظلامها (أضيئها) بشمس ضحى (خمر) صهباء (حمراء اللون) . تخبر عن نوح وعن هود (كناية عن قدمها) .

(٢) هيفاء ، بان (راجع ص ٨٣ الحاشية ٢) الترائب : أعلى الصدر . مصقول ترائبها : صدرها أملس (كناية عن الشباب) . ماس : تمايل . أملود : طري ، ناعم .

(٣) شدا : غنى . والكأس دائرة : وكأس الخمر تنتقل بين الشاربين . كان داوود معروفاً بجمال الصوت وحسن الغناء . تخالها : تظنها .

(٤) يانع : ناضج . النضر : الزاهي ، الريان ، الاخضر . غض : طري ، رغد ، ناعم . عصرى (؟) ربما : عمرى (؟) .

(٥) بان : ذهب . بنّ الغانيات : الغانيات بن : ابتعدن عني (والتعبير الذي استعمله الشاعر – تقديم الفعل مع الضمير على الفاعل – يسمى « لغة أكلوني البراغيث » وهو من الخطأ .

يشب = يشيب : يدركه الشيب . في الاصل : تكيد . التنكيد : تنغيص العيش .

(٦) وخدت الناقة : أسرعت .

(٧) انبجست العين (وانبجس المطر) خرج منها الماء بكثرة . المزن : المطر . صوب المزن : المطر المنهمر .

(٨) على ملعب لم يبق لي فيه ملعب : في مجال للهو لم يبق مجالا لي (لأنني تقدمت في السن كثيراً) .

هو الرَّبْعُ للجَرْعاءِ من أيْمَنِ الحِمى ، وهذا النَّقا البادي وذاك المُحَصَّبُ[1] .
فعُجْ يَمْنَةً إنْ كُنْتَ لِلْخِلِّ مُسْعِداً وخَلِّ دُموعَ العينِ في الدارِ تُسْكَبُ[2]
لَعَلَّ مَسيلَ الدمـعِ يُعْقِبُ راحةً فَيُطْلَقَ مِنْ أسْرِ الغَرامِ المُعَذَّبُ .

٤ ** فن المنتجب العاني وعرفانه ، تأليف الدكتور أسعد أحمد علي ، المجلد الأول ، بيروت (دار النعمان) ١٩٦٨ م = ١٣٨٨ هـ . (أصله رسالة دكتوراه ، دمشق ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م) .

المُسبحي

١ ــ هو الاميرُ المُخْتارُ عِزُّ المُلْك مُحمّدُ بنُ أبي القاسم عبيدِ اللهِ (٣٠٧ ــ ٤٠٠ هـ) بنِ أحمدَ بنِ اسماعيلَ بنِ (عبد) العزيزِ المُسبِّحِيُّ ، أصلُه من حَرّانَ (شَماليَّ الشام والعِراق) ومَوْلِدُه في الفُسطاط (مِصْر القديمة) في ١٠ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ ٣٦٦ (٤ /٣ / ٩٧٧ م) .

اتّصل المُسَبِّحِيّ في صِباه بالحاكِمِ بأمرِ الله الفاطميّ (٣٨٦ ــ ٤١١ هـ) ودَخَل في زُمْرة الجند (٣٩٨ هـ = ١٠٠٧ ــ ١٠٠٨) ثمّ ما زال يَرْقى حتَى تولّى على إقليم القَيْس والبَهْنَسا (في صعيد مصر) ثمّ تولّى ديوان الترتيب . وقد نال حَظْوة عند الحاكم ، وكانتْ له مع الحاكم مَجالسُ ومحاضراتٌ (مباحث) .

وكانت وفاةُ المسبّحي في ربيعِ الثاني من سَنَة ٤٢٠ (ربيع عام ١٠٢٩ م) .

٢ ــ كان المسبّحيُّ بارعاً في التاريخ والأدب والحِساب والفلك ، كما كان له شعرٌ . وتصانيفُ المُسَبِّحي كثيرةٌ كبيرةُ الحجمِ تَبْلُغُ نحوَ ثلاثينَ كِتاباً منها : التاريخ الكبير (قال فيه المسبّحيّ نفسُه : هو « التاريخ الجليل قَدْرُه الذي يُسْتغنى بمضمونه عن غيره من الكُتُب الواردة في معانيـه ؛ وهو أخبار مصر ومن حَلّهـا من الوُلاة والأمراء والأئمّة والخلفاء ، وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة ، وذِكْر

(١) الربع ، الجرعاء ، أيمن الحمى ، المحصب (مكان في منى ــ بكسر الميم ــ في مكة) أماكن في الحجاز ترد في أشعار المتصوفة للتبرك والتغزل لا على التعيين .

(٢) عاج : مال ، اتجه الى . الخل : الصديق . مسعداً : مساعدا (للخل) على احتمال ما به من ألم الحب . والمسعد ايضاً : الذي يحزن لحزن الآخرين فيبكي لبكائهم .

نيلها ، وأحوال من حلّ بها إلى الوقت الذي كتبنا فيه تعليق هذه الترجمة[١] ، وأشعارُ الشعراء وأخبار المغنّين ومجالس القُضاة والحكام والمُعدِّلين[٢] والادباء والمتغزّلـين وغيرهم » ؛ وهو ثلاثةَ عشَرَ ألفَ ورقةٍ[٣]) – كتاب التلويح والتصريح في معاني الشعْر وغيره (ألف ورقة) – كتاب الراح والارتياح (ألف وخمسمائة ورقةٍ) – كتاب الغرقَ والشَرَق في ذِكر من مات غَرَقا وشَرَقا (مائتا ورقةٍ) – كتاب الطعام والأدام[٤] (ألف ورقة) – قِصَصُ الانبياء عليهم السلام وأحوالهم (ألف وخمسمائةِ ورقة) – كتاب المُفاتحة والمناكحة في أصناف الجِماع (ألف ومائتا ورقة) ، كتاب الأمثلة للدول المُقْبلةِ ويتعلّق بالنجومِ والحِساب (خمسمائة ورقة) – كتاب القضايا الصائبة في مَعاني أحكام النجوم (ثلاثةُ آلافِ ورقةٍ) – كتاب جُوْنَة الماشطة ، ويتضمّن غرائب الأخبار والأشعار والنوادر التي لم يتكرّر مرورها على الاسماع وهو مجموع مختلف غير مؤتلف (ألف وخمسمائة ورقة) – كتاب الشَجَن والسَكَن في أخبار أهل الهوى وما يلقاه أربابه (ألفان وخمسمائة ورقة)– كتاب السؤال والجواب (ثلاثمائة ورقة) – كتاب مختار الاغاني ومعانيها[٩] .

---

(١) ضاع هذا الكتاب ، ولم يبق منه سوى نتف قليلة متفرقة وجزء صغير في مكتبة الاسكوريال في اسبانية (راجع زيدان ٢ : ٣٧٢ ؛ أدب مصر الفاطمية – مصر ، دار الاعتماد ، ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م ، ص ١١٠) ينتهي هـذا الكتاب بحوادث سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ – ١٠٢٤ م) . وقد ألف القاضي الفاضل تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن ميسر المتوفي في ١٨ من المحرم من سنة ٦٧٧ (١٢٧٨/٦/٥ م) كتاباً سماه « تاريخ مصر » وجعله ذيلا لكتاب المسبحي ووصل فيه الى سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٨ م) .

(٢) المعدلون ، لعلهم العدول (بضم العين) جمع عدل (بفتح العين وسكون الدال) : الرجل الامين الصادق الذي تقبل شهادته في الأمور العامة .

(٣) تكون الورقة خمسة وعشرين سطراً .

(٤) الأدم (بفتح الهمزة وسكون الدال) والإدام (بكسر الهمزة) : مرق أو نحوه فيه شيء من الدهن يؤتدم (بالبناء للمجهول) يلين به الخبز حتى يسوغ (أو يسيغ) الخبز في الحلق .

(٥) الراح : الخمر .

(٦) الشرق (بفتح الشين والراء) : تعذر سلوك الطعام والشراب في الحلق .

(٧) الجؤنة : السفط (الوعاء) المغلف بجلد . الماشطة : امرأة تحسن مشط الشعر (بفتح الشين) وتتخذ ذلك حرفة فتعتني بشعر النساء وبتزيينهن (ليلة العرس وما أشبه ذلك) .

(٨) الشجن : الهم والحزن . السكن : الاطمئنان (مع الزوجة خاصة) .

(٩) في أدب مصر الفاطمية ذكر لكتب أخرى للمسبحي ولكتب ذكرت بلفظ مقارب : « .... كتاب الراح والارتياح في وصف الشراب وآلاته والندام عليه واختيار أوقاته وذكر الزهور والرياض والثمار والاشجار – =

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال عزّ الملك المسبّحي يرثي أمّ ولد له [١] :

ألا في سبيلِ اللهِ قَلْبٌ تَقَطّعـا ، وفادحةٌ لم تُبْقِ لِلعَيْنِ مَدْمَعا[٢].
أصبْراً ، وقَدْ حَلّ الثّرى من أوَدُّه ؛ فَلِلّهِ هَمٌّ مـا أشدَّ وأوْجَعـا !
فيا لَيْتني لِلْمَوْت قُدِّمْتُ قَبْلَها ، وإلاّ فَلَيْتَ الموْتَ أذْهَبَنا مَعـا !

ــ وكان المسبّحيُّ قدِ استزارَ أبا محمّدٍ عُبيدَ اللهِ بن أبي الجوع الأديبَ الورّاق الكاتب ، فزاره . فعَمِلَ المسبّحيُّ الابياتَ التاليةَ وأنشدَها على البديهة :

حَلَلْتَ فأحْلَلْتَ قَلْبي السُّرورا ، وكادَ لِفَرْحَتِهِ أن يَطيـرا .
وأمْطَـرَ عِلْمُـكَ سُحْبَ السماءِ ولوْلاكَ مـا كان يوماً مَطيـرا .
تَضَوَّعَ نَشْرُكَ لَمّـا وَرَدْتَ ، وعادَ الظّلامُ ضِياءً مُنيرا[٣] .

٤ ** وفيات الأعيان ٢ : ٣٤٢ ــ ٣٤٤ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢١٦ ــ ٢١٧ ؛ بروكلمان ١ : ٤٠٨ ، الملحق ١ : ٥٧١ ــ ٥٧٢ ؛ زيدان ٣٧١ ــ ٣٧٢ ؛ الاعلام الزركلي ٧ : ١٤٠ .

أبو الفرج بن هندو الكاتب

١ ــ هو الاستاذ أبو الفضل أبو الفَرَجِ عليُّ بنُ الحسينِ[٥] بنِ هندو ، كانَ من أسرةٍ عَريقة من أهلِ الريّ . ولعلّ الاسمَ هندو يُوحي بأنّ سَلَفاً قريباً له كان قد جاء حديثاً من الهند الى الريّ ثم اعتنق الاسلامَ ودخل في خِدمة الدولة .

قرأ ابنُ هندو علومَ الأوائلِ على أبي الحَسَن الوائلي في نيسابور ثم على أبي الخَيْر

= كتاب الطعام والادام في صفة ألوان الطعام وما يقدم على الخوان– كتاب درك البغية في وصف الاديان والعبادات وذكر الملك والانبياء والمتنبئين وذكر الفرائض والآداب – كتاب الجوعان والعريان – كتاب القران (بكسر القاف) والتمام » (ص ١١١)

(٢) اذا ولدت الجارية (الرقيقة) لسيدها صبياً أصبحت حرة ودعيت حينئذ « أم ولد » .

(٣) الفادحة : النازلة ، المصيبة التي تفدح (بفتح الدال) : تثقل على النفس ويصعب احتمالها .

(٤) تضوع المسك : فاح ريحه وانتشر . النشر : الرائحة الطيبة .

(٥) في يتيمة الدهر (٣ : ٣٦٢) : الحسين بن محمد .

ابن الحمّار[1] . وكان أحدَ كتّابِ الإنشاء في ديوانِ عَضُدِ الدولة (معجم الادباء ١٣ : ١٣٦) . ثمّ انه اتّصل بالصاحبِ بن عبّادٍ (ت ٣٨٥ هـ) وصَحِبَه مدّة . وكذلك جاء الى بغدادَ في أيامِ الوزير فخرِ الملك أبو غالبِ بن خلَفٍ[2] ومدحه .

ولمّا تولّى مَنُوجَهْرُ بنُ قابوسَ بنِ وَشْكميرَ المُلكَ في الريّ ، سَنَةَ ٤٠٣ هـ (١٠١٢ – ١٠١٣ م) ، مَدَحه ابن هندو . ولم يكن منوجهرُ ممّن يَهِشّ للأدب والشعرِ فلم يَفْهَمِ القصيدةَ ولا أثابَه عليها فقال ابنُ هندو أبياتاً في الشكوى يُلْمَحُ فيها تَعريضٌ بمنوجهرَ ، فهرب الى نيسابورَ . غيرَ أننا رأيناه ، سَنَةَ بِضْعٍ وأربعمائةٍ في جُرْجان ؛ ويبدو أنه بَقِيَ فيها حتّى تُوُفّي سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) .

٢ – أبو الفرج بنُ هندو كاتبٌ منشىءٌ مترسّلٌ وأديبٌ شاعرٌ ومن المُهْتمين بعلوم الاوائل (الفلسفةِ وما كان يتّصل بها) . وشعرُ ابن هندو فصيحٌ سهل ووُجداني عَذْب أكثَرُه في الوصف والغزل . وكذلك كان مؤلّفاً له : مفتاح الطبّ – الرسالة المشوّقة الى المُدْخِل الى علم الفلك – الكَلِمُ الروحانية في الحِكَمِ اليونانية – الأمثال المولّدة – الوساطة بين الزُناة واللاطة .

٣ – مختارات من شعره

– كان في ابن هندو ضرب من السُّويداء ، وكان لا يُقْبِلُ على الخمر فقال :

قدْ كفاني مِنَ المُدامَ شَميمُ : صالحتْني النُهى وثابَ الغريمُ[3] .
هي جَهْدُ العقولِ سُمّيَ راحاً ، مِثلَ ما قيل لِلّديغِ سَليم[4] .
إن تكنْ جنّةَ النعيمِ ففيها من أذى السُكرِ والخُمار جحيم[5] .

---

(١) في فوات الوفيات (٢ : ٥٧) : علي بن الحسن العامري وأبو الخير بن الخمار (لعل الاخيرة خطأ مطبعي) .

(٢) جاء في الفترة الغامضة من تاريخ الوزارة في الدولة العباسية .

(٣) النهى : العقل . ثاب : رجع ، عاد . الغريم (؟) – لعلها : العديم (المعدوم ، المفقود) الذي كان قد ذهب بشرب الخمر (أي عقلي) .

(٤) جهد = اجهاد : تعب . اللديغ : الذي لدغته حية أو عقرب ، وكان العرب يسمونه السليم تفاؤلا بأنه سيشفى ويسلم .

(٥) الخمار : أثر الخمر في الرؤوس .

ـ وقال في الغزل :

حَلَلْتُ وَقارِيَ في شادنٍ عُيونُ الأنامِ به تُعْقَدُ .
غدا وجهُه كَعْبَةً للجمالِ ؛ ولي قَلْبُه الحجرُ الأسود !

ـ وقال في الشكوى والتجلّد ، وقد ظُنَّ في قولِه هذا تعريضٌ بمنوجهرَ لأن منوجهر كان يلقّبُ بفَلَكِ المعالي .

يا ويحَ فضلي ! أما في الناسِ من رَجُلٍ يَحْنو عليَّ ؟ أما في الأرضِ من مَلِكِ ؟
لأُكْرِمَنّكَ ، يا فَضْلي ، بتَرْكِهِمُ واستَهينَنَّ بالأيّامِ والفَلَكِ !

ـ وقال (من إفراد الظلال للبيروني)(١) :

لنا مَلِكٌ ما فيه للمُلْكِ آلَةٌ سوى أنّه يومَ السلامِ مُتَوَّجُ ؛
أقيمَ لإصلاحِ الوَرى وهو فاسِدٌ ؛ وكيفَ استواءُ الظلِّ والعودُ أعوجُ !

٤ ـ الكلم الروحانية في الحكم اليونانية (نشرها مصطفى قبّاني) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٣١٣ هـ (١٩٠٠ م) ثمّ القاهرة ١٣١٨ هـ .

** يتيمة الدهر ٣ : ٣٦٢ ـ ٣٦٤ ؛ تتمة اليتيمة ١ : ١٣٤ ـ ١٤٤ ؛ دمية القصر ١١٣ ـ ١١٤ ؛ معجم الادباء ١٣ : ١٣٦ ـ ١٤٦ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٥٧ ـ ٦٠ ؛ طبقات الأطبّاء ١ : ٣٢٣ ؛ بروكلمان ١ : ٢٧٧ ، الملحق ١ : ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٨٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٨٠٠ .

ابن زريق البغدادي

١ ـ قيلَ فيه : هو أبو عليٍّ الحسنُ بنُ زُريقٍ الكاتبُ الكوفيُّ(٢) ، من ساكني الكَرْخِ (الجانبِ الغربيِّ من بَغدادَ) كان كاتباً (في ديوان الرسائل) . ويبدو أنّ حالَه رَقّتْ فَخَطَرَ له أن يذهبَ الى الأندلُسِ مُتَكَسِّباً بشعرِه . فاذا صحّ أنّ وفاتَه كانتْ نحو ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) وأنّه كان مَيْتاً لمّا ألّفَ الثعالبيُّ (ت ٤٢٨ هـ) يتيمة الدهر (يتيمة الدهر ٢ : ٢٣٨ ـ ٢٤٦) فيكونَ قد جاء إلى الاندلُسِ في أيّامِ الفتنة (٤٠٠ ـ ٤٢٢ هـ) واضطرابِ الأحوال وتنازُع الخلفاء والوُلاةِ والعَرَبِ والبربر ، ولم يكنْ ذلك الحينُ موافقاً للتكسّبِ بالشعر . ويقال إنّ ابنَ زريقٍ مَدَحَ مَلِكَ الأندلسِ ولا

(١) ؟

(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ، أو لعل هذا غيره (راجع ٩١ ح ١) .

سبيلَ الى معرفة اسْمه (بقصيدة لم تَصِلْ إلينا) فأجازه بجائزة ضَئيلة . فعادَ ابنُ زريقٍ آسفاً الى الخان الذي كان يَنْزِلُ فيه ونظَمَ القصيدةَ العينيّة المشهورة . وقيلَ أيضاً : إنّ صاحبَ الاندلس كان قد أرادَ امتحانَ نفس ابن زريق بالجائزة الضئيلة ، فطلب ابنَ زريقٍ — بعدَ بِضْعة أيام — فوجَدَهُ في الخان ميْتاً والقصيدة عند رأسه .

٢ — لابن زريق قصيدة عينية[١] أربعون بيتاً فصيحة الألفاظ سهلة التراكيب ولكنّ عليها شيئاً من الضَعْف وفيها ترديدٌ الى جانب عُذوبة في السبك ولَفَتات بارعة في المعاني التي يتناولها الشاعرُ المطبوع عادةً من مُتَناوَل يَدِه . والعاطفةُ فيها جيّاشةٌ . ويبرُزُ في هذه القصيدة غرَضان : النسيبُ والشكوىَ ، إلاّ أن الشاعرَ يستسلمُ أخيراً لمشيئة الله في ما وَقَعَ له من سوءِ تقديره هو .

وقد اهتمّ الادباء بهذه القصيدة اهتماماً كبيراً : عارضها أحمد بن جعفر الواسطي[٢] ، وأبو بكر العيدي (ت ٥٨٠ هـ)[٣] وخمّسها أحمد بن ناصر الباعوني (ت ٨١٦ هـ)[٤] ، وشرحها عليّ بن عبد الله العلويّ (ت ١١٩٩ هـ) ووليّ الدين يكن (ت ١٩٢٠ م)[٥]

ولابن زُريقٍ أيضاً أُرجوزةٌ في الأخلاق (بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣٣) .

٣ — مختارات من القصيدة العينية لابن زريق البغدادي :

لا تَعْذِليهِ فـإنّ العَذْلَ يُولِعُهُ ! ... قد قُلْتِ حقّاً ؛ ولكن ليس يَسْمَعَهُ ،
جاوَزْتِ في لَـوْمِهِ حَدّاً أضرّ بهِ ... من حيثُ قدّرْتِ أن اللومَ يَنْفَعُـه .
فاستَعْمِلي الرِفْـقَ في تأنيبه بَدَلاً ... من عَذْله، فَهْوَ مُضْنَى القَلْبِ مُوجَعه
يَكْفيهِ منْ لَـوْعةِ التأنيب أنّ له ... مِنَ النَوى كلَّ يومٍ ما يُرَوّعه :
ما آبَ من سَفَرٍ الاّ وأزْعَجَـهُ ... عزم إلى سَفَرٍ بالبَيْنِ يجمعـه ؛
كأنّما هُوَ في حِـلٍّ ومرْتَحَلٍ ... مُوكّلٌ بفضاء الله يَذْرَعه !
وما مُجاهَـدةُ الانسانِ واصِـلةً ... رِزْقاً ، ولا دَعَةُ الإنسان تَقْطَعُه ؛

---

(١) ذكر ابن خلكان (٣ : ٣٢ — ٣٣) أن جارية غنت الأمير تميم أبا المعز بن باديس من بني زيري أصحاب القيروان (القطر التونسي) ، وقد حكم من سنة ٤٥٣ — ٥٠١ هـ ، بيتاً هو : « استودع الله في بغداد لي قمراً .... » ثم قال ابن خلكان : وهذا البيت لمحمد بن رزق الكاتب البغدادي من جملة قصيدة طويلة . وفي يتيمة الدهر (٢ : ٣٤٧) : يقول أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب :

سافرت أبغي لبغـداد وساكنهـا ... مثلا ، فحاولت شيئاً دونه اليأس !

(٢) الخريدة (الشام) ٣ : ١٨٥ ، الحاشية ١١ .

(٤—٥) راجع بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣٣ .

قد وَزّع اللهُ بين الخَلْق رِزْقَهُمُ ؛ لم يَخْلُق اللهُ من خَلْقٍ يُضَيّعه .

والحِرْصُ في الرزق–والأرزاقُ قد قُسِمَتْ– بَغْيٌ ، ألا إنّ بَغْيَ المرء يَصْرعه .

والدهرُ يُعْطي الفتى من حيثُ يَمْنَعُه عَفْواً ، ويمنعه من حيث يُطْمِعه .

أسْتَوْدِعُ اللهَ في بَغدادَ لي قَمَراً بالكَرْخِ من فلك الأزْرارِ مَطْلَعه ؛

ودّعتُه ، وبوُدّي لَوْ يُوَدّعُني صَفْوُ الحياة وأنّي لا أُودّعه !

كم قد تَشَفّعَ بي ألاّ أُفارِقَه ؛ ولِلضّروراتِ حالٌ لا تُشَفّعه .

وكم تَشَبّثَ بي ، خَوْفَ الفِراق ، ضُحىً وأدْمُعي مُسْتَهِلاّتٌ وأدْمعه .

لا أكْذِبُ اللهَ ؛ ثوبُ الصبرِ مُنْخَرِقٌ عنّي بفُرْقَتِه لكنْ أُرَقّعه .

أُعْطيتُ مُلْكاً فلم أُحْسِنْ سياستَه ؛ وكلٌّ من لا يَسوسُ المُلْكَ يَخْلَعه !

ومَنْ غَدا لابساً ثوبَ النعيمِ بلا شُكْرٍ عليه فعنه اللهُ يَنْزِعه .

بِمَنْ –إذا هَجَعَ النُّوّامُ– بِتُّ له بلَوْعةٍ منه لَيْلي لستُ أهْجَعه ،

لا يَطْمَئِنُّ لجَنْبي مَضْجَعٌ ؛ وكذا لا يطمئنّ له –مُذْ بِنْتُ– مَضْجَعَه .

ما كنتُ أحْسَبُ أن الدهرَ يَفْجَعُني به ، ولا أنّ بي الأيّامُ تَفْجعه ،

حتّى جرى البَيْنُ ، فيما بَيْنَنا ، بيَدٍ عَسْراءَ تَمْنَعُني حَظّي وتمنعه .

باللهِ –يا مَنْزِلَ العيشِ الذي دَرَسَتْ آثارُه وعَفَتْ مُذْ بِنْتُ أرْبُعُه–

هلِ الزمانُ مُعيدٌ فيك لَذّتَنا أمِ الليالي الذي أمْضَتْهُ تَرْجِعُه ؟

في ذمّةِ اللهِ مَنْ أصبحتَ مَنْزِلَهُ ، وجادَ غيثٌ على مَغْناكَ يُمْرِعه :

مَنْ عِنْده لِيَ عَهْدٌ لا يُضَيّعه ، كما له عَهْدُ صِدْقٍ لا أُضيّعه ؛

ومن يُصَدّعُ قلبي ذِكْرُه ، وإذا جرى على قلبهِ ذِكْري يُصَدّعه .

لأصْبِرَنّ لِدَهْرٍ لا يُمَتّعُني به ، ولا بِيَ في حالٍ يُمَتّعه ،

عِلْماً بأنّ اصْطباري مُعْقِبٌ فَرَجاً ؛ فأضْيَقُ الأمرِ إنْ فَكّرتَ أوْسَعُه .

عَلّ الليالي –التي أضْنَتْ بفُرْقَتِنا جِسْمي– سَتَجْمَعُني يوماً وتجمعه .

وأن تَغُلْ أحداً مِنّا مَنِيّتُه ، فما الذي بقَضاء اللهِ نَصْنَعه !

٤ – ** مجموع المزدوجات (جمعها محمود طاهر الجزائري) ، الاسكندرية ١٢٨٧ هـ ؛ القاهر
١٢٨٣ ، ١٢٩٩ هـ ؛ بشرح ولي الدين يكن ، القاهرة ١٣١١ هـ . طبقات السبكيّ ١ : ١٦٣
مجلّة المعلّم العربي (دمشق) تشرين الثاني ١٩٦٤ م ، ص ٥٥–٦١ ؛ بروكلما

١ : ٨٢ ، الملحق ١ : ١٣٣ ؛ زيدان ٢ : ٣٠٧ ؛ مجلة مجمع العلمي العربي ٥ : ٢٧٥ ؛ الكشول ١ : ١١٨ — ١٢٠ ، مصارع العشاق ١٧ — ١٩ .

ابو علي المرزوقي

١ — هو الامامُ أبو عليٍّ أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ المرزوقيُّ ، كان حائكاً من أهلِ أصْفهانَ . ويبدو أنه مال الى الأدَبِ باكراً فبرع فيه وأصبح مُعَلِّماً لأولادِ بني بُوَيْهِ في أصفهانَ (٣٦٦—٤١٢هـ) . والذي يبدو أن مكانتَه سَمَتْ في العلم والأدَب قبلَ ذلك بمُدَّةٍ ، إذْ يُقالُ إن الصاحبَ بنَ عبّادٍ دَخَلَ على المرزوقيِّ فلمْ يَقُمِ المرزوقيُّ له ، فلمّا وَلِيَ الصاحبُ بن عبّادٍ الوزارةَ (٣٦٠ — ٣٨٥ هـ) لبني بُوَيْهِ جَفا المرزوقيَّ وعاداه .

وقرأ المرزوقيّ كتابَ سيبويهِ على أبي عليٍّ الفارسيّ (ت ٣٧٧ هـ) وتتلمذَ له بعدَ أن أصبحَ رأساً بنفسهِ (معروفاً بالعلم مشهوراً) . وكانت وفاته في ذي الحِجّة من سَنَة ٤٢١ (كانون الأوّل — ديسمبر ١٠٣٠ م) .

٢ — كان المرزوقيّ عالماً لُغوياً على مذهبِ أهلِ البصرةِ وأديباً عارفاً بالشعرِ ومُصنّفاً له : شرح الحماسة (لأبي تمّام) — شرح المفضّليات (للمفضّل الضبّيّ) — شرح الفصيح (لثعلب !) — شرح الموجز — ألفاظُ الشمول والعموم — غريب القرآن — الأمالي — الأزمنة والأمكنة .

٣ — مختارات من كلامه

— النثرُ أشرفُ من النظم : (من مقدمة « شرح الحماسة »)

وممّا يَدُلّ على أنّ النثرَ أشرفُ من النظم أنّ الإعجاز من الله، تعالى جَدُّهُ ، والتحدّيَ من الرسول عليه السلام وَقَعا فيه دونَ النظم ؛ يَكْشِفُ ذلك أن مُعْجِزاتِ الأنبياء عَلَيْهِمُ السلامُ في أوقاتِهِمْ كانت من جِنس ما كانت أُمَمُهم يُولَعونَ بـه في حينِهِمْ ويَغْلِبُ على طِباعِهم — وبأشرفِ ذلك الجنس ! على ذلك كانت مُعْجِزَةُ موسى عليه السلام ، لانّها ظَهَرَتْ عليه وزمنُه زَمَنُ السِحرِ والسَحَرَةِ ، فصارت من ذلك الجِنس وبأشرفه . وكذلك كانتْ حالُ عيسى عليه السلام ، لأنّ زَمَنَهُ كان زَمَنَ الطِبّ ، فكانت مُعْجزته وهي إحياءُ المَوْتى من ذلك الجنس وبأشرفه . فلمّا كان

زَمَنُ النبي صلّى الله عليه وسلّم زَمَنَ الفَصاحةِ والبيَانِ جعل الله مُعْجِزَتَه من جنس ما كانوا يُولَعون به وبأشرفه فتَحَدّاهم بالقُرآنِ كلاماً مَنْثوراً لا شِعْراً مَنْظوماً .

— عمود الشعر (راجع الجزء الاول ، ص ٥٠ — ٥٢) .

٤ — الازمنة والامكنة ، حيدر اباد ١٣٣٢ هـ .

شرح ديوان الحماسة (نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون)، القاهرة ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م .
رسائل في الغة (حرّرها ابراهيم السامرائي) ، بغداد (مطبعة الارشاد) ١٩٦٤ م .
شرح المفضّليّات (مخطوط مصوّر في جزأين — في مكتبة جامعة بيروت الأميركية) .

** دمية القصر ١٠٨ ؛ معجم الادباء ٥ : ٣٤ — ٣٥ ؛ بغية الوعاة ص ١٥٩ ؛ بروكلمان الملحق ١ : ٥٠٢ ؛ المجمع العلمي العربي (دمشق) المجلّدات ٢٧ (ص ٥٧)، ٢٩ (ص ٣٨٧ ، ٥٤٤) ، ٣٠ (ص٧١، ٢٨١، ٥٧٢) ، ٣١ (ص٥٥) ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٠٥ .

القاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي

١ — هو أبو محمّدٍ عبدُ الوهّابِ بنُ أبي الحَسَنِ عليٍّ (ت ٣٩١ هـ) بنِ نَصْرِ ابنِ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ هَرونَ بنِ مالكِ بنِ طوقٍ الثَعْلَبيُّ ، وُلِدَ في بغدادَ في سابعِ شوّالِ ٣٦٢ (١٢/ ٧/ ٩٧٣ م) ؛ وتلقّى الحديثَ والفقهَ على جماعةٍ منهم عُمَرُ بن محمّدِ بنِ سُنْبُلٍ وأبو عبدِ الله بنُ العَسْكريّ وأبو حَفْصِ بنِ شاهينٍ وعليٌّ بنُ القصّارِ وابنُ الجَلاّب .

وتولّى القضاء في بادَرايا وباكَسايا (العراق) ولكن لم تُقْبِلُ عليه الدنيا . وفي آخرِ عُمُرِهِ هَجَرَ بَغْدادَ الى مِصْرَ. فمرّ بمَعَرّةِ النُعمانِ فَلَقِيَ أبا العَلاءِ فاحتفَلَ به أبو العَلاء وأكرمه وخصّه بعدَدٍ من أبياتِ لزومياته . ولمّا نَزَلَ في مِصْرَ أقبلتْ عليه الدنيا ، ولكنّه تُوُفِّيَ فيها وَشيكاً ، في ١٤ من صَفَرَ ٤٢٢ (١١/ ٢/ ١٠٣١ م) :

٢ — كان القاضي عبدُ الوهّاب البغداديُّ فقيهاً مالكيّاً ثِقَةً انتهتْ إليه رِئاسةُ المذهبِ المالكيّ في زمانه ، كما كان أديباً شاعراً عَذْبَ اللَفْظِ بارِعَ المعاني . وكانت له كتبٌ كثيرةٌ في عدد من الفنون . فمن كتبه: غُرَرُ المحاضرة ورؤوس مسائل المناظرة — شرح فصول الأحكام — اختصار عيون المجالس — التلقين (وهو على صغره جيّد) — النُصْرة لمذهب مالك — الأدلّة في مسائل الخلاف — شرح المدوّنة (١) .

(١) المدونة : مجموع مشهور في الفقه المالكي .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ في شَذَراتِ الذهب (٣ : ٢٢٤) : قال القاضي عبد الوهّاب بن عليّ وهو يَموتُ (بعد أن أقبلت عليه الدنيا فيها) : « لا إلهَ إلاّ اللهُ ، إذ عشنا مِتْنا »[١] .

ــ وقال في الغزل (وفي قوله إشارة فِقْهيّة) :

ونائمةٍ قَبَّلْتُهـــا فتنبَّهتْ ، فقالتْ: «تعالَوْا فاطلُبوا اللِصَّ بالحَدِّ».
فقلتُ لها : « إنّي ــ فَدَيْتُك ــ غاصبٌ ؛ وما حكموا في غاصبٍ بسوى الـــردّ .
خُذيها وكُفّي عن أثيمِ ظُلامـــةٍ ، وإنْ أنتِ لم ترْضَيْ فألْفاً على العَدّ »[٢].
فقالتْ : « قِصاصٌ يشهدُ العقلُ أنّه على كَبِدِ الجـــاني ألـــذُّ من الشَهْدِ ».
فباتَتْ يَميني وهْيَ هِمْيانُ خَصْرِها ، وباتت يَساري وهي واسِطَةُ العِقْدُ[٣] .
فقالتْ : ألم تُخْبِرْ بأنّك زاهـــدٌ ؟ » فقلتُ: بَلى! ما زِلْتُ أزهَدُ في الزُهد »!

ــ وقال يشكو سُوءَ حالِه في بَغْدادَ :

بغدادُ دارٌ لأهـــلِ المالِ طَيِّبَةٌ ، وللمفاليسِ دارُ الضَنْكِ والضيقِ[٤] .
ظَلِلْتُ حَيْرانَ أمشي في أزِقّتِهـــا كأنّني مُصْحَفٌ في بيتِ زِنْديـــقِ[٥] !

٤ ــ وفيات الأعيان ١ : ٥٤٥ ــ ٥٤٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٧ ــ ٢٨ ؛ شذرات الذهب ٣: ٢٢٣ ــ ٢٢٥ ؛ بروكلمان ؛ الملحق ١ : ٦٦٠ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٣٣٥.

العتـــبي المـــؤرخ

١ ــ هُوَ أبو النَصْرِ مُحمّدُ بنُ عبدِ الجبّارِ العُتْبيُّ مِـــنْ نَسْلِ عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ باني البصرة ، كان مَوْلِدُه ومَنْشأه في الريّ . وفي مُقْتَبَلِ شَبابه قَدِمَ إلى

(١).. لما عشنا (أقبلت علينا الدنيا) متنا (كبرنا في السن وصعب علينا التمتع بلذات الدنيا ــأو متنا حقيقة).
(٢) الحد : القصاص الشرعي .
(٢) الظلامة : الظلم بلا حق . فألفا على العد : خذي مني بدل القبلة التي سرقتها منك ألف قبلة .
(٤) الهميان : كيس الدراهم . هميان خصرها = جميع خصرها كان مطوقاً بيدي اليمنى . وكانت يدي اليمرى في وسط جسمها (؟) .
(٥) الضنك : الشدة والضيق .
(٦) المصحف : الأوراق (الكتاب) الذي ينسخ فيـــه القرآن الكـــريم . الزنديق : المجوسي ؛ الذي يستهتر بالدين . مصحف في بيت زنديق : كناية عن الاهال .

خُراسانَ ونَزَلَ فيها على خاله أبي نَصْرِ العُتْبِيِّ(١) ــ وكان من وُجوهِ العُمّال(٢) ــ

وتولّى أبو النصر العُتْبي الكتابة للأمير أبي عليٍّ(٣) ثمّ للأمير سُبُكْتُكِينَ (٣٦٧ ــ ٣٨٧هـ) مَعَ أبي الفَتْحِ البُسْتي الشاعرِ، ثُمّ للسُلْطانِ مَحْمودِ بن سبكتكين (٣٨٩ ــ ٤٢١ هـ). وكذلك تولّى النِيابة في خُراسان لشَمْسِ المعالي(٣). أما آخر ولاية له فكانتْ على البريد في رُستاق الغَنْج.

وكانتْ وَفاةُ أبي النصر العُتْبي سَنَةَ ٤٢٧ هـ (١٠٣٦ م)(٤).

٢ ــ اشتهرَ أبو النَصْرِ محمّدُ بنُ عبد الجبّارِ العُتْبِيُّ بأنّهُ مؤرّخٌ ألّف «الكِتاب اليمينيّ» وَسَرَدَ فيه سيرةَ السُلْطان يَمينِ الدولةِ محمودِ الغَزْنَوِيّ (ت ٤٢١ هـ) مُنْشأةً بأُسْلوبٍ أنيق. فهو كاتبٌ مُتَرَسِّلٌ بارعٌ ثمّ هُوَ شاعرٌ أيضاً، ولكنّ شِعْرَهُ عاديٌّ كثيرُ التكلّفِ قليلُ الرَوْنَقِ.

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال أبو النصرِ محمّدُ بنُ عبدِ الجبّارِ العتبيُّ المؤرّخُ في التَورية بالخِلاف (الخلاف: تَضادُّ الآراء؛ والخِلاف أيضاً شَجَرٌ لا يُثْمِر):

أدّى الخِلافُ لك الخِلافَ تَشابُهاً ؛ وكِلاهما في الاختِبارِ ذَميمُ.
لو كانَ خيرٌ في الخِلافِ لَزانَهُ ثَمَرٌ، ولكنّ الخِلافَ عَقيم!

ــ وله قطعةُ استزارةٍ (من كِتابٍ إلى صديقٍ له يَطْلُبُ منه المجيءَ إليه):

---

(١) في يتيمة الدهر (٤ : ٤٦٥) وفي وفيات الاعيان (٢ : ٥١٧) أبو النصر (بالتعريف). وفي يتيمة الدهر (٤ : ٤٦٥): «أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ... قدم خراسان على خاله أبي نصر العتبي، وهو من وجوه العمال بها وفضلائهم؛ فلم يزل عنده كالولد العزيز عند الوالد الشفيق الى أن مضى أبو نصر الى سبيله» (مات).

(٢) العامل هو القيم على جمع الاموال (الضرائب) للدولة.

(٣) يبدو أن شمس المعالي هو قابوس بن وشكمير (٣٦١ ــ ٤٠٣ هـ)، ولعل صلة أبي النصر العتبي بشمس المعالي كانت قبل اتصاله بآل سبكتكين (راجع ترجمة قابوس، فوق، ص ٥٤).

(٤) ذكر بروكلمان في الملحق (١٩٣٧، ١ : ٥٤٧) أن وفاة أبي النصر العتبي كانت ٤١٣ هـ (ثم صحح ذلك في الجزء الأول من تاريخه المطبوع منقحاً عام ١٩٤٣ م (١ : ٣٨٢). ومرد الخطأ الى التوهم أن ترجمة «حفيد العتبي» (الوافي بالوفيات للصفدي ٢ : ٢١٥ ــ ٢١٦) واسمه أيضاً محمد بن عبد الجبار العتبي (ت ٤١٣ هـ) هي ترجمة العتبي الجد. ووقع المستشرق ديدرينغ محرر الوافي بالوفيات في الخطأ نفسه، لما وصل الى ترجمة العتبي الحفيد فأحال القارئ على العتبي الجد في ملحق بروكلمان (١ : ٥٤٧).

هذا يَوْمٌ رَقّتْ غَلائِلُ صَحْوِه ، وخَنَثَتْ شَمائِلُ جَوّه ، وضَحِكَتْ ثُغورُ رِياضِه ، واطَّرَدَ زَرَدُ الحُسْنِ فوق حِياضه؛ وفاحتْ فيه مَجامرُ الأزهارِ وانتثرت قلائدُ الاغصانِ عن فرائدِ الأنوارِ (١). وقام خُطباءُ الأطيارِ فوق منابرِ الأشجارِ، ودارتْ أفلاكُ الأيْدي بشُموس الراحِ في بُروج الأقداح . وقد سَبَيْنا العَقْلَ في مَــرَجِ المُجونِ وخَلَعْنا العِذارَ بأيدي الجُنون . فمَنْ طالَعَنا بَيْنَ هذه البَساتينِ وأنواعِ الرياحينِ طالَعَ فِتْياناً كالشَّياطينِ ونَصارى يوم الشَعانينِ . فَبِحَقٍّ الفُتُوّةِ التي زانَ اللهُ بها طَبْعَكَ والمُروءةِ التي قَصَرَ عليها أصْلَكَ وفَرْعَكَ إلاّ تَفَضَّلْتَ بالحُضورِ ونَظَمْتَ لنا بهِ عِقْدَ السُرور .

٤ – الكتاب اليميني (نشره سبرنغر) دلهي ١٨٤٧ م ؛ القاهرة (الطبعة الوهبية) ١٢٨٦ هـ ؛ (على هامش الأجزاء العاشر والحادي عشر والثاني عشر من تاريخ الكامل لابن الأثير) ، بولاق ١٢٩٠هـ؛ لاهور ١٣٠٠هـ =١٨٨٣م؛ (على هامش الفتح الوهبي لأحمد المنيني) ، مصر (جمعية المعارف) ١٢٨٦هـ.

** الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي لأحمد المنيني ، مصر (جمعيّة المعارف) ١٢٨٦هـ .
يتيمة الدهر ٤ : ٣٦٥ – ٣٧٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٢ –٣٨٣ ، الملحق ٥٤٧ – ٥٤٨ ؛ زيدان ٢ : ٣٧٢ – ٣٧٣ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٥٦ .

رافع بن الحسين الاقطع

١ – هو أبو المُسَيَّب رافعُ بنُ الحُسينِ بنِ حمّـــاد (أو بن مَقْن) بن المسيّب الأقطعُ ، كانتْ يدُه قد قُطِعَت في حديثٍ طويل فعُمِلت له كفٌّ كان يُمسِكُ بها العِنان ويُقاتِلُ ، ولم يَمْنَعْه ذلك من القِتالِ وخوض المعارك .

كان رافعٌ أميراً من أُمراءِ العرب (البَدْو) بنواحي بَغدادَ ، ثمّ كان يَمْلِكُ قَلْعَةَ تَكريتَ وقد بَقِيَتْ في يدهِ الى أن تُوُفِّيَ في رَمَضانَ من سَنَةِ ٤٢٧ (حَزيران – يونيو ١٠٣٧ م) .

٢ – كان رافعُ بن الحسين الاقطعُ فارساً أديباً شاعراً . وفي شِعرهِ رِقّـــةٌ ولَفْتة بارِعَةٌ .

٣ – مختارات من شعره

– قال رافعُ بنُ الحسين الأقطعُ في الغزلِ والنسيب :

لها ريقةٌ – أستغفرُ اللهَ – إنّهـــا ألذُّ وأشهى في النفوس من الخمـــرِ ،

---

(١) الأنوار (جمع نور – بفتح النون) : الأزهار .

وصارمُ سيفٍ لا يُزايلُ جَفْنَه ؛ ولم أرَ سيفاً قطُّ في جَفْنه يَفْري[1] .
فقلتُ لها ، والعِيسُ تُحْدَجُ بالضُحى : « أعِدّي لفَقْدي ما استطعتِ من الصبر[2] .
سأُنْفِقُ رَيْعانَ الشَبيبةِ آنفاً على طَلَبِ العَلْياء أو طلب الأجرِ[3] .
أليسَ من الخُسْرانِ أن لَياليـاً تَمُرُّ بلانفعٍ وتُحْسَبُ منعُمري[4] ! »

٤ – ابن الأثير (بيروت) ٩ : ٤٥١ – ٤٥٢ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٠٦ ؛ الاعلام للزركلي ٣ : ٣٥ .

مهيار الديلمي

١ – هو أبو الحُسينِ مِهْيـارُ بنُ مَرْزَوَيْهِ الكاتبُ الفارسيّ الدَيْلَمي الشاعرُ المشهور . كان مِهْيارُ مَجوسياً فأسْلَمَ ، سَنَةَ ٣٩٤ ﻫ (١٠٠٣ م) على يَدِ الشَريف الرَضِيّ في الأغلب ، ثم سَكَنَ بَغدادَ وكان يَحْضُرُ يومَ الجُمَعِ في جامع المَنْصور فيَقْرأ الناسُ عليه شِعْرَه .

وتُوُفِّيَ مِهْيارُ لَيلةَ الأحدِ في خامسِ جُمادى الآخِرَة ٤٢٨ (٢٧/ ٣/ ١٠٣٧م) .

٢ – تخرّجَ مِهيارُ في نَظْمِ الشعرِ على الشريف الرضيّ ، وكان يَقْتدي بـه في أبوابٍ كثيرةٍ من شِعْرِه . وهو شاعرٌ مكثرٌ جَزْلُ القولِ رقيقُ الحاشية طويلُ النفس شديدُ النزعة الوُجْدانية بارعٌ في الوَصْف والنسيب والمعاني الروحية .

٣ – مختارات من شعره

قال مِهيارُ الدَيْلَميّ في تَعاليهِ عن أحوال الدُنيا إذا كانت تَجْتَلِبُ بَذْلَ النفسِ :

متى ضَنَّتِ الدُنيـا عَليّ فأبْصَرَتْ لِسانِيَ فيها بالسُؤال يَجودُ ؟
إذا كنتَ حُرّاً فاجْتَنِبْ شَهَواتِها ؛ فإنّ بَنيها للزمانِ عَبيـد .
إذا شئتَ أن تَلْقى الأنامَ مُعَظَّماً فلا تَلْقَهُمْ إلاّ وأنت سَعيد !

---

(١) صارم سيف = سيف قاطع . يزايل : يفارق . الجفن (بفتح الجيم) : الغمد (بكسر الغين) ، قراب السيف . يفرى : يقطع .

(٢) العيس : النياق . تحدج : تشد عليها الرحال (السروج) . الضحى : أول ارتفاع النهار . فقدي : موتي .

(٣) ريعان الشبيبة : أفضل أيامها وأحسن قوتها . آنفاً : آبياً ، لا أرضى بالذل . طلب العلياء : الوصول الى المجد . طلب الأجر ، الموت مجاهداً في سبيل الله .

(٤) ر جع ، فوق ص ٧٩ .

قال يفتخر :

أَعْجِبَتْ بي ، بينَ نادي قَوْمِها ، أمُّ سَعْدٍ[1] فمَضَتْ تَسْأَلُ بي .
سَرّها ما عَلِمَتْ من خُلُقي ، فأرادت عِلْمَها ما حَسَبي[2] .
لا تَخالي نَسَباً يَخْفِضُني ؛ أنا مَنْ يُرضيكِ عند النسب :
قَوْمِيَ اسْتَوْلَوْا على الدهر فَتىً ومَشَوْا فوق رؤوس الحِقَبِ[3] ؛
وأبي كِسرى علا إيوانُه ؛ أينَ في الناسِ أبٌ مِثلُ أبي[4] !
قد قَبَسْتُ المَجْدَ من خيرِ أبٍ ، وقَبَسْتُ الدينَ من خير نَبي ؛
وجَمَعْتُ المجدَ من أطْرافِه : سُؤدَدَ الفرسِ ودِينَ العرَب !

وقال في النسيب[5] :

يا نسيمَ الصُبْحِ من كاظِمةٍ ، شَدَّ ما هِجْتَ الجَوى والبَرَحا[6] .
الصَبا – إن كان لا بُدّ – الصَبا ! إنها كانت لقلبي أرْوحا[7] .
يا نَداماي بسَلْعٍ ، هل أرى ذلك المَغْبَقَ والمُصْطَبَحا[8] .
فاذْكروا إذْ كَرَنا عَهْدَكُمُ ؛ رُبَّ ذِكْرى قَرّبَتْ مَنْ نَزَحا[9] ؛
وارْحموا صَبّاً إذا غَنّى بِكُمْ شَرِبَ الدَمْعَ وعافَ القَدَحا .
قد عَرَفْتُ الهَمَّ من بَعْدِكُمُ فكأنّي ما عَرَفْتُ الفَرَحا !

(١) أم سعد (كناية عن العرب) . مضت (ذهبت) تسأل بي : جعلت تكثر من السؤال عني .
(٢) الحسب : العمل الحميد . والملموح أن مهيار يقصد النسب الشريف .
(٣) استولوا على الدهر فتى : ملكوا منذ زمن بعيد (منذ كان الدهر صغيراً) . الحقبة (بكسر الحاء) : المدة من الزمن . مشوا فوق رؤوس الحقب : اشتهروا كثيراً أو عزّوا (قووا).
(٤) علا : فعل ماض لازم . ايوانه (عرشه) فاعل (عظم ملكه) .
(٥) ينسب الباخرزي (دمية القصر ٧٧) هذه الابيات الى الحسن بن مهيار .
(٦) كاظمة : بلدة كانت جنوب البصرة (هي بلدة الجهرة شرق مدينة الكويت اليوم) . الجوى : شدة الحب . البرح : الشدة . ومهيار يستعمل كلمة كاظمة كناية عن مكان مقدس لا بالمعنى الجغرافي .
(٧) الصبا : الريح الهابة من الشرق (وتكون في نجد باردة لأنها تكون قد مرت فوق جبال ايران ثم تلطفت بمياه خليج البصرة) . أروح : أحسن ، أكثر راحة وأشد احداثاً للسرور في النفس .
(٨) سلع : الحجر . وسلع اسم لعدد من الأمكنة؛ المقصود هنا مكان في الحجاز – المغبق: اسم مكان تشرب فيه الخمر مساء . المصطبح : اسم مكان تشرب فيه الخمر صباحاً (هذه الابيات تغزل شبه صوفي بالاماكن المقدسة) .
(٩) نزحا : ابتعد .

٤ – ديوان مهيار الديلميّ ، استامبول ١٣٠٦ هـ ؛ القاهرة (النصف الأوّل منه) ١٣١٤هـ(١)؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٢٥ – ١٩٣٠ م .

** مهيار الديلميّ ، تأليف اسماعيل حسين ، القاهرة ، بلا تاريخ .

مهيار الديلميّ وشعره، تأليف علي عليّ الفلاّل، القاهرة (دار الفكر العربي)بعد ١٩٤٧م .

تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٦ ؛ دمية القصر ٧٦–٧٧ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٤٧ – ٥٠ ؛ شذرات الذهب ٣ :٢٤٢ – ٢٤٣ ؛بروكلمان١ : ٨١ – ٨٢، الملحق١ : ١٣٢ ؛زيدان ٢ : ٣٠١ ؛ ابن الاثير ٩ : ٤٥٦ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ٢٦٤ .

الثعـــالبي

١ – هو الشيخُ أبو منصورٍ عبدُ المَلِكِ بنُ محمّدِ بنِ اسماعيلَ ، لُقِّبَ بالثعالبيّ لأنّه اشتغل بصِناعة الفِراءِ فكان يَخيطُ جُلودَ الثعالبِ ويَبيعُها .

وُلِدَ الثعالبيُّ في نيسابورَ ، سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) ، ولا نَكاد نَعرِفُ شيئاً من أحداث حياتِه . وقدكانت وفاته في نيسابور أيضاً ، سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٨ م) .

٢ – الثعالبي أديبٌ ذَوّاقةٌ للشعْرخاصّةً ومنشيءٌ مُتأنّقٌ ، ويَنْظِم الشعرأحياناً . ثم هو مصنّف مُكْثِرٌ ، غيرَ أنه في تصانيفه جمّاعة يعتمدُ ذَوْقَه السليمَ أكثرَ من الرواية عن شيوخِ اللّغة والأدب ؛ ولم يكن ذلك في عصره مُسْتَحَبّاً ، ولكنّه فتح بذلك أمامَ المتأخرينطريقَ الخروجِ منالرواياتِ المَجْموعة الى بابِ السّرْد المُسْتوي في التأليف. إنّه يُورد الأخبار والأشعار بحَسَبِ ما يُحِبّ هولابِحَسَبِ ما جاءَ بها الرُواة .

والثعالبي في كُتُبِهِ في الشعر يُورد الأشعار الجميلةَ الطريفةَ ، وقلّ أن حَفَلَ بصُنْعِ تَرْجَمَةٍ للشاعر : انه (في يتيمة الدهر) يَفْتَتِحُ كلّ فصلٍ بعددٍ من الجُمَلِ الأنيقةِ الّتي يُطْري فيها الشاعرَ المُختارَ في ذلك الفصل من غيرِ أن يقولَ لنا شيئاً عن حياته ومن غير أن يذكرَ تاريخَ مولدِه أو وفاتِهِ أو حادثاً في حياته ، إلاّ في النَدْرِ الشاذّ . بعدئذ يُورد من شِعْرِ ذلك الشاعرِ مقاطعَ وأبياتاً وقصائدَ هي غُرَرُ شعرِه . والواقعُ أن الثعالبي يختارُ للشعراء في كتبه أحسنَ أشعارِهم من غير أن يُلْقِيَ بالاً الى أن تكونَ تلك المُختاراتُ مُمثِّلةً لجميعِ فنون الشاعرِ وخصائصه ثم هو لا يريدُ أن يأتِيَ في كتبه بما اشتهر وتَداوَلَتْهُ الألسنةُ . وكذلك الفصول عندَه غيرُ متكافئةٍ لأنّه لم يُلْزِمْ نفسَه طريقةً مرسومةً : جاء فيالصفحة ٨٥ من الجزء الاولِ فصل هو بتمامه :

---

(١) في معجم سركيس ١٨١٤ : الجزء الأول منه ، بيروت (المطبعة الانسية) ١٣١٤ هـ .

أبو القاسم الشيظمي : قال يصف نُمْرُقةً[1] رآها بجنبِ سيفِ الدولة :

نُمْرُقَةٌ مِنْها اسْتَعا رَ الرَّوْضُ أصنافَ المُلَحْ .
فيها لِمَنْ يُبْصِرُ ، مِن ريشِ الطواويس ، مُلح[2] ؛
كأنما دارت على سمائِها قَوْسُ قُزَح !

لقد أعجبته هذه الابيات الثلاثةُ فأثبتَها بعد ذكرِ اسمِ صاحبِها من غير التفاتٍ إلى شيءٍ آخرَ من مِنْهاج التأليف .

ويأتي الثعالبي الى أبي الفرج الببّغاء فيُفْرِدُ له باباً خاصّاً به (١ : ٢٠٠ — ٢٣٤) ثم يُورِدُ له شيئاً من نثره المُرْسَلِ وشيئاً من ترسّله . بعدئذ يأتي إلى شعره فيجعلُ المختاراتِ منه فصولاً كلُّ فصلٍ يَضُمُّ أبياتاً من فنّ من فنون شعرِه بعينِه . أما الواسانيّ مثلاً فيُقدّمه للقارىء بسطرينِ هما :

أُعْجوبةُ الزمان ونادرتُه ، وفريد عصره وباقِعتَه[3] . وهو أحد الفضلاء المجيدين في الهِجاء ، وكان في زمانه كابن الروميّ في أوانه . فمن شعره يهجو ابن أبي أسامة ...... ثم يورد له قصائدَ ومقطّعاتٍ في اثنتين وعِشرين صفحةً (١ : ٢٩٥ — ٣١٧) على غيرِ ترتيبٍ معيّن . فاذا انتهى من ذلك كلّه قال : « وإنِ اتّفق وجودُ المنثورِ ألحقْتُه ، بعَوْنِ اللهِ وقُدرتهِ » .

على أن الثعالبيَّ يَقْسِمُ الشعراء في كتاب اليتيمة أقساماً بحَسْبِ بُلدانِهِمْ ، كما نرى في مقدّمة اليتيمة نفسها (راجع رقم٣) .

ومؤلّفاتُ الثعالبي في مُعظمها في الشعر ، وله كتب في اللغة والنحو (راجع ٤) .

٣ — مختارات من نثره وشعره

— قال أبو منصورٍ الثعالبيُّ في النسيب (تأمّلْ تَكَلُّفَهُ في الصناعة : سائل ، السائل — حال ، الحائل — العاذل ، العادل) :

وسائلٍ عن دَمْعِيَ السائلِ وحالِ لَوْني الكاسِفِ الحائلِ[4] .

---

(١) النمرقة : الوسادة الصغيرة . ويبدو أن هذه الوسادة كانت مزركشة بألوان مختلفة .

(٢) كذا في الاصل : ملح ؛ ولعلها لمح (بتقديم اللام على الميم) .

(٣) الباقعة : الرجل الداهية ، الذكي العارف لا يفوته شيء ولا يدهى (بضم الياء) : لا يخدع .

(٤) وسائل (: مستفهم) عن دمعي السائل (الجاري) . الحائل : المتغير (اللون الكاسف : السيء ، المتبدل عما يكون عليه في حال الصحة عادة) .

قلتُ له ، والارضُ في ناظري أضيقُ منْها كفّةُ الحابل[1] :
بُليتُ ، واللهِ ، بمَمْلوكةٍ في مُقْلَتَيْها مَلَكا بابِل[2] .
فإنْ لَحاني عاذلٌ في الهوى يوماً ، فما العاذلُ بالعادلِ[3] !

— من مقدّمة يتيمة الدهر :

.... وقد سبَقَ مؤلّفو الكُتُبِ الى ترتيبِ المتقدّمين من الشعراء والمتأخّرين ، وذِكْرِ طبَقاتِهِمْ ، ودَرَجاتهم وتدوينِ كَلِماتهم والانْتِخابِ من قصائدهم ومَقْطوعاتهم . فكم من كتابٍ فاخرٍ عَمِلوه ، وعِقْدٍ باهرٍ نظموه ، لايَشينُه الآنَ إلاّ نُبُوُّ العينِ عن إخلاقِ جِدَّتِه وبِلَى بُرْدَته ومَجِّ السمعِ لمُرَدَّداته ومَلالةِ القلب من مُكرّراته[4] ، وبَقِيَتْ مَحاسنُ أهلِ العصر التي معَها رُواءُ الحَداثة ولَذّةُ الجِدّة وحَلاوة قُرْبِ العَهْدِ وازدياد الجودة على كَثْرَةِ النَقْد غيرَ محصورة بكتاب يضمّ نَشْرَها[5] ...... ولقد كنتُ تَصَدّيْتُ لِعَمَلِ ذلك في سَنَةِ أربعٍ وثمانينَ وثلثمائَة ، والعُمُرُ في إقباله والشباب بمائه ؛ فافتتحته باسمِ بعضِ الوزراء مُجْرِياً إياه مَجْرَى ما يَتَقَرَّبُ به أهلُ الأدبِ الى ذوي الأخطار والرُتَبْ ......

وحينَ أعَرْتُهُ على الأيام بَصَري وأعدتُ فيه نظري تَبَيَّنْتُ مِصْداقَ ما قرأته في بعضِ الكُتُبِ : « إنّ أولَ ما يبدو من ضَعْفِ ابنِ آدمَ أنّه لا يَكْتُبُ كتاباً فيَبيتُ عندَه ليلةً إلاّ أحبّ في غَدِها أنْ يَزيدَ فيه أو أن يَنْقُصَ منه » — هذا في ليلة واحدة ، فكيف في سنينَ عِدّة ! .... فقلتُ ...... : لِمَ لا أبْسُط فيه عِنانَ الكلامِ وأرْمي في الإشباع والإتمام هَدَفَ المَرام ؟ فجعلتُ أبْنيه وأنْقُضُه ، وأزيدُه وأنْقُصُهُ ، .... ، والأيامُ تَحْجِزُ ، وتَعِدُ ولا تُنْجِز ؛ إلى أنَ أدركتُ عَصرالسِنّ والحِنْكَة .... فاخْتَلَسْتُ لُمْعَةً من ظُلْمَة الدهر وانتهزت رَقْدَةً من عين الزمانَ .... وخِفّة من زَحْمَة الشوائب واستمرَرْتُ في تقريرِ هذه النُسخة الأخيرة

(١) كفة (بكسر الكاف). الحابل: الصائد الذي يصيد الحيوان بالحبل. كفة حابل: حبل معقود ليشد على عنق الحيوان (ولذلك تصبح بعد الشد ضيقة جداً) .

(٢) بليت : أصبت ببلاء (مرض ، مصيبة ، ضيق) . مملوكة : جارية (جميلة) . ملكا بابل (من الملائكة) : هاروت وماروت اللذان علما الناس السحر (يقصد : في عينيها جميع قوى السحر) .

(٣) لحا : لام . العاذل : الذي يلوم المحب .

(٤) يشينه : يعيبه . نبو : نفور ، ابتعاد . اخلاق (بكسر الهمزة) : تهرؤ ، بلى . البرد : الثوب .

(٥) أهل العصر (الذي كان الثعالبي يعيش فيه) . رواء : جمال المنظر . حلاوة قرب العهد : حب الناس للاشياء التي ألفوها . ازدياد الجودة على كثرة النقد : مع كثرة ما انتقدها النقاد ظلت جيدة (لأنها جيدة فعلا) .

وتَحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيّرت ترتيبَها وجدّدت تبويبَها .....

فهذه النُسخةُ الآنَ تَجْمَعُ ـ من بدائع أعيانِ الفَضْلِ ونجوم الأرض من أهلِ العصرِ ومَنْ تقدّمَهُمْ قليلاً وسَبَقَهُمْ يسيراً ـ ما لم تأخُذِ الكتُبُ العتيقةُ غُرَرَه .... وتَشْتَمِلُ من نَسْجِ طِباعهم وسَبْك أذهانهم .... وتتضمّن من طَرْفِهم ومُلَحِهم .... ما لم تَتَضَمَّنْهُ النسخةُ السائرةُ الأولى .

والشرطُ في هذهِ (النسخة) الأخرى إيراد لُبِّ اللُّبِّ وحبّةِ القلب وناظرِ العين ونُكتة الكلمة .... معَ كلام في الإشارة الى النظائر والأحاسن والسَرِقات وأخذ مِنْ طَريق الاختصارِ ونُبَذٍ من أخبارالمذكورين وغُرَرٍ من فُصوص فُصول المترسّلين يَميل الى جانب الاقتصار .....

ثم ان هذا الكتابَ المقرّرَ ينقسمُ الى أربعةِ أقسامٍ يشتملُ كلُّ قِسْمٍ منها على أبواب وفصول :

القسم الاول : في محاسنِ أشعار آل حَمْدانَ وشُعَرائهم وغيرِهم من أهلِ الشام وما يُجاورها ومِصْرَ والمَوْصل والمغرب .

القسم الثاني : من محاسن أشعارِ أهلِ العراق ومن إنشاء الدولة الديلمية .

القسم الثالث : من محاسن أشعار أهل الجبال وفارسَ وجُرْجانَ وطَبَرَسْتان وأصفهان .

القسم الرابع : في محاسن أهل خُراسانَ وما وراء النهر من انشاء الدولة السامانية والغَزْنية والطارئين على الحَضْرة ببُخارى من الآفاق .....

٤ ـ أحاسن كلام النبيّ والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء والكتّاب والبلغاء والحكماء ، ليدن ١٨٤٤ م .
مكارم الاخلاق، بيروت ١٩٠٠ م .
كتاب غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (حرّره زوتنبرغ) ، باريس١٩٠٠ م ؛ طهران (مكتبة الأسدي) ١٩٦٣ م .
نثر النظم او حلّ العقد، دمشق ١٣٠٠هـ ؛ (على هامش ثمار القلوب) القاهرة (المطبعةالأدبية) ١٣١٧ هـ ؛ مصر ١٣٢٨ هـ .
الفرائد والقلائد (على هامش « نثر النظم ») ، دمشق ١٣٠ هـ ؛ مصر ١٣٢٨ هـ ؛ = كتاب الأمثال المسمّى

بالفرائد والقلائد ، ويسمّى أيضاً العقد النفيس في نزهة الجليس ، القاهرة (دار الكتب العربية الكبرى ١٣٢٧ هـ .

لطائف المعارف (تحرير دو يونغ) ، ليدن (بريل) ١٨٦٧ م ؛ مصر ١٢٧٥ هـ .

اللطائف والطرائف في الأضداد واليواقيت في بعض المواقيت ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٠ هـ ؛ مصر ١٣٠٧ هـ ؛ = يواقيت المواقيت في مدح الشيء وذمّة ، بغداد (طبع حجر) ١٢٨٢ هـ ، بولاق ١٢٩٦ هـ ؛ بعنوان الجمع (؟) ما بين كتابي الثعالبي ، القاهرة ١٢٧٥ ، ١٣٠٠ ، ١٣١٠ هـ .

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (نشره محمّد أبو شادي) ، مصر (المطبعة الظاهرية) ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨ م ؛ بتحقيق محمّد أبي الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار نهضة مصر) ١٩٦٥ م . القاهرة ١٣١٧ هـ ؛

النهاية في التعريض والكناية ، مكّة (المطبعة الميرية) ١٣٠١ هـ ؛ = كتاب الكناية والتعريض (مطبوع مع « المنتخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء » للجرجاني (عني بتصحيحه محمّد بدر الدين النعساني) ، القاهرة (محمّد أدهم) ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م .

الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة (مطبوع على هامش « النهاية في التعريض والكناية ») مكّة (المطبعة الميرية) ١٣٠١ هـ .

يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر ، دمشق (المطبعة الحنفية) ١٣٠٤ هـ ؛ (نشرها محمّد اسماعيل الصاوي) ، القاهرة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٥ م ؛ (نشرها محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

فائدة العصر (فهرست ليتيمة الدهر ، طبع دمشق ١٣٠٤ هـ) للمولوي أبي محمّد أحمد الحق ، كلكتا ١٩١٥ م .

تتمّة اليتيمة (أو ذيل اليتيمة) (عني بنشرها عبّاس اقبال) ، طهران (مطبعةفردين) ١٢٥٣ هـ = ١٩٣٤ م .

من غاب عنه المطرب (مطبوع مع « التحفة البهيّة ») ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢هـ (نشره محمّد اللبابيدي) ، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٣٠٩ هـ .

خاصّ الخاصّ ، تونس ١٢٩٣ هـ ؛ (عني بتصحيحه محمّد السمكري) ، مصر (اسماعيل وخانجي) ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م ؛ (قدّم له حسن الأمين)، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦٦ م .

المنتحل (شرحه أحمد أبو علي) ، الاسكندرية (المطبعة التجارية) ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) .

أحسن ما سمعت (نشره محمّد صادق عنبر) . القاهرة (خادم واسحاق) ١٣٢٤ هـ .

أربع رسائل منتخبة من مؤلّفات ... الثعالبي : منتخبات من الكتب التالية : التمثيل والمحاضرة — المبهج — سحر البلاغة وسرّ البراعة — النهاية في الكناية ، الاستانة (مطبعة الجوائب) ١٣٠١ هـ .

مجموعة خمس رسائل (فيها للثعالبي) : الايجاز والاعجاز — برد الأكباد في الأعداد ..... ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة (اسكندر آصاف) ١٨٩٧ م .

رسالة في ما جرى بين المتنبّي وسيف الدولة ، ليبسك ١٨٤٧ م .

سر العربية (يطبع احياناً مع « فقه اللغة ») .

سرّ الأدب في مجاري لغة (كلام) العرب (مطبوع مع كتاب « السامي في الأسامي » للميداني) مصر (العجم) ١٢٩٤ هـ .
مرآة المروّات وأعمال الحسنات ، القاهرة ١٨٩٨ م ؛ ١٣١٨ هـ .
سحر البلاغة وسرّ البراعة (وقف على طبعه أحمد عبيد) ، دمشق (منشورات المكتبة العربية) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٣٥٠ هـ .
أبو الطيّب المتنبّي وما اليه ، القاهرة (محمّد عطية) ١٩١٥ م ؛ ١٩٢٤ .
المتشابه (بتحقيق ابراهيم السامرائيّ – منشورات مجلة الآداب ، بغداد ، العدد العاشر ١٩٦٧ م .
أبو فراس شاعر وبطل عربي : منتخبات شعرية من يتيمة الدهر ، الفصل الثالث (مع النص والترجمة الى اللغة الألمانية – نشره رودولف دفوراك) ، ليدن (بريل) ١٨٩٥ م .
أمل الآمل المنسوب للجاحظ (بتحقيق رمضان ششّن) ، لندن (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٨ م .
فقه اللغة (نشره رشيد الدحداح) ، باريس ١٨٦١ م ؛ مصر (طبع حجر) ١٢٨٤ ؛ (طبع بالحروف) ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) ؛ (باعتناء لويس شيخو) ، بيروت (مطبعة الأبـاء اليسوعيّين) ١٨٨٥ م ؛ مصر (على نفقة مصطفى البابي الحلبي وأخويه – بالمطبعة العمومية) ١٣١٨ هـ ؛ مصر (محمّد الزهري) ١٣٢٥ هـ ؛ ١٣٤١ ، ١٣٤٥ هـ ؛ (نشره مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الصلاتي) ، القاهرة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨م).

* دمية القصر ١٨٣ – ١٨٥ ؛ (منقولة أيضاً في آخر اليتيمية) ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٢١ – ٥٢٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٤٦ – ٢٤٧ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٧ – ٣٤٠، الملحق ١ : ٤٩٩ – ٥٠٢ ؛ زيدان ٢ : ٣٢٠ ، ٣٢٩ – ٣٣٣ ؛ النثر الفنّي ٢ : ١٧٩ – ١٩٠ . دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٧٣٠ – ٧٣٢ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٣١١ .

ابن دوست (١)

١ – هو أبو سعيدٍ عبدُ الرحمن بنُ محمّدِ بنِ محمّدِ دُوْست بنُ عزيزِ بنِ يَزَنَ الحاكمِ ، قرأ اللغة على الجَوْهري (ت ٣٩٣هـ) صاحبِ الصِحاح. ثمّ إنه تصدّرَ لإقراء الادبِ والنحوِ في خُراسانَ . وقدكان أُطروشاً لا يسمع البتّةَ ، ومعَ ذلك فقدكان يقرأ مجالستَه (محاضراته) بنفسه . وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٤٣١ هـ (١٠٣٩ – ١٠٤٠ م) .

٢ – كان ابنُ دوست من أعيانِ الأئمّةِ في خُراسانَ في علمِ العربية (النحو) ، وكانتْ له تصانيفُ مفيدةٌ . وله ردٌّ على الزّجّاجيّ (ت ٣٤٠ هـ) في ما استدركـه

---

(١) دوست (بضم الدال واهمال الواو وسكون السين) من الفارسية : صديق ، محب . وقد ضبطها محمد محيى الدين عبد الحميد (فوات الوفيات ، طبعة بتحقيقه ، مطبعة السعادة بمصر) ١ : ٥٤٩ بضم الدال وفتح الواو . ويذكر الزركلي(الاعلام٤ : ١٠٢ ، العمود الثاني، الحاشية الاولى) أن الصواب ابن درست (بضم الدال والراء).

الزّجّاجيُّ على ابنِ السكِّيتِ في كتاب «إصلاح المنطق». وكان له شعرٌ عاديٌّ ولكنّ فيه لَفتَاتٍ. وأكثرُ شِعْرِهِ الغزلُ والوصفُ والحِكمة مَعَ شَيءٍ من الصِناعة فيهِ.

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابنُ دوست في الغزل:

وشادنٍ قُلْتُ له: هل لكَ في المُنادمهْ؟
فقال: كم من عاشقٍ سَفَكْتُ في المُنى دَمَهُ!

ـ وله في تفضيلِ حِفظِ العلم على جَمْعه في الكتب:

عليكَ بالحِفْظِ، دونَ الجَمْعِ في كُتُبٍ؛ فانّ للكُتْبِ آفاتٍ تُفَرِّقُها:
الماء يُغْرِقُها، والنار تَحرِقُها، والفار يَخرِقها، واللِص يَسْرِقها.

٤ ـ * فوات الوفيات ١: ٣٣٦؛ بغية الوعاة ٣٠٢؛ الاعلام للزركلي ٤: ١٠٢.

ابن خيران الكاتب

١ ـ هُوَ وَلِيُّ الدولةِ أبو محمّد أحمدُ بنُ عليٍّ(١) بنِ خَيْرانَ المِصْرِيُّ تَوَلّى ديوانَ الإنشاء لِمِصْرَ بَعْدَ أبيه: تَولاّه للظّاهرِ (٤١١ ـ ٤٢٧ هـ) ثمّ للمُسْتَنْصِرْ (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ)، «وكان رِزْقُهُ في كلِ سَنَةٍ ثلاثةُ آلافِ دينارٍ، وله على كلّ ما يكتبُهُ مِنَ السجِلاّتِ والعُهودات وكُتُبِ التَقْليداتِ رسومٌ يَسْتَوْفيها مِن كلّ شيءٍ بِحَسْبِهِ». وغَضِبَ عليهِ الظاهرُ مرّةً وَخَتَمَ على أمْواله ثمّ عادَ فَرَضِيَ عنه (معجم الادباء ٤: ١١).

وكانتْ وفاةُ وَلِيِّ الدولة أبي مُحمّدِ بنِ خَيْرانَ في رَمَضانَ من سَنَةِ ٤٣١ (١٠٤٠ م).

٢ ـ كانُ وَلِيُّ الدولة بنُ خَيْرانَ كاتباً مُتَرَسِّلاً بارعاً؛ وكان يَنْظِمُ الشِعْرَ. والمَلْموحُ من قول ياقوتِ الحَمَوِيّ أنّ شعرَ ابنِ خَيْرَانَ كانَ كَثيراً ولكنْ قليلُ الجَوْدةِ (معجم الادباء ٤: ٥ ـ ٦)؛ أما ابنُ خَلّكان فذَكَرَ (وفيات الاعيان ٢: ٥٥) أن لِوَلِيِّ الدولةِ بنِ خَيْرانَ ديوانَ شعرٍ صغيراً بَعْضُهُ مَشْهور.

---

(١) كان علي بن خيران فاضلا بليغاً أعظم قدراً من ابنه وأكثر علماً، وكان يتولى أيضاً ديوان الانشاء (معجم الادباء ٤: ٥).

ويبدو أنّ شعره مُقطّعاتٌ في أغراضٍ وُجدانية كانت تعرِضُ له ؛ وأكثرها فخرٌ بنفسه وبشعره . وله مجموع رسائل .

٣ — مختارات من آثاره

— ذكرَ ابنُ خلّكان ابنَ خيْرانَ الكاتبَ فقال (٢ : ٥٥) : « ومِنْ شعْرِه البيتانِ المشهوران » :

سعَى إليْكَ بيَ الواشي فلَمْ ترَني   أهلاً لتكْذيب ما ألْقى مِنَ الخبَرِ[١] .
ولو سعَى بِكَ عِنْدي في ألِذِّ كرًى   طيفُ الخيالِ لبِعْتُ النّوْمَ بالسّهرِ[٢] !

— ومن شعرِ ابنِ خيْران (معجم الادباء ٤ : ٧٦) :

عشِقَ الزّمانَ بنوه جهْلاً منْهُمُ ،   وعلِمْتُ سوءَ صنيعه فشنَأتهُ[٣] :
نظَروه نظْرَةَ جاهلينَ فغرّهُمْ ،   ونظَرْتُهُ نظَرَ الخبيرِ فخِفْتُه[٤] .
ولقَدْ أتاني طائعاً فعصَيْتُه ،   وأباحَني أحْلى جنَاه فعِفْتُه[٥] .

— وله أيضاً :

قَدْ علِمَ السّيْفُ وحدُّ القنا   أنّ لِساني مِنْهُما أقْطَعُ[٦] ؛
والقلَمُ الأشرفُ لي شاهدٌ   بأنّني فارِسُه المِصْقَعُ[٧] .

— وقال يفتخر بشعره ونثره :

ولقد سمَوْتُ على الأنامِ بخاطرٍ ،   الله أجْرى منه بَحْراً زاخرا :
فإذا نَظَمْتُ نظمتُ رَوْضاً حالياً ،   واذا نَثَرْتُ نثرتُ دُرّاً فاخرا[٨] !

٤ — ** معجم الأدباء ٤ : ٥ — ١٣ ؛ الوافي بالوافيات ٧ : ٢٣٤ — ٢٣٦ ؛ وفيات الاعيان (في ترجمة ابن نوبخت آخر)[٩] ٢ : ٥٥ — ٥٦ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ١٦٥ — ١٦٦ .

---

(١) — نقل المبغض الي كلاماً مسيئاً عنك فما رأيتني أعتذر من هذا الكلام لأنك تعلم أنني لا أقوله .
(٢) — لو ان طيف الخيال جاءني في النوم بكلام عنك لهجرت النوم حتى لا أرى فيه طيفاً (مناماً) .
(٣) سوء صنيعه (فعله) . شنأته : أبغضه .
(٤) .. فخفت عواقبه (ما سيأتي به في المستقبل من الاساءة بعد أن جاءني باحسان كثير) .
(٥) الجنى : الثمر . عاف يعاف : هجر ، ترك .   (٦) القنا : الرماح .
(٧) المصقع : البليغ ، العالي الصوت ، الذي لا يتعتع في كلامه (المصقع في الاصل صفة للخطيب) .
(٨) الحالي ، المزين بالحلي . لاحظ التورية بين نظمت الشعر ونظمت الروض بفواكهه ، ثم بين نثرت (كتبت كلاماً منثوراً) وبين نثرت (فرقت) دراً .
(٩) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن نوبخت ، كان شاعراً مجيداً إلا أنه كان قليل الحظ من الدنيا رقيق الحال ضعيف المقدرة ؛ توفي بمصر في شعبان سنة ٤١٦ (صيف عام ١٠٢٥ م) وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة .

العميـــدي[1]

١ ــ هو أبو سعد[2] محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدٍ العَميديُّ ، سَكَنَ مِصْرَ ووَليَ فيها ديوانَ التّرتيب ثمّ عُزِلَ عنه سَنَةَ ٤١٣ هـ ، في أيام الظاهر الفاطمي . وبعدَ أمدٍ تولّى ديوانَ الإنشاء في صَفَرَ من سَنَةِ ٤٣٢ (خريف ١٠٤٠ م) . وكانتْ وفاتُه يومَ الجُمُعة فيخامسِ جُمادى الثانيةِ سَنَةَ ٤٣٣ (٢٩/ ١/ ١٠٤١ م) .

٢ ــ كان أبو سعدٍ العَميديُّ أديباً فاضلاً عالماً باللغة والنحو وكان شاعراً كثيرَ المَيْلِ الى المُحَسِّناتِ اللفظية في شِعره وفي نثره ، كما كان كاتباً مُتَرَسِّلاً ولكنْ لم يَصِلْ إلينا شيءٌ من رسائله . ثمّ هو مُصَنِّفٌ له : تنقيح البلاغة (في عشر مجلّدات) ــ انتزاعات القرآن ــ الإبانة عن سَرِقات المتنبّي لفظاً ومعــنى ــ الإرشاد الى حلّ المنظوم والهداية الى نظم المنثور[3] ــ العَروض ــ القوافي .

وكتابُ « الإبانة » ، كما جاء في انباه الرواة (٣ : ٤٧) ، كتاب « حَسَنٌ يدُل على اطّلاعٍ كثير » . والكتابُ في ثمانٍ وثمانينَ صفحةً فيه مقدّمةٌ في النقد وفي السبب الذي أُلّفَ من أجله . ثمّ يأتي سَرْدٌ طويل لأبياتِ نفرٍ كثيرين من الشعراء أخَذَ المتنبّي منهم . وقد يُعَلّقُ العَميديُّ على مآخذِ المتنبّي من الشعراء ويبيّن ما فيها من الضَعْف ، وربّما مَدَحَ قولَ المتنبّيّ برُغْمِ أنّه أخَذَ المعنى من غيرِه . فقد أوردَ العَميديُّ بيتينِ لبشّارِ بنِ بُرْدٍ ولأبي نُواسٍ هما على التوالي (ص ٤٩) :

وظنّ ، وهو مُجِدٌّ في هَزيمتهِ ، ما لاح قُدّامَه شخصاً يُسابِقُه[4]

* فكلُّ كفٍّ رآها ظَنّها قَدَحاً ، وكلُّ شيءٍ رآه ظنه الساقي .

---

(١) ذكر بروكلمان اثنين بلقب العميدي : ركن الدين أبا حامد محمد بن محمد السمرقندي العميدي (ت ٦١٥ هـ = ١٢١٨ م) ، وكان صوفياً (١ : ٥٦٨ ، الملحق ١ : ٧٨٥) ثم سيف الدين أبا الحسن علي بن أبي علي بن محمد الثعالبي العميدي (ت ٦٣١ هـ = ١٢٣٣ م) وكان فقيهاً (١ : ٤٩٤ ، الملحق ١ : ٦٧٨) . .

(٢) في انباه الرواة (٣ : ٤٦) : أبو سعيد .

(٣) في انباه الرواة (٣ : ٤٦) يرد هذا العنوان مقسوماً عنوانين كأنه اسم كتابين .

(٤) وظن ... أن ما (الذي ، كل شيء) قدامه شخص (عدو له) يسابقه (ليقطع عليه الطريق) .

ثمّ أوردَ قولَ المتنبّي :

وضاقتِ الأرضُ حتّى كان هاربُهم إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنّه رَجَــلا !

فعلّق عليهِ بقوله : « وهذا المعنى هو السِحْرُ الحَلال الذي رُزِقَه (المتنبّي) وحُرِمَه غيرُه » .

والعَميديُّ يذهبُ مذهب ابن سَلاّمٍ الجُمَحيّ ومذهبَ ابنِ قُتَيْبَةَ في جيّدِ الشِعر ورَديئه[1] (راجع النصّ النثري) .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من مقدّمة كتاب « الابانة » :

ومن لم يَتميّزْ من العلوم بمزيّةِ تقدُّمٍ وتخصّصٍ ساق المُحْسنين[2] بلسانِ ذم ونقصٍ .... وأكثرُ آفاتِ كُتّابِ زمانِنا وشُعَرائه أنّهم لا يهتدون لتعليل الكلام وتَشْقيقه[3] ، ويتّبعون الهَوى فَيُضِلُّهم عن منهج الحقّ وطريقه . فإذا سَمِعوا فصلاً من كتاب أو بيتاً من شِعْرٍ ممّن لا يَكاد يَفْهَمُ ولا يُجيلُ في الأدب قِدْحاً[4] ، ولا يَعْرِفُ هجاءً ولا مدحاً ، فهو يحكُمُ على قائلهِ بالسَبْق والتفخيم والإجلال والتعظيم ... (فقد) اعتمد (هؤلاء في ذلك) الاعتقادَ دون الانتقادِ وقَبِلوه بالتقليد والاختيار وقابلوه بالامتثال دونَ الاعتبار .... وليست هذه الخِصْلةُ من خِصالِ الأدباء الذين هذّبتهمُ الآدابُ فصاروا قُدْوَةً وأعلاماً ، ودرّبتهم العلومُ فأصبحوا بين الناس قُضاةً وحُكّاماً . إنّما يذهَبُ في مَدْحِ الشعراءِ والكتّابِ مذهبَ التقليدِ مَنْ يكون في علومهِ خفيفَ البِضاعة قليلَ الصِناعة ..... فأمّا من رُزِقَ من المعرفة ما يُميّزُ (به) بينَ غَثِّ الكلام وسَمينه ويفرّق بين سَخيفه ومَتينه ، (ثمّ) أوتِيَ من

(١) راجع الجزء الثاني ، ص ٢٤٤ و ٣٢٩ .

(٢) ذم المحسنين في النثر والنظم (جهلا منه بقواعد النقد) .

(٣) تشقيق الكلام : اخراجه أحسن مخرج (القاموس ٣ : ٢٥١) ، اي تطلب أحسن ما يمكن أن ينطوي عليه من المعاني .

(٤) القدح (بالكسر) السهم ، أو السهم قبل أن يلصق بآخره ريش (ويستخدم حينئذ في الميسر = لعب القمار) : لا يجيل في الادب قدحاً : ليس له خبرة برواية الادب .

العقل ما يَحْسُنُ أن يَعْدِلَ به في القضيّة غيرَ عادل [1] عن الإنصاف ويحكُمَ بالسَّوِيّةِ غير مائلٍ الى الإسراف والإجحاف [2] ، فالأَوْلى به ألاّ ينظُرَ إلى أحدٍ إلاّ بعين الاستحقاق والاستيجاب [3] ؛ ولا يُجِلَّ أحداً الا بقَدْرِ مَحَلّهِ من الآداب فلا يُعَظِّمَ الجاهليّين [4] إذا أخّرَتْهم معايبُ أشْعارهم ، ولا يَسْتَحقِر المُحْدَثين لتأخّرِهِمْ (في الزمن) إذا قدّمتْهُمْ محاسِنُ آثارِهم .....

وقد جرى يوماً حديثُ المتنبّي في بعض مجالس أحدِ الرؤساء فقالَ أحدُ حاملي عَرْشِه : « سُبحانَ من ختَم بهذا الفاضل الفحولَ من الشعراء وأكْرَمَهُ وجعل له من المحاسن ما يعثره [5] فيه كلّ من تقدّمه . ولو أُنْصِفَ لَعُلِّقَ شِعْرُه كالسَّبْعِ المُعَلّقات (على) الكَعْبة ، ولَقُدِّمَ على شعراء الجاهلية في الرُتبة .... (ولم يَقُلْ) شاعرٌ إسلاميٌّ ولا جاهليّ مثلَ قولهِ في صِفَةِ الفَرَسِ :

رِجلاهُ في الرَكَضِ رِجْلٌ واليدانِ يدٌ ، وفِعْله ما يُريكَ الكفُّ والقَدَمُ .

لقد أبْدَعَ المتنبّي ما شاءَ وأغْرب ، وأفْصَحَ عن الغَرَض وأعْرب » .

فقلت • : للأُقَيْشِرِ ما يُقارِبُ هذا المعنى في نَعْتِ فرسه ، وهو قولُه : .....

رِجلاهُ رِجْلٌ واليدانِ يـدٌ إذا أحْضَرْتَهُ ، والمَتْنُ أذْلَق سالمُ [6] !

فصاح • وقال : « يا قومُ ، أهذا شِعْرُ إنسان له مُسْكَةٌ من عَقْله بها [7] من فضّله ؟ واللهِ ، إنّ للمتنبّي غِلماناً وأتْباعاً أجَلُّ من هذا البَليد المجهول . من أيّ قبيلةٍ هذا الساحر [8] الذي تكلّم بمثل هذا الفُضول ؟ »

---

(١) عادل : مائل (جائر ، ظالم) .

(٢) الاسراف : التبذير (الانفاق في غير طاعة) : الحكم في الادب بالمبالغة من غير معرفة . أجحف به : ذهب به (نقصه شيئاً من حقه) .

(٣) الاستيجاب (؟) : الاستجابة (القبول لما يقضي به الحق) .

(٤) في الاصل : الجاهليه (بالهاء) .

(٥) كذا في الأصل . اقرأ : يعثر (؟) كل من تقدمه (يخطىء فيه أولئك الذين جاءوا قبل المتنبي) .

(٦) أحضرته : جعلته يسابق (الخيل) . المتن : الظهر . أذلق : له حد ، ظهره مستو (غير كثير الانخفاض) . وذلق (بتشديد اللام) الفرس : ضمره .

(٧) المسكة (بالضم) : العقل الوافر . مسكة من عقل : قليل من عقل . — من عقله به من فضله (كذا في الأصل) يبدو أنه ينقص كلمة أو أكثر من كلمة قبل « بها » : « يتعلق بها » .

(٨) الساحر (كذا) . الشاعر (؟) .

فقلت : عافاكَ اللهُ ! حديثُنا في الإبداع لا في الأتباع [١] ، وفي الآداب لا في الأنساب . ليس تُغْني المتنبّي جلالةُ نَسَبه مَعَ ضَعْفِ أدبه ، ولا يَضُرُّه خِلافُ دَهْرِه مَعَ اشتهارِ ذِكْرِه .

ولقد تأمّلتُ أشعارَه كُلَّها فوجدتُّ الأبياتَ التي يَفْتخر بها أصحابُه وتُعْتَبَر بها آدابُه من أشعارِ المتقدّمين منسوخةً ومن معانيهم المخْتَرَعَةِ مسلوخةً . وإنّي لأعْجَبُ ، واللهِ ، من جماعــةٍ يَغْلُون [٢] في ذِكْرِ المتنبّي وأمرِه ويَدّعون الإعجازَ في شِعْرِه ويَزْعُمون أنّ الأبياتَ المعروفةَ له هو مُبْتَدِعُها ومخترعُهــا ومُحْدِثُها ومُقْتَرِعُها [٣] ، لم يَسْبِقْ الى معناها شاعرٌ ولم يَنْطِقْ بأمثالِها بادٍ ولا حاضر [٤] .....

ولستُ — يعلَمُ اللهُ — أجْحدُ فَضْلَ المتنبّي وجَوْدَةَ شِعرِه وصفاءَ طبعه وحلاوةَ كلامه وعذوبةَ ألفاظِه ورشاقةَ نَظْمه ، ولا أُنْكِرُ اهتداءَه لاستكمالِ شُروطِ الأخذِ إذا لحَظَ المعنى البديعَ لَحْظاً و(لا)استيفاءَه حُدودَ الحَذْفِ إذا سَلَخَ (المعنى) فكساه من عنده لَفْظاً . ولا أشُكُّ في حُسْنِ معرفته بحِفْظِ التقسيم [٥] الذي يَعْلَقُ بالقلب مَوْقِعُه ، وإيرادِ التجنيس الذي يَملِكُ النفسَ مَسْمَعُه ... وغوصِه في الفهم على ما يُسْتَصْفى ماؤه ورونقُه ، وسلامةَ كثيرٍ من أشعاره من الخطأ والخَلَل والزَلَل والدَخَل [٦] .... وأشهدُ أنّه عن درجتهِ غيرُ نازلٍ ولا واقعٍ ، وأعْرِفُ أنه بمليحُ الشعرِ غيرَ مُدافَعٍ . غير أنّي — مَعَ هذه الأوصافِ الجميلة — لا أُبَرِّئُه من سَرِقَةٍ ، ولاأرىأنْ أجْعَلَه وأبا تمّامٍ الذيكانَ ربَّ المعانيفي طَبَقَةٍ [٧] ، ولا أُلْحِقُه في سهولةِ الألفاظِ وعذوبتهــا ورشاقةِ المعْرِض [٨] ومجانبةِ التَصنّع

(١) الابداع (بكسر الهمزة) : الاحسان . الاتباع (بفتح الهمزة جمع تابع : خادم مقلد) .

(٢) غلا الرجل يغلو في أمر : بالغ ، جاوز الحد .

(٣) مقترعها : مختارها ، المختار لها ، الذي اختارها .

(٤) البادي : البدوي . الحاضر : الساكن في الحضر (المدن) . البادي والحاضر : جميع الناس .

(٥) التقسيم من وجوه البلاغة : التسهيم ، نحو : « بيض صنائعنا خضر مرابعنا ... » حفظ التقسيم (؟) .

(٦) الخطأ (الغلط ، مجانبة الصواب) والخلل (النقص ، للجهل بالموضوع) والزلل (الخطأ لقلة العلم) الدخل (الفساد في العقل أو الجسم) .

(٧) في طبقة = في طبقةاحدة (على مستوى واحد مع أبي تمام) .

(٨) رشاقة المعرض (؟) = العرض : التعبير (جمال التعبير) .

والتكلّف بالبُحتريّ ، ولاأقيسُه في امتدادِ النفس وعلم اللغة والاقتدار على ضُروبِ الكلام وتصوّرِ المعاني العجيبةِ والتشبيهات الغريبة والحِكَمِ البارعة والآدابِ الواسعة بابن الروميّ[1] ، ولا أتهالَكُ في مَدْحه تهالكَ من يَتعَصّبُ له تقليداً ويَغْلو فلا يجعَلُ له بينَ هؤلاء وبينَه من الفضلاء أمَداً بعيداً . ولا أطعَنُ في دِينه ولا نَسَبِه ، ولا أذُمُّه لاعتقادِه ومَذْهبه .....

—قال أبو سعدٍ العَميديُّ في الزُهد على التجنيس :

إذا ما ضاق صَدْري لم أجِدْ لي مَقَرَّ عبادةٍ إلاّ القَرافَهْ.
إذا لم يَرْحَمِ المَوْلى اجْتِهادي وقِلّةَ ناصِري لم ألْقَ رافَهْ[2] .

٤ — الإبانة عن سرقات المتنبّي لفظاً ومعنى ، مصر (المطبعة العبّاسية) بلا تاريخ .

** معجم الادباء ١٧ : ٢١٢ — ٢١٣ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٧٥ — ٧٦ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٤٦ — ٤٧ ؛ بغية الوعاة ١٩ ؛ الأعلام للزركليّ ٦ : ٢٠٥ .

الشريف المرتضى

١ — هو أبو القاسمِ عَليُّ بنُ الحُسينِ بنِ موسى ، السيدُ والشريفُ المُرْتَضى ، وُلِدَ في الكَرْخِ ، في الجانبِ الغَرْبِيّ من بَغدادَ ، في رَجَبَ ٣٥٥ (٩٦٦ م) .

تلقّى الشريفُ المُرْتضى علومَ الشِعْرِ والأدَبِ على المَرْزُباني (ت ٣٨٤ ه) والشاعرِ ابْنِ نُباتةَ السعْدي (٤٠٥ ه)؛ وتَلَقّى الفِقْهَ والأُصولَ على الشيخ المُفيدِ (ت ٤١٣ ه)؛ وكانَ من شُيوخه أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عليٍّ المعروفُ بابنَ بابُوَيه .

كان الشريفُ المُرْتَضى مُتَعَصِّباً على المُتنبّي ، فلما جاء أبو العَلاءِ المَعَرّيُّ إلى بَغدادَ (٣٩٨ — ٤٠٠ ه) وجرَتْ بينَهما مُفاوَضَةٌ في هذا الشأنِ لم يُسَرّ المُرْتضى بجوابِ المَعرّي فأساء إليه .

ولمّا تُوُفِّيَ الشريفُ الرَضيُّ خلَفَه المُرْتضى في نِقابةِ الطالِبِيّينَ ، غيرَ أنه كان كأخيه الشريفِ الرضيّ ، يَرى نفسَه أهلاً للخِلافة .

---

(١) يرى العميدي أن « المتنبي » أدنى مرتبة من أبي تمام والبحتري وابن الرومي كثيراً (أمداً بعيداً : مسافة طويلة) .

(٢) القرافة : مقبرة في مصر القديمة (بظاهر القاهرة) . رافه = رأفة .

وكانتْ وَفاةُ الشريفِ المُرْتَضى ، في ٢٥ رَبيعٍ الأوّلِ ٤٣٦ (٢٢/ ٩/ ١٠٤٤ م) في بغداد .

٢ – كانَ الشريفُ المُرْتضى فقيهاً إمامياً ومن المُعْتَزِلة ؛ وكان شاعراً مُكْثِراً جَزْلَ الشِعْر فخمَ الألفاظِ غنيّ اللُّغَة متينَ التركيبِ بِحُسْنِ القولَ في الشَّيْبِ والشَباب، « وإذا وَصَفَ الطَيْفَ أجادَ في وَصْفِه ، وقدِ استَعْمَلَهُ في كثيرٍ من المواضع » من شعره (وفيات ٢ : ١٤) . وهو يُصَرِّفُ كثيراً من وُجوهِ المعرفة الأدبية والفَلْسفية في شِعره .

مؤلّفات الشريفِ المُرتضى كثيرة ، ومُعْظَمُها في الفِقه الإمامي (الشيعي) ؛ فمن كتبه الأدبية : تفسير الخطبة الشقشقيّة (للامام عليّ) – تفسير قصيدة السيد الحِمْيري (هلاّ وقفت على المكان المُعْشب !) – الشهاب في الشيب والشباب – طيف الخيال – غرر الفوائد ودرر القلائد (؟) ، .

٣ – مختارات من آثاره :

– قال الشريفُ المرتضى في النسيب :

يا خليليّ من ذُؤابَةِ قيسٍ : في التصابي رِياضةُ الأخلاقِ[١] !
عَلّلاني بذكرِهِمْ تُطْرِباني واسْقِياني دَمْعي بكأسٍ دِهاقٍ[٢] ؛
وخذا النومَ من جُفوني فانّي قد خلعتُ الكَرى على العشّاق !

– وقال في الطيف :

ما ضَرّ من زارَ ، وجُنحُ الدُجى يُكْحَلُ منه الأُفْقُ بالإِثْمِدِ[٣] ،
لو زارني والصبحُ في شمسهِ بلَوْنِها الفاقِعِ في مِجْسَدِ[٤] .
كيفَ اهْتَدى لي في قَميصِ الدُجى من كان في الإصباح لا يَهْتدي !

---

(١) الذوابة : الضفيرة ، طرف الشعر . قيس : عرب الشمال . من ذوابة قيس : من أعلى العرب نسباً وشرفاً . في التصابي رياضة الأخلاق : الحب يهذب أخلاق المحب .

(٢) دهاق : مملوءة .

(٣) الاثمد : الكحل (ولونه أسود) . زارني والأفق لا يزال أسود (في نصف الليل) .

(٤) الفاقع : اللون الفاتح (وتقال في الأصفر عادة) الثوب المجسد (بضم الميم) : المصبوغ بالزعفران (اللون الأحمر) . والمجسد (بكسر الميم وفتح السين) : ثوب يلبس مما يلي البدن .

أخْلفني وَعْدُك في زَوْرةٍ ، فكيف وافَيْتَ بلا مَوْعِدِ؟

* ضنَّ عنّيَ بالنَزْرِ إذ أنا يَقْظا نُ وأعطى كثيرَهُ في المَنامِ .
والْتَقَيْنا كما اشْتَهَيْنا ، ولا عَيْـ بَ سوى أنْ ذاك في الأحلام .
وإذا كانتِ المُلاقاةُ ليلاً ، فالليالي خيرٌ من الأيّام !

– من مقدّمة « طَيْف الخَيال » :

.... ومن بعدُ ، فإنّني وَقَفْتُ على ما ذكرتَه[1] – أمدّك اللهُ بتوفيقه وتسديده – من شَغَفِك بما اطّلعتَ عليه من كتابي في الشيب[2] وإعجابه لك ! وإطرابه إيّاك ، وأنّك استغْزَرْتَ فائدتَه[3] واستغربت طريقتَه ، ودعاكَ ما وَقَفْتَ عليه منه إلى التِماس كتابٍ في أوصاف طيفِ الخيال[4] نَسْلُكُ فيه هذا المنهجَ ونُخْرِجُه هذا المخرج ؛ فإنّه أيضاً بابٌ قائم بنفسه قد أطالَ فيه الشعراء وأقْصروا وأصابوا وأخطأوا وتصرّفوا وتفنّنوا .

وقد رأيتُ الإجابةَ إلى سؤالك على ضيقِ زماني وقلبي وكَلال[5] فِكري وكَثْرة هموم صدرِي ، وان أعْتَمِدَ على إخراج ما في ديوان الطائيّين[6] ثمّ ما في ديوان شعري وشعر أخي[7] – نضر الله وجهَه وأحسنَ مَنقَلَبَهُ[8] – فأنقُلَهُ الى جِهتِهِ من غير إخلال بشيء منه وأتكلّم على معانيهِ ومقاصدِهِ مُنَظِّراً بين نَظائره[9] كاشفاً عن دفائنهِ وسرائرهِ ، حَسْبَ ما فعلتُهُ في كتاب الشيب .

ولأبي تمّام في هذا المعنى التافهُ اليسيرُ[10] ، فإنّه ما عُنِيَ به و(لا) رُزِقَ منه ما رُزِقَ

(١) يخاطب الصديق الذي وضع هذا الكتاب من أجله .
(٢) كتاب الشهاب في الشيب والشباب .
(٣) وجدت فائدته غزيرة (كثيرة) .
(٤) طيف الخيال : شبح الحبيب الذي يتراءى للمحب في المنام .
(٥) الكلال : التعب .
(٦) الطائيان : أبو تمام والبحتري .
(٧) الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) . راجع ، فوق ، ص ٥٩ .
(٨) جعل الله وجهه في الدنيا ناضراً (أبيض منيراً) وأحسن منقلبه (موته) .
(٩) إخلال : ترك شيء مع الحاجة اليه . منظراً بين نظائره : مقارناً بين النظير (الشبيه) والنظير منه .
(١٠) التافه : القليل القيمة . اليسير : القليل المقدار .

البُحتريُّ فإنّه كان مُغْرَماً مُتيَّماً[1] بالطيف فأكثرَ فيه وأغزرَ مَعَ تجويدٍ وإحسانٍ وافتنان[2] ، وتصرّفَ فيه تصرُّفَ المالكين وتمكّن منه تمكُّنَ القادرين . وسأُنبِّهُ على مواقعِ إحسانه ومواضع إغرابه[3] بإذن الله .

وممّا يُفيدُ تقديمُه[4] أن الطيفَ يُوصَفُ بالمدحِ تارةً وبالذمّ أُخرى . ولِمَدْحِهِ وجوهٌ مُتَشَعِّبَةٌ . فممّا يُمْدَحُ بهِ أنّه يُعَلِّلُ المشتاقَ المُغْرَمَ ويُمْسِكَ رَمَقَ المُعَنّى المُسْقَم[5] ، ويكونُ الاستمتاعُ به والانتفاعُ به ، وهو زورٌ وباطلٌ ، كالانتفاعِ لو كان حقّاً ويقيناً . وهل فَرْقٌ بينَ لَذّةِ الخَيال في حال تَمَثُّلِها وتخيُّلها وبينَ لَذّةِ اللقاءِ الصحيحِ والوِصال الصريح؟ وبعدَ زَوالِ الأمرينِ ومفارقةِ الحالينِ ما أحدُهما – في فَقْدِ مُتْعَتِه وزوالِ منفعته – الاّ كصاحبِهِ ! ....

٤ – ديوان الشريف المرتضى (نشره رشيد الصفّار ومحمّد رضا الشبيبي ومصطفى جواد) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ – ١٩٥٩ م) .

شرح القصيدة الذهبية (المذهبة) في مدح عليّ بن أبي طالب للسيّد الحميري مصر ١٣١٣هـ (تحقيق محمّد الخطيب) ، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٧٠ م .

طيف الخيال (نشره محمّد سيّد كيلاني) ، القاهرة (البابي) ١٩٥٥ م ؛ (تحقيق حسن كامل الصيرفي ومراجعة ابراهيم الابياري) ، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية : عيسى البابي الحلبي وشركاه) ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م .

الاشارات الى بيان أسماء المبهمات (اختصره من كتاب المبهمات ليحيى بن شرف النوويّ) ، لاهور (المطبعة الدخانية) ١٣٣١ هـ .

الفرائد الغوالي على شواهد الأمالي (أشرف على نشره محمّد حسن الجواهري) ، النجف (مطبعة الآداب) بلا تاريخ .

تلخيص الشافي للطوسي (قدّم له حسين بحر العلوم) ، الطبعة الثانية ، النجف (مكتبة العلمين) ١٩٦٣ م .

الجوامع الفقهيّة (نشرها محمّد باقر خوانساري) ، طهران ١٢٧٦ هـ (للشريف المرتضى فيها

---

(١) مغرماً متيماً : كثير الحب الى حد المرض .

(٢) الافتنان : التفنن ، المجيء بأنواع مختلفة .

(٣) الإغراب : الإتيان بالغريب غير المألوف .

(٤) ومن الأمور التي يحسن أن تكون مقدمة لهذا البحث .

(٥) يعلل المشتاق المغرم : يؤمله بعطف المحبوب عليه . الرمق : بقية الروح في الجسد . المعنى : المعذب (في الحب) . يمسك الرمق : يطيل الحياة قليلا .

رسالتان : الانتصار – المسائل الناصرية) .
الشهاب في الشيب والشباب ، الآستانة ١٣٠٢ هـ .
أمالي السيّد المرتضى : في التفسير والحديث والأدب (نشرها محمّد بدر الدين النعساني) ، القاهرة (جمالي وخانجي) ١٣٢٥هـ =١٩٠٧ م .
تنزيه الأنبياء ، النجف ١٣٥٢ هـ ؛ النجف (المطبعة الحيدرية) ١٩٦٠ م .
انقاذ البشر من القضاء والقدر (نشره عليّ الخاقاني) ، النجف (مطبعة الراعي) ١٩٣٥ م .
اعلام الهدى : نهج البلاغة ، بومباي ١٣٠٤ هـ .
الشافي في الامامة ، (ايران) ١٣٠١ هـ .
** أدب المرتضى ، تأليف عبد الرزّاق محيي الدين ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥٧ م .
تاريخ بغداد ١١ : ٤٠٢ وما بعدها ؛ تتمة اليتيمة ١ : ٥٣ – ٦٦ ؛ يتيمة الدهر (دمشق) ٢ : ٢٩٧ – ٣١٥ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ١٤٦ – ١٥٧ ؛ انباه الرواة ٢ : ٢٤٩– ٥٠؛ وفيات الأعيان ٢ : ١٤ – ١٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٥٦–٢٥٨ ؛ أعيان الشيعة (١٩٦٠م)، ٤١ : ١٨٨ – ١٩٧ ؛ بروكلمان ١ : ٥١–٥١٢ ؛ الملحق ١ : ٧٠٤ – ٧٠٦ ؛ زيدان ٢ : ٣٣٢ – ٣٣٤ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٨٩ .

أبو الفضل الميــــكالي

١ – هو الأميرُ السيّدُ العالِمُ أبوالفضل عبيدُ الله بنُ أحمدَ الميكاليُّ من أهل الجاهِ والرِئاسة في نيسابورَ ، سَمعَ من الحاكِم أبي أحمدَ الحافظ وأبي عمرو بن حَمدانَ ثم انه كان يَعْقُد مجلساً يُملي فيه . وكان يُقرِّب العُلماءَ والأُدباء، اخْتُصَّ بهِ أبو منصورٍ يحيى بنُ يحيى الكاتبُ ؛ ومدحَهُ أبو عبدِ المجيد بن أفلحَ الغَزْنَوي (تتمّة اليتيمة ٢ : ١٤ ، ٨١) ، وكان الثعالبي وثيقَ الصلةِ به كثيرَ الإطراء له . رأيناهُ مرّةً في فيروزابادَ ومرّة اخرى (٣٩٠ هـ – ١٠٠٠ م) في بَغدادَ بعدَ أن كان في الحجّ (يتيمة الدهر ١ : ٢١٠) . وكانت وفاتُه يوم عيدِ الاضحى (١٠ من ذي الحجّة) ٤٣٦ (٢٨–٦–١٠٤٥ م) .

٢ – كان أبو الفضلِ الميكاليّ أديباً بارعاً وكاتباً مترسلاً وشاعراً مُحْسناً رقيقاً . وكان ممّن يَلْتزمون السَجْعَ والمُوازنةَ والصناعةَ اللفظيةَ قلّما يفارقون ذلك ، إلاّ أنه كان في نَثْرِه أقلّ تكلّفاً منه في شعره . وأكثرُ نثرِه فصولٌ جميلةٌ ورسائلُ إخوانيةٌ . أما فنونُ شعره فهي الغزل والوصف والرثاء والحِكَم والشكوى ؛ وله شيء من المُداعبات . وشعره ونثره عَذْبانِ رقيقانِ جِدّاً .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال في الليلِ والغزلِ (لاحظْ لزومَه ما لا يلزمُ في القافية : كَواكِبِه ــ كَواكِ بِهِ :

لقدْ راعَني بَدْرُ الدُجى بصُدودهِ ووَكّلَ أجفاني برَعْيِ كواكِبِهْ [١].
فيا جزَعي، مَهلاً! عساهُ يَعودُ لي؛ ويا كَبِدي، صبراً على ما كَواكِ بِهْ!

ــ وقال في تَرْكِ شُربِ الخمر :

عيّرتْني تَرْكَ المُدامِ وقالتْ: هل جَفاها من الكِرام لَبيبُ!
هي تحتَ الظلامِ نورٌ، وفي الأكْـ ـبادِ بَرْدٌ، وفي الخُدود لَهيب.
قُلْتُ: يا هذهِ، عَدَلْتِ عن النُصْـ ـحِ، أما لِلرَّشادِ فيكِ نصيب[٢]؟
إنّها لِلسُّتورِ هَتْكٌ، وبالألـ ـبابِ فَتْكٌ، وفي المَعادِ ذُنوب[٣]!

ــ وقال في السيف :

خَيْرُ ما استَعْصَمَتْ به الكَفّ يوماً في سَوادِ الخُطوبِ عَضْبٌ صَقيلُ[٤]؛
عَنْ سُؤالِ اللئيم مُغْنٍ، وفي العَظْـ ـمِ مُغَنٍّ، ولِلْمنايا رَسول[٥]!

ــ ولأبي الفضل الميكالي من الفصول المختارة :

أيامَ ظِلُّ العيشِ رَطْبٌ، وكَنَفُ الهوى رَحْبٌ[٦] وشُرْبُ الصبا عَذْبٌ؛ وما لشرقِ الأُنسِ غَرْبٌ.

ــ أيّامي مَعَكَ بينَ غُرّة ولَمْعة، وعِيدٍ وجُمْعة ــ ما هو الاّ نجمٌ طَلَعَ من سَمائِكَ، ومَعْنىً اشْتُقَ من أسْمائك.

ــ ولأبي الفضل الميكالي من رسائله الاخوانيّات :

---

(١) بدر الدجى : الحبيب الذي يشبه البدر في الليالي المظلمة . رعي الكواكب : مراقبتها (السهر من العذاب في الحب) .

(٢) عدل : مال ، انحرف .

(٣) الألباب (جمع لب) : العقول . المعاد : الآخرة ، يوم القيامة .

(٤) استعصمت به الكف : تحصنت به وحصنت صاحبها . الخطوب : المصائب ، الأزمنة الصعبة . العضب السيف .

(٥) مغن : يدفع الحاجة (الفقر) عن الانسان . مغن : له صوت (يكسر العظام) . المنايا جمع منية . الموت .

(٦) الكنف : الجانب . رحب : واسع .

وَصَلَ كِتابُ مَوْلايَ وسَيّدي أبدعُ الكُتُبِ هَوادِيَ وأعجازاً[1] ، وأبرعُها بَلاغةً وإعجازاً ؛ فَحَسِبْتُ ألفاظَهُ دَرَّ السَحاب أو أصْفى قَطْرةً ودِيمةً[2] ، ومَعانِيَه دُرَّ السَخاب[3] أو أوْفى قَدْراً وقيمةً . وتأمّلت الأبياتَ فوَجَدتُها فائقة النظمِ والرَصْف ، عَبِقَةَ النَسيمِ والعَرْف ....

٤ – ** يتيمة الدهر ٤ : ٣٢٦ – ٣٥٠ ؛ دمية القصر ١٢٢ – ١٢٣ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٣٢ – ٣٥ ؛ بروكلمان ١ : ٣٤٠ – ٣٤١ ، الملحق ١ : ٥٠٣ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٣١٩ – ٣٢٤ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٣٤٤ .

المنـــازي

١ – هو أبو نَصْرٍ أحمدُ بنُ يوسفَ السُليكيُّ المَنازيُّ ، نِسبةً الى منازجردَ . وَزَرَ المَنازيُّ[4] لأبي نَصْرٍ أحمدَ بنِ مَروانَ الكُرْديِّ صاحبِ مَيّافارقينَ وديارِ بَكْرٍ (٤٠١ – ٤٥٣ هـ) وذهب الى القسطنطينية مِراراً (في مُهِمّاتٍ سياسية في الراجح) ، وقد جَمَعَ في أثناء سَفَراته تلك عدداً كبيراً من الكتب . ويبدو أنّ المَنازيَّ مرّ بالمعرةِ في إحدى سَفَراته إلى القسطنطينية واجتمع بأبي العَلاءِ المَعرّيُّ ، فلم يكن المعرّيُ عظيمَ الاحترامِ له . وماتَ المنازيُّ سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٥ – ١٠٤٦ م) .

٢ – كان المَنازيّ كاتباً وشاعراً . وشِعرُه سَهْلٌ عَذْبٌ جميلٌ ، وفيه وصفٌ حِسِيٌّ بارعٌ وخَيال رحيبٌ .

٣ – مختارات من شعره

– مرّ المنازيُّ بوادي بُزاعا[5] (بزاعة) فأعْجَبَهُ حسنُه فقال :

---

(١) الهادي : العنق . العجز (بضم الجيم) : مؤخر الجسم . أبدع الكتب (الرسائل) هوادي (مقدمات) وأعجازاً (خواتم) .

(٢) الدر (بفتح الدال) : خروج اللبن من ضرع الناقة وسقوط المطر من السحاب . الديمة : الغيمة الممطرة .

(٣) الدر (بضم الدال) ، الجوهر ، اللؤلؤ . السخاب (بالخاء) : قلادة (عقد) تتخذ من السك (بضم السين : طيب يعجن ويعمل منه حبوب تجفف ثم تنظم عقوداً) والقرنفل (زهر طيب الرائحة) ؛ والسخاب هنا القلادة عامة . أوفى : أثقل ، أكثر ، أرجح . العرف : الرائحة الطيبة .

(٤) المنازي نسبة الى منازجرد (بكسر الجيم) ، وهي مدينة عند خرت برت (حصن زياد) ، لعلها شمال حماة قريبة من الفرات . وهي عند ابن خلكان غير منازكرد القلعة التي هي من أعمال خلاط (أرمينية) . على أن في التفصيل بين المدينتين خلاف وغموض (راجع خريدة القصر – قسم الشام ٢ : ٣٤٨ ، الحاشيتين ١ ، ٢ ثم ٢ : ٣٥٠ ، الحاشية ٥ .

وفيات الأعيان ١ : ٧٨ ؛ في خريدة القصر : سنة ٤٨٠ (قسم الشام ٢ : ٣٤٨) ، والأغلب أنه وهم (راجع الخريدة – الشام ٢ : ٣٤٨ ، الحاشية ٦) .

(٥) وادي بزاعا بين منبج وحلب .

وَقانا لَفْحَةَ الرَمْضاءِ وادٍ وَقاهُ مُضاعَفُ النَبْتِ العَميمِ[1].
نَزَلْنا دَوْحَهُ فحنا علينـا حُنُوَّ المُرْضِعاتِ على الفَطيم[2]؛
وأرْشَفَنا عـلى ظَمأٍ زُلالاً ألَذَّ من المُدامـةِ للنَديم[3].
يَصُدُّ الشَمْسَ أنّي عارَضَتْنـا فيَحْجُبُها ويـأذَنُ لِلْنَّسيم[4].
يَروعُ حَصـاهُ حالِيَةَ العَـذارى فتَلْمِسُ جانِـبَ العِقْدِ النَّظيم[5]!

— وقال المنازيٌّ في النسيب :

لقد عَرَضَ الحَمامُ لنـا بسَجْعٍ إذا أصْغى له رَكْبٌ تَـلاحى[6].
شَجَى قلبَ الخَليِّ فقيلَ : غَنّى ؛ وبرّحَ بالشَجيِّ فقيل : ناحا[7]!
وكم للشوقِ في أحشـاءِ صَبٍّ إذا اندملتْ أجَـدَّ لها جِراحا[8].
ضعيفُ الصبرِ عنك وإن تَقـاوى ، وسكرانُ الفـؤادِ وان تَصاحى[9].
كذاك بنو الهوى سَكْرى صُحـاةٌ كأحداقِ المها مرضى صِحاحا[10]!

— وقال يهجو غُلاماً له بإشاراتهندسية :

ولي. غـلام طال في دِقّـة كخطّ إقليدس لا عرضَ لهْ.

(١) الرمضاء (في الاصل) الرمل الحار . الوادي : منخفض بين جبلين (يجري فيه ماء) . وقاه (الثانية) : دعاء (بأن يحفظ الله خصبه) . العميم : الذي يعم ، يملأ .

(٢) الدوح جمع دوحة : الشجرة العظيمة .

(٣) أرشفنا : سقانا . زلال : ماء سائغ عذب .

(٤) عارضه : سار معه جنباً الى جنب ، اعترض طريقه .

(٥) — تكون الفتاة متزينة بعقد من اللؤلؤ ، ثم يتفق أن تتطلع الى ماء الوادي فترى الحصا (صغار الحجارة) فيه كأنها اللؤلؤ فتظن أن عقدها قد انقطع وسقطت حباته في الماء فتلمس عنقها لترى اذا كان عقدها لا يزال في موضعه !

(٦) السجع : صوت الحمام (لا يعلم أغناء هو أم بكاء) . تلاحى القوم : تسابوا ، تجادلوا .

(٧) شجاه الصوت (هنا) : أطربه . الخلي : الذي لم يعرف الحب بعد . برح : عذب . الشجي : الحزين (لمفارقة الحبيب) .

(٨) يكون المحب الذي هجره حبيبه قد بدأ ينسى الحب فيذكره هذا الصوت به .

(٩) تقاوى : تظاهر بالقوة . تصاحى : تظاهر بأنه صاح أو واع (تقاوى وتصاحى ليستا قاموسيتين) .

(١٠) المها جمع مهاة : بقرة الوحش (نوع من الغزلان) . — يبدو عليهم السكر (من الحب) وهم صاحون ، كما تكون عيون المها وعيون النساء الجميلات مرضى (ناعسات) وهي صحيحة (سليمة من المرض) .

وقد تناهى عقلُه خِفّة فصار كالنقطة لا جزءَ له[1] .

٤ ــ ** خريدة القصر (الشام) ٢ : ٣٤٨ ، ٤٥٥ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٧٧ ــ ٧٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٥٩ ــ ٢٦٠ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٥٨ ــ ٢٥٩ .

أبو يعلى الصوفي المصري

١ ــ هو أبو يَعْلي محمّدُ بنُ الحسنِ بنِ الفضلِ بن العبّاس المِصْريُّ وُلِدَ سَنَةَ ٣٦٨ هـ (٩٧٨ ــ ٩٧٩ م) . وتلقّى ــ فيما تَلَقّى من العلوم ــ الحديثَ عن أبن بكرِ ابنِ أبي الحديدِ الدمشقيّ . وتطوّف أبو يعلي في البلاد كثيراً يتكسّبُ بشعره في الأغلب : جاء الى نَيْسابورَ سَنَةَ ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ولَقِيَ الثعالبيَّ صاحبَ اليتيمة ؛ ثمّ جاء الى بغدادَ ، سَنَةَ ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) فحَدّثَ فيها عن شَيْخة أبي بكرٍ ؛ ومن بغدادَ تابعَ طريقَه الى الشام . ولم يُعْرَفْ بعد ذلك شيء من أخباره .

٢ ــ كان أبو يعلي ، إلى جانبِ معرفته بالحديث ، «من شيوخ الصوفية وظُرّاف الشعراء» . وشعرُه متينٌ سهلٌ جيّد . ومن أغراضهِ المديحُ والهجاء والوصف والشكوى .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال أبو يَعَلى الصوفيُّ المِصري يمدَحُ شخصاً اسمه أبو القاسم كان شاعراً أيضاً :

يا أبا القاسمِ الذي قَسَمَ الرَحْـ ـمنُ من راحتَيْهِ رِزْقَ الأنـامِ ،
أنا في الشعر مثلُ مَوْلايَ في الجُو دِ حَليفا مـكارمٍ ونِظـام .
وإذا ما وَصَلْتَني فأميـرُ الـ ـجودِ أعطى المُنـى أميرَ الكلام !

ــ وقال يذكر أياماً جميلةً قضاها في الشام :

إذا المجدُ وافـاني فليسَ بضائري نُفورُ العَذارى من بَياضِ عِذاري[1] .
عَفَوْتُ عن الليلِ الطويل بذي الغَضا لمَرِّ ليـالٍ بالشآمِ قِصار[2] !

٤ ــ ** المحمّدون من الشعراء ٢٣٦ ــ ٢٣٨ ، ٢٤٠ ــ ٢٤١ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣٤٧ .

---

(١) العذارى جمع عذراء : الفتاة الشابة (لم تتزوج بعد) . العذار : الشعر النابت في الوجه . بياض العذار : الشيب .

(٢) ذو الغضا : موضع في بلاد العرب (ليس مقصوداً لذاته) . الليل الطويل (كناية عن السهر من العشق أو الألم أو الحزن) . الليل القصير (كناية عن نسيان الزمن في اللهو والسرور) .

الثمانيني النحوي

هُوَ أبو القاسم عُمَرُ بنُ ثابتٍ الثَّمانينيُّ، نِسْبَةً الى سوقِ ثمانينَ وهي بُلَيْدٌ صغيرٌ بأرضِ المَوْصِلِ من جزيرةِ ابنِ عُمَرَ.

أخذَ الثَّمانينيُّ عن أبي الفتحِ بن جِنّيّ، ثمّ تَصَدّرَ للإقراء في الكَرْخ (بالجانبِ الغَرْبي من بَغْدَاد) فكانَ عوامُّ الناسِ يقرأونَ عليه، بينما كانَ خَواصُّهم يَقْرأونَ على أبي القاسمِ عبد الواحدِ بن بُرهانٍ الأسديّ[1]. وكان الثمانيني ضريراً. أما وفاته فكانت في ذي القعدة من سنة ٤٤٢ هـ (ربيع عام ١٠٥١ م).

كان الثمانينيُّ إماماً قَيّماً بعلم النحو عارفاً بقوانينه، كما كان أديباً مُصنّفاً له من الكُتُبِ: (معجم الادباء ١٦ : ٥٨): شَرْحُ كتاب اللُمع (لابن جنّي) — شرحُ التصريف الملوكي (لابن جنّي أيضاً) — المفيد[2].

** معجم الادباء ١٦ : ٥٧ — ٥٨ ؛ نكت الهميان ٢٢٠ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٩٣ ؛ بغية الوعاة ٣٦٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٦٩ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٢٠٠.

أبو الحسن البصروي

١ — هو أبو الحسنِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ البُصْرَوِيُّ نِسْبَةً الى بُصْرى العراقِ وَهِيَ قريةٌ في مِنطقة دُجَيْلٍ قُرْبَ عُكْبرا، كانت وفاتُه في بَغدادَ في شهرِ ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٤٤٣ (صيف ١٠٥١ م).

٢ — كان أبو الحسنِ البصرويُّ رجلاً فَصيحاً صاحبَ نوادرَ، وكان شاعراً وُجدانياً مطبوعاً تَغْلِبُ على شعرهِ السهولةُ ويسودُ شعرَهُ شيء من الزُهْدِ.

٣ — مختارات من شعره

— قال أبو الحسن البصرويّ في القناعة:

ترى الدنيا وزينَتَها فتصبو ؛ وما يخلو من الشَهَوات قَلْبُ ![3]

---

(١) معجم الادباء ١٦ : ٥٧ — ٥٨ ؛ راجع انباه الرواة (٢ : ٢١٣ — ٢١٥) : «عبد الواحد بن علي بن برهان أبو القاسم العكبري النحوي» (ت ٤٥٦ هـ).

(٢) في وفيات الاعيان (٢ : ٩٣) : «شرح كتاب اللمع لابن جني أيضاً».

(٣) صبا : مال (الى شيء محبوب).

فُضُول العيشِ أكثرُه هُمومٌ ؛ وأكثرُ ما يَضُرُّكَ ما تُحِبّ[1].
فلا يَغْرُرْكَ زُخْرُفُ ما تراه وعيشٌ ليّنُ الأعطافِ رَطْبُ[2].
اذا ما بُلْغَةٌ جاءتك عَفْواً فخُذْها ، فالغِنى مرعىً وشِرْبُ[3].
إذا حَصَلَ القليلُ وفيه سِلْمٌ ، فلا تُرِدِ الكثيرَ وفيه حرب !

٤ ـ ** ابن الاثير ٩ : ٥٨٠ ـ ٥٨١ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٩٤ ـ ١٩٥ .

الفضل بن محمد القصباني

١ ـ هُوَ أبو القاسمِ الفَضْلُ بنُ محمّدِ بنِ عليّ بن الفضل القَصْبانيّ (نِسْبَةٌ الى بيع القَصَب) النّحْوِيُّ من أهل البَصْرة والمقيمين فيها ، تَصَدّر للإقراء فأخذ عنه الحَريريُّ صاحبُ المقاماتِ كثيراً وأخذَ عنه الخطيب التِبْريزيُّ . وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ ـ ١٠٥٣ م) .

٢ ـ الفضلُ بنُ محمّدٍ القَصْباني من أئِمّةِ اللغة المشهورين واسعُ العِلمِ بالأدبِ له تصانيفُ منها : كتاب في النحو ـ كتاب في حواشي الصِحاح (للجوهري !) ـ كتاب الأمالي ـ الصّفوة في أشعار العرب ومُختارها (وهوِ كتاب كبير) .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ في الناسِ مَنْ لا يُرتَجى نَفْعُه إلاّ إذا مُسّ بإضرار :
كالعودِ لا يُطْمَع في ريحهِ إلاّ إذا أُحرِقَ بالنار !

٤ ـ ** معجم الادباء ١٦ : ٢١٨ ؛ نكت الهميان ٢٢٧ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٩ ؛ بغية الوعاة ٣٧٣ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٣٥٨ .

أبو الحسن الفالي المؤدب

١ ـ هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بن سُلّكٍ ، كان من بَلْدَة فالَةَ قُربَ

---

(١) فضول العيش : جمع فضل : ما لا فائدة منه (ما لا يحتاج اليه الانسان في المعاش الضروري) .
(٢) الزخرف : الذهب ، الزينة .
(٣) البلغة : ما يكفي لسد الحاجة .
(٤) العود : نوع من الطيب . الريح : الرائحة .

إيذَجَ. انتقل الفاليّ إلى البصرةِ وسَمِعَ فيها من عُمَرَ بنِ عبدِ الواحدِ الهاشميّ وغيرِه، ثم قَدِمَ بَغدادَ واستَوْطنها. واشْتَغَلَ الفاليُّ بالتعليمِ فلُقِّبَ «بالمُؤدِّب». ولم يكنْ رِزْقُه واسعاً، فقد كان يَمْلِكُ نُسْخَةً من كتابِ الجَمْهرة لابن دُرَيد فباعها بخَمْسةِ دنانيرَ بعدَ أن ركِبَتْه الديونُ ولم يَبْقَ مَعَه ما يُعيلُ به أولادَه الصِغارَ. وكانت وفاة أبي الحسن الفالي في بغداد سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ - ١٠٥٧ م).

٢ - كان الفاليُّ ذا مَعْرِفَةٍ بالقُرآنِ والحديثِ ثِقَةً، وذا مَعْرِفةٍ بالأدب والشعر. وكان ايضاً شاعراً وراجزاً، وشعرُه القليلُ الذي وصل إلينا وُجداني سَهْل فيه نُكْتة. ومِنهُ شيء من الهِجاء والزَنْدقة أحياناً. وهو يُحْسِنُ التَضْمينَ من أشعارِ القدماء.

٣ - مختارات من شعره

- قال في التأفُّفِ من مِهْنَةِ التدريس:

تَصَدّرَ للتدريسِ كلُّ مُهَوَّس ... بليدٍ يُسمّى بالفقيهِ المُدرِّسِ [١].
فَحُقَّ لأهلِ العِلْمِ أن يَتَمَثّلوا ... ببَيْتٍ قديمٍ شاع في كلّ مَجْلس:
(لقد هُزِلَتْ حتّى بدا من هُزالها ... كُلاها وحتّى سامَها كلّ مُفْلس) [٢]

- وله في الشكوى من الزمان وأهله:

لمّا تبَدّلَتِ المَنازل أوْجُهاً ... غيرَ الذين عَهِدتُ من عُلَمائِها،
ورأيتُها مَحْفوفةً بسِوى الأُلى ... كانوا وُلاةَ صُدورِها وفِنائها [٣]،
أنْشدتُ بَيْتاً سائراً مُتَقَدِّماً ... والعينُ قد شَرِقَتْ بجاري مائِها:
(أما الخيامُ فإنّها كخِيامِهِمْ؛ ... وأرى نِساءَ الحَيِّ غيرَ نِسائِها) [٤].

٤ - ** معجم الادباء ١٢ : ٢٢٦ - ٢٣٠ ؛ ابن الأثير ٩ : ٦٣٢.

---

(١) المهوس من كان به طرف من الجنون (المقدم على الأمر لا يدرك نتيجته السيئة على نفسه).
(٢) هزلت (بالبناء للمجهول). الكلي جمع كلوة. والكلوة عادة لا تبرز من الظهر مهما هزل الانسان، ولكن الشاعر بالغ للتهويل.
(٣) صدر البيت: مكان الرئاسة فيه. الفناء (بكسر الفاء) الباحة الخالية أمام الدار. ولاة صدر البيت وفنائه: ذوو السلطان الصحيح على أمورهم.
(٤) وأرى النساء اللواتي هن في الخيام الآن غير النساء اللاتي كن من قبل فيها (في الجمال والأمانة).

أبو العلاء المعري

١ ــ وُلِدَ أبو العَلاءِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سُليمانَ المعروفُ بالمعَرّيّ في معَرّةِ النُعمان سنة ٣٦٣ (٩٧٣ م) . ولما بلغَ الثالثةَ من عُمُرِه أُصيبَ بالجُدَري ففَقَدَ بَصَرَهُ . ونشأ المعري في بيتِ عِلمٍ ووَجاهةٍ فدَرَسَ عُلومَ اللغةِ والأدبِ والفِقه على نَفَرٍ من اهله .

بدأ المعريّ حياتَه الأدبية شاعراً متكسباً على غرارِ المتنبي ، ثم سافر في سَنَةِ ٣٩٩هـ (١٠٠٩ م) الى بَغدادَ ، وكان قد تُوفّيَ والدُه ، فلم يَلْقَ هنالك نجاحاً فعاد إلى المعرة غاضباً ناقماً . وقبل أن يَصِلَ إلى المعرة تُوُفّيَتْ والدتُه فزادَ ذلك في سوء حالهِ وفي نِقْمته ، فاعتزل في بيتهِ منقطعاً إلى الازْدِيادِ من العلم والى إلقاء العِلمِ على الذين يَقْصِدونه لذلك . وعاش المعريّ بَقيةَ حَياته زاهداً في الدنيا « نَباتياً » لا يأكلُ اللحمَ ولا المآكل المنتوجةَ من الحَيَوان كالسَمْن واللبَن والبَيْض والعَسَل ، ولا يَلْبَس من الثيـاب إلاّ الخَشِنَ ولا يَخْرُجُ من بيتـه حتى مـات (٤٤٩ هـ ١٠٥٧ م) .

٢ ــ المعريّ أديب نابغٌ واسعُ الاطلاع والمعرفةِ مُحيطٌ بعِلْمِ اللغة وتاريخِ الفكرِ وأحوالِ الاجْتماع إحاطةً تَعْيا أحياناً على المُبْصرين ، ثم هو يُجيد التهكّم ويُحسن النقد . وهو من الحكماء المَعْدودين .

وقد خلّف لنا المعريُّ أربعةَ كُتُبٍ قيمةً : سَقْطَ الزَنْد[١] وهو ديوان شعْر في المدائح والمراثي وما يتصل بها من الفنون الوجدانية والوصفية ؛ ثم ضَوْءَ السَقْط[٢] وهو شرح لسقط الزند صَنَعه المعريّ بنفسه ؛ ثم رِسالة الغُفْران ؛ وللمعريّ ديوانه العظيم « لزوم ما لايلزم ». كَتَبَ المعريُّ « رِسالةَ الغُفْران » جَواباً على رسالةٍ وردته من صَديقٍ له ، هو أبو الحسن علي بن منصورٍ المعروفُ بابنِ القارح[٣] .

كتب أبو العَلاءِ هذه الرسالةَ على لسانِ ابنِ القارحِ ليُبَيّنَ للناسِ سَعَةَ عَفْوِ الله ، وليَدُلّهم على أن كثيرين من أهلِ الإسلام والجاهلية ــ ممن يَظُنّ نفرٌ من الفقهاء ومن المُتَعَنّتين أنهم من أصحاب النار ــ يمكن أن يكونوا من أهلِ الجنة ، أو أن

---

(١) الزند قطعة من الفولاذ تقدح بها النار من الصوان ، والشرر المنتوج بينهما يسمى السقط .

(٢) النور الذي يحدث من الشرر المنتوج من قدح الزند على الصوانة .

(٣) كان ابن القـارح الحلبي (٣٥١ – ٤٢٣ هـ) مـن أئمـة اللغة والنحو والادب شاعراً . وكـان يتحامل عـلى نفر من الأدباء ويرى أنهم ببعض مـا فعلوا – من إهمال بعض فروض الـدين أو بشرب =

يكونوا قد نالوا النَجاةَ من النار بإيمان بالله أو بعملٍ صالح أو بِنِيّةٍ طيبة ، بقَطْعِ النظر عما اشْتهروا به في حياتهم أو عما رماهم به الناسُ من الكفر والزندقة . وفي أثناء « القِصّة » ينتقد المعريّ عدداً من آراء العلماء والأدباء والفُقهاء في الشعر والأدب وفي الأخبار الدينية . وهو يفعل ذلك بتهكّم مُرّ وبشيء من المرح والدُعابة .

أما ديوانُ المَعرّيّ لزومُ ما لا يَلْزَمُ أو اللزوميّاتُ فهو مجموعُ مقطّعاتٍ من الشعر تَقْصُرُ حتّى تكونَ بَيْتَيْنِ اثْنَيْنِ أو تطولُ حتّى تَبْلُغَ سِتّةً وتِسْعين بيتاً . وقدِ اتّخَذَ هذا الديوانُ اسْمَهُ مِنَ الْتِزامِ حَرْفَيْ رَوِيٍّ في القافية : على الشاعرِ أن يلتزم في قوافي كلّ قصيدةٍ حرفَ رويٍّ واحداً مثلِ الباء في قصيدةِ مِهْيارِ الدَيْلمي التي يقولُ فيها :

قد قَبَسْتُ المجـدَ من خيرِ أبٍ   وقبستُ الدينَ من خيرِ نَبي ؛
وضَمَمْتُ الفخرَ من أطرافهِ :   سُؤددَ الفُرْسِ ودِيـنَ العَرَب !

غيرَ أن المعرّي التزم في قوافي القصائد في هذا الديوانِ أكثَرَ من حَرْفِ رَوِيٍّ واحدٍ ، فقدِ الْتَزَمَ مثلاً اللام والسينَ في المقطوعة التالية :

أهْوى الحياةَ ، وحَسْبي من مَصائِبها   أني أعيشُ بتَمْويهٍ وتَدْليسِ .
نطالبُ الدهرَ بالأحرارِ ، وهو لَنـا   مُبينُ عُذْرَينِ : إفلاسٍ وتفليسِ .
فاكْتُمْ حَديثَك لا يَشْعُرْ بهِ أحدٌ   من رَهْطِ جِبْريلَ أو من رَهْطِ إبليس !

وأغراضُ اللزوميّاتِ كلّها في الحِكمة وفي النَقْدِ الاجتماعي ، وفي اسْتِعْراض آراء رجال الفلسفة والدين واستعراض أحوالِ العلماء والحُكّام وتِبْيان ما فيها من تضارُبٍ وجَهْلٍ وبُعْد عمّا يقتضيه العقلُ والخيرُ . غير أن نفراً من المتأدّبينَ زَعَموا أن في لزومياتِ المعرّيّ تناقضاً في الرأي ، ولكنّهم واهمون . ان ما يبدو لهؤلاء تناقضاً إنّما يعودُ الى أمرين : إلى أنّ المعرّي يستعرض آراء رجال الفكر والدين والسياسة ليبيّن ما فيها من تضارب ؛ فهذا القسم من التناقض ليس من المعرّي ، بل من الـذين استعرض المعرّي آراءهم . ثم هنالك الآراء المختلفة التي هي للمعرّي على الحَصْر ؛ انّ هذه الآراء قد اخْتَلَفَتْ في أثناء تطوّر الجانبِ الفكري عند المعرّي ، فقد كان المعرّي

= الخمر أو قول الغزل – أو ببعض ما قالوا ، صائرون الى جهنم (راجع معجم الادباء ١٥ : ٨٣–٨٨ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٨٤) .

يَعْتَقِدُ أشياءَ ثم بدّل رأيه في هذه الاشياء[1] .

وكُتُبُ المعرّي مملوءةٌ بالآراء المختلفةِ في ثقافةِ عصرِه . انه ينظر الى الدين على أنه إيمان وشَريعة . أما الإيمان فهو واحدٌ لجميع الناس ولكن لا يَعْرِفه الا المفكّرون ، وقليلٌ ما هم . وأما الشرائع فهي مختلفاتٌ وهي التي خلَقَتِ النزاعَ بين البشر . ان المعري وطيدُ الإيمانِ باللهِ الواحدِ الخالقِ القادرِ ، وقلّ ما آمنَ بشيءٍ بعدَ ذلك . وهو متشائم في رأيه الاجتماعي يرى أن الطبيعةَ البشرية فاسدةٌ في أصلها . غير أنه يؤمن بالقيمةِ الذاتية للأخلاقِ وبما يمكن أن تَفْعَلَهُ الاخلاقُ من الإصلاح (وهذا مخالفٌ لرأيه في الطبيعةِ البشرية وفي فساد المجتمع) . انه يرى أن الإنسان يجب أن يفعل الخيرَ لأنه خيرٌ من غير أن ينتظر مكافأة عليه ، ومعَ ذلك فإن عمل الخير لا يضيعُ عند اللهِ وعندَ الناسِ أيضاً .

والمعرّي من أتباع المذهبِ الشاميّ يُكْثِرُ من تصريفِ أوجهِ البلاغة في شعرِه ونثرِه. إنّه حَسَنُ التشابيهِ والاِسْتعاراتِ برُغْمِ عَمَاهُ الذي أصابه في الثالثةِ من عُمُرِه ؛ إنّه يَصِفُ البَرْقَ في الليلِ فيقولُ :

إذا ما هـاجَ أحْمَرَ مُسْتَطيـلاً   حَسِبْتَ الليلَ زَنْجِياً جَرِيحا !

ثم هو كثيرُ التكلّفِ للصناعةِ اللفظية في شعرِه ونثرِه ، إلاّ أنه مُجيدٌ فيها مُحْسِنٌ كقولهِ مثلاً (في اللزوميّات) : يا قوتُ ما أنت ياقوتٌ ولا ذَهَبٌ ؛ أيا ديكُ عُدِّتْ من أياديكَ صيحةٌ .... ولزومُ ما لا يلزم وجه من أوجه ذلك التكلّف .

٣ — مختارات من آثـاره

— قال أبو العلاء المعرّي يفتخر بنفسه :

ألا في سبيلِ المجد ما أنـا فاعلُ :   عَفافٌ وإقدام وحـزم ونائلُ ![2]
أعِندي ، وقد مارستُ كل خَفِيَّةٍ ،   يُصَدّقُ واشٍ أو يُخَيّبُ سائل ؟

(١) التناقض أن يعتقد الانسان رأيين مختلفين في وقت واحد ، أو أن يعتقد أمراً ثم يتركه ثم يعود اليه . والمعري لم يفعل شيئاً من ذلك (راجع « حكيم المعرة » للمؤلف ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ، ص ٥١ ؛ راجع أيضاً « في حكيم المعرة » محاولة ترتيب اللزوميات ترتيباً تاريخياً ، ٤٣ — ٥١) .
(٢) النائل : العطاء .

تُعَدّ ذُنــوبي عند قوم كثيرةٌ ؛ ولا ذنبَ لي الا العُلا والفَواضل[1] .
وقد سارَ ذِكري في البلاد ، فمَنْ لهم بإخفاء شمسٍ ضوءُها مُتكامل .
وإني ــ وإن كنتُ الأخيرَ زمانُــه ــ لَآتٍ بمـا لم تَستطِعْه الأوائـل !
ولمّا رأيتُ الجهلَ في الناس فاشيــاً تجاهلتُ حتّى ظُنّ أنّيَ جاهـل .
فواعجبًا ! كم يدّعي الفضـلَ ناقصٌ ، ووا أسفا ! كم يُظْهِرُ النقصَ فاضل .
إذا وصَفَ الطائيَّ بالبخل مـادِرٌ ، وعيّرَ قَسّــاً بالفَهاهة باقل[2] ؛
وقال السُهى للشمس : « أنتِ خفيّةٌ » ؛ وقال الدُجى : «يا صبحُ ، لونُك حائل» !
فيا موتُ ، زُرْ ؛ إن الحياةَ ذميمةٌ ؛ ويا نفسُ ، جِدّي ؛ إنّ دَهْرَك هازل[3] .

ــ وقال في الإيثار المُطْلَق :

ولو أنــي حُبيتُ الخُلْدَ فَــرْداً لَما أحْبَبْتُ بالخُلد انفــرادا .
فلا هَطَلَتْ عليّ ولا بأرضي سَحائبُ ليس تنتظمُ البلادا !
ولكنّ الشبــابَ إذا تــولّى فجهلٌ أن تَرومَ له ارتدادا .

ــ وقال يَرْثي فقيهاً حنَفيّاً :

غيرُ مُجْدٍ ، في مِلّتي واعتقــادي ، نَوْحُ باكٍ ولا تَـرَنُّمُ شادي[4] .
وشَبيهٌ صوتُ النَعِيِّ إذا قِيـ سَ بصوتِ البشير في كل نــاد[5] .
صاحِ ، هذي قُبُورُنا تملأُ الرَحْــ بَ ؛ فأينَ القبورُ من عهد عاد ؟[6]

---

(١) الفواضل جمع فاضلة : الدرجة الرفيعة في الفضل .

(٢) مادر رجل لئيم سقى ابلا له من حوض ماء ، فبقي شيء من الماء في الحوض فسلح (تغوط) فيه لئلا ينتفع به غيره . الطائي : حاتم الطائي المشهور بالكرم . قس : قس بن ساعدة الايادي الخطيب الفصيح المفوه . باقل : رجل يضرب به المثل في العي (بكسر العين : العجز عن الابانة باللسان) . اشترى باقل ظبياً بأحد عشر درهماً وحمله فرآه رجل وسأله عن ثمن الظبي فنشر باقل أصابع كفيه ومد لسانه (اشارة الى ثمنه) فهرب منه الظبي . الفهاهة : العي .

(٣) السهى : نجم بعيد لايكاد يرى . حائل : متغير ، مائل الى الغبرة .

(٤) مجد : نافع ، مفيد . ملتي : شريعتي ، ديني (عادتي) . ناح الرجل : بكى واستبكى غيره . الترنم : تحسين الصوت (في الغناء) . شاد (الشادي) : مغن (المغني) .

(٥) النعي : الذي يحمل النعي (بفتح النون وسكون العين : خبر الموت) . البشير : الذي يحمل الخبر السار . النادي : مكان اجتماع الناس .

(٦) صاح = صاحب (بكسر الباء = يا صاحب ، يا صاحبي) ثم رخمت (حذفت الباء منها) . الرحب جمع رحبة (بفتح الحاء أو بسكونها) : المكان الواسع . من عهد عاد (من عهد بني عاد : منذ زمن قديم جداً) .

خَفِّفِ الوطءَ ، ما أظُنّ أديمَ الـ ... أرض إلاّ من هذه الأجساد .[1]

سِرْ – إنِ اسْطَعْتَ – في الهواء رُويداً ، ... لا اختيالاً على رُفاتِ العِباد[2] .

رُبَّ لَحْدٍ قد صار لحداً مِراراً ... ضاحكٍ من تزاحمِ الأضداد[3] ؛

ودفينٍ على بقايا دَفينٍ ... في طويلِ الأزمان والآباد !

تَعَبٌ كلُّها الحياةُ ، فما أعْـ ... ـجَبُ إلاّ من راغبٍ في ازدياد .

إنّ حُزناً في ساعةِ الموتِ أضعا ... فُ سُرورٍ في ساعة الميلاد .

ضَجْعةُ الموتِ رقدةٌ يَسْتريحُ الـ ... ـجِسْمُ فيها ، والعيش مثلُ السُّهاد .

قصد الدهرُ من أبي حَمْزَةَ الأوّ ... ابِ مَولَى حِجىً وخِدْنَ اقتِصاد[4] ،

وفقيهاً أفكارُه شِدْنَ للنُّعـ ... ـمان ما لم يَشِدْهُ شِعرُ زياد ....[5]

فالعِراقيّ بَعْدَهُ للحِجازيْـ ... ـيِ قليلُ الخِلافِ سَهْلُ القياد[6] .

أنْفَقَ العُمْرَ ناسكاً يطلُبُ الـ ... ـعلمَ بكَشْفٍ عن أصلِه وانتقاد ؛

ذا بَنانٍ لا تَلْمِسُ الذهَبَ الأحـ ... ـمرَ زُهْداً في العَسْجد المُسْتفاد[7] .

ودِّعا ، أيُّها الحَفِيّانِ ، ذاك الشخْـ ... ـصَ ؛ إنّ الوَداعَ أيْسرُ زاد[8] ؛

---

(١) أديم الارض : جلدها ، ظاهرها (التراب الذي عليها) . من هذه الأجساد : من أجساد الذين ماتوا منا فانحلت أجسامهم فأصبحت فتاتاً يشبه التراب .

(٢) اختيالا ، زهواً وتكبراً . الرفات : الحطام بضم الحاء : ما اندق وتكسر من بقايا الاشياء .

(٣) قد صار لحداً (قبراً) مراراً : دفن فيه أشخاص كثيرون . ضاحك يجوز فيها الرفع (خبر) ، والجر (نعت لحد – تابعة للفظه ، لأن « لحد » مجرورة برب لفظاً مرفوعة محلا على أنها مبتدأ) . والجر أفضل . ويجوز النصب (حال) . تزاحم الأضداد : دفن أشخاص مختلفي الأعمار والأحوال والأقدار في قبر واحد .

(٤) أبو حمزة : الفقيه الحنفي الذي يرثيه المعري . الأواب : الراجع الى الله (المستغفر من كل ذنب) . مولى (سيد) حجى (عقل) : يسلك بحسب ما يقضي العقل . خدن (صاحب ، صديق) اقتصاد (اعتدال) : غير متطرف في شيء .

(٥) شدن (بنين) للنعمان (لابي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي) . ما لم يشده شعر زياد (النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر) – إن أبا حمزة نفع (شهر ، نشر ، خدم) الدين بتقواه أكثر مما خدم النابغة الذبياني بشعره النعمان بن المنذر (المقابلة صناعة لفظية فقط في الربط بين أبي حنيفة النعمان وبين النعمان بن المنذر) .

(٦) العراقي : أبو حنيفة صاحب المذهب الحنفي القائم على القياس العقلي واستقراء أحوال المجتمع . الحجازي : مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي القائم على التقيد بما جاء في السنة (بما روي من أعمال رسول الله وأعمال الصحابة) .

(٧) البنان : رؤوس الاصابع (.الاصابع ، اليد) .. العسجد : الذهب . – ان زهده في معدن (بكسر الدال) الذهب (في المال) تحمله على ألا يمس بيده الذهب (مح البيضة) الاحمر لشبهه بمعدن الذهب .

(٨) الحفي : المكرم المبالغ في الإكرام . الوداع والتوديع : أن تحضر بدء الانسان بالسفر وتتمنى له حسن الحال في المكان الذي سيذهب اليه . الزاد : المؤونة التي تعطى للمسافر (من طعام ومال ، الخ) . أيسر : أخف ، أقل .

واغسِلاهُ بالدَّمْعِ إنْ كان طُهْراً ، وادفِناه بَيْنَ الحَشا والفؤاد ؛
وَاحْبُوَاهُ الأكفانَ من وَرَقِ المُصْـ حَفِ كِبْراً عن أنْفَسِ الأبراد[1] ؛
واتْلُوَا النَعْشَ بالقِراءةِ والتَسْـ بيحِ لا بالنَحيبِ والتَعداد[2] .
طالَما أخْرجَ الحزينَ جَوى الحُزْ نِ إلى غيرِ لائق بالسَّداد[3] .
قَدْ أقرّ الطبيبُ عنك بعَجزٍ ، وتقضّى تَرَدُّدُ العُوّاد[4] .
وانتهى اليأسُ منك ، واسْتَشْعَرَ الوَجْـ دُ بأنْ لا مَعادَ حتى المَعاد[5]
هَجَدَ الساهرون حولَكَ للتَمْـ ريضِ؛ ويحٌ لأعيُنِ الهُجّاد[6]

. . . .

كُلّ بيتٍ للهَدْمِ : ما تَبْتَني الوَرْ قاءُ والسيّدُ الرفيعُ العِماد[7] .
بانَ أمرُ الالَهِ ، واخْتَلَفَ النا سُ ؛ فداعٍ إلى ضَلالٍ وهاد .
والذي حارتِ البَريّةُ فيه حَيَوانٌ مُسْتَحْدَثٌ من جَماد .
واللبيبُ اللبيبُ من ليس يَغْتَـ ـرُّ بكَوْنٍ مصيرُه للفَساد !

— من اللزوميّات :

قالوا : فُلانٌ جيّدٌ لصديقِه . لا يَكْذبوا ؛ ما في البَريَّة جيّدُ .
فأميرُهم نال الإمارةَ بالخَنا ، وتَقيّهم بصَلاتِه مُتَصَيِّد .
كُنْ من تشاءُ : مُهَجّناً أو خالِصاً ، فإذا رُزِقْتَ غِنىً فأنتَ السيّد !

---

(١) احبواه : اعطياه ، اجعلا له . المصحف : الكتاب الذي دونت فيه نسخة من القرآن الكريم . كبرا : رفعة ، تنزيهاً له . أنفس : أثمن ، أحسن . الابراد جمع برد (بضم الباء) : الثوب من الحرير (إن الاكفان المصنوعة من النسيج الحرير لا تني بقدر أبي حمزة الفقيه) .

(٢) واتلوا نعشه : اتبعا (اتبعوا) نعشه ، سيروا وراء نعشه ... بقراءة القرآن وبالتسبيح (ذكر الله) لابالنحيب (رفع الصوت بالبكاء) والتعداد (للصفات الحميدة التي كانت له في الحياة) .

(٣) جوى الحزن (فاعل « أخرج ») : شدة الحزن . السداد : الصواب .

(٤) .... بعجز عن شفائك ؛ وبطلت زيارة العواد (العائد الذي يزور المريض) ، لأنك مت .

(٥) انتهى اليأس منك : في مرض موتك كان الناس يائسين من شفائك وارتداد الموت عنك ، وكان ذلك اليأس يعذبهم . أما الآن فقد هدأوا واطمأنوا أن لا معاد (لقياً واجتماع) الى المعاد (يوم القيامة) .

(٦) هجد : نام . الساهرون حولك للتمريض : الطبيب والممرضون ناموا في الوقت الذي كان يجب أن يكونوا فيه ساهرين للعناية بك ، لأنهم لا يشعرون نحوك بما نشعر به نحن الذين نعرف فضلك وحسن صحبتك .

(٧) الورقاء : الحمامة .

ـ أولو الفَضْلِ في أوْطانِهم غُـربَاءُ ۞ تَشُذُّ وتَنـأى عنهُمُ القُرَبـاء .
فما سَبأوا الراحَ الكُميتَ لِلَذّةٍ ، ۞ ولا كـان منهم للخِرادِ سِباء[1] .
وحَسْبُ الفَتَي من ذِلّةِ العيشِ أنه ۞ يَروحُ بأدنى القوتِ وهو حِباء[2] .
إذا ما خَبَتْ نـارُ الشبيبةِ ساءني ، ۞ ولو نُصَّ لي بين النجوم خِبـاء .
وما بَعْدَ مرِّ الخَمْسَ عَشْرَةَ من صِباً ، ۞ ولا بعدَ مـرِّ الأربعين صِباء[3] .
تواصلَ حبلُ النسلِ مـا بين آدمٍ ۞ وبَيْني ، ولم يُوصَلْ بلامِيَ باء[4] .
تثاءبَ عمـرٌو إذ تثـاءبَ خالدٌ ۞ بعَدْوَى ، فما أعْدَتْنِيَ الثُوَباء[5] .
وزهّدَني في الخَلْقِ مَعْرِفتي بهـم ۞ وعِلْمي بأنّ العالمين هَبـاء !
على الوُلْدِ يَجْني والدٌ ، ولَوَ انَّهُمْ ۞ وُلاةٌ على أمْصارِهم خُطَبـاء .
وزادَك بُعْداً من بَنيكَ وزادَهُمْ ۞ عليك حُقوداً أنهم نُجَبـاء !

ـ من رِسالة الغُفْران : لغةُ آدمَ وقولُه الشِعْرَ :

(بعدَ أن يطوفَ ابنُ القارح في النار يسألُ نفراً من الشعراء عن أقوالٍ لَهُمُ اخْتَلَفَ الرُواةُ فيها يَمَلَ منهم فيعود الى الجَنة) .

فإذا رأى قِلّةَ الفوائدِ لَدَيْهم تَرَكهم في الشقاء السَرْمَد[6] وعَمَدَ لمحلّه في الجِنانِ ، فيَلْقى آدَم عليهِ السلامُ في الطريقِ فيقول : يا أبانا ـ صلى اللهُ عليك ـ قد رُوِيَ لنا عنك شِعرٌ منه قولُك :

نحنُ بنـو الأرضِ وسُكّانُها ، ۞ منها خُلِقْنا وإليهـا نَعودْ .
والسعدُ لا يبقـى لأصحابه ، ۞ والنحس تمحوه ليـالي السُعود .

فيقولُ (آدمُ) : إنْ هذا القولَ حقّ ، وما نَطَقَهُ إلاّ بعضُ الحكماء . ولكنّي لم أسمعْ به حتى الساعةِ .

---

(١) سبأ الراح : اشترى الخمر . الخراد جمع خريدة : المرأة الجميلة . السباء : الأسر في الحروب للاستحلال.

(٢) يروح بأدنى القوت : يكفيه مقدار قليل جداً من القوت حتى يعيش . وهو حباء : ومع ذلك فهذا القدر القليل ممتنع عليه (راجع القاموس ٤ : ٣١٥ ، السطر ٤) .

(٣) بعد الخمس عشرة لا يبقى الانسان شاباً ، وبعد الاربعين لا يجوز له العشق .

(٤) لم يوجد منذ آدم الى يومي هذا انسان ذو « لب » (عقل) .

(٥) الناس يقلد بعضهم بعضاً في الزواج (كما ينتقل التثاؤب بالعدوى) ، أما أنا فلم تنتقل الي تلك العدوى (لم أتزوج) .

(٦) الدائم .

فيقول (ابن القارح) ـ وفّر اللهُ قِسْمَهُ من الثّواب ـ : فلعلّكَ، يا أبانا، قُلْتَه ثم أُنْسيتَهُ ، فقد علمْتَ أنّ النِسيانَ مُتَسَرّع اليك . وحَسْبُكَ شهيداً على ذلك الآيةُ المَتْلُوّةُ في فُرْقانِ محمد صلى الله عليه : « ولقد عَهِدْنا الى آدمَ فَنَسِيَ ، ولم نَجِدْ له عزماً » . وقد زَعَم بعض العلماء أنك إنما سُمّيت إنساناً لنِسْيانك ، واحْتَجّ على ذلك بقولِهم في التصغير: أُنَيْسان ، وفي الجمع : أناسِيّ . وقد رُوِيَ أنّ الإنسانَ من النِسيان عن ابنِ عبّاسٍ . وقال الطائيّ[1] :

لا تَنْسَيَنْ تلك العُهودَ ، فإنما سُمّيتَ إنساناً لأنك ناسِ .

وقرأ بعضهم : « ثم أفيضوا من حيثُ أفاض الناسِ »[2] ، بكسر السين ، يريد : الناسي ، فحذف الياء كما حُذِفت في قوله : « سواء العاكفُ فيه والبادِ »[3] . فأما البَصْريون فيعتقدون أن الإنسان من الأُنس، وأنّ قولَهم في التصغير « أُنيسان » شاذّة ، وقولُهم في الجمع : « أناسيّ » أصله « أناسين » ، فأُبْدِلَتِ الياء من النون . والقولُ الأول أحْسن .

فيقول آدم ـ صلى الله عليه ـ : أبَيْتُم إلاّ عقُوقاً وأذيّةً . إنما كُنْتُ أتكلّم بالعربية وأنا في الجنة ، فلمّا هبَطْتُ إلى الأرض نُقِلَ لِساني الى السُريانية ، فلمْ أنْطِقْ بغيرها إلى أن هلَكْتُ . فلما ردّني اللهُ ـ سبحانَه وتعالى ـ الى الجنة عادت إليّ العربية . فأيَّ حينٍ نظمتُ هذا الشعرَ : في العاجلةِ أمْ الآجلة ؟[4] والذي قال ذلك يَجِبُ أنْ يكونَ قاله وهو في الدارِ الماكرة[5] ، ألا ترى قوله « منها خُلِقْنا وإليها نعود » ؟ فكيف أقولُ هذا المقالَ ولِساني سُريانيّ ؟ وأما الجنةُ قبل أنْ أخرج منها فلم أكن أدْري بالموت فيها ، وأنه مما حُكِمَ على العباد وصُيّر كأطواق حَمام[5] ،

---

(١) أبو تمام .

(٢) سورة البقرة (٢ : ١٩٩) . ـ الخطاب في هذه الآية الكريمة موجه الى قريش وكنانة ، وكانت هاتان القبيلتان تذهبان مذهب الحمية وتعدان نفسها فوق سائر العرب ، فكان القرشيون والكنانيون لا يشاركون الناس في المصير الى سهل عرفات ، بل يبقون في مزدلفة . فقال لهم الله « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » (بضم السين) .

(٣) سورة الحج (٢٢ : ٢٥) . ـ المعنى : أن البيت الحرام (في مكة) مكان أمن وسلام لجميع الناس : للعاكف (الساكن المستقر) في مكة ، وللباد : البادي ، الساكن في البادية (الذي يأتي احياناً لزيارة البيت الحرام) .

(٤) و (٥) العاجلة والماكرة : الدنيا . الآجلة : الآخرة .

(٥) طوق الحمامة : ريش ملون حول عنق الحمامة يشبه العقد للمرأة . صير كأطواق حمام : لازماً ، لا يتبدل ولا يتغير (كتب الموت على جميع الناس) .

وما رُعِيَ لِأَحدٍ من ذمام. وأما بَعْدَ رُجوعي اليها فلا معنىً لقولي: «وإليهـا نعود»، لأنه كَذِبٌ لا مَحالة. ونحن معاشرَ أهلِ الجنة خالدون مُخَلَّدون[1].

فيقولُ (ابن القارح) -قُضِيَ له بالسعدِ المُؤرَّب[2]- : إنَّ بعض أهل السِيَرِ يزْعُمُ أن هذا الشعر وَجَدَهُ يَعْرُبُ في متقدَّم الصُحُفِ السريانية فنقله إلى لِسانه. وهذا لا يمتنع أن يكونَ.

فيقول آدم -صلى الله عليه-: أعزِزْ عليَّ بكم مَعْشَرَ أُبَيْنَيَّ[3]. إنكم في الضلالَ مُتَهَوَّكون[4]! آليت[5] ما نَطَقْتُ هذا النظيمَ، ولا نُطِقَ في عَصْري. وإنما نطقة بعضُ الفارغين[6]. فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله. كَذَبْتم على خالِقكم وربكم، ثم على آدمَ أبيكم، ثم على حَوّاءَ أمّكم؛ وكَذَبَ بَعْضُكم على بعضٍ، ومآلكم في ذلك إلى الأرض.

- من رسالة الغفران: ابن الروميّ:

وأما ابنُ الرومي فَهُوَ أحدُ من يُقال (فيه): إن أدَبه كان أكثرَ من عقله، وكان يتعاطى علمَ الفلسفة. واسْتعار من أبي بكرِ بنِ السرّاج كتاباً فتقاضاه به أبو بكر، فقال: لو كان المشتري حَدَثاً لكان عَجولاً!

والبَغْداديون يَدّعون أنهُ مُتَشيّع، ويستشهدون على ذلك بقصيدته الجيمية[7]. وما أراه إلاّ على مذهب غيرِه من الشعراء[8].

وكان ابن الرومي مَعْروفاً بالتطيّر.

---

(١) مخلد: لا يشيب.

(٢) المؤرب: الموثق، المحكم، الثابت.

(٣) تصغير أبناء.

(٤) متهوكون: حائرون، مضطربون.

(٥) أقسمت.

(٦) الفارغ: الذي له وقت فراغ كبير، الذي لا عمل له.

(٧) أمامك، فانظر أي نهجيك تنهج؛ طريقان شتى: مستقيم أعوج.
وابن الرومي يأسى في هذه القصيدة لمصائب آل البيت ويعرض ببني العباس.

(٨) رسالة الغفران ٤٦٨ - ٤٦٩. هنالك نفر من الشعراء ليسوا من الشيعة ولكنهم كانوا يبدون عاطفة شيعية، من هؤلاء ديك الجن الحمصي وابو تمام وابن الرومي ثم شوقي في العصر الحاضر، وغيرهم.

– « مجموع رسائل » : رسالة الملائكة (تحقيق محمّد سليم الجندي) – رسالة الهناء (تحقيق كامل كيلاني) – رسائل أبي العلاء مع داعي الدعاة (تحقيق محبّ الدين الخطيب) – رسائل متفرّقة (تحقيق محمّد يوسف المدرك) ، بيروت (المكتب التجاري) ١٩٦٧ م .

« مجموع رسائل » : ملقى السبيل – بين المعرّي وداعي الدعاة – رسالة الملائكة – رسالة الشياطين – رسالة الأخرسين – رسالة المنيح – رسالة الإغريض (ملحقة برسالة الغفران ، نشرها كامل كيلاني – انظر تحت) .

رسائل أبي العلاء المعرّي وشعره (نشرها أفاضل من الأدباء) ، مصر (حسن حسنين) بلا تاريخ .

رسائل أبي العلاء المعرّيّ (نشرها شاهين عطيّة وأحمد عبّاس) ، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٩٤ م ؛ (نشرها مرغوليوث) ، أوكسفورد (مطبعة كلارندون) ١٨٩٨ م .

بين أبي العلاء وداعي الدعاة الفاطميّين : خمس رسائل بين المعرّي وأبي نصر بن أبي عمران داعي الدعاة الفاطميين (نشرها محبّ الدين الخطيب) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٩ هـ (١٩٢٩ م) .

رسالة في تعزية أبي عليّ بن أبي الرجال في ولده أبي الأزهر (نشرها احسان عبّاس) ، مصر (دار الفكر العربي) بعد ١٩٥٠ م .

رسالة الملائكة (نشرها محمّد سليم الجنديّ) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٩٤٤ م .

رسالة الهناء (نشرها كامل كيلاني) ، القاهرة (دار الكتب الأهلية) ١٩٤٤ م .

ملقى السبيل : رسالة في الوعظ والحكم (نشرها حسن حسني عبد الوهّاب) ، دمشق (مطبعة المقتبس) ١٣٢٩ هـ (١٩٠٩ م) .

الفصول والغايات (نشرها محمود حسن زناتي) ، القاهرة (مطبعة حجازي) ١٣٥٦ هـ (١٩٣٨ م) .

رسالة الغفران (نشرها ابراهيم اليازجي وأحد علماء الأزهر) ، مصر (مكتبة أمين هندية) ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م ؛ (نشرها كامل كيلاني) الطبعة الثالثة ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٢ م ؛ (نشرتها بنت الشاطئ) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٠ ثمّ ١٩٥٤ ، (ومعها رسالة ابن القارح) ١٩٦٣ م ؛ (تجديد خليل هنداوي) ، بيروت (دار الآداب) ١٩٦٥ م .

سقط الزند بيروت ١٨٨٤ م ؛ القاهرة ١٣٠٤ ، ١٣١٩ هـ ؛ بيروت (دار بيروت) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م ؛ (الدار القومية للطباعة) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م .

لزوم ما لا يلزم ، بومباى (المطبعة الحسينية) ١٣٠٣ هـ ؛ (نشرها كامل كيلاني) ، القاهرة (محمود توفيق) ١٩٢٤ م ؛ (بتحقيق ابراهيم الأعرابي) ، بيروت (دار صادر) بلا تاريخ ؛ اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم (أشرف على اختياره عمر أبو النصر) ، بيروت (مكتب عمر أبي النصر للتأليف والترجمة والصحافة) ١٩٦٩ م .

رسالة الأخرسين (نشرها كامل كيلاني) ، مصر (دار المعارف) ١٩٤٢ م .

ديوان أبي العلاء المعرّي .... أو منتخبات اللزوميّات (لخالد خطّاب) ، الاسكندرية (خطّاب)
بلا تاريخ .
عبث الوليد في الكلام على شعر أبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري الطائي (صحّح ألفاظه محمّد عبد الله المدني) ، الطبعة الثانية (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٧٠ م .
ديوان ابن أبي حصينة (بشرح المعرّي)(حقّقه محمّد أسعد طلس) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٧٥ — ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ — ١٩٥٧ م .
آثار أبي العلاء المعرّيّ (شروح على ديوانه سقط الزند) : للتبريزي — للبطليوسي — لأبي الفضل محمّد الخوارزمي (باشراف طه حسين — تحقيق مصطفى السقّا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام هارون) ، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م) ؛ نسخة بالتصوير (أصدرته وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية المتّحدة)، القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤ م .
رسالة الغفران (ايجاز وشرح كامل كيلاني) ، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٢٣ م .
ضوء السقط ، مطبوع مع «سقط الزند» (باعتناء شاكر شقير) ، بيروت ١٨٨٤ م ؛ القاهرة (مطبعة هندية) ، ١٣١٩ هـ = ١٩٠٩ م .
** شرح التنوير على سقط الزند لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخوبي ، القاهرة (مطبعة المعارف العلمية) ١٩٢٤ م ؛ (المطبعة التجارية الكبرى) ١٣٥٨ هـ .
عرف الندّ في شرح سقط الزند لعبد القادر الجنباز (مطبوع مع «شرح التنوير») .
شرح سقط الزند (لجنة احياء آثار أبي العلاء المعرّي) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٤٥ — ١٩٤٨ م .
شرح لزوم ما لا يلزم (لطه حسين وابراهيم الابياري) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٤ م .
تاريخ معرّة النعمان ، تأليف محمّد سليم الجندي (حقّقه عمر رضا كحّالة) (أصدرته وزارة الثقافة والارشاد القومي — مديرية التأليف والترجمة في الجمهورية العربية السورية) ؛ دمشق (مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٣٨٢—١٣٨٤ هـ = ١٩٦٣ — ١٩٦٥ م
الجامع في أخبار أبي العلاء المعرّي وآثاره ، تأليف محمّد سليم الجندي (علّق عليه وأشرف على طبعه عبد الهادي هاشم) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٣٨٢ — ١٣٨٤ (١٩٦٢ — ١٩٦٤ م) .
تعريف القدماء بأخبار أبي العلاء (جمعه ونشره طه حسين وغيره) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٤٤ م .
أوج التحرّي عن حيثيّة المعرّيّ ، تأليف يوسف البديعي (نشره ابراهيم الكيلاني) ، دمشق (المعهد الفرنسي) ١٩٤٤ م .
الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجرّي عن أبي العلاء المعرّي ، تأليف ابن العديم (مطبوع في «تعريف القدماء بأبي العلاء») ؛ ثمّ (في أعلام النبلاء للطبّاخ ٤ : ٧٨ وما بعدها) .

معارضة ابن الأبّار لكتاب « ملقى السبيل » (نشرها صلاح الدين المنجّد) ، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٣ م (مطبوع مع فتوى في القيام والألقاب لابن تيميّة) .

كتب في المعري عامة :

٣٥٠ مصدراً لدراسة أبي العلاء ، تأليف يوسف أسعد داغر ، بيروت ١٩٤٤ م .
المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرّي (المجمع العلمي العربي بدمشق) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) .
أبو العلاء المعري : نسبه وأخباره وشعره ومعتقده ، تأليف أحمد تيمور ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٠ م .
أبو العلاء وما اليه ، تأليف عبد العزيز الميمني ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) .
حياة المعرّي رضيّ الدين ، أورنبرغ ١٩٠٨ م .
أبو العلاء : آراؤه في لزومياته ، تأليف كمال يازجي ، الطبعة الأولى ، بيروت (لجنة التأليف المدرسي) ١٩٦٤ م .
حكيم المعرّة ، تأليف الدكتور عمر فرّوخ ، بيروت (مكتبة الكشّاف) ١٢٦٣ هـ (١٩٤٤ م) ثم ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) — أبو العلاء المعرّي ، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م .
أبو العلاء المعرّي الشاعر الحكيم (راجع حكيم المعرّة) .
عقيدة أبي العلاء ، تأليف فتوح حسين ، القاهرة (مكتبة هندية) ١٩١٠ م .
فلسفة أبي العلاء مستقاة من شعره ، تأليف حامد عبد القادر ، القاهرة (لجنة البيان) ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) .
آراء أبي العلاء المعرّي ، تأليف معروف الرصافي ، (نشره عبد الحميد الرشودي) ، بغداد (دار المعارف) ١٩٥٥ م .
أبو العلاء المعرّي ، تأليف بنت الشاطئ (في سلسلة أعلام العرب ، رقم ٣٨) ، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر) ١٩٦٥ م .
الشعراء الثلاثة : أبو الطيّب المتنبّي ، أبو العلاء المعرّي ، الشريف الرضيّ ، تأليف نور الدين يوسف نرر الدين ، بيروت (مطبعة الانصاف) ١٩٥٦ م .

كتب في جوانب مخصوصة :

الغفران لأبي العلاء المعرّي : تحقيق ودرس ، تأليف بنت الشاطئ ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٤ م .
أبو العلاء في بغداد ، تأليف طه الراوي ، بغداد (مطبعة التفيّض) ١٩٤٤ م .
دار السلام في حياة أبي العلاء ، تأليف عائشة عبد الرحمن ، بغداد (وزارة الارشاد) ١٩٦٤ م .
الرحلة الدانتية في الممالك الالهية ، تأليف عبود ابي راشد ، طرابلس الغرب ١٩٢٩ م .

مناهل الشكران في دعوات رسالة الغفران ، تأليف محمّد صفة ، الاستانة (مطبعة العدل) ١٣٢٠ ﻫ (١٩٠٢ م) .
فردوس المعرّي ، تأليف معروف الأرناؤوط ، دمشق ١٣٣٣ ﻫ (١٩١٥ م) ؛ بيروت (المكتبة العصرية) ١٩١٥ م .
دانتي أليغييري ، تأليف فوزي طه (الاعتماد) ١٩٢٩ م .
على هامش الغفران ، تأليف كامل كيلانيّ ، مصر (مطبعة المعارف ومكتبتها) ١٩٢٤ م .
النقد واللغة في رسالة الغفران ، تأليف أمجد الطرابلسي ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٩٥١م.
عبقريّة الخيال في رسالة الغفران ، تأليف عمر أنيس الطبّاع ، بيروت (دار النشر للجامعيّين) ١٩٥٣ م .
فلسفة الشكّ واللاأدرية لدى المعرّي والخيّام ، تأليف حامد عبد القادر ، القاهرة (جامعة القاهرة — كليّة الآداب) ١٩٦٨ م .
أبو العلاء المعرّي في لزوميّاته ، تأليف الأبّ يوحنّا قمير ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) الطبعة الثانية ١٩٥٢ ، ١٩٥٥ م .

كتب يغلب عليها الاسلوب الشخصي :

ذكرى أبي العلاء لطه حسين ، القاهرة (عبد الحميد حمدي) ١٩١٥ م ؛ = تجديد ذكرى أبي العلاء ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٣٧ م .
مع أبي العلاء في سجنه ، له ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٣٩ م الخ .
صوت أبي العلاء ، له ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٤ م .
حديقة أبي العلاء ، تأليف كامل كيلاني ، القاهرة ١٣٦٣ ﻫ (١٩٤٤ م) .
رجعة أبي العلاء ، لعبّاس محمود العقّاد ، القاهرة (حجازي) ١٩٣٩ م ؛ ١٩٤٢ م .
على باب سجن أبي العلاء ، لمعروف عبد الغني الرصافي ، بغداد (الرشيد) ١٩٤٦ م.
أبو العلاء المعرّي في بغداد ، لطه الراوي ، بغداد (مطبعة التفيّض) ١٣٦٣ ﻫ (١٩٤٤ م) .
الحياة الانسانية عند أبي العلاء ، لبنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٤ م .
المعرّيّ ذلك المجهول ، لعبد الله العلايلي ، بيروت ١٩٤٤ م .
لغز أبي العلاء ، لمحمّد يحيى الهاشمي ، حلب ١٩٤٤ م .
أبو العلاء المعرّيّ فيلسوف الشعراء ، لحنّا الفاخوري ، حريصاً بلبنان ١٩٤٤ م .
في تلك الأيام عاش المعري ، لعبيد الرحمن جبيري ، حلب ١٩٤٥ م.
زوبعة الدهور لمارون عبود ، بيروت (دار المكشوف) ١٩٤٥ م .
رأى في أبي العلاء ، لأمين الخولي ، ١٣٦٣ ﻫ (١٩٤٥) م .
أبو العلاء ناقد المجتمع ، لزكي المحاسني ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٤٧ م .

صور من الشرق لعبد السميع المصري ، أسيوط ١٩٤٧ م .
أبو العلاء المعرّي : دفاع ابن العديم عنه ، لسامي الكيّالي ، القاهرة (دار سعد) ١٩٤٥ .
الولاء في نقد ذكرى أبي العلاء لحسين حسني حسن .
أبعاد المعرّي : العقل والخير والعدل في ذات الله الأحد ، تأليف ثريّا ملحس ، بيروت (المؤسّسة الأهلية) بلا تاريخ .

أعداد خاصة بالمعري من :

مجلّة الهلال (القاهرة) يونيو — حزيران ١٩٣٨ م .
مجلّة الثقافة (القاهرة) العدد ٣٩ عام ١٩٣٩ م .
مجلّة الثريّا (تونس) ابريل — نيسان ١٩٤٤ .
مجلّة الاديب (بيروت) حزيران — يونيو ١٩٤٤ م .
مجلّة الطريق (بيروت) ٢٠—١٠—١٩٤٤ م .

* * *

المقارنة بين المعرّي والخيّام لأحمد حامد الصرّاف (مجلّة الحديث ، حلب ١٩٣٠ م .
أبو العلاء المعرّيّ شاعر العرب الحكيم لرضا توفيق (مجلّة الأمالي، بيروت ٢٨—١٠—١٩٣٨ م).
أبو العلاء ودار العلم في بغداد ليوسف العش (مجلّة الثقافة ، القاهرة ، العدد ٤٥ ، عام ١٩٣٩ م) .
الوصف النفسي عند أبي العلاء ، لأبي مدين الشافعي ؛ درزيّة المعرّي لعارف أبي شقرا (مجلّة الأديب ، بيروت ، تموز — يوليو ١٩٤٤ م .
رباعيّات أبي العلاء ونقلها الى اللغات الأوروبيّة لبندلي صليبا جوزي (مجلّة المقتطف ، القاهرة ، ٢٩ : ١٦٥) ؟؟

ملحق : منتخبات من رسائله وشعره (باعتناء جورج سلمون) ، باريس ١٩٠٤ م .
رسالة الملائكة (شرحها أحمد فؤاد حسن) ، مصر .
لزوم ما لا يلزم ، مصر ١٣٠٦ هـ ؛ مصر (المطبعة المحروسة) ١٣٠٩ وما بعد (١٨٩١ — ١٨٩٥ م) ؛ (اعتنى بتصحيحه أمين عبد العزيز) مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٣٢ هـ — ١٩١٥ م .
منتخبات من لزوميّات أبي العلاء (باعتناء عبد الله المغيرة وأحمد نسيم) ،مصر (مطبعة الجمهور) ١٣٢٣ هـ .

تاريخ بغداد ٤ : ٢٤٠ — ٢٤١ ؛ معجم الادباء ٣ : ١٠٧— ١١٨ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٥٨ — ٦٠ ؛ الوافي بالوفيات ٧ : ٩٤ — ١١١ ؛ نكت الهميان١٠١ — ١١٠ ؛بغية الوعاة١٣٦ — ١٣٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٨٠ — ٢٨٢ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٥ — ٢٩٧ ، الملحق ١ : ٤٤٩ — ٤٥٤ ؛ زيدان ٢ : ٣٠٢ — ٣٠٦ ؛ ابن الأثير ٩ : ٦٣٦ — ٦٣٧ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ١٥٠ — ١٥١ .

الشريف العقيلي

١ — هو أبو الحسنِ علي بن الحسينِ بن حَيْدرةَ بن محمدِ العَقيليُّ منسوباً الى

عَقيلٍ أخي عليٍّ بنِ ابي طالبٍ .

عاش الشَريف العَقيلي في الفُسطاط حيثُ كانت له أراضٍ وبساتينُ ، وكان شريفاً غَنيّاً من أهل الجاهِ والكَرَم . ويبدو أنه لم يُغادِرِ الفُسطاطَ إلاّ مُدّةً يسيرةً تَشَوّق في أثنائها إلى بساتينهِ التي كانتْ بينَ النهرِ وجَبَلِ المُقطّمِ . ولعلّه عاشَ من أواخر القرنِ الرابعِ الهِجْريّ الى قريبٍ من مُنْتَصَفِ القرنِ الخامسِ (نحو ١٠٠٠ ــ ١٠٥٨ م) . على أنّ بروكلمان قد نَسَقه بعد ابن مطروح (ملحق ١ : ٤٦٥) في القرن السابع .

٢ ــ كان للشريفِ العَقيليّ علمٌ بالأنسابِ واهْتمامٌ بأنساب الأشرافِ خاصّةً . وهو شاعرٌ حَسَنُ النظم كلّ شعْرِهِ مُقَطّعاتٌ تَطولُ أحياناً فتَبْلُغُ أربعينَ بيتاً (ديوان ٢٩٨ ــ ٣٠٠) أو تَقْصُرُ فتكونُ بَيْتَيْنِ (ديوان ١٢٢) ؛ وقد تأتي الطِوالُ منها والقِصارُ مُصَرّعةً أو غير مُصرّعة . وله رَجَزٌ أيضاً . أما فنونُه فهي الفخرُ والعِتاب والهجاء والزهد والوصف والخمر والغزَلان المؤنّث والمذكّر . وليس عنده مديحٌ للتكسّب ؛ وخمرياته تقليد لأبي نواسٍ ، وأوصافه الطبيعية تقليدٌ لابن المعتزّ . ومع ذلك فإنّ له أحياناً تكلّفاً في استعمال الالفاظ الغريبة (ديوان ١١٣) . أما فيما عدا ذلك فهو شاعرٌ أنيقٌ بارعٌ في الاستعارةِ ، على شيء من الضَعْف في التركيب أحياناً .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ في ما يلي مقطّعات قصار للشريف العقيلي في الخمر والروضيّات والغزل :

قُمْ فَانْحَرِ الراحَ يومَ النَحْرِ بالراحِ ولا تُضَحِّ ضُحىً إلاّ بصَهْباءِ [1].

أدْرِكْ حَجيجَ النَدامى قبلَ نَفْرِهِمُ ؛ إلى مِنَى قَصْفُهُمْ مَعْ كلِّ هيفاءِ [2] ؛

---

(١) يوم النحر ، يوم عيد الأضحى (صباح العاشر من شهر ذي الحجة) يضحي المسلمون القادرون نعماً (بفتح ففتح) ، أي غنماً وابلا . يقول الشاعر : انحر الراح (الخمر) : اثقب دنها (خابية الخمر) بالراح (براحك ، بكفك ، بيدك) ؛ اذ يسن أن يذبح كل بالغ عاقل قادر ذبيحته يوم النحر بيده . ولا تضح (لا تذبح) ضحى (في كل يوم باكراً) الا بصهباء (خمر) .

(٢) الحجيج : الحجاج (جمع حاج) . النفر : يوم النفر : يوم التفرق ؛ بعد أن ينزل الحجاج من جبل عرفات (٩ ذي الحجة) الى منى (١٠ الحجة) ويضحون (يذبحون) تكون مناسك الحج قد تمت فينفرون (يتفرقون ذاهبين الى بلادهم) . ــ يقول الشاعر : أسرع الى الندامى (الذين يشربون الخمر معاً) وقد جاءوا حجاجاً الى بيتك قبل أن ينفروا (أن يستبطئوك فيتفرقوا و يذهبوا الى بيوتهم) .

وعُجْ على مكّةَ الرَّوْحاء مُبْتكـراً فَطُفْ بها حَوْلَ رُكْنِ العودِ والنائي[1].

ـ صَدَّ بعدَ الوِصالِ تَيْهاً وعُجْبـاً فأذابَ الفؤادَ هَما وكَرْبا[2].
رَشَأٌ جِسمُهُ أرقُّ من المـا ءِ وأقسى مـن الحوادثِ قَلْبا[3].

ـ يا رُبَّ ظمآنِ الوشـاحِ يَفْتَرّ عن بَـرَدِ الأقاحي[4]
ما زِلْـتُ ألْثِمُ ثَغْـرَهُ مـا بين رَيْحـانٍ وراح[5]،
في لَيْـلةٍ لم تتّسِـعْ لعناقِنـا مِنْهـا النواحـي[6]:
مـا لاح وجـهُ عِشائِهـا حتّى بـدا وجـهُ الصباح[7]!

ـ الغيم مَمْـدودُ السُرادِقْ والزهـر مفروشُ النمـارِقْ[8].
وَطَـنٌ يمـوتُ مخـافةً فيه الشقاءُ مـن الشقائق[9].
قـد غنّتِ الأطيـارُ في طُرقاتـه كلَّ الطرائق[10].
فاعْتِـقْ فؤادَكَ فيـه من رِقّ الخطوبِ بشُربِ عـاتق[11]
فالأُقْحـوانُ غُصـونُه بيضُ النواصـي والمفارق[12]،

---

(١) عاج : مال الى المكان ، ذهب . الروحاء موضع على أربعين ميلا من المدينة (الحجاز) (؟).
مبتكراً : مبكراً ، باكراً .. في البيت الحرام (الكعبة) ركنان : الركن الشامي (الشمالي) الركن اليماني (الجنوبي) . والشاعر هنا يجعل للهو ركنين : العود والناي (الغناء) .

(٢) التيه : الخيلاء والتكبر على الآخرين . العجب : الادلال ، النظر الى النفس بالرضا ورفعها فوق أنفس الآخرين . الهم : ما يشغل النفس من القلق على المستقبل . الكرب : ما يثقل على النفس من الشدة الحاضرة .

(٣) الرشأ : الصغير من ولد الغزلان . الحوادث : النوائب ، المصائب .

(٤) ظمآن (عطشان) الوشاح (ما تجعله المرأة حول كتفيها) : كناية عن الجسم النحيف . برد الاقاحي (زهر الاقحوان) : كناية عن استواء الاسنان وبياضها .

(٥) الريحان : الزهر . الراح : الخمر .

(٦) ليلة لم تتسع نواحيها (أولها وآخرها) لعناقنا : كان عناقنا فيها قليلا لقصرها .

(٧) تفسير للبيت الاول ، كناية عن قصر ما بين مبتدأها ومنتهاها .

(٨) ـ الغيم متصل في السماء كانه سرادق (خيمة منصوبة) . النمارق جمع نمرقة (بضم النون والراء) وسادة صغيرة يتكئ عليها الجالسون . والزهر مفروش النمارق : كناية عن تنوع ألوان الزهر .

(٩) الشقائق جميلة تدخل السرور على القلب فيموت فيه الشقاء .

(١٠) طرقات الروض الكثيرة تكثر فيها الأطيار التي تغني على جميع طرائق (جمع طريقة : أسلوب ، نوع ، لحن) الغناء .

(١١) حرر قلبك من أسر المصائب بشرب عاتق (الخمر) .

(١٢) النواصي : جمع ناصية : مقدم الرأس . المفارق جمع مفرق (بفتح الميم وكسر الراء) : الخط في وسط الرأس أو أحد جانبيه حيث يفرق الشعر فرقين . ان زهر الاقحوان يعم جميع نبتة الاقحوان (!!) .

ومَــــراوِدُ الأمطـــارِ قـــدْ كُحِلَتْ بهـــا حَدَقُ الحدائق[1] !

٤ ــديوان الشريف العقيليّ (نشره زكي المحاسني) ، القاهرة (دار الكتب العربية) ١٩٥٨ م .

** الخريدة (مصر)٢ : ٦٢ ــ ٦٣ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٦٠ ــ ٦٢ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٨٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٦٥ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٨٩ .

الماوردي البصري

١ ــ هو أبوالحسنِ علي بنُ محمّدِ بنِ حبيبِ البصريُّ المعروف بالماورديّ نِسْبَةً الى بيعِ ماءِ الورد ؛ وُلِدَ سَنَةَ ٣٦٤ هـ (٩٧٥ م) في البَصْرة وتَفَقّه فيها على أبي القاسمِ الصَيْمَريّ ثمّ صَعِدَ إلى بغدادَ وسَمِــعَ من أبي حامدٍ الإسفراييني ، كما حَدّث عن الحَسَن الجِيلي .

وتولّى الماوردي القَضاء في عددٍ من البُلدانِ ثمّ استقرّ في بَغدادَ . وفي سَنَةِ ٤٢٩ هـ (١٠٣٨ م) تَلَقّب بلقب أقْضى القُضاةِ (وكان هذا اللقبُ في اصطلاحِ الفُقهاءِ أدنى من لقب قاضي القضاة) .

ونال الماوردي حَظْوةً كبيرةً عند الخليفة المقتدرِ (٣٨١ ــ٤٢٢ هـ) وعندِ بني بُويهِ وكانوا يُرْسِلونه في التَوَسُّطاتِ بينهم وبين من يُناوِئُهم ويرتضون بوَساطته .

كانتْ وفاةُ الماورديِّ في بَغدادَ في آخرِ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٤٥٠ (٢٧/٥/١٠٥٨ م) .

٢ ــكان الماورديّ مُفكّراً عالماً أديباً مُعْتزِليّاً في الأصول (يأخُذُ بما يُوجبُ العقلُ في العقائد) شافعيّاً في الفروع (يَتْبع الجماعةَ في العِباداتِ والمُعاملات) . ويُنْسَبُ إليه شيءٌ من الشِعْر . وقدكان مُصَنِّفاً قديراً بارعاً تَدُلّ كُتُبُهُ المختلفة على مقدرةٍ في التفكيرِ وبراعةٍ في التعبير . من كتبه : كتابُ الحاوي (في الفِقه ، أربعةُ آلافِ وَرَقَةً) ــ الإقناعُ (اختصارُ الحاوي في أربعين وَرَقَةً) ــ تفسير القرآن ــ

---

(١) الحدق : العيون . يشبه الشاعر الحدائق (جمع حديقة : الجنينة التي يحدق أو يطوف حولها سور) بوجوه فيها عيون كثيرة (كناية عن الزهر المتفتح فيها) . المرود (بكسر الميم وفتح الواو) ميل يؤخذ به الكحل ويوضع على أجفان العين . الكناية غامضة علي .

ـ الأحكام السلطانية ـ أدب الدنيا والدين ـ كتاب في النحو ـ كتاب تعجيل النظر وتسهيل الظفر ـ قانون الوزارة وسياسة المُلْك ـ كتاب الأمثال والحكم ـ أعلام النبوّة ـ نصيحة الملوك ـ معرفة الفضائل .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ يُنْسب إلى الماورديّ شِعْرٌ منه :

وفي الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهله ، فأجسادُهم دون القبورِ قبورُ[١] .
وإنّ امْرَأً لم يَحْيَ بالعِلْمِ صدرُهُ فلَيْسَ له حتّى النشورَ نشورُ[٢] !

ـ وقال الماوردي في مقدّمة كتاب أدب الدنيا والدين :

أمّا بعدُ ، فانّ شَرَفَ المطلوبِ بِشَرَفِ نتائجهِ ، وعِظَمَ خَطَرِه بكَثْرةِ منافعهِ ؛ وبِحَسْبِ منافعه تَجِبُ العنايةُ به ، وعلى قدرِ العنايةِ بهِ يكونُ اجتناءُ ثَمَرَتِهِ . واعظَمُ الأمورِ خَطَراً وقَدْراً وأعمُّها نَفْعاً ورِفْدا[٣] ما استقامَ به أمر الدينُ والدنيا وانتظمَ به صلاحُ الآخرةِ والأُولى ، لأنّ باستقامةِ الدينِ تَصِحُّ العِبادة وبصَلاحِ الدُنيا تَتِمُّ السعادةُ . وقدِ تَوَخَّيْتُ[٤] في هذا الكتابِ الأشارةَ الى آدابِهما وتفصيلِ ما أُجْمِلَ من أحوالِهما على أعدلِ الأمرينِ من إيجازٍ وبَسْطٍ أجْمَعُ فيه بينَ تحقيقِ الفقهاءِ وترقيقِ الأُدباء ، فلا يَنْبو عن فَهْمٍ ولا يَدِقّ[٥] عن وَهْمٍ ، مُسْتَشْهِداً من كتابِ الله ـ جلّ اسْمُه ـ بما يَقْتَضيه ، ومن سُنَنِ[٦] رسولِ اللهِ صلواتُ اللهِ عليه بما يُضاهيهِ مُتْبِعاً ذلك بأمثال الحكماء وآدابِ البُلغاء وأقوالِ الشعراء لأنّ القلوبَ ترتاحُ الى الفنونِ المختلفةِ وتَسْأمُ الفنَّ الواحدَ .... وجَعَلْتُ ما تَضَمّنه هذا الكتابُ خمسةَ أبوابٍ : البابَ الأوّلَ في فَضْلِ العَقْل وذمّ الهوى ـ البابَ الثانِيَ في أدبِ العلمِ ـ البابَ الثالثَ في أدبِ

(١) قبل أن يموتوا، أجسادهم قبور لعقولهم .
(٢) النشور : القيام من القبور ، يوم القيامة .
(٣) الخطر : الاهمية ، القيمة ، القدر . الرفد : العطاء ، العون ، المساعدة .
(٤) الاولى : الحياة الدنيا . توخى : طلب ، أراد .
(٥) أجمل النص : جعله مختصراً . نبا : ابتعد ، شذ . دق : ضؤل وضعف حتى كاد أن يخفى .
(٦) السنن جمع سنة : العمل المروي عن رسول الله .

الدين ــ البابَ الرابعَ في أدبِ الدنيا ــ البابَ الخامسَ في أدب النفس .....

٤ ــ الأحكام السلطانية (تحرير مقس أنقر) ، بون (أدولفوم ماركوم) ١٨٥٣ م ؛ القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٨ هـ ؛ (عني بتصحيحه بدر الدين النعساني) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٠٩ م .

أدب الوزير ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٢٩ هـ .

أعلام النبوّة ، بغداد (حمد العسّافي) ١٣١٩ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٣٠ هـ .

كتاب البغية العليا في أدب الدين والدنيا(١) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ هـ ؛ القاهرة (مطبعة هندية) ١٣١٥ ، ١٣٢٧ ــ ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ هـ ؛ (على هامش الكشكول) الهند ١٣١٥هـ ؛ (على هامش الكشكول) ، القاهرة ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٤هـ ؛ مصر ١٣١٥ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣١٨ هـ ؛ القاهرة (المطبعة البهية) ١٣٢٠ هـ ؛ القاهرة (البابي) الطبعة الثالثة ١٩٥٥ م ؛ (على هامش الكشكول) ، القاهرة (محمّد عبد الواحد الطوبي) ١٣١٦ هـ ؛ بولاق (على نفقة نظارة المعارف) ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م .

** تاريخ بغداد ١٣ : ١٠٢ ؛ معجم الأدباء ١٥ : ٥٢ ــ ٥٥ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٨٦ ــ ٥٨٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٨٦ ــ ٢٨٧ ؛ بروكلمان ١ : ٤٨٣ ، الملحق ١ : ٦٦٨ ؛ زيدان ٢ : ٣٨٤ ــ ٣٨٥ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٤٦ ــ ١٤٧ .

---

(١) هكذا أورده بروكلمان (١ : ٤٨٣ ، الملحق ١ : ٦٦٨) . وذكره ابن خلكان باسم أدب الدين والدنيا (بتقديم الدين) . وهو يطبع باسم أدب الدنيا والدين .

العصر السلجوقي

قامتِ الدولةُ السَلجوقية في إصبهانَ بفارسَ سَنَةَ ٤٢٩ ه (١٠٣٨ م)، ولكنّ العصرَ السلجوقيَّ الذي نَعْنيه في هذا الفصلِ لا يبدأ إلاّ في سَنَة ٤٤٧ ه (١٠٥٥ م) حينما دخل طُغْرُلْبك السَلجوقيّ الى بَغدادَ وأزال السُلطةَ البويهيّةَ من عاصمةِ الخلافة . ثمّ استمرّ هذا العصرُ إلى سَنَةَ ٦٣٩ ه (١٢٢٠ م) حينما انقرضتُ جميعُ فروعِ الدولةِ السلجوقية .

في أثناء هــذا الدورِ نَشِبَتِ الحروبُ الصليبية ثمّ انقرضت الدولةُ الفاطمية (٥٦٧ ه) وقامتْ على أنقاضِها الدولةُ الأيّوبية . ويحسُنُ أن نُلاحظَ أن الحكمَ السلجوقيَّ كان في قارةِ آسيةَ فقط ، أمّا الحكم الفاطميُّ والحكم الأيّوبيّ فقد كانا في قارّةِ آسيةَ وقارّةِ إفريقيةَ معاً .

في منتصفِ القرنِ الهجريِّ الرابعِ (منتصف القرنِ الميلاديّ العاشر) استطاع سَلجوقُ احد رؤساء الغُزّ (التُرك) أن يجمعَ عشائرَهُ وأن يتبَسّطَ بهم في الأرضِ . ثمّ انّه انتقلَ بهم من الحياة البَدْوية في باديةِ التّركستان إلى حياة الاستقرار والتحضُّرِ في مِنطقة بُخارى ، وهنالك دخلتْ هذهِ العشائرُ الوثنيةُ في الإسلام وعَمِلَتْ بالمذهبِ السنّيّ ، وهو المذهب السائد في جميعِ البلادِ شرقَ خُراسانَ .

ثمّ انّ السلاجقةَ أقاموا دولةً في إصبهان (فارسَ) ، سنة ٤٢٩ ه (١٠٣٨ م) ومدّوا سُلطانَهم من حدودِ الصينِ إلى العراق . وفي سَنَة ٤٤٧ ه (١٠٥٥ م) دخل طُغْرُلْ بك السَلجوقي الى بَغدادَ وقضى على الحكم البويهيّ فيها .

ولمّا أرادَ البساسيري (وكان من بقايا رجال الحُكم البُويهيّ) أن يَخلَعَ الخليفةَ العبّاسيَّ عبدَ الله القائمَ بأمرِ الله ، سَنَةَ ٤٥٠ ه ، كي يَنْصِبَ مكانَه المُستَنْصِرَ الفاطميَّ (حفيدَ الحاكمِ بأمرِ الله) مكانَه ، استنجدَ القائمُ بطُغْرُلْ بك ، فأنجدَه طغرل بك وأقرّه في الخِلافة وقَتَلَ نَفَراً من خُصومهِ (آخرَ سَنَةِ ٤٥١ ه) .

وفي ذي القَعْدة من سَنَةِ ٤٥٩ (خريف ١٠٦٨ م) أتمّ السلاجقةُ بناء المدرسةِ

النظامية في بغدادَ وجعَلوها مركزاً للتعليم السُنّي ولنُصْرة المذهبِ الأشعري على حرَكةِ المُعتزلةِ التي كانت قويّةً جداً في أيام البويهيّين .

وبعدَ أن ثبّت السلاجقة مُلْكَهم في العراق بسطوا نفوذَهم على بلاد الروم (آسية الصغرى) وعلى الشام خاصّة ، سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) ، وأخذوا يُدافعون الروم عن سواحل الشام ويُنازِعون الفاطميّين في الجَنوب . غير أن الشام لم تكُنْ مُوَحّدةً في أيامهم ، بل كانت مُدُنُها موزّعةً بين أمرائهم .

وبينما كان السلاجقة يؤسّسون مُلْكَهم في الشام ثارت الحروب الصليبيّة .

الحروب الصليبية

« الحروب الصليبيّة » تَسْمِيَةٌ أجنبيّة . أما العرب فقد عرَفوا الصليبيّين باسم الإفرنج . وتمتدّ الحروب الصليبية مِائتَيْ سَنَةٍ أو تزيدُ قليلاً ، من سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) إلى سنة ٦٩١ هـ (١٢٩١ م) تلاحقتْ فيها مَوْجات الإفرنج على الشام ومِصْرَ من إنكلترةَ وفرنسةَ وجِرْمانية وعَمِلَتْ في البلاد تقتيلاً وتدميراً .

في الدور الأوّل من هذه الحروب بدأ الافرنج الصليبيّون باجْتِياحِ البلاد: فتَحوا أنْطاكِيةَ (٤٩١ هـ = ١٠٩٨ م) ومَعَرّة النُعْمان وحصن الاكراد وطَرْطوس . وفي رَجَبَ من سَنَةِ ٤٩٢ (حَزيران – يونيو ١٠٩٩ م) حاصروا مدينة القدس ثمّ اقتحموها في الشهر التالي . وأسّس الافرنج الصليبيّون في شرق البحر الابيض المتوسّط ثلاثَ ممالكَ ، هي :

– مملكةُ القدس : أكبرُ ممالكِ الإفرنج الصليبيين ، كانت تمتدُّ من خليج العقَبة عند الطرَفِ الشَمالي للبحر الأحمر إلى شمال مدينة بيروت . ولم تمتدّ هذه المملكةُ الى ما وراءَ نهرِ الأُرْدنّ . وكان ملوكُ هذه المملكة قوامسةً من فرنسةَ أسماء مُعْظَمِهم بغدوينُ (بلدوين ، بودوان ، بردويل) .

– امارةُ طرابلسَ : وكانت تمتدُّ من شَمالِ بيروتَ إلى حُصن المَرْقَب (شَمال طرطوس) وتضمّ حصن الأكراد (في نحو منتصف الطريق بين حمص وطرطوس) أيضاً . وكان حُكّام هذه الإمارة من الإفرنسيّين أيضاً أوّلُهم رايموند سان جيل ، وكان العرب يدعونه صنجيلَ أو ابن صنجيل أو صنجيل الفرنجي .

– إمارة الرها (أورفا ، شمال سورية وراء الفرات) .

ـ امارة انطاكية .

وهنا موضع ملاحظتين :

(١) انّ حُكّامَ هذه الدُوَيلاتِ الّتي أقامَها الإفرنج الصليبيّون على الارض الإسلامية كانوا فرنسيّين .

(٢) انّ المُخَطّطَ الصليبي كان يرمي الى إبعاد المسلمين عن الشواطىء : فقد كان الروم (اليونان) والأرمن والصليبيّون يحتلّون جميع شواطىء آسيةَ الصُغرى وجميع شواطىء سورية (وفلِسْطين) ونِصفَ شواطىء شبهِ جزيرةِ سيناء حتّى لم يَبْقَ للسلاجقة الأتراك ولا للعرب مكانٌ يُطِلّون منه على الجانبين الشّماليّ والشرقيّ من الحَوْض الشرقيّ للبحر الابيض المتوسّط .

وقام الى غرْبِ الخطّ المُمْتَدِّ بينَ حِمْصَ وحماةَ ، في سَلَمِيَةَ وَقُدْموسَ ، مَعْقِلٌ للحشّاشين (وكانوا فُرقةً من متطرّفي الإسماعيلية أشدَّ على المُسلمين من الإفرنج الصليبيّين) . هؤلاء الحشّاشون كانوا جانباً من الباطنيّة (الإسماعيلية المتطرّفين) الذين انتشروا في ذلك الحين في الشام والعِراق وفارسَ وجعلوا هَمَّهُمُ القضاء على رجال السياسة من أهل السنّة والجماعة . فقد قتلوا ملكشاه السلجوقي وقتلوا نظام المُلك أيْضاً . وحاولوا قتل صلاح الدين الأيوبيّ مرتين (كما قتلوا نفراً من الفرنجة) .

الدور الثاني من الحروب الصليبية :

في سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) أسّس عِمادُ الدين زنكي السلجوقي إمارةً في الموصل وبدأ بمحاربة الإفرنج الصليبيّين فأخذ المَدُّ الصليبيُّ بالتّراجعِ والانحسار . وفي سنة ٥٤١ هـ خَلَفَ المَلِكُ العادلُ نورُالدين محمودٌ أباه عِمادَ الدين في الشام وزادَ على أبيه في مُحاربة الإفرنج (الصليبيّين) وفي التغلّب عليهم .

في ذلك الحينِ كان أمر الدولة الفاطمية قد ضَعُفَ واستطاع الإفرنج الصليبيّون ان يَصِلوا الى القاهرة (٥٦٤ هـ = ١١٦٨ م) ثمّ لم يرجِعوا عنها إلاّ بعد أن وعدهم شاوَرُ (وزيرُ العاضدِ لدين الله الفاطمي) بدفع مِلْيون دينارٍ . واستغاث العاضد بنورالدين ، فأرسل نورُ الدين مُقَدّمَ جيوشه (قائده الأكبرَ) أسَدَ الدين شيركوه الى مصر فاستطاع شيركوهُ أن يتولّى الوزارة للعاضد .

ثمّ ان شيركوه تُوُفّيَ بعد شهرين فخَلَفَه ابنُ أخيه صلاحُ الدين .

وطّد صلاحُ الدين مركزه في مصر وحافظ على صِلاتِه الحسنةِ بنور الدين ؛ وفي

المُحرَّم من سَنَةِ ٥٦٧ (خريف ١١٧١ م) خلَعَ العاضِدَ الفاطميَّ وقضى على الدولة الفاطمية. ولمّا توفّي نورُ الدين (٥٦٩ هـ) أعلن صلاحُ الدين استقلالَه في مصر.

وأرادَ صلاحُ الدين أنْ يستردَّ البُلْدانَ الاسلامية من الافرنج الصليبيّين، ولكنّه رأى الشام والعراق مُتَقَسَّمَيْنِ بين أمراءَ ضِعاف مُتنازعين فوحّدهما أولاً تحت سُلطانه في مَدى سنتين (٥٧٠ – ٥٧٢ هـ) ثمّ بدأ محاربة الصليبيين واستردادَ البلدان: فتح طَبَرِيّةَ في ٢٢ ربيعٍ الآخِرِ ٥٨٣ (١/ ٧/ ١١٨٧ م)، وبعد يومين نازل الصليبيّين في سهل حِطّينَ وهزمهم هزيمةً شديدةً. ثمّ بدأ يستردّ المُدُنَ والبلدان بسرعة ويُسْرٍ حتّى استردّ القدس في يوم الإسراء والمِعْراج (٢٧ رجب ٥٨٣ هـ = ٣/ ١٠/ ١١٨٧ م).

على أن صلاحَ الدين تُوُفّيَ (٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م) قبل أن يَتِمّ استردادَ البلاد من أيدي الصليبيّين.

الدور الثالث: دور الانتكاس

بعد وَفاةِ صلاحِ الدين تَقَسَّمتِ المملكةُ الأيّوبية سبعةَ أقسامٍ بين أبناءِ صلاح الدين وأخيه الملك العادل وسائرِ أقاربه. وبدأ الأيوبيّون يتنازعون فيما بينَهم فاستطاع الصليبيّونَ أن يستولوا مرّةً ثانيةً على بعضِ ما كان صلاحُ الدين قد استردّه، فاحتلّوا عدداً من مُدُنِ الشام (كبيروتَ وصَفَدَ وطَبَرِيّةَ والقُدْس) ثمّ نزلوا في شَماليّ مِصْرَ واحتلّوا دُمياطَ. ومَعَ أنّ المَلِكَ العادِلَ أخرج الصليبيّين من دُمياطَ فإنّ الصليبيّين أعادوا الكرّةَ على مِصْرَ بحملةٍ قام بها لويسُ التاسعُ ملكُ فرنسةَ المعروفُ باسم القِدّيسِ لويس واستَوْلَوْا على دُمياطَ مرّةً ثانيةً سَنَةَ ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) بعدَ نحوِ خمسينَ عاماً من احتلالِهِمُ الأوّلِ لها. ولكنّ المصريّين استطاعوا في العامِ التالي أن يَقْضوا على حملةِ لويس التاسعِ وأن يأسروا لويسَ التاسعَ نفسَه في معركة المنصورة المشهورة.

الحياة الاجتماعية

لمّا بدأتِ الحروبُ الصليبيّة كان الغالبَ على أهلِ البلاد في الشام والعراق خاصّة، وفي مِصْرَ أيضاً، أنّهم مزيجٌ من أجناسٍ مختلفة ومذاهبَ مُتباينة: كان فيهمُ العربُ والتُرْكُ والاكرادُ والروم والأرمن، وكان العرب أقلَّ ذلكَ المزيجِ عدداً وأضيق أولئك الأجناس نفوذاً؛ وكان النفوذ الاول في السياسة والحرب للأتراك والأكراد.

وكذلك كانت المذاهب الدينية كثيرة متباينة ، وكان الشيعة عُنْصُراً بارزاً جداً في الحياة الاجتماعية ، من أجل التشجيع الذي كان الشيعة قد لَقُوهُ منذ وصل البويهيّون الى الحكم ثمّ منذ قامت الدولة الفاطمية في مصر . وعَظُمَ العداء بين أتباعِ المذاهب الشيعيةِ المتطرّفة كالفاطميّين والإسماعيلية والحشّاشين ، وبين أتباع المذاهب السنّيّة . فلمّا جاءت الحَمَلاتُ الصليبية على الشام انحاز أصحاب المذاهب الشيعيّة المتطرّفة الى الافرنج الصليبيين بعاطفتهم وبسلاحهم في بعض الاحيان ، إذ عَدّوا الدولةَ القائمة في العِراق والشام دولة سنّيّة . من أجل ذلك كانوا ميّالين الى مُظاهرةِ الافرنج الصليبيين على أهل السنّة .

على أن مثل هذا العِداء لم يكن فقط بين الشيعة وبين السُّنّة ، بل كان في أحيانٍ معدودةٍ بين أهل السنّة أنفسِهم بعاملِ الضَعْفِ البشريّ . فاذا كان الحشّاشون من الاسماعيلية قد حاولوا اغتيال صلاح الدين ، واذا كان شاوَرُ وزيرُ العاضد الفاطميّ في مصر قد مالأ الصليبيّين على احتلال القاهرة طلباً لمساعدتهم على بسط النفوذ الفاطميّ في الشام ، فان أهلَ دِمَشْقَ قد فاوضوا بعض ملوك الافرنج الصليبيّين لمحاربة نور الدين . على أن مثل هذه الوقائعِ الكثيرة المؤلمة بابٌ من أبواب التاريخ ، ولَسْنا في هذا المقام في حاجةٍ الاّ الى هذه الاشارة العارضة .

ولمّا طالتِ الحربُ ملّ الناسُ وأخذوا يتقاعسون عن الجِهاد . وكان كثير من الناس يَهْرُبونَ من القيام بالجهاد الى الاعتزال في المساجد والزوايا ورِباطات الصوفية ، وربّما غادر جماعاتٌ منهم البلاد الى مكّة ليجاوروا فيها بعيداً عن خوض الحرب وعن سَماع أخبارها .

ومما ساعد على هذا التقاعس بين عامّة الناس عن الجهاد انتشارُ التصوّف وكَثْرةُ الصوفيّين الذين كانوا يَعِظون ويَحُثّون الناس على الزهد وطلب الآخرة وعلى العبادة والذِكْر من غير أن يذكروا كلمة عن الجهاد أو حضّا على الدفاع عن الاسلام ؛ حتّى إن الإمام الغزّاليّ (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) رأى القدس تسقط في أيدي الصليبيّين ولم يذكر الجهاد بكلمة غير أن هذا لم يمنع الامامَ ابنَ تَيْمِيّةَ (ت ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ م) من أن يَحْمِلِ على الناسِ من أجلِ تقاعسِهم هذا .

ومعَ أن التجارة قد بارَتْ عموماً ، فان نَفَراً من التجّار قد اغْتَنَوْا وعاشوا عيشةَ رَفاهِيَةٍ وترف بينما كانت جماهيرُ من الناس تعيش عيشةَ قِلّة وشَظَف . وراجت

تجارة الرقيق التي كان يقوم بها التجّار الايطاليّون خاصّة فيحملون من أقطار أوروبّة نساءً وفتَيات وغِلماناً الى الشرق للجنود الإفرنج الصليبيين أو للبيع للشرقيّين في أسواق النِخاسة.

وفي هذا العصر نَبَعَتِ الألقابُ من مِثْلِ : عِماد الدين ، نُور الدين ، صَلاح الدين ، شمس الدين ، الخ .

كان الناس في أيام الحرب والمعارك يتحاجزون ، أما في أيام الهدَنِ فكانوا يختلطون ويتعاملون . حتّى إن أقواماً من الافرنج الصليبيّين أنفسِهم عزَفوا عن القتال وتبلّدوا (عاشوا كما كان يعيش أهل البلاد المسلمون فتركوا أكل الخِنزير وشُرْب الخمر) ثمّ أسْلم بعضهم أيضاً (١).

ولا ريب في أن أهل البلاد والإفرنج كانوا يَجْتمعون في ميادينِ اللّهْوِ أيضاً ، فانتقل بذلك عدد من الخصائص الجسمانية والاخلاقية والاجتماعية من الافرنج الى أهل البلاد ومن أهل البلاد الى الافرنج . وكذلك جاء إلينا مع الافرنج الصليبيّين عدد من الامراض . ولا ريب في أن المرضَ الجنسيّ (السفلس) قد جاء إلى بلاد العرب مع الصليبيّين ، أو أن انتشاره قد زاد كثيراً ، فان هذا المرض يُعْرَفُ عندنا باسم « الفرنجي » .

وزاد انتشار العلم في أيام الأيّوبيّين ، فقد أنشأ الأيوبيّون عدداً كبيراً من المدارس للعلوم الدينيّة في الأكثر . وكذلك انصرف عدد من العلماء المسلمين الى دراسة التوراةِ والإنجيل حتّى يردّوا على اليهود والنصارى . ووصل العلماء المسلمون من ذلك الى أن النصارى لا يسيرون على خُطا المسيح المرسومة في الانجيل من الزهد وحبّ الخير والدعوة الى السلم . وقد ظهر أثر ذلك في الادب . ولا ريب في أن عصر الحروب الصليبية — عصر السلاجقة والأيّوبيّين — كان عصراً زاهراً بالثقافة في المشرق والمغرب ؛ فمن مشاهير رجال الفكر في ذلك الحين في المشرق حجّة الاسلام الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) وأخوه أحمد (ت ٥١٧ هـ) ونجم الدين النسفي السمرقندي (ت ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م) والمتصوّفان ابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) وابن عربي (ت ٦٣٨) والاديب المفكّر عبداللطيف البغدادي (ت ٦٢٩ هـ) وابن الاثير المؤرّخ (ت ٦٣٠ هـ = ١٢٣٣ م)

---

(١) لا يزال في سورية ولبنان أسماء تدل على أن أصحابها من أصل صليبي ، بين النصارى خاصة وبين المسلمين أيضاً . وكنت أود أن أذكر عدداً من هذه الاسماء عند النصارى وعند المسلمين ، ولكني آثرت ترك ذلك هنا لئلا يتأول نفر من الناس ذكر هذه الاسماء هنا تأولا خارجاً عن حقيقته .

وأخوه الكاتب الناقد ضياء الدين (ت ٦٣٧ هـ) والفخر الرازي الفيلسوف (ت ٦٠٦ هـ) والقزويني العالم الطبيعي (ت ٦٨٢ هـ).

الخصائص الأدبية

كان للحروب الصليبيّة أثرٌ كبير على الأدب العربي في خصائص الشعر والنثر وفي أغراضهما . ومع أن هذا الاثر قد تبدّى في اتّساع الفنون والأغراض ، فانّ عدداً منها قد اتّسع اتّساعاً كبيراً حتّى كاد أن يُصْبِحَ فنّاً جديداً كالقَصَص والرُدود على أتباع الأديان غيرِ المسلمين .

خصائصُ الأدب في هذا العصر نبَعَتْ كُلّها من الفكرة الاسلامية .

عَظُمَتِ العاطفةُ الدينية في الشعر والنثر فبَرَز المديحُ بالدين وبخِدمة الإسلام واتّسع القولُ في الحث على الجهاد والتحريض على القتال وإطراء الفروسيّة والبطولة مَعَ الثقة بالنصر في المعارك وبالأجْر في الآخرة . وكَثُرَ نَظْمُ البديعيّات (المدائح النبوية) كما كثر التأليف في المناقب (سِيَر عظماء المسلمين) وفي المثالب (عيوبِ الإفرنج الصليبيّين) ، كما نرى في كتاب « الاعتبار» لأُسامة بن منقذٍ مثلاً . ثمّ خرج ذلك الى الردّ على اليهود والنصارى عامّة .

واتّسع فنّ الخَطابة الدينية ، في خُطَب يوم الجُمُعة وفي المواعظ في المناسبات العامّة . وتنوّعتِ الآداب الدينيّة فحَدَثَ التفنّن في الأدعية (الابتهال الى الله تعالى لتقريب المُراد ودفع المكروه) والمواعظ (تهدئة النفوس بالتقليل من قيمة الشر الحاضر بالاضافة الى الخير المقبل ، وبالتأسّي بما أصاب الأبطال والأوْلياء في الماضي) والأذْكار (الأساليب المختلفة في ذِكْرِ الله في المناسبات العامّة وفي الحَلَقات التي يجتمع فيها الناس) والأوْراد (الأدعية والاذكار التي يُرَدِّدها الفردُ بعد صَلَواته) ، كما اتّسع الادب الصوفي. والشعر التعليمي (نظم قواعد العلم كالنحو والفقه خاصة في شعر : أراجيز) .

وكذلك اتّسع فنّ الترسّل — في الرسائل الديوانية الرسمية (لكَثْرَةِ المناشير والمراسيم التي كانتِ الدولةُ تُصْدِرها لطمأنة الناس أو تحميسهم وتحذيرهم ولإعلان النصر بعد المعارك ، وفي الرسائل الإخوانية . ومع أن الإغراق في تكلّف أوجه البلاغة كان الاتّجاه السائد ، كما نرى عند القاضي الفاضل مثلاً ، فانّ المترسّلين في مصر خاصّة كانوا مقتصدين في ذلك .

واتّسعت المناظرات وأشهرُها ما كان في تفضيل السيف على القلم أو تفضيل القلم على

السيف — ممّا اقتَضَاهُ الجِهاد في ذلك الحين — ثمّ المفاضلة بين الورد والنرجس .

وكَثُرَ التأليفُ في هذا العصرِ في اللغة والنَحْوِ وفي الجغرافية والرِحْلات والتاريخ — وخصوصاً في فضائل البلاد الاسلامية والجِهاد والفروسيّة ، وكَثُرَ في هذه كلّها الاستشهادُ بالقرآن الكريم والحديثِ الشريف والسِيَرِ التاريخية (ممّا يحفَظُ حماسةَ الجِهاد في النفوس ويحُضّ على بَذْل الأموال والنفوس في سبيل إنقاذ البلاد من أيدي الإفرنج الصليبيّين) .

وغَلَبَ التكلّفُ في أوجه البلاغة (كما نراه في مقامات الحريريّ وفي الرسائل الاخوانية والديوانيّة) على جميع فنون الكِتابة حتّى في التأليف وفي القَصَص ، وفي صدور الكتب (الديباجات) خاصّة . وبرز فنّ الوصف في النثر مُثْقَلاً بالصِناعة ، كقول العِمادِ الاصفهانيّ الكاتبِ (ت ٥٩٧ هـ) :

« وإنّ في الارضِ الهَرَمَيْنِ كما أنّ في السَّماء الفَرْقَدَيْنِ ، وهما كالطَوْدين الراسخين وكالجبلين الشامِخَيْن ، قد فَنِيَتِ الدهورُ وهما باقيانِ ، وتقاصرتِ القُصورُ وهما راقيــان . وكأنّهما لأمِّ الارضِ ثَدْيانِ ، وعلى ترائبِ التُرابِ نَهْدان .... »

القصص خاصّة

في هذه الحِقبة اتّسع فنُّ القَصَص خاصّة : بنقلِ القِصَص عن اللغة الفارسية (كقِصَص ألف ليلة وليلة) ثمّ بتدوين القِصص العربية تدويناً فيه شيءٌ من العمل الفنّي المُسْتوحى من القِصص المنقولة (كسِيرة عنترة) . ومَعَ أنّ تلك القِصصَ ، في مُعظمها ، كانت معروفةً منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أو منذ القرون السابقة له ، فانّها دُوِّنتْ على الشكل الذي نَعْرِفه الآنَ في حِقبة الحروب الصليبية فاكتسبتْ خصائِصَها الأدبيةَ من أحوالِ تلك الحقبة .

سِيرةُ عنترةَ (أو قِصّة عنتر ، كما يقول العامّة) تُمثّل أتمّ ما وَصَلَ إليه الأدبُ الشعبي في شكله البطوليّ عند العرب ، ثمّ هِيَ أكملُ ما وصل إلينا من أمثلةِ هــذا القَصَص . وهي قديمةُ الرواية تتناول حياةَ عنترةَ من مولده الى وفاته وتقومُ على عُنصرين أساسيّين : حُبِّ عنترةَ لعَبْلةَ ، وحروبِ عنترةَ في سبيلِ رضا مالك والد عبلةَ أملاً بأن يسمَحَ مالكٌ بأن يتزوّجَ عنترةُ عبلةَ . وهذه القصة طويلةٌ وفيها ترديدٌ كثير من معاركَ متشابهةِ الحوادثِ ومن مغامراتٍ تخرُجُ عن طَوْقِ البشر جُملةً

كما يُنْتَظَرُ في أمثال هذه القصص . من ذلك مثلاً أن عنترةَ يَحمِلُ رُمْحاً طولُه سبعون ذراعاً ويهجم على جيشٍ فيَهزِمُهُ أو يَضَعُ يدَه في فمِ الأسدِ فيشقّه . ولا ريبَ في أنّ شخصيةَ عنترةَ في القصّة غيرُ شخصيّته في شعرِه الثابت . فمن أشهرِ الفروقِ في هذا المَجالِ أنّ عنترةَ في القِصّة يتزوّجُ عبلةَ . فقصّة عنترة اذن ملحمة يمتزج فيها التاريخ بالخرافة وتتّحد فيها الحقائق بالخيال . وقصّة عنترة ليست وحدة تأليفية : إنّ فكرتَها الاساسية وإطارها العامّ قديمان جدّاً، ثمّ تسرّبت اليها زيادات مختلفة في الأعصر المتعاقبة — في بغدادَ ومِصر ؛ وأثرُ العصر المصري فيها أبرز .

وأما « ألفُ ليلةٍ وليلة » فسلسلةٌ من الحكايات الطوال في مَوْضوعات غريبة مَبْنيّة على الخُرافات والمبالغات . والكِتاب يَرْجِعُ إلى أصلٍ فارسيٍّ يُطْلَقُ عليه « هزارْ أفْسانه » (من الفارسية : ألفُ حكايةٍ أو خُرافة) فسمّاه العرب « ألفَ ليلةٍ » ثمّ جعَلَ المتأخّرون اسْمَه « ألفَ ليلةٍ وليلةٍ » ، فجعلَتْه هذه الزيادةُ أوقعَ في النفس وأجْرى على اللسان العربيّ .

وقِصّةُ ألفِ ليلةٍ وليلةٍ قديمةٌ ، وقد خَضَعَتْ — كقِصّة عنترةَ — لزيادات مختلفةٍ في الأعصُرِ المتعاقبة ، وفي بغدادَ والقاهرة أيضاً ، فتَسرّبَ إليها في تلك الأثناءِ حكاياتٌ مختلفةٌ من ثقافات مختلفة هندية ويونانية وفرعونية (مِصْرية قديمة) وعربيةٍ . وهذه الزياداتُ التي كانتْ كثيرةً جداً — أكثرُ من أمثالها في قِصة عنترة — تَقِفُ قبلَ بدء القرن العاشر للهجرة (أواخرِ القرن الخامسَ عَشَرَ للميلاد) . غيرَ أن عُنْصُرَ القَصَصِ العربيّ ظلّ سائداً فيها . ففي « ألفِ ليلةٍ وليلةٍ » ، من أجلِ ذلك ، أساليبُ عديدةٌ تختلف بين نَثْرٍ مُرْسَلٍ صحيحِ العبارةِ وبين نثرٍ مُتَكَلّفٍ سقيمِ التركيب . وفي الزياداتِ المتأخّرة مداركُ جِنسيةٌ فاحشةٌ وألفاظٌ بذيئةٌ وقَدْرٌ بارزٌ من قِصَص الجنِّ .

الشعر خاصّة

اهتمّ الحُكّام بالشعر وأجازوا عليه لأثرِه في الناس ، وخُصوصاً حينما كان الشعراء يَمْدحون الأمراء والقُوّادَ ويحثّون على الجهاد . وكان الأسلوب القديمُ أغلبَ على الشعر لموافقة الأسلوب القديم للمديح والحَماسة وللجِدّ في القول . ففي هذا الباب من الشعر كان أثر المتنبّي شديدَ البروز ، اذ قلّده الشعراءُ في الأغراض وفي الأُسلوب ، معَ شيء من الضَعْف . ففي قصيدة طلائع بن رُزّيك :

ألا هكذا في اللهِ تمضي العَـزائمُ، وتمضي لدى الحرب السيوف الصوارم.
وحَسْبُكَ أن لم يَبْقَ في القوم فارسٌ من الجيش إلاّ وهو للرمح حاطِم.
نُقَتِّلهم بالرأي طَوْراً، وتـارةً تَدوسُهُمُ مِنّا المَذاكي الصَلادم[1].

نَسْتَرْوِحُ نَفَسَ المتنبّي في قصيدته: «على قَدْرِ أهلِ العزم تأتي العزائم»، كما نَلْمَحُ معنىً من مطلع قصيدةٍ للمتنبي ثانيةٍ: «الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُجعانِ».

وكان الغالبَ على الشعر «المذهبُ الشاميّ»[2] من أثَرِ تقليدِ المتنبّي.

أما المدحُ والفخر فاستجدّ فيهما خاصّتان: إدخالُ العقائد الاسماعيلية في القصائدِ التي مُدِحِ فيها الخلفاء الفاطميّون ورجالُ الدولة الفاطميّة اعتقاداً أو تقرّباً وتكسّباً؟ ثمّ صورةُ الحروب الصليبية في العِداء بين المسلمين والإفرنج ومديح القادة المسلمين من أهل السنّة بنُصْرة الاسلام. وجرَى الجديدُ في الرثاء في هذا العصر مَجْرى المديح.

أما الهِجاء فدخله شيء من السُخْرية الاجتماعية، مَعَ الاشارة هنا وهنالك الى الدولة الفاطمية البائدة، اذ تكسّب الشعراء عند الايّوبيين بهجائها كما كانوا من قبلُ قد تكسّبوا بمديحها. ولقد أكْسَبَ التأنّقُ البلاغيُّ هذا الهجاء شيئاً من الطَرافـة والعُذوبة مَعَ المَرَح. قال ابن مَطْروحٍ يهجو الوزيرَ هِبَةَ الله بنَ صاعدٍ:

لَعَنَ اللهُ صاعداً وأبـاه فَصاعدا
وبَنيـهِ فنـازلاً واحداً ثمّ واحدا!

واتّفق أنْ كانَ في زمنٍ ثلاثةُ قُضاةٍ يتَلَقّبون شَمْسَ الدين (ويبدو أنّ العدل لم يكُ سائداً) فقال أحدُ الشعراء:

قُضاتُنا كلّهم شُموسٌ، ونَحْن في أكْشَفِ الظلام.

وكان في هذا العصر وَصْفٌ كثيرٌ للطبيعة وللخَمْر، ولكنّ الجديدَ أنّ الشعراء أخذوا يَصِفون الحشيشةَ ثمّ يُفضّلونها على الخمر، فقد قال فيها أحمد بن الصائغ:

عاطَيْتُ من أهوى، وقَدْ زارنـي كالبـدرِ وافى لَيْلَةَ البـدرِ،

(١) المذاكي: الخيل التي بلغت السنة السادسة أو السابعة. الصلادم (بكسر الصاد والدال) والصلادم (بضم الصاد وكسر الدال): الأسد والصلب والفرس الشديد الحافر.

(٢) راجع ٢: ٤١.

خَضْراءَ كافوريّةٌ رَنّحَتْ أعْطافَه من شِدّةِ السُكر ؛
يَفْعل مِنها دِرْهَمٌ فوقَ ما تَفْعل أرْطالٌ مِنَ الخمر !

وكثر الغزل بنَوْعيه المذكَّرِ والمؤنّثِ كما كَثُرَ المُجون في هذا العصر . والجديدُ في الغزل أن الشعراء تَغزّلوا بالفَرَنْجيات اللواتي رافَقْنَ الحَمَلاتِ الصليبيةَ لأغراضٍ شتّى ، كما نَجِدُ في شعر ابن القَيْسراني (ت ٥٤٨ هـ) .

وعَصْرُ الحروب الصليبيــة كان عصرَ التصوّفِ المُتطرّفِ ، كما نرى في شعر السُهْروردي المقتول (ت ٥٨٧ هـ) وعمرَ بنِ الفارض (ت ٦٣٢ هـ) .

ولقد تعرّضَ جماعةٌ من الشعراء في هذا العصر للمُوَشّحِ يقلّدون بهِ الاندلسيّين ؛ وأشهر المشارقة الذي نظموا الموشّحاتِ وكتبوا فيها ابنُ سَناء المُلْك (ت ٦٠٨ هـ) .

وأكْثرَ الشعراءُ ، في مدحِ السلاطينِ والأمراء ، من ذكرِ الجِهاد في الإفْرِنْجِ (الصليبيّين) ، وتعدّدتْ في ذلك الأغراضُ والمعاني وغلَبَتْ عواطفُ الشعراءِ في ذلك . وسأكتفي هنا بثلاثةِ نَماذِجَ معتدلة : بنَموذجينِ أحدُهما شِعْرٌ والآخرُ نثرٌ يتعلّقانِ بالجِهاد في الإفرَنْجِ الصليبيّين ، وبنَموذجٍ ثالثٍ من الشعر يتعلّقُ بالجِهاد في حرب التتارِ في أيامِ الحروب الصليبيّة أيضاً :

– في يوم الاسراء (٢٧ رجب) من سنة ٥٨٣ (٣ / ١٠ / ١١٨٧ م) فتح السلطان صلاح الدين الأيوبيّ القدس ، فمدحه ابن سناء الملك بقصيدة منها :

قَصَدَتْ نحوَك الأعــادي ، فردّ الـ ـلهُ ما أمّلوه عَنْكَ وعنّـا .
حَمَلوا كالجِبــال عِظْما ، ولكنْ جَعَلَتهُمْ حَمْلاتُ خَيْلِكَ عِهْنا[1]
لم تُلاقِ الجُيوشَ منهــم ، ولكنّـ ـكَ لاقَيْتَهُمْ بِلاداً ومُدْنـا[2]
خانَهُمْ ذلك السِلاحُ : فلا الرُمْـ ـحُ تَثَنّى ولا المُهَنّدُ طنّـا[3] .
واستحالتْ شِقاشِقُ القومِ صَمْتـاً حينَ عادتْ تلك الشّجاعة جُبْنا[4] .
وتَصَيّدتَهُمْ بحَلْقةِ صَيْـدٍ تجمعُ الليثَ والغـزالَ الأغَنّا[5] .

(١) العهن : القطن .
(٢) – لم تلتق بهم وهم جماعات كالجيوش المألوفة ، بل بلاداً (شعوباً كبيرة) ومدنا (حصوناً) .
(٣) المهند : السيف . طن المهند ؟ (لم يعمل السلاح في أيديهم بما أظهرت أنت من الشجاعة !) .
(٤) الشقاشق (هذه الصيغة ليست في القاموس) ؛ أصوات كهدير الجمل (فيها ادعاء كثير وارتفاع) .
(٥) لم تحاربهم حرباً ، بل تصيدتهم (أسرتهم) . الليث : المحارب الشجاع . الظبي الأغن : المرأة الجميلة الشابة .

وجرتْ منهمُ الدماءُ بِحاراً ، فجرَتْ فوقَها الجزائرُ سُفْنا[1] ؛
صَنَعَتْ منهمُ وَليمةَ عُرْسٍ رَقَصَ المَشْرَفِيُّ فيها وغنّى[2] .
وحوَى الأسرُ كلَّ مَلْكٍ يَظُنُّ الدهرَ يفنى ومُلْكُه ليس يفنى .
والمليكُ العظيمُ فيهمْ أسيرٌ يتَثنّى في الهَمِّ بل يتَعنّى[3] :
يحسَبُ النومَ يَقْظَةً ويظنّ الشخصَ طَيْفاً ويحسَبُ الشمسَ دُجْنا[4] .
رقّ مِنْ رحمةٍ لهُ الغُلُّ والقيْدُ عليهِ ، فكلّما رقّ أنّا[5] .

– وصَفَتِ العاطفةُ في نَفَرٍ من المسلمين في أثناء الحروبِ الصليبية حتّى كانَ يتّفقُ أنّ بعضَهم كان يرجُمُ بشيءٍ ممّا يَقَعُ وراءَ حِجابِ النفسِ الإنسانية ، فيَقَعُ أحياناً ما كان قد رَجَمَ به . ولعلّ هذهِ القوّةَ من الحَدْسِ قد جاءتْ من الاخلاص في الخوف على الإسلام – من الفِرَنْجة الصليبيّين – ومن التَشوُّق إلى أملٍ وطيدٍ في مستقبلِ المسلمين في الأرض . قالَ ابنُ الأثير (طبعة بيروت ، ١١ : ٤٩٧) في أخبار سنة ٥٧٩ (١١٨٣ – ١١٨٤ م) :

« .... وأخذَ صلاحُ الدينِ حَلَبَ ..... ومِنَ الاتّفاقاتِ العجيبةِ أنّ مُحْيِيَ الدينِ بنَ الزكّيِ قاضيَ دِمَشْقَ مَدَحَ صلاحَ الدينِ (الأيّوبي) بقصيدةٍ منها :

وفَتْحكُمْ حَلَبًا بالسيفِ في صَفَرٍ مُبَشِّرٌ بفُتوحِ القُدْسِ في رَجَبِ !

فوافقَ قولَه هذا فتحُ القدسِ في رَجَبَ سَنَةَ ثلاثٍ وثمانينَ وخَمْسِمِائَةٍ » .

وكان مُحْيِي الدينِ بنُ الزكّي هذا شاعراً وخطيباً .

استردَّ صلاحُ الدينِ القدسَ من الصليبيّين في يوم جُمُعَةٍ ، ولكنّ المسلمين لم يستطيعوا أن يُصَلّوا في المسجدِ الأقصى في ذلك اليومِ لأنّ الإفْرنج الصلبيّين

---

(١) الجزائر جمع جزيرة = مجزورة : جثة مقطعة . – كانت جثثهم (كالسفن) تعوم على دمائهم التي كانت كالبحار .

(٢) المشرفي : السيف .

(٣) المليك العظيم : باليان بن بيرزان (ابن الاثير ، بيروت ١١ : ٥٤٦) ، بودوان الخامس (١١٨٦ – ١١٩٢ م) كان ملك المملكة اللاتينية في القدس . يتعني : يثقله الهم والتعب .

(٤) الطيف : الخيال . الدجن : الغيم (الظلام) .

(٥) الغل : طوق من حديد يوضع في العنق . القيد : رباط يوضع في اليدين أو الرجلين . رق(الثانية) : مشى بشيء من الصعوبة ! (راجع القاموس ٣ : ٢٣٧) . أن تأوه (من الألم) والألف في«أنا» للتثنية (أي أن الغل والقيد) .

كانوا قد بَنَوْا في المسجدِ الاقصى وفي مسجدِ الصَّخْرةِ وفي الحَرَمِ الشريفِ كُلِّه مَرافِقَ لهم ثمّ أدخلوا جانباً من الحَرَمِ في أبْنِيَةٍ لسُكْناهم وملأوا أرضَ المسجد الاقصى ومسجدِ الصخرة بالأقذار والأنجاس (راجع ابن الاثير ١١ : ٥٥١) .

وفي الجُمُعةِ التالية توافَدَ المُسلمون من أقطارٍ كثيرةٍ للصلاةِ في المسجدِ الاقصى حتّى امْتَلأتْ رِحابُ الحَرَمِ الشريفِ كلّه بالخلائق . في ذلك اليومِ طَمِعَ كثيرٌ من أكابرِ العُلماءِ في القيام بخُطْبةِ الجُمُعة . فلمّا حانَ وقتُ الخُطبةِ اختارَ السلطانُ صلاحُ الدينِ الأيوبيّ لهذهِ المُناسبة العظمى القاضيَ مُحْيِيَ الدينِ بنَ زَكّيِ الدينِ فألْقى خُطْبَةً قالَ فيها :

« الحمدُ للهِ مُعِزِّ الإسلامِ بنَصْرِه ومُذِلّ الشِرْكِ بقَهْرِه ومُصَرِّفِ الأمورِ بأمرِه ومُديمِ النِعَمِ بشُكْرِه ومُسْتَدْرِجِ الكافرين بمَكْرِه ؛ قدّرَ الأيّامَ دُوَلاً بعَدْلِه وجَعَلَ العاقبةَ للمتّقين بفضله وأفاءَ على عبادِه من ظِلّه [١] وأظهر دينَهُ على الدينِ كلّهِ . (وهُوَ) القاهرُ فوقَ عبادِه فلا يُمانَعُ ، والظاهرُ [٢] على خليقته فلا يُنازع ، والآمرُ بما شاء فلا يُراجَعُ ، والحاكمُ بما يريدُ فلا يُدافَعُ . أحْمَدُه على إظفارِه وإظهاره [٣] ، وإعزازه لأوليائه ونَصْرِه لأنصارِه ، وتطهيرِ بيته المُقدّسِ من أدناسِ الشِرْكِ وأوْضارِه [٤] ، حَمْدَ مَنِ اسْتَشْعَرَ الحَمْدَ باطنُ سِرِّه وظاهرُ جِهارِه . وأشهدُ أنْ لا الهَ الاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له الأحدُ الصَمَدُ [٥] الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكنْ له كُفُواً أحدٌ ، شهادةَ من طَهّرَ بالتوحيدِ قلبَه وأرضى به ربَّه . وأشهدُ أنّ محمّداً صلّى اللهُ عليه وسلّمَ عبدُه ورسولُه رافعُ الشكّ وداحضُ الشِرْكِ وراحض الإفْك [٦] ، الذي أُسْرِيَ بهِ من المَسْجدِ الحرامِ الى المسجدِ الأقصى وعُرِجَ به من (الصَّخْرةِ المباركة الى) السمواتِ العُلى [٧] ......

---

(١) قدر الايام دولا : جعل الحكم في الارض لأمة بعد أمة (كان للشرك فأصبح للمسلمين ثم عاد للمشركين ثم يرجع للمؤمنين) . العاقبة : النتيجة الأخيرة .

(٢) الظاهر : المقتدر الظافر .

(٣) على اظفاره واظهاره : على نصره (المسلمين) .

(٤) الوضر : الوسخ المتبقّي في وعاء الزيت أو اللبن (ممزوجاً بشيء من الدسم) .

(٥) الصمد : المقصود (في كل حين) .

(٦) دحض الرجل الشيء : أبطله . رحض الافك : غسله ، أزاله .

(٧) حمل الرسول ليلا (في آخر الدور المكي– قبيل الهجرة) من المسجد الحرام (في مكة) الى المسجد الاقصى (في القدس) ثم رفع من الصخرة (في الحرم الشريف في القدس ، شمال المسجد الاقصى) ، الى السماء ثم أعيد الى مكة في ليلة واحدة .

«أيها الناسُ ، أبْشروا برِضْوانِ الله الذي هُوَ الغايةُ القُصْوى والدَّرجة العُلْيا ، لِما يَسَّرَهُ اللهُ على أيْدِيكُمْ مِنَ اسْترداد هذه الضالّة من الأمّة الضالّة [1] ورَدّها إلى مَقَرِّها مِنَ الإسلام بعدَ ابتذالِها [2] في أيْدي المُشركينَ قريباً من مائة عامٍ ، فهو .... قِبْلَتُكُمُ التي كُنْتُم تُصَلّون إليها في ابتداءِ الإسلام [3] .... وهو المسجدُ الذي صَلّى فيه رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسَلّم بالملائكة المُقَرَّبين [4] ، وهو أوّلُ القِبْلتين وثاني المَسْجدين وثالثُ الحَرَمَيْن [5] .... »

« الجهادَ الجهادَ ، فَهُوَ من أفضلِ عباداتِكُمْ وأشرفِ عاداتِكُم . انْصُروا اللهَ يَنْصُرْكم ، واذْكروا أيامَ اللهِ يَذْكُرْكُمْ ، واشْكروا الله يَزِدْكُم ويَشْكُرْكم » جِدّوا في حَسْمِ الداءِ وقَطْعِ شأفة الأعداء [6] وتطهيرِ بَقيّةِ الأرضِ التي أغضبتِ اللهَ ورسولَه [7] واقْطَعوا فُروعَ الكُفْر واجْتَثّوا أُصولَه ..»

– وفي أيامِ السُلطانِ الظاهرِ بَيْبَرْسَ (٦٥٨ – ٦٧٦ هـ) أعادَ التتارُ الكرّةَ على الشام فحاربهمُ الظاهرُ بيبرسُ وطردَهم الى ما وراءَ نهرِ الفُراتِ ثمّ اقتحم الفراتَ بخيالِه ولَحِقَ بهم فَهَزَمَهُمْ هزيمةً شديدةً وأبادَ كثيراً من جُموعِهِم وردّ خَطَرَهم عنِ الشامِ مرّةً واحدةً فقالَ بدرُ الدينِ يوسفُ بن المَهْمَنْدارِ قصيدةً منهـا :

لو عايَنَتْ عَيْناكَ يومَ نِزالِنـا ، والخيلُ تطفو في العَجاجِ الأكْدَرِ [8] ؛
لَرَأيتَ سَدّاً مِـن حديدٍ مائِـراً فوقَ الفُرات ، وفوقَه نار تَرِي [9]

---

(١) الضالة (الاولى) الشيء الضائع (المسجد الاقصى الذي كان الافرنج الصليبيون قد احتلوه) . والضالة (الثانية) نعت للأمة : التي هي على غير الهدى .

(٢) الابتذال : استخدام الاشياء الثمينة أو المحترمة في ما لا يليق .

(٣) في أول الاسلام كان المسلمون يتجهون في صلاتهم الى بيت المقدس ؛ ثم أمر الله بأن يتجه المسلمون في الصلاة الى الكعبة . (٤) في ليلة الاسراء لما حان وقت الصلاة صلى الرسول إماماً وصلى الملائكة خلفه .

(٥) المسجد الاقصى أولى القبلتين ، وثانية القبلتين : الكعبة (في مكة) . وثالث الحرمين (بعد الحرم المكي ثم الحرم المدني = في المدينة) .

(٦) الحسم : القطع . الشأفة – في القاموس (٣ : ١٥٦) – : قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب ، أو اذا قطعت مات صاحبها . والشأفة الأصل . واستأصل الله شأفته : أذهبه ...

(٧) التي أغضبت الله ورسوله بما كان عليها من الشرك والفساد ...

(٨) النزال : تضارب المتحاربين بالسيوف (وهم على الارض) . طفا : عام (على وجه الماء) . العجاج : غبار الحرب . العجاج الأكدر : المائل الى السواد (لكثافته أو لجعله الجو أكدر) .

(٩) مائر : مائج . ورت النار تري : اتقدت – (شبه الشاعر الدم الطافي على وجه النهر بالنار) ! .

ورأيتَ سَيْلَ الخيل قد بلَغ الزُبـى ، ومِنَ الفوارسِ أبحُراً في أبْحر [1] .
لم يفتحوا للرَمْيِ منهم أعيُنـاً حتّى كُحِلْنَ بكلِّ لَدْنٍ أسمر [2] .
فتسابقوا هرباً ، ولكنْ ردَّهُـمْ دونَ الهزيمةِ رُمْحُ كلِّ غَضَنْفَرِ [3] .
ما كان أجرى خَيْلَنا في إثْرِهِمْ لو أنّهـا برؤوسِهِمْ لم تَعْثُرِ !
وجرتْ دِماؤهُمُ على وجهِ الثَرى حتّى جرتْ منهـا مجاري الأنهر ؛
والظاهرُ السُلطانُ في آثارِهم يُذْري الرؤوسَ بكلِّ عَضْبٍ أبتَر [4] .
ذهبَ الغُبارُ معَ النَجيعِ بصقْله فكأنّه في غِمْدِه لم يُشْهَر [5] .

أبو الحسين الخرقيّ

١ ــ هو أبوالحُسينِ محمّدُ بنُ المُظَفّرِ بنِ عبدِالله بن مظفّر بن نِحْريرٍ ، وُلِدَ سَنَةَ ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) ، أمّه من بني الحارث بن كَعْبٍ من بني تميمٍ ، وهو مَوْلى بني فَهْدٍ . ويبدو أنّه كان جامعاً لعددٍ من فنون الأدب حتّى رَوَى عنه كثيرون منهم الخطيبُ التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) . وكانت وفاته سَنَةَ ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) .

٢ ــ كان أبو الحسينِ الخرَقي شاعراً رقيقاً متينَ السَبْكِ جيّدَ المعاني بديعَ النظم . وأكثرُ شِعْرِهِ الوصفُ والغزل . وفي شِعره ألفاظٌ من علم الكلام والمنطق .

---

(١) الزبية (بضم الزاي وسكون الباء):الرابية . بلغ الشيء الزبى : ارتفع حتى غمر التلال ، كثر ، اشتد (الأمر) .

(٢) اللدن : (الرمح) اللين الذي يتثنى . الاسمر (الرمح) الذابل الجاف (القاسي) الذي ينثني ولا ينكسر . ــ لم يكادوا يغمضون عيناً ويفتحون عيناً لتصويب نبالهم الينا (كناية عن بعدهم عنا، لأن التراشق بالنبال يكون إذا كان الجيشان بعيداً بعضها عن بعض) حتى كحلن بكل لدن ... حتى أصابتهم رماحنا في أعينهم (كناية عن سرعة وصولنا اليهم، لأن الجيشين اذا تشابكا تضاربا بالسيوف أو تطاعنا بالرماح) .

(٣) رمح كل (بطل) غضنفر : أسد (كالاسد) ، قوي شجاع . ــ أراداو أن يهربوا ولكننا اعترضنا طريقهم بالرماح ومنعناهم أن يهربوا (لأننا قتلناهم) .

(٤) في آثارهم : يتبعهم (ويقتلهم) . أذرى : نثر ، أطار ، أذرى الفارس الرؤوس : فصلها عن أبدانها ورماها أرضاً . العضب : السيف . الأبتر : القاطع .

(٥) ان تراكم الغبار والدم على السيف (لكثرة القتال به ، لأن صاحبه لا يجد وقتاً لغسله وتنظيفه) ذهب بصقله (ملاسته ولمعانه) . الغمد : قراب السيف ، بيته . شهر (بالبناء للمجهول) السيف: أخرج من قرابه للقتال به . ان هذا السيف لتراكم الغبار والدم عليه كانه موضوع في غمده .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال أبو الحسين الحَرَقِيُّ في الخمر والنسيب :

خَليليَّ ، ما أحْلى صَبوحي بدِجلةٍ ! وأطيبُ منه بالصِراة غَبوقي(١) .
شَرِبْنا على الماثين من ماء كَرْمَةٍ فكانا كدُرٍّ ذائبٍ وعقيقِ ،
على قَمَرَيْ أرضٍ وأُفْقٍ تقابَلا ، فمن شائقٍ حُلْوِ الهوى ومَشُوق(٢) .
فما زِلْتُ أسْقيهِ وأشْرَبُ رِيقَهُ ، وما زال يَسْقيني ويشرَبُ ريقي .
وقُلْتُ لِبَدْرِ التِمِّ :تَعْرِفُ ذا الفتى ؟ فقال : نَعَمْ ، هذا أخي وشقيقي !

ــ وقال في النسيب :

أليسَ وَعَدتَني ، يا قلبُ ، أنّي إذا ما تُبْتُ من لُبْنَى تَتوبُ ؟
فها أنا تائبٌ من حُبّ لُبنى ؛ فما بالي أراكَ بها تَذوب !
أما نَظَرَتْ إليك بفِعْلِ غَدْرٍ وبيّنَ فِعْلَها النَظَرُ المُرِيب ؟
فقال : بلى ! ولكنّي لِأمْرٍ رَجَعْتُ فتُبْتُ عن قولي أتوب .
إذا جازَيْتُها غَدْراً بغَدْرٍ ، فمن منّا يكون هو الحبيبُ(٣) ؟

ــ وقال في الحماسة ، يُخاطب نفسَه ، فجمعَ بين صَوابِ الرأي وحُسْنِ الوَصْف :

ارْمِ بها في لَهَواتِ الوِهادْ وخُضْ بها لُجّة وادٍ فوادْ(٤) .
إنّ دُسوتَ المجدِ مضروبةٌ في صَهَوات الصافِنات الجِياد(٥) .
أقْبِحْ بذي اللُبِّ إذا لم يَنَلْ بأوّلِ الرأيِ أخيرَ المُراد(٦) .

---

(١) الصراة (نهر الصراة الصغير ونهر الصراة الكبير : قناتان شمال غرب بغداد) . الصبوح : شرب الخمر صباحاً . الغبوق : شرب الخمر مساء .

(٢) الشائق مثير الحب في المحبوب . المشوق : المحب .

(٣) الحبيب يجب أن تكون منصوبة لأنها خبر يكون . والضمير « هو » توكيد لاسم « يكون » (واسم يكون ضمير مستتر) .

(٤) ارم بها : ارم بنفسك (غامر) . اللهوة (بفتح اللام) : اللحمة المشرفة على الحلق (الحلق) الوهدة (بالفتح) : الارض المنخفضة . اللجة : معظم الماء . الوادي : النهر . والوادي : أرض منخفضة بين جبلين .

(٥) الدست : الاريكة ، (كرسي الوزارة) ، المنصب العالي. الصهوة : الظهر ، المتن . الصافنات الجياد : الخيل (كناية عن السفر والقتال) .

(٦) اللب : العقل . ــ اذا لم ينل « بأقل قدر من التفكير أعظم قدر من الأماني » .

ما العَزْمُ الاّ نَشطةٌ هكذا : إمّا إلى غَيٍّ وإمّا رَشادْ !
المرء مرهونٌ على نَهْضَة تُقْعِده في نَطَعٍ أو وِساد[1] .
وصاحبٍ نبَّهَني غالِطاً والفَجْرُ لم يَبْدُ ولا قيل كاد ،
وجِلدةُ الليلِ على صِبْغِها تُماطل النُقصان بالازدياد .
غُمَّ عليه الجَوُّ حتّى رأى نجومَه كالجَمْر تحتَ الرَّماد !

٤ - الوافي بالوفيات ٥ : ٣٦ - ٣٨ .

ابن أبي حَصِينة

١ - هو الاميرُ أبو الفتحِ الحسنُ بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ أبي حَصِينةَ السُّلَميُّ المَعَرّي ، وُلِدَ في المَعَرّةِ في الأغلب قُبيلَ سَنَةِ ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م) ونشأ فيها وتلقّى علومَه الأُولى على عُلمائها كأبي العَلاء المَعرّي وغيره . ثم إنه انْتَقَلَ إلى حَلَبَ وسَكَنَها في أيامِ صالحِ بنِ مِرْداسٍ (٤١٥ - ٤٢٠ هـ) واتصل بالاميرِ ثِمالِ بنِ صالحِ بنِ مِرداسٍ ومَدَحَهُ .

تنازَعَ المِرْداسيون والفاطميون حَلَبَ بينَ سَنَةِ ٤٢٩ هـ وسنة ٤٥٢ هـ (١٠٣٨ - ١٠٦٠ م) فظلّ ابنُ أبي حصينةَ يَمْدَحُ المرداسيين ، ولكنّه زارَ القاهرةَ ، سنة ٤٣٧ ومدح الخليفةَ المُسْتَنْصِرَ الفاطميَّ . ثم مَدَحَهُ مَرّةً ثانيةً في سنة ٤٥٠ ونال منه خِلْعةَ الإمارةِ في السنة التالية . واستعادَ المرداسيون الحُكْمَ على حَلَبَ فوجدْنا ابنَ أبي حصينةَ في حَلَبَ يتناولُ ضَيْعَةً من محمودِ بنِ نَصْرِ بن صالحٍ ومَعَها لَقَباً بالإمارة أيضاً .

وكانتْ وَفاةُ ابن أبي حصينةَ في سَروجَ (شَماليّ العراقِ) في ١٥ شَعبانَ ٤٥٧ (٢١/ ٧/ ١٠٦٥ م) .

٢ - ابنُ أبي حصينةَ شاعرٌ مُكثرٌ مُطيل فيّاضُ الشاعريةِ جيدُ الشعْر يَطْبَعُ شعْره على غِرار شِعْرِ الفُحول كالبُحْتُريّ والمُتنبي . وهُوَ يَتَخَيّر الفاظَه عَذْبَةً ويُعْنى بتَراكيبه فيَقِلُّ فيها الحَشْوُ ويتأنّقُ في ديباجتها ويُوغِلُ أحياناً في

(١) نطع : لباد (صوف مضغوط) يتخذ للجلوس وغيره (ويوضع النطع تحت الذي يراد قطع رأسه حتى لا تتلوث الأرض بالدم) . الوسادة : المخدة : نمرقة يتكأ عليها أو يجلس . - إما الى نطع (كناية عن الموت) وإما الى وساد (كناية عن المنصب العالي) .

الصِناعة ؛ وأكثَرُ شعرِه المديحُ مَدَحَ به آلَ مِرداس ، وقد مدح الفاطميين بعدَ أن هجاهم . ورثاؤه قليل . وله وَصْفٌ للطبيعةِ وللحَرْبِ ، وله غزل وخمر .

٣ — مختارات من شعره

— قال ابن أبي حَصِينة يمدح ثمال بن صالح (سنة ٤٤٥ هـ = ١٠٥٣ م) بقصيدة عليها أثر من مبالغات المتنبّي :

جادت يداكَ الى أن هُجِّنَ المطرُ ... وزان وجهُك حتّى قُبِّحَ القمرُ[(١)] .
أمست عقول البرايا فيك حائرةً ، ... فليس يُدرى : هلالٌ أنت أم بشر ؟
لو كنتَ في عصر قومٍ سار ذكرُهم ... في الجاهلية لم تُكْتَبْ لهم سِيَرُ .
ولو لَحِقْتَ زمان الوحي ما نزلت ... الا بتفضيلك الآياتُ والسور !

— وجاء ابن أبي حَصِينة الى القاهرة ، سنة ٤٥١ هـ ، رسولاً من الامير تاج الدولة ابن مرداس فمدح الخليفة المستنصر ، لمّا لقّبه بالامارة ، فقال من قصيدة :

ظهر الهُدى وتجمّل الاسلام ... وابنُ الرسول خليفة وامامُ .
مستنصر بالله ليس يفوته ... طلبٌ ، ولا يَعتاص عنه مَرام .
حاطَ البلاد وبات تسهر عينُه ، ... وعيون سكّان البلاد نِيام .
قَصْرُ الامام أبي تميم كعبةٌ ، ... ويمينه رُكن لها ومَقام[(٢)] .
لولا بنو الزهراء ما عُرِف التقى ... فينا ، ولا تَبِع الهدى الاقوام[(٣)] !
يا آل أحمد ، ثُبِّتَتْ أقدامُكم ، ... وتزلزلت بعِداكمُ الاقدام .
لستم وغيرَكم سواءٌ ، أنتم ... للدين أرواح وهم أجسام .
يا آل طه ، حبّكم وولاؤكم ... فرض ؛ وان عذل الوُشاة ولاموا .

٤ — ديوان ابن أبي حصينة بشرح ابي العلاء المعرّي (حقّقه محمّد أسعد طلس) . دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٧٥ — ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ — ١٩٥٧ م .

* * معجم الادباء ١٠ : ٩٠ — ١١٨ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٥٦ — ١٥٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٦٨٦ — ٦٨٧ ؛ أعيان الشيعة (١٩٤٨ م) ٢٦ : ٢٧٣ — ٢٨٤ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢١٢ .

---

(١) الى أن هجن المطر : صار المطر هجيناً : قبيحاً (ناقصاً بالاضافة الى جودك وكرمك) . وزان وجهك : جعل (الله) وجهك زيناً (جميلا) ، أو وزان وجهك (الاشياء) حتى أصبح القمر (بالاضافة الى جمال وجهك أو بالاضافة الى نورك الذي يجعل الاشياء جميلة) قبيحاً (ناقص النور) .

(٢) يقبل الناس يدك كانها ركن الكعبة ويصلى الناس في قصرك كأنه مقام ابراهيم في الحرم الشريف قرب الكعبة .

(٣) الزهراء : فاطمة بنت محمد رسول الله .

أبو غالب بن بشران

١ – هُوَ أبو غالب أحمدُ بنُ سَهْلٍ ، يُعْرَفُ بابنِ بُشْران (وابنُ بشران جَدّه لأمه) وبابنِ الخالة ، أصلُه من إحدى قُرى نهرِ سابسَ (شَمالَ واسِط) . وكانَ مَوْلِدُه سَنَةَ ٣٨٠ هـ (٩٩٠ – ٩٩١ م) .

انْتَقَلَ أبو غالبِ بنُ بُشْرانَ إلى واسِط وأخذَ فيهـا عن كثيرين : لازم حَلْقَةَ ابراهيمَ ابنِ سعيدٍ النحويّ (ت ٤١١هـ) وقرأ عليه عدداً كبيراً من دواوين الشعْر ؛ وقرأ ديوانَ الحماسة (لأبي تمّام) خاصّة على أبي الحُسين عليّ بنِ محمّد ابنِ عبد الرحيم ابن دينارٍ الكاتبِ وعلى أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن الوليد النحوي . وكذلك قرأ كتاب سيبَوَيْهِ على ابن كروان .

وعَظُمَتْ مكانَةُ أبي غالبِ بنِ بُشرانَ وأصبحَ شيخَ العراق في اللغة، ورَحَلَ إليه الناسُ لتلقّي العِلْمِ عنه، ولكنّ حظّه من الدنيا كان قليلاً ، وكان للعامّة نُفْرَةٌ منه لأنّه كان مُعتَزِلياً . وكانت وفاتُه في واسِط يومَ الخميسِ مُنْتَصَفَ رَجَبَ من سَنَةِ ٤٦١ (٢٩ – ٤ – ١٠٧٠ م) .

٢ – كان أبو غالبِ بنُ بُشرانَ أحدَ الأئمّةِ والعُلماء المشهورين الذين أحاطوا بعُلومٍ كثيرةٍ من الدين والحديث واللغة النحْوِ والأدب ، وكان يجمَعُ بين الفَهْم والرِوايَة الموثوقة والدِراية . وكذلك كان شاعراً مُكْثِراً صحيحَ السَّبْك متينَ الأُسلوب يتكلّف أحياناً شيئاً من الصناعة . وبعضُ شعرِه حَسَنٌ رَقيقٌ ، وأكثَرُ ما وَصَلَ إلينا من شِعره في الشكوى والنَسيب .

٣ – مختارات من شعره

– لمّا بدا تَفْتُنُ الألبـابَ رؤيتُه ، أبْدَيْتُ من حُبِّهِ ما كُنْتُ أُخْفيهِ ؛
وبانَ عُذْري لِعُـذّالي فكلُّهُمُ إليّ مُعْتَـذِرٌ عن عَذْلِهِ فيه[1] .
لكن سَكِرْتُ براحٍ من لَواحِظِهِ فما أفَقْتُ بغيرِ الراحِ من فيه[2] !

– تَوَهّمْتُه قلبي فأوحَى ضَميرُه قَبولاً فأحْكَمْنا الهوى بالسّرائر[3] .

(١) بان : ظهر ، وضح . العذل : اللوم .
(٢) الراح : الخمر .
(٣) – تبادلنا النظر ففهم كل واحد منا أننا تحاببنا من غير أن يدري أحد آخر بذلك .

فلمّا التقَيْنا شبّتِ الحربَ بيْننا —على السلْمِ مِنّا— مُقْلتاهُ وناظِري[1] .
جرَحْتُ بلحْظي وجْنتيْهِ فأقصدَتْ لِواحِظُه قلبي بأسْهُمِ ثائِرِ[2] .

— لا تغتَرِرْ بِهوَى المِلاحِ ، فرُبّما ظهَرَتْ خلائِقُ للمِلاحِ قِباحُ .
وكذا السيوفُ يَروقُ حُسْنُ صِقالِها ، وبحَدِّها تُتَخَطَّفُ الأرْواح !

٤ — ** معجم الادباء ١٧ : ٢١٤ — ٢٢٤ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٨٢ ؛ بغية الوعاة ١١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣١٠ ، الاعلام للزركلي ٦ : ٢٠٦ — ٢٠٧ .

الخطيب البغدادي

١ — هو أبو بكرٍ أحمدُ بنُ أبي الحسنِ عليِّ بنِ ثابتِ بنِ أحمدَ بن مَهْدِيِّ بنِ ثابتٍ ، وُلِدَ في غزيّة* من أعمال وادي الملك في الحِجاز ، في ٢٣ جمادى الآخرة ٣٩٢ (١٠/ ٥/ ١٠٠٢ م) .

بدأ الخطيبُ البغداديُّ سَماعَ الحديثِ ، سنة ٤٠٣ قبلَ أن يُدْرِكَ ، على مُحمّدِ ابنِ زَرْقَوَيْهِ البزّازِ (ت ٤١٢ هـ) ، ثم عاد بعدَ مُدّةٍ يَسيرة فَسَمِعَ من البزّاز أيضاً ومن أبي حامد الاسْفرايِيني (ت ٤٠٦ هـ) . وفي سنة ٤١٢ ذهب الى البصرة وسَمِعَ الحديثَ فيها . في تلك السَنَةِ نفسِها توفّي والدُه .

جَمَعَ الخطيبُ البغدادي قَدْراً صالحاً من الحديثِ والفِقْهِ والخِلافِ ثُمَّ رَحَلَ في طَلَبِ العِلْمِ الى نيسابور سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤م) وقرأ الحديث على الحافظ أبي نُعيم مُحدِّثِ أصفهانَ ولَقِيَ هنالك نفراً من المشايخ .

وبعدَ أربعِ سَنَوات عادَ الخطيبُ البَغداديُّ الى بَغدادَ وجلس فيها للتحديث والتعليم ، غيرَ أنه لم يَتْرُكِ السَماعَ من المشاهيرِ حتّى بعدَ أن أصبح هو مشهوراً ، فما جاء عالمٌ مذكورٌ إلى بَغدادَ ولا لَقِيَ هو في أثناء طَوافه في البلاد عالِماً مذكوراً إلاّ جَلَسَ يَقرأ عليه أو يَسْمَعُ منه .

وتمرّ بنا في حياة الخطيبِ البغداديّ فترةٌ غامضةٌ تَبْلُغُ نحو خَمْسٍ وعشرينَ سَنَةً لم نَعْرِفْ شيئاً فيها عنه ، ولعلّه كان في أثناء ذلك يضع كتابه الكبير « تاريخ

(١) على السلم منا : مع وجود السلم بيننا (لأننا محبان) .
(٢) أقصدت : أصابت (مني) مقتلا . خجل من نظري اليه (فاحمرت وجنتاه) فجعلتني لواحظه (عيونه) متيماً بحبه . * في الوافي بالوفيات (٧/ ١٩١) : في هنيقيا (بكسر النون و القاف) .

بغداد » . وفي سنة ٤٤٤ هـ ذهب الخطيب البغداديّ الى الحج .

في ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) ثارت فِتنةُ البساسيريّ في بَغدادَ وحركت السياسةُ بأصبَعِها عواطفَ الشيعة عَلى عُلماء السنة ، وانتهزَ أعداءُ الخطيب البغداديّ الفُرصةَ فيه واتّهموه تُهَماً كثيرةً فنالهُ اضطهادٌ كبيرٌ فخرج من بَغدادَ قاصداً دِمَشْقَ ، مَعَ أنّ دِمَشْقَ كانتْ في ذلك الحين تَحْتَ الحُكْمِ الفاطمي الشيعي . وبقي الخطيبُ البغداديّ في دمشقَ بِضْعَ سَنَواتٍ منصرفاً الى التدريس ، ثم كثر أعداؤه في دمشق ايضاً واتّهموه بأنه يَتَعَصَّبُ على الإمامِ عليّ ، فاضطرّ ، في صَفَرَ ٤٥٩ (مطلع ١٠٦٧ م) ، الى أن يُغادِرَ دمشق ، فذهب الى مدينةِ صورٍ ومَكَثَ فيها ثلاثَ سنواتٍ تَرَدَّدَ في أثنائها على القُدْسِ مِراراً ثم غادَرَها الى مدينة طَرَابُلُسَ فحَلَبَ في طريقهِ الى بغدادَ ، فوصل الى بَغدادَ في ذي الحِجّة من سنة ٤٦٢ . ثم انه لم يُعَمَّر بعدَ ذلك سوى عامٍ واحدٍ إذْ تُوُفِّيَ في ٧ من ذي الحِجّة ٤٦٣ (٥/ ٩/ ١٠٧١ م) .

٢ ـ كان أبو بكر الخطيبُ البَغدادي حافظاً للحديث وفقيهاً عالماً ومؤرّخاً ، وقد غلَبَ عليه التاريخُ والحديثُ ؛ ثم له شيءٌ من الشعرِ الوُجْداني أكثرُه الغزل . وكان الخطيبُ البغداديّ مؤلّفاً مُكْثِراً حَسَنَ الصَنْعة والتهذيبِ لكُتُبه ، والذي في كُتُبه أفضلُ من الذي كان يُلْقيه من حِفْظه . له من الكُتُب (معجم الادباء ٤ : ١٩ ـ ٢١) : تاريخ بَغدادَ ، شَرَفُ أصحاب الحديث ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الكفاية في معرفة علم الرواية ، كتاب الفقيه والمتفقّه ، كتاب الاسماء المبهَمة في الأنباء المحكَمة ، كتاب المؤتنف في تكملة المختلف والمؤتلف ، كتاب الحيل ، رافع الارتياب في القلوب من الأسماء والألقاب ، كتاب التبيين لأسماء المدلّسين ، كتاب تمييز المزيد في مفصّل الأسانيد ، كتاب الرِحلة في طلب العلم ، كتاب الرواة عن مالك بن أنس ، كتاب الاحتجاج للشافعي في ما أُسْنِدَ اليه والردّ على الجاهلين بطعنهم عليه ، كتاب تقييد العلم ، كتاب القول في علم النجوم ، كتاب روايات الصحابة عن التابعين ، كتاب الإجازة للمعلوم والمجهول ، كتاب روايات (رواة ؟) السنة من التابعين ، كتاب البخلاء ، كتاب التنبيه والتوقيف على فضائل الخريف .....

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال ابو بكر الخطيب البغدادي في الغزل والنسيب :

تَغَيَّبَ الخَلْقُ عن عَيْنَي سوى قَمَرٍ ؛ حَسْبِي من الخَلْق طُرّاً ذلك القمرُ !
مَحَلُّهُ في فُؤادي قد تَمَلَّكَه ، وحاز روحي ، وما لي عنه مُصْطَبَر .
فالشمسُ أقربُ منه في تَناوُلِها ، وغايةُ الحَظ منها للورى النَظَر .
أردت تقبيلَه يوماً مُخالَسةً فصار من خاطري في خَدّه أثَر !

— من مقدمة « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي :

.... هذا كتابُ تاريخِ مدينةِ السَّلامِ وخَبَرِ بِنائها وذِكْر كُبَرَاءِ نُزّالها وذكر وارِدِيها وتَسْمِيَة عُلمائها : ذَكَرْتُ من ذلك ما بلغني عِلْمُه ، وانْتَهَتْ إليّ مَعْرِفَتُه ....

.... على أنّ البَغداديين أرْغَبُ الناسِ في طَلَبِ الحديثِ وأشَدُّهم حِرْصاً عليه وأكثرهم كَتْباً له . وليس يَعيبُ طالبَ الحديثِ ان يكتب عن الضعفاء والمَطْعونِ فيهم ، فإنّ الحُفّاظ ما زالوا يكتبون الرِواياتِ الضَعيفةَ والأحاديث المَقْلوبة والأسانيد المُرَكّبة لينقّروا(١) عن واضعيها ويُبَيّنوا حالَ من أخْطأ فيها ....

وأهلُ بَغدادَ مَوْصوفونَ بحُسْنِ المعرفة والتّثبّتِ في أخْذ الحديث وآدابه وشِدة الوَرَع في رِوايته ، اشْتَهَرَ ذلك عَنْهم وعُرِفوا به ...

لم يَكُنْ لِبَغدادَ في الدُنيا نظيرٌ في جَلالةِ قَدْرها وفَخامة أمرها وكَثْرة عُلمائها وأعْلامها وتَمَيّز خَواصّها وعوامّها وعِظَم أقطارها وسَعَة أطْرارها(٢) وكَثْرة دُورِها ومَنازلها ودُروبها وشُعوبها ومَحالّها وأسْواقها وسِكَكِها وأزِقّتها(٣) ومَساجدها وحمّاماتها وطرزها وخاناتها(٤) وطيب هوائها وعُذوبة مائها وبَرْد ظِلالها وافْيائها(٥) واعتدال صيفها وشِتائها وصِحّة رَبيعها وخريفها وزيادة ما حُصِرَ من

---

(١) الكتب (بفتح الكاف وسكون التاء) : الكتابة ، التدوين ، .كتب الحديث عن فلان : سمعه من فلان ثم دونه كما سمعه منه .
النزال : الساكنون . الواردون : الآتون (الى البلد) .
الحديث الضعيف : ما كان راويه ضعيفاً (غير موثوق به ، ولا مشهور بالمعرفة بالحديث ، المطعون فيهم (من رواة الحديث) : الذين يشك في أمانتهم في النقل . الاحاديث المقلوبة : الاسانيد المركبة : نقر عنه : تحري الصحة بكثرة البحث والاستقصاء .
(٢) كذا في الاصل المطبوع : اطرار. ولعل الصواب : طرار (بكسر الطاء المهملة) أو طرر (بضم الطاء وفتح الراء) جمع طر (بضم) : جانب النهر .
(٣) السكة (بكسر السين) : الطريق المستوى . الشعب (بكسر الشين) ؛ الطريق الفرعي المسدود الزقاق (بضم الزاي) : الطريق المتعرج .
(٤) الطرز (بكسر الطاء وسكون الراء) : المكان الذي ينسج فيه الحرير . الخان : المكان الذي ينزل فيه. التجار القادمون ببضائعهم الى بلد غير بلدهم .
(٥) الظل : احتجاب شعاع الشمس عن مكان قبل الظهر. الفيء : احتجاب أشعة الشمس عن مكان بعد الظهر.

عَدَدِ سُكّانها .....

.... وهذه تَسْمِيَةُ الخلفاءِ والأشْراف والكُبراء والقُضاة والفُقهاء والمُحدّثين والقُرّاء والزُهاد والصلحاء والمتأدّبين والشعراء من أهل مَدينةِ السَلام الّذين وُلِدوا بها او بِسواها من البُلْدان ونزَلوها ، وذِكْر مَن انْتَقَلَ مِنْهم عنها وماتَ ببلدةٍ غَيْرِها ، ومن كانَ بالنواحي القريبةِ منها ، ومَنْ قَدِمَها من غيرِ أهْلها وما انتهى إليَّ من مَعْرِفةِ كُناهم وأنْسابِهم ومَشهور مآثرهم وأحسابهم ومُسْتَحْسَنِ أخبارِهم ومَبْلغ أعْمارهم وتاريخ وَفاتِهم وبَيان حالاتهم مَعَ ما حُفِظَ فيهم من الألفاظ عن أسْلافِ أئمّتنا الحُفّاظ من ثَناءٍ ومَدْحٍ وذَمّ وقَدْحٍ وقَبول وطَرْح وتَعْديلٍ وجَرْح : جَمَعْتُ ذلك كلَّه وألّفته أبواباً مُرتبةً على نَسَقِ حُروف المُعْجَمِ من أوائل أسْمائهم ، وبدأتُ منهم بذكر مَن اسْمُه مُحَمّدٌ تَبَرُّكاً برسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم . ثم أتْبَعْتُهُ بذِكْرِ مَن ابْتَدأ اسْمُه بالألِفِ وثنّيتُ بحرفِ الباءِ ثم ما بعدَها من الحُروف إلى آخرها ....

ولم أذْكُرْ مِنْ مُحدّثي الغُرباء الذين قَدِموا مَدينَةَ السلامِ ولم يَسْتَوْطنوها سِوى مَنْ صَحّ عِندي أنه رَوَى العِلْمَ فيها . فأمّا مَنْ وَرَدَها ولم يُحَدِّثْ بها فإنّي أطّرحْت ذِكْرَه وأهْمَلْتُ أمرَه لكَثْرةِ أسْمائهم وتَعَذُّر إحْصائهم ، غيرَ نَفَرٍ يسيرٍ عَدَدُهُمْ ، عظيمٍ عند أهلِ العلمِ مَحلُّهم ، ثبَتَ عندي وُرُودُهم مَدينَتَنا ولم أتَحَقَّقْ تحديثهم بها ؛ فرأيتُ ألا أُخْلِيَ كِتابِيَ من ذِكْرِهم لرُفْعة أخْطارهم وعُلُوّ أقْدارهم ....

٤ ــ تاريخ بغداد ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م) .

تاريخ بغداد ، الجزء السادس (نشره كيلر) ، ليبسك (طبع حجر) ١٩٠٨م (راجع معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ص٨٢٨ نقلاً عن مجلّة المقتطف ــ مصر ــ الجزء الواحد والخمسين لعام ١٩١٧م ، ص٣٢٩) .

مقدّمة تاريخ بغداد (نشرها سلمون) ، باريس (مطبعة أميل بوويون) ١٩٠٤ م .

كتاب التطفيل وحكايات الطفيليّين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم (نشره حسام الدين القدسي) ، دمشق (مطبعة التوفيق) ١٣٣٦ هـ ؛ النجف (المكتبة الحيدرية) ١٩٦٦ م .

تقييد العلم (حقّقه يوسف العشّ) ، دمشق (المعهد الفرنسي بدمشق) ١٩٤٩ م .

اقتضاء العلم والعمل (تحقيق محمّد ناصر الدين الألباني) ، الطبعة الثالثة ، بيروت (المكتب الاسلامي) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

البخلاء (تحقيق أحمد مطلوب وأحمد ناجي) ، بغداد (مطبعة العاني) ١٩٦٤ م .

الكفاية في علم الرواية ، حيدر اباد (جمعية ادارة المعارف العثمانية) ١٣٥٧ هـ .

موضح أوهام الجمع والتفريق ، حيدر اباد (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية) ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠ م .

** الاشارات الى بيان أسماء المبهمات (اختصره من كتاب « المبهمات » للخطيب البغدادي يحيى ابن شرف النوويّ)، لاهور (المطبعة الدخانية) ١٣٤١هـ.
الخطيب البغدادي مؤرّخ بغداد ومحدّثها، تأليف يوسف العشّ، دمشق (المكتبة العربية) ١٩٤٥ م.
معجم الادباء ٤ : ١٣ – ٤٥ ؛ الوافي بالوفيات ٧ : ١٩٠ – ١٩٩ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٦ – ٤٧ ؛ طبقات الشافعية ٣ : ١٢ – ١٦ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣١١ – ٣١٢ ؛ بروكلمان ١ : ٤٠٠ – ٤٠١ ، الملحق ١ : ٥٦٢ – ٥٦٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٢ : ٩٢٩ – ٩٣٠ ؛ زيدان ٢ : ٣٧٥ – ٣٧٦ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٦٦ .

صردر

١ – هو أبو منصورٍ عليُّ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ صَرّدُرَّ، وُلِدَ قَبْلَ ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م)، وعاش حيناً في العراق.

لمّا تولّى فَخْرُ الدولة أبو نصرٍ محمّدُ بن جَهيرٍ الوَزارةَ للخليفةِ القائمِ، سَنَةَ ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م)، كانَ صَرّدُرُّ في مدينةِ واسطٍ فأرسلَ إلى فخرِ الدولةِ قصيدةً يُهَنِّئُه بها. ثم هنّأه بالوزارة لمّا عاد إليها في سنة ٤٦١ هـ.

كان صَرّدُرّ في طريقِه من العِراق إلى خُراسانَ فسقط في حُفْرة حُفِرتْ لاصْطيادِ الأسد فقُتِلَ (٤٦٥ هـ = ١٠٧٣ م).

٢ – صَرّدُرَّ أحدُ نُجَباءِ الشُعَراء في عصرِه ومن الفُحولِ يَجْمَعُ جَوْدَةَ السَبْكِ إلى حُسْنِ المعنى، وعلى شعره طلاوةٌ رائقةٌ. وهو شاعرٌ غَيْرُ مُكْثِرٍ ولكنّه مُطيل، وهو جيّدُ القولِ في القصائد الطوال وفي المُقطّعات القِصارِ. وأكثرُ شعره المديحُ وفيه مُعْظَمُ أغراضِه، وله أيضاً إخوانيّاتٌ وعِتابٌ وشكوى من الدهرِ ومن الناس، كما أن له رثاءً وهجاءً وغزلاً وخمراً ووصفاً.

٣ – مختارات من شعره

– قال صردرّ يعزّي ابن فضلان بأخيه :

عزاءً ! فما يَصْنَعُ الجازِعُ ، ودَمْعُ الأسى أبداً ضائعُ[1] .
بَكى الناسُ ، من قَبْلُ ، أحبابَهم ؛ فهلْ أحدٌ مِنْهُمُ راجع ؟
عرَفْنا المصائبَ قبلَ الوُقوعِ ؛ فما زادَنا الحادثُ الواقع ؟
ولكنّ ما يَنْظُرُ الناظرو ن ليس كما يَسْمَعُ السامع :

(١) الجزع : الخوف مع الحزن (حتى لا يعرف الحزين ما يفعل). الأسى : الحزن .

يُدَلّي ابنُ عِشْرِينَ في لَحْدِه ؛ وتِسْعونَ صاحِبُها راتِع !
لِيَعْلَمَ مَنْ شَكّ أنّ المَنو نَ هَوْجاءُ ما عندها شافِع[1] .
ولو أنّ مِنْ حَدَثٍ سالماً ، لَما خُسِفَ القَمَرُ الطالِعْ .
ومَنْ حَتْفُهُ بينَ أضْلاعِه ، أيَمْنَعُه أنه دارِع[2] ؟
وكُلّ أبِيٍّ لِداعي الحِمامِ ، مَتى يَدْعُهُ ، سامِعٌ طائع[3] :
يُسَلِّمُ مُهْجَتَه سامِحاً ، كما مَدّ راحَتَهُ البائِع .

— وقال يهجو أهل زمانه :

إذا كان هذا الجهلُ قد شاع في الوَرَى ، فذو العِلْمِ فيما بَيْنَهُم هو جاهلُ .
فان قالَ ما لم يَعْرِفوا قَدْرَ لَفْظِه ولا قيمةَ المَعْنَى ، فما هُوَ قائلُ ؟
وإنْ هُوَ بالصَمْتِ اسْتجارَ لِسانُه ، ففي الصَمْتِ ذو نَقْصٍ سواءٌ وفاضل .
فليس له غيرُ التَجاهُلِ ملجأٌ ؛ وأصْعَبُ شيءٍ عالمٌ متجاهِلُ .
وكُنّا سَمِعْنا في الزمانِ بباقِلٍ ؛ وهذا زمانٌ كلُّ أهْلِيه باقل[3] .

— وقال في الغزل والنسيب :

ومن شَرَفِ الحُبّ أنّ الرجا لَ تَشْري أذاهُ بألْبابِها[4] !
وما أنْصَفَتْ مُهْجَةٌ تَشْتَكي هَواها إلى غيرِ أحبابِها .
وفي السِرْبِ مُثْرِيَةٌ بالجما لِ تُقَسّمه بينَ أترابِها[5] :
فللبدرِ ما فوق أزرارِها ، وللغُصْنِ ما تحتَ جِلبابِها[6] .

٤ — ديوان صرّ درّ ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) .

** وفيات الأعيان ٢ : ٥٧ — ٥٨ ؛ شذرات الذهب٣ : ٣٢٢ — ٣٢٣ ؛ اعيان الشيعة =

---

(١) المنون : الموت .

(٢) حتفه بين أضلاعه : (انتهاء أجله) . دارع : لابس درعاً .

(٣) باقل : رجل كان عيي اللسان (لا يحسن النطق وكان أيضاً يكسل عن الكلام) .

(٤) اللب : العقل . الرجال يشترون أذى الحب بألبابهم (تدلهم عقولهم على ضرر الحب ، ومع ذلك فهم يحبون) .

(٥) السرب : جماعة الحيوانات السارحة (وجماعة النساء الجميلات) . مثرية بالجمال : غنية بالجمال (جميلة جداً) . الاتراب هنا : اللدات (بكسر اللام : النساء اذا كن ذوات عمر واحد) . الاتراب تستعمل للذكور .

(٦) الأزرار : طرف الثوب عند العنق . ما فوق أزرارها : وجهها . الجلباب : الثوب . ما تحت جلبابها قامتها ، جسمها (تشبه البدر بوجهها ، وتشبه الغصن بقامتها) .

(١٩٦٠ م) ١ : ١١١ – ١١٢ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٢ ، الملحق ١ : ٤٤٥ – ٤٤٦ ؛ زيدان ٣ : ٢٦ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٨١ .

ابن سنان الخفاجي

١ – هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمد بن سعيدِ بنِ سِنانٍ الخَفاجيُّ ، كانَ تِلْميذاً لأبي العَلاءِ المَعَرّيّ .

كان لرشيدِ الدولة محمودِ المِرْداسيِّ صاحبِ حَلَبَ وزيرٌ اسمُه أبو نصرٍ محمدُ ابنُ الحسنِ النّحاسِ فأشار أبو نصرٍ على رشيدِ الدولة أنْ يُوَلّيَ ابنَ سِنانٍ الخفاجيَّ على قلعةِ عَزاز. ثم إنّ الخَفاجيّ ثارَ على رشيدِ الدولة فدبّر رشيدُ الدولةَ مقتلَ الخفاجيّ بالسُّم سَنَةَ ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) ، في حديثٍ طويلٍ .

٢ – كان ابنُ سِنانٍ الخَفاجي أديباً بارعاً وشاعراً مُجيداً رقيقاً ، ومؤلّفاً له كتاب سِرّ الفَصاحة . قال ضِياء الدين بنُ الأثيرِ في ديباجة كتابهِ المَثَلَ السائر : « ولم أجِدْ ما يُنْتَفَعُ به في ذلك (في علمِ البيَان) إلاّ كِتابَ الموازنة للآمدي[1] وكِتابَ سِرّ الفَصاحة للخَفاجي .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ سِنانٍ الخَفاجيُّ يَصِفُ مَشيبَه :

إن راعني وَضَحُ المشيبِ فإنه ... بَرْقٌ تألّقَ بالخُطوب فأوْمَضا .
ولقدْ أضاءَ ، وأظلمتْ أيامُه ، ... حتّى عرَفْتُ به السوادَ الأبيضا !

– وقال يَصِفُ حَمامةً :

وهاتِفَةٍ في البانِ تُمْلي غرامَها ... علَيْنا وتَتْلو من صَبابَتِها صُحُفا .
عَجِبْتُ لها تشكو الفِراقَ جَهالَةً ، ... وقد جاوبَتْ من كُلّ ناحيةٍ إلْفا !
ويَشْجو قلوبَ العاشقين حَنينُها ، ... وما فَهِموا مِمّا تَغَنّتْ به حَرْفا .
ولو صَدَقَتْ في ما تقولُ من الأسى ... لما لَبِسَتْ طَوْقاً ولا صَبَغَتْ كَفّا[2] .

– وقال في النسيب :

يا عُيوناً بالحِمى راقدةً ... حرّمَ اللهُ علَيْكُنّ الكَرى[3] ،

---

(١) راجع ، فوق ، ص٢ : ٥٢٤ .

(٢) المعروف أن الحمام القاتم اللون (الاسود ، الازرق ، الاخضر ، البني) له شبه العقد حول عنقه ، وأن أرجل الحمام حمر . وهذان العقد والصباغ الاحمر في الرجل من اسباب الزينة والفرح .

(٣) الكرى : النوم .

لو عَدَلْتُنَّ تَساهَمْنا الهَوى ، مِثْلَ ما كُنّا اشتركْنا نَظَـرا :
نَظَرٌ مَـوَّهَ دَمْعاً لم يـزلْ يُفْصِح الوجد به حتى جرى .
ما على الغَيْرانِ من سُقْيا الحِمى ؟ أحـرامٌ عنده أن يُمْطَـرا !

– وقال في قلة المبالاة بالواشين :

ما عـلى الواشينَ مِنْ حَـرَجٍ ؛ مِثْلُ مـا بي ليس يَنْكَتِـمُ .
زَعَموا أنـي أُحِبُّكُـمُ ؛ وغَـرامي فـوقَ ما زعمـوا !

– من كتاب « سِرّ الفَصاحة » (ص ١٩٤ – ١٩٥) :

.... ومن شُروطِ الفَصاحةِ والبلاغةِ الإيجازُ والاختْصارُ وحَذْفُ فُضولِ الكَلام حتّى يُعَبَّرَ عن المعاني الكثيرةِ بالألفاظِ القليلة . وهذا البابُ من أشهرِ دلائلِ الفصاحة وبلاغةِ الكلامِ عند أكثرِ الناسِ حتّى إنّهم إنّما يَسْتَحْسنون من كتابِ الله تعالى ما كانَ بهذهِ الصفة . ومن الناسِ من يقولُ : إنّ من الكلام ما يَحْسُنُ فيه الاختْصار والإيجاز كأكثَر المُكاتبات والمخاطباتِ والأشعار ، ومنه ما يَحْسُنُ فيه الإسهابُ والإطالة كالخُطَبِ والكتب التي تُحتاجُ (إلى) أن يَفْهَمُها عَوامُّ الناسِ وأصحابُ الأذهانِ البَعيدة [١] ، فإنّ الألفاظَ إذا طالتْ فيها وتردّدتْ في إيضاح المعنى أثّر ذلك عندَهم ، ولوِ اقْتُصِرَ فيها على وَحْيِ الألفاظِ ومُوجَزِ الكلامِ لم يَقَعْ لأكثرِهم حتّى يُقال في ذِكْرِ السيف : الحُسام القاطع الجَزّار الباتر ، وفي وصف الشُجاع : البطلُ الفاتِكُ النجد [٢] الباسل ، وما يجري هذا المجرى . وقالوا : « ربّما كان ذلك (في) الكِتاب بالفَتْح [٣] أو (في) الخُطبة تُقْرأ في موقفٍ حافلٍ يَكْثُر فيه لَغَطُ الناسِ وصَخَبُهم فيُحْتاج إلى تَكرارِ الألفاظِ لِيكونَ ما يَفوتُ سَماعَه قد استُدْرِكَ (في) ما هو في معناه .

والذي عِندي في هذا الباب أنهم إن كانوا يُريدون بالإطالة تَكرارَ المَعاني والألفاظ [٤] الدالّةِ عليها وخروجَها في معاريضَ مختلفةٍ ووجوهٍ مُتَباينةٍ – وإنْ كان الغرضُ في الأصلِ واحداً – فليسَ هذا ممّا نحن بسبيلهِ لأنّه بمَنْزِلةِ إعادةِ كلامٍ واحدٍ مِراراً

---

(١) لعلها : البليدة راجع ص ١٧٠ ، السطر الثالث .
(٢) النجد (بفتح النون وضم الجيم ، او بفتح النون وكسر الجيم ، او فتح النون وضم الجيم) : الشجاع.
(٣) الظفر في الحرب .
(٤) لعلها : بالألفاظ .

عِدّةً ، فإنّ تلك الإعادة لا تؤثّر فيه حُسْناً ولا قُبْحاً . وإن كانوا يريدون أنّ المعنى الذي يمكن أن يُعَبَّرَ عنه بألفاظٍ يَسيرةٍ مُوجزةٍ قد يَحْسُنُ أن يُعَبَّرَ عنه بألفاظٍ طويلةٍ ليكون ذلك داعياً الى فَهْمِ العاميِّ والبليدِ له ، وتكون الإطالة في هذا الموضعِ خاصّةً أصحَ وأحمدَ كما أن الوَحْيَ والإشارةَ في موضعِهِما أوفقُ وأحسنُ ، فإنّا لا نُسَلِّمُ ذلك لأنّا نذهبُ الى أن المحدودَ من الكلام ما دلّ لفظُه على مَعْنـاه دَلالةً ظاهرةً ولم يكنْ خافياً ومُسْتَغْلِقاً ،..... فإن كان الكلام المُوجَزُ لا يدلّ على مَعْناه دَلالةً ظاهِرة فهو عندنا قبيحٌ مذمومٌ ، لا من حيثُ كانَ مُخْتصراً بل من حيث كان المَعْنى فيه خافياً ....

وقد قَسموا دَلالةَ الألفاظِ على المعاني ثلاثةَ أقسامٍ : أحدُها المساواةُ وهو أن يكونَ اللفظُ مُساوياً للمعنى ، والثاني التذييلُ وهو أن يكون اللفظ زائداً على المعنى وفاضلاً عنه ، والثالث الإشارة وهو أن يكونَ المعنى زائداً على اللفظِ ، أي أنه لفظٌ مُوجَزٌ يَدُلُّ على مَعْنىً طويلٍ على وجهِ الإشارة واللَمْحة ....

٤ ــ ديوان ابن خفاجة ، بيروت ١٣١٦ هـ .

سرّ الفصاحة (تحقيق علي فوده) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) .

الأصوات ومخارج الحروف العربيّة (تحقيق فؤاد حنّا ترزي) ، بيروت (مطبعة دار الكتب) ١٩٦٢ م .

** فوات الوفيات ١ : ٢٩٨ ــ ٣٠٠ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٧ ، الملحق ١ : ٤٥٤ ــ ٤٥٥ ؛ زيدان ٣ : ١٩ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٦٦ .

البـــاخرزي

١ ــ هو الشيخُ أبو القاسمِ (وقال بعضهم : أبو الحسن) عليُّ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ ابن أبي الطيِّبِ الباخَرْزي، نِسبةً الى باخَرْزَ (وهي ناحيةٌ من نيسابور بخُراسانَ) ، السِنْخيّ نِسبةً إلى السِنخ إحدى قُرى خراسان .

دَرَسَ الباخرزي في أوّلِ أمرهِ في بلدهِ ثمّ سَمِـــعَ الحديثَ وقرأ الفِقْهَ في نيسابور وحَضَرَ عـــلى عبدِ الله بنِ يوسفَ الجوينيِّ الفقيه (ت ٤٣٨ هـ) . بعدَئِذ غلبتْ عليه محبّةُ الأدب والانشاء .

كان بينَ الباخرزيِّ وبينَ أبي نصرٍ محمّدِ بنِ منصورِ الكُنْدُريّ معرفةٌ وزَمالةٌ في تلقّي العلم في نيسابور ــ وقدِ اتّفق للباخرزيّ أن هجا الكُندريّ ــ فلمّا وَزَرَ الكندريُّ

للسلطان طُغْرُلُ بك السَّلْجوقي (٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م) استدعى الباخرزيَّ الى بغدادَ وجَعَلَه يختلفُ الى ديوانِ الرسائل. ثمّ تقلَّبَ الباخرزي في عددٍ من مناصبِ الدولة. ومدح الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ – ٤٦٧ هـ). وعاشَ حيناً في البصرة.

وأخيراً عاد الباخرزي الى باخَرْزَ حيثُ قُتِلَ في مجلسِ أُنْسٍ في ذي القَعْدة من سَنَةِ ٤٦٧ (حزيران – يونيو ١٠٧٥ م) وذَهَبَ دمُهُ هَدْراً.

٢ – الباخرزيّ شاعرٌ مكثرٌ مطبوعٌ مُجيدٌ في المقطّعات أكثرَ من إجادته في القصائدِ، يَطْبَعُ شعرَه أحياناً على غِرارِ جَريرٍ. وفنونُه المدحُ والغزل وشيءٌ من المُجون والخمر. وللباخرزي كتابُ «دُمْيَةُ القَصْرِ وعُصْرة أهل العَصر»* (في شعراء القرن الهجريّ الخامس)، وهو تَتِمّةٌ لكتابِ الثعالبي «يتيمة الدهر». ولعلّ مما حمله على تأليف هذا الكتاب أن أباه كان جاراً للثعالبي في نيسابور.

٣ – مختارات من آثاره

– قال الباخرزي يَصِفُ قَسوةَ الشتاء ويصف الماءَ يُقْذَفُ به في الجوّ الشديدِ البردِ عُلُوّاً فيَجْمُدُ حالاً ثم يَسْقُطُ على الأرضِ بَرَداً (العودانِ: عود الغناء وعود الطيب):

كم مؤمنٍ قَرَصَتْهُ أظفارُ الشتا ... فغدا لسُكّان الجحيمِ حَسودا.
وترى طيورَ الماءِ في وُكُناتِها ... تختارُ حرَّ النار والسَفّودا[1].
واذا رَمَيْتَ بفضلِ كأسِكَ في الهوا ... عادتْ عليك من العَقيق عُقودا.
يا صاحبَ العُودينِ، لا تُهْمِلْهُما: ... حَرِّكْ لنا عوداً وحَرِّق عودا!

– وقال الباخرزيّ في الغزل:

ألا سُقِيَتْ أطلالُ لَيْلى، وإنْ عَفَتْ ... مَغانِي غَوانيها ووَلّى زمانُها[2].
تُوُفِّيَتِ اللذّاتُ في عَرَصاتِها، ... لذاك بكت نَوّاحةً ورشانُها[3].

(*) سبعة أقسام: شعراء البدو والحجاز – شعراء الشام وديار بكر وآذربيجان والجزيرة وبلاد المغرب – فضلاء العراق – شعراء الري و (منطقة) الجبال – فضلاء جرجان واستراباد ودهستان وقومس وخوارزم وما وراء النهر – شعراء خراسان وقهستان وسجستان وغزنة – طبقة من أئمة الادب لم يجر لهم في الشعر رسم.

(١) تجد الطيور ترتجف في وكناتها (جمع وكنة بضم فضم: عش الطائر في جدار) ترتجف من البرد وتتمنى أن لو تشك بالسفود وتشوى على النار. (٢) مغاني غوانيها: مساكن نسائها الجميلات.

(٣) العرصة (بفتح ففتح): الباحة العراء (بغير بناء). –لما ذهبت الأيام التي كنا نألف فيها اللذات في =

وعَهْدي بها من قبلُ حُمْراً جِمالُها وخُضراً مراعيها وبِيضاً حِسانُها[1] ؛
فطَوْراً بلَثْمِ الناي يُغْنى زنامُها ، وطوراً بضَرْبِ العود يُغْرى بَنانُها[2] .
وتحسو عصير السَّيلِ أغصانُ دَوْحِها فتَهتَزّ سُكْراً والطيورُ قِيانُها[3] !

— من مقدّمة دُمْيةِ القَصْر (طريقة تأليفها) :

.... ولهذا الشأنِ لا أزالُ أهُبّ على كلّ بُقعةٍ مذكورةٍ ، وأحُطّ رَحلِيَ من كُورةٍ الى كورة — وقد ولّيتُ وَجْهِيَ شَطْرَ الفُضَلاء الوجاه ، وبسطت حُجْرِيَ لالتقاط دُرّ الشفاه[4] ..... فلله سُلّمٌ فيه ارتقيتُ ، وأعيانٌ بِهِمُ التقيتُ ، ونجومٌ بأيِّهِمُ اقتديتُ اهتديتُ[5] ؛ وان لم يتيسّر الوصول اليها والفراغ منها إلاّ وقد وَخَطِ القَتِير وطلع النّذير وانضمّ الخَيط الأبيض من الفجر الى الخيط الأسود من الشعر ؛ فخلّى الفَوْد مُشتعلاً والفؤاد مُشْتغلاً[6] وأضاف الذَوْدَ الى الذودَ فصارت إبِلاً[7] ،

= تلك الاماكن ، حزنت ورشانها (بكسر الواو ، وهي جمع ورشان بفتح ففتح : ساق حر : نوع من الحمام).

(١) حمرا جمالها الخ (كناية عن الخصب والنعيم) .

(٢) زنام (بضم الزاي) زمار حاذق كان لهرون الرشيد . بنان أصابع — تصدح تلك الورشان (بكسر الواو) صوتاً يشبه تزمير زنام (تأمل الموازنة بين زنام الزمار وبين زنمتي الأذنين للمقابلة بين لثم الناي وبين تقريبه الناي من جانب الفم) . وبنان : مغن (غ ٩ : ٣٠٢ الخ) .

(٣) — تشرب دوحها (أشجارها الكبيرة) من صفوة ماء السيل (تشبيهاً له بالخمر) فتمايل أغصانها مع ريح الشتاء (كأنها سكرى) ، وتغني الاطيار على أغصانها (بعد انقضاء المطر) كأنها قيان (نساء حسان مغنيات في مجلس خمر) .

(٤) حط رحله : قطع سفره ، استقر في بلد بعد بلد في أثناء السفر . الوجاه ليست في القاموس بالمعنى الذي قصده الباخرزي (راجع ٤ : ٢٩٥) . المقصود الوجوه أو الوجهاء . الحجر : الحضن (ما بين فخذي الانسان اذا جلس) .

(٥) بأيهم اقتديت اهتديت : كل (شاعر) استمليت بعض شعره هو مطلوبي (اقتباساً من حديث للرسول : أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

(٦) وخط (استوى) القتير (الغبار ، كناية عن الشيب) = أصبح الشعر الابيض في رأسي مساوياً للشعر الاسود في المقدار . النذير : (الشيب) ينذر (يهدد) بقرب الموت. انضم الخيط الابيض (الشعرة البيضاء) من الفجر الى الخيط الاسود من الشعر. الاستعارة بعيدة ، ولعل المقصود : زاد الشيب في رأسي . خلى (ترك ، جعل) الفود (الشعر في جانب الرأس ، وهو يتأخر في الشيب عادة. فاذا شاب الفود فمعنى ذلك أن جميع شعر الرأس قد شاب). مشتعلا (ملتهباً كالنار)، قد عمه الشيب . اشتغل الفؤاد : أخذته الهموم (لقرب الاجل وانقطاع عمل الحياة) .

(٧) الذود : بضعة جمال . وفي المثل: من الذود الى الذود إبل (= باضافة بضعة جمال الى بضعة جمال يصبح لك قطعان ابل كثيرة — يقصد أنه جمع كتابه « دمية القصر » قليلا قليلا حتى تم) .

وذلك في شهور سَنَة أربعٍ وستينَ وأربعمائةٍ ....

وهذا حينَ أسوقُ صدرَ الكتاب الى العَجُزِ ... وكنت على ألاّ أزاودَ الثعالبيّ في يتدميته ولا أزِجّه في كريمته الاّ ما تَجَذَّبتْ شؤونُ الأحاديث اليه فأفرِغَ كلامي عليه .... فكَرّرْتُ في كتابي هذا أسماءَ قومٍ من أعلامِ العلوم الذين هم أسْنِمَةُ الأدبِ وغَواربه ، ومنهم مَشارِقُ الشِعْر وفيهم مَغاربه ممّن رأيتُه وكان لقاؤه لعيني كُحْلاً أو سمعتُ به فكانت أخباره لسمعي تحلا[1] (!) .... واذا أنا كنزتُ على شعراء العصرِ جَريدةً فريدة ثم انتهيت الى مكانهم منها فأسقطت شُذورَهم من النِظام ، وطَفَرْتُ الى من وَراءَهم طَفْرةَ النّظام لم آمنْ أن يُقالَ هذا رجلٌ ضيّق العَطَنِ قصير الشطنِ[2] قليلُ الثباتِ كثيرُ الوثَبَات يتخطّى رِقابَ الأحياء الى رُفات الأموات.....

فإنِ اتّفق من هذا الجنس شيء فلا مشاركة الا في اثبات الاسم ، والشرط ألاّ أعيد الاشعار التي تجمّلوا بها في كتبهم ، وان أعدتّ ذكر الشاعر الذي تكثّروا بــه في صحفهم[3] .....

ولا أُخْلي اسمَ كلٍّ فاضلٍ من إشارة الى سببٍ من أسبابه ، وإيماء الى نسبٍ مــن أنسابه . أللهمّ الاّ أقواماً ما عثَرتْ بأساميهم في الدفاتر فاشتبهتْ عليّ أغفالهم ولم تفتح

---

(١) صدر الكتاب (أوله) وعجزه (آخره) : أصبح الكتاب جاهزاً من أوله إلى آخره . وكنت على (قصدت) ألا أزاود الثعالبي في يتيمته (ألا أجعل كتابي أكبر من كتابه بأن أضم الشعراء الذين ضمهم هو ثم أضم اليهم جماعة آخرين) . لاأزجه (أطمنه) في كريمته (كتابه القيم)، أي أسرق منه.... إلا ما جاء من ذلك عرضاً فاتفق أن ذكرت في كتابي مثل ما ذكر في كتابه . تحلا (؟) لعلها نحلا (بضم النون مجانسة كحلا) : عطية .

(٢) أسقطت شذورهم (الشذور قطع صغيرة من الذهب توضع واحدة منها بين كل حبة وحبة من حبات اللؤلؤ في العقد) : تركت الذين ليس لهم الا قليل من الشعر . النظام (الخيط الذي تجمع به حبات العقد) . طفرت : قفزت (تركت) . طفرة النظام : الطفرة قضية من قضايا الفلسفة الرياضية وردت عند زينون الايلي (ت ٤٣٠ ق.م) تقول : اذا كانت المسافة بين نقطتين تتألف من نقاط غير متناهية ، فكيف يمكننا أن نقطعها في زمن متناه ؟ والجواب : إننا حينما نسير لا نمس جميع النقاط التي يتألف منها الخط الذي نتبعه في سيرنا ، بل نطفر (نثب ، نقفز عن نقاط من غير أن نمسها) . وقد تكلم أبو اسحق ابراهيم النظام (ت ٢٣١ هـ) في هذه القضية حتى أصبحت جزءاً من عقيدته الفلسفية . يقصد المؤلف : لم أضم في كتابي جميع الشعراء الذين في زماني ؛ ولكني جمعت عدداً من أشعار الاحياء ولم آخذ شيئاً لأحد من الأموات (الذين سبقوا زمني) . العطن : مبرك الابل . ضيق العطن : قليل المال (قليل المادة الأدبية) . قصير الشطن (الحبل) : لا يستطيع أن يستقي من الآبار (لم يستطع أن يملأ كتاباً بشعر للأحياء فأضاف اليه شعراً من دواوين الشعراء الذي ماتوا) .

(٣) — احيانــاً أذكر اسم شاعر ورد في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي ولكن أذكر له أشعاراً جميلة لم تذكر في اليتيمة .

على يدي أقفاهُم[١] . والعُذرُ فيه أن الحُداةَ لم تتَغَنَّ بأشعارهم والرياحَ لمْ تَهُبَّ بأخبارِهم والليالي لم تَطُنَّ بأسمارهم[٢] ... وقد فَهْرَسْتُ أسامِيَ الفضلاء ، ثمّ فرّقت عليها نظري أرؤساً وأقلاماً (لعلّها : أقداما) وجعلتُ طَبَقاتها المُرتّبة أقساماً . ثمّ أخرجتُ أقسامَ طَبَقاتِ الاسماء على عدد طِباقِ السماء[٣] ، فلكلّ مقام مقال ، ولكلّ طبقة رجال ، وهم أزواج ثلاثة : منهم السابقون الاولون ، ومنهم اللاحقون المخضرَمون ، ومنهم المحدَثون العصريون .....

وقد سمّيت الكتاب « دُمْيَةَ القَصْرِ وعُصْرَةَ أهلِ العَصْر » ....

— أسلوبه في سياقة التراجم : (ص ٩١ — ٩٢) :

حمد بن فُورَجّه : هو في الصَنعةِ من الفُحول ، والتنبيهُ على فضله طَرَف من الفُضول . وشعره فَرْخ شعر الأعمى ، أعني شاعرَ معرّةِ النُعمان ، وإن كان هـذا الفاضل مُنزّهاً عن مَعرّة العُميان[٤] ..... ومن أبكار معانيه قوله :

ما شأني حَبْسٌ ، ولا ضَـرّني ما جرّ من حادثِ إقتاري[٥] :
جَرّبني الدهـرُ بأحداثه تَجْرِبةَ الياقـوت بالنار[٦]

٤ — دمية القصر وعصرة أهل العصر (نشرها محمّد راغب الطبّاخ) ، حلب (المطبعة العلمية) ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) ؛ (تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو) ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) .

ملتقطات (مقتطفات) من شعر الباخرزي (في ذيل الخريدة) .

** معجم الادباء ١٣ : ٣٣ — ٤٨ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٥٨ — ٥٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٢٧ — ٣٢٩ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٢ ، الملحق ١ : ٤٤٦ ؛ زيـدان ٣ : ٢٦ — ٢٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٩٥٢ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٨١ .

---

(١) ما عثرت بأساميهم في الدفاتر (في الكتب المؤلفة). اشتبهت علي أغفالهم (أسماؤهم المرموز بها اليهم ، نحو : أبو الفرج = أبو الفرج الأصفهاني ، أبو الفرج بن النديم ، ابو الفرج بن هندو الخ ؛ العسكري = الحسن العسكري ، أبو أحمد العسكري ، أو هلال العسكري) .

(٢) الحداة (سائقو الابل) لم تتغن باشعارهم : لم تنتقل أشعارهم (من بلد الى بلد فتصل الي). الرياح لم تهب بأخبارهم ، الليالي لم تطن بأسماهم : لم يشتّهروا .

(٣) طباق السماء سبعة . راجع أقسام الدمية السبعة ، ص ١٧١ ، الحاشية .

(٤) شاعر معرة النعمان : ابو العلاء المعري .المعرة : العيب .

(٥) الإقتار : الفقر .

(٦) الياقوت لا يحترق بالنار (!)

الواحـــدي

١ – هو أبو الحَسَنِ علي بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ مَتُّويَهْ الواحِدي ، من أهلِ نيسابورَ، تلقّى العِلْمَ على شيوخِ عصرِهِ في بلدِهِ ثمّ كان كثيرَ الرِحلةِ في طلبِ العلمِ . وقد سمّى شيوخه في مُقدّمة « البسيطِ » (في شرح القرآن) فنقَلَ ياقوتُ بعضَ ذلك (معجم الادباء ١٢ : ٢٦٢ – ٢٧٠) . بعدئذٍ قعد سنينَ للتدريسِ والإملاء ونالَ حَظوةً عند نِظامِ المُلْك . وتُوُفّي الواحدي بعــدَ مَرَضٍ ، في جُمادَى الثانيةِ ٤٦٨ (أوائل ١٠٧٦ م) ، في نيسابور .

٢ – كان الواحدي من أئمّة التفسير واللغة والنحو والأدب ، وله شعْرٌ قليلٌ من شعر العلماء . ومُصنّفاته كثيرةٌ أشهرُها تفاسيره للقرآنِ المَجيد : البسيطُ (شَرْحٌ وافٍ مفصّل) – الوسيط (شَرْح وَسَطَ مُختارٌ من البسيط) – الوجيز (مُخْتَصر جدّاً) . وله أيضاً نَفْيُ التحريف عن القرآن الشريف – أسبابُ النزول – كتاب تَفْسير النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم . وكذلك له : التحبير في أسماء الله الحُسْنى – المَغازي – الإغراب في الإعراب (نحو) – شرح ديوان المتنبّي .

٣ – مختارات من كلامه

– التوطئة لتفسير القرآن . قال الواحدي : (معجم الادباء ١٢ : ٢٦٤) :

.... وقرأتُ الكثيرَ من الدواوين واللغةِ حتّى عابني شَيْخي[١] – رَحِمَهُ اللهُ – يوماً وقال : إنّك لم تُبْقِ ديواناً من الشعر إلاّ قَضَيْتَ حقّه ، أمّا لكَ أن تَتَفرّغَ لتفسيرِ كتابِ اللهِ العزيز تَقْرَأه على هذا الرجلِ الذي تأتيه البُعداءُ من أقْصى البلادِ وتَتْرُكُه أنتَ على قُرْبِ ما بيننا من الجِوَار – يَعْني الأُستاذَ الإمامَ أحمدَ بنَ محمّدِ بنِ إبراهيم الثَعْلبي[٢] – فقلتُ : « يا أبت ، إنّما أتَدرّجُ بهذا إلى ذلك الذي تُريدُ ؛ وإذا لم أُحْكِمْ الأدبَ بجِدٍّ وتَعَبٍ لم أرْمِ في غَرَضِ التفسير من كَثَب[٣] » . ثُمّ لم أغِبّ زيارتَه[٤] في يومٍ من الأيامِ حتّى حالَ بيننا قَدَرُ الحِمام[٥] .

(١) شيخي : والدي .

(٢) أحد علماء تفسير القرآن الكريم (ت ٤٢٧ هـ – ١٠٣٥ م) له كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن وغيره .

(٣) لم أصب التفسير .

(٤) أغب الزيارة : قام بها يوماً بعد يوم . لم أغب زيارته : لم أترك زيارته (زيارة الثعلبي) يوماً .

(٥) الحمام : الموت .

٤ ــ أسباب النزول، القاهرة (مطبعةهندية) ١٣١٥ ؛ مصر ١٣١٦ هـ (معجم سركيس ص ١٩٠٥) ؛
القاهرة (مؤسّسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع) ١٩٦٨ م.
شرح ديوان المتنبّي (حرّره ديتريصي) ، برلين (ميتلر) ١٨٦١ م ؛ بومبيْ ١٢٧١ هـ .
الوجيز في تفسير القرآن العزيز (بهامش « التفسير المنير لمعالم التنزيل لمحمّد بن عمر النوويّ ، مصر ١٣٠٥ هـ).
** دمية القصر ٢٠٣ ــ ٢٠٤ ؛ معجم الأدباء ١٢ : ٢٥٧ ــ ٢٧٠ ؛ أنباه الرواة ٢ : ٢٢٣ وما بعد ؛
وفيات الأعيان ٢ : ٨ ــ ٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٣٠ ؛ بروكلمان ١ : ٥٢٤ ، الملحق ١ :
٧٣٠ ــ ٧٣١ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٥٩ .

الشريف البياضي

١ ــ هو الشريفُ أبو جعْفرٍ مسعودُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ المحسنِ بنِ الحسن بن عبد الرزّاق، قيلَ هومن نسل عبدِ الله بنِ عبّاسِ بنِ عبد المُطّلِب بن هاشمٍ . ويرْجِع لَقَبُه « البياضيّ » الى أنّه كان كثيرَ لُبْسِ الثيابِ البيضِ ، وقيلَ بل لأنّ أحدَ أجدادِه كان في مجلسِ بعضِ الخلفاء العبّاسيّين في جماعةٍ يلبَسُونَ السَوادَ وهو وحدَه في ثيابٍ بيضٍ ، فقال الخليفةُ : من هذا البياضيُّ ؟ فمنْ هنا جاء لقبه . وكان مولدُ الشريف البياضيّ في بغدادَ ، وفيها أيضاً كانت وفاتُه في سادسِ ذي القَعْدة من سَنَةِ ٤٦٨ هـ (٢٢/ ٦/ ١٠٧٦ م) .

٢ ــ الشريفُ البياضيّ شاعرٌ مُقِلٌّ مطبوعٌ مُجيد ، في بعضِ شعرِه جمالٌ ورقّة . وأغراضُه الوصفُ والغزل والنسيب وبعضُ المديح .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال الشريفُ البياضي في النسيب :

يا من لَبِسْتُ لِبُعْدِه ثوبَ الضَنَى ... حتّى خَفيتُ بـه عن العُوّادِ ؛
وأنِسْتُ بالسَهَرَ الطويل فأُنْسِيَتْ ... أجفانُ عَيْني كيف كان رُقـادي .
إن كان يوسفُ بالجَمال مُقَطِّـعَ الـ ... أيْدي ، فأنتَ مُفَتِّتُ الأكبـاد !

ــ وقال أيضاً (أشني = أشنأ : أبغض ، اقبح):

يا ليلةً بـاتَ فيها البدرُ مُعْتَنِقـي ... الى الصَّباحِ بلا خوفٍ ولا حَذَرِ .
كلامُه الدُرُّ يُغْـني عن كواكِبِها ؛ ... ووجهُه عِوَضٌ فيهـا عن القمر .
فبينَما أنا أرْعى في محـاسنِهِ ... سَمْعي وطَرْفِيَ إذ أُنْذِرْتُ بالسَحَر .
ولم يكن عَيْبُها إلاّ تقاصُرُهـا ؛ ... وأيّ عيبٍ لها أشْنى من القِصَر !

وَدِدتُ لــو أنّها طالت عليّ ولــو أمْدَدتُها بسَواد القلب والبصر .

ــ وله قصيدةٌ مشهورةٌ مطلعُها : ان غاضَ دمعُكَ والرِكابُ تُساق ، قال فيها :

شَنّوا الإغــارةَ في القلوب بأعيُنٍ لا يُرتَجــى لأسيرِها إطلاقُ .
ونَمى الحديثُ بأنّهم نَذَروا دمي ؛ أوَلِي دَمٌ يــومَ الفِراق يُراق !

٤ ــ ** وفيات الاعيان ٣ : ٥٢٩ ــ ٥٣١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٣١ ــ ٣٣٢؛ الأعلام للزركلي ٨: ١١٣ ؛ ابن الاثير ١٠ : ١٠١ ــ ١٠٢ .

ابن بابشاذ المصري

هو أبو الحسنِ طاهرُ بنُ أحمدَ بنِ بابشاذَ ــ بن باب بن شاذ (بغية الوعاة ٢٧٢)ــ ابن داوودَ بن سُليمانَ بنِ ابراهيمَ ، أصلُه من العِراق ، من الدَيْلم ، جاء جَدّه أو أبوه تاجراً (قيل في الجوهر ، أي اللؤلؤ) الى مصر* .

وُلِــدَ ابنُ بابشاذَ في مِصْرَ وسَمِــعَ من يوسفَ بنِ يعقوبَ بنِ اسماعيلَ النَجيرَميّ (ت ٤٢٣ هـ) .

وقد وُلّيَ ابنُ بابشاذَ « مُتأمِّلاً » في ديوان الإنشاء في القاهرة : يتأمّل ما يَصْدِرُ من هذا الديوانِ من السجِلاّتِ والرسائل فيُصْلِــحُ ما فيها من الخَطأ (معجم الادباء ١٢: ١٨)، وكان ينَال على ذلك رِزْقاً حَسناً (راتباً كبيراً) . وكذلك كان يتناول رزقاً على الإقراء (إقراء النحو) في جامع عمرو (في الفسطاط) .

وتزهّد ابن بابشاذ في أواخرِ عُمُرِهِ واعتزل الناسَ وسكن غرفة على سَطْح جامع عمرو . واتّفق أنِ خَرَجَ ليلةً الى السطح فزلّت قدمُه فسقط فمات ، في الرابــع من رَجَبَ من سَنَةِ ٤٦٩ (٢/ ٢/ ١٠٧٧ م) .

ابن بابشاذ نَحْويٌّ مشهورٌ ومُصنّفٌ قديرٌ . وقد جَمَعَ تَعْليقةً ــ قواعــدَ وملاحظات ، يسمّيها ابن خلّكانِ « شكّة » (١ : ٤١٩) ــ تبلغ خَمْسَ عَشْرةَ مجلّدةً سمّاها النُحاةُ فيما بعدُ « تعليقُ الغرفة » [١] . هذه التعليقة انتقلت بعد موت ابن بابشاذ الى تلميذه أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ بَرَكاتِ السَعيديّ النَحْويّ اللُغَويّ المتصدّر بمَوْضِعِهِ في جامع عمرٍو للاقراء والمتولّي مكانَه للتحرير في ديوان الانشاء ؛

(*) في بغية الوعاة (ص ٢٧٢) : ورد العراق تاجراً في اللؤلؤ وأخذ عن علمائها ورجع الى مصر .
(١) في بغية الوعاة (ص ٢٧٢) : تعليق الفرقة .

ثمّ انتقلتْ من أبي البركاتِ الى أبي محمّدٍ عبدِ الله بن بَرّيّ النَحْوي ثمّ بعد ابن برّي الى صاحبهِ الشيخ أبي الحُسَينِ النحْوي المَنْبوز بثَلْط الفيل[1] ، وكان هؤلاء كلُّهم يتصدّرون لإقراء النحو في جامع عمرٍو مكانَ ابن بابشاذ ويتولّوْنَ فيما يَبْدو مكانَه في ديوان الانشاء لتحرير الرسائل والسجلاّت (إصلاحها من الخطأ اللُّغَوي والنَّحْوي) .

ولمّا مات أبو الحسينِ النَّحْوي انتقلتْ هذه التعليقةُ الى الملكِ ناصرِ الدين محمّدِ بن محمّدِ بن أيوبَ (ت ٦٣٥ هـ) ، وكان مُحِبّاً للعلم وذا عِنايةٍ بالنحو .

ولابن بابشاذ ، خِلافَ التعليقة : المقدّمةُ الكافية المُحْسِبَة[2] في فنّ العربيـة (في النحو) — شَرْح المقدّمة المحسبة — شرح الأصول لابن السرّاج — شرح النُخبة — شرح الجُمَل (للزجّاجيّ) .

٤ — ** معجم الادباء ١٢ : ١٧ — ١٩ ؛ انباه الرواة ٢ : ٩٥ — ٩٧ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤١٩ — ٤٢٠ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٤ ؛ بغية الوعاة ٢٧٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٣٣ — ٣٣٤ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٥ ، الملحق ١ : ٥٢٩ ؛ زيدان ٣ : ٥٥ ؛ الاعلام للزركلي ٣ : ٣١٨ .

المؤيد في الدين داعي الدعاة الفاطمي

١ — هو أبو نصرٍ هِبَةُ الله بنُ الحسينِ (أو ابن موسى) بن عِمْرانَ بن عليّ (أو ابن داوودَ) السَّلْماني (نِسبةً الى سلمانَ الفارسيّ) . والراجحُ أن يكونَ هذا النسبُ مصنوعاً ليجمعَ فيه صانِعُهُ من الأسماءِ الحسينَ وعليّاً وموسى بن عِمرانَ وداوودَ وسَلمانَ الفارسيّ . والمؤيّدُ في الدين لَقَبٌ متأخّرٌ على كلّ حالٍ ، وهو العَلَم الصحيح على هذا الرجل .

وُلِدَ المؤيّدُ في الدين في مدينةِ شيرازَ ، نحوَ سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م) ووَرِثَ المذهبَ الفاطميّ والدعوةَ إليه من أبيه في بَلَدٍ كان لا يزالُ مَذْهَبُ الناسِ فيـه السنّةَ . ففي آخرِ رَمَضان من سنة ٤٢٩ احتفل المؤيّد في نَفَرٍ من أتباعِهِ بعيدِ الفِطْرِ — لأنّ هذا العيدَ كان عندَ الفاطميّين قبلَ عيدِ أهلِ السُّنّة بيومٍ[3] —

---

(١) ثلط الفيل : سلح (بسكون اللام : روث ، قذر) .

(٢) يرى بروكلمان أن القراءة الصحيحة «المحسبة» وهو يورد قراءات أخر (الملحق ١ : ٥٢٩ ، الحاشية الثانية) . أما في بغية الوعاة (٢٧٢) ومعجم الادباء (١٢ : ١٩) وفي حاشية في إنباه الرواة (٢ : ٩٥) نقلا عن بغية الوعاة فقد ضبطت هذه الكلمة «المحتسب» .

(٣) نلاحظ في أيامنا أن مثل هذه المخالفة في تقديم عيد الفطر (أو تأخيره) تحدث حتى في البلاد التي يعيش فيها السنة والشيعة معاً احتجاجاً برؤية الهلال أو عدم رؤيته .

فكادت تَحدُثُ فِتنَةٌ في البلد فاضطُرَّ المؤيدُ إلى التنقّل بينَ شيرازَ وبسا[1] والأهوازِ مُتَخَفِّياً حيناً وغيرَ مُتَخَفٍّ حيناً آخرَ .

وبُعيد سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٦ م) انتقلَ المؤيّد في الدين الى مِصْرَ مركزِ الدولةِ الفاطمية آنذاك . ولكنَّ الوزير صَدَقَةَ بنَ يوسفَ الفَلاحيَّ[2] وآخرينَ من رجالِ الدولةِ الفاطمية حالوا بينَه وبينَ الاتّصالِ بالخليفةِ المُستَنْصِرِ الفاطميِّ مدةً لأنهم لم يُريدوا أن يَشْرَكَهُمْ في الدولة مُنافِسٌ جديدٌ (ولذلك كانوا قد حَجَبوا المستنصرَ واستبدّوا بجميعِ أمورِ الدولة) . غير أن المؤيّدَ في الدينِ استطاع الاتصال بالمستنصر في آخر شَعبانَ من سَنَةِ ٤٣٩ هـ (٢٠/ ٢/ ١٠٤٨ م) ثم أخـذ نفوذُه يَعْظُمُ في الدولة الفاطمية وأخذت مَكانته ترتفع .

ثم افتتح المؤيّدُ في الدين عهداً من المُراسلة بينَه وبين شيعةِ العراقِ للقضاء على الخلافة العبّاسية السُّنّيّة لأخذِ البَيْعة للخليفة الفاطمي ، وكانَ رأسُ هذه الحركة في العراق رجلاً يُعْرف بالبساسيريّ[3] . ومع أن البساسيريّ استطاعَ أن يَبْسُطَ شيئاً من النفوذِ على واسط والبصرةِ وعلى بغدادَ نفسِها وإقامةِ الخُطبة للفاطميين[4] ، بينما كان المؤيدُ في الدين قد استمال نفراً من الوُلاة في شَماليّ الشام وعدداً من القبائلِ ثم دَخَلَتْ جيوشُه ودُعاتُه الى المَوْصل وحَلَبَ ، فإنّ مَجيءَ السَلاجقة بقيادةِ أرْطُغْرُلْ بك قد بَدّل الحالَ وقَضى على الحَرَكةِ الفاطمية في المَشْرق .

عاد المؤيّدُ في الدين إلى مصر حيثُ خُلِـعَ عليه لَقَبُ داعي الدعاة (٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م)[5] . غيرَ أن حياتَه بعد ذلك اكْتَنَفَها الغموضُ الكاملُ . ولعلّ وفاتَه كانت سَنَةَ ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) أو بَعْدَ ذلك بقليل .

---

(١) بسا أو فسا بلدة في ايران الى الجنوب الشرقي من شيراز .

(٢) كان الفلاحي يهودياً ثم أسلم وولي الوزارة ، سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ – ١٠٤٩ م) وقتل في السنة نفسها

(٣) البساسيري أحد قواد الجند الديلم من مدينة بسا أو فسا . وكانت الدعوة الفاطمية منتشرة في الديلم منذ كان المؤيد في ايران قبل انتقاله الى مصر (راجع فوق ص ١٤٣) .

(٤) الخطبة : خطبة الجمعة والعيدين ، وفيها يذكر اسم الخليفة . فذكر اسم شخص في الخطبة معناه مبايعته بالخلافة .

(٥) داعي الدعاة كان في الدولة الفاطمية صاحب منصب سام فهو رئيس الدعاة . والداعي هو الذي يأخذ العهد وينشر الدعوة بين المستجيبين ، فنسبة داعي الدعاة الى الامام (الخليفة الفاطمي) كنسبة الوصي الى الناطق . وللناطق (الذي يبلغ الوحي عن جبريل عن الله ، كمحمد رسول الله مثلا). التنزيل : (قبول الوحي وإلقاؤه على من حوله). أما الوصي (الذي يوصي الرسول به للناس حتى يتبعوه ، كعلي بن أبي طالب مثلا) فله التأويل =

٢ – كان المؤيّدُ في الدين عالماً من علماء المذهبِ الفاطمي جَمَعَ آراءه وجادَلَ عنها شعراً في ديوانٍ له ونثراً في ثلاثة كُتُبٍ هي المجالسُ المؤيّدية أوسعُ كتبه وأهمّها ثم سيرةُ المؤيّد في الدين التي تَرْجَمَ فيها لنفسه (كتبَ فيها تاريخَ حياته بقلمه) ثم رسائلُه إلى أبي العلاء المعرّي في شأنِ امتناعِ المعرّيّ عن أكل اللحم.

شعر المؤيّدُ في الدين مُتَفاوتٌ أقله سَهْلٌ على شيءٍ من الرَوْنق وأكثرُه جافٍ مَعَ شيءٍ من الغموض لأنّ المؤيّدَ أرادَ أن يَبْسُطَ مذهبَ الفاطميين ويجادِلَ عنه، وليسَ ذلك من طبيعةِ الشعر الوُجداني. ويبدو أن مُبالغةَ المؤيّدِ في ذلك هي التي حادَتْ بشعرِه عن مَجْرى الوُجْدان؛ فلقدكان ابنُ هاني الأندلسيُّ (ت ٣٦٢ هـ) وتميمُ بنُ المُعزِّ الفاطميّ (ت ٣٧٩ هـ) وتميمُ بنُ المعزّ الصنهاجي (ت ٥٠١ – ومكانُ هؤلاء من هذا الكتابِ في الجزء المُتعلـق بالمغرب والأندلس – يُشيرون الى العقائدِ الفاطمية ثمّ يَظلّون على شيءٍ كثيرٍ أو قليلٍ من الوُجدان.

فلا ريبَ في أن شعرَ المؤيد قد خَضَعَ في هذا البابِ لقَدْرٍ كبيرٍ من التكلف، بالإضافة إلى التكلّف في الصِناعة المعنوية والصناعة اللفظية اللتين كانتا من خصائِص العصر.

ويميلُ المؤيّدُ في الدين الى أن يكونَ ذاتياً في شعرِه يُكْثِرُ التكلّمَ عن نفسه، وإلى أن ينتقدَ الناسَ الذين عاش بينهم لشدّةِ ما لَقِيَ منهم – غير أنه لم يَنْقُمْ عليهم وان كانَ أحياناً كثيرةً يَزْهَدُ في الدنيا ويَفْرَحُ بأنه مُقْبِلٌ على الموتِ وشيكاً وبسُرعة. ويرى محمدُ كاملِ حسينٍ أنّ المؤيّدَ كان متأثراً في شعره بالثقافة الفارسية وبالفنّ الشعري الفارسي. أما في مِصْرَ فقد اكتسبَ شعرُ المؤيّد عدداً من الخصائص المحلّية.

٣ – مختارات من آثاره

– قال المؤيّدُ في الدين داعي الدُعاةِ الفاطميُّ قصيدةً (رقم ٥، ص ٢١٥ – ٢١٨) يُجْمِلُ فيها عدداً من أوجهِ المذهبِ الفاطميّ (وفيها جانب من الوُجْدانِ الشِعريّ والسَلاسةَ). من هذه القصيدة:

= (تفسير الرموز الواردة في الوحي. – والذي يلمح أن الفاطميين لم يكونوا يرون مقاماً كبيراً للناطقين (الرسل الذين نزل الوحي عليهم كموسى وعيسى ومحمد) لأن هؤلاء كان عملهم تبليغ ما نزل عليهم من الوحي كما نزل. أما الذين كانوا يتولون تفسير الوحي وتأويل رموزه وشرح غامضه فالأوصياء أو الأسس (جمع أساس) كهرون بالاضافة الى موسى وشمعون الصفا (بطرس) بالاضافة الى عيسى وعلي بن أبي طالب بالاضافة الى محمد رسول الله (راجع ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، مقدمة محمد كامل حسين، ص ٥٥ – ٥٦، ثم ٥٣ – ٥٥).

إنّ أمرَ المَعادِ أكبرُ همّي ، فاهتمامي بما عداهُ فضولُ[1] .
كثُرَ الخائضونَ بحرَ ظلامٍ فيه ، والمُؤنسو الضياءِ قليلُ[2] .
قال قومٌ : قُصْرَى الجميعِ التلاشي ؛ فئةٌ مُنتهاهمُ التعطيل[3] .
وادّعى الآخرون نسْخاً وفسخاً ، ولهم غيرُ ذاك حشْوٌ يطول[4] ؛
وأبَوْا بعدَ هذهِ الدارِ داراً نحوَها كلٌّ من يَؤول يؤول[5] .
لم يرَوْا بعدَها مقامَ ثوابٍ وعقابٍ لهم إليه وُصول[6] :
فالمُثابون عِندَهم مُترَفوهم ، ولذي الفاقةِ العذابُ الوبيل[7] .
قال قومٌ — وهم ذوو العَدَدِ الجمْ م — : لنا الزنْجبيلُ والسلْسبيل[8] ،
ولنا بعدَ هذه الدارِ دارٌ طاب فيها المشروب والمأكول .
ولكل من المقالاتِ سُوقٌ وإمام ورايةٌ ورعيل[9] .
ما لهم في قبيلِ عقلٍ كلامٌ ، لا ولا في حِمى الرشاد قبول ،
أمّةٌ ضيّع الأمانةَ فيها شيْخُها الخاملُ الظلوم الجهول[10] .

---

(١) المعاد في الاسلام : بعث النفوس في أجسادها يوم القيامة للحساب ثم الخلود في النعيم (في الجنة) أو في العذاب (في النار) . وفي المذهب الفاطمي يفهم المعاد على ما جاء عند اخوان الصفا : رجوع الأنفس الجزئية (أنفس الأفراد) الى النفس الكلية (الى الله) . فضول : امر غير ضروري ولا يفيد .

(٢) كثر كلام أصحاب المذاهب في ذلك ، والذين آنسوا الضياء (النور ، أي عرفوا الحقيقة) قليلون .

(٣ و ٤) قصرى : ما يبقى في المنخل بعد النخل (وهنا : النتيجة) . التلاشي : العدم ، الفناء . التعطيل : القول بأن الله ليس له صفات أزلية .
النسخ : انتقال النفس الانسانية الى حيوان بهيم .
الفسخ : انتقال النفس الانسانية الى جماد (حجر ، حديد ، الخ) .

(٥و٦) جميع الذين ذكروا في البيتين السابقين ينكرون أن يكون للبشر دار غير هذه الدار (الدنيا) يعود الناس (النفوس) اليها ، للحساب (ثم الثواب والعقاب) .

(٧) — هؤلاء يعتقدون أن المنعمون في هذه الدنيا هم في الجنة ، والاشقياء في هذه الدنيا هم في النار (أي أن الحساب ، والثواب والعقاب والجنة والنار كلها في هذه الدنيا التي نحن فيها الآن — وكذلك يقول اخوان الصفا) .

(٨) قال قوم (يقصد أهل السنة من المسلمين) . العدد الجم : الكثير ، الكثرة ، جمهور الأمة . الزنجبيل : الخمر أو نبات له رائحة طيبة . السلسبيل : الخمر أو عين ماء في الجنة (ان الشاعر يخطىء علماء السنة الذين يفسرون القرآن تفسيراً ظاهراً ويجعلون الخلود في الآخرة جسمانياً) .

(٩) المقالات جمع مقالة : رأي أهل المذهب . الرعيل : الجماعة من الناس أو غيرهم (الاتباع) .

(١٠) أمة : أهل السنة من المسلمين . الامانة : وصية رسول الله بالخلافة لعلي بن أبي طالب . شيخها الخ : أبو بكر الصديق (لأنه قبل أن يتولى الخلافة بعد الرسول وهي لعلي) .

بِئْسَ ذاكَ الإنسانُ في زُمرةِ الإنســِ وشَيْطانُه الخَــدوعُ الخَذولُ [1] .

فهُمُ التائهــون في الارضِ هَلْكى : عِقْدُ دينِ الهُدى بِهِمْ مَحْلولُ ؛
نَكَسوا – وَيْلَهُمْ ! – ببابِلَ جَهْراً جمــلَ ذا وراءها تفصيــلُ [2] .
مَنَعوا صَفْوَ شَرْبَةٍ مــن زُلالٍ ليسَ إلاّ بــذاكَ يُشْفَى الغَليلُ [3] .
مَلَكوا الدينَ كلَّ أُنْثى وخُنْثــى وضعيفٍ بغيرِ بأسٍ يَصولُ [4] .
صَرَّفوا فيه مَنْ علا جِيدَه الغلُّ ، وأنَّى يُصرَّفُ المَغْلــولُ [5] .
لو أرادوا حقيقةَ الدينِ كانوا تَبَعــاً للذي أرادَ الرسولُ [6] ،
وأتَتْ فيه آيــةُ النصِّ : بَلِّــغْ ، يَوْمَ خُمٍّ لَمّــا أتى جِبْريلُ .
ذاكُمُ المُرتضى عَلِيٌّ بِحَقٍّ ؛ فَبِعُلْياه يَنْطِقُ التَنْزيــلُ [7] .
ذاكَ بُرْهــانُ ربِّهِ في البَرايــا ؛ ذاكَ في الأرضِ سَيْفُه المَسْلولُ [8] .

---

(١) شيطانه = شيطان أبي بكر : عمر بن الخطاب (لأن أبا بكر لم يكن يريد أن يتولى الخلافة فما زال به عمر حتى أقنعه) .

(٢) البيت في الاصل غير مفهوم . فاذ قرأنا « جملا » مكان « جمل » اتضح المعنى . نكسوا جملا : فسروا جملا (آيات من القرآن الكريم) تفسيراً منكوساً (مقلوباً ، خاطئاً) . ان هذه الجمل كانت « مجملة » (موجزة) تحتاج الى تفصيل (شرح وتأويل هم لا يعرفونه) . بابل : أرض الكوفة (كربلاء) . أعلنوا يومذاك أن قتال الحسين واجب لأنه خرج (ثار) على الخليفة يزيد بن معاوية – مع أن الخليفة في رأي الفاطميين كان الحسين ، وكان يزيد غير خليفة .

(٣) – منعوا الحسين أن يشرب قبل أن يحاربوه ويقتلوه . (راجع قصة مأساة كربلاء واستشهاد الحسين رضي الله عنه) .

(٤) ملكوا الدين (والخلافة عند الفاطميين – بخلاف ما هي عند أهل السنة – من أمور الدين لا من أمور الدنيا) كل أنثى (لعله يشير الى أن جماعة من المسلمين ساروا في جيش عائشة بنت أبي بكر وحاربوا علياً في معركة الجمل . وربما قصد الشاعر قبول أهل السنة بالاحاديث المروية من طريق عائشة ، بينما الشيعة كلهم لا يقبلون هذه الأحاديث) . خنثى (!) . وضعيف (لعل الشاعر يقصد عثمان بن عفان الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين) .

(٥) يضبط محمد كامل حسين « الغل » بفتح الغين ، و« يصرف » بفتح الراء المشددة (ديوان المؤيد ٢١٦) . والمعنى الباطن غير واضح لي .

(٦) للذي أراد الرسول : لعلي بن أبي طالب .

(٧) آية النص : الآية التي تنص (في رأي الفاطميين) عن خلافة علي للرسول . وفي رواية : آية النصر . – الملموح أن هذه الآية هي (٥ : ٦٧ ، سورة المائدة) : « يا أيها الرسول : بلغ ما أنزل اليك من ربك ؛ فان لم تفعل فما بلغت رسالته ... » يوم خم = يوم غدير خم ، يرى الشيعة أن علياً كان مع الرسول في سفر ، فلما وصلا الى غدير خم نزلا (وكان مع علي فاطمة والحسن والحسين) ، وأن الرسول أوصى يومذاك بالخلافة لعلي وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه » .

(٨) التنزيل : الوحي (القرآن الكريم) .

فأطيعوا جُهداً أُولي الأمـرِ منْهُمْ ، فلَهَمُ في الخلائقِ التَفضيل[1] :
أهلُ بَيْتٍ علَيْهِمُ نَزَلَ الذكْـرُ وفيه التحريمُ والتحليـل[2] .
هُمْ أمـانٌ من العَمى ، وصِراطٌ مستقيمٌ لنا ، وظِلٌ ظَليـل[3] .
هاكُمُ منْهُمُ بمِصْرَ إمـاماً هو بالنَفْيِ للشُكوكِ كَفيل[4] ،
جَدُّه المُصْطفى ، أبـوه عليٌّ ، أمُّه صَفْوَةُ النِساءِ البَتـول[5] .
فعلَيْهِ السـلامُ ما دام لـه من الناس التسبيحُ والتهليل[6]

٤ – ديوان المؤيّد في الدين (نشره محمّد كامل حسين) ، القاهرة (دار الكاتب المصري) ١٩٤٩ م .
سيرة المؤيّد في الدين داعي الدعاة : ترجمة حياته بيده (نشرها محمّد كامل حسين) ، القاهرة (الكاتب المصري) ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) .
المجالس المستنصرية ، القاهرة (دار الفكر العربي) بلا تاريخ .
** بروكلمان ، الملحق ١ : ٣٢٦ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٦٤ – ٦٥ .

عبد القاهر الجرجاني

١ – هو أبو بكرٍ عبدُ القاهر بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدٍ الجُرجانيُّ ، كان فارسيَّ الأصلِ من أهلِ جُرجانَ ، وُلِدَ فيها وأخذ فيها العلمَ عن أبي الحسنِ محمّدِ بنِ الحسين بن محمّد بن الحسين بن عبدِ الوارث الفارسيِّ النَحْويِّ (ت ٤٢١ هـ) . وقيل أخذ أيضاً عن أبي الحسن عليِّ بن عبد العزيز الجرجانيِّ (ت ٣٩٢ هـ –١٠٠٢ م) . ولم يغادر عبد القاهر الجرجانيّ جُرجانَ قطّ .

تصدّر عبدُ القاهر الجرجاني في بلده للتدريس . ويبدو أنّه قد تكسَّبَ بالشِعر ، فقد مَدَحَ نِظامَ المُلْكِ أبا الحسنِ عليَّ بنَ الحسنِ الطوسيَّ وزيرَ السلاجقة الذي اغتاله الباطنيةُ سنَةَ ٤٨٥ هـ ؛ ولكنّه لم ينلْ حَظوةً عند الممدوحين . ولم تُقْبِلِ الدنيـا على عبدِ القاهرِ الجرجانيّ فكان كثيرَ السُخْط على أحوالها وأمورها .

---

(١) أولي الأمر منهم (من آل البيت ، من نسل علي من فاطمة) . جهداً : بكل طاقتكم .
(٢) عليهم = على أولهم (على محمد رسول الله) . الذكر : الوحي (القرآن الكريم) ، وفي القرآن الكريم نجد ما حلله وما حرمه الله (ما أمرنا به وما نهانا عنه) . (٣) ونجاة يوم القيامة .
(٤) – ان وجود الامام (المستنصر) في مصر قائماً بالخلافة دليل على أن الخلافة للفاطميين .
(٥) أبوه : أحد آبائه (أجداده) . البتول (فاطمة بنت رسول الله وزوج علي) .
(٦) تبيان مقام الامام في العقيدة الفاطمية خارج عن تفسير هذه القصيدة في مقامنا هذا .

وكانت وفاةُ عبدِ القاهر الجرجاني في بلدهِ جُرجانَ سَنَةَ ٤٧١ هـ (١٠٧٨ م) في الأغلب .

٢ ــ كان عبدُ القاهرِ الجُرجانيّ من أئمّة اللغة والنحو والأدب عَزيزَ العلمِ ؛ قيل فيه : هو مؤسّسُ علمِ البَيانِ ، ولا ريب في أنه خطا بعلمِ البيان والبَلاغة نحوَ شيءٍ من التنظيم والتعليلِ المَنْطِقي ، فلقد كان أشْعَرِيَّ المذهبِ في علم الأصول (أي فَقيهاً مُتكلّماً) ، ويبدو أنّه طبّق شيئاً من أُصولِ علم الكلام على البلاغة .

وعبدُ القاهر الجرجانيُّ مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ له في النحو : المُغْني في ثلاثين مجلّداً ــ المقتصد (تلخيص للمغني) في ثلاثة مُجلّدات ، فرَغَ من تأليفهِ سَنَةَ ٤٥٤ هـ ــ التكملة (لعلّه استدراكٌ على كتاب الإيضاح لأبي عليّ الفارسيّ المتوفّى ٣٧٧ هـ) ــ الإيجاز (وهو اختصارٌ لكتابِ الايضاح المذكور) ــ العواملُ المائةُ (أو مائةُ عاملٍ) ــ الجُمَل (اختصار لكتاب العوامل المائة) ، ويُعْرَفُ أيضاً باسم الجُرجانية ، وقد شَرَحَه علماءُ كثيرون ــ التلخيص (شرح لكتاب الجمل) ــ العمدة (في التصريف) .

ولعبد القاهر الجرجانيِّ أيضاً : كتاب في العَروض ــ المختار من دواوين المتنبّي والبُحتُري وأبي تَمّام ــ شرح (سورة) الفاتحة ــ المعتضد (شرحٌ على كتابه « إعجاز القرآن) ــ الرسالة الشافية في الإعجاز (في عَجْزِ البشر عن مُعارضة القرآن الكريم في الإتيان بشيءٍ من مثلهِ) ــ المفتاح .

واشتهر عبدُ القاهر الجُرجاني بكتابينِ : « دلائلِ الإعجاز » و « أسرار البلاغة » :

أ ــ دلائلُ الإعجاز : هو كتاب في إعجاز القرآن ، أي أن القرآنَ الكريم في أعلى دَرَجات الفصاحة والبلاغة (من حيثُ التعبيرُ) حتّى أن العربَ قد عَجَزوا عن أن يُعارضوه (يُقلّدوه ، يأتوا بشيءٍ من التعبير عن مقاصدِهم يُشْبِهُ ما جاء فيه) مَعَ أن العربَ يومَ نَزَلَ القرآنُ كانوا مَعْدِنَ الفَصاحة وأربابَ البلاغة . ولم يكن عَجْزُ العربِ عن الإتيان بشي من مِثْلِ ما جاء في القرآن لأنّ القرآنَ في نفسهِ مُعْجِزٌ فقطْ ، بل لأنّ القرآن قد بَهَرَهُمْ أيضاً حتّى أقرَّ في أنفسِهم أنهم عاجزون عن مِثْلِ ذلك . ويتكلّمُ عبدُ القاهر الجرجانيّ في هذا الكتاب على وجوهٍ من النحو والبلاغة والشعرِ كلاماً يدلُّ كلّه على عَجْزِ البشر عن مُجاراةِ أسلوبِ القرآن (أو أساليبِ القرآن) في تصريفِ وجوهِ الفصاحة والبلاغة في مواضعها .

ب ــ أسرارُ البلاغة : في البيان خاصّةً وفي المعاني والبديع ، وكان بَحْثُهُ في هذهِ الأوجه من البلاغة أوسعَ في هذا الكتاب ممّا جاء في كتاب « إعجاز القرآن » .

وفي هذا الكتاب أيضاً يَعْرِضُ عبدُ القاهر الجرجانيّ لرأيه في الإعجاز ، وذلك أن الألفاظَ لا تُوجِبُ حكماً ولا يبدو فيها جَمالٌ إلاّ إذا أُلِّفَتْ نوعاً من التأليفِ ثمّ انْطَوَتْ على مَعْنىً . وفي الكتابينِ (إعجازِ القرآنِ وأسرارِ البلاغة) وجوهٌ مِن الشَبَهِ في الموضوعاتِ المطروقة وفي الأمثلة المضروبة .

ولعبدِ القاهر الجرجانيّ شِعرٌ من شعر العلماء بعضُه في المديح وأكثرُه في الشكوى والأدب . ثمّ هو بلا ريبٍ ناقدٌ من الطَبَقة الرفيعة .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من فاتحة كتاب « أسرار البلاغة » :

اعلَمْ أنّ الكلامَ هو الذي يُعطي العلومَ منازلَها ويُبَيِّنُ مراتبَها ويَكْشِفُ عن صورِها ويَجْني صُنوفَ ثَمرِها ويَدُلّ على سرائرِها ويُبْرِزُ مكنونَ ضمائرِها . وبه أبانَ اللهُ تعالى الإنسانَ من الحَيَوان (١) ونبّه فيه على عظيمِ الامتنان ، فقال ــ عزّ مِنْ قائلٍ ــ « الرحمنُ علّمَ القُرآنَ . خلَقَ الإنسانَ ، علّمه البيانَ »(٢) . فلولا (الكلامُ) لم تكُنْ لِتَتَعَدّى فوائدُ العلمِ عالِمَه ، ولا صحّ من العاقل أن يَفْتُقَ عن أزاهيرِ العقلِ كَمائِمَه(٣) ، ولَتَعَطَّلَتْ قُوى الخواطرِ والأفكارِ مِن معانيها .....

وإذا كان هذا الوصفُ مُقَوِّمَ ذاته(٤) وأخصَّ صفاته ، كان أشرفَ أنواعه ما كان فيه أجْلى وأظْهرَ .... والألفاظُ لا تُفيدُ حتّى تُؤَلّفَ ضَرْباً خاصّاً من التأليف ويُعْمَدَ بها إلى وَجْهٍ دون وجهٍ من التركيب والترتيب .... وهذا الحُكْمُ ــ أعني الاختصاصَ في الترتيب ــ يَقَعُ في الألفاظِ مُرَتّباً على المعاني المرتّبةِ في النفسِ المنْتَظِمَةِ فيها على قَضيّة العقل(٥) ....

وههنا أقسامٌ قد يُتَوَهّمُ في بدءِ الفِكْرة ، وقبل تمام العِبْرة ، أنّ الحُسْنَ والقُبْحَ فيهما لا يَتَعدّى اللّفْظَ والجِرْس(٦) الى ما يُناجى فيه(٧) العَقْلُ والنفس ......

---

(١) أبان الانسان من الحيوان : فرق أحدهما من الآخر (فضل الانسان) .
(٢) الكمائم = الاكمام : كأس الزهرة (الأوراق الخضر التي تضم الزهر قبل تفتحها) .
(٣) ذاته = ذات العلم ، جوهره وحقيقته .
(٤) المقصود = أن ترتيب الكلام تابع لترتيب المعاني في العقل .
(٥) الجرس (بفتح الجيم أو بكسرها): الصوت أو الصوت الخفي ، نغمة اللفظة .
(٦) ما يناجى به العقل والنفس : ما يتعلق بالفكر والعاطفة .
(٧) السماحة : الكرم . مذهب : طريقة ، مبدأ . مذهب : انصراف ، ابتعاد (عن أمر ما) .

(فمنَ ذلكِ) التجنيسُ والحَشْوُ .

أمَّا التجنيسُ ، فانّكَ لا تستحسنُ تجانُسَ اللفظتينِ إلاّ إذا كان موقعُ مَعْنَيَيْهِما من العقلِ مَوْقِعاً حميداً ، ولم يكُنْ مَرْمى الجامعِ بَيْنَهما مرمىً بعيداً . أتَـراكَ اسْتَضْعَفْتَ تجنيسَ أبي تمّامٍ في قولهِ :

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السماحةُ فالْتَوَتْ فيه الظنونُ : أَمَذْهَبٌ أم مَذْهَبُ ؟

واستَحْسَنْتَ تجنيسَ المُحْدَثِ[١] :

ناظِراهُ في ما جَنَى ناظِراه أَوْ دَعاني أَمُتْ بما أَوْدَعاني !

لأمرٍ يَرْجِعُ إلى اللفظِ أم لأنّكَ رأيتَ الفائدةَ ضَعُفَتْ (في) الأوّلِ وقَوِيَتْ في الثاني ؟ ..... فقد تبيَّنَ لكَ أنّ ما يُعْطي التجنيسَ من الفضيلةِ أمرٌ لا يَتِمُّ إلاّ بُنصْرَةِ المعنى ؛ إذ لو كان باللفظِ وحدَه لما كان فيه مُسْتَحْسَنٌ ، ولَما وُجِدَ فيه إلاّ مَعيبٌ مُسْتَهْجَنٌ . ولذلكَ ذُمَّ الإكثارُ منه والوُلوع به .

وقد تَجِدُ في المتأخّرينَ الآنَ[٢] كلاماً حَمَلَ صاحبَه فَرْطُ شَغَفِهِ بأمورٍ تَرْجِعُ إلى ما له اسْمٌ في البديعِ الى أن يَنْسى أنّه يتَكلَّمُ لِيُفْهِمَ ويقولُ لِيُبينَ[٣] ؛ ويُخيَّلُ إليه أنّه إذا جَمَعَ بين أقسامِ البديعِ في بيتٍ فلا ضَيْرَ[٤] أن يَقَعَ ما عَناه في عَمْياءَ ، وأن يُوقِعَ السامعَ من طلبهِ في خَبْطِ عَشْواءَ[٥] . وربّما طَمَسَ – بكَثْرَةِ ما يَتَكلّفُه – على المعنى وأفسدَهُ ، كَمَنْ ثَقَّلَ العروسَ بأصنافِ الحُليِّ حتّى يَنالَها من ذلك مكروهٌ في نفسِها ....

واعلَمْ أنّ غَرَضي في هذا الكلامِ الذي ابتَدأتُه والأساسِ الذي وضعتُه أن أتَوَصّلَ الى بَيانِ أمرِ المعاني كيفَ تتّفقُ وتختلفُ ، ومن أينَ تجتمعُ وتفترقُ ، وأفصِّلَ أجناسَها وأنواعَها ، وأتَتَبَّعَ خاصها ومَشاعَها ، وأُبَيِّنَ أحوالَها في كرَمِ

---

(١) ناظراه : (فعل أمر للمثنى من ناظر : جادل) . ناظراه : عيناه . أو دعاني (لفظتان) ، دعاني : أتركاني . أودعاني (لفظة واحدة : فعل ماض للمثنى الغائب مع ضمير متصل هو فاعل ثم نون الوقاية ثم ضمير آخر متصل هو مفعول به) : ضما في .

(٢) في زمن عبد القاهر الجرجاني (القرن الخامس الهجري = الحادي عشر الميلادي) .

(٣) يبين : يفصح ، يوضح .

(٤) لا ضير : لا ضرر .

(٥) أن يقع ما عناه في عمياء : أن يكون المعنى الذي قصده الكاتب غامضا على السامع . ان يوقع السامع من طلبه (طلب ما عناه الكاتب) في خبط عشواء (في تخيل عدد من المعاني من غير أن يهتدي الى المعنى المقصود) .

مَنْصِبِها * وتَمَكُّنَها في نِصابِهِ وقُرْبَ رَحِمِها [1] منه أو بُعْدَها حين تُنْسَبُ إليـــه .

– ولعبدِ القاهرِ الجُرجانيُّ في الشكوى من الممدوحين البخلاء :

لا تأمنِ النَفْثَةَ من شــاعرٍ ما دامَ حيّاً ســالماً ناطقا[2] ؛
فانّ من يَمْدَحُكُمْ كــاذباً يُحْسِنُ أن يَهْجُوَكم صادقا !

– وبالغَ في التشاؤمِ ولم يُصِبِ التعبيرَ الموفّق لما قال :

كَبِّرْ عــلى العِلْمِ ولا تَــرُمْهُ وَمِلْ الى الجهــلِ مَيْلَ هائم[3] .
وعِشْ حماراً تَعِشْ سعيداً ؛ فالسعدُ في طالعِ البهــائم[4] !

٤ – دلائل الاعجاز (تحقيق محمّد رشيد رضا) ، مصر (مطبعة الترقّي) ١٣١٩ – ١٣٢٠ هـ ؛ (صحح أصله الشيخ محمّد عبده والشيخ محمّد الشنقيطي) ، القاهرة (مطبعة المنار) ١٣٢١ هـ ، الطبعة الثانية ١٣٣١ هـ ؛ مصر (مطبعة الفتوح الأدبية) ١٣٣١ هـ ؛ (حقّقه محمّد بن تاويت) ، تطوان (المطبعة المهدية) بعيد ١٩٥٠ م .

أسرار البلاغة ، دمشق ١٣٠٩ ، ١٣١٩ ، ١٣٤٤ هـ ؛ (وقف على طبعه محمّد رشيد رضا) ، القاهرة (مطبعة الترقّي) ١٣٢٠ هـ ؛ مصر (مطبعة عيسى البابي الحلبي) الطبعة الثالثة ١٩٣٩ م ؛ (تحرير هـ. ريتّر) ، استانبول (مطبعة وزارة المعارف) ١٩٥٤ م .

العوامل المائة (تحرير أربينوس) ، ليدن ١٦١٧ م ؛ كلكتا ١٨٠٣ ، ١٨١٤ ، ١٨١٨ ، ١٨٩٧ ؛ بولاق ١٢٤٧ هـ ؛ تبريز ١٢٩٢ هـ .

المختار من دواوين المتنبّي والبحتري وأبي تمّام (في « الطرائف » لعبد العزيز الميمني)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م .

شعر الجرجانيّ (في « الطرائف » – راجع الكتاب السابق) .

(*) مكانتها وسمو قدرها في العقل .

(١) الرحم : القرابة . النصاب : الاصل والمرجع (بكسر الجيم) : النطاق أو الإطار الذي يكون فيه أمر من الأمور . ، المكان المخصوص بالشيء .

(٢) النفثة : النفخة اليسيرة يحاول أن يخفف بها الانسان بعض ما يشكو منه من الضيق .

(٣) كبر على العلم (أربع تكبيرات : صل عليه صلاة الجنازة) يقصد : أن العلم قد مات ، لم يبق منه فائدة . الهائم : المحب المدله بالحب . في طالع البهائم – تعبير معناه أن المولود يكون سعيداً أو شقياً في حياته بحسب النجم الذي يكون طالعاً في يوم مولده ، فجميع البهائم (الناس الجهلة) قد ولدوا في أيام كانت فيها كواكب السعود طالعة ، وجميع البشر (الناس العاقلون المتعلمون) قد ولدوا في الأيام التي كانت فيها كواكب النحس مشرقة (وفي بروج السماء التي تنزل فيها الكواكب اسماء حيوانات : برج الاسد – برج الحمل – برج العقرب) .

ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرمّانيّ والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني (تحرير محمّد خلف الله ومحمّد زغلول سلاّم)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٥ م.
الرسالة الشافية (طبعت مع «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – راجع الكتاب السابق).

** عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، تأليف أحمد أحمد بدوي (أعلام العرب ٨) الطبعة الثانية، القاهرة (مكتبة مصر) ١٩٦٢ م.
دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر الجرجاني في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير، تأليف عبد الهادي العدل، القاهرة (دار الفكر الحديث) ١٩٥٠ م.
عبد القاهر والبلاغة العربية، تأليف محمّد عبد المنعم خفاجي، القاهرة (المطبعة المنيرية) ١٩٥٢ م.
نظرية عبد القاهر في النظم، تأليف الدكتور درويش الجندي، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٦٠ م.

دمية القصر ١٠٨؛ طبقات السبكيّ ٣ : ٢٤٢؛ انباه الرواة ٢ : ١٨٨؛ فوات الوفيات ١ : ٣٧٨ – ٣٧٩؛ بغية الوعاة ٣١٠؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٤٠ – ٣٤١؛ بروكلمان ١ : ٣٤١ – ٣٤٢، الملحق ١ : ٥٠٣ – ٥٠٤؛ زيدان ٣ : ٤٦؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٧٤.

ابن حيوس

هو(١) الأميرُ مُصطفى الدولةِ أبو الفِتْيانِ محمدُ بنُ سُلطانِ بنِ حَيّوسٍ من قبيلة غَنِيٍّ بن أعْصُرٍ التي كانت في الجاهلية تَسْكُنُ نجداً ثم نَزَحَتْ طوائفُ منها الى العِراقِ والجَزيرة والشامِ. ثم رأينا حَيّوساً من أهلِ دِمَشْقَ وعلى شيءٍ من الوجاهة والعلمِ.

وُلِدَ الشاعرُ ابنُ حيّوسٍ في دِمَشْقَ آخرَ صفَرَ من سَنَةِ ٣٩٤ هـ (٢٨/ ١٢/ ١٠٠٣ م). وتلقّى طَرَفاً صالحاً من العِلم على والدِه وعلى خالهِ القاضي أبي نصرٍ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ هرونَ المعروفِ بابنِ الجُنْديّ الغَسّاني ثم على نَفَرٍ من العلماء والأدباء لا نَستطيعُ اليومَ أن نَقْطعَ بأسمائهم.

وفي ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) جاء أنُوشْتكين الدزبري أحدُ قُوّادِ الحاكمِ بأمرِ الله الفاطمي إلى دِمَشْقَ فَلَقيَه ابنُ حَيّوسٍ؛ وكانَ لهذا اللقاءِ أثرُه في نفسِ الشاعر. ولما احتجب الحاكم (٤١١ هـ = ١٠٢٠ م) انتقض نَفَرٌ من أمراءِ البَدْوِ على الحُكْمِ الفاطميّ: استبدّ حَسّانُ بنُ المُفَرِّج الطائيُّ بجَنوبِ فِلَسْطين، وسِنانُ بن عُلَيّانِ

(١) راجع مقدمة ديوان ابن حيوس لخليل مردم.

الكَلْبِيّ بدِمَشْقَ ، وصالحُ بنُ مِرداسٍ الكِلابيّ بحَلَبَ ؛ ثم اسْتتبَّ الأمرُ لهم بِضْعَ سَنَواتٍ. ولكنّ الدَزْبَرِيَّ اسْتطاعَ الاستيلاءَ على دِمَشْقَ سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) ثم على حَلَبَ (٤٢٩ هـ)، فانقطع إليه ابن حيّوس وأصبح شاعره.

ولما تُوُفِّيَ الدزبريّ (٤٣٣ هـ = ١٠٤١ م) مدح ابنُ حيوس نَفَراً من وُلاةِ الفاطميين على دِمَشْقَ، ولكنّ انقطاعَه كان إلى الوزيرِ أبي محمدٍ الحسنِ بن عليّ اليازوري* (٤٤٢ = ٤٥٠ هـ). ثم زادَ اضطرابُ الدولةِ الفاطمية فثارَ أهلُ دِمَشْقَ (٤٦٠ هـ = ١٠٦٨ م) بأميرِ الجيوشِ بدرٍ الجماليِّ والي الشام واضْطَروه إلى الخروجِ من قصرِ الإمارة، فكانَ ذلك إيذاناً بزَوالِ حُكْمِ الفاطميين. وغادرَ ابنُ حَيّوسٍ دِمَشْقَ الى طَرابُلُسَ (٤٦٤ هـ) لِيَمْدَحَ صاحبَها أمينَ الدولةِ ابنَ عَمّارٍ. غيرَ أنّ أمينَ الدولة تُوُفِّيَ في رَجَبَ من سنة ٤٦٤. وفي طَرابلُسَ لَقِيَ ابنُ حَيّوسٍ أُسامةَ بنَ مُنْقِذ فنَصَحَهُ أُسامةُ بأنْ يَفِدَ على مَحْمودِ ابنِ نَصْرٍ المِرْداسيّ صاحبِ حَلَبَ؛ فأكرمَهُ محمودٌ وجَعَلَ له ألفَ دينارٍ في كلّ عامٍ. ثم تُوفّي محمودٌ وَشيكاً (٤٦٧ هـ = ١٠٧٤ م) فخَلَفَهُ ابنُه نَصْرٌ فاستمرّ ابنُ حَيّوسٍ في مدحِ نصرٍ. وقُتِلَ نَصْرٌ يومَ عيدِ الفِطْرِ من سنة ٤٦٨ (١٠٧٦ م) فخلفه أخوه سابقٌ. وكانت حَظْوَةُ ابنِ حَيّوسٍ عند سابقٍ كحَظْوتِه عند أخيهِ وأبيهِ من قبلُ.

ثم انقضتْ دولةُ آلِ مِرداسٍ سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م) وخلفَتْها دولةُ بني عقيل التي كانت تَمْلكُ المَوْصِلَ وما وراءها؛ وحَكَمَ حَلَبَ منهم شَرَفُ الدولةِ أبوالمكارمِ مُسْلم بن عقيل. ومدح ابنُ حَيّوسٍ شَرَفَ الدولة فأجْزَلَ شرفُ الدولةِ عَطِيّتَهُ. وكانت وفاةُ ابنِ حَيّوسٍ بعدَ ذلك بمدةٍ يَسيرةٍ في شَعبانَ من سنة ٤٧٣[1]، في حَلَبَ.

٢ ـ ابنُ حَيّوسٍ شاعرٌ مُحْسِنٌ كان يُعارِضُ[2] أبا تمّامٍ ويذهب مذهبَه في الصنعةِ وفي الوَلَعِ بالجِناسِ؛ كما كان يُحاول تقليدَ البُحْتُريّ في ديباجتهِ. وابنُ حيوسٍ أفضلُ شعراءِ الشامِ بعدَ المَعَرّيّ؛ ثم هو فَصيحُ الألفاظِ متينُ التركيب

(*) يازور قرية على بعد ميل من يافا (فلسطين) شمالا.

(١) يبدأ عام ١٠٨١ م في منتصف شعبان من سنة ٤٧٣ هـ.

(٢) عارضه: سار معه (قلده ونظم مثل شعره).

طويلُ النَفَسِ غيرُ مُتفاوتِ الشعْرِ ، وفي شعره أثرٌ لثقافتهِ الواسعة . على أنّ أحسنَ شعرِهِ ما قاله في أواخرِ حياته .

تناول ابنُ حيوسٍ في قصائده فنوناً كثيرة ؛ ولكنّ أوسعَ فنونهِ وأحسنَها المديحُ . وله شيء يسيرٌ من الوصف والغَزَل والرثاء والتذكُّرِ للوطنِ بعدَ أن هَجَرَ دِمَشْقَ .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابن حيّوس يمدح ناصر الدولة بن حمدان (وبنو حمدان من تَغْلِبَ) :

سأصْبِرُ صبرَ الضبِّ، والماءُ ذو قذًى ؛ وأمشي على السَّعدان، والذُّلّ مركبُ[1] ،
وأقفو بعــزمي أسرةً تَغْلَبِيَّــةً الى الموت – مما يُكْسِبُ العارَ – تَهْرُبُ.
ولست كمن أنحــى عليه زمــانُه فظلّ على أحــداثهِ يَتَعَتَّبُ[2] :
تَلَذّ له الشكوى – وان لم يُفِدْ بهــا صلاحاً – كما يَلْتَذّ بالحكّ أجرب .
رَغِبْتُ بنفسي أن أكون مُصاحبــاً أناساً اذا قِيدوا الى الذلّ أصحبوا[3] ،
فجاورت مَلْكاً تستهلّ يمينُــه نَدًى حين يرضى أو ردى حين يغضب.
تدور كؤوس الحمد حيناً فينتشي ، وطورا تُصِلُّ المُرْهَفات فيطرب[4] .
خلائقُ كالمــاء الزلال ، وتحتهــا من العزم والإقدام نــارٌ تَلَهَّبُ .
ثَبَتَّ ثباتاً لم يكــن لابن مُسْلِمٍ ، وأُوتيت صبراً لم يَنَلْهُ المُهَلَّب[5] .
وكم زرتَ أحياء فلم يُغْنِ عنهُــمُ طِعانٌ ، ولا نجّاهمُ منك مهرب[6] ؛

---

(١) الضب حيوان كالحرذون (عظاءة) يصبر على العطش . السعدان نبات ذو شوك . – اذا كان الماء ذا قذر وكدر فضلت أن أبقى بلا شرب ، واذا عرضوا علي مركباً ليناً يذل نفسي فضلت أن أمشي على الشوك . = أفضل كرامة نفسي على لين العيش .

(٢) أنحى عليه زمانه : أقبل عليه بالمصائب . يتعتب : يصف ما نزل به من المصائب ، يشكو ، يعجز عن التجلد .

(٣) اذا قيدوا الى الذل أصحبوا (تبعوا ، قبلوا) : اذا سيموا الذل رضوا به .

(٤) كؤوس الحمد : المديح ، ذكر الاعمال المجيدة . ينتشي : يثمل ، يسكر من الاغترار . تصل المرهفات : تحدث المرهفات (السيوف) صوتاً .

(٥) ابن مسلم = قتيبة بن مسلم . المهلب = المهلب بن أبي صفرة ، وهما من القادة العظام في أيام بني أمية .

(٦) أحياء : أحياء من الاعراب ، قبائل . – فكم من مرة جهزت حملات على القبائل الثائرة فلا هم استطاعوا أن يقابلوك بالحرب ولا أن يهربوا منك فهلكوا .

يَوَدّون مُذْ صار الصباحُ طليعـةً لجيشك أن الدهـر أجمعَ غَيْهَبُ[1] .
فهل لك في من لا يَشينك قربُه ، ويُعْرِبُ إن أثنى عليك ويُغْرِب[2] .
اذا صاغ مدحا خِلْتَه من مُـزَيْنَةٍ ، وتَحْسَبُه من عُذْرَةٍ حين يَنْسِب[3] .
قوافٍ هِيَ الخمر الحلال وكأسُهـا لساني ، ولكنْ بالمسامع تُشْرَب .

٤ ــ ديوان ابن حيّوس (خليل مردم) ، دمشق (منشورات المجمع العلمي العربي) ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م .

** الوافي بالوفيات ٣ : ١١٨ ــ ١٢١ ؛ المحمدون من الشعراء ٣٦٣ ــ ٣٦٤ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ١ : ٢٥٨ ، ٢ : ٧٤ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٧٧ ــ ٣٨١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٤٣ ــ ٣٤٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٧ ، الملحق ١ : ٤٥٦ ؛ زيدان ٣ : ١٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٩٠ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ١٧ــ١٨ .

ابن الشبل البغدادي

١ ــ هو أبو علي الحسينُ[4] بنُ عبدِ الله بنِ يوسفَ بنِ أحمدَ بن شبلٍ البَغْداديُّ ، وِلِدَ في بغداد ونشأ فيها . وقد سَمِـعَ غريبَ الحديث من أحمدَ بنِ عليٍّ الباذي وأخذ عن أبي نَصْرٍ يحيي بن جريرٍ التكريتي . ويبدو أنه قد قضى حياتَه كلّها في بَغدادَ ، فقد رآه الباخِرْزي فيها سَنَةَ ٤٦٤ هـ أو بعدَ ذلك بقليلٍ[5] ، وكان آنذاك من ساداتِها الوُجهاءِ وشعرائها الكِبار وقُضاتِها (؟) .

وكانت وفاة ابن الشبل البغدادي في بغدادَ في المُحرّمِ من سنة ٤٧٤[6] .

٢ ــ كان ابنُ الشِبلِ البغداديُّ متميّزاً بالحكمة والفلسفة خَبيراً بصناعة الطبّ وبالفلك ، وأديباً فاضلاً وشاعراً مُكْثِراً مُجيداً . وفنونُه الادبُ (الحكمة) والرثاء والنسيب ، وله شيءٌ من الوصف والخمر . وعلى أُسلوبه نفحةٌ أُموية متينة حيناً ونفحةٌ مُحْدَثةٌ رقيقة حيناً آخرَ .

---

(١) تعودت أن تغزوهم في الصباح (حتى لا تباغتهم ليلا وهم على غير استعداد ، شهامة منك) فكانوا يودون أن لو كان الدهر كله غيهبا (ليلا) حتى يأمنوا غزواتك .

(٢) يشينك : يعيبك . أثنى عليك : مدحك . أعرب : أبان (فضلك) . أغرب : ذكر فضائلك الغريبة (التي يعرفها قليل من الناس) .

(٣) ــ مديحه كمديح زهير بن أبي سلمى المزني ، ونسيبه (غزله) كنسيب جميل بن معمر العذري .

(٤) في الوافي بالوفيات (٣ : ١١) وفي فوات الوفيات (٢ : ٢٤٤) محمد بن الحسين ، والاغلب أنه خطأ .

(٥) دمية القصر ٨٣ ، راجع ٦ .

(٦) تبدأ السنة الهجرية ٤٧٤ في ١١/٦/١٠٨١ م .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ الشبلِ البغداديُّ قصيدةً رائيةً مشهورةً سارت بها الرُكبانُ وتداولها الرُواةُ ؛ على أن فيها شبهاً بقصيدةٍ للبُحتري[١] . وفي هذه القصيدةِ إشاراتٌ الى عدد من آيِ القُرآنِ الكريم والى عددٍ من قضايا الفِقْه وقضايا الفلسفة ومن قضايا الفلكِ على الاخصّ . ولعلّ فيها أيضاً لَمَحاتٍ من التصوّف .

من هذهِ القصيدةِ الرائيةِ لابن شبل البغداديّ :

بربّكِ ، أيها الفَلَكُ ، المُدارُ : أقَصْدٌ ذا المسيرُ أمِ اضْطِرار[٢] ؟
مَدارُكَ – قُلْ لنا – في أيِّ شيءٍ ؟ ففي أفهامِنا منه انبهار[٣] !
وفيك نرى الفضاءَ ؛ وهل فضاءٌ سوى هذا الفضاءِ بهِ تُدار[٤] ؟
وعندكَ تُرفَعُ الارواحُ ، أوْ هلْ مَعَ الأجسادِ يُدْرِكُها البَوار[٥] ؟
ومَوْجٌ ذي المَجَرّةُ أم فِرِنْدٌ على لُجَجِ الذِراعِ لها مَدار[٦] ؟
وطوق للنجوم – إذا تَبَدّى – هِلالُكَ أمْ يَدٌ فيها سِوار[٧] ؟
وأفلاذٌ نُجُومُكَ تُوَلِّفُ بينه أم حَبابٌ لُجَجٌ غِزار[٨] ؟

---

(١) راجع معجم الادباء ١٠ : ٢٣ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٣ .

(٢) الفلك في الاصل : المدار (بفتح الميم) الذي تسير فيه الكواكب . والشاعر يستعمل الفلك هنا بمعنى الكوكب الذي يدور في مجراه . – .... أأنت تقصد من مسيرك أمراً ما (تسير كما تريد) أم تسير سيراً أنت مجبر عليه لأنه مقدر لك ؟

(٣) مدارك : دورانك ، مسيرك . في أي شيء ؟ : ما غايته ؟ الانبهار : انقطاع النفس من الإعياء (التعب الذي يستنفد القوة) – كناية عن شدة التعجب والحيرة .

(٤) – نحن نراك (أيها الكوكب) تدور في هذا الفضاء الذي فوق رؤوسنا ، فهل هنالك فضاء آخر تدور فيه أيضاً ونحن لانراه ؟

(٥) – وهل النفوس ترقى اليك (بعد موت الاجساد) أو أن النفوس تهلك (بكسر اللام) بهلاك الاجساد ؟

(٦) – وهذه المجرة (مجموع عظيم كثيف من النجوم يرى شبه النهر مستعرضاً في السماء) أهي موج (من البحر الواسع) أو فرند (نصل السيف) . الذراع : منزلة من منازل القمر . وفي رواية : الدروع . والمعنى غامض .

(٧) الطوق : حلية (بكسر الحاء) تلبس في العنق . السوار : حلية تلبس في المعصم (بكسر الميم) . أهذا الهلال في السماء للزينة ؟

(٨) وهذه النجوم (الظاهرة للعين) أفلاذ (جمع فلذ بفتح الفاء : قطعة من ذهب أو فضة) أم حباب (فقاقيع تطفو على سطح عدد من السوائل) – أهي شيء مادي ذو قيمة أم هي شيءٌ هبائي لا قيمة له ولا وجود الا في رأي العين ؟ بينها (بين هذه النجوم الظاهرة للعين) لجج (جمع لجة بضم اللام: موجة عظيمة ، جانب واسع من البحر). غزار : كثيرة الماء (كناية عن كثرة النجوم التي تبدو للعين وكأنها متصل بعضها ببعض فتؤلف سطحاً واحداً يشبه الماء) .

وتُنْشَرُ في الفضا لَيلاً ، وتُطوى | نهاراً مثلَما يُطْوى الإزار[1] .
فكم بصقالها صَدِئ البَرايا ؛ | وما يَصْدا لها أبداً غِرار[2] .
تُبادي ثُم تَخْنِسُ راجعاتٍ ، | وتَكْنِسُ مثلما كَنَسَ الصُوار[3] .
فبَيْنا الشرقُ يُقْدِمُها صُعوداً | تَلَقّاها من الغربِ انحدار[4] .
على ذا قد مضى — وعليه يَمْضي — | طِوالُ مُنىً وآجالٌ قِصارُ[5] !
ودهرٌ يَنْثُرُ الأعمارَ نثراً | كما للوردِ في الروضِ انتثار[6] ،
ودُنْيا كلّما وَضَعَتْ جَنيناً | غَذَتْهُ من نَوائبها ظُؤار[7]
هي العَشْواء ما خَبَطَتْ هَشيمٌ ؛ | هي العَجْماء ما جَرَحَتْ جُبار[8] .
فمِنْ يومٍ بلا أمسٍ ، ويومٍ | بغيرِ غدٍ اليه بنا يُسار[9] .

(١) هذه المجرة تشبه الملاءة تنشر (تبدو ، تظهر) في الفضاء في الليل ثم تطوى (تختفي) في النهار ، فكأنها إزار (ملحفة ، ثوب أبيض واسع) ...

(٢) صقالها = صقال المجرة : لمعانها (المقصود : دوام لمعانها وخلودها) . صدئ البرايا (الناس كلهم) أتى عليهم الهرم ثم الموت . الغرار : حد السيف أو الرمح أو السهم . ما صدئ للمجرة (على طول الزمن) غرار : ما علاه الصدأ (ما كل ولا ضعف ولا هرم ولا مات كما يتفق للبشر) لا تزال باقية كما كانت .

(٣) تبادى = (تبادئ : تبدأ قبل غيرها بالظهور) .. تخنس : تتأخر (في رأي العين عن غيرها) راجعات (كأنها تسير في السماء رجوعاً) . — يصف الشاعر هنا حال الكواكب المتحيرة كالزهرة (بضم الزاي وفتح الهاء) مثلا ، وهي كواكب تبدو للعين كأنها تسبق غيرها مرة ثم تتأخر عنها مرة . تكنس: تختفي، تستتر (اذا طلع الصبح). مثل ما كنس الصوار (القطيع من الغنم أو الظباء ، الخ) : دخل الى الزريبة ، تختفي كلها معاً .

(٤) — بينما نجد الشرق يدفع (الكواكب) صعوداً (نحو كبد السماء) اذا بالغرب يحدرها (يشدها هبوطاً الى أسفل) لتغيب وراء الافق في رأي العين .

(٥) — تلك هي حال حياة البشر (لهم آمال وأماني وأغراض يريدون تحقيقها) ولكن آجالهم (أعمارهم) قصيرة (لا تتسع للقيام بجميع الاعمال التي يريدون القيام بها) .

(٦) ينثر الاعمار : يفنيها ، يلقي بها واحداً بعد واحد .... كما يذوي الورد ثم تتساقط بتلاته (أوراقه الملونة) بلا تحقيق غاية ظاهرة وبلا اهتمام من الطبيعة .

(٧) — كلما ولد انسان في هذه الدنيا غذته (أرضعته) ظؤار (جمع ظئر بكسر الظاء) : التي ترضع الطفل وهي ليست والدته (المقصود : كلما جاء انسان الى الحياة حملته الحياة مصائب كثاراً) .

(٨) العشواء : الناقة التي لا تبصر في الليل (فتخبط في مشيها على غير هدى) . خبطت : ضربت ، أصابت بقوائمها فقتلت . هشيم : عشب يبس (ولا يمكن أن يعود ناضراً كما كان) . العجماء : البهيمة (الحيوان ، اذ لا فكر ولا عقل له) . ما جرحت : ما صنعت ، ما آذت أو أفسدت . جبار : لا تبعة فيه . في فقه المعاملات : جناية العجماء جبار (اذا أفسدت البهيمة شيئاً فصاحب البهيمة لا يطالب بعطل وضرر عما جنته بهيمته) .

(٩) — تأتي بنا الحياة الى الدنيا بعد أن لم نكن فيها (يوم بلا أمس) ، ثم تذهب بنا بعد أن كنا (يوم بلا غد) . يسار بنا (لا ارادة لنا في مجيئنا الى الحياة ولا في ذهابنا منها) .

أهذا الداءُ ليس لــه دواءٌ؟ وهذا الكَسْرُ، ليس له انْجِبار [1]؟

– وقال في العفّة وعزّة النفس (وفي هذه القطعة نفحة من نَفَسِ ابي فراس الحمداني):

وفي اليأسِ إحْدَى الراحتينِ من الهوى؛ على أن احدى الراحتين عَذابُ [2].
أعِفّ وبي وَجْدٌ، وأسلو وبي جوًى – ولو ذاب منّي أعْظُمٌ وإهــاب [3].
وآنَفُ أن تصطادَ قلبِيَ كاعِبٌ بلحظٍ وأن يَرْوي صَدايَ رُضــاب [4].
فلا تُنْكروا عِزّ الكريمِ على الأذى، فحينَ تجوعُ الضارياتُ تُهــاب [5]!

– وقال يُشبّه أوّلَ الشيبِ بالكافورِ (الابيض) الذي ذُرَّ في المِسك (الاسود):

قالوا: المشيبُ! فقلــتُ: صُبْــحٌ قــد تنفّس في غَياهِبْ [6].
إن كــان كافــورُ التَجــاربِ ذُرَّ في مِسكِ الذَوائب [7]،
فالليــلُ أحسنُ مــا يكــونُ اذا ترصّــعَ بالكواكــبْ!

– وقال في محبوب له مات:

قالوا، وقد ماتَ محبوبٌ فُجِعْتُ به – وبالصِبا – وأرادوا عنه سُلواني [8]:
ثانيهِ في الحُسنِ موجودٌ! فقلتُ لهم: من أين لي في الهَوى الثاني صِباً ثانِ؟

(١) الانجبار: شفاء الكسر في العظم وصلاحه. – ان شأن الحياة بنا لن يتبدل!

(٢) – اذا شاخ الانسان ارتاح الانسان من عذاب الهوى، الا أن الشيخوخة نفسها عذاب.

(٣) الوجد: نشوة الحب. الجوى: ألم الحب. ولو ذاب مني أعظم واهاب (جلد): لو نحل جسمي بالشيخوخة وفقدت القوة.

(٤) آنف: انزه نفسي. الكاعب: الفتاة أول بروز ثدييها. الرضاب الريق ما دام في الفم. – لا أدع مجالا لنفسي أن أقع في حب فتاة، ولا أتعلل بريق فتاة (لا أفعل ما يفعله الشبان الجاهلون).

(٥) – لا تستغربوا أن يكون الضعيف المظلوم (الذي وقع عليه الاذى فاحتمله مدة) عزيزاً (قوياً) فان الضواري (السباع، الحيوانات الآكلة للحم) لا يهابها (لا يخاف منها) أحد اذا كانت شبعى، بل اذا جاعت.

(٦) تنفس الصبح: بدأ يظهر شيئاً فشيئاً. الغياهب جمع غيهب: الظلمة (سواد الليل).

(٧) – يشبه تجارب الحياة بالمسير في الطريق، فان الانسان يثير بمشيه غباراً (أبيض) يقع على جسمه كله وعلى رأسه الشعر الاسود؛ وهذه هي حقيقة الشيب (وهي ملازمة لتقدم الانسان في الاختبار الذي لا يكون الا اذا تقدم في السن). – راجع، تحت، ص ٢٠٠.

(٨) السلوان: النسيان، التسلي عن الحب.

(٩) – قالوا لي: هنالك أشخاص كثيرون لهم حسن وجمال فأحبب واحداً منهم (بدلا من محبوبك الذي مات)، فقلت لهم: ومن أين آتي بشباب جديد أحب به المحبوب الجديد؟

٤ — ** معجم الادباء ١٠ : ٢٣ — ٤٥ ؛ المحمدون من الشعراء ٢٧٠ — ٢٩٠ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٤٤ — ٢٤٧ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١١ — ١٦ ؛ طبقات الاطبّاء ١ : ٢٤٧ — ٢٥٢ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٣٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٣٧ — ٩٣٨ .

أبو أسحق الشيرازي

١ — هو الشيخُ أبو اسحقَ ابراهيمُ بن عليٍّ الفَيْروزاباديُّ الشيرازيُّ، وُلِدَ في فَيْروزاباد (مدينة جُور اليوم) سَنَة ٣٩٣ هـ (١٠٠٢ م) ونشأ فيها، ثم دَخَلَ شيرازَ (٤١٠ هـ = ١٠١٩ م) وقرأ فيها الفقهَ على أبي عبد الله البيضاويّ وعلى أبي أحمدَ عبدِ الله بن رامين. وفي سنة ٤١٥ هـ دخل بَغداد وتفقّه على جَماعةٍ من أعْيانها وصَحِبَ القاضي أبا الطيّبِ طاهرَ بنَ عبدِ الله الطَبَريَّ (ت ٤٥٠ هـ) ونابَ عنه في مَجْلِسِه، ثمّ رَتّبه الطبريُّ مُعيداً في حَلْقته. ولمّا بَنى نِظامُ الملكِ المدرسةَ النظاميةَ في بغدادَ (٤٥٩ هـ = ١٠٦٧ م) سألَ الشيرازيَّ أن يتولاّها فلم يَقْبَلْ، فولّى نظامُ المُلْكِ عليها أبا نَصْرٍ عبدَ السيّدِ مُحمدَ بنَ الصبّاغ (٤٧٧ هـ) مدّةً يَسيرةً. ثم تولاّها الشيرازيُّ الى أن تُوفّي.

وفي ذي الحِجّة من سنة ٤٧٥ (نيسان — ابريل ١٠٨٣ م) سَفَرَ الشيرازيّ للخليفة المُقتدي الى نيسابورَ فازدادتْ مكانَتُه بهذهِ السَفارة رُفْعَةً. وبعدَ عودتِه الى بَغدادَ تُوُفّي في ٢١ جُمادى الثانية من سنة ٤٧٦ (٦/ ١١/ ١٠٨٣ م).

٢ — كان الشيرازيّ فقيهاً عالماً بالفقه وبالخِلاف وبالأُصول. وكان له شعرٌ قليلٌ حسنٌ. وتآليفه في الفقه والأصول جِيادٌ، منها: المهذّب في المذهب — التنبيه في الفقه — اللُمَع في أصول الفقه — النُكَت في الخِلاف — التلخيص في الجدل — رسالة في علم الأخلاق (ومعظم هذه الكتب مطبوع — راجع معجم المطبوعات العربية ١١٧١—١١٧٢).

٣ — مختارات من شعره

— لابي اسحق الشيرازي بيتانِ في الصديق مشهورانِ جِدّاً:

سألتُ الناسَ عن خِلٍّ وَفِيٍّ ؛ فقالوا : ما إلى هذا سَبيلُ ؛
تَمَسّكْ إن ظَفِرْتَ بذَيْلِ حُرٍّ، فإنّ الحُرَّ في الدُنيا قليلُ !

٤ — ** طبقات الشافعية للسبكي ٣ : ٨٨ — ١١١ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٦ — ٨ ؛ بروكلمان ١ : ٤٨٤ — ٤٨٦ ، الملحق ١ : ٦٦٩ — ٦٧٠ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٤٠٦ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٤٩ — ٣٥١ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٤٤ — ٤٥ .

القاضي أبو العباس الجرجاني

١ ــ هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ الجُرجانيُّ ، قَدِمَ في شبابه الى بَغْدادَ وسَمِعَ فيها الحديثَ من نَفَرٍ منهم محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ غَيْلانَ[١] وعليُّ بنُ المُحْسِنِ التنوخيُّ[٢] وغيرُهما ، كما سَمِعَ في واسطَ من القاضي أبي تمّامِ عليِ بنِ محمّدِ بنِ الحسنِ (ت ٤٥٩ هـ) .

وتولّى أبو العبّاس الجرجاني قضاءَ البَصْرة . ثمّ انّه جاء الى بَغْدادَ بعدَ أنْ تقدّمتْ بهِ السن فَسَمِعَ منه الحديثَ جماعةٌ من أهلِها . ولمّا خرَجَ من بَغْدادَ يُريد البصرةَ مات في الطريق ، سَنَةَ ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م) .

٢ ــ كان القاضي أبو العبّاسِ الجرجانيُّ كثيرَ الذكاء واسعَ الاطّلاعِ ذا لُطْفٍ وذَوْقٍ سليمٍ ، وكان فقيهاً وحافظاً للحديث وأديباً حَسَنَ النظمِ والنثر ، له شيءٌ من الشعر في المديح وفي الأدب . وبعضُ شعره جيّدٌ وبعضُه الآخرُ متوسّطٌ عاديّ . وكذلك كان مُصَنِّفاً له من الكتب : «كنايات الأدباء واشارات البُلغاء» (جمع فيه مادّةً كثيرةً تدُلّ على ذكاءٍ وسَعَةِ اطّلاع وحُسْنِ تخيُّر) ــ وله كذلك : التحريرُ ــ البُلغة ــ الشافي ــ المُعاياة (كلّها في الفِقْه).

ــ قال القاضي أبو العبّاس الجرجانيُّ يُعَلِّلُ مُغادرتَه بَغدادَ على كُرْهٍ منه :

تَرَحّلْتُ عن بَغْـدادَ أطيبَ منزلٍ ... وأبهى بلادِ اللهِ مَرأًى ومَخْبَرا[٣] ،
وفارقتُ أقـواماً إذا مـا ذكرتُهُمْ ... تَرَقْرَقَ مـاءُ العين ثمّ تحـدّرا[٤] .
فكم من أديبٍ في مَعـانيه بارعٍ ، ... وأبلجَ في عـلمِ الشريعة أزْهرا[٥] .
أروح على بَرْحِ الهُمومِ وأغتـدي ... أكابِدُ أحزاناً تَضيق بها الثرى[٦] .

---

(١) أبو طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان البزار (ت ٤٤٠ هـ) .
(٢) أبو القاسم التنوخي (ت ٤٤٧ هـ) .
(٣) أطيب (بالفتح : حال) وهي أطيب منزل : في أحسن أحوالها .
(٤) ترقرق ماء العين : جال قليل من الدمع في عيني . تحدر الدمع : انهمر ، سال بكثرة .
(٥) أبلج : مشرق . أزهر : أبيض . أبلج في علم الشريعة أزهر : واسع العلم بالشريعة .
(٦) البرح : الألم . تضيق (كذا في الاصل) . الثرى : التراب ، الارض ، الدنيا .

ولم أبكِ رَبْعَ العامريّةِ باللِّــوَى ، ولا رَسْمَ دارٍ بالثّنيّة مُقْفِراً[1] ،
ولكنّني أبكــي مُقامي ببَلْدةٍ أؤمّلُ أن ألْقــى صديقاً فلا أرى !

٤ — المنتخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء ، (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م .

** الوافي بالوفيات ٧ : ٣٣١ — ٣٣٢ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٠٧ .

ابن الشخباء العسقلاني

١ — هو الشيخُ المَجيدُ ذو الفضيلتينِ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الصَمَدِ ابن الشَخْباء العَسقلانيُّ ، أصلُه من عَسْقلانَ (قربَ حَيْفا في فِلَسْطين) . ولعلَّ مَوْلِدَه كان في عسقلانَ ثمّ انتقل باكراً فيما يبدو الى مِصْرَ ودخل في خِدْمَــة الفاطميّين وكتب في ديوان الرسائل للمُسْتَنْصِرِ الفاطميّ (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ) . ومن رسائل ابنِ الشخباء رسائلُ موجّهةٌ الى البساسيري الذي ثار (٤٥٠ — ٤٥١ هـ) في بغدادَ على الخليفة القائم العبّاسي (٤٢٢ — ٤٦٧ هـ) في سبيل إزالة الخلافةِ العبّاسية وإقامة الإمامة الفاطمية في العراق. ويقول ابن خَلّكان (١ : ٢٣٧) عن ابن الشخباء : « وذُكِرَ أنّه تُوُفِّيَ مقتولاً بخزانةِ البنودِ ، وَهِيَ سِجنٌ بمدينة القاهرة المُعِزِّيّة ، سَنَةَ ٤٨٤ »[2] (١٠٨٩ — ١٠٩٠ م) بتُهمةٍ لا نَعرِفُ اليومَ ما هي .

٢ — ابنُ الشخباءِ العسقلانيُّ خطيبٌ مشهورٌ ومترسِّلٌ مُجيدٌ له رسائلُ ديوانيةٌ ورسائلُ إخوانية ، ورسائلُه الإخوانية أكثرُ . وكذلك كان شاعراً ، ولكنّ ديوانَه ضاعَ فيما يبدو[3] . وابن الشخباء ، كمــا يبدو من رسائله ، واسِــعُ العلمِ بفنون من الادب ومن العلم . وكان يُكْثِرُ مِنَ الاستشهاد بالشعرِ في ثنايا رسائلهِ كَثْرَةً ظاهرةً ، إلى جانبِ الإغراق في الصِناعة والتأنّق .

٣ — مختارات من آثاره

— قال ابنُ الشخباء العسقلانيُّ في النسيب :

(١) الربع : المسكن . العامرية : ليلى العامرية محبوبه قيس (مجنون ليلى) — يقول : لا أبكي على مبارحة بغداد لأنني أحب فتاة فيها ، بل لأن فيها علماء يعز علي أن أفارقهم . اللوى : التلة المستديرة من الرمل (وسفح اللوى مسكن محبب لأنه يقي من حر الشمس وهبوب الرياح ويكون عنده ماء). الرسم: الآثار الباقية بعد رحيل أهل الديار . الثنية : الممر في الجبل . لعله يشير الى مكان كانت تسكنه محبوبة لشاعر (عبلة !) .

(٢) في معجم الادباء (٩ : ١٥٢) نقلا عن الخريدة لابن بسام أن ابن الشخباء مات في خزانة البنود سنة ٤٣٢ هـ ، ولا وجه لذلك . وذكر ابن ميسر في تاريخ مصر (ص ٢٩) أن ابن الشخباء قتل سنة ٤٨٦ هـ (أدب مصر الفاطمية لمحمد كامل حسين ٣٣٢) .

(٣) أدب مصر الفاطمية ١٣٨ .

أخَذَتْ لِحاظي من جَنا خَدّيْكِ أرْشَ الذي لاقيْتُ من عَيْنَيْكِ (1).
هيهاتِ ، إنّي إن وَزَنْتُ بمُهْجَتي نَظَري إليكِ فقدْ رَبِحتُ عَلَيْكِ (2).
غُضّي جُفونَكِ وأنْظُري تأثيرَ ما صَنَعَتْ لِحاظُكِ في بَنانِ يَدَيْكِ (3).
هو— وَيْكِ — نَضْحُ دَمي ؛ وعَزَّ عَلَيَّ أنْ ألْقاكِ ، في عُرْضِ الكلام ، بِوَيْكِ (4) !
فَسَلَكْتُ في فَيْضِ الدموعِ مَسالِكاً قَصُرَتْ بها يَدُ عامرٍ وسُلَيْكِ (5) .
صانوكِ بالسُمرِ اللِّدانِ ، وصِنْتِهِمْ بنواظرٍ ؛ فحَمَيْتِهِمْ وحَمَوْكِ (6) .
لو يَشْهَرونَ سُيوفَ لَحْظِكِ في الوَغى لاسْتَقْرأوا فيها قَنا أبَوَيْكِ (7) .

— وكتب الى ابن المغربي يهنّئه بالفُتوح :

أطالَ اللهُ بقاءَ سيّدِنا الوزيرِ الأجَلِّ ما سَطَعَ الصُبْحُ بعَمودِه (8) وطَلَعَتْ في الأُفُقِ أنْجُمُ سُعودِه .

نَعْتَدُّه دُخْرَ العُلا وعَتادَها ونراه من كَرَمِ الزمانِ وجودِه (9) :
الدهرُ يضحكُ من بشاشةِ بِشْرِه ، والعَيْشُ يَطْرَبُ من نَضارة عودِه (10).

---

(1) الارش : الدية (بكسر الدال وفتح الياء بلا شدة) . نظرت (أيتها المحبوبة) الي بعينيك فاسقمتني (وقتلتني بالحب) فانتقمت منك بأن نظرت اليك فاحمر خداك من الخجل (كأني سفكت دمهما)!

(2) هيهات : ما أبعد (هذه الموازنة) . اذا أنا قارنت ما صنعته عيناك في مهجتي (قلبي) بالذي صنعه نظري الى خديك كنت أنا قد ربحت عليك (عاقبتك بأشد مما عاقبتني به) !

(3) غضي (اخفضي) . بنان جمع بنانة : طرف الاصبع (يكون عادة في صغار السن مائلا الى الحمرة) ؛ والفتيات يصبغن أطراف الأصابع باللون الحمر . — انظري الأثر الذي تركته عيناك على أطراف أصابعك (كأنك قتلتني بيديك فبقي دمي على أصابعك) !

(4) ويك : ويل لك . نضح : رش ، رشاش . عز علي = يعز علي : يصعب علي ، لا تطاوعني نفسي (أن أفعل ذلك) . عرض الكلام : أثناء الكلام (قلت ذلك لك وأنا لا أقصد قوله) .

(5) — بكيت بكاء شديداً يثير الرحمة في نفوس الناس حتى أن من كان مثل عامر بن الطفيل والسليك بن السلكة (بضم السين وفتح اللام) ، وكانا جاهليين من الشجعان الجريئين على سفك الدماء ، كان يرحمني فلا يحاول أن يمسني بسوء !

(6) صانوك (حموك ، حفظوك ، دافعوا عنك) بالسمر (بالرماح) اللدان (اللينة التي تنحني) . وصنتهم بنواظر (برد أعدائهم عنهم بسحر عينيك). فحميتهم وحموك : تساويتما في الدفاع (سحر عينيك مثل رماحهم) .

(7) شهر السيف (بفتح الهاء في الماضي وفي المضارع) : أخرجه من غمده (بكسر الغين) : هجم به على الاعداء . القنا جمع قناة : القصبة الفارسية (الرمح) . — لو قاتلوا في الحروب بلحظك (بسحر عيونك) لفعل لحظك في « الاعداء» ما تفعله رماح أهلك الابطال .

(8) عمود الصبح : أول ظهور الصبح (لأنه يظهر من وراء الافق الشرقي كانه عمود) .

(9) العتاد : العدة (بضم العين)، ما يستعد به الانسان للقاء المستقبل أو للقاء الاعداء (من المال والسلاح ، الخ).

(10) البشر : السرور (الظاهر على الوجه) . نضارة العود : اخضراره (كناية عن الشباب) .

فقد ألْبَسَ اللهُ الدهرَ من مناقبِ الحَضْرةِ الساميةِ ما أخْرَسَ اللائمةَ، وأفاض على الكافّةِ من آلائها ما تَمْلِكُ به رِقَّ المآثرِ(١)، ويَعْجِزُ عنه كلُّ ناظمٍ وناثرٍ - يَقْصُرُ عَنْهُ لِسانُ البليغِ ويَفْضُلُ عن مُقْلَةِ الناظر(٢) - فما يَنْفَكُّ، خلَّدَ اللهُ أيّامَهُ، يَذودُ عن الدولةِ برأيٍ صائبٍ وحُسامٍ قاضب(٣) .....

٤ - ** معجم الادباء ٩ : ١٥٢ - ١٨٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٣٧ - ٢٣٨ ؛ الخريدة (مصر) ٣ : ٦٧ - ٨٢ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢١٠ .

ابن ناقيـــا البغدادي

١ - هو أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ الحُسينِ بن ناقيا بن داوودَ .... المعروف بالبُندارِ الشاعرِ البغداديِّ، وُلِدَ في مُنْتَصَفِ ذي القَعْدة من سَنَةِ ٤١٠ هـ (١٥/ ٣/ ١٠٢٠ م) .

اخذَ ابنُ ناقيا البغداديُّ العِلمَ عن أبيهِ وعن جماعةٍ منهم أبو القاسمِ عليُّ بنُ محمّدٍ التنوخي وعبدُ الرحمنِ بنُ عُبيدِ اللهِ المخرميِّ وعبدُ الواحدِ بنُ محمّدٍ المُطرِّزُ وأبي الحسنِ محمّدُ بنُ محمّدٍ البصريّ. وكانتْ وفاةُ ابن ناقيا البغداديِّ في بغدادَ في رابعِ المُحرَّمِ من سَنَةِ ٤٨٥ هـ (١٥/ ٢/ ١٠٩٢ م) .

٢ - كان ابنُ ناقيا البغداديُّ واسعَ الثقافةِ كثيرَ الاطّلاعِ على عددٍ من فنونِ المعرفةِ في الدينِ والفلسفةِ واللغة والأدب . وكان أديباً بارعاً وشاعراً مُجيداً ومترسّلاً ومُصنِّفاً . شعرُه رائقٌ عَذْبٌ وأكثرُه في الفنونِ الوُجدانيةِ من الوصفِ والنسيب والغزَل والخمر والعِتاب والرثاء(٤) والأدب (الحِكمة) . وقد كان شاعراً مُكثِراً،

(١) مناقب : خصال كريمة جميلة . الحضرة : العاصمة ، البلد الذي يحضره (يسكنه) صاحب الدولة . أخرس اللائمة : أسكت الألسن التي تحب لوم الناس حقاً أو باطلا . الكافة : عامة الناس . آلاء جمع الى (بفتح الهمزة والـلام ، وبكسر الهمزة وسكون اللام ، وبكسر الهمزة وفتح اللام) : النعمة . المآثر جمع مأثرة (بفتح الثاء أو بضم الثاء) : المكرمة ، العمل المجيد الحميد .

(٢) يقصر عنه الخ = لا يستطيع الرجل البليغ أن يفيه حقه من الوصف ولا تستطيع العين أن تحيط بجميع جهاته وتستجلي جميع محاسنه . والألفاظ : « يقصر ...... الناظر » موزونة .

(٣) الحسام : السيف الذي يحسم (يقطع العضو الذي يصيبه) . القاضب : القاطع ، الباتر (الذي يفصل ما يصيبه قطعتين) .

(٤) راجع وفيات الاعيان ١ : ٧ ، ٤٧٦ .

ولكنَّ أكثرَ شعره قد ضاع . ولابن ناقيا مقاماتٌ لا براعةَ فيها ولا رَوْنَقٌ . وله أيضاً رسائلُ . ومن تصانيفه : الجُمانُ في تَشبيهاتِ القُرآن – شرح كتاب الفصيح (لثعلب) – مُلَحُ المُمالحة – مُلَح الكُتّاب (أو مُلَح الكتابة في الرسائل) – أغاني المُحْدَثين (أو المُخْتَصَر في الأغاني) – مُخْتصر كتابِ الأغاني (لأبي الفرج الاصفهاني) .

٣ – مختارات من آثاره

– قال ابن ناقيا يصف الليل :

إن كان كافورُ التَجا ... رِبِ ذُرّ في مسكِ الذَوائِبْ(١) ؛
فالليلُ أحْسَنُ ما يكو ... نُ إذا تَبَرْقَعَ بالكواكبْ !

وقال في النسيب :

أترى حالَ ذلك الحُبُّ بُغْضَا ... وذَوى غُصْنُه وقد كان غَضّا(٢) ؟
أترى كان ذلك الوصلُ زُوراً ... فانتهى بي الى الصَدود وأفضى(٣) ؟
قل لِمَنْ ضَيَّعَ الوِدادَ وأغْرى ... بالتَجنّي ورامَ للعَهْدِ نَقْضا(٤).
قد جَعَلْنا السوادَ حَتْماً علينا ... ورأينا الوفاء بالعَهْد فَرْضاً(٥) !

– من مقدّمة كتاب الجُمان في تشبيهات القرآن :

..... التشبيهاتُ نوع مُسْتَحْسَنٌ من أنواع البلاغة ؛ وقد وَرَدَ منه في كتابِ الله تعالى ما نحن ذاكِروهُ في هذا الكتاب وذاهبونَ إلى إيضاحِ معانيه والتَنْبيه على مكانِ الفضيلةِ فيه . ونقولُ في كيفيّة التشبيه : إنّ الشيءَ يُشَبَّهُ بالشيء : تارةً في صورته وشَكْله ، وتارةً في حَرَكته وفِعْله ، وتارة في لونه ونَجره ، وتارة في سُوسه وطبعه(٦) . وكلٌّ مُتَّحِدٌ بذاتهِ واقع من بعض جِهاته . ولذلك يَصِحُّ

(١) الكافور أبيض ، والمسك أسود . الذوائب جمع ذؤابة (بضم الذال) : طرف كل شيء وأعلاه ، (وهنا) جدائل الشعر . ذر : رش . التجارب (استعمالها هنا غامض) . – نثرت النجوم (البيض كالكافور) في السماء (السوداء كالمسك الذي يشبه شعر المحبوب) . راجع ، فوق ، ص ١٩٤ .

(٢) حال : تغير ، تبدل . ذوى : ذبل ، يبس . غض = غضيض : طري ، لين .

(٣) أفضى الى المكان : وصل اليه .

(٤) أغرى فلان فلاناً بأمر : حرضه على فعله وأطمعه به .

(٥) السواد : الحداد ، الحزن . حتماً : لازماً .

(٦) النجر : الاصل . السوس (بضم السين) : الطبيعة والأصل .

تشبيــهُ الجسمِ بالجسم ، والعَرَضِ بالجسم[1] ، والجسمِ بالعرضِ ، والعرضِ بالعرضِ .....

— من سورة البقرة (٢ : ٧٤) :

« ثمَّ قَستْ قلوبُكُم بَعْدَ ذلك فَهيَ كالحِجارةِ أو أشدُّ قَسْوَةً .....»

مَعْنى قَستْ ، أي غَلُظَتْ ويَبِستْ وعَبَستْ . فكأنَّ القسوةَ في القلبِ ذَهابُ اللينِ منه والرحمةِ والخُشوعِ والرِقّة ..... وانّما شبّه اللهُ عزَّ وجلَّ قلوبَهُم في القسوةِ بالحِجارة لأنَّ الحجارةَ هي غايةٌ في المِثْل[2] . ولذلك قال الفَرَزْدَقُ[3] :

أمّا العدُوُّ فإنّا لا نَلينُ لــه حتّى يلينَ لضِرْسِ الماضغِ الحَجَرُ!

..... فأمّا من قَصَدَ مَحْضَ التشبيهِ في هذا الباب — واعتمدَ في أخذه على لفظ القُرآن — فانّه وَقَفَ دون استيفاءِ المعنى بِمثْلِ قوله تعالى : « أوْ أشَدُّ قَسْوةً » وما يَتْبَعُ هذا القولَ من الدَلالةِ عليه والحُجّة فيه والتعليل له[4] . وكذلك كلُّ ما يَنْقُلُهُ الشعراءُ وغيرُهم من أرباب البلاغة الى كلامِهِم من معاني القرآنِ لا يَبْلغون شأوَهُ ولا يُدْرِكون مَناله إعجازاً وإعوازاً وإباء وامتناعا[5] .

و (قد) بيّن اللهُ جلَّ اسمُه كيفَ كانت قلوبُهمْ أشدَّ قَسْوةً من الحجارة فقال[6] : وإنَّ مِنَ الحِجارة لَما يَتَفَجَّرُ منه الأنهارُ وإنْ منها لَمَــا يَشَّقَّقُ فيَخْرُجُ منه الماءُ » .... ومَضى التنزيلُ بعدُ أتمَّ وأعمَّ وأوفى وأعلى بقولهِ تعالى : « وإنَّ منها لَما يَهْبِطُ من خَشْيَةِ الله »[7] .....

٤ — مقامات (في مجموع مقامات : للحنفي) ، استانبول ١٣٣١ هـ .

الجمان في تشبيهات القرآنِ (تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثيّ) ، منشورات « وزارة الثقافة والارشاد » — مديرية الثقافة العامّة » : سلسلة كتب التراث ، رقم

---

(١) العرض (بفتح ففتح) : الصفة العارضة التي تحدث وتزول .

(٢) غاية (نهاية) في المثل (بكسر الميم) : الشبيه . — الحجارة اقرب مثال الى القسوة .

(٣) الفرزدق شاعر أموي برع في الفخر وله هجاء ومديح (ت ١١٤ هـ = ٧٣٢ م) .

(٤) اذا قصد الانسان التشبيه فقط اكتفى بأركان التشبيه : قلوبكم كالحجارة أو أشد قسوة (في قساوتها). فاذا أراد تبيان وجه الشبه (الركن الرابع) جاء بما يوازن بينه وبين المشبه به : وان من الحجارة ما ينبع منه الماء(قلوبكم أشد قسوة من الحجارة) .

(٥) الشأو : المدى ، الامد ، الغاية ، — لا يستطيع البليغ أن يصل الى بلاغة القرآن الكريم عجزاً من البليغ ونقصاً في استعداده وثقافته ثم لتبرك البليغ تقليد القرآن الكريم .

(٦ و ٧) تتمة الآية .

٧ ، بغداد (دار الجمهورية) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م ؛ (تحقيق عدنان محمد زرزور ومحمّد رضوان الداية) ، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ احيـاء التراث الاسلاميّ . الكويت (المطبعة العصرية) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م .

** خريدة القصر (العراق) ١ : ١٤٢ وما بعد ؛ وفيات الأعيان ١ : ٤٧٥ ـ ٤٧٦ ؛ إنباه الرواة ٢ : ١٥٦ ـ ١٥٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٨٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٨٩ ؛ ابن الاثير ١٠ : ٢١٨ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٦٧ .

الحسين بن أحمد الزوزني

١ ـ هو أبو عبدِ اللهِ الحُسينُ بنُ أحمدَ بنِ الحُسينِ الزَوْزنيُّ نِسْبةً الى زَوْزَنَ ، وهي بلدةٌ بين هَراةَ ونَيْسابورَ . لَسنا نعلمُ من تفاصيلِ حياةِ الزَوْوَنيِّ شيئاً يُذْكَرُ . أما وفاتُـــه فكانت سنة ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) .

٢ ـ يبدو أن الزَوْزنيَّ هذا كان أديباً من أهلِ العِلمِ ، فقد كانتْ بلدتُه زوزنُ تُعْرَفُ بالبصرةِ الصغرى لكَثْرةِ ما خرج منها من رجال العلم ، كما كان عارفاً بالفِقه واللُغَةِ والنحو . وقد كانت له تآليفُ بالعربية والفارسية ، منها : تَرْجُمانُ القُرآن ـ كتاب المَصادر ؛ غير أنه شُهِرَ بكتابِهِ : شَرحِ المُعلّقاتِ السبعِ ، وهو شَرْحٌ جَيِّدٌ برُغْمِ أنه مختصرٌ جِدّاً .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من شرح المعلّقات السبع :

قال القاضي الإمامُ أبو عبدِ اللهِ الحُسينُ بنُ أحمدَ بنِ الحُسينِ الزوزنيُّ : هذا شرحُ القصائدِ السَبْعِ أمْلَيْتُه على حَدّ الإيجاز والاخْتِصار ، على حَسْب مـا اقتُرِحَ عَليّ ، مُستعيناً بالله على إتمامه .

قِفا نبكِ من ذِكْرى حبيبٍ ومَنْزِلِ .....

قيلَ : خاطبَ صاحبَيْهِ ؛ وقيل : بل خاطبَ واحداً وأخْرَجَ الكلامَ مَخْرَجَ الخِطابِ مَعَ الاثنينِ ، لأنَّ العَرَبَ من عادَتِهِمْ إجراءُ خطاب الاثْنينِ على الواحدِ والجمعِ .... وانّما فَعَلَتِ العربُ ذلك لأنّ الرَجُلَ يكونُ أدنى(أقلّ)أعوانه اثْنينِ : راعي إبِلِهِ وراعي غَنَمِهِ . وكذلك الرُفْقَةُ أدنى ما تكونُ ثلاثةٌ ، فجَرَى خطابُ

خطابُ الاثنينِ على الواحدِ لمُرون[1] ألْسِنَتِهِمْ عليه[2] ....

٤ ــ شرح المعلّقات السبع (تحرير صفيبوري ــ لسدن) ، كلكتّا ١٨٢٣ م ؛ (نشره يوحنّا أسعد الصعبي) ، بلبنان ١٨٥٣ م؛ (نشره نصر الهوريني)، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٧ هـ ؛ القاهرة ١٢٩٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٢٨ هـ؛ (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة (مكتبة علي صبيح) بلا تاريخ؛ (ضبطه... محمّد علي حمد الله) ، دمشق (المكتبة الأموية) ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣م).

نيل الارب في شرح معلّقات العرب ، ويليه معلّقة للنابغة الذبياني ومعلقة للأعشي وقصيدتان للنابغة ، مصر (مطبعة الأمّة) ١٣٢٨ هـ .

شرح معلّقة لبيد (في ذيل «كليلة ودمنة» ــ حرّره سلفستر دو ساسي)، باريس (دار الطباعة الملكيّة) ١٨١٦ م .

** انباه الرواة ١ : ٣٢٠ ؛ بغية الوعاة ٢٣٢؛ بروكلمان ١ : ٣٤٢ــ٣٤٣، الملحق ١: ٥٠٥ ؛ زيدان ٣ : ٤٦ ــ ٤٧ ؛ راجع شرح المعلّقات السبع (ضبطه حمد الله) ، ص ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ــ ٦١ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٤٩ ــ ٢٥٠ .

أبو نصر الفارقي

١ ــ هو الشيخُ أبو نصرٍ الحسنُ بنُ أسدِ بنِ الحسنِ الفارقيُّ من أهل ميّافارقينَ في ديارِ بكرٍ ، ولاّه أبو المُظفّرِ منصورٌ أحدُ بني مَروانَ وصاحبُ ميّافارقين على ديوان آمِدَ[3] ، وذلك في أيامِ مَلكشاه (٤٦٥ ــ ٤٨٥ هـ) وأيام وزيره نظام الملك (قُتل سنة ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م) ، فاستبدّ في استيفاء أموالِها فقُبِضَ عليه ثمّ أُطْلِقَ سَراحُه في حديثٍ طويل . ومعَ أن أبا نصرٍ الفارقيّ قد نالَ حَظْوةً عند ابنِ مروانَ يمدَحُهُ وينالُ عطاياه فانّه ثارَ على ابنِ مروانَ واستبدّ بمدينةِ ميّافارقينَ ثلاثةَ أيامٍ . ولكنّ ابنَ مروان استطاعَ ــ بمُساندةٍ من جيش بَعَثَ به إليه ملكشاه ــ أن يَسْتَوْلِيَ على المدينةِ عَنْوةً ويأسُرَ أبا نصر الفارقي . وصُلِبَ أبو نصرٍ (أو شُنق) ، سَنَةَ ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) . كان الفارقيّ طولَ حياته عَزَبَاً .

٢ ــ كان أبو نصرٍ الفارقيُّ بارعاً في اللغةِ وإماماً في النحو أديباً ناثراً وشاعراً من

(١) المرون : التعود .

(٢) راجع طبعات شرح المعلقات السبع للزوزني (معلقة معلقة أو سبعا سبعا) في شرح المعلقات السبع (ضبط .... محمد علي حمد الله) ، ص ٦٠ ــ ٦١ .

(٣) بلدة من الثغور (على نحو مائتي ميل من الموصل ، شمالا في شرق) . الديوان هنا : ديوان الجباية (الضرائب) .

فُحول الشعراء في زمانه رقيقَ حواشي الكلام مليحَ النظم مُتَمَكِّناً من القافية يتعمَّدُ التجنيسَ في القوافي خاصّةً ثمّ يُكْثِرُ من التجنيس ، وكانَ قلَّ ما أخلى بيتاً من وجهٍ من أوجهِ الجناس . من أجلِ ذلك كانَ التكلُّفُ يظهرُ أحياناً على شعرهِ . أمّا فنونُ شعرهِ فكانتِ المديحَ والوصفَ والخمرياتِ والغزل والعتابَ والشكوى من الأيام . ثمّ إنّه كان مُصَنِّفاً ، له من الكتب : شرح اللُمَع (لابنِ جنّي) — كتاب الحروف — كتاب الإفصاح في شرح أبياتٍ مُشكلةٍ في الصحاح (شرح أبياتٍ مشكلةِ الإعراب ؟) — الألغاز (١) .

٣ — مختارات من شعره

— قال أبو نصرٍ الفارقيُّ يَصِفُ شَمعةً :

وندِيمةٍ لي في الظلامِ وحيدةٍ ‏ ‏ مِثْلي ، مُجاهدةٌ كمِثْلِ جِهادي :
فاللونُ لوني ، والدُموع مدامعي ، ‏ ‏ والقلبُ قلبي ، والسُهاد سُهادي (٢) .
لا فرقَ فيما بَيْنَنا لو لم يكُنْ ‏ ‏ لَهَبي خَفِيّاً وهْوَ منها بادٍ !

— وقال في النسيب :

قد كان قلبي صَحيحاً كالحِمى زَمَنا ، ‏ ‏ فمُذْ أباحَ الهوى منه الحِمى مَرِضا (٣) .
فكم سَخِطْتُ على من كانَ شيمتُه ، ‏ ‏ وقد أبَحْتُ له فيك الحِمامَ ، رِضا (٤) .

— وقال في العِتاب (٥) :

واخوانٍ بواطِنُهم قِباحٌ ، ‏ ‏ وان كانتْ ظواهرُهم مِلاحا .
حَسِبْتُ مياهَ وُدِّهِمُ عِذاباً ، ‏ ‏ فلمّا ذُقْتها كانتْ مِلاحا !

---

(١) راجع شذرات الذهب ٣ : ٣٨٠ .
(٢) فاللون (لون الشمعة مثل) لوني (أصفر) والدموع (نقط الشمع الذائب بفعل اشتعال فتيلة الشمعة) كأدمعي (كثيرة متتالية حارة) والقلب (كناية عن اللهيب الصاعد من الفتيلة) كقلبي (في الاضطراب والخفق — لأن لهيب الشمعة يتحرك كثيراً بأثر الهواء) والسهاد (قلة النوم ، لأن الشمعة تظل مضاءة طول الليل) مثل سهادي (دائم) . السهاد : الارق ، السهر .
(٣) الحمى : المكان المنيع المحمى الذي لا يجرؤ أحد على اقتحامه .
(٤) الشطر الأول غير واضح . الحمام : الموت .
(٥) ملاح : جمع مليحة (جميلة) . ملاح : جمع مالحة (مرة الطعم) . عذاب حلوة الطعم .

– في الغزل (لاحظ لزوم ما لا يلزم في كلّ بيتين متواليين) :

عاتَبْتُـه فغرَسْـتُ في وَجَناتـه بالعَتْـبِ وَرْدا .
ظَبْيٌ لـه طَرْفٌ غـدا أسَداً على العُشّـاقِ وردا (1) .
لمّـا بـدا في تيْهـه فَـرْدَ الجمال يَهُـزّ قَدّا (2) ،
قَدّ القلوبَ ، بسيفِ دَلّ يَنْهَبُ المُهَجـاتِ ، قدّا (3) .
ما كـلّ قطّ ، ولا فُلّلْـنَ له صُروفُ الدهْـرِ حَدّا (4) .
ولقدْ تَجـاوَزَ حُبُّـه عِنْدي جَميـعَ الناسِ حَـدّا (5) !

– في الشكوى :

تَبّاً لِدَهْـرٍ أنا في أمّـةٍ منه كَثيري الغَدْرِ أوْغادِ (6) .
أزْهَدُهُمْ في غَيّـه رائـحٌ حِرْصاً على دُنْياه أو غادِ (7) !

– وأورد له ياقوتُ مقطوعةً خَمْسَةَ عَشَرَ بيتاً بقافيةِ كُلّ بيتٍ فيها « عينا » :

بِنْتُمْ فمـا كَحَلَ الكَـرى لي بعد وَشْكِ البَيْنِ عَيْنـا (8) ..
ولقد غـدا كَلَفـي بِـكُمْ أُذُناً عَلَيّ لَكُـمْ وعينا (9)
فأسَلْتُ بَعـدَ فِراقِكُـمْ من ناظِري بالدَمْـعِ عينا (10) .....

٤ – شرح الأبيات المشكلة الإعراب (حققه سعيد الأفغاني) ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٩٥٨ م

* معجم الأدباء ٨ : ٥٤ – ٧٥ ؛ الخريدة (الشام) ٢ : ٤١٦ – ٤٣٠ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٤٩ – ١٥١ ؛ انباه الرواة ١ : ٢٩٤ – ٢٩٨ ؛ بغية الوعاة ٢١٨ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٨٠ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٢ ، الملحق ١ : ١٩٤ – ١٩٥ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ١٩٨ .

ظهير الدين الروذراوري

١ – هو ظهيرُ الدين أبو شجاعٍ محمّدُ بنُ الحسينِ بن محمّدِ بنِ عبدِ الله بنِ

(1) – خجل من عتابي له فاحمر خداه. الطرف: البصر (العين) . الاسد الورد (الأحمر) يكون شديد الضراوة .

(٢ و ٣) التيه (بفتح التاء وكسرها) : الصلف والكبر (بكسر الكاف) ، والدلال بالغنج . فريد الجمال : وحيد في نوع جماله وحسنه . يهز قداً : يحرك قوامه ، يتثنى . قد : قطع ، شق . الدل : الدلال والغنج . قداً مصدر من قد يقد .

(٤ و ٥) كل : تعب . صروف الدهر : حدثانه ومصائبه . حد السيف : الجانب القاطع من متنه. فل (بضم الفاء بالبناء للمجهول) حـد السيف : تكسر ، تثلم (ذهب مضاؤه ، بطل عمله) – هذا المحبوب لا يزال جماله طاغياً يفعل فعله في نفوس محبيه . تجاوز الحد : زاد على المقدار المألوف .

(٦ و ٧) أوغاد جمع وغد : لئيم ، دنيء . الغي : الضلال . أزهدهم في غيه : أبعدهم في الضلال . رائح أو غاد (أو راجع) : دائم العمل (في سبيل دنياه) .

(٨ و ٩ و ١٠) كحل الكرى عينه : نام . العين : الرقيب . العين : الينبوع . العين : نبع الماء .

ابراهيمَ الروذراوَريُّ ، أصلُه من روذراوَرَ (قُرْبَ هـمَذانَ) ومولدُه في الأهوازِ ، سَنَةَ ٤٣٧ هـ (١٠٤٥ — ١٠٤٦ م) .

قرأ ظهيرُ الدين الروذراوَرِيُّ الفقْهَ على أبي اسحقَ الشيرازيِّ ، وكذلك قرأ الأدبَ على نَفَرٍ من العلماء . وقد تولّى الوزارةَ (٤٧٦—٤٨٤ هـ) للخليفة المُقتدي ، وكانتْ أيامُه أيامَ أمنٍ ورَخاءٍ . ثمّ عُزِلَ وأُجْبِرَ على الإقامةِ في بيته . بعدَئذ نُفيَ الى روذراوَرَ فأقامَ فيها مُدّةً . ثمّ انّه حَجّ سَنَة ٤٨٧ هـ وجاورَ في المدينة بِضْعَةَ أشْهُرٍ تُوُفِّيَ على إثْرِها ، في نِصْفِ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٤٨٨ (٢٢/ ٥/ ١٠٩٦ م) .

٢ — كان ظهيرُ الدين الروذراوَرِيُّ من العلماء ومن العارفينَ بفنونِ الأدبِ وشاعراً مُحْسِناً رقيقاً . وقد صَنّف ذَيْلاً على كتاب « تجارِبِ الأمم » في التاريخِ ، (لِمِسْكَوَيْهِ) .

٣ — مختارات من شعره

— قال ظهير الدين الروزراوري في الشكوى :

ما كان بالإحسان أولاكُمُ ... لو زُرْتُمُ مَنْ كان يهواكُمُ .
أحبابَ قلبي ، ما لكَمْ والجَفا ؛ ... ومَنْ بهذا الهَجْرِ أغراكُمُ[1] ؟
أنكَرْتُمونا مُذْ عَهِدناكم ، ... وخُنْتُمونا مذْ حَفِظْناكم .
لا نَظَرَتْ عيني سوى شَخْصِكُمْ ، ... ولا أطاعَ القلبُ إلاّكم .
ما كان أغناني عنِ المُشْتَكى ... إلى نُجومِ الليلِ لَوْلاكُمُ[2] .
أو فاسألوا طَيْفَكُمُ هل رأى ... طَرْفي غَفا من بَعْدِ مَسْراكم[3] ؟
يا ظَبَياتِ الأُنسِ ، في ناظري ... ورُودُكم والقَلْبُ مَرْعاكم[4] .
يا قومُ ، ما أخْوَنَكُمْ في الهوى ! ... وما على الهِجْران أجْراكُم[5] !

(١) أغراكم على هجري (البعد عني) : حرضكم عليه ، دفعكم اليه .
(٢) المشتكى الى نجوم الليل : السهر طول الليل .
(٣) الطيف : الخيال يزور في المنام . الطرف : العين . المسرى : الانتقال ليلا .
(٤) الورود : الذهاب إلى الماء ، الشرب . المرعي : ما تأكله الانعام والحيوانات المجترة .
(٥) أجراكم — أجرأكم : ما أهون هجري والابتعاد عني عليكم .

– وقال يلوم عَيْنَه :

لأُعذبَنَّ العينَ غيرَ مُفَكِّـــرٍ فيها : بكَتْ بالدمعِ أو فاضتْ دَما ؛
ولأهْجُرَنَّ من الرُّقادِ لذيــذَه حتّى يَعودَ على الجُفونِ مُحَرَّما .
هِيَ أوْقَعَتْني في حبَائِلِ فِتْنةٍ ؛ لولم تكنْ نَظَرَتْ لكُنْتُ مُسَلَّما[1] .
سَفَكَتْ دمي فلأَسْفِكَنَّ دُموعَها ؛ وَهْيَ التي بــدأتْ فكانتْ أظلما .

– وقال في التجلُّد :

وانّي لأُبــدي في هواكَ تَجَلّداً ، وفي القلب منّي لَوْعةٌ وغَليلُ[2] .
فلا تَحْسَبَنْ أنّي سَلَوْتُ ، فرُبّمــا ترى صِحّةً بالمرءِ وَهْوَ عَليــلُ !

– وقال في العِتاب :

أيَذْهَبُ جُلُّ العُمْرِ بيْني وبينكم بغيرِ لِقــاءٍ ؟ إنّ ذا لَشــديدُ .
فإنْ سَمَحَ الدهرُ الخَؤونُ بوَصْلِكُمْ – على فاقتي – إنّي إذاً لَسَعيدُ[3] !

٤ – ** الوافي بالوفيات ٣ : ٣ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٨٦ – ٤٨٨ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٣٢ – ٣٣٣ .

ابن همَاه الرامشي

١ – هو أبو نَصْرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بن هِمَماهَ الرامشيّ النيسابوريّ ، وُلِدَ سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ – ١٠١٤ م). ورحل في طَلَبِ الحديثِ وتخرّج به، وأخَذَ الأَدَب عن أبي العلاء المعرّي ثم أملى في نيسابور . وكانت وفاتُه في جُمادى الاولى سنة ٤٨٩ هـ (١٠٩٦ م) .

٢ – كان الرامشيُّ مُبرّزاً في القراءات وعلومِ الحديث وذا حظٍّ وافرٍ من العلوم العربية . وله شعر مَتينٌ بارعٌ لطيفٌ .

---

(١) فتنة (بالجمال) : من النظر الى الوجوه الجميلة .
(٢) اللوعة : ألم من حب أو هم او مرض . الغليل : الحرقة من الحب أو من العطش .
(٣) الفاقة : الفقر . على فاقتي : على شدة حاجتي الى لقائكم (واستغنائكم عن لقائي) .

٣ ـ مختارات من شعره

ولما برزنا للرحيل وقُرّبت كرامُ المطايا والركابُ تسيرُ[١]،
وضعت على صدري يَدَيَّ مُبادراً، فقالوا : محبٌّ للعِناق يُشير[٢] .
فقلت: ومن لي بالعناق ! وانما تداركت قلبي حينَ كاد يطير .
واذا لَقيتَ صعوبةً في حاجة فاحملْ صعوبتَها على الدينار[٣] .
وابعثْهُ في ما تَشْتهيهِ ، فإنه حَجَرٌ يُلَيِّنُ سائرَ الأحجار[٤] !

٤ ـ ** معجم الادباء ١٩ : ٤٥ .

ابن أبي الصقر الواسطي

١ ـ هوأبو الحسن محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ عُمَرَ المعروفُ بابنِ أبي الصَقْرِ الواسطيّ ، من أهلِ واسطٍ ، وُلِدَ في ١٣ من ذي القَعْدة سَنَة ٤٠٩ (٢٣/ ٣/ ٣/ ١٠١٩ م) .

تفقّه ابنُ أبي الصقرِ على أبي اسحاقَ الشيرازيّ وسَمِعَ (الحديثَ) من أبي بكرِ الخطيبِ وأبي سعيدٍ المتولّي ، ولكنْ غَلَبَ عليه الأدبُ والشِعْرُ . وكانت وفاتُه في ١٤ جُمادى الأولى من سَنَةِ ٤٩٨ (١/ ٢/ ١١٠٥ م) .

٢ ـ كان ابنُ أبي الصقرِ الواسطيُّ كاتباً وشاعراً مُجيداً له مُقَطّعاتٌ مليحةٌ وقصائدُ تُعْرَفُ بالشافعيّة لأنّه كان يَتَعَصّب فيها للمذهب الشافعيّ . ويَغْلِبُ على شعرهِ العُنْصُرُ الوُجداني من الشكوى خاصّة .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابنُ أبي الصقرِ الواسطيُّ في شَيْخوخته وضَعْفه :

كلُّ أمرٍ إذا تَفكّرتَ فيه وتأمّلتَه رأيتَ ظَريفاً :
كنت أمشي على اثْنَتَيْنِ قَوِيّاً ، صِرتُ أمشي على ثلاثٍ ضعيفا[٥] .

---

(١) المطايا جمع مطية (بفتح الميم وكسر الطاء) : البهيمية يركبها الانسان للسفر . كرام المطايا : الكريمة الأصل (الأصيلة) أو التي تحمل أناساً كراماً (المحبوبة) . الركاب جمع راحلة : الجمل الذي يركب عليه للسفر . (٢) مبادرا : مسرعاً (من تلقاء نفسي) .

(٣ و ٤) احمل صعوبتها على الدينار : تغلب على كل صعوبة بالدينار (بالمـال) . فالمال حجر أقسى من سائر الحجارة : يتغلب على كل حجر آخر (على كل صعوبة ويقضي للانسان كل حاجة) .

(٥) على ثلاث : على رجلين وعصا .

– وقال في مِثْلِ ذلك :

يا سائلي عن حالتي ، خُذْ شَرْحَها مُلَخَّصا :
قد صِرْتُ بعدَ قُوَّةٍ تنقُضُ أصلادَ الحَصَى[1]
أمشي على ثلاثةٍ أجودُ ما فيها العصا !

– وقال في إباء النفس ، مَعَ اعتذارهِ عمّا في قولهِ هذا من المعصية والزندقة :

كلُّ رِزْقٍ ترجوه من مخلوقٍ يَعْتَريهِ ضَرْبٌ من التَعْويقِ .
وأنا قائلٌ – وأستغفرُ اللـ ـهَ – مقالَ المَجاز لا التحقيق :
لستُ أرضى من فِعْلِ إبليسَ شيئاً غيرَ تَرْكِ السُجودِ للمخلوق[2] !

٤ – ** معجم الادباء ١٨ : ٢٥٧ – ٢٦٠ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٨٤ – ٣٨٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٦٢ – ١٦٤ .

السراج القارىء

١ – هو أبو محمّدٍ جعفرُ بنُ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بن جعفرٍ السَرّاجُ ، وُلِدَ في الأغلب سَنَةَ ٤١٩ هـ (١٠٢٨ م) وبدأ بسَماع الحديثِ وَهُوَ صَغيرٌ جِداً : سَمِعَ أبا عليٍّ بنِ شاذان وأبا القاسمِ بن شاهينٍ وأبا محمّد الخلاّل ، وأبا الفتح ابن شيطا وأبا الحسين التوّزيَّ وأبا القاسم التنوخيَّ وغيرَهم . ثمَّ جَعَلَ يُحَدِّثُ في المسجد المُعَلَّقِ في بغدادَ .

وكان السرّاجُ القارىءُ يَتَطَوَّفُ في البلاد : سافرَ الى مِصْرَ والشامِ ومكّةَ ، وتردّد مِراراً إلى مدينةِ صور (على ساحلِ الشام) وسكن فيها زماناً ثمّ عادَ الى بغدادَ حيث تُوُفِّيَ في ١١ من صَفَرَ سَنَةَ ٥٠٠ هـ (١٣/ ١٠/ ١٢٠٦ م) في الاغلب .

٢ – كان السرّاج القارىء مُحِبّاً للعلم والأدب عارفاً بالقِراءة والحَديث والفِقه

---

(١) تنقض (تهدم ، تحطم) أصلاد (جمع صلد : قاس) الحصى (جمع حصاة : الحجر الصغير القاسي) :
– كانت لي قوة تفتت الحجارة .

(٢) – لما خلق الله آدم أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس فانه ابى أن يسجد لإنسان خلقه الله من طين ؛ بينما كان الله قد خلق الملائكة من نور وخلق ابليس من نار (والنار في رأي ابليس أفضل من التراب) . فغضب الله على ابليس وأهبطه من السماء الى الارض .

واللغة والنَحْو والعَروض ، كما كان أديباً حَسَنَ التحديثِ وشاعراً غَزِلاً حَسَنَ الشعْر . وكان للسرّاجِ القارىء تصانيفُ عدّةٌ منها : مصارع العشّاق ـ زهد السودان ـ أرجوزة في نَظائر القرآن ـ (وأرجوزتان) : نظم التنبيه في الفقه ـ نظم المناسك (في الحجّ) . غيرَ أنّه قد شُهِرَ بكتاب مصارع العشّاق ، وهو مجموعُ رواياتٍ وحكاياتٍ وأشعارٍ تتعلّق بالعشاق مأخوذةٌ من الأدب القديم والأدب الاسلامي والادبِ المُحْدَث ولكنَّ فيها أشياءَ كثيرةٌ من عالم الخُرافة . والكتاب يَقْصِدُ إلى الإطراف والعِبْرَة معاً . ولم يَتّبعِ المؤلّف في إيراد القصص والاشعار نَسَقاً مُعَيّناً ، فربّما جَمَعَ القِصَصَ المختلفةَ في المكانِ الواحدِ أو فرّق القصصَ المتماثلةَ في أماكنَ مختلفةٍ ، ثم هولم يَبْدأ كتابه بمقدّمةٍ على عادةِ المؤلّفين. وكان السرّاجُ قد أحبّ ثمّ فارقه محبوبُه فعَمِلَ هذا الكتابَ للتأسّي (كي ينسى ظلم الهوى اذا هو ذكر ما نزل بغيره من البلوى) .

ومن أبواب كتاب « مصارع العشّاق » :

باب أصل العشق وما ذكر فيه ـ بابٌ مفرد من مصارع العشّاق ـ باب من مصارع العشّاق ـ باب مصارع عُشّاق الطير ـ بابُ من حمله هواه على قتل من يهواه ـ باب خَلَوات العشّاق ـ باب مصارع محبّي الله عزّ وجلّ ـ باب مصارع عشاق الحُور العِين ـ بابٌ من عجائب محبّي الله وذكر كراماتهم ـ بابُ مَنْ صُعِقَ لوعظ معشوقه ـ باب الظافرين بأحبابهم مع العفاف بعد أن أشرفوا على الإتلاف .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ كتب السراج القارىء على الجزء الأول من كتاب مصارع العشّاق (معجم الادباء ٧ : ١٥٩) :

هذا كتابُ مصارعِ العُشّاقِ صَرَعَتْهُمُ أيدي نَوًى وفِراق[١] ،
تَصنيفُ من. لَدَغَ الفِراقُ فؤادَه وتطلّب الراقي فعَزّ الراقي[٢] .

ـ وله (شهرزور في البيت الثاني اسم بلد في فارس) :

وَعَدتِّ بأنْ تزوري بعدَ شهرٍ فزوري ـ قد تَقَضّى الشهرُ ـ زوري[٣]

(١) النوى : البعاد ، البعد (عن الحبيب) .
(٢) لدغ : عض (آذى) . الراقي : الذي يداوي من لدغ الحية والعقرب . عز : قل ، كان غير موجود .
(٣) تقضى : انتهى ، انصرم .

وموعد بيننا نهرُ المُعلّى الى البلد المُسمّى «شهرزور»[1] .
فأشهرُ صدّكِ المحتومِ حقٌّ ، ولكن شهرُ وَصْلِكِ شهرُ زور[2] !

– ومن شعره (فيه شيء من النفس الصوفي) :

حبّذا طيفُ سُليمى إذ طوى – حذَرَ الواشي – السُّرى من ذي طوى[3] ؛
وأتى الحيَّ طُروقاً وَهُمُ بينَ أجزاعِ زَرودٍ فاللِّوى[4] .
بتُّ أشكو ما ألاقيهِ ، إلى طيفِها الطارقِ ، من مَسِّ الجَوى[5] .
أشْكُرُ الأحلامَ لمّا جمَعَتْ بيْنَنا وَهْناً على رُغْمِ النّوى[6] .
أيها العاذلُ ، دَعْني والهوى ؛ ليسَ مشغولٌ وخالٍ بالسوى[7] !

٤ – مصارع العشاق ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠١ ه ؛ مصر (مطبعة التقدّم) ١٣٢٤ ه (١٩٠٧ م) ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٥ ه ؛ (ضبطه أحمد يوسف نجاتي وأحمد مرسي مشالي) ، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٦ م ؛ بيروت (دار بيروت) ١٩٥٨ م .

** معجم الادباء ٧ : ١٥٣ – ١٦٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٩٧ – ١٩٨ ؛ بغية الوعاة ٢١١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٤١١ – ٤١٢ ؛ بروكلمان ١ : ٤٣١ ، الملحق ١ : ٥٩٤ – ٥٩٥ ؛ ابن الاثير ١٠ : ٤٣٩ ؛ زيدان ٣ : ٩٠ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ١١٥ .

ابن الخطيب التبريزي

١ – هو أبو زكريّا يحي بنُ عليِّ بنِ محمّدِ بن الحسن الخطيب التِبريزي الشَيْبانيّ ،

(١) يقضي الوزن أن نقرأ : وموعد (بضمة واحدة على الدال) . أما المعنى فيقتضي أن تكون القراءة : وموعد (بضمتين على الدال) بيننا (بفتح النون) : الموعد بيننا ، موعدنا ، نهر المعلى : لقاؤنا عند نهر المعلى .

(٢) الصد : ميل المحبوب عن المحب . المحتوم : الواقع ، الذي لا مفر منه . زور : باطل ، زائف .

(٣) الطيف : الخيال (الذي يرى في النوم) . طوى : قطع المسافة ، سار . السرى : السفر ليلا . ذو طوى (بفتح الطاء وكسرها وضمها) : مكان قرب مكّة .

(٤) الحي : مكان نزول القوم (مسكنهم) . طروقاً : في الليل . الاجزاع جمع جزع (بكسر الجيم ، والاليق به أن يكون بفتح الجيم – راجع القاموس ٣ : ١٣) : الممر بالوادي من مكان الى مكان . زرود : اسم موضع (كناية عن مسكن المحبوبة) . اللوى : ما استدار من الرمل ، اسم مكان .

(٥) الطارق : الآتي ليلا (في المنام) . الجوى : ألم الحب .

(٦) وهنا : في منتصف الليل . النوى : البعد .

(٧) العاذل : اللائم (الذي يلوم المحب على أنه احب) . دعني والهوى (مع الهوى ، دعني أبقى محباً) . المشغول : الذي شغله الحب وملأ قلبه . الخالي : الذي لم يحب بعد. السوى (بكسر السين أو ضمها) : السواء ، التماثل .

ولِدَ في تبريزَ سنَةَ ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ونشأ فيها وفي بَغدادَ .

قرأ ابنُ الخطيبِ التبريزيُّ العلمَ على نَفَرٍ كثيرين، فقد سَمِعَ الحديثَ من القاضي أبي الطيِّبِ طاهرِ بن عبد الله الطبري (ت ٤٥٠هـ) وأبي القاسمِ عليِّ بن المحسن التنوخيِّ (ت ٤٤٧ هـ) والخطيبِ البَغْدادي (٤٦٣ هـ)، وسَمِعَ في مدينة صورَ (على الساحل الشاميّ) من الفقيه أبي الفتح سليمِ بنِ أيوبَ الساويِّ الرازي (ت ٤٤٧ هـ) . وقد قرأ اللغةَ والأدبَ أيضاً على كثيرين: قرأ كتابَ « تهذيب اللغة » لأبي منصورِ الأزهري (ت ٣٧٠هـ) في معَرّةِ النُعمانِ على أبي العلاءِ المعرّيّ . وقرأ كذلك على عُبيد اللهِ بن عليّ الرَّقّي (ت ٤٥٠هـ) وعلى عبدِ الواحد بن عليّ بن بُرهانٍ (ت ٤٥٦ هـ) وعلى عبد القاهرِ الجُرجانيّ وغيرِهم .

ودَخَلَ ابنُ الخطيب التبريزيُّ في شبابهِ الى مِصْرَ[1] ثمّ عادَ الى بغداد وتولّى تدريسَ الأدبِ في المدرسة النظامية وأشرف على خزانة الكتب التي كانت في النظامية. وكانت وفاتُه في بَغدادَ فجأةً ، في ثامنِ عِشْرِي جُمادى الأولى من سنَةِ ٥٠٢ (٤/ ١/ ١١٠٩ م) .

٢ ــ كان ابنُ الخطيبِ التبريزيُّ أحدَ أئمّةِ اللغة والنحو والأدب حُجّةً صَدوقاً ثَبْتاً ثِقَةً في كلّ ما يَرْويه ويَنْقُله ، كما كانَ ناظماً للشعر . وكذلك كان مُصَنِّفاً للكُتُبِ له: شرحُ القصائد العشر ــ شرح السبع الطِوال ــ شرح المُفَضّليات للضبّي ــ ثلاثة شروح على ديوان الحماسة لأبي تمّام (كبير ووسط وصغير) ــ شرح شعر المتنبّي ــ شرح المقصورة الدُريديّة ــ شرح سَقْطِ الزَنْد للمعرّي ــ شرح اللُمَع لابن جِنّي ــ تهذيب إصلاح المنطق لابن السِكّيت . ثمّ له أيضاً : تفسير القرآن ــ إعراب القرآن ــ مقدّمة في النحو ــ الكافي في العَروض ــ مقاتل الفرسان .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال ابن الخطيب التبريزيّ في مقدّمة شرح ديوان أبي تمّام :

... وبعدُ ، فانّي نظرتُ في شعرِ أبي تمّامٍ حبيبِ بنِ أوسٍ الطائيِّ وفي ما ذُكِرَ

---

(١) في معجم الأدباء (٢٠ : ٢٦) وفي وفيات الأعيان (٣ : ٢٠٥) : «دخل (ابن الخطيب التبريزي) مصر في عنفوان شبابه فقرأ عليه بها أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي وغيره اللغة » (في نصين متقاربين جداً) . ولم يذكر ياقوت الحموي ولا ابن خلكان شيئاً من ذلك في ترجمة ابن بابشاذ معجم الأدباء (١٢ : ١٧ ــ ١٩ ووفيات الاعيان ١ : ٤١٩ ــ ٤٢٠) . وابن بابشاذ توفي سنة ٤٦٩ هـ.

فيه من التفاسير ، فرأيتُ بعضَهم يُنْحي عليه ويُهَجِّنُ معانيَه ويُزَيِّفُ استعاراته[1] ، وبعضَهم يتعصّبُ له ويقولُ : من جَهِلَ شيئاً عابَهُ كما أنّ مَنْ اعْتَسَفَ طريقاً ضلّ فيه[2] ..... وانّما حَثّني على الاشتغال بِه وتمييزِ ما ذَكَرَهُ العلماءُ فيه من معنًى أو إعرابٍ واختلفوا فيه مَيْلُ المولى أبي نصرٍ محمّدِ بنِ عمادِ الدين ـ مولى أمير المؤمنين[3] ـ إلى شعرِه ورَغْبته فيه دونَ سائرِ دواوين المُحْدَثين . فلمّا رأيتُ كَثْرةَ مَيْلِه اليه وصِدْقَ رَغْبته فيه استَعَنْتُ اللهَ تعالى على شرحه وذِكْرِ الغريب[4] والمعاني والإعراب فيه وترجيحِ بعضِ أقوالِ العلماء فيه على بعضٍ ، لأنّ منهم من أنْصَفَهُ ومنهم من أنْحى عليه . وربّما احْتَملَ البيتُ مَعْنَيَيْنِ ويكونُ أحدُ المعنيين أقوى من الآخر فلا يُمَيِّزُ بينَهما إلاّ مَنْ حَسُنَ فَهْمه وصفا ذِهْنُه ، لأنّ نَقْدَ الشعرِ أصعبُ من نظمه . فأوْضَحْتُ ذلك بإيرادِ ما لا مَحيدَ عنه للقارىء منه[5] والناظر فيه بلفظٍ مُوجَزٍ قليلُه يَدُلُّ على الكثير وقصيرُه يُغْني عن التطويل . فخيرُ الشروحِ ما قلّ ودلّ ولم يَطُلْ فَيُمَلّ .....

ـ ومن شعر ابن الخطيب التبريزيّ :

فمَنْ يسأمْ من الأسفارِ يوماً   فانّي قد سَئِمْتُ من المُقامِ .

أقمْنا بالعراقِ على رجالٍ   لِئامٍ يَنْتمون إلى لِئامِ .

٤ ـ كنز الحفّاظ في كتاب تهذيب الألفاظ (لابن السكّيت) (وقف على طبعه لويس شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٨٩٥ م ، = مختصر له ١٩٨٧م .

تهذيب اصلاح المنطق لابن السكيت (عني بطبعه صالح علي) مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٥هـ .

شرح مقصورة ابن دريد ، دمشق (المكتب الاسلاميّ) ١٩٦١ م .

شرح القصائد العشر (اعتنى بطبعه كارلوس لايل) كلكتّه (مطبعة الارسالية المعمدانية) ١٨٩٤ م ؛ القاهرة (ادارة المطبعة المنيرية) ١٣٥٢ هـ ؛ (حقّق أصوله محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (صبيح) ١٩٦٢ م .

شرح أشعار الحماسة التي اختارها من أشعار العرب أبو تمّام (تحرير فرايتاغ) ، بونّ ١٨٣٨ـ ١٧٤٧م ؛ القاهرة (بولاق) ١٢٨٦ ـ ١٢٩٠ ، ١٢٩٦ ؛ القاهرة ١٣٢٢ ، ١٣٤١ هـ .

---

(١) أنحى عليه (من نحا ينحو) : أقبل عليه (بالضرب أو اللوم) ، مال عليه ، جار في الحكم عليه .

(٢) اعتسف الطريق : مال ، انحرف (سلك الطريق على غير معرفة) .

(٣) ؟

(٤) الغريب (من الألفاظ) : الكلمات القليلة الدوران في الاستعمال ، غير المألوفة .

(٥) ما لا بد للقارىء من معرفته (حاد : مال، انصرف) ولعل « منه » هنا زائدة .

ديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التبريزي (تحقيق محمّد عبده عزّام) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١ ـ ١٩٥٧

شرح سقط الزند للمعرّي (مطبوع في « آثار أبي العلاء المعرّيّ . (راجع ، فوق ، ص ١٣٤) .

شرح قصيدة كعب بن زهير (حقّقها كرنكو) ، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٣٨١هـ = ١٩٧١م.

شرح اختيارات المفضّل بن محمّد الضّبيّ (تحقيق فخر الدين قباوة) ، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٧١ م .

** دمية القصر ٦٨ ـ ٧١ ؛ معجم الادباء ٢٠ : ٢٥ ـ ٢٨ ؛ ابن الاثير ١٠ : ٤٧٣ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٢٠٤ ـ ٢٠٧ ؛ بغية الوعاة ٤١٣ ـ ٤١٤ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٥ ـ ٦ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣١ ، الملحق ١ : ٤٩٢ ؛ زيدان ٣ : ٣٩ ـ ٤٠ ؛ الاعلام للزركلي ٩ :١٩٧ هـ .

الراغب الأصفهاني

١ ـ هو أبو القاسم الحسينُ بنُ محمّدِ بنِ المُفضّلِ المشهور بالراغب الأصفهاني، لا نَعْرِفُ من أحداثِ حياتهِ شيئاً. وقدِ اختلفَ المؤرّخون في سَنَةِ وفاتهِ ، والأرجح أنْ تكونَ ٥٠٢ أو ٥٠٣ هـ (١١٠٩ م).

٢ ـ الراغبُ الأصفهاني من ائمة السُنّة (بغية الوعاة ٣٩٦) وحكيم وأديبٌ واسعُ الاطّلاع حسَنُ التصنيفِ تمتاز كُتبه بالجَمْعِ الواسعِ البارع وبحُسْنِ الاختيار والذوق ، معَ دِقّةِ الملاحظةِ وحُضور النُكتة. ويبدو أنّ كُتُبَه كانت كثيرةً : تفسير القرآن ـ مقدّمة التفسير ـ مفردات ألفاظ القرآن ـ دُرّة التأويل ـ حلّ متشابهات القرآن ـ رسالة منبّهة على فضائل القرآن ـ الذريعة الى مكارم الشريعة ـ تفصيل النشأتين وتحصل السعادتين ـ كتاب الأخلاق ـ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ـ تحقيق البيان ـ أدب الشِطْرنج. ثمّ انّ قولَ الراغب الاصفهاني في مقدّمة محاضرات الادباء: « ... ممّا صنعت من نكت الأخبار ومن عيون الأشعار ومن غيرها من الكتب .... » يدُلُّ على أن « نُكَتِ الاخبار» و « عيون الاشعار » كتابان ، كما يدل على كثرة كتبه .

وأشهرُ كتبِ الراغب وأهمّها كتاب « محاضرات الأدباء» وهو مجموعٌ من الآيات والاحاديث والأقوال والأشعار والقصص والفكاهات في كلّ وجه من وجوه الحياة جِدّها وهَزْلِها ورَفيعِها ووضيعها: في العلم والسياسة والعدل والظُلم والصناعات والعطاء والاستعطاء والضيافة والشراب والغزل والشجاعة والمُجون وفي أخلاق الناس

والأثاث والديانات والمذاهب والموت ومظاهر الطبيعة والملائكة والجنّ وغير ذلك . ويَلْفِتُ النظرَ في هذا الكتاب فصولٌ تتعلّق بالمُجون صريحةٌ جدّاً ، مَعَ إشارات مماثلةٍ في ثنايا الكتاب كلّه . ولا ريبَ في أن ذلك يَكْشِفُ عن جانبٍ من البيئة التي عاشَ فيها الراغب الأصفهاني .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من مقدّمة محاضرات الادباء :

وبعدُ ، فإنّ سيّدَنا[١] عَمّرَ اللهُ بمكانهِ مرابعَ الكرمِ ومجامعَ النِعَم أحبَّ أن أختارَ له ممّا صَنّفتُ من نُكَتِ الأخبارِ ومن عيونِ الأشعارِ ومن غيرِهما من الكتب[٢] فصولاً في مُحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبُلغاء يَجْعَلُه صَيْقَلَ الفَهْمِ ومادّةَ العِلْم . ففَعَلْتُ ذلك إيجاباً له، إذ قد جعلَ مُراعاةَ الأدب شِعارَه ودِثارَه[٣] ومُحاماةَ الفضلِ إيثارَه واختيارَه، وجعلَ زِمامَ حَسَبه بكفِّ أدبِه ، وسَلَكَ في زمانِنا طريقاً قَلَّ سالِكوه ــ طُرُقُ العَلاءِ قليلةُ الإيناسِ ! ــ. وقدْ ضَمّنْتُ ذلك طَرَفاً من الأبيات الرائقةِ والأخبار الشائقة ، وأوردتُّ فيه ما إذا قِيس بمعنـاه فانّه ظَرْفٌ مِلِء ظَرْفاً[٤] ووِعاءٌ حُشِيَ جِدّاً وسُخْفاً : مَنْ شاءَ وجدَ منه ناسكاً يَعِظُه ويُبْكيه ، ومن شاء صادف منه فاتكاً يُضْحِكه ويُلهيه .....

وأعوذُ باللهِ أن أكونَ مِمّنْ مَدَحَ نفسَه وزكّاها فعابَها بذلك وهجاها ، ومِمّنْ أزرى بعَقْله إعجابه بفِعْله ؛ فقد قِيل لا يزالُ المرءُ في فُسْحةٍ من عقلهِ ما لم يَقُلْ شِعْراً أو يُصَنِّفْ كِتاباً. وأوْلى من يَصْرِفُ هِمّته الى مُراعاةِ مثلِ هذا الكتابِ من تَحلّى بطَرَف من الآداب فيصيرُ بهِ طليقَ اللسان ذَليقَ البيان.... ومَنْ لا يَتَحلّى في مجلسِ اللّهْوِ الاّ بمعرفة اللُغة والنَحْو كان من الحَصَرِ صورةً مُمَثّلَةً أو بَهيمةً مُهْمَلَةً . ومن لا يَتَتَبّعُ طَرَفا من الفضائلِ المُخلّدة على ألْسِنَة الأوائلِ كان ناقصَ العقل . فالعقلُ نوعانِ : مطبوعٌ ومسموعٌ ؛ ولا يصلُحُ أحَدُهما الاّ بالآخرِ .

---

(١)

(٢) ــ من كتب الراغب الاصفهاني .

(٣) الشعار : لباس يلبس على البدن مباشرة . الدثار : ما يتغطى به الانسان طلباً للدفء .

(٤) راجع وصف الكتاب للجاحظ (ديباجة كتاب الحيوان) . الظرف : الوعاء . الظرف : الكياسة في مخاطبة الناس ومعاشرتهم . الحصر : صعوبة النطق بالكلام المنطوي على معنى .

وقد تَحَرّيْتُ ـ مِمّا أخرجتُه من كلِّ بابٍ ـ غايةَ الاختصارِ والاقتصار ، وأعْفَيْتُهُ من الإكثار والإهْذار ، لئلاّ تُعافَ مُمارَسَتُهُ ومُدارسته . ولكنْ عَظُمَ هذا الكتابُ بَعْضَ العِظَمِ لكَثْرة فصوله وتحقيقِ تفاصيله . وقد جعلتُ ذلك حُدوداً وفُصولاً وأبواباً ، وذكرتُ جُملةَ الحدودِ والفصول في أوّلِ الكتابِ ليَسْهُلَ طَلَبُ كلِّ معنىً في مكانِه . ووضعتُ كلَّ نُكْتَةٍ في البابِ الذي هو أليقُ بها ، وان كان كثيرٌ من ذلك يصلُحُ استعمالُه في أمكنةٍ (متعدّدة) .

٤ ـ [١] محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، القاهرة (جمعيّة المعارف المصرية) ١٢٨٧هـ ؛ (هذبه واختصره ابراهيم زيدان) ، القاهرة (مطبعة الهلال) ١٩٠٢ م ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٢٦ هـ ؛ بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦١ ـ

تنزيه القرآن عن المطاعن ، القاهرة (المكتبة الازهرية) ١٣٢٩ هـ .

مقدّمة التفسير (مطبوع مع تنزيه القرآن) .

الذريعة الى مكارم الشريعة ، القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ ؛ القاهرة ١٣٣٤ هـ .

تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، القاهرة بلا تاريخ ؛ (نشره محمّد طاهر الجزائري) ، بيروت ١٣١٩ ، ١٣٢٣هـ ؛ (نشره جواد شبر) ، صيداء ١٣١٩ هـ ، ١٩٥٦ م .

المفردات في غريب القرآن (نشره الزهري الغمراويّ) ، القاهرة (البابيّ) ١٣٢٤ هـ ؛ (على هامش « النهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير ، القاهرة ١٣٢٢ هـ) ؛ (تحقيق محمّد سيد كيلاني) ، القاهرة ١٩٦١ م .

** بغية الوعاة ٢٩٦ ؛ روضات الجنّات ٢٤٩ ؛ أعيان الشيعة ٢٧ : ٢٢٠ ـ ٢٢٨ ؛ بروكلمان ١ : ٣٤٣ ، الملحق ١ : ٥٠٥ ـ ٥٠٦ ؛ زيدان ٣ : ٤٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (ط ١) ٣ ؛ تاريخ حكماء الاسلام ١١٢ ـ ١١٣ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٧٩ .

الأبيــــوردي

١ ـ هو أبو المُظَفَّرَ محمدُ بنُ أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ محمّد الأبيوَرْديُّ ، كان مَوْلده في قرية كُوفَنَ (وفيات ٢ : ٣٨٤) وهي قَريةٌ قُرْبَ أبيوردَ (أو أباوَرْدَ أو باورد) .

جاءَ الأبيورديُّ إلى بغداد في مَطْلَع حياته فكان فيها يُعَلِّم أولادَ زيْنِ المُلْكِ الأميرِ بُرْسُقَ الذي كان الشِحْنَةَ (نائبَ السُلْطان السلجوقي لدى الخليفة في بَغدادَ) من سَنَةِ ٤٥١ الى ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) . ثم نَجِدُهُ بعدَ مدّةٍ طويلةٍ (٤٨٦ هـ ـ

(١) راجع أيضاً معجم المطبوعات العربية ٩٢٢ ـ ٩٢٣ .

١٠٩٣ م) في أصْفهانَ ، في خدمة مؤيّد الدولة عُبيْد الله بن نِظام المُلْك الذي تولّى الوزارة للسلطان محمود بن مَلِكْشاه السلجوقي بِضْعَةَ أشهر من تلك السنَة ؛ أو لعلّ ذلك كان في وزارة مؤيّدِ الملك الثانية للسلطان بَرْقْيارُوق بن مَلِكْشاه في سنة ٤٨٧ هـ ، على الاغلب .

ونَشِبَتْ العداوةُ بين مؤيّدِ الدولة وبين عميدِ الدولة بن مَنُوجَهْرَ وزيرِ الخليفة المُسْتَظْهِرِ بعدَ ٤٨٧هـ فأوْجبَ مؤيّد الدولة على الابيوردي أن يَهْجُوَ عميدَ الدولة. فَنَقَلَ عميدُ الدولة إلى المستظهر أن الأبيوردي هَجاه ومَدَحَ صاحبَ مِصْرَ (الامام الفاطمي المُسْتَنْصِرَ أو المُسْتَعْلِي) ، فخافَ الأبيورديُّ وهَرَبَ الى هَمَذانَ .

ويبدو أنّ الأبيورديّ قَدِمَ ، بعدَ هذه الأحداثِ ، الى الحِلّةِ لِيَمْدَحَ صاحبَها أبا الحسنِ سَيْفَ الدولة بنَ صَدَقَةَ ، ولكنْ حَدَثَ بين الرجلين سوءُ تفاهمٍ حمل الأبيورديّ على أن يُغادِرَ الحِلّة من غيرِ أن يَنال من سيف الدولة خيْراً . ثمّ صفا الجوّ للأبيورديّ في بَغدادَ حيناً فتولّى خِزانةَ الكُتُبِ في المدرسة النظامية (في بَغدادَ) بعدَ وَفاةِ خازنِها السابقِ القاضي أبي يوسف يَعْقوبَ بنِ سليمانَ الأسفرايِيني [1]

وتولّى الأبيورديّ في أواخر أيامه أشراف مملكة السلطان محمّد بن ملكشاه في أصفهان ، ولكنّه سُقِيَ السّمّ لِسَبَبٍ لا نَعْرِفهُ فتُوُفّيَ في ٢٥ ربيعٍ الأوّلِ ٥٠٧ هـ (١١/ ٨/ ١١١٣ م) [2] .

٢ ــ كان الأبيورديّ أحدَ القُرّاء في أبيوردَ ، وكانَ مُحيطاً بالعلوم العربية والأدبية وبعِلْم النَسَب . ثم هو من مشاهيرِ الادباء وشاعرٌ ظريفٌ فصيحٌ متينُ السبكِ رائق المعاني . أما فنونُ شعره فهي المديح والفخر والهجاء والعتاب والغزل والوصف والادب .

والأبيوردي مُصَنِّف بارعٌ حاذق له من الكتب : كتاب تاريخ أبيورد ونَسا ــ كتابٌ كبير في الأنساب ــ كتاب ما اختلف وائتلف من أنساب العرب ــ قَبْسَةُ العَجلان في نَسَبِ آل أبي سُفيانَ ــ كتاب المختلف والمؤتلف ــ كتاب نُهْزة الحافظ ــ كتاب المَجتبى من المُجتنى (في رجال كتاب أبي عبد الله النسائي في السنن المأثورة وشرح غريبه) ــ كتاب طبقات العلم في كل فن ــ كتاب تَعِلّة المشتاق الى ساكني

---

(١) يذكر ياقوت(معجم الادباء ١٧ : ٣٧ أن وفاة الاسفراييني هذا كانت في رمضان ٤٩٨ . أما بروكلمان فيذكر أن وفاة الاسفراييني كانت في ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م (بروكلمان ١ : ٤٣٠ ، الملحق ١ : ٤٩٤) .

(٢) في وفيات الاعيان (٢ : ٣٨٤) ٥٥٧ هـ ، وهو خطأ .

العراق – كتاب كوكب المتأمّل (في وصف الخيل) – كتاب تعلّة المقرور (في وصف البرد والنيران وهـمَذان) – كتاب الدرّة الثمينة – كتاب صهلة القارح (ردّ فيه على المعرّي في سقط الزند) .

٣ – مختارات من شعره

– قال الابيوردي يفتخر :

تنكّرَ لي دَهْري ولم يَدْرِ أنّني ... أعِزُّ وأحْداثُ الزمانِ تَهونُ ؛
فباتَ يُريني الخَطْبَ كيفَ اعْتداؤه ، ... وبِتّ أُريهِ الصبرَ كيفَ يكونُ !

– وقال يصف شِعْره ويفتخر به :

كَلِماتي قلائدُ الأعناقِ ؛ ... سَوْفَ تَفْنَي الدهُور وَهْيَ بَواقِ .
فقَريضي يَراهُ من يَنْقُدُ الأشْ ... عارَ سَهْلَ المَرامِ صَعْبَ المَراقي[1] ؛
لم يَشِنْهُ المَعْنى العوَيصُ ولا لَفْـ ... ظٌ يَكِدُّ الأسماعَ ، مُرُّ المَذاق[2] .
وهْوَ في مَنْجَمِ الفَصاحة مِنْ فَرْ ... عَيْ نِزارٍ مُقابِلُ الأعراق[3] .
وإليه يَصْبو الرُواةُ ؛ وفيه ... مَعَ شَكْلِ الحِجاز ظَرْفُ العِراق[4] .

– وله في الغـزل :

وعليلةِ الألحاظِ تَرْقُدُ عن ... صَبٍّ يُصافِحُ جَفْنَهُ الأرَقُ[5] ؛
وفُؤادُه كِسوارِها حَرِجٌ ، ... ووِسادُه كوِشاحِها قَلِقُ[6] .

---

(١) المرام : الغاية ، الوصول الى الشيء . المرقى : الطريق الصاعدة (في جبل أو نحوه) .

(٢) شان : عاب . الكلام العويص : الذي يصعب استخراج معناه . كد : أتعب .

(٣) المنجم : الاصل . من فرعي نزار : عربي من كل جانب (والتثنية للمبالغة) . الاعراق : أصول النسب . مقابل الأعراق : مكافىء ومطابق تمام المطابقة .

(٤) يصبو الرواة : يشتاق الرواة الى روايته وحمله في البلاد . الشكل (بفتح الشين وكسرها) : الغزل . شكل الحجاز : الغزل الحجازي في رقة من اللفظ ولطف من المعنى . الظرف : اللباقة في شيء من المرح ولا يكون ذلك الا للفتيان والفتيات (ولا يكون للمتقدمين في السن) ، الغنج .

(٥) ترقد عن صب : تتغافل عن محبها (وهو يتعذب في حبها) . يصافح جفنه الارق (كناية عن السهر وهرب النوم عنه ، لأنه محب) .

(٦) سوارها حرج (بفتح الراء أو كسرها) : ضيق (كناية عن سمن معصمها فلا يتحرك فيه السوار) . والفؤاد (القلب) الحرج الذي يضيق بكل أمر (لأنه مملوء بالحب) . وشاحها قلق : مضطرب يتحرك بسهولة على كتفيها (كناية عن انها نحيلة هيفاء) . وساده (مخدته ، فراشه) قلق (كناية عن النوم المتقطع) .

عانقْتُها والشُهبُ ناعِسَةٌ والأُفْقُ بالظَلْماء مُنْتَطِق[١] ،
ولَثَمْتُها والليلُ مِنْ قِصَرٍ قد كاد يَلْثِمُ فَجْرَه الشَفَقُ[٢] ،
بمُعانق ألِفَ العَفافَ بِهِ كَرَمٌ بأذْيالِ التُّقى عَلِقُ[٣] .
ثمّ افتَرَقْنا حينَ فاجَأنا صُبْحٌ تَقاسَمَ ضوءَه الحَدَقُ[٤] —
وبنَحْرِها مِن أدْمُعِي بَلَلٌ ، وبراحتي مِنْ نَشْرِها عَبَقُ[٥] !

— لمّا استولى الإفرنج (الصليبيّون) على بيت المقدس (٢٢ شعبان ٤٩٢ = ١٥/٧/ ١٠٩٩ م) قتلوا — فيما ذكر ابن الاثير (١٠ : ٢٨٣) — في المسجد الاقصى ما يزيد على سبعين ألفاً . وكان أمراء المسلمين في ذلك الحين مختلفين متنابذين ، فنظم الابيوردي في ذلك كلّه قصيدة منها :

وشر سلاحِ المرءِ دمعٌ يُفيضُه إذا الحربُ شُبّتْ نارُها بالصوارمِ[٦] .
فإيهاً ، بني الإسلامِ ، إنّ وراءَكم وقائعَ يُلْحِقْنَ الذُرى بالمناسم[٧] .
أتَهْوِيمةٌ في ظِلّ أمْنٍ وغِبْطةٍ وعيشٍ كنُوّار الخَميلة ناعم[٨] !
وكيف تنامُ العينُ مِلءَ جفونِها على هَفَواتٍ أيْقظتْ كلّ نائم[٩] ؟
واخوانُكم بالشامِ يُضحي مَقيلُهم ظهورَ المذاكي أو بُطونَ القشاعم[١٠] .

---

(١) الشهب (النجوم) ناعسة (لا تكاد تلمع لشدة الظلام). منتطق (يلبس نطاقاً أو منطقة ، بكسر الميم) : ملتف ، محاط .
(٢) الليل كاد يلثم فجره الشفق : قرب طلوع الفجر .
(٣) علق : متعلق ، متمسك (بالعفة).
(٤) صبح تقاسم ضوءه الحدق (العيون) : انتبهنا كلانا لطلوع الصبح ؛ عيوننا تبرق بضوء الصبح .
(٥) النحر : أعلى الصدر . بنحرها من أدمعي بلل (لأنني كنت واضعاً وجهي عليه وأنا أبكي كرهاً للفراق) . وبراحتي (كفي) من نشرها (رائحتها) عبق (رائحة زكية شديدة) لشدة امساكها بيدي كيلا أفارقها .
(٦) الصوارم جمع صارم : السيف القاطع .
(٧) ايها (بكسر الهمزة وتنوين الهاء : اسم فعل) : حسبكم =يكفيكم (تقاعساً وكسلا وخوفاً من القتال) . وقائع : معارك . يلحقن الذرى (الأعالي ، الرؤوس) بالمناسم (المنسم : خف البعير ، بكسر الخاء) يذللن الانسان : يجعلن رأسه منخفضاً في موضع قدمه.
(٨) تهويمة : سهوة ، نوم خفيف هادئ (استرخاء في النوم بلا مبالاة) . النوار : الزهر . الخميلة : الشجرة الصغيرة التي كثر ورقها وزهرها.
(٩) الهفوة : السقطة ، الزلة (الخطأ الفادح).
(١٠) المقيل : النوم (والمكان والمستقر). المذاكي من الخيل : الكبيرة (التي تخوض المعارك). — مكانهم ظهور الخيل (في الحرب) أو بطون القشاعم (جمع قشعم : النسر) ، اي قتلى أكلتهم الطيور الكواسر .

تَسومُهُمُ الرومُ الهَوانَ ، وأنتم ... تَجرّونَ ذَيلَ الخَفْضِ فِعلَ المُسالمِ[1]

وكم من دماءٍ قد أُبيحت ، ومِنْ دُمىً ... تُواري حياءً حُسنَها بالمعاصمِ[2] ؛

بحيثُ السيوفُ البيضُ مُحْمَرَّةُ الظُّبى ، ... وسُمْرُ العَوالي دامياتُ اللَّهاذِمِ[3] .

وبينَ اختلاسِ الطَّعْنِ والضربِ وَقْفةٌ ... تَظَلُّ لها الوُلدانُ شيبَ القوادمِ[4] .

وتلك حروبٌ من يَغِبْ عن غِمارِها ... –لِيَسْلَمَ– يَقْرَعُ بعدَها سِنَّ نادمِ[5]

يَكادُ لَهنَّ المُسْتَجِنُّ بِطيبةٍ ... يُنادي بأعلى الصوتِ : يا آلَ هاشمٍ[6] ،

أرى أُمّتي لا يُشْرِعون الى العِدى ... رِماحَهُمُ ، والدينَ واهي الدعائمِ[7] .

ويَجْتَنِبون النارَ خوفاً من الرّدى ، ... ولا يَحْسبونَ العارَ ضربةَ لازمِ[8] .

أتَرْضى صَناديدُ الأعاريبِ بالأذى ، ... ويُغْضي على ذُلٍّ كُماةُ الأعاجمِ[9] .

فَلَيْتَهُمُ –إذ لم يَذودوا حَمِيّةً ... عن الدينِ– ضَنّوا ، غَيْرَةً ، بالمَحارمِ[10] ؛

وإنْ زَهِدوا في الأجْرِ –إذ حَمِسَ الوَغى– ... فهَلّاَ أتَوْهُ رَغْبَةً في الغنائمِ[11] !

---

(١) الروم اسم يطلقه العرب عادة على النصارى ، سواء أكانوا روماً (يونانيين) أو فرنجة أو رومان ، الخ الخفض : العيش الناعم الهنيء . المسالم : الذي لا يحارب أو لا يريد أن يحارب .

(٢) الدمى جمع دمية : الصورة الجميلة أو التمثال (المرأة الحسناء) . توارى حياء حسنها بالمعاصم : تغطي وجهها بمعصميها (بكسر الميم) بيديها خجلا من أعمالكم (لأنكم لا تقاتلون الافرنج) .

(٣) الظبى : جمع ظبة (بضم الظاء وفتح الباء) : حد السيف . العوالي جمع عاليه : صدر الرمح ، الرمح . اللهذم الحديدة في أعلى الرمح .

(٤) القوادم جمع قادم : رأس الانسان . اختلاس الطعن (بالرمح) والضرب (بالسيف) : تطاعن المسلمين والافرنج في حرب تطاعناً شديداً فيه اختلاس (انتهاز كل محارب غفلة خصمه ليقتله) .

(٥) الغمرة : معظم الماء (في البحر) ، وسط المعركة . يقرع سن نادم : يندم .

(٦) المستجن : المستتر . طيبة : المدينة (في الحجاز) . المستتر بطيبة : المدفون في المدينة المنورة (محمد رسول الله) .

(٧) أشرع المقاتل الرمح الى خصمه : سدده وصوبه ووجهه . واهي : ضعيف . الدعامة : عماد البيت الذي يقوم البيت عليه (العمود الاوسط في الخيمة) .

(٨) اجتنب : ابتعد عن . النار (نار الحرب) : الحرب . الردى : الموت . ولا يحسبون أن العار ضربة لازم : ينسون (بفتح السين) أن العار سيلزمهم بعد ذلك .

(٩) الصنديد : الشجاع . الكمي : الشجاع المقدام المتقلد سلاحه تاماً كاملا . أغضى (أغمض عينيه) على الذل : رضي بالذل .

(١٠) ذاد : دافع . حماسة : الأنفة (بفتح النون) ، الاباء ، الدفاع عن المحارم (النساء أو المقدسات التي يجب على الانسان أن يدافع عنها) . ضنوا بالمحارم: بخلوا أن تؤسر نساؤهم ، خافوا أن تؤسر نساؤهم .

(١١) الأجر : الثواب في الآخرة . حمس : اشتد . الوغى : الحرب .

– وقال يمدح بعضَ وُزراءِ العرب (وكان اسمَه عمادُ الدين) :

مَنْ أغفلَ الحزمَ أدْمى كفَّه نَدَمًا ، واستَضْحَكَ النَّصْرَ من أبْكى السُّيوفَ دَمًا[١] .
فالرأيُ يُدْرِكُ ما يَعْيا الحُسامُ بهِ إذا الزمانُ بذَيْلِ الفِتنَةِ التَثَمَا[٢] .
هاب العدا غَمَراتِ الموتِ اذ بَصُروا بالأُسْدِ تَنْزِلُ من سُمْرِ القَنا أجَما[٣]
والخيلُ عابسةٌ يَعْتادُها مَرَحٌ اذا امتطاها عِمادُ الدين مُبْتَسِما[٤] .
وعُصْبةٌ مُلِئَتْ غيظاً صدورُهُمْ من مُخْفِرٍ ذِمَّةً أو قاطعٍ رَحِما[٥] .
والشعب إنْ دبَّ في تَفْريقهِ إِحَنٌ فلن يعودَ طَوالَ الدهرِ مُلْتَئِما[٦] .
وأنتَ أبعدُ في فَضْلٍ ومَكْرُمَةٍ شأواً ، وأثبتُ منهم في الوَغَى قَدَما[٧] .
إذا أذابَ شِرارُ الحِقْدِ عاطفةً هززتَ للعَفْوِ عِطْفَيْ سُؤْدُدٍ كرما[٨] .
فودَّ كلُّ بَرِيءٍ –مُذْ عَرَفْتَ بهِ– دونَ البريّةِ ، أن يَلْقاكَ مُجْتَرِما[٩] !

٤ – ديوان الابيوري ، بعبدا بلبنان (المطبعة العثمانية) ١٣١٧ هـ ؛ بيروت ١٣٢٧ هـ (نشرت فيه قصائد للغزّيّ خطأً) .

مقطّعات الابيوردي ، القاهرة ١٢٧٧ هـ .

المختلف والمؤتلف (حقّقه مصطفى جواد) مطبوع مع المختلف والمؤتلف لابن الصابوني ، بغداد (المجمع العلمي العراقي) ١٩٥٧ م .

---

(١) أدمى كفه ندماً (من كثرة عضها ندماً على تركه الحزم : ضبط الأمور مع الثقة بالنفس في البت فيها) .
(٢) التثم الزمان بذيل الفتنة : وضع ذيل الفتنة على وجهه (كثرت فيه الفتن) .
(٣) الغمرة : معظم ماء البحر . غمرات الموت : المعارك الشديدة . الاسد: الرجال الشجعان الاقوياء . تنزل من سمر القنا (الرماح) أجما (أجما مفعول به من الفعل « تنزل »): تخيم في مكان كثير السلاح .
(٤) الخيل عابسة (من شدة الحرب) يعتادها (يظهر عليها مرة بعد مرة) مرح (سرور مع نشاط) اذا امتطاها : ركبها (لحرب) عماد الدين مبتسماً .– تعبس الخيل اذا أعلنت الحرب ، فاذا علمت أن عماد الدين هو الذين سيذهب بها الى الحرب فرحت (لعلمها بأنه سينتصر).
(٥) وعصبة ... (من الثائرين) ! مخفر ذمة : خائن عهداً . قاطع رحماً :عاصياً أقاربه ، محارباً لقومه .
(٦) الإحن جمع إحنة : الحقدوالغضب . ملتئم :مجتمع .
(٧) الشأو : الشوط ، المدى . أثبت في الوغى (الحرب) قدماً : أشجع.
(٨)– اذا أنساهم حقدهم ضرورة عطفهم عليك (لأنك قريب لهم) عفوت أنت عنهم عفو مترفع عن معاملتهم بمثل ما عاملوك به . العطف : الجانب الاعلى من الجسم ، الكتف.
(٩) –كل بريء يتمنى أن يكون مذنباً اليك – لا الى غيرك – ثم يجيء اليك لحسن ما تلقى به المذنبين من الكرم والصفح .

** الابيوردي ممثّل القرن الخامس في تاريخ الفكر ، تأليف ممدوح حقّي ، دمشق (دار اليقظة العربية) بلا تاريخ .

معجم الأدباء ١٧ : ٢٣٤ — ٢٦٦ ؛ المحمدون ٤٧ — ٥٠ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٨١ — ٣٨٤ ؛ انباه الرواة ٣ : ٤٩ — ٥٢ ؛ بغية الوعاة ١٦ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٨ — ٢٠ ؛ أعيان الشيعة (١٩٦٠م) ٤١ : ٦٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٣—٢٩٤ ، الملحق ١ : ٤٤٧—٤٤٨ ؛ زيدان ٢ : ٢٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٠٠ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٢٠٩ .

ابن الهبـــارية

١— هو الشريفُ نِظامُ الدين أبو يَعْلى محمدُ بنُ محمدِ بنِ صالحِ بنِ حمزةَ الهاشمي البَغداديُّ العبّاسيّ ، كان من نَسْلِ عيسى بنِ موسى بنِ محمّدِ بنِ عليّ (كان عيسى ابن أخي أبي جعْفرٍ المنصورِ) .

وُلِدَ ابن الهبّارية في بَغدادَ ونشأ فيها وتلقّى العلمَ في المدرسة النِظامية في الغالب ؛ ثم اتّصل بنظامِ المُلْك وزيرِ ملِكْشاه السلجوقيّ وحَظِيَ عنده . ولكنّ خُبْثَ لِسانهِ ونَفْسه حمَلَه على هِجاءِ نِظامِ المُلْك ، أغراه بذلك أبو الغنائم بن دارست . وأغْضى نظامُ الملك على هذا الهجاء وزاد في أفْضاله على ابنِ الهبّارية . غيرَ أنّ ابنَ الهبارية ظلّ يُوجِسُ خيفةً في نفسه فغادر بَغدادَ ، في أواخرِ وزارةِ نظامِ الملك (٤٥٦ — ٤٨٥ ه) في الاغلب ، الى إصبهان . ومع أن نِظامَ الملك قُتِلَ سنة ٤٨٥ ه (١٠٩٢ م) وَوَلِيَ الوزارةَ بعده أبو الغنائم (ت ٤٨٦ ه) ، فانّ ابن الهبّارية لم يَعُدْ إلى بغداد فيما نَعْلَمُ . وبعدَ أن قَضى ابن الهبّارية مُدّة في إصبهان رَحَلَ عنها إلى كَرْمان وبَقيَ فيها إلى أن تُوُفّيَ سنة ٥٠٩ ه (١١٠٥ م) .

٢ — ابن الهبارية شاعر مجيد مقتدر مكثر ، ولكن غلب على شعره الهجاء والهزل والسخفُ والمجون أحياناً ، والنظيف من شعره في غايةِ الحُسْنِ . وشُهْرَةُ ابن الهبّارية إنما هي في الشعرِ القَصَصي الحِكْمي قصيداً ورَجَزاً . وقد نَظَمَ قِصَصَ كتابِ كليلةَ ودِمنةَ (لابن المُقَفّع) شِعراً وسمّاه نَتائج الفِطْنة في نَظْمِ كليلةَ ودِمنة . ثمّ انّه وَضَعَ كِتاباً سمّاه «الصادحَ والباغم» (١) على أسْلوبِ كليلة ودِمنةَ وجعله شِعْراً في ألْفَيْ بيتٍ وقدّمه إلى أبي الحَسَنِ صَدَقَةَ بنِ منصورٍ صاحب الحِلّة(٤٧٩—٥٠١ه). ولابن الهبّارية أيضاً أرْجوزة في الشِطْرنج وكِتاب فَلَكُ المعالي.

---

(١) الصادح من الطير والباغم من البهائم (كالغزال) .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابن الهبّاريّة يردّ على من يقول بأنّ الانسان اذا سافر حصل على رزق كثير :

قالوا : أقمتَ وما رُزقتَ ؛ وإنما بالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ اللبيبُ ويُرزقُ[١] !
فأجَبْتُهم : ما كلُّ سيرٍ نافعاً ؛ الحظُّ ينفعُ لا الرحيلُ المُقْلِقُ[٢] !
كم سفرةٍ نفعتْ ، وأُخرى مثلُها ضرّتْ : ويَكْتسب الحليم ويُخْفِقُ[٣] ؛
كالبدر يكتسب الكمالَ بسيره ، وبه – اذا حُرم السعادةَ – يُمْحَقُ[٤] .

– من نتائج الفطنة : باب الحمامة المطوقة[٥] :

لمّا انقضى الكلامُ قالَ دَبْشَلَمْ لِبَيْدَبا : لقد أتيتَ بالحِكَمْ[٦] .
وقد علِمْنا كيف قَطْعُ الخائنِ بين المُحبَّيْنِ بقولِ المائنِ[٧] ،
فاذْكُرْ لنا أخلاقَ إخوان الصَفا وما سمعتَ عنهمُ مِنَ الوفا[٨] ،
وكيف يَبْدا حُبُّهم وودُّهم ، ثم يدومُ عَهْدهم وعَقْدهم .
فكان قولُ الفيلسوفِ بَيْدبا : خيرُ كنوزِ المرءِ إخوانُ الصفا .
لا تُخْدَعَنْ فإنّما الإخوانُ على الأمور كلِّها أعوان ،
كَمَثَلِ الحمامةِ المُطَوَّقَةْ وقصدِها في كَرْبِها الأخَ الثِّقَهْ
الجُرَذَ الناصحَ للأصحابِ : السُلْحَفا والظَبْيِ والغُرابِ .
قال : فحَدِّثْني بذاك أسْمَعِ ؛ ولا تُحَدِّثْ جاهلاً ليس يَعي[٩] .
قال : نَعَمْ ، كانَ بأرضٍ صَيْدُ مرتَعُهُ دَشْتٌ عليه رَيْدُ[١٠] .

---

(١) اللبيب : العاقل .

(٢) المقلق : المزعج (الذي يحمل الانسان على أن ينتقل من مكان الى آخر) .

(٣) أخفق الرجل : خاب (طلب أمراً فلم يحصل عليه) .

(٤) يمحق (بالبناء للمجهول) القمر : يذهب نوره (في آخر الشهر) .

(٥) باب الحمامة المطوقة: باب (فصل) في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع يقوم على أن الصداقة ممكنة بين الأجناس المتنافرة في الطباع كالانسان والحمام والسلحفاة والغزال والجرذ والغراب الخ .

(٦) دبشليم ملك الهند وبيدبا الفيلسوف الهندي هما اللذان بنى ابن المقفع عليهما الحوار في كتاب كليلة ودمنة .

(٧) المائن : الكاذب . وقد علمنا كيف قطع الخائن .... : في باب الاسد والثور (قبل باب الحمامة المطوقة مباشرة) يقول دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : اضرب لي مثل المتحابين اللذين يقطع بينهما الكذوب المحتال .

(٨) اخوان الصفا : الأصدقاء الذين لا تبطل صداقتهم .

(٩) – حدثني أنا ولا تحدث بهذه الحكمة رجلا جاهلا لا يستوعب ما يسمع .

(١٠) الدشت : الصحراء . الريد : الحرف الناتئ من الجبل .

بَيْنا غُـرابٌ ساقطٌ في شَجَرَهْ إذ مـرّ صيّادٌ بـهِ فأنْكَرَهْ[1]
وقال : ما أبـرحُ من مكانـي حتّى أرى فِعال ذا الإنسـانِ[2] ....

ــ الغُراب والعقّاب (من الصادح والباغم) :

.... وفعلُ ما يُفْعَل للصـلاحِ ما فيه من عيبٍ ولا جَنـاحِ[3] .
فالشَهْمُ مـن أصْلَحَ أمـرَ نفسهِ ولو بقتل وُلْده وعِرسه[4] !
أما سمعتَ خَبَرَ الغُرابِ ، إذْ خَشِيَ الشرَّ من العُقابِ[5] ؟
كان بـه مستأنساً مُخْتَصّـا لا يَجِدُ العائـبُ فيه نَقْصَـا .
وصاحبُ النِعمةِ محسودٌ عـلى ما نالَه من العُلا إذا علا .
فطرَحوا في مَسْمَع العُقـابِ خيانةً عن وَلَدِ الغـراب ؛
فقيل : قدْ أفسد بَعْضَ الحُـرَمِ ــ ولم يكن في ذاك بالمُتّهـم[6] ــ
فخَشِيَ الغُـراب من نَكيره ، إذْ بالغ الحـاسد في تـزويره[7] .
وقال : لا يَحْتملُ السـلطانُ ؛ ثلاثـةً يفعلهـا خـوّان :
إذاعةَ السر وإفساد الحُـرَمْ والقَدْحَ في المَلْكِ ؛ ومن يَفْعَلْ يلَمْ !
وإنني أرهب مـن عِقـابهِ جائحةً تَغُمُّ من عذابه[8] .
فتذهبُ النفسُ وكلّ الأهْلِ ؛ والحزمُ أن أفْدِيَهُمْ بالشُكْلِ .
قد يُقْطع العضوُ ، إذا العُضْوُ فَسَدْ ؛ ويقْلع الضِرس لإصلاح الجسد .
حينَئذٍ قـام فَسمَّ وَلَـدَهْ ؛ كم رجـلٍ أصلحه ما أفسَدَهْ !
وجاءه بـرأسهِ[9] وقـالا : « لستُ لِما تكرهُه حَمّـالا .

(١) أنكر : أنكر مجيء هذا الصياد الى هذه الصحراء التي ليس فيها طيور .

(٢) أبرح : أترك ، أذهب.

(٣) ما فيه : ليس فيه . جناح : ذنب . « ما » الأولى (اسم موصول)، والثانية (حرف نفي).

(٤) الولد (بضم الواو) : الاولاد . العرس : الزوجة .

(٥) العقاب (بالضم) : طائر من الجوارح.

(٦) الحرم : جمع حرمة (بضم الحاء) : ما يحرم على الآخرين ، المرأة . لم يكن في ذاك بالمتهم : كان أميناً لا يفعل مثل ذلك.

(٧) من نكيره=من نكير العقاب: من استنكاره=كثرة اللوم والتهويل بالذنب. التزوير: تحسين الكلام وتزويقه.

(٨) الجائحة : الشدة التي تذهب بالمال ، الاهلاك . تغم : تجلب الغم والحزن.

(٩) وجاءه برأسه : (قتل الغراب ابنه) وجاء برأسه الى العقاب .

من خـــانَ مولاه فــذا جزاؤهُ ؛ وربّمـــا داوى العليلَ داؤه
إني عدوٌّ كلِّ من عاداكــا ، كذا وليٌّ كلِّ مـــن والاكا » .
فجلّ في نفس العُقاب قَدْرُهُ ، وصانه مـــن العِقاب مكـــره .
وللرجالِ ــ فاعْلَمَنْ ــ مكائــدُ وخِدَعٌ مُنْكَـــرَةٌ شدائدُ !

٤ ــ الصادح والباغم ، لكنهو ١٨٤٧ م ؛ القاهرة ١٢٩٢ ، ١٢٩٤ ه ؛ بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٦ م ؛ بعبدا بلبنان ١٩١٠م ؛ (نشره عزة العطار) ، القاهرة ١٣٥٥ ه (١٩٣٦ م) .

نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة (بعناية الشيخ نور الدين بن جيواخان ــ وبتصحيح غلام حسين بن الفسوح الماجد ملاّ عبد أبي القاسم) ، بمبيء ١٣٠٤ ؛ (باعتناء فيض الله البهائي وصالح محمد بن ملاّ حسين علي) بمبيء ١٣١٧ ه ؛ (بتصحيح نعمة الله الأسمر) ، بعبدا في لبنان (المطبعة اللبنانية) ١٩٠٠ م .

** الوافي بالوفيات ١ : ١٣٠ ــ ١٣٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٨٦ ــ ٣٨٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٤ ــ ٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٣ ، الملحق ١ : ٤٤٦ ــ ٤٤٧ ؛ زيدان ٢ : ١٥٤ (في ترجمة ابن المقفّع) ، ٣ : ٢٧ ــ ٢٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٧٤ ــ ٧٧٥ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٤٨ .

يغمر بن عيسى

١ ــ هو الأميرُ يَغْمُرُ(١) بنُ عيسى : ابنُ العُكْبَريّ من مُولّدي الأتراكِ في دِمَشْقَ ومن أُمرائها المعروفين ، ماتَ في عُنفوانِ شَبابه سَنَةَ ٥٠٩ أو ٥٠٨ ه .

٢ ــ كان يَغْمُر بنُ عيسى أميراً شُجاعاً وأديباً بارعاً في النثرِ والنَظْمِ مَعَ شيءٍ من الضَّعف ومن التَكلّفِ لأوجهِ البلاغة . وهو مُصَنِّفٌ تَرَكَ لنا رسالةً جارى فيها أسْلوبَ المقاماتِ في مادّتها وسِياقها وفي أُسلوبها . وقد وَصَفَ عِمادُ الدين الأصفهانيّ هذهِ الرسالةَ فقال(٢) : « وَجدتُ رسالةً له بخطّه ذَكَر فيها ما يتضمّن مُعاشرةَ الإخوان وتَعَبَ الزمان والحَثَّ عـلى اغتنامِ الفُرَصِ ووَصْفَ الصيدِ والقَنْص وشُرْبَ المُدام وتقلّب الأيّام . و (قد) نَقّحْناها وصَحّحْناها ، وحذَفْنا منها وأوْضَحْناها ، وكَلّلْناها ورَصّعْناها (٣) . (ثمّ) أوْرَدْنا منها ما وَقَعَ الاختيارُ عليه نَظماً ونثراً ، وأحْيَيْنا له بإيرادِها ذِكْراً » .

(١) يغمر من التركية (يغمور) : المطر . (٢) الخريدة (الشام) ١ : ٣٥٤ .
(٣) كللناها : جعلنا لها اكليلا (عصابة أو طوق يجعلان على الرأس). رصع الصائغ السوار : نزل فيه قطعاً من الجوهر والخرز ، الخ . ــ هذا يدل على أن العماد الاصفهاني قد صحح هذه الرسالة ونقحها بالزيادة والنقصان وبعض التبديل .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ أثبتَ العِمادُ الأصفهانيُّ في الخريدة رسالةً ليغمرَ بنِ عيسى جاء فيها في وَصْفِ الدنيا وفي مُحاولةِ التغلّبِ على شِقائها بشُرْب الخمر :

دارُ سوءٍ فما تُقيم على حالٍ ولا تستقيمُ في الأفعالِ .
طَبْعها اللُؤم والخَلابة والحِقْـ ـد ونَقْضُ العهودِ والأحوالِ [١]،
وانتزاعُ الغِنى بنازلة الفَقْـ ـر وحُلْوِ النعما بِمُرِّ السُؤال [٢]
فالأريب اللبيب يستنفدُ الدُنْـ ـيا وأعراضَها ببَذْل النَوال [٣] .

فليس للمُقيمِ فيها مُقامٌ ، ولا للمنتقم من صَرْفِها انتقام [٤] ، إلاّ بمُداومة الصَهْباء في الإصباح والإمساء ، لصَرْفِ الهَمّ عن قلبهِ بصِرف الراح [٥] وجَعْلِ قَدَحهِ الكبيرِ مَعَ الأقداح ومُبادرةِ دَنّهِ وخَمّاره ومُراوحةِ عُودِهِ ومِزْماره [٦] .

ولقدِ استنفدتُ كلّ المَجْهودِ في بلوغِ المقصودِ فرأيتُ تحصيلَ الجارِ قبلَ الدار والرفيقِ قبلَ الطريق، اذ لا سبيلَ الى جمعِ المَسرّةِ الاّ بالمُصافي من الإخوان [٧] ، ولا في دَفْعِ المَضَرّةِ الاّ بالكافي من الأعوان [٨] . وفَتَحَ الله لي بسادةٍ امراءَ وقادة كُبَراءَ يَجْزونَ عن الإساءةِ بالإحسان ويُقابلون الذَنْبَ بالغُفْران : إن قُطِعوا وَصَلوا ، وان خُزِنَ عنهم بَذَلوا ، وان فُوضِلوا فَضَلوا [٩] ....

---

(١) الخلابة : الخديعة برقيق الحديث . نقض الأحوال : تبديل الاحوال (الحسنة) .

(٢) كذا في الاصل . وفي القاموس : النعماء (بفتح النون) والنعمى (بضمها) : الخفض والدعة (العيش الناعم اللين) .

(٣) الاريب : العاقل . الأعراض : الاشياء المادية في الحياة . النوال : العطاء.

(٤) الصرف ، صرف الدنيا أو صرف الدهر : النوائب والمصائب .

(٥) الصهباء : الحمراء (الخمر) . في الاصباح والامساء (بكسر الهمزتين) : عند الدخول في الصباح والمساء ، و (بفتح) الهمزتين: جمع صباح ومساء – في كل صباح ومساء. صرف الهم : إزالة الهم . صرف الراح (بكسر الصاد) : الراح (الخمر) الصرف (الخالصة)، غير الممزوجة بماء.

(٦) الدن : وعاء كبير للخمر . الخمار : بائع الخمر . مبادرة دنه وخماره : السبق والتبكير الى شرب الخمر . مراوحة العود والمزمار : سماع هذا مرة وذلك مرة.

(٧) المصافي من الاخوان : المخلص من الاصدقاء.

(٨) الكافي من الأعوان : الذي يعتمد عليه من الاتباع فيقوم بالأمر الموكول اليه قياماً تاماً.

(٩) ان فوضلوا فضلوا : اذا نافسهم أحد بالفضل (بالافضال على الناس– بالعطاء) فضلوه (زادوا عليه فكانوا أفضل منه).

– ومن هذه الرسالة نفسها في وصف الصَّيْد :

فجرّ كلُّ واحد منا كلباً وتفرّقنا كأنّنا نُحاول نَهْباً. فطَفِقَتِ الأرانبُ نافرات والكلابُ لهنّ كاسِراتٍ[1] ، فحَصَلْنا منهنّ على الفُرَجَ والنُزَهِ ونكّبنا عنهنّ وتركنا إلحاح الشَرَه[2] .

واستدْعَيْنا البُزاةَ والشواهينَ وعَرَضْناهنّ علينا أجْمعين[3].

فاستدْعى النقيبُ بالكلاّب[4]، فجيء ببازٍ أصْفَرَ نَقيّ ، شاطرٍ ذكيٍّ ، طويلٍ عريض أزْرَى بلَوْنه على البيض[5]، نادرِ الأحداقِ طويلِ الساقِ قصير الجَناحِ يَسْبِقُ في الطَيَرانِ عاصفَ الرياحِ ، صَحيحٍ سمينٍ ، قويٍّ أمينٍ لا يَرْجِعُ عن كلّ ما يُرْسَلُ عليه ، ويَسْبِقُ حِمامه إليه[6] :

شَهْمٌ غدا يَزِينُهُ اصْفِرارُهُ محمودةٌ في صَيْدِه آثارُهُ[7]،
طائِرُهُ لم يُنْجِهِ فِرارُهُ ولم يُوَقّ نفسَهُ قَرارُهُ[8]
ولم يَرُدَّ فَتْكَهُ حِذارُهُ[9] .

٤ – ** خريدة العصر (الشام) ١ : ٣٥٤ – ٣٩٠.

---

(١) طفقت الأرانب (بدأن) نافرات (تنفر ، تخرج من أجحارها أو أماكن خبائها مسرعة) . كاسرات : تكسر عظام (الارانب) . الكاسر في القاموس تستعمل للطيور الجوارح .

(٢) فحصلنا ... الشره : تفرجنا بهذا المنظر ونزهنا فيه أبصارنا (سررنا به) ثم اكتفينا بصيد قليل اذا نكبنا (ابتعدنا ، تركنا) إلحاح الشره : المبالغة ، الطمع في الرغبة في الصيد الكثير .

(٣) البزاة (جمع بازي) والشواهين (جمع شاهين) نوع من الصقور يصطاد بها (الملموح أنهم كانوا يصطادون بالشاهين أيضاً) .

(٤) النقيب : الحاجب : المتولي المحافظة على الاشياء والرئاسة على الرجال . الكلاب : مروض الكلاب ، المتولي الصيد بالكلاب .

(٥) أزرى فلان على فلان : عابه ، أظهره في حالة سيئة ناقصة . – الملموح أن البزاة البيض خير البزاة للصيد، وأن هذا البازي الأصفر أفضل من البزاة البيض عموماً .

(٦) لا يرجع عن كل ما يرسل عليه : يصطاد كل طير يرسل عليه . يسبق حمامه (موته) اليه : يصل اليه نذيراً بوصول الموت اليه .

(٧) الشهم في القاموس : الشجاع . يزينه اصفراره : لونه الاصفر يجعله جميلا جداً . محمودة في صيده آثاره : كثير الصيد .

(٨) الطائر... قراره : اذا فر الطائر منه فانه لا ينجو (لأن هذا البازي سريع جداً) ، واذا قر هذا الطائر مختبئاً في مكانه ، فانه لا يخفى على هذا البازي (لأنه حاد البصر جداً) . وقاه : حفظه ، دفع عنه الأذى .

(٩) ولم يرد .... : حذر هذا الطائر واحتياله للنجاة من هذا البازي لاينفعه.

ابن مكنسة الاسكندراني

١ – هُوَ القائدُ أبو طاهرٍ اسماعيلُ بنُ مُحَمَّد المعروفُ بابنِ مِكْنَسَةَ الإسكندرانيّ ، كان منقطعاً الى عاملٍ [١] من النصارى اسْمُهُ أبو مَليحٍ فمَدَحه وأكثرَ وبالغَ . ولمّا تُوُفِّيَ أبو مليحٍ رثاهُ ابنُ مِكْنَسَةَ بقصيدةٍ منها :

طُوِيَتْ سماءُ المَكرُماتِ ، وكُوِّرَتْ شَمْسُ المديحِ [٢] .
ماذا أُرَجّي في حياتي بعدَ موتِ أبي مليحٍ ؛
ما كان بالنِكْسِ الدَنّيَّ مِنَ الرجالِ ولا الشحيح [٣] .
كَفَرَ النصارى بعدَ ما عقدوا بهِ دينَ المسيح [٤] .

كانتْ هذه الحادثةُ في أيامِ وَزارةِ أميرِ الجيوشِ بدرٍ الجَمالّيِ للمُسْتَنْصِرِ الفاطميّ ، أي بَيْنَ سَنَةِ ٤٦٦ وسنة ٤٨٧ هـ (١٠٧٣ – ١٠٩٤ م) . فلمّا جاء الأفضلُ بنُ بدرٍ الجَمَالّيِ إلى الوزارة ، بعدَ وفاة أبيه ، مدحه أبنُ مِكنسة فلم يقبلِ الأفضلُ منه لِمَا قد سبَقَ من مدائحهِ ومراثيهِ في أبي مَليح . غير أن الأفْضَل لم يَعِشْ في الوزارة سوَى بِضْعَةِ أشهرٍ من سَنَةِ ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) فكفلَهُ عِزُّ الدولةِ بن فائقٍ أحَدُ مَوالي الدولةَ الفاطمية ، إلى أن توفي سَنَةَ ٥١٠ هـ (١١١٦ – ١١١٧ م) وقد أسنّ .

٢ – ابنُ مِكْنَسَةَ الإسكندرانيُّ شاعرٌ مُكْثِرٌ مُحْسِنٌ كثيرُ التصرُّفِ في فنون الشِعرِ قليلُ التكلُّفِ في إيراده ، يختلفُ شِعْرُه بينَ الجِدّ والهَزْل وبين الجَزالة والرِقّة ؛ ومن فُنونهِ المدحُ والرثاء والهجاء والغزل والخمر .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ مِكْنَسَةَ في الغزل والنسيب :

رَقّتْ مَعاقِدُ خَصْرِهِ فكأنّها مُشْتَقّةٌ مِنْ عقده وتَجَلُّدي [٥] ؛
وتَجَعَّدَتْ أصْداغَه فكأنّها مَسْروقَةٌ من خُلْقِهِ المُتَجَعِّد [٦] .

---

(١) العامل : موظف على جمع الضرائب .
(٢) كورت الشمس : طوى بعضها على بعض وذهب نورها .
(٣) النكس : الضعيف ، المقصر في النجدة والكرم . الدني (كذا في الاصل) = الدنيء .
(٤) .....
(٥) كأنها مشتقة من عقده (عقد خصره) : نحيلة .... وكذلك تجلدي قليل . (٦) .... من خلقه المتجعد ....

ما بالُه يَجْفو ، وقد زَعَمَ السوَرى — أنّ النَّدَى يَخْتَصُّ بالوجهِ النَّدِي[1] .
لا تَخْدَعَنّكَ وَجْنَةٌ مُحْمَرَّةٌ — رَقّتْ، ففي الياقوتِ طَبْعُ الجَلْمَد[2] .
وزَعَمْتَ أنّي لستُ من أهْلِ الهَوى — صَبّاً ، فقلْ ما شِئْتَه وتَقَلَّد[3] .
واللهِ ، ما أبْصَرتُ يوماً أبْيَضاً — مُنْذُ ابْتُلِيتُ بحُبِّ طَرْفٍ أسْودِ ! [4]

— وله في مثل ذلك :

وعَسْكَرِيٌّ أبَداً ، حَيْثُما — تَلْقاهُ يَلْقاكَ بكُلِّ السِّلاحْ[5] :
حاجِبُهُ قَوْسٌ ، وأجْفانُهُ — نَبْلٌ ، وعِطْفاه تَثَنّي الرِماحْ[6] .
أغنُّ مَجْدولٌ هَضيمُ الحَشا — مُرْتَدِفُ الأرْدافِ نِضْوُ الوِشاحْ[7] .
في لحظِهِ راحٌ ، وفي خَدِّهِ — وردٌ ، وفي فيهِ أقاحٍ وراحْ[8] .
راحَ وفِعْلُ الراحِ فيهِ كما — يَفْعَلُ بالغُصْنِ نَسيمُ الرياحْ[9] .
وكَيْفَ يُرجى لي صَلاحٌ وقد — بُلِيتُ ،يا صاحِ ، بحُبِّ المِلاحْ[10] !
شَقَقْتُ ثَوْبَ الصبرِ من بَعْدِه ؛ — فَلْيَعْذُلِ العاذِلُ ولْيَلْحَ لاحْ[11] .

٤ — ** خريدة القصر (مصر) ٢ : ٢٠٣ — ٢١٥ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٦ — ٢٧ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٣٢٢ .

---

(١) الندى : الكرم. الوجه الندي : البشوش (يتأثر بالمكارم). في الفلسفة القديمة أن حسن الاخلاق تابع لحسن الوجه.

(٢) في الياقوت (حجر كريم أحمر) طبع الجلمد (الصخر) . لون الياقوت أحمر (الحمرة لون للجمال) ولكن طبيعته قاسية كالصخر . وكذلك هذا المحبوب وجنته حمراء (جميلة) ولكن قلبه قاس .

(٣) الصب : المحب. تقلد القلادة (العقد) لبسها !

(٤) — لم أجد في حياتي يوماً أبيض (سروراً) منذ عشقت مليحاً (جميلا) ذا طرف أسود (له عيون سود) .

(٥) عسكري ابداً : هو دائماً يسلك سلوك الجندي (المقاتل) يحمل سلاحه دائماً.

(٦) النبل : السهام . العطف : جانب الجسم . تثني الرماح — يشبه الرماح اذا تثنت (تمايلت) .

(٧) أغن : في صوته غنة (نغم ، لحن جميل) . مجدول : متسق الجسم ، غير مترهل أو مسترخ . هضيم الحشا (البطن) : نحيف الخصر. مرتدف الارداف : كبير مؤخرة البدن . نضو (ضعيف ، نحيل) الوشاح (مكان وضع الوشاح (القسم الاعلى من البدن) ، يقصد الخصر .

(٨) في لحظة (عيونه) راح (خمر) يسكر المحب من النظر اليها . وفي فيه (فمه) أقاح (أقحوان ، أسنان نقية كبتلات زهرهالاقحوان) وراح (خمر). ريقه أيضاً يسكر.

(٩) راح (سار) وفعل الراح (الخمر) فيه (سكران ، يسير وهو يتثنى ويتمايل) .

(١٠) يا صاح = يا صاحبي .

(١١) شققت ثوب الصبر (فقدت صبري) من بعده (بعد فراقه) . عذل : لام . لحى ولحا : لام ، شتم لعن ، قبح .

المرتضى الشهرزوري

١ـ هو أبو محمد عبدُ الله بنِ القاسمِ بنِ المُظَفَّرِ بنِ عَلِيِ المُعروفُ بالمُرْتَضى الشَهْرَزوريّ ، وُلِدَ في شعْبان من سَنَةِ ٤٦٥ (ربيع ١٠٧٣ م) في المَوْصل. وقد أقامَ مُدّةً في بَغدادَ يَشْتَغِلُ بالحَديث والفِقْه. ثم رَجَعَ الى المَوْصِلِ وتولّى فيها القضاءَ ورَوَى الحديثَ. وكانتْ وفاتُه بالمَوْصِلِ في ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٥١١ (تموز ـ يوليو ١١١٧ م) في الاغلب .

٢ـ كان المُرْتَضى الشَهْرَزوريُّ مُحَدِّثاً وفقيهاً مَليحَ الوَعْظِ معَ الرشَاقةِ في التَعْبير ومع التَجْنيسِ . وله شِعْرٌ رائقٌ على طريقةِ أهلِ التَصَوُّف .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ للمرتضى الشهرزوريِّ قصيدةٌ لاميّةٌ (اربعة واربعون بيتاً ـ الكشكول ١ : ٢٣٢ ـ ٢٣٤) مَشْهُورةٌ يُكْني فيها عن الوصولِ (الى الله) بالاصْطلاء بالنارِ لا بالحُبّ ولا بشُرْبِ الخَمْرِ . مطلع هذه القصيدة :

لَمعَتْ نارُهُمُ وقَدْ عَسْعَسَ الليْـ ـلُ وملّ الحادي وحارَ الدليلُ[١] ؛
فحَطَطْنا إلى مَنـازلِ قَوْمٍ صَرَعَتْهُم قبلَ المَذاقِ الشَمولُ[٢] ..
دَرَسَ الوَجْدُ منهم كلَّ رسمٍ ، فهْوَ رَسْمٌ والقومُ فيه حُلولُ[٣] ..

(١) لمعت نارهم : بدا لنا من نارهم (من المعرفة الالهية عند الصوفية) شيء يسير (من لمعان النار التي تضيء في الأصل ما حولها) . عسعس الليل : أقبل ظلامه (اشتد جهل الناس) . مل الحادي (الذي يسوق الابل) قطع الأمل من الوصول الى مقصده . حار الدليل (العارف بالعلوم الكونية) .ـ لما اشتد جهل الناس ولم يستطيعوا أن يصلوا بعلومهم ووسائلهم الدنيوية الى الحقيقة...

(٢) حططنا (انخنا رحالنا ، نزلنا = اتجهنا في طلب الهداية والمعرفة) الى منازل قوم (الى المتصوفة) . صرعتهم (قتلتهم = أدهشتهم) قبل المذاق الشمول (الخمر الباردة = المعرفة الآلهية) : (لم يطلعوا على المعرفة الآلهية ، ولكن قبل أن يذقوها ـ قبل أن يصلوا اليها ـ لما توهموها صرعتهم) . يقصد : ان القدر اليسير الذي توهم العارفون (المتصوفون الذين بلغوا قدماً ثابتة ، مرتبة سامية) أنهم لمحوه كان كافياً لأن يجعل كل ما في هذه الدنيا لا قيمة له في أعينهم .

** سأشرح الألفاظ اللغوية في الأبيات التالية ، وللقارئ أن يستخرج المقاصد الصوفية على عرار ما رأى في البيتين السابقين :

(٣) الوجد : الحب ، نشوة الحب (من تخيل الوصول الى المحبوب) . المادة الماثلة (على شكل جسد أو نحوه) . فهو (الوجد) رسم (جسدهم المعنوي) والقوم (الصوفيون) فيه حلول (حالون : أصبح وجودهم هم أيضاً معنوياً لما بطل شعورهم بحاجات أجسادهم المادية) .

ومن القومِ من يُشيرُ إلى وَجْـ ـدٍ تبقّى عليهِ منه القليل
ولكلٍّ منهم رأيتُ مَقاماً شَرْحُه في الكتابِ مِمّا يَطول .
قُلْتُ : « أهلَ الهوى ، سلامٌ عليكُمْ ! لي فؤادٌ عَنْكُمْ بِكُمْ مَشْغول .
جِئْتُ كَيْ أصْطَلِي ، فهلْ لي إلى نا رِكُمْ هذهِ – الغَداةَ – سَبيل؟ ».
فأجابَتْ شَواهِدُ الحالِ منهم : كلُّ حدٍّ من دُونِها مفْلول [1] .
كمْ أتاها قومٌ على غِرّ ةٍ منها وراموا أمراً فعزّ الوُصول [2] .
وقَفوا شاخصينَ حتّى إذا ما لاحَ للوَصْلِ غُرّةٌ وحُجول [3] ،
وبَدَتْ رايةُ الوفا بيدِ الوَجْـ ـدِ ، ونادى أهلُ الحقائقِ : جُولوا [4] !
بَذَلوا أنفُساً سَخَتْ حين شَحّتْ بوِصالٍ ، واستُصْغِرَ المأمول [5]

يقول فيها :

ثمّ غابوا من بعدِ ما اقْتَحموها بينَ أمواجِها ، وجاءت سُيول [6] .
قَذَفَتْهُم الى الرّسولِ ، فكُلّ دَمُه في طُلولِها مَطْلول [7] .

---

(١) فأجابت شواهد الحال منهم : لم يتكلموا ولكن فهمنا من الحال التي كانوا فيها أنهم يريدون أن يقولوا ...)
الحد = حد السيف : الجانب القاطع من النصل (الجهد المبذول للوصول الى المعرفة الالهية) . مفلول : مفروض ، مفرض (مقطع الحد : خسر حدته وقدرته على القطع) . والمقصود هنا : كل جهد ضائع ، عاجز عن الوصول بصاحبه الى المعرفة الالهية .

(٢) على غرة منها (لعلها : على غرة منهم = جهلا منهم ، وقلة اختبار وادراك) .

(٣) شاخصين : متطلعين (منتظرين حائرين) . الغرة : البياض في جبهة الفرس . الحجول في القاموس تطلق على معان لا صلة لها بهذا النص ، والشاعر يقصد (التحجيل) (البياض في قائمة أو أكثر من قوائم الفرس) : وضحت الطريق وظهر التجلي الالهي .

(٤) أهل الحقائق : العارفون والراسخون في السلوك (في طريق التصوف) . جولوا = خوضوا (تقدموا في السبيل للفناء في الله) .

(٥) بذل (هؤلاء المتصوفون) بالوصال (بالاتحاد بها) نفسهم باستصغر المؤمول (وكان الذي حصل عليه يسيراً جداً (تحقق لهم شيء يسير مما كانوا قد توهموه. لا من الحقيقة الإلهية).

(٦) فلما اقتحموا السبيل للوصول الى العزة الالهية للفناء فيها) غابوا بين أمواجها (ضاعوا ، لم يصلوا) ...

(٧) قذفتهم الى الرسول (ردتهم الى أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيسيروا على سنته) .
فكل دمه في طلولها (الاماكن التي تتجلى فيها العزة الالهية : عالم الشهادة = الموجودات المادية) مطلول (ضائع هدراً) .

نارُنا هذهِ تُضيءُ لِمَنْ يَسْـ ـري بليلٍ لكنّها لا تُنيل[1].
مُنْتَهى الحَظِّ مــا تزوّد منها الحَـ ـظُّ ؛ والمُدْرِكونَ ذاكَ قليـــل[2] » .

٤ ـ ** وفيات الأعيان ١ : ٤٥٣ ـ ٤٥٦ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٢٣ ـ ١٢٤ بروكلمان ١ : ٥٥٨ ـ ٥٥٩ ، الملحق ١ : ٧٧٥ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٢٥٣ .

الطغـــرائي

١ ـ هو العميدُ فخرُ الكتّابِ الاستاذُ مؤيّدُ الدين ابو اسماعيلَ الحسينُ بنُ عليٍّ ابنِ عبدِ الصمدِ الأصفهاني المعروف بالطُغْرائيّ ، نسبةً الى الطُغْرة أي الطُرّةِ التي تُكْتَبُ في أعلى الرسائلِ على شكلٍ مخصوصٍ وبالقلمِ الغَليظِ ومَضمونُها نعتُ الملك الذي تَصْدُرُ عنه تلك الرسائلُ .

وُلِدَ الطُغْرائيُّ في أصفهانَ سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م) ؛ ولمّا شبَّ بَرَعَ في الشعْرِ والنثرِ والخَطِّ فتقلّبَ في المناصب المختلفةِ في الدولة السَلْجوقية : خَدَمَ الملكَ ألْبَ أرْسَلانَ بنِ مَلِكِ شاه (٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ) في أصفهان . ثم تولّى ديوانَ الإنشاء وديوانَ الطُرّة لمحمدَ بنِ ملك شاه مدّةَ ملكه كلّها . ولما تُوُفّيَ محمدٌ سنة ٥١١ هـ (١١١٨ م) خلَفَه ابنُه محمودٌ ، وبَقِيَ ابنُه الآخرُ مَسعودٌ في المَوْصل ، وكان الطُغْرائيُّ معَ مسعودٍ . ثم نازع مسعودٌ أخاه محموداً في العرشِ وتحاربا قُرْبَ هَمَذانَ فقُتِلَ مسعودٌ وقُتِلَ الطُغْرائي معَه في المَعرَكة في الاغلب ، وذلك سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) .

٢ ـ كان الطُغْرائيّ أديباً بليغاً وشاعراً مُجيداً وناثراً مترسّلاً وعالماً بالعربيةِ وبالعلوم الطبيعيّة خبيراً بصِناعة الكيمياء القديمة .

وشِعْرُ الطُغْرائي متين يَغْلِبُ عليه النَفَسُ القديم أحياناً ، ثم هو سَهْلٌ عَذْبٌ . أما فنونه البارزة فَهِيَ الحماسةُ والفخرِ والعِتاب والنسيب والغزل . وكان الطُغْرائي كثيرَ الشكوى في شعره حتّى قلّتْ مبالاتُه بالدهرِ وحوَادثه ، غيرَ أنه كان يَحُثُّ على مداراة الناس .

وللطُغْرائي ديوانُ شعرٍ كبيرٌ فيه القصيدة اللامية التي تداولَها الرُواةُ وتناقلتْهـــا

(١) ـ العزة الالهية تنير الطريق للسالكين (في طريق التصوف) ، ولكن لا يستطيع أحد أن يصل اليها هي .
(٢) ما تزود منها الحظ (اللحظ) ! : انها تلحظ فقط كالبرق الخاطف .

الألْسنة ، وقد سمّاها لاميّة العَجَم معارضةً للامية العربِ للشَنْفَرى، وقد عُني بها جماعة من الادباء فعارضوها وشرحوها وشطّروها وخمسوها .

وللطُغْرائي عددٌ من الآثار في الكيمياء منها كتاب جامع الاسرار وتراكيب الانوار –كتاب مصابيح الحِكْمة ومفاتيح الرحمة –كتاب حقائق الاستشهاد –كتاب المقاطع في الحِكمة الالهية –كتاب سر الحكمة –كتاب الجوهر النادر في صناعة الاكسير(؟) .

٣ – مختارات من شعره

– نظم الطُغْرائي قصيدتَه المشهورة «لاميَّةَ العَجَمِ» في بغداد ، سنة ٥٠٥ ﻫ (١١١١ – ١١١٢ م) ، ويَظْهَرُ منها أنه كان في عُسْر ماديٍّ وفي ضِيق نَفْسِي . وقد جاء في مَطْلَع هذه القصيدة :

أصالةُ الرأي صانَتْني عن الخَطَلِ ... وحِلْيَةُ الفضل زانتني لدى العَطَلِ[١] .
مَجْدي أخيراً ومجدي أوّلاً شَرَعٌ ؛ ... والشمس رَأْدَ الضُحى كالشمسِ في الطَفَلِ[٢]
فيمَ الإقامةُ بالزوراءِ ؟ لا سَكَني ... بها؛ ولا ناقَتي فيها ولا جَمَلي[٣] ؛
ناءٍ عنِ الأهْلِ صِفْرُ الكفِّ مُنْفَرِدٌ ... كالسيفِ عُرِّيَ مَتْناهُ عن الخِلَلِ[٤] :
فلا صديقٌ إليه مُشْتَكى حزَني ، ... ولا أنيسٌ إليه مُنتَهى جَذَلي[٥] .
أُريدُ بَسْطَةَ عيشٍ أسْتَعينُ بها ... على قَضاءِ حُقوقٍ للعُلى قِبَلي[٦] ،
والدهرُ يَعْكِسُ آمالي ويُقْنِعُني ... من الغَنيمة –بعدَ الجِدّ– بالقَفَلِ[٧] .

وبعدَ أنْ يَسْتَطْرِدَ الطُغْرائيُّ إلى شيء من الغَزَلِ والنَسيبِ المَمْزوجين بالفَخْر والحَماسَةِ يعودُ إلى الشكوى من حالهِ ومن أهلِ الزمانِ والى سَرْدِ عدد من الحِكَم

---

(١) (الخطل) : فساد الرأي . العطل : الخلاء من الشيء (وهنا : العري) .

(٢) – مجدي القديم ومجدي الحديث شرع (سواء) في الرفعة . الرأد : الاول (أول ارتفاع النهار) . الطفل : اصفرار الشمس (في رأى العين) قبل المغيب .

(٣) الزوراء : بغداد . السكن : المنزل ؛ الزوجة . لا ناقة لي ولا جمل فيها : ليس لي فيها سبب يربطني بها .

(٤) صفر الكف : خالي الكف (فقير) . الخلل (بكسر الخاء) جمع خلة (بكسر الخاء أيضاً) : بطانة مزركشة يلف بها جفن السيف حفظاً له وزينة (يقصد أنه وحيد مجرد من أسباب السرور والحياة) .

(٥) الجذل : السرور ، الفرح .

(٦) بسطة عيش : غنى . قضاء حقوق للعلى قبلي : القيام بواجب قبلي (عندي ، متحتّم علي أنا) نحو المثل العليا .

(٧) القفل : الرجوع .

التي أصبَح بعْضُها أمثالاً مَضْروبة :

حُبُ السَلامةِ يَثْني هَمَّ صاحبِه ... عن المَعالي ويُغْري المرءَ بالكَسَل .
فان جنَحْتَ إليـه فاتّخِذْ نَفَقـاً ... في الأرْضِ أو سُلّماً في الجوّ فاعتَزِل[1] !
إنّ العُلى حَدّثَتْني ، وهْيَ صادقةٌ ... في ما تُحَدِّثُ ، أنَ العزَّ في النُقَـل .
لو أنّ في شَرَفِ المأوى بُلوغَ مُنـىً ... لم تَبْرَحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحَمَلِ[2] .
أهَبْتُ بالحَظِّ لو ناديتُ مُسْتَمِعاً ؛ ... والحَظّ عَنّيَ بالجُهال في شُغُـل[3] .
لعلّهُ إنْ بـدا فَضْلي ونَقْصُهُمُ ... لعَيْنِه نـامَ عنهم أو تَنَبّهَ لي .
أُعلّلُ النفسَ بالآمالِ أرْقُبُها ؛ ... ما أضْيَقَ العيشَ لولا فُسْحَةُ الأمَل[4] !
غالَى بنفْسِيَ عِرْفاني بقيمتِها ... فصُنْتُهاعَنْ رَخيصِ القَدْرِ مُبْتَذَل[5] .
ما كنتُ أُوثِرُ أنْ يَمْتَدّ بـي زَمَني ... حتّى أرى دَوْلَةَ الأوغادِ والسَفَل .
وإنْ علانِيَ مَنْ دوني فـلا عَجَبٌ ؛ ... لي أُسْوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زُحَل[6] .
أعْدى عَدُوّكَ أدْنى مَنْ وَثِقْتَ به ، ... فحاذِرِ الناسَ واصْحَبْهُمُ على دَخَل[7] .
وإنّما رَجُـلُ الدنيا وواحِـدُها ... مَنْ لا يُعَوِّلُ في الدنيا على رجـل !

– ومن بارعِ غَزَلِـهِ القَصَصي قولُه :

خبّروها أني مَرِضْتُ فقالـتْ : ... أضَنىً طارفاً شـكا أم تليدا ؟
وأشاروا بأنْ تَعـودَ وِسادي[8] ... فأبَتْ ، وهْيَ تَشْتهي أن تَعودا .
وأتَتْني في خِفْيَـةٍ ، وهي تَشْكو ... رِقْبَةَ الحَيّ والمَـزارَ البعيدا[9] .
ورأتني كـذا فلم تـتمالك ... أن أمالت علي عِـطفاً وجيدا[10] .

(١) اليه : الى حب السلامة (الى السلامة) . جنح : مال .
(٢) دارة : منزل ، منزلة . الحمل : اسم البرج الاول في السماء اذا وصلت اليه الشمس بدأ فصل الربيع .
(٣) لو لباني الحظ .
(٤) أرقبها : انتظرها ، انتظر أن تتحقق .
(٥) معرفتي بقدر نفسي جعلني أرفعها فوق نفوس الآخرين . المبتذل : المبذول لكل الناس ؛ ما كان الحصول عليه سهلا يسيراً .
(٦) زحل : كوكب فلكه (مداره) أعلى من فلك الشمس ، حسب ما تخيله القدماء .
(٧) الدخل : المكر والخديعة (الحذر) .
(٨) تعود وسادي : تزورني وأنا مريض نائماً على وسادي .
(٩) الرقبة : المراقبة . (١٠) العطف : جانب الجسم .

ثم قالتْ لِتِربْها ، وهْيَ تبْكي : ويحَ هذا الشبابَ غضّاً جديدا !
زورةٌ ما شفَتْ عليلاً ، ولكن زيَّدَتْ جمْرةَ الفؤادِ وَقودا .
وتَولّتْ بحسْرةِ البَيْنِ تُخْفي زفَراتِ أبيْنَ إلاّ صُعودا.

٤ ــ ديوان الطغرائي ، الاستانة (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠هـ .

لاميّة العجم [١] (طبعت مراراً في أوروبّة منذ ١٦٢٩ م) ؛ تحفة الرائي : لاميّة الطغرائي (محمّد علي المنياوي) ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ؛ لأميّة الطغرائي (تحقيق علي جواد الطاهر) ، بغداد (مطبعة العاني) ١٩٦٢ م .

الغيث المسجّم في شرح لاميّة العجم (للصفدي) ، الاسكندرية ١٢٩٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الوطنية) ١٣٢٠ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٥ هـ ؛

شرح لطيف علي لاميّة العجم (لمحمّد سند) ١٣٢٠ هـ .

اللاميّتان : لاميّة العرب ولاميّة العجم بشرح الزمخشري والصفدي (أعدّهما وعلّق عليهما عبد المعين الملوحيّ) ، دمشق (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٩٦٦ م .

** الطغرائي : حياته ، شعره ، لاميّته ، تأليف علي جواد الطاهر ، بغداد (مكتبة النهضة) ١٩٦٣م .
معجم الادباء ١٠ : ٥٦ ــ ٧٨ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٨٤ ــ ٢٨٨ ؛ شذرات الذهب ٤: ٤١ ــ ٤٣ ؛ بروكلمان ١ : ٢٨٦ ــ ٢٧٧ ، الملحق ١ : ٤٣٩ ــ ٤٤٠ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٦٧ . زيدان ٣ : ٢٢ ــ ٢٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٨٢٦ــ ٨٢٧ .

السنبسي

١ ــ هُوَ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ خليفةَ بنِ حسين النُميريّ العِراقيّ المعروفُ بالسِنْبِسيِّ نِسْبَةً إلى قبيلةِ من طيّءٍ أو إلى أمّه ــ وكان اسمها سِنْبِسَةُ ــ وأصلُه من هيتَ .

أقامَ السنبسيُّ في الحِلّة عندَ سيفِ الدولةِ أبي الحَسَنِ صَدَقَةَ بنِ مَزْيَد صاحبِ الحلّة (٤٧٩ ــ ٥٠١ هـ) ، وكان شاعرَه . فلمّا قُتِلَ سيفُ الدولة صَدَقَةُ وصارَ الأمرُ إلى ابنه دُبيسٍ مَدَحَهُ السنبسيُّ فلم ينَلْ عندَه ما يرجو . ثمّ انّ السِنْبِسيَّ صَعِدَ الى بَغْدادَ في أيامِ المُسْتَرْشِدِ (٥١٢ــ ٥٢٩ هـ) ومَدَحَ جلالَ الدين الحسنَ بن علي بن صَدَقة ، في وِزارتِه الأولى (٥١٢ ــ ٥١٦ هـ)، فأجْزَلَ عَطاءه .

---

(١) راجع أيضاً معجم المطبوعات العربية ١٢٤١.

وتُوُفِّيَ السنبسيُّ في بغدادَ سَنَةَ ٥١٥ هـ (١١٢١ – ١١٢٢ م) .

٢ – كان السِنْبِسيُّ جيِّدَ الشعرِ وقد تَتَّفِقُ له أبياتٌ نادرة . وفنونُه الوصف والخمر والنسيب .

٣ – مختارات من شعره

– قال السنبسيّ في الخمر :

وخمّـــارةً من بنـــاتِ المجو س ِ لا تَطْعَمُ النومَ الاّ غِــرارا[١]
طرقتُ على عَجَـــلٍ ، والنجـــو مُ في الجوّ مُعْتَرِضاتٌ حَيارى[٢] :
وقد بَــرَدَ الليلُ فاستخرجـــتْ لنا في الظـــلام ِ من الدنّ نارا[٣] .

– أنشدَ السِنبسيُّ عند سيفِ الدولةِ أبي الحسن ِ بن ِ صَدَقَةَ قصيدةً يقولُ فيها ؛ (في النسيب) :

فواللهِ ، ما أنْسى عَشِيَّةَ ودّعــوا ونحن عِجالٌ بين غـــادٍ وراجع ٍ[٤] ؛
وقد سَلّمتْ بالطَرْفِ منها فلم يــكن من النُطْق الاّ رَجْعُنا بالأصابع[٥] .
ورُحْنا وقـــد روّى السلامُ قلوبَنـــا ولم يَجْرِ منّا في خُروق ِ المسامع[٦] .
ولم يَعْلَم ِ الواشون ما كان بَيْنَنـــا من السرّ لولا ضَجْرَةٌ في المدامع[٧] !

٤ – ** الخريدة (العراق) ٢ : ٢٠٠ – ٢٠١ ؛ المحمّدون ٣٠٣ – ٣٠٩ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٤٨ – ٤٩ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٥٠ – ٢٥١ ؛ ابن الأثير ١٠ : ١٧٥ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٣٤٩ .

---

(١) خمارة (المرأة التي تبيع الخمر) و « خمارة » مفعول به مقدم للفعل « طرقت » في البيت التالي . غراراً : قليلا (الغرار : القليل من النوم) .

(٢) طرقت : جئت ليلا . معترضات (بعضها يقطع طريق بعض) حيارى (لا تسير الى المغيب ، ولا هي تريد أن تبقى) .

(٣) الدن : خابية الخمر . ناراً (ما نتدفأ به) – كناية عن الخمر .

(٤) الغادي : الذاهب باكراً ، المفارق بلده .

(٥) بالطرف : بعينيها .

(٦) سررنا كثيراً بهذا السلام بالاشارة مع أن بعضنا لم يسمع بعضاً يسلم عليه .

(٧) الواشي : الذي ينقل الكلام بين اثنين ليلقي بينهما العداوة . ضجرة في الدمع (من أن يبقى محزوناً في العيون) . لما بكينا عرف الناس أننا محبان .

أبو الجوائز المطاميري

١ ـ هو أبو الجوائزِ مِقْدارُ بنُ محمّدٍ المَطاميريُّ، نِسبَةَ الى مَطاميرَ وَهِيَ ضَيْعةٌ بحُلوانِ العراقِ، كان شاعرَ الدولةِ في أيامِ المُسْتَظْهِرِ العبّاسيّ (٤٨٧ ـ ٥١٢ ه) وأيّامِ المسترشدِ العبّاسيّ (٥١٢ ـ ٥٢٩ ه). وقد نال حظوةً عند جَمالِ الدينِ إقبالِ الخادمِ المسترشديّ[1] فقالَ فيه مدائحَ كثيرةً. وكان أيضاً يمدحُ سيفَ الدولةِ أبا الحسنِ صَدَقةَ الاوّل صاحب الحلّة (٤٧٩ ـ ٥٠١ ه)، ولكنْ يبدو أنّه لم يكنْ شاعراً له.

ولعلّ وفاةَ أبي الجوائزِ المطاميريّ كانتْ في حُدودِ ٥٢٠ ه (١١٢٦م).

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال مِقْدارُ المطاميريُّ في النسيب :

ومَجْدولةٍ مِثْلَ جَدْلِ العِنانِ صَبَوْتُ إليهـا فأصْبَيْتُها[2].
إذا لامَ في حُبّهـا العـاذلا تُ أسْخَطْتُهُنّ وأرْضَيْتُها.
كأنّي إذا مـا نَهَيْتُ الجُفُونَ عن الدمـعِ بالدمعِ أغْرَيْتُها.
فلو أنّني أسْتَمِدُّ البحـورَ دُموعـاً لِعَيْنَيَّ أفْنَيْتُها.
ولو كان للنفسِ غيرُ السُلُوِّ (م) عنك دواءٌ لداوَيْتُها!

ـ وقال في امرأةٍ لها فَرْعٌ (شَعْر) طويلٌ :

وفَيْنانةِ الفَرْعِ فتّانةٍ تُطيلُ على الهَجْرِ إقْدامَها[3]،
تَعَجّبَ من مَشْيِها شَعْرُها فقبّلَ في المَشْيِ أقْدامَها.

ـ كان مِقْدارُ المطاميريُّ عندَ سيفِ الدولةِ صَدَقةَ المَزْيَديّ، وكانَ الشاعرُ السِنْبِسيُّ يُنْشِدُ قصيدته العينية : «فوالله، ما أنسى.... وراجع» (فوق، ص ٢٣٦) فَطَرِبَ سيفُ الدولة؛ وبدا على مِقْدارِ المطاميريّ أنّ الأبياتَ لم تُعْجِبْهُ.

---

(١) راجع الخريدة (العراق) ١ : ٢٩٧.

(٢) الجدل (بسكون الدال) : لف سيرين (أو عدد من السيور) بعضها على بعض في حبل واحد (وتكون المرأة مجدولة اذا كانت نحيلة قوية ـ ليس فيها ترهل : شحم يترجرج على جسمها). العنان : الرسن (ويكون عادة سيراً من جلد). صبا : مال. أصبى : أمال (استمال شخصاً آخر الى حبه).

(٣) الفرع : الشعر. فينانة : وافرة الظل. ـ شعرها طويل وافر كثير.

ولَحَظَ سيفُ الدولةِ ذلك فالتفت إليه وقالَ : يا مُقَيْدِيرُ ، ما تقولُ (في هذا الشعرِ) ؟ قالَ مِقدارٌ : أنا أقولُ خيراً منه . فقال له سيفُ الدولة : اخرُجْ من عهدَةِ دَعواك (إيتِ بأبياتٍ خيرٍ منها) . فقالَ مِقدارٌ المطاميريُّ في الحالِ على الارتجالِ — وكان سكْرانَ — هذه الابياتَ :

لمّا تَناجَوْا للفِراقِ غُدَيّةً رَمَوْا كلَّ قَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ برائعِ[1].
وَقَفْنا — ومِنّا حَنّةٌ بعدَ أنّةٍ تُقَوِّمُ بالأنفاسِ عُوجَ الأضالع —[2]
مواقفَ تُدْمي كلَّ عَشْواءَ ثَرّةٍ صَدوفِ الكَرى إنسانُها غيرُ هاجع[3].
أمِنّا بها الواشينَ أن يَلْهَجوا بنا ، فلم نَتَّهِمْ إلاّ وُشاةَ المدامع[4].

٤ — ** الخريدة (العراق) ٢ : ١٩٥ — ٢١٨ .

الحريري

١ — الحَريريُّ — أو ابنُ الحريري ، على الاصحّ (معجم الادباء ١٦ : ٢٦١) — هو أبو محمّدٍ القاسمُ بنُ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ عثمانَ الحريريُّ البَصْريّ الحَراميّ ، عربيُّ الأصلِ والمنشأ . كان مَوْلدُه في حُدود سنة ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) في سِكّة (حيّ) بني حَرام [٥] في المشان قُرْبَ البَصْرة.

نشأ الحريريّ في البصرة وقرأ فيها الأدب على أبي القاسم الفضلِ بنِ محمدٍ القَصْباني. وتنكشف مقاماته عن انه درس اللغةَ والنحوَ درساً واسعاً ودرس الفقه .

ويبدو أن الحريريّ كان من ذَوي اليَسار فقد كان يَمْلِكُ في البصرة ثمانيةَ عَشَرَ ألفَ نخلة . وكذلك كان من ذوي المرتبة إذْ كان «صاحبَ الخَبَرِ» في البصرة نفسها او في المشان — وصاحبُ الخبر هو الذي يحمل إلى الخليفة أخبار الناس والجيش والإدارة

(١) تناجوا : تكلموا سراً . غدية (تصغير غدوة) : باكراً في الصباح . رائع : مفزع ، مخيف . رموا كل قلب مطمئن برائع : جعلوا جميع الناس (حتى الذين لا يعرفون الحب) خائفين عليهم (على المتناجين) .

(٢) الحنة : اصدار صوت من الصدر دلالة على الاشفاق والحزن . الأنة : ... من الألم . كان تنفسنا (من ألم الحب) شديداً وحاراً حتى أنه لين عظام ضلوعنا ثم جعلها مستقيمة .

(٣) عشواء : عين (مريضة) لا تبصر في الليل . ثرة : كثيرة سيلان (الدموع) . صدوف : مبتعدة . الكرى : النوم . انسانها : بؤبؤها . غير هاجع : غير نائم . — كانت حالة المحبين الذين يودع بعضهم بعضاً مثيرة للشفقة الى حد أن كل عين عشواء (مريضة يضرها البكاء) تبكي طويلا وتظل ساهرة اشفاقاً عليهم .

(٤) — نحن لم نتكلم فلم يعلم الوشاة ما نقول فينقلوا الكلام الى أعدائنا ، ولكن بكاءنا دل على ما نضمره (من الحب) .

(٥) بنو حرام قبيلة من العرب سكنوا هذه السكة فسميت باسمهم .

ولعله يشبه رئيسَ قلم الاستخبارات في هذه الأيام. ولقد بقي هذا المَنْصِب في عَقِبه الى أواخر ايام الخليفة المقتفي (ت ٥٥٥ هـ =١١١١ م).

في إحدى زَوْرات الحريريّ لبَغْدادَ (٥٠٤ هـ) اتّهمه قومٌ بأنه سَرَقَ «المقامات» من أحَدِ المَغاربة وادّعاها، ثم تَحدَّوْه بإنشاء مقامة واحدة مثلِها. فمكث الحريريُّ في بيته أربعينَ يوماً فلم يتَهيّأ له تركيبُ كَلِمتين ولا الجَمْعُ بين لَفْظتين، فعاد الى البصرة مُنْكسراً. غير أنه استطاع أنْ يُنْشِىء عَشْرَ مَقامات جديدة فأصعَدَ بها الى بَغدادَ وعَرَضها على الذين كانوا قد تَحدَّوْهُ فأقرّوا له عندئذٍ بالفضل (معجم الادباء ١٦ : ٢٦٤ — ٢٦٦).

وكانت وفاةُ الحريري في البصرة في ٦ رجب ٥١٦ (١١/ ٩/ ١١٢٢ م).

٢ — كان الحريريّ (معجم ١٦: ٢٦٢) غايةً في الذكاء والفِطنة والفَصاحة والبلاغة. وكان صاحبَ ظَرْف وفُكاهة ودُعابة، ولكنّه لم يكن صاحبَ بَديهةٍ. وله نثرٌ ونظمٌ ينكشفانِ عن مَقْدِرَةٍ عظيمةٍ في اللغة وعن إحاطة واسعةٍ بعلوم عصرِه وخصوصاً بكلام العربِ وأخبارِها ولُغاتِها وأمثالها وأسرار كلامها (وفيات الاعيان ٢ : ١٦٥). ومعَ أنه لم يبتكر فنّ المقامات فانه بلغ فيه الغايةَ من التأنُّقِ ومن التصرُّف في تراكيبِ الكلام وفنون البلاغة.

وللحريري تآليفُ مشهورةٌ منها : دُرّة الغَوّاص في أوْهام الخَواصّ (نبّه فيها على كَلِماتٍ يستعملها الكُتّابُ في غير مواضعها) — مُلْحة الإعراب (منظومة في النحو للمبتدئين) — شرح مُلحة الإعراب — مجموع شعر (غير الموجود له في المقامات) — مقاماتٌ — مجموعٌ من الرسائلِ الإخوانية.

وأشهرُ تآليف الحريري مقاماتُه :

بدأ الحريريُّ تأليفَ مقاماتهِ سنة ٤٩٥ هـ ثم أتمّها خَمسينَ مقامةً في بِضْع سِنينَ. وقد قلّدَ الحريريُّ في المقامات بديعَ الزمان الهمذانيَّ، إلاّ أنه زاد عليه في التأنّق اللفظيّ وفي تكلّف أنواع البديع ثم أغْرَقَ في الموازنة والمقابلة وفي التضمين والاقتباس ثم تعمّد إبراز مقدرته اللُغوية والأدبية والتاريخية والفقهية. والحريريُّ هو الذي خلق من المقامات فنّاً مُسْتَكْمَلاً في الأدب العربي : ان جميعَ الذين أنشأوا مقامات قد قلّدوا الحَريريّ في الجانبِ اللفظيِّ والتوسّعِ في الزُخْرُفِ لأنهم لم يَسْتطيعوا أن يَبْلُغوا الى بديعِ الزمانِ في الجانبِ المَعْنوي مِنَ ابتكارِ المَوْضوعاتِ ومن الجَرْيِ على السَليقة

في معالجة تلك الموضوعات التي استعاروها من بديع الزمان والحريريّ.

وأما السببُ الذي دعا الحريريَّ إلى وضع المقاماتِ فقصّة واقعة اتّفقت له. قال ابنٌ للحريريّ: كان أبي جالساً في مَسْجِدِ بني حَرام فدخل شيخٌ ذو طِمْرين عليه أُهْبَة السفر رثُّ الحالِ فصيحُ الكلام حَسَنُ العبارة؛ فسألَتْه الجماعةُ: «مِنْ أينَ؟» فقال: «من سَروج». فاستخبروه عن كُنيته فقال: ابو زيد... ثم ادّعى الفقرَ أمامَ الجماعة وقال إن الرومَ أغاروا على بَلدِهِ وسَبَوْا ابنَتَهُ وطردوه من بيته وأنه الآنَ يجمعُ بعض المال لافتداءِ ابنته. فتحركَتْ شَفَقَةُ الحريريّ والجماعةِ فنَفَحُوه بشيءٍ من المال فَشَكَرَهُمْ وتَرَكَهُم.

وفي المساءِ قصّ الحريريُّ القِصّةَ على أصحابه فقالوا له: خَدَعَكُم، واللهِ؛ ليس الرجلُ فقيراً ولكن هذا دَأْبُهُ. وشَهِدَ قومٌ بأنه ادّعى هذه الدعوى وغيرها مِراراً. وقد بَنَى الحريريّ «المقامة الحَرامية» (الثامنة والاربعين) على هذه القِصّة.

يُسْنِدُ الحريريُّ رِوايةَ مَقاماته الى «الحارثِ بن هَمّام البَصْريّ»، ويَعْني به نفسَه؛ أخذ ذلك من قول النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم: كلّكم حارثٌ وكلّكم هَمّام؛ والحارثُ الكاسبُ (الساعي في الرزق)؛ والهمّام الكَثيرُ الاهتمام. أمّا بطلُ المقامات (الشخصية التي تَدورُ عليها المقامات) ويسمّى أيضاً المُكْدي (الشحّاذ) فهو أبو زيدٍ السَروجيّ[1].

في مَقاماتِ الحريري أنواعٌ من البديع لم يَطْرُقها بديعُ الزمان الهَمَذاني؛ من هذه الأنواعِ الأحاجي أو الألغازُ كقول الحريريّ (في المقامة الطيبية):

ما تقولُ في من تَوَضّأ ولمس ظهرَ نَعْلِه؛ قال: انتقضُ وُضوءُه بفعله! (النعل: الزوجة). * قال: أيشتري المسلمُ سَلَبَ المُسْلمات؟ قال: نعمْ، ويُوَرَّثُ عنه اذا مات! (سلب المسلمات: قِشْر نوع من الشجر) * قال: أيَحْجزُ الحاكمُ على صاحب الثور؟ قال: نعم ليأمن غائلة الجَوْر! (الثور: الجنون)...

ومثل قوله في المقامة الشتوية:

رأيتُ، يا قومُ، اقواماً غِذاؤهمُ (بول العجوز) وما أعني ابنة العنبِ[2]؛

---

(١) أبو زيد السروجي هو أبو المطهر بن سلار البصري اللغوي النحوي، تلميذ الحريري، كان فيه فضل وأدب وكانت له معرفة باللغة والنحو، توفي نحو سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ – ١١٤٦ م). وسروج بلدة قريبة من حران، من ديار مضر في شمالي العراق (انباه الرواة ٣ : ٢٧٦؛ الأعلام للزركلي ٨ : ١٥٩).

(٢) بول العجوز: اللبن.

و (قادرين)[1] متى ما ساء صُنْعُهمُ او قصّروا فيه قالوا : الذنبُ للحطب؛
و (كاتبين)[2] وما خَطّت أناملُهم حَرْفاً ولا قرأوا ما خُطَّ في الكتب.

ثم هنالك ما يُقْرأ طَرْداً وعكساً (المقامة المَغْربية) :

لُمْ أخا مَلَّ * كَبّر رجاءَ أجر ربك * لُذْ بكل مؤمَّل اذا لَمّ ومَلَكَ بَذلَ *
أُسْ أرمَلاً اذا عَرا وارعَ إذا المرءُ أساء

ثمّ هنالك ما هو مُهْمَلٌ بلا نُقَطٍ (في المقامة السَمَرْقَنْدية):

الحمدُ لله الممدوحِ الأسماء، المحمودِ الآلاء ، الواسعِ العطاء ... مالكِ الأُمم ... واهلِ السَماح والكرم ... وهو الله لا إله إلا هو الواحدُ الأحدُ ، العادلُ الصَمَدُ ، لا ولَدَ له ولا والدٌ ... ارْسَلَ مُحمداً للاسلام ممهداً ، وللملّة مُوَطّداً .

وهنالك أيضاً ما كان أحدُ الأحرفِ في كلّ كَلِمةٍ من كَلِماته مُهْمَلاً والتالي له منقوطاً على التوالي، نحو (المقامة الرقطاء) : « أَخلاقُ سيّدنا تُحَبّ » ؛ وهنالك الجُمَل التي تكون كلمةٌ فيها مهملةً والتي تليها مُعْجَمَةً ، نحو (المقامة المَراغيّة): الكرمُ ثبّتَ اللهُ جيشَ سُعُودِك يَزين ، الخ.

وفي رسائلِ الحريري الرسالة السينية (التي التزم الحريريّ حرف السين في كلّ كلمة من كلماتها نثراً ونظماً) والرسالة الشينية؛ فمن الرسالة الشينية مثلاً :

« ... شَغَفي بالشيخِ شمسِ الشعراء– ريشَ مَعاشُه وفَشا رِياشه ، وأشرق شِهابه، واعْشَوْشبت شِعابه– يُشاكلُ شَغَفَ المنتشي بالنَشْوة والمُرْتشي بالرَشْوة ...

فأشْعاره مشْهورة ومَشاعِرُهْ وعِشرته مشكورة وعشائرهْ.
شفا بالأناشيدِ النَشاوى وشفّهم فمُشْفيه مُسْتشفٍ وشاكيهِ شاكره.
سأُنْشِده شِعراً تُشرِقُ شمسُه وأشكره شُكراً تَشيع بشائره.

مختارات من مقاماته :

أ) المقامة التاسعة والثلاثون : العُمانية :

حدّث الحارثُ بن همّام قال : لَهِجْتُ مُذ اخْضَرَّ إزاري ، وبَقَلَ عِذاري ، بأن أجوبَ البراري على ظهور المَهاري[3] : أُنْجِدُ طَوراً ، وأَسْلُكُ تارةً غَوْراً ؛

(١) قدر الطعام : طبخه في القدر (بكسر القاف) . (٢) كتب الجلد : خرزه بالمخرز (بكسر الميم) .
(٣) لهج : اشتد ولعه . الازار : موضع العفة . اخضر : اسود (بتشديد الدال)، نبت– بلغ الصبي مبلغ الرجال . بقل : عذاري : شعر خدي . جاب : قطع . المهارى: نياق من المهرة (بفتح ففتح) في جنوب بلاد العرب.

حتى فَلَيْتُ المعالِمَ والمجاهلَ ، وبَلَوْتُ المنازل والمناهل ، وأدميتُ السنابكَ والمناسِم ، وأنضيتُ السوابِقَ والرّواسم[١] . فلما مَلِلْتُ الإصحار وقد سَنَحَ لي أربٌ بصُحار ملت إلى اجتياز التيّار ، واختيار الفُلْك السيّار[٢] . فنقلتُ اليه أساودي ، واستَصْحَبْتُ زادي ومَزاوِدي . ثم رَكِبْتُ فيه رُكوبَ حاذرٍ ناذر ، عاذلٍ لنفسه عاذر[٣] . فلمّا شَرَعْنا في القُلْعَة ، ورفعنا الشُّرُعَ للسُّرعة . سَمِعْنا من شاطىء المَرْسى ، حين دجا الليلُ وأغسى[٤] ، هاتفاً يقول : يا أهلَ ذا الفُلْكِ القويم ، المُزَجّى في البحر العظيم ، بتقدير العزيز العليم : « هَلْ أدُلُّكُم عَلَى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أليم » ؟[٥] فقلنا له : أقْبِسْنا نارَك ، أيُّها الدليلُ ، وأرشدنا كما يُرْشِدُ الخليلَ الخليلُ . فقال : أتَسْتَصْحِبون ابْنَ سبيلٍ ، زادُه في زَبيلٍ ، وظِلُّه غيرُ ثقيل ، وما يَبْغي سوى مَقيل ؟ فأجمعنا على الجُنوح اليه ، وألاّ نَبْخَلَ بالماعون عليه[٦] .

فلما استوى على الفُلْك ، قال : أعوذ بمالِكِ المُلْك من مسالكِ الهُلْك[٧] . ثم قال : إنا رَوَيْنا في الأخبار ، المنقولةِ عن الأحبار ، أن اللهَ تعالى ما أخذ على الجُهّال أن يَتَعَلَّموا حتى أخذ على العلماء أن يُعَلِّموا[٨] . وإن مَعِيَ لِعُوذَةً عن الأنبياء مأخوذةً ، وعندي لكم نصيحةٌ براهينُها صحيحةٌ . وما وَسِعَني الكِتمان ،

---

(١) أنجد : قصد الاماكن العالية . فلى : قطع . المعالم : الارض الموطوءة ، المعروفة المسالك . المجاهل : الارض غير المعروفة المسالك . بلا يبلو : اختبر . المنازل : الاماكن الصالحة للتخييم . المناهل : مواضع الماء . السوابق : الخيل . الرواسم : الابل . انضى : أتعب . السنابك : حوافر الخيل . المناسم : أخفاف الابل .

(٢) الاصحار : السير في الصحراء . أرب : حاجة . صحار : بلد كبير في عمان (بضم العين وتخفيف الميم) في جنوبي شرقي بلاد العرب . التيار : موج البحر ، البحر . الفلك السيار : المركب الكثير السير .

(٣) الاساود : الامتعة . الزاد : المؤونة ، الطعام . المزاود جمع مزود : وعاء الزاد ؛ او مزادة : وعاء الماء . حاذر : خائف . ناذر : جاعل نذراً ان سلمه الله من اهوال البحر . عاذل : لائم . عاذر : ملتمس لنفسه عذراً (في اضطراره إلى السفر) .

(٤) المزجى (بتشديد الجيم ثم ألف مقصورة): المسير . العزيز العليم : القوي المطلع (بتشديد الطاء) ، الله .
« هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » آية من سورة الصف (٦١ : ١٠) .

(٦) اقبسنا نارك : اخبرنا عن نفسك . ابن سبيل : المنقطع في السفر . زبيل وزنبيل : قفة ، وعاء من خوص النخل – يحمل أمتعة قليلة يكفيها زنبيل توضع فيه . مقيل : مكان يكفي لجلوسه أو نومه . على الجنوح : على ان نميل اليه . الماعون : السفينة .

(٧) استوى على الفلك : استقر في المركب . اعوذ بمالك الملك : ألتجىء الى الله .

(٨) الاحبار جمع حبر (بالفتح) : العالم . « ان الله ما أخذ ... الى قوله : يعلموا » حديث .

ولا من خيمي الحِرمانُ[1] . فتَدَبَّروا القولَ وتفهَّموا ، واعمَلوا بما تعلَمون وعلِّموا. ثم صاح صَيْحَةَ المُباهي ، وقال: أتَدْرون ما هي ؟ هِيَ وَاللهِ حِرزُ السَّفْر عند مَسيرهم في البَحْر ، وَالجُنَّةُ من الغم إذا جاش مَوْجُ اليَمِّ[2] . وربها اسْتَعْصَمَ نوحٌ من الطوفان ، ونجا وَمَنْ معه مِنَ الحَيَوان ، على ما صَدَعَتْ با آيُ القُرْآن . ثم قرأ بعضَ أساطيرَ تلاها ، وزَخارف جَلاَها ، وقال : « ارْكَبوا فِيهَا بِاسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا »[3] . ثم تَنَفَّسَ تَنَفُّسَ المُغْرمين أَو عبادِ اللهِ المُكْرَمين ، وقال : أمّا أنا فقد قمتُ فيكم مَقامَ المُبَلِّغين . وَنَصَحت لكم نُصْحَ المُبالغين ، وَسَلَكت بكم مَحَجَّةَ الراشدين ، فَاشْهَدِ اللَّهُمَّ وَأَنْتَ خَيْرُ الشَّاهِدِين[4] .

قال الحارثُ بن هَمّام : فَاعْجَبَنا بَيانُه البادي الطَّلاوَةِ ، وَعَجَّت له أصواتنا بالتِلاوَةِ ؛ وآنس قلبي من جَرْسِه ، مَعْرِفَةَ عينِ شمسه[5] . فقلت له : بالذي سَخَّر البحرَ اللُّجيَّ ، أَلستَ السَّروجيّ ؟ فقال لي : بَلى ، وهل يخفى ابْنُ جَلا[6] . فأَحْمَدتُ حينئذ السَّفَر ، وَسَفَرْتُ عن نفسي إذْ سَفَر[7] . ولم نَزَلْ نسيرُ والبحر رَهْوٌ ، والجوُّ صَحْوٌ ، والعيشُ صَفْوٌ والزمانُ لهوٌ ، وَأَنا أَجِدُ لِلِقْيانه ، وَجْدَ المُثْري بعِقْيانه ، وأفرح بمناجاته فَرَحَ الغريقِ بمَنْجاته[8] ؛ إلى أَن عَصَفَتِ الجنوبُ ، وَعَسَفَتِ الجُنوبُ ، وَنَسِيَ السَّفْرُ ما كان ، وجاءهُمُ الموجُ من كل مكان[9] ؛ فمِلْنا لهذا الحَدَثِ الثائر إلى إحدى الجزائر ، لنُريحَ وَنَستريح ،

---

(١) عوذة : تميمة ، حرز ، حجاب . الخيم : العادة .

(٢) السفر (بفتح فسكون) : المسافرون معاً ، الجنة : الوقاية . جاش اضطرب . اليم : البحر .

(٣) استعصم : احتمى . صدع : نطق ، صرح . اساطير : حكايات وخرافات واباطيل **Storia** . وزخارف : تمويهات . جلاها : عرضها عرضاً جميلا . « اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها » آية من سورة هود (١١ : ٤٥) .

(٤) المغرم : المحب ، المثقل بالدين . قام مقام المبلغين : اخذ على نفسه ان ينقل اليهم خبر ما فيه خيرهم . نصح المبالغين : الذين يبالغون (يكثرون) النصح . المحجة : الطريق الواضح .

(٥) البادي الطلاوة : الظاهر الحسن والجمال . عج : ارتفع : التلاوة : الدعاء . آنس : عرف ، أدرك الجرس : الصوت الخفي . عين شمسه : حقيقته واصله .

(٦) البحر اللجي : العظيم ، المضطرب . السروجي : ابو زيد مكدي الحريري . ابن جلا: الرجل الواضح النسب المشهور .

(٧) سفرت : كشفت عن سريرتي ، سررت . سفر : كشف عن حقيقة امره : اظهر امره .

(٨) رهو : هادئ . لقيانه : الاجتماع به ، لقاؤه . العقيان : الذهب . المناجاة : المحادثة سراً . المنجاة : النجاة .

(٩) عصفت الجنوب : هبت الريح الجنوبية . عسفت الجنوب : اضطربت جنوبنا قلقاً وخوفا . السفر : المسافرون معاً . « وجاءهم الموج من كل مكان » آية من سورة يونس (١٠ : ٢٢) .

ريثما تُؤاتي الريح . فتمادى اعتياص المسير حتى نَفِدَ الزاد غيرَ اليسيرِ ، فقال لي أبو زيد : إنّه لن يُحْرَزَ جنى العود بالقُعود ، فهل لك في استثارة السعود بالصعود [1] ؟ فقلت له : إني لأتبعُ لك من ظِلِّك وأطوَعُ من نَعْلك . فنَهَدْنا إلى الجزيرة على ضَعْفٍ من المَريرة ، لنَرْكُضَ في امتراء الميرة . وكلانا لا يَمْلِكُ فتيلاً [2] ولا يهتدي فيها سبيلاً . فأقبلنا نَجوسُ خِلالَها ، ونَتَقَيّأُ ظِلالَها ، حتى أفْضَينا إلى قصر مَشيد ، له بابٌ من حديد ، ودونَه زُمْرَةٌ من عبيد . فناسَمْناهم لِنَتَّخِذَهم سُلَّماً إلى الارْتِقاء ، وأرْشِيَةً لِلاسْتِقاء [3] . فألفَيْنا كُلاً منهم كَئيباً حسيراً ، حتى خِلْناه كَسيراً أو أسيراً . فقلنا : أيَّتُها الغِلْمَة ، ما هذه الغُمَّة [4] ؟ فلم يُجيبوا النداء ، ولا فاهوا ببيضاءَ ولا سوداء . فلما رأينا نارَهم نارَ الحُباحب . وخُبْرَهم كسَراب السَباسِب . قلنا : شاهت الوجوهُ ، وقَبُحَ اللُّكَعُ ومَنْ يرجوه . فابتدر خادمٌ قد علَتْه كَبْرة . وعَرَتْه عَبْرة [5] ، وقال : يا قومُ ، لا تُوسعونا سَبّاً ولا تُوجِعونا عَتْباً ، فإنّا لَفي حُزْنٍ شامل وشُغل عن الحديث شاغل [6] . فقال له ابو زيد : نَفِّسْ خِناقَ البَثّ ، وانْفُثْ إنْ قَدَرْتَ على النَفْث . فإنك ستجد مني عَرّافاً كافياً ووصّافاً شافياً [7] . فقال له : اعْلَمْ أن ربَّ هذا القصرِ هو قُطْبُ هذه البُقْعَة وشاهُ هذه الرُقْعَة [8] ؛ إلاّ أنه لم يَخْلُ من كمد ، لِخُلُوِّه من ولد . ولم يَزَلْ يَستَكْرِم المغارسَ ،

---

(١) : تؤاتي : تأتي موافقة . تمادى : طال . الاعتياص : العسر ، الصعوبة . جنى العود : الثمر ، كناية عن بلوغ الامل . استثارة : استخراج . السعود : الحظوظ . الصعود : النزول على شاطئ الجزيرة .

(٢) نهدنا : نهضنا . المريرة : القوة . امتراء الميرة : طلب المؤونة والرزق . الفتيل : الخيط المفتول ؛ غشاء رقيق في شق بزرة التمر – لا يملك شيئاً .

(٣) جاس خلال الدور : جال بينها . مشيد : مبني بالآجر والحجارة . ناسمناهم : شممنا نسيمهم ، حادثناهم لنستقصي اخبارهم . الرشاء : حبل يُستقى به الماء من البئر .

(٤) الحسير : الحزين . الغلمة جمع غلام : العبد ، الخادم . الغمة : الغم والهم .

(٥) ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء : ... بكلمة طيبة ولا بكلمة رديئة ؛ لم يتكلموا قط . الحباحب : هوام تطير بالليل ويظهر منها نار (لأن في مؤخرة جسمها فوسفور) ولكن لا تحرق . الخبر (بضم الخاء) : ما انطوى عليه باطنهم . السباسب الصحارى . شاهت الوجوه : قبحت . اللكع : اللئيم ، الاحمق . ابتدر : تقدم . كبرة : تقدم في السن . عرته عبرة : نفر الدمع في عينه .

(٦) شاغل : صارف عن الاهتمام بالآخرين .

(٧) نفس خناق البث : هون حزنك . وانفث : تكلم . العراف : الذي يعرف الامراض ويداويها .

(٨) القطب : العظيم الذي تدور حوله الامور . شاه : ملك . شاه هذه الرقعة : الملك في لعبة الشطرنج وهو اهم الحجارة في تلك اللعبة – اعظم سكان هذا الحي .

وَيَتَخَيَّرُ من المفارشِ النفائسَ ، إلى أن بُشِّرَ بحَمْلِ عَقيلته ، وآذُنَتْ رَقْلَتُه بفَسيلته [١] . فَنُذِرَت له النُّذور ، وَأُحْصِيَت الأيامُ والشهور . ولمـا حان النِّتاج وصيغَ الطَّوْقُ والتاج ، عَسُرَ مَخاضُ الوضع حـتى خيفَ على الأصل والفرع [٢] . فما فينا مَن يَعْرِفُ قراراً ، ولا يَطْعَمُ النومَ إلاّ غِراراً . ثم أجْهَشَ بالبكـاء وأعْوَل ، ورَدَّد الاسْترجاع وطوّل [٣] . فقال له ابو زيد : اسْكُنْ يا هذا وَاسْتَبشِرْ ، وابشِرْ بالفَرَج وَبَشِّرْ . فعندي عَزيمةُ الطَّلْقِ التي انْتَشَرَ سَمْعُها في الحَلْق . فتبادرتِ الغِلْمَةَ إلى مَوْلاهم ، مُتَباشرين بانكشاف بَلْواهم . فلم يكن إلا كَلاَ ولا ، حتى برز من هَلُمَّمَ بنا اليه . فلما دخلنا عليه ، وَمَثَلْنا بين يديه [٤] قال لأبي زيد : ليُهْنِكَ مَنالُك ، إن صدق مَقالُك ، وَلَم يَفِلْ فالُك [٥] . فاستَحْضَر قلماً مَبْرِيّاً وَزَبَداً بَحْرِيّاً ، وزَعْفراناً قد ديف في ماء ورد نظيف . فما ان رَجَعَ النَّفَس ، حتى أُحْضِرَ ما التمس [٦] . فَسَجَدَ أبو زيد وَعَفَّر ، وَسَبَّح وَاستغفَر ؛ وابعد الحاضرين وَنَفَّر . ثم أخذ القلم وَاسْحَنْفَر ، وكتب على الزَّبَد بالمُزَعْفر [٧] .

أيهذا الجنـينُ ، إني نصيـحٌ لك ؛ والنُّصح من شُروط الديـن :
أنتَ مُسْتَعْصِمٌ بِكِنٍّ كنينٍ وقرارٍ من السـكونِ مَكينِ [٨] .
ما ترى فيـه ما يَروعُكَ من إلْفٍ مُداجٍ ولا عـدوٍ مبينِ .

---

(١) المغارس .... الخ : يتطلب كرام الفتيات زوجات له . الرقلة : النخلة الكبيرة (كناية عن الزوجة) . الفسيلة : الفرخ الذي ينبت بجانب النخلة (كناية عن ان زوجته حملت) .

(٢) حان النتاج : قربت الولادة . الطوق: قلادة للعنق. التاج: عصابة للرأس. المخاض : الطلق، الولادة . الاصل والفرع : الام والطفل .

(٣) غراراً : قليلا ، شيئاً بعد شيء . اجهش : بدأ البكاء . اعول : صوت بالبكاء . الاسترجاع : قولنا : انا لله وانا اليه راجعون .

(٤) حجاب يسهل الولادة . تبادر : اسرع . البلوى : المصيبة . هلمم : قال لنا : هلموا ، دعانا . مثلنا : وقفنا .

(٥) ليهنك : ليهنئك (وحذف الهمزة لهجة اهل الحجاز) . منالك : ما ستناله من العطاء . – اي سيكون كثيراً . لم يفل فالك : لم يخب تقديرك واملك .

(٦) زبد بحري : نوع من السمن(؟) وفي شرح المقامات: حجر شديد البياض رخو رقيق(خفيف) يوجد على وجه البحر .... ذكر الحكماء انه اذا وضع على فخذ ما خض سهلت ولادتها . داف : مزج .

(٧) عفر : مرغ وجهه في التراب . اسحنفر : في شرح المقامات : اسرع.... ولعلها : انحنى فوق الورق وهو يكتب.

(٨) استعصم : تمسك . الكن : المستقر .

فمتى ما برزتَ منه تَحوَّلْتَ الى منزل الأذى والهُون[١] .
وتراءى لك الشقاء الذي تَلْقَى فتبكي له بدمعٍ هَتونِ[٢] .
فاستَدِمْ عيشَكَ الرغيدَ وحاذرْ انَ تبيعَ المحقوق بالمظنونِ[٣] .
واحتَرِسْ من مُخادع لك يَرقيكَ ليُلقيكَ في العذاب المُهينِ[٤] .
ولَعَمْري لقد نَصَحتُ ، ولكنْ كم نصيحٍ مشبّه بظَنينِ[٥] .

ثم انه طمس المكتوب على غفلة ، وتفل عليه مائةَ تَفلة ، وشد الزَّبَدَ في خرقة حرير ، بعدَما ضَمَّخها بعَبير[٦] . وأمَرَ بتعليقها على فَخذ الماخِض ، وألاّ تَعلَق بها يَدُ حائِض . فلم يَكُنْ الا كذُواقِ شارب ، او فُواق حالب ، حتى اندلق شخص[٧] الولد لخِصِّيصَى الزبد ؛ بقُدْرة الواحد الصَّمد. فامتلأ القصرُ حُبوراً واستُطير عَميدُهُ وعبيده سُروراً[٨] . وأحاطت الجماعة بأبي زيد تُثني عليه وتُقبّل يديه ، وتتبرَّك بمِساسِ طِمْرَيْه ، حتى خُيِّلَ إلي أنه القَرْنيُّ أُوَيْس أو الأَسَديُّ دُبَيْس[٩] . ثم انثال عليه من جوائز المُجازاة ووصائل الصِلات ، ما قَيَّض له الغِنى ، وبيَّض وجه المُنى[١٠] . ولم يزل يَنْتابُه الدَّخْلُ مذ نُتِجَ السَّخْل إلى أن أعطى البحرُ الأمانَ وتَسَنّى الإتمامُ إلى عُمانَ . فاكتفي أبو زيد

---

(١) راعه : أخافه . إلف : صديق . مداج : مراء ، منافق . مبين : ظاهر . الهون : الذل .

(٢) هتون : كثير .

(٣) الرغيد : الكثير ، الواسع . المحقوق : الحاصل . المظنون : المشكوك فيه .

(٤) رقاه : قرأ له فصولا من الاوراد الدينية ؛ اثر فيه .

(٥) المتهم : المظنون فيه .

(٦) طمس الكتابة : شوهها . تفل : بصق . ضمخها : لطخها . عبير : طيب ، رائحة طيبة .

(٧) الماخض : التي اخذها المخاض ، التي دخلت في الولادة . تعلق بها : تمسها . الحائض المرأة في ميعاد حيضها . اندلق : خرج بسهولة . ذواق شارب : ريثما يذوق الشارب الشراب . فواق حالب : مقدار ما بين الحلبتين — المقصود : زمناً قصيراً .

(٨) خصيصي : خاصة ، فعل . الواحد الصمد : الله الواحدالمقصود . استطير سروراً : خف بالسرور ، سر كثيراً .

(٩) المساس : المس . الطمر : الثوب البالي . خيل الي : ظننت . اويس القرني : زاهد كان بالكوفة من كبار التابعين (الذين رأوا اصحاب رسول الله). دبيس الاسدي : الامير سيف الدولة بن يزيد الاسدي كان اميراً ببغداد ومعاصراً للحريري.

(١٠) انثال : تتابع ، انصب . الوصائل جمع وصيلة : ما يوصل به الانسان . الصلات جمع صلة : العطية . قيض : هيأ ، سهل . المنى جمع أمنية : ما يصبو اليه الانسان — بلغه آماله .

بالنِّحلة ، وتأهب للرِّحلة[1] . فلم يسمحِ الوالي بحركته ، بعد تَجْرِبَةِ بركته . بل أَوْعَزَ بضمِّه إلى حُزانته[2] ، وأن تُطْلَقَ يدُه في خزانته .

قال الحارثُ بنُ همّام : فلما رأيتُه قد مال الى حيثُ يكتسبُ المال ، أَنْحَيْتُ عليه بالتعنيف ، وَهَجَّنْتُ له مُفارقةَ المأْلف والأَليف[3] . فقال : إليك عنّي واسمع مني :

لا تَصْبُوَنَّ إلى وطَنْ ... فيه تُضامُ وتُمْتَهَنْ[4] ؛
وَارْحَلْ عن الدارِ الّتي ... تُعلي الوِهادَ على القِنَنْ[5] .
وَاهْرُبْ إلى كِنٍّ يقي ، ... ولو انه حِضْنا حَضَنْ[6] .
وَارْبَأْ بنفسك ان تُقيـ ... ـمَ بحيث يَغْشاك الدَّرَنْ[7] .
وَجُبِ[8] البلادَ ، فَأَيُّها ... أرضاك فأختره وَطَنْ ،
ودعِ التَّذَكُّرَ للمعاهد ... م والحنينَ إلى السَّكَنْ[9] .
وَاعْلَمْ بأن الحُرَّ في ... أوطانه يَلْقَى الغَبَنْ[10] .
كالدُّرِّ في الأَصدافِ يُسْـ ... ـتَزْرَى وَيُبْخَسُ في الثّمن[11] .

ثم قال حَسْبُكَ ما استمعت . وَحَبَّذا أنت لوِ اتَّبَعْتَ . فأوضحت له مَعاذيري ، وقلت له : كن عَذيري ! فَعَذَرَ واعْتَذَرْ ، وزوّد حتى لم يَذَرْ[12] . ثم شَيَّعني

(١) ينتابه الدخل : يأتيه الرزق . السخل : الشاة الصغيرة . نتج السخل : ولد (بالبناء للمجهول) المولود . اعطى البحر الأمان : هدأ واصبح السفر فيه مأموناً . تسنى : سهل ، أمكن . عمان : بلد كبير في جنوبي شرقي بلاد العرب . النحلة : العطاء . تأهب : استعد .

(٢) أوعز : أشار ، أمر . الحزانة : جماعة الرجل الذين يحزنون لمصابه إذ هو يحزن لمصائبهم (أقاربه وأتباعـــــه) .

(٣) التعنيف : اللوم والتوبيخ . هجنت : قبحت . المألف : المسكن والموطن . الاليف : الصاحب .

(٤) صبا : اشتاق . امتهن : احتقر .

(٥) الوهدة : المكان المنخفض . القنة : رأس الجبل .

(٦) الكن : المكان الذي يحميك . يقي : يحفظ ، يحمي . الحضن : الجانب . حضن (بفتح ففتح) جبل في نجد .

(٧) أربأ بنفسك : ارفعها ، نزهها . يغشاك الدرن : يطرأ عليك القذر (الذل) .

(٨) جاب يجوب : قطع .

(٩) المعاهد : الاماكن التي يسكنها الناس . الحنين : شدة الشوق . السكن : اهل الانسان .

(١٠) الغبن : النسيان والاهمال .

(١١) يستزري : يحتقر . بخس ثمنه : دفع فيه أقل من قيمته (أساء معاملته) .

(١٢) المعاذير : الاعذار . العذير : العاذر . وذر يذر : ترك (زودني بكل شيء) .

تَشييعَ الأقارب، إلى أن رَكِبْتُ في القارب. فَوَدَّعْتُه وَأَنَا أشكو الفِراقَ وَأَذُمُّهُ، وَأَوَدُّ لو كان هَلَكَ الجنينُ وأُمُّهُ.

ـ وفي المقامة الثالثة (الدينارية) يمدح الحريريّ الدينارَ (على لسان المُكْدي) مرّة ثم يذمّه مرّةً أخرى، شعراً؛ قال يمدح الدينار:

أَكْرِمْ به أَصْفَرَ راقتْ صُفْرَتُهْ . جَوّابَ آفاقٍ ترامتْ سَفْرَتُهْ[1] ،
مأثورةٌ سِمْعَتُهُ وَشُهْرَتُهْ ؛ قد أُودِعَتْ سِرَّ الغنى أَسِرَّتُهْ[2] ،
وقارنت نُجْحَ المساعي خَطْرَتُهْ ، وَحُبِّبَتْ إلى الانام غُرَّتُهْ[3] ،
كأنّما مِنَ القلوب نُقْرَتُهْ ؛ به يصولُ مَنْ حوته صُرَّتُهْ ،
وان تفانَتْ أو تَوانَتْ عِتْرَتُهُ . يا حَبَّذا نُضارُه وَنُضْرَتُهْ[4] ،
وحبذا مَغْناتُهُ وَنُصرته ! كم آمِرٍ به استَتَبَّتْ إمْرَتُهْ[5] ،
وَمُتْرَفٍ لولاه دامت حَسْرته ؛ وجيشِ هَمٍّ هزمته كَرَّتُهْ[6] ،
وَبَدْرِ تِمٍّ أنزلته بَدرتَه ، وَمُسْتَشيطٍ تَتَلَظّى جَمْرته[7] ،
أَسَرَّ نَجْواه فلانت شِرَّتُهْ[8] . وكم أسيرٍ أسلمتْه أُسْرته ،
أنقذه حتى صَفَتْ مَسَرَّتُهْ . وحَقِّ مَولىً أَبْدعته فِطْرَتُهْ ،
لولا التُّقى لقلتُ جَلَّت قُدْرَتُهْ ؟

---

(١) بعدت في كل جهة .

(٢) الأسرة (بتشديد الراء) جمع لمفردات مختلفة: النقوش. ان نقش الدينار يدل على مقدار ما يمثل من المال (قيمته).

(٣) الخطرة: المرة من الذهاب: اذا بذلت الدينار في امر حصلت عليه.

(٤) توانت: ابطأت (عن نصرته). عترته، اسرته، قبيلته. النضار: الذهب الخالص. النضرة: البهجة والحسن.

(٥) المغناة: الكفاية، ما يغني عن اشياء كثيرة. استتبت إمرته: دام حكمه واستقر.

(٦) ان الهجوم بالدينار على الهموم يفرقها ويذهب بها.

(٧) بدر تم: البدر ليلة تمامه (كناية عن المرأة الجميلة). البدرة: عشرة آلاف دينار – بالمال تحصل على اجمل النساء. المستشيط: الغضبان.

(٨) اسر نجواه: حصل عليه سراً. لانت شرته: هدأت حدته وغضبه – اذا غضب إنسان منك غضباً شديداً فدسست في يده شيئاً من المال سكت عنك غضبه.

ثم قال يذمّه :

تبّاً له من خادعٍ مُماذقٍ (١) أصْفَرَ ذي وجهينِ كالمنافقِ .
يبدو بوصفين لعينِ الرامقِ : زينةِ معشوقٍ ولونِ عاشقٍ (٢) .
وحبُّه عند ذوي الحقائق يدعو الى ارتكابِ سُخْطِ الخالق (٣) ؛
لولاه لم تُقْطَعْ يمينُ سارقٍ ، ولا بدت مَظْلَمَةٌ من فاسقٍ (٤) ،
ولا اشْمَأَزَّ باخلٌ من طارقٍ ، ولا شكا المَمْطولُ مَطْلَ العائق (٥) ،
ولا استُعيذَ من حسودٍ راشقٍ (٦) . وَشَرُّ ما فيه من الخلائقِ
أنْ ليس يُغني عنك في المضايقِ إلا إذا فَرَّ فِرارَ الآبِقِ .
واهاً لمن يَقْذِفُهُ من حالقٍ ؛ ومن إذا ناجاه نَجْوى الوامقِ (٧) ،
قال له قولَ المُحِقِّ الصادقِ : لا رأيَ في وصلِكَ لي ففارقِ .

٤ (*)— مقامات الحريري (تحرير علاه ؟ داوود وجوان علي) ، كلكتّا ١٨١٤ م ؛ (تحرير كوسان ده برسيفال) ، باريس ١٨١٩ ؛ (تحرير ده ساسي) ، باريس (دار الطباعة الملكيّة) ١٨٢٢ م ؛ لكنهو ١٢٦٣ ، ١٨٦٩ ه ، ١٨٧٣ م ؛ بولاق ١٢٦٦ ، ١٢٧٢ ، ١٢٨٨ ، ١٣٠٠ ، ١٣١٧ه؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٧ ، ١٢٧٩ ، ١٣١٣ه؛ تبريز ١٢٨٢ه؛ القاهرة ١٣٢٦ ه ؛ بيروت (مطبعة المعارف) ١٢٩١ ه = ١٨٧٤ م؛ (تحرير ستاينغاس) ، لندن ١٨٩٦ — ١٨٩٧ م ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٧٧ ه = ١٩٠٨ م .

مقامات الحريري مع الرسالتين السينيّة والشينية ، (مطبعة عبدالسلام بن محمّد بن شقرون)؟ ١٣٢٦ ه .

المقامات الثلاث الاولى (تحرير شولتنس) ، فرانكفورت ١٧٣١ م ؛ المقامات الرابعة والخامسة والسادسة (تحرير شولتنس) ، ليدن ١٧٣١ — ١٧٤٠ م ؛ المقامات الثلاث الأخيرة (تحرير رو) ، باريس ١٩٠٩ م .

(*) راجع ايضاً معجم المطبوعات العربية ٧٤٨ — ٧٥٠ .

(١) تبا : هلاكاً . مماذق : غير مخلص ، يمزج صداقته بالرياء .

(٢) زينة معشوق : جميل ، براق . لون عاشق : اصفر (الاصفر لون النحول) .

(٣) ذوو الحقائق : اصحاب المعارف الصحيحة . — والناس يرتكبون ذنوباً كثاراً في سبيل الحصول على المال .

(٤) المظلمة : الاعتداء ، سلب الحقوق . الفاسق : مرتكب الآثام .

(٥) الباخل : البخيل . الطارق : الضيف الآتي ليلا . المطل : تأخير الدين . العائق : المتمنع عن أداء الدين .

(٦) الراشق : الذي يرمي النبال . و (هنا) يرمي الناس بالنظر الشزر بغضاً وحسداً . المال لا ينفع صاحبه ولا ينقذه من المواقف الحرجة الا اذا أبق (بكسر الباء : هرب) أي اذا انفقه صاحبه .

(٧) الحالق : المكان العالي . الوامق : المحب الصحيح .

مقامات الحريري بشرح الشريشي . بولاق ١٢٨٤ ، ١٣٠٠ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٦ ، ١٣١٢ ، ١٣١٤ هـ ؛ القاهرة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢١ م ؛ بشرح الزمخشري ، بيروت (المطبعة الادبية) ١٩٠٣ م ؛ الايضاح (في شرح المقامات) لناصر الدين بن عبد السيّد المطرّزي ، تبريز ١٣٧٢ هـ .

المقامات العشر لطلبة العصر (انتخبها ... محمّد المبارك الجزائري) ، بيروت ١٣٢١ هـ .

درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ (تحرير دو ساسي) ، باريس ١٨٢٨ – ١٨٢٩ م ؛ القاهرة (مطبعة الحجر الحميدة) ١٢٧٣ هـ ؛ القاهرة ١٢٧٩ هـ ؛ (تحرير توربكّه) ، ليبزغ ١٨٧١ م ؛ بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٠ ، ١٣٠٦ هـ .

شرح درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ للخفاجي ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ (١) .

ملحة الاعراب ، بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ (طبعها ملحم بن ابراهيم النجّار) ، دير القمر بلبنان ١٨٧١ م ؛ القاهرة ١٢٩٣ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٦ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠٣ ، ١٣٤٥ هـ ؛ دلهي ١٣١٢ هـ ؛

الفرق بين الضاد والظاء (تحرير توربكه) ، ليبزغ ١٨٧١ م ؛ القاهرة ١٢٧٣ هـ .

** ملحة الاعراب بشرح محمّد القاسم بن علي (تحرير بنتو) ؛ = تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب في ملحة الأعراب لجمال الدين محمّد بن بحرق الحضرمي ، القاهرة ١٢٩٦ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٨ ، ١٣١٩ هـ ؛ كشف الطرّة عن الغرّة (شرح ملحة الاعراب) لمحمود الألوسي (تحرير عبد القادر نبهان) ، دمشق ١٣٠١ هـ .

رسالة الى البارون سلفستر دي ساسي .... في تدارك ما فرط منه في رواية المقامات الحريرية وتحرير شرحها، للشيخ ناصيف اليازجي (تحرير مهرن) ، ليبزغ (أنغلمان) ١٨٤٨ م .

كتاب الاستدراكات على مقامات الحريري وانتصار ابن برّي للحريري ، استانبول ١٣٢٨ هـ .

أبو زيد السروجي الأديب المحتال ، تأليف ابراهيم جمعة ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٤٩ م .

ابن الحريري ومقاماته ، تأليف محمّد احمد الصّديقي ، الله آباد ١٩٥٥ !

معجم الادباء ١٦ : ٢٦١ – ٢٩٣ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ١٦٥ – ١٦٨ ؛ طبقات الشافعية ٤ : ٢٩٥ – ٢٩٧ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٣ – ٢٧ ؛ بغية الوعاة ٣٧٨ – ٣٧٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٥٠ – ٥٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٢٥ – ٣٢٩ ، الملحق ٢ : ٤٨٦ ؛ زيدان ٣ : – ٤٨٩ ابن الأثير ١٠ : ٥٩٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٢٢١ – ٢٢٢ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٢ .

عمر الخيّام

١ – هو غياثُ الدين أبو الفتح عُمَرُ بنُ ابراهيمَ الخيّام (٢) ، كان مولدُه في نيسابورَ أو إحدى ضواحيها ، سَنَةَ ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م) أو بُعيدَ ذلك ؛ فقد جاء

(١) طبعة القسطنطينية (مطبعة الجوائب ١٢٩٩) تتضمن درة الغواص ثم شرحها للخفاجي في كتاب واحد .

(٢) في ابن الاثير (١٠ : ٩٨) وفي غيره أيضاً : الخيامي ، تأثراً باللفظ الفارسي عمر خيام (بامالة الميم نحو الكسر) . ولعل ابراهيم والد عمر كان خياماً (صانعاً للخيام) ، أو لعل أواحد أسلافه كان خياماً .

في تاريخِ الكامل لابن الأثير (١٠ : ٩٨) أنّ السلطانَ ملكشاه جَمَعَ ، سَنَةَ ٤٦٧ هـ (١٠٧٤–١٠٧٥ م)، جَماعة من أعيانِ المنجّمين (في أصفهانَ ؟) منهم عُمَرُ الخيّام وأبو المظفَر الأسفِزاري ومَيْمون بن النجيب الواسطيّ لعمل جَدْوَلٍ بأرصادِ النجوم (تعيين مواقع النجوم وحركاتها) . وقدِ استمرالعملُ في هذه الأرصاد حتّى موتِ ملكشاه[1] .

وقدِ اختلف الرُواة في سَنَةَ وفاةِ عُمَرَ بن الخيّام . والغالبُ أنّه توفّي سَنَةَ ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) .

٢ – كان عمرُ الخيّام عالماً كبيراً مشهوراً من علماء الرياضيات والفلك[2] وكان حكيماً شاعراً ، صَنّف الكتب ونظم الشعرَ باللغةِ العربية واللغة الفارسية . وتَرْجِعُ شُهْرةُ عُمَرَ الخيام ، في الشرق والغرب ، وفي الأكثرِ ، الى « رُباعيّاته » . والرباعيّاتُ أو الفنّ الرُباعي نَوْعٌ من الشِعر يُنْظَمُ على وَزْنٍ من أوزان بَحْرِ الهَزَج[3] بَيْتَيْنِ بيتين؛ من أجل ذلك سمّاه الفُرْسُ دوبيتّ[4] ثمّ نَظَرَ إليه بعضُهم على أنّه أرْبَعَةُ أشطرٍ (باعتبارِ البيتِ الواحدِ شَطْرينِ) فسَمَّوْه « الرُباعيَّ » ومنه رُباعية وجمعُها رباعيّات .

يُنْسَبُ إلى عُمَرَ الخيّام نحوُ أربعِمائة رُباعيّة لعلّ مائةً منها فقط تَصِحُّ نِسْبَتُها إليه . فمن رباعيّاتِ الخيّام (من تعريب أحمد الصافي النَجَفي[6] ، رقم ٦٢) :

---

(١) توفي ملكشاه في ١٥ شوال ٤٨٥ (١٠٩٢ م) .

(٢) راجع تاريخ العلوم عند العرب للدكتور عمر فروخ (الفهرس الهجائي) .

(٣) راجع «تاريخ الادب في ايران» تأليف براون (نقله الى العربية الدكتور ابراهيم أمين الشواربي)، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م ، ص ٤٨ وما بعد .

تفاعيل بحر الهزج : مفاعيلن مفاعيلن (مرتين) ، نحو : هزجنا في بواديكم فأكثرتم عطايانا .

أو : صفحنا عن بني ذهل وقلنا : القوم اخوان !

وفي اشتقاق وزن الرباعيات الفارسي من بحر الهزج العربي خلاف لا مجال هنا للبحث فيه . راجع مثلا :

راجع مثلا : Omar Chajjâm und Seine Vierzeiler, Von Ch. H. Rempis, Tubingen 1935, SS. 33 ff .

(٤) دو (اثنان) ؛ دو بيت (بيتان) .

(٥) لا نعد الدوبيت (وحدة النظم المؤلفة من بيتين) من الشعر العربي الفصيح لأن بحره ليس من الابحر العربية ولأن ناظمه يتساهل أحياناً بالاعراب وبالألفاظ ، كقول محمد بن محمد بن الدمرداش (ت ٧٢٣ هـ) :

أخفيت هواك عن جميع البشر ضنا بحديث سرك المستتر (بكسر الراء)

فانصان وكاد يخفي يا قمري عن فرط ذكا منك لولا نظري

(٦) اهتم الأدباء ، في كل لغة ، برباعيات الخيام اهتماماً كبيراً فنقلوها الى لغتهم . وقد نقلت هذه الرباعيات الى اللغة العربية نقولا كثيرة . ولكن الكلام على رباعيات الخيام في أصلها الفارسي وفي نقولها العربية ليس من شرط هذا الكتاب ولا من نطاقه .

انّ بَدْري يلوحُ في كلِّ شَكْلٍ: حَيَواناً طوراً ، وطوراً نبـاتا .
لا تَخَلْهُ يزولُ ، هيهاتِ فالمو صوفُ إنْ يَفْنَ وَصْفُه يَبْقَ ذاتا.

وبما أنّ مُعْظَمَ رباعيّاتِ الخيّام تدورُ على الحُبّ والخمر في سبيل التعبير عن مراميه وفي أُسلوب رمزيّ ، وبما أنّ في رباعيّاته استخفافاً ظاهراً بالدنيا والآخرة وبالعقل والشريعة ، فقد عدّه نَفَرٌ من الدارسين صوفيّاً . غير أنّ له رُباعيّاتٍ ينحو فيها مَنْحى الجِدّ والتقوى .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ كتب القاضي أبو نصرٍ محمّدُ بنُ عبدِ الرحيم النَسَويُّ رسالةً يسأل فيها عُمَرَ الخيّام عن حِكمة الخالق في خَلْقِ العالم وخلقِ الإنسان خصوصاً وتكليفِ الناسِ بالعبادات . فردّ عليه عمرُ الخيّام برسالةٍ منها :

إنّ عِلْمَكَ ، أيّها الأخُ الفاضلُ الرئيس الأوحد الكامل ـ أطالَ اللهُ بقاكَ ـ .... وفضلَكَ أغزرُ من فضلِهِمْ ونفسُكَ أزكى من نفوسهم . فأنتَ أعرَفُ منهم بأنّ مسألَتَيِ الكَوْنِ والتكليفِ من المسائل المُعتاصة المُتَعَذِّرِ حلُّها على أكثرِ الناظرين فيها والباحثين عنها ، وأنّ كلّ واحدةٍ منهما منقسمةٌ الى عِدّةِ ضروبٍ من المقاييس المُبْتَنِيَةِ على أصنافٍ من القضايا المختَلَفِ فيها بين أهلِ النَظَر ، وأنّ هاتين المسألتينِ من أواخر العِلم الأعلى والحكمة الأولى ، وأنّ آراء المتكلّمين فيها مُتَبايِنَةٌ جِدّاً . وإذا كان الأمرُ كذلك فبالحريّ أن يكونَ الكلامُ فيهما صَعْباً جدّاً .

إلاّ أنّك شرّفتَني بالمُباحثةِ عنهما والمُحاورة فيهما. لذا لم أَجِدْ بُدّاً من أن أسْلُكَ في تعديدِ أقسامهما واستيفاءِ أصنافهما وتَبْيينِ جُمَلِ براهينهما بحَسْبِ ما انتهى اليه بَحْثي وبحثُ من تقدّمني من مُعَلّميَّ على سبيلِ الإيجازِ والاختصار لضيق الوقتِ وعَدَمِ احتمال البَسْطِ والتطويل والإطناب والتفصيل ، ولِمَعْرِفتي بأن ذكاءَك وحَدْسَك ـ حَرَسَ اللهُ مَجْدَكَ ـ يَكْتَفِيانِ من الكثيرِ بالقليلِ ، وبالإشارةِ عنِ العِبارة ، ويكونُ (حينئذٍ) كلامي فيهما كلامَ المستفيدِ لا المُفيد ، والمُتعلّمِ لا المُعَلِّمِ ، استرواحاً إلى ما يَصْدُرُ عن جَنابكَ الشريف واغترافاً من

بَحرِكَ الزاخر – أدام اللهُ فضلَك ولا أعدَمَنا ظلَّكَ . وأعتَصِمَ بفَضلِ التوفيقِ مِنَ اللهِ تعالى ؛ إنّه وليُّ التوفيقِ ومُفيضُ كلِّ عدلٍ .

– قال عمر الخيّام في التأمّل والزهد :

إذا رَضِيَتْ نفسي بمَيْسورِ بُلْغةٍ يُحَصِّلُها بالكدِّ كَفّي وساعدي [1] ،
أمِنْتُ تصاريفَ الحوادثِ كلِّها ؛ فكُنْ ، يا زماني ، مُوعِدي أو مُواعدي [2] .
ولي فوقُ هامَ النَيِّرينِ منازلٌ ؛ وفوقَ مَناطِ الفَرْقَدَيْنِ مَصاعدي [3] .
متى ما دَنَتْ دُنْياكَ كانتْ بعيدةً ؛ فواعجبًا مِنْ ذا القريبِ المُباعد [4] !
اذا كان محصولُ الحياة مَنيّةً ، فسِيّانِ حالاَ كلِّ ساعٍ وقاعد [5] .

– وقال في الدهر والاخوان :

زَجَّيْتُ دهراً طويلاً في التماسِ أخٍ يَرْعَى ودادي إذا ذوخُلّةٍ خانا [6] .
فكم ألِفْتُ وكم آخَيْتُ غيرَ أخٍ ، وكم تبَدَّلْتُ بالإخْوان إخوانا ؛
وقلت للنفس ، لمّا عزّ مَطْلَبُها : باللهِ ، لا تألَفي ما عِشْتِ إنسانا !

٤ – الجبر والمقابلة (نشرها وبكه) ، باريس ١٨٥١ م ؛ (نشرها غلام حسين محاسب) ، تهران ؛
رسالة في شرح ما أشكل من مصادرات كتاب أقليدس (نشره ت . ايراني) ، طهران (مطبعة سيروس) ؛ (نشره عبد الحميد صبرة) القاهرة ؟ ١٩٣٦ ، الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٦١ م .
رسائل الخيّام (روزنفلد وبوتكيفيتش) ، موسكو (دار النشر للآداب الشرقية) ١٩٦٢ م .
رسائل لعمر الخيّام : رسالة في الوجود بحسب رأي أرسطوطاليس وغيره ، مطبوعة في مجموع « جامع البدائع » (جمعها محيى الدين الكردي) ، القاهرة ١٣٣٥ هـ = ١٩١٧ م .
رباعيّات عمر الخيّام (تعريب وديع البستاني) ، القاهرة ١٩٣٢ (دار المعارف) ١٩٥٣ ، ١٩٦٩ م . (نظمها بالعربية لأحمد زكي أبي شادي) ، القاهرة ١٩٣١ م ؛

---

(١) البلغة : أقل مقدار من الطعام يحفظ على الانسان حياته .
(٢) موعد : مهدد . مواعد : واعد ، مؤمل بالخير .
(٣) النيران : الشمس والقمر . الهام : الرأس . المناط : الموضع (العالي) تعلق فيه الاشياء . فوق مناط ... : عال جداً . المصاعد جمع مصعد : مرقي ، مكان أصعد فيه . و « مصاعد » هنا مبتدأ مؤخر .
(٤) – حينما يحصل الانسان على خير الدنيا يكون عمره قد تقدم جداً ، فلا يستفيد من هذا الخير !
(٥) منية : موت . فسيان (شبيهان) حال الساعي (المجد) وحال القاعد (الكسلان) .
(٦) زجيت : بعثت ، سقت أمامي (عشت زمناً طويلا) . الخلة : الصداقة .

(نثر وأنظماً لجميل صدقي الزهاوي) ؛ (تعريب محمّد السباعي) الطبعة الثالثة ، القاهرة (المكتبة التجارية) بعد ١٩٣٠ م ؛ (تعريب طالب الحيدري) ..... ١٩٥٠ م ؛ (ترجمة توفيق مفرّج) طبعة ثالثة ، القاهرة ١٩٥٠ م ، بيروت (عويدات) ١٩٦٨ م ؛ (ترجمة أحمد رامي) ، القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) بلا تاريخ ؛ (ترجمة أحمد الصافي النجفي) الطبعة الثانية ، بيروت (مطابع صادر وريحاني) بلا تاريخ.

** عمر الخيّام : حياته وكتبه وفلسفته ورباعيّاته (بالانكليزية — مع عدد من رسائله بالعربية) ، طبعة جديدة ، بومباي ١٩٢٤ م .

عمر الخيّام ، تأليف أحمد حامد الصرّاف ، الطبعة الثانية ، بغداد (مطبعة الشعب) ١٩٤٩م .

عمر الخيّام : حياته وفلسفته ، تأليف أحمد الشنتناويّ ، القاهرة (دار المعرفة) ١٩٦٢ م .

كشف اللثام عن رباعيّات الخيّام ، تأليف أبي النصر مبشّر الطرزي ، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٧ م .

فلسفة الشكّ واللاأدرية لدى المعرّيّ والخيّام ، تأليف عبد القادر محمود ، القاهرة (جامعة القاهرة : كلّيّة الآداب) ١٩٦٨ م .

صور من الشرق (عمر الخيّام) ، تأليف عبد السميع المصري ، أسيوط ١٩٤٧ م .

ثورة الخيّام ، تأليف عبد الحقّ فاضل .

اخبار الحكماء لابن القفطي ٢٤٣ — ٢٤٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٣ : ١٠٦٤ — ١٠٦٨ ؛ سارطون ١ : ٧٥٩ — ٧٦١ ؛ بروكلمان ١ : ٦٢٠ — ٦٢١ ، الملحق ١ : ٨٥٥ — ٨٥٦ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٩٤ — ١٩٥ .

ابن الخيـــاط

١ — هو أبو عبد الله أحمدُ بنُ محمدِ التَغْلَبِيّ ، كان والدُه محمدٌ خيّاطاً فعُرِفَ هو بابنِ الخيّاط . وُلِدَ ابنُ الخياطِ في دِمَشْقَ سنة ٤٥٠ هـ ، والشام في حُكْمِ الفاطميين . واتفق أن ثار الدِمَشْقِيون ، في مطلع حياةِ ابن الخياط ، على الوالي الفاطميّ بَدْرِ الجَمَالي الأرمني وأخرجوه من قَصر الامارة وأحْرقوا القصر ، فاحترق بذلك الجامعُ الأموي (٤٦١ هـ = ١٠٦٧) م .

وفي ذي القَعْدة من ٤٦٨ (١٠٧٦ م) استولى السلاجقةُ على دِمَشْقَ فانتشرَ فيها الخوفُ والجوع فهَجَرَها مُعْظَمُ أهلِها . وترك ابنُ الخياط دِمَشْقَ الى حَمَاةَ ومكث فيها بِضْعَ سنوات (٤٦٣ — ٤٦٩ هـ) اتصل في أثنائها بالاميرِ أبي الفوارس محمدِ بنِ مانك وكتب له ، فعرف بابن الخياط الكاتبِ . ثم انتقل الى حلب فلَقِيَ ابنَ حيّوسٍ الشاعرَ فعَرَضَ عليهِ شِعْرَه فنَصَحَه ابنُ حيّوس بأنْ يذهبَ الى طَرَابُلُسَ ،

فتمهّل مُدةً مدح في أثنائها الامير وثّابَ بنَ محمودٍ في حماةَ (٤٧٤ هـ) والاميرَ سديدَ الملكِ بنَ مُنْقِذٍ صاحبَ شَيْزر (٤٧٦ هـ).

وفي السَنَةِ ٤٧٦ هـ نفسها قَصَدَ ابنُ الخياط طرابلسَ ومدح صاحبها جلالَ الدين بنَ عَمّارٍ وأخاه فخرَ المُلْكِ وسواهما ؛ ثم مكث فيها عَشْرَ سِنينَ استكمل في أثنائها ثقافته على أحمدَ بنِ محمدٍ الطُلَيْطُلِي الأندلسي وعلى نفرٍ من أدبائها وتكسب بالشعر ؛ ولكنّ الدنيا لم تُقْبِلْ عليه. وقد زار ابن الخياط صورَ ومَدَحَ والِيَها منيرَ الدولة (٤٨٤ هـ = ١٠٩١ م). ثم عاد الى طرابُلُسَ فإلى دِمَشْقَ.

كان في دِمَشْقَ، في ذلك الحين، الوزيرُ السَلْجوقيّ هِبَةُ اللهِ بن بديعٍ الاصفهانيّ فلَقِيَ ابنُ الخياط عنده حَظْوةً، ثم صَحِبَه الى الريّ ومدحه هنالك. ولكنه عاد وشيكاً الى دمشق (٤٨٧هـ=١٠٩٤م).

وكانت وفاة ابن الخياط في ١١ رَمَضانَ من سَنَة ٥١٧ (٤/ ١١/ ١١٢٣).

٢ ــ ابنُ الخياط «شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيدٌ ؛ وهو أشْعَرُ الشاميين في عصرِه : كان مطبوعاً فصيحاً جزْلَ الألفاظِ واضحَ المعاني، وكان يقلّد الفُحول من المُخَضْرَمين والإسلاميين وخُصوصاً في التشابيه والاسْتعارات. وقد يَتَكَلّفُ الصِناعةَ في محاولته تقليدَ أبي تمّامٍ، كما كان يُقَلِّدُ ابنَ حيوسٍ عامة. وفي شعره هَناتٌ من كثْرة الزِحاف ومن التّساهُل في الصِيَغ. وفنونه المدح والرثاء والوصف والشكوى والغزل. وفي شعره تصوير للحياة الاجتماعية في أيامه ولمجالس اللهــو وللقصور والجنائن»[1].

٣ ــ مختارات من شعره

قال ابن الخياط يمدحُ القاضِيَ فخرَ الملك أبا عليٍّ عمّارَ بنَ محمدِ بنِ عَمّارٍ. في هذه القصيدة (ديوان ٦٤ ــ ٧٠، رقم ١٦) يفخر ابن الخياط بنفسه وشعرِه ويَصِفُ الحِصانَ وصفاً جميلاً.

أعطى الشــبابَ من الآراب ما طلبا ... وراح يختالُ في ثوبَيْ هوًى وصِــبا.
لم يُدركِ الشيبُ الا فضلَ صَبوته ... كما يغادِرُ فضلَ الكاس مَنْ شربا.
إنّي لأحسُدُ من طــاح الغرام به، ... وجاذبته حِبال الشوق فانجذبــا.

(١) راجع مقدمة الديوان (خليل مردم).

والعجزُ أن أتركَ الأوطـارَ مقبلةً، حتّى اذا أدبرتْ حاولتُها طلبـا.
أصبحت في قبضة الأيام مُرْتَهَنـاً نائي المَحَلّ طريداً عنه مُغترِبـا،
كخائض الوحل – اذ طال العناء به – فكلّما قلقلتْه نَهْضَةٌ رَسَبا!
عندي عزائمُ رأيٍ لو لَقيت بهـا صَرْفَ الزمانِ لولّى مُمْعِناً هـربا.
لا تَلْحَ في طلب العليـاء ذا كَلَفٍ، فقلّما اعْتب المشتاقَ مَنْ عتبـا[1]!
هيَ القوافي، فان خَطْب تمرّسَ بي فهنّ ما شاء عزمي من قَناً وظُبا[2]؛
تفيّأتْ ظلَ فخر الملك واغتبطت، بحيثُ حَلّ عِقالُ المُزْن فانسكبا،
من مَعْشرٍ طالما شبّوا بكل وَغىً ناراً تظلّ أعاديهِم لها حطبـا.
إنِ الزمانَ بَرَتْ عُـودي نوائبُه، فما أعُدّ به نَبْعاً ولا غَـرَبا[3].
فما سخا العزمُ بي الا اليك، ولا وقفت الا عليك الظَنّ مُحْتَسبا.
يا رُبَّ أجـردَ وَرْسِيٌّ سرابلُه تكاد تَقْبِسُ منه في الدُجى لَهَبا[4]،
اذا نضا الفجرُ عنه صِبْـغَ فِضته أجرى الصباحُ على أعطافه ذهبـا.
جمّ النشاط إذا ظُـنّ الكَلالُ به رأيتَ من مَرَحٍ في جِدّه لَعِبا.
يرتاحُ للجَرْي في إمساكـه قَلَقـاً حتّى كأن لـه في راحةٍ تَعَبـا.
يَطْغى مِراحاً فيَعْتَنّ الصَهيـلُ له كالبحرِ جاشَ به الآذِيُّ فاصْطخبا[5].
رِفقاً بنا، آلَ عمّارٍ، إذا طلعـتْ خيلُ السَماح على سَرح الثنا سُرَبا[6].
لأشْكُرَنّ زَمـاناً كان حادِثُه وغُدْرُهُ بي إلى معروفِكُمْ سببَا!

– ولابن الخيّاط في النسيب :

---

(١) المحب (للعلياء) لا يرضى عمن يلومه (أو ينصحه في الاقلال من بذل الجهد).
(٢) القوافي : القصائد. القنا جمع قناة : الرمح. الظبا (بالضم) جمع ظبة (بضم ففتح): طرف السيف.
– القصائد عدتي في الحياة والكفاح، هي لي كالرماح والسيوف للمحارب.
(٣) مصائب الدهر قطعت من عودي (عزيمتي) فأصبحت ضعيفاً عن احتمالها. النبع والغرب شجران تصنع من فروعهما الرماح لصلابتهما.
(٤) الاجرد : الحصان القليل الشعر (اشارة الى أصالته). ورسي : أحمر. سرابله : ثيابه (جلده).
(٥) المراح : النشاط الذي يبعث على الحركة. اعتن : علا صوته. جاش : اضطرب. الآذى : الموج. اصطخب : اشتد، تلاطم (الموج).
(٦) .... طلعت خيلكم سرباً (جماعات) على شجر مديحي (لم أكن أنتظر مثل هذه العطايا منكم كثرة وقيمة).

خُذا من صَبا نجدٍ أمــاناً لقلبهِ فقد كاد ريّــاها يَطير بلُبِّهِ[1]
وإيّاكما ذاك النسيمَ فــإنّه متى هَبَّ كان الوجدُ أيْسَرَ خَطْبِه[2] .
خليليَّ ، لو أحبَبْتُما لَعَلِمْتُمــا مَحَلَّ الهوى من مُغْرَمِ القلبِ صَبِّه[3]
تذكَّرَ : والذِكْرى تَشوقُ ، وذو الهوى يتوقُ ؛ ومَنْ يَعْلَقْ به الحُبّ يُصْبِه[4] .
غرامٌ على يأسِ الهوى ورجــائهِ ، وشَوقٌ على بُعْدِ المَزار وقـربه .
وفي الرَكْبِ مَطْوِيُّ الضُلوع على جوًى متى يَدْعُهُ داعي الغَرامِ يُلَبِّه[5] .

٤ — ديوان ابن الخيّاط (عني بتصحيحه محسن بن الشيخ صاحب الجواهري) . النجف (المطبعة العلويّة) ١٣٤٣ هـ ؛ (نشره خليل مردم) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) .

** وفيات الاعيان ١ : ٧٩ — ٨٠ ؛ الخريدة (شعراء دمشق) ٢٢٤ — ٢٢٦ ؛ العبر ٤ : ٧٩ — ٤٠ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٥٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٤ ، الملحق ١ : ٤٤٨ ؛ زيدان ٣ : ٢٨ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٠٧ .

الميداني صاحب الامثال

١ — هو أبو الفضل أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ ابراهيمَ الميدانيُّ ، نِسبةٌ الى مَيْدانِ زيادٍ (وهو محلّةٌ في نيسابور) .

لَزِمَ الميدانيُّ صُحبةَ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أحمدَ الواحديِّ (ت ٤٦٨ هـ) صاحبِ التفاسيرِ وقرأ عليه ، وقرأ على يعقوبَ بنِ أحمدَ النيسابوريِّ . وسَمِــعَ الحديثَ ورواه .

وكانت وفاةُ الميداني في خامسَ عَشَرَ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥١٨ (٢٧/ ١٠/ ١١٢٤ م) أو في ٢٥ من رَمَضانَ .

٢ — كان الميدانيُّ أديباً عارفاً باللغةِ وبأمثالِ العربِ خاصّةً ، وله نَظْمٌ حَسَنٌ .

---

(١) الصبا : الريح الهابة من الشرق . الريا : الرائحة الزكية .
(٢) الوجد : شدة الحب . الخطب : الأمر العظيم . المصيبة .
(٣) الصب : المائل (الى المحبوب) ، المحب . صبا : مال .
(٤) تشوق : تجعل (الانسان) يشتاق . يتوق : يميل الى ، يتشوق ، يشتاق . أصبى : استمال ؛ جعله صباً (عاشقاً) .
(٥) الجوى : المرض (من شدة الحب أو الحزن) . لبى : أجاب .

وله كتبٌ منها : مجمع الأمثال (أو جامع الأمثال) – السامي في الأسامي – شرح المفضّليات – مُنْية الراضي برسائل القاضي (مختارات من رسائل القاضي أبي أحمد منصور بن محمّد الأزديّ الهرويّ) قيد الأوابد من الفوائد . وله كتب في الصرف والنحو منها : النّموذج– الهادي للشادي – كتاب النحو – نُزهة الطّرْف في علم الصرف – رسالة في الجموع .

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة مجمع الأمثال (هذه المقدّمة تكثُرُ فيها الألفاظ الغريبة والإستعارات والتوريات والإشارات التاريخية والبلاغية ، فاخترتُ منها ما يقرُبُ فَهمُه معَ الإحاطة بمقصود الميداني من تأليف الكتاب . ثمّ تركت هذه المختارات بلا شرح) :

..... وبعدُ فإنّ من المعلوم أنّ الأدبَ سُلّمٌ الى معرفةِ العلوم ، به يُتَوَصّلُ إلى الوقوفِ عليها ومنه يُتَوَقّعُ الوصولُ إليها ، غيرَ أن له مسالكَ ومدارجَ ولتحصيله مَراقِيَ ومخارجَ ... وإنّ أعلى تلك المَراقي وأقصاها وأوْعَرَها تِيكَ المسالكُ ، وأعصاها هذه الأمثالُ التي هي لُماظاتُ حَرَشَةِ الضباب ونُفاثات حَلَبَةِ اللِقاح وحَمَلَةِ العِلاب من كلّ مُرْتَضِعٍ درّ الفصاحة يافعاً ووليداً .... فنطق بما يَسّرَ المَعْبَرَ عنها حَبْواً في ارتقاءٍ .... ولهذا السببِ خَفِيَ أثرُها وظَهَرَ أقلُّها وبَطَنَ أكثرُها ....

والناسُ اليومَ كالمُجْمِعين على تقاصُرِ رَغَباتِهم وتقاعُدِ هِمّاتِهم عمّا جاوَزَ حدَّ الإيجاز .... إلاّ ما نشاهده من رَغْبَةِ من عَمّرَ معالمَ العِلْمِ وأحياها ، وأوضحَ مناهِجَ الفَضْل وأبداها ، وهِمّةِ من تَجَمّعَ في فؤادِه هِمَمٌ ملءُ فُؤادِ الزمانِ إحداها ، وهو الشيخُ العميد الأجلّ السيد العالم ضياء الدولة مُنْتَخَبُ المُلْكِ شمس الحَضْرة صَفِيّ الملوك أبو عليٍّ محمّدُ بنُ أرْسلانَ أدام الله عُلُوّهُ وكَبَتَ حاسدَه وعَدُوّه فانّه الذي جَذَبَ بضَبْعِ الأدب من عاثورِه وغالى بقيمةِ منظومِه ومنثورِه .... فأبرزَ محاسِنَ الآدابِ في أصفى ملابِسها وبوّأها من الصدور أعلى منازِلِها ومجالِسِها .....

هذا ولمّا تَقَدّرَ ارتحالي عن سُدّته – عَمّرَها اللهُ بطُولى مُدّته – أشارَ بجمعِ كتابٍ في الأمثال مُبَرّزٍ على ما له من الأمثال مُشْتَمِلٍ على غثّها وسَمينها مُحْتَوٍ على جاهِلِيّها وإسلاميّها .... فتصفحتُ أكثرَ من خمسينَ كِتاباً ونَخَلْتُ ما فيها

فصلاً فصلاً وباباً باباً .... وجعلتُ الكتابَ على نظامِ حُروفِ المُعْجَمِ في أوائلها ليَسْهُلَ طريقُ الطَلَبِ على متناولها ، وذكرتُ في كلِّ مَثَلٍ من اللغة والإعراب ما يَفْتَحُ الغَلَقَ ، ومن القِصَصِ والأسبابِ ما يُوضِحُ الغَرَضَ ويُسيغ الشَرَقَ ... وجعلتُ البابَ الثلاثين في نُبَذٍ من كلامِ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلَّم وكَلامِ خلفائه الراشدين رَضِيَ اللهُ عنهم أجمعينَ ممّا يَنْخرط في سِلْكِ المواعظِ والحكم والآداب ، وسمّيتُ الكتابَ « مَجْمَعَ الأمْثَالِ » لاحتوائه على عظيمِ ما وَرَدَ منها ، وهي ستّةُ آلافِ مَثَلٍ ونَيِّفٌ . واللهُ أعلَمُ بما بَقِيَ منها فإنّ أنفاسَ الناس لا يأتي عليها الحَصرُ ولا تَنْفَدُ حتّى ينفدَ العَصْرُ.....

٤ ـ مجمع الأمثال (تحرير فرايتاخ) ، بونّ ١٨٣٨ ـ ١٨٤٣ م ؛ (باعتناء محمد الصباغ ومحمد قطة العدوي) بولاق ١٢٨٤ هـ ؛ طهران (طبع حجر) ١٢٩٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢٥ هـ ؛ بيروت ١٣١٣ هـ ؛ (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد) القاهرة (مطبعة السنّة المحمّدية) ١٩٥٥ م .

مجمع الأمثال (أعاد ترتيبه الحسين بن علي بن أبي بكر المنجم الكرماني) ، طهران ١٢٩٠ ، ١٢٩٣ هـ .

نزهة الطرف في علم الصرف (مطبوع مع الانموذج للزمخشري ـ نشره يحيى النبهاني) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ ؛ الاستانة ١٣١٢ هـ .

السامي في الأسامي ، طهران (؟) (طبع حجر) ١٢٧٤ هـ ؛ ١٢٩٤ هـ (راجع معجم المطبوعات العربية ص ١٨٢٥) . (نشره محمّد موسى الهنداوي) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٧ م .

مجموعة كتب تبحث في الأدب واللغة والأمثال للميداني وغيره ....

** فرائد اللآل في مجمع الأمثال للشيخ ابراهيم الأحدب ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٣١٢ هـ.

• معجم الادباء ٥ : ٤٥ ـ ٥١ ؛ انباه الرواة ١ : ١٢١ ـ ١٢٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٨٠ ـ ٨١ ؛ بغية الوعاة ١٥٥ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٥٨ ـ ٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٤٤ ، الملحق ١ : ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ؛ زيدان ٣ : ٤٧ ـ ٤٨ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٠٨ .

الشريف هبة الله العلوي

١ ـ هو الشريفُ أبو جَعْفرٍ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ هِبَةِ اللهِ العَلَوِيُّ الحُسيني الأفْطَسيّ الإطْرابلسيّ ، أصلُهُ من طرابلسِ الشامِ . تكسّبَ في أوّل أمره بالمديح من بني عَمّارٍ أصحابِ طرابُلُسَ (٤٨٧ ـ ٤٩٤ هـ) . ولعلّه في هذا الدَوْرِ زارَ دِمَشْقَ (٤٩٢ هـ = ١٠٩٩ م) ، لـمّا اقْتَرَبَ خَطَرُ الإفرنج الصّليبيّين من طرابُلُس.

رَحَلَ الشريفُ هِبَةُ اللهِ العَلَويُّ الى مِصْرَ ومدح أبا القاسم شاهِنْشاهَ المَلِكَ الأفضلَ الذي وَلِيَ الوزارة (٤٨٧ ـ ٥١٥ هـ) للمُسْتنصر والمُسْتعلي الفاطميين وحَظِيَ عندهما. وعاشَ هِبَةُ الله بعدَ مقتلِ الملكِ الأفضلِ، في آخرِ رَمَضَانَ من سنة ٥١٥ (١٢/١٢/١١٢١ م)؛ وكانتْ وفاتُه بعدَ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) في الاغلب.

٢ ـ كان الشريفُ هِبَةُ اللهِ العَلَويّ من أهلِ الأدب عارفاً بأنساب قُرَيْش. وكان شاعراً مُكْثِراً صحيحَ اللغة مَتينَ السَبك يَغْلِبُ عليه نَفَسُ المتنبّي، ولكنّه كانَ قليلَ الابْتكار يأخُذُ معانِيَهُ من القُدَماء. وكان شِعْرُه قليلَ الطَلاوة. وأشهرُ فنونِه المديحُ والغَزَل التقليديُّ في مطالعِ المدائح وشيءٌ من العِتاب.

٣ - مختارات من شعره

ـ قال الشريف هِبة اللهِ العَلَويُّ يتغزّلُ في مَطْلَع قصيدةٍ مَدَحَ بِها المَلِكَ الأفضل:

ليتَ دارَ الحَيّ، إذ شطّتْ بهــا، حَمّلَتْ ريحَ الصَبا نَشْرَ ثَراها[1].
دارُهُمْ بالغَــوْرِ إذ هــم جِيرةٌ والنَوى ما صَدّعت شَمْلاً يَداها[2].
وسَميري في الدَيــاجي غادةٌ فَخَرَ البدرُ بها لمّا حَكاها[3]:
خَلَواتٌ لم تكنْ في رِيبة؛ أكْرَمُ الصَبْوةِ ما عَــفَّ هواها ٥
سلْ عَفافي دونَهــا لو لم يَكُنْ ريقُها من خَمْرةٍ قَبّلْتُ فــاها.
ليتَ شِعْري، ما الذي غَيّــرها أو أراها حَسَــناً ألاّ أراهــا[4]؟

٤ ـ ** الخريدة (مصر) ١: ١٢١ - ١٤٤؛ الاعلام للزركلي ٧: ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

طلحة النعــماني

١ ـ هو أبو محمّدٍ طَلْحةُ بنُ أحمدَ بنِ طلحةَ بنِ الحُسينِ النعمانيُّ نِسْبةٌ الى

(١) شطت: بعدت. ريح الصبا: ريح الشرق (وهي محمودة في بلاد العرب). نشر: رائحة. الثرى: التراب.

(٢) الغور: المكان المنخفض (يقصد غور الحجاز، ساحله ـ كناية عن شرف نسبها). النوى: البعاد، الفراق. يدا النوى لم تصدعا شملنا: حوادث الدهر لم تفرقنا.

(٣) حكاها: شابهها.

(٤) .... ما الذي جعلها تعتقد أن الابتعاد عني امر حسن.

النعْمانية – وهي بلدةٌ بين بَغدادَ وواسطَ في مُنتصفِ الطريق على دِجْلَةَ – ويبدو أنّ مولدَه ومنشأه كانا بها .

تطوّفَ طلحةُ النعمانيّ كثيراً : جاء الى بغدادَ كما انحدرَ الى البصرةِ ولَقِيَ الحريريَّ صاحبَ المقاماتِ (ت ٥١٦ هـ) فيها . وقد أقامَ في خُراسانَ مُدّةً وزار خَوارِزْمَ ، ووَرَدَ الى شيرازَ ومدح فيها قاضيَ القُضاةِ عِمادَ الدين أبا طاهرِ بن مُحمّدٍ الفَزاريَّ في عيدِ الأضحى من سَنَةِ ٥٠٩ (١١١٦ م) .

وكانت وَفاةُ طلحةَ النعمانيّ سَنَةَ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) أو بعدَها بقليلٍ .

٢ – كان طلحةُ النعمانيُّ عارفاً باللغة والأدب ناثراً شاعراً له نثرٌ على نَمطِ مقامات الحريريّ . ثمّ هو شاعرٌ مُكثِرٌ مُطيلٌ جيّدُ الشِعر رقيقُ الطبعِ سريعُ البديهة ؛ ولكنّ شِعرَه يضعُفُ على المَدى (اذا أطالَ كثيراً) . وأكثرُ شِعرِه المديحُ وله شيءٌ من الغَزَلِ . ويظهَرُ على بعضِ شعرِه التقليدُ لِنَفَرٍ من فحول الشعراء كأبي تَمّامٍ والمتنبّي والمَعَرّيّ .

٣ – مختارات من آثاره

قالَ طَلْحةُ النعمانيّ يمدحُ عِمادَ الدين طاهرَ بنَ محمّدٍ الأصفهانيّ الفَزاريَّ (نثراً ونظماً) :

حدّثني بعضُ الإخوانِ ، قال : نَشّتْ بي قراراتُ الكَرَم ببَغْدانَ[1] ، لتواتُرِ نُوَبِ الزمانِ واختلاف أرباب السُلطانِ ، وأنا يومَئذٍ غُلٌ قَمِلٌ ووِرْدٌ وَشِلٍ وقَلْبٌ وَجِلٌ[2] وهَمٌّ مُتّصِلٌ . فشحَذْتُ غِرارَ العَزْمَةِ في رُكوبِ غاربِ الغُرْبة[3] والأخذ في تَنْفيس الكُرْبة ..... هذا ، وصاحبي (في السفر) يُلهيني بمُفاكهتِه ويَسُرّني بمُسايرَتِه ويقولُ : سيُسْفِرُ سَفَرُك عن أرَبٍ مَقْضيٍّ تُدْرِكه[4] .... وستواجهُ وجهَ الجودِ مُسْفِراً ، وتفتخرُ بمواجَتِه بين الوَرى ، وستَنْظُرُ في الحَضْرة العِمادية أوجُهَ الأيّامِ مُسْفِرةً ... حتّى خلّفْنا النُوبَنْدَجان

(١) نش الماء : جف . بغدان = بغداد .

(٢) غل قمل ، القاموس (٤ : ٤١) : وأصله أنهم كانوا يغلون (بضم الغين وتشديد اللام) الاسير (بغلّ) وعليه شعر فيقمل (بفتح الميم) . ورد وشل : ماء قليل . وجل : خائف .

(٣) فشحذت .... الغربة : عزمت على السفر (الغرار : حد السيف . الغارب : الكتف) .

ونَكَّبْنا عن شِعْبِ بَوّانَ(١) وبَدَتْ لنا الأعلامُ الشيرازيةُ وتَلَقَّتْ آمالَنا العوارفَ(٢) العِماديّةَ فأنشدتُه :

ولولا أيادي طاهرِ بنِ مُحَمَّدٍ ... لما حلَمت بي قطُّ في النوم شِيرازُ ؛
ولا حثَّ بي لولاهُ في البَرِّ سابحٌ ، ... ولا رَنّحتْني في قَرا الكُور أغرازُ(٣) .
ولكن حدا بي نحوَها جُودُ كفِّه ؛ ... ففُزْتُ كما قبلي بــه معشرٌ فــازوا .
هو البحرُ لا يُفْني عطاياه ماتــحٌ ... لِسَجْلِ العطايا بالمدائح نَهّازُ(٤) .
له كلَّ يومٍ مِنّةٌ وصنيعةٌ ... بِحَمْدِ الوَرى والشُكر يَحْوي ويحتازُ(٥) .
سَبوقٌ إلى الغــاياتِ لا يَسْتَحِثُّه ... سوى مجدِه ؛ والطِرْفُ يُجْريه مِهْمازُ(٦)
وشائجُ قُربى قــد رعاها بجــودهِ ... وحَمْدٍ تَلاه نازحُ الدارِ مُجتازُ(٧) ،
وقُربى أصول بينَنــا عَربيةٌ ... رعاها فَزاريٌّ الأُرومــةِ مُمتازُ(٨) .
هَنِيُّ النَدى لم يَذْمُمِ العيشَ جارُه ؛ ... له منهُ إكرامٌ يــدوم وإعــزازُ* .
ففي كلِّ جِيدٍ مِــن أياديهِ مِنّــةٌ ... يَطولُ بها بينَ الأنامِ ويَمْتازُ(٩) .

—ومن جَيِّدِ شِعرِه قصيدتُه التي مدحَ بها أبا شُجاعٍ فاتكَ بنَ جيّاشِ ابنِ نجــاحٍ صاحبَ زَبيــدَ (اليمن) في صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٥٠٤ (صيف ١١١٠ م) قال فيها :

(١) أسفر : ظهر . الارب : الحاجة ، الرغبة . النوبندجان : مدينة في فارس . شعب بوان : ممر بين العراق وفارس . نكب : جانب ، حاد عن .

(٢) العوارف جمع عارفة : المعروف (عمل الخير ، العمل الطيب ، الكرم) .

(٣) السابح : الفرس السريع . رنحته : جعلته يترنح (يتمايل) . القرا : الظهر . الكور : الرحل (سرج الدابة) . الأغراز جمع غرز : ركاب الرحل (علاقة من جلد يضع الراكب رجله فيها) . رنحتني ... الأغراز : لم أتعب في السفر مسافة طويلة .

(٤) الماتح : الذي يستقي الماء من البئر بدلو . السجل : الدلو العظيمة المملوءة بالماء . النهاز : الذي لا يسحب الدلو من البئر الا اذا امتلأت تماماً . —لا يفنى ماله ، ولا يتوقف عن العطاء مهما كثر الذين يعطيهم .

(٥) المنة ضد الاحسان . الصنيعة : عمل الخير ، الاحسان .

(٦) الطرف : الحصان الأصيل . يجريه مهماز : يحتاج الى وخز بالمهماز حتى يركض ويسبق (والممدوح لا يحتاج الى حافز أو مشجع لكي يحسن الى الناس) .

(٧) الوشيجة : القرابة المشتبكة المتصلة . تلاه : تبعه ، قرأه (أنشده) — هو رعاني بكرمه وأنا شكرته بشعري .

(٨) الارومة : الاصل . فزاري : من بني فزارة (قبيلة الممدوح وقبيلة الشاعر) . * هنيّ = هنيء .

(٩) الجيد : العنق . الايادي : النعم ، الاحسان . يطول بها : يسمو بها فوق غيره .

أقولُ لِسَعْدٍ والرِّكابُ سوانحٌ وجيشُ الكَرى للمُقْلَتَيْنِ يَرودُ[١] :
تَرَفَّقْ وَقِفْ بي باللِوى عُمْرَ ساعةٍ ، فإنّكَ إن ساعدتَني لَسَعيد[٢] ،
لأَنْشُدَ قَلْباً ضلَّ بالرملِ غُدوةً ولم تُرْعَ فيه ذِمَّةٌ وعُهود[٣] .
طَوَتْ لَوْعَتي ثوبَ الصَبابةِ في الحشى ، فوَجْدي على مَرِّ الزمانِ يزيدُ[٤]
أيا أَيْكَتَيْ وادي الغَضا ، هل زمانُنا وعيشٌ مضى في ظِلِّكُنَّ يعود[٥] ؟
أحِنُّ إلَيْكُمْ حَنَّةَ النِيبِ شاقَها الى مَوْرِدٍ جَمٍّ النُقاخِ وُرودُ[٦] .
وأصبو كما يصبو الى الجود فاتك ، وأزهى كأنّي دَسته وزَبيد[٧] .
مَليكٌ عَطايا كَفِّهِ تُبْدِىءُ النَدى -لِمَنْ أمَّهُ مُسْتَرْفِداً- وتُعيد[٨] .
فَتىً مَهَّدَ الأقطارَ وهْوُ بمَهْدِهِ ، ودانتْ له الأقدارُ وهو وَليد[٩] .
يُبَشِّرُ راجي عُرْفِهِ طيبُ عَرفِهِ ، ويُعطي ولو أنّ الأنامَ وُفود[١٠] .
له حَسَبٌ صافي الأديمِ من الخَنا حَمَتْ عنه آباءٌ له وجُدود[١١] ؛
ومجدٌ تليد راسياتٌ أصولُه بناه طريفٌ من نَدًى وتَليد[١٢] .

---

(١) الركاب = المطي : الخيل التي يسافر عليها الناس. سوانح : (قريبة من ديار الحبيب) . الكرى : النوم . راد ، يرود : طلب ، يطلب .

(٢) اللوى : جانب مستدير من الرمل (كناية عن موطن الحبيب) . عمر ساعة : مقدار ساعة . ساعدتني : أجبت طلبي .

(٣) أنشد من نشد : طلب ، بحث عن .

(٤) - عذابي في الحب جعلني أكتم حبي (عن الناس) فكان وجدي (حبي) يزيد يوماً بعد يوم .

(٥) الايكة : الشجر الكثير الملتف (المجتمع ، الكثيف) . - قال : ظلكن (ويجب أن يقول : ظلكما) .

(٦) النيب : جمع ناب : الناقة المسنة . النقاخ : الماء العذب البارد الصافي . ورود : المجيء الى الماء للشرب - تحن (تطرب) كما تطرب الناقة العطشى وهي ذاهبة لتشرب من ماء نقاخ . ورودُ فاعل « شاقها » .

(٧) أصبو : أميل ، اشتاق . فاتك (اسم الممدوح) أزهى : افتخر ، أعجب بنفسي . الدست : كرسي الوزارة . زبيد : بلدة في اليمن (كان فيها فاتك) . - ان الوزارة ومدينة زبيد تفتخران لأن فاتكا يتولاها .

(٨) أمه : قصده . مسترفداً : طالباً الرفد (العطاء) . الندى الكرم . تبدئ وتعيد : تعطي مرة بعد مرة .

(٩) مهد الاقطار : ضبط البلاد وثبت فيها حكمه . - في البيت مبالغتان احداهما مذمومة .

(١٠) العرف (بالضم) الكرم . العرف (بالفتح) : الرائحة الطيبة . - شهرة الممدوح بالكرم تبشر كل قادم عليه بعطاء كثير .

(١١) الخنا : القول القبيح أو العمل القبيح . حمت عنه = حامت عنه : دافعت عنه .

(١٢) تليد : قديم . طريف جديد . ندى : كرم .

يلوحُ لنا في مَطلَعِ الدَسْتِ وَجْهُــه كما لاح من ضوء الصَباح عَمــود[1] .

٤ — * معجم الادباء ١٢ : ٢٦ - ٢٧ ؛ الخريدة (العراق) ٢ : ٣ - ٥١ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٥٢ (في ترجمة طغردشاه) .

البديــع الدمشقي

١ — هو أبو فراس طِرَادُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ العزيزِ السُلَميُّ من أهلِ دِمَشْقَ ، كان يَعْمَلُ رائضاً للخيلِ ثم عاني الأدب فبَرَعَ فيه وتَكسَّبَ بالشعرِ واشتغلَ بالكتابة . وقد مَدَحَ المَلِكَ تاجَ الدولة أبا سعد تُتُش بنَ أَلْب أرْسَلان (ت ٤٨٨ هـ)

كان البديعُ الدِمَشْقيُّ هَجّاءً فاحشَ اللِسان فسُجِنَ في دِمَشْقَ بسَبَبِ ذلكَ . ثم إنّه رَحَلَ إلى مِصْرَ وتولّى فيها بعضَ الأعمالِ . وكانتْ وفاتُه في مِصْرَ سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) ، وعمره سبْعون سنة .

٢ — كان البديعُ الدمشقي نَحْوياً وأديباً ناثراً صاحبَ رسائلَ ومقاماتٍ . وكذلك كان شاعراً مُحْسِناً من فنونهِ المديحُ والهِجاء والأدب والغزل والنسيب ؛ وله وصفٌ جيّد؛ وكان يُغنّى بشعره .

٣ — مختارات من شعره

— قال البديعُ الدمشقيّ يتشوّق الى دِمَشْقَ :

يا نسيماً هَبَّ مِسْكاً عَبِقاً : هذه أنفاسُ ريّا جِلِّقا[2] ؛
كُفَّ عَنّي — والهوى[3] — ، ما زادني بَرْدُ أنفاسِك إلاّ حُرَقا .
لَيْتَ شِعري ، (نَقَضَتْ) أحْبابُنا — يا حبيبَ النفسِ — ذاك المَوْثِقا[4] ؟
يا رِياحَ الشَوْقِ ، سُوقِي نَحْوَهم عارضاً من سُحُبِ دَمْعي غَدَقا[5] ؛
وانْثُري عِقْدَ دُموعٍ طالما كان مَنْظوماً بأيّامِ اللِقا !

---

(١) الدست : صدر البيت ، الكرسي الذي يجلس عليه الوزير . عمود الصبح : نور الصبح حينما يشق ظلام الليل عند الفجر .

(٢) عبق : ذائع الرائحة . ريا : رائحة . جلق : بلد في حوران (المقصود هنا : دمشق) .

(٣) والهوى : أقسم (أحلف يمينا) بالهوى (بالحب) .

(٤) الموثق : العهد ، الوعد .

(٥) العارض : السحاب المعترض في الافق . الغدق : الكثير الماء .

ـ وقال ايضاً في مثل ذلك :

يا صاحِ ، آنَسَني دَهــري وأوْحَشني منهم ؛ وأضْحكني دَهري وأبكــاني .
قَدْ قُلْتُ: أرضٌ بأرضٍ بعدَ فُرْقَتِهم ؛ فلا تَقُلْ لِيَ : جيرانٌ بجيران !

٤ ـ ** معجم الادباء ١٢ : ١٩ ـ ٢٢ ؛ الخريدة (الشام) ١ : ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ، الخريدة (مصر) ٢ : ١٠٥ ـ ١٠٧ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٥٠ ـ ٢٥١ ؛ بغية الوعاة ٢٧٣.

الأديب الغزي

١ ـ هو أبو اسحقَ ابراهيمُ بنُ يحيى بنِ عثمانَ بنِ محمّدٍ الكَلْبي الأشْهبي ، وُلِدَ في مدينة غَزّةَ (جَنوبيَّ فِلَسْطين) سَنَةَ ٤٤١ ﻫ (١٠٤٩ م) ، ودَرَسَ في صور ثم دخل دِمَشْقَ ودرس فيها على الفَقيه أبي الفتحِ نصرِ بنِ ابراهيمَ بنِ نصرٍ المَقْدِسي (ت ٤٩٠ ﻫ = ١٠٩٦ م) . بعدئذٍ ذهب إلى المدرسة النظامية في بَغدادَ .

ولمّا انتهى الغزّيُّ من طَلَبِ العلم ذهب الى خُراسان ومدح فيها السُلْطان مَلِكْشاه وابْنَه سَنْجَرَ ونَفَراً من الأعْيانِ . وقد تُوُفّيَ ، سَنَةَ ٥٢٤ ﻫ (١١٣٠ م) ، وهو في الطريق من مَرْوٍ إلى بَلْخَ فَحُمِلَ الى بلخَ ودُفِنَ فيها .

٢ ـ الأديبُ الغَزّيُّ شاعرٌ مُكثرٌ مُحسن مُجيد ، ولكنَّ جانباً من شِعره قد ضاع ؛ فلقد اختار هو شيئاً منه بنفسِه ثم أحرق الباقِيَ . وفي « مختارات البارودي » من شِعر الغزّي ١١٦٧ بيتاً . وقصائد الغزيّ الطِوالُ ومُقَطّعاتُه القِصارُ كلُّها جِيادٌ . وهو يَطْبَعُ شِعْرَه على المِنوال القديم ؛ والإشاراتُ البارعة عنده أكثرُ من الفِكَر الناضجة القَيّمَة . وأكثرُ فنونِ شعرِه المديحُ ، وله وصفٌ وعِتاب وهجاء وغزل ومُجون وحِكَمٌ كثيرَةٌ حِسان .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابراهيمُ الغَزي في التأفُّفِ من الدنيا والناس :

قالوا: «هَجَرْتَ الشِعْرَ!» قلتُ : «ضَرورةً! بابُ الدواعي والبواعث مُغْلَقُ :
خَلَتِ الديارُ ، فلا كَريمٌ يُرتَجى منهُ النَوالُ ولا مَليحٌ يُعْشَـقُ .
ومن العجائبِ أنّــه لا يُشْتَرى(١) ، ويُخان فيه ـ معَ الكَساد ـ ويُسْرق».

(١) أنه (أي الشعر) لا يشترى: ليس له قيمة تجارية .

– وقال في تبيان قيمة الشعر :

من أغفل الشعرَ لم تُعرف مناقبُه ؛ لا يُجتنى ثمرٌ من غير أغصان .
لولا أبو الطيّب الكنديُّ ما امتلأتْ مسامعُ الناس من مدح ابن حمدان[1] !

– وقال في انتهاز الفرص :

إنّما هذه الحياةُ متاعٌ ، والسفيهُ الغبيُّ من يصطفيها .
ما مضى فاتَ ، والمؤمَّلُ غيبٌ ؛ ولك الساعةُ التي أنتَ فيها !

– ومن شعره في مديح ابن مكرم :

إليكم تُضافُ المكرُماتُ ، ابنَ مُكرِمِ ، كأنّكمُ الأفلاكُ وهي المنازلُ[2] .
وما أنتَ إلاّ النصلُ ، والدهرُ غِمدُهُ ؛ وما قيمة الأغمادِ لولا المناصل !
هو السمْحُ إلاّ بالمعالي ، فإنه بها باخلٌ ؛ والسمْحُ بالمجدِ باخل .
إذا زُرتَهُ فاستغنِ عن بابِ غيرِه ؛ فساقطةٌ بالواجبات النوافل[3] .
وقِفْ تحتَ رأيٍ منه أو تحتَ رايةٍ ، فلا الحدُّ مفلولٌ ولا الرأيُ فائلُ[4] .
إليه مردّ الأمرِ والأمرُ مُشكِلٌ ، وفيه مجالُ الفكرِ والفكرُ ذاهل .

٤ – ** الخريدة (الشام) ١ : ٣ – ٧٥ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٤ – ٢٧ ؛ ابن الاثير ١٠ : ٦٦٦ – ١٦٦٧ : شذرات الذهب ٤ : ٦٧ – ٦٨ ؛ بروكلمان ١ : ٢٥٣ ، الملحق ١ : ٤٤٨ ؛ زيدان ٣ : ٢٨ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٤٤ .

علي بن عياد الاسكندري

١ – هوَ عليُّ بنُ عيّادِ بنِ القيِّمِ الإسكندريُّ ، كانَ أبوه قيِّمَ جامعِ

(١) أبو الطيب : المتنبي . ابن حمدان : سيف الدولة أمير حلب .

(٢) الأفلاك : المدارات التي تدور فيها الكواكب حول الشمس (والشاعر يقصد الكواكب) . المنازل جمع منزلة وهي جزء من دائرة السماء (في علم الفلك القديم). منازل السماء اثنتا عشرة ، كلما وصلت الشمس (أو القمر أو الكواكب) الى احداها تبدلت الفصول واختلفت أحوال العالم .

(٣) الواجبات جمع واجب : فرض (أمر من أمور الدين ملزم به كل فرد) . النافلة : أمر من أمور الدين يقوم به الفرد تطوعاً من عند نفسه . – ان النافلة تسقط عن الفرد اذا قام بالفرض ، ولكن الفرض لا يسقط عن الفرد اذا قام ذلك الفرد بالنافلة .

(٤) فقف تحت رأى منه (استشره) أو تحت راية (اذهب معه الى المعارك) . فلا الحد (حد سيفه) مفلول : مثلم ، مكسر حده (لا يقطع سيفه ، لا ينتصر هو في المعارك) . فائل : خائب ، عاجز (لا يصيب رأيه) .

الإسكندريّة ، وكان هوَ أحدَ الشعراءِ الكبارِ في أيّام الدولة الفاطميّة . غيرَ أنّنا لا نَعلَمُ من أخبارِه شيئاً قبلَ أنِ اتّصل بالوزراء الفاطميّين يتكسّبُ منهم بشعْرِه ، منذُ أيام الآمرِ الفاطميّ (٤٩٥ – ٥٢٥ هـ) . وفي المُحرَّمِ من سنَةِ ٥٢٥ جاء الحافظُ (عمُّ الآمرِ) الى عرشِ الفاطميّين فاتّخذ أبا عليٍّ أحمدَ بنَ الأفضلِ بنِ بدرٍ الجَمالي وزيراً ، فاتصل عليُّ بنُ عيّادٍ بأحمدَ بنِ الأفضلِ ولَزِمَه وأصبحَ شاعرَه . إلاّ أنّ احمدَ بنَ الأفضلِ والشاعرَ لم يتَمتّعا بعدَئذٍ بالدنيا سوى سنَةٍ واحدة .

عَظُمَ أمرُ الوزيرِ أحمدَ بنِ الأفضلِ فأحبّ الاستبدادَ بالمُلك فحبَسَ الحافظَ ثمّ دعا لنفسه على المنابرِ فدَخلَ عليهِ الشُّعراءُ يمْدَحونه، وألقى عليُّ بنُ عيّادٍ بينَ يدَيْهِ قصيدةً قال فيها :

تبَسَّمَ الدّهْرُ لكِنْ بعدَ تعْبيسٍ ، وقُوِّضَ الحزْنُ لكنْ بعد تعْريس[1]
إذا دَعَوْنا بأن نَبْقى لأنفُسِنا دُعاءنا ؛ فابْقَ، يا ابنَ السادة الشُّوس[2]
وقد أعادَ إليه اللهُ خاتَمَهُ فاسْتُرْجِعَ المُلْكُ من صَخْرِ بنِ إبليس[3] .

واستطاعَ الحافظُ بعدَ ذلك أن يتَغلَّبَ على أحمدَ بنِ الأفضلِ فقَتَلَهُ في مَيْدانِ القاهِرَةِ ، في ١٦ من المُحرَّمِ من سنَةِ ٥٢٦ (٨ – ١٢ – ١١٣١ م) ثمّ قَتَلَ جَميع أتباعه وفيهم الشاعرُ عليُّ بنُ عيّاد .

٢ – كان عليُّ بنُ عيّاد الإسكندريُّ شاعراً مُجيداً بَرَعَ في المدائح ونال عليها العَطايا النفيسةَ . وكان طريفَ الشِعْرِ ينْظِمُ أحياناً شِعْراً ذا أوزانٍ مُوشَّحة .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ عيّادٍ الإسكندريُّ يمْدَحُ مُحمَّدَ بنَ أبي أُسامَةَ الكاتِبَ (ت ٥٢٢ هـ) [4] :

---

(١) قوض : هدم (بالبناء للمجهول) ، زال . التعريس : نزول القوافل ليلا ، التوقف عن السفر بعد تعريس : بعد مدة طويلة . (٢) الشوس جمع أشوس : الجريء ، الشجاع .

(٣) الخاتم كناية عن الإمرة والسلطان . استرجع : قال « إنا لله و إنا اليه راجعون » ، والشاعر يقصد بها : استرد ، استعاد (وهذا معنى غير فصيح) . صخر بن ابليس كناية عن الحافظ (وأسلافه) .

(٤) لم أشرح هذه القطعة لأن الالفاظ والمعاني الغريبة فيها قليلة جداً ولأنني أريد أن ألفت (بفتح الهمزة وكسر الفاء) النظر الى شكل الاشطر والى ترتيب القوافي. لاحظ أن في المقطع الأول (ويسمى في التوشيح « بيتاً ») ست قوافي مختلفة ، وأن الشاعر يلتزم في كل المقاطع الباقية « تلك القوافي نفسها في الاشطر المتقابلة » (وشذ مطلع المقطع الثالث).

يا مَـنْ ألوذُ بِظِلِّـهِ في كُلِّ خَطْبٍ مُعْضِلِ ؛
لا زِلْـتُ من أصحابِـهِ مُتَمَسِّكاً بيدِ السَّلامةِ
آمِنـاً مِنْ كُلِّ بـاسِ
في الحَـوادِثِ والصُّروفِ

* *

وأعُوذُ مِنْـهُ لِفَضْلِهِ في كُلِّ أمْـرٍ مُشْكِلِ
ما لاحَ فَجْرُ صَوابِـهِ كالشَّمْسِ مِنْ خَلْفِ الغَمامَةِ
لا تَميـلُ إلى شِماسِ
دُونَ مَوْضِعِها الشَّريفِ(١)

* *

وأُعِدُّهُ لي مَعْقِـلاً أضْحَى عليه مُعَوَّلي
عِنْدَ المُثـولِ بِبابِهِ لَمّا أمِنْتُ مـن الندامةِ
في السَّماعِ وفي القِياسِ
المَحْضِ والنَّظَرِ الشَّريفِ

* *

وأُجِلُّهُ عَنْ مِثْلِـهِ مِثْلَ الحُسام الفَيْصَلِ
ماضٍ بِحَدِّ ذُبابِـهِ في كُلِّ جُمْجُمَةٍ وهامةِ
ثابتٌ (!) صَعْـبُ المِراسِ
عَلَى مُباشرةِ الحُتُـوفِ .

٤ ــ ** خريدة القصر (مصر) ٢ : ٤٣ ــ ٤٥ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٩ ، الاعـلام للزركلي ٥ : ١٣٣ .

ابن حكينا البغدادي

١ ــ هو أبو محمّدٍ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدٍ المعروفُ بابن حكّينا البغدادي

(١) لعلها : المنيف (العالي) .

الحَريمي[1] الملقّب بالبرغوث ، كانت وفاتُه سَنَةَ ٥٢٩ هـ وقيل ٥٢٨ (١١٣٤ م) ٥

٢ ــ كان ابن حكينا شاعراً مشهوراً لطيفَ الطبع بارعَ الشعرِ ظريفاً له غزلٌ وهجاء: هجا ابنَ الشجريّ (وفيات الاعيان ٣ : ١١٤) ، وقيل هجا الحَريريّ صاحب المقامات لمّا جاء الحَريريُّ الى بغدادَ (وفيات الاعيان ٢ : ١٦٦) . وأكثر شعره مُقَطّعاتٌ .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال ابن حِكّينا في الغزل :

لافتضاحي في عوارضِه سببٌ ؛ والناسُ لُوّامُ[2].
كيف يَخْفَى ما أُكابدُه ، والذي أهواه نَمّامُ[3] !

ــ وقال وقد لامه الناسَ لأنّه كَحّل عينيه يومَ عاشوراء :

ولائمٍ لامني في اكتحالي يومَ استباحوا دمَ الحُسينِ ٥
فقلت : دَعْني ؛ أحقُّ عضوٍ ألْبَسُ فيه السوادَ عَيْني !

ــ وقال يهجو ابنَ الشجري :

يا سيّدي ؛ والذي يُعيذُكَ من نَظْمِ قَريضٍ يَصْدا به الفِكْرُ[4] ،
ما فيك من جَدِّكَ النبيِّ سوى أنّك لا يَنْبَغي لكَ الشِعْرُ[5] .

٤ ــ ** فوات الوفيات ١ : ١٤٨ ــ ١٤٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٨٨ ــ ٨٩ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ١٩٥ .

---

(١) الحريمي نسبة الى حريم وهي محلة في بغداد .
(٢) يذكر ظهور الشعر في وجه محبوبه . ــ الناس يلومون من غير أن يدركوا الأمور على حقائقها .
(٣) النمام نبت طيب الرائحة . ــ يقول الشاعر : الشعر الذي نبت في وجهه يشبه النمام (بشكله ورائحته) ؛ ثم يوري الشاعر بين النمام (الذي هو النبات المذكور) وبين النمام (الذي ينقل الأخبار بين الناس) .
(٤) والذي = أقسم بالذي يعيذك ... (بالله) . يعيذك : يحميك ، يمنعك من نظم شعر يصدأ به فكر الذي يقرأه .
(٥) كان ابن الشجري (راجع ، تحت ، ت ٥٤٢ هـ) من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب ، فهو اذن متصل بالرسول من جهة نسبه الى فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . والشاعر يتهكم بالمهجو فيقول له : ما فيك من صفة حميدة (من صفات الرسول) إلا أنك لا تقول الشعر ولا يجوز أن تقول شعراً . وفي البيت اقتباس من الآية الكريمة في حق الرسول : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » (٣٦ : ٦٩ ، سورة يس) .

ظافر الحـــداد

١ – هو أبو المنصور ظافرُ بنُ القاسمِ بنِ منصورِ بنِ عبدِ الله بنِ خلَفِ بنِ عبدِ الغنيّ الجُذاميُّ الإسكندريُّ المعروفُ بالحدّاد؛ كانَ حدّاداً بالإسكندريةِ ، وكان يَغلِبُ عليه الأدبُ ونَظْمُ الشعرِ فاتّصل بنفَرٍ من الحُكّام والأعيانِ ومدَحهُم مودّةً أو تكسّباً : من هؤلاء الأفضلُ بنُ بدْرٍ الجماليّ وطلائعُ بنُ رُزّيك.

ولمّا كان أبو الصَلْتِ أميّةُ بنُ عبدِ العزيزِ الأندلسيُّ في مِصْرَ لَقِيَ ظافراً الحدّادَ في الإسكندرية مُدّةً طويلةً نشأتْ بينهما في خِلالِها مودّةٌ (طبقات الاطبّاء ٢ : ٥٤ – ٥٥).

وكانت وفاةُ ظافرٍ في القاهرةِ في المُحرّم سنة ٥٢٩ (تشرين الثاني – نوفمبر ١١٥٤).

٢ – كانَ ظافرٌ الحدّادُ فقيهاً وشاعراً حسَنَ البديهةِ ، في شِعْرِه شيءٌ مـن الجودة وشيءٌ من التكلّفِ والصنْعة وكثيرٌ من الضعْف. ولظافرٍ ديوانٌ فيهِ مدائحُ ومراثٍ ومُقطّعاتٌ. وغزلُـه ووَصْفُه للطبيعةِ جيّـدانِ.

٣ – مختارات من شعره

– قال ظافرٌ الحدّادُ يمدح بعضَ الأعيان بقصيدةٍ منها :

لو كانَ بالصَبْرِ الجميلِ مَلاذُهُ ، ما سَحّ وابلُ دَمْعِهِ ورَذاذُهُ[1].
ما زالَ جَيْشُ الحُبّ يغـزو قلبَه حتّى وَهـى وتَقطّعت أفْلاذُه[2].
من كانَ يَرْغَبُ في السلامة فَلْيَكُنْ أبداً من الحَدَقِ المِراض عِياذُهُ[3].
لا تَخْدَعَنْكَ بالفُتـورِ فإنّهـا نَظَرٌ يَضُرّ بقلبِكَ استِلْذاذُه.
يا أيّها الرشأُ الذي مِـنْ طَرْفِهِ سَهْمٌ إلى حَبِّ القلوب نَفاذُه[4] ،

(١) الملاذ : العياذ ، الالتجاء ، الاحتماء. سح : انسكب ، هطل. الوابل : المطر الكثير. الرذاذ : المطر القليل (تساقط المطر نقطاً متفرقة).

(٢) وهى (قلبه) يهي : ضعف. تقطعت أفلاذه : تقسم قلبه قطعاً.

(٣) الحدق : العيون. المراض : الناعسة (كناية عن جمال صاحبها).

(٤) الرشأ : الغزال الصغير. طرفه : بصره ، عينه.

هاروتُ يَعْجِزُ عن مواقِــعِ سِحْرِهِ وهو الإمامُ ، فمَنْ ترَى أُستاذه؟(١)
تالله ، ما علِقَتْ محاسِنُكَ امْــرأً الاّ وعزّ على الورى استِنْقاذه(٢).
ما لي أتيْتُ الحَــظَّ من أبوابِــهِ جُهْدي ، فدام نُفُــوره ولِواذه(٣).
إيّاكَ مِنْ طَمَعِ المُنى ، فعزيــزُه كذليلِهِ وغَنيّه شحّاذه !

—كان في يد الامير السعيد ابن ظفر والي الاسكندرية خاتمٌ شدّ على إصبعه كثيراً فاستدْعى ظافراً الحدادَ فقَطَعَ ذلك الخاتمَ ؛ فقال ظافر :

قصّرَ عن أوصافِك العــالِمُ وكَثّر النــاثرُ والنــاظمُ(٤).
من يكُنِ البحــرُ له راحةً يَضيقُ عن إصبَعِهِ الخــاتَمُ !

— وقال في الحماسة :

سأتبَعُ عزمي حيثُ عمّ* وأنتَحي وُجوهَ المنايا في ظهورِ المَخاوِفِ ؛
عسى عَزْمَةٌ تُنْجي من الذُلّ ، أو غِنًى من الفقرِ، أو ألقى الرّدى غيرَ آسِفِ!

ديوان ظافر الحداد ابن الاسكندرية (تأليف(٥) دكتور نصار) ، القاهرة (مكتبة مصر) طبع في دار طباعة مصر ١٩٦٩ .

** معجم الادباء ١٢ : ٢٧ — ٣٢ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٣٢ — ٤٣٤ ؛ الخريدة (مصر) ٢ : ١ — ١٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٩١ — ٩٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٣ ، الملحق ١ : ٤٦١ ؛ الاعلام ٣ : ٣٤٠ .

البديع الأُسطرلابي

١— هو بديعُ الزمانِ أبو القاسمِ هِبَةُ اللهِ بنُ الحُسينِ بنِ أحمدَ البَغْداديُّ ، كان مُتْقِناً لعِلمِ النُجوم والرَصْدِ بارعاً في عِلْمِ الاسطرلاب وعمَله وحصّل من ذلك مالاً جزيلاً ، وخصُوصاً في أيام الخليفة المُسْتَرْشِدِ (٥١٢ — ٥٢٩ هـ) .

---

(١) هاروت وماروت كانا ساحرين قديرين مشهورين في بابل . — هذا الغزال الصغير (المحبوب) يسحر العشاق سحراً كان يعجز عن مثله هاروت ، وهاروت امام صنعة السحر . فمن علم هذا المحبوب فنون السحر ؟

(٢) علقت محاسنه (فاعل) امرأ (مفعول به) : اذا سيطرت محاسنه على قلب انسان . الورى : الناس كلهم .

(٣) أنا تقربت من هذا المحبوب من أبوابه (بالطرق المألوفة) جُهدي (بأكثر ما أستطيع من الطاقة والسعي). نفوره (هرب المحبوب مني) ولواذه (احتماؤه مني واستتاره عني) .

(٤) كثر الناثر والناظم : مدحك الأدباء (الناثرون والشعراء) كثيراً (فلم يحيطوا بجميع صفاتك) .

(٥) تأليف (كذا) حسين نصار ، مع ان حسين نصار يذكر انه اعتمد في تحقيق الديوان على ثلاث نسخ .... الصفحة : ط). (*) عمّ (كذا في الأصل) ، لعلها همّ .

وكان البديعُ الإسطرلابيُّ صديقاً للطبيبِ أمينِ الدولة بنِ التِلميذِ وقد اجتمع بــه في أصْفهان سنة ٥١٠ هـ . وكذلك كان صديقاً للشاعر ابن القَيْسراني .

وتُوُفِّيَ البديعُ الإسطرلابي بعِلةِ الفالج في بَغدادَ سنة ٥٣٤هـ(١١٣٩م) .

٢ ــ كان البديعُ الاسطرلابي حكيماً فاضلاً وأديباً نَبيلاً وطبيباً عالماً وفيلسوفاً متكلّماً . وهو أيضاً شاعرٌ مُكْثِرٌ مشهورٌ جيّدُ النَظْم حسَنُ المعاني . وأغراضه وُجْدانية تَكْثُرُ فيها الإشاراتُ الفَلَكية والهَنْدسية ؛ وله هِجاء وغزلٌ ومُجون كثير في اللفظ المُقْذع . وقد جَمَعَ ديوانَه بنفسِهِ .

وللبديعِ الاسطرلابي مُصنّفاتٌ منها : اختصار ديوان أبي عبد الله الحسين بــن الحجاج وقد سمّاهُ دُرة التاج من شعر ابن الحجاج ــ زِيج (لحَرَكات النجوم) اسمه « المعرب المَحْمودي » ألّفه للسلطان محمودِ أبي القاسمِ بن محمد (طبقات الأطباء ١ : ٢٨٣) ــ رسالةٌ في الكُرة ذاتِ الكُرْسِيّ ــ رسالة في الآلات الشاملة التي كمّلها[1] .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ أُهدي لمجلسِكَ الشريفِ ؛ وإنما   أُهْدي له ما حُزْتُ مِــن نَعْمائه ؛
كالبحرِ يُمْطِرُهُ السَحابُ ، وما له   مَنٌّ عليه لأنّــه من مائــه !
ــ وذو هَيْئةٍ يَزْهو بخالٍ مُهَنْدَسٍ   أموتُ بــه في كل حين وأُبْعَــثُ .
مُحيطٌ بأوصافِ المَلاحةِ وَجْهُــهُ   كأنَّ بــه إقْليدِسٌ يتحدّث :
فعارِضُه خَطٌّ استواءٍ ، وخــالُه   به نُقْطَةٌ ، والخدّ شَكْلٌ مُثَلّث .

ــ وسَقَطَ ببَغدادَ في إحدى السَنَوات وفر (ثلج) كثير فقال البديع الاسطرلابي :

يا صدورَ الزمــانِ ، ليس بوَفْــرٍ   ما رأينــاه في نواحــي العِراق[2] .
إنّما عَــمّ ظُلْمُكم ســائرَ الار   ضِ فشابت ذَوائب الآفاق[3] !

٤ ــ ** معجم الادباء ١٩ : ٢٧٣ ــ ٢٧٥ ؛ وفيات ٣ : ١١٤ ــ ١١٦ ؛ اخبار العلماء ٢٢٢ ؛ طبقات الاطبّاء ١ : ٢٨٠ ــ ٢٨٣ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٣٩٠ ــ ٣٩١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٠٣ ــ ١٠٤ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٥٨ .

---

(١) كان البديع الاسطرلابي قد نظر في عدد من الآلات الهندسية والفلكية وأصلحها ، فرسالته هذه في تلك الآلات .

(٢) ليس في القاموس « وفر » بمعنى الثلج ؛ فلعلها لغية محلية أو هي مستعملة صفة بمعنى « كثير » .

(٣) ذوائب : ضفائر (شعر الرأس) . الآفاق : البلاد .

البارع البغدادي

١ – هو أبو عليٍّ الحُسينُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ بنِ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ الحُسينِ بنِ القاسمِ بنِ عبدِ الله بنِ سليمانَ بنِ وهبِ .... بنِ عمرٍو الدبّاسُ البَدْريُّ منسوباً الى صناعة الدِبْسِ أو بَيْعه وإلى محلّة البَدْريّة التي كان يَسْكُنُها في بَغْدادَ؛ وُلِدَ في بَغْدادَ، في عاشرِ صَفَرَ من سَنَةِ ٤٤٣ (١٠٥١ م) . ومن الشُيوخِ الذين أخذَ البارعُ البَغْداديُّ عنهم القرآنَ الكريمَ والحديثَ: أبو عليٍّ بنِ البنّاء وأبو بكرٍ محمّدُ بنُ عليّ بن موسى الخيّاطُ والحسينُ بنُ الحسنِ الإسكافيُّ. وسَمِعَ الحديثَ من القاضي أبي يَعْلى المَوْصِليّ وأبيجَعْفَرِ بنِ المسلمة. ثمّ انّه أفاد (علّم) خَلْقاً كثيرين بإقراء القرآنِ الكريمِ.

وعَمِيَ البارعُ البغداديُّ في آخرِ عُمُرِهِ. ثم كانتْ وَفاتُه في ٢٧ جُمادَى الثانيةِ في الأغلبِ مِنْ سَنَةِ ٥٣٤ (١١٣٠ م).

٢ – كان البارعُ البغداديُّ مُقْرِئاً للقُرآنِ الكريم، كما كان لُغَوِيّاً نَحْوِيّاً وأديباً شاعراً. وفي شعره شيء من السُخْفِ والمُجون ومن الضَعْف. وكانتْ له مؤلّفاتٌ أيضاً.

٣ – مختارات من شعره

– كانَ بَيْنَ البارِعِ البغداديِّ وبينَ الشريف أبي يَعْلى بنِ الهَبّاريّة (ص ٢٢٢) صداقةٌ وصُحْبة ومُداعباتٌ. وحجّ البارعُ البغداديُّ، فلمّا رَجَعَ ذَهَبَ إليه الشريفُ أبو يَعْلى مرّةً فلم يَجِدْهُ فكَتَبَ إليه بقصيدةٍ طويلةٍ يُعاتِبُه فيها مَطْلَعُها:

يا ابنَ وُدّي، وإينَ منّي ابنُ وُدّي؟ غَيَّرَتْ طَبْعَهُ السياسةُ بَعْدي.

وكان في هذه القصيدةِ دُعابةٌ وشيءٌ من السُخْفِ والمُجون. فردّ البارعُ البغداديُّ على أبي يَعْلي بقصيدةٍ من نوعِ قصيدتهِ فيها:

وَصَلَتْ رُقْعَةُ الشريفِ أبي يَعْـ لى فحلّتْ مَحَلَّ لُقْياهُ عِنْدي[1].
فتَلَقَّيْتُها بأهلاً وسَهْلاً ثمّ ألْصَقْتُها بعَيْني وخَدّي؛

(١) قامت رقعته (رسالته التي فيها القصيدة) مقام لقائه (الاجتماع به).

وفَضَضتُ الختامَ عنها ، فما ظنُّكَ بالصابِ إذ يُشاب بشهْد[1] :

بينَ حلْوٍ من العتابِ ومُرٍّ ، هوَ أولى به ، وهزْلٍ وجِدّ[2] .

وتجنّى علَيَّ من غيرِ جُرْمٍ بملامٍ يكاد يَحْرِقُ جِلْدي[3] :

يدّعي أنّني احتجبْتُ وقدْ زا رَ مِراراً ؛ حاشاهُ من قُبْحِ رَدّ[4] !

دَعْكَ من ذَمِّكَ الرئاسةَ والحَـ ـجَّ وقُلْ لي ، بغيرِ حَلٍّ وعَقْد[5] :

فبماذا علِمْتَ – باللهِ – أنّي قد تنكّرْتُ أو تغيَّرَ عهْدي[6] ؟

مَنْ تَراني ؟ أعاملٌ أم وزيرٌ لأميرٍ أم قائدٌ جيشَ جُنْد ؟

أنا ذاك الخِلُّ الخَليعُ الذي تَعْـ ـرِفُ أرضى ولو بخُبزٍ وُدرْدي[7] .

واذا صحَّ لي نديمٌ فذاك الـ ـيومُ عِيدي، وصاحبُ الدَسْتِ عبْدي[8] .

أتراني لو كُنْتُ في النارِ – معْ ها مانَ – أنساكَ ، أو بجنّةِ خُلْد[9] !

أنا أضْعافُ ما عَهِدتَ على العَهْـ ـدِ ، وإنْ كنتَ لا تُكافا بوُدّ[10] .

– وقال في ضَبْطِ النفس وكَبْحِها :

إذا المرءُ أعطى نفسَه كلَّ ما اشْتَهَتْ ولم يَنْهَها تاقتْ إلى كلِّ باطلِ[11] ،

وساقَتْ إليه الإثمَ والعارَ بالذي دَعَتْهُ إليه من حَلاوةِ عاجلِ[12]

---

(١) الصاب جمع صابة : شجرة مرة الطعم . شاب يشوب : خلط ، مزج . الشهد (بفتح الشين أو كسرها أو ضمها) : العسل .

(٢) هو أولى به : الذي يعاتبني مخطئ ، والعتاب يجب أن يوجه اليه هو .

(٣) تجنى علي : نسب الي ذنوباً لم أرتكبها . جرم : ذنب .

(٤) حاشاه من قبح رد : هو أعلى مكانة عندي من أن أرفض استقباله .

(٥) قل لي بغير حل وعقد : بصراحة (؟) .

(٦) تنكر فلان لصديقه : عامله بالجفاء بعد الصداقة .

(٧) دردى الزيت : ثفله ، ما يرسب منه في انائه . – : أرضى بشيء قليل وبشيء رديء (أنا شديد القناعة) .

(٨) صاحب الدست = الوزير .

(٩) هامان كان وزير فرعون ، وقد أمره فرعون أن يبني له بناء عالياً حتى يصعد الى السماء ويرى الله . – أنا لا أنساك بحال من الأحوال .

(١٠) أنا أكثر ثباتاً على الصداقة مما تظن ، مهما كنت أنت عظيم الصداقة لي .

(١١) تاق : اشتاق .

(١٢) حملته على طلب اللذة العاجلة ولو لحقه منها الاثم (الذنب) والعار (العيب) .

– وقال في ازديادِ الخطَر من السُقوط بازيادِ الارتفاع :

تُنازِعُني النفسُ أعلى مقامٍ ، ولَسْتُ من العَجْز لا أنْشَطُ[1] ؛
ولكنْ بِقَدْرِ عُلوِّ المكانِ يكونُ هُبوطُ الذي يسْقُطُ !

– وله في النسيب :

ردّي عليّ الكرى ثمّ اهجري سكني فقد قنعت بطَيفٍ منك في الوسَن[2] .
لا تحسبي النوم قد أوشكت أطلُبه الاّ رجاءَ خيال منك يؤنسني .
تركتِني والهوى فرداً أغالبه ، ونام ليلُكِ عن همٍّ يؤرّقني[3]

٤ – * * معجم الأدباء ١٠ : ١٤٧ – ١٥٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٨٢ – ٢٨٤ ؛ انباه الرواة ١ : ٣٢٨–٣٢٩ ؛ ابن الأثير ١٠ : ٦٦٧ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٦٩ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٨٠.

ابن أفلح العبسي

١ – هو جمالُ الدينِ أبو القاسمِ عليُّ بنُ أفلحَ العبسيُّ أصلُه من الحِلّة (قُرْبَ الكوفة في العِراق) ، وهُوَ من أهلِ بَغدادَ ، وُلِدَ نحو سنَةِ ٤٧٣ ﻫ (١٠٨٠ م) .

اتّصلَ ابنُ أفلَح بالمُسْترشِد العبّاسيّ (٥١٢ – ٥٢٩ ﻫ) ونالَ عنده حَظوةً كبيرةً ونال منه الأراضيَ والأموالَ . ثم بلَغَ المسترشدَ أنّ ابنَ أفلح يكاتِبُ نورَ الدولة دُبيساً سِرّاً – وكان دبيسٌ أحدُ بني مَزْيَدٍ رؤساءِ الحِلّة ، وقد استولى على البَصْرة سنَةَ ٥١٧ ﻫ – فغَضبَ المسترشدُ وصادرَ أموالَه وأراضيَهُ ففر ابنُ أفلح إلى تِكريتَ . ثمّ رَضيَ عنه المسترشدُ . وقضى ابنُ أفلحَ جانباً كبيراً من عمره يَجوبُ البلادَ ويمدحُ الناسَ من الخُلفاء ومَنْ دونَهم .

وتُوُفّيَ ابنُ أفلحَ العبسيُّ في بَغدادَ ، سَنَةَ ٥٣٧ ﻫ (١١٤٢ م) في الأغلب .

٢ – ابنُ أفلحَ العبسيُّ شاعرٌ معروفٌ وكاتبٌ فصيحٌ حَسَنُ المديحِ كثيرُ الهِجاء بذيءُ اللِسانِ ، كان هَجّاماً بالهجاء على جميعِ الناسِ حتّى على الذين كانوا يُحْسِنونَ

---

(١) لست من العجز لا أنشط : ليس ضعفي هو الذي لا يحملني على بذل الجهد ، ولكن خوفي من أن ترتفع مكانتي كثيراً ، فانني اذا سقطت حينئذ فان سقوطي سيكون خطراً جداً .

(٢) الكرى : النوم . الطيف : الشبح ، الخيال يزور في المنام . الوسن : أول النوم (أو شدة النوم) .

(٣) نام ليلك : غفل ليلك عني . أنت غفلت عني وتركتني مع همي وحيدين فجعل هذا الهم يؤرقني (يبعد النوم عني) .

إليه. وكان له ديوانٌ وَسَطٌ جَمَعَه بنفسه وجَعَلَ له مُقدّمةً (في الشعر والبلاغة، كانتْ تُدَرَّسُ بعدَه زمناً طويلاً). وقد رأى ابنُ خلّكانَ (ت ٦٨١ هـ) هذا الديوان.

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ أفلحَ العبسيُّ في الغزل:

ما بعــدَ حُلوانَ للمشتاقِ سُلوانُ. عزَّ العَزاءُ، وبانَ الصبرُ إذ بانوا[١].
ذَرْني وتَسْكابَ دَمْعي من مَحاجرِه، فللشؤونِ ولي من بَعْدِهم شان[٢].
هُمُ الحياةُ – وقد بانوا الغَداةَ – فهل يَصِــحُّ بعدَ ذَهابِ الروح جِثْمان.
احبابَنا، ما الديارُ اليــومَ بعدَكَمُ تلك الديارُ، ولا الأوطانُ أوطــان.
ما العُمْرُ – مُذ رَحَلوا – مِمّا ألَذُّ به. أنّى يَلَذُّ بغيرِ النوم وَسْنــان[٣]!

– ومن سيّاراتِه (أبياتِه السائرةِ على الألسن):

هذه الخَيْفَ، وهاتيكَ مِنَــى. فتَرَفَّقْ، أيّها الحادي، بِنا[٤]!

– ولابنِ أفلحَ هجاءٌ كثيرٌ منه:

سألتُكَ التوقيــعَ في قِصّتي، فاحْتَطْتَ للآجِــلِ بالعاجِلِ[٥]؛
وخِفْتُ أن تُجْرِيَ في قــابلٍ. وَقِّــعْ، فما تَبْقَــى الى قابل[٦]!

– وقال يهجو الوزيرَ أحمدَ بنَ نظامِ الملكِ السَلجوقي (ت ٥٤٤ هـ) ويَصِفُه بالبخلِ وإغلاقِه بابَه في وَجْهِ الزائرينَ وتَشَدُّدَ حاجبِه محمّدٍ في ذلك:

---

(١) سلوان: نسيان. عز: قل. العزاء: التسلي، نسيان المصيبة. بان: بعد (أصبح بعيداً).

(٢) ذرني: اتركني. ذرني وتسكاب دمعي: اتركني أسكب دمعي (أبكي بقدر ما أشاء). المحجر (بفتح الميم وكسر الجيم): التجويف الذي فيه العين. الشؤون جمع شأن: مجرى الدمع الى العين. والشأن: الأمر المهم. فللشؤون ولي من بعدهم شان (شأن): أنا سأحزن كثيراً وسيسيل دمعي كثيراً أيضاً.

(٣) أنى: كيف؛ الوسنان: النعسان.

(٤) الخيف ومنى موضعان في الحجاز (كناية عن المكان الذي يكون فيه المحبوب). الحادي: الذي يسوق الابل (قد وصلنا الى مكان يسكن المحبوب فيه، فلا تعجل أيها الحادي، وتمهل حتى نستطيع أن نرى بلاد المحبوب جيداً).

(٥) القصة: رسالة (معروض، عرضحال) يطلب فيه الانسان من الحاكم شيئاً. التوقيع: الامضاء بقبول الطلب الذي في القصة. فاحتطت للآجل بالعاجل. اعتذرت عن رفض التوقيع الآن بالوعد بالتوقيع فيما بعد.

(٦) وكذلك خفت أن توقع في قابل (في العام المقبل).

قَصَدتُ أرومُ لِقاءَ الوزيرِ وقد مَنَعَ الإذْنَ بالواحده[1] .
وكلٌّ على البابِ يبغي الدُخولَ ، والبابُ كالصخرةِ الجامده .
ولم أعلمِ العُذْرَ في غَلْقِه ، فكنتُ أعود على قاعده[2] .
فصِحْتُ : محمّدُ ، ألاّ فَتَحْتَ ! فقال : الوزيرُ على المائده[3] !
ومِنْ دونِ فَتْحِيَ فتحُ الوجوهِ ؛ فعُدَّ الرجوعَ مِنَ الفائده[4] .

٤ – ** الخريدة (العراق) ٢ : ٥٢ – ٦٩ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٥٩ – ٦٠ ؛ ابن الاثير ١١ : ٨٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٤١ ؛ شعراء الحلة ٤ : ٢٠٩ – ٢٢٠ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٧١ .

جار الله الزمخشري

١ – هو جارُ الله أبو القاسمِ محمودُ بنُ عُمَرَ بنِ محمّدِ بنِ عُمرَ الخَوارزميّ الزَمَخْشَريّ ، وُلِدَ في زَمَخْشَرَ من أعمال خَوارزم في ٢٧ رَجَبَ ٤٦٧ (٢٨/ ٢/ ١٠٧٥ م) .

رَحَلَ الزمخشريُّ في طَلَبَ العلم ، وأخذ الأدبَ عن أبي مُضَرَ محمودِ بنِ جريرٍ الضَبيّ الإصبهانيّ وأبي الحسنِ المظفّر النيسابوريّ . وفي رِحْلته الى بُخارى سَقَط عن دابّته فكُسِرَتْ رِجْلُهُ (وقيلَ بل آلمها البردُ في خوارزم ، وقيل بل ظهر فيها خُراجٌ) فاضْطُرَّ الى قَطْعِها واتّخذ رِجلاً من خشب[5] .

ذَهَبَ الزمخشريّ في أواخرِ أيامه الى الحجّ بطريقِ بغدادَ فلَقِيَ في بَغدادَ الشريفَ أبا السعاداتِ هِبَةَ الله بنُ الشَجَريّ ، وكانت قد عَظُمَتْ شُهْرَتُه ، فقرّظ كلّ واحدٍ منهما صاحبَه . وفي مكّة جاوَرَ (سَكَنَ) الزمخشريُّ مُدّةً فاكْتَسَبَ لَقَبَهُ « جارَ الله » حتى أصبحَ ذلك اللقبُ عَلَماً عليه .

وكانت وفاةُ الزَمَخْشَري في قَصَبَة خوارزم (الجُرجانية) ليلةَ عَرَفَة (٩ ذي الحِجّة) من سَنَةِ ٥٣٨ (منتصف تموز – يوليو ١١٤٤ م) .

---

(١) قصدت (ذهبت) أروم (أريد) . بالواحدة : مرة واحدة .
(٢) لو كنت أعلم العذر (السبب) في منع الأذن بالدخول عليه الآن لرجعت الى بلدي ثم عدت فيما بعد (على بصيرة من أمري) .
(٣) محمد = يا محمد (يعني الحاجب) .
(٤) فتح الوجوه : شقها (بالسيف) . – في رجوعك فائدة لك (كيلا تموت) .
(٥) في وفيات الاعيان (٢ : ٥١٠ ، السطر ٤) : جارن خشب .

٢ ـ كان جارُ الله الزمخشري إماماً في التفسير واللُغة والنحو والأدب وخَطيباً ومترسّلاً وشاعراً ومُتَفنّناً في علوم كثيرة . أما نثرُه الفنيّ فكثيرُ الصَنْعة ، وأما شعره فيَغْلِبُ عليه جَفافُ العِلم وشيء من الصَّنعة .

والزمخشري مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ، من تآليفه الكشّافُ: (في تفسير القرآن) ـ الفائق في غريبِ الحديث ـ أساس البلاغة (في اللغة) ـ المفصّل (في النحو) ـ المِنهاج في الاصول ـ أعْجَبُ العجب في شرح لاميّة العرب ـ كتاب الجبال والأمكنة ـ شقائق النُعمان في حقائق النعمان (في مناقب الامام أبي حَنيفةَ النعمان) ـ أطواق الذهب في المواعظ ـ شرح كتاب سِيبويه ـ ديوانُ خُطَبٍ ـ ديوان رَسائلَ ـ ديوان شعر .

ويعتمد الزمخشري في تفسير القُرآن أصولَ مذهبِ الاعتزال والتذوّقَ البلاغيّ أكثَرَ من اعتماده الرواياتِ المألوفةِ عن المُحَدّثينَ ، ولذلك لا يُحِبُّ الفقهاء آراءَ الزمخشريّ في التفسير .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة « أساس البلاغة » :

.... لمّا أنزلَ اللهُ كتابَه[١] مُخْتَصّاً من بين الكُتُب السماوية بصفةِ البلاغة التي تَقَطَّعَتْ عليها أعناقُ العِتاقِ السُبّقِ ووَنَتْ عنها خُطا الجِياد القُرَّحِ[٢] ، كان الموفّقَ من العلماء الأعلامِ ـ أنصارِ مِلّةِ الإسلامِ الذابّينَ عن بَيْضةِ الحَنيفيّة البيضاء المُبَرهنينَ على ما كان من العرب العَرْباء[٣] حين تَحدّوا به مِنَ الإعراض عن المعارضة بأسَلاتِ ألْسِنَتِهِم والفزع الى المُقارعة بأسِنّة أسَلهم[٤] ـ من كانت مطامِحُ

---

(١) كتاب الله : القرآن الكريم .

(٢) تقطعت عليها (قصرت) العتاق (الجياد ، الخيل الأصيلة) السبق (التي لا يسبقها غيرها) وونت (ضعفت) القرح (جمع قارح : الحصان الذي بلغ أربع سنوات وأصبح في ذروة نشاطه) . ـ كل هذا كناية عن البلغاء من الناثرين والشعراء .

(٣) كان الموفق (خبر كان) واسمها « اسم الموصول :«من» في قوله (بعد اثنتين وثلاثين لفظة) « من كانت مطامح نظره ... » الموفق : البليغ الحقيقي . الذابين : المدافعين . البيضة : ما يملكه الانسان ثم تجب المدافعة عنه . الحنيفية : الاسلام . العرب العرباء : الأقحاح ، الخالصو النسب (الذين لم تخالط العجمة ألسنتهم ولا اختلطت أنسابهم بغيرهم) .

(٤) حين تحدوا به (طلب منهم أن يأتوا بكلام مثل كلامه) . الاعراض (الامتناع، التقصير) . المعارضة : المسير جنباً الى جنب (المقدرة على الاتيان بمثل أسلوبه) . الأسلة : القصبة (الرمح) . أسلة لسانه (بلسانه المثقف البليغ) . الفزع (اللجوء) الى المقارعة (الحرب) بأسنة أسلهم (بأطراف رماحهم) ـ كل هذا كناية عن عجزهم عن مجاراة أسلوب القرآن الكريم .

نظرِه ومطارحُ فِكَرِه الجهاتِ التي تُوصِلُ الى تَبَيُّنِ مراسمِ البلغاء والعُثورَ على مناظم الفصحاء والمُخايَرَةَ بين مُتداوَلات ألفاظهم[1] .... والنظرَ في ما كان الناظرُ فيه على وجوه الإعجاز أوْقَفَ وبأسرارِه ولطائفه أعرفَ ..... وإلى هذا الصَوْب[2] ذَهَبَ عبدُ الله الفقيرُ إليه محمودُ بنُ عُمَرَ الزمخشريُّ عفا اللهُ عنه في تصنيف كتاب « أساس البلاغة » .....

ومن خصائص هذا الكتاب تَخَيُّرُ ما وَقَعَ في عبارات المُبدعين ، وانطوى تحتَ استعمال المُفْلقين[3] ، أو ما جاز وقوعُه فيها وانطواؤه تحتها من التراكيبِ التي تملُحُ وتحسُنُ ولا تنقبض عنها الألْسُنُ .... ومنها التوقُّفُ على مناهجِ التركيب والتأليف وتعريفِ مدارجِ الترتيبِ والترصيف ..... ومنها تأسيسُ قوانينِ فصلِ الخِطاب والكلامِ الفصيحِ بإفرادِ المجاز عن الحقيقة والكِناية عن التصريح .....

— من متن الكتاب (١ : ٢٤٤) :

خ ف ي — خَفا البرقُ : لمع بضَعْفٍ خَفْواً وخُفُوّاً . وأخْفَيْتُ الشيءَ ، وخَفِيَ الشيءُ واختفى واستخفي وتَخَفّى : استَتَرَ . وهو يُخفي صوتَه . وأمرٌ خافٍ وخَفِيّ . واللهُ عالمُ الخَفِيّاتِ والخَفايا . ولا يَخْفى عليه خافيةٌ . وبَرِحَ الخفاءُ : زالت الخِفْيَة فظهر الأمرُ . وفعل ذلك خِفْيةً . وهو أخفُّ(!) من الخافية . وليس القوادِمُ كالخوافي[4] . وعَرَفَ ذلك البَشَرُ والخافي وهم الجِنّ . وأصابَتْهُ ريحٌ من الخوافي . وهو من أُسُودِ خَفِيَّة[5] . واذا حسُنَ من المرأة خَفِيّاها حسُنَ سائرُها ، وهما صوتُها وأثَرُ وَطْئِها (سيرِها على الأرض) .....

٤ — الكشّاف عن حقائق التنزيل . وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تحرير ناساو ليس وخادم حسين وعبد الحيّ) ، كلكتّا ١٨٥٦ م ؛ القاهرة ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ هـ ؛ القاهرة ١٣٥٤ هـ ؛ القاهرة (بولاق) ١٢٨١ هـ ؛

---

(١) المخايرة : التفضيل . متداولات ألفاظهم : الأقوال السائرة بين الأدباء والمشهور على الألسنة (كانوا يعرفون مراتب الكلام في الصحة والبلاغة ولو كان هذا الكلام مشهوراً معروفاً — لا يخدعون عن فصاحة الكلام برغم اشتهاره بين الناس) .

(٢) أوقف : أكثر وقوفاً (أكثر علماً) . الصوب : الناحية ، المقصد (والى هذا الصوب ذهب فلان : هذا ما قصده فلان) .

(٣) المفلق : الشاعر الذي يأتي بالأشياء العجيبة الغريبة الجميلة .

(٤) القوادم : الريش الكبيرة في جناح الطائر . الخوافي : الزغب (الريش الصغيرة) في باطن جناح الطائر .

(٥) خفية : الغيضة (مجتمع من الأشجار في منخفض من الارض وفيه ماء) .

الفائق في غريب الحديث (نشره علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٥ – ١٩٤٨ م .
أطواق الذهب (نشره فون هامّر) فينّا (شتراوس) ١٨٣٥ م ؛ (نشره باربيية دى مينار) ، باريس ١٨٧٦ م ؛ القاهرة (عبد الحميد حنفي) ١٣٧٠ هـ ؛ (بشرح يوسف الأسير) ، بيروت (جمعية مطبعة الفنون) ١٢٩٣ م .
الأنموذج في النحو (مطبوع مع نزهة المشتاق للميداني) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩هـ.
المفصّل في صنعة الاعراب (نشره بروخ) كريستانيا – أوسلو (مالينغ) ١٨٥٩ ، ١٨٧٩ م ؛ الاسكندرية (مطبعة الكوكب الشرقي) ١٢٩١ هـ .
أساس البلاغة ، القاهرة ١٢٩٩ هـ ؛ القاهرة (محمّد مصطفى) ١٣٢٧ هـ ؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٢٢ – ١٩٢٣ م ؛ (نشره عبد الرحيم محمود) ، القاهرة (مطبعة أورقاند) ١٩٥٣ م ؛ بيروت ١٩٦٥ م .
مقامات الزمخشري ، القاهرة (المطبعة العبّاسيّة) ١٣١٢ هـ .
شرح لاميّة العرب (في مجموع « أعجب العجب في شرح لاميّة العرب »)، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠ هـ .
اللاميّتان : لاميّة العرب للشنفري ولاميّة العجم للطغرائي من شروح الزمخشري والصفـدي (أعدّهما عبد المعين الملّوحي) : دمشق (وزارة الثقافة والارشاد القوميّ – احياء التراث القديم ، رقم ١٣) ، دمشق (مطابع وزارة الارشاد) ١٩٦١ م .
نوابغ الكلم ، القاهرة ١٢٨٧ هـ .
الجبال والأمكنة والمياه (نشره يونبول وماتيوز سلفاردا دو غراف) ، ليدن (بريل) ١٨٥٥ م ؛ = الأمكنة والجبال والمياه ، بغداد ١٩٣٨ م .
المفردات في غريب القرآن ، القاهرة (البابي) ١٣٢٤ هـ .
نزهة الطرف في علم الصرف ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ .
المستقصى من أمثال العرب (تحت مراقبة محمّد عبد المفيد خان) ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٩٦٢ م .
كتاب خصائص العشرة كرام(؟) البررة (حقّقته بهجة باقر الحسني) ، بغداد (وزارة الثقافة والاعلام: مديرية الثقافة العامّة – سلسلة كتب التراث ، رقم ١٠) ١٩٦٨ م .
* شرح المفصّل لموفّق الدين يعيش بن عليّ ، القاهرة (ادارة الطباعة المنيرية) بلا تاريخ .
قلائد الأدب في شرح أطواق الذهب (الميرزا يوسف خان بن اعتصام الملك) ، القاهرة (مطبعة التمدّن) ١٣٢١ هـ .
شرح عمدة السريّ على أنموذج الزمخشري ، تأليف ابراهيم سعيد الحصوصي ، بولاق (المطبعة الكبرى الأميرية) ١٣١٢ هـ .

تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات (= شرح شواهد الكشّاف للزمخشري) ، تأليف محب الدين الحمويّ ، القاهرة (بولاق) ١٢٨١ هـ .

الزمخشري ، تأليف أحمد محمّد الحوفي ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٦ م .

النظم القرآني في كشّاف الزمخشري ، تأليف درويش الجندي ، القاهرة (دار نهضة مصر للطباعة والنشر) ١٩٦٩ م .

معجم الادباء ١٩ : ١٢٦ - ١٣٥ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٥٠٩ - ٥١٣ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٦٥ - ٢٧٢ ؛ ابن الأثير ١١ : ٩٧ ؛ بغية الوعاة ٣٨٨ - ٣٨٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١١٨-١٢١ ؛ بروكلمان ١ : ٣٤٤-٣٥٠ ، الملحق ٥٠٧ - ٥١٣ ؛ زيدان ٣ ٤٨-٥١ ؛ الأعلام للزركلي : ٨ : ٥٥ .

ابو منصور الجواليقي

١ - هو أبو منصور موهوبُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ الخَضِرِ بنِ الحسنِ بن محمّدٍ الجواليقيّ ، نِسبةً إلى الجواليق[1] ، وهُوَ من أهل بَغدادَ ؛ وُلِدَ في ذي الحِجّة من سنة ٤٦٦ (آب - أغسطس ١٠٧٤ م) ، ولمّا شَبّ تلقّى علومَ الحديثِ واللغة والنحو والأدب على نَفَرٍ من علماء عصرِه منهم أبو الفوارسِ طِرادُ بنُ محمّدِ ابن عليٍ الزَيْنبي (ت٤٩١هـ) نقيبُ النُقباء في بغدادَ ، ومنهم أبو محمّدٍ جعفرُ بنُ أحمدَ ابنِ الحسين السرّاج (ت ٥٠٠ هـ) مؤلّفُ كتابِ مصارعِ العُشّاق ، ومنهم أبو زكريّا يحيى بن عليٍّ المعروفُ بابن الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) تلميذِ أبي العلاء المعرّي وصاحبُ شرحِ ديوان الحماسة لأبي تمّامٍ .

تصدّرَ الجواليقيّ في بغدادَ للتدريس فكان يَجلِسُ في أيام الجُمَعِ في جامع القَصْر فأخَذَ عنه كثيرون مِمّنِ اشْتهروا في فنونِ العلم منهم السِمعاني (ت ٥٦٢ هـ) صاحب كتاب الانساب ، ومنهم أبو البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، وأبو الفرج ابن الجَوْزي (ت ٥٩٧ هـ) .

وكانت وفاةُ الجواليقي في ١٥ من المحرّم ٥٣٩ (١٨/ ٧/ ١١٤٤ م) .

٢ - أبو منصورٍ الجَواليقي لُغويّ أديبٌ وله علم بالنحو والحديث والفِقْه . وهو ثَبْتٌ كثيرُ التحقيق يُكثِرُ من قول « لا أدري » ثم يُجِدّ في التحصيل لما يَجْهَله . غير أنه كان يذهب في تأويلِ مسائل النحو مذاهبَ غريبةً .

وللجواليقي عدد من الكتب أشهرُها كتاب المُعرّب من الكلام الأعجمي على حروف

---

(١) الجوالق والجواليق (بفتح الجيم فيهما) جمع جوالق (بضم الجيم وبكسرها) : كيس كبير (يسميه العامة : شوال) .

المعجم جمع فيه الألفاظَ العربيةَ التي تَرْجِـعُ ، في رأيه ، الى اللُغات الاجنبية ثم يحاولُ أن يرى وجوهَ اشْتقاقها . وفي هذا الكتاب عَدَدٌ من الأخطاء يرجع الى أمور : منها أن الجواليقي يهتمّ بلفظ الكلمة أكثرَ مِنَ اهْتمامها بمعناها ، ثم إنّه يحاولُ أن يَرُدّ مُعْظَمَ الكَلِمات الأعجمية الى اللغة الفارسية . وربّما أرادَ أن يردّ الكلمةَ العربيةَ الصحيحةَ الى الفارسية ، كقوله في « البارِح » (الريحِ الحارّة الجَنوبية) : قال بعض أهلُ اللغة هو فارسيٌ معرّب ... (ص ٦٥) أو كقوله وبيّان (ص ٧٢) كَلِمة ليست بعَرَبية مَحْضة (؟) . وربّما تشدّد فعَدّ الكلماتِ التي تنحدر من أصل ساميّ واحدٍ هي والكلماتُ السُريانية مثلاً غيرَ عربية .

ومن كتب الجواليقي : تَكْمِلَةُ إصلاحِ ما تَغْلَطُ فيه العامّة أو التكملة في ما يَلْحَن فيه العامّة (وهو تتمّة لدُرّة الغوّاص في أوهام الخواص للحريري صاحب المقامات) — كتاب العَروض — شرح أدب الكُتّاب — شرح مقصورة ابن دريد .

٣ — مختارات من كلامه (من مقدّمة المعرّب) :

— هذا كتابٌ نَذْكُرُ فيه ما تكلّمتْ به العربُ من الكلام الأعجمي ونَطَقَ بـه القُرآنُ المَجيد ووَرَدَ في أخبارِ الرسول صلّى الله عليه وسلّم والصحابةِ والتابعين ، رِضْوانُ اللهِ عليهم أجْمعينَ ، وذكرتْه العربُ في أشعارِها وأخبارها ليُعْرَفَ الدَخيل من الصَريحِ . ففي معرفةِ ذلك فائدةٌ جليلةٌ وهي أن يَحْتَرِسَ المُشْتق فلا يَجْعَلُ شَيئاً من لغة العربِ لشيء من لغةِ العجم .... فأمّا ما وَرَدَ منه في القُرآنِ ، فقدِ اختلفَ فيه أهلُ العلم ؛ قال بعضُهم : كتابُ الله تعالى ليس فيه شيءٌ من الغَريب .... ورُوِيَ .... في أحرفٍ (كلماتٍ) كثيرةٍ (أنها) من غيرِ لسانِ العربِ مثل المِشْكاة واليَمّ والطُور وأباريقَ واسْتَبْرق وغير ذلك . وكلاهما مُصيب — إن شاء الله — وذلك أن هذه الحروف بغيرِ لسانِ العرب في الاصلِ ، فقال أولئك على الأصل ؛ ثم لَفَظَتْ به العربُ بألْسِنتها فعرّبته ؛ فصار عَربياً بتَعْريبها إيّاه . فهي عربية في هذه الحالِ أعجميةُ الاصلِ . فهذا القول يُصَدّقُ الفريقين جميعاً .

٤ — المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم (تحرير ادوارد سخاو) ، ليبزج (أنغلمان) ١٨٦٧ م ؛ (بتحقيق أحمد شاكر) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٦١ هـ ؛ (أعيد طبعه بالتصوير) ، طهران ١٩٦٦ م .

شرح أدب الكاتب ، مصر (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ .

التكملة ، ليبسك ١٨٧٥ م = التكملة في ما يلحن فيه العامّة ، دمشق (مطبعة ابن زيدون) ١٣٥٥ هـ

= تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامّة (بتحقيق عزّ الدين التنوخي) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) بعد ١٩٣٠ م .

** معجم الادباء ١٩ : ٢٠٥ – ٢٠٧ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٣٥ – ٣٧ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٣٣٥– ٣٣٧ ؛ بغية الوعاة ٤٠١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٢٧ – ١٢٨ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٢ ، الملحق ٤٩٢ ؛ زيدان ٣ : ٤١ – ٤٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ٤٩٠ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٢٩٢.

ابن جـــارية القصار

١ – هو أبو عبد الله محمّدُ بنُ المُبارك بنِ أحمدَ بنِ عليٍّ بنِ قصّارِ الوكيلُ (!) المعروفُ بابنِ جاريةِ القصّارِ ؛ كانت أُمّهُ جاريةُ القصّارِ عوّادةً مُحْسِنةً حافظةً للأشعار بارعةً في صناعتها. ويبدو أنّها عاشتْ طويلاً بعدَ مولاها القَصّارِ وتزوّجتْ رجلاً يُعْرَفُ بابن حريقا ثمّ ماتتْ وَهِيَ عِندَهُ ، في بَغدادَ ، سَنَةَ ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) .

سَمِـــعَ ابنُ جَاريةِ القصّارِ الحديثَ وجَمَعَ بعضَ أدواتِ ذوي الآدابِ ، ويبدو أنّه كان يَعْمَلُ وكيلاً على أبوابِ القُضاةِ (حاجباً ؟) . وتكسّبَ ابن جاريـــةِ القصّارِ بالمديحِ ، ولكنْ ظلّ فقيراً .

ويبدو أنّ ابنَ جاريةِ القَصّارِ قد عاشَ عليلاً وشابَ باكراً ثمّ أُصيبَ بإسهالٍ شديدٍ طال أمَدُه ، فيما يبدو ، فماتَ منه في رَيعان شَبابهِ ، بُعيدَ سَنَةِ ٥٤٠ هـ (١١٤٦ م) .

٢ –كان ابنُ جاريةِ القصّارِ شاعراً ظريفاً وكاتباً مطبوعاً . وله مديحٌ وهجـــاء ووصف ونسيب .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابن جاريةِ القصّارِ أبياتاً يتمنّى فيها الشيبَ ولا يَحزَنُ لِذَهاب شَبابهِ :

مَنْ خافَ–إنْ شابَ–هِجْرانَ الحِسان وإصـ مار النعيمِ ورفضَ الكأسِ والنَعَمِ [1]
فلي إلى الشَيْبِ شَوْقٌ ما يُنَهْنِهُهُ سَعْيٌ لِلُقْياه من عُمْري على قَدَمِ [2].

---

(١) اصمار (؟) منع ، فقدان .

(٢) لي شوق شديد الى أيام المشيب . هذا الشوق لا ينهنه (لا يمنعه ، لا يكفه ، لا يؤخره) سعي للقياه (سير عمري نحوه حتما) على قدم (بسرعة) .

ما أرْغدَ الدهرُ عَيْشي في الشَّباب ولا أحْلى ! فابْكي شَبَابي حالةَ الهَرَم[1] .

– كان لِلبُدَيْوِيّ العَوّادِ أخٌ اسمُه محمودٌ أرادَ أنْ يكونَ عوّاداً أيضاً ولكن لم يُصِبْ إحساناً ، فقال ابن جاريةِ القصّارِ يَهجوه :

يا بُدَيْويُّ ، قــد نَشا لَكَ في العــو دِ أخٌ يَستغيــثُ منه العــودُ .
أنتَ تدري أن الشتاءَ عــلى الأشْ جارِ صَعْبٌ – اذا أطلَّ – شديدُ .
لو أرادَ الإلَهُ بالأرضِ خِصْبــاً ما تغنّــى من فَوْقِهــا محمود .
كلّما أنْبَتَتْ يَسيراً مــن العُشْ بِ وغنّى غَطّــى عليهِ الجليد .

– وقال يشكو سوءَ حالهِ في التكسّب بالشعر ويَنْدُبُ حَظّه :

الى كم أُعلّــلُ بالباطــلِ ولا أسْتَقِرُّ على حاصــلِ[2] ؟
وأُدْفَعُ من باخــلٍ – لا يديــنُ بدِينِ السَماح – إلى باخــلِ[3]
يَصونُ بعِرضِ جبــانِ الفؤادِ حِمَى العِرْضِ من بَطَلٍ باسل[4] ؟
أُحَلّيهِ بالــدُرَرِ المُثْمِناتِ وأرجِــعُ بالأمــلِ العاطــل[5] .
إذا كان حــظُّ الفتي صــاعداً فــلا بأسَ بالأدبِ النــازل .
هما خلَفانِ ، فهــذا المُقَــمُ يُعْقَبُ من ذلك الراحــل[6] .
لقد ألْجأتْني صُروفُ الزمــانِ لِحُكْمِ ضَرورتِهــا الحامل[7]
إلى مَعْشَرٍ قد أتَمّوا الرَضــاعَ مِنْ ضَرْعِ لُؤْمِهِمُ الحــافل[8] ؛
شُيوخُهُم بَعْدُ لم يُفْطَموا ، وعالِمُهُمْ ضِحْكَةُ الجــاهل .

---

(١) – ان الدهر لم يجعل عمري في شبابي رغيداً (خصباً ، وافر النعمة) ولا حلوا (من التمتع بالملذات) حتى أبكي (آسف) على شبابي حينما أصل إلى أيام هرمي (شيخوختي) .

(٢) لا أستقر على حاصل : لا أصل الى نتيجة .

(٣) لا يدين بدين السماح : لا يعترف بوجود الكرم والكرماء .

(٤) .....

(٥) – أمدحه بقصائد جميلة فلا يثيبني عليها بشيء (العاطل في الأصل : المرأة التي لا تتزين بالحلي اكتفاء بجمالها الطبيعي) .

(٦) خلفان : يأتي أحدهما بعد الآخر . يعقب : يأتي بعده .

(٧) صروف الزمان : مصائبه . لحكم ضرورتها الحامل (التي تلد كل عجيبة !) .

(٨) ضرع : ثدى (مكان اللبن في الانثى من الناس والحيوان). الحافل المملوء (لقد رضعوا اللؤم حتى ارتووا – بفتح الواو الأولى – حتى تم اللؤم فيهم) .

صدورٌ ولكنّ أعجازَهم صدورٌ لِوَخْزِ القَنا الذابل[1].
وقومٌ رأَوْا أنّني شاعرٌ فلم يَرْفَعوني عنِ الخامل،
ولم يَعْلَموا ما رُواة القريـ ـضِ عنديَ ومن آلة الكامل[2].
وما غايةُ الفضلِ نظمُ القريض، ولكنّه نَفْثةُ الفاضل! [3]

٤ – الخريدة (العراق) ٢ : ٢٥٠ – ٢٥٦.

ابن قُسيم الحموي

١ – هو شَرَفُ الدينِ أبو المَجْد مُسْلِمُ بنُ الخَضِرِ بنِ قُسيمٍ التنوخيُّ الحَمَوي، وُلِدَ في حَماةَ، وفيها نشأ وتلقّى علومَه الأولى.

عَمِلَ ابنُ قُسيمٍ الحمَويُّ في مَطْلَعِ حياته في أحَدِ مَساجدِ حَماةَ، ثمّ نَبَغَ في الأدب فتعَرّضَ لنَفَرٍ من الملوكِ والأُمراءِ بالمديح. في سَنَةَ ٥٣١ هـ (١١٣٦ – ١١٣٧م) هاجَمَ مَلِكُ الروم يوحنّا الثاني مدينةَ شَيْزَرَ وحاصَرَ حُصْنَها فسارَ اليه عِمادُ الدينِ زَنْكي وردّه عنها فمدحه ابنُ قُسيمٍ. ولمّا تغلّب نورُ الدين ابنُ عمادِ الدين على فِتنة الرُها (٥٤٢ هـ!) مَدَحَهُ ابن قُسيمٍ.

وكانتْ بينَ ابنِ مُنيرٍ الطَرابُلُسي وغيرِه من شُعَراءِ عَصْرِه وبينَ ابنِ قُسيمٍ الحَمَوي مطارحاتٌ وإخوانيّات. وكانتْ وفاةُ ابنِ قُسيمٍ الحَمَوي سَنَةَ ٥٤٢ هـ (١١٤٧ – ١١٤٨ م) أو بعدَها بقليلٍ إثْرَ مَرَضٍ، فيما يبدو، غير مجاوزٍ خمسين سنة.

٢ – كان ابنُ قُسيمٍ الحَمَويّ شاعراً وُجْدانياً فَصيحَ الألفاظِ سَهْلَ التراكيب مَعَ شيءٍ من اللِّين واللّحْن؛ وكان قريبَ المعاني واضحَ الأغراض يَجْري في شعرِه على السليقة، وربّما لَجأ إلى شيءٍ من الصِناعة ولكن من غير تكلّف إلا نادراً. غير أنّه كثيرُ الأخذِ من معاني المتقدّمين. أمّا فنونُه فَهِيَ المدحُ، وله شيء منه في آلِ البيت، والوصفُ والإخوانياتُ والخمر والغزل والمجون.

---

(١) العجز (بفتح العين وضم الجيم): مؤخرة الجسم. القناة: القصبة تعمل رمحاً. – في البيت كناية قبيحة.

(٢) لم يعلم هؤلاء الفرق بين الشعراء ولم يعلموا ما عندي من صفات الرجل الكامل (لم يعرفوا قدري ولا مقداري).

(٣) – وليست غاية الانسان الفاضل (وليس أعلى درجات الفضل) أن ينظم الانسان الشعر (ليكتسب)، ولكن الشعر شيء ينفث (يدفع) به الرجل الفاضل (ليروح عن نفسه).

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ قُسيمٍ الحَمَويُّ في ذِكْرِ آلِ البَيْتْ :

ويدِ بـآلِ مُحَمَّدٍ عَلِقَتْ مِنّي ، فلَسْتُ بغَيْرِهِمْ أرْضـى .
جعَلَ الالَهُ عَلَيَّ حُبَّهُمُ ، وعلى جميعِ عِبـادِه ، فَرْضـا .
فأثارَ ذلك مِنْ زَنـادِقَةٍ حَسَداً ؛ فسَمَّوْا حُبَّهُم رِفْضا !
وعَجِبْتُ ، هل يـرجو الشفاعةَ من يَنْـوي لآلِ مُحمّدٍ بُغْضـا ؟

– وقال يمدح عِمادَ الدين زنكي لمّا ردّ الرومَ عَنْ شَيْزَرَ :

بِعزْمِكَ ، أيُّها المَلِكُ العظيمُ ، تَذِلُّ لَكَ الصِعـابُ وتَسْتَقيمُ .
إذا خَطَرَتْ سُيوفُكَ في نُفوسٍ فأوّلُ ما يُفارِقُهـا الجُسومُ .
ولو أضْمَرْتَ لِـلأنواءِ[1] حَـرْباً لَمَا طَلَعَتْ – لِهَيْبَتِكَ – الغيوم.
أيَلْتَمِسُ الفِرَنْجُ لَدَيْكَ حَرْبـاً وأنتَ بِقَطْـعِ دابِرِها زَعيم[2] !
فسَيْفُكُ من مَفارِقِهِمْ خَضيبٌ ، وذِكْرُكَ في مَواطِنِهِمْ عَظيم[3] .
رأيتُكَ والملوكُ لهـا ازْدحـام بِبابِكَ لا تَـزولُ ولا تَريم[4] :
تُقَبِّلُ من رِكابِكَ ، كلَّ يَـوْمٍ ، مَكاناً ليس تَبْلُغُهُ النجـوم:
تَوَدُّ الشمسُ لَوْ وَصَلَتْ إليـه ، وأيْنَ مِنَ الغَزالةِ[5] ما تَـروم !
أردتَ فَلَيْسَ في الدُنيا مَنيـعٌ ، وجُدتَ فليس في الدنيـا عَديم[6] .
وما أحْيَيْتَ فينـا العَدْلَ حتّى أُميتَ بِسَيْفِكَ الزَّمَنُ الظَلـوم .

وقال يَصِفُ ثَمَرَةَ الرُّمّانِ الناضجةَ إذا كُسِرَتْ :

ومُحْمَرَّةٍ من بَنـاتِ الغُصو نِ يَمْنَعُها ثِقْلُها أن تَميدا[7] ؛

---

(١) الأنواء : الآثار العلوية (بضم العين وسكون اللام) أي المظاهر الجوية (كالغيم والريح والمطر ، الخ) .
(٢) الدابر : الآخر . قطع الله دابرهم : أهلك الله آخر واحد منهم (استأصلهم) . الزعيم : الكفيل (الضامن) . وزعيم القوم : المتكلم باسمهم . دابرها (كذا في الأصل) : دابر الحرب (؟) لعلها : « دابرهم »
(٣) المفرق : منتصف الرأس . خضيب : مخضب (ملوث) بالدم (كناية عن القتل) .
(٤) زال : انصرف ، ذهب . رام يريم : تحرك (انتقل من مكان الى آخر) .
(٥) الغزالة : الشمس– الشمس لا يمكن أن تبلغ الى حيث هو (من الرفعة وعلو المنزلة).
(٦) منيع : محصن (مكان لا يمكن الوصول اليه) . عديم : فقير .
(٧) وثمرة حمراء من بنات الغصون (معلقة في غصن) يمنعها ثقلها أن تميد (لا يستطيع الهواء أن يحركها لثقلها وكبر حجمها) .

مُنَكَسَّةِ التاجِ في دَسْتِهـا (١) تَفوقُ الخُدودَ وتَحكي النُهودا .
تُفَضُّ فتَفتَرُّ عن مَبْسِـمٍ كأنَّ بِـهِ من عَقيقٍ عُقـودا (٢) .
كأنَّ المُقابِـلَ من حَبِّهـا ثُغورٌ تُقَبِّلُ فيهـا خُدودا (٣) !

— ومن قصيدةٍ يمدحُ ابنُ قُسيمٍ الحَمَويُّ بِها مُعينَ الدين أُنُرَ ، في دِمَشْقَ ، سَنَةَ ٥٤٢ هـ :

وكم لَيْلَةٍ عاطانِيَ الخَمْرَ بَدْرُهـا ، ونادَمَني فيها الغَـزالُ المُشَنَّفُ (٤) .
ومُنْتَقِشٍ بالمِسْكِ وَشْيُ عِذارِه كماانْتَظَمَتْ فيجانِبِالطِرْسِ أحْرُفُ (٥)
وقد يَتَبادى لَفْظُهُ وَهْوَ أعْجَمٌ ، وقد يَتَقاوى خَصْرُه وَهْوَ مُخْطَفُ (٦) .
أدقُّ مِنَ المَعْنَى الغَريبِ ، وفَوْقَـه أرَقُّ من المـاءِ المَعينِ وألْطَـفُ (٧) :
مَعانٍ مِنَ الحُسْنِ البَديـعِ كأنَّها خِلالُ مُعينِ الدينِ تُتْلى وتُوصفُ .
ومُسْتَصْغِرٍ لله كُلَّ عَظيمةٍ ، ولو أنّه مِنْها على الموت مُشْرِفُ .
كأنَّ المُلوكَ الغُرَّ حَـوْلَ سَريرِه نُجومٌ على شَمْسِ الظَهيرةِ عُكَّفُ (٧) .
فإن تَلْقَهُ تَلْقَ ابنَ هيجاءَ دَهْرَهُ يُريكَ عِنانَ الدَّهْرِ كيف يُصَرَّفُ (٩) .

---

(١) الدست : المجلس في صدر البيت والكرسي الذي يجلس عليه صاحب المنصب . — تزيد على الخدود في احمرار اللون والجمال وتشبه النهود في الحجم والجمال . منكسة التاج ...= تكون ثمرة الرمان على الغصن وأعلاها إلى أدنى .

(٢) اذا فلقت الرمانة بدت كأنها فم فيه عقيق (حجارة كريمة حمراء — كناية عن الاسنان) .

(٣) .....

(٤) عاطاني الخمر : شرب معي (سقاني وسقيته) . بدرها = بدر الليلة (غلام جميل يشبه بدر السماء) . الغزال (المحبوب الجميل) المشنف : الذي يلبس شنوفاً (أقراطاً) في أذنيه (كناية عن صغر سنه) .

(٥) — بدأ الشعر ينبت في وجهه . المسك : مادة طيبة الرائحة سوداء اللون . الطرس : الورق (الابيض) . الوشي : التطريز ، التزيين . العذار : الشعر النابت في الوجه .

(٦) يتبادى لفظه (كلامه) : تظهر عليه فصاحة البادية . تقاوى (صيغة ليست في القاموس) : يظهر بمظهر القوي (يغلب العشاق ويستميلهم) . مخطف : ناحل ، رفيع (ضعيف) .

(٧) قسمات وجهه ذات جمال خفي كالكلمات الغريبة (القليلة الاستعمال) وفوقها جلد ناعم كالماء المعين (الصافي) .

(٨) الغر جمع أغر : أبيض (كريم الأصل ، عظيم) . سريره : عرشه . نجوم على شمس الظهيرة (وقت الظهر) عكف (واقفون حوله في دائرة) كناية عن ضئالة مقامهم بالنسبة اليه (نور النجوم لا يظهر في النهار لقوة نور الشمس) .

(٩) ابن هيجاء (محارب) — دهره (طول دهره) — . العنان : الزمام (بكسر الزاي) : الرسن .

سَخِيٌّ جَرِيءٌ لَوْذَعِيّ كَأنّه إذا ما بدا غَيْثٌ ولَيْثٌ ومُرْهَفُ[1] .
وقد هتَفَ الداعي إلى الحَمْدِ باسمه ، وقام مُنادي النصرِ باسْمِكَ يَهتِفُ .
تألّفَ شَمْلُ الدينِ عِنْدَكَ والعُلا ، وشَمْلُ العِدا والمالِ لا يتألّفُ.

٤ - ** خريدة القصر (شعراء الشام) ١ : ٤٣٣ - ٤٨٠ ؛ الروضتين ١ : ٣٢ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ١١٨ .

ابن الشجري

١ - هو أبو السعادات هِبَةُ اللهِ بنُ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ حَمزةَ الحَسَنيُّ من نَسْلِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، ويُعْرَفُ بابنِ الشَّجَريّ نِسبةً الى قريةٍ قُرْبَ المدينةِ اسْمُها الشجرةُ أو الى جَدٍّ من أجدادِه اسمه شَجَرَةُ (وفيات الأعيان ٣ : ١١٤) ؛ وفي معجم الأدباء أنّ أمّه كانتْ من آلِ الشجري (١٩ : ٢٨٢) .

وُلِدَ ابنُ الشجريُّ في بَغْدادَ ، في رَمَضان مِنْ سَنَةِ ٤٥٠ (خريفَ ١١٥٨ م) وسَمِعَ الحديثَ من نَفَرٍ منهم أبو الحسنِ المباركُ بنَ عبدِ الجبّارِ الصَيْرفيّ وأبو علي محمّدُ بنُ سعيدِ بنِ شِهابِ الكاتبُ وغيرُهما . أمّا الأدبُ فقرأه على أبي فضال المُجاشعي والخطيبِ التبريزيّ وأبي المَعْمَر بن طَباطبا العَلَويّ وغيرهم . ثم تَصدّرَ لإقراءِ النحوِ والأدبِ خاصّةً ، قيلَ أقرأ النحوَ سبعينَ سَنَةً .

وتولّى ابنُ الشجريّ نِقابةَ الطالبيّين نيابةً عن أبيهِ علي بن محمّدٍ الطاهر ؛ وكانتْ وفاتُه في الكَرْخِ في ٢ من رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٤٢ (٩/ ٢/ ١١٤٨ م) .

٢ - كان ابنُ الشجريّ فصيحاً حلْوَ الكلامِ حَسَنَ البيانِ ، وهوَ إمامٌ من أئمّةِ الأدب ؛ وله شعْر عاديٌّ من شعر العلماءِ قليلُ الرَّوْنَقِ . ولابنِ الشجريّ تصانيفُ منها: الأمالي (أكبرُ تآليفه، وهوَ في فنونِ الأدبِ أملاه في أربعةٍ وثمانينَ مجلساً وختمه بمجلسٍ قَصَرَهُ على أشعارِ أبي الطيِّب المتنبّي تكلّم فيه عليها وذَكَرَ ما قاله الشُرّاحُ فيها وزادَ من عِندِه ما سَنَح له) - كتاب الانتصار (ردّ فيه على ابنِ الخشّابِ الذي كان قد انتقد كتابَ الأمالي) - كتاب الحماسة (ضاهي به حماسةَ أبي تمّام ، جمع فيه أشياء حسنة) - ديوانُ مختارِ شعراءِ العرب - ما اتّفقَ لفظُه واختلف معناه - شرح اللُمَع لابنِ جِنّي - شرح التصريف الملوكيّ .

---

(١) اللوذعي : الذكي الحاد الذهن الفصيح اللسان . كأنه غيث (مطر) في جوده وكرمه ، وليث (أسد) في شجاعته ، ومرهف (سيف قاطع) في الحزم وتصريف الأمور (؟) .

٣ — مختارات من آثاره

— من أمالي ابن الشجري (١ : ٢٧٧ — ٢٧٨) :

الكلامُ ينقسم في المعاني ، عندَ بعض أصحابِ المعاني ، أربعةَ أقسام : خَبَر واستخبار وطلب ودُعاء[١] . فالخبرُ أوسعُها ، وهو أن يُخْبِرَ المتكلّمُ المُكَلَّمَ بما يُفيدُ مَعْرِفَتَه. والاستخبار أن يطلُبَ المستَخْبِرُ من المستَخْبَرِ (منه) بما ليس عنده. فأمّا الإخبار بلفظة « افعَلْ » ، فلا يخلو (من) أن يكونَ لِمَنْ دونَك أو لمن فوقَك أو لِنَظيرِك : فان كان لِمَنْ دونك سَمّيتَه أمراً ؛ وان كان لِنَظيرِك سمّيتَه مسألةً ؛ وان كان لمن هو أعلى منك سمّيتَه طَلَباً ؛ فإن كان لله سُبحانَه سمّيتَه سُؤالاً ودُعاء وطَلَباً . وإنّما اختلفتِ التَسْمِيَةُ لاختلافِ المُخاطَبِينَ بهذه اللفظةِ لأنّك تَسْتَقْبِحُ أن تقولَ أمرتُ والدي كما تستقبحُ أن تقولَ سألتُ غلامي . والنَهْيُ بلفظة « لا تفعَلْ » هو عند قوم بمعنى الأمرِ ، لأنّك إذا قُلْتَ « نَهَيْتُهُ عن كذا » فقد أمرتَه بغيرِه . فإذا قُلتَ « لا ترحَلْ » فكأنّك قلت « أقِمْ » ، وإذا قلتَ « لا تَصُمْ » فكأنّك قلت « أفْطِرْ » . وكذلك إذا أمرتَه بشيء فكأنّك نَهَيْتَه عن نَقيضِه : فإذا قُلْتَ له « ارحَلْ » فكأنّك قلت « لا تُقِمْ » ، وإذا قلت « صُمْ » فكأنّك قلتَ « لا تُفْطِرْ ». وهما[٢] عند آخَرِينَ مَعْنَيانِ كلٌّ واحدٍ منهما قائمٌ بنفسِه وانْ اشتركا في بعضِ المواضع .

٤ — ديوان الحماسة — كتاب حماسة ابن الشجري (حرّره فريتز كرنكو) ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٤٥ هـ .

ديوان مختار شعراء العرب (حرّره محمود الزناتي) ، مصر (طبع حجر) ١٣٠٦هـ؛ مختارات ابن الشجري ، مصر (مطبعة الاعتماد) ١٩٢٥م .

الأمالي ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٤٩ هـ ؛ = الأمالي الشجرية ، القاهرة .

** معجم الادباء ١٩ : ٢٨٢ — ٢٨٤ ؛ انباه الرواة ٣ : ٣٥٦ — ٣٥٧ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١١١ — ١١٤ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٣٨٧ — ٣٩٠ (منقول من وفيات الاعيان) ؛ بغية الوعاة ٤٠٧ — ٤٠٨ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٣٢ — ١٣٤ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٢ ، الملحق ١ : ٤٩٢ — ٤٩٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٣٤ ، الاعلام للزركلي ٩: ٦٢.

---

(١) ينقسم أربعة أقسام : خبراً واستخباراً ، الخ (بدل من أربعة : مفعول فيه) ويجوز أن تكون أربعة أقسام : خبر واستخبار الخ (بالجر ، بدل أقسام التي هي مضاف اليه) .

(٢) أي الأمر والنهي .

الأرجـــاني

١ ـ هو القاضي ناصحُ الدينِ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمّدِ بن الحسينِ الأرجاني ، نِسبَةً الى أرجانَ (بتخفيف الراء وتشديدها) وَهِيَ بلدةٌ في خُوزستانَ . يَرْجِعُ أصلُ الأَرجانيّ الى الأنصارِ (أهلِ المدينة) . وقد كان مولدُه في شيرازَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م).

«كان الأرجانيُّ في عُنفوان عُمُرِه بالمدرسةِ النظامية في إصبهانَ» (وفيات الاعيان ١ : ٨٣) . وقد تولّى القضاء في خوزستانَ : تارةً في تُستُرَ وتارةً في عسكر مُكْرِمٍ ، نابَ في القضاء عن ناصرِ الدين أبي محمّدٍ عبدِ القاهرِ بنِ محمّدٍ ثمّ عن عمادِ الدين أبي العلاء رجاءٍ.

ومات الارجانيّ في ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٥٤٤ (تموز ـ يوليو ١١٤٩ م) في تُستُرَ ، وقيل في عسكر مكرم .

٢ ـ الارجانيُّ شاعرٌ مُكثِرٌ لم يَصِلْ إلينا من شعره الاّ نحوُ عُشْرِه . وشعرُه سهلٌ رائق رقيقُ النسجِ واضح المعاني . غيرَ أنّ أكثرَ شعرِه المديحُ والفخر ويَغلِبُ عليهما المتانةُ والنَفَسُ العرَبي القديم . وله أشياءُ من الحكم .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال الأرجاني في المشورة :

شاوِرْ سِواكَ ، إذا نابَتْكَ نائبةٌ يوماً ؛ وإنْ كُنْتَ من أهل المَشوراتِ .
فالعينُ تُبْصِرُ منها ما دَنا ونأى ؛ ولا تَرى نَفْسَها إلاّ بمرْآة !

ـ وقال في الشكوى من الدنيا ومن الناس :

لا عارَ ان عَطِلَتْ يَدايَ من الغنى ؛ كم سابقٍ في الخيل غيرُ مَحَجَّلِ [1] !

---

(١) سابق : حصان يسبق الخيل (في يوم الرهان) . التحجيل بياض في قوائم الفرس ، فوق الحافر ، وفيه أحوال مختلفة أحسنها أن يكون الفرس محجل القائمتين الخلفيتين والقائمة الامامية اليسرى : محجل الثلاث مطلق اليمين . والتحجيل يدل على كرم أصل الفرس . ـ يقول الشاعر : قد يسبق الفرس ولو لم يكن محجلا . وكذلك قد يفضل الانسان غيره ولو لم يكن غنياً .

صانَ اللئيمُ — وصُنْتَ وجْهيَ — مالَه دوني ، فلم يَبْذُلْ ولم أتبَذّل[1].
ذَهَبَ الذين صَحبتُهم فوَجَدتُّهم سُحب المؤمّــل أنجم المتأمّــل[2].
وبُليتُ بَعْدَهُمُ بــكلّ مُذَمَّمٍ : لا مُجْملٍ طَبْعاً ولا متَجَمّل[3].
فلقد دُفعْتُ إلى الهموم ، تَنوبُني منها ثلاثُ شَدائدٍ جُمّعْنَ لي :
أسَفٌ على ماضي الزمانِ ، وحَيْرَةٌ في الحالِ منه ، وخَشية المُسْتَقْبل .
ما إنْ وَصَلْتُ الى زمان آخرٍ إلاّ بَكَيْتُ على الزمــان الاول !

٤ — ديوان الارجاني (تصحيح الشيخ أحمد عبّاس الازهري) ، بيروت ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) ؛ (تصحيح الشيخ عبد الباسط الانسي) ، بيروت (مطبعة جريدة بيروت) ١٣٥٧ هـ .

** وفيات الاعيان ١ : ٨٣ — ٨٥ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٣٧ — ١٣٨ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٤ ، الملحق ١ : ٤٤٨ ؛ زيدان ٣ : ٢٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٦٥٩ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٠٩ .

ابو علي بن الأخوة

١ — هو أبو عليٍ الفَرَجِ بنُ محمّدِ بنِ الأُخُوَّةِ المُؤَدّبُ البَغْداديُّ ، يبدو أنّه اشتغلَ بالتأديبِ (التعليم) ثم حاولَ التكسُّبَ بشِعرِه فلم يَنَلْ به مَنالاً . وكانتْ وَفاتُه في رابعَ عَشَرَ جُمادى الآخِرَةِ من سَنَةِ ٥٤٦ (٢٨/ ٩/ ١١٥١ م) .

٢— أبو عليٍّ بنِ الأخوّةِ شاعرٌ وناثرٌ رائقُ المَعاني سَلِسُ الأُسلوبِ شِعرُه يدور على المدح والهجاء والغزل والنسيب .

٣ — مختارات من شعره

— قال أبو عليٍّ بنُ الأُخُوَّةِ في الشَباب والشَيْب :

خُذْ من شَبابِكَ نوراً تَستضيءُ بهِ ؛ فالشَيْبُ إصْباحُه في اللهو إمســاءُ .
العُمْرُ عَينانِ : عينٌ منــه مُبْصِرَةٌ مَعَ الشبابِ ، وعينٌ منه عمياء[4].

(١) — هو لم يبذل (لم يعطني) ، وأنا لم أتبذل (لم أذل نفسي بسؤاله) .
(٢) سحب المؤمل : كرماء يعطون بلا سؤال . أنجم المتأمل : يهتدي بهم كل من اقتدى بهم .
(٣) مذمم : مذموم ، سيء . لا مجمل طبعاً ولا متجمل : ليس ذا خلق كريم ولا هو يتظاهر بالخلق الكريم .
(٤) عمياء في الشيخوخة .

وربَّ ليلٍ مريضٍ كنت صِحتَّــه عزّت أواسيه أو عزّتْهُ أدْواء[١] ؛
يسيرُ فيه وفي قلْبي أذًى وضَنىً ، كأنّني دَلَجٌ والسُوءُ إسراء[٢] ،
والشُهْبُ ثغرٌ ، وآفاقُ الظلام فَمٌ ، والقَذْفُ لَفْظٌ ، وضوء الماءِ سَحْناء[٣]
حتّامَ عَيْنُكَ لا تَنْفَكُّ جاريةً ماءً ، ومُقْلَتُها بالبرق قَمْـراء ؟
تَضَرَّمَ البرقُ فيها وَهْـيَ باكيةٌ ، كأنّها قَبَسٌ مِـن حَوْلِه ماء[٤] !

– وله في النسيب والغزل :

نعَمْ ، هـذهِ الدارُ والأنْعُـمُ ؛ أتُنْجِدُ ، يا قلبُ ، أم تُتْهِمُ[٥] ؟
وقدْ يستفيقُ هـوىً لا يُفيـقُ ؛ ويَشْقى الفتى مِثْلَما يَنْعَمُ .
وَقَفْنا وقدْ ضرعَتْ لِلنَّـوى مدامـعُ لـو أنّهـا تُرْحَمُ[٦] .
وفوقَ الرِكابِ غُـلاميّةٌ كما ذُعِـرَ الشادِنُ المُرْجَـمُ[٧] .
تُصابِـحُ رَوْضاً كأنّ الحَبِيـرَ والوَشْيَ من حَوْكِهِ يُرْقَمُ[٨] .
بكَتْ لُؤلُـؤاً كاد – لـو أنّه تَماسَكَ في جِيدِها – يُنْظَمُ[٩] .

---

(١) ليل مريض : مظلم ؛ حزين . عزت (قلت) أواسيه (أطباؤه – القادرون على السهر فيه أو على المرح) أو عزته (غلبته – غلبتني فيه) أدواء (أمراض ، مصائب) .

(٢) فيه أذى لي وفي قلبي ضعف عن الاحتمال . الدلج : السير في أول الليل (والشاعر يقصد مدلج : سائر في الليل) . السوء : الشر . اسراء : سير في الليل (أقضي ليلي في ألم) .

(٣) الشهب : النجوم . القذف : الرجوم (الحجارة المتساقطة من جو السماء !) ...

(٤) ... – كأن عينك قبس (قطعة من نار – كناية عن احمرارها من الحزن والبكاء) . من حولها ماء (نار غارقة في الماء – وهذا عجيب) .

(٥) الأنعم : الانعام (الغنم والجمال) التي أعرفها في دار المحبوبة . اتنجد (أتصعد الى هضبة نجد) أم تتهم (تنزل الى ساحل تهامة) – كناية عن أن قلبه حائر مع أن المحبوبة معروفة .

(٦) ضرعت (بفتح الضاد والراء ، أو بفتح الضاد وكسر الراء) أدمع (ذلت) كثر سيلانها . للنوى : من البعاد والفراق .

(٧) وفوق الركاب : على الابل (مسافرة) غلامية (فتاة تشبه الغلام بصغر السن والنشاط) . ذعر : خاف وهرب . الشادن : الغزال الصغير . المرجم : الذي رمي بحجر .

(٨) تصابح روضا : تصل اليه في الصباح . الحبير : الثوب الناعم الذي فيه وشي (تزيين) . الحوك : الحياكة ، النسيج . ترقم : تجعل فيه علامات للزينة .

(٩) لؤلؤ (كناية عن الدمع) . الجيد : العنق .

وشَتّانَ ما بَيْنَنا في البُكا : ودَمْعُكَ ماءٌ ودمعي دَمُ .
فقال الهوى لدواعي الغَرا مِ : إنّ بنا هَلَكَ المُغْرَمُ[1] .
من الرَّكْبِ تَلْوي سِناتُ الكَرى رِقابَهُمُ كلّما هَوّموا[2] ؛
يُناجونَ بالمُقَلِ الفاترا تِ سَماءً مسامِعُها الأنجُمُ[3] .
يَقُصّونَ من لَفَظاتِ الجفو نِ أحاديثَ لو أنّها تُفْهَمُ[4] !

٤ - ** الخريدة (العراق) ٢ : ١٨٦ - ١٩٤ .

ابن منير الطرابلسي الرفاء

١ - هو عَيْنُ الزمانِ مُهذّب الدين أبو الحسين أحمدُ بنُ مُنيرِ بنِ مُفْلحٍ الطَّرابُلُسي الرَّفّاء[5] ؛ كان أبوه يُنْشِدُ الأشعارَ ويُغنّي في أسْواقِ طَرابُلُسِ الشامِ .

وُلِدَ أحمدُ في طرابُلُسَ ، سَنَةَ ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م) ونشأ فيها فَحَفِظَ القُرآنَ وتلقّى علومَ اللغة والادب وبرع في الشعر . ثم إنه انتقل إلى دِمَشْقَ ، ولعلّه فعل ذلك حينما حاصر الافرنج (الصليبيون) طرابلسَ ، سنة ٤٩٦ هـ (١١٠٣ م) أو بعدَ أن سَقَطَتْ في أيديهم بعدَ سبعة أعوام . وكان ابن منير شيعياً غالياً فتعرّض لشاعرِ الشام ابنالقَيْسراني ولِنَفَرٍ من أعْيانها بالهِجاء المُرّ فَسَجَنَهُ تاجُ الملوك بُوري صاحب دِمشق ، سنة ٥٢٣ هـ (١١٢٩ م) في الأغلب ، مدة ثم أبعده عن دمشق . فلمّا جاء إسماعيل بن بوري ٥٢٦ هـ (١١٣٢ م) سَمَحَ لـه بالعودة ثم عاد فغضب عليه . فاختفى ابن منير حِيناً في شَيْزر وحَماة ، ثم أقام في حلب وتوفّي فيها في جُمادَى الآخرة ٥٤٨ هـ (أيلول - سبتمبر ١١٣٥) .

٢ - لابن منير نَثْرٌ مُعَقّدٌ بالصِناعة ، ثم هُوَ شاعر مُكْثِرٌ على شيء من الإجادة

---

(١) الداعية : السبب ، المثير . ان بنا (انه بنا) .

(٢) الركب : الجماعة في قافلة واحدة . تلوي : تميل، تحني. السنة (بكسر السين وفتح النون) : الغفوة ، النعاس والنوم . الكرى النوم . هوم الرجل : مال رأسه من النعاس .

(٣) يناجون : يخاطبون بصوت منخفض. بالمقل (بالعيون) الفاترات (الناعسات) . - يخاطبون النجوم ويبثونها أسرارهم .

(٤) - ان جفونهم (عيونهم) تقص أحاديث تامة ولكن لا يفهمها كل انسان .

مَعَ تَكَلُّفِ الصَّنْعة وخُصوصاً فيما يتعلّق بالإشارات النَحْوية والفِقهية . وفي بعض شعره سُخْف وإقذاع . وأحسنُ فنونهِ وأوسَعُها الهِجاء والغَزَل. وله وصف واخوانيات وشيء من الحماسة .

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ منيرِ الطرابلسيُّ في الغزل :

ويلي من المُعْرِضِ الغَضبانِ إذْ نقل الـ واشي اليه حديثـاً كلُّه زور .
مُقَصَّرُ الصُدْغِ مَسْبُولٌ ذؤابتُه؛ لي منه وَجْدانِ : مَمْدودٌ ومَقْصور[1].
سَلّمتُ فازورّ يَزْوي قَوْسَ حاجبـِه كأنني كأسُ خَمْرٍ وهْوَ مخمور[2] !

- وقال في هَجْر الموطن اذا خَمَلَ الانسانُ في موطنه :

وإذا الكريمُ رأى الخُمولَ نَزيلَه في بلدةٍ ، فالحزم أن يَتَرَحّـلا .
ساهَمْتَ عِيسَك مُرّ عَيْشِكِ قاعداً ، أفَلاَ فَلَيْتَ بِهِنّ ناصيةَ الفَلا[3] ؟
لا تَرْضَ من دُنياكَ ما أدْناكَ مِـنْ طَمَعٍ ، وكُنْ طَيْفاً جَلا ثمّ انْجلى[4].
فارِقْ تَرُقْ ، كالسيفِ سُلّ فبـانَ في مَتْنَيْه ما أخْفى القِرابُ وأخْملا[5] ،
وَصِلِ الهَجيرَ بهَجْـرِ قومٍ كلّما أمْطَرْتَهُم عَسَلاً جَنَوْا لك حَنْظلا[6]

٤ - ** الخريدة (الشام) ١ : ٧٧ - ٩٥ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٨٦ - ٨٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٤٦ - ١٤٧ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٢٣١ - ٢٣٧ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٧، الملحق ٠ : ٤٥٥ ؛ زيدان ٣ : ٢٠ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٤٥ .

---

(١) مقصر الصدغ (شعره من جانبي رأسه قصير) مسبول ذؤابته (له ضفيرة طويلة في قفا رأسه) .
(٢) الوجد : الحب . ممدود : طويل . مقصور : مقصور عليه وحده (لا أحب أحداً معه) .
(٣) - شاركت عيسك (نياقك ، ابلك) العيش المر (الفقر) وأنت قاعد في بلدك . هلا فليت (قطعت) بها (بعيسك) ناصية (جبهة ، ظهر) الفلا (جمع فلاة : الارض الواسعة) : هلا سافرت في طلب الرزق .
(٤) أدناك : قربك . الطمع هنا (البقاء طويلا على أمر واحد) . الطيف : الخيال ، المنام . جلا : ظهر . انجلى : انجاب ، ذهب ، اختفى .
(٥) فارق : اترك (أرضك وأهلك) ترق (تصبح رائقاً : جميلا) . سل السيف : جرده من قرابه (غمده) . بان : ظهر . متن السيف : ظهره (وهنا صفحتاه) .
(٦) - اترك الناس الذين يكرهونك ولو في الهجير (وقت الظهر - وهو وقت يكره فيه السفر لشدة الحر فيه) . جنوا لك : قطفوا لك (قدموا لك) . الحنظل : نبات مر.

ابن القيسراني الشاعر

١ ــ هو شَرَفُ الدينِ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ نَصْرِ بنِ شاغربن داغرِ المشهورُ بابن القَيْسرانيِّ ، وُلِدَ في عكّا (فِلَسْطين) سَنَةَ ٤٧٨ هـ (١٠٨٥م) ونشأ في قَيْسارية . ولمّا استولى الإفرنجُ (الصَّليبيون) على قَيْسارية (٤٩٤ هـ=١١٠١ م) هاجر آلُ القَيْسرانيّ إلى دِمَشْقَ . ثم قرأ الأدب على توفيق بنِ محمد الدمشقيّ وعلى ابنِ الخيّاطِ الشاعرِ ، وكان يتولّى إدارة الساعاتِ في دِمَشْقَ . ثم سَمِعَ (الحديث ؟) في حَلَبَ من الخطيبِ أبي طاهرٍ ومن هاشمِ بنِ أحمدَ الحلبيّ.

هجا ابن القيسراني تاج الدين بوري صاحبَ دِمَشْقَ ثم هَرَبَ الى حَلَبَ . وله مدح في نورِ الدين زَنْكي . وكذلك ذهب الى المَوْصِلِ ومَدَحَ صاحبها جَمال الدينَ محمّداً . ثم رأيناه (٥٤٠ هـ) في أنطاكِيَةَ . وكانتْ وفاتُه في دِمَشْق في ٢١ شَعبانَ ٥٤٨ (١٢/ ١١ / ١١٥٣ م) .

٢ ــ ابنُ القَيْسراني أديبٌ متفنّن وشاعرٌ مُجيدٌ ، وهو أرفع مقاماً من مُعاصِرِه ومنافِسِهِ ابنِ مُنيرِ الطَرابُلُسيّ (وقدكان بَينهما من المُنافسة في التكسّبِ والمناقَضَة في الشِعر مِثلُ ما كان بينَ جريرٍ والفَرَزْدق) . وديوانُه كبيرٌ ، وشِعْرُه سهلٌ رقيقٌ عليهِ نَفْحةٌ دينيةٌ برُغْم أنه مُشْبَعٌ بالصِناعة . وأكثرُ فنونِه المديح والوصف والغزل .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ كان الافرنجُ (الصليبيّون) قد أقاموا إمارةَ الرُها فاصلاً بين العراق والشام (سورية) ، وكانت تلك الإمارة تُعَدّ الدِعامةَ الاولى للاحتلال الفرنجيّ . وبدأ الملكُ العادلُ نورُ الدين محمودٌ يفتح بُلدانَ تلك الامارة وحصونَها واحداً واحداً حتّى تمّ له الاستيلاء عليها كلّها سنة ٥٤٦هـ (١١٥١ م) وأخذ أميرَها جوسلين الثاني أسيراً مقيّداً بالسلاسل ؛ فمدح ابنُ القيسراني الملكَ العادلَ بقصيدةٍ طويلةٍ جاء فيها :

صَدَعْتَهُمُ صَدْعَ الزُجاجة لا يَدٌ   لجابِرِها ؛ ما كُلُّ كَسْرٍ له جَبْرُ[1].

---

(١) صدعتهم : شققتهم ، قطعتهم (هزمت الافرنج الصليبيين) . لا يد لجابرها : لا يستطيع أحد أن يعيد الزجاج اذا تشقق الى حاله الاولى.

فلا يَنْتَحِلْ من بعدِها الفخرَ دائلٌ ؛ فمَن بارزَ الإبْرِنْزَ كان له الفخر[١] .
ومن بزّ أنطاكيّةً من مَليكِهــا أطاعتْه ألحاظ المُؤلّلَةِ الخُزْر[٢] .
أتى رأسه رَكضاً وغُــودِرَ شِلْوُه ، وليسْ سوى عافي النُسور له قبر[٣] ؛
كما أهْدَتِ الأقدارُ للقُمْصِ أسرَه ؛ وأسعدُ قِرْنٍ من حواه لك الأسر[٤] .
وقد أصبح البيتُ المُقَدّسُ طاهراً ، وليس سوى جاري الدماء له طُهْر[٥] .
وقد أدّتِ البِيضُ الحِدادُ فروضَهــا ؛ فلا عُهْدَةٌ في عُنْقِ سيفٍ ولا نَذْر[٦] .
وصلّتْ بمِعراج النبيّ صــوارمٌ مَساجِدُها شَفْعٌ وساجِدُها وَتْر[٧] .
وان تَتَيَمّمْ ساحلَ البحرِ مالكاً ؛ فلاعَجَبٌ أنْ يَمْلِكَ الساحلَ البَحْر[٨] .

— سمع ابن القيسراني يوماً مغنّياً محسناً في غنائه فقال :

واللهِ ، لو أنْصَفَ الفِتيــانُ أنفُسَهم أعْطَوْكَ ما ادّخروا منها وما صانوا ؛
ما أنت ، حينَ تُغنّيهم وتُطْرِبهُمْ ، الاّ نسيمُ الصَبا والقومُ أغصــانُ !

---

(١) الدائل : الذي يأخذ بثأره من خصمه . إنك قد حزت الفخر كله لما بارزت الابرنز (الامير = تعريب الكلمة الفرنجية اللاتينية **Princeps** : الرأس الاول) .

(٢) كان نور الدين قد استولى أيضاً على أجزاء من امارة أنطاكية . أطاعته ألحاظ المؤللة الخزر (؟)

(٣) أتى رأسه ركضاً : تدحرج رأسه (قتل في المعركة) . غودر : ترك (بالبناء للمجهول) . الشلو : الجسد المقطوع ، قطعة الجسد الباقية على أرض المعركة . عافي النسور : النسر الذي يأتي اليك (أيها الملك العادل نور الدين) عافياً (طالباً عطاءك) .

(٤) القمص = الكونت (أمير الرها جوسلين الثاني) . القضاء والقدر : العناية الالهية أهدته اليه (أكرمته) ، جعلته أسيرك (والعادة أن خصومك يقتلون في المعركة).

(٥) انك طهرت البيت المقدس (القدس) بالدماء (باستمرار الحرب لاسترداد ها — وان لم تستردها الى الآن) .

(٦) السيوف قد قامت بواجبها ووفت بنذورها لأنها صدقت الحرب في سبيل استرداد القدس .

(٧) وصلت (كناية عن الجهاد الذي هو فرض في زمن الحرب كالصلاة) . معراج النبي (المكان الذي أسرى بالرسول صلى الله عليه وسلم اليه : القدس) . مساجدها : أماكن الصلاة فيها (المعارك) . شفع : زوج (هنا المقصود : متعددة الأماكن) وساجدها وتر : واحد (إما أن يكون المقصود أن القائد البطل الذي يحارب في جميع هذه المعارك واحد هو أنت ، أو : ان جميع المحاربين في هذه المعارك مسلمون ايمانهم واحد) . — والكنايات في الابيات الثلاثة غامضة .

(٨) تيمم : تقصد . ساحل البحر : ساحل الشام ، الشاطىء الفلسطيني . مالكاً : في سبيل امتلاكه واسترداده من الافرنج الصليبيين . في « البحر » (في القافية) تورية : البحر هو المجتمع العظيم من الماء ، وهو طبعاً يسيطر على ساحله (ولولا البحر لما كان هنالك ساحل ؛ والبحر هو الرجل الكريم (يستطيع بماله و بذله أن يمتلك الساحل) .

– لمّا دخلَ ابن القيسرانيُّ أنطاكيةَ، وكانت بيدِ الإفرنجِ، أكثرَ من التشبيب بالفرنجيّات فقال في احداهنّ يُشبّه زُرْقةَ عيونِها بِنَصْلِ الرمح :

لقد فتَنَتْني فَرَنْجِيَّةٌ نَسيمُ العَبيرُ بها يَعْبَقُ :
ففي ثوبِها غُصْنٌ ناعمٌ، وفي تاجِها قَمَرٌ مُشْرِق .
وان تك في عَيْنِها زُرْقَة، فانّ سِنانَ القَنا أزْرقِ !

– وقال يمدح عماد الدين زنكي :

فيا ظَفَرًا عَمّ البلادَ صَلاحُه بمن كان قد عمّ البلادَ فسادُه[1] :
فما مُطْلَقٌ إلاّ وشُدّ وَثاقُه، ولا مُوثَق إلاّ وحُلّ صِفاده[2] ؛
ولا مِنْبَرٌ الا تَرَنّح عُودُه، ولا مُصْحَف إلاّ أنار مِداده[3] .
الى أينَ، يا أسْرى الضَلالةِ بعدَها ؟ لقد ذلّ غاويكم وعَزّ رَشاده[4] .
رويْدَكُمُ، لا مانعٌ من مُظفَّرٍ يُعانِدُ أسبابَ القضاء عِنادُه[5] .
فقلْ لملوكِ الكُفْر تُسْلِمُ بعدَها ممالِكَها ؛ إن البلادَ بِلاده !
فمن كان أملاكُ السموات جُنْدَه، فأيُّ بِلادٍ لم تَطَأها جيِاده ؟
سَمَتْ قِبلةُ الإسلامِ فخراً بطَوْله، ولم يَكُ يسمو الدينُ لولا عِمادُه[6] !

٤ – صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، تأليف الدكتور محمود إبراهيم، دمشق (المكتب الاسلامي) وعمّان (مكتبة الأقصى) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م

الخريدة (الشام) ١ : ٩٦ – ١٦٠ ؛ معجم الادباء ١٩ : ٦٤ – ٨١ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٨٩ – ٣٩١ ؛ ابن الأثير ١١ : ١٤٤ – ١٤٥ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٥٠ – ١٥١ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٢٣٧ – ٢٣٩ ؛ بروكلمان، الملحق ١ : ٤٥٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٢١ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٣٤٧ .

---

(١) ظفر الذي عم البلاد صلاحه (عماد الدين) بالذي كان قد عم البلاد فساده (بالصليبيين) – انتصر عليهم .

(٢) – فكل حر من الافرنج شد وثاقه (أصبح أسيراً)، وكل موثق من المسلمين (مقيد، أسير) حل صفاده (قيده) : أصبح حراً طليقاً .

(٣) المصحف : مجموع الاوراق المجلدة اذا كان مكتوباً فيها القرآن الكريم . المداد : الحبر .

(٤) عز : قل .

(٥) – تمهلوا . لا يحميكم من عماد الدين شيء . ان الذي يعاند عماد الدين زنكي فكأنما يعاند أسباب القضاء والقدر (لأن الله أراد انتصار عماد الدين عليكم) .

(٦) بطوله : باقتداره، بفضله . ولم يك يسمو الدين لولا عماده (في هذا الشطر تورية : عماد الدين : العمود الذي نصب عليه الدين – كالعمود الذي تنصب عليه الخيمة ؛ عماد الدين : عماد الدين زنكي) .

ابو الفضل بن الإخوة

١ ــ هو أبو الفضل عبدُ الرحمنِ[١] بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ الاخوة[٢] العطّار ، سَمِعَ (الحديثَ) من أبي الفوارس طِرادِ الزَّيْنَبي وأبي الخطّاب نَصْرِ بنِ البطر وغيرِهما . ثمّ أنّه سافر الى خُراسان في طلب الحديث فسَمِعَ من جماعة في نَيْسابورَ والريِّ وطَبَرِسْتانِ وإصبهانَ ، كما قرأ شيئاً كثيراً على نفسه . وكان يكتُبُ خطّاً جميلاً وينسَخُ الكُتُبَ .

وكانت وفاتُه في شيرازَ ، سَنَةَ ٥٤٨ هـ (١١٥٣ – ١١٥٤ م) .

٢ ــ أبو الفضلِ بنُ الأخوة مُحَدِّثٌ في الاصل ثمّ كانتْ له معرفةٌ بالأدب كما كان يَنْظِمُ شِعراً يُستَغْرَبُ مثلُه من العُلماء ، ومن المُحَدِّثين خاصةً ، لما فيه من السليقةِ والرَّشاقةِ والسُهولة والعُذوبة .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال أبو الفضلِ بن الاخوة في الناس :

ماالناسُ ناسٌ ، فسَرِّحْ ان خَلَوْتَ بهم ؛ فأنتــما حَضَروا ــ فيخَلْوةٍ أبَدا[٣] .
ولا يَغُرَّنْكَ أثوابٌ لَهُمْ حَسُنَتْ ، فليس مَنْ تَحتَها في حُسْنِه حُمِدا[٤] .
القِردُ قِردٌ ولو حَلّيْتَهُ ذَهَباً ، والكلبُ كلبٌ وإنْ سَمَّيْتَه أسدا[٥] !

ــ وقال في شبابه الماضي :

أنفَقْتُ شَرْخَ شبابي في دِيارِكُمُ ، فما حَظِيتُ ولا أنْقَدت إنفاقي[٦] .
وخيرُ عُمْري الذي وَلّى وقد وَلِعَتْ به الهُمومُ ، فكيفَ الظنُّ بالباقي[٧] ؟

---

(١) قال محمد محيي الدين عبد الحميد في طبعته من كتاب « فوات الوفيات » (١ : ٥٥٧ ، الحاشية) : « وما أظن اسمه الا عبد الرحيم لوقوعه بين جماعة ظهر أن اسم كل (واحد) منهم عبد الرحيم .

(٢) ضبطها محمد محيي الدين عبد الحميد بكسر الهمزة . راجع أيضاً ، فوق ، ص ٢٩١ .

(٣) سرح : اقض حاجتك (من بول و براز) .

(٤) ــ ليس الذي يلبس هذه الثياب الحسنة محموداً (حسن الاخلاق) .

(٥) حليته : جعلت له حلية (بكسر الحاء) : زينة .

(٦) شرخ الشباب : عنفوانه ، قوته ، أحسنه . ولا أنقدت أنفاقي : ما تبصرت في طرق انفاق عمري (كنت مسرفاً في حياتي الجسدية) .

(٧) ولعت به الهموم : أحبته ولزمته ،(كثرت همومي) .

ـ وقال في النسيب :

ولمّا التَقَى للبَيْنِ خَدّي وخدُّها ... تلاقى بَهارٌ ذابِلٌ وَجَنَى وردِ (1) ؛
ولَفّتْ يدُ التوديعِ عِطْفي بعِطْفِها ... كما لَفّتِ النَكباءُ مائِستَيْ رَنْـدِ (2) .
وأجرى النَوى دَمْعي خِلالَ دُموعِها ... كما نُظِمَ الياقوتُ والدُرّ في عِقْدِ (3) .
وولّتْ وبي من لَوْعَةِ الوَجْدِ ما بها ، ... كما عِندَها من حُرْقَةِ البَيْنِ ما عِندي !

٤ ـــ فوات الوفيات ١ : ٣٤١ ـ ٣٤٢ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٦٥ .

فضل الله الراوندي

١ ـ هو ضياءُ الدينِ أبو الرضا فضلُ اللهِ بنُ عليّ بنِ عبدِ اللهِ الحَسَنِي الراوَنَدْيُّ القاسانيّ (القاشانيّ) ، أصلُه من راوَنْدَ ، قُرْبَ قاشان (كاشان) ، على ثلاثينَ فرسخاً من أصْفهانَ .

سكن فضلُ اللهِ الراونديُّ قاشانَ وأنشأ فيها مدرسةً عظيمةً سمّاها المدرسةَ المَجْدِيّة وتَصَدّر للتدريس فيها (ص : كب) . غيرَ أنّ هذا لا يَتّسِقُ وما جاء في ديوانه من المدائح ، وخصوصاً ما ذَكَرَ هو بخطِّهِ في ديوانه عن صلتهِ بالوزيرِ أنوشروانَ (4) : « أيِسْتُ من عائدةِ نفعه بعدَ أن لازمتُ بابه ثمانيةَ أشهُرٍ وخَبَطْتُ الثلوجَ المتراكمةَ في أصْفهانَ ـ وكانتْ سَنَةً ثَلِجَةً ـ . ومن أصعبِ ما شقّ عليّ في مُعاملته ما كنتُ أُدِلّ به وأمَدُّ عُنُقَ الرجاء ..... فلم أنصرفْ منه الاّ باليأس » .

---

(١) البين : الفراق ، البعاد ، التوديع . البهار : زهر أصفر . جنى ورد : ورد جني : ناضر ، رطب ، جديد .

(٢) العطف : الجانب الأعلى من الجسم ، الكتف . النكباء : الريح التي تهب من جهات متعددة في وقت واحد . الرند : شجر طيب الرائحة . المائسة : (الشجرة) التي تحركها الريح .

(٣) النوى : البعد ، البعاد ، الفراق . خلال دموعها : ممتزجة بدموعها . ـ كما جمع الياقوت (الأحمر ، كناية عن دمعي الذي يشبه الدم) والدر : اللؤلؤ (الابيض ، كناية عن دمعها الصافي) .

(٤) ديوان .... فضل الله الراوندي . جاء فضل الله الراوندي ، سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م) ومدح أنو شروان ابن خالد بن محمد الذي كان قد تولى الوزارة للسلاجقة وللعباسيين (٥٢١ ـ ٥٢٢ هـ) . ويبدو أنه عزل ثم أعيد (في أثناء ذلك أو بعد ذلك) . وكانت وفاته سنة ٥٣٢ هـ . وهنالك حاجة الى التوفيق بين وجود أنو شروان في أصفهان ، سنة ٥٢٢ هـ ، وبين توليه الوزارة للمسترشد العباسي ، في بغداد ، في رجب ٥٢٢ (تموز ـ يوليو ١١٢٨ م) .
ثلجة : باردة كثيرة الثلج .

وكانت وفاةُ فضلِ الله الراونديّ نحوَ سنَةِ ٥٥١ هـ (١١٦٥ م) .

٢ – كانَ فضلُ اللهِ الراوَنْديُّ بارعاً في الأُصول والفقه ، وكانت له مشاركةٌ في العلوم العقلية وفي الرياضيّاتِ : كانَ له ابنٌ اسمُه أحمدُ فقال مُلْغِزاً في اسمه :

أقبلَ كالبدرِ في مَدارِعه يُشْرِقُ في السعدِ من مَطالعه[١] .
أوّلُه رُبْعُ عُشْرِ ثالثهِ ؛ ورُبْعُ ثانيهِ جِذْرُ رابعه[٢] .

وكان شاعراً ناثراً مُتَرسِّلاً . وشعره مدحٌ في الأكثر ورثاءٌ ووصفٌ وغَزَل ونسيب وأدَبٌ (حكمة) . ومعَ أنّ شعرَه متينُ السبكِ صحيحُ الأسلوبِ كثيرُ المعاني ، فإنّ الرونقَ عليه قليلٌ لغَلَبةِ التكلّفِ في تَطلُّبِ المعاني والصِناعة عليه . ومعَ ذلك فإنّ له أشياءَ بارعةً .

ولفضل الله الراونديّ كُتُبٌ منها : الكافي في التفسير – تفسير كلام الله المجيد (لم يُتِمَّهُ) – الطِراز المُذْهب في إبراز المَذْهب – مُقاربة الطيّة الى مقارنة النيّة – ضوء الشهاب في شرح الشهاب – الكافي في علم العَروض والقوافي – نظم العَروض – الطِبّ الرَضَويّ – غَمام الغموم – مُزْنُ الحُزْنُ – مجمع اللطائف ومنبع الظرائف – نثر اللآلي لفخر المعالي – غُنْية المغنّي ومُنْية المتمنّي – كتاب الحسيب النسيب للحسيب النسيب (وهو ألف بيت في الغزل والتشبيب) .

٣ – مختارات من شعره

– قال فَضْلُ اللهِ الراوَنْديُّ في مطلعِ قصيدةٍ يرثي بها ابنَه الوَصِيَّ شِهابَ الدين أبا الحسن محمّداً ، وفيها شيءٌ من التأمُّل في الحياة :

رَقَدْتَ ، ودَهْرُكَ لا يَرْقُدُ . وقد فاتَ من عُمْرِكَ الأرْغَدُ[٣] .
عذيرُكَ مِن أملٍ كاذبٍ مُحالٍ له الدهرُ مُسْتَعْبِدُ[٤] .

---

(١) المدرعة (بكسر الميم) والدراعة (بضم الدال وتشديد الراء) ثوب من صوف (يلبسه العلماء) .

(٢) أحمد : أ ، ح ، م ، د يقابل في حساب الجمل (بضم الجيم وتشديد الميم المفتوحة) : ١ ، ٨ ، ٤٠ ، ٤ . أوله (أ = ١) ربع عشر ثالثه (م = ٤٠) واحد من أربعين . وربع ثانية (ربع الحاء) = ٢ يساوي جذر رابعه (الجذر المربع للرقم د أو ٤) أي ٢ (لأن ٢ مضروبة في نفسها تساوي ٤) .

(٣) رقدت : نمت ، غفلت (بفتح الفاء) . الرغد : الخصيب ، السعيد . في البيت تجريد (الشاعر يخاطب نفسه) .

(٤) عذيرك : هات من يعذرك (لا أحد يعذرك) . الدهر مستعبد آمال الانسان : يخيبها متى شاء (بالموت) !

ألم تَــرَ أن المُنى ضِـلّةٌ يَعيشُ بها الحـامل المُرْمِد[1] ؟
تَنَبَّهْ لشأنِكَ واجْهَدْ لــه ، فانّ الخلاصَ لِمَنْ يَجْهَد .
تولّى الشبـابُ وجاء المشيـبُ وهَمٌّ لِداتِكَ أن يَنْهَدوا[2] .
فان لم تُصَدِّقْ فهذا الشهـابُ أبو الحسنِ المـاجدُ الأمجد
تَرَحَّلَ مُنْتَحِيـاً طِيّــةً يُباعِـدها السَّـفَرَ الأبْعدُ[3] ؛
وكان شِهاباً لِديـنِ الالآهِ من العلـم أنوارُه تَرْصَـدُ .
فَهبَّتْ له زَعْـزعٌ عاصفٌ فأخْمَدَهُ عَصْفُها الأنْكَد[4] .
فبالله ، كيـفَ خبا نـورُه ؟ الم تَكُنِ الشُهْبُ لا تَخْمَد[5] !

— ومن قصيدة له يمدحُ بها الصاحبَ بهاءَ الدين القاشاني ويُهَنِّئُه بالنَيْروزِ (عيد الربيع) وفيها وصفٌ للطبيعة وللخمر :

وكأنّما قَـدَحُ النديمِ بهـا قِنْديلُ دَيْـرٍ حَشْوُهُ جَمْرُ.
لا يَشْغَلَنَّكَ عن تَجَرُّعِهـا بكلامِه زيـدٌ ولا عمـرو ؛
واشْرَبْ على النَيْروزِ مُبْتَكِـراً زهراءَ أذكـى نورَها الزَهْـرُ[6] .
واعلَمْ بأنّ الدهـرَ آونـةٌ ، وخِلالَهـا يَتَنـاثَرُ العُمْـر[7].
طابَ الـزمانُ وطاب موْقِعُـه وافْتَرَّ منـه مباسِمُ غُـرّ[8] :
فعلى السفوحِ مَطارِفٌ قُشُـبٌ ، وعلى التُلول مجاسِدٌ خُضْر[9] !

---

(١) المرمد : الفقير .
(٢) اللدات (تقال للاناث) : الاشخاص الذين لهم عمر واحد أو متقارب . أن ينهدوا : ينهضوا (يرحلوا ، يموتوا !) ، أو يلعبوا أو يصبحوا شباناً .
(٣) ترحل : ذهب (مات) . الطية : الغاية ، هدف . السفر الابعد : الموت .
(٤) الزعزع (بفتح الزائين) الريح العاصف ، العاصفة . أخمده : أطفأه ، أماته . النكد (بفتح فكسر) : الشحيح : البخيل .
(٥) المعروف أن النجوم لا تنطفىء (فكيف مات ابني محمد ؟)
(٦) زهراء : بيضاء . والشاعر يقصد حمراء (خمراً) . أذكى فلان النار : أوقدها . أذكى نورها الزهر (؟)
(٧) العمر آونة : مدة محدودة . (٨) افتر : ضحك . غر : بيض ، جميلة .
(٩) المطرف (بكسر الميم أو ضمها وبفتح الراء) : ثوب من حرير فيه رسوم . قشيب : جديد . المجسد (بكسر الميم وفتح السين : ثوب يلبس على البدن مباشرة .

والبرق يُعْشي كلَّ ذي بَصَـــرٍ ، والرَعْد يُسمع من به وَقْر[1]،
والنَرْجِسُ المخمـورُ في يـــده كاسٌ تَحَقّـقَ أنّها تِبْـــرُ[2].
بِكْرُ الزمانِ ، فكلُّ مَكْـرُمَةٍ يسعى لهـا ويرومُهـا بِكْر[3]؛
فاتَ المديــحَ ، فليس يَلْحَقُــهُ نظمٌ تُحَسِّنُه ولا نثـر .
قل للذي غَـدَرَ الزمانُ بــه ، وكذا الزمانُ طِباعُه الغـدر :
رُدْ بَحْــرَ نائله ، فانّ لــه بحراً تَضَحْضَحَ دونه البحر[4]؛
ولِمَنْ تمنّى أن يُعارِضَــه : هيهاتِ ، ذلك مرتقىً وَعْــر[5] !

٤ – ديوان السيّد الامام ضياء الدين أبي الرضا فضل الله الحسني الراوندي القاساني (عني بتصحيحه وطبعه السيد جلال الدين الارموي المشتهر بالمحدّث) ، الطبعة الاولى* (مطبعة المجلس) ١٣٧٤ هجري قمري = ١٣٣٤ هجري شمسي (آخر ١٩٥٤ م) .

ابن قادوس الدمياطي

١ – هو القاضي المُفَضَّلُ كافي الكُفاةِ ذو البلاغتينِ أبو الفتح محمودُ بنُ إسماعيلَ ابن حميد – أو ابن أحمدَ[6] – الدُمْياطيّ الفِهْري ، أصْلُه من دُمْياطَ ، ولا نَعْرِفُ عنه أكثر من أنّه كان كاتبَ الإنشاء في الدولة الفاطمية بمصر في الفترة الأخيرة من حياة تلك الدولة . وكانتْ وفاةُ ابن قادوسٍ في ٧ من المُحَرَّم سنة ٥٥١ هـ (٣/ ٣/ ١١٥٦ م) .

٢ – كان ابن قادوسٍ الدمياطيّ مُنْشِئاً بارعاً في النثرِ والنظم متينَ الشِعْر . أمّا

---

(١) يعشي : يضعف (البصر) . الوقر : الثقل (في السمع) .

(٢) في يده (كذا في الاصل) اقرأ : في كفه .

(٣) بكر الزمان : أول أبناء الزمان : أشرفهم وأكبرهم . يروم : يطلب . بكر : وحيدة ، لم يفعلها أحد من قبل . والنرجس من أول نبات الربيع وزهره .

(٤) رد فعل أمر من راد : طلب ، ذهب ليشرب او يستقي . النائل: العطاء . بحر الاولى (الكرم ، إشارة إلى الممدوح) . البحر الثانية (البحر العادي) . بحر تضحضح دونه البحر : كرمه يزيد على البحر . الضحضاح : القريب القعر .

(٥) عارضه : سار معه يريد أن ينافسه . المرتقى : الطريق الصاعد في الجبل . الوعر : الصلب ، المخيف (الذي يصعب السير فيه) .

(*) لم يذكر على هذا الكتاب اسم البلد الذي طبع فيه ، ولكن ذكر « مطبعة المجلس » يدل على أن ذلك البلد طهران .

(٦) ابن ميسر ٩٧ (مستشهداً به في « أدب مصر الفاطمية » ١٣٩) .

نثرُه فنثر ذلك العصرِ ، فيه تكلّفٌ واستكثارٌ من المدارك الفاطمية (الشيعية) . أما فنونُ شِعْره فالمدحُ والرثاء والهجاء والوصف والغزل والنسيب والمُجون والخمر . وله مدائح في الامام عليّ وآله .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــكتب ابنُ قادوسٍ في أحدِ أيّام عيدِ النَحْر (عيد الأضْحى) وقد رَكِبَ الخليفةُ (خارجاً من قصرِه الى المسجد الجامع) :

أما بعدُ ، فالحمدُ لله ماحي دَنَسِ الآثامِ بالحجّ الى بيتِ الله الحرامِ ومُوجِبِ الفوزِ في المعاد[1] لمن عَمِلَ بمراشِدِ أئمّةِ الهُدى الكرام ..... وصلّى الله على جَدّنا مُحمّدٍ الذي لَبّى وأحْرَمَ ، وبيّن ما أحَلّ اللهُ وحرّم ، وعلى أخيهِ أبينا أميرِ المؤمنين عليّ بنِ أبي طالبٍ الذي ضَرَبَ وكَبّر[2] ، وحقّر من طَغى وتجبّر ، وعلى الأئمة من ذُرِّيّتهما أعلامِ الدين .... وإنّ من الايّام التي كَمُلَتْ مَحاسنُهــا وتَمّتْ، وكَثُرت فضائِلُها وجمّت[3].... يومَ عيد النَحْرِ .... : وكان من قَصَصِه[4] أن الفجرَ لَمّا سَلّ حُسامَه وأبْدى الصباحُ ابتسامه نَهَضَ عبيدُ الدولة في جُموعِ الأولياء والأنصار وأولي العزم والاستبصار ، مُيَمِّمينَ القصورَ الزاهرةَ متبرّكينَ بأفْنِيَتِها[5] .... وتألّفوا صفوفاً تَبْهَرُ النواظرَ... مُستَصْحِبين فُنوناً من الأزياء تَروقُ[6] ومُستَتْبِعينَ أصنافاً من الأسلحةِ يغضّ لَمْعُها من لَمْعِ اللّهَبِ والبروق[7] ، والأعلامُ خافقةٌ ، والرياح بألْسِنَةِ النصر على الإخلاص لإمام العصر متوافقة . فأقاموا على تَشَوُّفٍ لظهورِه[8] ، والتَطَلّعِ * لِلتَّبَرُّكِ بلامعِ نورِه . ولمّا بَزَغَتْ شَمْسُ سعادتهِ ، وجَرَتِ الأمورُ على إيثارِه[9] وإرادته ،

(١) المعاد (بفتح الميم) : الآخرة ، يوم القيامة .

(٢) ضرب وكبر : ضرب عنق خصمه ثم كبر الله شكراً لله على الفوز والانتصار .

(٣) جم الماء : كثر .

(٤) كان من قصصه (بفتح القاف والصاد) : من أمره ، من وصف حاله .

(٥) ميممين : متجهين ، متوجهين . الأفنية جمع فناء (بكسر الفاء) : الباحة الواسعة أمام المنزل .

(٦) راق الشيء العين : سرها .

(٧) غض البصر : خفضه . غض من الشيء : وضع (نقص ، قلل) من قدره .

(٨) تشوف : تطلع بشوق . لظهوره (لخروج الامام الفاطمي من القصر) .

(٩) جرت الامور على ايثاره (على ما يرغب ويفضل) . * وتطلع ؟

وبَدَتْ أنوارُ الإمامةِ الجَلِيَّةُ ، وظهرتْ طَلْعَتُها المُعَظَّمة البهيّة ، خرّ الأنامُ سُجوداً بالدعاء والتمجيد والاعترافِ بأنّهم العبيدُ بنو العبيدِ واستَقَلّ [1] رِكابُ أمير المؤمنين ووزيرهِ السيّدِ الأجلّ ....

– وقال ابن قادوس في الخمر :

قُمْ قبلَ تأذيــنِ النواقيسِ … واجْلُ علينا بِنْتَ قِسّيسِ [2] :
عروسَ دَنٍّ لم يَـدَعْ عَتقُهـا … إلاّ شُعاعاً غيـرَ ملموس [3] .
تُجْلى علينا باسِماً ثَغْـرُها ، … فلا تُقابِلْهـا بتَعْبيس .
مُذْهَبَةُ اللّوْنِ إذا صُفِّقَتْ … مُذْهِبَةٌ لِلْهَمِّ والبُوس [4] .
نارٌ الى النـارِ دعا شُرْبُهـا … وشَرّدتْ بالعقـلِ والكِيس [5] .
لا غَرْوَ ما تأتيهِ من رِيبـةٍ … لأنّهـا عُنْصُرُ إبليس [6] .
ليس لهـا عيبٌ سوى أنّهـا … حَسْرةُ أقـوامٍ مَفاليس ؛
في روضةٍ كانتْ أزاهيرُهـا … كأنّهـا ريشُ الطـواويس .
فاغْتَنِمِ اللّـذاتِ في دَوْلةٍ … صافيةٍ من كـلّ تَعْكيس .
بَقيتَ في عُمْـرٍ فسيحِ المَدى – … من كلّ ما تَحْذَرُ مَحْروسِ [7] .

– وقال أيضاً في النسيب والخمر :

وليلةٍ كاغتماضِ الطَـرْفِ قَصّرها … وَصْلُ الحبيبِ، ولم نُقْصِرْ عن الأملِ [8]

(١) استقل الركب : تحرك وسار .

(٢) تأذين : أذان : المناداة الى الصلاة . جلا – يجلو : أظهر ، كشف ، أبرز الشيء في أحسن زينته . بنت قسيس (الخمر) .

(٣) دن (بفتح الدال) : وعاء كبير للخمر . العتق (بفتح العين أو كسرها) : القدم (بكسر القاف وفتح الدال) .

(٤) مذهبة (بفتح الهاء) : لها لون الذهب . مذهبة (بكسر الهاء) : مزيلة . البوس = البؤس : الشقاء .

(٥) – الخمر تشبه النار في لونها ، وشرب الخمر سبب لدخول شاربها الى النار (جهنم) . شردت بالعقل والكيس : تشرد العقل (من الرأس والمال من) الكيس .

(٦) – لا غرو (لا عجب) اذا حملت شاربها على أن يفعل أفعالا مريبة (فاسقة ، شريرة) لأنها (النار ثم الخمر التي تشبه النار) عنصر (أصل) ابليس .

(٧) تحذر : تخاف ، تخشى .

(٨) كاغتماض الطرف : قصيرة . قصرها وصل الحبيب : في اجتماعي بالحبيب بدا لي أن الليل يمر بسرعة . لم نقصر عن الأمل : لم نقصر ، لم نتهاون ، في البلوغ الى ما نشتهي . يجوز أن نقرأ : « ولم تقصر » (بضم الصاد) عن الامل – لم تكن تلك الليلة (في اتاحة اللذة لنا) أقل مما كنا نأمل .

بِتْنا نُجاذِبُ أهْدابَ الظلامِ بِها كَفَّ المَلامِ وذِكْرَ الصَّدِّ والمَلَلِ (١) .
فكُلَّما رامَ نُطْقاً في مُعاتبتي سَدَّدتُ فاهُ بطِيبِ اللَّثْمِ والقُبَلِ .
وباتَ بَدْرُ تَمامِ الحُسْنِ مُعْتَنِقي والشَّمْسُ في فَلَكِ الكاساتِ لم تَفِلِ (٢) .
فبِتُّ منها أرى النارَ - التي سَجَدَتْ لها المَجوسُ - من الإبْريقِ تَسْجُدُ لي (٣) ؛
راحٌ إذا سَفَكَ النُّدْمانُ من دَمِها ظلَّتْ تُقَهْقِهُ في الكاساتِ من جَذَلِ (٤) .
فقُلْ لِمَنْ لامَ فيها : إنّني كَلِفٌ مُغْرًى بِها مِثْلَما أُغْرِيتَ بالعَذَلِ (٥) !

— وله في هجاء الرشيد بن الزُبير وكان أسود :

يا شِبْهَ لُقْمانَ بلا حِكْمةٍ وخاسراً في العلمِ لا راسِخا (٦) ،
سَلَخْتَ أشعارَ الوَرى كُلِّهِمْ فصِرْتَ تُدْعى الأسودَ السالِخا (٧) .

— إنْ قُلْتَ من نارٍ خُلِقْـ ـتَ وفُقْتَ كُلَّ الناسِ فَهْما ،
قُلْنا : صَدَقْتَ، فما الذي أطْفاكَ حتّى صِرْتَ فَحْما !

٤ - ** خريدة القصر (مصر) ١ : ٢٢٦ - ٢٣٤ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٩ ، أعيان الشيعة (١٩٦٠ م) ٤٧ : ١٦٢ - ١٦٤ ؛ في أدب مصر الفاطمية لمحمّد كامل حسين ٣٣٨ - ٣٤٣ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٤١ .

---

(١) بتنا (قضينا الليل) كف الملام (لوم الناس لنا) أهداب (جمع هدبة بضم الهاء : طرف الثوب الذي لم ينسج نسجاً كاملا) . الصد : الالتفات عن الأمور ، النفور من الاشياء . - قضينا الليل كله نشرب الخمر بسرعة ونسابق الظلام (مرور الوقت في الليل) حتى نشرب أكثر ما نستطيع شربه قبل أن ينتهي الليل وقبل أن نترك متسعاً من الوقت يصد فيه عنا الحبيب أو يمل منا (أو نمل نحن منه) فينغص ذلك كله سرورنا .

(٢) بدر تمام الحسن : الحبيب الجميل (الذي يشبه البدر ليلة تمامه) . والشمس في فلك الكاسات: (الخمر) لم تفل (يقصد الشاعر : لم تأفل) : لم تغب . - كنا نشرب الخمر باستمرار .

(٣) لما شربت الخمر خيل (بالبناء للمجهول) إلي أن نفسي عظمت حتى لكأن الخمر التي تنصب من فم الابريق (ولونها أحمر كالنار) تنصب ساجدة لي ؛ مع أن النار في الأصل هي إله للمجوس يسجدون لها .

(٤) اذا سفك الندمان (الذين يشربون الخمر معاً) دمها: اذا صبوها من الدن (خرجت حمراء فكأنهم يسفكون دم الدن) ، ثم أحدثت صوتاً وهي تنصب في الراووق أو القدح كالقهقهة (الضحك بصوت) من الجذل (السرور ، الفرح) .

(٥) الكلف : الذي هو شديد التعلق بما يحبه . مغرى بها (بشرب الخمر) : متعلق بها - أحبها ، كما أنت مغرى بعذلي (بلومي على شرب الخمر) .

(٦) لقمان الحكيم (كان أسود !) . الراسخ في العلم : المتمكن فيه ، الضليع من العلم (الكثير العلم) .

(٧) سلخ الاشعار : نقلها ، أخذها ، قلدها ، ادعاها لنفسه . الاسود السالخ : الثعبان الاسود اذا سلخ جلده (بدله في موسم تبديل الحيات لجلدها) ظهر أشد سواد .

يحيى بن سلامة الحصكفي

١ – هو أبو الفضل مُعينُ الدين يحيى بنُ سَلامةَ بنِ الحُسينِ الخطيبُ الحَصْكَفيُّ، وُلِدَ في طنزةَ، وهي بُلَيدةٌ صغيرةٌ في جَزيرة ابن عُمَرَ (شَماليَّ الشام والعراق)، سَنَةَ ٤٥٩ هـ (١٠٦٧ م) ونشأ في حُصْنِ كيفا. ثم انه قَدِمَ الى بَغدادَ فدرس الأدبَ على الخطيب التبريزيّ ودرس الفقه. بعدئذٍ بارحَ بغدادَ الى ميّافارقينَ فاستَوْطَنها فأصبح خطيبها ومفتيَها. وكانتْ وفاتُه سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) أو ٥٥٣ هـ (ابن الاثير ١١ : ٢٣٩).

٢ – كان يحيى الحَصْكفي شاعراً وخطيباً ومُتَرسِّلاً. وهو عظيمُ البراعة في شعرِه ونثره مقتدرٌ في جميع أوْجُه الصِناعة المَعْنوية والصِناعة اللفظية له خطب مُهْمَلة (غيرُ منقوطةٍ) مَعَ المُبالغة في التَرْصيع والتَجْنيس. وشِعْره كثيرُ الصِناعة كنَثْره. وهُوَ يُصَرِّفُ في شعرِه ونثره كثيراً من المعارفِ اللُغوية والفِقْهية والفَلَكية وسواها. وله ديوانُ خُطَبٍ وديوان رسائلَ وديوانُ شعرٍ، وله كتاب المترادفات في القرآن.

٣ – مختارات من شعره

– ليحيي الحصكفي خمسةُ أبياتٍ مشهورةٌ على أولها نفحةٌ من أبي نُواسٍ:

أشكو إلى اللهِ من نارين: واحدةٍ ... في وَجْنَتَيْهِ، وأخرى منه في كَبِدي؛
ومن سَقامَيْنِ: سُقْمٍ قد أحَلّ دمي ... من الجُفون، وسُقْمٍ حَلَّ في جَسَدي؛
ومن نَموميْنِ: دَمْعي حين أذْكُره ... يُذيعِ سرّي، وواشٍ منه بالرَصَد[1]؛
ومن ضَعيفينِ: صبري حينَ أنْدُبُهُ، ... وودّه – ويراه الناسُ طَوْعَ يَدي.
مُهَفْهَفٌ رقّ حتّي قُلْتُ من عَجَبٍ ... أخَصْرُه خُنْصُري أم جِلْدُه جَلَدي[2]!

– ألَبّ داعي الهوى وَهْناً فلبّاها ... قَلْبٌ أتاها؛ ولولا ذِكْرُها تاها[3].

(١) النومان مثنى نموم (النمام): الذي ينقل الاخبار من شخص الى الآخر أو يذيع ما يريد الناس عادة كتمانه (خصوصاً التأريث: ما يذكي العداوة بين الناس، وإغراء بعض الناس ببعض).

(٢) الواشي: الذي ينقل الكلام والاخبار ويزيد فيها (بغية الاضرار بأصحاب تلك الأخبار). الرصد (بفتح فسكون أو بفتح ففتح): المراقبة، التربص، انتظار الفرصة المؤاتية.

(٣) المهفهف: نحيف القوام. أخصره مثل خنصري في الدقة أم جلده مثل جلدي (بفتح ففتح: صبري) في الرقة والضعف؟

تَلَتْ علينا ثناياها ــ سُطورَ هوًى لم نَنْسَها مُذْ وَعَيْناها ــ وعَيْناها[1] !

ــ سألته اللَّثْمَ يومَ البَيْنِ فالْتَثَما ، وصدّه التِيهُ أن يَثْني إليّ فَمـا[2]

فكيفَ أطْلُبُ حِفْظَ الوُدّ من صَلِفٍ سألته قُبْلَةً يوم الوَداع فَما[3] .... !

ــ وله من خطبة مهملة (غير منقوطة الكلمات ، وتُستثنى التاء المربوطة لأن اصلها الهاء) :

.... وأعدّ صلاة الاسحار لحصول صلة المحار ، وحاول دار السلام[4] ومحلّ الاكرام : دار سرّ أهلها ودام أكلها ، لا همّ ولا هرم ، ولا علل ولا ألم .....

ــ وله رسالة فيها تجنيسٌ منكوس : يوازن بين الجُمَلِ (يَجْعَلُ كلّ جُمْلة مُساويةً للتي قَبْلَها في عدد الكلمات) ثم يجعل كل كلمة عكس التي تقابلها في ترتيب الحروف :

.... فالنفسُ بعُقودِ التـذرّع حاليةٌ ولقعود التعذّر حائلة (راجع عقود وقعود ، التذرّع والتعذّر ، حالية وحائلة) ، وفي رحاب الحمد راسية وفي بحار المدح سارية ....

٤ ــ ** معجم الادباء ٢٠ : ١٨ ــ ١٩ ؛ الخريدة (الشام) ٢ : ٤٧٠ ــ ٥٤٠ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٢١٣ ــ ٢١٦ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٦٨ ــ ١٦٩ ؛ ابن الأثير ١١ : ٢٣٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٣٣ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ١٨٣ ــ ١٨٤ .

الوَأْوَاءُ الحَلَبيُّ

١ ــ هو أبو الفرجِ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحُسينِ المعروفُ بالوأواء الحَلَبيّ ، أصلُه من بُزاعة (بين مَنْبِـجَ وحَلَبَ) . نشأ في حَلبَ وتأدّبَ فيها ، وكان يتردّدُ الى دِمَشْقَ يُقْرِئُ فيها النحوَ ويشرحُ ديوانَ المتنبّي . وكانت وفاتُه في حلبَ في آخرِ شَوّالٍ من سَنَة ٥٥١ (١٥ ــ ١٢ ــ ١١٥٦ م) .

٢ ــ كان أبو الفرج الوأواءُ الحلبيُّ أديباً بارعاً في النحو وشاعراً مُحْسِناً ، له نسيبٌ ورثـاء .

---

(١) ألب بالمكان : أقام . ــ (تبدت العزة الالهية لقلبي) وهنا (بعد منتصف الليل) فلباها (استجاب لها ، أسرع اليها) . تاه : ضل ، حاد عن الطريق القويم . لولا ذكري الكثير لله لضل قلبي وما اهتدى الى الحق أبداً .

(٢) مذ وعيناها ــ مذ حفظناها . وعيناها (معطوفة على «ثناياها») : ثناياها (اسنانها الجميلة) وعيناها جذبتنا الى حبها .

(٣ و ٤) «فما» في البيت الاول كلمة واحدة (منصوبة) : الفم . و «فما» في البيت الثاني كلمتين : الفاء حرف عطف ، ما حرف نفي (ما رد علي) .

٣ ــ مختارات من شعره

قال الوأواء الحلبيّ في النسيب :

أظنّوا أنّهم بانوا وهم في القلب سُكّانُ؟[١].
تولّى النَّوْمُ إذ وَلَّوْا ؛ وكانوا العيشَ إذ كانوا .
أحَبَّ البُعْدَ أحبابٌ ، وخان العَهْدَ إخوان.
وقالوا : شَفّكَ الدهرُ ؛ وهم للدهرِ أعوان[٢] !
ويَحْيا المرءُ إن راعَتْـ ـهُ أسْيافٌ وخُرصان[٣] ،
ولا يحيا إذا راعتـ ـه أحْداق وأجْفان.

٤ ــ ** خريدة القصر (الشام) ٢ : ١٥٥ ــ ١٥٧ ؛ إنباه الرواة م : ١٨٦ ــ ١٨٧ ؛ بغية الوعاة ٣١٠ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٥٨ ؛ اعلام النبلاء ٤ : ٢٤٤ ــ ٢٤٧ ؛ ابن الاثير ١١ : ٢١٧ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٧٤ .

ابن منجب الصيرفيّ

١ ــ هو أبو القاسم عليُّ بن مُنْجِب بن سُليمانَ المعروفُ بابن الصَيْرفيّ لأن والدَه كان صَيْرَفياً ، وُلِدَ في مِصْرَ في ٢٢ من شَعبانَ من سَنَةِ ٤٦٣ (٢٨/ ٥/ ١٠٧١ م) : اشتغل ابنُ الصيرفيّ في أولِ أمرِه بالكتابة في ديوان الجيش وديوان الخَراج ثم نُقِلَ إلى ديوان الرسائل (٤٩٥ هـ = ١١٠١ م) .

في أيام الآمرِ (٤٩٥ ــ ٥٢٤ هـ) والحافظ (٥٢٥ ــ ٥٤٤ هـ) الفاطِميّيْن كان يتولى ديوانَ الإنشاء أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي أسامةَ الحلبيّ (ت ٥٢٢ هـ) ثم ابنُه أبو المكارم الحسنُ ، وكان يكتب بينَ يَدَيْهِما كِلَيْهِما ابنُ مُنجبِ الصيرفيّ واسعدُ ابن قادوسٍ وابنُ أبي الدَمِ اليهوديُّ . فلمّا توفّي أبو المكارمِ ، في أيامِ الحافظ (حسن المحاضرة ٢ : ١٤٦) ، تولّى ابنُ مُنْجِبٍ ديوانَ الإنشاء . ثم بَقِيَ فيه إلى أن تُوُفّيَ في العِشرين من صَفَرَ من سَنَةِ ٥٤٢ (٢٢/ ٧/ ١١٤٧ م) ؛ وذكر ياقوت

(١) بانوا : بعدوا ، رحلوا .

(٢) شفك الدهر : هزلك وانحلك (جعلك هزيلا نحيلا) .

(٣) الخرصان جمع خرص (بضم الخاء أو كسرها) : الرمح ؛ الدرع .

(معجم الادباء ١٥ : ٧٩) أن ابن منجب توفّي بعد سنة ٥٥٠ﻫ في أيام طلائع بن رُزّيك (ت ٥٥٦ ﻫ) .

٢ ــ كان ابنُ منجبٍ الصيرفيّ كاتباً مترسّلاً بارعاً ومصنّفاً له: كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة (وهو تاريخ للوزراء في أيام الدولة الفاطمية) ــ فنون ديوان الرسائل [يستعرضُ فيه الصفاتِ التي يَجبُ أن تتوفّرَ في من يتولّى هذا المَنْصِبَ الهامّ في حياة الدولة ثم هو يَضَعُ دُستوراً لصناعة الكتابة بعد أن تطوّر مَنْصبُ رئيس ديوان الرسائل تطوّراً كبيراً خلال العصور، منذ أيام عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢ﻫ، راجع ١ : ٧٢٣)] ــ إنباء الهصر بأبناء العصر . ثمّ له شيءٌ من النظم العاديّ .

٤ ــ قانون ديوان الرسائل (عني بنشره علي بهجت) ، القاهرة (مطبعة الواعظ) ١٩٠٥ م .
الاشارة الى من نال الوزارة (عني بتحقيقه عبد الله مخلص) ، القاهرة (مطبعة المعهد العلمي الفرنسيّ) ١٩٢٣ م .
إنباء الهصر بأبناء العصر (تحقيق حسن حبشيّ) ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٧٠ م .

** معجم الأدباء ١٥ : ٧٩ ــ ٨١ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٨٩ ــ ٤٩٠ ؛ زيدان ٣ : ٦٣ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٧٦ .

طلائع بن رزّيك

١ ــ هو أبو الغارات الملكُ الصالحُ طلائعُ بن رُزّيك ، وُلِدَ سنَةَ ٤٩٥ ﻫ (١١٠١ ــ ١١٠٢ م) ؛ ثم إنه كان في مطلعِ حياته والياً على مُنْيَةِ أبي الخَصيب في صَعيدِ مِصْرَ .

في نصف المُحرّمِ من سَنَة ٥٤٩ ﻫ (١/ ٤/ ١١٥٤ م) دبّر الوزيرُ أبو الفتوحِ عبّاسٌ الصنْهاجيُّ مقتلَ الظافرِ بأمرِ الله الفاطميّ ونَصَبَ مكانَه ابنَه الفائزَ ، وكان طِفْلاً في الخامسة من عُمُره ، ثم نَهَبَ أموالَ القَصْرِ واستبدّ بالأمور . واسْتَنْجَدَ أهلُ البَلاطِ بطلائعِ بنِ رزّيك ، وكان رَجُلاً قَوِيّاً حازماً ، فتغلّبَ على عباسٍ وصَلَبَهُ واستبد بالأمرِ مكانَه . ثم ساءت الصِلاتُ وَشيكاً بين طلائعَ وأهلِ البَلاطِ الفاطميّ ، لأنّ طلائعَ كان شيعياً إمامياً ولم يَكُنْ فاطمياً . وتغلّبَ طلائعُ على جميعِ المؤامراتِ التي قُصِدَ بها ثم أقرّ الأمنَ في مِصْرَ كلِّها .

جَهِدَ طلائعُ في التقرّبِ من نور الدين مَحْمودٍ صاحبِ الشامِ فمدحه بالقصائدِ

وأرسلَ إليه الهَدايا والأموالَ ، ولكنّ نورَ الدين لم يَسْتَجِبْ لطلائعَ ، فإن صِلاتِ نورِ الدين بالفاطميين لم تكن حَسَنَةً ؛ ثم إن طلائعَ نفسَه لم يكن يَبْذُلُ كلَّ جُهودِهِ في قِتالِ الإفرنج الصليبيين .

وفي رجب ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) مات الفائزُ فاختارَ طلائعُ بنُ رُزّيك من البيتِ الفاطمي طِفْلاً في التاسعةِ من عُمُرِهِ ونَصَبَهُ خليفةً باسمِ العاضِد ؛ ثم استمر في الاسْتبدادِ بأمورِ الدولة . وتابع رجال البلاط الفاطميّ المؤامراتِ على حياةِ طلائع حتى قُتِلَ طلائعُ في ١٩ رَمَضانَ ٥٥٦ هـ (١١/ ٩/ ١١٦١ م) .

٢ ــ كان طلائعُ بنُ رُزّيك أديباً شاعراً وعارفاً بفنونٍ من العلم ، يَعْقِدُ في قصرِه المجالسَ للبحث والمُناظرة ويدوّن أهلُ العلم عنه شعرَه . وكان كريماً شُجاعاً مدَحه نفرٌ من الشعراء منهم عُمارةُ اليمني وأُسامة بن مُنْقذ .

وطلائعُ شاعرٌ مُكْثِرٌ ولكنّ مُعْظَمَ شِعره قد ضاع ، وشعره الباقي متوسّطُ الجَوْدَةِ يميلُ أحياناً الى الضَعْفِ ، هذا مَعَ التكلّف في تَطَلُّبِ وُجوهِ البلاغة . أما فنونُ شعرِه فهي المدح والفخر والحماسة والإخوانيات (وأكثرها إلى أُسامة بن منقذ) ، وله أيضاً غزلٌ عَذْبٌ وشيءٌ من الأدب والحِكمة .

وهو أيضاً مصنّف له كتاب الاعتماد في الردّ على أهل العناد (في امامة عليّ بن أبي طالب والاحاديث الواردة في ذلك) .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال طلائعُ بنُ رُزّيك في الشَيْب :

مَشيبُكَ قد نَضا صِبْغَ الشَبابِ ، وحَلّ البازُ في وَكْرِ الغُرابِ[١] .
تَنامُ ومُقْلةُ الحَدَثانِ يَقْظى ، وما نابُ النوائبِ عنك نابِ[٢] .
وكيف بَقاءُ عُمْرِك ، وهو كَنْزٌ ، وقد أنْفَقْتَ منه بِلا حِسابِ !

(١) نضا : خلع . صبغ (لون) الشباب : سواد الشعر . حل الباز (طائر أشهب ، أبيض اللون) ، أي الشعر الابيض « الشيخوخة » في وكر الغراب (مكان اللون الأسود) مكان الشباب .

(٢) ناب : سن . النوائب : المصائب . ناب : بعيد .

– وقال في الغزل الممزوج بالحماسة والفخر :

ومُهفهفٍ ثَمِلِ القَوام سَرَتْ الى أعطافهِ النَّشَواتُ من عَيْنَيْـــهِ[1] .
ماضي اللِحاظِ كأنّما سَلّت يَــدِي سَيْفي ، غَداةَ الرَوْع ، من جفنيه.
قد قلت ، اذ خطّ العَـــذار بمِسْكَةٍ في خدّه ألِفَيْهِ لا لاميْـــهِ[2] :
ما الشَعْرُ دبّ بعــارضيه ، وإنمــا أصداغَه نَفَضَتْ على خدّيــه[3].
الناسُ طوعُ يَدي ، وأمري نــافذٌ فيهم ؛ وقلبي الآنَ طوعُ يــديه.
فاعْجَبْ لسُلطانٍ يَعُمُّ بعَدْلهِ ، ويَجُور سلطانُ الغــرام عليه .
واللهِ ، لو لا اسْمُ الفِـــرارِ وأنــه مُسْتَقْبَحٌ لَفَرَرْتُ منــه إليه[4] !

٤ – ديوان الوزير المصري طلائع بن رزّيك (أحمد أحمد بدوي) ، القاهرة (١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م) ؛ (نشره محمد هادي الأميني) ، النجف (المطبعة الحيدرية ومكتبتها) ١٩٦٤م .

* * الخريدة (مصر) ١ : ١٧٣ – ١٨٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٢٦ – ٤٢٩ ، شذرات الذهب ٤ : ١٧٧ ؛ ابن الأثير ١١ : ٣١٨ ، ٢٧٤ – ٢٧٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ٦٣٥– ٦٣٦ ؛ الاعلام للزركلي ٣ : ٣٢٩ – ٣٣٠ .

المؤيد الألوسي[5]

١ – هو أبو سعيد المؤيَّدُ بنُ عطّاف[6] بنِ محمّدِ بنِ عليِّ بنِ محمّد ، وُلِدَ سنَةَ ٤٩٤هـ[7] في ألوسَ عندَ حديثةِ عانةَ على الفُرات ؛ ونشأ في دُجيلٍ ثمّ دخَلَ بغدادَ في صِباه وصار جاويشا[8] في أيامِ الخليفة المُسْتَرشِدِ (٥١٢ – ٥٢٩ هـ) . ولقد بَقِيَ طولَ عُمُرِه بعدَ ذلك يتزيّا بزيِّ الأجنادِ .

---

(١) مهفهف: نحيف القوام . ثمل (نشوان ، سكران) القوام (يتمايل كثيراً تمايلا جميلا) . عيناه أسكرت أعطافه (العطف بكسر العين : جانب البدن) .

(٢) – لحيته في أول ظهورها . المسك أسون اللون . الشعر في وجهه لا يزال خطين مستقيمين (مثل ألفين) ولم يتصلا بعد في أسفل وجهه فيشكلا حرفي لام متقابلين .

(٣) – ليس هذا الذي ظهر في وجهه شعراً ، ولكن صدغيه (جانبي رأسه) نفضاً (رشا شيئاً من سواد شعر رأسه الذي يشبه المسك – بسواده) على خديه .

(٤) لفررت منه اليه : لخضعت له واستسلمت في حبه .

(٥) الألوسي بهمزة قطع ، وقد تلفى بمدة : آلوسي . ويبدو أن المد هو الغالب في اللفظ المعاصر.

(٦) تختلف المصادر في سياقة اسمه.

(٧) تبدأ سنة ٤٩٤ هـ في ٦–١١–١١٠٠ م .

(٨) تذكر المصادر هذه الرتبة العسكرية بهذا اللفظ .

تكسّبَ المؤيّدُ الألوسيُّ بالشعر فمَدَحَ جماعةً من الرؤساء في العراق واتّصل بخدمة ملكشاه مسعود بن محمّد السلجوقي في عِشْرِي الخَمْسِمائةِ[1] فعلا ذِكْرُه وتقدّم وأثرى واقْتَنى أمْلاكاً وعقاراً.

واتّفق ان أطالَ المؤيّدُ الألوسيُّ لِسانَه في الخليفةِ المُقتفي وأصحابهِ فسُجِنَ عَشْرَ سنينَ (٥٤٥ - ٥٥٥ هـ) أو تَزيدُ ثمّ خرَجَ من السجنِ في أول خلافة المُسْتنجد بالله وقد غَشِيَتْ بَصَرَهُ ظُلْمَةٌ من أثرِ السَّجْنِ فغادَرَ بغدادَ إلى المَوْصِلِ فتُوُفّيَ بها في ٢٤ من رمَضانَ من سنَةِ ٥٥٧ هـ (٦/ ٩ / ١١٦٢ م)[2].

٢ - كان المؤيّدُ الألوسيُّ من أعيانِ شُعراءِ عَصْرِه تتّفقُ له المعاني المبتكَرةُ أحياناً والأسلوبُ المُطْرِبُ. وفنونُه المديحُ والهجاء - وكان يُهاجي أبا الفضلِ الشاعرَ ابنَ القطّان[3] - والغزَلُ.

٣ - مختارات من شعره

- من قصيدةٍ للمؤيّدِ الألوسيِّ في يمينِ الدينِ المَكينِ أبي عليٍّ الأصفهانيّ، وفيها غزَلٌ ومدحٌ ثم فخرٌ بشعره:

باحَ الغرامُ من النَجْوى بما كَتَما ... ولَهانُ لو عَطَفَتْ سَلْمى لما سَلِما[4].
أسْتَوْدِعُ اللهَ في الأظعانِ ظالمةً ... أُحبُّها؛ وألذُّ الحُبِّ ما ظَلَما[5].
ضَنّتْ بوصلي وقالتْ: في الخَيالِ له ... غِنًى، وفي زَوْرةِ الأحْلام، لو علِما.
وكيفَ يطمعُ مَسلوبُ التَصَبُّرِ - لم ... يَعْرِفْ لذيذَ الكرى - أن يَعْرِفَ الحُلُما[6]؟

ومنها في المديح:

سماحةٌ تَشْدَهُ الضيفانَ - إنْ دَهَمَتْ ... غُبْرُ السنينَ وبأسٌ يُشْبِعُ الرَخَما[7].

---

(١) بين سنة ٥٢٠ وسنة ٥٢٩.

(٢) نسق العماد الحنبلي (شذرات الذهب ٤ : ١٨٥) وفاته في وفيات سنة ٥٥٨ هـ.

(٣) راجع ترجمته (ص ٣١٤).

(٤) النجوى: التحدث بصوت منخفض، تحديث الانسان نفسه. الولهان: الذي كاد يذهب عقله من الحزن (وشدة الحب). لو عطفت سلمى لما سلما: لو وافقته في الحب لزاد ولهه! ولهان فاعل «كتم».

(٥) الأظعان: الابل التي عليها هوادج النساء.

(٦) الكرى: النوم. الحلم: الرؤيا (المنام)

(٧) سماحة: كرم. تشده: تدهش. الضيفان: الضيوف. ان دهمت (جاءت فجأة) غبر السنين:=

اذا تقاصرتِ الآمـالُ مدّ لهـا يداً ببَذْلِ الأيادي تُخْجِلِ الدِيمَا[1]

لمّا رأى الدهرُ ما تَجْني نـوائبُهُ في الناسِ جاء به عُذْراً لما اجْتَرَما[2].

اسمعْ غرائب شِعْرٍ يَستقيدُ لهـا صَعْبُ المُعادينَ إذعاناً وان رُغِما[3]،

أثْنى عليكَ به حتى تَوَدُّ ـ وقَدْ أنْشَدتُه ـ كُلُّ عينٍ أن تكونَ فَما[4].

وما فَضَلْتُ زُهيراً في قصـائدِهِ إلاّ لِفَضْلك في تَنْويله هَـرِما[5]!

ـ وله أبياتٌ سائرةٌ يُغنّى فيها، منها:

لِعُتْبَةَ من قلبي طريفٌ وتـالدٌ، وعتبةُ لي حتّى المَماتِ حبيبُ[6].

تَعَلّقْتُها طِفْلاً صغيراً، وناشئاً كبيراً، وهـا رأسي بها سَيَشيبُ[7].

وقد أخْلَقَتْ أيْدي الحوادثِ جِدّتي وثوبُ الهوى ضافي الدروعِ قَشيب[8].

ولَيْلَتُنا والغَـرْبُ مُلْقٍ جِرانَه وَعُودُ الهَوى داني القطوفِ رطيبُ[9].

ونحن كأمثالِ الثُريّا يَضُمُّنـا وِدادٌ ـ على ضيقِ الزمانِ ـ رَحيب[10].

= السنون الماحلة الغبراء (التي لا نبات على أرضها). وبأس: قوة، شدة (في الحرب). الرخم: الطيور — هو كريم جداً في السلم حتى ليستغرب ضيوفه هذا الكرم، وهو شديدالبأس في الحرب حتى لتشبع جميع الطيور من قتلاه.

(١) الديمة: الغيمة الممطرة.

(٢) تجني: تذنب. نوائبه: مصائبه. اجترم: أجرم، أذنب. — لما رأى الدهر أنه أذنب كثيراً الى الناس جاء بأبي علي الاصفهاني ليكفر بكرم أبي علي الاصفهاني عن ذنوبه هو.

(٣) استقاد: سلم قياده الى غيره، اذعن. وان رغما: وان كان ذلك الاذعان منها رغماً (ارغاماً، خضوع غصباً وقهراً).

(٤) — كل الناس أرادوا أن يثنوا عليك بما أثنيت أنا عليك به.

(٥) — لم تكن قصائدي في مدحك أفضل من قصائد زهير في مدح هرم بن سنان الا لأنك أعطيتني أكثر ما كان هرم بن سنان يعطي زهيراً. وكان هرم يعطي زهيراً كثيراً.

(٦) طريف وتالد: (حب) جديد وقديم.

(٧) تعلقتها: أحببتها.

(٨) أخلقت (أبلت، مزقت) أيدي الحوادث (المصائب) جدتي (نضارتي، شبابي) بينما كنت لا أزال شاباً. قشيب: جديد.

(٩) وليلتنا (التي قضيناها معاً) والغرب (الليل) ملق جرانه (يشبه الليل بالجمل البارك بكلكل جرانه أو صدره على الارض): موغل، شديد الظلام. عود الهوى (حبنا). داني (قريب) القطوف (الثمر): كثير الثمر — كان تمتعنا بالحب سهلا. رطيب: ناضر (لذيذ).

(١٠) الثريا: عنقود نجوم ملتفة (ترى في رأى العين قريباً بعضها من بعض جداً). رحيب: واسع.

وبِت أديرُ الكأسَ حتّى لِثغْرِها شَبيهاتُ طعمٍ في المُدام وطِيبُ .
أُحِبُّكِ حتّى يَبْعَثَ اللهُ خلْقَهُ ، ولي منكِ في يومِ الحِسابِ حَسيبُ[1] .

– وله في وصف القلم :

ومثقَّفٍ يُغني ويُفني دائماً في طَوْرَيِ الميعاد والإيعاد[2] :
قلَمٌ يَفُلُّ الجيشَ وهو عرَمْرَمٌ والبيضُ ما سُلَّتْ من الأغماد[3] .
وُهبَتْ به الآجامُ حينَ نَشا بها كرَمَ السيولِ وهَيْبةَ الآسادِ[4] .

٤ – ** خريدة القصر (العراق) ٢ : ١٧٢ – ١٧٩ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٢٠٧ – ٢٠٩ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٣٨ – ٤٠ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٤٥ – ٤٧ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٤ : ١٨٥ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٣١ .

ابن القطان البغدادي الشاعر

١ – هو أبو القاسم هِبَةُ اللهِ بنُ الفضلِ (٤١٨ – ٤٩٨ هـ) بنِ القطّانِ عبدِ العزيزِ بنِ محمّدِ بنِ الحُسينِ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ الفضلِ بنِ يعقوبَ بنِ يوسفَ ابن سالمٍ المَتوثيّ ، وُلِدَ سنة ٤٧٧ هـ ، وقيل في سابعِ ذي الحِجّة من سنة ٤٧٨ هـ .

سَمِعَ هبةُ الدين بنُ القطّان الحديثَ من أبيه ومن أبي الفَضْل بن خَيْرونٍ وأبي طاهرٍ محمّدِ بنِ الحسنِ الباقلاّويّ (الباقلاني) وأبي عبدِ الله الحُسينِ بن أحمدَ الكَرخيِّ . ولكنّه اكْتَفَى بالتكَسُّبِ بالشعرِ وتَرَكَ كلّ ما عدا ذلك . وكان أكثرُ اعتمادِه على الهجاء : هجا قاضي القضاةِ شرفَ الدين عليَّ بنَ طِرادٍ الزَّيْنبي بقصيدةٍ أوّلُها :

يا أخي ، الشَرْطُ أمْلَكْ ؛ لَسْتِ للثَلْبِ سأترُكْ[5] ،

(١) حتى يبعث الله خلقه (يوم القيامة) : الى آخر الزمان . ولي منك في يوم الحساب (يوم القيامة) حسيب : محاسب ، منتقم .
(٢) مثقف : (قلم) مستقيم . الميعاد : الوعد . الايعاد : التهديد .
(٣) يفل : يهزم . عرمرم : كثير العدد . والبيض (السيوف) ما سلت من الاغماد (بغير حرب) .
(٤) – بما أن القلم يقطع من القصب الذي ينبت في الأجمة ، فان الأجمة كلها قد أصبحت كثيرة الكرم (كمياه السيل) وصار لها هيبة (رهبة) في النفوس كالرهبة من الأسود .
(٥) الثلب : الذم ، الشتم .

وهي طويلةٌ تبلغُ مائةً وثمانيةَ عشَرَ بيتاً تناقلَها الرُواة ، فحبَسَهُ الزينبيّ عليها مُدّةً (وفيات الاعيان ٢ : ١١٦ ، راجع ٣ : ١١٩) .

وكانتْ وَفاةُ ابنِ القطّانِ في الثامنِ والعشرينَ من رمَضانَ من سنَةِ ٥٥٨ (٣٠/ ٨/ ١١٦٣ م) في الاغلبِ ، في بغْدادَ .

٢ – كان ابنُ القطّانِ البغداديُّ عارفاً بالحديثِ وبالطِب والكِحالة (تطبيب العيون) ، وقيل بل كان طبيباً ؛ ولكنّه توَفّرَ على الشعر . وهو شاعرٌ مُجيدٌ مَليحُ الشعرِ رقيقُ الطبع غلَبَ عليه الهجاء وكثُرَ في شعره المُزاح والمُجون ، وله في هذا البابِ حكاياتٌ كثيرةٌ أشهرُها معَ حيْصَ بيْصَ الشاعرِ . وله : تعاليق طبيّة – مسائل وأجوبتها (في الطب) – كتاب في العَروض (مختصر) . وهو أوّل مَنِ استخدم البحر « فعْلن مفاعلن فعولن » .

٣ – مختارات من شعره

– خرَجَ الشاعرُ حيصَ بيصَ من دارِ الوزيرِ الزينبيّ[١] ليلةً فنَبَحَ عليه جرْوُ كلبٍ فوَكَزَهُ بسيفه[٢] فمات . وبلغتِ القصّةُ الى ابن القطّانِ فنظم أبياتاً وضمّنها بيتَيْنِ لبعضِ الأعرابِ قتَلَ أخوه ابناً له خطأً . وكتَبَ ابنُ القطّانِ الأبياتَ في ورقةٍ وعلّق الورقة في عُنُقِ كلبةٍ لها أجْرٍ ثمّ وكّلَ بها من يَطْرُدُها[٣] هي وأولادُها الى بابِ الوزيرِ الزينبيّ . وعُرِضَتِ الورقةُ على الوزيرِ فإذا فيها :

يا أهلَ بَغْدادَ ، إن الحيصَ بيصَ أتى ... بفِعْلةٍ أكْسَبَتْهُ الخزْيَ في البلدِ .
هُوَ الجبانُ الذي أبْدى تَشاجُعَهُ ... على جُرَيٍّ ضعيفِ البَطْشِ والجلَدِ[٤] .
وليس في يدهِ مالٌ يَديهِ بهِ ، ... ولم يَكُنْ بِبَواءٍ عنه في القَوَدِ[٥] .

---

(١) الشريف أبو القاسم علي بن طراد الزينبي العباسي كان قاضي القضاة ونقيب النقباء وولي الوزارة للخليفة المسترشد أشهراً من سنة ٥١٦ ﻫ (١١٢٢ م) .

(٢) الجرو ولد الكلب والاسد الخ ، وجمعه أجر (بفتح فسكون) وكسرتين لأنه منقوص ، واجراء وجراء وأجرية . وكزه : دفعه ، ضربه .

(٣) يطردها : يدفعها ، يسوقها .

(٤) الجري – تصغير جرو . الجلد : القدرة والاحتمال .

(٥) يديه مضارع « وداه » (ودى – يدي) : دفع ديته (بكسر وفتح بلا تشديد) أي ثمن دمه . البواء : الكفوْ المساوى . القود : قتل القاتل .

فأنشدَ تَجَعْدَةٌ من بعدِ ما احتَسَبَتْ دَمَ الأُبَيْلِقِ عند الواحدِ الصَمَدِ[1] :

« (أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزيةً : إحدى يَدَيَّ أصابتني ولم تُرِدِ[2] .
كلاهما خَلَفٌ من فَقْدِ صاحبه ؛ هذا أخي حينَ أدعوهُ ، وذا وَلَدي !) »

– ويبدو أنّ ابنَ القَطّانِ قد مَلَّ في آخرِ عُمُرِه ذلك الهَذَرَ والمُجونَ فأنشدَ الوزيرَ ابنَ هُبيرةِ جهمَ بنَ عمرٍو الشَيْبانيَّ الذي تولّى الوزارة للخليفةِ المُسْتَنْجِدِ ، في ربيعِ الأوّلِ من سنَةِ ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) قصيدةً منها :

مولاي ، قد قَصّرتْ بي نَهْضتي كِبَراً ؛ فما عَلَيَّ بشَكْوَى فاقةٍ حَرَجُ[3] ؛
طَيِّبْ بَلِيَّةَ عُمْري بالتَعَهُّدِ لي ، يا من له طِيبُ ذِكْرٍ نَشْرُه أرَجُ[4] .
يا مَنْ له حُجّة بالعِزّ قائمةٌ ، ارْحَمْ – لكَ الخيرُ – شَيْخاً ماله حُجَجُ[5] .
فإنّ من جاوزَ العُمْرينِ قد خَرِبَتْ بالعَجْزِ منه أعالي القَصْرِ والأزَجُ[6] .
فَفيمَ تَخْدَعُني الدُنيا بزينَتِها ، والحَيْنُ قد حانَ ، والأحبابُ قد دَرَجوا[7] .
والرِزْقُ – ما دُمْتُ حيّاً – أبتَغيه ، كما يَرومُه يافعٌ في حِرْصِه لَهِجُ[8] .
وانتَ – واللهِ – في علمٍ وفي عملٍ من يستقيمُ به في العالمِ العِوَجُ.
أوْلى بمَجْدِكَ أن تَحنو على يَفَنٍ مديحُه بالذي أوْلَيْتَ مُبْتَهِجُ[9] .

٤ – ** خريدة القصر (العراق) ٢ : ٢٧٠ – ٢٨٨ ؛ طبقات الأطبّاء ١ : ٢٨٣ – ٢٩٠ : وفيات الأعيان ٣ : ١١٦ – ١٢١ ثمّ ٢ : ١١٦ (في ترجمة أبي الفرج العلاء بن عليّ المعروف بابن السوادي) ؛ فوات الوفيات ٢ : ٣٩٢ – ٣٩٥ (وهي الترجمة الموجودة في وفيات الأعيان) ؛ ابن الأثير ١١ : ٢٩٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨١٩ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٦٤ .

---

(١) جعدة يستعملها الشاعر علماً على الكلبة خطأ (لأنها علم على الذئب) . احتسب الرجل ولده : صبر على موته حباً بنل الأجر من الله يوم القيامة . الابليق تصغير أبلق . والابلق من كان في جلده بياض (ويبدو أن الجرو كان أبلق) . الواحد الصمد (المقصود = الله) .

(٢) – يشبه الشاعر الأخ والولد باليدين (لتساويهما في القيمة عنده) .

(٣) – بدأت أعجز عن النهوض لكبر سني . فلا حرج (لوم ، ذنب) اذا شكوت لك فاقتي (فقري) .

(٤) بالتعهد لي : بالاهتمام بي ، بالعطف علي. النشر : الرائحة الطيبة . الارج : توهج (اشتداد ريح) الطيب.

(٥) حجج : دليل ، سلطة . قائمة : ظاهرة ، معترف بها .

(٦) العمران : عمر الشباب وعمر الكهولة (؟) . الازج أدنى البناء .

(٧) الحين : الموت . حان : قرب . درج الأحباب : ذهبوا (ماتوا).

(٨) يرومه : يطلبه ، يسعى اليه . اليافع : من قرب أن يبلغ مبلغ لرجال (الشاب) . الحرص : البخل بالشيء . اللهج : الولوع بالشيء والجد في طلبه .

(٩) اليفن : الشيخ الكبير الفاني . مبتهج : مسرور ، ممتليء (؟) .

أمين الدولة بن التلميذ

١ ـ هو أمينُ الدولة أبو الحسنِ هبةُ اللهِ بن أبي العَلاء صاعدِ بنِ إبراهيمَ بنِ التِلْميذ ، نسبَةً إلى جَدِّه لأُمّه .

وُلِدَ أمينُ الدولة بنُ التلميذ سَنَةَ ٤٦٦ هـ (١٠٧٤ م) في بَغدادَ . ولمّا شَبّ دَرَسَ الطبَّ فبرَعَ فيه ثم تطوّف في بلادِ العَجَم يُطَبِّبُ الأمراء سَنينَ كثيرةً إلى ما بَعدَ سنة ٥١٠ هـ (١١١٦ م) . ثم إنه عادَ إلى بَغدادَ فعَلَتْ فيها منزلتُهُ حتّى أصبحَ ساعورَ البيمارستانِ العَضُديّ(١) ، كما أصبح أيضاً مقدّم النساطرة من النصارى وقِسيسهم . ثم فُوّضت إليه رئاسة الطبّ في بَغدادَ وامتحانُ الاطبّاء .

وكانت وفاة أمينِ الدولةِ بنِ التِلميذِ في ٢٨ ربيعِ الأوّلِ من سنة ٥٦٠ هـ (أوائل ١١٦٥ م) .

٢ ـ كان أمينالدولة بن التِلْميذ بارعاً في الطبّ محبّاً للموسيقى وأهلِها « عارفاً بالفارسية واليونانية والسُريانية متضلّعاً بالعربية » (معجم الادباء ١٩ : ٢٧٦) ، كما كان مُتفنّناً في علوم كثيرةٍ حكيماً أديباً وشاعراً ؛ ونثرُه أجودُ من شِعره . ومَع أن شِعْرَهُ قليلُ الرونقِ فإنه حَسَنُ المعاني يدورُ أكثرُه في البَيتَيْنِ والثلاثة على نُكاتٍ من الكِنايات النَحْوِية والطِبّيّة والفلكية والتاريخية . وله أيضاً وصف حسنٌ ورثاء .

ولأمين الدولة كتبٌ منها : الاقراباذين (أسماء الأدوية وخصائِصُها) ـ اختيار كتاب الحاوي للرازي ـ اختيار كتاب مسكويه للأشربة ـ اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط ـ شرح مسائل حُنينِ بن اسحق على جِهة التعليق ـ شرح أحاديث نبَوية تشتمل على طِب ـ كناش(٢) مختصر الحواشي على كتاب القانون للرئيس ابن سينا ـ الحواشي على كتاب المائة للمسيحي(٣) ـ مقالة في الفَصْد .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ كان أوْحَدُ الزمانِ أبو البركاتِ هِبَةُ الله بن مَلْكا طبيباً يَهوديّاً ينافسُ ابنَ

---

(١) الساعور : مقدم النصارى في معرفة الطب . البيمارستان : المستشفى . العضدي : نسبة الى عضد الدولة ابن بويه ، وكان المستشفى العضدي كبيراً عظيماً راقياً .

(٢) الكناش : مجموع ، جزء من كتاب في الطب .

(٣) هو أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني (نحو ٣٦٠-٤٠١ هـ) طبيب بارع جيد التصنيف فصيح العبارة ، قيل كان معلماً لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) . ولأبي سهل كتاب المائة في الطب وهو من أجود الكتب وأشهرها (طبقات الاطباء ١ : ٣٢٧ – ٣٢٨ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٢٩٧) .

التِلْميذ فلا يَصِلُ إليه ، فوَشَى أوْحَدُ الزمان بابنِ التلميذِ وِشاية ظَهَرَ أمْرُها ، (عُرفت ، انكشفت) فأعْرَض ابنُ التِلْميذَ عنه ولكنْ قال فيه :

لنا صديقٌ يهوديّ حَمَاقَتُهُ اذا تكلّم تَبْدو فيهِ من فيهِ[1] .
يَتيهِ ، والكلبُ أعلى منه مَنْزلةً ، كأنه بَعْدُ لم يَخْرُجْ مِنَ التيهِ[2] !

— ولابن التلميذ شعر حسن في عدد من الأغراض الوجدانية والحكميّة ، :

حُبّي سَعيداً جوهرٌ ثابتٌ ، وحُبّه لي عَرَضٌ زائلُ[3] .
بهِ جِهاتِي السِتُّ مَشْغولةٌ ، وهْوَ إلى غيري بها مائل .

— إذا وَجَدَ الشيخُ في نفسِه نَشاطاً فذلِكَ موتٌ خَفِي .
ألستَ تَرى أنّ ضوء السِراجِ له لَهَبٌ قبلَ أن يَنْطفي !

— قالوا : فلانُ قد وَزَرْ ؛ فقلتُ : « كلاّ ، لا وَزَرْ[4] !
واللهِ ، لو حُكّمْتُ فيهِ جعَلْتُه يَرْعى البقر » .

— قدْ قُلْتُ للشيخِ الجليلِ الأرْيَحيّ أبي الظَفَر :
« ذَكّرْ ، فلانَ الدينِ بي » . قال : « المُؤنّثُ لا يُذَكَّرْ ![5]

— لا تَحْقُرَنّ عَدُوّاً لانَ جانبُه ، ولو يكونُ قليلَ البطش والجَلَدِ .
فلِلذُّبابةِ في الجُرْحِ المُمِدّ[6] يدٌ تَنالُ ما قَصّرت عنه يدُ الأسدِ .

— كُلُّ نارٍ للشَوْقِ تُضْرَمُ بالهَجْرِ ، وناري تُشَبُّ عِنْدَ الوِصالِ .
فإذا الصَدّ راعَني سَكَنَ الوَجْدُ ، ولم يَخْطُرِ الغَرامُ ببالي .

---

(١) حماقته تبدو فيه (اذا تكلم) من فيه (من فمه) .
(٢) التيه : صحراء التيه (في شبه جزيرة سيناء) اشارة الى ان المهجو لا يزال من اليهود القدماء الذي كانوا مع موسى تائهين في شبه جزيرة سيناء .
(٣) الجوهر (حقيقة الاشياء) والعرض (صفاتها الظاهرة). المشغول لايشغل الخ من تعابير المتكلمين والفلاسفة.
(٤) وزر : أصبح وزيراً . «كلا ، لا وزر » (آية في سورة القيامة — ٧٥ : ١١) معناها : لا ملجأ يوم القيامة لأحد ، فكل انسان سيحاسبه الله على ما عمل في هذه الدنيا .
(٥) ذكر فلاناً بي : اذكرني عنده ، الفت نظره الي . المؤنث لا يذكر : لا يعامل معاملة الذكر .
(٦) الجرح المد : الذي فيه مدة (بكسر الميم وفتح الدال المهملة — بلا تشديد) : قيح .

– كَتَبَ أمينُ الدولةِ بنُ التلميذ إلى ابْنه رَضِيِّ الدولة أبي نَصْرٍ رِسالة منها :

الْفِتْ ذِهْنَك عنِ هذه الترّهاتِ إلى تحْصيل مفْهومٍ تتميّزُ بهِ ، وخُذْ نفْسَكَ من الطريقةِ بما كُنْتُ قدْ كرّرتُ تنْبيهَكَ علَيْه وإرْشادَك إليه. واغْتَنِمِ الإمكانَ واعْرِفْ قيمتَه واشْتَغِلْ بشُكْرِ اللهِ تَعالى عليهِ ، وفُزْ بحَظٍّ نَفيسٍ من العلمِ تَثِقْ من نَفْسِك بأنّك عقَلْتَه وملَكْتَه لا قرَأتَه ورَوَيْتَه ..... وأعوذُ باللهِ أن تَرْضى لنفسِكَ إلاّ بما يَليق بمِثْلِكَ أن يتَسامى إليه بعُلُوِّ هِمّتِه .....

ومما قد كرّرْتُ عليكَ الوِصايةَ بهِ : أن تحْرِصَ على ألاّ تَقولَ شيئاً لا يكونُ مُهذّباً في لَفْظهِ ومعْناه ويَتَعَيّنُ عليك إيراده ؛ وأن تَصْرِفَ مُعْظَمَ حِرْصِك إلى أنْ تَسْمَعَ ما يُفيدُك لا ما يُلْهيك مِمّا يَلَذّ للأغْمارِ وأهلِ الجَهالة .....

٤ – ** معجم الأدباء ١٩ : ٢٧٦ – ٢٨٢ ؛ ابن القفطي ٣٤٠ ؛ طبقات الأطبّاء ١ : ٢٥٩ – ٢٧٦ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ١٢٦ – ١٣١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٩٠ – ١٩١ ؛ زيدان ٢ : ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٥٦ – ٩٥٧ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٥٩ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ٣١٥ – ٣٣٤ .

القاضي المهذب أبو محمد الحسن بن الزبير

١ – هو القاضي المُهَذّبُ أبو مُحَمّدٍ الحسنُ بنُ علِيِّ بنِ إبراهيمَ بن الزُبَيْرِ المِصْريُّ، وُلِدَ في أُسْوانَ (في صَعيدِ مصر) في مَطْلَعِ القرنِ السادسِ للهِجْرة . اتّصل ابن الزبير في أسْوانَ ببني الكَنْزِ ومدحهم ، ثمّ انتقل إلى القاهرةِ واختص بطلائعَ بنِ رُزّيكٍ ونالَ منه مالاً جمّاً .

كانَ للقاضي المهذّبِ أخٌ اسمُه القاضي الرشيدُ أحمدُ ذَهَبَ إلى اليمنِ ؛ وقيلَ إنه ادّعى الخِلافةَ هناكَ فحبَسَهُ الداعي الفاطميّ . واتّفق أيضاً أنّ القاضيَ المهذّبَ كان في اليمنِ فحُبِسَ أيضاً . ثم نجا الأخَوانِ من السِجْنِ ورَجَعَا إلى مِصْرَ ولكن لم يَنْجُوَا من الاضْطِهاد . ويبدو أن رجوعهما الى مصر كان بُعيد رجب من سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) بعد أن وزر شاور للعاضد الفاطمي مرة ثانية. اتّهم شاور الأخَوَيْن بالعداء للدولة وله وحبسهما . أما القاضي المهذّب فاستشفع بالملك الكامل بن شاور

وخرج من السجن ، ولكن لم يعش بعد ذلك طويلاً فقد توفّي في ربيع الآخر من سنة ٥٦١ هـ (١١٦٦ م) . وأما القاضي الرشيد فقتله شاور في المحرّم من سنة ٥٦٣ هـ (خريف ١١٦٧ م) .

٢ ــ كان القاضي المهذّبُ شاعراً مُكْثِراً رَصينَ اللَفْظِ متينَ السَبْكِ فصيحَ العِبارة مُحْكَمَ الشِعر ؛ وكان كاتباً مَليحَ الخَط ومُصَنِّفاً للكُتُب ، له كتاب الأنساب ، وهو كبير شامل صحيح دقيق (فقد حصل المؤلّف على كتب في الانساب حينما كان في اليمن) . وكانت طريقة المؤلّف في هذا الكتاب أن يذكر الرجل في سِياق نَسَبه ثم يورد شيئاً من خبره وشعره . وله مقامات .

مختارات من شعره

ــ لمّا سجن المهذّب في اليمن بعث الى الداعي الفاطمي قصيدة طويلة يمدحه فيها ويستعطفه ، فأطلق الداعي سراحه ، من هذه القصيدة :

يا ربعُ ، أين تَرى الأحبّةَ يمّموا : هل أنْجدوا من بَعْدِنا أم أتْهموا[1] ؟
رَحَلوا وقد لاحَ الصَباحُ ؛ وإنما يَسري ــ إذا جَنّ الظلامُ ــ الأنجمُ[2] !
إني لأذكُرُكُمْ إذا ما أشْرَقَتْ شمسُ الضُحى مِنْ نَحْوِكم فأُسلِّم .
لا تبعثوا لي في النسيم تحيّةً ، اني أغارُ من النسيم عليكم .
إنّي امرُؤٌ قد بِعْتُ حَظِّيَ راضياً من هذه الدُنيا بِحَظّي منكُمُ :
فَسَلَوْتُ إلاّ عنكُمُ ، وقَنِعْتُ إلْـ ... لا منكُمُ ، وزَهِدتُ إلاّ فيكم[3] !
أُثني عليكَ بما مَنَنْتَ وأنتَ مِن أوْصافِ مَجْدِكَ ، يا مليكاً ، أعظمُ[4] ؛
فاغْفِرْ لِيَ التقصيرَ فيه وعُدَّه مَعَ ما تجودُ به عليّ وتُنْعم[5] .

(١) يمم : قصد . أنجد : جاء إلى نجد (صعد أرضاً عالية) . أتهم : جاء إلى تهامة (نزل الى أرض منخفضة) . المقصود : الى أين ذهبوا ؟

(٢) يسرى : يسير ليلا . ــ هؤلاء المحبوبات هن نجوم (بجمالهن) . لقد رحلوا صباحاً مع أن من عادة النجوم أن تدور في السماء ليلا .

(٣) سلا : يسلى (عن الشيء : نسيه) .

(٤) بما مننت : بما أنعمت علي.

(٥) أنت تنعم علي بأشياء كثير ، فاجعل الصفح (العفو) عن تقصيري (في مدحك) من جملة أفضالك علي .

مَعَ أني سيّرتُ فيك شَوارداً ... كالدُّرّ بل أبْهى لدى مَنْ يَفْهَمُ[1] .
واذا المآثرُ عُدِّدَتْ في مَشْهَدٍ ... فبِذِكْرِها يُبْدا المَقال ويُخْتَمُ[2] .
وإذا تَلا الراوُون مُحْكَمَ آيِها ... صلّى عليكَ السامعون وسلّموا[3] !

— وله في الغزل والخمر :

كأنّ قدودَهم أنْبَتَتْ ... على كُثُبِ الرمل قُضْبانَها[4] .
حَجَجْنا بها كَعْبَةً للسرور ... ترانا نُمَسِّح أركانَها[5]
فطَوْراً أُعانِقُ أغصانَها ... وطوراً أُنادم غِزْلانَها[6] ،
على عاتقٍ ان خَبَتْ شمسُنا ... فَضَضْنا عن الشمس أدنانَها[7] :
كُميتٍ من الراحِ ، لكنّما ... جَعَلْنا من الراح فُرسانَها[8] .
يَطوفُ بها بابليُّ الجفو ... نِ يَفْضَحُ خَدّاهُ ألوانَها[9] ؛
بكأسٍ اذا ما علاها المِزاجُ ... أحال إلى التِبْرِ مَرجانَها[10] .

---

(١) الشاردة : القافية تنزل في آخر البيت نزولا موافقاً (الشوارد هنا : القصائد الجياد) . الدر : اللؤلؤ .
(٢) المأثرة (بضم الثاء) : العمل المجيد . في مشهد : في ملأ من الناس .
(٣) في هذا البيت مبالغة ممجوجة . يقول : اذا تلا (قرأ ، أنشد) الراوون (رواة الشعر وحفاظه) محكم آيها (آياتها : أبياتها الجميلة) ... (يشبه أبيات شعره بآيات القرآن ويشبه الممدوح بالرسول صلى الله عليه وسلم) .
(٤) قدودهم : قاماتهم . الكثيب : المستدير من الرمل . القضيب : القسم الأعلى من جسم المرأة (أجسامهن نحيلة ولكن أواسطهن ضخمة — وذلك ما كان يحبه أهل الجاهلية وأهل العصر الأموي في المرأة) .
(٥) كان الجاهليون اذا طافوا بالكعبة تمسحوا بأركانها (مسوا بأجسامهم جوانبها) . يشبه النساء هنا بالكعبة .
(٦) أغصانها : نساؤها ذوات القامات المشوقة . غزلانها : نساؤها الجميلا ت الحسان .
(٧) عاتق (هنا) : خمر . خبت شمسنا : خفت حرارتها . فضضنا (أزلنا الغطاء) عن الشمس (الخمر) الدن : خابية الخمر .
(٨) كميت (حمراء اللون) من الراح (الخمر) . الراح جمع راحة : الكف — هي راح (خمر) تمسك بها راحاتنا .
(٩) بابلي الجفون (في عينيه سحر وفتنة — لأن بابل القديمة كانت مشهورة بالسحر وبالسحرة) يفضح خداه ألوانها (لون خديه أحسن احمراراً من لون الخمر) .
(١٠) المزاج (مزج الخمرة بالماء) أحال (بدل لونها) من المرجان (اللون الشديد الحمرة) الى التبر (الذهب القليل الحمر والكثير الاصفرار) .

٤ ـ ‎•‎•‎ الخريدة (مصر) ١ : ٢٠٤ ـ ٢٢٥ ؛ معجم الأدباء ٩ : ٤٧ ـ ٥٧ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٥٩ ـ ١٦١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٩٧ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٢٠ .

القاضي الجليس

١ ـ هو الشيخُ أبو المعالي عبدُ العزيز بنُ الحسينِ بنِ الحَبَاب الأغلبي السَعْديّ التميمي ، أصلُه من صِقِلِّيَة ، وهومن أهل مِصْرَ . وقد عُرِفَ بالقاضي الجليس لأنّه كان يُجالِسُ خلفاءَ مِصْرَ الفاطميّين . كان مَوْلِدُه نحو سَنَةِ ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) .

وَلِيَ القاضي الجليسُ ديوانَ الإنشاء في مِصْرَ في أيام الفائزِ الفاطميّ (٥٤٩ ـ ٥٥٥ هـ) مَعَ الموفّقِ بنِ الخلاّل . وقد ذهب إلى اليمنِ يَحْمِلُ رسالةً من الفاطميّين الى دُعاتِهم . وكان بينَه وبينَ الخطيبِ الشاعرِ أبي القاسم هِبَةِ الله بنِ البدر المعروف بابن الصيّاد عداوةٌ فقد هجاه ابنُ الصياد بألفِ مقطوعة ، فيما قيل ، يَصِفُ فيها أنفَه ، فإنّ أنفَ القاضي الجليسِ كان ضخماً . وانتصر الشّاعرُ أبو الفتح بنُ قادوسٍ للقاضي الجليس وردّ على ابن الصيّاد ردّاً مُقْذِعاً .

وكانت وفاةُ القاضي الجليس في القاهرة سَنَةَ ٥٦١ هـ (١١٦٥ ـ ١١٦٦م) .

٢ ـ كان القاضي الجليسُ أديباً وناثراً ومترسِّلاً . وكان أيضاً شاعراً له شعرٌ مشهورٌ مأثورٌ متينُ البناء . ومَعَ أن القاضيَ الجليسَ كان جريئاً في مُخاطبة الملوك فإنّه كان مَرِحاً في كثير من وجوه حديثه وشعره . وأغراضُ شعرِه النسيبُ والغَزَلُ والشَكْوى والوصف والمديح والهجاء .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال القاضي الجليسُ :

ومن عَجَبٍ أنّ الصوارمَ والقَنا ... تَحيضُ بأيدي القومِ وهيذُكورُ[١] ؛
وأعجبُ من ذا أنّها في أكُفِّهِمْ ... تأجّجُ ناراً والأكفُّ بحور !

ـ وقال في النسيب والشكوى :

لا تَعْجَبي من صدّهِ ونِفارهِ ؛ ... لولا المشيبُ لكنتِ من زُوّاره[٢] .

---

(١) الصوارم (جمع صارم) : السيوف . القنا (جمع قناة) : الرماح . تحيض : ترى الدم (في أثناء المعركة) تشبيهاً لها بالنساء اللواتي يحضن (يرين العادة الشهرية) . ذكور جمع ذكر (فيه تورية) : الذكر من الرجال ثم الذكر من السيوف (الفولاذ) .

(٢) في أيام شبابه كان نشيطاً جداً !

لم تَتْرُكِ الستّونَ إذْ نزَلَتْ بــه ، من عَهْدِ صَبْوته سوى تَذْكــاره .

— وكَتَبَ القاضي الجليسُ ، وقد مَرِضَ مرّةً ، الى طلائعِ بن رُزّيك [1] يشكو إليه طبيباً اسمه ابن السَّديد (ت٥٩٢ ﻫ) وبعث اليه على سبيلِ المداعبة مقطوعةً منها :

وأصلُ بَليّتي مَــن قد غَــزَاني من السُقْمِ المُلِــحِّ بعَسْكَرينِ :
طبيبٌ طِبُّه كغُرابِ بَيْــنٍ يُفرِّقُ بــينَ عافِيَتي وبَيْني [2] .
أتى الحُمّى وقد شاختْ وباخــتْ فردّ لهــا الشبابَ بنُسْختين [3] ،
ودبّــرها بتدبيــرٍ لطيــفٍ حكاه عن سِنانٍ أو حُنينِ [4] .
وكانت نــوبةٌ في كلّ يــومٍ فصيّرها بِحِــذْقٍ نَوْبتَيْنِ [5] .

— ومن كلامه في خطبة ديوان الصالح بن رزّيك :

.... هو الوزيرُ الكافي والوزير الكافل ، والمَلِكُ الذي تُلْقَى بذكْره الكتائبُ [6] وتُهزَمُ باسمه الجحافل ، ومن جدّدَ رُسومَ المملكةِ وقد كاد يُخْفيها دُثُورها [7] ، وعاد به إليها ضياؤها ونورُها :

(وقد خَفِيَتْ من قبله مُعْجِزاتُهـــا فأظهَرَها حتّى أقرَّ كَفُورها) [8] ....

فقد نَشَرَتْ أيّامُه مَطْويَّ الهِمَمِ وأنْشَرَتْ رُفاتَ الجودِ والكرمِ [9] ، ونَفَقَتْ بدَوْلته سوقُ الآدابِ بعد ما كَسَدَتْ ، وهَبّتْ ريحُ الفضل بعدمــا رَكَدَتْ . إذا لَهَا الملوكُ بالقِيان والمعازف ، كان لَهْوُهُ بالعلومِ والمَعارف [10] . وان عَمَروا أوقاتَهم بالخَمْرِ والقَمْرِ [11] ، كانت أوقاتُه معمورةً بالنَهْيِ والأمر :

(مليك — إذا ألْهى الملوكَ عن اللُّها خِمارٌ وخمرٌ — هاجرالدَّلَّ والدنّا) [12] ....

---

(١) راجع ، فوق ، ص ٩٣٠ . (٢) غراب البين : نذير الشؤم (اذا رآه أليفان تفرقا) .
(٣) باخت : ضعف حرها (قاربت الذهاب) . النسخة : الوصفة التي يكتب الطبيب فيها العلاج .
(٤) سنان بن ثابت بن قرة وحنين بن اسحاق طبيبان مشهوران في الدولة العباسية .
(٥) النوبة : الدور ، الأزمة التي تنتاب المريض من اشتداد ألم المرض عليه مرة بعد مرة .
(٦) الكافي : الذي يستطيع تدبير الأمور بنفسه فيوفرعلى الآخرين بذل الجهد . الكافل : الذي يضمن تدبير أمور الدولة . تلقى بذكره الكتائب (جماعات الجنود) : تنهزم الجيوش عند ذكر اسمه .
(٧) الجحفل : الجيش الكبير . الدثور : الامحاء والزوال . (٨) الكفور : المنكر .
(٩) أنشرت : بعثت من الموت . الرفات : البقايا المفتتة من جثث الموتى .
(١٠) ركدت الريح : هدأت . القينة : المرأة الراقصة الجميلة . المعزف (بكسر الميم وفتح الزاي) : آلة من آلات الطرب . (١١) القمر : القمار .
(١٢) اللها جمع لهوة (بضم اللام) : العطية (الكرم) . الخمار : غطاء تضعه المرأة على رأسها . الدل : الغنج في المرأة . الدن خابية الخمر . — اذا التهى الملوك عادة عن تدبير الملك بالنساء والخمر ، فان هذا الممدوح (اذا نزل بالدولة حادث) هجر النساء والخمر اهتماماً بأمور الدولة .

٤ – ** خريدة القصر (مصر) ١ : ١٨٩ – ٢٠٠ ؛ فوات الوفيات ١ : ٣٥٤ – ٣٥٦ ؛ أعلام الزركلي ٤ : ١٤٠ .

نصر بن عبد الرحمن الاسكندري المصري

١ – هو نَصرُ بنُ عبد الرحمنِ بنِ اسماعيلَ بنِ عليّ بنِ الحسنِ بنِ زيادٍ.... الفَزاريُّ الإسْكندريّ من أهلِ الاسكندرية (مِصْرَ)، زارَ بغدادَ في أواخرِ عُمُرِه وسَمِعَ بها سَنَةَ ٥٦٠ ه وجالسَ العلماءَ ثمّ ذَهَبَ الى أصفهانَ فتوفّي فيها في الأغلب، وذلك سَنَةَ ٥٦١ ه (١١٦٥ – ١١٦٦ م).

٢ – كان نصرُ الاسكندريُّ أديباً مُلِمّاً بعَدَدٍ من فنونِ الأدبِ وفَقيهاً ونَحْويّاً كما كان شاعراً حكيماً ومُصَنِّفاً للكُتُبِ، فمن كُتُبِه: كتابٌ في أسماء البلدان والأمكنة والجبال والمياه.

٣ – مختارات من شعره

كان لنصرِ بنِ عبدِ الرحمنِ الاسكندريّ كُتُبٌ كثيرةٌ (من تصنيفه)، وكان مُغْرَماً بها يَخْشى أن تضيعَ بعدَ موتِه فقال:

أُقَلِّبُ كُتْباً طالما قد جَمَعْتُها ... وأفْنَيْتُ فيها العَيْنَ والعَيْنَ واليَدا[1]؛
وأَصْبَحْتُ ذا ضِنٍّ بها وتَمَسُّكٍ ... لِعِلْمي بما قد صُغْتُ فيها مُنَضِّدا[2].
وأحذَرُ جُهدي أن تُنالَ بنائلٍ ... مُبيرٍ وأن يَغْتالَها غائلُ الرّدى[3].
وأعلَمُ حقّاً أنّني لستُ باقياً؛ ... فيا ليتَ شِعْري من يُقَلِّبُها غَدا!

٤ – ** الخريدة (مصر) ٢ : ٢٢٥ ؛ بغية الوعاة ٤٠٣ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٣٤٣ .

ابن الكيزاني

١ – هوَ شَمْسُ الدين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ ابراهيمَ بنِ ثابتِ بنِ ابراهيمَ ابنِ فَرَجٍ الأنصاريُّ الكِناني المِصْري الحامِيّ المعروفُ بابنِ الكيزاني نِسبةً الى أحَدِ أجدادِه الذي كانَ يَعْمَلُ الكِيزانَ (جَمْعَ كوزٍ: إناء صغير للشُّرْبِ) أو يَبيعُها.

---

(١) العين: المال (من الذهب والفضة)، والعين: عضو البصر.
(٢) ضن: بخل. نضد الرجل الأشياء: رتبها وصففها.
(٣) أن تنال بنائل: أن تباع بمال كثير. مبير: مهلك. أن تنال بنائل مبير: أن يشتريها أحد بمال كثير فأفقدها أنا أو لا ينتفع بها المشتري! يغتالها غائل الردى: تتلف (بالحرق أو الضياع، الخ).

يبدو أنَّ ابنَ الكيزاني قَدْ وُلِدَ في الفُسطاط ونَشَأَ هُنالك. ولا نَعْلَمُ أينَ سَمِعَ الحديثَ من أبي الحَسَنِ عليِّ بنِ الحُسينِ بنِ عُمَرَ المَوْصِليِّ ومن أبي عليٍّ الحسنِ بنِ محمّدِ بنِ الحسنِ الجِيليّ، فلَعَلَّه ارْتَحَلَ عن مِصْرَ قبلَ أن يَشْتَهِرَ فيها.

كانَ ابنُ الكيزانيِّ واعظاً في القاهرة وعلى طريقة أهلِ التَصَوُّف أسّس فِرْقَةً تُعْرَفُ بالكيزانية كان لها أتباعٌ كثيرون، وخصوصاً في حُوف مِصْرَ (تجاه بُلْبَيْسَ). وقد كان في الوقت نفسه مُعْتَزلياً يرى أن أفعالَ العبادِ قديمةٌ، كما كانتْ آراءٌ له كثيرةٌ تَدُلُّ على أنه يأخُذُ برأي أهل السُّنّة والجَماعة.

تُوُفّيَ ابنُ الكيزانيّ في مِصْرَ، في التاسع من رَبيعِ الأوّلِ مِنْ سَنَةِ ٥٦٢ هـ (شتاء عامِ ١١٦٦ م) في الاغلب.

٢ ـ كان ابن الكيزاني مُقْرِئاً للقُرآنِ راوياً للحديث وعالماً بأُصول الدين وفُروعه (الفِقه) يأخذ بالرواية ويَلْجأ أيضاً الى النَظَرِ العقلي (البراهين).

وكان أيضاً واعظاً حَسَنَ العِبارة طَلِيّ الكلامِ. ثم هو شاعرٌ مُكْثِرٌ كان مَشْهوراً في زمنه شُهْرة واسعةً. ولكنّ شِعْرَه عاديٌّ لا تَصَنُّع فيه ولا تأنُّق؛ ومعانيه مألوفةٌ قَريبةٌ من أفهام العامة. وأكثرُ شِعْرِه الزهدُ، وله شيء من الغَزَل على طريقةِ أهلِ التصوّفِ. وكانَ أيضاً مُصَنِّفاً له كِتابانِ في الوَعْظ والإرشاد اسمُ أحدِهما كتابُ الرقائق واسمُ الثاني مَليك (؟) الخُطَبِ.

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابن الكيزانيّ في النسيبِ يُشير الى العِزّة الالهية على طريقة المُتَصَوّفين:

وإنّي لأهْوى ذِكْرَكُمْ، غير أنّني ... أغارُ عليكم من مسامعِ جُلاّسي.
عُرِفْتُ بِكُمْ دَهْراً ـ وللعبدِ حُرْمَةٌ ـ ... فلا تَتْرُكوني مُوحَشاً بعد إيناسي (١)!

ـ وقال في مثل ذلك:

تُريدُ الهَوى صِرْفاً من الضُرّ والبَلْوى؛ ... لَعَمْرُكَ، ما هذي قضيّةُ من يَهْوى (٢).

---

(١) موحشاً: بعيداً عنكم. بعد ايناسي: بعد أن قربتموني فأصحب آنس بكم (أجد لذة بقربي منكم).
(٢) صرفاً من الضر: خالياً من الضر (الضرر، الأذى، المرض الشديد الطويل الأمد). البلوى: الابتلاء (الامتحان والاختبار بالشدة والغم اللذين يبليان الجسم: يجعلانه نحيلا مهزولا).

إذا لم يَكُنْ طَرْفُ المُحِبِّ مُسَهَّداً وأدمُعُه تَجْري، فهذا هي الدَّعْوى .

ولا حُبَّ إلاّ أن تَرى كُلْفَةَ الهَوى ألذَّ من المَنِّ المُنَزَّلِ والسَّلْوى[١] .

وحتّى تَرَى القلب القَريحَ من الهَوى يُمانعه الصَّبْرُ الجَميلُ من السَّلوى[٢]

رعى اللهُ من أعطى المَحَبّةَ حقَّها وان لم يكن فيها من الأمر ما يَقْوى[٣] .

– ولابن الكيزاني في الحكمة :

شَريفُنا يَمْضي ومَشْروفُنا ؛ وإنّما يُفْتَقَدُ الخَيِّـرُ[٤] .

كالجَوِّ لا يُوجَدُ إظْلامُـه إلاّ اذا ما عُدِمَ النَيِّـرُ[٥] !

– وله في النسيب :

جُهْدُ عَيْني ألاّ تَـذوقَ هُجوعاً، وجُفوني ألاّ تَكُفَّ دُموعا[٦] ؛

ولِساني ألاّ يَـزالَ مُقِـرّاً أنّني لَسْتُ للعُهودِ مُضيعـا ؛

وفُؤادي ألاّ يُلِـمَّ بهِ الصَّبْرُ، وسُقْمي ألاّ يَرومَ نُزوعا[٧] .

ولَقَدْ أوْدَعَ الغَـرامُ بِقَلْبي زَفَراتٍ أضْحى بها مَصْدوعا[٨] .

وإذا أطْنَـبَ العَذولُ فقد عـا هَدتُ سَمْعي ألاّ يكونَ سَميعا[٩] .

---

(١) المن والسلوى : مادة تسقط مع الندى وتنعقد (تجمد) على الأغصان عسلا . والسلوى أيضاً جمع سلواة : سماناة والواحدة السماني : طائر طري اللحم يكثر في الربيع بين القمح ويقال له في العامية سمن (بضم السين وبضم الميم المشدودة ، والواحدة سمنة) . المن والسلوى : طعام حلو ولحم طير ، كان الله قد أنزلهما على بني اسرائيل في التيه (راجع القرآن الكريم ٢ : ٥٧ ، ٧ : ١٥٩ ، ٢٠ : ٨٠ في السور : البقرة، الاعراف، طه على التوالي) .

(٢) القريح : الذي به قرح (بضم القاف : جرح أو قطع تهرأ فلا يندمل) . السلوى : السلو ، التسلي ، النسيان .

(٣) المملوح : .... وان كان في المحبة (الانس بالله) ما لا يقوى(الصوفي)على احتماله .

(٤) يمضي – يموت . نفتقد الشيء : نحتاج اليه فنطلبه (نبحث عنه) فلا نجده .

(٥) النير : الشمس ، القمر .

(٦) الجهد (بضم الجيم) : الطاقة ، أقصى ما يستطيع الانسان أن يبذله من قوته . الجهد (بفتح الجيم) : التعب . الهجوع : الاغفاء ، النومة الخفيفة ، النوم ليلا . وجفوني – وجهد جفوني . ألا تكف دموعاً : ألا تمنع دموعي عن السقوط .

(٧) ألم به : نزل به (مدة يسيرة) زاره . يروم : يريد ، يطلب . النزوع (عن الشيء) : الانتهاء (لا أريد أن ينتهي سقمي – سقامي ، مرضي ، ألمي ، وجعي – اذا كان محبوبي سبباً له) .

(٨) الزفرة : المرة من التنفس (الحار) ، صوت النار . مصدوع : مشقوق .

(٩) – مهما أطنب (بالغ ، زاد) العذول (المبغض ، اللائم) في نصحي للابتعاد عنك، فلن أسمع منه .

وحرامٌ على التَلَهُّفِ أن يَبْـرَحَ أو يُحْرِقَ الحَشـا والضُلوعا(١).
وبَعيدٌ أنْ يَجْمَـعَ اللهُ شَمْلي بالمَسَرّاتِ أو نَعودَ جَميعا(٢) !

٤ ـ ابن الكيزاني الشاعر الصوفي المصري : حياته وديوانه ، تأليف علي صافي حسين ، القاهرة (دار المعارف) بلا تاريخ (مكتبة الدراسات الادبية ٣٩) .

** خريدة القصر (مصر) ٢ : ١٨ ـ ٤٠ ؛ المحمدون من الشعراء ١١١ ـ ١١٣ ؛ الـوافي بالوفيات ١ : ٣٤٧ ـ ٣٥٠ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٩١ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ١٨٦ .

القاضي الرشيد الأُسواني

١ ـ هُوَ القاضي الرشيدُ أبو الحسينِ أحمدُ بنُ القاضي الرشيدِ أبي الحسنِ عليِّ ابنِ القاضي الرشيدِ أبي اسحقَ ابراهيمَ بنِ محمّدِ بنِ الحسنِ بنِ الزُبير الغَسّانيُّ الأُسوانيّ ، نِسْبَةً إلى أُسْوانَ في صعيدِ مِصْرَ ؛ وكان أسودَ الجِلْدة قبيحَ المنظرِ ذا شَفَةٍ غليظةٍ وأنفٍ مَبْسوط . وهو أخو القاضي المُهَذّبِ أبي محمّدِ الحسنِ بنِ علي بن ابراهيمَ بن الزبير (ت ٥٦١ هـ ـ راجع ص ٣١٩) .

وُلِدَ القاضي الرشيدُ الأُسواني في أُسْوانَ ونشأ فيها ثمّ انْتَقَلَ إلى قُوصَ (دار إمارة الصعيد) في مَطْلَع صِباهُ وتولّى فيهـا المَطْبَخَ . ويبدو أنّه لم يَمْكُثْ في قوص إلاّ قليلاً فجاء الى القاهرة بعد مَقْتَل الظافرِ الفاطِمِيّ، في ٣٠ من المُحَرّمِ من سنة ٥٤٩ (١٦ ـ ٤ ـ ١١٥٤ م) . فلَمّا بُويِـعَ بالإمامةِ للفائزِ الفاطمي، مُسْتَهَلَّ صَفَرَ، دَخَلَ الشعراء عليه يُهَنّئونه فأنشدَ القاضي الرشيدُ قَصيدةً مطلعها : ما لِلرِّياضِ تَميلُ سُكْرا !

فكانت سَبَبَ حظْوته في البلاط الفاطمي .

ثمّ إنّ القـاضِيَ الرشيدَ أُرْسِـلَ بِمُهِمّةٍ إلى اليمن ، فأقـامَ في اليمن مُدّةً وَوَلِيَ فيها القضاءَ ومَدَحَ نَفَراً من مُلوكها منهم عَلِيُّ بنُ حاتِمٍ الهَمْدانِيُّ مدحه بقصيدة يُعَرِّضُ فيها بمصرَ وبني قَيْسٍ (والأئمّة الفاطميونَ منهم) ويُسمّيهم زَعانِفَ خِنْدِفٍ ويمدح هَمْدانَ وقَحْطان من قبائل اليمن .

---

(١) التلهف : الحزن ، التحسر (الحزن على ما فات) . يبرح : يغادر ، يترك ، يزول . أو (حتى ، قبل أن) يحرق الحشى (باطن الجسد ، فيكون حينئذ قد أحرق كل شيء قبل ذلك) والضلوع (أضلاع الصدر ، وفيها القلب) .

(٢) ـ واذا لم اجتمع بمحبوبي فلن أعرف شيئاً من أنواع المسرات .

وكان مِمّا قاله في ذلك :

لئِنْ أجْدَبَتْ أرضُ الصَعيدِ وأقْحِطوا، فَلستُ أُبالي القَحْطَ في ارْضِ قَحْطانِ [1].
ومُذْ كَفُلَتْ لي مأربٌ بِمَــآربي فلَسْتُ على أُسْوان يوماً بأَسْوانِ [2].
وإن جَهلَتْ حَقّي زَعانِفُ خِندفٍ فقَدَ عرَفتْ فضْلي غطارِفُ هَمْدانِ [3] !

وغلا طُموحُ القاضي الرشيدِ في اليمن فتَمَرّدَ وتَسَمّى بالخِلافةِ وضَرَبَ سِكّةً (عِمْلة) باسمه .

ولكنْ سَرْعانَ ما قُبِضَ عليه فأُرْسِلَ مُكَبّلاً الى قُوص ، وأميرُها يومَذاك طَرْخانُ سَليــط (وكان بَيْنَهما عداوةٌ قديمــةٌ) ، فحَبَسَهُ طَرْخانُ في المَطْبخ الذي كان يتولاّه قديماً . ثمّ وَصَلَ خَبَرُهُ الى طَلائــعَ بنِ رُزّيكَ ، وكانَ وَزيراً (٥٤٩ — ٥٥٥ هـ) للفائزِ الفاطمي فأرْسَلَ طلائعُ إلى طَرْخانَ يأمُرُه باطلاقِ سَراحِ القاضي الرشيدِ .

وفي سَنَةِ ٥٥٩هـ (١١٦٣ — ١١٦٤ م) أُرْسِلَ القاضي الرشيدُ إلى الاسكندرية لِيتَوَلّى فيها الدواوينَ السُلطانيةَ ، وكانَ لذلك كارهاً ، كما كان قَلْبُه قد تَغَيّر على الفاطميّين . فلمّا جاءَ شيركوهُ بن شادي الى مِصْرَ ، سَنَةَ ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) كاتَبَهُ القاضي الرشيدُ . وكان صلاحُ الدين الأيّوبي مَعَ عَمّهِ شيركوه ، وكانَ الصليبيّون قد نَزَلوا في الإسْكَنْدَرية فواطأهم شاوَرُ بنُ مُجيرٍ ، وزيرُ العاضِدِ الفاطميّ ،لا كُرْهاً بشيركوه وصلاحِ الدين فقط— وكانا يُحاربانِ الصليبيّينَ— بل تَوَجساً لِخيفةٍ مِنْهما على الدولة الفاطمية ايضاً . وانضمّ القاضي الرشيدُ إلى صلاح الدين في قِتالِ الصليبيّين ، فأحْنَقَ ذلك شاوَرَ. واتّفق أنْ قَبَضَ شاوَرُ على القاضي الرشيدِ في قِصّةٍ طويلةٍ فقتله ، في المُحَرّمِ من سَنَةِ ٥٦٤ (خريف عام ١١٦٧م) .

(١) أجدبت الأرض : قل نتاجها .. الصعيد : مصر العليا (الجنوبية) . قحط (بفتح القاف وكسر الحاء) القوم : أصابهم القحط . وقحطوا (بضم أوله ، بالبناء للمجهول) قليل ، نادر (بمعنى قحط) . لست أبالي: لا اهتم . قحطان (أرض اليمن) .

(٢) كفلت (بالبناء للمجهول): جعلت كافلة . مأرب : بلد في اليمن . مآرب جمع مأرب (بفتح الراء) : حاجة ، غاية . أسوان (بضم الهمزة): بلدة في الصعيد (ولد فيها الشاعر)، أسوان(بفتح الهمزة) : حزين .

(٣) الزعانف (جمع زعنفة بفتح فسكون ففتح) : أجنحة السمك ، الاشياء الرديئة ، الاخلاط من الناس لا أصل واحداً لهم ولا قدر لهم . خندف : قبيلة من عرب الشمال (بفتح الشين) ، المقصود عرب الشمال كلهم (ومنهم الفاطميون) . الغطارف جمع غطريف (بكسر الغين) : السيد الشريف السخي . همدان : قبيلة من عرب الجنوب (في اليمن) .

٢ ـ كان القاضي الرشيدُ مُحيطاً بعدد من فُنون المَعْرفة عَدُّوا منها اللغةَ والنحوَ والعَروضَ والأدب والشعر، وعدُّوا منها أيضاً التاريخَ والمَنْطِقَ والهندسة والفَلَكَ والموسيقى والطِبّ. ولقد كان القاضي الرشيدُ كاتباً مُنْشِئاً ومُصنِّفاً وشاعراً مُجيداً لطيفَ المعاني غريبَ الأغراضِ قليلَ التكلّف؛ وأكثرُ شعرِه في أغراضِ نفسه الوُجْدانية. وقد ذكروا أنّ أخاه القاضيَ المُهذّبَ (ت ٥٦١ ه) كان أشعرَ منه (معجم الادباء ٢ : ٤٧).

والقاضي الرشيدُ مَصنِّفٌ له من الكتب: كتاب مُنْيَةُ الألمعي وبُلْغة المُدّعي (وهي رسالة تشتمل على علومٍ كثيرةٍ، ولعلها الرسالةَ التي أشار إليها العمادُ الأصفهاني في الخَريدةِ (قسم مصر ١ : ٢٠١) وقال: «وله الرسالةُ التي أودَعها من كلِّ علمٍ مُشْكِلَةً ومن كلّ فنّ أفضلَه». وله أيضاً جِنان الجَنان وروضة الأذهان (في أربعة مجلّدات، يشتمل على شعراء مصر ومن طرأ عليها من الشعراء) ـ كتاب المقامات ـ الهدايا والطرف ـ شِفاء الغُلّة في سَمْتِ القِبْلة ـ كتاب رسائله (نحو خمسين ورقة) ـ ديوان شعره (نحو مائة ورقة).

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال القاضي الرشيدُ أبو الحَسَنِ أحمدُ بن عليّ بن الزبيرِ الأُسواني قصيدةً يَمْدَحَ بها طَلائِعَ بنَ رُزّيْكٍ (راجع فوق، ص ٣٠٩) جاء فيها:

ما لِلرِّياضِ تَميل سُكْرا؟ هَلْ سُقِّيَتْ بالمُزْنِ خَمْرا[1]؟
جارى المُلوكَ الى العُلا لكنّهُمْ ناموا وأسْرى[2].
سائِلْ بهِ عُصَبَ النفا قِ غَداةَ كان الأمْرُ إمْرا[3]:
أيّامَ أضْحى النُكْرُ مَعْـ روفاً، وأمْسى العُرْفُ نُكْرا؛
أفَكَرْبَلاءٌ بالعرا قِ وكَرْبَلاءٌ بِمِصْرَ أُخْرى[4]!

(١) بالمزن ـ مع المزن (المطر).

(٢) جارى (طلائع بن رزيك) الملوك: ماشاهم، سايرهم (بدأ سيره معهم)... ثم ناموا هم (تركوا الاهتمام بطلب العلا) وأسرى هو (سار ليلا، ظل يهتم بأمر الملك).

(٣) العصب جمع عصبة (بضم العين): العصابة (بكسر العين) الجماعة القليلة من الناس (تجتمع في الأكثر على الشر). الإمر (بكسر الهمزة): الشيء العجيب المنكر (بضم الميم وفتح الكاف).

(٤) كربلاء: مكان في جنوب العراق استشهد (بالبناء للمجهول) فيه الحسين بن علي، رضي الله عنه؛ كناية عن المصيبة الكبرى.

قَسَماً بِمَنْ طافَ الحَجيـ ـجُ بِبَيْتِـه شُعْثاً وغُبْـرا[1]،
لولا طـلائعُ لَـمْ نَكُـنْ نرجو لِمَيْتِ الدينِ نَشْرا.

— قال القاضي الرشيدُ في كتابه جِنان الجَنان ورياض الأذهان في الشاعر رضيّ الدولة أبي سُليمانَ داوودَ بن مُقدامِ بن ظَفَرٍ المَحَلّيّ (خريدة القصر — شعراء مصر — ٢ : ٤٦) :

هوَ من أبناء الجُنْد بأسفَلِ مِصْرَ، إلاّ أنّ هِمّتَهُ سَمَتْ به من الأدب الى دَوْحَةٍ يَقْصُرُ عَنْها أمثالُـه، ولا يَطْمَعُ فيها أضْرابُه وأشكالُه[2]؛ وعَضَدَهُ على ذلكَ جَوْدَةُ الطَبْعِ ونَفاذُ القَريحة[3] حتى أدْرَكَ بِعَفْوِ خاطِرِهِ وسُرْعةِ بَديهتهِ ما لم يَبْلُغْ إليه كَثْرَةٌ مِنْ أبناء عَصْرِهِ في الدّأبِ[4] على اقْتِناء الأدب....

— لمّا ادّعى القاضي الرشيدُ الخِلافةَ في اليمن وقَبَضَ عليه الداعي (الفاطميُّ) كَتَبَ أخوه القاضي المهذّبُ إلى الداعي يَسْتَعْطِفُه بقَصيدةٍ مَطْلَعُها: «يا رَبْعُ، أين تَرى الأحِبّةَ يَمّموا؟» (معجم الادباء ٩ : ٥٠ — ٥٧، راجع ٤ : ٦٢). فنَظَمَ القاضي الرشيدُ قصيدةً بارعة يُعارِضُ بها قَصيدةَ أخيه (معجم الادباء ٤ : ٦٢ — ٦٦). فمن قصيدة القاضي الرشيدِ :

أحْبابَنا، ما كانَ أعظمَ هَجْرَكُمْ عِنْدي؛ ولكنّ التَفَرُّقَ أعْظَمُ[5].
غِبْتُمْ؛ فلا، واللهِ، ما طَرَقَ الكَرى جَفْني؛ ولكنْ سَحّ بَعْدَكُمُ الدَمُ[6].
وزَعَمْتُمُ أنّـي صَبورٌ بَعْدَكُم. هَيْهاتِ، لا لُقّيتُمُ ما قُلْتُمُ[7].
واذا سُئِلْتُ: بِمَنْ أهيمُ صَبابَـةً؟ قلتُ: الذينَ هُمُ، الذين هُمُ هُمُ.

(١) الحجيج — الحجاج (بضم الجيم جمع حاج). ببيته — بكعبته. الاشعث: الملبد الشعر أو المتفرق الشعر (بلا تمشيط ولا عناية ولا نظافة). الأغبر: الذي علاه الغبار (من طول السفر).

(٢) الدوحة: الشجرة الكبيرة (هنا): مكانة. الأضراب جمع ضرب (بفتح الضاد) والشكل: المثل والصنف والشبيه. — لا يصل أمثاله من الناس الى ما وصل هو اليه.

(٣) عضده: ساعده. نفاذ القريحة: ثقوب الذهن، صحة النظر في الأمور.

(٤) الدأب: المثابرة.

(٥) التفرق: اختلاف الرأي. أعظم: أشد (خطراً ومصيبة).

(٦) ما طرق (جاء ليلا) الكرى (النوم). سح بعدكم الدم: بكيت دماً (بكاء شديداً).

(٧) هيهات: ما أبعد ذلك (عن الصواب). لا لقيتم ما قلتم: لا أصابكم ما أصابني (لا قدر الله لكم الابتعاد عن أحبابكم).

لا ذنبَ لي في البُعْدِ أعرِفُه سِوى ... أنّي حَفِظْتُ العَهْدَ لمّا خُنْتُم (١) ،
فأقَمْتُ حينَ ظَعَنْتُمْ ، وعَدَلْتُ لمّا جُرْتُمْ ، وسَهِدْتُ لمّا نِمْتُمْ (٢) .
أحْبابَ قلبي ، أعْمِرِوه بذِكْرِكُمْ ؛ ... فلَطالَما حَفِظَ الودادَ المُسْلِمُ .
واسْتَخْبِروا ريحَ الصَّبا تُخْبِرْكُمُ ... عن بَعْضِ ما يَلْقى الفُؤادُ المُغْرَمُ (٣) .
كم تَظْلِمونا قادِرينَ ، وما لَنا ... جُرْمٌ ولا سَبَبٌ ! لِمَنْ نَتَظَلَّمُ (٤) ؟
جارَ الزمانُ عَلَيَّ لمّا جُرْتُمُ ... ظُلْماً ، ومالَ الدهرُ لمّا مِلْتُمُ (٥) .
وغَدَوْتُ بَعْدَ فِراقِكم وكأنّني ... هَدَفٌ تَمُرُّ بجانِبَيْهِ الأسْهُمُ (٦) .
ونَزَلْتُ مَقْهورَ الفُؤادِ بِبَلْدَةٍ ... قَلَّ الصديقُ بها وقَلَّ الدِرْهَمُ ،
في معشرٍ خُلقوا شخوصَ بهائمٍ ... يَصْدَى بها فكرُ النبيبِ ويُبْهَمُ (٧) .
إن كُورموا لم يَكْرُموا ، أو عُلِّموا ... لم يَعْلَموا ، أو خُوطبوا لم يَفْهموا (٨) ؛
لا تَنْفُقُ الآدابُ عِنْدَهُمُ ، ولا الـ ... إحسانُ يُعْرَفُ في كَثيرٍ مِنْهُمُ ؛
صُمٌّ عنِ المَعْروفِ حتّى يَسْمَعوا ... هُجْرَ الكلامِ فيُقْدِموا ويُقَدِّموا (٩) .
فاللهُ يُغْني عَنْهُمُ ، ويَزيدُ في ... زُهدي لَهُمْ ، ويَفُكُّ أسْري مِنْهُمُ .

٤ - ** خريدة القصر (مصر) ١ : ٢٠٠ - ٢٠٢ ؛ معجم الادباء ٤ : ٥١ - ٦٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٨٩ - ٩١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، راجع ١٩٧ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ١٦٨ .

---

(١) - أنا أشعر بالبعاد لأنني لا أزال أحفظ العهد ، أما أنتم فلا تشعرون بالبعاد لأنكم خنتم العهد (ونسيتم الصداقة والوداد) .

(٢) ظعن : سافر ، ترك الوطن ، جار : ظلم . سهد : سهر ، لم ينم في الليل من الغم والقلق .

(٣) عمر الرجل المكان وأعمره : جعله آهلا (جعل فيه سكاناً) . اعمروه بذكركم : أحسنوا أعمالكم حتى يظل قلبي مملوءاً بذكركم .

(٤) وما لنا جرم ولا سبب - ليس لي ذنب حتى تظلموني ، ولا لكم سبب (عذر) حتى تظلموني .

(٥) جار الزمان علي : ألح بظلمه علي . ومال (عني) لما ملتم (أنتم عني) .

(٦) الهدف : الغرض المنصوب نطلق عليه السهام (أو الرصاص) . تمر بجانبه الاسهم (تكثر حوله المصائب) .

(٧) يصدى - يصدا - يصدأ . يصدأ الفكر ويبهم : يكل (يضعف ويقف عن التفكير وعن فهم الأمور) .

(٨) إن كورموا لم يكرموا : اذا أكرمهم أحد لم يصبحوا كراماً (طباعهم رديئة حتى لا ينتفعوا بالاكرام ولا تقبله طباعهم) .

(٩) هجر الكلام : الكلام القبيح . فيقدموا (على سماعه ويسرون به) ويقدموا (قائله ويحترمونه) .

حميد بن مالك الكناني

١ ــ هو مكينُ الدولة أبو الغنائم حُميدُ بنُ مالكِ بنِ مُغيثٍ الكِناني ، من آل مُنْقِذ ، وُلِدَ في شَيْزَرَ تاسعَ جُمادى الثانيةِ ٤٩١ (١٣/٤/١٠٩٨) ونشأ فيها . ثمّ انّه انتقل الى دِمَشْقَ وسَكَنَها ، وكان يَكتُبُ في الجيش . وكانت وفاتُه في حلَبَ في نصفِ شَعبانَ من سَنَةِ ٥٦٤ هـ (١٤/ ٥/ ١١٦٩ م) .

٢ ــ كان حُميدُ بنُ مالكٍ ذا عفافٍ وشجاعة ، وكان يحفَظُ القُرآنَ . وهو أديبٌ شاعرٌ ، وشِعرُه وُجدانيٌّ سهلٌ رقيق .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال حُميدُ بن مالكٍ في الخمرِ :

وقهوةٍ كدموعِ الصبِّ صافيةٍ تكاد في الكأس عند الشُرب تلتهبُ .
يَطْفو الحَبابُ عليها ، وهي راسبةٌ ، كأنّها فِضّة من تحتِها ذهب !

ــ وقال في دِمَشْقَ وأهلِها :

ما بعدَ جِلِّقَ للمُرْتادِ منزلةٌ ، ولا كسُكّانها في الأرض سكّانُ .
فكلُّها لمَجالِ الطَرْفِ مُنْتَزَهٌ ، وكلّهم لصُروفِ الدهر أقران .
وان هم بَعُدوا مِني بنِسبْتِهم ، إذا بَلَوْتُهُمُ بالوُدِّ إخوان !

٤ ــ * * معجم الادباء ١١ : ١٦ ــ ١٨ .

ابن الخلاّل

١ ــ هُوَ أبو الحجّاجِ مُوَفّقُ الدينِ يوسفُ بنُ محمّدِ بنِ الحُسينِ المعروفُ بابنِ الخلاّل ، تولّى ديوانَ الإنشاء في مِصْرَ للفاطميّين في أواخرِ أيام الحافِظِ (٥٢٥ ــ ٥٤٤ هـ) ثمّ استمرّ طَوالَ أيامِ الظافر (٥٤٤ ــ ٥٤٩ هـ) والفائز (٥٤٩ ــ ٥٥٥ هـ) إلى أواخر أيام العاضدِ (٥٥٥ ــ ٥٦٧ هـ) .

وضَعُفَ ابنُ الخلال في أواخرِ عُمُرِه فأُشْرِكَ معه في ديوان الانشاء جلالُ الدين مودٌ الأنصاريُّ والقاضي الفاضل . ثمّ زادَ ضَعْفه وعَمِيَ فلَزِمَ بَيْتَهُ إلى أن تُوُفّيَ في ٢٣ من جُمادى الآخِرةِ من سَنَةِ ٥٦٦ هـ (٣٠/ ٣/ ١١٧٠ م) .

٢ ـ كان ابنُ الخلاّل كاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً له غزلٌ ووصفٌ ورثاء. على أنّ شُهْرَته إنّما هي في الكِتابة، فقد كانتْ له قواعدُ (شخصية) في الترسّل يكتُبُ كما يشاءُ، كما كان كثيرَ الصِناعة ربّما استَغلّ عَدَداً مِنَ اصْطلاحاتِ العُلوم لِيُكْسِبَ صِناعتَه قوّةً وجِدّة.

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال ابن الخلاّل يصف شمعة:

وصَحيفةٍ بَيْضاءَ تَطْلُعُ في الدُجى ... صُبْحاً وتَشْفي الناظرينَ بدائِها؛
شابتْ ذَوائِبُها أوانَ شَبابِها، ... واسْوَدّ مَفْرِقُها أوانَ فَنائِها[١]:
كالعينِ في طَبَقاتِها ودُموعِها ... وسوادِها وبياضِها وضيائها!

ـ ومن غزله المملوء بالصناعة:

عَذُبَتْ لَيالٍ بالعُذيبِ خَوالي، ... وحَلَتْ مواقِفُ بالوِصالِ حوالي[٢]؛
ومَضَتْ لَذاذاتٌ تَقَضّى ذِكْرُها ... تُصْبي الحليمَ وتَستَهيمُ السالي[٣]؛
وجَلَتْ مُوَرّدةَ الخُدودِ فأوْثَقَتْ ... في الصَبْوة الخالي بِحُسْنِ الخال[٤].
قالوا: سَراةُ بني هِلالٍ أصلُها؛ ... صدقوا! كذاك البدرُ فَرْعُ هِلالِ[٥].

ـ كتب ابنُ الخَلاّلِ سِجِلاً[٦] بوِلاية شاوَرَ الوزارةَ للمرّةَ الثانية (رَجَبَ ٥٦٠ هـ):

---

(١) ـ تكون الفتيلة التي في قلب الشمعة بيضاء (جديدة، شائبة) حينما تكون الشمعة جديدة (كبيرة، شابة)، ثم يسود مفرق الشمعة (تلك الفتيلة عند رأسها) حينما تحترق الفتيلة وتصغر الشمعة وتقارب أن تنتهي (تفنى).

(٢) عذبت: أصبحت عذبة (حلوة). العذيب: مكان في الحجاز (كناية عن بلد المحبوب، مكان الاجتماع به). خوال: ماضية. حلت: عذبت. بالوصال (بالاجتماع بالمحبوب). حوالي جمع حالية: مزينة.

(٣) تصبي: تدعو الى الصبا والحب. الحليم: العاقل. تستهيم: تحمل على الهيام (بضم الهاء: الجنون في الحب). السالي: الناسي، الغافل عن الحب (لاشتغاله بأمر مهم أو لصغر سنه، الخ).

(٤) جلت: أظهرت، أبرزت. أوثقت: قيدت (أسرت بحبها). في الصبوة: في الحب. الخالي (الذي لا حب في قلبه) و«الخالي» مفعول به من الفعل «أوثقت». الخال: النقطة السوداء في الخد.

(٥) قالوا: هي من سراة (وجهاء) بني هلال (قبيلة عربية)... البدر (القمر ليلة تمامه) أيضاً فرع من أصل هلال (القمر في أول ظهوره).

(٦) السجل: المنشور أو المرسوم بتولية وزير الخ.

..... وبعدُ : فالحمدُ لله مانحِ الرَّغائبِ ومُنيلِها ، وكاشفِ المَصاعب ومُزيلِها ، ومُذِلِّ كلِّ عُصْبَةٍ كَلِفَتْ بالغَدْرِ والشِّقاق ومذيلِها[1] !.... مُطْلِعِ الشمس بعدَ المغيب ، ومُتدارِكِ الخَطْبِ – اذا أعْضَلَ[2] – بالفرجِ القريب ، مُبْدِعِ ما كان وما يكونُ ، ومُسَبِّبِ الحَرَكَةِ والسُّكون، مُحَسِّنِ التدبير ومُسهِّلِ التعْسير ؛ قُلِ : اللَّهُمَّ مالكَ المُلْكِ تُؤتي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تشاءُ وتُعِزُّ مَنْ تشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ، بِيَدِكَ الخيرُ؛ إنّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ[3] .

(ثمَّ يتوجّه بالكلام إلى شاوَرَ) :

وراقِبِ اللهَ في ما ألْقاهُ إليْك، فقَدْ فوَّضَ إليكَ مَقاليدَ البَسْطِ والقَبْضِ[4]، والرَّفْعِ والخَفْضِ ، والوَلايةَ والعزْلِ والقَطْعِ والوَصْل ، .... والإعزاز والإذلال والإساءة والإجمال[5] .... وكُلُّ ما تُحْدِثُهُ تصاريفُ الأيّامِ وتقتضيه مطالبُ الأنام فَهوَ إليك مَردودٌ وفيما علَقَ بِنَظَرِكَ مَعْدودٌ[6].

وأما العَدْلُ ومَدُّ رِواقِه وإقامةُ مواسمِهِ وأسْواقه[7] ..... وإظهارُ شِعارِ الدين في إنصاف المُتداعينَ إلى الشرع المُتَحاكمين ، والدعوةُ الهادية وفَتْحُ أبوابِها للمُسْتَجيبين[5] ، وإعزازُ مَنْ يَتمسّكُ بها من كافّةِ المؤمنين .... فكلُّ ذلك

(١) مانح (معطي) الرغائب (جمع رغيبة : العطاء الكثير) ومنيلها (معطيها) عصبة : جماعة . كلفت : أصبحت مغرمة ، متعلقة ، محبة . مذيلها : مهينها .

(٢) أعضل الداء : صعب شفاؤه .

(٣) هذه آيه من سورة آل عمران (٣ : ٢٦) .

(٤) راقب الله (ليكن الله نصب عينيك، اتق الله وخفه في تصريف) ما ألقاه الله اليك (من المركز والأمر اللذين عهد بهما اليك) مقاليد (مفاتيح ، القدرة على) البسط والقبض (العطاء والمنع ، المنح والحرمان) .

(٥) الاجمال : فعل الجميل بالناس (الاحسان اليهم) .

(٦) تصاريف (تقلبات) الأيام وتقتضيه (تتطلبه) الأنام. (الناس ، مجموع البشر) . مردود اليك (يرجع الفصل والحكم فيه اليك) . علق بنظرك (اتصل بولايتك) (٤) الرواق : ممر مسقوف. مد رواق العدل: نشر العدل بين الناس. المواسم : الأعياد والمناسبات الكبرى. السوق: مكان البيع والشراء (المجال الذي يصرف فيه الناس حاجاتهم اليومية) . أقام السوق : جعلها رائجة كثيرة الحركة .

(٧) الشعار : العلامة . اظهار شعار الدين : العمل على أن يعز الدين ويقوى حتى يظهر فلا يكتم خوفاً من خصومه . المتداعون : المتقدمون الى صاحب الدولة بطلب الانصاف أو رفع الظلم عن أنفسهم . المتحاكون : الذين رضوا (بك) حكماً فيما بينهم . الدعوة الهادية : الدعوة الفاطمية ، المذهب الفاطمي . المستجيب : الذي قبل الدعوة وأراد أن يدخل فيها .

مُحَرَّرٌ في تَقْليدِ وَزارتكَ الأوّلِ[1] ......

٤ - ** خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١ : ٢٣٥ - ٢٣٧ ؛ نكت الهميان ٣١٤ - ٣١٦ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٥٣٠ - ٥٣٤ ؛ ابن الاثير ١١ : ٣٦٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ٢ : ١٤٦ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢١٩ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٢٦ .

ابن الخشاب البغدادي

١ - هوَ أبو محمّد عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الله بن نصرِ بنِ الخشّابِ البغدادي ، وُلِدَ سَنَةَ ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ - ١٠٩٩) . وابن خَلِّكانَ يَشُكّ في هذا التاريخِ ويُقَدِّرُ أنّ ابنَ الخشّاب يَجِبُ أن يكونَ قد وُلِدَ قبلَ ذلك بزمنٍ (وفيات الاعيان ١ : ٤٧٨ - ٤٧٩) .

قرأ ابنُ الخشّاب البغداديُّ الادبَ واللغةَ على أبي منصورِ الجَواليقيّ وأبي الحسن ابن عليّ المُحوِّليّ ، وأخذ النحوعن أبي بكرِ بن جواد مردَ القَطّان ثمّ عن أبي الحسن علي بن أبي زيدِ الفَصيحي الأسْتَراباذي ثمّ عن الشريف أبي السعاداتِ بن الشَّجَري - غير أنّه قاطعَ ابن الشَجريَّ وردّ عليه في أماليه - . وكذلك سَمِعَ ابنُ الخشاب البغداديُّ الحديثَ عن أبي الغنائم النرسي وأبي القاسم بن الحُصين وأبي العزّ كادش وغيرهم .

ولمّا دخل أبو شجاعٍ عُمَرُ بنُ أبي الحسنِ البَسْطاميّ بغدادَ قرأ عليه ابنُ الخشّاب كتاب « غريب الحديث » لأبي محمّدٍ القتيبي .

ويبدو أن ابن الخشاب قد تصدّرَ في بغدادَ لتدريس مُعْظَمِ فنون المعرفة ، والحديثِ واللغة خاصّةً . وكانت وفاةُ ابن الخشّاب البغداديّ في ثالثِ رَمَضانَ سَنَةَ ٥٦٧هـ (٣٠/٤/١١٧١ م) .

٢ - كان ابن الخشّابُ البَغداديُّ بارعاً في علومٍ كثيرةٍ من التفسير الحديث - وكان ثِقَةً في الحديث صَدوقاً - ومن اللغة والأدب ، والنحو ومن الحِساب والهندسة والمَنْطِقِ والفلسفة وغيرها . وكذلك كان شاعراً .

وصنّف ابنُ الخشّاب البَغداديُّ كُتُباً كثيرة ، ولكنّه كان ضَجِراً مَلولاً ما

---

(٦) من المؤمنين كافة (جميعاً) ، « كافة المؤمنين » خطأ في الاستعمال . محرر : مكتوب ، مذكور . التقليد : مرسوم أو منشور (أمر ملكي مفصل) يقرأ في الناس حينما يعين السلطان أو الملك وزيراً .

بدأ كتاباً فأتمّه . فمن كُتُبه : المرتَجَلُ في شرح الجُمَل (للجرجاني *) – شرح اللُمَع (لابن جنّي) – الردّ على ابن بابشاذ في شرح الجمل – الردّ على التبريزي في تهذيب الإصلاح (إصلاح المنطق لابن السكّيت !) – شرح مقدّمة الوزير ابن هُبيرة في النحو – الردّ على الحَريري في مقاماته – القصيدة البديعية الجامعة لشتّات الفضائل والرموز العلمية ، في أسئلة تتعلّق باسم الكتابة (الخطّ !) – أسئلة في البَلاغة وغريب اللغة – في علوم قواعد اللغة العربية – في عِلْمَي العَروض والقوافي – في القريض (!) من الهجاء والمدح – في القرآن وتقسّمه الى أجزاء وأحزاب وأرباع وأعشار وفي القراءات والخِلاف وفي من رَواها – في السِيَرِ وأخبار الاوائل – لُمَعٌ في الكلام على لفظة «آمين» المستعملة في الدعاء وحُكْمها[1] .

٣ – المختار من شعره

– قال أبو محمّدٍ عبدُ الله بن أحمدَ بن الخشاب في تبرير ابتعاده عن الناس :

لَذّ خُمولي وحلا مُرُّه ... إذ صانَني عن كُلّ مَخلوقِ .
نَفْسِيَ مَعْشوقي ، ولي غَيْرَةٌ ... تَمْنَعُني من بَذْلِ مَعْشوقي[2] .

– وقال ملغزاً في «كتاب» :

وذي أوجُهٍ لكنّه غيرُ بائحٍ ... بسِرٍّ ؛ وذو وَجْهَيْنِ للسرّ مُظْهِرُ[3] .
تُناجيك بالأسْرارِ أسرارُ وَجْهِه ... فتَفْهَمُها ما دُمْتَ بالعينِ تَنْظرُ[4] .

– وقال في شمعة :

صفراءُ لا من سَقَمٍ مَسَّها ؛ ... كيفَ ؟ وكانت أمُّها الشافيَه[5] .
عُريانةٌ باطِنُها مُكْتَسٍ ؛ ... فاعْجَبْ لها كاسِيَةً عاريه[6] !

(*) في وفيات الاعيان (١ : ٤٧٨) وإنباه الرواه (٢ : ١٠٠) لعبد القاهر الجرجاني؛ وفي بغية الوعاة (ص ٢٨٧) للجرجاني، وفي الأعلام للزركلي (٤ : ١٩١) للزجاجي .

(١) يكثر الاختلاف في عدد من عناوين كتب ابن الخشاب .

(٢) في «معشوقي» الثانية تورية : محبوبي ، ومعشوقي (نفسي) .

(٣) ذو أوجه : ذو صفحات . ذو الوجهين : النمام ، الذي ينقل الكلام بين الناس لإيقاع العداوة بينهم .

(٤) الاسرار (الاولى) : خفايا الأمور . الاسرار (الثانية) السطور ، الخطوط .

(٥) أمها : النحلة (لأن الشمع كان يصنع في الاصل من الشمع الذي تصنع منه النحلة القرص الذي تجعله مسدسات وتجعل فيه العسل . والعسل دواء) .

(٦) عريانة : لا ثياب عليها . باطنها مكتس : في باطنها خيط مفتول من قطن هو الذي يشتعل (والنسيج من القطن يجعل عادة على ظاهر البدن) .

ـ وقال في النصيحة (وفي قوله لفتة فلسفية) :

إذا عَنّ أمرٌ فاستَشِرْ فيه صاحِباً وان كُنْتَ ذا رأي يُشيرُ على الصَّحْبِ ؛
فانّي رأيتُ العَيْنَ تَجْهَلُ نَفْسَها وتُدْرِكُ ماقدحَلّ في مَوْضِعِ الشُّهْبِ[1].

٤ ـ الاستدراكات على مقامات الحريري وانتصار ابن برّي ، استانبول ١٣٢٨ هـ ؛ مطبوعة مع مقامات الحريري ، القاهرة ١٣٢٩ هـ .

** معجم الادباء ١٢ : ٤٧ ـ ٥٣ ؛ انباه الرواة ٢ : ٩٩ ـ ١٠٣ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٧٨ ـ ٤٧٩ ؛ بغية الوعاة ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٢٠ ـ ٢٢٢ ؛ بروكلمان ، الملحق ١٠ : ٤٩٣ ـ ٤٩٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٣٤ ـ ٨٣٥ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٩١ .

عرقلة الدمشقي

١ ـ هُوَ أبو النَّدَى حَسّانُ بنُ نُميرِ بن عِجْلٍ من بني وَبَرَةَ بن الحُلاج أحَدِ بطونِ بني كَلْبٍ ، ويُعْرَفُ بعرقلةَ الدِمَشْقِيّ وعرقلةَ الكلبي ، كما عُرِفَ فيما بعد بعرقلة الأعور .

وُلِدَ عَرْقَلَةُ في دِمَشْقَ قُبيل سَنَةِ ٤٨١ هـ (١٠٨٧ م) وقضى جانباً كبيراً من حياته الأُولى فيها مُتَنَقِّلاً بين مُتَنَزَّهاتِها ومُنْصَرِفاً إلى اللَّهْوِ والمُجون.

تَطَوَّفَ عرقلةُ في البلاد يَتَّصِلُ بأمرائها ووُلاتِها . ويبدو أنّه سار في مَطْلَعِ القرنِ السادس الى قَلْعة جَعْبَرَ لِيَمْدَحَ صاحِبَها سالمَ بنَ مالكِ بنِ بَدْران (٤٩٧ ـ ٥١٩ هـ) فلم يُوَفَّقْ . ولعلّه في أثناء هذه الرِحْلة مرّ بحَلَبَ فذهبتْ إحدى عَيْنَيْهِ . وكذلك مَدَحَ حُسام الدين بن تمرتاشَ والِيَ ماردِينَ (٥١٦ ـ ٥٤٧ هـ) كما مَدَحَ ـ فيما قيل ـ بهاءَ الدين بن نَيْسان مُدَبِّرَ آمِدَ من قِبَلِ صلاحِ الدين الأيّوبيّ .

ومدح عرقلةُ أيضاً مُجيرَ الدين آبقَ والِيَ دِمَشْقَ (٥٣٤ ـ ٥٤٩ هـ) ، كما

(١) يرى الفلاسفة أن كل حاسة متصلة بعضو ظاهر في البدن (البصر ، السمع ....) لا يمكن أن تشعر بنفسها إلا اذا كان أمامها جسم ماثل ظاهر (بخلاف العقل الذي يدرك نفسه ويدرك أنه موجود ويفكر ، ولو كان مقطوعاً عن جميع المحسوسات) . الشهب جمع شهاب : النجم .

مدح طلائعَ بن رُزّيكَ الذي وَزَرَ (٥٤٩ ــ ٥٥٨ هـ) للفاطميّين في مِصْرَ . ومدح ابنَ السديد محمّدَ بنَ محمّد بنِ عبدِ الكريم الأنباريَّ الذي كان كاتبَ الإنشاء (٥٥٨ ــ ٥٧٥ هـ) أيام الخلفاء العبّاسيّين المُستنجِدِ والمُستضيء والناصر ، في بَغْدادَ .

وكان عرقلةُ قد لازم الأيوبيّين في الشام مُدّةً واختُصّ بصَلاحِ الدين . فلمّا سار صلاحُ الدين الى مِصْرَ ثمّ تولاّها (سَنَةَ ٥٦٤ هـ) كتب اليه عرقلة يَستَنْجِزُه ألفَ دينارٍ كان قد وَعَدَهُ بها إذا قُيِّضَ له أن يتولّى مصْرَ . وفي السَّنَةِ نَفْسِها سار عرقلةُ الى مصرَ ، ولكن يبدو أن مُكْثَه فيها لم يَطُلْ فعاد إلى دِمَشْقَ حيثُ تُوُفّيَ سَنَةَ ٥٦٧ هـ (١١٧١ ــ ١١٧٢ م) .

٢ ــ كان عرقلةُ الدِمَشْقِيُّ مَرِحاً حُلْوَ المنادمة ظريفاً وماجناً خليعاً في حياته الخاصّة ، ولكنّه كان محيطاً بفُنونٍ من العِلْمِ والأدب يَنْكَشِفُ عنها شعرُه . وكذلك كان شاعراً مطبوعاً مُكْثِراً مُجيداً مُحْسناً يَجْري على السَّجِيّة ، فصيحَ الألفاظِ سهلَ التراكيب متينَ السبك مقتصداً في الصناعة لا يظهر على القليل الذي نَجِدُه منها في شعرِه أثرٌ للتكلّف . وشعرُه قصائدُ قلّ أن تُجاوِزَ خَمْسةً وعِشْرينَ بيتاً ومُقَطّعاتٌ قلّ أن جاوَزَتْ عَشْرَةَ أبياتٍ ، كما كانت له رُباعيّات . أمّا فنونُه فهي المدحُ والرثاء والهجاء المُسْتَطْرَفُ ووَصْفُ الطبيعة في دِمَشْقَ خاصّةً والخمرُ والنسيبُ والغزل والمُجون .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال عرقلةُ الدِمَشْقِيُّ يمدحُ السُلطانَ الناصرَ صلاحَ الدينِ الأيّوبيَّ :

أصبحَ المُلْكُ بعدَ آلِ عليٍّ ... مُشْرِقاً بالمُلوكِ من آلِ شاذي ؛
وغدا الشرقُ يَحْسُدُ الغربَ لِلْقَوْ ... مِ ، ومِصْرٌ تَزْهو على بَغْداذ .
ما حَواها إلاّ بحَزْمٍ وعَزْمٍ ... من صَليل الفولاذِ في الفولاذ[1] ،
لا كَفِرْعَوْنَ والعَزيزِ ومن كا ... ن بها كالخَصيب والأُستاذ[2] .

---

(١) صليل (صوت) الفولاذ (السيوف) في الفولاذ (الدروع) ، نال الملك بالحرب (بالقوة) .

(٢) فرعون : لقب لملوك مصر القدماء. العزيز : الملك ، ولقب لكل من ملك مصر (القاهرة) مع الاسكندرية ؛ والعزيز الذي يتولى أمراً للملك (كما كان يوسف بن يعقوب في مصر). الخصيب : عامل (جابي ضرائب) ولاه هرون الرشيد على مصر ومدحه أبو نواس . الاستاذ : كافور الاخشيدي (الذي مدحه المتنبي) .

—وقال عرقلةُ يَمْدَحُ الصالح بن رُزّيك ويذكرُ — في أثناء ذلك — مَذْهَبَهُ في التشيّع (قبل مدحه لصلاح الدين) وهجاءَ دِمَشقَ وأهلها :

قِفْ بجَيْرونَ أو بِبابِ البريدِ وتأمَّلْ أعطافَ بانِ القُدودِ[1]

تَلْقَ سُمْراً كالسُمْرِ في اللَّوْنِ واللِّيـ ـنِ وشِبْهَ الشُعورِ في التَجْعيدِ[2] ،

ومن البِيضِ كالمُهَنّدَةِ البيـ ـضِ وشِبْهَ الخُدودِ في التَوْريد[3] ،

مِنْ بني الصِيدِ للمُحبّين صادوا بعُيون الظِبا قلوبَ الأُسود[4] .

يا نَديمَيَّ ، غَنِّياني بشِعْري واسْقِياني بُنَيَّةَ العُنْقود[5] .

عَرِجا بي ما بين سَطْرى ومَقْرى لا بأكناف عالجٍ وزَرود[6] .

سَقِّياني كأساً على نَهْرِ ثُورا وذراني أبولُها في يَزيد[7] .

أنا مِنْ شيعةِ الإمام حُسينٍ لَسْتُ مِنْ شيعة الإمام يَزيد[8] :

مَذْهبي مُذْهَبٌ ، ولكنّني في بَلْدةٍ زُخْرِفَتْ لِكلِّ بليد[9] .

غيرَ أنّ الزمانَ فيها أنيقٌ تحتَ ظِلٍّ مِن الغصون مَديد[10]

---

(١) جيرون وباب البريد من ضواحي دمشق القديمة . العطف (بكسر العين) : جانب الجسد عند الكتف . البان : شجر أسمر ناحل جميل . القد : القوام . أعطاف بان القدود : النساء الجميلا ت .

(٢) سمر – جمع سمراء (المرأة السمراء الحسناء) . سمر جمع أسمر (رمح) . شبه الشعور في التجعيد : نبات كثير متشابك (!) .

(٣) البيض جمع بيضاء (المرأة الجميلة) . البيض جمع ابيض: سيف . شبه الخدود في التوريد : أثمار (كالتفاح) .

(٤) الصيد جمع أصيد (بفتح الهمزة والياء) : الكريم الأصل ، الملك. الظبا – الظباء : الغزلان (كناية عن النساء الجميلات) . الأسود (كناية عن الرجال الابطال) .

(٥) بنية تصغير ابنة : ابنة العنقود: الخمر .

(٦) عرجا بي – ميلا بي: اذهبا بي ، خذاني . سطرى ومقرى من قرى دمشق (كناية عن الخصب والتمتع باللهو) . الأكناف: الأطراف . عالج وزرود موضعان في بلاد العرب (كناية عن البادية والقحط).

(٧) ثورا ويزيد : نهران من أنهار دمشق . ذراني : اتركاني . أبولها في (نهر) يزيد (كناية عن كره هذا النهر لمناسبة اسمه لاسم يزيد بن معاوية) .

(٨) شيعة (أتباع) الحسين (بن علي بن أبي طالب) . الإمام (الخليفة ، الملك) يزيد (بن معاوية) الذي قتل في أيامه الحسين بن علي في كربلاء .

(٩) مذهبي (عقيدتي الدينية) مذهب (مثل الذهب ، جميل ، ثمين) . في بلدة (دمشق) زخرفت (زينت) فأحبها وسكنها كل بليد (بليد الفهم الذي لم يدرك حقيقة التشيع) .

(١٠) الأنيق : الذي يعجب العين .

ورياضٍ مِنَ البَنَفْسَجَ والنَرْ جِسِ قد عُطِّرَتْ بِمِسْكٍ وعُود[1]
كَثَنا الصالحِ بن رُزِّيكَ في كُلٍّ قريب من الدُنى وبعيد[2] ؛
مَلِكٌ لم تَزَلْ ثِيابُ عِداه من حِدادٍ ، وثَوْبُه من حَديد[3] !

– وقال يفتخر بشعرِه ويشكو دهرَه :

أيَجْمُلُ أن أُضام ، ودُرّ نَظْمي – أحبُّ مِنَ الغِنى عند الغِناء –[4]
أمالَ العُرْبَ عَنْ شِعْر التِهامي وأغْنى العُجْم عن شِعر السَنائي[5] !

– وقال عرقلةُ الدِمَشْقيُّ يَصِفُ دِمَشْقَ :

أمّا دِمَشْقُ فجنّاتٌ مُعَجَّلَةٌ للطالبين ، بها الوُلْدانُ والحُورُ[6] .
ما صاحَ فيها على أوْتارِه قَمَرٌ إلاّ وَغنّاه قُمْريٌّ وشُحْرور[7] .
يا حَبّذا – ودُروعُ الماءِ تَنْسُجُها – أناملُ الريحِ لولا أنّها زُور[8] !

– وقال يتغزّلُ بغُلامٍ اسمُه يعيشُ ويُحاجي باسمِه عن مَذْهبه (يعيش ، عكسه – شيعي) . :

بأبي قَدُّ يَعيشٍ بأبي ، حين يَهْتَزُّ اهتزازَ القَصَبِ ؛
رَشَأٌ حاسِدُهُ ضِدُّ اسمِه ، وإذا ما عَكَسوه مَذْهبي[9] .

---

(١) العود : نوع من الطيب .
(٢) الثنا – الثناء : المديح . الدنى جمع دنيا .
(٣) ثياب (أعدائه) لم تزل (منذ زمن طويل ، دائماً) من حداد (سوداء ، لكثرة ما قتل من رجالهم) وثوبه من حديد (دروع ، لكثرة ذهابه الى الحرب) .
(٤) يجمل : يحسن . أضام : أظلم ، يصيبني ضيق . در نظمي : شعري . أحب من الغنى عند الغناء : اذا غنى به المغنون احتقر الأغنياء أموالهم (أمدح بالشعر فيعطيني الممدوحون أموالا كثيرة) .
(٥) التهامي شاعر عربي (ت ٤١٦ هـ) ؛ راجع ، فوق ، ص ٧٥ والسنائي شاعر فارسي (ت ٥٢٦ هـ) .
(٦) جنات معجلة : جنات في هذه الدنيا مثل جنة الآخرة . الحور جمع حوراء : المرأة الجميلة .
(٧) – اذا غنت قمر (امرأة جميلة) غناها (أجابها ، قلدها في الغناء) قمري (نوع من الحمام البري) .
(٨) الريح تجمل سطح النهر مجعداً كالدرع ولكنه درع زور (ليس درعاً يقي من السلاح) .
(٩) الرشأ : الغزال الصغير . حاسده ضد اسمه (عكس اسمه : رشا – أشر : كذاب ؛ أو ضد اسمه يعيش : يموت) .

– وقال في الخمر (أعْتَقُ : أقْدم) :

وفي دَيْـرِ مُرّانَ خَمّارةٌ من الرُوم في يَوْمِ سَعْنينِها[1] ؛
سَقَتْني على وَجْهِها المُشْتَهى أرقّ وأعْتَقَ من دِينها !

– وممّا يُغنّى من شعر عرقلة الشاميّ (وهو في النسيب) :

عِنْدي إلَيْكُم من الأشواقِ والبُرَحا ما صيَّرَ الجِسْمَ من فَرْطَ الضَناشَبَحا[2].
أحْبابَنا ، لا تَظُنّوني سَلَوْتُكُمُ ؛ الحالُ ما حالَ ، والتَبْريح ما بَرِحا[3] .
لو كان يَسْبَحُ صَبٌّ في مَدامعِهِ لَكُنْتُ أوّلَ مَنْ في دَمْعِه سَبَحا[4] ،
أو كُنْتُ أعْلَمُ أنّ البَيْنَ يَقْتُلُني ما بِنْتُ عَنْكم ؛ ولكن فاتَما ذُبِحا[5].

– ومن شِعرِه المشهورِ في الهجاء البارعِ (وكان قد مَدَحَ بَعْضَهم فأعْطاه شيئاً من الشَعير) :

يَقُولونَ : لِمْ أرْخَصتَ شِعْرَكَ في الوَرى؟ فقُلْتُ لَهُمْ : إذ ماتَ أهْلُ المَكارمِ[6]
أُجازى على الشِعرِ الشعيرَ ؛ وإنّه كثيرٌ إذا اسْتَخْلَصْتُه من بَهائمِ !

– وله رُباعيّاتٌ منها هذه (في الخمر والنسيب) :

لا راحةٌ لي بغَيْرِ شُرْبِ الراحِ من ذي هَيَفٍ يُطوف بالأقْداح[7] ؛
تَبْدو كالصبحِ ، وهَوْ كالمِصْباح سَكرانُ الطرفِ ذو فُؤادٍ صاحِ .

٤ – ديوان عرقلة الكلبي (تعليق أحمد الجنديّ) ، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٧٠م .

---

(١) خمارة : امرأة تبيع الخمر . السعنين والشعنين والسعانين والشعانين : عيد للنصارى (في الربيع) .
(٢) البرح جمع برحة (بضم الباء) : الشدة والشر والداهية . فرط : كثرة ، زيادة . الضنا : السقم ، الضعف .
(٣) سلا : نسي . حال : تبدل ، تغير . التبريح : التعذيب . ما برحا : ما انتقل ، لم يتبدل (ما زال موجوداً).
(٤) الصب : المحب .
(٥) البين : البعاد ، الفراق ، بان : ابتعد . فات ما ذبح : المذبوح لا يعود الى الحياة (بعادكم قتلني ، ولذلك لا استطيع أن أعمل شيئاً) .
(٦) الورى : الناس ، البشر .
(٧) الراح : الخمر . الهيف : ضمور الخصر ، اعتدال القوام .

** الخريدة (الشام) ١ : ١٧٨ — ٢٢٩ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٤٤ — ١٤٨ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٢٠ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ١٩١ .

ابن قلاقس الإسكندري

١ — هو القاضي الأعزّ أبو الفتوح نصرُ الله بنُ عبدِ الله بن مخلوفِ بن عبدالقوي ابن قَلاقسَ اللّخميُّ الإسكندرانيُّ، وُلِدَ في الاسكندرية في رابع ربيعِ الأوّل ٥٣٢هـ (١٩/ ١٢/ ١١٣٧ م) ، وفيها نشأ وصَحِبَ الشيخَ الحافظَ أبا طاهرِ أحمدَ بنَ محمّدٍ السِّلَفيّ (ت ٥٧٦ هـ = ١١٨٠ م) وأخذ عنه ومَدَحَه ، كما أخذَ عن نفرٍ آخرينَ . وقدِ اتّصلَ بالقاضي الفاضلِ ومدحه .

والملموحُ أن ابنَ قلاقسَ زار صِقِلّيَةَ مَرّةً وزارَ اليمنَ مرّتين[1] بين ٥٦٣ و ٥٦٥ هـ . غير أن المصادرَ والمراجعَ مضطربةٌ في ترتيب المرّاتِ الثلاثِ . والمُجْمَعُ عليه أن ابنَ قلاقسَ تُوُفّيَ في عَيْذاب (أحدِ الموانىء الإفريقية قُبالَةَ جُدّةَ) ، في ثالثِ شوالٍ ٥٦٧ هـ[2] (٢٩/ ٥/ ١١٧٢ م) .

٢ — في شعرِ ابنِ قلاقسَ صناعةٌ بارعةٌ أحياناً ، وهو ميّال إلى وصف الطبيعةِ لطبيعة نَشْأته في الاسكندرية ولكَثْرة رُكوبه البَحْرَ في الذهاب الى المَمْدوحين . وأكثرُ شعرِه المديحُ والوصف . وله نثرٌ رائق .

ولابن قلاقسَ كتاب الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم (القائد الصِقِلّيّ) — كتاب روضة الازهار في طبقات الشعراء .

٣ — مختارات من شعره

— لابن قَلاقسَ مِدْحَةٌ في القائد أبي القاسم بن الحجر الصقلّي يصف فيها سُرعةَ السفينة :

ما امْتَطَيْنا أُختَ السّحائبِ إلاّ   لِتُوافي بِنا أخَا الأمطار[3].

---

(١) راجع وفيات ٣ : ٦٢ ، ٦٣ ؛ معجم الأدباء ١٩ ؛ ٢٢٦ .

(٢) في الخريدة (مصر) ١ : ١٤٥ مات بعيذاب راجعاً من اليمن ولم يبلغ عمره ثلاثين سنة !

(٣) أخت السحائب كناية عن السفينة لأنها تجري مسرعة كالريح (لأنها تجري بالريح) وقد سماها أخت السحائب لأن السحائب تسير مثل السفينة بالرياح . أخو الأمطار : الممدوح (كنى بذلك عن الكرم) .

كل نــونٍ من المراكبِ فيهــا ألِــف مستقيمة للصَواري[١].
تَقْسِمُ المــاءَ والهــواءَ بساق وجَناح من عــائم طيــارِ[٢].

– وقال يصف النيل :

ولِلنّيلِ تحت ثيــابِ الأصيلِ لُجَيْنٌ تَوَشَّــحَ بالعَسْجد[٣]
يُحاكي ، إذا دَرَّجته الصَّبــا ، بُرادةَ تِبْــرٍ على مِبْرَد[٤].

– وقال يصف جاريةً سوداءَ :

رُبَّ سوداءَ – وهْيَ بيضاءُ مَعْنًى – نافسَ المِسكَ عندَها الكافورُ[٥]،
مِثْلَ حَبِّ العُيون يَحْسَبُه النــا سُ سَواداً ؛ وإنما هو نور[٦]!

– وقال يصف السفينة :

إنّي لمّا تَسَنّمتُ الأمواجَ في ذاتِ الألواحِ وتنسّمت الإزعاجَ مــن ذات الارواح[٧] قلت : السلامةُ ! إمّا مِيلادٌ ومَعادٌ أو يومُ مَعادٍ . وعجبت من حالي في حِلّي وتَرْحالي ، فتشوّقتُ الوطنَ والوطرَ وكلّفت الخاطرَ وصفَ ذلك الخطر[٨] ...

---

(١) النون : الحوت (كناية عن السفينة التي تسبح في البحر كالسمك. وكذلك للسفينة شكل حرف النون) .
(٢) ساق السفينة (هنا) حيزومها (مقدمها) . الجناح : الشراع . عائم طيار : السفينة تعوم في البحر (كالسمك) ولكنها تجري بسرعة الطير في السماء . ألف= حرف الألف (كناية عن سارية المركب) .
(٣) الأصيل: العصر (منتصف الوقت بين نصف النهار وغياب الشمس) يضعف فيه النور فيختلط بالظلال فيكون منه ألوان مختلفة على المياه والجبال والأشجار شبهها الشاعر بالثياب. هذه الثياب لجين (بيضاء) توشح : لبس (وقعت عليه خطوط وبقع من الانعكاسات) بلون العسجد (الذهب) مائلة الى الحمرة .
(٤) – اذا هبت ريح الصبا (ريح الشرق العليلة الباردة) على سطح نهر النيل جعلته يتموج فيشبه سطح المبرد ، ثم تنعكس عنه أشعة الشمس فتظهر عليه التموجات المرتفعة كأنها برادة (بضم الباء) ذهب على مبرد .
(٥) نافس المسك عندها الكافور (يرى في ظاهر الأمر أن الكافور الأبيض أفضل من المسك الأسود – كناية عن لون الجارية الأسود .
(٦) بينما وجه الشبه في ذلك أن لون هذه الجارية كلون حدقة العين أسود ولولا سواد العين لما كنا نبصر بها – وأما بياض العين فليس هو محل (الرؤية) .
(٧) تسنمت الأمواج : علوتها (ركبت البحر) . ذات الألواح : السفينة . تنسمت الازعاج : شممت رائحته (بدأت اشعر بالإزعاج) . ذات الأرواح= الريح
(٨) إما ميلاد (جديد ، سيكون لي حياة جديدة بعد خروجي الى البر) ومعاد (رجوع بالسلامة الى البر) أو يوم معاد (موت ثم بعث يوم القيامة) . الحل: الاستقرار في الوطن. الترحال : كثرة التنقل في البلاد . =

٤ – ديوان ابن قلاقس (نشره خليل مطران) ، مصر ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) .

** الخريدة (مصر) ١ : ١٤٥ – ١٦٥ ؛ معجم الادباء ١٩ : ٢٢٦ – ٢٢٨ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٦١ – ٦٤ ؛ الروضتين ١ : ٢٠٥ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٢٤ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٣ ، الملحق ١ : ٤٦١ ، زيدان ٣ : ١٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨١٤ – ٨١٥ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ٣٤٤ – ٣٤٧ .

دلاّل الكتب الحظيري

١ – هُوَ أبو المَعالي سَعْدُ بنُ عليّ بنِ القاسم بنِ عليّ بنِ القاسمِ الأنصاريُّ الخَزْرَجِيُّ الحَظيريّ البَغْداديّ المعروفُ بدلاّلِ الكُتُبِ ، يَبْدو أنّ أَصلَهُ مِنَ المدينة ؛ وكان هُوَ من أهل الحَظيرة وَهِيَ بَلْدةٌ من أعْمالِ دُجيلِ شمالَ بَغْدادَ . وكانَ دلاّلُ الكتب يَعْمَلُ (في بَغْداد) بالوِراقةِ (نسخ الكتب وبيعها) ، وكانتْ وفاتُهُ في بَغْدادَ ، مُنْتَصَفَ صَفَرَ من سَنَةِ ٥٦٨ هـ (٦/ ١٠/ ١١٧٢ م) ، وقيل في ٢٥ من صفر .

٢ – كان دلاّلُ الكتب أديباً واسع الإحاطة بعـــددٍ من فنونِ المعرفة وكان شاعراً رقيقاً مَليحَ الشعْرِ مَعَ جَوْدةٍ في السَّبْكِ . وَشِعْرُه وُجْدانيّ أكثُره مُقَطّعاتٌ في الغَزَلِ والخمر وشيءٍ من المُجون .

ودَلاّلُ الكتب مُصَنِّفٌ له عددٌ من المجاميع ، منها : زينة الدهر وعُصْرة أهل العَصْر (ألّفه ذيلاً على « دُمْيَة القصر » للباخَرْزي ، وجمع فيه جَماعةً من أهل عصره ومن الذين تقدّموهم قليـــلاً وذكر ألْطافَ شِعْرهم) – لُمَحُ المُلَحِ (رتّبه على الحروف الأبجدية ؛ وهذا الكتابُ يَدُلُّ على اطّلاعٍ واسعٍ) – الإعجاز في الأحاجي والألغاز – إعجاز المُحاجي في الألغاز والأحاجي (ألّفه سَنَةَ ٥٤٩ هـ برَسْم مُجاهد الدين قايماز المُتَوَفّى سَنَةَ ٥٩٥ هـ ، وقد صَدّره بمقدّمـــةٍ في فنون الألغاز وأقسامـها ، وجاء بالألغازِ مُرتَبَةً على الأبجدية حَسْبَ حُروفِ الرَوِيِّ . وهو يذكر بعد كلّ لغز تفسيره وما ألغز به)[1] – صفوة المعارف (قصيدة في تاريخ الطبيعة) .

= الوطر : مطلب النفس من لهو شبابها. الخاطر : البال، الفكر ، القريحة . وصف ذلك الخطر (الماثل في ركوب البحر) .

(١) راجع زيدان ٣ : ٢٣ .

٣ - مختارات من شعره

- قال دلاّلُ الكُتُبِ في النسيب والغزل :

وَدِدتُ مِنَ الشَّوْقِ المُبَرِّحِ أنّني أُعارُ جَناحَيْ طائِرٍ فأطيرُ[٢] .
فما لِنَعيمٍ لَسْتَ فيه لَذاذةٌ ، ولا لَسُرورٍ لستَ فيه سُرورُ !

ومُعَذَّرٍ في خَدِّهِ وَرْدٌ ، وفي فَمِهِ مُدامُ[٣] ؛
ما لانَ لي حتّى تَغَشّى صُبْحَ طَلْعَتِهِ ظَلامُ[٤] ،
كالمُهْرِ يَجْمَحُ تحتَ راكِبِهِ ويَعْطِفُهُ اللِجامُ[٥] !

شَكَوْتُ هَوًى مَنْ شَفَّ قَلْبِي بَعْدَهُ تَوَقُّدُ نارٍ ليس يُطْفَى سَعيرُها[٦] ؛
فقالَ : بُعادي عَنْكَ أكْثَرُ راحةً ؛ ولولا بُعادُ الشمسِ أحْرَقَ نورُها !

٤ — معجم الادباء ١١ : ١٩٤ — ١٩٧ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٦٢ — ٣٦٣ ؛ بروكلمان ١ : ٢٨٨ ، الملحق ١ : ٤٤١ ؛ زيدان ٣ : ٢٣ ؛ الأعلام للزركلي ٣ : ١٣٦ .

عُمارة اليمني

١ — هو الفقيهَ نجمُ الدين أبو محمّد عُمارةُ بنُ أبي الحَسَنِ علي بنِ زَيْدانَ ابنِ أحمدَ الحَكَميّ اليَمَنيّ ، وُلِدَ (٥١٥ هـ = ١١٢١ م) في مدينة مرطان بوادي وساع من تِهامةِ ونشأ فيها إلى أن بَلَغَ الحُلُمَ (٥٢٩ هـ) . ثمّ انه ارتحل إلى زَبيدَ (٥٣١ هـ) واشتغل بالفِقْه في إحدى مدارسها أرْبَعَ سَنَواتٍ .

ذهب عُمارةُ إلى الحجّ ، سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٥ م) . ويبدو أنه اتّصل في أثناء ذلك بشريفِ مكّةَ القاسمِ بنِ هاشمِ بن فليتةَ فأرسلهُ القاسمُ بمهمّة إلى مِصْرَ إلى الخليفةِ الفاطميّ الفائزِ بنِ الظافرِ والى وزيرِه الصالح بن رُزّيك . ودخل عُمارة مصرَ

---

(٢) المبرح : المتعب ، الشديد . « فأطير » حقها أن تكون منصوبة (بعد التمني وفاء السببية) .
(٣) المعذر : الذي نبت عذاره (بكسر العين : الشعر النابت على جانبي الوجه) . مدام : خمر .
(٤) تغشى : علا ، حجب .
(٥) المهر : الحصان الفتي . جمح الفرس : نفر وشرد واشتد جريه (كناية عن الشباب) . عطف اللجام الفرس : كبح جماحه (بفتح الجيم) ، رده ، جعله يبطىء في جريه (كناية عن الشيخوخة) .
(٦) شف الهم جسمه : أنحله ، جعله ناحلا أو نحيلا . السعير : شدة الحرارة .

في شَهْرِ ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةَ ٥٥٠ ومَدَحَ الفائزَ مَدْحاً يوافق هوى الفاطميين فَسُرَّ الفائزُ منه وأجزلَ صِلَتَه . وفي شهر شوّالٍ توجّه عُمارة من مِصرَ الى مكّة (وقابل القاسم بن هاشم طبعاً) ثم عاد الى زَبيدَ فوصَلَ إليها في صَفَرَ سنة ٥٥١ هـ . وحجّ عُمارة في تلك السنة مرةً ثانيةً فكلّفه القاسم بن هاشم بمهمّة ثانية إلى الفائز . ولعلّه عادَ بعدَ مدةٍ يسيرةٍ جداً الى زَبيدَ . ثم استوطن مصر بعد ذلك .

ولمّا قضى صلاحُ الدين الأيّوبيُّ على الدولة الفاطمية مدح عُمارةُ صلاحَ الدين ونَفَراً من أهلِ بيتهِ تقرّباً إليه وتبريراً لحالهِ الأُولى مع الفاطميين . ثم ان عُمارة اشترك مَعَ ثمانيةٍ من أعيانِ القاهرة (الفاطميين أو الفاطميي الهوى) وكاتبوا الإفرنج (الصليبيين) واستَدْعَوْهم إلى مصر على أن يُساعدوهم في إعادة الحكم الى الفاطميين . وأمر صلاحُ الدين بصَلْبِ هؤلاء النَفَرِ ، بعدَ أنِ اعْتَرفوا بما كان مِنْهم ، فصُلبوا يومَ السبت في الثاني من رَمَضانَ من سنة ٥٦٩ هـ (٦/ ٤/ ١١٧٤ م) بعض القبض عليهم (الأحد في ٢٦ شعبان) بأسبوع واحد .

٢ ـ كان عُمارة اليمنيُّ فقيهاً شافعيّاً شديدَ التعصّب لأهلِ السنة ، ومع ذلك فقد عَمِلَ للفاطميين في حقل السياسة . وقد أحْسَنَ الفاطميون إليه إحساناً كبيراً .

وكذلك كان عُمارة أديباً بارعاً ومُحَدِّثاً مُمْتِعاً ومُصنّفاً قديراً وشاعراً مقتدراً مُجيداً ومُصَنّفاً ، له : تاريخ اليمن ـ المفيد في أخبار زَبيد ـ النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ أقام الفِرنجُ (الصليبيّون) لجيشٍ من المسلمين كميناً ، فعلم قائدُ الجيشِ شيركوهُ بذلك فعادَ عن ذلك الطريق ووَصَلَ الى الشامِ سالماً . فقال عُمارةُ اليَمَنيّ (مرّي الثانية اسم ملك الفرنجة : أموري Amaury I) :

أخذتُمْ على الإفرنجِ كلَّ ثَنيّةٍ[1] وقلتم لأيْدي الخيل : مُرّي على مُرّي.
لئن نَصَبوا في البرّ جِسْراً ، فانكم عبرتم ببحرٍ من حديدٍ على الجسر[2]

(١) الثنية : الطريق في الجبل (والطريق الفرعية) .
(٢) لعل « الجسر » الأولى جسر نصبه الافرنج بين شاطئي النيل. عبرتم (قطعتم ، مررتم) بجسر من حديد (بعدد كبير من الجند يلبسون دروعا من حديد ويحملون سلاحاً من حديد) .

– قال عُمارةُ اليَمَنِي يَمْدَحُ الإمامَ العاضِدَ الفاطميّ(١) :

لَمّا بَرَزْتَ غَداةَ فِطْرِكَ خاشِعاً وشُعارُكَ التكبيرُ والتحميدُ ،
وَعَلَيْكَ من شِيَمِ النبِيّ وحَيْدرٍ للناظرينَ أدِلّةٌ وشُهودُ(٢) ،
شَخَصَتْ إليك نواظرُ الأُمَمِ التي مَلَكْتَهُمُ لكَ بَيْعَةٌ وعُهودُ(٤) ،
حتّى صَعِدتَ على ذُؤابَةِ مِنبَرٍ لَوْ كان عُوداً ماسَ ذاك العودُ(٥) .
بَشّرْتَ ، بل أنْذَرْتَ ، بالحِكَمِ التي فيهِنّ وعدٌ صادقٌ ووَعيد .
لَيّنْتَ قاسِيَةَ القُلوبِ بِخُطْبَةٍ أصْغى إلَيْها المَجْمَعُ المَحْشود .
لا مُنْكَرٌ أنْ تَسْتَكِينَ جوارحٌ لسَماعِها أو تَقْشَعِرّ جُلود ،.
والوَحْيُ يَنْطِقُ عن لسانِكَ بالّذي مِنْ دُونهِ يَتَصَدّعُ الجُلْمود .
يوم جَلَتْ فيه الخِلافةُ عِزّها ، ولها المَلائِكةُ الكِرام جُنود .

– وقال يمدَحُ أميرَ الجُيوش أبَا شجاعٍ شاوَرَ بْنَ مُجيرٍ السَعْدى ، بعدَ رُجوعه من حُصْن بُلْبَيْسَ :

ضَجِرَ الحديدُ من الحديدِ ، وشاوَرٌ في نَصْرِ آل مُحَمَّدٍ لم يَضْجَرِ(٦) .
زَعَمَ الزمانُ لَيأتِيَنّ بمِثْلِهِ حَنِثَتْ يمينُكَ ، يا زمانُ ، فكَفِّرِ(٧) .
حَمِيَ الوطيسُ فخاضَه بعزائمٍ عَلّمْنَ حُسْنَ الصبرَ من لم يَصْبِرِ(٧) .

---

(١) في هذه الابيات لمحات من مديح البحتري للمتوكل يوم عيد الفطر (راجع ، فوق ، ص٢ : ٣٦٣–٣٦٥) .
(٢) حيدر : علي بن أبي طالب .
(٣) البيعة : المبايعة بالخلافة (حلف اليمين بالطاعة) . عهود (أخذت لك بالامامة منذ أيام آدم ثم من الأئمة واحداً بعد واحد ، منذ أيام علي بن أبي طالب) .
(٤) ذؤابة منبر : رأس منبر (المنبر الذي لا تصح عليه الخطبة الا للخليفة الامام في الاسلام : الخطبة في الجمعة والعيدين للخليفة أو لمن ينيبه الخليفة عنه . واذا شهد الخليفة صلاة أو خطبة في مكان فلا يتقدم عليه في ذلك المكان أحد) . لو كان عوداً (غصن شجرة) ماس : اهتز في الهواء (لأنه نضر طري لين) . – اهتز المنبر طرباً وافتخاراً بوقوف الإمام عليه .
(٥) ضجر الحديد (السيف) من الحديد (لكثرة حروبك وطولها وشدتها) .
(٦) كفر : أخرج فدية (صدقة) . اذا أقسم المسلم يميناً ثم لم يستطع أن يفي بها وجبت عليه كفارة (صيام ثلاثة أيام ، اطعام عدد من المساكين ، ذبح بهيمة من الانعام وتوزيع لحمها على الفقراء والمساكين ، الخ) .
(٧) الوطيس : قاع القدر العظيمة . حمي الوطيس (كناية عن اشتداد القتال في المعركة) .

تَلْقاهُ أوّلَ فارسٍ ان أقْدَمَت خيلٌ، وأوّلَ راجلٍ في العَسْكر(١) .
هانتْ عليه النَفْسُ حتى إنه باعَ الحَياةَ فلم يَجِدْ من يَشْتري(٢) .
يا فاتحاً شَرْقَ البِلادِ وغَرْبَها ، يُهْنيكَ أنّك وارِثُ الإسْكندر(٣) .
فَتْحٌ يُذَكِّرنا ـ وإنْ لم نَنْسَهَ ـ ما كان من فَتْحِ الوَصِيّ لخَيْبَر(٤) .

٤ ـ تاريخ اليمن (تحرير هـ . كاسلس كاي) ، لندن ١٨٩٢ م .
النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية (تحرير ديرنبرغ) ، شالون بفرنسة ١٨٩٧ م .
مختارات من ديوان عمارة (مطبوع مع « النكت العصرية » بتحرير ديرنبرغ) .

** وفيات الأعيان ٢ : ٨٦ ـ ٨٩ ؛ الخريدة (الشام) ٣ : ١٠١ ـ ١٤٣ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ؛ ابن الاثير ١١ : ٣٠١ ، ٤٠١ ؛ بروكلمان ١ : ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ، الملحق ١ : ٥٧٠ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٩٣ .

ابن الدهان البغدادي

١ ـ هو الشيخ أبو محمّدٍ سعيدُ بنُ عليٍّ بنِ الدهّانِ ، وُلِدَ في نهر طابق (بغداد) في ١٦ من رَجَبٍ سنَةَ ٤٩٤ هـ (١٨/ ٥/ ١١٠١ م) .

أخذَ ابنُ الدهّان عن الرُمّاني ثمّ رَحَلَ الى أصفهانَ وأخذ عن علمائها . وسَمِعَ الحديثَ من أبي القاسم هبةِ الله بن الحُصين (ت ٥٢٦ هـ) وأبي غالبٍ أحمدَ بن البنّاء .

صَعِدَ ابنُ الدهّانِ الى المَوْصِلِ قاصداً وزيرَها جمالَ الدين الجواد(٥) ـ بعدَ ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) ، لأنّ جمالَ الدين وَلِيَ الوزارةَ ليوسفِ الدين غازي بنِ مودودٍ الذي تولّى المَوْصِلَ من ٥٦٤ الى ٥٧٢ هـ ـ . في هذه الاثناء فاض نهرُ دِجْلَةَ في بغدادَ فَغَرِقَتَ دارُ ابنِ الدهّانِ وتَلِفَتْ كُتُبه .

---

(١) ... وأول المشاة في الجيش اقداماً وهجوماً .

(٢) باع حياته : نزل الى الميدان وقد عزم على الاستشهاد في سبيل الله فلم يجد من يشتري منه حياته (من يقاتله ، لأنه بطل شجاع يغلب كل من ينازله) .

(٣) وارث الاسكندر (المقدوني) في اتساع البلاد التي فتحها الاسكندر .

(٤) الوصي : علي بن أبي طالب . لما استعصى حصن خيبر على المسلمين ٧ هـ (٦٢٩ م) تقدم الامام علي وخلع باب الحصن فدخله المسلمون .

(٥) أبو جعفر محمد بن علي جمال الدين الاصفهاني الجواد (ت ٥٧٤ هـ) .

وعَمِيَ ابنُ الدهّان ثمّ تُوُفِّيَ وشيكاً، في المَوْصِلِ، ليلةَ عيدِ الفِطْر (٣٠ من رَمَضَانَ) سنة ٥٦٩ (٦/ ٥/ ١١٧٤ م).

٢ ـ ابنُ الدهّان البَغْداديُّ عالمٌ فاضل من علماء الحديثِ والنحوِ، ثم هو شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيد رقيقٌ لطيف. ولابن الدهّان كُتُبٌ منها: تفسير القرآن ـ شرح الإيضاح لأبي عليّ الفارسي ـ الغُرّة في شرح كتاب اللمع (في العربية) لابن جنّي ـ كتاب الأضداد ـ إزالة المراء في الغين والراء ـ الدروس في النحو ـ الدروس في العروض ـ كتاب الرياضة ـ كتاب الغنية في الضاد والظاء ـ العقود في المقصور والممدود ـ المختصر في القوافي ـ شرح بيت من شعر الملك الصالح بن رزّيك (في عشرين كرّاسة) ـ النكت والاشارات على ألسنة الحيوانات. وله أيضاً ديوان شعر وديوان رسائل.

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ لا تَحْسَبَنْ أنّ بالشعـر مِثْلَنـا ستصيرُ.
فَلِلدَّجاجَةِ ريشٌ لكنّها لا تطيرُ.

ـ وأخٍ رَخُصْتُ عليه حتّى ملّني؛ والشيءُ مَمْلولٌ، اذا ما يرخُصُ.
ما في زمانِكَ مَنْ يَعِزُّ وجودُه ـ إنْ رُمْتَه ـ إلاّ صديقٌ مخلص!

ـ لا تجعَلِ الهَزْلَ دأباً وهو مَنْقَصَةٌ، والجِدُّ يعلو به بين الورى القِيَمُ.
ولا يَغُرَّنْكَ من مَلْكٍ تَبَسُّمُهُ؛ ما تَصْخَبُ السُحْبُ إلاّ حين تَبْتَسِمُ.

ـ أهوى الخُمولَ لكي أظَلَّ مُرَفَّهاً ممّا يُعانيه بنو الأزمانِ.
إنّ الرِياحَ اذا عَصَفْنَ رأيْتَها تُولي الأذِيَّةَ شامخَ الأغصان.

ـ بادِرْ إلى العَيْشِ والأيامُ راقدةٌ، ولا تكنْ لصُروفِ الدهر تنتظرُ.
فالعُمْرُ كالكأسِ يبدو في أوائلهِ صَفْوٌ، وآخِرُه في قَعْرِه كَدَرُ.

٤ ـ كتاب الأضداد في اللغة (الرسالة الرابعة من المجموعة الأولى في «نفائس المخطوطات») (بتحقيق محمّد حسن آل ياسين)، النجف (المطبعة الحيدرية) ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م.

ـــ معجم الأدباء ١١: ٢١٩ ـ ٢٢٣؛ انباه الرواة ٢: ٤٧ ـ ٥١؛ وفيات الأعيان ١: ٣٧٠ وما بعد؛ نكت الهميان ١٥٨ ـ ١٦٠؛ ابن الأثير ١١: ٤١١؛ بغية الوعاة ٢٥٦ ـ ٢٥٧؛ شذرات الذهب ٤: ٢٣٣؛ بروكلمان ١: ٣٣٣ ـ ٣٣٤، الملحق ١: ٤٩٤؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٥٣ ـ ١٥٤. ـ

اعقاب الخلافة العباسية

١ – النصف الثاني من القرن السادس للهجرة (الثاني عشر الميلادي)

الصورة السياسية العامة

شَهِدَ القرنُ الأخير من حياة الخلافة العبّاسية – من سَنَة ٥٥٥ الى سَنَة ٦٥٦ ﻫ (١١٦٠ – ١٢٥٨ م) – ستّةَ خُلفاء : المُستنجدَ والمُستضيء (٥٦٦ – ٥٧٥ ﻫ) والناصرَ والظاهر (٦٢٢ – ٦٢٣ ﻫ) والمُسْتنصر (٦٢٣ – ٦٤٠ ﻫ) ثمّ المُستعصمَ الذي انقرضت الخلافةُ في أيامه . ومعَ أن ستّةَ خلفاءَ في قرنٍ كاملٍ أمرٌ يدُلّ على استتباب الأمور ، وخصوصاً إذا علمنا أن الناصرَ قد بَقِيَ على سِدّة الخلافة سبْعاً وأربعينَ سَنَةً ، فإنّ الخلافةَ لم تكن مستقرّةً إلاّ لأنّ الخلفاءَ كانوا ضِعافاً لا يَقْوَوْنَ على مُقاومة الدويلاتِ التي أقامَها الأتراكُ السلاجقة على أرضِ الخلافة ثمّ امتدّ نفوذُ بعضِها الى العراق والى بغدادَ نفسِها . انّ الخلافةَ العبّاسيّة كانت قد أصبحت في ذلك الحينِ رمزاً للحُكمِ الاسلاميّ لا قدرةَ له على الحُكمِ على شيء . وكان الإفرنجُ الصليبيّون لا يزالون على أرضِ الإسلام في الشامِ ومِصْرَ يَضْعُفون إذا قَوِيَتِ الدويلاتُ الإسلاميةُ ويَقْوَوْنَ إذا ضَعُفَتْ . وكانت الدولةُ الفاطميّة في الشام ومِصرَ قد أشرفتْ على الهَرَم وامتلأتْ مناصبُها بغيرِ المسلمين ثمّ أصبحت تُمالىء الصليبيّين ، ضَعْفاً منها حيناً أو خيانةً من نَفَرٍ من رجالِها حيناً آخرَ .

في مَطْلَعِ هذه الفترةِ كان قد نشأ للأتابكة [1] الأتراكِ دولتانِ : دولةُ بني أُرْتُقَ ودولةُ آل زنكي . وكلّ دولةٍ من هاتين الدولتين كانتَ ذاتَ فُروعٍ . أمّا بنو أرتُقَ فيهمّنا منهم هنا الفرعُ الّذي نشأ في العِراق : في حصن كِيفا ، نحو سَنَة ٤٩٥ ﻫ (١١٠١ – ١١٠٢ م) ثمّ انتقل الى آمِدَ . وأمّا آل زنجي (زنكي) فقد نشأت دولتُهم في المَوْصِلِ (شَماليّ العراق) ، سَنَةَ ٥١٦ ﻫ (١١٢٢ م) ، ثمّ كانت لهم فروعٌ في الشام : في دِمَشْقَ ثمّ في حَلَبَ ، منذ سَنَةِ ٥٤١ ﻫ (١١٤٦ –

(١) أتابكة جمع أتابك (أتا : أبو ؛ بك : أمير) : المربي ، المؤدب ، المعلم . وقد كان هؤلاء الأتابكة مؤدبين لأبناء السلاجقة .

١١٤٧ م) ثمّ في سِنْجارَ (٥٦٦ هـ) والجزيرةِ (٥٧٦ هـ) من أعالي الشام والعراق . ولا ريبَ في أنّ أشهرَ هذه الفروعِ كان فرعَ دِمَشْقَ وحلبَ (٥٤١ – ٥٧٩ هـ) من الناحيتين السياسيّة والأدبية ، وخصوصاً في أيّامِ مُنْشِىءِ هذا الفرعِ الملكِ العادلِ نورِ الدين محمودٍ (٥٤١ – ٥٦٩ هـ) ، فهو الذي أبلى في قتال الصليبيّينَ البَلاءَ الحَسَنَ قبلَ ظهورِ صلاحِ الدين الأيوبيّ .

وفي أوائلِ هذه الفترة أيضاً نشأ للباطنيّين (الإسماعيليين المتطرّفين) في الشام، في سَلَمِيَةَ وما حولَها (غربَ حِمْصَ وحَمَاة) دُوَيلةٌ صغيرةٌ جِدّاً (٥٥٧ – ٦٧٠ هـ) ، ولكنّها كانت في مَعْقِلٍ من الجبال تُناجِزُ سُلطةَ أهلِ السُنّة والجماعة في كلّ مكانٍ تستطيعُ يدُها أن تَصِلَ إليه . وقد حاول هؤلاء الباطنيّون (الحَشّاشون) اغتيال صلاح الدين الأيّوبي مرّتين .

في هذه الاثناء* لم تكنْ أعلامُ الإسلام مُظفّرةً في فِلَسْطينَ . ثمّ سَقَطَتْ مدينةُ عَسْقلانَ في أيدي الإفرنج الصليبيّين بعدَ أن كانتْ مَعْقِلاً ثَبَتَ في وَجْهِهِمْ نِصْفَ قرنٍ كامل . ولمّا استولى بَغْدوين الثالثُ مَلِكُ المملكة اللاتينية في القدس على عَسْقلانَ انكشفتِ الطريقُ أمامَ النصارى (الصليبيّين) الى مِصْرَ.

زادَ الضَعْفُ في الدولة الفاطمية ، في أواخرِ أيّامها ، بالمنازعاتِ الداخلية . كان للعاضدِ لدين الله العَلَويّ – صاحبِ مِصْرَ وآخرِ خلفاءِ الفاطميّين فيها – وزيرٌ اسمه شاوَرُ بنُ مُجيرٍ السَعْدي ، فنازعه في الوزارة رجلٌ اسمه ضِرغامُ بن عامرٍ وتغلّبَ عليه ووَلِيَ الوزارةَ مكانَه . ونجا شاوَرُ هارباً الى الشام واتّصل بنور الدين محمود بن عماد الدين زنكي وأطمعه بالاستيلاء على مِصْرَ . وأرسلَ نورُ الدين محمودٌ إلى مِصْرَ قائداً شُجاعاً حكيماً من قوّادِه هو أسدُ الدين شيركوه بن شاذي . واستطاع شيركوهُ بدهائه السياسيّ وبمقدرته العسكرية أن يتغلّبَ على ضِرغام وأن يُعيدَ شاوَرَ الى الوزارة. ثمّ أنّ شاوَرَ راسلَ أمَلْرِكْ (أموري) الأوّل مَلِكَ المملكة اللاتينية في القدس مُسْتنجداً بالإفرنج الصليبيّين على نور الدين. فاستأنفَ نورُ الدين حملةً جديدةً على مِصْرَ بقيادةِ أسدِ الدين شيركوه نفسه . واستطاع شيركوه أن يتغلّبَ على شاوَرَ وأن يعمل على قتله ثمّ استطاع أيضاً أن يتولّى الوزارة للعاضد . غير أنّ شيركوه توفّي

(*) راجع « تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي (بيروت ١٩٥١ ، دار الكشاف) ، ص ١ ٧٦٤ راجع أيضاً الطبعة الانكليزية (لندن ١٩٤٩) ، ص ٦٤٥ .

وشيكاً (٥٦٤ هـ = ١١٦٩ م) بعد تولّيه الوزارة ، فخلفه في الوزارة ابن أخيه : صلاح الدين بن أيوب (صلاح الدين الأيوبيّ) .

رأى صلاحُ الدين أن الخَطَرَ الحقيقيَّ على البـلاد والإسلام ليس من جانب الصليبيـّين ، فقد كان الصليبيـّون أيضاً قد ضَعُفوا بالمنازعاتِ الداخليـّة ، ولكنّ ضَعْفَ المسلمين كان راجعاً الى تنازُعِ زُعمائهم . من أجلِ ذلك عَزَمَ صلاحُ الدين على أن يَقْضِيَ أولاً على أسبابِ هذا الضَعْفِ . قَضَى صلاحُ الدين على الدولة الفاطميـّة وأقام على أنقاضها دولتَه الأيوبية . وزالتْ بطبيعةِ الحال دولةُ الأتابكة في الشام فقد كان هو أقدرَ قُوّادِها ورجالها . ثمّ انـّه قضى على الدويلات الصغيرة في العـراق والشام ووحّد البلادَ وانطلق يستعيدُ المُدُنَ من أيدي الافرنج الصليبيّين بسُرْعة مُدْهشة .

الحياة الاجتماعية

انّ الاضطرابَ الذي سبق سُقوطَ الخلافة العبّاسية قد أدّى الى تطوّرٍ كبيرٍ في الحياة الاجتماعية . ومن أهمّ هذا التطوّرِ اتّساعُ الحروبِ الصليبية حتّى تناولتْ مِصْرَ بعدَ أن كانتْ زَمَناً طويلاً قاصرةً على الشواطىء الشرقية من البحر الأبيض المتوسّط : لقد أرادتْ أوروبةُ الغربيةُ بالحروبِ الصليبية أن تُقيمَ الشاطىء الشرقيّ من البحر الأبيض المتوسّط سدّاً يَحْجِزُ وراءه المسلمين بعدَ أنْ أخذتِ الشعوبُ التركية تدخُلُ في الاسلام وبعدَ أن وَصَلَتْ تلك الشعوبُ الى آسيةَ الصغرى ووَقَفَتْ على تُخوم أوروبّة . وبعدَ تسعمِائَةِ عامٍ رأينا الاستعمار الغربيَّ نفسَه يُحاولُ أن يُقيمَ هذا السدَّ نفسَه على هذا الشاطىء نفسه ، فإنّ الذي ينظُرُ إلى خارطةِ الممالكِ التي أقامَها الإفرنجُ الصليبيّون يَجِدُ أنّها الخارطةُ التي اغتصبها الاستعمارُ الغربي اليومَ على النِصف الجَنوبي من الشاطىء الشرقيّ للبحر الابيض المتوسّط . وإذا نحن تَفَطَّنّا الى تهديدِ الاستعمار على لسانِ رِجال إسرائيلَ رأينا أن أطماعَ الاستعمارِ في توسيعِ رُقعةِ اسرائيلَ ترمي الى الاستيلاء على القسم الجَنوبي الباقي من ذلك الشاطىء لِحَجْزِ المسلمين وراءه حجزاً كاملاً . ثمّ اذا نحن تفطّنّا أيضاً الى سياسةِ الاستعمار في بلادِ الخليج رأينا أمراً مُشابِهاً : إذا كان جميعُ أهلِ الخليج من العرب فلا مانعَ من بقاء الحكم الاسمي هناك لهم على أن يكونَ الحُكْم الحقيقي للاستعمار . ويكون حينئذ بين العرب في شبه جزيرتهم وبين ساحل الخليج العربي والمحيطِ الهندي سدّ من الاستعمار .

في هذا المقطعِ استطرادٌ طويلٌ ، ولكنّه استطرادٌ نافع !

ولقد أدركَ المسلمون في العصور الوسطى هذا الخطرَ فكان أوّلَ تبدُّلٍ في حياتِهِمُ الاجتماعية أنّهم تركوا العصبيةَ القوميةَ التي سَيْطَرَتْ على عواطفهم وسياستهمْ منذ قيام الدولة الأموية ، سَنَةَ ٤٠ للهِجْرة (٦٦٠ م) وتبدّلوا بها الشعورَ الإسلامي . إنّ العرب كانوا قد أصبحوا قِلّةً بعدَ أن دَخَلَتْ أممٌ من أهل آسيَةَ وإفريقيةَ واوروبة أيضاً في الإسلام أفواجاً . ثمّ انّ العرب الذين كانوا دائماً هم الطبقةَ الحاكمةَ قد جنى عليهمُ التَرَفُ . من أجل ذلك لا نستغربُ إذا علمنا أن الأكرادَ والأتراك هم الذين قاموا بالعِبْءِ الأكبرِ من القتال في أثناء الحروب الصليبية . وإذا لم يكنْ ثَمّتَ شَكٌّ في أن الفِرِنْجَةَ الذين جاءوا في الحَمَلات المتتابعة على الشرق انّما جاءوا بدافعٍ دينيّ عنيفٍ – وإنْ كانت أهدافُ الذين كانوا وراءهم أهدافاً سياسيةً واقتصادية في الأكثر – فإنّ من غيرِ المعقولِ أن يُهْمِلَ المسلمون العُنْصُرَ الدينيَّ في الدفاع عن بلادِهم وعن أنفسِهم .

وتطرّف الشُعورُ الدينيّ فرَسَخَتْ حركةُ التصوّف واتّسعت . ومَعَ أن المقصودَ الأوّلَ أن تكونَ حركةُ التصوّف اتّجاهاً نحوَ تَقيّةٍ اجتماعية (أن يكونَ ظاهرُها العبادَةَ وباطنُها الجهادَ) ، فإنّ جماعات وأفراداً كثيرينَ هربوا الى التصوف من خوفِ حَمْلِ التَبِعَةِ : إذا كان فردٌ لا يستطيعُ الحربَ أو لا يُريد الحربَ ثمّ كَرِهَ أن يعترفَ بالعَجْزِ الجَسَديّ أو النَفْسي فلا أهونَ عليه من أن يخترعَ فلسفةً يُجادِلُ بها عن ضَعْفِهِ ، كما فعل كثيرون من المتصوّفين .

هذا التطوّرُ الاجتماعيّ لم يتناولِ المسلمينَ فقط ، بل تناول الإفْرَنْجَ الصليبيّين أيضاً . من أجل ذلك كثر اختلاطُ الأممِ والشعوبِ في أثناء الحروب الصليبية بالزّواج وبالاحتكاك المَعاشي . وفي أسماءِ العربِ في الشرق الاوسط وفي أجسامهم سِماتٌ واضحةٌ ، كما أن في أسماء جماعات من الأوروبيّين وفي ملامحِ وُجوهِهِمْ إلى اليومِ سِماتٌ ، مَشْرقية أو عربيةٌ . ومِثْلُ ذلك نَجِدُه في أنواعِ الطعام واللِباس والبناء : لقد أخذ الاوروبيّون كلّهم مِنّا الصُفّة والسُكّر والصِفْر والشَراب بأسمائها فقالوا :

—, Sofa, Sucre (Sugar, Zucker, etc.) , Cypher (Cifra, Ziffer, Chiffre), Sirop —

كما أخذنا نحن منهم في هــذا القرن : التلفونَ والسنما والفِلْم والتلفزيون مَــعَ أسمائها !

الخصائص الأدبية

في هذه الفترة اتّسعتْ فنونُ الأدب واتّسع التأليفُ، ولا نستطيعُ أن نقولَ إنّ شيئاً جديداً قد نشأ في المشرق سوى المُوَشّحِ الذي جاء من الأندلس فنَظَمَ عليه ابنُ سَناءِ المُلْك (ت٦٠٨هـ) نظماً رائقاً ثم ألّف في أُصوله وقواعده. وكذلك قلّ العَطاءُ على الشعر في هذه الفترة لأنّ الاضطرابَ السياسيَّ والحروبَ من شأنِها أن تَصْرِفَ النفوسَ عن هذا التَرَفِ الذي يقتضي الاهتمامُ به استقراراً واطمئناناً.

وكَثُرَ إنشاء المدارس في هذا العصر وخصوصاً تلك المدارسِ التي تَهتمّ بتعليم الدين وبالحديث خاصّةً. وكان لحفظِ القُرآن ودِراسَة الحديث رواتبُ تُعْطى للطلاّب تشجيعاً لهم على طلب علوم الدين.

وكذلك اتّسع التأليفُ في علوم اللغة والأدب، من الصرف والنحو والبلاغـة ووَضْعِ القواميسِ المختلفة. واتّسع التأليفُ في التاريخ والتّراجم والبُلدان (الجُغرافية) والرِحلات.

---

(١) كان الشعر الى هذا الحين الذي نتكلم عليه في هذا الفصل قصيداً ورجزاً. والقصد (بفتح القاف) والاقتصاد: مواصلة الشاعر عمل القصائد. والقصيد ما تم شطر أبياته ثلاثة أبيات فصاعداً أو ستة عشر بيتاً فصاعداً (القاموس ١ : ٣٢٧، ٣٢٨). والقصيدة أبيات متوالية من بحر واحد وعلى روي واحد. وبحور القصيد ستة عشر بحراً. ومثال القصيد من البحر الخفيف على روي النون المكسورة (بعد ألف التأسيس، وهي ضرورية في هذه القافية) قول المعري:

ليلتي هذه عروس من الزنـ ... ـج عليها قلائد من جمان.
هرب النوم عن جفوني فيها ... هرب الأمن عن فؤاد الجبان.
وكأن الهلال يهوى الثريا، ... فهما للوداع معتنقان!

وأما الرجز (بفتح ففتح) فهو ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات... وزعم الخليل (بن أحمد) أن (الرجز) ليس بشعر وانما هو أنصاف أبيات أو أثلاث. والارجوزة (بضم الهمزة) القصيدة منه (القاموس ٢ : ١٧٦). والرجز لا يكون الا من بحر واحد – من بحر الرجز –:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن ... مستفعلن مستفعلن مستفعلن.

وينبني الرجز على روي واحد في جميع أشطره (في صدر أبياته وعجزها – بفتح العين وضم الجيم) كقول أبي نواس (على اللام الساكنة):

لما بدا الثعلب في سفح الجبل ... صحت بكلبي: ها! فهاج كالبطل؛
كلب جريء القلب محمود العمل ... مؤدب كل (؟) الخصال قد كمل.

وربما بنيت الارجوزة على روي مستقل (في قافية مستقلة) في شطري كل بيت منها كقول أبي العتاهية:

إن الفساد ضده الصلاح، ... يا رب جد جره المزاح.
ما تطلع الشمس ولا تغيب ... الا لأمر شأنه عجيب.
كذا قضى الله فكيف أصنع ... والصمت ان ضاق الكلام أوسع.

وتوفّرَ نَفَرٌ كثيرون من الأدباء على الصناعة اللفظية وأغرقوا فيها في شعرهم ونثرهم ، كما ألّفوا فيها الكتب . ولقد خرَجَ نَفَرٌ منهم ، كالقاضي الفاضلِ مَثَلاً (ت ٥٩٦ هـ)، على القَدْر المعقول الذي يجعَلُ من الصناعة حِلْيَةً للأدب ثم أغرقوا في تطلُّبِ أوجهِ البلاغة حتّى جاءوا بالمستحيل في العقل والممجوج أحياناً في الذوق . ومَعَ اتّساعِ الكلامِ في البلاغة يتّسعُ الكلامُ في النقدِ الأدبي بطبيعة الحال . وكذلك استقرّت قواعدُ الإنشاء الديوانيّ مع الإغراق في الصناعة أيضاً .

ابنُ عَساكر

١ ـ هُوَ الحافِظُ تَقيُّ الدينِ أبو القاسمِ عليُّ بنُ الحسنِ بنِ هِبَةِ اللهِ ابنِ الحُسينِ المعروفُ بابنِ عَساكرَ الدِمَشْقيّ ، وُلِدَ في المُحَرّم سَنَة ٤٩٩ (١١٠٥ م) .

في سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) ذَهَبَ ابنُ عساكرَ إلى بَغدادَ وقرأ علومَ الحديث في المدرسة النظامية ثم حجّ (٥٢١ هـ) فسمع من العلماء في مكّةَ والمدينةِ والكوفةِ .

وفي سنة ٥٢٥ هـ عاد الى الشام ثم استأنف الرِحلةَ في طَلَبِ العلم إلى المشرق وسمع من العلماء في نَيْسابورَ وهَراة ومَروِ الشاهِجانِ وأبيوردَ وطُوسَ والرَيّ وسواها . وقد درّس الحديث أيضاً في بَغدادَ ومكّةَ ونَيْسابور وأصْفهان . ثم إنه عاد إلى دِمشقَ واستقرّ فيها وأصبحَ مُدرِّساً للحديثِ في المدرسة النورية إلى أن وافاه الأجلُ في حادي عَشَرَ رَجَبَ من سَنة ٥٧١ (٢٦/ ١/ ١١٧٦ م) .

٢ ـ كان تَقيَّ الدينِ بنُ عَساكرَ من أئِمّةِ الحديثِ في وقتهِ ، ولذلك كان يسمّى « الحافِظَ ابنَ عَساكرَ » . وهو مصنّفُ كتبٍ كثيرةٍ أثبتها ياقوتٌ الحمويُّ (معجم الادباء ٣ : ٧٧ ـ ٨٣) مُطوّلاً . وأشهرُ هذه الكتبِ « تاريخ مدينةِ دِمَشْقَ وأخبارُها وأخبارُ من حلّها » ، على نَمَطِ ما كان الخطيبُ البَغْداديُّ قد فعل في « تاريخ بغداد » .

٣ ـ مختارات من آثـاره

ـ من مقدّمة التاريخ الكبير :

الحمدُ للهِ خالقِ الأرواحِ وبارىء الأجسام، وفالقِ الإصباح بالضياء بعد غَسَقِ

الظلام[1]، ورازقِ الطيورِ والإنسَ والجنَّ والوحوش والأنعام، وفاتقِ الأرضِ والسماء عن قَطْرِ الغَمام، والحَبَّ ذي العَصْف والنخل ذاتِ الأكمام[2]، تَبْصِرَةً لذوي العقول وتَذْكِرةً لأُولي الأفهام...... أمّا بعدُ، فانّي كُنتُ قد بدأتُ قديماً — لِسُؤال من قابلتُ سؤالَه بالامتثال والالتزام — على جَمْعِ تاريخٍ لمدينةِ دِمَشْقَ أمِّ الشامِ — حَمَى اللهُ رُبوعها من الدُثور والانفصام، وسلّم جرعها من كيد قاصديها بالاهتضام[3] — فيه ذِكْرُ من حلّها من الأماثلِ والأعلام[4]. فبدأتُ فيه عازماً على الإنجاز له والإتمام، فعاقَتْ عن إنجازه وإتمامه عوائقُ الأيّام من شَدوة الخاطرِ وكَلال الناظر[5] وتعاقُبِ الآلام.......

ورَقِيَ خبرُ جمعي إلى حضرةِ الملك القَمْقام الكاملِ العادل الزاهدِ المُجاهدِ المُرابط[6] الهُمام أبي القاسم محمود بنِ زَنْكي بنِ سَنْقَرَ الناصرِ الإمام[7] أدامَ اللهُ ظِلَّ دولته على كافّة الأنام وأبقاه مُسَلّماً من الأسْواء[8] منصورَ الأعلام..... وبَلَغَني تَشَوُّقُهُ إلى الاستنجازِ له والاستتمام لِيُلِمَّ بمطالعةِ ما تَيَسَّرَ منه بعضَ الإلمام[9]، فراجعتُ العملَ فيه للظَفَرِ بالتمام شاكراً لما ظَهَرَ منه من حُسن الاهتمام

(١) بارىء : خالق . فالق الاصباح بالضياء : الذي شق الظلام عن نور الصباح . الغسق : ظلمة أول الليل .

(٢) الأنعام : البهائم من الغنم والابل الخ . فاتق السماء عن قطر الغمام (عن المطر) وفاتق الارض عن الحب (كالقمح والشعير) ذى العصف (التبن) والنخل ذات الأكمام (أوعية الطلع بفتح الطاء : غلاف القرط الذي يكون فيه التمر) .

(٣) الربع : المكان المسكون. الدثور : الامحاء . الانفصام : الانفصال. الجرع (بفتح ففتح) جمع جرعة (بالفتح) : القطعة من الارض (من رمل أوغيره، ذات نبات أو غير ذات نبات). قاصديها : قاصدي دمشق (في الأصل : قاصديهم) . الاهتضام : سلب بعض الحقوق .

(٤) الأماثل جمع أمثل : أفضل (أفاضل القوم) . الأعلام جمع علم (بفتح ففتح) : المشهورون .

(٥) الشدو : القليل من كل شيء . والشذوة (بالذال أخت الدال) : بقية القوة . لعل ابن عساكر يقصد بكلمة « شدوة » تشتت (شدوة الخاطر : تشتت البال) . الكلال : الضعف . والشداه (بالضم) : الحيرة والدهشة .

(٦) القمقام : السيد الجامع للسيادة الواسع الخير . المرابط : الساكن على أطراف البلاد الاسلامية لصد المغيرين عليها تطوعاً من عند نفسه .

(٧) هو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ملك الشام والجزيرة (أعلى العراق) ومصر ، ولد سنة ٥١١ هـ ، وجاء الحكم سنة ٥٤١ هـ ، وتوفي سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) . كان من أعاظم ملوك المسلمين ومن أبطالهم في الحروب الصليبية .

(٨) الأنام : الناس. الأسواء جمع سوء .

(٩) ألم بالشيء : مر عليه مراً خفيفاً .

مُبادراً ما يحولُ دون المُرادِ من حُلول الحِمام[١] ، معَ كون الكِبَرِ مَطيةَ العَجزِ ومَظنّة الأسقام وضَعفِ البصر دون الإتقان له والإحكام[٢] ؛ سُبحانه وتعالى المُعينُ فيه بلطفهِ على بلوغِ المَرام .

وهو كتابٌ مُشْتَمِلٌ على ذِكْرِ مَن حلّها من أماثلِ البريّةِ أو اجتاز بها أو بأعمالهــا من ذَوي الفضل والمزيد من أنبيائها وهُداتها[٣] ، وخُلفائها ووُلاتها ، وفُقهائها وقُضاتها ، وعُلمائها ودُراتها[٤] ، وقُرّائها ونُحاتها ، وشعرائها ورُواتها[٤] — من أمنائها وأنبائها ! وضُعفائها وثُقاتها — وذِكْرِ ما لهم[٥] من ثناءٍ ومدح ، وإثبات ما فيه (فيهم !) من هِجاءٍ وقَدْح ، وإيراد ما ذكروه من تعديلٍ وجَرْح[٥] ، وحكايةِ ما نُقِلَ عنهم من جِدٍ ومَزْح ، وبعضِ ما وَقَعَ في رواياتِهم وتعريفِ ما عَرَفْتُ من مواليدهم ووفاتهم[٧] ! ....

٤ — التاريخ الكبير (اعتنى بترتيبه عبد القادر بدران وسمّاه : تهذيب تاريخ ابن عساكر) ، دمشق (مطبعة روضة دمشق) ١٣٢٩ — ١٣٣٢ هـ ؛

تاريخ مدينة دمشق ... (تحقيق صلاح الدين المنجّد) ، (منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق) دمشق ( ) ١٩٥١ — ١٩٥٤ م .

ولاة دمشق في العهد السلجوقيّ (نشره صلاح الدين المنجّد) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٩٤٩م .

تهذيب تاريخ دمشق (نصوص مستخرجة من « تاريخ دمشق الكبير » — حقّقها صلاح الدين المنجّد) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٣٣٢ هـ .

(تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام الأشعري (عني بنشره القدسيّ ")، دمشق (مطبعة التوفيق) ١٣٤٧ هـ ؛ (نُبذٌ منه باعتنا ، مهرن) ، ليدن ١٨٧٨ م (راجع معجم سركيس ١٨٢) .

* معجم الادباء ١٣ : ٧٣ — ٧٨ ؛ طبقات الشافعية ٤ : ٢٧٣ — ٢٧٧ ؛ وفيات الأعيان ٢ :

---

(١) الحمام (بكسر الحاء) : الموت .

(٢) مظنة : مكان ، موضع . الإحكام : الدقة في العمل .

(٣) الهداة جمع هاد (الهادي) : المصلح ، الدال على الخير .

(٤) الداري : العارف بالعلم الذي يمارسه ، وضدها الراوي : الذي ينقل عن غيره نقلا (من غير فهم ضرورة) . النحاة جمع نحوي (عالم بالنحو) .

(٥) أنبائها ! (كذا في الأصل) . الضعيف (في رواية علم الحديث خاصة) : القليل العلم والأمانة والتثبت مما يروى . الثقة ضد الضعيف . ما لهم من ثناء ... (في الأصل : ما لهن) .

(٦) القدح : الذم . التعديل : اقامة الدليل على عدل الرأي والأمانة . الجرح : اثبات ضعف في الراي (من ناحية العلم أو الأمانة) .

(٧) ووفاتهم (كذا في الاصل) والسياق يقتضي : ... ومواليدهم ووفياتهم .

١٢ – ١٣ ؛ ابن الأثير ١١ : ٤٣٥ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٣٩ – ٢٤٠؛ بروكلمان ١ : ٤٠٣ – ٤٠٤ ؛ الملحق ١ : ٥٦٦ – ٥٦٧ ؛ زيدان ٣ : ٧٩ – ٨٠ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧١٣ – ٧١٥ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٨٢ .

كمالُ الدينِ الشَهرزوريُّ

١ – هوَ كَمالُ الدين أبو الفضلِ مُحمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ القاسمِ بن المظفّر ابن علّي الشهرزوريُّ المَوْصِليّ ، وُلِدَ في المَوْصِلِ سنَةَ ٤٦٢ ﻫ (١٠٩٨–١٠٩٩م).

تَفقّهَ كمالُ الدين الشهرزوريُّ على أسعدَ المِهْيَني وسَمِعَ الحديثَ من نورِ الهُدى أبي طالبِ الزَّيْنَبي ومُحمّدِ بنِ محمّدِ بن خميسِ المَوْصِلي .

تولّى كمالُ الدينِ الشهرزوريُّ القضاءَ في المَوْصِل ، وكان أتابكُ المَوْصِلِ عمادُ الدين زَنْكي (٥١٦ – ٥٤١ ﻫ) يُرْسِلُهُ في فَتَراتٍ مُختلفةٍ رسولاً الى بَغدادَ والى خُراسانَ . ولمّا تُوُفّيَ عِمادُ الدين خَلَفَهُ ابنُه سَيفُ الدينِ غازي على المَوْصِلِ ففوّضَ إلى كمالِ الدين الشهرزوري كلَّ الأُمور ، ولكنْ سَرْعانَ ما غَضِبَ عليه (٥٤٢ ﻫ) واعْتَقَلَه في قلعةِ المَوْصل؛ ثمّ رَضِيَ عنه وَشيكاً . وفي سنَةِ ٥٥٠ ﻫ (١١٥٥ م) دَخَلَ كَمالُ الدين الشهرزوريّ في خِدْمَةِ نورِ الدينِ محمود (٥٤١ – ٥٦٩ ﻫ) وأقامَ في دِمَشْقَ . وقد أكْرَمَه نور الدين إكراماً كبيراً ثمّ وَلاّه القضاءَ (٥٥٥ ﻫ) في بلادِ الشامِ كلّها . وما زالَ كمالُ الدين يتَرقّى في المناصبِ حتّى بلَغَ دَرَجَةَ الوِزارة ولم يَبْقَ في الدولة أمرٌ خارجٌ عن نَظَرِه .

وكانت وَفاةُ كمال الدين الشهرزوريُّ في دِمَشْقَ ، في السادس من المُحرَّم من سنَةِ ٥٧٢ (١٥/ ٧/ ١١٧٦ م) .

٢ – كانَ كمالُ الدين الشَهرزوريّ فقيهاً يتَكلّم في الأصول كلاماً حَسَناً ، كما كان أديباً وشاعراً ظريفاً يَنْظِمُ الشِعْرَ في الوصفِ والخَمْرِ والنسيب .

٣ – مختارات من شعره

– قال كمالُ الدينِ الشهرزوريُّ في السفَر :

ولَقَدْ أتَيْتُكَ والنجـومُ رواصدٌ   والفجر وَهْمٌ في ضَميرِ المَشْرِقِ[1] ؛

(١) النجوم رواصد (ترصدني ، تتطلع الي) ، كناية عن اشتداد ظلمة الليل . والفجر وهم في ضمير المشرق : لن يطلع قبل وقت طويل .

ورَكِبْتُ لِلأهْوال كُلَّ عَظيمةٍ   شَوْقاً إليك لَعَلّنا أنْ نَلْتَقي !

ـ وقال في الخمر :

أنيخا جِمالي بأبوابِها   وحُطّا بِها بَيْنَ خُطّابِها[1] ؛
وقُولا لِخَمّارِها : لا تَبِعْ   سِوايَ فإنّيَ أوْلى بِها[2] ،
وساوِمْ وخُذْ فَوْقَ ما تَشْتَهي   وبادِرْ إليّ بأكوابِها[3] .
فإنّا أُناسٌ تَسومُ المُدا   م بأمْوالِها وبألْبابِها[4] .

ـ وكتب الى وَلَدِه مُحْيِي الدين (وَهُوَ في حَلَبَ) :

عِنْدي كَتائبُ أشْواقٍ أُجَهِّزُها   إلى جَنابِكَ إلاّ أنّها كُتُبُ ؛
ولي أحاديثُ من نَفْسي أُسَرُّ بِها   ـ إذا ذَكَرْتُكَ ـ إلاّ أنّها كَذِبُ !

٤ ـ ** معجم الأدباء ١٩ : ٢١٧ ـ ٢١٨ ؛ خريدة القصر (الشام) ٢ : ٣٢٣ ـ ٣٢٧ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣٣١ ـ ٣٣٢ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٢٦١ ـ ٢٦٣ ؛ ابن الأثير ١١ : ٤٤١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١٢٣ ؛ زيدان ٣ : ٦٢ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٠٧ .

مجد العرب العامري

١ ـ هو الأميرُ مَجْدُ العَرَبِ مُصطفى الدولة أبو فراسٍ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ غالبِ العامريُّ ، من أهلِ العِراق ، جالَ في البلاد تكسُّباً بشعرِه : زارَ الشام فكان في شَيْزَرَ (قرب حَماة) سَنَةَ ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) ومدحَ الأميرَ عِزَّ الدين سُلطانَ ابنَ علي من آلِ مُنْقِذ (ت ٥٤٣ هـ) ، وسَكَنَ أصفهانَ نحو عَشْرِ سَنَوات (٥٣٧ ـ ٥٤٨ هـ) تَصدَّرَ في أثنائها للتدريسِ وتكسّبَ بالشعرِ ولكنْ لم يَنَلْ فيها حظّاً فمَلَّ المُقامَ فيها وعادَ إلى العِراق وسكن المَوْصِلَ وغيّرَ زِيَّه ولَبِسَ لِبْسَ الأتراك . وقد كانتْ وَفاتُه بالمَوْصِلِ ، سَنَةَ ٥٧٣ هـ (١١٧٧ ـ ١١٧٨ م) .

(١) خطابها : خطاب الخمر الراغبون فيها : في الوصول الى المعرفة الالهية .
(٢) ـ يحسن أن يفهم هذا البيت أيضاً فهماً صوفياً .
(٣) بادر : أسرع . الكوب : قدح بلا عروة (بضم العين : يد) . بأكوابها : بأنواع المعرفة المختلفة (المعرفة الإلهية) .
(٤) تسوم (تشتري ، تطلب الشراء) بأموالها (ببذل الثمن الغالي) وبألبابها (بعقولها ؛ بما هو أثمن من أموالها) .

٢ ـ مجدُ العربِ العامريُّ مِن كبارِ شعراءِ العراقِ في عصرِه ، شاميُّ المذهَبِ يَطْبَعُ شِعرَه على شعرِ أبي تَمّامٍ والمتنبّي وأبي فراسٍ . وهو شاعرٌ مُطيلٌ أملَى ديوانَه (في أصفهانَ) على محمّدِ بنِ مسعودٍ القسّامِ الأصفهانيّ (ت ٥٧٢ هـ) ، فَجَمَعَهُ القسّامُ ورتّبه . وقصائده التي قالَها وهو في الشامِ أجزَلُ وأحسَنُ من قصائدِه التي قالَها وهو في العراق . ويُعَلِّلُ العمادُ الأصفهانيّ ذلك بقَوْلِه (خريدة العراق ٢ : ١٤٤) : « وقِدْماً قيل : اللُّها تفتح اللَّها[1] ، والبِقاع تُغَيِّرُ الطِباعَ » . ويحسُنُ أنْ نُلاحِظَ أن قصائدَ العِراقِ كانتْ من طَوْرِ الشَبابِ وأن قصائدَ الشامِ كانت من دور النُضج .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال مجدُ العربِ العامريُّ يمدحُ الأميرَ حُسامَ الدين أبا سعيدِ بنَ تمرتاشَ بنِ إيل غازي بنِ أُرْتُقَ ويذكُرُ أعمالَ حسامِ الدينِ وقومِه في حربِ الفرنج (الصليبيّين) . وقد أنْشَدَهُ هذهِ القصيدةَ في مَيّافارقينَ ، في رَجَبٍ مِنَ سَنَة ٥٣٧ هـ (١١٣٣ م) ، قال فيها :

ما للأقاربِ من ذَوِيكَ تَباعدوا ... حَنَقاً كأنّهمو ذَوُو شَنَآنِ[2] .
عَرَبٌ أضاعوا فيكَ ذِمّةَ جارِهِمْ ؛ ... والعُرْبُ تحفَظُ ذِمّةَ الجيران .
خُذْ بالشهامةِ ـ لا الكرامةِ ـ أهلَها ... تَرْدَعْ عِداكَ بها عن العُدوان[3] .
فالحَزْمُ أن تَضَعَ العِقابَ ـ إذا فشا ... سِرُّ المَظالمِ ـ مَوْضِعَ الغُفْران[4] .
من سؤدُدِ الرجلِ الكريمِ وفَضلِه ... ما يَسْتَمِرُّ عليه من نُقصان[5] .
كم مَوْقِفٍ لك ، لو أراد تَوَقُّفاً ... فيه الرَّدى زَلَّتْ به القَدَمان :
طأطأتَ فيه الكُفْرَ بعدَ بُزوغِه ... ورفعتَ فيه دَعائمَ الإيمان .

---

(١) اللهوة (بالضم والفتح) واللهية (بالضم) : العطية ، المال . واللهاة (بالفتح) : اللحمة المشرفة على الحلق . « اللها تفتح اللها » : المال يشجع الناس على حسن الكلام (ويشجع الشاعر على قول الشعر ومدح الذين يعطون) .

(٢) الشنآن : البغضاء .

(٣) الشهامة : كرم الخلق والأصل ، و (الشهامة في القاموس : الشجاعة) . تردع : تمنع .

(٤) ـ اذا كانت الذنوب قليلة فالصفح مفيد ، أما إذا استهتر الناس وأظهروا الفساد فالحزم أن يقضي تعاقبهم

(٥) مما يدل على سؤدد (مجد) الرجل أنه يحتمل الخسارة الشخصية دائماً .

جَمَعَتْ عليكَ به الفِرنجُ جُموعَها ، وتفرّقتْ لمّا التَقى الجَمْعان[1] .

ظَنّوكَ ما لاقَوْا ؛ فأبْطَلَ ظَنَّهم طَعْنٌ أحَقَّ مَظَنَّةَ السِرحان[2]

بذوابلٍ أبْدَتْ أسِنَّتُهُنَّ ما أخْفَتْ قلوبُهُمُ مِنَ الأضغان[3] .

ومُدرَّبينَ على القِتال كأنّما شَرِبوه ولِداناً مَعَ الألبان ،

من كلِّ مشبوحِ الذراعِ يَهُزُّه قَرْعُ العَوالي هِزّةَ النَشْوان[4] .

نَظَروا الى البِيضِ الخِفافِ كأنّها بأكُفِّهِمْ مَشبوبةُ النيران[5] ؛

والخَيْلُ قد عادتْ وِراداً شِبْهَها مِمّا لَبِسْنَ من النَجيعِ القاني[6] ،

يَسْبَحْنَ طَوْراً في الدِماء ، وتارةً يركُضْنَ فوقَ جَماجم الشُجْعان .

في مأزِقٍ ضَنْكِ المَجال كأنّه مَغْنى المُبَخَّلِ أو فؤادُ العاني[7] ،

سَتَرَ السماءَ عَجاجُه ؛ فسماؤه نَقْعٌ ، وأنجُمُه من الخُرْصان[8] ؛

فالصُبْحُ ممّا سُلَّ فيه واحدٌ ، والليلُ ممّا ثار فيه اثنانِ[9] .

---

(١) التقى الجمعان : وقف الجيشان في ميدان المعركة وجهاً لوجه .

(٢) ظنوك ما لاقوا : اعتقدوا انك في الحرب متساهل بحقك مثلك في السلم . – اعتقدوا أنك مثل غيرك من الذين قاتلوهم وانتصروا عليهم . ولكن طعنه (قتاله أعداءه) حقق أمل السرحان (الذئب) اذ كثر القتلى من الأعداء حتى شبعت ذئاب الفلاة .

(٣) الذوابل : الرماح . السنان : الحديدة في رأس الرمح. الضغن (بكسر الضاد) : الحقد . – رماح الممدوح أخرجت أحقاد الأعداء من قلوبهم (قتلتهم) .

(٤) مشبوح : طويل . اذا كان المحارب أطول ذراعاً من خصمه استطاع أن يصل اليه بالرمح بسهولة . يهزه : يطربه ، يسره . قرع العوالي (الرماح) : قرع بعض الرماح على بعض في المعركة (كناية عن اشتداد القتال) . النشوان : السكران .

(٥) البيض الخفاف : السيوف . كأنها النار المشبوبة أو مشبوبة النيران : حمراء من الدم الذي عليها .

(٦) والخيل قد عادت (رجعت من المعركة) وراداً (حمراً) شبهها (شبه نفسها ، لأن الخيل الحمراء اللون محمودة) النجيع : الدم . القاني : الشديد الحمرة (قان ، خان من الفارسية : الدم) . – جميع الخيل (الحمر والبيض والسود) رجعت من المعركة حمراً لكثرة ما سال عليها من دم الأعداء .

(٧) المأزق : المكان الضيق . ضنك المجال : لا يستطيع الفارس أن يجول فيه . كأنه مغنى (بيت) المبخل (البخيل) ، كناية عن الضيق المادي في المساحة ، أو فؤاد العاني (الأسير) كناية عن الضيق النفسي .

(٨) العجاج : الغبار . النقع : غبار الحرب . الخرصان جمع خرص (بضم الخاء) : الحلقة أو حلقة القرط (الذي تزين به الأذن) .

(٩) فالصبح مما سل فيه (من السيوف البيض) واحد : كأن السيوف المسلولة لكثرتها وتقارب بعضها من بعض وشدة بياض لونها (كناية عن جودتها ومضائها) شيء واحد. والليل مما ثار فيه (من الغبار) اثنان (ظلام وغبار أسود) .

ـ وله من الأبيات السائرة في مدح السَفَر وتهْوين فِراق الأحبّة :

فارقْ تَجِدْ عِوَضاً ممّن تُفارِقُهُ في الأرض ، وانْصَبْ تُلاقِ الرَّفْهَ في النَصَب[1]

فالأُسْدُ لولا فراقُ الخِيس ما فَرَسَتْ، والسَهْمُ لولا فراقُ القَوْسِ لم يُصِبِ[2].

٤ ـ ** الخريدة (العراق) ٢ : ١٤١ ـ ١٧١ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٠١ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٥٨ .

نشوان بن سعيد الحِمْيَري

١ ـ هو أبو سعيد نَشوانُ بنُ سعيدِ (بن نشوان) بنِ سعدِ بنِ أبي حِمْيَرَ ابنِ عُبيدِ الله بنِ القاسم بن عبدِ الرحمن من نسل ذي سَحَرَ، وأمُّه عربيةٌ من وَلَدِ عشنَ من ملوك همْدان . أمّا بلاده فهي وادي صَبَر (بفتح الصاد والباء) في الشّمال الغربيّ من صَعْدة؛ وليست صَبِر (بفتح الصاد وكسر الباء) الجبل المطلّ على تَعِزّ . وكان أكثرُ مُقامه في حوث بين صَنعاء وصَعْدة .

وتولّى نشوانُ بنِ سعيد القضاءَ في بعض مخاليف[3] اليمن . ويبدو أنه طَمِعَ في أواخر عُمُرِه بالملك فتَحَيّل على حُصْنٍ وَمَلَكَه ، قيل هو حصن في جبال صَبِر (بفتح الصاد وكسر الباء) وتسمّى بالسُلطان . وقيل بل لم ينجح في ذلك . وقيل بل جَمَعَ نحو تسعمائة رجل وسار بهم في الجَوْف[4] حتّى وصل الى بَيْحانَ من شرقيّ اليمن فلم يَتِمَّ له شيءٌ . ثمّ دخل حَضْرَمَوْتَ ، وكان مَلِكَها في ذلك الحين عبدُ الله بنُ راشد فأعطاه عبدُ الله مالاً جزيلاً . وعاد نشوانُ من طريق الجَوْف فسقطت عليه عِصابةٌ نَهبت جميع ما كان معه ما عدا كُتُبَهُ . ثمّ عاد الى بلاده ووطنه خَوْلان صَعْدَةَ واستقرّ في حوث الى أن تُوُفّيَ في ٢٤ من ذي الحِجّة من سنة ٥٧٣ هـ (١٤/ ٦/ ١١٧٨ م) .

٢ ـ كان نشوان بن سعيد الحِمْيَريّ فقيهاً من فقهاء الزَيْدية ومُعْتَزِلِيّاً وعالماً باللغة والنحو والأدب والتاريخ والأنساب وأديباً مُصَنِّفاً للكتب . وكان شاعراً يَنْظِمُ شعراً من جنس شعر العُلماء قليل الرونق . وآثارُ نشوانَ بن سعيد كثيرةٌ أشهرُها القصيدة الحِمْيَرِيّة (أو النَشْوانية) ، وَهِيَ مَلْحَمَةٌ (في أحْداثِ التاريخ)

(١) الرفه : سعة العيش . النصب : التعب .

(٢) الخيس والخيسة (بكسر الخاء فيها) : موضع الأسد ، والشجر الكثير الملتف .

(٣) المخلاف (بكسر الميم) : المنطقة ، المقاطعة . (٤) الجوف : أواسط البلاد .

تبلغ مائةً وثلاثينَ بيتاً أراد نشوانُ بن سعيد أن يَقُصَّ فيها أمجادَ حِمْيَرَ كما كان الهَمْداني (ت ٣٣٤ ﻫ) قد فعل من قَبْلَ في كتاب « الإكليل في مفاخر قَحْطانَ وذِكْرِ اليَمَن » وفي « القَصيدةِ الدامغة في فَضْل قحطان » . ولكنّ نشوانَ قصّر عن الهَمْدانيّ فأضاف الى قصيدته الحِمْيرية كثيراً من الخُرافات والمُبالغاتِ والأقوال الطنّانة الفارغة والأسماء الرنّانة المختلفة .

لنشوانَ بنِ سعيدِ الحِمْيَري من الكتب : شمس العلوم ودواء (شفاء) كَلام العرب من الكُلوم وصحيح التأليف والأمان من التحريف (وهو معجمٌ كبيرٌ مرتّب على حروف الهجاء . ولا يكتفي المؤلّف فيه بتفسير اللفظة تفسيراً لغويّاً فحَسْبُ ، بل يُورد في عدد كبير من الألفاظ خصائصَها الطبيعيةَ والعلمية والطبية ، وربّما استطردَ الى التعليقاتِ التاريخيّة والأحكام الشرعية) — رسالة الحُور العِين[1] — شرح رسالة الحُور العِين (شرح المؤلّف في هذا الكتاب ما كان قد أشار اليه في الرسالة المجرّدة « الحور العين » ممّا مرّ فيها من إشاراتِ اللغة والصرف والنحو والعَروض والقوافي ومن الإشارات التاريخية الى عَرَبِ الجاهلية والأمم القديمة ومن المذاهب والفِرَق الدينية المختلفة في الإسلام وغيرِ الإسلام ومن الآراء العلمية والفلسفية) — التِبْيان في تفسير القرآن — رسالة في التصريف — أحكام صنعاء وزَبيد — وصيّة (نشوان بن سعيد) لولدِهِ جعفرٍ — أُرجوزة في الشهور الرومية .

٣ — مختارات من آثاره

— من القصيدة الحميرية :

الأمرُ جِدٌّ وهْوَ غيرُ مُزاحِ ؛ فاعملْ لنفسِكَ صالحاً ، يا صاحِ[2] .
كيفَ البقاءُ مَعَ اختلاف طبائعٍ وكرورِ ليلٍ دائمٍ وصَباحِ ؟
الدهرُ أنصحُ ناصحٍ يَعِظُ الفتى ، ويَزيدُ فوقَ نصيحةِ النُصّاحِ .
تجري بِنا الدنيا على خَطَرٍ ، كما تجري عليه سفينةُ المَلاّحِ[3] .

(١) رسالة الحور العين وتنبيه السامعين: الحور (بضم الحاء) جمع حوراء (المرأة البيضاء الجميلة) والعين (بكسر العين) جمع عيناء (الظبية الواسعة العينين : المرأة الجميلة) . ومعنى الحور في هذا الموضع « الكتب » (تفسير رسالة الحور ، ص ٥) . ويبدو أن المؤلف قد أراد بهذه الرسالة أن يجمع أكبر قدر ممكن من معارفه في أوراق يسيرة اعتقاداً منه أن هذا الاسلوب مفيد للناشئين حتى يحيطوا بأنواع العلوم .
(٢) الأمر = الأمر المهم (الموت) . صاح = ترخيم صاحب .
(٣) كما تجري السفينة بين أخطار البحر ، كذلك نحن نعيش في الدنيا بين أخطارها .

شَغَلَ البريّةَ عن عِبادة ربّهم فِتَنٌ – على دُنْياهُم – وتَلاح[1] ،
ومحبّةُ الدنيا التي سَلَكَتْ بِهِمْ أبداً مَعَ الأرواحِ والأشباح[2] .
كلُّ البَرِيّةِ شاربٌ كأسَ الرَّدى من حَتْفِ أنفٍ أو دمٍ سَفّاح[3] .
لا تَبْتَئِسْ للحادثاتِ ولا تَكُنْ ، بِمَسَرَّةٍ في الدهرِ ، بالمِفْراح !

بعدئذ يتساءلُ نَشوانُ بن سعيد عن ملوكِ حِمْيَرَ وكيفَ ذَهبوا (ماتوا) بعدَ أن قاموا بأعمالٍ عظيمةٍ وأقاموا لأنفسهِمْ أمجاداً في الشرق والغرب ثم يُحَشّي الأبياتَ بأخبارٍ منها المَوْثوقُ ومنها المرجوحُ . فمن قوله مَثَلاً :

أمْ أينَ شَمّرَيَرْعِشُ المَلِكُ الذي مَلَكَ الورى بالعُنفِ والإسْجاح[4]
قد كان يَرْعَشُ من رآه هَيْبَةً ورنا إليه بطرفِه اللّمّاح[5]
وبه سَمَرْقَنْدُ المشارقِ سُمّيَتْ ؛ لله مِن غازٍ ومن فتّاح[6] !
وأتى بمالكِ فارسٍ كيقاوُسٍ في القَيْد يَعْثُرُ مُثْخَناً بجِراح[7] .
فأقامَ في بِئْرٍ بمأربَ بُرْهَةً في السجن يَجأرُ مُعْلِناً بصِياح[8] ؛
فاسْتَوْهَبَتْ سُعدى أباها ذَنْبَهُ فعفَا وسيّره بحُسْنِ سَراح[9] .
والأقرنُ المَلِكُ المُتوّجُ تُبّعٌ عَرَكَ البلادَ بكَلْكَلٍ فَدّاح[10] ،

---

(١) التلاحي : التساب والتشاتم ولوم بعض الناس بعضاً .

(٢) محبة الدنيا موجودة دائماً في البشر (ما دامت الا رواح في الاشباح = ما دام الناس أحياء !).

(٣) الردى : الموت . من حتف أنف : الموت الطبيعي في الفراش . أو من دم سفاح (مسفوح ، مسفوك) : قتلا .

(٤) ... بالعنف مرة وبالإسجاح (اللين والتساهل) مرة .

(٥) رعش الانسان يرعش (بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع) : اهتز ، اضطرب من الخوف أو البرد . هيبة = من الهيبة (الخوف) . وكذلك يخافه من رنا (تطلع) اليه بطرفه (ببصره) اللماح (الذي يختلس النظر اختلاساً من غير تثبت) .

(٦) سمرقند = مدينة كبيرة في التركستان (سميت به = سميت باسمه : سمر ... شمر...)
لله من غاز ومن فتاح : ما أعظمه غازياً للبلاد وفاتحاً !

(٧) أتى بمالك فارس (بملك فارس) كيقاوس في القيد (أسيراً) . يعثر (بفتح الثاء أو كسرها أو ضمها) : يتعثر ، يجر (قيوده) . مثخناً بجراح : كثير الجراح في بدنه .

(٨) حبس شمريرعش أسيره كيقاوس (قابوس) في بئر ، فكان قابوس يستجير بصوت مرتفع .

(٩) ... وما زالت سعدى بنت شمريرعش تستعطف أباها على قابوس حتى عطف أبوها عليه وأطلق سراحه وأعطاه مالا وولاه على بلاد فارس على أن يدفع قابوس الخراج لشمريرعش .

(١٠) عرك البلاد بكلكل (صدر) فداح (ثقيل) = أخضع البلاد اخضاعاً تاماً .

وغزا بلادَ الروم يَبْغي واديَ الـ ياقوتِ صاحبَ عِــزّةٍ وطِماح[1].
فقضى هُنالِكَ نَحْبَهُ وأتى إلى أجَلٍ مُعَدٍّ للحِمــامِ مُتاح[2].

ويختم نشوان بن سعيد القصيدة بتسعة أبيات في الاعتبار بالموت وبأنه يــأتي على جميع الناس ولا يستثني الملوك ولا الأقوياء ولا أصحاب الأمجاد :

أذواءُ حِمْيَرَ قد ثوَتْ ومُلوكُهــا في التّرْبِ مُلْكَ ضَرائحٍ وصِفاح[3]:
أضْحَوْا تُراباً يُوطَئون كمثلِ ما وُطِئَتْ هوامدُ تُرْبةٍ وبِطاح[4]؛
ذلّتْ لهم دُنياهُمُ ثمّ انثَنَــتْ تَرْميهِــمُ بالحـافرِ الرَّمّــاح[5].
مَطَرَتْ عليهم، بعدَ سُحْبِ سعودِهِم، سُحْبُ النحوسِ بوابـلٍ سَحّاح.
ما هابَهم رَيْبُ المَنونِ ، ولا احْتَمَوْا عنــهُ بأسيــافٍ ولا أرمــاح ،
كـلاّ ولا بعساكــرٍ ودَساكــرٍ وجَحافــلٍ ومعاقــلٍ وسِلاح[6].
سكنوا الثّرى بعدَ القصورِ ولَهْوِهم بمطــاعمٍ ومشــاربٍ ونِكــاح[7].
أضْحَتْ مُدَعْثَرَةً قُصورُهُمُ التي بُنِيَتْ بأعْمِــدَةٍ من الصُفّاح[8].
والدَهْرُ يَمْزِجُ بُؤْسَــه بنَعيمهِ ويُري بَنيــه الغَمَّ في الأفــراح !

— من مقدّمة كتاب « الحور العين »[9] :

.... السلام عليكِ أيّتها العَقوةُ التي لا تُلِمُّ بها الشقوةُ ، والربوةُ المُوقَّرةُ

---

(١) ... صاحب عزة وطماح : وهو معتز بنفسه لقوته وطامح الى أن يستولي على أوسع ما يمكن من الارض .

(٢) قضى نحبه : مات . الحمام : الموت . المتاح : المقدر .

(٣) أذواء (أصحاب) : ملوك، لأن اسماء ملوك اليمن هي هكذا : ذو يزن ، ذو رعين الخ . ثوت (مكثت) في التراب: ماتوا . ملك: رهن ، في قبضة (الموت) (لا يبرحون) . الضريح : القبر . الصفاح : قطع عريضة من الصخور (كناية عن أن الميت المقبور لا يستطيع أن يبرح قبره للصفاح الموجودة عليه) .

(٤) ... اذا مات الانسان أصبح الناس يطأون عليه (يسيرون بأقدامهم على بقايا جسمه) كما يطأون الأشياء الأخرى في الارض .

(٥) الحافر في الفرس يقابل القدم في الانسان . الرماح : الذي يرمح (يضرب بحافره) .

(٦) الدساكر : المزارع (كناية عن اتساع الملك) . الجحافل : الجيوش . المعاقل : الحصون .

(٧) سكنوا الثرى (التراب) : ماتوا بعد (سكناهم) في القصور و (بعد) لهوهم : بعد الانغماس في الطعام والشراب واللهو مع النساء .

(٨) مدعثرة : متهدمة . الصفاح : الصخر .

(٩) نشوان بن سعيد يغرق ، في هذه النصوص التالية ، في المجازات – وفي الاستعارات خاصة -- وفي الاشارات التاريخية والفلسفية والدينية الى حد لا يكفي فيه تفسير الألفاظ ، فتركت شرح هذه القطعة .

عن الصَبْوة ، ذاتَ القرارِ المَعين * والمُستَقرُّ للحورِ العــين ، بعيدةً عن رَجْمِ الظنون كأمثالِ اللؤلؤ المَكْنون ، بيضَ الغُررِ والترائب مقرونةَ الحواجبِ مَوْشومةَ الرُواجبِ، تفترُّ عن دُرَرِ الثُغورِ و (عن) دراريَّ طالعة لا تَغور ..... وحديقةُ ** الأدب التي لا تَهيجُ وتربتُه التي أنبَتَتْ من كلِّ زَوْجٍ بهيج ، وسيمةُ الأزهارِ جاريةُ الأنهارِ غصونُها دانيَةٌ وعيونُها غيرُ آنيَةٍ ؛ لا خَبَتَ أنوارُك ولا ذَبُلَ نُوّارك. لأنْت جَنّةُ عَدْنِ الحقيقةُ بالسَدَنِ نُحَيِّيك من بُعْدٍ بالجَنان ونُشير إليك بأطَرافِ البَنان ....

– من متن كتاب « الحور العين » (مجرّداً من الشرح) :

..... وما فعلُ أصحابِ التناسخِ في تَنَقُّلِ الأرواح في الأجسادِ وصلاحِها بعدَ الفسادِ ، ومَثوبةُ المُحسنين بالأبدانِ الإنسيّة والهياكل الحِسّيّة وعقوبةُ المُقْدِمين على الجرائم بأبدانِ أعْجمِ البهائم ، ودوامُ الدُنيا على الأبدِ – وما للمُثْرِينَ من سَبَدٍ ولا لُبَدٍ – . وقيلَ هي مقالةُ بُزُرْجُمَهْرَ بنِ بَخْتِكانَ ، وكم انقاد للغيِّ حكيمٌ واستكانَ ....

وما فعلُ الحَرّانيّين عَبَدَةِ النُجومِ وأصحابِ الظنّ والهجوم ، في تدبيرِ البُروج والأملاكِ على قَدْرِ نزولِها في الأفلاك ، وقَضائِها في الخَيْراتِ والشُرور على التوالي والمُرور . وليس في التنجيم غيرُ تَرْجيم ، ولا عندَ الكواكب نفعٌ لواكنٍ ولا واكبٍ[1] .....

وأما فِرَقُ هذه المِلّة[2] فَلِلتّقاطُعِ مُسْتَحِلّةٌ ، يُكَفِّرُ بعضُهم بعضاً ويرى عداوتَه فرضاً . وقد أمسكتْ كلُّ طائفةٍ برئيسٍ وعَدّت حَسَنَاً منه كلَّ بئيس . ولكلٍّ محاسنُ ومساوٍ وقولٌ ليس بمتساوٍ ... ومن أوْضَعَ في المذاهب وقع في الغياهب ، أو أغْرَق في البحث عن الفِرَقِ لم يَرَ ناجياً من الغرق ، أو نظر في المِلَلِ عَثَرَ على الزَلَلِ وأشْرَفَ على اختلافٍ مُؤَدٍّ الى إتلاف .... وإن صحّ ما رُوِيَ عن

(*) أيتها الربوة ذات القرار (الربوة منادى مبني على الضم ؛ ذات نعت « ربوة » منصوب لأنه مضاف إلى « القرار ») .

(**) يجوز في « حديقة » أن تكون منصوبة لأنها معطوفة على العقوة ثم هي مضافة . ولكني قطعتها إلى الرفع لبعد المسافة بينها وبين « العقوة » (خمسة عشر سطراً في الأصل) .

(١) الواكب الماشي في موكب (البشر) . الواكن : المختبىء في وكن (بفتح الواو) أو وكنة (بضم الواو) : الطائر .

(٢) هذه الملة : الاسلام .

المُقاتلية فقد عَبَدَتْ صَنَماً كأصنامِ الجاهلية : زَعَمَتْ أنّ مَعْبودَها كالآدَمِيّ من لَحْمٍ ودَمٍ يَبْطُشُ بِيَدٍ ويمشي على قَدَمٍ ......أو صحَّ قولُ الغُرابية في أبي تَرابٍ[1] أنّه أشْبَهُ بالنبيّ من الغُرابِ بالغرابِ وأنّ جبريلَ غلِطَ في تبليغ الرِسالة ، لقدْ نسبوا الغَلَطَ ــ جلّ عن ذلك ــ الى الواحدِ العَليّ .....

٤ ــ ملوك حمير وأقيال اليمن : قصيدة نشوان بن سعيد الحميري ... وشرحها المسمّى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة (حقّقها وعلّق عليها السيّد علي بن اسماعيل المؤيّد واسماعيل بن أحمد الجرافي) ، القاهرة (المطبعة السلفية ومكتبتها) ١٣٧٨ هـ .

القصيدة الحميرية (تحرير فون كريمر) ، ليبسك ١٨٦٥ م ؛ (تحرير بريدو) ، لاهور ١٨٧٩م ؛ طبعة جديدة (رينه باسّه) ، الجزائر ١٩١٤ م .

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (عني بتحقيقه سترّستين) ، ليدن (بريل)١٩١٦م ، ١٩٥١ م .

منتخبات من أخبار اليمن (من كتاب « شمس العلوم ») (اعتنى بنسخها عظيم الدين أحمد) ، ليدن (بريل) ١٩١٦ م (في سلسلة تذكار جب) .

الحور العين وتنبيه السامعين (حقّقه كمال مصطفى) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٤٨ م .

* معجم الأدباء ١٩ : ٢١٧ ــ ٢١٨ ؛ خريدة القصر (الشام) ٣ : ٢٦٨ وما بعد ؛ إنباه الرواة ٣ : ٣٤٢ ــ ٣٤٣ ؛ بغية الوعاة ٤٠٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٤ ، الملحق ١ : ٥٢٧ ــ ٥٢٨ ، زيدان ٣ : ٦٢ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٣٣٥ .

رشيد الدين الوطواط

١ ــ هو رشيدُ الدين محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الجليل بنِ عبدِ الملك بن محمّدِ ابن عبدِ الله العُمَريُّ ، نِسبةً الى عُمَرَ بنِ الخطّابِ ، المُشهورُ باسمِ رشيدِ الدين الوَطواطَ ، وُلِدَ في بَلْخٍ . وكانت وفاتُه في خوارِزْمَ ، سَنَةَ ٥٧٣ هـ (١١٧٧ ــ ١١٧٨ م) .

٢ ــ كان رشيدُ الدين الوطواطُ أديباً كاتباً شاعراً عالماً باللغة والنحو والأدب يكتُبُ باللغة العربية واللغة الفارسية . وله شعرٌ ورسائلُ . ونثرهُ أفضلُ من شِعْرِه . ثمّ انّ رشيداً الوطواطَ مَصَنِّفٌ له باللغة العربية : ديوان شعرٍ ــ ديوان رسائلَ ــ تُحفة الصديق من كلام أبي بكرٍ الصدّيق ــ فصل الخطاب من كلام عمرَ بنِ الخطّاب ــ أنس اللهْفان من كلام عثمانَ بنِ عفّان ــ مطلوبُ كلِّ طالبٍ من كلام عليِّ بنِ أبي طالبٍ .

---

(١) أبو تراب علي بن أبي طالب .

٣ – مختارات من آثاره

– كتبَ رشيدُ الدين الوطواطُ تقليدَ حسْبَةٍ صدر عن ديوانِ خوارزمَ (مرسوماً صادراً عن ديوان دولة خوارزم لتعيينِ مُحْتَسِبٍ – موظّفٍ يتولّى النظر في الأسواق لمنع الغِش وللمحافظة على الأخلاق والآداب العامّة) :

« انّ أولى الأمور بأن تُصْرَفَ أعِنَّةُ العناية الى ترتيبِ نظامه ، وتُقْصَرَ الهِمَمُ على مَهَمّة إتمامه ، أمرٌ يتعلّقُ به صلاحُ الدين ويتوقّفُ عليه صلاح المسلمينَ ، وهو أمر الاحتسابِ .....

(وقد عيّنا فلاناً في هذا المَنْصِبِ) « وأمرناه أولاً : أنْ يجعَلَ التقوى شعارَه والزُهدَ دِثاره[١] ، والعلم مَعْلَمَهُ والدينَ مَناره[٢] ؛ ثمّ يأمرَ بالمعروفِ ويَنْهَى عن المُنْكَرِ ويُقيمَ حدودَ الشَرْعِ على وَفْقِ النُصوص والأخبار ومُقتضى السُنَن والآثار[٣] ..... وأمرناه أن يُبالغَ في تعديلِ المكاييلِ والموازين على وَفْقِ أحكامِ الشرع والدين . فان وَجَدَ تفاوُتاً في شيءٍ منها سَوّاهُ وعَدّلَه وغيّره وبدّله وأدّبَ صاحبَه على رؤوس الأشهادِ لِيَنْزَجِرَ[٤] عن مِثْلِه أهلُ الخيانة والفساد .....
وسبيلُ الأئمّةِ العلماء وكافةِ الرعايا – حاطَهَمُ اللهُ – أن يتوفّروا على تَعْظيمِ قدرِه وتَفْخيمِ أمرِه .... ولا يَعْتَرِضوا عليه في شُغْلِ الاحتسابِ ، فإنّ ذلك أمانةٌ هو حامِلُها ووَدِيعةٌ هو ضامِنها ، والسلام » .

– وقال في أحوال الدنيا :

تروحُ لنا الدنيا بغيرِ الذي غَدَتْ ... وتحدُثُ من بعدِ الأمورِ أمورُ .
وتجري الليالي باجتماعٍ وفُرْقَةٍ ... وتطلُعُ فيها أنجُمُ وتغور .
فمن ظنّ أن الدهرَ باقٍ سرورُهُ ... فقد ظنّ عَجْزاً : لا يدومُ سرور !

٤ – مجموع رسائل ، القاهرة (مطبعة المعارف) ١٣١٥ هـ .
مطلوب كلّ طالب من كلام عليّ بن أبي طالب (عني بنشره فلايشر) ، ليبسك ١٨٣٧ م .
حدائق السحر في دقائق الشعر (نقله الى العربية عن أصله الفارسي ... ابراهيم الشواربي) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٥ م .

---

(١) الشعار : ثوب يلبس مما يلي البدن . الدثار : رداء ضاف يلبس فوق الثياب . – أن يتقي الله في كل أمر .
(٢) المعلم : العلامة على الطريق يستدل بها المسافر على وجهة سفره . المنار : الضوء الذي يستنير به الانسان في سيره .
(٣) النصوص : نصوص الشرع (من القرآن والحديث والفقه) . الأخبار والسنن والآثار : الأحوال المروية في السلوك في الحياة وفي الأمور عن الرسول والصحابة .
(٤) على رؤوس الاشهاد : علناً . انزجر عن الأمر : ابتعد عنه ، اجتنبه .

رسالة في ما جرى بينه وبين الزمخشري؛ (في « رسائل البلغاء »، بعناية محمد كردعلي)، القاهرة (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م ؛ (عني بنشرها احمد تيمور ..)

** معجم الادباء ١٩ : ٢٩ — ٣٦ ؛ بغية الوعاة ٩٧ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٥١ — ٢٥٢ .

حيص بيص

١ — هو الأميرُ شهابُ الدين أبوالفوارسِ سعدُ بنُ محمدِ بنِ سعد الصَيْفي التَميمي ، قيل إنه من نسلِ أكثمَ بنِ صيفي التميمي حكيمِ العرب . وقد لُقّبَ حيص بيص[1] لأنه رأى الناسَ يوماً في حركةٍ مُزْعجة وأمرٍ شديد فقال : ما للناس في حيصَ بيصَ ، فبَقيَ عليه هذا اللقبُ .

تفقـّه حيص بيص في الريّ على القاضي محمد بن عبد الكريم الوزّان وسمع الحديث ، ثم استقرّ في العراق . وكان له في مدينة الحِلـّة حَوالة فذهب اليها لاستخلاص مبلغ الحوالة وكانت على ضامن الحلْقة فوقَع سِباب بينَ غلامه وبين الضامن فغضب حيصَ بيصَ وتهدّدَ واليَ الحِلة ضياءَ الدين مُهَلْهِلَ بنَ أبي العسكر الجاواني (مع أنهما كانا صديقين) . ولذلك وأمثاله يقال إنه كان به غَرابةُ أطوارٍ ، فقد كان فيه تَعاظمٌ وتَيْه ، وكان لا يُخاطِبُ أحداً الا بالكلامِ الفَصيح ، كما كان يَتَزيّا بِزِيّ البَدْوِ ويتقلّد سيفاً .

توفّي حيص بيص في بغداد ، سادس شعبان ٥٧٤ (١١٧٩ م).

٢ — كانَ حيصَ بيص فقيهاً يَتكلّمُ في مسائلِ الخِلاف (اختلاف الآراء بين الفقهاء) ، ولكنْ غَلَبَ عليه الأدب فكان عارفاً بأخبارِ العربِ واختلاف لُغاتِهم . ثم كان شاعراً مُجيداً جزْلَ الألفاظ متينَ التركيب عاليَ النفس يتكلّفُ الصنعةَ أحياناً ، ولكنّه كانَ حسنَ الابتداءاتِ والتخلّصِ . وأكثرُ شعرِه المدحُ والفخر ، وله رثاءٌ ولم يُرْوَ له هجاء . ثم له شيءٌ من الوصف والغزل والحكمة . وله ايضاً نثرٌ ورسائلُ فصيحةٌ بليغة .

٣ — مختارات من آثاره

— قال حيص بيص يُشيرُ الى قتل الأمويّين لآلِ أبي طالبٍ :

---

(١) وفيات ١ : ٣٦١. والحيص بيص (بفتح الباءين أو كسرهما ثم بالبناء أو بالاعراب) : الشدة والضيق واضطراب الأمور حتى لا يستطيع الانسان أن يتصرف (القاموس ٢ : ٢٩٦ — ٢٩٧) .

مَلَكْنا فكان العَدْلُ مِنّا سَجِيَّةً، فلمّا مَلَكْتُمْ سال بالدم أبْطَحُ[1]؛
وحَلّلتم قتلَ الأسارى ، وطالما غَدَوْنا عن الأسرى نَعِفُّ ونَصْفَح.
فحَسْبُكُمُ هـذا التفاوُتُ بَيْننا؛ وكلّ إناء بالذي فيه يَنْضَحُ !

– وقال يمدح الخليفة المقتفي :

ماذا أقول إذا الرواةُ ترنّموا بفَصيح شعري في الإمامِ العادل،
وترنّحتْ أعْطافُهُم فكأنّما في كلّ قافية سُلافة بابل[2]؛
ثم انْثَنَوْا غِبّ القريضِ وصُنْعه يتساءلون عن النّدى والنائل[3]؟
هبْ ، يا أميرَ المؤمنين ، بأنّني قسّ الفصاحةِ ؛ ما جواب السائل[4]؟

– وقال يَصِفُ أبياتاً كُتِبَتْ اليه ثم يَسْتَطْرِدُ إلى ذِكْر ايام الصِبا :

صادراتٌ ألفاظُهنّ عِذابٌ عن خِلالٍ مُهَذّباتٍ عِذابِ[5]؛
كلّ رَوْعاء لو تَقَلّدَها الفارِسُ أغْنَتْ عن صارمٍ قِرْضاب[6]؛
أذْكَرَتْني أيامَ عَهْدِ التصابي ومَراحي ؛ وأين عَهْدُ التصابي ،
حينَ لا آمرٌ يُطاعُ سوى اللّهْوِ ؛ ولا حاكمٌ سوى الأحباب !

– قال حيص بيص في خُطْبَةِ (مقدّمة) ديوانه في تفضيل الشعر على النثر :

.... وحَسْبُ الشعرِ فخراً أنّ الإنسانَ يَسْمَعُ المَعْنى فلا يَهُزّ له عِطْفاً ولا

---

(١) سجية : طبيعة . الابطح : الارض المستوية . سال بالدم أبطح (مسيل واسع) : أكثرتم القتل ظلماً حتى سال الدم في الابطح .

(٢) ترنحت (تمايلت) أعطافهم (جمع عطف بكسر العين : جانب الجسم) : اهتزت أجسامهم (من الطرب والسرور بشعري) . قافية : قصيدة (أو بيت من الشعر) . سلافة : خمر . بابل : أرض الكوفة (كانت مشهورة بالكروم التي تنتج – بالبناء للمجهول – منها الخمر ، كما كانت مشهورة بالسحر) .

(٣) انثنوا : عادوا ، رجعوا (جعلوا) . غب القريض : بعد أن سمعوا شعري (في مدحك) . يتساءلون عن الندى (الكرم) والنائل (العطاء) : يتحدثون عن كرمك وعن عظم العطية التي ستعطيني إياها على مدحي لك ؛ ثم يقولون لي : كم أعطاك الخليفة على هذه المدحة ؟

(٤) – لو كنت أنا ، يا أمير المؤمنين، قس بن ساعدة في الفصاحة لما استطعت أن أجيب السائل بجواب معقول اذا قال لي : كم أعطاك الخليفة على هذه المدحة ؟ (وكان عطاؤك لي قليلا) .

(٥) – (هذه الابيات التي) صدرت منك عذبة (جميلة) لأن خلالك (أخلاقك) مهذبة (جميلة) .

(٦) – كل (قصيدة ، قافية ، لفظة) روعاء (جميلة وتوحي الهيبة والرهبة في الوقت نفسه) لو تقلدها الفارس (تسلح بها وذهب الى الحرب) أغنته عن أن يحمل سيفاً قرضاباً (بكسر القاف : السيف القاطع) .

يَهيجُ له طَرَباً ؛ فإذا حوَّلَ نَظْماً فرَّح الحزينَ وحرَّكَ الرَّزينَ وكرَّم البخيل ووقّر الإجْفيل[1] وقرّب الأمل البعيدَ وسنَّ الغِناء لغير الغرّيدِ... وكَم اسْتَلَّ سَخيمةً من ذي غِمْرٍ عَجزَ عن مداراته الحِجا وضَعُفتْ عن اسْترجاع وُدِّه الرُّقى . فما كان مُتَصَرِّفاً هذا التَصرّفَ في النفوسِ والأخلاق[2] فأكْبِرْ بشانه وأعْظِمْ بمُكْنَتِه ! .... وقد عَلِمَ عَصْري وبنوه وزماني وأهْلُوه أنّي ابْتَدَرْتُ شعَفاتِ الفَضْل غُلاماً يَفَعَةً هاجراً اليه كلَّ خَفْضٍ ودَعَةٍ[3] ...

٤ – ** معجم الادباء ١١ : ١٩٩ – ٢٠٨ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٦٠ – ٣٦١ ؛ طبقات الأطباء ١ : ٢٨٣ – ٢٨٤ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٤٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٤١ ؛ ابن الأثير ١١ : ٤٥٤ ؛ الاعلام للزركلي ٣ : ١٣٨ .

كمال الدين ابن الانباري

١ – هو كمالُ الدينِ أبو البركاتِ عبدُ الرحمن بنِ محمّدِ بنِ عُبيدِ الله الأنباريّ ، وُلِدَ في الأنبار على الفرات في ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٥١٣ (تمّوز – يوليو ١١١٩ م) .

دَرَسَ كمالُ الدين بن الانباريّ على والدِه في الأنبارِ ثمّ انتقل إلى بَغْدادَ ودرس في المدرسة النظامية . وقد أخذَ اللغةَ عن الجواليقي (ت ٥٣٩ ﻫ) وتَفَقّهَ على سعيدِ ابنِ الرزّاز (ت ٥٣٩ ﻫ) وصَحِبَ ابنَ الشَجَريّ (ت ٥٤٢ ﻫ) وأخذَ عنه النَحْوَ . ثمّ انه أصبحَ مُعيداً في النظامية وتصدّرَ لإقراء الفِقْهِ والنحو فيها .

واعتزلَ كمالُ الدين بن الانباريّ في آخرِ عُمُرِه في بيتِه مُنْقطعاً إلى العِلْم والعِبادة زاهداً في أحوالِ الدنيا حتّى تُوُفّيَ في تاسعِ شَعْبانَ مِن سَنَةِ ٥٧٧ (١٩–١٢–١١٨١ م) .

٢ – كان كمالُ الدينِ بن الأنباريّ إماماً في اللّغة والنحو غزيرَ العلم . وقد صنّف

---

(١) المراح : الاشر (نشاط الشباب) والاختيال (الاعتزاز بالنفس وقلة المبالاة بالأمور ، التكبر) . لا يهز له عطفاً : لا يسره . حرك الرزين (الوقور) : حمله على الخفة والمرح . وقر (ثبت) الإجفيل (الجبان) ، أي في المعركة .

(٢) استل سخيمة من ذي غمر : يستخرج الضغينة والحقد من صدر شاب ذي غمر (بفتح الغين وكسرها) الحقد الكامن . الحجا : العقل . الرقي جمع رقية (بضم القاف) : العزيمة (أقوال من السحر) . الاسترجاع (مستعملة خطأ) ، يقصد استرداد . التصرف : التأثير المتعدد الجوانب والاشكال .

(٣) بمكنته، بمكنته (؟) . ابتدر فلان الأمر : عجل الى لقائه ومعالجته . الشعفة : أعلى الجبل . يفعة : صغير السن . الخفض والدعة : العيش الهنيء الهادىء .

كُتُباً كثيرةً جداً في موضوعات مختلفة . من هذه الكتب : أسرار العربية — مشكل القرآن (في كيف يغيّر الإعراب معنى الآيات) — نُزهة الالبّاء في طبقات الادباء (أي النُحاة) — الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين — الإغراب في جدَل الإعراب — ميزان العربية — حِليْة العربية — مسألة دخول الشرط على الشرط — تصرّفات «لو» — الأضداد — النوادر — اللُباب — المختصر — عقود الإعراب — منثور الفوائد — كتاب «كِلا» و «كِلْتا» — كتاب كيف — كتاب الألف واللام — شفاء السائل في بيان رتبة الفاعل — الوجيز في التصريف — البيان في جمع «أفعل» — المرتجل في إبطال تعريف الجُمَل — الزهرة في اللغة — حِليْة العقود في الفرق بين المقصور والممدود — ديوان اللغة — زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء — البُلغة في الفرق بين المذكّر والمؤنّث — فعلت وأفعلت — قَبْسَة الأديب في أسماء الذيب — الفائق في أسماء المائق — الألفاظ الجارية على لسان الجارية .

وله أيضاً كتب تَغْلِبُ عليها الخصائص الأدبية منها : قبسة الطالب في شرح خُطْبة أدَبِ الكاتب (للهمذاني) — شرح السّبْعِ الطِوال (المعلّقات) — شرح المفضّليات — شرح ديوان الحَماسة — شرح مقصورة ابن دُريد — شرح ديوان المتنبّي — اللُمعة في صَنْعة الشِعْر — تفسير غريب المقامات الحريرية — الموجز في القوافي .

ثمّ له أيضاً عددٌ من الكتب في التفسير والفقه والتصوّف والتاريخ

وكذلك كانَ ابن الأنباري شاعراً مُكْثِراً ، ولكنّ شعرَه عاديّ .

٣ — مختارات من آثاره

— قال كمال الدين بن الانباري في مقدّمة كتاب «أسرار العربية (النحو)» :

الحمدُ لله كاشفِ الغطاء ومانحِ العَطاء، ذي الجود والإيداء والإعادةِ والإبداء .... وبَعْدُ ، فقدَ ذكرتُ في هذا الكتابِ الموسوم بأسرار العربية كثيراً من مذاهبِ النحويّينَ المتقدّمين والمتأخرين ، من البَصْريّينَ والكوفيّين ، وصَحّحتُ ما ذهبتُ إليه (قصدته) منها بما يَحْصُلُ به شِفاءُ الغليلِ ، وأوضحت فسادَ ما عَداهُ بواضحِ التعليل ، ورَجَعْتُ في ذلك كلّه الى الدليل ، وأعْفَيْتُه من الإسهاب والتطويل . واللهُ تعالى يَنْفَعُ به ، وَهوَ حَسْبي ونِعْمَ الوكيلُ .

— منْ مَطْلَعِ الفصلِ الاول من «أسرار العربية» :

إن قالَ قائلٌ[1] : ما الكَلِمُ ؟ قيل : الكَلِمُ اسمُ جِنْسٍ واحدُه كَلِمَةٌ ، كقولك : نَبِقَة ونَبِقَ ، ولَبِنَة ولَبِنَ ، وثَفِنَة وثَفِنَ وما أشبهَ ذلك . فان قيل : ما الكلامُ ؟ قيل : ما كان من الحروفِ دالاً بتأليفه على معنىً يَحْسُنُ السكوتُ عليه . فإن قيل : فما الفَرْقُ بين الكَلِم والكَلام ؟ قيل : الفرقُ بينَهما أن الكَلِمَ يَنْطَلِقُ على المُفيدِ وغيرِ المفيد[2] ؛ وأما الكلام فلا يَنْطَلق إلاّ على المفيد خاصّةً ....

— ومن شعرِه (وفيهِ شيءٌ من التصوّف) :

إذا ذَكَرْتُك كادَ الشوقُ يقتُلُني وأرّقَتْنِيَ أحزانٌ وأوجاعُ ؛
وصارَ كُلّي قلوباً فيك داميةً للسُقْمِ فيها ، وللآلام إسراعُ .
فان نَطَقْتُ فكُلّي فيك ألْسِنَةٌ وان سَمِعْتُ فكلّي فيك أسماع .

٤ — أسرار العربية (تحرير سيبولد) ، ليدن (بريل) ١٨٨٦م ؛ (عني بتحقيقه محمّد بهجة البيطار) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٣٧٧ ه (١٩٥٧م) ؛ مصر ١٣٦٤ ه (١٩٤٥ م) ؛

الانصاف في مسائل الخلاف (باعتناء جارونيه كوسوت) ، فينا ١٨٧٨ م ؛ (فايل) ، ليدن ١٩١٣ م ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ، الطبعة الثالثة ١٩٥٥ م .

ألفاظ الاشباه والنظائر ، الاستانة ١٣٠٢ ه .

الإغراب في جدل الإعراب ، ولمع الادلّة (قدّم لهما ... سعيد الافغاني) ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٣٧٧ ه (١٩٥٧ م) .

نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٩٤ ه ؛ (قام بتحقيقه ابراهيم السامرائي) بغداد ، الطبعة الثانية (مكتبة المعارف) ١٩٥٩ م ؛ بغداد ، الطبعة الثالثة (مكتبة الأندلسيّ) ١٩٧٠ م ؛ (تحقيق أبي الفضل ابراهيم) الطبعة الثانية ، القاهرة (دار نهضة مصر للطباعة والنشر) ١٩٦٧ م .

البيان في غريب إعراب القرآن (تحقيق طه عبد الحميد) ، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٩ م .

---

(١) في كتاب أسرار العربية أربعة وستون فصلا في العربية (الصرف والنحو) كلها تبدأ كما بدأ الفصل الأول ، في الباب السادس عشر مثلا : باب عسى . ان قال قائل : ما عسى من الكلام ؟ قيل : فعل ماض من أفعال المقاربة لا يتصرف . وقد حكي عن ابن السراج أنه حرف ، وهو قول شاذ لا يعرج عليه . والصحيح أنه فعل ؛ والدليل على ذلك أنه يتصل به تاء الضمير وألفه وواوه ، نحو : عسيت وعسيا وعسوا ...

(٢) الكلام المفيد : التام المعني .

** وفيات الاعيان ١ : ٤٩٩ ؛ انباه الرواة ٢ : ١٦٩ وما بعـد ؛ فوات الوفيات ١ : ٣٣٥ ؛ بغية الوعاة ٣٠١ — ٣٠٢ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٤٩ — ٢٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٤ ، الملحق ١ : ٤٩٤ — ٣٩٥ ؛ زيدان ٣ : ٤٣ — ٤٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٤٨٥ — ٤٨٦ ؛ ابن الاثير ١١ : ٤٧٧ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٠٤ .

الأبلـه البغدادي

١ — هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ بَخْتيارِ بنِ عبدِ الله المولّدُ (الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٤ ؛ تاريخ الكامل ١١ : ٢٠٤) البَغْداديّ المعروفُ بالأبله — إمّا لشيءٍ من البَلَهِ كان به (وفيات الأعيان ٢ : ٣٩٣) أو لأنه كان غايةً في الذكاء — من باب تَسْمِيَةِ الشيء بضدّه (الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٥ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٩٣) .

نشأ الأبلهُ البَغْداديّ شاباً ظريفاً يَتَزيّا بزيّ الأجنادِ ؛ وقيل كان يُعامِلُ بالرِبا . وقد مَدَح أبا المظفّر بن هبيرة[1] . وكانت بينه وبينَ سِبْطِ بنِ التعاويذيّ نُفْرَةٌ ، وقد هجاه ابنُ التعاويذيّ .

ماتَ الأبلهُ في بَغْدادَ ، في جُمادى الآخرة من سَنَة ٥٧٩ (١١٨٣ م) .

٢ — الأبلهُ البَغْداديّ شاعرٌ مجيدٌ رقيقٌ جَمَعَ بين الصِناعة والرِقّة وكان شِعْره موافقاً للغناء . وله قصائدُ طوالٌ ومقطّعاتٌ . وفنونُه المدح والغزل والنسيب ، وقد كان بارعاً جدّاً في التخلّص من الغزل الى المدح ، كقوله مثلاً :

فأُقْسِمُ ، إنّي في الصَبابـةِ واحدٌ   وإنّ كَمالَ الدينِ في الجودُ واحدُ!

٣ — مختارات من شعره

— قال الأبلهُ البَغْداديّ يتغزّل في مَطْلَعِ قصيدةٍ له في المديح :

دَعْـني أُكابِـدُ لَوْعَتي وأُعاني ؛   أينَ الطليقُ مـن الأسير العاني ؟[2]

(١) عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة أصله من قرية بني أوقر (تعرف الآن باسم «دور» — بضم الدال) ، ولد سنة ٤٩٧ هـ ثم تفقه وتأدب ونال المناصب ببراعته ودهائه حتى وزر للخليفة المقتفي سنة ٥٤٤ هـ . ولما توفي المقتفي (٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م) استمر في الوزارة للخليفة المستنجد . وقد كثرت مدائح الشعراء فيه . وكانت وفاته سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) (راجع تاريخ الكامل ١١ : ١٣٠ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٩ — ٢٣٩ ؛ الفخري لابن الطقطقي ، مصر ١٣٤٠ هـ ، ص ٢٢٧ — ٢٢٩ ، ٢٣٠ ؛ بيروت (دار بيروت) ١٩٦٦ م ، ص ٣١٢ — ٣١٦ .

(٢) كابد ، عانى : قاسى (تحمل الشدة والصعوبة) . اللوعة : الحرقة في القلب من مرض أو حزن أو هم .

آلَيْتُ ، لا أدَعُ المَلامَ يَغُرّني	من بعدِ ما أخذَ الغَرامُ عِناني[1] .
ومُهَفْهَفٍ ساجي اللِحاظِ : حَفِظْتُه	فأضاعني ، وأطَعْتُه فعَصاني[2] .
يُصمي قُلوبَ العاشقين بمُقْلةٍ	طَرَفُ السِنان وطَرْفُها سِيّان[3] .
خَنِثُ الدَلالِ : بشَعْرِه وبثَغْره	– يومَ الوَداعِ – أضلّني وهداني[4] .
يا أهل نَعْمانٍ ، الى وَجَناتِكُمْ	تُعزى الشَقائقُ لا إلى نُعمان[5] .

– ومن أبياته السائرة ، قوله من قصيدة أنيقة :

لا يَعرِفُ الشَوْقَ إلاّ مَنْ يُكابدُه	ولا الصَبابةَ إلاّ مَن يُعانيها!

٤ – ** المحمدون من الشعراء ١٦٦ – ١٦٧ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٩٢ – ٣٩٣ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٤ – ٢٤٦ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٦٦ – ٢٦٧ ؛ ابن الاثير ١١ : ٥٠٣ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٣٧٤ .

تقيــة الصورية

١ – هي سِتّ النِعَم أُم عليٍّ تقيّةُ بنتُ أبي الفَرَجِ غَيْثِ (ت ٥٠٩ هـ) بن علي (ت ٤٧٨ هـ) بنِ عبدِ السلامِ بنِ محمّدِ بن جعفرٍ الأرْمنازيّ[6] الصُوريةُ ، وُلِدَتْ في مَطْلَع سنة ٥٠٥ هـ (ربيعِ عام ١١١١ م) – قيل في دِمَشْق .

جاءت تَقيّةُ الصوريّةُ في أوّلِ صِباها الى مِصْرَ ، قبلَ سَنَةِ ٥٦٩ هـ

---

(١) آلى : أقسم . لا أدع الملام يغرني : لا أغتر باللوم فأصغي الى اللائمين (وأترك ما أنا فيه من الغرام) . أخذ الغرام عناني (زمامي ، قيادي) : استولى الغرام علي .

(٢) مهفهف : نحيل الخصر . ساجي اللحاظ : هادىء الطرف ، فاتر الطرف (في عينيه فتور : دلال وغنج) .

(٣) أصمى : رمى (سهماً) فأصاب به مقتلا . طرف اللسان (حد الرمح أو السهم) وطرفه (عيناه) سيان (متساويان في التأثير : القتل !)

(٤) خنث الدلال : مكسر الدلال (فيه فتور يشبه غنج الاناث والذكران معاً) . بشعره (الأسود) ضللت (بكسر اللام الاولى وسكون الثانية) في ليل حبه (همت به) وبثغره (ذي الاسنان البيض) اهتديت (الى أن شفائي من حبه يكون بتقبيل فمه) .

(٥) نعمان (بفتح أوله) : واد قرب مكة . الى وجناتكم الحمر تنتسب شقائق النعمان لا الى نعمان (بضم أوله : النعمان بن المنذر) .

(٦) نسبة الى أرمناز التي هي قرب دمشق في الأغلب لا التي قرب أنطاكية وحلب .

(١١٧٣ م) ، وسكنتِ الاسكندريةَ وصَحِبَتْ فيها الحافظَ السِّلَفيَّ[١] . وقد مَدَحَتِ المَلِكَ المُظَفَّرَ[٢] .

وتُوُفِّيَتْ تقيةُ الصورية في أوائلِ شوّالٍ من سَنَةَ ٥٧٩ (١١٨٣ م) ، وعمرُها اربعٌ وسبعون سنة .

٢ ــ كانت تقيّةُ الصوريةُ أديبةً فاضلةً ، وكان لها شِعْرٌ جيّدٌ قصائدَ ومقاطيعَ . وفنونُ شعرِها الفخر والحماسة والمديح والهجاء والخمر والأدب .

٣ ــ مختارات من شعرها

ــ كانت تقيّةُ الصورية قد قالتْ أبياتاً في الفخر بنفسها ، فكتب اليها بعضُ الأفاضل أبياتاً ، يلومُها فيها على ذلك ، مطلعُها :

وما شَرَفٌ أنْ يَمْدَحَ المرءُ نفسَه ... ولكنّ أعمالاً تَذُمّ وتَمْدَحُ[٣] !

فكتبتْ إليه تَرُدّ عليه وتُبرّرُ فَخْرَها بنفسِها :

تَعيبُ على الإنسانِ إظهارَ علْمِه؛ ... أبالجِدّ هذا منك أم أنْتَ تَمْزَحُ ؟
فَدَتْكَ حَياتي ، قد تَقَدّمَ قَبْلَنا ... إلى مَدْحِهِمْ قومٌ وقالوا فأفْصحوا[٤] .
وللمُتَنَبّي أحْرُفٌ في مَديحه ... على نفسِه بالحقّ ، والحقّ أوْضح[٥] .
أروني فَتَاةً في زَماني تَفُوقُني ... وتَعْلو على علْمي وتَهْجو وتمدح .

ــ وقالت في الشكْوى من تقلّب الإخوان :

خانَ أخِلاّئي ، وما خُنْتُهُمْ ... وأبْرزوا للشرّ وجْهاً صَفيقْ .

---

(١) هو أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد الاصفهاني المعروف بالسلفي كان حافظاً للحديث وعارفاً بعلومه وله فيه تصانيف . كان مقيماً في الاسكندرية . توفي في نصف ربيع الآخر من سنة ٥٧٦ (١١٨٠ م) .

(٢) هو الملك المظفر تقي الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب ، أرسله عمه صلاح الدين الأيوبي نائباً عنه الى مصر في شعبان من سنة ٥٧٩ (أواخر ١١٨٣ م) . ثم استدعاه بعد ثلاث سنوات كاملة وولاه حماة فظل يتولاها الى أن مات في ١٩ من رمضان سنة ٥٨٧ (١١٩١/١٠/١١ م) . والغالب أن تقية مدحته حينما كان في مصر (٥٧٩ – ٥٨٢ هـ) ! !

(٣) .... ولكن أعمال الناس هي التي تمدح وتذم (بالبناء للمجهول) ، أو ان أعمال الناس هي التي تمدح الناس وتذمهم (تجعلهم أهلا للذم وللمدح) .

(٤) ... الى مدحهم : الى مدح أنفسهم ، الافتخار بأنفسهم .

(٥) أحرف : ألفاظ ، أقوال (قصائد ، أبيات في قصائد) .

وكُـدِّرَ الـوُدّ القـديمُ الـذي قد كان قِدْماً صافياً كالرَّحيقْ (1).
وباعَـدوني بَعْـدَ قُرْبي لَهُـم وحمَّلوا قَلْبِيَ مـا لا أُطيقْ.

٤ ــ ** الخريدة (مصر) ٢ : ٢٢١ــ ٢٢٣ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٧٠ ــ ١٧١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٦٥ ــ ٢٦٦ ؛ الاعلام للزركلي ٢ ؛ ٩٨ .

ابو بكر العيدي

١ ــ هو الشيخُ الوزيرُ والأديب الفاضل أبو العَتيقِ أبو بكرِ بنِ أحمدَ بنِ محمّدٍ الأبْيَنيّ العِيديّ اليَمَنيّ ، كان من بني عِيدٍ الذين تُنْسَبُ إلَيْهِم الإبِلُ العِيدية من بني الأُعبود بن السَكْسَك ، وُلِدَ في مدينة أبْيَنَ (وهي موضع جبليّ قريب من عَدَنَ) ، في مَطْلَعِ القرنِ السادسِ للهِجْرة (الثاني عشر للميلاد) .

تلقّى أبو بكرٍ العِيديّ العلمَ على نَفَرٍ من عُلماءِ عَدَنَ ومن العلماء الذين نَزَلوا فيها ثم تَثَقّفَ على نفسه حتّى بَلَغَ مبلغاً عظيماً في العلم والادب . ثم انّه أصبحَ صاحبَ ديوانِ الإنشاء ووزيراً للداعي الإسماعيلي عِمْران المُكَرّم بنِ مُحَمّدٍ ابن سَبَأ ابنِ أبي السُعود بن زُرَيْعٍ اليامي صاحبِ عَدَنَ (٥٤٨ الى ٥٦٠هـ =١١٥٤ ــ ١١٦٤ م) ، وأصبح ذا جاه وسؤدد في الدولة .

وأسنّ أبو بكرٍ العِيديّ وعَمِيَ وكانت وفاتُه نَحْوَ سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) .

٢ ــ كان ابو بكرٍ العِيديُّ أديباً فاضلاً يَعْطِفُ على الادباء . ثم كان كاتباً بليغاً واضحَ العِبارةِ عَذْبَ الكلام وشاعراً مُكثِراً مَجيداً يَنْظِمُ رَوِيّةً وبَديهة . ومُعْظَمُ شِعرِه في المدح ، وقدِ استفرغَ مدحَه في عِمرانَ المُكرّمِ وآلهِ . ثمّ له قصيدةٌ مطلَعُها : « لي بالحجازِ غرامٌ لست أدْفَعُهُ » تسعةٌ وأربعين بيتاً لَعلّه يُعارِضُ بها قصيدةَ ابنِ زريقٍ (2) (راجع الخريدة ــ الشام ٣ : ١٨٤ ــ ١٨٧ ، ثمّ ١٨٥ ، الحاشية(1)) . وله شيءٌ من الوصف .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال أبو بكرٍ العِيديّ يمدح الداعيَ الاسماعيليَّ عِمرانَ المكرّم؛ والقصيدة تبدأ بوصف للطبيعة :

---

(١) الرحيق: السائل الحلوفي قلب الزهرة (العسل ، شراب فيه حلاوة وطيب ، أي رائحة طيبة) .
(٢) راجع ، فوق ، ص ٩٠ .

حيّاكِ ، يــا عَدَنُ ، الحَيا حيّاكِ — وجرى رُضابُ لَماه فوق لَماك[1].
وافتَرَّ ثَغْر الروضِ فيك مُضاحكاً — بالبِشْرِ رَوْنَقَ ثغرك الضحّاك[2].
ووَشَتْ حَدائقُــه عليك مَطارفاً — يَختــالُ في حِبَراتِها عِطْفاك[3].
أصبو إلى أنفاسِ طِيبِــك كلّما — أسْرى بنَفْحَتِهــا نسيمُ صَباك[4].
وعلامَ أستسقي الحَيا لَكِ بعدَ مــا — ضَمِنَ المُكرَّمُ بالنَدى سُقياك[5].
وحَباك بالإيثارِ عنه ، فجرَّ عــن — إيثــاره ذيلَ الثَراءِ ثَــراك[6].
وتأرّجتْ ريّــاكِ مِسكاً عندمــا — عَبِقَتْ بريّــا ذِكْرِه ريّاك[7].
قَرّتْ عيونُ الخَلقِ لاستِقْرارِه — بكِ ، فلْتَقَرَّ بقُرْبِه عَيْنــاك[8].
فالمِسْكُ نَشْرُ تُرابِ أرْضِك ، مذ غدا — بك قاطناً ، والدُرّ من حَصْباك[9].
مَلِكٌ لو انّ الغَيْثَ جادَ كجودِه — لم يُلْفَ في أرضٍ لفَقْرٍ شــاكِ[10].
لا قَــدْرَ للدنيــا لديهِ ، كأنّه — في بَذْلِ زُخْرُفِها من النُسّاك[11].
فالجودُ مبتســمُ الثُغورِ لجـودِه — أبداً ، وبيتُ المال[12] منــه باكِ.

(١) عدن : مدينة على ساحل اليمن . الحيا : المطر . الرضاب : الريق (ما دام في الفم) اللمى : اسمرار الشفة (كناية عن الارض ، التراب) .

(٢) افتر : ضحك . البشر : طلاقة الوجه ، الإيناس .

(٣) وشى الرجل الثوب : طرزه بالألوان المختلفة . المطرف (بضم الميم وفتح الراء) : رداء من حرير ذو أعلام (أشكال منقوشة عليه) . اختال : مشى مزهواً (مفتخراً ، متكبراً) . الحبرة (بكسر الحاء وفتح الباء) ثوب من حرير صنع اليمن . العطف (بكسر العين) : جانب الجسد عند الكتف (القوام) .

(٤) أصبو : أشتاق . أسرى : سرى ، سار ليلا (انتشرت رائحته). (٥) الحيا : المطر . الندى: الكرم .

(٦) حبا : أعطى ، منح . الإيثار : أن يفضل الانسان الآخرين على نفسه . الثراء : الغنى. الثرى: التراب ، وجه الارض . – أنت ، يا أرض ، أصبحت خصيبة بفضل الممدوح لا بفضل المطر .

(٧) تأرج الطيب : توهج ، كثر انتشار الرائحة منه . الريا : الرائحة . – رائحتك الزكية أتت من طيب رائحته لا من المسك ...

(٨) قرت عين الانسان : اطمأن ، رضي ، أصبح مسروراً . لاستقراره بك : لنزوله أو لسكناه فيك .

(٩) النشر : الرائحة الطيبة . قاطناً : ساكناً . الدر : اللؤلؤ. حصباك = حصباؤك (حصاك : صغار الحصى أو الحجارة الصغيرة التي في أرضك).

(١٠) الغيث : المطر . الجود : الكرم . لم يلف : لم يوجد (لم يبق) .

(١١) لا قدر : لا قيمة ، لا أهمية . الزخرف : الذهب ، الزينة (الأشياء الثمينة) .

(١٢) بيت المال : خزنة الدولة (الصندوق الذي يجمع فيه المال) . – هذا الممدوح كريم جداً حتى أن صندوق ماله فارغ دائماً ، ولذلك ترى هذا الصندوق باكياً (يبكي) في كل حين .

سَلّتْ يدا الإسْلامِ منه مُهنّـداً متَحكَّماً في هامةِ الإشراك.
وإذا سَما بالجيشِ آذَنَ كلَّ من نهَضَتْ إليهِ جُيوشُه بهَلاك[1].

٤ ـ ** خريدة (الشام) ٣ : ١٤٥ ـ ٢٠١ .

ابن القم الزبيدي

١ ـ هو أبو عبد اللهِ الحُسينُ (وقيل : الحسن) بنُ عليّ بنِ محمّد بنِ حَمَوَيْه القُمّيّ من أعيانِ زَبيدَ (اليمن) ، سادَ أبوه في أيامِ الداعي عليّ بنِ محمّدٍ الصُلَيْحِيّ (٤٢٩ ـ ٤٧٣ هـ) صاحبِ زَبيدَ إذ جعله عليُّ بن محمد الصليحي ، سنة ٥١٥ هـ ، وزيراً لأسْعَدَ بنِ شهابٍ الذي تولّى تِهامةَ .

وُلِد ابن القُمّ في زَبيد ، سَنَةَ ٥٣٠ هـ (١١٣٥ـ١١٣٦ م) وتلقّى العلمَ على أبيه ـ وكان أبوه يَنْظِمُ الشعرَ أيضاً ـ وعلى نَفَرٍ من فضلاءِ زَبيدَ . ويبدو أن ابنَ القُمّ الزَبيديَّ قد نال ـ لمكانته الاجتماعية وبراعتهِ الأدبية ـ حَظْوةً عند الحكّام . ثم إنّ وَحْشَةً وَقَعَتْ بينَه وبين حكّامِ زَبيدَ ، سَنَةَ ٥٦٢ هـ (١١٦٦ ـ ١١٦٧ م) فغادَرَ زبيد أو غادَرَ اليمن كلّها (معجم الأدباء ١٠ : ١٣٢) حيناً .

وكانتْ وفاةُ ابنِ القمّ الزَبيدي في زبيدَ سَنَةَ ٥٨١ هـ (١١٨٥ ـ ١١٨٦ م) في الارجح .

٢ ـ ابنُ القُمّ الزبيديّ أديبٌ مترسّلٌ شاعرٌ ، في شِعْرِه شيءٌ من الصِناعة ؛ وهو في نثره أقلّ براعةً منه في شعره. ثم هو كثيرُ الاتكاء ، في نثره وشعره ، على الإشارات النَحْوية مَعَ غَوْصه أحياناً على المعاني. وابن القُمّ يعارِضُ نَفَراً من مشاهيرِ الشعراء فتُحِسّ في قصا ئده نَفَحاتٍ من أبي تمّامٍ وابنِ الروميّ والمتنبّي وغيرِهم . أمّا فنونُه فالمديحُ خاصّةً والرثاءُ والهِجاء والعِتاب والغَزَل والنَسيب والأدب ؛ وفي هجائِه شيءٌ من المُجون . ثمّ هو مجيدٌ في المُقَطّعات وفي الطِوال .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال ابنُ القمّ الزَبيديّ يُفَضّلُ توريث الأولادِ أدباً على توريثهم مالاً :

---

(١) آذنه بهلاك : أعلمه به (جعله يوقن أنه سيهلك) .

خَيْرُ ما ورّثَ الرجالُ بَنيهِم أدبٌ صالحٌ وحُسْنُ ثَناءِ.
ذاك خيرٌ من الدنانير والأوْراقِ في يومِ شِدّةٍ ورَخاءِ[1].
تلك تَفْنى، والدّين والأدب الصالح لا يَفْنَيانِ حتّى اللِقاءِ[2].

– وقال في النسيب :

تَشَكّى المُحبّونَ الصَبابةَ، لَيْتَني تَحَمّلْتُ ما يَلْقَوْنَ من بَيْنِهِم وَحْدي.
فكانتْ لنفسي لَذّةُ الحُبّ كلُّها فلم يَدْرِها قَبْلي مُحِبٌّ ولا بَعْدي!

– لابنِ قُمٍّ رسالةٌ كَتَبَ بها الى أبي حِمْيَرَ سَبَأ بنِ أبي السعود أحمدَ بنِ المُظَفّرِ بنِ عليّ الصُلَيْحِيّ اليَمانيّ[3] بعدَ انفصاله (رحيله) عن اليمن. وقد جاء فيها :

كَتَبَ عبدُ حَضْرةِ السُلطانِ الأجلّ مَوْلاي ربيعِ المُجْدبين وقَريعِ المتأدّبين[4] جَلْوَةِ المُلْتَبِسِ وَجَذْوةِ المُقْتَبِسِ[5]، شهابِ المَجْدِ الثاقبِ ونَقيبِ ذوي الرُشْدِ والمناقب ... أطالَ الله بقاءه ... وجَعَلَ رُتْبَتَه في الأوّلية عاليةَ المَقام كحَرْفِ الاستفهام، وكالمبتدأ إنْ تأخّر في البُنْيَةِ فانّه مُقَدّمٌ في النيّة[6]. ولا زالتْ حضرتُه من الحادثات حِمًى وللوفود مُزْدَحَماً ومُلْتَزَماً ...[7]

أيّها السيّدُ: أمِنَ العَدْلِ والإنصافِ ومحاسِنِ الشِيَمِ والأوصافِ إكرامُ المُهانِ وإذلالُ جوادِ الرهان .... أقولُ لنفسي الدَنِيّةِ: هُبّي طال نَوْمُكِ،

(١) الاوراق جمع ورق (بفتح الواو وكسر الراء) : الفضة (على اعتبار أن الدنانير من ذهب).

(٢) اللقاء : لقاء الناس ربهم يوم القيامة.

(٣) تختلف المصادر والمراجع في تواريخ هذه الحقبة اختلافاً كبيراً، في معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي للمستشرق زامباور (ص ١٨٣، ١٨٨) أن سبأ ابن أحمد قد بدأ حكمه سنة ٤٨٤ هـ، قبل المدة التي نعالجها بقرن كامل.

(٤) المجدبين : الذين قحطت بلادهم. القريع : السيد الكريم، الزعيم، الامام.

(٥) جلوة الملتبس : جلاء الشك عن المتحير في أمره. جذوة (بفتح الجيم وبكسرها وبضمها) المقتبس : قطعة النار التي يأخذها طالبها ليشعل بها ناره.

(٦) حرف الاستفهام يأتي دائماً في أول الكلام، في رأس الجملة. المبتدأ قد يتأخر في نسق الجملة (في الترتيب)، ولكنه يظل الأول المقدم في القصد والمقام.

(٧) الحضرة : المكان الذي يسكنه السلطان. لا زالت من الحادثات (النوائب، المصائب) حمي (محمية) لا تجسر الحادثات على الوصول اليها ولا تستطيع. مزدحماً : مكان تزدحم (تكثر) فيه (الوفود). ملتزماً : تبقى فيه (الوفود) ولا تفارقه.

واسْتَيْقِظِي لا عزّ قومُك ، أرَضيتِ بالعطاء المَنْزور[1] وقَنعْتِ بالمواعيدِ الزورِ؟ يَقَظَةً ، فانّ الجدّ قد هَجَعَ[2] ؛ ونَجْعَةً[3] ، فمَنْ أجْدَبَ انْتَجَعَ[4]... بلْ أَضَعُ نَفْسِيَ في أقلّ المواضعِ وأقولُ لمَوْلايَ قولَ الخاضع :

فَأسْبِلْ عليها سِتْرَ معروفِك الذي ... سَتَرْتَ به قِدْماً مَخازِيَ عَوْراتي !

٤ - ** معجم الأدباء ١٠ : ١٣٠ - ١٤٧ ؛ خريدة القصر (الشام) ٣ : ٧٤ - ١٠٠ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٨١ - ١٨٥ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٦٨ .

المهذب ابو طالب الدمشقي

١ - هو المهذّبُ أبو طالبٍ محمّدُ بنُ حسّانَ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ بن الخَضِر اليمنيُّ الأصلِ الدِمَشْقيّ المولدِ ، لا نَعْرِفُ من تفاصيلِ حياتِه الاّ جُملةَ العمادِ الأصفهاني (خريدة القصر - دمشق ١ : ٣٣٥ - ٣٣٦) : « وزارني في دِمَشْقَ في المدرسة التي كنتُ أُدَرِّسُ فيها[5] ، لمودّةٍ يُصفيها ، في رابعِ عَشَرَ ربيعٍ الأوّلِ سَنَةَ إحدى وسَبعينَ وخَمْسمائة .

٢ - كان المهذّبُ الدِمشقيّ قليلَ الرَغْبة في لِقاءِ الناس ، برُغْمِ ما انْطَوَتْ عليه نفسُه من المودّةِ الصحيحة الصادقة . وكان ناثراً أنيقَ الأسلوبِ جميلَ الخَيالِ وشاعراً متينَ السَبْك جيّدَ المَعاني ولكنّ شعرَه قليلُ الرَوْنقِ . وأغراضُ شعرِه الغَزَلُ والنسيبُ والوصف والشَكْوى والأدب .

٣ - مختارات من آثاره

- للمهذّبِ الدِمشقيّ رسالةٌ طويلة يمتزج فيها الشعرُ بالنثرِ عُنوانها « النَسْر والبُلْبُل » اختصرها العماد الاصفهاني . وفي ما يلي نَموذجٌ منها (وأوّلها) :

طارَ طائرٌ عن بَعْضِ الشَجَر ، وقد هَبّ نسيمُ السَحَر وانفلق عَمودُ الفَلَق

(١) المنزور : القليل .

(٢) الجد (بكسر الجيم) : الجهد ، السعي ، و (بالفتح) : الحظ . ومن الأصوب أن نقرأ « الجد » بفتح الجيم .

(٣) هجع : نام ليلا . (الجد قد هجع : قل حظي) .

(٤) النجعة : الذهاب الى مكان فيه خصب (بكسر الخاء) . أجدب : قل الخصب في أرضه . « من اجدب انتجع » مثل . انتجع : انتقل إلى مكان فيه خصب .

(٥) المدرسة العمادية .

وانخرق قميصُ الغسَق[1] مشهورٌ بالقسْرِ موسوم بالنسْر ، والليلُ قد شابتْ ذُؤابتُه وابيَضّت قمتّه[2] ، وانهزم زَنْجُ الظلماء من صَوْلة رُوم الضياء .... وعلا حتى صارَ روحاً لأجسادِ السُحُبِ ونديماً لدراري الشُهُب وعديلاً للأفلاك ونزيلاً للأملاك[3] :

فكأنّه للشمسِ جسمٌ والسُهى عينٌ ، وللمرّيخِ قلبٌ يخفُقُ[4] .

كأنّما أجْنحتُه رُكّبتْ من العواصف واستُلبتْ من البروق الخواطف ، وأُخِذتْ من رَمْزِ الألفاظ واستُعيرتْ من غَمْزِ الألحاظ ... كأنّه سَهْمٌ رُشِقَ عن قَوْسِ القَضاء أو نَجْمٌ أشرق في أُفُقِ السماء . والأرضُ تحتَه دُخانيّةُ اللونِ مائيّة الكَوْن[5] .... يقبِضُ أجْنحتَهُ ويبسُط ويَصْعَدُ الى السماء تارةً ويَهْبِطُ ..... حتّى أشرف ... على رَوْضٍ أريض[6] وظِلٍّ عريض ، وأنهارٍ متدفّقة وأشجار مُونِقة ، وطَلٍّ منثور وورْدٍ ومنثور[7] ، ومكان بَهِجٍ وزَهْرٍ أرِج[8] ، وحديقة نَديّة النباتِ وبُقْعة مِسكيّة النَفَحات : عَنْبرية الأرجاء كافوريّة الهواء ...

كليالي الوِصالِ بعدَ صُدودٍ من حبيبٍ كالبدر ، بل هي أشهى .

ومن نَرْجِسٍ كأجفانِ المِلاح أو كاشراق تَبَلُّجِ الصباح ، مُنَكّسِ الأعراق مُطْرِق الأحداق قائمٍ على ساق خَضِرَة أَلِفيّة نَضِرَة[9] ...

---

(١) ظهر نور الصباح (كأن النور حينا يشرق كالعمود يفلق سواد الليل) . الغسق : الظلام.

(٢) القسر : الإجبار ، أخذ الفريسة بالقدرة والعنف . قمة الليل : أعلاه (رأسه). الذؤابة : ضفيرة الشعر .

(٣) الزنج : السودان . الروم : اليونان (وهم شعب أبيض في مقابلة الزنج السود).

(٤) السها والسهى : كوكب خفي في بنات نعش.

(٥) مائية الكون : تتألف من الماء (الكون : الوجود – مصدر «كان»).

(٦) أريض : زكي (الرائحة) معجب للعين.

(٧) مونق : جميل يعجب العين . الطل : الندى الساقط في الليل . منثور متفرق . المنثور : نوع من الزهر يكون ألواناً مختلفة .

(٨) أرج : طيب الرائحة .

(٩) الاعراق جمع عرق : الساق الأخضر الذي ينتهي بزهرة . مطرق الأحداق (العيون) : زهرة النرجس ثقيلة بالنسبة الى الساق الذي تقوم عليه . من أجل ذلك تنحني الساق وتبدو الزهرة عليها كأنها عين مطرقة (تنظر إلى الارض) مفكرة أو خجلة . ألفيه : تشبه الحرف « ألف » (مستقيمة).

وكم في الروض من بِدَعٍ وصُنْعٍ   وآيـاتٍ تدُلّ على القـديمِ[١]
وأسرارٍ يَحارُ العقلُ فيها   فليس تكونُ إلاّ من حكيم[٢] !

ومِنْ غُصونٍ تجتمع وتفترق وترنّح وتعتَنِق ، والنسائمُ تَحُلّ عَقْدَ أزْرارِ الزَهَر[٣] ، والأهوِيةُ تفتَحُ أقْفال أبواب الحَصَر[٤] ، والشمس تُسْفِرُ وتنتقب ، وحاجب الغزالة[٥] يبدو ويحتجب . والعِهاد يتعاهدُ بالقِطار أكنافَها[٦] ، والسُحُبُ تطرّز بالبروق عَذَبَها وأطرافها[٧] . وهي آيةٌ من آياتِ الربيع أظهرها للعِيان ، ومُعجزةٌ من معجزات القدير أقامَها على الزمان[٨] ...

فوقَفَ[٩] في الهواء حين رآها وقال : هذه غايةُ النفس ومُناها ! .... أين المَذْهبُ[١٠] وقد حصل المطلب ؟ وأين الرَواحُ وقد أسْفَرَ الصباح ؟ ومن بلغ غايةَ مُرادِه لم يلتفت الى حُسّاده ، ومن نال الأماني لم يُبالِ بالمباني ! ...

فبينَما هو صافُّ الأجنحة[١١] عليها ينظُرُ من الأفُق بعين التعجّب إليها ، إذْ سَمِعَ صوتاً من بُلْبُلٍ سِحْريّ على وَكْرٍ شَجَري يُناغي[١٢] النسائمَ بنغمة مِزْمارِه ورنّة أوتاره ... يَنْثُرُ دُرّاً من عقود ألْحانه ، ولُؤْلُؤاً من أصداف افْتِنانه بين أفْنانِه ، ويُرَجّعُ[١٣] قِراءةَ مكتوبِ غرامهِ ويتلو آياتِ حُزنه في مُصْحَفِ آلامه ...

---

(١) آيات : علامات ، براهين . القديم : الله الذي كان موجوداً قبل كل شيء .
(٢) الحكيم : الله (الذي أوجد كل شيء على نظام معين ليؤدي عملا مخصوصاً) .
(٣) تحل عقد أزرار الزهر : تجعل براعم الزهر تتفتح (؟) .
(٤) الأهوية (جمع هواء) تفتح أقفال أبواب الحصر (السجن ، الحصن !) – المعنى غامض .
(٥) الغزالة : الشمس .
(٦) العهاد : المطر في أول موسم الشتاء . تعاهد (هنا) اعتني بالامر (توالي سقوط المطر). القطار : المطر . أكنافها : أطرافها (جميع جهاتها) .
(٧) العذبة : طرف العمامة ، رؤوس الأغصان ، الخ .
(٨) القدير : الله .
(٩) فوقف النسر .
(١٠) المذهب : الذهاب .
(١١) صاف الأجنحة : جاعلا جناحيه هادئين وهو يحوم في طيرانه (؟) .
(١٢) يناغي : يلاطف ، يقارب ، يقابل .
(١٣) الافتنان : التفنن ، الإتيان بالاشياء متنوعة . الأفنان (جمع : فنن بفتح ففتح) : الاغصان . رجع (بتشديد الجيم) : ردد الصوت في حنجرته ، أجاد الغناء .

فقال : هذه غريبةٌ أُخرى من غرائبِ القَدَر ، وعجيبةٌ ثانية لم ترَها العينُ ولا هَجَمَتْ[١] في الفِكَر ، وكاساتُ خَمْرٍ تُدار في الخَمَر[٢] ... ثمّ هوَى الى القرارِ[٣] لينظُرَ مَنِ النافخُ في المِزْمار . فرأى البُلْبُلَ ... فقال : السلامُ عليك من طائرٍ صغيرٍ حقيرٍ يظهرُ في صورةِ كبيرٍ خطيرٍ ، وشادٍ[٤] ظريفٍ طريفٍ بلا أليفٍ ولا حليفٍ ، كأنّه سَوادُ خالٍ في بياض خدّ الحبيب أو ظُلمةُ حالِ المُحبّ شاهَدَ وجهَ الرقيب[٥] ... وَيْحَكَ ! من أين لك هذه المُلَحُ المِسكيّةُ النَشْرِ والمِنَحُ[٦] العَنْبَريّةُ العِطْرِ ؟ ...

فقال له البلبلُ : يا مَنْ سَبَحَ في بحر التخليط وعامَ ، وظنّ أن القَدَرَ يُعطي ويمنعُ بالأجسامِ فيُعرِضُ عن الصِغار ويُقبِلُ على العظام . أمّا صغَري فلا أقْدِرُ على تَغْييره ، والأمرُ للصانعِ الحكيمِ في تدبيره[٧] . أما علِمْتَ أن الأرواحَ لطائفُ وهي أشرفُ من الأجسام ، والأجسام كثائف[٨] والمُعْتَبَرُ فيها جَوْدَةُ الأفهامِ . وإنسانُ العينِ صغيرٌ ويُدْرِكُ الأكوانَ والألوان ، والإنسانُ عظيمٌ والمعتبَرُ فيه الأصغران : القلبُ واللسان ..... وأمّا النَغْمة التي قرَعَ طَرْفَ سَمْعِكَ سَوْطُ لَذّتِها ، ورَشَقَ هَدَفَ قَلْبِكَ نَبْلُ[٩] طيبتِها ، فإنّني رَصّعْتُ شَذْرَها[١٠] في عِقْدِ ألْحاني على نَغَمِ بعضِ الأغاني . وذلك أنّ هذه الروضةَ فُجّرَتْ أنهارُها وغُرِسَتْ أشجارُها .... وهُيّئَتْ على أمرٍ مُقدّرٍ لبعضِ ملوكِ البشر ، فهو يأتيها كلّ ليلةٍ إذا ولّى النهارُ وأظْلَمَتِ الأقطار .... مَعَ مَنْ يختارُ

---

(١) هجس الأمر في باله : خطر له .

(٢) الخمر (بفتح ففتح) : السّتر من الشجر وغيره .

(٣) هوى الى القرار : سقط ، نزل ، انخفض . القرار : المستقر من الارض .

(٤) الشادي : المغني .

(٥) الخال : نكتة سوداء مجسمة تكون في الوجه (وهي معدودة في سمات الحسن والجمال) . الرقيب : المراقب : الذي يتتبع المحبين ليفسد عليهم خلواتهم .

(٦) الملح جمع ملحة (بالضم) : الكلمة المليحة الطريفة . المنحة (بالكسر) : العطية .

(٧) الصانع الحكيم : الله . تدبيره : ايجاد الاشياء على ما قضاه وأحكمه .

(٨) كثائف جمع كثيفة : مؤلفة من مادة ثقيلة .

(٩) النبل جمع نبلة (بفتح النون) : السهم .

(١٠) الشذرة (بالفتح) : القطعة الصغيرة من الذهب توضع بين حبات العقد (من اللؤلؤ أو أنواع الخرز) . رصع (هنا) : زين .

من أصفيائه ، وقد أُشْعِلَتْ له الشموعُ واتّقَدَتْ بأشعّتِها الربوعُ ونُصِبَتْ ستائرُ القِيانِ [1] واصطفّتْ صفوفُ الحُور والوِلدانِ وأُفْرِغَتْ شُموسُ الخَنْدريسِ في أفلاكِ الكؤوس ... [2]

وينقضي ليلُهم في لهوٍ وطَرَب وجِدّ ولَعِبٍ ، وهَزَجَ ورَمَلَ [3] واعتناقٍ وقُبَلٍ ، وأحاديثَ كقِطَعِ الرياضِ ، ومحادثاتٍ كبلوغ الأغراض ، حتّى يخرُجَ الليلُ من إهابه ويُعَرّجَ على ذَهابه ويُسْفِرَ الصباحُ [4] ....

فقال النَسْرَ : إنّكَ سَقَيْتَني بحديثكَ أسْكَرَ شرابٍ وفتَحْتَ لي بأخبارِك أغْرَبَ باب . كيف السبيلُ الى المَبيتِ لِتَعَلُّمِ هذه النَغَمِ الشهيّة ؟.. فقال البلبلُ : بالجِدّ والاجتهاد تُدرِكُ المُراد ... وما حُصِّلَتِ الأماني بالتواني ، ولا ظَفِرَ بالأمل مَنِ استوطأ فراشَ الكسل [5] .... فاذا تَقَوّسَتْ قامةُ النهار وجُعِلَتْ رِجْلُ الشمسِ في قَيْدِ الاصفرار [6] ، ووَلّتْ مواكبُ النور لِقُدوم سُلطانِ الدَيْجور ، وأنارتْ [7] روضةُ السماء بزُهْرِ الكواكب [8] وطلعتِ الشُهُبُ من كلّ أفُقٍ وجانب ، فَأتِ إلى هذا المكانِ عسى أن تُسْعِدَكَ بمطلوبِكَ عِنايةُ الزمان ، واختَفِ عن رامقٍ [9] يَراكَ فانّه أعوَنُ على مُبْتَغاكَ ...

فلمّا سَمِعَ النَسْرُ هذا المقالَ ودّعه وطارَ . وقال : لعلّ في الانتظار بلوغَ الأوطار . وأثْبَتَ في نفسِه الرجوعَ وقال [10] : أمْنَعُ عَيْنَيَّ هذه الليلةَ لذةَ الهُجوع .... ثمّ سقط على بعض الأشجار مُتَوَخّياً بزَعْمه مُضِيَّ النهار . وأدْرَكَهُ

---

(١) ستائر القيان : ستائر تنصب حتى يغني القيان من ورائها (حتى لا يشتغل النظر بما يفوّت على الأذن لذة السماع) .

(٢) الخندريس : الخمر . أفلاك الكؤوس : كؤوس الخمر التي تدور على الحاضرين كما تدور الكواكب في أفلاكها .

(٣) الهزج الرمل من أنواع الغناء .

(٤) الاهاب : الجلد : خرج الليل من اهابه : خلع عنه السواد (اقترب النهار) . أسفر الصباح : كشف عن جهه ، طلع .

(٥) استوطأ الفراش : وجده وطيأ (مريحاً) . استوطأ فراش الكسل : لذ له الكسل .

(٦) تقوست قامة النهار : انحنت قامته (كناية عن أن النهار أصبح شيخاً ، صار في آخره) .

(٧) الديجور : الظلام . نارت وأنارت ، ضاءت . زهر الكواكب : الشديدة اللمعان .

(٨) الرامق : الناظر .

(٩) أثبت في نفسه الرجوع : عزم على الرجوع .

الكَرى فنامَ وغَرِقَ في بحر الكَرى وعامَ . وكلّما حرّكتْ سواكِنَهُ داعياتُ الطَلَب ... قال : الليلُ بعدُ في إبّانِ شَبابهِ ، ولعلّه ما جاء المَلِكُ مَعَ أصحابهِ . وساعةٌ تكفي العاقلَ ، ولمحة تَشْفي الفاضل ... وكم نائمٍ حَصَلَ مُرادُه وساهرٍ أخطأه إسعادُه .

ولم يَزَلْ في رُؤيا أحلامِ الأباطيلِ وإقامة المعاريض الفاسدةِ التأويلِ[1] حتّى وَضَحَ فَلَقُ الصُبْحِ[2] من مَشْرِقه ... وبدا حاجبُ أمِّ النُجومِ وامتدّتْ أشعتُها على التُخوم[3] . فتنَبّهَ من رَقْدَةِ غَفْلَتِه وطار من وَكْرِ جَهالته . وأمَّ[4] روضةَ البُلبلِ طائراً ونَزَلَ عليه دَهِشاً حائراً ، وقد تفرّقَ جَمْعُ المَلِكِ في السِكَكِ[5] تَفَرُّقَ الشُهُبِ في الفَلَكِ ، وغُلّقَتْ أبوابُها وتفرّقت أصحابُها .

فقال له البُلبل : يا هذا ، ما الذي شَغَلَكَ حتّى أشْغَلَكَ[6] ؟ وما الذي مَنّاكَ[7] حتّى عَدِمْتَ مُناك؟ أما عَلِمْتَ أنّ مَنِ اسْتَلَذَّ المَنامَ واستطابَ الأحلامَ عَدِمَ المَرام ؟....

فلَمّا أكْثَرَ البُلبلُ على النَسْرِ العِتابَ وانْغَلَقَتَ (على النَسْرِ) أبوابُ الصواب ، وَدّعه (النسر) وطارَ وقد عَدِمَ الأوطارَ . وكذلك حالُ ذوي الأحوال ومن له دَعْوى الصِدق في المقال . والعُقّال يؤاخَذون بخَطَراتِهِم ويُطالبون بعثَراتِهم ، ويُهْجَرون لأجلِ لَحْظة ويُقْطَعون بسبب لفظة ....

٤ ــ ** خريدة القصر (الشام) ١ : ٣٣٥ ــ ٣٥٣ ؛ المحمّدون من الشعراء ٢٢٨ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣٣٠ ــ ٣٣١ .

ابن الدهان الموصلي الحمصي

١ ــ هو مهذّبُ الدينِ أبو الفرجِ عبدُ اللهِ بنُ أسعدَ بنِ عليِّ بنِ عيسى بنِ عليّ

(١) الاتيان باعتراضات قد يكون ظاهرها كأنه صحيح بينما تأويلها (باطنها ، حقيقتها) فاسد .
(٢) فلق الصبح : ظهور عمود النور في الصباح واضحاً .
(٣) أم النجوم : الشمس . التخوم : اطراف الأرض .
(٤) أم : قصد .
(٥) السكك جمع سكة (بكسر السين) : الطريق .
(٦) شغله : ألهاه . أشغله (ليست في القاموس) : ملأ وقته بالعمل وصرفه عن مقصده .
(٧) مناك : أطمعك بالحصول على ما هو فوق طاقتك .

ابن الدهّان المَوْصِلِيُّ الحِمْصِيّ، وُلِدَ في المَوْصِلِ نحوَ سَنَةَ ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م).

ضاقتِ الحالُ بابنِ الدهّان منذُ مَطْلَعِ حياتهِ فهَجَرَ المَوْصِلَ وانتقلَ الى مِصْرَ فمدح طلائعَ بنَ رُزَّيْكٍ الذي تولّى الوزارةَ للفائزِ وللعاضدِ الفاطميّين من سنة ٥٤٩ الى سنة ٥٥٨ هـ (١١٥٤ - ١١٦٢ م). ويبدو أن حالَه حَسُنَتْ فأقامَ في مِصْرَ مدّةً. ثمّ انّه انتقلَ إلى الشامِ وأقامَ في حِمْصَ وكان يزورُ دِمَشْقَ بينَ الحينِ والحينِ يَصْحَبُ نَفَراً من عُلمائِها ويأخُذُ عنهم. وكان في حِمْصَ يتصدّرُ للتدريس.

وكانت وفاةُ ابنِ الدهّانِ المَوْصِليّ في حِمْصَ في شَعبانَ من سَنَةِ ٥٨١ (خريف ١١٨٦ م).

٢ - كان ابنُ الدهّانِ الموصليّ مُلِمّاً بأشياءَ من الحديثِ والفقهِ ولكن غَلَبَ عليه الشعرُ واشتهرَ به. وهو شاعرٌ مُقِلّ ولكنّ شعرَه بارعٌ مليحُ السَّبْكِ. وأكثرُ شعرِه المدحُ، وله أشياءُ من الغَزَلِ والوصفِ والرِثاء.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ الدهّانِ المَوْصِليّ يمدحُ السُلطانَ صلاحَ الدين الأيّوبيّ بقصيدةٍ منها:

هــل يَعْلَمُ المُتَحمّلون لِنَجعةٍ ... أنّ المنازلَ أخْصَبَتْ من أدْمُعي(١)؟
أمروا الضُحى أن يستحيل لأنّهم ... قالوا لشمسِ خُدورهِم: لا تطلُعي(٢).
قُلْ للبخيلةِ بالسلامِ تَوَرّعــاً: ... كيفَ استَبَحْتِ دَمي ولم تَتَوَرّعي(٣)؟
ما بالُ مُعْتَمِرٍ برَبْعِكِ دائمــاً ... يَقضي زِيارتَــهُ بغير تَمَتّعِ(٤)؟

---

(١) المتحملون (الذين يستعدون للرحيل) لنجعة (لطلب أرض خصبة، كثيرة العشب والماء).

(٢) الضحى: أول النهار بعد ارتفاع الشمس. يستحيل: يتبدل لونه (يبقى الجو مظلماً). الخدر: خباء المرأة في البيت. شمس الخدر: المرأة الجميلة. - لما لم يسمحوا لفتاتهم الجميلة (التي أحبها أنا) أن تخرج الى الناس، ظل الجو مظلماً، فكأنهم بذلك قد أرادوا ألا يطلع النهار.

(٣) - اذا كنت تتورعين (تخافين وتتجنبين) رد السلام علي (كيلا تأثمي: ترتكبي ذنباً)، فكيف استحللت (أجزت لنفسك) دمي (سفك دمي، قتلي)....

(٤) المعتمر: الذي يذهب الى مكة ويقوم بمناسك الحج في غير شهر ذي الحجة (زمن الحج المفروض). الربع: المسكن (بربعك: بمسكنك، في ديارك). يقضي زيارته (لبلادك) من غير تمتع (رؤية لك). التمتع في الفقه أن يجمع المسلم بين الحج (المفروض) وبين العمرة (المسنونة في غير وقت الحج) في وقت واحد. يحتمل هذا البيت تفسيراً آخر، ولكن يخرج بمعناه عن التقوى.

ما كانَ ضرّكِ لو غمَزْتِ بحاجبٍ ... عندَ التفرّقِ أو أشَرْتِ بإصْبَعِ ؟
هل تسمحينَ ببَذْلِ أيْسرِ نائلٍ : ... أن أشْتكي وَجْدي إليك وتَسْمعي [1].
فسقى الربيعُ الجَوْنُ رَبْعاً طالما ... أبْصَرْتُ فيه البدرَ ليلةَ أرْبَعِ [2].
وعلامَ أسْتَسْقي لـه سَيْلَ الحَيَا ؟ ... يَكْفيه ما يسقيه فيضُ الأدمعِ [3]...
ولوِ استطعتُ سَقَيْتُه سَيْلَ الحَيَا ... من كفّ يوسفَ بالأدَرِّ الأنْفعِ [4] ؛
بِنَدَى فَتىً لـو أنّ جُودَ بَنانِه ... للغَيْثِ لم يَكُ مُمْسِكاً عن موْضِعِ [5].
صبٌّ بأسباب المعالي مُغْرَمٌ ... كَلِفٌ بأبكارِ المعاني مُولَعِ [6].
ثَبْتُ الجَنانِ إذا القلوبُ تطايرتْ : ... في الرَوْعِ يَعْدِلُ ألفَ ألفِ مُدَرَّعِ [7].
جَمَعَ الجُيُوشَ فشتّتَ شَمْلَ عِداتِه ، ... ما فرّقَ الأعداءَ مثلُ تَجَمّعِ .
لم يَثْنِهِ عن نَصْرِه خلفاءَه ... – عِظَمُ العَدُوّ ولا بَعادُ الموضعِ [8] –
بجَحافلٍ مثلِ السُيولِ تدافعتْ ؛ ... واذا السُيولُ تدافعتْ لم تُدْفَعِ [9].
كم وَقْفَةٍ لكَ في الوَغى محمودةٍ ... أبداً ، وكم جُودٍ حميدِ المَوْقعِ [10]!

٤ – ديوان ابن الدهّان (حقّقه عبد الله الجبوريّ) ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٦٨ م .

---

(١) النائل : العطاء (الوصال ، الاجتماع بالمحبوب) . الوجد : الحب وألم الحب .

(٢) الربيع (الغيم ، السحاب ، المطر) الجون (الداكن ، الأسود ، لكثرة ما فيه من الماء) ربعاً (مسكناً ، داراً ، مكاناً) أبصرت فيه البدر (المحبوب الجميل) ليلة أربع وعشر ...

(٣) أستسقي له : أطلب السقيا له (أن يسقيه) الحيا (المطر) .

(٤) يوسف هو يوسف بن أيوب بن شاذي : صلاح الدين الأيوبي المشهور الذي يمدحه الشاعر . الأدر : الأكثر دراً (بفتح الدال) : فيضاً وجوداً . الانفع (عطاء صلاح الدين أنفع من المطر) .

(٥) البنان (جمع بنانة) : الأصابع (اليد) . لو أن السحاب كان كريماً كصلاح الدين لأمطر في جميع البلاد (بخلاف المطر الحقيقي الذي يمطر في أماكن دون أخرى) .

(٦) الصب : المحب . المغرم والكلف والمولع (هنا) الشديد التعلق بأمر ما . أبكار المعاني : المعاني المبتكرة (الجديدة) – يصف صلاح الدين بأنه ذو معرفة وذوق بالأدب والشعر .

(٧) الجنان : القلب . الروع : الخوف (الحرب) . المدرع : الذي يلبس درعاً (ثوباً منسوجاً من حديد لحماية بدنه في المعارك) .

(٨) يثنيه : يرده ، يعوقه. خلفاءه (الخلفاء العباسيين). مفعول به ، كناية عن الاسلام. عظم العدو (فاعل) : كثرة عدده وقوته – الافرنج الصليبيون . « بعاد » شكلها محرر تاج العروس (الكويت ٧ : ٤٣٥) بكسر الباء : البعد . الموضع : المكان (كان صلاح الدين في مصر ، وكان الخلفاء الذين نصرهم (قاتل أعداءهم) في العراق .

(٩) الجحفل : الجيش الكثير فيه خيل .

(١٠) الوغى : الحرب . حميد الموقع : في محله ، نافع ، صحيح .

الأضداد في اللغة (تحرير محمّد حسن آل ياسين)، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ - ١٩٥٥م.

** الخريدة (الشام) ٢ : ٢٧٩ - ٢٩١ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٤٥٨ - ٤٦١ ؛ ابن الأثير ١١ : ٥٢٢ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٧٠ - ٢٧١ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٩٨ .

ابن برّي النحوي

هو أبو محمّد عبدُ الله بنِ أبي الوحشِ بَرّيّ بنِ عبدِ الجبّارِ بنِ برّيّ المَقْدِسيّ المِصْريّ، وَلِدَ في القاهرة في خامسِ رَجَبٍ من سَنَةِ ٤٩٩ (١٤-٣-١١٠٦م).

أخذَ ابنُ برّيٍ العربيةَ عن أبي بكرٍ محمّدِ بنِ عبدِ الملكِ الشَنْتَرينيّ النَحْويّ وعن أبي طالبٍ عبدِ الله بنِ محمّدِ بنِ عليّ المُعافريّ القُرْطُبي وسَمِعَ الحديثَ من أبي صادقٍ المَدينيّ ومن أبي عبدِ الله الرازيّ. ثمّ تَصَدَّرَ للتدريسِ في جامعِ عمروِ بنِ العاصِ في الفُسطاط (مِصْرَ القديمةِ). وكان إليه النظرُ في ديوانِ الإنشاء لا يَصْدُرُ كتابٌ عن الدولةِ الى مَلِكٍ من ملوكِ النواحي الاّ بعدَ أن يَتَصَفّحَه ويُصْلِحَ ما لَعلّه فيه من خَلَلٍ خَفِيٍّ.

وكانتْ وفاةُ ابنِ برّيّ في ٢٧ من شوّالٍ سَنَةَ ٥٨٢ (١١-١-١١٨٧م).

كان ابنُ برّيّ من أكابرِ علماءِ عَصْرِه في اللغة والنحو، وكان له علمٌ بالفِقْه. وكذلك كانتْ له كُتُبٌ منها: حواشٍ على كتابِ الصِحاح (للجوهريّ) - اللُباب في الردّ على أبي محمّدِ بنِ الخَشّاب (في ردّ ابنِ الخشّاب على الحريريّ في دُرّة الغوّاص، وقدِ انتصرَ ابنُ برّيّ للحريري) - شرحُ شواهدِ الإيضاح - غَلَطُ الضُعفاءِ من أهلِ الفِقْه.

** وفيات الاعيان ١ : ٤٨١ - ٤٨٢ ؛ انباه الرواة ٢ : ١١ - ١٨ ؛ بغية الوعاة ٢٧٨ - ٢٧٩ ؛ ابن الأثير ١١ : ٦٢٨ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٧٣ - ٢٧٤ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٤ ؛ الملحق ١ : ٥٢٩ - ٥٣٠ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٣٣ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٢٠٠.

سبط ابن التعاويذي

١ - هو أبو الفتحِ محمدُ بنُ عُبيدِ الله بنِ عبدِ الله الكاتبُ، كان أبوه مولىً تُرْكيّاً للمظفّرِ رئيسِ الرؤساء، وكان اسْمُه نُشْتِكين (وفيات الأعيان ٢ : ٣٩٤، ٣٩٩) فغيّره هو وجَعَلَه عبيدَ الله. أما نِسْبَتُهُ «ابن التعاويذيّ» فقد جاءته من

جَده لأمه أبي محمد المُبارك بن علي بن نَصْرِ السرّاج (٤٩٦ ـ ٥٥٣ هـ) الجوهريّ الزاهد الصوفي المعروف بابن التعاويذي (ولعلّ المباركَ بنَ محمد كان يكتبُ التعاويذَ، أي الرُقى والحُروز). ونشأ شاعرنا في كَفالة جَدّه لأمه فنُسِبَ إليه وعُرِفَ باسم «سِبْط ابن التَعاويذيّ».

ولد سبط ابن التعاويذي في بغداد (١٠ رجب سنة ٥١٩ = ١٣-٨-١١٢٤). ولمّا شبّ خدم في ديوان الإقطاعات. وله ثلاثُ قصائدَ في صلاح الدين الايوبي أرسلها اليه من بغداد. وفي سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) كُفَّ بصرُه. ثم توفّي بعد بضع سنوات، في ٢ شوّال ٥٨٣ (٥-١٢-١١٨٧ م).

٢ ـ قال ابنُ خلكان (٢ : ٣٩٤): «كان أبُو الفتحِ شاعرَ وقته ... جَمَعَ شعرُه بينَ جزالة الألفاظ وعُذوبتِها و (بين) رقّة المعاني ودقتّها، وهو في غاية الحُسن والحَلاوة». ورتّب محمودُ سامي البارودي ديوانَ سبط ابن التعاويذيّ على الحروف (١٢٩٩ هـ) وعَمِلَ له ديباجة قال فيها: «هو سريع البادرة مليحُ النادرة حَذا في شِعره حَذْوَ ابن نُباته وتَمسّك بأذيالِ الشريف الرضيّ ومَشى على آثار مِهْيارَ الدِيلمي».

وكان سبط ابن التعاويذي قد جَمَعَ شِعْره قبلَ عماه ورتّبه أربعَةَ فُصول: مَدْح الخلفاء الراشدين، مدحَ الامراء والاكابر والصدور وغيرهم، ضُروباً مختلفة من مراث وزهد وغزل وعتاب وهجاء. وأما القصائد التي نَظَمها سِبْطُ ابنُ التَعاويذي بعدَ عَماه فقد سَمّاها الزيادات ثم ألحقها بديوانه.

ولسبطِ ابن التعاويذي نثرٌ أنيقٌ؛ وله كتاب الحجبة والحجاب نحو خمسَ عشْرةَ كرّاسة (وفيات ٢ : ٣٩٨).

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال سِبْطُ ابنُ التعاويذي في الشدّة والرخاء:

وقائلةٍ: قُمْ واسْعَ في طَلَبِ الغِنى! ... وكيفَ يقومُ المَرءُ والحَظّ قاعدُ؟
اذا لم يَكُنْ وقتُ الرَخاءِ بِدائمٍ، ... فأحْرِ بها ألاّ تدومَ الشدائد!

وقال يمدح الخليفة المُسْتَضيء بقصيدة طويلة منها:

---

(١) جاءت ترجمة سبط ابن التعاويذي في شذرات الذهب (٤ : ٢٨١) في وفيات سنة ٥٨٤ هـ.

كيفَ تُلْوَى كَتيبةٌ لبني العبّـ ـاسِ آلُ النَّبِيِّ فيها لِواءُ[1] !

أقْسَمَ النصرُ لا يُفارِقُ جيشاً لَهُمُ فيه رايةٌ سَوْداء[2] !

ويَميناً ، لتَمْلِكُنَّ وَشيكاً ما أظَلَّتْه تحتَها الخَضراء[3] ؛

ولَتُوفي على أقاصي خُراسا نَ غداً منكَ غارةٌ شَعْواء[4]

بجُيوشٍ تُصِمُّ مَسْمَعَ أهلِ الصـ ـينِ منها كَتيبةٌ خَرساء[5] ،

رامياً في بلادِها التُركَ بالتُر كِ : فتغزو آباءَها الأبناء !

كلَّ يومٍ أنضاءُ ركبٍ على با بِكَ منهم رَكائبٌ أنضاء[6] ؛

ووفودٌ على وفودٍ أبادت عِيسَهُمْ في رجائكَ البَيْداء[7] .

رُسلاً للمُلوكِ ما مُلِّكَتْ أم راً عليها من قَبْلِكَ الأمراء[8] ،

تَتَنافى اللّغاتُ والدينُ والأخْ لاقُ منهم والزِيّ والأسماء[9] ؛

ألّفَتْهم مَعَ التَبايُنِ نُعْـ ـماكَ حتّى كأنهم خُلَطاء[10] .

---

(١) لوى المدين الدائن بدينه : مطله ، أجله ، أخره – كيف تلوى كتيبة (جيش) كيف يتأخر عنها الظفر والنصر ولواؤها (قائدها) من بني العباس آل الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) راية سوداء: عباسية (السواد كان شعار بني العباس وشعار دولتهم) .

(٣) وشيكاً : عما قريب . الخضراء : السماء .

(٤) لتوفي على أقصى خراسان : ستشرف على أبعد مكان في خراسان (ستصل الى أقصى البلاد المعمورة) . غارة شعواء : متفرقة الاتجاهات (ستعم جميع الارض ولا تلزم مكاناً واحداً) .

(٥) تصم مسمع أهل الصين : عظيمة الجلبة (بفتح الجيم واللام: الصوت) لكثرة ما فيها من الرجال والسلاح حتى أن صوتها ليصل الى أبعد بلاد العالم . الكتيبة الخرساء : الكثيرة السلاح الثقيلة الحركة التي يكثر الوقار في رجالها فلا تعلو أصواتهم كيلا يدري بقدومهم أعداؤهم (يحسن ألا نحاسب الشاعر على تناقض قولين في هذا البيت ، فالمقصود عنده التأثير البلاغي لا التقرير العلمي) .

(٦) النضو (بكسر النون) : الذي أهزله وأنحله التعب . يأتي الى بابك كل يوم ركب (وفد) ناحلون ، للمشقة التي قاسوها (بفتح السين) في الوصول اليك من بلادهم البعيدة . وركائبهم (مطاياهم ، الخيل التي يركبونها) أنضاء أيضاً (لطول المسافة ومشقة الطريق) .

(٧) أبادت (أهلكت) عيسهم (نياقهم) البيداء (الصحراء) في رجائك (طمعاً في الحصول منك على هبات وعطايا عظيمة حتى إنهم لم يبالوا ببعد المسافة ومشقة الطريق) .

(٨) –كانت تلك الوفود رسلا يحملون مراسم الطاعة واموال الخراج من ملوك ما بسط سلطانه (بفتح النون) عليهم أحد غيرك من قبل .

(٩و ١٠) لغاتهم وأديانهم وأخلاقهم ... مختلفة (أجنبيون ، لا صلة لبعضهم ببعض) ، ومع ذلك فان نعمتك عليهم (حكمك العادل في بلادهم) جمعت بينهم على تباين (اختلاف) أحوالهم ، حتى ليظن الانسان أنهم خلطاء (جمع خليط : المشارك في حقوق الملك كالماء للشرب والطريق للمرور) : الذين تعودوا أن يعيشوا معاً .

نزَلوا من جَنابِكَ الرَحْبَ * في جَنـ ـةِ عَدْنٍ تُظلّها النعْماء،
يتَلاقَوْنَ بالتَحيّةِ والإكـ ـرامِ : لا بِغضةٌ ولا شَحْناء[١] !
فإذا فارقوا بِلادَكَ ظنّوا أنهُمْ في بِلادِهِمْ غُرباء .

وقال يصف البرق :

آه للبرقِ أضاءَ أيمَنَ الغَوْرِ[٢] عِشاءَ :
عَنّ عُلْوياً فلم يُهْـ ـدِ لنا الا العَناء[٣] ،
واصفاً تلك الوجوهَ الـ ـعَرَبياتِ الوِضاء[٤] .
يا له من ضاحكٍ علّـ ـمَ عَيْنَيّ البُكاء .
كان لي داءً ، وللأطـ ـلالِ أقْوَيْنَ دَواء[٥] .
من رأى جَذْوةَ نارٍ قبلَه تَحمِلُ ماء !

وقال في بطيخة[٦] :

رُبَّ عذراءَ أتَتْنا وهْيَ في أحسنِ حُلّهْ ،
تَعتَريها صُفْرَةٌ في لَوْنِها من غير عِلّة[٧] .
حُلوةُ الريقِ حَلالٌ دَمُها في كُلّ مِلّة .
نِصْفُها بَدْرٌ ، وإنْ قَدّ سْمتَها فَهْيَ أهِلّه !

---

* الرحب (مفعولا فيه أو به) في المكان الرحب. ويجوز الرحب (بكسر الباء) نعتاً للكلمة «جنابك» .

(١) البغضة (بكسر الباء) : البغض والكره . الشحناء : العداوة .

(٢) الغور : الارض المنخفضة ، الوادي الواسع . والشاعر يعني المنطقة (بكسر الميم) الممتدة من ذات عرق (بكسر العين) وهي ميقات الحجيج العراقي (المكان الذي يحرم فيه الحجاج القادمون من العراق) خارج مكة شرقا الى البحر الاحمر .

(٣) عنّ : ظهر . علوياً : من جهة العالية (منطقة عند مكة ، وقرى بظاهر المدينة) . العناء : اشتغال القلب وتعب البال .

(٤) واصفاً : شبيهاً أو يوحي بشبه (لتلك الوجوه) العربيات (البدويات المجاورات للحجاز كأمثال ليلى العامرية مثلا) . الوضاء جمع وضيء : حسن ، مليح ، جميل .

(٥) أقوى : أصبح خرباً ماحلا . كان للأطلال التي أقوت دواء (لأنه بشرها بقرب المطر) . كان لي داء (لأنه ذكرني بحب قديم لا سبيل اليه الآن) .

(٦) المفروض أنه يصف بطيخة حمراء الداخل خضراء الظاهر ؛ وهو الذي يسمى في العراق رقي وفي المغرب دلاع.

(٧) ان الجانب الذي يمس الارض من البطيخة (ولا تراه الشمس) يظل أبيض اللون ، فاذا نضجت البطيخة تماماً مال هذا الجانب الى الاصفرار . — والبيتان التاليان يجردان عادة (يذكران وحدهما) ويلقيان لغزاً .

وقال في الغزل والنسيب :

قُلْ لِمَنْ أصْلى هَواهــا | كَبِــدي نــاراً تَلَظّى[1] :
يــا قَضيبَ البــانِ قَــداً | وغَزالَ الرَمْــلِ لَحْظا ،
أنتِ أحْلى مــن لذيــذِ النّـــ | ـوم في عيني وأحْظى[2] .
أنتِ مِــن أعْذبِ خَلْقِ اللّـ | ـــهِ أخْلاقــاً ولَفْظاً .
فمتَــى أقْبَــلُ نُصْحاً | فيكِ أو أسْمَعُ وَعْظاً[3] .
قد بَذَلْتِ الوَصْلَ في الطّيْـ | ـفِ ، فَلِمْ أعْرَضْتِ يَقْظى؟
ما أرى لي – والمَــوَدّا | تُ حُظوظٌ – مِنْكِ حَظّا ،
بعــدَ مــا ضَيّعْتُ رَعْياً | لكِ أيــامي وحِفْظــاً .
آهٍ مــن رِقّــةِ خدٍّ | جَعَلَتْ قَلْبَــكَ فَظّاً !

٤ – ديوان سبط ابن التعاويذي (بعناية مرغوليوث) ، القاهرة (مطبعــة المقتطف) ١٣٢١ ﻫ (١٩٠٣ م) ؛ (نشره يوسف يعقوب مسكوني) ....

* سبط ابن التعاويذيّ من شعراء العراق الفحول في القرن السادس للهجرة ، تأليف يوسف يعقوب المسكونيّ ، (   ) ١٣٧٨ ﻫ (١٩٥٩ م) .

معجم الادباء ١٨ : ٢٣٥ – ٢٤٩ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٩٤ – ٢٩٩ ؛ نكت الهميان ٢٥٩ – ٢٦٣ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٨١ – ٢٨٢ ؛ بروكلمــان ١ : ٢٨٨ – ٢٨٩ ، الملحق ١ : ٤٤٢ ؛ زيدان ٣ : ٢٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٥٠ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ١٤١ .

أسامة بن منقــذ

١ – كان بنو نصرِ بن مُنْقِذٍ الكِنانيّ أصحابُ قَلْعةِ شَيْزَرَ (قُربَ حَماةَ في الشام) ذوي إمارة على تلك النّاحية ، وكانوا فُرساناً عارفين بالحرب وشُجعاناً أبطالاً وأدباءَ شعراءَ .

وكانَ من أكابرِ آل مُنْقِذ أسامةُ بنُ مُرْشِدِ بنِ عليِ بنِ مُقَلّدِ بنِ نصرِ ابنِ منقذٍ ، وكان يُكْنى أبا المُظَفّر وأبا شامة ويلقّبُ مُؤيّد الدولة ومَجْدَ الدولة .

---

(١) أصلى : عرض للنار ، أحرق .

(٢) أحظى : أكثر حظوة (أحب الى نفسي) .

(٣) فمتى أقبل نصحاً ... : (للابتعاد عنك وترك حبك) .

وُلِدَ أسامةُ بنُ مُنْقِذٍ في شَيْزَرَ يوم الاحد في ٢٧ جُمادى الأخِرةِ سنة ٤٨٨ (٢٥-٦-١٠٩٥ م)، قَبْلَ حملَةِ الإفرنج (الصليبيين) الاولى على الشام بنحوِ عامٍ. ونشأ أسامةُ في شَيْزَرَ وشارك أهله في الدفاع عن حِصْنهم وفي قِتالِ الإفرنجِ. وكان شُجاعاً بطلاً مُتهوّراً، وقد لامَهُ أهلُه برُغْمِ التوْفيقِ الذي كان يُصيبه في قتال الإفرنج.

ذهب أسامةُ إلى المَوْصل ودخل في جيش نور الدين زَنْكي (٥٢٣ هـ =١١٢٩ م). ثم عاد الى شيزر بعد بضع سنين (٥٣٢ هـ) وكانت الامارة لعمّه عز الدين. ويبدو أنّ أسامةَ ظلّ، برُغْم انقضاء سِنِي الشَبابِ، على تَهوّره القديمِ فنفاه عَمّه فجاء الى دِمَشْقَ وسكن الغُوطة ثم نال حَظْوَةً عند الأتابك شِهابِ الدين محمود ابنِ تاجِ المُلْك بُوري.

وفي سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٤ م) تعرّض «أسامة» في دمشقَ لعددٍ من المكائد فانتقل الى مِصْرَ وعاش في عُزْلَةٍ سوى أنه كان يذهب مرةً بعد مرّة الى الصَيْد ليعتاضَ به عن خَوْضِ المَعارك. غير أن الفرصةَ عادت فَسَنَحَتْ له فاشترك في الحَمْلة على عَسْقَلانَ (جنوبَ حيفا بفِلَسطين) سَنَة ٥٤٤ هـ (١١٥٠ م). ثم عادَ وجهُ الحياة يَتَجَهّم له في مِصْرَ فرَجَعَ الى دِمَشْقَ (٥٤٩ هـ)، وكانتِ الشامُ قد صارت في مُلْكِ نور الدين. وبُعيدَ عام ٥٥٠ هـ حدثت زَلزلةٌ شديدةٌ هَدَمَتْ شَيْزَرَ فأعاد نورُ الدين بناءها.

وفي ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) ذهب أسامةُ الى الحج. وبعد عامين اشترك مَعَ نور الدين في الحملة التي استردّ فيها نورُ الدين مدينةَ حارِمَ (قرب حَلَبَ). ثم اتّفق له ما دعاه الى مُغادرة دِمَشْقَ فذهب إلى حصن كيفا (مدينة في شماليّ العراق) ونزل على صاحبها قره أرْسلان وبقي هنالك عَشْرَ سِنينَ عَظُمَ في أثنائها نَشاطُه الأدبيّ.

وفي سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) دعاه صلاح الدين الأيوبي الى دِمَشْقَ ثم حدثت بَيْنَهما نُفْرَةٌ، فلمّا نَقَلَ صلاحُ الدين قاعدةَ مُلْكه الى مِصْرَ ظلّ أسامةُ في دِمَشْقَ حتّى تُوُفّي في ١٣ رَمَضانَ ٥٨٤ (٦-١١-١١٨٨ م) ودُفِن شرقَ جَبَلِ قاسْيون.

٢ - أسامةُ بنُ مُنْقِذٍ فارسٌ بطلٌ وشاعرٌ بارعٌ ومؤلّفٌ قديرٌ ولاعبٌ

بالشِطْرَنْجِ ، يُضافُ الى ذلك كلّه ثقافةٌ واسعةٌ ومعرفةٌ بفنونِ الحرب وعِزّةُ نفسٍ وكَرَمٌ. وقد مدَحه الشُعراء. وله نثرٌ أنيقٌ في الترسّلِ متينٌ في التأليف. وشِعرُه كثيرٌ مطبوعٌ جيّدٌ ؛ والذي وَصَل إلينا منهُ مختاراتٌ اختارَها أسامةُ بنفسِه. وشعرُه جَزْلٌ فَخْمٌ متينُ السبكِ قَليلُ التكلّفِ. أمّا أغراضُ شعرِه فهي الفخرُ والمدح والرثاء والعِتاب وفي عِتابه رِقّةٌ ورِفْق ، وغزلُه عاديّ عامّ ولكنه عَذْب. وله وصفٌ وأدبٌ (حِكمة).

ولأسامةَ بنِ مُنْقِذٍ من الكتب : كتاب الشيب والشباب — ذيل يتيمة الدهر (للثعالبي) — كتاب تاريخ أيامه — كتاب أخبار أهله — كتاب الاعتبار — كتاب البديع في البديع — كتاب العصا — كتاب المنازل والديار — كتاب القضاء — تلخيص مناقب العمرين[1] لابن الجوزي. وله مجموع اسمه لاميّة (لباب ؟) الأدب (فيه : كتاب الوصايا ، كتاب السياسة ، كتاب الكرم وإطعام الطعام ، كتاب الشجاعة ، كتاب الأدب ، كتاب البلاغة ،(كتاب ألفاظِ من الحكمة في معانٍ شتّى). وله مجموع من شعره اختاره بنفسه.

٣ — مختارات من آثاره

— لَقِيَ أسامةُ مَصائبَ كثيرةً ونَزَلَتْ في قلبهِ الهمومُ فقال :

قالوا نَهتْهُ الأربعونَ عـن الصبا ، وأخو المشيبِ يَجُورُ ثُمّتَ يَهتدي.
كم جارَ في ليـلِ الشبابِ فدلّـه صُبْحُ المَشيب على الطريق الأقصدِ[2].
واذا عَدَدتّ سِنِيَّ ثمّ نَقَصْتُهـا زَمَنَ الهمومِ فتلك ساعةُ مَوْلِدي !

— وقال في تبرير تهوّره :

لأرْمِيَـنّ بنفسي كُلَّ مَهْلَكَةٍ مَخوفة يَتَحاماهـا ذوُو البـاسِ
حتّى أُصادِفَ حَتْفي ، فهو أجْمَلُ بي من الخُمولِ وأستغني عـن الناس.

— وقال يرثي ولده عتيقاً :

غالَبَتْني عليك أيـدي المَنايا ، ولهـا في النفوس أمرٌ مُطاعُ ؛
فتَخَلّيتُ عنك عَجْزاً ، ولو أغْـ ـنى دِفاعي لَطالَ عنك الدفاع.

---

(١) عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز.

(٢) جار : مال عن الطريق السوي ، ضل. الاقصد : المعتدل : المستقيم.

وأرادتْ جميلَ صَبري فرامتْ مَطْلَباً في الخُطوبِ لا يُستطاع[1] .

– مَدَحَ أُسامةُ بنُ مُنقذٍ صَلاحَ الدين الأيوبيَّ بقصيدةٍ منها :

أنا جارُه ، ويَدُ الخُطوبِ قَصيرةٌ عن أن تنالَ مُجاورَ السُلطانِ .
خَضَعَتْ له صِيدُ الملوكِ ، فمن برى أقلامِه غُرَرٌ على التيجان[2] .
يا ناصرَ الإسلامِ – حينَ تَخاذَلَتْ عنه الملوكُ – ومُظْهِرَ الإيمان ،
بِكَ قَدْ أعزّ اللهُ حِزبَ جُنودِه وأذلّ حِزْبَ الكُفْرِ والطُغيان .
لمّا رأيتَ الناسَ قد أغواهُمُ الشيْ طانُ بالإلحاد والعِصيان
جرّدتَ سَيْفَكَ في العِدى ، لا رغبةً في المُلْكِ بل في طاعة الرحمن ؛
فضَرَبْتَهُمْ ضَرْبَ الغَرائب واضعاً بالسيف ما رَفَعوا من الصُلْبان[3] .
وغَضِبْتَ للهِ الذي أعطاكَ فَصْ لَ الحُكْم غَضْبَةَ ثائرٍ حرّان[4] ؛
فقَتَلتَ مَن صَدَق الوغى[5] ، ووَسَمْتَ من نجّى الفِرارُ بذِلّة وهوانِ .

– كتب القاضي الفاضل[6] الى أسامةَ بنِ منقذٍ رسالةً ، فردّ عليه أسامةُ برسالةٍ طويلة جاء فيها :

« .... وما عسى أن يقولَ مُطرِيه ومادحُه ، والفضل نُغبة[7] من بَحْرِه الزاخرِ ، وقطرة من سحابه الماطر : تفرّد به فما له فيه من نظير ، وسَبَقَ مَنْ تقدّمه في زمانه الأخير . فَتَقَ عن البلاغة أكماماً[8] تزيّنت الدنيا منها بالأعاجيب ، وأتى بآياتِ فصاحةٍ كادت أن تُتلى في المحاريب ؛ اذا اسْتُنْطِقَتِ[9] ازْدَحَمَتْ

---

(١) أرادت جميل صبري : أرادت (المنايا) أن تسلبني صبري .

(٢) الصيد جمع أصيد : متكبر ، ملك قوي . برى أقلامه (؟) . برى (بفتح الباء) : التراب . لعله يقصد برى (بفتح الباءوسكون الراء و بالياء) ؛ ولكن المعنى يظل غامضاً . لعله يقصد من برى أقدامه : من تراب (غبار حوافر خيله في الحرب) .

(٣) الغرائب : الابل التي تشذ في المرعى عن القطيع تضرب بالحجارة (من بعيد) حتى تعود الى قطيعها في المرعى . وضع : هدم. رفع : بنى .

(٤) الحران : الشديد الحرارة (شديد الرغبة في الانتقام). (٥) من حارب بصدق وحماسة .

(٦) القاضي الفاضل كاتب منشىء بارع ، راجع ، تحت ، ص ٤١١ .

(٧) أطرى يطرى : مدح . النغبة (بضم النون) : الجرعة (من الماء أو اللبن) .

(٨) الأكمام جمع كم (هنا) : كأس الزهرة (الاوراق الخضر التي تضم الزهرة قبل تفتحها) .

(٩) كادت أن تتلى في المحاريب (كاد الناس أن يقرأوها في الصلاة – هذه مبالغة مذمومة) . استنطقت (بالبناء للمجهول) نطق بها .

عليها العقولُ والأسماعُ ، ووَقَعَ على الإقرار بإعجازها الاتّفــاق والإجماع . فسُبْحانَ من فضّله بالبلاغة على الأنام ، وذلّل له بديعَ كلامٍ ما كأنه من الكلام : تَعْجِزُ عن سُلوك سبيله الأفهامُ وتَحار في إدراك لُطفِ معانيهِ الأوهام ؛ هو سِحْرٌ لكنّه حَلال ، ودُرٌّ إلا أنّ بحرَه حُلْوٌ سَلْسال ...[1] »

٤ – ديوان أسامة بن منقذ (حقّقه أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد) ، القاهرة (منشورات وزارة المعارف العامّة : الادارة العامّة للثقافة – ادارة نشر التراث العربي) ، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٣ م .

كتاب الاعتبار (حرّره ديرنبرغ) ، باريس (مطبوعات معهد اللغات الشرقية الحيّة) ، باريس ١٨٨٦ م ؛ (حرّره فيليب حتّي) برنستون (مطبعة جامعة برنستون) ١٩٣٠ م .

البديع في نقد الشعر (بتحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ومراجعة ابراهيم مصطفى) ، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ، القاهرة (البابي) ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠م) .

كتاب العصا (في نوادر المخطوطات بتحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) .

لباب الآداب (نشره أحمد محمّد شاكر) ، القاهرة (لويس سركيس) ١٩٢٥ م ؛ ثمّ (المطبعة الرحمانية) ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م .

كتاب المنازل والديارات (عني بنشره أنس خالدوف) ، موسكو (معهد الشعوب الآسيوية) ١٩٦١م.

** شخصيّات عربية ، تأليف نقولا عبدو زيادة ، يافا (شركة الطباعة اليافيّة) ١٩٤٥ م .

أسامة بن منقذ ، تأليف أحمد كمال زكي ، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٨ م (أعلام العرب ٧٩) .

أسامة بن منقذ ، صفحة من تاريخ الحروب الصليبية ، تأليف محمّد أحمد حسين ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٤٦ م .

وتجد نصوصاً لأسامة بن منقذ ونصوصاً تتعلّق به (باللغة العربية) في مجموعة عنوانها :

Anthologie des textes arabes inédits par Ousama, par H. Derenbourg, Paris 1893.

معجم الادباء ٥ : ١٨٨ – ٢٤٥ ؛ الخريدة (الشام) ١ : ٤٩٨ – ٥٥١ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١١٠ – ١١٢ ؛ تاريخ دمشق ٢ : ٤٠٠ – ٤٠٤ ؛ ابن الأثير ٢١ : ٢١٩ – ٢٢١ ، ٢٨٥ شذرات الذهب ٤ : ٢٧٩ – ٢٨٠ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٢٧٦ – ٢٨٧ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٩ – ٣٩١ ، الملحق ١ : ٥٥٢ – ٥٥٣ ؛ زيدان ٣ : ٦٦ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٨٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ١٠٤٧ – ١٠٤٨ .

---

(١) السلسال (بفتح السين) : ماء عذب صاف يسهل مروره في الحلق . مع أن الدر (اللؤلؤ) يوجد في البحر (الماء المالح) .

موفق الدين محمد البحراني الإربلي

١ ـ كان ابو عبدِ الله محمدُ بنُ يوسفَ بنِ محمدِ بنِ قائدٍ تاجراً من أهل إرْبِل (قُرْبَ المَوْصل في العراق) يتْجر باللؤلؤ يَحْمِلُهُ من البحرين إلى العراق، فوُلِدَ ابنُه محمّدٌ صاحب هذه التَرْجَمة في البحرين وفيها نشأ وبَدأ ينْظِمُ الشعْرَ.

رَحَلَ موفّق الدين أبو عبدِ الله محمدُ بنُ يوسُفَ البَحْراني الإرْبِليّ إلى شَهْرَزورَ بفارس ومكث فيها مُدّةً ثم جاء إلى دِمَشْقَ ومَدَحَ السُلْطانَ صَلاحَ الدين الأيوبي. وكانت وفاته في إرْبِلَ في ٣ ربيعٍ الآخر سَنَةَ ٥٨٥ (٢٠ـ٥ـ١١٨٩م).

٢ ـ البَحْراني الإرْبِلي إمامٌ مقدّم في علوم العربية متفنّن في أنواعِ الشعر عارفٌ بعلم العَروض والقافية حاذقٌ في نَقْدِ الشعر حَسَنُ الاخْتيار له. وشعره متينٌ عذبٌ. وكان قدِ اشْتغلَ بشيء من علوم الاوائل (الفلسفة) وحلّ كتاب إقْليدِس (في الهندسة). وله رسائل حسنة.

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال البحراني الأربلي في مطلع قصيدة طويلة يَمْدَحُ فيها زينَ الدين أبا المُظفر يوسفَ بنَ زينِ الدين صاحبَ إرْبِلَ:

رُبَّ دار بالغضا طـال بَلاهـا ... عكف الركْبُ عليهـا فبكاهـا(١).
دَرَسَتْ إلاّ بقـايا أسْطُـرٍ ... سَمَحَ الدهرُ بهـا ثم مَحاهـا.
كان لي فيها زمـانٌ وانْقَضى؛ ... فسَقَى اللهُ زَمـاني وسَقاها!
وَقَفَتْ فيهـا الغَواني وَقْفَةً ... ألْصَقَتْ حرّ حَشاها بثَراها،(٢)
وبَكَتْ أطـلالَهـا نائبَـةً ... عن جفوني؛ أحْسَنَ اللهُ جَزاها.
قُـلْ لِجـيرانٍ مواثيقُهُـمُ ... كُلّما أحْكَمْتُها رَثّت قُواها:(٣)
كُنْتُ مشغوفاً بِكُمْ إذْ كُنْتُمُ ... شَجَراً لا يَبْلُغ الطير ذُراها،
لا تَبيتُ الطيرُ الاّ حَولَهـا ... حَرَسٌ تَرْشَحُ بالموت ظُباها(٤).
واذا مُدّت إلى أغْصـانِهـا ... كَفٌّ جانٍ قُطِعَتْ دونَ جَناها(٥).

---

(١) الغضا: نوع من الشجر (غابة) في الحجاز. بلاها ـ بلاؤها (مصائبها). الركب: الجماعة المسافرون.
(٢) ألصقت حر حشاها بثراها (بترابها)! من شدة الحزن (!).
(٣) أحكمتها: شددتها، (أتقنت ربطها). رثت: تهرأت، ضعفت.
القوى (جمع قوة): طاقات من الخيطان تفتل فتصبح حبلا. (٤) الظبا: السيوف.
(٥) جان (الجاني): الذي يقطف الثمر ـ المذنب.

فتراخى الأمْرُ حتى أصبَحَتْ هَمَلاً يَطْمَعُ فيها من يَراها.
تُخْصِبُ الارضُ ، فلا أقْرَبُها رائداً إلاّ إذا عَزّ حِماها .
لا يراني اللهُ أرْعى رَوْضةً سَهْلَةَ الأكْناف من شاء رَعاها !
واذا ما طَمَعٌ أغْرى بِكُمْ عَرَضَ اليأسُ لنَفْسي فثَناها .
فصَبابات الهوى أوّلُها طَمَعُ النفسِ ، وهذا مُنْتهاها .
لا تَظنّوا لي إلَيْكم رَجْعَةً كَشَفَ التَجْريبُ عن عيني عَماها .
إنّ زينَ الدين أوْلاني يَداً لم تَدَعْ لي رَغْبَةَ فيما سِواها.

٤ ــ ** وفيات الاعيان ٢ : ٤٠٢ ــ ٤٠٤ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٨٤ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ٢٣ .

محي الدين الشهرزوري

١ ــ هُوَ أقْضى القُضاةِ مُحْيِي الدين أبو حامد مُحمّدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الله ابنِ القاسم بن المُظَفّر بن عليّ الشهرزوريّ ، وُلِدَ في المَوْصِل في سَنَة ٥١٠ هـ[1] .

سَمِعَ مُحْيِي الدين الشهرزوريّ مِنْ عَمّ أبيه أبي بكرِ بنِ القاسمِ ، ودَخَلَ بَغْدادَ فتَفَقّهَ على أبي منصورِ بنِ الرزّاز (٤٦٢ ــ ٥٣٩ هـ) تلميذِ الغزّالي (٥٠٥ هـ) وتَولّى القضاءَ في الموصل . ثمّ إنّه انتقل إلى الشام وتولّى قضاءَ الشامِ نيابةً عن والدِه . وكذلك تولّى القضاءَ في حَلَبَ (رَمَضان ٥٥٥)[2] نيابةً عن والدِه أيضاً .

وبعدَ مَوْتِ والدِه عَلَتْ مَنْزِلَتُهُ وعَظُمَ نُفوذُه عِنْدَ المَلِكِ الصالح اسماعيلَ بنِ نورِ الدين صاحبِ حَلَبَ ففوّض اليه الملكُ الصالحُ تدبيرَ مملكةِ حَلَبَ ، في شَعْبانَ ٥٧٣ هـ (١١٧٨ م) . بعدَئِذ وُشِيَ به إلى الملكِ الصالح فلَزِمَ بَيْتَه ثمّ فارَقَ حَلَبَ راجعاً الى المَوْصِلِ ؛ وفي المَوْصل تَولّى القضاءَ ودرّسَ في المدرسةِ التي كانَ والدُه قد أنشأها، وفي المدرسةِ النِظامية أيضاً . ثم بَلَغَ مرتبةً سامية عند عزّ الدينِ مسعود بنِ قُطْبِ الدين مودودِ بنِ زنكي صاحبِ الموصل (٥٧٢ ــ ٥٨٩ هـ) ففوّض عزّ الدين اليه النظرَ في جميع الأمور .

---

(١) قيل سنة ٥١٩ هـ .
(٢) قيل في شعبان سنة ٥٥٦ .

وكانتْ وَفاةُ مُحْيِي الدين الشهرزوريّ في ١٤ جُمادى الأولى سَنَةَ ٥٨٦[1] (٢٠ – ٦ – ١١٩٠ م).

٢ – مُحْيِي الدين الشهرزوريّ شاعرٌ مُحْسِنٌ بَعْضَ الإحسان، ويبدو أنّه شاعرٌ مُكْثِرٌ. أما فُنونُه فَهِيَ الوصفُ والزُهْدُ، وله شعرٌ في التَوْحيد (في الله) وفي مدح الصَحابة، وقد رَثى أباه بقصيدةٍ طويلةٍ. وكذلك كان كاتباً مُتَرَسّلاً مُجيداً.

٣ – مختارات من شعره

– سَقَطَ الثلجُ في بَغْدادَ يوماً (بِكَثْرةٍ) فقالَ مُحْيِي الدين الشهرزوري:

ولمّا شابَ رأسُ الدهرِ غَيْظاً ... لِما قاساه من فَقْدِ الكِرامِ،
أقامَ يُميطُ عنه الشَيْبَ عَمْداً ... ويَنْثُرُ ما أماطَ على الأنام[2]!

– وقال في الحِفاظ على الصديق:

إن تَبَدَّلْتَ بي سِوايَ فإنّي ... لَيْسَ لي ما حَيِيتُ[3] مِنْكَ بَديلُ:
لِيَ أُذْنٌ – حتّى أناجيكَ – صَمّا ... ءُ، وطَرْفٌ – حتّى يَراك – كَليل[4].

– وقال في الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم:

شُموسٌ إذا جَلَسوا في الدُسوتِ ... بُدورٌ إذا أظْلَمَ القَسْطَلُ[5]؛
غُيوثٌ إذا ضَنّ قَطْرُ السماء ... لُيوثٌ إذا زَحَفَ الجَحْفَل[6].
فكُلّهُمُ سادةٌ لِلأنامِ ... ولكِنْ أبو بكرٍ الأفضل.
وكُلّهُمُ صَحِبَ المُصْطفى ... ولكِنْ أبو بكرٍ الأوّل[7].

---

(١) في الوافي بالوفيات (١ : ٢١٠) أن وفاته كانت في جمادى الآخرة من سنة ٥٨٤.

(٢) ماط وأماط: أبعد، نحى الأنام: الناس (صبغ الدهر شعره بالسواد حزناً على فقد الكرام، فألقى بياض شعره على الناس فغطى هذا البياض جميع الدنيا!).

(٣) ما حييت: مابقيت حياً.

(٤) أناجيك: أخاطبك (ولو سراً). طرف: عين، بصر. كليل: ضعيف، مريض (لا يرى).

(٥) الدست: مجلس ذوي المصائب (مجلس الوزيرمثلا). القسطل: الغبار. (هم أهل لأن يملأوا المناصب العالية ثم هم ينقذون الناس من المناصب والشدائد – إذا أظلم القسطل).

(٦) غيوث: أمطار (كرماء). ضن: بخل. ليوث: أسود (شجعان). الجحفل: الجيش الكثير في الحرب.

(٧) المصطفى: الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. أبو بكر الأول: أول الذين دخلوا في الاسلام ثم كان صديقاً للرسول قبل الاسلام.

٤ – ** خريدة (الشام) ٢ : ٣٢٩ – ٣٣٩ ؛ الوافي بالوفيات ١ : ٢١٠ – ٢١٢ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٢٦٣ – ٢٦٥ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٥٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٨٧ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٥٢ – ٢٥٣ .

السهروردي المقتول

١ – هو شهابُ الدينِ أبو الفتوحِ يَحْيى بنُ حبَش بنِ أميرَك[١] المعروفُ بالشيخِ الحكيمِ المقتولِ ؛ وُلِدَ نحو سنَةِ ٥٥٠ ﻫ (١١٥٥ م) .

قرأ شهابُ الدينِ السُهْرَوردي الحِكمة وأصولَ الفِقْهِ على الشيخِ مَجْدِ الدين الجيلي بمدينة المَراغة (آذربيجان) . ثم انه تَطوّفَ في البلادِ وأقام مدةً في بَلاط قليج أرسلانَ الثاني (٥٥١ – ٥٨٨ ﻫ) في قُونيَةَ (بلادَ الرُوم : آسيَةَ الصُغرى) ، وزارَ دِمَشْق وميّافارقين . ويبدو أن السُهروردي كان في المَشْرق فأتي إلى بَغدادَ وأقامَ فيها مُدّةً صَحِبَ في أثنائها الشيخَ فخرَ الدين الماردينيَّ فأسَرَّ السهرورديّ إلى الشيخِ فخرِ الدين بأشياءَ كثيرةٍ منها أنه يُريدُ أن يَمْلِكَ العالَمَ ، فكانَ الشيخ فخرُ الدين يَتَخوّفُ عليه عواقبَ آرائه .

في سنة ٥٧٩ ﻫ (١١٨٣ م) غادرَ السُهْرورديّ بَغدادَ الى حَلَبَ وأخذ بنَشْرِ مذهبِه فيها فثارَ عليه العلماءُ من أهلِ السُنّةِ وشَكَوْهُ الى أميرِ المدينةِ المَلِكِ الظاهرِ بنِ صلاحِ الدينِ الأيوبيّ ؛ فجَمَعَ المَلكُ الظاهرُ بينَ السُهرورديّ وبينَ أولئك العلماءِ في مَجْلِسٍ للمناظرةِ ؛ فيُقال إنّ السُهرورديّ تغلّب عليهم بالجدال . ثم صَدَرَتْ عنه أقوالٌ وأعمالٌ من الإلحادِ والمَخْرَقة فثارَ عليه الناسُ فرأتِ الدولةُ في أقوالهِ وأعمالهِ خَطَراً كبيراً ؛ فأمرَ صلاحُ الدينِ ابنَه المَلِكَ الظاهرَ بقتلِ السُهرورديّ فقُتِلَ السُهرورديّ في قلعة حَلَبَ في ٥ رجب ٥٨٧ (٢٩–٧–١١٩١ م) .

٢ – كان السُهروردي المقتولُ في أولِ أمرِه فقيهاً شافعيّاً وأُصوليّاً[٢] ، كما كان مُلِمّاً بعَدَدٍ من عُلومِ الأوائل ، وخصوصاً في الفلسفةِ والكيمياء والسيمياء

(١) أميرك = أمير (بالتصغير : كلمة أمير العربية من علامة التصغير «ك» من الفارسية) .

(٢) الفقه يبحث في فروع الدين (كالصوم والصلاة والبيع والارث) . علم الأصول علم يبحث في أسس الدين وعقائده (كالتوحيد ، والدليل على وجود الآخرة والرسالة وحقيقة النبوة وحكمة التشريع ، الخ) . علم الكلام علم غايته الدفاع عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية : مزج الدين بشيء من النظر الفلسفي .

فيما قيل. ثمّ إنه اتّخذَ مَذْهباً صُوفياً مُتطرّفاً[1] فارقَ به رأيَ أهلِ السُنّة والجَماعة في الدين. ومزج السّهرورديّ المقتولُ مذهبَه الصوفيَّ بشيء من فلسفةِ أرسْطو (الماديّةِ الواقعيةِ) وبشيءٍ من المذهبِ الاسكندرانيّ القائمِ على جوانبَ من آراءِ فيثاغوراس وأفْلاطونَ تَميلُ إلى تَفْسير الوجودِ الماديّ تفسيراً روحانياً؛ كما استَمَدّ عَدَداً من آرائه الطبيعية والماورائية، في الفَيْضِ خاصّةً، من إخوان الصّفا وابن سينا. أما عُمْدَةُ السّهروردي في تصوّفه فكانتِ الإشراقَ أو حِكْمَةَ الإشراقِ، وذلك أنّ الوجودَ نفسَه من نورٍ، وانّ النورَ جوهرُ الوجودِ وَحقيقته، وأنّ اللهَ نفسَه نورٌ، بل هو نورُ الأنوارِ؛ وأن معارفَنا تأتي إلينا، من طريق الإشراقِ: من ذلك النور. ولكنْ كانَ يُلْمَحُ في أقواله اعتقاد بالهينِ اثنينِ: إله النورِ وإله الظُلْمة.

ولقد عبّر السُهرورديّ المقتولُ عن ذلك كلّه نَثْراً وشِعراً باللُغتين العربيةِ والفارسيةِ على طريقةِ أهلِ التصوّف. وله مُصَنّفاتٌ منها: التلويحات اللوحية والعرشية — المقامات (وهو لواحق على التلويحات) — المشاريع والمطارحات — اللمحات — الالواح العمادية — رسالة في وصف العقول. وله في التصوّف والفلسفة: هياكل النور — حكمة الاشراق — مقامات الصوفية ومعاني مصطلحاتهم — المناجــاة — الأربعون اسماً الإدريسية — الغربة الغربية (على مثال رسالة الطــير وحيّ بن يقظان لابن سينا، أشار فيها الى حديث النفس) — بستان القلوب — كشف الغطاء لإخوان الصفاء — المعارج — الكلمات الذوقية والنكات الشوقية.

٣ — مختارات من شعره

— أجود شعر السهروردي المقتول قصيدته الحائية المشهورة، وفيها كثير من تعابير الصوفية (وسأشرح في الحاشية عدداً من الألفاظ التي لا بدّ من شرحها. أما شرح المدارك الصوفية فيها فأمر يطول، ثم هو قابل للأخذ والردّ).

أبَــداً تَحِنّ إلَيْكُمُ الأرواحُ؛ ووِصالُكُــمْ رَيْحانُها والراحُ[2].

---

(١) التصوف اتجاه فكري غايته تفسير مظاهر العالم المادية تفسيراً روحياً. فلسفة أرسطو فلسفة مادية واقعية عملية تقوم على النظر الى العالم كما هو وعــلى تفسير مظاهره تفسيراً مربوطاً بالاسباب المادية التي ينتج (بالبناء للمجهول) منها نتائج مادية. المذهب الاسكندراني مذهب يستخدم الفلسفة لتفسير المدارك الدينيــة في المسيحية ويقوم على الفيض (أي صدور هذا العالم المادي عن الله الروحي تمهيداً لتفسير الرأي المسيحي القائل بأن عيسى بن مريم اله او ابن لله (تعالى الله).

(٢) الخطاب للعزة الالهية (لله). الريحان: نبات طيب الرائحة؛ الاطمئنان الروحي. الراح: الخمر؛ السرور.

وقلوبُ أهلِ وِدادِكم تَشْتاقُكُمْ وإلى لذيذِ لِقائكُمْ تَرْتاح .
وارَحْمَتا للعاشقين ! تكلّفوا سَتْرَ المَحبَّةِ ، والهَوى فضّاح .
بالسِرّ إنْ باحوا تُباح دِماؤهم ؛ وكذا دِماءُ البائحين تُباح[1] !
صافاهُمُ فصَفَوْا له ، فقُلوبُهم في نورِها المِشكاةُ والمِصباح[2] .
فتَمتّعوا ، والوقتُ طابَ بقُرْبِهِمْ : راقَ الشَرابُ ورقّتِ الأقداح .
لا ذَنْبَ للعُشّاقِ إنْ غلَبَ الهَوى كِتْمانَهُمْ ، فنَما الغرامُ فباحوا .
سَمَحوا بأنْفُسِهِمْ وما بَخِلوا بها لمّا دَرَوْا أنّ السَماحَ رَباح[3] .
ودَعاهُمُ داعي الحقائقِ دَعوةً فغَدَوْا بها ، مُستأنِسين، وراحوا[4] .
لا يَطْرَبونَ لغيرِ ذِكْرِ حَبيبِهم أبداً ، فكلّ زَمانِهِمْ أفراح[5] .
حَضَروا فغابوا عن شُهود ذَواتِهم ؛ وتَهَتّكوا لمّا رأوْهُ وصاحوا[6] .
أفناهُمُ عَنْهُمْ – وقد كُشِفَتْ لَهُمُ حُجُبَ البقا – فتَلاشَتِ الأرواح[7] .
فتَشَبّهوا إنْ لم تكونوا مِثْلَهم ؛ إن التَشَبّهَ بالكِرامِ فَلاحُ !

٤ – حكمة الاشراق مع تعليقات لصدر الدين الشيرازي ، شيراز ١٣١٣ – ١٣١٥ ﻫ .

هياكل النور ، القاهرة (صبري الكردي – مطبعة السعادة) ١٣٣٥ ﻫ .

حيّ بن يقظان (في مجموع ثلاث رسائل عنوانها حيّ بن يقظان – نشرها أحمد أمين) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٢ م .

مجموعة في الحكمة الالهية (عني بتصحيحه كوربين) ، استانبول (مطبعة المعارف) ١٩٤٥ م .

---

(١) السر : حقيقة الالوهية .

(٢) المشكاة والمصباح : اشارة الى قوله تعالى (٢٤ : ٣٥ ، سورة النور) : « الله نور السموات والارض ؛ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، الآية » (المصباح : السراج المنير . المشكاة : العمود ، الكوة يوضع فيها السراج) .

(٣) السماح : الكرم . رباح : ربح (حينما يسمح المخلوق بنفسه حتى تتصل نفسه بالخالق – وتفنى عن وجودها الدنيوي – يكون في ذلك ربح له !) .

(٤) داعي الحقائق : حب الحقيقة ؛ الله. دعوة= دعوة الى الاتصال به. غدا (ذهب في الصباح) وراح(رجع في المساء)= قضوا يومهم (أيامهم ، حياتهم).   (٥) الحبيب في اصطلاح الصوفية عامة هو رسول الله. هنا هو الله.

(٦) حضروا (في طور الولاية) : شهدوا (أدركوا ، بانت لهم) حقيقة الله . غابوا عن شهود ذواتهم : غفلوا عن وجودهم الانساني . تهتكوا : باحوا في أثناء نشوتهم الصوفية بما لا يجوز لهم أن يبوحوا به . صاحوا : أعلنوا ذلك على جميع الناس (مع أن هذا السر لا يطيقه الا خاصة الخاصة من الصوفية) .

(٧) افناهم عنهم : أنساهم الله وجودهم الانساني . كشفت لهم حجب البقاء : رفع لهم الستر الذي يحجب حقيقة الألوهية عن مدارك جمهور الناس . تلاشت الأرواح : فقد الجسم شعوره الدنيوي (لأن صاحبه قد اتصل بالله وأصبح مع الله واحداً بالعدد) .

** شواكل الحور في شرح شواهد النور (شرحها محمّد الدوّاني من أحياء القرن التاسع للهجرة — نشرها محمّد عبد الحق ومحمّد يوسف كوكن) ، مدراس بالهند (مكتبة المخطوطات الشرقية) ١٩٥٣ م .

شخصيّات قلقة في الاسلام (فيها دراسة عن السهردوري المقتول) ، تأليف لويس ماسينيون (ترجمة عبد الرحمن بدوي) ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٤٦ م .

معجم الادباء ١٩ : ٣١٤ — ٣٢١ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٢٥٦ — ٢٦٠ ؛ طبقات الاطبّاء ٢ : ١٦٧ — ١٧١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٩٠ — ٢٩٢ ؛ بروكلمان ١ : ٥٦٤ — ٥٦٦ ، الملحق ١ : ٧٨١ — ٧٨٣ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ١٦٩ — ١٧٠ .

سراج الدين الأوشي

١ — هو سِراجُ الدين عليّ بنُ عُثمانَ بنِ محمّدٍ الشهيدي الأُوشيّ الفَرْغانيّ، وُلِدَ في أوش (بضمّة مختصرة) ، وَهِيَ بَلَدٌ في فَرْغانَة (على الجانب الجَنوبي من نهر سَيْحونَ أو سير داريا) ؛ ويُعْرَفُ أيضاً بإمامِ الحَرَمَين ممّا يَدُلّ على أنّه زارَ الحِجازَ فسَمِـعَ الناسُ هنالك منهُ شيئاً من فُروعِ العِلْمِ. وكانَتْ وفاتُهُ في أواخرِ القَرْنِ السادسِ أو أوائل القرن السابع للهجرة (١١٩٦ — ١٢٠٥ م).

٢ — تقومُ شُهْرَةُ سِراجِ الدين الأوشي على قصيدتهِ اللاميّة في التوحيد . والتي اشتهرت باسمِ « بَدْءِ الأمالي » (نسبة الى مطلعها) ؛ وقد اشتهرتْ هذه القصيدةُ كثيراً فشَرَحها نَفَرٌ كثيرون ، ونُقِلَتْ إلى الفارسية والتركية . وللأوشي مَنْظوماتٌ أُخرى . وكذلك كان الأوشي فقيهاً أصولياً أشعريّاً على مذهب أهلِ السُنّة والجماعة مائلاً عن مذهبِ الاعتزال . وللأوشيّ مصنّفات منها : الفَتاوى السِراجية (انتهى من تأليفها سنة ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م) — نور السراج — غرر الأخبار ودرر الأشعار (منه موجز : « نصاب الأخبار وتذكرة الأخيار » يتألف من ألف حديث قصار مبوّبة في مائة فصل) — مشارق الانوار في شرح نصاب الأخبار لتذكرة الأخيار — شرح منظومة عمر النسفي في الخلاف (اختلاف الفقهاء) سمّاها مختلف الروايـــة .

٢ — سراجُ الدين عليّ بنُ عُثمانَ الأوشيِ مُحَدِّثٌ وفَقيهٌ حَنَفيّ . ولكنّ له قصيدةً لاميّة شَرَحَها نَفَرٌ كثيرون ونُقِلَتْ إلى اللغة الفارسية والتُركية ، وقد بَلَغَ من شُهْرَتِها أنها صارت تُعْرَفُ بقصيدة « بدء الأمالي » كما تُعْرَفُ

قصيدةُ البُرْدَةِ لكعبِ بنِ زُهيرٍ بقصيدة « بانتْ سُعاد »[1] ، مع الفارق الكبيرِ في القيمة بينَ القصيدتين .

قصيدةُ « بدء الأمالي » ضعيفة اللغة وليس لها طلاوة . وقد جَمَعُ الأوشيّ في هذه القصيدة عدداً من آراء الأشعريةِ (آراء أهل السنّة والجماعة) ونَصَرَها وردّ على المعتزلة[2] .

٣ – مختارات من شعره

– من قصيدة « بدء الأمالي » للأوشي :

يقولُ العبدُ في بـدءِ الأمـالي ... لتَوْحيـدٍ بنظـمٍ كاللآلي :[3]
إلـه الخلقِ مولانـا قـديمٌ ... وموصوفٌ بأوصـاف الكمال[4].
هو الحيّ المُدَبّرُ كـلَّ أمرٍ ، ... هو الحقّ المُقَدّر ذو الجلال ؛
مُريـدُ الخيرِ والشرِ القبيح ، ... ولكنْ ليس يرضى بالمُحـال[5].
صفاتُ الله ليست عينَ ذات ... ولا غيراً سواه ذا انفصـال[6].
صفات الذاتِ والأفعـالِ طُرّاً ... قديمـاتٌ مصونـاتُ الـزوال.
وما القـرآنُ مخلوقـاً ، تعـالى ... كلامُ الربّ عن جِنْس المَقال[7].
وربُّ العرشِ فوقَ العرشِ ، لكن ... بلا وَصْفِ التَمَكّنِ واتّصال[8].

---

(١) راجع في الجزء الاول ، ص ٢٨٣ .

(٢) راجع الجزء الاول ، ص ٣٥٥ – ٣٥٦ ؛ ثم راجع فوق ، ص ٢ : ٣٧ . وراجع المصادر والمراجع المتعلقة بعلم الكلام ؛ راجع مثلا « تاريخ الفكر العربي » للمؤلف (الطبعة الثانية) ، ص ٢١٦ وما بعد .

(٣) توحيد = توحيد الله .

(٤) قديم (عند الاشعرية) : سابق على كل شيء موجود وسابق على الزمان أيضاً . قديم (عند الفلاسفة والمعتزلة) : لا سبب لوجوده .

(٥) هو = الله ، يريد من العبد (الانسان) أن يفعل الخير وأن يفعل الشر ، ولكنه لا يرضى بالمحال (الذي لا حكمة في فعله) .

(٦) صفات الله (قديم ، حكيم ، غفور ، رازق الخ) ليست هي هو ، بل هي زائدة على ذاته ولم تكن يوماً منفصلة عنه (هي قديمة كقدمه) .

(٧) القرآن غير مخلوق (غير حادث ، كما خلق الله الجبال والبشر مثلا) ، ومع ذلك فان الله لا يتكلم كلاماً يشبه كلام البشر .

(٨) التمكن = الوجود في المكان (على الشكل المألوف في قعودنا نحن) : الاتصال ، المماسة (بين القاعد على العرش وبين العرش) .

ولا يَفْنى الجحيمُ ولا الجِنانُ ؛ ولا أهلوهمـا أهلُ انتقـال[1].
يراه المؤمنـون بغـير كيفٍ وإدراكٍ وضَرْبٍ مـن مِثال ؛[2]
فيَنْسَوْنَ النعـيمَ إذا رَأَوْهُ ؛ فيا خُسرانَ أهـلِ الاعتزال !

٤ – مجموع مهمّات المتون ، القاهرة ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٩٥ هـ .
الفتاوي السراجية ، كلكتا (طبع حجر) ١٨٢٧ م ؛ لكنهو ١٢٩٣ – ١٢٩٥ هـ .
القصيدة اللامية : « يقول العبد في بدء الامالي » (مطبوعة مع مجموع مهمّات المتون وغيره من المجاميع) مصر ١٢٧٣ ، ١٢٧٦ ، ١٢٩٧ ، ١٣٠٣ ؛ ١٣٠٤ ؛ ١٣٠٦ ، ١٣٢٣ هـ ؛
استانبول (طبع حجر) بلا تاريخ ؛ جاوه (طبع حجر) ١٣١٨ هـ ؛ (تحرير بولون) ،
رجوَمونتي = كونيكسبرغ ١٨٢٥ م ؛ (تحرير نظير أحمد خان) ، دهلي ١٣١٧ هـ ؛
(مطبوعة مع « مجموعة قصائد ») ، بيروت (المطبعة الادبية) ١٣٢٦ هـ .
** درج المعالي (شرح اللامية لابن جماعة المتوفّى سنة ٨١٩ هـ) ، دهلي ١٨٨٤ م ؛ بومباي ١٢٩٥هـ ؛
الاستانة ١٣٢٣ هـ ؛ (مع ترجمة تركية لحسني أفندي) ، استانبول ١٣٠٤ هـ .
عقد اللآلي (شرح اللامية لرضيّ الدين أبي القاسم بن الحسين البكري) ، رامبور ١٣١٠ هـ .
تحفة الأعالي على شرح بدء الأمالي (المطبعة الميمنية) ١٣٠٩ هـ .
القاموس ٢ : ٢٦١ – ٢٦٢ ؛ راجع تاج العروس ؛ بروكلمان ١ : ٥٥٢ – ٥٥٣ ، الملحق ١ : ٧٦٤ – ٧٦٥ ؛ معجم المؤلّفين لعمر كحّالة ٧ : ١٤٨ – ١٤٩ .

ابن المعلم الواسطي الهرثي

١ – هو نجمُ الدين أبو الغنائمِ مُحمّدُ بنُ عليّ بنِ فارسٍ ، وُلِدَ في سابعَ عَشَرَ جُمادَى الثانيةِ ٥٠١ (أوائل ١١٠٨ م) في الهُرْث على مَقْرُبَةٍ من واسطٍ (العراق) ونشأ عَلَويَّ العاطفة صوفيَّ النزعة. زارَ بغدادَ ولَقِيَ فيها أبا الفرج ابنَ الجَوْزيّ الواعظَ ، وزارَ المَوْصِلَ والبصرةَ ، غيرَ أنه قضى مُعْظَمَ أوقاته في الهُرْث ، وكان يُرْسِلُ منها مدائحَه الى الخليفة . وفي ترجمتِه أنه سُجِنَ مدّةً طويلة . مات[3] في رابعِ رجب ٥٩٢ (١١٩٦ م) في الهرث .

٢ – كان ابنُ المعلّمِ شاعراً مطبوعاً رقيقَ الشّعْرِ سهلَ الألفاظِ صَحيحَ المعاني متين التركيبِ يقولُ في المدح والهجاء والغزل ؛ غير أن أكثرَ شعرِه في النسيب ووصف الشوق وذِكْر الصَبابة ؛ وكانتْ تَغْلِبُ عليه نفحةٌ صوفية. فرُزِقَ شعره بذلك كلّه سَيْرورةً على الألسن. وكان بينَه وبينَ سبط ابن التعويذيّ تنافسٌ وهجاء .

---

(١) .... لا يدخل أصحاب الجحيم (الكفار) الى الجنة ، ولا يدخل أصحاب الجنة (المؤمنون) النار .
(٢) ... يرى المؤمنون الله يوم القيامة... (٣) تاريخ الكامل ١٢ : ١٢٤ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٠٢ .

٣ – مختارات من شعره

– لابن المعلم قصيدةٌ طويلةٌ يمتزجُ فيها التصوفُ بالحماسة ، منها :

رُدّوا عــليّ شَوارِدِ الأظعــانِ ؛ ما الدارُ إنْ لم تَغْنَ من أوطانِ[١].
ولكم بذاك الجِــزع من مُتَمنِّعٍ هَزأتْ مَعاطِفُــه بغُصْنِ البانِ[٢].
أبْــدى تَلَوُّنَهُ بــأوّلِ مَوْعِدٍ ؛ فمَنِ الوَفيّ لنــا بوعدٍ ثــانِ ؟[٣].
فمتى اللقاءُ ، ودونَه مــن قومِــه أبناءُ مَعْرَكَــةٍ وأُسْدُ طِعانِ !
نقلوا الرِماحَ ، وما أظــنّ أكُفَّهُمْ خُلِقَتْ لغير ذَوابِــلِ المُرّانِ[٤].
وتقلّدوا بِيضَ السيوفِ ، فما تــرى في الحيّ غيرَ مُهَنّــدٍ وسِنــانِ[٥].
ولئن صَدَدْتُ فمِنْ مُراقبــةِ العِدى ؛ ما الصدّ عن مَلَلٍ ولا سُلوانِ .[٦]
يا ساكني نَعْمانَ ، أيــنَ زمانُنا بطُوَيْلِــعٍ ، يا ساكني نعمانِ[٧].

– وله في التصوف والنسيب :

قَسَماً بمــا ضَمّتْ عليه شِفاهُهــم من قَرْقَفٍ في لؤلؤٍ مَكْنــونِ[٨].
إنْ شارفَ الحادي العُذيبَ لأقْضِيَنْ نَحْبي ؛ ومَنْ لي أن تبَرّ يَميني[٩].
لو لم تكنْ آثارُ لَيْلى والهــوى بتِلاعِــه ما رُحْتُ كالمجنونِ[١٠].

---

(١) – أعيدوا أحبابي الذين ظعنوا : سافروا ، رحلوا (شاردين : الى مكان لا أعلمه) ، فان الدار اذا لم تغن (لم تكن مغنى : لم يكن فيها سكان) لا تسمى وطناً !

(٢) الجزع (بكسر الجيم وسكون الزاي أخت الراء) : الوادي ، مكان في الوادي ذو نبات ، مكان في الوادي يجزعه المارّون (يقطعونه ، يمرون فيه) ، اسم لقريتين عند الطائف (كناية عن مكان مقدس) . متمنع : محبوب يأبى على محبيه الوصال . هزأت معاطفه بغصن البان : قوامه وتثنيه أجمل من استقامة غصن البان ومن تثنى غصن البان (تحركه في النسيم) .

(٣) – أخلف الوعد الأول فمن يضمن أن يفي بالوعد التالي .

(٤) نقلوا (حملوا) الرماح : هم شجعان . وذوابل المران (والرماح الذابلة : الجافة السمراء ، القاسية ، القوية) خلقت لهم : أكفهم خلقت للرماح (للحرب) .

(٥) القوم كلهم محاربون ، منهم من يحمل السيوف ومنهم من يحمل الرماح .

(٦) من مراقبة العدى : خوف أن يراني خصومي فيشوا بي أو يؤذوني . الملل : السأم ، الكره . السلوان : النسيان .

(٧) نعمان (بفتح النون) واد وراء جبل عرفات .. طويلع ... المقصود التغزل بمكان مقدس (كناية عن العزة الالهية) .

(٨) أقسم بما في أفواههم من قرقف (خمر باردة – كناية عن المعرفة الالهية) في لؤلؤ (أسنان بيض) مكنون (مضنون به على غير العارفين الصوفيين) – كناية عن وضوح الأمر الالهي للصوفي .

(٩) ان (اذا) شارف (قارب) الحادي (سائق الابل) العذيب (ماء في الحجاز) لأقضين نحبي (لاختارن الموت . ومن لي أن تبر يميني : ولكن كيف أستطيع الوصول الى ما أؤمل من الفناء في الله والاتحاد به) .

(١٠) لو لم تكن آثار ليلى (آثار العزة الالهية) بتلاعه (جمع تلعة : مسقط الماء من الجبل) ما رحت (أصبحت) كالمجنون (كمجنون ليلى لا أفكر الا في ليلى العامرية) .

٤ – ** وفيات الاعيان ٢ : ٣٩٩ – ٤٠٢ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٣١٠ – ٣١١ ؛ ابن الأثير ١٢ : ١٢٤ ، بروكلمان ١ : ٢٨٩ ، الملحق ١ : ٤٤٢ ؛ زيدان ٣ : ٢٤ ؛ الاعلام ٧ : ١٦٧ .

كامل بن الفتح

١ – هو ظهيرُ الدينِ أبو تمّامٍ كاملُ بنُ الفتحِ بنِ ثابتِ بنِ سابورَ الضريرُ من أهلِ بادرايا ، قَدِمَ الى بغدادَ وسَكنها وأخذَ الأدبَ عن نَفرٍ من عُلمائها وسَمِعَ (الحديثَ) من أبي الفتحِ عليِ بنِ رَهْمَوَيْهِ . وكانتْ وفاتُه في جُمادى الآخرة سنة ٥٩٦ ه (١٢٠٠ م) .

٢ – كان كاملُ بنُ الفتحِ أديباً فاضلاً حافظاً لفنونٍ من العلم ولطائفةٍ من الأخبار والأشعار ولشيءٍ من علوم الأوائلِ (الفلسفة) ، كما كان عالماً بالنحو . وله ترسّلٌ وشعرٌ حَسَنٌ .

٣ – مختارات من شعره

– قال كاملُ بنُ الفتحِ النَحْويّ في النسيب :

وفي الأوانسِ من بَغْدادَ آنِسَةٌ لها من القلب ما تَهْوى وتختارُ .
ساوَمْتُها نَفْثَةً من ريقِها بدَمي ، وليس إلاّ خَفِيَّ الطرفِ سِمْسارُ .
عندَ العَذولِ اعتراضاتٌ ولائمةٌ ، وعند قلبي جواباتٌ وأعذار !

٤ – ** معجم الادباء ١٧ : ١٩ ؛ انباه الرواة ٣ : ٤١ ؛ نكت الهميان ٢٣١ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٧٢ ؛ بغية الوعاة ٣٨٢ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٦٩ .

سعادة الحمصي الاعمى

١ – هو سعيدُ بنُ عبدِ اللهِ الضريرُ المعروفُ بسعادةَ الحمصيِّ الأعمى ، كانَ مَملوكاً لبعضِ الدمَشْقيّين ، وقد أضَرَّ (عَمِيَ) في شَبابه .

كان سعادةُ الحمصيّ يسكُنُ حِمْصَ ، ولكنّه – فيما يبدو – كان كثيرَ الأسفار للتكَسّبِ بالشعرِ : ذَهَبَ الى القاهرةِ ومَدَحَ صلاحَ الدينِ الأيّوبي (٥٦٤ – ٥٨٩ ه) في مَطْلَعِ حُكْمه بقصيدةٍ طائية فأثابَهُ صلاحُ الدين عليها بألفِ دينارٍ . ويبدو أنّه مَدَحَ آخرين أيضاً ، فقد رَجَعَ من مِصْرَ بوَفْرٍ كبيرٍ وغِنِيً ظاهرٍ . ثمّ رأيناه في دِمَشْقَ في عاشرِ شعبانَ من سَنَةِ ٥٧١ (٢٦–٢–

١١٧٦ م) ، وفي حماةَ في ثامنِ صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٥٧٢ (١٦ــ ٨ــ١١٧٦ م) . وكانتْ فاتَه في أواخرِ القرنِ السادسِ للهجْرة (الثاني عَشَرَ للميلاد) .

٢ ــ كان سعادةُ الحِمْصيّ الأعمى ذكياً حادّ الذهنِ وشاعراً مُكْثِراً كثيرَ المعاني متينَ السَبْكِ حَسَنَ الصناعة . وأكثرُ شعرِه المديحُ ، وله أوصافٌ بارعةٌ .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ وَفَدَ سَعادةُ الحِمصيّ على صلاحِ الدين الأيوبيّ بقصيدةٍ منها :

وَقفْتُ وأنضاءُ المَطِيّ ضُحىً تَمْطو ... وقوفَ جوٍ أنْحى على قُرْبِه الشَمْطُ[١] :
على دارساتٍ من رُسومٍ كأنّها ... صَحائفُ كُتْبٍ لا يَبينُ لها خَطّ ؛
أخاطِب منها صامتاً غير ناطقٍ ، ... ومن عَبَراتي في ترائبِها سِمْطُ[٢].
خليليَّ ، هل من حاملٍ لي تَحيّةً ... إلى قَمَرٍ نجمُ الثريّا لـه قِرْطُ .
نَشَدْتُكُما ، بالشامِ عُوجَا وسَلّما ... على ظَبَياتٍ أُسْدُ ألحاظِها تَسْطو :
على المائساتِ اللاءِ رَنّحها الصبا ، ... على الآنساتِ اللاءِ نَفّرها الوَخْطُ[٣].
بِنفْسي وأهلي أنتِ من بابليّةٍ ... لها واليها الحَلّ في السِحْرِ والرَبْط.
فلا ولَماها العَذْبِ ، لا كنتُ ناقضاً ... عُهودَ هواها لا ولا سالياً قَطّ ؛
فكيف وعِنْدي من هواها صَبابةٌ ... تكاد بها منّي الجوانح تَنْقطّ[٤] ،
ووجدٌ كوجدِ الناصرِ المَلْكِ بالعُلى ... وبالشرف السامي الذي ما لـه هَبْط.
فتىً مُهْتَدي الآراءِ في كلّ حادثٍ ... مُضِلٍ لآراء المُلوكِ بها خَبْط[٥].
وما كُتْبُه ــ مُذْكان ــ الاّ كتائبٌ ... حروفُ ظُباها بالطُلى ما لها كَشْط[٦].
فتىً من بني أيوبَ، إنْ هَمّ أو هَمَى: ... فما الغيثُ إذ يَحْبو وما اللَيْثُ اذ يَسْطو.

ــ ومَدَحَ سعادةُ الأعمى صلاحَ الدين ، في دِمَشْقَ سَنَةَ ٥٧١ هـ بقصيدةٍ منها :

---

(١) أنضاء المطي (الدواب التعبة). تمطو: تسرع . جو: محب : انحى : مال . الشمط : بدء الشيب .
(٢) ومن عبراتي (دموعي) في ترائبها (جوانب صدرها) سمط (خيط تنظم فيه اللآلي) كناية عن كثرة بكائه .
(٣) رنحها : هزها ، جعلها تمايل . الصبا . الشباب . نفرها (أمالها عني) الوخط (كثرة الشيب) .
(٤) الجوانح : أضلاع الصدر . تنقط : تتقطع .
(٥) الخبط : السير على غير هدى . مضل نعت « حادث » .
(٦) الظبا : السيوف . الطلى : الأعناق . الكشط : المحو. الاقلام اذا كتبت في الورق يمحى ما تكتبه وما تكتبه السيوف في الطلى (الأعناق) لا يمحى .

ومَرابِــعٌ تَهْدي الى سُكّانِهـــا طِيباً إذا نَفَحَتْ على سُكّانِهـــا
أرجاً لدى الغَدَوات تَحْسَبُ أنّه مِسْكٌ إذا وافاكَ من أرْدانِهـــا .
فالنَّوْرُ تِيجــانٌ عــلى هاماتِها، والنُّور أثوابٌ عــلى أبْدانِهـــا ،
والوُرْقُ قَيْناتٌ عــلى أوْراقِهـــا تَفْتَنُّ بالألحـــان في أفْنانِها[1] .
وأبيتُ من وَلَهٍ وفَرْطِ صَبابَــةٍ أبكي على ما فات من أزمانِهـــا ،
أيّامَ كُنْتُ بها وكانت عِيشَتي كالرَّوْضَةِ المَيْثــاءِ في إبّانِهـــا.
دارٌ هي الفِرْدَوْسُ الاّ أنهـــا أشْهى من الفِرْدَوْسِ عند عِيانِها.
سلطانُها المَلِكُ ابنُ أيوبَ الذي كَفّاه لا تَنْفَكّ عن هَطَلانِهـــا
بمواهبٍ لـــو لم أكنْ نوحاً لَما نُجّيتُ يومَ نَداهُ مـــن طوفانِها.
تلك السيوفُ المُرْهَفاتُ بكَفِّـــه أمضى على الأيّام مـــن حَدَثانِها.
واذا جَحافِلُـــهُ أثَرْنَ سَحائباً لَمَعَتْ بروقُ النصر في أحضانِها.
كم قُدتَهُنَّ، أبا المُظَفّرِ، ظافراً والأُسْدُ صائلـــةٌ عـــلى عُقْبانِها
متوائبات للطِعـــانِ ؛ فلا كَبَتْ تلك العِتاقُ الجُرْدُ يوم طِعانِهـــا.
أقْسَمْتُ ، ما هَدَمْنَ أركانَ العِدى الاّ بما شَيّدْت من أركانِها !

ــ وقال في الشمعة (الصعدة : الرمح . اللهذم : سنان الرمح) :

وشـــادن نـــادَمْتُـــهُ تَحتَ رِواقِ الغَيْهَبِ ؛
بـــدرُ دُجىً مُقْتَـــرِنٌ من كأســـهِ بكَوْكَبِ .
يطعَـــنُ أحشاءَ الدُجى عند الرِضـــا والغضـــب
بصَعْـــدةٍ مـــن فضّـــةٍ لَهْذَمُهـــا مـــن ذَهَبِ.

ــ وقال يصف النار :

يـــا حسنَ نـــارٍ أتَتْنا في حُنْدُسِ الظَلْمـــاءِ ؛
وافتْ إلينـــا تَهـــادى في حُلّـــة حمـــراءِ .
حتّى إذا مـــا توارَتْ عـــن ذلك الإيراء[2]
أبدتْ قُراضـــةَ تبْـــرٍ في خُرْقَـــةٍ دَكْناء[3] .

---

(١) ورق جمع ورقاء : حمامة . قينات : مغنيات . تفتن : تتفنن . أفنان : أغصان .
(٢) توارت (اختفت) الجمرات تحت الرماد . الايراء : شدة الاشتعال .
(٣) بقايا النار تشبه قطعاً صغيرة من تبر (ذهب) في خرقة دكناء (سمراء) من الرماد .

٤ ـــ خريدة القصر (الشام) ١ : ٤٠٦ ـ ٤٣٢ ؛ نكت الهميان ١٥٧ ـ ١٥٨ .

القاضي الفاضل

١ ـ هو القاضي الفاضلُ أبو عليّ عبدُ الرحيم بنُ عليّ بنِ محمد اللّخْميّ العَسْقلانيّ البَيْسانيّ ، وُلِدَ في عَسقلانَ في نصف جُمادَى الثانية ٥٢٩ (٣-٤-١١٣٥ م)؛ ويُعْرَفُ بالبيسانيّ لأنّ والدَه كان قاضياً في بيسانَ (غَوْر الأردُنّ) .

لم تَتّسعِ الحياةُ في عَسقلانَ لعبدِ الرحيمِ فأرسلَه أبوه الى مِصْر ، سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) لِيَعْمَلَ في ديوان الإنشاء في القاهرة . ويبدو أن العبْءَ في القاهرةِ ، عاصمةِ الدولةِ الفاطمية ، كان ثقيلاً على الشابّ الناشيء فانتقلَ إلى الاسْكَنْدرية فكان كاتباً لقاضيها تَصْدُرُ الرسائلُ بإنشائه إلى القاهرة . ولَفَتَتْ هذه الرسائل نظرَ العادلِ بن رُزّيكٍ ، فلما تَولّى الوَزارة (رَجَبَ ٥٥٥هـ=١١٦٠ م) استدعى عبدَ الرحيمِ مِنَ الإسكندرية إلى القاهرة وجَعَلَه على ديوانِ انشاء الجيش .

ولمّا قضى صلاحُ الدين على الدولةِ الفاطميةِ (٥٦٧ هـ=١١٧١ م) انتقلَ القاضي الفاضلِ إلى خِدمته وأخْلَصَ له فنالَ عنده مَنْزِلةً سامية : كان وزيراً له (رئيساً لديوانِ الانشاء) يَستشيرُه ويعتمدُ عليه في أشياءَ كثيرةٍ .

ولمّا تُوُفّيَ صلاحُ الدين (٥٨٩ هـ=١١٩٣ م) واقْتَتَلَ ابناهُ : المَلِكُ الافضلُ صاحبُ الشام والملكُ العزيز صاحبُ مِصرَ ، وَقَفَ القاضي الفاضلُ بجانبِ الملك العزيز . ثم إنه سعى بين الأخوَيْنِ (٥٩١ هـ) . بَعْدَئذٍ اعتزلَ الحياة العامّةَ إلى أن تُوفّي في سابعِ ربيعِ الثاني ٥٩٦ (٢٦ / ١ / ١٢٠٠ م) .

٢ ـ القاضي الفاضلُ مُكْثِرٌ من الشعْر والنثرِ وقد بَلَغَ فيهما ذِرْوةَ التكلّفِ للصِناعةِ المَعْنوية والصِناعة اللفظية ثم صَرَفَ جميعَ اهتمامه إلى تَحسينِ الأسلوب والتلاعبِ بالمعاني والألفاظ والاستِطْراد من مَعْنىً الى آخرَ من طريق التَعْبير البلاغي . أما شعره ، فيما عدا ذلك ، فهو فَصيحُ الألفاظِ سهلُ التركيب مَعَ المتانة واضحُ المعاني . وله مدحٌ جيّد وفخرٌ وغزل وإخوانيّات . وأما نثره فرسائلُ ديوانية رَسْمية وإخوانيّات شَخْصية . ومَعَ شِدّة تطلبّه لجميعِ أوجهِ البلاغةِ فانّهُ اسْتطاع أنْ يُعبّر عن جميعِ المعاني التي أرادها .

واذا كنتَ أنتَ من الذين يُحبّون التلاعُبَ بالألفاظِ والتراكيبِ كان القاضي الفاضلُ عندك سَيّدَ الناثرينَ والناظمينَ ؛ وأمّا إذا كنتَ من الذين يَقْدُرون قيمةَ

الفِكْرِ المُبْدِعِ في الأدب والتَعْبيرَ المَنْطِقي في الأسلوب كان أكثرُ ما أنتجه القاضي الفاضلُ من شِعْرٍ ونثر عندَكَ لَغْواً أو قَريباً من اللغو .

٣ — مختارات من آثاره

— كتبَ القاضي الفاضلُ رسالةً يَصِفُ فيها حِصارَ صلاحِ الدينِ الأيّوبيّ للقدْسِ وفَتْحَها :

.... زاولَ المدينةَ من جانبٍ فإذا هيَ أوْديَةٌ عميقةٌ ولُجَجٌ وَعْرٍ غريقةٌ وسورٌ قدِ انعطفَ عَطْفَ السِوارِ وبروجٌ قد نَزَلَتْ مكانَ الواسطةِ من عِقْدِ الدار[١] . وقدّمَ المِنْجَنيقاتِ التي تتولّى عِقابَ الحصونِ عِصِيُّها وحبالُها[٢] ، وأوْتَرَ لَهُمْ قِسِيَّها التي تَضْرِبُ ولا تُفارِقُ سِهامَها ولا سهامَها نِصالها[٣] ! ! فصافَحَتِ السُورَ فاذا سِهامُها في ثَنايا شُرُفاتِها سِواكٌ[٤] . وقدّمَ النّصْرُ بُشْرى مِنَ المِنْجَنيقِ تُخْلِدُ إخلادَه إلى الأرضِ وتعلو عُلُوَّه الى السماء[٥] . فشَجَّ مرابِعَ أبراجِها ، وأسْمَعَ صوتَ عَجيجِها ورَفَعَ مثارَ عَجاجِها[٦] . وأسْفَرَ النُّقّابُ

(١) زاول الرجل الشيء : باشره ومارسه وشغل نفسه به. اللجة : القسم العظيم من الماء . البرج : بناء قوي عال أو شرفة محصنة في القلعة . الواسطة : اللؤلؤ الكبيرة في وسط اللآليء المنظومة عقداً . — اذا كانت القلعة في مستوى من الارض (ليست على رأس جبل) جعلوا حولها خندقاً . ثم انهم يملأون هذا الخندق بالماء — اذا حوصرت القلعة — ليكون الوصول اليها أكثر صعوبة . يقول : الماء في هذا الخندق كان كثيراً حتى غمر الصخور الكبيرة التي حول القلعة . من عقد الدار ....

(٢) العصي والحبال التي تستخدم في رمي الحجارة تعاقب الحصون : المواضع المنيعة (في القلعة) كما تستخدم العصي والحبال عادة في عقاب المذنبين .

(٣) وأوتر لهم ... (هذه الجمل تبدو وصفاً للكبش وهو آلة حربية تنطح بها الأسوار ، ولكنها لا تتسق مع الوصف العام هنا) . النصل : الحديدة في رأس الرمح أو السهم .

(٤) الثنايا جمع ثنية : سن ، أو طية وانحناء. الشرفة: حجرة صغيرة بارزة من البناء . السواك : عود (أو فرشاة) تنظف به الاسنان (كناية عن كثرة سقوط السهام عليها) .

(٥) أخلد الى الارض : أحب البقاء فيها . — المنجنيق ثابت في الارض ، والحجارة التي يقذف بها تعلو حتى كأنها تصل الى السماء .

(٦) شج : شق ، فلق . العجيج : الصوت المرتفع . العجاج : الغبار . مثار العجاج (بفتح الميم) المكان الذي يثور فيه الغبار (جعل الغبار يثور في رؤوس الجبال ، وليس ذلك مألوفاً) . مثار العجاج (بضم الميم) : الغبار الثائر (كثر الغبار واشتد حتى ارتفع كثيراً في الجو) .

عن الخَرابِ النقابَ(١) ، وأعادَ الحجرَ إلى خِلْقَتِهِ الأولى من التُراب(٢) ، ومَضَغَ سَرْدَ حِجارتِه بأنيابِ معوَلِه ، وأظهر من صناعتِه الكثيفة ما يَدُلُّ على لَطافةِ أنْمُلِهِ ، وأسمع الصَخْرَةَ الشريفةَ أنينَه حتّى كادتْ تَرْثي لِمَقْتَلِه(٣) .

– انتقلَ القاضي الفاضلُ مَعَ صلاحِ الدين من مصْرَ الى العراق ، فقال :

بالله ، قُلْ للنيلِ عنّي إنّني | لم أشْفِ من ماء الفُراتِ غَليلا(٤) .
وسَلِ الفُؤادَ ، فانّه ليَ شاهدٌ ، | إنْ كان جَفْني بالدُموع بخيلا .
يا قَلْبُ ، كَمْ خلّفْتَ ثَمّ بُثَيْنَةً ! | وأعيذُ صبْرَكَ أن يكونَ جَميلا(٥) .

– وقال في النسيب :

بِتْنا على حالٍ تَسُرّ الهوى ؛ | وربّما لا يُمْكِنُ الشَرْحُ .
بوّابُنا الليلُ ؛ وقُلنا له : | إنْ غبْتَ عنّا دَخَلَ الصُبْحُ .

– وقال يصف فيضان النيل :

.... وأما النيل فقد ملأ البقاع وانتقل من الإصبع الى الذراع(٦) ، وكأنّما غار على الارض فغطّاها ، وعار عليها فاستقعدها(٧) وما تخطّاها. فما يوجد بِمِصْرَ قاطعُ

---

(١) أسفر : رفع ، أزال ، نزع (الغطاء) . النقاب (بضم النون وتشديد القاف) جمع ناقب : الذي ينقب (يخرق) الشيء . النقاب : اللثام ، غطاء الوجه .

(٢) وأعاد الحجر الى خلقته الاولى من التراب : فتت صخور القلعة حتى جعلها تراباً (كما كانت الحجارة في أول الخليقة) .

(٣) السرد : الدرع . شبه حجارة القلعة بدروع يلبسها الجنود المدافعون عن القلعة . وشبه المعاول التي تضرب بها القلعة بالاسنان . صناعته الكثيفة (؟) . الانمل والانامل جمع أنملة : رأس الاصبع . لطافة الانامل : البراعة في الصناعة. الصخرة الشريفة: صخرة في القدس أقيم عليها مسجد الصخرة . – مع كره الصخرة المؤمنة للافرنج الذين كانوا يحتلون القدس ، فانها حزنت لما أصاب صخور القلعة (التي تدافع عن الافرنج) من كثرة ما أصابها من حجارة المنجنيق .

(٤) لم أشف من ماء (نهر) الفرات غليلا (عطشاً) . هنا تورية : لم أرتو من ماء الفرات (لأن ماء النيل هو الذي يروي العطاش) أو لم أرو غليلي (حقدي) من الفرات (لأنني تركت أرض النيل وأنا لا أحب أن أتركها) .

(٥) ثم (بفتح الثاء : هناك ، في مصر) . بثينة بنت حبأ : فتاة أحبها جميل بن معمر . والمقصود هنا : محبوبة (تركت في مصر أصدقاء كثيرين) . وأعيذ صبرك أن يكون جميلا = لا أريد منك أن تصبر على فراق مصر ومن فيها . ثم جميل : جميل بن معمر .

(٦) انتقل من الاصبع الى الذراع : (كان بقدر الاصبع فصار بقدر الذراع !) ارتفع الماء في مجراه كثيراً .

(٧) غار على الارض : حرص عليها وأراد ان يحميها ، فغطاها (سترها ؛ كما تتستر المرأة عن أعين الرجال الأجانب . عار عليها ؛ تردد فيها ذهاباً وإياباً باحثاً عن شيء . استقعدها : طلب او اختار ان يقعد فيها. ما تخطاها : لم يرض أن يذهب الى غيرها .

طريقٍ (1) سواه ، ولا مرغوبٌ مرهوب الا إيّاه .

٤ – ديوان القاضي الفاضل (تحرير أحمد أحمد بدويّ) ؛ القاهرة (دار المعرفة) ١٩٦١ م .

** الخريدة (مصر) (2) ؛ وفيات الاعيان ١ : ٥٠٩ – ٥١٢ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٣٢٤ – ٣٢٧ ؛ ابن الأثير ١٢ : ١٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٥ حاشية ، الملحق ١ : ٥٤٩ حاشية ؛ زيدان ٣ : ٣٦ – ٣٧ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٢١ .

ابن ناهوج الاسكافي

١ – هو أبو البدرِ الحسنُ بن أبي منصورٍ عليِّ بنِ أبي سالمٍ المُعَمّر بنِ عبدِ الملك بن ناهوجٍ الإسكافي ، أصله من بَلدةِ إسكافَ من نَواحي النَهْروان قرب واسِط (العراق) .

ولد ابن ناهوج نحوَ سَنَةِ ٥٢٩ هـ (١١٣٥ م) في محلّة باب الأزَجِ من شَرقيّ بَغدادَ ، وقرأ على أبي الحسن بن الخشّاب النحويّ (ت ٥٨٧ هـ) . ثمّ انه حجّ وجاور في مكّة سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ – ١١٧٨ م) .

تقلّب ابن ناهوج في الولايات حتّى عُيّن مُشْرفاً في ديوان الخليفة الناصر العبّاسي في رَمَضان ٥٨٦ هـ (١١٩١ م) . غير أنه عُزل بعد عامين . وفي سنة ٥٨٩ هـ حجّ مرّة ثانية وجاور ثم جـاء الى الشام وسكن حلب مدّة . بعدئذ انتقل الى مصر في جمادى الآخرة ٥٩٢ (١١٩٦ م) . وكانت بينه وبين القاضي الفاضل مراسلات .

وكانت وفاة ابن ناهوج في مصر (رمضان ٥٩٦ = أواسط ١٢٠٠ م) .

٢ – كان ابنُ ناهوجٍ كاتباً مُتَرسّلاً ومن المُتَصرّفين (ذوي المرتبة العالية وذوي النُفوذ) في ديوان الإنشاء ، كما كان عارفاً بالعربية حاذقاً في الأدب غَزيرَ العِلْم . ولابن ناهوجٍ شِعْر فيه غَزَل وتَشَوّق الى الديار المقدّسة وله أيضاً تَرسّل بارع . وكذلك كانت له تَصانيفُ حَسَنَةٌ في الأدب والنحو .

---

(١) قاطع طريق (تورية) : انتشار الماء حال بين الناس وبين أن يقطعوا الطريق من جانب الى جانب ؛ وقاطع الطريق : اللص الذي يتعرض للناس على الطرق البعيدة عن العمران .

(٢) ليس في الخريدة (مصر) ترجمة للقاضي الفاضل ، والترجمة المعنونة باسم القاضي الفاضل (١ : ٣٥ – ٥٤) مجموع نماذج من الشعر والنثر للعماد الاصفهاني مؤلف الخريدة يمدح فيها القاضي الفاضل .

٣ ـ مختارات من آثاره

قال ابن ناهوج يتشوّق إلى الحِجاز (فيذكر من مَعالمــه خَيْفَ مِنَى والمُحَصَّبَ والمأزمين ووادي نَعمانَ) بعد أنْ كان قد جاور في مكّة سنة ٥٧٣ هـ :

خَليليّ ، هل يَشْفي من الوَجْدِ وقْفَةٌ بخَيْفِ مِنَى والسامرون هُجوعُ ؟
وهل لِلُيَيْلاتِ المُحَصَّبِ عَـوْدَةٌ ، وعيشٍ مضى بالمأزمـينِ رجوع ؟
وانّي متى أعْصِ التجلّدَ والأسـى فلِلشّوْق مـنّي والغرام مُطيـع .
فيـا جيرتي إذ للزمـان نَضـارَةٌ وعُودي نُضـارٌ والخيام جميـع [١]
بنَعمـان ، والأيّـام فينـا حميدة ووادي الهوى للنازلين مَريـع [٢] :
كَفَى حزَنـاً أني أبيتُ وبَيْننـا من البيد مَعْدُوُّ الفِجاجِ وَسيـع [٣].
أعالِـجُ نفساً قد تولّى بها الأسى وطَرْفاً يَجِفّ المُزْنُ وهو هَموع [٤].

ـ لمّا قدم ابن ناهوج من الحجاز الى مصر (٥٩٢ هـ) كتب إلى القاضي الفاضل :

لو كانت المَودّاتُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَ المَجْلِسِ السامي في نِعمة خصيبةِ المَرْتَع وعِيشة عَذْبة المَنْبَع وأدام علاه في سعادة ـ لا تتطرّق إلى صَافي بُرْدِها السابغِ حَوادِثُ الأقدار ولا يتطرّق[٥] صافي وِرْدِها السائغُ بحوادث الإكدار ...

وإنّما للنفوس سرائرُ أهواءٍ تَحِنّ الى التداني ان تباعدتِ الشّعوب وتنازحت الديار ، كما لتبايُنها أسبابٌ تتنافر من أجلها وان تقاربت الانساب وتناوحت المَقارّ . والفضائل الفاضلية [٦] القَريرة والمناقب[٧] الشهيرة التي قد سار ذكرها في الآفاق

---

(١) العود النضار : الغصن الذي يبقى طول العام أخضر ولا تسقط أوراقه ، كناية عن الشباب . والخيام جميع بنعمان : تجمعنا الخيام في نعمان (في وفاق) . (٢) مريع : مخصب .

(٣) البيد جمع بيداء: الصحراء. الفج: الطريق في الجبل. معدو الفجاج: الطرق التي يعدوها الناس (يتركونها ، يتجاوزونها) لا يمرون فيها لبعدها عن العمران وصعوبة السلوك فيها .

(٤) تولى بها الأسى : ذهب بها الحزن : أنحلها ، أضعفها . المزن : المطر . هموع : متساقط . ـ المطر يتوقف ودموعي لا تتوقف .

(٥) تطرق الأولى : وصل الى ، لوث . تطرق الثانية : تلوث (والصيغة مولدة) .

(٦) الشعوب : الطرق . الفاضلية نسبة الى القاضي الفاضل . تنازحت وتناوحت : ابتعدت ، تباعدت . المقار جمع مقر : المكان الذي يسكن فيه الناس . القريرة : الثابتة ، الراسخة .

(٧) تقتضي الموازنة أن يكون هنا كلمة على وزن « الفاضلية » .

سير القمر ، وعَطَلَتْ مَزِيَّتُها مَرْوِيَّ السِيَرِ وتُلِيَتْ مَحاسِنُها كما تُتْلى السُوَرُ[١] ...
فلا غَرْوَ أن تَحِنَّ النفوسُ إلى مَحَلٍّ كمالها .

٤ — ** معجم الادباء ٩ : ٧٠ — ١١٧ ؛ بغية الوعاة ٢٢٥ .

العماد الاصفهاني

١ — هو أبو عبد الله محمدُ بنُ محمد بن حامد بنِ محمد بنِ عبد الله بنِ علي ابنِ معروف بنِ هِبَةَ اللهِ المعروف بألُه[٢] المُلَقَّبُ عِمادَ الدِّين الكاتبُ الأصفهانيَّ والمشهورُ بالعِمادِ الأصفهاني ، وُلِدَ في أصْفهانَ (٥١٩ هـ = ١١٢٥ م) . وجاء الى بَغدادَ وتفقه في المدرسة النِظامية على الشيخِ أبي منصورٍ سعيدِ بنِ محمّدٍ الوزّان ، وسَمِعَ الحديثَ من أبي الحسنِ عليِّ بنِ هِبَةِ اللهِ بن عبدِ السلامِ ومن أبي منصورٍ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ جيَرونَ ومن أبي المكارمِ المباركِ بنِ علي السَمَرْقَنْديِّ ، ومن أبي بكرٍ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ الأشقرِ حتّى أتقنَ الخِلاف (اختلاف آراء العلماء في الفقه والاصول) وفنون الادب .

حَظِيَ العِمادُ الاصفهانيُّ عندَ الوزيرِ عَوْنِ الدينِ أبي المُظَفَّرِ يحيى بن هُبَيرة في أيام الخليفة المُقْتَفي ، فولاّه عون الدين « النَظَرَ » (الحُكْمَ بين القوم) في البصرةِ ثم بواسطٍ . فلمّا توفي عونُ الدين (٥٦٠ هـ = ١١٦٥ م) أقام العماد مُدّةً في بَغدادَ في عيشٍ أنْكَدَ ثم انتقل الى دِمَشْقَ فوَصَلَ إليها في شَعبانَ من سنة ٥٦٢ (١١٦٧ م) ، فأكرمه الملكُ العادلُ بنُ نورِ الدينِ وفَوّضَ اليه (٥٦٧ هـ = ١١٧٢ م) التدريسَ في المدرسةِ العِمادية ، وكانتْ قد سُمِّيَتْ باسْمِه تَشريفاً له .

وتُوُفِّيَ الملكُ العادلُ (٥٦٩ هـ) فخَلَفَه أخوه المَلِكُ الصالحُ ، وعُمُرُهُ عَشْرُ سِنينَ ، فاستولى عليه نَفَرٌ مُعادونَ للعِماد ، فأُقْصِيَ العِماد عَنِ البَلاطِ فسافر إلى المَوْصِلِ .

ولمّا خرج السلطانُ صَلاحُ الدين الأيوبيّ من مصرَ قاصداً فتحَ الشامِ خرج العِمادُ

---

(١) السير جمع سيرة : قصة تروي تاريخ بطل من الابطال أو عظيم من العظماء . — ان تاريخ حياة القاضي الفاضل قد شغل الناس عن سماع تاريخ حياة الابطال والعظماء الذين ألف الناس سماع سيرهم إعجاباً بها من قبل أن يعرفوا سيرته . السور : سور القرآن الكريم .

(٢) أله (بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء) من اللغة الفارسية : العقاب (بضم العين) من جوارح الطير .

من المَوْصل ولَقيَهُ في حِمْصَ (جُمادى الآخرةِ ٥٧٠) ثم دَخَلَ في خِدمته وتولّى له ديوانَ الإنشاء، وكان يكتُبُ له بالعربيةِ والعجمية (الفارسية). ثمّ تُوُفّي صلاحُ الدين (٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م) فلَزِمَ العِمادُ بيتَه يشتغلُ بالتأليفِ حتّى مات في أول رَمَضانَ ٥٩٧ (٥-٦-١٢٠١ م).

٢ – العِمادُ الأصفهانيّ شاعرٌ طويلُ النفسِ في قصائده وكاتبٌ مترسّلٌ ومصنّفٌ له: البرق الشامي في سبع مجلّدات (وهو مجموع تاريخ بدأ فيه بذكر نفسه وصورة انتقاله من العراق الى الشام وما جرى له في خدمة السلطان محمود وكيفية تعلّقه بخدمة السلطان صلاح الدين. وذكر شيئاً من الفتوحات بالشام. وهو من الكتب الممتعة، وانما سمّاه البرق الشامي لأنه شبّه أوقاته في تلك الايام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها) – الفتح القسّيّ في الفتح القدسيّ (يتضمّن كيفية فتح البيت المقدّس) – نُصرة الفِطرة وعُصرة القَطرة (في أخبار الدولة السلجوقية) – خريدة القصر وجريدة العصر (ذكر فيه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة الى سنة ٥٧٢ للهجرة وجمع فيها شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب ولم يترك أحداً إلا النادر والخامل) – السيل على الذيل (جعله ذيلاً على كتاب خريدة القصر) – العُقبى والعُتبى (أرخ فيه الاحداث التي كانت بعد وفاة السلطان صلاح الدين الى سنة ٥٩٢ هـ ١١٩٦ م) – خطفة البارق وعطفة الشارق (أرخ فيه الاحداث بعد ٥٩٢ هـ الى زمان وفاته) – ديوان رسائلَ – ديوان شعرٍ – وديوان دوبيت (نوع من الشعر على النسق الفارسي) صغير.

٣ – مختارات من شعره

قال العِمادُ الاصفهانيّ قصيدةً يمدَحُ بها صلاحَ الدين ويَذْكُرُ انتصاراته المتواليةَ على الإفرنجِ (الصليبيّين)، جاء فيها:

رأيتُ صَلاحَ الدينِ أفضلَ من غدا ... وأشرفَ من أضْحى وأكْرمَ من أمْسى.
وقيل لنا في الأرضِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ؛ ... ولسنا نَرى إلا أنامِلَه الخَمْسا.
جُنودُك أمْلاكُ السماءِ؛ وظَنُّهم ... أعاديكَ جِنّاً في المعارك لا[1] إنْسا.

---

(١) في الاصل أو؛ وما أثبت أدل على المعنى المقصود.

سَحَبْتَ على الأُرْدُنِّ رُدْناً من القَنــا ... رُدَيْنيةً مُلْداً وخَطّيّةً مُلْسا[1].
ونِعْمَ مَجالُ الخيلِ حِطّينُ لم تَكُنْ ... مَعارِكُها للجُرْدِ ضَرْساً ولا دَهْسا[2].
أتَوْا شُكُسَ الأخلاقِ خُشْناً فلَيّنَتْ ... حدودُ الرقاقِ الخُشْنِ أخلاقَها الشُّكسا[3].
كَسَرْتَهُمُ إذ صَحّ عَزْمُكَ فيهِمُ ... ونَكّسْتَهم، من بعدِ أعلامهم، نَكسا
بواقِعَةٍ رُجّتْ بها أرضُ جَيْشِهِـم ... ومارَتْ، كما بُسّتْ جبالُهُمُ بَسّا[4].
بُطونُ ذِئابِ البرّ صارتْ قُبورَهــم؛ ... ولم تَرْضَ أرضٌ أن تكونَ لهم رَمْسا.
وقد خَشَعَتْ أصواتُ أبطالِهِمْ، فما ... يَعِي السمعُ إلا من صَليلِ الظُّبا هَمْسا[5].
شكا يَبَساً رأسُ البِرِنْسِ الذي بـه، ... فنَدّى حُسامٌ حاسِمٌ ذلك اليَبْسا[6].
ومن قبلِ فَتْحِ القُدْسِ كُنْتَ مُقدَّسا. ... فلا عَدِمَتْ أخلاقُكَ الطُّهْرَ والقُدْسا.
نَزَعْتَ لِباسَ الكُفْرِ عن طُهْرِ أرضِها ... وألْبَسْتَها الدينَ الذي كَشَفَ اللّبْسا[7].
جَرى بالذي تَهْوى القضاءُ، وظاهَرَتْ ... ملائكَةُ الرحمنِ أجنادَكَ الحُمْسا[8].
وكم لَبَني أيّوبَ عبـدٌ كَعَنْتَـرٍ ... إذا ذُكِروا بالبأسِ لم يَذْكُروا عبسا.

- لما استردّ صلاحُ الدين بيتَ المقدسِ من يدِ الإفرنج سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) كَتَبَ العِمادُ الأصفهانيّ بذلك على لسانِ صلاحِ الدين إلى الخليفة الناصرِ مُبشّراً بالفتح:

«وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ في الأرض

---

(١) الردن: طرف الثوب. القنا: الرماح. ردينية (صفة للرماح اللينة). الاملد: (الغصن) اللين الذي يهتز ويتمايل. الخطية: رماح منسوبة الى الخط (الساحل الشرقي من شبه جزيرة العرب، كان يؤتى بها إليه من الهند).

(٢) حطين: موضع قرب طبرية في فلسطين انتصر فيه صلاح الدين على الافرنج انتصاراً حاسماً. الجرد جمع أجرد: الحصان الاصيل قصير شعر البدن جداً. الضرس: (بالفتح) العض بالاضراس، (بالكسر): الاكمة الصغيرة. الدهس: المكان السهل. – كان جنودك يحاربون وينتصرون. ولا يبالون بأرض المعركة جبلية كانت او غير جبلية.

(٣) أتوا، أي الافرنج. شكس الاخلاق: هو الصعب في المعاملة العسير. الخشن: الجافي، الجلف. الحدود جمع حد (حد السيف) – . الرقاق (السيوف). الخشن (بفتح فكسر اذا كانت نعتاً للسيف): الماضي، القاطع.

(٤) مار: مال واضطرب. بست الجبال (بالبناء للمجهول): فتتت.

(٥) الظبى جمع ظبة (بضم الظاء وفتح الباء): طرف السيف.

(٦) البرنس: قائد الفرنج. شكا رأسه اليبس: كان عنيداً. فأبطل السيف عناده.

(٧) اللبس: الشكوك والابهام.

(٨) الحمس: الابطال.

كما استخلفَ الّذين من قبلِهم وليُمكّننَ لهم دينَهم الذي ارتضى ولَيُبدّلنّهم من بعد خوفِهم أمناً يَعبُدونني لا يُشركونَ بي شيئاً ؛ ومن كَفَرَ بعدَ ذلكَ فأولئكَ هم الفاسِقونَ »[1] .

الحمدُ لله الذي أنجزَ لِعباده الصالحينَ وَعْدَ الاستخلاف ، وقهرَ بأهلِ التوحيدِ أهلَ الشّرْكِ والخلاف ، وخصّ سُلطانَ هذا الديوانِ العزيزِ بهذه الخلافة ، ومكّنَ دينه المُرتَضى وبدّلَ الأمانَ بالمخافة[2] . وذخرَ هذا الفتحَ الأسْنى والنصرَ الأهنى للعصْر الإمامي النبَويّ الناصريّ على يَدِ الخادمِ أخلصِ أوليائه[3] .... فالحمدُ لله الذي أعادَ القُدْسَ إلى القُدْسِ وطهّرَه من الرجْسِ وحقّقَ مِنْ فتْحِه ما كان في النفس[4] .... وأتى بهذا النصرِ المفتوحِ الذي هو فتْحُ الفتحِ ، وقد تَعالى أن يُحيطَ به وصفُ البليغِ نظماً ونثراً[5] ؛ وعُبِدَ اللهُ في البيت المُقَدّسِ سِراً وجَهْراً ، ومُلِكَتْ بِلادُ الأرْدُنّ وفِلَسْطينَ نَجْداً وغَوْراً وبَراً وبَحراً ....

— وقال العِماد الأصفهاني يَصِفُ شعور المؤلف بعدَ ان يَنْتهِيَ من تأليفِ كتاب :

إني رأيتُ أنه لا يكتُبُ إنسانٌ كتاباً في يومه إلاّ قال في غده : لو غُيِّرَ هذا لكانَ أحسنَ ، ولو زِيدَ كذا لكان يُستَحسَنُ ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضلَ ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجملَ . وهذا من أعظمِ العِبَرِ ، وهو دليلٌ على استيلاءِ النَقْص على جميعِ البَشَر .

٤ — خريدة القصر وجريدة العصر :

قسم شعراء الشام (الدكتور شكري فيصل) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٧٥ — ١٣٨٣ ﻫ (١٩٥٩ — ١٩٦٤ م) ، ثم أصدر الدكتور شكري فيصل جزءاً فيه بداية قسم شعراء الشام (شعراء دمشق والشعراء الأمراء من بني أيّوب) ، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨٨ ﻫ = ١٩٦٨ م .

---

(١) القرآن الكريم ٢٤ : ٥٥ من سورة النور .

(٢) جعل مكان المخافة أماناً .

(٣) ذخر : ادخر ، خبأ له (النصر) حتى جاء ليكون الفخر له في ذلك . الخادم كلمة استعملت في أواسط العصر العباسي لتدل على على ذوي المناصب الكبيرة الذين يقومون بالحكم أو الوزارة أو الكتابة في الدولة .

(٤) القدس الاولى : الطهارة والزكاء . القدس الثانية : مدينة القدس (ويمكن العكس أيضاً) . الرجس : النجاسة .

(٥) هذه الجملة اقتباس من قول أبي تمام (راجع ، فوق ، ص ٢ : ٢٥٢) :

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به   نظم من الشعر أو نثر من الخطب .

قسم مصر (نشره أحمد أمين وشوقي ضيف واحسان عبّاس) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ – ١٩٥٢ م) .
قسم العراق (حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدّمته محمد بهجة الأثري) ، بغداد (مطبعة المجمع العلمي العراقي) ظهر منه الجزء الاول في قسمين ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م و ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م .
قسم المغرب (بتحقيق محمّد المرزوقيّ – محمّد العمروسيّ المطويّ – الجيلاني بن الحاج يحيى) ، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٦ م .
قسم الاندلس (تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم) ، القاهرة (دار نهضة مصر للطباعة والنشر) ١٩٦٩ م .
الفتح القسّي في الفتح القدسيّ (باعتناء لندبرج) ، ليدن ١٨٨٨ م ؛ مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٢٢ هـ ؛ (تحقيق محمّد محمود صبيح) ، القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) ١٩٦٥ م .
نصرة الفطرة وعصرة القطرة ، القاهرة ١٣١٨ هـ .
** تواريخ آل سلجوق (اختصار الفتح بن عليّ البنداري) = زبدة النصرة ونخبة العصرة [1] (تحرير هوتسما) ، ليدن (بريل) ١٨٨٩ م ؛ = تاريخ آل سلجوق (اختصار البنداري) ، القاهرة (شركة طبع الكتب العربية) ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م .
الوافي بالوفيات ١ : ١٣٢ – ١٤٠ ؛ معجم الادباء ١٩ : ١١ – ٢٨ وفيات الاعيان ٢ : ٤٩٥ – ٤٩٩ ؛ ذيل الروضتين ٢٧ – ٢٨ ؛ العبر ٤ : ٢٩٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٣٣٢ – ٣٣٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٢ – ٣٨٥ ، الملحق ١ : ٥٤٨ – ٥٤٩ ؛ زيدان ٣ : ٦٧ – ٦٨ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٥٣ – ٢٥٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ١١٥٧ – ١١٥٨ ؛ ابن الأثير ١٢ : ١٧١

ابو الفتح البلطي

١ – هو تاجُ الدينِ أبو الفتحِ عثمانُ بنُ عيسى بن منصورٍ (في فوات الوفيات : ابن هيجونٍ) البَلَطِيّ ، نِسْبَةً الى بَلَطَ (وهي بُلَيْدَةٌ على نهر دِجْلَة قرب المَوْصِل) ، وُلِدَ في بَلَطَ ، في ٢٧ رَمَضانَ من سنة ٥٢٤ (٥–٩– ١١٣٠ م) . وتلقّى البَلَطِيّ النحوَ على أبي محمّدٍ سعيدِ بنِ المبارك بن الدهّان (ت ٥٦٩ هـ) ثم انتقل الى دِمَشْقَ وسكنها بُرْهَةً ، وكان يتردّدُ على الزَبَداني (مصيفٍ إلى الشمال الغربي من دِمَشْقَ) للتعليم .

---

(١) مختصر من « نصرة الفطرة ونخبة العصرة » .

ولمّا استولى صلاحُ الدين على مِصْرَ (٥٦٧ هـ = ١١٧١ م) انتقل أبو الفتح البَلَطِيّ اليها فعيّنه صلاحُ الدين مُقْرِئاً للقرآنِ الكريمِ وللنحوِ في جامع الفُسْطاط وأجْرى له راتباً. ومات البلطيّ في ١٩ من صفر من سنة ٥٩٩ (٧-١١-١٢٠٢ م).

٢ - كان أبو الفتحِ البلطيّ أديباً مُلِمّاً بعددٍ من فنونِ الأدبِ من اللغةِ والنحو (وكان يَخْلِطُ بين المَذْهبين: البَصْري والكُوفي) والأخبار والتاريخ. وكانتْ له تصانيفُ منها: كتاب العَروض الكبير - كتاب العِظات الموقظات - كتاب النير في العربية - كتاب أخبار المتنبّي - كتاب المُستزاد على المُستجاد من فَعَلات الأجْواد (للتنوخي) - كتاب علم أشكال الخط - كتاب التصحيف والتحريف - كتاب تعليل العبادات.

وكان البلطيّ شاعراً مُولعاً بالتأنّق والصناعة: له مقطوعةٌ طويلة يجوز في قوافيها كلّها الرفعُ والجرُ والنصبُ؛ وقد قلّد الحريريَّ صاحبَ المقاماتِ في الأبيات التي تُقْرأ طَرْداً وعكساً. ثم له موشّحة سَلَكَ في قوافيها مَسْلكاً غريباً (راجع المختارات). وأكثرُ فنونهِ أغراضٌ وُجْدانية، وله شيء من الغَزَل والمدح.

٣ - مختارات من شعره

- لأبي الفتحِ البلطيّ مُوشّحَةٌ بنى مَطْلَعها على أربعة أحرفِ رَوِيّ مختلفة: غ، ض، ذ، ظ؛ ولكنّه التزم هذه الأحرفَ في جميعِ أقْفالِ الأبيات:

وَيْـلاهُ مـن رَوّاغْ بجَـوره يَقْضـي[1]:
ظَبْـيُ بـني يزْداذْ مِنـه الجَفا حَظّي!

* * *

قـد زاد وَسْواسـي مُـذْ زاد في التيـهِ.
لم يُلق، في[2] النـاسِ، مـا أنـا لاقيـه
مـن قَيِّـمٍ قـاسٍ بـالهَجْـر يُغْـريـه.
أرومُ إينـاسـي بـه ويَثْنيـه.

(١) الجور: الظلم.
(٢) في الأصل: من. - للمحبوب (ظبي بني يزداذ) قيم (مؤدب) يحثه على هجري والبعد عني.

إذا وِصالٌ ساغْ بقُرْبِه يُرْضي ،
أبعدَه الأستاذْ – لا حِيطَ بالحِفظِ .

– وله مقطوعةٌ (اثنان وعشرون بيتاً) يَحْسُنُ في قوافيها الرفعُ والنصبُ والخفض ، منها :

لا استَلِذّ بقَيْنَة تشدو لَديّ ولا غلامْ[1].
ذو الحزنِ ليسَ يَسرّه طيبُ الأغاني والمُدام .

– ثم له مقطوعةٌ عشرةُ أبياتٍ بني قوافيَها على التزامِ الواوِ الساكنةِ بعدَ فتحٍ معَ النون[2] مطلعُها :

بأبي مَنْ تهتّكي فيه صَوْنْ ؛ رُبَّ وافٍ لغادرٍ فيهِ خَوْنِ !

– ومن أبياته التي تقرأ طَرْداً وعكساً (خمسة أبيات) :

اسمحْ بصِدٍّ ناعمٍ مُعانِدٍ صُبْحَ مسا !

٤ – ** الخريدة (الشام) ٢ : ٣٨٥ وما بعد ؛ معجم الادباء ١٢ : ١٤١ – ١٦٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٤٠ – ٤٢ ؛ انباه الرواة ٢ : ٣٤٤ وما بعد ؛ بغية الوعاة ٣٢٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٥ – ٣٦٦ ، الملحق ١ : ٥٣٠ ؛ زيدان ٣ : ٥٥ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٣٧٥ .

ضياء الدين الشهرزوري

١ – هو القاضي ضياءُ الدين أبو الفضائلِ القاسمُ بنُ يحيى بنِ عبدِ الله بن القاسمِ الشهرزوريُّ ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ – ١١٤٠ م) في دِمَشْقَ (؟) .

تفقّه ضياءُ الدين الشهرزوريّ على يوسفَ الدِمَشْقيّ في المدرسة النظامية في بَغْدادَ وسَمِعَ الحديثَ ثمّ عاد الى دِمَشْقَ . ولمّا تُوُفّيَ عمّه القاضي كمالُ الدين محمّدُ بن عبد الله بن القاسم ، سَنَةَ ٥٧٢ هـ (١١٧٦ – ١١١٧ م) ، خلَفَه هو في مَنْصِبِ قاضي القضاة ، ولكنّه استقال وشيكاً فولاّه صلاحُ الدين الأيوبي السِفارةَ بينَه (بين صلاح الدين) وبينَ الخليفة في بغدادَ ، ثم بَقِيَ في هذا المَنْصِب مُدّةً يسيرةً بعد صلاحِ الدين.

وفي سنة ٥٧٥ هـ عُيِّنَ ضياءُ الدين الشهرزوريّ قاضيَ القضاة في بغدادَ فلم

(١) ... ولا يشدو غلام ، .... ولا استلذ بقينة ولا غلام .
(٢) مد اللين هو المد الناتج من مجيء الواو أو الياء بعد فتح ، نحو : صيف ، خوف .

يَطِبْ له ذلك فاستأذنَ الخليفةَ الناصرَ لدين الله في العودة الى الشام فأذنَ له . فتوجّه الشهرزوريّ الى المَوْصِل ثم انتقل الى حَماةَ وتولّى فيها القضاء حيناً . وكانت وفاتُه في حَماةَ في رَجَبَ من سَنَة ٥٩٩ ه (١٢٠٣ م) فحُمِلَ الى دِمَشْقَ فدُفِنَ فيها .

٢ ــ كان لضياء الدين الشهرزوريّ علمٌ بالحديث والفِقْه ، كما كان من ذوي الاتّجاه الصوفيّ ، وعلى شِعْرِه شيءٌ من النَفْحة الصوفية .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال العمادُ الكاتبُ الاصفهانيّ : فممّا أنْشَدَنيه (ضياء الدين الشهرزوريّ) من شعره في ذي الحِجّة سَنَة ٥٧٠ بدِمَشْقَ :

في كلّ يومٍ تُرى للبَيْنِ آثارُ ... وما لـه في التئام الشَمْلِ إيثار[1].
يَسْطو علينـا بتَفْريقٍ ، فواعَجَباً! ... هل كان للبَيْنِ في ما بَيْنَنا ثارُ ؟ .
يَهُزّني أبداً مـن بَعْدِ بُعْدِهِمُ ... الى لِقائهِـمُ وَجْـدٌ وتَذْكار[2].
ما ضَرَّهم في الهوى لو واصلوا دَنِفاً ؟ ... وما عليهم من الأوْزارِ لو زاروا[3].
يا نازلينَ حِمى قلبي وإنّ بَعُدوا ... ومُنْصفين وإن صَدّوا وإنْ جاروا ،
ما في فؤادي سواكم فاعْطِفوا ، وصِلُوا ... وما لكم فيه إلاّ حُبُّكم جـارُ !

٤ ــ ** خريدة القصر (الشام) ٢ : ٣٤٣ ــ ٣٤٤ ؛ ذيل للروضتين ٣٥ ــ ٣٦ ؛ العبر ٤ : ٣٠٨ ــ ٣٠٩ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٣٤٢ .

علم الدين الشاتاني

١ ــ هو عَلَمُ الدين أبو عليّ الحسنُ بنُ سعيدِ بنِ عبدِ الله بن بندارَ بنِ ابراهيمَ الشاتانيّ ، وُلِدَ في شاتانَ (من نواحي دِيار بكرٍ) سَنَةَ ٥١٠ ه (١١١٦ م) .

قَدِمَ الشاتانيّ في شبابه إلى بَغدادَ فسَمِعَ فيها الحديثَ ودرس الفِقْهَ والأدبَ . ثمّ إنّه عاد الى المَوْصِلِ ونال حَظوةً عند الوزيرِ جمالِ الدين أبي جعفرٍ محمدِ بنِ عليّ بنِ منصورٍ المعروفِ بالجوادِ الأصْفَهاني فتولّى فيها البيمارستانَ وما يتبعُه من الوقف . فلمّا نُكِبَ الوزيرُ ، سَنَةَ ٥٥٨ ه (١١٦٣ م) ، جاء الشاتانيّ الى الشام ومَدَحَ نورَ الدين زنكي ثمّ قَصَدَ صلاحَ الدين الأيوبي (٥٧٢ ه) ومدحَهُ أيضاً .

---

(١) البين : البعد ، البعاد . ايثار : تفضيل . (٢) الوجد : الشوق ، الرغبة ، الحب .
(٣) الدنف : الذي أشفى على الهلاك من الحب . الأوزار جمع وزر (بكسر الواو) : ذنب .

وكانت وفاة الشاتانيّ في المَوْصِلِ ، في شعْبانَ من سَنَةِ ٥٩٩ هـ (١٢٠٣ م) .

٢ - كان الشاتانيّ فقيهاً ولكن غَلَبَ عليه الشعرُ فتكسّبَ به . وليسَ في شعْرِ الشاتانيّ ابتكارٌ ، ولكنّ فيه سهولةً وشيئاً من العذوبة، وَهُوَ يقلّدُ الأقدمين والمُحْدَثين في أساليبهم فيُجيد . وفنونُه المدحُ والهجاء والوصف والخمر والغزل والنسيب .

٣ - مختارات من شعره

- للعمادِ الاصفهانيّ أبياتٌ مطلعُها : «سلْ سَيْفَ ناظرِه لماذا سَلّهُ ؟» عارضَها الشاتانيّ بأبيات أكثرَ سُهولةً وعذوبةً :

أهْدى إلى جَسَدي الضَّنَى فأعَلّهُ ، وعَسى يَرِقّ لِعَبْدِهِ ولعَلّهُ .
ما كنتُ أحسَبُ أن عَقْدَ تجلّدي يَنْحَلُّ بالهِجْرانِ حتّى حَلّه .
يا ويحَ قلبي ! اينَ أطلُبُه وقد نادى به داعي الهوى فأضَلّه ؟
إنْ لم يَجُدْ بالعَطْفِ منه على الذي قد ذابَ من بَرْحِ الغرامِ ، فمَنْ له ؟
فأشَدُّ ما يَلْقاه من ألَمِ الهوى قولُ العواذلِ : إنّه قد مَلّه !

٤ ** خريدة القصر (الشام) ٢ : ٣٦١ - ٣٨٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٤٩ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٠٦ .

ابن النجار البغدادي

١ - هو أبو زكريّا يحيى بنُ طاهرِ بنِ محمّدٍ الواعظُ المعروفُ بابنِ النجّار البَغْداديّ، وُلِدَ يوم عَرَفَةَ (تاسعِ ذي الحِجّة) من سَنَةِ ٥٢٢ (أواخر ١١٢٨م).

سَمِعَ ابنُ النجّارِ البغداديّ الحديثَ من الفضلِ الأرْمَويّ وطَبَقَتِه . ثمّ تَصَدَّرَ للتدريس وتُوُفّيَ في بَغدادَ ، في ذي الحِجّة من سنة ٥٩٩ (صيف ١٢٠٣ م) .

٢ - يبدو أنّه كان لابنِ النجّارِ البَغْداديّ شِعْرٌ .

٣ - مختارات من شعره

- أنشدَ ابنُ النجّار البَغْداديّ في مجلسه يوماً .

عاشِرْ من الناسِ من تَبْقى مودّتُه ، فأكْثَرُ الناسِ جَمْعٌ غيرُ مؤتَلِفِ .
منهم صديقٌ بلا قافٍ ، ومَعْرِفَةٌ بغيرِ فاءٍ[1] ، وإخوانُ بلا ألِفِ !

٤ - ** ذيل الروضتين ٣٦ - ٣٧ .

---

(١) في الاصل : بغير هاء ، وهو خطأ . معرفة بغير فاء : معرة : عيب .

اعقاب الخلافة العباسية (٢)

النصف الأوّل من القرن السابع للهجرة (الثالث عشر الميلاديّ)

المغول (التتر) وسقوط بغداد

جاء الخليفةُ الناصرُ إلى الخلافة سَنَةَ ٥٧٥ هـ (١١٨٠ م) وبَقِيَ فيها نحوَ سَبْعٍ وأربعينَ سَنَةً . ومَعَ أنّ الناصرَ كان حازماً شديدَ الرعايةِ لأمورِ رعيّتِه ، فإنّ الأحوالَ لم تكنْ في أيامه مستقرّةً . وجاء بعدَ الخليفةِ الناصرِ ابنُه الظاهرُ (٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م) فمكثَ في الخلافة ثمانيةَ أشهرٍ ونصْفَ شَهرٍ ، ولكنّه لم يكن مثلَ أبيه في شيءٍ ولا جرَى في أيامه ما يستحقّ ذكراً . ثمّ جاء المستنصرُ بنُ الظاهر (٦٢٣ — ٦٤٠ هـ) ، وكان خليفةً عُمرانياً مُصْلِحاً بنى المدرسةَ المُسْتنصرية في بَغْدادَ كما بنى الجُسور والمَساجد ودُورَ الضيافةِ والرُبُط[1] ، وكانتْ أيامُه طيّبةً والدنيا في أيامه ساكنةً (قبلَ العاصفة) والخيراتُ دارّةً والأعمالُ عامرة .

ووَزَرَ للمستنصر وزيران : مؤيّدُ الدين القُمّيّ (٦٢٣ هـ) — وكان القمّيّ وزيراً لابيهِ وجدّه من قَبْلِه — ثمّ نصيرُ الدين أبو الأزهرِ أحمدُ الناقدُ . وقد كان هذان الوزيرانِ كلاهُما مِنَ الوزراء الحازمين المقتدرين .

وفي عاشرِ جمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٦٤٠ (٤ — ١ — ١٢٤٣ م) جاء آخرُ الخلفاءِ العباسيين المستعصمُ باللهِ بنُ المستنصر الى الخلافة ، وكان لَيّناً مُسْتَضْعَفاً قليلَ الخِبْرة بأمورِ الدولة قليلَ الاهتمامِ بمعالي الأمور ، وكان يَقْضي أكثرَ أيامه بسَماع الأغاني والتفرّجِ على المساخر .

ومَعَ أنّ مؤيّدَ الدين القُمّي كان وزيراً للمستعصم قديراً ، فانّه كان قليلَ الإخلاص كثيرَ المَكْرِ عظيمَ الحِقد : وَقَعَتْ بينَ الوزيرِ مؤيّدِ الدينِ القمي وبينَ القائدِ مُجاهدِ الدين أيْبَكَ وحشةٌ لمّا علَتْ مكانةُ القائدِ على مكانةِ الوزيرِ وقَوِيَتْ

(١) الرباط (بكسر الراء) مكان تجمع فيه الخيل للغزو ؛ مكان يعيش فيه المتصوفون .

شوكةُ القائدِ بالْتفاف حاشيةِ الخليفةِ حولَه ثم خسِرَ الوزيرُ القميّ نفوذَه كلَّه حتّى قال -- وكان يُجيدُ نَظْمَ الشعر -- عن نفسه :

وزيــرٌ له من بأسهِ وانتقامــه بِطيِّ رِقاعٍ حشوُها النّثْرُ والنظمُ
كما تَسْجَعُ الورقاءُ -- وَهْيَ حمامةٌ -- وليس لها نَهْيٌ يُطاع ولا أمــرُ !

ولقد بَلَغَ من حقْدِ مؤيّدِ الدين القُمّيّ على القائد مجاهدِ بنِ أيْبَكَ أن كاتبَ هولاكو[1] يمالئُه ويُجَرّؤه على احتلال بَغْدادَ. ولكنّ القمّيّ لم يُمتّعْ بثمارِ خيانته قطّ، فإنّ التتارَ أتباعَ هولاكو -- لمّا استوْلَوْا على البلاد -- جعَلوا يُعاملونه معاملةً مُهينة مُزْرِيَةً حتّى ماتَ غمّاً وغيظاً في أوائلِ سَنَةِ ٦٥٧ هـ (أوائل ١٢٥٩م).

في هذه الاثناءِ كانتِ المملكةُ السُلجوقية في أصفهانَ والإماراتُ السُلجوقية في الشامِ والعِراق قد انقرضتْ قبلَ نحوِ قرنٍ أو قرنٍ ونِصفِ قرنٍ من الزمن . وكذلك كانتْ إماراتُ الأتابكة -- خلفاءِ السلاجقة في العِراقِ والشام -- قدِ انقرضوا في مَدى ستّينَ سَنَةً ، بينَ سنة ٥٧٩ وسَنَةِ ٦٣٩ للهجرةِ (١١٨٣ -- ١٢٤٢ م) . وكذلك كان الأيوبيّون الذين خَلَفوا الفاطميّين في مِصْرَ والشامِ وخلَفوا الاتابكةَ (أتباعَ السلاجقة) في العِراق والشامِ قدِ انقرضوا قبلَ سَنَواتٍ قليلةٍ أو لم يَبْقَ منهم إلاّ بقايا سيقْضي عليها الاجتياحُ التتري (المَغولي) المُطِلّ . وبما أن جَحافلَ التترِ لم تَصِلْ الى آسيةِ الصُغْرى ولا إلى مِصْرَ ، فانّ الأحوالَ في هذينِ القِطْرين لم يؤثّرْ عليها الاجتياحُ التتريّ تأثيراً ظاهراً .

وأمّا الحِجازُ واليَمَنُ فقد كانا في هذه الفترة -- كما كانا في الفَتْرةِ السابقة -- في مَعْزِلٍ عن جميع الأحداثِ التي كانت تَهُزّ العِراقَ بالاجتياحِ التتري وتَهُزّ الشامَ بالحروبِ الصليبية وبالاجتياح التتري معاً .

الحروب الصليبية والدولة الأيوبية

في هذه الأثناءِ (في النِصْفِ الأوّل من القرنِ السابعِ للهجرة) كانتْ حَمِيّةُ الإفرنج الصليبيّين قدْ فَتَرَتْ وكانتِ الأرضُ التي كانوا يُسيطرون عليها من ساحلِ الشامِ قد تقلّصتْ كثيراً . وزادَ التنازعُ بين الصليبيّين واشتدّتِ الاضغانُ حتّى كانَ بعضُ الصليبيّين أحياناً يَسْتَنْجِدُ بالمُسلمين على بعضِ الصليبيّين الآخَرينَ .

---

(١) راجع ، تحت ، ص ٤٢٧ -- ٤٢٨ .

أمّا المعركةُ الكبيرةُ الوحيدةُ التي خاضَها الصليبيّون فكانتْ معركَةَ المنصورةِ في مصْرَ ، فقد نَزَلَ لويسُ التاسعُ (القدّيسُ لويس) مَلِكُ فرنسةَ على الساحلِ المِصْري ثمّ اتّجهَ نحوَ القاهرة . وفي المُحرَّمِ من سَنَةِ ٦٤٨ (نَيْسان – ابريل ١٢٥٠ م) نَشِبَتِ المعرَكَةُ الكُبرى وتقطّعَ جيشُ لويسَ التاسعِ ووَقَعَ هو نفسُه أسيراً في أيدي الجيش الأيوبي .

وجرَتْ سُنّةُ التاريخ على الأيّوبيّين فانقرضتْ دولتُهم ، سَنَةَ ٦٤٨ ه (١٢٥٠ م) ، سوى بقيّةٍ في حَماةَ عاشتْ إلى سَنَةِ ٧٣٢ ه ثم بقيّةٍ في حِصْنِ كيفا بَقِيَتْ الى سَنَةِ ٩٣٠ ه .

الاجتياح التتري

التتُر (أو التتارُ أو المَغول) شَعبٌ أسْيويّ بَدْوِيّ كانتْ مساكنُه وراءَ نهرِ جَيْحونَ . وهم جيرانُ التُرك وأقارِبُهُم من الناحية العِرْقية . ويبدو أنّ النَصْرانية كانتْ قدِ انتشرتْ بينَهم انتشاراً واسعاً منذ القرنِ الثاني عَشَرَ للميلادِ (السادسِ للهِجْرة) ، كما كان كثيرٌ منهم قد تأثّروا بالحَضارة الصينيّة .

واستطاع التتُر في القرنِ السادسِ للهِجْرة أن يُشيّدوا إمْبرطوريةً مترامِيةَ الأطرافِ فقد توغّلَ جنكيزْخان في الصين واستولى على عاصمتها بكّينَ ، سَنَةَ ٦١٢ ه (١٢١٥ م) . ثمّ اتّجه بجموعهِ غرباً فاستولى على خُراسانَ وآذربيجانَ وأفْغانستانَ وجَنوبيّ الروسيةِ . ولمّا مات (٦٢٤ ه = ١٢٢٧ م) تركَ بعدَه إمبرطوريةً واسعةً . وكان التتُر إذا دخلوا بلداً أعْملوا فيه النَهْبَ والقتلَ ؛ وقد كان البلاءُ بهم عامّاً في بلادِ آسيَةَ وخصوصاً في بلادِ المسلمين ، فإنّ كثيراً من البُلدانِ الاسلامية التي اجتاحَها التتُر قد خَلَتْ كلُّها من أهلِها أو كادت .

احتياج بغداد وسقوط الخلافة العباسية

بدأ التتُر باجتياحِ البلادِ في المشرق منذُ مطلعِ القرن السابعِ للهِجْرة ، وقد كان هذا الاجتياحُ هائلاً مُفْجِعاً – وخصوصاً في بلادِ الإسلام – حتّى أنّ عزَّ الدين ابنَ الأثير بدأ أخبار سَنَةِ ٦١٧ ه (١٢٢٠ – ١٢٢١ م) بقولِه (١٢ : ٣٥٨ – ٤٠٠) : « لقد بَقِيتُ عِدّةَ سِنينَ مُعْرِضاً عن ذِكْرِ هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذِكْرِها ..... فمَن (ذا) الذي يَسْهُلُ عليه أن يَكْتُبَ نَعْيَ الإسلامِ

والمسلمين ؟ ... فيا ليتَ أمّي لم تَلِدْني ، ويا لَيْتني مِتّ قبلَ حُدوثها » . ثمّ لم يذكُرِ ابنُ الأثير في أخبارِ هذه السَنَةِ . وفي الصَفَحات الثلاثِ والأربعينَ التي خَصَّ هذه السنةَ بها ، إلاّ أخبارَ التقتيلِ والتخريب اللذين قامتْ بِهِما جموعُ التتر في بلاد الاسلام .

كان التترُ مندفعينَ بقيادةِ هولاكو ــ حفيدِ جنكيزَخان ــ نحوَ الغَرْب يكسَحُون البُلدان كَسْحاً ويمسحون أهلَها مسحاً لم يَقِفْ في وَجْهِهم جبلٌ شاهقٌ ولا حِصْنٌ منيعٌ فقد استولى هولاكو في زَحْفه هذا على حصن ألَموتَ[1] وقتل رُكْنَ الدولة خورشاه رئيسَ الباطنية ــ وكانت شِرّةُ الباطنيّة قد فَتَرَتْ وشَرُّهم قد خفَّ كثيراً. ثمّ تابع التترُ سَيْرَهم حتّى اقتربوا من بَغْدادَ . قال ابنُ الطِقْطِقى[2] :

« في يومِ الخَميسِ رابعِ مُحَرَّمٍ[3] من سَنَةِ ستٍّ وخمسينَ وستِّمائةٍ ثارتْ غَبْرَةٌ عظيمةٌ شَرْقَ بغدادَ على دربِ بَعْقوبا بحيثُ عَمّت البلد . فانزعجَ الناسُ من ذلك وصَعِدوا الى أعالي السُطوح والمنائر يَتَشَوَّفون[4] . فانكشفَ الغُبارُ عن عساكرِ السُلطانِ (هولاكو) ... وقد طَبّقَ وجهَ الأرض وأحاط ببَغْدادَ من جَميع جِهاتِها ... وشَرَعَ العسكرُ الخليفيّ في المُدافعة والمقاومة إلى اليومِ التاسعِ عَشَرَ من مُحَرَّمٍ ... وتَقَحّمَ العسكر السلطانيّ (عسكرُ هولاكو) هجوماً (على بَغْدادَ) ودخولاً ، فجرى من القتلِ الذريع والنهب العظيم والتمثيلِ البليغ ما يَعْظُمُ سَماعُه جُملةً ، فما بالُكَ بتفاصيله ! ثمّ استُشْهِدَ المستعصمُ في رابعِ صَفَرَ من سَنَةِ ستٍّ وخمسينَ وستِّمائةٍ[5] » . فانقرضتْ بذلك الخِلافةُ العبّاسيّة .

الاجتماع والثقافة

رَجَعَ الإسلام في هذه الفَتْرةِ الى شيءٍ من الاستقرارِ بعدَ أن فَتَرَتْ حَمِيّةُ الصليبيّين في قِتال المسلمين وتحوّلَ الصليبيّون إلى قتال بَعْضِهم بعضاً في الشامِ أو الى قتالِ الروم في القُسطنطينيةِ وما حولَها . غيرَ أن الغاراتِ على البلادِ الاسلامية

---

(١) راجع في الباطنية والموت ، فوق ، ص

(٢) الفخري ، بيروت (دار بيروت للطباعة والنشر) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م ، ص ٣٣٦ .

(٣) ١٢٥٨/١/١١ م .

(٤) تشوف الرجل من السطح : تطاول وأشرف ونظر (القاموس ٣ : ١٦٠) .

(٥) ١٢٥٨/٢/١٠ م .

والمُنازعات بينَ الأمراء المسلمين لم تنقطع . غير أن العاطفةَ الإسلامية عادتْ إلى شيء من القوّة ثم عَمِلَ العُنْصُر الروحيّ في التاريخ عَمَلَهُ :

في سَنَةِ ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) جلس سِبْطُ ابنِ الجَوْزيّ في جامعِ دِمَشْقَ وعِنْدَه مقاديرُ من شَعْرِ الناس — فقد كان الناسُ يتبرّعون بأشياءَ كثيرةٍ للمجاهدين ، ومن هذه الأشياءِ الشَعْرُ — ووَعَظَ الناسَ وحثّهم على الغَزْوِ ، وكانوا خلقاً كثيراً يملأون ما بينَ بابِ الساعاتِ وبين مَشْهَدِ زينِ العابدين . ثمّ إنّهَ كرّر حكايةَ قُدامةَ الشاميّ مَعَ تلك المرأةِ التي قَطَعَتْ شَعْرَها وبَعَثَتْ به إليه وقالت : « اجْعَلْهُ قَيْداً لِفَرَسِكَ في سبيل الله . ثمّ إنّ (سِبْطَ ابن الجوزيّ) عَمِلَ من الشعورِ التي كانت عندَه مجتمعةً شُكُلاً[1] لخيلِ المجاهدين . ولمّا صَعِدَ المِنْبَرَ أمرَ باحضارِها فكانتْ ثلاثَمائةَ شِكال . فلمّا رآها الناسُ صاحوا صيحةً واحدةً وقطعوا (من شعورهم مِقداراً) مِثْلَها . وكان والي دِمَشْقَ حاضراً والأعيانُ . فلمّا نَزَلَ (سِبْطُ ابنِ الجوزيّ) عن المِنْبَرِ قام والي دِمَشْقَ فمشى مَعَه ، ورَكِبَ ورَكِبَ الناسُ وخَرَجوا الى باب المُصَلّى — وكانوا خلقاً لا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً — وساروا الى نابُلُسَ لِقتالِ الفِرَنْج فأسَروا وهَزَموا وهدموا وقتلوا ورَجَعوا سالمينَ غانمين[2] .

وفي سَنَةِ ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م) بدأ الأشرف [3] ببناءِ جامعٍ مكانَ خانِ الزنجاري بالعقيبة — وكان خاناً معروفاً بالفُجور والخَواطِىء والخَمْر ، وسُمّي الجامعُ جامعَ التوبة[4] .

في هذه الفَترةِ نالَ العلماءُ حَظْوةً عند الحُكّام ثمّ أصبحَ لهم نفوذٌ كبيرٌ على الناس حتّى كانوا يعترضون الحكّام إذا خرج أولئك الحكّام في سِياستهم أو في سُلوكهم عن مُقتضى الشرع . كان العِزّ بنُ عبد السلام — واسمُه الكامل : سُلطانُ العلمــاء عِزّ الدين أبو محمّد عبدَ العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) — فقيــهَ وقته والآمرَ بالمعروف والناهيَ عن المُنْكَرِ في زمانه جَريئاً في الحقّ على الحُكّام ذا كَلِمَةٍ مسموعةٍ في الناسِ خاصّتِهم وعامّتِهم . وكان إذا نَبّهَ الواليَ أو السُلطانَ إلى أمرٍ مُغايرٍ للشرْعِ لم يَنْتظرْ حتّى يتحركَ الوالي أو السلطانُ إلى إصلاحِ

(١) الشكل (بضم الشين والكاف) جمع شكال (بكسر الشين) : حبل تربط به قوائم الابل (والخيل) .

(٢) راجع شذرات الذهب ٥ : ١٨ .

(٣) لعله الملك الأشرف موسى بن محمد الأيوبي (ت ٦٣٥ هـ) .

(٤) شذرات الذهب ٥ : ١٤٨ .

الفساد ، بل كثيراً ما كان يتقدَّمُ هو فيُباشِرُ تغييرَ ذلك الفسادِ بنفسه .

نَشِبَ بينَ المَلِكِ الصالحِ اسماعيلَ سُلطانِ دِمَشْقَ وبين ابنِ أخيه الملكِ الصالحِ نجمِ الدين أيوبَ سُلطانِ مِصْرَ خلافٌ . وخافَ الملكُ الصالحُ اسماعيلُ على حُكمِه من الملك الصالحِ نجمِ الدينِ فحالَفَ الإفرنجَ الصليبيّين وتنازَلَ لهم عن قلعةِ صَفَدَ وقلعة الشقيف ثمّ أذنَ لهم بدخولِ دِمَشْقَ لشِراء الأسلحة . فأنكرَ المسلمون هذا العملَ واستفْتَوُا العُلماءَ فيه فأفتى العزُّ بنُ عبدِ السلام بتحريمِ بيعِ السلاحِ للإفرنج ، ثمّ لمّا كان يومُ الجُمُعَةِ التالي خَطَبَ العزُّ بنُ عبدِ السلام في جامعِ دِمَشْقَ وذمّ السلطانَ على فِعْلته وتَرَكَ ذِكْرَ اسمه عِنْدَ الدّعاء للمسلمين ولأُمراءِ المسلمين . وغَضِبَ الملكُ الصالحُ اسماعيلُ فعَزَلَ العزَّ بنَ عبد السلام من الخَطابة وسَجَنَه . ولكنّ العلماءَ سَخِطوا على الملكِ الصالحِ اسماعيلَ وكلّموه في إطلاقِ سَراحِ العزّ بن عبد السلام فأمرَ بإطْلاقه خوفاً من نَقْمَةِ العامّة .

وقد اتّسعتْ في هذه الفَتْرةِ دِراسةُ الفِقْه والحَديث وخُصوصاً بين النساء .

الصوفية والحشيش

وزادَ انتشارُ التصوّفِ في هذه الفترة ، فإنّ جماعاتٍ من الناس هالَهُمُ استمرارُ الحروبِ الصليبيّةِ مُدّةً طويلةً مَعَ ما رافقَ تلك الحروبَ من الكوارثِ والصعاب فجَبُنُوا عن الكِفاح وهَرَبوا الى كَسَلِ التصوّف . ومن الحقّ أن يُعَدَّ التصوّفُ المتطرّفُ من الحركاتِ الهدّامة في الإسلام — مِثْلَ الحركة الباطنيةِ أو أشدَّ خَطَراً — لأنّ أتباعَه وَقَفوا ، في أثناء الحروبِ الصليبية ، مَوْقِفاً سَلْبيّاً من جميعِ أوجهِ الدفاعِ عنِ الاسلام حتّى بالكَلِمَةِ الصالحة . ثمّ إنّ التصوّفَ المعتدلَ أيضاً — كتصوّفِ الإمامِ الغزّالي (ت ٥٠٥ ﻫ) — لم يكُنْ يخلو من المغامز ، إذا نحن نَظَرنا إلى مَوْقِفِ الإمامِ الغزّالي وإلى سُكوته المُحيّرِ وقد استَوْلى الإفْرنج الصليبيّون في أيامه على القُدْس وارتكبوا فيها من الفظائع بالتقتيل والتخريب وبتَدْنيسِ شعائرِ الإسلامِ ما لا تستطيع أن تَصِفه بلاغةٌ ولا أن يُحيطَ به بيان .

ولم يكتفِ المتصوّفةُ في تلك الفَتْرةِ بـإغماض أعيُنِهِمْ عنِ الأخطارِ التي كانتْ تُحيقُ بالمسلمين وبالإسلامِ نفسه ، بل أرادوا أن يُميتوا ضمائرهم فلا يَشْعُروا بعدَ ذلك بشيء — ولو مِقدارَ وَخْزِ إبرةٍ — من كوارثِ تلكِ الحروبِ

الظالمة المُظْلمة ، فلجأوا الى تعاطي حشيشة الكَيْف ثمّ نَشَروا هذه المَفْسَدَةَ بينَ الناسِ لأنّهم أرادوا أن يَجْعَلوا سائرَ الناسِ مِثْلَهم لِيَقِلّ انتقادُ الناسِ لهم على سُلوكِهِم الغريب .

وأدرك الحُكّام الواعونَ أخطارَ التصوّف المُتَطرّف خاصّةً وما يَخْلُقه من الفَساد وما كان له من الأثر السيّء على العامّة ومن الخَطَر على الدولة وعلى الدين ، فقد قاتلَ السلطانُ لؤلؤٌ صاحبُ المَوْصِلِ (٦٣١ - ٦٥٧ ه) أتباعَ الطائفةِ العَدَويّةِ (اليزيديّة) وقضى على كثيرينَ منهم . ولم يَنْجُ المتصوّفةُ في مِصْرَ من مثلِ هذه المعاملة . غيرَ أنّ عُمَرَ بنَ الفارضِ (ت ٦٣٢ ه) في مِصْرَ ومُحْيِي الدينِ بنَ عربيّ في الشامِ قد نَجَوَا من الاضطهادِ الظاهر ، وإن كانا قد اتُّهِما تُهَماً كثيرةً . ثمّ جَرُؤَ العامّةُ أنفسهُم فقَتَلوا مُحْيِيَ الدينِ بنَ عربي ، سَنَةَ ٦٣٨ ه ، بسَبَبِ شَطْحِه[1] .

غير أنّ هذا الحُكْمَ لا يَنْطَبِقُ على المرابطين الذين كانوا يُقيمون في الرِباطاتِ[2] زاهدينَ في متاعِ الدنيا ، على مَقْرُبَةٍ من الأعداء يُقاتلون كُلّما وَجَدوا الفرصةَ سانحةً للقتال من غيرِ أن يتركوا للأعداءِ سبيلاً إلى الاطّلاع على حقيقةِ أمرِهِم فلا يَتَمكّنوا بعدَ ذلك من القتال للدفاعِ عن بلادِ الإسلام .

الخصائص الأدبية

غَلَبَ على الشعْر في هذه الفَتْرةِ شيءٌ كثيرٌ من السُهولة والرِقّة ومن تناوُلِ الأغراضِ القريبةِ مِنَ النفسِ مَعَ شيءٍ كثيرٍ من الصناعة والتأنّق ومِنَ الاتّكاءِ على التَوْريات خاصّةً . فمن الذين مَثّلوا هذا الاتّجاهَ تمثيلاً واضحاً : الحاجريّ (ت ٦٣٢ ه) وابنُ مطروحٍ (ت ٦٤٩ ه) والبهاءُ زُهيرٌ (٦٥٦ ه) . أمّا النثرُ فقد رَجَعَ عنْ كثيرٍ ممّا كان قد بَلَغَ إليه عِندَ القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ ه) .

وبلغَ الأدبُ الصوفيّ في هذه الفترةِ ذِرْوَتَهُ العاليةَ في شِعْرِ عُمَرَ بنِ الفارضِ

---

(١) الشطح كلام على خلاف ظاهره مجانب للعرف الديني وللوازع الاجتماعي معاً في بعض الأحيان وخروج عن مقتضى الدين في بعض الأحيان الأخرى ، فقد كان محيى الدين بن عربي يقول ، مثلا : من قال « لا اله الا الله » فقد كفر ، لأن الواجب على المؤمن (في رأي محيي الدين بن عربي) أن يقول : لا موجود الا الله !

(٢) الرباط (بكسر الواء) بناء صغير ناء عن العمران يقيم فيه الفرد أو الجماعة للعبادة . ويكون القائمون في الرباط للعبادة - في الوقت نفسه - جنوداً من عند أنفسهم يقاتلون في سبيل الله (راجع أيضاً الحاشية ، ص٤٢٦) .

(ت ٦٣٢ هـ) وفي شِعْرِ مُحْيِي الدين بنِ عربيّ (ت ٦٣٨ هـ) ونَثْرِه . وكذلك اتّسعَ فنّ الوَعْظ كما نَرَى عند سِبْطِ ابن الجَوْزي (ت ٦٥٤ هـ) .

وكَثُرَ الاهتمامُ بالبلاغة وبالتأليف فيها ، وأشهرُ من ألّف في فنونِ البلاغة ضياءُ الدين بنُ الأثير (ت ٦٣٧ هـ) في كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » ثمّ ابنُ أبي الحديدِ (ت ٦٥٥هـ) في « شرح نَهْجِ البلاغة » وفي كتابِ الفَلَكِ الدائرِ على المَثَلَ السائرِ (وقد خالفَ فيه ابنَ الأثيرِ في عددٍ من الآراء) .

وإذا كان الشعرُ عامّةً قد ضَعُفَتْ مبانيهِ وتراكيبُه فانّه اكتسبَ سُهولةً ورقّة جاءتاه من الانحدار بهِ الى الحياةِ العاديّةِ وتناوُلِ المعاني من مُتَناوَلِ اليد ، كما نرى في شعر بهاء الدين زُهيرٍ (ت ٦٥٦ هـ) مثلاً . وبَرَزَ العُنْصر الدينيّ في الشعر والنثر معاً من أثر الحروب الصليبية وقُدْرَةِ الشعور الديني على حِفْظِ الحَمِيّة للجهاد . ومعَ بُروزِ هذا العنصرِ الدينيّ برز الأدبُ الصوفي في الشعر والنثر ، وشَهِدَ الأدبُ العربي أعْظمَ شُعَراءِ الصوفية في العالمِ بعدَ جلالِ الدين الروميّ في عُمَرَ بنِ الفارض .

من الجهود الثقافية

ومن الذين تَوَفّروا في هذه الحِقْبة علـى النَحْوِ والصرف أو اللغة في الأكثر وعلى البلاغة في الأقلّ السكّاكيّ (ت ٦٢٦ هـ) فقد هذّبَ مسائلَ عِلْمِ البَيانِ ورتّب أبوابَه وألّفَ في ذلك كتابَه المُسمّى بالمِفْتاح في النحو والتصريف والبيان (مقدّمة ابن خلدون ١٠٦٧) . ومِنهُم الصاغانيّ أو الصَغانيّ (ت ٦٥٠ هـ) في جُهوده في اللغة .

ومن مشاهيرِ هذه الحِقْبة أبو عمروِ بنُ الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) الذي لخّص طُرُقَ المَذْهَبِ المالكيّ في الفِقْه وعَدّدَ أقوالَ عُلَمائه في كلّ مسألة فجاء كتابه كالبَرْنامَجِ للمذهبِ كلّهِ . وفَعَلَ ابنُ الحاجبِ في النحوِ ما فَعَلَه في الفِقْه . وقد مرّ معنا ذِكْرُ مُحْيِي الدين بنِ عربيّ في التصوّف ، ثمّ هو فَقيهٌ أيضاً . وبينما كان ابنُ عربيٍ باطنيّ الرأي في الاعتقاد فانّه كان ظاهريّ الرأيِ في العِبادات ، فقد جَمَعَ بينَ التفكيرِ الفلسفي (المتطرّف) وبين الأخذِ بعَمَلِ السلف في وقت واحد ؛ وهذا بابٌ من تطرّفه !

ومِنَ الذينَ اشتغلوا بعددٍ كبيرٍ من وُجوهِ العلم عبدُ اللطيف البَغْدادي (ت

٦٢٩ هـ) له كتبٌ في الطِبّ والطبيعيّات والفلسفة والمَنْطِق واللغة والبلاغة والتاريخ والجغرافية .

ومن مشاهيرِ المؤرّخينَ والجُغرافيّين في هذهِ الحِقْبة ممّن صنّفوا الكُتُبَ الواسعةَ في موضوعها عزّ الدين بنُ الأثير (ت ٦٣٠ هـ) صاحبُ «تاريخِ الكاملِ» (في التاريخِ العامّ، وهو حَوْليّات على السّنينَ) وياقوتٌ الحمَويّ (ت ٦٢٦ هـ) صاحبُ «مُعْجَمِ البُلدانِ» وعبدُ اللطيف البَغْداديّ (ت ٦٢٩ هـ) صاحبُ كتاب «الإفادةِ والاعتبار» والقِفْطيّ (ت ٦٤٦هـ) صاحب كتابِ «إخبارِ العُلماء بأخبار الحكماء» وكتاب «إنباه الرُواة على أنباه النحاة» ثمّ ابنُ أبي أُصَيْبِعةَ صاحبُ «طبقاتِ الأطبّاء» . ومن الذين كتبوا في التاريخ القَصَصيّ (أو القَصَصَ التاريخيّ) بهاءُ الدين ابنُ شدّادٍ (ت ٦٣٢ هـ) .

ابن نفادة*

١ — هو الرئيسُ الأميرُ شمسُ الدين (بدر الدين) نَشْءُ الدولةِ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عليّ بن المباركِ بنِ نَفادةَ السُلَميّ الدِمَشْقيّ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) .

كان ابنُ نَفادةَ عندَ السُلطانِ صلاحِ الدين الأيوبيّ في عِداد رؤساءِ الجُنْد الذين يُسَمَّوْنَ الأمراءَ ، وكان فيهم من أربابِ السيوف . وتكسّب ابنُ نفادة بالشِعر : مَدَحَ السلطانَ صلاحَ الدين وأولادَه وأخاه العادلَ ، ومدح الوزير صفيّ الدين بن القابض والقاضيَ الفاضلَ وغيرَهم .

وكانت وفاةُ ابن نَفادَة في دِمَشْقَ في المُحرَّمِ من سَنَةِ ٦٠١ (أيلول — سبتمبر ١٢٠٤ م) .

٢ — كان ابنُ نَفادةَ أديباً وشاعراً مُكْثِراً طويلَ النَفَس مُقْتدراً مشهوراً يُحْسِنُ نظمَ الشعر ، ولكن يأخذُ من معاني الآخرينَ ، قيل أخَذَ من الأرّجانيّ . وأغراضُ شعرِه المديحُ والغزل والنسيب . وكان مُغْرَماً بالتلاعب بالقوافي يجعلُ للبيتِ الواحد قافتينِ أو أربعَ قوافٍ ، كقولِه مثلاً :

(*) نفاثة : أبو قوم (القاموس ١ : ١٧٥) من بني كنانة (تاج العروس — الكويت ٥ : ٣٧٤ ؛ راجع المحبر ٤٩٦ و٤٩٧) . وفي فوات الوفيات (١ : ٦٠) : ابن نقادة . وفي الوافي بالوفيات (٧ : ٣٩) ابن نفادة (بالدال المهملة) . وفي خريدة القصر (قسم الشام) بنو نفاذة بالذال المعجمة (١ : ٣٢٩) ، وفي الحاشية الثانية من الصفحة نفسها نفاثة بالثاء المثلثة (بالاستناد الى احدى المخطوطات) وبنو نفاية (٢ : ١٨٢) .

وطرفُهـــا مُسْكِرَةٌ خمــرُهُ إذا أُديرَتْ وهْوَ، يا (صاحِ)، (صاحْ)[1].
أمُـــدُّ قلبي نحْـــوَ كاساتِهـــا رَشْفاً، إذامُدّتْ الى (الراحِ) (راحْ)[2]

وكقوله:

ودمعُ عيني (شاهدٌ) على (الهوى) (مِدرارُهُ)، والوَجْدُ ما لا (يختفي)[3]
أسهرُ وهْو (راقدٌ)، لمّا (جَنى) (نِفـــارُه) عرّضني (للتّلـــفِ)[4].

وهو كثيرُ التلاعبِ أيضاً بالجِناس خاصّةً، كقوله:

قد كنتُ معتمداً على صبري إذا ما الخطبُ فاجاني، (وها) صبري (وَهَى)[5]،
يا مُطلعين لنـــا بُـــدوراً (أوْجُها) فَلَكُ الجُيوبِ فكيف تُسْمَى (أوْجُها)[6]
ومُلاحِظـــينَ بأعْيُنٍ مـــن (أمّها) لم يَدْرِ غِزْلاناً يُغازِلْ (أمْ مَها[7]).

٣ مختارات من شعره

ــ قال ابنُ نفادة يَصِفُ ثَمَرَ المِشْمِشِ على أغصانه:

ناريّةُ اللون في الجِنانِ بَدَتْ؛ يا عَجَباً للجِنانِ في اللّهَبِ[8].
تلوحُ كالتِبْرِ في الزَبَرْجَـــدِ من فوق عُروقِ المَرجان في القُضُبِ[9].
فَهْيَ سماءٌ مـــن الزُمُـــرّدِ في آفاقِهـــا أنْجمٌ مـــن الذهب[10].
حَجَّ لِميقاتِهـــا البريّـــةُ مـــن مِصْرٍ إلى جِلّقٍ الى حَلَبِ[11].

---

(١) صاح مرخمة (مقطوعة الآخر) من صاحب. يا صاح: يا صاحبي. صاح من الصحو: واع، غير غافل.
(٢) الرشف: تناول الماء قليلا قليلا بالشفتين. الراح: الخمر. والراح جمع راحة: باطن الكف.
(٣) النفار: الصد، الهرب.
(٤) المدرار: الذي ينسكب بكثرة. الوجد: الحب والشوق.
(٥) الخطب: الأمر العظيم الفادح (الثقيل على الانسان) فاجاني = فاجأني، فجأني: أتى علي فجأة أو بغتة (من غير أن انتظره أو أتوقعه). - وها (الواو للعطف). وهى: صار ضعيفاً.
(٦) بدور = وجوه حسان. أوجها (الأوج: أعلى ما يصل اليه الكوكب في فلكه - في ابتعاده عن الارض). الجيب: مدخل العنق في الثوب. تسمى = تسمى، تدعى. أوجه جمع وجه. - كيف يجوز أن نسمي هذه الوجوه الحسان وجوهاً فقط، وهي أحق أن تدعى بدوراً.
(٧) أم: قصد. مها جمع مهاة: بقر الوحش (نوع من الغزلان يمتاز بسعة العينين).
(٨) الجنات جمع جنة: البقعة المزروعة بالازهار (وتطلق على الجنينة في الدنيا وعلى الجنة في الآخرة).
(٩) التبر: الذهب الخالص. الزبرجد: حجر كريم أخضر. المرجان: حيوان بحري اذا مات تكلس هيكله وأصبح الحجر الأحمر المعروف بهذا الاسم.
(١٠) الزمرد: حجر كريم أخضر. الآفاق (جمع أفق): الأطراف.
(١١) - جميع الناس (البرية) يأتون في موسم (ميقات) المشمش (الى دمشق، حماة!) ليأكلوا من هذا المشمش. جلق (في القاموس): دمشق أو غوطتها؛ بلد جنوبي غربي الشام كان عاصمة للغساسنة.

يَرشِفُ رَيـقَ النَدى مُقبِّلُهـا فيَجتَنيهـا معسولةَ الشَنَبِ[1].
تذوبُ في فيـه مـن لَطافتِهـا من غيرِ مَضْغٍ يُفْضي الى تعب[2].

— وله قصيدةٌ عاديّةُ الغزَلِ والنسيبِ ولكنّها حُلْوةُ اللفظِ رشيقةُ التركيب ، منها :

دَعْهُ مِثْلي يَبْكي الصبا وزَمانَهْ ؛ إنّ ذِكْراه هَيّجتْ أحْزانَـهْ .
ناحَ شَجْواً على ليـالٍ وأيّـا مٍ تَقَضَّتْ لم يقْضِ منها لُبانه[3].
كيف يرجو في الأربعين وَفـاءً من شبابٍ قبلَ الثلاثين خانـه !
أو ينالُ اللذّاتِ في أُخْرَياتِ الـ عُمْرِ من لم يَفُزْ بهـا رَيْعانَه[4].
وتَجافَ الجُفونَ واحذَرْ على قلـ بِك تلك اللّواحِـظَ الفتّانه[5].
رامياتٍ؛ فكـلّ شعرةِ هَـدْبٍ ثَمَّ سَهْمٌ ، وكلّ جَفْنٍ كِنانه[6].
وبِروحي هيفاءُ أعْطافُهـا نَشْـ وَى تَهادَى كأنّها خُوطُ بانه[7].
فَهْيَ بدرٌ من تَحتِها غُصْنُ بانٍ . وكثيبٌ من فوقِـهِ خَيْزُرانه[8].
تَلْبَسُ الحُسْنَ فوقَ قُمصانِها ثَوْ باً ، وتُكْساه حُلّـةً عُرْيانه[9].
يَنْبُتُ الوردُ والشَقيقُ بخَـدّيْـ ها لنا مـن قَوامِها رَيْحانـه[10].

(١) المقبل : الذائق ، الآكل . الشنب : بياض الاسنان ، وماء وبرد وعذوبة (ريق) . — الذي يأكلها يأكل شيئاً ليناً بارداً حلواً .

(٢) أفضى : أدّى ، أوصل . أفضى الى تعب : أتعب الناس .

(٣) الشجو : الحزن . اللبانة : الوطر ، الحاجة ، الغاية .

(٤) ريعانه (مفعول فيه) = في ريعانه ، في إبانه (في زمن شبابه) .

(٥) تجاف (فعل أمر من : تجافى) : ابتعد ! ابتعد عن .

(٦) الهدب : الشعرة في الجفن . ثم (بفتح الثاء) : هناك . كنانة : وعاء للسهام .

(٧) الهيفاء : الدقيقة الخصر . الأعطاف : جوانب الجسد . نشوى : سكرى . تهادى = تتهادى : تتمايل . الخوط : الغصن الطري . البانة : شجرة مستقيمة الاغصان .

(٨) الكثيب : الجانب المستدير من الرمل . — يقول : وجهها كالبدر على قامة كغصن البان ؛ أو هي كثيب (ضخمة وسط الجسم) فوقه خيزرانة (قامة نحيفة ممشوقة) .

(٩) — اذا كانت تلبس أثوابها أو اذا كانت عريانة فهي جميلة . (تكسى الحسن حلة جميلة ، اذا كانت عريانة) .

(١٠) الشقيق : شقائق النعمان (زهر بري أحمر) . (المعنى العام غامض) . ينبت (بضم الياء) ! والورد (بالنصب) ! .

وتُرينا باللحظِ نرجسةَ الأحـ ـداقِ والثغْرَ باسماً أُقْحوانَـه[1] .
فَبِلْثْمي والضمِّ مِـن خدِّها والنـ ـهْـدِ أجْني التفّـاحَ والرُمّانه .

٤ - ** الوافي بالوفيات ٧ : ٣٩ - ٤٤ ؛ فوات الوفيات ١ : ٦٠؛الخريدة(الشام)١ : ٣٢٩-٣٣٤).

شُميم الحلي

١ - هو أبو الحسن عليّ بنُ الحَسَنِ بنِ عنترِ بنِ ثابتٍ من أهلِ الحِلّة ، قَدِمَ إلى بَغْدادَ وتأدّبَ فيها بابنِ الخشّابِ ثمّ انْتَقَلَ إلى المَوْصِلِ واستَوْطَنَها . وتطوّفَ شُمَيْمٌ الحِلّي بعدد من بُلْدانِ الشام وديارِ بكرٍ ، ولَقِيَه ياقوتٌ الحَمَوِيّ في آمِدَ سَنَةَ ٥٤٤ هـ[2] .

وكان شُمَيْمٌ مُتَكَبِّراً متعجرفاً مُدّعياً حتّى يبلُغَ في ذلك إلى السُخْفِ والكُفر أحياناً . وكان لا يرى فضلاً لِمُتَقَدّمٍ ولا لمتأخّر الاّ للمتنبّي في مدائحِه ولابنِ نُباتة (السّعديّ) في خُطَبه وللحريريّ في مقاماته . وقد تكسّب بالمديح حِيناً. ويبدو أنّه زَهِدَ في آخرِ أيامهِ وتصوّفَ ، قيلَ كان يخلو شَهْراً لا يأكُلُ ولا يشرب .

وتُوُفّيَ شُمَيْمٌ في المَوْصل في ٢٨ من ربيعٍ الآخرِ سَنَةَ ٦٠١ (٢٤-١٢-١٢٠٤ م) .

٢ - كان شُميمٌ من أكابرِ فُقَهاءِ الشيعة في الحِلّة ، وكانَ شاعراً وناثراً ذا معرفة باللّغة والنحو . ثم كانَ شديدَ التكلّفِ في تَطَلّبِ أوجهِ البلاغةِ في نَثْرِه خاصّةً ، إذ كان يُوغل فيَسْخُفُ . وفنون شعرِه المَدْحُ والخمريّات (مَعَ أنّه لم يَشْرَبِ الخمر) والغَزَلُ . ولشُميمٍ تصانيفُ كثيرةٌ منها : النُكت المُعْجَمات في شرح المقامات - أرْيُ المُشْتار[3] في القريض المختار - الحماسة (من نظمه ، رتّبه على عَشْرةِ أبوابٍ وضاهى به كتابَ الحماسة لأبي تمّامٍ - نتائج الإخلاص

(١) أحداقها (عيناهـا) كزهر النرجس وثغرها (فمها ، أي أسنانها) ، اذا تبسمت ، فان أسنانهـا تشبه البتلات في زهرة الأقحوان (البتلات : الاوراق البيض المحيطة بقلب الاقحوانة الأصفر) .

(٢) معجم الادباء ١٣ : ٥١. وذكر بروكلمان (الملحق ١ : ٤٩٥) أن ذلك كان سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨) ، ولعله أرجح.

(٣) الأري : العسل . المشتار : المقطوف من خليته (حديثاً) .

(خُطَبٌ) — أُنْس الجليس في التجنيس — أنواع الرِقاع في الأسجاع — التعازي في المَرازي (المرازىء : المصائب النازلة بكرام الناس) — الأماني في التهاني ، الخ .

٣ — مختارات من آثــاره

قال شُمَيم الحلّي في تسبيحِ الله والتقوى (لاحظ التكلفَ الشديد) :

— الحمد لله فالقِ قِمَمِ الحَصيد بحُسام سحّ السُحْب ، صابغ خدّ الارض بِقاني رشيق يانعِ العُشْب .... عبادَ الله ، من اختلفت عليه الآبادُ بادَ ، ومن تمكّنت يد المنون من عنقهِ انقاد ، ومن تزوّد التقوى استفاد خيرَ الزاد ....

— وقال في الخمر :

امزُجْ بمسبوكِ اللُجَيْن ذهباً حكتــه دموعُ عيني .
لمّا نعى نــاعي الفِــرا قِ ببَيْنِ من أهوى وبَيْني
كانت — ولم يُقْــدَرْ لشيءٍ قبلَهــا إيجابُ كــون —
وأحالها التحــريم لَــمّا شُبّهت بدم الحُسين ،
وبدت لنــا شمسانِ من لألائهــا في الخــافقين.

— وله من لزوم ما لا يلزم (الزوراء : بغداد) :

ليت مــن طوّل بالشــا م نواه و (ثَوى بهْ)
جعل العَــوْد الى الــزَوْ راء من بعض ثَــوابه .
أَتُرى يُوطِئُني الدهــرُ ثَــرى مِسكِ (تُرابه)
وأرى ، أي نــورَ عيني ، مَوْطِئاً لي و (تُرى به) !

٤ — ** معجم الادباء ١٣ : ٥٠ — ٧٣ ، ١٦ : ٢٧ — ٢٩ ؛ انباه الرواة ٢٤٣ — ٢٤٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٠؛ الغصون اليانعة ٥ — ١١؛ العبر ٥ : ٢ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤ — ٦ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٩٥ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٨٣ .

ابن المُجاوِر

١ — هو نَجْمُ الدين أبو الفتحِ يوسفُ بنُ الحسينِ بنِ محمّدِ بنِ يوسفَ بنِ المجاوِر ، نِسْبةً الى جَدّ له كان قد جاوَرَ في مَكّة .

نشأ نجمُ الدين في أُسْرةٍ وجيهةٍ تقيّة . واتّخذ مَكْتَباً لتعليمِ الصبيان على بابِ جامعِ دِمَشْقَ . ثمّ تَصَدّرَ لإقراءِ النحوِ والأدب .

وعهد السلطانُ صلاحُ الدين الأيوبيّ إلى ابنِ المجاور بتعليم ابنه عُثمانَ الذي عُرِفَ فيما بعدُ بلقبِ الملكِ العزيز (وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٧ ﻫ = ١٠٧٤ – ١٠٧٥ م) . ولمّا نابَ الملكُ العزيزُ عن أبيهِ صلاحِ الدين في حُكْمِ مِصْرَ ، سَنَةَ ٥٨٩ ﻫ ، جعلَ ابنَ المجاور وزيراً له . ثمّ إنّه استبدَّ بحكم مِصْرَ ، سَنَةَ ٥٩١ ﻫ (بعد وفاة أبيه بنحو ثلاثِ سَنَوات) ففَوّضَ الى ابنِ المجاورِ جميعَ أمورِه . ويبدو أنّ ابنَ المجاور قد بَقِيَ في هذا المَنْصِبِ إلى أن تُوُفّيَ الملكُ العزيز (٥٩٥ ﻫ – ١١٩٨ م) .

وكانتْ وفاةُ ابنِ المجاور سَنَةَ ٦٠١ ﻫ (١٢٠٤ – ١٢٠٥ م) .

٢ – كان ابنُ المجاورِ أديباً مُحيطاً بعدد من فنونِ المعرفة كريمَ الأخلاق حَسَنَ المُعاشرة مُعيناً لرجالِ العلم والأدب في طريق الحياة . ثمّ إنّه كان شاعراً مُبْدِعاً في الغَوْص على المعاني وفي الإتيان بالألفاظ الجميلة ممّا رَفَعَه في نظمِ الشعرِ فوق مُستوى العلماءِ والكُتّاب ممّن يأتي شِعْرُهم في العادةِ جافّاً أو قليلَ الرَوْنق . وأكثرُ شعرِ ابنِ المجاور قائم – في ما وَصَلَ إلينا من شعره – على اللَفَتات البارعة في الغَزَل وفي الأدبِ ، أي في الناحية الفكرية .

٣ – مختارات من شعره

– قالَ ابنُ المجاور في وَصْفِ الخَدّ بعدَ نَبْتِ العِذار (اوّل الشعر) فيه :

ولمّا تولّى الخدَّ والِي عِذارِه ... رَفَعْتُ إليه قِصّتي أتَظَلّمُ[1] .
فوقّعَ فيها خَطّه بصَبابتي ... وقال لي : السُلوانُ شيءٌ مُحَرّمُ[2] .
أتَلْبَسُ ثوبَ الخَدّ إذ كان ساذَجاً ... وتخلَعُهُ لمّا بدا وهو مُعْلَمُ[3] !

– وله بيتانِ مشهورانِ لما فيهما من المَرَحِ لا لما فيهما من الخُلُق الكريم :

(١) لما أصبح عذاره والياً على خده (منتشراً في خده عاماً) ، رفعت اليه قصّتي (قضيتي : كتبت اليه أشكو اليه حالي) أتظلم (أشكو أنني كنت أحبه ، وها قد نبت الشعر في وجهه ، فماذا أفعل ؟) .

(٢) – فوقع فيها خطه (كتب في ذيلها حكمه بخط يده) بصبابتي (بحبي ، باستمراري في حبه). السلوان : النسيان (نسيان المحبوب) .

(٣) – ثم قال معللا حكمه السابق : أتلبس ثوب الخد (ربما : ثوب الحسن) ؟ ساذج (مغفل بضم الميم وسكون الغين وفتح الفاء : بسيط ، موحد لا علامات فيه ولا نقوش) . المعلم : المزين بالعلامات والنقوش .

صديقٌ قالَ لي ، لمّا رآني وقد صلّيتُ زُهْداً ثمّ صُمْتُ :
على يدِ أيِّ شيخٍ تُبْتَ ؟ قُــلْ لي . فقُلْتُ : على يدِ الإفلاسِ تُبْتُ .

٤ ــ ** الغصون اليانعة ١٩ ــ ٢٥ ؛ أعلام الزركلي ٩ : ٣٠١ ــ ٣٠٢ .

النفيس القطرسي

١ ــ هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ الغَنِيّ بنِ أحمدَ القُطْرُسيّ ــ نِسْبَةً إلى جَدّه قطرس ــ المعروفُ بالنفيسِ .

وُلِدَ النَفيسُ القُطْرُسِيّ نَحْوَ سَنَةِ ٥٣٣ هـ (١١٣٩ م) في مِصرَ (ببلدة قوص ؟) . ولمّا شَبَّ جَعَلَ يَطوفُ البلادَ مُتكسّباً بشعرِه . وكانت وفاتُه في ٢٤ من ربيعٍ الاوّلِ من سَنَةِ ٦٠٣ (٢٩ــ١٠ــ١٢٠٦ م) في قوص .

٢ ــ كان للنفيس القطرسيّ إلمامٌ بالفِقْه وبعلوم الأوائل (الفلسفة) ، ولكنْ غَلَبَ عليه الأدبُ والشِعر . وفي شعرِهِ سُهولةٌ وعُذوبة . وفنُونُه المدحُ والغَزَل والحِكمة .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال النفيسُ القُطْرُسيّ في النسيب :

يا راحــلاً وجميلُ الصبرِ يَتْبَعُهُ هل من سَبيلٍ إلى لُقْياك يَتّفــقُ ؟
ما أنْصَفَتْكَ جُفوني وَهْيَ دامِيةٌ ، ولا وَفى لكَ قلبي وَهْوَ يحترقُ !

ــ ومدحَ الأميرَ شجاعَ الدين جلْدكَ التَقَويّ المعروفَ بوالي دِمْياطَ :

قُلْ للحبيبِ : أطَلْتَ صَدّكْ وجَعَلْتَ قتــلي فيك وُكْدَكْ .
وأنــا عليكَ كمــا عَهِد تَّ وإنْ نقضــتَ عليَّ عَهْدك .
أحْرَقْتَ ، يــا ثَغْرَ الحبيــ بِ ، حَشايَ لمّا ذُقْتُ بَــرْدَك .
أتَظُنُّ غُصْــنَ البانِ يُعْــ جِبُني وقد عاينــتُ قَدّك ؟
أم يَخْــدَعُ التُفّاحُ ألْــ حاظي وقد شــاهدتُ خَدّك ؟
لا ، والذي جعــلَ الهوى مولايَ حتّى صِرْتُ عبدك ،
أتظُنُّني جَلْــدَ الهــوى أو أنّ لي عزَماتِ جَلْدك !

٤ ــ ** وفيات الأعيان ١ : ٩١ ــ ٩٣ ؛ الغصون اليانعة ١٩ ــ ٢٥ ؛ الوافي بالوفيات ٧ : ٧٢ــ٧٤؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٤٧ .

ابن الساعاتي

١ – هو بهاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليّ بنُ رُستَمَ بنِ هردوزَ ، كان أبوه من خُراسان فجاء إلى الشامِ واشتهر فيها بعِلْم النجوم وصُنْع الساعات فعُرِفَ بالساعاتي. وفي دمشق وُلِدَ بهاء الدين علي سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٩ م) وعُرِفَ بابنِ الساعاتيّ .

تكسّبَ ابنُ الساعاتيّ بالمديحِ فقَصَدَ القاضيَ الفاضلَ في آمِدَ (على دِجْلَةَ) ومَدَحه (٥٧٩هـ=١١٨٣م) . واتفق في تلك السَنَةِ أنِ اتّجَهَ صلاحُ الدين الأيّوبيّ من آمِدَ إلى حَلَبَ لإنقاذها من يد الإفرنجِ الصليبيين ، فلمّا وَصَلَ الى عينتابَ وافاه بها ابنُ الساعاتي ومَدَحَه .

ولم تَبْسِمِ الدُنيا في الشامِ لابنِ الساعاتيّ فرَحَلَ الى مِصْرَ يتكسّبُ بمديحِ رجالِ الدولةِ الأيوبية . فلمّا أصبحَ على شيءٍ من الغِنى كان قد فُجِعَ بأبناءٍ له ثلاثةٍ قَبْلَ ٥٩٧ هـ . فعاشَ بَقِيّةَ عُمُرِه حزيناً كئيباً ثم تُوفّيَ في مِصْرَ سنة ٦٠٤ (١٢٠٩م) .

٢ – كان ابنُ الساعاتيّ مِنَ الظُرفاء يُحِبّ الطَرَبَ ومجالسَ اللَهْوِ ، وكان مُعْجَباً بنفسِه ناقماً على حُسّاده ضيّقَ الصَدْرِ بمُنافسيه . وهُوَ شاعرٌ مكثرٌ متكلّفٌ مُغْرَمٌ بالصناعة شديدُ الوَلَعِ بضُروبِ البديع لا يُجاريه في ذلك إلا ابنُ الفارض . وفنونُه المدحُ والفَخْرُ والرثاء والهجاء والوَصْف والغَزَل والمُجون ؛ وأكثرُ شعرِه الغَزَلُ ووصفُ الطبيعةِ والقصور والرياض . وشعرُه كلّه موسومٌ بسَلاسةِ اللفظ ولَطافة التعبير . له ديوان شعر ثم مجموعٌ عنوانه « مقطعات النيل » .

٣ – مختارات من شعره

– لابن الساعاتي في ديوانـه « مقطّعات النيل » قطعة يذكر فيها ليلة له في أسيوط . والقطعة مثقلة بالصناعة (وفيات الأعيان ٢ : ٦٣) :

للهِ يـومٌ في سُيوطَ وليـلةٌ صَرْفُ الزمـان بأختِها لا يَغْلَطُ .
بِتْنا وعُمرُ الليـلِ في غُلَـوائهِ ، وله بنور البدر فَرْعٌ أشْمط[١].

(١) الغلواء : أول الشباب (في أشدسواده). غير أن البدر المضيء كان ينير منه جوانب (يختلط فيه السواد بالبياض) . الأشمط : الذي كثر شعره الابيض .

والطَّلُّ في سِلْكِ الغصون كلؤلـؤٍ   رَطْبٍ يُصافِحُهُ النسيمُ فَيَسْقُطُ[1] .
والطيرُ يقرأ ، والغديـر صحيفة ،   والريح تكتب ، والغَمام ينقّط .

– قال ابن الساعاتي يمدح الملك المعزّ فتح الدين اسحق بن الملك الناصر (وللقصيدة مقدّمة غزلية طويلة) :

فعسى نَفْحَةُ الصَّبـا تُذهِبُ السُّقْـ   ـمَ ، وهل يُذْهِبُ السقيمُ السَّقاما ؟
يا ظِباء الصّريمِ[2] ، ما كنت بالحـا   ئفِ من تِلْكُمُ العهودِ انصراما .
يَقَظاتٌ كالحُلْمِ كانت ؛ وأحلى الـ   ـعيش ما كان يُشْبِهُ الأحلاما .
لو علمنا بهنّ غـدر الليالي   لأخذنا مـن الليالي ذِمـاما[3] !
كلّ بَيْضاءَ حَجّبوها بسَمْرا   ءَ ، فأدنـى مَزارِها لن يُراما[4] .
تفضح البـدرَ والغَزال وخُوطَ الـ   ـبان : وجهاً ومُقْلَةً وقواما[5] .
وكأنّ الغمام نَقْـعٌ ، وقد جَـرّ   دَ فيه المَلْكُ المُعـزّ حُساما[6] ؛
الجوادَ الوهّابَ والمخبت الأوّا   بَ واللـوذعيّ الُهمـاما[7] ،
مُقْعِدٌ للعِدى مُقيم ، وأدهـى الـ   ـخوفِ ما أقْعَـدَ العِدى وأقامـا .
مهّد الديـنَ سَعْيُهُ وحمى الـ   ـدنيا وحاط البـلادَ والإسلاما .
من أُناسٍ تسنّموا ذِروةَ السؤ   دُدُ والمجدِ غارباً وسِناما[8] .

---

(۱) الطل : الندى . – يجعل الندى الذي كان قد تجمع في الليل على الاغصان كأنه لؤلؤ منظوم في أسلاك (خيوط) . الرطب : الناعم ، واللؤلؤ الرطب الذي كان نضجه قد تم في المحار قبل أن يلتقط .

(۲) الصريم : مكان في بلاد العرب (لعله كان مشهوراً بالظباء) .

(۳) لو كنا نعلم أن الليالي ستغدر بتلك اليقظات (ستنهيها بالنوم) لأخذنا من الليالي ذماماً (عهداً) بألا تفعل .

(٤) البيضاء : المرأة البيضاء (الجميلة) . سمراء (رماح ؟) . أدنى مزارها : أقرب جانب من مزارها (زيارتها) .

(٥) خوط البان : غصن البان (وهو طويل مستقيم لين) . هي تفضح البدر (تظهر عيبه اذا قورن) بوجهها ، وتفضح الغزال بمقلتها (عينها) ، وخوط البان بقوامها .

(٦) النقع (بفتح النون) : غبار الحرب . يذكر الشاعر (في بيت سابق) أن البرق في الغيم كان كثيراً شديداً ، فكان الملك المعز يضرب بسيفه في غبار معركة من المعارك .

(۷) الجواد : الكريم . المخبت الأواب : التقي الذي يخاف الله و يذكره كثيراً . اللوذعي : الذكي ، الحديد الفؤاد اللسن الفصيح . وألفاظ البيت كلها منصوبة على الاختصاص (بالفعل : أخص ، أقصد) .

(۸) غارب البعير : عنقه . سنام البعير : الجزء المحدودب من ظهره تسنموا غارب المجد وسنامه : حازوا جميع المجد .

فهُمُ أنجُمُ السماءِ المنيرا تُ أو العِقدُ نِسْبةً ونِظاما[1] .
هم بِحارُ الجود الزواخرُ يُنجي مَوْجُها المُدقِعِين والأيتاما[2] .
وجبالُ الحِلم الرواسخ إنْ أفْـ ظعَ خطبٌ يُسفّه الأحلاما[3] .
يُلبِسون الحياةَ بُرداً من العيـ بِ نقيّاً لا يحمل الآثاما[4] .
فلقد كلّتِ الظُبى الضربَ والسُمْـ رُ من الطعن والجيادُ الصداما[5] ؛
واستحال الهجيرُ ظِلاً ، ونار الـ كُفْرِ صارت بَرْداً لنا وسَلاما[6] !

٤ — ديوان ابن الساعاتي (نشره أنيس المقدسي) ، بيروت (الجامعة الاميركية) ١٩٣٨ — ١٩٣٩ م .

** وفيات الاعيان ٢ : ٦٣ ؛ طبقات الاطباء ٢ : ١٨٤ (في ترجمة والده فخر الدين الساعاتي ٢ : ١٨٣ — ١٨٤) ؛ الغصون اليانعة ١١٨ — ١٣٠ ؛ العبر ٥ : ١١ شذرات الذهب ٤ : ١٣ — ١٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٨ ، الملحق ١ : ٤٥٦ ؛ زيدان ٣ : ٢٠ — ٢١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٢١ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٥٠ .

الفخر الرازي

١ — هو فخر الدين أبو عبد الله محمّدُ بنُ عُمَرَ بنِ الحسين الرازيّ المعروفُ بابنِ خطيبِ الريّ — لأنّ والدَه كان يخطُبُ في الريّ — وُلِدَ في ٢٥ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٤٤ (٧-١-١١٥٠ م) في الأغلب .

بدأ الفخرُ الرازيّ تَلَقّي العلمِ على أبيه الى أن ماتَ أبوه ، ثمّ اشتغل على المجد الجِيلي . ولمّا انتقل المجدُ الجيليّ إلى مَراغةَ انتقلَ الفخرُ الرازيّ مَعَه وقرأ عليه هنالك الحِكمة (الفلسفة) وعلم الكلام .

---

(١) فهم العقد نسبة ونظاماً : يكون العقد منسوباً (أكبر حباته في الوسط ، ثم تتوالى الحبات بعداً عن الوسط بحسب حجمها) النظام : الخيط الذي يجمع حبات العقد (لعله يريد أن يقول : انهم جامعو أمر الناس كما يجمع خيط العقد حباته) .

(٢) المدقع : الفقير الشديد الفقر .

(٣) — اذا نزل بالناس خطب فظيع (مصيبة عظيمة) تسفه الاحلام (تبطل عمل العقول) فانهم هم يظلون صابرين ويظل عقلهم راسخاً كالجبال .

(٤) يخلعون على الحياة برداً (ثوب حرير) نقياً (خالياً) من العيب . — يجعلون الحياة جميلة .

(٥) الظبى : جمع ظبة (بضم الظاء وفتح الباء) : حد السيف . السمر جمع أسمر : الرمح . الجياد جمع جواد : الحصان .

(٦) الهجير : وسط النهار (عداوة الروم للمسلمين) .

وبعدَ أن مَهَرَ في العلوم تَطوّفَ في بلادَ المشرق يتَصدرُ فيها للتدريس ويعقدُ مجالسَ العلمِ ومجالسَ الوعظ : كانتْ له مدرسةٌ في خوارزمَ يدرّسُ فيها ومجلسٌ للوعظ في هَراةَ .

وكانت وفاةُ الفخرِ الرازيّ في هَراةَ يومَ عيدِ الفِطرِ (أولَ شوّالٍ) من سَنَة ٦٠٦ (٢٩–٣–١٢١٠ م) .

٢ – الفخرُ الرازيّ في الأصل مُفكّرٌ : فقيهٌ ، أُصوليٌّ (عالم في أصول الفقْه) وعالم رِياضيّ وطبيعيّ وفيلسوف . ولكنّ له معرفةً بالنحو والأدب ويَغْلِبُ عليه شيءٌ من الزُهْد والتصوُف : فقد كانت له في الوعظ اليدُ البيضاءُ يَعظُ باللسانين العربيّ والعجميّ (الفارسي) ، وكان يلحَقُهُ الوَجْدُ في حال الوعظ ويُكْثِرُ البكاء . وكان له شيء من النظم . وكُتُب الفخر الرازي كثيرة معظمها في التفسير والفلك ، فمن كتبه : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) – درّة التنزيل وغرّة التأويل – نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – غريب القرآن – مناقب (فضائل) الإمام الشافعيّ – قلائد عقود العقيان في مناقب أبي نُعمان* – محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين من العلماء والحكماء والمتكلّمين – أسرار التنزيل (في التوحيد) – المباحث المشرقية (في الفلسفة والعلم) – أساس التقديس – المحصّل في علم الأصول – شرح المفصّل في النحو (للزمخشري) – شرح ديوان سقط الزند ، الخ الخ .

٣ – مختارات من آثاره

– قال الفخرُ الرازيّ في مُعاناة التفكير وفي القضاء والقَدَر :

نِهايةُ إقدامُ العُقولِ عِقالُ ، وأكثرُ سَعْيِ العالمين ضَلالُ[١] .
وأرواحُنا في وَحشةٍ من جُسومنا ، وحاصلُ دُنيانا أذًى ووَبال[٢] .
ولم نَستْفِدْ من بَحْثِنا طولَ عُمْرِنا سِوى أن جَمَعْنا فيه قيلَ وقالوا .
وكم قد رأينا من رجالٍ ودولةٍ ، فبادوا جميعاً مُسْرِعينَ وزالوا .

(١) إقدام (جرأة) العقول (على البحث في ما وراء الأمور المحسوسة : الله ، الخ) عقال (رباط : مانع من وصول الى نتيجة عملية حاسمة) .

(٢) أرواحنا في وحشة من جسومنا : غاية أرواحنا (نفوسنا) من الوجود مختلفة من حاجات أجسادنا ولا يمكن التوفيق بينهما في غاية أو حاجة . وبال : هلاك .

* كذا في بروكلمان : أبو النعسان (١ : ٦٦٧ ، السطر الثاني ، الملحق ١ : ٩٢١ ، السطر ١٣) ثم : النعمان (٣ : ١٠٣١ ، العمود الثاني ، السطر ٢٨ – فهرست الكتب) . اقرأ . أبو حنيفة النعمان .

وكم من جبالٍ قد علا شُرُفاتِهـا رِجالٌ ، فزالوا والجبالُ جبال[١] .

– وكتب في مرض موته وصيّةً جاء فيها :

.... اعْلَموا ، إخواني في الدين وأخْداني[٢] في طَلَبِ اليقين ، أنّ الناس يقولون : الإنسانُ إذا مات انقطعَ تعَلّقُه عن الخلق . وهذا العامّ[٣] مخصوصٌ من وَجْهَيْنِ : الأوّلُ إنْ بَقِيَ منه عملٌ صالح ، صار ذلك سبباً للدُعاء ، والدعاءُ له أثرٌ عندَ الله[٤] . والثاني ما يتعلّق بمصالح الأطفال والأولاد والعَوْرات وأداء المظالم والجنايات . أمّا الأوّلُ فاعْلَموا أنّي كُنْتُ رَجُلاً مُحِبّاً للعلم ، فكُنْتُ أكتُبُ في كلّ شيء شيئاً، لا أقِفُ على كَمّيّة أو كيفيّة ، سواءٌ أكانَ ذلك حقّاً أو باطلاً أو غثّاً أو سَميناً . إلاّ أنّ الذي نَظَرْتُه في الكُتُبِ المُعْتَبَرةِ لي أنّ هذا العالم المحسوسَ تحتَ تدبيرِ مُدبّرٍ مُنَزّهٍ عن مماثلةِ المُتَحَيِّزات والأعراض ومَوْصوف بكمال القُدرة والعِلم والرحمة[٥] ....

٤ – مفاتيح الغيب (التفسير الكبير[٦]) ، بولاق ١٢٧٨ ، ١٢٨٩ ه ؛ استانبول ١٢٩٤ ، ١٣٠٧ ه (؟) ؛ القاهرة (المطبعة البهيّة المصرية) ١٩٣٨ م ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ – ١٣٠٩ ه .

نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ، القاهرة (مطبعة الآداب) ١٣١٧ ؛ القاهرة ١٣٢٧ ه .

المباحث المشرقية في علم الآلهيّات والطبيعيّات ، حيدر آباد (مجلس دائرة المعارف العثمانية) ١٣٤٣ ه .

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (تحرير علي سامي النشّار) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٨ م .

مناقب الامام الشافعيّ ، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ ه .

أساس التقديس ، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣١٨ ه ؛ القاهرة ١٣٢٨ .

محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين ، مصر ١٣٢١ ؛ مصر (المطبعة الحسينية) ١٣٢٣ ه .

لوامع (الاوامع) البيّنات في أسماء الله تعالى والصفات ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٢٣ ه .

معالم أصول الدين (بهامش « محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين الخ) .

قلائد عقود العقيان .

---

(١) – علا رجال على شرفات الجبال (تغلبوا على مصاعب الحياة ، بلغوا مكانة سامية) .

(٢) الخدن (بكسر الخاء) : الصديق . (٣) هذا الحكم العام .

(٤) في الحديث الشريف : اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : علم نافع أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له .

(٥) الله تعالى منزه (لا يوصف بصفات خلقه) عن مماثلة (مشابهة) المتحيزات (الأجسام) .

(٦) في معجم المطبوعات العربية ، ص ٩١٧ : جزء ٦ (بولاق ١٢٧٩ – ١٢٨٩ ه) ، جزء ٧ (١٣٢٤ه) ، جزء ٨ (مصر ١٣٠٩ ه ؛ المطبعة الحسينية ١٣٢٧ – ١٣٣٠ ه) .

غريب القرآن .
الفراسة (انظر تحت) : الفراسة العربية وكتاب الفراسة ...
المسائل الخمسون في أصول الكلام في « مجموعة الرسائل » (بعناية محيي الدين الكردي) ، مصر (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ .
الاربعون في أصول الدين .
لباب الاشارات (بتصحيح بدر الدين النعساني) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .
شرح قسم الإلهيّات من اشارات ابن سينا ، آستانة ١٢٩٠ هـ؛
عصمت الأنبياء ، القاهرة ١٣٥٥ هـ .
رسالة في علم الفراسة (نشرها محمد راغب الطباخ) ، حلب ١٣٤٧ هـ.
مناظرة جرت في بلاد ما وراء النهر في الحكمة والخلاف بين الامام الرازي وغيره، حيدرآباد ١٣٥٥ هـ .

** الفراسة العربية وكتاب الفراسة (للفخر الرازي) (تحرير يوسف مراد) ، باريس (غونتر)١٩٣٩.
فخر الدين الرازي : تمهيد لدراسة حياته ومؤلفاته (في « كتاب » مقدّم لطه حسين) ، القاهرة ١٩٦٢ م (ص ١٩٣ — ٢٣٤) .
طبقات الأطبّاء ٢ : ٢٣ — ٣٠ ؛ ابن القفطي ١٩٠ — ١٩٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٦٥ — ٢٦٨ ؛ العبر ٥ : ١٨ — ١٩ ؛ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢١ — ٢٢ ؛ بروكلمان ١ : ٦٦٦ — ٦٦٩ ، الملحق ١ : ٩٢٠ — ٩٢٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ٧٥١ — ٧٥٥ ، زيدان ٣ : ١٠٢ — ١٠٣ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٠٣ ؛ تاريخ الفكر العربي ، الطبعة الثانية ٥٤٢ — ٥٤٤ . ابن الأثير ١٢ : ٢٨٨ .

اسعد بن مَمّـــاتي*

١ — هو القاضي الأسعدُ أبو المَكارمِ أسعدُ بنُ الخطيرِ[١] أبي سعيدٍ مُهَذّب ابن مينا بن زكَرِيّا بن أبي قُدامة بن أبي مَليحٍ مَماتي[٢] ، أصلُه من نصارى أسْيوط في صَعيدِ مِصْر ؛ ولِدَ نحو سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) .

انحدرَ أبو مَليحٍ مَمّاتي إلى القاهرة في أيامِ الفاطميين وأصبح كاتباً في الدولة في أيام بَدْرٍ الجَمَالي (٤٦٦—٤٨٧هـ)فَعلَتْ مَنْزِلَتُه وجَمَعَ منالخِدمة أموالاً طائلة : وظلّ آل مَماتي في خِدمة الدولة، وهمنَصارى، حتّى استولى الأيوبيّون

(*) وربما قيل اختصاراً : أسعد مماتي .
(١) كان الخطير (ت ٥٧٧ هـ) شاعراً (الخريدة — مصر ١ : ١١٣ — ١١٧) .
(٢) لقب بذلك « أبي مليح » لأنه كان يطعم الصغار في عام من المجاعة.

على مصر (٥٦٤ هـ = آذار – مارس ١١٦٩ م)، فاختَلَفَتْ سياسة الدولة عَمّا كانت عليه أيام الفاطميين ونَمّا حديث آل مَمّاتي بما كانوا قد تصرّفوا بأمورِ الدولةِ وجَمّعوا من الأموال. فجَمَعَ الخطير أبو سعيد مهذّبٌ أولادَه (وفيهم أسعد صاحب هذه الترجمةِ) ودخلَ بهم على شيركُوه[1] «وأسلموا على يده فقَبِلَهُمْ وأحْسَنَ إليْهم وزادَ في وِلاياتهم؛ وجَبَّ الاسلامُ ما قبله»[2].

خلَفَ أبو المكارم أسْعدُ أباهُ على ديوانِ الجيش ثم أُضيفَ اليه ديوانُ المالِ وعَدَدٌ آخَرُ من الدواوين؛ ثم تَوَثَّقتِ الصُحْبَةُ بينَه وبينَ القاضي الفاضل.

في سنة ٥٩٦ هـ تولّى الملكُ العادلُ مصرَ بالاضافة إلى دمَشْقَ، وكان وزيرُه والمدبّرُ لدولته رجلاً اسمه الصفيّ عَبيدُ الله بن عليّ بنِ شُكْر. ويبدو أن ابن شكر انتقل إلى مصْرَ نحو سَنَةَ ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) فأظهر المودّةَ لأسعدَ بن مَماتي في أوّلِ الأمرِ ثم انقلب عليه يُضايقه، فقد كانت بينَهما عَداوةٌ قديمةٌ، ثمّ نحّاه عن مناصبه وحبَسه في مبالغَ من المال، في حديث طويل.

وفي سنة ٦٠٤ هـ استطاع أسعد بن ممّاتي أن يهرب من مصر فجاء إلى حَلَب وعاش فيها الى أن تُوُفّيَ في ١٨ جُمادى الأولى من سنة ٦٠٦ (١٩–١١–١٢٠٩ م).

٢ – أسعدُ بن ممّاتي أديبٌ كاتبٌ شاعرٌ ومُصَنّفٌ، نَظَمَ سيرةَ صلاحِ الدين الأيّوبي، ونظم كِتابَ كَليلةَ ودِمنةَ شِعْراً، وقد جَمَعَ ديوانَه بنفسه. وشِعرُه الذي بين أيدينا فيه شيءٌ من الإحسان وشيءٌ من التكلّف؛ وأغراضُه المَدْح والهجاء والغزل والنسيب والوصف: لمّا نزل في حلب بَهَرَه تَساقطُ الثلج فيها في الشتاء فأكثرَ من وصفه. وأما تصانيفه فقد قال فيها ياقوتٌ الحمَويّ (معجم الادباء ٦ : ١١٧) إنّها كثيرة ولكن بلا قيمةٍ علميةٍ، إذ كان يَقْصِدُ فيها إلى ذكر الأمور التي تجري عادة بين جماهير الناس؛ فمن كتبه: كتاب سرّ الشعر، كتاب علم النثر – كتاب الشيء بالشيء يذكر – كتاب الفافوش في أحكام قراقوش – كتاب قرقرة الدجاج في ألفاظ ابن الحجّاج[3] – كتاب لطائف الذخيرة لابن بسّام – كتاب

(١) عم صلاح الدين الأيوبي والوزير في مصر (٥٦٣ – ٥٦٤ هـ) في أيام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في مصر (٥٥٥ – ٥٦٤ هـ).

(٢) «جب الاسلام ما قبله»: الدخول في الاسلام يمحو جميع السيئات والإساءات التي كانت من أصحابها في أيام الكفر.

(٣) ابن الحجاج أبو عبد الله الحسين بن حمد (ت ٣٩١) راجع ٢ : ٥٧٤.

سيرة صلاح الدين الأيوبي — كتاب كَرَمِ النجار في حَفْظ الجار — كتاب قَرْص العِتاب، الخ .

٣ — مختارات من آثاره

— قال الاسعد ممّاتي يَصِفُ أولاداً صِغاراً يَسْبَحون في النيل :

خليجٌ كالحُسامِ له صِقالٌ ، ولكن فيه للرائي مسرّه[١] .
رأيت به المِلاح تُجيد عَوْماً ، كأنّهم نُجوم في مجرّه[٢] !

— وله في النسيب :

قد نَهانا عن الغَرامِ نُهانا إذ هَوانا ألاّ نذوقَ هَوانا[٣] ؛
وهجرنا الحبيب خيفة أن يَهْـ جُرَ بدءاً فيَسْتَمِرَّ عَنانا[٤] .
أيُّ خيرٍ يكون في حبّ من فـوّ قَ سهماً من لحظه ورمانا[٥] .
نحن لو لم نكن هجرناه من قبـ لُ لأبْدي صدوده وجفانا .
شيمة في المِلاح قد أحْسن الدهـ ر بإعلامها بنا وأسانا[٦] .
ما مَشَيْنا إلى الصَبابة إلاّ وخُطانا مَعْدُودةٌ من خَطانا[٧] !

— وله في وصف الثلج :

نَثَرَ الثلْجُ علَيْنا ياسَميناً وفَراشا[٨] .

---

(١) الخليج : النهر .

(٢) المجرة : مجموع من النجوم بعيد عنا جداً فيرى كأنه طريق لاحب (عريض وطويل) مستعرض في السماء (يرى في الشام في أول الليل ممتداً من الشمال الى الجنوب . وهو يسمى النهر أيضاً ، قال ابن سناء الملك : « ولو كان لي نهر المجرة مورداً » .

(٣) نهانا (بفتح النون) : منعنا ، حجزنا عن . نُهانا (بضم النون) : عقلنا . هوانا (الاولى) : حبنا ، رغبتنا . هوانا (الثانية) : الهوان ، الذل .

(٤) خيفة أن يهجر بدءاً : خوفاً من أن يكون الحبيب بادئاً بالهجران . عنانا = عناؤنا : تعبنا ، المشقة الواقعة علينا .

(٥) فوق السهم : وضع السهم في وتر القوس استعداداً لإطلاقه.

(٦) باعلامها بنا : باعلامنا بها . أسانا : وواسانا ، سلانا (خفف من حزننا) وأساءنا (أساء إلينا) .

(٧) الصبابة : شدة المحبة والاندفاع في لهو الصبا . الخطا (بضم الخاء، ويجوز فتحها) = الخطوات (جمع خطوة : مقدار ما بين القدمين عند المشي) . الخطا = الخطأ .

(٨) فراش — في البيت الاول : (جمع فراشة) . في البيت الثاني : الفاء حرف عطف ، راش يريش (وضع على جانبي السهم ريشاً). في البيت الثالث : فراش (بكسر الفاء : غطاء : ما ينام عليه الانسان) . الكافور أبيض اللون . العنبر أسمر (أسود اللون) .

ورأى أن يُرْسِلَ الأَسْ   هُمَ بالبرد فرَاشا ،
فغدا الكافورُ في عَنْـــ   بَرَةِ الأَرض فِراشا !

ــ حكاية من كتاب الفاشوش في حكم قراقوش[1] :

حُكِيَ أنّ شَخصاً شكا إلى الأميرِ بهاءِ الدين قراقوشَ مُماطلةَ غَريمه . فذَهَبَ المَدينُ الى الأمير وقال له : يا مولانا ، أنا رجل فقير ، وكلّما حاولتُ أَنْ أحصُلَ للدائنِ على شيءٍ لم أجده[2] . فاذا صَرَفْتُ ذلك الشيءَ جاء الدائن وطَلَبَني (طالبني) . فقال قراقوشُ : احبِسوا صاحبَ الحقّ حتى يَصيرَ المَدْيونُ اذا حَصَلَ على شيءٍ يَجِدُ لصاحبِ الحقِ موضعاً معلوماً يذهبُ إليه فيه ويدفعُ الحق . فقال صاحب الحقّ : تركتُ (حقّي . و) أجري على الله . ومضى .

٤ ــ قوانين الدواوين ، القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ ﻫ ؛ (جمعه وحقّقه عزيز سوريال) ، القاهرة (مطبعة مصر) ١٩٤٣ م .
الفاشوش في أحكام قراقوش ، مصر (المطبعة الخصوصية) ١٣١١ ﻫ .

** الخريدة (مصر) ١ : ١٠٠ ــ ١١٣ ؛ معجم الادباء ٦ : ١٠٠ ــ ١٢٦ ؛ انباه الرواة ١ : ٢٣١ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١١٩ ــ ١٢١ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٠ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٣٢٣ ــ ٣٢٨ ؛ بروكلمان ١ : ٤٠٨ ــ ٤٠٩ ، الملحق ١ : ٥٧٢ ــ ٥٧٣ ؛ زيدان ٣ : ١١٩ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٩٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٦٣ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ٣٥١ وما بعد .

مجد الدين بن الأثير

هُوَ مجدُ الدين أبو السعاداتِ المباركُ بن محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الكريم بن عبد الواحد بن الأثيرِ الشّيباني الجَزَري المَوْصِليّ ، وُلِدَ في جزيرة ابنِ عمَرَ (مدينة شَمالَ المَوْصِلِ على نهر دِجْلَةَ) ، والجَزَريّ نسبة الى جزيرة ابن عمر[3] .

(١) قراقوش = قره (أسود) قوش (أذن) : تركيب معناه : ذو الأذن السوداء . ــ بهاء الدين قراقوش أمير شهد آخر العصر الفاطمي وأول العصر الأيوبي ، وكان رجلا شجاعاً حازماً عمرانياً بارعاً أشرف على انشاء عدد كبير من القلاع للدفاع عن القاهرة ضد الافرنج الصليبيين . على أن نفراً من الحاقدين أعداء النظام في الدول اختلقوا عليه حكايات غبية (أو نسبوا حكايات غبية قديمة اليه) حتى أصبحت كلمة « قراقوش » تدل على « الاستبداد مع الغباوة في تصريف أمور الدول والامم » .
(٢) اقرأ : وكلما حصلت على شيء من المال وحاولت أن أجده لأدفع اليه ذلك المال لم أجده .
(٣) مدينة بناها عبد العزيز بن عمر فنسبت اليه .

وُلِدَ مجدُ الدين بنُ الأثير في أحد الرَّبيعين من سَنَةِ ٥٤٤ هـ (صَيْفَ ١١٤٩ م) في جزيرة ابن عمرَ ونشأ فيها ثمّ انتقل الى المَوْصل ، سنة ٥٦٥ هـ (١١٧٠ م) وأخذ فيها الأدَبَ عن ناصحِ الدين أبي محمّدٍ سعيدِ بنِ الدهّان البغداديّ وأبي بكرٍ يحيى ابن سَعْدونٍ المَغْرِبيّ القُرْطبي وأبي الحَزْم مَكّي بن الريّانِ بن شَبّةَ الماكسي النَّحْوي الضَّرير . وسَمِـــعَ الحديثَ من خطيب الموصل أبي الفضلِ بنِ الطوسي وغيره.

ولمّا حَجّ مجدُ الدين بنُ الأثيرِ مَرَ بِبَغْدادَ فسَمِـــعَ (الحديث) من أبي القاسم صاحبِ أبي الخَلّ ومن عبد الوهّاب بن سُكَينة .

وتولّى مجدُ الدين بن الأثير الخزانة لسيفِ الدين الغازي بن مَوْدود بن زَنْكي (٥٦٤ – ٥٧٢ هـ) ، ثمّ ولاّهُ سيفُ الدين ديوانَ الجَزيرة وأعمالَها . ثمّ عاد مجدُ الدين الى الموصل فناب في الديوان عن الوزير جلالِ الدين أبي الحسنِ عليّ بنِ جَمالِ الدين بنِ محمّدِ بن منصورِ الإصْبهاني . بعدئذ اتّصل بمُجاهد الدين قايمازَ ونال عنده دَرَجَةً رفيعةً . فلمّا قُبِضَ على مجاهدِ الدين اتّصل ابنُ الأثير بخِدْمةِ أتابَكَ عزّ الدين مسعودِ بن مودود (٥٧٢ – ٥٨٦ هـ) إلى أن توفّي مسعود (في شعبان ٥٨٦). فاتّصل ابن الاثير بخدمةِ وَلَدِه نور الدين أرسلان شاه (٥٨٩ – ٦٠٧ هـ) وأصبح أكثرَ الناسِ نفوذاً في أمور الدولة . وفي نحو بدء القرن السابع ، فيما يبدو أُقْعِدَ[1] مجدُ الدين بن الأثير ، وكان قد أصبحَ في أواخر عُمُرِه ، فلَزِمَ بيتَه فكان أرسلان شاه يَجيئه لاستشارته في بَعْض شؤون الدولة أو يُرْسِل اليه بَدْرَ الدين لؤلؤاً الذي أصبح ، فيما بعدُ (٦٣١هـ) ، أتابك الموصل . وكانت وفاةُ مجدِ الدين بن الاثير في المَوْصل في ٣٠ من ذي الحِجّة من سنة ٦٠٦ (٢٦–٦–١٢١٠ م) .

كان مجدُ الدين بنُ الأثير يَجْمَعُ بين عِلْمِ العربية وعلم القرآن والنحو واللغة والحديث والفِقْه ، وكانت له معرفــةٌ بشُيوخ الحديث وبصحيحه وضعيفه . وكذلك اشتغل بالأدب . ثم له شيء من الشعر ولكن لم يكن له بـــه عِناية تُوجِبُ له حُسْنَ النظم .

وهو مصنّفٌ له : جامع الأصولِ لأحاديث الرسول ، جمع فيه بين الأحاديث في صحيحي البخاري ومُسْلِمٍ وفي المُوَطّأ لمالك بن أنَسٍ وفي سنن أبي داوود والنسائي والتِرْمذي ، وعَمِلَهُ مُرَتّباً على حروف المُعْجَم (معجم الادباء ١٧ : ٧٦) .

---

(١) أصابه عجز عن القيام والمسير .

وقد وَضَعَه على مِثالِ كتابِ رُزين بن مُعاوية الاندلسي ، إلاّ أنّ فيه زياداتٍ كثيرةً (راجع وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٣) — النهايـــة في غريب الحَديث والأثر (وهو أيضاً على حرف المعجم) — تجريد أسماء الصحابة — المرصّع وهو كتاب البنين والبنات والآباء والأمهات والأذْواء والذَوات[١] — كتاب الشافي (شافي العيِّ) في شرح مُسْنَدِ الشافعيّ (ذكر أحكامَه ولغته ونحوه ومعانيَهُ) — كتاب الإنصاف في الجمع بين الكَشْف والكَشّاف في تفسير القرآن العظيم — أخذه من الثعلبي والزَمَخْشري[٢] — المختار في مناقب الاخيار (الابرار) — المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار — كتاب البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدهّان[٣] — الباهر في الفروق (في النحو). ثمّ له كتاب صَنْعة الكتابة — ديوان رسائل (مراسلات) ورسائـــل في الحساب ومُجَدْوَلاتٌ (رسائل جُعلت موضوعاتها في جداول) .

٤ — النهاية في غريب الحديث والأثر ، طهران ١٢٦٩ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٨ هـ؛ (بتصحيح عبد العزيز ابن اسماعيل الانصاري الطهطاوي) القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣١١ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٢٢ هـ . (تحقيق طاهر الزاوي ومحمود محمّد الطنّاحي) ، القاهرة ١٩٦٣ م .

جامع الأصول لأحاديث الرسول ، مروت بالهند ١٣٤٦ هـ ؛ كلكتّا ١٣٥٢ هـ ؛ = تيسير الوصول (اختصار عبد الرحمن بن أحمد بن الديبع الزبيدي المتوفّى ٩٤٤ هـ) ، كلكتّا ١٣٥٢ هـ ؛ لكنهو ١٣٠١ هـ (١٨٨٤ م) ؛ كاونبور ١٨٩٧ م ؛ (نشره محيي الدين خان) ، لاهور ١٩٠٤ — ١٩٠٩ م ؛ (أشرف على طبعه عبد الحميد سليم وصحّحه حامد الفقي)، القاهرة (مطبعة السنّة المحمّدية) ١٩٤٩ — ١٩٥٤ م ؛ القاهرة (المطبعة الجمالية) ١٣٣١ هـ .

المرصّع (تحرير سيبوْلد) ، فايمار بألمانية (فلبر) ١٨٩٦ م ؛ استانبول ١٣٠٤ هـ .

** معجم الأدباء ١٧ : ٧١ — ٧٧ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٥٧ — ٢٦٠ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٠٣ — ٢٠٥ ؛ العبر ٥ : ١٩؛ بغية الوعاة ٣٨٥ — ٣٨٦ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٢ — ٢٣ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٢٨٨ ؛ بروكلمان ٢ : ٤٣٨ — ٤٣٩ ، الملحق١ : ٦٠٧ — ٦٠٩ ؛ زيدان ٣ : ١٠٩ — ١١٠ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٢٣ — ٧٢٤ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٥٢ .

---

(١) أي رواة الحديث الذين اشتهروا باسمائهم التي دخل فيها « ابن — بنت — أبو — أم —ذو — ذات » (نحو : ابن شهاب الزهري ، أبو هريرة ، أم سلمة ، الخ) .

(٢) كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧ هـ) ؛ والكشاف للزمخشري (راجع ، فوق ، ص ٢٧٧)

(٣) راجع وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٣ . ولسعيد بن المبارك بن الدهان هذا كتاب الفصول في النحو (معجم الادباء ١١ : ٢٢٢) ؛ وذكر له ابن خلكان (١ : ٣٧٢) : الفصول الكبرى والفصول الصغرى .

ابن سناء الملك

١ ــ هو القاضي السعيدُ عزّ الدين هبةُ الله بنِ القاضي الرشيدِ أبي الفضلِ جعْفرِ بنِ المُعتمدِ سَناءِ المُلْكِ أبي عبد الله محمّدِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ محمّدٍ السَعْديّ المِصْريّ (وفيات ٣ : ١٢١) ، وُلِدَ في القاهرةِ سَنَةَ ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) في الأغلب ونشأ نشاةً هانئةً في أُسْرةٍ غنيّةٍ فاتّسعَ أمامَه مَجالُ التحصيلِ للعلمِ ولِلقاءِ الأدباءِ والأعيانِ في مجالسَ كانتْ تُعْقَدُ ويَجْري فيها مُفاكَهات ومُحاورات يَروقُ سَماعُها . وقد أخذَ الحديث عن أبي طاهرٍ السِلَفي الأصْفهاني .

اتّصلَ ابنُ سَناءِ المُلْكِ بالقاضي الفاضلِ وحَظِيَ عِنْدَه وكان في خدمته لمّا ذهبَ الى الشام سَنَةَ ٥٧١ هـ . وكان القاضي الفاضلُ مُعْجَباً بابنِ سَناءِ المُلْك يَعتمدُ عليه في أمورٍ كثيرةٍ ويستخلفُه على عَمَلِه في مصْرَ (في ديوان الانشاء) إذا هو سار عنها . وقد خَدَمَ ابنُ سَناءِ المُلك الأيّوبيّين مُنْذُ أيامِ صلاحِ الدين .

وكانتْ وفاةُ ابنِ سَناءِ الملكِ في رابعِ رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ ٦٠٨ هـ (١٠/ ٢/ ١٢١٢ م) .

٢ ــ ابنُ سَناءِ المُلك ناثرٌ مُتَرَسِّلٌ وكاتبٌ مُصنّفٌ وشاعرٌ مُجيدٌ . كان في نثرِه يقلّدُ القاضيَ الفاضلَ ، ولكنّ شِعْرَه أقربُ إلى عَمودِ الشِعرِ العربيِّ من شِعرِ القاضي الفاضل . وهو مُجيد في الفَخْرِ والوَصْفِ والغَزَل ، وله مديحٌ حَسَنٌ ــ ثم هُوَ يُقَلِّدُ في ذلك كلّهِ فُحولَ الشُعراء وأبا تمّامٍ والمتنبِّيَ منهم خاصّةً ــ . وفي شعرِه كلّه إغراقٌ في الصناعة ؛ ولكنّ صناعَتَه في أكثرِ الأحيانِ بارعةٌ لطيفةٌ . على أنّ شُهْرَتَه إنّما هِيَ في المُوَشّحات ، فهو أشْهَرُ من نَظَمَ فيها من المَشارقة وأكْثَرَ وأجادَ . وكان ابن سَناءِ المُلك واسعَ المعرفة بفنّ التَوْشيح ، وَهُوَ صاحبُ النظريّةِ الموسيقيةِ فيه .

ولابنِ سناءِ المُلك ديوانُ رسائلَ (جمع فيه شيئاً من الرسائل التي دارت بينه وبين القاضي الفاضل) ، وديوانُ شِعْرٍ ثمّ ديوان موشّحات سمّاه « دار الطِراز » (جَمَعَ فيه موشّحاتِه وتكلّم فيه على فنّ التوشيح وعلى قواعدِ نَظْمِ الموشّحات) . وله كتابُ رُوح الحيوان (اختصره من كتاب الحيوان للجاحظ) ــ فصوص الفصول وعقود العقول .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ لابن سناء الملك قصيدةٌ مشهورة في الفخر منها :

سِوايَ يَهابُ الدهرَ أو يَرْهَبُ الرّدى، وغَيْرِيَ يَهْوى أن يَعيشَ مُخَلَّدا[(١)] .
ولكنّني لا أرهبُ الدهـرَ إنْ سطا ، ولا أحذرُ الموتَ الزُّؤام إذا عـدا[(٢)] .
ولو مدّ نحوي حادثُ الدهر طَرْفَـه لحدّثتُ نفسي أنْ أمُدَّ له يَدا[(٣)] .
وأظمأ إنْ أبدى لِيَ المـاءُ مِنّةً ، ولو كان لي نهرُ المَجرّةِ مَوْردا[(٤)] .
وإنّك عبدي ، يا زمـانُ ، وإنّـني على الكُرْهِ مني أن أُرى لك سيّدا[(٥)] .
ولي قَلَمٌ في أنْمُلي لو هَزَزْتُـه فما ضَرّني ألاّ أهُـزَّ المُهَنّدا[(٦)] :
إذا جالَ فوقَ الطِرْس وَقْعُ صريرِه فإنّ صَليلَ المَشْرفيّ له صَدى[(٧)] !

ـ من الموشّحة التي اشتهرَ أنها لابنِ سناءِ المُلْك ، وهِيَ تُغنّى :

كَلّلي ، يا سحبُ ، تيجانَ الرُبى بالحُلي
واجْعَلي سِوارَها مُنْعَطِـفَ الجَدْوَل[(٨)] .

* * *

يا سَما ، فيك وفي الأرْضِ نجومٌ ومـا ؛
كلّما أخفَيْتِ نَجْماً أظْهَرَتْ أنْجُما[(٩)] .

---

(١) يرهب : يخاف . الردى : الموت .
(٢) الزؤام : العاجل ، المفاجىء . عدا : أسرع (الى) ، ظلم .
(٣) الطرف : العين، البصر . ـ لو فكر ، الدهر أن ينظر الي (مفكراً في الاساءة بي) لعاجلته بمد يدي اليه (بالضرب ، بالقتل) .
(٤) أظمأ : احتمل العطش وأصبر عليه . منة : تفضل . المجرة : منطقة مستطيلة كثيرة النجوم ترى نجومها (لبعدها عنا) كأنها مجتمعة فتشبه نهراً . المورد : مكان ورود الماء (الشرب) . ـ لو خطر للماء أن يمن علي لما شربته (مهما كان جيداً) .
(٥) ـ مع أنلك ، أيها الدهر ، عبدي ؛ فانا لا أحب أن أسمى سيداً لك لأنك أدنى من أن تكون لي عبداً .
(٦) الانمل : أطراف الاصابع . المهند : السيف . ـ أنال بقلمي (بأدبي ، ببلاغتي) ما يحتاج الناس في نيله الى القتال والحرب .
(٧) الطرس : الورق . الصرير : الصوت . الصليل : صوت السلاح . ـ صوت قلمي على الورق يرعب أعدائي أكثر مما يرعبهم صوت السيوف .
(٨) ـ كوني ، أيتها السحب، تيجاناً على رؤوس الجبال؛ أو أمطري ، يا سحب ، عـلى رؤوس الجبال حتى تكتسي رؤوس الجبال بالازهار. واملأي الجدول الذي يحيط بالجبـال ماء حتى يكون لها (حتى يكون الماء حول الجبال) كالسوار في يدي المرأة الحسناء .
(٩) يا سماء ، فيك نجوم وماء وفي لارض أيضاً نجوم وماء . ـ كلما غاب نجم من نجومك (بابتعاد الليل واقتراب النهار) أبدت الارض عدداً من الازهار (كالنجوم) .

وهْيَ ما تَهْطِلُ إلاّ بالطِلا والدمى ؛
وانْقلي للدَنِّ طَعْمَ الشَهْدِ والفَوفل[1] .

* * *

من ظَلَمْ في دَوْلةِ العِشْقِ إذا ما حَكَمْ
فالألَمْ يجولُ في باطِنه والنَدم .
والقلم يكتبُ ما سَطّر فوق القِمَمْ[2] :
مَنْ وَلِي في دَولةِ الُحسن ولم يَعْدِلِ
يُعْزَلِ إلاّ لِحاظَ الرشأِ الأكْحل[3] !

– وقال في الغزل والنسيب :

لا الغُصْنُ يَحْكيكَ ولا الجُؤذَرُ ؛ حُسنُك مِمّا أكثروا أكثرُ ![4]
يا باسماً أبدى لنا ثَغْرُهُ عِقْداً ولكنْ كلُّه جوهر .
قال لِيَ اللاحي : ألا تَسْتَمعْ ؟ فقُلتُ : يا لاحِ ، ألا تُبْصِر ![5]

– النظريّة الموسيقية في نشأة الموشّح : التوشيح (دار الطراز ، ص٣٥ وما بعد) :

... ومن المُوشّحاتِ ما لا مَدْخَل له في شيء من أوزانِ العَرَبِ[6] ، وهو

---

(١) الطلاء (بكسر الطاء) : الخمر . الدمى جمع دمية : الصورة (الجميلة) ، المرأة الجميلة . فأمطري حتّى تمتلئ عناقيد الكرم (شجر العنب) بالعصير الذي يصبح خمراً. الدن : وعاء الخمر . الشهد : العسل . الفوفل : شجر يشبه نخل النارجيل (راجع Dozy, Supplément aux Dict . arabes, 1967, V. 2. p. 289) ولا وجه لها ، مع انها أدخل في الوزن . وفي رواية : القرنفل .

(٢) القلم يكتب..... القمم : الرؤوس (كتب على البشر مصايرهم) .

(٣) من ولي : أصبح والياً ، سلطاناً ، مالكاً لقلوب المحبين . الرشأ : الغزال الصغير . – كل مالك ظالم يعاقب بالعزل إلا المحبوب الجميل فانه يطاع ولو كان ظالماً .

(٤) يحكي : يشبه . الجؤذر : الغزال الصغير . مما أكثروا : مما بالغوا في وصف حسنك .

(٥) اللاحي : اللائم . – قال لي : ألا تستمع الى النصح وترجع عن ضلالك في حب هذا الجؤذر . فقلت له : وأنت ألا تبصر جماله !

(٦) الاوزان الخمسة عشر التي استخرجها الخليل بن أحمد ثم المتدارك الذي زاده الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ ﻫ) .

الكثيرُ والجمّ الغفير والعدد الذي لا ينحصر . وأكثرُها مبنيٌّ على تأليف الأُرغُن[1] .
ومن الموشّحات قسمٌ أقفاله مُخالِفةٌ لأوزانِ أبياتِه مخالفةً تامّةً[2] . وهذا القسم لا يَتجسَّرُ على عمله إلّا الراسخون في العلم من أهلِ هذه الصناعة . فأمّا من كان طُفَيْليّاً على هذه المائدة فإنه إذا سَمِعَ هذا المُوَشَّحَ ورأى مباينةَ أوزانِ أقفاله لأوزانِ أبياته ظنّ أنّ ذلك جائزٌ في كلّ مُوَشّحٍ ، فعَمِلَ ما لا يجوزُ عملُه وما لا يُمَشّيه التلحينُ له وتظهَرُ فضيحتُه في وقتِ غنائه ، فان المُغنّي ببعضِ الآلاتِ يحتاجُ الى أن يُغيّر شدَّ الأوتارِ عند خُروجِه من القُفْلِ إلى البيت، و من البيت الى القفل .

٤ ـ دار الطراز في عمل الموشّحات (نشره جودت الركابي) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٩ م ؛ (نشره محمّد عبد الحق) ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م).

ديوان ابن سناء الملك (اعتنى بتصحيحه محمّد عبد الحقّ) ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) ؛ (تحقيق محمّد ابراهيم نصر) مطبوع مع كتاب : ابن سناء الملك : حياته وشعره)، القاهرة (وزارة الثقافة) ، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٣٨٧ ـ ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ م .

** ابن سناء الملك ومشكلة العقل والابتكار في الشعر ، تأليف الدكتور عبد العزيز الأهواني ، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٦٢ م .

معجم الادباء ١٩ : ٢٦٥ ـ ٢٧١ ؛ الخريدة (مصر) ١ : ٦٤ ـ ١٠٠ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٣٠؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٢١ـ١٢٣ ؛ العبر ٥ : ٢٩ـ ٣٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٥ـ٣٦ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٤ ، الملحق ١ : ٤٦١ ؛ زيدان ٣ : ١٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٢٩ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٥٧ .

المطرزي النحوي

١ ـ هُوَ أبو الفَتْحِ ناصرُ بنُ عبدِ السيّدِ بنِ عليٍّ المُطَرِّزيُّ النحويُّ الخَوارزمي مَنْسوباً الى تَطْريزِ الثيابِ، فلَعلّه، أو لَعَلّ أحداً من أسْلافِه، كان يَعْمَلُ في ذلك .

---

(١) الارغن أو الارغل (الارغول) : مزمار ذو قصبتين مثقبتين احداهما أطول من الأخرى (المعجم الوسيط ١ : ١٤) .

(٢) تتألف الموشحة من أجزاء يسمى الجزء منها بيتاً (وهو متألف من أشطر متعددة . والبيت (في الموشحة) يتألف من بيت جزئي (له قواف خاصة به) ومن قفل (قوافيه كقوافي سائر الاقفال في الموشحة كلها) . وقد يكون بين القفل وبين سائر البيت اختلاف في الوزن ، وهو ما يقصده ابن سناء الملك .

وُلِدَ المُطرِّزيُّ في خَوارزمَ ، في رَجَبَ من سَنَةِ ٥٣٨ هـ (أوائل ١١٤٤ م) وبدأ المطرّزيُّ تَلَقِّيَ العِلْمِ في بلده على أبيه وعلى الاديبِ الخَطيب أبي المُؤيَّدِ المُوفّقِ بنِ أحمدَ المَكِّيِّ ؛ وسَمِعَ الحديثَ من أبي عبدِ اللهِ مُحمّدِ بنِ أبي سعيدِ التاجرِ وغيرِه .

وفي سَنَةِ ٦٠١ هـ (١٢٠٣ – ١٢٠٤ م) دَخَلَ المطرّزيُّ بَغْدادَ – في طريقه إلى الحَجّ – وحَدَّثَ فيها ببعضِ مُصَنَّفاتهِ . وقد كانَتْ وفاتُه في خَوارِزْمَ ، في ٢١ من جُمادى الأُولى من سَنَةِ ٦١٠ هـ (٩ / ١٠ / ١٢١٣ م) .

٢ – كان لِلْمُطَرِّزيِّ النَّحْويِّ مَعْرِفَةٌ واسعةٌ باللغةِ والنحوِ والشِعْرِ وأنواعِ الأدب . وكان أيضاً شاعراً مُكْثِراً يَميلُ إلى التَجْنيس ويَغْلِبُ على شِعْرِه شيءٌ من الجَفاف. ولكنّ شُهْرَتَهُ راجعةٌ إلى كَثْرَةِ تصانيفه في فنونٍ عديدة ، له : رِسالةٌ في إعجاز القُرآن – المُعرِب في غَريب ألفاظ الفقهاء – المُغْرب في شرح المُعْرب (.... في ترتيب المُعْرب) – الإقناع في اللغة (الاقناع لِمَا حُوِيَ تحتَ القِناع : وهو شِبْهُ قاموسٍ للمترادفات ، وربّما أُلْفِيَ باسمِ كشف القناع) – مختصر إصلاح المنطق – المصباح في النحو .

٣ – مختارات من آثاره

– وإنّي لأَسْتَحْيِي من المَجْدِ أنْ أُرى حَليفَ غَوانٍ أو أَليفَ أغاني[١] !
– تَعامى زَمـاني عن حُقوقي ، وإنّه قَبيحٌ على الزّرقاءِ تُبْدي تَعاميـا[٢] .
فان تُنْكِروا فضلي فإنّ رُغـاءه كَفى لِذوي الأَسْماع مِنْكُمْ مُناديا[٣] .
– وزَنْدِ نَدًى فَواضِلُهُ وَرِيٌّ ، ورَنْدُ رُبـاً خَواضِلُه نَضيرُ[٤] ؛

(١) الغواني جمع غانية (المرأة المستغنية بجمالها عن الحلي) : الجميلة . حليف غوان : معاشراً للنساء (المستهترات) . أليف أغاني : مكثر من التغني (منصرفاً الى الخيال) .
(٢) زرقاء اليمامة امرأة في الجاهلية زعموا أنها كانت تبصر من مسيرة أيام .
(٣) الرغاء : صوت الجمل . رغاء فضلي : صوته العالي (شهرته) .
(٤) الزند : حديدة تقدح بها النار من الصوانة : الندى : الكرم . الفواضل جمع فاضلة : اليد الجسيمة أو الجميلة (الصنع : الكريم الى الناس)، الغلة الكثيرة من المال (العقل ، الزرع الخ) . وريّ : كثير الاشتعال . الرند نوع من الشجر طيب الرائحة . والربى جمع ربوة : الرابيـة ، ما ارتفع من الارض . الخواضل جمع خضيلة : الروضة الندية (الكثيرة الماء والنبات) . نضير : ريان ، أخضر .

ودُرٌّ خِلالِه أبَداً ثمينٌ ، ودَرٌّ نَوالِه أبَداً غَزير[1] .

٤ ـ المصباح ، لكناو ١٢٦١ هـ .

المغرب في ترتيب المعرب ، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣٢٨ هـ .

** معجم الادباء ١٩ : ٢١٢ ـ ٢١٣ ؛ انباه الرواة ٣ : ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٥١ ـ ٥٢ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٢٨٨ ؛ بغية الوعاة ٤٠٢ ؛ بروكلمان ١ : ٣٥٠ ـ ٣٥٢ ، الملحق ١ : ٥١٤ ـ ٥١٥ ؛ زيدان ٣ : ٤٨ ؛ مجلة المجمع العلمي العربي ١٦ : ٥٨ ، الأعلام للزركلي ٨ : ٣١١ .

الوجيه ابن الدهان الضرير الواسطي

١ ـ هو أبو بكرِ المباركُ بنُ المباركِ بنِ سعيدِ بنِ الدهّانِ النَحْويُّ الضريرُ المعروفُ بالوجيهِ الواسطيّ ، وُلِدَ في واسط سَنَةَ ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) في الأغلب ونشأ فيها وحَفِظَ القرآنَ وبدأ بالاشتغالِ بالعلم . ثمّ إنّه قَدِمَ في صِباهُ مَعَ أبيه إلى بَغْدادَ واستوطَنَها وسَمِعَ الحديثَ من أبي زُرْعَةَ وتَفَقَّه وأخذَ عن ابنِ الخشّابِ وكمالِ الدينِ بنِ الأنباريّ .

وتصدّر ابنُ الدهّانِ الواسطيُّ للتدريسِ فأقرأ القرآنَ كثيراً ثمّ دَرّسَ النحوَ في المدرسة النِظامية سِنينَ كثيرةً . وكانت وفاتُه في ١٦ شَعْبانَ ٦١٢ هـ (١٠/ ١/ ١٢١٦ م) ، وقيلَ في ٢٦ من شعبان .

٢ ـ كان ابنُ الدهّانِ الضريرُ الواسطيُّ عارفاً بالتفسير والفِقْه واللغة والنحو والعَروض والشِعر ، كما كان له إلمامٌ بالطِبّ والفلك والفلسفة . وكان مُدَرِّساً حَسَنَ التعليمِ كثيرَ الصبرِ على الطلاّب يُجيب على أسئِلَتِهِمْ بسَعَةِ صَدْرٍ . وقد زَعَموا أنّه كان يَعْرِفُ الفارسيةَ والتركية والحبشية والروميّة والأرمنية والزّنجية ، فكان إذا لم يفهَمْ عنه الطالبُ ـ وكان الطالبُ غيرَ عربيّ ـ فسّر له الكلامَ بلُغَتِهِ . وكان ابنُ الدهّانِ مُصَنّفاً للكُتُب ، له تصنيفٌ في النحو ، كما كان حَسَنَ النَثْرِ والشِعر مُولَعاً بالجِناس في القوافي خاصّةً .

---

(١) الدر (بضم الدال) : الجوهر = اللؤلؤ . الخلال جمع خلة (بفتح الخاء) : الخصلة (بفتح الخاء أيضاً) . الدر (بفتح الدال) : الحليب = ما تدره (بكسر الدال) البقرة أو الناقة من ضرعها (ثديها) . النوال : العطاء . غزير : كثير . نلاحظ أن في هذين البيتين صناعة كثيرة تخرج الى التكلف .

٣ – مختارات من آثاره

من شعرِ ابنِ الدهّانِ الواسطيّ في التَجْنيسات :

** ولو وَقَعَتْ في لُجّةِ البحرِ قَطْرةٌ من المُزْنِ يوماً ، ثمّ شاءَ لمازَها[1] .
ولو مَلَكَ الدنيا فأضحى مُلوكُها عبيداً له في الشرقِ والغرب ما زها !

** أطلتَ مَلامي في اجتنابي لمَعْشرٍ طَغامٍ لِئامٍ جودُهُمْ غيرُ مُرْتجى[2]
تَرى بابَهُمْ – لا باركَ اللهُ فيهِمُ – على طالبِ المعروفِ إنْ جاء مُرْتَجا .
حَمَوْا مالَهُم ، والدينُ والعِرْضُ مِنْهُمُ مُباحٌ ؛ فلا يَخْشَوْن مِن هَجْوِ مَنْ هجا ؛
إذا شَرَعَ الأجوادُ في الجودِ مَنْهجاً لهم شَرَعوا في البخل سَبعينَ مَنْهَجا .

– تطاولَ على ابنِ الدهّان الوجيهِ الواسطيِّ سائلٌ حتّى خَرَجَ على الأدب وعلى المألوف . وكان ابنُ الدهانِ لا يَغْضَبُ ، وقد أراد هذا السائلُ أن يُحرِجَهُ فَيُخْرِجَهُ عن طورهِ الحليمِ الى الغَضَبِ . فلمّا أدركَ ابنُ الدهّان كلَّ ذلك قال لذلك السائلِ وَهُوَ يَضْحَكُ :

قد عَرَفْتُ مُرادَكَ ووَقَفْتُ على مَقْصودِك ، وما أراكَ إلاّ قد غُلِبْتَ فأد ما بايَعْتَ عليه[3] ، فلستَ بالذي تُغْضِبُني أبداً . وبعدُ ، يا بُنَيَّ ، فقد قيل : إنّ بَقّةً[4] جَلَسَتْ على ظهر فيلٍ . فلمّا أرادَتْ أن تَطيرَ قالتْ له : اسْتَمْسِكْ ، فانّي أُريد الطَيَرانَ . فقال لها الفيلُ : واللهِ ، يا هـذه ، ما أحْسَسْتُ بكِ لمّا جَلَسْتِ ، فكيف أسْتَمْسِكُ إذا أنتِ طِرْتِ ؟ واللهِ ، يا وَلَدي ، ما تُحْسِنُ أن تسألَ ولا (أنت) تَفْهَمُ الجوابَ ، فكَيْفَ أستفيدُ منك ؟

٤ – ** معجم الادباء ١٧ : ٥٨ – ٧١ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢١٠ – ٢١١ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٥٤ – ٢٥٦ ؛ نكت الهميان ٢٣٣ – ٢٤٣ ؛ العبر ٥ : ٤٣ شذرات الذهب ٥ : ٥٣ ؛ بغية الوعاة ٣٨٥ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٣١٢ ؛ الأعلام للزركليّ ٦ : ١٥٢ .

---

(١) المزن : المطر . مازها : عزلها (عن غيرها) ، استطاع أن يستخرج النقطة من ماء المطر (الحلو) من ماء البحر (المالح). ما زها: لم يفتخر. لم يتكبر.

(٢) الطغام : أوغاد الناس . غير مرتجى : لا يرجوه أحد ، لا يطمع به أحد . مرتج : مغلق .

(٣) غلبت : خسرت الرهان. ادّ ما بايعت عليه : ادفع (إلى الذين قلت لهم إنك ستغضبني) المبلغ الذي شرطته على نفسك .

(٤) البقة : (هنا) البعوضة .

ابن ظافر الازدي

١ ــ هو جمالُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي منصورٍ ظافرِ (ت ٥٩٧ هـ) بنِ حسينٍ الأزْديّ الخزْرجيّ، وُلِدَ في القاهرة سَنَةَ ٥٦٧ هـ (١١٧١ م).

دَرَسَ ابنُ ظافرٍ الفِقْه على والدِه ثمّ قرأ الأدبَ والشِعر على نفرٍ منهم أبو الحسنِ عليُّ بنُ المفضّلِ اللّخْمي المَقْدِسي (ت ٦١١ هـ) وتاج الدين أبو اليُمْنِ زيدُ بنُ الحسنِ الكِنْدي (ت ٦١٣ هـ) وأبو القاسم عبد الصمد بنُ محمّدِ بنِ الحَرَسْتانيّ (ت ٦١٤ هـ) وأبو الخطّابِ عُمَرُ بن دِحْيَةَ الكلبي البَلَنسيّ (ت مصر ٦٣٠ هـ) وغيرُهم. ثمّ إنّ ابنَ ظافرٍ خَلَفَ أباه في تدريسِ الفِقه في المدرسة المالكيّة المعروفةِ بالمدرسة القمحيّة.

وطَمِحَ ابنُ ظافرٍ الى الدنيا واتّصل بنفرٍ من رجالِها ولَزِمَ القاضيَ الفاضلَ مدّةً طويلةً في مِصْرَ والشامِ. وانتقل ابنُ ظافرٍ الى الشام، سَنَةَ ٥٦٧ هـ (١١٩١ م)، ومدح السلطانَ صلاحَ الدين الأيّوبيّ. ولكنّ صلاحَ الدين كان في ذلك الحينِ مشغولاً بحربِ الإفرنج الصليبيّين وباسترداد البُلدانِ في فِلَسْطينَ منهم، فانصرفَ ابنُ ظافر الى الاتّصال بنفرٍ من أمراءِ الأيّوبيّين وملوكهم. فقدِ اتّصل بالمَلِكِ الأفضل نورِ الدين صاحبِ دِمَشْقَ (٥٨٢ ــ ٥٩٢ هـ) ووَزَرَ للمَلِكِ الأشرفَ مظفّرِ الدين أبي الفتح موسى صاحب ميّافارقين (٦٠٧ ــ ٦١٧ هـ) وبغيرِهم، وكان في هذه الأثناء كثيرَ التَرَدُّدَ بين مِصْرَ والشام.

وبعدَ أن صُرِفَ ابنُ ظافرٍ من الوَزارةِ عاد الى مِصْرَ، سنة ٦١٢ هـ. وكانت وفاتُه في مُنْتَصَفِ شَعْبانَ من سَنَةِ ٦١٣ هـ (٢٧/ ١١/ ١٢١٦ م) في الأغلب.

٢ ــ كان ابنُ ظافرٍ الأزديُّ طَموحاً مُحبّاً للدنيا مُتَقَلّبَ الهوى بتَقَلّبِ الأحوال، وان كان يذْكُرُ الوفاءَ ويُحِبُّ الأوفياء. وكان مُلمّاً بعددٍ من فنون العلم في الحديث والفِقْه واللُغة والأدب والتاريخ. غير أنّ براعَته وشُهْرَته كانتا في الأدب وبجانبِ الصِناعة اللفظيّة والمعنوية منه خاصّةً، كما كان شاعراً وناثراً وناقداً ومُصَنِّفاً.

أمّا في الشعر فابنُ ظافرٍ يهتمّ بالصِناعة ويتصيّدُ التشبيهاتِ النادرةَ، ولذلك قلّتْ في شعرِه المعاني وقلّ الرَوْنق. وأكثرُ شِعْره المديحُ والأوصافُ والشَكْوى.

ونَثْرُ ابنِ ظافرٍ أحسنُ من شعرِه ، وهو أيضاً نَثْرٌ أنيقٌ قائمٌ على الصناعة من السَجَع والموازنة والتشبيه والاستعارة والبديع . ويكاد يقتصرُ ابنُ ظافرٍ في النَقْدِ على استحسان التشبيهاتِ القريبةِ المأخذِ (بأنْ يكونَ التشبيهُ فيها قريباً من الواقع المُشاهَدِ وبأن يتناولَه الشاعرُ أو الناثرُ من جانبٍ جديدٍ) .

وابنُ ظافرٍ مُصَنِّفٌ له كُتُبٌ في التاريخ والأدب والبلاغة والنَقْد والاجتماع منها : الدول المنقطعة (في الدول العبّاسيّة والفاطمية والطولونية والحمدانية وغيرها) ـ أخبار الملوك السلجوقية ـ أخبار الشجعان (ولعلّهما مقتطعان من «الدول المنقطعة») ـ مَن أُصيب بمن[1] اسمُهُ عليٌّ (بدأه بعليٍّ بنِ أبي طالب) ـ أخبار الدول الاسلامية ـ أساس السياسة ـ مَكْرُمات الكُتّاب ـ أساس البلاغة ـ نفائس الذخيرة ـ شفاء الغليل في ذمّ الصاحب والخليل ـ بدائعُ البَدائِه ـ الذيل على بدائع البدائه ـ غرائبُ التنبيهات على عجائب التشبيهات .

اختار ابن ظافر في كتاب «بدائع البدائه» جُملةً صالحةً من الأشعار التي قالَها أصحابُها على البديهة ورتّب هذه المختاراتِ ترتيباً على العصور مُنْذُ الجاهلية الى أيّامه مَعَ التوسّع في الاستشهاد بما قالَهُ معاصِروه .

وأمّا «غرائبُ التنبيهات على عجائب التشبيهات»[2] فمجموع أبيات ومقطّعات تتضمّن تشبيهاتٍ بارعةً مُنْتَزَعَةً من عالَم الطبيعة (القمر والنجوم والأنهار والأزهار والأثمار والحيوانات) ومن عالم الأشياء (الخمر والطعام والصنائع والأدوات المختلفة وأصحابها) ومن صفات الناس (الساقي والثغور والشوارب ولابس الدرع والقتيل في الحرب والشيب) . ومَعَ أنّ المشارقةَ والمغاربة قد سبقوا ابنَ ظافرٍ إلى التأليفِ في هذا الموضوع كابراهيمَ بنِ محمّدِ بنِ أبي عَوْنٍ (ت ٣٢٢ ﻫ) وحَمْزَةَ الأصفهانيّ (ت ٣٦٠ ﻫ) ونصرِ بنِ يعقوبَ الدينَوَريّ (ت ٤١٠ ﻫ) وابن ناقيا البَغْداديّ (ت ٤٨٥ ﻫ) من المشارقة ثمّ أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ الكَتانيّ (ت ٤٢٠ ﻫ) وأبي الحُسينِ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ أبي الحسينِ (ت نحو ٤٣٠ ﻫ) وأبي عامرٍ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ عامرٍ السالمي (ت ٥٥٩ ﻫ) من الاندلسيّين ، فانّ لكتابِ ابنِ

(١) كذا في الأصول (بمن) ، والأصوب أن تكون «ممن» .

(٢) في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت نسخة من هذا الكتاب بتحقيق سميرة نعيم خوري (وهي رسالة قدمت لنيل درجة أستاذ في الآداب الى دائرة اللغة العربية ـ الجامعة الأميركية في بيروت ـ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٨) .

ظافرٍ قيمةً ظاهرةً . يبدو أن ابنَ ظافرٍ قد عرَفَ هذه الكُتُبَ – أو عرَفَ عدداً منها على الأقلّ – معرفةً جيّدةً ، فانَّ مُعْظَمَ التشبيهاتِ التي اختارها لم تَرِدْ عند الذين سبقوه . ويترك ابن ظافرٍ الاختيارَ من الشعر الجاهليّ ومن نَفَرٍ ممّن أكثرَ المصنّفون من الاختيار من أشعارِهم في هذا البابِ ، فهو مثَلاً لم يستشهدْ بأبياتٍ لابن المُعْتَزِّ إلاّ مرّتينِ – برُغْمِ براعةِ ابنِ المعتزّ في التشبيه والاستعارة – ، كما يُحاولُ أن يتخيّرَ التشبيهاتِ البارعةَ وحدَها . من أجلِ ذلك لا يكونُ كتابُ ابنِ ظافرٍ نُسخةً ثانيةً للمُصنّفات في هذا الموضوع ، بل تتمّةٌ لها واستيفاءٌ لهذا الموضوعِ نفسه .

٣ – مختارات من آثاره

– قال ابن ظافر الأزديّ في المقدّمة الثانية من كتاب التنبيهات :

« .... فانّ الأرضَ لمّا أخذتْ زُخْرُفَها وازَّيّنَتْ ، وظَهَرَت علاماتُ سَعْدِها وتَبَيّنَتْ ، وتسلّمتْ من الخُطوبِ كتابَ أمانِها وعاد ربيعاً كلُّ زمانِها ، وتحلّتْ بعقودٍ من جواهرِ زَهْرِها النَضِرِ وطال عُمُرُ ربيعِها الخَضِر ..... وأعادتْ مَحَجّتَها بيضاءَ من الحقِّ وكانت سوداءَ من الباطل ، وأوْفَتْ أهلَ الفضلِ ديونَهم ، وكم أوفَتْ على الغريمِ المُماطل ، بما شَمِلها من أيّامِ مولانا السلطانِ العادل المَلِكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ والدنيا مُنْقِذِ بيتِ المَقْدِسِ من الكَفَرَةِ المُشْرِكين أبي المُظفّرِ يوسفَ بنِ أيّوبَ مُحْيي دولةِ أميرِ المؤمنين مَلَكَها فما جارَ بل عَدَلَ ، وسَلَكَها فما حادَ عن طريق الحقّ ولا عدل (مالَ ، انحرف) .....

ولمّا كان المَمْلوكُ ممّن تشرّفَ بوَطْءِ البِساط الكريم وتميّز بانتسابهِ الى المَقام العظيم ، تأكّد الوجوبُ عليه في تَوالي ما يَخْدِمُ به مِنْ خِدَمِه .... فنَظَرَ في ما يَخْدِمُ به الجَنابَ الأسمى – زادَه اللهُ سُمُوّاً وعُلُوّاً – فوجد فنَّ التشبيهِ بينَ الأشعار عاليَ القَدْرِ نابِهَ الذِكْرِ لا يُمْكِنُ كلَّ الناسِ سلوكُ جادّتِه ولا يَقْدِرُ الاّ اليسيرُ منهم على إجادته حتّى استَهْوَلَه أكثرُ الشعراء واستصعبه ، وقالوا : إنْ قالَ الشاعرُ «كأنّ» ظَهَرَ فَضْلُهُ أو جَهْلُه . ولم يَجِدْ[1] أحداً من المؤلّفين ولا مُصَنِّفاً من المصنّفين اشتغل بتَمْييز ذَهَبِه من مَدَرِه[2] ، ولا خاض في بحاره لاستخراج دُرَرِه ..... فاختارَ هذا المجموع – شَهِدَ اللهُ – من أكثرَ من خَمْسَ عَشْرَةَ ألفَ وَرَقَةٍ ، وجَمَعَ فيه جُمَلاً من غرائبِ أبياتهِ ومُعْجزاتِ آياته ،

(١) يشير ابن ظافر هنا الى نفسه بضمير الغائب .   (٢) المدر : الطين .

ليكونَ أُنْساً للمجلس الأسمى .... وأختصره غايةَ الاختصارِ واقتصر (فيه) على المحاسن أشدَّ الاقتصار .... »

– من مقدّمة كتاب « بدائع البدائه » :

.... وبعدُ ، فقد كُنْتُ في صَدْرِ عُمْري وبَدْءِ أمْري نَشِطْتُ لِجَمْعِ أخبار الشعراء في البَدائه والارتجال ، ومحاسنِ أشعارِهِمْ في مضايِقِ الإسراع والإعجال ؛ وسَجَعْتُ[١] منها حِكاياتٍ لم يرقُمْها في الطِرْسِ بَنانٌ ، ولم يَطْمِثْها قبلي إنْسٌ ولا جانٌ[٢] . فأوْقَفْتُ عليها صَدْرَ ذلك الزمانِ وسيّدَ فُضلاءِ ذلك الأوان السيّدَ الأجلَّ الفاضلَ أبا علِيٍّ عبدَ الرحيم بنَ الحَسَنِ البيسانيَّ[٣] رَحِمَهُ اللهُ تعالى فحثّني على الازديادِ منها والتَطَلُّب لها والبحثِ عنها . فاجتمعَ من ذلك جُزْءٌ أحْكَمْتُ ترتيبَهُ وهذّبتُ تبويبَهُ وسَمّيْتُه بدائعَ البدائهِ . ورتّبتُ الأخبارَ في كلِّ بابٍ على ترتيبِ الأعصار.......

– من مطلع كتاب « بدائع البدائه » (الفصل الثاني) :

الارتجالُ هُوَ أن يَنْظِمَ الشاعرُ في أوْحى من خَطْفِ البارق[٤] واختطاف السارق ، وأسرعَ مِنَ التماحِ العاشقِ ونُفوذِ السَهْمِ المارق[٥] ، حتّى يُخالَ ما يُعْمَلُ محفوظاً أو مَرْئيّاً ملحوظاً ، من غيرِ حاجةٍ إلى كِتابةٍ أو تَعَلُّلٍ بتَقْفيَةٍ . وتَنْفَرِدُ عندَ ذلك قَضيّةُ الحال باختراعِ الوَزْنِ والقافيةِ وهُمُ* الشهودُ العُدولُ الذين يَجِبُ الرجوعُ إليهم ولا يجوزُ عنهُمُ العَدولُ[٦] بالشهادة على استطاعتهِ وأن ذلك المنظومَ ابنُ ساعته .

والبديهة أن يَنزِلَ (الشاعرُ) عن هذه الطَبَقة قليلاً ويُفَكِّرَ مُقَصِّراً لا مُطيلاً .

---

(١) وضعت عدداً من الحكايات مسجوعة (في جملها أسجاع) .

(٢) لم يرقمها (يكتبها) في الطرس (الورق) بنان (أصابع) : لم يكتب أحد مثلهـا . لم يطمثها (لم يتزوجها) . اقتباس من سورة الرحمن : (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) (٥٥ : ٧٤) .

(٣) هو القاضي الفاضل (راجع ، فوق ، ٤١١) .

(٤) أوحى : أسرع . خطف البارق (ذهاب البرق بالبصر) : أقل مكثاً من البرق (مع تأثيره في البصر) .

(٥) التماح (صيغة غير موجودة في القاموس) لمح : اختلس النظر (نظر نظرة سريعة بطرف عينه) . نفوذ السهم المارق : مرور السهم في الشيء من جانب إلى جانب .

(٦) العدول جمع عدل (بفتح العين وسكون الدال) : صادق ، يقول الحق . العدول (مصدر) : الميل والانحراف .

* كذا في الاصل : وهم .

فان أطالَ ذو البديهة الفكْرَةَ انْعَكَسَتِ القضيّةُ وخرجتْ من حدِّ البديهة الى حدّ الرَوِيَّة[1] . وعند ذلك تُقَصِّرُ نهضةُ الاقتدار عن بلوغ ذلك المِضْمارِ ، إذِ المرتجلُ والباده يُقْنَعُ منهما بالرديءِ اليسيرِ ، ولا يُقْنَعُ من المُرَوِّي الاّ بالجَيِّدِ الكثيرِ .....

٤ – الدول المنقطعة ، منه جزء في : « حكايات لقمان » (نشره فرايتاخ) ، بوّن ١٨٢٣ م .

بدائع البداثه ، بولاق ١٢٧٨ ه ؛ (على هامش « معاهد التنصيص » لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العبّاسي) ، القاهرة (المطبعة المصرية) ١٣١٦ ه .

غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات (تحقيق محمد زغلول سلاّم – مصطفى الصاوي الجوني) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧١ م .

** معجم الادباء ١٣ : ٢٦٤ – ٢٦٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٦٤ – ٦٨ ؛ بروكلمان ١ : ٣٩١ ؛ الملحق ١ : ٥٥٣ – ٥٥٤ ؛ زيدان ٣ : ٧٠ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٠٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٧٠ – ٩٧١ .

سليمان بن بنين الدقيقي

هو سُليمانُ بنُ بَنِينَ بنِ خَلَفِ بنِ عَوَضٍ الدَقيقيُّ المِصْريّ تَلقّى النَحْو على ابنِ بَرّيّ ، وكانتْ وفاتُه في القاهرة ، سَنَةَ ٦١٣ ه (١٢١٦ – ١٢٧ م) .

كان سليمانُ بنُ بَنِينَ الدقيقيُّ نحوياً ، ولكنّه ألّفَ في فنونٍ مختلفةٍ ، في النحو والبلاغة والعَروض والأدب والشِعر وأحكام الخَطّ والفِقْه والأخلاق . فمن كُتُبه : اتّفاق المباني وافتراق المعاني (لغة) – لُباب الألباب في شرح الكتاب (كتاب سيبويه ، في النحو) – الإعجاز والإيجاز في المعاني – أخلاق الكرام وأخلاق اللئام – الدرّة الأدبية في نُصرة العربية – دلائل الأفكار في فضائل الأشعار – البَسْط في أحكام الخطّ – الروض الأريض في أوزان القريض – كمال المَزِيّة في احتمال الرَزِيّة – الوافي في علم القوافي ، الخ ، الخ .

٤ – ** معجم الأدباء ١١ : ٢٤٤ – ٢٤٦ ؛ بغية الوعاة ٢٦١ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٦ ؛ الملحق ١ : ٥٣٠ ؛ الأعلام للزركلي ٣ : ١٨٣ .

فتيان الشاغوري

١ – هُوَ أبو مُحمّدٍ الشِهاب (شهاب الدين) فِتْيانُ بنُ عليٍّ بنِ فتيان بن

«١» الروية : إطالة الفكرة في الأمر .

ثَمال (جمال الدين) الأسَدي الحُزيمي المعروفُ بالشاغوريّ المُعلّم ِ ، من أهلِ دِمَشْقَ ، وُلِدَ بُعَيْدَ سَنَةِ ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م) في بانياس .

اتّصلَ فتيانُ الشاغوريّ بنَفَرٍ مِنَ الأمراء ومَدَحهم وكان يُعلّم أولادَهم (مبادىء العلوم) والخطّ . ويبدو أن مِهْنَتَه كانتْ تَعْليمَ الصبْيانِ ، وكان أيضاً يُقْرِىءُ النّحْوَ في جامعِ دِمَشْقَ . وقد خَدَمَ الأميرَ نورَ الدين مَوْدودَ بنَ المُبارك شِحْنَةَ دمشق .

ومن أحداثِ حياةِ فتيانِ الشاغوري أنّه أقام مُدّةً في الزَّبَداني ، وأنّه كان بينه وبين الشاعر ابن عُنين (٥٤٩ – ٦٣٠ هـ) مكاتبات ومداعبات . وكانتْ وَفاةُ فتيان الشاغوري في دِمَشْقَ في ٢٢ من المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦١٥ (٣١ – ٣ – ١٢١٨ م) .

٢ – كان فتيان الشاغوري فاضلاً عالماً بالنحوِ وشاعراً غَزيرَ المعاني متينَ السَّبْكِ مُجيداً بعضَ الإجادة مَعَ ولعٍ بالتجنيسِ . وشعره قصائدُ طوالٌ ومَقاطيعُ قِصارٌ حِسانٌ . وأكثرُ شِعْرِهِ المديحُ والرثاءُ والهجاء جِدّاً وهَزْلاً مَعَ شيءٍ من الغزل والخَمْرِ . وله وَصْفٌ للطبيعةِ وَقَفَ أكْثَرَهُ على وَصْفِ بلدةِ الزَّبَداني ، وَهِيَ مَصيفُ دِمَشْقَ إلى الغَرْبِ الشّماليّ منها .

٣ – مختارات من شعره

– قال فتيان الشاغوري قصيدةً يَمْدَحُ فيها بَدْرَ الدينِ مَوْدودَ بنَ المُبارك – وقد سمّاه فخرَ الدين – ويَصِفُ دِمَشْقَ . من هذه القصيدة :

نَوْحُ الحَمامِ الوُرْقِ في أوْراقِها ... دَلَّ أخا الشَّوْقِ على أشْواقِها[1] ؛
فأظْهَرَ الدَّمْعَ ، وأخْفى زَفْرَةً ... خافَ على البانات من إحْراقِها[2] .
لو بَكَتِ الوُرْقُ بِبَعْضِ دَمْعِهِ ... لامّحَتِ الأطْواقِ من أعْناقِها[3] .

(١) نوح = ترجيع : شدو ، غناء ، صوت. الورق جمع ورقاء (الحمامة) في أوراقها (بين أوراق الشجر) كناية عن وجودها في الظل وفي الربيع وفي خضرة العيش . – بكاء الحمامة في مثل هذه الحال الحسنة يتعجب منه الناس ، ولكن أخا الشوق (المحب) يعرف لماذا تبكي الحمامة .

(٢) الزفرة : النفس (الحار) الذي يخرجه الانسان (والزفير في الاصل صوت اشتعال النار) . البانات جمع بانة شجر له أغصان ملساء لينة لا تعلق بها النار بسهولة .

(٣) طوق الحمامة : ريش ملون يحيط بعنقها . – كثرة دمعه يمكن أن تمحو ألوان طرق الحمامة (مع أن تلك الألوان طبيعية لا تمحى) .

دَعْ العُرَيْبَ والنَّقا وزَيْنَباً ... تَجذبُ لِلبَيْنِ بُرى نِياقِها[1] ،
وعُجْ على دِمَشْقَ تُلْفِ بَلْدةً ... كأنّما الجنّاتُ من رُسْتاقِها[2] .
سَقَى دِمَشْقَ اللهُ غَيْثاً مُحْسِباً ... من مُسْتَهِلٍّ دِيمَةٍ دَفّاقِها[3] ؛
مدينةٌ ليس يُضاهَى حُسْنُها ... في سائرِ البُلْدانِ من آفاقِها[4] .
تَوَدُّ زَوْراءُ العِراقِ أنّها ... مِنْها ولا تُعْزى إلى عِراقِها[5] .
أهْدَتْ لها يَدُ الربيعِ حُلّةً ... بديعةَ التَفْويفِ من خلّاقِها[6] ؛
بَنَفْسَجٌ مِثْلَ خُدودٍ أُدْمِيَتْ ... بالقَرْصِ والتَجْميشِ مِنْ عُشّاقِها[7] .
ونَرْجِسٌ أحْداقُهُ رانِيَةٌ ... عَنْ مُقَلِ الغيدِ وعنْ أحْداقِها[8] .
تَنَزَّلَ المَنْثورُ مِنْ رِياضِها ... تَنَزُّلَ الأعْلامِ من شِقاقِها[9] .
فأرُضُها مثلَ السماءِ بَهْجَةً ، ... وزَهْرُها كالزُهْرِ في إشراقِها[10].
مِياهُها تَجْري خِلالَ رَوْضِها ... جَرْيَ الثَّعابينِ لَدى استِباقِها[11].
نَسيمُ رَيّا رَوْضِها متى سَرَى ... فكّ أخا الهُمومِ من وِثاقِها[12].

---

(١) العريب (تصغير عرب) : البدو . النقا : الرمل الابيض (البادية والاطلال) . زينب (كناية عن فتاة خيالية يتغزل بها شاعر في مطلع قصيدته غزلا وجدانياً أو تقليدياً) . للبين : للسفر ، للانتقال من مكان في البادية الى آخر . برى جمع برة (بضم الباء وفتح الراء) : حلقة توضع في أنف الحيوان يجر بها . تجذب للبين برى نياقها : تجر (تسوق) نياقها للارتحال .

(٢) عاج : مال ، اتجه ، عطف . الرستاق : الارض المستغلة في الزراعة ، القرى . يقول : كأن الجنة من قرى دمشق .

(٣) الغيث : المطر (الكثير) الذي يغيث (ينقذ الناس من القحط) . المحسب : الذي يسقي الارض فيرويها ويشبعها . استهل المطر : سقط . الديمة : السحابة الممطرة . دفاق : كثير التدفق ، كثير الهطول . من مستهل ديمة دفاقها : غيمة يبدأ مطرها تدفقاً . .

(٤) ليس يضاهى حسنها من سائر البلدان ... : لا بلد في الدنيا يشبهها .

(٥) الزوراء (زوراء العراق) = بغداد . تعزى : تنسب .

(٦) التفويف التلوين (كناية عن الازهار المختلفة الالوان) . من خلاقها (من صنع الله لا من صنع الانسان)

(٧) التجميش : ملاعبة المتحابين ، المغازلة .

(٨) – والنرجس ينظر الينا بعيون تشبه عيون الحسان من النساء .

(٩) المنثور زهر يكون ألواناً مختلفة . الاعلام : الرسوم في النسيج . الشقاق (يقصد الشاعر : شقق–بضم الشين وفتح القاف الاولى) : جمع شقة (بضم الشين) : القطعة من النسيج (الحرير) . –جميع الزهر في هذه المدينة منمنم (صغير) الا المنثور فهو كبير ، فهو يظهر فيها كأنه أعلام (رسوم كبيرة).

(١٠) الزهر (بضم الزاي) : النجوم .

(١١) – أنهار دمشق كثيرة تجري في جميع رياضها متعرجة مسرعة كأنها ثعابين تتسابق.

(١٢) الريا : الرائحة الطيبة . سرى : انتشر (ليلا) . الوثاق : الرباط.

لا تَسْأمُ العُيونُ والأنوفُ مِنْ رُؤيَتِها يوماً ولا استِنْشاقِها .
بِعَدْلِ فخرِ الدين قَرَّ أهْلُها عَيْناً ، وزادَ اللهُ في أرْزاقِها[(١)] ؛
زَوّجَها الأمنَ — ونَاهيكَ بهِ بَعْلاً — فطيبُ العَيْشِ من صِداقِها[(٢)] .
لَيْسَ لِفَخْرِ الدين نِدّاً في الوغى إذا الحُروبُ شَمّرتِ عن ساقِها[(٣)] .
كأنّما أعْداؤه أحِبّةٌ يَشْتاقُ في الحَرْبِ الى اعتِناقِها .
عَلَيْهِ من حُسْنِ الثناءِ حُلّةٌ قَشيبَةٌ لم يَخْشَ من إخْلاقِها[(٤)] .

— وقال يَصِفُ الشتاءَ في بَلْدَةَ الزَبَداني :

قدْ أجمَدَ الخَمْرَ كانونٌ بِكُلِّ قَدَحْ وأخْمَدَ الجَمْرَ في الكانون حينَ قَدَحْ[(٥)] .
يا جَنّةَ الزَبَداني ، أنتِ مُسْفِرَةٌ بِحُسْنِ وَجْهٍ إذا وَجْهُ الزمانِ كَلَحْ[(٦)] .
فالثّلْجُ قُطْنٌ عَلَيكِ السُّحْبُ تَنْدِفُهُ والجَوُّ يَحْلِجُهُ والقَوْسُ قَوْسُ قُزَحْ[(٧)] !

٤ — ديوان فتيان الشاغوري (تحقيق أحمد الجندي) (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

** خريدة القصر (الشام) ١ : ٢٤٧ — ٢٥٩ ، ٢٧٨ — ٢٨٠ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ١٤٣ — ١٤٥ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٦٣ — ٦٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٦٥٤ .

---

(١) قر أهلها عيناً : اطمأنوا ، أصبحوا مسرورين .

(٢) فخر الدين (بدر الدين، الممدوح) زوّج دمشق للأمن— وما أحسن هذا البعل (الزوج) ثم أصدقها (جعل لها صداقاً ، مهراً) أشياء كثيرة ، من هذه الأشياء الكثيرة طيب العيش .

(٣) ند : مثيل ، شبيه . الوغى : الحرب . شمرت الحرب عن ساقها : بدأت ، تهيأ الناس لها (اشتدت) .

(٤) قشيبة : جديدة . لم يخش (يخف) من إخلاقها (تهرئها من القدم) لأن له أعمالا حسنة يتجدد ثناء (شكر) الناس له من أجلها دائماً .

(٥) كانون الاولى اسم لشهرين من شهور السنة الميلادية : كانون الاول وكانون الثاني (الشهران الثاني عشر والاول: ديسمبر ويناير) . يستعمل الشاعر « أجمد الخمر » بمعنى جعلها جامدة (من شدة البرد) وليس الفعل « أجمد » في القاموس بهذا المعنى . القدح الاولى : الكأس (للخمر خاصة) . أخمد : أطفأ . الكانون : الموقد ، وعاء تجعل فيه النار . قدح الكانون = قدحت النار (النار — هنا — فاعل) اشتد اتقادها (وليس هذا المعنى في القاموس) .

(٦) مظفرة : ظاهرة ، بارزة (للناس) . كلح : عبس ، (قبح) .

(٧) ندفت السماء بالمطر وبالثلج : ألقته ورمت به . (ندف الرجل القطن : ضربه بوتر من حديد حتى يرققه ويجعله قطعاً صغيرة) . حلج السحاب : أمطر (حلج الرجل القطن : خلصه من بزره = الجو يلقي الثلج أبيض ناصعاً كأنه قطن بلا بزر — لأن بزر القطن أسود) . قوس قزح : قوس السماء . قوس قزح الذي يرى في الافق حين تتساقط الثلوج كقوس المنجد الذي يندف المنجد به القطن .

يحيى بن سعيد بن الدهان

١ ــ هو عز الدين أبو زَكَريّا يَحْيي بنُ سعيدِ بنِ المُبارك بنِ عليّ المعروفُ بابنِ الدهّان البَغْداديّ ، وُلِدَ في المَوْصلِ في أوائل سَنَةَ ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) في الأغلَبِ وأخذَ النَحْوَ عن مكّي بن ريّان (ت ٦٠٣ هـ) . ثمّ اتّصل بخِدْمة الناصرِ صاحبِ المَوْصل . وكانتْ وفاتُه قريباً من سَنَةِ ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) في الموصل .

٢ ــ كان ابنُ الدهّانِ أبو زكريّا يَحْيي بنُ سعيدٍ بارعاً في اللغة والنحو أديباً شاعراً سهلَ الشعرِ واضحَ المعاني . ومن فُنونه النسيب والشكوى .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ إن مَدَحْتُ الحمولَ نَبّهت أقْوا مأَ نياماً فسابقوني إلَيْـهِ .
هُوَ قَـدْ دَلّني على لَذّةِ العَيْـ شِ . فمـا لي أدُلُّ غيري عليه !
ــ وعَهْدي بالصبـا زَمَناً وقَـدّي حَكَى ألِفَ ابنِ مُقْلَةَ في الكِتاب[1] .
فصِرْتُ الآنَ مُنْحَنِياً كأنّـي أفتّشُ في التُرابِ على شَبابي !

ــ وهُوَ صاحبُ القصيدة التي مَطْلَعُها :

هلْ لِغرامي مِنْكَ من آخرٍ أم هل على صَدّك من ناصرِ !

٤ ــ معجم الأدباء ٢٠ : ١٥ ــ ١٦ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٣٧٣ ــ ٣٧٤ (في آخر ترجمة أبيه سعيد) ؛ بغية الوعاة ٤١٢ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ١٨٢ .

ابو البقاء العكبري

١ ــ هو مُحِبُّ الدينِ أبو البقاءِ عبدُ الله بنُ الحسينِ بنِ عبدِالله بنِ الحسينِ العُكْبُريّ الأزَجيّ[2] البَغْداديّ ، وُلِدَ في أوائلِ سَنَةَ ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) في بَغْدادَ . وأضرّ العُكبريُّ (عَمِيَ) في صباه بالجُدَري . وقد كانت زَوْجَتُه تقرأ له الكُتُبَ . وكان إذا أرادَ أن يُؤلّفَ كتاباً أحْضَرَتْ له زوجتُه عِدّةَ مُصَنّفات في الفنّ الذي يُريد أن يؤلّفَ فيه وقرأتْ (له بعضَها وقرأ آخرون له بعضَها الآخرَ) . فإذا حصلَتْ تلك القِراءاتُ في خاطرِه أملى ما أرادَ إملاءه منها .

---

(١) قدي : قامتي . ألف : أول حروف الهجاء . ابن مقلة : خطاط مشهور بارع. الكتاب : الكتابة ، الخط.
(٢) عكبراء وعكبري بلدة صغيرة قرب بغداد . باب الازج (بفتح ففتح) محلة في بغداد .

وكانتْ وفاةُ العُكْبري في ثامنِ ربيعِ الثاني من سَنَةِ ٦١٦ هـ (٢٤/٦/١٢١٩ م).

سَمِعَ العُكبريُّ الحديثَ من أبي الفتحِ البطّيّ وأبي زُرْعة المَقْدسيّ وتَفَقّهَ بالقاضي أبي يَعْلى الفَرّاء الصغير ولازمه وبَرَعَ في المذهب (الحَنْبلي) والخِلافِ والأُصول. وقرأ العربيةَ (النحو) على ابنِ الخشّابِ (ت ٥٦٧ هـ) ويحيى بنِ نَجاح (ت ٥٦٩ هـ). ثمّ إنّه أقرأ النَحْوَ واللُغة والمَذْهب (الحنبلي) والخِلاف والفرائضَ (تقسيمَ الإرْث) والحسابَ. وكان مُعيداً للشيخِ أبي الفرج بنِ الجَوْزى (ت ٥٩٧ هـ).

٢ — كان أبو البقاء العُكبري فقيهاً حنبليّاً وحاسباً فَرَضِيّاً (في تقسيم المواريث) وشاعراً، ولكنْ غَلَبَ عليه العِلمُ بالنحو وتفسيرُ الشعر. وكُتُبه كثيرةٌ منها: التِبيان في إعراب القرآن — عَدَدُ الآي (عدد الآيات في القرآن الكريم) — كتاب في القرآن وتقسيمه إلى أجزاءٍ وأحزابٍ وأعشارٍ، وفي القراءات والخِلاف ومن رواها[1] — لُمَع في الكلام على لفظة «آمين» المستعملة في الدعاء وحُكمها — كتاب في إعراب الحديث — البلاغة وغريب اللغة — في علوم قواعد اللغة العربية — اللُباب في علل البناء والإعراب — التلقين في النحو — في علمي العَروض والقوافي — في القريض من الهجاء والمديح — المُوجز في ايضاح الشعر المُلْغَز — كتاب إعراب شعر الحماسة — شرح ديوان المتنبّي — شرح اللُمع لابن جِنّي — شرح الخطب النُباتية (لابن نُباتة الفارقيّ) — شرح المفصّل للزمخشري — شرح مقامات الحريري — ترتيب اصلاح المنطق (لابن السِكّيت) على حروف المعجم — الاستيعاب في الحساب.

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة «التبيان في شرح الديوان» (ديوان المتنبّي)

..... أمّا بعدُ فإنّي لمّا أتقنتُ الديوانَ الذي انتشرَ ذِكْرُه في سائرِ البُلدان وقرأتُه قراءةَ فَهْم وضَبْطٍ على الشيخ الإمام أبي الحَرَمِ مَكّيّ بنِ رَيّانَ[2] بالمَوْصِلِ،

(١) القرآن الكريم مقسوم ثلاثين جزءاً، وكل جزء مقسوم أربعة أحزاب. والعشر: نحو عشر آيات في موضوع تام.

(٢) مكي بن ريان مقرىء نحوي ضرير من ماكسين في شمالي الشام على نهر الخابور، انتقل الى الموصل ثم الى بغداد وأخذ عن أئمة الأدب ثم عاد الى الموصل وتصدر للاقراء والتدريس. توفي بالموصل سنة ٦٠٣ هـ.

سَنَةَ تسعٍ وتسعينَ وخمسمائةَ ، وقرأتُه بالديار المصرية على الشيخ أبي محمّد عبدِ المُنْعم بنِ صالحٍ التَيْمِيِّ[1] النَحْوِيّ ؛ ورأيتُ الناسَ قد أكثَروا من شرحِ الديوان واهتمّوا بمعانيه فأعربوا فيه بكلِّ فنٍّ وأغربوا[2] فمنهم من قَصَدَ المعانِيَ دونَ الغريبِ ، ومنهم من قصدَ الإعرابَ باللفظ القريب ، ومنهم من أطالَ فيه وأسْهَبَ غاية التَسْهيب[3] ؛ ومنهم مَنْ قَصَدَ التعصّبَ عليهِ ونَسَبَهُ الى غيرِ ما كان قد قصد إليه؛ وما فيهم من أتى فيه بشيءٍ شافٍ ولا بعوَضٍ هو للطالب كاف . فاستَخَرْتُ اللهَ تعالى وجَمَعْتُ كتابِيَ هذا من أقاويلِ شُرّاحه الأعلامِ مُعْتَمِداً على قول إمامِ القَوْلِ المُقَدَّمِ فيهِ المُوضِحِ لمعانيه أبي الفَتْحِ عُثمانَ * ؛ وقولِ امامِ الأدباء وقُدوةِ الشعراء أحمدَ بنِ سُليمانَ بنِ أبي العَلاء[4] ، وقولِ الفاضلِ اللبيب إمامِ كلِّ أديبٍ أبي زكريّا يَحْيى بن عليٍّ الخطيب ، وقولِ الإمام الأرْشَدِ ذي الرأي المُسَدَّدِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أحمدَ[5] ، وقولِ جماعةٍ كأبي عليِّ بنِ فُورَجّه وأبي الفضل العَروضيِّ وأبي بكرٍ الخَوارزميّ ومحمّدِ الحسنِ بنِ وكيعٍ وابن الافليلي[6] وجماعةٍ . وسمّيتُه : «التِبيانَ في شرح الديوان» وجعلتُ غرائبَ إعرابه أوّلاً وغرائبَ لُغاته ثانياً ومعانيَه ثالثاً . وليسَ غريبُ اللغة بغريبِ المعنى . فاللهُ تعالى يَعْصِمُنا من ألْسُنِ الحُسّادِ ويُوقِعُ في قلبِ ناظرِه وسامعِه القَبول . إنّه كريمٌ جواد .

٤ ــ التبيان في اعراب القرآن (على هامش تفسير الجلالين) طهران ١٨٥٩ ــ ١٨٦٠ م ؛ (بذيل تفسير الجلالين) دهلي ١٨٩٩م ؛ إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن (بهامش الفتوحات الالهية للشيخ سليمان الجمل) .... (على هامش تفسير الجلالين). القاهرة (المطبعة التجارية) ١٩٢٣م؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٣هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٦ ، ١٣٢١ هـ .

---

(١) عبد المنعم التيمي الاسكندري من علماء النحو والأدب ، استوطن مصر (القاهرة) ، توفي ٦٣٣ هـ .

(٢) أعرب : أوضح ، بين (كشف عن غامض المعنى) . أغرب : أتى بالغريب من أوجه المعاني التي تحتملها أبيات الشعر .

(٣) باللفظ القريب (الموجز الظاهر) . التسهيب (المقصود منه هنا : الإسهاب) : التفصيل في ايراد المعاني والشرح .

(*) توفي ابن جني سنة ٣٩٢ هـ . راجع ٢ : ٥٧٦ . (٤) المعري (ت ٤٤٩ هـ) ، راجع ، فوق ، ١٢٤.

(٥) الخطيب التبريزي (٥٠٢ هـ) ، راجع ص ٢١١ ؛ الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) ، راجع ص ١٧٥ .

(٦) أبو علي محمد بن حمد بن فورجه (٣٨٠ – نحو ٤٥٥ هـ) . أبو الفضل العروضي(؟)؛ أبو بكر الخوارزمي (ت ٣٨٣ هـ) ، راجع ٢ : ٥٤٤ . ابن وكيع (ت ٣٩٣ هـ) ، راجع ٢ : ٥٨١ . ابن الافليلي (ت ٤٤١ هـ).

التبيان في شرح الديوان – ديوان المتنبّي (بعناية بار علي بادرناوي)، كلكتا ١٢٦١ – ١٢٦٢ ﻫ بولاق ١٢٨٧ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٨ ﻫ ؛ (صحّحه مصطفى السقّا – ابراهيم الابياري – عبد الحفيظ شلبي)، مصر (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٥٥ﻫ=١٩٣٦ م ؛

** هوامش من شرح العكبري على ديوان المتنبّي: «ديوان صاحب المعاني المخترعة ...» (باعتناء عمر الرافعي)، مصر (طبع حجر) ١٢٨٣ ؛ مصر (مطبعة أبي زيد – طبع حجر) ١٣٠٢ ﻫ ؛ مصر ١٣١٥ ﻫ.

نكت الهميان ١٧٨ – ١٨٠ ؛ انباه الرواة ٢ : ١١٦ وما بعد ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٧٦ – ٤٧٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٦٧ – ٦٨ ؛ بغية الوعاة ٢٨١ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٥ ، الملحق ١ : ٤٩٥ – ٤٩٦ ؛ زيدان ٣ : ٤٤ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٣٥٧ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٠٨ – ٢٠٩.

القاسم بن الحسين الخوارزمي

١ – هو مجدُ الدينِ صدرُ الأفاضلِ أبو محمّدٍ القاسمُ بنُ الحسينِ بنِ محمّدٍ الخوارزميُّ، من أهلِ خوارزمَ، وُلِدَ في تاسعِ شَعبانَ سَنَةَ ٥٥٥ ﻫ (١٤/٨/١١٦٠ م). تلقّى القاسم بنُ الحُسين طَرَفاً من العلم في بُخارى، وقرأ ديوان المُطَرِّزيّ. وسَكَنَ سمرقند حيناً وفي سنةِ ٦١٧ ﻫ (١٢٢٠ م) اجتاحَ التتارُ خُراسانَ وما وراء النهر وأكثروا القتل فيهما، فقُتِلَ القاسمُ بن الحسين في تلك الفَتْرة، في خوارزم في الأغلب.

٢ – كان القاسمُ بنُ الحسينِ الخوارزميّ فقيهاً أشعريّاً غيرَ معتزليٍّ، وكان بارعاً في علم العربيـــة (النحو) والبلاغة وله باعٌ طويلةٌ في علوم الأدب. وهو أديبٌ له خُطَبٌ ورسائلُ إخوانيةٌ، وكان يَنْظِمُ الشعر. ومع كَثْرة شعرِه فانّه قليلُ الإجادة. وأكثرُ نظمه في الأغراض الوُجدانية الشخصية. ثمّ هو مُصَنِّف له كتبٌ منها: (في شرح المُفصّل للزمخشري): المجمرة[1] (صغير) – السبيكة (وسط) – التجمير[1] (بسيط =كبير). ثم له: ضِرام السَقْط (شرح سقط الزَند للمعريّ) – التوضيح (شرح المقامات، للحريري ؟) – لهجة الشرع في شرح ألفاظ الفقه – المفرد والمؤلّف – شرح الأُنموذج (للزمخشري في النحو) – شرح الأحاجي (للزمخشري) – خلوة الرياحين في المحاضرات – عجائب النحو – السرّ (في الاعراب) – شرح الأبنية

(١) في بروكلمان، الملحق (١ : ٥١٠، السطر الأول) : كتاب التخمير (بالخاء المعجمة) في شرح المفصل.

– الزوايا والخبايا (في النحو) – المُحصَّل للمُحصِّلة (في البيان) – عُجالة السفر (في الشعر) – بدائع المُلَح – شرح الكتاب اليَميني (للعتبي، في التاريخ).

ولمّا شرح القاسم بن الحسين ديوان المعرّيّ توسّع في المقارنة بين شعر المعرّي وشعر الأبيورديّ (ت ٥٥٧هـ – راجع، فوق، ص٢١٦) وغاص على المعاني وأكثر من الاستناد الى الاشارات التاريخية والفقهيّة. واهتمّ اهتماماً خاصّاً بأوجه البلاغة ولاسيّما الجناسُ والطباق.

٣ – مختارات من آثاره

– قال القاسم بن الحُسين الخوارزميّ يُثبّطُ الشعراءَ عن التكسّب بالشعر لذَهاب الكرماء:

يا زُمْرَةَ الشعراءِ، دعوةُ ناصحٍ : لا تأملوا عندَ الكِرام سَماحَا[1].
إنّ الكرامَ بأسْرِهم قد أغلَقوا باب السَماحِ وضَيّعوا المِفتاحا!

– ومن ترسّله:

إلى الدارِ العزيزةِ[2] ببغْدادَ – حَرسَها اللهُ تعالى – راياتُ مولانا الصوّامِ القوّامِ أميرِ المؤمنين وإمامِ المتّقين وخليفةِ ربّ العالمين: الإمامِ الذي ليس للتابعين غيرُه إمامٌ ولا دون عتَبَتِه مُتَمَسَّكٌ واعتصام .... مُنَى العَبْد أن يَسْعى الى المواقفِ المُقدّسة مَسْعى القلم، يَحْبو[3] على رأسهِ لا على القَدَم، ليَشَمَّ بثَراها الثَريَّ لَخْلَخَةَ المِسك الذكيِّ[4] ويُعَفِّرَ بها جبينَه ويُجيلَ في مسارح الحَمْد طَرْفَه[5] .. لكنّ الحوادث قلّما توافقه، والأيام تُماسكه في ذلك وتُضايقه[6] .... ولمّا وَرَدَ الرَسْمُ[7] – أعلى نورُ الله به مشارقَ الأرضِ ومغاربها – تلقّاه العبدُ بالتعظيمِ والإجلال ووضعه على قِمّة الامتثال ....

---

(١) السماح: الكرم.
(٢) قصر الخلافة (في بغداد).
(٣) زحف على بطنه، أو على يديه ورجليه. منى جمع منية: أمنية، منتهى الأمل، الغاية.
(٤) الثريّ: النديّ، الرطب. الثرى: التراب. لخلخة (رائحة) المسك الذكي: الشديد الرائحة (الزكي: الطاهر، الطيب الرائحة).
(٥) عفر: وضع في التراب. الطرف: العين، النظر.
(٦) تماسكه من «ماسك» ليست في القاموس (المقصود: تعيقه، تمنعه من التصرف).
(٧) الرسم: الأمر الرسمي.

– من مقدمة ضِرام السقط (شرح ديوان المعريّ) :

... وبعدُ فإنّ طائفةً من أهلِ العلم قد قرَعوا مَسْمَعي غيرَ مرّةٍ بالْتماسِهم إليّ أنْ أشْرَحَ لهم « سقط الزند » .... لأنّ ماء الفصاحة همى من مَبانيه ورَوْنق البلاغة مشى على معانيه وبهجةَ الصَنْعة صافحتْ بعضَ قوافيه ، مَعَ انطوائه على كلّ نُكْتةِ من العلوم ولَمْعة هي كالسرّ المكتوم . فشَرَحْتُ فيه من مُفردات اللغة والأبْنِيَةِ والاشتقاق[1] ومسائل الإعراب والتصريف ؛ وأوْرَدتُ من التراكيبِ المستعملَة في كلامِهم[2] و(من) محاسنِ عِلْمَيِ المعاني والبَيان وألقابِ العَروض والقوافي ونُتَفِ التواريخِ والحكايات وأنسابِ العرب والأنـواء[3] والرموز الحِكْميّة ، وشيءٍ قليلٍ من فقْه الشافعيّ وأحاديثِ النبيّ وفوائد التفسير ما عسى يُشْكِلُ[4] عليهم ولم يُلْقَ حَلٌّ معقودِه إليهم . ثمّ تَوَخّيْتُ أنْ أتكلّمَ في كلّ مسألةٍ بأخْصَرِ كلامٍ وأشْكَلِه[5] بالتقريب والإفهام ، وأن أقتنع من كل حكاية طويلة بالفِقرة الصائبة حدقةَ المقصود واللمحة الدالّة على المعنى المنشود[6] ، إلاّ في عدّةِ مواضعَ لغَرَضٍ . فأقولُ ، وباللهِ التوفيقُ : أنشأتُ هذا الكتابَ وأنا اقْتَدِحُ زَنْداً غير شَحاح ووسمتُه[7] « بضِرام السَقْط في شرح السَقْط » . وقد هيّأ اللهُ الفَراغَ من تسويدِه ، بعدَ ما تَمَصّرتُ صِبايَ في تفصيلِ فَريدِه[8] ، في أوائل المُحرّم الواقعِ في سَنَةِ سَبْعٍ وثمانينَ وخَمْسِمائَةٍ .... وكان ذلك في سمرقند. أعادَنا اللهُ إليها .

٤ – ضرام السقط ، تبريز (طبع حجر) ١٢٨٦ هـ ؛ القاهرة (دار الكتب) ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) ؛ القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) أصدرته وزارة الثقافة والارشاد في الجمهورية العربية المتّحدة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) .

** معجم الأدباء ١٦ : ٢٣٨ – ٢٥٣ ؛ بغية الوعاة ٣٧٦ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٨ .

---

(١) الأبنية : الصيغ (فعل ، فاعل ، فعال ، مفاعل ، الخ) . الاشتقاق : مجيء الابنية (الصيغ) من الجذور . (٢) في كلامهم (كلام العرب البدو أهل الفصاحة وصحة اللغة) .

(٣) العروض : أوزان الشعر . الأنواء (جمع نوء) أحوال الجو (من الريح والغيم الخ).

(٤) أشكل الأمر : التبس (غمض المقصود منه ، اختلط بعض وجوهه ببعض أو بوجوه أخرى).

(٥) توخى الأمر : قصده وتحرى (وجه الصواب فيه) . أشكله : أشبهه (بالصواب) . وأشكله (أيضاً) : أكثره غموضاً واختلافاً.

(٦) الحدقة : العين . حدقة المقصود : الأمر المطلوب . المنشود: المطلوب.

(٧) قدح الزند (ضرب بحديدة على حجر من الصوان ليخرج منها الشرر. شحاح : صلد (لا يقدح منه نار) ، بخيل . وسمته : علمته (جعلت فيه علامة) ، سميته . (٨) الفريد : اللؤلؤ.

قتاده بن ادريس

١ — هو أبو عزيزٍ قَتادةُ بنُ إدريسَ بنِ مُطاعنِ بنِ عبدِ الكريم ابن عيسى الحَسَني الزَيْديّ العلويُّ ، جَدُّ الأشرافِ (أمراء مكّة) بني قَتادةَ ، وُلِدَ نحوَ ٥١٩ هـ (١١١٥ م) في يَنْبُعَ (الحجاز) .

نشأ قتادةُ عاقلاً شُجاعاً ثم ساد عشيرتَه واستولى على يَنبُعَ والصفراء . ولمّا كثرتِ الفِتَنُ في مكّةَ ، في أيام المنصورِ بنِ داوودَ بنِ عيسى آخرِ بني فَليتةَ أشرافِ مكّةَ ، قَصَدَها واستولى عليها (٥٩٧ هـ). ثمّ إنّه حاربَ سليمَ بنَ أبي فَليتةَ صاحبَ المدينة ، سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ — ١٢٠٥ م) . وقدِ اتّسعَ ملكُه الى المدينة واليمن .

وكان قَتادةُ في أوّلِ أمره حاكماً صالحاً مَهيباً حازماً ، استتبّ الأمنُ في بلاده فأصبح الحجّاجُ يتنقّلون فيها آمنينَ على أنفسِهم وأموالِهم . ولكنّه كان مُجانباً للعبّاسيين يعتقدُ أنّه أحقُّ بالخلافة . وكان العبّاسيّون يُدارونه ويرسلون إليه الهدايا ، وكان هو لا يزورُهم ولا يزورُ أحداً غيرَهم من الملوك عِفّةً وتَكَبُّراً . ولكنّه بدّلَ فيما بعدُ وكَثُرَ ظُلْمه للناس .

وكانتْ وفاةُ قَتادةَ في جُمادى الثانية من سَنَةَ ٦١٨ (أوائل صيف ١٢٢١ م) ، وقيل : بل قَتَلَهُ ابنه في حديثٍ طويلٍ .

٢ — كان قَتادةُ بنُ ادريسَ يقولُ الشعر .

٣ — مختارات من شعره

— قيل إنّ أميرَ الحاجّ طَلَبَ من قَتادةَ أن يَحْضُرَ إليه (لاستقبال الحُجّاج) ، جَرْياً على العادة المُتَّبعة فلم يَقْبَلْ . فكتب اليه الخليفةُ من بغدادَ يُعاتبه في ذلك ؛ فأجاب قَتادةُ بأبيات هي :

ولي كفُّ ضِرغامٍ أُدِلُّ بِبَطْشها ۝ وأشْري بها بينَ الورى وأبيعُ[1] .
تَظَلّ ملوكُ الأرض تَلْثِمُ ظهرَها ۝ وفي وَسْطِها للمُجْدِبينَ ربيعُ[2] .

---

(١) أدل ببطشها : أثق بقوتها فاجترىء على الناس . أشري (أشترى) وأبيع : أتصرف في أمور الناس . ضرغام : أسد .
(٢) في وسطها (باطنها) للمجدبين (الفقراء ، المحتاجين اذا قل خصب بلادهم) ربيع (خصب ، كناية عن كرمه) .

أأجعلُها تحتَ الرَّحا ثمّ ابتغي خلاصاً لها؟ إنّي، إذَنْ، لرَقيع[1]!
وما أنا إلاّ المسكُ في كلّ بلدةٍ يَضوعُ، وأمّا عندَكم فيَضيع[2].

٤ – ** ابن الأثير ١٢ : ٤٠١–٤٠٤ ؛ ذيل الروضتين ١٢٣ ؛ العبر ٥ : ٦٩ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٢٠٥ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٧٦ ؛ تاج العروس (الكويت) ٥ : ٣١–٥٣ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٦.

ابن النبيه

١ – هو كمالُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ يوسفَ بنِ النبيهِ المصريُّ، وُلِدَ في مِصْرَ نحو سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) ونشأ فيها. وأوّل ما نَعْرِفُ من حياتِه اتّصالُه بالقاضي الفاضلِ وبالملكِ العادلِ الأيّوبيّ، نحو سَنَةِ ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م) أو بَعدَ ذلك بقليلٍ. وفي نحو ٦٠٠ هـ (١٢٠٤ م) اتّصل بالملكِ الأشرفِ مُظفّر الدين أبي الفتح موسى صاحبِ نَصيبينَ وأصبحَ كاتباً له. وكانتْ وفاة ابن النبيه في نَصيبينَ سَنَةَ ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م).

٢ – ابنُ النبيهِ شاعرٌ رقيقٌ مَرِحٌ مَتينُ السبكِ جَميلُ الديباجةِ حَسَنُ التَحكّمِ في الوَزْنِ والقافيةِ لملائمَةِ المَعْنى الذي يُريدُ التعبيرَ عنه. يبدأ ابنُ النبيهِ قصائدَه الطوال بغَزَلٍ تقليديّ ولكنّه عذبٌ ثم يُحْسِنُ التَخَلّصَ الى المدحِ. وفنونُه المشهورةُ المدحُ (وهو أكثرُ شعره) والرثاءُ (وهو يُحاول أن يُعلّل الموتَ تعليلاً يَغْلِبِ عليه التشاؤمُ بأنّه يأخذُ أفاضلَ الناسِ ويترُكُ غيرَهم). وله غزلٌ ونسيبٌ رقيقانِ وخمرٌ وعِتاب. ثمّ له موشّحاتٌ. وديوانه ثلاثةُ أقسامٍ : الخليفيّاتُ وهي مدائُحه في الخليفة الناصرِ العبّاسي (٥٧٥ – ٦٢٢ هـ) – والعادليّات وهي مدائحُه في الملكِ العادلِ مُحمّدِ بنِ أيوبَ[3]، – والأشرفيّات وهي مدائحه في موسى الأشرفَ بنِ الملكِ العادلِ محمّدٍ[4] (وهي أكبرُ أقسامِ الديوان).

---

(١) الرحى والرحا : حجر الطاحون. الرقيع : الأحمق، القليل العقل. – اذا زرت بغداد (بلد عدوي) بإرادتي ، فهل أضمن أن أنجو من يد عدوي ؟

(٢) ضاع يضوع : انتشر.

(٣) الملك العادل أخو صلاح الدين، ولد ٥٤٠ هـ، وتولى حلب سنة ٥٧٩ هـ واستقل بملك مصر ٥٩٦ هـ وأرمينية ٦٠٤ هـ واليمن ٦١٢ هـ. وكانت وفاته ٦١٥ هـ.

(٤) الملك الأشرف ولد سنة ٥٧٨ هـ. وقد بدأت سلطته تعظم بما تولى عليه من البلاد منذ سنة ٥٩٨ هـ. واستقر في الجزيرة (شمالي الشام والعراق) سنة ٦٠٩ هـ، وكانت وفاته سنة ٦٣٥ هـ.

٣ – مختارات من شعره

– قال ابن النبيه في الخمر :

باكِرْ صَبوحَكَ أهنا العَيشِ باكِرُهُ ... فقدْ ترنّمَ فوقَ الغُصْنِ طائرُهُ[١] ؛

والليلُ تَجْري الدَّراري في مَجَرّتهِ ... كالرَّوضِ تطفو على نَهْرٍ أزاهره[٢] ،

وكوكَبُ الصبحِ نجّـادٌ على يدهِ ... مُخَلَّقٌ تملأ الدُّنيا بشـائره[٣] .

فانهَضْ إلى ذَوْبِ ياقوتٍ لهـا حَبَبٌ ... يَنوبُ عن ثغرِ من تَهْوى جواهره[٤] :

حمراءُ في وَجْنةِ الساقي لها شَبَهٌ ؛ ... فهل جَناها من العُنقود عاصره !

خُذْ من زَمانِك ما أعطاك مُغْتَنِماً ... وأنتَ ناهٍ لهذا الدهرِ آمره ؛

فالعُمْرِ كالكأسِ تُستَحْلى أوائلُه ، ... لكنّه ربّما مَـرّتْ أواخره !

– وقال في الغَزَل (في مطلع قصيدة يمدح فيها موسى الأشرف) :

أفْديهِ إنْ حَفِظَ الهوى أو ضَيّعا ؛ ... مَلَكَ الفُؤادَ فما عسى أنْ أصنعا .

من لم يَذُقْ ظُلْمَ الحبيبِ كظَلْمه ... حُلْواً فقد جَهِلَ المودّةَ وادّعـى[٥] .

يا أيُّها الوجهُ الجميلُ ، تدارَكِ الصبـرَ الجميلَ فقد عَـفا وتضعضعا[٦] .

هل في فُؤادِكَ رحمـةٌ لِمُتَيَّمٍ ... ضَمّتْ جوانِحُه فُؤاداً مُوجَعا[٧] .

هل من سبيل أنْ أبُثَّ صَبابَـتي ... أو أشْتكي بَلْوايَ أو أتَوَجّعا[٨] .

– وله في الرثاءِ القولُ المشهور :

الناسُ للموتِ كخيلِ الطِـرادْ ... فالسابقُ السابقُ منها الجَوادْ .

واللهُ لا يدعـو الى دارِه ... إلاّ مَنِ استصلَحَ من ذي العِباد .

---

(١) الصبوح : شرب الخمر في الصباح . ترنم : تغنى .

(٢) الدراري : النجوم . المجرة : (راجع فوق ، ص٤٥٢ ، الحاشية ٤) .

(٣) كوكب الصبح : الزهرة (بضم الزاي وفتح الهاء) . نجاد : دليل ماهر (طليعة القوم ، رسول). مخلق : كتاب (رسالة) مضمخ بالطيب (العطر) .

(٤) ذوب ياقوت : كناية عن الخمر . حبب فقاقيع تطفو على وجه عدد من السوائل التي تحتوي على ثاني أوكسيد الكربون . (٥) الظلم (بفتح الظاء) : الريق .

(٦) عفا : محى (ذهب ، نفد – بفتح فكسر).

(٧) الجوانح : جوانب الصدر التي تضم القلب .

(٧) بث : نفث ، شكا . الصبابة : لوعة الحب .

(٨) نقاد : ناقد ، بصير ، خبير (صيرفي) . الجياد جمع جيد (الدراهم الصحيحة الوازنة) .

والموتُ نَقّـادٌ ، على كفّـهِ جواهرٌ يختارُ منهـا الجيادْ !

— ولـه :

أماناً أيُّها القمَـرُ المُطِلُّ ، فمن جَفْنَيْكَ أسيافٌ تُسَلُّ .

يزيدُ جمالُ وَجْهِكَ كلَّ يـومٍ ؛ ولي جَسَدٌ يـذُوبُ ويَضْمحِلُّ !

٤ — ديوان ابن النبيه ، بيروت (مطبعة ثمرات الفنون) ١٢٩٩ هـ ؛ (اعتنى بحلّ ألفاظه اللغوية وتصحيحه عبد الله فكري) ، القاهرة (مطبعة عبد الغني فكري) ١٢٨٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٣ هـ ؛ (تحقيق عمر محمّد الأسعد) ، بيروت (دار الفكر) ١٩٧٠م.

** فوات الوفيات ٢ : ٩١ — ٩٤ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٨٥ — ٨٦ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٤ ، الملحق ١ : ٤٦٢ ؛ زيدان ٣ : ١٥ — ١٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٩٤ — ٨٩٥ ؛ ابن الأثير ١٢ : ٨٤ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٥٢ .

محمد بن قتلمش السمرقندي

١ — هو أبو منصورٍ محمّدُ بنُ سُليمانَ بنِ قُتُلْمُش بن تركانشاه السَمَرقنديُّ الأصلِ البَغداديُّ ، وُلِدَ في بَغدادَ سَنَةَ ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) .

تولّى ابنُ قُتُلْمُش حَجْبَةَ البابِ للخليفةِ الناصرِ ، في ذي الحِجّة من سَنَةَ ٥١٥ هـ (١٢١٩ م) . وكانت وفاتُه في ٢٦ من ربيعٍ الآخرِ سَنَةَ ٦٢٠ هـ (٢٩/ ٥/ ١٢٢٣ م) .

٢ — كان ابن قُتُلْمش، فيما قيل، مُولَعاً بلِعْبِ القمارِ وبالنَرْدِ[١] لا يكادُ يُفارِقُهما إلاّ إذا لم يَجِدْ من يُساعِدُه (يُلاعبه) . وكانت له معرفةٌ بالادب وبشيءٍ من العلومِ الرياضيّة . وكـان شاعراً مُولعاً بالتجنيس قال في الغَزَلِ والنسيب والشَكْوى وفي شيءٍ من المُجون ؛ ولعلّه قالَ في المديح . وهو مُصَنِّفٌ أيضاً له كتابٌ سمّاه « التبر المسبوك والوشي المحبوك » (في الأدبِ) صَنَعَه للشريفِ أبي منصورٍ ، وهو ابنُ صديقٍ له اسمُه أبو غالبٍ عبدُ الواحدِ بن مسعود بنِ الحُصَين .

٣ — مختارات من شعره

— قال ابن قتلمش يشكو الشيخوخة :

سَئِمْتُ تكاليفَ هذي الحيـاةِ وكرَّ الصباحِ بهـا والمساءِ[٢] .

---

(١) النرد : لعبة الطاولة (لعبة الزهر) . يساعده : يلاعبه .

(٢) تكاليف الحياة : ما تتطلبه الحياة من الواجبات . كر الصباح والمساء : تعاقبهما ، تكرارهما (طول العيش).

وقد صِرْتُ كالطِفْلِ في عقلهِ قليلَ الصوابِ كثيرَ الهَذاءِ[1] .
أنام إذا كُنْتُ في مجلسٍ وأسهر عند دُخول الفِناءِ[2] .
وقَصّرَ خَطْوِيَ قيدُ المَشيبِ ، وطال على ما عَناني عنائي .
وما جَرَّ ذلك غيرُ البقاءِ ؛ فكيفَ ترى سُوءَ فعلِ البقاءِ ؟

— وقال في مثل ذلك :

يا قومُ ، ما بي مرضٌ واحدٌ ؛ لكنّ بي عِدّةَ أمراضِ .
ولستُ أدري ، بعدَ ذا كلّهِ ، أساخطٌ مولايَ أمْ راضِ[3] .

— وقال في الغزل المذكّر والخمر :

ومُهَفْهَفٍ غَضِّ الشّبابِ أنيقِهِ ، كالبدرِ ، غُصْنِيِّ الشبابِ وَرِيقِهِ[4] ؛
نازَعْتُهُ مَشْمولَةً فأدارَها مِنْ وَجْنَتَيْهِ ومُقْلَتَيْهِ ورِيقهِ[5] .

— وقال يُخاطِبُ امرأتَه ، وقد كان عازماً على السفر للتكسّب بسفره (فيما يبدو) :

تقولُ حَليلتي ، لمّا رأتْني وقد أزمَعْتُ عن وَطَني غُدُوّا[6] .
أقِمْ واطْلُبْ مَرامَكَ[7] من صَديقٍ ؛ فقُلْتُ لها : يَصيرُ ، إذَنْ ، عَدُوّا !

٤ — ** فوات الوفيات ٢ : ٢٦١ — ٢٦٢ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٢٥—١٢٧ ؛ المحمدون من الشعراء ٣٥٦—٣٥٨ ؛ بغية الوعاة ٤٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٩٣ — ٩٤ ؛ معجم الأدباء ١٠ : ١٢٦ (في ترجمة الحسين بن علي بن أحمد) .

---

(١) في المعجم الوسيط (٢ : ٩٨٩) : هذأ فلان الكلام : أكثر منه في خطأ . وفي القاموس المحيط (١ : ٣٣) هذأ فلاناً فلاناً : أسمعه ما يكره . والمصدر من هذأ (بفتح الذال) هذأ (بسكون الذال) . والأصح هنا « الهراء » (بضم الهاء) : الكلام الكثير الفاسد .

(٢) الفناء (بكسر الفاء) : فسحة أمام الدار . — يقصد الشاعر : أشعر بالنعاس اذا كنت في مجلس قوم ، فأستأذن لأذهب الى بيتي وأنام . فاذا صرت أمام بيتي طار نومي واعتراني الارق .

(٣) ان سكرى واندفاعي في الشهوات أورثني أمراضاً كثيرة . أترى مولاي (الله) لا يزال ساخطاً علي (للمعاصي التي ارتكبتها) أم أنه قد رضي الآن علي وعدّ هذه الأمراض عقاباً كافياً على تلك المعاصي ؟

(٤) المهفهف : الناحل الضامر الخصر . الغض : اللين الناعم . الأنيق : الذي يعجب العين . غضي الشباب : مستقيم القامة . نضير الوجه . الوريق : (الغصن) المكتسي بالورق (كناية عن الربيع وعن الشباب) .

(٥) نازعته الخمر : شربت الخمر معه من كأس واحدة . المشمولة : الخمر المبردة . من وجنتيه (حمراء كخديه) ومقلتيه (تسحر ، تثير الوجد كعينيه) وريقه (حلوة مثل ريقه) .

(٦) الحليلة : الزوج (الزوجه) . أزمع : نوى ، عزم على . الغدو : المسير (السفر) في الصباح .

(٧) مرامك : مقصدك (بكسر الصاد : الحصول على المال) .

ابن شمس الخلافة

١ – هو مجدُ المُلْكِ أبو الفضلِ جعفرُ بنُ شمسِ الخِلافةِ أبي عبدِ الله محمّدِ ابنِ شمسِ الخلافةِ مُختارٍ الأفضليّ ، نِسْبَةً إلى الأفْضَل بن بَدْرٍ الجَمالي .

وُلِدَ ابنُ شَمْسِ الخلافة في المُحَرَّم من سنة ٥٤٣ هـ (ربيع ١١٤٨ م) . وتوفّي في مِصْرَ في ١٢ من المحرّم من سنة ٦٢٢ (٢٤/ ١/ ١٢٢٥ م) .

٢ – ابنُ شمسِ الخلافةِ أديبٌ وشاعرٌ طريقتُه في الشعرِ حَسَنَةٌ . وهو مُصَنِّفٌ له كتاب الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة .

٣ – مختارات من آثاره

– قال ابنُ شمسٍ في الأدبِ ، وفي قوله شَكْوى وتَجَلُّد :

هي شِدّةٌ يأتي الرَخاءُ عَقيبَها ... وأسىً يُبَشِّرُ بالسرورِ العاجلِ .
واذا نظرتَ ، فإنّ بُؤساً زائلاً ... لِلْمَرءِ خيرٌ من نعيمٍ زائلِ !

– وقال يهجو الصفيَّ أبا محمّدٍ عبدَ الله بنَ عليٍّ المعروفَ بابن شُكْر ، وكان وزيراً للملك العادلِ ولابنه الملك الكامل (وكان ابن شكر مُسْتبدّاً ، وكان الناس يُثْنون عليه خوفاً من بَطْشه) :

مَدَحَتْكَ ألْسِنَةُ الأنامِ مَخافةً ... وتشاهَدَتْ لَكَ بالثناء الأحْسنِ .
أترى الزمانَ مُؤخّراً في مُدّتي ... حتّى أعيشَ إلى انطِلاق الألْسُن !

– وقال ابنُ شمس الخلافة في مقدّمة كتاب الآداب :

.... وبعدُ ، فانّ ألْطفَ الكلامِ مَوْقِعاً وأشْرَفَه مَوْضِعاً[١] كَلِمَةُ حِكْمة يَقْتَدي الإنسانُ بِسَناها فيَهْتدي ويَتّبِعُ هُداها فيَرْتَدِعُ[٢] ، ومَثَلٌ سائرٌ يُغْني بإيرادِه[٣] في المحافِلِ[٤] عن ألفاظٍ يُؤلّفُها ومَعانٍ يَتَكَلّفُها[٥] ، ويُنْزَلُ

---

(١) ألطف موقعاً (أثراً في النفس) وأشرف موضعاً (أحسن ما يكون في المقام الذي يقال فيه) .
(٢) السنا : النور . ارتدع : ترك العمل (بالأمر السيء من تلقاء نفسه) .
(٣) بإيراده : بالمجيء به ، بالاستشهاد به .
(٤) المحفل (بفتح الميم وكسر الفاء) : المكان الذي يكثر فيه اجتماع الناس .
(٥) عن ألفاظ (كثيرة) يؤلفها (بنفسه) ومعان يتكلفها (يبحث عنها ويخترعها) .

صاحبُه مِنَ العلم فَوْقَ مَنْزلته ويُرتَّبُ من الأدبِ في أعلى مَرْتَبَتِهِ . وقدْماً قيل : يَكْفيكَ من الأدب أن تَرْوِيَ الشاهِدَ والمَثَل[1] .

وقد جَمَعْتُ في كتابي هذا ما يَصْقُلُ الخواطرَ الصَدِئَةَ ويَحُدُّ القرائحَ الكالَّةَ[2] ويَبْعثُ الأفهامَ اللاغبةَ ويَقودُ القلوبَ الجامحة[3] . وصَنَّفتُه في خمسةِ أبواب : بابِ الحكمةِ مِنَ النثر ـ باب الفصول[4] القصارِ من الحِكمة ـ باب الحكمة من الشعر ـ باب أبياتِ الأمثالِ المُفْرَدَةِ ـ باب أعْجازِ الأبيات[5] ؛ وعَنْوَنْتُه بكتاب الآداب وأرجو أن يَسيرَ ذِكْرُهُ سَيْرُورَةَ مَنْ أُلِّفَ بِرَسْمه[6] وشُرِّفَ باسْمِه : مُزيلِ نَبَواتِ الأيامِ ومُقيلِ عَثَراتِ الكِرامِ ، ومُوَضِّحِ سُبُلِ المعروفِ ومُنْجِحِ أملِ الملهوف[7] القاضي الأجلِّ عبدِ الرحيمِ بنِ عليّ[8] أبقاهُ اللهُ بقاءَ ذِكْرِهِ الجميلِ ، وذلك بَقاءٌ ما مَعَه فَوْتٌ؛ وأحياه حَياة نائله[9] الجزيلِ ، وتلك حَياةٌ لا يُعْقِبُها موت . ولا يزالُ يأمرُ الدهرَ بمنافعِ الناسِ فيأْتَمِرُ ويَزْجُرُهُ عن مَضارِّهم فيَنْزَجِرُ . وهذا حينُ الابتداءِ ، واللهُ الموفِّقُ للاهتداء .

٤ ـ الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٣٩ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد أمين الخانجي) ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م) .

---

(١) الشاهد : الجزء الصغير من الجملة الطويلة ، الجزء المقصود من ايراد الجملة الطويلة . المثل : القول السائر المشهور الذي يعرفه معظم الناس .

(٢) المعدن (بكسر الدال) الصدئ : الذي تعلوه طبقة من ذرات الماء وتمتزج بذراته فيتفتت ظاهره . الخواطر الصدئة : العقول التي علاها شيء من الخمول أو التعب فحجب عنها المعرفة . حد الرجل السيف يحده (بضم الحاء) ويحده (بضم ياء المضارعة وكسر الحاء) : جعله حاداً ، قاطعاً . الكالّ : التعب (بفتح التاء وكسر العين) . كل السيف : ذهب مضاء حده . كل العقل : تعب وعجز (بفتح الجيم) عن الفهم بسهولة .

(٣) يبعث : ينشط . اللاغبة : التعبة (وفي الاصل بالياء ، وهو خطأ) . ويقود (يهدي) القلوب الجامحة (الضالة ، المنحرفة عن طريق الصواب) .

(٤) الفصول جمع فصل : الجملة الجامعة للمعنى الكثير في الالفاظ القليلة ، الحكم الفاصل .

(٥) العجز (بضم الجيم) في الاصل : مؤخرة الانسان ؛ النصف الثاني من بيت الشعر . المقصود أنصاف أبيات الشعر .

(٦) ألف برسمه : باقتراحه وارشاده ، الف حتى يقدم اليه .

(٧) نبوات الأيام : مصائب الدهر . مقيل عثرات الكرام : منهض كرام الناس (أشرافهم) من وقوعهم (في الفقر أو في الخطأ) . سبل المعروف : طرق الكرم . الملهوف : المظلوم الذي لا ناصر له ، المحتاج الذي لا معين له ، المستغيث والمستنجد بالناس .

(٨) القاضي الفاضل (راجع ص ٤١١) . (٩) في الاصل : نائلة .

** وفيات الاعيان ١ : ٢٠١ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧١ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٠٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٦٢ ؛ زيدان ٣ : ١٦ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ١٢٤ .

البهـــاء السنجاري

١ ـــ هُوَ البهاءُ (بهاء الدين) أبو السعادات أسعدُ بنُ يحيى بنِ موسى بنِ منصورِ ابنِ عبدِ العزيزِ بنِ وَهْبِ بن هبّانَ بن سوّارِ بنِ عبدِ الله بن رفيعِ بن ربيعةَ بن هبانَ السُلَميُّ السِنْجاريّ نسبةً إلى سنجارَ ، وَهِيَ مقاطعة في شَماليّ العِراق (لواء المَوْصِلِ) وبلدٌ على ثلاثة أميال من الموصلِ .

وُلِدَ البهاءُ السنجاريُّ سَنَةَ ٥٣٣ ﻫ (١١٣٨ ـــ ١١٣٩ م) ؛ ودرس في المَوْصِلِ وبَغْدادَ ثمّ طاف في البلاد وخَدَمَ الملوك ومدح الأكابِرَ ونالَ منهم جَوائزَ سَنِيّةً : مَدَحَ القاضِيَ كَمالَ الدين الشَهْرَزوريّ في الموصل ، لَمّا تولّى القضاءَ في صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٥٥٥ ﻫ (أوائل ١١٦٦ م) لقُطْبِ الدين مَوْدودِ بنِ زَنْكي (٥٤٤ ـــ ٥٦٤ ﻫ) ، أو بَعْدَ سنة ٥٥٥ ﻫ . وكذلك اتّصلَ بالملكِ الناصرِ صَلاحِ الدين الايّوبي ومَدَحَهُ في دمشق ، في العاشرِ من شَعْبانَ من سنة ٥٧١ﻫ (٢٥ ـــ ١ ـــ ١١٧٦ م) .

وكانتْ وفاةُ البهاءِ السنجاري في سنجارَ ، في أوائل ٦٢٢ ﻫ (أوائل ١٢٢٥ م) .

٢ ـــ كان البهاءُ السنجاريُّ فقيهاً تَكلّم في الخلافِ بين المذاهب ؛ ولكن غَلَبَ عليه الشعْرُ ؛ وشِعْره كثيرٌ مشهورٌ ، يَجْري في قصائدَ وفي مُقَطّعاتٍ . وأكثرُ شِعْرِهِ المديحُ ، ولهُ غَزَلٌ رقيقٌ حَسَنٌ وخمرٌ وأغراضٌ وجدانية أخرى .

٣ ـــ مختارات من شعره

ـ قال البهاءُ السنجاري يمدح المَلِكَ الناصِرَ صلاحَ الدين الأيّوبيَّ ، سَنَةَ ٥٧١ ﻫ ، بقصيدةٍ منها :

جَرّدتِ مِنْ فَتَكاتِ لَحْظِكِ مُرْهَفا وهَزَزْتِ من لِينِ القَوامِ مُثَقّفا[1] ؛
وجَلَيْتِ من رَوْضِ الخُدودِ شَقائقاً وأدَرْتِ من خَمْرِ اللّواحظِ قَرْقَفا[2] .

---

(١) المرهف : السيف القاطع . المثقف : الرمح .

(٢) شقائق النعمان (بضم النون) : نبت بري له زهر أحمر . القرقف : الخمر الباردة.

يا ظَبْيَةَ الحَرَمَيْنِ مِنْ مِصْرٍ، على الرَّ بْعِ السلامُ وإن تَقَوَّضَ أو عَفَا [1] .
وجَرَى بِيَ الأملُ الطَموحُ فَأَمَّ بِي سُلْطانَ أرضِ اللهِ طُرًّا يوسُفا [2] :
الناهبَ الأرْواحَ في طَلَبِ العُلى والواهبَ الآجالَ في حُسْنِ الوفا [3] .
مَوْلًى له، في كلِّ يَوْمٍ يُجْتَلَى، مُلْكٌ يُجَدِّدُ أو مَليكٌ يُصْطَفَى [4] .
فخليفةُ اللهِ الإمامُ بفِعْلِه في أرضِ مِصْرَ على سِواه تَشَرَّفا .
مَلِكٌ مَلائكةُ السماءِ جُنودُه، والسَّعْدُ عند رِكابِه قد أوْجَفا [5] .
واللهُ ناصِرُه على أعْدائِه؛ كَتَبَ القضاءُ له بذلكَ أحْرُفا!

– وقالَ في مَطْلَعِ قصيدةٍ يمدح بها القاضيَ كمالَ الدين الشَهْرَزوريَّ (ت ٥٧٢ هـ = ١١٧٦ م)، بُعَيْدَ ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م):

وهَواكِ، ما خَطَرَ السُلُوُّ ببالِه؛ ولأنْتِ أعْلَمُ في الغرامِ بحالِه [6] .
ومتى وَشَى واشٍ إليكِ بأنّه سالٍ هواكِ، فذاكَ مِنْ عُذّالِه [7] !
أوَلَيْسَ لِلْكَلِفِ المُعَنّى شاهدٌ من حالِه يُغْنيكِ عن تَسْآلِه [8] ؟
جَدَّدْتِ ثوبَ سَقامِه وهَتَكْتِ ستْـ ـرَ غرامِه وصَرَمْتِ حَبْلَ وِصالِه [9] .
أفَزَلَّةٌ سَبَقَتْ لَه؟ أم خَلّةٌ مألوفَةٌ من تِيهِه ودَلالِه [10] ؟
يا لَلْعَجائبِ من أسيرٍ دأبُه يَفْدي الطليقَ بنفْسِه وبِمالِه .

---

(١) الربع: المسكن. تقوض: تهدم. عفت (آثار الدار): امحت (بتشديد الميم)، زالت.
(٢) أم: قصد: طراً: أجمع. يوسف = يوسف صلاح الدين (الأيوبي).
(٣) – يقتل الاعداء حتى يبلغ بأمته الى العلى والمجد، ويعفو عن المذنبين من قومه كرماً منه ووفاء.
(٤) مولى: سيد. يجتلي: يرى (في كل يوم جديد). ملك يجدد (مجده وقوته). مليك (ملك) يصطفى (يختار، يعين على أرض جديدة يأخذها من أعدائه).
(٥) الركاب (بكسر الراء): عقدة أو حلقة أو أداة تعلق بسرج الدابة ليضع الراكب رجله فيها (وللسرج ركابان). والسعد عن ركابه قد أوجفا (هجم على أرض واستولى عليها): حالما يضع (صلاح الدين الايوبي) رجله في الركاب (حينما يركب ليسير الى الحرب) يسبقه السعد (النصر) في الهجوم على الأعداء.
(٦) وهواك = أقسم بهواك! السلو: النسيان (نسيان المحبوب أو نسيان المصيبة).
(٧) السالي: الناسي. العذال جمع عاذل: لائم، حسود، عدو.
(٨) الكلف: الشديد الحب. المعنى: الذي أتعبه (الحب).
(٩) زدت في سقامه (مرضه في الحب)، وهتكت (شققت) ستر غرامه (فضحته بأنه يحب محبوبة لا تحبه)، وصرمت (قطعت) حبل وصاله (مواصلته بالحب) أي هجرته.
(١٠) أتلك زلة (خطيئة من المحب استحق المحب عليها هذا العقاب) أم خلة (خصلة عادة من المحبوب) أصبحت معروفة (يعامل بها محبيه) تكبراً عليهم ودلالا (غنجاً) اعتداداً بجماله (لأنه يعلم من نفسه أنه أجمل الناس).

بأبي وأمّـي نابلٌ بلحاظهِ لا يُتّقى بالدرْعِ حـدُّ نباله[1] ؛
ريّانُ من ماءِ الشبيبةِ والصبا ، شَرِقَتْ معاطفُه بطيبِ زُلاله[2] .
تَسْري النّواظرُ في مَراكِبِ حُسْنه فتكاد تغْرَقُ في بِحارِ جَماله[3] .
فكفاه عيْنُ كماله في نفسه ، وكفى كمالَ الدين عينُ كمالـهِ[4] .

– وله في النسيب :

هبّتْ نُسيماتُ الصَبـا سَحْرَةً ففاحَ منهـا العَنْبَرُ الأشْهَبُ[5] ؛
فقُلْتُ، إذ مَـرّتْ بوادي الغَضى : مِنْ أينَ هذا النَفَسُ الطيِّب[6] ؟

– لِلّهِ أيـامي على رامةٍ وطيبُ أوْقاتي على حاجِرِ[7] ؛
تكادُ للسُرْعَـةِ في مَـرِّها أوّلُها يعْثُـر بالآخرِ[8] .

٤ – ** خريدة العصر (الشام) ٢ : ٤٠١–٤٠٣ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١٢٢–١٢٤ ، شذرات الذهب ٥ : ١٠٤ – ١٠٥ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٩٥ ؛ معجم البلدان (آخر مادة « سنجار ») .

ياقوت بن عبد الله الشاعر

١ – هُوَ مُهَذّبُ الدين أبو الدُرّ ياقوتُ بنُ عبدِ الله الروميّ مَوْلى أبي منصورٍ الجيليّ التاجرِ ، وقـد سَمّى نَفْسَه – فيما بعدُ ، بعدَ أن مَهَرَ في قول الشعر – عبدَ الرحمن .

---

(١) – (أفدى) بأبي وأمي نابلا بلحاظه (رامياً بالنبل أو السهام من عينيه ليجعل الناس من عشاقه) . ونباله تلك نافذة قوية لا تستطيع الدروع صدها أو ردها .

(٢) ريان : ناضر ، ممتلىء شباباً ونشاطاً . الصبا : زمن الشبيبة . الشرق (بفتح الشين والراء) : الغصص ، وقوف الماء في الحلق . المعاطف : أطراف (الجسم) . الزلال : الماء البارد . شرقت معاطفه بطيب زلاله : يتمايل دلالا إعجاباً بحسنه وجماله .

(٣) – اذا رأته العيون في جميع حالاته لا تستطيع أن تعرف أي أقسام جسمه (أو اي أحواله) أجمل .

(٤) – هو يكتفي بكمال نفسه (بما فيه هو من الكمال) عن كل كمال آخر (هو كامل في كل شيء وليس بحاجة الى مزيد من شيء) . وكذلك كمال الدين الشهرزوري (الذي يمدحه الشاعر) يكفيه كماله الذاتي عن تطلب المزيد من الكمال .

(٥) سحرة : باكراً . الصبا : الريح الشرقية . العنبر الاشهب = العنبر (مادة طيبة تستخرج من حوت يدعى العنبر) اذا كان مائلا الى البياض (لعله يكون أكثر طيباً) .

(٦) وادي الغضا = واد في مكة (وهو هنا رمز) . (٧) رامة وحاجر = اسمان لمكانين (يستعملان هنا رمزاً) .

(٨) مرها = مرورها ، تتابعها . أولها يعثر بالآخر (لسرعة تواليها ، لسرعة مجيء بعضها خلف بعض) .

نشأ ياقوتُ[1] بنُ عبدِ الله هذا في بَغْدادَ وحَفِظَ القُرآنَ ثمّ عُنِيَ بالتَحصيل في المدرسةِ النِظامية فقرأ فيها العلومَ العَربية والأدبية ؛ وقد كان حَسَنَ الخطّ .

وكانتْ وَفاةُ ياقوتِ بنِ عبدِ اللهِ الشاعرِ في بَغْدادَ في ١٢ من جُمادى الاولى[2]. مِنْ سَنَةِ ٦٢٢ هـ (٢١ — ٤ — ١٢٢٥ م) ؛ ولَعَلّه كانَ قد قاربَ الستّين .

٢ — كانَ ياقوتُ بنُ عبدِ الله هذا شاعراً مُقِلّاً مُجيداً أكثرُ شعرِه في الغَزَل والنسيب . وقد سارَ شعرُه على الألسنةِ وتَغَنّى به الناسُ وتَداوَلوهُ في العراقِ وبلادِ الشرقِ (شَرقِ العراقِ) والشام .

٣ — مختارات من شعره

— قال مُهذّبُ الدين ياقوتُ الروميُّ الشاعرُ في النسيب مُضَمِّناً أسماءَ عَدَدٍ من الجبال :

لو كابدَ الصَخْرُ ما كابدتُّ من كَمَدٍ ... فيكم لجادَ له « أحُدٌ » و « لُبْنانُ »[3] ؛
وذابَ «يَذْبُلُ» من وَجْدي ورُضَّ ! عُلّا ... «رَضْوَى». ولانَ لِما ألْقاه «ثَهْلان»[4]
يا مَنْ تَمَلّكَ رِقّي حُسْنُ بَهْجَتِهِ ، ... سُلطانُ حُسْنِكَ ما لي منه إحسان[5].
كُنْ كيفَ شِئْتَ ، فمالي عنك من بَدَلٍ : ... أنتَ الزُلالُ لِقَلْبي ، وَهْوَ ظَمْآن[6].

---

(١) راجع أيضاً ترجمة ياقوت المستعصمي المتوفى ٦٩٨ هـ أو بعيد ٧٠٤ هـ (تحت ، في هـذا الجزء) ؛ وترجمة ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى ٦٢٦ هـ (ص٤٨٩ من هذا الجزء) . وهنالك أيضاً أمين الدين ياقوت الكاتب الموصلي ، وكان يكتب خطاً على طريقة ابن البواب أيضاً ، وقد توفي سنة ٦١٨ هـ (ابن الاثير — بيروت ١٢ : ٤٠٥ ؛ معجم الادباء ١٩ : ٣١٢ — ٣١٣ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٥٦ — ١٥٨) . وهنالك مجاهد الدين ياقوت أمير الحج ، وقد ورد ذكره في تاريخ ابن الاثير (١٢ : ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥) في أخبار سنة ٦٠٧ وسنة ٦٢٠ هـ . وهنالك ياقوت المدبر القائد الذي قتل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة (ابن الاثير : ٨ : ٣١٥) . **وفي وفيات الاعيان (٣ : ١٥٨). وفي شذرات الذهب (٥ : ١٠٥) : الحلبي ياقوت بن عبدالله** الشاعر الحلبي لا الجيلي .

(٢) وقيل في ربيع الآخر .

(٣) كابد : قاسى (تحمل من المشقة والألم). الكمد : الحزن الشديد . أحد (بضم الهمزة والحاء ، وسكن الشاعر الحاء للضرورة) : جبل قرب المدينة . لبنان اسم يطلق على سلسلتي جبال متوازيتين في شرق البحر الابيض المتوسط . جاد له أحد ولبنان : كثر دمعها (بكاؤها وحزنها) عليه .

(٤) يذبل جبل . في الاصل : رض علا = لعلها رضّ (بالبناء للمجهول) علا (بضم العين جمع عليا : رأس الجبل) = تكسرت أعالي رضوى (جبل قرب المدينة) . ثهلان : اسم جبل .

(٥) ما لي منه احسان = أليس لي نصيب من حسن معاملته ؟

(٦) الزلال : الماء الصافي البارد .

- واشتهرتْ له قصيدةٌ عند الفقهاء في الشام وفي بلاد الشرق (شرق العراق) لأنّه ضَمّنها أسماءَ عَدَدٍ من كُتُبِ الفِقْه (الوجيز، التهذيب، الشامل، المهذّب)

دَنِفٌ بِحُبِّكَ ما أَبَلَّ، بَلَى، بَلِي[1] ... جَسَدي لِبُعْدِكَ. يا مُثيرَ بَلابِلي،
أَوْضَحْتُ عُذْري بالعِذارِ السائلِ. ... يا مَنْ اذا ما لامَ فيه لَوائِمي،
أَأُجيزَ قَتْلي في «الوجيز» لِقاتلي ... أَمْ حَلَّ في «التهذيب» أم في «الشامل»[2]؟
أَمْ في «المُهَذَّبِ» أن يُعَذَّبَ عاشِقٌ ... ذو مُقْلَةٍ عَبْرى ودَمْعٍ هاطلٍ[3]؟
أم طَرْفُكَ الفَتّاكُ قد أفْتاكَ في ... تَلَفِ النفوس بسِحْرِ طَرْفٍ بابِلي[4]؟

٤ - ** معجم الادباء ١٩ : ٣١١ - ٣١٢؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٥٨ - ١٦١؛ شذرات الذهب ٥ : ١٠٥ - ١٠٦؛ الاعلام للزركلي ٩ : ١٥٧.

مظفر بن ابراهيم الضرير المصري

١ - هو مُوَفّقُ الدينِ أبو العِزِّ مُظَفّرُ بنُ إبراهيمَ بنِ جماعةَ العَيْلانيُّ، وُلِدَ في مِصْرَ، في ٢٥ من جُمادى الآخِرةِ من سَنَةِ ٥٤٤ هـ (١١٤٩م) وتُوُفّي فيها في تاسعِ المُحَرَّمِ من ٦٢٣ هـ (٨/ ١/ ١٢٢٦ م) ودُفِنَ بسَفْحِ جبلِ المُقَطَّم. وكان أعْمى.

٢ - كان مظفّرُ بنُ ابراهيمَ أديباً وشاعراً عارفاً بفنونِ الأدبِ والشعرِ والعَروض، له في العَروضِ كتاب صَغيرٌ جيّد. وشعْرُه متينٌ رائقٌ رقيقٌ وفيه صِناعةٌ. وأكثر فنونهِ الوصفُ والغزلُ والعِتاب والهجاء.

٣ - مختارات من شعره

قال مُظَفّرُ بنُ ابراهيمَ الضريرُ في الغزلْ:

قالوا: «عَشِقْتَ - وأنتَ أعْمَى - ... ظَبْياً كحيلَ الطَرْفِ ألْمى[6]؛
وحُلاهُ ما عايَنْتَها ... فنَقولَ قد شَغَلَتْكَ وَهْما[7]؛

(١) البلابل جمع بلبال : شدة الهم والوسواس. الدنف : المريض اذا أشفى على (قرب من) الموت. ما أبل : ما شفي من مرضه. بلى : نعم. بلي يبلى : تلف، هلك.
(٢) العذار السائل : الشعر النابت (في أول الشباب) على جانبي الوجه.
(٣) عبرى : دامعة، باكية. هاطل : ساقط بكثرة.
(٤) نسبة الى مدينة بابل، وكانت مشهورة بالسحر. (٥) راجع، تحت. ٥٩٤.
(٦) كحيل الطرف (العين): أسود أطراف الجفون (لكثافة أهدابه : شعر جفونه). ألمى : ذو شفتين سمراوين. (٧) الحلى جمع حلية (بكسر الحاء) : صفة من صفات الحسن والجمال.

وخَيالهُ بِـكَ في المَنـا مِ فما أطافَ وما ألَـمّا[1] .
من أيـنَ أرسَلَ للـفؤا دِ ـ وأنتَ لم تَنْظُرْهُ ـ سَهْما ؟
وبأيِّ جارحةٍ وَصَلْـتَ لوَصْفهِ نثراً ونَظْما ؟[2] »
فأجَبتُ : « إنّي مُوسَويُّ (م) العِشْقِ إنصاتاً وفَهْما :
أهوى بجارحةِ السَما عِ ولا أرى ذاكَ المُسمّى ! »

ـ وقال يَصفُ ثمرَ المِشْمِشِ على شَجَرِه ، وبجانبه شجرةُ ياسَمينٍ مُزْهِرَةٌ تُشابِكُ أغصانُها أغصانَ شَجَرةِ المِشْمِشِ* :

كأنّما مِشْمِشُنا في الياسَمينِ اليَقَقِ
جلاجلٌ من ذَهَبٍ في وَرَقٍ من وَرِقٍ !

ـ وقال يصف مُغَنّياً :

ومُطْرِبٍ لو صَدَقْنا في مَحبّتِه لَهانَ منّا عليه المالُ والروحُ .
غَنّى فَمِلْنا على ألحانهِ طَرَباً مثلَ الغُصونِ إذا هَبّتْ بها الريح .

٤ ـ ** معجم الادباء ١٩ : ١٤٨ ـ ١٥١ ؛ نكت الهميان ٢٩٠ ـ ٢٩٣ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٢٣٣ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٥٤٠ـ٥٤٢ ؛ بغية الوعاة ٣٩٢ـ٣٩٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١١٠ ـ ١١٢ .

السَكّاكي

١ ـ هوَ سِراجُ الدين أبو بكرٍ (أبو يعقوبَ) يوسفُ بنُ أبي بكرِ بنِ محمّدِ بنِ عليٍّ الخَوارزميّ المعروفُ بالسَكّاكيّ[3] ، وُلِدَ في خَوارِزْمَ[4] في الثاني من جُمادى الأُولى من سَنَةِ ٥٥٥ هـ (١٠ ـ ٥ ـ ١١٦٠ م) .

بدأ السَكّاكيّ حياتَه العمليةَ سَكّاكاً ثمّ مالتْ نَفْسُه الى العلوم فتعلّم الفِقْهَ على سديدٍ الخيّاطِ وعلى محمودِ بنِ سعيدِ بنِ محمودٍ الحارثيّ .

وكانتْ وَفاةُ السكّاكيّ سَنَةَ ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) في قرية خوارزم[5] .

(١) أطاف : طاف ، أقام مدة . ألم : مر (مروراً عابراً ، زار زيارة قصيرة) .
(٢) الجارحة : العضو الذي فيه حاسة (كالعين والأذن) .
* اليقق : الابيض . الجلجل : الجرس . الورق (بكسر الراء) الفضة .
(٣) السكاكي = السكاك (الذي يسك المعادن المختلفة قوالب تصب فيها النقود والاوسمة الخ) ، والياء في السكاكي) زائدة من اللغة الفارسية . كما نقول : الغزالي (وهي في الاصل : الغزال) ، ويقولون : عمر خيامي بالامالة) ونحن نقول عمر الخيام .
(٤) خوارزم على نهر جيحون (في التركستان) . (٥) بغية الوعاة ٤٢٥ .

٢ ـ كانَ السكّاكيُّ بارعاً في فُنونٍ شتّى من الفِقْهِ وعلم الكلامِ واللُّغة والنَّحْوِ والأدبِ والشعر ، وفي المعاني والبيان خاصّةً . وكذلك كان مُصَنِّفاً . له : مفتاح العلوم ـ مُصْحَف الزهرة (في السِحْر والتنجيم واستطلاع الغيب) ـ الرسالة الوالدية (رسالة الى تلميذه محمّدِ ساشقالي زاده في علم المناظرة وقوانينها) . وشُهْرَةُ السكّاكيّ قائمةٌ على كتابه مفتاح العلوم ، وقد ذكر ابنُ خَلْدونٍ علمَ البيان فقال (المقدّمة ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ١٩٦١ ، ص ١٠٦٦ ـ ١٠٦٧) : « ثمّ لم تزَلْ مسائلُ (هذا) الفنِّ تَكْمُلُ شيئاً فشيئاً إلى أن مَخَضَ السكاكيّ زُبْدَتَه(١) وهَذّب مسائلَه ورتّب أبوابه ، على نحوِ ما ذكرناه آنِفاً من الترتيب ، وألّف كتابه المسمّى بالمفتاح في النحو والتصريف والبيان فجعَلَ هذا الفنَّ من بعضِ أجزائه . وأخذَ المتأخّرون من كتابه ولخّصوا منه أمّهاتٍ هيَ المُتداوَلةُ لهذا العَهْدِ ؛ كما فعَلهُ السكّاكيّ * في كتاب التبيان (البيان) ، وابنُ مالكٍ في كتاب المصباح ، وجلالُ الدين القزويني في كتاب الإيضاح والتلخيص ، وهو أصغرُ حَجْماً من الإيضاح ، والعنايةُ بهِ لهذا العهدِ عند أهلِ المَشْرِقِ في الشرح والتعليم منه أكثرُ من غيره (أكثر من العناية بغيره) » .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة مفتاح العلوم :

.... وبعدُ ، فإنّ نوعَ الأدب نَوْعٌ يتَفاوَتُ كَثْرَةَ شُعَبٍ(٢) وقِلّةً ، وصعوبةَ فنونٍ وسُهولةً وتباعدَ طرَفَيْنِ وتَدانياً بِحَسْبِ حَظّ مُتَوَلّيهِ من سائرِ العلوم كَمالاً ونَقْصاً وكَفاءِ مَنْزِلَته هنالك ارتفاعاً وانحطاطاً وقَدْرِ مَجالِه فيها سَعَةً وضيقاً . ولذلك تَرى المُعْتَنينَ بشأنه على مراتبَ مُخْتَلِفَة : فَمِنْ صاحبِ أدَبٍ تَراهُ يَرْجِعُ(٣) منه إلى نَوْعٍ أو نَوْعينِ لا يَسْتَطيعُ أنْ يتَخَطّى ذلك ؛ ومِنْ آخرَ تراه يَرْجِعُ الى ما شِئْتَ من أنواعٍ مربوطةٍ في مِضْمارِ اخْتلافٍ :

(١) مخض زبدته : استخرج خلاصته النافعة .

* كذا في نسخ مقدمة ابن خلدون .

(٢) يتفاوت كثرة شعب (جمع شعبة بضم الشين : طريق) وقلة : بعضها أكثر تشعباً (تفرعاً) من بعض (أقسام بعضها أكثر من أقسام بعضها الآخر) .

(٣) كفاء منزلة: تكافؤ ، تماثل ، تساو (في المنزلة والمرتبة والمقام) . المجال : بقعة الارض التي يتجاول عليها المتبارزان في الحرب (النطاق ، القدر الذي يسيطر عليه الانسان مادياً أو معنوياً) . يرجع الى نوع أو نوعين : تقتصر براعته أو مقدرته على نوع أو نوعين .

فمنْ نوعٍ لَيِّنِ الشَّكيمة سَلِسِ المَقاد * يَكْفي في اقْتِياده بَعْضُ قُوّةٍ وأدْنى تَمْييزٍ . ومِنْ آخرَ بَعيدِ المأخَذِ نائي المَطْلَب رَهينِ الارْتياد بِمَزيدِ ذَكاءٍ وفَضْلِ قُوّةِ طَبْعٍ (١) ، ومِنْ آخرَ كالمَلْزوزِ في قَرَنٍ (٢) ، ومن رابعٍ لا يُمْلَكُ إلاّ بِعُدَدٍ مُتكاثِرةٍ وأوْهاقٍ مُتَضافِرَةٍ (٣) مَعَ فَضْلِ الهَيِّ في ضِمْنِ مُمارَسات كثيرةٍ ومُراجعاتٍ طويلةٍ لاشْتماله على فُنونٍ مُتَنافِيَةِ الأُصول مُتَبايِنَةِ الفروعِ مُتَغايِرةِ الجَنى (٤) ترى مَبْنى البَعْضِ (٥) على لطائفِ المُناسباتِ المُسْتَخْرَجَةِ بقوّةِ القَرائحِ والأذهان . وترى مَبْني البَعْضِ على التَحْقيق البَحْثِ وتَحْكيمِ العَقْلِ الصِرْفِ والتَحرّزِ عن شوائبِ الاحتمالِ (٦) ، ومن آخرَ رَيِّضٍ لا يَرْتاضُ إلاّ بِمَشيئةِ خالقِ الخَلْقِ (٧) ....

هذا . واعْلَمْ أنّ الأدبَ مَتى كان الحامِلَ على الخَوْضِ فيه مُجرّدُ الوقوفِ على بَعْضِ الأوْضاعِ وشَيءٍ من الاصْطِلاحاتِ فَهُو لَدَيْكَ على طَرَفِ الثُمامِ (٨) . أمّا اذا خُضْتَ فيه لِهِمّةٍ تَبْعَثُكَ على الاحْترازِ عن الخَطأ في العَرَبية وسُلوكِ جادّةِ الصوابَ فيها اعتَرَضَ دُونَكَ منه أنواعٌ تَلْقَى لأدْناها عَرَقَ القِرْبَة (٩) ، لاسِيَّما إذا انضمّ الى همّتِكَ الشَغَفُ بالتَلَقّي لِمُرادِ الله تعالى من كلامِه الذي «لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يَدَيْهِ ولا من خَلْفِه» (١٠) فهُنالك يَسْتَقْبِلُك منها ما لا

---

*أنواع مربوطة في مضمار اختلاف : أنواع مختلفة مع أنها متصلة في نطاق واحد. لين الشكيمة (الحديدة التي تكون في طرف اللجام وتوضع في فم الحصان لكبح جماحه عند الحاجة) سلس (سهل) المقاد : معالجته سهلة على الانسان.

(١) نائي المطلب : بعيد المكان . رهين الارتياد (طلب الشيء في مكان بعيد) بمزيد ذكاء وفضل (زيادة) قوة طبع : مرتبط (مشروط) أو محتاج الى ذكاء عظيم .

(٢) ملزوز (مشدود ، ملصق ، مربوط) في قرن (حبل) : في متناول اليد (يسهل الحصول عليه في كل حين) !

(٣) العدد جمع عدة (بضم العين) : الاداة ، الآلة ، الوسيلة . الاوهاق جمع وهق (بسكون الهاء أو بفتحها) الحبل في طرفه أنشوطة (بضم الهمزة) : (وسيلة) . متضافرة : يعين بعضها بعضاً.

(٤) متنافية : متضادة . متباينة : متباعدة ، مختلفة . متغايرة : مختلفة الجنى : الثمر .

(٥) البعض خطأ ، صوابها : بعضها .

(٦) شوائب (جمع شائبة) : أخلاط ، عيوب . التحرز (التجنب ، الابتعاد عن) شوائب الاحتمال (عن أن يكون للقضية الواحدة وجوه كثيرة ممكنة حتى يضطرب فيها الباحث) .

(٧) الريض : الصعب الذي لم يذلل (يروض ، يهيأ على يد البشر) . لا يرتاض : لا يصبح مرتاضاً (سهلا) ، لا ينال . خالق الخلق (الله) .

(٨) على طرف الثمام (اسم نبات) : سهل ، يسير .

(٩) أدناها : أقلها . عرق القربة : صعوبة وشدة ومشقة .

(١٠) لمراد الله تعالى من كلامه : لتأويل القرآن الكريم (معرفة المقصود من المتشابه من الابيات) . « لا =

يَبْعُدَ أن يَرْجِعَكَ القَهْقَرى . وكانّي بِكَ ولَيْسَ مَعَكَ من هذا العِلْمِ إلاّ ذِكْرُ النَّحْوِ واللّغة[1] ......

ورأيتُ أذْكياءَ أهلِ زماني الفاضلين الكاملي الفَضْلِ قد طالَ إلحاحُهم[2] عليّ في أن أُصَنِّفَ لَهُمْ مُخْتَصَراً يُحْظِيهِمْ[4] بأوْفَرِ حَظٍّ منه وأنْ يكونَ أُسلوبُه أقربَ أسلوبٍ مِنْ فَهْمِ كُلِّ ذَكِيٍّ ، صَنَّفْتُ هذا وضَمَّنْتُ لِمَنْ أتقَنَه أن يَنْفَتِــحَ عليه جَميعُ المَطالبِ العِلْميّة وسَمَّيْتُه مِفْتاحَ العُلوم ؛ وجَعَلْتُ هذا الكتابَ ثلاثةَ أقسامٍ : القسمَ الأولَ في عِلْمِ الصَّرْفِ . والقسمَ الثانِيَ في عِلْمِ النَّحْوِ ، والقسمَ الثالثَ في عِلْمَيِ المَعاني والبَيان ....

٤ ــ مفتاح العلوم ، الاستانة ١٣١٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الأدبية)١٣١٧ هـ ، القاهرة (المطبعة الميمنية)١٣١٨ هـ . ــ لكتاب « مفتاح العلوم » مختصرات كثيرة وشروح ثمّ له شروح على المختصرات وحواشي متداخلة. ثمّ انّ بعض هذه مطبوع مع بعض أو على هوامش بعض. وقد أطلت التفكير للخروج بقائمة مقسّمة تقسيماً منطقياً فلم يتيسّر لي . فاكتفيت بقائمة عمليّة . غير أن هذه القائمة ليست كاملة ، وأعتقد أن فيها أيضاً عدداً من الأخطاء في سنوات الطبع . انّ هذه القائمة تدلّ على العقلية التي كان النحو والبلاغة يدرسان بها .

** تلخيص المفتاح (لجلال الدين القزويني الخطيب) في البلاغة ، كلكتّا ١٢٣١ هـ (١٨١٥ م) ؛ الاستانة ١٢٦٠ ، ١٢٧٥ ، ١٢٨٠ هـ ؛ بيروت ١٣٠٢ هـ ؛ دهلي ١٣٠٥ هـ ؛ استانبول ؟ (المطبعة العامرة) ١٣٠٩ هـ ؛ القاهرة ١٣١٠ هـ ؛ (نشره عبد الرحمن البرقوقي) ، القاهرة ١٣٢٢ ، ١٣٣٢ هـ ؛ ١٩٣٢ م ؛ (نشر في « مجموعة ») القاهرة ١٢٩٧ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٦ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ هـ .

الايضاح في علوم البلاغة (في المعاني والبيان) (للقزويني أيضاً) ، فاس بلا تاريخ ؛ (ضبطه عبد الرحمن البرقوقي) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) بلا تاريخ ؛ (شرح محمّد عبد المنعم خفاجي) ؛ القاهرة (محمّد علي صبيح) ١٩٤٩ ــ ١٩٥٠ م ؛ (على هامش مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح) ، بولاق ١٣١٧ هـ .

تهذيب الايضاح للقزويني (هذّبه عزّ الدين التنوخي) ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٣٦٧ــ ١٣٦٩ هـ (١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ م) .

= يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» (القرآن الكريم ٤١ : ٤٢ ، حم السجدة) : لم ينزل من قبله ولا من بعده كتاب يخالفه (ليس ، في أحكامه وأخباره شك ولا خلاف) .

(١) لا يكون معك من العلم أو الأدب الا الجزء الصغير المتعلق باللغة والنحو .

(٢) الالحاح في السؤال : الاستمرار في الطلب .

(٣) يحظيهم (يتفضل عليهم ، يهبهم ، يقدم لهم) بأوفر (بأكبر) حظ (نصيب ، قدر) .

بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للقزويني . تأليف عبد المتعال الصعيدي ، الطبعة الخامسة ، القاهرة (مطبعة الآداب) بعد ١٩٥٠ م .

ــ المطوّل (على التلخيص : شرح تلخيص المفتاح للقزويني) للتفتازاني ، الاستانة ١٢٦٠ ، ١٢٨٩ ، ١٣٠٤ هـ ؛ لكنهو ١٢٦٥ هـ ؛ لكنهو ١٨٧٨ . ١٨٨٩ م ؛ بهوبال (الهند) ١٣١١ هـ ؛ طهران ١٢٧٠ هـ ؛ تبريز ١٢٧٢ . ١٢٩٠ (؟) . ١٣١٠ هـ ؛ القاهرة ١٩١٠ م ؛ استانبول (دار الطباعة) ١٣٠٩ هـ .

تلخيص البيان في ايضاح المعاني ، للتفتازاني . استانبول (مطبعة البوسنوي) ١٢٩٩ هـ (١٨٨١م) .

مختصر التفتازاني : مختصر المعاني (شرح تلخيص المفتاح) أو مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح ، كلكتّه ١٢٢٨ هـ = ١٨١٣ م ؛ راجع شروح التلخص .

شروح التلخيص : مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني ــ مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح لأبي يعقوب المغربي ــ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ــ الايضاح للقزويني (بالهامش) ــ حاشية الدسوقي على شرح السيّد الجرجاني ــ (بالهامش) ، بولاق (المطبعة الأهلية) ١٣١٧ ــ ١٣١٩ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٩٣٧ م .

ــ الأطول لابراهيم بن محمّد الاسفرايني (ت ٩٤٥ هـ) ، الاستانة ١٢٨٤ هـ .

ــ السيالكوتي على المطوّل (شرح المطوّل) ، لعبد الحكيم شمس الدين الهندي السيالكوتي (ت ١٠٦٠ هـ) ، الاستانة ١٢٢٧ ، ١٢٤١ ، ١٢٦٦ ، ١٢٩٠ هـ ؛ استانبول (شركة الصحافة العثمانية) ١٣١١ هـ ؛ بولاق ١٢٨٦ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٣ هـ .

معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العبّاسي (ت ٩٦٣ هـ) ، بولاق ١٢٧٤ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣١٦ هـ ؛ (نشره محمّد محيى الدين عبد الحميد) ، القاهرة المكتبة التجارية) ١٩٤٧ م .

فيض الفتّاح لعبد الرحمن الشربيني (ت بعد ١٣٢٠ هـ) ، القاهرة (مطبعة مدرسة عبّاس الأوّل) ١٣٢٣ هـ ــ ١٣٢٥ هـ ــ ١٩٠٥ = ١٩٠٧ م .

التجريد على مختصر السعد (التفتازاني) على التلخيص لمصطفى بن محمّد البنّاني (ت بعد ١٢٣٧هـ) ، بولاق ١٢٨٥ ، ١٢٨٧ ، ١٢٩٧ ، ١٣٠٣ ، ١٣١١ ، ١٣١٣هـ ؛لكنهو١٣١٢ هـ؛ القاهرة، ١٣١٥ هـ . ــ شرح التجريد (للبنّاني) ، لمحمّد بن محمّد الانباني (ت ١٣١٣ هـ) القاهرة ١٣٣٠ هـ . (؟)

شرح لحسن بن محمّد الفناريّ (ت ٨٨٦ هـ) ، استانبول ١٢٧٠ هـ .

التجريد من شرح الفنارى لمحمود بن السيّد أيوب (ألّفه ١٢٩٢ هـ) ، استانبول ١٢٩٢ هـ .

شرح على تجريد (البنّاني) على مختصر السعد (للتفتازاني) على متن التلخيص في علم المعاني ، لمحمّد بن علي الصبّان (ت ١٢٠٦ هـ) ، بولاق ١٢٩٧ هـ .

المصباح (على المفتاح) للشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) ، الاستانة ١٢٤١ هـ ، ١٢٨٩ ، ١٣١٠ هـ ؛ لكنهو ١٣١٢ هـ .
حاشية أبي القاسم بن بكر السمرقندي الليثي (القرن التاسع للهجرة) على المطوّل ، الاستانة (طبع حجر) ١٣٠٧ هـ .
الملخّص من تلخيص المفتاح لابي يحيى زكريا بن محمّد الانصاري (ت ٩٢٥ هـ) ، بولاق ١٣٠٥ هـ .
شرح ديباجة المختصر لأحمد بن عبد الفتّـاح المجيري الملّوي (ت ١١٨١ هـ) ، مطبوع في « مجموعة » ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٩٧ هـ .
شرح المختصر لأحمد بن يحيى حفيد التفتازاني الهروي (ت ٩١٦ هـ) ، كلكتّا ١٢٨٠ هـ
حاشية على شرح التفتازاني على تلخيص المفتاح لمحمّد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ) ، بولاق ١٢٧١ ، ١٢٨١ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩٧ ، ١٣٠٥ هـ ؛ استانبول ١٢٨٠ ، ١٢٩٦ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٦ هـ .
عروس الافراح (شرح المختصر) ، كلكتّا ١٢٢٨ هـ ؛ استانبول ١٢٩٠ ؛ ١٣٠١ ، ١٣١٣ هـ ؛ لكنهو ١٩١٧ م ؛ فاس بلا تاريخ ؛ (مطبوعة مع مجموعة « شروح التلخيص ») ، بولاق ١٢٨٢ هـ .
حاشية (على عروس الأفراح) لعثمان ملاّ زاده الخطائي (ت ٩٠١ هـ) ، كلكتّا ١٢٢٨ هـ ؛ كلكتّا (طبع حجر) ١٢٥٦ هـ ؛ لكنهو ١٢٦٢ هـ ؛ كاونبور ١٢٨٦ هـ ؛ نوالكيشور ١٢٩٣ هـ ؛ (مطبوعة مع « شروح التلخيص ») ؛
عقود الجمان في علم المعاني والبيان (منظومة) للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، بولاق ١٢٩٣ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٣ ، ١٣٠٥ هـ ؛ طهران (طبع حجر) ١٣١٩ هـ .
حلّ العقود (شرح لعقود الجمان للسيوطي) ، للسيوطي نفسه ، بولاق ١٢٩٣ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٢ ، ١٣٠٥ هـ .
شرح حلّ العقود (للسيوطي) ، لعبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري (ت ١٠٣٧ هـ) ، القاهرة ١٣١٢ هـ .
الأصوات ومخارج الحروف ، تأليف فؤاد ترزي ، بيروت (مطبعة دار الكتب) ١٩٦٢ م .
معجم الادباء ٢٠ : ٥٨ ــ ٥٩ ؛ بغية الوعاة ٤٢٥ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٢٢ ؛ بروكلمان ١ : ٣٥٢ ــ ٣٥٦ ، الملحق ١ : ٥١٥ ــ ٥١٩ ؛ زيدان ٣ : ٥٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٨٠ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٢٩٤ .

ياقوت الرومي

١ ــ هو شِهابُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ ياقوتُ بنِ عبد الله[1] الحَمَوِيّ الروميّ ،

(١) راجع ، فوق ، ص ٤٨٢ ، الحاشية الأولى .

كانتْ وِلادتُه في بِلادِ الروم سنة ٥٧٤ هـ أو ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) . أُسِرَ ياقوتُ صَغيراً في بلاد الرومِ فابتاعه تاجرٌ من حَماةَ بالشام اسمُه عَسْكَرُ بنُ أبي نصرٍ ابراهيمَ كانَ يسكُنُ بغدادَ.

عُنِيَ عسكرٌ بتربيةِ ياقوت وتعليمه ليَضْبِطَ له تجارتَه لأنّ عسكراً كان أُمّياً لا يَخُطُّ ولا يقرأ الخطَّ . ولما كَبِرَ ياقوتُ جَعَلَ مولاه يُرْسِلُه بتجارتِه إلى كَيشٍ (جزيرةٍ في خليجِ البصرة) وعُمانَ والشامِ . ثم حدثتْ وَحْشَةٌ بين ياقوتٍ ومولاه فأبعدَه مولاه عنه ، وذلك سَنَةَ ٥٩٦ هـ . فاشتغلَ يـاقوتٌ عند ذلك بالنَسْخِ وجعل يدرُسُ . ثم عاد عسكرٌ فرَضِيَ عن ياقوتٍ وأرسلَه بتجارةٍ إلى كيشَ . وعاد ياقوتٌ من سفرتِه هذهِ فوجَدَ مولاه قد تُوُفّيَ فأرضى زوجةَ مولاه وأولادَ مولاه بشيءٍ من المالِ وبَقِيَ في يدِه شيءٌ اشتغل به في التجارةِ وجعل بعضَ تجارتِه كُتُباً ، سَنَةَ ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) .

واتّفقَ في سَنَةِ ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) أنْ كانَ في دِمَشْقَ فَنَاظَرَ في أحدِ أسْواقها رجلاً بَغْداديّاً في عليِّ بنِ أبي طالبٍ — وكانَ ياقوتٌ منحرفاً عن الإمامِ عليٍ ميّالاً الى رأي الخوارج — فثار به الناسُ فهرَبَ الى حلَبَ فالمَوْصِلِ فإرْبِلَ فخُراسانَ (من غيرِ أن يُعرّجَ على بَغْدادَ خوفاً من أن تكونَ قصةُ المناظرةِ قد وصلَتْ الى بغدادَ) ثم سكَنَ مَرْوَ واشتغل بالتجارة . وفي سَنَةِ ٦١٥ هـ كانَ في خوارزمَ في إحدى تجَراتهِ فعلِمَ بخروجِ التتَرِ واستيلائهم على بُخارى وسَمَرْقَنْدَ واجْتياحِهِمُ البلادَ فهرَبَ نحو الغرب حتّى وَصَلَ الى حلَبَ وبَقِيَ فيها الى أن تُوُفّيَ يومَ الأحدِ في العشرين من رَمَضَانَ ٦٢٦ هـ (٢٠/ ٨/ ١٢٢٩ م) .

٢ — ياقوتٌ الروميُّ الحمَويُّ يَنْظِمُ الشعرَ ويكتبُ نثراً بارعاً، ولكنّ شُهْرتَه قامتْ على تصنيفِ الكُتُبِ التي دلّتْ على اتّساعِ علمِه ودِقّة مُلاحظتِه وأمانتِه في ما يُؤدّي ودِرايته بما يُثْبِتُ في كتبه المختلفة .

من كُتُبِه : معجم البلدان (وهو كتابُ جغرافية على حروفِ المُعْجَمِ تبدأ كلُّ مادّةٍ فيه بتفسيرِ اسْمِها لُغَويّاً ، ثم تأتي المَعْلوماتُ الجُغرافية مَعَ الاستطراد أحياناً كثيرةً إلى معارفَ في التاريخ والأدب مُفيدةٍ جدّاً) — مُعجَمُ الأدباء أو إرشادُ الأريب الى معرفة الأديب (راجع النصَّ المختار) — المشترك وضعاً المختلف صقْعاً — المقتضَبُ من جمهرة النسب (أو المقتضب في النسب : ذَكَرَ فيه أنسابَ العرب) — أخبارُ الشعراء (معجم الشعراء) — تاريخ المبدأ والمآل — تُحفة الالبّاء في أخبار

الادباء ـ الدول ـ مجموع كلام أبي عليّ الفارسي ـ عنوان كتاب الاغاني ـ أخبار المتنبي ـ أسرار الحكماء .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة معجم الادباء :

.... وجَمَعْتُ في هذا الكتابِ ما وقَعَ إليّ من إخبار النَحْويين واللُغَويين والنسّابين والقرّاء المشهورين والإخباريين والمؤرّخين والورّاقين المعروفين والكُتّاب المشهورين وأصحابِ الرسائل المُدَوَّنة وأربابِ الخُطوط المنسوبة والمُعَيّنة وكلٍّ مَنْ صنّفَ في الأدب تصنيفاً أو جَمَعَ في فنّه تأليفاً ، مَعَ إيثار الاختصار والإعجاز في نِهاية الإيجاز . ولم آلُ جُهْداً في إثبات الوَفَيات وتَبْيين المواليدِ والأوقات وذِكْرِ تصانيف (المصنفين) ومستحسَنِ أخبارِهم والإخبار بأنسابهم وشيءٍ من أشعارهم .

فأمّا من لَقيتهُ منهم أو لَقيتُ من لَقيَه فأُوردُ لك من أخباره وحقائقِ أموره ما لا أترُكُ لكَ بعدَه تَشَوُّقاً إلى شيءٍ من خبرِه . وأما من تقدّم زمانُه وبَعُدَ أوانُه فأُورِدُ من خبره ما أدّت الاستطاعةُ إليه ووَقَفَني النقلُ عليه ، في تَرْدادي إلى البلادِ ومُخالطَتي للعباد . وحَذَفْتُ الأَسانيدَ إلا ما قلّ رِجالُه وقَرُبَ مَنالُه ، مَعَ الاستطاعة لأثباتها سَماعاً وإجازةً إلاّ أنني قَصَدتُّ صغَرَ الحَجْم وكِبَرَ النفع . وأثبتُّ مواضعَ نَقْلي ومواطِنَ أخْذي من كُتُبِ العلماءِ المُعَوَّلِ في هذا الشأنِ عليهم والمرجوعِ في صِحّة النقلِ إليهم .

... ولم أقْصِدْ أدباءَ قُطْرٍ ولا عُلماءَ عصرٍ ولا أقليمٍ مُعَيّنٍ ولا بلدٍ مُبَيّنٍ ، بل جَمَعْتُ للبَصْريين والكوفيين والبَغْداديين والخُراسانيين والحِجازيين واليَمَنيين والمِصْريين والشاميين وغيرِهم على اختلاف البُلْدانِ وتفاوُتِ الأزمانِ .

.... وبعدُ ، فهذه أخبارُ قومٍ عنهم أُخِذَ علمُ القرآنِ المَجيدِ والحديث المُفيدِ ، وبِصناعتِهم تُنالُ الإمارةُ ، وبعِلْمِهِمْ يَتِمُّ الإسلامُ ، وباسْتِنْباطِهِمْ يُعْرَفُ الحَلالُ من الحَرامِ ....

٤ ـ معجم البلدان (تحرير فستنفلد) ، ليبزغ (بروكهاوس) ١٨٦٦ ـ١٨٧٣ م ؛ (بعناية أمين الخانجي) ، ومعه ذيل اسمه « منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان » ، مصر (مطبعة السعادة) ، ١٣٢٣ ـ ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م ؛ بيروت (دارُ صادر ودار بيروت) ١٩٥٥ م وما بعد .

معجم الأدباء (تحرير مرغوليوث)، لندن وليدن[1]؛ (مطبوعات دار المأمون: أحمد فريد رفاعي)، مصر (مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه) ١٣٥٥ - ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٦ - ١٩٣٨ م.

المشترك لفظاً والمختلف صقعاً (فستنقلد)، غوتنجن ١٨٤٦ م؛ = (بالتصوير الفوتوغرافي). بغداد (مكتبة المثنّى) والقاهرة (مكتبة الخانجي) ليس عليه تاريخ.

** مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع اختصره صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحقّ[2] من «معجم البلدان») طبع (باعتناء يوينبول)، ليدن ١٨٥٠ - ١٨٦٤ م؛ طهران (طبع حجر) ١٣١٥ هـ.

ياقوت الحموي الجغرافي الرحّالة الأديب، تأليف أبي الفتوح التوانسيّ (أعلام العرب ٩٣)؛ القاهرة (الهيئة المصرية العامّة للتأليف والنشر) ١٩٧١ م.

معجم الادباء ١: ٥ - ٤٤ (في المقدّمة ١٨ - ٤٤ ثمّ ٤٥ - ١٠٠)؛ وفيات الاعيان ٣: ١٦١ - ١٧٠؛ العبر ٥: ١٠٦ - ١٠٧ شذرات الذهب ٥: ١٢٥ - ١٢١؛ أعلام النبلاء ٤: ٣٦٩ - ٣٧٢؛ بروكلمان ١: ٦٣٠ - ٦٣٢، الملحق ١: ٨٨٠؛ زيدان ٣: ٩٦ - ٩٨؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤: ١١٥٣ - ١١٥٤؛ الاعلام للزركلي ٩: ١٥٧.

نجم الدين بن صابر البغدادي المنجنيقي

١ - هو نجمُ الدينِ أبو يوسفَ يعقوبُ بنُ صابرِ بنِ بركاتٍ، أصلُه من حَرّانَ ومولدُه في بَغدادَ في رابعِ المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٥٥٤ هـ (٢٦/ ١/ ١١٥٩ م). سَمِعَ ابنُ صابرٍ الحديثَ من أبي المُظفّرِ بنِ السمرقنديّ وأبي منصورِ بنِ الشِطرنجيّ. وكان ابنُ صابرٍ جُنديّاً على المِنْجَنيقيّين (ومن هنا جاء لَقَبُهُ) في بَغدادَ.

مَدَحَ ابنُ صابرٍ الخلفاءَ وحَظِيَ عند الناصرِ لدينِ الله العبّاسي (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ). وكانت وفاتُه ليلةَ ٢٨ صَفَرَ (٢٧ صفر) ٦٢٧ هـ (٢٦/ ١/ ١٢٢٩ م) في بغداد.

٢ - كان ابنُ صابرٍ بارعاً في صِناعة المِنْجنيق والعَمَلِ بهِ وشيخاً لطيفاً فَكِهاً طيّبَ المُحاورة وشاعراً مُكْثِراً في شعرِه براعةٌ ولطافةٌ ومَعانٍ رائقةٌ. وكان

(١) لندن وليدن مركزا الناشرين. والكتاب طبع في القاهرة (مطبعة هندية) ١٩٠٩ وما بعد.

(٢) هو أبو الفضائل صفي الدين عبد المؤمن بن الخطيب عبد الحق بن علي بن شمائل البغدادي (ت ٧٢٩ هـ) محدث وفقيه وعالم في الرياضيات.

مُصَنِّفاً ، له من الكتبِ عُمْدةُ السالكِ في سياسة الممالك[1] ؛ وقد جمع من شعرِه كتاباً مختصراً سمّاه مَغانِيَ المعاني .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ كَلِفْتُ بعلم المَنْجنيق ورَمْيِه ... لهدم الصياصي وأفتتاح المرابطِ[2] ،
وعُدتُ الى نظم القريض لشقوتي ؛ ... فلم أخلُ في الحالين من قصد حائط !
ـ وجاريةٍ من بنات الحُبوش ... ذات جفون صِحاحٍ مراضْ .
تعشّقتها للتصابي فشِبْتُ ... غراماً ولم أكُ بالشيب راضْ .
وكنت أُعَيِّرُها بالسوادِ ... فصارت تعيّرني بالبياضْ .
ـ قالوا : بياضُ الشيب نورٌ ساطع ... يكسو الوجوهَ مَهابةً وضِياءَ .
حتّى سَرَتْ وَخَطاتُه في مَفْرِقي ... فوَدِدتُ ألاّ أفْقُدَ الظَلْماءَ .
وعَدَلْتُ أستبقي الشَبابَ تَعَلُّلاً ... بخضابِها فصبغتُها سوداءَ .
لو أن لِحيةَ من يَشيبُ صَحيفةٌ ... لمَعادِه ما اختارها بيضاءَ[3] .

٤ ـ ** وفيات ٣ : ٣٩٧ ـ ٤٠٥ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٢٠ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٢٦١ .

الفتح البنداري

١ ـ هو فخرُ الدين أبو ابراهيم الفتحُ بنُ محمّدِ بنِ الفتحِ قِوامُ الدين البُنْداريُّ الإصبهانيُّ ، وُلِدَ في إصبهانَ في أواخرِ القرنِ السادس للهجرة (أواخر القرن الثالثَ عَشَرَ للميلاد) ونشأ فيها وتلقّى العلم عن نفر من العلماء منهم تاجُ الدين محمودُ بنُ الطيّبِ الطَرَفيّ . وقد قضى البُنداريُّ مُعظمَ حياتــه في العراق والشام . وحضر الى دِمَشْقَ بنُسْخةٍ من « الشاهنامه » للفِرْدَوْسيّ[4] وقدّمها الى الملكِ المعظّم

(١) راجع وصفاً تحليلياً موجزاً لهذا الكتاب في وفيات الاعيان ٣ : ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

(٢) الصياصي جمع صيصية وصيصة : الحصن . المرابط جمع مربط (ورباط) : مكان اجتماع المتطوعين للجهاد الدائم .

(٣) لمعاده : ليوم القيامة . صحيفة (يوم القيامة) بيضاء : مكتوب فيها حسنات وليس فيها سيئات .

(٤) أبو القاسم منصور بن أحمد بن فرّخ الفردوسي ، ولد في طوس نحو سنة ٣٢٩ هـ (٩٤١ م) . وخطر للفردوسي أن ينظم ملحمة في تاريخ الفرس القديم باللغة الفارسية ، ولكن لم تكن اللغة الفارسية في أيامه قادرة على الاصطلاع بذلك لكثرة ما كان قد نسي من ألفاظها التي حلت الألفاظ العربية محلها. من أجل ذلك طاف الفردوسي

عيسى[1] ابن الملك العادل أيوبَ أملاً بعطاءٍ جزيل . تقبّل الملك المعظّم عيسى الشاهنامه ثم رَغِبَ الى البُنْداريّ في نقلِها الى اللغة العربية . وقام البنداري بالنقل في دمشق بين جُمادى الاولى من سنة ٦٢٠ هـ وبين شوّالٍ من السنة التالية (١٢٢٣ — ١١٢٤ م) . ثمّ لا نعلمُ شيئاً من أمر البُنْداري بعد ذلكّ ؛ ولعلّه عاد ، بعدَ وفاةِ الملك المعظّمِ عيسى (٦٢٤ هـ = ١٢٢٧ م) الى بلدهِ[2] .

٢ — الفتحُ البُنْداري أديبٌ واضحُ الاسلوبِ حَسَنُ السَرْدِ متين التركيب بصير باستعمال الألفاظ ، ولا تَكاد تَلْمَحُ عنده شيئاً من الصناعة اللفظية ، الاّ أنه يأتي بكثير من الاستعارات والكناية على المنهج العربي الأصيل مما يَنْطِقُ بمعرفةٍ صحيحة للغة العربية وأدبها وتُراثها . وكان للبنداري رغبةٌ في التاريخ ؛ كما أنه كانَ يَنْظِمُ شعراً ، غير أن شعره عاديّ لا يَنْطِقُ ببراعة .

والذي شَهَرَ البُنْداريَّ في تاريخ الأدب أنه نقل الشاهنامه من الشعر الفارسي الى اللغة العربية نَثْراً . وقد حَرَصَ البنداريّ على أن يَحْفَظَ السلسلةَ القَصَصيّة من الشاهنامه فحَذَفَ عدداً من الفصول القِصار وحذف المقدّماتِ من عدد من الفصول الأساسية . تلك المقدّماتِ التي يتكلّم فيها الفردوسي عن نفسه أو يَقِفُ فيها واعظاً للبشر . وكذلك حذف عدداً من المقاطع وَرَدَ فيها مديح للسلطان محمود الغزنوي[3] ، كما اختصر عدداً كثيراً من الأوصاف للأسفارِ والمعاركِ والوحوش وعدداً من الرسائل والخطب التي تتخلّل الشاهنامه . ثم انه كان يُبَدِّلُ عدداً من الجُمَلِ والكلماتِ التي

= زماناً طويلا في القرى الفارسية النائية يتسقط الألفاظ الفارسية من الفلاحين. ومع ذلك فقد بقي في ملحمته نحو عشرة بالمائة من ألفاظها عربياً . ويبدو أن الفردوسي قد بدأ نظم ملحمته سنة ٣٦٥ هـ (بعد موت المتنبي) بتسع سنوات ثم أتمها سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ — ١٠١٠ م) وسماها شاهنامه (كتاب الملوك) وأهداها الى السلطان محمود الغزنوي (٣٨٩ — ٤٢١ هـ) ولكن لم ينل منه العطاء الذي كان ينتظره . ويقال ان محموداً عاد فأرسل الى الفردوسي مبلغاً عظيماً من المال ، ولكن حينما كان الوفد الحامل للعطاء الجزيل داخلا من باب طوس (سنة ٤١١ هـ — ١٠٢٠ م) كانت جنازة الفردوسي خارجة منه .

(١) كان المعظم شرف الدين عيسى الأيوبي واليا على دمشق (٥٩٧ — ٦١٥ هـ) ثم أميراً عليها (٦١٥ — ٦٢٤ هـ) وكانت وفاته سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) .

(٢) في الأعلام للزركلي (٥ : ٣٣٢) ترجمة قصيرة للبنداري اعتمد الزركلي فيها مجلة « العرفان (صيداء — لبنان ٣٢ : ٥٠) وقال هو « الفتح بن علي بن محمد .... » وجعل مولده سنة ٥٨٦ ووفاته سنة ٦٤٣ هـ .

(٣) محمود بن سبكتكين (بضم السين والباء وسكون الكاف الاولى وكسر التاء والكاف الثانية) ولد سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م) وتولى الملك في غزنة (أفغانستان) سنة ٣٨٩ هـ ثم وسع ملكه في خراسان وما وراء نهر جيحون . وأعظم خدماته للاسلام وللغة العربية فتح الهند ونشر الاسلام فيها . وكانت وفاته سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) في غزنة .

تخالف العقيدة الإسلامية أو المدارك الاسلامية مما جاء مثلاً متعلقاً بالمجوسية أو بإبليس أو بالمسيح في عدد من المواقف .

وللبنداري ذيل على كتاب « تاريخ بغداد » ، للخطيب البغدادي .

٣ ــ مختارات من الشاهنامه

ــ ذكر ظهور الضحّاك :

.... كان في ذلك الزمان أميرٌ كبير يسمّى بمرداس ، وكان مَلِكَ العرب ويُوصَفُ بصَلاحِ السيرة وسَداد الطريقة . وكانت له أموالٌ كثيرة من الخيل العِراب ومن الإبلِ والبقر والغنم . وكان له ابنٌ يسمّى بَيوَراسب ويُلَقَّبُ بالضحّاك ــ وبَيوَر في لغتهم معناه عشرة آلاف ، وأسب هو الحِصان ــ . وكان له من الخيل المُسْرَجة بسُروجِ الذَهَب والفِضّة المُرصّعة بأنواع الجواهر الفاخرة ما لا يحيط به الحَصْرَ والعَدَّ ، وكان مشغوفاً باللهو والطَرَب والصيد والطَرْد (السباق) .

فظهر له إبليس في زيّ شابٍّ صبيحٍ وعَرَضَ عليه نفسَه ليَخْدِمَه ، فاتّصل به . وكان يُظْهِرُ كلَّ يومٍ في الخدمة آثاراً مَرْضيّةً ويُبدي في المناصحة والمخالصة أفعالاً حميدةً ، فكان (الضحّاك) يُورِدُ عن رأيه ويَصْدُرُ عن أمره .فخلا (إبليس) به يوماً وقال له : إنّي ناصحٌ لك ومُشيرٌ عليك برأي ان قَبِلْته مَلَكْتَ رِقابَ العرب واسْتَتَبَّتْ لك أسبابُ الأمر والنَهْي وانتظمتْ لك أحوالُ المملكة . فقال الضحّاك : إنّا خَبَرْنا رأيَكَ وجرّبنا عَقْلَكَ فما رأيْناكَ إلاّ جارياً على سُنَنِ الصواب ..... فهاتِ ما في ضميرك . فقال (إبليس) : لا يُمْكِنُ إفشاءُ هذا السرِ إلاّ بعدَ الاستظهار من الأمير بأيْمانٍ مُغَلَّظة ومواثيقَ مُبْرَمَة ... على أنّه إنْ لم يَقْبَلِ الرأيَ ولم يُصْغِ للنصيحة جعلها دَبْرَ أُذُنِه ثم ... يَسْتُرها في أحشاء الكِتمان ويطويها في تضاعيف النسيان . فوافقه (الضحّاك) على ما أراد وأُخْلي له المكان . وخلا به الناصحُ الفاضحُ وزخرفَ له أقاويلَه ومَوّهَ عليه أكاذيبَه ومهّد له مقدّمةً كانت نَتيجتَها أنْ يستبدَّ بالإمارة وَتَولّي أمورِ الخاصّةِ والعامّةِ ، وأن ذلك لا يُمْكِنُ إلاّ بقتلِ أبيه .... فلمّا سمع (الضحّاك) ذلك صَعُبَ عليه ، وأكبرَ أن يجازيَ أباه ومن ربّاه بإراقة دَمِه وقطع رَحِمِه . فلم يزلِ الملعونُ يَفْتِلُ منه في الذَرْوَةِ والغاربِ حتّى لانتْ عريكَتُه[1] وتمكّنَت منه خديعته فقال : تدبّرْ

(١) ما يزال يفتل من فلان في الذروة والغارب ، أي يدور من وراء خديعته (القاموس ٤ : ٢٨) : يحتال في التغرير به . العريكة : النفس (بسكون النون) . لانت عريكته : سهل خلقه ، انكسرت نخوته ، قبل الانقياد .

(أنت) الأمرَ واحتَلْ في قتله .

وكان للملك بُستانٌ اتّخذه لخَلَواته فيه حَوْضٌ تَنْصَبُّ إليه الأمواه ، وكان كلَّ ليلةٍ يَدْخُلُ البُستانَ ويَتَطَهَّرُ من ذلك الحوض ويَشْتَغِلُ طولَ الليل بعبادة الله . فحَفَرَ الملعونُ في طريقه بِئْراً وغطّاها بالحَشيش . فقام الملك في الليل ودَخَلَ البُستانَ على عادته المعهودةِ ، وتوجّه نحوَ الحوض على ذلك الطريقِ فتَردّى في قَعْرِ الحُفْرة . فلمّا رأى العدوُّ ذلك بادَرَ إليها وطمّها بالتُراب وسوّاها بالأرض . فاستولى الضحّاكُ على مُلْكِ العربِ وأطاعه جميعُ الأمراء .

ثم تبدّى له إبليسُ بعدَ ذلك في زيِّ شابٍّ رشيقٍ ... وعَرَضَ نفسَه عليه وقال : أنا صانعٌ حاذقٌ أطْبُخُ ألوانَ الأطْعِمَةِ وأُحْسِنُ خدمةَ الملوك . فقَبِلَه (الضحّاك) وقلّده المَطْبَخَ الخاصَّ . فلم يزلْ يُبْدِع في ألوانِ الأطعمة[1] ويخترع كلَّ يومٍ شيئاً لا يُشْبِهُ الآخرَ — وكان أكلُهم في أولِ الأمر من نوعٍ واحدٍ — . فلمّا رأى الملكُ ذلك أعْجَبَه ومالَ اليه كلَّ المَيْل .... فدخل عليه يوماً فقال له (الضحّاكُ) : اقْتَرِحْ عليَّ حاجةً أقضيها لك ، فإنَّ من الواجب مُراعاةَ مِثْلِكَ والإحسانَ إليك . فأطْلَقَ لسانَه بالدُعاء للملكِ وقال : مالي حاجةٌ غيرُ بقائك ودوامِ مُلْكِك وثبات دولتك ، فان كان لا بُدَّ من سُؤالٍ فأرجو أن يُمَكِّنَني الملكُ حتّى أقبّلَ مِنْكَبَيْهِ وأتشرّفُ بذلك . فأذِنَ له فيهِ ، فتقدّم وقبّلَ مِنْكَبَيْهِ ثم ساخ في الارض واستتر عن العيون . فأخرج الله تعالى من كلّ واحدٍ من مِنْكَبَيْهِ حيّةً سوداءَ ، فهالَهُ ذلك وأزعجه وأحْضَرَ الأطباءَ فأمروه بقَطْعِهما . فلمّا قُطعتا نبَتَتا في الحال مِثْلَ الأوّل . ففَرّقَ أصحابَه في الأطراف في طَلَبِ الأطبّاءِ حتّى جَمَعوا منهم خَلْقاً كثيراً فعَجَزوا عن مُعالجةِ ذلك الداءِ وحَسْمِ مادّته .

فجاء إبليسُ في زيٍّ طبيب إلى باب الملك فأُدْخِلَ عليه فقال : هذا قضاءٌ أجراه اللهُ عليك ! لا بُدّ من تَرْبِيَةِ كِلْتَي الحَيّتَينِ وإطعامِهما حتّى يَسْتَريحَ الملكُ ؛ ولا يَصْلُحُ طعامُهما إلاّ من أدْمِغة الناس . فإنّه ان فُعِلَ ذلك يَقِلُّ اضْطرابُهما

---

(١) يقول الفردوسي في هذا الموضع :

زهــر كونه أز مرغ وأز چارپاي خرد كرد ويك يك بياور بجاى

(من كل نوع من الطير ومن ذوات الاربع – البهائم ، النعم – صنع أطعمة وكان يجيء بها واحداً واحداً الى المائدة) .

ولا تتأذّى بهما — وكان مُرادَ الملعونِ أن يَبْسُطَ الملكُ يدَه في قَتْلِ خَلْقِ اللهِ تعالى وسَفْكِ دمائهم . ثم كان يُحَرِّضه على ذلك حتّى قَبِلَ مَقالتَه واستباح دماءَ الخَلْقِ ....

٤ — الشاهنامه[١] (نشرها عبد الوهّاب عزّام)، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م).

تواريخ آل سلجوق، القاهرة (شركة طبع الكتب العربية) ١٣١٥ هـ = ١٩٠٠ م.

** بروكلمان ١ : ٣٩١ — ٣٩٢ ؛ الملحق ١ : ٥٥٤ ؛ زيدان ٣ : ٧١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٣٠٩ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٣٣٢ .

القاسم بن القاسم الواسطي

١ — هو أبو محمّدٍ القاسمُ بنُ القاسمِ بنِ عُمَرَ بنِ منصورٍ الواسطيُّ، وُلِدَ في واسِطٍ في ذي الحِجّة من سَنَةِ ٥٥٠ هـ (١١٥٦ م). تلقّى عُلومَه في واسِطَ فقرأ النحو على مُصَدَّق بنِ شَبيبٍ واللغةَ على هِبةِ الله بن أيوبَ والقِراءاتِ على عليِّ بنِ هَيّابٍ الجماجميِّ (معجم الأدباء ١٦ : ٢٩٦). ويبدو أنّه اشتغل منذ أوّلِ أمرِه بالتدريس فانتقل بعلمه الى بَغْدادَ ثمّ جاء، سَنَةَ ٥٨٩هـ (١١٩٣م)، الى حَلَبَ فتصدر فيها لتدريسِ اللُّغة والنحو وفنون للعلم. وكانَتْ وفاتُه في حَلَبَ في رابعِ ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٦٢٦ هـ (٣١/ ١/ ١٢٢٩ م) أو في الثامن منه .

٢ — كان القاسمُ بنُ القاسمِ الواسطيُّ لُغَوِيّاً نَحْوِيّاً ومُصنِّفاً. وقد أُغْرِمَ بمقاماتِ الحريريِّ فشَرَحَها شُروحاً كثيرةً منها شرحٌ على حُروفِ المُعْجَم[٢] ثمّ شَرْحٌ على تَرْتيبِها المألوفِ ثمّ شرحٌ على ترتيبِ العزيزيّ ثمّ شروحٌ أخرى. وله شرحُ كِتابِ اللُّمَعِ — شرح التَصْريف المُلوكي (وكِلاهما لابن جِنّي) — كتابُ «فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ» بمعنى[٣] (مرتباً على حروف المعجم) — مجموعُ خُطَبٍ صغيرٌ — رِسالةٌ فيما أخَذَ على ابنِ النابلسي في قصيدةٍ نَظَمَها في الناصرِ لدين الله العبّاسيِّ (٥٧٥ — ٦٢٢ هـ).

وكذلك كان أديباً ناثراً وناظماً له قصائدُ وموشّحاتٌ. وكان ناقداً. وشِعْره قليلٌ

---

(١) الشاهنامه، نظمها بالفارسية أبو القاسم الفردوسي وترجمها نثراً الفتح بن علي البنداري وقارنها بالاصل الفارسي وأكمل ترجمتها في مواضع وصححها وعلق عليها وقدم لها الدكتور عبد الوهاب عزام.

(٢) ترتيب الكلمات (؟) المشروحة ترتيباً هجائياً. (٣) الافعال التي تأتي منها صيغة فعل وأفعل بمعنى واحد.

الرَوْنق عليه أثرٌ من تقليدِ أبي تمّامٍ والمُتنبّي وفنونُه الغَزَلَ والنسيبُ والهجاء والحِكمة.

٣ — مختارات من آثاره

— قال القاسمُ بنُ القاسمِ الواسطيُّ يشكو اهلَ زمانهِ :

لا تُرِدْ من خيارِ دَهْرِكَ خَيْراً ، فبَعيدٌ من السَرابِ الشَرابُ[١] .
رَوْنَقٌ كالحَبَابِ يَعْلو على الكأ سِ ولكنْ تحت الحَباب الحُبابُ[٢] .
عَذُبَتْ في النِفاقِ ألْسِنَةُ القَوْ مِ وفي الألْسُنِ العِذابِ العَذابُ[٣] .

— وله من مُوشّحةٍ (في النسيب) :

ناهيكَ مِن حبيبِ نشوانِ بالدَلِّ وَهْوَ صاحِ .
إن قُلْتُ : والَهيبي حيّاني من ثَغْرِه براحِ[٤] .

كم بِتُّ والكؤوسُ تُجلى من الدِنانِ ،
كأنّها عروسٌ زُفّت مِنَ الجِنانِ ؛
تبدو لنا الشُموسُ منها على البَنانِ[٥] .
لم أخْشَ من رقيبِ يَنْهاني ألْهو إلى الصَباحْ
مَعْ شادنٍ ربيبِ فتّانِ زَنْدي له وِشاحْ[٦] .

— وله من الرسالة الّتي ألّفها في قصيدة ابن النابلسيّ (نقده وهجائه) :

الحمدُ للهِ على نِعَمِه المُتَظاهرةِ ، والصلاةُ على خيرِ خلقهِ وعِتْرته الطاهرة[٧] .

---

(١) لا تنتظر الخير حتى من الرجال الاخيار . السراب : لمعان يبدو من بعيد كأنه ماء . الشراب : الماء الذي يروي .

(٢) الرونق : الجمال . الحباب (بالفتح) : الفقاقيع التي تطفو على وجه الخمر وغيرها (وهي جميلة لأنها تشبه اللؤلؤ) . الحباب (بالضم) : الحية .

(٣) الألسن العذاب (بكسر العين) : الألسنة ذات الكلام العذب (الحلو) .

(٤) ناهيك : يكفيك . نشوان : سكران . الدل : الدلال (طمع المحبوب بالمحب) . والهيبي : ما أشد حرارة قلبي . الراح : الخمر .

(٥) بات : قضى الليل . الكؤوس (كؤوس الخمر) تجلى (تخرجها الأيدي مملوءة) الدن : وعاء كبير للخمر . الشموس (كناية عن الكؤوس مملوءة خمراً) . على البنان (رؤوس الاصابع) : محمولة بالأيدي .

(٦) شادن : غزال صغير (كناية عن المحبوب الجميل) . ربيب : تربى مع الانسان (أليف) .

(٧) المتظاهرة : المتوالية (يتلو بعضها بعضاً) . العترة : الأسرة .

وبعدُ ، فإنّه لمّا أُخِّرَت الفضائلُ عن الرذائلِ وقُدّمت الأواخرُ على الأوائلِ ، ونُبِذَ عَهْدُ القُدَماءِ وجُهِلَ قَدْرُ العُلماء ..... وظَهَرَ عظيمُ الإجلالِ بالأسماءِ لا بالأفعال .... أَخْمَلْتُ عندَ ذلك ذِكْري وقَدْري وأخْفَيْتُ مِنْ نظمي ونثري ، ..... وقُلْتُ : أصْبِرُ على كَيْدِ الزمانِ وكَدِّهِ ، فعَسَى اللهُ أن يأتيَ بالفَتْحِ أو أمرٍ من عِنْدِهِ (١) :

فلَوْ لَمْ يَعْلُ إلاّ ذو مَحَلٍّ تعالى الجَيْشُ وانْحَطَّ القَتامِ (٢) .

إلى أن بَلَغَني مِمّنْ يُعَوَّلُ عليه ويُرْجَعُ في القول إليه أنّه أنْشَدَ عِندَه بيتَ الوَليد (٣) يَشْهَدُ له بالفصاحة والتَجْويد . وهو قولُه :

إذا مَحاسِنِيَ اللائي أدِلُّ بها صارتْ ذُنوبِي ، فقُلْ لي كيفَ أعْتَذِرُ .

فقال (ابنُ النابلسي) مَقالَ المُفْتَري : كم قد خَرِينا على البُحتري . فصَبَرْتُ قَلْبي على أذاته وأغْضَيْتُ جَفْني على قَذاته . حتّى ابْتَدَرَني بالبادرَةِ التي يقصُرُ عنها لِسانُ الحادرة (٤) . فلو كان النابلسيُّ كابنِ هاني الأندلُسيّ « لَزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلزالَها وأخرَجَتِ الأرضُ أثْقالَها » (٥) . فيا للهِ العجبُ : متى أشْرَفَتِ الظُلمةُ على الضياء أو عَلَتِ الأرضُ على السماء ؟.....

وما ذلك التيه والصَلَفُ والتجاوُزُ للحَدّ والسَرَف (٦) .... وكلّما أُعْظِمَ من غيرِ عِظَمٍ وأُكْرِمَ من غيرِ كَرَمٍ شَمَخَ بأنفهِ وطال ، وتطاوَلَ الى ما لن يَنالَ .... ولا ، واللهِ ، ليس الأمرُ كما زَعَمَ ولا الشِعْرُ كما نَظَمَ ، ولكنّها المكارمُ السُلطانيّةُ المَلَكيّة الظاهريّة (٧) التي نَوّهَتْ بذِكْرِهِ فستَرَها ، ورَفَعَتْ من قَدْرِه فكَفَرَها ..... وقَصَدتُ قصيدةً من شِعرِه يَزْعَمُ أنّها من قَلائدِهِ قد

(١) كده : تعبه ، مصاعبه . « أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده» (من عند الله) تضمين من القرآن الكريم ، (كناية عن انتظار الفرج) .

(٢) البيت للمتنبي . القتام : الغبار (الذي يثورمن وقع أقدام الخيل في المعارك) .

(٣) ان الرجل الذي يعتمد عليه أنشد عند ابن النابلسي بيتاً للوليد بن عبادة البحتري .

(٤) ابتدرني : تلقاني ، جبهني . الحادرة والحويدرة لقبان لقطبة بن أوس بن محصن وهو شاعر جاهلي له شيء من الهجاء الأغاني (٣ : ٢٧٠ — ٢٧٥) .

(٥) اذا زلزلت الارض .. أثقالها (من القرآن الكريم ، السورة ٩٩ ، الزلزال) .

(٦) التيه (بفتح التاء وكسرها) والصلف : التكبر . السرف : الإسراف .

(٧) الظاهرية : نسبة الى الخليفة العباسي محمد الظاهر بأمر الله (٦٢٢ — ٦٢٣ هـ) .

هذّبها في مُدّة ست سنين ومدَح بها أميرَ المؤمنين وقال فيها : « فانْظُرْ لِنَفْسك أيَّ دُرٍّ تَنْظِمُ ! » .....

وتَتبّعتُ ما فيها من غلَطاته وأظْهرْتُ ما خفِيَ فيها من سقَطاته ..... فوجدتُه قد أخطأ منها في واحد وعشرينَ مكاناً عدَم فيها تمكيناً من العلم وإمكاناً...

٤ — معجم الادباء ١٦ : ٢٩٦ — ٣١٦ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٥٩ — ١٦٢ ؛ بغية الوعاة ٣٨٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٢٨ — ١٢٩ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٤ .

الشرف الحلّي

١ — هو شَرَفُ الدين أبو الوفاء راجحُ بنُ اسماعيلَ بن أبي القاسم الأسَديّ الحِلّي من أعيان قومه ، تطوّفَ في بلدان الشام وبلدان جزيرة ابن عُمَرَ يَمْدَحُ الملوكَ والأُمراء . وكانتْ وفاتُه في سابع عشري (يوم ٢٧) شعبانَ من سنةِ ٦٢٧ هـ (٢٠/ ٧/ ١٢٣٠ م) .

٢ — كانَ الشرَفُ الحِلّي شاعراً مُكْثِراً مُطيلاً يُصَرِّفُ شعرَه في المديح والغزل والنسيب . وهُوَ يُعارِضُ الشعراءَ وربّما أخَذَ من شعرهم أبياتاً فأدخلها في قصائده .

٣ — مختارات من آثاره

— قال الشرَفُ الحِلّي في النسيب :

أمُعَنِّفَ العُشّاقِ ، وهْوُ من الهوى ... خالي الحَشا ، لا مِتَّ حتّى تَعْشَقا .
إنّي لأَظْمَأُ ما يكونُ إذا جرَى ... ماءُ الحياةِ بوَجْهِه وتَرَقْرَقا[1] .
قَمَرٌ سَقيمُ الطَرْفِ عَقْرَبُ صدْغِه ... يَثْني عزائمَنا ويَهْزأُ بالرُقى[2] .
يا مُثْرِياً من حُسْنِه ، عطْفاً على ... قَلْبٍ يَبيتُ من التَصَبُّرِ مُمْلِقا[3] .
ما باتَ قلْبي للصبابَة مُمْسِكاً ... حتّى غدا جَفْني لدَمْعي مُنْفِقا .

(١) ماء الحياة : النضارة والنشاط والشباب . ترقرق : جرى جرياً يسيراً ، تحرك ، لمع .
(٢) عقرب الصدغ : الشعر المعقود عن جانب الجبين . يثني (يلوي) عزائمنا : يجعلنا ضعفاء (أمام حسنه) . الرقى جمع رقية (بالضم) : صيغة من الكلام يقصد بها السحر .
(٣) المثرى : الغني . المملق : الفقير .

– في ثالث عشري جُمادَى الآخرة من سَنَة ٦١٣ هـ (٧/ ١٠/ ١٢١٦ م) تُوُفِّيَ أبو الفتح أبو منصورٍ غازي بنُ السُلطان صَلاحِ الدين الأيّوبيِّ في حلَبَ فرثاه الشَرَفُ الحِلّيُّ بقصيدةٍ أدْخَلَ فيها تهنئةَ ابْنَيْه الملك العَزيز غياثِ الدينِ أبي المُظفرِ محمّدٍ والمَلِكِ الصّالحِ صلاحِ الدينِ أحمدَ. من هذه القصيدةِ :

سَلِ الخَطْبَ، إنْ أصغى إلى مَنْ يُخاطِبُهْ ... بِمَنْ علِقَتْ أنيابُه ومَخالبُه[1] ؟
لي اللهُ، كم أرْمي بطَرفي ضَلالَةً ... إلى أُفْقِ مَجْدٍ قد تَهاوَتْ كواكِبُهْ[2].
فما لي أرى الشَهْباءَ قد حالَ صُبْحُها ... علَيَّ دُجىً لا تَسْتَنيرَ غَياهبه[3].
أحَقّاً حِمَى الغازي الغياثِ بنِ يوسفٍ ... أُبيحَ، وعادَتْ خائباتٍ كواكبه[4] ؟
نَعَمْ! كُوِّرَتْ شمسُ المدائحِ، وانْطَوَتْ ... سَماءُ العُلا، والنُجْحُ ضافَتْ مذاهبه[5].
فمن مُخْبِري عن ذلك الطَوْدِ : هل وَهَتْ ... قواعِدُهُ أم لانَ للخَطْبِ جانبه[6] ؟
أجَلْ! ضُعْضِعَتْ بَعْدَ الثَباتِ، وزُعْزِعَتْ ... بريحِ المنايا العاصفاتِ، مناكبُهْ[7].
فما بالُ إذْني قد تمادى، ولم يكُنْ ... – إذا جئتُ – يَثْنيني عن الباب حاجبُه[8].
فان يَكُ نورٌ من شِهابِكَ قد خَبا ... فيا طالما جَلّى دُجى الليلِ ثاقِبُهْ[9]
فقد لاح بالمَلْكِ العزيزِ مُحمّدٍ ... صَباحُ هُدىً كنّا زماناً نُراقبه :
فتىً لم يَفُتْهُ من أبيهِ وجَدّهِ ... إباءٌ وجَدٌّ غالباً من يُغالِبُهْ[10]؛
وبالصالحِ استَعْلى صَلاحُ رَعِيَّةٍ ... لها منْهُ رَعْيٌ ليس يُقْلِعُ راتِبُهْ[11].
فحَسْبَ الوَرى – من أحمدٍ ومُحمّدٍ – ... مَليكان من عاداهما ذَلّ جانبه.

(١) الخطب : المصيبة، الحادث العظيم. أصغى : مال (بأذنه)، استمع. علقت مخالب الحيوان أو نيابه بأحد : افترسته، قتلته.

(٢) أرمي بطرفي (بصري) : أنظر بعيداً. ضلالة : من غير أن أهتدي الى معرفة ما أريد. تهاوت كواكبه (سقط منها واحد بعد واحد) : تتابع أعيانها على الموت.

(٣) الشهباء : مدينة حلب. الغيهب : الظلام.

(٤) أبيح : أصبح بلا حام. خائبات (كذا في الاصل). اقرأ : خابيات : خامدات، منطفئات.

(٥) كورت الشمس، طويت، ذهب نورها، اضمحلت.

(٦) وهت : ضعفت. لان جانبه : ذل، ضعف.

(٧) المناكب : الجوانب، الاركان.

(٨) – كنت أستأذن عليه فأدخل حالا، والآن لا أستطيع الدخول عليه (لأنه مات).

(٩) خبا : خمد نوره. الثاقب : الشديد النور. جلى دجى الليل : كشف ظلام الليل.

(١٠) إباء: نفور (من الظلم). جد: حظ. غالباً من يغالبه: كانا يغلبان من يغالبه. (١١) يقلع راتبه.

هما أحْرزَا عَلْياءَ غـازي ويوسفٍ ... وما ضَيّعَا المَجْدَ الذيهو كاسِبُهْ[1] .
ستَحْمي، على رُغْمِ الليالي، حِماهُما ... عوالي قَنَاً تُرْدي الأسودَ ثَعالِبُهْ[2] .

يُعَلِّقُ ابنُ خلّكانَ (وفيات الأعيان ٢ : ١٣٦) على هذهِ القصيدةِ بقولهِ : «وهذه القصيدةُ، معَ جودتِها، فيها مواضعُ مأخوذةٌ من مَرْثِيَـةِ الفقيهِ عُمارةَ اليَمَنيِّ في الصالحِ بن رُزّيكٍ، وبعضُها مذكورٌ في ترجمةِ الصالح[3]، وكأنّه نَسَجَ على مِنْوالِها، فانّها على وَزْنِها وان كان حَرْفُ الرويِّ مختلفاً فقدِ استعملَ فيه الوصل[4] كما استعمله عُمارةُ. والظاهرُ أنّه كان قد وَقَفَ عليها فقَصَدَ مُضاهاتَها[5]». والأرجحُ أن يُقالَ إنّ هذه القصيدةَ معارضةٌ لقصيدةِ أبي تمّامٍ : أهنَّ عوادي يوسفٍ وصواحبُهْ! (٢:٢٥٥) فانّ الشَرَفَ الحِلّيَّ لم يقتصرْ على تقليدِ أبي تمّامٍ في البحر والرويّ والقافية، بل تأثّر بالنَفَسِ الشاميِّ وقاربَ بعددٍ من معانيهِ وصُوَرِهِ وتعابيرِه معانيَ أبي تمّامٍ وصورَه وتعابيرَه .

٤ – ** وفيات الأعيان ٢ : ١٣٤ – ١٣٦ (في ترجمة غازي بن صلاح الدين الأيوبي) ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٠٢ – ٢٠٣ ؛ العبر ٥ : ١٠٨ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٢٣ ؛ الاعلام للزركلي ٣ : ٣١ ؛ اعيان الشيعة ٣١ : ٧٥.

ابن الإردخل[6]

١ – هو مُهَذَّبُ الدينِ أبو المعالي أبو عبدِ الله مُحمّدُ بن أبي الحسينِ الحسنِ ابنِ يُمْنِ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ مُحمّدِ بنِ عُثمانَ بنِ عبدِ الحميدِ المَوْصلي

---

(١) يوسف : صلاح الدين الأيوبي جد المرثي .
(٢) القنا : الرماح . عوالي القنا : صدور الرماح (التي يطعن بها) . تردي : تقتل . الثعالب جمع ثعلب وثعلبة (هنا) : طرف الرمح الذي يوضع فيه السنان (الحديدة الجارحة) .
(٣) في وفيات الأعيان (١ : ٤٢٧ – ٤٢٨) : أفي أهل ذا النادي عليم أسائله (على روي اللام) . ولا ريب في أن الشرف الحلي قد نظر الى قصيدة عمارة لما نظم قصيدته .
(٤) الوصل هنا (في القافية) حرف زائد بعد الروي (وهو هنا الهاء في : «كاسبه») . فالهاء هنا ليست رويا (أي أن الشاعر لا يستطيع ان يقول: كاسبه – عالمه – مانعه الخ) . (٥) ضاهاه : شابهه.
(٦) الاردخل في القاموس (٣ : ٣٨٤) بكسر الهمزة وفتح الدال : التارّ (الممتلىء الجسم) السمين . وقال ابن شاكر الكتبي (فوات الوفيات) ٢ : ٢٣٣ : «الاردخل هو المجيد في البناء» ؛ فعلى هذا يكون والد ابن الاردخل بناء .

الأنصاري المَعْروف بابنِ الإردخل ، وُلِدَ في المَوْصل سَنَةَ ٥٧٧ هـ (١١٨١ م).

تَكَسَّب ابنُ الاردخلِ بمدحِ أُمراء المَوْصلِ ومَيّافارقينَ ، ومدحَ الأشرفَ مُوسى[١] . وكانت وَفاةُ ابن الإرْدخلِ فيما ذَكَرَ ابن خلّكان في مَيافارقينَ في رَمَضانَ من سنة ٦٢٨ هـ (تموز – يوليو ١٢٣٢ م) . أما ابن شاكرِ الكُتُبي (فوات الوفيات ٢ : ٢٣٢) فجعَلَ وَفاته سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) وتَبِعَه في ذلك بُروكلمان (الملحق ١ : ٤٤٣) .

٢ – ابن الاردخل شاعرٌ مُحْسِن له مديحٌ ووصف وغزل وحِكمة وشيءٌ من المُجون .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابن الإردخل في الشكوى :

ولَقَدْ رأيتُ على الأراكِ حَمامَةً ... تَبْكي فتُسْعِدُني على الأحْزان[٢] :
تبكي على غُصُنٍ ، وأبكي قامةً ؛ ... فجميعُنا يبكي على الأغصان[٣] .
صَرَعَ الزمانُ وَحيدَها فتَعَلّلَتْ ... من بَعْدِه بالنَوْحِ والأحزان[٤] .
تَخْشى من الأوتارِ وهو مَرُوعةٌ ... منها ، فكم غنّتْ على العِيدان[٥] .

– وقال في الشكوى وفي الحكمة :

أفي كل يومٍ لي منَ الدَهْر صاحبٌ ... جديدٌ ، ولي حادٍ الى بلدٍ يحْدو[٦] .
أروحُ وأغدو للنَوى غير مُدْرِكٍ ؛ ... ويُدْرِكه من لا يَروحُ ولاَ يغدو[٧] !

---

(١) هو أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن يوسف الملقب الملك الاشرف مظفر الدين (٥٦٢ – ٦١٩ هـ) أمير ميافارقين (وفيات الاعيان ٣ : ٣١) .

(٢) تسعدني : تساعدني ، تعينني (تبكي معي فتواسيني وتخفف من حزني) .

(٣) تبكي على غصن (في شجرة) وأبكي قامة (محبوباً مستقيم القامة كالغصن مات).

(٤) صرع (قتل) الزمان (الدهر) وحيدها (فرخها الوحيد) فتعللت (جعلت تتسلى وتأمل أن يرد البكاء ابنها عليها) . القافية هنا مكررة ، لعلها : الاشجان (بمعنى الاحزان) .

(٥) الاوتار فيها تورية : جمع وتر (بكسر الواو : ثأر) وجمع وتر (بفتح ففتح : أحد أوتار العود) . مروعة : خائفة . العيدان جمع عود : غصن الشجرة – آلة يعزف عليها .

(٦) الحادي : الذي يحدو (يطرب ، يغني) للإبل في الاسفار (حتى لا تمل الابل السير) . يحدو (يسوق ابلي من بلد الى بلد – كناية عن كثرة أسفاره) .

(٧) النوى : البعاد ، مفارقة الاليف وترك الوطن . غير مدرك (غير حاصل على ثروة) . – ويحصل على الثروة شخص لا يسافر في سبيل تحصيل رزقه .

٤ — ** المحمدون من الشعراء ١٢٢ — ١٢٥ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٣١ — ٣٢ (في ترجمة أبي الفتح موسى الملك الاشرف مظفّر الدين) ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٣٣ — ٢٣٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٤٣ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٣١٦ .

عبد اللطيف البغدادي

١ — هو الشيخُ مُوَفّقُ الدينِ أبو محمّدٍ عبدُ اللطيفِ بنُ يوسفَ بنِ عليٍّ بنِ الشيخِ أبي العزِّ المَوْصِليُّ المعروف بابن اللبّادِ وبابنِ نُقْطَةَ .

وُلِدَ عبدُ اللطيفِ البغداديُّ في بَغْدادَ سَنَةَ ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) وفيها نشأ وتلقّى العِلمَ : سَمِعَ من نفر كثيرين منهم ابنُ البَطِّيِّ وأبو زُرْعَةَ المَقْدِسِيّ وتَفَقّه على أبي القاسم بن فضلانَ .

تَنَقّلَ عبدُ اللطيف البغداديُّ في البلادِ كثيراً : ذَهَبَ سَنَةَ ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) الى المَوْصِلِ ودرس آثارَ السُهروَرْديّ المقتولِ ، ثمّ انتقل إلى دِمَشْقَ (٥٨٦ هـ) ثمّ زار مُعَسْكَرَ صلاحِ الدين في ظاهرِ عَكّاء (٥٨٧ هـ) ونال حَظْوة عند القاضي الفاضل . وفي العام التالي لَقِيَ صلاحَ الدين في القُدْس . وقد زارَ القاهرةَ أيضاً مرّتين أو أكثرَ . وبعدَ أن طال تَرَدُّدُه في البلادِ عاد الى بَغْدادَ فتُوُفّيَ فيها في ثاني المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٢٩ هـ (٣٠/ ١٠/ ١٢٣١ م) .

٢ — كان عبدُ اللطيفِ البَغْداديُّ مُتَعَدِّدَ وُجوهِ الشخصية بارعاً في عددٍ من العلوم كثيرَ التصنيفِ في كثيرٍ من فنونِ المعرفة . أُعجِبَ في أوّلِ أمرِه بفلسفةِ ابنِ سينا وبالصَنْعه (الكيمياء القديمة : محاولة تحويل المعادن الخسيسةَ كالرَصاصِ والنحاس معادنَ شريفةً كالفضّة والذهب) . ثمّ انّه درس فلسفة الفارابي وشُروح الاسكندرِ الأفروديسي وثامِسْطيوس على كُتُبِ أرسطو فلَفَتَتْهُ عن ابنِ سينا والصَنْعة .

عدّ ابنُ أبي أُصَيْبِعَةَ (طبقات الاطباء ٢ : ٢١١ — ٢١٣) لعبدِ اللطيف البغدادي مائةً وخمسينَ كتاباً في موضوعات وأحجامٍ مُتَفاوتة . ومُعْظَمُ هذه الكتبِ اختصاراتٌ لكتبِ جماعةٍ من المتقدّمين أو حواشٍ عليها أو مُعارضةٌ (تقليد) لها . والمُبْتَكَرُ في موضوعاتِ هذه الكتب قليلٌ . فمنَ الكتب الأصيلة له : مقالة في النهاية واللانهاية — كتاب الحليّ في الحساب الهندي (بالأرقام) — مقالة في العلوم الضارّة — مقالة في العادات — كتاب العُمْدة في أصول السياسة — مقالة في

تدبير الحرب سمّاها مقالة في السياسة العملية ـ مقالة في جواب مسألة سُئِلَ عنها في ذبح الحَيَوان وقتله وهل ذلك سائغٌ في الطبع والعقل كما هو سائغ (جائز) في الشرع ـ كتاب المَراقي الى الغاية الانسانية ـ كتاب المدهش في أخبار الحَيَوان ـ مقالة في الماء ـ مقالة في العطش ـ كتاب الكِفاية في التشريح ـ مقالة تشتمل على أحَدَ عَشَرَ باباً في حقيقة الدواء والغِذاء ومعرفة طَبَقاتها وكيفيّة تركيبها ـ مقالة في التنفّس والصوت والكلام ـ مقالة في الرد على ابن الهَيْثم في المكان ـ كتاب المحاكمة بين الحكيم والكيميائي ـ رسالة في المعادن وإبطال الكيمياء ـ مقالة في العلّة المَراقيّة ـ مقالة في السِرْسام ـ مقالة في اللغات وكيفيّة تولّدها ـ مقالة في الشعر ـ كتاب قوانين البلاغة ـ مقالة في احصاء مقاصد واضعي الكتب في كتبهم وما يتبع ذلك من المنافع والمضارّ ـ كتاب الانصاف بين ابن بَرّيّ وابن الخشّاب على المقامات للحريري وانتصار ابن برّيّ للحريري ـ كتاب أخبار مصر الكبير ـ كتاب أخبار مصر الصغير ، مقالتان وقد سمّاه « الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » (وهو يتضمّن سيرته ، وقد فَرَغَ من تأليفه سنة ٦٠٣ هـ = ١٢٠٧ م) .

واختصر عبد اللطيف البغداديُّ عدداً من كتب المتقدّمين منها : كتاب الحَيَوان لأرسطوطاليس ـ كتاب الحيوان لابن أبي الأشعث ـ كتاب الحيوان للجاحظ ـ كتاب النبات لأبي حنيفةَ الدينَوَرِيّ ـ كتاب منافع الأعضاء لجالينوس ـ كتاب الأدوية المُفْردة لابن وافد ـ كتاب الصناعتين لابي هلالٍ العسكري ـ كتاب العُمدة لابن رشيق .

ولعبد اللطيف البغداديّ شروحٌ وحواشٍ ورُدودٌ وتصانيفُ هي بمَثابةِ شروحٍ وحواشٍ أو هي عَرْضٌ جديدٌ لموضوعات قديمة مألوفة منها كلّها : رسالة في الممكن ـ كتاب في القياس (خمسون كرّاساً) ثمّ أضيف اليه المدخل (الى علم المنطق) والمقولات والعبارة والبرهان فجاء في أربع مجلّدات (في المنطق) ـ الكتاب الجامع الكبير في المنطق والعلم الطبيعي والعلم الالهيّ (زُهاءُ عَشْرِ مُجَلّداتٍ) ـ حواشٍ على البرهان للفارابي ـ حواشٍ على كتاب الثمانية المنطقية للفارابي ـ مسألة في التنبيه على سبل السعادة ـ الواضحة في إعراب الفاتحة ـ الردّ على ابن خطيب الريّ (الفخر الرازي) في تفسير سورة الاخلاص ـ غريب الحديث ـ شرحُ سبعينَ حديثاً ـ شرحُ أربعينَ حديثاً طِبّيّاً ـ الكلام في الذات والصفات الذاتية الجارية على ألْسُنِ المتكلّمين ـ

مقالة في الردّ على اليهود والنصارى – مقالتان في المدينة الفاضلة – حواشٍ على كتاب الخصائص لابن جنّي – كتاب ذيل كتاب الفصيح – اللمع الكامليّة المعروفة بشرح مقدّمة ابن بابشاذ – كتاب قيسة العجلان (في النحو) – انتزاعات من كتاب ديسقوريدس في صفات الحشائش – شرح كتاب الفصول لأبقراط – مقالة في قسمة الحُمّيَات وما يتقوّم به كلّ واحد (من الاقسام) منها وكيفيّة تولّدها – مقالة في ديابيطس* والأدوية النافعة منه – حلّ شيء من شكوك (ابي بكر) الرازي على كتب جالينوس – كتاب في الأدوية المفردة (كبير) – كتاب الترياق – شرح (قصيدة) بانت سعاد (لكعبِ بنِ زُهير) – شرح الخطب النباتية** :

٣ – مختارات من آثاره

– قال في التعلّم والمطالعة (طبقات الاطبّاء ٢ : ٢٠٨ – ٢٠٩) :

أوصيكَ ألاّ تأخُذَ العلومَ من الكتب وإنْ وَثِقْتَ من نفسِك بالفهم. وعليك بالأُستاذِينَ في كلّ علمٍ تطلُبُ اكتسابَه؛ وإن كان الاستاذُ ناقصاً فخُذْ عنه ما عِنْده حتّى تَجِدَ أكملَ منه. وعليك بتعظيمِه وترجيبِه[١]، وان قدِرْتَ (على) أن تُفيدَه من دُنياك فافْعَلْ، وإلاّ فَبِلسانِك وثنائك. وإذا قرأتَ كِتاباً فاحْرِصْ كلَّ الحِرْصِ على أن تستَظْهِرَهُ وتَمَلَّكَ معناه. وتَوَهَّمْ أن الكتابَ قد عُدِمَ وأنّك مُسْتغنٍ عنه، ولا تحزَنْ لِفَقْدِه. وإذا كنت مُكِبّاً على دِراسة كتابٍ فايّاك أن تشتغلَ بآخرَ معَه (بلِ احْرِصْ على) صَرْفِ الزمانِ الذي تُريدُ صَرْفَهُ في غيرِه إليه. وايّاك أن تشتغلَ بعِلْمينِ دُفعةً واحدةً، وواظِبْ على العلمِ الواحدِ سَنَةً أو سنتين أو ما شاء اللهُ، فإذا قَضَيْتَ منه وَطَرَكَ فانتقِلْ إلى علمٍ آخرَ. ولا تَظُنَّ أنّك إذا حَصَّلْتَ عِلْماً فقد اكتفيتَ، بلُ تحتاجُ إلى مراعاتـه لِينمى[٢] ولا ينْقُصَ؛ ومراعاتُه تكونُ بالمذاكرةِ والتفكّر واشتغال المُبْتدىء بالتحفّظ والتعلّم ومُباحثة الأقران وباشتغالِ العالمِ بالتعليم والتصْنيف[٣] ..... ومن لم يَعْرَقْ جبينُه إلى أبواب العلماء لم يُعْرِقْ في الفضيلة[٤]، ومن لم يُخْجِلوه لم

---

* مرض السكر.　　** لابن نباته الفارقي المتوفى سنة ٣٧٤ هـ (٢ : ٥٢٧).

(١) الترجيب : التعظيم.

(٢) نمى ينمى ونما ينمو : زاد.　　(٣) التصنيف : التأليف.

(٤) من لم يخجل (في نفسه) من كثرة الذهاب الى العلماء طلباً للازدياد من العلم فانه لم يعرق (لم يصبح عريقاً : أصيلا، ثابتاً) في الفضيلة (لم يصبح تام الفضيلة).

يُبَجِّلْهُ الناسُ ، ومن لم يُبَكِّتوه لم يُسَوَّدْ[1] ، ومن لم يحتملْ أَلَمَ التعليمِ لم يَذُقْ لَذّةَ العِلْمِ .....

٤ – الافادة والاعتبار (ج . هوايت) ، أوكسفورد ١٧٨٨ م ؛ (مع مقدّمة بقلم هـ . باولوس) ، توبنجن ١٧٨٩ م ؛ مصر (مطبعة وادي النيل) ١٢٨٦ هـ ؛ – مختصر أخبار مصر ، أو : العبر والخبر في عجائب مصر (ت . هيد) أوكسفورد ١٧٠٢ م (معجم سركيس ص ١٢٩٣) ؛ (سلوستر دى ساسي) ، باريس ١٨١٠ م .

ذيل الفصيح (فصيح ثعلب) طبع مع كتاب التلويح في شرح الفصيح لأبي سهل الهروي ، مصر ١٢٨٥ هـ ؛ طبع في مجموعة «الطرف الأدبية لطلاّب العلوم العربية» (بعناية محمّد أمين الخانجي) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٥ هـ .

قبس من القرآن في صفات الرسول الأعظم ، النجف (مطبعة الآداب) ١٩٧٠ م .

** إنباه الرواة ٢ : ١٩٣ – ١٩٦ ؛ طبقات الأطبّاء ٢ : ٢٠١ – ٢١٣ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٩ – ١١ ؛ العبر ٥ : ١١٥–١١٦ ؛ بغية الوعاة ٣١١ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٣٢ ؛ بروكلمان ١ : ٦٣٢–٦٣٣ ، الملحق ١ : ٨٨٠ – ٨٨١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٤٧ ؛ زيدان ٣ : ٩٨ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٨٣ – ١٨٤ .

ابن المُقَرَّب

١ – هو جمالُ الدين أبو عبدِ الله عليُّ بنُ مُقَرَّبِ بنِ منصورِ بنِ مُقرّبِ ابنِ الحسنِ بن عزيز بن ضَبّارٍ الرَبْعيّ العُيوني البَحْراني ، نِسبة الى البحرين[2] والى بلدة العيون في الأحساء[3] ، ويُعْرَف أيضاً بالإبراهيمي[4] .

وُلِدَ عليّ بن مُقَرَّبٍ سَنَةَ ٥٧٢ هـ (١٢٧٣ – ١٢٧٤ م) في أسرة وجيهة تَتَولّى إمارة الأحساء ، ونَشأ نابِهاً مُستنيراً فحسده خُصومُه ووَشَوْا به إلى الامير أبي منصورٍ عليِّ بنِ عبد الله وقالوا إنّه يُريد انتزاعَ الحُكْمِ . صادرَ الاميرُ أبو منصور أموالَ ابن المُقرَّبِ وأملاكَه وزَجَّ به في السِجن ؛ ثم أَطْلَقَ سَراحَهُ بعدَ

(١) التبجيل : التعظيم . التبكيت : التقريع والتوبيخ . لم يسود : لم يقبل الناس أن يكون سيداً فيهم .

(٢) البحران أو البحرين هي المنطقة الواقعة على الشاطىء الشرقي من شبه جزيرة العرب بين البصرة وعمان . أما اطلاق «البحرين» على الجزيرتين اللتين في خليج قطر وما يتبعها فتسمية جديدة . وتسمى تلك المنطقة (بكسر الميم) هجر أيضاً .

(٣) الاحساء اليوم مقاطعة في شرقي شبه جزيرة العرب عاصمتها القطيف .

(٤) بروكلمان ١ : ٣٠٢ ، نسبة الى جد له اسمه ابراهيم القليوني (صفحة العنوان في ديوانه طبع مكة – لعلها العيوني) .

مُدّة . ويبدو أن ذلك كلّه كان في مَطْلَعِ القرنِ السابع للهِجْرة. ولمّا لم يَسْتَطِـعِ ابنُ المُقرّبِ أن يَبْقى في وَطَنه آمناً مُطْمئناً ذهب الى بغدادَ . ثم انه جَعَلَ يتردد بين بغدادَ والمَوْصِلِ والبصرة والبَحْرين . وقد رأيناه سنة ٦٠٥ ه (١٢٠٨ - ١٢٠٩ م) في البحرينِ يمدحُ أميرَها محمّدَ بنَ ماجد (ديوان ص ١٥) . وفي سنة ٦٠٦ه كان منحدراً من بغدادَ الى البصرة يَحْمِلُ تجارةً من الحديد (ديوان ، ص ٢٤٠) . ثم رأيناه مراراً ، بين سَنَةَ ٦١٣ وسنة ٦١٦ ه في بغدادَ . وفي سنة ٦١٧ ه كان في المَوْصل (ديوان ٤٣٣، ٤٣٥) ومدح فيها الملكَ بَدْرَ الدين لؤلؤاً؛ وفي تلك السنة لَقِيَهُ ياقوتُ الحَمويّ صاحب معجم الادباء في الموصل . .

ثم عاد ابن المقرّب الى بغدادَ ومات فيها سنة ٦٢٩ ه (١٢١٤ م) .

٢ - ابنُ المقرّب شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيد فصيحُ الألفاظِ حتّى حينما تَكْثُرُ الكَلِمات الغَريبة أحياناً في بعضِ المقاطع من عَدَدٍ من قصائده . وعلى قصائده عُموماً أثرُ المتنبّي خاصةً وأثر أبي تمّام ، كما نرى عليها أيضاً أثرَ نفرٍ من الجاهليين منهم زهيرٌ والنابغةُ . وفنون ابنِ المقرّبِ المدحُ والهجاء والرثاء والفخر وشيء من النسيب والوصف .

٣ - مختارات من شعره

- قال عليّ بن المقرّب قصيدة في مطلعها غزل منه :

بَعثَتْ تُهدّدُ بالنَوى وتَوَعّدُ، مَهْلاً ، فإنّ اليومَ يَتْبَعُهُ غَدُ[١] :
لا تَحْسَبي أنّ الشَبابَ وشَرْخَه يَبْقى ، ولا أن الجَمال يُخلّدُ[٢] ؛
عَشْرٌ ويَخْلُقُ شَطْرُ حُسْنِكِ كلّه ويُذَمّ ما قد كان منه يُحْمَدُ[٣] .
للهِ أيامُ الصِبا إذ دارُنا حَجْرُ القُرى، ولنا بأجْلَةَ مَعْهَدُ[٤].

---

(١) بعثت : أرسلت (المحبوبة) ... النوى : البعاد ، الفراق (تهددني بأنها ستبتعد عني) . توعد = تتوعد : تهدد . اليوم يتبعه غد : تتبدل الحال.

(٢) شرخ الشباب : أول الشباب.

(٣) -(بعد) عشر (سنوات) سيخلق (بضم اللام ، أو بضم الهمزة وبكسر اللام : يتغير ، يمّحي ، يزول) ...

(٤)... إذ (حينما كانت) دارنا (في) حجر (بفتح الحاء أو كسرها أو ضمها وبسكون الجيم) : عاصمة البحرين . حجر القرى : أكبر القرى (البلدان) التي حول حجر. أجلة (بفتح الهمزة أو كسرها مثل دجلة) موضع باليمامة (قا ٣ : ٣٢٧ ، راجع ٣٧٤ ، السطر ١٢) . - نشتوفيمكان ونصيف في مكان آخر .

إذ لِمّتي تحكي الغُدافَ ، وإنّما أشْهى الشُعورِ الى العيونِ الأسودُ[1] ؛
والخدّ من ماء الشبابِ كأنّما فيه لأحداقِ الكواعب موْرِد[2] .
كم لَيْلةٍ طالت فقصّر طُولَها شَدْوُ المَزاهرِ والغَزالُ الأغْيَد ،
وتَرنُّمُ الأوتارِ في يَدِ قَيْنَةٍ غَنج يَدينُ لها الغَريضُ ومَعْبَد[3] .
إن تُنكِري شَيْبي ، أُمَيْمَ ، فطالما كُنتُ الأودَّ وغَيْرِيَ المُتَوَدِّد[4] ؛
ولطالَما أبْصَرْنَني - فَعَثَرْنَ في أذْيالِهِنَّ - الفاتناتُ النُهَّد[5] .
فاسْتَخْبري فِتْيانَ قومِكِ أيُّهم يُغني غَنائي أو يقومُ وأقْعُد[6] ؛
قد أحْمِلُ العِبْءَ الثَقيلَ ، وبعضُهم فيه يُصَوِّبُ طَرْفَه ويُصَعِّد[7] .
واذا تَشاجَرَتِ الخصومُ فإنّني سَيْفٌ على الخصم الألدّ مُجرّد[8] !

- وقال ابن المقرّب في عتاب قومه والفخر بنفسه :

.... أوَلَيْسَ جَهْلاً أنْ تُسيمَ بمَرْتَعٍ أكلتْ به المِعْزى لُحومَ رُعاتِها[9] ؟
أعْرَبْتُ حينَ دَعَوْتُ ، إلاّ أنّه لا يَبْلَغُ الأمواتَ صوتُ دُعاتِها[10] .

---

(١) اللمة (بكسر اللام) : الشعر في مقدم الرأس . الغداف : الغراب .

(٢) « فيه لأحداق الكواعب مورد » استعارة بارعة . الاحداق جمع حدقة (بفتح ففتح) : سواد العين (العين) . الكواعب جمع كاعب : الفتاة اذا كعب (بفتح ففتح ففتح) ثدياها (تدورا وبرزا) . المورد : المكان حيث يرد الناس للشرب وللاستقاء . - حينما كانت الفتيات الجميلات يكثرن من النظر الى خدي الممتلىء بماء الشباب وكأنهن يشربن منه (لحاجتهن اليه) .

(٣) غنج (بفتح فكسر) للمذكر وغنجة للمؤنث . والشاعر أضطر الى استعمال اللفظ المذكر مكان اللفظ المؤنث . أو لعله قصد غنـج (بفتح ففتح . فيكون قد وصف المؤنث بالمصدر الذي يكون حينئذ نعتاً بلفظ واحد للمذكر والمؤنث . والغنج : الشكل (بكسر الشين) والدلال والتحبب الى الرجل بالغزل . يدين : يخضع ، يقر (بالفضل) . الغريض ومعبد : مغنيسان بارعان كانا في العصر الأموي .

(٤) ان تنكري ، تكرهي . أميم = يا أميم (أميمة) . كنت الأود وغيري المتودد : كنت أحب الرجال الى النساء ، وكان كل الرجال غيري يتوددون الى النساء (فلا يأبه النساء لهم).

(٥) عثرن في أذيالهن (بأذيالهن) من الدهشة (لجمالي وقوتي) .

(٦) يغني غنائي : يفيد ويدفع الحوادث مثلي . المشهد : حضور القتال وغيره . يقوم (ينجح بالعمل) وأقعد (أعجز عنه) .

(٧) يصوب فيه طرفه ويصعد: يتأمله من أعلى الى أدنى ومن أدنى الى أعلى متعجباً منه متهيبا لا يستطيع الإقدام عليه .

(٨) تشاجر الخصوم : اشتبك الأعداء (في الحرب أو الجدال) . الالد : الشديد العداوة .

(٩) أسام الغنم : أرسلها الى المرعى (يقصد : لا يريد أن يبقى في وطنه) . أكلت به المعزى لحوم رعاتها : كناية عن جحود قومه لحقه .

(١٠) أعرب الرجل : تكلم كلا ماً واضحاً مفهوماً . - الموتى لا يستطيعون أن يسمعوا صوت الذي يدعوهم .

فارْغَبْ بنفسِكَ أن تُقيمَ ببلـــدةٍ عصفـُورها يسطو بشُهْبِ بُزاتها(١) .
إنْ يَرْضَ قَوْمي الهُونَ فِيَّ ، فطالَما عَمْداً أهَنْتُ النفسَ في مَرْضاتها(٢) .
كم قد غَدَوْتُ ورُحْتُ غيرَ مُقَصِّرٍ في لَمِّ فُرْقَتِها وجَمْعِ شَتَاتِهـا (٣) .
ولقد عَصَيْتُ بها العَذولَ ، ولم أُذِعْ ما بانَ — للأعداء — من عَوْراتهـا .
حامَيْتُ عن أعقابِها ، ورَمَيْتُ عن أحسابِها ، وسَهِرْتُ في نَوْباتهـا(٤) .
قومي سُراةُ رَبيعـةٍ وملوكُها ؛ وإذا نُسِبْتُ وُجِدتُ في سَرَواتها .(٥)
ولَرُبَّ لاحٍ قال لي ، وجُفـونه شَكْرَى إلى الآماقِ من عَبَراتها(٦) :
« هَوِّنْ ؛ فقومُكَ — يا عليُّ — حَياتُها كمماتِهـا ومماتُهـا كحياتِهـا .
لَوْ كانَ فيهـا من هُمامٍ ماجدٍ ، لَمْ تُسْقَ مُرَّ الضَيْمِ من راحاتِها ! »

٤ — ديوان ... أبي عبد الله محمّد بن عليّ بن المقرّب ... بن ابراهيم القليوبيّ الاحسائي ، مكّة (المطبعة الميرية) ١٣٠٧ هـ ؛ (عليه شرح مختصر) ، بومبي ١٣١١ هـ ؛ — ديوان عليّ بن المقرّب العيوني (مع شرحه للشيخ عبد العزيز أحمد العويصي) ، دمشق (منشورات المكتب الاسلاميّ) بلا تاريخ .

** بروكلمان ١ : ٣٠٢ ، الملحق ١ : ٤٦٠ ؛ زيدان ٣ : ٣٤ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٧٥ — ١٧٦

عِزُ الدين بنُ الاثير

١ — هو عِزّ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ مُحمّدِ بنِ عبدِ الكريمِ

---

(١) الباز الأشهب (الأبيض) نادر وقدير في الصيد . عصفورها يسطو على بزاتها : كناية عن تحكم الرعاع بأهل الرأي . (٢) الهون : الهوان : الذل . يعامل « قوم » معاملة المؤنث .

(٣) الغدو : الخروج باكراً في الصباح . الرواح : الرجوع في المساء الى المبيت . — قضيت أوقاتي كلها في جمع جهود قومي والعمل على رقيهم .

(٤) الأعقاب جمع عقب (بفتح العين وبسكون القاف أو كسرها) : الولد وولد الولد (حافظت على مستقبلها) رميت (السهام) : دافعت . الأحساب جمع حسب (بفتح ففتح) : العمل الحميد (الصيت الحسن) . النوبات جمع نوبة : (أيام المصائب) .

(٥) السراة جمع سريّ : الرجل الماجد الكريم الشريف الوجيه . السروات جمع سراة : ما ارتفع من الارض (كناية عن النسب الشريف وعلو المكانة) .

(٦) اللاحي : العاذل ، اللائم ، الشاتم . شكرى : ملأى ، مملوءة . المأق والمؤق : طرف العين . العبرات : الدموع .

ابنِ عبدِ الواحدِ الشَّيْباني الجزَري ، نِسْبةً الى جَزيرةِ ابنِ عُمَرَ (في شَماليّ الشام والعِراق) حيثُ وُلِدَ في ٤ جُمادى الأُولى من سنة ٥٥٥ هـ (١٣/ ٥/١١٦٠ م). وفي سَنَةِ ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) انتقل مَعَ أُسرته الى المَوْصِلِ وأتمّ تحصيلَ عِلمه فيها . وفي سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) كان يُقاتلُ الإفرَنْجَ الصَّليبيينَ في الشام . ثمّ إنّه تنقّل بين المَوْصل وبَغْدادَ والحِجازِ والشامِ مِراراً ، وكان أينَما حلّ يَلْتَقي بالعُلماء ويزْدادُ منهم علماً . وكانت وفاتُه في الموصل في شَعْبانَ ٦٣٠ (أيار — مايو ١٢٣٣ م).

٢ —كان عِزّ الدين بنُ الأثير إماماً في الحديث والتاريخ عارفاً بأنْسابِ العرب وأيامهم ؛ له مؤلّفاتٌ يَهُمّنا منها :

(أ) تاريخُ الكاملِ بَدَأهُ بآدمَ ووَقَفَ به في آخرِ سنة ٦٢٨ هـ . وقد اعتمد ابنُ الأثير في النصف الأوّل من كِتابه كتابَ الطَبَرِيِّ فجرّده من الأسانيد ونَسّق الأحداثَ ، مَعَ أنّه ظلّ يَتّبع التَرتيبَ الحَوْليّ (على السنين) . وقد خالفَ الطبريَّ في بعض الأمور ، فإنّ الطَبَريَّ لم يَقْبَلْ من أيامِ العَرَبِ في الجاهلية مثلاً إلاّ يومَ ذِي قارٍ وَحْدَه ، بينما ابنُ الأثير قد سَرَدَ أخبارَ عددٍ كبير من تلك الأيّام . أما قيمة تاريخِ الكاملِ فهي في القِسْمِ الثاني منه ، وخصوصاً في أخبار حروبِ الإفرنجِ الصَّليبيين التي كان في حياته شاهِدَ عِيانٍ لها .

(ب) أُسْدُ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ ، وهو كتابٌ في تَراجِمِ أصحابِ رسولِ الله مُرتّبٌ على الأحرفِ الهِجائية .

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة الكامل في التاريخ :

.... أمّا بعدُ ، فانّي لم أزَلْ مُحِبّاً لمطالعةِ كُتُبِ التواريخ ومعرفة ما فيها ، مُؤثِراً للاطّلاعِ على الجَليّ من حوادثها وخافيها ، مائلاً الى المعارف والتجارِبِ المُودَعَةِ فيها . فلمّا تأمّلتُها رأيتُها متباينةً في تحصيلِ الغَرَض ..... فمن بَيْنِ مُطَوِّلٍ قدِ استَقْصى الطُرُقَ والروايات ، وبين مُخْتَصِرٍ قد أخَلّ بكثيرٍ ممّا هو آتٍ ..... والشرقيّ منهم قد أخلّ بذِكْرِ أخبارِ الغَرْبِ ، والغربيّ قد أهملَ أحوالَ الشرق .....

فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف كتاب جامع لأخبار ملوك الشرق .

والغربِ وما بَيْنَهما لِيكونَ تَذْكِرَةً لي أُراجعُه خوفَ النسيان ، وآتي فيه بالحوادثِ والكائناتِ من أولِ الزمان مُتَتَابِعَةً يتلو بعضُها بعضاً الى وقتِنا هذا .....

فابتدأت بالتاريخِ الكبيرِ الذي صنّفه الامامُ أبو جعفرٍ الطَبَريُّ ، إذ هُوَ الكتابُ المُعَوَّلُ عند الكافّة عليه والمرجوعُ عند الاختلافِ إليه . فأخذتُ ما فيه من جَميع تراجِمِه لم أُخِلَّ بترجمةٍ واحدةٍ منها . وقد ذَكَرَ هو في أكثرِ الحوادث رواياتٍ ذَوات عَددٍ كلُّ روايةٍ منها مِثْلُ التي قَبْلَها أو أقلُّ منها ؛ وربّما زادَ الشيءَ اليسيرَ أو نَقَصَه . فقَصَدت أتمَّ الرواياتِ فَنَقَلْتُها وأضَفْتُ إليها من غيرها ما ليس فيها وأوْدَعْتُ كلَّ شيءٍ مكانَه ، فجاء جميعُ ما في تلك الحادثةِ على اختلافِ طُرُقِها سِياقاً واحداً .

فلمّا فَرَغْتُ منه أخذتُ غيرَه من التواريخ المشهورة فطالَعْتُها وأضَفْتُ منها الى ما نقلتُه من تاريخ الطبريِّ ما ليس فيه ..... و (قد) ذكرتُ في كلِّ سَنَةٍ لكلِّ حادثةٍ كبيرةٍ مشهورةٍ ترجَمَةً تَخُصُّها . فأمّا الحوادثُ الصِغارُ التي لا يَحْتَمِلُ منها كلُّ شيءٍ ترجمةً فإنّني أفردتُ لجميعها ترجمةً واحدةً في آخرِ كلِّ سَنَةٍ ..... وذكرتُ في آخرِ كلِّ سَنَةٍ مَنْ تُوُفِّيَ فيها من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء .

ثمَّ إنَّ نَفَراً من إخواني وذَوي المعارفِ والفضائل من خُلاّني .... رَغِبوا إليَّ في أن يَسْمَعوه منّي لِيَرْوُوهُ عنّي ، فاعتذرتُ بالإعراض عنه وعَدَمِ الفَراغ منه .... وطالتِ المراجعةُ مُدّةً ، وهم للطلب ملازمون وعنِ الإعراض مُعْرِضون. وشرَعوا في سماعه قبلَ إتمامه وإصلاحه .....

فبينما الأمرُ كذلك إذ برَزَ أمرُ منْ طاعتُه فرضٌ واجبٌ واتّباعُ أمرِه حُكْمٌ لازبٌ(١) .... من أحيا المكارمَ وكانتْ أمواتاً ، وأعادَها خَلْقاً جديداً بعدَ أن كانت رُفاتاً(٢) .... المَلِكُ الرحيمُ المُظَفَّرُ بدرُ الدين رُكْنُ الإسلامِ والمسلمين مُحْيي العدلِ في العالمين(٣) . فحينَئِذٍ ..... جعَلتُ الفَراغ (منه) أهمَّ مطلبٍ ؛ وإذا

---

(١) لازب : لاصق ، ثابت ، لازم .
(٢) الرفات : الحطام (كل شي ء اذا تهرأ وتفتت) ، بقايا جثث الأموات :
(٣) هو أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الملقب بالملك الرحيم من بني زنكي ، ولد سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) . كان وزيراً للملك القاهر ناصر الدين محمود الذي تولى الموصل (٦١٦ - ٦٣١ هـ) ثم تولى الملك الرحيم نفسه حكم الموصل مدة طويلة من سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) الى سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م) . ولا ريب في أن الملك الرحيم استعجل ابن الأثير في اتمام كتابه حينما كان الملك الرحيم وزيراً .

أرادَ اللهُ أمراً هيّأ له السبَب. وشَرَعْتُ في إتمامه .... وقد سَمَّيْتُهُ اسماً يُناسب معناه ، وهو :الكامل في التاريخ.

ولقد رأيتُ جماعةً مِمّنْ يدّعي المعرفةَ والدِراية ويظُنُّ بنفسه التبحُّرَ في العلم والرِواية يحتقرُ التواريخَ ويَزْدَرِيها ويُعْرِضُ عنها ويُلْغيها، ظنّاً منه أنّ غايةَ فائدتِها انّما هو القِصَصُ والأخبار ، ونِهايةُ معرفتِها الأحاديثُ والأسمار[1] . وهذه حالُ مَنِ اقتصرَ على القِشْرِ دون اللُبّ نَظَرُهُ، وأصبحَ مخشلباً[2] جَوْهرُه . و (لكنْ) مَنْ رَزَقَهُ اللهُ طبعاً سليماً وهداه صِراطاً مستقيماً عَلِمَ أن فوائدَها كثيرةٌ ومنافعُها الدُنيويّة والأُخروية جَمّة غزيرة.......

٤ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة (جمعيّة المعارف) . القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٨٠ هـ الى ١٢٨٦ هـ (؟) .

اللباب في معرفة الانساب (فستنفلد) . غوتنجن ١٨٣٥ م ؛ = اللباب في تهذيب الانساب . القاهرة (مكتبة القدسيّ) ١٣٥٧ هـ .

الكامل في التاريـــخ (تحرير تورنبرغ) ، ليدن (بريل) ١٨٥١ـ ١٨٧١ م[3] ؛ بولاق ١٢٩٠هـ ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة (مطبعة حلبي ومصطفى) ١٣٠٣ هـ ؛ (صحّح أصوله عبد الوهّاب النجّار) ، القاهرة (المطبعة المنيرية) ١٣٤٨ ـ ١٣٥٧ هـ ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ م .

الدولة الأتابكية (مسلولة من « الكامل في التاريخ » . الموصل ؛ = التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (تحقيق عبد القادر أحمد طليمات) . القاهرة (دار الكتب الحديثة) ١٩٦٣ م.

« الحروب الصليبية » (مسلولةمن « الكامل في التاريخ) (باعتناء ديفريمري) . باريس ١٨٧٢م.

** ابن الأثير الجزريّ المؤرّخ ، تأليف عبد القادر أحمد طليمات (أعلام العرب ٨٣) ، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والنشر ـ فرع مصر ، ودار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٩ م .

طبقات الشافعيّة ٥ : ١٢٧ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٥ ـ ٣٦ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٩٣٧ ؛ العبر ٥ : ١٢٠ ـ ١٢١ ؛ بروكلمان ١ : ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ؛ الملحق ١ : ٥٨٧ ـ ٥٨٨ ؛ زيدان ٣ : ٨٧ ـ ٨٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٢٤ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٥٣ .

---

(١) الاسمار جمع سمر (بفتح ففتح) : الحديث في الليالي (للتسلي به) .

(٢) مشخلباً جوهره : مزيفاً لؤلؤه . والمشخلب كلمة عامية (من لهجة النبيط : الفلاحين الآراميين من أهل العراق) تطلق على نوع من الخرز يشبه اللؤلؤ.

(٣) أصدر تورنبرغ نفسه لهذه الطبعة فهرساً على الأحرف الهجائية في جزئين ، ليدن (ابريل) ١٨٧٤ ـ ١٨٧٦ م .

ابن عنين

١ ــ أصلُ قومه من الأنصار من أهلِ المدينة هاجروا الى الكوفة ثُم انتقلوا إلى حوران ثم نَزَحوا الى دِمَشْقَ .

وُلِدَ ابن عُنينٍ شَرَفُ الدين أبوالمحاسنِ محمدُ بنُ نَصْرِ بنِ الحُسينِ بنِ محمدِ ابنِ عليٍ بنِ محمدِ بن غالبٍ في دِمَشْقَ في التاسعِ من شَعبانَ ٥٤٩ هـ (٢٠/ ١٠/ ١١٥٤ م) . وسَمِعَ الأدبَ والنحو والفِقْه على نفرٍ منهم أبو الثناءِ الشَيْزَريّ وابنُ عساكرَ وقطبُ الدين النيسابوريُّ وكمال الدين الشَهْرَزوريّ .

وبدأ ابنُ عنينٍ قولَ الشعر باكراً (٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م) . في أيامِ الملكِ العادلِ نورِ الدين محمودِ بنِ زَنْكي . ولم يكنِ الملكُ العادلُ يُقَرِّبُ الشعراءَ فانصرفَ ابنُ عنينٍ إلى الهِجاء المُرِّ والنَقْد المؤلم يتناولُ بهما جميعَ الناسِ وأهلَ الدولة. ثمّ استولى صلاحُ الدينِ على دِمَشْقَ (٥٧٠ هـ) ــ ولم يكنْ أيضاً فارغاً للشعراء ــ فاستمرّ ابنُ عنينٍ في الهجاء والنقد فضَجِرَ منه أهلُ الدولة وأقنعوا صلاحَ الدين بإبعادِه عن دِمَشْقَ .

تَطوّفَ ابنُ عنينٍ في الشامِ والعراقِ والحِجاز واليمن والهند وما وراء النهر فلم يَلْقَ حَظْوةً عند أحدٍ إلاّ في الريّ عند فخرِ الدين الرازيّ (٦٠٦ هـ) فغَرَفَ من عِلمه ومن عَطاياه . ثم انتقلَ ابنُ عُنين من الريّ وجَعَلَ يتردّدُ بين الحِجاز ومِصْرَ للتجارة .

وعَمَدَ ابنُ عنينٍ الى استرضاء الأيوبيّين فمَدَحَ الملك العادِلَ (أخا صلاح الدين) . ثمّ دخل الشامَ وكان فيها الملكُ المعظّمُ عيسى بنُ الملكِ العادلِ فنالَ عندَه حَظوةً وأصبحَ شاعراً ونديماً له ووزيراً . وبَقِيَ ابنُ عنين وزيراً للملكِ العادلِ ثمّ لابنهِ الناصرِ (٦٢٤ ــ ٦٢٦ هـ) . وأخيراً اعتزلَ في بيتهِ ــ وكان قد بَلَغَ من الكِبَرِ عِتِيّاً ــ حتّى تُوُفِّيَ في العشرين من ربيعِ الأوّل سنة ٦٣٠ هـ (٤/ ١/ ١٢٣٣ م) في دِمَشْقَ .

٢ ــ ابنُ عنينٍ شاعرٌ مُقِلٌ بالاضافة إلى طول عُمُرِه . ومَعَ أن شِعرَه متفاوتٌ في الجودة فإنّ جَزالةَ الألفاظِ ومتانةَ التركيب تَغْلبانِ عليه ، ولكن ربما استعمل في مواقف هَزْلِه شيئاً من ألفاظِ العامة وتراكيبهم .

وأكثرُ قولِ ابنِ عنينٍ في الهجاء ثم المديحِ ، ورثاؤه قليلٌ جداً . وهُوَ فاحشُ الهجاء يتوثّبُ به على العامّة والخاصّة . وله أوصافٌ بارعةٌ وشيءٌ من الغزل والحكمة وكثيرٌ من الأغراض الوُجْدانيةِ تعْرِضُ له فيقولُ فيها رَوِيّةً أوبديهةً . وله في الألغاز والأحاجي باعٌ طويلة . وله من الكتب : التاريخ العزيزي (ترجمة الملك العزيز *) .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابنُ عنينٍ يمدحُ الملكَ العادلَ ويستأذنه في العَوْدة الى دِمَشْقَ :

ماذا على طَيْفِ الأحبّةِ لو سَرَى ، وعلَيْهِمُ لو سامحوني بالكَرى[١] ؟
جنَحوا الى قولِ الوُشاةِ وأعرَضوا ؛ واللهُ يعلَمُ أنّ ذلك مُفترى .
يا مُعْرِضاً عنّي بغيرِ جنايةٍ ، إلاّ لِمَا رَقّشَ الحَسودُ وزَوّرا[٢] ،
لا يُجْمَعَنَّ علَيَّ عَتْبُكَ والنّوى ؛ حسبُ المُحبِّ عُقوبةً أن يُهْجَرا .
فسقَى دِمَشْقَ وواديَيْها والحِمى متواصلُ الإرعادِ مُنْفَصِمُ العُرى[٣] .
ارضٌ إذا مرّت بها ريحُ الصَّبا حَمَلَت عنِ الأغصانِ مِسْكاً اذْفَرا[٤] ؛
فارقتُها لا عن رِضاً ، وهجرتُها لا عن قِلىً ، ورَحَلْتُ لا مُتَخَيِّرا[٥] ،
أسعى لرزقٍ في البِلادِ مُفَرّقٍ . ومن البَلِيّةِ أن يكونَ مُقتَّرا[٦] .
ولقد قطعتُ الارضَ طَوراً سالكاً نَجْداً ، وآوِنَةً أجِدُّ مُغَوِّرا[٧] ،
وأصونُ وجهَ مدائحي مُتَقَنِّعاً . وأكُفُّ ذَيْلَ مطامعي مُتَسَتِّرا .
قالوا ، وقد حاطَ النُّعاسُ جفونَهُمْ : «اينَ المُناخُ ؟» فقُلْتُ : «جِدّوا في السُّرى» ؛[٨]
لا تَسأموا الإدْلاج حتى تُدْرِكوا بِيضَ الأيادي والجَناب الأخْضَرا[٩]
في ظلِّ ميمونِ النقيبةِ طاهرِ الـ أعْراقِ منصورِ اللواءِ مُظَفَّرا[١٠] :

* عماد الدين أبو الفتح عثمان (ابن صلاح الدين الأيوبي) سلطان مصر (٥٨٩ ــ ٥٩٥ ه) .
(١) سرى : سار ليلا . طيف الكرى (النوم) : الخيال يرى في النوم .
(٢) رقش : نقش ، لون بألوان مختلفة (كذب في القول) .
(٣) متواصل الارعاد : غيم كثير الرعد . منفصم (محلول) العرى (الرباط) ، كناية عن كثرة المطر .
(٤) أذفر : شديد الرائحة (الطيبة أو المنتنة) . المسك الاذفر : المسك الجيد جداً .
(٦) مقتر : قليل .
(٧) النجد : الارض المرتفعة. الغور : الارض المنخفضة . جد : أسرع في السير .
(٨ و ٩) المناخ : النزول ، انتهاء السفر . السرى والادلاج : السفر ليلا .
(١٠) ميمون (مبارك) النقيبة (النفس والعقل والطبيعة) . الاعراق : الاصول . ــ كريم النفس وكريم الأصل .

العادلِ المَلِكِ الذي أسماؤه في كُلِّ ناحيةٍ تُشَرِّفُ مِنْبرا[١] .
بينَ الملوكِ الغابرين وبينَه ، في الفضلِ ، ما بين الثُريّا والثّرى[٢] .
لا تَسْمَعَنَّ حديثَ مَلْكٍ غيرِه ، يُرْوى؛ فكُلُّ الصيدِ في جَوْفِ الفَرا[٣] .
نَسَخَتْ خَلائقُهُ الكريمةُ ما أتى في الكُتْبِ عن كِسْرى الملوك وقيصرا[٤] ؛
مَلِكٌ اذا خَفَّتْ حُلومُ ذوي النُهى في الرَوْعِ ، زاد رَزانةً وتَوقّرا[٥] .
يعفو عن الذنبِ العظيمِ تَكَرُّماً ، ويَصُدُّ عن قولِ الخَنا متكبّرا .
ولـه البنونَ بكلِّ أرضٍ منهم مَلِكٌ يقودُ الى الأعادي عسكرا ،
من كلِّ وضّاحِ الجبينِ تَخالُهُ بَدْراً ، فإن شَهِدَ الوَغى فغَضَنفَرا ! [٦]

— سيطر الصليبيّون حيناً على شماليّ مصر ثمّ تصدّى لهم الملك الكامل (ابن الملك العادل أخي صلاح الدين) و هزمهم . فقال ابن عنين قصيدة منها :

سَلُوا صَهَواتِ الخيلِ يومَ الوغى عنّا — إذا جُهِلَتْ آياتُنا — والقَنا اللُدْنا[٧] ،
غَداةَ لَقينا دونَ دُمياطَ جَحْفَلاً من الروم لا يُحْصى يَقيناً ولا ظنّا[٨] ؛
قد اتّفقوا رأياً وعَزْماً وهِمّةً ودِيناً ، وانْ كانوا قد اختلفوا لِسْنا[٩] .
وأطْمَعَهُمْ فينا غُرورٌ فأرْقَلوا إلينا سِراعاً بالجِياد وأرْقَلْنا[١٠] .

---

(١) أسماؤه في كل ناحية تشرف منبراً : تتلى على المنابر (يدعى له) في البلاد الكثيرة التي يحكمها .

(٢) الثريا : مجموع نجوم . الثرى : التراب ، الارض . ما بين الثريا والثرى : فرق عظيم .

(٣) الفرا : حمار الوحش . كل الصيد في جوف الفرا : مثل معناه حمار الوحش أفضل من كل طريدة يصيدها الانسان (لكبره وجودة لحمه) .

(٤) – كسرى : ملك الفرس . قيصر : ملك الروم . نسخت أخلاقه ما جاء عن ملوك الفرس والروم : أبطلته ، انست الناس الاعمال المجيدة التي قام بها ملوك الروم والفرس .

(٥) في الروع : يوم الخوف (الحرب) .

(٦) الوغى : الحرب . الغضنفر : الاسد .

(٧) اسألوا صهوات (ظهور) الخيل يوم الوغى (الحرب) عنا (عن شجاعتنا وانتصارنا) وأسألوا أيضاً القنا (الرماح) اللدن (اللينة : التي تنحني ولا تنكسر ، كناية عن جودتها) اذا جهلم آياتنا (أعمالنا المجيدة) .

(٨) الجحفل (الجيش العظم) من الروم (الافرنج الصليبيين – وكان العرب في العصور الوسطى يطلقون لفظ الروم على النصارى عامة) . لا يحصى يقينا (بالتدقيق) ولا ظنا (بالتقدير والتخمين) ، أي بجيش كبير جداً .

(٩) اللسن (بكسر اللام وسكون السين) : اللغة .   (١٠) أرقل : أسرع .

فما بَرِحَتْ سُمْرُ الرماحِ تَنُوشُهُـــمْ بأطرافِهـــا حتّى استجاروا بِنا مِنّا[1].
سَقَيْناهُمُ كأساً نَفَتْ عنهُمُ الكَرى؛ وكيفَ ينامُ الليلَ من فَقَدَ الأمنا![2]
لقد صَبَروا صَبْراً جميلاً ودافعـــوا طويلاً؛ فما أجْدى دِفاعٌ ولا أغْنى[3].
لَقُوا الموتَ من زُرْقِ الأسِنّةِ أحمراً فألْقَوْا بأيْدِيهِمْ إلَيْنا فأحْسَنّا[4].
وما بَرِحَ الإحسانُ منّـــا سَجِيّةً تَوارَثَها عن صِيدِ آبائِنا الأبنـــا[5].
مَنَحْنـــا بقاياهُمْ حيـــاةً جديـــدةً فعاشوا بأعنـــاقٍ مُقَلّدَةً مَنّا[6].
ولو مَلَكوا لم يأتَلوا في دِمـــائنـــا وُلوغاً، ولكنّا مَلَكنا فأسْجَحْنا[7].
فكم من مليكٍ قد شَدَدْنا إسارَهُ، وكم من أسيرٍ من شقا الأسر أطْلَقْنا[8].
أسودُ وغىً، لولا قِـــراعُ سيوفِنـــا لما رَحِبوا قيداً ولا سَكنوا سِجْنا[9].

٤ — ديوان ابن عنين (نشره خليل مردم)، دمشق (منشورات المجمع العلمي العربي) ١٩٤٦ م.

** شاعر دمشق محمد ابن عنين، تأليف محمّد ياسين الحموي، دمشق (دار اليقظة العربية) ١٩٥٢ (؟) الوافي بالوفيات ٥ : ١٢٢ — ١٢٧ ؛ معجم الادباء ١٩ : ٨١ — ٩٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٠٥ — ٤٠٨ ؛ طبقات الاطبّاء ٢ : ٢٣ — ٢٥ ؛ العبر ٥ : ١٢٢—١٢٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٤٠ — ٩٤٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٧ — ٣٨٨ . الملحق ١ : ٥٥١؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٦٢ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٣٤٨ .

---

(١) تنوشهم : تتناولهم وتأخذهم (تطعنهم) .

(٢) سقيناهم كأساً (أنزلنا بهم الموت والقتل) . نفت عنهم الكرى (أبعدت عنهم النوم ، أطارت نومهم) .

(٣) أجدى : أغنى (فعل ماض) : نفع ، أفاد .

(٤) لقوا منا الموت الأحمر (الشديد) من زرق الاسنة (السنان : الحديدة الجارحة في رأس الرمح ، ولونها قريب من اللون الأزرق) . فألقوا بأيديهم الينا . استأسروا لنا : استسلموا (قبلوا ان يكونوا أسرى في أيدينا) فأحسنا (معاملتهم) .

(٥) ما برح (ما زال) . سجية : طبيعة ، عادة . الأصيد : الملك ذو القوة . الأبنا=الأبناء .

(٦) منحنا (أعطينا) بقاياهم (الذين لم يموتوا منهم في المعركة) . فعاشوا بأعناق مقلدة (مطوقة ، فيها قلادة أو طوق) منا (بفتح الميم) منة (بكسر الميم) فضلا او تفضلا . — عاشوا بقية حياتهم يعترفون بجميلنا وفضلنا عليهم .

(٧) لو ملكوا (لو ملكونا ، لو انهم هم أسرونا أو حكموا فينا) لم يأتلوا (لم يقصروا) في دمائنا ولوغاً (ولغ الكلب في الدم : شرب منه) : لم يرحمونا فقتلونا قتلا شديداً مهيناً . « ملكنا فأسجحنا » مثل لفظه : « ملكت فأسجح » (بفتح الهمزة وكسر الجيم) .... عامل بالرفق والاحسان .

(٨) أسرنا منهم أسرى كثيرين وأنقذنا كثيرين منا كانوا أسرى في أيديهم .

(٩) هم أقوياء وشجعان ، ولولا قراعنا نحن بالسيوف (لولا حسن قتالنا وشدته) لما أستطاع أحد غيرنا أن يأسرهم أو يتغلب عليهم .

بهاء الدين بن شداد

١ — هو بهاءُ الدينِ أبو العزِّ يوسفُ بنُ رافعِ بنِ تميمِ بنِ عُتْبَةَ بنِ محمّدِ بنِ عتّابِ الأسديُّ المعروفُ بابنِ شَدّاد. وكان بهاءُ الدين لا يزالُ صغيراً لمّا تُوُفِّيَ أبوه فنشأ عند أخوالِه بني شدّادٍ فانتسَبَ إليهم فعُرِفَ بابنِ شدّاد. ثمّ انه غيّرَ كُنْيَتَهُ أبا العزِّ فجعلَها أبا المحاسن.

وُلِدَ بهاءُ الدينِ بنُ شدّادٍ في المَوْصِلِ في عاشرِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٣٩ (٦-٣-١١٤٥ م).

في سَنَةِ ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) جاء الى المَوصِلِ أبو بكرٍ يحيى بن سَعْدونِ القُرْطِبي (ت ٥٦٧ هـ) فلازمَهُ ابنُ شدّاد منذُ نزولِه في الموصلِ الى حينِ وفاتهِ وقرأ عليه كثيراً من العلوم: قرأ عليه القرآنَ الكريمَ بالقراءات السَّبْعِ وبالتفسيرِ وروَى عنه مُعْظَمَ كُتُبِ الحديثِ ومعظم كتبِ الأدب وكثيراً من كتب اللغة؛ وأخذ الفِقْهَ عن أبي البركات بن الشيرجي (ت ٥٧٤ هـ) والحديثَ عن مجدِ الدين الطوسي (ت ٥٧٨ هـ) والخِلاف بين المذاهب الفِقْهيّة عن الضياء بن أبي حازم. وسمع الحديثَ أيضاً عن فخر الدينِ أبي الرضا سعيدِ بن عبدِ الله بن القاسم الشهرزوريّ..

وبعد أن تأهّلَ ابنُ شدّادٍ للتدريس جاء الى بغدادَ (٥٦٥هـ) فرُتِّبَ مُعيداً في المدرسة النظامية. ولكن لمّا أنشأ القاضي كمالُ الدين أبو الفضل محمّدُ بنُ الشهرزوريّ مدرسةً في الموصل عادَ ابن شدّادٍ الى الموصل وتصدّر للتدريس فيها.

وفي سنة ٥٨٣هـ (١١٨٨ م) حجّ ابنُ شدّاد. ثم لمّا عاد من الحجّ اتّصل بالسلطان صلاحِ الدين الأيّوبيّ فعيّنه صلاحُ الدين قاضياً في عسكرهِ وقاضياً في بيت المقدس. وقد ظلّتْ لابن شدّاد حَظوةٌ عند صلاح الدين وعند أولاده مدّة طويلة. وفي سنة ٥٩١ هـ استقدمَ الملكُ الظاهرُ ابنُ صلاحِ الدين بهاءَ الدينِ ابنَ شدّادٍ الى حَلَبَ وعيّنه قاضياً فيها. وكانت حَلَبُ في ذلك الحين قليلةَ المدارس، كما كانَ العلماء فيها قليلين، فأنشأ ابن شدّادٍ فيها مدرسةً وداراً للحديث فكثُر وُرودُ الفقهاء الى حلب.

وكانتْ وفاةُ بهاء الدينِ بن شدّادٍ في حَلَبَ في رابعِ عَشَرَ صَفَرَ سَنَةَ ٦٣٢ (٧-١١-١٢٣٤ م).

٢ — برع بهاءُ الدين بنُ شدّادٍ في قراءاتِ القرآنِ الكريمِ وتفسيرهِ وفي الحديثِ

والفقه خاصةً وكان ثقةً فيها . ولابن شدّاد تصانيفُ منها : النوادرُ السلطانية والمحاسن اليوسفية (في سيرة صلاح الدين الأيوبي ، اعتمد فيه في الاكثر على سيرة صلاح الدين ليحيى بن أبي طيّء حميد بن ظاهر بن عليّ الحلبي الغسّاني المتوفّى سنة ٦٣٠ ﻫ) — سيرة الملك الظاهر بيبرس — تاريخ حلب — دلائل الأحكام — كتاب في الأقضية سمّاه : ملجأ الحكّام عند التباس الأحكام — الموجز الباهر في الفقه — كتاب في الحديث — كتاب فضل الجهاد (جمعه للسلطان صلاح الدين الأيوبي) — كتاب العصا .

٣ — مختارات من آثـــاره

— من كتاب « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » .

ذكر شجاعته (شجاعة صلاح الدين الايّوبيّ) :

« وكان — رَحِمَهُ اللهُ — إذا اشتدّت الحربُ يطوفُ بين الصفّين ومعه صَبِيٌّ واحدٌ على يده جنيب(١) ويَخْرُقُ العسكرَ من المَيْمَنَةِ الى الميسرة ويرتّبُ الأطلابَ(٢) ويأمُرُهُمْ بالتقدّم والوقوف في مواضعَ يراها. وكانَ يُشارف العدوّ ويُجاوره(٣) ، رَحِمَهُ اللهُ . ولقد قُرِئَ عليه جُزءانِ من الحديثِ بين الصفّين ، وذلك أنّي قُلتُ له : قد سُمِعَ الحديثُ في جميع المواطن الشريفة، ولم يُنْقَلْ أنّه سُمِعَ بين الصفّين(٤) . فإنْ رأى المولى أن يُؤثَرَ عنه ذلك كان حَسَناً . فأذِنَ في ذلك ، فأحْضَرَ جُزءَه كما أحْضَرَ مَنْ له به سَماعٌ ، فقرأ عليه ونَحْنُ على ظُهورِ الدوابِّ بينَ الصفّين نمشي تارةً ونَقِفُ أُخرى .

وما رأيتُه استَكْثَرَ العدوَّ أصلاً ولا استعظمَ أمْرَهُمْ قطُّ . وكان مَعَ ذلك في حالِ الفكرِ والتدبير تُذْكَرُ بين يَدَيْه الأقسامُ كلُّها ويُرتّبُ على كلِّ قِسْمٍ بمُقتضاه من غيرِ حِدّةٍ ولا غَضَبٍ يَعْتَريه . ولقد انهزمَ المسلمون في يوم المَصافِّ الأكبر بمَرْجِ عكّا حتّى القلبُ ورجالُه ، ووَقَعَ الكوس والعلم(٥) ، وَهُوَ — رَضِيَ اللهُ عنه — ثابتُ القدم في نَفَرٍ يسير حتّى انحازَ الى الجبلِ يَجْمَعُ الناس ويَرُدُّهم

(١) جنيب : يركب (الصبي) حصاناً الى جانبه . في طبعة محمد محمود صبح (ص ٤١) جنيب (مفسرة في الحاشية رقم ٣ : أي تمر) . وفي تاج العروس (١ : ١٩٢ ، السطر ٢٤) : تمر (تمر النخل) جيد ن.

(٢) الطلب (بكسر الطاء) : الذي يطلب شيئاً ويرغب فيه ...

(٣) يشارف العدو (يقف على مرتفع ينظر اليه منه) ويجاوره (يتقدم سائراً في محاذاته) .

(٤) بين الصفين : بين الجيشين (في الحرب) .

(٥) المصاف : مكان الصف . المصاف الأكبر : ترتيب المعركة الكبرى . القلب : القسم الاوسط (والأكبر) من الجيش . الكوس (بضم الكاف) : الطبل . وكانت تلك الموقعة سنة ٥٨٥ ﻫ .

ويُخَجِّلهم حتّى يَرْجعوا . ولم يَزَلْ كذلك حتّى نُصِرَ عسكَرُ المسلمين على العَدُوِّ في ذلك اليوم وقُتِلَ منهم زُهاءُ سبعة آلاف ما بين راجلٍ وفارسٍ . ولم يَزَلْ – رحمه الله – مُصابراً لهم وهم في العُدّة الوافرة الى أن ظَهَرَ له ضَعْفُ المسلمين فصالحَ وَهُوَ مسئولٌ من جانبِهم[1] ، فانّ الضَعْفَ والهلاكَ كان فيهم (في الإفرنج) أكثرَ ، ولكنّهم كانوا يَتَوَقَّعون النَجْدة ولا نَتَوقّعها . وكانت المصْلَحةُ في الصُلْح ، وظَهَرَ ذلك لمّا أبْدَت الأقضيةُ الالهية والأقدار ما في مكْنوناتِها[2] . وكان – رحمه الله – يمرَضُ ويَصِحّ وتَعْتَريه أحوالٌ مَهولةٌ ، وهو مُصابِرٌ ومرابطٌ ؛ وتتراءى النـارانِ[3] ونسمَعُ منهم صوتَ الناقوس ويسمعون منّا صوتَ الأذانِ إلى أنِ انقضتِ الوَقْعة على أحسنِ حالٍ وأيسرِه .

٤ – النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (تحرير شولتنس) ، ليدن ١٨٣٢ ، ١٨٧٥ م ؛ = سيرة صلاح الدين الأيوبي (باعتناء شركة طبع الكتب العربية) مصر (مطبعة المؤيّـد) ١٣١٧ هـ ؛ (تحرير جمال الدين الشيال) ، القاهرة (١٩٦٤ م) ؛ صححه وحقّقه محمّد محمود صبح) ؛ القاهرة (دار الكتاب العربي) بلا تاريخ .

* * وفيات الأعيان ٣ : ٤٢٨ – ٤٤١ ؛ العبر ٥ : ١٣٢ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٥٨ –١٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٦؛ الملحق ١ : ٥٤٩ – ٥٥٠ ؛ زيدان ٣ : ٦٨ – ٦٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٣٣ –٩٣٤ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٣٠٦ .

عُمَرُ بنُ الفارِض

١ – ولد عُمَرُ بنُ الفارضِ في القاهرة في رابع ذي القَعدة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) في أُسرة غير فقيرة . وبدأ حياتَه الصوفية بالاعتكاف والتعبّد في جبل المُقَطّم ، شَرْقَ القاهرة ؛ وكان كثيرَ العبادة يصوم الأيامَ الطوالَ . ثم اتفقتْ له رحْلةٌ إلى الحجاز حيث مكثَ نحو خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً . فلما عادَ الى القاهرة ازدادَ مكانةً عند العامة والخاصة ، فكان إذا مشى في المدينة ازدحمَ الناسُ عليه يلتمسون منه البركة والدعاء .

---

(١) وهو مسؤول من جانبهم : مسؤول عنهم وعن سلامتهم .

(٢) أبدت الاقدار ما في مكنوناتها : ما هو محجوب عن علم البشر (ظهر صواب ما فعل صلاح الدين).

(٣) صابر : حاول أن يصبر أكثر من خصمه . رابط : أقام في المكان الذي يخشى منه قدوم العدو . تتراءى الناران : تقترب نار الخصم من نار خصمه (في الحرب كان يشعل الجيش ناراً في مقدمة المعسكر).

ومن صفاته انه كان معتدلَ القامة ، وَجْهُهُ جميلٌ حَسَنٌ مُشْرَبٌ بِحُمْرة ظاهرة . وكان اذا تواجد وغلبتْ عليه الحالُ ازدادَ جمالاً ونوراً وتَحَدَّر العَرَق من جسده . وتوفي ابن الفارض بالقاهرة في ثـاني جمادى الاولى من سنة ٦٣٢ هـ (٢٣ / ١٢ / ١٢٣٥ م) .

٢ — كان ابن الفارض في غالبِ أوقاتِه دَهِشاً شاخصَ البصر لا يسمَعُ من يكلِّمُه ولا يراه . وقد يكونُ — وهو على هذه الحال — واقفاً أو قاعداً او مضطجعاً او مستلقياً كالميْت لا يأكُلُ ولا يشرَبُ ولا يتكلَّم ولا يتحرَّك . وربما مرَّ عليه في هذه الحال أيامٌ ، قيل كانتْ تبلُغُ اربعينَ يوماً احياناً . وبَقِيَ مرة واحدة خمسين يوماً صائماً .

اما الشعر فكان يَنْظِمُه في اثناء تلك الغَيْبات : يُفيق في اثناءِ غَيْبتِه مرةً بعدَ مرةٍ فيُمْلي ثلاثينَ بيتاً او اربعين او خمسين مرةً واحدة .

ديوانُ ابنِ الفارضِ صغيرُ الحجمِ ومقصورٌ على الشعْر الصوفي : في الحبِّ والخَمْر . وفيه مُعْظَمُ تعابيرِ الصوفيةِ ، وخصوصاً في التائيةِ الكُبْرى التي تبلُغُ سَبْعَمِائةٍ وستينَ بيتاً . وابن الفارض هو الشاعرُ الصوفي الثاني بعدَ جلالِ الدين الروميّ (ت ٦٧٢ هـ) .

ومَعَ أن شعرَ ابنِ الفارضِ ينوء بضَعْفٍ كثيرٍ من التكْرار والغُموض والتَخَلْخُل ، ومن الإسرافِ في الصناعة المعنوية والصناعة اللفظية ، فإنه شعرٌ عَذْبٌ أنيقٌ في أكثرِ الأحيان . والرَمْز فيه غايةٌ في البراعة وحُسْن الإشارة .

وتدورُ أغراضُ ابنِ الفارض على الحُبّ الإلهي الذي يقوم على الاتّحاد ، أي الاعتقادِ بأنّ جميعَ مظاهرِ الوجودِ متساويةٌ في الشرفِ والقيمة لأنها في الحقيقة تمثِّلُ جوانبَ من الالوهية : إن البحرَ والجبلَ والإنسان والطير والمَسْجِدَ والكنيسة وبيتَ الأصنامِ والنارَ كلَّها تمثّلُ الالوهيةَ في جانبٍ دون جانبٍ . فشاربُ الخمرِ في الحانةِ والمتعبّد في بيت عبادتهِ يفعلانِ فعلاً واحداً يمثّلُ حقيقةً واحدةً في مظهرينِ مختلفين .

واللهُ يتبدّى لكلِّ مُحِبٍّ في محبوبه : فان مجنونَ ليلى قد أحبَّ اللهَ في صورة ليلى ، كما أن ليلى قد أحبّتِ اللهَ في صورةِ قيسٍ . وبما أن قيساً لم يُحِبَّ الا اللهَ لمّا أحبَّ ليلى ، وكما أن ليلى لم تُحِبَّ إلاَ اللهَ لما أحبّتْ قيساً ، فإن قيساً قد أحبَّ في الحقيقة نفسَه .....

لديوان ابنِ الفارضِ شرحان مشهورانِ : شَرْحٌ لبدر الدينِ الحسنِ بنِ محمدٍ الدِ مَشْقِيِّ الصَّفّوريّ المشهورِ بالبُورينيّ (ت ١٠٢٤ هـ = ١٦١٥ م) يقومُ على اللغة والنحو والبلاغة ، ثم يتخطّى إلى المعاني الصوفية . والبوريني لم يَشْرحِ التائية الكُبرى . وقد كان البوريني نفسُه صوفياً معتدلاً .

ثم هنالك شرحٌ للشيخ عبد الغنيّ النابلسي (ت دمشق ١١٤٣ هـ) : علّق النابلسيّ على شرح البوريني ثم أكّدَ المعانيَ الصوفيةَ وأوْغلَ في التفسيرِ والتأويلِ . ولا غروَ فلقد كان النابلسي متصوّفاً مستغرِقاً .

٣ — مختارات من شعره

— سائق الأظعان .... : قصيدة غزلية ذات معان صوفية معتدلة ، وهي مبنية على التغزّل بالحجاز وأهله ، منها :

سائقَ الاظعانِ — يَطوي البِيدَ طَيْ — مُنعِماً عَرّجْ على كُثبان طَيْ .
وَضَعَ الآسي بصَدْري كَفّه ، قال : ما لي حيلةٌ في ذا الهُوَيّ[1] !
أوْعِدوني ، أو عِدوني ، وامْطُلوا ؛ حُكْمُ دِينِ الحبّ دَيْنُ الحبّ لَيْ[2]
بل أسيئوا في الهوى أو أحسنوا ؛ كلّ شيءٍ حسنٌ منكم لَديّ.
لم يَرُقْ لي منزلٌ بعد النَّقا ، لا ولا مستحسَنٌ مِنْ بعدِ مَيْ .
ما رأتْ مثلَكِ عيني حسناً ، وكمِثْلي بِكِ صَبّاً لم تَرَيْ .
نَسَبٌ اقربُ في شَرْعِ الهوى ، بيننا من نسبٍ من أبَوَيْ .
ليتَ شِعري هل كَفى ما قد جَرى ، مُذْ جرى ما قد كفى من مُقلَتَيّ ؟

— هو الحب .... : قصيدة غزلية فيها إيغال وشيء من الوصول ومبدأ الاتّحاد ، منها :

هو الحبّ ، فاسلَمْ بالحشا ، ما الهوى سَهْلُ فما اختارَه مُضنًى بِه وله عَقْلُ[3] ؛
وعِشْ خالياً ، فالحُبّ راحتُه عناً ، واوّلُه سُقْمٌ وآخِرُه قتلُ .

(١) الآسي : الطبيب . الهوي : المحب الصغير .
(٢) اوعدوني : فعل امر من أوعد : هدد . عدوني : فعل امر من وعد . الدين : العادة . من عادة الحب ان يحكم بان ديون الحب تمطل ولا يوفى بها .
(٣) المضنى : المريض الذي ينتكس مرة بعد مرة.

نصحتُك علماً بالهوى ، والذي ارى مخالفتي ؛ فاخترْ لنفسِكَ ما يحلو[1] .
أحِبّايَ انتمْ ، أحسَنَ الدهرُ امْ اسا ، فكونوا كما شئْتُمْ انــا ذاكَ الخِلّ .
وتعذيبُكُم عذبٌ لــديّ وجَورُكم عليّ ، بما يقضي الهــوى لكمُ ، عدل .
اخذتم فؤادي وهو بَعْضي ، فما الذي يَضُرّكُمُ لو كان عندكُمُ الكُلّ ؟
اذا انْعَمَتْ نُعْمٌ عــليّ بنظــرةٍ فلا أسعدتْ سُعدي ولا اجْملتْ جُمل[2] .

– الفائية : قلبي يحدثني : قصيدة غزلية ظاهرها بعيد جداً عن المعاني الصوفية قريب من الغزل المادي الصريح :

قلــبي يُحدّثني بـــأنّك مُتلفي . روحي فِداكَ ، عرَفت ام لم تعْرِفِ .
يا اهلَ وُدّي – انتمُ أمَلي ، ومَنْ ناداكُمُ : يا اهلَ وُدّي ، قد كُفي –
عودوا لمـــا كُنتم عليه من الوفــا قِدْماً ، فإني ذلك الخُــلّ الوفي .
وحياتِكم وحياتِكم قَسَماً ، وفي عُمري بغيرِ حياتِكم لم أحْلِفِ ،
لو أن روحي في يدي ووَهَبْتُها لِمُبشّري بقدومِكُمْ لم أُنْصف .
لا تحسَبوني في الهوى مُتصنّعــاً ؛ كَلَفي بِكم خُلقٌ بغير تكلّف[3] .
ولقد أقولُ لِمَنْ تحرّشَ بالهــوى : عرّضتَ نفسَك للبَلا فاسْتَهْدِف[4] ؛
انت القتيلُ بأيّ مــن احبَبْتَه ، فاخترْ لِنفسِك في الهوى مَنْ تصطفي[5] .
قل للعَذول : « أطلتَ لومِيَ طامعاً ؛ ليس المَلام عــنِ الهوى مستوقفي .
دَعْ عنك تعنيفي وذُقْ طعمَ الهــوى ، فإذا عَشِقْتَ فبعــدَ ذلك عَنِّف » .
برِحَ الخفاءُ بحبّ من لو في الدُجى سَفَرَ اللِثامَ لقُلتُ : يا بدرُ ، اختف[6] !
وإنِ اكتفى غيري بطَيْفِ خيالــهِ فأنا الذي بوِصالــه لا أكتفــي .
وهواهُ – وهو أليّتي ، وكفى بــه قسماً أكادُ أُجِلّــه كالمُصْحَف[7] –

(١) نصحتك (بان تمتنع عن الحب) ، وارى لك (ان تحب) ، فاختر من هذين ما تشاء .
(٢) اذا اولتني نعم (كناية عن الالوهية) نظرة واحدة فلا ابالي بعدها بسعدى ولا بجمل (كناية عن النساء) ولا بغيرها .
(٣) الكلف : الحب الشديد .
(٤) استهدف (فعل امر) : استعد بان تجعل نفسك هدفاً للبلاء .
(٥) ان كل من تحبه سيكون حبه سبباً في قتلك ، فاحبب من يستحق ان تكون قتيل حبه .
(٦) سفر : كشف . (٧) الألية : اليمين ، القسم .

لوْ قال تِيهاً : «قِفْ على جمر الغَضَى » لوَقَفْتُ مُمْتثِلاً ولم أتَوَقّف [١] ،
او كان مَنْ يرضى بخدّيَ مَوْطِئاً لوضَعْتُه أرْضاً ولم استَنْكِف .

— وأهمّ قصائد عمر بن الفارض وأشهرها عند الباحثين في التصوّف « التائية الكبرى »[٢] . وقد جمعت كثيراً من معاني التصوف وألفاظه حتّى قيل إنّ محيي الدين ابن عربي (انظر ، تحت . ص **٥٤٢**) كتب الى عمر بن الفارض يقول : « ابعث لي بشرح للتائية الكبرى » . فردّ عليه ابن الفارض قائلاً : « لقد شرحتها أنت في كتابك : الفتوحات المكيّة[٣] » .

لقد تركتُ الأبيات المختارة من التائية الكبرى بلا شرح إلاّ قليلاً لأنّ الالفاظ اللغويّة فيها فصيحة والتراكيبَ النحوية سهلة، ولكنّ المعاني الصوفية عميقة معقّدة ؛ وقلّما يفيد شرحُها اللغوي والبياني توضيحاً لمداركها الصوفية . من هذه القصيدة[٤] :

سقتني حُميّا الحبّ راحةُ مُقلتي ، وكأسي مُحيّا من عن الحبّ جلّتِ [٥] .
فأوهمت صَحبي أن شُرب شرابهم به سرّ سرّي في انتشائي بنظرة .
فلو قيل: من تهوى؟ وصرّحت باسمها، لقالوا: « كنى أو مسّه طَيف جِنّة »[٦] .
أغار عليها أن أهيم بحبّها ، وأعرف مقداري فأنكر غيرتي .
أمت إمامي في الحقيقة . فالورى ورائي ؛ وكانت حيث وجّهت وجهتي .
ولا غروَ أن صلّى الامام إليّ أن ثوت في فؤادي وهي قِبلة قِبلتي [٧] .
لها صلواتي في المقام أقيمها ، وأشهد فيها أنّها لِيَ صلّت[٨] .

---

(١) الغضى : نوع من الشجر تكون ناره شديدة جداً .
(٢) تسمى هذه القصيدة أيضاً « نظم السلوك » (الطريق التي يسلكها الصوفي في حياته الروحية) : وسميت « التائية الكبرى » لأنها تتألف من سبعمائة وستين بيتاً ، تمييزاً لها من التائية الصغرى (وهي مائة وأربعة أبيات) .
(٣) الفتوحات المكية كتاب لمحيي الدين بن عربي في أربعة أجزاء جمع فيه ابن عربي علوم الصوفية ، أو علوم الدين كلها معالجة من ناحيتها الصوفية على الأصح ؛ وفيه شيء كثير من حوادث حياته .
(٤) يحسن أن نعلم أن ابن الفارض يقصد العزة الالهية (الله تعالى) اذا هو ذكر امرأة على جهة التغزل . أما الكلام على الخمر فرمز عن المعرفة الالهية (الواقعة في قلب الانسان من غير طريق الحواس أو طريق العقل ، بل من طريق الإلهام) . وابن الفارض يرى أن جميع مظاهر الوجود جوانب من الألوهية .
(٥) الحميا : فعل الخمر في النفوس والابدان . محيا : وجه .
(٦) كنى يكني : عبر عن شيء بغير اسمه المألوف . الجنة (بكسر الجيم) : الجنون .
(٧) ثوى : استقر .
(٨) المقام : مقام ابراهيم بجانب الكعبة . فيها = في صلاتي .

كلانا مُصَلٍّ واحدٌ ساجدٌ الى حقيقته بالجمع في كلِّ سجدة.
وما كان لي صلّى سواي ، ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كلِّ ركعة.
وانّي التي أحببتها لا مَحالة ، وكانت لها نفسي عليَّ مُحيلتي .
بها قيس لُبني هام ، بل كلّ عاشق : كمجنون ليلى أو كُثيِّر عزّة
وما ذلك الا أن بدت بمظاهر ، فظنّوا سواها وهي فيها تجلّت.
ففي مرّة لُبنى ، وأخرى بثينة ، وآونة تدعى بعزّة عزّت !
كذاك بحكم الاتّحاد بحسنها ، كمالي بدت في غيرها وتزيّت [1].
بدوت لها في كلّ صبّ متيّم بأيّ بديع حسنُه وبأيّة :
ففي مرّة قيساً ، وأخرى كثيّراً ، وآونة أبدو جميل بثينة .
وما زلت ايّاها ، وايّاي لن تزل ؛ ولا فرق ، بل ذاتي لذاتي أحبّت .

٤ — ديوان ابن الفارض [٢] (طبع حجر) : حلب ١٢٥٧ هـ ؛ بيروت (مطبعة ابراهيم النجار) ١٢٦٧ هـ (١٨٥١ م) ؛ ١٨٨٢ ، ١٨٨٧ م ؛ مصر (طبع حجر) ١٢٧٥ هـ ؛ ثمّ بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٩١ ، ١٨٩٤ ، ١٨٩٨ ، ١٩٠٤ م ؛ القاهرة ١٢٨٠ ، ١٢٠٠ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمد ابي زيد) ١٣٠١ هـ ؛ ١٣٠٣ هـ .

شروح لديوان عمر بن الفارض : ديوان (ابن) الفارض (لجامعه رُشيد غالب الدحداح من شرحي البوريني والنابلسي) ، مرسليا (مطبعة أرنود) ١٨٥٣ م ؛ = القاهرة (المطبعة المصرية) ١٢٨٩ ، ١٣٠٦ هـ ؛ (على نفقة محمّد السيوفي) ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ ؛ ١٣١٩ — ١٣٢٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣٢٩ هـ ؛ (بشرح حسن البوريني) ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٩ ، ١٣١٣هـ ؛ بولاق ١٢٨٩ هـ ؛ جلاء = الغامض من شرح ديوان ابن الفارض (اختصر تفسيره أمين الخوري من شرح البوريني) ، بيروت (مكتبة الجامعة) الطبعة الاولى ١٨٨٦ ، الطبعة الثانية ١٨٨٨ م ؛ المدد الفائض في شرح ديوان الشاعر عمر بن الفارض (للحسن بن علي نور الدين بن الفارض) ، القاهرة ١٣١٩ هـ ؛ ايضاح الغامض في تفسير ديوان ابن الفارض (بقلم ابراهيم سليم صادر) ، بيروت (مطبعة صادر) ؛ بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٥٧ م .

التائية (تحرير والّي) ، هلسنكفورس ١٨٥٠ م ؛ التائية الكبرى (تحرير هامّر بورغستال) ، فينّا ١٨٥٤م ؛ (على هامش شرح الدحداح) ، القاهرة ١٣١٩ — ١٣٢٠ هـ ؛ منتهى المدارك (وهو شرح القصيدة التائية لابن الفارض ، ألّفه سعيد الدين بن عبد الله الفرغاني) ، مصر

---

(١) الاتحاد : انطباق الوجود الانساني على الوجود الالهي حتى يصبحا وجوداً واحداً . تزيى : اتخذ زياً ، ليس ثوباً معيناً (غير لباسه المألوف في الأكثر) .

(٢) لديوان ابن الفارض خاصة ولشروحه طبعات كثيرة لا سبيل الى حصرها ، راجع بروكلمان (المراجع تحت).

(مكتبة الصنايع) ١٢٩٣هـ؛ كشف الوجوه الغرّ لمعاني نظم الدر للكاشي (أو الكاشاني)، ١٣١٩—١٣٢٠ هـ ؛ القاهرة ١٣١٠ هـ .

خمريّة لابن الفارض ، لندن ١٩٢٣ م .

** ابن الفارض والحب الالهيّ ، تأليف محمد مصطفى حلمي ، مصر (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م ؛ القاهرة (دار المعارف) ١٩٧١ م .

ابن الفارض سلطان العاشقين ، تأليف محمّد مصطفى حلمي (أعلام العرب ١٥) ، القاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد القومي) ١٩٦٣ م .

ابن الفارض ، تأليف يوحنّا قمير ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٧ م .

عمر بن الفارض من خلال شعره ، تأليف ميشال فريد غريّب ، بيروت (منشورات دار الحياة) ، زحلة بلبنان (مطابع زحلة الفتاة) ١٩٦٥ م .

وفيات الاعيان ٢ : ٩٩ — ١٠٠ ؛ العبر ٥ : ١٢٩ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٤٩ — ١٥٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٥ —٣٠٧ ، الملحق ١ : ٤٦٢ — ٤٦٥؛ زيدان ٣ : ١٦ — ١٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ :٧٦٣ — ٧٦٦؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٢١٧ — ٢١٧ .

الحاجِري

١ — هو حُسامُ الدينِ أبو يَحْيَى عيسى بنُ سَنْجَرَ بن بَهْرامَ بنِ جبريلَ بن خُمارتِكينَ بن طاشْتِكينَ الحاجِريّ (١) الإرْبِلِيّ ، وُلِدَ في إرْبِلَ نحو سَنَةِ ٥٨٢هـ (١١٨٦ م) .

كانَ الحاجريّ جُنديّاً من أولادِ الأجْنادِ الأتراكِ ، ولا نَعْرِفُ من تفاصيلِ حَياتِه إلاّ أنه كان مُعْتَقَلاً في قَلْعَةِ خِفْتيدَ ثم نُقِلَ منها إلى قلعة إرْبِل؛ وفي رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٢٦ (١٢٢٩ م) كان لا يزال مُعْتَقَلاً فيها . ثم انّه خَرَجَ مِنَ الاعْتِقال واتّصل بخِدمةِ الملك المُعَظّمِ مُظَفّرِ الدينِ أبي سعيد كُوكُبوري صاحبِ إرْبِلَ وغيّر لِباسه وتزيّى بزِيّ الصوفيّة . فلمّا تُوُفّيَ مُظَفّرُ الدين كوكبوري ، في رَمَضان ٦٣٠ (١٢٣٣ م) ، غادر الحاجريّ إرْبِلَ ثم عادَ اليها وأقام فيها مُدّةً ؛ وكان فيها من يَتَرَصّده فَوَثَبَ عليه فقَتَلَه (ثاني شَوّالٍ ٦٣٢=٢٠—٦ — ١٢٣٥ م) .

٢ — الحاجريّ شاعرٌ مُحْسِنٌ تَغْلِبُ على شعرِه الرِقّةُ . ألفاظُه فصيحةٌ وتراكيبه سَهْلَةٌ ، ولكنّ تعابيرِه يَظْهَرُ عليها أحياناً الاستعمالُ العاميّ أو تَخْرُج عن

(١) نسبة الى حاجر (بلد في الحجاز) ولم يكن منها ولكنه أكثر من ذكرها في شعره فنسبه الناس اليها .

الاستعمال الفصيح . والصناعة في شعره كثيرةٌ والتكلّف ظاهرٌ . وأكثرُ شعرِه مُقَطّعاتٌ يكثرُ فيها ورودُ أسماءِ الأماكنِ في الحجاز ووُرودُ المدارك الصوفية . وفنونُ شعره الغزل والنسيب في المقام الاوّل ثم له شيءٌ من المديح والحكمة والخمر والمُجون وقليلٌ من الهجاء . وله من التوشيح ومما يشبه التوشيح كقوله (ديوان ٥٨) :

الخَدّ تُرْكِي ، والخال مِسْكِي ، والوجه يَحْكي بَدْرَ السماءِ .
قد رام صَدّي ، واختار بُعْدي ، فالرأيُ عندي مَوْتي بدائي !

٣ مختارات من شعره

– قال الحاجريّ في النسيب والوصف والحكمة :

مُولَعٌ بالهوى وفَرْط التّصابي ... ليس يخلو من لَوْعة واكْتئابِ[١] ؛
أنْفَدَ الدمعَ واسْتعار دمَ القَلْـ ... ـبِ حَذاراً من فُرْقَةِ الأحباب .
ولَعَمْري ، لقد يَهونُ عليه ... كلّ شيء إلاّ فِراقَ الشباب .
فاذا أمْكَنَتْكَ فُرْصَةُ لَهْوٍ ... فاقْتَدِح من زِنادِها بشِهاب[٢]
وتَغَنّم صَفْوَ الزّمانِ – فانّ الـ ... ـعُمْرَ إن طالَ لَمْعَةٌ من سَراب[٣] –
بينَ أرضٍ مبسوطةٍ من رياض ... وسماء مرفوعةٍ من سَحاب ،
وقِيانٍ من الحَمام تَغَنّى ... باتّفاقٍ في لَحْنِها واصطحاب[٤] ،
ونديمٍ صافٍ على كَدَرِ الدهـ ... ـر سليمٍ من شُبْهَةٍ وارْتياب ؛
لم تُعَنِّفْه بالمَلامِ ، وشَرّ الـ ... ـوُدّ وُدٌّ مُسْتَحْدَثٌ بعِتاب[٥] .

(١) مولع : مشغول ، متعلق ، مغرم . فرط التصابي : الافراط أو التهور في طلب اللهو الذي يحمل عليه نشاط الشباب . اللوعة : الحرقة في القلب والألم من حب أو مرض أو هم . الاكتئاب = الكآبة : الحزن مع الانطواء على النفس .

(٢) اقتدح من زنادها بشهاب : استفد منها بجد . (الزناد : حديدة تقدح بها النار من الحجر الصوان) . بشهاب : بقدر كبير من الشرر يكاد يضيء ما حوله كما يضيء الشهاب .

(٣) تغنم : عد زمان الشباب فرصة مواتية تصفو لاندفاعك في لهو الصبا (ما دمت خالياً من تكاليف الحياة وهموم التقدم في السن) . لمعة : بارقة (مدة يسيرة) . السراب : انعكاس صورة الماء على ارض بعيدة لا ماء فيها كلما تقدمت منه ابتعد عنك .

(٤) – وحمائم تشبه القيان (النساء الجميلات المغنيات) . الاتفاق والاصطحاب في اللحن : أن تكون الألحان على موافقة نظام خاص (في الغناء الجماعي – بفتح الجيم) .

(٥) ....ود (حب ، صداقة) تجدد بعد فترة من العداوة انتهت بشيء من العتاب .

جَرِّبِ الناسَ : فالصديــقُ قليــلٌ   فيهُــمُ . والقلوب ذاتُ انقلاب !

ـ وقال في النسيب الخالصِ العَذْب :

اذْكُرْ مَلاعِبَنا برَمْلَـةِ حاجرٍ ،   حُوشِيتَ من شِيَمِ الخَؤُونِ الغادرِ[1] ؛
وَاحفَظْ عُهوداً بالحِمــى عاهَدتَني   أيامَ كنتَ مُنــادِمي ومُسامِري .
آثارُ ذاك القُرْب بين جوانحــي ،   وخَيال ذاك العيشِ بَعْدُ بناظري .
جُوزيتَ مِنْكَ على التصبّر في الهوى   ما ليس يُعْهَدُ مِنْ جَزاء الصابر[2] .
خَطَرَتْ بقلبي منك كــلّ عجيبةٍ   إلاّ فِراقَكَ لم يكنْ في خاطري !

ـ وقال يَهْجو طبيباً اسمه ابنُ شمعونَ :

طِبّ ابنِ شَمعونٍ بــلا رِيبــةٍ   حُكْمٌ على هذا الورى يَقْضي[3] ؛
ما عادَ يومــاً مَنْ به عِلّــةٌ   وعادَ موجوداً عــلى الأرض[4] .
يَمْشي وعِزرائيلُ مِــن خَلْفِه   مُشمّــرُ الأردانِ للقَبْــض[5] .

٤ ـ بلبل الغرام ... (ديوان الحاجري) بلا اسم مكان الطبع ١٢٨٠ ﻫ .
ديوان ... حسام الدين عيسى بن سنجر بن بهرام الاربلي المعروف بالحاجري (جمعه عمر محمّد خوجا) ، مصر (المطبعة الشرفية) ١٣٠٥ ﻫ .

** وفيات الاعيان ٢ : ١٢٨ ـ ١٣٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٥٦ ـ ١٥٨ ؛ بروكلمان ١ : ٢٨٩ ، الملحق ١ : ٤٤٣ ؛ زيدان ٣ : ٢٤ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٢٨٧ .

الشَوّاء الحلَبي

١ ـ هُوَ شِهابُ الدين أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ إسماعيلَ بنِ عليّ بنِ أحمدَ بنِ ابراهيمَ المعروفُ بالشواء الحلبيّ ، أصلُه من الكوفة ، لكنّه وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٢ ﻫ (١١٦٦ م) في حَلَبَ ونشأ فيها .

---

(١) حوشيت = حاشاك : تنزهت . شيم جمع شيمة : خليقة ، خصلة (بفتح الخاء) .

(٢) .... ما لم تجر العادة به في مجازاة الذي يصبر على الزمن لنيل مطلوبه .

(٣) حكم : سلطان ، سلطة ، قدرة . يقضي : يهلك ، يقتل .

(٤) عاد : زار (للتطبيب)... وعاد : بقي (المريض الذي عاده الطبيب ابن شمعون) موجوداً على الارض (حياً) .

(٥) مشمر الأردان (أطراف ثيابه ـ كناية عن الجد والاهتمام) . للقبض : لقبض أرواح الناس .

لازمَ الشوّاءُ الحلبيّ حَلْقةَ تاجِ الدين أبي القاسمِ أحمدَ بنِ هبةِ اللهِ بنِ سعْدِ ابنِ سعيدِ بنِ المُقلّدِ بنِ الجِبْرانيّ الحلبي (ت ٦٢٨ هـ)، وكذلك عاشَرَ تاجَ الدينِ أبا الفتحِ مسعودَ بنَ أبي الفضلِ النقّاشَ الشاعرَ المشهورَ وتخرّج عليه في عمَلِ الشِعْر .

وكانتْ وفاتُه في حلَبَ في ١٩ من المُحرّم من سنَةِ ٦٣٥ (١١-٩-١٢٣٧ م) .

٢ ــ كان الشوّاءُ الحلبيّ أديباً فاضلاً مُتْقِناً لعلم العَروض والقوافي ولعُلوم الأدب واللغة ، وكانَ عِلْمُ اللغة يَغْلِبُ عليه ، كما كانَ حَسَنَ المُحاورة . وكان شاعراً مُجيداً مُكثِراً ولكنّ ديوانَه ضائع . أما ما بَقِيَ لنا من شِعْرِه فالغالبُ عليه أنّه مُقَطّعاتٌ قِصارٌ . والشواء الحلبيّ كثيرُ الإجادة في البيتين والثلاثة ، وفنونُ شعرِه المديحُ والغزل والنسيب وما يَعْرِضُ في الحياة الجارية . ثمّ هُوَ مُغْرَمٌ بإدخال المدارِكِ النّحْويّة في شعره .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال الشوّاءُ الحلبيّ في المديح :

فتىً فاقَ الوَرى كَرَماً وبأساً ⁂ عزيزُ الجارِ مُخْضَرُّ الجَنابِ ؛[١]
ترى في السِلْم منه غَيْثَ جُودٍ ⁂ وفي يومِ الكَريهةِ لَيْثَ غابٍ[٢] .
إذا ما سَلّ صارِمَهُ لِحَرْبٍ ⁂ أراكَ البرقَ في كفّ السّحاب[٣] .

ــ وقال في شخص لا يَكْتُمُ السِرّ :

لي صديقٌ غَدا ــ وإن كان لا يَنْـ ⁂ ـطِقُ إلاّ بغِيبةٍ أو مُحالِ ــ[٤]
أشبهُ الناسِ بالصّدى : إن تُحَدّثْـ ⁂ ـهُ حديثاً أعادَهُ في الحالِ .

---

(١) الفتى : الرجل الشجاع الكريم . البأس : القوه . الجار : جاره عزيز (مكرم) لأنه يدافع عنه . مخضر الجناب (المكان الذي يسكنه) كناية عن الخصب والكرم .

(٢) غيث : مطر . الكريهة : الحرب . ليث غاب : أسد يحمي الغاب (جمع غابة) حيث يكون .

(٣) الصارم : السيف . البرق : لمع البرق (كناية عن الضرب بالسيف وسرعة الضرب به) . في القاموس (٣ : ٢١١) : البارق والابريق : السيف . السحاب (كناية عن الرجل الكريم الجواد) ... البرق في كف السحاب (الشجاعة مع الكرم) !

(٤) الغيبة : الكلام على الناس أو عن الناس (في غيابهم) بما يسوءهم . المحال : المستحيل ، المخالف للواقع وللعادة (الذي يبدله ناقله ، يكذب فيه) .

— وقال في النسيب القريب من التصوّف (وفيه اشارة ممكنة الى النجو) :

هاتيكَ ، يا صاحِ ، رُبى لَعْلَعِ ؛ ناشَدتُكَ اللهَ ! فعَرِّجْ مَعي[1]
وانْزِلْ بِنا بين بُيوت النّقا ، فقَدْ غَدَتْ آهلَةَ المَرْبَع[2]
حتّى نُطيلَ اليومَ وَقْفاً على السا كِنِ أو عَطْفاً على المَوْضع[3] .

— وقال في الغزل :

ومُهَفْهَفٍ عَفّى الزمانُ بخَدّه فكَساهُ ثَوْبَيْ لَيْلِه ونَهارِه[4] .
لا مَهّدَتْ عُذري مَحاسِنُ خَدّه إن غَضّ عِنْدي منه غَضُّ عِذارِه[5] .

— وقال في النسيب ، وقد استعار شيئاً من اللغة ومن النحو :

أرْسَلَ صِدغاً ولَوَى — قاتِلي — صِدْغاً فأعْيا بِهِما واصِفَهْ[6] .
فخِلْتُ ذا في خَدّه حَيّةً تَسْعى وذا (لي) عَقْرباً واقِفَهْ[7] :
ذا ألِفٌ لَيْسَتْ لوَصْلٍ ، وذا واوٌ ولكنْ لَيْسَتِ العاطِفَهْ[8] .

---

(١) يا صاح = يا صاحبي . لعلع : اسم مكان (كناية عن مكان يحبه الانسان) . ناشدتك الله = أقسم عليك بالله . عرج معي : تعال معي اليه (عرج على المكان : مال بناقته اليه ، أقام فيه قليلا وهو راكب ناقته) .

(٢و٣) انزل بنا : دعنا ننزل عن المطايا (النياق) ونسكن بين بيوت النقا (الخيام المنصوبة عند تلال الرمل الابيض) . آهلة المربع : فيها سكان (لأنه نبت فيها العشب !) — على أن الغاية من البيتين التخلص الى البيت الثالث وفيه توريتان ؛ وقفاً على الساكن (نقف نتحدث الى الساكن في تلك البيوت ؛ أو الوقف — قطع النفس — على آخر الكلمة الساكنة في القراءة) أو عطفاً على الموضع (حنواً على الموضع اذا لم يكن فيه سكان ؛ أو عطفاً على الموضع في النحو : قال الشاعر :

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم الا سيبلى بأظلم .

... يد : مجرورة لفظاً مرفوعة محلا (لأنها مبتدأ) . أما « ظالم » فيجوز فيها الجر (لأنها معطوفة على اللفظ) ويجوز فيها الرفع (لانها معطوفة على موضع أو محل « يد ») .

(٤) المهفهف : الضامر البطن . عفا شعر البعير طال وكثر ... ، عفى الزمان خده : غطاه بالشعر . فكساه (الزمان) ليله (من الشعر الاسود) وثوب نهاره (من خده الابيض) .

(٥) — (نفسر هذا البيت عكساً ورجوعاً) : ان غض عذاره (شعره الجديد النابت في خديه) فإنه ما غض منه (ما قلل قيمته) عندي ، حتى أعتذر لاستمراري في حبه (بما كان له من جمال الوجه قبل نبات عذاره) .

(٦) قاتلي : محبوبي الذي تيمني حبه أرسل صدغاً (ترك الشعر على أحد جاذبي رأسه مرسلا ، متدلياً) وعقد (ربط) الشعر على الصدغ الآخر . أعيا واصفه : أعجز الذي يريد وصف ذلك عن التعبير عن جمال ذلك .

(٧) — أما أنا فخيل الي أن شعره المرسل على أحد صدغيه يشبه حية تسعى (تجري) وأن الشعر المعقود على الصدغ الآخر يشبه عقرباً واقفة ورافعة ذنبها الذي تضرب به (لتضربني) .

(٨) — أن الشعر المرسل يشبه الالف في الكتابة ، ولكنها ليست ألف وصل (التورية : في الجملة : «فاح =

٤ ـ ** وفيات الاعيان ٣ : ٥٣٧ وما بعد ؛ العبر ٥ : ١٤٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٧٨ ـ ١٧٩ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٨ ، الملحق ١ : ٤٥٧ ؛ زيدان ٣ : ٢١ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٣٩٧ ، ٥٣٣ ؛ ؛ أعيان الشيعة ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٢٨٨ .

ابن سيـــدك

١ ـ هو أبو عبدِ الله أحمدُ بنِ عليّ بن سيدك الأواني ـ ربّما نسبة الى أوان ، وهو مكانٌ قُرْبَ المدينة (القاموس ٤ : ١٩٩) ـ . كانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ ـ ١٢٣٨ م) .

٢ ـ كان ابنُ سيدك الأواني شاعراً مُجيداً رائقَ الشعرِ حَسَنَ الصناعة .

٣ ـ مختارات من شعره

قال ابنُ سيدك في النسيب :

سَلوا مَن كسا جِسْمي نَحافةَ خَصْرِه ... وكَلّفني في الحبّ طاعةَ أمرِه ،[1].
يُبَدّلُ نُكْرَ الوصلِ منّي بعُرْفهِ ... لَدَيَّ، وعُرْفَ الهَجْرِ منّي بنُكْرِه[2]:
فما تُعْرَفُ الأرواحُ إلاّ بقُربــه . ... ولا تُصْرَفُ الأتراحُ الاّ بذِكْرِه ؛
ولا تَنْعَـــمُ الأوقاتُ الاّ بوَصْلِه . ... ولا تَعْظُمُ الآفاتُ الاّ بهَجْرِه.
فأُقْسِمُ بالمُحْمَرّ من وَرْدِ خدّه ... يَميناً ، وبالمُبيَضّ من دُرّ ثَغْرِه ،
لقد كِدتَ ـ لولا ضوءُ صبحِ جبينِه ـ ... أتيهُ ضَلالاً في دُجى لَيْلِ شَعْرِه !

٤ ـ ** شذرات الذهب ٥ : ١٧٠ . الوافي بالوفيات ٧ : ٢٣٨ (؟)

ابن المستوفي الإربلي

١ ـ هُوَ شَرَفُ الدينِ أبو البَرَكاتِ المباركُ بنُ أحمدَ بنِ المباركِ بنِ موهوبِ بنِ

ـــــــــــــــ

= العطر» الالف ألف وصل تسقط في الكلام وتتصل الكلمتان فنقول: «فاحلعطر »؛ أو ألف الوصال «الحرف الثالث في كلمة » وصال) ، التي تجعل من الوصل الدال على معنى مادي « وصالا » دالا على الوصل الروحي بين المحب ومحبوبه . أما الشعر المعقود على الصدغ الثاني فيشبه الحرف « و » (في الرسم) ، ولكنها ليست « واو العطف » التي تعطف كلمة على كلمة (في النحو) أو تعطف قلب المحبوب على محبه .

(١ و ٢) سلوه .... أن يبدل . النكر . المنكر : المجهول ، (المكروه ، القبيح) . العرف : المعروف ، المعلوم (الجميل ، المستحب) .

غُنَيْمَةَ بن غالب اللَّخْميُّ ، المعروفُ بابنِ المُسْتَوْفي[1] الإرْبِلِيّ ، وُلِدَ في قلعة إرْبِلَ ، في منتصفِ شَوّالٍ من سَنَةِ ٥٦٤ (تمّوز - يوليو ١١٧٠ م) .

قرأ شَرَفُ الدين المباركُ القرآنَ الكريمَ والادبَ على محمّدِ بنِ يُوسُفَ البَحْرانيِ وعليّ بن رَيّانَ وسَمِعَ الحديثَ من حَنْبلِ بنِ عبدِ الله (ت ٦٠٤ هـ) ومن ابن طَبَرْزَد ، ولا يُعْقَلُ أنْ يكونَ قد سمع من أبي ياسرٍ عبدِ الوهّابِ بنِ هبةِ الله ابن أبي حَبّةَ البَغْداديّ (ت ٥٧٢ هـ) ، كما جاء في شذرات الذهب (٥ : ١٨٧) .

بَدأ ابنُ المستوفي حياته بالإقراء فكان يُقْرِئُ كُتُبَهُ بنفسه ، وقد قرأ عليه خلقٌ كثيرون منهم نَفَرٌ من الغُرباء .

وفي سَنَةِ ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) في الاغلبِ وَقَعَ على ابنِ المستوفي اعتداءٌ : كان خارجاً من مسجدٍ بقُرْبِ بيتهِ ليلاً فطَعَنَهُ شخصٌ بسِكّينٍ فتلقّاها ابنُ المستوفي بذراعهِ .

وفي سَنَة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ – ١٢٢٩ م) أصبح ابنُ المستوفي مُسْتَوْفِياً في الديوان . ثمّ تولّى الوزارةَ لِلْمَلِكِ المُظَفّرِ صاحبِ إرْبِلَ ، في سنة ٦٢٨ في الاغلب (وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٨ – ٢٠٩) . ولكنّ بقاءَه في الوزارة لم يَطُلْ كثيراً فقد تُوُفّيَ الملكُ المظفّرُ ، في ١٨ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٣٠ (٢٨ - ٦ - ١٢٣٣ م) ؛ وبعدَ شَهْرٍ (في شوّالٍ) استولى الخليفةُ المستنصرُ على مدينةِ إرْبِلَ فاعتزل ابن المستوفي في بيته . ثمّ اسْتَوْلى التَتَرُ على المدينة في ١٧ من شوّالٍ سنة ٦٣٤ (١٢٣٧م) فاعتصم ابن المستوفي في القلعة مَعَ جماعةٍ من الجُنْد والناس . بعدَئذٍ انتقلَ الى المَوْصِلِ وبَقِيَ فيها إلى أنْ ماتَ في الخامِسِ من المُحَرّمِ من سنة ٦٣٧ (٧-٨-١٢٣٩ م) . وقد رثاهُ الشاعرُ شيطانُ الشامِ ابنُ النفيسِ الاربلي[2] .

٢ – كان ابنُ المستوفي الإربليّ عارفاً بِعَدَدٍ من فنون المعرفة : عارفاً بالحديث وعلومه وأسماءِ رجالهِ ، بارعاً في اللغة والنحو والعَروض والقوافي والبَيان ، مُحيطاً

(١) المستوفي هو القائم بالاستيفاء ، والاستيفاء مرتبة رفيعة في ديوان الملك تلي الوزارة . وكان بيت ابن المستوفي في اربل بيتاً كبيراً فيه جماعة من الرؤساء والادباء : تولى الاستيفاء باربل والده من قبله ، وعمه صفي الدين أبو الحسن علي بن المبارك . وعمه هو الذي نقل كتاب « نصيحة الملوك » للامام الغزالي من اللغة الفارسية الى اللغة العربية (وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٩ – ٢١٠) .

(٢) هو شمس الدين أبو العز يوسف بن النفيس الاربلي المعروف بشيطان الشام ، ولد في اربل سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) وتوفي في الموصل في ١٦ رمضان من سنة ٦٣٨ (٣١ - ٣ - ١٢٤١ م) (وفيات الاعيان ٢ : ٢١٠).

بأيّام العرب وأخبارها وأشعارِها وأمثالها ، بارعاً في علمِ الديوان (الإدارة المالية) وحسابه وضَبْط قوانينه على الأوضاع المُعْتَبرة (الأحوال الجارية في العُرْف) . ثمّ انه كان مصنِّفاً ، له من الكتب : نَباهة البلد الخامل لمن وَرَدَهُ من الأماثل (تاريخ إربل) أكْثَرَ فيه من ذِكْرِ الشعراء — كتاب إثبات المُحَصَّل في نِسْبة أبيات المُفصّل (تكلّم فيه على الأبيات التي اسْتَشْهَدَ بها الزَمَخْشري في كِتابه « المفصّل » — كتاب أبي قِماشٍ (جمع فيه أدباً كثيراً ونوادرَ وغيرَ ذلك) — النظام شرح ديوان المتنبّي وديوان أبي تمّام — سرّ الصنعة .

وكذلك كان ابن المستوفي ناثراً وشاعراً وجدانياً غَزِلاً .

٣ — مختارات من شعره

— قال ابنُ المستوفي الإربلي في تفضيل السيفِ على الرمح (البياض على السُمرة) :

لا تَخْدَعَنَّكَ سُمْرَةٌ غرّارةٌ ؛ ما الحُسْنُ إلاّ للبَياضِ وجِنْسِه :
فالرمحُ يَقْتُلُ بَعْضُه من غَيْرِه ، والسيف يَقْتُلُ كُلُّه من نَفْسِه(١)

— ومن أبياته في النسيب مما يُغَنّى :

يا لَيْلَةً حتّى الصباحِ سَهِرْتُها قابَلْتُ فيها بَدْرَها بأخيه(٢) .
سَمَحَ الزمانُ بِها فكانتْ لَيْلَةً عَذُبَ العِتابُ بها لمُجْتَذِبيه(٣) ؛
أحْيَيْتُها وأمَتُّها عن حاسد ما هَمُّه إلاّ الحديثُ يَشيه(٤) .
ومُعانقي حُلْوُ الشمائلِ أهيفٌ جُمِعَتْ مَلاحَةُ كُلِّ شيءٍ فيه(٥) ؛

(١) — الرمح من خشب أو قصب ويكون طويلا جداً ، والذي يقتل منه هو النصل (الحديدة الصغيرة التي في رأس الرمح) والنصل ليس من جنس الرمح . والسيف كله من حديد (ما عدا المقبض — بكسر الباء — في بعض الاحيان) ، وكل مكان منه يقتل .

(٢) — قابلت (قارنت ، فضلت) فيها (في تلك الليلة) بدرها (قمر السماء) بأخيه (ببدر الارض ، بمحبوبي الذي كان معي) .

(٣) عذب : حلا . العتاب = المعاتبة : تبادل الحديث في الفرص التي أضاعها المحب ومحبوبه من قبل . لمجتذبيه : لمتجاذبيه : للذين يتبادلون الكلام (يتحدثون) ويعاتب بعضهم بعضاً .

(٤) — أحييتها (قضيتها مع محبوبي) وأمتها (كتمتها ، حجبت أخبارها) . ما همه : ما اهتمامه ، ما لذته ، ما مقصده . الحديث يشيه = يشي به : ينقله الى أعدائنا .

(٥) الشمائل : الخصال . أهيف : نحيل الخصر ، معتدل القد .

يَخْتال مُعْتَدلاً ، فان عَبَثَ الصبا بقوامه – مُتَعَرِّضاً – يَثْنيه[1] .
نَشْوانُ تَهْجُمُ بي عليه صَبابَتي . ويَرُدُّني ورَعي فأستَحْييه[2] .
عَلِقَتْ يَدي بعِذاره وبخَدّه : هذا أقَبِّلُه وذا أجْنيه[3] .
لَوْ لَمْ تُخالِطْ زَفْرَتي أنْفاسَه كانَتْ تَنِمُّ بِنا إلى واشيه[4] .
حَسَدَ الصَباحُ اللَّيْلَ لمّا ضَمّنا غَيْظاً فَفَرّق بَيْنَنا داعيه[5] !

٤ – ** وفيات الأعيان ٢ : ٢٠٦ – ٢١٠ ؛ العبر ٥ : ١٥٥ – ١٥٦ ؛ بغية الوعاة ٣٨٤ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٨٦ – ١٨٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٩٦ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٤٩ .

ابن الدُبيثي

١ – هو جمال الدين أبو عبد الله محمّدُ بنُ سعيد (٥٢٧ – ٥٨٥ هـ) بن يحيى ابن عليّ بن الحجّاج المعروفُ بابن الدُبيثيّ – نسبةً الى دُبَيْثا وهي قريةٌ قُرْبَ واسط – وُلِدَ في واسطَ يومَ الاثنين في ٢٦ من رَجَبَ سَنَةَ ٥٥٨ (١–٧–١١٦٣ م) .

بدأ ابنُ الدُبيثيّ تَعَلّمَهُ في واسطَ فسَمِعَ فيها الحديثَ وقرأ العربيةَ (النحو) ثمّ رَحَلَ الى بَغْدادَ نحو سَنَةَ ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) وتطوّفَ في العراق والحجاز وسَمِعَ الحديث من أبي طالبَ الكِنانيّ وابن شاتيل والقزّاز وابي العلاء بن عَقيل وغيرِهم وتفقّه على أبي الحسن هبةِ الله البوقي . وقد كان في بغدادَ من أعيان المُعدّلين

(١) يختال : يسير معجباً (بضم الميم وفتح الجيم) بنفسه . معتدلا : مستقيماً (جانبه يقابل هبوب الريح). عبث (لعب) الصبا (بكسر الصاد : الشباب) بقوامه (بقده) ؛ وهذا معنى جائز ولكن لا يتفق مع « متعرضاً (متجهاً بصفحة جسمه كلها ، بعرض جسمه للريح) يثنيه (يميله) . فالأصح أن نقرأ : عبثت (لعبت) صبا (بفتح الصاد : ريح الشرق الخفيفة) .

(٢) نشوان (بالرفع ، بضم آخره : أنا نشوان) : سكران . تهجم بي عليه صبابتي (حبي ، فأميل الى وصاله) . ويردني (يمنعني من فعل ذلك) ورعي (تقواي ، خوفي من الله) فأستحييه = فأستحيي منه (من ورعي ، من الله) فاترك وصاله .

(٣) علقت يدي بعذاره (بالشعر النابت على وجنتيه ، بوجهه كله) وبخده = بورد خده ، باحمرار خده ؛ (ملكت يدي جميع أنواع التمتع به) .

(٤) – لو لم تختلط أنفاسه الباردة بأنفاسي الحارة لامتلأ الجو بحرارة أنفاسي ونمت أنفاسي بنا (حملت أخبارنا) الى واشيه (الى الذين يحبون أن يشوا به ، الى أعدائه) .

(٥) اغتاظ الصباح من الليل لأن الليل جمع بيننا (مع أن العادة أن الليل يحسد الصباح ، لأن الصباح أجمع) فطلع الصباح باكراً وقام داعيه (داعي الصباح = المؤذن) ففرق بيننا (تركنا الغزل وقمنا الى الصلاة) .

(الشاهدين في المحاكم بالعدل) ثم تولّى في بغدادَ منصباً يُشبِهُ القضاءَ. وكانت وفاتُه في بغدادَ يومَ الاثنين في ثامنِ ربيعٍ الآخرِ من سَنَةِ ٦٣٧ (٧-١١-١٢٣٩م).

٢ - كان ابنُ الدُبيثي مقرئاً للقرآنِ حافظاً للحديث فقيهاً مؤرّخاً عارفاً بالأدبِ والشعرِ وشاعراً. ثمّ هو مُصنّفٌ له: ذَيل على تاريخ السمعاني (وتاريخ السمعاني ذيل على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي) - تاريخ واسط.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن الدُبيثي في الشكوى من الناس:

خَبَرْتُ بني الأيامِ طُرّاً فلم أجِدْ ... صَديقاً صَدوقاً مُسْعِداً في النوائب؛
وأصْفَيْتُهم منّي الودادَ فقابلوا ... صفاءَ ودادي بالقَذى والشوائب.
وما اخترْتُ منهم صاحباً وارْتَضَيْتُهُ ... فأحْمَدتُهُ في فعله والعواقب.

٤ - وفيات الأعيان ٢: ٣٥٢ - ٣٥٣؛ الوافي بالوفيات ٣: ١٠٢ - ١٠٤؛ العبر: ٥ - ١٥٤؛ شذرات الذهب ٥: ١٨٥ - ١٨٦؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣: ٧٥٦؛ بروكلمان ١: ٤٠٢ - ٤٠٣، الملحق ١: ٥٦٥؛ الاعلام للزركلي ٧: ١١.

ضياء الدين بن الاثير

١ - وُلِدَ ضياءُ الدين أبو الفتح محمّدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الكريم بنِ عبد الواحد الشَيْبانيّ، سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٥ م)، في جزيرةِ ابن عُمَرَ (شماليّ العراق)، ولذا يُعْرَف باسمِ ابن الاثير الجَزَريّ، ونشأ فيها. ثم إنه انتقل معَ والده الى المَوصل لتحصيل العِلم، فحَفِظ كتابَ الله وكثيراً من الاحاديث النبوية وطَرَفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان وشيئاً كثيراً من الاشعار. وكان جُلّ اهتمامه بأبي تمّامٍ والبُحتريّ والمتنبي.

واتصل ضياءُ الدين بنُ الأثير بصلاحِ الدين الايوبي، ٥٨٧ هـ (١١٩١ م)، على يدِ وزيرِه القاضي الفاضل، وبَقِيَ في خدمته خمسةَ أشهرٍ انتقل بعدَها إلى خدمة الملك الأفضل نورِ الدين بن صلاح الدين. وكانت حياةُ ضياء الدين سلسلةً متعانقة من التنقّل في البلاد ثم استقرّ في المَوْصل وأصبح رئيسَ ديوانِ الانشاء لصاحبها السلطانِ ناصرِ الدين محمودِ بنِ الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلانَ شاه، في

سَنَةَ ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) . ووجّهه ناصرُ الدين رسولاً إلى بَغداد فتُوُفّيَ فيها في جُمادى (الأولى أو الثانية) من سَنَةِ ٦٣٧ (أواخرِ عام ١٢٣٩ أو أوائلِ ١٢٤٠م) .

٢ — كان ضياءُ الدين بارعاً في علوم اللغة والأدب مُعْجَباً بنفسه في ذلك ومُعْتَدّاً بعلمه ، حتى نَسَبَهُ قومٌ الى الغرور . وهو شاعرٌ ومُنْشِىءٌ ومؤلِّف ، ولكنه في ذلك كلّه حسنُ الجمع والتخريج والتعليلِ قليلُ الابتكار مُغْرِقٌ في الصناعة المعنوية وفي الصِناعة اللفظية على الاخص . وكان شعرُه ، على رِقّته وعُذوبته ، ظاهرَ التقليد :

بَيْنَ لِوَى الجِزْعِ ووادي العَقيقْ . . . مَنْ لا الى السُلْوان عنه طريقْ[1] .
جانٍ جَنَى النحلةِ من ريقهِ . . . حلوُ التَثنّي والثَنايا رقيقْ[2] .
لو لم تكنْ وَجنتُه جَنّةً . . . ما أنبتتْ ذاك العِذارَ الأنيقْ[3] !

ومِثْلُ ذلك تَرَسّلُه :

« ودولَتُه هي الضاحكةُ وإنْ كانتْ نسبتُها إلى العبّاس[4] . فَهِيَ خيرُ دولةٍ أُخْرِجَتْ للزمن . كما أن رعاياها خيرُ أمةٍ أُخرجتْ للناس[5] . ولم يُجْعَلْ شِعارُها من لون الشباب الا تَفاؤلاً بأنها لا تَهْرَم ، وأنها لا تزالُ مَحْبُوَّةً من أبكارِ السعادة بالحُبّ الذي لا يُسْلى والوَصْلِ الذي لا يُصْرَم . وهذا معنىً اخترعَه الخادمُ[6] للدولةِ وشِعارِها ، وَهُوَ مما لم تَخُطّه الأقلامُ في صُحُفِها ولا أجالَتْه الخواطرُ في أفكارها » .

وكُتُبُ ضياءِ الدين كثيرةٌ عَدّ منها ابنُ خَلّكانَ كتاب الوَشْيِ المرقوم في حَلّ المنظوم (وهو مَعَ وَجازته غايةٌ في الحسن والإفادة) — كتاب المعاني المخترعة في صناعة الانشاء (وهو أيضاً نهاية في بابه) — مجموع اختار فيه شعرَ أبي تمامٍ والبحتري

(١) لوى الجزع (الرمل الملتوي قرب الجزع ، اي المكان الذي يقطع الناس الوادي منه) ووادي العقيق مكانان في مكة .

(٢) جان : معتد ، مجرم . وجان : قاطف ، الذي يجني (يقطف الثمر) . الجنى : الثمر ، النتاج : التثني : الميل : التمايل . الثنايا : الاسنان .

(٣) الوجنة : صفحة الخد ، أعلى الخد . الجنة : المكان المزروع بالأزهار والاثمار . العذار : الشعر النابت في صفحة الخد .

(٤) العباس : عم الرسول . العباس : العابس (ضد الضاحك) .

(٥) تضمين من سورة آل عمران : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون (بفتح الهاء) عن المنكر » (٤ : ١٠٩) .

(٦) الخادم : الموظف في خدمة الدولة ، في ديوان الانشاء . يقصد ضياء الدين نفسه .

وديكِ الجنِ[1] والمتنبي (وهو مجلد واحد كبير ، وحِفْظُه مفيد) ـــ ديوان تَرَسُّل (مجموع رسائل) ـــ مؤنس الوحدة ـــ المفتاح المنشا في صناعة الانشا ـــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، (وهو الذي خلق للضياء الدين ابن الأثير شُهرتَه الطائرة) .

٣ ـــ مختارات من كتاب المثل السائر

ـــ سبب تأليف الكتاب (من ديباجة المقدمة) :

« وقد ألّف الناسُ فيه (في علم البيان) كتباً ، وجلبوا ذهباً وحطباً . وما من تأليف الا وقد تصفّحت شينَه وسينه[2] ، وعَلِمتُ غَثّه وسمينه . فلم أجدْ ما يُنْتَفَعُ به في ذلك إلاّ كتابَ المُوازنة للآمديّ وكتابَ سِرّ الفَصاحة للخَفاجي[3] . على أن كِلا الكتابين قد أهْمَلا من هذا العلمِ أبواباً ، ولَرُبّما ذَكَرا في بعضِ المواضع قُشوراً وتَرَكا لُباباً . وكنتُ عثرتُ على ضُروبِ كثيرةٍ منه في غُضونِ القرآن الكريم ، ولم أجدْ أحداً مِمّنْ تقدّمني تَعَرّضَ لذِكْرِ شيءٍ منها ... وقد أوْرَدتُها ههنا وشَفَعْتُها بضروبِ أُخَرَ مُدَوّنةٍ في الكتب المتقدمة ، بعدَ أن حَذَفْتُ منها ما حذفتُ وأضفتُ إليها ما أضفت ...

واعلمْ ، أيّها الناظرُ في كتابي ، أن مَدارَ علمِ البيان على حاكمِ الذَوْقِ السليم الذي هو أنفعُ من ذوق التعليم . وهذا الكتابُ وإنْ كان في ما يُلقيه إليك أستاذاً ، وإن سألتَ عَمّا يُنْتَفَعُ به في فَنّه قيل لك : هذا ! فإنّ الدُربةَ والإدمانَ أجدى عليك نفعاً ، وأهْدى بصراً وسمعاً ... فخُذْ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستَنْبِطْ بإدمانك ما أخطاك . وما مَثَلي ، في ما مَهّدتُه لك من هذه الطريق ، الا كمن طَبَعَ سيفاً ووَضَعَه في يمينكَ لِتُقاتِلَ به . وليس عليه أن يخلُقَ لك قلباً ، فان حَمْلَ النِصالِ غيرُ مباشرة القتال .

ـــ مقاييس الأدب الجيد :

واعلم أنّ جَماعةً من مُدّعي علم البيان ذهبوا إلى أن الكلام ينقسم قِسْمين : فمِنه ما يَحْسُنُ فيه الإيجاز كالأشعار والمُكاتبات ، ومنه ما يحسُن فيه التطويلُ

---

(١) هو عبد السلام بن رغبان الحمصي (٢ : ٢٧١) معاصر ابي نواس واستاذ ابي تمام .
(٢) سينه وحسنه (؟)   (٣) الآمدي (٢ : ٥٢٤) الخفاجي(٣ : ١٦٨) .

كالخُطَب والتقليدات[1] وكتب الفُتوح التي تُقْرأ في مَلاٍ من عَوام الناس ، فان الكلامَ إذا طالَ في مثلِ ذلك أثّرَ عندَهم وأفْهَمَهُمْ . ولو اقْتُصِرَ منه على الإيجاز والإشارة لم يقعْ لأكثرِهم حتى يُقال في ذِكْر الحرب : « الْتَقَى الجَمْعانِ وتطاعن الفريقانِ ، واشتد القِتالُ وحَمِيَ النِضالُ » ، وما جَرى هذا المجرى .

والمذهَبُ عندي ما أذكُرُهُ : وهو أن فَهْمَ العامّةِ ليسَ شرطاً مُعْتَبراً في اختيارِ الكلام ، لأنه لو كان شرطاً لوَجَبَ - على قياسِه - أن يُسْتَعْملَ في الكلامِ الألفاظُ العاميّة المُبْتَذَلَةُ عندَهم ليكونَ أقربَ الى فَهْمِهم ... وهذا شيءٌ مدفوع . وأما الذي يَجِبُ تَوَخّيه واعتمادُه فَهُوَ أن يُسْلَكَ المذهبُ القويمُ في تركيبِ الألفاظ على المعاني ، بحيثُ لا تزيدُ (تلك) على هذهِ معَ الإيضاح والإبانة . وليس على مُسْتَعْمِلِ ذلك أن يَفْهَمَ العامّةُ كلامَه :

عَليّ نَحْتُ القوافي من مَعادِنِها ، وما عليّ اذا لم تَفْهَمِ البقرُ[2] !

- الفصاحة :

إن الفصاحةَ هي الظهورُ والبَيانُ في أصلِ الوضع اللُّغوي . يُقال : أفصحَ الصبحُ إذا ظهر ، ثم إنهم يَقِفون عند ذلك ولا يَكْشِفون السِرَّ فيه . وبهذا القولِ لا تَتَبَيَّنُ حقيقةُ الفصاحة لانه يُعْتَرَضُ عليه بوجوه من الاعتراضات : أحدُها أنه إذا لم يكُنِ اللفظ ظاهراً بيّناً لم يكنْ فصيحاً ، ثم إذا ظهر وتبيّن صار فصيحاً . والوجه الآخرُ أنه إذا كان اللفظ الفصيحُ هو الظاهرَ البيّنَ ، فقد صار ذلك بالنِسَبِ والإضافات إلى الأشخاص ، فإنّ اللفظَ قد يكون ظاهراً لزيدٍ ولا يكون ظاهراً لعمرٍو ، فهو إذَنْ فصيحٌ عند هذا وغيرُ فصيحٍ عند هذا . وليسَ (الأمرُ) كذلك ، بل الفصيحُ هو الفصيحُ عند الجميع لا خِلافَ فيه بحالٍ من الاحوال ... الوجه الآخَرُ أنه اذا جِيء بلفظ قبيحٍ يَنْبو عنه السمعُ وهُوَ مَعَ ذلك ظاهرٌ بيّن ينبغي أن يكونَ فصيحاً ، وليس كذلكِ لأن الفصاحة وَصْفُ حُسْنِ اللفظ لا وصفُ قبحٍ .

- البــلاغة :

وأما البلاغةُ فان أصلَها في وضع اللغة من الوصول والانتهاء . يقال : بلغتُ المكانَ إذا انتهيتُ اليه . ومَبْلَغُ الشيءِ مُنتهاه . وسُمّيَ الكلامُ بليغاً من ذلك، أي أنه

---

(١) التقليدات : الكتب (الرسائل) التي يوجهها الخليفة بتولية الولاء والقواد والقضاة وغيرهم .

(٢) البيت للبحتري .

بلغ الأوصافَ اللفظية والمعنوية . والبلاغة شاملةٌ للألفاظ والمعاني ، وَهِيَ أخص من الفصاحة ، كالإنسانِ من الحَيَوان : فكلُّ انسانٍ حيوانٌ ، وليس كلُّ حيوانٍ إنساناً . وكذلك يقال : كلُّ كلامٍ بليغٍ فصيحٌ ، وليس كل كلامٍ فصيحٍ بليغاً . ويَفْرُقُ بينَها وبينَ الفصاحة من وجهٍ غيرِ الخاصِّ والعامّ ، وَهِيَ أنّها لا تكونُ إلا في اللفظ والمعنى بشرطِ التركيب ، فإنَّ اللفظةَ الواحدةَ لا يُطلَقُ عليها اسمُ البلاغة ويُطلَقُ عليها اسمُ الفصاحة وهو الحُسْنُ ؛ وأما وصفُ البلاغة فلا يُوجد فيها لخُلُوِّها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً .

– قوةُ اللفظِ تابعةٌ لقوة المعنى :

ان اللفظَ إذا كان على وزنٍ من الأوزان ثم نُقِلَ إلى وَزْنٍ آخرَ أكثرَ منه فلا بُدَّ من أن يتَضمّنَ من المعنى أكثرَ مما تضمنه أوّلاً ، لأن الالفاظَ أدِلّةٌ على المعاني وأمثلةٌ للإبانة عنها . فإذا زِيدَتِ الألفاظُ أوجبتِ القِسمةُ زيادةً في المعاني . فمِنْ ذلك قولُهم : خَشُنَ واخْشَوْشَنَ . فمعنى خشن دونَ اخشوشن لما في « اخشوشن » من تَكْرار العين[1] وزيادةُ الواو . وكذلك قولُهم : أعْشَبَ المكانُ ؛ فاذا رأَوْا زيادةَ العُشْبِ قالوا : اعشَوْشَبَ ... ثم إن « المقتدَر » أبلغُ من « القادر » في قولهِ تعالى : « فأخذْناهُمْ أخْذَ عزيزٍ مُقتدر » . وعلى ذلك قول أبي نُواسٍ : فعَفَوْتَ عني عَفْوَ مُقتدرٍ ... أي عفوتَ عني عفوَ قادرٍ مُتمكّنٍ من القُدرة لا يَرُدُّه شيءٌ عن إمضاء قُدرتهِ .

– أبو تمّامٍ والبُحتريُّ والمتنبي :

ولقدْ وَقَفْتُ من الشعر على كل ديوانٍ ومجموع ، وأنْفَدتُ شطراً من العُمُرِ في المحفوظِ منه والمسموع ، فألْفَيْتُهُ بحراً لا يُوقف على ساحله ... فعند ذلك اقتصرتُ منه على ما تكثُرُ فوائدُه وتتشعّب مقاصده ... وقد اكْتَفَيْتُ من هذا بشعرِ أبي تمامٍ حبيبِ بنِ أوسٍ وأبي عُبادةَ الوليدِ وأبي الطَيِّبِ المتنبي . وهؤلاءِ الثلاثةُ هم لاتُ الشعر وعُزّاه ومَناتُه[2] الذين ظهرتْ على أيديهم حَسَناتُه ومُستحسناته . وقد حوَتْ أشعارُهم غَرابةَ المُحْدَثين إلى فصاحة القُدماء ، وجمعتْ

---

(١) عين الفعل في خشن هي الشين (خشن ميزانها ف – ع – ل) .

(٢) اللات ومناة (بفتح الميم) والعزى (بضم العين وتشديد الزاي) أسماء كان الجاهليون يزعمون أنها تطلق على ثلاث بنات لله . — يقصد ابن الاثير أن أبا تمام والبحتري والمتنبي هم أرباب الشعر ، أي أعاظم الشعراء .

بين الأمثالِ السائرة وحِكمةِ الحكماء. فأما أبو تمامٍ فإنه ربّ مَعانٍ وصَيْقلُ ألبابٍ. فهو غيرُ مَدافَعٍ عن مَقامِ الإغراب الذي بَرَزَّ فيه على الأضرابِ[1]. وأما أبو عُبادةَ البُحتريُّ فأنه أحسنَ في سبْكِ اللفظِ على المعنى وأراد أن يشعُرُ فغنّى. ولقد حاز طَرَفَيِ الرقّة والجَزالةِ على الإطلاق .. وأما أبو الطيبِ المتنبي فإنه أرادَ أن يسلُكَ مَسْلَكَ أبي تمامٍ فقصّرتْ به خُطاه ... لكنه حَظِيَ في شعره بالحِكَمِ والأمثالِ واختُصَّ في الإبداعِ في وصف القتال ... وذاك أنه إذا خاض في وَصْفِ معركَةٍ كان لِسانُه أمضى من نِصالها وأشجَعَ من أبطالها، وقامتْ أقوالُه للمسامعِ مَقامَ أفعالِها حتى تَظُنَّ الفريقينِ قد تقابلا والسلاحينِ قد تواصلا... ولا شكَّ (في) أنه كان يشهَدَ الحروبَ مَعَ سيفِ الدولة بنِ حَمْدانَ فيَصِفُ لِسانُه ما أدّى إليه عِيانه.

— كتاب كتبه الى بعض الاخوان وضمّنه ذكر الشمعة :

كتَبَ الخادمُ[2] هذا الكتابَ ليلاً وخاطرُه يُغْنيه عنِ الاستضاءةِ بمِصْباحٍ، ويكادُ يُمثِّلُ له سوادَ الظُلْمة ببياضِ الصباح. غيرَ أنه كان بينَ يديه شمعةٌ وُضعَتْ للعادةِ المعتادة لا للحاجةِ المُرادة. وسنذكُرُ من أوصافِ صورتِها ما للبَيان سَبْحٌ[3] طويلٌ في ذِكْرِه، ولرُبّما كان هنالك مَعْنىً غريبٌ فيُنَبِّهَ على فَحْوى سرّه. وذلك أن لها قَدّاً ألِفِيَّ القَوام[4] مُشَبَّهاً في نُحوله واصفراره بحالِ المُسْتهام[5]، وهِيَ والقَلمُ سِيّانِ في أنهما إذا قُطِعَ رأسُهما صَحّا بعدَ السّقام[6] .....

وكانت الريحُ تتلعّب بلَهَبِها لَدى الخادمِ فتُشَكِّلُهُ أشكالاً: فتارةً تُبْرِزُه نَجْماً، وتارةً تبرزه هِلالاً. ولربّما مثّلَتْه طوراً بالجُلّنارة[7] في تضاعيفِ أوراقِها، وطوراً بالأناملِ في اجتماعها وافتراقها؛ وآوِنةً تأخذُه فتَلُفُّه على رأسِها

---

(١) الاضراب جمع ضرب (بالفتح) : المثل والند (بالكسر فيهما).

(٢) الخادم : (هنا) المعترف بالجميل ؛ رجل في منصب في الدولة.

(٣) السبح : الفراغ (المعجم الوسيط ٤١٤) ، المجال.

(٤) مستقيم مثل الالف (أول حروف الهجاء).

(٥) المستهام : المحب الذي بلغ به الحب حد الهيام (بضم الهاء : الجنون).

(٦) اذا احترق جزء كبير من فتيلة الشمعة بالاضاءة قطع فيزيد ضوء الشمعة (لأن القسم المحترق من الفتيل ييبس فلا يمر فيه الزيت بسهولة). وكذلك اذا تشعث القلم (المتخذ من القصب) بالكتابة قطع شيء من رأسه فاستقام وثبت فتتحسن به الكتابة.

(٧) الجلنارة : زهرة الرمان ، وهي شديدة الحمرة.

شَبيهاً بالقِناع ثم ترفَعُه عنها حتى يكادُ يُزايلُها بذلك الارتفاع (١) . فلم يَزَلِ الخادمُ ينظرُ منها الى مِثْلِ هذه الصُوَرِ ويَسْتَمْلي من بدائِعِها بدائعَ هذه الغُرَرِ (٢) . وأحسنُ الحديثِ ما وافقتْ فيـــهِ صورةُ العِيانِ معنى الخَبَر . وكما كانتِ الريحُ تتلعّبُ بالشمعة فتنقلُها من مِثالٍ الى مِثال ، فكذلك الشوقُ يتلعّبُ بالقلبِ فينقلُه من حالٍ الى حال .....

٤ — المثل السائر ، بولاق (المطبعة الأميرية ١٢٨٢ ﻫ ؛ بيروت ١٢٩٨ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة البهية) ١٣١٢ﻫ؛ (تحقيق محمّد محيى الدين عبد الحميد)،القاهرة (البابي) ١٣٥٨ﻫ —١٩٣٩ م ؛ (تحرير أحمد الحوفي وبدري طبانة) ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٩ م .

المرصّع في الأدبيات ، الاستانة ١٣٠٤ ﻫ ؛ = المرصّع في الآباء والأمهات(٣) ، ويمار (سيبولد) ١٨٩٦م (٤).

الوشي المرقوم في حلّ المنظوم (نشره ابراهيم الأحدب) ، بيروت (مطبعة ثمرات الفنون) ١٢٩٨ ﻫ .

الاستدراك في الردّ على رسالة ابن الدهّان المسمّاة « المآخذ الكندية من المعاني الطائية » (نشره حفني محمّد شرف) ، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٨ م .

رسائل ابن الأثير (تحرير أنيس المقدسي) ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥٩ م .

الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور (نشره مصطفى جواد وجميل سعيد) ، بغداد (مطبوعات المجمع العلمي العراقي) ١٣٧٥ ﻫ = ١٩٥٦ م .

** الفلك الدائر على المثل السائر ، تأليف ابن أبي الحديد ، بلا ذكر محلّ للطبع ١٣٠٩ ﻫ .

ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد ، تأليف محمّد زغلول سلاّم ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) بلا تاريخ .

المثل السائر لابن الاثير ، تأليف أحمد محمّد الحوفيّ ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٩ م .

ابن الأثير ومقاييسه البلاغية ، تأليف محمّد عبد الرحمن شعيب ، ١٩٥٨ .

جولة مع ابن الأثير في كتابه المثل السائر ، تأليف أحمد مختار عنبر .

وفيات الاعيان ٣ : ٦٤ — ٧٠ ؛ العبر ٥ : ١٥٦ ؛ بغية الوعاة ٤٠٤ ؛ شذات الذهب ٥ : ١٨٧ — ١٨٩ ؛ زيدان ٣ : ٥٣ — ٥٤ ؛ بروكلمان ١ : ٣٥٧ — ٣٥٧ ، الملحق ١ : ٥٢١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٢٤ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ٣٥٤ .

---

(١) — يرى أحياناً نور الشمعة وكأنه قد انقطع من الفتيلة وسبح فوقها .

(٢) الغرة : البياض في مقدمة رأس الفرس ، الاشياء الجميلة .

(٣) نشر منسوباً الى أبي السعادات محمد بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦ ﻫ) .

(٤) في بروكلمان (الملحق : ١ ٥٢١) : القاهرة ١٢٩٨ ﻫ .

مَحْيي الدِّينِ بنُ عَرَبيّ

١ – هو أبو بكرٍ محمدُ بنُ عليٍّ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الله الطائي الحاتَميّ المعروفُ بابنِ عرَبي (من غيرِ لام التعريف). كان مَوْلِدُه في مدينةِ مُرْسِيَةَ من جَنوبيِّ شَرقيِّ الأندلُسِ، سَنَةَ ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) في بيتِ ثروةٍ وحَسَبٍ وتُقى. ولمّا بلغَ الثامنةَ من عُمُرِه انتقلَ أهلُه إلى إشْبيلِيَةَ فبدأ هوَ تعلُّمَه في إشبيليةَ. بعدئذٍ دَرَسَ علومَ القُرآنِ والحديثَ والفقهَ في قُرطُبَةَ على بعضِ أتباعِ ابنِ حَزْمٍ. ويبدو أنه في ذلك الحينِ مالَ الى المذهبِ الظاهري. وفي قرطبةَ أيضاً لَقِيَ ابنُ عربيٍّ (٥٧٩ هـ = ١١٨٣ م) ابنَ رُشْدٍ قاضيَ قرطبةَ يومذاك.

ولما بَلَغ ابنُ عربيّ الثلاثين من عُمُره كَثُرَ تَطْوافُه في الأندلس نفسِها ثم في المَغْرِب، ثم تردّدَ مِراراً بين الأندلسِ والمغرب، حتى غادر المغربَ (٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م) الى المشرقِ حيثُ تردّد بين الحجازِ واليمن وآسيةَ الصُغرى والشامِ والعراقِ. وفي سَنَةِ ٦٢٠ هـ (١١٢٣ م) جاءَ الى دِمَشْقَ واستقرّ فيها الى أن تُوُفّيَ سَنَةَ ٦٣٨هـ (١٢٤٠ م).

٢ – ابنُ عربيٍّ متعدّدُ نواحي الشخصية، فهو شاعرٌ وصوفيّ وفيلسوفٌ. ثم هو ذو مَسْلَكَيْنِ في الحياة: رَصينٌ تَقِيٌّ أمامَ الناس، مَرِحٌ متساهلٌ أمامَ أنْدادِه. من أجل ذلك عدّه قومٌ في الأولياء وعدّه آخرونَ في المَلاحدةِ. وشطَح ابنُ عربي أمامَ العامةِ فقال: «أنتم وما تُعبدونَ تحتَ قدمي هذهِ!» وفَهِمَ العامةُ جملتَهُ على ظاهرِها فقتلوه. وباطنُ الجملةِ أنّ الناسَ يعبُدون المالَ.

بلَغَ ابنُ عربي بنَثْرِه خاصّةَ ذِرْوةَ التفكيرِ الصوفيِّ، وهو أعْظَمُ متصوّفي الاسلام – في عُمْق الآراء الصوفية – بعد جلال الدين الرومي[1]. ومزج ابن عربي التصوّف بفلسفة المشّائين[2] والمذهب الاسكندراني وبالعلوم الباطنة ومذهب الإشراق. وكان له ولكتبه أثر بالغٌ جداً في العرب أنفسهم وفي الفرس وفي الافرنج. وخيَالاتُ ابنِ عربيٍ (في الفتوحات المكيّة) كانتْ عُنْصُراً أساسياً في بناء الكوميديا الالهية لشاعرِ ايطالية العظيم دانتي.

---

(١) انظر تحت في هذا الجزء: جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢ هـ).
(٢) المشاءون: اتباع أرسطو.

ومن ألقابِ ابن عربي: الشيخ الأكبر والكِبْريت الأحمر وابنُ أفلاطونَ والبحر الزاخر في المعارف الالهية.

واسلوبُ ابنِ عربيٍّ في شعرهِ ونثرهِ وُجْداني أنيقٌ خالٍ من الصِناعة المقصودة. وشعرُه أقلُّ قيمةً من نثرِه وأدنى مرتبةً من شِعْرِ عُمَرَ بنِ الفارض. وفي نثرِه غُموضٌ وتعقيدٌ وتعمية ورمزٌ كثير واستطراد.

ومن كتب محيي الدين بن عربي: الفتوحات المكّية — فصوص الحكم — ترجمان الاشواق (مجموع قصائد) — الذخائر والاعلاق (مجموع قصائد) — الديوان الاكبر (ديوان ابي عربي).

٣ — مختارات من آثاره

— من الفتوحات المكّية[١]:

قُلْتُ[٢]: اعْلَمْ — يا فصيحاً لايتكلّم وسائلاً عمّا يَعْلَمُ — أنّي لِما وَصَلْتُ إليه من الإيمان ونَزَلْتُ عليه في حَضْرةِ الإحسان، أنْزَلَني في حَرَمه وأطْلَعَني على حُرَمِه؛ وقال[٣]: إنّما أكْثَرْتُ المناسِكَ رَغْبَةً في التّماسِكَ. فان لم تَجِدْني هنا وجدتني هنا، وانِ احْتَجَبْتَ عنك في جَمْعٍ تَجَلّيْتُ لكَ في مِنَى[٤]، مَعَ أنّي قد أعْلَمْتُكَ في غيرِ ما موقفٍ من مواقِفكَ وأشَرْتُ به إليك في غير مرّةٍ[٥] في بعضِ لَطائفكَ أنّي وانِ احْتَجَبْتُ فهو تَجَلٍّ لا يَعْرِفُه كلُّ عارفٍ إلاّ مَنْ أحاطَ عِلْماً بما أحَطْتَ به من المعارف. ألا تراني أتَجَلّى لهم في القِيامة في غيرِ الصورةِ التي يَعْرِفونها والعلامة، فيُنْكرون رُبوبيّتي ومنها يَتَعَوّذون وبها يَعوذون ولكن لا يَشْعُرون؛ ولكنّهم يَقولون لذلك المُتَجَلّي: نعوذُ باللهِ منك، وها نحن لربّنا منتظرون. فحينئذٍ أخرُجُ عليهم في الصورة التي لَدَيْهِمْ فيُقِرّون لي بالرُبوبيّة ..... فهم لعلامتهم عابدون وللصورة التي تَقَرَّرَتْ عندهم مشاهدون .....

---

(١) هذه القطعة مخاطبة يتخيلها ابن عربي بينه و بين الله. وسنكتفي بشرح عدد من ألفاظها غير متعرضين للكشف عن مقاصد ابن عربي فيها.

(٢) قلت = ابن عربي يقول.

(٣) قال = قال الله.

(٤) الالتماس: الطلب. جمع ومنى مكانان في مكة.

(٥) في غير ما موقف، غير مرة (في استعمال أهل الأندلس): أكثر من موقف وأكثر من مرة.

- قصيدة غزلية ظاهرها بعيد عن المعاني الصوفية :

مَرَضي مِنْ مريضةِ الأجفانِ ، عَلِّلاني بذِكْرِها علِّلاني[1] .
هَفَتِ الوُرق بالرياضِ وناحت ، شجوُ هذا الحَمامِ ممّا شجاني[2] .
بأبي طفلةٌ لَعوبٌ تَهادى من بناتِ الخدور بين الغواني[3] .
طلعتْ في العِيان شمساً ، فلما أفلَتْ أشْرَقَتْ بأُفْقِ جَناني[4] .
يا طلالاً برامة دارساتٍ -كم رأتْ من كواعبٍ وحِسان[5] -
بأبي ، ثم بي ، غزالٌ ربيبٌ يرتعي بين أضْلُعي في أمان[6] .
ما عليها من نارها فهو نُورٌ ؛ هكذا النورُ مُخْمِدُ النيران !
يا خليليَّ ، عرِّجا بِعِناني لأرى رَسْمَ دارِها بعِياني .
فإذا ما بلغتُما الدارَ حُطّا ؛ وبها ، صاحبيّ فلتَبْكِيانِي .
وقِفا بي على الطُلولِ قليلاً نَتباكى ، بل أبْكِ مما دهاني[7] .
الهوى راشقي بغيرِ سِهامٍ ، الهوى قاتلي بغيرِ سِنان[8] .
عرِّفاني إذا بَكيْتُ لديها تُسْعِدانِي على البُكا تسعدانِي[9] .
واذْكرا لي حديثَ هندٍ ولُبنى وسُليمى وزينبٍ وعِنان[10] ؛
ثم زيدا عن حاجرٍ وزَرودٍ خبراً عن مراتعِ الغِزلان[11] .

---

(١)من أسباب الجمال في النساء ذبول العينين فكأنهما مريضتان . علّلاني بذكرها : اذكروها أمامي مراراً (فيحدث لي أمل بأنني سألقاها) .

(٢) هفا الطائر : خفق بجانحيه . الورق جمع ورقاء : الحمامة . شجو هذا الحمام شجاني : ان ما أبكى حمام الروض هو بعض ما عندي ما الحزن .

(٣) الطفلة (بفتح الطاء) المرأة اللينة الناعمة . بأبي طفلة : أبي فداؤها .

(٤) الجنان (بفتح الجيم) : القلب .

(٥) الطلال : الاطلال (آثار البيوت بعد زوالها) . رامة : اسم مكان . دارس : عاف (ممحو الآثار) .

(٦) بأبي ثم بي غزال (امرأة جميلة) : أنا وأبي فداء لغزال . ربيب : مربوب (لا يزال في طور التربية والتنشئة) ، صغير .

(٧) بل ابك مما دهاني (أصابني من السوء والقسوة) : دعني أبكي أو ابك أنت حزناً علي .

(٨) السنان : حديدة في رأس السهم أو الرمح ، سلاح .

(٩) تسعداني ؟ : هل تساعداني في البكاء (هل تبكيان معي ، لأن بكاءكما معي يخفف بعض ما أشعر به من الحزن) .

(١٠و١١) هند ولبنى وزينب وعنان أسماء نساء (كناية عن الحب الالهي) . حاجر وزرود اسما مكانين ، كناية عن هذا العالم الذي تتجلى فيه عظمة الله ويتجلى فيه جمال الله.

واندُباني بشعرِ قيسٍ وليلى وبمَيٍّ والمبتلى غَيْلان[1] .

طالَ شوقي لطَفْلةٍ ذاتِ نثرٍ ونِظامٍ ومِنبرٍ وبَيان[2]

من بناتِ الملوكِ من دارِ فُرسٍ : من أجلِّ البلادِ من إصبهان .

من بناتِ العراقِ : بنتِ إمامي ؛ وانا ضدها سَليلُ يماني[3] .

هل رأيتم ، يا سادتي ، او سَمِعتم ان ضِدَّيْنِ قَطُّ يجتمعانِ ؟

لو ترانا برامةٍ نتعاطى أكؤُساً للهوى بغير بَنان ،

والهوى بينَنا يسوق حديثاً طيّباً مُطْرِباً بغيرِ لسان ،

لرأيتم ما يذهَبُ العقلُ فيه : يمنٌ والعراقُ معتنقان[4] !

كَذَبَ الشاعرُ الذي قال قبلي ، وبأحْجارِ عقله قد رماني : [5]

«(أيُّها المُنْكِحُ الثريّا سُهيلاً ، عَمْرَكَ اللهَ ، كيف يلتقيان ؟[6] .

هِيَ شاميةٌ اذا ما استقلتْ ، وسُهَيْلٌ ، إذا استقلّ ، يَماني !) »[7]

٤ —[8] تفسير القرآن[9] ، القاهرة (بولاق)١٢٨٣ ه ؛ لكنهو ١٣٠١ ه ؛ نوالكشور ١٣١٠ ه ؛
(على هامش « عرائس البيان ») ، الهند ١٣١٥ ه ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٧ ه ؛
بيروت (دار اليقظة) ١٩٦٨ م .

مناجاة الرحمن بآيات القرآن ، القاهرة ١٣٤٢ ه .

أحكام القرآن (نشره محمد علي البجاوي) ، القاهرة (دار عيسى البابي الحلبي ١٩٧١ (؟) .

ردّ معاني الآيات المتشابهات الى معاني الآيات المُحكَمات ، بيروت (نادي الكتب العربية)
١٣٢٨ ه ؛ بيروت ١٩٣٢ م .

الفتوحات المكّيّة ، بولاق ١٢٦٩ — ١٢٧٤ ه ؛ الطبعة الثانية ، مصر (مطبعة بولاق) ١٢٩٣ ه ؛
القاهرة ١٢٩٠ ، ١٢٩٤ ، ١٣٢٦ ه ؛ مصر (دار الكتب العربية) ١٣٢٩ ه .

---

(١) قيس بن الملوح مجنون ليلى (حبيب ليلى العامرية) ، وغيلان عاشق مية (كناية عن المحبين) .

(٢) طفلة (بفتح الطاء) : المرأة اللينة الناعمة . ذات نثر (بارعة في صوغ الكلام المنثور) ونظام (شعر) ومنبر (خطابة) وبيان مقدرة أدبية عامة .

(٣) امامي : استاذي . — ان ابن عربي تعرض فعلا لابنة استاذه وأخرج من أجل ذلك من مكة . هي فارسية ، وأنا ضدها سليل (من نسل) يماني (رجل من اليمن) : عربي .

(٤) يمن والعراق : الجنوب والشمال .

(٥ و ٦) هو عمر ابن ابي ربيعة ، قال هذين البيتين لما تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث ، وكان عمر يتغزل بها (غ ١ : ٢٣٢ — ٢٣٤) .

(٧) في هذا البيت تورية (اشارة الى ان النجم « سهيلا » مطلعه جنوبي وان عنقود النجوم « الثريا » مطلعه شمالي) .

(٨) يبدو أن عدداً من المؤلفات التالية منسوبة الى محيي الدين بن عربي وهي ليست له على القطع .

(٩) لعله للكاشاني (الكاشي السمرقندي) المتوفي ٧٣٠ ه (راجع بروكلمان ١ : ٥٧١ ، الملحق ١ : ٧٩١ ؛ فهرست الكتبخانة المصرية ١ : ١٤٠ مستشهداً به في معجم المطبوعات العربية لسركيس ١٧٧) .

فصوص الحكم . (مع شرح باللغة التركية) ، الاستانة ١٢٥٢ ه ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٣٠٩ ، ١٣٢١ ه ؛ ١٣٢٩ ه ؛ (عليه تعليقات بقلم أبي العلاء عفيفيّ) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٦ م ، الطبعة الثانية . بيروت ١٩٦٤ م .

محاضرات الابرار ومسامرات الأخيار (أو : مسامرات الأبرار ومحاضرات الأخيار) في الأدبيات والنوادر والأخبار ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٢ (؟) ، ١٢٨٢ ه ، بولاق ١٢٩٢ ؛ القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٥ ه ؛ ١٩٠٦ م (١٣٢٣ ه) ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٤ — ١٣٢٥ (١٩٠٦م) ؛ بيروت (دار اليقظة العربية) (١٩٦٨) م ؛

ديوان ابن عربي (أو الديوان الأكبر) ، بولاق ١٢٧١ ه ؛ ١٨٥١ م (١٢٦٨ ه) ؛ الهند (طبع حجر) = (لعله : بومباي بدون تاريخ) ؛ (حرّره نيكلسون) ، لندن (الجمعية الملكيّة الآسيوية) ١٩١١ م ؛ (تحرير ج . س . ستار) ، بيروت١٨٩٤ م ؛ بيروت ١٣٢٢ ه ؛ ١٩١٢ م (١٣٢٧) ؛

بيروت (دار صادر) ١٩٦١ م .

ترجمان الأشواق . استانبول ١٣١٦ ه .

ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق . بيروت (المطبعة الأنسية) ١٣١٢ ه .

مشكاة الانوار . حلب ١٣٤٦ ه = ١٩٢٧ م .

تنزّل الأملاك من عالم الارواح الى عالم الافلاك (حقّقه أحمد زكي عطيّة — طه عبد الباقي سرور) القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦١ م .

رسالة القدس (أو رسالة روح القدس) في محاسبة (مناصحة) النفس ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٨١ ه ؛ دمشق (مؤسّسة العلم للطباعة والنشر) ١٩٦٤ م .

العواصم من القواصم ، قسطنطينة (في الجزائر) ١٣٤٦ ه .

شجرة الوجود والبحر المورود ، بولاق ١٢٩٢ ه ؛ = شجرة الكون ، القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣١٠ ه .

مواقع النجوم ومطالع أهلّة الأسرار والعلوم (عني بتصحيحه بدر الدين النعسانيّ) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٥ ه = ١٩٠٧ م .

الأمر المحكم المربوط في ما يلزم أهل الطريق من المشروط (مع شرح بقلم مصطفى شريف) ؛ بذيل ترجمان الأشواق ، استانبول ١٣١٦ ه ؛ مطبوع مع التحفة البهيّة ، استانبول ١٣٠٢ ه = الأمر المحكم المشروط ، بيروت ١٩١٢ م ؛ (مع ذخائر الاعلاق) .

القرعة المباركة الميمونة والدرّة الثيمنة المصونة ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٩ ه ؛ بومبيء ١٣٠٠ ه.

قرعة الطيور لاستخراج الفأل والضمير . القاهرة (طبع حجر) ١٢٨١ ه .

انشاء الدوائر . ويليه عقلة المستوفز ثمّ يليه التدبيرات الالهية في اصلاح المملكة الانسانية (تحرير نوبرغ) ، ليدن (بريل) ١٣٣٦ ه = ١٩١٩ م .

الصلاة الأكبرية (مطبوع في « مجموع ») . بولاق ١٣٠٣ ه .

الاخلاق ، القاهرة بلا تاريخ .

لطائف الأسرار (حققه أحمد زكي وعبد الباقي سرور) ، القاهرة لجنة التراث الصوفي) ......
«مجموعة الرسائل» – عني بجمعها محيي الدين صبري الكردي)، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ .
رسائل (ابن العربي !) ، حيدر اباد (مطبعة جمعية المعارف العثانية) ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .
مجموعة ساعة الخبر (رسائل) ، القاهرة (مصطفى البابي الحلبي) ١٩٤٩م.
قصيدة المعشرات : منشدة في بيان أحوال المعاد (شرحها عثمان عبد المنّان) ، الاستانة ١٣٠٦ ه
كنه ما لا بدّ للمسترشد المريد منه (مطبوع مع الرسالة اللدُنيّة للغزّالي) ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .
مفاتيح الغيب ، مصر ....
رسالة الى الامام فخر الدين الرازي (في « ثلاث رسائل » – نشرها عبد العزيز الميمني الراجكوتي) القاهرة ١٣٤٤ هـ .
الأربعون صحيفة من الأحاديث القدسيّة ، مصر ......
الإسفار عن رسالة الانوار في ما يتجلّى لأهل الذكر من الانوار – الاسرار (مع شرح عبد الكريم الجيلي) ، دمشق (محمّد رجب) ١٩٢٩ م .
الأنوار في ما يمنح لصاحب (يفتح على صاحب) الخلوة من الأسرار . مصر ١٣٣٢ هـ .
تجلّيات عرائس النصوص في منصّات حكم الفصوص (مع شروح باللغة التركية لعبد الله البوسنوي) بولاق ١٢٥٢ هـ .
تحفة السفَرة الى حضرة البررة ، الاستانة ١٣٠٠ هـ .
مجموع الرسائل الالهية (عني بتصحيحه م بدر الدين النعساني) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٥ هـ=١٩٠٧م.
** – جواهر النصوص في حلّ كلمات الفصوص لعبد الغني النابلسي ، استانبول ١٣٠٤ هـ ؛ القاهرة (مطبعة الزمان) ١٣٢٣ هـ ؛
شرح على فصوص الحكم لعبد الرزّاق القاشاني ، مصر (المطبعة البارونية – طبع حجر) ١٣٠٩ هـ؛ مصر (طبع حجر) ١٣٢١ هـ .
شرح ملاّ عبد الرحمن الجامي (ت ٨٩٨ هـ) على نصوص الحكم ، بومباي (حجر)١٣٠٧، ١٣٢٤، ١٣٢٦هـ؛ (بهامش جواهر النصوص للنابلسي)، القاهرة (مطبعة الزمان)١٣٢٣ هـ ؛
شرح فصوص الحكم لمصطفى بالي بن سليمان المشهور بلقب بالي زاده أو بالي أفندي (ت ١٠٦٩هـ)، استانة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٩ هـ .
شرح (على فصوص الحكم بالتركية بقلم عارف الله ، بولاق ١٢٥٢ هـ ؛ استانبول ٨٩٧ م .
شرح (على فصوص الحكم) بقلم بالي خليفة الصوفيائي [1] (ت ٩٥٩ هـ) استانبول ١٣٠٩ هـ .
مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم المعروف في معاني فصوص الحكم لداود بن محمود القيصري (ت ٧٥١ هـ) ، بومباي ١٣٠٠ هـ ؛ = شرح فصوص الحكم قيصري ، طهران ١٢٩٩ هـ .
شرح الإسفار عن رسالة الأنوار ... لعبد الكريم الجيلي (مطبوع مع الاسفار عن رسالة الانوار) ، دمشق (محمّد رجب) ١٩٢٩ م .
اصطلاحات (مختصر اصطلاحات) الصوفية الواردة في الفتوحات المكيّة (مطبوع مع «التعريفات»

---

(١) من أهالي صوفيا عاصمة بلغاريا .

للجرجني – تحرير فلوغل) ، ليبزغ (فوغل) ١٨٤٥ م ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ ؛ استانبول ١٣٠٧ هـ .

مناقب ابن عربي لأبي الحسن عليّ بن ابراهيم بن عبد الله (تحرير صلاح المنجّد) ، بيروت (مؤسّسة التراث العربي) ١٩٥٩ م .

ترجمة ابن عربي لمحمّد قطة العدوى (بآخر الجزء الرابع من « الفتوحات المكيّة) ، مصر ١٣٢٩هـ.

محيي الدين بن عربي ، تأليف طه عبد الباقي سرور ، مصر (مكتبة الخانجي) بلا تاريخ (الطبعة الثانية) ، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٥ م .

البرهان الازهر في مناقب الشيخ الأكبر ، تأليف محمّد رجب حلمي ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

ابن عربي : حياته ومذهبه ، تأليف آسين بلاثيوس (ترجمة عبد الرحمن بدوي) ، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٦٥ م .

الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي سلطان العارفين . تأليف عبد الحفيظ فرغلي علي القرني ، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٨ م .

الكتاب التذكاري : محيي الدين بن عربي في الذكرى المئويّة لميلاده ، القاهرة (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٩ م .

الخيال في مذهب محيي الدين بن عربي . تأليف محمود قاسم . القاهرة (جامعة الدول العربية – معهد البحوث والدراسات العربية) ١٩٦٩ م .

محيي الدين بن عربي : من شعره . تأليف عبد العزيز سيّد الأهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٧٠ م .

العبر ٥ : ١٥٨ – ١٥٩ فوات الوفيات ٢ : ٣٠٠ – ٣٠٤الوافي بالوفيات ٤ : ١٧٣ – ١٧٨ ؛ نفح الطيب (بيروت) ٢ : ٢٥ – ٤٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٩٠ – ٢٠٢ ؛ بروكلمان ١ : ٥٧١ – ٥٨٢ ، الملحق ١ : ٧٩٠ – ٨٠٢ ؛ زيدان ٣ : ١٠٨ – ١٠٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣: ٧٠٧ – ٧١١؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٧٠ – ١٧١ .

المكزون السنجاريّ

١ – هو الأميرُ عزُّ الدين أبو محمّدٍ حسنُ المكزونُ بنُ يوسفَ بنِ مكزونَ ابن خَضِرِ بن عبد الله بن محمد السِنجاريُّ ، نِسْبةَ الى سِنجارِ العراقِ ، يرقى نَسبُهُ الى المُهلّبِ بن أبي صُفرةَ ، فيما يُقال . وُلِدَ في سِنجارَ سَنَةَ ٥٨٣ هـ (١٢٨٦ م) أو قبيلَ ذلك ونشأ فيها في رعاية والده فحفظَ القرآنَ وقرأ دواوينَ نَفَرٍ من فُحولِ الشعراء كأبي نواسٍ وأبي تمّامٍ والبُحتريّ والمتنبّي والشريف الرَضيّ وغيرِهم وتبحّر في الأدب الصوفيّ خاصّةً . كما أحاط بجانبٍ صالحٍ من ثقافة عصرِه في الفِقْه وعلم الكلام والفلسفة .

وفي سَنَةِ ٦٠٢ هـ خلَفَ المكزونُ السِنجاريُّ أباه يوسفَ في إمارة سنجار (في

قول من يقول إن الأسرة كانت ذاتَ إمارة). ولمّا اشتدّتْ وطأةُ الإفرنج الصليبيّين على العلَويّين من أهلِ اللاذقية (الساحلِ الشامي) وزادَ عُدوانُ الإسماعيلية عليهم جاء المكزونُ السنجاريّ من العراق (٦١٧ هـ) بخمسةٍ وعشرينَ ألفَ رجُلٍ للدفاع عن قومِه فصدّه الإسماعيليون فعاد الى سِنجارَ. ثمّ إنّه رَجَعَ (٦٢٠ هـ) بخمسين ألفاً وقاتل الإسماعيليةَ وقضى عـلى نفوذهم وحارَبَ حُلفاءَهم من الأكراد. بعدَئذ نظّم أمورَ العلويّين. ويبدو أنّه تَصوّفَ بعد ذلك وانصرفَ إلى العبادة. ولعلّ من أسبابِ ذلك أنه أُصيبَ في تلك الفَتْرةِ بمرضٍ كان يَنْتَكِسُ منه مرّةً بعد مرّةٍ حتّى مات سَنَةَ ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) في قريةِ كفرسوسة بقُربِ دِمَشْقَ، وقَبْرُهُ معروفٌ فيها.

٢ ــ كان أبو محمّدٍ الحسنُ المكزونُ السِنجاريُّ عَلَويَّ المذهبِ عالماً بالفِقْهِ مُطّلعاً اطّلاعاً واسعاً على الثقافات التي حَفَلَ بها عَصْرُهُ والتي تحدّرتْ إلى عصرِه. ففي شعرِه ونثرِه دلائلُ واضحةٌ من المعرفة بالمذاهبِ الإسلامية وغير الاسلامية وبأشياءَ من الفلسفات ــ وأثرُ إخوانِ الصفا عنده بارزٌ واضح، لاتّصال مُحتَوياتِ رسائلِ إخوانِ الصفا بالمذهبِ الباطني عُموماً وخصوصاً ــ كما كان أديباً مُصَنّفاً وشاعراً وُجْدانياً على طريقِ أهلِ التصوّف. ونَثْرُه مَتينُ السبكِ أنيقٌ حَسَنُ الصِناعة كثيرُ الرمز. وقد وَصَلَ إلينا رسالةٌ له في أصولِ الفِقه وفروعه (عند العلويّين النصيرية) اسمُها «تزكية النفس في معرفة بواطن العبادات الخمس» (النصيرية: راجع فوق ص٧).

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من رسالة «تزكية النفس»:

الحمدُ لله المُتجلّي لأبصارِ أهلِ البصائر، الظاهرِ بحُلَلِ البهاء في المظاهر، العالي عن شَبَهِ المخلوقين البريء من شُبَهِ المتخلّقين، المعنى الحقّ والالهِ الصِدْقِ، ذي الأمرِ الأزليّ والخالق السرمدي، الأحدِ القادرِ بذاته الغَنيّ عن أسمائه وصفاته .... لا تُدْرِكُهُ البصائر ولا تَحْجُبُه الستائر... وأشهدُ أنّهُ الأحدُ لا مِنْ عَدَدٍ الظاهرُ بذاته من غير جسد، المُنَزّهُ عن الصاحبةِ والولد.......

أمّا بعدُ فانّي لمّا رَجَعْتُ الى مدينة سِنجارَ بعد الهِجْرة وقد أَوَيْتُ إلى ظِلّ مَدْيَنَ ووَرَدتُ ماءها وأجَرْتُ نَفْسِيَ وقَضَيْتُ الأجلَ وأكْمَلْتُ العِدّةَ وخرجتُ مُستأنساً نارَ الهداية من وادي التجلّي في مفازة الحير وسَمِعْتَ النداءَ من الشَجَرة المُباركة العالية عن حدود الأيْنِ بواسطة الداعي ووَحْيَ العقل، سألني

من وَجَبَ حقُّه عليّ ..... أن أُبيِّنَ الظواهرَ الأصلية ومَجازَها وحقيقتها ، والاسلامَ الذي بُنِيَتْ ظواهرُ الخَمْسِ على ظاهرِه ، والايمانَ الذي لا تُعْرَفُ بواطِنُها (بواطن الظواهر الخمس) الاّ به وأقسامَها ، ومَجازَ الإسلام وحقيقتَه ومُستقرَّ الايمان ومُسْتَوْدَعه ..... ولم أجِدْ سبيلاً للاعتذار عن تَرْكِ إجابته بادرتُ الى تقرير قواعدِها وقوانينها وإيضاحِ دلائلها وبراهينها لاشتمالها على فُروعِ شَجَرةِ طُوبى العالية عن جِهات الحَيِّزِ الدانية بقُطوفها لأفهام المخلصين للحقّ التي حرّمَ اللهُ الفِرْدَوْسَ على الجاهلين بثمارِها الآتيةِ أكُلُها في كلّ حينٍ ، لأنّها باطنُ ما شُرِعَ من العبادات وحقيقةُ ما دَعَتْ اليهَ الدُعاةُ ، من الصلاة والصِيام والحجّ والزكاة والجِهاد وسائرِ الأوامرِ الشرعيّات ، وعلى مَعرفتِها والإقرار بها الثوابُ ، وعلى الجاهلِ بها والمُنْكِرِ لمعانيها العِقابُ . وقد سَمّيْتُها بتزكيةِ النفسِ في معرفة بواطنِ العباداتِ الخَمْسِ .....

اعلم ، أيّها الأخُ البَرُّ الرحيمُ – جعلَكَ اللهُ مِمّن استقرّتْ عندهم معرفتُه وتمّت لديهم في المَلَكوت الأعلى نِعْمَتُه – أنّه لمّا أوْجَبَ الله تعالى طلبَ العلم على كلّ عاقلٍ استلزم ذلكَ الوجوبُ وجوبَ بَذْله لأهلهِ على كلّ عالمٍ ، لاستحالةِ حُصولِ ما وَقَعَ به التكليف بدون المتعلّم*(١)* ، وذلك على اختلافِ مراتبِ العلوم حقيقةً ومجازاً ، خصوصاً في العلومِ الخَفِيَةِ فانّها بعيدةٌ عن كَسْبِ الخيال غامضةٌ عن بديهة الفِكر محجوبة عن تصوّرِ الوَهْمِ فلا تُعْرَفُ الاّ مِنْ مبادئها ولا توجَدُ أسرارها عند غيرِ أهلها . وكيف تُحَصّلُ جواهرُها بعوارضِ الأعراض وتُدْرَكُ أشِعّةُ شُموسها بالأبصار المِراض ؟........

– نماذج من شعره :

– أمرَتْني بستْرِ كَشْفِ غِطائي ... إذ أرتْني صَباحَها في مسائي .
ودَعَتْني وأوْدَعَتْنِيَ سِرّاً ... في سُراها عَدَتْ به أعدائي .
ونَهتْني ، إذ نبّهَتْنِيَ ، عن بَثّ ... هواها إلى ذوي الأهواء .
والى الفجر أوْعَدَتْني وفيه ... وَعَدَتْني الإبلالَ من بَلوائي .
وعلى الموت بايَعَتْني وقالتْ : ... من وفى لي مَنَحتُه بوفائي .
وبها إذ قَضَيْتُ نَحْبي قَضَتْ لي ... بمقام الأبرار والشُهداء
ومن المَسْجِد الحَرام الى الا ... أقصى أرتْني أسِرَّةَ الإسْراء
وبألْطافِها إليها دَعَتْني ... وأرتْني نُزولَها في سمائي ،

---

(١) كذا في الاصل ، اقرأ : المعلم .

بِكِتابٍ فيـه شِفاءُ اكتئـابي   من وعيد القِلى بوَعْد اللِقـاء :
ناطقٍ صامتٍ مُبِـينٍ مُعمّىً   ساترٍ كاشـفٍ قريبٍ نـاء ،
ظاهر باطـنٍ أنيقٍ عميـق   شاهدٍ غائـبٍ عن الأغبيـاء .
حبّذا ما به حَبَتْني ، على الهَجْـ   ـر ، جزاءٌ منهـا لِصدْق وَلائـي .
فعلَيْها مـا دَلّ قلـبي سواها ،   وإليها لم تَـدْعُني بسوائي !

– لَبَّيْتُ لمّا دَعتْني ربّةُ الحُجُب   وغِبْتُ عنها بها من شِدّة الطرب .
وأحْضَرتْنيَ من غَيْبي لِيَشْهَدَني   جمالُها في حِجاب غيرَ مُحتَجِب
مشهودةٌ لا يـراها في الأنام بهـا   خَلْقٌ ، وقد شُوهِدَتْ بينَ الخلائق بي
موصوفةٌ لم أصِفْ إلاّ وَصيفَتَهـا .   وهي العلّيّةُ عن نَظْمي وعن خُطَبي .
تُركيّةٌ من بلاد الهند قد ظَهَرَتْ   ووجهُها عن بلاد التُرك لم يَغِب .
أبدى الرضا حُسْنَها في الفُرسِ فابتهجوا   بحُسْنِها ، واختَفَتْ في ظُلْمة الغضب ،
وألْوَتِ الحُسْنَ عن أبياتِ فارسِها   إلى لُؤَيٍّ فصار الحُسْنُ في العـرب .

– نِهايَةُ الجهلِ اجتهادُ الفتـى   في كَسْبِ مـا ينفقُه غيرُهُ .
وشرُّ حـالِ الفتى نفسـه   أن يتعـدّى نفسَه خيـرُهُ !

– يا وليّ الخيـرِ ، لا تَبْـ   خَلْ على الناسِ بخَيْـرِكْ .
فالـرَّدى خَـوّلَكَ المـا   لَ الذي كـانَ لغيرك .
وهْـوَ في استرجـاعِ مـا   ولاّكَ سَيّـارٌ كسَيْرك .

– غِناكَ عن الشيءِ نفسُ الغِنـى .   وأمّا به فهو فقـرٌ إلَيْه .
وليسَ مِنَ الزُهدِ في رُتْبـةٍ   أخو رَغْبَـةٍ في ثنـاءٍ عَلَيْهْ .

– لُذْ بالثنـاءِ على الالـهِ   مِنَ الهجـاءِ لِخَلْقِـه ،
واستَهْدِهِ لسَبيلِهِـمْ   واستَجْدِه مـن رِزْقِـه .
فعلَيْه حقُّـكَ واجـبٌ ،   إنْ أنتَ قُمْـتَ بحقّـه !

٤ – معرفة الله والمكزون السنجاري ، تحقيق ودراسة للدكتور أسعد أحمد علي . بيروت (دار الرائد العربي) ١٣٩١ – ١٣٩٢ هـ = ١٩٧١ – ١٩٧٢ م .

** الأعلام للزركلي ٢ : ٢٣٤ – ٢٤٤ (راجع ٨ : ٢١٣) .

ابن الزاهد العلويّ

هو أبو محمّد الحسنُ بنُ الأكرمِ عُرِفَ بابنِ الزاهدِ العَلَوِيّ، وكان أديباً . وكانت وفاته سَنَةَ ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ – ١٢٤٣ م) .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ الزاهدِ العَلَويّ يتغزّلُ بغُلامٍ تُركيّ (ومن خصائصِ التُركِ الطبيعيةِ أنّ عيونَهم ضيّقة)، وقد استَخْدَمَ الشاعرُ التوريّةَ في «ضيّق العين»: من كانت عينه ضيّقةً معنوياً (بخيلاً):

صَدّ عنّي وجاء شيئاً فَرِيّــاً ... فنبَذْتُ الكَرى مكاناً قَصِيّاً[1].
ورَعَيْتُ النجومَ في الليـــل حتّى ... باتَ طَرْفي مُوَكَّلاً بالثُرَيّا[2]،
وبراني الأسى فقُلْتُ لِقلبي: ... «ذُقْ أليمَ الغرامِ ما دُمْتَ حيّا[3]؛
كيف تَهْوى مَنْ لا يَرِقُّ لِصَبٍّ ... قد كَوَتْ قلبَــه الصبابةُ كيّــا[4]».
يا طبيبَ القلوبِ، عالِجْ مريضــاً ... يشتكي من جَفــاك داءً دَوِيّا[5].
تَرَكَ الحَزْمَ مَنْ أحبّ كحُبّي ... مِنْ بنــي التُرْكِ ظالماً تركيّا[6].
يا بخيــلاً بوصلهِ، ولَعَمْــري، ... ضيّقُ العينِ لا يكونُ سخيّا!

٤ ** شذرات الذهب ٥: ٢٠٧ – ٢٠٨.

علم الدين السخاويّ

١ – هو عَلَمُ الدين أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الصمدِ بن عبد الأحد ابن عبد الغالب الهَمْدانيُّ المِصْري السَخاوي، وُلِدَ في سَخا (مصر) سَنَةَ ٥٥٨ ﻫ (١١٦٣ م)؛ سَمِــعَ في الاسكندرية من السَلَفي وابن عَوْفٍ، وفي القاهرة من البوصيري وابنِ ياسينَ. وسَكَنَ بمَسْجد في القَرافة (المقبرة، جنوبي القاهرة) وأمَّ الناسَ فيه مدّةً طويلة. ولمّا وصل أبو محمّــدٍ القاسمُ بن فِيرُّه الشاطبيُّ إلى القاهرة (٥٢٧ ﻫ) لازمه عَلَمُ الدين السخاوي وتلقّى عليه القراءاتِ واللغةَ والنحو.

وكان علمُ الدين السخاويّ يؤدّبُ أولادَ الأميرِ ابن مُوسَكَ؛ فلمّا انتقل ابنُ موسكَ الى دِمَشْقَ انتقل علمُ الدين السخاويّ مَعَه. وانتهزَ علمُ الدين السخاوي الفُرصةَ فقرأ على نَفَرٍ من علماءِ دِمَشْقَ ثمّ تصدّر للإقراء في الجامع الأُمويّ

---

(١) فريا: مختلقاً، مكذوباً. نبذ: رمى، ترك. الكرى: النوم. قصي: بعيد.
(٢) رعى النجوم: راقبها (كناية عن طول السهر). الثريا: عنقود نجوم. طرفي (بصري) موكل بالثريا: وكيل يراقب الثريا دائماً (فلا ينام). (٣) براني (انحلني) الاسى (الحزن). (٤) الصب: المحب.
(٥) الجفا: التجنب، الابتعاد، غلظ الخلق أو قساوة الطبع. الداء الدوي: المرض الشديد.
(٦) الحزم: ضبط الأمور على منهاج معين والبت فيها. ظالماً تركياً: شديد الظلم؟

فازدحمَ الطُلاّبُ عليه من كلّ جانبٍ وبدأ في التصنيف. وكانتْ وفاتُه في دِمَشْق في ١٢ جُمادى الثانيةِ سَنَةَ ٦٤٢ هـ (٥/ ١١/ ١٢٤٣ م).

٢ ــ كان علمُ الدينِ السَخاويُّ رجلاً حُلوَ المُحاضرة (المحادثة والمناقشة) حادَّ الذاكرة، وكان عالماً بالقراءات والتفسير والأصول واللغة والنحو والأدب، وإليه انتهتْ رِئاسةُ الإقراء في دِمَشْقَ. وكان أديباً له خُطَبٌ وأشعارٌ أكثرُها في الأحاجي والألغاز. ثمّ إنّه كان مُصنّفاً، له: هِداية المرتاب وغاية الحُفّاظ والطلاّب (أرجوزة) في معرفة متشابهات القرآن ــ عَمدة المفيد وعُدّة المجيد = عُمدة المجيد في النظم والتجويد (في التجويد) ــ جمال القرّاء وكمال الإقراء (في التجويد) ــ الكوكب الوقّاد في الاعتقاد (في أصول الدين) ــ سِفْر السعادة وسفير الافادة (في اللغة: شرح المفصّل) = شرح المفصّل للزمخشري (أربع مجلّدات) ــ ذات الحُلل ومَهاة الكُلل (قصيدة في المؤتلف والمختلف) ــ منظومة في متشابه القرآن (مرتّبة على حروف المعجم) ــ شرح حِزر الأماني (للشاطبي، في القراءات) = شرح (القصيدة) الشاطبية = الوحيد في شرح القصيد (يريد: قصيدة الشاطبي) ــ أرجوزة في سيرة النبيّ ــ القصائد السبع (بديعيّات: في مدح الرسول) ــ كتاب تفسير القرآن ــ منظومة في أحزاب القرآن ــ تحفة الفَرّاض وطرفة المهذّب المرتاض (في الإرث) ــ شرح أحاجي الزمخشري النحوية (التزم أن يعقّب كل أُحْجِيَتَيْنِ للزمخشري بلُغْزين من نظمه) ــ إخوانيّات مع كمال الدين الشَريشي (شارح مقامات الحريري). وله عدد من القصائد في موضوعات مماثلة.

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال ابنُ خلّكانَ (٢ : ٣١) : ولمّا حضرتِ الوفاةُ (عَلَمَ الدينِ السخاويَّ) أنشدَ لنفسِه:

قالوا: غداً نأتي دِيـارَ الحِمى ويَنْزِلُ الرَكْبُ بمَغْناهُمُ[1]؛
وكلُّ مَنْ كان مُطيعـاً لهم أصْبَحَ مسروراً بلُقْيـاهُمُ.
قلتُ: فلي ذَنْبٌ، فما حيلتي؟ بـأيِّ وجـهٍ أتلقّـاهم!
قالوا: أليسَ العفوُ من شأنِهم، لا سيّما عمّن ترجّـاهم!

ــ وله عددٌ من الألغاز في الفِقه والنَحو، منها في النحو:

وما حـرفٌ يَليهِ الفِعْـلُ مجـزوماً ومـرفوعا،

(١) الركب: الجماعة المسافرون معاً (يقصد: أنه سيموت). المغنى: مسكن القوم. ديار الحمى: المكان الذي لا خطر ولا خوف فيه (عند الله).

ويُنْصَبُ بعــدَهُ أيضــاً ؛ وكــل جــاء مسموعا[1] !

٤ — هداية المرتاب وغاية الحفّاظ والطلاّب ، مصر (طبع حجر) ، طبع مراراً ؛ استانبول ١٣٠٦هـ.

** معجم الأدباء ١٥ : ٦٥ — ٦٦ ؛ انباه الرواة ٢ : ٣١١ — ٣١٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٠ — ٣١ ؛ بغية الوعاة ٣٤٩ ؛شذرات الذهب ٥ : ٢٢٢ — ٢٢٣ : ؛ بروكلمان ١ : ٥٣٢ — ٥٣٣ ، الملحق ١ : ٧٢٧ — ٧٢٨ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٥٤ .

عبد المحسن بن حمّود

١ — هو أبو الفضل وأبو القاسم أمينُ الدين عبدُ المُحْسن بن حَمّودٍ (وقيل : محمود) بن عبد المحسن بن عليٍّ التَنوخيّ الحلبيّ ، وُلِدَ في حَلَبَ ، سَنَةَ ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) وبدأ درسه فيها . ثمّ انّه انتقل الى دِمَشْقَ طلباً لعلم الحديث وصَحِبَ فيها نفراً منهم أبو عبد الله عِمادُ الدين محمّد بن سالم بن صصرى التغلبي (ت ٦٧٠ هـ = ١٢٧٢ م) أحدَ المشتغلين بالحديث ؛ ومنهم ابن القَلانسي أسعد بن غالبٍ التميمي (ت ٦٧٠ هـ) في الأرجح ، كما كان قد صَحِبَ فيها سِبْط ابن الجَوْزيّ (ت ٦٥٤ هـ = ١٢٥٧ م) .

ومن دمشق انتقل الى صَرْخَدَ (في حوران ، الى الجَنوب الشرقي من دمشق) وتقلّد فيها الوزارة لأبي المنصور عزّ الدين أيْبَكَ المعظّمي صاحب صرخد ونائب دمشق (٦٢٤ — ٦٢٦ هـ) .

ثمّ انّه عاد الى دمشق ، وفيها توفّي في رَجَبَ من سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) .

٢ — كان عبدُ المحسنِ بنُ حمّودٍ كاتباً منشئاً وأديباً شاعراً ، وكان ذا فضل وَوَرَعٍ . سأله يوماً أبو المنصور عيسى اذا كان يشرب الخمر فأجاب نَفْياً ، فجعل أبو منصور عيسى يُعَرّض به من أجل ذلك . عندئذ وضع عبد المحسن ديواناً سمّاه « مِفتاح الافراح في وصف الراح » وجعله « في وصف الشراب وتلاعب الحُميّا بالألباب وذكر ما يجري بين النَدامى في المُجون والآداب » ، مع أن ذلك مخالفٌ لمذهبه في الحياة ومناقض لفضله وورعه . ويبدو أن هذا « الديوان » كان كبيراً متعدّدَ

---

(١) الحرف « ان » : فاذا كانت « ان » (بكسر الهمزة وسكون النون) فهي حرف شرط يجزم بعدها الفعل المضارع ؛ وتأتي بفتح الهمزة وسكون النون فتكون زائدة قبل سين الاستقبال ، كقوله تعالى : « علم أن سيكون (بالرفع : بالضمة على النون في « يكون ») منكم مرضى ..... ثم « أن » أيضاً حرف نصب .

الأغراض ِ ثمّ لم يَبْقَ منه إلاّ القِسْمُ المتعلّق بالخمر . وله أيضاً الأنوار المقتبسة من أُوار النار .

ومع أن شعر عبد المحسن بن حَمّود ٍ صحيحَ النظم متين اللغة سَهْل الأُسلوب عَذْبٌ في بعض الاحيان يَغْلِبُ عليه الوصف ، فانّه شعر تقليديٌّ في الأكثر ليس فيه في وصف الخمر جديدٌ .

٣ — مختارات من آثاره

— قال عبدُ المحسن بن حمّود ٍ في مقدّمة ديوانه :

« .... حوى أكثرَ معاني الشعرِ من هَزْل ٍ وجِدّ ورَغْبة وزُهْد ٍ . ومدح وهجاء ، ونسيب ورثاء . وتشبيه وافتخار . ومُجون واستغفار ، واستعطاف واعتذار . ونَعْتِ الديارات والديار ، وجَوْب المَهامهِ والقِفار ، وخَوْض غِمار القَنا والشِفارَ [١] ، ووصف الرياحين والأزْهار ، وتَدَفّق الغُدْران والأنهار ، وتغريد الاطيار في الأسحار ، وتلاعب الرياح بالاشجار . وذِكْرى الشيب والشباب ، وشكوى الشوق والاكتئاب ، وتذكُّر الليالي والايّام . وتقلّب الدهر بالأنام ، وغير ذلك من معاني الشعر التي تطول الخُطْبة[٢] بذِكْرها ويسأم قارئها دون حَصْرها .....

« ووَجدتُ أبا نواس — يَرْحَمُه الله — في ذلك (في القول في الخمر) رئيسَ الجَماعة ونفيسَ البِضاعة وأستاذَ الصناعة ومَلاذَ البراعة ومالكَ زِمام الاستطاعة وعَلَمَ المُجون و الخَلاعة . فأحبَبْتُ أن أقْفُوَ فيها آثاره لا إيثاره . وأتّبِعَ في وصفها ما استعاره لا ما أعاره وأحْتذِيَ في الخَلاعة أشعارِه لا شِعاره[٣] . ورَغِبْتُ (في) أن أقْتَدِيَ في الشراب بأمثاله لا أن أغْتدِيَ في الشرب من أمثاله . وأهْتَدِيَ بمقاله الجَزْلِ في الهزل لا بِفَعلِه الرَذْل[٤] » .

---

(١) الديارات : الاديرة (منازل الرهبان) . الديار : الاماكن العامرة بسكنى الناس . الجوب : التجول . المهمه : الارض الواسعة ، المفازة البعيدة والبلد المقفر . القفر : الارض لا شيء فيها (لا ناس ولا نبات) . القنا جمع قناة : الرمح . الشفار جمع شفرة : السيف (خوض القنا والشفار : خوض المعارك) .

(٢) الخطبة : ديباجة الكتاب .

(٣) قفا يقفو : اتبع . آثاره : خطواته (في نظم الشعر) . ايثاره : تفضيله ، العمل بعمله (شرب الخمر). استعاره : أخذه من غيره لمدة معينة . أعاره : أعطاه لغيره لمدة معينة (والشاعر يقصد : عابه ، كان عاراً عليه) . الشعار : العلامة الدالة على الشي (أن أحب نظم الشعر في الخمر مثله من غير أن أشربها) .

(٤) أمثاله : الاشكال البلاغية التي أورد فيها وصف الخمر ، الفاعلون مثله (في شرب الخمر) . الجزل : المتين . الفخم . الفعال (بفتح الفاء) : العمل الكريم (ويكون أيضاً في الشر) . الرذل : المرذول . السيء .

ـ وقال في وصف الخمر :

عَدِّ عَنْ زَيْنَبٍ وعن أسْماءِ واسْقِني مِنْ سُلافة صَهْباء[1]
خَنْدريسٍ كالشمس قد نَشَرَ المَزْ جُ عليها كَواكِبَ الجَوْزاء[2] .
نالَها الطَرْفُ في الزُجاجة لكن فاتَتِ الكفَّ ، فَهْيَ مثل الهَباء .
وكأنّ المُدام ذَوْبُ عَقيقٍ في كُؤوس تَجَمَّدت من هَواء .
وكأنّ الحَباب حين عَلاها عَرَقٌ فوقَ وَجْنَةٍ حمراء .
بِنْتُ كَرْمٍ إذا اللئيمُ احْتَساها عَلَّمتْه خَلائِقَ الكُرَماء .
إنّما لَذّةُ الحياةِ صِحابٌ وشَرابٌ على غِنىً وغِناء !

ـ وقال في العتاب والهجاء :

ظَنَنْتُ به الجميلَ فجِئْت أرضى اليه بِهِمَّتي طولاً وعَرْضا.
فلمّا جِئته ألفَيْتُ شخصاً حَمى عَرَضا له[3] وأباح عِرْضا !

ـ وقال يتغزّل غزلاً مذكّراً :

قد قلتُ لمّا أن بَصُرْتُ به في حُلّة صفراءَ كالوَرْسِ[4] :
أوَما كَفاهُ أنّه قمرٌ حتّى تَدرّعَ حُلّةَ الشمس[5] !

٤ ـ ** مجلّة كلّيّة الآداب (بغداد) ، العدد الثامن ١٩٦٥ م (مخطوطة ديوان الافراح في امتداح الراح بقلم محسن جمال الدين) ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٢ ـ ١٤ ؛ العبر ٥ : ١٧٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٢٠ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٤٠٩ ـ ٤١٠ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ؛ الملحق ١ : ٤٥٧ ؛ زيدان ٣ : ٢١ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٢٩٥ .

---

(١) السلافة : الخمر . الصهباء : الحمراء اللون .

(٢) الخندريس : الخمر (لعلها رومية معربة). كواكب الجوزاء : كواكب صورة الجبار في السماء (المقصود : حباب أو فقاقيع كبار تطفو وتطوف على وجه الخمر بعد مزجها بالماء) .

(٣) العرض (بفتح العين ثم بسكون الراء أو بفتح الراء أيضاً) : المتاع ، المال ، ما يملكه الانسان . العرض (بكسر العين) : شرف الاسرة ، ما يجب على الانسان أن يدافع عنه .

(٤) الورس : نبت أصفر يصبغ به . الحلة (بضم الحاء) : الثوب الفاخر .

(٥) تدرع : لبس الدراعة (بضم الدال وتشديد الراء) : ثوب من صوف . تدرع حلة الشمس : اتخذ ثوبــاً مثل لون الشمس (أبيض الوجه أحمر الخدين) .

جمال الدين القفطيّ

١ ـ هُوَ القاضي الأكرمُ جَمالُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنِ القاضي الأشرفِ يوسفَ بنِ ابراهيمَ بنِ عبدِ الواحدِ (المعروف بالقفطيّ) بن مُوسى ، أصْلُ أهلهِ من الكوفة ؛ وكانَ أبوه من وُجَهاء قِفْطَ في صَعيدِ مِصْرَ .

وُلِدَ أبو الحسنِ عليُّ بنِ يوسفَ في قِفْطَ في ربيعِ الأوّلِ أوِ الثاني من سنة ٥٦٨ هـ (خريف ١١٧٢ م) . ثم إنه انتقلَ مَعَ أبيه إلى القاهرةِ ونَشأ فيها . ولمّا انتقل أبوه إلى القُدْسِ (٥٩١ هـ = ١١٩٥ م) لِيَتولّى النظرَ فيها ذَهَبَ مَعَهُ واتّصل بفارس الدين مَيْمونَ القَصْري والي القُدْسِ ونابُلُسَ وأصبح كاتباً له . ثم وَقَعَ النِزاعُ بينَ الملكِ العادلِ والملكِ الظاهرِ ابْنَيْ صَلاحِ الدين فخرج فارسُ الدين ميمونُ مِن القدس (٦٠٨ هـ) لِيَلْتَحِقَ بالملكِ الظاهرِ في حَلَبَ فَصَحِبَهُ جمالُ الدين القِفْطي . ولمّا مات ميمونُ (٦١٠ هـ = ١٢١٣ م) جعل الملكُ الظاهرُ على خزانته جَمالَ الدين القفطي مكانَ مَيْمونَ . ثم لمّا تُوُفّيَ الملكُ الظاهرُ (٦١٣ هـ) استقالَ القِفْطي من هذا المَنْصِبِ ولكن عاد إليه فيما يبدو وَبقيَ فيه إلى أن توفّي (في حَلَبَ) في ١٣ رَمضَانَ ٦٤٦ هـ (٣٠/ ١٢/ ١٢٤٨ م) .

٢ ـ كان جمالُ الدين القِفْطي عارفاً بالقرآنِ والحديثِ والأصول والفقْه والنحوِ وبالمَنْطِقِ والنجوم والهندسة وبالتاريخ وغيرها ؛ وكان ناظماً وناثراً ومُصَنِّفاً له كتبٌ كثيرةٌ بَقِيَ لنا منها : إنباهُ الرُواة على أنباهِ النُحاة ـ المُحَمّدون من الشعراء (قطعه منه) ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء (أو تاريخ الحكماء ، وقد اختصره محمّد ابن علي الزوزني[1] وسمّاه «المنتخبات المُلتقطات من تاريخ الحكماء») . غير أنّ كُتُبَه التي لم تَصِلْ إلينا كثيرةٌ منها : أخبار السلجوقية (تاريخ آل سلجوق) ـ أخبار مصر من ابتدائها الى أيام صلاح الدين ـ تاريخ بني بُوَيْه ـ الإيناس في أخبار آل مرداس ـ تاريخ اليمن ـ تاريخ المغرب ومن تولاه من أتباع ابن تومرت ـ تاريخ محمود بن سُبُكْتكين وبَنيه الى حين انفصال الأمرِ عنهم ـ أخبار المُتَيّمين (الدُرّ الثمين في أخبار المتيّمين) ـ أخبار المصنّفين وما صنّفوه ـ أشعار اليَزيدين ـ الأنيق في أخبار ابن رشيق ـ من ألْوَتْ الأيام إليه فرفعته ثمّ ألوت عليه فوضعته ـ نُهزة الخاطر ونُزهة الناظر في أحاسن ما نقل من ظهور الكتب ـ إصلاح خلل

(١) محمد بن علي الزوزني

الصِحاح – كتاب الضاد والظاء – الذيل على أنساب البلاذري . الخ .

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة « إنباه الرواة » :

الحمدُ لله خالقِ الأُمَمِ وبارىءِ النَسَمِ . علّمَ الإنسانَ ما لم يعلَم ، وألْهَمَهُ البيانَ فهو يُورِدُه تارةً باللسانِ ومرّةً بالقلم ..... أمّا بعدُ ، فقد كان بعضُ مُنْتَحلي صناعةِ التصنيف قد أجْرى ذِكْرَ أخبارِ النُحاةِ ورَغِبَ في جَمْعِها – وكان عادمَ الموادِّ – فسأل إعارتَه بعضَ ما أنْعَمَ اللهُ به من أوْعيَةِ العلوم . فأجبْتُه الى مُلْتَمَسِهِ ونبّهتُه على الترتيبِ والتبويب وأعَنْتُه غاية إمكاني . فلمّا فرَغَ منه أو كاد طَلَبَ وَرَقاً ليُبَيِّضَ منه نُسخةً لأجلي ، فمَكّنتُه من ذلك .

ثمّ بَلَغَني أنّه أباعَ الوَرَقَ وتَعَلّلَ عن النَسْخِ لهذا المجموعِ وغيرِه .....

وقد شَرَعْتُ – بتأييدِ اللهِ وتوفيقه – في جَمْعِ ما أمكنَ من ذلك واسْتِثارةِ كامِنِهِ من مَكامنِهِ ، واسْتِنْباط وارِدِهِ من مَوارِدِهِ ، والتَوَرُّدِ على مناهِلِهِ من مجاهِلِهِ ..... بعدَ أنِ اسْتَوْعَبْتُ جُهدَ الإمكان حَسْبَ ما وقع إليَّ من الموادِّ على تطاوُلِ الزمان . و (قد) ذَكَرْتُ مشايخَ عِلمَيِ النَحْوِ واللُغة مِمَّنْ تصدّرَ لإفادتِهما تصنيفاً وتدريساً وروايةً ، في أرضِ الحجازِ واليمن والبَحْرَين ..... والعِراق وأرض فارسَ وخُراسانَ وأرمينية والشام ومِصْرَ والمَغْرِب والأندلسِ وجزيرة صِقِلِّيَةَ .

وبالله أسترشدُ ، ومنه أستمدُّ الإعانةَ والتوفيقَ . وقد جَعَلْتُهُ على حُروفِ المُعْجَمِ ليَسْهُلَ تَناوُلُهُ .....

– وقال في الغزل :

تَبَدّتْ فهذا البدرُ من كَلَفٍ بها – وحقِّكَ – مِثْلي في دُجى الليلِ حائرُ ؛
وماسَتْ فشَقّ الغُصْنُ غيظاً ثيابَه ، ألستَ ترى أوراقَه تَتَناثَر !

٤ – إنباه الرواة على أنباه النحاة (بتحقيق محمّد أبي الفضل ابراهيم) . القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٦٩ – ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٠ – ١٩٥٥ م .

تاريخ الحكماء (راجع ص ٥٥٤) – باختصار – الزوزني المسمّى بالمنتخبات الملتقطات من إخبار العلماء

بأخبار الحكماء (تحرير ليبرت) ، ليبزيغ (ديتريخ) ١٩٠٣ م ؛ (أعيد طبعه في مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر) ؛ = إخبار العلماء بأخبار الحكماء (عني بتصحيحه أمين الخانجي) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .
المحمدون من الشعراء (نشره محمد عبد الستار خان) ، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ؛ (حققه حسن معمري – راجعه وعارضه بنسخة المؤلف حمد الجاسر) ؛ الرياض (منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

** معجم الأدباء ١٥ : ١٧٥ – ٢٠٣ ؛ العبر ٥ : ١٩١ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٢١ ؛ الطالع السعيد ٤٣٦ – ٤٣٨ ؛ بغية الوعاة ٣٥٨ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٣٦ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٤١٤ – ٤٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٣٩٦ – ٣٩٧ ، الملحق ٥٥٩ ؛ زيدان ٣ : ٧٦ – ٧٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٤٠ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٨٧ .

ابن الحاجب

هو جمال الدين أبوعمرو عُثمانُ بنُ عُمَرَ بنِ أبي بكرِ بن يونسَ ، يُعْرَفُ بابنِ الحاجب لأنَّ والدَهُ كان حاجباً للأميرِ عزِّ الدين موسكَ (موسى الصغير) الصلاحيّ .

كان ابنُ الحاجب كرديَّ الاصلِ ، وُلِدَ في أسْنا من أعمالِ القوصية في صَعيد مِصْرَ ، في أواخر سَنَةِ ٥٧٠ هـ (١١٧٥ م) . درس ابنُ الحاجب في القاهرة علومَ الادب والعربية (النحو) والفِقْه . وجاء الى دمشق فدرّس فيها مدّةً طويلة . ثم رجَع الى مِصْرَ فدرّس في المدرسة الفاضلية . ثمّ انتقل الى الاسكندرية حيثُ توفّي وَشيكاً في ٢٦ من شوّال ٦٤٦ هـ (١١ – ٢ – ١٢٤٩ م) .

اشتغل ابنُ الحاجب بعلومٍ كثيرةٍ ، ولكنْ غَلَبَ عليه النحو ، كما برع في الفِقْه وفي أصول الفقه . ويبدو أنّ قيمةَ ابنِ الحاجب وشهرتَه راجعتانِ الى أنّه كان حَسَنَ الاختصارِ لكتب المتقدّمين على زمانِه بارعَ التخريجِ للقواعد والأمثلة(١) . ولابن الحاجب كُتُبٌ كثيرة منها : الكافية (في النحو) وشرحها – الشافية (في التصريف) وشرحها – الوافية – المختصر في الأُصول – نِهاية السول في الاصول (منتهى السول والعمل في عِلْمَيِ الاصول والجدل) – المختصر في الفقه – مقاصد الجليل في علم الخليل (العَروض) – الأمالي (تفسير آيات من القرآن وأبيات من الشعر) .

– الكافية ، روما ١٥٩٢ م (١٠٠١ – ١٠٠٢ هـ) ؛ الاستانة ١٢٣٤ ، ١٢٤٩ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٦ ،

---

(١) مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦١) ١٠٢٩ ، ١٠٥٨ .

١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٣٠٧ ه ؛ الاستانة (مطبعة عارف) ١٣١٥ه؛ بولاق ١٢٤١ ، ١٢٤٧ ، ١٢٥٥ ، ١٢٦٦ ه ؛ قازان ١٨٨٩ م (١٢٧٢ ه) ؛ طشقند ١٣١١ ، ١٣١٢ه ؛ ثم في الهند: دهلي ١٢٧٠ ، ١٢٧٩ ، ١٣٠٦ ه ؛ كاونبور ١٨٥٠م (١٢٦٧ ه) ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩١ ، ١٨٨٨م (١٣٠٦ ه) ، ١٨٩١م (١٣٠٩ ه) ؛ (نظامي) ١٢٩٠ ه ؛ بومباي ١٣١١ه؛ لكنهو ١٣١١ ه ؛ (في مجموع بتحرير بايتي ، خمسة أجزاء – راجع الجزء الثالث) كلكتا ١٨٠٥ م (١٢٢٠ ه) ، ١٢٨٦ ، ١٢٩١ ، ١٨٨٩ م (١٢٠٧ ه) ، ١٣٠٩ ه ؛ (كتاب « جملة النحو » – مجموع فيه الكافية) بولاق ١٢٦٢ ، ١٢٧٩ ه ؛ ثم في الاستانة ١٢٩٩ – ١٣٠٢ ه .

شرح الكافية (لابن الحاجب نفسه) ، استانبول بلا تاريخ .

الشافية ، مصر (طبع حجر) بلا تاريخ ؛ الاستانة ١٨٥٠م (١٢٦٧ ه) ، ١٨٥٥ م (١٢٧٢ ه) ؛ ثم في الهند: كلكتا ١٨٠٥ م (١٢٢٠ ه) ؛ كاونبور ١٨٥٠ م (١٢٦٧ ه) ، ١٢٧٨ه ؛ ١٨٧١ م (١٢٨٨ ه) ، ١٣٠٢ ه ، ١٨٩١ م (١٣٠٩) ؛ لكنهو ١٢٧٨ ه ؛ دهلي ١٢٧٨ ، ١٢٩١ ، ١٣١٠ ، ١٣٢١ ه ؛ القاهرة ١٢٥٨ه الخ ؛ ثم (في مجموعة في النحو) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ ه ؛ استانبول (المطبعة العامرة) ١٣١٠ ، ١٣١١ ه ؛ (في مجموعة « متون الصرف » – بعناية حسن بن محمد العطار) ، بولاق ١٢٤٠ ه ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٠٩ه ؛ (الشافية وعليها عدد من الشروح : للجاربردي – لابن جماعة – لحسن الرومي – لعبد الله نقره كار – لزكريا الانصاري – للكرماني) ، استانبول ١٣١٠ه القاهرة (؟) ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٩ ، ١٣٢٤ ه .

منتهى السول ، استانبول ١٣٢٦ ه .

مختصر منتهى السول (اختصره ابن الحاجب نفسه) ، بولاق ١٣١٦ – ١٣١٩ ه ؛ القاهرة (مطبعة كردستان العلمية) ١٣٢٦ ه .

القصيدة الموشحة (مطبوعة مع « السامي في الأسامي » للميداني) ، طهران ١٨٥٩ م (١٢٧٦ه) ؛ (مطبوعة ذيلاً لألفية ابن عقيل)، بيروت ١٨٧٢م (١٢٨٩ ه) ؛ (مطبوعة مع الكافية) ، ١٨٨٦ م (١٣٠٥ ه) ، ١٨٨٩ م ؛ (مطبوعة مع عشر مقالات فلسفية قديمة) ، بيروت ١٩٠٨ م (١٣٢٦ ه) .

** شروح مباشرة (على الكافية) :

« شرح الكافية » لرضي الدين محمد بن حسن الاستراباذي (ت ٦٨٦ ه) مطبوع بلا ذكر لاسم مكان الطبع ولا لتاريخه ؛ ثم استانبول ١٢٧٥ ، ١٣٠٥ ، ١٣١٠ ه ؛ « شرح مقدمة ابن الحاجب» (الشرح الأكبر لركن الدين الحسن بن محمد الاستراباذي المتوفى نحو ٧١٥ ه) ، لكنهو ١٢٨٠ ه (١٨٦٤ م) ؛ « الفوائد الضيائية » أو « الفوائد الوافية بحل مشكلات الكافية » لعبد الرحمن بن أحمد الجامي (ت ٨٩٨ ه) ، كلكتا ١٨١٨ م (١٢٣٥ ه) ؛ دهلي ١٨٤٠ م (١٢٥٦ ه) ؛ ١٨٦٤ م (١٢٨١ ه) ، ١٨٦٩ م (١٢٨٦ ه) ؛ لكنهو

١٢٧١ ، ١٢٨٣ هـ . ١٨٨٧ م (١٣٠٥ هـ) ، ١٣٠١ ، ١٣١٣ هـ ؛ كاونبور ١٢٨٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٥ هـ ؛ بومباي ١٢٧٨ هـ . ١٨٨٣ م (١٣٠١ هـ) ؛ طهران ١٨٧٩ م ؟ (١٢٩٨ هـ) ؛ قازان ١٨٨٥ م (١٣٠٣ هـ)؛ ١٨٩٠ (١٣٠٨ هـ) ؛ ١٨٩٦م (١٣١٤هـ)؛ استانبول ١٢٣٥ ، ١٢٧٢ ؛ استانبول (مطبعة محرّم البوسنوي) ١٢٨٣ ، ١٢٨٧ هـ .

« شرح » لابراهيم بن محمّد بن عربشاه عصام الدين الاسفراييني (ت نحو ٩٤٥ هـ) ، الاستانة ١٢٥٦ هـ ؛ « غاية التحقيق » لصافي (؟) دهلي (طبع حجر) ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ) .

« معرب الكافية » للحسين بن زين زاده (ألّفه ١١٦٨) ، استانبول ١٢٠٠ . ١٢٣٥ . ١٢٤١ ، ١٢٥١ . ١٢٦٠ . ١٢٦٨هـ ؛ كاونبور ١٢٩٠–١٢٩١ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٢ هـ .

« تقريب الكافية » لمجهول . كلكتا ١٢٦١ هـ . « شرح » لمحمّد سعيد خان . كاونبور ١٢٩٠ – ١٢٩١ هـ . « تحصيل الكافية » لمحمّد عبد الحقّ حيدر ابادي (أتمّه ١٢٨٦ هـ) ، الهند (طبع حجر) ١٢٩١ هـ ؛ لكنهو ١٨٩١ م (١٣٠٩ هـ) . « شرح أبيات الكافية والجامي » لأحمد بن عثمان الآقشهري ، استانبول ١٢٧٨ هـ ؛ بولاق ١٢٩١ هـ .

– شروح مباشرة : شرح . حاشية (على الشافية) ؛

« شرح شافية ابن الحاجب » لرضيّ الدين محمّد بن الحسن الاستراباذي (ت نحو ٧١٥ هـ) . لكنهو ١٢٦٢ هـ ؛ طهران ١٢٨٠ هـ ؛ دهلي ١٢٨٣ هـ ؛ الهند ١٢٩١ هـ ؛ لاهور ١٣١٥ هـ ؛ استانبول (شركة الصحافة العثمانية) بلا تاريخ ، ثمّ ١٣١٠ هـ ؛ القاهرة ١٣٤٥ هـ ؛ (حقّقها محمّد نور الحسن – محمّد الزفزاف – محمّد محيى الدين عبد الحميد) ، القاهرة (مطبعة حجازي) ١٣٥٨ هـ ؛ = شرح الشافية في التصريف ، استانبول (دار الطباعة العامرة) ١٣٠٦ هـ ؛ استانبول (مطبعة الحاج محرّم البوسنويّ) ١٣٠٥هـ . « الفوائد الجليلة » لأحمد بن حسن الجاربردي (٧٤٦ هـ) ؛ لكنهو ١٢٦٢ هـ ؛ كلكتا ١٢٦٢ هـ ؛ طهران (طبع حجر) ١٢٧١ هـ ؛ دهلي ١٢٧٠ هـ ؛ كاونبور ١٢٩١ هـ ؛ لاهور ١٣٠٤ هـ ؛ استانبول ١٣١٠ هـ .

« شرح » لعبد الله بن محمّد بن نقره كار (ت نحو ٧٧٦ هـ) . استانبول (طبع حجر) ١٢٧٦ هـ ؛ استانبول ١٣٠٦ . ١٣١٠ هـ ؛ استانبول ١٣١٩ ، ١٣٢٠ هـ . « شرح » ركن الدين الاستراباذي (٧١٣ هـ) ؛ على هامش شرح نقره كار ، استانبول ١٣٠٦ . ١٣١٠ هـ .

« المناهج الكافية » لزكريّا الانصاري (ت ٩٢٦ هـ) ، مطبوع . « كفاية المفرطين » لمحمّد طاهر بن علي المولوي نظام الدين بحر الكجراتي (القرن العاشر الهجري) . دهلي ١٢٨٣ هـ . « مفتاح الشافية » لشرح أحمدجي بن شاه قول ركنابادي ، ألّفه عرفان الدين السواتي (نشره محمّد سعيد داغباندى) ، دهلي ١٣١٢ هـ . « فوائد الشافية » لحسين بن أحمد زين زاده (نحو ١١٥٠ هـ) ، كاونبور ١٢٩١ هـ . « نزهة الألباب » (منظومة الشامية) لمصطفى بن محمّد بن ابراهيم بن زكري الطرابلسيّ (ملحقة بديوانه) ، القاهرة ١٣١٠ هـ .

« فرائد الملك » (منظومة الشافية) لابراهيم بن حسام الدين الجرمياني شريفي (مطبوعة في مجموع) ، استانبول ١٣١٠ هـ (مطبوع مع « الفوائد الجليلة » للجاربردي) .

« شرح أمالي ابن الحاجب » ، استانبول ١٢٨٧ هـ .

« العضدية » أو شرح العضد الايجي (عبد الرحمن بن أحمد المتوفّي ٧٥٦ هـ) على مختصر السول (مختصر منتهى السول) ، الاستانة ١٣٠٧ هـ .

** لمعظم هذه الشروح على كتب ابن الحاجب (وخصوصاً على الكافية وعلى الشافية شروح) وحواش ، منها مثلاً « حاشية محرّم أفندي التّكاني (ت هـ) على « شرح الجامي » على كافية ابن الحاجب، (وصل فيها الى أثناء باب البدل، ثمّ أتمّها الشيخ عبد الله بن صالح سنة ١٢٢٧ هـ) بولاق ١٢٥٦ هـ ؛ القاهرة ١٢٧٧ هـ ؛ استانبول ١٢٥٩ ، ١٢٨٧ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٨ هـ ؛ استانبول (المطبعة العثمانية) ١٣٠٩ هـ ؛ استانبول ١٣١٩ هـ ؛ استانبول (مطبعة أحمد احسان) ١٣٢٥ هـ ؛ الهند ١٢٨٥ هـ . « حاشية » لعبد الحكيم السيالكوتي ، بولاق ١٢٥٦ هـ ؛ لكنهو ١٣٠٣ هـ ؛ استانبول ١٢٨٧ هـ . حاشية التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) على العضدية على منتهى السول ، القاهرة ١٢١٧ هـ . الخ ، الخ .

وفيات الأعيان ١ : ٥٦٣ ــ ٥٦٤ ؛ الديباج المذهب ١٢٩ ؛ العبر ٥ : ١٨٩ ــ ١٩٠ ؛ بغية الوعاة ٣٢٣ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢١٥ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٣٤ ــ ٢٣٥ ؛ الطالع السعيد ٣٥٢ ــ ٣٥٧ ؛ بروكلمان ١ : ٣٦٧ ــ ٣٧٣ ؛ الملحق ١ : ٥٣١ ــ ٥٣٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٨١ ؛ زيدان ٣ : ٥٦ ــ ٥٧ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٣٧٤ .

جمال الدين بن مطروح

١ ــ هو جَمالُ الدينِ أبو الحسنِ يحيى بنُ عيسى بنِ إبراهيمَ بنِ الحُسينِ بن عليٍّ بنِ مطروحٍ ، وُلِدَ في ٨ رَجَبَ سَنَةَ ٥٩٢ هـ (٧/ ٧/ ١١٩٦ م) في أسيوطَ (في صعيدِ مِصْرَ) ونشأ فيها وفي قُوصَ واستوفى فيها تعلّمَه وبدأ حياتَه بالتكسّب بالشعرِ فمَدَحَ حاكمَ قوصَ مجدَ الدين اللَمْطيَّ .

وفي سَنَةِ ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) انتقلَ ابنُ مطروحٍ إلى القاهرة واتّصل بالمَلِك الصالحِ نجمِ الدين الذي كان نائباً في مِصْرَ عن أبيهِ الملكِ الكامل . ولمّا استولى الملكُ الكاملُ على شَماليّ العراقِ وجّهَ ابنَه الملكَ الصالحَ نائباً عليها فكان ابنُ مطروحٍ مَعَه . ثم تُوُفّيَ الملكُ الكاملُ في ٢٢ رَجَبَ ٦٣٥ هـ (١٢٢٧ م) فاختلفَ إخوتُه وأولادُه فعادَ المَلِكُ الصالحُ الى مِصْرَ ومعَهُ ابنُ مطروحٍ (٦٣٩ هـ) . ولما استولى الملكُ الصالحُ على دِمَشْقَ ، سَنَةَ ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) جعل ابنَ مطروحٍ وزيراً عليها فحَسُنَتْ حالُه فيها وعَلَتْ مكانتُه .

ولمّا هاجمَ الإفرنجُ الصليبيون مِصْرَ بقيادةِ لويسَ التاسعِ ملكِ فرنسةَ عادَ

ابنُ مطروحٍ إلى مصر في الحَمْلَةِ التي جاءتْ مَدَداً الى مِصْرَ . سنة ٦٤٦ ﻫ (١٢٤٨ م) . ومَلَكَ الإفرنجُ دُمياطَ في ٢٢ صَفَرَ ٦٤٧ ﻫ (حَزيران ١٢٤٩ م) . ثم إنّ المُسْلِمين هزَموا لويسَ التاسعَ في العامِ التالي هزيمةً مُنْكَرَةً ذَهَبَ فيها مُعْظَمُ جيشِه وأُسِرَ هو ومَنْ بَقِيَ مَعَهُ وسُجِنَ في دارِ ابن لُقمانَ (دار الحكومة التي كان القاضي فخرُ الدين ابراهيمُ بنُ لُقمانَ كاتبُ الانشاء يَنْزِلُ فيها كلما جاء الى المنصورة) أربعَ سنوات ووُكِّلَ به الطُواشي جمالُ الدين صبيحُ المُعَظَّمِيُّ .

٢ — ابن مطروحٍ ناثرٌ مترسّلٌ وشاعرٌ رقيقٌ ، ولكنْ يَغْلِبُ على شعرِه خاصةً الضَعْفُ . وشعرُه قصائدُ طِوالٌ ومقطعاتٌ تدور على المدحِ والغزلِ والأدب والزهد .

٣ — مختارات من شعره

— قال ابنُ مطروحٍ يتغزّلُ في مطْلعِ قصيدةٍ :

هي رامةٌ ؛ فخُذوا يمينَ الـوادي ... وذروا السُيوف تَقَرّ في الأغمـادِ .
وحَذارِ من لَحَظات أعيُنِ عِينِها[1] ... فلَكَمْ صَرَعْنَ بهـا من الآساد !
من كان منكم واثقاً بفؤاده . ... فهناك ما أنا واثـقٌ بفؤادي .
سَلَبَتْه منّي —يومَ بانوا— مُقْلَةٌ ... مكحولةٌ أجفانُهـا بسـواد .

— أرادَ لويسُ التاسعُ أن يُعيدَ الكَرّةَ على دُمياطَ فقال ابنمطروحٍ يُشيرُ إلى هزيمةِ لويسَ وأسرِه مَعَ التعبيرِ عن الشُعورِ الدينيّ الذيكان مألوفاً في أيامِ الحروبِ الصليبية :

قل للفرَنْسيسِ ، إذا جِئتَه . ... مقالَ صِدْقٍ من قَؤولٍ فَصيح[2] :
آجَرَكَ اللهُ عـلى ما جرى ... من قَتْلِ عُبّـادِ يَسوعَ المسيحْ .
أتيت مصـراً تبتغي مُلكَهـا ... تحسب أن الزمـر ، يا طبلُ ، ريح .
فساقَكَ الحَيْنُ الى أدْهَـمٍ ... ضاقَ به عن ناظرَيْكَ الفَسيح[3] .
وكلُّ أصحابِكَ أوْدَعْتَهُـمْ ... بحُسْنِ تَدْبيرِكَ بَطْنَ الضريـح .
وفّقَكَ اللهُ لأمثالِهـا ... لعلّ عيسى مِنْكُمُ يستريح.
إن كان باباكُمْ بـذا راضياً ... فربَّ غِشٍّ قد أتى من نَصيح[4] .

---

(١) عين (بكسر العين) جمع عيناء : الواسعة العينين (المرأة الجميلة) .
(٢) الفرنسيس = الفرنسي : لويس التاسع .
(٣) الادهم : الاسود = الحديد (القيد). الفسيح : المجال الفسيح (الارض). فاعل «ضاق» . الحين : الموت.
(٤) باباكم : رئيسكم الديني (بابا رومية) .

وقُلْ لهم إن أظهروا عَوْدَةً ، لأخذ ثأرٍ أو لعِقْدٍ صحيح :
دارُ ابنِ لُقمانٍ على حالِها ، والقَيْدُ باقٍ والطُّواشي صَبيحْ !

٤ – ديوان ابن مطروح (في آخر ديوان العبّاس ابن الأحنف) ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ .

* وفيات الاعيان ٣ : ٢٤٩ – ٢٥٥ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٠٦ – ١٠٧ (في ترجمة البرنس الفرنسيس الافرنجي) ؛ العبر ٥ : ٢٠٤ ؛ ، شذرات الذهب ٥ : ٢٤٧ – ٢٤٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٧ ، الملحق ٤٦٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٧٥ – ٨٧٦ ؛ زيأان ٣ : ١٧ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٢٠٣ .

نجم الدين القمراويّ

١ – هو أبو الفضائل نجم الدين موسى بن محمّد بن موسى بن أحمد بن عيسى الكِناني القمراويّ نسبة إلى قمراء (قرية من أعمال صرخد في حوران – سورية) ، ولد نحو سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) وكانت وفاته سنة ٦٦٠ هـ (١٢٥٢ م)* .

٢ – كان نجمُ الدين القَمراويُّ فقيهاً ، كما كان أديباً شاعراً تَدُلُّ أبياتُه الباقيةُ لنا على نَفَسٍ شِعريٍّ وسَلاسةٍ .

٣ – مختارات من شعره

– في شذرات الذهب (٥ : ٢٥٢) : ومن شعر (نجم الدين القمراويّ) قصيدةٌ وازَنَ بها قصيدةَ الحُصريّ القَيْروانيّ التي أوّلها « يا ليلُ الصبِّ متى غدُه » فقال :

قدْ مَلَّ مريضَكَ عُوَّدُهُ ، ورثَى لأسيرك حُسَّدُهُ[1] .
لم يُبْقِ جفاكَ سوى نَفَسٍ زَفَراتُ الشَّوْقِ تُصعِّدُه[2] .
هاروتُ يُعَنْعِنُ فنَّ السِحْـرِ الى عَيْنَيْكَ ويُسْنِدُه[3] .

(١) العائد : الذي يزور المريض .
(٢) الجفا : البعاد ، الغلظة في الحلق . الزفرة : النفس الحار . تصعيد النفس : إخراجه قصداً (بمشقة) .
(٣) هاروت : ساحر قديم من أهل بابل . العنعنة (حدثنا فلان عن فلان عن فلان ...) والاسناد : الرواية عن الرجال الثقاة من اصطلاحات علم الحديث (في رواية أحاديث محمد رسول الله) .

* شذرات الذهب ، في أخبار سنة ٦٥٠ هـ (٥ : ٢٥٢) . وقال عيسى اسكندر المعلوف (معارضات قصيدة « يا ليل الصب ») ص ٩ في الحاشية : وتوفي في طريقه الى اليمن ، « سنة ٦٥١ هـ » ، ولا أعلم من أين جاء عيسى اسكندر المعلوف بذلك .

واذا أغمدتَ اللحظَ فتكْتَ . فكيف وأنت تُجرّده[1] ؟
كم سهّلَ خدُّكَ وجْهَ رضاً والحاجبُ منك يُعقّده .
ما أشركَ فيك القلبُ ، فلمْ في نارِ الشوقِ تُخلّده ؟

٤ – ** وفيات الأعيان ٢ : ٢٦ (في ترجمة عليّ بن عبد الغني الحصري القيرواني) ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٥٢ ؛ معارضات قصيدة «يا ليل الصبّ» (جمعها عيسى اسكندر المعلوف – عني بنشرها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر) ، القاهرة (مطبعة الهلال) ١٩٢١م (ص ٩) ؛ ديوان «يا ليل الصبّ» ... (عني بجمعها محمّد علي حسن) ، بغداد (مطبعة الايمان) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م (ص ٢٦) .

علم الدين ايدمر المحيوي

١ – هو فخرُ التُرْكِ علَمُ الدينِ أيْدَمَرُ المُحْيَوِيُّ كان مملوكاً فأعتقه مُحْيِي الدين محمدُ بنُ محمّدِ بنِ نَدىً فنُسبَ اليه . ولا نَعْلَمُ شيئاً آخرَ عن حياته إلا أنه كان من أحياءِ النصفِ الأولِ من القرنِ الهجْريّ السابِعِ لأنه مدَحَ المَلِكَ الكاملَ (ت ٦٣٥ هـ) والمَلِكَ الصالِحَ نَجْمَ الدين (ت ٦٤٧ هـ) فلعلّه تُوُفّيَ نحوَ سنَةِ ٦٥٠ هـ أو بعدَها بقليلٍ قبلَ أن يَبْلُغَ الكُهولةَ[2] . وقد قضَى حياتَه في مِصْرَ .

٢ – أيْدَمَرُ تُرْكِيٌّ ، ومعَ ذلك فانّ شعرَه متينُ التركيبِ عالي النفَسِ . ويبدو أنّه كان واسعَ المعرفةِ بعلومِ عصرِه ، ولكنْ لم يَصِلْنا من آثارِه إلاّ ديوانُ شعرِه . وفنونُه المدحُ والغَزَلُ والوصفُ ؛ وله موشّحات .

٣ – مختارات من شعره

– قال علَمُ الدينِ ايْدَمَرُ يمدحُ المَلِكَ الكاملَ بعدَ معركة دُمياطَ :

أيامَ قالَ الشِرْكُ بَغْياً للهُدى : «دُمياطُ لي؟ ولَكَ الغَداةَ المَوْعدُ!»[3]
وأتى بما ملأَ البَسيطةَ كَثْرَةً ؛ واللهُ ربُّكَ هادمٌ ما شَيّدوا :

---

(١) يشبه الشاعر هنا اللحظ بالسيف .

(٢) راجع الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، تأليف الدكتور أحمد أحمد بدوي ، (بلا تاريخ) ، ص ٢١٢ – ٢٢١ . وفي نفح الطيب (بيروت) ٢ : ٢٧٢ ، أن ايدمر التركي كان في مصر مع البها زهير (ت ٦٥٦ هـ) وابن مطروح (ت ٦٤٩ هـ) وابن يغمور . وجعل خير الدين الزركلي (الاعلام ١ : ٣٧٨) وفاة ايدمر المحيوي سنة ٦٧٤ هـ .

(٣) الغداة : في غد . الموعد (للمعركة) .

جيشٌ اذا مَسَحَتْ يداهُ بُقْعَةً جَفَّ المياهُ بها وذابَ الجَلْمَدُ[1] ،
كالسيلِ إلاّ أنّه لا يَنْقضي . والليلِ إلاّ أنه يَتوقّد .
وأتى بِكَ الإسلامُ وَحْدَكَ مُوقِناً أنْ سوفَ تَهْزِمُ جَمْعَهم وتُبَدّد[2] ؛
فرَدَدتَ شَخْصَ الشِرْكِ وَهْوَ مُسَرْبَلٌ خِزْياً ، ودينَ الله وهْوَ مُؤَيَّد[3] .
حَكّمْتَ بأسَك فيهِمُ : فمُكَلَّمٌ ومُجَدَّلٌ ومُشَرَّدٌ ومُصَفَّدُ[4] !

– وقال يصِفُ قِصَرَ الليلِ :

رعى اللهُ ليلاً ما تَبدّى عِشاؤه لأعيُنِنا حتّى تَطلّعَ صُبْحُهُ .
كأنّ تَغشّيهِ لنا وانفراجَه – لِقُرْبِهما – إطباقُ جَفْنٍ وفَتْحُهُ[5] .

– ومن موشّحاته موشّحة مطلعها :

باتَ وسُمّارُهُ النجومُ ساهِرْ ؛ فمَنْ تُرى علّمكِ السُهْدَ ، يا جُفونْ[6] !
صَبّاً إلى مذهبِ التصابي صابي لا يَعْدِلُ ،
فجَنْبُه خافِقُ الجَنابِ نابي مُبَلْبَلُ[7]
والطَرْفُ من دائمِ السِكابِ كابي مُخَبَّلُ[8]
لسانهُ للهوَى كَتومُ ساترْ لِما جرَى والشأنُ أن يَكْتُمَ الشؤونْ[9] .

٤ – مختار ديوان أيدمر المحيوي ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م .

** فوات الوفيات ١ : ٩٦ – ٩٩ ؛ بروكلمان ١ : ٢٨٩ ، الملحق ١ : ٤٤٢ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٣٧٨ .

---

(١) الجلمد : الصخر .
(٢) تبدد : تفرق .
(٣) مسربل : لابس . مؤيد : منصور .
(٤) مكلم : مجروح . مجدل : ملقى أرضاً (ميت) . مصفد : مقيد (أسير) .
(٥) تغشيه : إظلاله ، مجيئه .
(٦) السمار : الساهرون في الليل . السهد : الارق (قلة القدرة على النوم) .
(٧) صب : مائل (محب) . صاب ، صابي ، صابىء : مائل . يعدل : يرجع ، يتحول .
(٨) ناب : بعيد ، نافر . الطرف : العين ، البصر . السكاب : السكب (البكاء) .
(٩) الشأن : الأمر . المهم من الأمور . الشؤون جمع شأن : المأق والمؤق : طرف العين ، مكان مجرى الدمع . أن يكتم الشؤون = أن يخفي دموعه (بكاءه وألمه في الحب) .

الصَغانيّ (أو الصاغانيّ)

١ ــ هو العلاّمةُ رَضِيُ الدينِ أبو الفضائلِ الحسنُ بن محمّدِ بنِ حسنِ بنِ حَيْدَرِ بنِ عليٍّ بنِ إسماعيلَ العُمَرِيُّ المندي العَدَويُّ القُرَشيّ الحَنَفيّ ، أصلُه من صَغانيانَ ، «وهي كورةٌ عظيمة في ما وراء النهرِ ويُنْسَبُ إليها الإمامُ الحافظ في اللغة الحسنُ بنُ محمد بن الحسن ذو التصانيفِ. والنِسبةُ إليهـا صغانيّ وصاغانيّ» (القاموس ٤ : ٢٤١ ــ ٢٤٢).

وُلِدَ الصَغاني في لاهورَ (البُنْجابِ) ــ عاصمةِ باكستانَ اليومَ ــ في عاشرِ صَفَرَ من سَنَةِ ٥٧٧ هـ (٢٥/ ٦/ ١١٨١ م). وبعدَ أنَ تلقّى جانباً من العلم في وطنه ذهب الى غَزْنَةَ (الأفْغان) واستَكْمَل علمَه فيها.

وفي سَنَةِ ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) جاء الصاغانيُّ إلى عَدَنَ «ونَفَقَ له بها سوقٌ» (معجم الادباء ٩ : ١٨٩ ــ ١٩٠)، ولكنّه غادَرَها الى مكّةَ (٦١٣ هـ) وجاورَ بها قليلاً ثم انتقل (٦١٥ هـ) الى بَغدادَ. ثم ما لَبِثَ إلاّ قليلاً حتّى أرْسَله الخليفة الناصرُ لدينِ اللهِ العبّاسي في سِفارةٍ إلى الهند (٦١٧ هـ) ــ وسُلطان دَهْلي حينذاك ايلتتمش شمس الدينِ القُطبي ــ في أمرٍ لا نَعْرِفه. غير أن الذي يَلْفِتُ نَظَرَنا أنّ الصاغانيَّ لم يَعُدْ إلى بغدادَ إلاّ سَنَةَ ٦٣٤ هـ، بعدَ وفاةِ الخليفة الناصرِ باثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً.

وجَلَسَ الصاغانيّ للتدريسِ في رِباط المَرْزُبانية ثم تَخَلّى عن التدريس فيه لتحكّم الشافعية هنالك وانتقلَ إلى التدريس في المدرسة التُتُشيّة. ويبدو أنه كان حَنْبليّ المذهبِ لأنّه مذكور في طَبَقات الحنابلة.

وكانت وفاةُ الصَغانيّ في بَغدادَ في تاسعِ عَشَرَ شَعبانَ من سَنَةِ ٦٥٠ هـ (٢٦/ ٩/ ١٢٥٢ م)، فدُفِنَ بها ثمّ نُقِلَ رُفاتُه الى مكّةَ إذ كان قد أوصى بذلك وجعل لِمَنْ يَحْمِلُه إليها خمسينَ ديناراً.

٢ ــ كان الصَغانيُّ إماماً حافظاً للحديثِ صَدوقاً عارفاً باللغة والفقْه، وكان شاعراً. وتصانيفُه كثيرةٌ منها : كتابُ التَكْمِلة والذيل والصلة (استدرك فيه بعضَ ما أهمله الجوهريُّ في قاموسه «تاج اللغة وصحاح العربية» أو غَفَلَ عنه) ــ مجمع البحرين (استدرك فيه بعض ما كان قد فاته هو في استدراكه على صحاح الجوهري في كتاب

التكملة) ـ العُباب الزاخر واللُباب الفاخر (معجم أراد أن يجمع فيه ألفاظ اللغة من الكتب المشهورة وأن يصحّح الشواهدَ التي يُوردها مؤلّفو كتبِ اللغة من الحديث والشعر) ـ مشارق الأنوار النبويّة من صِحاح الأخبار المُصْطَفَويّة ـ الاحاديث الموضوعة ـ كتاب الاضدّاد ـ مختصر في العَروض ـ كتاب يفعول ـ رسالة في أسماء الأسد ـ رسالة في أسماء الذئب ـ الشوارد في اللغة ـ النوادر في اللغة (؟) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ مقدّمة كتاب « التكملة والذيل والصلة » :

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، والصلاةُ على محمّدٍ وآلهِ أجمعينَ . قال المُلْتَجِىءُ الى حَرَمِ اللهِ تعالى[١] ، الحسنُ بنُ محمّدِ بنِ الحسنِ الصَغانيّ أعاذَهُ اللهُ من آن يَهْوِيَ إلى هوى قلبهِ أو (أن) يَعْتَقِدَ مُنْعِماً سوى رَبّه : هذا كتابٌ جمعتُ فيه ما أهملَه أبو نصرٍ إسماعيلُ بنُ حَمّادِ الجَوْهريّ[٢] رَحِمَهُ اللهُ في كتابهِ ، وذيّلتُ عليه وسَمّيته كتابَ « التَكْمِلة والذَيْل والصلة » غيرَ مُدَّعٍ استيفاءَ ما أهمَله واستيعابَ ما أغفَلَه ؛ ولا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها[٣] ، وفوقَ كلِّ ذي عِلمٍ عليم[٤] . وكم تَرَكَ الأوّلُ للآخِرِ[٥] :

ومَنْ ظنّ مِمّنْ يُلاقي الحُروبَ بألاّ يُصابَ فقد ظنّ عَجْزا[٦] .

واللهُ تعالى المُوَفِّقُ لما صَمَدتُ[٧] له والمُيَسِّرُ ما صَعُبَ منه والعاصمُ من الزَلَل والخَلَل والخطأ والخطَل . وهو حَسْبي ونِعْمَ الوكيلُ[٨] .

ـ وقال في آخر كتاب التكملة والذيل والصلة :

.... هذا آخرُ ما أملاه الحِفْظُ وأمَلّه الخاطرُ من اللُّغات التي وَصَلَتْ إليّ وغرائبِ الألفاظِ التي انثالتْ عليّ[٩] . وهذا بعدَ أن عَلَتْني كَبْرةٌ وأحطتُ بما

(١) حرم الله : المسجد الحرام في مكة (يبدو أن الصغاني كتب مقدمة هذا الكتاب حينما كان مجاوراً في مكة) .
(٢) راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب (ص ٦٠٥) .
(٣ ، ٤ ، ٨) أقسام من آيات من القرآن الكريم .
(٥) لأبي تمام عن قصائده : تقول من تقرع أسماعه كم ترك الأول للآخر ! .
(٦) البيت للخنساء .
(٧) صمد : قصد .
(٩) أملى وأمل (بتشديد اللام في : أمل) : ألقى كلاماً على آخر حتى يدونه . انثالت الألفاظ علي : سقطت (تتابعت علي ، خطرت لي) بكثرة .

جُمِيعَ من كتب اللغة خُبْراً وخِبرة(١) . ولم آلُ جُهداً في التقرير والتحرير والتحقيق(٢) وإيرادِ ما هو حقيقٌ . وإخراجِ ما لا تدعو الضَرورةُ إلى ذِكْرِه حَذَراً من إضجارِ مُتأمّليه وتخفيفاً على* قارئيه — وإن كان ما مَنَّ اللهُ تعالى به من التَوْسِعَةَ ومَنَحَهُ من الاقتدار على البَسْط وزيادة الشواهد من فصيح الأشعار وشوارد الألفاظ الى غيرِ ذلك ممّا أعْجَزُ عن أداءِ شُكْرِه(٣) — لِيكونَ لِلْمُتَأدِّبينَ مَعيناً** . ولهم على مَعْرِفة لُغاتِ الكلامِ الالهي واللفظِ النَبَوِيّ مُعيناً(٤) . فمن رابَهُ شيءٌ ممّا في هذا الكتاب فلا يَتَسارَعْ الى القَدْحِ والتَزْييف والنِسْبَة الى التصحيف والتحريف(٥) حتّى يُعاوِدَ الأصولَ التي اسْتَخْرَجْتُ منها والمآخذَ التي أُخِذَتْ على* تلك الأصول(٦) . وإنّها تُرْبِى على ألفِ مصدرٍ من كُتُبِ غرائبِ الحديث .... ومن كتب اللغة والنحو ودواوين الشعراء وأراجيز الرجّاز وكتب الأبْنِيَة ... ومعاجم الشعراء ....

فان لم يَجِدِ (القارىء) لِما رابَه في هذه الكتب ما يُنادى بصِحّته(٧) ، فَلْيُصْلِحْهُ (هو) — زكاةً لعِلْمه الذي هو خيرٌ من المال — يَرْبَحْ في الحالِ وفي المآل(٨) . ومن اللهِ أرجو حُسْنَ الثواب ....

٤ — رسالة في الأحاديث الموضوعة ، القاهرة ١٣٠٥ هـ .

كتاب الأضداد (نشره هافنر) . بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩١٣ م .

كتاب (رسالة) في أسامي الذئب (تحرير رشر) ، استانبول ١٩١٤ م ؛ القاهرة (؟) ١٣٢٠ هـ .

التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية (حقّقه عبد العليم الطحاوي وراجعه عبد الحميد حسن — منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة) ، الجزء الأوّل ، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٧٠ م .

---

* أخذت (بالبناء للمعلوم للمفرد المتكلم) ؟ عن (؟) .

(١) الكبرة : الشيخوخة . الخبر : المعرفة والعلم . الخبرة : الاختبار ، معاناة الأمور .

(٢) لم آل جهداً : لم أتوان ، لم أترك وجهاً من أوجه النشاط لم أبذله . التقرير : اثبات الحكم والقاعدة . التحرير : التصحيح . التحقيق : التثبت من أمر ما أو من أحد وجوهه .

(٣) — يقصد أن الله قد أنعم عليه بمعرفة أشياء كثيرة من اللغة . ** الماء الظاهر (نبع ، مصدر)

(٤) — كانت الغاية من كتب اللغة فهم القرآن الكريم والحديث الشريف في الدرجة الأولى .

(٥) فمن رابه شيء : من شك في شيء . القدح : الذم والسب . زيف الرجل قول خصمه : صغره وحقره وحاول أن يجد فيه شيئاً من الباطل . التحريف : تبديل معاني الكلام .

(٦) حتى يراجع كتب اللغة الأصلية ويطلع على آراء العلوم فيها (ولا يكتفي بالاطلاع العابر على كتاب اتفق أن وقع في يده) . (٧) ما ينادى بصحته : اشتهرت صحته وأثبته أنا خطأ (؟) .

(٨) صدقة عن علمه (بذل جهد قليل) . المآل : المصير ، المستقبل ، الآخرة .

مشارق الأنوار النبويّة من صحاح الأخبار المصطفويّة (مع ترجمة أرديّة) «تحفة الأخبار»، لكنهو ١٣١٩ هـ ؛ (مع ترجمة هندستانية وتعليقات لمولانا خرّم علي)، كاونبور ١٢٨٢ هـ ؛ لكنهو ١٢٨٦، ١٣٠١ ؛ بمبي ١٢٩٢ هـ.

كتاب يفعول (عني بنشره حسن حسني عبد الوهاب)، تونس (مطبعة العرب) ١٣٤٣ هـ.

** مبارق الازهار في شرح مشارق الانوار (لعز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز الكرماني بن ملكشاه بن فرشته الكتوفيّ – نحو ٨٠٠ هـ)، استانبول ١٣١١، ١٣١٥ ؛ استانبول (دار الطباعة العامرة) ١٣٢٨ هـ.

معجم الأدباء ٩ : ١٨٩ – ١٩١ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٧٠ ؛ العبر ٥ : ٢٠٥ – ٢٠٦ ؛ بغية الوعاة ٢٢٧ – ٢٢٨ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٥٠ ؛ بروكلمان ١ : ٤٤٣ – ٤٤٤ ، الملحق ١ : ٦١٣ – ٦١٥ ؛ زيدان ٣ : ٥٢ ؛ مجلّة ثقافة الهند (يوليو – تمّوز ١٩٦٤) ص ٧٥ – ٨٥ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٣٢.

الزملـــكانيّ

١ – هو كمالُ الدين أبو المكارمِ عبدُ الواحدِ بنُ الخطيبِ عبدِ الكريمِ بنِ خلَفِ بن نَبْهانَ الانصاريُّ الدمَشْقي الزملكاني، نسبة الى زملكا[1] – قريةٍ في غُوطةِ دِمَشْقَ كان أبوه خطيباً فيها.

تلقّى الزملكانيُّ شيئاً من العلمِ على أبي عمرِو بنِ الحاجب. وقد وَلِيَ القضاءَ في صَرْخَد، وتصدّر للتدريس مدّةً في بَعْلَبَكّ. وكانتْ وفاتُه في المُحرَّمِ من سَنَةِ ٦٥١ هـ (آذار – مارس ١٢٥٣ م).

٢ – كان الزملكاني كاتباً مُصَنِّفاً له مشاركةٌ في عَدَدٍ من فنونِ العلمِ، ولكنّ براعتَهُ كانتْ في النحو والبلاغة. وكان له شعرٌ عاديٌّ جدّاً بِرُغْمِ تكلّفِه أوجهَ البلاغة فيه. وأما نَثْره فسهلٌ منطقيّ واضحٌ يَقْصِدُ الى المعاني مَعَ حُسْنِ التعبير؛ غير أنّه أحياناً يَلْجأ الى مُوالاةِ أوجهِ البلاغة من الصناعية اللفظية خاصّة.

وللزملكاني عددٌ من الكتب منها «التِبْيان في علم البيان المُطْلِـــع على إعجاز القرآن» ألفه سنة ٦٣٧ هـ وبناه على كتاب «دلائل الاعجاز» لعبد القاهر الجرجاني مع شيء من حسن التبويب ومن الاختصار والتهذيب لِيَجْعَلَ تَناوُلَ علم البيان أكثرَ سُهولةً على المتعلّم. ومن خطّته في هذا الكتاب بعد عرض الوجه من أوجه

---

(١) زملكان (بكسر الزاي والميم وسكون اللام) قرية بضواحي دمشق (راجع القاموس ٣ : ٢٠٥)؛ ويبدو أنها تخفف على زملكا.

البلاغة أن يَفصُلَ بين العَرض وبين رأيهِ الشخصّي ، فيُوردَ رأيَه وتعليلَه هو بعدَ فَصْلٍ يُعَنْوِنُهُ بكلمةِ : تنبيه ، اشارة ، وهم ، تنبيه ، دقيقة) .

ومن كتبه أيضاً : المفيد في إعراب القرآن المجيد (مختصر من « التبيان ») — البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن — المنهج المفيد في أحكام التوحيد — عُجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب — المفضّل على المفصّل .

٣ — مختارات من آثاره

— زيادة المعنى بزيادة حرف على الجملة .

قال الزملكاني في « التبيان » (ص ٧٠) :

قد يَظُنُّ ظانٌّ أنّ المعنى لا يتغيّرُ بالحرفِ الزائدِ على الجُمْلةِ نظراً الى أصل الحكم وإعراضاً عمّا هو كالمُكمّلِ للمعنى والمُحقّق له حتّى يَقَعَ في ذلك اللَّوْذَعِيُّ[(١)] العارفُ . وقد سألَ الكِنديّ — وإخالُه يَحْيي — أبا العبّاسِ المُبرِّدَ فقالَ له : « إنّي لأجِدُ في كلام الناس حَشْوا » . فقالَ له أبو العبّاس : « في أيّ مَوْضعٍ من ذلك ؟ » فقال (الكِنديُّ) : « أجِدُ العربَ تقولُ : عبدُ الله قائمٌ ؛ ثمّ يقولون : إنّ عبدَ الله قائمٌ ؛ ثمّ يقولون : إنّ عبد الله لَقائِمٌ . فالألفاظُ (في هذه الجُمَلِ) مُتَكرّرةٌ والمعنى واحدٌ ! »

فقال أبو العبّاس : بلِ المعاني مختلفةٌ لاختلافِ الألفاظ . فقولُهم : « عبدُ الله قائمٌ » إخبار عن قيامه ؛ وقولُهم : « إنّ عبد الله قائم » جوابٌ عن سؤال ؛ وقولُهم : « إنّ عبد الله لقائم » جوابٌ عن إنكارِ مُنْكِرٍ قِيامه . فتكرّرتِ الألفاظُ لتكرّر المعاني . قال (المبرّد) : فما أجابَ الكِنديّ بجواب[(٢)] . فعَلَيْكَ أن تَتَوخّى مواضِعَ الحُروف حَذَراً من أن يَقَعَ الحرفُ في غيرِ مَحَلّهِ فيذهبَ عليك مَقْصودُك في التَغيير[(٣)] .

— من شعر الزملكاني في الغزل والوصف :

أطَرْفُكَ أم هاروتُ يَعْقِدُ لي سِحْراً وريقُكَ (أم طالوتُ) يَعْصُر لي خَمْرا[(٤)]

(١) اللوذعي : الذكي القلب ...
(٢) لعله يعقوب الكندي الفيلوف (ت ٢٥٢) وأبو العباس المبرد محمد بن يزيد اللغوي النحوي (٢٨١ هـ) .
(٣) مقصودك في التغيير (كذا في الأصل) ، لعلها : في التعبير !
(٤) الطرف : النظر (العين) . هاروت كان ساحراً قديماً في بابل . طالوت (كذا قرأه ناشر كتاب التبيان للزملكاني) ملك من ملوك العبرانيين ، ولا وجه للاستعارة هنا (إذ لا صلة معروفة بين طالوت وبين الخمر) .

وما العيشُ إلاّ أن أرى لك عاشقاً ، وما الموتُ إلاّ أن تُعذّبَني هَجْرا .
وليس ببِدْعٍ أن تَصيدَ قلوبَنـــا وأن تُكْثِرَ القَتْلى وأن تُرْخِصَ الأسْرى[1] .
بنفْسِيَ أيامٌ مضَتْ لي بِجِلِّـــقٍ بأرضِ زِمِلْكا ، يا أُخيَّ ، وفي مقْرى[2] ؛
وربْوتُها تُربي السرورَ ، وتحتَهـــا يَزيدُ يزيدُ الشوقَ فيه وفي الشقرى[3] ؛
وفي بَرَدى سَلْسالُ ماءٍ مُصَفّقٌ ، وثورى له ثَغْرٌ تَبَسَّمَ لي ثغــرا[4] .
ولا تَنْسَ داريّــا فانّ نَسيمَهـــا يُضَوِّعُه مِسْكاً تحمّله عِطْــرا[5] .

٤ ــ التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن (تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي) ، بغداد (مطبعة العاني) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.

•• العبر ٥ : ٢٠٨ ــ ٢٠٩ ؛ طبقات السبكي ٥ : ١٣٣ ؛ بغية الوعاة ٣١٦ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٥٤ ؛ بروكلمان ١ : ٥٢٨ ، الملحق ١ : ٧٣٦ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٣٢٥ .

جمال الدين بن النجّار المجود

١ ــ هو جمالُ الدينِ ابراهيمُ بنُ سليمانَ بنِ حمزةَ بنِ خليفةَ ابنِ النجّارِ القُرَشيّ المجود الدمَشْقي ، وُلِدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م) .

سَمِـــعَ جمالُ الدين بنُ النجّارِ في دِمَشْقَ من التاجِ الكِنْديّ وأخذ عن الشاعر فِتْيانِ الشاغوريّ وغيرهما ثمّ حَدّث في دمشق . وفي مَطْلَع حَياته انتقــل إلى بَعْلَبَكّ وكَتَبَ (في ديوانِ الانشاء) للملك الأمجدِ مَجْدِ الدين بَهْرامَ شاهِ ابن داوودَ (٥٧٨ ــ ٦٢٧ هـ) . وقد سافر إلى حَلَبَ وبَغْدادَ أيضاً . وسافرَ إلى

---

(١) في الاصل : أليس ببدع (وذلك لا يدل على المعنى المقصود) . البدع : العجيب ، المستبعد .
(٢) جلق يقصد بها الشاعر دمشق . زملكا ومقرا (مقرى) من قرى دمشق .
(٣) الربوة : متنزه عند المدخل الغربي لدمشق . تربي السرور : تزيد السرور ، تجعل السرور كثيراً . يزيد : نهر بضواحي دمشق . يزيد يزيد الشوق : إن جمال الطبيعة عند هذا النهر تزكي شوق المحب الى محبوبه (الطبيعة هنالك توحي الى الانسان بالهوى. شقرة (بكسر الشين أو بضم فضم) : موضع باليمن . وشقرا (بالفتح) ولعلها من شقرة أو شقراء مواضع في الشام (سورية) .
(٤) بردى وثورى أو ثوراء نهران بضاحية من دمشق . السلسال : العذب ، الحلو ؛ السهل الجريان في الحلق . ماء مصفق : تحركه الريح فيسمع لتلاطمه صوت . الثغر الذي هو الفم أو المكان الذي يخشى منه مجيء العدو لا يتسق ومعنى البيت . وثغر تبسم لي ثغراً لا يفهم على وجه من الوجوه . ولعل هذا الشطر : « وثورى له ثغر تبسم لي زهراً » ؛ فيكون الثغر هنا نبت من خيار أنواع النبات (راجع القاموس ١ : ٣٨٢) فتمّ الاستعارة (نبات تبسم زهراً) .
(٥) داريا : بليدة قرب دمشق . « يضوعه » مسكاً تحمله عطراً » غيرُ واضح الدلالة . ولعل الشطر : « يضوع بها مسكاً وتحمله عطراً) » ، يضوع : ينتشر ؛ تحمله : تملأه بكثرة !

الاسكندرية وتولّى نِقابةَ الأشراف فيها . وكانت وفاتُه في رَبيعِ الاوّلِ من سَنَةِ ٦٥١ (أيار – مايو ١٢٥٣ م) في دِمَشْقَ .

٢ – كان جمالُ الدين بن النجّار أديباً مُتَرَسِّلاً شاعراً . ولم يكنْ شِعْرُه كثيرَ البَراعة ، ولكنْ كان له فيه عددٌ من اللَفَتاتِ البارعةِ . ويكثُرُ في شِعْرِه الغَزَلُ المُجون والوَصْفُ والأدب (الحكمة) .

٣ – مختارات من شعره

– قال جمالُ الدينِ بنُ النجار يَصِفُ زَنْجِيّاً شائباً :

يا رُبَّ أسودَ شائب أبْصَرْتُهُ وكأنّ عَيْنَيْهِ لَظىً وَقّادُ ؛(١)
فَحَسِبْتُهُ فَحْماً : بَدَتْ في بَعْضِهِ نارٌ ، وباقيهِ عليه رَمادُ .

– وقال في الغزل والنسيب :

ما لِهذي العيونِ – قاتَلَها اللهُ – تُسمّى لواحظاً ، وهي نَبْلُ(٢) ؛
ولهذا الذي يُسمّونه العِشْقَ مَجازاً ، وفي الحقيقةِ قَتْلُ ؛
ولقلبي يقولُ : « أسْلو ؟ » فإنْ قُلْتُ : «نَعَمْ !» قال : « واللهِ أسلو ! »(٣)

– وقال يَذُمُّ الحَشيشةَ ويُفَضِّلُ السُلاف (الخمر) :

لحا اللهُ الحشيشَ وآكليها . لقد خَبُثَتْ ، كما طابَ السُلافُ(٤) :
كما تُصْبي كذا تُضْني ، وتَشْقي كما تُشْفي ، وغايتُها الخراف(٥) .
وأصغرُ دائها – والداءُ جَمٌّ – لغاء أو جُنونٌ أو نشاف(٦) .

٤ – ** فوات الوفيات ١ : ٦ – ٨ ؛ العبر ٥ : ٢٠٧ ، الوافي بالوفيات ٥ : ٣٥٦ – ٣٥٨ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٥٣ .

---

(١) اللظى : لهب النار الخالص (لا دخان فيه) . وقاد : يتوقد ، شديد الاشتعال .
(٢) النبل (بفتح النون ، جمع لا واحد له . وقيل هو جمع نبلة بالفتح) : السهام .
(٣) أسلو : أنسى (حبي) . والله أسلو = والله ، لا أسلو (يكون الفعل المضارع في القسم منفياً فلا تدخل لا النافية عليه . (٤) – أنث الحشيش ، والمقصود الحشيشة .
(٥) أصبى : بعث الصبا (الشباب) والحب في الانسان . أضنى : أمرض ، أضعف . الخراف : (صيغة غير قاموسية في المعنى الذي قصده الشاعر – هو يقصد الخرف بفتح ففتح) فساد العقل في الشيخوخة .
(٦) والداء جم : الأدواء (الامراض) التي تتأتى من الحشيش كثيرة . لغاء (كذا في الاصل) ولعل الشاعر مد كلمة « لغا » فجعلها « لغاء » بمعنى الكلام الفاسد الساقط الذي لا قيمة له . والنشاف صيغة غير قاموسية ، والمقصود ضمور الجسم ونحوله .

ابراهيم بن اونبـــا

هو الأمير مجاهدُ الدينِ ابراهيمُ بنُ اونبا بن عبد الله الصوابي الذي بنى الخانقاه المُجاهدية في دِمَشْقَ ، اصبح واليَ دِمَشْقَ (٦٤٤ ﻫ) وكان عالماً فاضلاً . وقد كانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٥٤ ﻫ (١٢٥٦ م) أو قبلها بسنة .

كان ابراهيمُ بنُ أونبا شاعراً رقيقاً يقول في الغزل والنسيب :

أشْبَهَكَ الغُصْنُ في خِصالٍ : القدِّ واللينِ والتثنّي .
لكنْ تَجَنِّيكَ ما حَكاه ؛ ألغُصْنُ يُجنى وأنت تَجْني[1] .

– وقال في مليحٍ اسمُه مالكٌ ولعلها لابن قزل المشد (راجع الوافي بالوفيات ٥ : ٣٢٩).

ومليحٍ قُلتُ له : ما الاسـ ـمُ ، حبيبي ، قال : مالِكْ !
قلتُ : صِفْ لي وَجْهَكَ الزا هِي وصِفْ حُسْنَ اعتدالِكْ ؛
قال : كالغُصْنِ وكالبَدْ رِ وما أشْبَهَ ذلك !

٤ ** الوافي بالوفيات ٥ : ٣٢٩ ؛ المنهل الصافي ١ : ٣٩ – ٤٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٦٤ – ٢٦٥.

ابن أبي الإصبع المصري

١ – هو زكيُّ الدينِ أبو محمّد عبدُ العظيمِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ ظافرِ بنِ عبدِ الله ابنِ محمّد البَغْداديُّ[2] المِصريُّ العَدْواني[3] المعروف بابنِ أبي الإصبعِ ، وُلِدَ في مِصْرَ نحوَ سنة ٥٩٠ ﻫ (١١٩٤ م) ثم تُوُفِّيَ في مِصْرَ أيضاً في ٢٣ من شوّالِ سَنَةَ ٦٥٤ ﻫ (١٠/ ١١/ ١٢٥٦ م) .

٢ – كان ابنُ أبي الإصبعِ المِصْريُّ بارعاً في عدد من فنونِ العلم والأدب : في التفسيرِ والفِقْهِ والنحو والبلاغة . وكان شاعراً مُتَصَرِّفاً في فنونِ الشعر مِنَ المديحِ والهجاء والوصف والخمر والغَزَلين والمُجون ، كثيرَ النظم في الزهد وفي البديعيّات (مدح الرسول) ، ولكنّ شِعْرَه قليلُ الرونقِ . وأكثر شعره مقطعاتٌ تقوم على

---

(١) – ان الغصن ما حكى (أشبه) تجنيك (تحاملك على محبك وظلمك له) : ان الغصن يجنى (يقطف منه ثمر طيب) وأنت تجني (تظلم) .

(٢) في حسن المحاضرة (١ : ٢٧١) : البغدادي ثم المصري(مما يوحي بأن أسلافه من بغداد) .

(٣) لا نعلم من أين جاءته هذه النسبة « العدواني » .

تكلُّف أنواع البديع . وكانتْ براعةُ ابنِ أبي الإصبعِ المصري في البلاغة والنَقْدِ خاصّةً . وقد كانتْ له في حياتِه مكانةٌ أدبيةٌ سامية . ثمّ هو مُصَنّفٌ له : تحريرُ التحبير في علم البديع (انتهى من تأليفِه سنة ٦٤٠ هـ : وذكر فيه أن القـرآنَ الكريمَ حوى خصائصَ الأدبِ الخالد وأحاط بالمُثُلِ الأخلاقية ثمّ جرى فيه التعبيرُ بالأساليبِ البسيطةِ حتّى أصبَحَ مُعْجِزاً للبشر) - بديعُ القرآن (وهو مُوجَزٌ من «تحرير التحبير») - الخـواطر والسوانح في أسرار الفواتح (في سُوَرِ القـرآن الكريم) - الكاملـة في تأويل «تلك عَشْرَةٌ كامِلَة»[1] - بيـان البرهان في إعجاز القرآن - الأمثـال الواردة في القرآن الكريم وعندَ الشعراء وخصوصاً أبا تمّامٍ والمتنبّي) - صِحاحُ المدائح (قصائدُ في مدح الرسول والخلفاء الراشدين ووَصْفِ عددٍ من سُوَرِ القرآن) - العُنوان في معرفة الأوزان - الشافية في علم القافية - الجوهرة الفريدة في قافية القصيدة - الميزان في الترجيح بين قُدامةَ وخصومهِ - وصيّة الى الكتّاب والشعراء .

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن أبي الاصبع المصري في النسيب :

فَدَيْتُ التي إذ وَدّعَتْني وأوْدَعت ... من اللَفْظِ سَمْعي ساعةَ البَيْنِ جَوْهَرَا.
فلمّا الْتَقَيْنا رَدَّ دَمْعي لِنَحْرِها ... وديعتَها ، فَهْيَ اللآلي التي تَرى.
بَكَتْ ودَنَتْ نَحْوي ، فجرَّدَ لَحْظُها ... من الجَفْنِ سَيْفاً بالدُموع مُجَوْهَرا .

- وقال يلومُ الناسَ لأنّهم هُمُ الذين لم يَفْهَموا أحـوالَ الدنيا فانقلبوا يَذُمّونها :

نَصَحَتْنا فلم نَرَ النُصْحَ نصحـاً ... حين أبْدَتْ لأهلِهـا ما لَدَيْها :
كم أرَتْنا مَصارعَ الأهـلِ والأحْـ ... بابِ - لو نَستفيقُ - بين يَدَيْهـا .
يومُ بؤسٍ لها ويـومُ رَخاءٍ ؛ ... فتَزَوَّدْ ما شِئْتَ من يوميها .
دار زادٍ لِمَنْ تَزَوّدَ منها ، ... وغرورٍ لِمَنْ يميـل إليها .

---

(١) في القرآن الكريم في سورة البقرة : «.... فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم (الى بلادكم) ، تلك عشرة كاملة .... (٢ : ١٩٦) فدية على من اضطر الى ترك ذبح أضحية (او اذا حلق شعر رأسه قبل ذبح الأضحية) .

رَغبتْ ثمّ رهبتْ ليَرى كُ لُّ لبيبٍ عُقباهُ[1] في حالتيهـا .

– قال ابنُ أبي الإصْبَعِ في مقدمة « تحرير التحبير » :

...... وبعدُ ، فانّي رأيتُ ألقابَ محاسنِ الكلام التي نُعتَتْ قد انتهتْ الى عددٍ منه أصولٍ وفروعٍ ؛ فأصولُه ما أشار إليها ابنُ المعتزّ في « بَديعه[2] » وقُدامةُ في « نقدِه[3] » لأنّهما أوّلُ من عُنِيَ بتأليف ذلك ...... (وبعد أن يورد ابن أبي الاصبع عناوين عدد كبير من الكتب التي وضعت في فنّ البديع ويذكر بعضها بالمديح والثناء وبعضها الآخر بالتنقّص والذمّ يقول) : وإنْ كُنْتُ قلّما رأيتُ منها كتاباً خلاعن موضعِ نَقْدٍ بحَسْبِ منزلةِ واضعه من العلم والدراية ، فمن قليلٍ ومن كثيرٍ ؛ وكلّ أحدٍ مأخوذٌ من قوله ومتروكٌ إلاّ من عَصَمَه اللهُ من أنبيائه صلواتُ الله عليهِمْ وسلامُه . والسعيدُ من عُدَّتْ سَقَطاتُه ، – « وماأُبَرِّئُ نفسي[4] » – ولا أدّعي وَضْعي دون أبناء جنسي[5] . غيرَ أنّي توخّيتُ تحريرَ ما جمعتُه من هذه الكُتُبِ جُهْدي ودَقّقتُ النظرَ حَسْبَ طاقتي ، فتحرّسْتُ من التوارد وتَجَنّبْتُ التداخُلَ[6] ونَقّحْتُ ما يَجِبُ تنقيحُه وصحّحت ما قَدرْت على تصحيحه . وربّما أبْقَيْتُ اسمَ الباب وغيّرتُ مُسمّاهُ[7] إذا رأيتُ اسْمَهُ لايَدُلُّ على معناهُ إلى أن جَمَعْتُ جميعَ ما في هذه الكتبِ من الأبوابِ على ما قدّمْتُ من الشرائطِ فكان ما جمعتُهُ من ذلك ستّينَ باباً فروعاً بعدَ ما قدّمته من الأصول ...... وأضفتُ هذه الأبوابَ الفروعَ الى تلك الثلاثينَ الأصولِ فصارتْ الفَذْلَكَةُ تسعينَ باباً . ورأيتُ الأجدابيّ[8] قد ذَكَرَ من محاسنِ القافية أربعةَ أبوابٍ منها بابانِ هما بابٌ واحدٌ سمّاهما بتَسْميَتَيْنِ غيرِ مُطابِقتين لمعناهما فجعلتُهُما باباً واحداً على حُكْمِ ما أخذتُ به نفسي من حَذْفِ المتداخل وسمّيتُه « الالتزام ..... فسَلِمَتْ له (للأجدابي) ثلاثةُ أبوابٍ (فتمّ كتابي) ثلاثةٌ وتسعين باباً .

---

(١) العقبى : الآخرة ، النتيجة .

(٢) كتاب البديع لعبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ – راجع ٢ : ٣٧٧ – ٣٨١) .

(٣) كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت بعد ٣٢٠ هـ – راجع ٢ : ٤٣٤ – ٤٣٦) .

(٤) في سورة يوسف : « وما أبرىء نفسي ، ان النفس لأمارة بالسوء » (١٢ : ٥٣) : لا أدعي أني لا أخطىء .

(٥) لا أستثني نفسي من أبناء جنسي (البشر) ، فالبشر كلهم يخطئون .

(٦) التداخل (هنا) : معالجة موضوع واحد في فصلين متواليين أو متباعدين .

(٧) ربما تركت اسم الفصل وبدلت البحث والأمثلة .

(٨) هو ابراهيم بن اسماعيل الأجدابي (أو ابن الاجدابي) لغوي من أهل أجدابيــة في طرابلس الغرب (ليبيا) كتاب « كفاية المتحفظ » هو سبب شهرته . وكانت وفاته نحو سنة ٤٧٠ هـ (١٠٨٨ م) .

ولمّا أمَرَني من لا مَحيصَ عن رَسْمِهِ سيّدُ الفُضلاءِ وقُدوةُ البلغاء وملجأُ الأدباء ومَحَطُّ رِحال الغرباء وإمامُ الكرماء القاضي الأجلُّ ..... ابنُ سَناءِ المُلْك[1] بجَمْعِ ما في كتبِ الناس على سبيلِ الاختصارِ من الشواهدِ وتجنُّبِ الإطالة بذِكْرِ كلِّ الاشتقاقِ إلاّ أيضاحَ مُشْكِلٍ أو كَشْفَ غامضٍ أو زيادةَ بَسْطٍ في الكـ على أنّه من كتابِ الله تعالى أو في بيتٍ قد أُهْمِلَ تَقَصّي الكلامِ عليه بادَرْتُ امتثال أمرهِ .....

— من متن « تحرير التحبير » (ص ٩٩ — ١٠٠) :

ومن أمْثِلَةِ الاستعارةِ في السُنّةِ النَبَوِيّة قولُه عليه السلام : « ضُمّوا مواشيَكُمْ حتّى تذهبَ فحمةُ العِشاء »[2] . فاستعار — صلّى اللهُ عليه وسلّمَ — للعِشاء الفحمةَ لقَصْدِ حُسْنِ البيان ، لأنّ الفحمةَ هاهنا أظهرُ للحِسّ من الظُلمة ، فإنّ الظُلمةَ تُدْرَكُ بحاسّةِ البصر فقط والفحمةُ تدرَكُ بحاسّتَيِ البصرِ واللمس ، لأنّها جِسْمٌ والظُلمة عَرَضٌ[3] ؛ فكان ذِكْرُها — أعني الفحمةَ — أحسنَ بياناً من ذِكْرِ الظُلمة .

— من مقدّمة « بديع القرآن » :

.... كتاب « بديع القرآن » — الذي هو تَتِمّةُ « الإعجاز » المترجَم « ببيان البُرهان » — أفردتُه من كتابٍ هو وظيفةُ عُمُري[4] وثَمَرةُ اشتغالي في إبّانِ شبيبتي ومباحثي في أوانِ[5] شَيْخوختي مَعَ كلِّ من لَقِيتُه من عُقَلاءِ العُلماء وأذكياء الفضلاء ونُبلاء البلغاء في عِلْمِ البيان ، و(مَعَ)كلِّ من له عنايةٌ بتَدبُّرِ القرآن[6] ونظرٌ ثاقبٌ في نقدِ جواهرِ الكلام ومَنْ له تَمْييزٌ بين الذَهَبَ والشَبَهِ[7] من نُقودِ النثر والنِظام ، جمعتُه من ....[8] .

(١) ابن سناء الملك (راجع ، فوق ، ص ٤٥١) .

(٢) العشاء (بكسر العين) : غياب الشفق (بعد غياب الشمس بنحو تسعين دقيقة) واشتداد ظلام الليل والمقصود بالقول : حتى تذهب فحمة العشاء (حتى يذهب الليل ويبدأ ضوء الصباح) .

(٣) العرض (بفتح ففتح) : الصفة العارضة (التي تأتي وتذهب) كالمرض بالاضافة الى الإنسان وكاللون بالاضافة الى الاشياء .

(٤) وظيفة عمري : العمل الذي قضيت في إنجازه عمري كله .

(٥) أوان : زمن .

(٦) تدبر القرآن : قراءته بتفكير وتفهم .

(٧) الشبه : النحاس الأصفر ، وهو في الحقيقة مزيج من النحاس (الأحمر) ومن القصدير (ويكون لونه أصفر كلون الذهب الخالص) .

(٨) هنا يأتي كلام هو الكلام الموجود في مقدمة « تحرير التحبير » أو قريباً جداً منه .

٤ – بديع القرآن (تحقيق حفني محمد شرف) ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م .
تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن (تحقيق الدكتور حفني محمد شرف) ، القاهرة (الجمهورية العربية المتحدة : المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية – لجنة احياء التراث الاسلامي) ١٣٨٣ = ١٩٦٣ – ١٩٦٤ م .

** فوات الوفيات ١ : ٣٧٤ – ٣٧٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧١ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٦٥ – ٢٦٦ ؛ بروكلمان ١ : ٣٧٣ ، الملحق ١ : ٥٣٩ ؛ زيدان ٣ : ٦٤ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٥٦ .

سيف الدين المشدّ

١ – هو الأميرُ سيفُ الدين المشدّ أبو الحسنِ عليُّ بنُ عُمَرَ بنِ قِزِلَ بنِ جَلْدَكَ التركمانيُّ الياروقيُّ المِصْري ، وُلِدَ في مِصْرَ سنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٥–١٢٠٦ م).

تَقَلّبَ سيفُ الدينِ المشدُّ في دواوينِ الإنشاء وتولّى مشدّ(١) الديوانِ في دِمَشْقَ للناصرِ يوسفَ بنِ عبدِ العزيز (٦٢٤ – ٦٣٦ هـ) سُدّةً . وكانت وفاتُه في دِمَشْقَ في تاسعِ المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٥٦ هـ (١٦/ ١/ ١٢٥٨ م) في دِمَشْقَ .

٢ – كان سيفُ الدينِ المشدُّ ظريفاً طيّبَ العُشْرةِ ، وكان مُتَرسِّلاً وشاعراً مُكْثراً ، له ديوانُ شعرٍ . وشعرُه وُجدانيٌّ سهلٌ فيه شيءٌ من الضَعْفِ ، وفنونُه الغَزَلُ والنَسيب معَ شيءٍ من المُجون .

٣ – مختارات من شعره

قال سيفُ الدين المشدّ في النسيب :

غرامي بِكُمْ أجلى من الأمْنِ في القَلْبِ ، ووُدّي لكم أحلى من المَنْهَلِ العَذْبِ(٢) ؛
وشوقي إليكم كلَّ يومٍ وليلةٍ يَزيدُ على حالِ التباعُدِ والقُرْبِ .
وانّي وإنْ شَطّتْ بِيَ الدارُ عنكُمُ تُقَلِّبُني الأشواقُ جَنْباً إلى جنب(٣) .
أأحْبابَنا ، إنْ قَرَّبَ اللهُ دارَكُمْ نَذَرْتُ بأنّي لا أعودُ الى العَتْبِ(٤) .

(١) المشد (بضم الميم وكسر الشين) : المراقب العام ؛ الذي يحث العمال على الاسراع بتنفيذ الأعمال؛ الذي يتولى نقل أوامر صاحب الدولة الى رؤساء القرى (راجع معجم دوزي ١ : ٧٣٦ – ٧٣٧) .
(٢) أجلى : أبرز ، أظهر (لعلها « أحلى » أيضاً) . المنهل : مكان يشرب الناس منه . العذب : الحلو .
(٣) شطت : بعدت . تقلبني الأشواق جنباً الى جنبي : تذهب عني النوم ، تجعلني قلقاً معذباً .
(٤) العتب : العتاب ، اللوم .

ذكرتُ زمـاناً كان يجمَـعُ بيننَـا ففاضت دموعي واسْتفاض له قَلْبي (١) .
فواهاً له لو عـادَ للوَصْلِ مـرّةً وأعْطيه ما أبقى التفرُّقُ مِنْ لُبّي (٢) !

ــ وقال في النسيب والخمر مَعَ التورية (راحتي : يدي ، وراحتي ضدّ تعبي) :

أقْصى مُـرادي في الهـوى بـأن تَحِلّـوا ساحتي (٣) .
وراحَـتي في قَـدَحٍ (٤) أنْظُـرُه في راحـتي .

٤ ــ ** فوات الوفيات ٢ : ٧٩ ــ ٨٣ ؛ العبر ٥ : ٢٣٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٨٠ بروكلمان ١ : ٣٠٧ ، الملحق ١ : ٤٦٥ ؛ زيدان ٣ : ١٨ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٣١ .

ابن أبي الحـديد

١ ــ هو عزُّ الدينِ أبو حامد عبدُ الحميدِ بنُ هِبَةِ اللهِ بنِ محمّدِ بنِ الحسينِ ابن أبي الحديدِ المَدائني ، وُلِدَ في أوّلِ ذي الحِجّة من سَنَة ٥٨٦ هـ (٣٠/ ١٢/ ١١٩٠ م) في المدائنِ (شَرْقَ بَغدادَ) ونشأ فيها ودَرَسَ علمَ الكلام ومال إلى الاعتزال (٥) .

انتقلَ ابنُ أبي الحديد إلى بَغدادَ ونالَ حَظوةً عند الخُلفاءِ وعند الوزيرِ ابنِ العَلْقميّ . وقد عُيِّنَ كاتباً في دار التشريفات ثمّ في دارِ الخِلافة ثمّ ناظراً في المارستان . وعُيِّنَ أخيراً رئيساً على مَكْتبات بَغْدادَ .

---

(١) فاض الدمع : كثر سيلانه . استفاض (امتلأ) به قلبي (كثر حزني) .
(٢) واها (كلمة للتعجب أو التلهف والتمني) ؛ واهاً له لو عاد : ما أحسن لو عاد (يا ليته يعود) . التفرق : الفراق . اللب : القلب (العقل) .
(٣) حل (نزل) ساحته (أرضه) : نزل به ضيفاً أو ساكناً .
(٤) قدح (من الخمر) .
(٥) كان ابن أبي الحديد متكلماً على رأي المعتزلة . وقد اشتهر بالتواتر أنه شيعي ، ولكن المصادر التي نلتقط منها أشياء نزرة (بسكون الزاي) مما يتعلق بحياته لا تذكر ذلك صراحة. والدلائل التي يمكن أن تشير الى تشيع ابن أبي الحديد أمور منها شرحه لنهج البلاغة شرحاً متطرفاً وصلته بالوزير مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد ابن العلقمي الذي جاء الى الوزارة سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ ــ ١٢٤٣ م) . وقد شرح ابن أبي الحديد كتاب نهج البلاغة ليقدم هذا الشرح الى ابن العلقمي . ثم إن ابن العلقمي كان شيعياً ، لا شك في ذلك ، غير أنه كان من الشيعة الغالية الباطنية ، ولم تكن صلته بالخلافة العباسية التي كان وزيراً فيها صلة واضحة ، ويقال إنه مالأ التتر على العباسيين ، يدل على ذلك أن التتر استبقوه (بفتح القاف) في منصب الوزارة بعد أن قضوا على الدولة العباسية وخربوا بغداد ، سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) . ودفع ابن العلقمي حياته ثمناً لسياسته الغامضة فقد أساء التتر معاملته إساءة شديدة فمات غيظاً وكمداً سنة ٦٥٧ هـ (راجع فوات الوفيات ٢ : ١٩٠) .

وكانتْ وفاةُ ابنِ أبي الحديدِ في بَغداد في أوائلِ سَنَةِ ٦٥٦ هـ (أوائل ١٢٥٨ م).

٢ ـ كان ابنُ أبي الحديدِ عالماً لُغَويّاً وأديباً شاعراً ومُصنّفاً ، فمن كتبه : شرح كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضيّ من كلام الإمام عليّ بن أبي طالبٍ ، وقد قضى في عملِ هذا الشَرْحِ خَمْسَ سنوَات (٦٤٤ ـ ٦٤٩ هـ) وقدّمه الى الوزير ابن العلقميّ . كان هذا الشرح في الحقيقة وسيلة الى التوسّع في عدد من فنون المعرفة التي كان ابن أبي الحديد يتقنها ، وقد أدخل فيه كثيراً من آراء المعتزلة[1] ـ الوشاح الذهبي في علم الأبي ! ! ـ الأخبار الحسان (مجموع في اللغة والتاريخ والأدب فيه شيء من شعره ونثره) ـ القصائد السبع العلويّات[2] ـ القصائد المستنصريّات ـ نظم كتاب الفصيح لثعلب ـ شرح منظومـــة في الطبّ لابن سينا ـ شرح الياقوت لابي اسحق ابراهيم بن نَوْبَخْتْ ـ شرحٌ على مشكلات الغرر (في الاصول) لابي الحسن البصري ـ شرح كتاب محصّل أفكارِ المتقدّمين والتأخّرين للفخر الرازي ـ شرح الآيات البيّنات للفخر الرازي ـ الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشيعة للشريف المرتضى ـ انتقاد المستصفى (في علم الأصول) للغزّاليّ ـ الحواشي على كتاب المفصّل (في النحو) للزمخشري ـ تعليقات على كتاب المحصول (في علم الفقه) للفخر الرازي ـ الفلك الدائر على المَثَلِ السائر (نقدٌ لكتاب المثل السائر لضياء الدين بن الأثير) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من القصائد السبع العلويّات :

عن ريقِهـــا يتحدّثُ المِسواكُ أرَجاً ، فهل شَجَرُ الكِباء أراكُ[3] ؟
ولطَرْفِها خَنَثُ الجَبانِ ، فإنْ رَنَتْ باللّحْظِ فَهْيَ الضَيْغَمُ الفتّاكُ[4] :
شَرَكُ القلوبِ ؛ ولم أخَلْ من قَبْلِها أن القلـــوبَ تَصيدها الأشْراكُ .

---

(١) راجع طريقة ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة في مقدمته ، وبعضها مثبت في « مختارات من آثاره » .

(٢) القصائد السبع العلويات : فتح خيبر ـ فتح مكة ـ مدح الرسول (قصيدتان) ـ مقتل الحسين ـ موت الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٦٢٢هـ) ...

(٣) الارج : طيب الرائحة . الكباء : العود الذي له رائحة طيبة . الاراك : شجر تتخذ من أغصانه المساويك (التي تجلى بها الاسنان) .

(٤) الطرف : النظر ، العين . الخنث (بفتح ففتح) : التكسر والاسترخاء . رنا : تطلع بسكون العين (نظر نظراً يسيراً) . الضيغم : الاسد .

يا وَجْهَها المَسْفوكَ مـاءُ شبابِه ، ما الحتفُ لولا طرفُكَ الفتّـاك[١] !
أمْ هلْ أتاكَ حديثُ وَقْفَتِنا ضُحىً ، وقلوبُنا بِشَبا الفِراق تُشاك[٢] .
لا شيءَ أقطـعُ من نوى الاحبـاب أو سيفِ الوصيِّ ، كلاهمـا فتّاك[٣] ؛
ذو النَورِ ؛ ان نَسَجَ الضلالُ مـلاءةً دَكْناء فَهْوَ لسِجْفِها هتّـاك[٤] .
عَلاّمُ أسرارِ الغُيـوبِ ، ومن لـه خَلْقَ الزمـانُ ودارتِ الأفْلاك ؛
فَكّاكُ أعنـاقِ المُلوكِ ، فان يُرِدْ أسْراً لَها لم يُقْضَ منه فِكاك[٥] .
ما عُذْرُ من دانـتْ لديه مَلائكٌ ألاّ تَدينَ لِعزّه الأمْـلاك[٦] !

— من مقدّمة « شرح نهج البلاغة »[٧] :

الحمدُ لله الواحدِ العَدْل الذي تفرّد بالكمال فكل كاملٍ سواه منقوصٌ ، واسْتَوْعَبَ عُمومَ المحامدِ والممادح فكل ذي عموم ٍ عَداه مخصوصٌ[٨] .... قَدّمَ المَفْضول على الأفضل لِمَصْلحة اقْتضاها التكليفُ ، واخْتَصّ الأفضل من جَلائِل المآثرِ ونفائسِ المفاخرِ بما يَعْظُمُ عنِ التشبيه ويَجِلُّ عن التَكْييف[٩]....

وبعدُ فان مراسيمَ[١٠] المَوْلى الوزيرِ الأعظمِ صاحبِ الصَّدْرِ الكبيرِ المعظّمِ ، العالم العادلِ المظفّر المنصور المُجاهد المُرابط مُؤيِّدِ الدين عَضُد الاسلام سيّد وزراء

(١) المسفوك ماء شبابه : الذي يقطر ماء شبابه (كناية عن عنفوان الشباب) . الحتف : الهلاك ، الموت . ما الحتف لولا طرفك الفتاك : لولا طرفك (لحظك ، عيونك) التي تقتل الناس لما استطاع الحتف (الموت) أن يقتل أحداً . (٢) الشبا : حد السيف ، أو حد كل آ لة قاطعة . شاك : شك ، وخز .
(٣) النوى البعاد . الوصي : الامام علي بن أبي طالب .
(٤) ذو النور : صاحب النور . الدكناء : القاتمة اللون . السجف (بفتح السين أو بكسر السين) والسجاف (بكسر السين) : الستر . هتك الشيء : شقه .
(٥) لم يقض منه فكاك : اذا وقع أحد في أسره لم يستطع أحد آخر أن ينقذه .
(٦) دانت : خضعت . الملائك : الملائكة . الاملاك : الملوك (من البشر) .
(٧) سأكتفي هنا بالشرح اللغوي والادبي لأن شرح المدارك الكلامية (مدارك علم الكلام وأصول الدين ، نحو : العدل – تقديم المفضول على الفاضل – التكييف الخ) متشعبة كثيرة وخارجة عن نطاق هذا الكتاب .
(٨) استوعب المحامد : تضمنها كلها ، احتوى عليها جميعاً . كل ذي عموم عداه (= ما عداه : ما عدا الله تعالى) مخصوص : كل ما يقال فيه إنه عام القدرة تقتصر قدرته على أمر معين .
(٩) قدم المفضول (أبا بكر وعمر وعثمان) على الافضل (علي بن أبي طالب) ... بما يعظم عن التشبيه (بما يحيل أن يكون للامام علي شبيه أو مثيل) ويجل عن التكييف (يمنع من أن نسأل : كيف ؟)
(١٠) مراسيم جمع مرسوم (ما رسمه السلطان للناس ، ما أمرهم به ، ما وضع خطته) .

الشرق والغرب ابي طالب محمد بن احمد بن محمد العلقمي نصير امير المؤمنين ، أسبغ الله عليه من مراقب السعادة[1] ومراتب السيادة أشرَفها وأعلاها. لمّـا شَرُفتُ — عَبْدَ دولته وربيبَ نعمته[2]— بالاهتمام بشرح نهج البلاغة على صاحبه افضلُ الصلوات ولذِكره أطيب التحيّات بادَرَ إلى ذلك مبادرةَ مَنْ بعثه مِنْ قَبْلُ عزٌ ثم حرّكه أمرٌ جزْمٌ[3] وشَرَعَ فيه بادِيء الرأيِ[4] شُروعَ مختصر ، وعلى ذكر الغريب والمعنى مقتصِر . ثم تعقّب الفكرَ فرأى ان النَّغْبَة لا تَشْفي أواماً ولا تزيد الحائمَ إلاّ حياماً[5] ، فتنكبّ ذلك المسلَكَ ورفض ذلك المنهج وبسط القول في شرحه بسطاً اشتمل على الغريب والمعاني وعلم البيان وما عساه يشتبهُ ويُشْكِلُ[6] من الإعراب والتصريف ، وأوردَ في كل موضوع ما يُطابِقُه من النظائر والأشباه[7] نظماً ونثراً وذكر ما يتضمنه من السِيَرِ والاحداث فصلاً فصلاً . وأشار الى ما ينطوي عليـــه من دقائق علم التوحيد والعدل[8] إشارة خفيفة ولوّح[9] إلى ما يستدعي الشرحُ ذكرَه من الانساب والأمثال والنُكَت تلويحات لطيفة ورصّعه من المواعظ الزُّهدية والزواجر[10]

---

(١) المرقبة (بفتح الميم والقاف) : المكان العالي الذي يشرف الانسان منه على ما حوله .

(٢) التفات (ينتقل الكاتب الى الكلام عن نفسه). عبد دولته : اخص نفسي ، انا عبد دولته .

(٣) بادر الخ : اسرع (الى شرح نهج البلاغة) إسراع من كان قد بعثه (دعاه الى ذلك : من قبل صدور الأمر اليه) عزم (عزم أو إرادة من عند نفسه) . جزم : (أمر) بات ، فاصل .

(٤) شرع (بدأ) فيه (بشرحه) بادىء الرأي (في أول الأمر) .

(٥) النغبة (جرعة الماء القليلة) لا تشفي أواما (لا تطفىء عطشاً) . الحائم : العطشان .

(٦) اشتبه الأمران وتشابها : تماثلا حتى يصعب التفريق بينهما . أشكل الأمر : صعب تبينه ومعرفة المقصود منه أو معرفة وجه الصواب فيه .

(٧) يطابقه : ينطبق عليه ، يماثله حتى كأنه هو . النظائر (جمع نظير) والأشباه (جمع شبه بكسر الشين) الأمور المتماثلة التي يشبه بعضها بعضاً .

(٨) علم العدل والتوحيد = علم أصول الدين على مذهب المعتزلة (الذين يفضلون ما يقضي به العقل في أمور العقائد الدينية على ما جاءت به الاخبار) في مقابل مذهب الاشعرية (الذين يرون أن العقل معزول عن أمور الدين جملة) . التوحيد (عند المعتزلة) : الاعتقاد بأن الله واحد بالعدد وأنه لا يشبه أحداً من خلقه ولا يشبهه أحد من خلقه . والعدل (عند المعتزلة أيضاً) : الاعتقاد بأن الله جعل الانسان مخيراً في جميع أعماله ثم يحاسبه يوم القيامة على جميع الأعمال التي عملها في الدنيا فيثيبه على أحسن ويعاقبه على ما أساء . ولو أن الله قدر جميع أعمال الانسان عليه ثم عاقبه على السيئات التي كان هو قد قضاها عليه (أمره بها) لما كان ذلك من الله عدلا ، كما يقول المعتزلة .

(٩) لوح بالشيء : أظهره قليلا وحركه تحريكاً خفيفاً . لوح اليه : أشار اليه (إشارة عارضة خفيفة) .

(١٠) رصعه : زينه (بحجارة كريمة) . الزواجر : النواهي ، الاقوال التي تزجر (تمنع) الانسان من عمل القبيح .

الدينية والحكم النفسية والآداب الخُلُقية المناسبة لِفِقَرِه والمشاكلة[1] لدُرَرِه والمُنتظمة معَ معانيه في سِمطٍ والمُتّسقة مع جواهره في لَط[2] بما يهزأ بشنوف النضار ويُخجل قِطَعَ الروض غِبّ القِطار[3]، وأوضح ما يومىء[4] إليه من المسائل الفقهية وبرهن على أن كثيراً من فصوله داخل في باب المعجزات المحمدية لاشتمالها على الاخبار الغَيْبية وخروجها عن وُسع[5] الطبيعة البشرية ....

وقد تعرضت في هذا الشرح لمناقضته في مواضعَ يسيرةٍ اقتضتِ الحالُ ذِكرَها وأعْرضتُ عن كثير مما قاله لم أرَ في ذكره ونقضه كبيرَ فائدة .

.... اعلمْ أني لا أتعرض في هذا الشرح للكلام في ما فَرَغَ أئمّة العربية (منه) ولا لتفسير ما هو ظاهر مكشوف .

٤ — القصائد السبع العلويّات (مطبوعة مع المعلّقات وشرح البردة) ، طهران (طبع حجر) ١٢٧٣ ، ١٣١٧هـ؛ (شرحها محمّد صاحب المدارك)، صيداء (مطبعة العرفان) ١٣٤٠ ١٣٤٤ هـ ؛ بمبي ١٣٠٥ ، ١٣١٦ هـ ؛ القاهرة ١٣١٧هـ ؛ (شرح العاملي) ، فارس (طبع حجر) ١٢٨٢ ؛ ١٣١٧ هـ .

القصائد المستنصريات ، بغداد ١٣٣٨ هـ .

الفلك الدائر على المثل السائر ، لا ذكر لمحلّ الطبع ، ١٣٠٩هـ (؟) = المثل السائر المسمّى بالفلك الدائر ، بمبيء ١٣٠٨ — ١٣٠٩هـ .

شرح نهج البلاغة ، تبريز ١٢٦٧ ، ١٢٨٥ هـ ؛ طهران ١٢٧٠ ، ١٢٨١ هـ ؛ بومبيء ١٣٠٤ هـ ؛ مشهد ١٣١٠هـ ؛ مصر ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٣٢٧ هـ ؛ (مع حواش لمحمّد نائل المرصفي) ، القاهرة ١٣٢٨هـ القاهرة (البابي) ١٣٢٩ هـ ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٣٠ — ١٣٣١ هـ ؛ (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المطبعة التجارية) بلا تاريخ ؛ بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦٣ — ١٩٦٥ م ؛ (نشره محمّد أبو الفضل ابراهيم) ، القاهرة .

** تشريح شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، تأليف محمود الملاّح ، بغداد (مطبعة أسعد) ١٩٥٤م .

---

(١) المناسبة : المشابهة ، المماثلة . الفقرة (بكسر الفاء) القطعة . المشاكلة : المشابهة .

(٢) السمط : الخيط تجمع فيه الجواهر عقداً . المتسق : الجاري على خطة معينة . اللط : القلادة من حب الحنظل المصبغ .

(٣) الشنف (بفتح الشين) : القرط (بضم القاف) يعلق بالاذن . النضار : خالص الذهب . غب القطار : بعد المطر . قطع الروض بعد القطار تكثر فيها الازهار .

(٤) أومأ : أشار .

(٥) الوسع : الطاقة ، المقدرة .

وفيات الاعيان ٣ : ٦٦ (في ترجمة ضياء الدين بن الاثير) ؛ فوات الوفيات ١ : ٣١٧ – ٣١٩ ؛ العبر ٥ : ٢٣٤ ؛ روضات الجنّات ٤٢٢ ؛ البداية والنهاية ١٣ : ١٩٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٣٥ – ٣٣٦، الملحق ١ : ٤٩٧ ؛ زيدان ٣ : ٤٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٦٨٥ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٦٠ .

الصرصري

١ – هُوَ جمالُ الدينِ أبو زَكَريّا يَحْيى بنُ يوسفَ بنِ يحيى بنِ منصورِ بنِ مَعْمَرِ بنِ عبدِ السلامِ الصَّرْصَريُّ البَغْداديّ، نِسْبةً الى صَرْصَرَ وَهِيَ قريةٌ على فَرْسخين من بَغْداد .

وُلِدَ يحيى بنُ يوسفَ الصرصريُّ سَنَةَ ٥٨٨ ه وقرأ القرآنَ على أصحابِ ابنِ عساكر البطائحي وسمع الحديثَ من الشيخِ عليِّ بنِ إدريسَ الزاهدِ وحَفِظَ الفِقْهَ واللغةَ . وكان يَسْلُكُ في طريق التصوّف .

وكان الصرصريُّ ضَريراً . ولمّا دخل التتار بَغْداد كان الصرصري فيها ، ويبدو أنّ نفراً منهم اتّفق أن دخلوا عليه فقاتلهم بعُكّازِه وقَتَلَ واحداً منهم – وفي شذرات الذهب (٥ : ٢٨٦) أنّه قتل منهم اثْنَيْ عَشَرَ – فقتلوه ، سنة ٦٥٦ ه (١٢٥٨ م) ، فحَمَلَه أصْحابُه الى صَرْصَرَ ودفنوه فيها .

٢ – كان الصرصريُّ فقيهاً ولُغَوِيّاً ونَحْوِيّاً وشاعراً ومتصوّفاً ، ولكنّ جميعَ آثارِه التي بَقِيَتْ لنا في الشعر . وهو شاعرٌ مُكْثِرٌ جدّاً ، وأكثرُ شِعْرِه بَديعيّاتٌ. وله مديحٌ مشهورٌ . وكذلك له قصائدُ كثارٌ في الفقه – في أصولِ الفقهِ وفي فروعِ الفقه – : «نَظَمَ في الفقه مُخْتَصَرَ الكافي وزوايدَ الكافي ، ونظم في العربية (النحو) و في فنون شتّى ...... وشعرُه مملوءٌ بذكرِ أصولِ السُنّة ومدح أهلها وذمّ مُخالفيها » . « وله قصائدُ التزم في كلّ حرف (كلمة) منها ظاءً ، وأخرى في كلّ كلمة منها ضادٌ ، وأخرى في كلّ كلمة منها زايٌ . وهكذا (الى أن يَسْتَوْفِيَ) الحروفَ الصعبة ؛ وأخرى في كل بيت (منها جميعُ) حروفِ المُعْجَم . وهذا دليلُ القُدْرةِ والاطّلاعِ والتمكّن » (نكتُ الهميان ٣٠٨) .

٣ – مختارات من شعره

– قال يحيى بنُ يوسفَ الصرصريُّ من بديعيّة :

يا خاتمَ الرُسْلِ الكرامِ وفاتحَ الـ ـخَيْراتِ ، يا مُتَواضِعاً شمّاخا[1] ؛

(١) خاتم الرسل = محمد رسول الله . الشامخ : المترفع (عن الظلم وعما لا يجوز) .

يا مَنْ به الإسلامُ أصبح ظاهـراً ، وبقَهـره الكُفْرُ المُشَقْشِقُ داخا[1] ؛
يا مَنْ رَسَتْ وسَمَتْ قواعدُ دينه ، وبه هَـوَى أُسُّ الضلال وساخا[2] ؛
يا خيرَ مَنْ شَدَّ المَطِيَّ لقَصْدِه حادي المَطِيِّ وفي هـواه أناخا[3] ،
عَطْفاً على عبدٍ تعَلَّقَ حُبُّكم طِفْلاً وفي صِدْقِ المحبّةِ شاخا[4] ؛
واسألْ لِيَ اللهَ المُهَيْمِنَ عَزْمَ مَنْ في الدين أضْحى ثابتـاً رسّاخا ،
فلَعَلّني أُكْفَـى غَوائلَ ناصبٍ شَرَكاً لنـا من كَيْدِه وفِخاخا[5] .
وأفوزُ بالبُشْرى إذا وَرَدَ الـوَرَى يومَ القيـامةِ جاحِماً طبّاخا[6] .

٤ - ** نكت الهميان ٣٠٨ - ٣٠٩ ؛ العبر ٥ : ٢٣٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٨٥ - ٢٨٦ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٠ ، الملحق ١ : ٤٤٣ ؛ زيدان ٣ : ٢٥ - ٢٦ ؛ مجلة العربي (الكويت) نيسان ١٩٧٠ ص ٧٥ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

ابن الحلاوي

١ - هو شَرَفُ الدينِ أبو الطيّبِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ أبي الوفاءِ بنِ الخطّابِ ابنِ الهزَبْرِ المَوْصِليُّ الرَبَعِيّ ، نِسْبَةً إلى أمّ الرَبيعيين وهي المَوْصِلُ ، وُلِدَ في الموصل سَنَةَ ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) .

كان ابنُ الحَلاويّ يتكسّبُ بالشعرِ يَمْدَحُ الملوكَ والخُلفاء : مَدَحَ المَلِكَ الناصرَ داوودَ بنَ عيسى ثمّ انْقَطَعَ إلى السلطانِ بـدرِ الدين لُؤلؤٍ أتابكِ المَوْصِلِ (٦٣١ - ٦٥٧ هـ) ؛ ولمّا توَجّه بدرُ الدين لؤلؤٌ للاجتماعِ بهولاكو ، قُبَيلَ الغزوِ التَتاريّ ، كانَ ابنُ الحلاويّ معه . وقد مَرِضَ ابنُ الحلاوي في هذه الرِحلة في قيزيَزْدَ ، وقيل في سَلْماسَ (آذَرْبَيْجان) ، فتُوفّي هنالك سَنَةَ ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .

٢ - ابنُ الحلاويّ هو (فوات الوفيات ١ : ٨٧ - ٨٨) : « الأديبُ الكبيرُ الشاعرُ المَوْصلي ، قال الشعرَ الجيّدَ الفائقَ .... وكان من مِلاحِ المَوْصل ، وفيه

(١) ظاهر منتصر (منتشر) . الشقشقة : كثرة الكلام .
(٢) الاس : الاساس . ساخ : غار في الارض .
(٣) المطية : الحيوان الذي يركبه الانسان في سفره . شد المطي : سافر ، قصد . أناخ : حط الرحال ، استقر .
(٤) تعلق حبكم = تعلق بحبكم ، لزم حبكم لا يحول عنه .
(٥) الغائلة : الأمر الشديد المهلك . ناصب شركاً لنا : ابليس . (شركاً مفعول ، به من « ناصب ») .
(٦) الورى : الناس ، البشر . الجاحم : الشديد الحر . الطباخ : الذي يطبخ الاشياء بحرارته (الشديد الحرارة) .

لُطفٌ وظَرْفٌ وحُسْنُ عِشرةٍ وخِفّةُ رُوحٍ ؛ وله القصائدُ الطنّانة » ؛ يَنْظِمُ رَوِيّةً وبَدِيهةً . وشِعرُه حَسَنٌ رائقٌ وفيه صِناعة وشيءٌ من المَرَحْ والهَزْل . وفنونه المدح والغزل والنسيب .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ الحلاويّ في الغزل والنسيب :

حكاه من الغُصْنِ الرطيبِ وَريقُه ؛ ... وما الخَمْرُ إلاّ وَجْنَتاه وريقُه[١] .
وأسْمَرَ يَحكي الأسْمَرَ اللَدْنَ قَدُّه ... غدا راشقاً قَلْبَ المُحِبّ رَشيقُه[٢] .
على خَدّه جَمْرٌ من الحُسْنِ مُضْرَمٌ ... يُشَبّ – ولكنْ في فُؤادي – حريقه .
بديعُ التثنّي : راح قلبي أسيرَه ، ... على أن دَمْعي في الغرام طَليقُه[٣] .
على سالِفَيْه للعِذارِ جَريرةٌ ، ... وفي شَفَتَيْه للسُلاف عَتيقُه[٤] .
يهدّد منه الطَرْفُ من ليس خَصْمَهُ ، ... ويُسْكِر منهُ الريقُ مَنْ لا يَذوقه .
على مِثْله يَسْتَحْسِنُ الصَبُّ هَتْكَه ، ... وفي حبّه يجفو الصديقَ صديقُه[٥] .
له مَبْسِمٌ يُنشِي المُدامَ بِريقِه ... ويُخْجِلُ نَوّارَ الأقاحي بَريقُه[٦] .
حكى وَجْهُه بَدْرَ السماء ، فلو بَدا ... معَ البدرِ قال الناس : هذا[٧] شَقيقه !

٤ – ** فوات الوفيات ١ : ٨٧ – ٩١ ؛ الوافي بالوفيات ٨ : ١٠٢ – ١٠٨ ؛ العبر ٥ : ٢٢٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٧٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٠ ؛ زيدان ٣ : ٢٥ . الاعلام للزركلي ١ : ٢١١ .

---

(١) الرطيب : الناضر ، الطري . الوريق . المكسو بالورق (في أيام الربيع) . والخمر (حمراء)تشبه خديه و (حلوة) تشبه ريقه .

(٢) وأسمر (محبوب أسمر : جميل) يحكي (يشبه) الاسمر (الرمح) اللدن (اللين : الذي ينحني ولا ينكسر). قدة : قامته (كالرمح) : مستقيمة ، رشيقة . رشق : رمى (فلان خصمه) بالسهام . رشيقه : قامته الرشيقة (المستقيمة التي تشبه السهم) .

(٣) طليق : مطلق ، مفكوك . وطليق : حر ، غير مربوط . دمعي طليقه : (هو أطلق دمعي : جعله يسيل بكثرة) أنا كثير الحزن والبكاء لكثرة عذابي في حبه .

(٤) السالف : الشعر حيال الأذن . العذار : الشعر النابت في الخدين. جريرة : قطعة من الحبل ونحوه ، ما يجر ، نطاق ذو عرض معين. ثم الذنب والجريمة (في الكلمة تورية). السلاف : الخمر . العتيق من الخمر : القديم (الجيد) . – نبات الشعر في خديه (شبابه) أوقعني في الحب (عذبني ، أمرضني) ، وفي شفتيه دواء لي وشفاء . (٥) الصب : المحب . الهتك والتهتك : اظهار العشق . يجفو : يبتعد عن ، يعادي .

(٦) مبسم : فم صغير (دائم الابتسام) . ينشي (يسكر) المدام (الخمر) بريقه (بما فيه من الريق الحلو) – ريقه هو الشيء الذي يجعل الخمر مسكرة ! النوار : الزهر البريق : النضارة ، اللمعان (الجمال) .

(٧) هذا (أي محبوبي) .

بهاءُ الدين زهـــيرٌ

١ — هو أبو الفضل زهيرُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ يَحْيَى المُهَلَّبِيُّ ، وُلِدَ في نَخْلةَ ، قُرْبَ مَكّةَ في خامسِ ذي الحجّة ٥٨١ هـ (٢٦/ ٢/ ١١٨٦ م) ثم انتقلَ به أهلُه إلى قُوصَ (في صعيدِ مِصْرَ) حيثُ تَلَقّى علومَ الحديثِ والفِقْهِ والأدبَ . وفي قُوصَ بدأ البهاء زهيرٌ حياتَه الأدبيةَ والعِلمية بالتكسُّبِ بشعرِه فمدح الاميرَ مجدَ الدين بنَ اسماعيلَ اللَمْطِيَّ (اللمكي ؟) لما أصبحَ مجدَ الدين حاكمَ قوص (٧٠٧ هـ = ١٢١٠ — ١٢١١ م) .

ويبدو أن البها زهيراً اتّصلَ في هذه الأثناء بالمَلِك العادل وأنشَدَهُ قصيدةً في قَلْعَة دِمَشْقَ (٦١٢هـ) ثم مدح المَلِكَ الكاملَ بعدَ انتصارِه في معركةِ دمياط (٦١٨هـ).

انتقَلَ البها زهيرٌ إلى القاهرة سَنَةَ ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) أو بعدَها بقليلٍ واتّصل بآلِ البيتِ الأيّوبيِّ ووَثّقَ صِلَتَهُ بالملكِ الصالحِ نجمِ الدين . وبعد وفاةِ الملكِ الكاملِ (٦٣٥ هـ = ١٢٣٨ م) تنازَعَ إخوتُهُ وأبناؤه فتغلّبَ الملك الناصرُ صاحبُ الكَرَكِ على أبنِ أخيهِ الملك الصالحِ في نابُلُسَ واعتقلَهُ في قلعة الكرك . وقد بَقِيَ البها زُهيرٌ في نابُلُسَ مقيماً على وَلاءِ الملك الصالح حتّى خَرَجَ الملكُ الصا لحُ مِنَ الاعتقال وعاد الى مِصْرَ في أواخرِ سَنَةِ ٦٣٩ هـ (١٢٤٢ م) فعادَ البها زهيرٌ إلى خِدمته فولاّه الملكُ الصالحُ ديوانَ الإنشاءِ وخَلَعَ عليه لقب « الصاحب » .

وبعد وفاةِ الملكِ الصالحِ ، سَنَةَ ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، اضطربتْ أحوالُ البها زهيرٍ فاعتزلَ في داره . ولمّا حَدَثَ المرضُ العظيمُ بمصر (٢٤ شوال ٦٥٦) ثم دام أمداً ، مَرِضَ بـه البها زهيرٌ ثمّ تُوُفّي في رابعِ ذي القَعْدة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م)

٢ — بهاءُ الدينِ زُهيرٌ ناثرٌ مترسّلٌ وخطّاطٌ بارعٌ وشاعرٌ رقيقٌ ظريفٌ في شعرِه شيءٌ من المُجون . وهو يَجْري في شعرِه على الفِطْرة والسَليقة والبَساطة بلا تكلُّفٍ حتّى قال ابنُ خَلّكانَ (وفيات ١ : ٢٤٦) « وشعرُه كلُّه لَطيفٌ ، وهو كما يقال السهلُ المُمْتَنِــعُ » . على أن شعرَه ينوءُ بالضَعْف كشعرِ أكثرِ المعاصرين له . وفنونُ شعرِه المديحُ والغزل والأدب . ومَعَ أن له قصائدَ طوالاً فان قيمتَه في المُقطّعات .

٣ — مختارات من شعره

— غرقت بالبها زهيرٍ سفينةٌ فنجا هو من الغَرَق ولكن ذهبَ ما كان مَعَهُ فيها فقال :

لا تَعْتِبِ الدهرَ في شيءٍ رَماكَ بِـه ؛ إنِ استَردَّ ، فقِدْماً طالما وَهَبا[1] .
حاسِبْ زَمانَكَ في حالَيْ تَصَرُّفِه تَجِدْهُ أعطاكَ أضعافَ الذي سَلَبا .
واللهُ قد جعلَ الأيامَ دائرةً فلا تَرى راحةً تَبْقى ولا تَعَبا .
ورأسُ مالِكَ ـ وَهْيَ الروحُ ـ قد سَلِمتْ ؛ لا تأسَفَنَّ لشيءٍ بعدَها ذَهَبا .
وربَّ مالٍ نما من بَعْدِ مَرْزِئَةٍ ؛ أما ترى الشَمْعَ بعد القَطِّ مُلْتَهِبا[2] ؟ .

ـ وقال يرثي :

أراكَ هَجَرْتَني هجراً طويلاً ، وما عوَّدتَني من قبلُ ذاكا .
عَهِدتُكَ لا تُطيقُ الصبرَ عنّي وتَعْصي في وِدادي من نَهاكا ؛
فكيف تَغَيَّرَتْ تلك السَجايا ، ومن هذا الذي عنّي ثَناكا[3] ؟
فلا ، واللهِ ، ما حاولتَ غَدْراً ؛ فكلُّ الناسِ يغدُرُ ما خلاكا .
وما فارَقْتَني طَوْعاً ، ولكن دَهاكَ من المَنيَّةِ ما دهاكا .
فيا من غابَ عنّي وهْوَ رُوحي ـ وكيفَ أُطيق عن روحي انْفِكاكا ـ
لقد حَكَمَتْ بفُرقَتِنا الليالي ، وليستْ عن رِضايَ ولا رِضاكا !

ـ وله في العتاب :

مِنَ اليومِ تصافَيْنا ونَطْوي ما مضى مِنّا :
فلا كانَ ولا صارَ ، ولا قُلْتُمْ ولا قُلْنا .
وإن كان ، ولا بُدَّ ، من العَتْبِ فبالحُسنى ؛
فقد قيلَ لنا عنكم كما قيلَ لكم عنّا .
كفى ما كان من هَجْرٍ ، وقد ذُقْتُمْ وقد ذُقْنا ؛
وما أحسنَ أنْ نَرْجِعَ للوَصْلِ كما كُنّا !

ـ وقال :

وثقيلٍ ما بَرِحْنا نَتَمنّى البُعْدَ عَنْهُ .

(١) عتب : (هنا) لام . فقدما طالما وهبا : لقد أعطاك كثيراً في ما مضى .
(٢) المرزئة : المصيبة الكبيرة (بالأنفس) . الشمع : الشمع الذي يستضاء به . القط : القطع (قطع رأس الفتيلة اذا كثر احتراقها ويبس أعلاها فقل مرور الزيت فيه ، فخف ضوءها ، حينئذ يقصون الجزء الأعلى اليابس من الفتيلة فيقوى ضوءها) .
(٣) السجايا : الخصال الحميدة . ثناك الأمر الفلاني عني : لفتك ، ردك .

غابَ عنّا ففرِحْنا ؛ جاءنا أثقلُ منه .

— وقال بهاء الدين زهير في النسيب :

غَيْري على السُلوانِ قادِرْ ، وسِوايَ في العُشّاق غادِرْ[1] .
لي في الغَرامِ سَريرةٌ ؛ واللهُ أعلمُ بالسرائر[2] .
ومُشَبَّهٍ بالغُصْنِ — قلبي لا يَزال عليه طائر —[3]
حُلْوُ الحديثِ ، وإنّها لَحَلاوةٌ شقّتْ مرائرْ[4] .
أشكو وأشكُرُ فِعْلَه ؛ فاعجبْ لشاكٍ منه شاكر .
لا تُنْكروا خَفَقانَ قلـ ـبي والحبيبُ لَدَيَّ حاضر ؛
ما القلبُ إلاّ دارُه ضُرِبَتْ له فيها البَشائر[5] .
يا تاركي في حُبّهِ مَثَلاً من الأمثالِ سائر ،
أبداً حديثي ليس بالـ ـمَنْسوخِ إلاّ في الدفاتر[6] .
يا ليلُ ، ما لكَ آخِرٌ أبداً ولا للشَوْقِ آخر ؟
يا ليلُ ، طُلْ ؛ يا شوقُ ، دُمْ ؛ انّي على الحالين صابِرْ !
لي فيك أجْرُ مُجاهدٍ انّ صحَّ أنَّ الليلَ كافر[7] .
طَرْفي وطَرْفُ النَجْم ، فيـ ـك ، كِلاهما ساهٍ وساهر[8] .
يُهنيك : بَدْرُكَ حاضرٌ ؛ يا ليتَ بدري كان حاضر[9]

---

(١) السلوان : التسلي عن المصيبة . النسيان .

(٢) السريرة : الأمر الذي يكتمه الانسان في نفسه .

(٣) — محبوبي يشبه الغصن ، و (قلبي يشبه الطائر) ولذلك يظل قلبي يطير (يحوم) حول محبوبي .

(٤) المرائر جمع مرارة (كيس لاصق بالكبد تخزن فيه العصارة الصفراء المساعدة على الهضم) وجمع مريرة (طاقة الحبل ، العزيمة ، عزة النفس) . شقت مرائر (جمع مرارة) كناية عن الحزن والغيظ .

(٥) البشائر جمع بشارة : الخبر السار يحمل الى من يهمه . والبشائر في المعجم الوسيط (١ : ٥٧) الدفوف ونحوها . وشاهدهم على ذلك بيت البهاء زهير هذا . ضربت البشائر : صدحت الموسيقى فرحاً .

(٦) المنسوخ في القرآن أو الحديث : ما أبطل حكمه أو ألغي نصه . والمنسوخ في الدفاتر ما قيد فيها ورسخ .

(٧) المجاهد : المحارب في سبيل الله . الكافر : الذي يكفر (يغطي كل شيء كالليل) ؛ والذي ينكر وجود الله .

(٨) طرفي (بصري ، عيني) ساهر (يقظان) لعذابي في حبه . وطرف الليل ساه (غافل) عن سهري (لذلك نجومه تلمع ثم تغيب كما تفعل دائماً) .

(٩) بدرك ، أيها الليل : القمر ليلة أربع عشرة . بدري (محبوبي) .

حتّى يَتَبيَّنَ لناظِري مَنْ مِنْهما زاهٍ وزاهر!
بدري أرقُّ محاسناً؛ والفرقُ مثلَ الصُّبْح ظاهر!

٤ — ديوان بهاء الدين زهير (تحرير بالمر)، كمبردج (مطبعة المدرسة) ١٨٧٦ — ١٨٧٧ م؛ (تحرير سان غويار)، باريس ١٨٨٣ م؛ القاهرة بلا تاريخ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٩٧ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٠ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزّاق) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنيّة) ١٣١١ هـ؛ القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة ١٩٣٤م؛ بيروت (المطبعة العمومية) بلا تاريخ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت ؟) ١٩٦٤ م.

** بهاء الدين زهير، تأليف مصطفى عبد الرازق، القاهرة ١٩٢٨ م، ثم الطبعة الثانية، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٥ م.

البهاء زهير: تاريخه وملحه، تأليف أحمد صائب، الاسكندرية ١٩٢٩ م.

البهاء زهير، تأليف عبد الفتّاح شلبي، مصر (دار المعارف — نوابع الفكر العربي، رقم ٢٨) ١٩٦٠م.

ترجمة بهاء الدين زهير، تأليف مصطفى السقّاء، القاهرة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٩ م.

وفيات الأعيان ١ : ٣٤٥ — ٣٤٨؛ العبر ٥ : ٢٣٠؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٧٦ — ٢٧٧؛ بروكلمان ١ : ٣٠٧ — ٣٠٨، الملحق ١ : ٤٦٥ — ٤٦٦؛ زيدان ٣ : ١٨؛ دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ٩١٢ — ٩١٣؛ الأعلام للزركلي ٣ : ٨٨.

الإِسْعِرْديّ

١ — هو نورُ الدين ابو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ عبد الصمد بن رُسْتَمَ الإسْعرْدي[1]، وُلدَ سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م).

كان الإسْعرْديُّ نديماً في بَلاطِ الملكِ الناصرِ الثاني صَلاحِ الدينِ يوسفَ صاحبِ حَلَبَ (٦٣٤—٦٥٦ هـ) — أحدِ أحفادِ صلاحِ الدينِ الأيوبي الكبير وشاعراً — من كِبار الشعراء في بلاطه. وقد عمي في آخر عمره. وكانت وفاته سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) في الأرجح.

٢ — كان الإسعرديُّ شاعراً مقتدراً مُجيداً ظريفاً ولكنّه كان ماجناً خليعاً فغَلَبَ على شعرِه المُجونُ والخلاعة وشيءٌ من الزندقة. وفي شعرِه صناعةٌ لطيفةٌ، وهو يُضَمِّنُ أحياناً بعضَ أقوالِ الشعراء (كالمتنبي) على سبيلِ الهَزْل. وشعرُه مديحٌ وهجاءٌ وغزلٌ ومُجونٌ وحكمة. ولقدِ اختارَ جُمْلَةً من شعرِه في الهزْلِ وسمّاها

(١) اسعرد (بكسر الهمزة والعين) بلد في ديار بكر (شمالي العراق) قريباً من آسية الصغرى.

« سُلافة الزَرّجونِ (١) في الخَلاعة والمُجون » وضمّ اليها أشياء من نظمِ غيرِه .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال بعد أن عمي :

قد كُنتُ من قَبْلُ في أمنٍ وفي دَعةٍ طَرْفي يَرودُ لقلبي رَوْضةَ الإدبِ[٢]،
حتّى تلقّبتُ نورَ الدين فانْعَمَشت عيني ، وبُدّلَ ذاك النُور لِلّقَبِ[٣].

ــ وقال :

سألتُ اللهَ يختُمُ لي بخيرٍ ؛ فعَجّلَ لي ولكنْ في عيوني[٤] .

ــ للأسعردي قصيدتان من البحر الطويل على قافية الدال المكسورة يفضّل في احداهما الحشيشةَ على الخمرَ ، ومطلع هذه :

لكَ الخيرُ ، لا تسمَعْ كلامَ المُفنّدِ ؛ ودونَكَ في فُتْياكَ غيرَ مُقلِّدِ[٥].

أما الثانية فيفضّل فيها الخمرَ على الحشيشة :

فديتُكَ ؛ نورُ الحقِ قد لاحَ فاهتَدِ ، نديمي ، وكُنُ في اللهْوِ غيرَ مُقلّد.

ومنهــا :

مُدامٌ إذا ما لاحَ للركْبِ نورُها ، وقد ضلّ ليلاً عادَ بالنور يهتدي[١].
حشيشتُهــم تكسو المَهيبَ مَهانــةً فتلقاه مثــلَ القاتــلِ المُتعَمّد ؛
وتُبْدي على خدّيهِ مثــلَ اخْضِرارِها فيُضْحى بوَجْهٍ مُظلمِ اللونِ مُرْبِدِ[٦] ،
وتُفسِدُ من ذِهــنِ النديم خيالَــه فينظُرُ مُبْيَضّ الصباحِ كأســود .
وخمرتُنا تكسو الذليــلَ مَهابــةً وعِزّاً ، فتَلْقى دونه كلّ سيّد[٧] ؛
وتُجْلَى فتَجْلو هَمّ كلّ مُنادِمٍ ، ويُرْوى بها مِنْ شُرْبِها قلبُهُ الصَدي[٨] !

---

(١) الزرجون جمع زرجونة (قضيب الكرم : شجر العنب) ؛ الزرجون الخمر .
(٢) الدعة : الهدوء في العيش والاطمئنان . يرود : يطلب ، يدل على ، يقود الى .
(٣) ــ ذهب النور من عيني وأصبح في لقبي (اسمي) : نور الدين .
(٤) يختم لي بخير : يجعل خاتمة حياتي (موتي) وأنا سليم معافى وصالح تقي .
(٥) الفتيا : الفتوى ، الافتاء ، الإجابة على الاسئلة الدينية (وغيرها) . المقلد : الذي يتبع غيره من غير تفكير .
(٦) مريد ــ يقصد مربد (بتشديد الدال) : اختلاط الحمرة بالسواد في الوجه عند الغضب .
(٧) فتلقى دونه كل سيد : تجد كل سيد في الناس أدنى منه .
(٨) تجلى : تبرز ، تدار على الشاربين . الصدي : العطشان .

٤ ـ ** الوافي بالوفيات ١ : ١٨٨ ـ ١٩٣ ؛ نكت الهميان ٢٥٥ ـ ٢٥٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٠٠ ـ ٢٠٤ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٠٤ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩٩ ؛ زيدان ٣ : ٢٢ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٥٧ .

صدر الدين البصريّ (١)

١ ـ هو صدرُ الدين عليُّ بن أبي الفرَجِ بنِ الحُسينِ البَصْريُّ ، لا نَعْرِفُ من أحداثِ حياتهِ إلاّ أنّه عاش مدّةً في البَصْرةِ ودِمَشْقَ وعاش حيناً في حَلَبَ في أيام الملكِ الناصرِ صلاحِ الدين والدنيا أبي المظفّر يوسفَ بنِ الملكِ العزيزِ بنِ الملك الظاهرِ الايّوبي (٦٣٤ ـ ٦٥٨ هـ) ثم عاش حيناً في مِصْرَ في أيامِ الظاهر بيبرسَ البُنْدُقداريّ (٦٥٨ ـ ٦٧٦ هـ) ، كما كان قد عاش حيناً آخرَ في بَغْداد في أيام المُسْتَعْصم آخرِ الخلفاء العبّاسيّين .

وإذا نحن عَلِمنا أن صدرَ الدينِ البصريَّ قد صَحِبَ جماعةً منهُمُ الملكُ الناصر داوودُ بن عيسى بنِ أبي بكرِ بنِ أيّوب صاحبُ الكَرَكِ ، في شرقِ الأُردنّ اليوم (٦٢٤ ـ ٦٣٧ هـ) والوزيرُ مؤيِّدُ الدين بنُ القِفْطي والمؤرّخُ كمالُ الدين ابنُ العديم (ت ٦٦٠ هـ) وكمال الدين بنُ طَلْحَةَ وشهابُ الدين يحيي بن القَيْسراني وابنُ مالكٍ النَّحْويُّ وابن عَمْرون ، أدْرَكْنا أنه كان رَجُلاً ذا مكانة اجتماعية مرموقة وأنّه تَطَوَّفَ في بُلدانٍ كثيرة . ومَعَ ذلك فانّ جميعَ كُتُبِ التّاريخ التي وَصَلَتْ إلينا من عصر صدرِ الدينِ لم تذكُرْهُ بشيءٍ، مع أنّ نَفَراً من مؤلّفيها كانوا ذوي صِلَةٍ به .

ولعلَّ صدرَ الدين البصريَّ قد قُتل، سَنَة ٦٥٨هـ (١٢٨٣ م)، لمّا هاجم هولاكو حلبَ ووضعَ السيفَ في أهلها ؛ ولعلّه ماتَ في السَنَة التالية ، في نحوِ السبعينَ من عُمُرِه .

٢ ـ كان صدر الدين البصريُّ أديباً مُثَقَّفاً ومُؤَدِّباً أدَّبَ نفراً من أبناء الأمراء والأعيان . له من الكتب : الحماسة البصرية ، وهي مجموعٌ من الشعر الجاهلي والشعر الاسلاميّ والشعر المُحْدَثِ ، جَمَعَها سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) للملك الناصر

(١) هذه الترجمة مبنية على الدراسة الواسعة القيمة التي قدم بها الدكتور مختار الدين أحمد الطبعة الاولى من الحماسة البصرية (راجع رقم ٤) . غير أن عدداً من التواريخ ، وتاريخ وفاة صدر الدين البصري خاصة ، لا تزال بحاجة الى شيء من التثبت .

صلاح الدين والدنيا أبي المظفّر يوسف. ثمّ انّه أدخل عليها كثيراً من الزيادات والتصحيحات. والغالب أنّه جمعها، في الأكثر، من مجاميعَ معروفةٍ كديوان الحماسة لأبي تمّام والأشباه والنظائر للخالديّين ومن حماسة البحتري وابن الشجرى وسواها — المناقب العبّاسيّة والمفاخر المستنصرية (وهو تاريخ لفَتْرةٍ من العصر العبّاسي أ... للظاهر بيبرس) — المسائل البصرية.

٣ — مختارات من آثاره

— قال صدرُ الدين البَصْريّ في مقدّمة كتابه «الحماسة البصرية»:

... وبعدُ، فانّه لمّا كانت المجاميعُ الشعريةُ صِقالَ الأذهانِ ولأنواع المعاني كالتَرْجُمان، وكان مولانا الناصرُ صلاحُ الدنيا والدينَ ناصرُ الإسلام والمسلمين أبو المظفّر يوسفُ بنُ الملكِ العزيزِ بن الملك الظاهر — لا زالَ نافذَ الأمرِ في كلّ نجدٍ وغائرٍ — لَهِجاً بأشعارِ العربِ التي هي ديوانُ الأدب، تَوَخَّيْتُ في تحريرِ مجموعٍ مُحْتَوٍ على قلائد أشعارِهم وغُرَرِ أخبارهم مُجْتَنِباً للإطالة والإطناب بما تضمّنَتْه أبوابُ الكتّاب كأمالي العُلماء وحماساتِ الادباء ودواوين الشعراء من فُحولِ المُحْدَثين والقدماء ومختارات الفضلاء كأشباهِ الخالديّيْن المحتويةِ على دُرَرِ النظام وجواهرِ الكلام، غيرَ أنّهما قد نَسَبا فيها أشياءَ الى غيرِ قائلها ولم يُقَيِّدا الكتابَ بتَرْجَمة أبواب، فغَدَتْ فرائدُه مُتَبَدِّدةَ النظام مُسْتَصْعَبَةً على الحفظ والأفهام فجاء (كتابي هذا) مشتملاً على غرائبِ البديع ومُلَحِ الترصيف والترصيع.

ثمّ انّ الشعرَ على اختلافِ معانيه وأصولِه ومبانيه ينقسمُ الى نعوتٍ وأوصاف: فما وُصِفَ به الإنسانُ من الشجاعة والشدّة في الحرب والصبر على مواطنها سُمِّيَ حماسةً وبَسالة، وما وُصِفَ به من حَسَبٍ وكرمٍ وطيبِ مَحْتِدٍ سمّي مدحاً وتقريظاً وفَخْراً، وما أُثْنِيَ عليه بشيءٍ من ذلك مَيْتاً سمّي رِثاءً وتأبيناً، وما وُصِفَتْ به أخلاقُه المحمودةُ من حَياءٍ وعِفّة وإغضاء عن الفحشاء ومُسامحة عن زَلاّت الإخلاّء سُمِّيَ أدَباً، وما وُصِفَ به النساءُ من حُسْنٍ وجَمالٍ وغَرامٍ بِهِنَّ سُمِّيَ غَزَلاً ونسيباً، وما وُصِفَ به من إيقاد النيران ونُباحِ الكلاب سُمِّيَ قِرًى وضيافة. وما وُصِفَ به من بُخْلٍ وجُبْنٍ وسوءِ خُلّةٍ ونميمةٍ سُمِّيَ هجاءً، وما وُصِفَتْ به الأشياءُ على اختلاف أجناسِها وأنواعِها (سُمِّيَ) نَعْتاً ووَصْفاً ومُلَحاً؛ وما ذُكِرَ بهِ الإنابةُ الى اللهِ تعالى ورَفْضُ الدنيا سُمِّيَ زُهْداً وعِظَةً. واللهُ أعلمُ.

٤ ــ الحماسة البصرية (اعتنى بتصحيحه مختار الدين أحمد) ، حيدر آباد (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية) ، ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م .

** بروكلمان ١ : ٢٩٩ ، الملحق ١ : ٤٥٧ ، راجع ٤١ .

الحسن الاربــــلي الضرير

١ ــ هُوَ عز الدين الحسنُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ نَجا الإربِلِيّ ، ولِدَ في نصيبينَ (شَماليّ الشام) ، سَنَةَ ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) وسكن دِمَشْقَ . وكان ضريراً مُنْقطعاً في بيته بِدِمَشْقَ يُقْرِئُ المسلمين وأهلَ الكِتاب والفلاسِفَةَ . وكانتْ وفاتُه في دِمَشْقَ في رَبيعِ الآخِرِ من سَنَةِ ٦٦٠ هـ (شباط ــ آذار = فبراير ــ مارس ١٢٦٢ م) .

٢ ــ كان الحسنُ الإرْبِلِيُّ الضريرُ بارِعاً في العلوم الأدبية وفي علوم الأوائل (الفلسفية) فاسد العقيدة مهملاً للفرائض ذَكِيّاً حَسَنَ المناظرةِ والجِدالِ . وكان شاعراً حَسَنَ الشِعْر خَبيثَ الهِجاء .

٣ مختارات من شعره

ــ قال الحسن الإرْبِلِيُّ الضريرُ في العِشْق والعَمى :

وكاعبٍ قالــتْ لأتْرابِهـــا : « يا قومُ ، ما أعجبَ هذا الضريرْ ![1]
هل تَعْشَقُ العينُ مــا لا ترى ؟ » فقُلْتُ ، والدَمْــعُ بِعَيْني غَزير:
« إنْ كان طَرْفي لا يَرى شَخْصَها فانّها قد صُوِّرَتْ في الضَمــير ».[2]

ــ وقال في مثل ذلك* :

قالوا : عَشِقْتَ وأنتَ أعْمَى ظَبْياً كحيلَ الطَرْفِ ألْمَى[3] ؛

---

(١) الكاعب : الفتاة اذا كعب (استدار) ثدياها (في أول صباها) . الاتراب جمع ترب (بكسر التاء) : رفيقك (الرجل) في سنك . والشاعر يقصد لدة (بكسر اللام) : الفتاة التي تقرب في السن من فتاة أخرى .

(٢) الطرف : العين (البصر ، النظر) .

(*) يروي ابن خلكان هذه الابيات الميمية لأبي العز مظفر بن ابراهيم بن جماعة بن علي بن شامي بن أحمد بن ناهض بن عبد الرزاق العيلاني (نسبه الى قيس عيلان ــ بفتح العين) الضرير المصري ، ولد في ٢٥ من جمادى الثانية من سنة ٥٤٤ (١١٤٩ م) وتوفي في التاسع من المحرم من سنة ٦٢٣ (١٠/١/١٢٢٦ م) ، وكان أديباً وشاعراً ومصنفاً نظم في أغراض وجدانية : له وصف وغزل وشيء من المجون وهجاء فاحش (نكت الهميان ٢٩٠ ــ ٢٩٣ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٥٤٠ ــ ٥٤٢) . راجع ، فوق ، ص ٤٨٣ ــ ٤٨٤ .

(٣) الظبي : الغزال الصغير . الكحيل : الذي في عينيه كحل (بفتح الكاف والحاء: تكحيل طبيعي) . الألمى : الذي في شفتيه سمرة (بضم السين) .

وحُـلاهُ مـا عايَنْتَهـا فتَقولَ قد شَفَّتْكَ وَهْماً[١] ؛
وخَيـالُـه لك في المَنـا مِ فما أطافَ ولا ألَمّـا[٢] .
من أيْنَ أرْسَلَ لِلْـفُؤا دِ ، ولا تراهُ العَيْنُ ، سَهْماً ؟
فأجَبْتُ : إنّي مُوسَوِيّ العِشْـ قِ إنْصـاتـاً وفَهْماً[٣] —
أهْـوى بجارِحَةِ السّمـا عِ ولا أرَى ذاكَ المُسَمّى[٤] .

— وقال في الخمر :

قُمْ ، يا نديمُ ، إلى الإبريقِ والقَدَحِ : هاتِ الثّلاثَ وسَلْ ماشِئْتَ واقْتَرِحِ[٥] ،
وغَنّ إنْ غادَرَتْني الكأسُ مُطَّرَحاً وأنتَ ، يا صاحِ ، صاحٍ غيرُ مُطَّرَحِ[٦] .
عَلَيْكَ سُقْيُ ثَلاثٍ غيرَ مازِجِها ، وما عليكَ إذَنْ مِنّي ومِنْ قَدَحي[٧] .
إنّي لأفْهَمُ في الأوْتـارِ تَرْجَمَةً ما لَيْسَ يَفْهَمُهُ النُسّاكُ في السُبَحِ[٨] !

٤ — ** فوات الوفيات ١ : ١٧١ — ١٧٣ ؛ نكت الهميان ١٤٢ — ١٤٣ ؛ العبر ٥ : ٢٥٩ — ٢٦٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٠١ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٣٢ — ٢٣٣ .

ابن زيلاق الشاعر

١ — هُوَ مُحيي الدين أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ يوسفَ بنِ سَلامةَ بنِ ابراهيمَ

(١) الحلى (بكسر الحاء وبضمها) جمع حلية (بكسر الحاء) : الخلقة (بكسر الخاء) والصورة والصفة . شفه المرض أو الحب أو الغم : هزله ، انحله (جعله هزيل الجسم نحيلا ضعيفاً) . قد شفتك وهماً : قد نحلت (بفتح الحاء أو كسرها أو ضمها) من توهم حسنه . أو قد شفتك ، وهماً ! (تقول قد شفتك ، وهذا وهم منك) .

(٢) الخيال : الطيف الذي يرى في المنام . أطاف : طاف ، تردد حول الشيء مراراً . ألم : عرض لماماً (بكسر اللام) قليلا ، مدة يسيرة .

(٣) موسوي العشق ....

(٤) الجارحة : العضو ، الحاسة .

(٥) هات (أعطني ، اسقني) الثلاث (ثلاث كؤوس) و (ثم اسألني بعد ذلك) ما شئت واقترح (تخير ما تشاء مني أعطك إياه) .

(٦) غادرتني (تركتني) الكأس مطرحاً (مطروحاً أرضاً بلا وعي من السكر) . يا صاح = يا صاحبي . صاح : واع ، غير سكران .

(٧) — اسقني أنت ثلاث كؤوس من الخمر غير ممزوجة بالماء ثم لا تهتم بي ولا بما يصيبني . ما عليك من قدحي ....

(٨) الأوتار (الغناء) توحي الي من الطرب ما لا توحيه السبح (جمع سبحة : مسبحة) من الخشوع (العبادة) الى الناسك .

ابنِ موسى الهاشميُّ العبّاسيَّ المَوْصِلي المعروفُ بابن زِيلاق ، وُلِدَ سَنَةَ ٦٠٣هـ (١٢٠٦ – ١٢٠٧ م) ونشأ فيها ثمّ تولّى كتابةَ الإنشاء . وقد قَتَلَهُ التتارُ في المَوْصِلِ لمّا استَوْلَوْا عليها في أوائلِ رَمضانَ مِنْ سَنَةِ ٦٦٠ هـ (صيف ١٢٦٢ م) .

٢ – كان ابنُ زيلاقٍ مُنْشِئاً مُتَرَسِّلاً وشاعراً مُكْثِراً في شعرِه عددٌ من المعاني الحِسان . ووجوهٌ من الصناعة. وكانتْ له مُوشَّحاتٌ . غيرَ أنّ المَقاطعَ الجِيادَ في شعرِه قليلةٌ . وأكثرُ شعرِه الوصفُ والغزلُ والخَمْر ، وله شيءٌ من الشكوى .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ زيلاقٍ في وَصْفِ الطبيعة :

ما وجهُ عُذْرِكَ والكؤوسُ تُدارُ ؟ ضاقتْ بمن جَهِلَ الصِبا أعذارُ[1] !
سَفَرَتْ لك اللذّاتُ ، واتّسعتْ بها الـ أوقاتُ ، واجتمعتْ لك الأوطار[2] .
أوَما ترى حُسْنَ الربيعِ وقد غَدا يختالُ في حِبَراتِــه آذارُ[3] :
ساقٍ يسوقُ إلى السرور ، ومُطْرِبٌ حَسَنُ الغِناءِ ؛ ورَوْضةٌ وعُقار[4] ،
وجداولٌ نشأتْ بِهِنَّ حدائقٌ ضَحِكَتْ خِلالَ فُروعِها الأنوار[5] .
وكأنّما أشجارُهُنَّ عرائسٌ تُجلى ، ومن دَرِّ السحابِ نِثار[6] .
تشدو حمائمُها ، ويرقُصُ دَوْحُها – غِبَّ الصبا – وتصفّقُ الأنهار[7] !

– وقال في الغزل والنسيب :

ثَنى مِثْلَ قَدِّ السَمْهَريِّ ولِينِه وجرّدَ غُصناً مُرْهَفاً من جُفونِهِ .

---

(١) أعذار جمع عذر . ولعل من الأصح في المعنى أن نقول : الأعذار .

(٢) سفرت لك اللذات : كشفت عن وجهها ، دعتك الى نفسها.

(٣) الحبرة (بكسر الحاء وفتح الباء) : نوع من البرود (ثياب الحرير) من صنع اليمن. آذار (مارس) ثالث شهور السنة الشمسية في أيامنا وأول اشهر الربيع . يختال في حبراته آذار – كناية عن جمال الرياض في الربيع بأوراقها وأزهارها .

(٤) ساق (الساقي) : غلام يسقي الخمر . عقار (بضم العين) : الخمر .

(٥) الانوار جمع نور (بفتح النون) : الزهر الأبيض .

(٦) الدوحة : الشجرة العظيمة . غب (بعد) الصبا (ريح الشرق) .

(٧) – تمايل كما يتمايل الرمح اللين (الذي ينثني ولا ينكسر). وجرد : شهر ، سحب ، أبرز. غصناً (كذا في الأصول) ، والاصوب : وجرد سيفاً. مرهفاً : حاداً ، قاطعاً .ويجوز «وجرد غصناً» (قامة كالسيف)على الاستعارة.

وباتَ يُرينا كيفَ يجتمعُ الدُجى ... مَعَ الصبحِ في أصْداغِهِ وجَبينه[1] ،
وكيف قِرانُ الشمسِ والبدرِ كُلّما ... غدا يَلْثِمُ الكأسَ التي في يَمينه[2] .
وأرْخَصَ دَمْعَ العينِ وَجْداً بِمَبسِمٍ ... يُقابلُه من دُرِّه بثَمينه[3] .
سُقّي ذلكَ الوادي ، وإنْ فَتَكَتْ بنا ... نُحورُ حَواريه وأعيُنُ عِينِه[4] !

٤ — ** فوات الوفيات ٢ : ٤٠١ — ٤٠٨ ؛ العبر ٥ : ٢٦٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٠٤ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٤٢ .

ابنُ العَديم

هو كمالُ الدين أبو القاسمِ عُمَرُ بنُ أحمدَ بنِ هِبَةِ الله بن أبي جَرادةَ العُقيليّ الحلبيّ المعروفُ بابنِ العديمِ أصلُ أهلِه من البصرة ، وقد وُلِدَ في ذي الحِجّة من سَنَة ٥٨٨ ﻫ (كانون الثاني — يناير ١١٩٣ م) في حَلَبَ .

تلقّى ابنُ العديمِ العلمَ على أبيه وعمّه أبي غانمٍ محمّدٍ وعلى الحافظ ابي حفصٍ عمرَ بنِ طَبَرْزَدٍ في دِمَشْقَ وعلى الكِنْدي في بغدادَ ، وعلى نفرٍ آخرينَ في القُدْسِ والحِجاز والعراق . وقد تَصَدَّرَ للتدريس وللفُتْيا وتولّى القضاءَ في حَلَبَ ووَزَرَ لنفرٍ من الأمراء . ولمّا اجتاحَ التترُ حَلَبَ في ثامنِ صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٦٥٨ ﻫ (٢٦/ ١/ ١٢٦٠ م) هربَ ابنُ العديم الى القاهرة ، ولكنّه عادَ منها وَشيكاً إذ عيّنه هولاكو قاضياً في الشام .

وكانت وَفاةُ ابنِ العديمِ في التاسعِ والعشرينَ من جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٦٦٠ ﻫ (٢١/ ٤/ ١٢٦٢ م) ، في القاهرة .

---

(١) الدجى : الليل ، كناية عن شعر المحبوب. الأصداغ جمع صدغ (بكسر الصاد) : الجانب الأعلى من الوجه.
(٢) القران : اجتماع كوكبين في خط واحد فيريان حينئذ واحداً (اذ يكسف بعضهما بعضاً). أما هذا المحبوب فيرينا البدر (جمال وجهه) والشمس (احمرار خديه من تناول الخمر أو من انعكاس لون الخمر من الكأس على وجنتيه) معاً في وقت واحد .
(٣) أرخص دمع العين : جعل دموعنا نحن رخيصة لكثرة ما نبكي . وجدا : شوقاً ، حباً . المبسم : الثغر : الفم . —ان دموعنا تشبه الدر (اللؤلؤ) ، ولكن دره هو (أسنانه) أثمن (أجمل) من دموعنا .
(٤) سقّي بدل سقي (بضم السين وكسر القاف وفتح الياء) ذلك الوادي : سقى الله ذلك الوادي مطراً كثيراً (ما أحسن هذا الوادي — المكان الذي يسكن فيه المحبوب — وما أحبه الينا) . النحر : أعلى الصدر . الأحور (الابيض) ومؤنثه حوراء وجمعهما حور (بضم الحاء) . وليس في القاموس حوار (الحواري بتسهيل الياء) بهذا المعنى . العين (بكسر العين) جمع عيناء (بفتح العين) : الواسعة العينين (بفتح العين) ، المرأة الجميلة . والعين أيضاً بقر الوحش (نوع من الغزلان) ، كناية عن النساء الجميلات .

كان كمالُ الدين بنُ العديمِ حافظاً ومُحَدِّثاً وفقيهاً ومؤرّخاً ومُنْشِئاً مُتَرَسِلاً وكان يكتُبُ خطّاً جميلاً .

وله نَظْمٌ كثيرٌ عاديٌّ ثمّ كُتُبٌ منها : بُغية الطَلَبَ في تاريخ حَلَب ـ زُبْدة الحَلَبِ في تاريخ حلب ـ الدَراري في ذِكْر الذَراري ـ الوسيلةُ الى الحبيبِ في ذِكْرِ الطيِّبات والطِيب ـ بلوغ الآمال ممّا هوى (هَوِيَ !) الكمال (مختارات من القصائـد والموشّحات) ـ الإنصاف والتَحَرّي في دفـع الظُلْم والتجرّي عن أبي العلاء المَعَرّي ـ الأخبارُ المستفادة في ذكر بني جَرادةَ ـ كتاب في الخطّ وعلومه وآدابه ووصف ضُروبه وأقلامه .

– زبدة الحلب في تاريخ حلب (فريتاغ) ، باريس ـ بونّ ١٨١٩ ـ ١٨٢٠ م (معجم المطبوعات العربية ١٧١) ؛ (عني بنشره سامي الدهّان) ، دمشق (المعهد الفرنسي للدراسات العربية) ١٩٥١ ـ ١٩٦٨ م .

الدراري في ذكر الذراري (مطبوع مع « ثلاث رسائل » ـ رقم ٢) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ .

ولاية سعد الدولة لمدينة حلب (مستخلص من « زبدة الحلب ») (في مجموع الحروب الصليبية) بون ١٨٢٠ م .

تاريخ أخبار القرامطة لثابت بن سنان ولابن العديم ، وترجمة الحسن الأعصم القرمطي (حقّقه سهيل زكّار) ، بيروت (مؤسّسة الرسالة) ١٩٧١ م .

** معجم الأدباء ١٦ : ٥ ـ ٥٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٢٦ ـ ١٢٨ ؛ العبر ٥ : ٢٦١ ـ ٢٦٢ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٠٣ ؛ أعلام النبلاء ٢ : ٣١٣ ، ٤ : ٤٦٤ ، وما بعد ؛ بروكلمان ١ : ٤٠٤ ـ ٤٠٦ ، الملحق ١ : ٥٦٨ ـ ٥٦٩ ؛ زيدان ٣ : ١٨٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٦٩٥ ـ ٦٩٦ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٩٧ .

عبد العزيز بنُ محمَّدٍ الأنصاري

١ ـ هُوَ شَرَفُ الدين أبو محمّد عبدُ العزيزِ بنُ محمّدِ بنِ منصورِ بنِ خَلَفِ الدِمَشْقيّ المعروفُ بابنِ الرَفّاء ، أصلُه مِنْ قَوْم يَنْتَسِبون إلى بني الأوْسِ من الانصار (أهل المدينة) ويَسْكُنون كَفَرْطابَ بين المَعرّةِ وحَلَبَ (شَماليّ الشــام) .

هاجَمَ الفرنجةُ (الصليبيّون) والرومُ كَفرطابَ فانتقل محمّدُ بن عبد المُحْسِنِ بأهلِه الى دِمَشْقَ ثمّ جاء إلى حَماةَ واستقرّ فيها . وفي دِمَشْقَ وُلِدَ شَرَفُ الدين

عبدُ العزيز بن محمّد ، في ٢٢ من جُمادى الاولى[1] من سَنَةِ ٥٨٦ هـ (٢٧ ــ ٦ ــ ١١٩٠ م) ، ولكنّ نشأتَه فيما يبدو كانت في حَماةَ .

بدأ شرفُ الدين الانصاري تَلَقِّيَ العِلْمِ على أبيه (فقد كان أبوه قاضِيَ حَماةَ كما كان خَطيباً قديراً وكاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً مَطْبوعاً) . ثمّ اشتغل بالأدب على تاج الدين أبي اليُمْن زَيْدِ بنِ الحسن بن زيدٍ الكِنْديّ البَغْدادي المتوفّى سَنَةَ ٦١٣ هـ (وكان إماماً في الحديث واللغة والنحو وفي عدد من فنون المعرفة ، وقد كان انتقل من بَغْدادَ الى الشام وسكن دِمَشْقَ) . وكذلك سمع شيئاً من الأديب الفيلسوف سيف الدين أبي الحسن عليٍّ الآمدي (٥٥١ ــ ٦٣١ هـ) . (وكان قد انتقلَ من بَغْدادَ إلى مِصْرَ ثمّ لَجَأَ إلى حَماةَ وتصدّر للتدريس حِيناً في المدرسة العَزيزية في دِمَشْقَ) . ثمّ « رَحَلَ به أبوه وأسْمَعَه جُزْءَ ابنِ عَرَفَةَ من ابنِ كُلَيبٍ وأسْمَعَهُ المُسْنَدَ[2] كلّه من عُبيد الله بن أبي المجد الحربيّ » (فوات الوفيات ١ : ٣٦٨) .

وجَلَسَ شَرَفُ الدين الانصاري لإسماعِ الحديث في دِمَشْقَ وفي حَماةَ والقاهرة وبَعْلَبَكَّ .

ووَلِيَ شرفُ الدين الوِزارةَ للمظفّر الثاني تَقِيّ الدين محمودٍ صاحبِ حَماةَ ، سَنَةَ ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ ــ ١٢٢٩ م) . ولمّا تُوُفِّيَ المظفّرُ الثانيُ ، سَنَةَ ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ ــ ١٢٤٥ م) خَلَفَهُ الملكُ المنصورُ الثاني سيفُ الدين محمّدٌ فاستَبْقى شَرَفَ الدين في الوزارة . ولمّا اشتد خَطَرُ التَتَرِ في الشام سافر الملكُ المنصورُ الثاني إلى القاهرة (سَنَةَ ٦٥٧ هـ) فسافر شرفُ الدين معه . ثمّ انّهما عادا الى حَماة وبَقِيَ شرفُ الدين في الوزارة حتّى تُوُفِّيَ في ٨ من رَمَضانَ من سنة ٦٦٢ هـ (٦ ــ ٨ ــ ١٢٦٤ م) .

٢ ــ عبد العزيزِ بنُ محمّدٍ الانصاريّ شاعرٌ مطبوع مُكْثِرٌ ، ولَقَدَ أسْقَطَ من ديوانه أشياءَ كثيرةً لم يكن راضياً عنها . وقد كانت له صَنْعَةٌ حَسَنَةٌ وخصوصاً في سُلوك سَبيل البديعِ ، وله أشياءُ كثيرةٌ من لُزومِ ما لا يَلْزَمُ[3] . وَهُوَ مُغْرَمٌ بالتَوْريات خاصّةً يُكْثِرُ في شِعرِه مِنَ استِخْدامِ النُكَتِ البلاغية والنَحْوية والفِقْهية . وله ميلٌ الى البُحور المَجْزوءة وخصوصاً في الغزل .

---

(١) في بغية الوعاة (ص ٣٠٩) : في ثاني عشر .

(٢) المسند مجموع في الحديث لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) .

(٣) راجع ، فوق ، ص ١٢٥ .

وفنونُه المديحُ والغزلَ والشعرُ الذي يُقال عادةً في المناسبات المختلفة . وفي مديحه بديعيّات ؛ ثمّ هو يُدْخِلُ في مديحه للملوك والامراء كثيراً من أحْداثِ التاريخ ، وخصوصاً ذِكْرَ انتصارِ المُسْلمين على التتَر ، فهْوَ بذلك يَعْرِضُ علينا جانباً من صورة العصر الذي شَهِدَه . ونَسيبُه وغَزَلُهُ رفيقان فَصيحان مُنْسجمان لا تَعقيدَ فيهما . وله مُطارَحات وألغازٌ مِمّا يَعْرِضُ عادةً في الحياة العامّة . وهو كثيرُ النظم في المُناسبات الجارية : في حُلولِ السَنَة الهِجْريّة وحلول العِيدين ورَمَضانَ وسوى ذلك .

وعبدُ العزيزِ بنُ محمّدٍ الانصاريُّ مُصَنِّفٌ أيضاً له كتابان : نَظْرَةُ المَعْشوق الى وجه المَشوق (ولعلّه : نظرة المشوق الى وجه المعشوق) — تَذْكار الواجد بأخبار الوالد (منظومة تكلّم فيها على والدِه وشيوخ والده ورِحْلته) .

٣ — مختارات من شعره

— قال عبدُ العزيزِ بنِ محمّدٍ الانصاريُّ يهجو خُصومَهُ ويفتخر بنفسِه وبأبيه وبقومِه الذين يَرْجِعون بنَسَبِهِمْ الى الانصار الذين بايَعوا رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم تَحْتَ الشجرة (في مكّة) على أن يُؤْوُوهُ ويَنْصُروه ويقاتلوا مَعَه اذا هاجر الى بَلَدِهم (المدينة) :

نُفَّرٌ كالحُمُرِ المُسْتَنْفَرَهْ أجْفَلَتْ هاربةً من قَسْوَرَهْ[١] .
طَلَبوا شَأوي ولَمّا يَلْحَقوا بَعْدَ لأيٍ من غُبارى أثَره[٢] .
مَنْ يُسالِمْني أسالِمْهُ ، ومَنْ رامَ حَرْبي فإلَيْهِ المَعْذِره[٣] .
وأبي مَنْ قد عَلِمْتُم قَدْرَهُ مُجْهَرٌ بالخُطْبَةِ المُسْحَنْفَره[٤] ؛
مَنْ يُشاجِرْهُ يُصادِفْ قَوْمَه جُلَّ مَنْ بايَعَ تَحْتَ الشَجَرة[٥] .

---

(١) الحمر جمع حمار (حمار الوحش البري). نفر جمع نافر : هارب. مستنفرة : (شمت رائحة الاسد فنفرت منه) هاربة. القسورة : الاسد.

(٢) الشأو : السبق (بسكون الباء) . اللأي : الشدة (المشقة) .

(٣) ... فليعذرني إذا انا حاربته حرباً شديدة .

(٤) مجهر (بضم الميم وفتح الهاء) : عادته أن يرفع صوته . اسحنفر الخطيب : أطال الخطبة .والخطبة المسحنفرة (بفتح الفاء) : الطويلة .

(٥) من يشاجره (يخاصمه) يصادف (يجد) قومه (أهله وأتباعه) جل (الكثرة من) من بايع (رسول الله صلى الله عليه وسلم) تحت الشجرة (يجدهم أشرافاً ويجدهم شجعاناً — مستعدين أن يقاتلوا معه كما قاتل الانصار مع رسول الله) .

— وله غَزَلٌ بارعٌ مَرِحٌ في مَطْلَعِ قصيدةٍ في المديح :

لنا من رَبّةِ الخالَيْنِ جارَهْ … تُواصلُ تارةً وتَصُدّ تارَهْ ؛
تُؤانسني وتَنْفِرُ من قريبٍ ، … وتُعْرِضُ ثمّ تُقْبِلُ في الحَراره.
وما لي في الغَرامِ بها شبيهٌ ، … وليس لها نظيرٌ في النّضاره .
وفي الوَصْفَيْنِ من كَحَلٍ وكُحْلٍ … حَوَتْ حُسْنَ البَداوة والحَضاره[1].
وقَتْلُ العَمْدِ قد قَتَلَتْهُ عِلْماً … وما وَصَلَتْ إلى بابِ الإجاره[2] .
وقالوا : قد خَسِرْتَ الروحَ فيها ؛ … فقُلْتُ : الربحُ في تِلْكَ الخَساره .

— وله في تَوْرِيّاتٍ يَسوقُها مَساقَ الغزل ، منها :

سألْتُ سِوارَها المُثْري ؛ فَنادى … فَقيرُ وِشاحِها : اللهُ يَفْتَحْ[3] .
لَها طَرْفٌ يقولُ : الحَرْبُ أوْلى ، … ولي قلبٌ يقول : الصُلْحُ أصْلح !

— وقال في لَوْمِ العُذّال :

إنّ قَوْماً يَلْحَوْنَ في حُبّ سُعْدى … « لا يكادون يَفْقَهون حَديثا »[4] ؛
سَمِعوا وَصْفَها ولاموا عَلَيْها : … أخَذوا طَيّباً وأعْطَوْا خَبيثا[5].

٤ — ديوان الصاحب شرف الدين الانصاري (حقّقه عمر موسى باشا) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م .

** فوات الوفيات ١ : ٣٦٨—٣٧٤ ؛ بغية الوعاة ٣٠٩ ؛ العبر ٥ : ٢٦٨ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٠٩ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١٥١ ؛ راجع أدب الدول المتتابعة (لعمر موسى باشا) ص ٣٧٣ — ٤٠٢ .

---

(١) الكحل (بفتح الحاء) : اسوداد أطراف جفون العينين (من تكاثف الاهداب : الرموش) ، ويكون طبيعياً . الكحل (بضم الكاف) = التكحل : وضع الاثمد في الجفنين ؛ التزين الصناعي (كما يفعل النساء في المدن) .

(٢) « قتل العمد » و « الاجارة » (كراء البيوت ، الحماية ، الدفاع عن المذنب المستجير) بابان من أبواب الفقه . يقول الشاعر (وفي قوله تورية) : هي درست باب « قتل العمد » وحفظت كل ما فيه (قتلتني بحبها) ولم تدرس « باب الاجارة » (هي لا تشفق علي فتجيرني من عذابي في حبها) .

(٣) السوار : حلقة من معدن تجعلها المرأة في معصمها (سوارها) ، المثري (الغني) كناية عن أن يدها ممتلئة (سمينة) . الوشاح : ثوب تلقيه المرأة على أعلى جسمها . وشاحها الفقير كناية عن أن خصرها نحيل . « الله يفتح » جملة يقولها الناس للمستعطي (الشحاذ) اذا أرادوا صرفه عنهم (من غير أن يعطوه شيئاً) .

(٤) لحى يلحى : لام يلوم (لحا يلحو : قبح : شتم) . « لا يكادون يفقهون حديثاً » اقتباس من القرآن الكريم (٤ : ٧٧ ، سورة النساء) = ليس لهم علم بشيء .

(٥) — أعجبهم جمالها (من وصفي لها) ثم لاموني (على حبها) = هم تلذذوا بوصفي لها ثم جعلوا يسيئون الي باللوم على حبها .

عصر المماليك

٦٤٨ – ٩٢٣ هـ = (١٢٥٠ – ١٥١٧ م)

قبلَ أنِ اجتاحَ التترُ (التتار ، المغول) بغدادَ وقَضَوْا على الخلافة العبّاسيّة فيها (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) ببِضْعِ سَنَواتٍ ، كان المماليكُ قد أقاموا دولةً لهم في مِصْرَ وبسطوا سيطرتَهم على الشام والحجاز .

ودولةُ المماليكِ فَرْعانِ قاما في مِصْرَ : فرعُ المماليك البحريةِ الذي امتدَّ حكمُه من سَنَةِ ٦٤٨ الى سَنَةِ ٧٨٤ هـ (١٢٥٠ – ١٣٨٢ م) ثمّ فرعُ المماليكِ البُرجيّة الذي امتدَّ حكمُه من سَنَةِ ٧٨٤ الى سَنَةِ ٩٢٣ هـ (١٣٨٢ – ١٥١٧ م) .

أولاً – دولة المماليك البحريّة

٦٤٨ – ٧٨٤ هـ (١٢٥٠ – ١٣٨٢ م)

كان الأيّوبيّون في أواخرِ حُكْمِهم قدِ اتّخذوا مماليكَ من الأتراك . فلمّا جاء المَلِكُ الصالحُ أيوبُ ، ٦٣٧ هـ (١٢٤٠ م)، استكثَرَ مِنْهم حتّى كانوا مُعْظَمَ جُنْدِه وحَرَسِه وخَدَمِه ثمّ أسكَنَهُمْ في رَوْضةِ (جزيرة) بحرِ (نهر) النيل . من أجلِ ذلك سُمّوا « المماليكَ البحرية » .

وماتَ الملك الصالحُ فجأةً ، سَنَةَ ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) فخلَفه ابنُه طورانُ شاه . ولكنّ طورانَ شاه أغضبَ المماليكَ فقتلوه في أوائلِ سَنَةِ ٦٤٨ هـ (ربيعِ ١٢٥٠ م) واتّفقوا على أن يُقيموا مكانَه أمّه شَجَرَةَ الدّرّ وعلى أن يكونَ أتابكَ العسكرِ (قائدَ الجيش) عزُّ الدين أيْبَك . وبعدَ ثلاثةِ أشهُرٍ بدا لهم أن المُلْكَ لا يَسْتَقِرّ إذا تولّتْه امرأةٌ فبايعوا عزَّ الدين أيبك بالمُلْك فكانَ أوّلَ سلاطينِ المماليكِ البحرية .

وقد توالى على عرشِ المماليكِ البحرية ، في أثناءِ النصفِ الثاني من القرن السابعِ للهِجْرة ، وبعدَ عزّ الدين أيبك ، عَشَرَةُ سلاطينَ أشهرُهم وأعظمُهم : الظاهرُ

بَيْبَرْس البُنْدُقْداري (٦٥٨ — ٦٧٦ هـ) والمنصورُ قَلاوُون (٦٧٨ — ٦٨٩ هـ) والأشرفُ خليلٌ (٦٨٩ — ٦٩٣ هـ) .

وفي سَنَةِ ٦٥٨ هـ استولى التَتَرُ على حَلَبَ ثمّ على دِمَشْقَ وأشاعوا فيهما القتلَ والخراب فتصدّى لَهمُ الظاهرُ بيبرسُ عند عينِ جالوتَ ، قُرْبَ الناصرة (فِلَسْطين) ثمّ عند حِمْصَ وردّ خَطَرَهم عنِ الشام وعن العالم الاسلاميّ . ولم يَكُنِ التبَسّطُ التتريّ في العِراق والشام فتحاً منظّماً ، بل كان اجتياحاً فوضىً يَقْضي على المعالم التي تمرّ بها جَحافِلُه ، فإذا لم تَقَعْ بلدةٌ في طريق التتر فانّها كانتْ لا تشعُرُ بوجودهم .

أرادَ الظاهرُ بَيْبَرُسُ أن يُعيدَ الخِلافة العبّاسيةَ في بَغدادَ ، ولكنّ الحاكمَ التَتَرِيَّ قتلَ الخليفةَ الذي اختارَه بيبرسُ وقتل الذين معَه ، سَنَةَ ٦٥٩ هـ ، فأقام بَيْبَرُسُ في القاهرةِ خليفـةً من نَسْلِ بني العبّاس . وقد عاشتِ الخلافة العبّاسية في القاهرة — ولكنْ بلا سُلْطةٍ فعليةٍ — حتّى جاء الفتحُ العثماني (٩٢٣ هـ=١٥١٧م).

ثمّ تصدّى الظاهرُ بَيْبَرْس للإفرنجِ الصليبيّين — وكانَ عددٌ من المدن لا يزالُ في أيدي بقايا الأيّوبيّين — فكان الظاهرُ بيبرسُ يستولي على تلك المدنِ من أيدي الأيّوبيّين في الوقتِ الذي يستردّ فيه البلدانَ من الإفرنج الصليبيّين . وفي أيام الأشرفِ خليلٍ تطهّرتِ البلادُ من جميعِ جيوشِ الإفرنج وعادتِ الشامُ كلّها — ما عدا جزيرةَ أروادَ — إلى الحُكْمِ الإسلاميّ .

الأُسر المحليّة

وفي هذا الوقتِ كان أشرافُ مكّةَ من آل قَتادةَ يحكمون الحِجازَ حُكْماً محليّاً قاصراً . ومَعَ أنّ حكم آلِ قَتادةَ قد طالَ جِدّاً مُنذُ سَنَةِ ٥٩٧ (١٢٠٠ م) الى سَنَةِ ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) حينما نَفَى الانكليزُ شريفَ مكّةَ (المَلِكَ حسينَ بنَ عليّ) إلى قُبْرصَ واحتلّ عبدُ العزيزِ آلُ سُعودِ الحِجازَ ، فإنّ حكمَ آلِ قَتادةَ كان كثيرَ الاضطراب قلّ أنْ تولّى أحدٌ منهم الحُكْمَ ولم يُنازِعْهُ بِضْعَةُ نَفَرٍ من أهلهِ فيتعاقبَ المتنافسون على الحُكم مرّةً بعد مرّة .

وكان بنو مَهْنا (بسكون الهاء) من بني فَلِيتـة يحكُمون في المدينـة (٥٨٣ — ١١٠٠ هـ) حُكماً مُتَقَطّعاً ينافسون به آلَ قَتادةَ في مكّةَ ويتنافسون عليه فيما بينَهم .

أمّا اليمنُ فكانت مقسومةً بين بني الرسّيّ الأئمة الزيديّين في صَعْدَة وصنعاءَ (٢٤٦ – نحو ٧٠٠ هـ) وبين بني رسول في زَبيدَ وعَدَنَ وتَعِزَّ (٦٢٦ – ٨٥٨ هـ) وسواهم. ويبدو أنّ اليمنَ كانتْ مستقرّةً، ولكن لم يكنْ لها اتّصالٌ بأحداثِ بلادِ العرب، مثلُها في ذلك مثلُ الحجاز تماماً (فلم نكنْ نسمعُ للحجازِ ولا لليمنِ صوتاً في المعاركِ التي كانت دائرةً في فِلَسْطينَ في وجهِ الإفرنج الصليبيّين).

في العراق وفي بلاد الروم (آسية الصغرى):

بعدَ سقوطِ بَغْدادَ أقام أبناءُ هولاكو وأبناء قومه خاناتٍ (ممالكَ، امارات) مُتفرّقةً شرقَ نهرِ الفُرات وما وراءه. ومعَ أنّ التترَ كانوا يُهاجمون الشامَ مرّةً بعدَ مرّةٍ، بعدَ ذلك، فإنّ هَجَماتِهِمْ هذه كانتْ قليلةَ الأثرِ.

وبينما كان الاجتياحُ التتريّ قد قضى على عددٍ كبيرٍ من المدن والبُلدان في المَشْرِق، فإنّ مُدناً وبُلداناً أخرى كثيرةً لم تتأثّرْ بهذا الاجتياحِ. ثمّ إنّ جميعَ بلادِ الأفْغانِ وجميعَ بلادِ الهِنْد ومُعْظَمَ البُلدانِ في بلادِ الروم (آسية الصغرى) لم تشعُرْ بهذا الاجتياحِ.

كان في حصن كيفا وآمِدَ (من ديارِ بكرٍ، شَمالَ الشام، في جَنوبيّ شرقيّ آسيةَ الصُغرى اليومَ) بقايا من الأمراء الأيّوبيّين (٦٢٩ – ٩٣٠ هـ).

وكان الأُرتقيّون (من السلاجقة) يشاركون بقايا الأيوبيّين حكمَهم في منطقة ديار بكر، وقد عاش فرعهم في مارْدينَ من سَنَةِ ٥٠٠ إلى ٨٠٩ هـ (١١٠٦ – ١٤٠٦ م).

وقامتِ الدولةُ الجلائرية (وأصحابُها تَتَرٌ مَغولٌ من نَسْلِ هولاكو) في العراقِ سَنَةَ ٧٣٨ هـ حينما جاء الشيخُ حَسَنٌ الجلائريّ أحدُ أُمراءِ التَتَرِ وأميرُ (والي!) بلادِ الروم إلى العراق وأسّس فيه الدولة الجلائرية واتّخذ بغدادَ عاصمةً. وعاشتْ هذه الدولةُ الى سَنَةِ ٨١٤ هـ.

في هذا الحين كان العثمانيّون قد أقاموا دَولتَهم في بلاد الروم (آسية الصغرى) ثمّ توالى فيها، في هذه الحِقبة، ثلاثة من سلاطينهم: عُثمانُ بن أرْطُغْرُلَ (٦٩٩هـ) مؤسّسُ دولتهم ثمّ أورخانُ ثمّ مُرادٌ (٧٦١ – ٧٩٢ هـ). وقد كان للدولةِ العثمانيةِ منذ تأسيسها فتوحٌ مُظَفَّرَةٌ في بلادِ الروم في آسيةَ (آسيةَ الصغرى) وفي أوروبّةَ (في البَلْقان) فقدِ استولى الاتراكُ العثمانيّون في هذا القرن على مُعْظَمِ

شبه جزيرة البلقان : بلاد اليونان وثراقيا وبلغاريا وبلاد السرب والجبل الأسود (ما بين البحر الأسود والبحر الأدرياتيكي) . ومنذ أواخر القرن السابع للهجرة عاد الخوف من هجوم التتر على البلاد الاسلامية . وفي سنة ٧٠٢ هـ أغار غازان (قازان) التتري على الشام فالتقاه المسلمون على مرج الصفّة[1] فقتل من التتار خلق عظيم وأسر جماعة ، ولكن استشهد من المسلمين جماعة (شذرات الذهب ٦ : ٤) .

وكان الإفرنج (بقايا الصليبيين) في قبرس يوالون الهجمات على السواحل الإسلامية ، فقد جاء يعقوب الأول في مطلع سنة ٧٦٧ هـ (مطلع الخريف من عام ١٣٦٥ م) إلى الإسكندرية في سبعين قطعة حربية فعاثوا ونهبوا وأفسدوا في البلاد وقتلوا . وبعد سنتين تماماً هاجموا سواحل طرابلس في مائة وثلاثين قطعة . وفي سنة ٧٧٠ هـ هلك يعقوب وخلفه ابنه جانوس (١٣٧٤ — ١٤٣٢ م) فطلب الهدنة من المسلمين وعقد معهم صلحاً ودفع جزية .

صورة المجتمع

إنّ عصر المماليك الذي امتدّ زماناً طويلاً تبدّلت فيه وجوه الحياة تبدّلاً كبيراً ، وخصوصاً بما لحق الحياة العربية من الضعف منذ أيام الحروب الصليبيّة ، تلك الحروب التي استطاع المماليك أنفسهم أن يضعوا لها حدّاً وأن يردّوا خطرها عن البلاد الاسلامية .

— من مظاهر الطبيعة

كثرت الكوارث الطبيعية كثرة ظاهرة من انقضاض الصواعق التي كانت تسبّب الحريق ومن الفيضان ومن القحط والغلاء ومن الأمراض — فقد كثر تردّد الطاعون الى حلب خاصّة. ثم كان الطاعون العامّ (الأسود)، سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٧م)، فمات به ألوف مؤلّفة في الشرق ثمّ انتقل إلى أوروبّة وعمّ إيطالية وألمانية وفرنسة وإنكلترة فقدّرت ضحاياه في تلك المناطق ما بين ربع السكّان ونصف السكّان . فلا عجب إذن ، إذا بقيت المدن صغيرة . من ذلك مثلاً أن جامع تنكز ، وقد شرع في بنائه في صفر من سنة ٧١٧ (ربيع عام ١٣١٧ م) ، كان في ظاهر (خارج) مدينة دمشق !

(١) الصفة (كذا) . الصفر ! (بضم الصاد وفتح الفاء المشددة) في ذيول العبر (ص ٢٩ — ٢٠) : كان المصاف على تل شقحف على مقربة من دمشق .

ومن الأمور التي لم يُسَجّلْ التاريخ كثيراً من أمثالها أنّه كان في ترابلس (طرابلس الشام) بِنْتٌ تُسمّى نُفَيْسَةَ زُوّجَتْ بثلاثة أزواجٍ فلم تصلُحْ للزَّواجِ ، فلمّا بَلَغَتْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً (٧٥٤ هـ = ١٣٥٣ م) أصبحتْ رَجُلاً فعُمِلَ بذلك مَحْضَرٌ (شذرات الذهب ٦ : ١٧٥ — ١٧٦).

— الإقطـــاع

الإقطاعُ نِظامٌ اجتماعيّ سياسيّ يقومُ على استبدادِ نَفَرٍ من المُتنفّذين بحُكْمِ مِساحاتٍ معيّنةٍ من الأرضِ حينما تضعُفُ الدولةُ عن بَسْطِ سُلْطتها على جميع رَعاياها. والإقطاعُ قديمٌ في التاريخِ كان موجوداً في مِصْرَ القديمةِ قبلَ عامِ ٢٠٠٠ ق.م. ويبدو أنّه كان موجوداً في أيامِ الرومان. وقد كان نِظاماً مألوفاً عند القبائل الجرمانية جاء به السَّكْسون إلى بَريطانيةَ في عامِ ٦٠٠ م (قبل ظهورِ الاسلام بعَشْرِ سنين). وفي القرنِ الحادي عَشَرَ للميلادِ (الخامسِ للهِجْرة) كان الإقطاعُ نِظاماً شائعاً في أوروبّة. ولمّا نَشِبَتِ الحروبُ الصليبيةُ جاء الإفرنْجُ الصليبيون بنظامِ الإقطاع هذا مَعَهم إلى الشامِ (فِلَسْطين ولُبنانَ وسورية)، في آخرِ القرنِ الحادي عَشَرَ للميلاد. وقد أخذَ الأيوبيّون (٥٦٤ هـ = ١١٦٨ م وما بعدُ) هذا النظامَ وأقْطَعوا الأراضيَ للأمراء. غيرَ أن المَماليك كانوا طَبَقَةً عسكريةً قائمةً على الإقطاع. هذه الطبقة نفسُها كانت مُرَتّبَةً بَعْضُها فوق بعضٍ، وكانتْ كلّ طبقة تَخْدِمُ الطبقةَ التي فَوْقَها وتَتَناوَلُ منها أرزاقَها العَيْنيّةَ (لحماً وخُبزاً وحُبوباً وخُضاراً وتَوابِلَ) ونَقْدية (مبالغَ سَنَويةً من المال في السِلْم وفي الحرب) بالإضافة إلى إقطاعات من الأراضي تَضيقُ وتتّسعُ بحَسْبِ مراتبِ أصحاب هذه الطَبَقات في الجيش. وقد استخدمَ المماليكُ عدداً من القبائل المَحلّيّة من التُرْكُمانِ الأكرادِ ومن البَدْوِ العَرَب (في الشامِ وصَعيدِ مِصْرَ) لِحِماية الطُرُقِ وللدِفاع عن السواحلِ (في وجهِ الإفرنج الصليبيّين) وأقْطَعوهم الأراضيَ.

— العمران والفن

وامتاز عهدُ المماليكِ البحرية بالعُمران والفنّ والعِلم. غيرَ أنّ أكثرَ هذا الازدهارِ كانَ في خارجِ الشام، وإذا اتّفقَ أن أنْشأ أحدٌ مِنَ الحُكّام أوِ الأعيانِ أثراً عُمرانياً فإنّما كان يُنْشِئُه في الداخلِ لأنّ الساحلَ كانتْ معالِمُه قد تقوّضتْ بتَوالي المعاركِ الصليبية عليه قرنَيْنِ كامليْنِ. ولقدْ خلّفَ المماليكُ في سُوريةَ

مدارسَ ومساجِدَ وخلّفوا البناءَ الأبْلَقَ ، أي بناءَ الجُدْرانِ الخارجيةِ صُفوفاً مُتعاقِبَةً من الحَجَرِ الأبيض والحجر الأسود كما نرى في حِمْصَ وغيرِها إلى اليوم. وكذلك هُمُ الذينَ خلّفوا التزيينَ الفنّيّ بالخطّ الكوفي وبالمُربّعاتِ المتقاطعةِ على أشكالٍ مختلفة كما نَرَى في بعضِ واجهاتِ البيوتِ ونوافذِها في نواحٍ كثيرةٍ من بلادِنا، وخصوصاً في دِمَشْقَ وحماةَ وحَلَبَ وحِمْصَ؛ ونَجِدُ مثلَ ذلك أيضاً في بيروتَ. واتّسعتْ في عصرِ المماليكِ صناعةُ الخَشَبِ المنقور تُجْعَلُ منه المنابرُ والأبواب والنوافذُ والسقوف ، ورُبّما جُلِّلَتْ منه الشُرُفاتُ وجُدرانُ الغُرَفِ على نحو ما نرى في حَلَبَ في الأكثر. وفي ذلك العصرِ كَثُرَ الزُخْرُفُ بالشَبَهِ (النُحاس الأصفر) في أبوابِ المساجدِ وفي القَناديلِ وقوائمِ القناديلِ (الشمعدانات).

واهتمّ المماليكُ بكتابة القرآنِ الكريم فكتَبوه في وَرَقٍ من القطعِ الكبيرِ جدّاً وبخَطّ كبيرٍ جميلٍ كما أضافوا الى صَفَحاته أشكالاً زُخْرفيةً بالألوان. ومعَ أنّ نُسّاخَ المصاحفِ قد عُنُوا عنايةً خاصّةً بدَفّتَيِ المصاحفِ وبالصَفَحاتِ الأولى منها ، فإنّنا نرى أحياناً مثلَ هذهِ العنايةِ في فواصلِ الآياتِ وفي إطارِ الصَفَحات. وكذلك عَظُمَتِ العنايةُ بالخزائن والمَحامل ، وخصوصاً إذا كانت تُتّخَذُ مَحَلاً للمصاحفِ أو مَحْمِلاً لها عند القراءة. وقد كانتْ هذهِ الأدواتُ تُصْنَعُ من الخَشَبِ المنقور أو منَ النُحاس المُكَفّتِ (المُطَعّم بمَعْدِنٍ آخرَ).

— الحياة الدينية

مهما قيلَ في أسبابِ الحروبِ الصليبيّةِ فانّ مَظْهَرَها كان دينيّاً. وكذلك كانتِ الدوافعُ الآنِيَةُ المباشِرَةُ لنُشوبِها دينيّةً. ثمّ انّ المَدْرَكَ الشَعْبِيّ لها في الشَرْقِ الاسلاميّ وفي الغَرْبِ المسيحيّ كان أيضاً دينيّاً. ولمّا استطاعَ المماليكُ البحريةُ أن يَضَعوا حَدّاً لهذه الحروبِ الغاشِمَةِ وأن يُطَهّروا البلادَ العربيةَ من الإفْرَنْجِ الصَليبيّين ثَبَتَ هذا المظهَرَ الدينيّ للنِزاعِ بينَ الشرقِ والغَرْبِ في نفوسِ الناس.

والحركةُ النَصْرانيةُ لم تَكُنْ ناشِطَةً فقطْ في الحروبِ الصليبيّة ، بل كانتْ في الأندلس أيضاً قويّةً جدّاً (ممّا سيأتي الكلامُ عليه في مَوْضِعه وحينه). وكان للنصارى جُهودٌ بين التَتَرِ (المَغول) فانتشرتِ النَصْرانيةُ بين التَتَرِ انتشاراً قليلاً؛ وكان لهولاكو نفسِه امرأةٌ نَصْرانيةٌ. ولكنّ الاسلامَ أخذَ يَنْتَشِرُ بينَ التترِ من

قبل أنْ تسقُطَ بغدادُ . ثمّ قامتْ خاناتٌ (ممالكُ وإماراتٌ) تتريّةٌ مسلمةٌ في أقطارِ المشرق . ولقد بَقِيَ جماعاتٌ من التتَرِ الى اليومِ على الوثنيّة .

ومَعَ أنّ المماليكَ يَرْجعون الى أصولٍ مختلفة كلّها غيرُ مُسلمة ، فإنّهم كانوا كلُّهم شديدي الحِفاظ على مظاهرِ الحياة الإسلاميةِ كما كان مُعْظَمُهُمْ مُتَدَيّناً تَدَيّناً صحيحاً . وبرُغْمِ ماكان يُقال فيهم من الجَهْل العامّ بالأمورِ وبالغَفْلة عن مقاصِدِ الشريعةِ ، فإنّ نَفَراً كثيرين منهم كانوا يُدْرِكون القِيَمَ الدينيّة إدراكاً واضحاً.

وحَرَصَ المماليك كلّهم على الحِفاظِ على الأخلاقِ العامّةِ فكثيراً ما كانوا يُصْدِرونَ الأوامرَ بإبطال الملاهي وإغلاقِ أماكن الخَمْر وحَبْسِ الزواني ثمّ يُنَفّذون ذلك بشيءٍ من الشِدّة أيضاً بينَ المُسلمين وبين النصارى على السواء .

في سَنَةِ ٧٠٢ « أبطَلَ الأميرُ رُكْن الدين بَيْبَرْسُ الجاشنكير[1] عيدَ الشهيدِ بمِصْرَ ، وذلك أنّ النصارى كان عندَهم تابوبٌ فيه إصْبَعٌ يَزْعُمون أنّها من أصابعِ بعضِ شُهدائهم ، وانّ النيلَ لا يَزيد ما لم يُلْقَ فيه هذا التابوتُ . وكان يَجْتَمِعُ النصارى من سائرِ النواحي الى شُبْرا ، ويَقَعُ هنالك أمورٌ فظيعةٌ من سُكْرٍ وغيره » (حسن المحاضرة ٢ : ١٧٩) . وفي سَنَةِ ٧٢٤ هـ أبْطَلَ السُلْطان بيبرسُ هذا الملاهيَ بالديارِ المِصْرية وحَبَسَ جماعةً من الزواني (حسن المحاضرة ١٨٠) .

وللمظاهرِ الدينيةِ أثرٌ في حياة الشُعوب ، ولا سيّما في جُمهور العامّةِ . وقد كان المَلِكُ الظاهرُ بَيْبَرْسُ البُنْدقْداريّ أوّلَ من أقامَ معالِمَ خُروجِ المَحْمَلِ الى الحجّ . والمحمَلُ صُندوقٌ كبيرٌ يُحْمَلُ على جَمَلٍ ، وفي الصُندوقِ أشياءُ ثمينةٌ وأموال وكُسوةٌ منسوجةٌ مُطَرَّزَةٌ للكعبة المُشَرَّفَة تُرْسَلُ هَديّةً الى مَكّةَ وأهلِ مكّة . وبدأ بَيْبَرْسُ هذه العادةَ في مِصْرَ سنة ٦٧٥ هـ (١٢٧٧ م) . وقبلَ أن يُبارِحَ المحمَلُ الى الحِجاز كان يُطافُ به في القاهرة بالزينةِ والموسيقى ويُحْتَفَلُ به رَسْمياً وشَعبياً احتفالاً كبيراً.

— الخلافات المذهبية والحركات الهدامة :

وفي عَصْرِ المماليكِ كَثُرَتِ الخِلافاتُ المَذْهبيةُ والحَرَكات الهَدّامةُ وما

---

(١) بيبرس الجاشنكير مملوك برجي تولى الملك في دولة المماليك البحرية عاماً واحداً (٧٠٨ – ٧٠٩ هـ) . أما الظاهر بيبرس البندقداري فهو من المماليك البحرية تولى العرش من ٦٥٨ الى ٦٧٦ هـ .

يَتَبَعُ ذلك كلَّه مِنَ انتشارِ الأوهامِ والبِدَعِ ومن نُشوب المُنازعات . فمن الخلافات المذهبية أنّ المالكيّةَ (أتباعَ مالكِ بنِ أنَسٍ أحد أئمّةِ المذاهبِ الأربعةِ السُنّيّة) كان لهم في جامعِ دِمَشْقَ مِحرابٌ خاصٌ بهم[1] . وكان نَفَرٌ من رِجالِ الـدين يُجَسّمون هذه الخلافاتِ بضروبٍ من الأوهامِ . وقد صَدّقَ نفرٌ من المؤرّخين ذلك . قال العِمادُ بنُ الحنبليّ (شذرات الذهب ٦ : ٦٦) : « في جُمادى الأولى من سَنَةِ ٧٢٥ (نَيْسان – ابريل ١٣٢٤ م) كان غَرَقُ بغدادَ المَهولُ ، وساوى الماءُ الأسوارَ وغَرِقَ أُمَمٌ لا تُحصى ودام خَمْسَ ليالٍ . وقيل تهدّمَ بالجانبِ الغربيّ نحوُ خمسةِ آلافِ بيتٍ . قال الذهبي[2] : ومِنَ الآياتِ أنّ مقبرةَ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ غَرِقَتْ سِوى البيتِ الذي ضريحُه فيه ، فإنّ الماء دخل في الدِهليزِ عُلُوَّ ذِراعٍ ووقف بإذْنِ الله تعالى وبَقِيَتِ البوّاري (الحُصُرُ المصنوعة من القشّ) عليها غبارٌ حول القبر . صحّ عندنا ذلك » .

وبينما كان أحمدُ بنُ عبدِ الحليم بن تَيْمِيّةَ الحَنْبليّ (ت ٧٢٨ هـ) المجتهدُ المُصْلِحُ يُضْطَهَدُ هو وأصحابُه في الشامِ ، كان المذهبُ الحَنَبليّ نفسُه ينتشرُ في مِصْرَ ويكثُرُ فقهاؤه (شذرات الذهب ، راجع ٦ : ٢١٥) .

وفي هذا العصر تعرّض المذهبُ السُنّيّ لمكائدِ أصحاب الحَرَكاتِ الهَدّامة تعرّضاً شديداً على يد المتطرّفين من الشيعة . وعلى يد المنافقين (الذين دَخَلوا في الاسلام رِئاءً) وعلى يد الرهبان . كان الغُلُوّ منتشراً الى حدّ جَعَلَ ابنَ العِمادِ الحَنبليّ يذكُرُ في أخبار سَنَةِ ٧٢١ هـ (شذرات الذهب ٦ : ٥٥) أنّ شيخ الشيعة وفاضلَهم محمّدَ بنَ أبي بكرٍ الهمَذانيّ السكاكينيّ كان لا يغْلو (لا يَنْسِبُ شيئاً من صفات الألوهيّة الى الأئمّة) ولا يَسُبّ (الصحابةَ كأبي بكرٍ وعُمَرَ وعائشةَ) ؛ ولكنّ ابنَه حَسَناً نشأ غالياً فثبَتَ عليه أنّه أكْفَرَ الشيْخينِ (أبا بكرٍ وعُمَرَ) وقَذَفَ

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ٥١ ، في أخبار سنة ٧١٨ هـ) . ومعنى هذا ، مع الأسف ، أن أتباع المذاهب السنية أنفسهم كانوا لا يصلي بعضهم خلف بعض !

(٢) هو الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي (٦٧٣ – ٧٤٨ هـ) راوية ومحدث ومؤرخ ألف « تاريخ الاسلام » في تراجم الرجال من الخلفاء والفقهاء والنحاة والشعراء الخ (في واحد وعشرين جزءاً) من أول الاسلام الى أول القرن الثامن للهجرة ثم اختصره في كتاب « العبر في خبر من غبر » . وله أيضاً : تذكرة الحفاظ – طبقات القراء – مناقب عثمان (بن عفان) – فتح الطالب في أخبار علي بن أبي طالب – ميزان الاعتدال في نقد الرجال – الطب النبوي (راجع فوات الوفيات ٢ : ٢٢٨ – ٢٢٩ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ١٦٣ – ١٦٨ ؛ الدرر الكامنة ٣ : ٤٢٦ – ٤٢٧ (رقم ٣٤١٣) ؛ بروكلمان ٢ : ٥٧–٦٠ الملحق ٢ : ٤٥) .

ابْنَتَيْهِما ونَسَبَ جِبريلَ إلى الغَلَط في الرسالة (بأنّ جبريلَ غَلِطَ فأدّى الرسالة الى محمّدٍ عليه الصلاةُ والسلام بَدَلاً من أن يُؤدِيَها الى عليّ كَرّمَ اللهُ وجهَه) إلى غيرِ ذلك . فحُكِمَ بزندقته وضُرِبتْ عُنُقه ، سَنَةَ ٧٤٤ هـ (شذرات الذهب ٦ : ١٤٠). وفي سنَةِ ٧٠١ هـ قُتِلَ أحمدُ بنُ الثقفيّ لأنّه كان يَتَنَقّصُ القرآنَ الكريم والرسولَ ويَسْتَحِلّ المُحَرَّماتِ ويَستهينُ بالعقائدِ ؛ وكذلك قُتِلَ أحمدُ الرُويسُ الإقباعي في دِمَشْقَ، سنة ٧١٥ هـ ، للاسباب نفسِها (شذرات ٦ : ٣٥) .

الحياة الثقافيّة :

بعدَ سُقوطِ بَغْدادَ (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) انتقل العِلْمُ من العِراقِ الى مِصْرَ، وكَثُرَ العلَماءُ في كلّ فنّ والأدباءُ والشعراء خاصّةً في مِصْرَ والشام (سورية) .

ومَعَ أنّ المماليكَ لم يكونوا أهلَ حَضارةٍ في البيئاتِ التي جاءوا منها ، فلقد كان لهم عِنايةٌ بوُجوهِ الحضارة وبنشر العِلْم . أمّا هُمْ أنفُسهم فكانوا يَتَلَقّوْنَ أشياءَ يسيرةً من القُرآنِ الكريم وشيئاً من الفِقْه ومن القِراءة والكتابة ، ذلك لأنّ العنايةَ بهم كانت قائمةً على تدريبِهِم العَسْكري للحرب. من أجلِ ذلك كان تعليمُهم يَكادُ يكونُ قاصراً على التمارين الرياضية وعلى الفُروسية وأساليبِ القتال . وكان تعليمُهم هذا يجري في أماكنَ خاصّةٍ بهم بعيدةٍ عنِ الاتّصالِ بطَبَقاتِ الناسِ من أهلِ البلاد .

وأنشأ المماليك عدداً كبيراً من المدارس في جميعِ أنحاءِ البلاد وفَتَحوا هذه المدارس أمامَ جميعِ الراغبين في الاستفادةِ يأتون إليها لِيَسْتمعوا إلى ما يُلقى في حَلَقاتِها على غيرِ نظامٍ مألوفٍ : كان في هذه المدارسِ – وفي الجوامعِ أيضاً – أساتذةٌ يُلْقونَ دُروساً في مَوضوعاتٍ مُعَيّنةٍ ، وكان الراغبُ في المَعْرِفة يَجْلِسُ في الحَلْقة التي يَروقُ له موضوعُها بلاً شروطٍ ولا قيودٍ ولا تسجيلٍ ولا امتحاناتٍ . لا شَكّ في أن هذهِ السياسةَ الفوضى في التعليمِ تُضَيّعُ جانباً كبيراً من جُهودِ الدولة والأساتذة ومن جُهود الناس أيضاً ، ولكنّها في الوقتِ نفسه تجلو شَخْصيّات أولئك الذين أُوتوا نَصيباً كبيراً من العَقْل والجِدّ والمثابرة . غيرَ أن هذه الطريقةَ تُبْرِزُ لنا أفراداً قليلين من كِبارِ العُلماء ثمّ تَدَعُ السوادَ الأعظمَ من الناسِ في غَمْرةٍ من الجهل .

أمّا أكثرُ موضوعاتِ العِلْمِ رواجاً فكانَ الحديثَ ودراسةَ الفِقْه على المذاهبِ

الأربعة (المالكي والحنفيّ والشافعي والحنبلي). وكان إلى جانبِ الحديثِ والفقه تفسيرُ القرآن الكريم وأصولُ الدين واللغة والأدبُ. ثمّ إنّ كثرةَ التأليفِ في العلوم الرياضية والطبيعية من الرياضيّات والفلَك والجُغرافية والهندسة والطبّ وما إليها يُوحي بأنّه كان لِمثْلِ هذه الموضوعاتِ مدارسُ خاصّةٌ أو حلَقاتٌ خاصّةٌ في المدارسِ العامّة. وكانت العلومُ الطبيعيّة (والطبّ خاصّة) تُعلّم في المارستانات (المُستشفيات) نَظَرِيّاً وعَمَلِيّاً معاً، كما أنّ العلومَ الرياضيّةَ كانتْ تُعلّمُ في المراصد.

وقد كثُرَ التصنيفُ في التفسيرِ والحديث والفقْه والخِلاف (في المذاهب الفِقْهية) والجَدَل، كما نَجِدُ عند نصيرِ الدين الطّوسيّ (ت ٦٧٢ هـ) ومُحْيِي الدين يَحيي بن شَرَفِ النَوَويّ (ت ٦٧٦ هـ) وبُرهانِ الدين محمّدِ بنِ محمّدٍ النَسَفيّ (٦٨٤ هـ) وعبدِ الله بن عُمرَ البَيْضاويّ (ت ٦٨٥ هـ).

واتّسعَ التأليفُ في التاريخِ اتّساعاً كبيراً، وخصوصاً في الطبَقات والتراجم (تأريخ الأشخاصِ على ترتيبِ السِنينَ أو بحَسْبِ فُروعِ العلم) في الأكثر كما نَجِدُ عند أبي شامةَ (ت ٦٦٥ هـ) وكمالِ الدين بن العَديم (ت ٦٦؟ هـ) وابن أبي أُصَيْبِعَةَ (ت ٦٦٨ هـ) في كتابه طَبَقاتِ الأطبّاء وعند تاج الدين أبي طالبٍ عليّ ابن الساعي البَغْداديّ (ت ٦٧٤ هـ) وعند ابنِ خَلّكانَ (ت ٦٨١ هـ) في كتابه وَفَياتِ الأعيان وأنْباء أبناء الزمان. ولِمُحبّ الدين الطبَريّ المكّي (ت ٦٨٤هـ) كتابانِ في فَضائل الصَحابةِ العَشْرةِ المُبَشَّرينَ بالجنّة وفي مَناقبِ ذوي القُرْبى من آلِ الرسول. ولأبي الفَرَجِ غَريغوريوسَ بنِ أهرُنَ المعروف بابن العِبْريّ (ت ١٢٨٦ م = ٦٨٥ هـ) كتابُ «تاريخ مُخْتَصَرِ الدول» مَزَجَ فيه التاريخَ السياسيّ بِلُمَعٍ من التاريخ الثقافيّ وتراجمِ أعلامِ الثقافة. ونَجِدُ في أعقابِ هذه الحقبة شيئاً من التاريخ القَصَصيّ عندَ عبدِ الله بن عبدِ الظاهر (ت ٦٩٢ هـ) وجَمالِ الدين ابن واصلٍ (ت ٦٩٧ هـ). ثمّ انّ لابنِ الطِقْطَقَى (ت ٧٠٩ هـ) في كتابه الوجيزِ «الفَخْريّ في الآداب السُلطانية والدُوَل الإسلامية» نَظَرات تعليليةً في مُقدّمة هذا الكتابِ وفي ثَنايا فُصولِه يُمْكِنُ أنْ تَعُدَّ في بابِ فلْسفةِ التاريخ.

ومِنْ أوائلِ الذين يُشارُ إليهم في التأليف المُوسِعيّ نصيرُ الدين الطوسيّ (ت ٦٧٢هـ = ١٢٧٤م) له تآليفُ مُستقلّةٌ في الفقْه وفي الفلسفة وفي الرياضيّات والفيزياء والفلَكَ والموسيقى وعِلْم المعادن والطّب. وهنالك زَكَريّا بنُ مُحمّدٍ القَزْوِينيّ

(ت ٦٨٢ هـ) صاحبُ كتاب « عجائبِ المَخْلوقات » وكتاب « آثــارِ البلاد » فيهما آراءٌ علميةٌ (رياضيةٍ وطبيعيّة) صائبة عبقريّة ، فقد تكلّم فيهما على الأرضِ وما عليها من جمادٍ ونباتٍ وحَيَوانٍ وإنسانٍ وعلى ما فيها من بحارٍ وجبالٍ وجزائرَ وأنهارٍ ، كما تكلّمَ على تشكّلِ الأنهارِ من تسرُّبِ مياهِ الأمطار إلى باطنِ الأرضِ ثمّ خروجِها جَداولَ تلتقي فتكونُ منها الأنهارُ العظيمةُ ؛ وشَرْحُ ذلك كلّهِ ممّا يَضيقُ به كتابٌ في تاريخِ الأدب . ثمّ هنالك جمالُ الدينِ الوطواط (ت ٧١٨ هـ) صاحبُ « مباهج الفِكَر ومناهجِ العِبَر » ، وشمسُ الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الانصاريّ الدمَشْقيّ (ت ٧٢٧ هـ) صاحب كتاب « نُخْبةِ الدَهْرِ وعجائب البر والبحر » وفي الكتابين نِطاقٌ واسعٌ من الفَلَك والجُغرافية والمعادن والنبات والحَيَوان .

وفي هذا العصرِ – عصرِ المماليكِ البحرية – علماءُ في الرياضيّاتِ والفَلَك منهم سعيدُ بنُ محمّدِ بنِ مصدّق الصَفَدَيّ (ت ٧١٢ هـ) وأحمدُ بن أبي بكرٍ السرّاجُ (ت نحو ٧٢٦ هـ) وعبدُ الله بن محمّدِ بنِ خَدّامِ البَغْداديّ (ت ٧٣٦ هـ) وعليّ ابنُ ابراهيمَ بنِ محمّدِ الشاطرُ (ت ٧٧٧ هـ) المُوَقّتُ بالجامع الأمويّ وله كتبٌ كثيرةٌ . أمّا في الفيزياء فهنالك العالمانِ العظيمانِ قُطْبُ الدين الشيرازيّ (ت ٧١٠ هـ) وتِلْميذه كمالُ الدين الفارسيّ (ت ٧٢٠ هـ) وقد بَرَعا في عِلْمِ المناظر (البَصَريّات خاصةً) وفاقَا فيه مُعاصِريهما وسابِقيهما في الشَرْق والغَرْب معاً . واشتهرَ بالكيمياء في هذا العصر أيدَمُر الجَلْدَكيّ (ت ٧٤٣ هـ) .

ويَلْمَعَ في سَماء الطبّ اسمُ ابنِ النفيسِ (ت ٦٨٧ هـ) مُكتشفِ الدَوْرة الدَمَويّة الصُغْرى (الجُزْئية) بينَ القلبِ والرِئَتَيْنِ . وكان في أيامهِ نفرٌ من كِبارِ الأطبّاء .

ومَعَ أن ابنَ منظورٍ (ت ٧١١ هـ) صاحبَ القاموسِ العظيم « لسان العرب » مشهورٌ بأنّه عالم باللغةِ فانّ له كتابَ « سرورِ النفسِ بمداركِ الحواسّ الخمس » طواه على أوصافٍ لمظاهرِ الطبيعةِ والحياةِ منها أشياءُ في وصف الشمس والخُسوف والفُصول الأربعة والرياح والأمطار من الناحيتين الأدبيةِ والطبيعية العِلمية معاً .

وأمّا إذا أتَيْنا الى الكُتّاب المُوسعيّين الذين ألّفوا في العلومِ الإنسانية وَحْدَها كاللغةِ والتاريخ والسياسة والأدب فيَحْسُن أن نُشير في هذا العصرِ إلى شِهاب الدين النُوَيْري (ت ٧٣٢ هـ) وابنِ فَضْلِ اللهِ العُمَري (ت ٧٤٩ هـ) وصلاحِ الدين

الصَفَدِيّ (ت ٧٦٤ هـ) اكتفاءً بنفَرٍ لا يَجوزُ لأحدٍ أن يَجْهَلَهُمْ أو يَجْهَلَ أسماءهم .

وعُنِيَ المؤلّفون بالفروسيةِ وآلاتِ القتال وأدواته فألّفوا فيها، نذكر مِنْ هؤلاء بدرَ الدين بَكْتوتَ الرمّاح الخازنداريّ (ت ٧١١ هـ) والحُسينَ بنَ محمّدٍ الحسينيَّ (ت ٧٢٧ هـ) ولاجينَ بنَ عبدِ اللهِ الذهبيَّ (ت ٧٣٨ هـ) .

الخصائص الأدبية :

إنّ الاجتياحَ التَتَرِيّ قد قضى على اللّغةِ العربية بين طبَقات الشعوبِ التي كانتْ تسكُنُ شَرْقَ العِراق ، مَعَ العِلْم بأنّ حرَكةَ إحياء اللّغةِ الفارسية تعودُ الى أواسطِ القرنِ الرابعِ للهجرة . أمّا الحالُ في البلاد التي حكَمَها المماليكُ فكانتْ مُخْتَلفةً . إنّ المماليكَ لم يكونوا عرَباً ، ولكنّهم كانوا مُسْلِمينَ ، وقد حمَلَهُمُ اهتمامُهم بالدين على أن يُولُوا اللغةَ العربيةَ عِنايةً كبيرةً لأنّ اللغةَ العربيةَ لغةُ الإسلامِ .

وإذا لم يكنِ اهتمامُ المماليك ــ وهُمْ طَبَقَةٌ حاكمةٌ ــ بالأدبِ الخالِصِ من نَثْرٍ وشِعْرٍ يُصَرّفُهُ أصحابُه في مَدْحِ أهلِ الدولة ، فإنّ اهتمامَهم باللغة العربية على أنّها لغةُ السياسةِ والإدارة والعِلْم كان عظيماً جدّاً .

إنّ تخريبَ معالمِ الحضارةِ ، ذلكَ التخريبَ الذي رافقَ الاجتياحَ التتريّ قد قضى على كثيرٍ من دُورِ العلمِ ودور الكُتُبِ وأفقَدَ العربَ مِئاتِ الألوفِ من ذَخائرِ تُراثِهم . مِنْ أجلِ ذلك كان من المُنْتَظَرِ أن تَنْشَطَ حركةُ التأليفِ بعامليْنِ أساسيّيْنِ : (أ) بعاملِ الحاجةِ الى كُتُبٍ تَسُدّ مكانَ الكتبِ التي تَلِفَتْ ، ثمّ (ب) بعاملٍ هو أنّ العِلْم كان لا يزالُ ــ برُغْمِ كَثْرةِ الكتبِ التي أُلّفَتْ في الأعصر السابقة ــ يقومُ على الرِواية . فأراد حُفّاظُ العِلم ، بعدَ الاستعانةِ بما كانت ذاكرتُهُمْ لا تزالُ تَعِي وبعدَ الاستعانة بالكُتُبِ التي نَجَتْ من الدّمار ، أن يَضَعوا كُتُباً في الموضوعاتِ المختلفة . من أجلِ ذلك لا يَعْجَبُ أحدُنا إذا رأى أنّ مُعْظَمَ هذه الكتبِ كان مجاميعَ كلُّ مجموعٍ منها في عِدّةِ مُجلّدات ، وخصوصاً في الحديثِ والفِقْه والجُغرافية والتاريخ والتّراجم والسياسة والادارة وفي العلوم الرياضيّة والطبيعية . ولا ريبَ في أن عصر المماليك كلّه كان عصرَ المُوسعاتِ (بضمّ الميم وكسر السين) في التأليف ، إمّا عِلماً علماً أو علوماً مختلفة ــ مُتقاربةً أو مُتباعدة ــ في الكتابِ الواحد . ويحسُنُ أن نُشيرَ هنا إلى أبي زكريّا النَوَويّ (ت ٦٧٦ هـ)

صاحب « منهاج الطالبين » في الفقه الشافعي ، وفي هذا الباب يدخلُ شمسُ الدين الذهبيُّ المُتوفّى سنَةَ ٧٤٨ هـ (راجع ، فوق ، ص ٦٠٩ ، الحاشية ٢) له أربعونَ كتاباً أو تزيدُ مُعْظَمُها في عدد من الأجزاء ، ثمّ هي من أُمّهات المصادر التي يعودُ الباحثون إليها لمعرفة تراجم الرجالِ في الحديثِ والفِقه والتاريخ والأدب . وهنالك ابنُ تَيْميّةَ (ت ٧٢٨ هـ) وله « فتاوى ابن تيميّة » في الفصلِ في عددٍ من الأمور الدينية والشرعية ، ثمّ شهابُ الدين النُّوَيْريّ (ت ٧٣٢هـ) « وله نهايةُ الأربِ في فنون العرب » حاوَل أن يجمعَ فيه جميعَ المعارف الإنسانية ، وقد طُبع منه إلى الآن ثمانيةَ عشَرَ جزءاً . ثمّ هنالك ابنُ فضلِ الله العُمَريّ (ت ٧٤٨ هـ) ؛ ومعَ أنّ كتابه « مَسالك الأبصار في ممالكِ الامصار » في الجغرافية عموماً ، فانّه يَضُمّ معارفَ كثيرةً في النبات والحيَوان والتاريخ والأدب والتراجم . ولابنِ فضلِ الله العُمري أيضاً « التعريفُ بالمُصْطَلح الشريف » في الجغرافية والأمور الديوانية (أساليبِ الوثائق الحكومية) ووسائلِ النقلِ والمُصْطَلحات الفنّيّة . ثمّ هنالك شمسُ الدين الذهبيّ (ت٧٤٨ هـ) صاحبُ « تاريخ الإسلام» وطبقات مشاهير الأعلام » ، ثمّ تـاجُ الدين السُبْكي (ت ٧٧١هـ) صاحبُ « طبقاتِ الشافعية الكُبرى » في التراجم ، ثمّ ابنُ كثيرٍ (ت ٧٧٤ هـ) صاحب « البِداية والنهاية » في التاريخ و « كتابُ الهدى والسنن في أحاديث المسانيد والسُنن » جمع فيه بين كتب الحديث العَشْرة لأصحابها : البُخاري ومُسلم والتِرمِذي والنَّسائي وأبي داودَ وابنِ ماجةَ والامام أحمدَ بن حَنْبَلٍ والبزّاز وأبي يَعْلى وابنِ أبي شَيْبة .

ويَجبُ أنْ نُشيرَ هنا ثانيةً إلى صَلاحِ الدين خليل بن أيبكَ الصَفَديّ (ت ٧٦٤ هـ) صاحبِ كتاب « الوافي بالوَفَيات » أكبرِ كتبِ التَراجم قاطبةً .

من أبرزِ الخصائصِ الأدبيةِ العامّةِ في عصرِ المماليكِ البحريةِ وضوحُ الاتّجاهِ الدينيّ من الزُهْدِ والتصوّفُ والبديعيّاتِ (مدحِ الرسولِ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم) وكَثْرةِ الاستشهادِ بالقرآنِ الكريم وبالحديثِ الشريف . إلى جانبِ هذا كلّه كان ثمّتَ مظاهرُ من اللَهْو والمُجون والفِسْق والنَظْم في الخمر والحَشيشة . وكَثُرَتْ في النثر والشعر المُراسلاتُ الإخوانية والمُعارضات والمُناقضات والألغازُ والمُحاورات والإطنابُ في ألقاب المديح والإطالةُ في الرسائل والقصائدِ معَ بروزِ عُنْصُرِ الوصف بُروزاً شديداً . وكَثُرَتْ أيضاً السَرِقاتُ الشعريةُ خاصّةً والاستهتارُ بها . وأمّا من الناحية اللَفْظية فإنّ الاسلوبَ قد ضَعُفَ كثيراً ورَكّ التركيبُ في بعضِ الأحيانِ ودَخَلَ فيه ألفاظٌ وتعابيرُ قريبةٌ من العاميّة ، وتَبِـعَ ذلك تَكَلّفُ أوجهِ البلاغةِ

مـمّا كان يَحْسُنُ أحياناً ، وكان أكثرَ ما تعاطاه الأدباءُ في ذلك نثراً ونظماً وجوهُ التَوْرِيَةِ .

— الترسّل

في أيامِ المماليكِ تعدّدتْ دواوينُ الدولةِ (الدوائر الرسمية) فتعدّدتْ من أجلِ ذلك أنواعُ الرسائلِ الديوانية (الرسمية) فكانت هذه الرسائلُ صورةً للحياةِ الرسميّة. فمن تلك الرسائلِ الرسائلُ المُلوكيّةُ وهي المُكاتبات التي كانت تصدُرُ عن السلطان إلى الملوك والأمراءِ في القضايا الدَوْلية العامّة (في دولة المماليك) أو في العلاقات الخارجيةِ (بين سلاطينِ المماليكِ والملوكِ الأجانب) . ومنها التقاليدُ وهي الرسائلُ التي تُرْسَلُ إلى نَفَرٍ من كِبارِ رجالِ الدولة عند تَعْيينِهم في مَنْصِبٍ مِن المناصب الرفيعة . ومنها أيضاً البِشاراتُ وهي رسائلُ تُوَجّهُ إلى وُلاةِ الأقطار لِتُقْرَأ على الناس (أو لِيُبَلّغَ فَحْواها الى الناس)، وهي تدور على ذَهابِ السُلطان الى الحرب ورُجوعه منها وعلى تَنَقّله في البلاد وعلى إنعامِه على الأفرادِ والجماعات بمناصبَ أو أموالٍ وعلى إعلانِ العُقوبة على عاصينَ أو تهديدِهم بعِقابٍ مُقْبِلٍ .

وهنالك الرسائلُ الإخوانيةُ التي اتّسع نِطاقُها والتي تدورُ بين الإخوان (الأصدقاء والأدباء) في أغراضٍ مختلفةٍ من الشُكْرِ على معروفٍ أو التَهْنِئَةِ بعيدٍ أو بمولودٍ أو عند تبادُلِ الآراءِ الأدبيةِ والاجتماعية . وكثيراً مّا كان المتراسلونَ يَطْوُونَ رسائِلَهم هذهِ على شيءٍ من النَقْدِ الاجتماعي والنقد السياسيّ خاصةً تلميحاً وتصريحاً.

وغَلَبَ الترسّلُ (بخصائصه الأنيقةِ وتكلّفِ الصناعة فيه) على مُعْظَمِ أنواعِ النثر في مُقدّمات الكُتُبِ ومُتونها ، وخصوصاً في الدراسات الأدبية ، حتّى أنّ مُؤرّخَ الأدبِ كان يكتُبُ في الأديبِ بِضْعةَ صَفَحاتٍ ليس فيها إلاّ عباراتٌ مُنَمّقةٌ لا يستطيعُ الدارسُ أن يَسْتَنْتِجَ منها شيئاً من أحداثِ حياةِ ذلك الأديبِ ولا من خصائصه الأدبية المميّزةِ . وقد أكثرَ الأدباءُ من أوصافِ الطبيعةِ (كوصفِ الأنهار والأزهار وغيرِها) لأنّ هذه الأوصافَ تتّسعُ للخَيالِ وللبَراعة في التعبير الأنيق .

واتّسعتْ في هذا العصر المَفاخراتُ وهي مُناظراتٌ أو موازنات قائمةٌ على الحُوار بَيْنَ أمرينِ يُحاولُ كلّ أمرٍ أن يُفَضّلَ نفسَه على نَظيرِه أو مُفاخِرِه ؛ ومِنْ أشهرِ هذه المفاخرات : مفاخرةُ السيف والقلم ، مفاخرة الورد والنرجِسِ .

وموضوع المُفاخرات قديمٌ فلقد رأينا منه شيئاً عند الجاحظ (ت ٢٥٥ ﻫ) في

وَصْفِ الكتاب وفي المُوازنة بين الربيع والخريف وفي الموازنة بين الديك والكَلْب (في كتاب الحيوان). غيرَ أنّ هذا الموضوعَ قد أصبحَ في هذا العصرِ فَنّاً مُتَميِّزاً إذِ اتّسعَ نِطاقُه وكَثُرَتْ أغراضُه وشاعَ عند الأدباء.

واتّسعَ في عَصْرِ المماليك تقاريظُ الكتبِ. هذه التقاريظُ كان يكتبُها نَفَرٌ من الأدباء لأصدقائهم المؤلّفين ويَطْوُونَها على «مَدْحٍ مُطْلَقٍ» في الكتابِ المُقَرَّظ وصاحبه بأسلوبٍ أنيقٍ وتكلّفٍ بلاغيّ من البديع والتَوْرِيَةِ خاصّةً. وقلّ ما كان لهذه التقاريظِ صِلةٌ بقيمةِ الكتابِ أو بمادّته.

وكذلك كَثُرَتِ الألغازُ. واللُغْزُ رَمْزٌ عن شيءٍ يُنْتَظَرُ من القارىء أن يَعْرِفَه من الوَصْفِ الذي يَسوقُه الكاتبُ. ومَعَ أنّ وَضْعَ الألغازِ الأدبيةِ يحتاجُ الى بَراعةٍ ومقدرة فإنّه ليسَ من الجانبِ الجِدّيّ في الأدب.

ولمّا قلّ الابتكارُ في الأدبِ في عَصْرِ المماليك كَثُرَ وَضْعُ الشُروحِ على الكُتُبِ والمَقالات والقصائدِ، فعندَنا مثلاً: قَصيدةُ البُرْدة (بانتْ سُعادُ فقَلْبي اليومَ مَتْبولُ) لكَعْبِ بنِ زُهيرٍ شَرَحَها جمالُ الدين بنُ هشامٍ المِصْريُّ — لاميّةُ العَجَم (أصالةُ الرأيِ صانَتْني على الخَطَلِ) للطُغْرائي شَرَحها الصَلاح الصَفَدي في كتابه «الغَيْث الذي انْسَجَم في شرح لاميّة العجم» — البُرْأةُ ويُقال: البُرْدَةُ (أمِنْ تَذَكّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ) للبُوصيري شَرَحَها كثيرون. ولابنِ زَيْدونٍ الاندلسيّ رسالةٌ جِدّيةٌ ورسالة هزلية شَرَحَ الأولى منهما الصلاحُ الصَفَدي وشَرَحَ الثانيةَ ابنُ نُباتَةَ المِصْري.

ونشأ في هذا العصرِ نوعٌ من الأدب التمثيليّ الهَزْليّ الشَعَبي، كما نرى عند مُحمّدِ بنِ دانيالَ (ت ٧١٠ هـ). ومَعَ أن كُتّابَ المَقاماتِ قد كَثُروا فانّه لم يكن في تاريخ الأدب كلّه من داني الحريريَّ (ت ٥١٦ هـ) في براعة الصِناعة ولا من داني بديعَ الزمانِ (ت ٣٩٨ هـ) في ابتكارِ المَوْضوعات في هذا الفنّ.

وضَعُفَتِ الخَطابةُ فلم يَكُنْ في هذا العصرِ براعةٌ ظاهرةٌ ولا قُدْرة على الارتجال والابتكار، بل غَلَبَ على الخُطباءِ تقليدُ السابقين لهم حتّى جرَتِ العادة بأن يُلقِيَ الخطباءُ في المساجدِ (في أيامِ الجُمَعِ والأعياد) خُطَباً من إنشاء غيرِهم. وقد كانت الخُطَب دينيةً بَحْتاً تكثُرُ فيها الألفاظُ المكرورةُ والتعابيرُ المُعادة وتزدحم بالاستشهادِ من القُرآن الكريم ومن الحديث، ثمّ قلّ أن يطرُقَ الخطيبُ موضوعاً سياسيّاً خاصّاً أو اجتماعيّاً عامّاً. وفيما يلي نَموذجانِ لِسياقِ الخُطَبِ عُموماً:

أولاً ــ خطبَ الخليفةُ الحاكمُ بأمرِ الله العبّاسي (ت ٧٠١ هـ) في مصر ، وهو غيرُ الحاكمِ بأمرِ الله الفاطميّ طبعاً ، فقال :

« الحمدُ للهِ الذي أقامَ لبني العباس رُكْناً وظَهيراً ، وجَعَلَ لهم من لَدُنْهُ سُلطاناً نصيراً . أحْمَدُهُ على السَرّاء والضرّاء ، وأسْتَعِينُه على شُكْرِ ما أسْبَغَ من النَعْماء ، وأسْتَنْصِرُه على الأعداء . وأشهَدُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وصَحْبهِ نجومِ الاهتداء وأئمّةِ الاقتداء الأربعة الخلفاء ، وعلى العبّاس عمّه وكاشفِ غَمّه ، وعلى السادة الخُلَفاءِ الراشدينَ والأئمّةِ المَهْدِيّينَ وعلى بَقِيّةِ الصَحابة والتابعين لَهُمْ بإحسانٍ الى يومِ الدينِ .

أيّها الناسُ ، اعلموا أن الإمامةَ فرضٌ من فُروضِ الإسلام ، والجهادَ محتومٌ على جميعِ الأنام ، ولايقومُ عَلَمُ الجِهاد إلاّ باجتماعِ كَلِمة العِباد... فشَمّروا(عن) ساقِ الاجتهاد في إحياء فَرْضِ الجِهاد ، « واتّقوا اللهَ ما استَطَعْتُم ، واسْمَعوا وأطِيعوا ، وأنْفِقوا خيْراً لأنفُسِكم » . « ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هُمُ المُفْلِحون » .... فبادِروا ، عبادَ الله ، الى شُكْرِ النِعْمة ، وأخْلِصوا نِيّاتِكم تَظْفَروا .... جَمَعَ اللهُ على التقوى أمْرَكُمْ وأعزَّ بالإسلامِ نَصْرَكُم . وأسْتَغْفِرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولِسائرِ المُسلمين . فاسْتَغْفِروه إنّه هُوَ الغفورُ الرحيم .

ثانياً ــ لمّا عُيّنَ تَقيّ الدينِ أبو الفتح محمّدُ بنُ عبدِ اللطيف السُبكيّ (ت ٧٤٤ هـ) مُدَرّساً بالمدرسة الرُكْنِيّة في مِصْرَ افْتَتَحَ دُروسَه بخُطْبَة (مُقَدّمة) قالَ فيها :

الحمدُ للهِ ناصرِ المَلِكِ الناصرِ للدينِ الحَنيفيّ ، ومُمْضِي عَزائِمِهُ ومُشَيّدِ أركانِه بالقائمِ بالشَرْعِ المُحَمّديّ .... وأشْهَدُ أنْ لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً رسولُ الله ...

أمّا بعدُ ، فإنّ غريبَ الدارِ ــ ولو ناطَ الثريّا(١) ــ فيَكْفي أن يُقال له : غريب ؛ وبعيدَ المَزارِ ــ ولو تَهَيّأ له ما تَهَيّأ ــ فما له في الراحة من نصيب ...

---

(١) ناط : علق . يقصد السبكي : لو تعلق بالثريا ، لو طالت يده الثريا (لو بلغ مبلغاً عظيماً من العلم) .

القصص وخيال الظل

اتسع فن القصص في عصر المماليك بعوامل منها اتساع الحروب الصليبية وغزوة التتر ، فان الشعوب في مثل هذه الحال تحتاج الى شحذ هممها للجهاد في سبيل البقاء الى جانب أن الحروب نفسها مناسبات صالحة لنشوء قصص البطولة ولرواية أخبار المغامرات . وتبدى هذا القصص في هذا العصر في المقامات وفي الحكايات وفي التمثيل البدائي المتبدي في خيال الظل[1] .

أما منشئو المقامات فكان منهم الشاب الظريف (ت ٦٨٨ هـ) وعمر بن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) وصفي الدين الحلي (ت ٧٥٠ هـ) والصلاح الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، ومقاماتهم تقليد ظاهر للحريري (ت ٥١٦ هـ) مع تأخر عن رتبته في البراعة من حيث الموضوعات ومن حيث الأسلوب .

وفي أصحاب التراجم القصصية نجد ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ) صاحب « الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية » ، وهي تقص تاريخ مصر في زمن السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون (ت ٦٩٣ هـ) ، ثم جمال الدين بن واصل (ت ٦٩٧هـ) صاحب كتاب « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب».

وأما فن القصص على الحصر فتبدى في تطور « التمثيل الهزلي » . وكان أبرز أعلام هذا الفن ابن دانيال الموصلي (ت ٧١٠ هـ) الذي وضع عدداً من القصص التي تصلح للتمثيل وجعل ثلاثاً منها في كتاب عنوانه « طيف الخيال » . وفي هذه القصص التمثيلية عناصر كثيرة بارعة لتسلية جمهور الناس عامتهم وخاصتهم . ووضع صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ) رسالة أشبه بالمقامات عنوانها « رسالة الدار في محاورات الفار » فيها عناصر تمثيلية (راجع ترجمة صفي الدين الحلي — ت ٧٥٠هـ).

— الشعر :

الشعر من عصر المماليك كثير جداً ، مع أن جانباً كبيراً منه يجب أن يكون قد ضاع . وإذا كان النثر قد سلك المسلك المألوف ، مع شيء من الضعف ، فان الشعراء قد ولدوا عدداً من المعاني (أو من الاستعارات والتشابيه) من أشعار

---

(١) خيال الظل : تنصب ستارة ويوقد خلفها (على بعد معين) مصباح ثم يقف بين المصباح والستارة شخصان يقومان بحركات مضحكة (ويكون جانب القاعة الذي يجلس فيه النظارة مظلماً) فيظهر خيال الشخصين وما يقومان به أشباحاً تتحرك على الستارة .

القُدماء من غيرِ أن يَخرُجَ ذلك بهم الى ابتكارٍ. من ذلك مثلاً قولُ ابنِ مكانسَ (ت ٧٩٤ هـ) : يَصِفُ شجرةً إلى جانبِ نهرِ النيل مائلةٍ نحوَ شاطئه :

مالتْ على النهر إذ جاشَ الحَريرُ بــه   كأنّهـا أُذُنٌ مالتْ لإصغـاءِ .

وكانتْ أقوالُ الشعراءِ في الخمر تقليداً للعبّاسيّين ولأبي نُواسٍ خاصّةً . ولكنّ الشعراءَ الذين أدركوا عصرَ المماليكِ البحريةِ أو عاشوا في إبّانِ ذلك العصر نَظَموا في الحَشيشة أيضاً : يُفَضّلون هذه على تلك مرّةً ثمّ يُفَضّلون تلك على هذه مرّةً أُخرى . ولمّا مَنَعَ الملكُ الظاهرُ بَيْبَرْسُ الخَمْرَ والحشيشةَ أخَذَ نَفَرٌ من الشعراء يتفكّهون في التَنَدّرِ على هذا المَنْعِ ، فقد قال ناصرُ الدين بنُ النقيب (٦٨٧ هـ) :

مَنَعَ الظاهرُ الحَشيشَ مَعَ الخَمْـ   ـرِ فولّى إبليسُ من مِصْرَ يَسْعى .
قال : ما لي وللمُقـامِ بـأرضٍ   لـم أُمَتّعْ فيها بماءٍ ومَرْعى[1] !

وكَثُرَتِ الفُكاهةُ في الشعر ، في هذا العصر ، كَثْرةً ظاهرةً ، كما نرى في شِعرِ أبي الحُسين الجزّار (ت ٦٧٩ هـ) وشِعرِ سِراجِ الدين الورّاق (ت ٦٩٥ هـ) .

واتّسعَ النظمُ في الألغاز اتّساعاً كبيراً . والألغازُ في الأصلِ بابٌ من أبوابِ الصِناعة المَعنَويّة (الاستعارة) والصِناعة اللفظيّة (التورية) مَعَ شيءٍ من التَعْمِيَةِ في سِياقةِ المعنى . قال ابنُ عبدِ الظاهرِ (ت ٦٩٢ هـ) مُلْغِزاً في كُوزٍ (إناءٍ صغيرٍ له أذُن – أي عُرْوة – يُغْرَفُ به الماءُ) :

وذي أُذُنٍ بـلا سَمْـعٍ   لــه قلبٌ بـلا قلـبِ .
إذا استَوْلى عـلى حـبٍّ   فقُـلْ ما شِئْتَ في الصَبّ .

(عروة الكوز تسمّى ، في اللغة العاميّة ، اذناً ، واذن الكوز لا تسمع . والكوز واسعٌ ولكنّه فارغٌ ، فقَلْبُ الكوز أي وَسَطه لا قلبَ فيه ، أي لا عضوَ فيه كعُضْوِ الإنسان المُسمّى قلباً . والحُبّ بضمّ الحاء : المحَبّة والجَرّة العظيمة. ثمّ الصَبّ هو المُحِبّ. والصّب هو مَصْدَر بمعنى دَفْقِ الماء) .

وأكْثَرَ شعراءُ هذا العصرِ من نَظْمِ المُوشّحاتِ ولكن بلا إجادةٍ ، كما أن الناثرينَ قد أكْثَروا من وَضْعِ المَقامات بلا براعة .

---

(١) الماء كناية عن الخمر (السائلة) والمرعى كناية عن «الحشيش» . وفي كلمة «الحشيش» تورية بين الحشيش الذي يتعاطاه الناس سكراً وبين الحشيش الذي تأكله البهائم .

وقد أطالَ الشعراءُ القصائدَ فكَثُرَتْ لهم القصائدُ التي تزيدُ على مائةِ بيتٍ كما نرى في البَديعيّات عادةً (كالبُرأة أو البُردة للبوصيري) وكعددٍ من قصائدِ صفيِّ الدين الحِليّ خاصّةً وكالمنظومات التي تُسْرَدُ فيها فروعُ العلوم كالنحو والفقه. والى جانبِ هذه المُطوَّلات نَجِد المُقَطّعات الوافرةَ التي كانتْ تُنْظَمُ ارتجالاً وتدورُ في الأكْثَرِ على النُكَتِ البَلاغيّة والتَوْرِيةِ على الأخصّ، وهُوَ كثيرٌ عند شعراءِ هذا الدَوْر.

بعد سُقوطِ بَغدادَ ومجيءِ المَماليكِ الى الحكم انحدرَ الشِعرُ عن مكانتِه السياسية بعواملَ كثيرةٍ منها:

أ) أنّ سقوطَ بَغدادَ وانقراضَ الخِلافة العبّاسية غَطّيَا على الزَهْوِ السياسي الذي كان الإسلامُ يَتَمتّع به في مَدى سِتّةِ قُرونٍ ونِصفِ قَرْنٍ.

ب) أنّ الاجتياحَ التتريَّ ومَجيءَ المماليك قد أخْلَيَا العالَمَ الإسلاميَّ في المشرق من كلّ أثرٍ للحُكْم العربيّ.

ج) أنّ قِيامَ الخاناتِ (الإمارات) التتريّة في مَشْرقِ العالم الإسلامي ثم قيامَ المماليك في وَسَطِ العالم الإسلاميّ قد جاءا بإمارات عسكريةٍ وغيرِ عربية لا تَفْهَمُ الشعرَ العربيَ ثمّ لا تَهتّمّ به إذا هي فَهِمَتْه. وإذا لم يَجِدْ شعراءُ المديحِ أيْدياً تدفَعُ المالَ على المديحِ بسخاءٍ، فانّ ألْسِنَتَهُمْ لا تتحرّكُ بشيءٍ من الشعر، فضلاً عن أن يكونَ ذلك الشِعْرُ جيّداً.

هذه العواملُ قد خَلَقَتْ في الشعراءِ حالةً نفسيةً (إذا كان مدحُهُم في بعضِ الأحيان إعجاباً، كما كُنّا قد رأينا عند زهيرِ بنِ أبي سُلْمى وأبي تمّام والمتنبّي) ويأساً اقتصادياً (إذا كان مدحُهُمْ للتكسّبِ فحَسْبُ، كما كان شأنُ النابغةِ والأخطلِ والبُحْتريّ) فانصرفَ جميعُ الشعراء عن مُعاناة الشِعرِ الرسمي إلى التعبير عن رَغَباتِ نفوسِهم من الغَزَلِ والوصْفِ والأدب يَتّكِئونَ في أثناء ذلك كلّه على التلاعبِ بالألفاظِ وعلى تَكْرارِ التَراكيبِ المختلفةِ للتعبيرِ عن المعنى الواحدِ أو الشعورِ الواحدِ بِصُوَرٍ شعريةٍ مختلفة. ولعلّ التوريةَ كانتْ أبرزَ ما مالَ إليه شعراءُ هذا العصر. يقول يوسفُ بنُ لؤلؤ الذهبي(1) مُوازناً بينَ حُبّهِ وحُزْنهِ

(1) هو بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي الدمشقي، ولد قبيل سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م)، فكان من كبار شعراء وقته ومن الأدباء الظراف. وقد أغرم بالصناعة وبالتورية خاصة. ومعظم شعره المقطعات في وصف =

وبُكائه وبينَ ما يُنْسَبُ الى الحَمامةِ من مثلِ ذلك :

أنّى تُباريني جَوىً وصَبابةً وكآبةً وأسىً وفَيْضَ مآقِ[1]

وأنا الذي أمْلي الجَوى من خاطِري وَهْيَ التي تُملي من الأوراق !

والتوريةُ هنا في « الأوراق » تُمْلي من الأوراق (من وَرَقةٍ مكتوبةٍ – في مقابل « من خاطري ») ، وتملي من الاوراق (وهي موجودة بين أوراق الشجر) .

وليوسفَ بن لؤلؤٍ أيضاً :

هَلُمَّ ، يا صاحِ ، الى رَوْضةٍ يَجْلو بها العاني صَدا هَمّه[2] ؛

نسيمُها يعثُرُ في ذَيْلِه ، وزهرها يضحَكُ في كُمّه[3] .

« زهرها يضحك في كمّه » : بدأ يتفتّحُ وَهُوَ لا يزالُ في غِلافه الأخضر ؛ و « ضَحِكَ الرجلُ في كُمّه » (والعامّة يقولون : ضَحِك بِعُبّه) – أي : جاءه مغنمٌ لم يَحْسُبْ له حسابا ، نال أكثرَ من حقّه . ومن قولِ يوسف بن لؤلؤ :

واكْتُمْ أحاديثَ الهَوى بَيْنَنا ففي خِلالِ الرَّوْض نَمّامُ !

والنمّام : الذي ينقُلُ الحديثَ إلى من لا يجوزُ نقلُ الحديثِ إليْهم ؛ ثمّ إنّ النمّامَ نوعٌ من الأزهار .

وله البيتانِ الجَميلانِ (تأمّلِ التوريةَ في كلمة « مَرَّ ») :

يا عاذلي فيه ، قُلْ لي : عَنْ حُبّهِ كيف أسْلو ؟[4]

يَمُرّ بي كلّ حينٍ ؛ وكلّما مرَّ يَحْلو ![5]

= الطبيعة والغزل. وكانت وفاته في شعبان من سنة ٦٨٠ (أواخر ١٢٨١ م). راجع شذرات الذهب ٥ : ٣٦٩ ، الاعلام للزركلي ٩ : ٣٢٥ .

(١) تباريني : تنافسني . الجوى : ألم الحب . الصبابة : الميل والشوق والحب . الكآبة والاسى : الحزن . فيض المآقي : البكاء . المأق والمؤق (طرف العين) .

(٢) العاني : الاسير (المحب ، أسير الحب) . الصدا = الصدأ : طبقة تنشأ من اتحاد الاوكسجين بذرات الماء على سطح عدد من المعادن فيتفتت بها سطح تلك المعادن . صدأ النفس بالهم : قلة الانشراح ، زوال الفرح .

(٣) في قوله : « نسيمها يعثر (بكسر الثاء او ضمها) في ذيله » تورية : الأغصان في تلك الروضة طويلة ومكسوة بالأوراق . فالمفهوم : صفة مدح لكثرة اخضرار أغصان تلك الروضة ، ثم تعثر الأغصان في تلك الروضة بالاوراق التي تحملها (كما تتعثر الفتاة أحياناً بالثوب الطويل الذي تلبسه) ، فتتحرك هذه الأغصان حركات مختلفة على غير نسق منظور . (٤) العاذل : اللائم . أسلو : أنسى ، أصبر (عن لقاء المحبوب) .

(٥) مر من المرور : سار على مقربة مني . ومر من المرارة (ضد الحلاوة) . وفي الكلمة تورية .

وبَلَغَتِ البديعياتُ (القصائدُ المَقُولَةُ في مَديح محمّدٍ رسولِ الله) ذِروةَ البَراعةِ في شِعر البُوصيري (ت ٦٩٥ ﻫ) .

ولم يَبْتَعِدِ النثرُ في خصائصهِ العامّةِ ، في هذا العصر ، حتّى في التآليفِ التاريخية ، عنِ الشعرِ بعداً كبيراً ، كما نَرى عندَ ابنِ خلّكانَ (ت ٦٨١ ﻫ) وعندَ ابنِ عبدِ الظاهرِ (ت ٦٩٢ ﻫ) .

وأمّا النقدُ فكانَ مِعْيارَه في هذا العصرِ « ما كان في القِطْعة المَنْقودة ، نثراً كانتْ أو شعراً ، من أوجهِ البلاغة اللفظيّة خاصّةً » . وكلّما كَثُرَ الغُلُوُّ في الجِناس والطِباق وفي التورية خاصّةً في قطعةٍ من القِطعِ كانتْ تلك القطعةُ عندَ نُقّادِ ذلك العصرِ أعلى رُتْبَةً ، ذلك لأنّ طريقةَ القاضي الفاضلِ (ت ٥٩٦ ﻫ) كانتْ غالبةً على جميعِ أدباءِ ذلك العصرِ كثيراً أو قليلاً .

الملمّع (الشعر الملمّع)

المُلَمَّعاتُ مقاطعُ من الشعر الفارسيّ (أو التركيّ ، أو الأُرديّ[1] .....) يَرِدُ فيها شَطرٌ أو بيتٌ أو أكثرُ من الشعر العربيّ على نظامٍ مخصوص .

يكونُ البيتُ من الشعر الفارسيّ مثلاً كلُّه فارسيّاً ، كقولِ الفِرْدوسي (ت بُعيد ٤١١ ﻫ = ١٠٢٠ م) :

زهر كونه أز مرغ وأز چارپـــاي خرد كرد ويك يك بياور بجاي[2]

غيرَ أنّ لغاتِ الشعوبِ الإسلامية من غيرِ العربِ قد تأثّرتْ كلُّها باللغةِ العربية كثيراً أو قليلاً ، وخصوصاً بالمفردات . فالشاعرُ أبو الحسن علي فَرُّخي (ت ٤٢٩ ﻫ = ١٠٣٧ م) يقول :

---

(١) الاوردو أو اللغة الأوردية يتكلمها الكثرة من المسلمين في شبه القارة الهندية (في باكستان والهند) . وقد نشأت هذه اللغة في بلاط السلاطين المغول (المغل) الذين أصبحوا أباطرة لما امتد سلطانهم على فارس والافغان والهند الى حدودها الشرقية . وترجع نشأة اللغة الأردية (من أردو بمعنى « جيش » : اللغة التي تكلمها الجنود أولاً لما فتحوا الهند) الى القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) . ان التركيب في الأردية فارسي ، أما الكلمات فمزيج من التركية والفارسية والعربية والهندية .

(٢) المعنى : من كل صنف من (لحوم) الطير ومن (لحوم) ذوات الأربع (الانعام : الغنم) كان يصنع أطعمة ثم يجيء بها الى المائدة صنفاً صنفاً . الكاف في « كونه » فارسية قاسية (جيم قاهرية) ، والجيم والباء في « جارباي » فارسيتان (بثلاث نقط تحتهما) .

عَاشِقَان بوس وكنار ونيكوان ناز وعِتَابْ
مُطْرِبَان رود وسرود خفتكان خابَ وُخمَار[1] .

فالكلماتُ « عاشق ــ عتاب ــ مطرب ــ خمار » عربيةٌ . وربّما كَثُرَتِ الكلماتُ العربيةُ في الشعر الفارسيّ مثلاً كَثْرَةً كبيرةً كما جاء في أبياتٍ من قصيدةٍ للشاعر أفضلِ الدين ابراهيمَ بنِ عليّ الشيرِوانيّ الذي اتّخذَ لَقَبَ « خاقاني » وشُهِرَ به . وكانت وفاتُه في تبريز سنة ٥٨٢هـ (١١٨٥ م) . قال خاقاني[2] :

آن جاحِظ وَقْتْ را بدى خــواه وآن جَاحِد دِين أبــادَهُ الله .
آن مُشْرِك واين معَطّــلِ أز دل هم مُشْرِكْ بهتر أز مُعَطّــل !

غير أنّ هذا كلَّه ليسَ شعراً مُلَمَّعاً . أمّا إذا جاءتِ المقطوعةُ الفارسية مثلا وفيها بيتٌ أو بيتانِ أو أكثرُ، أو إذا جاءتْ مُشَطَّرَةً بعضُ شُطورِها عربيٌّ، على نظامٍ مخصوصٍ ، فانّها تكونُ حينئذٍ مُلَمَّعَةً ، كقولِ جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢ هـ)[3] :

راحٌ بفيها ، والروحُ فيهــا ؛ كي أشْتَهيها ، قُــم فاسْقِنِيها .
اين راز يارست ، اين ناز يارست ؛ أواز يارست ، قُم فاسْقِنِيها[4] !

أبو شامةَ

هو شِهابُ الدين أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ اسماعيلَ بنِ ابراهيمَ بنِ عُثمانَ المَقْدِسيُّ الأصلِ الدِمَشْقيُّ الدارِ المعروفُ بأبي شامةَ لشامةٍ كبيرةٍ كانت فوقَ حاجبِهِ الأيسر .

---

(١) تاريخ الأدب في ايران ، تأليف براون (نقله الى العربية ابراهيم أمين الشواربي) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م ، ص ١٤٧ ــ ومعناه : « والعشاق في تقبيل ومعانقة ، والحسان في دلال وعتاب ؛ والمطربون دائبون في العزف والغناء ، والنشاوي غارقون في غفلة الانتشاء » (ص ١٤٩) .

(٢) تاريخ الأدب في ايران ... ص ٤٩٨ . ــ هذا (الذي) يريد أن يكون جاحظ زمانه ، وهذا الجاحد للدين أباده (أهلكه) الله ... وهذا (هو) المشرك المعطل (الذي يهمل العمل بأمور الدين) في قرارة نفسه . والمشرك خير من المعطل .

(٣) جلال الدين الرومي في حياته وشعره لمحمد عبد السلام كفافي ، بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٧١ م ، ص ٤٧٤ (رجع ٤٧٥).

(٤) ذاك سر حبيبي ، ذاك دل حبيبي ، انه صوت حبيبي ....

وُلِدَ أبو شامةَ في دِمَشْقَ في ٢٣ من ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٥٩٩ هـ (١٠/١/١٢٠٣ م)؛ وقرأ القرآنَ الكريمَ بالقراءاتِ كلِّها، سَنَةَ ٦١٦ هـ، على علَمِ الدينِ السَخاويِّ (ت ٦٤٣ هـ). وفي سَنَةِ ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) ذَهَبَ الى الحجِّ.

وفي سَنَةِ ٦٢٤ هـ ذهبَ أبو شامةَ الى القُدْسِ للدراسة. ثم انتقلَ سَنَةَ ٦٢٨ هـ الى مصر وسَمِعَ الحديثَ في الاسكندريةِ من أبي القاسمِ عيسى بنِ عبدِ العزيز. ثمّ أخذَ عن عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ وغيرِه. ولمّا رَجَعَ الى دِمَشْقَ عُيِّنَ للتدريس في المدرسة الرُكْنيّة.

وفي سَنَةِ ٦٣٩ هـ (١٢٤١ م) تجدّدتْ لأبي شامةَ عِنايةٌ بالحديثِ فقرأ على نفسه[1]. وفي سَنَةِ ٦٦٢ هـ تولّى مَشْيَخَةَ دارِ الحديثِ في المدرسةِ الأشرفية؛ كما كان يتولّى مَشْيَخَةَ القُرّاء بالتُرْبة الأشرفية. وكان له اشتغالٌ بالفُتْيا.

وشابَ أبو شامةَ باكراً، في الخامسةِ والعشرينَ من عُمُرِه. وكانتْ وفاتُه في دِمَشْقَ، في ١٩ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٦٦٥ هـ (١٣/٦/١٢٦٨ م)، دَخَلَ عليه رَجُلانِ جَبَليّانِ وضرباه حتّى أتْلفاه، قيل لوَلَعِهِ بهجاء الناسِ.

كان أبو شامةَ بارعاً في قِراءةِ القُرآنِ الكريم وإقرائه عالماً بالحديثِ والفِقْهِ ثِقَةً، كما كان عالماً بالنحوِ ومؤرّخاً مَشهوراً معدوداً. من كُتُبِهِ: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (وهو من أحسن المصادر لتاريخ الحروب الصليبية) — ذيل كتاب الروضتين (تتمة لكتاب الروضتين) — المُمْتع المقتضَب في سيرة خير العجم والعرب — مختصر تاريخ دمشق (لابن عساكر) — الضوء الساري الى معرفة رؤية الباري — المرشد الوجيز الى علومٍ تتعلّق بالكتاب العزيز — كتاب البسملة — مفردات القرّاء — الباعث على إنكار البِدَع والحوادث — مختصر كتاب المؤمَّل في الردّ الى الأمر الأوّل (نقد نشوء المذاهب والتقليد للبشر) — إبراز المعاني في شرح حِرز الأماني (شرح الشاطبية) — السِواك وما أشبهَ ذاك — المقاصد (المنائح) السنية في شرح القصيدة النبوية للشقراطيسيّ — شرح سبعِ قصائدَ (بديعيّات) للسخاوي (ت ٦٤٣ هـ) — شرح البردة (للبوصيري) — مقدّمة في النحو — نظم المفصّل (للزمخشري). (بغية الوعاة ٢٩٧) — شرح المفصل (للزمخشري) (شذرات الذهب ٥ : ٣١٨).

---

(١) كتب أبو شامة ترجمة لنفسه في «ذيل الروضتين» في أخبار سنة ٥٩٩ (ص ٣٧ – ٤٥).

ونثر أبي شامة عاديّ جداً، وهو يحاول أن يتأنّق أحياناً (في مقدّمات كتبه)؛ وله شعر من أشعار العلماء والفقهاء قليل الرونق. فمن أحسن شعره الذي ذكره لنفسه قوله:

لدمشق — سقى الاله رُباها وحماها — ذكرى أولي الألباب.
وعجيبٌ: أشجارُها حين تبدو مُزْهراتٍ تَشيبُ قبلَ الشباب!

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» المعروف بالذيل على كتاب «الروضتين»:

أمّا بعدُ فإنّ في مطالعة كُتُبِ التواريخ مُعْتَبَراً، وفي ذِكْرِها عن الغرور مُزْدَجَراً[١] — لا سيّما إذا ذُكِرَ بعضُ مَنْ مات في كلّ عامٍ من المعارف والإخوان[٢] والأقاربِ والجيران وذَوِي الثروةِ والسُلْطان — فانّ ذلك ممّا يُزَهِّدُ ذَوِي البصائرِ في الدنيا ويُرَغِّبُهُمْ في العمل للحياة العُليا[٣] .....

وكان قد سهّل اللهُ تعالى عَلَيَّ وحبّب إليّ أن جَمَعْتُ في كتاب «الروضتين» كثيراً من الحوادثِ الواقعةِ في زَمَنِ الدولتينِ النوريّةِ والصلاحية[٤] — سقى اللهُ عَهْدَهُما وأصلح ما بعدَهما — وانتهى ذلك إلى السَنَةِ التي تُوُفِّيَ فيها صلاحُ الدين رَحِمَهُ اللهُ، وَهِيَ سَنَةُ تِسعٍ وثمانينَ وخَمْسِمائَةٍ، وذَكَرْتُ تَبَعاً لذلك أشياءَ مُفرّقةً فيما يتعلّقُ بأحوالِ أولادِهِ و (أحوال) مَنْ يتعلّق بهم.

ثمّ خَطَرَ لي أن أجمعَ كِتاباً يتضمّنُ كثيراً من الحوادث بعدَ ذلك إلى آخرِ ما تُدْرِكُهُ حياتي — خَتَمَها اللهُ بالعمل الصالح والفعل الرابح — . وكان في ما حَمَلَني على ذلك كَثْرَةُ مَوْتِ المعارفِ فأرَدتُ إثباتَهم لَعَلّي بمُطالَعَتِهم أجِدُ قلباً على الآخرةِ يُساعِفُ..... فاسْتَخَرْتُ اللهَ وابتدأتُ من سَنَةِ تسعينَ التي تَتْلو وفاةَ صلاحِ الدين، فذَكَرتُ فيها وفي ما بعدَها ما فاتَني ذِكْرُهُ في كتابِ الروضتين سَنَةً بعدَ سَنَةٍ .....

---

(١) مزدجر : ما يزجر (ينهي) عن أمر ما.
(٢) المعارف (استعمال عامي) : الأشخاص الذين نعرفهم (بيننا وبينهم معرفة من صداقة أو صلة اجتماعية).
(٣) الحياة العليا (ضد الدنيا) : الآخرة (بعد الموت).
(٤) في أيام نور الدين محمود بن زنكي وأيام صلاح الدين الأيوبي.

٤ – كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (بتصحيح أبي السعود) ، مصر (مطبعة وادي النيل) ١٢٨٧–١٢٨٨هـ؛ مصر ١٢٩٢؛ (تحرير باربيه دى مينار)، باريس١٨٩٨ ، ١٩٠٦م[1]؛ (تحقيق محمّد حلمي محمّد أحمد) ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٦ م – .

ذيل الروضتين ، بيروت ١٩٠٨ م ؛ = تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين (عرّف الكتاب ... محمّد زاهد بن الحسن الكوثري – عني بنشره ... عزّت العطّار الحسيني – مكتب نشر الثقافة الاسلامية) (القاهرة) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

الباعث على انكار البدع والحوادث ، القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣١٠ هـ .

مختصر كتاب المؤمّل في الرد على الأمر الأوّل (مطبوع في « مجموعة رسائل » نشرها صبري الكرديّ) ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .

** طبقات الشافعية ٥ : ٦١ ؛ فوات الوفيات ١ : ٣٢٢ – ٣٢٣ ؛ بغية الوعاة ٢٩٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣١٨ – ٣١٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٦ – ٣٨٧ ، الملحق ٥٥٠ – ٥٥١ ؛ زيدان ٣ : ٦٩ – ٧٠ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٧٠؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٥٠؛ راجع ترجمته بنفسه في ذيل الروضتين (أخبار سنة ٥٩٩ هـ) ص ٣٧ – ٤٥ ؛ العبر ٥ : ٢٨٠ – ٢٨١ .

شرف الدين الرحـــبيّ

١ – هو شرفُ الدين أبو الحسنِ علي بنُ يوسُفَ بنِ حَيْدَرَةَ بنِ حَسَنٍ الرَّحْبِيّ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) .

اشتغلَ شرفُ الدين الرحبيُّ بصِناعة الطِبّ على أبيه وقرأ فُنوناً جَمّةً من العلم على عبدِ اللطيف البَغْداديّ (ت ٦٢٩ هـ) ، كما اشتغل بالأدب على عَلَمِ الدين السَخاوي وغيرِه . وقد خَدَمَ مُدّةً في البيمارستانِ الكبير الذي أنشأه الملكُ العادلُ نورُ الدين بنُ زَنكي . ثمّ إنّه أصبحَ مُدرِّسَ المدرسةِ التي وَقَفَها مُهَذّبُ الدين عبدُ الرحيم بنُ عليٍّ الدَخوار (ت٦٢٨ هـ) في دِمَشْقَ لتعليمِ صِناعة الطبّ .

وكانت وفاةُ شرفِ الدين الرحبيّ في دِمَشْقَ في حادي عَشَرَ المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٦٧ هـ (٢٠/ ٩/ ١٢٦٨ م) .

٢ – كان شرفُ الدين الرحبيّ طبيباً ، وكان مُلِمّاً بعددٍ من فنون المعرفة وذا فِطْرةٍ جيّدة في قول الشعر. ومَعَ أنّه، فيما يبدو ، شاعرٌ مُكْثِرٌ ، فإنّ على شعرهِ

(١) في معجم المطبوعات العربية (ص ٣١٧) : « وطبع منتخبات منه مع ترجمة فرنساوية باعتناء باربييه دى مينار في باريس ١٨٨٨ م » .

شيئاً من جفاف شعرِ العُلماء. ولشرفِ الدين الرحبي قصيدةٌ طويلةٌ مطلعها: « سِهامُ المنايا في الورى ليس تُمنَعُ »، مملوءةٌ بالحِكَم العاديّة منها:

فما العيشُ إلاّ مِثلَ لَمْحةِ بارقٍ، وما الموتُ إلاّ مثلَ ما العينُ تُهْجَعُ.
وما الناسُ إلاّ كالنبات: فيابِسٌ هَشِيمٌ، وغَضٌّ – إثْرَ ما بادَ – يطلُعُ.

ثمّ هو مصنّف له من الكتب: كتاب في خلق الانسان وهيئة أعضائه ومنفعتها – حواشٍ على كتاب القانون (في الطبّ) لابن سينا – حواش على شرح ابن أبي صادق لمسائل حنين (بن اسحاق).

٣ – مختارات من شعره

– قال شرفُ الدين الرحبيُّ في حال بني الدنيا:

يُساقُ بنو الدنيا الى الحَتْف عَنوةً، ولا يشعرُ الباقي بحالةِ من يَمْضي[١]:
كأنّهُمُ الأنعامُ في جَهْلِ بَعْضِهِمْ بما تَمّ – من سَفْكِ الدماء – على بَعْض!

– وقال في حالِ الإنسان بعدَ الموت:

ليس يُجْدي ذِكْرُ الفتى بعدَ موتٍ، فاطّرِحْ ما يقولُه السُفَهاءُ.
إنّما يُدْرِكُ التألّمَ واللذْذَةَ حيٌّ لا صَخْرةٌ صَمّاء!

– وقال في الشَيْب والخِضاب (صبغ الشعر):

سَتَرْتُ مَشيبي بالخِضاب لأنّني تَيَقّنْتُ أنّ الشيبَ بالموت مُنْذِرُ[٢]،
فوارَيْتُه كيلا تَرى منه مُقْلتي – صباحَ مساءَ – ما لِعَيْشِ يُكَدِّرُ[٣]:
فغَيْبَتُهُ ما يَشْنَى عن العين مُوجِبٌ تَناسِيَ ما منه يُخاف ويُحْذَرُ[٤]،
وإنْ كنتُ ذا علمٍ بأن ليس مُلْبِسي شَباباً، ولا ردَّ المَنيّةِ يَقْدِرُ[٥].

٤ – طبقات الاطبّاء ٢: ١٩٥ – ٢٠١؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٧٨ – ١٨٨.

---

(١) الحتف: الهلاك (الموت). عنوة: قدرة (بالقوة والغصب).
(٢) منذر: نذير (منبىء بأخبار السوء).
(٣) واريته: سترته، خبأته.
(٤) يشنى: يشنا = يشنأ (يعيب).
(٥) المنية: الموت.

ابن أبي أُصيبعـــة

١ – هو مُوَفَّقُ الدينِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ القاسمِ بنِ أبي أُصَيْبِعَة السَّعْديّ الخَزْرَجيّ، وُلِدَ في دِمَشْقَ بُعَيْدَ سَنَة ٥٩٠ ﻫ (١١٩٤ م) وفيها نشأ وقرأ شيئاً من الطِبّ على أبيه القاسمِ (ت ٦٤٦ﻫ) وكان كَحّالاً (يداوي العيون)، وعلى رَضِيّ الدينِ يوسفَ بنِ حَيْدرةَ الرَّحْبيّ (ت ٦٣١ ﻫ). وكذلك قرأ على القاضي رفيعِ الدين أبي حامدٍ عبدِ العزيز بن عبدِ الواحد الجيلي (ت ٦٤١ ﻫ)، وكان الجيلي من الأكابر المتميِّزين في العلوم الحِكْمية وأصولِ الدين والفِقْه والعلم الطبيعي والطِب (عيون الانباء ٢ : ١٧١). ولقد درسَ أيضاً فنوناً مِنْ علم التفسيرِ والحديث والأدب على نَفَرٍ من مشايخِ زَمانهِ. ثم انه تَمرّن في البيمارستان النُوريّ مُدّةً.

ويبدو أن ابنَ أبي أُصيبعةَ انتقلَ الى القاهرة للتوسّع في دِراسة الطِبّ، وكان مَعَهُ تِرْب له وصديقٌ هو ابنُ النفيسِ[1]، غيرَ أن ابنَ النفيسِ كان أذكى وابرعَ بلا ريبٍ فلقد اكتشف الدورةَ الصُغرى للدَمِ، بينما بَقِيَ ابنُ أبي أُصيبعةَ كَحّالاً في البيمارستان الناصريّ. ولم تَرُقِ الحياةُ لابنِ أبي أُصيبعةَ في القاهرة فعاد وَشيكاً الى دِمَشْقَ (٦٣٢ ﻫ) وعَمِلَ في البيمارستان الكبير. وفي شهر ربيعٍ الأوّلِ من سَنَة ٦٣٤ (١٢٣٦م) انتقلَ الى صَرْخَدَ (حورانَ) ودَخَلَ في خِدْمة صاحبِها الأمير عزِّ الدين أيْبَكَ المُعَظّمي وبَقِيَ فيها الى أن تُوُفّيَ في جُمادى الأولى ٦٦٨ ﻫ (آخر ١٢٦٨ أو أوّل ١٢٧٠ م).

٢ – ابنُ أبي أُصيبعةَ ناثرٌ وناظمٌ. أما شعرُه فشعرُ العلماءِ فيه آراءٌ ولكن ليسَ له ديباجةٌ (راجع عيون الانباء ٢ : ١٩٩ – ٢٠٠). وأما نثرُه فجيّدٌ مَتينٌ واضحٌ فيه شيءٌ من المَنْطِق في السَرْد. ولابنِ أبي أُصيبعةَ أربعةُ تصانيفَ: كتابُ إصاباتِ المنجّمين – كتاب التجارِب والفوائد – كتاب حكاياتِ الأَطِبّاء في مُداواة الأدواءِ – عُيونُ الانباء في طَبَقات الأَطِبّاء؛ ولم يَصِلْ إلينا من هذه الكتب إلا عُيونُ الأنباء. ومَعَ أن عيونَ الأنباء يؤرّخُ الطِبَّ والأطبّاء، فإنّ فيه قَدْراً صالحاً مِنَ الأدب ومِنَ الشعر خاصّةً. إنه كثيراً ما يَسْتَطْرِدُ من الأخبارِ الطِبّية العِلمية إلى الرواياتِ الأدبية وإلى الاستشهادِ بالقصائدِ الطِوالِ والمُقطّعاتِ القِصار.

(١) علي بن أبي الحزم بن النفيس القرشي، ولد في دمشق وبرع في الطب وعلم التشريح. انتقل الى القاهرة وأصبح رئيس البيمارستان الناصري فيها. وله تآليف كثيرة (ت ٦٨٦ ﻫ).

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة عيون الأنباء :

الحمدُ لله ناشرِ الأممِ ومُنْشِرِ الرِّمَمِ ، باريءِ النَسَمِ ومُبْرِيءِ السَقَمِ العائدِ [١] من فضلِه بسوابغِ النِعَمِ ، المُوعِدِ مَن عَصاه بأليمِ العِقاب والنقَمِ ، مُخرجِ الخلائقِ بلُطف صُنْعِهِ الى الوجود من العَدَم ، مُقَدِّرِ الأدواءِ ومُنْزِلِ الدواءِ بأتمِّ الصُنع وأتقنِ الحِكَم .....

وبعدُ ، فإنه لمّا كانتْ صناعةُ الطبِ من أشرفِ الصنائعِ وأربحِ البضائعِ ، وقد وَرَدَ تفضيلُها في الكُتُبِ الالهية والأوامرِ الشَرْعية حتّى جُعِلَ علمُ الأبدانِ قريناً لعلم الأديان .... فوَجَبَ – إذْ كانتْ صناعةُ الطبِّ من الشرفِ بهذا المكانِ وعمومِ الحاجةِ إليها داعيةً في كلّ وقتٍ وزمانٍ – أن يكونَ الاعتناءُ بها أشدَّ والرغبةُ في تحصيلِ قوانينها الكلّيّةِ والجزئيةِ آكدَ وأجَدَّ ... و(لما)... لم أجِدْ لأحدٍ من أربابِها ولا مِمَّنْ أنعَمَ الاعتناءَ (؟) بها كتاباً جامعاً في معرفةِ طَبَقاتِ الاطبّاء وفي ذِكْرِ أحوالِهم على الوَلاء [٢] ، رأيتُ أن أذْكُرَ في هذا الكتابِ نُكَتاً وعُيوناً في مَراتبِ المُتَميِّزينَ من الأطبّاء القدماءِ والمُحْدَثين ومعرفةِ طَبَقاتِهم على توالي أزْمِنَتِهِمْ وأوقاتِهِمْ وأنْ أُودِعَهُ أيضاً نُبَذاً من أقوالِهم وحِكاياتِهم ونَوادرِهم ومُحاوراتِهم وذِكْرِ شيءٍ من أسماءِ كُتُبِهِمْ لِيُسْتَدَلَّ بذلك على ما خَصَّهُمُ اللهُ تعالى بهِ من العلم وحَباهُم من جودةِ القريحة والفَهْم ، فإنّ كثيراً منهم –وإنْ قَدُمَتْ أزمانُهم وتفاوتَتْ أوقاتُهم – لهم علينا من النِعَمِ في ما صَنّفوه و(من)المِنَنِ في ما جمعوه في كُتُبِهم ما هو تَفَضُّلُ المُعلّمِ على تلميذِه والمُحْسِنِ إلى من أحْسَنَ إليه . وقد أوْدَعْتُ هذا الكتابَ أيضاً ذِكْرَ جماعةٍ من الحُكماء والفلاسفة مِمَّنْ لهم نَظَرٌ وعِنايةٌ بصناعةِ الطِبّ وجُمَلاً من أحوالِهِم ونَوادِرِهِمْ وأسماءِ كُتُبِهم .....

٤ – عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء (نشره مكس موللر) ، كونيكسبرغ ١٨٨٤ م ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٩٩ – ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ – (١٨٨٣م) .

كتاب عيون الأنباء ... (الباب الثالث عشر : في أطبّاء إفريقية والأندلس) (اعتنى بنشره نور

---

(١) باريء (خالق) النسم (جمع نسمة بفتح النون والسين : الروح) ومبرىء (شافي) السقم (الضعف ، المرض) العائد : الراجع (المنعم ، المتفضل) .

(٢) على الولاء : على التوالي (بالترتيب الزمني) .

الدين عبد القادر وهنري جاهيه) ، الجزائر (مكتبة فراريس) ؟ ١٩٥٨ م (منشورات كلية الطب والصيدلة بالجزائر ، الجزء الرابع) .

** أماكن متفرقة في « عيون الأنباء » ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٢٧ ؛ الوافي بالوفيات ٧ : ٢٩٥ ؛ علم الفلك : تاريخه عند العرب في العصور الوسطى ، تأليف كارل نلّينو (روما ١٩١١ م) ، ص ٦٤ — ٦٨ ؛ بروكلمان ١ : ٣٩٧ — ٣٩٨ ، الملحق ١ : ٥٦٠ ؛ زيدان ٣ : ١٧١ — ١٧٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٦٩٣ — ٦٩٤ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٨٨ — ١٨٩ .

محيي الدين بن قرناص

١ — بنو قرناصٍ أُسرةٌ قديمةٌ في حَماةَ كانت لهم أملاكٌ واسعة تُسمّى القرناصيّات ثمّ أصبحتْ لهم رئاسةُ البلدِ مُدّةً طويلة . كان في أفراد هذه الأسرةِ نَفَرٌ من القُضاة والعُلماء والأدباء . ومن الشعراءِ من آلِ قَرْناصٍ : عبدُ العزيز بنُ عبدِ الرحمن (ت ٦٥٤ هـ) واسماعيلُ بنُ عُمَرَ بنِ يوسفَ (ت ٦٥٩ هـ) وعليُّ بنُ ابراهيمَ بنِ عبدِ المُحْسن (ت ٧١٢ أو ٧١٤ هـ) .

أمّا أشهرُ شُعراءِ هذه الأُسرةِ فهو مُخَلِّصُ الدين أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمّدِ بنِ هِبَةِ اللهِ بنِ أحمدَ المعروفُ باسم مُحْيِي الدين بن قرناصٍ الحَمَوِيّ الخُزاعي المتوفّى سنةَ ٦٧١ هـ (١٢٧٢ — ١٢٧٣ م) .

٢ — محيي الدين بنُ قرناصٍ أديبٌ شاعرٌ له ديوانٌ ؛ ولكنّ أشعارَه المشهورةَ كلَّها في بَيْتَيْنِ بيتينِ تدورُ على الوَصْفِ والغَزَلِ مَعَ التأنّقِ في الصناعة ؛ وفي بعضِها عذوبةٌ ولَفَتاتٌ بارعةٌ في اقتناص الاستعارات .

٣ — مختارات من شعره

— لمحيي الدينِ بنِ قرناصٍ مقاطعُ قِصارٌ منها :

* أراقَ دَمي بسيفِ اللَحْظ ظُلماً وها أثرُ الدماء بوَجْنَتَيْه .
فلمّا خافَ من طلبي لِثأري أدار عِذارَهُ زَرَداً عليه[1] !

* وربّ نَهْرٍ لـه عيونٌ تَحار في حُسنه العُيونُ[2] .

(١) العذار : الشعر أول ما ينبت في الوجه . الزرد : الحلقات من الحديد (الدرع) .
(٢) عيون الأولى جمع عين : نبع . الرشف : أخذ الماء بالفم قليلا قليلا . السلك : الخيط ينظم فيه الدر (اللؤلؤ) .

لمّا غـدا الريقُ منه عـَـذْباً   مالت الى رَشْفه الغصـون[1] .
* وحديقة غَنّاء يَنْتَظِمُ النـَدى   بفُروعها كالدُرّ في الأسـلاك[2] ؛
والبدرُ يُشْرِقُ من خِلالِ غُصونِها   مثلَ المليحِ يُطِلُّ من شُبّاك .
* قد أتَيْنا الرياضَ حين تَجلّتْ   وتَحلّتْ مـن النَدى بجُمان[3] ،
ورأيْنا خواتِـمَ الزَهْرِ لمّـا   سَقَطَتْ من أناملِ الأغصـان[4] !

٤ ــ ** تاريخ حماة ، تأليف احمد ابراهيم الصابوني ، (مكتبة عنوان النجاح لصاحبها محمد سعيد النعسان) ، حماة (مطبعة حماة) ١٣٣٢ هـ (ص ٤٩ ، ١٢١ ــ ١٢٢) ؛ المنهل الصافي ١٢٢ ــ ١٢٣ ؛ هدية العارفين ١ : ١٢ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٦٠ ؛ معجـم المصنفين ٤ : ٤١٧ . معجم المؤلفين ١ :

جلال الدين الرومي

١ ــ هوَ جَلالُ الدين محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ الخطيبي البَلْخيُّ القُونَوِيّ الروميُّ نِسبةً الى مدينة قُونِيَةَ في بلاد الروم (آسية الصغرى) ، يَرْفَعُ بعضُهم نَسَبَهُ الى أبي بكرٍ الصِدّيق . وبعدَ موتهِ بأمدٍ زِيدَ في ألقابهِ لَقَبُ « مَوْلَوي » (مَوْلانا) .

وُلِدَ جلالُ الدين الروميُّ في بَلْخَ (خُراسانَ) في سادسِ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٦٠٤ (٢/ ١٠/ ١٢٠٧ م) . وفي سَنَةِ ٦١١ هـ حَدَثَتْ وَحْشَةٌ بينَ بهاء الدين ولد (والد جلال الدين الرومي) وبين السلطان خوارزمشاه فغادر بهاءُ الدين ولد بَلْخَ مَعَ أُسْرتِه قاصداً الحجَّ . وقد عرَّجَ في طريقهِ على نَيْسابورَ فزارَهُ فريدُ الدين العطّارُ وأعطى جَلالَ الدين نُسخةً من كتابِهِ « أسرار نامه »[5] . ثمّ

(١) العذب : الحلو . الرشف : تناول الماء بالشفتين قليلا قليلا .

(٢) الندى : قطرات الماء المتجمعة في الليل من برودة الهواء . الفروع : الأغصان . الدر : اللؤلؤ . الاسلاك الخيوط التي يسلك (ينظم ، يجمع) بها اللؤلؤ ليكون عقداً .

(٣) تجلت : ظهرت واضحة بجميع زينتها (بنباتها وأزهارها) الجمانة : حبة اللؤلؤ الكبيرة : تحلت (لبست حلياً) بالندى (الـذي يشبه اللؤلؤ) .

(٤) في هذا البيت لفتة بارعة جداً فيها تشبيه الأزهار اذا ذبلت (بتلاتها الملونة) ثم سقطت كؤوسها (الجزء الأخضر الذي يمسك البتلات) من الغصون (التي تشبه الأصابع) .

(٥) فريد الدين العطار شاعر فارسي صوفي اختلف مؤرخو الأدب في سنة موته اختلافاً كبيراً . ولعل وفاته كانت سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) . وأسرار نامه (كتاب الأسرار) .

تابَعَ بهاءُ الدينِ طريقَه الى بَغْدادَ ولَقِيَ فيها المتصوف شِهابَ الدينِ أبا حَفْصٍ عُمَرَ السُهرُوردِيّ (ت ٦٣٢ هـ) . وبعد أن حَجَّ انتقلَ إلى قونية ، سَنَةَ ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) واستقرّ فيها ونال حَظْوةً عند أهلِها وحُكّامها .

ويبدو أنّه ما كادَ بهاءُ الدين ولد يستقر في قونيةَ حتّى سافرَ جلالُ الدينِ إلى الشامِ في طَلَبِ العلم فمكثَ في دِمَشْقَ وحَلَبَ نحوَ سَبْعِ سَنَواتٍ لَقِيَ في أثنائها — في الأغلب — مُحْيِي الدينِ بنَ عَرَبِيٍّ (ت ٦٣٨ هـ) . ثمّ تُوُفّيَ بهاءُ الدين ولد ، سَنَةَ ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ — ١٢٣١ م) فَخَلَفَه جلالُ الدين في مجالسِ التدريسِ والوعظ .

وفي سَنَةِ ٦٤٢ هـ (مطلع عام ١٢٤٥ م) وصل الى قونيةَ متصوّفٌ كبيرٌ هو شَمْس تبريز أو شمسُ الدين التِبريزيّ . ومَعَ أن شمس تبريز لم يمكُثْ في قونيةَ سوى عامينِ أو ثلاثةٍ ، ومَعَ أنّنا لا نعلَمُ متى التقى جلالُ الدين بشمس تبريز ولا كم طالَ لقاؤهما ، فإنّ أثرَ شمس تبريز في جلالِ الدين كان عظيماً حتّى أنّ جلالَ الدين ترك علومَ الظاهر (الفِقْهَ والحديثَ والنحوَ) ومال الى التصوّفِ مَيلةً واحدةً متطرّفةً . ويبدو أنّ أهلَ قونيةَ لم يكونوا راضينَ عن هذا التبدّل في حياةِ جَلالِ الدين فازعجوا شمسَ الدين التبريزيَّ عن قونية ثمّ لا نعلَمُ ما انتهى إليه أمرُه . ولعلّ نَفَراً من أتباعِ جلالِ الدين قد قَتَلوا شمسَ الدين هذا (٦٤٥ هـ) .

وأنشأ جلالُ الدين طريقةً صوفية ، هي طريقةُ الدراويشِ «الدوّارين» (الذين يقومون بالرقص في أثناء الذِكْر) إحياءً لذِكرى شَمْسِ الدين التِبريزي عُرِفَتْ (فيما بعدُ) بالطريقةِ المَوْلويّة أو الطريقة الجَلالية . وقد كان جلالُ الدين شيخَ (رئيسَ) هذهِ الطريقةِ إلى وفاته في قونيةَ ، في الخامسِ من جُمادى الثانيةِ سَنَةَ ٦٧٢ هـ (١٧/ ١٢/ ١٢٧٣ م) .

٢ — كان جلالُ الدين الروميّ فقيهاً حَنَفيّاً وحكيماً مُتَفَلْسِفاً ثمّ انقلبَ بعدَ لقائهِ شمسَ تبريز صوفيّاً منغمساً في الأحوال الصوفية ثمّ أسّسَ الطريقةَ المولوية الصوفية . وفي الثامنةِ والثلاثينَ من عُمُره بدأ فجأةً يقولُ الشِعرَ الوجداني الصوفيَّ ارتجالاً . وكان جلالُ الدين شاعراً مُكثِراً زادتْ أشعارُه على أشعارِ نَفَرٍ من أفذاذِ شعراءِ الفُرسِ مُجتمعينَ (على أشعارِ الفِرْدوسي وسعْدي وحافظ مثلاً مجموعةً معاً) — مع أنّه كان يعيشُ في آسيةَ الصُغرى بعيداً عن موطنِ اللغةِ الفارسية .

وجلالُ الدين أكبرُ شعراءِ التصوّفِ قاطبةً . ثمّ له شعرٌ باللغة التركية وشعرٌ باللغة العربية خالصاً (باللغة العربية وحدَها) أو مُلمَّعاً (تمتزج فيه الأبيات الفارسية بالأبيات العربية أو الأشطرُ الفارسيةُ بالأشطرِ العربية) .

وأشهرُ آثارِ جلالِ الدين الروميّ وأهمُّها مثنوي (المزدوجُ : وهو شِعْرٌ أبياتُه مُصرَّعةٌ على ما نعْرِفُ ، في العربية ، في بحرِ الرّجزِ المفرد ، ولكنْ ببيتينِ بيتين) ، نحوَ (مطلع كتاب مثنوي أو : مثنوى معنوى)[1] :

بشنو أز ني چون حكايت ميكنــد وز جدائيها ني شكايت ميكند

كزنيستان تا مرا ببريده انــد از نفيرم مرد وزن ناليده اند

ولجلالِ الدين الروميّ في ديوانه « مثنوي » آراءٌ حِكْميّةٌ عامّةٌ في الحياة والأخلاق والفلسفة ، ولكنّها كلّها تجري على المنهج الصوفي المُوغِلِ إلى حَدّ الاتّحادِ والحُلول (الإيهام بأنّ الصلةَ بينَ الانسانِ وبين الله وثيقةٌ حتّى ليُظَنّ أنّهما كائنٌ واحد) . ولقدِ استمدّ جلالُ الدين الروميّ آراءه ، في الأصل ، من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن أشعار العرب القدماء والمتأخّرين ومن الفلسفات القديمة وعلم الكلام والفقْه ومن القَصَص الفارسية والعربية . وقيمةُ هذه الآراء الرفيعة في ديوان من الشعر أنّ جلال الدين الروميّ استطاع أن يُعالجَها معالجةً واضحةً تُقَرِّبُها من الأذهان ، حتّى من ذِهْنِ الرجلِ العاديّ أحياناً . ثمّ إنّ جلالَ الدين لا يعتمدُ — عند عرضِ هذه الآراء في شعره — أسلوبَ البراهينِ المنطقية ، بل يعتمدُ الذوقَ الصوفيّ والاقتناعَ الوُجْدانيّ .

ونثرُ جلالِ الدين (في اللغة العربية) أحسنُ من شِعرِه (باللغة العربية) من حيثُ التركيبُ ومن حيث صفاءُ الأسلوب ، ذلك لأنّه كان في نثره ذلك القليل أكثرَ اعتناءً وأكثرَ اقتباساً من التُراث اللغويّ والأدبي ، فكثيرٌ من جُمَلِه في نثره في الحقيقة تراكيبُ مجموعةٌ من الأدبِ العربيّ المرويّ الشائع . إنّ شعْرَهُ العربيّ بسيطٌ سَهْلٌ تَغْلِبُ عليه الركاكةُ والتفكّك ، ذلك لأنّه كان يحاولُ أن يَضَعَ صُوَرَهُ الشِعريةَ الفارسيةَ في أوزانٍ فارسيةٍ أو شِبْهِ فارسيةٍ ولكن بلُغَةٍ عربية .

---

(١) راجع معنى البيتين بالعربية على الصفحة التالية (اسمع الناي .... قال إني ...). ثم لاحظ أن القافية هي الكلمة التي قبل الكلمة الأخيرة في كل شطر : حكايت وشكايت — ببريدة وناليدة). أما ميكند وميكند ثم اند وأند فتسمى الردف (التالية للقافية الحقيقية) .

٣ – مختارات من آثاره

– جَعَلَ جلالُ الدين الروميُّ لديوانه « مثنوي » ديباجةً باللغة العربية جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابُ المَثْنوي ، وَهُوَ أصولُ أصولِ أصولِ الدينِ في كَشْفِ أسرارِ الوصولِ واليقين ، وهو فِقْهُ اللهِ الأكبرُ وشرعُ اللهِ الأزهرُ وبرهانُ اللهِ الأظهرُ ، «مَثَلُ نورِه كَمِشْكاةٍ فيها مِصْباح»(١) يُشْرِقُ إشراقاً أنورَ من الإصباح . وهو جِنانُ الحَنانِ ذو العيونِ والأغصان منها عين تُسمّى عند أبناء هذا السبيلِ سَلْسبيلاً ، وعند أصحابِ المقاماتِ والكرامات خيرٌ مقاماً وأحسنُ مقيلاً .....

(وقد) اجتهدتُ في تطويلِ المنظومِ المَثْنوي المشتملِ على الغرائب والنوادر ، وغُرَرِ المقالات ودُرَرِ الدَلالات ، وطريقةِ الزُهّادِ وحديقة العُبّاد ، (في أن تكون جمله) قصيرةَ المباني كثيرةَ المعاني .....

– يتكلّمُ جلالُ الدين الرومي في مَطْلَعِ ديوانهِ « مثنوي » على الناي . وهذا المطلعُ مشهورٌ ، وقد نَقَلَهُ نَفَرٌ كثيرون الى اللغةِ العربيةِ نثراً وشعراً . وقد سَبَقَ لي (سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م) أن نقلتُهُ عن اللغة الفارسية شعراً كما يلي (والغايةُ من إثباتِ هذا النَقْلِ تبيانُ اتّجاهِ جلالِ الدين الرومي في شِعْرِه عامّةً وفي ديوانه « مَثْنوي » خاصّةً) :

اسْمَعِ النايَ ما يَقُصُّ ويَحْكي. هو يَشْكو مِنَ الفِراق ويبكي .
قال : إنّي قُطِعْتُ من قَصْباءِ فبكى الناسُ كلُّهم من غِنائي(٢) .
هاتِ صَدْراً مُقطّعاً بالفِراقِ لأَبُثَّ الآلامَ من أشْواقي(٣) .
كلٌّ من غابَ عن ذَوِيهِ وكِيدا رامَ عَوْدَ الزمانِ حتّى يَعودا(٤) .
أنا في كُلِّ مَجْمَعٍ وَفْقَ أهْلِهْ في عسيرِ الزمانِ أو في سَهْلِهْ .
إنّ سِرّي، يا صاحِ ، لَحْنِي يُذيعُهْ ؛ غيرَ أنّ الآذانَ لا تستطيعُهْ .

---

(١) كمشكاة فيها مصباح – عينا فيها تسمى سلسبيلا – خير مقاماً وأحسن مقيلا . هذه اقتباس أو تضمين من القرآن الكريم .

(٢) القصباء : النبعة من القصب ، مكان ينبت فيه القصب بكثرة .

(٣) الآلام من أشواقي : التي سببّها أشواقي .

(٤) كيدا : فعل ماض مبني للمجهول من كاده (مكر به) .

صوتُ نايِي نارٌ ، وما هُوَ ريحُ . كلُّ خالٍ من نارِه فهو ريحُ[1] .
هِيَ نارُ الغَرام ِ في النـاي تُلْفَى ، وَهْيَ غَلْيُ الغرام ِ في الخمرِ عُنْفَا .
إنّ ذا النـايَ إنْ تَمادَى أنينُـهْ كان خِدْنـاً لمن جفـاه خَدينُه[2] .

– وقال جلال الدين الرومي في عقاب العين التي لا تبكي يومَ فِراقِ المحبوب (كلّيات شمس تبريز) باللغة العربية :

بَكَتْ عينٌ غَـداةَ البَيْنِ دمعاً ، وأُخرى بالبُكا بَخِلَتْ علَيْنـا .
فعاقَبْتُ التي بخلتْ علينـا بأنْ غَمَّضْتُهـا يومَ الْتَقَيْنـا !

– وقال (كلّيـات شمس تبريز ١ : ١١٢ ، رقم ٢٦٨ ، غزليّات) باللغة العربية :

فَدَيْتُكَ ، يا ذا الوَحْيِ ، آياتُه تَتْرى تُفَسِّرها سِرّا وتَكْني بها جَهْرا[3] ؛
وأنْشَرْتَ أمواتاً وأحْيَيْتَهم بهـا . فَدَيْتُكَ ، ما أدْراك بالأمرِ ما أدري[4] !
فعادوا سُكارى – في صِفاتِكَ – كلُّهم ؛ وما طَعِموا إثْماً ولا شربوا خمرا[5] .
ولكنْ بريقُ القُرْبِ أفنى عقولَهم فسُبْحان من أرسى وسُبحانَ من أسْرى[6] .
سلامٌ على قومٍ تُنـادي قلوبُهم بألْسِنةِ الأسْرار : شُكْراً له شكرا !
فطوبى لِمَنْ أدنى من الجد (!) دَلْوَهُ ، وفي الدَلْوِ حُسْناً يوسفٌ؛ قال: يا بُشْرى[7] .
يُطالِـعُ في شَعْشاعِ وَجْنَةِ يوسفٍ حقائقَ أسرارٍ يُحيط بهـا خُبْرا .
تجلّى عليه الغَيْبُ وانْدَكَّ عقلُـه ، كما انْدَكَّ ذاكَ الطُورُ واستَهْدَمَ الصخرا[8] .

---

(١) من ناره = من نار نايي . فهو ريح : لا شيء .
(٢) الخدن (بكسر الخاء) والخدين (القاموس ٤ : ٢١٨) : الصاحب في الظاهر والباطن .
(٣) يا ذا الوحي : يا الله ، يا رب . آياته (معجزاته ، مظاهر قدرته) تترى : تتوالى ، يتبع بعضها بعضاً (كثيرة) . تفسرها .. الخ : تشير بها الى عوامّ الناس اشارات عارضة ثم تفهم أسرارها للخاصة (للمتصوفين) .
(٤) أنشر الله الموتى : بعثهم من القبور . ما أدراك بالأمر : ما أعظم علمك وما أقدرك !
(٥) طعم (أكل) اثماً (ذنباً) : ارتكب ذنباً ، خالف أمر الدين .
(٦) أفنى عقولهم (بالمعنى الصوفي) : أبطل عقلهم الانساني وجعل عقلهم جزءاً من الوجود الالهي . القرب (الاقتراب روحياً من الله) . من أرسى (من ثبت قلوبهم بكشف الحقائق لهم) ومن أسرى (من جاء بهم اليه : الى الله) .
(٧) من الجد (كذا في الاصل). اقرأ : من الجب (البئر) اشارة الى قصة يوسف لما ألقاه اخوته في الجب على طريق مصر ليتخلصوا منه . الجب (هنا) : مكان المعرفة (الله) . الدلو : وسيلة المعرفة (التصوف) . يوسف (كناية عن المعرفة الالهية نفسها) .
(٨) اندك عقله (سقط ، بطل تفكيره) كما هبط الطور (الجبل الذي وقف عليه موسى لما طلب موسى من الله أن يتجلى (يظهر) له .

فظلّ غريقَ العِشْقِ رُوحاً مُجَسماً
ونوراً عظيماً لم يَذَرْ دونَـه سِتْرا[1] .

ــ ومن شعر جلال الدين باللغة العربية (من الرباعي) :

جاء الربيعُ والبَطَرْ ، زالَ الشتاء والمَطَرْ ،
من فضل ربٍّ عنده كلُّ الخطايا تُغْتَفَرْ .
أوحى إليكُم ربُّكم أنّا غفَرنا ذنبَكم .
فارضَوْا بما يُقضى لكم ، إنّ الرِضا خيرُ السيَرْ .
السِرُّ فيك ، يا فتى ، لا تَلْتَمِسْ مِمّا أتى .
من ليس سرٌّ عِنْدَه لم يَنْتَفِعْ مِمّا ظهر .

ــ ومن مقدّمة الكتاب الثالث من « المثنوي » (باللغة العربية) :

.. وإنّما يَفْهَمُ كلُّ قارىءٍ على قَدْرِ نُهْيَتِه[2] ، ويَنْسُكُ الناسك على قَدْرِ قوّة اجتهادِه ، ويُفْتي المُفتي (بـ) مبلغِ رأيه ، ويتصدّقُ المتصدّق بقَدْرِ قُدرته ..... ولكنّ مُفْتَقَدَ الماء في المَفازةِ[3] لا يُقصّر (ذلك) به عن طَلَبه مَعْرِفَتَهُ ما في البحارِ ، ويَجِدُّ في طلب ماءِ هذه الحياة قبلَ أن يقطَعَهُ الاشتغالُ بالمَعاش عنها ، وتَعُوقه العلّة والحاجة ، وتَحُولُ الأغراضُ بينَه وبينَ ما يَتَسرّعُ إليه . ولن يُدْرِكَ العِلْمَ مُؤْثِرُ هَوًى ولا راكنٌ إلى دَعَةٍ[4] ولا مُنْصرفٌ عن طلبه ولا خائفٌ على نفسه ولا مهتمٌّ لِمَعيشته ، إلاّ أنْ يَعوذَ بالله ويُؤْثِرَ آخرتَه على دُنياه ويأخُذَ من كَنْزِ الحِكمة الأموالَ العظيمةَ الّتي لا تَكْسَدُ ولا تُوَرّثُ ميراثَ الأموال ....

٤ ــ أوراد كبير وصغير ، دار سعادت ١٣٠٣ هـ .

شرح أوراد (وهو المسمّى بحقائق أذكار مولانا) ، بلا ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخ الطبع .

مثنوي

كلّيّات شمس تبريز ــ ديوان كبير ــ باتصحيحات وحواشي بديع الزمان فروازنفر ؛ تهران . (دانشكاه تهران) ١٣٣٩ ــ ١٣٤٢ .

---

(١) لم يذر : لم يدع (يترك) . فظل الخ ... : كشف الله للانسان (المتصوف العارف) جميع أسراره .

(٢) نهيته : عقله (!)

(٣) المفازة : الصحراء لا ماء فيها يهلك فيها الناس (سميت « مفازة » تفاؤلا) .

(٤) مؤثر (مفضل) هواه (حبه ورغبته الدنيئة) ولا راكن (ساكن ، مطمئن) الى دعة (عيشة هادئة هانئة) .

** شرح المثنوى المسمّى بالمنهج القويّ (بقلم يوسف بن أحمد المولويّ) ، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٨٩ ه .

جواهر الآثار في ترجمة مثنوي مولانا خداونكار شعرا (الترجمة والتحقيق والتلخيص للحواشي العربية والفارسية بقلم عبد العزيز صاحب الجواهر ، تهران (چاپخانة تهران) ١٣٣٦ .

مثنوي جلال الدين الرومي شاعر الصوفية الأكبر (ترجمة وشرح ودراسة : محمّد عبد السلام كفافي) ، بيروت ــ صيداء (المكتبة العصرية) ١٩٦٦ م .

فصول من المثنوى ، ترجمها وقدّم لها عبد الوهّاب عزّام ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٦ م .

من روائع الشعر الفارسي لجلال الدين الرومي وسعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي ، (ترجمة محمّد الفراتي) ، دمشق (وزارة الثقافة والارشاد القومي) بلا تاريخ .

جلال الدين شاعر الصوفية الأكبر ، تأليف محمّد عبد السلام كفافي ، بيروت (جامعة بيروت العربية) ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ م .

جلال الدين الرومي في حياته وشعره ، تأليف محمّد عبد السلام كفافي ، بيروت (دار النهضة العربية) ١٩٧١ .

دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ٣٩٣ ــ ٣٩٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٨٠٦ ــ ٨٠٧ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٥٨ ــ ٢٥٩ ؛ تاريخ الادب في ايران ، تأليف براون ، نقله الى العربية ابراهيم أمين الشواربي ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٧٣ ه = ١٩٥٤ م (ص ٦٥٤ ــ ٦٦٦) ؛ الأدب الفارسي ، تأليف محمّد محمّدي ، بيروت (منشورات قسم اللغة الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية) ١٩٦٧ م (ص ٢٦١ ــ ٢٧٨) .

نصر الله بن شقـــير

١ ــ هو شَرَفُ الدين أبو الفتحِ نصرُ الله بنُ عبدِ المُنْعِم بنِ نصرِ الله بن أحمدَ ابن حواري* التنوخيّ المعروفُ بابنِ شُقَيرٍ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ ٦٠٤ ه (١٢٠٧ ــ ١٢٠٨ م) وسَمِــعَ الحديثَ في دِمَشْقَ والقاهرةِ وبَغْدادَ . وكانت إقامتُه في دمشقَ في المدرسة العادلية الصُغرى ، وقد تولّى إدارة وَقْفِـها . وفي آخرِ حياته بنى مسجداً في دمشقَ عند طواحينِ الاشنان وتأنّقَ في عِمارته . وكانت وفاتُه سَنَةَ ٦٧٣ ه (١٢٧٤ ــ ١٢٧٥ م) .

٢ ــ كان ابنُ شقيرٍ عالماً بالحديث وبأصولِ الفِقْهِ أديباً شاعراً . وكان مُصَنِّفاً له من الكتب : إيقاظ الوَسْنان في تفضيل دِمَشْقَ على سائر البُلْدان .

* يمكن ضبط هذا الاسم بحاء مفتوحة وبراء بعدها ألف مقصورة ؛ أو بحاء مضمومة وواو مشددة وبراء بعدها ياء مشددة (القاموس ٣ : ١٥) .

٣ – مختارات من شعره

– لمّا تولّى ابنُ خَلّكانَ (ت ٦٨١ هـ) قضاءَ دِمَشْقَ طلب من أرباب الوظائف المالية حِساباً عمّا تَحْتَ أيديهم . وكان في مَنْ طَلَبَ منهم ذلك شرفُ الدين بنُ شقيرٍ . فعَمِلَ ابنُ شقيرٍ صورةً لحسابِ وَقْفِ المدرسة العادلية ورَفَعَه الى ابن خلّكانَ ومَعَهُ ورقةٌ فيها هذا البيت :

ولم أعْمَلْ لمخلوقٍ حِساباً ؛ وها أنا قد عَمِلْتُ لك الحِسابا[1] !

فقال له القاضي ابنُ خلّكان : خُذْ أوراقَكَ ولا تَعْمَلْ لنا حِساباً ولا نعمل لك (حسابا) .

– ولابن شقيرٍ في الغزل :

ما كنتُ أوّلَ مُسْتَهامٍ مُدْنَفٍ كَلِفٍ بمَمْشوقِ القَوامِ مُهَفْهَفِ[2] .
أنا والِهٌ دَنِفٌ بوردِ خُدودهِ وبغَضِّ نَرْجِسِ مُقْلَتَيْهِ المُضْعَفِ[3] .
لا شيءَ أعذبُ من تَهتُّكِ عاشقٍ في عِشْقِ معسولِ المراشِفِ أهْيَفِ[4] .
يا من يُعَنِّفُ في دِمَشْقَ ووَصْفِها ، لو كنتَ تَعْقِلُ كنتَ غيرَ مُعَنِّفِ .
هي جنّةُ المأوى ، ويكفي مِيزَةً وفضيلةً أوصافُها في المُصْحَفِ[5] !

٤ – ** شذرات الذهب ٥ : ٣٤١ – ٣٤٢ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ٣٥٣.

التَلَعْفَري

١ – هو شهابُ الدين محمّدُ بنُ يوسفَ بنِ مسعودٍ الشَيْباني التَلَعْفَرِيُّ ، وُلِدَ في المَوْصِلِ سَنَةَ ٥٩٣ هـ (١١٩٧ م).

(١) لم أعمل لمخلوق حساباً (فيها تورية : لم يكلفني أحد من قبل أداء حساب عما تحت يدي ، لأنني أمين – لا أهتم بأحد من الناس !) .
(٢) المستّهام : الذي اشتد حبه حتّى كاد أن يذهب عقله به . الدنف : الذي أشرف من شدة حبه على الهلاك . المهفهف : الدقيق الخصر .
(٣) الواله : الذي كاد أن يذهب عقله . الغض : الريان ، الناضر . المضعف : نوع من النرجس ذو طبقات عديدة . والمضعف : الضعيف ، و (هنا) نرجس المقلتين المضعف : العينان الفاترتان (الناعستان)
(٤) المراشف : الشفاه . الاهيف : المهفهف (الدقيق الخصر) .
(٥) يرى بعض المفسرين أن الآية الكريمة في سورة المؤمنون : « وآويناها الى ربوة ذات قرار ومعين » (٢٣ : ٥٠) تشير الى دمشق .

اتّصَلَ التلعفريُّ بالمَلِك الأشرفِ موسى صاحب العراق (٦٠٧ – ٦٢٦هـ) وحَظِيَ عنده، ولكنّه كان مُولَعاً بالقِمار فطَرَدَهُ الأشرفُ . فذهَبَ إلى الملكِ العزيزِ غياثِ الدين أبي المظفّر محمّدٍ صاحبِ حَلَبَ (٦١٣ – ٦٣٤هـ). ثم خرج من حلب للعلّة نفسِها فجاء إلى دمشق. ويبدو أنه زارَ القاهرة في هذهِ الاثناء (فوات ٢ : ٣٥١، ٣٥٢) فلم يَحْمَدِ الإقامةَ فيها فعادَ الى دِمَشْقَ يستجدي ويقامِرُ. وفي آخرِ أيامه ذهبَ الى حَماةَ ونادَمَ صاحبَها الملكَ المنصورَ (الثانيَ) سيفَ الدين محمّداً الى أنْ تُوُفّيَ هناكَ سَنَةَ ٦٧٥ هـ (١٢٧٧ م).

٢ – التلعفريّ شاعرٌ رقيقٌ أكثرُ شعرِه الغَزَلُ والنسيبُ والخَمْرُ، وله مديحٌ ووصفٌ . وله أيضاً مُوشّحاتٌ.

٣ – مختارات من شعره

– قال التلعفري في الوصف وقد ضمّن ذلك اشارات نحويةً وفقهية :

واذا الثَنيّةُ أشرقت وشَمِمْتَ مِـن ... أرجائها أرَجاً كنَشْرِ عَبيـرِ *،
سلْ هَضْبَها المنصوبَ أين حديثُه الـ ... ـمرفوعُ عن ذيل الصبا المجرورِ[1].

– وقال في الغزل (راجع ص ٦٤٩):

أيُّ دمـعٍ من الجفـون أسالهْ ... إذ أتتـه مَعَ النسيم رسالهْ.
حمّلته الرياضُ أسرارَ عَـرْفٍ ... أوْدَعَتْها السحائبُ الهطّالة[2].
يا خليلِي، وللخليـلِ حقـوقٌ ... واجباتُ الأحوالِ * في كلّ حاله،
سلْ عَقيقَ الحِمى وقـل – إذ تـراه ... خاليـاً من ظبائه المُخْتاله – :
أين تـلك المراشفُ العسليّا ... تُ وتـلك المعاطفُ العسّـاله[3]؟
وليـالٍ قضيتهـا كَـلآلٍ ... بغزالٍ تَغـار منـه الغـزاله[4].

---

* لعلها «أشرفت» : ارتفعت (ظهرت للرائي من بعيد).
الثنية : الطربق في الجبل، (العطفة التي يكون وراءها بلد المحبوب).

(١) الهضب الجبل. المنصوب : العالي. الحديث المرفوع : الحديث الذي كان قد سمعه صحابي من رسول الله ثم عاد فرفعه (عرضه على الرسول للتثبت منه). الصبا (بفتح الصاد). الريح الشرقية (الباردة). المجرور : المسحوب على الارض يحمل عن أزهارها الرائحة الطيبة. ذيل الصبا (بكسر الصاد) المجرور : أيام الشباب الاولى حينما يسير الشاب تياهاً بشبابه. وفي المنصوب والمرفوع والمجرور تورية بحالات الاعراب الثلاث (في النحو) أيضاً.

(٢) العرف : الرائحة الطيبة.

(٣) المعاطف : أطراف الجسد العليا (الاكتاف). العسالة : المتمايلة، المهتزة (بنشاط الشباب).

(٤) الغزالة : الشمس. والغزالة : الظبية.

* كذا ؛ لعلها : الأداء.

قلتُ لمّا لَوَى ديونَ وصالي ، وهو مُثْرٍ وقادرٌ لا مَحالَه[1] :
بينَنا الشرعُ ؛ قال : سِرْ بي فعندي من صِفاتي لكلِّ دَعْوَى دَلالَه ؛
وشهودي من خالِ خدّي ؛ ومن قَدّي شهودٌ معروفةٌ بالعَدالَة[2] .
أنا وكّلتُ مقلتي في دِما الخَلْـ قِ ، فقالت : قَبِلْتُ تلك الوكالة !

– وله من موشحة[3] :

ليس يَرْوي ما بقلبي مِنْ ظَمَا غيرُ برقٍ لائحٍ من إضَمِ .
ان تبَدّى لك بانُ الأجرَعِ وأُثَيْلاتُ النَقا مِنْ لَعْلَعٍ[4] ،
يا خليلِي ، قِفْ على الدار معي وتأمّلْ كم بها من مَصْرَعِ !
واحترِزْ واحذَرْ فاحداقُ الدُمى كم أراقتْ في رُباها من دَمِ[5] .
حظّ قلبي في الغرام الوَلَهُ[6] فعذولي فيه ، ما لي وله ؟
حَسْبِيَ الليلُ ، فما أطولَهُ ؛ لم يَزَلْ آخِرُهُ أولَهُ !

٤ – ديوان التلعفرى ، دمشق ١٢٩٨ ﻫ ؛ (بتصحيح محمد الأُنسي) بيروت (المطبعة الادبية) ١٣١٠ ﻫ ، بيروت (مطبعة المعارف) ١٣٢١ ﻫ .

** فوات الوفيات ٢ : ٣٤٥ – ٣٥٢ ؛ الوافي بالوفيات ٥ : ٢٥٥ – ٢٦٣ ؛ العبر ٤ : ٣٠٦ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٤٩ ؛ بروكلمان، الملحق ١ : ٤٥٨ ؛ زيدان ٣ : ١٢٩ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٥ .

مجد الدين الاربليّ

١ – هو مجدُ الدينِ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ عُمَرَ بنِ أحمدَ بنِ أبي شاكرٍ المعروفُ بابنِ الظهيرِ الحنفيّ الإرْبِلي ، وُلِدَ في إربلَ في الثاني من صَفَرَ من سنَةِ ٦٠٢ ﻫ (١٨/ ٩/١٢٠٥ م) .

---

(١) لوى المدين الدين : مطله وأنكره .
(٢) العدالة : الصدق ، وأهل العدالة الذين تقبل شهاداتهم في المحاكم ويعمل بها . والعدالة : اعتدال قامة الانسان (استقامتها) .
(٣) في القطعة التالية معان قريبة من معاني الصوفيين . اضم والاجرع ولعلع : اسماء مواضع في الحجاز يكثر المتصوفون من ذكرها .
(٤) الاثل : شجر . النقا : الرمل الابيض .
(٥) الدمى جمع دمية : المرأة الجميلة (تشبيهاً لها بالصورة أو التمثال) .
(٦) الوله : شدة العشق .

سَمِعَ مجدُ الدين الاربليُّ الحديثَ في بَغدادَ ، وقد تقدّمتْ به السِنُّ ، من أبي بكرٍ الخازن ومن الكاشغري ؛ وسَمِعَ في دِمَشْقَ من علي السخاوي (ت٦٤٣ﻫ) ومن كريمةَ بنتِ عبدِ الوهّابِ وتاج الدين بن حَمَوِيّةَ وتاج الدين بن أبي جعفرٍ . بعدئذٍ درّس في المدرسة القايمازيّة ثمّ قَدِمَ الى مصرَ فحَدَّثَ فيها .

وكانت وفاةُ مجدِ الدين الاربليّ في ١٢ من ربيعٍ الاولِ من سنة ٦٧٧ ﻫ (٣ / ٨/ ١٢٧٨ م) في الاغلب .

٢ – كان مجدُ الدين الإرْبِلِيُّ عارفاً بالحديثِ واللغة ومن أعيانِ شيوخ الأدب وفحول الشعراء في أيّامه ، وأكثرُ شعرِه في الغزَلِ والخمر . ثمّ انّه مُصَنّفٌ له : تذكرةُ الأريب وتبصرة الأديب – مختصر أمثال الشريف الرضيّ .

٣ – مختارات من شعره

– قال مجد الدين الاربلي في الغزل :

أُواصِلُ فيه لَوْعَتي وهو هاجِر ، ويُؤنِسُني تَذْكارُهُ وهو نافرُ ؛
ويُغري هواه ناظريَّ بأدْمُعٍ يُورِّدُها وَرْدٌ له وهو ناضر[١] .
ويَفْتَنُّ في تِيهِ المَلاحةِ خاطراً ؛ فكلّ خَلِيٍّ في هواه مُخاطر[٢] .
ويَزْوَرُّ سُخْطاً ثانِيَ العِطْفِ مُعْرِضاً ، فلا عَطْفُه يُرجى ولا الطَيْفُ زائر[٣] .
مُحَيّاهُ زاهٍ بالملاحةِ زاهرٌ ، فقلبي وطَرْفي فيه ساهٍ وساهر[٤] .
إذا كان صبرٌ في الصبابةِ خاذلاً ، فما لي سوى دَمْعي على الشوقِ ناصر .
على أن فَيْضَ الدمعِ لم يَرْوِ غُلَّةً من الوَجْدِ أذْكَتْها العُيون الفواتر !

---

(١) يوردها : يورد دموعي (يجعلها حمراء) : يبكيني بكاء كثيراً شديداً (؟) .

(٢) يفتن = يتفنن : يأتي بفنون (أنواع) مختلفة كثيرة . التيه : العجب (بضم العين) والدلال . خاطرا : يخطر = يسير وهو يرفع يده تارة ويخفضها أخرى . الخلي : الذي لم يعرف الحب بعد . مخاطر : متعرض للخطر (بأن يقع في هوى هذا الشخص) .

(٣) يزور : يميل (يبتعد) . العطف (بكسر العين) : جانب الجسم . ثاني العطف : مائلا بجسمه (مشيحاً بوجهه عني) . الطيف : الخيال الذي نراه في المنام .

(٤) المحيا : الوجه . زاه : ريان ، ناضر (بالشباب والصحة) . زاهر : مشرق ، أبيض . ساه : غافل ، ناس (يقصد : ساهم : مشتت الفكر ، غافل عما حوله) . ساهر : قليل النوم (من العذاب في الحب) .

(٥) الغلة : العطش . الوجد : الشوق ، الحب . أذكتها : أوقدتها (زادت في اشتعالها) .

– وقال في الخمر والنسيب :

أدارَ عقيقاً في إناءٍ من الدُرِّ   فعايَنْتُ شَمْسَ الراحِ في راحةِ البَدْرِ (١).
وأبدَتْ سَماءُ الكأسِ زُهْرَ نُجومِها ،   فيا حُسْنَ يومٍ حُفَّ بالأنْجُمِ الزُهْرِ (٢) .
غزالٌ له من أختِه البُعْدُ والسَنا ،   وليس لها دُرُّ القلائدِ والثَغرِ (٣) .
أغارتْ على أسرارِ أرواحِ شَرْبِها   وأنقَذَتِ الأفراحَ من قَبْضَةِ الأسرِ (٤).
تَمتَّعْ بأيّامِ الصِبا واغْدُ جامعاً   لشَمْلِ صِبا الأيّامِ واللذّةِ البِكْرِ (٥) .
فما العيشُ إلاّ وصلُ كأسٍ بأُخْتِها   وجاريةٍ تَسْعى * وساقيةٍ تَجْري (٦) .
وداوِ بِحُسْنِ الظنِّ باللهِ كُلّما   جَنَيْتَ، فعفوُ اللهِ يجلو دُجى الوِزْرِ (٧) .

٤ – * * فوات الوفيات ٢ : ٢١٩ – ٢٢٥ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ١٢٣ – ١٢٧ ؛ العبر ٥ : ٣١٦ ؛ بغية الوعاة ١٥ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٢٩١ ، الملحق ١ : ٤٤٤ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٢١٨ .

محمد بن سوار

١– هو نجمُ الدينِ أبو المعالي محمّدُ بنُ سَوّارِ بنِ إسرائيلَ بنِ الخَضِرِ بنِ الحَسنِ بن عليِّ بنِ الحسينِ الشَيْبانيُّ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ ٦٠٣ھ (١٢٠٦ م) . وكان ابنُ سوّارٍ في صُحبة المتصوّفِ الشيخ أبي الحسنِ علي الحريريِّ (ت

(١) العقيق : حجر كريم أحمر اللون (يقصد : الخمر) . الدر : اللؤلؤ. الراح : الخمر . راحة البدر : كف الساقي الجميل (المحبوب) .

(٢) زهر (بضم الزاي) النجوم : حباب (بفتح الحاء : فقاقيع) الكأس (التي تطفو على سطح الخمر) . الانجم الزهر : كناية عن النساء الجميلات .

(٣) من أخته = من الغزالة. البعد (العيش في الفلوات بعيدة عن البشر). السنى، السنا : ضوء البرق (اللمعان، الاشراق ، الجمال) . در القلائد (اللؤلؤ الذي في العقد) ودر الثغر (الفم) : الاسنان . – هذا المحبوب له جمال الغزالة ونفورها من الناس ؛ والغزالة ليس لها عقود اللؤلؤ التي يلبسها المحبوب ولا جمال أسنانه .

(٤) الشرب (بفتح الشين) : الذين يشربون الخمر معاً . – أغارت (الخمر) على أسرار شربها : جعلتهم يبوحون بأسرارهم (من الانبساط والسكر) . وأنقذت الافراح ... : طردت الحزن وجعلت الشاربين فرحين .

(٥) صبا الايام = شباب الأيام (ما دامت الايام مؤاتية لك في شبابك) .

(٦) جارية : امرأة شابة تسعى علينا وتسقينا الخمر (!) وساقية تجري : قناة ماء تسيل في بستان (!).– اشرب الخمر كثيراً مع ساقية جميلة على ساقية في بستان .   * لعلها : تسقي ! .

(٧) – داو (امح) بحسن ظنك بالله ما تأتي به من الجناية (الذنوب) من شرب الخمر (بالاعتماد على عفو الله) . دجى (ظلام) الوزر (الذنب) = الذنب العظيم .

٦٤٥ هـ) من سَنَةِ ثماني عَشْرَةَ[١] ، ثمّ لَبِسَ خِرْقَةَ التصوّف[٢] على يَدِ الصوفيِّ المشهور شِهاب الدين السُهْرَوَرْديّ . وقد طافَ في البلاد مُتَجَرِّداً (على طريقة أهلِ التصوّف من الانصراف عن الدنيا) وكان قد مَدَحَ ، في أوّلِ الأمرِ ، كثيراً من الملوك والرؤساء والقضاة.

وكانت وفاةُ مُحمّدِ بنِ سوّارٍ الشّيبانيِّ في دِمَشْقَ ، في رابعِ عَشَرَ ربيعٍ الآخِرِ من سَنَةِ ٦٧٧ هـ (٤١/ ١٩/ ١٢٧٨ م) .

٢ – محمّد بن سوّار الشيبانيّ متصوّف وشاعر مُكْثِرٌ . وقد كان جيّدَ الشعر ، فلمّا جعل يُدْخِلُ معاني التصوّف المتطرّفِ في شِعْرِه ويُقلّدُ في ذلك عُمَرَ بنَ الفارضِ ساء شعرُه . وهو كثيرُ العِناية بالصِناعة .

٣ – مختارات من شعره

– قال محمّد بن سوّار الشيباني في النسيب :

في ذمّة الله من أهْوى ، وإن بـانا ... وإن أَسَرَّ لِيَ الغدرَ الذي بـانا[٣] ؛
وفي سبيلِ الهوى عَهْدٌ تَحَمّلَهُ ... قلبٌ يرى حِفْظَه الايمانَ إيمـانا[٤].
يا ظاعناً لم أكُنْ من قبـلِ فُرْقَتِه ... أهوى رُبوعاً ولا أشتـاق أوطانا ،
لم يُبْقِ بَيْنُكَ عندي ، يا مُنَى أملي ، ... للشوق قلبـاً ولا للدمع أجفـانا.

– وقـال :

يا سيّدَ الحُكمـاءِ ، هذى سُنّةٌ ... مسنونةٌ في الطبّ أنتَ سَنَنْتَهـا[٥] :
أوَ كُلّما كَلّتْ سيوفُ جفونِ مَن ... سَفَكَتْ لَواحِظُه الدماءَ سَنَنْتَها[٦] !

---

(١) كذا في الأصل (هل المعنى : لما كان عمره ثماني عشرة سنة ، ٦٢١ هـ ، أو سنة ٦١٨ هـ ؟)

(٢) إلباس الخرقة للمتصوف معناه أن هذا المتصوف قد أصبح مجازاً بالسلوك في الطريقة بنفسه .

(٣) بان يبين بيناً (بفتح الباء وسكون الياء) : بعد . بان : ظهر .

(٤) حفظه الايمان (بفتح الهمزة !) جمع يمين (قسم) – الايمان التي أقسمها علي ان يدوم على الحب .

(٥) السنة : الطريقة . مسنونة : واجبة ، واضحة ، معمول بها . سن الطريقة : وضع قواعدها وأوجب العمل بها .

(٦) كلّ : ضعف . كل السيف : ذهبت حدته فلم يقطع . الجفون جمع جفن : قراب السيف وأحد غطائي العين ... سننتها : جعلتها حادة قاطعة .

ـ وقال مُلْغِزًا في مِرْوَحةٍ (الهوى المقصور : الحبّ . الهوا الممدود : الهواء) :

ومحبوبةٍ في القَيْظ لم تَخْلُ من يدٍ ؛ وفي القُرّ تجفوها أكُفُّ الحبائبِ[1] .
إذا ما الهوى المقصورُ هيّجَ عاشقاً أتت بالهوا الممدود من كلّ جانب !

٤ ـ ** الوافي بالوفيات ٣ : ١٤٣ ـ ١٤٥ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٦٩ ـ ٢٧٤ : العبر ٥ : ٣١٦ ـ ٣١٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٦٥ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٤ .

أبو الحسين الجزّار المصري

١ ـ هو جَمالُ الدينِ أبو الحسينِ يحيى بنُ عبدِ العظيمِ بنِ يحيى الجزّارُ الأنصاريُّ المِصْري ، وُلِدَ في صَفَرَ من سَنَةَ ٦٠١ هـ (تشرين الأوّل ـ أكتوبر ـ ١٢٠٤م) . وقد كان في أوّلِ أمره جزّاراً ثم تَرَكَ الجزارةَ وجَعَلَ يتكسّبُ بالشعر فما نال بهِ حَظْوةً كبيرةً ، برُغْمِ اشتهارِ شِعرِه وسيرورتِه على الألسُن . ومال حيناً الى احتراف الكتابة في الدواوين. وكانتْ وفاةُ أبي الحسينِ الجزّارِ في مِصْرَ في ١٢ شوّالٍ ٦٧٩ هـ (٥/ ٢/ ١٢٨١ م) .

٢ ـ أبو الحسينِ الجزارُ شاعرٌ كاتبٌ منشيءٌ . وشعرُه سَهْل فيه مَرَحٌ وتَهَكُّمٌ . وفنونُه الغَزَلُ والمُجونُ والهِجاء والعِتاب ، وله شيءٌ من الحِكمة . وله ديوان عنوانه « تقاطيفُ الجزّار » .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال أبو الحسينِ الجزّارُ المِصْريّ بعدَ أنِ انتقلَ من القِصابة (الجِزارة : بيعِ اللحم) الى التكسّبِ بالمديح فلم يَنَلْ فيه حظّاً :

لا تَعِبْني بصَنعةِ القَصّابِ ، فهي أزْكى من عَنْبَرِ الآدابِ[2] .
كان فَضْلي على الكلابِ ، فمُذْ صِرْتُ أديباً رَجَوْتُ فضلَ الكلاب !

ـ ثمّ انّه عاد الى الجزارة وقال :

كيف لا أشْكُرُ الجِزارةَ ـ ما عِشْتُ ـ حفاظاً[3] وأرْفُضُ الآدابا ؟

(١) القيظ : شدة الحر . القر (بضم القاف) : البرد .
(٢) العنبر : مادة طيبة الرائحة . عنبر الآداب : القيمة المزعومة للاشتغال بالأدب .
(٣) محافظة : وفاء لصنعة الجزارة التي عشت فيها زمناً .

وبها صــارتِ الكِلابُ تُـــرجِّيـ ـــي ، وبالشِعْرِ كنتُ أرجو الكلابا !

– تزوّج والد أبي الحسين الجزّار على كِبَرٍ زوجةً ثانيةً ، كانت عجوزاً قبيحةً طرشاء، فقال أبو الحُسينِ الجزّارُ :

تَزوّجَ الشيخُ أبــي شَيْخَةً ليس لها عَقْلٌ ولا ذِهْنْ .
لو برزتْ صورتُهــا في الدُجــى ما جَسَرَتْ تنظُــرُها الجِنّ .
كأنّهــا في فَرْشِهــا رَمْسَةٌ وشَعْرُها من حولِها قُطُنْ[1] .
وقائــلٍ قالَ : ومــا سِنُّها ؟ فقلتُ : مــا في فَمِهــا سِنّ !

– وقال يصف الدار التي كان يسكنها :

ودارٍ خَــرابٍ بها قد نزلتُ ، ولكنْ نزلــتُ الى السابعه[2] .
طريقٌ مــن الطُرْقِ مسلوكةٌ مَحَجّتُهــا للــورى شاسعه[3] .
فلا فَــرْقَ ما بــين أن أكــونَ بها أو أكــونَ على القارعه[4] .
تُســاوِرُها هَفَــواتُ النسيــمِ فتُصْغي بــلا أُذُنٍ سامعه[5] .
وأخشى بهــا أن أُقِــيمَ الصلاةَ فتَسْجُدَ حِيطانُهــا الراكعة.
إذا ما قرأتْ : « إذا زُلْزِلَــتْ » ، خَشِيتُ بأنْ تَقْــرأَ « الواقعه »[6] !

– وقال في الابتهالِ الى الله :

إذا كنتَ تَعْــلَمُ مــا في الصدو رِ وتعــلم خائنةَ الأعْيُنِ[7] ،
وتعلَمُ صِحّةَ فَقْــري إليكَ ، فإنّيَ عَــنْ شرحِ حــالي غني .

---

(١) رمسة : ميتة (؟) – لعلها؛ رمة (بكسر الراء وتشديد الميم): عظام بالية ! .

(٢) السابعة = الارض السابعة (كناية شدة الظلام في هذا المنزل أو عن قلة الحظ فيه ، أو عن حقارته وسوء حاله) .

(٣) المحجة : الطريق المستقيم (والمقصود هنا : زيارتها) .للورى : للناس . شاسع : بعيد(يقصد : هذه الدار بعيدة عن العمران ويصعب الوصول اليها) .

(٤) القارعة : ظهر الطريق .

(٥) تساورها : تدور حولها. هفوات النسيم: حركات الهواء الخفيفة . – تهتز بأقل حركات الهواء: تسمع أقل حركات الهواء (تشعر بها) مع أنها ليس لها أذن .

(٦) « إذا زلزلت » مطلع سورة الزلزال (السورة التاسعة والتسعين في المصحف) . الواقعة (السورة السادسة والخمسون في المصحف) أولها: « إذا وقعت الواقعة ». – أخشى اذا كنت أقرأ مرة سورة الزلزال أن تسمعني داري وتظن أن زلزالا حدث فعلا فتقع (تتهدم) .

(٧) خائنة الأعين : ما يسارق (الانسان) من النظر الى ما لا يحل أو أن ينظر نظرة بريبة (القاموس ٤ : ٢٢٠) . – والله « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » (٤٠ : ١٩ سورة المؤمن) .

آسى فتُحْسِنُ لي دائماً ؛ وهل للمُسيء سوى المُحْسِنِ[1] ؟
وحقّكَ ، ما لِيَ من قُدرةٍ على كَشْفِ ضرٍّ اذا مسّني .
فلا تُلْزِمَنّي بغيرِ الدُعاءِ، فذلك ما ليس بالمُمْكِنِ[2] !

٤ ** فوات الوفيات ٢ : ٣٩٨ — ٤٠٠ ؛ العبر ٥ : ٣٢٤ ؛ شذرات الذهب٥ : ٣٦٤ — ٣٦٥ ؛ بروكلمان١ : ٤٠٩ ، الملحق ١ : ٥٧٤ ؛ الأعلام للزركلي٩ : ١٩٠ (والمراجع المذكورة فيه) .

ابن لولؤ الذهبيّ[3]

١ — هو بدرُ الدينِ يوسفُ بنُ لؤلؤِ بنِ عبدِ الله الذهبيُّ ، كان أبوه لؤلؤٌ مملوك أعتقه الأميرُ بدرُ الدين صاحبُ تلِ باشرٍ (شمال حلب) . وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٦٠٧ه (١٢١٠ م) . ثمّ أصبحَ من كِبارِ شُعَراء الدولة الناصريّة —دولة المَلِكِ الناصرِ الثاني صلاحِ الدينِ يوسف[4] (٦٤٨ — ٦٥٨ ه) . وكانت وفاتُه في دِمَشْقَ في شَعْبانَ من سَنَةِ ٦٨٠ ه (خريف ١٢٨٠ م) .

٢ — كان ابنُ لؤلؤِ الذهبيُّ أديباً ظريفاً وشاعراً كثيرَ الصِناعة بارعاً في التَوْرِيات . وأكثرُ شعرِه النسيبُ والوصفُ .

٣ — مختارات من شعره

— قال ابنُ لؤلؤٍ في النَسيب مُوَرِّياً في « مرّ » (من المُرور ومن المَرارة) :

يا عاذلي فيه ، قُلْ لي : عن حُبّه كيفَ أسْلو[5] ؟
يَمُرُّ بي كلَّ حينٍ ؛ وكلّما مَرَّ يَحْلو !

— وكتب الى ابنِ إسرائيلَ ، وكان يَهْوى غُلاماً اسمهُ جارحٌ :

قَلْبُكَ اليومَ طائرٌ عنكَ أمْ في الجوانحِ[6] ؟
كيف يُرجى خلاصُه وهو في كفِّ جارحِ[7] !

٤ — * * العبر ٥ : ٣٣٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٦٩ — ٣٧٠ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٢٥ .

---

(١) آسى : كذا في الاصل ، ولا وجه لها . اقرأ : أسيء إذ تحسن ...
(٢) لا تلزمني بغير الدعاء (بالعبادة ، مثلا) . (٣) راجع أيضاً ، فوق ، ص ٦٢٠ — ٦٢١ .
(٤) أمر هولاكو بقتل الملك الناصر سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م).
(٥) أسلو أنسى ، أصبر .
(٦) قلبه طائر : قلق ، كثير الفزع . قلبه في جوانحه (بين جنبيه) : مستقر ، آمن .
(٧) جارح : اسم المحبوب . والجارح : الطائر الكاسر (كالنسر).

ابن خَلِّكانَ

١ - هو شمسُ الدينِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ مُحمّدِ بنِ أبي بكرِ بنِ خلّكانَ البَرْمَكيُّ الإربليّ ، وُلِدَ في اربلَ (شَرْقَ المَوْصِلِ) في ١١ ربيعٍ الآخرِ ٦٠٨ هـ (٢٢/ ٩/ ١٢١١ م) ونشأ يتيماً فقد تُوُفّيَ والدُه سَنَةَ ٦١٠ هـ .

بدأ ابنُ خلّكانَ تَلَقّي العِلمِ في اربلَ فَسَمِعَ صحيحَ البُخاري من أبي حفص بنِ هِبَةِ الله بن المُكَرَّمِ بنِ عبدِ الله الصوفيّ (ت ٦٢١ هـ) . وفي ٦٢٦ هـ انتقلَ إلى حَلَبَ ثمّ إلى دِمَشْقَ حيثُ دَرَسَ على ابنِ شدّادٍ . وفي سَنَةِ ٦٣٧ هـ كان مُسْتَقِرّاً في القاهرةِ مُتَّصِلاً برجالِ الدولة فيها . فلمّا جاء الظاهرُ بَيْبَرْسُ إلى دِمَشْقَ ، سَنَةَ ٦٥٩ هـ ، كانَ ابنُ خلّكانَ في صُحْبتِه فولاّه بيبرسُ قضاءَ دِمَشْقَ . وبَعْدَ سبعِ سَنَواتٍ عُزِلَ ثمّ أُعيدَ ثمّ عُزِلَ . وفي ٦٦٩هـ عادَ ابنُ خلّكانَ الى القاهرةِ ، ولكنّهُ رَجَعَ أخيراً الى دِمَشْقَ حيثُ تُوُفِّيَ في ٢٦ من رَجَبَ ٦٨١ هـ (٢/ ١١/ ١٢٨٢ م) .

٢ - ابن خلّكانَ من أئمّةِ العُلماء الذين بَرَعوا في الأدبِ والتاريخ والفقْهِ والحديث وفي صناعة النثر . وله شِعْرٌ عاديٌّ كشِعْرِ سائرِ العُلماء . أمّا شُهْرَتُه فراجعةٌ إلى كتابه الذي سمّاه «وَفَيَاتِ الأعيانِ وأَنْباءِ أبناءِ الزمانِ ممّا ثَبَتَ بالنَقْلِ والسَماع وأثْبَتَهُ العِيان»[1] وقد أَلَّفَهُ بَيْنَ ٦٥٤ و٦٧٢هـ (١٢٥٦ - ١٢٧٤م) وجَمَعَ فيه ثمانَمِائَةٍ واثْنَتَيْنِ وعِشْرينَ تَرْجَمَةً .

٣ - مختارات من آثاره

- مقطع من مقدّمة كتاب «وفيات الأعيان» :

..... هذا مختصرٌ في علمِ التاريخِ دَعاني الى جَمْعه أَني كُنْتُ مُولَعاً بالاطّلاعِ على أخبارِ المُتَقَدّمينَ من أُولي النَباهة وتواريخِ وفاتِهم ومَوْلِدِهم ومَنْ جَمَعَ منهم كلُّ عَصْرٍ ؛ فوَقَعَ لي منه شيءٌ حَمَلَني على الاسْتِزادةِ والتَتَبُّعِ ، فعَمَدْتُ

(١) لهذا الكتاب تكملة «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ ، انظر ، تحت) ؛ وله ذيل «درة الحجال في أسماء الرجال» ، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (٩٦٠ - ١٠٢٥ هـ) (تحقيق محمد الأحمدي أبي النور) الجزء الأول (نشرته دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس) ، القاهرة (دار التراث للطبع والنشر) ١٩٧٠ م .

الى الكُتُبِ المَوْسومة بهذا الفنِّ وأخذتُ من أفواهِ الأئمّةِ المُتْقنينَ ما لم أجِدْهُ في كتابٍ. ولم أزَلْ على ذلك حتى حَصَلَ عِنْدي منه مُسَوّداتٌ كثيرةٌ في سنينَ عديدةٍ، وعَلِقَ على خاطري بعضُه، فصِرْتُ إذا احتجتُ الى مُعَاوَدَةِ شيءٍ منه لا أصِلُ إليه الاّ بعدَ التعَبِ في استخراجِهِ لِكَوْنِهِ غيرَ مُرَتَّبٍ، فاضْطُرِرْتُ إلى ترتيبِهِ فرأيتهُ على حروفِ المُعْجَمِ أيسرَ منه على السِنينَ.....

ولم أذكُرْ في هذا المُخْتصرِ أحداً من الصَحابة رِضْوانُ اللهِ تعالى عَلَيْهِمْ، ولا من التابعينَ[1]، رَضِيَ اللهُ عنهم، إلا جماعةً يسيرةً تدعو حاجةُ كثيرٍ من الناسِ الى معرفةِ أحوالِهم. وكذلك الخلفاءُ، لم أذكُرْ أحَداً مِنْهُمْ اكتفاءً بالمُصَنَّفات الكثيرةِ في هذا البابِ. لكنْ ذكَرْتُ جماعةً من الأفاضل الذين شاهدتُهم ونَقَلْتُ عنهم، أو كانوا في زَمَني ولم أرَهُمْ، لِيَطَّلِعَ على حالِهم مَنْ يأتي بَعْدي. ولم أقْصُرْ هذا الكتابَ المختصرَ على طائفةٍ مخصوصةٍ مثلِ العلماءِ أوِ الملوكِ أو الأمراءِ أو الوزراءِ أوِ الشعراء؛ بلْ كُلُّ مَنْ له شُهرةٌ بينَ الناس ويَقَعُ السؤالُ عنه ذَكَرْتُهُ وأتَيْتُ مِنْ أحواله بما وَقَفْتُ عليه مَعَ الإيجازِ كيلا يَطولَ الكتابُ، وأثبَتُّ وفاتَه ومَوْلِدَهَ إنْ قَدَرْتُ عليه، وَرَفَعْتُ نَسَبَهُ على ما ظَفِرْتُ بهِ، وقيّدتُ من الألفاظ ما لا يؤمَنُ تَصْحيفُهُ[2]. وذكرتُ من محاسنِ كُلِّ شخصٍ ما يَليقُ به من مَكْرُمَةٍ أو نادرةٍ أو شعْرٍ أو رِسالةٍ لِيَتَفَكَّهَ به مُتأمِّلُه ولا يراه مقصوراً على أسلوبٍ واحدٍ فَيَمَلَّه*. والدواعي إنّما تَنْبَعِثُ لِتَصَفُّحِ الكتابِ إذا كان مُفَنَّناً.....

—وقال يَصِفُ صَبايا يَسْبَحْنَ في غديرِ ماءٍ ويُضَمِّنُ في أبياتِه آيةً من القرآن الكريم:

وسِرْبِ ظِباءٍ في غديــرٍ تَخالُهم بدوراً بأُفْقِ الماء تبــدو وتَغْرُبُ[3].
يقولُ عَذولي، والغَرامُ مُصاحبي: «أما لكَ عن هذي الصَبابةِ مَذْهَبُ[4]،

---

(١) الصحابة هم الذين عاشوا في زمن محمد رسول الله وصحبوه. والتابعون هم الذين كانوا في عصر الصحابة ولم يروا الرسول.

(٢) رفعت نسبه على ما ظفرت به: ذكرت من أجداده أكبر عدد وجدته. قيدت الألفاظ: ضبطها بالشكل. التصحيف: اختلاف النقاط في أحرف الكلمة أو الحركات أو الحروف.

(٣) تخالهم (كان يجب أن يقول: تخالهن): تحسبهم.

* كان يجب ان يقول: فيمله (بفتح اللام) بعد فاء السببية وبعد فعل منفي، ولكنه آثر السجع مع متأمله (فاعل يتفكه — وهو مرفوع). (٤) أما لك (أليس لك) عنه مذهب (منصرف): ألا تترك هذا الأمر؟

وفي دَمِكَ المَطلولِ خاضوا ، كما ترى؟» فقُلْتُ له : دَعْهُمْ يَخوضوا ويَلْعَبوا[1].

— وله من قصيدة في النسيب (راجع ص ٦٣٩) :

يا ديارَ الأحبابِ ، لا زالتِ الأدْ مُعُ في تُرْبِ ساحَتَيْكِ مُسالَهْ[2] ؛
وتَمَشَّى النسيمُ ، وهو عليلٌ ، في مَغانيكِ ساحباً أذْيالَهْ .
أينَ عيشٌ مضى لنا فيكِ ؟ ما أسرعَ عنّا ذَهابَه وزَواله !
حيثُ وَجْهُ الشبابِ طَلْقٌ نَضيرٌ ، والتصابي غُصونُه مَيّالَه[3] ؛
ولنا فيك طيبُ أوقاتِ أُنْسٍ ليتَنا في المَنامِ نَلْقى مِثالَه .
ظَبْيَةٌ تَبْهَرُ العيونَ جَمالاً ، وغَزالٌ تَغارُ منه الغَزالَهْ .

٤ — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (تحرير فستنفلد) غوطا (آورليخ) ١٨٣٥—١٨٤٣ ؛ (اعتنى بتصحيحه وطبعه ديسلان) الجزء الأول ، باريس (مطبعة فيرمان ديدوه)١٨٣٨ — ١٨٤٢م ؛ بولاق ١٢٧٥ ﻫ ؛ (بتصحيح عبد الرحمن بن قطّة العدويّ ونصر الهوريني) ، بولاق ١٢٩٩ﻫ ؛(بعناية محمّد باقر عبد الحسين خان الصدر الاصفهاني)، طهران (طبع حجر) ١٢٨٢ ﻫ ؛ القاهرة ١٢٦٩ﻫ ؛ (؟ — بروكلمان، الملحق ١ : ٥٦١، السطر ٢١) ؛ القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٠ ﻫ ؛ القاهرة ١٣٢٨ (١٩١٠م)؛ (نشره محمّد محيي الدين عبد الحميد) القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٣٦٩ — ١٣٧٠ﻫ (١٩٤٨ — ١٩٤٩ م)؛ (نشره احسان عبّاس) ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٨ او ما بعد .

ذيل (فيه ثلاث عشرة ترجمة وجدت في مخطوطة مكتبة أمستردام بهولندة) (بعناية بينايل) ، امستردام ١٨٤٥ م.

** طبقات الشافعية ٥ : ١٤ وما بعدها ؛ فوات الوفيات ١ : ٧٠ — ٧٥ ؛ الوافي بالوفيات ٧ : ٣٠٨ — ٣١٦ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٣٧٢ ؛ العبر ٥ : ٣٣٤ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٥ — ٢٦٦ ؛ ذيل وفيات الاعيان ١ : ٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٧٠ — ٣٧٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٩٨، الملحق ١ : ٥٦١ ؛ زيدان ٣ : ١٧٢ — ١٧٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٣٢ — ٨٣٣ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢١٢ .

---

(١) الدم المطلول : المباح (الذي حكم القاضي بسفكه). خاضوا في دمك المطلول : تحدثوا بوجوب قتلك . « دعهم يخوضوا ويلعبوا » مقتبسة من قوله تعالى : » فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتّى يلاقوا يومهم الذي يوعدون » (يوم القيامة حينما يرسلون الى جهنم) نزلت هذه الآية استهزاء بالكافرين (٤٣ : ٨٣ سورة الزخرف ، ثم ٧٠ : ٤٢ سورة المعارج) .

(٢) مسالة اسم مفعول من أسال (أجرى) . لا زال بكاؤنا في ساحتك كثيراً .

(٣) طلق : باسم ، مسرور .

ابن البارِزِيّ الحَمَويّ

١ ـ هو نجمُ الدين عبدُ الرحيمِ(١) بنُ ابراهيمَ بنِ المسلمِ بنِ هبةِ اللهِ بن حسّانِ الحَمَويّ الجُهَنِيّ ، وُلِدَ في حَمَاةَ سَنَةَ ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) ؛ سَمِعَ من موسى بنِ عبدِ القادر ومن القاسمِ بن رَوَاحَةَ . تولّى القضاءَ في حماةَ بعدَ أبيه ولم يتناولْ على القضاء راتباً . وقد عُزِلَ من القضاء قبلَ مَوْتهِ بأعوامٍ .

وكانتْ وفاةُ ابن البارِزِيّ في تَبوكَ ، وَهُوَ في طريقهِ إلى الحجّ ، وذلك في ذي القَعْدَةِ من سَنَةِ ٦٨٣ هـ (كانون الثاني ـ شباط = يناير ـ فبراير ١٢٨٥ م) ، فحُمِلَ إلى المدينة ودُفِنَ فيها .

٢ ـ كان ابن البارزيّ الحَمَويّ بصيراً بالفِقْهِ والأُصول وعِلْمِ الكلام ، وكان شاعراً وُجْدانيّاً مُحْسِناً . ومن فنونِ شعرهِ البديعيّاتُ والنسيبُ والملاحِمُ ، له أُرجوزة اسمُها «مُداولةُ الايّام ومُماثلة الأحكام» فيها : حياةُ رسولِ الله وتاريخُ دُوَلِ الاسلامِ في المَشْرق والمَغْرب مَعَ شيءٍ من جغرافية البلادِ الاسلامية وتاريخ الدولِ غيرِ الإسلامية قبلَ الإسلام وبعدَه .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال ابنُ البارزِيّ الحَمَويّ في النسيب(٢) أبياتاً تُشْبِهَ أن تكونَ غزلاً في الحجاز على الطريقة الصوفية :

إذا شِمْتُ من تِلْقاءِ أرضِكِمُ بَرْقا ، فلا أضْلُعي تَهْدا ولا عَبْرتي تَرْقا(٣).
سَميرَيَّ من سَعْدٍ ، خُذا نحوأرضِهِمْ يَميناً ؛ ولاتَسْتَبْعِدا نَحْوَها الطُرْقا(٤) ؛

(١) في فوات الوفيات (١ : ٣٤٠) : عبد الرحمن بن ابراهيم ...

(٢) راجع هذه الابيات في فوات الوفيات (١ : ٣٤١) وفي شذرات الذهب (٥ : ٣٨٢) فبين الروايتين شيء من الخلاف .

(٣) شام البرق (بفتح القاف) يشيمه : نظر اليه أين يظهر وأين يمطر . تهدا = تهدأ . فلا أضلعي (المقصود قلبي) يهدأ (من الخفقان) كناية عن الشوق الى اللقاء . ولا عبرتي = دمعي : دموعي . ترقأ : تجف (كناية عن الحزن على أنه بعيد عن أرض محبوبه وأن لا أمل له بالوصول اليها) .

(٤) سميري من سعد : يا سميري (رفيقيّ) من بني سعد . بنو سعد كانت منهم حليمة السعدية التي أرضعت محمداً رسول الله . والشعراء الصوفيون يذكرون قبيلة بني سعد في أشعارهم كثيراً للدلالة على الحجاز وعند التغزل به . خذا نحو أرضهم . اتجها نحو أرض بني سعد . لا تستبعدا الطرقا : لا تملاّ (بفتح الميم) مهما كانت الطريق طويلة .

وُعوجا على أُفْقٍ تَوَشَّحَ شيحُـــه بطيبِ الشَّذا المِسْكِيِّ ؛ أكْرِمْ به أُفْقا[1] !
فانَّ به المَغْنى الذي نَزَلوا بــه ؛ ومِنْ ذِكْرِه يُشْفى الفؤاد ويُسْتَرْقى[2]
ومِنْ دونِهِم عُرْبٌ يَرَوْنَ نُفوسَ مَنْ يَلوذُ بمَغْناهُمْ حَلالاً لهم طَلْقا[3] ؛
بأيْدِيهِمُ بِيضٌ بها الموتُ أحْمَرٌ وسُمْرٌ لَدى هَيْجائِهِمْ تَحْمِلُ الزُرْقا[4]
وقولاً : مُحِبٌّ حَلَّ بالشام جِسْمُهُ ، ومِنْهُ فُؤادٌ بالحِجازِ غَدا مُلْقى .
تَعَلَّقَكُمْ في عُنْفوانِ شَبابِــهِ ولم يَسْلُ عن ذاك الغرام وقد أنقى[5] .
وكان يُمَنّي النفسَ بالقُرْبِ فاغْتَدى بِلا أمَلٍ إذ لا يُؤَمِّلُ أن يبقى .
عليكُمْ سلامُ الله : أمّا وِدادُكم فباقٍ ، وأما البُعْدُ عَنْكم فما أبقى[6] .

– وكتب ابن البارزيّ الحَمَوي إلى الملك المنصور صاحبِ[7] حماةَ لمّا عُزِلَ عن القَضاء :

خَدَمْتُكَ في الشباب ، وها مَشيبي أكادُ أحِلُّ منه اليومَ رَمْسا .
فراعِ لِخِدْمَتي عَهْداً قديمـاً ؛ وما بالعَهْدِ من قِدَمٍ فيُنْسى[8] !

---

(١) عاج : مال الى ، اتجه نحو . عطف : رجع . الأفق : الخط الذي تبدو الارض (أو البحر) عنده تتصل بالسماء . الى أفق : الى ناحية معينة (هنا : الحجاز) . الشيح : نبات زكي الرائحة يكثر في الحجاز . توشحت المرأة : ألقت على كتفيها وشاحاً . الشذا : الرائحة .

(٢) المغنى : المسكن . يشفى (بالبناء للمجهول) : يصح من مرضه . يسترقى (بالبناء للمجهول) : يطلب له رقية (بضم الراء) : حرز أو حجاب أو ألفاظ كان الناس يظنون أن المريض يشفى بها.

(٣) العرب (بضم العين) : العرب (بفتح العين والراء) . والعرب (بضم العين والراء) جمع عريب (بفتح العين) : المرأة المتحببة الى زوجها (وهنا : كناية عن النساء الجميلات) . لاذ بهم : التجأ اليهم. حلال (بفتح الحاء) : يحل للناس ، يسمح لهم به . طلق : مطلق ، غير مقيد . – المعنى الملموح : اذا التجأ أحد الى الحجاز فانه يعيش فيه حراً آمناً ؛ أو يقع في حب نسائه (أهله) .

(٤) البيض جمع أبيض : السيف . والسمر جمع أسمر : الرمح . الزرق جمع أزرق : النصل من الحديد في رأس الرمح .

(٥) تعلقكم = تعلق بحبكم ، اشتد حبه لكم . العنفوان : الإبّان ، الذروة ، وقت اشتداد الشباب . يسلو عن الشيء = يتسلى عنه ، ينساه . نقى الجمل : سمن (المعنى هنا غامض . لعل قصد الشاعر : أشرف على الهلاك) .

(٦) ما أبقى : ما ترك (شيئاً من قوتي أو شبابي أو أملي ، الخ) . وفي الجملة تضمين من قوله تعالى : « وأنه أهلك عاداً الاولى وثمود فما أبقى » (٥٣ : ٥٠ – ٥١ ، سورة النجم) .

(٧) هو الملك المنصور الثاني سيف الدين بن محمد الأيوبي تولى حماة سنة ٦٤٢ هـ وتوفي سنة ٦٨٣ هـ (١٢٤٢ – ١٢٨٥ م) .

(٨) راعى الأمر أو الشيء أو الانسان : لاحظه واهتم به محسناً اليه وحفظه وحماه . العهد : الزمن . وما بالعهد (الوصية ، اليمين ، الذمة) من قدم فينسى : لم يمر عليه الزمن بعد ، حتى يمكن أن ينسى .

٤ ــ * فوات الوفيات ١ : ٣٤٠ ــ ٣٤١ ؛ العبر ٥ : ٣٤٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٨١ ــ ٣٨٢ ؛ بروكلمان ١ : ٤٢٧ ، الملحق ١ : ٥٩١ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١١٨ .

مجير الدين الإسعردي

١ ــ هو مُجيرُ الدينِ محمّدُ بنُ يَعقوبَ بنِ عليٍّ بنِ تميمٍ الجُنْديُّ الحَمَويّ الدمَشْقي الإسْعِرْديُّ ، سِبْطُ[1] الأميرِ ابن تميمٍ ؛ يبدو أن أصلَه من إسْعِرْدَ[2] سَكَنَ دِمَشْقَ مُدّةً واستوطن حَماةَ.

كان مُجيرُ الدينِ الإسعِرْدِيُّ جُنديّاً مُحتَشِماً شُجاعاً كريمَ الأخلاقِ ، وقد خَدَمَ المَلِكَ المنصورَ الثانيَ سيفَ الدين محمّداً الأيوبيَّ (٦٤٢ ــ ٦٨٣ هـ) . وكانتْ وَفاتُه في حَماةَ سَنَةَ ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) .

٢ ــ مُجيرُ الدينِ الإسْعِرْدِيُّ شاعرٌ مُكْثِرٌ إلاّ أنّ شِعْرَه مقطّعاتٌ قِصارٌ في البيتينِ والثلاثةِ والاربعة . وشِعْرُه رقيقٌ حَسَنٌ سَهْلٌ وفيه شيءٌ من المرح . وفنونُه الوَصْف والغَزَل والهجاء مَعَ شيء من المُجون . وهو مُولَعٌ بمعاني الشعراءِ يُضَمِّنُها في شِعره أو يَحُلُّ المعنى ثمّ يُدْخِلُه في شِعره بلَفْظِه هو . ولذلك قال :

أُطالِعُ كلَّ ديوانٍ أراه ؛ ولم أزْجُرْ عنِ التَضْمينِ طَيْري[3] :
أُضَمِّنُ كلَّ بيتٍ فيه معنىً ؛ فشِعْري نِصْفُه من شِعْرِ غيري !

٣ ــ مختارات من شعره

ــ كان لمُجيرِ الدين الإسْعِرْدي قَدَحٌ يَشْرَبُ فيه الخمرَ فانكسرَ ، فقالَ في ذلك :

أيا قَدَحاً قَدْ صَدَّعَ الدهرُ شَمْلَه فأصبحَ بعدَ الراحِ قد جاوَرَ التُرْبا[4] ،
سأَبكيكَ في وقتِ الصَبوحِ . وانّني سأُكْثِرُ في وقتِ الغَبوقِ لك النَدْبا[5].

---

(١) السبط حفيد الرجل من بنته .

(٢) اسعرد (انظر ، فوق ، ص ٥٩٠) .

(٣) ديوان = ديوان شعر . زجر فلان الطير : أحب أن يستشير الطير في ما يفعل (يقصد الشاعر : لا أتردد في تضمين كل بيت استحسنه من شعر غيري في شعري) .

(٤) صدع الدهر شمله : فرق بيني وبينه . الراح جمع راحة : الكف ، اليد . ــ بعد أن كنت أحمله في راحتي (يدي) أصبح ملقى أرضاً .

(٥) الصبوح : شرب الخمر صباحاً . الغبوق : شرب الخمر مساء . التدب : البكاء على الميت .

وإنْ قَطَّبَتْ شمسُ المُدامِ فحقُّها (لأنّكَ كنتَ الشرقَ للشمس والغرْبا[1])!

— وأهْدى الى صديقٍ له قدحاً ثمّ قال في ذلك :

أهْدَيْتُه قَدَحاً ، فلو أنْصَفْتُه أوْسعتُه لِجَمالهِ تَقْبيلا[2] .
نَظَمَتْ بهِ الصَهباءُ دُرَّ حَبابِها (حتّى تصيرَ لرأسهِ إكليلا[3])

— وقال في بِرْكةٍ لها نافورةٌ :

لقد نَزَّهَتْ عيني أنابيبُ بِرْكةٍ تُقابِلُني أمْواجُها بالعجائبِ :
أنابيبُ لَجّتْ في عُلُوٍّ كأنّما (تُحاولُ ثأراً عند بعضِ الكواكبِ[4].)

— وقال أيضاً يَصِفُ بِرْكةً :

ألا ربَّ يومٍ قد تَقَضّى ببِرْكةٍ أقَمْتُ بهِ في ما جرى مُتَفَكِّرا :
بعَيْنَيْ رأيتُ الماءَ فيها وقد هَوَى على رأسه من شاهقٍ فتَكَسّرا .

— وقال يَصِفُ مليحاً ينظُرُ في مِرآةٍ :

طوبي لمرآةِ الحبيبِ فانّها حُمِلَتْ براحةِ غُصْنِ بانٍ أيْنَعا[5]
(واسْتَقْبلَتْ قَمَرَ السَماءِ بوَجْهِها فأرَتْنِيَ القَمَرينِ في وقتٍ مَعا[6] !)

---

(١) قطب : عبس ، حزن . شمس المدام : الخمر . في هذا البيت تضمين من بيت المتنبي :
فديناك من ربع وان زدتنا كربا فانك كنت الشرق للشمس والغربا .
بدّل مجير الدين الاسعردي المعنى الذي قصده المتنبي . الشمس هنا : الخمر . كانت الخمر تشرق من القدح وتغرب في أفواهنا ؛ أو كانت الخمر تغرب في القدح من الزق ثم تشرق منه لتغرب في أفواهنا .

(٢) — كنت أود أنا أن أقبل ثغره بدل القدح .

(٣) الصهباء (الحمراء) : الخمر . الدر : اللؤلؤ . الحباب : الفقاقيع التي تطفو على سطح عدد من السوائل . وفي هذا البيت تضمين من قول المتنبي يصف الاسد (العفرة : الشعر . اليافوخ : أعلى الرأس) :
ورد عفرتــه الى يافوخــه حتى تصير لرأسه اكليــلا .

(٤) أنابيب هذه البركة تدفع المياه عالياً وتلج (تبالغ) . وفي البيت تضمين من قول أبي تمام :
معال تمادت في العلو كأنما تحاول ثأراً عند بعض الكواكب .

(٥) حملت براحة : حملتها راحة (كف ، يد) غصن بان (البان شجر أغصانه مستقيمة ملساء) : مليح ، جميل ، معتدل القامة . أينع : حمل ثمراً (واستعمال الكلمة هنا غير صحيح) .

(٦) هذا البيت كله للمتنبي . يقصد المتنبي أنه رأى حبيبته ليلة البدر فرأى قمرين متشابهين . والاسعردي يعني : ان المحبوبة وجهت المرآة التي تحملها الى السماء فظهر فيها البدر ، فرأى هو القمرين (وجه حبيبته والبدر المعكوس في صفحة المرآة) في وقت واحد . أينع : نضج الثمر (الذي على هذا الغصن : كل جمال محبوبي) .

ـ وقال في غادة جاءتْ إليه ذاتَ ليْلةٍ :

يا ليلةً قَصُرَتْ بــزوْرةِ غــادةٍ سَفَرَتْ فأغنى وَجْهُها عن بَدْرِها [1] ؛
حتّى إذا خافتْ هُجومَ صَباحِهــا نَشَرَتْ ثَلاثَ ذوائبٍ من شَعْرِها [2] !

ـ وقال في الخمر :

وليلةٍ بِــتُّ أُسْقى في غَياهِبِهــا راحاً تَسُلُّ شَبابي من يَــدِ الهَرَمِ [3] ؛
ما زِلْتُ أشرَبُها حتّى نَظَرْتُ إلى غزالةِ الصُبْحِ تَرْعى نَرْجِسَ الظُلَمِ [4] .

ـ وقال يهجو كحّالاً (طبيب عيون) جاهلاً :

دَعُوا الشمسَ من كُحْلِ العيونِ ، فكَفُّه تَسوقُ الى الطَرْفِ الصحيحِ الدَواهيا [6] ؛
فكم ذَهَبَتْ من ناظرٍ بسوادِه وألْقَتْ بياضــاً خَلْفَها ومآقيا [5] .

ـ وقالَ في الضنِّ (البُخْل) بشِعْره على الناس :

لِمَنْ أبوحُ بشِعْري حينَ أنْظِمُهُ أمْ مَنْ أخُصُّ بما فيه مِنَ الزُبَدِ [7] ؛
إمّا جَهولٌ فلا يَدْري مواقِعَه ، أو فاضلٌ فهو لا يَخْلو من الحَسَد !

٤ ـ ** فوات الوفيات ٢ : ٣٤٠ ـ ٣٤٥ ؛ الوافي بالوفيات ٥ : ٢٢٨ ـ ٢٣٥ ؛ العبر ٥ : ٣٥١ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ؛ الاعلام للزركلي ٨ : ١٨ .

---

(١) قصرت : ظهرت قصيرة (لأنه كان مسروراً في اجتماعه بمحبوبته) . سفرت : كشفت عن وجهها . أغنى : جعله يستغني ، أي لا يحتاج الى شيء . وجهها : وجه المحبوبة . بدرها : بدر تلك الليلة .

(٢) في البيت تضمين من بيت المتنبي :

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا .

(٣) بت (قضيت الليل) أسقى (الخمر) . الغيهب : الظلام . تسل شبابي من يد الهرم (الشيخوخة) : تنقذ شبابي ، تحفظ علي شبابي .

(٤) ما زلت أشربها : ظللت أشرب الخمر حتى سكرت كثيراً . غزالة الصبح (الشمس) ترعى نرجس الظلم (تأكل نجوم الليل) : تخفيها (حتى طلع النهار) .

(٥) لا تتركوا هذا الكحال يداوي الشمس ، فان يده (لجهله بالطب) تأتي بالمصائب (بالعمى) الى الطرف (البصر ، العين) الصحيح السليم ؛ ولو داوى الشمس لعميت : انطفأ نورها .

(٦) طبه أتلف سواد عيون كثيرة (أعماها) . وفي البيت تضمين من قول المتنبي :

فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلت بياضاً خلفها ومآقيا .

البياض في العين والمؤق (طرف العين) لا يبصران .

(٧) الزبد (بضم الزاي وفتح الباء) جمع زبد وزبدة (بضم الزاي فيهما) : خلاصة الشيء .

ابنُ النَقيبِ

١ ـ هو ناصرُ الدينِ الحسنُ بنُ شاورَ بنِ طَرْخانَ بنِ الحسن بن النقيبِ الكِناني المعروف بالنَّفيسي ، يبدو أنّه وُلِدَ في القاهرة في أوائل القرن السابعِ للهجْرة (الثالثَ عَشَرَ للميلاد) . ولعلّه كان قريباً من بيتٍ فيه إمارة ! وكان بينَه وبينَ سِراج الدين الورّاقِ (ت ٦٦٥ ﻫ) مُراسلاتٌ . وكانتْ وفاتُه في القاهرة سنَةَ ٦٨٧ ﻫ (١٢٨٨ م) .

٢ ـ كانَ ناصرُ الدينِ بنُ النقيبِ شاعراً مُكْثراً شديدَ التطلّبِ للصناعة ، وللتوْرِيَةِ والتضمين على الأخصِّ . وشعره سَهْلٌ واضحٌ قريبٌ من أفهامِ الجُمْهور من الناس . وأشهرُ فنونه الغزلُ والنسيب والشكوى والهجاء ؛ وله أشياءُ من الهَزْل والسُخْف والمُجون . ولابن النقيب كتاب « منازل الاحباب ومنازه الألباب » .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ناصرُ الدين بنُ النقيبِ واستطردِ من الخمر الى الغزل :

يا مَـن أدارَ بريقِـه مَشْمولةً ، وحَبابُها الثغْرُ النقيّ الأشْنَبُ[١] :
تفّاحُ خَـدِّكَ بالعَذارِ مُمَسَّكٌ ، لكنّه بـدَمِ القلوبِ مُخَضَّبُ[٢] .

ـ وله في الغزل تَوْريات مأخوذة من أسماء أصحاب المذاهب الفِقْهية (مالكِ بن أنَسٍ وأبي حَنيفَـةَ النُعْمانِ ومحمدِ بنِ ادريسَ الشافعيّ ومن الفقيه المتكلّم حُجّة الإسلام أبي حامدِ الغزّاليّ) :

يا مالكي ـ ولَدَيْكَ ذُلّي شافعي ـ ما لي سألتُ فما أجبْتَ سُؤالي[٣] ؟
فوَخَدِّكَ النُعْمـانِ ، إنّ بَلِيّتي وشَكيّتي مِـن طَرْفِك الغزّالِ[٤] !

ـ وقال في كَسْبِه المالَ وإنفاقِه بسُرْعة :

وما بَيْنَ كَفّي والدراهمِ عامرٌ ؛ ولستُ بها دُونَ الوَرى ببَخيـلِ[٥] .

---

(١) مشمولة : (خمر) باردة (هبت عليها ريح الشمال) . الحباب : الفقاقيع التي تطفو على وجه الخمر (كناية عن أسنان المحبوب الجميلة) . الشنب : بياض في الاسنان ، أو برد وعذوبة (حلاوة) في الريق.

(٢) العذار : الشعر النابت في الخد حديثاً . ممسك : فيه لون أسود كالمسك (تختلط حمرة خده بسواد شعره النابت حديثاً في خده) . مخضب : ملوث ، مصبوغ (احمرار خده من دم العشاق) .

(٣) يا مالكي : الذي ملك قلبي . تذللي لك يجب أن يشفع لي عندك فترضى علي .

(٤) ـ أقسم بخدك الأحمر كشقائق النعمان . شكيّتي : ما أشكو منه ، مرضي . طرفك : عينك . الغزال : الذي يكثر محادثتي أحاديث الهوى والغرام .

(٥) أنا أكسب أموالا كثيرة ، ولكنني لست بخيلا بها (أنفقها على الناس) .

وما استوطَنَتْهـا قَطُّ يوماً ، وإنّمـا تَمرّ عليهـا عابراتِ سَبيلِ[1] !

– وقال يذكر نَوْبَةَ الحُمّى (البُحْران ، حَرارة المرض) ونَوْبة العَزْف (والنَوْبةالجَماعةُ من الناس ، والاستعمال الشائع يُطْلِقُها على الجَوْقة من العازفين والمغنّين) ، أوبة : رجوع :

أقول لنوبةِ الحُمّـى : اترُكيني ؛ ولايكُ مِنْكِ لي ، ما عِشْتُ ، أوْبَهْ .
فقالت : كيفَ يُمْكِنُ تـركُ هذا ؟ وهل يبقى الأميرُ بغيـرِ نَوْبه !

٤ – ** فوات الوفيات ١ : ١٥١ – ١٥٦ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٠٠ – ٤٠١ بروكلمان ١ : ٣٠٨ ، الملحق ١ : ٤٦٧ ؛ الاعلام للزركلي ٢ : ٢٠٧ .

الشابّ الظريـف

١ – هو شمسُ الدينِ محمّدُ بنُ سليمانَ بنِ عليٍّ بنِ الشيخِ عفيفِ الدينِ التِلمسانيّ المعروفُ بالشابِّ الظريف ، وُلِدَ في القاهرة في عاشرِ جُمادى الآخرة ٦٦١ هـ (٢١/٤/١٢٦٣ م) ونشأ في دِمَشْقَ حيثُ أصبحَ والدُه مُباشراً لاستيفاء أموالِ خزينةِ الدولة . وعاشَ الشابُّ الظريف نحوَ ثلاثينَ سَنَةً . وكانتْ وفاتُـه (قبلَ أبيه) في دِمَشْق ، في رَجَبَ من سَنَةِ ٦٨٨ هـ (صيف ١٢٨٩ م) .

٢ – الشابُّ الظريفُ شاعرٌ رقيقٌ مُقَصِّدٌ ومُوَشِّـحٌ . وشعرُه رشيقُ الألفاظِ سهلٌ على الحُفّاظ ، وإنْ كان لا يخلو أحياناً من الكَلِماتِ العاميّة . وفي شِعرِه كثيرٌ من أوجه الصناعة . وأكثرُ شعرِه النسيبُ والغَزَل والأغراضُ الوجدانية العارضة (ومُعْظَمُه مُقطّعاتٌ قصيرة) . وله أيضاً مدحٌ وشيءٌ من الرثاء. وله شيء من البديعيّات في مدح الرسول . وله نثرٌ منه خطب ومقامات .

٣ – مختارات من شعره

– قال الشاب الظريف في النَسيب من قصيدة له مشهورة :

لا تُخْفِ ما فعلتْ بك الأشواقُ ، واشْرَحْ هواك فكلّنا عُشّاقُ !
قد كان يخفى الحبُّ لـولا دمعُك الـ جاري ولـولا قلبُك الخفّـاق .
فعسى يُعينُك من شَكَوْتَ له الهـوى في حملِهِ ، فالعاشـقون رِفـاق .

(١) لم تستوطن الدراهم (لم تسكن) في كفي يوماً .

لا تَجزَعَنَّ فلستَ أوّلَ مُغْرَمٍ فتَكَتْ بــه الوَجَناتُ والأحداق.
واصْبِرْ على هَجْــرِ الحبيب فربّما عادَ الوِصال ، وللهَوى أخلاق[1] .

— وله في الغزل أيضاً :

للعاشقين بأحكامِ القضاء رِضا ؛ فلا تكنْ ، يا فتىً ، بالعَذْلِ معترضا .
روحي الفِداءُ لأحبــابي وان نَقَضوا عهدَ الوفيِّ الذي للعَهْد ما نقضــا .
قِفْ واستمعْ سِيرةَ الصبِّ الذي قتلــوا فماتَ في حُبّهم لم يَبْلُــغِ الغرضا :
رأى فحبَّ فــرامَ الوصلَ فامتنعوا فسامَ صبــراً فأعْيا نيلَه فقضى[2] .

— وله في التورية :

قامــت حروبُ الزَهْــرِ مــا بــين الريــاض السُنْدُسيه ؛
وأتت جُيوش الآسِ تغــ زو روضة الــورد الجَنيّـــه .
لكنّهــا كُسِــرَتْ ، لأنّ الوَرْدَ شَوْكتُه قــويه[3] !

٤ — ديوان الشابّ الظريف ، بيروت[4] ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٤هـ ؛ (بنفقة لطف الله الزهّار صاحب المكتبة الوطنية) ، بيروت (المطبعة الأدبيــة) ١٨٨٥ م ؛ (تحرير محمّد سليم الانسي) ، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٣١٠ هـ ؛ (حقّقه شاكر هادي شاكر) ، النجف (مطبعة النجف) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

مقامة (ملحقة بديوان التلعفري) ، بيروت ١٣١٠ هـ ؛ دمشق ...

* الوافي بالوفيات ٣ : ١٢٩ — ١٣٦ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٦٣ — ٢٦٩ ؛ العبر ٥ : ٣٥٩ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٠٥ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٠ ، الملحق ١ : ٤٥٨ ؛ زيدان ٣ : ١٢٩ — ١٣٠ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ٧٦٦ . (الطبعة الثانية) ٣ : ٦٩٧

عفيف الدين التلمساني

١ — هو عفيفُ الدينِ سُليمانُ بنُ عليّ بنِ عبدِ الله بنِ عَلِيٍّ التِلِمْسانيُّ

(١) للهوى (العشق ؛ المقصود: للمعشوقين) أخلاق (متقلبة : تغضب حيناً وترضى حيناً آخر ، أو ترفض مرة وتقبل مرة أخرى) . (٢) سام : طلب . قضى : مات .

(٣) الشوكة : نتوء حاد فيجوانب الاغصان(في بعضالشجر والنبات) ، والشوكةالقوة والبأس ، والشوكةالسلاح

(٤) يبدو أنه طبع في بيروت بضع مرات : ١٢٧٢ ، ١٣٠٩ ، ١٣٢٥ هـ (لعل الاخيرة منها هي الموسومة : ديوان الشاب الظريف ، طبعة جديدة منقحة مصححة مضافاً اليها ما عثرنا عليه من نظمه المتفرق في دواوين الادب ، بعناية ونفقة المكتبة الاهلية — بيروت ، بلا تاريخ . غير أن اسم المكتبة مخطوط وتحته تاريخ خطه ١٣٢٤ هـ) .

الكُومي[1] ، وُلِدَ سَنَةَ ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) في تِلِمْسانَ وفيها نشأ وتلقّى الطريقةَ الصوفية.

طاف عفيفُ الدينِ التِلِمْسانيُّ في الأرضِ ثمّ جاء الى القاهرة (حيثُ وُلِد ابنُه الشابُّ الظريفُ، سَنَةَ ٦٦٠ هـ) . ثمّ إنّه زارَ بلادَ الروم (آسيةَ الصُغرى) وتلقّى الطريقةَ (المَوْلَويَّةَ ؟) على صَدرِ الدين أبي المعالي مُحمّدِ بنِ اسحاقَ القُونَوِيِّ (ت٦٧٢ هـ) . ثمّ انتقلَ إلى دِمَشْقَ ، ربّما سَنَةَ ٦٧٢ هـ أيضاً ، فعُيِّنَ فيها مُباشراً لاستيفاء أموالِ الخزينة .

وكانتْ وفاةُ عفيفِ الدينِ التِلِمْسانيّ في خامسِ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ ٦٩٠ هـ (٤/ ٧/ ١٢٩١ م)..

٢—كان عفيفُ الدينِ التِلِمسانيّ ناثراً وشاعراً ومُصَنِّفاً . أما شعرُه فسَهلٌ ينوء أحياناً بالضَعْفِ الذي ينوءُ به الشعرُ الصوفيّ عموماً. وأغراضُ شِعرِه هي الأغْراضُ الصوفية. ثم إن له عدداً من المَقامات وعدداً من التصانيف منها : شَرحُ المواقف (في التصوّف) لمحمد بن عبد الجبار النِفَّريّ (ت نحو ٣٦٠ هـ) — شَرْح القصيدة النفسية (العينية) لابن سينا — شرحُ منازل السائرين (في التصوف) لابي اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري الهرويّ (ت ٤٨١ هـ) — رسالة في شرح الأسماء الحسنى — رسالة في علم العَروض .

٣ — مختارات من شعره

— قال عفيف الدين التلمساني في المعاني الصوفية :

وقفنا على المَغْنى قديماً فما أغنى ، ولا دلّتِ الألفاظُ منه على مَعنى .
وكم فيه أمسَيْنا وبِتْنا برَبْعِه حَيارى ، وأصبحنا حيارى كما بتنا !
ونَلْثِمُ تُرْبَ الارض أَنْ قد مَشَتْ به سُلَيْمى ولُبْنى ، لا سليمى ولالبنى[2] .
نادي مناديهم ونُصغي الى الصَدى، فيسألنا عنهم بمثل الذي قُلنا !

— وله في مثل هذا المعنى :

لا تَلُمْ صَبوتي ، فمَنْ حَبّ يصبو ؛ انّما يَرْحَمُ المُحبَّ المُحَبُّ .

---

(١) كومية قبيلة ضعيفة من قبائل المغرب .

(٢) سليمى ولبنى المعبر باسم كل واحدة منها عن (بعض مظاهر) العزة الالهية ، لا سليمى ولبنى من النساء .

كيف لا يُوقِدُ النسيمُ غرامي ، وله في ديار ليلى مَهَبّ ؟
ما اعتذاري اذا خَبَتْ لِيَ نارٌ وحبيبي أنوارُه ليس تَخْبُو !

٤ – ديوان[1] عفيف الدين التلمساني ، بيروت ١٢٧٤ هـ (١٨٥٦ م) ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٤ هـ ؛ القاهرة ١٢٨٧ هـ ؛ مصر (المطبعة اليوسفية) بلا تاريخ : ١٢٨١ هـ (؟) ؛ بيروت ١٨٨٥ م ، (١٣٠٤ هـ) ؛ ١٨٨٩ م (١٣٠٨هـ) ؛ مصر « ديوان اللوذعيّ..... » ١٢٨١ ، ١٣٠٨هـ ؛ بيروت (المكتبة الأهلية) ١٣٢٥ هـ .
مقامة العشّاق ، دمشق......

** فوات الوفيات ١ : ٢٢٨ – ٢٣٠ ؛ العبر ٥ : ٣٦٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤١٢ – ٤١٣ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٠ ، الملحق ١ : ٤٥٨ ؛ زيدان ٣ : ١٣٠ ؛ الأعلام للزركلي ٣ : ١٩٣ .

الموصليَ صاحب الموشّحات

١ – هو شِهابُ الدين أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ المَوْصليُّ ، يبدو أنّه عاش مُدّةً في الشامِ ومَدَحَ الملكَ المنصورَ ناصرَ الدين محمّدَ بنَ الملكِ المنصورِ محمودٍ (٦٣٢ – ٦٨٣ هـ) صاحب حماةَ .

٢ – كان شهابُ الدين الموصليُّ أديباً ناثراً شاعراً توفّر على نظم الموشّحاتَ . والذي يبدو أن مُعْظَمَ موشّحاتهِ تقليدٌ ، ولكنّ له ألفاظاً جميلةً وتراكيبَ سهلةً ومعانِيَ قريبة .

٣ – مختارات من موشّحاته

–عارَضَ شُهابُ الدين الموصليُّ موشّحَةَ الأعمى التُطيليّ الأندلسيَ :

ضاحكٌ عن جُمانْ سافِرٌ عن دُرّ[2] ،
ضاقَ عنه الزمانْ وحواه صدري .

(١) يبدو أن دواوين التلعفري (راجع ، فوق ، ص ٦٤٠) والشاب الظريف وعفيف الدين التلمساني كانت تطبع معاً . ومن هنا جاء الغموض في الاشارة الى طبعاتها .

(٢) الجمانة : الدرة (اللؤلؤة) الكبيرة . ضاحك عن جمان (أسنانه مثل اللؤلؤ) . سافر : كاشف (وجهه) عن در (عن لون أبيض كلون الدر ، أي اللؤلؤ) .

فقال :

باسمٌ عن لآلْ ناسمٌ عن عِطْرِ ،
نافرٌ كالغزالْ سافرٌ كالبدرِ[1] .

*

أيُّ بدرٍ ربيبْ لِيَ فيه أرَبْ ،
ذو رُضابٍ ضَريبْ للطِلا والضَرَب .
يا له من حبيبْ ضاحكٌ عن حبَبْ[2] .
باخلٌ بالوِصالْ سامحٌ بالهَجْرِ ،
لِيَ أبقى الخَبالْ حين أفنى صبري[3] .

*

أغيدٌ إنْ رنا سلّ بِيضَ الصِفاحْ ،
وإذا ما انْثَنى هزّ سُمْرَ الرِماحْ .
لِقتالي دَنا ؛ ذا أميرُ السِلاحْ[4] .
ضاربٌ بالنِصالْ طاعنٌ بالسُمْرِ ،
راشقٌ بالنِبالْ نافثٌ للسِحْرِ[5] .

– وقال يُعارِضُ موشَّحةَ ابنِ سناءِ المُلْك (راجع ، فوق ، ص ٤٥٢) :

جَلِّلي ، يا راحُ ، كأسي ؛ ولها كَلّلي * بالحُلى سِوارَها ثمّ لها خَلْخِلي[6] .

---

(١) لآل جمع لؤلؤة . ناسم : تصدر عنه نسمة (تحمل رائحة طيبة) .

(٢) البدر (محبوب جميل) ربيب (صغير السن) . أرب : حاجة (حب) . الرضاب : الريق ما دام في الفم . ضريب : شبيه . الطلاء : الخمر . الضرب : العسل . الحبب : الفقاقيع التي تطفو على وجه الخمر . ضاحك عن حبب (أسنانه تشبه الحبب) .

(٣) الخبال : فساد العقل ، الجنون .

(٤) أغيد : جميل . رنا : نظر . سل بيض الصفاح (ظهرت خدوده كالصفاح : متون السيوف البيض) . انثنى : تمايل . هز سمر الرماح (قامته طويلة رشيقة معتدلة كالرمح) .

(٥) النصل : السيف . السمر : الرماح . نافث : نافخ .

(٦) جللي : غطي . الراح : الخمر . الكأس (كأس الخمر) . كللي : اجعلي لها اكليلا . الحلى : أسباب الزينة كالعقود ... خلخلي : اجعلي لها خلخالا . – املأي يا خمر كأسي ثم اجعلي لها من حبابك (فقاقيعك) ولونك اكليلا وسواراً وخلخالا .

من غُرَرْ حَبابُكَ المنظوم مثل الدُرّ ؛
بالخَمَرْ[1] كأنّه الياقوت فوق الجَمْرِ ؛
والزَهَرْ في الروضِ أمثالُ النُجوم الزُهْرِ[2] .
فانْقُلي من دَنّكِ المختوم بالمَنْدَلِ * وأرسلي طِيبَ النَدى مَعْ نَسْمَةِ الشَمْا[3] .

٤ ـ * * المنهل الصافي ١ : ٢٥١ ـ ٢٦٣ .

بهاء الدين الاربلـــيّ

١ ـ هو بهاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الأميرِ فخرِ الدين عيسى (ت ٦٦٤ هـ) ابن أبي الفَتْحِ بن هِندي الشَيْبانيُّ الإرْبِليُّ الهكّاريُّ ، نِسْبَةَ الى الهكّاريّة (موضعٍ شَمالَ المَوْصِلِ في جزيرةِ ابن عُمَرَ) ، وُلِدَ في إرْبِلَ ـ حيث كان أبوه والياً ـ بُعيدَ سَنَةِ ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) في الأغلبِ ونشأ في إرْبِلَ أيضاً وتلقّى العلم على نَفَرٍ منهُم الحافظُ أبو عبد الله الكَنْجيّ (ت ٦٥٧ هـ) ورضيُّ الدين عليُّ بـنُ طاووسٍ (ت ٦٦٤ هـ) وتاج الدين أبو طالبٍ عليُّ بنُ أنجبَ الشَهْرَيانيّ البَغْداديُّ (ت ٦٧٤ هـ) وكمال الدين أبو الحسن عليُّ بنُ وضّاحٍ الحنبليّ (ت ٦٧٢ هـ) ورشيدُ الدين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ القاسمِ .

وبعدَ سَنَةِ ٦٥٧ هـ هاجرَ بهاءُ الدينِ الى بَغْدادَ وسَمِـعَ فيها نَفَراً من عُلمائها . ثمّ اتّصلَ بعَلاء الدين عطا مَلِكِ الجُوَيني[4] الذي تولّى ديوانَ الإنشاء في نحو ذلك الزمنِ فولاّه عطا مَلِكِ الكِتابةَ في الديوان . وفي سَنَةِ ٦٦١ هـ أصبحَ عطا ملكٍ والياً على بَغْداد ، ثمّ تولّى الوزارةَ في تلك السَنَةِ نفسِها . ويبدو أن الصِلة بينَ بهاء الدين وعطا ملك كانت قد فَتَرَتْ في نحو ذلك الزمن[5] ايضاً . ولعلّ

---

(١) الخمر (بفتح ففتح) : الشيء الذي يستر (يخفي) شيئاً آخر . (صلة « بالخمر » بما قبلها و بما بعدها غامضة) .

(٢) الغرر : جمع غرة : مقدم الشعر في الرأس ، مقدم الجبهة (كناية عن البياض). الخمر : ... ؟ الياقوت أحمر . الزهر بفتح الهاء : الزهر (بسكون الهاء) . الزهر (بضم الزاي) : النجوم .

(٣) الدن : خابية الخمر . المندل : خشب طيب الرائحة . الشما = الشمأل : ريح الشمال .

(٤) كان علاء الدين عطا ملك مؤرخاً (توفي في رابع ذي الحجة من سنة ٦٨١ = ٤/٣/١٢٨٣ م).

(٥) ذكر عبد الله الجبوري (رسالة الطيف ١٤ ـ ١٥) أن علاء الدين الجويـني تولى الوزارة ٦٨٧ هـ . وفي فوات الوفيات (٢ : ٨٣ ـ ٨٤) : « ثم خدم ببغداد في ديوان الانشاء أيام علاء الدين صاحب الديوان . ثم انه فترت سوقه في دولة اليهود . ثم تراجع بعدهم وسلم ولم ينكب » .

بهاء الدين الإرْبليّ قد تَركَ ديوانَ الإنشاء في زَمَنٍ باكرٍ ثمّ اعتزلَ في بيتِه الى حينِ وفاتِه في سَنَةِ ٦٩٢ ﻫ (١٢٩٣ م).

٢ ـ كان بهاءُ الدين الاربليُّ أديباً مُتَرسِّلاً شاعراً ومُصَنِّفاً. وشعرُه مديحٌ ورثاء وغزَل ووَصْف وخمر وشيءٌ من المُجون. وله مدائحُ في آلِ البيتِ. ومعَ تكلّفه فإنّ على شعرِه رونقاً ورقّة وعُذوبة. ثمّ له من التآليف: رسالة الطَيْف ـ كَشف الغُمّة في معرفة الأئِمّة ـ التذكرة الفخرية ـ نُزهة الأخبار في ابتداء الدنيا وقدر القويّ الجبّار ـ مقامات ـ رسائل ـ جلوة العشاق وخَلوة المشتاق.

قلّد الإربليّ في «رسالة الطيف» كتابَ الشريفِ المُرتضى «طيف الخيال» فوصف فيه أحوالَ العاشقين من السَهَر والاشتياق وقِصَر ليلِ الوِصال وحديثِ النساء ووصف الحال والرُسلِ بين المحبّين، ثمّ استشهد على ذلك كلّه بمختاراتٍ من النثر والشعر. ومع أن مُعْظَمَ الكِتاب مختاراتٌ من المقطّعات الشعريّة وأبياتٌ الشعر فانّ المؤلّف قد ربَطَ بين تلك المختارات بأسلوب مُثْقَلٍ بالصِناعة ولكنّه ينكشف أحياناً كثيرةً عن مقدرةٍ وجَمالٍ.

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال بهاءُ الدينِ الاربليُّ في الراح (الخمر) والغزل والمُجون:

طافَ بها، والليلُ وَحْفُ الجَناحْ، ... بدرُ الدُجى يَحْمِلُ شمسَ الصباحْ[1].
وفازَ بالراحةِ عُشّاقُه ... لمّا بدا في كفّهِ كأسُ راحْ.
ظبيٌ من التُرْكِ له قامةٌ ... يُزْري تَثَنّيها بسُمْرِ الرماح[2]:
عارِضُه آسٌ، وفي خدّهِ ... وردٌ نضيرٌ، والثنايا أقاح[3].
عاطَيْتُه صَهْباءَ مَشْمولةً ... تجلى سَنا الصُبْحِ إذا الصُبْحُ لاح[4]؛
فسكّنت ثورتَه، وانثنى ... فظل طوعي بعد طول الجِماح[5].

---

(١) طاف بها (بالخمر). وحف الجناح: (الليل) أسود الجوانب. شمس الصباح: الخمر.
(٢) أزرى شيء بشيء: عابه، نقص من قيمته. الرمح الاسمر: الذي جف واسمر وأصبح ينثني ولا ينكسر.
(٣) العارض: جانب الوجه. آس: كالاس أخضر (أسود، لأن العرب يقولون للأسود أخضر، كما يقولون للأخضر أسود). نضير: غض، طري (لم يجف). الثنايا: الاسنان. أقاح كالأقاح (بيضاء).
(٤) عاطيته: شربت الخمر معه. صبهاء: حمراء (خمر). مشمولة: مبردة. تجلى (كذا في الاصل)، اقرأ: تجلو سنا الصبح: يعلو ضوؤها على سنا (ضوء) الصبح. (٥) الجماح: النفور، المقاومة.

فبِتُّ لا أعْرِفُ طِيبَ الكَــرى ، وبات لا يُنْكِر طِيب المُزاحْ[1].
فهل عــلى من بــاتَ صَبّا بــهِ —وإنْ نَضا ثَوْبَ الوَقارِ— جُناحْ[2]!

— وله في رسالة الطيف (ص ٦٠ — ٦١) :

ولي طبيعةٌ تصبو إلى زمنِ الربيع وتَتَشوّفُ الى النبات المُريع[3] ، أَجِدُ من نفسي نشاطاً في أيامِهِ ويَهيجُني نَشْرُ رَنْدِهِ وخُزامِهِ وابتهج ببانهِ وعَراره، وأطرَبُ لدِرْهمه وديناره[4] ، وأستَنْشي رَيّاهُ ويَشُوقُني مُحَيّاه ، ويَروقُني منظرُه ومَخْبَرُهُ ، ويَرِقُّ لي أصيلُه وسَحَرُه[5] — ما تَفَتّحتْ أكْمامُه إلاّ تحرّكَ وَجْدُ القلبِ وغَرامُه ، ولا فَتّحَ نَوّارَه الاّ أُضْرِمَ في الحشا نارُهُ[6] :

اتاكَ الربيعُ الطَلْقُ يختــالُ ضاحكاً من الحُسْنِ حتّى كــاد أنْ يتكلّما[7]

٤ — كشف الغمّة ، (بشرح محمّد علي الخوانساري)طهران١٢٩٤ه ؛ (قدّم له جعفر السبحاني التبريزي— وعلّق عليه هاشم الرسوليّ المحلاتيّ) ، قمّ — ايران (المطبعة العلمية)١٣٨١ ه ؛ النجف (مطبعة النجف) ١٣٨٤ — ١٣٨٥ه.

حياة الامامين زين العابدين ومحمّد الباقر (مسلولة من كشف الغمّة) (في سلسلة كتاب الشهر) ، النجف ١٩٥١ م .

رسالة الطيف (تحقيق عبد الله الجبوري) وزارة الثقافة والاعلام — مديرية الثقافة العامّة : سلسلة كتب التراث ٩) ، بغداد (المؤسّسة العامّة للصحافة والطباعة) (دار الجمهورية) ١٣٨٨ ه = ١٩٦٨ م .

** فوات الوفيات ٢ : ٨٣ — ٨٦ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٧١٣ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٣٥ .

---

(١) — قضيت الليل كله ساهراً ، ولم يرفض هو تحرشي به !
(٢) نضا : خلع . الوقار : الرصانة . جناح : اثم ، ذنب ، لوم .
(٣) تصبو : تميل ، تشتاق . تتشوف : تتطلع . المريع (من أراع من راع يريع) : (النبات) النامي ، الكثير .
(٤) هاجه يهيجه : حرك غرامه . النشر : الرائحة . الرند والبان شجران . والخزامى والعرار : نبتان طيبا الرائحة . الدرهم والدينار : الزهر الابيض والزهر الاصفر (الملون) .
(٥) استنشي : أحب أن أشم . ريا : رائحة . يشوقني ، شاقني : هاجني ، حركني ، جذبني . محياه : وجهه (وجه الربيع : وجه الارض المملوء بأنواع الزهر) . راقني : حسن في عيني . مخبره : اختباره (رائحة زهره وطيب نسيمه ، الخ) . رق أصيله (مساؤه قبل الغروب) وسحره (صباحه بعد الفجر) : طاب ، وافق نفسي .
(٦) تفتقت أكمامه : تفتحت أزهاره . الوجد : الحب ، الشوق . النوار : الزهر الابيض . الحشا : القلب .
(٧) البيت للبحتري ويتلوه في الأصل أبيات . الطلق : الضاحك .

ابن عبد الظاهر

١ ــ هو عبدُ الله بنُ عبدِ الظاهرِ بنِ نَشوانَ بنِ عبدِ الظاهرِ بن نَجْدَةَ الجُذاميُّ المِصْريّ ، وُلِدَ في القاهرة في المُحَرَّم من سَنَةِ ٦٢٠ هـ (شباط ــ فبراير ١٢٢٣ م) . وقد تَلَقّى العِلْمَ على أبيهِ عبدِ الظاهر (ت ٦٤٦ هـ) ــ وكانَ مُقرئاً ضريراً عالماً بالقراءاتِ بارعاً في علوم اللغة العربية ــ ثمّ سَمِعَ من جعفرٍ الهَمْدانيّ وعبدِ الله بنِ اسماعيلَ بنِ رَمَضانَ ويوسفَ بنِ المخيليّ . وتولّى ديوانَ الإنشاء في أيامِ الظاهر بَيْبَرْسَ . وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٩٢ هـ (١٢٩٣ م) .

٢ ــ كان ابنُ عبدِ الظاهرِ كاتباً مُتَرَسّلاً بليغاً له رسائلُ ديوانيةٌ ورسائلُ إخوانيةٌ ، وكانَ يَسْلُكُ في رسائلهِ طريقةَ القاضي الفاضل . وقد وَضَعَ كثيراً مِنَ اصطلاحاتِ الإنشاء كما أشاعَ الروحَ الإسلاميةَ في رسائلهِ ، وخصوصاً تلك التي تَتَعلّقُ بالمعارك والفُتوح . وفي شعرِه خاصّةً معانٍ قليلةً وتكلُّفٌ في الصناعة كثيرٌ . وهو يُجيد المُقَطّعاتِ أكثَرَ ممّا يُجيد القصائدَ الطِوال . ثمّ هو مؤلّف له : الروضة البهيّة الزاهرة في خِطط المُعِزّيّة[1] القاهرة ــ الألطاف الخفيّة في السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية (سيرة الملك الأشرف) ــ سيرة الملك الظاهر (شعر) ــ الدرّ النظيم من ترسّل عبد الرحيم (القاضي الفاضل) .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ لمّا هَزَمَ الملكُ الظاهر بيبرس جموعَ التتار في الشام وطاردهم ثم عبر الفرات وراء فُلولهم قالَ ابنُ عبد الظاهرِ يَصِفُ ذلك :

تجمّعَ جيشُ الشِرْكِ من كلِّ فِرْقَةٍ ... وظنّوا بأنّا لا نُطيقُ لهم غَلْبا .
وجاءوا الى شطِّ الفُراتِ ، وما دَرَوْا ... بأنّ جِيادَ الخيلِ تَقْطَعُه وَثْبا .
وجاءتْ جنودُ اللهِ في العُدَدِ التي ... تَميس لها الأبطالُ يومَ الوغى عُجْبا[2] .
فعُمْنا ، بسَدٍّ من حديدٍ ، سِباحةً ... إليهم ؛ فما اسْطاع العَدُوُّ له نَقْبا[3] ؟

---

(١) الخطط (بكسر الخاء) جمع خطة (بكسر الخاء) : قطع الارض ، أقسام المدينة . المعزية : نسبة الى المعز لدين الله الفاطمي الذيفتحت مصر وبنيت القاهرة في أيامه .

(٢) العدد (بضم العين) جمع عدة (بضم العين) : السلاح . الوغى : الحرب .

(٣) عام : طفا على وجه الماء . بسد من حديد (بسلاح كثير) . فما استطاع العدو له نقبا : اقتباس من قول الله تعالى (١٨ : ٩٧) : عن السد الذي بناه ذو القرنين : « فما اسطاعوا أن يظهروه (بفتح الهاء: يتسلقوا عليه) وما استطاعوا له نقباً (سورة الكهف) . نقبا : خرقاً .

— وقال في الحمامة التي يزعم الناس أن غناءها بكاء ، معَ أنّ كلّ ما فيها دليل على الفرح :

نَسَبَ الناسُ للحَمامةِ حُزْناً ؛ وأراها في الحُزْنِ[1] ليستْ هُنالِكْ :
خَضَبَتْ كَفَّها وطَوّقَتِ الجيـ ـدَ * وغَنّتْ ؛ وما الحَزينُ كذلك !

— وكتب الى ابنه فتح الدين[2] :

ان شِئْتَ تَنْظُرُني وتنظرُ حالَتي ، قابلْ اذا هَبّ النسيمُ قَبولا[3] ؛
تَلْقاهُ مِثْلي رِقّةً ولَطافة ؛ ولأجلِ قَلْبِكَ لا أقولُ عليلا .
فهو الرسولُ إليك منّي ؛ لَيْتَني كُنتُ اتّخَذْتُ مَعَ الرسولِ سَبيلا[4] !

— وكتب الى بعض أصحابه يَسْتَدْعيه الى حَمّام :

هلْ لَكَ — أطالَ اللهُ بقاءك إطالةً تَكْرَعُ بها من مَنْهَلِ النعيم وتَتَملّى (منها) بالسعادة تَمَلّيَ الزَهْرِ بالوَسْميّ[5] والنظرِ بالحسنِ الوسيم — في المشاركةِ في حَمّام جَمَعَ بين جَنّةٍ ونار ، وأنواء وأنوار وزُهر وأزهار[6] ، قد زال فيه الاحْتشام فكلٌّ عارٍ ولا عارَ . نجومُ جاماتِه لا يَعْتَريها أُفولٌ ، وناجمُ رُخامه لا يُغيّره ذُبول[7] ..... وذلك على يد قَيِّمٍ قيّمٍ بحقوق الخدمة ، ماهرٍ في ما يُعامِلُ به أهلَ النعيم من أسبابِ النعمة ، خفيفِ اليدِ مَعَ الأمانة ، موصوف بالمَهابة عند أهل تلك المَهانة[8] . لَطُفَ أخلاقاً حتّى كأنّها عِتابُ جَحْظَةَ

---

(١) في الاصل : في الحسن ! * قوائم الحمامة حمراء ويكون حول عنقها عادة ريش ملون كأنه عقد .
(٢) يبدو أن فتح الدين كان مريضاً . وعلى كل فقد توفي قبل والده (حسن المحاضرة ١ : ٢٧٣) .
(٣) هب النسيم قبولا (من الجنوب) .
(٤) « ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا » تضمين من القرآن الكريم (راجع سورة الفرقان ، ٢٥ : ٢٧) .
(٥) الوسمي : المطر في أول الربيع .
(٦) جنة : نعيم . يقال: الحمام نعيم الدنيا . النار (هي النار التي توقد في الحمام) . النوء : الموج (كناية عن الماء الكثير) . الانوار (يكون الحمام مغلقاً وبلا نوافذ ولذلك تشعل فيه الانوار ليلا ونهاراً . الزهر (النجوم) : المصابيح المضاءة فيه ؛ والازهار كناية عن الملاح والحسان من الذين يأتون الى الحمام .
(٧) فكل (موجود في الحمام) عار (بلا ثياب) ولا عار (عيب في ذلك) . الجام (هنا) كيل صغير يغرف المغتسلون به الماء ليسكبوه على أجسامهم . لا يعتريها أفول (غروب) لا يبطل استعمالها . الناجم : النبت ليس له ساق . لا يعتريها ذبول : لا تذوى (تجف وتيبس) — لعله يشير الى أشكال من النبات والازهار مرسومة على رخام (بلاط) الحمام .
(٨) قيم الحمام : المشرف عليه . قيم بحقوق الخدمة : خبير بها (يعتني بالذين يأتون الى حمامه) ، بارع . المهانة = امتهان مهنة . تلك المهانة : الإشراف على حمام (العمل في الحمام) .

والزمانِ ، وأحْسَنَ صَنيعَهُ فلا يُمْسِكُ إلاّ بمعروفٍ ولا يُسرِّحُ إلاّ بإحسان [1] ...

٤ – تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور (حقّقه مراد كامل) ، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٩٦١ م .

نبذ من الجزء الثالث من الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية (نشره موبرغ – مع نقل الى اللغة السويدية) ، لو ند في أسوج ، ١٩٠٢ م .

* * عصر المماليك : الترسّل وابن عبد الظاهر ، تأليف محمّد الحبيب بن الخوجه (منشورات كتاب البعث) ، تونس ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

فوات الوفيات ١ : ٢٧١ – ٢٨٠ ؛ العبر ٥ : ٣٧٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٢١ ؛ زيدان ٣ : ١٦٧ – ١٦٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٦٧٩ – ٦٨٠ ؛ بروكلمان ١ : ٣٨٨ – ٣٨٩ ، الملحق ١ : ٥٥١ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٣٢ – ٢٣٣ .

كمال الدين ابن الاعمى

١ – هو كمالُ الدين عليُّ بنُ محمّدِ بنِ المُبارك ، كان أبوه ظهيرُ الدين محمّدٌ الأعمى خطيبَ القُدْسِ . وُلِدَ عليٌّ صاحبُ هذه التَرْجمةِ في أوائلِ القرنِ السابع للهِجرة (أوائل الثالث عَشَرَ للميلاد) . وكان مُقْرِئاً في التُربة الأشرفية . وقد عاش طويلاً ثمّ انقطع في آخرِ عُمُرِهِ الى القِليجية * . وكانت وفاتُه في المُحَرَّم من سَنَةِ ٦٩٢ هـ (١٢٩٢ – ١٢٩٣ م) .

٢ – بدأ كمالُ الدينِ بنُ الأعمى نظمَ الشعر في أيامِ صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩ – ٥٨٩ هـ) ، وكان ذا اتّجاهٍ صوفيّ . وهو متينُ السبكِ سهلُ التركيبِ عَذْبُ الشعر ، يَمْزِجُ الجِدَّ أحياناً بالهَزْل . واشتهر بأنه صاحب « المقامة » في صِفات البحرية (المماليك البحرية !) .

٣ – مختارات من شعره

– قال كمالُ الدين بنُ الأعمى يَصِفُ داراً كان يَسْكُنُها :

دارٌ سَكَنْتُ بِها أقلُّ صِفاتِها   أن تَكْثُرَ الحَشَراتُ في جَنَباتِها .

(١) جحظة البرمكي (راجع ٢ : ٤٢٤) يمسك باحسان (يحسن الى الزبائن ما داموا في حمامه) ويسرح باحسان فيها تورية : يسرح لهم شعرهم (وذلك من توابع الاستحمام) ، يسرح : يترك (يودع الزبائن بعد أن يكونوا قد استوفوا جميع شروط الاستحمام) . والجملة مقتبسة من القرآن الكريم ، في سورة البقرة : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح باحسان (٢ : ٢٣١) .

الخيرُ عنها نــازحٌ متباعــدٌ والشرُّ دانٍ من جميعِ جِهاتِهــا .
من بعضِ ما فيها البعوضُ – عَدِمتُه – كم أعدَمَ الأجفانَ طِيبَ سِناتِها[(١)] .
وبها ذُبابٌ كالضَّبابِ يسدّ عيْـــنَ الشمسِ ؛ ما طَرَبي سِوى غُنّاتِها[(٢)] .
أين الصوارمُ والقَنــا من فَتْكِهــا فينا ، واينُ الأُسْدُ من وَثَباتِهــا[(٣)] !
وبِها من الجُرْذانِ ما قد قَصَّرتْ عنه العِتاقُ الجُرْدُ في حَمَلاتِها[(٤)] .
وبها زنابيرٌ تُظَنّ عقارِبــاً ، لا بُرْءَ للمَسْموم من لَدَغاتِهــا .
وبها عقــاربُ كالأقاربِ رُتَّــعٌ فينا ، حَمانا اللهُ لَدْغَ حُماتِهــا[(٥)] .
كيفَ السبيلُ الى النجاة ؟ ولا نجــاةَ ولا حَياةَ لِمَنْ رأى حَيّاتِها :
السمّ في نَفَثاتِهــا ، والمَكْرُ في فَلَتاتِها ، والمــوت في لَفَتاتِها[(٦)] !

٤ – * فوات الوفيات ٢ : ١٠١ – ١٠٥ ؛ العبر ٤ : ٣٧٦ – ٣٧٧ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٢١ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٥٥ .

سعدي الشيرازي

١ – هو الشيخ مشرّف الدين بن مُصْلِــحِ الدين عبدِ الله الشيرازيُّ ، وُلِدَ في مدينة شِيرازَ (إيران) سَنَةَ ٦٠٦هـ (١٢٠٩–١٢١٠م) في الأرجح وفيها نشأ . وكان مُصْلِــحُ الدين في خِدمة سَعدِ الأوّل ابنِ زنكي السَلْغَريِّ الذي كان أتابكاً على فارسَ (٥٩٩ – ٦٢٨ هـ) فاتّخذ مشرفُ الدين لَقَباً من اسمِ سَعْدِ بنِ زنكي

(١) السنة (بكسر السين) : الغفوة ، أول النوم ، شدة النوم أيضاً .
(٢) الضباب : الغيم القريب من الأرض . الغنة : مرور الكلام في اللهاة (والأنف) . ما طربي سوى غناتها : ليس لي من وسائل الطرب بالغناء إلا هذا الصوت (المزعج) من الذباب .
(٣) الصوارم : السيوف . القنا : الرماح .
(٤) العتاق الجرد : الخيول الأصيلة (الاجرد : القليل الشعر – من صفات الخيل الاصيلة) . الحملات الهجمات .
(٥) رتع جمع راتع : الذي يأكل ويشرب ما يشاء في سعة من الخصب . وقوله كالأقارب : كناية عن الاطمئنان كأن لها حقاً في مشاركته في مسكنه . الحماة جمع حمة (بضم الحاء وفتح الميم المهملة بلا تشديد) الابرة التي تضرب العقرب (أو النحلة أو الزنبور الخ) بها .
(٦) النفث : النفخ (نفث الحية للسم بعد أن تعض). الفلتات جمع فلتة : (الحركة) المفاجئة ، يقول : من مكر الحية (حيلتها) أنها تكون كامنة (هادئة) ثم تهجم على فريستها بغتة . والموت في لفتاتها (اذا تلفتت ورأت أحداً !) أو إذا انقلبت لتفرغ السم من انيابها بعد ان تعض .

وعـرِفَ في التاريخ باسم « سَعْدي » أو سعدي الشيرازي .

انتقل سعدي في مَطْلَعِ شبابه الى بَغدادَ ودخل المدرسة النظاميةَ ليتلقّى فيها العلمَ . ويبــدو أنّ مَيْلَه كان ، في مطلع حيــاته، الى الفقه والتصوّف فحَضَر دُروسَ الشِهاب السُهْرُوَرْديّ (ت ٦٣٢هـ) وسِبْطِ ابن الجَوْزيّ (ت ٦٥٤ هـ) وغيرِهما من رِجالِ التصوّف خاصّةً . ثمّ إنّه عاد الى شيراز فلم يَطِبِ المُقام له فيها لاستمرارِ الاضطراب السياسيّ فأخذَ يتطوّف في الارض : زارَ الهندَ والحِجاز وحجّ مِراراً ثمّ استقرّ حيناً في دمشق وزارَ بلادَ الروم (آسية الصغرى). بعدَئذ عادَ الى شيرازَ حيثُ تُوُفّي سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) أو بعدَها بقليلٍ .

٢ ــ سعدي الشيرازيّ من كِبارِ شعراءِ الفرسِ ، وُجْدانيُّ الأغراضِ حُلْوُ الألفاظِ رقيقُ النظم يَجْري في شعرِه مَجْرى القَصَص . أمّا أغراضُه فهي الغَزَلُ خاصّةً والأدبُ (الأمثالُ والحِكَم) . وله نثرٌ في أعلى طَبَقاتِ الجَوْدة . وقد كَتَبَ سَعدي ونَظَمَ في اللغتين الفارسية والعَرَبية [1] . ويَغْلِبُ الاتّجاه الصوفيّ على جميعِ آثارِه ، وإنْ كنّا لا نَستطيعُ أن نُسَمّيَه مُتَصَوِّفاً .

ولسعدي الشيرازيّ ثلاثةُ مجاميعَ من الشعر : كُلستان (حديقة الورد : وفيه نثر وشعر باللغتين الفارسية والعربية) وبوستان (البستان : الحديقة) وكلّيّات . وفي « كلّياته » قصائدُ فارسيةٌ وقصائدُ عربيةٌ ومُلَمّعاتٌ (راجع ، فوق ، ص٦٢٢) ورُباعيّاتٌ (راجع ، فوق ، ص ٢٥١) ومَراثٍ وغَزَليّاتٌ وهَزْليّات . وله أيضاً رسائلُ إخوانيةٌ وكتاب « بند نامه » (كتاب النصائح) .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال سَعْدي الشيرازي في معنًى بينَ الغزل والتصوّف [2] بالعربية :

يا نديمي ، قُـمْ بِلَيْلٍ واسْقِني واسْقِ النَدامى [3] .
خلّني أسْهَرُ لَيْـلي ، ودَعِ الناسَ نِيـاما .
اسْقِيـاني ، وهديـرُ الر عد قد أبْكـى الغماما ،
في أوانٍ كشف الــ وردُ عن الوجـه اللثّاما [4] .

---

(١) Huart, A Hist. of Arabic Lit. 111.

(٢) الكشكول (تحقيق طاهر أحمد الزاوي)، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٣٨٠ هـ (١٩٦١م) ، ١ : ٢٦٣ ، ٢ : ٢٨٧.

(٣) الندامى (جمع نديم) : الذين يشربون الخمر معاً .

(٤) أوان : زمان ، زمان الربيع . كشف الورد (بظهوره) عن وجه الارض (الذي كان مغطى بالثلج).

أيُّهـا المُصْغي إلى الـزُ هـّاد ، دَعْ عنك النيـاما[1] .
فُز بهـا من قَبْـلِ أن يَجْعَلكَ الدهرُ حُطاما[2] .
قلْ لمن عَيَّر أهلَ الـ حُبُّ بالحـبِّ ولامـا :
لا عَرَفْتَ الحُبَّ ـ هيهـا تِ ـ ولا ذُقْـتَ الغراما[3] !
لا تَلُمْني في غُـلامِ أوْدَعَ القلـبَ سَقاما[4] .
فبِداءِ الحُـبِّ كم مـن سَيِّدٍ أضحـى غُلاما[5] .

ـ لسعدي شعرٌ فيه كثيرٌ من الحِكمة وقليلٌ من التصوّف ، منه[6] :

فاقَ طينُ الأوطـانِ عَرْشَ سُليما نَ وأشْواكُه على الرَيْحانِ .
يوسفٌ ـ وهْوَ مَلْكُ مِصْر ـ تمنّى أن يكـونَ الشَحّاذَ في كَنْعـانِ .

ـ ولسعدي شِعْر باللغة العربية منـه :

أشاهدُ مَـنْ أهوى بغيرِ وسـيلةٍ فيَلْحقُني شأنٌ أضلُّ طريقا ؛
يُؤَجِّـجُ ناراً ثمّ يُطْفـي برَشّةٍ ، لذاك تراني مُحْرَقـاً وغَريقا !
• يُهاجُ إلى صوتِ الأغـاني لطِيبه ، وأنت مُغَنٍّ إنْ سَكَتَّ تَطيبُ !
• انّي لَمُسْتَتِرٌ عن عينِ جيراني ، واللهُ يعلَمُ إسراري وإعلاني .
• فقدتُّ لذيذَ العيشِ . والمرء جاهـلٌ بِقَدْرِ لذيذِ العيشِ قبلَ المصائبِ !

ـ لمّا اجتاحَ التتارُ بَغدادَ سَنَةَ ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، قال سَعْدي الشيرازيّ يرثي أميرَ المؤمنين المستعصم بالله العبّاسيّ ويأسى لخراب بغداد في قصيدة عربية منها :

حَبَسْتُ بجَفْنَيَّ المدامِـعَ لا تجري ، فلمّا طغى الماءُ استطالَ على السِكْرِ[7] .

---

(١) النيام : النوم .
(٢) بها : بالخمر ! .... قبل أن تشيخ .
(٣) ما عرفت .... : أنت لم تعرف في حياتك الحب (الالهي) ؛ لا عرفت .... : أدعو عليك ألا تعرف هذا الحب العظيم اللذيذ .
(٤) غلام : محبوب .
(٥) غلام : عبد .
(٦) هذان البيتان بالفارسية ، وقد نقلهما المؤلف الى العربية .
(٧) طغى الماء : عظم وفاض وغطى كل شيء . استطال : قوي ، استولى ، استبد . السكر (بفتح السين وبكسرها أيضاً) السد على النهر (القاموس ٢ : ٥٠) .

نسيمُ صَبا بَغدادَ بعد خرابِهـــا   تمنّيت لو كانت تمرّ[1] على قبـــري ،
لأنّ هلاكَ النفسِ عند أُولي النُهى   أحبُّ له من عيشِ مُنقبِضِ الصدر[2] .
زجرتُ طبيباً جسّ نَبْضي مُداوياً :   إليك، فما شكوايَ من مَرَضٍ تُبري[3].
تُسائلُني عمّا جرى يوم حَصْرِهِمْ ،   وذلك ممّا ليس يدخُلُ في الحَصْرِ[4] :
أُديرتْ كؤوسُ الموتِ حتّى كأنّما   رؤوسُ الأسارى تَرْجَحِنُّ من السُكْرِ[5].
نوائبُ دهرٍ ليتَني مِــتّ قبلَهـــا   ولم أرَ عُدوانَ السَفيه على الحَبْرِ[6] .
أيا ناصِحي بالصبر ، دَعْني وزَفْرتي ؛   أموضعُ صبرٍ والكبودُ على الجمـــر[7] !
وَقَفْتُ بعَبّـــادانَ أرقُبُ دِجلةَ   كمثلِ دمٍ قانٍ يسيلُ الى البحر[8] .
ولا تسألاني كيف قلبُك والنَـــوى ؛   جَراحةُ صدري لا تُبَيَّنُ بالسَبْرِ[9] .
وهَبْ أنّ دارَ المُلكِ تَرْجِـــعُ عامراً   ويُغْسَلُ وَجهُ العالمين من العَفْرِ[10] ،
فأينَ بنو العبّاسِ مفتخرو الوَرى :   ذَوُو الخُلُقِ المَرْضِيِّ والغُرَرِ الزُهْرِ[11]
غدا سَمَراً بينَ الأنامِ حديثُهُمْ ؛   وذا سَمَرٌ يُدمي المسامعَ كالسَمْرِ[12] .
وفي الخَبَرِ المَرْوِيِّ : دينُ محمّدٍ   يعودُ غريباً مثـــلَ مبتدإِ الأمر[13] .

---

(١) كانت (كذا في الأصل) ، ولو قال مكان ذلك «أن كان مر» لظل الوزن صحيحاً وكان أصح في المعنى .

(٢) أولي النهى : أصحاب العقول . أحب له (يجب أن تكون « أحب اليهم ») . من عيش (رجل) منقبض الصدر (حزين) .

(٣) اليك (عني) : ابتعد عني : تبرى = تبرىء (تستطيع أنت أن تشفيه) .

(٤) حصرهم =محاصرتهم . ليس يدخل في الحصر : لا يمكن إحصاؤه .

(٥) ارجحن : مال ، اهتز .

(٦) الحبر (بفتح الحاء) : الرجل العالم .

(٧) الكبود والأكباد جمع كبد (بفتح فكسر). أموضع صبر : أهذا أمر يمكن الصبر فيه (المصيبة كبيرة جداً) .

(٨) عبادان جزيرة في خليج البصرة . قان وخان (في الفارسية) : دم . دم قان : دم شديد الحمرة .

(٩) النوى : البعاد . السبر : قياس عمق الجرح بالمسبار (آداة كالمسلة) يقيس الطبيب بها عمق الجرح. جراحة صدري : الجرح المعنوي (لا يعرفه الأطباء .)

(١٠) ترجع (شيئاً) عامراً : تعود عامرة . العفر (بفتح ففتح أو بفتح فسكون) : التراب . يغسل وجه العالمين من العفر (من الذل) .

(١١) الغرر جمع غرة : مقدم الرأس . الزهر جمع أزهر (أبيض) وزهراء . ذوو غرر زهر : أصحاب جمال ومجد.

(١٢) السمر : حديث يتسلى به المجتمعون ليلا . السمر : شك العين بمسمار .

(١٣) الخبر المروى : حديث رسول الله . في الحديث : يعود هذا الدين (الاسلام) غريباً كما بدأ (يقل العارفون به حق معرفته) .

أأغربُ من هـذا يعودُ كما بـدا ؟ … وسَبْيُ ديارِ السِلم في بلدِ الكُفر [1] !

لَعَمْرُكَ ، لو عايَنْتَ ليلةَ نَفْرِهِمْ … كأنّ العَذارى في الدُجى شُهُبٌ تَسْري [2] ؛

وإنّ صبـاحَ الأسْرِ يــومُ قيامةٍ … على أُمَمٍ شُعْثٍ تُساق الى الحَشْر [3] .

ومُسْتَصْرِخٍ : يا لَلْمُروءة ، فانْصُروا ! … ومن يَنْصُرُ العُصفورَ بَيْنَ يَدَيِ النَّسْر [4] ؟

إلامَ تصاريفُ الزمـانِ وجَوْرُه … تُكَلِّفُنا ما لا نُطيق من الإصر [5] .

إذا شَمِتَ الواشي بمَوْتي ، فقُلْ له : … رُوَيْدَك ، ما عاشَ امرؤٌ أبَدَ الدهر .

إذا كان عند الموتِ لا فرقَ بينَنا ، … فلا تَنْظُرَنّ الناسَ بالنَظَرِ الشَزْر [6] .

عفا الله عمّا (قد) مضى من جريمةٍ … ومَنّ علينـا بالجميل من الصبر ؛

وصانَ بـلادَ المسلمين صيانةً … بدَوْلةِ سُلطانِ البـلادِ أبي بكر [7] ،

أُحَدِّثُ أخباراً يَضيق بها صدري ؛ … وأحْمِلُ آصاراً يَنوءُ بها ظهري [8] .

خليليّ ، ما أحـلى الحياةَ حقيقـةً … وأطيبَها ، لولا المَماتُ على الإثر !

٤ – كلّيّات شيخ سعدى... (تصحيح محمّد علي فروغي) ، تهران (كتابفروشي محمّد حسن علي) ١٣١٩ .

* * ترجمة كلستان ، تعريب جبرائيل بن يوسف (عني بنشره وطبعه ابراهيم مصطفى تاج) ، القاهرة (المطبعة الرحمانية ١٩٢١م ؛ روضة الورد ، ترجمة محمّد الفراتي (نشرته وزارة الثقافة والارشاد القومي – مديرية التأليف والترجمة ، سلسلة روائع الأدب الشرقي ١) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م .

البستان (ترجمه شعرا محمد الفراتي) ، دمشق (منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي) ١٩٦٨ م .

---

(١) ديار السلم : ديار الاسلام .

(٢) النفر : نزول الحجاج من عرفات الى منى (بكسر الميم) في الحج . والنفر أيضاً تفرق الحجاج لرجوعهم الى بلادهم . والمقصود (هنا) : محاولة هرب اهل بغداد من التتار . الشهاب : الكوكب ، الحجر الساقط في الفضاء فاذا دخل جو الارض احترق وأضاء ضياء شديداً . تسرى : تسير ليلا .

(٣) الاشعث : المشوش الشعر (كناية عن انصراف الانسان عن الاهتمام بهندامه اذا كثرت الأعمال عليه واذا نزلت به مصيبة الخ .) الحشر : يوم القيامة (كناية عما فيه من الأهوال) .

(٤) ومن ينصر ...(من يستطيع انقاذ العصفور من بين يدي النسر ؟) . في الأصل : ومن يصرخ .

(٥) إلام (الى أي مدى تستمر) تصاريف الزمان (مصائبه) وجوره (وظلمه) ؟ الأصر (بكسر الهمزة) : الثقل (الأحداث والمصائب) .   (٦) النظر الشزر (من طرف العين) كناية عن الغضب أو الحقد .

(٧) أبو بكر هذا لعله أبو بكر قتلغ خان بن سعد (٦٢٨ – ٦٥٨ هـ) من بني سلغر أتابكة فارس ، وكان سعدى يستظل بحمايته (زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة ٣٥٠) .

(٨) آصار جمع إصر : ثقل . ناء فلان بالحمل : أثقله ، نهض فلان بالحمل بجهد ومشقة .

روائع من الشعر الفارسي : جلال الدين الرومي – سعدى الشيرازي – حافظ الشيرازي ، ترجمة محمّد الفراتي ، نشرته وزارة الثقافة والارشاد القومي – مديرية التأليف والترجمة ، سلسلة روائع الأدب الشرقي ، رقم ٢) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) بلا تاريخ .

سعدى الشيرازي شاعر الانسانية ، تأليف ، تأليف محمّد موسى هنداوي ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥١ م .

دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٣٦ – ٣٩ .

تقيّ الدين السروجي

١ – هو تقيُّ الدين عبدُ الله بنُ عليّ بنِ مُنْجِد بنِ ناجدِ بنِ بركات ، وُلِدَ في سَروجَ من جزيرة ابن عُمَرَ (شَماليَّ الشام والعراق) سَنَةَ ٦٢٧هـ (١٢٢٩ – ١٢٣٠ م) . تلقّى تقيُّ الدين السروجيُّ تِلاوةَ القرآنِ واللغةَ والنحوَ وطرَفاً من فنون الأدب وأجادها ، ولكنْ غَلَبَ عليه السلوكُ الصوفيّ . وكانت وفاتُه في القاهرة في رابعِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٩٣ هـ (٢٩/ ٦/ ١٢٩٤ م) .

٢ – كان تقيُّ الدين السروجيُّ سالكاً في طريق التَصَوُّفِ مُتَقَلِّلاً من الدنيا يَغْلِبُ عليه حبُّ الجَمال مَعَ العِفَّة . وكان شاعراً على المذهبِ الصوفيّ أيضاً مكثِراً محسناً أحياناً حتّى كان يُغنّى في بعض شِعره . وكان يُلِمّ بمعاني ابنِ الفارض .

٣ – مختارات من شعره

– قال تقيُّ الدين السروجيّ يتشوّقُ الى محبوبهِ على مذهب القوم (الصوفية) :

أنْعِمْ بوصلِكَ لي ، فهذا وقتُـهُ ؛ ... يكفي من الهِجران ما قد ذُقْتُهُ .
أنفقتُ عُمْرِيَ في هواكَ ، ولَيْتَني ... أُعْطى وُصولاً بالـذي أنفقتـه[1] .
يا من شُغِلْتُ بحُبِّهِ عن غيـرهِ ... وسَلَوْتُ كلَّ الناس حين عَشِقته ،
كم جال في ميدانِ حُبِّك فارسٌ ، ... بالصِدق فيك الى رِضاك سَبَقْتُه[2] .
أنتَ الذي جمـع المحاسنَ وجهُهُ ، ... لكنْ عليك تَصَبُّـري فرّقته .
قال الوشاةُ : قدِ ادّعى بكَ نِسبةً . ... فسُرِرْتُ لمّا قلتَ : قد صَدّقْتُه[3] .

---

(١) وصول : بطاقة بتسلم المبالغ من الذين يدفعونها .
(٢) – أنا سبقت الى رضاك لأنني أحبك صادقاً مخلصاً (وهم يظنون أنهم يحبونك) .
(٣) سررت لما علمت أنك قلت لهم إنني لا أنتسب اليك (لأنني لا أريد أن يعرفوا ذلك لأنهم لا يفهمون معنى حب الانسان لله – او صدقت دعواه بأنه ينتسب إليّ) .

بالله ، ان سألوك عنّي قُـلْ لهم :   عَبْدي ومُلْكُ يدي ، وما اعتَقْتُه[1] ؛
أو قيل : مشتاقٌ إليك ! فقُلْ لهم :   أدري بذا ، وأنـا الذي شوّقتـه .
يا حُسْنَ طيفٍ من خَيالك زارني   من عِظَمِ وَجْدي فيه ما حقّقته[2] .
فمضى وفي قلبي عليه حسـرةٌ ،   لو كان يُمْكِنني الرُقادَ لَحِقْتُه[3] !

ـ وله في التورية في « خالها » و « عمّها » :

بالجانـبِ الأيمنِ من خَـدِّها   نُقْطَةُ مِسْكٍ أشتهي شَمَّها[4] .
حَسِبْتُه لمّـا بدا خالَهـا ،   وجدتُه من حُسْنه عَمَّهـا[5] !

٤ ـ ** فوات الوفيات ١ : ٢٨٢ ـ ٢٨٩ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٤٣ .

البوصـيري

١ ـ هو الإمامُ شَرَفُ الدينِ محمّدُ بنُ سعيدِ بنِ حَمّادٍ الصِنْهاجي البُوصيري الدِلاصيّ المِصريّ : نسبةً الى صِنْهاجةَ (إحدى القبائلِ العظيمة في المَغْرب ـ فلَعَلّ أحدَ أجدادِه كان منها) والى بُوصيرَ (أو بوصيرِ قوريدسَ أو بوصيرِ الملقِ بينَ الفيّوم وبني سُويفٍ في مِصْرَ ـ بلدةِ والدِه) والى دِلاصَ (بلدةِ والدته) . وكذلك رُكّبت له نِسبةٌ من اسم البلدين (بوصير ودلاص) فقيل له الدِلاصيريُ .

وُلِدَ البوصيريُّ في أول شَوّالٍ من سَنَةِ ٦٠٨ هـ (٦/ ٣/ ١٢١٢ م) بناحيةِ دِلاص أو في بَهْشيمَ ، وكلتاهما منّ أعمال البَهْنَسا . ويبدو أنه اتّجهَ منذُ مطلَعِ حياتهِ نحو التصوُّفِ فأخذَه عن أبي العبّاس المُرْسي (ت ٦٨٦ هـ) خليفة أبي الحسنِ الشاذِليّ (ت ٦٥٦ هـ) في طريقتهِ . ولكنْ يبدو أن حياتَه في بيتِهِ وبينَ الناسِ كانتْ بعيدةً جِداً عمّا يدعو اليه التصوّفُ الصحيحُ .

يذكُرُ بروكلمانُ (الملحق ١ : ٤٦٧) أن البوصيريَّ سَكَنَ القُدْسَ عَشْرَ

---

(١) « ما » حرف نفي . ما أعتقته : لم أعتقه . هو لا يزال عبدي .
(٢) ـ من كثرة حبي وسروري بطيفك (بخيالك في المنام) ما حققته : لم اثبت رؤيته (لم أره بوضوح) .
(٣) أحب أن أنام لأرى طيفك ثانية وأتملى برؤيته ، ولكني لا أستطيع الرقاد (النوم) لأن حبك يشغلني (بفتح الياء والغين) عن كل شيء حتى حرمني النوم أيضاً .
(٤) نقطة مسك : نقطة سوداء.
(٥) بدا : ظهر . خالها (أخو أمها ؛ نكتة سوداء « خال » في وجهها) . عمها : أخو أبيها ؛ من حسنه (بحسنه) عمها (كان عاماً فيها) : كل ما فيها حسن جميل .

سَنَوات . بعدئذٍ انتقلَ الى المدينةِ ثم قَضَى ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً في مكّةَ يُعَلِّم القرآنَ . ولمّا عادَ إلى مِصْرَ دخَلَ في خِدمةِ الدولة فعُيِّن مباشِراً (كاتباً) في بَلْبَيْسَ الشرقية، نحو سَنَةَ ٦٥٩هـ ، فبقي في خدمة الدولة نحو أربعِ سَنَواتٍ آثرَ بعدَها أن يُنْشِيء كُتّاباً لتعليمِ القرآنِ الكريم . ثم إنه جاء الى القاهرة وحاولَ أن يتكسّبَ بالشعرِ فلم يَتِمَّ له ذلك فافتتح كُتّاباً لتعليمِ القرآن . في هذهِ الاثناء كان يتردّدُ على الاسكندريةِ حيثُ كان الشيخ أبو العبّاسِ المُرْسيُّ قد استقرّ .

وأسنَّ البوصيريُّ ثم أدركَهُ الضَعْفَ وتوفّي في المُسْتشفى المنصوري في القاهرةِ ، سَنَةَ ٦٩٤ هـ (١٢٩٥ م) أو بعد ذلك بقليل .

٢ ــ كان البوصيريُّ فقيهاً وكاتباً وحاسباً وشاعراً ؛ ولكنَّ شهرتَه في الشعر ، وفي مدح الرسولِ خاصّةً : له الهَمْزية (٤٥٨ بيتاً) في مدحِ الرسولِ واستعراضِ شيءٍ من تاريخ الدَعْوة الإسلامية الى آخر دولةِ الخلفاء الراشدين . وله البُرْأة أو البُرْدة (ميمية ، ١٨٠ بيتاً) في مدح الرسول . قال البوصيريُّ (فوات ٢ : ٢٦٠) : «اتّفق أنْ أصابني فالجٌ أبْطَلَ نِصْفِيَ ففكّرتُ في عَمَلِ قصيدتي هذه (البُرْدة) فعَمِلْتُها واسْتَشْفَعْتُ إلى اللهِ تعالى في أنْ يُعافِيَني ، وكرّرتُ إنشادَها وبَكَيْتُ ودَعَوْتُ وتوسّلْتُ ونِمْت . فرأيتُ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ (في المنام) فَمَسَحَ على وَجَعي بيدِهِ المُباركة وألقى عليّ بُرْدَةً (ثوباً واسعاً يُلْبَسُ فوق غيرِه) . فانْتَبَهْتُ ووجدتُّ فيَّ نَهضَةً وخرجتُ من بيتي » .

وقد أكْثر البوصيريُّ من مطالعةِ التوراةِ والإنجيل وعددٍ من كُتُبِ الدين اليهودية والنَصْرانية وردّ على ما فيها مما يُخالِفُ الرأيَ الإسلامي . ونحنُ نَجِدُ ذلك في قصائدِه وفي تعاليقَ له على تلك القصائدِ .

والبوصيريّ ناثرٌ مُترسّلٌ ، فقد كان بِضْعَ سنواتٍ في خدمةِ الدولة ثم كان أيضاً معلّماً . وللبوصيريِّ تعاليقُ على قصيدتِه اللامية «المخرج والمردود على النصارى واليهود» (الديوان ١٢٧ ــ ١٧١) تَجْري في أسلوبٍ مُرْسَلٍ سَهْلٍ لا تكلّفَ فيــه ولكن لا براعةَ خاصّةً تُميزه .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من الهَمْزية النبويّة :

كيفَ تَـرْقى رُقِيَّكَ الأنبيــاءُ ، يا سماءً ما طَاوَلَتْهـا سماءُ [١] !
لم يُساووكَ في عُـلاكَ ، وقد حا لَ سَناً مِنْكَ دونَهـم وسَناء [٢]
انما مَثّلـوا صِفاتِك للنـا سِ كما مثّـلَ النجومَ الماءُ [٣] .
أنتَ مِصباحُ كلِّ فضـلٍ ، فما تَصْـ دُرُ إلا عن ضَوْئك الأضـواء .
لك ذاتُ العلـومُ من عالَم الغَيْـ بِ ، ومنهـا لآدمَ الأسماء [٤] .
ما مَضَـتْ فَتْرَةٌ من الرُسْلِ إلاّ بشّرتْ قومَهـا بِكَ الأنبيـاء [٥] ،
تَتَباهى بـكَ العصورُ وتسمـو بك عَليـاءُ بعدَهـا علياء [٦] .

*

ثم قـامَ النبيُّ يدعـو الى اللـ ـهِ ، وفي الكُفْر نَجْدَةٌ وإبـاء [٧] :
أُمَماً أُشْرِبَتْ قلوبُهُمُ الكُفْـ رَ ، فَداءُ الضَلالِ فيهم عَيـاء [٨] .
فبما رحمـةٍ من الله لانـتْ صَخرةُ مـن إبائِهم صَمّاء [٩] ؛
واستجابتْ لـه بنَصْرٍ وفَتحٍ بعدَ ذاك الخَضْراء والغبراء [١٠] .

---

(١) ـ كيف يستطيع الانبياء أن يرقوا (بفتح القاف) مثلك (في السماء ـ ليلة الاسراء والمعراج) ؟ طاولتْها : بلغت مثل طولها ، استطاعت أن تجاريها .

(٢) السنا : النور ، الضوء . السناء : العلو ، الارتفاع .

(٣) ـ الانبياء فيهم من صفاتك خيالها (كما يظهر خيال النجوم في صفحة الماء) .

(٤) ـ ان الله أنزل عليك جميع العلوم بحقائقها ، بينما الله لم يعلم آدم (أبا الانبياء) الا اسماء تلك العلوم .
ـ في سورة البقرة : « وعلم (الله تعالى) آدم الأسماء كلها ..... (راجع ٢ : ٣١ وما بعدما) .

(٥) ـ كلما جاءت فترة (مدة ضل فيها الناس عن الحق) أرسل الله نبياً يبشر قومه ويحثهم على أن يصبروا لأن الله سيبعث محمداً خاتماً للرسل حتى يهدي الناس جميعاً .

(٦) علياء : المكان المرتفع ، السماء ، الشرف . بعدها : فوقها .

(٧) نجدة : قوة وشجاعة . إباء : كره ومقاومة (للحق) .

(٨) أمماً مفعول به للفعل « يدعو » (في البيت السابق) . اشربت قلوبهم الكفر : امتلأت بالكفر . عياء : لا دواء له .

(٩) صماء : قاسية. فبما رحمة من الله لانت : اقتباس من قوله تعالى مخاطباً محمداً صلى الله عليه وسلم : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك » (٣ : ١٥٨ ـ آل عمران) .

(١٠) الخضراء : السماء . الغبراء : الارض . ـ تبعه أهل السماء (الملائكة) وأهل الأرض (الناس) ؛ أو : نزل عليه النصر من السماء وفتح بلاد الارض ونشر فيها الاسلام .

وأطاعتْ لأمرِهِ العرَبُ العَرْ باءُ والجاهليةُ الجهلاء[1] ،
وتوالتْ للمُصْطفى الآيةُ الكُبْـ رى عليهم والغارةُ الشعواء[2] ؛
فاذا ما تلا كتاباً من اللـ ـه تَلَتْه كَتيبةٌ خضراء[3] .

— من البرأة (البردة) :

أمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جرى من مُقْلةٍ بِدَمِ[4]
مَحَضْتَنِي النُصْحَ لكنْ لَسْتُ أسمعُه ، إنّ المُحِبَّ عن العُذّالِ في صَمَمِ[5] ؛
فإنّ أمّارتي بالسُوءِ ما اتّعظتْ من جهلِها بنذيرِ الشَيْبِ والهَرَمِ[6] .
مَنْ لي بِرَدِّ جِماحٍ من غَوايتها كما يُرَدُّ جِماحُ الخيلِ باللُجُمِ[7] ؟
فلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْرَ شَهوتِها ؛ إن الطَعامَ يُقَوّي شهوة النَهِمِ .
والنفسُ كالطفلِ : إنْ تُهْمِلْهُ شبَّ على حبّ الرَضاعِ ، وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفطمِ !

*

محمّدٌ سيّدُ الكَوْنينِ والثَقَلَيْـ ـنِ والفريقينِ من عُرْبٍ ومن عَجَمِ[8] ؛
فاقَ النَبيّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ، ولم يُدانوه في علمٍ ولا كَرَمِ[9] .
دَعْ ما ادّعَتْه النَصارى في نَبِيِّهِمُ واحْكُمْ بما شئتَ مدحاً فيه واحتَكِمِ[10] ،
فإنّ فَضْلَ رسولِ اللهِ ليسَ لـه حدٌّ فيُعْرِبَ عنه ناطقٌ بفَمِ .
لم يَمْتَحِنّا بما تَعْيا العقولُ بـه حِرْصاً علينا فلم نَرْتَبْ ولم نَهِمِ[11] .

---

(١) العرب العرباء : العرب الاقحاح (السالمو الفطرة) . الجاهلية الجهلاء : أهل الكفر .

(٢) المصطفى من أسماء محمد رسول الله . توالت : تتالت ، تلاحقت . الآية الكبرى (المعجزة الكبرى) : نزول آيات القرآن الكريم . الغارة الشعواء (المتفرقة ، البعيدة ، الشديدة) : الحرب الشاملة .

(٣) كلما نزلت عليه آية (أمراً بالدعوة) تلته (تبعته) كتيبة خضراء (أرسل محمد رسول الله جيشاً كثيفاً كثير العدد) على العرب الوثنيين .

(٤) ذو سلم : مكان في الحجاز . جيران بذي سلم : أهل الحجاز الذين عرفهم البوصيري في أيام نزوله في الحجاز ؛ أو هم كناية عن العزة الالهية (في المدرك الصوفي) .

(٥) محضتني النصح : نصحتني مخلصاً . العذال : الذين يعذلون (يلومون) .

(٦) الأمارة بالسوء : النفس (لأنها تميل الى الشر ، فالشر هين إتيانه عليها) .

(٧) الجماح : الاندفاع والإفلات من القيود . الغواية : الضلال . (٨) الثقلين : عالم الانس وعالم الجن .

(٩) الخلق (بفتح الخاء) : الصفات الجسمانية . الخلق (بضم الخاء) : السلوك الحسن . يدانوه : يقاربوه .

(١٠) — اترك نسبة الألوهية الى محمد ثم امدحه بكل شيء تريد .

(١١) لم يمتحنا (يختبرنا ، يرهقنا ، يطلب منا ما لا وجه له) بما تعيا (تعجز) العقول به (لأنه لا حقيقة له) ، حرصاً علينا (إشفاقاً علينا وبخلا بنا ان نضل). فلم نرتب (نشك، نكفر) ولم نهم (نتحير).

فمَبْلَغُ العِلمِ فيهِ أنه بَشَرٌ وأنه خيرُ خلقِ اللهِ كُلِّهِمِ .
دَعْني ووَصْفِيَ آياتٍ له ظهرتْ ظهورَ نارِ القِرى ليلاً على عَلَمِ (١) ،
فالدُّرُّ يزدادُ حُسْناً وهو مُنْتَظِمٌ ، وليسَ ينقُصُ قدراً غيرَ منتظم .
لا تَعْجَبَنْ لحسودٍ راح يُنْكِرُها تَجاهلاً ، وهو عينُ الحاذقِ الفَهِمِ :
قد تُنْكِرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رَمَدٍ ، ويُنْكِرُ الفَمُ طعمَ الماء من سَقَمِ .
كفاكَ بالعلمِ في الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً في الجاهليةِ ، والتأديبِ في اليُتُمِ !

– ومن بعض تعاليقه على قصيدته اللاميّة (الديوان ١٤١) :

.... وممّا يدلُّ أيضاً على ذلك ما أذكُرُهُ – وهو ما لا يُنْكِرُهُ أحدٌ من اليهود – وذلك أنّ التوراةَ التي بأيْديهِمُ الآنَ ليسَ فيها ذكرُ البعثِ والقيامة ولا الدارِ الآخرَةِ ولا الجنّةِ ولا النارِ . وكلُّ ما ذُكِرَ من خيرٍ فيها إنّما هو مُعَجَّلٌ في الدنيا فيُجْزَوْنَ – كما زعموا – على الطاعة بنَصْرٍ على الأعداء وطول العُمُرِ وطيبِ العيشةِ وسَعَةِ الرزْقِ وطول المُكْثِ في الأرض المُقَدَّسَة ؛ ويُجْزَوْنَ على الكُفْر والمعاصي بالموت ومَنْع قَطْرِ السماء ومنع الثَمَرة وظُهورِ (٢) الأعداء عليهم..... وليس في كِتابِهِمُ اليومَ ذمُّ الدنيا ولاالزُهدُ فيها ولا وظيفةُ صلاةٍ معلومةٌ ، بل فيها الأمرُ بالبَطالةِ والأكل والشُرب والقَصْف (٣) والغِناء واللهو ....

٤ – أولاً : ديوان البوصيري (تحقيق سيّد كيلاني) ، مصر (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م .

ثانياً : البرأة أو البردة (٤) = الكواكب الدريّة في مدح خير البرية (تحرير ى . أورى) ، ليدن

---

(١) الآيات : المعجزات ، الأعمال الباهرة . نار القرى : نار الضيافة (لأن العرب كانوا لشدة كرمهم يوقدون ناراً معينة حتى يعرف المسافرون أن عندها مطعماً كريماً ومبيتاً) . العلم : الجبل .

(٢) ظهور الأعداء : انتصار الأعداء عليهم .

(٣) البطالة (بفتح الباء) : الهزل والمزاح (بضم الميم) . القصف : اللهو والانغماس في الطعام والشراب واللعب ؛ والكلمة « القصف » ليست عربية أصيلة (راجع القاموس ٣ : ١٨٥) .

(٤) تسمى البرأة (صيغة غير قاموسية ، اذا قصدنا بها الشفاء) لأن الشاعر شفي من فالج نزل به (راجع ص ٦٧٤) . وتسمى البردة تشبيهاً لها بقصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » (راجع ١ : ٢٨٢ – ٢٨٥) ، وكان الرسول قد خلع على كعب بن زهير بردته بعد أن ألقى كعب القصيدة بين يديه .

للبردة والهمزية تشطير (زيادة شطر على كل شطر من شطورها) وتخميس (زيادة ثلاثة أشطر على كل بيت من أبياتها) وتسبيع وتتسيع ثم تضمين (ضم عدد من أبياتها في قصائد لنفر من الشعراء على غير نظام مخصوص) وتصدير (زيادة أبيات في أولها) وتعجيز (زيادة أبيات في آخرها) . ونجد ذلك كثيراً مخطوطاً ومطبوعاً (ارجع في معرفة تفاصيل ذلك الى بركلمان) .

١٧٦١ ، ٧٧١ م؛ (تحرير روزنتسفايغ) فيناً ١٨٢٤ م؛ (تحرير رالفس) ، فيناً ١٨٦٠م ؛ استانبول ١٢٥١ هـ ؛ بولاق ١٢٥٦ ، ١٣٠٥ هـ ، الخ ؛ مصر (مطبعة السيد علي - طبع حجر) ١٢٩٨ هـ ؛ (طبع حجر) ١٣٠٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣١٣ هـ ؛ الخ ؛ (تحرير ألبنغو) ، القدس ١٨٧٢ م ؛ (مطبوعة في ذيل « دلائل الخيرات وشوارد الأنوار في ذكرى الصلاة على النبيّ المختار » لأبي عبد الله محمّد بن سليمان الجزولي المتوفّى سنة ٨٧٠ هـ) ، القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٣٧ م ؛ قازان ١٨٤٧ م ؛ كلكتا ١٩٢٥ م ؛ مدراس ١٨٤٥ م ؛ (نشرها الشيخ فضل الله بهاى) ، بمبيء ١٨٩٣م؛ (نشرها يوسف غابريلي)، فلورنسا ١٩٠١م ؛ (مطبوعة مع القصيدة الوترية [1] وقصيدة «بانت سعاد»)؛ بومبيء ١٨٥٧، ١٨٨٤، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٦ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٤ هـ .

(**) شروح على البردة : لشمس الدين محمّد الفيّوميّ ، بولاق ١٢٨٧هـ؛ لخالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ) ، القاهرة ١٢٨٢ ، ١٢٨٦ هـ ؛ بولاق ١٢٩٧ هـ ؛ الاسكندرية ١٢٨٨ هـ ؛ (قدّم لها محمّد علي حسن)، بغداد (مكتبة الاندلسي) ١٩٦٦ م ؛ لاحمد بن محمّد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ) ، مصر ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٢هـ ؛ (على هامش حاشية الباجوري على متن البردة ، بولاق ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٤ ، ١٣٠٨ ، ١٣١١ هـ [2] ؛ (حاشية على متن البردة لابراهيم بن محمّد الباجوري المتوفّى سنة ١٢٧٧ هـ)، مصر (طبع حجر) ١٢٣٤ هـ ؛ بولاق ١٣٠٢هـ ؛ القاهرة ١٣٠٤ ، ١٣٠٨ ، ١٣١١هـ ؛ واتيكان (= الفاتيكان) (طبع حجر) ١٢٣٤ هـ ؛ = شفاء القلب الجريح لعبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري (ت ١٠٤٠ هـ) ، القاهرة ١٢٩٦ هـ ؛ = جامع الكنوز لمحمّد المصري (أتمّ شرحها ١٠٨٤ هـ) ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٨٦ هـ ؛ لصدقة القاهري (ت ١١٠٥ هـ) (مطبوع مع القصيدة الوترية لمحمّد بن أبي بكر البغدادي) ، بومبيء ١٨٨٤ م ؛ = لوامع أنوار الكواكب لأبي عبد الله محمّد بن أحمد بن بنّيس (أتمّ شرحها ١٢٠٠ هـ) ، فاس ١٢٩٦ ، ١٣١٧ هـ ؛ (بهامش شرح شمائل الترمذي لقاسم الجسّوس) ، بولاق ١٢٩٦ هـ ؛ = عصيدة الشهدة ... لعمر بن أحمد الخربوطي (شرحها ١٢٤١ هـ) ، استانبول ١٢٨٩ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٨ ، ١٣١٧ ، ١٣٢٠هـ ؛ بولاق ١٢٩١هـ ؛ = النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية للشيخ حسن العدوي (ت ١٣٠٣ هـ) ، القاهرة ١٢٩٧هـ ؛ لأحمد فتحي (في مجموع الشروح) ، القاهرة ١٣٤٠ هـ ؛ لعبّاس أفندي الداغستاني ، استانبول ١٣٠٠ هـ ؛ لعثمان أفندي توفيق

---

(١) القصيدة الوترية أو بستان العارفين في معرفة الدنيا والدين لمجد الدين (أو محيي الدين) محمد بن أبي بكر بن رشيد (بالتصغير) الواعظ البغدادي الوتري (ت ٦٦٢ هـ) . والقصيدة في مدح الرسول .
(٢) راجع طبعات الكتاب التالي « حاشية الباجوري نفسها » .

بك السلانيكي ، (مع تخميس) استانبول ١٣٠٠ هـ ؛ القاهرة ١٣١٣ هـ ؛ لمحمّد خيري الرسجوكي ، استانبول ١٢٩٩ هـ ؛ لمجهول ، القاهرة ١٣١١ هـ .

ثالثاً : الهمزيّة النبويّة[1] ، القاهرة ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٦ ، ١٣١٠ ، ١٣١٣ ، ١٣٢٣ — ١٣٢٤ هـ ؛ تونس ١٢٩٥ هـ ؛ بولاق ١٣٠٥ هـ .

(**) شروح على الهمزية : المنح المكيّة = أفضل القرى لقراء أم القرى لأحمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ) (طبع مع حاشية محمّد سليم الجفني) ،بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ مصر ١٣٠٣ هـ ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ ؛ مصر ١٣٢٢ هـ .

حاشية لمحمّد سليم الجفني (ت ١١٨١ هـ) على شرح ابن حجر الهيتمي ، بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ مصر ١٣٠٣ ؛ (بهامش « أفضل القرى ») ، مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ ؛ القاهرة ١٣٢٢هـ.

لوامع أنوار الكواكب الدريّة لمحمّد بن أحمد بنّيس (ألّفها ١٢٠٠ هـ) ، بولاق ١٢٩٦ هـ ؛ فاس ١٢٩٧ ، ١٣١٧ هـ ؛ (على هامش « شرح شمائل الترمذي « لمحمّد بن عمر الجسّوس) القاهرة ١٣٠٦ هـ .

الفتوحات الأحمدية لسليمان بن عمر الجمل العجيلي (ت ١٢٠٢ هـ) ، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ ؛ بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٣ ، ١٣٠٦ ، ١٣١٧ هـ ؛ = موجز من هذا الشرح لمحمّد شلبي ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

شرح لعبد الباقي بن سليمان الفاروقي (ت ١٢٧٨ هـ) ، القاهرة ١٣٠٣ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٦ هـ ؛ (طبعت مع « مجموع التخاميس » لمحمّد بن أبي الرضا النحوي) ، القاهرة ١٣٠٠ هـ .

الارشادات الربّانيّة للفتوحات الالهية من فيض الحضرة الأحمدية التيجانية التي تلقّاها الشيخ علي حرازم بن العربي الفاسي من شيخه أبي العبّاس التيجاني على متن الهمزية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

أنفس نفائس الدرر (حاشية لمحمّد الحنفي على « المنح المكيّة » لابن حجر الهيتمي) مطبوعة بهامش « المنح المكيّة » ، بولاق ١٢٩٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ .

رابعاً: قصائد أخرى وشروح عليها.

ذخر المعاد[2] ، تونس ١٣٠٥ هـ ؛ (طبعت في « مجموعة ») ، القاهرة ١٣١٥ هـ .

القصيدة الخمرية [3] (طبعت مع البردة) ، القاهرة ١٣٠٥ هـ .

المخرج والمردود على النصارى واليهود[4] (تحرير محمّد طلعت المصري) ، بطرسبورج ١٩٠٧م القاهرة ١٣١٩ هـ .

---

(١) الديوان ١ — ٢٩ ؛ راجع أيضاً ، فوق ، ص ٦٧٤ ، ٦٧٥ ؛ وسماها البوصيري « أم القري » .

(٢) ذخر المعاد في وزن « بانت سعاد » (الديوان ١٧٢ — ١٨٥) مائة وخمسة وتسعون بيتاً مطلعها : « الى متى أنت باللذات مشغول ؟ » ، وتعرف أيضاً باسم « الكلمة الطيبة والديمة الصيبة (الشديدة المطر) » ، وهي معارضة لقصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » .

(٣) ؟ ، راجع بروكلمان ١ : ٣١٤ ، الملحق ١ : ٤٧٢ .

(٤) الديوان ١٢٧ — ١٨٥ ، ثلاثمائة وأربعون بيتاً ، مطلعها : « جاء المسيح من الاله رسولا » .

الهديّة الحميدية (تخميس « المخرج والمردود » لعثمان بن الحاجّ عبد الله الموصلي النولوي ، فرغ من تخميسها سنة ١٣١٢ هـ) ، القاهرة ١٣١٩ هـ .

القصيدة المضرية في مدح خير البريّة[1] ، (مطبوعة في « المجموعة الكبرى » — مع شرح تركي بين السطور) ، استانبول ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) ؛ القاهرة (مطبعة حسن الرشيدي — طبع حجر) بلا تاريخ ؛ (مطبوعة في « مجموع لطيف ») ، القاهرة ١٢٨٢ هـ ؛ (مطبوعة مع « دلائل الخيرات » (للجزولي) ، تل شورى (؟) ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩م) ؛ (مطبوعة على هامش « النفحات الشاذلية » لحسن العدوي) ، القاهرة ١٢٩٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣١٣ هـ .

شرح القصيدة المضرية لعبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ) (مطبوعة مع « النفحات الشاذلية » للحسن العدوي) ، القاهرة ١٢٩٣ هـ (١٨٨٠م) .

فوات الوفيات ٢ : ٢٥٦ — ٢٦١ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٠٥ — ١١٣ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٤٢ ؛ بروكلمان ١ : ٣٠٨ — ٣١٤ ، الملحق ١ : ٤٦٧ — ٤٧٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ١ : ٨٠٤ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١١ ؛ زيدان ٣ : ١٣٠ — ١٣١ .

عليُّ بن عقبـــة

١ — هو عَلِيُّ بْنُ عُقْبَةَ بنِ أحمدَ بنِ محمّدٍ الزياديُّ الخَوْلانيّ ، ولِدَ في مدينة الهجرين[2] ، سَنَةَ ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ — ١٢٣٨ م) ، ونشأ فيها .

وجرى على عليّ بنِ عُقْبَةَ — من آل جَعْفرٍ الكنديّين أمراءِ الهجرين — ما حمله على مبارحةِ بلده هارباً ، سَنَةَ ٦٧٠ هـ (١٢٧١ — ١٢٧٢ م) فنزل في مدينة عَدَنَ . ومن هناك اتّصل بالملكِ المظفّر يوسفَ بنِ عُمَرَ بن رسولٍ ومدحه وكَثُرَ تَرْداده الى تَعِزّ[3] . غير أنّ عليّ بن عقبة تعرّض لغضب الملك المظفّر فأُلْقِيَ في السجن بِضْعةَ أشهرٍ ، ثمّ إنّه تقرّب الى الملك بالاعتذار فأطلقَ الملكُ سَراحَه .

---

(١) القصيدة المضرية في الصلاة على خير البرية (الديوان ٢٢٤ — ٢٢٦) ، أربعون بيتاً مطلعها : « يا رب ، صل على المختار من مضر » .

(٢) في القاموس (٢ : ١٥٨ س) : الهجران (بفتح الهاء وفتح الجيم) قريتان متقابلتان في رأس جبل حصين قرب حضرموت يقال لاحداهما خيذون (بفتح الخاء) وللأخرى دمون .

(٣) الملك المظفر شمس الدين يوسف الاول بن عمر جاء الى الامارة في ذي القعدة من سنة ٦٤٧ (آذار — مارس ١٢٥٠ م) وبقي الى رمضان من سنة ٦٩٤ (١٢٩٥م) . وكانت قواعد بني رسول في اليمن : زبيد (بفتح الزاي) وعدن والمهجم وثبات وتعز .

وكانت وفاةُ عليّ بن عقبةَ في عَدَنَ سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ – ١٢٩٦ م) .

٢ – كان عليّ بن عُقْبةَ شاعراً قديراً على شعره شيء من الجَوْدة وشيءٌ من الطَلاوة . وشعره كثيرٌ ولكنْ ضاع مُعْظَمُه . وفي شعرِه فخرٌ وشكوى .

٣ – مختارات من شعره

– قال عليّ بنُ عُقْبةَ في الفخر والشكوى :

ما هِمّتي إلاّ اقتناءُ مكارمٍ ؛ قَصُرَ الزمانُ وهِمّتي لم تُقْصِرِ[١] .
كَرَماً تَدينُ لِيَ العُفاةُ ؛ وحالةٌ ظَهْرَ الجَوادِ وحالةٌ للمِنْبَرَ[٢] .
إنّي من العرب الذين نِجارُهم من خالص العِقْيان: لُبِّ الجوهر[٣] ؛
من شُمِّ خَوْلانَ بنِ عمرٍو مَنْصِبي ، وهُمُ قَبيلي في الأنام ومَعْشري[٤] .
واذا اعْتَزَيْتُ فآلُ عُقْبةَ عِزْوَتي ، وبنو زيادَ الغُرُّ مَنْبِتُ عُنْصُري[٥] .
وخَلُصْتُ في كَهْلانَ من بين الورى ؛ لا جُرْهُمٌ قومي، ولا من حِمْيَرِ[٦] .
وتَخِذْتُ أصحاباً – إذا نادمتهم لم أخشَ منهم من يَنِمُّ ويفتري :
عِلمي وحِلمي والحِصانَ وصارمي ونَدَى يميني والعَفافَ ودَفتري[٧] !

وبعد أن يصف ناقته وصفاً مفصّلاً في أسلوب متين يلتفت الى آل جعفرٍ (وهم الذين اضطَرّوه الى مبارحة بلده) مادحاً وشاكياً :

أهلُ المكارم والفضائل والعُلا ومَلاذُ كلّ مُطَرَّدٍ ومُنَفَّرِ[٨] ؛
وملوكُ كِنْدَةَ في القديم ، وبعد ما جاء البَيانُ على لِسانِ المُنْذرِ[٩] .

---

(١) قصر (بفتح القاف وضم الصاد) وأقصر : عجز عن الأمر .

(٢) العفاة جمع عاف : طالب الرفد (بكسر الراء) أو العطاء . هؤلاء أقروا بكرمي . ثم لي فوق ذلك حالان : ظهر الجواد (الفروسية والشجاعة في خوض المعارك) والمنبر (البراعة في الخطابة) .

(٣) النجار : الاصل . العقيق : حجر كريم أحمر اللون . الجوهر : اللؤلؤ .

(٤) الشم : المرتفعو قصبة الانف (كناية عن شرف الاصل) .

(٥) اعتزى : انتسب .

(٦) من كهلان : من بني كهلان (في الاصل : كهلانيا ، ولا تصح في وزن الشعر في هذا الموضع) . خلص : صفا نسبه . زياد (بالفتح) منعت من الصرف لضرورة الشعر .

(٧) .... الحصان وصارمي وندى يميني ودفتري كناية عن الفروسية والشجاعة والكرم والاشتغال بالعلم .

(٨) ملاذ : ملجأ .

(٩) البيان = القرآن الكريم . المنذر = محمد رسول الله . – ... قبل الاسلام وفي الاسلام .

مَنْ تَلْقَ منهم تَلْقَ أرْوَعَ ماجِداً جلّتْ مآثِرُه ولَمّا تُحْصَرِ[1].
يتَبادران -سِنانُه وبَيانُه-: ذا عَلْقَمٌ مُرٌّ، وذا من سُكَّرِ[2].
أعْدَدتكم عَوْناً لكلِّ مُكَسِّرٍ عِرْضي، فكُنْتم عَوْنَ كلِّ مُكَسِّرِ.
وتَخِذْتُكُمْ لي مَحْجِراً فكأنما خَتَلَ العَدُوُّ مَخاتِلي من مَحْجِري[3].
فَلأَنْفُضَنَّ الكَفَّ يأساً مِنْكُمُ نَفْضَ الأَنامِلِ من تُرابِ المُقْبَرِ[4].

٤ - * تاريخ الشعراء الحضرميّين لعبد الله السقّاف القاهرة (مطبعة حجازي ١٣٥٣هـ) ص ٦٥-٦٩.

سراج الدين الورّاق المصري

١ - هو سِراجُ الدين أبو حفصٍ عُمَرُ بنُ محمّدِ بنِ حسنٍ الورّاقُ المِصْري الفائزيّ، وُلِدَ سَنَةَ ٦١٥ هـ (١٢١٨م). وكان سِراجُ الدين الورّاقُ كاتباً مُتَرَسِّلاً كما كان يُجيد الخَطّ، فكَتَبَ للأميرِ يوسفَ سيفِ الدين بنِ سَباسلارَ والي مِصْرَ. وكانتْ وفاتُه في القاهرةِ، في جُمادى الأُولى من سَنَةِ ٦٩٥ هـ (آذار - مارس ١٢٩٦ م).

٢ - كان سِراجُ الدين الورّاقُ كاتباً وشاعراً مُكْثِراً جِدّاً صحيحَ المعاني حَسَنَ التخيّل عَذْبَ التركيب؛ غيرَ أنه كان كثيرَ الصِناعة شديدَ التكلّف للتَوْرِيَة والاستِخْدام؛ وكثيرٌ من مقطّعاته القِصار تدورُ حولَ التوريةِ باسْمِه: سِراج (بمعنى: مِصْباح، قِنْديل) وورّاق (ناسخ للكتب ومجلّدها والمتاجر بها). وفي شِعْره شيء من الهَزْل والمجون. وقدِ اختار خليلُ الصفديّ شيئاً من شِعْره وجعَله مجموعاً سمّاه «لُمَعَ السراجِ». ولسراج الدين الورّاق كتابُ «نظم دُرّة الغُوّاص» (للحريري).

---

(١) أروع: شجاع. لما تحصر: لم يستطع أحد (الى الآن) حصرها (عدها).

(٢) في الاصل بنانه (أصابعه) كناية عن الكرم؛ ولا وجه لها هنا. بيانه (بالياء): فصاحته (يدل على ذلك قوله: من سكر!) السنان: الرمح. يتبادران: يتناوبان الامر.

(٣) المحجر: المكان يحميه الانسان (فلا يدخل اليه أحد الا بإذنه)، ختل: خدع؛ ختل الرجل الصيد: أخذه (صاده) بالخديعة والمكر.

(٤) المقبر: الميت (بسكون الياء)، الموضوع في القبر. بعد دفن الميت يأخذ الناس قبضة من تراب قبره ثم يحذفونها من أيديهم (كناية عن انقطاع الصلة بينهم وبينه).

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال سراجُ الدين الورّاق في عِتاب النساء له :

وقالتْ : يا سِراجُ ، علاك شيبٌ ، فدعْ لجديدِه خَلْعَ العِذارِ[١] .
فقلتُ لها : نهارٌ بعدَ ليلٍ ؛ فما يدعوكِ أنتِ إلى النِفارِ ؟
فقالت : قد صَدَقْتَ ، فما علِمْنا بأضْيَعَ من سراجٍ في نَهارِ !

ـ وقال يُوَرّي بلقَبه « الورّاق » (الذي ينسَخُ الكتب) مُشيراً الى أنّ كلّ إنسانٍ يتناولُ كتابَه يومَ القيامةِ ليقرأ فيه ما دُوِّنَ عليه من أعمالِه الصالحة والطالحة :

واخجلتي وصحائفي قد سُوِّدَتْ ؛ وصحائفُ الأبرارِ في إشراقٍ[٢] ؛
وفَضيحتي لِمُعَنِّفٍ لي قائلٍ : أكذا تكونُ صحائفُ الورّاق !

وقال مُوَرِّياً بلقبهِ « سِراجِ » الدين :

كم قَطّعَ الجودُ من لسانٍ قَلّدَ من نظمِه النُحورا[٣] ؛
فها أنا شاعرٌ سِراجٌ ، فاقطعْ لِساني أزِدْكَ نورا[٤] !

ـ ومن تورياته العامّة البارعة :

وقفتُ بأطْلالِ الأحبّة سائلاً ودَمْعِي يَسْقِي ثَمّ عَهْداً ومَعْهدا[٥] .
ومِنْ عَجَبٍ أنّي أُرَوّي دِيارَهم ، وحَظِّيَ مِنْها حينَ أسألُها الصَدى[٦] !
* أصونُ أديمَ وَجْهي عن أناسٍ لِقاءُ الموتِ عِنْدَهُمُ الأديبُ .
ورَبّ الشِعْرِ عِنْدَهُمُ بغيضٌ ولو وافَى بهِ لَهُمُ حبيبُ !

---

(١) لجديده : لجديد (الشباب) . خلع العذار (الرسن) : ترك الحياء واتباع اللهو .

(٢) صحائفي سودت (بكثرة ما فيها من الذنوب) . الابرار : الصالحون ، الاتقياء . في اشراق : بيضاء (بكثرة ما فيها من الحسنات) .

(٣) قطع اللسان : اسكاته باعطاء صاحبه جوائز وصلات (أموال) . لسان قلد من نظمه النحورا : لسان (شاعر) نظم قصائد بارعة (تصلح أن تكون معانيها لآلىء تجعل عقوداً في النحور (أعلى الصدور ، الأعناق) .

(٤) اقطع لساني أزدك نوراً (تورية) : اقطع رأس فتيلة السراج يزدد نور (ضوء السراج) ـ اقطع لساني (أعطني مالا) أزدك نوراً (أكثر فيك نظم الشعر) .

(٥) ثم : هناك . العهد : الزمن الذي قضيناه . المعهد : المكان الذي عشنا فيه .

(٦) الصدى : العطش ، والصدى : رجع الصوت (تورية) .

(٧) حبيب : محبوب ، حبيب : هو حبيب ابن أوس (أبو تمام) .

– وقال في الغزل والنسيب :

شِمْتُ برقاً من ثَغْرِها الوضّاحِ ... والدُجى سيرُه مَهيضُ الجَناحِ[1] .
فتمارى شَكّي بـهِ ويَقيني : ... هل تَجلّى الصباحُ قبلَ الصباح[2] ؟
فأجابتْ : متى تَبَسَّمَ صُبْحٌ ... عن حَبابٍ أو لؤلؤٍ أو أقاحِ[3] ؟
ومتى كانَ للصباحِ شَميمُ الـ ... ـمِسْكِ أو نَكْهةٌ كصِرْفِ الراحِ[4] ؟
سل رحيقي المسكوبَ تسألْ خبيراً ... باغْتباقٍ من خمرةٍ واصْطباحِ[5] .
قلتُ : ما لي وللسُكارى ؟ فقالتْ : ... أنتَ أيضاً من الهوى غيرُ صاحِ .
حُجّةٌ من مليحةٍ قَطَعَتْني ؛ ... هكذا ، كل حجّةٍ للمِلاحِ !
لا ، ولَحْظٍ بفَتْرةِ النَرْجِسِ الغَضْـ ... ـضِ وخَدٍّ كحُمْرةِ التُفّاحِ[6] ،
ما تَيَقَّنْتُ بل ظَنَنْتُ ؛ وما في الظَنْـ ... ـنِ ، يا هـذهِ ، كبيرُ جَناحِ[7] .
وكثيراً شُبِّهْتِ بالبدرِ والشَمْـ ... ـسِ وسامحتِ ، فارْجِعي للسَماحِ[8] .

– وقال في المُجونِ ممّا يجوزُ إيرادُه :

طَوَتِ الزيارةَ إذ رأتْ ... عصرَ المشيب طوى الزيارهْ[9] .
ثمّ انْثَنَتْ لمّا انْثَنَتْ ... بعدَ الصلابةِ كالحجارهْ[10] .

---

(١) شام يشيم الشيء : نظر اليه ليتحقق ما هو. الوضاح : الابيض ، الجميل . الدجى : الظلام ، الليل . مهيض (مكسور) الجناح : يسير ببطء (لا ينقضي بسرعة) .

(٢) تماري : تجادل .

(٣) الحباب : الفقاقيع التي تطوف على سطح الخمر (كأنها فضة على ذهب) أقاح وأقاحيّ جمع أقحوان (بضم الهمزة والحاء) : البابونج ، صحون اللبن (زهر قلبه أصفر وحوله بتلات بيض تشبه الاسنان) .

(٤) شميم : رائحة . نكهة : رائحة الفم (الطيبة). صرف : خالص ، غير ممزوج (بالماء) . الراح : الخمر .

(٥) الرحيق : العسل ما دام في الزهر . الاغتباق = الغبوق : شرب الخمر صباحاً . الاصطباح = الصبوح : شرب الخمر صباحاً .

(٦) ولحظ : الواو للقسم (أقسم بلحظها) . فترة النرجس : كناية عن العيون النواعس .

(٧) الجناح : الذنب .

(٨) – لقد شبهك الشعراء مراراً كثيرة بالبدر والشمس وكان من حقك أن تغضبي (لأنك أجمل من الشمس والبدر) فلم تغضبي . فارجعي الآن أيضاً الى عادتك في السماح (الكرم) وسامحيني اذا شبهت عينيك بالنرجس وخديك بالتفاح) .

(٩) – تركت زيارتي لما عجزت في عصر المشيب (الشيخوخة) عن زيارة النساء .

(١٠) – ثم انثنت (المرأة) : مالت عني ، ابتعدت . لما انثنت : انطوت.... بعد أن كانت صلبة كالحجارة.

وبَقيتُ أهـربُ ، وهي تَسـ ـأل جـارةً من بعدِ جـاره[1] .
وتقول : يا ستِّ ، استَرَحْنـا ؛ لا سِراجَ ولا مَنـاره[2] !

٤ ـ * * فوات الوفيات ٢ : ١٣٥ ـ ١٣٩ ؛ (طبعة محمّد محيى الدين عبد الحميد) ٢ : ٢١٣ ـ ٢١٩ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٣١ ـ ٣٤٢ ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي ٥ : ١٩٥ ؛ زيدان ٣ : ١٣١ ؛ بروكلمان ١ : ٣١٤ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ٢٢٤ .

ابن واصل

١ ـ هو القاضي جمالُ الدين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ سالمِ بنِ نصرِ الله بنِ سالمِ بنِ واصلِ المازنيُّ الحَمَويُّ ، وُلِدَ في حماةَ ثانيَ شوّالٍ من سَنَةِ ٦٠٤ هـ (٢٢/ ٤/ ١٢٠٨ م) .

سَمِـعُ ابن واصلِ الحَديث من زَكيِّ الدين البرزالي في دِمَشْقَ وحماةَ وبرع في عددٍ من العلوم . ثمّ تصدّر للتدريس والإفتاء .

وفي سَنَةِ ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) استدعاه الظاهرُ بَيْبَرْسُ وأرسله سفيراً الى مانفريد مَلِكِ صِقِلِّيَةَ (١٢٥٨ ـ ١٢٦٦ م) فبَقِيَ عنده فترةً غيرَ قصيرةٍ أجابَه في أثنائهـا على مسائـل في علم المناظرِ (البصريات) . وبعدَ رُجوعهِ من صِقِلِّيَةَ تولّى مَنْصِبَ قاضي القضاة في حماةَ والتدريسَ في مدرستها أيضاً .

وفي المُحرَّمِ من سَنَةِ ٦٩٠ هـ (شباط ـ فبراير ١٢٩١ م) قَدِمَ ابنُ واصلٍ بصُحْبَةِ المَلِكِ المُظَفَّرِ تقيِّ الدين محمود الأيوبيِّ صاحبِ حماةَ إلى القاهرة وتصدّر فيها حيناً للتدريس . وقد عَمِيَ في أواخرِ أيامهِ ثمّ تُوُفِّيَ في حماةَ في ٢٢ شوّالٍ سنةَ ٦٩٧ هـ (٢/ ٨/ ١٢٩٨ م) .

٢ ـ كان ابنُ واصلٍ عالماً بالحديثِ والفِقْه وبعددٍ كبيرٍ من العلوم الشرعية والعقلية والرياضية كما كانت له معرفةٌ بالتاريخ ونظمٌ للشعر . وهومُصَنِّفٌ من كُتُبه : الرسالة الانبروريّة[3] في المنطق وقد سمّاها « نخبة الفكر » (ألّفها بعد رجوعه من صقليّة) ـ

---

(١) ـ خجلت أنا من تلك الحال التي أصبحت فيها فصرت أهرب من لقائها. وكانت هي تسأل عني كثيراً .
(٢) لا سراج ولا منارة (فيها تورية) : لا نتعب في العناية بالسراج (القنديل) وبالمنارة (العمود الذي يرفع عليه القنديل) . ثم السراج (سراج الدين الوراق) غاب عنا . والمنارة ...
(٣) نسبة الى الانبرور (الا مبرطور) مانفريد ملك صقلية .

شرح الموجز (في المنطق) للأفضل الخونجي – شرح الجُمل في المنطق للخونجي (شرح ما استغلق من ألفاظ الجمل) –كتاب هداية الألباب (في المنطق) – مختصر الاربعين (في الحديث ؟) – شرح المقصد الجليل لابن الحاجب – شرح قصيدة ابن الحاجب في العَروض والقوافي – مختصر كتاب الاغاني (=تجريد الأغاني) –كتاب التاريخ الصالح (= البارع الصالحي ؟) –كتاب مفرّج الكُروب في أخبار (دولة) بني أيوب – مختصر المِجِسْطي (ابَطْلَيْمُوس) – مختصر المفردات لابن البيطار (= مختصر الأدوية المفردة) .

٣ – مختارات من آثاره

– قال ابنُ واصلٍ في الشماتة بمَليحٍ التحى :

وأغيدَ مصقولِ العِذارِ صَحِبْتُهُ ... وربْعُ سُروري بالتأهُّلِ عامرُ[١] ؛
وفارَقْتُهُ حِيناً فجاء بلِحْيَةٍ ... تروعُ ، وقد دارتْ عليه الدوائرُ[٢] .
فكرّرتُ طَرْفي في رُسومِ جَماله ... وأنشدتُ بيتاً قالَه قبلُ شاعر[٣] :
(كأنْ لم يكُنْ بينَ الحَجونِ الى الصَفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّةَ سامرُ)[٤].
فقالَ : عجيبٌ ، والفؤادُ كأنّما ... يُقَلْقِلُه بينَ الجوانحِ طائرُ :
(بلى ، نحنُ كُنّا أهلَها فأبادَنا ... صُروفُ الليالي والجدودُ العوائر)[٥] .

– من مقدّمة كتاب « مُفرِّج الكروب » :

.... وبعدُ ، فهذا كتابٌ أوردتُ فيه أخبارَ ملوكِ بني أيوبَ وجُملةً من مَحاسنِهِم ومناقبهم ، إذ كانوا أعظَمَ مِمّن تقدّمَهُمْ من الملوك شأناً وأجلَّهم سُلطاناً : فتَحَ اللهُ تعالى بِهِمُ القُدْسَ الشريفَ من أيْدي الكافرين وأذلّ

---

(١) أغيد : جميل . العذار : الشعر النابت في جانبي الوجه . مصقول العذار : أملس ، لم ينبت في وجهه شعر بعد . وربع سروري بالتأهل (الاجتماع ، الزواج ، الصحبة) عامر : كنت مخالطاً له في العيش .

(٢) تروع : تخيف . دارت عليه الدوائر : قضت (على جماله) حوادث الأيام .

(٣) طرفي : عيني ، بصري . رسوم (خطوط ، علامات) جماله : بقايا جماله (الرسم هو الأثر الذي يبقى بعد زوال البناء) . شاعر : (شاعر مجهول – ينسب البيتان الرابع والسادس الى صوت سمع في مكة) !

(٤) الحجون والصفا : موضعان في مكة . السامر : الذي يسهر الليل في رواية الأحاديث وسماعها (ويقال السامر للمفرد وللجمع) .

(٥) صروف الليالي : أحداث الدهر . الجد (بفتح الجيم) : الحظ . العاثر : غير المستقيم في مشيه (غير الموفق في أعماله) ، الحظ السيء .

بسيُوفهم أعناق المُلْحدين؛ وطَهّروا الديار المِصرية من بِدَعِ الباطنية[1] وشَيّدوا بها أركانَ المِلّة الحنفية ![2] ..... وخدَمْتُ به خِزانة ... الاسْفَهْسِلاري .... مُقدّمِ الجُيوش مُبارِزِ الدين سيّدِ الغُزاة والمجاهدين الملكيّ المنصوري[3] .... وسَمَّيْتُه «مُفرّجَ الكروب في أخبار بني أيوب» ...

– من متن مفرّج الكروب : فتح حصن المنيطرة (١ : ١٤٨) :

وفي سَنَةِ إحدى وستّين وخَمْسمِائَةٍ فتَحَ المَلِكُ العادِلُ نورُ الدين بنُ زنكي –رَحِمَهُما الله– حُصْنَ المُنَيْطِرَةِ ، وكان بيَدِ الفرنج ، سارَ إليه جريدة[4] وانتهز فيه الفُرصةَ وجدّ في قِتاله عَنْوةً وقَهْراً[5] وقَتَلَ مَنْ بِهِ وسَبَى وغَنِمَ غَنيمةً كثيرةً .

– من متن مفرّج الكروب : واقعة البابين [6] (١ : ١٥٠ وما بعد) :

وكان أسدُ الدين شيركُوه[7] قد سارَ بالعساكر في الصَعيد إلى أن بَلَغَ الى مكانٍ يُعْرَف بالبابَيْنِ . فسارتِ الفرنج والمِصْريّون[8] خَلْفه فأدْركوه به في الخامس والعِشرين من جُمادى الآخرة من هذه السَنَةِ[9] . وكانت جواسيسُه قد أخْبَروه بكَثْرة عَدَدِ الفرنج والمِصْريّين وقُوّتهم . فجَمَعَ أصحابَه واستَشارَهم ،

---

(١) الباطنية فرقة من المسلمين يتطلبون لآيات القرآن معاني باطنة من طريق الرمز . والمقصود بالباطنية هنا الفاطميون الذين كانوا يحكمون في مصر .

(٢) الحنفية أتباع أبي حنيفة . الحنيفية : المسلمة .

(٣) خدمت به (بهذا الكتاب) : قدمته . خزانة (الكتب) : مكتبة . الاسفهسلاري : مقدم الجيش ، رتبة عسكرية . المنصوري : الملك المنصور الثاني سيف الدين بن محمد صاحب حماة .

(٤) المنيطرة منطقة في الجبال الشمالية من لبنان اليوم . الفرنج والفرنجة تخفيف من الافرنج (بكسر الهمزة والراء) : جيل من البرابرة نزلوا شرق نهر الراين (في جنوب ألمانية اليوم) ثم انتقل معظمهم الى غرب الراين (فرنسة اليوم) . ومرزمن اطلق فيه اسم «الفرنجة والفرنج» على جميع الأوروبيين . كما يرد هذا الاسم في المصادر العربية للدلالة على الصليبيين . الجريدة : القطعة من الجيش مؤلفة من فرسان فقط . – يجب أن تكون الجملة : سير اليه جريدة أو سار اليه في جريدة .

(٥) عنوة (قدرة ، بالقوة) وقهراً (بالتغلب عليه) .

(٦) البابان ، البابين : قرية في مصر كانت جنوب مدينة المنيا .

(٧) شيركوه أول وال للأيوبيين على مصر وعم صلاح الدين الأيوبي .

(٨) المصريون : أنصار الفاطميين من أهل مصر .

(٩) (٢٥ جماد الثاني ٥٦٢ = ١١٦٧/٤/١٧ م) .

فكُلُّهُمْ أشاروا عليه بعُبور بَحْرِ النيل الى الجانبِ الشرقيّ والعَوْد إلى الشام، وقالوا: إنْ نحنُ انْهزمنا فإلى مَنْ نَلْتَجِيءُ وبِمَنْ نحتمي، وكُلُّ مَنْ في هذه الديارِ من جُنديٍّ وفَلّاحٍ عدوٌّ لنا؟

فقام أميرٌ من مماليكِ نورِ الدين يُقال له شَرَفُ الدين بنُ برغش — صاحبُ الشقيف[١] — وقال: من (كان) يَخافُ القتلَ والأسرَ فلا يَخْدِمِ الملوكَ[٢] بل يكونُ في بيته مَعَ امرأته. واللهِ، لئن عُدْنا الى نورِ الدين من غير غَلَبَةٍ وبلاءٍ[٣] نُعْذَرُ فيه لَيأخُذَنَّ أموالَنا وما معَنا من الإقطاع والجامكيّة ولَيَعودَنَّ علينا بجميعِ ما أخَذْناه منه من يومِ خَدَمْناه[٤] الى يومِنا هذا ويقولُ: تأخُذون أموالَ المُسلمينَ وتَفِرّون من عَدُوِّهم وتُسْلِمون مِصْرَ الى الكُفّار؟

فقال أسدُ الدين: هذا الرأيُ، وبه أعمَلُ! وقال ابنُ أخيهِ صلاحُ الدينِ يوسفُ بنُ أيّوبَ[٥] مثلَه. وكَثُرَ الموافقون واجتمعت الكَلِمة، وأقاموا بمَكانِهِم[٦] حتّى وَصَلَ الفرنجُ والمِصريون وهُمْ على تَعْبِئَتِهِم[٧]. فجَعَلَ أسَدُ الدين الأثقالَ في القَلْب، لا لِيَتَكَثَّرَ بها (بل) لأنّه لا يُمكِنُه تركُها في مكانٍ آخرَ خوفاً من أن تُنْهَبَ، وجَعَلَ صلاحَ الدينِ في القلب وقال له ولِمَنْ مَعَهُ: إنّ المِصريّين والفرنَج يجعَلون حَمْلَتَهم على القلب، فإذا حَمَلوا عليكم فلا تَصْدِقوهم القِتالَ ولا تُهْلِكوا أنفُسَكم واندفعوا من بَيْنِ أيْديهم[٨]. فإذا عادوا عنكم فارْجِعوا في أعقابِهم[٩]. واختارَ هو من شُجْعانِ عسكرِه جَمْعاً

---

(١) الشقيف أو قلعة الشقيف (شقيف أرنون) قرب صيدا اشتهرت في أثناء الحروب الصليبية وانتقلت مراراً من أيدي المسلمين الى أيدي الصليبيين وبالعكس.

(٢) يخدم الملوك: يحارب في جيوشهم. من يخاف = إن الذي .... (تعبير ضعيف).

(٣) البلاء: بذل الجهد في القتال.

(٤) الاقطاع نظام يتملك به الجندي أرضاً من الملك. والمقصود هنا القطائع جمع قطيعة وهي قطعة أرض كان يمنحها الملك لرؤساء الجند. الجامكية: الراتب. ليعودن علينا بجميع ما أخذناه: يسترد منا كل ما كان قد أعطانا اياه. من يوم خدمناه: منذ اليوم الذي دخلنا فيه في جيشه.

(٥) صلاح الدين الأيوبي. (٦) يقصد جيش شيركوه.

(٧) وهم على تعبئتهم: وجيش شيركوه مستعد للحرب.

(٨) القلب: القسم الاوسط (والاكبر) من الجيش. حملوا: هجموا. لا تصدقوهم القتال: لا تحاربوا حرباً شديدة، تظاهروا أنكم تحاربون. اندفعوا من بين أيديهم، تظاهروا بالهزيمة.

(٩) فاذا عادوا: فاذا ظن الافرنج والمصريون أنكم انهزمتم ورجعوا عنكم فعودوا على أعقابهم (في أثرهم، اتبعوهم وقاتلوهم).

يَثِقُ بهم ويَعْرِفُ صَبْرَهم في الحرب ووَقَفَ بهم في المَيْمَنة . فلمّا اصْطفّوا للحرب حَمَلَ الفرنجةُ على القلب ، فقاتلهم مَنْ به قِتالاً يَسيراً ثمّ انهزموا مِنْ بَيْنِ أيْديهم غيرَ متفرّقين فتبِعَهُمُ الفرنجُ . حينَئذٍ حَمَلَ أسدُ الدينِ بِمَنْ معَه على مَنْ تخلّف مِنَ الذين حَمَلوا من المسلمين والفرنج[1] — الفارس والراجل — فهزَمَهُمْ ووَضعَ السيفَ فيهم وأثْخَنَ[2] وأكثَرَ من القتْل والأسْر . فلمّا عادَ الفرنج مِنْ أثَرِ المهزومين ورأوْا عسكرهم مهزوماً والأرضَ منهم قَفْراً انهزموا أيضاً ونَصَرَ اللهُ المسلمين .

ثمّ سارَ أسدُ الدين — رَحِمَه الله — الى ثَغْرِ الإسكندرية وجَبى ما في طريقه من القُرى[3] ، ووَصَلَ إلى الاسكندرية فسَلّمها أهلُها إلَيْهِ لِمَيْلِهِمْ إلى مذهبِ السُنّة وكَراهتِهم لرأي المِصريّين . فاسْتَناب بالإسكندريةِ ابنَ أخيهِ صلاحَ الدين يوسفَ بنِ أيوبَ وعادَ (هو) الى الصَعيد فملَكَهُ وجبا أموالَه وأقام به حتّى صامَ شَهْرَ رَمَضانَ .

وعادَ الفرنجُ والمِصْريّون بعدَ الوَقْعة الى القاهرةِ وأصْلحوا عساكِرَهُمْ وجَمَعوا[4] ثمّ ساروا إلى الإسكندريةِ وحَصَروا صلاحَ الدين . واشْتَدّ الحِصارُ وقلّ الطعامُ بها ، فصَبَرَ أهلُها على ذلك . ولمّا بَلَغَ ذلك أسدَ الدين سارَ مِنَ الصَعيدِ إلَيْهِم ، وكان شاوَرُ قد أفْسَدَ بعضَ من كان معَه[5] من التركمان .

ثمّ راسلَ المِصريّونَ والفرنجُ أسدَ الدين يطلُبون الصُلْحَ وبذَلوا له خَمْسينَ ألفَ دينارٍ ، فأجابهم إلى ذلك بشَرْطِ أنّ الفرنجَ لا يُقيمون في البِلاد ولا يَتَمَلّكون منها قريةً واحدةً . فأجابوا إلى ذلك واصطلحوا[6] . وعادَ (هو) الى الشام .

٤ — مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب (نشره لأوّل مرّة ... جمال الدين الشيّال) ، القاهرة (وزارة المعارف المصرية : ادارة الثقافة العامّة) ، القاهرة (مطبعة جامعة فؤاد الأوّل) ١٩٥٣ — ١٩٥٧ م .

تجريد الأغاني (تحرير طه حسين وابراهيم الإبياري) ، القاهرة (مطبعة مصر) ١٩٥٥—١٩٥٧م .

---

(١) على مؤخرة الفرنج والمسلمين (من الفاطميين حلفاء الصليبيين الافرنج) .

(٢) أثخن في العدو : أكثر القتل في جيش العدو .

(٣) أخذ منها الجبايات (الضرائب) . (٤) وجمعوا جيوشاً جديدة .

(٥) شاور وزير عند الخليفة العاضد الفاطمي في مصر كان يمالئ الافرنج الصليبيين على الأيوبيين المسلمين . من كان معه (مع شيركوه) .

(٦) اصطلحوا : اصطلح الفريقان (الأيوبيون والفاطميون) .

* * نكت الهميان ٢٥٠ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٨٥ – ٨٦ ؛ بغية الوعاة ٤٤ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٣٨ – ٤٣٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٩٣ ، الملحق ١ : ٥٥٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٦٧ ؛ زيدان ٣ : ١٨٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٣ – ٤ .

ياقوتُ المُسْتَعْصِمِيُّ الكاتب*

١ – هو جَمالُ الدين أبو المجد[١] يا قوتُ بنُ عبدِ الله[٢] جِيءَ بهِ في الأغلب صَغيراً من أماسِيَةَ في بلاد الروم (آسِيَةَ الصُغرى) فأصبحَ من مَماليك المُسْتَعْصِمِ آخرِ خُلفاءِ بني العبّاسِ في بغدادَ فربّاه وعلّمه .

يبدو أنّ ياقوتاً المُستعصيَّ بدأ حياتَه العِلْميّةَ بأنْ أنشأ كُتّاباً لتعليم الصِبْيان . ثُمَّ إنّه بَرَعَ في الخَطّ حتّى انتهتْ إليه رئاسةُ الخَطّ المَنْسوب[٣] على طريقةِ ابنِ البوّاب . وفي سَنَةِ ٦٨٢ هـ جاء الوزيرُ شرفُ الدين هرونُ الجُوَينيّ إلى بَغدادَ فاتّصلَ به ياقوتٌ المستعصمي ومَدَحَه (الحوادث الجامعة لابن الفوطي ٤٢٨–٤٢٩).

وكانتْ وفاةُ ياقوتِ المستعصمي في بَغْدادَ سنة ٦٩٨[٤] هـ (١٢٩٨ م) وعُمُرُهُ نحوُ ثمانينَ سَنَةً .

٢ – كان ياقوتُ المستعصميّ أديباً له نثرٌ وشعرٌ ، كما كان حَسَنَ الخَطّ ومُصَنِّفاً ذَكَرَ له بروكلمان من التصانيفِ : أخبار وأشعار ومُلَح وفِقَر وحِكَم ووَصايا .

* هنالك نفر من الاشخاص اشتهروا باسم ياقوت ، وربما اشتبهت أحوالهم وأزمانهم . من أجل ذلك سأورد الاسماء التالية مأخوذة من شذرات الذهب : ٤ : ١٣٦ أبو الدر ياقوت الرومي المحدث (ت ٥٤٣ هـ) ؛ ٥ : ٨٣ أبو الدر ياقوت المستعصمي الخطاط (ت ٦١٨ هـ) ؛ ٥ : ١٠٥ أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي الشاعر (ت ٦٢٢ هـ) ؛ ٥ : ١٢١ أبو الدر ياقوت الرومي الحموي صاحب معجم البلدان معجم الادباء (ت ٦٢٦ هـ) ؛ ٥ : ٨٣ جمال الدين ياقوت المستعصمي البغدادي الاديب الخطاط (٦٩٨ هـ) ؛ ياقوت الحبشي الشاذلي الصوفي (ت ٧٣٢ هـ) .

(١) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ١١٥٤ ؛ في بروكلمان : أبو الدر .

(٢) الواضح أن « ياقوت بن عبد الله » ليس الاسم من النسب ، ولكنه اسم أطلقه عليه سيده لما تملكه ، كما هي حال أصحاب هذا الاسم غير ياقوت المستعصمي .

(٣) خط منسوب : ذو قاعدة (المعجم الوسيط ، ص ٩٢٤) .

(٤) يرى بروكلمان (الملحق ١ : ٥٩٨) أن وفاة ياقوت المستعصمي تأخرت الى سنة ٧٠٤ هـ (١٣٠٤ – ١٣٠٥ م) أو الى ما بعد ذلك بقليل ، فان في كتبخانه (مكتبة) رضوى في مدينة مشهد (ايران) مصحفاً بخط ياقوت المستعصمي مؤرخاً في سنة ٧٠٤ هـ .

مُنْتَخَبَة [1] ، أسرار الحكماء (مجموع أقوال) ، فِقَرٌ الْتُقِطَتْ وجُمِعت عن أفلاطون في تكوين السياسة الملوكية والاخلاق الاختيارية(!) .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ياقوتُ بنُ عبدِ اللهِ المُستعصميُّ (شذرات الذهب ٥ : ٤٤٣) :

رعى اللهُ أياماً تَقَضّتْ بقُرْبِكُمْ   قِصاراً ، وحَيّاها الحيَا وسَقاها [2] .
فما قُلتُ : « إيهٍ » بعدَها لمُسامرٍ   من الناسِ ، إلاّ قالَ قلبي : « آها » !

٤ ـ رسالة آداب وحكم وأخبار وآثار وفقر وأشعار منتخبة (مطبوعة في « ثلاث رسائل ») ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ ه .

أسرار الحكماء (مطبوع مع « امثال العرب » للضبي) الاستانة ١٣٠٠ ه .

* *العبر ٥ : ٣٩٠ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٤٣ ؛ بروكلمان ١ : ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ، الملحق ١ : ٥٩٨ ؛ زيدان ٣ : ١٤٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ١١٥٤ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ١٥٧ ـ ١٥٨ .

القاسم بن علي هُتَيْمِلٍ

١ ـ هو القاسم بن عليّ بن هُتَيْمِلٍ الخزاعي الضمَديّ، وُلِدَ ونشأ في بلدةٍ تُدعى نَجْران [3] من وادي ضمد في اليمن ، في أوائل القرن السابعِ للهجرة (أوائلَ القرن الثالثِ عَشَرَ للميلاد) . وفي زمنٍ باكرٍ جدّاً من حياته بدأ يَتطوّف بشعرِه يتكسّبُ به في اليَمَنِ [4] والحِجاز ويمدح الأُسَرَ الحاكمةَ والأمراء المُختلفي الآراءِ السياسيةِ .

وقد ألحّ الدهرُ على ابن هُتَيْمِلٍ : تُوُفِّيَتْ زوجتُه فاطمةُ كما توفّي له أخٌ واختٌ في أُسبوعٍ واحدٍ ، وهما بعدُ في أول العمر ؛ وتوفّي ابن له اسمُه سُلْطانٌ .

ويبدو أن ابنَ هُتَيْمِلٍ عُمِّرَ طويلاً ، ولكنّه تُوُفِّيَ قُبيلَ سَنَةِ ٧٠٠ ه (١٣٠٠ م) .

---

(١) هذه الرسالة تتألف من أقوال مجموعة ، وهي بخط مؤلفها ومؤرخة في العشرين من رمضان من سنة ٦٨٩ .
(٢) الحيا : المطر .
(٣) نجران هذه بلدة غير نجران المشهورة .
(٤) يطلق اسم اليمن على جميع القسم الجنوبي من شبه جزيرة العرب ـ من عدن الى عمان (بضم العين) .

٢ ـ ابن هُتَيْمِلٍ شاعرٌ مُطيل مُحْسِنٌ فصيحُ الألفاظِ متينُ التّركيب ، ولكنّ تركيبَه يَضْعُفُ أحياناً . وشِعرُه سهلٌ عَذْبٌ في أكثره . وأوسعُ فنونِ شِعرِه المديحُ ، وله رثاءٌ وَجْداني في أهلِه ، ثمّ له أشياءُ جيّدةٌ من الأدب (الحكمة والغزل والخمر . وله بَديعيّةٌ في مديحِ الرسولِ (ديوان ٦٢ ـ ٧٤) .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال القاسم بن عليّ بن هتيمل يمدح أحمد المتوكّل الثاني (٦٣٠ ـ ٦٤٩ هـ) ابن أحمد المتوكّل الأوّل صاحب ظَفارَ من بني سليمان العلويّين :

أنا مِــنْ ناظــري عليكَ أغــارُ　　وارِ عني ما حــال عنه الخِمار[١] .
يا قَضيباً من فِضّةٍ يُقْطَفُ النَّرْ　　جِسُ من وَجْنَتَيْهِ والجُلّنــار[٢] .
قَمَرٌ طَوْقُه الهِــلالُ ، ومن شَمْـ　　ـس الدياجي في ساعِدَيْهِ سِوار[٣] .
صُنْ مُحَيّــاكَ بالنِقــابِ وإلاّ　　نَهَبَتْــهُ القلــوبُ والأبصار ؛
فَمِنَ الغَبْــنِ أن يُماطَ لِثــامٌ　　عن ثَنايــاك ، أو يُحَلَّ إزار[٤]
عَجَباً مِنكَ : تَحْتَ بُرْقُعِكَ النا　　رُ ، وفيــه الجَنّاتُ والأنهــار[٥] .
مَنْ مُعيري قلبــاً صحيحاً ولو طَرْ　　فَةَ عَيْنٍ ، إنْ كان قلباً يُعــار !
لا الزمانُ الزمانُ ـ فيما عَهِدْنــا　　هُ قديمــاً ـ ولا الديار ديــار[٦] .

---

(١) وار (فعل أمر من وارى) : استر ، خبىء . ما حال (ما تزحزح عنه ، ما كشف عنه) الخمار : غطاء تستر به المرأة رأسها ونحرها (أعلى صدرها) . وار عني ما حال عنه الخمار : استر عني بالخمار وجهك أيضاً (لأن الحجاب الشرعي في الاسلام لا يوجب ستر الوجه والكفين والقدمين) حتّى لا تفتنني .

(٢) القضيب كناية عن الفتاة الجميلة (التي لا تزال فتية منتصبة القامة ناضرة طرية الجسم تتثنى كالقضيب) . قضيب من فضة (كناية عن أن جسمها كله أبيض اللون) . وفي وجنتيه (أعلى الخدين) بياض كبياض بتلات النرجس (قلب النرجسة أصفر والبتلات التي تحيط بقلبها بيض) والحمرة (كحمرة الجلنار : زهر الرمان) .

(٣) الطوق : حلية تلبس في العنق . السوار : حلية تلبس في المعصم (بين الكف والساعد) .

(٤) الغبن : الخداع وقلة الانصاف وسلب الحق . يماط : يكشف . عن ثناياك : عن أسنانك (عن وجهك) . أو يحل (يفك ، يكشف ، يخلع) أزار (ثوب يغطى الجسد) : لا يجوز أن تكشف شيئاً من محاسن جسمك .

(٥) تحت برقعك (لثامك ، غطاء الوجه) النار (الحمرة في خديك) وفيه الجنات (وجهك الذي فيه مثل الورد في خدك ومثل النرجس في خدك أيضاً أو في عيونك) وفيه أيضاً الانهار (الريق العذب البارد في فمك) .

(٦) لا الزمان باق (الآن) كما كنا عرفناه في أيام الشباب ....

بعضُ هذا يُبْلي الحَديدَ ويُفْني الـ ـمرءَ لو أنّ عُمْرَه أعمارُ[1] .
والليالي الطِّوالُ تَنْحَتُ من جَنْـ ـبَيّ ما أبْقَتِ الليالي القِصارُ[2].
انّما العَيْشُ والهوى قبلَ أن يَنْـ ـجُمَ ثَدْيٌ أو أن يَدِبَّ عِذارُ[3] ؛
وعُرامُ الشبابِ أشْهى الى النفـ ـسِ ، وان كان في المَشيبِ الوَقارُ[4] .
لا يَصُدُّ المِلاحَ عن خُلّةِ العُشّاقِ إلاّ القَتيرُ والإقتارُ[5].
حَفِظَ اللهُ أحمداً حيثُما كا ـنَ وجادَتْه ديمةٌ مِدْرارُ[6] .
الشريفُ الشريفُ والجَوْهرُ الجو ـهرُ والخالص النُّضارُ النضارُ[7] .
وعليٌّ الرضا أبوه ، وعَمّاهُ عَقيلٌ وجَعْفَرُ الطيارُ[8].
باعثُ الخَيْلِ والكتائبِ مِلْ ءَ الأرضِ لا يَشْغَلُ المَغارَ المَغارُ[9] .

٤ ــ ديوان الشاعر القاسم بن عليّ بن هتيمل (دراسة وتحليل لمحمد بن أحمد عيسى العقيلي) ، الطبعة الاولى ، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

---

(١) بعض هذا (الزمان أو الجهال !) يبلي (يفني ، يأكل من) الحديد ... ولو عمره أعمار : لو كان له مع عمره أعمار أخرى (لو طال عمره أضعافاً) .

(٢) الليالي الطوال (ليالي الأرق والهموم) : المصائب . الليالي القصار (ليالي اللهو والسرور) ــ افنيت صدر عمري باندفاعي في اللهو ثم جاءت المصائب تقضي على ما بقي منه .

(٣) الحياة الجميلة الصحيحة والحب اللذيذ الصحيح يكونان في الشباب الأول (قبل أن ينجم أو يظهر ثدي الفتاة وقبل أن تبدو لحية الفتى ــ تلك مبالغة طبعاً !)

(٤) عرام ، اشتداد ، فورة . الوقار : الاحترام عند الناس والرصانة في السلوك .

(٥) الخلة (بكسر الخاء ، ويجوز فيها الضم) : المحبة والمصادقة (في الديوان : ضلة بالضاد ، وهو خطأ) . القتير : الغبار (المقصود : الشيب) . الاقتار : الفقر .

(٦) الديمة : السحابة فيها مطر . مدرار : كثيرة الهطول (فيها ماء كثير) . جادته ديمة : نزل في أرضه المطر بكثرة (بارك الله في صحته وماله ...)

(٧) الشريف الثانية والجوهر الثانية والنضار الثانية (اسم بمثابة الصفة توكيد للاسم السابق) . الشريف : الكريم النسب والحسب (العمل) . الجوهر : المعدن الثمين (كناية عن كرم الخلق) . الخالص : الصافي ، المبرأ من العيوب . النضار : الذهب الخالص ؛ الشجر الذي لا يسقط ورقه في الشتاء .

(٨) علي الرضا : علي بن أبي طالب . عقيل وجعفر أخوا علي (جعفر يجب أن تكون بضمتين ، ولكن الشاعر أجاز لنفسه حذف احدى الضمتين . يسمى جعفر (بضمتين) الطيار (بفتح الراء) لأنه كان في غزوة مؤته يحمل الراية بيده اليمنى فقطعت يده اليمنى ، فأخذ الراية بيده اليسرى فقطعت يده اليسرى ، فاحتضن الراية وظل ثابتاً في المعركة حتى قتل شهيداً ، ولذلك سيتبدل بيديه يوم القيامة جناحين يطير بهما في الجنة .

(٩) المغار : الغارة ، المعركة . لا يمنعه من أن يرسل الخيل والرجال الى معركة ثم يرسل في الوقت نفسه رجالا وخيلا الى معركة أو معارك أخرى (لكثرة ما عنده من الرجال والخيل) .

ابن جلنك الشاعر

١ – هو الشيخُ شهابُ الدين (؟) أحمدُ بن أبي بكرٍ الحلبيُّ * ، يبدو أنّه تطوّف بالبلاد : زارَ المَوْصِلَ ومَدَحَ شَمْسَ الدين بنَ خلّكانَ (ت ٦٨١ ﻫ) في إحدى فترَتَيْ تولّيهِ القضاءَ في دِمَشْقَ . ثمّ عادَ الى حلبَ واشترك في قِتال التتَرِ فأسره التترُ وقتلوه سَنَةَ ٧٠٠ ﻫ (١٣٠٠ – ١٣٠١ م) .

٢ – كان ابن جلنك أديباً ظريفاً مَرِحاً معروفاً بالخلاعة وشاعراً ماهراً أكثرُ شعرِه الذي وصلَ إلينا مُقطّعاتٌ وُجدانيةٌ في النسيبِ والوصف قائمةٌ على تكلّفِ الصِناعة .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ جلنك في النسيب والشكوى :

ماذا على غُصْنِهِ الميّالِ لو عَطَفا ... ومال عن طُرُقِ الهِجران وانْحرَفا (١) ،
وعادَ لي عائدٌ منهم إلى صِلةٍ ؛ ... حَسْبي مِنَ الشوق ما لاقَيْتُهُ وكفى (٢) .
صفا له القلبُ حتّى لا يُمازجَه ... شيءٌ سواه ، وأمّا قلبه فصَفا (٣) .
وزارَني طَيْفُه وَهْناً ليُؤْنِسَني ... فاسْتَصْحَبَ النوم من جَفْنَيّ وانْصَرفا (٤) .
ورُمْتُ من خَصْره بُرءاً فزُدتُّ ضنىً ، ... وطالبُ البُرءِ والمطلوبُ قد ضَعُفا (٥) .
حكى الدُجى شعرَه طولاً فخاصَمني ، ... فضاعَ بينَهما عُمْري وما انْتَصفا (٦) .

---

(١) غصنه الميال : قوامه ، قامته الجميلة التي تميل (من الشباب والغنج) . عطف : حنّ .

(٢) وعاد لي عائد منه الى صلة (فيها تورية) : رجع الى صلته القديمة بي – والعائد هو الضمير الذي يعود (يرجع) الى اسم الموصول . والصلة هي الجملة التي تأتي بعد اسم الموصول .

(٣) صفا الأولى (فعل) : راق ، أصبح صافياً . صفا الثانية (اسم) : صخر .

(٤) الطيف : الخيال يأتي في المنام . وهنا : بعد منتصف الليل . استصحب النوم : أخذ نومي مني وانصرف (ذهب وتركني) .

(٥) رمت (أردت) من خصره (وسط جسمه ، وصاله ، التمتع به) برءاً (شفاء) . ضنى : ضعف ونحول . طالب البرء (أنا ، المحب) والمطلوب (خصره) قد ضعفا (كلاهما ضعيف) .

(٦) الدجى : الليل . – ليلي أصبح طويلا (أشكو من الحب من غير فائدة) مثل شعره . فخاصمني (عاداني) ، جعلني أجادل : أشعره أطول (أهو أجمل) أم الليل أطول (هجره لي أطول) . انتصفا إما أن تكون « انتصف » (والألف للاطلاق في القافية) : أي عمري لم يستفد من هذا الجدال – أو الليل وشعره لم ينتصفا (بالتثنية) لم يجدا إنصافاً عندي (لم أستطع أن أقول أيهما أطول) .

– وقال في وصفِ اللونِ الأحمرِ على قوائمِ الحَمام :

لا تَحْسَبَنَّ خِضابَها النامي على الـ ... قَدَمَيْنِ بالمُتَكَلَّفِ المصنوعِ ؛
لكنّها بالهَجْـرِ خاضَتْ في دَمـي ... فتَسَرْبَلَتْ أقدامُهـا بنَجيع[1] .

٤ – * * فوات الوفيات ١ : ٤١ – ٤٣ ؛ المنهل الصافي ١ : ٢٠٦ – ٢٠٨ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٥٦ .

ابن دقيق العيد

١ – هو تقي الدين أبو الفتحِ محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ وهبٍ[2] بنِ مُطيعِ بن أبي الطاعة القُشيري المَنْفَلوطيّ القُوصي ، وُلِدَ في ٢٥ شَعبانَ من سَنَةِ ٦٢٥ (٣١/ ٧/ ١٢٢٨ م) في مركبٍ كان أبواه متوجّهين فيه الى الحجّ .

نشأ ابنُ دقيقِ العيدِ في مدينة قُوص في صعيدِ مِصْرَ وبدأ تلقّي العلمِ على والده . ثمّ انه جاء الى القاهرة فتابع تلقّي العلم ؛ وفي سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) ذهب الى دِمَشْقَ وسَمِـعَ من علمائها . ولمّا عاد الى قوص جعل يدرّس في المدرسة النَجيبية ثم تولّى في قوص القضاء على المذهب المالكيّ .

وقُبيلَ ٦٦٥ هـ جاء ابن دقيق العيد إلى القاهرة يُنْفِقُ أكثرَ أوقاتـه في التقوى والمطالعة والتدريس . ثم انتقل الى المَذْهب الشافعي. وفي ١٨ جُمادى الأُولى من سنة ٦٩٥ هـ (٢٥/ ٣/ ١٢٩٦ م) تولّى مَنْصِبَ قاضي القضاة بالديارِ المِصرية وبَقِيَ فيه حتّى وافاه الأجلُ في ١١ صَفَرَ من سنة ٧٠٢ هـ (٤/ ٩/ ١٣٠٢ م) .

٢ – كانَ ابنُ دقيقِ العيدِ من الحُفّاظ للحديثِ بارعاً في علومهِ عارفاً بالفقْه وبعلوم اللغة العربية . وكذلك كان خَطيباً بليغاً مُحْسِناً وأديباً شاعراً ؛ غير أنّ شِعْره ينوء بالجَفاف الذي ينوء به شِعْرُ العلماء عادةً كما هو مُثْقَلٌ أحياناً بالصِناعة والتكلّف . أما فنونـُه فهي البديعيّات وشيءٌ من الأغراض الصوفية ومن الأدب (الحكمة) والنَسيب .

---

(١) بالهجر : بالهجران (البعاد والقطيعة) أو بالكلام القبيح . خاضت في دمي : عذبتني . تسربل : لبس ثوباً طويلا . نجيع : دم .

(٢) وهب هو أبو العطايا دقيق العيد .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ من بديعيّة (مِدْحة في محمّدٍ رسولِ اللهِ) لابنِ دقيقِ العيدِ :

بَعْثُهُ بَعْثُ كلِّ خيرٍ ، وميلا ... دُ الهُدى والتقى معاً ميلادُهْ .
فالمَعالي لِذاتِه ، وعلومُ الغَيْـ ... بِ لَذّاتُه ومنها مِدادُه[١] .
ولَه في صِفاتِه ومزايا ... هُ كَمالٌ تَشْجى بِهِ حُسّادُه[٢] .
وبِهِ قد تَداركَ اللهُ أهلَ الـ ... أرضِ لمّا طغى عليها عِبادُه ،
وغدا فيهِمُ لإبليسَ سوقٌ ... قائمٌ بينَهم بَعيدٌ كَسادُهُ[٣] ،
فأتاهُمْ نورٌ مبينٌ ودينٌ ... واضحٌ حقّه جَليّ سَداده[٤] !

ــ وله في الشَيْب والشَباب :

تمنّيتُ أنّ الشيب عاجلَ لِمّتي ... وقرّب منّي في صِبايَ مَزارَهُ[٥] :
لآخُذَ من عَصْرِ الشبابِ نَشاطَهُ ، ... وآخذَ من عصرِ المَشيب وَقارَه !

ــ وقال في حاله الاولى قبلَ أن تُقْبِلَ عليه الدنيا :

لَعَمْري ، لقد قاسَيْتُ بالفَقْرِ شِدّةً ... وَقَعْتُ بها في حَيْرة وشَتات[٦] :
فإن بُحْتُ بالشَكوى هتَكْتُ مُروءتي ، ... وان لَمْ أبُحْ ــ بالصبرِ ــ خِفْتُ مَماتي .
فأعْظِمْ بِهِ من نازلٍ بمُلِمّةٍ ... يُزيل حَيائي أو يُزيل حَياتي[٧] !

٤ ــ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، القاهرة (مطبعة السنّة المحمديّة) ١٣٧٢ هـ .
الالمام بأحاديث الأحكام (راجعه محمّد سعيد المولوي) ، دمشق (دار الفكر) ١٩٦٣ م .
المنتقى من إحكام الأحكام شرح عمدة الاحكام ، بغداد (دار النذير للطباعة والنشر) ١٩٦٨ م .

---

(١) لذاته : له وحده اذ هو المخصوص بها . علوم الغيب لذاته : فيها اهتمامه ورغبته (لنفع أمته) . مداده = (مدد له) : ما يستمد منه العلم والقوة والعون (من الله) .
(٢) تشجى : تحزن ، تستاء .
(٣) سوق قائم = قائمة : نافقة ، رائجة (أصبح أتباع ابليس كثيرين) . بعيد كساده : لا ينتظر أن يكسد ، أن يبور (أن يترك الناس اتباع ابليس) .
(٤) جلي سداده (صوابه) : وجه الحق فيه ظاهر .
(٥) اللمة : الشعر في مقدم الرأس .
(٦) الشتات : تفرق البال (اضطراب النفس) .
(٧) نازل بملمة : مصيبة شديدة .

** ابن دقيق العيد : حياته وديوانه ، بحث تقدّم به علي صافي حسين ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٠ م .

فوات الوفيات ٢ : ٣٠٥ — ٣١٠ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٢١٠ — ٢١٤ (رقم ٤١٢٠) ؛ من ذيول العبر ٢١—٢٢ ؛ طبقات الشافعية ٤ : ٢٠ — ٢٣ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٥ — ٦ ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٢٩ — ٢٣٢ ؛ بروكلمان ٢ : ٧٥ ، الملحق ٢ : ٦٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٧٣ — ١٧٤ .

ابن الطقطقى

١ — هو صَفيّ الدينُ محمّدُ بن عليّ بنِ طَباطبا بن الطِقْطِقَى العَلَويُّ ، وُلِدَ نحو سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) . ثم انه خَلَفَ أباه في نِقابة العَلَويّين (في الفُرات الأوسط) ، لمّا اغتيل أبوه (٦٨٠ هـ = ١٢٨١ م) .

وفي سنة ٧٠١ هـ (١٣٠٢ م) سافر إلى المَوْصل فحَجَزَهُ الثلجُ الكثيفُ مدّةً ألّف في أثنائها كتاب « الفَخْري في الآداب السلطانية والممالك الاسلامية » لفخر الدين عيسى بن ابراهيم والي الموصل من قِبَل السُلْطان غازان المغوليّ(1) .

ولعلّ وفاةَ ابنِ الطِقْطِقَى كانتْ سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ — ١٣١٠ م) .

٢ — كان ابن الطِقْطِقي أديباً بارعاً ومؤرّخاً فَهِماً . وكتابه « الفَخْري » على صِغَرِ حَجْمِه دليلٌ واضحٌ على ذلك : يَصِفُ المؤلّف في مُقدمة « الفخري » مكانةَ الكُتُبِ في حياةِ الإنسانِ وقيمةَ العقلِ ويَسْتَشْهِدُ على ذلك كلّه بأقوالِ الحكماءِ وأشعارِ الشعراء ، يَفْعَلُ ذلك بأسلوبٍ سَهْلٍ واضحٍ عَذْبٍ . وابن الطقطقي مُعْجَبٌ بكتابه ؛ وأرى أنه غيرُ مخطىء ولا مُبالغٍ .

وكتاب « الفخري » فَصلانِ (قِسمان) . فالفصل الأول : « في الأمور السلطانية والسِياسات الملكيّة » . أشار ابنُ الطِقْطِقى في مطلعه الى حقيقة الملك وأقسامه وإلى آراء العلماء في ما يوافق الشرع من المُلكِ وما لا يوافقه . ثمّ تبسّط في السِياسات والآداب التي يُنْتَفَعُ بها في الحوادث الواقعة في سِياسة الرعية : حقوقِ الرعيّة على الملك وحقوق الملك على الرعيّة. وكان ابنُ الطِقْطِقى في عددٍ من المداركِ والمعاني الاجتماعية سابقاً على ابنِ خَلْدونٍ ؛ إلاّ أنّ ابنَ الطقطقى أوردَ هذه المداركَ والمعاني إيراداً أدبياً خفيفاً على النفس بينما نَظّم ابنُ خَلدونٍ هذه المدارك والمعاني وقَسّمها

---

(١) عيسى بن ابراهيم — انظر الفخري (بيروت) ص ٨ . غازان : غازان محمود ، ايلخان (سلطان) فارس (٦٩٤ — ٧٠٣ هـ) .

فصولاً وقَعّد لها القواعِدَ ونَتّج لها النتائج .

وفي الفصل الثاني يتناول ابنُ الطقطقى « الكلامَ على دَولةٍ دولةٍ » : « دولة الأربعةِ (الخلفاء الراشدين) ثم الدولة الأُموية ثم الدولة العبّاسية وماً نبع في أثناء الدولة العبّاسية من الدويلات كالدولة الفاطمية والدولة البويهية والدولة السلجوقية وسواها . وهو يتخيّر الأحداث الدالّةَ ثم يستطرد استطرادات مُفيدةً الى أوجه الحياةِ الاجتماعية . وكثيراً ما يقرّب ما يريد من الأذهان بإيراد حكّايةٍ أو بالاستشهادِ بشعرٍ ممّا يُسْبِــغ على الكتاب كلّهِ رونقاً أدبياً مُحبّباً من غير مُفارقةٍ لِصحةِ السَرْدِ وتحرّي الحق .

وابن الطقطقى مُنْصفٌ جدّاً في تدوين التاريخ وتَعْليله . كان ابن الطقطقى شيعيّاً ونقيباً للعلويّين ، ومع ذلك فهو يقول في مُعاويَة (في مَعْرِضِ الإشارة الى حَقيقةِ الملك والسياسة) : « وأما مُعاويةُ ، رَضِيَ الله عنه ، فكان عاقلاً في دُنياه ، حليماً مَلِكاً قَوِيّاً جيّدَ السياسة .... وبِمِثْلِ هذه السِيرة صارَ خليفةَ العالم وخضع له من أبناء المهاجرين والأنصار كل من كان يَعتقدُ أنه أولى منه بالخلافة » .

٣ – مختارات من مقدّمة كتاب الفخري

.... وبعدُ ، فإنّ أفضلَ ما نَظَرَ فيه خواصُّ الملوكِ وسلكوا اليه أفضلَ السُلوك ، بعدَ نَظَرِهم في أمرِ الأُمّة وقيامِهِم فيما استُودِعوا بالحِجّة ، هو النظرُ في العلومِ والإقبال على الكتب التي صدرتْ عن شرائفِ الفهوم . فأمّا فضيلةُ العلم فظاهرةٌ ظهورَ الشمسِ عَرِيّةٌ عن الشكّ واللّبْس[1] ....

وهذا كتابٌ تكلّمتُ فيه على أحوالِ الدُوَلِ وأمورِ المُلْكِ وذكَرْتُ فيه ما استَظْرَفْتُه من أحوال المُلوك الفضلاء واستَقْرَيْتُه من سِيَرِ الخلفاء والوزراء ......

وهذا كتابٌ يَحتاجُ إليه مَنْ يَسوسُ الجُمهورَ ويُدَبّرُ الأمورَ ، وإنْ أنْصَفَ الناسُ أخذوا أولادَهم بتَحفُّظِه وتَدَبُّرِ معانيه بعدَ أن يتَدَبّروه هم : فما الصغيرُ بأحوجَ إليه من الكبير ، ولا المَلِكُ العامُّ الطاعةِ بأحوجَ اليه من ملكِ مدينةٍ ؛ ولا ذَوُو المُلكِ أحوجُ إليه من ذوي الأدب ، فانّ من يَنْصِبُ نفسَه لمفاوضةِ الملوك ومجالستهم ومذاكَرَتِهِمْ يَحتاجُ إلى أكثرَ ممّا في هذا الكتابِ ، فعلى أقلّ الأقسامِ[2] لا يَسَعُهُ تَرْكُه .

---

(١) اللبس : اختلاط الظلام ، الغموض .
(٢) أقل الاقسام : أقل هذه الأمور أهمية .

وهذا الكتابُ إنّ نُظِرَ (اليه) بعينِ الإنصاف رُئِيَ أنفَعَ مِنَ الحماسة التي لَهِجَ[1] الناسُ بها وأخذوا أولادَهم بحِفْظِها . فإنّ الحماسةَ لا يُستفادُ منها أكثَرَ من الترغيبِ في الشجاعة والضيافة وشيءٍ يسيرٍ من الاخلاق في الباب المسمّى بباب الأدب ، والتأنّسِ بالمذاهبِ الشعرية . وهذا الكتابُ يُستفادُ منه في الخِصال المذكورةِ ويُستفادُ منه في قواعدِ السياسة وأدَوَاتِ الرئاسة . فهذا فيه ما في الحماسة ، وليس في الحماسة ما فيه . وإنّه لَيُفيدُ العقلَ قوّةً والذهْنَ حدّةً والبصيرةَ نوراً ؛ وهو للخاطر الذكيّ بمَنْزِلَةِ المِسَنّ الجيّدِ للفولاذ . وهو أيضاً أنفعُ من المَقامات[2] التي الناسُ بها معتقدون وفي تَحَفُّظِها راغبون ، إذ المقاماتُ لا يُستفادُ منها سوى التمرُّنِ على الإنشاء والوقوف على مذاهبِ النظم والنثْر . نعَمْ ، وفيها حِكَمٌ وحِيَلٌ وتَجارِبُ ، إلاّ أنّ ذلك ممّا يُصَغِّرُ الهِمّةَ اذ هو مَبْنِيّ على السؤالِ والاستِجْداء والتَحَيُّلِ القبيحِ على تحصيل النَزْرِ الطَّفيف ؛ فإنْ نَفَعَتْ من جانبٍ ضَرّتْ من جانب . وبعضُ الناس تَنَبّهوا على هذا مِنَ المقاماتِ الحَريريّةِ والبَديعيّة[3] ، فعَدَلَ ناسٌ الى نهجِ البلاغةِ من كلامِ أميرِ المؤمنين عليّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلامُ ، فإنّه الكتابُ الذي يُتَعَلّمُ منه الحِكَمُ والمواعظُ والخُطَبُ والتوحيدُ والشجاعة والزُهْد وعُلُوُّ الهِمّة ....

ولعلّ قائلاً أن يقولَ : لقد بالغَ في وَصْفِ كتابهِ وحشا ما شاء في جِرابه[4] ، والمرءُ مفتونٌ بابنهِ وشعرِه . فإن اعتراهُ رَيْبٌ فَلْيَتَأمّلِ الكُتُبَ المصنّفةَ في هذا الفنّ ، فلَعَلّه لا يرى فيها كتاباً أجمعَ للمَعْنى الذي قُصِدَ بهِ من هذا الكتاب ...

٤ — الفخري (تحرير آلوارت)، غوتنجن (برتيس) ١٨٦٠ م ؛ (تحرير ديرنبرغ) ، باريس (بوييون) ١٨٩٥ م ، ١٩٠٥ م؛ مصر (شركة طبع الكتب العربية) ١٣١٧ هـ ؛ القاهرة (مكتبة العرب) ١٣٣٩ هـ ؛ مصر (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٠ هـ ؛ مصر ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) ؛ بيروت (دار بيروت للطباعة والنشر) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م .

* بروكلمان ٢ : ٢٠٧ ، الملحق ٢ : ٢٠١ — ٢٠٢ ؛ زيدان ٣ : ٢١٥ — ٢١٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٥٦ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ١٧٤ .

---

(١) كتاب الحماسة أو ديوان الحماسة لأبي تمام (راجع ، فوق ، ص٢ : ٢٥٣) . لهج بالشيء : أولع (بالبناء للمجهول) به وأكثر من ذكره .

(٢) المقامات (راجع ، فوق ، ٢ : ٤١٢ وما بعد ، ٥٩٥ وما بعد ؛ ثم ٣ : ٢٣٨) .

(٣) المنسوبة الى بديع الزمان والى الحريري (راجع الحاشية السابقة) .

ابن عطـــاء السكندري

١ ـ هو تاجُ الدينِ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الكريم بن عَطاءِ الله السكندريّ (الإسكندري) سَمِـعَ من الأبرقوهي (ت ٧٠١ هـ) ، وتلقّى عدداً من العلوم ، وصَحِبَ المتصوّفَ أبا العبّاسِ المُرْسِيَّ (ت ٦٨٦ هـ) ثمّ تصدّرَ للتدريسِ والوَعْظ في الجامعِ الأزهر . وكانت وفاتُه في القاهرةِ في سادسِ عَشَرَ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٧٠٩ هـ (٢١/ ١١/ ١٣٠٩ م) .

٢ ـ كان ابنُ عطاءِ السكندري من كبارِ المتصوّفةِ في زمانه حَسَنَ الوعظ لَيِّنَ الكلامِ عارفاً كثيرَ التأثيرِ في السامعين . وكان من الذين حملوا على تَقِيِّ الدين ابنِ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨ هـ) . ثمّ هو مُصَنِّفٌ له : رسالةٌ (في الخوف من الله) ـ رسالةُ القَصْد (العِقد) المجرد في معرفة اسم الله المفرد ـ مِفتاح الفَلاح ومِصباح الأرواح ـ التنوير في إسقاط التدبير ـ الطريق الجادّة في نيل السعادة ـ الحِكَم العطائية ـ تاج العروس وقمع النفوس ـ التحفة في التصوّف ـ لطائف المِنَن في مناقب الشيخ أبي العبّاس (المُرسي) وشيخِه أبي الحسن (الشاذلي) ـ أنس العروس ـ وصيّة شُبْهة السَماع (وعليها « كشف القناع » وهو شرح لها) . وله أيضاً رسائلُ قِصارٌ وقصائدُ ومواعظُ مختلفةٌ .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال ابنُ عطاءِ السكندري (في تاج العروس) :

أيها العبدُ ، اطلُبِ التوبةَ مِنَ اللهِ في كلِّ وقتٍ ، فانّ اللهَ تعالى قد نَدَبَك(١) إليها فقال تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعاً ، أيُّها المؤمنون، لعَلّكم تُفْلحون »(٢) .... فإن أردتَ التوبةَ فيَنْبغي لك أن (لا) تَخْلُوَ من التفكير طول عُمُرِك فتفكّرَ في ما صنعت في نَهارك : فإنْ وجَدتَ طاعةً فاشكرِ اللهَ عليها ، وان وجدتَ مَعْصيَةً فوَبِّـخْ نفسَك على ذلك وتُبْ إلى الله .... واعلَمْ أن المعصيةَ تتضمّنُ نَقْضَ العَهد وتحليلَ عِقْدِ الوُدِّ والإيثارَ على المَوْلى والطاعةَ للهَوى وخلعَ جِلْبابِ الحياء والمُبادرةَ للهِ

---

(١) ندبك الله : دعاك ، طلب منك .
(٢) القرآن الكريم ، سورة النور (٢٤ : ٣١) .

بما لا يَرْضى[1] ....

ما أحسنَ العيشَ إذا أطعتَ اللهَ بذِكْرِ اللهِ تعالى والصلاةِ على رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسَلّم. يُرْوى أنّه ما مِنْ صَيْدٍ يُصادُ ولا شَجَرَةٍ تُقْطَعُ إلاّ بغَفْلَتِهما عن ذكرِ اللهِ تعالى، لأنّ السارقَ لا يَسْرِقُ بيتاً وأهلُه أيْقاظٌ، بل على غَفْلةٍ ونَوْمٍ .....

٤ ــ تاج العروس وقمع النفوس (طبع مراراً).

منهاج الفلاح (على هامش «لطائف المنن» للشعراني)، القاهرة ١٣٢١ هـ.

لطائف المنن، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٧ هـ؛ تونس ١٣٠٤ هـ؛ القاهرة (على هامش لطائف المنن للشعرانيّ)، ١٣٢٢ هـ.

القصد المجرد، القاهرة ١٩٣٠ م.

التنوير في اسقاط التدبير، القاهرة ١٢٨١، ١٢٩٠، ١٣٠٠، ١٣١٣، ١٣٢١ هـ؛ (على هامش «النظم المحتاج» لابن بنّيس) فاس ١٣١٢ هـ.

الحكم العطائية، بولاق ١٢٨٥ هـ؛ القاهرة ١٣٠٣، ١٣١٦ هـ؛ (على هامش سعادة الدارين) ١٣١٨ هـ.

ــ للحكم العطائية شروح:

غيث المواهب العليّة في شرح الحكم العطائية لمحمّد بن ابراهيم بن عبّاد النِفَّريّ (ت ٧٩٢ هـ) مصر ١٢٨٤ هـ؛ القاهرة ١٢٩٧، ١٣٠٣ هـ.

إيقاظ النِيام (شرح الحكم العطائية) لأحمدبن محمّدبن عجيبة الحسيني المغربي (ت ١٢٢٤ هـ)، مطبوع في «مجموع»، القاهرة ١٣٢٤ هـ.

تنبيه ذَوِي الهِمَم لأحمدبن أحمدبن محمّدبن زرّوق (ت ٨٩٩ هـ)، القاهرة ١٢٨٨–١٢٨٩هـ.

ــ ونُظم بعض كتب ابن عطاء شعراً:

النظم المحتاج لعبد الكريم بن محمّد عربي بن بنيّس، فاس ١٣١٢ هـ.

تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس وقمع النفوس، القاهرة ١٣٢٢، ١٣٢٦، ١٣٢٧ هـ.

* طبقات الشافعية للسبكي ٧ : ١٧٦؛ طبقات الشعراني ٢ : ١٨؛ الدرر الكامنة ١ : ٢٩١–٢٩٣ (رقم ٧٠٠)؛ من ذيول العبر ٤٨؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٠؛ شذرات الذهب ٦ : ١٩ ــ ٢٠؛ بروكلمان ٢ : ١٤٣ ــ ١٤٤، الملحق ٢ : ١٤٥ ــ ١٤٧؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٢٢ ــ ٧٢٣؛ زيدان ٣ : ٢٦٧؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢١٣.

---

(١) ان الله قد أخذ على الناس عهداً بأن يعبدوه ويطيعوه. تحليل عقد الود: التحلل من عقد الود (الوداد، الصداقة والمحبة): نقض للاتفاق في تبادل المودة. الايثار: التفضيل. المولى: الله. الجلباب: اللباس. المبادرة لله بما لا يرضى؛ تبدأ بمعصية الله (مع احسان الله اليك دائماً).

شهاب الدين العزازي

١ — هو أبو العبّاس شِهابُ الدين أحمَدُ بنُ عبدِ المَلِكِ بنِ عبدِ المُنْعِمِ العَزازيُّ، وُلِدَ في قَلْعةِ أعزاز (شَمالَ حَلَبَ) سَنَةَ ٦٢٣ هـ (١٢٣٥ م) أو سنة ٦٢٧ هـ.

انْتَقَلَ العَزازيُّ الى مِصْرَ فكانَ تاجراً بزّازاً في قيساريّةِ جَرْكَسَ[١] في القاهرة. وقد تُوُفِّيَ في القاهرة في ٢٩ من المُحَرَّم من سنة ٧١٠[٢] (٢٨ — ٤ — ١٣١٠ م).

٢ — كان شِهابُ الدين العَزازيُّ رَجُلاً كَيِّساً ظَريفاً وكان شاعراً مُكْثِراً مُجيداً يتعاطى النظم للفُكاهة والمُذاكرة[٣]، ويُجيدُ التوشيح على الأوزان الغريبة من المُخمّسات والمُوَشّحات المختلفةِ الانواعِ. وفنونُ شعره البديعياتُ والمدح والهجاء والمُلَح والألغاز والمُذاكرات التي كانت بَيْنَه وبين الادباء والشعراء في عصره؛ وكان كثير المعارضة لاحمد بن حسن الموصلي عارض له قصائد وموشحات.

٣ — **مختارات من شعره**

— لشِهابِ الدين العَزازيّ بَديعيّةٌ يُعارض فيها البُرْدَةَ لكَعْبِ بنِ زُهير[٤]، مَطْلَعها:

دمي بأطْلالِ ذاتِ الخالِ مَطْلولُ، وجيشُ صَبْريَ مهزومٌ ومَفْلولُ[٥].

وبعد أبياتٍ من الغَزَل يقول العَزازيّ:

ويا نَسيمَ الصَّبا كَرِّرْ على أُذُني حَديثَهُنَّ، فما التَكْرارُ مَمْلول[٦].

---

(١) البزاز = الخزاز: الذي يصنع النسيج من الحرير أو يبيعه. قيسارية (بفتح القاف وتخفيف الياء = بلا شدة) في الاصل: اسم لعدد من المدن منسوبة لقيصر (ملك الروم). وكانت «القيسارية» (حتى القرن الماضي) كلمة مألوفة للدلالة على المكان الذي ينسج فيه الحرير.

(٢) في حسن المحاضرة (١ : ٢٧٣): مات بمصر سنة اثنتين وتسعين وستمائة.

(٣) المذاكرة = مذاكرة الأنفاس: مباراة الادباء في استذكار الاشعار.

(٤) راجع الجزء الأول، ص ٢٨٣.

(٥) دم مطلول: ذهب هدراً (لم يؤخذ بثأر صاحبه ولا أخذت ديته — بلا شدة على الياء). مفلول: مقطع، متفرق (بعد الهزيمة).

(٦) الصبا: ريح الشرق (وتكون في نجد باردة منعشة لانها تمر فوق جبال ايران ثم تأخذ شيئاً من الرطوبة من خليج البصرة).

ويا حُداةَ المَطايا دونَ ذي سَلَمٍ ، عُوجوا وشَرقيَّ باناتِ اللِوى قِيلوا (١) .
منازلٌ لأكُفِّ الغَيْثِ تَوْشِيَـــةٌ بها ، وللنَّوْرِ تَوْشيعٌ وتَكْليل (٢) ؛
كأنّما طِيـــبُ ريّاها ونَفْحَتُهـــا بطِيب تُرْبِ رسولِ اللهِ مجبـــول :
أوْفى النَبِيِّينَ بُرْهـــاناً ومُعْجِزَةً ، وخيرُ من جـــاءه بالوَحْيِ جِبْريل .
له يـــدٌ وله بـــاعٌ يُزَيِّنُهـــا في السِلْم طَوْلٌ وفي يومِ الوَغى طُول (٣) .
سَلَّ الإلَهُ بهِ سَيْفـــاً لمِلّتِه ؛ وذلك السيفُ حتّى الحَشْرِ مَسْلول (٤) .
نَمَتْهُ من هاشمٍ أُسْدٌ ضَراغِمَةٌ لها السيوفُ بيوتٌ والقَنا غِيل (٥) .
اذا تَفاخَرَ أرْبابُ العُلى فهُمُ الـ غُرُّ المَغاويرُ والصِيد البَهاليل (٦) .
لهم على العَرَبِ العَـــرْباءِ قاطِبَةً بهِ افْتِخارٌ وترجيـــحٌ وتفْضيل .
قومٌ عَمائِمُهُمْ ذَلّت لِعِزّتِهـــا الـ قَعْساءِ تيجانُ كِسْرى والأكاليل (٧) !

— ولشهاب الدين العزازي أبياتٌ رقيقة في الغزل ، قِيل ادّعاها سبعون شاعراً ؛ منهـــا :

---

(١) يا أيها الحداة (جمع حاد : سائق) المطايا (جمع مطية = ركوبة : حيوان يمتطيه الناس للانتقال عليه) دون (قبل أن تصلوا الى) ذى سلم (مكان في الحجاز) ، عوجوا (ميلوا ، اعطفوا نحو) شرقي بانات (جمع بانة : نوع من الشجر) اللوى (المنحنى من الرمل الابيض) ثم قيلوا (ناموا بعد الظهر : اقضوا وقتاً ما) . — أيها الذاهبون الى الحجاز ، اسكنوا فيه .

(٢) توشية : تطريز ، ترقيش بالالوان . النور (بفتح النون) : الزهر الابيض . توشيع الثوب : إعلامه (تطريزه بصور مختلفة) . والوشوع : النبات المتفرق في الجبل ، الخ . التكليل : صنع الأكاليل .

(٣) الطول (بفتح الطاء) : الفضل ، الكرم . الطول (بضم الطاء) : الامتداد (كناية عن وصول اليد بالسيف الى العدو) .

(٤) وذلك السيف حتى الحشر (يوم القيامة) مسلول : سيبقى (الاسلام) منتصراً الى الابد .

(٥) نمته : رفعته (في النسب وفي التربية) من (بني) هاشم أسد ضراغمة (جمع ضرغامة : الشجاع والفحل والرجل الشديد) . القنا : الرماح . الغيل (بكسر الغين) : الشجر الكثير الملتف . — السيوف بيوت لهم (هم شجعان يحمون أنفسهم بالسيوف — بالحرب ، بالقوة) ورماحهم كثيرة (كأشجار الغابة) كناية عن كثرة الرجال القادرين على حمل السلاح منهم .

(٦) الغر جمع أغر : أبيض (ذو مكانة وجاه ومجد وعفاف) — المغاوير جمع مغوار : الكثير الغارات (الشجاع الجريء على العدو) . الصيد جمع أصيد : المائل العنق (كناية عن الاعجاب بالنفس مع الثقة بالقدرة على الأمور) . البهاليل جمع بهلول (بضم الباء) : السيد الجامع لكل خير .

(٧) العمائم جمع عمامة (بكسر العين) : نسيج يلف على الرأس (كناية عن البداوة وقلة الوسائل المادية) غلبت ملوك الفرس (ذوي التيجان) وملوك اليمن (ذوي الأكاليل) .

صاحَ في العاشقين : يا لَكِنانَهْ ! رشأٌ في الجفونِ منه كِنانَهْ[(١)] ؛

بَدويٌّ بَدَتْ طلائعُ لَحْظَيْهِ فكانتْ فتّاكةً فَتّانَهْ[(٢)] .

ردَّ مِنّا القُلوبَ مُنْكَسِراتٍ عِنْدما راحَ كاسِراً أجْفانه .

وغَزانا بقامةٍ وبِعَيْنٍ ، تلك سَيّافةٌ وذي طَعّانه[(٣)] ؛

وأرانا — وقَدْ تَبَسَّمَ — بَرْقاً ، فأرَيْناهُ دِيمةً هتّانة[(٤)] .

فَهْوَ يَقْضي على النُفوسِ ولم تَقْضِ مِنَ الوَصْلِ في هَواهُ لُبانه[(٥)] .

سافِرُ الوَجْهِ عَنْ مَحاسِنِ بَدْرٍ ، مائسُ القَدِّ عن مَعاطِفِ بانَه[(٦)] .

لَسْتُ أدْري : أراكَةٌ هزَّ من أعْطافِهِ الهيفِ أمْ لَوَى خيْزُرانه[(٧)] !

خَطَراتُ النَسيمِ تَجْرَحُ خدَّيْهِ ، ولَمْسُ الحريرِ يُدمي بَنانه !

قالَ لي ، والدَّلالُ يَعْطِفُ مِنْهُ قامةً كالقضيبِ ذاتَ لِيانه[(٨)] :

هَلْ عَرَفْتَ الهَوى ؟ فقُلْتُ : وهل أُنْكِرُ دَعْواه ؟ قال : فاحْمِلْ هَوانه !

---

(١) كنانة : قبيلة عربية ؛ جعبة (بفتح العين : وعاء) صغيرة توضع فيها السهام . يا لكنانة : يا بني كنانة (أدركوني وخلصوني من هوى هذا المحبوب) . في الجفون منه كنانة : كان عينيه قوسان ترميان العشاق بسهام كثيرة .

(٢) بدوي وبدوي (بسكون الدال) : نسبة الى البداوة (ضد الحضر) ؛ وبدوي (بفتح الدال) نادرة في الاستعمال (أقل فصاحة) . الطلائع جمع طليعة : أول الجيش . — يشبه عيون المحبوب وكأنها جيش (يفتك بالعشاق) .

(٣) القامة : القد . تلك (القامة) سيافة (تضرب بالسيف — لشبه القامة في استقامتها وتمايلها بالسيف) وذي = هذى = هذه (العين) طعانه (برمح — كأن في عينيه رمحين يطعنان العشاق) .

(٤) — لما ابتسم لمعت أسنانه كأنها برق ، فجرت دموعنا كأنها ديمة (سحابة ممطرة) هتانة (كثيرة هطول المطر) ... حزنّا حزناً شديداً إذ لم نتمكن من وصاله .

(٥) يقضي على النفس : يقتل النفوس (نفوس العاشقين) . لم تقض (لم تنل) في هواه (في حبه) لبانة (حاجة) = لم تنل رغبتها منه .

(٦) سافر الوجه (كاشف الوجه ، يظهر بوجه) ... مائس القد ، متأود ، متمايل . القد : القامة . معاطف = أطراف = أغصان . بانة شجرة البان (شجر أغصانه مستقيمة لينة تتثنى وتتمايل بسهولة في الريح) .

(٧) الاراكة شجرة حجازية تتخذ منها المساويك ... الهيف جمع أهيف (دقيق ، نحيف ، نحيل) . الخيزرانة : نوع من القصب الاصم (الصامد ، المملوء القلب) ينحني بسهولة ولا ينكسر .

(٨) الليان (بفتح اللام) : لين العيش ورخاؤه . وليانة صيغة ليست في القاموس ، والشاعر يقصد بها اللين ، التثني .

– وللعَزازي مُوشَّحَةٌ يعارض بها موشّحة احمدبن حسن الموصلي (راجع، فوق ، ص ٦٥٩) منها :

يا ليلةَ الوصلِ وكأسِ العُقارْ دونَ استتارْ علّمْتُماني كيفَ خلْعُ العِذارْ[١].

اغتَنِم اللذّات قبلَ الذهابْ،
وجُرَّ أذيالَ الصبا والشبابْ،
واشْرَبْ ؛ فقدْ طابتْ كؤوسُ الشرابْ

على خدودٍ تُنْبِتُ الجُلّنارْ ذاتِ احمرارْ طرّزَها الحُسْنُ بآسِ العِذارْ[٢].

الراحُ ، لا شكَّ ، حياةُ النُفوسْ؛
فَحَلِّ منها عاطِلاتِ الكُؤوسْ،
واسْتَجْلِها بين النَدامى عَروسْ

تُجْلَى على خُطّابِها في إزارْ من النُضارْ حَبابُها قامَ مَقامَ النِثارْ[٣].

اجْنِ مِنَ الوَصْلِ ثِمارَ المُنى ،
وواصِلِ الكأسَ بما أمْكَنا
مَعْ طَيِّبِ الريقةِ حُلوِ الجَنى،

بمقلةٍ أفْتكَ من ذي الفَقارْ ذاتِ احْورارْ مَنْصورةِ الأجْفانِ بالانكسارْ[٤].

٤ – * * فوات الوفيات ١ : ٦١ – ٦٩ ؛ الدرر الكامنة ١ : ٢٠٥ – ٢٠٦ (رقم ٤٩٧)؛ المنهل الصافي ١ : ٣٤٠ – ٣٥٢ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٣ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢١ – ٢٢ ؛ بروكلمان ٢ : ٨ ، الملحق ٢ : ١ ؛ زيدان ٣ : ١٣١ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٥٨ .

---

(١) العقار : الخمر .

(٢) العذار : جلدتا اللجام الى جانبي رأس الفرس . خلع العذار : قلة المبالاة والانفلات من قواعد السلوك .

(٢) الجلنار : زهر الرمان . خدود تنبت الجلنار : خدود تتلون بالحمرة (كناية عن الشبيبة والجمال) . العذار : الشعر النابت على جانبي الوجه (في أول أمره) .

(٣) حلى يحلي : زين . استجلى الرجل الشيء : استخرجه من ستره ، نظر اليه بعد أن لم يكن يراه . النضار : الذهب . النثار : ما ينثر في العرس على العروس أو على الحاضرين (كأن الحباب على وجه الخمر الحمراء نثار من الفضة البيضاء) .

(٤) اجن : اقطف . المنى جمع منية (بضم الميم) : ما يرغب الانسان في الحصول عليه . ذو الفقار : سيف الامام علي (كناية عن شدة الفتك والتأثير). الاحورار : اشتداد البياض في بياض العين واشتداد السواد في سوادها. بالانكسار = بانكسار الأجفان (كناية عن ذبول العينين من الدلال والغنج).

محمد بن دانيال

١ ــ هو شمسُ الدين أبو عبدِ الله محمدُ بنُ دانيــالَ بنِ يوسُفَ المَوْصِليُّ الخُزاعيّ ، وُلِدَ في المَوْصِلِ سَنَةَ ٦٤٦ هـ (١٢٣٨ م) . وفي الموصل بدأ محمّدُ ابنُ دانيالَ بتَلَقّي العلم، ويبدو أنّه حَفِظَ شيئاً من القرآن وقرأ شيئاً من الحديث ومن الأدب .

ثمّ نَجِدُ محمّدَ بنَ دانيالَ يُهاجِرُ الى مِصْرَ ، سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ – ١٢٦٧ م) ، وكان السلطانُ الظاهر بَيْبَرْسُ قَد مَنَعَ الخمر (٦٦٤ هـ) ثمّ عادَ فمنع جميعَ الملاهي الشائنة (٦٦٥ هـ) . ويبدو أن هذه الحالَ من الصّلاح لم تُوافق مَيْلَ ابنِ دانيالَ الى المُجون فرأينا له شيئاً من النقد اللاذِعِ ، فيما يتعلّق بذلك ، في شِعْره ونَثْره .

وعلى كلٍّ فقدْ حاولَ محمّدُ بنُ دانيالَ أن يُكْمِلَ تحصيلَ العلم في القاهرة فقرأ شيئاً من الادب على الشيخ مُعين الدولة الفِهْريّ (ت ٦٨٥ هـ) ثمّ تلقّى شيئاً من التكحيل (مُداواة العيون) واتّخذ دُكّاناً في محلّة « باب الفتوح » يُكَحِّلُ المَرْضى ، ولذلك كان يسمّى « الحكيم » . ويبدو أن كَسْبه من التكحيل كان قليلاً فعاشَ في عُسْرٍ ، ثمّ رأينا حياته الزوجية أيضاً غيرَ مطمئِنّةٍ .

وكان ابنُ دانيالَ يَعْمَلُ ، الى جانبِ عملهِ في التكحيل ، في التمثيل (بخَيال الظِلّ)[1] . ثمّ شاعَ أمرُه في الدُعابة والهَزْل فمال اليه نَفَرٌ من الحُكّام والوجهاء فحَسُنَتْ حالُه ، ولكنّه كان قد أصبح في السنوات الأخيرة من حياته .

وكانت وفاةُ محمّدِ بنِ دانيالَ في ١٢ من جُمادى الثانية من سَنَةِ ٧١٠ هـ (٧/ ١١/ ١٣١٠ م) .

٢ ــ تقومُ شُهرةُ محمّدِ بنِ دانيالَ على ثَلاثِ باباتٍ[2] (تمثيليّات) وَصَلَتْ إلينا منه ، هِيَ : بابةُ طَيْفِ الخَيال ، بابةُ عجيبٍ وغريبٍ ، بابة المُتَيَّم والضائع اليتيم . ولقد وَسّع محمد بن دانيال باباتِهِ في « خيال الظلّ » حتّى أصبحتْ تَمْثيلياتٍ ــ ولا بأسَ في أن نُسَمِّيَها « مسرحيّاتٍ » ــ لأنّها وُضِعتْ للمسرح وللتمثيل الفعلي .

---

(١) راجع ، فوق ، ص ٦١٢ (خصائص العصر) .

(٢) البابة (بتاء ملحقة بكلمة باب : نوع) : تمثيلية ظلية (تمثيلية من تمثيليات خيال الظل) . وكان يرافق التشبيح (التمثيل من وراء ستار) حوار .

« باباتُ خيـال الظلّ » مسرحياتٌ هـزْلية سُوقيـّة فيها فنّ يَضيع في السَفاسف وفي المُجون الذي يَبْلُغُ الى الإباحة المُطْلَقَة في اللفظ الداعر أحياناً . على أن فيها أحياناً أخرى لَفَتات بارعةً من النقد الاجتماعيّ . ومَعَ أن مُتونَ البابات باللغة الفُصْحى نثراً ونظماً ، فقد نَمُرُّ بينَ الحين والحين بالكلمة العاميـّة والتركيب الركيك ممـّا يألفه العامـّة وبالمدارك السُوقية ثم بكثيرٍ من الالفاظ الجِنْسية والصُوَر الخَلاعية ، ممّا يصور جانباً من البيئة في ذلك العصر وجانباً من النفس الإنسانية في كلّ عصر . وكان ابن دانيال يضع القصة وينظم الأصواتَ (الأغاني) ويلحنها ويفصل الأزياء للشخصيات .

ولمحـّمد بن دانيال أُرْجوزةٌ سَمـّاها « عقود النظام في من وَلِيَ مِصْرَ مِن الحُكـّام » ، وربـّما كانت له قصائدُ أخرى مُسْتَقلّة ، ولكنّ مُعْظَمَ أشعارِ ابن ابنِ دانيالَ – سواءٌ أكانت مقاطِعَ أو قصائدَ طِوالاً – مذكورةٌ في باباتـه الثلاثِ . ولكن بما أن هذه البابات لم تُدَوَّنْ إلاّ بعدَ أمَدٍ طويلٍ من موت ابنِ دانيالَ ، فالغالبُ على الظنّ أنـّه قد دخل عليها تصحيفٌ وتبديلٌ وزيادة ونقصان (في نثرها وشعرها) .

مُلَخَّصُ بابةِ « طيف الخيال » :

يَمَلُّ الأميرُ وِصالٌ حياةَ العَبَثِ والفِسْق ويُجْمِـعُ أمرَه على الزَّواج فيستدعي الخاطبةَ أمَّ رشيدٍ ويَطْلُبُ منها أن تَدُلَّه على عَروسٍ تكون فيها جميعُ الصفات الحَميدة في كلِ شيءٍ : في جَسَدِها ونفسِها وبيئتِها . فتذكرُ له أمّ رشيد فتاةً وتَصِفُها بجميعِ تلك الصفات وبأكثرَ منها . ثمّ تطلُبُ منه نَفَقاتٍ باهظةً في كلّ شيء ، ولكن لا تَسْمَحُ له بأن يرى الفتاةَ لأنّ ذلك مُخالِفٌ للعاداتِ الجارية المألوفة . وفي يوم الزِفافِ يَجِدُ الاميرُ وِصالٌ أنّ العروسَ قبيحةٌ شَوْهاءُ مُخيفةُ النَظَرِ وأنّ لها ابْناً أيضاً فيكادُ يُغْمى عليه من هَوْل الصَدْمة . ثمّ يَستفيقُ من ذُهولهِ فيَعْزِمُ على الانتقام منْ أمّ رشيدٍ ، ولكنّ زوجَها يُخْبِرُه بأنـّها قد تُوُفِّيَتْ منذُ ساعات . ويتجسّم للأميرِ وِصالٍ سوءُ ما كان فيه من الجُرْأة على الفِسْق والفُجور فيستغفرُ اللهَ من ذلك ويتهيأُ للذَهاب الى الحجّ لِيُكَفِّرَ عن ذُنوبِهِ الماضيـَةِ .

ملخّص بابة « عجيب وغريب » :

هِيَ مجموعٌ من مناظرَ حقيقيةٍ مُضحكة لا يَجْمَعُ بينَها سِوى أنـّها مشاهدُ مألوفةٌ ومستغربة معاً في حياة النّاس العاديّين . من هذه المشاهد : الحاوي الذي يُلاعب الأفاعيَ ثمّ يُعْلِنُ عن دواءٍ مَعَه يشفي من لَدْغ الافاعي ليَبيعَه للنظّارة

ـ هلالُ المنجّمُ الذي يُخْبِرُ الناس بوجوبِ معرفة طوالعهم حتّى يَعْرِفوا الأحداثَ في مستقبل حياتهم ثمّ يَعْرِضُ على النظّارة أن يَسْتَخْبِرَ لهم المستقبلَ لِقاءَ دَراهِمَ كثيرةٍ أو قليلةٍ ـ القرّاد الذي يُلاعب قِرْدَه ـ الذي يلاعب دُبّاً ـ أبو الوُحوشِ الذي يُرَوِّضُ الوحوشَ الضارية أمامَ جُمْهور من الناس ـ الخ ، كلّ ذلك في سبيلِ التكسّب من الناس .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من بابة طيف الخيال .

(يظهر طيف الخيال ، وهو شخصٌ أحدبُ ، ويقول) :

.... السلامُ عليكم ، أيُّها السادة ، ودُمْتم في نِعْمةٍ وسعادة . اعلموا أنّ لكلّ شخصٍ مِثالاً[١] ، وقد جاء في الامثال أنّه يوجَدُ في الأسقاط ما لا يُوجَدُ في الأسفاط[٢] . على أن لكل أسلوبٍ طريقةً وتحت كلّ خَيالٍ حقيقة . وفي الهَزْل راحةٌ من كَلال الجِدّ[٣] ، والنحس يُظْهِرُه السعد . وقد يُمَلُّ المليحُ ويُحَبّ القبيحُ .... وفي القهوة سلوةُ الأحزان لولا خِفّةُ الميزان[٤] ومُطاوعةُ الشيطان وعِصيان السُلطان وحِدّة الحُدود والأخذ من النصارى واليهود[٥] . من أجل ذلك عدَلَ السودانُ الى أَسْكِرَةِ الذُرَة وأكثروا الدخول الى المَعْصَرة وأغلقوا هذا البابَ وفتحوا أبوابَ ألوانٍ شَتّى من المزور والطبطاب ، واستَغْنَوْا بالفأر المطجّن عن الفَرْخ المسمّن[٦] ، وشاركوا الخمّارين على المرة وقنعوا بالفتيتة عن

(١) في الاصل « مثال » حتى تتفق في السجع مع « أمثال » .

(٢) الاسقاط : جمع سقط (بفتح السين : من لا يعد في خيار الفتيان) = الشيء الرديء . الاسفاط جمع سفط (بفتح السين والفاء) : وعاء كالجولق (الكيس الكبير) والحقيبة توضع فيه الاشياء (الثمينة) .

(٣) الكلال : التعب . الجد : الرصانة ، الوقار .

(٤) القهوة : الخمر . لولا خفة الميزان= لولا أن البائعين يطففون الميزان عند بيع الخمر (يعطون الزبون أقل مما يستحق بالثمن الذي دفعه) .

(٥) السلطان : الحاكم . حدة : شدة . الحدود جمع حد : العقاب . الأخذ من النصارى واليهود : تقليدهم (الخمر غير محرمة في النصرانية) .

(٦) عدل = مال : فضّل . السودان = أهل السودان . الاسكرة جمع سكر (بفتح السين والكاف) : المشروب الذي يسكر . أسكرة الذرة : المستخرجة من الذرة . أكثروا الدخول الى المعصرة (!) المزور (بتشديد الواو) : شراب مسكر حلو (خفيف)، راجع قاموس دوزي ١ : ٦١٣. الطبطاب : نوع من أنواع اللعب بالكرة (دوزي ٢ : ٢١). الفأر المطجن المطبوخ في طاجن. استغنوا بالفأر المطجن عن الفرخ المسمن (كناية عن الفقر). المرة والفتيتة (؟)

الحُماسية والجرّة ، ولا كصَفاعنَة الحَرافيش[1] الذين عرفوا سرّ الحشيش لأنّهم ذاقوا بها لَذّة الكسل وهربوا من نَصَب العمل وزعموا أنّها * تفعل في مَعدَة المَمْعود فعل القَرْض في الجُلود فاستَغْنَوْا بذلك عن العقار وعن معاقرة العقار[2] فأكلوها في الاسواق والمشاهد وهاموا في طَلَبِ الرقص والمشاهد[3] . إلاّ أنّني من حين توبتي من هذه الخِصال وتوديعي لأخي وِصال ورُجوعي من المَوْصِلِ الحَدْباءِ الى الديار المِصْرية في الدولة الظاهرية[4] — سقى الله عَهْدها وأعذب في الجنان وِرْدَها[5] — وجدتُ تلك الرسومَ دارسةً ومواطن أُنْسِها غيرَ آنسَة ، عافيةَ الآثار ساقطةَ الجَدّ بالعِثار[6] ، وقد هَزَمَ أمرُ السلطانِ جيشَ الشيطان فانكفّتْ ألْسِنَةُ البَواطي وتابت البَغايا والخواطي[7] ، وتأذّى الفلاّح غاية الأذيّة ، وصُلِبَ نَبّاذ وفي عُنُقه نَبّاذيّة ؛ وأنشَدَ الشاعرُ في الحال ، وقال مَنْ قال :

لقد كان حدُّ السُكْرِ من قبلِ صلبهِ خفيفَ الأذى اذ كان في شَرْعنا جَلْدا[8] .

فلمّا بــدا المصلوبُ قُلْتُ لصاحبي : ألاَ تُبْ ، فإنّ الحَدّ قدجاوز الحَدّا[9] !

وشاعت الأخبار ، وقَوِيَ الإنكار ، وانكسر الخَمّار ، وانْطَحن المَزّار[10] ،

(١) شاركوا الخمارين (بائعي الخمر أو صانعيها) على المرة (!) . قنعوا بالفتيتة (وعاء صغير !) عن الحماسية والجرة (وعاءان كبيران للخمر !) . الصفاعنة (الذين يصفع بعضهم بعضاً !) المخرفش (في القاموس) : المختلط . الحرافيش : أخلاط الناس (من الذين لا وزن لهم ولا مكانة !) * يقصد الحشيشة .

(٢) النصب : التعب . الممعود : الذي به مرض في المعدة . القرض : القطع بالمقراض (المقص) . العقار (بفتح العين أو ضمها) : الدواء ، الخمر . معاقرة العقار : الإدمان على شرب الخمر .

(٣) المشاهد جمع مشهد : اجتماع الناس في مكان يزدحمون فيه . والمشهد أيضاً : قصة يجري تمثيلها أو قطعة من تمثيلية .

(٤) أيام حكم الظاهر بيبرس في مصر (٦٥٨ — ٦٧٨ ه) .

(٥) أعذب : حلى ، جعل الشيء حلواً . الورد (بكسر الواو) : الشرب من ماء النهر .

(٦) الرسوم : الأبنية والأمكنة العامرة . دارسة : ممحوة ، خربة . آنسة : يسكنها الناس أو يترددون اليها . عافية : ممحوة . الجد : الحظ . العثار : الزلل ، وقوع الانسان أرضاً . — ساقطة الجد بالعثار = سيئة الحظ .

(٧) انكفت (سكتت ، انقطعت عن الكلام) الباطية : وعاء توضع فيه الخمر . انكفت ألسنة البواطي = توقفت أفواه البواطي عن صب الخمر (بطل شرب الخمر) . البغي : المرأة الفاجرة (التي تبيح نفسها بأجر). الخاطئة : المرأة التي أباحت نفسها خطأ منها (أو مرات قليلة) . نباذية : وعاء يوضع فيه النبيذ .

(٨) حد : عقاب . من قبل صلبه = قبل أن لجأ الظاهر بيبرس الى الأمر بصلب الذين يشربون الخمر . في شرعنا : في الاسلام . الجلد : الضرب بسير من جلد أو بالعصا .

(٩) الحد (العقاب) قد جاوز (تخطى ، زاد على) الحد (المقدار المعقول).

(١٠) المزار : الذي يصنع الخمر المسماة المزور .

وانزَوى المَسْطول في القُرْنة الغَبْراء ، وصارت كلّ يابسة في كفّه خَضْراء [1]....
فدعاني بعضُ الأخِلاّء [2] الى محلّه وأنزلني بين قومه وأهله ، واعتذر إليّ عن تقصيره في إكرامي لاختصاره في الضِيافة إذ لم يأتِ بمرامي [3]. وقال غَلَبَ على ظنّي أنّ أبا مُرّةَ قد ماتَ وعُدّ من جُمْلة الرُّفاتِ [4] . قُمْ بِنا نبكيه ونَصِفُ الحالةَ هذه ونَرْثيه ، فابتدَيْتُ وقُلْت بَيْتاً بيت [5] (نشيد) :

ماتَ ، يا قومُ ، شيخُنا إبليسُ ، وخلا منـه رَبْعُنا المـأنوس !
....

(ينادي رسيل الخيال) :

يا أميرُ وصالُ ، يا كاملَ الخِصال .

(يخرج جندي بسربوش – طربوش – وسُبالُه ، أي شاربه ، منفوش ، ويقول):

سلامٌ على من حَضَرَ مَقامي وسَمِـع كلامي . من عَرَفَني فقد تَمَتّع بأُنسي ، ومن جَهِلني فأنا أُعَرِّفُهُ بنفسي : أنا أبو الخِصال المعروفُ بأمير وِصال ، صاحبُ الدَّبّوس والناموس ، والكابوس والسالوس . أنا مُلاكِمُ الحِيطان ، أنا مُحَبِّط [6] الشيطان، أنا أنهشُ من ثُعبان وأحْمَلُ من قبّان [7]، وأنا أنْطح من كَبْش وأنتنُ من وَحْش ، أنا أشْرَف من نُعاس وألْوَط من أبي نواس ..... أحلّ العُقَد ولو كانت من مَسَد وأسامر وأُقامر ، فأنا طَفّاز هَمّاز ، هُمَزَة لُمَزَة [8] ، عيّاب

---

(١) انزوى . ابتعد عن الناس ، لزم مكاناً بعيداً . المسطول : السكران ونحوه (المعجم الوسيط). صارت كل يابسة في كفه خضراء (!) .

(٢) الاخلاء جمع خليل : الصديق الخالص ، الناصح .

(٣) مرامي : مقصودي ، ما أريده (هنا : الخمر) .

(٤) أبو مرة : إبليس . الرفات : الاشياء المفتتة (بقايا الميت المستحيلة شبه التراب) .

(٥) وقلت بيتاً بيت = بيتاً بيتاً (!) ابتديت = ابتدأت .

(٦) الدبوس : عصا لها رأس شبه الكره مدبب يضرب بها . الناموس : القانون . الكابوس : أضغاث أحلام متعبة للذي يحلم بها . السالوس : الخمار . – لعل ابن دانيال جاء بهذه الكلمات للنسق الصوتي من غير أن يقصد بها التعبير عما تدل عليه في القاموس (أو لعل لها معاني متعارفة في اللغة العامية) . وذكر ابراهيم حمادة مؤلف كتاب « خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال » أن السالوس جمع سالوسة وهو اللابس الشعر المستعار ... (ص ١٥٤ ، الحاشية ٣) .

(٧) القبان : ميزان يزنون به الاشياء الثقيلة .

(٨) مسد : ليف. أسامر : أسهر الليل (أسلي الساهرين). الطفار : القوّاد(الذي يجمع بين الرجال والنساء فيالحرام). الطفاز (بالزاي) ؟ الهماز والهمزة: الذي يعيب الناس بالغيب (في غيابهم). اللمزة: الذي يعيب الناس في حضورهم.

دَبّاب*، مُعَرْبد مُهَدّد، ناسِك فاتِك، ... فلا تَجْهَلوا مِقْداري وقد كَشَفْتُ لكم عن أسْراري .

(فيقول طيف الخيال) :

أنتَ جمالُ المَقامات ، ومن خلّفَ مِثْلَك ما مات .

(فيقول الامير وصال) :

أينَ تلك الأيّامُ التي كانت مَواهِبَ ، وكانت بإشرقِ الأحبّةِ حَبايبَ ، وأين أوقاتُ المَعْشوق والاجتماع بباب اللُّوقِ ، وأين قَصْفُنا في بستان الخشّاب وشِرْبُنا في عَرْصة أمّ شِهاب[1] ....؟

— وقال محمّدُ بنُ دانيالَ يَصِفُ بِرْذَوْنَهُ — البغلَ الذي يَرْكَبُه — (وجميعُ هذه الاشعارِ موجودةٌ في باباته الثلاث) :

قد كَمّل اللهُ بِرْذَوْنـي لِمَنْقَصَةٍ ... وشانَه — بعدَ ما أعماهُ — بالعَرَجِ[2] :

أسيرُ مِثْلَ أسيرٍ ، وهو يَعْـرَجُ بي ؛ ... كأنّه ماشِياً يَنْحَـطّ من دَرَجِ[3] .

فإنْ رَماني على ما فيه من عَـرَجٍ ، ... فما عليه ، إذا ما مِتُّ ، من حَرَجِ[4] .

— وقال في الكلام على قِلّة رِزْقه :

قد عَقَلْنـا ؛ والعقلُ أيُّ وِثـاقٍ ! ... وصَبَرْنا ؛ والصَبْـر مُرّ المَذاقِ[5] .

كلُّ مَنْ كان فاضلاً كان مِثْلي ... فاضلاً عند قِسْـمة الأرزاق[6] .

— وقال في تَكَسّبِه بالتكحيل (مُداواة العيون) :

يا سائلي عن حِرْفَـتي في الوَرى ... وصَنْعَتي فيهِـمْ وإفْلاسي[7] ،

---

* دباب : الذي يدب (ليلا وسراً) للاعتداء على الاعراض(!) .

(١) باب اللوق : محلة في وسط القاهرة (مركز أعمال) . القصف : اللهو . العرصة : (في الاصل) الارض الخلاء امام البيت .

(٢) شانه : عابه (جعل فيه عيباً) .

(٣) أسير (أمشي) مثل أسير (مثل المأسور ، المقيد) : بضعف وعجز . انحط : نزل (وهو يتقلب)

(٤) فان رماني : اذا رماني (أوقعني عن ظهره) . « ما عليه من حرج » : لا ذنب له ، لا يعاقب على ما فعل (والجملة تضمين لقوله تعالى : « ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج » — ٢٤ : ٦١ ، سورة النور) . (٥) الوثاق (بفتح الواو وبكسرها) : الرباط .

(٦) « فاضلا » الاولى : صاحب فضل ومكانة سامية . « فاضلا » الثانية : باقياً ، زائداً (أخذ الجميع نصيبهم من الرزق وبقي هو بلا نصيب من الرزق) .

(٧) الحرفة : العمل الذي يكسب الانسان به معاشه . الورى : الناس .

ما حـــالُ مَنْ دِرْهَمُ إنفــاقهِ يأخُـــذُهُ من أعيُنِ الناس[1]!

– من موشّحة لابن دانيال :

غُصْنٌ مِنَ البـــانِ مُثْمِرٌ قَمَـــرا يكادُ من لِينهِ إذا خَطَرا يُعْقَدْ[2].

أسْمَرُ مِثْلَ القَنــاةِ مُعْتَدِلُ ،
ولحْظُـــهُ كالسِنانِ مُنْصَقِلُ ،
نَشْوانُ من خَمْرةِ الصِـــبا ثَمِلُ ،

عَرْبَدَ سُكْراً عَلَيَّ إذ خَطَرا ؛ كذاكَ في الناسِ كلُّ من سَكِرا عَرْبَدْ[3].

٤ – خيال الظلّ وتمثيليّات ابن دانيال (دراسة وتحقيق ابراهيم حمّادة) ، (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ١٩٦٣ م .

ثلاث تمثيليات (.... تقي الدين الهلالي) بغداد ١٩٤٨ م .

مسطرة من مخطوطة الاسكوريال (لابن دانيال) ، (تحرير جورج يعقوب) ، ارلنغن (منكه) ١٩٠٢ م .

* فوات الوفيات ٢ : ٢٣٧ – ٢٤١ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٥١ – ٥٧ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٧ ؛ البدر الطالع ٢ : ١٧١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٤٢ ؛ بروكلمان ٢ : ٨ – ٩ ، ٣ : ١٣١ – ١٣٢ ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي ٣ : ٣٦٥ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٥٤ – ٣٥٥ ؛ مجلة الكتاب ١٠ : ٦١١ – ٦١٧ (كانون الثاني – يناير ١٩٥١) .

ابن مَنْظورٍ صاحبُ لسان العرب

١ – هو القاضي جمالُ الدين أبو الفضل محمّدُ بن المُكَرَّم بنِ عليِّ بنِ أحمدَ ابن أبي القاسم بن حبقة (بغية الوعاة ١٠٦) بن منظور الرُوَيْفِعيُّ الأنصاريُّ الخَزْرَجيُّ[4] المِصْري

---

(١) « يأخذه من أعين الناس » (فيها تورية) : يأخذه أجراً على مداواة عيونهم – يأخذه من عيونهم (بلا رضا منهم) .

(٢) – هذا المحبوب مثل قضيب البان (شجر له أغصان سمر مستقيمة) مثمر قمراً ، « قمر » مفعول به (يحمل قمراً : عليه وجه جميل يشبه القمر) . خطر : سار (بدلال) يرفع يده ويخفضها . يكاد يعقد : ينطوي ويلتف بعضه على بعض (للينه ، من الشباب والنضارة) .

(٣) القناة : القصبة الفارسية ، الرمح . معتدل : مستقيم . السنان : النصل الذي في رأس الرمح . منصقل : براق ، أبيض (كناية عن الجمال) . نشوان : سكران .

(٤) لاتصال نسبه برويفع بن ثابت الأنصاري (الخزرجي) أحد أصحاب رسول الله من أهل المدينة .

الإفريقيّ ؛ وُلِدَ في مِصْرَ في المُحَرَّمِ من سَنَة ٦٣٠[1] وسَمِعَ مِنِ ابنِ المُغيرةِ ومُرْتضى بن حاتمٍ وعبدِ الرحيمِ بن الطُفيل ويوسُفَ بن المخيليّ وغيرِهم.

خَدَمَ ابنُ منظورٍ في ديوان الإنشاء في القاهرة وتولّى القضاءَ في طَرابُلُسِ الغَرْبِ (من هنا جاء لَقَبُه «الإفريقيّ»). وكانت وَفاتُه في القاهرة في شَعبانَ من سَنَة ٧١١ هـ (كانون الاول — ديسمبر ١٣١١ م).

٢ — كان جمالُ الدين بنُ منظورٍ أديباً شاعراً وناثراً مليحَ الإنشاءِ ؛ وكان عارفاً باللغة والأدب والنحو والتاريخ والكِتابة مُغْرًى باختصارِ الكُتُبِ المُطَوَّلَةِ : اختصر كتابَ الاغاني والعِقْد (الفريد) والذخيرةَ ونِشْوار المُحاضرة ومفردات ابن البيطار وغيرَها. وكان مُصَنِّفاً له القاموسُ العظيم «لسانُ العربِ» جمع مادّتَه من عَدَدٍ كبيرٍ من أُمّهاتِ كُتُبِ اللغة ، فكان فيه نحوَ ثمانينَ ألفَ مادّة[2]. وقد ضمّ ابن منظورٍ في «لسان العرب» طائفةً كبيرةً من أعلام البُلدان وأعلامِ الأشخاصِ ، كما نَجِدُ فيه عَدَداً من حَقائق العِلْمِ والتاريخِ والأدب ممّا يَخْرُجُ عادةً عن نِطاقِ كُتُبِ اللغةِ. وله أيضاً نِثارُ الأزهارِ في الليل والنهار وأطايِبِ أوقاتِ الأصائل والأسحار وسائر ما يَشْتَمِلُ عليه من كواكبِ الفلكُ الدوّار — اخبار ابي نواس — سرور النفس بمدارك الحواسّ الخمس ؛ وغيرها.

ولابن منظورٍ شعرٌ حَسَنُ الاستعارةِ والكِنايةِ عليه شيءٌ من الرَوْنق.

٣ — مختارات من آثاره

— من أشعار ابنِ منظور في النسيب :

ضَعْ كتابي ، إذا أتاكَ ، إلى الأرْ ... ضِ ثُمّ قَلِّبْهُ في يدَيْك لِماما[3].
فعلى خَتْمِه وفي جانِبَيْه ... قُبَلٌ قد وَضَعْتُهُنّ تُؤاما[4].
كان قَصْدي بها مُباشرةَ الأرْ ... ضِ وكَفَّيْكَ بالتثامي، إذا ما[5] ....

(١) يبدأ المحرم من سنة ٦٣٠ للهجرة في ١٨ تشرين الاول (أكتوبر) ١٢٣٢ م.
(٢) الصحاح ومدارس المعجمات العربية ، تأليف أحمد عبد الغفور العطار ، مصر (دار الكتاب العربي) (١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م) ، ص ٢٠٠.
(٣) لماما : غبا (بكسر الغين وتشديد الباء : مرة بعد مرة).
(٤) قبل جمع قبلة (بضم القاف). تؤاما ; زوجاً زوجاً.
(٥) اذا ما (فيها اكتفاء : ذكر كلمة أو أكثر مقتطعة من جملة فيعرف القارىء أو السامع باقي الجملة) : اذا ما استطعت أنا أن آتي اليك.

— وقال يحثّ محبوبته على ما يظنّ الناس فيهما أنهما فعلاه وهما لم يفعلاه :

النّاسُ قد أثِمُوا فينا بظَنِّهِمُ وصدّقوا بالذي أدري وتَدْرينا[1] ....
ماذا يَضُرُّكِ في تصديقِ قَولِهِمُ بأن نُحَقِّقَ ما فينا يَظُنّونا[2]!
حَمْلي وحَمْلُكِ ذَنْباً واحداً ، ثِقَةً بالعَفْوِ ، أجملُ من إثْم الورى فينا[3] .

— وله كِناية ٌ بارعة ٌ في قولهِ :

باللهِ ، ان جُزْتَ بوادي الأراكْ — وقَبَّلَتْ أغصانُه الخُضْرُ فاكْ —[4]
ابْعَثْ إلى المَمْلوكِ من بَعْضِه ؛ فإنّني ، واللهِ ، ما لي سِواكْ !

— من مقدمة « لسان العرب » لابن منظور :

.... فاستَخَرتُ اللهَ في جَمْعِ هذا الكتابِ الذي لا يُساهَمُ في سَعَةِ فضلهِ ولا يُشارَكُ ؛ ولم أخرُجْ فيه عمّا في الأُصول ، ورَتَّبْتُه ترتيبَ الصِحاح في الأبواب والفصول[5] . وقصدتُ تَوْشيحَه بجليلِ الأخبار وجَميلِ الآثار[6] مُضافاً إلى ما فيه من آياتِ القرآنِ الكريمِ ليتَحلّى بتَرْصيع دُرَرِها عِقْدُه ويكونَ على مَدار الآياتِ والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حَلّه وعَقْده ... فوضعتُ كُلاً منها في مَكانه وأظهرتُه معَ بُرْهانه . فجاء هذا الكتابُ ، بحمد اللهِ ، واضحَ المَنْهَجِ سهلَ السُلوك[7] ... عَظُمَ نَفْعُه بما اشتملَ من العُلوم عليه ... وجَمَعَ من اللُغاتِ[8] والشواهِدِ ما لم يَجْمَعْ مِثْلَه مِثْلَه ، لأن

---

(١) أثموا : أذنبوا . بالذي أدرى وتدرين : بالحب الذي بيننا .

(٢) ... ما يظنون من أننا نتواصل.

(٣) اذا نحن تواصلنا فإننا نرتكب ذنباً واحداً يكون مقسوماً بيننا (خفيفاً) ثم نحن نثق بأن الله سيعفو عنا (لأننا مخلصان في حبنا) . وهذا خير من أن يكون جميع الناس آثمين لأنهم يظنون فينا أمراً لم نفعله (يكذبون في ظنهم فيأثمون كلهم) . — انظر• ، تحت ، ص ....

(٤) — ان مررت بوادي الاراك (قرب مكة) وقبلت أغصانه الخضر فاك (قطعت من أغصان شجر الأراك مساويك تنظف بها أسنانك) ... المملوك : العبد (الذي هزلك في الحب) . ما لي سواك (فيها تورية : ليس عندي سواك ، إي مسواك ، مسواك أنظف به أسناني ؛ ما لي سواك : ليس لي إلاك ، ليس لي حبيب غيرك !)

(٥) يكون البحث في القاموس (بالترتيب القديم) : سبح (باب الحاء، فصل السين) — أخذ (باب الذال ، فصل الهمزة) وتأتي سبح قبل أخذ .

(٦) الآثار : أحاديث رسول الله .

(٧) سهل السلوك: يسهل الاهتداء فيه الى مواضع الكلمات المرادة.

(٨) اللغات : الألفاظ التي تختلف فيها قبائل العرب (نحو مديــة بضم الميم في لغة عرب الجنوب وسكين في لغة عرب الشمال للدلالة على الآلة القاطعة المعروفة) .

كلّ واحدٍ من هؤلاء العلماء انْفَرَدَ بروايةٍ رَواها ، وبكَلِمَةٍ سَمِعَها من العرب شِفاهاً(١) ، ولم يأتِ في كتابه بكلّ ما في كتابِ أخيه .... فجمَعَتُ منها في هذا الكتاب ما تَفَرَّقَ ... فانتظم شَمْلُ تلك الأُصول كلّها في هذا المجموع .... فمن وَقَفَ فيه على صوابٍ او زَلَلٍ اوْ صِحَّةٍ او خَلَلٍ فعهْدَتُه على المُصَنِّفِ الأوّلِ ... لأنني نَقَلْتُ من كُلّ أصلٍ مضمونَه ولم أُبَدِّلْ منه شيئاً .

... فإنني لم أقصِدْ سِوى أُصولِ هذه اللغةِ النبَوِيَّةِ وضَبْطِ فَضْلِها ، إذ عليها مَدارُ أحكامِ الكتابِ العَزيزِ والسُّنة النبَوِيَّةِ ... وذلك لِمَا رأيتُه قد غَلَبَ في هذا الأوان مِنَ اخْتلافِ الألْسِنَةِ والألْوان ؛ حتّى اصبح اللحن في الكَلامِ يُعَدُّ لَحْناً(٢) مَرْدوداً ، وصارَ النُطقُ بالعربية من المعايبِ مَعْدوداً ؛ وتنافَسَ الناس في تصانيفِ التَرْجُمانات في اللُّغَةِ الأعجمية وتفاصحوا في غير اللغة العربية . فجمعتُ هذا الكتابَ في زمنٍ أهلُهُ بغير لُغَتِه يفخرون .... وسمّيْتُه لِسانَ العَرَبِ .

٤ ـ لسان العرب ، مصر (المطبعة الكبرى الميرية) ١٣٠٠ ـ ١٣٠٧ ﻫ ؛ ثمّ ١٣٤٨ ﻫ ـ ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ م ؛ (أعيد تربيته على الحرف الأول ـ ليوسف خيّاط ونديم مرعشلي) ، بيروت (دار لسان العرب) ١٣٨٩ ﻫ = ١٩٧٠ م .

نثار الازهار في الليل والنهار ، قسطنطينيّة (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ ﻫ .

مختار الأغاني في الاخبار والتهاني (حقّقه ابراهيم الابياريّ) ، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والانباء والنشر) ١٩٦٥ م .

مختصر الأغاني في الاخبار والتهاني ، القاهرة ١٣٤٥ ﻫ .

أخبار أبي نواس ، الجزء الأوّل ، مصر (مطبعة الاعتماد) ١٩٢٤ م .

أخبار أبي نواس ، الجزء الأوّل (حقّقه محمّد عبد الرسول ابراهيم) بغداد ١٩٢٤ م ؛ الجزء الثاني (حقّقه شكري محمود أحمد) ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥٢ م .

أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه (قدّم له عمر أبو النصر) ، بيروت (مكتب عمر أبي النصر للتأليف والترجمة والصحافة) ١٩٦٩ م .

(١) العرب : البدو . شفاها : نقلا بالكلام .
(٢) اللحن في الكلام الخطأ . لحناً مردوداً : نغماً يردده الناس طرباً به.

* تصحيح لسان العرب لأحمد تيمور ، القاهرة ١٣٣٤ هـ ، ثمّ ١٣٤٣ هـ .

شواهد لسان العرب مرتّبة على حروف المعجم لعبد الفتّاح قتلان ، القاهرة (مطبعة النهضة) ١٩١٧ م .

فهرست لسان العرب لأسماء الشعراء ، لعبد القوّام محمّد ، لاهور ١٩٣٨ م .

فوات الوفيات ٢ : ٣٣١ – ٣٣٢ ؛ الدرر الكامنة ٥ : ٣١ – ٣٣ (رقم ٤٥٨٨) ؛ الوافي بالوفيات ٥ : ٥٤ – ٥٦ ؛ نكت الهميان ٢٧٥ – ٢٧٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٥ ؛ من ذيول العبر ٦٢ ؛ بغية الوعاة ١٠٦ – ١٠٧ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٦ – ٢٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٦٤ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٥ ، الملحق ٢ : ١٤ – ١٥ ؛ زيدان ٣ : ١٥٣ ؛ أعيان الشيعة ٤٧ : ٢٤ – ٣٥ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٢٩ – ٣٣٠ .

عمر بن مسعود

١ – هو سِراجُ الدين عُمَرُ بنُ مسعودِ بنِ عُمَرَ الكِنانيُّ الحلبيُّ المعروف بالمَجّان[1] كان يسكُنَ حَماةَ ، وقد مَدَحَ صاحبَها المنصورَ وابنه الأفضلَ[2] . ثم كانت وفاتُه في دِمَشْقَ سَنَةَ ٧١١ أو ٧١٢ هـ (١٣١١ م) .

٢ – كان سِراجُ الدين عُمَرُ بنُ مسعودٍ أديباً حكيماً شاعراً حَسَنَ الشِعْرِ وصاحبَ مُوشّحاتٍ . وأكثرُ شِعْرِهِ الوصفُ والغزل . وكانت له مدائحُ .

٣ – مختارات من شعره

– قال سِراجُ الدينِ عُمَرُ بنُ مسعودٍ المجّانُ يَصِفُ قِنْديلاً في ليلةٍ مُظْلِمَةٍ :

يا حُسْنَ بَهْجةِ قِنديلٍ خَلَوْتُ بهِ   والليلُ قد أُسْبِلَتْ منّا سَتائِرُهُ ؛[3]
أضاء كالكوكبِ الدُرّيِّ مُتَّقِداً ،   فراقَ باطنُه نوراً وظاهره[4] .
تَزيدُهُ ظُلْمَةُ الليلِ البَهيمِ سَناً   كأنّما الليلُ طَرْفٌ وَهْوَ باصِرُهُ[5] !

---

(١) بروكلمان : المحار (بتشديد الحاء و بالراء) وفي الدرر الكامنة : المحار ايضاً و لكن غير مشكولة .

(٢) في الدرر الكامنة : وله مدائح في الملك المنصور صاحب حماة وابنه الافضل علي ؛ وهذا لا يتسق مع ما جاء عند زامباور (ص ١٥٣ – ١٥٤) .

(٣) – يقصد أن سواد الليل قد اشتد .

(٤) – كأن الليل كله عين ، وكأن هذا القنديل بؤبؤ هذه العين (شديد الاضاءة في بقعة مظلمة) !

– وقال من مُوَشّحة :

أما[1] ، وحَلْيِ جيدِه ورنّةِ الخلاخلِ
والضَمّ من بُرودِه قدٌّ قضيبٍ مائلِ
والوردِ من خُدودِه إذ نمّ في الغلائل ،
لا كنتُ من صدودِه مُستمِعاً لعاذل .
نارَ[2] الهوى ، لا تَخمَدي واستعِري؛ وكذّبي سُلواني؛
وانسكبي وأطّردي وانهَمِري، كالسُحُبِ ، أجفاني!

*

مولايَ[3] ، جَفْني ساهرُ مُؤرّقٌ كما ترى ،
فلا خيالٌ زائرُ يَطرُقُني ولا كَرى .
إنّي عليك صابرُ ؛ فما جَزا من صَبَرا ؟
إن[4] سَحّ دمعي الهامرُ فلا تَلُمْهُ إن جرى .
جالَ الهوى في جَلَدي ومُضْمَري المُعَذّبِ كِتماني.
مؤنّبي ، اتّئدِ ؛ لا تَضرِبِ ، جَنّبِ عن عِناني .

٤ – * * فوات الوفيات ٢ : ١٣٩ – ١٤٤ ؛ الدرر الكامنة ٣ : ٢٧٠ – ٢٧١ (رقم ٣٠٩٠) ؛ بروكلمان ، الملحق ٢ : ١ .

---

(١) أما : حرف للاستهلال (البدء). وحلي جيده : الواو للقسم : أقسم بحلي (جمال) جيده (عنقه) . وما تضم بروده (ثيابه الحريرية الرقيقة) من قد (قامة) قضيب (قوام معتدل رشيق) مائل (يتمايل دلالا) . نم الورد : في الغلائل : انعكس لون خدوده الحمر على غلائله (ثيابه). الغلالة : الثوب الرقيق تلبسه المرأة على جسمها مباشرة) . العاذل : اللائم .

(٢) نار الهوى : يا نار الهوى . استعرت النار : اتقدت (اشتد لهيبها) . كذبي سلواني (نسياني) : دلي على أنني ما سلوت (ما نسيت) حب محبوبي ، مع أنني أتظاهر بذلك . اطردي : تتابعي . أجفاني (منادى) يا أجفاني .

(٣) مؤرق : أصابه الأرق (لا يستطيع النوم). خيال زائر : طيف ، منام . يطرقني : يأتي الي ليلا (في المنام) . الكرى : النوم . أنا أسهر أملا في أن يزورني ، فلا يزورني فأحرم زيارته وأحرم النوم .

(٤) الجلد : التصبر . جال الهوى في جلدي (حبي الشديد جعل صبري عن محبوبي مستحيلا) . مضمري : ضميري (؟). – كتمان حبه (والتظاهر أمام الناس بأني لا أحبه) يزيد في عذاب نفسي ! فيا مؤنبي (مقرعي ، موبخي) اتئد : اصبر علي ، تمهل . جنب : كف ، ابتعد . العنان : الرسن الذي يقاد به الحيوان . جنب عن عناني (لا تقس علي ، لا تجبرني على الابتعاد عن حبيبي !)

نصير الدين الحمّـــاميّ

١ ـ هو نصيرُ الدينِ الحمّاميُّ المِصريُّ ، كان يَكْتري الحمّاماتِ ثمّ يستقبلُ الناسَ فيها ليَكْسِبَ رِزْقَه . ومن هنا جاء لَقَبُه : الحَمّاميُّ . ثمّ انّه أسنَّ وضَعُفَ عن ذلك فجعل يستجدي بالشعر فعاش فقيراً . من أجل ذلك كَثُرَتِ الشَكْوى في شِعره . وكانت وفاةُ نصيرِ الدينِ الحمّاميِّ في سَنَةِ ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) في الأرجح .

٢ ـ كان نصيرُ الدينِ الحمّاميُّ من شعراءِ العامّة الذين لم ينالوا قِسْطاً من التثقيف فتسرّب الى شِعْرِهم ألفاظٌ عامّيّة . وكان الحمّاميّ يبحث عن المعاني ويتطلّبُ البديعَ ، وقد أجادَ التوريةَ . وله موشّحاتٌ . وفي «المنتخب من أدب العرب»[1] أبياتٌ بارعةٌ قدْ لا تتّفقُ واتّجاهَه العامَّ في قولِ الشعر .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ لنصيرِ الدين الحمّاميِّ أبياتٌ من اطارِ البيئةِ العامّيّة ، منها[2] :

رأيتُ شخصاً آكــلاً كِرْشَةً وهْو أخو ذَوْقٍ ، وفيه فِطَنْ .
وقال : ما زِلْتُ مُحِبّـــاً لها . قلتُ : من الإيمانِ حُبُّ الوطن .

ـ وممّا أورده له أصحابُ « المنتخب في أدب العرب » :

* جُـــودوا لِنَسْجَعَ بالمديـــحِ على عُلاكم سَرْمَدا[3] ؛
فالطيرُ أحسنُ مـــا يُغَـــرْ رِدُ عندما يَقَـــعَ النَدى[4] .

---

(١) جمعه وشرحه طه حسين وأحمد الاسكندري وأحمد أمين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري وأحمد ضيف ، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م ، ٢ : ٤٤٣ – ٤٤٤ .

(٢) الكرشة (في عامية أهل مصر) : هي الكرش (بكسر الكاف أو بفتح الكاف وكسر الراء ، مؤنثة) : وهي في الحيوانات المجترة . تقابل المعدة في الانسان (القاموس ٢ : ٢٨٦) . والكرش تتخذ طعاماً تحشى باللحم والارز وتسلق أو تؤكل مسلوقة فقط أو ثريداً (مع الخبز واللبن) . « حب الوطن من الايمان » حديث .

(٣) سجع (الحمام) : غنى . سرمدا : دائماً ، الى الابد .

(٤) في « الندى » تورية . الكرم . والندى : مطر خفيف يسقط في أواخر الليل من تجمع بخار الماء في الهواء ويرى نقطاً على الأشجار والأشياء . عندما يقع الندى : حينما تجودون علينا بالمال أو في آخر الليل (حينما يسقط الندى) .

* أبيـــاتُ شِعْرِكَ كالقصــو رِ ، ولا قُصورَ بهــا يَعوقُ[1].
ومن العجــائب : لَفْظُهــا حُرٌّ ومعنــاها رقيــق[2] !

– وله موشّحةٌ منها :

يا مُنتهى آمــالي * أما لي ** في الحُــبِّ من مُجيرْ ؟
ارثي لجسمي البــالي * يا بالي ** وارحــمْ في أسيرْ[3] .
فقد بذلتُ الغــالي * يا غــالي ** في القَــدْر ، يا أميــر .
وفيكَ قد ألقى لي * يا قالي * لِهَجْرِكَ الضَرَرْ
وقطّعتَ أوصالي * يا صالي * تُقيلني سَقَرْ[4] .

*****

إن جُزْتَ بينَ السِرْبِ ** فسِرْ بــي * عن حَيِّهِم قليلْ[5]
ومِــلْ بهم وعُجْ بي ** فعُجْبي * قلبي بهم بخيلْ[6] .
وقِفْ بهم ، يا صَحْبي ** وصِــحْ بي : * ابكوا على القتيل.
وان يُقْضَ نَحْبي * فنُحْ بي * في السَهْلِ والوَعِرْ
وانزِلْ بهم والطُفْ بي * وطِف بي * في البدو والحَضَر[7] .

٤ – ** فوات الوفيات ٢ : ٣٨٤ – ٣٨٦ .

---

(١) القصور الاولى جمع قصر (البيت العظيم الفخم الجميل) . القصور الثانية (مصدر) : التقصير (عجز الانسان عن اتقان الاعمال) . عاق : يعوق : أخر ، منع .

(٢) حر : صاف ، خالص ، منتقى ؛ والحر : خير كل شيء (أحسن ما في كل شيء) . والحر : الرجل الذي يملك أمر نفسه وحريته (خلاف العبد المستعبد) . رقيق : غير الغليظ ، اللين ، السلس . والرقيق العبد .

(٣) يا بالي : أيها الموجود في بالي (فكري) يشغلني .

(٤) القالي : المبغض . يا صالي : يا محرقي بالنار (من الفعل : صلى) . تقيلني سقر : تجعلني أقيل (بفتح الهمزة : أنام ، أسكن) سقر (جهنم) : في جهنم .

(٥) السرب : جماعة الحيوانات أو البهائم السائرة معاً (هنا : النساء الجميلات) . سر بي عن حيهم قليلا : ابتعد بي عنهم ، أبعدني عنهم . (لئلا أقع في حبهم ولا أستطيع الوصول إليهم فيشتد عذابي)

(٦) مل بي وعج بي بمعنى واحد : انصرف بي عن مساكنهن . فعجبي (أن) قلبي بهم بخيل : أتعجب من نفسي : أطلب الابتعاد عنهن وأنا لا أريد أن أفارقهن .

(٧) قضى الرجل نحبه : مات . الوعر (بسكون العين أو بفتح الواو وكسر العين) : الارض القاسية التي يصعب المسير فيها .

سلطان ولد

١ — هو بهاءُ الدين سُلطان وَلَد بنُ جلالِ الدين الروميّ[1]، وُلِدَ في لارَنْدة (اسمُها اليومَ: قَرَمان) في آسيةَ الصُغرى، قبلَ أن تستقرَّ أُسرتُه في قُونيةَ، وسُمّي باسمِ جَدّهِ بهاءِ الدين وَلَد المُلقّبِ «سُلطانَ العُلماء»، وذلك سَنَةَ ٦٢٣ ﻫ (١٢٢٦ م).

نشأ سُلطان وَلَد في بيئةٍ صوفية — في رِعايةِ أبيه وفي اتّصاله الوثيقِ بشمسِ الدين التبريزي[2] —. ولكنْ لمّا تُوُفّيَ جلالُ الدين (٦٧٢ ﻫ) لم يَخْلُفْهُ ابنُه سُلطان وَلَد في رِئاسةِ الطريقة الصوفية (المَوْلَويّة)، بل تُرِكَتْ الطريقةُ في عِهدةِ جَلَبي حُسام الدين الذي كان وكيلَ جلالِ الدين — في حياةِ جلال الدينِ — في إدارتها. ثمّ لمّا تُوُفّيَ جَلَبي حُسام الدين (٦٨٣ ﻫ) تولّى سُلطان وَلَد رئاسةَ الطريقةَ حتّى وفاتِه في عاشِرِ رَجَبَ مِن سَنَةِ ٧١٢ ﻫ (١١ — ١١ — ١٣١٢م)، في قونية.

٢ — لم تكن لسلطان ولد شخصيةُ أبيه جلالِ الدين، ولكنّ الطريقةَ الصوفية اتّسعتْ بفضله اتّساعاً كبيراً لأنّه شَرَحَ كثيراً من وُجوهِها في أشعاره التركية ففَهِمَها أهلُ موطنه عنه. ويبدو أنّ الطريقـةَ التي عُرِفَتْ منذ أيامِ أبيهِ بالطريقةِ المَوْلَويّة (نِسْبَةً الى «مَوْلانا جلال الدين») قد اكتسبتْ عدداً من خصائصها من سلطان ولد، من ذلك مَثَلاً «الرقص» أو «الذِكْر الدوّار» فقد سُمّي باسمه «سلطان ولد دوري (دَفْري)».

وكان سلطان ولد شاعراً نظم في الفارسية والتركية والعربية. وفي آثارِه الشعرية أبياتٌ يونانيةٌ أيضاً. ولسلطان ولد ديوانٌ مشهورٌ هو «مثنوي ولـد» باللغة الفارسية يتألّفُ من ثلاثةِ أقسام: ابتدا نامه (كتاب الابتداء)، انتهانامه، رباب نامه[3]. وفي هذا «المثنوى» تواريخُ كثيرة وشروحٌ حتّى لَيُظَنُّ أنّ سلطان قد نظم ديوانه

(١) راجع، فوق، ص ٦٣١. (٢) راجع، فوق، ص ٢٣٢.

(٣) «رباب نامه» (قصيدة مزدوجة: مصرّعة (في الصدر والعجز) تتألف من ١٤٦ بيتاً (تاريخ الأدب في ايران، تأليف أدوارد براون، نقله الى العربية ابراهيم أمين الشواربي، ص ٦٥٥). وفي كتاب «في الأدب العربي والتركي»، تأليف حسين مجيب المصري: «والمنظومة من بحر الرمل كالمثنوى لجلال الدين الرومي، وربابنامه لسلطان ولد، وقد فرغ من نظمها عام ٧٣٠ ﻫ (ص ٢٩٢)؛ «وربابنامه من عشرة أبواب ويحوي كل باب ألف بيت» (ص ٢٩٣، السطر الأول).

« ولد نامه » ليَشْرَحَ ديوانَ والده « مَثْنوي مَعْنوي » . ثمّ له ديوانٌ كبيرٌ اسمه « غزَليّات » وكتابُ نثرٍ اسمه « معارف نامه » .

وقيمة سلطان ولد انّ أشعارَه التركية هي النصوصُ الأدبيةُ الأولى للغة التُركية المكتوبة والّتي كانت دائرةً في آسيةَ الصُغرى ، فهي لُغَةُ الأتراك السلاجقة ، لغةُ الغزّ (أمُّ اللغاتِ التركية والتركمانية) . إن تلك اللغة الّتي كَتَبَ بها سلطان ولد خَضَعَتْ لجانبٍ كبيرٍ من التأثُّرِ باللغة الفارسية .

وشعرُ سلطان ولد في اللغة العربية شعرٌ صوفيُّ النزعة ضعيفُ التركيب . أمّا قيمتُه الحقيقيةُ فهو أنّ اللغةَ العربيةَ كانت لا تزال دائرَةً في الآداب الإسلامية غيرِ العربية الى القرنِ الثامنِ للهِجْرة (الرابعِ عَشَرَ للميلاد) .

٣ – مختارات من شعره

– قال سلطان ولد على سبيلِ الرمز من المعاني الصوفية :

يا حبيبَ القلوبِ والأرواحِ ، أسْقِنا بالكُؤوسِ والأقداحِ .
حُزْنُنا صار في الهوى فرحا ! لَيْلُنا من لقاكَ صار صَباحي
زال منك الهمومُ والأحزانُ وامتلا منك في الهوى أفراحُ !
إنّما الهَجْرُ مجمعُ الأحزانِ ، انّما الوصلُ نِعْمةٌ وفلاحُ .

– وقال في مثل ذلك :

سِرّي هواكُمْ ، عيشي لِقاكم ، ديني مُناكم ؛ روحي فداكم .
القلب جَمْري ، والعين نَهْري يَغْلي ويَجْري ؛ روحي فداكم .
دينُ المباحِ ، حُبّ الملاحِ ، تَرْكُ الصلاحِ ؛ روحي فداكم .
عندي المَلامهْ عينُ الكرامَهْ ، ارْمِ العِمامهْ ؛ روحي فداكم .

٤ – ديوان سلطان ولد (مقدّمة استاد سعيد نفيسي) ، طهران (كتاب فروشي رودكي) ١٣٣٨. ولد نامه (مقدمة وتصحيح جلال همائي) طهران (إقبال) ١٣٢٥ (١٩٣٦ م) . (وفي الكتابين أشعار عربية .

* * دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٥٤٧ .

شرف الدين القدسيّ الكاتب

١ ــ هو شرفُ الدينِ محمّدُ بنُ موسى بنِ محمّدِ بنِ خليلٍ القُدسي المعروفُ بالمُوقِّــعِ[١] وبالكاتبِ ــ كاتبِ أميرِ السلاح ــ كَتَبَ الإنشاء بقلعةِ الجبلِ في (القاهرة) عند الشجاعي[٢] . وكانتْ وفاتُه في شَعْبانَ من سَنَةِ ٧١٢ هـ (كانون الاول ــ ديسمبر ١٣١٢ م) .

٢ ــ كان شرفُ الدينِ القُدسي الكاتبُ أديباً له نظمٌ كثيرٌ ونثرٌ . وشِعرُه كثيرُ الصِناعةِ والتَوْرِيَةِ منها خاصّةً . وفنونُه الغزلُ والوصف والمديح .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال شَرَفُ الدين محمّدُ بنُ موسى القُدْسيُّ في الخمر :

اليومُ يومُ سُرورٍ لا شُرورَ بــه ، فزَوِّجِ ابنَ سحابٍ بابْنَةِ العِنَبِ[٣] .
ما أنْصَفَ الكأسَ مَنْ أبْدى القُطوبَ لها وثَغْرُها باسمٌ عن لُؤلؤٍ رَطِبِ[٤] .

ــ وقال يتغزّل بمحبوبٍ له اسمُه سالمٌ ويُوَرّي باسمِه :

وأهيفَ تَهْوِي نحو بــانةِ قَدّهِ قلوبٌ تَبُثُّ الشَجْوَ فهي حَمائمُ[٥] ،
عَجِبْتُ له إذ دامَ توريدُ خَدّهِ ، وما الوردُ في حالٍ على الغُصْنِ دائمُ .
وأعجبُ من ذا أن حَيّــةَ شَعْرِه تجولُ على أعطــافهِ وهو سالمٌ[٦] !

ــ ولِشَرفِ الدين القَدسيّ قصيدةٌ جَمَعَ فيها عدداً كبيراً من التَوْرِياتِ بأسماءِ العلماءِ وبأسماءِ الكُتُبِ . ومَعَ أنّ بعضَهم قد ذَكَرَ أن هذه القصيدةَ لِمُحيي الدين

---

(١) المقدسي (بالميم) الموقع (الدرر الكامنة ٥ : ٣٩) .

(٢) في حاشية (الوافي بالوفيات ٥ : ٩٤) الشجاعي : لعله الأمير علم الدين سنجر الدواداري المتوفى سنة ٦٩٩ (راجع في علم الدين سنجر شذرات الذهب ٥ : ٤٤٩ ؛ العبر ٥ : ٣٩٩) .

(٣) ابن سحاب : الماء . ابنة العنب : الخمر . ــ امزج الخمر بماء (اشرب الخمر) .

(٤) القطوب : العبوس . لؤلؤ رطب : الفقاقيع التي تطفو (تعوم) على وجه الخمر في الكأس .
في القاموس : رطب (بفتح الراء وسكون الطاء) و رطيب . وحرك الشاعر الطاء لضرورة الشعر .

(٥) بانة : شجرة ذات أغصان مستقيمة ملساء سمراء جميلة . الشجو : الحزن . فهي حمائم : دائمة الحزن (لأن الحمامة لا تبطل اخراج صوت يدل ظاهره على الحزن) .

(٦) حية شعره : شعره الطويل المجدول ضفائر يشبه الحيات . سالم : معافى (لم تلدغه الحية فيموت) .

ابنِ عبدِ الظاهر ، فإنّ الكَثْرةَ مِنْ مؤرّخي الأدبِ تُثْبِتُها لشرفِ الدين القُدسي . من هذه القصيدة :

ما مِلْتُ عنكَ لِجَفْوَةٍ ومَــلالِ يوماً، ولا خطــر السُلُوُّ ببــالي[1] .
يا مانحاً جسمي السَــقامَ ومانِعاً جَفْني المنــامَ وتاركي كالآلِ[2] ؛
عَمّنْ أخذتَ جوازَ مَنْعي ريقَكَ الـ معسولَ ، يا ذا المعطف العَسّــالِ[3] !
من شَعْركَ الفحّامِ أم عَنْ ثَغْرِكَ النَظْـ ظّامِ أو عن طَرْفِكَ الغزّالي[4] ؟
فأجابني : أنا مالكٌ أهلَ الهـ وى ، والحُسْنُ أضحى شافِعي وجَمالي[5] .
وشَقائقُ النُعمـــانِ أضحى نابتــاً في وَجْنَتَيَّ حَماهُ رَشْقُ نِبــالي[6] .
والصبرُ أحمدُ للمُحِبِّ إذا ابْتُلي في الحبِّ من مِحَنِ الهَوى بسُؤال[7].
والجَوْهريُّ غدا بشَعْري ساكناً يَحْمي الصِحاحَ أجزْتُه بوصال[8] .
وعلى مقاماتِ الغَرام شواهدٌ : جِسمي الحَريري والبديعُ مِثــالي[9] .
ولِحُسْنِيَ الكشّافُ في جُمَلِ الضيا لُمَعاً لإيضــاحِ الفَصيح مقالي[10] .

---

(١) الملال : الملل . السلو : النسيان .

(٢) يا تاركي، كالآل (كالسراب) أبدو للعين موجوداً ، ولكنني ميت في حبك . هذا البيت تقليد بيت ابن الفارض في قصيدته الفائية « يا مانعي طيب المنام ومانحي ثوب السقام .... المتلف » .

(٣) العسال : المتأود ، المتمايل (من الغنج والدلال). المعطف (في القاموس) : الرداء . والشاعر يقصد به العطف بكسر العين : الجانب الأعلى من الجسم (القامة ، القوام) .

(٤) الفحام أو ابن الفحام (أبو القاسم عبد الرحمن بن عتيق بن خلف الصقلي القرشي قارىء للقرآن الكريم من أهل الاسكندرية له كتاب التجريد في القراءات — قراءات القرآن — كانت وفاته سنة ٥١٦ ﻫ) والنظام (فيلسوف ومتكلم وعالم طبيعي توفي ٢٣١ ﻫ) والغزال حجة الاسلام الغزالي (توفي ٥٠٥ ﻫ) .

(٥-٦) مالك والشافعي وأبو حنيفة النعمان وأحمد بن حنبل الذي تعرض للمحنة في أيام المأمون لأنه لم يرد أن يقول بخلق القرآن ، هم أصحاب المذاهب الاربعة عند أهل السنة والجماعة .

(٧) المحن جمع محنة : الاختبار القاسي ، التعذيب .

(٨) الجوهري من علماء اللغة (ت ٣٩٨ ﻫ) له كتاب « تاج اللغة وصحاح العربية » .

(٩ المقامات للحريري . البديع عنوان عدد من الكتب أحدها « البديع » في نقد الشعر لابن المعتز (ت ٢٩٦ ﻫ)

(١٠) الكشاف (في تفسير القرآن) للزمخشري (ت ٥٣٨ ﻫ). اللمع عنوان لكتب كثيرة منها « اللمع في أصول الفقه لأبي اسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦ ﻫ) . الايضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني (ت ٧٤٩ ﻫ) . كتاب الفصيح لثعلب (ت ٢٩١ ﻫ) .

ومَصارِعُ العُشّـــاق بينَ خِيامِنا ، ومقاتلُ الفُرســـان يومَ نِزالي[1]...

٤ ـ * * الوافي بالوفيات ٥ : ٩٣ ـ ٩٨ ؛ الدرر الكامنة ٥ : ٣٩ (رقم ٤٦٠٨) .

صدر الدين بن المرحّل (ابن الوكيل)

١ ـ هو صدرُ الدينِ أبو عبد الله محمّدُ بنِ عُمَرَ بنِ مكّيّ بنِ عبدِ الصمد .... المعروفُ في مِصْرَ بابنِ المُرَحَّلِ وفي الشام بابنِ الوكيلِ ، وُلِدَ في دُمْياطَ في شَوّالِ سَنَةَ ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) ونشأ في دِمَشْقَ .

تَفَقّهَ صدرُ الدين بنُ المُرَحَّلِ على أبيه وعلى الشيخ شَرَفِ الدين المَقْدِسيّ وسَمِــعَ من القاسم الإربلي (٥٩٩ــ٦٧٩هـ) والمُسلم بن عَلاّنٍ (ت ٦٨٠هـ) وأخذَ الأصولَ عن صَفيّ الدينِ الهِنديّ (ت ٧١٥ هـ) والنحوَ عن بدرِ الدينِ بن مالكٍ .

وقَدْ وَلِيَ مَشْيَخَةَ دارِ الحَديث في دِمَشْقَ سَبْعَ سَنَواتٍ ثمّ انتقلَ الى حَلَبَ ودرّسَ فيها مُدّةً . بعدَئذٍ انتقلَ إلى القاهرةِ ودرّس في المَشْهدِ الحُسَيْنيّ وأقامَ فيها إلى سنة ٧٠٩ هـ ثمّ غادَرَها في حديثٍ طويلٍ راجعاً الى الشامِ فاستقرَّ مُدّةً في دِمَشْقَ ثمّ انتقلَ الى حَلَبَ .

وكانتْ وفاةُ صدرِ الدين بنِ المرحّلِ في ذي الحِجّةِ من سَنَةِ ٧١٦ (ربيع ١٣١٧ م) .

٢ ـ كان صدرُ الدين بنُ المرحَّلِ بارعاً في العلوم العَقْلية وفي الأصول والفِقْه وكان على علمٍ يسيرٍ بالطِبّ . وكذلك كان أديباً شاعراً مليحَ النَظْمِ في القَصيد والمُوَشّحِ مليحَ الصِناعةِ . وأكثرُ شعرِه الغزل والخمر . وهو أيضاً مُصَنِّفٌ له : الأشباهُ والنظائرُ (مجموع في الأدب ؟) ـ مُجَلَّدةٌ في السؤال الذي حَضَرَ من عندِ استدمرَ[2] نائبِ طرابلسَ في الفَرْقِ بين المَلَك والنَبيّ والشَهيد والوَلِيّ والعالم .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال صدرُ الدينِ بنُ المُرَحَّلِ في الخمر :

لِيَذْهَبوا في مَلامي أيّةً ذهبوا ؛ فالخمرُ لا فِضّةٌ تُبْقي ولا ذَهَبُ .

---

(١) مصارع العشاق للسراج القارى (ت ٥٠٠ هـ) . ومقاتل الفرسان لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٣ هـ) .

(٢) الأمير سيف الدين استدمر (ت ٧١١ هـ) .

لا تأسفَنَّ على مالٍ تُمزِّقُه أيْدي سُقاةِ الطِلى والخُرّدُ العُرُبُ[1] ؛
فما كَسَوْا راحتي مِنْ راحِها حُلَلاً إلاّ وعرّوا فؤادي الهَمَّ واستلبوا[2] :
ما الكأسُ عِندي بأطرافِ الأناملِ — بل بالخَمْسِ — تُقْبَضُ لا يَحْلو لهاالهرَب .
وما تركتُ بها الخَمْسَ التي وَجَبَتْ ، وإن رأَوا تركَها منْ بعْضِ ما يَجِبُ[3] .
عاطَيْتُها من بَنات التُركِ عاطيةً ألحاظُها للأُسودِ الغُلْب قد غلَبوا[4] ،
هَيْفاءَ جاريةً للراحِ ساقيةً من فوق ساقيةٍ تَجْري وتنسكب[5] .
مِنْ وَجْهِها وتَثَنِّيها وقامتِها تُخْشى الأهلّةُ والقُضْبانُ القُضُبُ[6]
تُريكَ وَجْنَتُها ما في زُجاجتِها ، لَكِنْ مَذاقَتُه للريق تَنْتَسِبُ .
تَحْكي الثَنايا الذي أبْدَتْهُ من حَبَبٍ ؛ لقد حَكَيْتِ، ولكن فاتَكِ الشَنَب[7] !

— وقال في الغزل :

تِلْكَ المَعاطفُ أم غصونُ البانِ لَعِبَتْ ذوائبُها على الكُثْبانِ[8] ؛
وتَضَرَّجَتْ تلك الخُدودُ ، فوَرْدُها قد شَقَّ قلبَ شَقائقِ النُعْمانِ[9] .

---

(١) الطلاء و الطلى (بكسر الطاء فيهما) الخمر. الخرد (جمع خريدة : المرأة الجميلة) العرب (جمع عروب بفتح العين) : المرأة المحبة لزوجها .

(٢) — ما كسا سقاة الخمر راحتي (كفي) حللا (ثياباً) من الخمر ... عروا (خلعوا) عن فؤادي (قلبي) الهم واستلبوا : أخذوا الهم من قلبي . يقصد : حينما أشرب الخمر أنسى همومي !

(٣) الخمس التي وجبت : الصلوات الخمس المفروضة على المسلم في كل يوم وليلة . — مع شربي الخمر لم أترك الصلاة ، مع أن الذين يشربون الخمر لا يصلون عادة .

(٤) عاطيت (شربت الخمر مع) فتاة تركية . عاطية : طويلة العنق (طول العنق من صفات الجمال) . الأسود الغلب (جمع أغلب : ذو عنق غليظة ، كناية عن قوته وشدته) .

(٥) هيفاء : نحيلة الخصر ، رشيقة القوام . جارية : صغيرة السن . للراح ساقية : تسقي الخمر (من عينيها) وتسقي الخمر الحقيقية أيضاً . الساقية (الثانية) مجرى الماء .

(٦) وجهها يشبه الهلال (القمر) بجمالها، وتثنيها (تمايلها من الغنج والدلال) يشبه تمايل القضيب (الغصن) ، وقامتهاتشبه القضب (جمع قضيب : سيف) . — الذي يراها (في جمالها ودلالها ورشاقتها يخاف على نفسه من الموت في حبها ، حتى أنه يصبح يخشى أن ينظر الى القمر والى الأغصان والى السيوف لئلا يذكرها هي (السيف لا يقتل ، ولكن قامتها التي تشبه السيف تميت الناس بالحب) .

(٧) تحكي (تشبه) الثنايا (أسنانها) ما أبدته من حبب (ما أظهرته الخمر من فقاقيع الماء التي تشبه اللؤلؤ) . فيا حباب الخمر ، لقد أشبهت أسنانها ، ولكن ليس فيك البياض والحلاوة التي في أسنانها (ريق فمها) .

(٨) المعاطف جمع معطف : (طرف الجسم ، القامة) . البان شجر له أغصان طويلة مستقيمة . الذؤابة : الضفيرة . الكثيب : الجانب المستدير من الرمل. —يقول : يتموج شعر هذه المرأة الحسناء على جسمها العظيم في وسطه .

(٩) تضرج : اصطبغ بلون أحمر . — لون خدودها الجميل شق قلب شقائق النعمان (زهر بري أحمر جميل) لغيظه من لون خدودها (لأن حمرة خدودها أجمل من حمرة شقائق النعمان) .

ما يفعلُ الموتُ المُبَرِّحُ في الورى   ما تَفْعَلُ الأحداقُ في الأبدان[1] .

— وله موشّحة في الخمر :

صاحِ ، صاحَ الهَزارْ ، قُمْ نَحُثُّ الكؤوسْ
* قد تَجَلّى النهارْ ، فاجْلُ بنتَ القُسوسْ[2] .

ما علينا جَناحْ ؛ إنّ فصلَ المَصيفْ
قد تَولّى وراحْ ، وتَولّى الخريفْ .
قُمْ ، فذاتُ الجَناحْ ذاتُ رَمْزٍ لَطيفْ
في اقتلاعِ الوَقارْ ، من تُروس الضُروسْ   وانتهابِ العُقار وسُرورِ النفوس[3] .

— —

زَوِّجِ المـا بِراحْ ، يا شَبيهَ القَمَرْ ؛
والشُهودُ المِلاحْ ، والوَلِيُّ المَطَرْ .
والمَغاني الفِصاحْ ساكناتُ الشَجَرْ .
وهْيَ بِكْرٌ تُدارْ ، والسُقاةُ الشُموسْ * والحَبابُ النِثارْ فوقَ وَجْهِ العَروس[4] .

— —

(١) ما يفعل : لا يفعل . المبرح : المؤلم ، الشديد . — ان الموت لم يقتل من البشر عدداً كبيراً كالعدد الذي قتلته الأحداق (العيون) بالحب .

(٢) صاح ، يا صاح (يا صاحبي ، نديمي) . الهزار : طائر حسن الصوت . نحث الكؤوس : نوالي أو نتابع كؤوس الخمر (نشرب كثيراً من الخمر) . تجلى النهار : بدأ ظهوره . بنت القسوس (جمع قس : رجل الدين عند النصارى) : الخمر .

(٣) جناح : ذنب . ذات الجناح : الحمامة التي تبدأ الصباح بغنائها وتدعو الناس الى شرب الخمر (؟) . الترس (بالضم) : أداة يحملها المحارب لرد السيوف والرماح عن بدنه في الحرب . الضرس (بالكسر) الاسنان القصوى في الفم . اقتلاع الوقار من تروس الضروس : الخمر تجعل الرجل الهادىء الرصين فرحاً مرحاً حسن المعاشرة . العقار (بالضم) : الخمر . انتهاب العقار : شرب الخمر بكثرة . — ذات الجناح (الحمامة) رمز لدعوة الانسان الى شرب الخمر والى السرور . — يكون للناعورة دولاب مضرّس (مسنن) فإذا أريد وقف دوران الناعورة وضعوا ترساً (خشبة تسند الدولاب) ، و من ذلك المثل : مثل الترس في الضرس (كناية عن الثبات) .

(٤) زوج الما (الماء) براح (امزج الخمر بماء). في هذا البيت (المقطع) صورة رمزية لعرس الخمر : الخمر هي العروس والماء زوجها . والساعي في الزواج هو الشبيه بالقمر (الساقي الجميل) . والشهود على الزواج هم النساء الجميلات المغنيات والراقصات الخ . والولي (الرجل الذي يكون وكيلا لأحد الزوجين اذا كان قاصراً ، أي صغير السن) هو المطر (لأن اليوم الممطر لا يكون فيه عمل فينصرف الانسان فيه الى اللهو). والمغاني (المغنيات) الفصاح (الفصيحات ، المجيدات في الغناء) هن ساكنات الشجر (الطيور). وهي (الخمر) =

إنّ عيشي الرَغيدْ حينَ ألْقى الصديقْ
وعـداد جـديدٌ وسُـلافٌ عتيـقْ[1]،
ثمّ ألْقى[1] شهيدْ بسُيوف الرحـيقْ[2].

كم كذا ذا الفشارْ ، وخيوطُ الرؤوسْ ** طاحَ عُمْري وطارْ فيسَماع الدُروس[3]

٤ ـ * * فوات الوفيات ٢ : ٣١٥ ـ ٣٢٤ ؛ الوافي بالوفيات ٤ : ٢٦٤ ـ ٢٨٤ ؛ الدرر الكامنة الكامنة ٤ : ٢٣٤ ـ ٢٤١ (رقم ٤١٨٢) ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٣٤ ـ ٢٣٦ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٤٠ ـ ٤٢ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

أحمد الطيبيّ الطرابلسيّ

هو شِهابُ الدين أحمدُ بنُ أبي المَحاسنِ الطِيبي الطَرابُلُسي ، تُوفّي في طرابلُسَ سنَةَ ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) . ويبدو أنّه كان شاعراً مُحْسِناً قريبَ المعاني سهلَ التركيب صادقَ الحِس . من شعره (الأودّاء : المحبّون) :

ما مسّني الضَيْمُ إلاّ من أحِبّـائي؛ فلَيْتَني كُنتُ قد صاحبتُ أعدائي .
ظَنَنْتُهُمْ لي دواءَ الهمّ ، فانْقَلَبوا داءً يَزيدُ بهم هَمّي وأدْوائي[4] .
من كان يَشْكو من الأعداءِ جَفْوَتَهُمْ فإنّني أنا شـاكٍ من أوِدّائي[5] .

ـ * شذرات الذهب ٦ : ٤٣ .

= بكر (من دن ـ وعاء للخمر ـ لم يفتح قبل الآن : لم يشرب أحد منه قبلنا) . والسقاة (الذين يدورون بالخمر على الشاربين) هم شموس (فتيات وغلمان حسان الوجوه) . والحباب (الفقاقيع التي تطفو على وجه الخمر) النثار (ما يلقى عادة من الأشياء على رأس العروس تبركاً : لتكون أيامها مع زوجها سعيدة ، كالدراهم والملبس والارز الخ) .

(١) العداد : عد السنوات . عداد جديد : عمر جديد ، فيه نشاط ونسيان للهموم . السلاف (الخمر) عتيق (خمر قديمة جيدة) .

(٢) ثم انطرح أرضاً كالقتيل (الشهيد) بسيوف الرحيق (الخمر) من كثرة شرب الخمر التي أغيب بها عن الوعي .

(٣) الفشار (كلمة غير موجودة في القاموس): الكذب . خيوط (؟) الرؤوس . لعل المقصود « خبوط » (بفتح الخاء): الفرس الذي يضرب الأرض برجليه (أوهام الرؤوس ، الأماني الفارغة ، الهموم) .

(٤) الأدواء جمع داء : مرض .

(٥) الأوداء جمع ود (بفتح الواو وبكسرها وبضمها) وودود الخ : الصديق ، المحب .

جمال الدين الوطواط

١ ـ هُوَ جَمالُ الدين محمّدُ بنُ ابراهيمَ بنِ يحيى بنِ عليٍّ الأنصاريُّ الورّاقُ الكُتُبيّ المعروفُ بالوَطْواط ، وُلِدَ في ذي الحِجّة من سَنَةِ ٦٣٢ (آب ـ أغسطس ١٢٣٥ م) ، ولقَبُه يَدُلّ على أنّه كان يَعْمَل في الوِراقة (نَسْخ الكتب وتجليدها وبيعها) . وقد كانت وَفاتُه في القاهرة في رَمَضانَ من سَنَة ٧١٨ ﻫ (تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٣١٨ م) .

٢ ـ كان جمالُ الدينِ الوطواطُ أديباً واسِعَ الاطّلاعِ حَسَنَ الذوق ومُصَنِّفاً له من الكُتُب : غُرَرُ الخصائص الواضحة وعُرر[١] النقائص الفاضحة ـ مناهج الفِكَر ومباهج العِبَر (في عدد من فنون المعرفة الطبيعية : الفلك والجغرافية والنبات والحيوان والطبيعيات والكيمياء ، يمتزج في فصوله العلم بالادب) ـ مجموعه رسائل .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة غرر الخصائص :

..... وبعدُ ، فانّي لمّا رأيتُ تَغايُرَ معاني الأخلاق دالاّ على تبايُنِ مباني الأعراق[٢] و (رأيت) النفوسَ تَتَفاوتُ في مَيلها الى اغراضها على حَسْب اختلاف جواهرها وأعْراضها[٣] ، حَداني غَرَضٌ اخْتَلَجَ في سِرّي وأملٌ اعتلجَ في صدري[٤] على أن أجمعَ كلاماً في المحامد والمَذامّ المُتَخَلِّقَة[٥] في نفوس الخَواصِّ والعَوامّ ، وأجعلَه كِتاباً يُغْني عن الخليلِ والنديم ويُخَبِّرُ بالحديث والقديم . فشَمّرتُ عن ساق الجِدّ وحَسَرْتُ عن ساعدِ الكَدّ[٦] وعَمَدتُّ الى حِسانِ الكُتُبِ المجموعة في ضُروبِ الأدب فتَصَفَّحْتُ مضمونَها وتَلَمّحْتُ

(١) الغرة : مقدمة شعر رأس الحصان ، البياض في أعلى رأس الحصان (البياض ، الجمال) . العرة : الجرب ، قروح مرضية في عنق البعير وسائر بدنه ، العيب .

(٢) العرق : الاصل (الطبيعة) ـ تغير (اختلاف) معاني الاخلاق (قواعد الاخلاق ، وجهات النظر فيها) دالا على تباين (تباعد ، اختلاف) مباني الاعراق (مزاج الاصول والطبائع) = تختلف اخلاق البشر باختلاف أحوال أبدانهم .

(٣) تتفاوت : تختلف . الجوهر : الطبع الثابت في الاشياء . الأعراض (جمع عرض بفتح ففتح) : الصفات التي تتبدل .

(٤) حداني : ساقني ، دفعني . اختلج : تحرك بعنف . اعتلج : اضطرب ، تحرك بعنف .

(٥) تخلق الشيء : تطور من حال الى حال في مراتب متتالية .

(٦) شمرت (كشفت) عن ساق الجد وحسرت عن ساعد الكد : تهيأت للأمر واستعددت له .

فُنونَها[١] واستَفْتَحْتُ عيونَها واسْتَبَحْتُ أبكارها وعُونَها[٢] وجمعتُ في هذا الكتاب من زَواهرِ أسْدافها وجَواهر أصْدافها مُلَحَ فُكاهاتٍ جلَتْ عرائسَ المعاني في حُلَلٍ مُوَشّاة[٣] ..... وكَسَوْتُه مِنَ الأخبارِ بِزّةً[٤] رفيعةً وأبْدَعْتُ في ما أوْدَعْتُ فيه من الفُكاهات الرائقة البديعة من نوادرَ مُطْرِبات وأبياتٍ مُهَذَّبات ..... وجنَّبْتُه خُرافاتِ الأخبار ومُطَوَّلاتِ الأسمار[٥] لِئَلّا تَسْأمَهُ عِنْدَ المُطالَعَةِ النُّفوسُ ولئلا يكونَ ذِكْرُها وَضَحاً في غُرَرِ الطروس[٦]. وجعلته سِتَّةَ عَشَرَ باباً ، ووَسَمْتُه بغرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة ....

٤ — غرر الخصائص وعرر النقائص الفاضحة ، بولاق ١٢٨٤ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٢٩٩هـ القاهرة (المطبعة الأدبية المصرية) ١٣١٨ هـ .

* الوافي بالوفيات ٢ : ١٦ — ١٨ ؛ الدرر الكامنة ٣ : ٣٨٥ — ٣٨٦ (رقم ٣٣١٨) ؛ بروكلمان ٢ : ٧٦ ، الملحق ٢ : ٥٣ — ٥٤ ؛ زيدان ٣ : ١٤٣ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٨٧ — ١٨٨ .

محمّد بن علي المازني الدهّان

١ — هو الشيخُ شمسُ الدينِ محمّدُ بنُ عليِّ بنِ عُمَرَ المازنيُّ الدهّانُ الدِمَشْقيُّ ، كان يعملُ في صَنعة الدِهان (الزخرفة) بنى منزلاً في الربْوة (عند مدخلِ دِمَشْقَ الغربيّ) وزَخْرَفَهُ فكان يجتمع عنده الظرفاءُ ويأخذُ عنه أهلُ الملاهي والألحان . وكانت وفاتُه في رَجَبَ من سَنَةِ ٧٢١ هـ (صيفَ ١٣٢١ م) .

٢ — كانَ شمسُ الدينِ المازنيُّ الدهّانُ موسيقيّاً بارعاً يَضَعُ الألحانَ ويَضْرِبُ

(١) تصفح الشيء : نقل نظره في ظاهر الاشياء ، ولكن بادامة نظر . تلمح (ليست في القاموس) ، لمح اختلس النظر الى الاشياء .

(٢) استفتحت : استنصرت ، استنجدت . عيونها (عيون الاشياء : خيارها) . استبحت : ابحت لنفسي ، استوليت ، اخترت . الابكار (من النساء والاخبار والاشياء) : ما لم يعرفه الناس من قبل . العون (ضد الابكار) .

(٣) الاسداف جمع سدف (بفتح ففتح) : ضوء الصبح . الاصداف (جمع صدف) ، والصدفة طبقتان قرنيتان في قلبها جوهرة (لؤلؤة) . زواهر جمع زاهرة : اللامعة ، النور الذي يلمع .

(٤) الحلة (بضم الحاء) : الثوب الثمين . الموشى : المزركش ، المزين . البزة : الثوب الكامل .

(٥) السمر (بفتح ففتح) : حديث الليل .

(٦) الوضح : البرص (داء تتقرح منه مواضع في الجسد) . الغرة (راجع فوق ، حاشية ١) . الطرس : (بكسر الطاء) : الورقة (الكتاب) .

على القانون. ويبدو أن أكثرَ ألحانه كانتْ أقربَ الى الحُزن، ذلك لأنّه كان قد اتّخذَ مملوكاً فربّاهُ وهذّبه (وعلّمه الموسيقى؟) فماتَ وشيكاً فحَزِنَ عليه ورثاه بشِعْرٍ كثيرٍ ولحّن (في بعض ذلك الشعر؟) ألحاناً. وكذلك كان أديباً شاعراً ووشّاحاً. ومن فنونهِ الغزلُ والرثاء والوصف؛ وفي شعر شيء من اللحن.

٣ – مختارات من شعره

– لمحمّدِ بنِ عليٍّ بنِ عمرَ المازنيِّ الدهانِ من مُوَشّحةٍ:

بأبي غُصْنُ بانةٍ حَمَلا * بدرَ دُجَى بالجمال قد كَمَلا * أهْيَفْ[1].

* *

فريدُ حُسْنٍ ما ماسَ أو سَفَرا
إلاّ أغارَ القضيبَ والقمرا.
يُبدي لنا بابتسامه دُرَرا

في شَهْدٍ لذَّ طَعْمه وحلا * كأنّ أنفاسَه نسيمُ طِلى * قَرْقَفْ[2].

* *

ظَبْيٌ من التُرْك يَقْنِصُ الأسدا
مُقَرْقَطٌ قد أذابني كَمَدا،
حاز بديعَ الجمال فانفردا.

واهاً له لو جارَ أو عَدَلا * لمُسْتهامٍ بهَجْره نَحَلا * مُدْنَفْ[3].

* *

لله يومٌ به الزمانٌ وفى،
إذْ مَنَّ بالوصل بعد طُول جَفا.

---

(١) غصن بانة: (مستقيم القامة رشيق). أهيف: نحيل الخصر.

(٢) ماس: تمايل. سفر: كشف وجهه. أغار القضيب (باعتدال قوامه ورشاقته) والقمر (بجمال وجهه): جعل القضيب (الغصن) و القمر يغاران منه. اذا ابتسم ظهرت أسنانه كأنها درر (لؤلؤ). الشهد: العسل. الطلاء: الخمر. القرقف: الخمر الباردة. اقرأ: في الشهد.

(٣) ظبي (غلام جميل) يقنص (يأسر) بحسنه الاسد (الرجل الشجاع القوي والذي لا يهتم أيضاً بالحب والجمال). مقرقط: يلبس في أذنيه أقراطاً. كمد: حزن. جار: ظلم. نحل: رق جسمه وأصبح هزيلا. المدنف: الذي قرب من الموت لشدة المرض. – المستهام: الذي كاد الحب أن يذهب عقله. اذا جار (ظلم) ابتعد عني أو عدل (أحسن الي) اقترب مني ورضي عني (فانني أكون معذباً بحبه).

حتّى إذا ما اطمأنّ وانعَطَفا
أسفَرَ عنه الظلامَ ثمّ جَلا * وَرْداً بغير اللحاظ منه فلا * يُقْطَفْ[1] .

٤ ــ * * فوات الوفيات ٢ : ٣١٠ ــ ٣١٢ ؛ الوافي بالوفيات ٤ : ٢٠٩ ــ ٢١٣ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ١٩٦ ــ ١٩٨ (رقم ٤٠٨٣) ؛ شذرات الذهب ٦ : ٥٧ ــ ٥٨ ؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٧٥.

ابن دمرتـــاش

١ ــ هو شِهابُ الدينِ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ محمودِ بنِ مكّيٍّ بن دَمِرْتاشَ (دمرداش) الدِمَشْقِيُّ الشاهِدُ ، وُلِــدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ ٦٣٨ ﻫ (١٢٤٠ ــ ١٢٤١ م) .

كان ابنُ دَمِرْتاشَ في أوّلِ أمرِهِ جُنديّاً خَدَمَ في حَماةَ وصَحِبَ الملكَ المنصورَ الأوّلَ ناصرَ الدين أبا المعالي مُحمّداً (٥٨٧ ــ ٦١٧ ﻫ) . ثمّ لمّا شاخ تَرَكَ ذلك ولَبِسَ زيَّ العُدول وارْتَزَقَ بالشهادة[2] . ويَبْدو أنّه اشتغلَ بالتطبيبِ أيضاً . وكانتْ وفاتُه في صَفَرَ من سَنَةِ ٧٢٣ (شباط ــ فبراير ١٣٢٣ م) .

٢ ــ ابنُ دَمِرْتاش شاعرٌ مُكْثِرٌ لطيفُ القولِ شديدُ المَيْلِ الى الصناعة ، ولا سيّما التَوْرِيَةُ . وشعرُهُ رائقٌ يَجْري في مُقَطّعاتٍ قِصارٍ وأكثرُه في النسيبِ والغزل والوصف حتّى لُقِّبَ بالبُحْتريّ . وقد أكثرَ القولَ في السِواك .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ من أقواله في المسواك (والمسواك قطعة من غصن شجر الأراك يُزال اللحاء أو القشرة عن مقدار معيّن من أحد طرفيها ثمّ تفرّق الخيوط الليفية في ذلك المقدار ــ ويتّخذ المسواك لتنظيف الاسنان وجلائها) . وشجر الأراك موطنه الحجاز :

أقولُ لِمِسْواك الحبيب : لَكَ الهَنـا بِلَثْم فَمٍ ما نـاله ثَغْرُ عاشق .
فقالَ ، وفي أحْشائِه حُرْقَةُ الجَوى ، مَقالةَ صَبٍّ للدِّيار مُفـارق[3] :

(١) أسفر عنه الظلام (الشعر) : أزاح شعره عن وجهه . جلا : أظهر . وردا : (خدا) احمر . بغير اللحاظ ورده لا يقطف (يسمح بالنظر الى وجهه ولا يسمع بتقبيل وجهه) .

(٢) العدول (جمع عدل بفتح العين وسكون الدال) أشخاص من ذوي النزاهة والأمانة يتقدمون بالشهادة أمام القضاة في الدعاوى (التي يكونون على معرفة بأصحابها) .

(٣) الهنا صيغة غير قاموسية وصوابة الهناءة ، والهناءة أن يأتيك أمر بسهولة وأن يحدث لك سروراً . الجوى : شدة الحب . الصب : العاشق .

تذكّرتَ أوْطاني فقلْبي كما ترى ... أُعَلِّلُه بين العُذَيْب وبارق (١) !
ـيا قمَري ، إنْ جئْتَ وادي الأراكْ ... وقَبَّلَتْ أغْصانُه الخُضْرُ فاكْ ؛
فأرْسِلْ الى عَبْدكَ من بَعْضها ، ... فإنّني ـ والله ـ ما لي سواكْ (٢) !

ـ وقال في النسيب ولَوْن الخمر :

ومُهَفْهَف الأعْطاف مَعْسُولُ اللّمى ... كالغُصْن يَعْطِفُهُ النَسيمُ إذا سَرى (٣)
قالَ : « اسْقني ! » فأتيْتُه بزُجاجَة ... مُلئَتْ قَراحاً ، وهْوَ لاه لا يَرى (٤)
وتأرّجَتْ بِرُضابه ، وأمَدَّها ... من نار وَجْنَتِه شُعاعاً أحْمَرا (٥) .
ثُمّ انْثَنى ثَمِلاً ، وقد أسْكَرْتُه ... برُضابِه وبِوَجْنَتَيْه وما دَرى .

ـ وقال في الخمر وفي وصف الطبيعة :

حتّام لا تَصِلُ المُدامَ ، و قد أتَتْ ... لَكَ في النسيم منَ الحَبيب وُعُودُ (٦) ؛
والنّهْرُ من طَرَب يُصَفِّقُ فَرْحَةً ، ... والغُصْنُ يَرْقُصُ والرياضُ تَميدُ (٧) .

ـ وقال في طول اللّيْل :

إن طال لَيْلي بَعْدَكُمَ فَلطوله ... عُذْرٌ ، وذاك لِما أُقاسي مِنْكُم .
لم تَسْرِ فيه نُجومُه لكنّها ... وَقَفَتْ لتَسْمَعَ ما أُحَدّثُ عَنْكُمُ (٨)

٤ ـ * * الوافي بالوفيات ١ : ٢٣٢ ـ ٢٣٦ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٠٤ ـ ٢٠٩ ؛ الدرر الكامنة ٥ : ٣ ـ ٤ (رقم ٤٤٩٦) ؛ شدرات الذهب ٦ : ٥٩ .

---

(١) تذكرت أوطاني ـ يقول المسواك : تذكرت وطني الذي فارقته (الحجاز) . أعلله : أنقله، أعطيه شيئاً يسيراً مما كان يتمتع به في الحجاز . العذيب وبارق فيهما هنا تورية : العذيب وبارق مكانان في الحجاز ؛ والعذيب مصغر عذب (حلو ، كناية عن ريق المحبوب) ، وبارق (لامع ، أبيض ، كناية عن أسنان المحبوب) . ـ أنقل المسواك بين ريق المحبوب وأسنانه ، فكأن قلبي يتنقل بين العذيب وبارق في الحجاز .

(٢) راجع ، فوق ، ص ٧١٤ .

(٣) مهفهف : نحيف ، ضامر . الاعطاف جمع عطف (بكسر العين) : جانب الجسم . معسول : حلو . اللمى الاسمرار في الشفة. معسول اللمى: حلو المقبل (بفتح الباء المشددة) . يعطفه: يميله. سرى النسيم : هب ، مر.

(٤) الماء القراح : الماء الصافي .

(٥) تأرجت برضابه : أخذت (الزجاجة) شيئاً من أرج (طيب رائحة) رضابه (ريقه) . أمدها : أعطاها ، أرسل اليها .

(٦) حتام = حتى متى . لا تصل (لا تنعم بالوصال على المدام (الخمر) : لا تشرب الخمر .

(٧) تميد : تمايل . (٨) سرى النجم : سار ، دار في فلكه .

شمس الدين الصايغ

١ ــ هوشمسُ الدينِ محمّدُ بنُ الحسنِ بن سِباعٍ الصايغُ الحَنَفِيّ العَروضِيّ، وُلِدَ سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ ــ ١٢٤٨ م) في دِمَشْقَ ؛ ولم يكنْ صائغاً، فيما يبدو، ولكنّه أقامَ بالصاغة (سوق الصائغين ــ جَنوبَ الجامعِ الأُمَوي بدمشق) زماناً يُقْرِىءُ الناسَ العربيةَ والعَروضَ والأدبَ. وقد زار مِصْرَ حيناً.

وماتَ شمسُ الدين الصائغُ في ٣ شَعبانَ سَنَةَ ٧٢٥ هـ (١٦/ ٧/ ١٣٢٥ م).

٢ ــ كان شمسُ الدين الصائغُ عارفاً باللغة والنحو والعَروض وبعلوم الأدب فكان أهل الأدب يشتغلون عليه. وله شعرٌ متينٌ جيّد أكثرُه الغزل ووصف الطبيعة ؛ وله نثرٌ أيضاً. ثم هو مُصنّف شرحِ مُلْحة الإعراب (للحريري) والدُرَيدية (مقصورة ابن دُريد ؟) واختصر الصِحاح (للجَوْهري). وله المَقامة الشِهابية (عملها لشِهاب الدين الحُوَتيّ). «ونظم قصيدة في مَقْصِد الهيتية التي لشيطان العراق[1] تزيد على الألف بَيْتاً بكثير[2]».

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال شمسُ الدين الصائغُ، وهو في مِصْرَ، يتشوّقُ إلى دِمَشْقَ :

أنْفَقْتُ في نـاديكِ أيامَ الصِبـا ... حُبّاً، وذاك أعَزُّ شيءٍ يُنْفَقُ.
ورَحَلْتُ عنك ولي إلَيْك تَلَفُّتٌ ؛ ... ولكلِّ جَمْعٍ صَدْعَةٌ وتَفَرُّق[3].
فاعْتَضْتُ عن أُنْسي بظلِّك وَحْشةً ... مِنْها وَهي جَلَدي وشابَ المَفْرِق[4] :
فلَبِسْتُ ثوبَ الشَيْب وهو مُشَهَّرٌ، ... وخَلَعْتُ ثوبَ الشَرْخ وهو مُفَتَّق[5].

---

(١) شيطان العراق هو أنوشروان (أو نوشروان) الشاعر الضرير من أحياء النصف الثاني من القرن الهجري السادس، وكان يغلب على شعره شيء كثير من الهزل والسخف والخلاعة والمجون. (نكت الهميان ١٢٢–١٢٣). الهيتية (لعلها قصيدة في هجاء هيت، فان لشيطان العراق قصيدة في هجاء مدينة اربل).

(٢) الوافي بالوفيات ٢ : ٣٦٢ ؛ في فوات الوفيات (٢ : ٢٣٤) : «تزيد على ألفي بيت». وشهاب الدين الحولي (بدل الحوتي). وفي الوافي بالوفيات (٢ : ٢٦٢) : المقالة الشهابية.

(٣) تلفت : شوق وتذكر. الصدعة : افتراق الشمل بعد الاجتماع.

(٤) وهى يهي : ضعف. الجلد : الصبر والتصبر (التجلد). المفرق : مكان افتراق الشعر في الرأس (في وسطه أو احد جانبيه).

(٥) مشهر (لعلها بكسر الهاء المشددة : يجلب العيب والشناعة على صاحبه. وخلعت = بعد أن خلعت. الشرخ : أول الشباب وعنفوانه. وهو مفتق : ذو فتوق وشقوق (بعد أن أفنيته باللهو والملذات).

حيّاكِ ، يا أطلالَ جَوبَرَ ، واصلاً غَيثٌ مُريعٌ مُستَهِلٌّ مُشفق[1] .
والواديَ الشرقيّ لا بَرِحَتْ بـه ديَمٌ تَسِحّ ووَبْلُها يَتدفّق[2] .
فغِياضُه ورياضُه كعُيونه ، هذا يَعومُ به وهذا يَغرق[3] .
أنّى اتّجَهتَ رأيتُ دوحاً ماؤه مُتَسَلْسلٌ يعلو عليه جَوسَق[4] .
(ولكم حوَتْ) تلك المنازلُ صُورةً فيها الجَمالُ مُجمّعٌ ومُفرَق .
كمْ من غزال بالنُفوس مُتوّجٌ ، وقَضيب بان بالعُيون مُمَنْطَق[5] !
والريحُ تكتبُ والجداولُ أسطُرٌ خطٌّ له نَسْخُ النسيم محقّق[6] .
والطيرُ يقرأ والنسيمُ مُردِّدٌ ، والغُصْنُ يرقُص والغديرُ مُصفّق[7] !
ومَعاطفُ الأغصان أثنتها الصبا طَرَباً ، فذا عارٍ وهذا مُورِق[8] .
وكأنّ زَهرَ الدَّوْز أحداقٌ إلى الـ زُوّار من خَلَل الغُصون تُحدّق .
وكأنّما في كلّ عُود صادحٌ عُودٌ حلا مَزمومه والمُطلَق[9] .
والوُرْقُ في الأوراق يُشبِهُ شَجوُها شَجوي ، وأينَ منَ الحَليّ المُوثَق[10]

---

(١) جوبر : ضاحية من ضواحي دمشق . واصلا : متصلا ، متوالياً . مريع : خصيب (توصف به الارض ، والشاعر يقصد : يجعل الارض خصبة) . مستهل : شديد (كثير) . مشفق (لعلها : مطبق = الذي يطبق الارض : يسقيها كلها من جميع نواحيها) .

(٢) الديمة : السحابة الممطرة . سح المطر : سال ، سقط بكثرة الوبل : سقوط المطر بشدة .

(٣) الغيضة (بفتح الغين) : مكان كثير الشجر .

(٤) الدوح : جمع دوحة : الشجرة العظيمة (مجموع من الشجر العظام) . ماؤه . (ماؤها) : الماء الذي يجري بينها . متسلسل : يجري في حدور (من أعلى الى أسفل) . الجوسق : القصر (ولعله يقصد بناء صغير يكون في الحدائق يتخذ للنزهة فقط لا للسكن) .

(٥) كم من فتاة جميلة كالغزال متوجاً بالنفوس (تتجه النفوس كلها نحوه بكثرة فكأنها تاج عليه). و (كم من فتاة جميلة مستقيمة القد) كقضيب البان (تحيط بها الابصار من كل جانب فكأنها ممنطقة (مزنرة) بالعيون !

(٦) – تكتب الريح (القهوية) على سطح النهر (تحدث على سطحه تموجات وتعرجات) ثم يأتي النسيم الخفيف (بعد أن تسكن الريح) فيمحو ما كانت الريح قد أحدثته (يعود سطح النهر الى استوائه وملاسته) .

(٧) والنسيم مردد : يحمل صدى أصوات الطيور الى كل مكان .

(٨) وفي رواية : أغنّتها الصبا.... فغصن عار لأنه لما طرب خلع ثيابه. وهنالك غصن كان عارياً فجعله الطرب يهتز ويورق فرحاً وسروراً .

(٩) كأنما في كل عود (غصن من شجرة)صادح (طائر يصدح : يغني كأنه) عود (آلة موسيقية) عذبت جميع أنغامه المزموم منها (التي تحدث اذا ضغطت احدى الاصابع على أحد أوتار العود فيكون الصوت دقيقاً عالياً ، أو لم تضغط عليه فيكون الصوت الحادث منه ضخماً منخفضاً) .

(١٠) الورق جمع ورقاء (الحمامة) في الاوراق (بين أوراق الاغصان) . الشجو : الحزن . الحلي : الذي =

أشْتاقُكم من أرض مِصْرَ وبَيْنَنَـا بِيدٌ تَخُبّ بها المطيّ وتُعنق[1].

وقَنِعْتُ حتّى صِرْتُ أرْجو منْكُمُ من بَعْد ذاكَ القُرْب طَيْفٌ يَطْرُق[2]

ولقد عَطَفْتُ على الزمان مُعاتِبـاً فرأيتُ كَفِّي عنه ــ صبراً ــ أليَق[3]

* فوات الوفيات ٢ : ٢٣٤ ــ ٢٣٧ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣٦١ ــ ٣٦٣ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٤٠ (رقم ٣٦٣٧) ؛ بغية الوعاة ٣٤ ؛ بروكلمان ٢ : ٩ ــ ١٠ ، الملحق ٢ : ٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٢٦ ــ ٩٢٧ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٣١٨ ــ ٣١٩ .

شِهابُ الدين محمودُ بنُ فَهْدٍ*

١ ــ هُوَ شِهابُ الدين أبو الثَناء محمودُ بنُ سَلْمانَ بنِ فَهْدٍ الدِمَشْقِيّ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ ، في شَعْبانَ من سَنَة ٦٤٤ هـ (أواخر ١٢٤٦ م) .

تَلَقّى شِهابُ الدين محمودٌ العِلْمَ على نَفَرٍ من أئمّةِ عصره : أخَذَ الحَديثَ عن الرَضِيّ بنِ البُرْهانِ ويَحْيى بنِ عبدِ الرحيم الحَنْبلي وجَمالِ الدين بنِ مالكٍ ، ودَرَسَ الفِقْهَ على النجّار ، وأخذ العربية (النحو) عن جمال الدين بن مالك ، وتلقّى الأدب على المَجْد بن الظهير وسَلَكَ طَريقته في النظم وأرْبى عليه .

في نحو ٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م) تَوَلّى شهابُ الدين الكتابةَ (في ديوان الإنشاء) في دِمَشْقَ ، كما تولّى القَضاءَ على المذهب المالِكِيّ وهُوَ لا يزالُ أيضاً صَغيرَ السِنّ . ويبدو أنّه كان يَتَوَلّى القضاءَ في فَتَراتٍ ــ في أثناء تولّيهِ الكتابةَ ــ .

ولمّا توفّي مُحْيِي الدينِ بنُ عبدِ الظاهِر (٦٩٢ هـ = ١٢٩٢ م) رئيسُ ديوانِ الإنشاء في مِصْرَ ، أُرْسِلَ شِهابُ الدين محمودٌ إلى القاهرة لِيَعْمَلَ في ديوان الإنشاء . وفي سَنَة ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ ــ ١٣٠٩ م) أصْبَحَ صاحِبَ ديوانِ الانشاء عِنْدَ السُلْطانِ بَيْبَرْس البُنْدُقْداري .

= لم يعرف الحب . الموثق : المقيد (بقيد الحب) . ــ حزنها وهي حرة تفعل ما تشاء أخف جداً من حزني المقيد أنا الذي لا أستطيع التحرر مما أنا فيه) .

(١) البيد جمع بيداء = الفلاة : الارض الواسعة (التي تبيد ، أي يهلك ، السائر فيها) . المطية : الركوبة (بفتح الراء) ، الدابة التي يركبها الانسان في انتقاله . خب الفرس : جرى (وهو ينقل يديه معاً ورجليه معاً) . أعنق أسرع (هذه البيداء واسعة جداً تسرع فيها الخيل والابل حيناً ثم تتعب فتسير ببطء) .

(٢) الطيف : الخيال . يطرق : يأتي في الليل (في النوم ، يكون مناماً) .

(٣) ــ التفت الى الدهر أريد أن أعاتبه وألومه على ما فعل بي من العذاب والشقاء ثم رجعت الى نفسي فوجدت أن كفي عن عتابه (ترك عتابه)والصبر على ما أنا فيه أليق بي وأجدر وأحسن (لأن اللئيم لا يجوز عتابه) .

ثُمَّ تُوُفِّيَ القاضي ابنُ فَضْلِ الله ناظرُ ديوانِ الإنشاء في دِمَشْقَ ، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٧١٧ هـ (أواخر ١٣١٧ م) فأُعيدَ شِهابُ الدين محمودٌ إلى دِمَشْقَ لِيتَوَلّى نَظَرَ ديوانِ الإنشاء وكِتابةَ السرِّ .

وكانت وفاةُ شِهابِ الدين محمودٍ في دِمَشْقَ ، في ٢٢ من شَعْبانَ من سَنَةِ ٧٢٥ هـ (٢ ــ ٨ ــ ١٣٢٥ م) .

٢ ــ كان شِهابُ الدين محمودٌ بارعاً في عددٍ من فنونِ العلمِ والأدب : في الفِقْهِ واللُغة والنحوِ والبلاغةِ ناثراً بليغاً وشاعراً مُجيداً مُكثِراً من النثر والنظم . جاء في الدرر الكامنة (٥ : ٩٢) : « وقصائدُهُ كثيرةٌ تدخُلُ في ثلاثِ مُجلّداتَ ، وأما المقاطعُ فقليلةٌ . ونثرُهُ يدخُلُ في ثلاثينَ مجلّدة ». كذا قالَ الصفديُّ. وقال (الصفديُّ أيضاً) : « وهو أحدُ الكَمَلَةِ الذين عاصَرْتُهم وأخذتُ عنهم. ولم أرَ من يَصْدِقُ عليه اسمُ الكاتبِ غيرَهُ ، لأنّه كان ناظماً ناثراً .... وله كتابُ حُسْنِ التوسّلِ الى صناعة الترسُّل ، جوَّدَهُ ؛ وكتابُ أهنى المنائحِ في أسنى المدائح ...» ومن الغريبِ أن الصفديَّ يقول (٥ : ١٣ ، السطر التاسع) : « ولم يكُنْ له ، فيما علِمْتُ ، نظمٌ ولا نثرٌ » ، معَ أنّه يقول في السطر نفسِه : « وكَتَبَ مجاميعَ أدبيةً كثيرةً » ، كما ذكر أنّه كان صاحبَ ديوانِ الإنشاء : كَتَبَ في أيامِ والدِه في ديوان الإنشاء نِيابةً ثمّ لمّا تُوُفِّيَ والدُه تولّى رئاسةَ ديوانِ الإنشاء استقلالاً . وشهاب الدين محمود مُصَنِّف له : مقامــة العشّاق ــ منازل الأحباب ــ حُسْنُ التوسّل الى صِناعة الترسُّل ــ أهنى المنائحِ[1] في أسنى المدائح (وهي بديعيّاتٌ : قصائدُ في مدحِ الرسولِ أفْرَدَها من ديوانِهِ في مجموعٍ خاص ، وهي تبلُغُ نحوَ ألفٍ وثلاثِمائةٍ وخمسةٍ وستّين بيتاً) .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ كَتَبَ شِهابُ الدين محمودُ بنُ فَهْدٍ الى فَتْحِ اللهِ بنِ عبدِ الظاهر (فوات الوفيات ٢ : ٣٦٠) بقصيدةٍ منها :

هَل البَدْرُ إلاّ ما حواهُ لِثامُها ، أو الصُبْحُ إلاّ ما جَلاه ابتِسامُها[2] ؟

(١) المنائح جمع منيحة : منحة ، عطية . وفي فوات الوفيات : « أسنى المنائح في أسنى المدائح » (٢ : ٣٥٨) .
(٢) اللثام : (في الاصل) : الغطاء على الفم . ما حواه (تضمنه) لثامها = وجهها . جلاه : ابرزه ، أظهره .

أوِ النارُ إلاّ ما بدا فَوْقَ خَدِّهَا … سَنَاها ، وفي قَلْبِ المُحبّ ضِرامها (١) ؟
إذا ما نَضَتْ عنها اللِثَامَ وأسفَرَتْ … تَقَشَّعَ عن شَمْسِ النهار غَمامها (٢) .
تُريكَ مُحَيّا الشَمْسِ في لَيْلِ شَعْرِها … على قِيد رُمْح قَدُّها وقَوامها (٣) ؛
وتُزْهى على البدر المُنير فإنّها … ـ مَدى الدهر ـ لا يَخْشى السِرار تَمامُها (٤) .
كِلانا نَشاوى : غيرَ أن جُفونَها … مُدامُ المُعَنّى ، والدَّلالُ مُدامُها (٥) .
وليلةَ زارَتْ والثُرَيّا كأنّها … ـ نِظاماً وحُسْناً ـ عِقْدُها وابْتِسامها .
وحَيّتْ فأحْيَتْ ما أمات صُدودُها ، … ورَدَّتْ فَرَدَّ الروحَ فيَّ سَلامُها .
وقالتْ ـ وما لِلْعَيْن عَهْدٌ بطَيْفها … ولا النوم مُذْ صَدَّتْ وعَزّ مَرامُها (٦) :
«لقد أتعَبَتْ عَيْني جُفونَكَ في الدُجي» … فقُلْتُ : «سلي جَفْنَيْك ، أينَ منامُها» (٧) ؟
وما عَلِمَتْ أنّ الرُقادَ ، وقد جَنَتْ ، … كَمِثْل حَياتي في يَدَيْها زِمامها» (٨) !

ـ ومن مقطّعاته في الصُوَر الغزلية :

رأتْني ، وقد نالَ مِنّي النُحولُ … وفاضَتْ دُموعي على الخدّ فَيْضا ،
فقالتْ : « بعَيْنَيَّ هذا السَقامَ ! » … فقلت : « صَدَقْت ، وبالخَصْر أيْضا (٩)

---

(١) السنى : ضوء البرق . الضرام : اشتداد اتقاد النار ، شدة اشتعالها .

(٢) نضت (رفعت ، أزالت) . أسفر : ظهر ، انكشف ، برز . تقشع : انجاب ، تفرق . شمس النهار = كناية عن الوجه (وجه المحبوبة) .

(٣) تريك محيا الشمس (وجهاً كأنه وجه الشمس ، كأنه الشمس حسناً وتلألأ) في ليل شعرها (في شعرها الاسود كالليل) على قيد (بكسر القاف : قدر ، مقدار) الرمح (أي هي طويلة كالرمح) . القد والقوام = استقامة الجسم .

(٤) تزهى : تعجب (بضم التاء وفتح الجيم) ، تفتخر . السرار : اختفاء ضوء القمر في آخر الشهر . التمام : امتلاء البدر (الليلة الرابعة عشرة من الشهر القمري) . لا يخشى السرار تمامها : يبقى جمالها تاما كالقمر ليلة البدر .

(٥) النشوان (ومؤنثه : نشوى) : السكران . مدام : خمر . المعنى : المتعب (بالحب) . ـ هي سكرى من دلالها (غنجها) وأنا سكران من النظر الى عيونها .

(٦) الطيف : الخيال الذي يراه النائم في منامه . ـ منذ بعدت عني لم أر طيفها في منامي ، لأنني لم أستطع النوم حتى أرى أحلاماً . عز (صعب ، بعد) مرامها (مقصدها ، مكانها ، الوصول إليها) .

(٧) عيني أتعبت جفونك في الدجى (الليل) بالسهر !

(٨) الزمام : مقود الدابة ، لجام الدابة . ـ منذ ابتعدت عني أصبح نومي وأصبحت حياتي كلها رهن ارادتها (إن رضيت عني نمت وعشت مطمئناً ، وان غضبت ذهب نومي وتنغصت حياتي) .

(٩) بعيني هذا السقام (تورية : أفدي بعيني هذه السقام ، أي النحول الذي بجسمك ؛ في عيني سقام ، فتور ، مثل الذي بجسمك) . وبالخصر أيضاً (فأجبت : وفي خصرك أيضاً نحول مثل السقام الذي في عينيك) .

* ورأيتُهُ في المـاء يَسبَحُ مرّةً ، والثَّغْرُ قد رَفَّتْ عليه ظِلالُهُ ،
فظَنَنْتُ أنَّ البدرَ قابَلَ وَجْهَهُ وَجْهَ الغَديرِ فلاح فيـه خَيالُه[1].

* رأيتُ في بُستـان خِلٍّ لنـا بَدْرَ دُجىً يَغْرِسُ أشْجارا[2] ؛
فقُلْتُ : إن أنْجَبَ هـذا الذي يَغْرِسُهُ أثْمَـرَ أقْمارا[3] .

— من مقدّمة كتاب « حسن التوسّل » :

أمّا بَعْدُ — حَمْداً لله جاعلِ الانسانِ مَخْبوءاً تحتَ اللسان ، مَحْبُوّاً[4] من مواهبِ البلاغة في المَنْطِق بالمراتب الحِسان ؛ والصلاةُ والسلامُ على سيّدِنا محمّدٍ المخصوصِ من مُعْجِزِ القرآن بأوضحِ بُرهانٍ ، وعلى آلهِ وصَحْبِهِ والتابعينَ لهم باحسان — فانّه لمّا جَعَلَ اللهُ لي في كِتابة الإنشاء رِزْقاً باشرتُ بسببِهِ من وظائفها ما باشَرتُ ، وعاشرتُ من أجلهِ من أكابرِ أهلِها وأئمّتِها مَنْ عاشرت ، ورأيتُ من مذاهبهم في أساليبها ما رأيتُ ، ورَوَيْتُ عنهم من قواعدها بالمُجاوَرة والمُحاوَرة ما رَوَيْتُ ، واطّلَعْتُ فيها بكَثْرة المُباشرة على طرائقَ ، وأُلْجِئْتُ فيها باختلاف الوقائع الى مَضائقَ أيِّ مضائقَ ؛ ونشأ لي من الوَلَدِ ووَلَدِ الولد من عاناها[5] ، وتَرَشَّحَ لها من بَنِيَّ مَنْ لم أرْضَ له بالتَلَبُّس بصورتِها دونَ التَحَلّي بمَعْناها ؛ فأحْبَبْتُ أن أضَعَ لهم ولِمَنْ يَرْغَبُ في ذلك في هذه الأوراق من فصولِها قواعدَ ، وأُقيمَ لهم فيها على ما لا يَسَعُ الجهلُ بهِ من أصولِها وفروعها شواهدَ ، ليأتوا هذه الصناعةَ من أبوابِهـا ويَعلموا من طُرُقِها ما هو الأخصُّ بأوضاعِها والأوْلى بها وسَمَّيْتُه « حُسْنَ التوسُّل الى صِناعة التَرسُّل » . وما تَوْفيقي إلاّ بالله ، عليه توكّلْتُ واليه أُنيب * .

فأوّلُ ما يُبْدَأُ[6] به (الكاتبُ) من ذلك حِفْظُ كتابِ الله تعالى ومُداومةُ قِراءته ومُلازمة درسهِ وتَدَبُّر معانيه حتّى لا يزالَ مُصَوَّراً في فِكْرِه دائراً على لسانهِ مُمَثَّلاً

---

(١) الثغر : البلد على شاطىء البحر ، الماء القريب من الشاطىء .
(٢) الخل : الصديق . بدر دجى كناية عن شاب جميل .
(٣) أنجب الرجل : ولد له أولاد نجباء كرام . — ان عاشت هذه الاغراس التي يزرعها فانها ستحمل أقماراً (لأنه، هو بدر) .
(٤) حبا : أعطى ، وهب . * القرآن الكريم (١١ : ٨٨ ، سورة هود) .
(٥) الى مضائق أي مضائق = مضائق (شدائد) صعبة . عانى الرجل الأمر : مارسه ، اشتغل به .
(٦) أول تلك الشروط لاجادة الانشاء .

في قَلْبِهِ ذاكراً له في كلّ ما يَرِدُ عليه من الوقائع التي يُحتاج الى الاستشهاد به فيها ، ويُفْتَقَرُ الى إقامة الأدلّةِ القاطعة به عليها ، وكفى بذلك مُعيناً له في قَصْدِه ومُغْنِياً له عن غيره ....

ـ الحَضّ على القِتال (من رسالة الى بعض نُوّاب الثّغْر[1] يُحَذّرُ من تَحَرُّكِ للعدوّ : من التتار أو الإفْرِنْج الصليبيّين) :

..... أصْدرناها ومُنادي النَفير قد أعلن بـ « يا خيلَ اللهِ ، ارْكَبي ؛ ويا ملائكةَ الرحمنِ ، اصْحَبي[2] ؛ ويا وَفُودَ التأييدِ والظفر ، اقْرُبي » ؛ والعزائمُ قد رَكَضَتْ على سوابقِ الرُعْبِ الى العِدا ، والهِمَمُ قد نَهَضَتْ الى عَدوّ الاسلام . فلو كان في مَطْلَعِ الشمسِ لاسْتَقْرَبَتْ ما بَيْنَها وبَيْنَه من المَدى[3] !

ـ من كتاب تقليد (تولية أو إقرار على تولية) : لصاحب سيس[4] باقراره على ما قاطع عليه من بلاده :

الحمدُ للهِ الذي خَصّ أيامَنا الزاهرةَ باصطناعِ مُلوكِ المِلَلِ ، وفَضّل دَوْلتنا القاهرةَ بإجابةِ من سألَ بَعْضَ ما أحْرَزَتْهُ لها البِيض والأسَل وجَعَلَ من خصائص مُلْكِنا إطلاقَ المَمالك وإعطاء الدُوَل[5] ..... وبَعْدُ : فإنّه مما آتانا اللهُ مُلْكَ البسيطة[6] ، وجَعَل دَعْوَتَنا بأعِنّةِ مِمالكِ الأقطار مُحيطة ، ومَكّن لنا في الأرضِ وأنْهَضَنا من الجِهاد في سَبيله بالسُنّة والفَرْض[7] ، وجَعَل

---

(١) النائب : الحاكم الذي ينوب عن السلطان في حكم مقاطعة كبيرة . الثغر : البلد القريب من العدو .

(٢) النفير : الجماعة من الناس ينهضون الى الحرب . منادي النفير : داعي الحرب . اصحبي : كوني في صحبتنا (الى الحرب) .

(٣) استقربت المدى : وجدت المسافة قريبة (قصيرة) .

(٤) سيس = سيسة : بلد بين أنطاكية وطرسوس (في الشمال الغربي من بلاد الشام) .

(٥) البيض : السيوف . الاسل : الرماح. اطلاق المالك (تحريرها ! ، ايجاد الممالك) . الملة : النحلة (بكسر النون) : الدين أو المذهب من دين . أعطاء الدول : تولية الحكام على البلاد .

(٦) البسيطة : الارض .

(٧) الفرض : ما يجب على الانسان عمله . السنة : ما يطلب من الانسان فعله ، إلا أن تركه لا يوجب عقاباً . أنهضنا : أقدرنا (جعلنا قادرين) . من الجهاد بالسنة والفرض : بجميع أعمال الجهاد ومتطلباته .

كلَّ يوم تُعْرَضُ فيه جيوشُنا من أمْثِلَةِ يوم العَرْض[١] ، وأظَلَّتْنا بوادِرُ الفُتوحِ ، وأظلّت على الأعداء سُيوفُنا الّتي هي على من كَفَرَ بالله وكفر بالنِعْمة دَعْوَةُ نوح[٢] ..... وألْقَتْ إلينا ملوكُ الأقْطارِ السَلَم وبَذَلَتْ كرائِمَ بِلادها وتِلادها رَغْبَةً في الالتجاء من عَفْوِنا الى ظِلٍّ أعلى من عَلَم[٣] ..... عاهَدْنا اللهَ تعالى أن لا[٤] نَرُدَّ منهم آمِــلاً ولا نَصُدَّ عن مَشارِع[٥] كَرَمِنا آهلاً ولا نُخَيِّبَ من إحساننا راجياً ولا نَخْلِيَ عن ظِلِّ بِرِّنا لاجِياً، عِلْماً أن ذلك شُكْرُ المَقْدِرَةِ التي جَعَلَها الله لنا على ذلك الآمِل[٦] ......

٤ – حسن التوسّل الى صناعة الترسّل ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٩٨ هـ ؛ مصر (مطبعة امين هندية) ١٣١٥ هـ .

أهنى المنائح في أسنى المدائح ، القاهرة (مطبعة جريدة الشورى) بلا تاريخ .

تخميس قصيدة « وصانا السرى وهجرنا الديارا » لرفاعة الطهطاوي (ت ١٢٩٠ هـ) ، مصر ١٣٠٩ هـ .

* فوات الوفيات ٢ : ٣٥٨ – ٣٦٦ ؛ الوافي بالوفيات ٥ : ١٢ – ١٤ ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٩٥ – ٢٩٦ ؛ الدرر الكامنة ٥ : ٩٢ – ٩٤ (رقم ٤٧٤٧) ؛ شذرات الذهب ٦ : ٦٩ – ٧٠ ؛ من ذيول العبر ١٤٠ – ١٤١ ؛ بروكلمان ٢ : ٥٤ ، الملحق ٢ : ٤٢ – ٤٣ ؛ زيدان ٣ : ١٤٤ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٤٨ – ٤٩ .

ابو الفداء

١ – هو أبو الفِدا اسماعيلُ بن عليٍّ الملكِ الافضلِ بنِ محمود المظفّرِ بن محمّدٍ المنصورِ بن تقيّ الدين عمرَ بنِ نورِ الدين شاهنشاه بن نجم الدين أيّوب ، وُلِدَ في دِمَشْقَ في جُمادى الأُولى من سَنَةَ ٦٧٢ (تشرين الثاني – نوفمبر ١٢٧٣ م) . واشترك أبو الفدا في حصارِ المَرْقَب وعُمُرُهُ اثنَتَيْ عَشْرَةَ سنةً ، كما اشترك منذ مطلع شبابه في محاربة الإفرنج الصليبيين.

---

(١) يوم العرض : يوم القيامة (جيوشنا يوم عرضها للقتال كثيرة ككثرة الناس يوم العرض الأكبر : يوم الحشر ، يوم القيامة) .

(٢) دعوة نوح – إشارة الى الآية الكريمة : « وقال نوح : رب ، لا تذر (لا تدع) على الارض من الكافرين دياراً » (٧١ : ٢٦ ، سورة نوح) .

(٣) ألقى فلان السلم : طلب الصلح . التلاد : القديم (من المال أو المجد الخ) . العلم : الجبل .

(٤) أن لا = ألا .

(٥) المشرع : المكان على النهر يسهل شرب الماء منه .

(٦) البر : الرحمة ، طاعة (الله في الاحسان الى الآخرين) . – إحساننا الى الناس هو الشكر الذي يجب علينا لله لأن الله أعطانا القدرة على الملك على الناس .

ولمّا قُضيَ على الحُكْمِ الأيّوبي في حَماةَ بَقِيَ أبو الفداء في خِدمة الوُلاةِ المماليك . وفي سنة ٧١٠ ه (١٣١٠ م) وُلّيَ على حَماةَ ، ثمّ جُعِلَتْ ولايتُه عليها دائمةً (٧١٢ ه) ولُقِّبَ « الملكَ الصالحَ » . وفي سنة ٧٢٠ ه أصبحَ سُلطاناً على حَماة باسم الملكِ المؤيَّدِ .

وكانت وفاةُ أبي الفِداء في حَماة ، في ٢٣ من المُحَرَّمِ ٧٣٢ ه (٢٧ — ١٠ — ١٣٣١ م) .

٢ ــ كان أبو الفِداء أديباً يَنظِمُ الشعرَ ويَعْطِفُ على الأدب والادباء ، كما كان مُصنّفاً للكتب له : المختصر في أخبار البشر (منذ أقدم الازمنة الى سنة ٧٢٩ ه . ومع أن الكتاب في الاصل اختصار لتاريخِ الكاملِ لابن الاثير ، فان أبا الفداء قد توسّع في العصر الجاهلي ثمّ مد الكلام الى عصره وزاد الكلام على الأحوال الاجتماعية والعلمية والادبية) . وله أيضاً تقويم البلدان (وهو كتاب عامّ في الجغرافية استقصى فيه ما ذَكَرَهُ الجغرافيون العرب قبلَه وصحّح كثيراً ممّا كان يُروى على غير وجههِ من الاسماء والانساب) ــ مختصر سُنَن البَيْهقي (حديث) ــ الكناش في النحو والصرف ــ طبقات الشعراء .

٣ - مختارات من آثاره

ــ من مقدمة تاريخ ابي الفداء :

.... سَنَحَ لي أن أُوردَ في كتابي هذا شيئاً من التواريخ القديمة والاسلامية يكون تذكرةً يُغنيني عن مراجعةِ الكتبِ المُطَوَّلةِ فاخترتُه واختصرتُه من « الكاملِ » تأليفِ الشيخ عزِ الدين عليٍّ المعروفِ بابنِ الأثيرِ الجَزَرِيّ... ؛ ومن « تجاريبِ الأُمم » لابي علي احمد بن مِسْكَوَيْهِ ؛ ومن تاريخ ابي عيسى احمدَ بنِ عليٍّ المنجِّمِ المُسمّى بكتاب « البيان عن تاريخ سِني زمان العالم على سبيل الحجة والبرهان » ، ذَكَرَ فيه التواريخ القديمة ، وهو مجلّد لَطيفٌ[1] ؛ ومن « التاريخ المُظفّري » للقاضي شِهابِ الدين بنِ أبي الدم الحَمَويّ ، وهو تاريخ يختص بالمِلّة الإسلامية في نحو ستة مجلدات ؛ ومن تاريخ القاضي شمس الدين بن خَلّكان المسمى بوَفَيات الأعيان ... ومن تاريخ اليمن للفقية عُمارةَ ، وهو مجلد لطيف ؛ ومن تاريخ القَيْروان المُسَمّى « بالجمع والبيان » للصِنْهاجيّ ؛ ومن تاريخ « الدول المنقطعة » لابن أبي منصور وهو نحو اربع مجلدات ؛ ومن تاريخ عليّ بنِ موسى بن عبدالملك بن سعيدٍ المَغْربي

---

(١) لطيف : صغير ، مختصر .

الأندلسي المسمى « لذة الأحلام في تاريخ أُمم الأعجام » ، وهو نحو مجلدين ؛ ومن كتاب ابن سعيد المذكور المسمى « بالمُغرب في أخبار اهل المغرب » ...؛ ومن « مُفَرِّج الكُروب في أخبار بني أيوب » للقاضي جمال الدين بن واصل ....

وأما التواريخ الاسلامية فرتّبتها على السنين حسب تأليف الكامل لابن الاثير . ولما تكامل هذا الكتاب سمّيته المختصر في اخبار البشر .

وفي هذا الكتاب مقدمةٌ قصيرةٌ تتضمّن ثلاثة أمور : الاختلافَ في ذِكْرِ سِني الأحداث القديمة كاختلاف المؤرخين في مولد المسيح — معرفة نسخ التوراة وهي ثلاث نسخ سامرية وعبرانية ويونانية — استخراج التواريخ القديمة بالمقابلة .

٤ — المختصر من أخبار البشر(١) ، القاهرة ١٢٨٦ هـ ؛ القسطنطينية (دار الطباعة) ١٢٨٧هـ ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٥ — ١٣٢٦ هـ ؛ بذيل الآثار الباقية عن القرون الخالية للطبري) ، بلا ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخه ؛ (مختارات منه) : التواريخ القديمة من المختصر من تاريخ البشر (تحرير فلايشر) ، ليبزغ ١٨٣١ م ؛ حياة محمّد (تحرير غانيار) ، أوكسفورد ١٧٢٣ م ؛ حياة محمّد (تحرير نويل ده فيرجيه) ، باريس ١٨٣٧ م ؛ « أخبار المسلمين » (تحرير رايسكه الخ) ، كوبنهاغن ، ١٧٨٩ — ١٧٩٤ م .

تقويم البلدان (= أقاليم البلاد وتقويمها) ويعرف أيضاً باسم «جغرافية أبي الفداء» (تحرير رينولد والبارون ماككوكين ديسلان) باريس (دار الطباعة السلطانية) ١٨٤٠ م؛ (أعيد طبعه بالتصوير) ، بغداد (مكتبة المثنى) ومصر (مؤسّسة الخانجي) ....

(مختارات منه) : خوارزم وما وراء النهر (تحرير غرافيوس)، لندن ١٦٥٠ م ، ١٧١١ (؟) ؛ ذكر بلاد العرب وذكر ديار مصر (تحرير غاينار)، أوكسفورد ١٧٤٠ م؛ ذكر مصر (تحرير مايكل) ، غوتنجن ١٧٧٦ م ؛ لوائح جغرافية ونماذج أخرى (تحرير رينك) ، ليبزغ (ويدمان) ١٧٩١ م ؛ افريقية (تحرير أيشهورن) ، غوتنجن ١٧٩١ م ؛ ذكر بلاد الشام (تحرير كولر) ، ليبزغ ١٧٦٦ م ؛ لوائح (تحرير فستنفلد) غوتنجن ١٨٣٥ م ؛ ذكر بلاد المغرب (تحرير سولفيه) ، الجزائر (مطبعة الحكومة) ١٨٣٩ م ؛ ذكر بلاد العرب (تحرير رينو ودى سلان) ، باريس ١٨٤٠ م .

* فوات الوفيات ١ : ٢٠ — ٢٣ ؛ طبقات الشافعية ٦ : ٨٤ ؛ الدرر الكامنة ١ : ٣٩٦ — ٣٩٩ (رقم ٩٤١) ؛ البدر الطالع ١ : ١٥١ — ١٥٢ ؛ من ذيول العبر ١٧٠ — ١٧١ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٩٨ — ٩٩ ؛ بروكلمان ٢ : ٥٥ — ٥٧ ، الملحق ٢ : ٤٤ ؛ زيدان ٣ : ٢٠١ — ٢٠٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١١٨ — ١١٩ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٣١٧ .

شهاب الدين النويري

١ — هو شِهابُ الدينِ أحمدُ بنُ عبدِ الوهّاب بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الدائم التَيْمي

---

(١) جزءان : الجزء الأول (تاريخ ما قبل الاسلام) ، الجزء الثاني (تاريخ الاسلام) .

البَكْري القُرَشيّ الكِنْدي النُوَيْرِيّ نسبةً الى قرية من قُرى بني سُويفَ في صعيدِ مِصْرَ ، وُلِدَ في ٢١ من ذي القَعْدة سَنَةَ ٦٧٧ هـ (٥/ ٤/ ١٢٧٩ م) في بلدة قوص ونشأ فيها .

سَمِــعَ شِهابُ الدين النويريُّ الحديثَ من الشريف موسى بنِ عليّ بنِ أبي طالبٍ ويعقوبَ بنِ أحمدَ الصابونيّ وأحمدَ الحجّار وزَيْنبَ بنتِ يحيى (ت ٧٣٥ هـ) وأبي عبد الله محمّدِ بنِ ابراهيمَ بن جَماعة .

بدأ شهابُ الدين النُويريُّ حياتَه كاتباً (في ديوان الانشاء) وبَرَعَ في الكتابةِ ثمّ تقلّب في عَدَدٍ من المناصبِ في أيام الملكِ الناصرِ محمّدِ بنِ قلاوونَ(1) وحَظِيَ عنده ثمّ كان مُدّةً ناظراً للجيش في طرابُلُسِ الشام ثمّ ناظرَ الديوانِ في منطقة الدَقَهْلية ومِنطقة المُرْتاحية.

وكانت وفاةُ النُويري في ٢١ رَمَضانَ ٧٣٢ هـ (١٧/ ٦/ ١٣٣٢ م) في قوص .

٢ ـ شِهابُ الدينِ النُويريُّ أديبٌ عالمٌ متعدّدُ نواحي الشخصية العِلمية مُحيطٌ بعددٍ كبيرٍ من فنونِ العلمِ والأدب حَسَنُ التنظيم عند مُعالجة الموضوعاتِ التي يتناولها . وقد كان له شيءٌ من النظم ، كما كان حَسَنَ الخطِّ سريعَ النَسْخ . وتقومُ شهرةُ النويريِّ على كتابهِ الجامع الشامل « نِهاية الأرب في فنون الأدب » وهو كتاب جَمَعَ فيه النويريُّ كلَّ ما يحتاجُ إليه الكاتبُ في ديوان الإنشاء من المعارف (راجع النصّ المختار) ، وقد قدّمَ هذا الكتاب الى الملك الناصرِ محمّدِ بنِ قلاوون .

٣ ـ مختارات من آثاره

.... وبعدُ فمِنْ أوْلى ما تدبّجتْ به الطُروسُ والدفاترُ ونَطَقَتْ به الأقلامُ عن أفواهِ المحابر وأصدرته(2) ذوو الأذهان السليمةِ وانتسبتْ إليه ذوو الأنساب الكريمة ، وجَعَلَهُ الكاتبُ ذريعةً يتَوَصَّلُ بها إلى بلوغ مقاصده ومَحَجَّةً لا يَضِلُّ مسالِكَها في مصادرهِ وموارده فَنُّ الأدب الذي ما حلّ الكاتب بواديه إلا وعَمَرت بواديه(3) ، ولا ورد مشارعه إلا واستعذب شرائعه ، ولا نزل بساحته

---

(1) جاء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الحكم في ثلاث فترات : ٦٩٣ ـ ٦٩٤ ، ٦٩٨ ـ ٧٠٨ ثم ٧٠٩ ـ ٧٤١ هـ .

(2) كذا في الأصل : وأصدرته ذوو ... وانتسبت اليه ذوو ... !

(3) حل بواديه (في واديه) : نزل عنده (حل الكاتب بواديه : أصبح كاتباً مقتدراً) . البوادي جمع بادية. الذريعة : السبب (الوسيلة) .

إلا واتّسعت له رِحابُها[١] ، ولا تأمّل مشكلة إلا وتبَيَّنَتْ له أسبابها .

وكنت ممّن عَدَلَ في مباديه على الإلمام بناديه وجعل صناعة الكتابة فَنّنَهُ الذي يستظِلّ بوارفه وفنّه الذي جُمِعَ له فيه بين طريفه وتالده[٢] . فعرفت جليّها وكشفت خفيّها .... واسترفعت القوانين ووضعت الموازين وعاينت المقترحات واعتمدت علي المقايسات .... وأتقنت موادّ هذه الصناعة وتاجرت فيها بأنفس بضاعة .

ثم نبذْتُها وراء ظهري وعزمت على تركها في سِرّي دون جهري[٣] . وسألت الله تعالى الغُنية عنها وتضرعت إليه في ما هو خير منها . ورغبت في صناعة الآداب وتعلقت بأهدابها[٤] وانتظمت في سلك أربابها . فرأيت غرضي لا يتمّ إلاّ بتلقّيها من أفواه الفضلاء شِفاهاً ، ومَوردي لا يصفو ما لم أُجرِّد العزم سفاها[٥] .

فامتطيت جواد المطالعة وركضت في ميدان المراجعة . وحيث[٦] ذلّ لي مركبها وصفا لي مشربها آثرت ان أجرد منها كتاباً أستأنسُ به وأرْجِعُ إليه وأُعوِّل في ما يَعْرِضُ لي من المَهمّات عليه . فاستَخَرْتُ اللهَ سُبحانَه وتعالى وأثْبَتُّ منها خمسةَ فنونٍ حَسَنَةَ الترتيب بَيِّنَةَ التقسيم والتبويب ، كلُّ فنٍّ منها يحتوي على خمسةِ أقسامٍ : (هي) الفنُّ الأولُ في الآثــار العُلْوية[٧] .... ــ الفن الثاني في الإنسان وما يتعلّق به ..... ــ الفن الثالث في الحَيَوان الصامت ..... ــ الفن الرابع في النبات ..... ــ الفن الخامس في التاريخ .....

ولما انتهتْ أبوابُه وفصولُه وانحصَرَتْ جُمْلته وتفصيلُه تَرْجَمْتُهُ[٨] « بنهاية

---

(١) ورد المشرع : ذهب الى مكان الماء ليستقي (المشارع جمع مشرعة : مكان استقاء الماء) . الشرائع جمع شريعة : المشرعة . الرحاب جمع رحبة (بفتح الراء) : الارض الواسعة .

(٢) عدل (مال) في مباديه (مبادئه : أول أمره) على الالمام بناديه : بمجتمعه، بمكانه (الأخذ بفن الكتابة) . الفنن (الغصن) الوارف (الممتد الظل) الطريف (المكتسب حديثاً) التالد (الموروث من زمن قديم) .

(٣) نبذتها وراء ظهري (أهملتها ، رفضتها ، تركتها) في سري دون جهري (أضمرت تركها ولم أعلنه) .

(٤) الغنية : الاستغناء . تعلق بأهدابها (أطراف ثيابها) : تمسك بها وأصر على العمل بها .

(٥) شفاها : مشافهة (الأخذ بالرواية والسماع) . سفاها : شرب الماء بكثرة . المورد : مكان الماء .

(٦) حيث (كذا في الأصل) أقرأ : حين .

(٧) الآثار العلوية في الأصل : أحوال الجو والمناخ ، وقد وسع النويري الكلام في هذا الفن (الفصل) فتكلم على الفلك والجغرافية والآثار العمرانية وأمور الخلق . في هذا الفن الأول من كتاب « نهاية الأرب » : خلق السموات والملائكة ــ الكواكب ــ السحاب ــ الصواعق ــ الشهور والفصول ــ الأعياد ــ الارض (خلقها) ــ الجبال ــ خصائص البلاد ــ المباني القديمة ... الخ .

(٨) ترجمته : سميته (جعلت اسمه مبيناً لما فيه من الموضوعات) .

الأرب في فنون الأدب » واتيت فيه بالمقصود والغرض وأثبتُّ الجوهر ونَفَيْتُ العرض[١] وطوّقته بقلائد من مَقولي ورصّعته بفرائدَ من منقولي[٢] .... وما اوردتُّ فيه إلا ما غلب على ظني أن النفوس تميل اليه وأن الخواطر تشتمل عليه[٣] .....

٤ ــ نهاية الأرب في فنون الأدب (طبع منه) :

ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان ، غوطا ١٧٧٥ م[٤] ؛ ذكر أيام العرب ووقائعها في الجاهلية (باعتناء راسموسن) غوطا ١٨١٧ ، ١٨٢١ م[٥] ؛ تاريخ مسامي اسبانية والمغرب : نص ونقل الى اللغة الاسبانية بقلم غاسبار رميرو ، غرناطة ١٩١٧ م[٦] ؛ نهاية الارب في فنون الأدب (ثمانية عشر جزءاً) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ، ١٣٤٢ ــ ١٣٧٤ هـ = ١٩٢٣ ــ ١٩٥٥ م .

* الوافي بالوفيات ٧ : ١٦٥ ؛ الطالع السعيد (١٩٦٦م) ٩٦ ــ ٩٧ ؛ الدرر الكامنة ١ : ٢٠٩ ــ ٢١٠ (رقم ٥٠٦) ؛ المنهل الصافي ١ : ٣٦١ ــ ٣٦٢ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٦ ؛ زيدان ٣ : ٢٤١ ــ ٢٤٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٣ : ٩٦٨ ــ ٩٦٩ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧٥ ، الملحق ٢ : ١٧٣ ــ ١٧٤ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٥٨ ــ ١٥٩ .

ابن أبي جرادة الحلبي

١ ــ هو نَجْمُ الدينِ عُمَرُ بنُ محمّدِ بنِ عُمَرَ بنِ أحمدَ بنِ أبي جَرادةَ العُقيليُّ الحلَبي ، وُلِدَ سَنَةَ ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) . سَمِعَ ابنُ أبي جَرادةَ الحديثَ وتَفَقَّهَ ، ثمّ تَوَلّى التدريسَ في أماكنَ عديدةٍ ، وتولّى القضاءَ أيضاً . وكانتْ وفاتُهُ في صَفَرَ من سَنَةِ ٧٣٤ هـ (خريف ١٣٣٣ م) .

٢ ــ لابن أبي جرادةَ الحلبيِّ شِعرٌ جيّدٌ فيه لَفَتاتٌ بارعةٌ .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال ابنُ أبي جرادةَ الحلبيُّ يُشَبِّهُ الأشجارَ على ضِفَّتَيِ النهْرِ بنساءٍ ينظُرْنَ في مِرآةٍ إلى حُسْنِ وُجوهِهِنّ :

(١) الجوهر : طبيعة الشيء وأصله الثابت . العرض : الصفة العارضة في الشيء والتي تأتي وتذهب وتزول .

(٢) طوقته : جعلت لها طوقاً (عقداً) بقلائد (جمع قلادة : عقد ثمين) من مقولي (مما قلته أنا من عندي) ورصعته (أنزلت فيه زخرفاً وزينة) من منقولي (مما رويته عن غيري) .

(٣) الخواطر تشتمل عليه : مما يهتم به الناس وهو قابل للتحقيق (ليس من عمل الخيال) .

(٤ و ٥) معجم المطبوعات العربية (ص ١٨٨٤ ــ ١٨٨٥) . (٦) بروكلمان ، الملحق ٢ : ١٧٤) .

كأنّ وجهَ النَهْرِ ـ إذ حَفّتْ بهِ أشجارُه فصافَحَتْهُ الأغصنُ ـ
مِرآةُ غيدٍ قد وَقَفْنَ حَوْلَها ينظُرْنَ فيها أيُّهُنَّ أحْسَنُ !

٤ ـ * * البدر الطالع ١ : ٥١١ ـ ٥١٢ .

عامر بن عامر البصري

١ ـ هو أبو الفضل عِزُّ الدين عامرُ بنُ عامرٍ البصريُّ الحكيمُ الملقّبُ أوشيذر (!)، كانَ من حديثه أنه لمّا ادّعى عليٌّ بنُ الفخرِ الأردستاني أنه عيسى صدّقه عامرٌ وقالَ بمقالهِ . ثمّ إن عليَّ بنَ الفخرِ أُخِذَ فَقُتِلَ في ليلةِ القَدْرِ (٢٧ رمضان) من سَنَةِ ٦٩٦ هـ (١٧/٧/١٢٩٧ م) فقال عامرٌ فيه أبياتاً يرثيه بها ؛ وقد هجا القاضي نجمُ الدين ابراهيمُ بنُ هاشمٍ النِيليُّ عامراً من أجلِ ذلك . ثمّ انّ عامراً انتقلَ وشيكاً الى سِيواس (آسيةَ الصُغرى) حيثُ نَظَمَ تائيةً يُعارِضُ بها تائيةَ ابنِ الفارضِ (راجع ، فوق ، ص ٥٢٤) فانتهى من نَظْمِها ، كما يقولُ هو في آخرِها ، سنة ٧٣١ هـ (١٣٣٠ م) . ولعلّه لم يَعِشْ بعدَ ذلك طويلاً .

٢ ـ تائيةُ عامرٍ البصريّ خَمْسُمائةٍ وبيْتانِ (في التَصوّفِ) ، إلاّ أن جانباً كبيراً من أبياتِها يجري مَجْرى الفَخْرِ والغزَلِ الذي ليس عليه دلائلُ صوفيةٌ . هذا الجانبُ فصيحُ القولِ متينُ السَبْكِ بَدْوِيُّ النَفَسِ في الأكثرِ مُشْبِهٌ شِعْرَ فحول الشِعرِ من طبقةِ أبي تمامٍ والمتنبي . أما الجانبُ الآخرُ الصوفيّ فعليه سِماتُ الضَعْفِ التي نراها في الشِعْرِ الصوفي عامّةً .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ من تائيّة عامر بن عامر البصري*

تدل هذه القصيدة على أن عامر بن عامر البصري من العلويين النصيريّة (المتطرفين - راجع فوق ص ٧) ، فهو يقول بالإمام الغائب (البيت العاشر)، ولكنه يخاطب «الامام» كما تخاطب الألوهية (وان كان هو يفعل ذلك في سياق من الرمز الصوفي):

تجلّى لِيَ المحبوبُ من كلّ وِجهةٍ فشاهدتُه في كلّ معنىً وصورةٍ .

(*) سأشرح الأبيات التالية شرحاً عاماً وأترك تحليل المعاني الصوفية (راجع ، فوق ، شعر ابن الفارض ، ص ٥٢٢ ـ ٥٢٥) .

وخاطَبَني منّي بكشفِ سرائرٍ ، تعالتْ عن الأغْيار لُطفاً وجلّتِ[١] ،
فقال : «أتدري من أنا ؟» قلت : أنت ، يا مُنادى ، أنا ؛ إذ كنتَ أنت حقيقتي » .
حبيبٌ له في حبّة القلب مسكنٌ ترفّع عن هندٍ ودعدٍ وعزّة[٢] ؛
أبيتُ بجَفنٍ من جفاه مُسهّدٍ ، وأغدو بشَمْلٍ من نواه مُشتّتِ[٣] .
كتمتُ هــواه بُرهةً فَوَشى بــه عليّ شُحوبي واصفراري وعَبْرتي[٤] !
هو العاشقُ المعشوقُ في كلّ صورةٍ ، هو الناظرُ المنظور في كلّ لَمْحة .
إليك رَحيلي إن رَحلْتُ ، فإن أُقــمْ فعندكَ لا عندي تكون إقــامتي .
وان سِرت يوماً ، عنك فيك ، ومطلبي سواك ثنى شوقي اليك أعنّتي[٥] .
إمامَ الهُدى ، حتّى متى أنتَ غائبٌ ؛ فمُنَّ علينا ، يا أبانا ، برؤية[٦] .
تراءتْ لنــا راياتُ جيشِك قــادماً ففاحت لنــا منها روائح مِسكة[٧] ؛
وبُشِّرَتِ الدنيا بذلك فاغْتدتْ مباسِمُها مُفْتَرَّةً عن مَسرّة .
فأنتَ بهذا الأمــرِ قِدْماً مُعيَّن ؛ لذلك قال الله : « أنتَ خليفتي[٨] ! »
سندعوك — إنْ أمرٌ عَنانا — لنَصْرنا ؛ فمثْلُكَ من يُدعى لكلّ مُلِمّة .
لنا الشرفُ الأعلى الذي طَوْدُ عِزّه تَذِلّ له أعنــاق كلّ قبيلة .
ونحن لأهلِ الشرق والغربِ قِبْلةٌ تُصلّي إلينا سُجَّداً كــلُّ مِلّة .
وأيُّ يَدٍ مُدّتْ لفخرٍ ولم يكن لنا خَمْسها تُومي لفخرٍ ونجدة[٩] !

---

(١) خاطبني مني : كلمني آتياً خطابه لي من داخلي . الأغيار : غير أهل المعرفة الصوفية ، غير الذين بلغوا الى الاتحاد بالله .
(٢) حبة القلب : داخل القلب ، قرارته .
(٣) الجفاء : البعد مع العداوة . النوى : البعد .
(٤) كتمت حب الله في قلبي فعرفه الناس من نحولي واصفرار وجهي وعبرتي (دموعي : بكائي) .
(٥) « شوقي » فاعل « ثنى » . « أعنتي » مفعول به من « ثنى » (رد) .
(٦) راجع مقدمة القصيدة .
(٧) يرى الشيعة أن الإمام محمد المهدي (الامام الثاني عشر الغائب) سيعود في آخر الزمان آتياً من المشرق على رأس جيش كبير فيملأ الدنيا عدلا كما كانت قد ملئت ظلماً .
(٨) يرى الشيعة أيضاً أن الخلافة ليست راجعة الى تفويض البشر ، بل هي منصب ديني نص عليه الله ثم عين الأئمة (الخلفاء) في علي وأبنائه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٩) خمسها : أصابعها الخمس . تومي = تومىء : تشير بالطاعة لنــا والمدح لنا . ويمكن أن يقرأ هذا البيت :
وأي يد مدت لفخر — ولم يكــن لنا خمسها — تومي لفخر ونجدة !
بضم الخاء في خمسها (خمس أموالها) : بدفع زكاتها لنا .

أأحبابَنا ، إنّ الليـالي بَعدَكم رمَتْ بسِهام البَيْن شَمْلي فأصْمَتِ[1]
تَفتَّتَ ، مُذْ غِبتم ، فؤاديَ بالنَّوى ؛ وأيُّ فؤادٍ بالنوى[2] لم يُفتَّتِ !

٤ — تائية عامر بن عامر البصري (عني بنشرها وشرحها الشيخ عبد القادر المغربي) ، دمشق (منشورات المعهد الفرنسي بدمشق) ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .

* * بروكلمان ١ : ٣٠٦ (السطر ٢١ وما يليه) ، الملحق ١ : ٤٦٤ (السطر ١١ والذي يليه) .

ابن سيد الناس

١ — هو فتح الدينِ ابو الفتحِ محمدُ بنُ محمدِ بن محمدٍ[3] (ثلاثَ مرّاتٍ) ابن أحمدَ بنِ عبدِ الله بنِ محمّد بن يحيى .... بنِ سيّدِ الناسِ اليَعْمُري الربعيّ* الإشبيليّ الأندلسي ، أصلُ أهلهِ من إشْبيليَة .

وُلِدَ أبو الفتحِ بنُ سيّدِ الناسِ في القاهرة في رابعِ عَشَرَ ذي القَعْدة من سَنَةِ ٦٦١ هـ (٢٠/ ٩/ ١٢٦٣ م) في الأغلب .

قرأ أبو الفتحِ بنُ سيّدِ الناس على عددٍ كبيرٍ من شيوخِ الحديث والفقه والأدب (زَعَمَ بعضُهم أنّهم يبلغون ألفاً) : سَمِعَ الحديثَ سنة ٦٧٥ هـ من شمسِ الدين ابن العماد ، وفي سَنَةِ ٦٨٥ هـ كتب الحديثَ عن قُطْبِ الدين العسقلانيّ ، كما أخذَ عن ابنِ النحّاسِ[4] ولازم ابنَ دقيقِ العيدِ وتخرّجَ عليه في أصول الفقه وأعادَ عنده[5] . وكان قد انتقلَ إلى دِمَشْقَ فوَصَلَ إليها في آخرِ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٦٩٠ هـ (١/ ٤/ ١٢٩١ م)[6] فَسَمِعَ من نفرٍ من علمائها ، ولعلّه سَمِعَ من

---

(١) البين : البعاد . الشمل : ما اجتمع من الأهل والأصحاب . أصمى : أصاب مقتلا (أصابني البعاد فشردني عن أهلي وبلدي : باعدت بيني وبين الاتحاد بالله ، لأن الامام غائب عن عيني !) .

(٢) النوى : البعد ، الفراق .

(٣) لعل جده أبا بكر محمداً (ولد ٥٩٧ هـ) غادر الاندلس ثم توفي في تونس (٦٥٩ هـ) ، وأن أباه (٦٤٥ — ٧٠٥ هـ) جاء الى القاهرة .

(*) « ربعي » (بكسر العين) نسبة الى ربيع ، و (بفتح الراء والباء) نسبة الى ربيعة ، و (بفتح الراء) نسبة الى الربعة ، وهم حي من بني أسد (ولم أعرف الوجه في ضبط الكلمة أعلاه) .

(٤) بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن محمد بن النحاس الحلبي النحوي شيخ الديار المصرية في علم اللسان . برع في النحو والتفسير والحديث والمنطق والهندسة ؛ دخل مصر وتصدر للتدريس فيها . مات سنة ٦٩٨ هـ (راجع بغية الوعاة ٦) .

(٥) هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن أحمد المعروف بابن دقيق العيد المنفلوطي (٦٢٥ — ٧٠٢ هـ) من علماء الحديث الكبار درس في دمشق حيناً وفي القاهرة . وقد أعاد عنده (كان ابن سيد الناس معيداً في حلقة ابن دقيق العيد : يرد بعده حتى يسمع الجالسون في أواخر الحلقة) .

(٦) وصل الى دمشق قبل وفاة الفخر البخاري (علي بن أحمد) أحد أئمة الحديث. كانت وفاة البخاري =

محمّد بن عبد المؤمن الصوري (توفي في منتصف ذي الحجة ٦٩٠ هـ) .

وتولّى ابنُ سيّد الناس تدريسَ الحديث في المدرسة الظاهرية ومدرسة أبي حلية (أو أبي خليفة !) وفي مسجد الرصد وجامع الخندق . وقد نال حظوةً عند الحُكّام في مِصْرَ والشام . ثمّ كانت وفاتُه في ٢١ شَعْبانَ سنة ٧٣٤ هـ (٢٦/ ٤/ ١٣٣٤ م) في القاهرة .

٢ ــ كان أبو الفتح بن سيّد الناس بارعاً في علوم الحديث والفِقْه كما كان مؤرّخاً وذا باعٍ طويلةٍ في علوم اللغة والأدب . وكذلك كان ناثراً ومُتَرَسِّلاً وشاعراً ؛ وشعرُه قصائدُ ومقطّعاتٌ في الفنون الوُجْدانية في الأكثر ثمّ هو مُصَنِّفٌ له : عيون الأثر في غَزَوات سيّد ربيعةَ ومُضَرَ إذ هي أشرَفُ شمائل البشر[1] ــ بُشْرى اللّبيب بذِكْرى الحبيب[2] ــ المقامات العليّة في الكرامات الجَليّة ــ شرح جامع الترْمذي ــ عُدّة المعاد في عَروض « بانتْ سعاد »[3] . وله أيضاً رسائلُ بينْه وبينَ صلاح الدين الصَفَدي[4] (ت ٧٦٤ هـ) .

قالوا : ولو أكَبّ ابنُ سيّد الناس على العِلم كما ينبغي لشُدّتْ إليه الرِحالُ ؛ ولو كان اشتغالُه بالعلم على قَدْرِ ذِهْنِه لبَلَغَ الغايةَ القُصوى ، ولكنّه كان يتلهّى عن ذلك بمُعاشرة الكِبار (الحكّام والوجهاء)[5] .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال ابنُ سيّد الناس في النسيب والغزل :

قَضَى ولم يَقْضِ من أحبابِهِ أرَبا ... صَبٌّ إذا مرّ خَفّاقُ النسيم صَبا[6] .

= في ثاني ربيع الآخر سنة ٦٩٠. في الدرر الكامنة (٤ : ٣٣١ ، رقم ٤٤٣٧) : « ورحل الى دمشق فاتفق وصوله عند موت الفخر بن البخاري (الفخاري) وكاد يدرك الفخر ففاته بليلتين . وكانت وفاة الفخر ابن الفخار في ثاني ربيع ٦٩٠ (راجع شذرات الذهب ٦ : ٤١٦ س) .

(١) يلفى هذا العنوان مختصراً (راجع المصادر و المراجع) .

(٢) الحبيب (محمد رسول الله) والكتاب قصائد بديعيات (وصف الرسول ومدحه) .

(٣) قصيدة « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » لكعب بن زهير (١ : ٢٨٢) . العروض (بفتح العين) : علم الوزن والقافية .

(٤) راجع عدداً من الرسائل الاخوانية يمتزج فيها النثر بالقصائد (الوافي بالوفيات ١ : ٢٩٣ وما بعد) .

(٥) راجع الدرر الكامنة ٤ : ٣٣١ ، ٣٣٣ – ٣٣٤ (رقم ٤٤٣٧) .

(٦) قضى : مات . لم يقض (لم ينل ، لم يحصل على) . أرب : مقصد ، غاية ، حاجة . صب : محب . صبا : مال ، اشتاق .

راضٍ بما صَنَعَتْ أيدي الغرام بِهِ ، فحَسْبُهُ الحبُّ ما أعطى وما سلبا .
ما ماتَ مَنْ مات في أحبابه كَلَفاً وما قَضَى ، بل قَضَى الحَقَّ الذي وَجَبا[1] .
باللهِ ، يا نَسَماتِ الريحِ ، هل خبرٌ عَنْهُمْ يُعيدُ لِيَ العيشَ الذي ذهبا ؟
بانوا ؛ فأيُّ فؤادٍ لم يَذُبْ أسَفاً ، وأيُّ قلبٍ غَداةَ البَيْنِ ما وَجَبا[2] !
ناديتُ بالسَفْحِ قلباً في ضيافتِهِمْ لا يُذْكَرُ السَفْحُ الاّ حَنَّ مُفتربا[3] ،
غَيرانُ تَصْرَعُهُ الذِكرى إذا خَطَرَتْ والريحُ ان نَسَمَتْ والدَمْعُ ان نَضَبا[4]
يَرْتاعُ للقُضْبِ إن ماسَتْ مَعاطِفُها لِيناً ، وكان يَرُوعُ السُمْرَ والقُضُبا !

— من مقدّمة « عيون الأثر » :

.. .. وبعدُ ، فلمّا وَقَفْتُ على ما جَمَعَهُ الناسُ قديماً وحديثاً مِنَ المجاميعِ في سيرة النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ومَغازيه وأيّامه الى غيرِ ذلك ممّا يتّصلُ بهِ ، لم أرَ إلاّ مُطيلاً مُملاًّ أو مُقصِّراً بأكثرِ المقاصد مُخلاًّ . والمُطيل إمّا مُعْتَنٍ بالأسماء والأنسابِ والأشعارِ والآداب أو آخرُ يأخذُ كل مأخذ في الطُرُقِ والرواياتِ ويَصْرِفُ الى ذلك ما تَصِلَ إليه القُدرةُ من العنايات . والمُقَصِّرُ لا يَعْدو المنهجَ الواحدَ ، ومعَ ذلك فلا بُدَّ وأن يَتْرُكَ كثيراً ممّا فيه من الفوائد ؛ وإنْ كانوا جميعاً — رَحِمَهُمُ اللهُ — هُمُ القُدْوةَ في ذلك ومِمّا جمعوه يَسْتَمِدُّ مَنْ أرادَ ما هنالك . فليسَ لي في هذا المجموعِ الاّ حُسْنُ الاختيارِ من كلامِهِمْ والتبرّكُ بالدخول في نِظامهم .

غيرَ أنّ التصنيفَ يكونُ في عَشْرَةِ أنواعٍ — كما ذَكَرَه[5] بعضُ العلماء — فأحَدُها جمعُ المتفرّقات وهو ما نحن فيه ؛ فانّي أرجو أنّ الناظرَ في كتابي هذا لا يَجِدُ ما ضَمَّنْتُهُ إيّاه في مكان ولا مكانينِ ولا ثلاثة ولا أكثرَ من ذلك إلاّ بزيادةٍ كثيرةٍ تُتْعِبُ القاصدَ وتَتَعذّرُ بها على أكثرِ الناس المقاصدُ . فاقتضى

(١) الكلف : شدة الحب . وجب : لزم ، كان مقضياً (مفروضاً) .
(٢) بانوا : ابتعدوا ، رحلوا . غداة (صباح اليوم التالي من) البين (الفراق) . وجب : خفق (من الحزن والخوف) .
(٣) السفح : أسفل الجبل (وهو هنا رمز) . مفتربا (كذا في الأصل) لعلها : مقتربا (وهو يسعى الى المجيء الى السفح) أو مغتربا (وهو يشكو البعاد) .
(٤) نضب : جف ، سال وجرى (القاموس ١ : ١٣٣) .
(٥) لا حاجة هنا الى الهاء .

ذلك أنْ جَمَعْتُ هذه الأوراقَ وضَمّنْتُها كثيراً ممّا انتهى إليّ من نَسَبِ سيّدِنا ونَبِيِّنا محمّدٍ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ومولدِه ورَضاعهِ ....[1]

وقدِ اتّحَفْتُ الناظرَ في هذا الكتابِ مِنْ طُرَفِ الأشعارِ بما يَقِفُ الاختيارُ عندَه، ومن نُتَفِ الأنساب بما لا يَعْدو التعريفُ حَدّهُ، ومن عَوالي الاسانيد[2] بما يَسْتَعْذِبُ الناهلُ وِرْدَه ويَسْتَنْجِحُ الناقلُ قَصْدَهُ[3].....

٤ ــ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٦ هـ ؛ دمشق ١٣٥٨ هـ !!

بشرى اللبيب في ذكرى الحبيب (تحرير كوزيغارتن) ، ستر السند في شمالي شرقيّ ألمانيا ١٨١٥ م .

* فوات الوفيات ٢ : ٢١١ ــ ٢١٤ ؛ الوافي بالوفيات ١ : ٢٨٩ ــ ٣١١ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٣٣٠ ــ ٣٣٥ (رقم ٤٤٣٧) ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٤٩ ــ ٢٥٢ ؛ شذرات الذهب ٦ : ١٠٨ ــ ١٠٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٣٢ ــ ٩٣٣ ؛ زيدان ٣ : ١٦٨ ؛ بروكلمان ٢ : ٨٥ ، الملحق ٢ : ٧٧ ؛ الاعلام للزركلي ٧ : ٢٦٣ .

جلال الدين القزويني

١ ــ هو الخطيبُ قاضي قُضاةِ الإقليميين (مِصْرَ والشامِ) جلالُ الدين ابو المعالي أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ عُمَرَ بن أحمدَ..... القَزْوينيُّ الأصلِ الدِمَشْقيّ الدارِ ، وُلِدَ في المَوْصِلِ في شَعبانَ من سَنَةِ ٦٦٦ هـ (ربيع ١٢٦٨ م) .

تَفَقّهَ جلالُ الدين القَزوينيُّ على أبيه ثمّ أخذَ عن شمس الدين محمّدِ بن أبي بكرٍ الفارسي الأيكيّ (ت ٦٩٧ هـ) وعن شهابِ الدين محمّدِ بنِ المجدِ الإرْبِليّ (ت ٧٣٨ هـ) وسَمِعَ من أبي العبّاس الفاروثيّ .

وكان آلُ القزويني قد رَحَلوا من الموصل الى بلاد الروم ثمّ جاءوا الى دِمَشْقَ ، نحو سَنَةِ ٦٧٩ هـ واستقرّوا فيها . وفي دِمَشْقَ تصدّرَ جلال الدين للتدريس منذ سَنَةِ ٦٩٣ هـ . وفي سَنَةِ ٧٠٦ هـ تولّى الخَطابةَ في الجامع الأُمويّ . ثمّ انه تولّى

---

(١) يورد ابن سيد الناس هنا أدوار حياة الرسول (الموضوعات التي تناولها في كتابه) .

(٢) عوالي الأسانيد : سلسلة السند التي تصل بها الرواية الى الرسول نفسه أو قريباً منه .

(٣) الناهل : الذي يشرب للمرة الأولى ، والذي يشرب حتى يرتوي . الورد : المجيء الى مكان شرب الماء (النهر أو النبع) .

القضاء في الشام ومصرَ في فتَرات متُعاقبةٍ أو متُبَاعدة ، فانّ حياتَه لم تكن مُسْتَقِرّةً بما كان يكيدُ له أعداؤه وحُساده عند الوُلاة والأمراء . من أجل ذلك كَثُرَ تردّدُ جلالِ الدين القزوينيّ بينَ دِمَشْقَ والقاهرة .

وكانت وفاةُ جلال الدين القزوينيّ في دِمَشْــقَ ، سَنَةَ ٧٣٩ ، في ١٥ جُمادى الأُولى في الاغلب (خريف ١٣٠٨ م) .

٢ ــ اشتغلَ جلالُ الدين القزويني بأنواعِ العلوم . ثمّ هو رأسُ علماء البلاغةِ في عصره اعتمدَ في تفصيلها وتوضيحها على السكّاكي (فوق ، ص ٤٨٤) كما اعتمد المتأخّرون من علماء البلاغة عليه هو . وللقزوينيّ كتابانِ شُهِرَ بهما :

أ) تلخيصُ المفتاح : اختصرَ القزوينيُّ فيه القِسْمَ الخاصَّ بعلم البلاغة من كتاب « مفتاح العلوم » للسكاكيّ ، حَذَفَ الحَشْوَ وشَذّبَ التَطويلَ ووَضّحَ بعضَ غامضهِ ثمّ زادَ فيه شيئاً من الشواهد والفوائد .

ب) الإيضاح في علوم البلاغة : رأى القزوينيُّ أنّه قد جاوزَ الحدَّ في اختصارِ « مفتاح العلوم » في كتابه « تلخيصِ المفتاح » فعادَ فَشَرَحَ كتابَه « تلخيصَ المفتاح » وفصّلَ فيه بعضَ ما كان قد أجملَه إجمالاً شديداً ثم زادَ فيه كثيراً من الأمثلة والشواهد . وجرَى جلالُ الدين القزوينيُّ على خُطا السَكّاكي فتابعه في تَحْكيمِ العقلِ والمنطق في دِراسةِ أوجُهِ البلاغة ــ على ما كان العربُ قد سَلَكوا في أصول علم الكلام وفي درس الفلسفة .

ومن مؤلّفاتِ جلال الدين القزويني أيضاً : الشَذْر المَرجانيّ في شعر الأرّجاني (مختارات) .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من فاتحة « التلخيص في علوم البلاغة » :

..... أمّا بعدُ فلمّا كان علمُ البلاغةِ وتوابِعها من أجلِّ العلوم قدراً وأدَقّها سِرّاً ، إذ به تُعْرَفُ دقائقُ العربيةِ وأسْرارُها وتُكْشَفُ عن وُجوهِ الإعجازِ في نَظْمِ [1] القُرآنِ أستارُها ، وكان القِسْمُ الثالثُ من « مِفتاحِ العلوم » الذي صَنّفه

(١) نظم القرآن : تركيب جمله وأسلوبه المعجز للبشر (مع انه بلغة يتكلمها أهل الفصاحة والبلاغة من البشر) .

الفاضلُ العلاّمةُ أبو يعقوبَ يوسفُ السَكّاكي[١] أعظمَ ما صُنِّفَ فيه من الكُتُبِ المشهورةِ نَفْعاً لكونه أحسنَها ترتيباً وأتَمَّها تحريراً[٢] وأكثرَها للأُصول جمعاً ؛ ولكن كان غيرَ مَصُونٍ عن الحَشْوِ والتطويلِ والتعقيدِ ، قابلاً للاختصار مُفْتَقِراً الى الإيضاح والتجريد[٣] ، ألَّفْتُ مُخْتَصراً يتضمّنُ ما فيه من الفوائدِ ويشتملُ على ما يُحتاجُ إليه من الأمْثِلَةِ والشواهد . ولم آلُ جُهْداً[٤] في تحقيقِه وتهذيبِه ، ورتَّبْتُه ترتيباً أقربَ تناوُلاً من ترتيبه . ولم أُبالِغْ في لَفْظِه تقريباً لِمُتَعاطيهِ وطَلَباً لتسهيلِ فَهْمِه على طالبيهِ . وأضَفْتُ إلى ذلك فوائدَ عَثَرْتُ في بعضِ كُتُبِ القومِ[٥] عليها ، وزوائدَ لم أظفَرْ في كلامِ أحدٍ بالتصريحِ بها والإشارة إليها ، وسَمَّيْتُه تلخيصَ المفتاح ....

٤ ـ تلخيص المفتاح ، كلكتّا ١٨١٥ م ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٦ هـ ، ١٢٨٠ هـ، ١٣١٠ هـ، ١٣٢٣ هـ؛ وهنالك عدد من الطبعات ظهرت في القاهرة بلا ذكر لتاريخ الطبع ، منها طبعة ضبطها وشرحها عبد الرحمن البرقوقي (المكتبة التجارية الكبرى) ؛ ثم (بتحقيق عبد الرحمن البرقوقي) ، القاهرة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) ؛ ثمّ ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) ؛ الاستانة بلا تاريخ ، ثمّ ١٢٦٠ هـ ؛ بيروت ١٣٠٢ هـ . وقد ظهر هذا الكتاب أيضاً في القاهرة ضمن عدد من المجاميع : (طبعة حسن الطوخي) ١٢٩٦ هـ؛ ١٣٠٣ هـ ؛ (مطبعة السيد علي) ١٣٠٤ هـ ؛ (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ ؛ (المطبعة الشرفية) ١٣٠٦ هـ ؛ (مطبعة أبي زيد) ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ هـ ؛ (المطبعة الحميدية المصرية) ١٣٢٣ هـ ؛ (مطبعة أبي الذهب) ١٣٢٤ هـ .

الايضاح ، بولاق ١٣١٧ هـ ؛ (بتصحيح أحمد مصطفى الفقي) ، على هامش كتاب شروح التلخيص ، القاهرة (محمّد صبيح وأولاده) ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٦ م ؛ (بتحقيق عبد المتعال الصعيدي) ، الطبعة الخامسة ، القاهرة (مكتبة الآداب) بُعيد ١٩٥٠ ؛ بتحقيق محمّد عبد المنعم خفاجي) ؛ القاهرة ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م ؛ القاهرة (محمّد علي صبيح) ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ م ، ثمّ (مشروحاً) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م ؛ (بتحقيق لجنة من أساتذة كلّية اللغة العربية بجامعة الأزهر) ، القاهرة ...

* تهذيب الايضاح (هذّبه ورتّبه عزّ الدين التنوخي) ، دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .

شروح التلخيص (وهي : مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح ـ مواهب الفتّاح في

---

(١) راجع ، فوق ، ص ٤٨٤ .

(٢) التحرير : الضبط والدقة في صوغ النصوص .

(٣) التجريد : حذف الأمور الزائدة والتي تدخل شيئاً من الغموض على الموضوع الأصلي .

(٤) لم أترك محاولة (لتسهيل فهمه على الناس) .

(٥) القوم : (هنا) المؤلفون في موضوع البلاغة .

شرح تلخيص المفتاح لأبي يعقوب المغربي – عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكيّ – الايضاح –[1] حاشية الدسوقي على شرح السعد[2] ، القاهرة (البابي) ١٩٣٧م.
بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (تحقيق عبد المتعال الصعيدي) ، القاهرة (مكتبة الآداب) بعد ١٩٥٠ م .
القزويني وشروح التلخيص ، تأليف الدكتور أحمد مطلوب (منشورات مكتبة النهضة ببغداد) ، بغداد (مطابع دار التضامن) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .
الوافي بالوفيات ٣ : ٢٤٢ – ٢٤٣ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ١٢٠ – ١٢٣ (رقم ٣٨٦٨) ؛ البدر الطالع ٣ : ١٨٣ – ١٨٤ ، من ذيول العبر ٢٠٥ – ٢٠٦ ؛ بغية الوعاة ٦٦ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٦ – ٢٧ ، الملحق ٢ : ١٥ – ١٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٦٦ .

محمّد بن القاسم الواسطي

١ – هو شمسُ الدينِ محمّدُ بنُ القاسمِ بنِ أبي البدرِ المَلِيحي الواسطيُّ ، وَلِدَ نحوَ سَنَةِ ٦٧٥هـ (١٢٧٦–١٢٧٧ م) ودَرَسَ الفِقْهَ بأصولِه وفُروعه، وتَلَقّى القِراءاتِ على أحمدَ بنِ غزالٍ الواسطيِّ المُقرىء (٦٢٧–٧٠٧ هـ)، وقد مَهَرَ في القِراءات خاصّةً . ثمّ أصْبَحَ خَطيباً في بَغْدادَ في الجامعِ الذي أنشأه الوزيرُ محمّدُ بنُ فضلِ اللهِ بنِ رشيدِ الدولةِ الهَمَذانيّ (ت ٧٣٦ هـ) . وكانت وفاتُه في الجُمُعَةِ الأخيرةِ من شَهرِ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٧٤٤ هـ (شباط – فبراير ١٣٤٤ م) .

٢ – اشْتَهَرَ مُحمّدُ بنُ القاسمِ الواسطيُّ بأنّه كان ماهراً في القِراءات حَسَنَ الصوتِ بعيدَ الصيتِ في الوَعْظِ . وكانتْ له خُطَبٌ وقصائدُ ومُوَشّحاتٌ؛ له قصيدةٌ في القِراءاتِ العَشْرِ ، وله قصائدُ طِوالٌ ومقطّعاتٌ قِصارٌ ؛ غيرَ أنّه يجيدُ في المُقطّعاتِ . وعلى قَصائدِهِ شيءٌ من النَفَسِ الصوفيّ ومِنَ الضَعْف .

٣ – مختارات من شعره

جاء شخصٌ إلى محمّدِ بنِ القاسمِ الواسطيِّ وأنشدَه بَيْتَيْنِ ، وسألَه أن يزيدَ عليهما ، والبيتانِ هما :

---

(١) الايضاح للقزويني نفسه (انظر قبل بضعة أسطر) مطبوع بهامش شروح التلخيص .
(٢) حاشية محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ على شرح سعد الدين التفتازاني (بهامش شروح التلخيص) .

أيامَنا بالحِمى ، حُيِّيتِ أيـّاماً ، وزادكِ اللهُ إجـلالاً وإكراما[1] .
بالأمسِ قد كنتِ أحلى ما بأنفُسِنا ؛ فما أصابَكِ حتّى صِرتِ أحْلاما !

ــ فزاد محمّدُ بنُ القاسمِ الواسطيُّ عليهما ثلاثةَ أبياتٍ ، فقال :

يا سادةً جرّحوا قلبي ببَيْنِهِـمُ وحمّلوه على الآلامِ آلاما[2] ،
للهِ ليْلاتُ أُنسٍ كُنَّ لي بِكُـمُ عَصَيْتُ فيهنّ عُذّالاً ولُوّاما[3] ،
كانتْ لنا من عَطِيّاتِ الزمانِ ، فمـا دامتْ علينا ولا المُعْطي لهـا داما !

ــ وله من قصيدة :

أنوحُ إذا الحادي بذِكْرِكُمُ غَنّى ، وأبكي إذا ما البرقُ من نَحْوِكم عَنّا[4] .
بِكُمْ وَلَهي ، لا بالعُذَيبِ وبالنّقـا ، وأنتُمْ مُرادي لا سُعادٌ ولا لُبنى[5] .
يَلَذُّ لِيَ الليلُ الطويلُ بذِكْرِكُمْ ؛ فما أطيبَ الليلَ الطويلَ إذا جَنّا[6] !
أحِبَّتَنا ، أينَ المواثيقُ بَيْنَنـا زمانَ خَلَوْنا بالحِمى وتعاهَدْنا .
ظَنَنّاكُمُ للعُمْرِ ذُخْراً وعُدّةً ، فيا قُرْبَ ما خَيَّبْتُمُ فِيكُمُ الظنّا !
وأقْسَمْتُمو ألاّ تَحولوا عن الوفا ، فحُلْتُمْ عن العَهْدِ القديمِ وما حُلْنا[7] .
لئن عادَ ذاكَ العيشُ ، يا سادتي ، بكم وعُدْنا الى تلك الديارِ كما كُنّا ،
غَفَرْتُ لأيـامي جميعَ ذُنوبِهـا وقُلْتُ : لكِ الإنعامُ عِنْدِيَ والحُسنى !

٤ ــ * فوات الوفيات ٢ : ٣٦٨ ــ ٣٧٨ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٢٦٠ (رقم ٤٢٤٢) ؛ بروكلمان ٢٠٥ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٢٨ .

---

(١) الحمى : المكان المحمي (الأمين) ، الذي يجب الدفاع عنه (المسكن المألوف) .
(٢) البين : البعاد ، الفراق .
(٣) العاذل : الذي يلوم المحبين خاصة .
(٤) الحادي : الذي يسوق القافلة (هو يغني عادة حتى يخفف عن المسافرين ملل السفر والشعور بطول الطريق) . عنّ البرق : بدا ، ظهر .
(٥) الوله : ذهاب العقل من الحب . العذيب (النبع العذب أي الحلو ، اذا كان صغيراً) والنقا (الرمل الأبيض) كناية عن الأماكن المألوفة للسكن . سعاد ولبنى كناية عن النساء عامة .
(٦) جن الليل : غطى ما حولنا (بدأ ، اشتد) .
(٧) حال : انتقل ، انقلب ، تغير .

يحيى بن حمزة العلويّ

١ ـ هو يحيى بنُ حمزةَ بنِ عليٍ بنِ ابراهيمَ العَلَويّ اليمنيّ من ملوكِ اليمن ، يتّصل نسبُه بالحسين بن عليّ بن أبي طالب .

وُلِدَ يحيى بنُ حمزة العلويُّ في صنعاء في ٢٧ من صفر سنة ٦٦٩ هـ (١٥/ ٩/ ١٢٧٠ م) واشتغل من أوّل عمره بتحصيل أنواع العلوم حتّى بلغ فيها مبلغاً كبيراً .

ولمّا توفّي الامامُ المهديُّ محمّدُ بنُ المطهّرِ بنِ يحيى[١] أظهرَ يحيى بنُ حمزة ابن عليّ الدعوةَ لنفسهِ وتلقّب باسْمِ المؤيّدِ بالله (أو المؤيّد بربّ العِزّة) فقاوَمَهُ نفرٌ من ذوي الجاه منهم الإمامُ عليّ بن صلاح بن ابراهيم والامامُ الواثق المُطَهّر ابن محمّد بن المطهّر والسيدُ أحمدُ بنُ عليّ بن أبي الفتح الدَيْلمي ، غيرَ أن الناسَ استجابوا لدعوة يَحْيى بن حمزة . ولكن يبدو أنّ أمورَ اليمن لم تكن في ذلك الحينِ مستقرّةً فلم يَثْبُتِ المُلْكُ في نِصابٍ واحدٍ لتنازع العصبيّات .

وكانتْ وفاةُ يَحْيى بن حمزة في حصن هران، قِبليّ* ذَمار سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٥ م)[٢] .

٢ ـ كان يحيى بنُ حمزةَ العلويّ من أكابر الزيديّة[٣] ومن جِلّة علمائهم ومن الذين يُنْصفون مُخالفيهم في الرأي ، كثيرَ الدفاع عن الصَحابة وعن أكابر أئِمّةِ الدين عادلاً زاهداً يجمع بينَ العِلْمِ والعمل ويسير في الأمّة سيرةَ الأمْرِ بالمعروفِ والنَهْي عن المنكر . وكذلك اشتهر بكَثْرة التصنيف للكتب في الموضوعات المختلفة في الحديث والأُصول والفِقه والبلاغَة والمَنْطِق والادب واللغة والتصوّف . من هذه الكتب : نِهاية الوصول الى علم الاصول ـ التمهيد لعلوم العدل والتوحيد ـ الحـاوي (في أصول الفقـه) ـ الاقتصاد ـ المُحَصّل في شرح المفصّل ـ المِنهاج (والثلاثة الاخيرة في النحو) ـ الايجاز ـ الطِراز (وهما في البلاغة) ـ

---

(١) في تواريخ هذه الترجمة تضارب في الاصل . كانت وفاة المطهر سنة ٧٢٧ أو ٧٢٨ هـ (١٣٢٦ م) ؛ وكانت دعوة يحيى بن حمزة لنفسه سنة ٧٢٧ أو ٧٢٨ أو ٧٢٩ هـ .

(٢) في البدر الطالع (٢ : ٣٣٣) : « ومات في سنة ٧٠٥ خمس وسبعمائة » وهذا خطأ مطبعي أو وهم من الناسخ .

* القبلة في اليمن تتجه إلى الشمال .

(٣) الزيدية هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهم يرون أن علياً كرم الله وجهه كان أحق بالخلافة ، ولكنهم يقبلون خلافة أبي بكر وعمر على أنها وقعت في نطاق التاريخ وبرضا الصحابة ، وإلى الزيدية تعود القاعدة الفقهية : « جواز إمامة المفضول (كأبي بكر وعمر) عندهم مع وجود الأفضل (كعلي) .

الأنوار المضيّة في شرح الاحاديث النبوية ــ القانون والمحقّق في علم المنطق ــ الرسالة الوازعة للمعتدين عن سبّ أصْحاب سيّد المرسلين . ومن كتبه المشهورة : كتاب الانتصار على علماء الامصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمّة وأقاويل الامّة (في ثمانيةَ عشَرَ جزءاً) ــ الحاصر لفوائد مقدمة طاهر (وهو شرح مُقَدِّمة ابن بابشاذ المصري النحوي) ــ كتاب الطِراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ــ خلاصة السيرة (لابن هشام) ــ اللباب في محاسن الآداب .

وكتاب الطراز مرتّبٌ على ثلاثةِ فنونٍ : الفنّ الاوّل يتألّف من مُقدّماتٍ في تفسير علم البيان وماهيّته ومنزلتهِ في العلوم ثمّ في الألفاظ الدائرة بين الحقيقة والمجاز مَعَ أقسام المَجاز وأحكامهِ والفَرْقِ بين الحقيقة والمجاز ، ثمّ في مفهوم الفصاحة والبلاغة وما يكون على جِهة الاشتراك بينهما . الفنّ الثاني : استعمال المجاز ثمّ التشبيه ثمّ الاستعارة وأقسامها وأحكامها ، ثمّ حقائق التشبيه ثمّ الاوصاف المحسوسة والاوصاف العقلية ثمّ أقسام التشبيه وأحكامه ثمّ التفريق بين التشبيه وبين الكناية ....

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من مقدّمة كتاب الطِراز :

..... أما بعدُ ، فانّ العلومَ الادبية ــ وان عَظُمَ في الشرفِ شانُها وعلا على أوْج الشمس قَدْرها ومكانها ــ خلا أنّ[1] علم البيان هو أميرُ جنودها .... كيف لا وهو المُطَّلِعُ على أسرار الإعجاز والمستَوْلي على حقائق علم المَجاز . فهو من العلوم بمنزلة الانسان من السواد ، والمُهَيْمِنُ عليها[2] عند السَبْر والحكّ والانتقاد[3] ....

ثمّ انّ المقصود بهذا الإملاء هو الاشارةُ الى مَعاقدِ هذا العلمِ ومناظمه ، والتنبيهُ على مقاصدهِ وتَراجمه. وقد كَثُرَ فيه خَوْضُ علماء الأدب ؛ وأتى فيهِ كلٌّ بمَبْلَغِ جِدّه وجُهْده ..... وأتَوْا فيه بالغَثّ والسمين والنازل والثمين . وهم ــ في ما أتَوْا به من ذلك ــ فريقانِ . فمنهم من بَسَطَ كلامَه في نِهايةَ البسط ،

---

(١) كذا في الاصل ؛ والصواب : فان ، أو إلا أن .

(٢) = بمنزلة انسان العين (النقطة التي يرى بها الانسان) من سواد العين (البؤبؤ) .المهيمن : المسيطر .

(٣) السبر : الاختبار بالغوص على الباطن (كقياس عمق الجرح بالمسبار). الحك: الاختبار بصدم جسم بجسم آخر . الانتقاد : تمييز الحسنات من السيئات .

وخلط فيه ما ليس منه فكان آفتُه الإملالَ . ومنهم من أوْجزَ فيه غاية الإيجاز وحذف منه بعضَ مقاصده فكان آفتُه الإخلالَ . ولم أُطالِـعْ من الدواوين المؤلّفة فيه — مَعَ قِلّتها ونُزورها — إلاّ أكتبة[1] أربعةً أوّلُها كتابُ « المَثَل السائر » للشيخ أبي الفتح نَصْر بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير[2] ، وثانيها كتاب « التِبْيان » للشيخ (عبد الواحد بن) عبد الكريم * ، وثالثها كتاب « النِهاية » لابن الخطيب الرازي ** ، ورابعها كتاب « المِصْباح المُنير » لابن سراج المالكي .

وأوّلُ من أسّس من هذا العلم قواعِدَهُ وأوضحَ براهينَه وأظهر فوائدَه ... عبدُ القاهر الجُرجانيُّ ..... وله من المُصَنَّفاتِ فيه كتابان: أحدُهما لَقّبه بـ « دلائل الإعجاز » والآخرُ لقّبه بـ « أسرار البلاغة » . ولم أقِفْ على شيء منهما — مَـعَ شَغَفي بحُبّهما وشِدّة إعجابي بهما — الاّ ما نقله العُلماءُ في تعاليقهم منهما .....

ثمّ إنّ الباعث على تأليف هذا الكتابِ هو أنّ جماعةً من الإخوان شَرَعوا عليّ في قراءة كتاب « الكَشّاف» تفسير الشيخ العالم المحقّق أستاذِ المفسّرين محمودِ بنِ ابنِ عُمَرَ الزَمَخْشَرِيِّ[3] فانّه أسّسه على قواعدِ هذا العلم ، فاتّضح عند ذلك وجهُ الإعجاز من التنزيل ، وتحقّقوا أنه لا سبيلَ إلى الاطّلاع على حقائق إعجاز القرآن إلا بالوقوف على أسراره وأغواره . ومن أجل هذا الوجه كان متميّزاً من سائر التفاسير مؤسّساً على عِلْمَيِ المعاني والبيان سواءً . فسألني بعضُهم أن أُمْلِيَ فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق ؛ فالتهذيبُ يَرْجِـعُ الى اللفظ ، والتحقيق يَرْجِـعُ الى المعاني ، إذ كان لا مندوحة لأحدِهما عن الثاني[4] .

وأرجو أن يكونَ كتابي هذا متميّزاً من سائر الكتبِ المصنّفةِ في هذا العلم بأمْرَيْنِ : احدُهما اختصاصُه بالترتيب العجيب والتَلْفيق الأنيق الذي يُطْلِـعُ الناظرَ من أول وَهْلَة على مقاصد (هذا) العلم ويفيده الاحتواءَ على أسراره ؛ وثانيهما اشتمالُه على التسهيل والتيسير والإيضاح .. والتقريب ..... فلما صُغْته هذا المَصاغَ[5] الفائقَ وسَبَكْتُه على هذا القالَبِ الرائقِ سَمَّيْتُه « بكتاب الطِراز المتضمّن

(١) النزور : الندرة ، القلة . الأكتبة (المقصود : الكتب جمع كتاب) .
(٢) ضياء الدين بن الاثير (راجع ، فوق ، ص ٥٣٥) .
* الزملكاني (راجع، فوق ، ص ٥٧٠). ** فخر الدين الرازي (ص ٤٤٢) .
(٣) الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) راجع ، فوق ، ص ٢٧٧ .
(٤) لا مندوحة : لا متسع ، لا سعة (يقصد : لاغنى) .
(٥) .... صغته هذه الصياغة .

لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » ليَكونَ اسْمُهُ مُوافِقاً لمُسَمّاه ولفظُه مُطابِقاً لمعناه .

٤ — الطراز (بتصحيح سيّد بن عليّ المرصفي)، مصر (مطبعة المقتطف) ١٣٣٢هـ — ١٩١٤م؛ ثمّ ١٣٣٨هـ.

* البدر الطالع ٢ : ٣٣١ — ٣٣٣ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٣٧ ، الملحق ٢٣٣ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ١٧٤ — ١٧٥ .

الأُدفويّ

١ — هو كمالُ الدين أبو الفضلِ جعفرُ بنُ تَغْلِبَ (أو ثعلَب) بنِ جعفرٍ الأدْفُويّ ، وُلِدَ في شَعبانَ من سَنَةِ ٦٨٥هـ (١٢٨٦م) في أَدْفو بصَعيدِ مصْرَ . سَمِعَ الحديثَ في قُوصَ وفي القاهرةِ ، وكان تلميذاً لابن دَقيقِ العيدِ وأبي حيّانَ الغَرْناطيّ . وقد أقام في بُستانٍ له بجِوارِ القاهرة . وكانت وفاةُ الأدْفويّ في القاهرة ، في عاشرِ صَفَرَ من سَنَةِ ٧٤٨هـ (٢٣/٥/١٣٤٧م) ، ودُفِنَ في مقابر الصوفية .

٢ — كان الأدفويّ فقيهاً ولُغَويّاً ، وكانتْ له خِبْرَةٌ في النظم والنَثْر ، كما كان مؤلّفاً مشهوراً ، له الطالع السعيدُ الجامعُ لأسماءِ نُجباءِ الصعيدِ — البدرُ السافر وتُحْفَة المسافر (تراجم لرجالٍ من القرون الخامس والسادس والسابع ، وأكثرُهم الشعراء) — الإمتاع بأحكام السَّماع — فرائدُ الفوائدِ ومقاصِد القواعد (في فروع الفِقه) — المُفْتي في معرفة التصوّف والصوفي .

٣ — مختارات من آثاره

— للأدفويّ أبياتٌ يشكو فيها من حالِ العِلم وحالِ رجال العلم في أيامِه :

إنّ الدروسَ بِمِصْرِنا في عَصْرِنا طُبِعَتْ على غَلَطٍ وفَرْطِ عِياطِ
ومَباحثٍ لا تنتهي لنِهايةٍ جَدَلاً ، ونَقْلِ ظاهرِ الأغلاط ؛
ومُدَرِّسٍ يُبْدي مَباحثَ كلُّها نشأتْ عن التَخْليط والأخلاط .
وفلانةٌ تَرْوي حديثاً غالباً ، وفلانُ يَرْوي ذاك عن أسْباط .
والفاضلُ النِحريرُ فيهم دأبُه قولُ أرِسْطوطاليسَ أو بُقْراط .
وعلومُ دينِ اللهِ نادَتْ جَهْرةً : هذا زمانٌ فيه طَيُّ بِساطي[1] !

---

(١) طوي بساطه : بطل الاهتمام به .

ـ وقال الأدفوي في مقدّمة «الطالع السعيد» :

... ولمّا كان صعيدُ «قوص» الموضعَ الذي فيه نشأتي والمكانَ الذي إليه نسبتي والمَحلّة التي فيها عُشّي الذي منه درَجْتُ وخَشّي الذي منه خرجتُ[1]، وأرضُه الأرضَ التي هي أولُ أرضٍ مَسّ جلدي تُرابُها ولَذّ لِطَرْفي آكامُها وظِرابُها وحَلا لقلبي أرجاؤها ورِحابُها[2]، والتي أمْطَرَ الرزقَ عليّ سحابُها ووُضِعَتْ عنّي بها التمائمُ وأقمْتُ بها الى أن طارَ من رأسي غُرابُها[3]، وهي التي فيها أقولُ :

أحِنُّ الى أرضِ الصَعيدِ وأهلِها ، ويزدادُ شوقي حينَ تبدو قِبابُها[4].
وتذكُرُها في ظُلمةِ الليلِ مُهجتي فتجري دُموعي إذ يزيدُ التهابُها .
وما صَعُبَتْ يوماً عليّ مُلِمَّةٌ وشاهدتُها إلاّ وهانت صِعابها[5] :
بلادٌ بها كان الشبابُ مُساعدي على نَيْلِ آمالٍ عزيزٍ طِلابُها[6] ؛
وقَضَّيْتُ صَفْوَ العيشِ في عَرَصاتِها ، لذلك يحلو للفؤاد رِحابُها[7] .
مواطِنُ أهلي ثمّ صَحْبي وجيرتي وأوّلُ أرضٍ مسّ جِلدي تُرابُها !

فأحْبَبْتُ أن أُحْيِيَ ما مات من علمِ عُلمائها وأَنْشُرَ ما انْطوى من فضلِ فُضلائها ، وأُظْهِرَ ما خَفِيَ من نَشْرِ بُلَغائها ودَرَسَ من نَظْمِ شُعرائها ، وأذكُرَ ما نُسِيَ من مكارمِ كرمائها وكرامةِ صُلَحائها ؛ فالمرءُ يُكْرَمُ بكرامةِ أهلِه كما يَعْظُمُ بنُبْلِه وفضلِه .

---

(١) الصعيد : مصر العليا (جنوبي مصر). العش (بضم العين) بيت العصفور المبني في الشجر. الخش : الشق (في الجدار ونحوه). درج الصبي (الصغير) : مشى (بدأ مشيه). «ليس هذا بعشك فادرجي» مثل معناه : ليس لك في هذا الأمر حق (يضرب هذا المثل لمن يرفع نفسه فوق قدرته ولمن يتعرض لما هو ليس منه أو لا يتصل به أو لا يقدر عليه). وخشي الذي منه خرجت : البلد الصغير الذي جئت منه .

(٢) الطرف : العين ، البصر . الظراب (بالكسر) : الظرب (بفتح فكسر) : ما نتأ من الحجارة (كناية عن الارض الضيقة القاحلة). الارجاء جمع رجا (المثنى رجوان) : النواحي . الرحاب (جمع رحبة بفتح الراء) : البقعة الواسعة من الارض .

(٣) وضعت عني التمائم (جمع تميمة : حرز ، شيء يعلق على الاطفال لدفع العين والأذى) : نشأت ، جاوزت حد الطفولة . طار عن رأسي غرابها : أصبح شعري الاسود أبيض .

(٤) حين تبدو (لي) قبابها : حينما أكون قادماً من سفر فأرى رؤوس بيوتها من بعيد .

(٥) الملمة : النازلة الشديدة (المصيبة العظيمة) .

(٦) عزيز : صعب . الطلاب : الطلب ، محاولة الوصول الى المراد .

(٧) قضيت صفو العيش (يقصد : عاش أحسن أيام حياته) . العرصة (بفتح العين وسكون الراء) : قطعة من الارض لا بناء فيها ، والباحة المكشوفة أمام البيوت.

وكان شيخي .... أثيرُ الدين أبو حيّان محمّدُ بنُ يوسفَ الأندلسيُّ الغَرْناطيُّ(١) ... أشارَ عليّ أن أعمَلَ تاريخاً للصعيدِ مرّةً ومرّةً وراجَعني في ذلك كَرّةً بعدَ كرّة ، فرأيتُ امتثالَ اشارته عليّ مُتعَيِّناً حَتْماً والإعراضَ عن إجابته غُرماً لا غُنماً(٢) . فشَرَعْتُ في هذا التأليفِ مُرَتَّباً على الأسماء(٣) ، ولم أجِدْ مَنْ تقدّمني فيه فأكونَ تابعاً ؛ ولا مَنْ أسألُه فأكونَ لما يُورِدُهُ جامعاً . فأنا مبتكرٌ لهذا العملِ مُلْجَأٌ الى الفتور والكسل مُتَحَرٍ الى حصول الخَلَل(٤) مُتَصَدٍ لما أنا منه على وَجَلْ . لكنّي أبذُلُ فيه جُهدي(٥) وأوردُ منه ما عندي . وأخُصُّ به « قوص » وما يُضاف إليها من القُرى والبلاد ، وأقْصُرُهُ على أهلِها ومَنْ وُلِدَ بها ومَنْ أقام بها سِنينَ حتّى دُفِنَ بها ونُسِبَ إليها من العباد ، أو تأهّلَ بها وله بها نَسْلٌ أو مَنْ له منها أصلٌ(٦) . ولا أذكُرُ إلاّ من له عِلمٌ أو أدبٌ ، أو صلاحٌ بَلَغَتْ رُتْبَتُه فيه غايةَ الرُتَب ، أو مَنْ سَمِعَ حديثاً فأُصَيِّرَ ما قَدُمَ من ذِكْره حديثاً(٧) . ولا أذكُرُ الأحياء إلاّ في النادر لِغَرَض أو لأمرٍ عَرَضٍ : إمّا لقِلّة الأسماء في الحَرْف أو مَنِ احتوى على مَكارمَ أو حَوَى كمال الظَرْف(٨) ، أو مَنْ كان له إحسانٌ عليّ وبِرٌّ ساقَهُ إليّ ، فشُكْرُ المُحْسِنِ مُتَعَيِّنٌ والاعترافُ به من الحقِّ البَيِّن ..... وسَمَّيْتُه « الطالعَ السعيد الجامعَ أسماءَ نُجباءِ الصعيد ..... »

٤ ــ الطالع السعيد لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد (طبع على نفقة عبد الرحمن عليّ قريط) ، مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ؛ ١٩١٩ م ؛ الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد (تحقيق سعد محمّد حسن) القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ١٩٦٦ م .

---

(١) أبو حيان الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ) من علماء النحو.
(٢) متعيناً علي حتماً : واجباً علي أنا وملزماً . الغرم : الخسارة .
(٣) شرعت : بدأت . على الاسما = على الأسماء : على ترتيب الأحرف الأولى من الاسماء (أحمد ، بدر ، جعفر ، حاتم ، الخ) .
(٤) ملجأ ... الخلل (المعنى غامض) .
(٥) متصد له : أحاول القيام به . وجل : خوف . الجهد (بضم الجيم) : أقصى طاقة الانسان .
(٦) أقصره على أهلها : أجعله قاصراً (مخصوصاً بهم لا يتعداهم الى غيرهم) . تأهل واتّهل : تزوج . من له منها أصل : من يرجع أصل (آبائه) اليها .
(٧) من سمع حديثاً (درس فيها أحاديث رسول الله) . حديث « الثانية » : جديد ، أو موضوع حديث بين الناس .
(٨) لقلة الاسماء في الحرف (اذا لم يكن هنالك أحد مشهور في حرف الضاد أو الظاء مثلا أو لقلة الاسماء في ذلك الحرف) .

** الدرر الكامنة ٢ : ٧٢ – ٧٣ (رقم ١٤٥٢) ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٢٦ ؛ البدر الطالع ١ : ١٨٢ – ١٨٣ ؛ شذرات الذهب ٦ : ١٥٣ ؛ زيدان ٣ : ١٧٤ ؛ بروكلمان ٢ : ٣٩ ، الملحق ٢ : ٢٧ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ١١٦ .

ابن فضل الله العُمريّ

١ – هو شِهابُ الدينِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ يحيى بنِ فضلِ اللهِ بن يحيى من نسلِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ الخطّاب ، ولذلك قيل له العُمريّ ؛ وُلِدَ في دِمَشْقَ في ثالثِ شوّالٍ من سَنَةِ ٧٠٠ ﻫ (١٢/٦/١٢٠١ م) .

تَلَقّى ابنُ فضلِ اللهِ العُمريُّ العلمَ على أبيهِ وعلى جَماعة من العلماء في دِمَشْقَ والقاهرةِ والإسكندريةِ والحِجاز : أخذَ اللغة عن أثيرِ الدين بن حَيّان وقرأ العربيةَ (النحو) على كمال الدين بن قاضي شُهْبة وشمسِ الدين بن مسلم ، وتفقّه على شهابِ الدين بنِ المجدِ عبدِ الله وبرهان الدين الفزاريّ (العزازي !) وتقيّ الدين ابن تَيْمِيّةَ ، وقرأ أصولَ الفِقْه على شمس الدين الاصفهاني ، ودرس العَروض على شمس الدين بن الصائغ وعلاء الدين الوَداعي ، وقد قرأ على الوداعيّ عدداً من دواوينِ العرب أيضاً .

وكان كثيرٌ من آلِ فضلِ اللهِ العُمريِّ في خدمةِ الدولة ، وكان أبوه كاتباً للسر في القاهرة فباشَرَ هو كتابةَ السرِ نيابةً عن أبيه. ثمّ بَدَرَتْ منه بادرةُ غلطةٍ فعُزِلَ من مَنْصِبِه ثمّ أُبْعِدَ الى دِمَشْقَ . وقد عاد الى مَنْصِبِه ثمّ عُزِلَ منه وبَقِيَ بَطّالاً حتّى مات بالطاعون في دِمَشْقَ ، في تاسعِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٧٤٩ ﻫ (١/٣/١٣٤٩ م) .

٢ – كان ابنُ فضلِ اللهِ العُمريُّ أديباً بارعاً يُجيد الترسُّلَ ويَنْظِمُ شعراً رقيقاً ، وكذلك كان عالماً له في الجُغْرافية خاصّةً علمٌ ومَقْدِرةٌ لم يَبْلُغْ إليهما أحدٌ في عَصْره مَبْلَغَه . أمّا نثرُه الفنّيُّ فعامٌّ أنيقٌ يستندُ الى اللفظ لا مُحَصَّل تحتَه . غيرَ أن له نثراً مُرْسَلاً يُصَرِّفُه في آثارهِ العلْمية من تاريخيّة وجغرافية وأدبية . ثمّ إنّ ألفاظَه فَصيحةٌ لطيفةٌ وعِبارتُه جَزْلَةٌ متينةٌ جميلةٌ . ومَعَ أنّه يتكلّفُ وجوهَ البلاغة كسائرِ أدباءِ عَصْره ، فانّ بضاعتَه في التَوْرِيَةِ قليلةٌ عاديّةٌ . ولابنِ فضلِ الله العمري باعٌ طويلةٌ في الشعرِ ولكنّ شعرَهُ أقلُّ قيمةً من نثرِهِ . وفي شعرِهِ وصفٌ وغزلٌ ونسيبٌ واخوانيّاتٌ يتخلّلها فُكاهةٌ ومُجون .

وأشعارُه قصائدُ طوالٌ ومُقَطّعاتٌ وله أراجيزُ وموشّحاتٌ .

وابنُ فضلِ الله العُمريُّ ناقدٌ ومُصَنِّفٌ ، من كتبه : مسالك الابصار في ممالك الأمصار أو المسالك والممالك (وهو كتاب في بضعةٍ وعشرين مجلّداً كبيراً أُريدَ منه في الأصل أن يكون كتاباً في الجغرافية وتقويم البلدان وتقدير المسافاتِ بينَها ، ولكنّه يَتَضَمَّنُ فصولاً مبسوطة في التاريخ والتراجم وقَدْراً من الاشعار المختارة للجاهليين والاسلاميين ، ومن الكلام على النباتِ والحَيَوان وعلى شعوبِ الارض) ـ الشَتَويّات (رسائلُ في الشتاء بين ابن فضل الله العمري وبين نفر من علماء عصره في موضوع الشتاء) ـ صبابة المشتاق في البدائع النبويّة (وهي بديعيّات له : قصائدُ في مدح محمّدٍ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم) ـ فواضلُ السَمَر في فضائل آل عُمَر (ابنِ الخطّاب) ـ الدعوة المستجابة ـ رسالة تشتمل على كلام جمليّ !! في أمرِ مشاهيرِ ممالكِ الفِرنْجِ عبادِ الصليب في البَرّ دونَ البحر في إقْليمَيِ الشرقِ ومِصْرَ في أيامِ نور الدين زَنْكي وأواخرِ الدولة العُبَيْدية[1] في مصر) ـ النُبذة الكافية في معرفة الكِتابة والقافية ـ الدرر الفرائد في مختصر قلائد العقيان .

ولابنِ فضلِ الله العُمَري كتابُ « التعريف بالمصطلح الشريف » وفيه قوانينُ الإنشاء (أي ما يحتاج اليه الكاتبُ الموظّف في ديوان الانشاء من المعارف النظرية والعملية) ، وهو سبعة أقسام : ففي الأقسام الأربعة الأولى كلامٌ على أنواع المكاتبات (الرسائل) والعهود والتقليدات (الخطب والرسائل المتعلّقة بتولية كبار الموظّفين كالقضاة والوزراء) والوصايا والأيْمان التي تَحلْفُ بها الأممُ المختلفة مع كلامٍ على الألقاب والمخاطبات التي تُفتتح بها الرسائلُ وتختم . وفي هذه الأقسام أيضاً نماذجُ كثيرةٌ من الرسائل في الموضوعات المختلفة والأجوبة عليها ممّا كان يدورُ بين سلاطين المماليك أنفسهِم أو بينَ سلاطينِ المماليك وبينَ غيرِهم من الملوك . وأمّا القِسمانِ الخامسُ والسادس ففيهما كلامٌ على الجغرافية : على البلادِ المختلفة وما فيها من المناطق والمُدنِ والقلاع وغيرها وعلى الطرق بين المدن ومسافاتها وما عليها من مراكزِ البريد (محطّات نقل الأخبار والأشخاص والأشياء ممّا يتعلّق بالدولة) . وفي القسم السابع معارفُ عامّةٌ يحتاج إليها الموظّفُ في ديوان الانشاء كأقسامِ الأراضي والأزمنة وكالكواكب وآلات القتال والصيد وأدوات العمل كالموازين والآلات الموسيقية

(١) جملي : موجز (!) . الدولة العبيدية (الفاطمية) .

وأدوات اللَّعِب والسُّكر وأنواع الحَيَوان الأليف والوحشيّ كأحوال الجوّ من السحاب والرياح والأمطار وغير ذلك .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ روى ابن شاكر الكتبي (فوات الوفيات ١ : ١١) أبياتاً حائية رقيقة لابن فضل الله العمري يقلّد فيها أبيات مهيار الديلمي : « يا نسيم الصبح من كاظمة » (انظر ، فوق ، ص ٩٩) . يقول ابن فضل الله العمري :

سَلْ شَجِيّاً عن فؤادٍ نَزَحا ... وخَلِيّاً فيهِمُ كيف صَحا[١] ،
ومُحِبّاً لم يَذُقْ بُعْدَهُمُ ... غيرَ تبريحٍ به ما بَرِحا[٢] .
مَزَجَ الدَمْعَ بذِكْرَى لَهُمُ ... مِثْلَ خَدَّيْ مَنْ سَقاهُ القَدَحا[٣] .
زارَه الطيفُ ، وهذا عَجَبٌ : ... شَبَحٌ كيف يُلاقي شَبَحا[٤] !

ـ ومن نثره اللفظي الأنيق (فوات الوفيات ٢ : ٢٦٣) في وصف ابن العفيف التلمساني (الشابّ الظريف ، فوق ، ص ٦٥٧) :

« نَسيمٌ سَرى ونعيمٌ جرى وطَيْفٌ ، لا بل أخفُّ مَوْقِعاً منه في الكَرى[٥] . لم يأتِ الاّ بما خَفَّ على القلوب وبَرِىءَ من العيوب . رَقّ شِعْرُه فكاد أن يُشْرَبَ ، ودَقّ فلا غَرْوَ للقُضُبِ أن ترقُصَ وللحَمام أن يَطْرَبَ . ولَزِمَ طريقةً دَخَلَ فيها بلا استِئْذان ، ووَلَجَ القلوبَ[٦] ولم يَقْرَعْ بابَ الآذان . وكان لأهل عَصْرِه ومَنْ جاء على آثارِهم افْتِتاناً بشِعْرِه ـ وخاصّةً أهلَ دِمَشْقَ فانّه بين غمائِمِ حِياضِهِمْ رَبا ، وفي كمائم رِياضهم حبا ، حتّى تَدَفّق نَهْرُه وأيْنَعَ زهره[٧] . وقد أدركتُ جَماعةً من خُلَطائه لا يَرَوْنَ عليه تفضيلَ شاعرٍ

---

(١) الشجي : الحزين . نزح : ابتعد . الخلي : الذي لم يعرف الحب بعد . كيف صحا (كيف لا يزال صاحياً ، لم يعرف الحب بعد !)

(٢) التبريح : التعذيب . ما برح ، لا يزال ، دائم .

(٣) مثل خدي من سقاه القدح (من سقاه كأس الحب : من تيمه بحبه) : دمعي مثل خدي المحبوب (أحمر كالدم) ـ كناية عن كثرة البكاء .

(٤) الطيف : الخيال يرى في المنام .

(٥) سرى : سار (انتشر) ليلا . الكرى : النوم .

(٦) لا غرو : لا عجب . القضب جمع قضيب : الغصن . ولج : دخل .

(٧) الافتتان : الاعجاب . الغمائم جمع غيمة ؛ السحابة . الحياض : أحواض الماء . ربا : تربى ، نشأ . الكمائم جمع كمامة : الأوراق الخضر التي تكون فيها الزهرة قبل أن تتفتح . حبا : زحف (الطفل) على بطنه (نشأ صغيراً) . أينع الثمر : نضج (لا تستعمل للزهر) .

ولا يَرَوْنَ له شِعْراً الا وهم يُعَظّمونه كالمشاعر : لا ينظُرونَ له بيتاً الا كالبيتِ[1] ، ولا يُقَدّمون عليه سابقاً .... »

ـ وقال في وصف الأهْرام من النثر المرسل :

« ومِنْ ذلك الأهرامُ في مِصْرَ ، وأجلّها الهَرَمان بجيزة مِصْر . وقد أكثرَ الناسُ القولَ في سَبَب ما بُنِيا له ، فقيل : قُبورٌ ومستودَعُ مالٍ وكُتُبٍ ؛ وقيل : ملجأ من الطوفان ، وهو أبْعَدُ ما قِيلَ فيهما لأنّها ليستْ شبيهةً بالمساكن . وأقربُها الى الصِحّة ـ واللهُ أعلَمُ ـ أنّها إمّا هياكلُ كواكبَ وامّا قبورٌ . ولقد فُتِحَ أكبرُها في زمان المأمون حينَ قَدِمَ مِصْرَ فلم يَظْهَرْ منه ما يدلّ على ما وُضِعَ له . وعلى ألْسِنَةِ الناسِ أنّه وَجَد ذهباً فوَزَنَه وحَسَبَ مِقدارَ ما أنْفَقَه فوَجَدَهُ سواءً بسواءٍ لا يزيدُ أحدُهما على الآخرِ بشيءٍ ـ لعِلْمِهِم السابقِ أنّه سيُنْفَقُ عليه مثلُ هذا المقدار . ووجدتُّ هذا في كثيرٍ من الكُتُب فراجعتُ التواريخَ الصحيحةَ والكتبَ المسكونَ إليها فلم أجِدِ المأمونَ وَجَدَ به شيئاً ولا استفادَ ، زائداً عمّا يَعْلَمُ به الناسُ ، عِلْماً .

وأدلُّ الأدلّةِ على أنّ أحدَهُما هيكلُ بعضِ الكواكب أن الصابئةَ[2] كانت تأتي حقيقةً تَحِجُّ الواحدَ وتزورُ الآخَرَ ولا تبلُغُ بهِ مبلَغَ الأوّلِ في التعظيم . واللهُ أعلَمُ بحقيقةِ أمرِها وجليّةِ أحوالِها .

وَهِيَ أشكالٌ لَهَبِيّةٌ[3] ، كأنّ كلَّ هَرَمٍ لُهْبَةُ سِراجٍ : آخذةً في أسافلِها على التربيع مسلوبةً في عمود الهواء آخذةً في الجوّ حتّى الى التثليث[4] . ولولا استدارةُ سفل أبلوج السُكّر[5] لشَبّهناها به . ويُحْتَمَلُ أن يكونَ هذا الشكل موضوعاً لبعضِ الكواكب لمُناسبةٍ اقْتَضَتْهُ ..... »

٤ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، الجزء الأوّل (بتحقيق أحمد زكي) ، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م ؛ وقد نشر من هذا الكتاب عدد من الفصول : رسالة تشتمل على كلام اجمالي في ممالك عبّاد الصليب (نشرها ميخائيل أمارى) ، رومية ١٨٨٣م؛

---

(١) لا ينظرون له بيتاً (من الشعر) الا كالبيت (كما ينظرون الى البيت العتيق) الكعبة : يرفعون قدره .

(٢) الصائبة فرقة من أهل العراق تعظم النجوم .

(٣) شكل لهبي أو هرمي أو مخروط (جسم قاعدته واسعة ثم يضيق كلما علا حتى ينتهي الى نقطة) .

(٤) والجسم اللهبي لا يكون له أقل من ثلاثة جوانب سوى القاعدة .

(٥) أبلوج (بضم الهمزة) السكر : قالب السكر : جسم مستدير قاعدته أوسع قليلا من رأسه .

ذكر أخبار بلاد الروم : آسية الصغرى (نشره تشنر) ليبزغ ١٩٢٩ م ؛ ذكر أخبار الهند (نشره شبيس في مجموعة التصانيف الشرقية) ، ليبزغ ١٩٤٣ م ؛ وصف افريقية والاندلس (عني بنشره حسن حسني عبد الوهّاب) ، تونس (مجلّة البدر) بلا تاريخ . التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة (مطبعة العاصمة) ١٣١٢ هـ .

* * فوات الوفيات ١ : ٩ - ١١ ؛ الوافي بالوفيات ٨ : ٢٥٢ - ٢٧٠ ؛ من ذيول العبر ٢٧٥ ؛ الدرر الكامنة ١ : ٣٥٢ - ٣٥٤ (رقم ٨٢٨) ؛ شذرات الذهب ٦ : ١٦٠ ؛ زيدان ٣ : ٢٤٢ - ٢٤٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٥٨ - ٧٥٩ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧٧ ؛ الملحق ٢ : ١٧٥ - ١٧٦ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٥٤ .

عمر بن الورديّ

١ - هو زينُ الدين عُمَرُ بنُ مُظفّرِ بنِ عُمَرَ بنِ مُحمدِ بنِ أبي الفوارسِ ابنِ الورديّ ، وُلِدَ في مَعَرّةِ النُعْمانِ ، سَنَةَ ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) ودَرَسَ في المَعرّةِ نفسِها وفي حماةَ وحَلَبَ ودِمَشْقَ . وكان قد عَمِلَ في حَلَبَ ، وهو لا يزالُ شابّاً ، نائباً للقاضي محمدِ بنِ النقيب (ت ٧٤٥ هـ) . وتوفّي ابن الوردي في حَلَبَ بالطاعونِ في ذي الحِجّةِ من سَنَةِ ٧٤٩ هـ (آذار - مارس ١٣٤٩ م) .

٢ - كان عمرُ بنُ الورديّ أديباً ناثراً وشاعراً ، كما كان مُلِمّاً بعددٍ من فنونِ العلم والأدب من الفِقه واللُغة والنحو والتاريخ والنبات والحيوان . غيرَ أنّه اشتهر بالشعر وبقصيدة واحدة اسمها اللاميةُ أو الوصيّة أو نصيحةُ الاخوان ومُرْشدة الخلاّن ، وهي قصيدةٌ حِكْميّة تبلُغُ سبعاً وسبعينَ بيتاً . هذه القصيدة فصيحةُ الألفاظ واضحةُ المعاني سَلِسَةٌ عَذْبة برُغْمِ أن عدداً من معانيها عاديٌّ جِدّاً ، إلاّ أنّها تُنَبِّهُ على مُعْظَمِ السيّئات التي يذهَبُ الإنسانُ عادةً ضحيّةً لها في الحياة . وله رسائلُ ومقاماتٌ وعددٌ من الأراجيز .

ثمّ إنّ ابنَ الوردي مصنّفٌ له من الكتب : تتمّة المختصر في أخبار البشر (أو : تاريخ ابن الوردي ، لخّص فيه « المختصر في أخبار البشر » لأبي الفِداء ثمّ أضافَ إليه أحداثَ عِشرينَ سنةً من ٧٢٩ هـ الى ٧٤٩ هـ) - خريدة العجائب وفريدة الغرائب (أكثَرُهُ في الجغرافية وفيه كلامٌ على المعادن والنبات والحَيَوان ، ولكن تغْلِبُ عليه الصِبغةُ الأدبية الخيالية) - كتاب المِنَح . وله في الفِقه : المسائل المذهبية

في المسائل الملقّبة أبكار المعاني ــ فوائد فقهية ــ المسائل الملقّبة « الوردية » في الفرائض (تقسيم الارث) ــ رَجَزٌ في أربعٍ وعشرينَ مسألةً ــ منظومة شهود السوء ــ الشهاب الثاقب والعذاب الواجب الواقع بذوي النِحَل الكواذب (ضدّ الفتوّة) . ثمّ له في اللغة والنحو والشعر : مذكِّرَةُ الغريب نظماً وشرحُها ــ شرح ألفية ابن مالك ــ ضوء الدُرّ على ألفية ابن مُعْطٍ ــ تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة * ــ قصيدة اللُباب في علم الاعراب وشرحها ــ التحفة (النفحة) الوردية ــ اختصار مُلْحة الإعراب نظماً ــ بحور الشعر . ثمّ له عدد من الأراجيز في موضوعاتٍ مختلفةٍ : أرجوزةٌ في تعبير الرؤيا (تفسير المنامات) ــ أرجوزة في خواصّ الأحجار ــ منّطق الطير ــ البهجة (التحفة) الوردية (غيرَ التي سبقت) في نظم الحاوي (نظم كتاب « الحاوي الصغير » لنجم الدين عبد الغفّار بن عبد الكريم القزويني المتوفّى ٦٦٥ هـ ، وهو كتاب في الفقه الشافعي) . وكذلك له عددٌ من المقامات : مقامة في الطاعون العامّ ــ مقامة الصوفية ــ المقامة الدِمَشْقية المُسمّاة صَفْوَ الرحيق في وصف الحريق (حريق دمشق) .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال عمرُ بنُ الورديّ يُقَرِّظُ قِطعةً من شعرِ ابنِ حبيبٍ الحلبي[١] :

.... تأمّلتُ هذه النُبْذَةَ التي رقّ من قائلِها الطِباعُ فافتخرتُ بنَظَرِها الأبصار على الأسماع . فوجدتُّها مُشتملةً على مَباني القوافي الفَوائقِ والمعاني الرواقي الرقائق ، فقَبَسُها بَدْرِيٌّ وكوكَبُها دُرِّيٌّ[٢] : هاجتْ لي ذِكْرى حبيب[٣] فَهِيَ زُبْدةٌ من حَليبٍ ، لا بل قِطعةٌ من طِيب . أعذبُ من الوِصالِ وألذُّ من الماء الزُلال ، وألطفُ من الرِياض عند الصباحِ وأرقُّ من رحيقِ الطَلّ في ثُغور الأقاح[٤] . فيا

(١) ابن حبيب الحلبي الشاعر (ت ٧٧٩ هـ) ، انظر ترجمته تحت .

(٢) سأشرح الألفاظ بايجاز ، لأن التوريات والكنايات كثيرة متشعبة المآخذ : القبس : شيء قليل من نار أخذ من نار كثيرة . بدري : نسبة الى البدر (جميل) . الكوكب : النكتة (العلامة) في الشيء . درى : كثير اللمعان .

(٣) حبيب : أبو تمام حبيب بن أوس الشاعر . ذكرى حبيب اسم الشرح الذي صنعه أبو العلاء المعري لديوان أبي تمام .

(٤) الرحيق : العسل ، السائل الحلو في قلوب الأزهار . الطل : المطر الخفيف ، الندى الذي يسقط ليلا فيتجمع قطرات على الأغصان . الأقاح جمع الجمع : جمع الاقحوان (جمع أقحوانة) : نبات له زهر قلبه أصفر وحول قلبه بتلات بيض تشبه بها الاسنان .

لها من مُقطّعاتِ نيلٍ أضرمتْ في رُوحِ كلِّ كَليمٍ نارَ خليلٍ[١] ، قَدّرَ ناظرُها في السَّرْدِ وقال ناظرها بالجَوْهر الفَرْد[٢] ، ونابتْ مَنابَ سيوفِ الهند وأغْنَتْ عن التشبيب بسُعادَ وهنْد . ما أطولَ صِفاتِ شَعرِها وان كان قصيراً ، فلو أُلْقِيَتْ على وَجْهِ أبي العَلاءِ لأتى بصيراً[٣] .....

—من مقدّمة تاريخ ابن الوردي « تَتِمّةَ المُختصَرِ في أخبار البشر »[٤] :

.... انّي رأيتُ « المختصر في أخبار البشر » .... من الكُتُبِ التي لا يَقَعُ مثلُها[٥] ولا يَسَعُ جهلُها، فإنّه* اختاره من التواريخ التي لا تَقَعُ إلا للملوك ونَظَمَهَ في سُلوكِ الحُسْنِ بحُسْنِ السُلوك[٦] فانجلى كالعَروس التي حسنُها المُغْربُ وجمالُها الكامل وثغرُها العِقد وضَرّاتُها الدُوَلُ المنقطعة وخيالُها لذّة الأحلام ولفظُهـا المُنْتَظَمُ وخدّها ابنُ أبي الدَمِ ومحبّتُها تجاربُ الأُمم وحُسّادها بنو اسرائيل ونظرها مُفَرِّجُ الكُروب ودلالُها وَفَياتُ الأعيان ووَصْلُها الأغاني وقُربها مروج الذهب ..... فاختصرتُه في نحو ثُلُثَيْهِ اختصاراً زادَهُ حُسْناً وكَفَلَ بوَجازةِ اللفظ وكمالِ المعنى.... أقمتُ[٧] به إعرابَه وذلّلت صِعابَه ونمّقتُه بياناً... وأودَعْتُه شيئاً من نَظْمي ونَثْري ورَجَوْتُ دعوةً صالحةً عند ذِكْري ، وحذفتُ منه ما حذفَه أسْلَمُ ... وسأُذَيِّلُه — ان شاء اللهُ — مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وسَبْعِمائَةٍ

---

(١) مقطعات نيل (قطع من الاراضي الخصبة على ضفتي نهر النيل !) . الكليم : موسى (كلمه الله) . الكليم : المجروح (المحب الذي هجره حبيبه) . الخليل : ابراهيم . نار خليل (نار أراد قوم ابراهيم أن يحرقوه بها فجعلها الله باردة فلم تؤذه) .

(٢) ناظرها (ناظمها !) وناظرها (قارئها !) السرد : نسج الدروع (من حديد) . قدر في السرد : أتقن الصناعة وجعـل المصنوعات متناسقة وافية بالغاية منها . الجوهر الفرد : الذرة التي تتألف منها الأجسام (من مصطلحات الفلاسفة) — اجاد ناظمها فيها وأعجب قارئها بها .

(٣) شعرها : ليلها ؟ أبو العلاء : المعري الأعمى. لأتى بصيراً اشارة الى يعقوب الذي بكى على ضياع ابنه يوسف حتى عمي . ثم جاءوا اليه بقميص يوسف ووضعوه على وجهه فعاد بصيراً .

(٤) لأبي الفداء (ت ٧٣٢ هـ) انظر ، فوق ، ص ٧٤١ .

(٥) لا يقع مثلها : لا يتفق مثلها (لا نجد مثله) . * فإنه (فإن أبا الفداء) .

(٦) استخدم ابن الوردي في هذه المقدمة عدداً كبيراً من أسماء الكتب على سبيل الكناية والتورية : العروس ... حسنها المغرب (الغريب ، النـادر) وجمالها الكامل ولفظهـا المنتظم ... ووصلها الأغـاني وقربها مروج الذهب ، الخ . من ذلك حسن السلوك في سياسة الملوك لمحمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي (ت ٧٧٤هـ) — المغرب في حلى المغرب (لابن سعيد الاندلسي) — المنتظم لابن الجوزي — تجارب الامم (لابن مسكويه) — مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل) — وفيات الأعيان (لابن خلكان) — الأغـاني (لابي الفرج الاصفهاني) الخ . ابن أبي الدم — ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله (ت ٦٤٢ هـ)

(٧) يبدو أنه ينقص هنا كلمة : بوجازة اللفظ وكمال المعنى « مما » أقمت به ...

التي وَقَفَ المؤلّفُ عليها إلى التي صِرْنا إليها* ، وسَمَّيْته « تَتِمَّةَ المُخْتَصَرِ في أخبار البشر » ......

— من اللامية :

اعتزِلْ ذِكرَ الأغاني والغزَلْ   وقُلِ الفَصْلَ وجانبْ من هزَلْ(1) .
ودَعِ الذِكْرى لأيّام الصِبا ،   فلأيامِ الصبا نجمٌ أفَلْ(2) .
واهجُرِ الخمرةَ إنْ كُنتَ فتىً ؛   كيف يسعى في جنونٍ مَنْ عقَلْ(3) !
واتّقِ اللهَ ، فتقوى الله ما   جاورتْ قلبَ امْرِئٍ إلاّ وصل .
ليسَ مَنْ يقطَعُ طُرُقاً بطلاً ،   إنّما مَنْ يتقي اللهَ البطل .
اطلُبِ العلمَ ولا تكسَلْ ، فما   أبعدَ الخيرَ على أهل الكسل** .
لا تَقُلْ : قد ذهبتْ أربابُه ؛   كلُّ من سار على الدرب وصل !
في ازديادِ العلم إرغامُ العِدا ،   وجمالُ العلم إصلاحُ العمل .
أنا لا أختارُ تقبيلَ يدٍ   قطعُها أجملُ من تلك القُبَل .
مُلْكُ كِسْرى عنه تغني كِسرَةٌ ،   وعن البحر اجتزاءٌ بالوَشَل(4) .
لا تَقُلْ : أصْلي وفَصْلي ! أبَداً ،   إنّما أصلُ الفتى ما قد حصل(5) :
قد يسودُ المرءُ من غيرِ أبٍ ؛   وبحُسْنِ السَبْك قد يُنْفى الزَغَل(6) ؛
وكذا الوردُ من الشوك ، وما   يَنْبِتُ النَرْجِسُ إلاّ من بصل .
قيمةُ الإنسان ما يُحسِنُهُ   أكثَرَ الإنسانُ منه أمْ أقل(7) !

(*) بدأ ابن الوردي في اتمام كتاب « المختصر » (لأبي الفداء) من سنة ٧٠٩ (مع أن أبا الفداء سار في تاريخه الى سنة ٧٢٩ هـ — ولعل ابن الوردي لم يقع على نسخة تامة من المختصر) ثم وقف سنة ٧٤٩ هـ ، وهي السنة التي توفي ابن الوردي فيها .

(١) الفصل : الجد (بكسر الجيم) ، الكلام الفاصل الحاسم ، الصدق .   (٢) أفل : غاب ، ذهب ومر .

(٣) الفتى : الرجل الشجاع اللبق .   ** .... الخيرات عن ....

(٤) كسرة : القطعة الصغيرة (من الخبز) . الوشل : الماء القليل.

(٥) الاصل : من تقدمك في عمود النسب (كالاب والجد). الفصل : من تأخر عنك (كالابن والحفيد) .

(٦) من غير أب : من غير أب مشهور . الزغل : الغش ، العناصر الغريبة الخسيسة أو الضارة (تستخرج المعادن من الارض خاماً — ممزوجة بأشياء غريبة — فاذا أحسنا سبكها ، أي صهرها ومعالجتها صفت وصلحت . وكذلك الطفل يصلح بالتربية ، بحسن السبك !)

(٧) أأكثر (فعل ماض) الانسان منه ام أقل منه (من العمل الحسن) .

بينَ تبذيـرٍ وبُخلٍ رُتبـةٌ ، وكِلا هذين إنْ زاد قتـل .
ليس يخلو المـرءُ من ضِدٍّ وإن حاولَ العزْلة في رأس جبـل .
جانبِ السلطان واحذَرْ بطشَه ، لا تعانِدْ مـن إذا قال فعـل.
لا تَلِ الحُكْمَ وإن هـم سألوا — رَغبةً فيك — وخالفْ من عَذَل[1] :
إنّ نِصفَ الناسِ أعـداءٌ لِمَنْ وَلِيَ الاحكامَ ؛ هذا إنْ عَدَل .
خُذْ بنَصْل السيف واترُكْ غِمْدَه ، واعتبرْ فضلَ الفتى دون الحُلَل[2].
لا يَضُرُّ الفضـلَ إقلالٌ ، كمـا لا يضُرُّ الشمسَ إطباقُ الطَفَل[3] .
حبُّكَ الأوطـانَ عَجزٌ ظاهرٌ ، فاغترِبْ تَلْـقَ عن الأهل بدل .

— وله من قصيدة في مدح شهاب الدين بن فضل الله (العُمَري) :

أأُقْتَلُ بينَ جِدِّكَ والمُـزاحِ بنَبْلِ جُفونك المَرْضى الصِحاحِ[4] ؟
يُكَدِّرُني نواكَ وأنتَ صافٍ ، ويُسْكِرُني هواكَ وأنتَ صاحِ !
وما لصباحِ وجهِكَ من مَسـاءٍ ، ولما لمساء شَعْرِك من صبـاح[5] .
رِضاك الى رِضابِك لي دليـلٌ ؛ أليسَ كِلاهما رُوحي وراحي[6] !
يُحَقّ لِمَنْ لَحاني فيك ذَمّي ، وحُقّ لكاتبِ السِر امتداحي[7] .
ولستُ سِوى ابنِ فضلِ الله أعْني شِهابِ الدين ذي الغُرَرِ المِلاح[8] .
له قلمٌ بفضلِ الله يَحْيـا لنا يَحْيَى بـه بعد انْتِزاح[9] ؛
أشدُّ من القَضاء مَضاءَ أمـرٍ وأجري في الخُطوب من الرياح[10] .

---

(١) عذل : لام . (٢) الحلة (بضم الحاء) : الثوب الجميل النفيس .
(٣) الإقلال : الفقر . الطفل : النوء الكثيف الذي يحدث بعد الظهر من اصفرار الشمس قبيل الغروب ، ظلمة الليل المقبلة في آخر النهار .
(٤) النبل (جمع نبلة بفتح النون) : السهام. الجفون المرضى : الناعسة (كأنها مريضة) من صفات الجمال .
(٥) — بياض وجهك (صباح وجهك : جمالك) دائم . وسواد شعرك (شبابك) دائم .
(٦) الرضاب : الريق ما دام في الفم . الراح : الخمر .
(٧) لحاني : لامني . كاتب السر (الممدوح !) . : يحق له ان يمدحني على مدحي إياه (لأنه يعلم أني محب له مخلص في مدحه) .
(٨) الغرة : البياض في مقدمة الرأس (كرم الأصل والعمل الصالح) .
(٩) ..... فضل الله (ابن فضل الله) . يحي (عبد الحميد بن يحيى) (راجع ، فوق، ١ : ٧٢٣) واضع قواعد الكتابة الديوانية. — لابن فضل الله العمري (الممدوح) براعة عبد الحميد بن يحيى في الترسل (كتابة الرسائل) .
(١٠) — أمره نافذ في الأيام العادية وفي أيام الخطوب (الشدائد) .

فخُذْها بنتَ لَيْلَتِها عَروساً تُزَفُّ إليك كالخَــوْدِ الرَّداح(1) .
وما أنا شــاعرٌ ، حاشا علومي ؛ ولستُ أرى التكسّبَ بامتداح .
فلي من أنْعُمِ الرحمنِ مالٌ يصونُ عن احْتيــاجِ واجْتياح(2) .
ولم أقْصِدْ بمَدْحِكَ غيــرَ ردٍّ أرُوض به الزمانَ عن الجِماح(3) ؛

– وقال في الشكوى من الزمان والناس :

لا تَحْرِصَنَّ على فضلٍ ولا أدبٍ ؛ فقد يَضُرُّ الفتى عِلمٌ وتَحقيقُ .
ولا تُعَدَّ من العُقّــالِ بَيْنَهُمُ ، فإنَّ كلَّ قليــلِ العقلِ مــرزوق .
والحظُّ أحسنُ من خَطٍّ تُــزَوِّقُه ، فما يُفيدُ قليلَ الحظِّ تزويق ؟.
والعِلْمُ يُحْسَبُ من رِزقِ الفتي ، وله بكلِّ مُتَّسَعٍ في الفضل تَضْييق(4) .
أهلُ الفضائلِ والآدابِ قد كَسَدوا ، والجاهلون لقد قامتْ لهم سوق(5) .
والناسُ أعداءُ من سارتْ فضائلُه ؛ وإنْ تَعَمّقَ قالوا عنه زِنْديق(6) !

٤ – ديوان ابن الوردي (في مجموعات الجوائب : مجموع أوّله لاميّة العرب) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠ هـ .

لامية ابن الوردي = الوصيّة ، نصيحة الاخوان (طبعت في عدد كبير من المجاميع) .

مقامات (في مجموعات الجوائب) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠ هـ .

تتمّة المختصر في أخبار البشر = تاريخ ابن الوردي ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٨٥ هـ ؛ (بذيل « تاريخ أبي الفداء ») ، استانبول ١٢٨٦ هـ ؛ مصر (المطبعة الحسينية) ١٣٢٥ هـ ؛ النجف ، الطبعة الثانية (المطبعة الحيدرية) ١٩٦٩ م .

خريدة العجائب وفريدة الغرائب (باعتناء هايلندر) ، لوند في أسوج ١٢٨٤ هـ ؛ (باعتناء

---

(١) بنت ليلتها : قصيدة نظمت بسرعة (في ليلة واحدة) . عروس (قصيدة بارعة جيدة كالعروس) . الخود : المرأة الجميلة . الرداح : المرأة السمينة الضخمة الارداف.

(٢) الاجتياح : النازلة (المصيبة الجائحة التي تأخذ كل شيء) .

(٣)– أقصد ردا (زيادة فضل) أذل به الدهر فلا يجمح علي (يجور علي : يظلمني) – أريد زيادة من المال آمن بها من غدر الزمان . أو : غير ود (بالواو : صداقة) : إذا علم الدهر انك صديقي لم يجسر على العدوان عليّ .

(٤) في الأمثال : ذكاء المرء محسوب عليه (ان الذكاء الذي يهبه الله للفرد يقوم مقام جزء من حظه من الدنيا كالمال والسعادة الخ) .– تهب الدنيا للفرد ذكاء ثم تضيق عليه في كل متسع (ميدان) آخر من وجوه الحياة .

(٥) كسدوا : قل الطلب عليهم . قامت للجاهلين سوق : راجت أحوالهم وكثر رزقهم.

(٦) من سارت فضائلهم : كثرت أعمالهم الحميدة واشتهروا بذلك . تعمق : نظر في باطن الأمور ، أكثر التفكير . الزنديق : الذي يعلن التساؤل عن صحة الواجبات الدينية ، والمقصود هنا : أحد أتباع المذهب الفارسي القديم (الكافر) .

تورنبرغ) ، اوبسالا ١٨٣٥ - ١٨٣٩ م ؛ مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٦ هـ ؛ مصر (طبع حجر) ١٢٩٨ هـ ؛ مصر (المطبعة الشرفية) ١٣٠٠ ، ١٣١٤ هـ ؛ مصر ١٣٠٢ هـ ؛ مصر (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٣ هـ ، مصر ١٣٠٩ ، ١٣١٦ هـ .

التحفة (النفحة) الوردية (باعتناء آبيشت) ، برسلاو في شرقي ألمانية ١٨٩١ م .

أحوال القيامة (مستخلص من « خريدة العجائب » - باعتناء سيغفريد فردينند) ، برسلاو في شرقي ألمانيا ١٨٥٣ م .

بهجة الحاوي (البهجة الوردية) نظم فيها « الحاوي الصغير » لنجم الدين عبد الغفّار القزويني ، مصر (مطبعة أبي زيد - طبع حجر) ١٣١١ هـ .

المقدّمة (الألفية) الوردية - منظومة في تعبير الرؤيا ، بولاق ١٢٨٥ هـ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ الخ .

* شرح لاميّة ابن الوردي (مطبوع في « أعجب العجب في شرح لاميّة العرب ») ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠ هـ ؛ فتح الرحيم الرحمن (بشرح لامية ابن الوردي) المسمّاة نصيحة الاخوان لمسعود بن الحسن بن أبي بكر الحسيني القناويّ ، مصر ١٢٧٨ ، ١٢٨٢ هـ ؛ مصر (المطبعة السعيدية) ١٢٨٥ هـ ؛ مصر (مطبعة وادي النيل المصرية) ١٢٩٤ هـ ؛ مصر ١٢٩٧ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٧ ، ١٣١٠ ، ١٣١٥ ، ١٣٢٤ ، ١٣٣٩ هـ .

تخميس لاميّة ابن الوردي ، لمرزوق المنصوري (في كتاب « طراز الأدب » لمحمود الفارسي) ؛ القاهرة ١٣٤٥ هـ ؛ لمحمّد بن كمال الدين الأدهمي (ولد ١٢٩٦ هـ) ثمّ لعبد الرحمن بن يحيى الملاّح (ت ١٠٤٤) ، القاهرة ١٣٤٥ هـ .

فوات الوفيات ٢ : ١٤٥ - ١٤٧ ؛ الدرر الكامنة ٣ : ٢٧٢ - ٢٧٤ (رقم ٣٠٩٢) ؛ البدر الطالع ١ : ٥١٤ - ٥١٥ ؛ من ذيول العبر ٢٧٢ ؛ بغية الوعاة ٣٦٥ ؛ شذرات الذهب ٦ : ١٦١ - ١٦٢ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧٥ - ١٧٧ ، الملحق ٢ : ١٧٤ - ١٧٥ ؛ زيدان ٣ : ٢٠٦ - ٢٠٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٦٦ - ٩٦٧ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٢٢٨ .

صفيّ الدين الحلّيّ

١ - هو صَفِيُّ الدينِ أبو الفضلِ أبو المَحاسنِ عبدُ العزيزِ بن سَرايا بنِ عليِ ابنِ أبي القاسمِ بنِ أحمدَ بنِ نصرِ بنِ سَرايا الحِلّيُّ الطائيُّ ، وُلِدَ في الحِلة (قُربَ الكوفة)، في خامس ربيعِ الثاني ٦٧٧ هـ (٢٧/ ٨/ ١٢٧٨ م)، ونَشأ فيها . اتّصلَ صفيُّ الدين بالملكِ المنصور نجمِ الدينِ غازي الأرتقيُّ صاحبِ ماردينَ (٦٩٢ - ٧١٢ م) وحَظِيَ عِنْدَهُ وعندَ ابنهِ وخليفته نجم الدينِ صالحٍ (ت ٧٦٥ هـ) . وفي سَنَةِ ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) ذَهَبَ الى الحجّ فعرّجَ في طريقــهِ على

السُلطانِ الناصرِ قلاوونَ الذي كانَ قد جاء الى عَرْشِ المماليكِ البحريةِ في مِصْرَ للمرّةِ الثالثةِ (٦٩٧ هـ) ومَدَحَه. ثم عادَ الى ماردين.

وكانتْ وفاةُ صفِيِّ الدينِ في بَغْدادَ، في أوائلِ سَنَةِ ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م).

٢ – كان صَفِيُّ الدينِ الحِلّيُّ شاعرَ عصرِه وأشهرَ شعراءِ زمانِه برُغْم تقليدِه للشعراء العبّاسيين في المعاني والأغراض والأسلوب. وقد كان حَسَنَ الصِناعة بارعاً في الصياغة مُجيداً في القصائدِ الطوالِ وفي المُقطّعاتِ. ثم إنه نَظَمَ في مُعْظَمِ أنواعِ الشِعرِ من القَصيدِ والمُشَطَّرِ والمخمّس والموشّح، وكانَ أحياناً يتكلَّفُ في الصِناعة تَكَلّفاً بعيداً. واذا نحنُ استَثْنَيْنا البوصيريَّ كانَ صَفيُّ الدينِ أولَ من قصد نَظْمَ البديعيّاتِ (القصائدَ في مدحِ الرسول) أو جَعَلَ منها فَنّاً قائماً بنفسِه على الأصحِّ. وله القصائدُ الأُرتُقيّاتُ في مديحِ الملكِ المنصور (من آل أرتُق) جَعَلَ أوائلَ حُروفها مثل رَوِيّها، نحو:

حمراءُ لو تَرَكَ السُقاةُ مِزاجَها ... أمْسَتْ لنا عِوَضاً عن المِصْباحِ.
حقٌّ الصبا دَيْـنٌ عليك فَوَفِّهِ ... بالشُربِ بين خمائلٍ ورَداحِ.

وعدد هذه القصائد تسعٌ وعشرونُ بعَدَدِ حروفِ المُعْجَم. ثم له قصيدةٌ كلُّ كَلِمة من كلماتها مصغّرةٌ:

نُقَيطٌ من مُسَيكٍ في وُرَيدِ ... خُوَيْلُكَ أو وُسَيمٌ في خُدَيدِ؟

٣ – مختارات من آثاره

– مدح صفيُّ الدين السلطانَ الناصرَ قَلاوونَ بقصيدةٍ وازى بها قصيدةَ المتنبّي في كافورٍ: «بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا».

أسْبَلْنَ من فوقِ النُهودِ ذَوائباً ... فتَرَكْنَ حَبّاتِ القلوبِ ذوائبا (١)،
وجَلَوْنَ من صُبْحِ الوجوهِ أشِعّةً ... غادَرْنَ فَوْدَ الليلَ منها شائبا (٢).
بيضٌ دعاهُنّ الغَبِـيُّ كواعبـاً، ... ولو استْبانَ الرُشْدَ قال كواكبا (٣).

(١) أسبل: ألقى، أنزل، غطى. ذوائب جمع ذؤابة: الضفيرة من شعر. ذوائب جمع ذائبة.
(٢) جلا: أزاح، أظهر، كشف، أبرز (رفعن اللثام عن وجوههن فظهرت و جوههن البيض كأنها الصبح). الفود: الشعر المجاور للأذن. فود الليل: الليل. غادرن: تركن (لما كشفن عن وجوههن أصبح الليل منيراً – أبيض كأنه شائب).
(٣) بيض (نساء جميلات). الكاعب: التي كعب (استدار) ثدياها (في أول صباها). دعاهن الغبي كواعباً (سماهن نساء). استبان: ظهر، وضح (لو ظهر له وجه الصواب لقال هن كواكب لكثرة جمالهن).

أشْرَقْنَ في حُلَلٍ كأنّ أديمَهـا شَفَقٌ تَدَرّعَه الشموسُ جِلّابِا[1] ،
وغَرَبْنَ في كُلَلٍ فقلت لصاحبي : «بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا»[2] ! ...

— وقال في الأمانة ، وفيها إشاراتٌ إلى القرآنِ الكريم :

قلوبنـا مُودَعَـةٌ عنـدكم أمانةً يُعْجِزُ عن حَمْلِها[3] .
ان لم تَصونوهـا بإحسانِكم رُدّوا الأمانـاتِ الى أهلِهـا[4] !

— وقال من المُوشّح المُضَمَّن ، وهو من مُخترعاته ، وقد جَعَلَ خاتمةَ كلِّ بيتٍ من الموشّحةِ مختومةً ببيتٍ من المقطوعةِ المشهورةِ لأبي نواسٍ :

وحقِّ الهوى ، ما حُلْتُ يوماً عن الهوى ؛ ولكنّ نجمي في المحبّةِ قد هوى[5] .
ومن كنتُ أرجو وَصْلَه قتلي نَـوى وأضنى فؤادي بالقَطيعةِ والجوى[6] .
ليسَ في الهَـوى عَجَبٌ إن أصـابني النَّصَبُ[7]
(حاملُ الهـوى تَعِبُ يَسْتَفزّه الطربُ) الخ الخ .

— وله في الحماسة :

سَلِ الرماحَ العوالي عن مَعالينـا ؛ واستَشْهِدِ البيضَ : هل خابَ الرجا فينا[8] ؟

(١) الحلة (بضم الحاء) : الثوب الجميل النفيس . الأديم ظاهر الجلد (سطح الثوب) . الشفق : الحمرة التي تظهر على الأفق بعد غياب الشمس . الشموس (جمع شمس) ثم النساء الجميلات . الجلباب : ثوب يكسو الجسم كله (كل ما فيهن جميل) .

(٢) وغربن (استترن عنا ، أخفين وجوههن عنا) في كلل (جمع كلة بضم الكاف) خلف أستارهن . بأبي الشموس (أفدي النساء الجميلات كأنهن الشموس) . الجانحات (المائلات) غواربا : غوارب ، غاربات . مائلات الى المغيب للغروب وراء الأفق . الجانحات (النساء المتجهات) غوارب (بنصب الباء بلا تنوين) المتجهات نحو الغرب .

(٣) قلوبنا مودعة (وديعة ، أمانة) عندكم (نحن نحبكم ، عشاق لكم) . في القرآن الكريم أن الله تعالى عرض الأمانة (التبعة في الحياة) على كل موجود فخاف منها ولم يقبل أن يحملها (يكون مسؤولا عن غيره) . ولكن الانسان قبلها وكان جاهلا بحقيقتها فأتعب نفسه بها كثيراً .

(٤) في القرآن الكريم في سورة النساء : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » (٤ : ٥٨) . — ارددن قلوبنا الينا (لا توقعننا في حبكن) .

(٥) حال : مال ، انتقل ، تغير . نجمي في المحبة هوى (سقط ، غاب) : حظي في حبكم سيء.

(٦) أضنى : أنحل ، أضعف . الجوى : شدة الحب الى درجة المرض .

(٨) النصب التعب . والبيت التالي : حامل الهوى... (يستخفه) لأبي نواس.

(٨) العالية : صدر الرمح ، النصل في أعلى الرمح . المعالي جمع معلاة (بفتح الميم) : الشرف والرفعة . البيض (جمع أبيض) : السيوف .

وسائلِ العُرْبَ والأتراكَ ما صَنَعَتْ ... في أرضِ قبرِ عُبيدِ الله أيدينـــا[1] .
يا يومَ وقعةِ زوراءِ العراقِ وقــد ... دِنّا الأعادي كما كانوا يَدينونا[2] ،
بِضُمَّرٍ ما رَبَطْناها مُسَــوَّمةً ... إلاَّ لِنَغزو بها من كان يَغْزونا[3] .
وفِتْيَةٍ إن نَقُلْ أصْغَوْا مَسامِعَهم ... لقولِنا أو دَعَوْناهـم أجابونا .
قومٌ إذا استُخْصِموا كانوا فَراعنةً ... يوماً ، وإن حُكِّموا كانوا موازينا !
تَدَرَّعوا العقلَ جِلباباً ، فإنْ حَمِيَتْ ... نارُ الوغى خِلْتَهم فيها مجانينا[4] .
إذا ادَّعَوْا جاءتِ الدنيا مُصَدِّقَةً ، ... وان دَعَوْا قالتِ الأيامُ : آمينا !
إنّا لَقَوْمٌ أبَــتْ أخلاقُنا شَرَفاً ... أن نَبْتَدي بالأذى من كان يُؤذينــا .
بيضٌ صنائعُنا ، سودٌ وقائعُنــا ، ... خُضْرٌ مرابعُنا ، حُمْرٌ مواضينا[5] !

— وقال يَصِفُ مجيءَ الربيع :

وَرَدَ الربيعُ ، فمرحباً بــوُروده ... وبنُورِ بَهْجته ونَــوْرِ وُروده[6] ؛
وبحُسْنِ منظرهِ وطِيبِ نسيمهِ ... وأنيقِ ملبسهِ ووَشْيِ بُروده[7] .
فَصْلٌ إذا فَخَرَ الزمانُ فإنّه ... إنسانُ مُقْلَتِـه وبيتُ قصيده[8] .
يا حبّذا أزهــارُه وثِمــارُه ... ونَباتُ ناجِمه وحبُّ حَصيده[9] ،

---

(١) عبيد الله بن زياد والي العراق أيام استشهاد الحسين في كربلاء ، توفي في العراق (جنوبي العراق وقبره هناك) —كانت لنا معارك كثيرة في العراق !

(٢) دنا (حكمنا في ، عاملنا) كما كانوا يدينوننا (يعاملوننا) .

(٣) الضمر (جمع ضامر) : نحيل (الخيل) . مسومة : معدة ، مهيأة .

(٤) تدرعوا (لبسوا) العقل جلباباً (ثوباً واسعاً سابغاً على الجسم كله) : هم كثيرو التعقل (في أيام السلم).

(٥) (الصنائع (جمع صنيعة) : الأعمال الخيرة الحميدة . الوقائع جمع واقعة : الحروب ، المعارك . المربع : المسكن . الماضي : السيف .

(٦) ورد وروداً : جاء ، حل . البهجة : الفرح . النور (بفتح النون) : الزهر الابيض . الورود (جمع ورد) : أنواع الزهر .

(٧) الأنيق : الجميل (الذي يعجب العين). ملبس الربيع : النبات الأزهار (كأنها لباس) . غطاء على الارض. الوشي : الزخرف ، التزيين . البرد (بضم الباء) : ثوب من حرير .

(٨) انسان المقلة (العين) : البؤبؤ (الجزء الذي تبصر العين به) . بيت القصيد : المقصود من الشيء ، أجمل أبيات القصيدة .

(٩) الناجم : أول نجوم (بروز ، خروج) النبات من الارض . حب الحصيد : الحبوب التي نضجت (كالقمح والذرة ، الخ) . كل شيء في الربيع جميل .

والغُصْنُ قد كُسِيَ الغَلائِلَ بعد مـا أخَذَتْ يدا كانونَ في تجريدِه [1] :
نالَ الصِبا بعدَ المَشيبِ ، وقد جرَى ماءُ الشبيبةِ في مَنابِتِ عُودِه ؛
والوَرْدُ في أعلى الغُصون كأنّـه مَلِكٌ تَحِفُّ به سَراةُ جُنودِه [2] .
والسُحْبُ تَعْقِدُ في السماءِ مآتِماً ، والأرضُ في عُرْسِ الزمانِ وعيدِه!

— لصفيّ الدين رسالة تتضمّن قصّة قائمة على الفُكاهة والدُعابة جارية على أسلوب المقامات ، منها* :

... هذه الدارُ المباركةُ أوّلُ تُربةٍ بَرَّكُم أتْرابُها وأولُ أرضٍ مسّ جسمَكم تُرابُها [3] ، فلا يَكُنْ على أيْدِيكُم خَرابُها . ألا وإنّها — مُنْذُ خلا مَسْكَنُها من ساكِنِها وتمكّنَ العَفاء [4] من أماكنها — جَعَلْتُموها نَدْوَةَ نهارِكم وليلكم وحَلْبَةَ رَجْلِكم وخَيْلكم [5] . والآنَ قدِ انجابتْ عنها أيامُ البُؤوس وأفَلَتْ طوالعُ النحوس [6] ولَحَظَها الدهرُ بعينِ الرِضا وقضى بِسَعْدِها فصلُ القضا وتولاّها نِعْمَ المولى وابتدرَ لسُكناها الصفيّ الحِليّ [7] . وفي يومِكم هذا يُرْسِلُ إليكم من يَلُمُّ شَعَثَها ويُطَهِّرُ خَبَثَها [8] . ومتى رآكم بها سارِبينَ

(١) الغلالة (بضم الغين) : ثوب رقيق يلبس على البدن . كانون : شهر كانون (ديسمبر) الشتاء . تجريده (من الورق الذي عليه) .

(٢) السري : الشريف ، العالي المقام .

(*) هذه قطعة صغيرة من « رسالة الدار في محاورة الفار » ، كتبها صفي الدين على لسان داره التي كان يسكنها في ماردين ثم أرسلها الى الملك الصالح أبي المكارم شمس الدين يشكو فيها (رمزاً) من مماطلة نائب له (للملك الصالح) بدين . والقطعة المختارة يخاطب الجرذ بها اخوانه الفئران ويقول لهم : ان الدار لما هجرها ساكنها (صفي الدين) ساءت حالهم (لأنها خلت من الطعام لخلوها من الساكنين). أما وقد عزم صفي الدين على الرجوع الى الدار ، فعلى الفئران أن يحسنوا استقباله وأن يكونوا شاكرين هادئين .

(٣) التربة : الارض . الأتراب جمع ترب (بكسر التاء) : الأشخاص الذين هم في سن واحدة . والترب الذي ولد معك (في مكان واحد أيضاً) . بركم : أحسن اليكم . مس جلدي ترابها (راجع ، فوق ، ٧٦٠) .

(٤) العفاء : الامحاء ، الخراب .

(٥) الندوة : مجتمع كبار القوم للتشاور ، مجمع . الحلبة : جماعة الخيل تجتمع للسباق ، وصفي الدين يقصد بالحلبة « ميدان السباق » . الرجل (بفتح الراء) : المشاة . الخيل (الفرسان) . يقصد : أنتم ، أيها الفئران ، تسرحون وتمرحون وتسيرون وتتسابقون في هذا الدار كأنها لكم وحدكم .

(٦) انجابت : انقشعت ، انجلت ، زالت . البؤوس جمع بؤس : شقاء . أفلت (غابت) طوالع (نجوم) .

(٧) قضى (حكم) بسعدها (بأن يعود اليها السعد والسعادة والسكنى) فصل القضاء ... ابتدر : أسرع .

(٨) لم (جمع) شعثها (ما تفرق من الأمور) : وحد جهودها وآراءها . الخبث : النجاسة .

وفي قَراراتِها راسِبين كَرِهَ مَغْناها[1] واتّخذ لنفسه سِواها . فعادَ رَبْعُهــا كالرَمْسِ .....[2] ومتى تَقَبّلَها إذا قابلَها أخْصَبَ رَبْعُها وتَعدّى إلينا نَفْعُها . ألا وإنّ مَنِ استَرشدَ بحِكْمتي أثْبتَهُ في أُمّتي وأتْمَمْتُ عليه نِعْمَتي ....

٤ – ديوان صفيّ الدين الحلّي (صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء)، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٨٣ هـ؛ القاهرة ١٣٤٢ هـ ؛ (نشره حبيب خالد)، دمشق (مطبعة حبيب خالد) ١٢٩٧–١٣٠٠ هـ؛ (ومعه القصائد الارتقيّات) ، بيروت (مكتبة المطبعة الأدبية – طبع بمطبعة الآداب) ١٨٩٢ هـ ؛ (في مجموعة)، مصر ١٢٩٩ هـ ؛ بيروت ١٣٠٠ هـ ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م .

درر البحور في مدائح الملك المنصور (القصائد الارتقيّات) (تحرير برنشتاين) ، ليبسك ١٨١٦م بيروت بلا تاريخ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٨٣ هـ ؛ (في مجموعة) القاهرة ١٢٩٩هـ؛ (في مجموعة مزدوجات لجماعة من الأفاضل السادات) ، مصر ١٣٢٢ هـ .

الكتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي (عني بتصحيحه هونرباخ – باشراف مجمع العلوم والآداب: لجنة الاستشراق ، رقم ١٠) ، ويسبادن (مطبعة فرانتز شتاينر) ١٩٥٥ م .

الكافية البديعيّة (مع شرحها لصفيّ الدين نفسه) ، القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٦ هـ .

* صفيّ الدين الحليّ ، تأليف محمّد رزق سليم ، مصر (دار المعارف – نوابغ الفكر العربي ، رقم٢٧). شعر صفيّ الدين الحلّيّ ، تأليف جواد أحمد علّوش ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م .

فوات الوفيات ١ : ٣٥٦ – ٣٦٦ ؛ الدرر الكامنة ٢ : ٤٧٩ – ٤٨١ (رقم ٢٤٣١) ؛ البدر الطالع ١ : ٣٥٨ – ٣٥٩ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٠٥ – ٢٠٦ ، الملحق ٢ : ١٩٩ – ٢٠٠ ؛ زيدان ٣ : ١٣٩ – ١٤٠ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٤١ .

ابن معتوق الواعظ الواسطي

١ – هو علاءُ الدينِ عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ معتوقِ بنِ عبدالمجيد بنِ ورقاءَ الواسطيُّ ويُعْرَفُ بابن التَرْدةِ ، أصلُه من واسط ، وكان مَوْلِدُه فيها (!) في ٢٢ من شَعبانَ ٦٩٧ هـ (١/ ٦/ ١٢٩٨ م) . نَشأ في بَغْدادَ ثمّ انتقلَ إلى دِمَشْقَ وسَكَنَها وسَمِــعَ فيها الحافِظَ الذَهبي (راجع ، فوق ، ص ٦٠٩) . وقد

(١) ساربين : سائرين في كل مكان منها . القرار : المكان المنخفض . راسب (للجناس مع سارب) : غارق (تحتلون كل مكان فيها ظهر أو خفي) . مغناها : البقعة المسكونة (سكناها) .

(٢) كذا في الاصل . وينقص هنا جملة؛ وأعتقد أنا أن الجملة يجب أن تكون : « وخربت كأن لم تغن بالأمس » (كأن لم تكن مسكونة من قبل) .

تَولّى الوعظَ مُدّةً في دِمَشْقَ في الجامع الأموي .

وخُولِطَ ابنُ معتوقٍ الواسطيُّ وانتابَتْهُ أوهامٌ كثيرةٌ ، ولكنّه ظلّ مُدّةً حَسَنَ الوعظ جيّدَ القولِ في الشعْر . وفي آخرِ أيامه زادَ تخليطُه فأُدْخِلَ المارستانَ فتُوُفِّيَ فيه في ربيعٍ الآخرِ من سَنَةِ ٧٥٠ هـ (مطلَعِ الصيفِ من عام ١٣٤٩ م) .

٢ ـ كان ابنُ معتوقٍ الواسطيُّ معدوداً في عُقلاءِ المجانينِ ، وكان شاعراً رقيقاً حَسَنَ القولِ في الغَزَلِ خاصّة .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال ابنُ معتوقٍ الواعظُ الواسطيُّ في النسيب :

أضْحى جَمالُكَ للورَى أُعجوبةً ، كلُّ الورى قد قُيِّدوا بقِيادِهِ .
فَوَحَقِّ مَنْ سَوّاكَ ، يا بَدْرَ الدُّجى ، ما أنتَ إلاّ فِتنةٌ لِعبادِهِ !

ـ وله قِطعةٌ عليها شيءٌ من النَفَس الصوفيّ :

لي حبيبٌ خَيالُهُ نَصْبَ عَيْني ، أيْنَما كُنْتُ وَجْهُهُ مِرْآتي .
يتَجلّى لِطورِ سِيناءَ قلبي فتراني أَخِرُّ من صَعَقاتي[1] .
لَيْتَني ما عَدِمْتُه من حَبيبٍ أتَراآهُ من جميعِ الجِهات .
وإذا لاحَ أو تجلّى لِعَيْني كِدْتُ أقْضي من شِدّةِ الحَسَرات .
هو ناري وجَنّتي ومَماتي وحَياتي في السِرّ والخَلَوات .
لست مَهْما حَيِيتُ أنساه أصلاً لا ولا ساعةً مِنَ الساعات .

ـ كان ابنُ معتوقٍ الواسطيُّ يتخيّلُ أنّ الناسَ يسرقون كُتُبَه ولا يدفعون إليه أثمانَها ولا يردّونها إليه . وتجسّمَ هذا الوَهْمُ في خَيالهِ في حتّى أصبح راسخاً في تفكيرِه وسلوكهِ فكتب إلى نائبِ الشامِ (حاكمِ الشامِ من قِبَلِ السُلطان) يشكو حالَه (من قصيدة) . ثمّ هو يُعَرِّضُ بنائبِ السلطان فيها :

(١) في البيت اشارة الى الآية التالية في سورة الأعراف : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ، قال : رب ، أرني أنظر اليك . قال : لن تراني ؛ ولكن انظر الى الجبل ، فان استقرّ مكانه فسوف تراني . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً ؛ وخر موسى صعقاً (بفتح الصاد وكسر العين ؛ مغشياً عليه) . فلما أفاق قال : سبحانك ، تبت اليك ، وأنا أول المؤمنين » (٧ : ١٤٣) .

يا نائبَ السلطانِ ، لا تكُ غـافلاً — عن قَتْلِ قومٍ للظواهرِ زوّقوا[1] .
ما هم تِجارٌ بل لُصوصٌ كلُّهم ، — فَأمُرْ بِهِمْ أن يُقتلوا أو يُشنقوا[2] .
وأراكَ لا تُجْدى إليك شِكايةٌ — حتّى * كأنّك حائطٌ لا يَنْطِق[3] .
لا تَعْفُ عن قومٍ سَعَوْا بفسادِهم — في الأرض بَغْياً منهم وتَخرّقوا[4] ؛
واكْشِفْ ظُلامةَ مَنْ شكا من خَصْمِه ؛ — فالحقُّ حقٌّ واضحٌ هو مُشرق ؟

— وله في مثل ذلك :

يا دارَ علوةَ ، لا عَداكِ غَمامُ ؛ — مِنّي عليكِ تَحيّةٌ وسَلامُ[5] .
فلقد تَقضّتْ لي بِرَبْعِكِ عيشةٌ ، — زَمَنَ الصبا إذْ لستُ فيك أُلامُ[6] ،
مَعْ فِتْيَةٍ حلّوا بِبَطحاءِ الحِمى — وهم بقلبي مَرْبَعٌ ومُقامُ[7] ؛
يَحْمونَ بالبِيض النزيلَ حَميّةً ، — ومَنِ استجارَ بهم فليس يُضامُ[8] .
انْظُرْ الَيْهم كيفَ تُضْرَمُ نارُهم — للطارقينَ إذا ألَمَّ ظلامُ[9]
تَرَهُمْ إذا ما الليلُ جَنّ عليهِمُ — وهُمو سُجودٌ في الدُجى وقِيامُ[10] .
لولاهُمُ ما كان يُعْرَفُ ما الهوى ، — كلاّ ولا بَيْعُ النفوسِ يُسامُ[11] !

٤ — * * فوات الوفيات ٢ : ٥٠ — ٥٢ ؛ الدرر الكامنة ٣ : ٧٦ — ٧٧ (رقم ٢٦٦١) ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٥٤ .

---

(١) للظواهر زوقوا : زينوا مظاهرهم (ثيابهم وأعمالهم الظاهرة) ليخدعوا بها الناس .
(٢) التجار (بكسر التاء وفتح الجيم المهملة) : التجار (بضم التاء وتشديد الجيم) .
(٣) في الاصل : الا كأنك حائط ...
(٤) البغي : الظلم . تخرق (الكذب) : اختلق الكذب . — كذبوا على الناس .
(٥) لا عداك غمام : لا مرت بك غيمة (من غير أن تمطر) .
(٦) لست فيك (كذا في الأصل) ، اقرأ : اذ لست فيه (في زمن الصبا لا يلام الشاب على ما يفعل !)
(٧) هم يسكنون في البطحاء (الارض المستوية ، في مكة) في الحمى (الارض المحمية) . ولكنهم يسكنون في قلبي (لأني أحبهم) .
(٨) البيض : السيوف . يضام : يظلم .
(٩) الكرماء يشعلون في الليل ناراً حتى يراها الطارقون (الغرباء الآتون ليلا) فيأتون اليها وينزلون ضيوفاً على على أصحابها . ألم ظلام : بدأ نزول الليل .
(١٠) جن عليهم الليل : سترهم ، غطاهم . اذا أظلم الليل . قيام في الليل للعبادة وسجود (ساجدون : يقضون الليل بالصلاة) .
(١١) يسام : يطلب . لولا حب (أهل التصوف لله) لما كان في الارض حب ، ولا كان أحد يهب نفسه لمحبوبه (غير الله) .

الفاضل اليماني

١ – هو السيّدُ عزُّ الدين يحيى بنُ القاسمِ بنِ عُمَرَ بنِ عليَ اليمنيُّ الصَنْعانيّ ، يُعْرَفُ بالفاضلِ اليمانيّ (اليمنيّ) وبالفاضل العَلَويّ ، من أهلِ صَنْعاءِ اليَمَنِ ، وُلِدَ سَنَةَ ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) .

تَلَقّى الفاضلُ اليمانيُّ العِلْمَ على مشايخِ اليمنِ ثمّ ارتحَلَ ، للازديادِ من العلمِ ، إلى العِراق والشام وخُراسانَ ؛ وقد قرأ القُرآنَ في بَغْدادَ على ابنِ المحروقِ الواسِطيّ . وفي سَنَةِ ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) وَصَلَ إلى دِمَشْقَ من بلادِ العجم ولَقِيَ صلاحَ الدينِ الصفَدِيَّ . ويبدو أنّه غادَرَ دِمَشْقَ وَشيكاً إلى اليمن ، فما كاد يَصِلُ إليها حتّى أدْرَكَتْه الوفاةُ ، سَنَةَ ٧٥٠ هـ في الأغلب .

٢ – بَرَعَ الفاضلُ اليمانيُّ في علومٍ كثيرةٍ ولكنّه صَرَفَ مُعْظَمَ عِنايتِه الى « الكشّاف »(١) وصَنّفَ عليه بِضْعَ حواشٍ وتعليقات منها حاشِيَتُهُ المشهورةُ « حاشيةُ العلوي » . ومِنْ كُتُبِه : دُرَرُ الأصداف في حلّ عُقَدِ الكشّاف – تُحْفَة الأشراف في كشف غوامض الكشّاف – شَرْحُ اللُباب (لتاج الدين الاسفرايني ، في النحو) . وللفاضل اليمني شِعْرٌ سَهْلٌ رقيقٌ فيه شيءٌ من المَرَحِ والتَهَكُّم .

٣ – مختارات من شعره

– قال الفاضلُ اليمنيُّ يشكو كَثْرَةَ اشتغالِه بالعِلم وقِلّة العائدة من ذلك* :

إنّ *المُفَصّلَ و *المِفْتاحَ قد شَغَلا صِبايَ واستغرقا بالدَرْسِ أوقاتي(٢) .
ووافَقَ *الفائقُ *الكَشّافَ آوِنَةً مَعَ *الأساس على كَدّي وإعناتي(٣) .
واللهُ يعلَمُ ما عُنِّيتُ من تَعَبٍ في *الجامِعَيْنِ وتخريجِ *الزيادات(٤) .
وفي الأصولِ وفي فنّ الخِلاف على رأيِ العَميديّ ثمّ الأبْهَرِيّات(٥) .

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل (في تفسير القرآن) للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) . راجع ، فوق ، ص ٢٧٧ .

(*) الكلمة المسبوقة بنجم * هي اسم كتاب (ان عدداً من هذه الكتب مذكورة في فهرست الكتب من هذا الكتاب) .

(٢) استغرق الدرس أوقاتي : ملأها ، أحاط بها .

(٣) الكد : التعب . الإعنات : الصعوبة والمشقة . ما (بمعنى : الذي) مفعول به من الفعل « يعلم » .

(٤) تخريج الأشعار (مثلا) ذكر الكتب التي ترد تلك الاشعار فيها .

(٥) الأصول : أصول الفقه (القواعد العامة في العقائد الدينية) . الخلاف : اختلاف آراء الفقهاء في المسائل الدينية . أبو حامد محمد بن محمد العميدي السمرقندي (ت ٦١٥ هـ). الأبهري : لعل المقصود هنا أثير الدين المفضل ابن عمر الأبهري السمرقندي (ت ٦٦٣ هـ) وله تصانيف كثيرة في الحكمة (الفلسفة) والمنطق والفلك .

وخُضْتُ في أبْحُرِ الرازي أُعبِّرُ عن   شَرْحِ «العُيون إلى شَرْحِ «الإشارات[1] .
وكم نَسَخْتُ وكم صَحَّحْتُ من نُسَخٍ ،   وكم تَصَرَّفْتُ في مَحْوٍ وإثبات .
وكم لَقِيتُ شيوخاً بَرّزوا قِدَماً   في الصالحات وفاقوا في الروايات .
فما استَفَدتُ بما حَصَّلْتُ في عُمُري   سوى عَقاربَ تؤذيني وحَيّات .

٤ ـ * بغية الوعاة ٤١٤ ؛ البدر الطالع ٢ : ٣٤٠ ـ ٣٤١ ؛ بروكلمان ١ : ٣٤٥ (أسفل الصفحة) الملحق ١ : ٥٠٨ (السطر الحادي عشر) ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

ابن هشام الأنصاري

١ ـ هو جَمالُ الدينِ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ بْنِ أحمدَ بْنِ عبدِ الله بن هِشامٍ الأنصاريّ المِصْريُّ ، وُلِدَ في ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٧٠٨ ﻫ (نَيْسانَ ـ أبريل ١٣٠٨ م) .

سَمِعَ ابنُ هِشامٍ ديوانُ زُهيرِ بن أبي سُلمى من أبي حَيّانَ الغَرْناطيّ ثمّ خالَفَهُ وانْحرَفَ عنه ؛ وتلقّى أشياءَ من العِلْمِ على الشِهاب عبدِ اللطيفِ بن المُرحِّل وابنِ السرّاج والتاجِ التبريزي والتاج الفاكهانيّ .

وحَرَصَ ابنُ هشامٍ على أن يَنالَ نصيباً كبيراً من الدنيا فلم يَتِمَّ له ذلك : كان في أوّلِ أمرِهِ على المذهب الحَنَفيّ ثمّ تفقّه بالمذهبِ الشافعيّ ودرّس تفسيرَ القُرآنِ في القبّة المنصورية . ولمّا لم يستطعْ أن يحتلَّ مَنْصِباً سامياً في مدارسِ الشافعيّة انتقل الى المذهبِ الحَنْبَليّ فأقامه الحنابِلَةُ في مَنْصِبٍ للتدريس في مدارسهم .

وكانتْ وفاةُ ابنِ هشامٍ الأنصاريِّ في خامسِ ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٧٦١ ﻫ (١٨/ ٩/ ١٣٦٠ م) .

٢ ـ كان ابنُ هشامٍ الأنصاريُّ عالماً بالعَرَبيةِ (باللغة والنحو) « انفردَ بالفوائدِ الغَريبة والمباحِثِ الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البارعِ والاطّلاع المُفْرِطِ والاقتدار على التصرُّفِ في الكلام وبالمَلَكَةِ التي كان يتمكّنُ من التعبيرِ بها عن مقصودِهِ بما يُريدُ مُسْهِباً ومُوجِزاً » (بغية الوعاة ٢٩٣) . وقال ابنُ خَلْدونِ

(١) ان الكلمتين : « اشارات » و « عيون » تأتيان في عدد كبير من أسماء الكتب ، وكذلك « شرح الاشارات » و « شرح العيون » . والرازون أيضاً كثيرون عد بروكلمان منهم أربعة عشراً رازياً ، ولم استطع تعيين الذي يقصده الشاعر .

(المقدّمة ، بيروت ١٩٠٠ ، ص ٥٤٧) : « ووَصَلَ إلينا بالمَغْرِبِ لهذه العصور ديوانٌ من مِصْرَ منسوبٌ إلى جمال الدين بن هشام من عُلمائها استوفى فيه أحكامَ الإعراب مُجْمَلَةً ومُفَصَّلَةً ، وتكلّم على الحروف والمُفْردات والجُمَل وحذفَ ما في الصناعة من المُتَكَرِّرِ في أكثر أبوابها وسمّاه بالمُغْني في الإعراب ، وأشارَ الى نُكَتِ إعرابِ القُرآنِ كلِّها وضَبَطَها بأبوابٍ وفصولٍ وقواعدَ انتظم سائرَها[1]. فوقَفْنا منه على علمٍ جَمٍّ يشهَدُ بعُلُوِّ قدره في هذه الصِناعة ووُفورِ بِضاعته منها ، وكأنّه يَنْحو في طريقته مَنْحاةَ أهلِ المَوْصِلِ الذين اقْتَفَوْا أَثَرَ ابنِ جِنّي واتّبعوا مُصْطَلَحَ تعليمه فأتى من ذلك بشيءٍ عَجيب دالٍّ على قُوّةِ مَلَكَتِه واطّلاعه » .

ولابن هشامٍ الأنصاريِّ من الكُتُب : قَطْرُ النَدى وبَلُّ الصَدى (نحو) — مُغْني اللبيبِ عَنْ كُتُبِ الأعاريبِ — الإعرابُ عن قواعدِ الإعرابِ — شُذورُ الذهب في معرفةِ كلامِ العرب — مُوقِدُ الأذهانِ ومُوقِظُ الوَسْنان (نحو) — المباحثُ المَرْضيّةُ المُتَعلّقَةُ بِمَنْ الشرطيّةِ .

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » :

انّ أَوْلى ما تَقْترحُه القرائحُ وأعلى ما تَجنَحُ إليه الجوانحُ[2] ما يَتَيَسَّرُ به فَهْمُ كتابِ الله المُنْزَلِ ويَتّضِحُ به حديثُ نبيّه المُرسَلِ ، فإنّهما الوسيلةُ إلى السعادة الأبديّة والذريعةُ[3] إلى تحصيلِ المصالح الدينية والدُنْيويّة ؛ وأصلُ ذلك عِلمُ الإعراب الهادي الى صَوْب[4] الصواب . وقد ..... وضعتُ هذا التصنيفَ على أحسنِ إحكامٍ وترصيف وتتبّعتُ فيه مُقْفَلات مسائلِ الإعراب فافْتَتَحْتُها ومُعْضَلات يَسْتَشْكِلُها الطُّلاّبُ فأوضحتُها ونَقّحتُها وأغلاطاً وقعتْ لجماعةٍ من المُعْرِبين[5] وغيرِهم فنبّهتُ عليها وأصلحتها .....

---

(١) انتظم سائرها — يقصد ابن خلدون : جعل ابن هشام الأنصاري للاعراب تقسيماً وتبويباً وقواعد تضبط جميع أحواله على نسق واحد .

(٢) القرائح : العقول . جنح : مال . الجوانح جمع جانحة : الضلع ، جانب الصدر (المقصود : القلب) .

(٣) الذريعة ، الوسيلة ، السبب ، السبيل (الى الوصول الى الشيء) .

(٤) صوب : ناحية .

(٥) المعضلة : المسألة الصعبة التي لا يسهل الاهتداء الى وجه حلها . المعرب : المشتغل بفن الاعراب (التحليل النحوي) .

وممّا حثّني على وضعه أنّني لمّا أنشأتُ في معناه المقدّمةَ الصُغرى المُسمّاة بـ« الإعراب عن قواعد الإعراب »[1] حَسُنَ وقعُها عند أُولي الألباب وسار نَفْعُها في جماعة الطلاّب معَ أنّ الذي أوْدَعْتُه فيها بالنسبة إلى ما ادّخرْتُه عنها كشَذْرةٍ من عِقدِ نحْرٍ[2] بل كقطرةٍ من قَطَرات بحرٍ . وها أنا بائحٌ بما (كنتُ قد) أسْرَرْتُه مُفيدٌ لمَا قرّرْتُه وحرّرته مُقَرِّبٌ فوائدَه للأفهام .... لِينالَها الطلاّبُ بأدنى إلمام[3] . ويَنْحَصِرُ (هذا الكتاب) في ثمانيةِ أبوابٍ : في تفسير المُفردات وذِكْرِ أحكامِها — في تفسير الجُمَلِ وذكر أحكامها — في ذكر ما يتردّدُ بينَ المُفردات الجُمَلِ ، وهو الظَرْفُ والجارُّ والمجرور وذكر أحكامهما — في ذكر الأوجه التي يدخُلُ الخلَلُ على المُعْرِبِ من جِهتِها — في التحذيرِ من أمورٍ اشتهرتْ بين المُعربين والصوابُ خِلافُها — في كيفيّة الإعراب — في ذكر أمورٍ كُلّيّة يتخرّجُ عليها ما لا ينحصر من الأمور الجزئية —.....

— من مقدّمة « (شرح) قطر الندى وبلّ الصدى » :

.... وبعدُ ، فهذه نُكَتٌ حرّرتُها على مقدّمتي المسمّاة « قَطْرَ الندى وبلّ الصَدى »[4] رافعةٌ لِحِجابِها كاشفةٌ لِنِقابِها مُكَمِّلَةٌ لشواهدِها مُتمّمةٌ لِفوائدها ، كافيةٌ لِمَنِ اقتصر عليها وافيةٌ ببُغْيَةِ من جَنَحَ من طُلاّب علم العربية إليها[5] . واللهُ المسؤولُ أن ينفعَ بها كما نَفَعَ بأصْلِها .....

— ومن شعر ابن هشام الانصاريّ النحويّ قوله :

ومَنْ يصطَبِرْ للعلمِ يظفَرْ بنَيْلهِ ، ومن يخطُبِ الحسناءَ يَصْبِرْ على البَذْلِ .
ومَنْ لم يذلَّ النفسَ في طَلَبِ العُلا يسيراً ، يَعِشْ دَهْراً طويلاً أخا ذُلِّ .

٤ — أوّلاً : كتب لابن هشام :

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (طبع حجر) بلا ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخه[6] ؛ ثمّ مصر

(١) كتاب في النحو لابن هشام . في معناه (في موضوعه) .

(٢) ادخرته : خزنته (لم أثبته في ذلك الكتاب) . الشذرة : القطعة الصغيرة من الذهب توضع بين اللؤلؤة واللؤلؤة من العقد . النحر : العنق ، الرقبة .

(٣) مفيد : باذل (ذلك العلم) لافادة الطالبين . الإلمام : المعرفة القليلة (السطحية) .

(٤) وضع ابن هشام كتاب « قطر الندى الخ » ثم شرحه بنفسه .

(٥) علم العربية : النحو .

(٦) عدد من الطبعات أكثرها في مصر (!) .

(طبع حجر) بلا تاريخ ؛ طهران ١٢٦٨، ١٢٧٢، ١٢٧٤ ﻫ ؛ تبريز (طبع حجر) ١٢٧٦ ﻫ ؛ بولاق ١٢٨٤ ﻫ ؛ (على هامش حاشية الدسوقي) ، بولاق ١٢٨٦ ﻫ ؛ (على هامش مغني اللبيب) ، القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٩ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى البابي) ١٣٠٢ ﻫ ؛ (بهامش حاشية الدسوقي على المغني) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ﻫ؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣٠٧، ١٣١٧ ﻫ ؛ مصر : الجزء الأوّل (المطبعة الشرفية) ١٣٢٨ ﻫ ، الجزء الثاني (المطبعة الجمالية) ١٣٢٩ ﻫ ؛ (حقّقه محمّد محيى الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٥٩ م؛ (حقّقه مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله)، دمشق (دار الفكر العربي) ١٩٦٤ م .

قطر الندى وبلّ الصدى (طبع حجر) بلا ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخه ؛ ثمّ بولاق ١٢٥٣، ١٢٦٤، ١٢٧٤ﻫ؛مصر (طبع حجر) ١٢٨٢، ١٣٣٠ﻫ ؛ (بهامش حاشية السجاعي على قطر الندى) ، بولاق ١٢٨٧، ١٢٩٩ ﻫ ؛ (بهامشها نفسها) ، القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٢٩٩ ﻫ ؛ (بهامشها نفسها أيضاً) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٥ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٢٩٨ﻫ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٤ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣١١ ﻫ ؛ القاهرة ١٣٤٤ ﻫ ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٣ م ؛ تونس ١٢٨١ ، ١٣٢٦ﻫ ؛ فارس ببلاد العجم ١٢٨٥ﻫ ؛ (شرحه محمّد الزيني ومحمّد عبد المنعم خفاجي)، القاهرة (الشعب) بلا تاريخ .

موقد الأذهان وموقظ الوسنان (في الأحاجي النحوية = ألغاز ابن هشام الانصاري)، القاهرة. (المطبعة الازهرية) ١٢٧٩ ﻫ ؛ مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٢٩٩ ﻫ ؛ (بهامش حاشية على ألغاز ابن هشام الانصاري) ، القاهرة (محمود الحلبي) ١٣٠٤ ﻫ ؛ مطبوع مع كتاب شذور الذهب) ، القاهرة ١٣٠٥ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة الحرمين) ١٣٢٢ ﻫ .

شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، استانة ١٢٥٣ ﻫ ؛ بولاق ١٢٥٣، ١٢٨٢، ١٢٩٢ ﻫ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٢٧٩، ١٢٨٩ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٢٩٩ ﻫ ؛ (بهامش حاشية الأمير الكبير السنباويّ الازهري على شذور الذهب) ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ ﻫ ؛ (بهامشها نفسها) ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤، ١٣٠٧ ﻫ ؛ (بهامشها نفسها أيضاً)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ﻫ ؛ القاهرة ١٣١٠، ١٣٢٠ ﻫ ؛ (في مجموعة) ، القاهرة ١٣٤٤ ﻫ ؛ القاهرة (مطبعة التقدم) ١٣٤٨ ﻫ ؛ (مطبوع مع « منتهى الارب بتحقيق شرح شذور الذهب» ، تأليف محمّد محيى الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المطبعة التجارية الكبرى) ١٩٥٣م ؛ (مع منتهى الارب نفسه ...) ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ١٩٦٣ م .

أوضح المسالك الى ألفيّة ابن مالك (= التوضيح) (تحرير عبد الرحيم الصافيبوري) ، كلكتّا ١٨٣٢، ١٨٣٧ م ؛ القاهرة (مطبعة الاعلام) ١٣٠٤ ﻫ ؛ القاهرة ١٣١٢ ﻫ ؛ القاهرة

١٣١٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة؟- المكتبة المحمودية) ١٣١٦ هـ ؛ الطبعة الرابعة ، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٥٦ م ؛ (مطبوع مع بغية السالك الى أوضح المسالك ، تأليف عبد المتعال الصعيدي) ، القاهرة (مطبعة محمّد علي صبيح وأولاده) ١٩٦٤ م .

الاعراب عن قواعد الاعراب (بذيل قطر الندى) ، بولاق ١٢٥٣ هـ ؛ (مطبوع مع مجيب الندا) ، بولاق ١٢٦٤ هـ ؛ (مطبوع مع قطر الندى) ، تونس ١٢٨١ هـ ؛ (مطبوع مع قطر الندى) ، مصر (طبع حجر) ١٢٨٢ هـ ؛ مصر (؟) (المطبعة المحروسة) ١٢٨٢ هـ ؛ (مطبوع مع نزهة الطرف للميداني) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ ؛ مصر ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ .

الجامع الصغير في علم النحو (نشره شريف سعيد الزيبق) ، دمشق (مطبعة الملاّح) ١٩٦٨ م .

مختصر شرح شذور الذهب ، فاس ١٣١٢ هـ (راجع بروكلمان ٢ : ١٩ ، السطر ٢٠) .

أربع رسائل[1] (مسائل في النحو وأجوبتها - مسألة اعتراض الشرط على الشرط - كتاب الشهداء في أحكام « هذا » - شرح القصيدة اللغوية في المسائل النحوية) .

- ثانياً : شروح وحواش وتعليقات على كتب ابن هشام :

(في ما يتعلّق بمغني اللبيب) : « تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب » لمحمّد بن أبي بكر الدماميني المتوفّى ٨٢٧ هـ (بهامش المنصف من الكلام) ، القاهرة ١٣٠٥ هـ ؛ « المنصف من الكلام على مغني ابن هشام » لأحمد بن محمّد الشُمُنّي (ت ٨٧٢ هـ) ، طهران (طبع حجر) ١٢٧٢ - ١٢٧٣ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٥ هـ ؛ الاستانة ١٣٠٥ هـ ؛ « حاشية علي مغني اللبيب » لمحمّد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ) أتمّها ابنه مصطفى ، (بهامش مغني اللبيب) ، بولاق ١٢٨٤ ، ١٢٨٦ ، ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة ١٢٨٧ ، ١٢٩٩ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ ؛ « حاشية الأمير علي مغني اللبيب » لمحمّد ابن محمّد بن عبد القادر السنباوي الازهري المعروف بالأمير (ت ١٢٣٢ هـ) ، القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٩ هـ ؛ (بهامش مغني اللبيب) ، القاهرة .... هـ ؛ (بهامش شذور الذهب) ، القاهرة (محمّد مصطفى) ١٢٩٩ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٣٠٢ هـ ؛ مصر ١٣٠٥ ، ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة ١٣١٠ ، ١٣٢٧ هـ ؛ « القصر المبني على حواشي المغني » (= حاشية على شرح الازهري على مغني اللبيب) لعبد الهادي نجا بن رضوان نجا المصري الإبياري (ت ١٣٠٥ هـ) ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣٠١ هـ ؛ « فتح القريب بشرح شواهد مغني اللبيب عن كتب الاعاريب » للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، القاهرة (المطبعة البهيّة) ١٣٢٢ ، (جمال وخانجي)١٣٢٢ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٤هـ ، الخ ؛ (بتصحيحات وتعليقات للشنقيطي - وقف على طبعه أحمد ظافر تحوجان) ، بيروت (لجنة التراث العربي)

---

(١) هذه الرسائل أدخلها جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه « الاشباه والنظائر » (في النحو) والمطبوع في حيدر اباد الطبعة الثانية ١٣٥٩ - ١٣٦١ هـ (راجع دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٠١) .

١٩٦٦ م ؛ « السبك العجيب لمعاني حروف مغني اللبيب » (منظومة لمولاي عبد الحفيظ سلطان المغرب) ، فاس ١٣٣٠ هـ ؛ « شرح السبك العجيب » لمحمّد الأغظف الولاتي (اللواتي) الحوضي مع « حاشية فتح الصمد » لعليّ بن مبارك الرعيني الادريسي ، بولاق ١٩٢٩ م ، ١٣٢٥ – ١٣٢٦ هـ (؟) .

(في ما يتعلّق بقطر الندى) : « مجيب الندا الى شرح قطر الندى » لعبد الله بن أحمد الفاكهي (ت ٩٧٢ هـ) ، بولاق ١٢٦٤ هـ ؛ القاهرة (مطبعة حمد شاهين) ١٢٨١ هـ ؛ (بهامش حاشية ياسين العليمي) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٢هـ ؛ بومبيء ١٨٨٠ م ؛ «حاشية» علي مجيب الندا للفاكهي ، لياسين بن زين الدين الشهير بالعليمي الحمصي (ت ١٠ شعبان ١٠٦١ هـ) ، القاهرة ١٢٩٩ ، ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٣ هـ ؛ « حاشية » على شرح القطر ، لعليّ بن عبد القادر النبتيتي (ت نحو ١٠٦٥ هـ) ، القدس ١٣٢٠ هـ ؛ « حاشية » على شرح القطر لأحمد بن محمّد السجاعي (ت ١١٩٧ هـ) ، بولاق ١٢٧٢ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨٧ هـ ؛ القاهرة (محمّد مصطفى) ١٢٩٩ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٢٩٨ ، ١٣٠٨هـ ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ ، ١٣٠٦ هـ ؛ القاهرة (بولاق) ١٣٠٥ – ١٣٠٦ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٥ هـ ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٤ م ؛ « حاشية » (على قطر الندى) للحسن بن عبد الكبير (ت ١٢٣٣ هـ) ، تونس ١٢٨١ هـ ؛ « حاشية » (على مجيب الندا على قطر الندى) لمحمود الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، القاهرة ١٣٢٠ هـ ؛ « تقرير على حاشية الامام السجاعي » (على قطر الندى) لمحمّد بن محمّد الانبابي (ت ١٣١٣ هـ) ، القاهرة ١٣٠٥ – ١٣٠٦ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٠ هـ ؛ « حاشية » (على قطر الندى) لمحمّد غوث بن محمّد بن ناصر الدين بن صبغة الله ، مدراس بالهند ١٣٠١ – ١٣٠٢ هـ ؛ « نظم متن القطر » لعبد العزيز الفرغلي المتوفّى ١٣١٦ هـ (بهامش قطر الندى) ، القاهرة ١٢٥٣ هـ ؛ (مطبوع مع مجيب الندا) ، بولاق ١٢٦٤ هـ ؛ القاهرة ١٢٨٠ هـ ؛ تونس ١٢٨١ هـ ؛ مصر (طبع حجر) ١٢٨٢ ، ١٣٣٠ هـ ؛ مصر (المطبعة المحروسة) ١٢٨٢هـ (؟) ؛ « تكميل المرام بشرح شواهد ابن هشام » لأبي عبد الله محمّد بن عبد القادر الفاسي (ت ١١١٦ هـ) ، فاس ١٣١٠ هـ ؛ « شفاء الصدر بتوضيح واعراب شواهد القطر » لعليّ بن عبد الرحيم العدوي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة (المكتبة المحمودية) ١٣٢٢ هـ .

(في ما يتعلّق بشذور الذهب) : « حاشية على شرح شذور الذهب » لمحمّد بن عبادة بن برّي العدويّ (ت ١١٩٣ هـ) ، القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٣ هـ ، (حاشية العدوى نفسها ، بهامش شرح شذور الذهب) ، القاهرة (مطبعة التقدّم) ١٣٤٨ هـ «حاشية» على شرح ابن هشام لمختصره (لشذور الذهب) ، للأمير الكبير محمّد بن محمّد بن أحمد ابن أحمد بن عبد القادر السنباوي الازهري (ت ١٢٣٢ هـ) ، القاهرة ١٢٧٢ هـ ؛ مصر (طبع حجر) ١٢٨٥ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية)

١٣٠٤، ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ ؛ « تقرير على حاشية الأمير محمّد السنباوي » (على شذور الذهب) لمحمّد بن محمّد الانبابي (ت ١٣١٣ هـ) ، القاهرة ١٢٧٥ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٠ هـ ؛ « شرح شواهد شذور الذهب » لشمس الدين محمّد بن علي الفيّومي (ت هـ) ، مصر ١٢٨١ ، ١٢٩١ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٤ هـ .

(في ما يتعلّق بالاعراب عن قواعد الاعراب) : موصّل الطلاّب الى قواعد الاعراب » لخالد ابن عبد الله الازهري (٩٠٥ هـ) ، استانبول ١٢٨٥ هـ ؛ القاهرة ١٢٩٢ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٩ هـ ؛ (مطبوع مع اعراب ألفية ابن مالك) ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٨ هـ ؛ « مختصر (الاعراب) مع شرح لجملته المختصر من قطر الندى لعليّ بن أحمد بن محمّد الجزولي ، فاس ١٣١٢ هـ (بروكلمان ، الملحق ٢ : ١٩ ، السطر ٢٠) .

(في ما يتعلّق بموقد الأذهان وموقظ الوسنان) : « حاشية » = (ألفاظ) لأحمد سيف الغزّيّ الحنفيّ ، القاهرة ١٣٠٤ هـ .

التصريح بمضمون التوضيح (شرح على أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ، لابن هشام) لخالد بن عبد الله الجرجاوي [1] الازهري (ت ٩٠٥هـ) ، بولاق ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١١٣٠٥ هـ ؛ « حاشية » على التصريح بمضمون التوضيح لياسين بن زين الدين العليمي (ت ١٠٦١ هـ) ، القاهرة ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ١٣٤٤ هـ ؛ طهران بلا تاريخ ؛ ثمّ طهران ١٢٨٦ هـ ؛ ١٨٨١ ، ١٨٨٨ م .

تهذيب أوضح المسالك ، تأليف محمّد سليم علي واحمد مصطفى المراغي ، القاهرة ٣٢٩ هـ .

منار السالك الى أوضح المسالك ، تأليف محمّد عبد العزيز حسن ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

بغية السالك الى أوضح المسالك ، تأليف عبد المتعال الصعيدي (مطبوع مع أوضح المسالك لابن هشام) ، القاهرة ، الطبعة الثالثة (مطبعة محمّد علي صبيح وأولاده) ١٩٦٤ م .

منتهى الارب بتحقيق شرح شذور الذهب ، تأليف محمّد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٥٣ م ؛ الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٣ م .

سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى ، تأليف محمّد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٥٤ م .

حاشية على ألغاز ابن هشام الانصاري (موقد الاذهان) ... لخالد بن عبد الله الأزهري ، القاهرة (محمود الحلبي) ١٣٠٤ هـ .

حاشية على أوضح المسالك ، لمحمّد بن الطيّب بن عبد المجيد الكرانيّ (ت ١٢٢٧ هـ) ، فاس ١٣١٥ هـ .

الدرر الكامنة ٢ : ٤١٥ ـ ٤١٧ (رقم ٢٢٤٨) ؛ ذيول العبر ٣٣٦ ؛ بغية الوعاة ٢٩٣ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٧ ؛ شذرات الذهب ٦ : ١٩١ ـ ١٩٢ ؛ البدر الطالع ١ : ٤٠٠ ـ ٤٠٢ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٧ ـ ٣١ ، الملحق ٢ : ١٦ ـ ٢٠ ؛ زيدان ٣ : ١٥٤ ـ ١٥٥ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨٠١ ـ ٨٠٢ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٩١ .

---

(١) ؟ شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله الأزهري ، القاهرة (المطبعة البهية) ١٣٠٥ هـ .

ابن شاكر الكتبيّ

١ ــ هو صلاحُ الدين أبو عبد الله محمّدُ بنُ شاكر بن أحمدَ بن عبد الرحمن الدارانيُّ الدمَشْقِيُّ ، كان مولدُه في داريّا (إحدى قُرى دمشق) ، سَنَةَ ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) . وقد نشأ في دِمَشْقَ وتلقّى العلمَ في حلبَ ودمَشقَ فسَمِعَ الحديثَ من ابن الشِحْنة[1] ومن الحافظ يوسفَ بن عبدِ الرحمن المِزّي (٦٥٤ ــ ٧٤٢ هـ) مُحدِّثِ الشام في عصرِه ومن الحجّار[2] وغيرِهم . وكان فقيراً فاتّجرَ بالكُتُبِ وجَمعَ مالاً كثيراً . وكانتْ وفاتُه في رَمَضانَ من سَنَةِ ٧٦٤ هـ (صيف ١٣٦٤ م) في دمشق .

٢ ــ ابنُ شاكرٍ الكتبي من المؤرّخين ذوي الذَوْقِ الأدبي ؛ له كِتابُ عُيونِ التواريخ ، وهُوَ مجموعٌ من التراجمِ مُرتّبةٌ على السِنينَ تَقِفُ عند سَنَة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) ؛ وكتاب فَواتُ الوَفَيات ، وهو مجموعٌ آخرُ من التراجم لم يذْكُرْها ابنُ خلِّكانَ في كتابهِ « وَفَيَات الأعيان » أو ذكَرَها ذِكْراً يسيراً .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من مقدّمة « فَوات الوَفَيات » :

... وبعدُ فإنّ علمَ التاريخ مِرآةُ الزمانِ لِمَنْ تَدبّرَ ومِشْكاةُ أنوارٍ يَطّلِعُ بها على تَجارِبِ الأمَمِ من أمعَنَ[3] النَظَرَ وتفكّر ؛ وكنتُ ممّن أكثَرَ لكُتُبِه المُطالعةَ واستجلى من فوائده المُراجعة . فلمّا وقفتُ على كتابِ وَفَيَاتِ الأعيانِ لقاضي القُضاةِ ابنِ خلّكانِ ، قدّسَ اللهُ روحَه ، وَجدتُه من أحْسَنِها وضعاً لما اشْتَمَلَ عليه من الفوائدِ الغَزيرة والمحاسنِ الكثيرة ، غيرَ أنه لمْ يذكُرْ أحداً من الخُلفاء ؛ ورأيتُه قد أخلّ بتراجمِ فُضلاءِ زمانه وجماعةٍ ممّنْ تقدّمَ على أوانه ــ ولم أعلَمْ : أذلِكَ ذُهولٌ عنهم أو لم يَقَعْ له تَرْجَمَةُ أحدٍ منهم . فأحبَبْتُ أنْ أجْمَعَ كِتاباً يتضمّنُ ذِكْرَ مَنْ لَمْ يذكُرْهُ مِنَ الأئمّةِ الخُلفاء والسادةِ الفُضلاء وأُذيّلَ من وَفاتِه إلى الآنِ . فاستَخَرْتُ اللهَ تعالى فانْشَرَحَ لذلك صدري ، وتوكّلتُ عليه وفَوّضت إليه أمري وسَمّيتُه بفَواتِ الوَفَيات ....

(١) الدرر الكامنة ٤ : ٧٢ ، ولم أعرف أي أبناء الشحنة هو .

(٢) من ذيول العبر ٣٦٩ ، ولم اعرف من هو .

(٣) المقصود : أنعم النظر (دقق ، درس بعناية) .

٤ ـ فوات الوفيات ، القاهرة (مطبعة بولاق) ١٢٨٣هـ ؛ بولاق ١٢٩٩هـ ؛ (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٥١ م .

** الدرر الكامنة ٤ : ٧١ ـ ٧٢ (رقم ٣٧٣٧) ؛ من ذيول العبر ٣٦٩ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٠٣ ؛ بروكلمان ٢ : ٦٠ ، الملحق ٢ : ٤٨ ؛ زيدان ٣ : ١٧٨ ـ ١٧٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٢ : ١١٧٢ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٦ ـ ٢٧ .

الصلاح الصفديّ

١ ـ هو صلاحُ الدين أبو الصفاء خليلُ بنُ أيْبَكَ بنِ عبدِ الله السَيْفيُّ الصَفَدِيُّ ، وُلِدَ في صَفَدَ (فِلَسْطينَ) ، في سَنَةِ ٦٩٦ أو ٦٩٧ هـ (١٢٩٦ م) .

أخذَ صلاحُ الدين الصفديُّ الأدبَ عن شهابِ الدين محمودِ بنِ فهدٍ (ت ٧٢٩ هـ) ولازمه مدّةً ، وعن ابنِ نُباتةَ المِصْريّ (ت ٧٦٨ هـ) ، وأخذَ النحوَ عن أثيرِ الدين أبي حيّانٍ الغَرْناطيّ (ت ٧٤٥ هـ) . أمّا الحديثُ والفِقْهُ فقد سَمِعَهُما من نفرٍ كثيرين منهم : يونسُ الدبابيسيّ (أو الدبّوسيّ) المِصْري (ت ٧٢٩ هـ) ـ وقد سَمِعَ منه في مِصْرَ ـ ومنهم بدرَ الدين بن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) وأبو الفتحِ ابن سَيِّدِ الناس (ت ٧٣٤ هـ) وأبو الحجّاج المِزّيّ (ت ٧٤٢ هـ) مُحدّثِ الديارِ الشامية في وقتهِ ؛ ومنهم الحافظُ أبو عبد الله الذهبيّ (ت ٧٤٨ هـ) وشيخ الاسلام تقيّ الدين السُبكي (ت ٧٥٦ هـ) . ثمّ عاد الحافظُ الذهبي فسَمِعَ منه (وهذا شيء يندُرُ) .

وأوّلُ ما تولّى الصلاحُ الصفديّ من المناصب كتابةُ الدرج في بلده صَفَدَ ثمّ تولى جوانبَ من الكتابة في حلبَ ثمّ في دِمَشْقَ ثمّ في القاهرة ؛ وتولّى كتابةَ السِرّ حيناً في الرَحْبَة (على الفرات الأوسط) ثمّ أصبحَ وكيلاً لبيتِ المال في دِمَشْقَ إلى آخر أيامهِ . وفي هذه الأثناء كُلِّها كان يتصدّرُ للتدريس في أماكنَ مختلفة ، فقد حَدّثَ في دِمَشْقَ (في الجامع الأمويّ) وفي حلبَ وغيرِهما . وكانت وفاتُه في دِمَشْقَ في عاشرِ شوّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٦٤ هـ (٢٣/ ٧/ ١٣٦٣ م) ، وهي السَنَةُ التي اشتدّ فيها « الوباءُ والطاعونُ في البلادِ الشامية والعربية » (شذرات الذهب ٦ : ٢٠٠) .

٢ ـ كان الصلاحُ الصَفَدي أديباً وشاعراً ومؤرّخاً ومُصنّفاً مُكْثِراً له كتب منها : الوافي بالوَفَيات (أوسع كتب التراجم) ـ أعيان العصر وأعوان النصر

(تراجمُ المشاهيرِ ممن شَهِدوا القرن الثامن الهجري) – نَكْتُ الهِمْيان في نُكَتِ العُمْيان (معجم أبجدي للمشاهير من العميان منذ صدر الاسلام) – الشعور بالعُور (تتمّة لنكت الهميان) . وله مجاميع أدبية منها : تَشْنيف السَمْع في انسكاب الدمع (الشعر المتعلّق بالبكاء على الأطلال وعلى الأحباب) – التذكرة الصلاحية (مجموع مطوّل في الشعر والنثر على الأبواب والأغراض) – لَوْعة الباكي ودمعة الشاكي (فيه أخبار المحبين) – ديوان الفُصحاء وتَرْجُمانُ البلغاءِ (مختارات من الشعر والنثر) . وله مصنّفات في النقد وشرح الأدب منها : جِنان الجِناس (في البديع) – فضّ الختام في التَوْرية والاستخدام (في البيان) – الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه – تمام المتون في شرح رسالة ابن زَيْدون – الغيث المسجّم في شرح لاميّة العجم . ثم له دواوين شعرِه ورسائلِه منها : مُنْشَآتُ الصفدي (مجموع مقالاتٍ ورسائلَ وتوقيعاتٍ ومناشيرَ) – ألحان السواجع بين البوادي والمراجع أو الغادي والراجع (مكاتباتٌ له بينَه وبين نفرٍ من معاصريه) . ثم له قصائد وموشّحات ومقامات ، الخ .

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدّمة كتاب الوافي بالوَفَيات :

..... وبعدُ ، فلمّا كانتْ هـذه الأمّةُ المرحومة والملّـة التي أمست أخبارُها بمسك الظلام على كافور الصباح مرقومةً خيرَ أمّةٍ أُخْرِجَتْ للناس وأشرفَ ملّة أبطل فضلُها المنصوصُ من غيرها قواعدَ القياس : علماؤها كأنبياءِ بني اسرائيل ، وأمراؤها كملوك فارسَ في التنويه والتنويل[١] ، وفضلاؤها أرْبَوْا على حكماءِ الهند واليونان في التعليم والتعليل .....

(وقد) جمعَ المؤرّخون أخبارَ تلك الأحبار[٢] ونظموا سُلوكَ تلك الملوك وأحْرزوا عقودَ تلك العقول.... فوقفت على تواريخَ ماتتْ أخبارُها في جِلْدها[٣] .... ووجدتُ النفسَ تَسْتَرْوِحُ الى مطالعة أخبار مَنْ تقدّم ومراجعة آثار من خَرِبَ رَبْعُ عُمُرِه وتَهَدّم .....

والتاريخ للزمان مرآةٌ ، وتراجمُ العالم للمشاركة في المشاهدة مِرْقاة ، وأخبار

(١) التنويه (الاشتهار) والتنويل (العطاء ، الكرم) .
(٢) الحبر (بفتح الحاء) : العالم (بكسر اللام) . تلك الأحبار (كذا في الاصل) – أولئك الأحبار .
(٣) ماتت أخبارها في جلدها : أهملت في بطون الكتب فنسيت .

الماضين لمن عاقرَ الهموم ملْهاة[١] . وربّما أفادَ التاريخُ حزماً وعزماً وموعظةً وعلماً وهِمّة تُذْهِب همّا ... وحِيَلاً تُثار للأعادي من مكامِنِ المكايدِ .... وصَبْراً يبعثه التأسّي بمن مضى ، واحتساباً يُوجِبُ الرضا بما مرّ وحلا من القضا .....

فأحْبَبْتُ أن أجمعَ من تراجم الأعيان من هذه الأمّة الوسَطِ * وكَمَلَة[٢] هذه الملّة التي مدّ الله لها الفضلَ الأوفى وبسط .... فلا أُغادر أحداً من الخلفاء الراشدين ، وأعيان الصّحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والعُمّال والوزراء ، والقرّاء والمحدّثين والفقهاء ، والمشايخ والصُلحاء وأرباب العرْفان[٣] والاولياء ، والنُحاة والادباء والكُتّاب والشعراء ، والاطبّاء والحكماء والألِبّاء والعقلاء ، وأصحابَ النِحَل والبِدَعِ[٤] والآراء ، وأعيان كلّ فنّ اشتهر ممّن أتقنه من الفضلاء من كل نجيب مُجيد ولَبيب مُفيد .....

ولم أُخِلّ بذكر وَفاة أحدٍ منهم الاّ فيما نَدَرَ وشَذّ ، وانخرط في سلك أقرانه وهو فَذّ ، لأنّي لم اتحقّق وفاته ، وكم مَنْ حاول أمراً فما بَلَغَهُ و فَاتَه[٥].....

وجعلتُ ترتيبَه على الحروف وتَبْويبه ، وتَذْهيبَ وضعهِ بذلك وتهذيبه[٦]. على أنّني ابتدأت بذكر سيّدِنا محمّد رَسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم ، إذْ هُوَ الذي أتى بهذا الدين القَيِّمِ وسِراجُهُ وَهّاجٌ ، وصاحبُ التنبيه على هذه الشِرعة[٧] والمِنْهاج ، فأذكرُ ترجمته مُخْتَصِراً ، وأسرد أمْره مُقْتَصِراً ، لأنّ الناس قد صَنّفوا المغازيَ والسِيَر[٨] ، وأطالوا الخُبْر فيه كما أطابوا الخَبَر[٩] .....

---

(١) عاقر الهموم (دام على شرب الهموم كما تشرب الخمر) : تتابعت عليه الهموم .
(٢) الكملة : الكاملون : التابعون : الذين عاشوا في العصر الذي تلا العصر الذي عاش فيه الرسول .
(٣) العمال : الموظفون الذين يجمعون الضرائب . القراء : الذين يقرأون القرآن الكريم ويعرفون قواعد قراءته . أرباب العرفان (المعارف الالهية) : المتصوفون . * الوسط بين الفريقين : الحكم .
(٤) اللبيب : صاحب العقل . النحلة (بكسر النون) : المذهب ، العقيدة . البدعة (بكسر الباء) : الحركة الجديدة في الدين .
(٥) أخل بالشيء : ترك فيه مكاناً فارغاً . الفذ : الوحيد ، الموجود وحده . وفاته = الواو : حرف عطف . فاته (الامر) : ذهب عنه ، ضاع منه ، لم يصل اليه .
(٦) تذهيب : تفريق (في أصناف منظمة) . تهذيب : حذف الأشياء الزائدة ، اختصار .
(٧) الشرعة : الدين ، الشريعة .
(٨) المغازي : مناقب (فضائل) الغزاة (المجاهدين ، المحاربين في سبيل الله) . السيرة (بكسر السين) : حياة فرد من الناس . — المقصود : ألف الناس كتباً كثيرة في غزوات محمد رسول الله وفي تاريخ حياته .
(٩) الخبر (بكسر الخاء أو فتحها أو ضمها) : الاختبار (التقصي ، البحث عن الحقيقة). الخبر (بفتح الخاء والباء) : النبأ ، السرد .

وقد أتيتُ في الترجمة النبويّة بما لا غنيً عن عرفاته ، ولا يَسَعُ الفاضلَ غيرُ الاطّلاع على بديع معانيه وبَيانه . وسردتُ ذِكْرَ من جاء بعده من المُحَمّدين[١] الى عصري وأبناء زماني الذين أينَعَ زَهرُهم في روْض دَهْري . ثمّ أذكر الباقين من حرف الألِفِ الى الياء على توالي الحروف ، وأتيتُ في كلّ حرف بما جاء فيه من الآحاد والعشرات والمئينَ والألوف ، بشرط ألاّ أدَعَ كُمَيْتَ القلم يَمْرَحُ في مَيْدان طِرْسه إذا أجْرَرْتُهُ رَسَنَه[٢] ، ولا أكونَ الاّ من الذين يستمعون القولَ فيتّبعون أحْسَنَهُ ، ولا أغدوَ إلاّ ممّن يُلْغي السيّئةَ ويَذْكُرُ الحَسَنَة.....

وقد قَدّمت قبلَ ذلك مقدّمةً فيها فُصولٌ فوائدها مُهِمّة .... ثمّ انّي أعْقِدُ لكلّ اسْمٍ باباً ينقسم الى فصولٍ بعددِ حروفِ المعجم تتعلّقُ الحروفُ في الفصول بأوايل أسماء الآباء[٣] لِيتَنَزّلَ كل واحدٍ في موضعه ..... وقد سمّيته الوافيَ بالوَفَيَاتِ[٤] ، .....

[أما فصول المقدّمة ففيها كلام على الأغراض التالية :

كيف كانت العرب تؤرّخ — أقدم التواريخ التي بأيدي الناس — تسجيل أيام الشهر — كيفيّة كتابة التاريخ — نِسْبة الرجل الى بلده وصناعته أو مذهبه أو عقيدته الخ وكيفية ذلك — في بيان العَلَم والكُنْية واللقَب[٥] وكيفية ترتيب ذلك مع النسبة — في الهجاء (تهجئة الاسماء) — ترتيب المصنّفات (على السنين وعلى الحروف) — اشتقاق كلمة وفاة — فوائد التاريخ — ذكر شيء من أسماء كتب التواريخ المؤلّفة : تاريخ المشرق وبلاده ، تاريخ مصر ، تاريخ المَغْرب وبلاده ، تاريخ اليمن والحجاز ، التواريخ الجامعة ، تواريخ الخلفاء ، تواريخ الملوك ، تواريخ الوزراء والعُمّال ، تواريخ القُضاة ، تواريخ القرّاء[٦] ، تواريخ العلماء ، تواريخ الشعراء ، تواريخ مختلفة] .

---

(١) المحمدون : الذين اسم كل واحد منهم « محمد » .

(٢) الكميت : الحصان الأحمر . الطرس : الورق . أجررته رسنه : تركته يجر رسنه . — المقصود : لم أترك نفسي على هواها تذكر صاحب كل اسم يخطر في بالي .

(٣) يقصد : يقسم أصحاب الاسم الواحد بحسب أسماء آبائهم = محمد بن أحمد يأتي في فصل قبل الفصل الذي يأتي فيه محمد بن بشير ، الخ .

(٤) الوافي : المبسوط ، المفصل ، الذي يحتوي أشياء كثيرة . الوفيات = جمع وفاة .

(٥) في « أبي الطيب أحمد المتنبي » ؛ أبو الطيب = كنية ، أحمد = علم (اسم) ، المتنبي = لقب .

(٦) الصفحة ٧٩١ ، الحاشية ٣ .

٤ ـ لوعة الشاكي ودمعة الباكي (دمعة الباكي ولوعة الشاكي)* ، مصر (طبع حجر)١٢٧٤ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ هـ ؛ تونس ١٢٧٤ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ (؟) هـ ؛ تونس (مطبعة الفتوح الأدبية) ١٣٣١ هـ ؛ قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، الطبعة الثالثة ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٢ ، ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٣ ، ١٣١٣ هـ ؛ (بذيل المناقب الابراهيمية والمـآثر الخديوية . حمص ١٩١٠ م .

الغيث المسجّم (الغيث الذي انسجم) في شرح لاميّة العجم (للطغرائي) ، الاسكندرية (المطبعة الوطنية) ١٢٩٠ هـ ؛ مصر (المطبعة الازهرية) ١٣٠٥ هـ ؛ ثم القاهرة بلا تاريخ ؛ (اللاميّتان ــ أعدّهما وعلّق عليهما عبد المعين الملوحي)دمشق (وزارة الثقافة وارشاد القومي : احياء التراث القديم ، رقم ١٣) ، دمشق (مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي)١٩٦٦ م .

جنان الجناس في علم البديع ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩هـ .

تشنيف السمع بانسكاب الدمع (لذة السمع في وصف الدمع) ، مصر بلاتاريخ؛القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ .

نكت الهميان في نكت العميان ، القاهرة بلا تاريخ ؛ (وقف على طبعه أحمد زكي) مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م ؛ أعيد طبعه بالتصوير ، بغداد (؟) بعد ١٩٦٠ م .

مقدّمة الوافي بالوفيات ، باريس ١٩١٢ م .

الوافي بالوفيات **

تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، دمشق (مطبعة الولاية) ١٣٢٧ هـ ؛ بغداد (مطبعة الولاية ؟)؟؛ (تحقيق محمّد أبي الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٩ م .

قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الشراكسة ، بـولاق ١٢٨٧ هـ ؛ مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣١٦ هـ .

أمراء دمشق في الاسلام (تحرير صلاح الدين المنجّد) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٩٥٥ م .

(*) ينسب هذا الكتاب الى نفر من المصنفين منهم الصفدي .

(**) الوافي بالوفيات (نشرته لجنة المستشرقين الألمانية : النشريات الإسلامية ، رقم ٦) : الجزء الأول (باعتناء ريتر) استانبـول (مطبعة الدولة) ١٩٣١ م ، الطبعة الثانية ، فيسبادن (دار النشر فرانز شتاينر) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م ؛ الجزء الثاني(باعتناء ديدرينغ)، استانبول (مطبعة وزارة المعارف) ١٩٤٩ هـ؛ الجزء الثالث (باعتناء ديدرينغ) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٩٥٣ ؛ الجزء الرابع (باعتناء سفن ديدرينغ)، دمشق المطبعة الهاشمية ١٩٥٩ م ، الطبعة الثانية (باعتناء هلموت ريتر ــ على صفحة الغلاف اليسرى بالألمانية : نشره سفن ديدرينغ)، فيسبادن (دار النشر فرانز شتاينر) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م؛ الجزء الخامس (باعتناء س . ديدرينغ) ، فيسبادن (دار النشر فرانز شتاينر) ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م ؛ الجزء السابع (باعتناء احسان عباس) فيسبادن (دار النشر فرانز شتاينر) ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م؛ الجزء الثامن (باعتناء محمد يوسف نجم)، فيسبادن (دار النشر فرانز شتاينر) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .

تحفة ذوي الألباب في من حكم (في ذكر من تولّى أمر) دمشق من الخلفاء والملوك والنوّاب:
(ارجوزة) ... ؛ ثمّ (بذيل أمراء دمشق في الاسلام) ــ راجع الكتاب السابق.
نصرة الثائر على المثل السائر، القاهرة.
التذكرة الصلاحية، القاهرة
توشيع التوشيح (تحقيق ألبير حبيب مطلق) بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.

** الأرب من غيث الأدب: شروح (للصفدي) على لاميّة الطغرائي ولامية الشنفري (اختصار من غيث الأدب الذي انسجم (بعناية عبده ينّي بابادوبولس)، بعبدا بلبنان (المطبعة العثمانية) ١٨٩٧ م.

طبقات السبكي ٦: ٩٤ ــ ١٠٣؛ الدرر الكامنة ٢: ١٧٦ ــ ١٧٧ (رقم ١٦٥٤)؛ من ذيول العبر ٣٦٤؛ البدر الطالع ١: ٢٤٣ ــ ٢٤٤؛ شذرات الذهب ٦: ٢٠٠ ــ ٢٠١؛ زيدان ٣: ١٧٤ ــ ١٧٨؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤: ٥٢ ــ ٥٤؛ نفح الطيب (بيروت) ٤: ٣٩٤ ــ ٤٩٩ (نصوص)؛ بروكلمان ٢: ٣٩ ــ ٤١، الملحق ٢: ٢٧ ــ ٢٩؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٦٤ ــ ٣٦٥.

ابن نباتة المصريّ

١ ــ هو جمالُ الدينِ[1] أبو بكرِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ الحسنِ بن نُباتةَ الفارقيُّ الحُذاقيّ المِصريُّ، وُلِدَ في القاهرة[2] في ربيعٍ الأوّلِ سنة ٦٨٦ هـ (نَيْسان ــ ابريل ١٢٨٧ م).

دَرَسَ ابنُ نُباتةَ المصريُّ الحديثَ والفِقْهَ والأدب، وقد كان له اتّصالٌ في أثناءِ تَعَلّمه بتقيّ الدين بنِ دقيقِ العيدِ (ت ٧٠٢ هـ) وبهاء الدين بن النحّاس النحوي وعَلَم الدين قيس بن سُلطان الضرير.

بدأ ابنُ نُباته المِصْريُّ نظمَ الشعر باكراً، وافْتَتَحَ كُتّاباً ليتكسّب بالتعليم. ثم إنّه اتّصل بآل فَضْلِ الله، وهي أُسْرةٌ كان نَفَرٌ من أفرادها يَتَولّوْنَ الكتابةَ للأيّوبيّين في مِصْرَ والشام. غير أنه لم يَنَلْ عند الأيوبيين في مِصْرَ حَظْوةً،

(١) هو من نسل ابن نباتة السعدي (راجع، فوق، ص ٧٥)، وفي سرد نسبه شيء من الخلاف.
(٢) قال عمر موسى باشا (أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري ١٠٦): «وهم المستشرق بروكلمان في مكان ولادته فذكر أنه ولد بميافارقين، وهذا قول خاطىء لانه مصري الدار والمولد ...» والواقع أن بروكلمان يذكر (الملحق ٢: ٤) أن جمال الدين بن نباتة هذا ولد في زقاق القناديل في مصر. أما الذي ولد في ميافارقين، عند بروكلمان (١: ٩٢)، فهو عبد الرحيم بن محمد بن نباتة.

فذهب في سنة ٧١٦ هـ (١٣٠٦ م) إلى الشام واتّصل بالملك المؤيّد أبي الفداء صاحب حَماةَ فنال عنده حَظوةً فكان يَمْدَحُه ويؤلّف له الكُتُبَ فأقبلت عليه الدنيا ؛ وكان أكثرُ مُقامه في حماةَ عند أبي الفداء . ثم تُوفّي أبو الفداء (٧٣٢ هـ ١٣٣١ م) فخلفه ابنهُ الملكُ الأفضل ، ولم يكنْ ذا مَقْدِرة ، فَزَهِدَ في الدُنيا ثم عُزِلَ في تلك السنة نفسها فزال بعزله مُلْكُ الأيّوبيين .

في هذه الأثناء كلّها اتّصل ابن نُباتةَ بنفر من الوجهاء ورجال الدولة يمدحهم ، من هؤلاء الوزيرُ أمينُ الدولة عبدُ الله الأميني ؛ واصْطَحَبه الوزيرُ الأميني الى القدس ، سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ – ١٣٣٥ م) ثم جَعَلَه ناظراً على كَنيسةِ القيامة[1] . ورجع ابن نُباتةَ المِصريّ الى دِمَشْقَ وكان في كلّ عام يَزورُ القُدْسَ ليجمع « مُتَحَصَّلَ كَنيسهِ القيامة » من الزوّار .

ثم قُتِلَ الوزيرُ الأمينيُّ (٧٤١ هـ) . وفي أوائل سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٢ م) دخل ابن نُباتةَ ديوان التوقيع على يد القاضي شهاب الدين بن فضل الله العُمَريّ . ويبدو أنه عزل من هذا الديوان سنة ٧٤٥ هـ ثم عاد إليه سنة ٧٤٨ هـ . في هذه الأثناء اتّصل بآلِ السُبْكي في دمشق ومدح نَفَراً منهم ، من هؤلاء تقيُّ الدين السبكي (ت ٧٥٦ هـ = ١٣٥٥ م) وابنُه تاجُ الدين (ت ٧٧١ هـ).

وفي سنة ٧٦١ هـ عاد ابن نباته المِصْري الى القاهرة بعد أن كان قد غاب عنها خمسينَ سنةً أو تزيد ، فأكرمه السلطانُ الناصرُ حَسَنٌ إكراماً كثيراً فأكثرَ ابنُ نُباتةَ من مدحه ، وألّف له مَجْموعةَ خُطَبٍ مِنْبرية (بعدد أسابيعِ السَنَةِ الهجرية) ليُلْقيَها الخطباءُ في المساجد التي تُقام في صَلاةِ الجُمُعة (وقد ذَكَرَ ابنُ نُباتةَ الناصرَ حَسَناً في مكان الدُعاء من هذه الخُطَبِ ذِكْراً جَميلاً) . ولكنّ هذه الحالِ الحسنة لم تَدُمْ على ابنِ نُباتةَ فقد قُتِلَ الناصرُ حَسَنٌ سنة ٧٦٢ هـ ثم اضطربتْ حياةُ ابنِ نُباتةَ حتّى كانت وفاتُه في اوائل صَفَرَ من سَنَة ٧٦٨ هـ (خريف ١٣٦٦ م) .

٢ – ابنُ نُباتةَ المِصريُّ شاعرٌ وراجزٌ وَوَشّاحٌ ثم هو ناثرٌ باحثٌ ومُتَرَسِّل . يمتازُ ابنُ نُباتةَ المِصريُّ في شِعرِه بالرِقّةِ وحُسْنِ التَوْرِيَةِ وبالاقتباسِ من

(١) كان أتباع الفرق النصرانية يختلفون في النظارة والاشراف على كنيسة القيامة في القدس والتي يقولون أن فيها قبر المسيح . من أجل ذلك جعلت النظارة عليها منذ أمد طويل جداً لنفر من المسلمين .

القُرآنِ الكريمِ والحديثِ الشريف ثم بالاتّكاء على مُصْطَلحات أصحابِ النحوِ والعَروضِ والفِقْهِ والتَصوّف والفلسفة مَعَ نظرٍ الى مُصْطَلحات الشيعةِ . وهو في ذلك يُكْثِرُ من الصناعةِ حتّى يُصْبِحَ جانبٌ مِنْ شعره رَمْزاً[1] . ولابنُ نُباتةَ المِصريّ قصائدُ طِوالٌ ومُقَطّعاتٌ تطول وتَقْصُرُ في المديح والرثاء والخمر والنسيب والغزل ووصف الطبيعة . وجانب من مديحه بَديعيّات (مدائح نبويّة) .

أما نثرُه فَفصيحٌ يَسْلُكُ فيه مَنْهَجَ القاضي الفاضلِ في تَكَلّفِ الصِناعة .

ومُصنّفات ابنُ نباتَةَ المِصْري كثيرة ، منهـا : القَطْرُ النُباتي (مقطّعـات شعرية رقيقة) — المؤيّدات (مدائحُ في الملك المؤيّد أبي الفداء) — سوق الرقيق (غزل) — السبعة السيّارة (مقطّعات سُباعية ، من سبعة أبيات ، في أغراض مختلفة) . وله أيضاً : اختيارات من شعر ابن قلاقِس -- اختيارات من شعر ابن الحجّاج — كتاب خبز الشعير (في السَرِقات الشعرية من شعره هو ومن غير شعره) . أما في النثر فله مجمع الفرائد — سَجْع المطوّق — سَرْح العيون في شرح رسالة ابن زيدون — زهر المنثور (في الترسّل) — رسالة المفاخرة بين السيف والقلم — رسالة المفاخرة بين الورد والنَرْجِس — حظيرة الأُنس فيحضرة القُدس (وصف رحلته الى بيت المقدس) — ديوان خطب مِنْبرية .

٣ — مختارات من شعره

— قال ابنُ نُباتةَ المصريّ من بديعية له[2] :

لو كنتُ أرتاعُ من عَذْلٍ لَرَوّعَني ... سَيْفُ المَشيبِ بِرأسي وهْوَ مسلول .
أما ترى الشيبَ قد دَلّتْ كواكِبُه ... على الطريقِ لو أنّ الصَبّ مَدْلول[3] .
والسِنّ قد قَرّعَتْها الأربعونَ ، وفي ... ضمائرِ النفس تَسْويف وتَسويل[4] .

(١) الرمز هو تعبير مجانب يقوم على الإيغال في الاستعارات خاصة وفي التوريات والكنايات ، كما نجد في الأدب الصوفي مثلا (راجع ترجمة عمر بن الفارض ، ٥٢٠) .

(٢) البديعية : قصيدة في مديح الرسول . ونجد في الابيات التالية معارضة (تقليد) لقصيدة كعب بن زهير : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول (راجع ١ : ٢٨٤ — ٢٨٥) .

(٣) ... على طريق الموت . ولكن الصب (المحب) لا يقبل هذه الدلالة .

(٤) ... النفس تميل الى أن تسوف (تؤجل ، تؤخر) التوبة ، ثم تسول لصاحبها (تزين له ، تغشه) أن الموت بعيد .

ثم يذكر المِعْراج[1] فيقول :

وحاز سَهْمَ المَعالي حين كـان له ... من قابِ قَوْسَيْنِ تنويـه وتنويل [2] .

على البُراق ، لِوَجْهِ البَرْقِ منخَجَلٍ ، ... ورجل مسعاه ، تلوين وتشكيل [3]

لسِدْرَةِ المُنتهى – يا مُنتهى طلبي – ... ما مِثْلُهُ ، يا ختِامَ الرُسْلِ ، تَحْويل [4].

– وله في مدح الملك المؤيّد أبي الفداء :

لولا مَعاني السِحْر من لَحَظاتِهـا ... ما طالَ تَـرْدادي على أبْياتها[5] ،

ولَما وَقَفْتُ على الديـار مُنادياً ... قلبي المُتيَّمَ من ورا حُجُراتها

دارٌ عرَفْتُ الوَجْدَ مُنْذُ أتيتُها ... زَمَنَ الوِصال ؛ فلَيْتَني لم آتِهـا !

ما لي وما لِلّهْوِ بعدَ مَفـارِقٍ ... قد نُفِّرَتْ غِرْبانُها بِبُزاتِهـا[6] ؛

والشيبُ في فَوْدي يَخُطّ أهِلّـةً ... معنى المَنونِ يلوحُ في نوناتِهـا[7] .

سَقْياً لرَوْضاتِ الجِنانِ وإنْ جَنَتْ ... هذى الشجونَ على قُلوب جُناتها [8] ؛

ولِدَوْلة المَلِكِ المُؤيَّـدِ إنّهـا ... جَمَعَتْ فُنونَ المَدح بعد شَتاتِها[9] .

---

(١) الاسراء هو انتقال رسول الله (في السنة الاولى قبل الهجرة) من مكة الى بيت المقدس ؛ والمعراج متابعة ذلك الانتقال الى السماء .

(٢) – بلغ محمد رسول الله أسمى الدرجات العلى لما وصل في (المعراج) الى قاب قوسين (مسافة قريبة جداً هي مقدار ما بين طرفي القوس) من عرش الرحمن ، وكان في ذلك تنويه (ذكر حميد ، فخر ، ثناء) لمحمد كما كان تنويلا (تلبية لرغبة له ولكل انسان) .

(٣) البراق دابة قيل فيها إنها أصغر من الفرس تضع حافرها عند منتهى بصرها (كانت تحت الرسول في المعراج) . الاستعارة في البيت غير واضحة لي ، والملموح فيها أن البرق الذي توصف حركته بالسرعة العظيمة بات على وجهه ألوان وأشكال من الخجل لما شاهد سرعة أرجل البراق .

(٤) سدرة المنتهى : شجرة نابتة عند أصل العرش . تحويل : اتجاه . – لا يوجد اتجاه محبب الى النفس أكثر من الاتجاه نحو سدرة المنتهى . ختام الرسل = خاتم الرسل (محمد رسول الله) الذي لا رسول بعده .

(٥) الترداد : توالي الزيارة .

(٦) المفارق جمع مفرق : مكان افتراق الشعر في الرأس (في أحد الجانبين أو في الوسط) . قد نفرت غربانها السود (كناية عن الشعر الأسود) خوفاً من بزاتها (جمع باز : الصقر : طائر كاسر يصيد الطيور) كناية عن المشيب.

(٧) الفود : الشعر النابت في أحد جوانب الرأس . الاهلة جمع هلال (خط منحن) كناية عن تزاحم الشيب في مواضع مختلفة من الرأس . المنون : الموت . النونات جمع نون (ن المشبهة لشكل الهلال) .

(٨) – ما أجمل تلك الرياض (التي كانت كالجنان ، جمع جنة) وان كان الذي تمتعوا بها (جنوا ، بفتح النون : قطفوا أزهارها) قد سببوا هذه الشجون (الاحزان والآلام) لقلوبهم (بالحب) .

(٩) الشتات : التفرق .

مَلِكٌ ليُمْناهُ عَوائدُ أنْعُمٍ ... أَلِفَتْ حياضُ الجُودِ فَيْضَ صِلاتِها[1].
لم يَكْفِ أن جلّى الخُطوبَ عن الوَرى ... حتّى جَلا بعلومِهِ ظُلُماتِها[2] !

— ولابنِ نُباتَةَ المصري في مسألةُ الدَّوْرِ المشهورةُ (وهي أن السببَ تُنْتِجُ مِنه نَتيجةٌ هي بدَوْرها سَبَبٌ للسبب الاوّل) قوله :

مَسألةُ الدَوْرِ غَدَتَ بَيْني وبَيْنَ مَنْ أُحِبّ :
لولا مَشيبي ما جَفَتْ ؛ لولا جَفاها لم أشِبّ[3] !

— وله من التَوْريات البارعة (في النسيب) :

ومُولَعٍ بفِخاخٍ ... يَمُدُّها وشِباكِ .
قالتْ لي العينُ : ماذا ... يَصيد ؟ قلت : كَراكِ[4] !

— وقال يرثي وَلداً له ماتَ صغيراً :

اللهُ جارُكَ ، إنّ دَمعي جارِ ؛ ... يا مُوحِشَ الأوطانِ والأوطارِ[5].
لمّا سَكَنْتَ من التُرابِ حَديقةً ... فاضتْ عليك العينُ بالأمطار .
شتّانَ ما حالي وحالُك : أنتَ في ... غُرَفِ الجِنانِ ، ومُهْجتي في النار .
ما كُنتَ إلاّ مِثلَ لَمْحَةِ بارقٍ ... ولّى وأغْرى العينَ بالإمطار .
قالوا : صغيرٌ ! قلتُ : إنّ * ! وربّما ... كانتْ به الحَسَراتُ غيرَ صِغار .

— من رسالة المفاخرة بين السيف والقلم :

قال القلم[6] :

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم — « ن والقَلَمِ وما يَسْطُرون ، ما أنتَ بنِعْمَةِ

---

(١) عوائد أنعم : النعم (الاعطيات) التي تعود مرة بعد مرة . — ألف الناس أن يروا (بفتح الراء) صلاته (عطاياه) تملأ حياض الجود (الكرم) : تكفي الناس كلهم ثم تفضل عن حاجاتهم .

(٢) جلى (كشف) الخطوب (المصائب والشدائد) عن الورى (جميع الناس — بكرمه) وجلا (كشف) بعلمه الظلمات (الجهل) .

(٣) جفا : ابتعد عن . ... * قلت : إن ! (فيها اكتفاء) : إنه صغير .

(٤) كراك : نومك ؛ كراك = الكراكي : نوع من الطيور .

(٥) دمعي جاري : مجاور لي ؛ سائل ، كثير الفيض . موحش الاوطان والاوطار : الوطن المألوف مع فقدك موحش . واللذات المألوفة بعد فقدك غريبة على النفس .

(٦) يضمن ابن نباتة في هذه القطعة عدداً من آيات القرآن الكريم هي على التوالي : من سورة ن (رقم ٦٨) ، من سورة العلق (٩٦ : ٤) ، من سورة حم السجدة (فصلت ٤١ : ٤٢) ، من سورة الحديد (٥٧ : ٢٥) ، من سورة الصف (٦١ : ٤) .

ربّكَ بِمَجْنون »[1] — ثم الحمد لله « الذي علّمَ بالقَلَم ِ » وشرّفه بالقَسَم ....
أما بعدُ ، فان القلم مَنارُ الدين والدُنيا ، وقَصَبَةُ سِباقِ ذوي الدَرَجةِ العُليا ،
ومِفْتاحُ بابِ اليُمْنِ المُجَرَّب إذا أعْيا[2] ؟.... بهِ رَقَمَ اللهُ الكتابَ الذي « لا
يأتيه الباطلُ » وسُنّةَ نَبيّهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم التي تُهَذّب الخواطِرَ الحَواطِل .
فبَيْنَهُ وبينَ من يُفاخِره الكتابُ والسُنّة[3] ، وحَسْبُه ما جَرَى على يدِه الشريفةِ
من مِنّة .....

فعِنْدَ ذلك نهض السيفُ عَجِلاً ، وتلمّظَ لِسانُه للقول مُرْتَجلاً ، وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ــ « وأنزَلْنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومَنافِــعُ للناسِ ،
ولِيَعْلَمَ اللهُ من يَنْصُرُهُ ورُسُلَه بالغَيْبِ ؛ إنّ اللهَ قويٌّ عزيز » . الحمدُ
للهِ الذي جَعَلَ الجَنّة تَحْتَ ظِلالِ السُّيوف ، وشَرَعَ حَدَّها بيد (أهل الطاعة
على أهــلِ) العِصْيان فأغَصّتْهُمْ بمــاء الحُتُوف ، وشَيّد بها مَراتِبَ « الذين
يُقاتلون في سَبيلهِ صفّاً كأنهم بُنْيانٌ مرصوصٌ » وعَقْدٌ مرصوف ..... أما بعدُ ،
فإنّ السيفَ زَنْدٌ لحَقّ القَويّ وزَنْدِه الوَريّ[4] ؛ به أظْهَرَ اللهُ الإسلامَ .....

٤ — ديوان ابن نباتة المصري * ، الاسكندرية بلا تاريخ ؛ مصر (المطبعة الوطنية) ١٢٨٨ ھ ؛ مصر
(المطبعة الكاستلية) ١٢٨٩ ھ ؛ (نشرته المكتبة الحميدية لصاحبها الشيخ أحمد عمر المحمصاني) ،
بيروت (المطبعة الحميدية) ١٣٠٤ ھ ؛ (ملتزم طبعه الشيخ محمّد القلقيلي) ، مصر (مطبعة
التمدّن) ١٣٢٣ ھ = ١٩٠٥ م .

---

(١) يسطرون : يكتبون . المفتاح المحرب لليمن (البركة) اذا أعيا (استعصى اليمن على الانسان) .

(٢) به (بالقلم) رقم الله (أثبت ، كتب على المجاز) الكتاب (القرآن الكريم في اللوح المحفوظ في السماء) الخواطل : (النفوس) الزائغة عن طريق الصواب . فبينه وبين من يفاخر الكتاب (القرآن الكريم) والسنة (أقوال رسول الله وأعماله) « حكم » (جاء في القرآن والحديث في حق القلم أقوال تحكم له : لفضله) . المنة : النعمة .

(٣) الجنة تحت ظلال السيوف (حديث : الجهاد في سبيل الله يؤهل المجاهد للدخول الى الجنة) . شرع حدها : شهر السيوف . الحتوف : المهالك . العقد (بفتح العين) : بنــاء مؤلف من حجارة كبيرة مرصوف بعضها فوق بعض . العقد (بكسر العين) : القلادة التي توضع في العنق .

(٤) زند الحق : يمين الحق (الزند : مقدم الساعد — الذي يصل الكف بباقي اليد) . زنده الوري : قوته الفاعلة ، المؤثرة (الزند حديدة تقدح بها النار من الحجر . الوري = الذي يوري ، أي يقدح النار بسهولة وبلا ابطاء .

(*) لديوان ابن نباتة المصري مخطوطات لجامعين مختلفين وبأحجام مختلفة . من هذه ديوان صغير فيه قصائد معظمها مدائح في الملك المؤيد (أبي الفداء) صاحب حماة ، لذلك يلفى بعنوان « المؤيدات » . ويبدو أن جميع هذه الطبعات لهذا الديوان الصغير . وفي معجم المطبوعات العربية لسركيس (ص ٢٦٣) ذكر لطبعات للديوانين .

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون * ، استانبول ١٢٧٥ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٢٧٨ ، ١٢٩٠ هـ ؛ (بهامش الغيث المسجم للصفدي) ، القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠٥ هـ ؛ القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ ؛ (تحرير أبي الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٤ م .

المفاخرة بين السيف والقلم ، بيروت ١٣١٢ هـ ؛ (مع « مناظرات في الأدب ») ، القاهرة ١٩٣٤ م .

** ابن نباتة الشاعر المصري ، تأليف اسماعيل حسين ، القاهرة (مطبعة الآداب والفنون) ١٩٤٠ م .

أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري ، تأليف عمر موسى باشا ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٣ م ؛ بيروت (دار الفكر الحديث) ١٩٦٧ م .

الوافي بالوفيات ١ : ٣١١ — ٣٣٣ ؛ الدرر الكامنة ٤ : ٣٤٧ (رقم ٤٤٦٥) ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٥٣ — ٢٥٤ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٣ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢١٢ ؛ بروكلمان ٢ : ١١ — ١٢ ، الملحق ٢ : ٤ — ٥ ؛ زيدان ٣ : ١٣٢ — ١٣٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٠٠ — ٩٠١ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٦٨ .

اليافعيّ

١ — هو عفيفُ الدين أبو السعادات أبو عبدُ الرحمن (أبو محمّد) عبدُ الله بنُ أسعدَ بنِ سُليمانَ بن فلاحٍ اليافعيُّ اليمني ، وُلِدَ في عَدَنَ نحو سَنَةِ ٦٩٨ هـ. (١٢٩٨ م) وفيها نشأ وبدأ تَعَلُّمَه على عبدِ الله بن محمّدٍ الذُهيني المعروفِ بالبصّال وعلى قاضي عَدَنَ ومُفتيها شرفِ الدين أحمدَ بنِ عليٍّ الحزاريّ .

حجّ اليافعيُّ، أوّلَ ما حجّ، سَنَةَ ٧١٢ هـ ثمّ وَالَى الحجَّ بعدَ ذلك زماناً طويلاً ؛ وصَحِبَ الشيخَ عَلِيّاً الطواشيَّ وأخذَ عنه السلوكَ في طريقِ التصوّف . ومَعَ أنّه تطوّفَ في البلادِ وأخذَ العلم عن شُيوخِها ، فانّه جاورَ في مَكّةَ منذُ سَنَةِ ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) وأكْثَرَ من التردّدِ بينَ مكّةَ والمدينةِ .

وكانت وفاةُ اليافعيّ في مكّةَ في العشرين من جُمادى الثانية من سَنَةِ ٧٦٨ هـ (٢٢/٢/١٣٦٧ م) .

(*) أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب الاندلسي (ت ٤٦٣ هـ) بحتري المغرب ، ناثر بارع وشاعر مجيد ، اشتهر بحبه ولادة بنت الخليفة المستكفي (الاندلسي) . وكان أبو عامر بن عبدوس الوزير يزاحم ابن زيدون في حب ولادة ، فكتب ابن زيدون الى ابن عبدوس رسالة هزلية يتهكم به فيها .

٢ ــ كان اليافعيُّ فقيهاً زاهداً يَغْلِبُ عليه التصوّفُ في آرائهِ وسُلوكهِ شديد التعظيمِ لابنِ عربيٍّ ، وقد نُقِلَ عنه شَطْحٌ في نَظْمه وكلامِه . من ذلك قولـه :

ويا ليلةً فيها السعادةُ والمُنى ؛ لقد صَغُرَتْ في جَنْبِها ليلةُ القَدْرِ !

واليافعيُّ مؤلّفٌ مُكْثِرٌ له : مختصر الدُرّ النَظيم في فضائلِ القرآن العظيم والآيات والذكر الحكيم ــ شمس الإيمان وتوحيد الرحمن وعقائد الحقّ والإيقان (منظومة صوفيه) ــ مَرْهَمُ العِلل المُعضلة في الردّ على أئِمّة المعتزلة ــ نشر المحاسن الغالية في فضائل المشايخ أُولي المقامات العالية ــ نور اليقين واشارات أهل التمكين ــ الرسالة المكّية في طريق السادة الصوفية ــ روض الرياحين في حكايات (أو مناقب) الصالحين (وله عناوين أخرى: روضات الرياحين ، نزهة العيون..... الخ) ــ العقيدة ــ مرآة الجِنان وعِبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان وتقلّب أحوال الإنسان وتاريخ موت بعض المشهورين الأعيان (حتّى ٧٥٠ هـ = ١٣٤٩ م) ــ ثمّ له أقوال وأشعارٌ وقِصَصٌ في التصوّف ، وله غير ذلك .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من مقدّمة « مرآة الجنان وعبرة اليقظان » :

.... هذا كتابٌ لَخّصتُه واختَصَرْتُه مِمّا ذَكَرَهُ أهلُ التواريخ والسِيَرِ أُولي الحِفظ والإتقان في التعريف بِوَفَيات بعضِ المشهورينَ المذكورين الأعيانِ وغَزَوَاتِ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلّمَ وشيءٍ من شمائلهِ ومُعْجِزاتهِ ومناقبِ أصحابهِ وأمورِه وأمورِ الخُلفاء والملوكِ وحُدوثِهـا في أيِّ الأزمانِ عـلى وجهِ التقريبِ لمعرفة المُهِمّ مِن ذلك دونَ الاستيعابِ واستقصاءِ[١] ذِكْرِ الأوصافِ لأَسْتَغْنِيَ بهِ في معرفةِ ما تضمّنه عَنِ الحاجةِ إلى استعارةِ التواريخ للمُطالعةِ في بعضِ الأحيان[٢] ، مُعْتَمِداً في الشمائل والمناقبِ على ما أفصَحَ به كتاب الشمائل للتِرْمذي وجامعُه والصحيحانِ[٣] ، وفي التواريخِ على ما قَطَعَ بهِ الذَهبيُّ أو أوّله

---

(١) الشمائل جمع شمال (بكسر الشين): الطبع والخلق والصفة (المحمودة) . المناقب جمع منقبة : (بفتح الميم والقاف) : المفخرة (بفتح الميم والخاء) . الاستيعاب : تضمين الأشياء كلها . الاستقصاء : البحث عن التفاصيل .

(٢) يقصد أنه وضع هذا الكتاب ليستخدمه هو ثم يستغني مرة واحدة عن الرجوع الى غيره .

(٣) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩-٢٧٩ هـ) من أهل ترمذ (بلده على نهر جيحون في التركستان) =

وصحّح[1] ، ومُودِعَه أشياءَ مِنَ الغرائب والنوادر والظرف[2] والمُلَحِ ، مُلْتَقِطاً ذلك من نفائسِ جواهرِ نوادرِ الفضلاء ؛ ومُعْظَمُها من تاريخ الإمام ابن خلّكانَ وشيئاً من تاريخ أبي سمرة[3] في قدماء علماء اليمن أولي الفقْه والحكمة والبيان ، مُختصراً[4] في جميع ذلك على الاختصار بينَ التفريطِ المُخِلِ والإفراط المُمِل ، مُحافظاً على لَفْظِ المذكورين في غالبِ الأوقاتِ حاذفاً للتطويل وما يَكْرَهُ المُتَدَيّنُ ذِكْرَهُ من الخَلاعات على حَسْبِ ما أَشرتُ إليه في هذه الأبيات :

أيا طالباً علمَ التواريخِ لم تُشَنْ بإخلالِ تَفْريطٍ وإمْلال إفراط[5] ....

وسمّيْته « مِرآة الجَنَان وعِبْرَةَ اليَقْظان في مَعرفة حوادثِ الزمان وتقليب[6] أحوالِ الانسان وتاريخ موتِ بعضِ المشهورين من الأعيان » مُرَتَّباً على سِنِي الهجْرة النَبَويّة .....

٤ — مرآة الجنان ، حيدر اباد (دائرة المعارف النظامية) ١٣٣٧ — ١٣٢٩ هـ .

روض الرياحين ، بولاق ١٢٨٦ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ — ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة والمكتبة السعيدية) بلا تاريخ ؛ القاهرة (مكتبة الجمهورية المصرية) بلا تاريخ .

الدرّ النظيم في خواصّ القرآن العظيم ، مصر (طبع حجر) ١٢٨٢ هـ ؛ القاهرة ١٣١٥ هـ .

نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية (بهامش جامع كرامات الاولياء ليوسف بن اسماعيل النبهاني) ، مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٢٣ ، ١٣٢٩ هـ .

مرهم العلل المعضلة في دفع الشبه والردّ على المعتزلة بالبراهين والأدلة المفصّلة ، مختوماً بعقيدة

= تلميذ البخارى ، وهو من حفاظ الحديث ، له الشمائل النبوية (في التاريخ) — الجامع الكبير (في الحديث) .
الصحيحان : كتابان في الحديث ، هما الجامع الصحيح أو صحيح البخاري (لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري نسبة الى مدينة بخارى في التركستان (توفي ٢٥٦ هـ) ثم صحيح مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (٢٠٤ — ٢٦١ هـ) .

(١) الذهبي (راجع ، فوق ، ص ٦٠٩) . أوله (تأوله) : بحث عن وجه الصحة فيه . وصحح (كذا في الأصل) ، اقرأ : صححه . ومودعه (وأنا مودعه ، مودع فيه ، مضمنه) .

(٢) الظرف (كذا في الأصل) ، اقرأ الطرف (بضم الطاء وفتح الراء) جمع طرفة (بضم الطاء) : الشيء النفيس النادر .

(٣) ابن خلكان (انظر ، فوق ، ص ٦٤٧) . أبو سمرة (؟) .

(٤) مختصراً (كذا في الأصل) ، اقرأ : مقتصراً : مقيداً نطاق البحث . التفريط المخل : التضييع مما يجب ذكره . الافراط الممل : التوسع (فوق ما تدعو الحاجة) حتى يسأم القارىء من القراءة .

(٥) شان ، يشين : عاب ، ذم .

(٦) تقليب (كذا في الاصل) ، اقرأ : تقلب .

أهل السنّة المفضّلة وذكر مذاهب الفرق الاثنين (الاثنتين) والسبعين المخالفين للسنّة المبتدعين (بعناية دانبسون روّس)، كلكتّا ١٩١٠ — ١٩١١ م.

الارشاد والتطريز (نشره محمّد بن جليل تيرورانغادي) ... ؟ ١٩٠٩ م.

شمس الايمان (نشره روّس)، كلكتّا ١٩٠٧ — ١٩١٠ م؛ جاوى ١٣١٨ هـ.

** شرح عقيدة اليافعي لمحمّد بن عمر بن بحرق (ت ٩٣٠ هـ)، القاهرة ١٢٩٦ هـ (؟ بروكلمان ٢ : ٢٢٨، رقم ١٨).

مختصر من كتاب روض الصالحين (لليافعي) لنصر الهوريني (ت ١٢٩١ هـ)، القاهرة (المطبعة الكاستلية) ١٢٨١ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ؛ (بهامش عرائس المجالس لاحمد بن محمد الثعلبي المتوفى ٤٢٠ هـ)، القاهرة ١٢٩٨ [1]، ١٣١٣، ١٣٢١ هـ [2].

الدرر الكامنة ٢ : ٣٥٢ — ٣٥٤ (رقم ٢١٢٠)؛ البدر الطالع ١ : ٣٨٧؛ شذرات الذهب ٦ : ٢١٠؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ١٤٤ — ١٤٥؛ زيدان ٣ : ٢٦٧ — ٢٦٨؛ بروكلمان ٢ : ٢٢٦ — ٢٢٨، الملحق ٢ : ٢٢٧ — ٢٢٨؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٩٨.

ابن عقيــــل

١ — هو بهاءُ الدينِ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ عقيلٍ، أصلُه من بالِسَ على نهر الفرات من شمَاليّ الشام، وُلِدَ في تاسع المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٩٨ هـ (بغية الوعاة، ص ٢٨٤) — ١٧/ ١٠/ ١٢٩٨ م —.

جاءَ ابنُ عقيلٍ إلى القاهرة مُمْلِقاً (فقيراً) فاكتشفَ أبو حيّانَ الغَرْناطيُّ مواهِبَهُ. أخذَ ابنُ عقيلٍ النحوَ من أبي حيّان (ت ٧٤٥ هـ) اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ولازم عَلاءَ الدين عليَّ بن إسماعيلَ القُونويّ (٦٦٨ — ٧٢٩ هـ) وأخذَ عنه التفسيرَ والأُصول والفِقْه والنحو والمعاني والعَروض وبه تَخَرَّجَ (استوفى مُعْظَمَ علومهِ)، ولازمَ أيضاً جلالَ الدينِ محمّدَ بنَ عبدِ الرحمن القَزْوينيّ (٦٦٦ — ٧٣٩ هـ). وقد تَصدَّرَ لتدريسِ فنونٍ مُخْتَلِفَةٍ من العلم في زاويةِ الشافعي وجامعِ ابنِ طولونَ وغيرِهما.

وتولّى ابنُ عقيلٍ القضاءَ وعُزِلَ منه ثمّ أُعيدَ اليه ثمّ عُزِل في حديث طويل.

---

(١) راجع طبعات «كتاب عرائس» للثعلبي في معجم المطبوعات لسركيس (ص ٦٤٤).

(٢) في بروكلمان (الملحق ٢ : ٢٢٧، السطر السابع والعشرون؛ راجع ٧٢٦): مختصر من روض الرياحين طبع في القاهرة ١٢٨١، ١٣١٥، ١٣٢٢، ثم بهامش كتاب الثعلبي (عرائس المجالس ؟) في القاهرة ١٣١٤هـ.

وكانتْ وفاتُه في ٢٣ من ربيعِ الأوّلِ من سَنَة ٧٦٩ هـ (١٨/ ١١/ ١٣٦٧ م) في القاهــرة .

٢ ـ كان ابنُ عقيلٍ إماماً في العربية (النحو) والبيان (البلاغة)، وكان له في أصولِ الفِقْه وفروعه مشاركةٌ حسنة . ولابن عقيلٍ تصانيفُ منها : التفسير (الى آخرِ السورة الثالثة = سورة آل عِمرانَ) ـ مختصر الشرح الكبير ـ الجامع النفيس في الفِقه ـ المساعد في شرح التسهيل ـ شَرْحُ أَلْفيّةِ ابنِ مالكٍ (وبه اشتهر) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من شرح ابنِ عقيلٍ على ألفيّة ابن مالك :

قال ابن مالك في « الكلام وما يتألّف منه » :

كلامُنا لفظٌ مفيدٌ كاستَقِمْ   واسْمٌ وفِعْلٌ ثمّ حرفٌ . والكَلِمْ
واحِدُهُ كَلِمَةٌ ، والقــولُ عَمّ ؛   وكِلْمةٌ بها كلامٌ قد يُؤَمّ .

وشرح ابنُ عقيلٍ هذين البيتينِ فقال :

الكلامُ المُصْطَلَحُ عليه عندَ النُحاةِ عِبارةٌ عن اللفظِ المُفيدِ[١] فائدةً يحسُنُ السكوتُ عليها . فاللفظُ جِنْسٌ يَشْمَلُ الكلامَ والكَلِمَةَ والكَلِمَ ؛ ويشملُ المُهْمَلَ كديز[٣] والمُستعملَ كعَمْرٍو[٢] . ومفيدٌ أخرجَ المُهْمَلَ . وفائدةٌ يحسُنُ السكوتُ عليها أخرَجَ الكَلِمةَ وبعضَ الكَلِمِ ـ وهو ما يتركّبُ من ثلاثِ كَلِماتٍ فأكثرَ ولم يحسُنِ السكوتُ عليه ـ نحو : إن قامَ زيدٌ .

ولا يتركّبُ الكلامُ إلاّ مِنِ اسْمَيْنِ نحوَ زيدٌ قائم ، أو من فعلٍ واسْمٍ كقام زيدٌ وكقولِ المؤلّف[٤] : اسْتَقِمْ ! فإنّه كلامٌ مركّبٌ من فِعلِ أمرٍ وفاعلٍ مُسْتَتِرٍ ، والتقديرُ : اسْتَقِمْ أنتَ ! فاستَغْنى بالمِثالِ عن أنْ يقولَ : فائدةً

(١) اللفظ (الكلام) المفيد : مجموع من الألفاظ يؤدي معنىً تاماً ، نحو : اذا أنت أكرمت الكريم ملكته ؛ واللفظ غير المفيد ، نحو : اذا أنت ... ، اذا أنت أكرمت ... ، اذا أنت أكرمت الكريم ...

(٢) مثل : ديز (وهي لفظة مهملة ، تتألف من ثلاثة أحرف من حروف الهجاء العربية ولكن لا معنى لها ، ولذلك أهملها العرب فلم يستعملوها في كلامهم) .

(٣) عمرو لفظة تدل على معنى (على انسان معين) فهي مستعملة (ترد في كلام العرب) .

(٤) المؤلف ، المصنف : ابن مالك ناظم الألفية .

يحسُنُ السكوتُ عليها ، فكأنّه قال : الكلامُ هو اللفظُ المُفيد فائدةً كفـائدةِ « استَـقِـمْ » .

وإنّما قالَ المصنّفُ[1] « كلامُنا » لِيُعْلَمَ أنّ التعريف إنّما هو للكلامِ في اصْطلاحِ النَحْويّين ؛ لا في اصطلاحِ اللُغَويّين ، وهو في اللغة اسمٌ لكلّ ما يُتَكَلَّمُ به ، مفيداً كانَ أو غيرَ مفيدٍ .....

٤ ــ شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك ، بولاق ١٢٥١ ، ١٢٥٣ هـ ؛ (مع ألفية ابن مالك) ، بولاق ١٢٦٤ ــ ١٢٦٥ هـ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨١ ، ١٢٩٠ هـ ؛ (باعتناء ديتريشي) ، ليبسك ١٨٥١ م ؛ ثمّ برلين ١٨٥٢ م ؛ (وقف على طبعه عيد سالم السلطي) ، بيروت (المطبعة العمومية) بلا تاريخ ، ثمّ (مطبعة الاتّحاد) ١٨٧٢ ، ١٨٨٥ ، ١٨٨٩ م ؛ (بعناية خليل وابراهيم وأمين سركيس) ، بيروت ١٨٩٢ م ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ ؛ مصر ١٣٢٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٢٥ هـ ؛ (بهامش حاشية محمّد الخضري[2] على ألفية ابن مالك) ، بولاق ١٢٩١ ، ١٣٠٢ هـ [3] ؛ الطبعة السادسة ، القاهرة (البابي) ١٩٢٦ م ؛ (مع « منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيـل » تأليف محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المكتبة التجارية) : الطبعة السادسة ١٣٧٠هـ = ١٩٥١ م ، الطبعة العاشرة ١٩٥٨ م ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٦١ م .

* فتح الجليل على حاشية ابن عقيل على ألفية ابن مالك = حاشية السجاعي[4] .... ، بولاق ١٢٧٠ ، ١٢٨٦ هـ ؛ القاهرة (بولاق) ١٢٩٠ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٣ هـ ؛ حاشية محمّد الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بولاق ١٢٩١ ، ١٣٠٢ هـ ؛ مصر (المطبعة الكاستلية[5]) ١٢٨٢ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ، ١٣١٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٢٦ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٩٢٦ م .

منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، تأليف محمّد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (المكتبة التجارية) : الطبعة السادسة ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ ، الطبعة العاشرة ١٩٥٨ م ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٦١ م .

---

(١) ابن هشام . (٢) محمد الدمياطي الخضري (١٢١٣ – ١٢٨٧ هـ) .

(٣) في معجم المطبوعات العربية لسركيس (ص ٨٨٦) : حاشية الخضري... وبهامشها شرح (ابن عقيل) ، بولاق ١٢٩١ و ١٣٠٢ ، الكاستلية ١٢٨٢ ، مطبعة محمد مصطفى ١٣٠١ ، الميمنية ١٣٠٥ و ١٣١٢ ، الأزهرية ١٣٢٦ . ولعل « شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك » بهوامش جميع هذه الطبعات .

(٤) السجاعي (بضم السين) أحمد بن أحمد (ت ١١٩٧ هـ) .

(٥) هي مطبعة كاستلي (يبدو أنه رجل ايطالي) .

الدرر الكامنة ٢ : ٣٧٢ — ٣٧٤ (رقم ٢١٥٧) ؛ البدر الطالع ١ : ٣٨٦ — ٣٨٧ ؛ بغية الوعاة ٢٨٤ — ٢٨٥ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٧ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢١٤ — ٢١٥ ؛ زيدان ٣ : ١٥٠ (السطر الخامس من اسفل) ثمّ ....؛ بروكلمان ٢ : ١٠٨ ، الملحق ٢ : ١٠٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٦٩٨ — ٦٩٩ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٢٣١ .

الفيّومــــيّ

١ — هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عليٍّ الفيّوميُّ الحَمَويُّ المُقرئ ، وُلِدَ في الفَيوم ِ (مِصْرَ) وفيها نشأ . وقد دَرَسَ على أبي حيّانَ الغَرْناطيّ .

ثمّ إنّ الفَيّوميَّ رَحَلَ إلى حَماةَ وقَطَنَها . ولمّا بنى أبو الفِدا الملكُ المؤيّدُ (٧١٠ — ٧٣٢ هـ) جامع الدَهْشة عيّنَ الفيْوميَّ فيه خطيباً .

وكانتْ وفاةُ الفيّومي سَنَةَ ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) أو بعدَها بقليلٍ .

٢ — كان الفيّوميُّ فاضلاً عارفاً باللُّغة والنَحْوِ ومُقْرِئاً . له من الكتب : غريبُ شرح الوجيز (راجع النصّ) — نثرُ الجُمان في تراجم الأعيان — مختصر معالم التنزيل — المِصْباح المنير ، وهو قاموسٌ موجزٌ مرتّبٌ على أحرف الهِجاء . لهذا القاموس مقدّمةٌ وجيزةٌ (راجع النصّ) وخاتمةٌ طويلة (٢ : ٩٤١ — ٩٧٩) في اللغة والصرف والنحو ممّا يُساعدُ على فَهْمِ اصطلاحاتِ القواميس .

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة «المِصْباح المنير» :

..... وبعدُ ، فانّي كُنْتُ جَمَعْتُ كِتاباً في غريبِ «شرح الوجيز» للامام الرافعي[١] وأوْسَعْتُ فيه من تصاريفِ الكَلِمة وأضَفْتُ إليه زياداتٍ من لُغة غيرِه ومن الألفاظ المُشْتَبَهات والمُتَماثِلاتِ ومن إعراب الشواهدِ وبيانِ معانيها وغير ذلك ممّا تدعو اليه حاجةُ الأديبِ الماهر.... (ثمّ) أحْبَبْتُ اختصارَه على النَهْجِ المعروفِ والسبيلِ المألوف لِيَسْهُلَ تَناولُه بضمِّ مُنْتَشِرِه ، ويَقْصُرَ تَطاوُله بنَظْمِ مُنْتَشِرِه . وقيّدتُ ما يُحْتاجُ الى تَقْييدِه بألفاظٍ مشهورةِ البِناء فقُلْتُ :

---

(١) أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م) فقيه شافعي له «فتح العزيز في شرح الوجيز». والوجيز كتاب لحجة الاسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) .

مِثْلَ فَلْسٍ وفُلوس ، وقُفْل وأقفال ، وحِمْل وأحمال ونحو ذلك ؛ وفي الأفعال مثلَ ضَرَبَ يَضْرِبُ ..... وسَمَّيْتُه المِصباحَ المُنيرَ في غريبِ الشَّرْحِ الكبير .....

٤ ــ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، بولاق ، ١٢٦٧ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٨ ، ١٣١٦ هـ ؛ طهران ؟ (طبع حجر) ١٢٦٦ هـ ؟ ؛ مصر ١٢٧٨ ، ١٢٨٨ ، ١٣٠٥ ؟ هـ ؛ كاونبور ١٢٨٨ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣٠٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة البهية) ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٢ هـ ؟ ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ ، ١٣١٠هـ؛ القاهرة (مطبعة نظارة المعارف) ١٣١٠ ــ ١٣١٢ هـ ، ١٣٣٠ هـ = ١٩١٢ م ؛ القاهرة ١٣١٥ هـ ؛ (صحّحه حمزة فتح الله ونقّحه وحذف منه ما لا يلائم تلاميذ المدارس) الطبعة السادسة ، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٢٥ م .

* الدرر الكامنة ١ : ٣٣٤ (رقم ٧٨٧) ؛ بغية الوعاة ١٧٠ ؛ بروكلمان ٢ : ٣١ ، الملحق ٢ : ٢٠ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢١٦ .

بهاء الدين السبكي

١ ــ هُوَ بهاءُ الدين أبو حامدٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ عبد الكافي بنِ عليِّ بن تَمّامٍ السُبْكيُّ ــ نِسبةً الى قرية سُبْكٍ في المَنوفية بمِصْرَ ــ ، وُلِدَ في القاهرة في العِشرين من جُمادى الآخِرةِ من سَنَةِ ٧١٩ هـ (٩/ ٨/ ١٣١٩ م) .

سَمِعَ بهاءُ الدين السُبكيُّ الحديثَ من جماعةٍ من كِبارِ العلماء في مِصْرَ والشام ، وأُذِنَ له في الفُتْيا والتدريس وعُمْرُهُ عِشرونَ سَنَةً ثمّ تقلّب في عددٍ من مناصب القضاء . وانتقل بهاءُ الدين السُبكيّ في أواخرِ أيّامهِ إلى الحجازِ فلم يلبَثْ إلاّ قليلاً حتّى تُوُفّي في مكّة في رَجَبَ[1] من سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧٢ م) .

٢ ــ بهاءُ الدين السُبكيُّ مُحَدِّثٌ وفقيهٌ كبيرٌ مشهورٌ ، وقد فاق أباه شيخَ شيخَ الإسلامِ تقيَّ الدين السُبكيَّ (ت ٧٥٦ هـ) في التدريس . ثمّ له شيءٌ من البراعة في النثر والنظم . وهو مُصَنِّفٌ له : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ــ هديّة المُسافر الى النور السافر ــ شرح مختصر ابن الحاجب (مطوّل) .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ افتتح بَهاءُ الدين السُبكيُّ أحَدَ دروسِهِ (سَنَةَ ٧٤٨ هـ) بقوله :

(١) في المراجع : ٧ ، ١٧ ، ٢٧ من رجب . ولعل ٢٧ أقرب الى الصحة .

الحمدُ للهِ الذي شَرَحَ لِمَنْ شَرَعَ إفادةَ العِلمِ صَدْراً ، ومَنَحَ من مَنَعَ نفسَه إرادة الإثم في الدنيا حَسَنَةً وفي الآخِرةِ أُخرى ...

– وله قصيدة يجمع فيها لفظ « عين ! » يقول منها في الغزل :

يَطوفُ على الصِحاب بكأسِ راحٍ وطافت مُقلتاهُ بآخَرَيْنِ (١) .
يطوفُ على الرِفاقِ من الحُمَيّا ومِنْ خمرِ الرضابِ بمُسْكِرَيْنِ (٢) .
إذا نَجْلو الحُمَيّا والمُحَيّا شَهِدنا الجمع بَيْنَ النَيِّرَيْنِ (٣) .
وآخَرَ من بني الأعراب حُفَّتْ جُيوشُ الحُسنِ منه بعارِضَيْنِ (٤) .
إلى عَيْنَيْهِ تنتسبُ المَنايا كما انتسبَ الرِماح الى رُدَيْنِ (٥) .
نُلاحظ سَوْسَنَ الخَدَّيْنِ منه فيُبْدِلُها الحياءُ بوَرْدَتَيْنِ (٦) .

٤ – عروس الافراح بشرح تلخيص المفتاح (مطبوع مع مختصر المطوّل لسعد الدين التفتازاني) ، بولاق (المطبعة الاهلية) ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) ؛ (في مجموعة شرح التلخيص للتفتازاني) مصر (خانجي) ...

* * الدرر الكامنة ١ : ٢٢٤ – ٢٢٩ (رقم ٥٤٤) ؛ المنهل الصافي ١ : ٣٨٥ – ٣٩٢ ؛ بغية الوعاة ١٤٨ – ١٤٩ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٢٦ – ٢٢٧ ؛ البدر الطالع ١ : ٨١ – ٨٢ ؛ بروكلمان ٢ : ١٣ ؛ الملحق ٢ : ٥ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ١٧١ .

الشريف النيسابوريّ

١ – هو جمالُ الدين الشريفُ عبدُ الله بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ الحُسينيُّ المشهور

---

(١) الراح : الخمر . مقلتاه : عيناه (كل عين طافت بكأس خمر أخرى) .
(٢) الحميا : الخمر . الرضاب : الريق (ما دام في الفم) .
(٣) المحيا : الوجه . النيران : الشمس والقمر . جلا : أظهر ، كشف عن . (اذا طاف المحبوب على محبيه يحمل الخمر ظهرت لنا الخمر الحمراء ووجهه الابيض كأنهما الشمس والقمر) .
(٤) جيوش الحسن : بدائع وجه الجميل (وجناته وعيناه ، فمه ، الخ) العارض : جانب الوجه ، صفحة الخد .
(٥) ردين (في القاموس) : اسم فرس واسم رجل . الملموح هنا أنه رجل يصنع الرماح . (لا يأتي الموت الأكيد الا من عينيه ، كما أن الرماح الجياد لا تكون الا من صنع ردين) .
(٦) – اذا أطلنا النظر اليه خجل (فاصبح خده الأبيض كالزنبق أحمر كالورد) .

بالشريف النيسابوري نُقْرَكار[1] ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٠٦ هـ (١٣٠٦ – ١٣٠٧ م) .

تَصَدَّرَ الشريفُ النيسابوريُّ للتدريس فدرَّسَ في المدرسة الأسدية في حَلَبَ (والتدريس فيها على المذهب الشافعي) وفي المدرسة الأسدية في ظاهر (ضواحي) دِمَشْقَ (والتدريس فيها على المذهب الحنفيّ) . وقد قضى في القاهرة مُدَّةً وفيها تُوُفِّيَ سَنَةَ ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ – ١٣٧٥ م) .

٢ – كان الشريفُ النيسابوريّ بارعاً في أصول الفِقْه وفروعه عالماً بالنحو ؛ وكان ذا اتّجاهٍ صوفيّ . وكان له شعرٌ . وله تآليفُ كلُّها شُروحٌ : شرح قصيدة البُستي – العُبابُ شرح اللُباب (نحو) – شرح التسهيل (نحو) – شرح الشافِيَة (تصريف) – شرح التلخيص (بلاغة) – شرح المنار (أصول الفِقْه) – شرح التنقيح (أصول الفقه) – شرح لبّ اللباب .

٣ – مختارات من شعره

– للشريف النيسابوري هذه الابياتُ التي يَلوح عليها الاتّجاه الصوفي :

هذّبِ النَفْسَ بالعلوم لِتَرْقى ... وترى الكُلَّ ، فهي[2] للكُلِّ بَيْت.
إنّما النفسُ كالزُجاجةِ ، والعقـ ... لُ سِراجٌ ، وحكمةُ الله زَيْتُ ؛
فإذا أشرقتْ فانّك حيٌّ ، ... وإذا أظلمتْ فانّك مَيْتُ !

٤ – ** الدرر الكامنة ٢ : ٣٩٢ – ٣٩٤ (رقم ٢٢٠٦) ؛ بغية الوعاة ٢٨٧ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٤٢ ؛ بروكلمان ، الملحق ٢ : ٢١ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ٢٧١ – ٢٧٢ .

ابن حبيب الحلبي

١ – هو بدرُ الدين أبو محمّد الحسنُ بنُ عُمَرَ (ت ٧٣٣ هـ) بن الحسن بن حبيب بن عُمَرَ ، وُلِدَ في دِمَشْقَ ، في شَعبانَ من سَنَةَ ٧١٠ هـ (شتاء ١٣١١ م) ولمّا نُصبَ أبوه مُحْتَسِباً[3] في حَلَبَ انتقلَ مَعَه إليها فكانتْ نشأتُه فيها .

وتَطَوّفَ ابنُ حبيبٍ في البلاد كثيراً : زارَ القاهرةَ والإسكندريةَ (٧٣٦ هـ)

---

(١) نقركار : صائغ الفضة . (٢) فهي ، أي النفس . الكل : مجموع الوجود .
(٣) المحتسب : موظف يتولى مراقبة الأسعار ورعاية الأخلاق في الاسواق .

والقُدْسَ والخَليل (٧٣٨ هـ) ومُعْظَمَ بلاد الشام (سورية) وحَجّ مرّتين (٧٢٦ و ٧٤٥ هـ). ثمّ إنّه استقرّ في حَلَبَ وتُوُفّيَ فيها في ٢١ من ربيعٍ الثاني من سَنَة ٧٧٩ هـ (٢٨/٨/١٣٧٧ م).

٢ ـ كانَ ابنُ حبيب الحلبيُّ مؤرّخاً وكاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً ومحدّثاً وفقيهاً. وفي شعْره ونثره جمالٌ وعُذوبةٌ الى جانب تَكَلُّفٍ كثيرٍ. ثمّ إنّه مُصَنِّفٌ له: نسيمُ الصَبا (أوصاف من الطبيعة ومن الحياة في نثر أنيقٍ مسجوع) ـ درّة الاسلاك في دولة (مُلْك) الأتراك ـ جُهينة الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار ـ تذكرة النبيه في أيام المنصور (قلاوون) وبنيه ـ النجم الثاقب في أشرف المناقب (في السيرة النبوية) ـ المُقتفى في ذكر فضائل المصطفى (رسول الله) ـ كشف المُروط[١] عن محاسن الشُروط (في الفِقه) ـ الفرائد المنتقاة من تاريخ حماة.

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ وصف سفينة في بحر هائج

قال ابن حبيب الحلبي في كتاب «نسيم الصبا»:

يا لها سفينةً على الأموال أمينةً، ذاتُ دُسُرٍ وألْواحٍ[٢] تجري مَعَ الرياح وتطير بغير جناح وتَعْتاضُ عن الحادي بالمَلاّح[٣]؛ تخوض وتلعَبُ وتَرِدُ ولا تشربُ. لها قِلاع كالقِلاع وشراع يحجُبُ الشُعاع[٤]، وسكّينة وسُكّان ومَكانة ومكان، وجُؤجؤ وفَقار، وأضلاع مُحْكَمَةٌ بالقار[٥]، وجسمٌ عارٍ عن الفؤاد وهو في عين الماء بمنزلة السواد[٦] .....

ما رأى الناسُ من قُصورٍ على المـا ء سِواها تسيرُ سَيْرَ القِداح[٧] .....

(١) المرط: كساء واسع من حرير أو غيره.

(٢) دسر جمع دسار (بكسر الدال): مسمار، رباط (حبل) من ليف تشد به ألواح السفينة.

(٣) الحادي: سائق الابل. الملاح: الذي يوجه السفينة في سيرها.

(٤) تخوض وتلعب: تتحرك حركات تدل على اللهو والطيش. راجع القرآن الكريم (الزخرف ٤٣: ٨٣) فذرهم يخوضوا ويلعبوا. يرد: يذهب الى النهر أو عين الماء. (السفينة) لا تشرب: لا يدخلها الماء مع أنها سابحة فيه. القلاع جمع قلع (بكسر القاف): شراع السفينة. القلاع جمع قلعة: الحصن. شراع يحجب الشعاع (شعاع الشمس) لكبره.

(٥) سكينة (حرف السفينة الامامي ؟). السكان: الدفة، أداة في آخر السفينة عادة توجه بها السفينة يميناً ويساراً.

(٦) جسم عار عن الفؤاد: أجوف، فارغ. السواد: سواد العين.

(٧) القصور جمع قصر: البناء العظيم الفخم. القداح جمع قدح (بكسر القاف) السهم.

فبينما نحنُ من البحر في قاموسه كتب الجوُّ حروفَ الغيم في طُروسه[1] . وثارتْ ريحٌ عاصفٌ يتبَعُها رعدٌ قاصف[2] . فمالت بنا الفُلْك واضْطَرَبَتْ ، ودَنَت شَفَتُها من رَشْف الماء واقتربتْ[3] ، واستمرّت ترفَعُ وتَخْفِضُ ، وتقرُبُ وترفِضُ ، وتَعْلو كالأطواد وتَهيم في كلّ واد[4] ، وتَحومُ وتَحول ، وتجور وتجول[5] ، وتُضْرِمُ في الكُبود نار ناجرٍ ، إلى أن بلَغَت القلوبُ الحناجرَ[6] :

ألا فَارْجُهُ واخْشَـهُ ، إنّـه   هو البحرُ فيه الغِنى والغَرَقْ[7] !

ثمّ نَظَرَ إلينا من لا تَخْفى عليه السّرائر ، وأمرَ الجاريةَ بحَمْل العبيد إلى بعض الجزائر[8] . فلم نَدْر الاّ ونحن تجاهَ جزيرةٍ تَسُرُّ النفوسَ بمحاسِنها الغَزيرة[9] . فانحَدَرْتُ ماضياً الى بَنيها ، نائياً عن السفينةِ وساكِنيها[10] . فوَجَدتُّها مُخْضَرّةَ الأفْنان مُخْضَلّةَ الكُثْبان[11] ....

— وقال في النسيب :

ألحاظُه شَهِدَتْ بـأنّي ظالمٌ   وأتتْ بخَطِّ عِـذاره تِذْكارا[12] .
يا حاكمَ الحُبِّ ، اتّئِدْ في قِصّتي ؛   فالخطُّ زُورٌ ، والشُهود سُكارى[13] !

---

(١) القاموس : معجم الماء (جانب كبير من البحر) . الطرس (بكسر الطاء) : الورق .

(٢) العاصف : المتحرك حركة شديدة . القاصف : الشديد الصوت .

(٣) الفلك : السفينة . رشف الماء : أخذه بالشفتين قليلا قليلا .

(٤) ترفض (بضم الفاء أو كسرها) : تبعد (؟) . الطود (بفتح الطاء) : الجبل . تهيم في كل واد : تضل ، تسير على غير هدى . راجع القرآن الكريم (الشعراء ، ٢٦ : ٢٢٤) : والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ؟

(٥) تحوم : تطوف كأنها تدور حول شيء . تحول : تهدأ ؛ تسكن ، تبدل خط سيرها . تجور : تعدل يميناً أو يساراً بعد أن كانت تسير سيراً مستقيماً . تجول : تطوف (تجري في أماكن مختلفة) .

(٦) ناجر : من شهور الصيف . بلغت القلوب الحناجر : ضاق الأمر على الناس . راجع القرآن الكريم (الأحزاب ٣٣ : ١٠) : وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر .

(٧) ارجه : انتظر منه الخير . اخشه : خف منه .

(٨) من لا تخفى عليه السرائر (جمع سريرة : سر ، ما يكتمه الانسان) : الله تعالى . الجارية : السفينة (وفيها تورية : السفينة كالجارية ملك لله يأمرها بما يشاء) . العبيد : العباد ، الناس . الغزيرة : الكثيرة الماء) .

(٩) بنوها : أبناؤها ، أهلها ، سكانها . نائياً : مبتعداً .

(١٠) مخضرة الافنان (جمع فنن – بفتح ففتح – الغصن) : خصبة . مخضلة (مبتلة) الكثبان (تلال الرمل) : كثيرة النبات والماء .

(١١) بخط عذاره (بالشعر النابت في وجهه أول ما ينبت) .

(١٢) اتئد : تمهل . القصة : صحيفة يرفعها المتظلم الى القاضي (عرض حال) .

٤ – نسيم الصبا ، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٣ م ؛ الاسكندرية ١٢٨٩ هـ ؛ قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣٠٧هـ ؛ ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) .
النجم الثاقب
درّة الاسلاك في دولة الاتراك (فايرس ومردسنغه) ، أمستردام١٨٤٠ – ١٨٤٦ م؛ بولاق ١٢٨٩ هـ ؛ دمشق (جامعة دمشق) ١٩٦٧ م .

* تكملة درة الاسلاك لزين الدين طاهر بن الحسن بن عمر الحلبي (ابن صاحب هذه الترجمة) (مطبوع مع « درة الاسلاك ») .

الدرر الكامنة ٢ : ١١٣ – ١١٥ (رقم ١٤٥٣) ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٦٢ ؛ البدر الطالع ١ : ٢٠٥ ؛ بروكلمان ٢ : ٤٥ – ٤٦ ، الملحق ٢ : ٣٥ ؛ زيدان ٣ : ١٨٧ – ١٨٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٧٥ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٢٦ .

القيراطيّ

١ – هو برهانُ الدين أبو اسحاقَ ابراهيمُ بنُ شرف الدين عبد الله بن محمّد ابن عسكرٍ القيراطيُّ ، وُلِدَ في صَفَرٍ ٧٢٦ هـ (كانون الثاني – يناير ١٣٢٦ م) .

حدّثَ القيراطيّ (روى أحاديثَ رسول الله) عنْ نَفَرٍ منهم ابن شاهد الجيش (ت ٧٤٦ هـ) وأحمدُ بنُ علِيٍّ ابن أيوبَ المَسْتَوْلي والحسنُ بنُ السديد الإرْبليّ وشَمْسُ الدين بن السرّاج [1] .

وفي سَنَةَ ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م) جاء الى القاهرة وحدّثَ بها . واتّصل في القاهرة بابن نُباتةَ المصري وراسَله وأخذَ عنه طريقتَه في الصناعة ، وفي البديعِ والتَوْريةِ خاصّةً . وكانت بينَه وبينَ نَفَرٍ من الشعراء مُطارحاتٌ بالشعر . وقد مَدَحَ السُلطانَ الناصرَ حَسَناً (قُتل ٧٦٢ هـ) .

وذهبَ القيراطيُّ الى الحِجاز وجاوَرَ في مكّةَ إلى أن تُوُفّيَ فيها في ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٧٨١ هـ (تموز – يوليو ١٣٧٩ م) .

٢ – القيراطيُّ شاعر مُبْدِعٌ رقيقٌ ولكنّه أثقلَ شِعْرَه بالصناعة تقليداً لابن نُباتةَ المصري . وفنونُه البديعيّاتُ والمدحُ والرثاء والوصف والغزَل والخمر والعِتاب والإخوانيّات . والقيراطيّ مُصَنِّفٌ له ديوانٌ عنوانه « مَطْلَعُ النيّرَيْنِ » ، ثمّ له : الوِشاح المُفَصّل والفنون (؟ بروكلمان ٢ : ١٥) الموصّل في خُلْق الشباب المخصّل (وهو مجموع نثرٍ وشعرٍ في الحُبّ والمحبّين) – مكاتبات ومطارحات .

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ٢٧٠ .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال القيراطيُّ في المشيب :

عَيَّرتْني المشيبَ وَهْـوُ وقارٌ . ليسَ في الشَيْبِ ، يا أُمامةُ ، عار .
لَم تخافي شَبيبتي وَهْـيَ لَيْلٌ ، كيفَ خِفتِ المَشيبَ وهو نَهار !

ـ وقال في الخمر :

كم . ليلةٍ نادَمْتُ بـدرَ سمائِها والشمسُ تُشْرِقُ في أكُفِّ سُقاتِها .
وجَرَتْ بنا دُهْمُ الليالي للصبـا وكؤوسُنا غُرَرٌ على جَبَهاتِها * .
فصَرَفْتُ دينـاري على دينـارِها وقَضَيْتُ أعـوامي على ساعاتِها .
حالفْتُ في الصَهباءِ كلَّ مُقَلِّـد وسعيتُ مجتهداً الى حاناتِها .
فتَحيَّرَ الخمّارُ أين دِنانُها(١) حتّى اهتدى بالطِيبِ من نَفَحاتِها .
فَشمِمْتُها ورأيتُها ولَمَسْتُها وشربتُها وسَمِعْتُ حُسْنَ صِفاتِها .
يا صاحِ ، قد نَطقَ الهَزار مُؤَذّناً ؛ أيليقُ بالأوتـارِ طولُ سُكاتِهـا ؟
إن كانَ عندكَ ، يا شرابُ ، بَقيّـةٌ ممّا تُزيلُ بهِ العُقولَ فهاتِهـا .
وإذا العقودُ من الحُبابِ تَنَظّمتْ إيّاكَ والتفريطَ في حَبّاتِهـا(٢) .

٤ ـ مطلع النيّرين ، مصر ١٢٩٦ هـ .
الوشاح المفصّل(٣) .

* * الدرر الكامنة ١ : ٣٢ (رقم ٧٧) ؛ المنهل الصافي ١ : ٧٠ ـ ٧٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٤ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ؛ بروكلمان ٢ : ١٥ ، الملحق ٢ : ٧ ؛ زيدان ٣ : ١٣٥ ؛ الاعـلام للزركلي ١ : ٤٣ .

شهاب الدين الدمنهوريّ

١ ـ هو شهابُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ الهادي بنِ أحمدَ بنِ أبي العبّاسِ الشاطر(٤) ، كان جَدُّهُ أبو العبّاس من المَغْرِب، ووُلِدَ هو في دَمَنْهور

* الليلة الدهماء (الشديدة السواد) والغرة (بضم الغين وتشديد الراء: شدة البياض) كناية عن كثرة اللهو في أيام الشباب .

(١) الدن (بفتح الدال) : وعاء ، ضخم للخمر .
(٢) الحباب : فقاقيع الماء التي تطفو على وجه الخمر . لا تفرط بحباتها : اشربها كلها (اشرب الخمر بكثرة) .
(٣) ذكر الزركلي أن الكتاب مطبوع ، ولم يره سركيس (معجم المطبوعات العربية ١٥٣٥ ـ ١٥٣٦)
(٤) في المنهل الصافي : أحمد بن عبد الهادي ... شهاب الدين أبو العباس المعروف بالشاطر الدمنهوري (١ : ٣٥٦) ، وفي شذرات الذهب (١ : ٢٩٦) : شهاب الدين أحمد بن أبي العباس الشاطر المعروف بابن الشيخ .

(مصر) في السابعِ والعِشرينَ من شوّالِ سَنَةَ ٧٣٣هـ (١٠ / ٧/ ١٣٣٣م) ثمّ كانتْ وفاتُه في ذي القَعْدة من سَنَةِ ٧٨٧ هـ (كانون الأوّل ـ ديسمبر ١٣٨٥ م) في طريقِه إلى الحجّ .

٢ ـ كانَ شِهابُ الدين الدَمنهوريُّ ذا ذكاءٍ فِطْريّ مُفْرِط لا يسمع حِكايةً أو قِطْعة من شعْرٍ إلاّ أخبرَ بعَدَدِ ما فيها من الحُروف . وكان واسعَ الاطّلاعِ أديباً شاعراً سَهْلَ القولِ حَسَنَ الإشارةِ مع التوريات .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال شِهابُ الدين الدَمَنْهوريُّ يَصِفُ المِرْوَحة :

ومَخْطوبةٍ في الحرّ من كلّ هاجرٍ ومهجورةٍ في البَرْد من كلّ خاطبِ[١]،
إذا ما الهوى المقصورُ هَيّجَ عاشقاً أتَتْ بالهوا الممدودِ من كلّ جانب[٢]

ـ وقال في رِباط المُشْتَهى ، وهو رِباطٌ (خانقاه ، تَكيّة ، زاوية) للصوفيةِ في الرَوْضة يُطِلّ على النيل :

بروضةِ المِقياسِ صوفيّــةٌ هم مُنْيَــةُ الخاطرِ والمُشتهى[٣] .
لهم على البحــر أيادٍ عَلَــتْ ، وشَيْخُهُمْ ذاك له المُنْتهى[٤] !

٤ ـ * الدرر الكامنة ١ : ٢٠٧ ـ ٢٠٨ (رقم ٥٠٠) ؛ المنهل الصافي ١ : ٣٥٦ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٩٦ .

حافظ الشيرازيّ

١ ـ لمّا وُلِدَ حافظٌ الشيرازيّ كانتْ شيرازٌ تابعةً للإيلخانات[١] ، وكانت تُعطى إقطاعاً للأُمراء أو للوُلاة فكَثُرَ تعاقُبُ الحكّام عليها واضطربتْ أحوالُها وأحوالُ

---

(١) الهاجر : التارك ، المبغض (والهاجر : الذي يشعر بالحر الشديد) . الهوى المقصور (بألف مقصورة) : الحب ، العشق . والهوا ، الهواء الممدود (بألف ممدودة) : الريح .

(٢) روضة المقياس : جزيرة في النيل فيها مقياس لمعرفة ارتفاع منسوب الماء في أيام الفيضان . المشتهى : الشيء المرغوب فيه .

(٣) أياد : أفضال . لهم على البحر (نهر النيل) أياد علت : يفيض من بركاتهم (؟) . المنتهى : أسمى الفضل ، أعلى مرتبة في الجنة .

(٤) في الايلخانات أو الخانات راجع ، فوق ، ص ٦٠٤ .

فارس كلّها بذلك . ثمّ جاء آلُ المُظَفّر حُكّامُ شيراز (٧١٨ – ٧٩٥ هـ) فعرفتْ شيرازُ شيئاً من الهدوء . إلاّ أنّ آلَ المظفّر أنفسَهم جعلوا يتنازعون الحكمَ فعادتْ شيرازُ الى شقائها الأوّل . ولمّا قضى تيمورلنك[١] على الفوضى في شيرازَ (٧٩٥ هـ)، بعدَ القضاء على آلِ المُظفّر ، كان حافظٌ الشيرازيّ قد مات .

وُلِدَ خواجه شَمْسُ الدين محمّدُ بنُ بهاء الدين المعروفُ بلقب « حافظ الشيرازي » في شيرازَ ، سَنَةَ ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) في الأغلب في أُسرةٍ غنيّة سعيدة . ولمّا ماتَ بهاء الدين فارقَ ابناه الكبيران الأُسرة ، وبقي شمس الدين محمّد (وهو أصغر الإخوة الثلاثة) مَعَ أمّهِ فعَمِلَ خبّازاً وخَبَرَ مع أمّه شقاء شديداً طويلا

تلقّى شمسُ الدين محمّدٌ في شيرازَ العلومَ المألوفة (الفقه واللغة والأدب) ، وقد حَرَصَ على سَماع دروس الشيخ قَوامِ الدين عبدُالله (ت ٧٧٢ هـ) . ثمّ حَفِظَ القرآن الكريم وبرع في قراءته فقيل له « حافظ شيرازي »[٢] .

في سنة ٧٥٤ هـ استولى مُبارِزُ الدينِ محمّدُ أحدُ بني المُظَفَّر على شيرازَ وحكم فيها خَمْسَ سَنَواتٍ ، ثمّ خَلَفَهُ ابنُه شاه شُجاع منصور (٧٥٩ – ٧٨٦ هـ) . ومَعَ أنّ حافظاً الشيرازيَّ قدِ اتّصل ببرهانِ الدين فتحِ الله (وزيرِ مبارز الدين) وبحاجي خواجه قوام الدين (وزيرِ شاه شجاع) وتعرّضَ لحُكّام البَلاط المُظفري بالشِعر للتكسّب ، فانّه لم يَلْقَ نجاحاً كبيراً . ولكن يبدو أنّه نالَ حَظْوةً يسيرةً عند شاه شُجاع ؛ ولعله ، في هذه الفترةِ ، تصدّرَ للتدريس في جامعِ شيرازَ يلقي فيه شيئاً من تفسير القرآن .

---

(١) تمر أو تيمور كان يلقب تيمور كوركان (تيمور صهر الملك) ولكنه اشتهر بلقب تيمورلنك (تيمور الأعرج) ، ولد في كش (قرب سمرقند) سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٦ م) ، قيل في أسرة من نبلاء الترك . وقد كان من أتباع طقتمش خان (وهو ملك من ذرية جنكيزخان) ، فلما توفي طقتمش وخلفه ابنه محمود استبد تيمورليك بحكم كش ثم نادى بنفسه ملكاً على بلاد ما وراء النهر (التركستان) . واتسعت فتوح تيمورلنك في بلاد الهند (٨٠٠ – ٨٠١) واستولى على عاصمتها دلي (أو دهلي أو دلهي) ، ثم فتح حلب ودمشق (٨٠٣ هـ) ثم بغداد . واجتاح آسية الصغرى وهزم العثمانيين قرب أنقرة وأسر السلطان أبا يزيد (بايزيد) الأول . وكانت وفاته سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ هـ) . وقد نقل تيمورلنك عدداً كبيراً من الصناع ، من دمشق خاصة ، الى بلاد ما وراء النهر وأقام بهم حضارة اسلامية زاهرة بالعمران والثقافة (راجع شذرات الذهب ٧ : ٦٢ – ٦٧ وغيره) .

(٢) حافظ شيرازي (الحافظ الشيرازي) ، والحافظ : الذي يحفظ القرآن الكريم . وحافظ (بالامالة القريبة من الكسر) شيرازي (بالامالة أيضاً) . راجع القاعدة في هذا التركيب الاضافي الفارسي ، فوق (٢٥٠ ، في الحاشية) .

ولمّا ماتَ شاه شجاع ، سَنَةَ ٧٨٦ هـ ، عادَ أمراءُ آلِ المظفّر الى التنازع على حُكم شيرازَ وعادتْ شيرازُ بذلك الى الفوضى والشقاء . ثمّ جاء تيمورلنك واستَوْلى على إصْبهانَ ، سنة ٧٨٩ هـ ولكنّه سَرعانَ ما رَجَعَ عن فارس كلِّها لأنّ توقْتُمُش خان ملكَ القَبْجاق قدْ أغار على بلاده . ثمّ انّ تيمورَ عاد الى شيرازَ ، في السَنَةِ التالية ، واستَوْلى عليها . ويبدو أن حافظاً كان قد اعتزلَ الحياةَ العامّة ، هَرَباً من تلك الفوضى وذلك الذُلّ ، ولم يجتمعْ بتيمورَ في الأغلب .

وكانت وفاةُ حافظٍ الشيرازيِّ ، في شيرازَ ، سَنَةَ ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) في الأرجح

٢ ــ كان حافظ الشيرازي ناثراً وشاعراً ، وشِعْرُه أقسامٌ : قصائدُ (والقصيدةُ نحوُ ثلاثينَ بيتاً الى مائةِ بيت) ورباعيّاتٌ (بيتانِ أو أربعةُ أشطُرٍ على نَسَقٍ معلوم)[1] وقِطْعاتٌ أي مُقَطّعاتٌ (بين ذلك) وغَزَليّات (بالمعنى الفنّي : مقطوعةٌ قصيرةٌ ، بينَ سبعةِ أبيات وخَمْسَةَ عَشَرَ بيتاً بالتقريب ، موضوعُها الغزلُ في الأكثرِ وقد تكونُ في أغراضٍ أُخرى) . ثمّ ان قطعَةَ « غزل » (غزلية) تنتهي بشَطْرينِ يُسَمَّيان « تَخَلُّص » (تخلّصاً) ، وهما يُشْبهان « قَفلةً » ؛ يذكُرُ الشاعر في احد الشطرين اسمَهُ صراحةً أو يذكُرُ لَقَبَهُ كِنايةً . ولحافظٍ أيضاً مَثْنَويّاتٌ[2] . ومُعْظَمُ خصائصه وأغراضه في غزليّاته .

وحافظٌ الشيرازيُّ شاعرٌ وُجْدانيّ غَزِلٌ من الطبقة الأولى سَهْلُ الشعر يقرُبُ بشعره من عواطفِ الناس وطريقةِ خِطابهم ، ولذلك رُزِقَ شعرُهُ سَيْرورةً على الألْسُنِ يدُلُّنا على ذلك مخطوطاتُ ديوانهِ التي لا يكاد يُدْرِكَها الحَصْر . ويدورُ مُعْظَمُ شعرِ حافظ على المعاني الغَزَلية والخَمْرية التي يَرى فيها أكثرُ دارسيه اتّجاهاً صوفياً ونَظَراً باطِنيّاً ولا يَرَوْنَ أنْ تُفَسّر على ظاهرِها ، وخُصوصاً فيما يتعلّقُ بخَمْريّاته التي تنطوي على كثيرٍ من المدارك الدينية الوَثَنيّة ثم بغزله الذي ينطوي على مدارِكَ مادّيّة من وَصْفه الخدودَ بالوَرْدِ والجَبينَ بالقمرِ والعينين بالنَرْجِسِ والقامةَ الرشيقةَ بشَجَرِ السَرْوِ ؛ وهذه الصفاتُ كلُّها عند مُعْظَمِ الدارسين لِشِعْرِ حافظٍ رموزٌ عن العِزّة الالهية

---

(١) راجع ، فوق ، ص ٢٥١ .

(٢) المثنى والمثناة (بفتح الميم وبضمها) وجمعهما (المثاني) . وهي مزدوجات من الشعر تسمى بالفارسية دوبيتي : بيتين (والعرب يقولون : دو بيت) . (راجع القاموس ٤ : ٣٠٩) .

ومن المستغرب أنّ نفراً من المُعْجَبين بحافظ كانوا يَسْتَفْتِحون[1] بديوانهِ ويعمَلون بما يخرُجُ لهم فيه لاعتقادِهِم أنّه عارفٌ بالأسرار . ولذلك قال قائلُهم :

أيْ حافظِ شيرازي ، تو كاشفِ هَرْ رازي !

(تو : أنت . هر : كلّ . راز : سرّ)

٣ ـ مختارات من شعره

ـ لحافظ الشيرازي عدد من الملمّعات ، منها هذه « الغزلية » التي هي مطلع ديوانه :

ألا يا أيُّها الساقي ، أدِرْ كأساً وناوِلْها[2] ؛
كه عشق آسان نمود أوّل ، ولي أُفتاد مشكلها .
....
حضوري كَر همي خواهي أزو غايب مشو ، حافظْ!
متى ما تَلْقَ من تَهْوى دَعِ الدنيا وأهمِلها

ومعنى البيتين الفارسيّين الأوّل والثاني : كان الحبّ في أوّل الأمر سهلاً ، ولكن كانت له (فيما بعد) مشاكل كثيرة ـ وإذا كنت تريدُه أن يكون حاضراً (معك) فلا تَغِبْ أنتَ عنه ، يا حافظُ !

وقد نقل محمّد الفراتي هذه الغزلية نقلاً عذباً ولكنّه تصرَّفَ في النقل . قال :

أدِرْ كأساً وناوِلْها ، ألا يا أيُّها الساقي ،
فانّ الكأسَ للملدوغِ بالعشق هو الراقي .
قدِ استَسْهَلْتُ أُولى العِشْقِ فانهالَتْ على قلبي
مشاكلُ قيّدتْ عقلي ، فلا يُؤْمَلُ إطلاقي .
....

(١) الاستفتاح أن يضمر الانسان طلب النصيحة في أمر ما ثم يأخذ كتاباً ويفتحه كيف اتفق ثم يقرأ في الصفحة المفتوحة . والعادة أن يفتح المستفتح القرآن الكريم ثم يقلب سبع ورقات ثم يعد سبعة أسطر من أول الورقة الثامنة ويقرأ أول السطر الثامن .

(٢) قيل ان هذا البيت :

ادر كأساً وناولها ألا يا أيها الساقي ؛

ليزيد بن معاوية ـ راجع : « في الأدب العربي والتركي » ، تأليف حسين مجيب المصري ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٦٢ م (ص ٤٠٠ ـ ٤٠١) .

متى ما تَلْقَ من تهوى ، دعِ الدنيا وأهمِلْها .
فيا حافظُ ، جَمْعُ الشمْلِ بالذكرى هو الباقي .

– ومن ملمّعات حافظ ملمّعة منها (الأشطر المحصورة بين الأهلّة فارسيّة في الأصل) :

سُلَيْمى مُنْذُ حلّتْ بالعِراقِ ألاقي من هواها ما أُلاقي .
(أيُّها الحادي، حبيبي في هَوْدَجِكَ *) إلى رُكْبانِكُمْ طالَ اشتياقي[1] .
ربيعَ العُمْرِ في مرعى حِماكم ، حَماكَ الله ، يا عهدَ التلاقي .
(تعال أيّها الساقي وناولني رِطْلاً كبيراً) سقاكَ اللهُ من كأسٍ دِهاقِ[2]
(أصبح داخلي دَماً لعدم رؤيةِ محبوبي)* ألا تَعْساً لأيامِ الفراق .
دموعي بعدَكم لا تَحْقِروها ، فكم بحرٍ عميقٍ من سواقي[3] !

– ولحافظ مُلمّعةٌ تتعاقب فيها خمسةُ أبياتٍ فارسية وخمسة عربية منها (الأبيات المحصورة بينَ أهلّة فارسية في الأصل) :

انّي رأيت دهراً من هَجْرِكَ القيامه[4] .
من جرّبَ المجرّبْ[5] حلّتْ بـه الندامهْ .
(انّ عندي على رَغْبته في الفراقِ مِائةَ علامهْ)
ليستْ دموعُ عيني هذا لنا العلامه[6] .
(وسألتُ طبيبي عن أحوالِ المحبوبَةِ فقالَ) :
في بُعْدِها عذابٌ ، في قُرْبِها الندامه .

* أيها الحادي سائق القافلة) الذي يحمل حبيبي في محمله (هودجه) ليسافر به ..
(١) الركبان = الراكبون : المسافرون . – أشتاق الى أن تأتوا الي (تزوروني) أو أني أذهب إليكم .
(٢) كأساً دهاقاً : مملوءة . * في الصدر مني حرارة لبعدالحبيب عني .
(٣) دموعي بعدكم (بعد فراقكم) لا تحقروها (لاتظنوها قليلة) ... فالبحر العظيم يتجمع من السواقي (جمع ساقية : مجرى الماء) الصغيرة .
(٤) حافظ الشيرازي ، تأليف ابراهيم أمين الشواربي ، مصر (مطبعة المعارف ومكتبتها) ١٩٤٤ م ، ص ١٧٧ .
(٥) – عشت مدة طويلة أتعذب في هجرك والبعد عنك .
(٦) المجرب (ساكنة في الاصل) .
(٦) – بكاؤك ليس علامة (دليلا) على أنك تحبنا وتتألم من فراقنا وبعدنا !

(قلتُ : إنّي عصيتُ صديقاً لام مثـل لومِكَ) :
واللهِ ، ما رأيْنـا حُبّاً بـلا ملامهْ !

– وتنسب الى حافظ الشيرازيّ غزلية هي(١) :

ألمْ يأنِ للأحبابِ أن يترحّموا ، وللناقضينَ العهدَ أن يتندّموا(٢) ؟
ألم يأتِهم أنباءُ مَنْ بـات بعدَهم وفي قلبه نارُ الأسى تتضرّم ؟
فيا ليتَ قومي يعلمون بما جـرى على مُرْتَجٍ منهم فيَعْفُوا ويرحموا(٣) .
حكى الدمعُ منّي ما الجوانحُ أضْمرَتْ ؛ فيا عَجَباً مِنْ صامتٍ يتكلّم(٤) !
أتى موسمُ النَيْروزِ واخْضرّتِ الرُبى ، ورَقّقَ خمرٌ ، والنَدامى ترنّموا(٥) .
بني عمّنا ، جودوا علَيْنا بجُرعة ، ولِلْفَضْلِ أسبابٌ بها يُتَوَسَّمُ(٦) .
شهورٌ بها الأوطارُ تُقْضى من الصبا ، وفي شأننا عيشُ الربيعِ مُحَرَّمُ(٧) .
أيا من علا كلَّ السلاطينِ سطوةً ، ترحّمْ – جزاكَ اللهُ – فالخيرُ مَغْنَمُ .
لكلٍّ من الخُلاّنِ ذُخْرٌ ونِعْمَةٌ ،
وللحافظِ المسكينِ فقرٌ ومغـرَمُ(٨) .

٤ – ديوان خواجه حافظ شيرازي (به اهتمام سيّد أبو القاسم أنجوى شيرازي) طبعة ثانية بالتصوير ، طهران ؟ (سازمان انتشارات محمّد علي علمي) ١٣٦٦ .

---

(١) راجع « حافظ الشيرازي للشواربي » (في رقم ٤) ، ص ١٧٧ .
(٢) ألم يأن (من أنى : حان ، قرب) : ألم يأت الوقت الذي ... ترحم : رحم ، أشفق .
(٣) المرتجى : الراجي (الذي يأمل منك أن تساعده على أمر) .
(٤) – دمعي يحكي (يشبه) ما أضمرته (أخفته ، سترته) جوانحي (أضلاعي) من الحزن : بكائي شديد وكثير وطويل . وأنا صامت (ساكت) ولكن الناس يعلمون من بكائي ما أعانيه من العذاب في الحب (كأنني أشرح ذلك بالالفاظ والكلمات) .
(٥) النيروز : عيد الربيع . الربى : التلال . رقق فلان الشيء : جعله لطيفاً ليناً . ورقق خمر (تركيب ضعيف) المقصود به : رقت الخمر (أصبحت صافية) . ترنم : تغنى . الندامى : الذين يشربون الخمر معاً .
(٦) بجرعة : بشربة من الخمر . توسم : تخيل . للفضل أسباب بها يتوسم : للفضل علامات نعرفه بها !
(٧) العادة أن الناس في أشهر الربيع يقضون أوطارهم من الصبا (الشباب) : يندفعون في التمتع بما يشتهون من الملذات ، أما أنا فذلك محرم علي (لأن محبوبي . الذي هو العزة الالهية – ليس حاضراً لدي) .
(٨) لكل خليل (محب) ذخر (ثروة مجموعة : محبوب) ونعمة (فرصة للتمتع بجمال المحبوب) ، أما أنا (حافظاً المسكين : الشقي) فلي الفقر (غيبة المحبوب عني ، بعده عني) والمغرم (الخسارة : لأنني لا أستطيع التمتع بمحبوبي كما يتمتع كل انسان آخر بمحبوبه) .

* *روائع الشعر الفارسي (ترجمة محمّد الفراتي) ، دمشق (وزارة الثقافة والارشاد القومي — سلسلة روائع الادب الشرقي ٢) ، دمشق (المطبعة الهاشمية) بلا تاريخ (الصفحات ط — ى ، ٢٠١ — ٣١٠) .

حافظ الشيرازي شاعر الغناء والغزل في ايران ، تأليف ابراهيم أمين الشواربي ، مصر (مطبعة المعارف ومكتبتها) ١٩٤٤ م .

دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٤ : ٣٦ — ٣٩ .

ابو أحمـــد الشاعر

١ — هُو عِزُّ الدين أبوأحمدَ الحسنُ بنُ محمّدِ بنِ عليٍّ العِراقيُّ المعروفُ بأبي أحمدَ الشاعرِ ، أصلُه من العراق وسَكَنَ في حَلَبَ . وقد كان خاملاً في الحياة قليلَ السَعْيِ يَجْلِسُ في مكتبٍ في باب النَيْرَبِ[1] مَعَ العُدول (ذوي السِيرة الحسنة) للشهادةِ (للتكسّبِ بالشهادة أمامَ القضاة ؟) . وكانتْ وفاتُه في حَلَبَ في سابع عشر المحرّم من سنة ٨٠٣ هـ (٧/ ٩/ ١٤٠٠ م) .

٢ — كان أبو أحْمَدَ الشاعرُ من أهلِ الأدبِ جيّدَ الشِعرِ رقيقَ القول. من شِعْره سبعُ بديعيّاتٍ (قصائدُ مَدَحَ بها الرسولَ) ، وله كتابُ « الدرّ النفيس من أجناس التجنيس » فيه سبعُ قصائدَ مَدَحَ بها البُرهانَ بنَ جَماعة[2] .

٣ — مختارات من شعره

— قال أبو أحمدَ الشاعرُ في النسيب :

ولمّا اعْتَنَقْنا للوَداع عَشيّةً ، وفي كلّ قلبٍ من تَفَرُّقِنا جَمْرُ ؛
بَكَيْتُ فأبكَيْتُ المَطِيَّ تَوَجُّعاً ، ورقّ لنا من حادثِ السَفَرِ السَفْرُ[3]
جرى دُرُّ دمعٍ أبيضٌ من جُفُونِهِمْ ، وسالتْ دموعٌ كالعقيقِ لنا حُمْرُ[4] :
فراحوا وفي أعناقِهِمْ من دمُوعِنا عَقيقٌ، وفي أعناقِنا مِنْهُمُ دُرّ .

٤ — الضوء اللامع ٣ : ١٢٦ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٢٧ — ٢٨ .

---

(١) النيرب اسم قريتين قرب دمشق وقرب حلب .

(٢) لم استطع التوصل الى البرهان بن جماعة . هنالك نفر من آل جماعة ليس من المعقول (من حيث المكان والزمان) أن يكون أبو أحمد الشاعر قد مدح أحداً منهم.

(٣) المطي جمع مطية : الدابة التي تركب في السفر . السفر (بفتح السين وسكون الفاء) : المسافرون معاً

(٤) الدر : اللؤلؤ (.أبيض اللون). العقيق : حجر كريم أحمر اللون .

البُرَعيّ

١ ـ هو عبدُ الرحيم بنُ أحمدَ بن عليٍّ البُرَعِيُّ الهاجريُّ اليماني (اليمنيّ)، منسوباً الى بُرَعَ بتِهامة (ساحل) اليمن بالقُرْب من وادي سِهام، ومنسوباً أيضاً الى هَجَرَ[1]. لأنّه من سُكّان النِيابتين[2] في اليمن. ثمّ لا نَعْرِفُ شيئاً من تفاصيل حياته. ولعلّ وفاتَه كانتْ سَنَةَ ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) على الأقل[3]. ومقامُه معروفٌ في وادي سَفْرة (بفتح السين) بينَ المدينة وينبُع (الحجاز).

٢ ـ البُرَعيُّ شاعرٌ وُجدانيٌّ مُكْثِرٌ؛ وديوانُه الموجودُ بأيدي الناس مختاراتٌ من قصائده[4]، أو هو ديوانُه الصغير[5]. وشِعرُ البرعيّ بديعيّاتٌ (قصائدُ في مدح الرسول) في الأكثر، ويَغْلِبُ على شِعره النَفَسُ الصوفيّ والتعابيرُ الصوفية. ويكثُرُ في شعره ذكْرُ الكَعْبة والمَشْعَر الحرام. غيرَ أنّ شِعرَه ضعيفُ البناءِ ليّنُ السَبْك قليلُ المعاني ظاهرُ التقليد، ولكنّ فيه مَعَ ذلك كلّه نَفَحاتٍ شَذِيّةً (طيبة).

٢ ـ مختارات من شعره

ـ من بديعيّة لعبد الرحيم البرعيّ:

ضربتْ سُعادُ خِيامَها بفؤادي ... مِنْ قبل سَفْك دمي بسفح الوادي.

---

(١) هجر (بفتح ففتح) بلد باليمن بينه وبين عثّر (بتشديد الثاء المثلثة وفتحها) يوم وليلة .. والنسبة اليها هجرى وهاجري (القاموس ٢ : ١٥٨ س). (٢) النيابتين.

(٣) في بروكلمان (١ : ٣٠١، الملحق ١ : ٤٥٩) أن البرعي بلغ أشده نحو ٤٥٠ هـ. ولم يذكره العماد الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) مع أنه ذكر شعراء يمانيين أقل منه قيمة وشهرة. ولم أعثر على ذكر له في «العبر» للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ولا في «ذيول العبر» للحافظ الذهبي ومحمد بن علي الحسيني (ت ٧٦٥ هـ)؛ ولا في «شذرات الذهب» للعماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ). وفي «تاج العروس» للمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ): «ومن المتأخرين الشاعر المفلق عبد الرحيم بن أحمد البرعي مادح المصطفى» (٥ : ٢٧٣). وفي «ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» لمحمد بن علي الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠ هـ) أن وفاة البرعي كانت سنة ٨٠٣ هـ (ص ١٢٠). وفي ديوان البرعي تقليد ظاهر لنفر من المتأخرين كابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) والبوصيري (ت ٦٩٥ هـ) كقول البرعي مثلا (ديوان ١٩):

محمد سيد الكونين والثقلـين ... والفريقين من عرب ومن عجم

فانه أخذ حرفي من البوصيري (راجع، فوق، ص ٦٧٦).

(٤) ذكر المستشرق يوسف هل (ت ١٩٥١ م) أن في مخطوطات ديوان البرعي عدداً من الموشحات (راجع بروكلمان ١ : ٣٠١).

(٥) في تاج العروس (٥ : ٢٧٣): والموجود بأيدي الناس هو ديوانه الصغير.

بعثتْ إليّ من الحجاز خيالَهــا ، شتّانَ بين بلادهــا وبلادي ؛
بلدٌ سمتْ اوطانُــه وتشرّفتْ بمحمدٍ قَمَرِ الكمال الهادي :
قمرٍ محــا دينَ الضَلالة بالهُــدى وأذلّ اهــلَ البَغْيْ والإلحاد .

— قال البرعي في التشوّق الى نجد والحجاز :

قلْ للمَطِيّ اللواتي طَال مَسْراها من بعد تَقْبيل يُمناها ويُسراها ،
ما ضرّها يومَ جَدّ البينُ لو وقفتْ نقُصُّ في الحي شَكْوانا وشكواها !
لو حُمّلت بعضَ ما حُمّلتُ من حُرَقٍ ما استعذبتْ ماءها الصافي ومَرعاها .
لكنها علمت شوقي فأوْجَدهــا شوقٌ إلى الشام أبكاني وأبكاها(١) .
ما هبّ من جبَلَيْ نجدٍ نسيمُ صَبًا للغَور إلاّ وأشــجاني واشجاها .
ولا سرى البارق المكيُّ مُبْتَسماً إلا وأسهرني وَهْنــاً واسهاها(٢)
تبادرتْ من رُبى نيّابَتَيْ بُــرَعٍ(٣) كأن صوتَ رسول الله نــاداها .

— وقال في الحبّ (الالهيّ) وفي الكِناية عن العزّة الالهية بأسماء النساء :

ما الحُبّ إلاّ لقومٍ يُعْرَفون بــه قد مارسوا الحبّ حتى هان مُعْظَمُه(٤) .
عذابُه عندهم عَذْبٌ ، وظُلْمتــه نورٌ ، ومَغْرَمُه بالراء مغنمــه(٥) .
كلّفتَ نفسَك أنْ تَقْفو مآثرَهم ؛ والشيءُ صَعْبٌ على من ليس يُحْكمه(٦) .
اني أُورّي لغيري ، حين يَسْألني ، بذكْر زينبَ عن لَيْلى فأُوهِمُه(٧) .

---

(١) أوجدها بهذا المعنى (ليست في القاموس) ، المقصود : هاجها ، جعل لها وجداً (شوقاً) . فاذا قلنا: شوقي أوجد لها (جعل لها) شوقاً ، أصبحت الكلمة قاموسية .

(٢) البارق المكي : البرق من نحو مكة . وهنا : بعد منتصف الليل . « أسهرها » (في الاصل المطبوع) .

(٣) (؟)

(٤) يعرفون به : اشتهروا بأنهم من أهل المحبة (من المتقدمين في سلوك طريق الصوفية) .

(٥) مغرمه بالراء كغنمه (بالنون) . — حينما يغرم (يفقد ، يخسر) الصوفي نفسه فان نفسه تكون قد اتصلت بالله ، وهذا مغنم (ربح) .

(٦) تقفو (تتبع) مآثرهم = مآثر المتصوفة (أعمالهم الحميدة ، ولاية الله لهم ، حب الله اياهم) : أن تبلغ الى مكانة المتصوفين .

(٧) أوري : آتي بتورية (أذكر شيئاً وأنا أقصد شيئاً آخر) . فأوهمه (أجعله يعتقد ما كان يظنه) أنني أقصد بكلامي زينب (المرأة الجميلة المحبوبة) .

وطالما سجعتْ وَهْنــاً بذي سَلَـمٍ ورقاءُ يُعجِم شَكواها فأفهمه[1] .

٤ ــ ديوان البرعي[2] ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٨٣ ، ١٢٨٨ هـ ؛ القاهرة ١٢٨٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٩٧ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٩ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٠ هـ ؛ القاهرة ١٣١٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٣ هـ ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ ؛ بومباي ١٢٩١ ، ١٣٠٣ هـ .

مولد النبيّ الشهير بالعروس (مولد العروس) ، مصر (طبع حجر) ١٢٨٠ ، ١٢٩٨ ، ١٣٠٣هـ ؛ (باعتناء أحمد المليجي) ، مصر ...

خمس قصائد (في كتاب « مدائح المصطفى ») ، القاهرة ١٢٨٠ هـ .

* شرح ديوان البرعي (بقلم حافظ حسن المسعودي) مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م .

تخميس القصيدة السويجعيّة في مدح خير البريّة (سمعت سويجع الاثلات غنّى !! ؟) لمحمّد الخطيب الاسنوي (نحو ١٢٨١ هـ) ، (مطبوع مع « نور السراج في مولد النبيّ والمعراج » ، القاهرة ١٣٠٧ هـ .

هديّة العارفين ١ : ٥٥٩ ؛ ملحق البدر الطالع ١٢٠ ؛ تاج العروس ٥ : ٢٧٣ ؛ بروكلمان ١ ـ ٣٠١ ، الملحق ١ : ٤٥٩ ؛ زيدان ٣ : ٣٤ ؛ مجلّة الرسالة (القاهرة) ١٩ : ٣٧٤ ؛ الاعلام للزركلي ٤ : ١١٨ ــ ١١٩ .

الدميريّ

١ ــ هو كمالُ الدين محمّدُ بنُ موسى بن عيسى الدميري ، نسبةً إلى بلدة دَميرةَ قُرْبَ سَمَنّودَ (في الدلتا) بمصر ، وُلِدَ في القاهرة في مَطْلَع سَنَة ٧٤٥ هـ (ربيع ١٣٤٤ م) في الأغلب .

تكسّبَ الدميريُّ في أول أمره بالخِياطة ثم درس الفِقْهَ واللغةَ على جماعة منهم بهاء الدين السُبْكيُّ وجمالُ الدين الأَسْنَويّ (ت ٧٧٢ هـ) وابن عَقيل وبُرْهان الدين القيراطي .

---

(١) سجعت (غنت الحمامة) : بدت لطائف العزة الالهية بالبشر . وهنا : بعد منتصف الليل . ذو سلم موضع بالحجاز . الورقاء : الحمامة . يعجم : يغمض (على غيري) . شكواها : ما تشكوه (لأن هديل الحمام في الاصل لا يعرف أهو سرور أو حزن) فأفهمه (أنا) . ــ كان يجب أن يقول : تعجم شكواها فأفهمها .

(٢) طبع طبعات كثيرة في القاهرة ودمشق وبومباي .

حجّ الدميريّ مراراً بين سنَة ٧٦٢ وسنة ٧٨٠ هـ (١٣٦١ – ١٣٨٣ م)؛ ومكثَ مدّةً طويلة في الحجاز. ولمّا عاد الى القاهرة تصدّر للتدريس في الجامع الازهر. وكانت وفاتُه في ثالث جُمادى الاولى من سنة ٨٠٨ هـ (٢٨–١٠– ١٤٠٥م).

٢ – برع الدميريُّ في علوم القرآن وعلوم الحديث وفي الفقه واللغة والأدب، وله مُصَنَّفاتٌ أهمّها وأشهرها «حياة الحَيَوان الكُبرى» (وهو معجم على الحروف فيه تفسير لغويّ لأسماء الحَيَوان ثمّ ما يتعلّقُ باسْم الحَيَوان المخصوص من الأحاديث والأمثال والأشعار، مَعَ وَصْفٍ للحيوان وحياتِه وخصائصه الطبّيّة وتحريم أكله أو تحليله في المذاهب الاربعة وتأويلِ رُؤياه في المَنام. وفي الكتاب استطرادٌ الى أخْبار نفرٍ من مَشاهير الناس وتَراجمِ نُخْبَةٍ من الأُدباء والعلماء ومن الخلفاء). ويبدو أنّ الدميريّ اختصر هذا الكتابُ في كتابين آخرَيْن: حياة الحَيَوان الوُسطى، حياة الحيوان الصُغرى. وهذا الكتابُ ليس في ذكر صفات الحَيَوان فقطْ، بل فيه أيضاً استطراداتٌ تاريخيّةٌ وأدبية، فبعد «الأوز» (١ : ٤٣) يستطردُ الدميريُّ الى ذكْرِ رسولِ الله فالخلفاءِ الراشدينَ فخلفاءِ بني أُمَيّةَ فخلفاءِ بني العبّاسِ حتّى خلافةِ المستكْفي بالله (١ : ٤٤ – ٩٣)، ثمّ يعودُ إلى «الألفة» (السعلاة). ثمّ إنّ في ثنايا الكلام على القسم الأوفر من الحَيَوانات استطراداتٍ أيضاً، هنالك مثلاً فصلٌ في «فضل العقل وزَيْنه وفي قبح الجهل وشَيْنه» (٢ : ٢٠٥) وفصل في «صفة البراذين» (٢ : ١٩١). وفي الكتاب نحوُ ألفٍ وثلاثةٍ وستّينَ اسماً.

وللدميريّ أُرجوزةٌ في الفِقْه تبلُغُ ثلاثينَ ألفَ بيتٍ.

٣ – مختارات من آثاره

– من مقدمة «حياة الحيوان الكبرى للدميري».

«الحمدُ لله الذي شرّف الإنسانَ بالأصْغَرَيْنِ القلبِ واللسان، وفضّله على سائر الحَيَوان بِنِعْمَتَي المَنْطِق والبَيان، ورجّحه بالعقل الذي وَزَنَ به قَضايا القياس في أحْسن ميزانٍ فأقامَ على وَحْدانيّته البُرْهانَ .....

وبعدُ؛ فهذا كتابٌ لم يَسْألْني احدٌ تصنيفَه ولا كَلَّفَت القريحةُ تأليفَه. وإنّما دَعاني إلى ذلك أنه وَقَعَ في بعض الدروس التي لا مَخْبَأَ فيها لعُطْرٍ بَعْدَ عَروسٍ (١)

(١) في الضوء اللامع (١٠ : ٥٩) سنة ٧٤٢ هـ.

(٢) «لا مخبأ لعطر بعد عروس» مثل قيل فيه (فرائد اللآل في مجمع الأمثال ٢ : ١٧٩) إن رجلا تزوج =

ذكْرُ مالكِ الحزينِ والذيخِ المنحوسِ. فَحَصَلَ في ذلك ما يُشْبِهُ حَرْبَ البَسوس [٢]، ومُزِجَ الصَّحيحُ بالسَّقيمِ ولم يُفَرِّقْ بين نَسْرٍ وظليم [٢] .... فقلت عند ذلك في بَيْتِهِ يُؤتى الحَكَمُ وبإعطاء القَوْسِ باريَها تتبيَّنُ الحِكَمُ [٣]؛ وفي الرهان سابقُ الخيلِ يُرى وعندَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القومُ السُرى [٤]. فاستخرتُ اللهَ تعالى وَهُوَ الكريمُ المنّان في وضع كتابٍ في هذا الشان وسَمَّيْتُهُ «حياة الحَيَوان» جعله اللهُ موجِباً للفوزِ في دار الجِنانِ ونفع به على مَمَرِّ الأزمان، إنه الرحيمُ الرحمنُ؛ ورتّبتُه على حروفِ المُعْجَمِ لِيَسْهُلَ به من الاسماءِ ما استَعْجَم» [٥].

* * *

ثم إن المؤلف بدأ حَرْفَ الهَمْزة بكلمةَ الأُسد (ص١: ٣)، الأبل (ص ١ : ١٣)، الأبابيل، الأتان (١: ١٧)، الأخطب، الأُخيضر، الأخيل، الأربد، الأرخ، الإرَضة [٦] (١ : ١٨) الخ.

٤ ــ حياة الحيوان الكبرى، الاستانة ١٢٧٢ هـ؛ بولاق ١٢٨٥ هـ؛ القاهرة ١٢٧٤، ١٢٧٥ (؟)، ١٢٨٤ (؟)، ١٢٩٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥، ١٣٣٠ هـ؛ القاهرة (مطبعة

= امرأة فوجدها تفلة (بفتح التاء وكسر الفاء : متغيرة الرائحة)، فسألها : أين العطر؟ فقالت: خبأته! فقال المثل : (يقصد : لا يمكن السكوت بعد الآن، لا ينفع ذلك بعد الآن).

(١) مالك الحزين : طير من طيور الماء طويل القائمتين طويل المنقار دقيقه. الذيخ: ذكر الضبع. حرب البسوس: حرب كانت في الجاهلية بين بني بكر وبني تغلب دامت العداوة فيها أربعين سنة (يقصد : اختلافاً كثيراً)

(٢) الظليم : ذكر النعام.

(٣) «في بيته يؤتي الحكم» مثل (فرائد اللآل ٢: ٥٦ ــ ٥٧) معناه أن الناس يأتون الى القاضي، والقاضي لا يذهب الى الناس المتخاصمين.

«أعط القوس باريها» (فرائد اللآل ٢ : ١٥) معناه : استعن على الاعمال التي تريدها بأهل الحذق والخبرة. الباري للقوس : الذي يعد القضبان التي تجعل قسيا. (إن الذي سيقرأ كتابي سيرى مقدرتي في الموضوع الذي أعالجه).

(٤) «عند الرهان تعرف السوابق» مثل (فرائد اللآل ٢: ٢٨) معناه: بمقارنة بعض الاشياء ببعضها يعرف الصحيح منها من الفاسد. و «عند الصباح يحمد القوم السرى» مثل (فرائد اللآل ٢ : ٢) معناه : اذا سارت القافلة في الليل (والجو لطيف) وجدت في الصباح أنها قطعت مسافة طويلة لأنها لا تستطيع السير في النهار لشدة الحر في البادية (من قضى وقتاً طويلا في قراءة كتابي فسيجد أنه استفاد كثيراً).

(٥) استعجم : استغلق معناه (كان معناه غامضاً).

(٦) الابابيل : الجماعة من الطير (طيور أرسلها الله على جيش أبرهة فألقت عليه حجارة فهلك). الاتان : أنثى الحمار الاخطب : الشقراق أو الصرد (طائر). الاخيضر : ذباب أخضر، الصقر. الأخيل : طائر أخضر على جناحه لمعة تخالف لونه. الارخ : ذكر البقر. الارضة : دويبة تنخر الخشب.

شرف) ١٣٠٦ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٩ ، ١٣١١ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الكاستلية والمطبعة الأدبية) ١٣١٩هـ ؛ طهران ١٢٨٥هـ؛ ليدن وبومباي ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ)، ١٩٠٨ م .

* المختار من حياة الحيوان الكبرى للدميري (اختيار محمّد الحاذق) ، القاهرة (الشركة العربية) بلا تاريخ .

الضوء اللامع ١٠ : ٥٩ — ٦٢ ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٧٢ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٧٩ — ٨٠ ؛ زيدان ٣ : ٢٧٤ — ٢٧٥ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧٢ — ١٧٣ ، الملحق ٢ ـ ١٧٠ — ١٧٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ١٠٧ — ١٠٨ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٣٤٠ — ٣٤١ .

ابن مكانس

١ — هو فخرُ الدين أبو الفرجِ عبدُ الرحمن بنِ عبدِ الرزّاق بنِ ابراهيمَ بنِ مكانسَ القِبطيُّ الأصلِ المِصْريُّ ، وُلِدَ في تاسعِ عشَرَ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٧٤٥ هـ (٢٢/ ٤/ ١٣٤٥ م) في القاهرة — وكان أبوه من كُتّاب الدواوين فنشأ هو في جوّ الكُتّاب — ثمّ اعتنقَ الإسلامَ في نحوِ العِشرين من عُمُرِه ؛ وقد خدَمَ في ديوان الإنشاء .

ووَلِعَ ابنُ مكانسَ في الأدبِ فأخذ الشعر عن القيراطي (ت ٧٨٦ هـ) وصَحِبَ الشيخَ بدرَ الدين البشتكيَّ . وفي سَنَةِ ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) خلَفَ فخرُ الدينِ أخاه كرمَ الدين في مَنْصِبِ نَظارَةِ الدولةِ ، ولكنه لم يَبْقَ فيه طويلاً فقد تولّى الوِزارةَ في دِمَشْقَ . ولمّا زارَ المَلِكُ الظاهرُ بَرقوقٌ مدينةَ حلَبَ رافقه فخرُ الدين بنُ مَكانسَ .

ثمّ ان فخرَ الدين بنَ مكانسَ استُدْعِيَ الى القاهرة ليتولّى الوزارةَ ولكنّه سُقِيَ السُمّ في أثناء الطريقِ فمات في بَلْبَيْسَ في ١٢ من ذي الحِجّة ٧٩٤ هـ (٣١/ ١٠/ ١٣٩٢ م) .

٢ — كان ابنُ مكانسَ كثيرَ الذكاءِ حَسَنَ الذَّوْقِ . ومَعَ أنّه خاضَ غِمارَ الحياةِ السياسية فقد غلَبَ عليه حُبُّ الأدب فكان كاتباً مُترسّلاً وشاعراً ووشّاحاً وراجزاً ، مَعَ قُصورٍ بيّنٍ في العَربية (الدرر الكامنة ٢ : ٤٣٨) . وشِعْره سَهْلٌ فيه شيءٌ من اللِين وكثيرٌ من الصِناعة . وفنونُه الوصفُ والعِتاب والحِكمة .

٣ – مختارات من شعره

– قال ابنُ مكانسَ في النسيب (مَعَ التورية الكثيرةِ البارعة):

عُلِّقْتُها مَعْشوقةً خالُها إنْ عَمَّها بالحُسْنِ قد خَصّصا[١].

يا وَصْلَها الغالي ويا جِسْمَها، لله ما أغْلى وما أرْخصا![٢]

– ولابن مكانسَ أرجوزةٌ منها:

هلْ مِن فتىً ظريفِ مُعاشرٍ لَطيفِ
يَسْمَعُ مِن مَقالي ما يُرْخِصُ اللآلي:
اسْلُكْ مَعَ الناسِ الأدَبْ تَر(ى)من الدهرِ العَجَبْ.
لا تُغْضِبِ الجَليسا، لا تُوحِشِ الأنيسا،
لا تَصْحَبِ الخسيسا، لا تُسْخِطِ الرئيسا.
فهاكَها وَصِيّهْ تَصْحَبُها التَحيّهْ
تَحْمِلُها الكِرامُ إليكَ؛ والسلامُ!

– وقال يَصفُ شَجَرَةً على شاطىء النيل:

يا سَرْحَةَ الشاطىء المُنْسابِ كَوْثَرُهُ على اليواقيتِ في أشكال حَصْباء[٣]،

(إذا) تَبَسّم فيكِ النُورِ من جَذَلٍ، سَقاكِ من كلّ غيمٍ كُلُّ بَكّاء[٤].

مالت على النَهْرِ إذ جاشَ الخريرُ به كأنّها أُذُنٌ مالتْ لإصغاء[٥].

باكَرْتُها في سَراةٍ من أصاحِبِنا لا يَنْطَوُونَ على بُغْضٍ وشَحناء!

٤ – ** الدرر الكامنة ٤٣٨ – ٤٣٩ (رقم ٢٣٠٣)؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٤؛ شذرات الذهب ٦ : ٣٣٤؛ زيدان ٣ : ١٣٥؛ بروكلمان ٢ : ١٦ – ١٧، الملحق ٢ : ٧؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ٤٢٤ وما بعد؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٨٢؛ الكشكول ١ : ٨٧ – ٩٥.

---

(١) علقتها = تعلقتها : أحببتها حباً شديداً (لم أستطع بعده مفارقتها). الخال : النكتة السوداء في الخد؛ والخال أخو الأم. عمها : انتشر في جميع جسمها. والعم أخو الأب (تورية وطباق معاً).

(٢) الوصل : التمتع بلقاء المحبوب. الغالي : النادر، الكثير الثمن. أغلى : أعظم ثمناً. أرخص : أندى، أطرى، أنعم. وأرخص : أقل ثمناً (ما أغلى وصلها وما انعم جسمها!).

(٣) السرحة : الشجرة الكبيرة (الطويلة). المنساب : الجاري على مهل وفي يسر. الكوثر : الماء العذب. – لعل الشاعر يصف جانباً ضحضاحاً من نهر النيل فيذكر أن الحجارة الصغار في قاعه ياقوت ولكن في شكل حجارة

(٤) تبسم النور من جذل : لمع البرق فرحاً (بكثرة لمعاناً شديداً). غيم بكاء : كثير المطر.

(٦) الخرير : صوت الماء الجاري على سطح غير مستو.

ابن خطيب داريّا

١ ــ هو جمالُ الدين أبو المَعالي أبو عبد الله محمّدُ بنُ أحمدَ بن سُليمانَ (سَلمانَ ، سَلامةَ) بن يَعْقوبَ الأنصاريُّ النَيْسابوريُّ الأصل الدمَشْقيُّ الدار ، وُلِدَ في منتصف ربيعِ الأوّل (الضوء اللامع ٦ : ٣١٠ ، ثالث ربيع الاول) ٧٤٥هـ (٢٨/ ٧/ ١٣٤٤ م) ؛ وهُوَ منسوبٌ الى أبيهِ خَطيبِ داريّا (إحدى قُرى الشام) .

سَمِعَ ابنُ خطيب داريّا من العِماد بنِ كثيرٍ وأبي الحرم القلانسي[1] وغيرهما . وقد اشتغل بالفِقْه والعربية (النحو) وبعددٍ من فنونِ الأدب . وقال الشعرَ في صباه ومدَحَ جماعةً من الأمراء والعلماء .

وكانتْ في ابنِ خطيبِ داريّا نزعةٌ من الشرّ : أراد أنْ يتلاعبَ بالقاضي بُرهانِ الدينِ بنِ جَماعةَ ، زوّرَ عليهِ تذكرةً ببَيْعِ قِسْم من جامعِ بني أُميّةَ . وفَطِنَ القاضي ابنُ جماعةَ لذلك فهرَبَ ابنُ خطيبِ داريّا الى القاهرة . ثمّ إنّه انقلبَ الى التصوّفِ والتَعفّف وانتقل الى بَيْسان (في غَوْرِ الأُرْدنّ) حيثُ تُوُفّيَ في ربيع الأوّلِ من سَنَةِ ٨١٠ هـ (آب ــ أغسطس ١٤٠٧ م) .

٢ ــ كان ابنُ خطيبِ داريّا عالماً بالعربية وبالفِقْه وكانتْ له مُشاركةٌ في العلوم النَقْلية (اللغوية والدينية) وفي العلوم العقلية (الفلسفية) ، كما كان يَنْظِمُ شعراً . ومن كتبه : الإمتاع بالإتباع (رتّبه على الحروف) ــ الأمداد في الأضداد ــ محبوبُ القلوبِ وملاذُ الشواذ (ذكر فيه شواذّ القرآن) ــ طَرْف اللسان بطرق الزمان (ذَكَرَ فيه أسماءَ الأيام والشهور) ــ تحصيلُ الأدوات بتفصيل الوَفَيَاتِ (ذكر الأماكن التي توفّي فيها جماعةٌ من الصحابة)ــ مطالب المطالب (في معرفة تعليم العلوم ومعرفة من هو أهل لذلك)ــ طَرْح الخَصاصة بشَرْح الخُلاصة (شرح ألْفيّة ابنِ مالكٍ).

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال ابنُ خطيبِ داريّا يُعَلّل طَلَبه للحديثِ (أقوالِ رسول الله) . والحبيبُ من أسماءِ محمّدٍ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم :

لَم أسْمُ في طَلَبِ الحديث لسِمْعَةٍ ، أو لاجتماعِ قديمهِ وحديثهِ .
لكن اذا فاتَ المُحِبَّ لقاءُ من يَهْوى تَعَلّل باستماعِ حَديثِهِ .

---

(١) الضوء اللامع ٦ : ٣١١ .

ـ وقال في قَبولِ النُصْح من جميعِ الناس :

اقْبَلْ نصيحةَ واعـظٍ ولَوْ انّه فيها مُرائي .
فَلَرُبّما نَفَـعَ الطبيـ بُ وكانَ أحوجَ للدواء !

ـ وله في الغـزل :

يا عينُ ، إنْ بَعُدَ الحبيبُ ودارُه ، ونأتْ مَرابعُـه وشَطّ مَزارُهُ ؛
فلقد حَظِيتِ مِنَ الزمان بطائلٍ : ان لَمْ تَرِيه فهذه آثـارُه !

٤ ـ * الضوء اللامع ٦ : ٣١٠ ـ ٣١٢ ؛ البدر الطالع ٢ : ١٠٦ ـ ١٠٨ ؛ بغية الوعاة ١٠ـ١١ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٨٨ ـ ٨٩ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧ ، الملحق ٢ : ٧ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٧ .

الفيروزابادي

١ ـ هو مجدُ الدينِ أبو الطاهرِ محمّدُ بنِ شيخِ الإسلام سراجِ الدين يعقوبَ بنِ محمّدِ بنِ ابراهيمَ بنِ عُمَرَ الشيرازيُّ الفَيْروزابادي ، وُلِدَ في بلدةِ كازَرونَ قُرْبَ شيرازَ ، في جُمادى الأولى ٧٢٩ هـ (١٣٢٩ م) .

بدأ الفيروزاباديُّ تَعَلُّمَه في شيرازَ سَنَةَ ٧٣٧ هـ ثم ذهب الى واسطَ . وفي سَنَةِ ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) جاء الى بَغْدادَ . وفي ٧٥٠ هـ كان في دِمَشْقَ يَسْمَعُ من تَقيّ الدين السُبْكيّ ثمّ ذَهَبَ مَعَه الى القُدْسِ . وبَقِيَ الفيروزاباديُّ في القدسِ عَشْرَ سِنينَ . بَعْدَئذٍ ذهب الى بلادِ الروم (آسيةَ الصُغرى) ثم الى القاهرة . وفي ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) ذَهَبَ الى مكّةَ ومكث فيها مُدّةً زار في أثنائها دَهْلي وما جاورها من بلادِ الهِند . وفي سنة ٧٩٤ هـ (١٣٩٢ م) دعاه والي بَغدادَ السُلطان بهادورُ أحمدُ بنُ أويسِ بنِ حَسَنِ بُزُرْكَ[1] الجلائري فَلَقِيَ عندَهُ حَظْوةً . ثم زارَ تَيْمورلَنْكَ في شيرازَ . وفي ٧٩٦ هـ ذهب الى اليمن فنال حَظْوةً عند الملك الأشرف سُلْطانِ تَعِزّ فأصبحَ هنالك قاضي القضاة .

وكانت وفاةُ الفيروزاباديّ في زَبيدَ باليمن في ٢٠ شَوّالٍ من سنة ٨١٧ هـ (٣/ ١/ ١٤١٥ م) .

٢ ـ الفَيْروزاباديُّ من أشهرِ علماء اللغة ، كان سريعَ الحِفْظ فبَرَعَ في علومٍ

(١) حسن بزرك (منعوت ونعت) . بزرك (فارسية) كبير .

كثيرةٍ وخصوصاً في التفسير والحديث والفقه واللغة ؛ وكان له نَظْمٌ ونثرٌ. وللفيروزابادي نحوُ أربعينَ كتاباً أشهرُها القاموسُ المُحيطُ الذي اختصره من تآليفَ له في هذا الفن أوْسعَ نطاقاً. والقاموسُ المحيطُ كتابُ لغة ، ولكنّ فيها فوائدَ جغرافيةً وتاريخية واستطرادات أدبيةً أحياناً. ومن كُتُبه أيضاً : اللامعُ المُعْلَم (قاموس) — الجليسُ الأنيسُ في أسماء الخندريس (الخمر) — تحبير المُوشّين فيما يقال بالسين والشين — البُلْغة في تأريخ أئمة اللغة — الغُرَرُ المثلّثة والدُرر المبثّثة[1] — تحفة الأبيه[2] في من نُسِبَ الى غير أبيه ، الخ .

— من مقدمة « القاموس المحيط » :

الحمد لله مُنْطِقِ البلغاءِ باللُغى في البوادي ومُودعِ اللسانِ ألْسَنَ اللُّسُنِ الهوادي .... وبعد فإن للعلم رِياضاً وحِياضاً وخمائلَ وغِياضاً وطرائقَ وشِعاباً وشواهق وهِضابا، يتفرّع عن كلّ أصل منه أفنانٌ وفنون ، وينشقّ عن كلّ دَوْحة منه خِيطان وغصون[3] .....

هذا واني قد نبغت في هذا الفن قديماً وصبغت به أديماً ولم أزل في خدمته مستديماً. وكنت بُرهةً من الدهر ألتمس كتاباً جامعاً بسيطاً ومصنَّفاً على الفُصَح والشوارد محيطاً. ولمّا أعياني الطِلاب شرعت في كتابي الموسوم باللامع المُعْلَم العُجاب الجامع بين المُحْكَم والعُباب[4] فهما غرّتا الكتب المصنّفة في هذا الباب ونيّرا براقع الفضل والآداب ، وضَمَمْتُ إليهما زيادات امتلأ بها الوِطاب واعتلى منها الخطاب ففاق كلّ مؤلَّف في هذا الفن هذا الكتابُ. غير أني خمّنته في ستّين سِفراً يُعْجِزُ تحصيلُه الطُلاّبَ. وسُئلت تقديمَ كتاب وجيز على ذلك النظام وعمل مُفْرَغٍ في قالَبِ الإيجاز والإحكام مَعَ التزام إتمام المعاني وإبرام المباني ، فصرفت صَوْبَ هذا القصد عِناني وألّفت هذا الكتاب محذوفَ الشواهد مطروحَ الزوائد مُعْرِباً عن الفصح والشوارد ، وجعلت بتوفيق الله تعالى زُفَراً في زِفْر ولخّصت كلّ ثلاثين

---

(١) المبثثة : المنثورة ، المتفرقة .

(٢) الابيه : الفطن ، المتذكر بعد نسيان .

(٣) اللغى : اللغات . ألسن اللسن : أفصح أنواع اللغات . الخيطان جمع خوط (بضم الخاء) : الغصن الصغير الناعم .

(٤) صبغت به أديما : أصبح البحث في اللغة فيّ كأنه الدباغ في الجلد لا ننفصل . المحكم كتاب في اللغة لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الاندلسي (ت ٤٥٨ هـ) . العباب كتاب في اللغة لأبي الفضائل رضي الدين الحسن ابن فهد الصغاني (ت ٦٥٠ هـ) .

سِفراً في سِفْر وضمّنته خُلاصةَ ما في العباب والمحكم وأضفت اليه زيادات مَنّ الله تعالى بها وأنعم ورزَقَنيها عند غَوْصي عليها من بطون الكتب الفاخرة الدأماءَ الغَطَمْطَم وأسميته القاموس المحيط لأنه البحر الاعظم(٥) .....

٤ ــ القاموس المحيط ، اشقودرة في ألبانية ١٢٣٠هـ ؛ (باعتناء ماتيو لمسدن)، كلكتّا ١٢٣٠ ــ ١٢٣٢، ١٢٧٠ هـ ؛ استانبول ١٢٥٠ هـ ؛ (مع ترجمة تركية) ، استانبول ١٢٧٢ هـ ؛ استانبول (المطبعة البحرية) ١٣٠٤ هـ ؛ (بتصحيح نصر الهوريني(١)) ، بولاق ١٢٧٢، ١٢٧٤ ، ١٢٨٩ هـ ؛ بومباي (طبع حجر) ١٢٧٢ ، ١٢٧٨ ــ ١٢٧٩ هـ ؛ طهران ١٢٧٦هـ ؛ تبريز (؟) ١٢٧٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الكاستليّة) ١٢٨١ ، ١٢٨٩ هـ ، (بهامش «تاج العروس») ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ ــ ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٣٠ ، ١٣٣٢ (١٩١٣ م) ، ١٣٣٤ هـ ؛ لكنــهو ١٢٨٩ ، ١٢٩٨ هـ ، ١٨٨٥ م (١٣٠٣ هـ) .

تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس ، بولاق ١٢٩٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣١٦ هـ ؛ (بهامش الناسخ والمنسوخ لابن حزم) ، القاهرة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) .

سفر السعادة (نقله من الفارسية الى العربية أبو الجود محمّد بن محمود المخزومي الحنفي المصري) القاهرة بلا تاريخ ؛ (بهامش الفوز الكبير مع فتح الخبير في أصول التفسير لوليّ الدين بن عبد الرحيم) ، القاهرة ١٣٠٧ ، ١٣٤٦ هـ ؛ (بهامش كشف الغمّة للشعراني) ، القاهرة (الحلبي) ١٣١٧ ، ١٣٣٢ هـ ؛ (بهامش الناسخ والمنسوخ لابن حزم) ، القاهرة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) .

تحبير الموشّين فيما يقال بالسين والشين ، الجزائر ١٩٠٩ م .

المغانم المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) ، الرياض (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (تحقيق محمّد علي النجّار) ، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية) ١٣٨٣ ــ ١٣٩٠ هـ = ١٩٦٣ ــ ١٩٧٠ م .

الصِلات والبُشَر في الصلاة على خير البشر (حقّقه نور الدين عدنان الجزائري وعبد القادر الحياري ومحمّد مطيع الحافظ) ، دمشق (دار التربية) ١٩٦٩ م .

* تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، القاهرة (المطبعة

---

(١) الوطاب : الظرف ، الوعاء . الخطاب : التخاطب ، توجيه الكلام الى الآخرين . زفر (بضم الزاي وفتح الفاء) : البحر . الزفر (بكسر الزاي وسكون الفاء) : القربة (وعاء من جلد للماء ــ أي اختصرته كثيراً حتى لكأني أجعل البحر في قربة للماء) . السفر : الكتاب . الدأماء : البحر . الغطمطم : العظيم الواسع المنبسط (الدأماء هنا مفعول أول به من «غوصي») «كذا في الأصل وفي شرح مقدمة القاموس المحيط .

(٢) يبدو أن جميع النسخ المطبوعة مبنية على النسخة التي صححها نصر الهوريني .

الوهبية) ١٢٨٦ – ١٢٨٧ هـ (الى آخر حرف العين) ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ – ١٣٠٨ هـ ؛ (اعادة طبعه بالتصوير) ، بيروت (   ) .
تصحيح القاموس المحيط لأحمد تيمور (ت ١٣٤٨ هـ) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٣ هـ .
الجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق (ت ١٣٠٤ هـ) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ .
القول المأنوس بتحرير ما في القاموس ، لمحمّد بن يحيى القرافي (ت ١٠٠٨ هـ) ، بهامش القاموس طبعة بولاق ١٣٠١ – ١٣٠٣ هـ .
القول المأنوس في صفة القاموس ، لمحمّد سعد الله المرادي الرامبوري ، رامبور ١٢٨٧ هـ .
الناموس المأنوس الملخّص من القاموس لعليّ بن سلطان محمّد القارىء الهروي (ت ١٠١٤ هـ) ، القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .
إضاءة الأدموس ورياضة الشموس في اصطلاح القاموس (ومعه) فتح القدّوس في شرح خطبة القاموس ، لأحمد بن عبد العزيز بن الرشيد السجلماسيّ الهلاليّ (ت ١٠٧٠ هـ) (ثمّ) ذيل اضاءة الأدموس ورياضة النفوس من اصطلاح القاموس ، فاس ١٣٢٩ هـ .
حلية العروس نظم اضاءة الناموس لمحمّد بن عبد القادر الكردودي (ت ١٢٦٨ هـ) ، فاس ١٣٢٣ هـ .
الضوء اللامع ١٠ : ٧٩ – ٨٦ ؛ البدر الطالع ٢ : ٢٨٠ – ٢٨٥ ؛ بغية الوعاة ١١٧ – ١١٨ ؛ شذرات الذهب ٧ : ١٢٦ – ١٣١ ؛ الشقائق النعمانية (بهامش وفيات الأعيان) ١ : ٣٢ – ٣٤؛ زيدان ٣:١٥٧ – ١٥٨ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٣١ – ٢٣٤ ، الملحق ٢٣٤ – ٢٣٦؛ دائرة المعارف الاسلامية ٢ : ٩٢٦ – ٩٢٧ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ١٩ .

القلقشنديّ

١– هو شِهابُ الدين أبو العبّاس أحمدُ بنُ عليِّ بنِ احمدَ بن عبد الله الفَزاريّ القَلْقَشَنْديُّ، وُلِدَ في قَلْقَشَنْدَةَ قُربَ قليوب (شَمالَ القاهرة) سَنَةَ ٧٥٦هـ (١٣٥٥ م) ونشأ فيها ثمّ انتقلَ الى الإسكندرية وتلقّى فيها الحديثَ والفِقْهَ والنحو والأدبَ على نَفَرٍ من عُلمائها فأجازه عُمَرُ بنُ المُلَقِّن الانصاريُّ، سَنَةَ ٧٧٨ هـ (١٣٧٦ م) بالإفتاء ورواية الحديث.

اشتغلَ القلقشنديُّ بالتدريس والتأليف . وفي سَنَةَ ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) عُيِّنَ في ديوان الإنشاء في القاهرة . وكانتْ وفاتُه في عاشِرِ جُمادى الثانية من سَنَةَ ٨٢١ (١٦/ ٧/ ١٤١٨ م) .

٢ –كان القلقشنديّ واسعَ الإحاطة بعلوم زمانه بارعاً في علوم البلاغة خاصّةً،

يفضّل النثرَ على الشعر لأنّ الشعر مُثقَلٌ بالقيود اللفظية (من وزن وقافية يُحْوِجان الى التقديم والتأخير والتبديل والحذف) ممّا يجعل المعنى أسير الألفاظ، بينما الألفاظ في النثر تكون تبعاً للمعنى فيبرز المعنى طليقاً من القيود دالاّ على عبقريّة صحيحة. ومع ذلك فالقلقشندي مُرهَف الحسّ في تخير شواهده القصارِ والطوال من الشعر الجيّد. وكان للقلقشنديّ إلمام بالعلوم الرياضيّة والطبيعية .... وكان القلقشندي مؤلّفاً مكثراً له «صبح الأعشى في كتابة[1] الانشاء» تكلّم فيه على فضل الكتابة وتاريخ ديوان الإنشاء وعلى صِفات الكاتب وآدابِ الكتابة ومـا يَحتاج اليه الكاتبُ من المعارفِ في اللغةِ والدين والجغرافية والتاريخ والأدب. ثمّ تكلّم على الحياة ثمّ تكلّم على الحياة السياسية والإدارية في مِصْرَ والشام وعلى أسلوب المكاتبات وعلى ما يَعْرِضُ في إدارة الدولة من الأحوال. وله أيضاً: نِهايةُ الأرب في معرفـة قبائل العرب — قلائدُ الجُمان في التعريفِ بقبائل عرب الزمان — حِلْية الفضلِ وزينة الكَرَمِ في المفاخرة بين السيف والقلم.

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة «صبح الأعشى»:

الحمدُ لله جاعلِ المرءِ بأصْغَرَيْه: قلبهِ ولسانه، والمتكلّم بأجْمَلَيْه: فَصاحته وبَيانه .... الذي حَفِظَ برسوم الخطوط ما تَكِلُّ الأذهانُ السليمةُ عن حِفظه[2]. ....

وبعدُ، فلمّا كانت الكِتابةُ من أشرف الصنائع وأرفَعِها، وأربحِ البضائع وأنفَعِها ..... لا سيّما كتابةُ الإنشاء التي هِيَ منها بمنزلة سُلْطانِها .... لا تلتفتُ الملوكُ إلاّ إليها، ولا تُعَوِّلُ في المُهِمّات[3] إلاّ عليها، يُعَظِّمون أصحابَها ويُقرّبون كُتّابها .... (ثمّ) كانت الديارُ المِصرية والمملكة اليُوسفية[4] ... قد رَجَحَتْ سائرَ الأقاليم ... وحَظِيَتْ من فُضَلاءِ الكُتّابِ بما لم تَحْظَ به مملكةٌ من الممالك ولا مِصْرٌ من الأمصار[5]، وحَوَتْ من أهلِ الفضل والأدبِ ما لم

(١) سمى القلقشندي كتابه صبح الأعشي في صناعة الانشا، ولكن الكتاب اشتهر باسم صبح الأعشى في كتابة (وقيل: قوانين) الانشا. والكتاب مطبوع (دار الكتب المصرية) بعنوان «صبح الاعشى» فقط.
(٢) برسوم الخطوط (بالكتابة، بالخط) تكل (تتعب، تضعف، تقصر).
(٣) تعول: تعتمد. المهمة (بفتح الميم والهاء): الأمر المهم (بضم الميم وكسر الهاء).
(٤) المملكة اليوسفية: دولة يوسف بن أيوب بن شاذي (صلاح الدين الأيوبي).
(٥) المصر: البلد الكبير الذي هو عاصمة لمنطقته، كالكوفة والبصرة وحمص.

يَحْوِ قُطْرٌ من الأقطار .....

هذا ، والمؤلّفون في هذه الصَّنْعة قد اختلفتْ مقاصدُهُمْ في التصنيف ، وتباينَتْ[1] مواردُهم في التأليف : ففِرْقةٌ أخذتْ في بيانِ أصول الصَّنعة وذِكْرِ شواهدِها ، وأخرى جَنَحَتْ الى ذِكْرِ المُصْطَلَحات وبَيانِ مَقاصدِها[2] ، وفِرْقةٌ اهتمّتْ بتدوينِ الرسائل ليُقْتَبَسَ من معانيها ... وتكون أنموذجاً ... لمن أراد أن ينسُجَ على مِنوالها[3] ..... ولم يكُنْ فيها تصنيفٌ جامعٌ لمقاصدِها ، ولا تأليفٌ كافلٌ بمصادرِها الجليلةِ ومواردِها .... وكان الدستورُ الموسومُ بـ« التعريفِ بالمُصْطَلَح الشريف » ، صَنْعَةُ أحمدَ بنِ فضلِ اللهِ العُمَريّ[4] ، أنفسَ الكُتُب المصنّفة في هذا الباب عقْداً ، وأعدَلَها طريقاً وأعذَبَها وِرْداً[5] ، قد أحاطَ من المحاسن بجوانبِها.... إلاّ أنّه قد أهْمَلَ من مقاصدِ « المُصْطَلَحِ » أُموراً لا يسوغُ تَرْكُها كالبطائق فلم يَقَعِ الغِنى به عمّا سِواه[6] ... ثمّ تلاه التَقَويّ ابنُ ناظرِ الجيشِ بوضعِ دُستوره المُسمّى بـ« تَثْقيفِ التعريف »[7] مُقْتَفِياً أثَرَهُ في الوَضْعِ مَعَ إيرادِ ما أهْمَلَهُ في تعريفه ، فاشتَهَرَ ذِكْرُه وعزّ وُجودُه[8] . وكان مَعَ ذلك قد تَرَكَ ممّا قد تَضَمّنه التعريفُ مقاصِدَ لا غِنىً عنها كالوصايا والأوصاف ومراكز البريد وأبراج الحَمام[9] ....

وكيفَما كان ، فالاقتصارُ على مَعْرِفة المُصْطَلَحِ قُصورٌ[10] .... وكنتُ في حدود سَنَةَ إحدى وتسعينَ وسبعمائَة ، عندَ استقراري في كِتابةِ الإنشاء بالأبواب الشريفة السُلطانية ، أنشأتُ مقامةً بَنَيْتُها على أنّه لا بُدّ للإنسانِ من حِرفةٍ

(١) تباينت : افترقت واختلفت . المورد : مكان شرب الماء . اختلفت مواردهم في التأليف : اختلفت المصادر التي استقوا منها موادّ كتبهم .

(٢) جنحت : مالت . المصطلح : ما اتفق عليه أصحاب كل صناعة من الأمور .

(٣) النسج : الحياكة . المنوال : النول (الآلة التي يحاك عليها النسيج) . نسج على منواله : عمل مثل عمله ، قلده .

(٤) راجع ، فوق ، ص٧٦٢ .

(٥) العقد : السلك تنظم فيه حبات من اللؤلؤ وغيره . أنفسها عقداً : أغلاها قيمة (وأحسنها تنسيقاً وتنظيماً !) . أعدلها (أكثرها استقامة ، أصحها) . طريقاً : طريقة ، منهجاً ، أسلوباً . أعذبها : أحلاها ورداً : شربا (ماء) .

(٦) ساغ الشراب : مر في الحلق بسهولة . لا يسوغ (لا يجوز) تركه . البطاقة : .... الغنى : الاستغناء .

(٧) في بروكلمان (الملحق ٢ : ١٧٦ ، السطر ١٤) : للمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري مختصر اسمه « تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف » لتقي الدين المحبي من أحياء أواخر القرن الثامن للهجرة .

(٨) عز (ندر ، قل) وجوده : أصبح الحصول عليه صعباً .

(٩) أبراج (بيوت) للحمام الزاجل التي تحمل الرسائل . (١٠) الاكتفاء بفهم المصطلحات وحدها تقصير .

يتعلَّقُ بها ، ومعيشة يَتَمسَّكُ بِسَبَبِها ، وأنَّ الكتابةَ هي الصناعة التي لا يَليقُ بطالبِ العلم من المكاسِب سِواها ..... وجَنَحْتُ الى تفضيلِ كِتابة الإنشاء ونبّهْتُ فيها على ما يحتاجُ إليه كاتبُ الإنشاءِ من المَوادِّ ، وضمَّنْتُها من أُصولِ الصَّنْعةِ ما أربَتْ[1] به على المُطَوَّلات وزادتْ ، وأوْدَعْتُها من قوانينِ الكِتابةِ ما استولتْ به على جميعِ مقاصِدِها أو كادتْ ، وأشَرْتُ فيها الى وجهِ تَعَلُّقي بحِبال هذه الصَّنعة ... إلاّ أنّها قد وَقَعَتْ موقع الوَحْيِ والإشارة ، ومالَتْ إلى الإيجاز فاكْتَفَتْ بالتَلْويح[2] عن واسعِ العِبارة ... فأشارَ من رأيُه مقرونٌ بالصَّواب أن أُتْبِعَها بمُصَنَّف مبسوط[3] يشتملُ على أُصولها وقواعدها ..... فامْتَثَلْتُ أمرَهُ بالسَمْع والطاعة ... فشَرَعْتُ في ذلك ، بعدَ أنِ اسْتَخَرْتُ اللهَ ... مُسْتَوْعِباً[4] من المُصطَلَحِ ما اشتمل عليه « التعريفُ » و « التثقيفُ » ، مُوَضِّحاً لما أبْهَماه[5] بتَبْيينِ الأمْثِلَةِ مَعَ قُرْبِ المأخذِ وحُسْنِ التأليف ، مُتَبَرِّعاً بأمورٍ زائدةٍ على« المُصطَلَحِ الشريف » لا يَسَعُ الكاتبَ جَهْلُها ... منها ما يَحتاجُ إليه الكاتب من الفنون ... ذاكِراً من أحوالِ الممالكِ المكاتِبَةَ عن هذهِ المَمْلكة[6] ما يُعْرَفُ به قَدْرُ كلِّ مملكةٍ ومَلِكِها .... وسَمّيْتُه « صُبْحَ الأعشى[7] في كِتابة الإنشا » .... وقد رَتَّبْتُه على مُقدّمةٍ وعَشْرِ مقالاتٍ وخاتمةٍ ...

٤ ــ صبح الأعشى في كتابة الانشاء ، بولاق ١٣٢٣هـ (١٩٠٥ م) ؛ أوكسفورد ١٩١٣ ــ١٩١٤م [8] ؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٣١ ــ ١٣٣٨ هـ ــ ١٩١٣ = ١٩٢٠ م .

ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر (مختصر صبح الأعشى ــ عني بنشره محمود سلامة) ، مصر (مطبعة الواعظ) ١٩٠٦ م .

نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، بغداد (طبع حجر) ١٢٨٠ هـ ؛ بغداد (مطبعة الرياض) ١٣٣٢ هـ ؛ بغداد (عني بنشره علي الخاقاني) ، النجف (دار البيان) ، بغداد (مطبعة النجاح) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م ؛ (تحقيق ابراهيم الابياري) ، القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٥٩ م ؛ بومباي ١٢٩٦ هـ .

---

(١) أربى : زاد .

(٢) الوحي والتلويح (هنا) : الايماء ، الاشارة الخفيفة . (٣) المبسوط : المفصل .

(٤) الاستيعاب : الاشتمال على معظم الأشياء .

(٥) أبهم الرجل الأمر : أخفاه ، جعله غامضاً (لم يوضحه ايضاحاً كافياً) .

(٦) يقصد : الدول التي بينها وبين دولة المماليك مكاتبات .

(٧) الأعشى : السيء البصر ، الضعيف البصر في الليل خاصة .

(٨) طبع منه جزء واحد يحتوي على ما في الجزأين الأول والثاني من طبعة دار الكتب المصرية .

قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان (حقّقه ابراهيم الابياري) القاهرة (دار الكتب الحديثة) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .

* * سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، اقتطفها من نهاية الارب للقلقشندي أبو الفوز محمّد أمين السويدي البغدادي ، بغداد ١٢٨٠ هـ ؛ بومبيء (طبع حجر) ١٢٩٦ هـ .

فهارس صبح الأعشي للقلقشندي ، أعدّه محمّد قنديل البقلي [1] .

القلقشندي في كتاب صبح الأعشى ، عرض وتحليل عبد اللطيف حمزة ، (أعلام العرب رقم ١٢) ، القاهرة (وزارة الارشاد) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م .

الأصول الأدبية في صبح الأعشى ، تأليف الدكتور مصطفى الشكعة ، بيروت (دار الأحد — البحيريّ اخوان) ١٩٧١ م .

الضوء اللامع ١٠ : ٨ ؛ شذرات الذهب ٧ : ١٤٩ ؛ بروكلمان ٢ : ١٦٦ — ١٦٧ ، الملحق ٢ : ١٦٤ — ١٦٥ ؛ زيدان ٣ : ١٤٤ — ١٤٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٢ : ٦٩٩ — ٧٠٠ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٧٢

الدمامينيّ

١ — هو محمّدُ بن أبي بكر بن عُمَرَ بنِ أبي بكرِ بنِ محمّدٍ .... الإسكندريُّ المعروفُ بابنِ الدمامينيّ ، وُلِدَ في الإسكندريةِ (مِصْرَ) ، سَنَةَ ٧٦٣ هـ (١٣٦٢ م) . ودَرَسَ الدمامينيُّ في الإسكندريةِ على البهاءِ الدماميني ثمّ انتقلَ الى القاهرةِ وسَمِـعَ فيها على السَرّاجِ بنِ المُلَقِّنِ وغيرِه .

وتولّى الدمامينيُّ في الإسكندريةِ التدريسَ في عِدّةِ مدارسَ ، كما تولّى القَضاءَ فيها والخَطابَةَ في جامعِها . ثمّ انه انتقلَ الى القاهرةِ فتصدّرَ في الجامعِ الأزهرِ لإقراء النَحْوِ ، كما تولّى القضاء فيها أيضاً . وقد تَكَسَّبَ بالتِجارةِ والحِياكة زَمَناً فلم يُوَفَّقْ .

وتَقَلَّبَ الدمامينيُّ في البلادِ : أكثَرَ التردّدَ بين القاهرةِ والإسكندريةِ ، وسَكَنَ دِمَشْقَ (٨٠٠ هـ) ثمّ حجّ (٨٠١ هـ) وعادَ الى الإسكندرية . وحجّ أيضاً سَنَةَ ٨١٩ هـ ثمّ ذهبَ الى اليمن (٨٢٠ هـ) وأقام يدرّسُ في جامعِ زَبيدَ فلم يَلْقَ نَجاحاً ، فانتقلَ إلى الهند فنالَ فيها حَظْوةً كبيرةً ، ولكنّه تُوُفّي

---

(١) نشرتها دار عالم الكتب (القاهرة ؟) — راجع مجلة « قافلة الزيت » (أكتوبر — نوفمبر ١٩٧١ م) .

فجأة في بَلْدة كُلْبَرْجَةَ ، في شعْبانَ ٨٢٧ هـ (تمّوز – يوليو ١٤٢٤ م) ، . قِيلَ مسموماً .

٢ – الدمامينيُّ من عُلماءِ اللغة والنحو ، وهو يُجيدُ عدداً من فنون الأدب كما يُجيدُ الخَطّ أيضاً . وله شعْرٌ ونثرٌ . وفي شعره شيءٌ من البَراعة وشيء من الرقّة والطَلاوة . وأكثرُ شِعره في الأدب والغزَل والألغاز . وللدمامينيّ تصانيفُ منها : كتاب القوافي – جواهر البحور (في العَروض) – تحفة الغائب في شرح مغني اللبيب (لابن هشام الانصاريّ) – نزول الغيث (حاشية فيها نقد على الصَفَدي في شرحه المسمّى : الغيث الذي انسجم في شرح لاميّة العجم للطُغْرائي) – شمس المُغرِب في المُرْقص والمُطْرب – شرح صحيح البخاري . وله ديوان شعر اسمه الفواكه البدرية ..

٣ – مختارات من آثاره

– قال الدماميني في ذمّ الزمان :

رَماني زَمــاني بما ســاءني ، فجاءتْ نُحوسٌ وغابتْ سُعودُ .
وأصبحتُ بينَ الــورى بالمَشيبِ عليلاً ؛ فليْتَ الشبابَ يعودُ !

– وقال يَصفُ مُغَنِّياً جَميلاً يَعْزِفُ وهُوَ يُغنّي .

يا عَذولي في مُغَنٍّ مُطْــرِبٍ حرّكَ الأوتــارَ لمّا سَفَرَا .
كم يهزّ العِطْفَ منه طَرَباً عندما يَسْمَعُ منــه وَتَرا[1] !

– وقال في امرأة جَبّانةٍ (تَصنع الجُبْنَ . والجَبّانة أيضاً : المَقْبرة) :

مُذْ تَعانَتْ صِناعةَ الجُبْنِ خَوْدٌ قَتَلَتْنا عُيونُهــا الفَتّــانهْ .
لا تَقُلْ لي : كم ماتَ فيها قَتيــلاً ؟ كم قَتيلٍ بهذهِ الجَبّــانه !

– من مقدمة «كتاب العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة» :

.... أمّا بَعْدُ ، فلا يَخْفى أنّ العَروضَ صِناعةٌ تُقيم لبِضاعة الشِعر في سوق المحاسن وزناً، وتجعل تعاطِيَهُ بالقِسْطاس المستقيم سهلاً بعدَ أن كان حَزْناً .

(١) العطف : الجانب الأعلى من الجسد . – هو يطرب من حسن عزفه .
(٢) الحزن (بفتح الحاء) : الارض القاسية الوعرة (الأمر الصعب) .

وقد كنتُ في زمن الصبا مشغوفاً بالنظر الى محاسن هذا الفنِّ مُولَعاً بالتنقير عن مباحثه التي طَنَّ على أذُني منها ما طنّ؛ أُطيل الوُقوفَ بمعاهده، وأتردّدُ إلى بيوت شواهده، وأسبح فيه سَبْحاً طويلاً، وأجِدُ التعلّقَ بسببه خفيفاً، وإنْ كان الجاهلُ يراه ثقيلاً. إلى ان ظَفِرْتُ في أثناء تصفُّحي لكتب هذا العلم بالقصيدة المقصورة المُسمّاة بالرامزة - نَظْمَ الشيخ الإمام البارع ضياء الدين أبي محمّدٍ عبد الله بن محمّد الخزرجيِّ، نوّرَ اللهُ تعالى ضريحَه وأمدّ بمَدَدِ الرحمةِ روحَه - فوجدتُّها بديعةَ المِثال بعيدةَ المَنال. ورُمْتَ أن أذوقَ حلاوةَ فَهْمِها فإذا الناس صيامٌ، وحاولتُ أن افتَرِعَ أبكارَ معانيها فإذا هي من المقصورات في الخِيام. وطَمِعتُ منها في لِين الانقياد فأبدَتْ إباءةً وعِزّاً، وسامَتْها الأفهامُ أنْ تُفْصِحَ عن المُراد فأبتْ أنْ تُكَلِّمَ الناسَ إلاّ رمزاً. فطَفِقْتُ أُطَلِّقُ النومَ لِمُراجَعَتِها وأُنازل السَهَرَ لِمُطالعتها، مَعَ أنّني لا أجِدُ شيخاً أتطفّل بقَدْري الحقير على فضله الجليل، ولا أرى خليلاً أُشاركه في هذا الفنّ؛ وهيهات عُدِمَ في هذا الفنِّ الخليلُ. ولم أزَلْ على ذلك إلى أن حَصَلْتُ على حَلِّ معقودِها وتحرير نُقودها وسَدّدتُّ سِهامَ البحث إليها وعَطّرتُ المحافل بنَفَحات الثناء عليها. فقَتَلْتُها خُبْراً وأحْيَيْتُ لها بين الطَلَبَة ذِكْراً. وعلّقتُ عليها شرحاً مُختصراً يَضْرِبُ في هذا الفنّ بسَهْمِ مُصيب ويَقْسِمُ للطالب من المطلوب أوفى[قدرٍ] وأوفر نصيب.

ثمّ قَدِمَ علينا بعضُ طلبةِ الأندلسِ بشرحٍ على هذه المقصورة للإمام العلاّمة قاضي الجَماعة بغَرْناطةَ السيدِ الشريفِ أبي عبدِ الله محمّدِ بن أحمدَ الحُسينيِ السَبْتيِ، رَحْمةُ اللهِ عليه ورِضوانُه، فإذا هو شرحٌ بديعٌ لم يُسْبَقْ إليه ومؤلَّفٌ نفيسٌ ملأه (الشارحُ) من بدائعِ الحُلى ما يَستحليه ذوقُ الواقفِ عليه . ووجدتُّه قد سَبَقَني الى ابتكارِ ما ظَنَنْتُ أنّي أبو عُذرته وتقدمني إلى الاحتكام في كثيرٍ ممّا خِلتُ أنّي مالِكُ إمْرَتِه. فحَمِدتُّ اللهَ إذ وفّقني لمُوافقة عالمٍ مُتقدّمٍ، وشكرتُه على ما أنْعَمَ به من ذلك ولم أكن على ما فاتَ من السبق بمُتَنَدِّمٍ. لكنّي أعرَضْتُ عمّا كنتُ كنيته (كتبته !) وطَرَحْتُه في زوايا الإهمال واجْتَنَبْتُه، إلى أنْ حرّكتِ الأقدارُ عَزْمِيَ في هذا الوقتِ إلى كتابةِ شرحٍ وسيطٍ فوق الوجيزِ ودونَ البسيطِ جَمَعْتُ فيه بينَ ما سُبِقَ إليه من المعنى الشريف وما سَنَحَ بعدَه للفكرِ من تالدٍ وطريفٍ وبعضَ ما وقفتُ عليه لأئمّةِ هذا الشانِ مُتحرّياً لما زانَ مُتَحَرِّفاً عمّا شانَ مُعْتَرِفاً بعَجْزِ الفكرِ وقُصوره وكَلالِ الذهنِ وفُتوره. ولمّا

حَوَى هذا الشرحُ عيوناً من النُكَتِ تُطيل علـى خفايا المقصورةِ غَمْزَها وتَكْشِفُ للأفهام حُجُبَها المستورةَ وتُظْهِرُ رَمْزَها ، سَمَّيْتُهُ « بالعيون الغامزة على خبايا الرامزة » ..... قال الناظم[1] :

(وللشِعْر ميزانٌ تُسمّى عَروضُه بها النقصُ والرُجْحان يَدْريهما الفتى)

أقولُ : أوْرَدَ (الناظم) كلامَه في هـذا البيتِ على وجهٍ يُشْعِرُ بتعريف العَروض ، فكأنّه يُشير الى ما عرّفه (به) بعضُ الفضلاء حيث قال : « العَروضُ آلةٌ قانونيةٌ يُتَعَرّفُ منها صحيحُ أوزانِ الشعرِ العربي وفاسدُها .... »

٤ ــ العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة ، القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٣٢٤ هـ .

تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب (بهامش كتاب المنصف من الكلام على مغني ابن هشام لتقيّ الدين الشُمُنّي) ، مصر ١٣٠٥ هـ .

* الضوء اللامع ٧ : ١٨٤ ــ ١٨٧ (رقم ٤٤٠) ؛ بغية الوعاة ٢٧ ــ ٢٨ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٨ ؛ شذرات الذهب ٧ : ١٨١ ــ ١٨٢ ؛ البدر الطالع ٢ : ١٥٠ ــ ١٥١ ؛ زيدان ٣ : ١٥٥ ؛ بروكلمان ٣ : ٣٢ ــ ٣٣ ، الملحق ٢ : ٢١ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٨٢ ــ ٢٨٣ .

ابن حجّة الحمويّ

١ ــ هو أبو المحاسنِ تقيّ الدينِ أبو بكرِ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ الله الحَمَويُّ الأزْراريّ (فقد كان في شبابهِ يَبيعُ الأزرارَ) ، وُلِدَ في حماةَ سَنَةَ ٧٦٧ هـ (١٣٦٧ م) في الأغلب . وقد تنقّل في طَلَبِ العِلمِ بين المَوْصِلِ ودِمَشْقَ والقاهرةِ وكَسَبَ صَداقةَ نَفَرٍ من أدباءِ عصرِه . وفي إحدى أوْباتهِ إلى دِمَشْقَ ، ٧٩١ هـ (١٣٩٠ م) ، كان الظّاهرُ برقوقٌ يُحاصِرُ دِمَشْقَ فكَتَبَ ابن حجة إلى ابنِ مكانسَ رسالةً بليغةً يَصِفُ له فيها ذلك الحصار .

وفي أيامِ السُلطان المؤيّدِ سيفِ الدينِ شيخِ المحموديِّ (٨١٥ ــ ٨٢٤ هـ) دَخَلَ ابن حِجّةَ الحَمَويّ ديوانَ الانشاء ، إذ عَيّنَه ناصرُ الدين محمّدُ بنُ محمّدٍ البارِزيّ مُتَوَلّيَ كِتابةِ أمانةِ السر. وبعدَ وفاةِ البارزيّ عاد ابنُ حجّةَ إلى حماةَ (٨٣٠ هـ) ثمّ تُوُفّي فيها ، في ٢٥ من شَعبانَ ٨٣٧ هـ (٢٧/ ٣/ ١٤٣٤ م).

---

(١) ضياء الدين الخزرجي .

٢ ـ كانَ ابنُ حجّةَ شاعراً ومُتَرسِّلاً ومؤلّفاً . وشعرُه مملوءٌ بأوجه البلاغة ، مَعَ شيءٍ من التكلّف والضَّعْف ؛ ونثرُه المُرْسَلُ سَهْلٌ واضحٌ متينٌ . وتقومُ شُهرةُ ابنِ حجّةَ الحَمَوي على بديعيّةٍ له مطلعُها : « لي في ابتداء مدحِكُمْ ، يا عُرْبَ ذي سَلَمِ » يُعارِضُ بها البُرْدةَ للبوصيريّ : « أمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ بذى سَلَمِ » (راجع ، فوق ، ص ٦٧٣) .وقد نَظَمَ ابنُ حِجّةَ هذه البديعيّةَ استجابةً لرَغْبة ناصرِ الدين البارزيّ (راجع المختارات) وطَوى كلَّ بيتٍ منها على وجهٍ من أوجه البديع . وقصيدةُ ابنِ حِجّةَ نازلةٌ عن قصيدة البُوصيريّ في متانةِ التركيبِ وفي البراعةِ في استخدامِ أوجهِ البلاغة وفي النَفَس الشعريّ ، فالبوصيريُّ نَظَمَ قصيدته في مَدحِ الرسول وُجداناً وتقوىً بينما اتّخذَ ابنُ حِجّةَ مدحَ الرسولِ موضوعاً يؤلّفُ حولَه « مقالةً » في عِلم البديعِ شعراً !

صَنَعَ ابنُ حِجّةَ لبديعيّته هذه شرحَيْنِ : شرحاً مُوجَزاً سمّاه « تقديمَ أبي بكرٍ » وشرحاً مُطوّلاً هو كتابُ « خِزانةِ الأدب وغاية الأرب » . ولابنِ حجّة الحَمَويّ من الكُتُبِ أيضاً : أزهار الأنوار (مجموع فيه مُقطّعات شعرية وحكايات قصيرة) ـ بلوغ المَرام من سيرة ابن هشام والروض الأُنُفُ والاعلام[1] (في سيرة الرسول) ـ بلوغ المُراد من الحيوان والنبات والجماد (قلّد فيه حياة الحيوان للدميري) ـ كشف اللثام عن وجه التَوْرِيَةِ والاستخدام (بلاغة) ـ السيرة الشيخية (سيرة المؤيّد شيخ بن عبد الله المحموديّ) ـ ثَمَرات (ثِمار) الأوراق (مجموعُ فوائدَ وطرائفَ أدبيةٍ وتاريخية تصلُحُ للمذاكرة والمسامرة) ـ تأهيل الغريب (مجمـوع شعر للمتقدّمـين والمتأخّرين) ـ قهوة الانشاء ـ الثَمَرات الشهيّـة من الفواكـه الحَمَويّة والزوائد المصرية (ديوان شعره) ـ مجرى السوابق (مجموع شعر في الخيل من شعره وشعر غيره = ابن نباتة) ـ قهوة الإنشاء (رسائل ديوانية واخوانية) ـ تغريد الصادح (مجموع أمثال) ، الخ .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ من مقدّمة « خزانة الأدب » :

الحمدُ لله البديعِ الرفيعِ الذي أحْسن ابتداءَ خلقِنا بصنعته وأوْلانا جميلَ الصنيعِ فاستهلّتِ الاصواتُ ببراعة تَوْحيده وهُوَ البصيرُ السميع ؛ أدّبَ سيّدنا مُحمّداً صلى الله عليه وسلم فأحْسن تأديبَه حتى أرْشدنا ـ جزاه الله خيراً ـ الى

سُلوك الأدبِ وأوْضَحَ لنا بديعَه وغريبه ....

وبعدُ ، فهذه البديعيّةُ التي نَسَجْتُها بمدحهِ صلى اللهُ عليه وسلم على مِنْوال طَرْزِ البُرْدة[1] كان مولانا المقر الأشرف العالي المَوْلوي القاضوي المخدومي الناصري سيّدي محمد بن البارزيّ الجُهَنِي الشافعي صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية – جعل اللهُ الوجودَ بوجوده – هُوَ الذي ثقّف لي هذه الصَعدة[2] وحلب لي ضَرعها الحافل لحصول هذه الزُبدة[3] وما ذاك إلا أنه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عز الدين الموصلي[4] ، رحمه الله تعالى ، التزم فيها بتسميته النوع البديعي[5] وروى بها من جنس الغزل ليتميّز بذلك عن الشيخ صَفِي الدين الحِلّي[6] ، تغمّده الله تعالى برحمته، لأنّه ما التزم في بديعيته * بحمل هذا العبْءِ . غير أن الشيخ عز الدين ما أعْرب عن بناء بيوتٍ أذِنَ اللهُ أن تُرْفَعَ[7] ولا طالت يده لإبهام العقادة[8] الى شيء من اشارات ابن أبي الاصبع[9] وربما رَضِيَ في الغالب بتسمية النوع ولم يُعْرِبْ عن المُسَمى ونَثَرَ شَمْلَ الألفاظ والمعاني لشدّة ما عقده نظماً ...

فاستخار اللهَ مولانا الناصريُّ المشار إليه ورسم لي بِنَظْمِ قصيدة أُطَرّز حُلّتها ببديع هذا الالتزام وأُجاري الحِلّيّ برقة السحرِ الحلال الذي يُنْفَثُ في عُقَدِ الأقلام[10]. فصِرْتُ أُشيّد البيتَ فيَرْسِمُ لي بهَدْمِه – وخرابُ البيوتِ في هذا

---

(١) اشتهرت قصيدة البوصيري باسم البردة (الثوب السابغ) ، مع أن اسمها في الأصل البرأة (راجع ، فوق ، ص ٦٧٤) .

(٢) ثقف : قوم ، صحح . الصعدة : القصبة الفارسية تكون عادة معوجة في أماكن فتمرر على النار وتثقف (تقوم) .

(٣) الحافل : المملوء . الزبدة : الخلاصة من كل شيء . – هو الذي أشار علي بنظم هذه القصيدة وبين لي طريقة العمل .

(٤) عز الدين الموصلي ....

(٥) ذكر في قصيدته كل نوع من أنواع البديع (من غير أن يعرف ذلك النوع أحياناً ولا أن يأتي بمثل عليه) .

(٦) راجع ، فوق ، ص ٧٧٢ .

(٧) ما أعرب (ما أوضح ، ما بين) عن أبيات (من الشعر في قصيدته) أذن الله أن ترفع (أي جيدة) . في هذه الجملة تضمين من قوله تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » (٢٤ : ٣٦ ، سورة النور) .

(٨) كذا في الاصل .

(٩) ابن أبي الاصبع ، لعله عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الاصبع العدواني المصري (ت ٦٥٤ هـ) من علماء اللغة (راجع ، فوق ، ص ٥٧٤) .

(١٠) .... ينفث في عقد الاقلام : أجيد في نظمها (في البيت تضمين من قوله تعالى : «ومن شر النفاثات في العقد» (السورة ١١٣ ، سورة الفلق) : كانت الساحرة تتمنى الخير أو الشر لأحد من الناس ثم تعقد بعد كل أمنية عقدة في خيط وتنفث عليها . فنقل ابن حجة نفث الساحرة في عقد الخيط الى مجيء الادب البارع على عقد الاقلام) .

البناء صَعْبٌ على الناس – ويقول: بيتُ الصَّفِي اصْفى مورداً وأنور اقتباس (كذا). فأسُنّ كلَّ ما حَدَّه الفكر وأُراجِعه ببيتٍ له على المنــاظرة طاقةٌ فيَحْكُمُ لي بالسبق ويَنْقُلُني الى غيره، وقد صار ليَّ فِكْرةٌ الى الغايات سَبّاقة. فجاءتْ بديعيةٌ هدمتُ بها ما نَحَتَه المَوْصلي في بيوته من الجبال وجارَيْتُ الصفيَّ مقيّداً بتسمية النوع[1] وهو من ذلك محلول العِقال، وسَمَّيْتُها «تقديمَ أبي بكرٍ» عالماً أنه لا يُسْمَعُ من الحِلّي والمَوْصلي في هذا التقديم مَقال. وكان المشارُ إليه – عظّم الله شأنه – هُوَ الذي مشى أمامي وأشار الى هذا السلوك وأرشد فاقتديت برأيه، وهل يقتدي ابو بكرٍ بغير محمد[2] فقلت:

لي في ابْتِدا مَدْحِكُمْ، يا عُرْبَ ذي سَلَمِ
براعةٌ تَسْتَهِلُّ الدمعَ في العَلَمِ[3].

باللهِ، سِرْ بي، فسِربي طلّقوا وطني	ورَكّبوا في ضُلوعي مُطْلَقَ السَّقَمِ[4].
ورُمْتُ تلفيق صبري كي أرى قدمي	يَسْعى مَعي فسعى، لكن أراق دَمي[5].
يا سعدُ، ما تَمّ لي سَعْدٌ يُطَرِّفُني	بقُرْبِهِم وقليلُ الحَظ لم يُلَمِ[6].
هلْ من يَفي ويَقي إنْ صحّفوا عَذَلي	وحرّفوا وأتَوْا بالكَلْمِ في الكَلِمِ[7]!
قد فاض دمعي وفاظ القَلْبُ إذ سَمِعا	لَفْظَيَّ عَذْلٌ مَلا الأسماعَ بالألمِ[8]

ثم يبدأ بذكر الرسول في البيت السابع والاربعين (ص ١٩٩، بولاق سنة

---

(١) أراجعه: أعيد نظمه. ببيت له على المناظرة طاقة (قدرة) على أن يكون نظيراً (شبيهاً) ببيت صفي الدين الحلي في المعنى المقصود.

(٢) وهل يقتدي أبو بكر إلا بمحمد. – في ذلك تورية وموازنة: أبو بكر هو ابن حجة؛ ومحمد محمد البارزي الذي أشار على ابن حجة بنظم هذه القصيدة. ثم في ذلك اشارة الى أبي بكر الصديق ومحمد رسول الله (ع).

(٣) براعة (مقدرة) تستهل الدمع: تجعل الدمع ينسكب. ذو سلم والعلم مكانان في الحجاز ذكرا مناسبة لمدح الرسول ولا يقصد الشاعر منها دلالة خاصة. «براعة تستهل» اشارة الى «براعة الاستهلال» وهي وجه من أوجه البلاغة. والشاعر يقصد أن في مطلع قصيدته هذه براعة استهلال (أي أن مطلع هذه القصيدة جيد).

(٤) السرب: القطيع من الماشية، والجماعة من الناس. طلقوا وطني: هجروه.

(٥) –كنت أقصد أن يحملني قدمي الى ما فيه الخير فحملني الى أمر أراق (سفك) دمي (أضر بي).

(٦) يطرّفني: (يسرني).

(٧) يفي من الوفاء بالوعد. يقي من الوقاية (الحفظ، المحافظة، الدفاع). التصحيف: التبديل. في أحرف الكلمة: عدل = عذل؛ التعريف: الخطأ في اللفظ: الكلم (بفتح الكاف وكسر اللام: الكلمات): الكلم (بفتح الكاف وسكون اللام): الجرح. والتصحيف والتحريف من أنواع الجناس في البلاغة.

(٨) فاظ: قاء (خرج القيء من فمه)؛ فاظت نفسه: مات. والقلب من أوجه البلاغة.

١٢٩١ هـ) :

محمدُ بنُ الذبيحَينِ الأمينُ ابو الـ بتولِ خيرُ نبيًّ في اطّرادِهِم[١] .
أبدى البديعُ له الوصفَ البديعَ ، وفي نظم البديعِ حلا ترديدُه بفمي[٢] .
كرّرْتُ مدحي حلا في الزائدِ الكرمِ ابْـ نِ الزائدِ الكرمِ بنِ الزائدِ الكرمِ[٣] .

٤ – بديعيّة ابن حجّة الحموي المسمّاة بتقديم أبي بكر (بذيل ديوان المتنبّي) ، كلكتّا ١٢٣٠ هـ ؛ (بهامش مقامات بديع الزمان الهمذاني) ، بولاق ١٢٧٣ ، ١٢٩١ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٤ هـ .

خزانة الأدب وغاية الأرب القاهرة ١٢٧٣ ، ١٢٩١ هـ ؛ ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤ هـ[٤] .

ثمرات الأوراق (بهامش محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني) ، بولاق ١٢٨٧ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣٠٠ هـ ؛ (بهامش المستطرف للإبشيهي) ، القاهرة ١٣٠٨ ، ١٣٢٠ – ١٣٢١ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الخيريّة) ١٣٣٩هـ ؛[٥] (حقّقه ابو الفضل ابراهيم) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) .

تأهيل الغريب (مطبوع مع « ثمرات الأوراق » بهامش محاضرات الأدباء) .

كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام ، بيروت (المطبعة الأنسية) ١٣١٢ هـ .

مجرى السوابق

** ذيل على ثمرات الأوراق (لابن حجّة الحموي) ، للشيخ ابراهيم الأحدب الطرابلسي (ت ١٣٠٨ هـ) (مطبوع مع « ثمرات الأوراق » ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٣٠٠ هـ ؛ (مطبوع مع « ثمرات الاوراق » بهامش المستطرف) .

العقد البديع في فنّ البديع (شرح على بديعية ابن حجّة الحموي) ، تأليف الخوري بولس عوّاد ، بيروت (المطبعة العمومية) ١٨٨١ م .

تقيّ الدين بن حجة الحمويّ ، تأليف محمود رزق سليم ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٢ م .

---

(١) محمد (رسول الله) ابن الذبيحين (من نسل ابراهيم والد اسماعيل واسحق ، وقد اختلف الرواة في أيهما كان الذبيح الذي أراد ابراهيم أن يضحيه . والعرب في الحجاز يرجعون بجانب من نسلهم الى اسماعيل بن ابراهيم) . والذبيح الثاني هو عبد الله بن عبد المطلب ، فقد كان عبد المطلب أيضاً يريد ذبح ابنه عبد الله في نذر له ، ثم فداه بمائة بعير . أبو البتول (والد فاطمة) . في اطرادهم : في نسق الانبياء .

(٢) البديع الاولى : الله . البديع الثانية : الجميل . البديع الثالثة : نظم الشعر في مدح الرسول . والبديع : فن كبير من فنون البلاغة أشهر أبوابه الجناس (الإتيان بألفاظ متفقة في اللفظ ومختلفة في المعنى ، في التركيب الواحد) .

(٣) كررت : رددت ، أعدت مرة بعد مرة .

(٤) بهامش طبعة ١٣٠٤ : رسائل بديع الزمان الهمذاني ثم شرح الفتح المبين في مدح الأمين (بديعية لعائشة الباعونية المتوفاة ٩٢٢ هـ) .

ثم يلاحظ أن التواريخ لطبع الكتابين واحدة : ١٢٧٣ ، ١٢٩١ ، ١٣٠٤ هـ .

(٥) تظهر سنة ١٣٠٢ هـ على هذا الكتاب (وهي سنة تأسيس المطبعة الخيرية وليست تاريخ طبع « ثمرات الاوراق ») .

الضوء اللامع ١١ : ٥٣ – ٥٦ ؛ البدر الطالع ١ : ١٦٤ – ١٦٩ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٤ ؛ شذرات الذهب ٨ : ٢١٩ – ٢٢٠ ؛ بروكلمان ٢ : ١٨ – ١٩ ، الملحق ٢ : ٨ – ٩ ؛ زيدان ٣ : ١٣٥ – ١٣٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٣٩٩ – ٤٠٠ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٤٣ .

المقريزي

١ – هو تَقِيّ الدينِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ القادرِ بنِ محمد المَقْريزيُّ أو ابن المقريزيّ ، نسبةً الى حارةٍ في بَعْلَبَكّ تُعْرَفُ بحارة المقارزة . كانت أُسرةُ المَقْريزي من بَعْلَبَكّ ثم انتقلتْ في أيام أبيه إلى القاهرةِ . وفي القاهرةِ وُلِدَ تقيُّ الدين سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م) فنشّأه جَدّه لأمّه شمس الدين بن الصائغ (ت ٧٧٦ هـ = ١٣٧٥ م) على المذهب الحنفيّ . ولكنّ تقيَّ الدين انْتَقَلَ (٧٨٦ هـ = ١٣٨٤ م)، بعدَ وفاةِ جَدّه ، إلى المذهب الشافعي ثم نَشأ له مَيْلٌ إلى المذهب الظاهري[1] .

وفي سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) ذهبَ المقريزي الى الحجّ وسَمِعَ من نَفَرٍ كثيرين من علماء مَكّةَ . وبعد رجوعه من الحجّ تولّى نِيابة القضاء على المذهب الشافعي . وفي سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) عُيِّنَ مُحْتَسِباً للقاهرة وللوجهِ البَحْري (مِنْطقة الدلتا) ثمّ أصبح واعظاً في جامع عمرِو بنِ العاصِ ومدرسةِ السُلطانِ حَسَنٍ وإماماً في جامعِ الحاكم ومُدرّساً للحديث في المدرسة المُؤيّدية . ثمّ انه ذهب الى دِمَشْقَ (٨١١ هـ = ١٤٠٨ م) وتولّى تدريسَ الحديث في المدرسة الإقبالية والمدرسة النُوريّة . وبعدَ سنة ٨٢٠ هـ عاد الى القاهرة وانقطع في بيته الى التأليف .

وحجّ المقريزي مرّةً ثانيةً مَعَ أُسْرَتهِ (٨٣٤ هـ = ١٤٣١ م) ثم عاد الى القاهرة سنة ٨٣٩ هـ .

---

(١) المذهب الظاهري مذهب فقهي بدأه أبو سليمان داوود بن علي بن خلف الاصفهاني (ت ٢٧٠هـ = ٨٨٤ م) ثم كان ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦هـ = ١٠٦٤م) اكبر رجاله . ويقوم المذهب الظاهري على فهم الآيات والاحاديث على ظاهرها اللغوي (الا اذا كانت قواعد البلاغة العربية تمنع ذلك) . ان ما وصف من أحوال الجنة والنار مثلاً ، من مثل الصراط والحساب والقصور ومقامع الحديد ، كلها يجب أن تفهم على ما يؤدي اليه المدلول اللغوي (بخلاف رأي المعتزلة الذي يقول بأن هذه الالفاظ تشابيه واستعارات استعملت في القرآن الكريم والحديث الشريف لتقريب صورة الجنة والنار من أذهان الناس) وأنها لا تشبه ما نعرفه في الدنيا بتلك الالفاظ .

وفي القاهرةِ تُوُفّيَ المقريزيُّ بعدَ مَرْضَةٍ طويلةٍ، في ٢٧ رَمَضانَ[١] ٨٤٥ هـ (٩/ ٢/ ١٤٤٢ م).

٢ - تقيّ الدين المقريزي أحدُ كبارِ المؤرّخين في عَصْرِ المَماليكِ، وقد كان المقريزيّ بابنِ خلدونٍ مُعْجَباً. وكان المقريزيّ مُصَنِّفاً واسعَ المعرفةِ، وأشْهر كُتُبه: كتابُ المواعظ والاعتبار بذكر الخِطَط[٢] والآثار، بدأه بمقدّمةٍ جُغْرافية وَصَفَ فيها بُلْدانَ مِصْرَ وخِطَطَ تلكَ المُدُنِ (أقسامها وأحياءَها وأسواقها وشوارعها) ووصف الآثار المصرية منذ الزمن القديم منْ هَياكلَ وقصورٍ ومساجدَ وكنائسَ ومدارسَ ومكتباتٍ ودُورٍ الخ. وكذلك عَرَضَ المقريزي في «الخِطط» لتراجمِ نَفَرٍ من ذوي المقام والعِلم والجاه كما ألَمّ بشيء من وَصْفِ الحياةِ الاجْتماعية والاقتصادية والثقافية.

٣ - مختارات من آثاره

..... وبعدُ، فإنّ التاريخَ من أجلّ العلوم قَدْراً وأشرفِها عند العلماء مكانةً وخَطَراً[٣] لما يَحْويهِ من المواعظ والإنذار بالرحيلِ الى الآخرةِ عن هذه الدار؛ والاطّلاعِ على مكارمِ الأخلاق ليُقْتَدَى بها، واستعلام مَذَامِّ الفعال ليَرْغَبَ عنها أولو النُهى. لا جَرَمَ أنْ كانتِ الأنفسُ الفاضلةُ به رامقةً[٤]، والهِمَمُ العالية اليه مائلةً وله عاشقة. وقد صَنّف فيه الأئِمّةُ كثيراً وضَمّنَ الأجِلّةُ كُتُبَهم منه شيئاً كبيراً. وكانت مِصْرُ هي مَسْقَطَ راسي، وملعبَ أترابي ومَجْمَعَ ناسي... فلا تَهْوِي الأنفسُ إلى غيرِ ذِكْرِها.. لا زلتُ منذ شَذَوْتُ العلمَ[٥] وآتاني ربّي الفَطانةَ والفَهْمَ أرغبُ في معرفة أخبارِها وأُحبُّ الإشراف على الاغتراف من آبارها، وأهْوَى مُساءلةَ الرُكْبان عن سُكّان ديارِها. فقيّدتُ بخَطّي في الأعوامِ الكثيرةِ وجَمَعْتُ من ذلك فوائدَ قلّ ما يَجْمَعُها كتابٌ أو يَحْويها

---

(١) في الضوء اللامع (٢ : ٢٥) في ٢٦ رمضان.

(٢) الخطة (بكسر الخاء) : الأرض التي تنزلها أنت ولم يكن قد نزلها احد قبلك (تخطيط المدن).

(٣) خطر : قيمة، أهمية.

(٤) رمق : نظر.

(٥) شذوت (هنا) العلم : عرفت منه شيئاً قليلا.

ـ لِعزّتها وغَرابتها ـ إهابٌ[1] . إلاّ أنها ليستْ بمرتّبةٍ على مِثالٍ ولا مَهذّبةٍ بطريقةٍ ما نُسِـــجَ على مِنْوال . فأردتُّ أن أُلَخِّصَ منها أنباءَ ما بديارِ مِصْرَ من الآثار الباقية عن الأُمم الماضية والقُرون الخالية وما بَقِيَ بفُسطاطِ[2] مِصْرَ من المعاهد غيرَ ما كادَ يُفْنيهِ البِلى والقِدَم ولم يَبْقَ الاّ ما يَمْحو رَسْمَها الفناءُ والعَدَم ؛ وأذكرَ ما بمدينةِ القاهرة من آثار القُصور الزاهرة وما اشتملت عليه من الخِطَط والأصقاع وحوَتْه من المباني البديعة والأوضاع[3] مَعَ التعريف بحالِ من أسّسَ ذلك من أعيان الأماثل .... وأنثرَ خِلالَ ذلك نُكَتاً لطيفةً وحِكَماً بديعةً شريفة من غيرِ إطالةٍ ولا اكثارٍ ولا إجحافٍ مُخِلٍّ بالغَرَضِ ولا اختصار[4] ، بل وَسَطٌ بينَ الطَرَفَيْنِ ، وطريقٌ بَيْنَ بَيْنَ . فلهذا سَمّيته «كتاب المواعظ والاعتبار في ذِكْر الخِطط والآثار » . وانّي لأرجو أنْ يَحْظى ـ ان شاء اللهُ تعالى ـ عند الملوك ، ولا يَنْبُوَ عنـــه طِباع العامّيِّ والصُعْلوك ، ويُجِلَّه العالمُ المُنتهي ويُعْجَبُ به الطالبُ المبتدي... ويُعِدَّه أولو الرأيِ والتدبيرِ موعظةً وعِبَراً : يَسْتَدِلّون به على عظيمِ قُدرةِ الله تعالى في تبديلِ الأبدال[5] ويَعْرِفون به عجائبَ صُنْعِ ربِّنا ـ سبحانَه ـ من تنقُّلِ الأحوال الى حالٍ بعد حال .....

٤ ـ الخطط المقريزية : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة (دار الطباعة المصرية) ١٢٧٠ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٨ هـ ؛ (التزام أحمد المليجي) ، القاهرة (مطبعة النيل) ١٣٢٤ ـ ١٣٢٦ هـ ؛ (باعتناء : بوريانت ـ كازانوفا ـ غاستون فيات) ، القاهرة (المعهد الفرنسي الأركيولوجي) ١٩١١ م (١٣٢٨ هـ) وما بعد ؛ (نبذ مسلولة من الخطط المقريزية) : (أ) شذور (نبذة) العقود في أمور (ذكر) النقود = النقود القديمة والاسلامية (باعتناء توكسن) ، روستوك في ألمانية ١٧٩٧ م ؛ (في مجموعة : ثلاث رسائل) ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ (الرسالة الأولى) ؛ مصر ١٢٩٨ هـ ؛ ثمّ (طبعة غُفل : بلا ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخه) ؛ = النقود الاسلامية المسمّى بشذور العقود في ذكر النقود (تحقيق السيد علي بحر العلوم) ، النجف (المطبعة الحيدرية) ١٩٦٧م ؛ (ب) رسالة المكاييل

---

(١) الاهاب : الجلد (كتاب مجلد ، جزء) .

(٢) الفسطاط : مصر القديمة (قبل بناء القاهرة) .

(٣) الاحوال والاشكال (في البناء) .

(٤) الاجحاف (هنا) الحذف والترك .

(٥) الابدال جمع بديل : الخلف (الذي يحل محل انسان سبقه في الحياة أو الملك ، الخ) .

والموازين (الأوزان والمكاييل ـ الأكيال) الشرعية (باعتناء توكسن)، روستوك ١٨٠٠ م ؛ (ج) الإلمام بما في أرض الحبشة من ملوك الاسلام (باعتناء رينك) ، ليدن ١٧٩٠ م ؛ مصر (مطبعة التأليف) ١٨٩٥ م (١٣١٣ ـ ١٣١٤ هـ) ؛ (د) الطرفة الغريبة من أخبار حضرموت العجيبة (نوسكوفوي) ، بونّ ١٨٦٦ م ؛ (هـ) أخبار قبط مصر (باعتناء هاماكر) ، أمستردام (؟) ١٨٢٤ م ؛ (باعتناء فستنفلد) ، غوتنّجن ١٨٤٥ م ؛ = دخول قبط مصر في دين النصرانية (باعتناء فترر) سالباشي (؟ ـ راجع سركيس ، ص ١٧٨١) ١٨٢٨ م ؛ = القول الابريزي للعلاّمة المقريزي : تاريخ الأمة القبطية (نشره مينا اسكندر المحامي)، القاهرة (مطبعة التوفيق) ١٨٩٨ م ؛ (و) خبر الحملات على دمياط (باعتناء هاماكر) ، أمستردام (؟) ١٨٢٤ م ؛ (ز) النحل وما فيها من غرائب الحكمة ! (تحقيق جمال الدين الشيّال) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٤٦ م .

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة والخلفاء (باعتناء هوغو بونتز) ، ليبسك (هرّاسو فيتز) ١٩٠٩ م ، توبنجن ١٩١١ م ؛ القدس (مطبعة دار الأيتام السورية) ... ؛ (تحرير جمال الدين الشيّال) القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٤٨ م ؛ = ... الأئمّة الفاطميّين الخلفاء (نشره محمّد حلمي ومحمّد أحمد) ، القاهرة (المجلس الاعلى للشئون الاسلامية) ....

السلوك لمعرفة دول الملوك (نشره مصطفى زيادة) ، القاهرة ١٩٣٤ ، ١٩٣٦ م !!! (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٢ م !!

(تحقيق عبد المجيد عابدين) ، القاهرة (عالم الكتب) ١٩٦١ م .

التبر المسبوك في ذيل السلوك (تحرير غيّاردو) ، القاهرة ١٨٩٧ م .

الذهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك (نشره جمال الدين الشيّال) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥٥ م .

إمتاع الأسماع بما للرسول من الابناء والاموال والحفدة والأتباع (صحّحه محمود محمّد شاكر) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤١ م .

البيان والإعراب عمّا في أرض مصر من الأعراب (باعتناء فستنفلد) ، غوتنجن ١٨٤٧ م ؛ القاهرة ١٣٣٤ هـ ؛

اغاثة الأمّة بكشف الغمّة (نشره مصطفى زيادة وجمال الدين الشيّال) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٠ م .

الاشارة والأسماء (كذا) الى حلّ لغز الماء (وعليه شرح : الطائر الميمون في حلّ لغز الكنز المدفون ، لجمال الدين القاسمي المتوفّي ١٣٣٨ هـ) ، دمشق ١٣٢٢ هـ .

النزاع والتخاصم في ما بين بني أميّة وبني هاشم (تحرير غيراردوس فوس)، ليدن (بريل) ١٨٨٨ م ؛ القاهرة ١٩٣٧ م .

نَحْلُ عِبَرِ النَحْل (نشر... جمال الدين الشيال) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .

* * فصل الحاكم في النزاع والتخاصم في ما بين بني أميّة وبني هاشم (لمحمّد عقيل بن عبد الله ابن يحيى) ، صيداء ١٣٤٣ هـ .

المنهل الصافي ١ : ٣٩٤ — ٣٩٩ ؛ الضوء اللامع ١ : ٢١ — ٢٥ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٦٦ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٢٥٤ — ٢٥٥ ؛ البدر الطالع ١ : ٧٩ — ٨٩ ؛ بروكلمان ٢ : ٤٧ — ٥٠ ؛ الملحق ٢ : ٣٦ — ٣٨ ؛ زيدان ٣ : ١٩٠ — ١٩٤ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ٣ : ٩٧٥ — ١٧٦ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ١٧٢ — ٩٧٣ .

الإبشيهيّ

١ — هو بهاءُ الدينِ أبو الفتحِ محمّدُ بنُ أحمدَ الخطيبِ بنِ منصورِ بنِ أحمدَ ابنِ عيسى المَحلّيُّ الإبْشِيهيُّ ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٩٠ هـ (١٣٨٨ م) في مديرية الغَرْبية بمكانٍ اسمه إبْشُويه (بكسر الهمزة في الأغلب) قُربَ الفَيّوم .

قضى الإبشيهيُّ أكثرَ أيامِ حياتهِ في المَحلّة الكُبرى فقرأ فيها القرآنَ ودرس شيئاً من الفقه ومن النحو . وقد زار القاهرةَ مِراراً وذهب الى الحجّ ، سنة ٨١٤ هـ (١٤١٢ م) . بعدَ ذلك استقرّ حيناً في القاهرة وسَمِعَ من جلال الدين البُلْقيني (ت ٨٢٤ هـ) ، ولعلّه سَمِعَ من البِقاعي وشهاب الدين محمود الشاعر الشاعر (راجع ، فوق ، انظر الفهرست) . ولمّا توفّي والدُه أحمدُ تولّى هو الخَطابةَ بعدَه ، كما كان يشتغلُ بالأدب . وكانت وفاةُ محمّدِ بنِ أحمدَ الإبشيهي نحوَ سَنَةِ ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) .

٢ — كان الإبشيهيُّ أديباً يُحْسِنُ التحديثَ والإطرافَ بالأشعارِ والحكايات والحِكَم . وقد صنّف كُتُباً منها : المُسْتَطْرَف في كلّ فنٍّ مُسْتَظْرَف — أطواق الأزهار على صدور الأنهار — تذكِرَة العارفين وتبصِرَة المُسْتبصِرين .

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدمة المستطرف للابشيهي :

الحمدُ لله الملكِ العظيمِ العليّ الكبير ، الغنيّ الحميد اللطيف الخبير ، المنفردِ بالعزّ والبقاء والإرادة والتدبير ، الحيّ العليم الذي ليس كَمِثْلِه شيءٌ وهُوَ السميع البصير ، تبارَكَ الذي بيده المُلْكُ وهُوَ على كلّ شيءٍ قدير . أحْمَدُهُ حَمْدَ عبدٍ مُعْتَرِفٍ بالعَجْز والتقصير ....

أما بعدُ ، فقد رأيتُ جماعةً من ذَوِي الهِمَم جَمعوا اشياءَ كثيرةً من الآداب والمواعظِ والحِكَم ، وبسطوا مُجلَّداتٍ في التواريخ والنوادر والأخبار والحِكايات واللطائف ورَقائق الأشعار وألّفوا في ذلك كُتُباً كثيرةً ؛ وتفرَّدَ كلٌّ (كتاب) منها بفرائدِ فوائدَ لم تكنْ في غيرِه من الكتب مَحْصورة . فاستَخَرْتُ(١) اللهَ تعالى وجَمَعْتُ من مجموعِها هذا المجموعَ اللطيف، وجعلتُه مُشْتَمِلاً على كلِّ فنٍّ ظريف ، وسَمَّيتُه « المُسْتَطْرَف(٢) في كل فن مُسْتَظْرَف » واستَدْلَلْتُ فيه بآياتٍ كثيرةٍ من القُرآنِ العظيم واحاديثَ صحيحةٍ من احاديث النبي الكريم وطَرَّزتُه بحكاياتٍ حَسَنةٍ عن الصالحين الأخيار ونقلتُ فيه كثيراً مما أوْدَعَه الزَمَخْشَرِيّ(٣) في كتابه « ربيع الأبرار » ، وكثيراً مما نقله ابنُ عبد رَبّه(٤) في كتاب « العِقْد الفريد » . ورَجَوْتُ ان يَجِدَ مُطالِعُه فيه كلَّ ما يَقْصِدُ ويُريد . وجَمَعْتُ فيه لطائفَ وظرائفَ عديدةً من مُنْتَخَباتِ الكتبِ النفيسة المُفيدة وأوْدَعْتُه من الأحاديث النَبَوِيّةِ والأمثالِ الشِعْرية والألفاظِ اللُّغَوِيّة والحِكايات الجِدّيّة والنوادرِ الهَزْلية ومِنَ الغرائبِ والدقائقِ والأشعارِ والرَّقائق ما تُشَنَّفُ بذِكْرِهِ الأسماعُ وتَقَرُّ برُؤْيته العُيونُ(٥) ويَنْشرحُ بمطالعتِه كلُّ قلبٍ محزون .... وجعلتُه يشتملُ على أربعةٍ وثمانينَ باباً من أحسنِ الفُنون مُتَوَجَّةً بألفاظٍ كأنها الدُّرُّ المَكْنون .... وجعلتُ أبوابه مُقَدّمة وفَصَّلْتُها في مواضعها مُرَتّبة مُنَظّمة لِيَقْصِدَ الطالبُ إلى كلِّ بابٍ منها عندِ الاحْتِياج إليه ويَعْرِفَ مكانَه بالاسْتِدْلالِ عليه ....

[ومن رؤوس ابواب كتاب المستطرف] :

مَباني الاسلام – العقل والذكاء والحُمْق – القرآن العظيم وفضله – العلم والادب وفضل العالم والمتعلم – الأمثال السائرة – البيان والبلاغة والفصاحة وذِكْر الفُصحاء من الرجال والنساء – الأجوبة المُسْكتة والمُسْتحسنة – الخُطَب والخُطَباء والشعراء – التوكل على الله – المَشورَة والنصائح والتجارِب – الصمت وصَوْن للسان – ما يجب على من صَحِبَ السلطان – الوزراء – ذِكْر القُضاة وقَبول الرشوة

(١) استخار الرجل الله : سأله أن يختار له ، سأله أن يختار هو لنفسه أمراً حسناً صالحاً .
(٢) المستطرف : الشيء الطريف ، الجديد (المحبب الى النفس) . (٣) راجع فوق ٢٧٧ .
(٤) أديب أندلسي (ت ٣٢٨ هـ) . (٥) يسرّ به الإنسان.

والقُصّاص والمتصوفة — الظلم وشُؤمه — اصطناع المعروف — مَحاسنُ الأخلاق ومساويها — الحياء والتواضع — الشرف والسُؤْدُد — الخير والصلاح وذكر الصّحابة والأولياء الصالحين — البُخل — الطعام والضِيافة — العَفْو والحِلْم — الشجاعة والحروب وفضل الجهاد — المدح — الهجاء — بِرّ الوالدَيْنِ — الأسفار — الغِنى — الهدايا والتُحَف — شَكْوى الزمان والصبر — ما جاء في اليُسْر بعد العُسْر والفَرَج بعدَ الشِدّة — العَبيد والإماء — أخبار العرب — الكِهانة والقِيافة — الحِيَل والخِدَع — الدَوابُّ والوُحوش والطير — خَلْق الجانّ — البحار — عجائب الأرض — الأصوات والألحان — العِشْق — ذكر رقائق الشعر والمُوَشّحات والألغاز — النساء — ذمُّ الخمر — المُزاح والنَهْيُ عنه — النوادر والحِكايات — الدُعاء وآدابه — القَضَاءُ والقَدَرُ — الأمراض والطِب والعِيادة — الصبر والتعازي والمراثي — الدنيا وأحوالُها والزُهد — فضل الصلاة على النبي .

٤ — المستطرف من كلّ فنّ مستظرف ، بولاق ١٢٦٨ ، ١٢٧٢ ، ١٢٨٥ ، ١٢٩٢ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد شاهين) ١٢٧٧ هـ ؛ القاهرة (مطبعة كاستلّي) ١٢٧٩ هـ ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٠ هـ ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبدالرازق) ١٣٠٤ ، ١٣٠٦ ، ١٣١١ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٥ هـ (؟) ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ ، ١٣٢١ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٠ ، ١٣٤٨ هـ ؛ كلكتا — بلا تاريخ ..

* * المستقطف من المستطرف (لجريس شاهين) ، بيروت ١٨٦٤ م .
المختار من المستطرف من كلّ فنّ مستظرف (اختيار محمّد عبد اللطيف الخطيب) ، القاهرة (الشركة العربية) ١٩٦٠ م .

الضوء اللامع ٧ : ١٠٩ (رقم ٢٣٧) ؛ بروكلمان ٦٨٢ — ٧٩ ، الملحق ٢ : ٥٥ — ٥٦ ؛ زيدان ٣ : ١٤٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ١٠٠٥ — ١٠٠٦ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٩ .

ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانيُّ

١ — هو شيخُ الاسلام قاضي القُضاة شِهابُ الدين أبو الفضل أحمدُ بنُ عليِّ بن محمّد بن حَجَرٍ العَسقلانيُّ ، أصلُه من عَسْقلانَ (فِلَسْطين) ومَوْلِدُه في مِصْرَ القديمةِ (الفُسطاط) في ٢٢ شَعْبانَ من سنة ٧٧٣ (١/٣/١٣٧٢ م) . وقد يَتِمَ من أبيه باكراً .

اتّجه ابنُ حَجَرٍ في أولِ أمرِه إلى التجارةِ وعانى الأدبَ وعِلمَ الشعرِ ثم تَرَكَها كلَّها والتَفَتَ إلى دِراسةِ الحديثِ . زارَ الحجازَ حاجّاً مرتين وزارَ الشامَ

واليمن ولَقِيَ في مدينة زَبِيدَ (اليمن) الفَيْروزابادِيَّ صاحبَ القاموس .

في سنة ٨٠٦ هـ (١٤٠٢ م) أصبح ابن حجر مدرّساً للحديثِ والفِقه في القاهرة . وفي ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م) نابَ عن القاضي جمال الدين البُلْقيني ثم خَلَفَه في المُحَرَّم من سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) ، وفي العامِ التالي أصبح قاضِيَ القضاة .

اعتزلَ ابنُ حجرٍ القضاءَ (٨٣٣ هـ = ١٤٢٩ م) ثم عادَ إليه ثم استقالَ بعد مُدّة لِمَرَضِه . وبَعْدَ بِضْعةِ أشْهُرٍ تُوُفِّيَ (١٨ من ذي الحِجّة ٨٥٢ هـ = ٢١/ ٢/ ١٤٤٩ م) في القاهرة .

٢ ـ كان ابنُ حَجَرٍ العَسْقلانيُّ من ثِقاتِ الحُفّاظ للحديثِ واسعَ العلمِ به والدراية عارفاً بأخبار رجاله ، كما كان خطيباً بليغاً ومُصَنِّفاً مُكْثِراً في الحديث والفِقه والتاريخ ، فمن كُتبه : فتح الباري بشَرْح صحيح البخاريّ ـ نُخْبة الفِكَر في مُصْطَلَح أهل الأثر (في مصطلح الحديث) ـ تفسير غريب الحديث ـ بُلوغ المَرام من أدلّة الاحكام (مختصر من « أصول الأدلّة الحديثية للأحكام الشرعية » : القواعد الأساسية المُسْتَمَدّة من الحديث لمعرفة الأحكام الشرعية) ـ الدُرَرَ الكامنة في أعيان المائة الثامنة (تراجم لجماعةٍ من المشهورين كانوا أحياءً بين سنة ٧٠١ وسنة ٨٠٠ هـ = ١٣٠١ ـ ١٣٩٨ م) ـ إنباء الغُمْر بأبناء العُمْر (موجز للحوادث ولتراجم الرجال مِمَّنْ كان في حياته منذ مَوْلِده سَنَةَ ٧٧٣ للهجرة) ـ الإصابة في تمييز الصَحابة (معجم لتراجم صَحابة رسول الله والتابعين لهم تبلُغُ ١٣,٢٧٩ ترجمةٍ) ـ محاسن المَساعي في مناقب الإمام الأوزاعي[1] ، الخ ...

وابنُ حجرٍ العسقلانيُّ شاعرٌ مُكْثِرٌ في ديوانه بديعيّاتٌ (مدائحُ في رسول الله) وملوكيّاتٌ (مدائحُ في الملوك وغيرهم) ورثاءٌ وإخوانيّاتٌ وغَزَلٌ ونسيبٌ وحِكمة . وأشعارُه قصائدُ ومُقَطّعاتٌ ومُوشّحات . وعلى شعره جفافُ أسلوب العلماء . ومن أرَقِّ نظمه قولُه في بديعيّة :

(١) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي فقيه أهل الشام، ولد في بعلبك سنة ٨٨ هـ (٧٠٧م) وسكن بيروت وتوفي فيها سنة ١٥٧ هـ (٧٧٤ م). انتشر مذهبه في الشام والمغرب حيناً ثم أخذ مكانه (بفتح النون) في الشام المذهب الشافعي وأخذ مكانه في المغرب المذهب المالكي

وكُنتُ أكْتِمُ حُبِّي في الهوى زَمَنـاً حتّى تكلّمَ دمعُ العين فانْكَشفا .
سألتُ قَلْبِيَ عن صبري فأخْبَرني بأنّه حينَ سِرْتُمْ عَنِّيَ انْصرفا .
وقُلتُ للطَرْفِ : أينَ النَوْمُ بَعْدَهُم؟ فقال : نَوْمي وبَحْرُ الدَمْعِ قد نُزِفا !

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من مقدّمة ديوانه :

.... سُئِلتُ غيرَ مرّة أنْ أُجرّدَ من منظومي طَرَفاً مُهَذّباً وأن أُفْرِدَ من مقاطيعي التي تُلْهي عن الّمواصيل[١] ما كان منها مُرَقَّصاً أو مُطْرِباً . فكتبتُ في هذه الأوراق سبعةَ أنواعٍ من كلّ نوعٍ سبعةُ أشياءَ ، إلاّ الأخيرَ منه ؛ فافْتَتَحْتُ بالنَبَويّات ثمّ (تَلَتْها) المُلوكيّات ثمّ الإخوانيّات ثمّ الغزليّات ثمّ الأغراض المختلفة ثمّ الموشّحات ثمّ المقاطيع.....

ــ من مقدّمة « الدرر الكامنة » :

.... هذا تعليقٌ مُفيدٌ جَمَعْتُ فيه تراجمَ مَنْ كانوا في المِائَةِ الثامنةِ من الهِجْرة النبوية ، مِنَ ابتداءِ سَنَةَ إحدى وسَبْعمائَةَ إلى آخرِ سَنَةَ ثماني مِائَةَ ، من الأعْيان والعُلماء والمُلوك والأُمراء والكُتّاب والوزراء والأدباء والشعراء . وعُنيتُ برُواة الحديث النَبَويّ فذكَرْتُ مَنِ اطّلعتُ على حاله وأشَرْتُ الى بعض مَرْويّاته ــ إذِ الكثيرُ منهم شُيوخُ شُيوخي ، وبعضُهم أدركْتُهُ ولم أَلْقَهُ ، وبعضُهم لَقِيتُه ولم أسْمَعْ منه[٢] ، وبعضُهم سَمِعْتُ منه ــ وقدِ اسْتَمْدَدْتُ في هذا الكتابِ من ..... (هنا عدد من أسماء مجاميع التراجم التي أخذ ابنُ حجر منها) .

ــ من كتاب « إنباء الغمر بأبناء العمر » :

وفيها (في سَنَة ٧٧٣هـ) زادَ النيل زيادةً مُفْرِطَةً ودام الى أيام هاتورَ[٣] فاجتمعَ جماعةٌ بالجامع الأزهر وبجامع عَمْرو[٤] وسألوا اللهَ تعالى في هُبوطهِ

(١) المقاطيع (قطع قصار من الشعر) والمواصيل (غير قاموسية): المشوقون والمعشوقات يتصل بهم المحب العاشق.

(٢) الشيوخ : الأساتذة الكبار . أدركته (ولدت وهو حي وعشت في حياته زمناً) ولم ألقه (لم أجتمع به) . لم أسمع منه : لم آخذ منه (علماً) . (٣) هاتور : تموز (يوليه) .

(٤) الجامع الازهر في القاهرة ، وجامع عمرو (بن العاص) في الفسطاط (مصر القديمة).

وكرّروا ذلك . فهبَطَ وزرَعَ الناسُ . وقال في ذلك شهاب الدين بنُ العطّار[1] مقاطيعَ ، و (قال) شهاب الدين بن أبي حَجلةَ مَقامتَهُ المشهورة . وفيها (في تلك السنة) أمرَ السُلطان[2] الأشرافَ أنْ يمتازوا عن الناسِ بعصائبَ خُضْرٍ على العمائمِ ، ففُعِلَ ذلك في مِصْرَ والشامِ وغيرِهما .....

٤ ـ الاصابة (نشره محمّد وجيه عبد الحقّ وغلام قادر وشبرنجر) ، كلكتّة ١٨٥٦ ـ ١٨٩٣ م ؛ = مصر (مطبعة السعادة والمطبعة الشرفية) ١٣٢٣ ـ ١٣٢٨ هـ .

الدرر الكامنة ، حيدر اباد ١٣٤٨ ـ ١٣٥٠ هـ ؛ (حقّقه محمّد سيد جاد الحقّ) ، مصر (دار الكتب الحديثة) ١٣٨٥ ـ ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ م .

إنباء الغمر بأبناء العمر (تحت مراقبة محمّد عبد المعيد خان) ، حيدر اباد (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م (السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٩ ـ ١١ ؛ (تحقيق حسن حبشيّ) ، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ـ لجنة احياء التراث الاسلامي ، رقم ١٦) ، القاهرة .....

لسان الميزان ، حيدر اباد ١٣٢٩ ـ ١٣٣١ هـ .

تهذيب تهذيب الكمال ، دهلي (حجر) ١٨٩١ م ؛ حيدر اباد ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧ هـ .

تقريب التهذيب في أسماء الرجال ، لكنهو (حجر) ١٢٧١ ـ ١٢٧٢ هـ ؛ دهلي ١٣٠٨ ، ١٣٢٠ هـ . القاهرة ١٣٠١ هـ .

غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر (الجيلانيّ) ، كلكته (طبع حجر) ١٩٠٣ م.

الرحمة الغيثيّة بالترجمة الليثية (مناقب الامام الليث بن سعد) ، بولاق ١٣٠١ هـ .

توالي التأسيس بمعالي ابن ادريس (مناقب الامام الشافعي) (طبع مع الرحمة الغيثية) ، بولاق ١٣٠١ هـ .

فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، بولاق ١٣٠٠ ـ ١٣٠١ هـ ؛ دهلي (طبع حجر) ١٨٩٠ ـ ١٨٩١ م ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٩ ـ ١٣٢٩ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٩٥٩ م .

هدى الساري الى فتح البخاري (مقدّمة فتح الباري) ، الهند ... القاهرة (ادارة الطباعة المنيرية) ١٣٤٧ هـ .

نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (باعتناء ليس) ، كلكتّة ١٨٦٢ م ؛ مصر ١٣٠١ هـ ؛ (في مجموعة) ...

نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (شرح نخبة الفكر ...) ، كلكتّا ١٨٦٢ م ؛ القاهرة (المطبعة اليمنية) ١٣٠٨ هـ ؛ لاهور (المطعع العلمي) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م ، (سراج الدين) ١٣٨٣ هـ .

---

(١) (؟) (٢) في سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧١ - ١٣٧٢ م) كان السلطان في مصر الاشرف ناصر الدين شعبان ، من المماليك البحرية ، قتل سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م) .

ديوان خطب ، بولاق ١٣٠١ هـ .
ديوان.... ابن حجر العسقلاني (جمعه وصحّحه السيد أبو الفضل) ، حيدراباد الدكن (المكتبة العربية : عبد الله بن عمر با معروف وأولاده – طبع حجر) ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م .
منبّهات ابن حجر العسقلاني ، استانبول ؟ (دار الطباعة العامرة) ١٣١٥ هـ .
تفسير غريب الحديث ، القاهرة (زكريا علي يوسف) بلا تاريخ.
بلوغ المرام من أدلّة الأحكام ، القاهرة (البابي) ١٣٥١ هـ ؛ (حقّقه رضوان محمّد رضوان) ، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٥٤م ؛ (عني بتصحيحه محمّد حامد الفقي) ، الطبعة الثانية ، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٣ م ؛ القاهرة (البابي) ١٣٥١ هـ .
رفع الإصر عن قضاة مصر (تحرير حامد عبد المجيد ومحمّد المهدي أبي سنة ومحمّد اسماعيل الصاوي) ، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٧ – ١٩٦١ م .
قطعة من «كتاب الردّة» – وهي مأخوذة من كتاب الاصابة لابن حجر العسقلاني (فصلها وصبطها وهلم هونرباخ) ، ماينتز – ألمانية (مطبعة مجتمع العلماء والأدباء) ١٩٥١ م [١].
* تقريب التهذيب المحشّى بالمغني لمحمّد بن طاهر النبّي (في أسماء رجال الحديث) ، دهلي (طبع حجر) ١٢٩٠ هـ ؛ دهلي ١٣٢٠ هـ .

الضوء اللامع ٢ : ٣٦ – ٤٠ (رقم ١٠٤) ؛ درّة الحجال ١ : ٦٤ – ٧٢ ؛ البدر الطالع ١ : ٨٧ – ٩٢ ؛ نظم العقيان ٤٥ – ٥٣ ؛ حسن المحاضرة ١ : ١٧١ – ١٧٢ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٢٧٠ – ٢٧٣ ؛ بروكلمان ٢ : ٨٠ – ٨٤ ، الملحق ٢ : ٧٢ – ٧٦ ؛ زيدان ٣ : ١٧٩ – ١٨٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٧٦ – ٧٧٩ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ١٧٣ – ١٧٤ .

شهاب الدين بن عربشاه

١ – هو شِهابُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الله بنِ ابراهيمَ ابنِ نصرِ بنِ محمّدِ بنِ عَرَبْشاهَ، ويُعْرَفُ أيضاً باسم «العَجَميّ» وباسم «الروميّ» لأنّه سكن مُدّةً طويلةً في بلادِ الروم (آسيةَ الصُغرى) . وقد كان مَوْلدُه في دِمَشْقَ في ٢٥ من ذي الحجّة سنة ٧٩٠ (٢ (٢٧ – ١٢ – ١٣٨٨ م)، وفي دِمَشْقَ بدأ قراءةَ القرآن على الزينِ بنِ عُمَرَ اللبّانِ .

لمّا استَوْلى تَيْمورلَنْكُ على دِمَشْقَ (٨٠٣ هـ = ١٤٠٠ م) انتقل ابنُ عربشاه وأهلُه – في مَنْ نَقَلَهُم تيمورلنكُ من أهلِ الشام – الى بلادِ ما وراء النهر واستقرّ في سَمَرْقَنْدَ وأخَذَ فيها العِلْمَ عن السيّدِ محمّدِ بنِ السيدِ الشريفِ

(١) لابن حجر العسقلاني بضعة عشر كتاباً أخرى مطبوعة ولكنها تتعلق بالفقه الخالص .

الجُرْجاني (ت ٨٣٨ هـ) وعَنْ شمسِ الدين أبي الخيرِ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ الجَزَرِيّ (ت ٨٣٣ هـ)، وكانا نازلَيْنِ في سمرقند.

ومن سمرقندَ انتقلَ ابنُ عربشاه الى خوارِزْمَ ثمّ الى دَشْت. وفي أثناءِ هذهِ المدّةِ التي مرّتْ - منذ نُزولهِ في سمرقند - تعلم التركيةَ والفارسيةَ والمُغوليةَ.

وفي سَنَةِ ٨١٤ هـ (١٤١١ م) انتقلَ ابنُ عربشاه الى البلاد العُثمانية (آسية الصغرى)، في أيّام السُلطانِ مُحمّد الأوّل (٨٠٥ - ٨٢٤ هـ) فمَكَثَ فيها عَشْرَ سَنَواتٍ كان في خِلالِها كاتباً في ديوانِ الإنشاء يكتُبُ باللُغات العربيــة والتركية والفارسيّة والمُغولية. وفي هذه الأثناء نَقَلَ للسُلطانِ محمّدٍ الاول عَدَداً من الكتب الى اللغة التركية. وبعدَ موتِ محمّدٍ الاول انتقلَ ابنُ عربشاه الى حَلَبَ (٨٢٥ هـ = ١٤٢٢ م) فمَكَثَ فيها ثلاثَ سَنَواتٍ ثمّ انتقل الى دِمَشْقَ. وفي دمشق قرأ صحيح مُسْلِمٍ على القاضي شِهابِ الدينِ الحَنْبلي، في سَنَةَ ٨٣٠ هـ.

وفي سنة ٨٣٢ هـ (١٤٢٩ م) ذَهَبَ الى الحجّ. ثم انتقل الى القاهرة (٨٤٠ هـ). وفي أيام السلطان الظاهر سيفِ الدين جَقْمَق (٨٤٢ - ٨٥٧ هـ) جرت على ابن عربشاه مِحْنة، فقد حَبَسَه السلطانُ الظاهر في سجن الجرائم، في الثامن من جُمادى الثانية، سنة ٨٥٤؛ ثمّ أفْرَجَ عنه بعدَ أُسْبوعينِ. ولكنّ ابنَ عربشاه تُوُفّيَ وَشيكاً بعدَ ذلك، في الخامسِ من رَجَبَ من سَنَةِ ٨٥٤ هـ (١٣ - ٨ - ١٤٥٠ م).

٢ - كان شِهابُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ مُحَمّدِ بنِ عَرَبْشاهَ أديباً واسِعَ الاطّلاعِ على عَدَدٍ مِنْ فُنونِ المعرفة من القُرآن والحَديث والفِقْه والتاريخ واللُغات (المغولية والتركية والفارسية) والبلاغة والأدبِ، حَسَنَ القَصَص والتَحْديث. وكانَ يقولُ الشِعْرَ. ولابن عربشاه مصنّفاتٌ هي أساسُ شُهْرَته. من هذه المُصَنّفات: العقدُ الفريد (في التوحيد) - تَرْجُمان المترجم (بكسر الجيم؟) بمنتهى الأرب في لُغات التُرك والعَجْم والعَرَب - جَلْوة الأمداح الجَمالية في حلّتَي العَروض العربية (أرجوزة في النحو: في الحروف) - مرآة الادب في علم المعاني والبيان والبديع (سَلَكَ فيه أسلوباً بديعاً: جعله قصائدَ غَزَليةً، كلٌّ بابٍ منه قصيدةٌ مفردةٌ على قافيةٍ مُستقلّة، مَعَ مقدمة في النحو) - عجائبُ المقدور في نوائبِ تَيْمور - التأليفُ الطاهر في شِيَمِ الملكِ الظاهر القائم بنُصْرة الحقّ أبي سعيدٍ جَقْمَق - فاكهة الخُلفاء ومُفاكهة الظُرفاء - مَرْزُبان نامه (كتاب قِصَص

على ألْسِنَةِ الحيوانِ ألّفه مرزبانُ بنُ رُسْتَمَ بنِ شَروينَ أمير طَبَرِسْتانَ في اللهجة الإيرانية التي كانت مُحْكيّة في قُطْره ، في أواخر القرن الرابع للهجرة ، ثمّ نقله سَعْدُ الدين الوراويني إلى الفارسية الدارجة ، في الرُبْعِ الأوّل من القرن السابع الهجري . وجاء ابن عربشاه هذا فنقله الى اللغة العربية) ــ تيمور نامه ــ منشآت (رسائل !) .

أمّا كتابه فاكهة الخلفاء فهو شَبيهٌ بكتاب مَرْزبان نامه . يتألّفُ كتابُ فاكهةُ الخلفاء من مقدّمةٍ وعَشْرةِ أبواب : في ذِكْرِ مَلِكِ العرب الذي كان لوضع هذا الكتاب السَبَبَ ــ في وَصايا ملكِ العجم المتميّز على أقرانه بالفضل والحكم ــ في حكم ملك الاتراك مع خَتَنِه الزاهد شيخ النُسّاك ــ في مباحث عالم الإنسان مع العِفْريت جانّ الجانّ ــ في نوادر ملك السباع ونَديمِه أميرِ الثعالب وملك الضِباع ــ في نوادر التيس المَشْرِقي والكَلْب الافرقيّ الخ .... وفي الكتاب قِصَصٌ مختلفة يَتَخَلّلُها حِكَمٌ وأشعارٌ الى جانب أوجهٍ من التعليل والمَغْزى الأخلاقي ؛ وبَعْضُ القِصَصِ عاديٌّ من حيثُ المادّةُ ومن حيثُ فنُّ السَرْد . وأسلوبُ ابنِ المقفّعِ في كتابِ كليلةَ ودِمْنةَ غالبٌ على أسلوب كتابِ فاكهة الخلفاء في مطالع الأبواب وفي التخلّص من قِصّةٍ إلى قِصّة ، وفي الانتقال من باب الى باب أيضاً . غير أنّه يخالف كتابَ كليلةَ ودمنة ، إذ أنّ جُمَلَهُ مسجوعةٌ وأوجهُ البلاغة فيه كثيرةٌ الى حدِّ التكلّفِ في كثيرٍ من الاحيان . وابن عربشاه يَميل في هذا الكتابِ ميلاً ظاهراً الى أسلوب المقامة حتّى أنّه جَعَلَ لِكتابه هذا راويةً سَمّاه أبا المحاسن .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من مقدّمة فاكهة الخلفاء :

..... أما بَعْدُ فانّ اللهَ المُقَدّسَ في ذاته المُنَزَّهَ عن سمات النَقْص في صِفاته قد أوْدَع في كلّ ذَرّةٍ من مخلوقاته من بديع صُنْعه ولَطيف آياته (١) ومن الحِكمِ والعِبَرِ ما لا يُدْرِكُه البَصَرُ ولا تَكاد تَهْتدي اليه الفِكَرُ ولا يَصِلُ اليه فَهْمُ ذوي النَظَر ؛ ولكنّ بَعْضَ ذلك للبصر بالرَصَد(٢) ظاهرٌ يُدْرِكه كل أحدٍ ، كما قيل (شعر) :

فَفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ تَدُلُّ على أنّه واحدُ .

---

(١) اللطيف : الخفي (الذي لا يظهر الا بالتأمل) . الآيات : الدلائل والعلامات (المعجزات) .

(٢) الرصد (بسكون الصاد أو بفتحها) : الترقب ، التأمل .

لكن لمّا كَثَرُتْ هذه الآياتُ والحِكَمُ ، وانتشرتْ أزهارُ رِياضها في وِهادِ العُقول والأكَمِ [1] وتَرادَفَ ما فيها من العجائبِ والعِبَرِ وتَكَرَّر وُرودُ مَراسيمها على رعايا السمعِ والبصر وعادَتْها النفوسُ ولم يَكْتَرِثْ لوُقوعها القلبُ الشَموس [2] ..... فكَثُرَ في ذلك أقوالُ الحُكماءِ وتَكَرَّرتْ مَقالات العلماءِ فلَمْ (تُصْغِ) الاسماعْ إلَيْها ولا عَوَّلت [3] الأفكارُ عليها . فقَصَدَ طائفة من الأذكياء وجَماعةٌ من حُكماء العُلماء مِمَّنْ يَعْلَمُ طُرُقَ المسالك إبرازَ شيءٍ من ذلك على ألْسِنَةِ الوُحوش وسُكّانِ الجبالِ والعُروش [4] وما هو غيرُ مألوفِ الطِباعِ من البهائم والسِباعِ وأصنافِ الأطيار وحِيتان البحار وسائرِ الهوام [5] ؛ فيُسْنِدون إليها الكلامَ لتَميلَ لِسَماعهِ الأسماعُ وتَرْغَبَ في مطالعته الطِباع ، لأنّ الوُحوشَ والبهائم والهَوامَّ والسوائِمَ [6] غيرُ مُعْتادَةٍ لشيء من الحِكْمَةَ ولا يُسْنَدُ إليها أدَبٌ ولا فِطْنَة [7] ..... لأنّ طَبْعها الشِماسُ والأذى والافتراسُ والإفسادُ والنفورُ والعُدْوانُ والشرور والكسْر والتفريق والنَهْش والتمزيق . فإذا أُسْنِدَ إليها مكارمُ الأخلاقِ وأُخْبِرَ بأنّها تَعامَلَتْ فيما بَيْنَها بِمُوجِبِ العَقْلِ والوِفاقِ وسَلَكَت — وَهِيَ مجبولةٌ على الخِيانة — سُبُلَ الوفاء ، ولازمت — وَهِيَ مطبوعة على الكُدورة — طُرُقَ الصفاء ، أصْغت الآذانُ إلى استماعِ أخْبارِها ومالتِ الطِباعُ الى استِكْشاف آثارِها ، وتَلَقَّتْها القُلوبُ بالقَبول والصُدورُ بالانْشراحِ لِكَوْنِها أخْباراً مَنْسوجَةً على مِنْوال [8] غريبٍ ....

٤ — عجائب المقدور في نوائب تيمور ، كلكتا ١٢٣٣ ، ١٢٥٧ هـ ؛ لاهور ١٨٦٨ م ؛ بولاق ١٢٨٥ هـ ؛ القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٥ هـ .

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء (تحرير فرايتاخ) ، بونّ ١٨٣٢ م وما بعد !! ؛ ومطبعة الآباء الآباء الدومينيكيّين ١٨٦٩ م؛ بولاق ١٢٧٦ هـ، ١٢٩٠ (؟) ؛ القاهرة (مطبعة شرف)

---

(١) الوهدة : المكان المنخفض . الأكمة : التلة .

(٢) ترادف : توالي ، جاء بعضه وراء بعض . المراسيم : ما يرسمه (يفرضه) القانون . الشموس : النافر (الشموس في الاصل صفة للدابة التي لا تمكن أحداً من ركوبها) .

(٣) عول : اعتمد ، احتفل بالشيء ، التفت اليه واهتم به .

(٤) العروش جمع عرش : البيت ، الخيمة (!) .

(٥) السبع : الحيوان المفترس (من أكلة اللحوم، من الاسد نزولا الى النملة) . سائر : باقي . الهوام (بلا شدة على الميم) : جمع هامة : الحشرة (التي لا عظم فيها).

(٦) السوائم جمع سائمة : الحيوان الاليف الذي يرعى العشب .

(٧) الفطنة : الحذق (الذكاء المكتسب) .

١٣٠٠ – ١٣٠٣ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٧ ، ١٣١٠ ، ١٣١٥ – ١٣١٦ هـ .

مرزبان نامه ، القاهرة (طبع حجر – مطبعة أحمد الأزهري) ١٢٧٨ هـ .

التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحقّ سعيد جقمق (في JRSA 1907 في الصفحات ٣٩٥ وما بعدها) .

* * تيمور نامه أو أخبار تيمور .... (رسالة جامعية باللغة العربية ، تأليف هـ.س.جاريت) ، كلكتا ١٨٨٢ م .

الضوء اللامع ٢ : ١٢٦ – ١٣١ ؛ البدر الطالع ١ : ١٠٩ – ١١٣ ؛ نظم العقيان ٦٣ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٢٨٠ – ٢٨٣ ؛ بروكلمان ٢ : ٣٦ – ٣٧ ، الملحق ٢ : ٢٤ – ٢٥ ؛ زيدان ٣ : ١٦٨ – ١٦٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧١١ – ٧١٢ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢١٨.

النواجيّ

١ – هو شمسُ الدينِ محمّدُ بنُ حسنِ بنِ عُثمانَ النَواجيُّ – نِسبةً الى نواجَ ، بالقُرب من المحلّة ، في مديرية الغَرْبية ، من مِصْرَ – وُلِدَ في القاهرة سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) .

تلقّى النَواجيُّ الفقهَ على كمالِ الدين محمد بنِ مُوسى الدَميريّ (٧٤٥ – ٨٠٨ هـ) ، وكان الدميريُّ يُدرِّسُ في الأزهرِ ثمّ انّه تصدّر لتدريس الحديث في المدرسة الحُسينية والمدرسة الجَمالية الى أن توفّي . وحجّ النواجي مرّتينِ ، سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) وسنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩ م)؛ وكان يَعْقِد مجالسَ ذِكْرٍ (للصوفية) . وقد كان صديقاً لابن حِجّةَ الحَمَويّ .

وكانت وفاةُ النواجيّ في ٢٥ من جُمادى الأُولى ٨٥٩ هـ (١٤ – ٥ – ١٤٥٥ م) .

٢ – كان النواجيّ مُعْتَنِياً بالأدب عِنايةً بالغةً عارفاً بالنحو ، وهو أديبٌ شاعرٌ ناثرٌ مُصَنّف له كتبٌ كثيرة مُعْظَمها مجاميعُ من الشعر ومن النثر في الخمر والغزل خاصّة . فمن كتبه : حَلْبة الكُميت (وهو كتاب جمع فيه أشعاراً كثيرةً وشيئاً من الحكايات الطريفة تتعلّق كلُّها بالكُميت ، أي بالخمر ، وما يتّصل بها : اسمِها وأصلِها ومنافعِها وخواصِّها ورأي الحكماء فيها والنُدمان ومجالسِ الشراب وآدابه والأزهارِ والجنائن والمطر والتوبة من شُربها ، الخ . وقد فرَغَ النواجيُّ من تأليف هذا الكتاب في ٣٠ شوّالٍ من ٨٢٤ هـ = ٢٧/١٠/١٤٢١ م) . ومن

كُتُبهِ أيضاً : مراتع الغزلان في الحِسان من الجواري والغِلمان ــ خلع العِذار في وصف العِذار(١) (مجموع أشعارٍ في الغزل) ــ صحائف الحسنات (في وصف الخال) ــ كتاب الصَبوح (مجموع من الأشعار والقصص تدور على شرب الخمر صباحاً ، وتَرْجِــعُ الى العصر العبّاسيّ) ــ التذكرة (في الأدب) ــ نُزهة الألباب في أخبار ذوي الألباب (قِصص عن الأجواد والبخلاء من الأذكياء والفصحاء والأغبياء) ــ تُحفة الأديب ــ تأهيل الغريب (مجموعُ أشعارٍ ، لشعراء مختلفين في الجاهلية وصدر الاسلام ، مرتّبةٍ على حروف الرويّ ، أي عــلى القوافي) ــ عقودُ الــلآلِ في الموشّحاتِ والأزجــال ــ مقدّمة في صناعة النظم والنثر ــ الشافية في بديع الاكتفاء(في البلاغة) ــ روضة المجالسة وغَيْضة المجانسة (في الجِناس) ــ الحجّة (المحجّة) في سَرِقات ابن حِجّة ــ رسالة في حُكم حرف المضارعة ــ ديوان شعر ــ بديعيّات (في مدح الرسول) .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من مقدّمة « حلبة الكميت »(٢) (للنواجي) :

الحمدُ لله الذي أدارَ كُؤوسَ الأدب على أهل الذوق فمالوا طرباً بقَهْوة الإنشا(٣) ، وأَطْلع نُجومَ حَبابِها في سناء البلاغة فاسْتَغْنَوْا بأنوارها الزاهرة عن صُبْح الاعشى(٤) .... وبعد فقد سألني من أمرُهَ مُطاعٌ ومخالفته لا تُستطاعُ أن أجمعَ له من مقاطيعِ الشُرْبِ نُبْذة رفيعةَ البَزِّ رقيقةَ الحاشية(٥) وأقتطفَ له من حدائقِ الآداب زَهْرةً قُطوفُها دانية(٦) لِيُنَزِّهَ طَرْفَهُ في « جنّاتٍ من

(١) العذار (بكسر العين مطلقاً) : اللجام والشعر النابت على جانبي الوجه . خلع العذار : ترك الحياء . (وترد العذار » في هذا الكتاب حيناً بالفتح ، فلتصحح بالكسر) .

(٢) في هذه القطعة استعارات كثيرة متداخلة وسأقتصر على تفسير الألفاظ والاشارة العارضة الى عدد من تلك الاستعارات .

(٣) القهوة : الخمر . الانشاء : الاسلوب ، تركيب الكلام .

(٤) الحباب : ما يطفو على وجه الكأس من الفقاقيع (والشعراء يشبهونها بالنجوم) . الاعشى : الذي يسوء بصره في الليل ، فاذا جاء الصبح عادت اليه صحة بصره . و « صبح الاعشى في كتابة الانشا » كتاب للقلقشندي (انظر ، فوق ، ص ٨٣٢) .

(٥) البز : النسيج من حرير . الحاشية : طرف الثوب . رقيق الحاشية : لطيف ، ناعم ، دقيق النسج (كناية عن الجودة والطرافة) .

(٦) القطوف : الاثمار الناضجة التي آن وقت قطافها . دانية القطوب : سهلة القطع من أغصانها .

نخيلٍ وأعناب » ، ويُمتّــعَ ذَوْقَه « بفاكهةٍ كثيرةٍ وشَراب » .... فجمعتُ له في هذه الاوراق ما رقّ وراق ، وأبرزتُ في وصف الكُميتِ شعرَ من تَفَحّلَ وأمسى وَهُوَ الى الغايات سبّاق[1] ، ..... فأكْرِمْ به من مجموعٍ غازلَتْهُ عيونُ المحاسنِ من وراء الستائر ، فكيفَ لا يَنْشَرِحُ صدرُ مُتَأَمِّلِه وكأسُ حضرتِه في كلّ وقتٍ دائر ؛ تَنَفّستِ الصَهْباء في لَهَواته نَظْماً ونَثْراً .... ونَظمتُ به شملَ كلّ غريبٍ ليكونَ هذا المجموعُ مُفْرَداً ، وسَلَلْتُ سيفَ الابتكار من غِمده ونَصَلْتُهُ من كلّ ذِهْنٍ كَليلٍ لئلاّ يَظْهَرَ على مَتْنه صَدأ ، وسَمّيته حَلْبة الكُمَيت وحَسَمْتُ مادّة الأسفِ بجمعهِ بحيث لا أقولُ لَيْتَ[2] ..... ورأيتُ فحولَ الشعراء قد تَفَرّسوا في السبق الى كلّ حلبة ، وكان عَيْشُهُمْ بالكميتِ أخضرَ وما منهم إلاّ من أدارَ على شَرب الأدب شَرْبة[3] ، فقدّمت مَنْ أجادَ مِنْهُمُ النظمَ في عقودِ حَبابها وداوى عِلَلَ الأفهام بما أحْكَمَهُ في أصول شَرابها .....

— وللنواجيّ مقطّعات كثيرة مبنيّة على التوريات ، منها : (يصح الوزن والمعنى بقراءة : الصبا أو الصباح) :

بعدَ صِباحِ الوجوهِ عيشي مضى ، فيا رعــى اللهُ زمانَ الصِبا ــ حْ[4] !
وبِتُّ أرعــى النجمَ ، لكنّنــي أهفو إذا هبّ نسيمُ الصَبا ــ ح[5] .

(١) رق وراق : لطف وصفا . الكميت : الخمر . تفحل : (في القاموس) : تشبه بالفحل ، وتفحل الشجر (لم يكن له ثمر) . والمقصود هنا « أصبح فحلا ، فاق أشباهه ».

(٢) نصلته : جعلت فيه نصلا وأزلت النصل منه (معنيان متضادان) ؛ المقصود : أخليت كتابي هذا من كل ذهن كليل (من كل بيت من الشعر الضعيف) . وحسمت ... الخ : قطعت الامور التي تحمل على الاسف والندم (في جمع مادة هذا الكتاب بأن اخترت فيه الاشعار الجياد فقط) كيلا أقول غدا : ليتني تركت هذا البيت الذي اخترته أو ليتني اخترت ذلك البيت الذي كنت قد تركته.

(٣) تفرسوا (حذقوا في ركوب الخيل : أجادوا قول الشعر) في كل حلبة (المضمار الذي تركض فيه الخيول) ، أي في كل موضوع . العيش الاخضر : الرغد الناعم ، السعيد. أدار على شرب (بفتح الشين) الادب (الذين يطالعون الادب) . شربة (بفتح الشين) : مقداراً (من الخمر أو الماء : من الادب الجيد) .

(٤) الصباح (بكسر الصاد) جمع صبيح : جميل الوجه . الصبا (بكسر الصاد) : الشباب .

(٥) بت (قضيت الليل) أرعى النجم (ساهراً ، حزيناً) . أهفو : أطرب ، اشتاق . الصبا (بفتح الصاد) : ريح تهب من الشرق .

٤ ــ حلبة الكميت ، بولاق ١٢٧٦ ، ١٢٩٩ هـ ؛ بيروت ١٨٧٣ م ؛ مصر (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ مصر (المكتبة العلاّمية ! ــ العمومية ؟) ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) .

تحفة الأديب (مسلولة من « زهر الربيع في المثل البديع ») ، مطبوعة في مجموعة « التحفة البهيّة » (رقم ٨) ، استانبول ١٣٠٢ هـ .

* الضوء اللامع ٧ : ٣٢١ ــ ٢٣٢ (رقم ٥٧١) ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٧٤ ــ ٢٧٥ ؛ نظم العقيان ١٤٤ ــ ١٤٨ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٢٩٥ ــ ٢٩٦ ؛ البدر الطالع ٢ : ١٥٦ ــ ١٥٧ ؛ زيدان ٣ : ١٤٨ ــ ١٤٩ ؛ بروكلمان ٢ : ٦٩ ــ ٧٠ ، الملحق ٢ : ٥٦ ــ ٥٧ ؛ الاعلام للزركلي ٦ : ٣٢٠ .

ابراهيم الباعوني

١ ــ هو برهانُ الدينِ أبو اسحقَ ابراهيمُ بنُ احمدَ بنِ ناصرِ بنِ خليفةَ بنِ فَرَجٍ الباعونيُّ الدمشقيّ ، نِسبةً الى باعونَ ــ قريةٍ في حورانَ ــ وُلِدَ في صَفَدَ في ٢٧ رَمَضَانَ ٧٧٧ هـ (٢٠/ ٢/ ١٣٧٦ م) ونشأ فيها . ودَرَسَ ابراهيمُ الباعونيُّ على أبيه وحَفِظَ القرآنَ تجويداً على حَسَنِ بنِ حَسَنٍ الفرعني إمامِ جامعِ صَفَدَ . وفي نحوِ سَنَةَ ٧٩٠ هـ انتقلَ معَ أبيه إلى دِمَشْقَ ودرس فيها الفِقْهَ على الشَرَفِ الغزّي والنُور الأنباري وغيرِهما . ثمّ انّه انتقل الى مِصْرَ ، سَنَةَ ٨٠٤ هـ (١٤٠٢ م) ، فأخذ عن السِراج البُلْقينيّ والكَمال الدَميري والعِراقي والهَيْثمي وغيرِهم . بعدَئذٍ عادَ الى بلده (صفد ؟) . ثمّ عاد الى دِمَشْقَ وتولّى الحُكم (القضاء) والخَطابة في الجامع الأُمويّ نِيابةً عن أبيه . ولمّا طُلِبَ منه أن يتولّى القضاءَ أصالةً أبى .

وكانت وفاةُ ابراهيمَ الباعونيِّ في دِمَشْقَ في ٢٤ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٨٧٠ هـ (١٢/ ١٢/ ١٤٦٥ م) .

٢ ــ كان ابراهيمُ الباعونيُّ شيخَ الأدبِ في عصرِه أديباً مُكثِراً من النظم والنثر ، وقدمَهرَ في عَدَدٍ من فنونِ الأدب . وشِعْرُه سَهْلٌ رائقٌ . وهو بارعُ الصناعةِ وخصوصاً في نثرِه فله رسائلُ عاطلةٌ (تتألّف من الأحرف التي لا نُقَطَ لها : أ ، د ، ر ، س ، الخ) « من عجائبِ الوضعِ في السلاسةِ والانسجام » . ثمّ هو مؤلّف له : مختصرُ الصِحاح (للجوهري) ــ العُباب (نظم فقه الشافعيّ) ــ ديوان شعر ــ ديوان خُطَبٍ ورسائلَ ــ الغَيْثُ الهاتن في العِذار الفاتن (أتى

فيه بمقاطيعَ فائقةٍ ، نحو مائةٍ وخمسينَ مقطوعاً ، أوْدَعَ كلاً منها معنىً غريباً غيرَ الآخرِ مَعَ كَثْرةِ ما قال الناسُ في ذلك) .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال ابراهيمُ الباعونيُّ يتغزّلُ بساعٍ (حامل أخبارٍ ورسائلَ) مليحٍ جميلٍ :

بالروحِ أفْدي ساعِياً جمالُه سَبى الورى .
لا بُدّ لي من وَصْلِه ولو جرَى مَهْما جرى* !

ــ وقال أبياتاً في الافتخار بعِزّةِ نفسه منها :

ألم تَرَ أنّي قد خُلِقْتُ كما تـرى بأخلاقِ أحرارِ الورى التخلّقُ(١) .
وإنّيَ صَبّارٌ شَكورٌ وحامِدٌ ، وانّي إذا أمْلَقْتُ لا أتَمَلّقُ(٢) .
وإنْ عرَضْتَ لي حاجةٌ من حوائجي فإنّي بغيـرِ اللهِ لا أتعَلّـقُ .

ــ وقال في المسألةِ من الله دونَ المسألة من الناس :

سَلِ اللهَ ربَّـكَ ما عِنْـدَهُ ولا تسألِ الناسَ ما عندَهُـمْ .
ولا تَبْتَـغِ من سِواه الغِنـى : وكُنْ عبـدَهُ لا تكُنْ عبدهـم .

ــ وقال في الصديقِ الذي تَفْتُرُ صداقتُه :

إذا استغنى الصديقُ وصا ر ذا وصلٍ وذا قَطْعٍ(٣) ،
ولم يُبْدِ احتفالاً بـي ولم يَحْرِصْ على نفعي(٤) ،
فأنأى عنـه أسْتَغْني بجاهِ الصبرِ والقَنْعِ(٥) ؛
وأحْسَبُ أنّه ما مـرّ في الدنيا على سمعي !

ــ وقال في الرجل الكريم لا تُقْبِلُ عليه الدنيا فلا يَستطيعُ أن ينفعَ الناسَ :

أشدُّ الناسِ في الدنيا عَنـاءً كَريمٌ مجـدُهُ مجدٌ أثيـلُ(٦) ؛

(*) جرى : سار ، ركض . وجرى : حدث (من المشاكل و المصائب) .
(١) الورى : الناس. (٢) أملقت : افتقرت . أتملق : أتودد (الى غيري وأداهنه) .
(٣) ذو وصل (محبة ، زيارة) مرة وذو قطع (جفاء ، هجران) مرة أخرى .
(٤) لم يبد احتفالا بي : لم يظهر اهتماماً بي .
(٥) أنأى (ابتعد) واستغني عنه بجاه (بغنى) الصبر والقناعة اللذين أملكهما .
(٦) العناء : التعب . الأثيل . القديم الثابت .

يُحِبُّ مكارم الأخـلاقِ مِثلي ، وليس له الى الدنيـا سبيل[1]!

٤ – * * المنهل الصافي ١ : ٢٦ – ٢٧ ؛ الضوء اللامع ١ : ٢٦ – ٢٩ ؛ البدر الطالع ١ : ٨ – ١٠ ؛ نظم العقيان ١٣ – ١٥ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٣٠٩ – ٣١٠ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٣ ؛ راجع بروكلمان ، الملحق ٢ : ١٢ (ترجمة أبيه ؟) . دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١١٠٩ (رقم ٣) .

الشُمُنّي

هو تقيّ الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن عليّ بن يحيى ابن محمّد بن خلف‌الله بن خليفة التميمي الداري القسنطيني[2] الاصل يعرف بالشمنيّ (بضم الشين والميم وتشديد النون) ، نسبة الى بعض بلاد المغرب .

ولد الشمنيّ في العشر الأخير من شهر رمضان من سنة ٨٠١ ﻫ (أيار – مايو ١٣٩٩ م) في الاسكندرية . وفي سنة ٨١٠ ﻫ انتقلَ به أهلُه الى القاهرة فنشأ فيها . وكان الشُمُنّيّ أستاذاً للسيوطيّ فبالغَ السيوطيُّ في عَدِّ أساتذة الشمنيّ وذَكَرَ منهم شمَسَ الدين محمّدَ بنَ عليّ الزراتني (ت ٨٢٥ ﻫ) ووليَّ الدين أحمدَ بن أبي الفضل العراقي (ت ٨٢٦ ﻫ) وعلاءَ الدين عليَّ بنَ محمّد البُخاري (ت ٨٤١ ﻫ) وسِراجَ الدين صالحَ بنَ عُمَرَ البُلقيني (ت ٨٦٨ ﻫ) حتّى ذَكَرَ كمال الدين الدَميري (ت ٨٠٨ ﻫ) والحافظ الهَيْثمي عليَّ بنَ أبي بكرٍ (ت ٨٠٧ ﻫ) وزينَ الدين العراقيَّ عبدَ الرحيم بنَ الحسن (ت ٨٠٦ ﻫ) بينما كانتْ وِلادةُ الشمنيّ سَنَةَ ٨١٠ ﻫ !

وتصدّر الشمنيّ للتدريس فأقام مدة في المدرسة الجمالية ثمّ تولّى المشيخة والخطابة بتربة قايتباي الجركسيّ بقرب الجبل (المقطّم !) ومشيخة مدرسة اللالا . وقد درّس فنوناً كثيرة منها : التفسير والحديث والفقه والعربية (النحو) والبلاغة وغيرها . وكانت وفاة الشمنيّ في القاهرة في سابع عشر ذي الحِجّة ٨٧٢ ﻫ (٧/٧/ ١٤٦٨ م) .

كان الشمنيّ بارعاً في عدد من فنون العلم ؛ وقد اشتهر وراج أمر وتقاطر اليه الطلاّب

(١) ليس له الى الدنيا (مال الدنيا ، الغنى) سبيل : (لم يحصل على ثروة) .
(٢) قسنطينة (قسطنطينة) بلد في القطر الجزائري .

من أنحاء كثيرة . وقد كان الشمنيّ يدرّس الأصول ولا يهتمّ بالحواشي (بتعليقات العلماء على الكتب المختلفة) . غير أنّ الشمنيّ لم يترك من الكتب ما يدلّ على مكانته من الاحاطة بفنون العلم ؛ فمن تصانيفه : مزيل الخفاء على ألفاظ الشفاء — كمال الدرايه في شرح النقاية (؟) — شرح ألفية ابن مالك — حاشية على مغني اللبيب لابن هشام .

٤ — المنصف من الكلام على مغني ابن هشام ، مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٥ هـ .
مزيل الخفاء على ألفاظ الشفاء (راجع الأعلام للزركلي ١ : ٢١٩) .

—— الضوء اللامع ٢ : ١٧٤ — ١٧٨ ؛ بغية الوعاة ١٦٣ — ١٦٧ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٢٤ — ٢٢٧ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٣١٣ — ٣١٤ ؛ البدر الطالع ١ : ١١٩ — ١٢١ ؛ بروكلمان ٢ : ٩٩ ، الملحق ٢ : ٩٢ — ٩٣ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢١٩ .

ابن تَغْري بَرْدي

١ — هو أبو المحاسن جَمالُ الدينِ يوسفُ بنِ عبدِ الله تَغْري بَرْدي الظاهريُّ الجُوَيني ، كان أبوه مملوكاً روميّاً (من بلادِ الرومِ : آسيةَ الصُغرى) ، أي تُرْكيّاً ، جَعَلَه مَوْلاه السُلطانُ الملكُ الظاهرُ بَرْقوقٌ (٧٨٤ — ٨٠١ هـ) والياً على حَلَبَ ودِمَشْقَ (٨٠٧ — ٨٠٩ هـ) ؛ وكانتْ وفاتُه سنة ٨١٥ هـ في دِمَشْق .

وُلِدَ جَمالُ الدين يوسفُ ابنُ تَغْري بَرْدي في القاهرة ، في شَوّالٍ من سنة ٨١٣ هـ (شِباطَ — فبراير ١٤١١ م) ونشأ لطيماً (يَتيمَ الابوين) .

درسَ ابنُ تغري بردي على المقريزي واشتغل بالفِقْهِ على بدرِ الدين محمودِ ابنِ أحمدَ العَيْنيّ (ت٨٥٥هـ) ، وقرأ شَرْح ألفية (ابنِ مالكٍ) لابنِ عقيلٍ على أحمدَ بنِ محمّدِ الشُمُنّي (ت ٨٧٢ هـ) ولازمَه ، كما درسَ فروعاً من علومٍ مختلفة كالمنطق والفلك والطبّ . وقضى ابن تغري بردي مُعْظَمَ حياته مُتّصِلاً ببَلاّطِ المماليك . وقد حجَّ سَنَةَ ٨٦٣هـ (١٤٥٩ م) . وكانتْ وفاتُه في القاهرة في خامسِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٨٧٤هـ (٨/ ٥/ ١٤٧٠ م) .

٢ — ابن تَغْري بَرْدي من كِبارِ المؤرّخين في عَصْرِ المماليك له عددٌ من الكتب في التاريخ أو في التراجم خاصّةً . أشهرُ هذه الكتب : النجوم الزاهرة في ملوك

مصر والقاهرة ، وهو تاريخٌ لمصرَ مُنذ الفتح الاسلاميّ الى سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٤ م) مرتّبٌ على السِنينَ وفي آخر كلّ سَنَةٍ ذِكْرٌ للذين تُوُفُّوا فيها مَعَ اهتمام بتسجيلِ زيادات النيلِ ونُقْصانه ومَعَ الاشارة أحياناً الى أحوال تجْري في البلاد المُجاورة لمصر ــ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي « جعله مُعْجَماً لمشاهيرِ الرجال منذ سنة ٦٥٠ هـ الى أواخرِ أيامه هو لِيكونَ ذَيْلاً وتَتِمّةً لكتاب الوافي بالوَفَيات للصفَدي ــ مَوْرِدُ اللطافة في من وَلِيَ السلطنةَ والخلافة ــ حوادثُ الدهور في مَدى الأيام والشهور (ذيلٌ لكتاب « السلوك » للمقريزي) ــ البحرُ الزاخر في علم الأوائل والأواخر (في التاريخ) ــ حِلْيةُ الصِفات في الاسماء والصناعات (في الأدب) .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ من مقدّمة « النجوم الزاهرة » :

.... ونشكُرُهُ (تعالى) على أنّ أخّرنا عن كلّ الأُمم [١] ــ وهذا لَعَمْري من أعظَمِ الإحسان وأسبَغ [٢] النعَم ــ لِنُعايِنَ مِمّن تقدّمَ آثارَهم ونُشاهِدَ منازِلَهم ودِيارَهم ونسمعَ كَما [٣] وقعَتْ وجَرَتْ أخبارُهم .....

ولم أقُلْ كمقالةِ الغَيْرِ إنّي مُسْتَدْعىً إلى ذلك من أميرٍ أو سلطانٍ ، ولا مُطَّلَبٌ [٤] به من الأصدقاء والإخوان . بل ألّفْتُه لِنفسي .... لِيكونَ لي في الوِحْدَةِ جليساً وبين الجُلساء مُسامراً وأنيساً . ولا أُنَزِّهُه من خَلَلٍ وإنْ حَوى أحسنَ الخِلال ، ولا من زَلَلٍ وان طاب مَوْرِدُه الزُلال [٥] ....

أمّا بعدُ ، فلمّا كان لِمصْرَ مَيْزةٌ على كلِّ بلدٍ بخِدمة الحَرَمَيْنِ الشريفين [٦] ، أحْبَبْتُ أن أجعَلَ تاريخاً لِمُلوكِها مُسْتَوْعِباً من غيرِ مَيْنٍ [٧] . فحمَلني

(١) أخرنا في الزمن ، أتى بنا بعدهم وملكنا أملاكهم .

(٢) أسبغ : أضفى ، أوسع . (٣) لعلها : كيف .

(٤) مستدعى : مدعو (قد دعاني أحد الى وضع هذا الكتاب) . مطلب : مطالب .

(٥) أنزهه : أبرئه من العيب (لا أدعي أنه لا خطأ فيه) . الخلل : النقص . الخلال جمع خلة (بفتح الخاء) : الخصلة (بفتح الخاء) ، العادة ، الصفة . الزلل جمع زلة : العثرة ، الخطأ . المورد : مكان الماء . الزلال : العذب ، الحلو .

(٦) الحرمان الشريفان : مكة والمدينة (كان الخليفة أو الملك الكبير في الاسلام من واجباته الدفاع عن مكة والمدينة ، ولذلك كان يقال له « حامي الحرمين الشريفين ») .

(٧) مستوعب : جامع لكل شيء (لأكثر الأشياء) . المين : الكذب .

ذلك على تأليف هذا الكتابِ وإنشائه ، وقُمْتُ بتصنيفه وأعبائه . واستَفْتَحْتُه بفتح مِصْر ... وأجمعُ في ذلك أقوال مَن اختلف من المؤرّخين وأهل الأخبار[١] ... ليَجْمَعَ الواقفُ عليه بين صحّة النقل والدراية[٢] .... ثم أذكُرُ من وَلِيَها من يوم فُتِحَتْ وما يقع في دولته من العَجَب .... ولا أقتصرُ على ذلك ، بل أستَطْرِدُ إلى ذِكْرِ ما بُنِيَ فيها من المباني الزاهرة كالميادين والجوامع ومِقياس النيل[٣] وعِمارةِ القاهرة .... على أنّي أذكُرُ مَنْ تُوُفّيَ من الأعيان في دولة كلِّ خليفةٍ وسلطان بالاقتصار[٤] ، بعدَ فَراغِ تَرْجمة المقصودِ من الملوك مَعَ ذِكْرِ بعضِ الحوادثِ في مُدّة ولايةِ المذكور في أيّما قُطْرٍ من الأقطار ؛ وأبدَأُ فيه — بعدَ التعريف بأحوالِ مِصْرَ — بولاية عَمْرِو بنِ العاصِ[٥] في المملكة الإسلامية ، ثمّ مَلِكٍ بعدَ ملك كلٌّ واحدٍ على حِدَته وما وَقَعَ في أيامه الى الدولة الأشرفية الإينالية[٦] ، وسَمَّيْتُه « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ...

٤ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (تحرير يونبول وماتّس — جزءان فقط ، الى سنة ٣٦٥ هـ ، ليدن ١٨٥٥ — ١٨٦١م ؛ (تحرير وليم بوبّر — منشورات جامعة كاليفورنيا[٧]) ،بركلي وليدن ١٩٠٩ — ١٩٢٩ م ؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩ م وما بعد .

مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة (تحرير كارليل) ، كمبردج (أرشديكون) ١٧٩٢م ؛ نزهة الابصار في مناقب الأئمة الاربعة الأخيار (مسلولة من مورد اللطافة) مع تتمة الى سنة ٩٨٢هـ ،مطبوع في « مجموعة » بولاق ١٢٩٤هـ ؛ مطبوع في « التحفة البهيّة » استانبول ١٣٠٢ هـ .

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (الجزء الأول = : تحقيق أحمد يوسف نجاتي) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

---

(١) « من اختلف من » لا حاجة اليها .

(٢) النقل : الرواية عن السابقين . الدراية : المعرفة والتثبت .

(٣) مقياس النيل : جدار منصوب مدرج بخطوط لمعرفة مقدار ارتفاع مياه النيل في أيام الفيضان .

(٤) العين : الرجل الوجيه المشهور في قومه . الاقتصار : التعرض لجوانب معدودة من الاشياء (ترك التوسع في الأمور) .

(٥) عمرو بن العاص : أحد قواد العرب العظام وفاتح مصر وواليها في أيام عمر بن الخطاب وفي أيام معاوية بن أبي سفيان .

(٦) الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين اينال من ملوك دولة الجراكسة (المماليك البحرية) ، تولى الملك سنة ٨٥٧ هـ وتوفي سنة ٨٦٥ هـ .

(٧) راجع تفصيل طبع الأجزاء في بروكلمان ، الملحق ٢ : ٣٩ ؛ ومعجم المطبوعات العربية لسركيس ٥٢ — ٥٣ :

منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور : وهو يشتمل على الاخبار والتراجم التي أدخلها المؤلّف في تاريخه المسمّى «النجوم الزاهرة» (تحرير وليم بوبّر) ، بركلي (مطبعة جامعة كاليفورنيا) ١٩٣٠ - ١٩٤٢ م .

* الضوء اللامع ١٠ : ٣٠٥ - ٣٠٨ (رقم ١١٧٨) البدر الطالع ٢ : ٣٥١ - ٣٥٢ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٣١٧ - ٣١٨ ؛ بروكلمان ٢ : ٥١ - ٥٢ ، الملحق ٢ : ٣٩ - ٤٠ ؛ زيدان ٣ : ١٩٤ - ١٩٦ ؛ الاعلام للزركلي ٩ : ٢٩٥ - ٢٩٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٣٨ .

الشهاب الحجازيّ

١ - هو أبو الطيّبِ (أو أبو العبّاس) شِهابُ الدين أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عليِّ بنِ الحَسَنِ (وقيل: الحسين) بن ابراهيمَ الحجازيُّ الاصلِ الأنصاريّ الخَزْرَجيّ السَعْدِيّ العُباديّ[1] القاهري البُلْقِينِي القابِسي ، وُلِدَ في ٢٧ شَعْبانَ من سنة ٧٩٠ هـ (٣١/ ٨/ ١٣٨٨ م) .

سَمِـعَ الشهاب الحجازيّ من ابن حَجَرٍ العَسْقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ) وقيل سَمِـعَ أيضاً من الكَمال الدَميري (ت ٨٠٨ هـ) شَيْئاً من شَرْحه على سُنَنِ ابنِ ماجَةَ (في الحديث) ومن نَفَرٍ آخرينَ منهم المَجْد الحَنَفي والبُرْهان الأنْباسيّ والبدرُ النسّابة وابنُ أبي المجدِ ؛ ولازَم جَماعةً منهم العزّ بن جَماعةَ والوَليُّ زينُ الدين العِراقي والشمس البَرْماوي والبساطي ، وقد أجازه العراقيّ والهيثمي[2] . غير أن الشِهابَ الحجازي انْصَرَفَ الى الأدب .

ويبدو أن الشهابَ الحجازيَّ لم يُعْقِبْ ذُكوراً فقد أوْرَدَ له صاحبُ الضوءِ اللامعِ (راجع شَذَرات الذهب ٧ : ٣١٩ ، في الحاشية) :

قالوا : إذا لَمْ يُخَلِّفْ مَيِّتٌ ذَكَراً ... يُنْسى ؛ فقُلْتُ لهم في بعضِ أشْعاري :
بَعْدَ المَماتِ أُصَيْحابي سَتَذْكُرُني ... بما أُخَلِّفُ من أوْلادِ أفْكـاري !

وكانتْ وفاةُ الشهاب الحِجازي في الثامن (وقيل في السابع) من رَمَضانَ من سنة ٨٧٥ هـ (١٢/ ٣/ ١٤٧١ م) ، وقيل سنة ٨٧٤ هـ .

---

(١) نسبة الى الأنصار (أهل المدينة الذين نصروا الرسول لما هاجر اليهم) من قبيلة الخزرج أبناء عم الاوس ، من نسل سعد بن عبادة (بضم العين) .

(٢) وقد أجاز له (رواية ما تعلمه) العراقي والحيثمي (ولعل الحاء خطأ مطبعي) (حسن المحاضرة ٢ : ٢٧٥) .

٢ ـ كان الشهاب الحجازيّ أديباً بارعاً في فنون كثيرة من فنون المعرفة، ولكنّه تَوَفَّرَ على الأدب فكان له نَثْرٌ وشعرٌ يَغْلِبُ عليهما التَكَلُّفُ وطَلَبُ التَوْرِيَةِ ـ وقد كانت له توريات بعيدةٌ أحياناً ـ. وأكثرُ شِعرِهِ الغزلُ، وله رثاءٌ. وكان في غَزَلِهِ شيءٌ من المُجون. وقصائدُه الطِوال ضعيفةٌ، ممّا نرى من مَرْثِيَتِهِ الطويلة التي أوْرَدَها السُيوطي في «حسن المحاضرة» (١ : ١٧١ ـ ١٧٢). ويبدو أن نَثْرَهُ جيّدٌ متينٌ. وقد كانتْ له رسائلُ إخوانيةٌ الى جانب مَقْدِرَةٍ له في التصنيف.

والشِهابُ الحِجازيّ مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ مطيلٌ، له: اللمعة الشهابية من البروق[١] الحجازية (وهو ديوان شعره) ـ روض الآداب (مختارات من القصائد المطوّلات ومن الموشّحات والأزجال والمقاطيع والنثريات والحكايات، وقد جعلها أبواباً ورَتّبَ كلَّ بابٍ على الحروف الأبجدية باعتبار القافية، وقد فَرَغَ من تأليف هذا الكتابِ في ١٧ من المُحَرَّم ٨٣٦ = ١/١/١٤٢٣ م) ـ كُنّاس الحَواري[٢] في الحِسان من الجواري ـ جنّة الوُلْدان في الحسان من الغلمان ـ كتاب العَروض ـ قلائدُ النحور من جواهر البحور ـ نُزْهة الألباب وروضة (أو رياض) الآداب (وهو غير الكتاب السابق) ـ نديمُ الكاعب وحبيب الحابب (!) ـ مفاخرة بين السماء والارض ـ التذكرة، نحو سبعين جزءاً (نظم العقيان ٦٤) ـ القواعد والمقامات من شرح المقامات[٣] ـ أسنى الوسائل في ما حَسُنَ من المسائل ـ نَيْل الرائد في النِيل الزائد (وهو جداولُ لزيادات النيل بحسب الازمان).

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال الشهاب الحجازيّ في مليحةٍ تَلْبَسُ ثوباً خَمْرِيَّ اللَّوْنِ :

في ثَوْبِها الخَمْرِيّ قد أقْبَلَتْ ... بِوَجْنَةٍ حمراءَ كالخَمْرِ ؛
فَمِلْتُ سُكْراً حينَ أبْصَرْتُها ، ... لا تُنْكِروا سُكْري من الخَمْري !

---

(١) في زيدان «البروج» (٣ : ١٣٧). ولعل «البروق» أصوب.

(٢) في زيدان (٣ : ١٣٧) الكناس الحوارى ... الكناس (بكسر الكاف) : بيت الظبي. الحوارى ؟ الحواريات : نساء الامصار (المدن الكبيرة).

(٣) في عنوان هذا الكتاب خلافات يسيرة.

وقال في فَتاةٍ اسمها جنَّةُ رآها تبْكي :

نُزْهَةُ عيْني جنّةٌ أرْسلَتْ مَدامعاً من مُقْلةٍ هامِيَهْ[1] .
قد قُلْتُ لمّا أنْ بكَتْ واغْتَدَتْ كزَهْرَةٍ في رَوْضَةٍ زاهِيَهْ :
جارِيَـةٌ أعْيُنُهـا جنّـةٌ ، وجنّـةٌ أعيُنُهـا جارِيَهْ[2] !

— وقال في مَليحةٍ قرعاءَ :

فتاةٌ ما لهـا في الرأسِ شَعْرٌ ، ولكنْ في لَواحِظِهـا فُتورُ[3] .
ويا عَجَبـاً لِكَوْني في هَواهـا أموتُ أسىً ، وليسَ لها شُعورُ[4] .

— وقال في الحريق الذي وَقَعَ في بولاق (مصر) سنة ٨٦٢ ﻫ :

لَهفي على مِصْرَ وسُكّانِها ، والدَّمْعُ من عَيْني علَيْها طَليقْ[5] .
ما شاهدوا الحَشْرَ وأهْوالَه ، ما بالُهم ذاقوا عَذابَ الحَريقْ[6] !

— خرَجَ للشهاب الحجازيِّ دُمّلٌ فكتب إلى الشريف صلاحِ الدينِ الأسْيوطيِّ يَصِفُ له حالَه في مرَضِه هذا :

..... إنّه حدَثَ لي نازلةٌ ، وهِيَ طُلوعُ دُمّلٍ كادَ أنْ يُنْزِلني التُّرابَ ويُفرِّقُ بيْني وبين الأحْبابِ والأتْرابِ[7] . ولي عَشْرُ لَيالٍ لا أكْتَحِلُ

---

(١) همى المطر والدمع : سال بكثرة ، انهمر . المقلة : العين .

(٢) جارية (فتاة) أعينها (عيناها) جنة (نعيم للذي ينظر اليها) . وجنة (الفتاة التي تدعى جنة) أعينها (عيناها) جارية (تسيل بالدمع) — ويمكن تفسير الشطر الثاني على الوجه التالي : جنة (جنينة) أعينها (ينابيعها) جارية (تتدفق بالماء) فيكون في البيت تورية في الجمع بين بكاء الفتاة جنة وبين أنهار « الروضة الزاهية » .

(٣) الفتور في العين : الذبول من غير مرض .

(٤) الاسى : الحزن . في « الشعور » تورية : الشعور اسم هو جمع « الشعر » الذي يكون في الرأس ؛ والشعور « مصدر » (الاحساس) .

(٥) الدمع من عيني طليق : حر (يجري بكثرة وبلا مانع) .

(٦) الحشر : اجتماع الناس يوم القيامة ليذهبوا الى جنة أو الى نار . ما شاهدوا الحشر وأهواله : ما وصلوا بعد الى يوم القيامة — أو ما عملوا عملا يستحقون عليه أهوال الحشر . « ذاقوا عذاب الحريق » تضمين من قوله تعالى : « ذوقوا عذاب الحريق » في سورة آل عمران (٣ : ١٨١) وفي غيرها من السور .

(٧) كاد ينزلني التراب : يؤدي بي الى القبر (الى الموت) . ويفرق بيني وبين الاتراب (جمع الترب — بكسر التاء) : الذين هم في سن واحدة : يجعلني أموت قبل أوان موتي .

بالمَنام ، ولا أطْعَمُ الطعامَ ؛ فها أنا في هذا الشَّهْرِ الشريفِ صائمُ اللّيْلِ والنّهارِ ، وطائرُ قَلْبي قَدْ غَشِيَتْهُ نارُ هذا الدمّلِ فكأنّه السَّمَنْدَلُ(١) ؛ وكَيْفَ لا ! وهُوَ في النار .

لَقَدْ طالَ لَيْلٌ ساءني فيهِ دُمَّلٌ   فأسْهَرَ أجْفاني ولَمْ أسْتَطِعْ صَبرًا .
كأنّي بِعِلْمِ الوقتِ مُغْرًى ، فها أنا   أُراعي نُجومَ اللّيْلِ أرْتَقِبُ الفَجْرا(٢)

فيا له مِنْ دُمَّلٍ خلتُهُ من حَرارته جَمْرة ، وشَبّهْته بفارسٍ عادٍ(٣) بَغّضَ إليَّ الحياةَ فكَرَّ في مُهْجتي كَرّةً وكرّة(٤) . فلَمْ أجِدْ بُدًّا مِنَ اسْتِعْمالِ الصَّبْرِ مُذْ وُصِفَ لي ، فما أحلاهُ وما أمَرَّه.... حتّى أشْبَهْتُ القولَ الشاذَّ(٤) ، ومُنِعْتُ به أنْ آلَفَ الإخْوانَ وألْتَذَّ بِمَطْعَمٍ ومَشْرَبٍ . فمنَعَني في الحالَيْنِ مِنَ المَلاذِّ وهوّنَ عَلَيَّ المَوْتَ بهذه المَشَقّةِ الصَعْبَةِ ، ورَخُصَتْ مُهْجتي حتّى كادَتْ أن تُباعَ ــ كما يُقالُ ــ بحَبّةٍ(٥) . ويَئِسْتُ من العافِيَةِ فقُلْتُ على غَلَبَةِ الظنِّ لم يَبْقَ بَيْني وبينها مَجاز(٦) ، إذْ هُوَ في احْمرارهِ كالعَقيق ، ودَمْعي يَنْبَعُ من العُيونِ ، وبَيْني وبين النوم حِجاز(٧) ....

على أنّ صاحبَ الدُمَّلِ ضَعيفٌ(٨) لا يُزار . وكُلّما قَصَدَ اسْتِعارَةَ الصبرِ ــ وتَهَجّمَ عليه اللّيْلُ ــ رَجَعَ عن ذلك واسْتعار(٩) اسْتِعار . فتَراني كُلّما جَنَّ اللّيْلُ سَلْسَلْتُه بالدموع(١٠) . ونَحَلَ جِسْمي في هذه العَشْرِ

---

(١) السمندل : طائر يدخل النار فلا يحترق (يشبه قلبه بالسمندل والحرارة التي يولدها الدمل في الجسم بالنار)— إنه لا يزال حياً مع شدة الحرارة المتولدة في جسمه من الدمل لأن قلبه كالسمندل لا يحترق بالنار) .

(٢) مغرى بعلم الوقت : مكلف بالتوقيت للناس فلذلك يجب أن يظل ساهراً حتى يعرف مقادير الزمن التي تمر . أراعي : أراقب . ارتقب : أنتظر .

(٣) عاد : معتد ، هاجم . فكر (فهجم) في مهجتي (في قلبي) كرة (هجمة ، مرة) وكرة (لعل من الأصوب أن نقرأ : اذ كر علي مهجتي ألف كرة وكرة !) .

(٤) القول الشاذ (في قراءة القرآن ، في الفقه ، في النحو) يهجره العلماء ولا يأخذون به (لا يقبلونه) فيكون مهملا .

(٥) الحبة : مقدار من الوزن يساوي حبتين معتدلتي الحجم من شعير (راجع المعجم الوسيط ١ : ١٥١) ، ويكون الوزن من الفضة أو الذهب .

(٦) لم يبق بيني وبين العافية (الصحة ، السلامة) : مجاز (ممر)لم يبق لي اليها وصول .

(٧) حجاز : حاجز ، فاصل ، مانع .

(٨) ضعيف = مريض .

(٩) واستعار استعار — اقرأ : واستعر (بسكون السين وفتح التاء والعين والراء) : اشتعل (استعارا) .

(١٠) سلسلته بالدموع : سلسلت الألم بالدموع (حاولت أن أخفف الألم عني بالبكاء) ، سلسلت الليل بالدموع (قضيت الليل بالبكاء) .

لَيالِيَ لِعَدَمِ المَطْعَمِ والهُجوع[1] . والواقعُ أنّ البُكاء لا يُسْمِنُ ولا يُغْني مِنْ جوع [2] . فأُقْسِمُ بالفَجْرِ ولَيالِ عَشْرٍ ، لَقَدَ فَطَّرَ هذا الصيامُ قَلْبي وقَطَعَني عن المَخاديم ورُميتُ بالنَّوَى فطار لُبّي[3] . وأعْظَمَ[4] مَنْ لا يَعْرِفُ الألَمَ ولا يُفَرِّقُ بين البُرْءِ والسَقَم ، إذ لم يَرَني مع الساجدِ والراكعِ ، ولا جَمَعَ بيني وبَيْنَه في هذا الشَّهْر جامع [5] ، وقال لي : « مِثْلُكَ يُفَرِّطُ في هذه العَشْرِ[6] ، وقِراءةُ لَيْلَةَ القَدْرِ خيرٌ من ألْفِ شَهْرٍ[7] » ؟ فلَمّا رأيْتُه جاهِلَ دائي تَلَوْتُ لَه : سَلامٌ هِيَ حتّى مَطْلَعِ الفَجْرِ[8] !

٤ – ثلاث رسائل : جنّة الولدان في الحسان من الغلمان – الكُنُس الجواري في الحسان من الجواري – قلائد النحور في جواهر البحور ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ ه.

روض الآداب ، بومبيء ١٨٩٨ م (سركيس ، ص ١١٥١ ؛ بروكلمان نقلاً عن سركيس) .

* الضوء اللامع ٢ : ١٤٧ – ١٤٩ (رقم ٤١٦) ؛ نظم العقيان ٦٣ – ٧٧ ؛ حسن المحاضرة ١ : ١٧١ – ١٧٢ ، ٢٧٥ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٣١٩ ؛ بروكلمان ٢ : ٢١ ، الملحق ٢ : ١١ – ١٢ ؛ زيدان ٣ : ١٣٦ – ١٣٧ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٢٢٠ – ٢٢١ .

---

(١) الهجوع : الاغفاء ، النوم .

(٢) « لا يسمن ولا يغني من جوع » (٨٨ : ٧ ، سورة الغاشية) : لا يفيد ، ليس له قيمة .

(٣) واقسم بالفجر وليال عشر تضمين من قوله تعالى في مقام القسم أيضاً: « (والفجر وليال عشر » (٨٩ : ١ ، سورة الفجر) .

(٣) فطر : شقق ، قطع . الصيام (هنا) : الامتناع عن لقاء الاخوان . المخاديم جمع مخدوم : الذي تجب علينا خدمته واحترامه . – طار لبي (عقلي) : تحيرت ، جننت .

(٤) أعظم (استعظم ، استغرب) من لا يعرف الالم .... (هذا الانقطاع مني عن لقاء الاخوان) ، يبدو أن كلمة أو كلمات تنقص من هذه الجملة .

(٥) مع الساجد والراكع = من المصلين جماعة . ولا جمع بيني وبينه جامع (مسجد) : لم نصل معاً في المسجد .

(٦) ... (أرجل تقي) مثلك يفرط (يضيع الثواب) في هذه (في الاصل : هذا) العشر (في الليالي العشر الاخيرة من شهر رمضان) ؟ قراءة ليلة القدر = قراءة القرآن والعبادة في ليلة القدر (وهي ليلة تكون في الليالي العشر الأخيرة في رمضان ما دعا فيها أحد إلا أجيب الى ما دعاه) خير من (العبادة) في ألف شهر .

(٧) في القرآن الكريم (سورة القدر ، السورة ٩٧) : « ليلة القدر خير من ألف شهر ».

(٨) « سلام هي حتى مطلع الفجر » (آخر سورة القدر) . تلوت له : « سلام هي حتى مطلع الفجر » : عذرته ، سامحته .

البرهان البقاعيّ

١ – هو برهانُ الدين أبو الحسنِ ابراهيمُ بنُ عُمَرَ بنِ حسنِ بنِ الرُباط بنِ عليِّ بنِ أبي بكرٍ الحِرباويُّ البِقاعي ، اذ كان مولدُه في خِربةِ روحا في سهلِ البِقاعِ من أرضِ الشام سَنَةَ ٨٠٩ ﻫ (١٤٠٦ – ١٤٠٧ م) .

في سنة ٨٢١ ﻫ (١٤١٨ م) أوقعَ بنو مزاحمٍ ببني الحسنِ بن الرُباط – وقد جُرِحَ برهانُ الدين في هذه الواقعة – فهَجَرَ جماعةٌ من بني الحسن خِربةَ روحا واستقرّوا ، بعدَ تنقّلٍ يسيرٍ ، في دِمَشْقَ .

ولمّا جاء الشمسُ بن الجَزَريّ الى دِمَشْقَ (٨٢٧ ﻫ = ١٤٢٤ م) درسَ عليه البرهانُ البِقاعيّ القرآنَ والقراءاتِ . وكذلك أخذَ عن نفرٍ منهم تقيُّ الدين أبو بكرِ بنِ محمّدٍ الحُصْنيّ (ت ٨٢٩ ﻫ) والحافظُ ابنُ حَجَرٍ العَسقلانيّ . وقد كانت بينَه وبين السَخاويّ صاحبِ « الضوء اللامع » منافسةٌ ووَحْشَة .

وحجّ البرهانُ البِقاعي وكَثُرَ تَنَقُّلُهُ في البلادِ ثمّ عادَ الى الاستقرار في دِمَشْقَ فكانتْ وفاتُه فيها ، في ١٨ من رَجَبَ سَنَةِ ٨٨٥ ﻫ (٢٤/ ٩/ ١٤٨٠ م) .

٢ – كان البُرهانُ البِقاعيُّ بارعاً في عَدَدٍ من العلوم كالتفسير والحديثِ والأُصولِ والفِقه واللُغة والنحو . وكان يجمَعُ في تفسيرِ القرآنِ بين المنقولِ (الرواياتِ الدينية) وبينَ المعقولِ (استخراج المعاني بالعقل) وينقُلُ أحياناً من رِوايات التوراة والإنجيل ، فحَمَلَ عليه جماعةٌ من أجلِ ذلك . وكذلك كان شاعراً على شِعرهِ شيءٌ من البَراعة وشيءٌ من التقليد ، كما كان مُتَرَسِّلاً ومُصنِّفاً للكتب . فمن كُتُبهِ : الأقوالُ القويمة في الأخذ من الكتب القديمة – نَظْمُ الدُرَرِ في تناسُبِ الآيِ والسُوَرَ – المَقْصِد الأقصى لمطابقة اسم كلّ سورة للمُسمّى – الفتح القُدسي في آية الكُرسي – تنبيه الغبيّ الى تكفير ابن عربيّ – الناطقُ بالصواب الفارض بتكفير ابن الفارض – أسواق الأشواق في مصارع العشّاق (تقليد لكتاب مصارعِ العشّاق للسَرّاج القارىء) – بَذْلُ النُصْح والشفقة للتعريف بصُحْبة وَرَقَةَ (بن نَوْفلٍ) – مقدّمة ايساغوجي – علم الميزان – البهاء في علم الحساب والمساحة (أُرجوزة) – أخبار الجهاد في فتح البلاد – الاستشهاد بأبيات الجهاد – ما لا يُسْتَغْنى عنه من مُلَحِ اللسان – تَهْديم الاركان في « ليس في الامكانِ

أبدعَ ممّا كان[1] » ـ دَلالةُ البُرهان على أن في الإمكان أبدعَ ممّا كان .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ قال البرهان البقاعي يرثي نفسه :

نعَمْ ، إنّني عمّا قَريبٍ لَمَيِّتٌ ؛ ومَنْ ذا الذي يَبْقى على الحَدَثانِ[2] ؟
كأنّك بي أُنْعى عَلَيْكَ ، وعِندَها ترى خبَراً صُمّت له الأُذُنان[3] .
فلا حَسَدٌ يبقى لَدَيْكَ ولا قِليً فيُنْطَقَ في مَدْحي بأي معان[4] ؛
وتُنْظَرَ أوْصافي فتَعْلَمَ أنّها عَلَتْ عن مُدانٍ في أعزّ مكان .
ويُمْسي رجالٌ قد تَهَدّم رُكْنُهُمْ ومَدْمَعُهُمْ لي دائمُ الهَمَلان .
فكم من عزيزٍ بي يَذِلُّ جِماحُه فيَطْمَعَ فيه ذو شقاً وهَوان[5] .
فيا رُبَّ من يُفْجا بِهَوْلٍ يَؤودُه ؛ ولو كنتُ موجوداً لَدَيْه دَعاني[6] .
ويا رُبَّ شَخْصٍ قَد دَهَتْه مُصيبَةٌ لها القلبُ أمسى دائمَ الخَفَقان
فيَطْلُبَ من يَجْلو صَداها فلا يَرى ؛ ولو كُنْتُ جلّتها يَدي ولِساني[7] .
وكَمْ ظالمٍ نالَتْهُ منّي غَضاضَةٌ لِنُصْرَةِ مَظْلومٍ ضعيفِ جَنان[8] .
وكم خُطّةٍ سامَتْ ذَويها مَعَرَّةً أُعيدَتْ بضَرْبٍ من يَدي وطِعان[9] .

---

(١) « ليس في الامكان أبدع مما كان » قول للفقهاء المتفلسفين يذهب الى أن الله خلق هذا العالم على أحسن ما يمكن أن يكون . ولعل البقاعي يقصد أن الله قادر على أن يخلق عالماً أبدع من هذا العالم الذي خلقه لنا .

(٢) الميت (بتشديد الياء) : الذي سيموت . الميت (بسكون الياء) : الذي مات . الحدثان : الليل والنهار ، حوادث الدهر ونوائبه .

(٣) أنعى عليك(إليك) : يأتيك نعيي (خبر موتي) . خبر تصم له الأذنان : شديد الوقع على النفس ، مسيء .

(٤) القلى : البغض . بأي معان : بكل وجه من أوجه معاني (المدح) .

(٥) ـ كم من رجل هو الآن عزيز (قوي ، مكرم) في حياتي. سيذل اذا أنا مت غدا حتى يتجرأ في الاعتداء عليه من كان قبل عاجزاً أو شريراً .

(٦) يفجا = يفجأ ، يفاجأ : يأتيه أمر على غير انتظار . آده : اتعبه ، أثقله (كان ثقيلا عليه) .

(٧) الصدا = الصدأ : أثر الرطوبة في تحلل سطح الحديد وغيره (الهم والغم) . يجلو الصدأ : يمنع الصدأ أو يزيله (يزيل الهم ويزيح الغم) . ولو كنت (كان هنا تامة) : لو كنت على قيد الحياة .

(٨) ـ رب ظالم متكبر اعتدى على مظلوم ضعيف فانتصرت أنا للمظلوم الضعيف فعاد الذي ظلمه ذليلا .

(٩) ـ رب أمر مدبر أنزل بقوم معرة (عاراً ، أذى) فرددت أنا تلك المعرة عمن نزلت بهم بدفاعي عنهم : بضربي (بالسيف) وبطعني (بالرمح) .

فإن يَرْثِني مَنْ كُنْتُ أجْمَعُ شَمْلَهُ   بِتَشْتيتِ شَمْلي فالوَفاءُ رَثاني[1].

— وقال في وصف نهر النيل :

ولمّا رأيتُ البَدْرَ ألقى شُعاعَه   على نَيلِ مِصْرٍ والسَفينُ بنا تَجْري ،
تَخَيَّلْتُه نَهْراً يَسيرُ بسَيْرِنا   من الفِضّةِ البَيْضاءِ في لُجّةِ البحر[2].

٤ — لعب العرب بالميسر (في مجموعة « طرف عربية » جمعها عمر السويدي : لاندبرغ) ليدن ١٣٠٣ هـ ؛

سرّ الروح ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .

نظام الدرر في تناسب الآيات والسور ، حيدر أباد (دائرة المعارف العثمانية) ....

* * نظم العقيان ٢٤ — ٢٥ ؛ الضوء اللامع ١ : ١٠١ — ١١١ ؛ شذرات الذهب ٧ : ١٤٩ ، ٣٣٩ — ٣٤٠ ؛ البدر الطالع ١ : ١٩ — ٢٢ ؛ بروكلمان ٢ : ١٧٩ — ١٨٠ ، الملحق ٢ : ١٧٧ — ١٧٨ ؛ زيدان ٣ : ١٨٢ — ١٨٣ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٥٠ .

ابن الهائم الشاعر[3]

١ — هو شِهابُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ الهائمِ السُلَميُّ المنصوريُّ ، يَرْجِعُ نَسَبُهُ الى العبّاسِ بن مِرداسٍ السُلَمي ابنِ الخنساء الشاعرة المشهورة ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ — ١٣٩٧ م) في المنصورة (مصر) ولذلك عُرِفَ بالمنصوري .

في سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) جاء ابنُ الهائمِ الى القاهرةِ ودَرَسَ على القاضي شَرَفِ الدين عيسى الأقفهسي .

ثم قرأ الألفية على شمس الدين الجُندي وأخذ النحو عن شمس الدين القرشي شيخ المدرسة الشيخونية . وسَمِعَ أيضاً من الزركشي[4] . بعدئذٍ أصبحت له وَظيفةٌ في المَدْرسة الشَيْخونية.

---

(١) اذا رثاني غدا شخص كنتُ في حياتي أجمع شمله بتشتيت شملي (أنفعه بجلب الضرر على نفسي) : فيكون الوفاء (الخلق الكريم) قد حمله على أن يفعل ذلك .

(٢) — تخيلت القمر في السماء سفينة من فضة تسير في بحر من الزرقة أو السواد (في السماء) وكأنه يرافقنا في السير

(٣) هو غير شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد بن علي المصري المقدسي الفرضي الحاسب (٧٥٣ — ٨١٥ هـ) راجع شذرات الذهب ٧ : ١٠٩ ؛ البدر الطالع ١ : ١١٧ — ١١٨ .

(٤) لعله زين الدين أبو ذر عبد الرحمن بن محمد الزركشي المصري (٧٥٠ — ٨٤٥هـ) استقر للتدريس في المدرسة الأشرفية المستجدة في القاهرة سنة ٨٣٣ هـ سمع منه الحديث وروى عنه خلق كثيرون (شذرات الذهب ٧ : ٢٥٦).

وكانت وفاةُ ابنِ الهائمِ المنصوريّ في القاهرةِ ، في جُمادى الثانية من سنة ٨٨٧ هـ (صيف ١٤٨٢ م) .

٢ ــ كان شهابُ الدين بنُ الهائم المنصوريُّ شاعراً مُقْتَدِراً متينَ السَبْكِ مُتَصَرِّفاً في فُنونِ القَوْلِ مُتَفَنِّناً يُطيلُ القصائدَ ويأتي بالمُقَطّعاتِ فيجيدُ فيها كُلِّها ، وإنْ كان في القِصارِ أبرعَ . وشِعْرُه بديعيّاتٌ وحِكَمٌ وأَوْصافٌ وغَزَلٌ ؛ وقد يأتي بالإحماضِ أحياناً . ويبدو أن أحْسَنَ شِعْرِه القولُ في الأغراضِ العارضةِ في الحياةِ العامّةِ .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال شهاب الدين بن الهائم المنصوري من بديعيّة (في مدح رسول الله) :

أذْكَتْ بروقُ الحِمى من مُهْجتي لَهَبا … فأنشأتْ مُقْلتي من جَفْنها سُحُبا[1] .
يا نازلينَ بقلبي ، طابَ مَنْزِلُكم ؛ … ويا عُرَيْبَ الحِمى، حُيِّيتُمُ عَرَبا !
جُزْتُمْ على البانِ فاهْتَزّتْ مَعاطِفُه ، … وأرْخَتِ الدَّوْحُ من أغْصانِها عَذَبا[2]
عَجِبْتُ كيفَ سَكَنْتُمْ من مُحِبِّكُمُ … قَلْباً خَفوقاً من الأشواقِ مُضْطَرِبا !
وارَحْمتاهُ لعينٍ كُلّما هَجَعت … ألْفَتْ كَراها بكَفّ السُّهْدِ مُنْتَهَباً[3] .
في كلِّ يومٍ أُنادي رَسْمَ رَبْعِكُمُ ؛ … يا رَبْعَ لَيْلى، لَقَدْ هَيَّجْتَ لي طَرَبا[4] .
(ما للغريبِ) الذي شَطّ المَزارُ بِه … عنِ الأحِبَّةِ إلاّ سَيِّدُ الغُرَبا[5] :
كهفُ العُصاةُ مُغيثُ المُسْتَغيثِ به … محمّدٌ(*) المُصْطفى أعْلا الوَرَى نَسَبا[6] ؛

---

(١) أذكى : أوقد ، أشعل الحمى : المسكن (المقصود هنا : الحجاز) المهجة : دم القلب (القلب) . سحب جمع سحاب (المقصود : سحب تحمل ماء ، كناية عن كثرة البكاء)

(٢) جاز : مر . البان (شجر ، المقصود به هنا : شجر الحجاز) . المعطف : (بكسر الميم وفتح الطاء) : الرداء . اهتزت معاطفه (أي جسده) : طرب ، فرح . الدوح : جمع دوحة : الشجرة الكبيرة (يقصد أشجار البلاد كلها ، البلاد كلها !) . العذبة : طرف العمامة (بكسر العين) الذي يتدلى الى القفا وأعلى الظهر . أرخت الدوح عذباً : تاهت وافتخرت عجباً بنفسها (لأن ذكر رسول الله مر بها) .

(٣) هجع : أغفى ، نام . ألفى : وجد . الكرى : النوم . السهد : السهر ، ذهاب النوم. ــ كلما أردت أن أنام لم أجد نوماً (لأن ذكركم يشغلني (بفتح الغين) عن النوم .

(٤) رسم الربع : مكان الدار .

(٥) شط : بعد ، أصبح بعيداً . شط المزار به : سكن بعيداً عن وطنه الاصلي . سيد الغرباء : محمد رسول الله (لأنه هاجر من موطنه مكة الى المدينة) . (*) محمد (يجب تنوينها وكسرها) ولكن وزنها حينئذ يختل .

(٦) كهف العصاة : ملجأ المذنبين الذين لا يجدون شافعاً لهم عند الله سواه .

من أطْلع اللهُ من لألاءِ غُــرّتـهِ ... بَدْراً وأنْزلَ في أوْصافه كُتُبا[١] .
بهِ هَدى اللهُ أقواماً أعَــزَّ بِهِمْ ... دِيناً أذلَّ به الأوْثانَ والنُّصُبا[٢] .
يا سَيِّداً قد رَقى السَّبْعَ الطِباقَ إلى ... أن جاوزَ الرُّسْلَ والأمْلاكَ والحُجُبا[٣]
وشاهَدَ الحقَّ فاسْتَغْنى برُؤيَتِـــه ... عن كلِّ شيءٍ فنالَ السُؤلَ والأرَبا[٤]
أرْجو شَفاعتَكَ العُظْمى إذا زَفرَتْ ... لَظَى وصالَتْ على أصحابِها غَضَبا[٥] .
يا ربِّ ، عبدُكَ يَرْجو مِنْكَ مَغْفِرَةً ... فأعْطِه من رَحيبِ العَفْو ما طَلَبا .
يا ربِّ ، صَلِّ على الهــادي وعِتْرتِه ... وصَحْبه الأتقياءِ السادةِ النُجُبا[٦] ،
ما لاحَ وَجْهُ صباحٍ من لِثامِ دُجىً ... (ورَنّحتْ عَذَباتِ البانِ ريحُ صَبا)[٧]

ــ وله أبيات في أغراض متفرقة يَغْلِبُ عليها الحكمة :

إذا سَبَّ عِرْضي ناقصُ العَقْلِ جاهلٌ ؛ ... فليس له إلاّ السُكوتُ جـــوابُ.
ألَمْ تَرَ أن اللَّيْثَ ليس يَضيرُه ... ــ إذا نَبَحَتْ يوماً عليه ــ كلابُ[٨] .
* وصادحٍ في ذُرى الأوراق أرّقَني ... شَدْواً، وما كان جَفْني يَعْرِفَ الأرَقا[٩].
لو ذاقَ ما ذُقْتُ من جَوْرِ الغَرامِ لَما ... شَدا ، ولو كان يَدْري ما علا وَرَقا[١٠] .

(١) أنزل في أوصافه (صفاته الحميدة وفضله) كتباً : ذكر الله صفاته في الكتب المنزلة (التوراة والانجيل والقرآن) .

(٢) ديناً (يقصد : الاسلام) . الوثن : حجر على غير صورة معينة . النصب (بسكون الصاد أو بفتحها) : علم (بفتح ففتح : شيء بارز مرفوع) : يتخذه الوثنيون للعبادة . ــ أذل الله بالاسلام أهل الوثنية كلهم .

(٣) رقي في السبع الطباق (ارتقى ، ارتفع في السماوات السبع ، بالمعراج) وجاوز في ارتقائه المكان الذي فيه الرسل الا ولون والاملاك (الملائكة) ثم جاوز الحجبا : تخطى الاستار التي لا يجوز لأحد آخر أن يتخطاها ثم اقترب من عرش الله . (٤) الحق : الله . السؤل : السؤال ، المطلب . الارب : الحاجة ، الغاية .

(٥) لظى : جهنم . زفرت النار : أحدث اشتعالها صوتاً شديداً . صالت على أصحابها : سطت (ألسنة اللهيب في جهنم) وهجمت على أهل جهنم .

(٦) الهادي : محمد رسول الله . عترته : أهله . النجيب : الكريم النسب والكريم العمل .

(٧) لثام : قناع ، غطاء . دجى : اشتداد الظلام . ما لاح وجه صباح ... : ما طلع الصباح (كل يوم ، دائماً). رنحت (حركت) عذبات (انظر ص٨٧٥ الحاشية٢) صبا : ريح الشرق. الشطر الاخير للبوصيري.

(٨) يضيره : يضره .

(٩) صادح : مغن (طائر ، حمامة) . في ذرى الاوراق : في أعلى الأغصان. أرقني (منع النوم عن عيوني) . شدواً : بالغناء ، بغنائه .

(١٠) الجور : الظلم . شدا : غنى . لو كان يدري .... (بوجود الغرام!) ما علا ورقا : ما ارتفع فوق غصن (وغنى) . ما علا ورقا (ورقي – الواو حرف عطف) .

* لا أطلبُ الرزْقَ بِشِعْرٍ، ولَــوْ كُنْتُ على جَيِّدِهِ أقْــدِرُ.
كيفَ، وعِلْمــي أن لي سَيِّداً يَرْزُقُني من حيثُ لا أشْعُرُ[1].
* لا تَجنَحَنَّ لِعِلْمٍ لا ثَوابَ له، واجْنَحْ لِما فيه أجْرٌ غيرُ مَمْنونِ[2].
إنَّ العلومَ ثِمارٌ فاجْنِ أحْسَنَها، وأحْسَنُ العِلْمِ ما يَهْدي الى الدين.
– إنّي غَدَوْتُ غريبــاً لَمّا فَقَدتُ الأحِبَّهْ.
يا صِدْقَ من قال قِدْماً: فَقْدُ الأحِبَّةِ غُرْبهْ!
* خاطِبْ أخاكَ بما تَصْفو مَوَدَّتُه، وارْفِقْ بهِ لا يُنافي حَبَّهُ بُغْضُ[3].
فاللهِ قالَ لأعلى الخَلْقِ مَرْتَبَةً: «(لوكنتَ فَظّاً غليظَ القلبِ لانْفَضّوا[4]..)»
– وقال يصف شِهاباً ساقطاً:

وكوكبٍ من أُفْقِــه في إثْرِ عِفْريتٍ وثَبْ[1]
كأنّــهُ مُحــارِبٌ يَجُرُّ رُمْحاً من ذَهَبْ!

– وقال في الغزل والنسيب:

يا مليحاً ماسَ غُصْنــاً ورَنا سَيْفاً صَقيلا[2]،
لا تُقابِلْني بِحَدٍّ واصْفَحِ الصَّفْحَ الجميلا[7].

– وقال، وفي قوله شيء من الدُعابة والمُجون:

ولَيْلَةٍ بِتُّ بهــا، والكَرَى في مُقْلَتي أذْيالُهُ تُسْحَبُ[1]،

(١) أن لي سيداً: آلهاً، رباً.
(٢) جنح: مال، اتجه الى. أجر: ثواب. غير ممنون: لا يمن به صاحبه عليك (لا يفتخر عليك بأنه منحك هذا العلم).
(٣) لا ينافي حبه (مفعول به) بغض: كيلا يصرفه البغض لك عن الحب لك.
(٤) أعلى الخلق مرتبة (مكانة): محمد رسول الله. «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» (آية من سورة آل عمران، ٣: ١٥٩).
(٥) كوكب: شهاب، نيزك. عفريت: شيطان (إشارة الى أن الشهب التي تسقط من السماء تطرد الشياطين وتمنعهم من الاقتراب لاستراق السمع – من الاطلاع على أخبار الغيب).
(٦) ماس (تحرك، تمايل). غصناً (كالغصن) ورنا (تطلع، نظر) سيفاً صقيلا (ففعل نظره في نفوس محبيه ما يفعل السيف في الاجساد).
(٧) الحد: العقاب. الحد: حد السيف (كناية عن نظر المحبوب – راجع البيت السابق). الصفح (العفو) الجميل (الحسن، الكريم، الواسع).
(٨) يسحب الكرى (النعاس، النوم) أذياله في مقلتي (عيني): بدأ النوم يسيطر علي!

إذ جاءني إبْليسُها عارِضـاً   عليّ أنواعاً بِهـا يَخْلِبُ[1] ؛
فقال لي : هَلْ لَكَ في غـادةٍ   في وَجْنَتَيْها الصُبْحُ والكَوْكب ؟
فقلتُ : لا ! قال : ولا شـادنٍ   يَرْنو بِطَرْفٍ بالنُّهى يَلْعَب[2] ؟
فقلت : لا ! قال : ولا قَهْوةٍ   تَكْسوك كأسَ المُلك إذ تُشْرَبُ[3] ؟
فقلت : لا ! قال : ولا كَبْشَةٍ   خَضراءَ فالعَيْشُ بها طَيِّب[4] ؟
فقلت : لا ! قال : ولا مُطْرِبٍ   إذا شَدا عِنْدَ الصَّفا يُطْرِب ؟
فقلت : لا ! قال : فَنَمْ مُعْرِضاً   عنّي ، فأنتَ الحَجَرُ المُتْعِب[5] !

٤ ـــ الضوء اللامع ٢ : ١٥٠ ـ ١٥١ (رقم ٤٢٧) ؛ نظم العقيان ٧٧ ـ ٩٠ ؛ شذرات الذهب ٧ : ٣٤٦ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٧ ؛ زيدان ٣ : ١٣٨ ؛ بروكلمان ، الملحق ٢ : ١٢ ؛ الاعلام للزركلي ١ : ٥٠ .

علي بن ابي بكر السقّاف

١ ـ هو عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ عبدِ الرحمنِ السَقّاف بن محمّد مَوْلى الدُوَيْلَة ابنِ عليٍّ ، ونسبُهُ مُتّصلٌ بجعفرِ الصادِق ، وُلِدَ في مدينة تَريمَ (في حضرموت باليمن) سَنَةَ ٨١٨ هـ (١٤١٥ ـ ١٤١٦ م) . ثمّ توفّي والِدُه (٨٢١ هـ) فنشأ في رِعايةِ أخيه عبدِ الله العيدروس . وكانتْ وفاتُه في تَريمَ في الثاني عَشَرَ من المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٨٩٥ هـ (٦ ـ ١٢ ـ ١٤٨٩ م) .

٢ ـ كان عليُّ بنُ أبي بكرِ السقّاف جَمَّ المَواهبِ كثيرَ التحصيل للعلم بَرَعَ في فنونٍ كثيرةٍ منها الفِقْهُ والأصولُ والنحو والفلك ؛ ثمّ أصبحَ من الأئمّة المُجَدّدِين وزعيمَ نَهضةٍ فِكريةٍ . وهو شاعرٌ وُجدانيّ مُكْثِرٌ . وأكثرُ شِعرِه صوفيُّ المَنْحى في التأمّلِ باللهِ وفي مدح الرسول . وله نثرٌ أنيقٌ لفظيٌّ في الأكثر وأدنى رتبةً من شِعرِه . ومن مؤلّفاته : معارج الهداية ـ البرقة المُشيقة في إلباس

---

(١) خلب : خدع ، سلب العقل .
(٢) الشادن : الظبي الصغير (كناية عن غلام جميل) . يرنو (ينظر بفتور) بطرف (بعين) . النهى : العقل .
(٣) القهوة : الخمر . تكسوك كاس الملك (كذا) : تكسو لباس الملك !
(٤) كبشة خضراء : حشيشة الكيف .
(٥) الحجر المتعب : ....

الحرقة الانيقة ــ الدُرّ المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي ــ كتاب في علم الميقات ــ كتاب النكاح .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قالَ عليٌّ بنُ أبي بكرٍ السقّافِ في معنىً صوفيٍّ(١) :

خَليليَّ ، مُرّا بي على بانةِ اللِّــوَى — وحيثُ الخيامُ الحُمْرُ في شِعْبِ عامرِ ؛
وشُمّا شذا الأحبابِ إنْ هَبّتِ الصبا — وشُمّا بُروقاً في اللّيالي الدواجر(٢) .
قِفا بي على ماءِ العُذيبِ وجيرةٍ — بسَفْحِ لِوَى وادي الفَريط وحاجِرِ
ومِيلا الى نجدِ الغَرامِ ورامةٍ ؛ — لعلّ بها يُشْفَى غَليلُ ضَمائري !

ــ وقال في كتاب معارج الهداية : (وفيها معانٍ صوفيةٌ أيضاً) :

.... ولا تَحْصُلُ المعرفةُ الحقيقيةُ السامية إلاّ بتَزْكِيَةِ النفس عن ظُلْمةِ أخلاقها وتَخْلِيتَها عن أوصاف الرذائل وتَحْلِيتَها بنور الفضائل والارتقاءِ من حالٍ الى حالٍ حتّى يَسْتَوِيَ سُلطانُ الحقيقةِ على ممالك الخليقة وتُطْوى بايْدي الوُجودِ(٣) سُرادِقاتُ الوجود .

٤ ــ ★ ★ تاريخ الشعراء الحضرميّين ١ : ٧٨ ــ ٨٦ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٧٤ ؛ معجم المؤلفين لكحالة ٧ : ٤٦ .

---

(١) أسماء الاماكن العامة والخاصة (بانة اللوى ، شعب عامر ، ماء العذيب ، حاجر ، نجد ، الخ) إشارات صوفية الى العزة الالهية والمعاني الدينية الروحية ولا صلة لها بالاماكن التي تدل عليها هذه الاسماء الجغرافية .

(٢) الدواجر غير موجودة في القاموس ، والشاعر يقصد « الدواجي » جمع داجية (مظلمة) . والدجاجير (في القاموس) : الظلمات ، وربما جاز « دياجر » (قياسا علي : مصابيح ومصابح) .

(٣) لعلها : الموجود (الله ، بالاصطلاح الصوفي) . السرادق (هنا) المكان المسكون .

عصر المماليك

ثانياً [1] — دولة المماليك البرجيّة

٧٨٤ — ٩٢٣ هـ (١٣٨٢ — ١٥١٧ م)

كان مُعْظَمُ المماليكِ البُرجية من أصلٍ جركسيّ جَلَبَهُم أسيادُهم المماليكُ البحريةُ في زمنٍ متأخّر واتّخذوا منهم حَرَساً وجُنوداً . وبما أن هؤلاء كانوا يسكُنون في أبراجِ قلعة القاهرة فقد عُرفوا باسم « المماليك البُرجيّة » .

ضَعُفَ المماليكُ البحرية بعواملَ كثيرةٍ ثمّ جاء آخرُهم الصالحُ صلاح الدين حاجّي الثاني إلى العرش وعُمُرُهُ سِتُّ سَنَواتٍ فاستبدّ به أحدُ مماليك بَيْتِه — وهو مملوك بُرجي يدعى برقوقَ بنَ أنسٍ العثمانيّ اليلبغاويّ — وحكم عنه حيناً وعزَلَهُ حيناً آخرَ وحكم مكانه . ثمّ أعاده إلى الحكم ثمّ ألقاه في السجن ونادى بنفسه سُلطاناً وتسمّى « الملكَ الظاهرَ سيفَ الدين » فكان بذلك مؤسّسَ دولةِ المماليك البرجيّة .

لم يُولِ المماليكُ البرجيةُ قاعدةَ الوراثةِ في تَسَنُّمِ العرش اهتماماً كبيراً ، فانّ مُعْظَمَهُمْ كانوا قُوّاداً في الجيش يَصِلُ أحدهم الى الحُكم من طريق الكِفاح أوِ الاستبداد . وكان عددُ السلاطينِ البرجيّةِ البارزين الأقوياء أقلَّ من عددِ أمثالِهم من المماليك البحرية . فمن مشاهير المماليك البرجيّة وذوي الأثرِ السياسيّ والحضاريّ فيهم برقوقٌ (٧٨٤ — ٨٠١ هـ) وبَرْسَباي (٨٢٥ — ٨٤١ هـ) والأشرفُ سيفُ الدين قايِتْباي (٨٧٢ — ٩٠١ هـ) ثمّ قانْصُوه الغُوري (٩٠٦ — ٩٢٢ هـ) .

ويبدو أن الحياةَ الاجتماعيةَ والاقتصادية ، في أيامِ المماليك البُرجية ، كانت عظيمةَ السوء لما كان فيها من الفساد في الإدارة ومن الظلم في الرعيّة .

---

(١) راجع ، فوق ، ص ٦٠٢ .

لمّا تغلّبَ المماليكُ البحريةُ على الإفرنج الصليبيّين وأخرجوهم من بلادِ الشام (سورية وفلسطين) انتقلَ أولئك الافرنجُ الصليبيّون الى عددٍ من جزر البحر الأبيض المتوسّط مثلِ قُبْرُسَ ورودس ومالطةَ. وكذلك كان الأتراكُ العثمانيّون جيراناً للمماليك على الحدود الشمالية لسوريةَ، كما كان التتر أبناءُ تيمورلَنْك يحكُمون فارسَ والعِراقَ (على التخوم الشرقية لسورية)، ثمّ قامتِ الدولةُ الفارسية الصَفَويّة في فارسَ في مطلع القرن العاشر للهجرة (أواخرِ القرن الخامس عَشَرَ للميلاد).

وكانت صِلاتُ المماليكِ البرجية بجميعِ هؤلاء الجيرانِ صلةَ عَداءٍ. ففي أثناء الفترة الأولى من حكم فَرَجِ بنِ برقوقٍ (٨٠١ - ٨٠٨ هـ) وَصَلَتْ جَحافلُ تيمورلنك إلى شَماليّ سوريةَ، سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠١ م) - بعد أن كانت قد عاثَتْ فساداً وتدميراً وتقتيلاً في العِراق وفارس وما وراءهما - فاستولى تيمورلنك على حَلَبَ ثمّ انحدر الى حَماةَ وحِمْصَ وبَعْلَبَكّ فأخذها ثمّ سقط على دمشق. وأكْثَرَ تيمورُ من القتل في سوريَةَ حتّى أنّ رؤوسَ القتلى جُمِعَتْ قِباباً كثيرةً. وقد نَجَتْ دِمَشْقُ مِنَ التخريب والتقتيل لأنّ عبدَ الرحمنِ بنَ خلدون (ت ٨٠٨ هـ) - وهو العالمُ الاجتماعيّ المشهور - قد ألْقى بينَ يَدَيْ تيمور خُطْبةً هدّأتْ نِقمتَه على دِمَشْقَ، ولكنّ تيمور اختارَ طائفةً من علماء دِمَشْقَ وصُنّاعِها فحَمَلَهُمْ مَعَه الى عاصمتهِ سَمَرْقَنْدَ وأنشأ بهم في بلادِ التُركستان حضارةً إسلامية رائعة.

وفي نحو ٨٢٨ هـ (١٤٢٥ م) فَتَحَ بَرْسَباي جزيرةَ قُبْرُسَ واستولى على عاصمتها عِقاباً للقرصان الفِرِنْج الذين كانوا يُغيرون منها على سواحلِ البلادِ الإسلامية وأَسَرَ مَلِكَها جانوس وعاد به وبسائر الأسرى وبالغنائم الى مِصْرَ ثمّ قَبِلَ طَلَبَ الصُلْح في مقابلِ فِدية قدرُها مائتا ألفِ دينارٍ وجزيةٍ سَنَويّةٍ قدرُها عشرونَ ألفاً. وبَقِيَتْ هذه الجزيرةُ داخلةً في نُفوذِ المماليك البرجيّة طَوالَ حُكْمِهم.

وفي سنة ٩٢٢ هـ سار السلطان سليمٌ الأوّلُ العُثماني الى سوريةَ فاتحاً فتصدّى له قانصوه الغُوري ودارتِ المعركةُ بينَهما في مَرْجِ دابقٍ شَمالَ حَلَبَ، في الخامسِ والعِشرين من رَجَبَ (٢٦/٨/١٥١٦ م) فانهزم قانصوه وقُتِلَ واستولى العثمانيّون على سورية. ثمّ تابع السلطان سليمٌ مسيرَه الى مِصْرَ واستطاع

أن يفتح مِصْرَ ويبسُطَ حكمَهُ عليها في أواخرِ شهرِ ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٩٢٣ هـ (منتصف نَيْسان – ابريل ١٥١٧ م) ، فانقرضت بذلك دولةُ المماليك ودَخلَتْ مِصْرُ في الحُكم العثمانيّ .

صورة العصر

نستطيعُ أن نُجْمِلَ صورةَ العصرِ العامّةَ في عصرِ المماليك البُرجيةِ إذا قُلنا إنّها كانت تختلفُ مِنْ صورة العصرِ في عصرِ المماليك البحرية في الدَرَجة والمِقْدار فَقَطْ: كان الضعفُ السياسيُّ والفَوْضى في عصرِ المماليك البرجيةِ أكثرَ ، كما كانتِ خصائصُ الأدبِ أدنى دَرَكَةً .

اشتهر نَفَرٌ من المماليك البرجيّة منهم سيفُ الدين بَرقوقٌ (٨٧٤ – ٨٠١ هـ) مؤسّسُ دولتِهِمُ وسيفُ الدين بَرْسِباي (٨٣٥ – ٨٤١ هـ) وسيفُ الدين قايِتْباي (٨٧٢ – ٩٠١ هـ) والأشرف قانصوه الغُوري (٩٠٦ – ٩٢٢ هـ) آخرُ المماليك البرجيّة ، وهوالذي ذَهَبَتْ بمقتله دولةُ المماليك وقامت مكانَها في البلاد العَرَبية دولةُ بني عُثمان .

وبسقوطِ دولةِ المماليك انتهت الخلافةُ العبّاسية التي كان المماليكُ قد أقاموها مُتَّكَأً لهم في مِصْرَ (٦٥٩ – ٩٢٣ هـ) وانتقلَ مَنْصِبُ الخلافة ال آلِ عُثمان أيضــاً .

لمّا جاء المماليكُ البرجيّة الى الحكم كان تيمورُ لنك قد بدأ اجتياحَه في إيران ثمّ ظلّ يتَبَسَّطُ في الأرض شرقاً وغرباً وينشُرُ فيها القتلَ والخَراب حتّى تُوُفِّيَ سَنَةَ ٨٠٧ هـ في أيام ناصرِ الدين فَرَجِ بنِ بَرقوقٍ ثاني سَلاطينِ المماليك البُرْجية .

واستمرّتِ الزَلازلُ والطواعين والقَحْط والغلاءُ تتوالى كُلُّها على مِصْرَ والشام . ورُؤيَ عددٌ من المُذَنَّباتِ لا ريبَ في أن بَعْضَها كان مُذَنَّبَ هاليّ الذي يَظْهَرُ في سماءِ الأرض مرّةً كلَّ ستٍّ وسبعينَ سَنَةً .

وساءتِ الحياة الاقتصادية في مِصْرَ في دولة الجَراكسة (المماليك البرجيّة) فقد أصبحَ زِمام الاقتصادِ في يَدِ القِبْطِ حتّى قال الشاعر شِهابُ الدين بنُ ساعدِ الأعرجُ السَعْدي (ت ٧٨٥ هـ) في المغانم الاقتصادية المُقَسَّمة بينَ المماليك (البحريّة والبرجية) وبين القِبْط :

وكيفَ يرومُ الرزقَ في مِصْرَ عاقلٌ ومن دُونه الأتراكُ بالسيف والتُرْسِ
وقد جَمَعَتْهُ القِبْطُ من كلِّ وِجْهَةٍ لأنفُسِهِمْ بالرُبْعِ والثُمْنِ والخُمْسِ.
فَلِلتُّرْكِ والسُلطانِ ثُلْثُ خَراجِها ، وللقِبْطِ نِصْفٌ، والخلائقُ في السُدْسِ.

وكَثُرَتِ الاحتفالاتُ في هذا العصرِ كحَفْلةِ تَوْلِيَةِ السُلطانِ الجديدِ وحَفَلاتِ رَمَضانَ والعِيدينِ والموالدِ والسَمَرِ والغِناءِ وحَفَلاتِ الزَواجِ والخِتان ، كما كان يكثُرُ الناسُ في تَشييعِ الجنازات .

وفي أواسطِ القرنِ التاسعِ للهِجرة (الخامسِ عَشَرَ للميلاد) عُرِفَ شَرابُ القهوة (البُنّ) . جاء في شَذَرات الذهب (٨ : ٣٩ ، ٤٠) : « في سَنَةَ ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م) تُوُفِّي « أبو بكرِ بن عبدِ الله الشاذليُّ المعروفُ بالعَيْدروس مُبْتَكِرُ القهوةِ المُتَّخَذَةِ من البُنِ المجلوب من اليمن . وكان أصلَ اتّخاذه لها أنّه مرّ في سِياحته بشَجَرِ البُنّ فاقْتاتَ من ثَمَرِه حين رآه متروكاً مَعَ كَثْرته فوجد فيه تجفيفاً للدماغ واجتلاباً للسَهَر وتنشيطاً للعِبادة ، فاتّخذه قُوتاً وطعاماً وشَراباً وأرْشَدَ أتباعَه إلى ذلك . ثمّ انتشرتْ (قهوة البنّ) في اليمن ثمّ في بِلادِ الحِجاز ثمّ في الشام ومِصْرَ ثمّ في سائرِ البلاد . واختلفَ العُلماء في أوائلِ القرنِ العاشرِ في القهوة فقال نَفَرٌ منهم إنّ شربَها حَرامٌ وقال أكثرُ العُلماء إنها مُباحة .

وحَدَثَ في هذا العصرِ عددٌ من البِدَعِ منها زِيادةُ الصلاةِ والتسليمِ على النبيّ بعدَ الأذان ، فإنّ الأذانَ الشَرعيّ المَرْوِيّ عن رسولِ الله ينتهي بقولِ المُؤذّن : « ..... اللهُ أكبرُ ، أللهُ أكبرُ ، لا إلهَ إلاّ اللهُ » . وانتشرتْ كذلك الأخبارُ الواردةُ في الإسرائيليّات وكَثُرَ الفسادُ في حَلَقات الصوفية واحتفالاتِهم .

ووقع النِزاع بينَ أتباعِ المذاهبِ الإسلامية بين الحَنابلة والأشعرية (الشافعيّة خاصّةً) مِمّا كان مألوفاً مُنذ قرون . وكذلك كَثُرَتْ مكائدُ الاسماعيليةِ وكَلامُهم في المُغَيَّبات بما لا يجوزُ (إذ لا يعلَمُ الغيبَ إلا اللهُ) . وفي مطلعِ القرنِ العاشرِ أيضاً انتشرَ المذهبُ الشيعي (الإمامي) في فارسَ على يدِ إسماعيلَ الصَفَوِيّ شاهِ إيران (٨٠٧ — ٩٣٠ هـ) .

وتَعرَّضَ الإسلامُ السُنّيُّ خاصّةً لِهَجَمات كثيرةٍ في أيامِ المماليك البُرجيّة في كلِّ مكان : إنّ أوروبّةَ التي لاقتْ في الأندلس هَزيمةً مُنْكَرَةً على يدِ يوسفِ بنِ تاشِفينَ في مَعْركة الزلاّقة (٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م) نَقَلَتْ نشاطَها

العسكريّ، بعدَ عَشْرِ سَنَوات فقَطْ، إلى المَشْرِقِ وأثارتِ الحروبَ الصليبيّة مائتيْ عام كاملةً من سنَة ٤٩١ الى سنَة ٦٩٠ للهجرة (١٠٩٨ – ١٢٩١ م) ثمّ استطاعَ المماليكُ البحريةُ أن يُطهِّروا المشرقَ كلَّه من الجيوش الصليبية. هؤلاء الإفرنج الصليبيّون عادوا وَشيكاً الى الكَيْدِ للإسلام بطريقةٍ سلمية.

وفي ٧٣٠ هـ (١٣٢٩ م) – مُنْذُ أيامِ المماليك البحرية وبعدَ انتهاء الحُروب الصليبيّةِ بثمانيةٍ وثلاثين عاماً – بدأتْ حربٌ صليبيةٌ على الإمارات الاسلامية في شرقيّ إفريقية عامّةً وفي الحبَشة خاصّةً. ففي سنَةِ ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) «استُشْهِدَ سعدُ الدين أبو البركات محمّدُ بنُ أحمدَ مَلِكُ الحَبَشَة، وكان في حَياته كثيرَ الجِهاد للدفاع عن مُلكه، وكان شُجاعاً وقائداً بارعاً. فلمّا ماتَ جَمَعَ الحطّي[1] صاحبُ الحبشةِ جَمْعاً عظيماً وجهّز عليه أميراً يقال له باروا. فالتقى الجَمْعانِ فاستُشْهِدَ من المسلمين جَمْعٌ كثيرٌ منهم أربعُمائَةِ شيخٍ من الصُلحاء.... واستحَرّ القتلُ في المسلمين حتّى هَلَكَ أكثرُهم. وانهزم من بَقِيَ، ولجأ سَعْدُ الدين الى جزيرةِ زَيْلَعَ في وَسَط البحر فحَصَروه فيها الى أن وَصَلوا اليه... فطعنوه فمات.... واستَوْلى الكُفّار[2] على بلادِ المُسلمين وخرّبوا المَساجد وبنَوْا بَدَلَها الكنائسَ وأسَروا وسَبَوْا ونَهَبوا» (شذرات الذهب ٧ : ٤٧–٤٨).

ولجأ الإفرنجُ الأوروبيّون إلى إثارة حركةٍ للاستخفاف، على مِثالِ ما كانوا قد فعَلوا في الأندلُس[3]، – وكانوا يُسَمّونها حركةَ الاستشهاد – وذلك بأن يَنْهَضَ فردٌ أو جماعةٌ في الأماكن العامّة فيتعرّضون للإسلام عامّةً أو للرسولِ عليهِ السلامُ أوْ للقرآنِ الكريمِ فيحدُثُ شيءٌ من الهَرْج والفَوْضى والمُنازعاتِ والقلاقل.

في شَهْرِ شَعبانَ منْ سنَةِ ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) أسْلَمَ ميخائيلُ الأسلميُّ، وكانَ نَصرانياً من الإسكندرية، فأغْدَقَ عليه السلطانُ (سيفُ الدين بَرقوقٌ) نِعَماً كثيرةً ورَفَعَ مرتبتَهُ وجعله تاجرَه الخاصّ. ثمّ تبَيّنَ وشيكاً أنّه زنديقٌ وقامتْ عليه الحُجّةُ فضُربَتْ عُنُقُهُ في ثالثِ عشَرَ ربيعِ الآخرِ من سَنَةِ ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م)، كما جاء في شذرات الذهب (٧ : ٣٠٦–٣٠٧). وفي

(١) المقصود : أحد ملوك الحبشة.

(٢) يبدو أنه كان لا يزال في شرقي افريقية حتى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) جماعات كبيرة من الوثنيين الذين كانوا يجندون أيضاً لقتال المسلمين.

(٣) بدأت هذه الحركة في أيام عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ – ٢٣٨هـ = ٨٢٢ – ٨٥٢م) بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل أول أمراء الأندلس الأمويين.

شذرات الـذهب أيضاً (٧ : ٣٣٧) : في سنَـة ٧٩٥ هـ (١٣٩٢ – ١٣٩٣ م) « اجتمع بالقُدْس أربعةٌ من الرُهبان ودَعَوُا الفقهاءَ لِمُناظرتِهم . فلمّا اجتمعوا جَهَروا بالسُوء من القول وصَرّحوا بذمّ الإسلام . فثار الناسُ عليهم فأحْرقوهم » .

ويبدو أن الحروبَ الصَليبيّةَ ثمّ غارات الرومِ بعدَ ذلك قد أبادتْ كثيراً من سُكّان السواحلِ على شواطىء جبَلِ لُبنانَ، وخُصوصاً شَمالَ بيروتَ . لقد كانتْ بلدةُ جُونيةَ عامرةً وكانتْ مركزاً لِدراسةِ الحَديثِ حتّى قِيل إنّه كان فيها أربعُمائةِ عالمٍ يَعْقِدون حَلَقاتِ العِلم . وذكر ياقوت الحَمَويّ (معجم البلدان – ليدن ٢ : ١٦٠ – ١٦١) أنّ أبا الحَسَن مُحمّدَ بنَ أحمدَ بنِ عُمَرَ البَغْداديَّ البزّازَ نزيلَ جونية كان إمامَها وخَطيبَها . ثم غَبَرَ زمانٌ طويلٌ لم يكن فيها أحدٌ . قال المُعلِّمُ بطرسُ البُستانيُّ في « دائرة المعارف » (٦ : ٦٠٠) : « وليس في جونيةِ بيوتٌ للسُكنى ، بل إنّما هي مَحَلٌّ أشغالٍ يقوم بها قومٌ من سُكّان القرى المُجاورة لها » .

الحياة الثقافيّة

كثُرَتْ كُتُبُ الثقافةِ والعلمِ في هذا العصر ، فَمِنَ المؤلّفين المُوسوعيّينَ الذين وضعوا كُتُباً مبسوطةً (مفصّلةً كبيرةَ الحجمِ) الفيروزابادي (ت ٨١٧ هـ) صاحبُ « القاموسِ المحيط » وغيره ثمّ القلقشنديّ (ت ٨٢١ هـ) صاحب « صُبْح الأعشى في صناعة الانشا » ثمّ ابنُ حَجَرٍ العسقلانيُّ (ت ٨٥٢ هـ) صاحبُ « الإصابة في تمييز الصحابة » (تراجمِ صحابةِ رسول الله) و « الدُرَرِ الكامنةِ في أعيانِ المائةِ الثامنة » (في التراجم العامّة) ثمّ المَقْريزيّ (ت ٨٤٥ هـ) صاحب « المواعظ والاعتبار بذكْرِ الخِطط والآثار » . ثمّ هنالك عبدُ الرحمن السُيوطيّ (ت ٩١١ هـ) الذي تملأ أسماءُ مؤلّفاته بِضْعَ صَفَحاتٍ ملزوزةٍ في عددٍ كبيرٍ من الفنونِ الإنسانية خاصّة (راجع ، تحت ، ص ٩٠٢ وما بعد) .

أمّا المؤلّفون المُوسوعيّون الذين مالوا إلى الجانب العلميّ وتكلّموا على وُجوه مختلفةٍ من العلوم والفنون (الرياضيّة والطبيعية) فنعُدّ منهم علاءَ الدين البهائيّ (ت ٨١٥ هـ) والسيّدَ الشريف الجُرجانيَّ (٨١٦ هـ) وسِراجَ الدين بنَ الورديّ (ت ٨٦١ هـ) وله « خريدةُ العجائب » (في الفَلَك والجُغرافية ، مَعَ الصور والرسوم)[1] . ثمّ هنالك جلالُ الدين محمّدُ بنُ أسعدَ الدوّاني الصِدّيقي (ت ٩٠٧هـ)

---

(١) راجع كلمة وجيزة عن هـذا الكتاب (زيدان ٣ : ٢٣٥) ثم ملاحظة قيمة في تحقيق نسبة =

له «أنموذَج العلوم» (في فنون مختلفة) ثمّ إنّ كُتُبَه كثيرةٌ جداً. ومن هذه الطَبَقة أحمدُ بنُ يحيى بنِ محمّدِ بن الحفيد التفتازانيّ (ت ٩١٦ هـ) صاحب الكتب الموسعيّة في علوم مختلفة.

وأمّا المؤلّفون في الرياضيّات والفلك خاصّةً وما يَتّصِلُ بهما فكثيرون منهم محمّدُ بنُ محمّدٍ الحلبيّ (ت ٨٠٠ هـ) وموسى بنُ محمّدِ بنِ عثمانَ الحلبيّ (ت ٨٠٥ هـ) وعبدُ الله بنُ خليلٍ الماردينيّ (ت ٨٠٩ هـ) والرياضيُّ الكبيرُ ابنُ الهائمِ المقدسيُّ (ت ٨١٥ هـ) صاحبُ المعادلاتِ التي تُريدُ أن تختصرَ الضَرْبَ والقِسْمة بالجمعِ والطرح. ثمّ هنالك أعلامُ الرياضياتِ والفلك: موسى قاضي زاده (ت ٨١٥ هـ) وغياث الدين الكاشيُّ (ت ٨٣٠ هـ) والأميرُ أولُغ بك (ت ٨٥٣ هـ). وهنالك أيضاً أبو العبّاس أحمدُ بنُ رجبَ بن طَيْبُغا (ت ٨٥٠ هـ) وعليُّ بنُ محمّدٍ الزمزميّ المكّيّ (ت ٨٧٨ هـ) ومحمّدُ بنُ محمّد الماردينيّ الكبيرُ الذي كان في أواخرِ القرن التاسع للهجرة وكان مؤلّفاً مُكْثِراً. وفي أوائلِ القرنِ العاشر للهجرة كان مُصْلِحُ الدين بنُ سِنانٍ وكان له ايضاً كتابٌ في الثِقَل النوعيّ. وفي أواخرِ القرن التاسع للهجرة كان الملاّح العالم أحمدُ بن ماجدٍ الذي ألّف في علم المِلاحة كتاباً قيّماً من الناحية النَظَرية ومن الناحية العملية في تَسْيِيرِ السفن في البِحار المختلفة والوصول بها الى الموانىء المقصودة.

وكان في القرن التاسع للهجرة أيضاً مؤلّفون في الموسيقى منهم داوودُ بن ناصر الأغبريّ ومحمّدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ الذهبيّ الصبّاح ومحمّدُ بنُ الحسن الطحّان ومحمّد بن عبد الحميد اللاذقيّ.

وفي موضوعِ الفُروسية (الخيل) والحَرْب كانتِ المؤلّفاتُ كثيرةً في عصر المماليك البرجية فقد ألّف عِماد الدين موسى بنُ محمّدٍ اليوسفيّ المِصْريّ (ت ٧٥٩ هـ) كتابَ «كشف الكروب في معرفة الحروب» وألّف طَيْبُغا الأشرفيّ (ت ٧٩٧ هـ) «الجهاد والفروسية» (في أصول القِتال ووصف أدَواته وآلاته) ؛ وألّف أرْنَبغا الزردكاش في سَنَة ٨٦٧ للهجرة «الأنيق في المجانيق» (وهو وصفٌ لأنواع المنجنيقات مَعَ صورٍ لها ولأقسامها). وكان محمّدُ بن مَنْكَلي قد ألّف

= «خريدة العجائب» الى إحدى المسميين بعمر بن الوردي مع تحقيق أسميهما ايضاً (الأعلام للزركلي ٥ : ٢٢٨ – ٢٢٩ و ١٠ : ١٦٢) ؛ راجع ايضاً بروكلمان ٢ : ١٦٣ ، ١٧٥ – ١٧٧ ، الملحق ٢ : ١٦٢–١٦٣ ، ١٧٤ – ١٧٥.

في أواخر القرن الثامن للهجرة كتاباً في « تَعْبِئة الجيوش » . ونحن نُلاحظُ أنّ كتبَ الفروسية والقتال كانت في القرن التاسع الهجريّ كثيرةً جدّاً .

ونَجِدُ في علم الحَيَوان كتابَ « حياة الحيوان الكبرى » للدّميري (ت ٨٠٨ ه) وكتاب « المُطْلقات من عجائب المخلوقات » و « حياةَ الحيوان » لمحمّدِ بنِ عبد الكريم الصَفَديّ (ت ٨٩٦ ه) . ومن الذين ألّفوا في الطبّ محمّدُ المَهْدي بنُ عليِّ بنِ ابراهيمَ اليمنيُّ (ت ٨١٥ه) وحاجّي باشا خُضْرٌ[١] بنُ عليّ الأيْدِيني (ت ٨٢٠ ه) له كتابُ « شفاء الأسقام وأدواء (!) الآلام » .

الخصائص الأدبية

في عصرِ المماليكِ البرجية تسرّب الى اللغة العربية ألفاظٌ كثيرةٌ من التركية والفارسية فيما يتعلّق بالألقاب خاصةً . من هذه مثلاً لفظةُ « الخواجا » ، ففي شذرات الذهب : في سَنَة ٨٢٢ ه توفّي الخواجا محمّد الزاهد البخاريّ (٧ : ١٥٧) ، وفي سَنَةِ ٨٢٦ ه توفّي إبراهيمُ بنُ مباركِ شاه الأسعردي الخواجا التاجر المشهور صاحب المدرسة بالجسر الأبيض، كان كثيرَ المال واسعَ العطاء كثير البذل (٧ : ١٢٧). وفي سَنَة ٨٩٦ ه توفّي مُصْلِـحُ الدين مصطفى بنُ يوسفَ بنِ صالحِ البُرُسّاوي الحَنَفي المعروف بخواجه زاده (ابن الخواجه) كان والدُه من التجّار صاحبَ ثروةٍ عظيمةٍ ، وكان أولادُه في غاية الرفاهية . وعُيِّنَ للمُتَرْجَم (أي لمصطفى بن يوسف) في شَبابه كلَّ يومٍ دِرْهمٌ واحدٌ ، وكان ذلك لاشتغاله بالعلم وتركه طريقة والدِه (التجارة) ..... وكذلك كَثُرَ لَقَبُ «زاده» ، (ابن) في الاسماء ، نحو خواجه زاده (٧ : ٣٥٤ ، ٣٥٥) ، قاضي زاده ومنلا زاده (٧ : ٣٦٤ ، ٨ : ٢) . وكذلك اشتهر لقب بك . ففي شذرات الذهب أيضاً : وفي سَنَة ٨٨٢ ه توفّي العلمي شاكر بك عبد الغنيّ بن شاكر القاهري الشهير بابن الجيعان . ودخلت كلمة خوند (عالم) في حديث الناس (٧ : ١٩٢) .

وظلّت فنون الأدب في عصر المماليك البرجيّة ما كانت في عصرِ المماليك البحرية ، إلاّ أنّ خصائصَ الشعرِ أصبحتْ أدنى كما أصبَحَ الأسلوبُ أكثرَ ركاكةً . وكاد الشعر خاصّةً يفقُدُ جميعَ عناصرِ الابتكار . وهجم العلماءُ على قولِ الشعر وقالوا

(١) عرف العرب الاسم « خضر» بفتح فكسر (وهو الاصل ، وذلك من لون الخضرة) . وعرفوه أيضاً بكسر الخاء وبضمها (القاموس ٢ : ٢١ – ٢٢) . والعامة وغير العرب لا يستخفون ضبط هذا الاسم بفتح فكسر .

القصائدَ الرديئة في فروعِ العلم والفقه وارتكب بعضُهم سَرِقاتٍ من شعر الأقدمين واضحةَ المعالم « موصوفة » . نَظَمَ الفقيهُ شِهابُ الدين بنُ حَجَرٍ العسقلانيُّ (ت ٨٥٢ هـ) قصيدةً يمدَحُ بها الخليفةَ المُستعينَ العبّاسيَّ من خلفاء مِصْرَ (٨٠٨ — ٨١٦ هـ) جاء فيها :

المُلْكُ أضحى ثابتَ الآساسِ   بالمُسْتعينِ العادلِ العبّاسيّ .
رَجَعَتْ مكانةُ آلِ عمِّ المُصطفى   لِمَحَلِّها من بعدِ طول تناسي .
فَرْعٌ نما من هاشِمٍ في روضةٍ   زاكي المنابتِ طيّب الأغراس .
كم نِعْمَةٍ لله كانتْ عندَه   وكأنّها في غُربة وتناسي .
ما زالَ سِرّ الشرِّ بينَ ضُلوعه   كالنارِ أو صحبته الارماس[1] .

لقد سطا الشاعرُ هنا على قصيدتينِ لأبي تمّامٍ (ت ٢٣٢ هـ) قال أبو تمّامٍ في إحديهما :

فَرْعٌ نما من هاشِمٍ في تُرْبة   كان الكفيءَ لها من الأغراسِ .

وقال في الثانية منهما :

كم نِعْمَةٍ لله كانت عندَه   فكأنّها في غُربة وإسار
ما زال سِرّ الكُفر بين ضُلوعه

وضَعُفَ بعضُ الشعر جداً حتّى أصبحَ ألفاظاً مصفوفة . في شذرات الذهب (٧ : ٣٤٩) : أنّ مُحمّدَ بنَ محمّدٍ المعروفَ ايضاً بابن الشحنة الإمام العالم الناظم الناثر ... من نظمه :

قُلتُ له لمّا (وفى مَوْعدي) ،   وما بقلبي لسواه نَفاق ،
وجاد بالوصل على وجهه   حتّى (سما كلّ حبيب) وفاق .

في هذين البيتين ضعفٌ ظاهرٌ ، وكان يَجِبُ أيضاً أن يقول : « وفى بموعدي ... سما على كلّ حبيب » .

واتّسعَ ، في هذا العصرِ ، العملُ بخَيالِ الظِلّ . جاء في شَذَرات الذهب : يُقال إنّ ابنَ سودون[2] (بضمّ السين ؟) أولُ من أحدَثَ خَيالَ الظِلّ . غير

---

(١) اقرأ : « كالنار أو في صحبة الارماس » (جمع رمس : القبر) . راجع عصر سلاطين المماليك ٨ : ١١٠ — ١١١ .

(٢) هو نور الدين أبو الحسن علي بن سودون البشغاوي الجركسي (٨١٠ — ٨٦٨ هـ) ، ولد في القاهرة ونشأ فيها . وحج مراراً وحضر عدداً من الغزوات وتولى الامامة في بعض المساجد . سلك في شعره ونثره طريق الهزل =

أن نشأةَ خيالِ الظلّ (في المشرق الاسلامي) قديمةٌ، وكذلك كان خيالُ الظلّ في مِصْرَ من قبلِ ذلك (راجع، فوق، ص ٧٦٠).

واستمرّ الشعرُ العربيّ يدخُلُ في الشعرِ الاسلاميّ غيرِ العربيّ، في الفن الذي يُسمّى «المُلَمَّع» (راجع، فوق، ٦٢٢)، كما نرى عند قانصوه الغوري (ت ٩٢٢ هـ؛ راجع تحت).

أحمد باشا الروميّ

١ – هو وليّ الدين المولى أحمد بن وليّ الدين المولى الحسيني الروميّ (نسبة الى بلاد الروم: أرضروم: آسية الصغرى) الشهير بأحمد باشا.

كان أحمدُ الروميّ قاضِي عسكر (قاضي الجيش)، وقد أُعْجِبَ به السُلطانُ الغازي محمّدُ خان[1] فاتّخذه مَعلّماً. بعدَئذ استَوْزره[2] سَنَةَ ٧٧٢ هـ ثم عزله سنة ٨٧٥ هـ، ولكنْ جَعَلَه أميراً (والياً) علىً عددٍ من البُلدان منها تِيرة وأنْقَرة وبروسا[3]. تُوُفِّيَ أحمدُ الرومي وهو أميرٌ على بروسا سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ – ١٤٩٧م).

٢ – كان أحمد الروميّ عالماً وشاعراً ووشّاحاً ينظم في التركية والعربية.

٣ – مختارات من شعره

– من موشّحة له في الغزل عارض بها موشّحة للمولى خضر بن المولى جلال الدين (ت ٨٦٣ هـ):

يا راميَ قلبي بسهام اللَحَظات هيهاتِ نَجاتي.

= والمجون. انتقل الى دمشق وتعاطى فيها «خيال الظل (راجع فوق، ص ٦١٨). وكانت وفاته فيها. ومن كتبه: نزهة النفوس ومضحك العبوس (مجموع نكات وأشعار في قسمين الأول منها في المدح والجديات وثانيها في الهزليات، طبع في القاهرة طبع حجر ١٢٨٠ هـ)؛ – قرة العين ونزهة الخاطر (مختارات من «نزهة النفوس) – الفوائد اللطيفة – مقاطع من الشعر والنثر اختارها من ديوانه – مقامتان – شرح على قصة «أبي قردان زرع فدان (نصفه ملوخية ونصفه بادنجان) على طريق المنيفة (؟ – وهي في الأصل من القصص للأطفال). راجع الضوء اللامع ٥ : ٢٢٩؛ شذرات الذهب ٧ : ٣٠٧؛ زيدان ٣ : ١٣٧؛ بروكلمان ٢ : ٢٠، الملحق ٢ : ١١؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٠٥).

(١) محمد الفاتح (الثاني) العثماني، تولى العرش ثلاث مرات: ٨٤٧ – ٨٤٨، ٨٤٨ هـ – ٨٤٩ هـ، ٨٥٥ – ٨٨٦ هـ. وفي المرة الثالثة فتح القسطنطينية (١٩ جمادى الاولى ٨٥٧ = ٢٩/٥/١٤٥٣ م) ولقب بالغازي أو الفاتح.

(٢) في زامباور (ص ٢٤١): روم محمد.

(٣) تكتب أحياناً بورصة، ولكنها تلفظ بروسا (بتقديم الراء على الواو).

ما زلتُ فِداكَ : روحي وحيـاتي من قبلِ مَماتي .
نَمَّقْتُ إلى بابك قُرّةَ عَيْنـي بالدَّمْعِ كِتابا[1] ؛
أشهدتُ على الوجد مِدادي ودَواتي سَلْ من عَبَراتي[2] .
جِلبابُ دُجـى صدْغِكَ هذا قد أصْبَحَ مِسْكا[3] .
يا ريمُ قد أحـرقَ في الصيـنِ قلوبَ الظَّبَيات[4] ......

٤ ــ * شذرات الذهب ٨ : ١٣ ؛ الشقائق النعمانية ١ : ٢٢٥ ؛ الكواكب السائرة ١ : ١٤٥ ــ ١٤٧ .

شمس الدين السخاويّ

١ ــ هو شمسُ الدينِ أبو الخير مُحمّدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدِ بن أبي بكرِ ابن عُثمانَ بنِ محمّدِ السَخاويُّ ، أصْلُ أهْلِهِ من سَخا (مصر الغربية ــ مركز كَفْر الشيخ) ، مَوْلِدُهُ في القاهرة في ربيعِ الأوّلِ من سنة ٨٣١ هـ[5] .

تَلَقّى شمسُ الدين السَخاويُّ العلمَ على نَفَرٍ من علماء عَصْرِه منهم ابْنُ حَجَرِ العَسْقلانيُّ (ت ٨٥٢ هـ) ثُمّ لازمه وحَمَلَ عنه أكثَرَ تصانيفهِ ؛ وكان ابن حَجَرٍ يفضّله على جميعِ طلاّبه .

تطوّف السَخاويُّ، بعدَ وفاة شيخهِ ابنِ حجرِ، في عَدَدٍ من بُلْدانِ مِصْرَ ثم زارَ الشامَ والحِجازَ حاجّاً مراراً : حجّ في المرّة الاولى سَنَةَ ٨٧٠ هـ (١٤٦٦ م) ؛ ولَعَلّه بعدَ هذه الحِجّةِ اتّصل « بالأمير يَشْبَكَ بنِ المَهْدي كاشف (مفتش، محقق؟) الوجهِ القِبْلي ــ وكان من أكبر رِجال الدولة في عهد السلطان قايِتْباي[6]

(١) ــ جعلت بؤبؤ عيني دمعاً (مكان الحبر) وكتبت اليك به كتاباً أنيقاً (مزخرفاً) .

(٢) المداد : الحبر . ــ ان لم تصدق ما كتبته اليك عن وجدي (شدة حنيني) فاسأل (انظر الي) عبراتي (دموعي) .

(٣) الشعر الاسود المنسدل على صدغك (جانب رأسك ، كأنه جلباب الدجى = ثوب الليل) قد أصبح (لي) مسكاً (برائحته الطيبة ولونه الاسود) .

(٤) الريم = الرئم : الغزال الابيض (كناية عن المحبوب) . أحرق في الصين (احرق كل شيء حتى وصل أثر احراقه الى الصين) قلوب الظبيات (الأوانس المحبات) .

(٥) في الكواكب السائرة (١ : ٥٣) : ربيع الاول ٨٣١ ؛ وفي بروكلمان (٢ : ٤٣) : ربيع الاول ٨٣١ هـ = كانون الثاني ــ يناير ١٤٢٦ م .

(٦) الملك الاشرف قايتباي ، حكم من ٨٧٢ هـ الى ٩٠١ هـ (١٤٩٦ م) .

ـ فحصل من طريقه على إحدى وظائف تدريس الحديث »[1] .

ثمّ حجّ السخاويّ سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨١ م) وسنة ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م) وبقي في مكّةَ إلى سنة ٨٩٨ هـ . وكانت وفاته في المدينة ، في ٢٨ شعْبانَ من سنة ٩٠٢ هـ (٣٠/ ٤/ ١٤٩٧ م) .

٢ ـ كان شمس الدين السخاويُّ من رجال الحديث ومن المؤلّفين في التاريخ . ولقد حرَص في أثناء تولّيه التدريس في دارِ الحديث الكاملية والبرقوقية وغيرهما أن يُعيدَ الى دراسة الحديث زَهْوها الأوّل والاهْتمامَ الذي كان لها من قبلُ .

وكان شمسُ الدين السخاويُّ مؤلّفاً مُكْثِراً واسعَ المعرفة شديدَ الضَبْطِ حَسَنَ النَقْد إلاّ أنّه كان شديدَ التحامُلِ على نَفَرٍ من مُعاصريه يُبالغُ في النَقْد ويقسو في التعبير ويُجانب اللياقة أحياناً . فمن كتبه : « الضوء اللامع لأهل (أعيان) القرن التاسع ـ الإعلام بالتوبيخ لِمَنْ ذمّ التاريخ (أهل التاريخ) ـ وجيز الكلام بذَيْل دُوَل الاسلام[2] ـ الكوكب المُضيء (في تراجم علماء القرن التاسع) ـ التِبْر المسبوك في ذيل السلوك[3] ـ القول المُنبي عن ترجمة ابن عربيّ (في الردّ على كتاب الفُتوحات المكية وكتاب الفُصوص لابن عربي) ـ استجلاب ارتقاءِ الغُرَف بحُبّ أقرباءِ الرسول ذوي الشرف ـ السرّ المكتوم في الفرق بين المآليْنِ المحمودِ والمذموم ـ تُحفة الأحباب وبُغية الطلاّب في الخِطط والمزارات والتراجم والبِقاع (في زيارة القبور) ـ القول التامّ في الرَمْيِ بالسِهام ـ علم الحساب ـ عُمدة الناس في مناقب سيّدنا العبّاس ـ التُحفة اللطيفة في فضائل المدينة الشريفة ـ أسماء الرجال (رجال الحديث) ـ العَرْفُ الناسم من الثغر الباسم ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ـ أُرجوزة في الألفاظ المتشابهات .

ـ من مقدمة الضوء اللامع :

وبعد ، فهذا كتاب من أهمّ ما به يُعتنى : جمعت فيه مَن علمته من أهل هذا القرن الذي أوله سَنة إحدى وثمانِمائة ـ خُتم بالحُسنى ـ من سائر العلماء والقضاة

(١) الادب المصري للدكتور عبد اللطيف حمزة (الالف كتاب رقم ٢٤٢) ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) بلا تاريخ .

(٢) ذيل على تاريخ دول الاسلام » للحافظ الذهبي .

(٣) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي .

والصلحاء والرُواه والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والمباشرين والوزراء ، مصرياً كان (احدهم) او شامياً اوحجازياً او رومياً او يمنياً أو هندياً — مشرقياً او مغربياً — بل وذكرت[1] فيه بعض المذكورين بفضلٍ ونحوه من أهل الذمّة اكتفاء في أكثرهم بمن أضفتهم إليه فيعَزْوه [نسبته]لأنه اجتمع لي من هو الجمّ الغفير وارتفع عني اللّبس في جمهورهم إلا اليسير.... وربما أثبتّ من لا يذكر[2] لبعض الأغراض التي لا يحسن معها الاعتراض. وألحقت في أثنائه كثيراً من الموجودين[3] رجاءَ انتفاع من لعله يسأل عنهم من المستفيدين معَ غَلَبَةِ الظن الغني عن التوجيه ببقاء من شاء الله منهم الى القرن الذي يليه ....

ثم ليُعْلَمْ أن الأغراضَ في الناس مختلفة والأعراضَ بدون التباس في المحظور مؤتلفة ، ولكني لم آلُ في التحرّي جُهْداً ، ولا عدلت عن الاعتدال في ما أرجو قصداً .... وسمّيته « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » .....

٤ — التبر السبوك في ذيل السلوك (عني بنشره شارل غليياردو) ، بولاق ١٢٩٦ ه .

المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة (مطبوع في مجموع « أربع رسائل ») ، لكنهو ١٣٠٣ — ١٣٠٤ ه .

تحفة الأحباب وبغية الطلاّب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات (بهامش الجزء الرابع من « نفح الطيب » للمقرّي) ، مصر (المطبعة الازهرية) ١٣٠٤ ه ؛ مصر ١٩٣٧ م (؟ — بروكلمان ٢ : ٤٤ ، رقم ١٥ ، السطر ٢٧) .

شرح ألفية مصطلح[4] الحديث (مطبوع مع « ألفية العراقي ») ، لكنهو ١٣٠٣ ه .

القول البديع في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع ، حيدر اباد ١٣٢١ ه ؛ مصر ... (؟ — معجم المطبوعات ، ص ١٠١٤) .

وجيز الكلام بذيل دول الاسلام (مطبوع مع « دول الاسلام » للذهبي) ، حيدر اباد ١٣٣٣ ه .

الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ ، دمشق ١٣٤٩ ه .

الضوء اللامع ، القاهرة ١٣٥٣ ه .

---

(١) ذكرت : أثبت ، أوردت (في كتابي هذا) . المذكورون : النابهون المشهورون ، المعروفون .

(٢) من لا يذكر : من لا يستحق الذكر .

(٣) الموجودون : الذين لا يزالون أحياء .

(٤) لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح (ت ٦٤٣ ه) « كتاب معرفة أنواع علم (علوم) الحديث » يعرف باسم « مقدمة ابن الصلاح » . وقد صنع ابن الصلاح نفسه شرحاً على هذا الكتاب أسمه « فتح الغيث (المغيث) » . ولعبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦ ه) شرح على مقدمة ابن الصلاح اسمه « التقييد (التنقيد) والايضاح لما أطلق وغلق من كتاب ابن الصلاح » ثم أرجوزة للعراقي نفسه نظم فيها مقدمة ابن الصلاح وسماها تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهى » أو « المقاصد المهملة (؟) » أو « ألفية العراقي » . ثم ان السخاوي شرح « ألفية العراقي » (راجع بروكلمان ، الملحق ٢ : ٣٣ ، رقم ٢٦ ، السطر الخامس ثم ١ : ٤٤٢ ، السطر السادس وما بعد ، الملحق ١ : ٢١٦ السطر ١٦) .

حرز الاماني (مختصر من القول البديع) للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .
** تمييز الطيّب من الخبيث في ما أتى على ألسنة الناس من الأحاديث (مختصر من «المقاصد الحسنة» [١]، (نشره ابراهيم بن حسن الفيّومي) ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٢٤ ، ١٣٤٢ هـ .

الضوء اللامع (ترجم فيه لنفسه) ٨ : ١ — ٣٢ ؛ نظم العقيان ١٥٢ — ١٥٣ ؛ النور السافر ١٦ — ٢١ ؛ البدر الطالع ٢ : ١٨٤ — ١٨٧ ؛ الكواكب السائرة ١ : ٥٣ — ٥٤ ؛ شذرات الذهب ٨ : ١٥ — ١٦ ؛ بروكلمان ٢ : ٤٣ — ٤٤ ، الملحق ٢ : ٣١ — ٣٣ ؛ زيدان ٣ : ١٨٣ — ١٨٤ ؛ الأعلام للزركليّ ٧ : ٦٧ : ٦٨ ؛ عصر سلاطين المماليك ٤ : ٢٧٢ — ٢٨١ .

شمس الدين القادري

١ — هو شمسُ الدينِ أبو الفضلِ محمّدُ بنُ أبي بكرِ بنِ عُمَرَ بنِ عِمْرانَ نجيب (؟) بنِ عامرٍ الأنصاري الأوْسيّ السَعْدي المُعاذي[٢] الدنْجاويّ القاهري الدُمياطي الجوهري المعروفُ بالقادري ، وُلِدَ — في ما قال هو (الضوء اللامع ٧ : ١٨٨) — سنَةَ ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ، في دَنْجيةَ قُربَ دُمياطَ .

انتقل القادريُّ الى البَهْنَسا من صعيدِ مِصْرَ وقرأ القرآن على بهاء الدين بن الجمّال. وقَبْلَ أن يبلُغَ العشرين جاء إلى القاهرة ولازمَ المُناويّ . وقد ناب في القضاء عن الأشموني في أيّامِ الزَيْني زكريّا[٣]. وكان قد تكسّبَ بالشِعر . وكانتْ وفاتُه في جُمادى الأولى من سنَةِ ٩٠٣ هـ (شِتاءَ ١٤٩٧ م) .

٢ — بَرَع شمسُ الدينِ القادريُّ في عددٍ من فُنونِ الأدب ، وله نثرٌ ونظم . وشِعرهُ عاديٌّ تمتزجُ فيه المَتانةُ من تقليدِ فُحولِ الشُعراءِ بالضَعْف ، وتتّفق له المعاني الحِسانُ ، وعلى شِعرهِ نفحةٌ دينية . وقد بالغ السُيوطي فقال فيه : « وهو الآنَ شاعرُ الدنيا على الإطلاق لا يُشاركه في طَبَقته أحدٌ » ؛ ولعلّ هذه المبالغةَ في المديح راجعةٌ إلى أن القادريَّ قد مَدَحَ السُيوطي بقصيدةٍ أثبتَها السُيوطيُّ برُمّتها في حُسن المحاضرة . وقد خمّس القادريُّ البُردةَ للبوصيريّ .

---

(١) صنع هذا المختصر عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الديبع الزبيدي المتوفي ٩٤٤ هـ (ذكر بروكلمان أيضاً ذلك في ترجمة ابن الديبع الزبيدي ٢ : ٥٢٧ والملحق ٢ : ٥٤٨ ؛ غير انه ذكر أيضاً سنة ٨٩٧ هـ عرضاً ٢ : ٤٤ ، الملحق ٢ : ٣٢ ، وهو خطأ مطبعي) .
(٢) نسبة الى سعد من معاذ بن أهل المدينة من الاوس ، كان من كبار الصحابة (ت ٥ هـ = ٦٢٦-٦٢٧م) .
(٣) لعله زكريا بن محمد الانصاري (٨٢٣ -- ٩٢٦ هـ) قاضي القضاة في القاهرة .

٣ – مختارات من شعره

شَجاكَ برَبْعِ العامريّةِ معهَدُ به أنْكَرَتْ عيناكَ ما كنتَ تعهَدُ[١].
وبي غادةٌ كالشمس في أُفْق حُسْنِها نأتْ وبقلبي حَرُّها يتوقّد.
خفيفةُ أعطافٍ نَشاوى من الصبا ثقيلةُ أرْدافٍ تُقيم وتُقعِد[٢].
وأعْجَبُ من جسمٍ حكي الماءَ رقّةً يُقِلُّ بلُطْفٍ قَلْبَها وهو جلمد[٣].

ثم ينتقل، بعدَ أن يكونَ قد قال في الغزلِ والنسيب خَمْسَةَ عَشَرَ بيتاً، إلى مَدْحِ جلالِ الدين السُيوطيّ:

كأن بِفيها مِنْ سَنا العلم جوهراً جَلاه «جلالُ الدين» فهو مُنَضَّدُ[٤].
إمامُ اجتهادٍ، عالمُ العصر، عاملٌ بجامع فضلٍ ناسكٌ مُتَهَجِّدُ[٥].
ومُجتهدٌ قد طالَ في العلمِ مَدْركاً وباعاً، ففي كلِّ العلومِ له يدُ.
وقد جاد صَيْبُ العلمِ روضةَ أصله فطابَ له بالعلمِ فَرْعٌ ومَحْتِد[٦].
فلو أبْصَرَ الكُفّارُ في العلمِ دَرْسَه وقد شاهدوا تَقريرَه لتَشَهّدوا[٧].

٤ – ** الضوء اللامع ٧: ١٨٨ – ١٨٩؛ حسن المحاضرة ١: ٢٧٥ – ٢٧٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٨٥.

الحسين بن صدّيق بن الأهدل

١ – هو بدرُ الدينِ الحسينُ بنُ الصِدّيقِ بنِ الحسينِ (نحو ٧٧٩ – ٨٥٥ هـ)

---

(١) شجاك: حزنك، أحزنك. ربع: مسكن، مكان، بلد. العامرية: ليلى العامرية محبوبة مجنون ليلى (كناية عن كل محبوبة، عن العزة الالهية). ما كنت تعهد (تألف).
(٢) العطف (بكسر العين) · الجانب الأعلى من الجسم. نشوى: سكرى.
(٣) – أنا أعجب من أن جسمها الغض (اللين) فيه قلب من جلمد (صخر).
(٤) جوهر: كلام ثمين (أو أسنان براقة). جلاه: أبرزه. منضد: مرتب.
(٥) المتهجد: الذي يقوم في الليل للعبادة.
(٦) صيب (كذا في الأصل) = الصوب (بفتح الصاد): انصباب المطر وسقوطه. الفرع: نسل الرجل. المحتد: الأصل النبيل. طاب له في العلم فرع (تلاميذه) ومحتد (شيوخه، أساتذته).
(٧) التقرير = تقرير الدروس (الأسلوب في إلقاء الدروس، في التعليم). في هذا البيت لمحة من قول المتنبي في سيف الدولة:

ومستكبر لم يعرف الله ساعة، رأى سيفه في كفه فتشهدا!

ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الأهدلِ اليمنيُّ ، وُلِدَ في ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٨٠٥ هـ (خريف ١٤٠٢م) في أبياتِ حسينٍ (اليمن) ونشأ فيها وفي نواحيها . درس الفقهَ والنحوَ في بلدهِ على أبي بكرٍ بن قعيصٍ وأبي القاسم بن عُمَر بن مطيرٍ وغيرِهما . ثمّ دخلَ زَبيدَ سَنَةَ ٨٦٨ هـ ودرس الفقهَ على عُمَرَ الفتى وغيرِه كما درس الأدب على ابن الزين الشرجيّ . وفي سَنَةِ ٨٧٢ هـ (١٤٦٨ م) حجّ وجاورَ ثمّ زارَ؛ وسَمِعَ في مكّةَ والمدينةِ من نَفَرٍ من علمائهما. وكذلك لَقِيَ السخاويّ (ت ٩٠٢ هـ) ودرس عليه « أشياءَ من تصانيفه » . وقد تَصَدَّرَ في موطنه لإقراءِ القرآنِ والتدريس . وكانتْ وفاتُه في عدن آخرِ ذي القَعْدة من سَنَةِ ٩٠٣ هـ (آخرِ أيلولَ — سبتمبر ١٤٩٧ م) .

٢ — كان بدرُ الدينِ بنُ الأهدلِ فاضلاً بارعاً في عددٍ من العلوم حَسَنَ القراءة للقرآنِ حسنَ الضَبْطِ لها . وكان متصوّفاً . وله شعرٌ سهلٌ عليه نفحةٌ دينية وشيءٌ من الضَعْف في اللغة .

٣ — مختارات من شعره

— قال بدرُ الدينِ بنُ الأهدلِ في الشكوى معَ الثقة باللهِ :

أما لهذا الهَمِّ مِنْ مُنْتَهى ؟ أما لهذا الحُزْنِ من آخرِ ؟
أما لهذا الضيقِ من فارجٍ ؟ أما لناب الخَطْبِ من كاسر[1]؟
أما لهذا العُسْر من دافعٍ باليُسْرِ عن هذا الشَجِي العاثر[2]؟
بَلَى ، بلى ! مَهْلاً ! فكُنْ واثقاً بالواحدِ الفَرْدِ العَلِي القادر[3].

— وله وَسيلةٌ (قصيدةٌ يتوسّلُ فيها بالرسولِ إلى الله) منها :

يا رسولَ الله ، في جاهِكَ ما يبلُغُ القاصدُ أقصى ما قَصَدْ .
يا رسول الله ، ما لي عَتَدٌ غيرُ حُبّيكَ ، ويا نِعْمَ العَتَد[4] .

---

(١) الناب : سن في جانب الفم قبل الاضراس ، كناية عن الشدة والافتراس . الخطب : المصيبة . أما لناب الخطب من كاسر : هل هنالك من يستطيع دفع المصائب ؟

(٢) الشجي : الحزين . العاثر : الذي يقع في أثناء سيره ، قليل الحظ .

(٣) الواحد الفرد العلي (ترك تشديد الياء للوزن ، وهذا ضعف) القادر من أسماء الله الحسنى .

(٤) العتد (في القاموس) الفرس التام الخلقة المعد للجري . والشاعر يقصد : ما يعده الانسان للاستعانة به والاعتماد عليه .

يا رسول الله ، قوِّمْ أوَدي ، فلَكَمْ قوَّمْتَ بالدينِ أوَدْ[1] .
يا رسول الله ، هل مِنْ نَفْحةٍ منك تأتي ومِنَ الفرْدِ الصمَدْ[2] .
مَنْ لِيَوْمِ الجَمْعِ إلاّ أحمدُ : يومَ لا والدَ يُغني أو ولَدْ[3] .
يا مليحَ الوجهِ يا خيرَ الورى ، أنتَ بعدَ اللهِ نِعْمَ المُعْتَمَدْ !
ربِّ ، جَنِّبْنا بجاهِ المُصْطفى كلَّ كدٍّ وبَلاءٍ ونَكَدْ[4] .

٤ — ** الضوء اللامع ٣ : ١٤٤ — ١٤٥ (رقم ٥٥٦) ؛ النور السافر ١٦ — ٣٠ ؛ شذرات الذهب ٨ : ٢٠ معجم المؤلفين لكحّالة ٤ : ١٣ .

أحمد أبو عُبَيّةَ

١ — هو الشيخُ شِهابُ الدين أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ أبي بكرِ بنِ عُبَيّةَ المَقْدِسي الأثري ، وُلِدَ في الثاني عشر من ربيعٍ الأوّلِ ٨٣١ هـ (٢١/ ١٢/ ١٤٤٧ م) .

تعلّم أحمدُ بن عُبَيّةَ في القُدْس وتولّى القَضاء فيها . ثم حَدَثَتْ له مِحْنَةٌ تتعلّقُ بكنيسةِ القيامة فرَحَلَ إلى دِمَشْقَ فكانَ يُذَكِّرُ الناسَ ويَعِظُهُمْ في الجامع الأُمَوي . وكانتْ وَفاتُه في دِمَشْقَ في الثالثِ مِنْ جُمادى الأُولى ٩٠٥ هـ (٦/ ١٢/ ١٤٤٩ م) .

٢ — كان أحمدُ بن عُبَيّةَ عالماً واعظاً وشاعراً وُجْدانيّاً له غَزَلٌ ووَصْفٌ و بديعيات .

٣ — مختارات من شعره

— وناعورةٍ أنّتْ فقلتُ لها : اقْصُري ؛ أنينُكِ هذا زاد للقلب في الحُزْن .
فقالتْ : أنيني إذْ ظَنَنْتُكَ عاشِقاً تَرِقُّ لحالِ الصبِّ؛ قلتُ لها: إنّي[5] ...

— قال أحمدُ بن عبيّةَ قصيدةً يتغزّلُ فيها ثُمّ يَتَخَلّصُ الى مَدْحِ الرَسول :

---

(١) الأود : الاعوجاج ، العجز عن حمل الاشياء . بالدين : بالاسلام .
(٢) الفرد ، الصمد (الذي يتجه الناس اليه في أمورهم) : من أسماء الله الحسنى .
(٣) يوم الجمع : يوم القيامة . أحمد من أسماء الرسول .
(٤) جنبنا : أبعد عنا (الشرور) . المصطفى من أسماء الرسول . الكد : التعب . البلاء : المصيبة . النكد : سوء الحال .
(٥) اقصري (بهمزة وصل وصاد مضمومة) وأقصري (بهمزة قطع وصاد مكسورة) : انتهي (فعل أمر) ، يكفيك .

قال العَذول: وَقَعْتَ في شَرَكِ الهوى ! — فأجبْتُ: هذا من فِعال عُيوني .
يا قاتلَ اللهُ العُيونَ فإنّها — حَكَمَتْ علينا بالهَوى والهُونِ[1] ....
خَدَعوا فُؤادي بالوِصال، وعِنْدَما — ثَبَتَ الهوى في أضْلُعي هَجَروني .
هَجَروا، ولو ذاقوا الذي قد ذُقْتُه — تركوا الصُدودَ وربّما وَصَلوني .
لم يَرْحَموني حينَ حانَ فِراقُهم؛ — ما ضَرّهم لَوْ أنّهم رَحِموني .
ومِنَ العجائبِ أن نَسُوا وُدّي؛ ومِنْ — وُدّي لَهُمْ كُلُ الورى عَرَفوني .
ما مَخْلَصي في الحُب من شَرَكِ الهَوى — إلاّ بمَدْحِ المُصْطفى المأمون[2]....

٤ — ** شذرات الذهب ٨ : ٢٥؛ الكواكب السائرة ١ : ١٢٤ — ١٢٥ .

محمد الجلجوليّ

١ — هو الشيخُ أبو العَوْن مُحَمّدُ بنُ عليِّ بنِ سالمٍ الغَـزّيُّ الجلجوليَ القادريّ الصوفيّ ، أصْلُ أسرَتِه من غَزّةَ (فِلَسْطين) ثم انتقلوا الى جَلْجوليا . وُلِدَ محمّدٌ الجلجولي[3] في جلجولية، وتَلَقّى التصوّفَ على الطريقة القادرِيّة[4]، فيما يبدو، من شهابِ الدينِ بنِ ارْسلانَ (رِسْلانَ) الرَمْلي ومن رَضِيِّ الدينِ الغَزّي .

في سَنَةَ ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) خَرَجَ محمّدٌ الجلجولي حاجّاً فزارَ القُدْسَ والخليلَ ثم وصل إلى مكّةَ . وفي آخرِ عُمُرِه انْتَقَلَ إلى الرَمْلة وبَقِيَ فيها الى أنْ ماتَ سنة ٩١٠ هـ[5] .

٢ — كان الشيخُ أبو العَوْنِ محمّدٌ الجلجوليّ من رِجال التصوّفِ المَعْدودين في عصرِه، وقد رَوَوْا له كَرامات وأعمالاً خارقةً للعادة كثيرةً، وكان له شِعْرٌ قَوِيٌّ مَتينٌ وسَهْلٌ عَذبٌ على مَذهبِ أهل التصوّف فيه حَماسةٌ مِنْ حَماسةِ العارفينَ (الصوفية) .

---

(١) الهون = الهوان : الذل . (٢) مخلص (بفتح الميم واللام) : منجى ، خلاص ، مخرج .

(٣) لما ذكر السخاوي (الضوء اللامع ٨ : ١٨٤) محمداً الجلجوجي قال : « وهو حي قريب التسعين » . والسخاوي قد أتم تأليف كتابه هذا سنة ٨٩٦ هـ (بروكلمان ، الملحق ٢ : ٣١ ، السطر السابع من أسفل). وبما أن وفاة الجلجوجي كانت سنة ٩١٠ هـ ، فيجب أن يكون قد عاش أكثر من مائة سنة .

(٤) طريقة صوفية منسوبة الى عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ = ١١٦٧ م)، وكانت تروى له كرامات كثيرة.

(٥) تبدأ السنة ٩١٠ هـ في ١٤/٦/١٥٠٤ م . والغالب أنه توفي في صفر أو في المحرم ، على أبعد تقدير ، لأن صلاة الغائب أقيمت عليه في الجامع الأموي في دمشق يوم الجمعة في ١٧ صفر ٩١٠ (٣٠/٧/١٥٠٤ م) .

٣ — مختارات من شعره

— قال محمّدٌ الجلجوليُّ في الحُضور والمَعْرِفة (يخاطب العِزّةَ الالهيةَ) :

يا حاضراً في ضميرِ القلبِ ما غابا ، لولاكَ ما لذّ لي عَيْشٌ ولا طابا .
آثارُ فِعْلِكَ كانت أصلَ مَعْرِفَتي ؛ ويَجْعَلُ اللهُ للتَوْفيق أسْبابا .

— وقال في الحماسة على طريقة العارفينَ :

تَعالَوْا إلينـــا لا مَلالٌ ولا بُعْدُ . ولا صَدَّ عن أبوابِنا لا ولا طَرْدُ .
تَعالَوْا وقد صَحَّحْتُمُ عَقْدَ وُدِّكُمْ ؛ فمَنْ صَحّ منه العَقْدُ صَحّ له الوُدُّ .
إذا جِئْتُمُ لا تَنْزِلوا عِنْدَ غَيْرِنا . ومَنْ غيرُنا حتّى يَكونَ له «عِنْدُ» (١) !
فما كُلُّ دارٍ في الهَوى دارُ زَيْنَبٍ ، ولا كلّ خَوْد بينَ أتْرابها هِند .
أنا الفارسُ الصِنديدُ (٢) والأسَدُ الذي —أبوالعَوْنِ—مَنْ عَزْمي تَذِلّ لَهُ الأُسْدُ .
فَتَحْتُ رُتوقاً كان صَعْباً مَسَدُّها ، ولَيْس لها من بَعْدِ فَتْقي لَها سَدّ (٣) .
وجرّدتُ سيفَ العَزْم في مَوْكِبِ الوفا بحِدّ ذُبابٍ ما له أبــدا غمد (٤) .

٤ — ** الضوء اللامع ٨ : ١٨٤ (رقم ٤٦٢) ؛ الكواكب السائرة ١ : ٧٤ — ٧٧ .

جلال الدين السيوطيّ

١ — هو جلالُ الدين أبو الفضلِ عبدُ الرحمن بْنُ الكمالِ أبي بكرِ بنِ محمّدِ ابنِ سابقِ الدينِ بنِ الفَخْرِ عُثْمانَ بن ناظرِ الدين محمّدِ بنِ سيفِ الدينِ خَضِرِ ابنِ نجمِ الدين أبي الصَلاح أيوبَ بنِ ناصرِ الدين محمّدِ بنِ الشيخِ هُمامِ الدين الهُمامِ الخُضَيري الأسيوطيّ . أمّا «الأسيوطي» (السيوطي) فنسبة الى أسيوط في صعيد مصر حيث كانت أُسرته تعيش ؛ وأما «الخضيري» فلا يَعْرِفُ السيوطيُّ نفسُه وجهاً لها . وكانت أمّه جاريةً تركية .

---

(١) غيرنا = كناية عن العزة الالهية . — وأي الناس له قيمة حتى يمكن أن ينزل عنده الناس .

(٢) الصنديد : السيد الشجاع .

(٣) شققت طرقاً (الى المعرفة الالهية) كانت مسدودة سداً يصعب على غيري فتحه . أما الآن فانها لن تغلق بعد أن فتحتها أنا .

(٤) الذباب من السيف : حده أو طرفه المتطرف (رأسه) جردت سيف العزم : جرؤت على السير في طريق التصوف (للوصول الى الله) . في موكب الوفا (المحبة الالهية والطاعة) . ما له أبداً غمد (بفتح الغين) رد السيف الى قرابه) : لن يبطل السير في طريق التصوف بعدي .

ومعَ العِلم بأن نفراً كثيرين من أسلافِ السيوطي كانوا من أهلِ الوَجاهة والإدارة والتِجارة والمـال ، فانه لم يكن فيهم من أهـلِ العلم إلاّ والدُه (نحو ٨٠٢ ـ ٨٥٥ هـ) الذي تولّى القَضاء في أسْيوطَ ثم انتقل إلى القاهرة وسَمِـعَ الحديثَ من الحافظ ابن حَجَرِ العَسْقلاني وغيرِه، سنة ٨٢٩ هـ (١٤٢٦ م)، ولازم محمّدَ عليّ القاياتيَ (٧٨٥ ـ ٨٥٠ هـ) وأخذ عنه الفقه والأصول والكلام والنحو والمعاني والمنطق ، وقد أجازه القاياتي بالتدريس سنة ٨٢٩ هـ .

أمّا جلالُ الدين السيوطيُّ نفسُه فقد وُلِدَ في أوّل ليلةٍ من رَجَبَ سَنَةَ ٨٤٩ هـ (٣/ ١٠/ ١٤٤٥ م) في القاهرة ونشأ فيها يتيماً . وقد تلقّى السُيوطيّ العِلمَ على نحو مائة وخمسين شيخاً[1] منهم : جلالُ الدين المَحلّيّ (ت ٨٦٤ هـ) حَضَرَ عليه سَنَةً كاملةً يومينِ في كلّ أسبوعٍ ، ومحمّدُ بنُ سعدِ الدين المَرْزُبانيّ الحَنَفي (ت ٨٦٧ هـ) لازمه حتّى مات ، وصالحُ بنُ عُمَرَ البُلْقيني (ت ٨٦٨ هـ) لازمه إلى أن مات ؛ ثمّ إنّ ابنَ صالحٍ البلقينيّ أجازه بالتدريسِ والفُتيا ، سَنَةَ ٨٧٦ هـ . ومنهم شَرَفُ الدين المُناويّ (ت ٨٧١ هـ)، وأحمدُ بنُ محمّدٍ الشُمُنّي (ت ٨٧٢ هـ) ، وأحمدُ بنُ ابراهيمَ الكِنانيُّ العَسْقلاني (ت ٨٧٦هـ) ، ومُحْيِي الدين الكافِيَجي[2] (ت ٨٧٩هـ) وقد لازمه السيوطي أربعَ عَشْرَةَ سَنَةً . ويبدو أنّ والده كان قد زار به رِضوانَ العُقبي وابنَ حَجَرَ العسقلاني (توفّيا ٨٥٢ هـ) . ومن شُيوخِه أيضاً محمّدُ بن موسى السيرائي وسيفُ الدين محمّدُ بنُ أحمدَ الحنبلي وشهاب الدينَ أحمدُ بن عليّ الشارمساحي وتقيّ الدين الشِبلي الحنفي وقد لازمه السيوطي أربـع سنوات . ويبدو أن ثقافة جـلال الدين السيوطيّ ـ وكانت واسعةً جدّاً وعميقةً بعضَ العمق ـ كانتْ راجعةً الى جُهوده في المطالعة أكثرَ ممّا كانت راجعةً الى الدراسة على المشاهيرِ من علماءِ عصرِه .

وتَطوّفَ السُيوطيُّ في البلاد فزارَ الشامَ والحجازَ حاجّاً وزارَ اليمن والهِنْدَ والمَغْرِب والتَكْرور (غربيّ إفريقية ـ بين المغرب والسنغال) .

ثمّ إنّ السُيوطيَّ تقلّبَ في مَناصبِ التدريسِ : درّس الفقهَ في الجامع الشَيْخوني وتولّى الإفتاء وإملاءَ الحديثِ في جامعِ ابن طولونَ ، ثمّ أُضيفَتْ إليه وظيفةُ تدريسِ الحديثِ في الخانقاه الشَيْخونية . وفي سنة ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م) أُسْنِدَتْ

---

(١) ..... في شذرات الذهب (٨ : ٥٣) واحداً وخمسين .

(٢) الكافيجي (بكسر الفاء وفتح الياء الأولى) : محمد بن سليمان بن سعد المعروف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو لابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) اللاحقة «جي» (أداة نسبة من التركية) .

اليه مَشْيخة الخانقاه البَيْبَرْسِيّة أكبر الخانقاهات وأغناها في القطر المِصْريّ. وأراد السيوطي، فيما يبدو، أن يَسيرَ في إدارة الخانقاه بالحقّ والعدل (وأكثرُ الناس يَطْلُبون المنافعَ من أي الوجوه جاءتْ ثم لا يُبالون بالحقّ والعدل) فشَغَبَ عليه الطلاّب، بتَحْريضٍ من نَفَرٍ من أعدائه، وذلك في ١٢ رجب ٩٠٦ هـ (٢/ ٢/ ١٥٠١ م)، فهجر التدريسَ كلّه واعتزلَ في بيته في روضة المِقْياس (جزيرة الروضة) مُنْقَطِعاً الى العبادة والتأليف حتّى وافاه اليَقينُ في ١٨ جُمادى الأُولى ٩١١ هـ (١٧/ ١٠/ ١٥٠٥ م).

٢ — قال جلالُ الدين السُيوطيّ عن نفسه (حسن المحاضرة ١ : ١٥٧):

«رُزِقْتُ التبحّرَ في سَبْعَةِ علومٍ: التفسيرِ والحديثِ والفقهِ والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب والبُلغاء لا على طريقةِ العَجَم وأهل الفلسفة. والذي أعتقده أنّ الذي وصلتُ إليه من هذه العلوم السبعة، سوى الفقه، والنقول التي اطّلعت عليها لم يَصِلْ اليه ولا وَقَفَ عليه أحدٌ من أشياخي ..... ودون هذه السبعةِ في المَعْرفة أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونَها الإنشاءُ والترسّل والفرائض (تقسيم الارثِ)، ودونَها القراءات ولم آخُذْها عن شيخٍ، ودونَها الطِبّ. وأمّا علم الحسابِ فهو أعسرُ شيء عليّ وأبعدُه عن ذِهْني، وإذا نَظَرْتُ في مسئلة تتعلّق به فكأنّما أُحاولُ جَبَلاً أحْمِلُه ... وقد كُنْتُ في مبادىء الطَلَبِ قرأتُ شيئاً في علم المَنْطِقِ[1] ثم ألْقى اللهُ كَراهَتَهُ في قلبي».

وقيمةُ جلالِ الدين السيوطيّ إنّما هي في كُتُبه الكثيرةِ في المَوْضوعاتِ المختلفة؛ ومعَ أن هذه الكُتُبَ كُتُبُ جَمْعٍ في الأكثر، فانّها تمتاز بالشُمول والدِقّة. وفنونُ كتبهِ: تفسير القرآن وتعلّقاته والقراءات، فنّ الحديث وتعلّقاته، فن الفقه وتعلّقاته، الأجزاء المفردة في مسائلَ مخصوصةٍ على ترتيب الأبواب (موضوعات مختلفة)، فنّ العربية وتعلّقاته، فن التاريخ والادب[2].

وللجلال الدين السيوطي خُطَبٌ وشِعْر من طبقة متوسطة.

٣ — مختارات من آثاره

— من مقدّمة «نظم العقيان في أعيان الأعيان»:

---

(١) كذا في الأصل: قرأت شيئاً في علم المنطق.

(٢) راجع ثبتاً (بفتح ففتح) مفصلا لمصنفات السيوطي في حسن المحاضرة (١ : ١٥٧ — ١٦١) وفي بروكلمان (١ : ١٨١ — ٢٠٤، الملحق ١ : ١٧٨ — ١٩٨).

.... هذا تأليفٌ لطيفٌ في تراجم أعيانِ العصرِ على طريقةِ أهل العلم الراسخين لا (طريقة) عموم المؤرّخين: قَصَرْتُه على أعيان الأعيان وأفراد[1] الزمان، ولم أدْعُ اليه الجَفَلى[2] ولا حَشَدتُ فيه، بل انْتَقَيْتُ أماثلَ النُبلاء ولم أُورِدْ فيه إلاّ مَحاسنَ ولا وردتُ فيه الاّ زُلالَ ماءٍ غيرِ آسِنٍ *. وسمّيْتُه «نَظْمَ العِقْبان في أعْيانِ الأعيان». واللهُ المُستعانُ وعليه التكلانُ.

.... وقد اختارَ اللهُ سُبحانَه أن نَكونَ آخرَ الأممِ وأطْلَعَنا على أنْباء مَنْ تَقدّمَ لِنَتّعِظَ بما جرى على القُرون الخالية وتَعيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ، فهل ترى لهم مِنْ باقيةٍ[3]! ولِنَقْتَدِيَ بِمَنْ تَقَدّمَنا من الأنبياءِ والأئِمّةِ والصُلحاء.

هذا وإنّ الجاهلَ بعلمِ التاريخ راكبٌ عَمياءَ خابطٌ خَبْطَ عشواءَ، يَنْسِب إلى مَنْ تقدّمَ أخبارَ مَنْ تأخّر، ويَعْكِسُ ذلك ولا يَتَدَبَّرُ، وإنْ رُدَّ عليه وَهْمُه لايتأثّر، وإنْ ذُكِّرَ لِجهله[4] لا يَتَذكّر: لايُفَرِّقُ بينَ صَحابيّ وتابِعيّ، وحَنَفِيّ ومالكيّ وشافِعيّ، ولا بينَ خليفةٍ وأمير، وسُلطانٍ ووزير .....

وربّما أفادَ التاريخُ حَزْماً وعزماً وموعِظةً وعِلماً، وهِمّة تُذْهِبُ هَمّاً، وثَباتاً يُزيلُ وَهْناً، وصبراً يَبْعَثُه في الناس حُسْنُ التأسّي بِمَنْ مضى[4]، واحتساباً يُوجب الرضا بما مرّ وحَلا من القضا: «وكُلاّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنباءِ الرُسُلِ ما نُثَبِّتُ به فؤادَكَ ... ـ لَقَدْ كان في قَصَصِهِمْ عِبرةٌ لأُولي الألْباب»[5] .....

فالرأيُ عندَنا ألاّ يُقْبَلَ مَدحٌ ولا ذمٌّ من المؤرّخين الاّ بما اشْتَرَطَه الشيخُ الإمامُ الوالدُ[6] حيثُ قال ـ ونقلتُه من خَطّه في مجاميعه ـ: «يُشْتَرَطُ في المؤرّخِ الصدقُ، وإذا نَقَلَ أن يعتمدَ اللفظَ دون المعنى[7]، وألاّ يكونَ ذلك

---

(١) أفراد الزمان: الذين يكون منهم في الزمن الواحد فرد واحد (النخبة).

(٢) يقال: دعاهم الجفلى (دعاهم جميعاً، بجماعتهم، بأكثرهم). يقصد السيوطي (أنه لم يذكر في كتابه نفراً كثيرين. * ماء آسن: تغير طعمه.

(٣) من سورة الحاقة: فهل ترى لهم من باقية (٦٩: ٧) ثم «لنجعلها تذكرة وتعيها أذن واعية» (٦٩: ١٢).

(٤) لعل الجملة: وان ذكر، فلجهله لا يتذكر.

(٥) التأسي: أن يقيس انسان حاله بحال غيره (ممن أصيب بأكبر من مصيبته) فيحمله ذلك على الرضا بحاله هو.

(٦) والد جلال الدين السيوطي. ومع ان الاسطر التالية هي لوالد السيوطي، فانها تدل على اتجاه السيوطي نفسه لأنه تبناها.

الذي نَقَلَه أخَذَهُ في المذاكرة وكَتَبه بعدَ ذلك ، وأن يُسَمِّيَ المنقولَ عنه . فهذهِ شروطٌ أربعةٌ في ما يَنْقلُه . ويُشْتَرَطُ فيه أيضاً لـما يُتَرْجِمُه من عِندِ نفسهِ ــ ولـما عساه يطولُ في التراجم من المنقولِ ويقصُرُ ــ : أن يكونَ عارفاً بحالِ صاحبِ التَرْجَمةِ علماً وديناً وغيرهما مِنَ الصفاتِ، وهذا عزيزٌ جداً ، وأن يكونَ حَسَنَ العبارة عارفاً بمَدْلولات الألفاظ ، وأن يكونَ حَسَنَ التصورِ حتّى يتصوّرَ في حالِ ترجمتهِ جميعَ حالِ ذلك الشخصِ ويُعَبِّرَ عنه بعبارة لا تزيدُ عليه ولا تنقُصُ عنه ، وألاّ يَغْلِبَه الهوى فيُخَيِّلَ إليهِ هواه الإطنابَ في مدحِ مَنْ يُحِبُّه والتقصيرَ في غيرِه . بل إمّا أن يكونَ مُجرّداً عن الهوى ــ وهو عزيزٌ ــ وإمّا أن يكونَ عنده من العَدْلِ ما يقهَرُ به هواه ويَسْلُكُ طريقَ الانصاف . فهذه أربعةُ شروطٍ أُخرى ولك أَن تَجْعَلَها خمسةً ، لأنّ حُسْنَ تصوّرِه وعلمَه قد لا يحصل (بهما) الاستحضارُ حينَ التصنيفِ فيجعَلَ حصولَ التصورِ زائداً على حُسن التصوّر والعِلم . فهذه تِسعةُ شروطٍ في المؤرّخِ ، وأصْعَبُها الاطّلاعُ على حالِ الشخصِ في العلمِ فانّه يَحتاجُ الى المُشاركةِ في علمهِ والقُرْبِ منه حتّى يَعْرِفَ مرتَبتَه » . انتهى .

٤ ــ مصادر ومراجع (١)

(أ) فرّقت هذه المصادر والمراجع بحسب موضوعاتها. ولكنّ عدداً من هذه الكتب تتزاحم موضوعاتها ، فقد يصلح كتاب أن يكون في باب الحديث أو في باب الفقه، وقد يصلح أن يكون في باب الحديث أو في باب التاريخ ، الخ .

(ب) انّ عدداً من كتب السيوطي طبعت في مجموعات ، وسأشير اليها ، حبّاً بالاختصار ، بالاشارات التالية :

المجموعة : مجموعة لجلال الدين السيوطي ، حيدر اباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣١٦ــ ١٣١٧ هـ .

التحفة البهية : التحفة البهية والطرفة الشهية ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ .

مجموعة اربع رسائل ، لكنهاو ١٣٠٣ ــ ١٣٠٤.

* * *

أوّلاً ــ في علوم القرآن الكريم :

تفسير الجلالين (٢) ، كلكتّا ١٢٥٧ هـ ؛ دهلي ١٢٥٧ هـ ؛ دهلي (طبع حجر) ١٢٨١هـ ؛ دهلي

---

(١) في آخر صفحة من متن هذا الجزء مستدركات لعدد قليل من كتب السيوطي والشروح على كتبه .

(٢) تفسير الجلالين (تفسير القرآن العظيم) بدأ تأليفه محمد بن أحمد بن ابراهيم بن عبد الله الانصاري المحلي (٧٩١ ــ ٨٦٤ هـ) ثم أتمه جلال الدين السيوطي ، ولذلك يعرف بعنوان « تفسير الجلالين » : جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي .

١٢٨٩ ، ١٣٠٢هـ ؛ مصر ١٢٧٨هـ (بلاهامش) ، ١٢٩٩هـ ؛ بولاق مصر القاهرة ١٢٨٠هـ ، بولاق ١٢٨٢، ١٢٨٩، ١٢٩٣، ١٢٩٨هـ ؛بومبيء ١٢٨٢ ، ١٢٨٦ ، ١٣٠٦–١٣٠٧هـ ؛ لكناو ١٢٨٦ ، ١٢٩٧ هـ ؛ مصر (مطبعة وادي النيل) ١٢٩٧ هـ ؛ مصر (مطبعة مصطفى وهبي ١٢٩٧ هـ ؛ مصر ١٢٩٨ هـ؛ مصر (المطبعة الازهرية ١٣٠٠ هـ ؛ مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٠ ، ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة ١٣٠١ – ١٣٠٢ هـ ؛ (بحاشية الفتوحات الالهية لسليمان الجمل) ، مصر ١٣٠٢ هـ ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ، ١٣١٢ ، ١٣١٧ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٥ ، ١٣٠٨ ، ١٣١٣ ، ١٣٢١ هـ ؛ الهند ١٣١١ هـ ؛ مصر (المطبعة العثمانية) ١٣١٥ هـ ؛ (بهامش الجمالين للقارىء الهرويّ المتوفّى سنة ١٠١٤ هـ) ، مصر (المطبعة الأدبية) بلا تاريخ ؛ مصر (مطبعة عبد الرحمن محمّد) ١٣٤٦ هـ ؛ القاهرة (دار احياء الكتب العربية) بلا تاريخ .

(**) شروح وحواش على تفسير الجلالين : لعلي أصغر بن عبد الجبّار الأصفهاني ، طهران ؟ (طبع حجر) ١٢٧٢ هـ ؛ الفتوحات الالهية لسليمان الجمل (ت١٠٢٤ هـ) ، بولاق ١٢٧٥ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٧ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٢ – ١٣٠٣ ؛ ١٣٠٨هـ؛ لمحمّد الخلوتي الصاوي (ت ١٢٤٧ هـ) ، القاهرة ١٢٩٠ ، ١٣١٨ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣١٩ هـ ؛ القاهرة ١٣٣٧ هـ ؛ الهلالين (على القسم الأخير من تفسير الجلالين) لركن الدين تراب عليّ ، كاونبور ١٢٨٠ هـ ؛ الكمالين لسلام الله الدهلويّ ، دهلي١٢٨١ هـ؛ (مع الزلالين لمحمّد رياست علي) ، دهلي ١٣٠٥ هـ ؛ (بهامش الجلالين) ، دهلي ١٣٠٧ ، ١٣١١ هـ ؛ (مع مختارات من حاشية محمّد رياست علي : حياة القلوب) ، دهلي ١٣١٧ هـ ؛ الجمالين لعلي بن سلطان محمّد القارىء الهرويّ (ت ١٠١٤ هـ)، ميرات في الهند ١٢٨٤ ، ١٢٩٩ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الأدبية) بلا تاريخ؛ تعليقات لفيض حسن سهرانبوري ، عليكره ١٢٨٧ هـ (؟) ؛ الزلالين لمحمّد رياست علي (مع الكمالين) دهلي ١٣٠٥ هـ ؛ لكنهو ١٣١٨ هـ ؛ كشف المحجوبين لسعد الله القندهاري ، بومباي ١٣٠٦ – ١٣٠٧هـ ؛ ترويح الأرواح لروح الله غلبا جزوي (وتعليقات لغلام رسول) ، لاهور ١٣١٨ هـ ؛ قبس النيّرين لمحمّد العلقمي ، القاهرة (المطبعة الأدبية) بلا تاريخ ؛ تحفة المختار (تلخيص حاشية سليمان الجمل على تفسير الجلالين لأحمد مختار بك حفيد خواجه يوسف باشا) ، طرابلس الغرب ١٣١٧ هـ (؟ – بروكلمان ٢ : ١٨٢ ، السطر ١١ من أسفل) .

الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور[١] ، مصر (المطبعة الميمنية) ١٣١٤ هـ ؛ طهران (المكتبة الاسلامية) ١٣٧٧ هـ .

ترجمان القرآن في التفسير المسند[٢] (مختصر من الدر المنثور) ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ .

---

(١) المأثور : الحديث المروي عن رسول الله .

(٢) المسند (من حديث رسول الله) ؛ ما أسند الى قائله : ما ذكر الذين رووه (بفتح الواو الاولى وتسكين الثانية) واحداً واحداً حتى تصل رواية ذلك الحديث الى رسول الله .

الاكليل في استنباط التنزيل[1] ، دهلي ١٢٩٥ ، الهند ١٣٣٦ھ (؟ - لعلّه الاكليل في القراءات - راجع بروكلمان ، الملحق ٢ : ١٨١ ، السطر الأوّل) ؛ (بهامش جامع التبيان في تفسير القرآن لمعين الدين الصفوي الإيجى) ، دهلي ١٢٩٦ ه ؛ (راجعه أبو الفضل عبد الله محمّد ! الصديق الغماري الحسيني - بنفقة أسعد درابزوني الحسيني) ، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٣٧٣ھ) .

مفحمات الأقران في مبهمات القرآن ، ليدن ١٨٣٩ م (١٢٥٥ ه) ؛ بولاق ١٢٤٨ ه (؟) ، ١٢٨٤ ، ١٣١٠ ه ؛ مصر ١٣٠٠ ، ١٣٠٩ ه ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٩ ه ، القاهرة ١٣٢٦ ه ؛ القاهرة (المكتبة المحمودية التجارية) بلا تاريخ .

معترك الاقران في معجزات القرآن ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٩ - ١٩٧٠ م .

متشابه القرآن ، مكّة ١٣١١ ه .

أصول التفسير (مجرّداً من النقاية) بشرح القاسمي ! (مطبوع في مجموع أوله : رسالة نور الانوار) ، الهند ١٢٩٣ ه ؛ = في أصول التفسير ، دمشق (مطبعة الفيحاء) ١٣٣١ ه .

لباب النقول في أسباب النزول (اسباب النزول)[2] ، بولاق ١٢٨٩ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ه ؛ (استانبول) ١٢٩٠ ه ؛ مصر (مطبعة مصطفى وهبي) ١٢٩٧ ه ؛ مصر (مطبعة وادي النيل) ١٢٩٨ ه ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣٠٠ ه ؛ مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٠ ، ١٣٠٢ ه ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ، ١٣١٢ ، ١٣١٧ ه ؛ القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣١٥ ه ؛ (بهامش تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس للفيروزادباي) القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣١٦ ه ؛ القاهرة ١٣٠٠ ، ١٣١٣ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٨ ، ١٣٤٤ ه ؛ القاهرة (البابي - الطبعة الثانيـــة) ١٩٥٤ م ؛ (مع تفسير القرآن العظيم : تفسير الجلالين) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) بلا تاريخ .

المتوكّلي في ما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والتركية والهندية الخ ، دمشق القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٦ ه ؛ دمشق (مطبعة القدسي والبدير) ١٣٤٨ ه ؛ (تحرير محمّد حليم أنصاري - تصحيح وترئين محمّد عبد الحليم حيشتي) ، كراجي (نور محمّد) ١٣٣٩ھ[3] ؛ = المتوكّلي في ما ورد في القرآن باللغات : مختصر معرّبات القرآن (رسالة جامعية تقدّم بها « بل » الى جامعة يايل : فيها النص العربي) ، القاهرة ١٩٢٤ م .

الاتقان في علوم القرآن (تحرير بشير الدين ونور الحقّ) ، كلكتّا ١٢٦٨ - ١٢٧١ ه (١٨٥٢ - ١٨٥٤ م) ؛ القاهرة ١٢٧٢ ، ١٢٧٨ ه ؛ (مع شروح لشبرنغر) ، مصر ١٢٧٩-١٢٨٧ھ ؛ دهلي ١٢٨٠ھ ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٦ ه ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٧ ه ؛ القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣١٨ ه ؛ القاهرة ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ - ١٣٤٥ ه (١٩٢٥ م) ، ١٣٥٤ - ١٣٥٥ ه (١٩٣٥ م) .

---

(١) الاستنباط : استخراج شيء من شيء (أخذ التفاصيل من قاعدة عامة) . التنزيل : الوحي (القرآن الكريم) - يقصد السيوطي : كل شيء يمكن أن يعرف من تأمل القرآن الكريم (كل شيء مذكور في القرآن الكريم) .

(٢) أسباب النزول : الأسباب والمناسبات التي اقتضت نزول الآيات .

(٣) هذا الكتاب بالاردية.

(**) المختار من كتاب الاتقان في علوم القرآن (اختاره عامر محمّد بحيري)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٠ م.

ثانياً – في علوم الحديث الشريف:

جامع المسانيد (= جامع الجوامع، الجامع الكبير)، القاهرة ١٣٢١ هـ.

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير (مختصر من الجامع الكبير)، بولاق ١٢٨٦ هـ القاهرة ١٣٢١ هـ؛ القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٣٨ م؛ القاهرة (البابي) ١٩٣٩ م.

الفتح الكبير في ضمّ الزيادة الى الجامع الصغير (أو زيادات الجامع الصغير) (مزجها وأحسن ترتيبها يوسف النبهاني)، القاهرة (دار الكتب العربية الكبرى) ١٣٢٠ هـ؛ القاهرة ١٣٥٠ هـ؛ = صحيح الجامع الصغير وزيادته = الفتح الكبير (بتحقيق محمّد ناصر الألباني؛ بيروت (المكتب الاسلاميّ) ١٩٦٩ م.

الجامع الصغير في حديث البشير النذير (مجموعة حكم مأخوذة من الجامع الصغير، ومعها ترجمة فرنسية)، مرسيليا ١٨٥١ م.

مسند عمر بن عبد العزيز ... الهند ١٣١٤ هـ (سركيس، ص ١٠٨٤).

تنوير الحوالك: شرح على موطّأ مالك، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٣٤٣ هـ؛ القاهرة (مكتبة ومطبعة الحسيني) ١٣٥٣ هـ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٧ م (١٣٥٦ هـ).

الديباج على صحيح مسلم بن الحجّاج، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٩ هـ.

مصباح الزجاجة في شرح سنن ابن ماجة (بهامش سنن ابن ماجة)، دهلي ١٢٨٢ هـ؛ ١٩٠٥ م (١٣٢٣ م).

الكنز المدفون في الفلك المشحون، بولاق ١٢٨٨ هـ: القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٣ هـ[1].

زهر الربى على المجتبى (شرح على سنن النسائي: المجتبى) (مطبوع مع المجتبى)، كاونبور ١٢٦٥ هـ (١٨٤٧ م)، ١٣٠١ هـ (١٨٨٢ م)؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣١٢ هـ؛ = سنن النسائي بشرح السيوطي، القاهرة ١٩٣٠ م.

قوت المغتذي في جامع الترمذي (في مجموعة أربعة شروح على الترمذي)، كاونبور ١٢٩٩ هـ.

حصول الرفق بأصول الرزق، بومباي ١٨٨٥ م؛ (مطبوع في رسائل ثمان)، لاهور ١٨٩٣ م.

اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (وهو تلخيص لكتاب الموضوعات من الأحاديث المعروفات لأبي الفرج بن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ)، مصر (المطبعة الأدبية) ١٣١٧ هـ؛ القاهرة (المكتبة الحسينية المصرية) ١٣٥٢ هـ.

التعقيبات على الموضوعات (تعقيبات السيوطي على كتاب الموضوعات ... لابن الجوزي)، لاهور (طبع حجر) ١٨٨٦ م (١٣٠٣ – ١٣٠٤ هـ)؛ (في مجموعة أربع رسائل)، لكناو ١٣٠٣ – ١٣٠٤ هـ.

---

(١) لعله ليونس المالكي (نحو ٧٥٠هـ) راجع بروكلمن ٢١ : ٧٥، الملحق ٢ : ٨١.

ذيل اللآلىء المصنوعة (في مجموعة أربع رسائل) ، لكناو ١٣٠٣ — ١٣٠٤ ﻫ .

الدرر المنتثرة (المنتشرة) في الأحاديث المشتهرة (الدرر المنثورة في الاسم الأعظم) (بهامش الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيثمي) ، القاهرة ١٣٠٧ ، ١٣٢٩ﻫ .

الازهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ، القاهرة ١٣٠٢ ﻫ .

مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ، مصر (طبع حجر) بلا تاريخ ؛ (مطبوع مع كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض) ، مصر ١٢٧٦ ﻫ .

إنباه الذكيّ ... (مطبوع في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م ؛ (في رسائل تسع) ، حيدر اباد ١٣١٦ — ١٣١٧ ، ١٣٣٤ ﻫ .

إنباه الأذكياء لحياة الأنبياء (مطبوع في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م ؛ حيدر اباد ١٣١٧ ، ١٣٣٤ ﻫ .

رسالة في خلق آدم (في رسائل اثنتي عشرة) لاهور ١٨٩١ م .

إحياء الميت في فضل البيت (مطبوع في رسائل ثمان) ، لاهور ١٨٩٣ م ؛ (بهامش الاتحاف بحبّ الأشراف لعبد الله بن محمّد الشبراوي) ، القاهرة ١٣١٦ ﻫ ، ١٣١٧ ؛ فاس ١٣١٦ﻫ .

القول الاشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربّه (في رسائل تسع) ، لاهور ١٨٩٠ م .

الباهر في حكم النبيّ بالباطن والظاهر ، القاهرة ١٣٥١ ﻫ .

كفاية المحتاج في علم الاحتجاج[1] ، طبع حجر بلا ذكر مكان للطبع ولاتاريخه (بروكلمان، الملحق ١٨٨ ، رقم ١٥٦) .

الدرج (الدرجات) المنيفة في الآباء الشريفة (في مجموعة لجلال الدين السيوطي) ، حيدر اباد ١٣١٦ — ١٣١٧ ﻫ .

السبل الجليّة في الآباء العليّة (في مجموعة لجلال الدين السيوطي) ، حيدر اباد ١٣١٦ — ١٣١٧ ﻫ ، ١٣٣٤ ﻫ .

المعجزات والخصائص النبوية (الخصائص الكبرى = كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص) ، حيدر اباد ١٣١٩ — ١٣٢٠ ﻫ ؛ (تحقيق محمّد خليل هراس) ، القاهرة (دار الكتب الحديثة) ١٩٦٧ م .

لباب الحديث (وعليه شرح : تنقيح القول الحثيث على لباب الحديث لمحمّد النوويّ البنتاني الغاوي) ، مكّة ١٣١٢ ﻫ .

تدريب الراوي في شرح تقريب النواويّ في أصول الحديث، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ﻫ ؛ (حقّقه عبد الوهاب عبد اللطيف) ، المدينة المنورة (المكتبة العلمية) ١٩٥٩ م ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ ﻫ .

الدرّ النثير تلخيص نهاية ابن الأثير (تلخيص النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المتوفّى سنة ٦٠٦ ﻫ بهامش — النهاية في غريب الحديث والأثر .... بتصحيح

(١) في بروكلمان (٢ : ١٩٢) ، السطر ١٢ من أسفل ، الملحق ٢ ، ١٨٨ السطر ١٤ في معرفة الاختلاج .

عبد العزيز بن اسماعيل الطهطاويّ) ، القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣١١ هـ .

مفتاح الجنّة في الاحتجاج بالسنّة ، القاهرة (إدارة الطباعة المنيرية) ١٣٤٧ هـ؛ بيروت (محمّد أمين دمج) ١٩٧٠ م .

ألفية السيوطي في مصطلح الحديث (شرحها وحقّق مباحثها محمّد محيى الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) بلا تاريخ ؛= نظم الدرر = ألفية الدرر في الأثر (الألفية في مصطلح الحديث) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٣٢ هـ .

** مختصرات وشروح : فيض القدير شرح الجامع الصغير لمحمّد عبد الرؤوف بن عليّ المُناويّ (ت١٠٣٢هـ) ، القاهرة ١٢٨٦هـ ؛ القاهرة (المكتبة التجاريّة الكبرى) ١٩٣٨م؛ التيسير (١) بشرح الجامع الصغير لمحمّد عبد الرؤوف المناوي (وهو مختصر لشرحه الكبير المسمّى : فيض القدير ،بولاق ١٢٨٦ هـ (سركيس ، ص١٧٩٩) ؛ بيروت (المكتب الاسلامي) ١٩٧١ م (!) ؛ السراج المنير شرح الجامع الصغير لعليّ بن أحمد العزيزي البولاقي (ت ١٠٧٠ هـ) ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ (؟) ، ١٢٧٨ ، ١٢٩٢ (١٢٩٣ ؟ هـ) ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ، ١٣١٢ هـ ؛ حاشية لمحمّد الحفني (ت ١١٨١ هـ) على شرح العزيزيّ على الجامع الصغير ، بولاق ١٢٩٠ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٤ هـ ؛ حاشية لمحمّد الحفني على السراج المنير (بهامش السراج المنير) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ ، ١٣١٢ ، ١٣١٤ هـ .

نيل المرام من أحاديث خير الأنام (مختصر من السراج المنير) لمحمّد بن عبد الرحمن الجرداني (بهامش مرشد الانام الى ما يجب معرفته من العقائد والأحكام للجرداني نفسه) ، القاهرة ١٣١٥ هـ ؛

العرائس الحسان في نفائس أحاديث سيّد الانام (موجز من الجامع الصغير) لابراهيم السعيد بن ابراهيم سند (انتهى من تأليفه ١٢٨٠ هـ) ، تونس ١٣٠٨ هـ ؛ النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير (شرح) لعبد الحيّ اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ) (مطبوع في مجموع) ، الهند ١٣٢٢ هـ؛ تنقيح القول الحثيث لشرح لباب الحديث لمحمّد بن عمر الواوي البنتاني الغاوي ، مكّة ١٣١٢ هـ ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٣٥٣ هـ .

ثالثاً ــ في الفقه (الأصول والفروع) والتصوّف :

الاشباه والنظائر في الفروع (في فروع الفقه) ، مكّة ١٣٣١ هـ ؛ (بهامش المواهب السنية شرح الفوائد البهيّة) ، مكّة ١٣٣٤ هـ ؛ (تحرير علي مالكي) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٩هـ = ١٩٣٦ م ؛ (نشره محمّد حامد الفقي) ، القاهرة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٨ م ؛ = الاشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) بلا تاريخ .

---

(١) في بروكلمان (الملحق ٢ : ١٨٤ ، السطر ١٧) : التيسير شرح الجامع الصغير لعيسى بن أحمد الزبيري البراوي الأزهري (ت ١١٨٢ هـ) .

الردّ على من أخلد الى الارض وجهل أن الاجتهاد في كلّ عصر فرض ، الجزائر ١٣٢٥ هـ .
تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء (في رسائل تسع) ، حيدر اباد ١٣١٦ – ١٣١٧ ، ١٣٣٤ هـ .
بشرى الكئيب بلقاء الحبيب (اختصره السيوطيّ من كتابه شرح الصدور في شرح حال الموتى في القبور) لاهور ١٨٨٩ م ؛ (بهامش شرح الصدور ...) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٩ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٩ هـ .
وظائف اليوم والليلة (من كتاب « منهاج السنة ») أو الرد على الرافضي الحلّي ، القاهرة ١٣٤٠هـ .
تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي (جهاراً) للملك ، بلا ذكر مكان الطبع ولا الناشر ولا المطبعة ولا تاريخه ؛ ثمّ مصر ١٣٢٩ هـ .
الحرز المنيع في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع = مختصر القول البديع ... ، مصر ١٣٢٥ هـ .
الحجج المُبينة في التفضيل بين مكّة والمدينة (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
وصول الأماني بأصول التهاني ، (في رسائل تسع) ، لاهور ١٨٩٠ .
الأرَج في الفرَج (تحرير أحمد عبيد) ، دمشق (المكتبة العربية) ١٣٥٠ هـ .
ثلج الفؤاد في أحاديث لبس السواد (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
رسالة في اللباس (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
رسالة في استعمال الحنّاء (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
سهام الاصابة في الدعوات المجابة (المستجابة) ، مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٧ هـ .
المصابيح في صلاة التراويح (في رسائل تسع) ، لاهور ١٨٩٠ م .
التنقيح في مشروعيّة التسبيح (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
أبواب السعادة في أسباب (درجات) الشهادة ، (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ م .
افادة الخبر بنصّه في زيادة العمر ونقصه ، (في رسائل تسع) ، لاهور ١٨٩٠ م .
نزول الرحمة بالتحدّث بالنعمة (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١ هـ .
تحفة المغربي (بذيل رحلة ابن جبير) ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
نور اللمعة في خصائص يوم الجمعة (بهامش صلح الجماعتين لأحمد الخطيب المنكابادي) ، مكّة ١٣١٢ هـ .
ضوء الشمعة في خصائص يوم الجمعة[1] (في مجموع رسائل ثمان) ، لاهور ١٨٩٣ م .
كتاب الصلصلة عن وصف الزلزلة (في مجموع تسع رسائل) ، لاهور ١٨٩٠ م .
تأييد الحقيقة العليّة وتشييد الطريقة الشاذلية ، القاهرة ١٩٣٤ م .
المعاني الدقيقة في ادراك الحقيقة (بهامش اللآلي والدرّ ليوسف بن محمّد الشربيني) ، القاهرة ١٢٨٥هـ.
اتحاف الفرقة برفو الخرقة (مطبوع في رسائل تسع) ، لاهور ١٨٩٠ م .
الشرف المحتّم في ما منّ الله به على وليّه سيدي أحمد الرفاعي من تقبيل يد النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) ، (في مجموعة من رسالتين ، الاولى للسيوطي) ، بولاق ١٣٠١ هـ .

---

(١) في بروكلمان (٢ : ١٨٨) : بهامش تنبيه الغافلين لأحمد زيني دحلان .

شرح الصدور في شرح حال الموتى في القبور ، لاهور ١٨٨٩ م ؛ (بهامش بشرى الكئيب بلقاء الحبيب للسيوطي) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٩ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٩ هـ .

البدور السافرة في أحوال (أمور الآخرة) ، لاهور (طبع حجر) ١٣١١ هـ ؛ (مطبوع مع مع غيره) ، المدينة المنوّرة (المكتبة العلمية) بلا تاريخ .

الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنان (مواعظ)، مصر (طبع حجر) ١٢٧٦ ــ ١٢٨٧، ١٢٩٩ هـ ؛ مصر ١٢٨٧ ، ١٢٩٩ هـ ؛ (مع تنبيه الغافلين لزيني دحلان ــ بهامش رسالة البعث والنشور في أحوال الموتى والقبور لمحمّد سعيد بابصيل)، مصر (مطبعة شرف) ١٢٩٨ ! ، ١٣٠٤هـ؛ (بهامش دقائق الأخبار في ذكر الجنّة والنار لعبد الرحيم بن أحمد القاضي) ، القاهرة ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٢٦هـ ؛ مصر (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٧ ، ١٣١٠، ١٣١٢هـ

برد الأكباد عند فَقْد الأولاد منسوب اليه (1) ، القاهرة (مصطفى تاج) ١٣٣٢ هـ .

التثبيت عند (في علم) التبييت (في ليلة المبيت) = (أرجوزة في سؤال الملكين في القبر ، ١٧٦ بيتاً) (مطبوع في مجموعة فيها ستّ رسائل) ، فاس ١٣٢٧ هـ ؛ (أرجوزة مفيدة : مع تعليقات لمحمّد بدر الدين النعساني) ، مصر (المطبعة الحسينية) .... ؛ شروح على التثبيت : لأبي الحجّاج يوسف القاسمي (ت ١١١٥ هـ) ، فاس ١٣١٤ هـ ؛ لأبي عبد الله محمّد التهاميّ كنّون (ت ١٣٠٣ هـ) (على هامش التقييد على نيّة الجلوس في المسجد ... الخ للتهاميّ كنّون نفسه) ، فاس ١٣٢١هـ ؛ ليوسف بن محمّد بو عصرية ، فاس ١٣١٤هـ .

رابعاً ــ في علم اللسان وفنونه :

المزهر في علوم اللغة (بتصحيح نصر الهوريني) ، بولاق ١٢٨٢ هـ ؛ القاهرة (محمّد عارف) ١٢٨٢ هـ ؛ القاهرة بلا تاريخ ؛ مصر (مطبعة السعادة) ١٣١٥ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٥ هـ ؛ (شرحه محمّد أحمد جاد المولى ومحمّد أبو الفضل ابراهيم وعليّ محمّد البجاوي ؛ القاهرة (دار احياء الكتب العربية) الطبعة الثالثة بلا تاريخ؛ القاهرة (مكتبة صبيح) بلا تاريخ .

الأخبار المرويّة في سبب وضع العربية (مطبوع في مجموعة ثماني رسائل) ، لاهور ١٨٩٣ م ؛ (مطبوع في التحفة البهيّة والطرفة الشهيّة) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ .

الاشباه والنظائر النحوية ، حيدر اباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣١٦ ــ ١٣١٧ هـ ، ١٣٥٩ هـ .

الاقتراح في علم أصول النحو ، حيدر اباد (مطبعة دائرة المعارف النظامية) ١٣١٠ ، الطبعة

---

(١) ينسب هذا الكتاب « برد الأكباد » إلى شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين (٢٧٧ ــ ٨٤٢هـ) ، وكان اشتغاله بالحديث والفقه .

الثانية ١٣٥٩هـ ؛ دهلي ١٣١٣ هـ .
جمع الجوامع [1] وشرحه للسيوطي أيضاً ، القاهرة ١٣١٨ هـ؛ (شرحه محمّد بدر الدين النعساني) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٧ — ١٣٢٨ هـ .
الفريدة في النحو والتصريف والخطّ مع شرحه «المطالع السعيدة» للسيوطي نفسه، القاهرة ١٣٣٢ هـ .
البهجة المرضية في شرح الألفية (لابن هشام) ، مصر (مطبعة المدارس) ١٢٩١ هـ ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ ؛ لكنهو (طبع حجر) ١٨٣١ م ؛ (بهامش الأزهار الزينية في شرح متن الألفية لزيني دحلان ، مصر (المطبعة الميمنية) ١٣١٩ هـ ؛ (بهامش شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) ، مصر ١٣٢٢ هـ .
الزبدة (ألفية في النحو) ، مصر (مطبعة الترقي) ١٣٢٢ هـ .
الأرَج في الفرَج (تلخيص لكتاب الفرج بعد الشدّة [2] لابن أبي الدنيا مع زيادات) (طبع في كتاب بعنوان : تفريج المهج بتلويح الفرج [3] ... ، والأرج مطبوع بالهامش) ، مصر (المطبعة الأدبية) بلا تاريخ ؛ مصر (المطبعة الوهبية) ١٣١٨ هـ (سركيس ، ص ٢١٥) .
فتح القريب بشواهد مغني اللبيب لابن هشام = شرح شواهد المغني ، العجم ١٢٧١ هـ ؛ القاهرة (ذُيّل بتصحيحات وتعليقات لمحمد محمود بن التلاميد الشنقيطي) (جمالي وخانجي — المطبعة البهية ! !) ١٣٢٢ هـ ؛ (وقف على طبعه أحمد ظاهر تحوجان) ، بيروت (لجنة التراث العربي) ١٩٦٦ م .
عقود الجمان في علم المعاني والبيان (نظم فيه تلخيص المفتاح) ، بولاق ١٢٩٣ هـ .
شرح الأرجوزة المسمّاة بعقود الجمان ... ، مصر (مطبعة شرف) ١٣٠٢ ، ١٣٠٥ هـ .
فتح الجليل للعبد الذليل (بلاغة) ، مصر ....
الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب (مختصر من ذم الصاحب والخليل لعلي بن ظافر الازدي) (صححه احمد عبيد) ، دمشق (المكتبة العربية) ١٣٦٨ م .
مشتهى العقول في منتهى النقول ، مصر ١٢٧٦ هـ .
تحفة المُجالس ونزهة المجالس (نشره محمّد بدر الدين النعساني)، القاهرة ١٣٢٦هـ ؛ مصر١٣٢٩هـ.
درر الكلم الخ (في ثماني رسائل) ، لاهور ١٨٩٣ م .
المرج النضر والارج العطر ، دمشق ١٣٥٠ هـ .
نزهة العمر ، دمشق ١٣٤٩ هـ .

---

(١) جمع الجوامع (في النحو) شرحه السيوطي وسماه « همع الهوامع » (راجع معجم المطبوعات العربية لسركيس ، ص ١٠٧٨) .
(٢) راجع ٢ : ٣٣٦ — ٣٣٨ ؛ راجع فوق ص ٩٠٨ .
(٣) في معجم المطبوعات العربية (ص ١٠٧٥) : الارج في الفرج ، لخص فيه (السيوطي) كتاب الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا وزاد عليه . (وهو مطبوع في مجموع) موسوم بـ« تفريج المهج بتلويح الفرج » الجامع لثلاثة كتب : الأول « حل العقال » لابن قضيب البان ، والثاني « الارج في الفرج » للسيوطي ، والثالث (وهو بالهامش) « معيد النعم ومبيد النقم » لتاج الدين السبكي .

نظم البديع في مدح الشفيع [1] ، مع « شرح السيوطيّ عليه »، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٨ ه .
المقامات (مقامات السيوطي) ، الهند (طبع حجر) ١٢٧٥ ه ؛ بهوبال بالهند ١٢٩٧ ه ؛ القاهرة ١٢٧٥ ه ؛ قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ ه .
المقامة الوردية (في مفاخرة الأزهار) ، القاهرة ١٢٧٢ ه .
رشف اللآل في وصف الهلال [2] جمع فيه اشعار خليل الصفدي في الهلال الجديد (مطبوع في مجموع « التحفة البهيّة » ، رقم ٧) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ ه) ه ؛ فاس (طبع حجر) ١٣١٩ .
المقامة السندسية في النسبة الشريفة المصطفويّة ، مصر (طبع حجر) ... ؛ (في مجموعة) ، حيدر اباد ١٣١٦ – ١٣١٧ ه .
نزهة الجلساء بأشعار النساء (تحرير صلاح الدين المنجّد) ، بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٨ م .
** جواهر الحكايات والأسئلة واللطائف والروايات والأمثلة (مختصر من كتاب « من نحا إلى نوادر جحا » للسيوطي) ، قازان ١٩٠٥ م .
المهمّات المفيدة (شرح المفيدة في النحو) لمحمّد بن أحمد بن زكري الزواوي ، فاس ١٣١٩ ه .
ثمار المزهر (نظم أشياء من المزهر) لمصطفى محمّد فاضل بن ماء مين الملقّب بماء العينين (ت ١٣٢٨ ه) ، فاس ١٣٢٤ ه .
الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع (نحو) للمختار بن بون الشنقيطي ، القاهرة (مطبعة كردستان العلمية) ١٣٢٨ ه ؛ القاهرة (المطبعة الجمالية) ١٣٢٨ ه .

خامساً – في التاريخ والتراجم :

الشماريخ في علم التاريخ (في مجموع اثني عشرة رسالة) ، لاهور ١٨٩٠ ، ١٨٩٢ م ؛ (تحرير سيبولد) ، ليدن (بريل) ١٨٩٤ ، ١٨٩٦ م .
بدائع الزهور في وقائع الدهور [3] ، القاهرة ١٢٨٢ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٦ ، ١٣٢٤ ، ١٣٥٢ ه .
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٨ ه ؛ القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ ه ؛ (التزام مصطفى فهمي وأخويه) ، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ ه ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٤ ه ؛ القاهرة ١٣٢٧ !! ؛ – طبع جزء صغير منه (باعتناء تورنبرج وهندال) ، أوبسالا في أسوج ١٨٣٤ م .

---

(١) الشفيع : محمد رسول الله . (٢) الهلال الجديد .
(٣) ينسب هذا الكتاب وهما لابن اياس (انظر تحت .....) ، وربما قيل « بدائع الزهور ... » لابن اياس ، والقائل يقصد « تاريخ مصر » لابن اياس (راجع مثلا بروكلمان ٢ : ٣٨٠ ، الملحق ٢ : ٤٠٥ – ٤٠٦) . وينسب هذا الكتاب الى السيوطي (راجع بروكلمان ٢ : ٢٠٢ ، رقم ٢٨٨ ، الملحق ٢ : ١٩٦ – ١٩٧) . وفي بروكلمان (الملحق ٢ : ٢١٦) : للواعظ أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكري البصري (المتوفي في أوائل القرن الثامن للهجرة ، وقيل بعد منتصف القرن العاشر ، عدد من الكتب العامة (الشعبية) منها « بدائع الزهور ووقائع الدهور » (بواو العطف) ، وهو كتاب في تاريخ الخليقة ووصف مصر وقصص الانبياء .

لباب الألباب في تحرير الانساب (تحرير فت) ، ليدن (اوخمتانس) ١٨٤٠ وما بعده .
كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى = الخصائص والمعجزات النبويّة =
انباه الذكي في حياة النبي ، حيدر اباد ١٣١٦هـ .
الآية الكبرى في شرح قصّة الاسراء ، دمشق ١٣٥٠ هـ .
نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين (في مجموعة من رسائل السيوطيّ) ، حيدر اباد ١٣١٦ – ١٣١٧ هـ ، ١٣٣٤ هـ .
التعظيم والمنّة في أنّ أبوي الرسول في الجنّة ، حيدر اباد ١٣١٧ ، ١٣٢٥ ، ١٣٣٤هـ .
مسالك الحنفا في والدي المصطفى (في مجموعة رسائل للسيوطي) ، حيدر اباد ((مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية) ١٣١٦ – ١٣١٧ ، ١٣٣٤ هـ .
دفع (رفع) التأسّف عن اخوة يوسف (في مجموع اثنتي عشرة رسالة ، رقم ٨) ، لاهور ١٨٩١ م ؛ (في تسع رسائل) ، لاهور ١٨٩٢ م .
مناهل الصفاء بتواريخ الأئمّة والخلفاء (= تاريخ الخلفاء) (تحرير وليم ليس وعبد الحقّ) ، كلكتا ١٨٥٦ م ؛ لكنهو ١٨٥٧ م ؛ لاهور ١٨٧٠ ، ١٨٨٧ ، ١٨٩٢ م ؛ ١٣٠٤ هـ ؛ دهلي ١٣٠٦هـ ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة ١٣٢٢ هـ ؛ القاهرة (دار الطباعة المنيرية) ١٣٥١ هـ ؛ القاهرة ١٣٥١ هـ ؛ (بتحقيق محمّد محيى الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٥٩ م .
تحذير الخواصّ من أكاذيب القصّاص ، القاهرة (مكتبةعبد الواحد التازيّ)١٣٥١هـ .
طبقات الحفّاظ للذهبي (باعتناء فستنفلد) ، غوتنجن ١٨٣٣ – ١٨٣٤م ؛ = ذيل تذكرة الحفاظ دمشق (حسام الدين القدسيّ) ١٣٤٧ هـ .
طبقات المفسّرين (موبرسنغه) ، ليدن (ليختمانس) ١٨٣٩ م .
الأوج في خبر عوج ، الهند ١٣١٤ هـ .
ريح النسرين في من عاش من الصحابة مائة وعشرين (في رسائل تسع) ، لاهور ١٢٩٠، ١٢٩٢ م .
الرسالة المجيدية لرضيّ الدين عبد المجيد تونغ (في الرسائل البهيّة؟) لكناو ١٨٧١ م.
إسعاف المبطّأ برجال الموطّأ (بهامش سنن ابن ماجه) ، دهلي ١٢٨٢ هـ ؛ حيدر اباد ١٣٢٠هـ ؛ بذيل تنوير الحوالك شرح موطّأ مالك) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٣٤٣ هـ ؛ (بذيل الموطّأ) ، القاهرة ١٣٤٨ – ١٣٤٩ هـ ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٧ م (؟) ؛ القاهرة (مكتبة ومطبعة الحسيني) ١٣٥٣ هـ .
تزيين الممالك بمناقب الامام مالك (مطبوع مع المدوّنة الكبرى لسحنون) ، مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٢٤ هـ .
تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة (في مجموع) ، حيدر اباد ١٣١٦ – ١٣١٧ ، ١٣٣٤ هـ .
النفحة المسكية ، بومباي ١٣٠٤ هـ ؛ (في مجموعة ثماني رسائل) لاهور ١٨٩٣ م .

بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة (عني بتصحيحه محمّد أمين الخانجي بقراءته على الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي) ، القاهرة (على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمّد أمين الخانجي وأخيه) ١٣٢٦ هـ ؛ (تحقيق محمّد أبي الفضل ابراهيم)، القاهرة (عيسى البابي الحلبي) ١٩٦٤ – ١٩٦٥ م .

تاريخ السلطان الملك الأشرف (تحرير فارمند) ، فينّا ١٨٨٤ م .

الدراري في أبناء (أبناء) السراري ، بولاق ١٣٠١ هـ .

المستطرف في أخبار الجواري (حقّقه صلاح الدين المنجّد) ، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٣ م .

نظم العقيان في أعيان الأعيان (نشره فيليب حتّي) ، نيويورك (المطبعة السورية الاميركية) ١٩٢٧ م .

سادساً – في سائر الفنون المتفرّقة :

النقاية (بعنوان: الأصول المهمّة في علوم جمّة) (مطبوع مع «التحفة البهيّة»)، قسطنطينية ١٣٠٢ هـ .

اتمام الدراية على النقاية (شرح النقاية)، بومباي ١٣٠٩هـ؛ القاهرة ١٣٠٩هـ ؛ فاس ١٣١٧هـ ؛...

لقراء النقابة (بهامش مفتاح العلوم للسكّاكي) ، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٧ هـ .

الحاوي في الفتاوي (في فنون مختلفة) ، القاهرة (ادارة الطباعة المنيريّة) ١٣٥٢ هـ .

اللمعة في أجوبة الاسئلة السبعة (أدخله السيوطي في الحاوي في الفتاوي) ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

الوديك في فضل الديك ، القاهرة (مطبعة الحرمين) ١٣٢٢ هـ .

صون المنطق والكلام عن علم المنطق والكلام (تحرير النشار) ، القاهرة (الخانجي) ١٩٤٧ م .

مختصر السيوطيّ لكتاب نصيحة اهل الايمان في الردّ على منطق اليونان لابن تيميّة (تحرير سامي النشّار) (مطبوع مع «صون المنطق والكلام) ، القاهرة (الخانجي) ١٩٤٧ م .

المنهج السويّ في الطبّ النبوي[1] (الطبّ النبوي)، القاهرة (طبع حجر) ١٢٨٧ هـ ؛ (بهامش تحصيل المنافع لعبد الرحيم العراقي) ، القاهرة ١٣٠٥ هـ .

الرحمة في الطبّ والحكمة ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣١١ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٢ هـ .

علم الخطّ (مطبوع في التحفة البهيـة) ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ .

---

(١) لعله منحول اليه ، فهو ينسب أيضاً الى شمس الدين الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) راجع بروكلمان ، الملحق ٢ : ١٨٢ – ١٨٣ .

مجموع عقائد السيوطي ..... ، تونس ١٣٢٠ هـ .
فضل الأغوات الذين استومنوا على الحريم (الحُرُمات) ، مصر (مطبعة باب الفرج) ...
رشف الزلال من السحر الحلال (= مقامة النساء : مقامات في أمور الزواج) ، مصر (طبع حجر) راجع معجم المطبوعات العربية ص ١٠٨٠) القاهرة بلا تاريخ ؛ فاس (طبع حجر) ١٣١٩ !
ثبت بمولفات السيوطي بخطه (في رسائل اثنتي عشرة) ، لاهور ١٨٩١م ؛ — .... المعطي الحافل بمؤلفات السيوطي ، جاونبور ١٣٠٠ ، ١٣١١ هـ .
الإيضاح في علم النكاح [1] ، مصر (طبع حجر) بلا تاريخ ؛ ثم ١٢٧٩ ، ١٢٩٣ هـ .

* قبر السيوطيّ وتحقيق موضعه ، بقلم أحمد باشا تيمور ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .

حسن المحاضرة ١ : ١٥٥ — ١٦١ ؛ الضوء اللامع ٤ : ٦٥ — ٦٧ ؛ البدر الطالع ١ : ٣٢٨ — ٣٣٤ ؛ النور السافر ٥٤ — ٥٧ ؛ الكواكب السائرة ١ : ٢٢١ — ٢٣٦ ؛ شذرات الذهب ٨ : ٥١ — ٥٥ ؛ زيدان ٣ : ٢٤٤ — ٢٥٠ ؛ بروكلمان ٢ : ١٨٠ — ٢٠٤ ، الملحق ٢ : ١٨٧ — ١٩٨ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٧١ — ٧٣ ؛ عصر سلاطين المماليك (تأليف محمود رزق سليم) ٣ : ٣٥٥ — ٣٨٨ ، ٤ : ٢٨١ — ٢٨٢ .

أحمدُ بن الفَرْفور الدمَشْقي

١ — هو شِهابُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمودِ بنِ عبدِ الله بنِ محمودٍ المعروفُ بابنِ الفَرْفورِ الدمَشْقيّ ، وُلِدَ في نِصفِ شَعْبانَ ٨٥٢ هـ (١٤/ ١٠/ ١٤٤٨ م) وتَلَقّى العِلمَ على بُرهانِ الدين الباعونيّ ونجمِ الدين قاضي عَجْلونَ وغيرِهما .

وَلِيَ أحمدُ بنُ الفرفور القضاءَ على المذهبِ الشافِعِيِّ في دِمَشْقَ ، ثم أُضيفَ إليه (٩١٠ هـ) القضاءُ في مِصْرَ فذهب اليها واستناب عنه في دمشق ابنَه وليّ الدين.

تُوُفِّيَ أحمدُ الفرفوري في القاهرة في ١٧ جمادى الثانية ٩١١ هـ (١٤/ ١٢/ ١٥٠٥ م) .

٢ — كان أحمد الفَرْفوري قاضي القُضاةِ في مِصْرَ والشامِ ، وكان فقيهاً عالماً وشاعراً متوسّطاً .

٣ — مختارات من شعره

— في سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ م) قالَ أحمدُ الفرفوريُّ قصيدةً يَمْدَحُ بها قانْصُوه الغَوْريّ منها :

---

(١) لعله منسوب إليه .

لَكَ المُلْكُ بالفَتْحِ المُبينِ مُخَلَّدُ ... لأنَّكَ بالنَّصْرِ العزيزِ مُؤَيَّدُ .
وكانَ لكَ اللهُ المُهَيْمِنُ حافظاً ... يُعينُكَ في كلِّ الأمورِ ويُسْعِدُ :
ففي السِلْمِ حِلْمٌ فيه كالماءِ رِقّةٌ ، ... وفي الحرب نار جَمْرُها يَتَوقّد !
لأنّكَ حامي حَوْمةِ الدينِ بالظُبا ... وللسيف خَدّ بالدماءِ مُوَرَّد[1] .
وكان الذي قد شاهَدَتْه عُيونُنا ... بأضعافِ ما قال الرُواة ورَدّدوا .
يُدَبِّرُ أمرَ المُلْكِ مِنْكَ رَوِيّةٌ ... يُريكَ بها اللهُ الصَوابَ فتَرْشُد[2] .

٤ ــ * شذرات الذهب ٨ : ٤٩ ــ ٥٠ ؛ الكواكب السائرة ١ : ١٤١ ــ ١٤٥ .

جلال الدين بن هبة الله

١ ــ هُوَ جلالُ الدينِ أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عُمَرَ بنِ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ ابنِ عبدِ القادر النَصيبيُّ الحَلَبيُّ ، وُلِدَ في حَلَبَ في ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٨٥١ هـ (ربيعِ عامِ ١٤٤٧ م) .

تلقّى جلالُ الدينِ العلمَ على جماعةٍ من علماء الشامِ ثمّ قَدِمَ القاهرةَ سَنَةَ ٨٧٦ هـ (١٤٦٢ ــ ١٤٦٣ م) وتابعَ تَلَقِّيَ العلمِ . وقد نابَ في القضاءِ في دِمَشْقَ وحَلَبَ والقاهرةِ ثمّ تولّى قضاءَ حماةَ وقضاءَ حلبَ أصالةً . وكانتْ وفاتُه في ثالثِ عَشَرَ رَمَضانَ من سَنَةِ ٩١٦ (١٤/ ١٢/ ١٥١٠ م) .

٢ ــ كان جلالُ الدينِ بنُ هبةِ الله ذا فِطنةٍ وحافظةٍ واعيةٍ بَرَعَ في الفِقْه وألّفَ كتابَ الابْتهاج وجعله تعليقاً على كتابِ المِنهاج[3] ، كما صنّف مجموعاً من الأدب . واختصرَ « جمع الجوامع » للسيوطي ؛ وكان له نظمٌ يسير .

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال جلالُ الدين بنُ هِبةِ اللهِ مُخَمِّساً قصيدةً لابن العَفيف التِلْمِسانيّ :

غِبْتُمْ فطَرْفي من الهِجرانِ ما غَمَضا ، ... ولم أجِدْ عنكُمُ لي في الهوى عِوَضا .
فيا عَذولاً بفَرْطِ اللَّوْمِ قد نَهَضا ، ... (للعاشقينَ بأحكامِ الغرامِ رِضا ؛
فلا تكُنْ ، يا فتًى ، بالعَذْلِ مُعْتَرِضا)[4] .

(١) الظبا جمع ظبة (بضم ففتح) : حد السيف.
(٢) الروية : التفكير .
(٣) منهاج الطالبين للنووي (ت ٦٧٦ هـ) .
(٤) العذل : اللوم .
الطرف : العين . العذول : اللائم . الفرط : الافراط ، الزيادة عن الحد . نهض : قام في وجهي .

أنا الوفيُّ بعَهْدٍ ليس يَنْتَقِضُ ، وإنْ همُ نَقَضوا عَهْدي وإنْ رَفَضوا.
فقُلْتُ لمّا بقَتْلي بالأسى[1] فرَضوا : (روحي الفِداءُ لأحْبابي وان نَقَضوا
عهدَ الـوفيِّ الذي للعَهْدِ مـا نقضا) .
أحبابَنا، ليس لي عن عَطْفِكُمْ بَدَلُ ، وعن غرامي ووَجْدي لستُ أنتقل .
يا سائلي عن أحبّائي وقد رَحَلـوا ، (قِفْ واسْتَمِـعْ سِيرةَ الصبِّ الذي قتلوا
فمات في حُبِّهم لم يَبْلُـغِ الغرضا)[2] .
قد حمّلوه غراماً فوق ما يَسَـعُ وعذّبوا قَلْبَهُ هَجْراً وما انتفعوا .
دَعَوْا أجابَ، توالى سُهْدُهُ هَجَعوا، (رأى فحَبَّ فرامَ الوَصْلَ فامتنعوا ؛
فسَـامَ صبراً فأعْيا نَيْلُه فقضى)[3] .

٤ ـ * * الكواكب السائرة ١ : ٦٩ ـ ٧٠ ؛ شذرات الذهب ٨ : ٧٥ ـ ٧٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٠٧ . الضوء اللامع ٨ : ٢٥٩ ؛

عبدُ القادرِ بنُ حَبيبٍ

١ ـ هو الشيخُ عبدُ القادرِ بنُ محمّدِ بنِ عُمَرَ بنِ حبيبٍ الصَفَديّ ، أخذَ العِلْمَ والطريقةَ (التصوّف) عن شِهابِ الدينِ بنِ أرسلانَ الرَمليّ .

أرادَ ابنُ حبيبٍ في أولِ أمرِه ألاّ يُعْرَفُ عنه أنه مُتَصَوّفٌ من ذوي المَقاماتِ الرفيعةِ فتَستّر « بالتظاهرِ بالرَقْصِ والنَفْخِ في المِزمار وبالخِلاعة » (عادةٌ كانت مألوفةٌ في بعضِ الصوفيّين) ثم ترك ذلك ولَزِمَ دارَه بعيداً عن حياةِ الناس يُقْرِىء الأطفالَ ويُؤذِّنُ في أوقاتِ الصلَوات . ثم اتّفق أنْ لَقِيَهُ المُتصوّفُ المَغْرِبي عليُّ ابنُ ميمونٍ فنَشَرَ ذِكْرَه .

كانتْ وَفاةُ عبدِ القادرِ بنِ حبيبٍ في صَفَدَ ، في ١١ جُمادى الأُولى من سَنَةِ ٩١٥ هـ (٢٧/ ٨/ ١٥٠٩ م) .

---

(١) الاسى : الحزن .
(٢) الوجد : الحب والشوق . الصب : المحب .
(٣) ـ لما دعوه بحسنهم وجمالهم الى أن يحبهم أجاب (أحبهم) . فلما توالى (طال، استمر) سهده (سهره) كثر حبه لهم وتعلق بهم . هجعوا : ناموا (تركوه ونسوه) . فسام (طلب) صبراً فأعيا نيله (أعجزه الحصول على الصبر) فقضى (مات) .

٢ ــ كان عبدُ القادرِ بن حبيب مُتصوّفاً يعتقد أقوالَ مُحْيِي الدين بنِ عَرَبِي[(١)] ويتأوّلُها تأوّلاً حَسَناً . وله شِعْرٌ سَهْلُ التركيبِ فيه ضَعْفٌ أحياناً ، وفيه شيء من عُذوبةِ الإشاراتِ الصوفية .

٣ ــ **مختارات من شعره**

ــ لعبدِ القادرِ بن حبيبٍ تائيّةٌ مَشْهورةٌ مَطْلعُها :

لمّا غَفَوْتُ ولم أحْقِدْ على أحدٍ ... أرَحْتُ نَفْسِيَ من حَمْلِ المَشَقّاتِ .

جاء فيهـــا :

الحقُّ يَدْعوكَ في الأسحارِ فَاسْعَ وقُمْ ... وَافتَحْ فُؤادَكَ وانْشَقْ طِيبَ نَفْحات.

واغْرِسْ بقَلْبِكَ أشجارَ الوِداد لَهُ ... (وأخْلِ) من شَوْكِ سَعْدانِ الخَليقات.

دَعِ الزمان وأهْلِيه ، ونفسُكَ لا ... تَذْهَبْ عليهم ــ أخا العِرفانِ ــ حَسْرات.

طُوبى لِمَنْ ذاقَ كأساً مِنْ مَحَبّتِهِ ... ودام حتّى حَظِي مِنْهُ بكاسات.

خَوْفُ المُحِبِّ وفِسْقُ العارفين ، كذا ... كِذْبُ المُريدِ فَسادٌ في الطريقات .

إن لم تَجِدْ مُنْصِفاً لِلْحَقِّ دَعْهُ إلى ... مَوْلى المـــوالي ومَسّاكِ السمَوات !

٤ ــ * شذرات الذهب ٨ : ٦٩ ــ ٧١ ؛ الكواكب السائرة ١ : ٢٤٢ ــ ٢٤٦ .

ابن مُلَيْكٍ الحَمَوِيّ

١ ــ هو الشيخُ علاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ الله ابنِ مُلَيْكٍ الحَمَويُّ الدمَشقيّ الفُقّاعيّ ، وُلِدَ في حَماةَ سنةَ ٨٤٠ هـ (١٤٣٦ ــ ١٤٣٧ م) .

أخذ ابنُ مُليكٍ الأدبَ عن الفَخْرِ عُثمانَ بنِ العبدِ التَنوخيّ ، وأخذَ النحوَ والعَروضَ عن بهاءِ الدين بنِ سالمٍ . ثمّ إنّه قَدِمَ إلى دِمَشْقَ وتكسّبَ مُدّةً ببَيْعِ الفُقّاع[(٢)] ، ومِنْ هنا جاء لَقَبُهُ « الفقّاعي » . بعدَئذٍ تَرَكَ ذلك وأخذَ

(١) محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م) كان صوفياً متطرفاً له شطح (ألفاظ يدل ظاهرها على الزندقة والكفر) وكان يمزج المدارك الصوفية بالتأويلات العقلية ويؤمن حيناً بالحلول (حلول العزة الالهية في انسان مخصوص) وحيناً بالاتحاد (فناء الانسان في الذات الالهية) وذلك أن يكون كل جزء من العالم المنظور جانباً ممثلا للألوهية (راجع ، فوق ، ٥٤٢) .

(٢) الفقاع (بضم الفاء وتشديد القاف) : شراب يتخذ من الاثمار أو من بزورها (!) ومن الشعير فيكون على سطحه فقاقيع .

يتردّدُ الى دُروسِ الشيخِ بُرهانِ الدين بنِ عَوْنٍ فأخذَ عنه الفِقْهَ الحَنَفيّ .

تَطَوّفَ ابنُ مُليكٍ في الشام فذهبَ الى حَلَبَ ومدح فيها ابنَ النصيبي قاضي القُضاة (الديوان ٨٦ ، ١١٥) وإلى طرابُلُسَ . وكذلك زارَ مِصْرَ (الديوان ١٢٠) ومدح فيها ابن أجا (الديوان ٦٧ ، راجع ٦٢)[1] .

وكانت وفاةُ ابنِ مُليكٍ في دِمَشْقَ ، في شَوّالٍ من سَنَةِ ٩١٧ هـ (مطلع ١٥١٢ م)[2] .

٢ ـ كان لعليّ بن مُليك مُشاركةٌ في اللغة والصرف والنحو ومعرفةٌ بكلامِ العرب ، كما كان مُلِمّاً بالحديث والفِقْه ؛ ولكنّ شُهْرَتَه كانت في الأدب والشعر . وقد كان شاعراً مُكْثِراً مُجيداً رَقيقاً صاحبَ بديهةٍ ، فصيحَ الألفاظ سَهْلَ التراكيب كثيرَ الصناعة اللفظية والتكلُّفِ في شعرِه ونثرِه على السواء . ثمّ هو يُكْثِرُ تقليدَ الشعراءِ في ألفاظهم وأساليبهم : قلّد أبا تمّامٍ (الديوان ١٥٨) والمُتنبّي (الديوان ٩٦ ـ ٩٧) وابنَ الفارض (الديوان ٧٧ ، ٢٠٣) وغيرَهم . وفنونُه البديعيّاتُ والمدح والرثاء الى جانبِ أغراضٍ له وُجْدانيةٍ عَرَضَتْ له في حياتِه اليومية . وأوسعُ فنونِه الغزلُ . وله شيءٌ من المُجون (الديوان ١٣١ ، ١٥٠ ، ٢٠٦) .

وله أيضاً تَخْميسٌ للقصيدة المنفرجة « اشْتدّي ، أزْمَةُ ، تَنْفَرِجي » . وله ديوانٌ اسمُه « النَفَحات الأدبية من الرياض الحَمَويّة » ثمّ مجموعٌ من الأشعارِ (مختاراتٌ من الشعراء) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ مرّ عليُّ بنُ مليكٍ بالمَرْجَةِ (ساحةِ دِمَشْقَ) فرأى جماعةً يَعْرِفونه ، وكانوا يَشْربونَ ، فَدَعَوْهُ إلى الزاد (مُشارَكَتِهم في الطعام) فمالَ إليهم وقَعَدَ مَعَهُم (يَعِظُهم) . في أثناءِ ذلك جاء الشُرْطة فأخذوهم وهُوَ

---

(١) محمود بن محمد بن أجا التدمري الاصل ولد في حلب سنة ٨٥٤ ، ذهب الى القاهرة واشتغل بالعلم فيها ثم زار القدس سنة ٨٨٨ هـ وعاد الى حلب وتولى فيها القضاء (٨٩٠ هـ) وحج (٩٠٠ هـ) ثم عاد الى حلب . بعدئذ طلبه السلطان قانصوه الغوري و ولاه كتابة السر (٩٠٦ هـ) . وكانت وفاته في حلب سنة ٩٢٥ هـ .

(٢) يبدأ شهر شوال من سنة ٩١٧ هـ في نحو الثاني والعشرين من كانون الاول ـ ديسمبر ١٥١٢ م .

مَعَهم . فلمّا وَصَلوا إلى القاضي عَرَفَهُ القاضي ولامَهُ فقال :

واللهِ ، ما كُنْتُ رفيقاً لَهُمْ ، ولا دَعَتْني لِلْهَوى داعِيَهْ .
وإنّما بالشِعْر نادَمْتُهم ، لأجلِ ذا ضَمّنْتنِيَ القافيهْ !

*هلْ لِصَبٍّ قدْ غَيّرَ السُّقْمُ حالَهْ زَوْرَةٌ مِنْكُمُ على كُلِّ حالهْ ؟
يا لَقَوْمي ، مَنْ لِلْفَتى من فتاةٍ مَزَجَتْ كأسَ صَدِّها بالمَلالهْ .
قلتُ إذْ مَدَّ شَعْرُها لي ظِلالاً ، أسْبَغَ اللهُ لي عليها ظِلاله :
«كمْ مُحِبٍّ بدَمْعِهِ قد أتاها سائلاً وَهْيَ لا تُجيبُ سُؤاله»[1] .
حاولتْ زَوْرتي فنَمَّ عليها قُرْطُها في الدُّجى ومِسْكُ الغُلالة[2] .
ثمّ لمّا أنْ سَلّمتْ أذْكرَتْني عَهْدَ من سَلّمتْ عليهِ الغَزاله[3] :
خاتَمِ الأنبياءِ والرُسْلِ حقّاً مَنْ أتى بالهُدى وأدّى الرِساله .
يا إمامَ الهُدى ويا مَنْ عليهِ مِنْ طِرازِ الوَقارِ أبْهى جَلاله ،
كُنْ شَفيعي مِمّا جَنَيْتُ قَديماً زَمَنَ اللهْوِ والصِبا والجَهاله !

٤ — النفحات الادبية من الرياض الحموية — ديوان علاء الدين بن مليك (المكتبة الانسية) ، بيروت المطبعة العلمية) ١٣١٢ هـ .

* الكواكب السائرة ١ : ٢٦١ — ٢٦٣ ؛ شذرات الذهب ٨ : ٨٠ — ٨١ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٣ ، الملحق ٢ : ١٣ ؛ زيدان ٣ : ١٣٩ ؛ الاعلام للزركلي ٥ : ١٦٤ . معجم المؤلفين لكحالة ٧ : ٢١٩ .

الاشمونيّ

١ — هو نورُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ عيسى بنِ محمّدٍ الأُشمونيُّ ، نِسبةً الى أُشْمونَيْنِ[4] ، وُلِدَ في القاهرة في شَعبانَ من سَنَةِ ٧٣٨ هـ (آذار —

(١) في قوله « سائلا » تورية : السائل الذي يسأل (وهنا هو المحب). والسائل : الذي يسيل ، يجري (وهنا هو الدمع) .
(٢) نم عليها : وشى بها (أشهر أمرها للناس) . قرطها (الحلقة التي تزين بها أذنها — لان قرطها يضيء في الليل أو يسمع صوته) . ومسك الغلالة (رائحة المسك الطيبة التي تنبعث من غلالتها : الثوب الذي تلبسه مما يلي جسدها) .
(٣) محمد رسول الله كلمه الظبي (الغزال).
(٤) أشمونين (بضم الهمزة ولفظ التثنية) : بلد في الصعيد الأوسط من مصر (تاج العروس ٩ : ٣٥٥) . وهي غير أشمون (بضم الهمزة) جريس (بالتصغير) : قرية تحت شطنوف(في المنوفية ، شمال القاهرة) .

ـ مارس ١٤٣٥ م) .

أخذ نورُ الدينِ الأُشمونيُّ العِلمَ عن نفرٍ منهم جلالُ الدين المحلّي (ت ٨٦٤ هـ) وصالحُ بنُ عُمَرَ البُلْقيني (ت ٨٦٨ هـ) ويوسفُ بن سعد الدين المُناوي (ت ٨٧١ هـ) ومحمّد بن سليمان الكافِيَجي (ت ٨٧٩هـ) ثمّ تصدّرَ للاقراء . وقد تولّى القضاءَ في دُمْياطَ . وكانت وفاته في القاهرةِ في سابعِ عَشَرَ ذي الحِجّة من سنة ٩١٨ هـ (٢٤/ ٢/ ١٥١٣ م) .

٢ ـ بَرَعَ نورُ الدين الأُشمونيّ في عددٍ من العلوم منها الفِقْهُ والنحوُ والمَنْطِق والحساب (الفَرْض : تقسيم الارث) ، ولكنّ شُهرتَهُ قائمةٌ على معرفته بالصَرْف والنحو . وقد كانتْ بينَه وبين السُيوطيّ (ت ٩١١ هـ) منافسةٌ . ثمّ هو مؤلّفٌ له : منهجُ السالك الى ألْفية ابن مالك (شرح ألْفية ابن مالك) ـ شرح التسهيل(١) ـ نظم جمع الجوامع(٢) ـ نظم أيساغوجي(٣) ـ نظم المنهاج(٤) (في الفقه) .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ مقدّمة « منهج السالك »(٥) :

بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ . أمّا بعدَ حَمْدِ اللهِ على ما مَنَحَ مِنْ أبوابِ البيان ، والصلاةِ والسلامِ على مَنْ رَفَعَ بماضي العَزْمِ قواعدَ الإيمان وخَفَضَ بعاملِ الجَزْمِ كَلِمَةَ البُهتان : محمّد المُنْتَخَبِ من خُلاصةِ مَعَدٍّ وعَدْنانَ(٦) ، وعلى آلِهِ وأصحابهِ الذين أحْرَزوا قَصَبَاتِ السَبْقِ في مِضمارِ الإحسان وأبرزوا

---

(١) التسهيل في النحو لابن مالك ، وقد شرح الاشموني بعضه .

(٢) جمع الجوامع في أصول الفقه لتاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ) ، وهو غير جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) في الحديث .

(٣) ايساغوجي (من اليونانية : المقدمة) في علم المنطق ، وهو في الأصل كتاب من وضع ملكون الصوري (المعروف في المصادر الأجنبية والعربية باسم فرفوريوس : ذي الديباج الأحمر) المتوفى عام (٣٠٤ م = ٣١٨ ق.هـ) . وكلمة ايساغوجي تستعمل للدلالة على علم المنطق .

(٤) ......

(٥) لاحظ أن الأشموني يستعمل في التعبير عن آرائه ألفاظاً من علم الصرف وعلم النحو (عامل ، ضمير ، ماض ، فتح ، رفع ، خفض ، جزم ، الخ) ، على سبيل التورية .

(٦) الرفع : تحريك الكلمة بالضمة ـ إعلاء الشيء . الماضي : الفعل الماضي ـ القاطع ، النبات ، ذو الأثر والنفوذ . الخفض : تحرك الكلمة بالكسرة ـ جعل الشيء منخفضاً متدنياً ، منحطاً عن غيره . الجزم : قطع النفس عند آخر الكلمة (بلا تحريك لآخرها) ـ الفصل في الأمور . البهتان : الكذب (الكفر) . معد بن عدنان : جدان من أجداد عرب الشمال الذين منهم قريش ومن قريش بنو هاشم آل الرسول .

ضميرَ القصّة والشان بلسان السنان وسنان اللسان[1] . فهذا[2] شرحٌ لطيف[3] بديع على أَلْفيّة ابنِ مالك[4] مُهذَّبُ المقاصدِ واضحُ المسالك ، يمتزجُ بها[5] امتزاجَ الروحِ بالجسد ويَحِلُّ منها مَحِلَّ الشجاعةِ من الأسد ، تَجِدُ نَشْرَ التحقيق من أدراجِ عباراته يَعْبَقُ[6] ، وبَدْرَ التدقيق من أبراج إشاراته يُشْرِق ؛ خلا من الإفراط المُمِلِّ وعلا عن التَفْريط المُخِلِّ[7] وكان بينَ ذلك قَواماً[8] . وقد لقّبْتُه بـ « منهَجِ السالك الى أَلْفيّة ابنِ مالك » . ولمْ آلُ جُهداً في تَنْقيحه وتهذيبه وتوضيحه وتقريبه[9] . واللهَ أسألُ أن يجعَلَه خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعَ به من تَلَقّاه بقلبٍ سليم ؛ إنّه قريبٌ مُجيب . وما تَوْفيقي إلاّ باللهِ عليه توكّلتُ وإليه أُنيب[10] .

— المعرب والمبني[11] :

المُعْرَب والمَبْنِيُّ اسمَا مفعول مُشْتَقّان من الإعراب والبناء ، فوَجَبَ أن يُقَدَّمَ الإعرابُ والبناء[12] . فالإعراب في اللُغة مصدَرُ أعْرَبَ ، أي أبانَ

---

(١) قصبات السبق : التقدم في الأمور على المتنافسين والمتسابقين (كانت العادة أن تزرع – تشك في الارض – قصبة واحدة ، ثم يجري المتسابقون ، فمن استطاع أن يصل الى تلك القصبة أولا ويحرزها (أي ينزعها من الارض) ، عد سابقاً في ذلك الجري . حاز قصبات السبق : سبق غيره في كل شيء .

(٢) الفاء في « فهذا » رابطة لقوله « أما » في مطلع المقدمة .

(٣) لطيف : صغير ، قصير ، موجز (مع أن هذا الشرح مطبوع في ثلاثة أجزاء) .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن مالك الاندلسي (ت ٦٧٢هـ) من كبار علماء النحو . والألفية (أرجوزة من ألف بيت) .

(٥) بها = بألفية ابن مالك (امتزاج الشرح بالأصل : على منهج واحد) .

(٦) نشر : رائحة . أدراج العبارات : تدرجها ، جريها على نسق منطقي . عبق الطيب في المكان أو الجسم الخ : لزق به (بقيت رائحته ولم تذهب مدة طويلة) .

(٧) الافراط : الزيادة بلا حاجة اليها ، التطويل . التفريط : التضييع ، العناية بالأمر أقل مما يجب . المخل : الذي يجعل الشيء ناقصاً نقصاً يبطل الفائدة منه .

(٨) « وكان بين ذلك قواماً » من سورة الفرقان (٢٥ : ٦٧) . قواماً : اقتصاداً (اعتدالا ، بقدر الحاجة) .

(٩) لم آل جهداً : لم أدخر وسعاً (بذلت كل جهد أستطيعه) . التنقيح (التنقية من العيوب) التهذيب (حذف ما لا حاجة اليه) والتوضيح (التبيين) والتقريب (تسهيل الفهم على الناس) .

(١٠) في هذه الجمل اقتباس من القرآن الكريم : إلا من أتى الله بقلب سليم (٢٦ : ٨٩ ، الشعراء) ، ان ربي قريب مجيب (١١ : ٦١ ، هود) ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب (١١ : ٨٨) .

(١١) شرح الاشموني (منهج السالك) ، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد (مكتبة النهضة المصرية) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م (١ : ١٩ – ٢٠) .

(١٢) أن يقدم بحث الاعراب والبناء على بحث سائر موضوعات الصرف والنحو .

أي أظْهَرَ أو أجال أو حسّنَ أو غيّرَ ، أو أزالَ عَرَبَ الشيء وهو فَسادُه ، أو تكلّم بالعربية أو أعطى العَربون أو وُلِدَ عربيَّ اللون (١) أو تكلّم بالفُحْش أو لم يَلْحَنْ في الكلام أو صار له خيلٌ عِرابٌ (٢) أو تحبّبَ الى غيرِه ، ومنه العَروبة المُتَحَبِّبَةُ الى زوجها . وأما في الاصطلاح ففيه مَذْهبان : أحدُهما أنّه لَفْظيّ ، واختاره الناظمُ (٣) ونَسبَهُ الى المُحقّقين وعرّفَه في التَسْهيل (٤) بقوله : ما جِيءَ به لِبيَانِ مُقتضى العاملِ من حرَكةٍ أو حرْفٍ أو سُكون أو حَذْفٍ (٥) . والثاني أنّه مَعْنويّ والحركاتُ دلائلُ عليه ، واختاره الأعلمُ (٦) وكثيرون ، وهو ظاهرُ مذهبِ سِيبَوَيْه (٧) ، وعرّفوه بأنّه تغييرُ أواخرِ الكَلِم لاختلافِ العواملِ الداخلةِ عليها لفظاً أو تقديراً . والمذهبُ الأوّلُ أقربُ الى الصواب ، لأنّ المذهبَ الثاني يقتضي أنّ التغييرَ الأوّل ليس إعراباً لأنّ العواملَ لم تختلفْ بعدُ — وليسَ كذلك .

والبِناءُ في اللغة : وَضْعُ شيءٍ على شيءٍ على صفةٍ يُرادُ بها الثبوتُ (٨) . وأمّا في الاصطلاحِ فقال في التسهيل: ما جِيءَ به لا لبيانِ مقتضى العاملِ من شِبْهٍ (٩)

(١) عربي اللون : أسمر .

(٢) خيل عراب جمع عربي (بتشديد الياء) : عتيق (كريم الاصل ، خالص النسب) .

(٣) الناظم = ناظم الألفية : ابن مالك .

(٤) التسهيل في النحو كتاب لابن مالك .

(٥) العامل : العنصر ، السبب (الكلمة أو الحال) الذي يؤثر في آخر الكلمة فيحركها على وجه مخصوص به ، من حركة (بالفتحة أو الكسرة أو الضمة أو السكون) أو حرف (اعراب بالأحرف : مؤمنان ومؤمنون ومؤمنين وأبوه وأبيه الخ) أو سكون (لم يذهب ، الخ) أو حذف (حذف حرف العلة بالجزم من آخر الفعل المعتل : يجري — لم يجر) .

(٦) الأعلم الشنتمري الاندلسي يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ ه) .

(٧) راجع ٢ : ١٢٠ — ١٢١ .

(٨) اذا بنى الانسان بيتاً ، فهو ينتظر أن يبقى هذا البيت على الصورة التي بناه عليها مدة طويلة . وكذلك الكلمة المبنية يجب أن تبقى كما هي لا تتغير مهما تبدل موقعها في التركيب وعملها في الجملة (فاعلا ، مفعولا ، مجروراً ، الخ) .

(٩) في الجملة : « بنى خالد بيتاً كبيراً » نجد الكلمة « بيتاً » معربة اعراباً حقيقياً لأن الفعل « بنى » وقع عليها مباشرة فنصبها . أما الكلمة « كبيراً » فقد نصبت لأنها تابع لكلمة « بيتاً » (نعتاً) ، ولم تنصب لوقوع الفعل عليها مباشرة . الحكاية : الجملة التي تأتي بعد القول « قيل: التفاح نافع » أو نحو « سورة المؤمنون » (لأن اسم السورة الكريمة « المؤمنون » فنحن نتركها دائماً مرفوعة . وكذلك يردّنا القاموس مثلا في بعض الأحيان الى مادة فيه بهذا اللفظ : الأتراك (أطلب « العثمانيون » لأن ترتيب الحروف كما ترد اللفظة في القاموس أو في دائرة المعارف هي « عثمانيون » لا عثمانيين . النقل : هو الحكاية ايضاً .

الإعراب – وليس حكايةً أو إتْباعاً أو نقلاً أو تخلُّصاً من سُكونَيْـــن – فعلى هـــذا فهو لفظيّ . وقيل هو لُزومُ الكَلِمةِ حَرَكةً أو سُكوناً لغيرِ عاملٍ أو اعتلال (راجع الحاشية ٩ على الصفحة السابقة) . وعلى هذا هو مَعْنويّ . والمناسبةُ في التسميةِ على المذهبين ظاهرةٌ .

٤ – شرح الاشمونيّ على ألفية ابن مالك المسمّى « منهج السالك الى ألفيّة ابن مالك » (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م .

* حاشية الصبّان [1] على الاشموني على ألفيّة ابن مالك ، بولاق ١٢٨٠ هـ .

الضوء اللامع ٦ : ٥ ؛ البدر الطالع ١ : ٤٩١ ؛ معجم المؤلّفين لكحّالة ٧ : ٢٢٥ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٦٣ .

قانصوه الغُوريّ

١ – في آخرِ أيامِ المماليكِ كانتِ الحالُ في مِصْرَ شديدةَ الاضطرابِ : توالى على العرشِ في خَمْسِ سَنَواتٍ (٩٠١ – ٩٠٦ هـ) خمسةُ سلاطينَ كان آخرَهم قانصوه بنُ عبدِ الله الجركسيُّ الغُوريُّ المولودُ في حدودِ سَنَةِ ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) .

كان قانصوه من مماليكِ السلطانِ الأشرف قايت باي (٨٧٢ – ٩٠١ هـ) ، فأعْتَقَهُ قايت باي وولاّه عَدداً من الأعمال ثمّ جَعَلَه سَنَةَ ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) كاشفاً [2] للوجه القِبْلي . وظلّ قانصو يتقلّبُ في المناصبِ حتّى تولّى الوزارةَ ، سَنَةَ ٩٠٦ هـ (١٥٠١ م) في أيام طومان باي الذي تولّى الحُكْمَ نحوَ مِائَةِ يومٍ .

وزادَ الاضطرابُ فأجْمَعَ القُوّادُ والأعيانُ على أن يُوَلّوا قانصوه عـــلى العرش – لِما كانَ يبدو عليـــه من دلائلِ الشجاعة والحَزْمِ والمقدرة – برُغْمِ مُمانعته . وقد كانتْ أيامُه أيامَ استقرارٍ وعمرانٍ .

وجاء السلطانُ سليمٌ إلى العرشِ العُثمانيّ ، سَنَةَ ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) وبدأ فتوحَه في البلادِ العَرَبية . وفي سَنَةِ ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) الْتقَى الجيشُ العُثمانيُّ بقيادةِ السُلطانِ سليمٍ نفسِه بجيشِ المماليكِ بقيادةِ قانصوه ، في مَرْجِ دابقٍ (قُرْبَ حَلَبَ ، شماليَّ سورية) ، فقُتِلَ قانصوه وانهزم جيشُه وفَتَحَ السلطانُ

---

(١) محمد علي الصبان (ت ١٢٠٦ هـ في القاهرة) من علماء النحو ذوي التآليف (تجد لدراسته مراجع كثيرة في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١١ : ١٧ – ١٨) .

(٢) الكاشف : موظف لمراقبة الأطيان (الأراضي الزراعية) وجمع الضرائب من اصحابها .

سليمٌ بلادَ الشام ِ (سورية) . وفي السنةِ التاليةِ دخلَ السلطانُ سليمٌ مِصْرَ .

٢ ـ كان قانصوه الغوريُّ أديباً شاعراً مُحِبّاً للعِلْم والأدب واسعَ المعرفة بثقافةِ عَصْره . وقد أمَرَ بنَقْلِ الشاهنامه (للفِرْدوسيّ) من الفارسية ِ الى التركية . وقد كان يَعْقِدُ المجالسَ للمناظرات . ولقانصوه شعرٌ بالعربيةِ وبالتركية ؛ وله شعرٌ مُلَمَّعٌ (بعضُ أبياتِه بالعربيةِ وبعضُها بالتركية ـ أو بعضُ أقسام ِ كلِّ بيتٍ من الأبياتِ بالعربيةِ وبعضُها الآخر بالتركية). وشعرُه ضعيفٌ عموماً .

٣ ـ مختارات من آثاره

ـ قال السلطان قانصو الغوري قصيدة في ذكر الأيّام والليالي المباركة ، منها :

لله ِ في أيّامِنا نَفَحاتُ ... مِنْ دَهْرِنا تزكو بها الأوقاتُ[١] .
فيها ألا فتعَرَّضوا وتضرّعوا ، ... فيها تُجاب لكم بها الدَعَوات[٢] .
هذي مواسِمُها لنا قد أقبلتْ ... ودَنا بمَوْعِدِها لنا ميقات .
فَبِفَضْلِ شَعْبانٍ وليلةِ نِصْفه ... يَرْوي الصحيحَ من الحديث ثِقاتُ ؛
وبفضلِ ليلةِ نصفه قد فُسِّرتْ ... في الذكْر من تنزيلهِ آيات[٣] :
إذ قيل يُفْرَقُ كلُّ أمرٍ مُحْكَمٍ ... فيها ، وفيها تَسْقُط الوَرَقات[٤] .
هي ليلةٌ فيها على أهلِ الهُدى ... وقلوبِهِمْ قد خَفَّتِ الطاعات .
هي ليلةٌ ما زال مُحْتَفِلاً بها ... ـ مُذْ قام دينُ المُصطفى ـ السادات .
هي ليلةٌ يتوقّعُ الداعي بها ... لله ِ أنْ تُقضى له الحاجات .
يا ربَّنا ، فيها تَقَبَّلْ دعوةً ... لي منك فيها تَشْمَلُ الخَيْرات :
أصْلِحْ لِيَ المُلْكَ الذي قَلّدتَني ؛ ... وصَلاحُه أن تَسْعَدَ الحَرَكات ،

---

(١) زكا يزكو : طهر ، زاد .

(٢) مما يروى في الحديث (ولا أعلم أنا درجة صحته ولا لفظه الصحيح) : ان لربكم في بعض أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها .... » يجوز : فيها .

(٣) شعبان هو الشهر الثامن من السنة القمرية . الذكر (بكسر الذال المعجمة أخت الدال المهملة) : القرآن الكريم .

(٤) « فيها يفرق كل أمر حكيم» آية في سورة الدخان (٤٤ : ٤) . فيها، في القرآن الكريم (في ليلة النصف من شعبان) . تسقط الورقات .... ؟

وتَدُرَّ أرزاقُ الرعيّةِ فيه ، في أمْنٍ ، ففيهــا تَنْزِل البركات ؛
واجْمَعْ قلوبَ عساكري جَمْعاً به تصفو وتصلُــحُ مِنْهُمُ النِيّات .

— قال السلطان قانصوه الغوري :

جماعةٌ من العلماء جاءوا إلى خِدمتي ومعَهم قِصّة[١] ، وفي عُنوانها مكتوبٌ : « واللهُ الغَنيّ وأنتُمُ الفقراء »[٢] . فقلتُ في جوابِهِمْ : « فإذا عرَفْتم ذلك ، فلماذا ترَكْتُمُ الغنيَّ وطلبتُمْ من الفقير؟ بل المناسبُ أن تكتبُوا على قِصّتكم : « إنْ أَعْطَيْتَ فالإعطاءُ من الله ، والأمرُ مَسُوقٌ إليك ؛ وان مَنَعْتَ فالمَنْعُ من اللهِ والعَتْبُ (محمول) عليك » . ثمّ قال : « رأيتُ هذهِ العبارةَ مكتوبةً على حائطٍ فحَفِظْتُها » .

— روى السُلطان قانصوه الغوري هذه الفُكاهةَ ، ويبدو أنّه عرَفَها من التّركية ثمّ أوْرَدَها بالعربية[٣] :

إنّ ابنَ عُثمانَ أمرَ لناصرِ الدين[٤] أن يَشْوِيَ له وزّاً . فشَوَى وأكلَ منه رِجْلاً . فسألَ السلطان عن رِجْلِ الوزّ . فقال (ناصر الدين) : ما يكونُ للوزّ الاّ رِجْلٌ واحدٌ . فسكت السلطان .

(عندئذ) رَكِبَ السلطانُ ورَكِبَ مَعَه الشيخُ (ناصر الدين) ، فإذا به طائفةٌ من الوزّ واقفةٌ على رِجْلٍ واحد . فقال ناصرُ الدين للسلطان : انظُرْ كلّ واحدٍ منها برِجْلٍ واحدٍ . فدَقّ السُلطان طَبْلَ بازهِ[٥] فمَدّوا أرْجُلَهُمْ . فقال السلطان لناصرِ الدين : أكلتَ الرِجْلَ وكَذَبْتَ ! قال أيضاً ناصرُ الدين : يا فلانُ ، لأيْش ما دَقّيتْ طبلَ بازك ذلك الوقتَ حتّى يَمُدَّ الوزُّ المَشْويُّ رِجْلَهُ المُلَتّم[٦]؟

---

(١) خدمتي : مكاني (لطلب شيء مني) . القصة : عريضة فيها طلب من الدولة .

(٢) « والله الغني وأنتم الفقراء » آية في سورة محمد (٤٧ : ٣٨) .

(٣) في هذه الفكاهة أخطاء كثيرة في الألفاظ والتراكيب : رجل واحد (وحقها التأنيث) — مدوا (أي الوز) أرجلهم (والصواب : مدت أرجلها) — لايش ما دقيت (عامية) : لماذا ما دققت ، أو لم (بكسر ففتح) لم تدق ؟ .

(٤) ابن عثمان : أحد سلاطين بني عثمان . ناصر الدين أو خواجه (خاجه) ناصر الدين : شخصية فكاهية معروفة باسم « جحا » .

(٥) طبل باز : الطبال ، صاحب الطبل (طبل صاحب الطبل) .

(٦) رجله الملتم : رجله المرفوعة.

– ولقانصو الغوري شعر ملمّع (راجع ، فوق ، ص ٦٢٢) بين التركية والعربية ، منه :

يا الهي ، بن كنه كار ؛ أنت غفّار الذنوبْ .
عيبمي يوزمه أورمه ؛ أنت ستّار العيوب .
قيسو إشلر سنكه معلوم[1] ؛ أنت علاّم الغيوب .
بن فقيره قِل عنايت ؛ انّني أرجو رضاك .

ومعنى الأشطر التركية : يا الهي ، أنا مذنب ... لا تضرب وجهي بعيبي (بعيوبي : ذنوبي) ... جميع الأشياء معروفة عندك[2] (انّك عالم بكلّ شي ») ... وأنا الفقير (اليك) فتولّني بعنايتك ...

٤ – * * مجالس السلطان الغوري : صفحة من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري ، للدكتور عبد الوهّاب عزّام ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٠ ھ = ١٩٤١ م .

بدائع الزهور لابن اياس ؛ شذرات الذهب ٨ : ١١٣ – ١١٥ ، راجع ٤٩ – ٥٠ ، ١٤٤ – ١٤٥ ؛ الكواكب السائرة ١ : ٢٩٤ – ٢٩٧ ؛ أعلام النبلاء للطبّاخ ٣ : ١١٥ – ١٦٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٢ : ٧٢٠ – ٧٢١ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٤ ، الملحق ٢ : ١٣ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٤ ؛ معجم المؤلّفين لكحّالة ٨ : ١٢٧ .

عائشةُ الباعونيَّة

١ – هِيَ الشَيْخة أمْ عبدِ الوهّاب بنتُ يوسفَ بنِ أحمدَ بنِ ناصرِ الدين بن خليفةَ الباعونيةُ الدِمَشْقِيّة الصالِحِيّةُ الصوفِية ، وُلِدَتْ في دِمَشْقَ وحَفِظَتِ القُرآنَ الكريمَ ولها من العُمُرِ ثماني سَنَواتٍ .

تَلَقَّتْ عائِشَةُ الباعونيةُ النُسْكَ والتَصَوفَ على إسماعيلَ الخوارزميِّ ثُمّ على يحيى الأرْمَوِيْ . بَعْدئذٍ حُمِلَتْ إلى القاهرةِ ونالت فيها حظّاً وافراً من العلوم وأُجِيزَتْ بالإفْتاءِ والتدريس .

---

(١) يرد هذا الشطر في « مجالس السلطان الغوري » لعبد الوهاب عزام (ص ٤٣) هكذا : قاموا اشلر ساكه معلوم (فيه خطأ مطبعي في « قاموا » و « ساكه ») .
(٢) المعنى اللفظي : مهما (نعمل من) أشياء فهي لك معلومة (انت تعلمها) .

يبدو أنّ عائشةَ الباعونيةَ كانتْ حريصةً على أنْ تجعلَ لولدٍ لها جاهاً في الدَّوْلة ، فمدحت أبا الثناء محمودَ بْنَ أجا الحَلَبيّ صاحبَ ديوانِ الإنشاء بالديارِ المِصْرية . ثم اتّفق أنْ كان أبو الثناء في الشامِ فصَحِبتْهُ ، ومعها ابنُها ، إلى مِصْرَ وقابلتِ السُلْطانَ قانصُوه الغوري ، ولكنّ مأربَها مِنْ رِحلْتها إلى مِصْرَ لم يتحقّقْ — فان قانْصُوه الغُوري كان مَشْغولاً بالخطَرِ المُطِلّ على مُلْكه من الدَّوْلة العُثْمانية . وعادتْ عائشةُ الباعونيةُ الى دِمَشْقَ . ولمّا وَصَلَ قانصوه الغَوريّ إلى حَلَبَ ، في رَجَبَ ٩٢٢ هـ (آب — أغسطس ١٥١٦ م) في مُحاولةٍ لصَدّ الجيوشِ العُثْمانية عن الشامِ ، انْتَهزَتْ عائشةُ الباعونيةُ الفُرْصَةَ وسارتْ لمُقابلته ، ولكنّ قانْصُوه الغُوريَّ سَقَطَ قتيلاً في مَعْرَكَةِ مَرجِ دابقٍ قبلَ أن تَصِلَ إليه عائشةُ ؛ ثم بَدَأ السُلْطانُ سَليمٌ العُثماني يستولي على المُدُنِ الشاميةِ واحدةً واحدة .

عادتْ عائشةُ الباعونيةُ إلى دِمَشْقَ ثم تُوُفِّيَتْ فيها وَشيكاً، في السَنَةِ نَفْسِها (٩٢٢ هـ = ١٥١٦ م) .

٢ — كانتْ عائشةُ الباعونيةُ عالمةً فاضلةً وأديبةً بارعةً وشاعرةً مُجيدةً ، وكان أكثرُ شِعرِها بديعيّاتٍ تتكىء فيها على ابنِ الفارض من حيثُ المعنى وعلى البوصيريّ من حيث اللفظُ والمعنى معاً . ولها شيءٌ من المديح وقصائدُ إخوانيةٌ في عددٍ من الأغراض الوجدانية . وكذلك كانتْ مُصَنِّفَةً لها : الفتح الحَنَفيّ (أقوال صوفية) — الملامح الشريفة والآثار المُنيفة (قصائدُ صوفيةٌ) — دُر الغائصِ في المعجزات والخصائص (قصيدة رائية : بديعية) ، الخ .

٣ — مختارات من آثارها

— قالت عائشة الباعونية تصف دمشق :

نَزِّهِ الطَرْفَ في دِمَشْقَ ففيها كلُّ ما تشتهي وما تَخْتارُ .
هِيَ في الأرضِ جَنّةٌ ، فتأمّلْ كيفَ تَجْري من تَحْتِها الأنهار .
كَمْ سَما في رُبوعِها كلُّ قَصْرٍ أشْرَقَتْ من وُجوهِها (!) الأقمار .

وتُناغيك بَيْنَهـــا صادِحاتٌ خَرِسَتْ عند نُطْقِها الأوتار[1] .

– من الفتح المبين في مدح الأمين (بديعيّة : في مدح محمّد رسول الله) :

في حُسْنِ مطلعِ أقماري بذي سَلَمِ أصبحتُ في زُمرة العُشّاق كالعَلَمِ[2] .
أقول والدمع جارٍ جارحٌ مُقَــلي والجارُ جارَ بعَذْل فيه مُتَّهَمِ[3] .
يا سعدُ ، ان أبصرتْ عيناك كاظمةً وجئتَ سَلْعاً فسَلْ عن أهلِها القُدُم .
أحِبّةٌ لم يــزالوا مُنتهى أمَــلي وإنْ همُ بالتنــائي أوْجبوا نَدَمي .
كيف السُلُوُّ ونارُ الحبِّ مُوقَدَةٌ وسْطَ الحشا وعيونُ الدمع كالدِيَم[4] .
ولي جفونٌ بغيرِ السُهْدِ ما اكتحلتْ ، ولي رُسومٌ بغيرِ السُقم لم تُسَمِ[5] .
تهابُني الأُسْدُ في آجامِهــا ، وظُبا تلك الظِبا قد أَذلّتْني لِعِزِّهِمِ[6] .
بلغتُ في العِشقِ مرمىً ليس يُدْرِكُه الاّ خليعُ صِباً مِثْلي الى العَدَم[7] .
قالوا: ارْعَوي ؛ قلتُ: قلبي ما يُطاوِعني ! قالوا : انْثني ، قلتُ: عَهْدي غيرُ منفصم.
يا عاذِلي ، أنتَ معذورٌ ؛ فلستَ تَرى ــاذا بدا الصبحُ ماغطّى غشى الظُلم[8]
عن ذمِّ مِثْلِكِ تِبْياني أُنَزِّهُهُ ، إذ أنتَ عِنْديَ معدودٌ من النَعَم[9] .

---

(١) خرست (سكتت) عند نطقها الأوتار ... : المقصود : أصوات الطيور أجمل من أصوات الآلات الموسيقية .

(٢) ذو سلم : موضع في الحجاز (ليس مقصوداً لذاته) . أقماري : كناية عن المحبوب. اصبحت... ... كالعلم (الجبل العالي ، العلامة الظاهرة) : مشهورة .

(٣) ... والدمع جار (من جرى يجري : سال يسيل) جارح مقلي (عيوني) بكثرة البكاء . والجار جار (ظلم) بعذل (لوم) متهم (ظالم ، غير ناصح في لومه) .

(٤) السلو : النسيان ، التسلي . الديمة : السحابة الممطرة .

(٥) السهد : ذهاب النوم ، السهر . رسوم : أعضاء وصفات جسدية . السقم : المرض ، النحول . لم تسم (الصواب : لم توسم) : لم تتصف .

(٦) الأجمة : مجتمع الأشجار (ويسكنها الأسدأحياناً) . ظبا (جمع ظبة بضم الظاء وفتح الباء بلا تشديد : حد السيف) تلك الظبا (بكسر الظاء = الظباء جمع ظبية : الغزال) .

(٧) خليع صبا (بكسر الصاد) : من خلع الحياء في التمتع بصباه (شبابه) . الى العدم : حتّى لم يبق عندي شيء من الحياء .

(٨) غشى (كذا في الأصل ، ولعلها عشا : سوء البصر في الليل . ولعلها : دجى) . – المقصود : اذا طلع الصبح (ظهرت الحقيقة ، وصلت الى المعرفة الصوفية) ترى حينئذ كلما كان ظلام الليل (الجهل بالحقيقة الالهية) قد حجبه عنك .

(٩) النعم : الأنعام ، البهائم كالغنم والبقر .

أتعبتَ نَفْسَكَ في عَذْلي ؛ ومعذرةٌ منّي إليك فسمعي عنك في صَمَمِ .
لُمْ ، يا عذولي ، وشاهدْ حَسْنَهُم ؛ فإذا شاهدتَه واستَطَعْتَ اللَّوْمَ –بعدُ– لُمِ .
ما بهجةُ الشمسِ في الآفاق مُشرِقةً يوماً بأبهجَ من لألاءِ حُسْنِهِمِ .
لا مَكَّنَتْنِي المعالي من سيادتِها إنْ لم أكُنْ لهمُ من جُلمة الخَدَمِ .
لهم شمائلُ بالإحسانِ قد شَمَلَتْ وعَلَّمتْ كَرَمَ الأخلاقِ والشِيَمِ (١)
حَلّوا بقلبي ، فيا قلبي تَهَنَّ بِهِمْ وافرحْ ولا تلتفتْ عنهم لغيرهِمِ .
فليتَ شِعْرِيَ ، هل حالي بمُنْتظمٍ قبلَ الفَواتِ ، وهل شَمْلي بمُلْتئمِ ؟
نعمْ ، نعمْ ، حدّثَتْني –وهي صادقةٌ– ظنونُ سِرّي حديثاً غيرَ مُتَّهَمِ .
سادوا فجودُهُمُ جَمٌّ ، وبَذْلُهُمُ حَتْمٌ ، ومَوْرِدُهُمْ غُنْمٌ لكلِّ ظَمِي (٢) .

ومنها في مدح الرسول :

كم أعقَبَتْ راحةً باللمسِ راحتُه ، وكم محا مِحْنَةً ريقٌ له بفَمِ !
وذكرُه كاد – لولا سُنّةٌ سَبَقَتْ – إذا تكرّرَ يُحيي باليَ الرِمَمِ (٣) .
قالوا : هو الغيثُ ! قلت : الغيثُ آونةً يَهْمي ، وغيثُ نَداه لا يزالُ هَمي (٤) .
جرّدتُ حَجّي له من كلِّ مُفْسِدةٍ ولم تَزَلْ بالصَفا تَسعى له قَدَمي (٥) .
طَهَ الذي إنْ أخَفْ ذَنْبي ولُذْتُ بهِ أمِنْتُ خوفي ونجّاني من النِقَمِ (٦) .

– وقالت تذكرُ شيئاً من تَرجَمتِها :

وكان مِمّا أنْعَمَ اللهُ تَعالى به عليّ أنّني بحَمْدِه لم أزلْ أتقلّبُ في أطوار الإيجاد في رَفاهِيَةِ لَطائفِ البَرِّ الجَواد إلى أنْ خرجتُ إلى هذا العالم المشحونِ

---

(١) شمائل جمع شمال (بكسر الشين) : طبع ، خصلة ، خلق . الشيمة : الخصلة الجميلة . قد شملت (عمت الناس) .

(٢) جم : كثير . البذل : العطاء . حتم : مؤكد . المورد : مكان شرب الماء . غنم : غنيمة ، ربح الظمي (الظمىء : الظامىء : العطشان) .

(٣) لولا سنة سبقت : لولا القانون (الذي يدل على أنه لا يحيي الأموات الا الله) . بالي الرمم : بقايا أجساد الموتى التي بليت (تهرأت وتفتتت) .

(٤) آونه : حيناً . لا يزال همي = لا يزال هامياً (يهطل دائماً) .

(٥) – جعلت حجي له (لله) خالصاً من كل غاية أخرى تفسده (التجارة مثلا تفسد الحج) . الصفا والمروة من مناسك الحج (موضعان في مكة يسعى الحاج بينهما سبع مرات) – والصفاء : النقاء وسلامة النية (تورية).

(٦) طه من أسماء الرسول . لاذ : التجأ .

بمَظاهر تَجَلّياتهِ الطافِحِ بعجائبِ قُدْرتِه وبديعِ آياتهِ ..... فربّاني اللُطْفُ الرّبّانيُّ في مَشْهَدِ النعْمة والسلامة ، وغَذّاني بلِبانِ مَدَدِ التوفيقِ لسُلوك سبيل الاسْتقامة . وفي بُلوغ دَرَجة التمييز أهلّني الحق لِقراءة كتابهِ العزيز ومنّ عليّ بحِفْظهِ على التمام ولي من العُمُر ثمانيةُ أعوامٍ .....

٤ – الفتح المبين في مدح الأمين (بديعية) على هامش خزانة الأدب لابن حجّة الحموي ، القاهرة ١٣٠٤ ﻫ .

مولد النبي (المورد الأهنا في المولد الاسنى) ، دمشق ١٣٠١ ، ١٣١٠ ﻫ .

* * شذرات الذهب ٨ : ١١١ – ١١٣ ؛ الكواكب السائرة ١ : ٢٨٧ – ٢٩٢ ؛ زيدان ٣ : ٢٩٣ ؛ بروكلمان ٢ : ٣٤٩ ، الملحق ٢ : ٣٨١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١١٠٩ (رقم ٦) ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٦ – ٧ ؛ معجم المؤلّفين لكحّالة ٨ : ٥٧ ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٦ : ٦٦ – ٧٢ .

حسينٌ البيريّ

١ – هو حُسامُ الدينِ حُسينُ بنُ حسنِ بنِ عُمَرَ البيريُّ ، نِسْبةً الى البيرةِ على الفُراتِ ، الحلبي الصوفي العارفُ بالله . ومن ألقابه أيضاً : الإمامُ الكبير والعلاّمة والمُفتي . انتقل الى حَلَبَ وجاوَرَ (تعبد ودَرّس ودرّس) بجامع الطواشي حيناً ثمّ إنّه تولّى النَظَر والمشيخة في مَقام سَيّدي ابراهيمَ بنِ أدهمَ . وكانتْ وفاتُه سنة ٩٢٢ ﻫ (١٥١٦ م) .

٢ – كان لحُسينِ البيريّ ذَوْقٌ (سلوكٌ صحيحٌ في طريق التصوّف) كما كان أديباً يَنْثِر ويَنْظِمُ باللُغات العربية والتركية والفارسية ، وقد نَقَلَ شيئاً من «مَثْنَوِي» لجلالِ الدين الروميّ (من الفارسية الى العربية) وشيئاً من مَنْطِقِ الطير . ولحُسينِ البيري «رسالةٌ في القُطْب والامام» .

٣ – مختارات من شعره

– في مطلع كتابِ «مثنوى» لجلالِ الدين الرومي نشيدٌ (راجع فوق ، ص ٤٣٦) نَقَلَهُ حسينٌ البيري من الفارسية الى العربية ، منه :

اسْمعوا ، يا سادتي، صوتَ اليَراعْ(١)   كيف يَحْكي عن شِكايات الوَداع .

---

(١) اليراع جمع يراعة : القصبة (كناية عن القلم) . والشاعر يستعمل كلمة «يراع» على أنها مفردة (وهذا خطأ شائع) .

ما تـرى قَطُّ حريصاً قد شَبِـعْ ؛ ما حَوَى الدرَّ الصدف[1] حتّى قنع .

— ومن شِعْره في مجرى القضاء :

بقايا حُظوطِ النفس في الطبعِ أُحْكِمَتْ ؛ كذلك أوصافُ الأمورِ الذميمةِ .
تحيّرتُ في هذين ؛ والعُمْرُ قد مضى . إلهي ، فعامِلْنا بحُسْنِ المَشيئـة .

٤ — * الكواكب السائرة ١ : ١٨٤ — ١٨٥ — شذرات الذهب ٨ : ١٠٨ .

حمزةُ الناشريّ

١ — هو تَقِيُّ الدينِ حَمزةُ بنُ عبدِ الله بنِ محمّدِ بنِ عليِّ بنِ أبي بكرِ بنِ عبدِ الله بنِ محمّدٍ الناشريُّ اليمنيُّ ، وُلِدَ في ثالثَ عَشَرَ شوّالٍ من سَنَةِ ٨٣٣ هـ (٤/ ٧/ ١٤٣٠ م) في نخل وادي زَبيدَ ونشأ في زبيدَ .

دَرَسَ حمزةُ الناشريُّ على جماعةٍ من علماء عصرهِ في اليمنِ ومِصْرَ والحجازِ منهم الطيّبُ بنُ أحمدَ الناشريُّ وابنُه عبدُ الله ومجدُ الدين الفَيْروزاباديُّ الشيرازيُّ صاحبُ القاموسِ المحيطِ وابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانيُّ والشيخ زكريّا الأنصاريُّ وأبو الخير السخاويّ . وقد تصدّرَ في بلدهِ للتدريس فتَفَقّهَ عليه كثيرون . وناب في قضاءِ زبيدَ وأفتى . وكانت وفاتُه في تاسعِ عَشَرَ ذي القَعْدة سَنَةَ ٩٢٦ هـ (٢٩/ ٩/ ١٥٢٣ م) في زبيدَ ، وقد قاربَ مِائَةَ سَنَةٍ .

٢ — كانَ حمزةُ الناشريُّ شخصاً لطيفاً مَرِحاً وكان عارفاً بالنباتِ والتاريخِ ، كما كان أديباً بارعاً وشاعراً مُحْسِناً له لَفَتاتٌ جميلةٌ . ثمّ إنّه كان مُصَنِّفاً أيضاً له : مجموع حمزة (فتاوى لعلماء اليمن وعلماء زبيد منهم خاصة) — ألفيّةٌ في غريب القرآن — البستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشرٍ[2] — سالفة العِذار في الشعر المذموم

---

(١) الوزن في هذا البيت يقتضي تسكين الكلمة «الصدف» (هذا خطأ طبعاً ، وضعف في الشاعر) . ويبدو أن في نقل هذا البيت الى اللغة العربية تصرف كبير .

(٢) ألف حمزة الناشري هذا الكتاب ذيلا (تتمة) لكتاب كان قد ألفه قريب له (النور السافر ١٣١) . وأورد خير الدين الزركلي اسم هذا الكتاب «البستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشر» في ترجمة حمزة هذا (٢ : ٣١٠) ثم أورده «البستان الزاهر في طبقات علماء بني ناشر» لعثمان بن عمر الناشري المتوفي سنة ٨٤٨ هـ (٤ : ٣٧٤) نقلا عن السخاوي ...

والمختار – عجائب الغرائب وغرائب العجائب – حدائق الرياض وغيضة(!) الفيّاض (في النبات) – انتهاز الفُرَص في الصيد والقَنَص (ألّفه للملك المظفّر)[1].

٣ – مختارات من شعره

– قال حمزةُ الناشريُّ يَصِفُ زَهْرَ الفُلِّ الأبيض :

زهورُ الفُلِّ تَنْظُرُها ابتهاجاً ... نجوماً زاهراتٍ في غِياضٍ[2].
وما غَرَبَتْ نجومُ الليل ، لكن ... نُقِلْنَ من السماء الى الرياض !

– وله في الفُلّ أيضاً :

انظُرْ إلى الفُلِّ في الأغصان والوَرَقِ ... ونزِّهِ الطَّرْفَ في رُؤياه بالحَدَقِ[3] .
تزهو حديقتُه فخراً ببَهْجَتِها ... في رَفْرَفٍ أخضرٍ أو أبيضٍ يَقَقِ[4].
كأنّ خُضْرَتَها والفُلَّ حين بدا ... صحنُ السماءِ وفيه أنجُمُ الأُفُقِ !

٤ – * الضوء اللامع ٣ : ١٦٤ – ١٦٥ (رقم ٦٣٠) ؛ النور السافر ١٣٠ – ١٣٢ ؛ البدر الطالع ١ : ٢٣٨ ؛ شذرات الذهب ٨ : ١٤٢ – ١٤٣ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٣٠٩ – ٣١٠ ؛ معجم المؤلفين لكحالة ٤ : ٧٩ .

محمد بن عمر بن بحرق الحميري

١ – هو محمّدُ بنُ عُمَرَ بنِ مُبارَكِ بنِ عبدِ الله بنِ بَحْرَقٍ الحِمْيَرِي ، وُلِدَ في مدينة سِيوُونَ (في حَضْرَمَوْتَ باليمن) في ١٥ شَعبانَ من سَنَةِ ٨٦٩ هـ (١١/ ٤/ ١٤٦٥ م) . ونال ابن بحرق قِسْطاً وافراً من علوم زمانه فقد تتلمذَ لعبدِ الله أحمدَ بامخرمةَ وأخذَ عن محمّدِ بن أحمدَ بافضل وعن أحمدَ بن محمّدِ ابن محمّدِ باجرفيل الدوعني ، كما أخذ التصوّفَ عن أبي بكرٍ عبدِ الله بن العَيْدروس العَلَويّ . وكذلك زار زَبيدَ وأخذ عن علمائها ومتصوّفيها .

وقد تولّى قضاء الشِحْرِ مدّةً يسيرةً ثمّ استعفى من مَنْصِبِهِ لأنّه لم يَرْضَ

---

(١) راجع الحاشية الأولى على الصفحة التالية .

(٢) «زهور» ليست في القاموس . جمع زهر (بسكون الهاء أو فتحها): «أزهار» . الغيضة : موضع يكثر فيه الشجر ويلتف (يتكاثف ، يقرب بعضه من بعض) .

(٣) الطرف : البصر . الرؤيا : المنام (المقصود الرؤية : النظر) الحدقة : العين .

(٤) الرفرف : جانب من الرمل (أو الارض) مشرف (عال ، يطل على غيره) أخضر (مكسوّ بالنبات) . أبيض يقق : شديد البياض .

أن يُمْضِيَ (يُنَفِّذَ) رَغَبَاتِ حاكِمِها الامير مطران(!) بن منصور ثم غادر الشِحْرَ الى عَدَنَ واشتغل بالتدريس والإفتاء والتأليف في رِعاية الامير مَرجانٍ الطاهريّ. ولَمّا ماتَ الاميرُ مرجانٌ غادر ابن بحرق عَدَنَ الى الهند ونال حَظْوةً في الدولة الدكنية[1] ، وكان المظفّر من أشدّ المُعْجَبين به والعاطفين عليه. ثمّ حِيكَتْ حولَهُ الوِشاياتُ فانتقل الى مدينة كَمباية (الهندية) حيث توفّي في ٢٠ شَعبانَ سنة ٩٣٠ ﻫ (٢٢/ ٦/ ١٥٢٤ م).

٢ ــ كان محمّدُ بنُ عُمَرَ بن بحرق وافرَ الذكاء واسعَ المعرفة بفنونٍ كثيرةٍ، وله مصنّفاتٌ عديدةٌ منها: حِلْية البنات والبنين في ما يُحتاج اليه من أمرِ الدين ــ الأحمدية في السيرة النبويّة ــ العروة الوثيقة في الشريعة والطريقة والحقيقة (منظومة في التصوّف ؟) ــ فتح الرؤوف في معاني الحروف (منظومة) ــ فتح الاقفال في أبْنِيَةِ الأفعال (منظومة ؟) ــ أرجوزة في الطبّ وشرحها ــ أرجوزة في علم الحساب وشرحها ــ مواهب القُدّوس في مناقب أبي بكر بن عبدالله العيدروس ــ رسالة في علم المِيقات. وله عدد من الشروح والتلاخيص على كتب لغيره.

وابن بحرق الحِمْيَريّ شاعرٌ مُحْسِنٌ تَغْلِبُ النزعةُ العلمية على شعرهِ؛ وشعره في التصوّفِ والبديعيّات والمديح والرثاء.

٣ ــ مختارات من شعره

ــ قال محمّد بن عمر بن بحرق يمدح تلميذَه أحمدَ بن أبي بكرِ بن عبد الله العيدروس (توفّي في عدن في ٣٠ المحرّم ٩٢٢ ﻫ).

اذا سامَني الدهرُ ضَيْماً، ولم ... أجِدْ لي على الدهرِ من يُسْعِدُ،
فبَيْني وبينَ بُلوغِ المُنى ... نِدائِيَ بالصوتِ: يا أحمدُ!
يُجيبُ النسيبُ الحسيبُ الذي ... اليه انْتَهى المجدُ والسؤْدُدُ.
فآباؤه الغُرّ زُهْرُ الورى؛ ... وهذا هو القُطْبُ والفَرْقَدُ[2].

---

(١) الدولة الدكنية في حيدر آباد الدكن. كانت الدكن موحدة في أيام الملوك محمود شاه الثاني ، علاء الدين شاه ، ولي الله شاه ، كليم الله شاه (٨٨٧ ــ ٩٣٢ ﻫ). وكان في أحمد أباد (كجرات) مظفر شاه الثاني (٩١٧ ــ ٩٣٢ ﻫ). وكذلك كان في الدكن ملوك طوائف عديدون ليس فيهم «مظفر» (راجع زامباور ، ص ٤٣٨ ــ ٤٤١).

(٢) الغر: البيض (الأشراف ، العظماء). زهر (جمع أزهر: أبيض، مشهور) الورى (الناس): اباؤه أشرف الناس وأشهرهم وأعظمهم. القطب: حديدة تدور عليها الرحى (حجر الطاحون) ، كناية عن الأهمية. الفرقد: النجم الذي يهتدي به (النجم القطبي) ، كناية عن الفائدة.

فقدْ خصّه اللهُ من بَيْنِهِمْ بآياتِ مجدٍ له تشهد .
فلا زالَ كالبدرِ في تِمّهِ ، ولا زال طالِعَهُ الأسْعَدُ[1] .

— وقال يرثي تلميذه المذكور :

لِمَنْ تُبْنى مَشيداتُ القُصورِ وأيامُ الحياةِ الى قُصور !
وفيمَ الحِرْصُ من جَمْعٍ ومنعٍ وما تُغني القَناطِرُ من نَقير[2] .
فلا يَغْتَرَّ بالدنيا لبيبٌ ، ولو أبْدت له وجهَ السرور ؛
فغايةُ صَفْوِها كدرٌ ، وأقصى حلاوتِها الى الكأس المَرير[3] .
فوأسفَا على أطوادِ عِلْمٍ اذا اشْتَعلَتْ مُلِمّاتُ الأمور[4] .
وواحزَنَا على تيّارِ جُودٍ يُمَدُّ بصَيِّبِ الغَيْثِ الغَزير .

٤ — * * حاشية أحمد الرفاعي على شرح ابن بحرق اليمني على لاميّة الافعال لجمال الدين محمّد بن مالك ، مصر (أحمد البابي الحلبي) ١٣٠٦ هـ .

الضوء اللامع ٨ : ٢٥٣ — ٢٥٤ (رقم ٦٩٢) ؛ النور السافر ١٤٣ — ١٥٢ ؛ شذرات الذهب ٨ : ١٧٦ — ١٧٧ ؛ بروكلمان ٢ : ٥٣١ ، الملحق ٢ : ٥٥٣ — ٥٥٥ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٠٧ ؛ معجم المؤلّفين لكحّالة ١١ : ٨٩ — ٩٠ ؛ الشعراء الحضرميّون ١ : ١٢١ — ١٢٧ .

ابن إياس

١ — هو أبو البركاتِ زينُ الدينِ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ إياسٍ الحنَفي ، وُلِدَ في سادس ربيعٍ الثاني من سنَةِ ٨٥٢ هـ (٩/ ٦/ ١٤٤٨ م) في القاهرة وتلَقّى علومَه على نَفَرٍ منهم جلالُ الدين السُيوطي (ت ٩١١ هـ) وعبد الباسط بنُ خليلٍ الحنَفي (ت ٩٢٠ هـ = ت ٩٢٠ هـ) الفقيهُ المؤرّخ .

---

(١) التم : وجود القمر في تمامه (ليلة أربع عشرة) . طالعه الاسعد : اعتقد علماء الفلك القدماء أن السماء مقسمة بروجاً (مناطق) بعضها منازل سعد وبعضها منازل شؤم . وحينما يعمل الانسان عملا (يولد ، يقوم برحلة ، يسير الى الحرب) يختار أن يكون الزمن زمن نزول الشمس أو القمر أو النجم الذي ولد ذلك الانسان في أيام ظهوره في السماء في منزلة من المنازل (المناطق) السعيدة .

(٢) القناطر = القناطير (المقادير الكبيرة ، الكثيرة) . النقير : نكتة (بقعة صغيرة ملونة أو منخفضة) في ظهر نواة (بزرة) التمر . المقصود : جميع أموال الدنيا لا تفيد شيئاً (لدفع أحداث الدنيا) .

(٣) الكأس المرير (المريرة ، لأن الكأس مؤنثة) : الموت .

(٤) الطود (بفتح الطاء) الجبل ..... حتى العلوم الكثيرة لا تفيد شيئاً في الملمات (الكوارث ، المصائب) .

حَجَّ ابنُ إياسٍ في سنة ٨٨٢ ﻫ (١٤٧٨ م) . ثم يبدو أنّه عاشَ في عُزْلَةٍ مُنصرفاً الى التأليف ولم يَتّصِلْ بالبَلاط المَمْلوكي قَطّ . ولعلّ وفاتَه كانتْ سَنَةَ ٩٣٠ للهِجْرة (١٥٢٤ م) .

٢ ــ ابنُ إياسٍ مُؤرِّخٌ في الدَرَجةِ الأولى أرادَ أن يكتُبَ لِمِصْرَ تاريخاً مُنذُ أقدمِ الأزمنة (منذ الخليقة ، بادئاً بآدَمَ) الى آخرِ أيّامهِ هو . ومكانته في التاريخِ أنّه توسّع في تاريخ عصرِه (أواخرِ أيامِ المماليكِ وأوائلِ أيامِ العُثمانيّين) ثمّ تناولَ مُعْظَمَ مظاهرِ البيئة التي عاش فيها ، في الجانبِ الطبيعي (الأحداثَ الفلكيةَ ثمّ كوارثَ الطبيعة من الفَيَضان والأوْبِئَة ثمّ الأحوالَ الاجتماعيةَ من الفوضى والظُلم مِمّا كان يجري على يدِ المماليكِ إلى الأحوال المُشْرِقة في العدل أحياناً وفي الأعمال الخيرية ممّا كان يجري أيضاً على أيدي نَفَرٍ من المماليك مرّةً بعدَ مرّة ، ثمّ الاشارات الأدبية هُنا وهُنالك) .

وابنُ إياسٍ يَنْظِمُ شِعْراً أيضاً مُجاراةً لعَصْرٍ أراد نَفَرٌ كثيرون من أهله أن يبرُزوا في هذا الميدان . وشِعْرُ ابنِ اياسٍ ضعيفٌ ركيكٌ كثيرُ الجوازاتِ الشواذّ قليلُ الرَوْنق ، ولكنّ فيه أحياناً شيئاً يسيراً من الاحسان ، كما تَجِدُ في المُختارات اليسيرة المُنتقاة ممّا أوْرَدَهُ ابنُ إياسٍ لنفسِه من الشِعرِ في كتابه « بدائع الزهور » .

وهُوَ أيضاً مُصَنِّفٌ أشهرُ كتبه وأهمُّها بدائعُ الزهور في وقائع الدهور وفيه جميعُ خصائصه في كتابةِ التاريخ . ويبدو أن بعضَ الكتابِ من أوّله مفقودٌ وأنّ شيئاً من الأحداث المتأخّرةِ دخيلةٌ على الكتاب . ثمّ له من الكتب : عجائبُ السلوك (وهو ملخّص لكتابِ بدائع الزهور) ــ عقودُ الجُمان في وقائع الأزمان (موجز في تاريخ مصر) ــ مَرْجَ الزهور في وقائع الدهور (مختصر عامّ في التاريخ القديم ، إلى أيام كسرى أنوشروان ، أكثرُه خُرافاتٌ وإسرائيليّات ؛ والأغلبُ أن هذا الكتابَ منحولٌ لابن اياس وليس له) ــ نَشْقُ الأزهار في عجائب الاقطار (كتاب في الفلك ونظام العالم ومظاهره ، وخصوصاً فيما يتعلّق بمصر ، وفي الآثار القديمة في مصر) ــ نُزهة الأمم في العجائب والحِكَم ! (في عجائب الحكم ، في تاريخ العالم) ــ مُنْتَظِمُ بَدْءِ الدنيا وتاريخ الأمم (تاريخ عامّ الى أيام الخليفةِ المُكْتَفي العبّاسي المتوفّي في آخرِ سَنَةِ ٢٩٥ ﻫ) .

٣ ــ مختارات من آثاره

ــ قال ابنُ إياسٍ في مقدّمةِ الجزء الرابع من « بدائع الزهور » (تاريخ مصر) :

الحمدُ لله الذي فاوَتَ بين العِباد وفضّل بعضَ خَلْقه على بعضٍ حتى في الأمكِنَة والبلاد؛ والصلاةُ والسلام على سيّدِنا مُحمّدٍ أفصحِ مَنْ نَطَقَ بالضاد .... وبعدُ فهذا جزء من كتابنا المؤلَّف في التاريخ الموسوم بـ «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، وقد أوْرَدت فيه فوائدَ سَنِيّةً وغرائبَ مُسْتَعْذَبَةً مَرْضِيّة تصلُحُ لمسامرة الجليس وتكون للمُنْفرد كالأنيس. وقد طالعتُ على هذا التاريخ كُتُباً شتّى نحوَ سبعةٍ وثلاثينَ تاريخاً حتّى استقام لي ما أريدُ، وجاء (تاريخي هذا) — بحمد الله — كالدُّرِّ النَضيد ..... وقد تَوَخّيْتُ فيه تاريخَ مصر وأوردتُ ذلك شيئاً فشيئاً على الترتيب[1] قاصداً فيه الاختصار. فجاء بحمد الله ليس بالطويل المُمِلِّ ولا بالقصير المُخِلِّ. وذكرتُ فيه ما وقع في القُرآن العظيم من الآيات المُكَرّمة، في أخبارِ مِصْرَ، كِنايَةً أوتصريحاً، وما وَرَدَ (فيها[2]) من الأحاديث الشريفة النَبَويّةِ في ذِكْرِها، وما خُصَّتْ به من الفضائل، وما فيها من المحاسنِ دونَ غيرِها من البلاد، وما اشتملتْ عليه من عجائبَ وغرائبَ ووقائعَ وغيرِ ذلك، ومن نَزَلَها من أولادِ آدمَ ونوحٍ عليهما السلامُ، ... ومن مَلَكَها من مبتدأ الزمان من الجَبابرة والعَمالقة واليونان والفَراعنة والقِبْطِ[3] وغير ذلك.... إلى وقتنا هذا وهو افْتِتاحُ عام إحدى وتِسْعِمائَةٍ، ومن كان بها من الحُكماء والعُلماء والفقهاء والقرّاء .... وقد بَيَّنْتُ ذلك في تراجِمِهِمْ من مبتدأ خَبَرِهم وذِكْرِ أنسابهم ومُدّةِ حياتِهم الى حينِ وفاتِهم، حَسْبَ ما يأتي ذِكْرُ ذلك في مواضعه على التَوالي من الشهور والأعوام.

— قال ابنُ إياسٍ في احتفالٍ كبيرٍ سار فيه السلطانُ قانصوه الغُوريّ في مَوْكِبٍ حافلٍ من الاسكندرية إلى القاهرة، سَنَةَ ٩٢٠ للهِجْرة وقال: «وقد نَظَمْتُ في ذلك هذه القصيدةَ التي لم يُنْسَجْ مِثْلُها على مِنْوالٍ». من هذه القصيدة:

وتضاحَكَ المَيْدانُ مُذْ غَنّتْ به ... أطيارُه سَحَراً على العِيدانِ.
عايَنْتُه لمّا بدا في مَوْكِبٍ ... يزهو على كِسرى أنوشِروانِ.

(١) على ترتيب السنين (حوادث السنة العشرين، حوادث السنة الواحدة والعشرين، الخ).
(٢) فيها: في مصر.
(٣) الجبابرة: أقوام شديدو القوة والبطش اعتقد المؤرخون الأقدمون أنهم كانوا السكان الأولين في الأرض. العمالقة: أقوام طوال القامة جداً (في اعتقاد المؤرخين القدماء). الفراعنة: ملوك مصر القدماء (وأهل مصر في زمن الفراعنة). القبط: (سكان مصر قبل الفتح الاسلامي ثم الذين بقوا منهم على النصرانية بعد الفتح الاسلامي).

ما زالَ أهلُ الثَّغْرِ من فَرَحٍ به   بتَباشُرٍ في السِرّ والإعلانِ[1] .
لو كان ذو القَرْنينِ حيّاً في الورى   لاقاه بالإكرام والإحسانِ[2] ،
واختارَه مَلِكاً يَلي مِنْ بَعدِهِ   في سائرِ الأقطار والبلدانِ .
فاقَ الملوكَ بمِصْرَ مِمّنْ قد مَضَى   أخبارُه في سالف الأزمانِ .
فالله يَكْفيه مؤونَةَ حاسدٍ   ويُطيل أياماً له بتَهانِ
ما ماسَ غُصْنٌ في الرياض وكَلَّلَتْ   أيْدي الغَمامِ شَقائقَ النُعْمانِ .

– وتُوُفِّيَ ابنٌ صغيرٌ للسُلطان قانصوه الغوري فقال إبنُ إياسٍ يرثيه :

لَهْفي على من كان ظنّي أنّني   أُفْني المدائحَ في الثناء قوافِيا .
فمضى وأثْكَلَني ، فها أنا ناظِمٌ   تلك المعاني الغُرَّ فيه مَراثيا .

– وقال ابن اياس (بدائع الزهور ، طبعة ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م ، ٤ : ٢١٨) :

وفي يومِ الأربِعاء خامسِ عَشَرِهِ (ربيعِ الأولِ ٩١٧ هـ) تُوُفِّيَ الشِهابُ أحمدُ المَحَلاّويّ مُؤذنُ السُلطان ، وكان حَسَنَ الصوتِ مطبوعاً في فنّه ..... ومات وقد نافَ عن الأربعين سَنَةً ، وقيل جاوز الخمسين ..... وقد تَزَوَّجَ نحواً من مِائَةِ امرأةٍ . وقد قُلْتُ في ذلك مُداعبةً لطيفةً :

قالتْ نساءُ المَحلّي   يا وَيْحَه ، كم ....
مُؤذّنٌ لا يُصلّي   كأنّما هو ديكُ !

٤ – تاريخ مصر (المشهور باسم بدائع الزهور في وقائع الدهور[3]) ، بولاق ١٣١١ – ١٣١٢ هـ ؛ (باعتناء باول كاله ومحمّد مصطفى ومورتس) – (في النشريات الاسلامية

---

(١) الثغر : الاسكندرية .

(٢) ذو القرنين : الاسكندر المقدوني الكبير كان في القرن الرابع قبل الميلاد واستولى على بلاد كثيرة في أوروبة وآسية (الى السند ، غربي الهند) وفي افريقية .

(٣) هنالك كتاب صغير باسم « بدائع الزهور في وقائع الدهور » (مطبوع في ٢٢٠ صفحة من القطع الصغير) ينسب الى ابن اياس يتناول تاريخ الانبياء قبل الاسلام ، وهو مملوء بالاسرائيليات (بالقصص التي يمتزج فيها قليل من التاريخ وكثير من الخرافات) وقد طبع مراراً (راجع معجم المطبوعات العربية لسركيس ، ص ٤٢) . وللسيوطي (ت ٩١١ هـ) أيضاً كتاب في التاريخ اسمه « بدائع الزهور (الأمور) في وقائع الدهور ، في التاريخ (راجع بروكلمان ٢ : ٢٠٢ ، الملحق ٢ : ١٩٦) طبع في القاهرة سنة ١٢٨٢ هـ ، لعله المنسوب الى ابن اياس . وكذلك لأحمد بن عبد الله البكري الواعظ البصري كتاب اسمه « بدائع الزهور ووقائع الدهور (بروكلمان ، الملحق ١ : ٦١٦) .

لجمعية المستشرقين الالمان) ، استانبول (مطبعة الدولة) ١٩٣١ — ١٩٣٢ م ؛ الطبعة الثانية (حققها محمّد مصطفى) ، فيسبادن (فرانز شتاينر) ١٩٦١ م .

نشق الأزهار في عجائب الأمصار (بعناية لانغليس) ، باريس ١٨٠٧ م .

صفحات لم تنشر من بدائع الزهور (حققه محمّد مصطفى) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١ م .

* * فهرست الأعلام (لتاريخ مصر : بدائع الزهور ...) ، عني بجمعها وترتيبها محمّد علي الببلاوي بمساعدة علي صبحي ، بولاق ١٣١٤ هـ .

زيدان ٣ : ٣٢٠ — ٣٢١ ؛ بروكلمان ٢ : ٣٨٠ ، الملحق ٢ : ٤٠٥ — ٤٠٦ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٨١٢ — ٨١٣ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٣٢ — ٢٣٣ .

عبد الهادي السودي اليمني

١ — هو شمسُ الدينِ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ محمّدِ بنِ ابراهيمَ ابنِ محمّدٍ السُّوديِّ ، نسْبَةً الى سُودَةِ شغبٍ (قرية قرب صَنعاءِ اليمنِ) ، وقدِ اشتهرَ باسمِ عبدِ الهادي السُودي اليمنِي .

سَلَكَ عبدُ الهادي اليمني طريقَ الصوفية وأوْغَلَ ، وقرأ الحديثَ والفِقْهَ . ثمّ حَدَثَتْ له جَذْبَةٌ[1] رُوِيَتْ عنه في أثنائِها كَراماتٌ كثيرةٌ . وقد كان مُغْرَماً بشُرْبِ القهوة[2] يَطْبُخُها بِيَدَيْه ونارها دائماً مُوقَدَةٌ عندَه . وبعدَ الجَذْبِ أغْرَقَ في الزُهْدِ فلم يَقْتَنِ شيئاً ، وكانْ كلّما أُهْدِيَتْ إليه هَدِيّةٌ صغيرةٌ أو كبيرةٌ رخيصةٌ أو غالية من سُوقَةٍ أو من مَلِكٍ ألْقاها في النارِ تَحْتَ وِعاء القهوة .

كانت وفاةُ عبد الهادي السُودي في سابعِ صَفَرَ من سَنَةِ ٩٣٢ هـ (٢٣/ ١١/ ١٥٢٥ م) ، في تَعِزَّ ، وقبرُه فيها مشهورٌ يُزار .

٢ — كان عبدُ الهادي السُوديّ عارفاً بعلومِ الفِقْه وبالتاريخ والأدب مَعَ مُشاركةٍ في علومٍ أُخرى . ثمّ نَظَمَ الشعرَ بعد الجَذْبِ . وشِعْرُه كثيرٌ سَهْلٌ متينٌ . وكان من عادته أن يَنْظِمَ ويكتُبُ ما يَنْظِمُه على الجُدرانِ ثمّ يَمْحوهُ . غيرَ أن مُريديه (أتباعَه) كانوا ينقُلون من هذا النظْم ما استطاعوا . ولعبدِ الهادي ديوانٌ لا يزالُ مخطوطاً .

---

(١) الجذبة : انصراف الذهن عن كل شيء الا الله (في الاصطلاح الصوفي) حتى أن المجذوب يعمل أحيانا أعمالا لا تعد في أعمال العقلاء .

(٢) القهوة : شراب البن .

٣ ـ مختارات من شعره

ـ لعبد الهادي السوديّ شعْرٌ على مَذهَبِ القوم (الصوفيّة) ، منه :

* باللهِ ، كَرِّرْ ، أيُّها المُطْربُ ، تَذْكارَ قومٍ ذِكْرُهم يُعْجِبُ ؛
ما زَمْزَمَ الحادي بذِكْراهُمُ في الشّرْقِ الاّ رَقَصَ المَغْرِبُ[1] .
* ومُهَفْهَفٍ قبّلتُ أشْنَبَ ثَغْرِه ؛ وبلوغُ ذاك الثغرِ ما لا يُحْسَبُ[2] .
قال : احْسُبِ القُبَلَ التي قبّلتَني ؛ فأجَبْتُ: إنّا أُمّةٌ لا نَحْسُبُ[3] !
* كيفَ حاروا فيكَ ؟ واعَجَبَا ! يا مُنى سَمْعي ويا بَصَري[4] .
أنت لا تَخْفى على أحَدٍ غيرِ أعمَى الفِكْرِ والنَظَرِ .
حَيْرَةٌ عَمّتْ . وأيُّ فتَىً رام عِرْفاناً ولم يَحِرِ[5] !

٤ ـ * * البدر الطالع ١ : ٤٠٨ ؛ النور السافر ١٥٥ ـ ١٩١ شذرات الذهب ٨ : ١٨٨ ـ ١٩١ ؛ بروكنمان الملحق ٨٩٧ .

إستدراك (تابع ص ٩١٤) : للسيوطي (مصادر ومراجع) :

تفسير القرآن المعظّم (على نفقة عيسى البابي الحلبي ـ مصر) ، مصر (مطبعة دار احياء الكتب العربية) ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٥ م .
لباب النقول في أسباب النزول (بهامش تفسير القرآن المعظّم) ....
حادي الأنام الى دار السلام ، المدينة المنوّرة (المكتبة العلمية) بلا تاريخ .
همع الهوامع شرح جمع الجوامع (عني بتصحيحه محمّد بدر الدين النعساني) ، القاهرة (الخانجي) ١٣٢٧ ـ ١٣٢٨ هـ .

* الكمالين على الجلالين لسلام الله الدهلوي (بهامش الجلالين) ، دلهي ١٣١٧ هـ .
حياة القلوب لمحمّد رياست علي (بذيل الكمالين على الجلالين) ....
تنقيح القول الحثيث لشرح لباب الحديث (شرح محمّد نوري بن عمر البنتيني) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٣ هـ .
تحفة البلغاء (شرح فارسي على مناهل الصفاء) لمولوي غلام رسول ومولوي أحمد ومولوي محمّد غار ، لاهور ١٧٩٢ م ؛ (بشرح فارسي لمحمّد جعفر عليّ نجماوي) ، لكنهو ١٩٠٣ م .

---

(١) زمزم : حرك لسانه بكلام غير مفهوم . الحادي : سائق الابل (في القافلة) . ذكراهم = ذكرى الصوفية ، كناية عن الكلام على العزة الالهية .

(٢) الأهيف : النحيل الحصر . الشنب : بياض الاسنان (كناية عن الجهال) . ما لا يحسب : كثير جداً .

(٣) في الحديث الشريف (فيما يتعلق برؤية هلال رمضان) : نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نحسب ، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ..... (٤) فيك = في العزة الالهية (في الله) . (٥) العرفان : المعرفة الصوفية (معرفة الله).

فهرس هجائي مختصر

لأعلام الاشخاص

م – مكرّر ح – في الحاشية ن – انظر

اكتفيت في هذا الفهرس بالمشهور من أعلام الاشخاص فذكرت مثلاً « المتنبّي » ولم أذكر في النسق الهجائي « أبو الطيّب » ولا « أحمد بن الحسين » . أمّا إذا كان الاسم أقلّ شهرة ثمّ كان علماً على نفر كثيرين ، مثل « الاصفهاني » أو « الشهرزوري » ، فقد رأيت أن أقول مثلاً :

الاصفهاني : حمزة – الراغب – عماد الدين الخ (أعني : اطلب : حمزة الاصفهاني الخ .)

(١) يرد اسم محمد رسول الله كثيراً ثم هو يرد في ألقابه الشريفة المختلفة : أحمد ، مصطفى ، الحبيب ، الرسول ، النبي ، سيد المرسلين، خاتم الانبياء ، أبو البتول (فاطمة : ٨٤٣) الخ .

فهرس الكتب

(اذا كانت مطبوعة أو موصوفة أو مأخوذاً منها نص)

الصادح والباغم ٢٢٢ ، ٢٢٥ .

قابوس نامه : كتاب النصيحة .

النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير ٩٠٧.

الهدى والسنى في أحاديث الخ ٦١٤ .

الوافي بالوفيات ٧٩٠ .

ياقوت الحموي الجغرافي الخ ٤٩٢ .

كتب ودراسات للمؤلف

تاريخ الأدب العربي : الأدب القديم	
(منذ مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية)	١٤٠٠
تاريخ الأدب العربي : الأدب المحدث	
(منذ مطلع العصر العبّاسيّ إلى سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م)	١٢٠٠
تاريخ الادب العربي : الأدب في الأعصر المتأخّرة	١٨٠٠
(حتّى الفتح العثماني : ٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م)	
تاريخ العلوم عند العرب	٩٥٠
تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون	١٢٠٠
الفكر العربي في منهاج البكالوريا	٨٠٠
تاريخ الجاهلية	٤٠٠
الشابيّ شاعر الحبّ والحياة	٣٥٠
القومية الفصحى	٣٠٠
تاريخ العلوم عند العرب (في منهاج البكالوريا)	٦٠٠
تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية	٤٠٠
التبشير والاستعمار في البلاد العربية (الطبعة الرابعة)	٥٠٠
الأسرة في الشرع الإسلامي	٤٠٠
عبقرية العرب في العلم والفلسفة	٣٠٠
وثبة المغرب	٥٠٠
أبو تمّام : دراسة تحليلية	٣٥٠
أبو نواس	١٥٠
أبو العلاء المعرّي	٢٠٠
حكيم المعرّة	٢٠٠
العرب والفلسفة اليونانية	٢٥٠

شاعران معاصران : ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابيّ ٣٠٠

العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط (ط ٢) ٣٠٠

العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ٤٠٠

عمر فرّوخ وجهوده الثقافية في أربعين عاماً (١٩٣١ – ١٩٧١) ١٥٠

كتب منقولة عن اللغة الانكليزية

أصدقاء لا سادة

السيرة السياسية للمشير محمّد أيوب خان بقلمه ١٢٠٠

الطريق إلى النجوم

من تأليف فان در ريت وللي

(رئيس المرصد الفلكي في غرينيش) ٤٠٠

الإسلام على مفترق الطرق (الطبعة السادسة)

(من تأليف ليوبولد فايس – محمّد أسد) ٢٠٠

الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط

(من تأليف المستشرق جورج سارطون

مؤلّف كتاب : مقدّمة إلى تاريخ العلم) ١٥٠

الاسلام منهج حيــاة

(من تأليف الدكتور فيليب حتّي) ٧٠٠

* * *

1000 Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode Umars, 1—23 d. H. (622—644 n. Chr).

300 Qur'anic Arabic.

300 L'arabccoranique .

1200 On Pnblic and Private Law in Islam, by Ibn Taimiyya (728 A.H = 1328. C.E. = السياسة الشرعية = Translated from the Arabic .

تاريخ الأدب العربي

الجزء الرابع

الأدب في المغرب والأندلس

منذ الفتح الإسلامي
إلى آخر عصر ملوك الطوائف

(أواخر القرن الخامس للهجرة - الحادي عشر للميلاد)

تأليف

عمر فروخ

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الطبعة الأولى
آذار (مارس) ١٩٨١

تاريخ الأدب العربي

٤

الكلمة الأولى

هذا هو الجزء الرابع من سلسلة « تاريخ الأدب العربي ». إنّه يبدأ تاريخَ الأدب العربي في المغرب (الشَّمالِ الغربيّ من قارّة إفريقية) والأندلس (الجَنوب الغربي من قارة أوروبّة). ثمّ هو يتناول الحِقبةَ الممتدّة من الفتح الإسلامي (القرن الأول للهجرة = أواخر القرن السابع للميلاد) إلى انتهاء عصرِ دُوَلِ ملوكِ الطوائف في الأندلس، ثمّ يستمرّ إلى مُنتهى القرن الخامس للهجرة (مطلع القرن الثّاني عَشَرَ للميلاد). ذلك لأنّ نفراً من الذين شَهِدوا عصرَ ملوك الطوائف طالتْ حياتُهم بعد ذلك قليلاً أو كثيراً.

ثمّ يلي هذا الجزء:

الجزء الخامس، ويتناول تاريخَ الأدب في عصر المُرابِطين والموحِّدين، في القرن السادس وبعضِ القرن السابع للهجرة، إلى نحو سنة ٦٤٠ (١٢٤٢ م).

الجزء السادس، ويتناول تاريخَ الأدب في عصر بني نَصْرٍ وينتهي بالفتح العثماني في المغرب (للجزائر) نحو ٩٣٢ للهجرة (١٥٢٥ م)، وإن لم يُشْبِهِ الفتحُ العُثمانيُّ في المغرب ما كان من الفَتْحِ العثمانيّ في المشرق.

وغَنِيٌّ عن البيان أن أقولَ هنا إنَّ الأعصر الحضارية (والأعصر الأدبية) لا تنطبق في العادة على الأعصر السياسيّة.

وأنا لم أفْصِلْ تاريخَ الأدب في المشرق من تاريخ الأدب في المغرب لأنّ الأدبينِ مُختلفانِ، ولكنّ عَمَلي هذا كان في سبيل التسهيلِ على نفسي في مُعالجة الموضوع. وعسى أن يُقَيِّضَ الله لي فُسحةً أستطيعُ أن أجمعَ في أثنائها تاريخَ الأدب العربي (في المشرق وفي المغرب) في سِلْكٍ واحد.

يجب ألاّ يستغربَ القارىء إذا قُلتُ له إنّ الأدب الأندلسي (وخصوصاً في النثر) كان تقليداً واضحاً للأدب المشرقي، إذ كان الأدبُ المَشرقيُّ هو المِثالَ الذي اقتدى به المغاربةُ في إنشاء أدبهم. لا شكّ في أنّ المُوَشَّحَ فنٌّ مَغْربي (أندلسيّ)، ولكنّ خَصائصَ مَغربية كثيرةً اجتمعتْ في المُوشّحاتِ كانتْ مَشْرقيةً في أُصولها. ثمّ لا نستطيع أن نُنْكِرَ أن السهولة في التركيب (إلى جانبِ ضَعْفٍ كثير فيه) كانتْ أكثرَ في المغرب منها في المشرق. وكذلك لم يُرْزَقِ المَغربُ أدباءَ كِباراً من نَجْرِ البُحتريّ والجاحظ والمُتنبّي وأبي العَلاء المعَرّيّ وأمثالِهم. ومَعَ أنّنا لا نَدْفَعُ ابنَ هاني الأندلسيّ وابنّ درّاجٍ القَسْطلّيّ وابنَ زيدونٍ عن مكان الصَّدارة في الشعر، فإنّ المُعْجَبين بهؤلاء الشعراءِ قد لَقَّبوهم ألقاباً منها بُحتريُّ الغَرْب أو مُتنبّي الغرب. أما في الفلسفة فلا شك في أن التقدم كان للمغاربة على المشارقة.

ثم إنّ أهل المغرب كانوا أكثرَ اهتماماً بأَدبِ المشارقة من أهلِ المشرق بأدب المغاربة. ولقد استمرّ ذلك إلى انتصاف القرن الحاضر الهجري. ولكنّ أهلَ المشرق الآنَ يُكَفِّرون عن ذلك الإهمال للتاريخِ المغربي في أيامِهمُ الماضية.

ولي في ختام هذه الكلمة الأولى من هذا الجزء رجاءٌ إلى اخواننا في المغرب، هو أنْ يُدركوا تقصيرَ المشارقة في الإحاطة بتاريخ المغرب وبالدِقّة في معرفة الأماكن وضبط الأعلام المغربية (فإنّ هذه الأسماءَ لأعلامِ الأماكن والأشخاص كانتْ غريبةً عن المشارقة مدّةً طويلةً، بخِلاف الأسماءِ لأعلامِ الأشخاص والأماكن في المشرق فإنّها كانتْ دائماً جُزْءاً من ثقافة المغاربة). وأنا واثقٌ من أنّ في هذا الجُزْء أيضاً أخطاءً أو أوهاماً يسيرةً أو غيرَ يسيرة. فإذا وقَعَ نَظَرُهم على شيءٍ مما ذكرتُ ثمّ غَفَروا ذلك لنا أو كتبوا إليّ به كُنْتُ لهم من الشاكرين.

ع. ف.

بيروت في خامس ربيع الأوّل ١٤٠١

١١/١/١٩٨١.

فهرس هذا الجزء

مقدّمة

هذا الجزء الرابع من «تاريخ الأدب العربيّ» (منذ الجاهلية إلى مطلع العصر العثماني في الشرق والغرب) يبدأ به تاريخ الأدب عندنا في المغرب (من قارّة إفريقية وقارّة أوروبّة). إنّ هذا التفريق في الأجزاء بين أدب المشرق (في الأجزاء الثلاثة الأولى التي صدرت) وأدب المغرب (والأندلس) في الأجزاء الثلاثة الباقية - وهذا الجزءُ الرابع أوّلُها - أمرٌ آليٌّ بَحْتٌ حَمَلَت عليه محاولةُ السهولةِ في التأليف.

ولا شكّ في أنني لم أُعان في كتابٍ وضعته من قبلُ ما عانيته من المشاقّ في وضع هذا الجزءِ الرابع.

فمن المصاعب الأساسية قضيّتان:

- تقليد المغاربة للمشارقة.

- كثرة اهتمام المغاربة بأدب المشارقة في مقابل اهتمام من المشارقة غيرِ كافٍ بأدب المغاربة.

والمشهورُ في تاريخ الأَدب أن الأندلسيين كانوا يُقلّدون المشارقةَ (ممّا ترى الإشارات إليه في أماكنَ مختلفةٍ من هذا الكتاب - كما تجد نَفَراً من الأندلسيّين يَرَوْنَ أنّ المشارقة كانوا مُقصّرين عن الأندلسيّين في ميادينَ كثيرةٍ، وخصوصاً في الأدب). ولكنّ الواضحَ الجَلِيَّ أنّ الأدبَ الأندلسي كان أحياناً أغنى في الأغراض (لاختلافِ البِيئة الطبيعية بين المغربِ والمشرق) وأعذبَ في اللفظ. ولكنّ الأدبَ المَغْرِبيّ (وفيه أدبُ الأندلسِ أيضاً) كان نازلاً عن مستوى الأدب المَشْرقي في ناحيتين: في عُمْقِ التفكير وفي متانة الأسلوب. نحنُ لا نَجِدُ في الأدب الأندلسيّ كاتباً كالجاحظ ولا شاعراً كأبي العلاءِ المعرّي (في سَعَةِ المَيْدان الذي وزّعا فيه جهودهما). وكذلك في

الأسلوب لا نرى تلك المَتانةَ التي نَعْرِفها للفرزدق، أو لجريرٍ مَعَ العذوبة أو لا نرى مثلَ أُسلوبِ المتنبّي والشريف الرضيّ. وذلك لبُعد المَغْرب (الإفريقي) والأندلس (في المكان والزمان) عن بِيئةِ اللسانِ العربيّ الأُولى - في الدرجة الأولى - ثمّ لقرب الأندلس خاصّةً من لُغاتٍ أعجمية وحضارات مختلفة، أكثرَ ممّا كُنّا نرى في المشرق. وكذلك لا يجوز أن نَنْسى أن سلطةَ الخلافة في المشرق كانت أكثرَ رسوخاً وأوسَع أثراً فيما حولَها من السلطة السياسية في الأندلس خاصّة.

ثمّ تأتي المُعْضِلة الثانية:

لا شكّ في أن المغاربةَ كانوا دائماً أكثرَ عِنايةً بتاريخ المشرق وأدبه من المشارقة بتاريخِ المغرب وأدبِه. فلمّا أردتُّ أن أُقْدِمَ على هذا الخِضَمّ الواسع - ذلك الذي ترى جانباً منه في هذا الجزء من عددِ التراجم وسَعَتِها والمختارات المُلحقةِ بها - دَعْكَ من دراسةِ العُصور - وقفتُ في كثيرٍ من الأحيان أمامَ جدارٍ غُفْلٍ (لا منفذ فيه): الأسماءِ الغريبةِ، وقد أَلِفْتُها في أثناء تلك المدة. ولكن بَقِيَ في الأسماء أشياءُ تُرْهِقُ القويَّ الجليدَ: أسماءٌ كثيرةٌ مثل: أبي عبدِ الله محمّدٍ وأبي محمّدٍ عبدِ الله - عشراتٌ ومئاتٌ من مثلِ هذه الأسماء المكرورة في النسب الواحدِ وفي الأنسابِ المختلفة. أقول هذا وأنا واثقٌ من أن إخْواني في المغرب سيَقَعون على عددٍ من تلك الأخطاء، فأرجو ألا يَضِنوا عليّ بالإشارة إليها، وأنا لهم شاكرٌ على كلّ تصحيحٍ أو تنقيحٍ يقترحونه.

وأمّا المشاكلُ العارضة - وفي هذا الجزء الرابعِ خاصةً - فكان منها:

بدأتُ جمعَ المادّةِ لهذه الأجزاء الثلاثة (من الرابع إلى السادس) منذُ ثلاثين عاماً (منذُ سَنَةِ ١٣٧١ للهجرة: عام ١٩٥١ م). ولقدِ اعتمدتُّ في ذلك الحين (فيما كنتُ قد اعتمدته) «نفح الطِيب» (طبع ليدن) و«الذخيرة» و«وَفَيات الأعيان» (طبع مصر)، إلى جانبِ عدد كبير من المصادر والمراجع. يجد القارىء جانباً منها (ذلك الجانبَ العامَّ في جميعِ أصحابِ التراجم - لا المصادرَ والمراجعَ الخاصّةَ بأديبٍ أديبٍ) في قائمةٍ مُلحَقَةٍ بهذه المقدّمة.

في تلك الأثناءِ (١٣٧١ - ١٤٠١ هـ = ١٩٥١ - ١٩٨١ م) ظهرتْ طَبَعاتٌ

جديدة لكُتُبٍ كانت قد طُبِعت من قبلُ وظَهَرَتْ كُتُبٌ جديدةٌ (مصادرُ ومراجعُ) فكنتُ مُضطَرًّا في مُعظَم الأحيانِ إلى أنْ أُعيدَ النظرَ في عددٍ كبير من الصَفَحات التي كنتُ قد أنشأتُها من قبلُ، بحَسْبِ ما كنتُ أرى من المادّة الجديدة أو القراءاتِ الجديدة (ما أمكنَ) في تلك الطَبَعات الجديدةِ أو الدراساتِ الجديدة. ويقضي الحقّ أن نشيرُ هنا إلى جُهود الدكتور إحسان عبّاس بالعِناية بتاريخ الأندلس خاصّة، فإنّه قد سهّلَ الوصولَ إلى ذخائرِ هذا التاريخ (في الأدبِ والفِكر) تسهيلاً ظاهراً.

غيرَ أن في الأدب الأندلسي ثغرةً واسعة هي تلك الأسماءُ المتداخلةُ المتشابكةُ المتكرّرة، وقد أشَرْتُ إلى هذهِ المُشكلة قبلَ أسطرٍ قليلة.

ولكنْ يبدو أنّني لم أكنْ وَحدي في مُعاناة هذه المشكلةِ. إن الرجوع إلى فهارسِ عددٍ من الكُتُبِ يُلقيكَ أحياناً أمام أسماء مفرّقة في الفهارس في غير مواضعها أو مجموعة في غير مواضعها. وربّما بحثتَ عن اسم في فهرس كتاب فلم تجدْه، مع أنّه واردٌ في عدد من صفحات ذلك الكتاب. وربّما كشفت عن اسم فرأيته مُثْبَتاً في الفهرس مُشاراً إلى أنّه واقع في عدد من الصفحات ثمّ تقلّب تلك الصفحاتِ فلا تجدُ لذلك الاسم أثراً. وفي اعتقادي أنّ هذا راجعٌ إلى أن نفراً من المؤلّفين أو من الناشرين يَعْهدون إلى طلاّبهم أو إلى أصدقائهم بجزءٍ من العمل الواجب عليهم هم أو يعهدون إلى هؤلاء بذلك العمل كلّه.

ولعلّك واجد في كتابي هذا شيئاً قليلاً ممّا أشكو أنا الآن منه، ولكنّ مثَل هذا الخطأ سيكون منّي أنا ولن يكون بطبيعة الحال مقصوداً. ولعلّي أكون على صواب إذا أنا قلت إنّ جميع الكتب الكبيرة لا تخلو من مثل ذلك.

وهنالك مشكلة مزعجة في عمل الفهارس أحرص أنا على ألاّ أفرضها على قرّائي. يكتفي نفر كثيرون من ناشري الكتب الكبيرة بأن يذكر الصفحات التي ترد فيها أسماء الأعلام وُروداً صريحاً: محمّد بن عبد الله الفلاني ٨، ١٦، ٤٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٤٥٠، ٥٠٥، الخ (بلا تفريق بين الصفحات التي يرد فيها ذلك الاسم وُروداً عارضاً أو وُروداً مقصوداً). وربّما وجدت أنّ الصفحات ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١ الخ تتكلّم على ذلك الاسم الذي ذكر أنّه وارد في الصفحة ٤٧ صراحة أو أنّها

صفحات ورد لصاحب ذلك الاسم نصّ من آثاره. لا شكّ في أنّ هذا المنهج يسهّل العمل على مرتّب الفهارس - وخصوصاً إذا لم يكن مرتّب الفهارس هو ناشرَ الكتاب نفسَه - وإليك المثلَ التالي:

في أثناء إعداد ترجمة الحِجاري صاحب المُسهِب رجَعتُ إلى فهرس كتاب « المُغْرب » فوجدت أن اسم الحجاري هذا واردٌ في مائتي صفحة أو تزيد. نقلت هذه الصفحات على ثلاث بطاقات ثمّ مررتُ في تلك الصفحات واحدةً واحدة فوجدتّ أن اسم الحجاري قد ورد في معظم هذه الصفحات وُروداً عارضاً لا يوجِب حُكماً ولا يُفيد بحثاً. وبعد تلك الرحلة الطويلة الشاقّة وجدتّ نحوَ عشرِ صَفَحاتٍ فيها شيء من النقد ثمّ بضعَ صفحاتٍ أخرى تتعلّق بحال الحِجاري.

وكذلك كان العملُ الآليُّ الذي قُمتُ به في هذا الجزء مُرهقاً جدًّا. إنّ تنضيدَ الحروف بالعقل الالكتروني (الكومبيوتر) - وخصوصاً في النصوص المشكولة - أمرٌ معقَّد من ناحية ثمّ هو مُتعب في تصحيح « الملازم » من ناحية ثانية. كان المؤلّفُ من قبلُ يأتي إليه في اليومِ بعد اليومِ أو في الأُسبوع بعدَ الأسبوع، ملزمةٌ واحدةٌ (ستَّ عَشْرَةَ صفحةً) أو ثلاثُ ملازمَ أو أربعٌ في الأكثر فيصحّحُها على مَهْلٍ وبالتأنّي، كلّ ذلك معَ الحرّيّة في التبديل الضروريّ والتعديل والتذييل. أمّا الآنَ، وفي الوقت الذي أكتب فيه هذه الأسطر، فقد جاءني من ثلاث مطابعَ خمسون ملزمةً (ثمانُمِائَةِ صفحةٍ)، ثمّ من كلّ مطبعةٍ رجاءٌ لطيفٌ بأنْ أُسرعَ في التصحيح، لأنّ « الكومبيوتر » منتظر.

ثمّ إنّ « دار العلم للملايين » عَهِدتَ - مشكورةً - إلى الأستاذ زهير فتح الله، وهو لي تلميذٌ قديم، ثمّ كان منذ ذلك الحين صديقاً أيضاً، بمعاونتي في التصحيح. ورأى الأستاذ زهير فتح الله ألاّ يقصُرَ واجبَه على تصحيحِ الأخطاء المطبعية، بل حَرَصَ أيضاً على أن ينفِيَ من هذا الكتاب ما أمكن من الهَنات. ولقد اقترحَ عدداً من القراءات في عدد من الأحيان ثم عدداً من تفسير الأبيات أحياناً ممّا كان له وجه. ولقد كَرَرْتُ بصري في كلِّ ما اقترَحَ ثمّ قَبِلْتُ أشياءَ ممّا كان قد اقترحه. فله على جُهودِهِ كلِّها شكرى الجزيلُ.

ثمّ إنَّ الجزأين الباقيين من هذه السلسلة سيمثُلان للطبع قريباً: إنّ مادّتَها كلَّها موجودة، وقد جرى إعداد الجزءِ الخامِس للطبع، ولكن يحتاجُ إلى أن أمُرَّ عليه أنا ببصري مرّةً أخرى.

والله من وراء القصد.

في السابع والعشرين من ربيعٍ الأوّل ١٤٠١

٢/٢/١٩٨١.

عمر فرّوخ

مصادر ومراجع:

ابن الأثير - الكامل في التاريخ لعزّ الدين أبي الحسن علي بن محمّد الشيباني المعروف بابن الأثير، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥.

ابن الفرضي - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تأليف أبي الوليد عبد الله بن محمّد بن نصر الأزدي، القاهرة (عزّت الحسيني) ١٩٥٤ م.

ابن قنفذ - وفيات ابن قنفذ أو كتاب الوفيات لأبي العبّاس أحمد بن حسن بن عليّ بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (عادل نويهض)، بيروت (منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) ١٩٧١ م.

الإحاطة في أخبار غرناطة للوزير لسان الدين بن الخطيب، المجلّد الأوّل (محمّد عبد الله عنان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م. جزءان، القاهرة.

أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر لأحمد بن محمّد السلفي (احسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.

أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها (أميليو لافوانتي أي الكانترا)، مدريد (رفا دنييرا) ١٨٦٧ م.

الأدب المغربي، تأليف محمّد بن تاويت ومحمّد الصادق عفيفي، بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني) ١٩٦٠ م.

أزهار الرياض في أخبار عياض، تأليف شهاب الدين أحمد بن محمّد المقّري التلمساني (مصطفى السقّا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلبي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م.

الأزهار الرياضية في أئمّة وملوك الإباضية، تأليف سليان الباروني،؟ (المطبعة البارونية)؟.

إعتاب الكتّاب، تأليف أبي عبد الله محمّد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبّار (صالح الأشتر)، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.

الأعلام للزركلي = الأعلام: قاموس تراجم، تأليف خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة،؟ (؟) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م. - الطبعة الرابعة، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٧٩ م.

أعلام من طرابلس، تأليف علي مصطفى المصراتي، طرابلس - ليبيا (مكتبة دار الفكر) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

أعلام الفكر الإسلامي

أعلام ليبيا، تأليف طاهر أحمد الزاوي (مكتبة الفرجاني، طرابلس - ليبيا) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م.

أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تأليف لسان الدين بن الخطيب السلماني (إ. ليفي بروفنسال) بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٦ م.

أعيان الشيعة، تأليف محسن عبد الكريم الأمين، أجزاء كثيرة، دمشق وبيروت ١٩٣٦ م وما بعد.

إنباه الرواة على أنباه النحاة، تأليف جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، (محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م.

الأنموذج - شعراء القيروان من أنموذج الزمان، تأليف أبي عليّ الحسن بن رشيق القيرواني (زين العابدين السنوسي)، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥١ م.

بالنثيا - تاريخ الفكر الأندلسي، تأليف آنخل جنثالث بالنثيا (نقله حسين مؤنس)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م.

برنامج شيوخ الرعيني وهو أبو الحسن عليّ بن محمّد الرعيني الاشبيلي (إبراهيم

شبّوح)، دمشق (وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مطبوعات مديريّة احياء التراث القديم، رقم ٤) ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م.

بروكلمن وملحقـــــه Geschichte der Arabischen Litteratur, von Carl Brockelmann (mit Supplementbänden), Leiden (Brill) 1937-49.

بساط العقيق

البلغة

بغية الملتمس في تاريخ الأندلس: علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممّن دخل إليها أو خرج عنها، ممّا وشّى به رياض الحميدي ونمنم وألحم سداه وتمّم أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبّي (فرنثيسكو قوديره إي زيدين)، مجريط (مطبع روخس) ١٨٨٤ م.

بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ.

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المرّاكشي (ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال)، ليدن (بريل) ١٩٤٨ م، الجزء الثالث (إ. لافي بروفنسال)، باريس (بولس كتنر) ١٩٣٠ م.

تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمّد مرتضى الحسني الزبيدي (الأجزاء ١ - ١٨ تحقيق علماء كثيرين)، الكويت (مطبعة حكومة الكويت) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م وما بعد.

تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، تأليف احسان عبّاس، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٠ و١٩٦٩ م.

تاريخ الأدب الأندلسيّ: عصر الطوائف والمرابطين، تأليف إحسان عبّاس، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٢ م.

تاريخ الأدب الجزائري، تأليف محمد الطمّار، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) بلا تاريخ.

تاريخ الأدب العربي في صقلّية، تأليف أمبرتو ريزيتانو، عمّان (الجامعة الأردنية) بلا تاريخ.

تاريخ افتتاح الأندلس، تأليف أبي بكر محمّد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية، مصر (مطبعة التوفيق) بلا تاريخ.

تاريخ إفريقية والمغرب: قطعة منه لأبي إسحق إبراهيم بن القاسم الرقيق (المنجي الكعبي)، تونس (رفيق السقطي)، ١٩٦٨ م.

تاريخ الجزائر العامّ، تأليف عبد الرحمن بن محمّد الجيلاني، الجزائر (المطبعة العربية) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م.

تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس = ابن الفرضي.

تاريخ الفكر الأندلسي = بالنثيا.

تاريخ المّن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمّة وجعلهم الوارثين لعبد الملك ابن صاحب الصلاة (عبد الهادي التازي)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م.

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، تأليف إحسان عبّاس، بيروت (دار الأمانة) ١٩٧١ م.

تالي وفيات الأعيان، تأليف فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي (جاكلين سوبله)، دمشق (المعهد الفرنسي) ١٩٧٤ م.

تراجم أغلبية للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض (استخرجها من «مدارك القاضي عياض» محمّد الطالبي)، تونس (المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية) ١٩٦٨ م.

تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، تأليف محمّد عبد الله عنان، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م.

تعريف الخلف برجال السلف، تأليف أبي القاسم محمّد الحفناوي، الجزائر (مطبعة بيير فونتانه الشرقية) ١٩٠٦ م.

التكملة لكتاب الصلة، تأليف أبي عبد الله محمّد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن

الأبّار (الفريد بل وابن أبي شنب) - وهو القسم المفقود من طبعة قداره زيدين (مجريط ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م) ومن طبعة فنزالش بلنسية (مجريط ١٩١٥ م)، الجزائر (المطبعة الشرقية للأخوين فونطانا) ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م.

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لأبي عبد الله محمّد بن فتّوح الحميديّ (محمّد تاويت الطنجي)، القاهرة (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ١٩٥٢ م.

جيش التوشيح، تصنيف لسان الدين بن الخطيب (جلال ناجي ومحمّد ماضور)، تونس (مطبعة المنار) ١٩٦٧ م.

الحلّة السيراء لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبّار (حسين مؤنس)، القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م.

خريدة القصر وجريدة العصر، تأليف أبي عبد الله محمّد بن محمّد عماد الدين الكاتب الأصفهاني:

- (قسم المغرب) الجزء الأول.
- (قسم المغرب والأندلس) (آذرتاش آذرنوش)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٧١ - ١٩٧٢ م.
- (قسم الأندلس) (عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم)، القاهرة (دار نهضة مصر للطبع والنشر).

دائرة المعارف الإسلامية (باللغة الانكليزية)، ليدن (بريل) ولندن (لوزاك)، الطبعة الأولى ١٩١٣ م؛ الطبعة الثانية ١٩٦٠ م.

درّة الحجال

دودو = كتب وشخصيات، تأليف أبي العيد دودو، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٩٧٠ م.

داية = تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، تأليف محمّد رضوان الداية، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف برهان الدين إبراهيم بن عليّ

بن محمّد بن فرحون اليعمري، مصر (عبّاس بن عبد السلام بن شقرون (١٣٥١ هـ.
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف أبي الحسن عليّ بن بسّام الشنتريني (إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.
الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تأليف محمّد محسن آغا بزرك، النجف طهران ١٣٥٥ هـ.
الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة لأبي عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الملك المرّاكشي (إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.
رايات المبرّزين، لأبي الحسن عليّ بن موسى بن سعيد (أميليو غارثيا غوميز)، مدريد (معهد دون خوان الفلانسي)، ١٩٤٢ م.
الرحلة المغربية جدّو.
رحلة التجاني لأبي عبد الله محمّد بن محمّد بن أحمد التجانيّ (حسن حسني عبد الوهّاب)، تونس (المطبعة الرسمية)، ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.
روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تأليف عليّ بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسيّ، فاس ١٣٠٣ هـ.
الزبيدي = طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمّد بن الحسن الزبيدي، (محمّد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٣ م.
سركيس = معجم المطبوعات العربية والمعرّبة. جمعه ورتّبه يوسف اليان سركيس، مصر (مطبعة سركيس) ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبليّ، بيروت (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) بلا تاريخ (نسخة بالتصوير؟).
شهيرات النساء، تأليف حسن حسني عبد الوهّاب، تونس (المطبعة التونسية) ١٣٥٣ هـ.
الصلة في تاريخ أئمّة الأندلس لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (عزّت العطّار الحسيني)، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥٠.

صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن الزبير، بيروت (مكتبة خيّاط) بلا تاريخ (بالتصوير).
طبقات الأطبّاء = عيون الأنباء.
طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب محمّد بن أحمد بن تميم القيرواني (علي الشابيّ - نعيم حسن اليافي)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.
الطمّار = تاريخ الأدب الجزائري.
العبر في خبر من غبر لشمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد الذهبي (نفر من العلماء)، الكويت ١٩٦٠ م.
العرب في صقلّية، تأليف احسان عبّاس، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩ م.
العربي = مجلّة العربي (الكويت).
عنوان الأريب عمّا نشأ في المملكة التونسية من عالم وأديب، تأليف محمّد النيفر، تونس (المطبعة التونسية) ١٩٥١ م.
عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العبّاس أحمد بن أحمد الغبريني (رابح بونار)، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م.
عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، تأليف موفّق الدين أبي العبّاس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٩ هـ = ١٨٨٢ م.
الفهرست = كتاب الفهرست لأبي الفرج محمّد بن إسحاق النديم الورّاق البغدادي (فلوغل)، بيروت (خيّاط) ١٩٦٤ م (بالتصوير).
فهرسة ابن خير أبي بكر محمّد بن عمر بن خليفة الأموي الاشبيلي (فرنثيسكو قداره زيدين وخليان رباره طرّاغو)، طبعة جديدة منقحة (زهير فتح الله).
بيروت (المكتب التجاري) - بغداد (مكتبة المثنّى) - القاهرة (مؤسسة الخانجي)، ١٢٨٢ هـ = ١٩٦٣ م (عن طبعة سرقسطة - إسبانية ١٨٩٣ م).
فوات الوفيات لصلاح الدين محمّد بن شاكر الكتبي، مصر ١٢٨٣ هـ.

القاموس المحيط لمجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزأبادي، مصر (المطبعة الحسينية المصرية) ١٣٤٤ هـ.
القدح المعلّى = اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى لأبي الحسن عليّ بن موسى بن سعيد، اختصره أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن خليل (إبراهيم الأبياري)، القاهرة (الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية) ١٩٥٩ م.
قضاة الأندلس = تاريخ قضاة الأندلس: كتاب المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (إ. ليفي بروفنسال)، القاهرة (دار الكاتب المصري) ١٩٤٨ م.
القفطي = تاريخ الحكماء لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (يوليوس ليبرت)، ليبزيغ (ديتريخ) ١٩٠٣ م.
قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لأبي نصر الفتح بن محمّد بن عبد الله بن خاقان القيسي (عبده سليمان الحرايري)، باريس؟ ١٢٧٧ هـ.
كتب وشخصيات = دودو.
المجمل في تاريخ الأدب التونسي، تأليف حسن حسني عبد الوهّاب، تونس (مكتبة المنار) ١٩٦٨ م.
المحمّدون من الشعراء وأشعارهم لأبي الحسن عليّ بن يوسف القفطي (حمد الجاسر)، الرياض (دار اليمامة) ١٩٧٠ م.
مختارات نيكل = مختارات من الشعر الأندلسي (جمعها المستشرق أ. ر. نيكل)، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٤٩ م.
المرقبة العليا = قضاة الأندلس.
المسلمون في صقلّية = المسلمون في جزيرة صقلّية وجنوب إيطالية، تأليف أحمد توفيق المدني، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٩٦٥ م.
المطرب من أشعار أهل المغرب لأبي الخطّاب عمر بن حسن بن دحية (إبراهيم الابياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد البدوي)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٤ م -.

المطمح = مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس لأبي نصر الفتح بن محمّد بن عبد الله بن خاقان القيسي، قسطنطينيـة (مطبعة الجوائب)، ١٣٠٢ (١٣٠٣ هـ).
معالم الإيمان.
المعجب في تلخيص أخبار المغرب لأبي محمّد عبد الواحد بن عليّ التميمي المرّاكشي (دوزي)، أمستردام ١٩٦٨ م (بالتصوير؟).
مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق.
معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (أحمد فريد رفاعي)، القاهرة (مطبوعات دار المأمون) ١٩٣٦ م = ١٣٥٥ هـ.
معجم أعلام الجزائر.
المغرب في حلى المغرب، لنفر من المؤلّفين آخرهم أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي (شوقي ضيف)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣ م.
المقتبس لحيّان بن خلف بن حيّان القرطبي:
- المقتبس في تأريخ رجال الأندلس (ملشور م. أنطونية)، باريس (بولس كتنر الكتبي)، ١٩٣٧ م.
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس (عبد الرحمن علي الحجّي)، بيروت (دار الثقافة)، ١٩٦٥ م.
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (محمود علي مكّي)، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.
مقدّمة ابن خلدون، بيروت (المطبعة الأدبية)، ١٩٠٠ م؛- بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني) ١٩٦١ م.
الملحق = بروكلمن.
م م ع ع = مجلّة مجمع اللغة العربي بدمشق.
المنّ بالإمامة = تاريخ المنّ بالإمامة.

المنتخب المدرسي، تأليف حسن حسني عبد الوّهاب.

المنهل العذب من تاريخ طرابلس الغرب لأحمد بك، الأستانة (مطابع جمال أفندي) ١٣١٧ هـ.

النبوغ المغربي، تأليف عبد الله كنّون، بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني) ١٩٦١ م.

النثر الفنّي في القرن الرابع، تأليف زكي مبارك، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٣٤ م.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمّد المقّري التلمساني (احسان عبّاس)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨.

نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، لأحمد النائب الأنصاري (علي مصطفى المصراتي)، بيروت (منشورات المكتب التجاري)، ١٩٦٣ م.

نكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين بن أيبك الصفدي (أحمد زكي بك)، مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م.

نيكـــل = Hispano-Arabic Poetry and its Relation with the Old Provençal Troubadours, by A.R. Nykl, Baltimore 1946.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج (بهامش الديباج المذهب).

الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (علماء مختلفون)، أماكن مختلفة (مطابع مختلفة)، ١٩٣١ م وما بعد.

وفيات ابن قنفذ = ابن قنفذ.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن خلّكان (إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٧٢ م.

تاريخ الأدبِ العَرَبيِّ في المَغْرِبِ

المَغْرِبُ هنا يُقال في مُقابلِ المَشْرِق: إنّ مِصْرَ والسُّودانَ (في قارّةِ إفْريقِيَةَ) ثمّ الحِجازَ والشامَ (في قارّة آسِيَةَ) وما وراءَ هذه شَرْقاً هو المَشْرِقُ؛ أمّا لِيبِيا وما وراءَها غَرْباً (في قارّة إفريقِيَةَ) ثمّ جزيرَة سِقِلِّيَةَ أو صِقِلِّيَةَ وشِبْهُ جزيرةِ إبارِيَةَ - الأَنْدَلُسُ - (من القارّة الأوروبيّة) فَهِيَ المَغْرِبُ.

وسُكّانُ المغرب في إفريقِيَةَ وَحْدَةٌ جِنْسية، على ذلك أجمع الدارسون. وقد عُرِفَ المَغْرِبُ عندَ أهلِهِ بآسْمِ بلادِ الأمازيغ (أيِ الوطنِ الحُرّ)، كما عُرِفَ سُكّانُهُ بآسم الإيمازيغِن (أي الرجالِ الأحرار). غيرَ أنّ تَسْمِيَةَ سُكّانِ المغرب بالبربرِ تَسْمِيَةٌ قديمَةٌ عَرَفَها اليونانُ والرومانُ والأعرابيّون[1] وعَرَفها العربُ وذَكَرَها آمْرُؤُ القيسِ في شِعرِهِ. أما وَجْهُ آشتقاق الكَلمة «بربر» فقد غابَ -لِقِدَمِهِ- عن رُواةِ اللُّغَةِ وعُلَمائها.

والمغربُ في إفريقية وَحْدَةٌ جُغرافِيَّةٌ، ولكنّ هذه الوحدةَ خَضَعَتْ لِتَسْمِياتٍ دالّةٍ على أقطارها. هذه التسمياتُ التي عَرَفها العربُ منذُ الفتحِ كانت أربعاً:

- بَرْقَةُ وطَرابُلُسُ (وهما اللّتانِ تُعْرَفانِ اليوم باسم لِيبيا). على أن بَرْقَةَ كانتْ في الأكثرِ تابعةً في تاريخها لِمِصْرَ، بينَما طرابُلُسُ كانَت في الأكثر تابعةً لِلْمَغْرِبِ الأدنى.

---

(١) الأعرابيّون هم سكّان شبه جزيرة العرب الأوّلون - وأكثرهم البدو - وهم الذين كانوا قد خرجوا في موجات متباعدة ثمّ استقرّوا في العراق وسورية ومصر والحبشة وعرفوا في مساكنهم الجديدة باسم الأموريّين أو الآراميّين أو الكنعانيّين أو البابليّين أو العرب أو غير ذلك. وكانت عادة المؤرّخين المتأخّرين أن يطلقوا على «الأعرابيّين» اسم «ساميّين»، نسبة في ظنّهم إلى سام بن نوح والاسم «ساميّون» خطأ ليس هنا محلّ تبيانه. أمّا الاسم «أعرابيّون» فقد اقترحه الصديق الدكتور زكي عبد الرحمن النقّاش - ولد ١٣١٣(١٨٩٦ م) في كتابه «دور العروبة في تراثنا اللبناني» (١٩٧٤ م).

- المغرب الأدنى (وهُوَ المعروفُ اليومَ باسمِ تُونِسَ)، وكان الرومانُ يُطْلِقون عليه اَسْمَ «إفريقية».

- المغربُ الأوسطُ (وهُوَ الجانبُ الأوسط من المغرب كلّهِ، ولا نَعْرِفُ له حدُوداً مُعيّنةً لا من الشرقِ ولا من الغرب).

- المغربُ الأقصى، وهُوَ الجزء الذي يَقَعُ بعدَ المغربِ الأوسطِ ثمّ يَمْتَدُّ غرباً إلى البحرِ الأخْضر (المُحيطِ الأطْلَسيّ).

ويَحْسُنُ أن نُثْبِتَ هُنا عدداً من المُلاحظاتِ تَتَعلّقُ بالمغرب (في إفريقية) كلّهِ:

أ - إنّ هذهِ التّسْمياتِ لا تدلّ على أقطارٍ مُعَيّنةٍ، وإنْ كانتْ تُشيرُ إلى أجزاءِ المغرب بإضافةِ بعضِها إلى بعضٍ.

ب - ومَعَ أنّ البربرَ وَحْدَةٌ جِنْسِيَّةٌ في الأصلِ، فإنّه قد طرأ عَلَيْهِمْ جالياتٌ وفاتحونَ (كما حَدَثَ في كلّ بُقْعَةٍ في العالم)، فإذا هُمُ اليومَ مزيجٌ يَغْلِبُ عليه العُنْصُرُ البربريُّ، إذْ يبدو أن الجواليَ كانتْ قليلةَ العددِ بالإضافةِ إلى جُمْهورِ البربرِ، كما أن جيوشَ الفاتحين أيضاً لم تَكُنْ كثيرةَ العددِ. ونحنُ نُلاحِظُ اليومَ أن البربرَ قبائلُ ذَوُو خَصائِصَ جِنْسِيّةٍ مُتَفاوتةٍ كما أن هذه القبائل تَتَكلّمُ بِضْعَ لَهجاتٍ. ويجبُ ألاّ ننسى أنّه مرّ على المغرب كلّهِ فاتحونَ أو جالياتٌ من الكَنعانيّين الأعرابيّين الذين عَرَفَهُم اليونان باسم الفينيقيّين ثمّ من اليونان والرومان ومن الجِرمان (الفَنْدال والقُوط) الآريّين، وأنّ المغرب كان يتلقّى مَوْجاتٍ زَنْجيّةً من الجَنوب.

جـ - والاعتقاد السائدُ في المغرب إلى اليوم أن البربرَ قَحْطانيّون من عَرَبِ الجنوبِ هاجروا إلى بِلادِهم الحاليّةِ من جَنوبيّ شِبْهِ جَزيرة العرب - ولا نَعْرِف حُكْمَ التاريخ في ذلك.

د - كان مُعْظَمُ سَواحِلِ المغرب، قبلَ الفتحِ الإسلاميّ، خاضعاً لِلرُّومِ البيزنطيّين؛ وهم الذين كانوا مُسْتَوْلِينَ على الشامِ (في المشرق) قبلَ الفتحِ الإسلامي في المشرق. وقَبْلَ الرومِ كان الرومان يُسَيْطِرونَ على مُعْظَمِ سواحلِ

المغربِ. فلمّا جاء الفتحُ الإسلاميّ كان للنَّصْرانيّةِ بِمَذْهَبَيْها الأرْثوذُكْسِيِّ (الرومي الشرقي) والكاثوليكيّ (الرومانيّ الغربي) شيءٌ مِنَ الآنتشار. أما مُعْظَمُ البربر، على الساحل وفي الداخل، فكانوا على الوَثَنِيّةِ. ولقد كانتِ المنازعاتُ الدينيةُ ثائرةً في المغرب كما كانت في ذلك الحين ثائرةً في المشرق.

وسُكّانُ المغرب أهلُ بَداوةٍ وأهلُ حضارةٍ، فحياتهم من هذه الناحية شَبيهةٌ بحالِ العرب في شِبه جزيرة العرب. على أن ظِلّ الحَضارة في المغرب أوسعُ فالعُمرانُ فيهِ أكثرُ وأقدمُ عَهْداً ممّا في شِبهِ جزيرة العربِ حيثُ نشأ الجِنْسُ العربي وتَطَوّرتِ اللُّغَةُ العربيةُ وجرى الأدب العربي على لِسانِ أهلِهِ الأوّلين. وأما بداوة المغرب فتختلف أيضاً من بداوة المشرق في أمرين: إنّ البَّدْوَ في المشرق دائمو التَرْحالِ يَتَنَقّلُونَ بِمَواشِيهِمْ من مكانٍ إلى مكانٍ يَتَتَبّعونَ مَساقِطَ الغَيْثِ، حتّى إذا جَفّ الماءُ المُتَجَمِّعُ في بُقْعَةٍ ونَفِدَ عُشْبُها ارْتَحَلوا إلى مكانٍ آخرَ. فبُيُوتُهم من أجلِ ذلك خِيامٌ يَحْمِلونها مَعَهم حيثُ ذَهَبوا. أما في المغرب فلِلْبَدْوِ رِحْلَتانِ: يَرْحَلون في الشتاء إلى مكانٍ يَنْزِلون فيه، ثمّ يَعودونَ في الصيف إلى مكانِهِمُ الأوّلِ، ولذلك تراهُمْ في بعضِ الأحيانِ يُقيمون بيوتاً من حَجَر. ثمّ هم فوقَ ذلك يُرَبّون الماشيةَ ويزرَعون الأرضَ معاً.

وكثيرٌ من عاداتِ أهْلِ المغربِ الإفْريقيّ في الحياةِ الآجْتماعيةِ كانَ يُشْبِهُ عاداتِ أهلِ المشرقِ من البدو، ولا يزال كذلك إلى حدّ كبير.

الأندلس

أما شِبهُ جزيرةِ إبارِيةَ (إيبيرية، الأندلس: إسبانية والبرتغال) فتَقَعُ في الطَرَفِ الجَنوبيّ الغَرْبي من قارّة أوروبّةَ وتُقابِلُ المَغْرِبَ الأقصى.

لَمّا جاء الفتحُ الإسلاميُّ كان أهلُ البلادِ الأصليون يَعيشونَ في الأكثر على الزِراعة عِيشةً نَكَداً. أما الحُكْمُ فكانَ في يدِ القُوطِ الغَرْبيّينَ، وهم جرْمانٌ طارِئون على شِبهِ الجزيرة. وكان الحكم القُوطِيُّ في دَوْرِه الأخيرِ ضَعيفاً مُتفَكّكاً فاسِداً. وكَان أهلُ البلادِ الأصليّون يُعانونَ منه ظُلْماً وإرهاقاً.

وكانتِ النَّصْرانيةُ دينَ شِبهِ الجزيرةِ الإيبيرية: كان الحكّامُ القوطُ أنفُسُهم أرْيوسِيّينَ مُنْشَقّينَ عَنِ الكنيسةِ الكاثوليكية وعن عَقيدة الرومِ الأرثوذُكْسِيَّةِ. وكان للكاثوليكية أتباعٌ في البلادِ ٱلّتي كانتْ تَحْتَ سيطرةِ الرومانِ من قبل، كما كانَ لعقيدة الروم الأرثوذكس أتباعٌ حيث كان للروم البيزنطيّين سَيْطَرة (على أجزاء من سواحِلِ الجزيرة). ولم يَكُنِ النزاعُ الدينيُّ في إيبيرية أقلَّ منه في المغرب الإفريقي ولا أقلَّ ممّا كان في المشرق قبلَ الإسلام.٠

الفتح في المغرب وفي الأندلس

بعدَ أنْ فتحَ عمرُو بْنُ العاصِ مِصْرَ سارَ في سَنَةِ ٢٢ (٦٤٣ م) وفتح بَرْقَةَ صُلْحاً. وقبلَ أنْ تَنْتَهِيَ سَنَةُ ٢٣ كان العربُ قد فَتَحوا جَميعَ ليبيا، في أيامِ عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ. وفي أول سَنَةِ ٢٧ (خَريفِ ٦٤٧ م) أذِنَ الخليفةُ عُثْمانُ بْنُ عَفّانَ لواليهِ على مِصْرَ عبدِ اللهِ بْنِ أبي سَرْحٍ بأنْ يَسيرَ إلى فتحِ إفريقِيَةَ (القطرِ التُونِسِيّ). واسْتَطاعَ العربُ في عامٍ واحدٍ أن يفتحوا القُطْرَ التونسي.

غيرَ أنّ ٱلفِتَنَ ٱلّتي حدثتْ في المَشْرِقِ في أيامِ عُثْمانَ وعَلِيٍّ ومحاولاتِ الرُّومِ في اسْتردادِ ما كانوا قد خَسِروه في المَغْرب - بعدَ أنْ تَوَطَّدَ حُكْمُ العربِ في المَشْرِقِ - جَعَلَتِ العربَ يَتَراجعونَ عن إفريقية وعَنْ أجْزاءٍ من لِيبيا مَرّةً بَعْدَ مَرّةٍ.

ولم يَثْبُتِ الحُكْمُ العربيُّ في المغربِ إلاّ بَعْدَ الفتحِ الرابعِ، سَنَةَ ٤٦ (٦٦٦ م) بقيادةِ عُقْبَةَ بْنِ نافعٍ. وفي سَنَةِ ٥٠ (٦٧٠ م) بنى عُقبةُ قَيْرواناً (مُعَسْكراً) وخطّ فيه مسجداً (عيّن اتّجاهَه نحو القِبلة، أي نحوَ مَكّةَ)، فأصبحَ هذا المعْسكرُ مَعَ الأيّامِ مركزاً مُهمّاً لتجمّع الجيوش وللسُكنى. وسَرعانَ ما أصبح هذا «القيروانُ» مدينةً عظيمة مشهورة ومركزاً من مراكزِ العلمِ والحضارةِ في العالم الإسلاميّ.

وتابعَ عُقْبَةُ بنُ نافعٍ نفسُه الفتحَ في المغرب حتّى وَصَلَ إلى ساحلِ البحر، على البحر الأخضر (المحيط الاطلنتي). غيرَ أنّ عُقْبَةَ تَرَكَ الحَزْمَ وعادَ في عددٍ قليلٍ من أتْباعه، فانْتَهَزَ الرومُ والإفرِنجةُ فيهِ الفُرْصَةَ وهاجَموه عند تَهودَةَ في بلاد الزابِ،

جَنوبَ جِبال أَوْراسَ قريباً من بَسْكَرَةَ (في المغرب الأوْسط) فاسْتُشْهِدَ وَمَنْ مَعَه في أواخرِ سَنَةِ ٦٣ (آب ٦٨٣).

وقَضى العربُ عشرينَ سَنَةً أُخْرى أو تزيدُ حتّى قَضَوْا على كلِّ نفوذٍ للرّومِ وللإفْرنْجَةِ فِي المغرب. عندَئذٍ ٱستقرَّ المغربُ إلى الحُكْمِ العَرَبِيّ وبَدأ الإسلامُ ينتشرُ فيه.

وفي سنة ٨٦ (٧٠٥ م) جاء الوليدُ بنُ عبدِ المَلِكِ إلى الخِلافةِ فَفَصَلَ إفْريقِيَةَ وسائِرَ المَغْرِبِ عَنْ وِلايةِ مِصْرَ وَولّى عَلَيْها مُوسى بْنَ نُصَيْرٍ.

الفتح في الأندلس

كان فتحُ الأندلسِ ٱسْتمراراً لِحَرَكَةِ الفتحِ العامّةِ لِنَشْرِ الدَّعْوة. ثمّ كانَ العربُ يَخافون أن يَثِبَ القُوطُ والإفرنجةُ - ومِنْ ورائِهِمُ الرومُ - عَلَى إفريقيةَ من جديدٍ.

ويَبْدو أن يُلْيانَ كانَ رَجُلاً من الأفارقة وزَوْجاً لِبِنْتِ غَيْطَشَةَ (مَلِكِ القوطِ الشَّرْعِيّ المخلوع) والياً من قِبَلِ القوطِ على سَبْتَةَ. وكذلك كان ناقماً على لُذَريقَ مَلِكِ القوط المُغْتَصِبِ. وقامَ يُلْيان بِمُفاوضة موسى بْنِ نُصَيْرٍ لِتَسْهيلِ فتح الأندلُسِ على العرب. وبَعْدَ أَنْ أَرْسَلَ موسى بنُ نُصَيرٍ حَمْلَتَيْنِ اسْتِكْشافِيّتَيْنِ في عامَيْنِ مُتَوالِيَيْنِ بِقِيادَةِ يُلْيانَ (٩٠ هـ) ثم بِقِيادَةِ مولاهُ طَريفٍ (٩١ هـ) أرسل حَمْلَةَ لِلْفَتْحِ (٩٢ هـ = ٧١١ م) بقيادَةِ مَوْلاه طارقِ بنِ زِيادٍ.

نَزَلَ طارقُ بنُ زيادٍ على البرّ الإسباني ثمّ اخْتارَ مكانَ المعركة المُقْبِلَةِ في إقليمِ البُحَيْرةِ، عندَ مدينةِ لَكُّهْ من كورةِ شَذونةَ قريباً من نَهْر لَكّه. وجاء لُذَريقُ بِجَيْشٍ كَثيفٍ لِلقاءِ العربِ ولكنّه ٱنْهزَمَ لِبراعةِ الخُطّةِ ٱلّتي وَضَعها طارقٌ ولأنّ نفراً كثيرين من أنْصارِ لُذريقَ خَذَلوه في إبّان المَعْركة. ولم يَعْثُرْ أحَدٌ بعدَ هذه المَعْرَكةِ على جُثّةِ لُذَريقَ.

وقَسَمَ طارقٌ الجيشَ بعدَ مَعْرَكةِ لَكّه أَرْبَعَ فِرَقٍ سارتْ تَفْتَحُ في الأندلسِ بِيُسْرٍ وسُهولةٍ لأنّ الشَّعْبَ الإسبانيَّ كان يَتَلَقّى العربَ بالتَرْحابِ حُبّاً بالتَخلّصِ من ظُلْمِ حُكّامِه القُوط.

ووَصَلَتْ أخبارُ الفتحِ هذه إلى موسى بن نُصَيرٍ فجَمَعَ جيشاً جديداً وسارَ به إلى الأندلس فَالْتقى بِطارِقٍ عند مدينة طُلَيْطُلَةَ. وفي مَدَى عامينِ آثْنَيْنِ آستطاعَ طارقٌ وموسى أنْ يُتِمّا فَتْحَ شِبْهِ جزيرةِ الأَنْدَلُسِ إلاّ جانباً يَسيراً منها (في الشَّمالِ الغربيّ). أما غنائِمُ العربِ في الأندلس فكانتْ عظيمةً جِدّاً أعْظَمُها بلا رَيْبٍ بلادٌ مَنحَتِ العُروبةَ والإسلامَ حَضارةً وثقافةً وأدباً وفنّاً قلّ أنْ عَرفَ العالَمُ مثلَها.

ولا نعلمُ السببَ الذي من أجلِه أرسلَ الوليدُ بنُ عبدِ الملك (٨٦ - ٩٦ هـ) إلى موسى بنِ نُصيرٍ يَدْعوه إلى الرجوع إلى دِمَشْقَ. آسْتَخْلَفَ موسى بنُ نصيرٍ آبنَهُ عبدَ العزيز على الأندلس وأَسْكَنَه في إشبِيلِيَةَ وأمرَه بمُتابَعَةِ الجِهادِ لتوطيد الفتح، ثمّ قَفَلَ، في أواخر سَنَةَ ٩٥ (٧١٤ م)، ومَعَهُ طارقُ بنُ زِيادٍ والغنائم. وجازَ موسى إلى إفريقية وعيَّنَ آبنَهُ مَرْوَانَ عَلَى طَنجَةَ وآبنَهُ عَبْدَ الله عَلَى القيروان. ثم تَابَعَ سَيْره إلى المشرق، في أول سَنَةِ ٩٦ (أيلول - سبتمبر ٧١٤ م). فلمّا وَصَلَ إلى طَبَرِيّةَ من أرضِ فِلَسْطينَ وافاه رَسولٌ من سُلَيْمان بن عبدِ الملك - وهُوَ بعدُ وَلِيٌّ لِلْعَهْدِ - يَطْلُبُ إليه أن يَتَرَيّثَ في المسيرِ حتّى يكونَ قُدومُه على دِمَشْقَ وسُليمانُ خليفةٌ، لأنّ الوليدَ كانَ مريضاً مَرَضَ الموتِ. غيرَ أن موسى أغَذَّ السيرَ وفاءً للوليدِ الذي كان قد وَجّهَ الفتوحَ إلى الأندلس فَوَصَل إلى دِمَشْقَ والوليدُ حيٌّ في الأغلب.

وجاءَ سليمانُ بنُ عبدِ الملك إلى الخِلافة (٩٦ - ٩٩ هـ) فاتّبع سِياسةً يَمنيّة، خِلافاً على أخيهِ وأبيهِ من قَبْلُ في اتّباعِها سياسةً قَيْسِية، فأساء إلى القَيْسيّين ونَكَبَ القُوّادَ الّذين فَتَحوا الفُتوحَ في المَشْرِق ثمّ ألقى موسى بنَ نصيرٍ في السِجْن وأَرْسَلَ مُحَمّدَ بنَ يزيدَ والياً على المَغرب وأمره بأنْ يأخُذَ آلَ موسى بنِ نصير بالتعذيبِ والقتل وأن يُغَرِّمَهم ثَلاثمِائَةِ ألفِ دينارٍ. وقد كانَ سَجْنُ موسى بنِ نصير ومقتلُ ولديه عبدِ الله وعبدِ العزيز من الوَصَمات التي لَصِقَتْ بسليمانَ بنِ عبدِ الملك أبدَ الدهرِ، ولَمْ يَكُنْ لها تَفْسيرٌ أو تعليلٌ سوى القَسوةِ والفَظاظةِ والحِقْدِ في قلبِ سليمانَ. وتُوُفِّيَ موسى بنُ نصير في الحجازِ بائساً فقيراً ذليلاً (٩٨ = ٧١٦ م). أما طارقُ بنُ زيادٍ فقَضى بقيّةَ عُمُرِه خاملاً لا ندري كَيْفَ تَقَلّب الدهرُ بهِ. ثم توفي نحو سنة ١٠٢ (٧٢٠ م).

طبقات الناس (في الأندلس خاصّة)

لمّا آستتبّ الفتحُ في الأندلسِ أصبحَ الناسُ طبقاتٍ (من حيث العصبيةُ والدين):

١ - المسلمون:

(أ) العرب: الذين جاءوا إلى الأندلس من المشرق ونسلهم. فإذا كانوا قد جاءوا مَعَ طارقِ بنِ زيادٍ أو موسى بنِ نُصيرٍ (في أول الفتح) فهم «البلديّون». أمّا إذا كانوا قد جاءوا مَعَ بَلْجِ بنِ بِشْرِ آبن عِياضٍ القُشيريّ على رأس جُنْدِ أهلِ الشام، في آخرِ عصرِ الوُلاة، فهم «الشاميون».

(ب) البربر: أهل المغرب الذين انتقلوا إلى الأندلس مع الفتح أو بعده.

(جـ) المولّدون أو الموالي: وهُم الذين اعتنقوا الإسلام من نصارى الأندلس.

٢ - غير المسلمين:

المُسْتَعْرِبون: نصارى الأندلس الذين تعلّموا اللغة العربية فأصبحت لغتهم ينثِرون فيها وينظِمون.

العَجَم: نصارى الأندلس الذين لم يتعلّموا اللغة العربية، وكانوا يتكلّمون لُغَةً محلية هي مزيج تغلب عليه لاتينيةٌ متقهقرة.

الروم والإفرنج والقوط أسماء تدلّ على غير المسلمين من غير أهل الأندلس (الروم البيزنطيّون والإفرنجة البرابرة، الخ). وكانت هذه الألفاظ تُطلَقُ أيضاً على النصارى عامّة.

اليهود.

الأدب في هذه الفترة

لم يُؤثَرْ عن عصرِ الفتوح في المغرب والأندلس (٢٣ - ٩٤ = ٦٤٤ - ٦٩٥ م)

أدَبٌ، مَعَ الإيقان بأنّ العربَ كانوا في أثناء تلك الفتوحِ بحاجةٍ إلى شعرٍ وخَطابةٍ يستَخْدِمونَها في حياتِهِمُ الحربيةِ على الأقلّ. أما الشعرُ والنثر المَرْويانِ عن طارقِ بن زياد ففيهما موقفان: موقفٌ راجحٌ هُوَ أن خُطْبَةَ طارقٍ[1] والأبياتَ المنسوبةَ إليه منحولةٌ كلُّها. وهنالك موقفٌ مرجوحٌ (ضعيف) هو أنّ هذا النثرَ والشعرَ لطارقِ بنِ زيادٍ نفسه.

وعلى كلٍّ، فإنّنا إذا ألْفَيْنا شيئاً من الشعر أو النثر - في هذه الفترة - فإنّه يكونُ قد جرى على لسانِ عربٍ من جُنودِ الفَتْحِ فيُعَدُّ حينئذٍ من أدبِ المشرق لا من أدب المغرب. من ذلك مثلاً أدبُ موسى بن نُصيرٍ[2]، فموسى بنُ نصيرٍ كان عربياً فصيحاً بليغاً يُرْوى عنه شيءٌ من الشعر والنثر.

ويبدو أن البربر في المغرب قد بدأوا يتعلّمون القُرآنَ والفِقْهَ والنحو منذ أيام

(١) تنسب إلى طارق بن زياد خطبة مشهورة مطلعها: «أيّها الناس. البحر من ورائكم والعدو من أمامكم؛ وليس لكم - والله - إلا الصدق والصبر.....».

طارق بن زياد بربري الأصل دخل في الإسلام وفي ولاء موسى بن نصير. ولمّا جاز طارق برجاله إلى الأندلس للفتح لم يكن قد مرّ على إسلامه وتعلّمه اللغة العربية إلاّ سنوات لا يزدن على خمس، فليس من المعقول أن تكون تلك الخطبة من قوله. ثمّ إنّ في هذه الخطبة صناعةً هي أقرب إلى ما عرف في العصر العبّاسي. ولم ترد هذه الخطبة في مصدر نعرفه قبل نفح الطيب للمقّري (ت ١٠٤١ = ١٦٣١ - ١٦٣٢ م). راجع الخطبة في نفح الطيب ١: ٢٤٠ - ٢٤١، رواها عن بعض المؤرخين.

وكذلك روي لطارق شيء من الشعر منه (نفح الطيب ١: ٢٦٥، عن «المسهب» (للحجاري) و «المغرب» (لابن اليسع).

ركبنـــا سفينـــاً بالمجـــاز مقيّراً عسى أن يكون الله منّا قد اشترى...

وهذا أيضاً شعر منحول (راجع في طارق بن زياد، نفح الطيب ٢: ١٥٠ وما بعدها متفرّقاً؛ وراجع في الشكّ في الشعر والنثر المرويّين لطارق بن زياد، «الأدب المغربي»، ص ١٠٠ - ١٠٣)؛ وراجع في إثبات هذا النثر وهذا الشعر لطارق بن زياد (ولأنداد طارق بن زياد): «النبوغ المغربي»، ص ٤١ - ٤٢ (من المقدمة)، ٤١ - ٤٢ (من متن الكتاب)، ٣٧٣ - ٣٧٤ (نص الخطبة).

(٢) ولد موسى بن نصير سنة ١٩ وتولّى المغرب سنة ٨٦ ثمّ عاد إلى المشرق سنة ٩٦. أما وفاته فكانت في الأغلب سنة ٩٩ (٧١٧ م). راجع، في الكلام على موسى بن نصير، وفيات الأعيان ٣: ١٩ - ٢٧؛ نفح الطيب ٢: ١٤٦ - ١٤٩، ١٥٥ - ١٥٦، ٢١٢ - ٢١٦، ٢١٨ - ٢٢٠، ٢٢٢ - ٢٢٧ ثمّ فيما يتعلّق ببلاغته وشعره ٢٥٠ وما بعدها.

عُقْبةَ بنِ نافعٍ (ت ٦٣) فقد تَرَكَ عُقبةُ في البربر جماعةً منهم شاكرٌ صاحب الرِباط. يعلّمون البربرَ القرآنَ وأمور الإسلام. وكذلك فعل موسى بن نصيرٍ فإنّه لمّا جاز إلى الأندلس لِلّحاقِ بطارقٍ ترك في المَغْرب سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً من العرب يعلّمون البربر القرآنَ وشرائعَ الإسلام. وقد كان المُنَيْذِرُ اليمانيُّ[1] يُحَدِّثُ في إفْريقية بأحاديثِ رسولِ الله.

عصر الولاة (٩٢ – ١٣٨ هـ)

بعدَ مقتلِ عبدِ العزيز بنِ موسى، في مَطْلَعِ سنة ٩٨، بَقِيَتِ الأندلسُ سِتّةَ أشْهُرٍ بلا والٍ، ثمّ قَدّم أهلُ الأندلس أيّوبَ بنَ حبيبٍ اللَّخْمِيَّ، ٱبنَ أُخْتِ موسى بنِ نصيرٍ - وكان رجلاً صالحاً - لِيَؤُمَّهُمْ في صَلاتِهِمْ. بعدَئذٍ ٱرْتَضَوْهُ والِياً. غيرَ أن واليَ إفريقيةَ محمّدَ بن يزيدَ أرسل الحُرَّ بنَ عبدِ الرحمن الثَقَفِيَّ لِيَلِيَ الأندلسَ مكانَ أيوبَ ٱبن حبيبٍ، في السنَة نفسها.

في أيام الحُرِّ بنِ عبدِ الرحمن تَحوَّلَتِ العاصمةُ مِنْ إشْبِيلِيَةَ إلى قُرْطُبَةَ لأنّ إشبيلِيَة كانتْ ميداناً واسعاً لِنَشاطِ الإسبان ضدّ الحُكْم العربيّ ولأنَّ قرطبةَ أقربُ إلى طريق القوافل. ومنذ أيام الحرِّ بنِ عبدِ الرحمنِ بدأتْ غزواتُ العربِ وراءَ جبال البَرانِسِ (في بلاد الإفرنْجة - فرنسة) لأنّ البابويّة ومُلوكَ أوروبّة كانوا قد جعَلوا بلاد الإفرنجة مَرْكزاً يموّنون منه الإسبان لِقِتالِ العرب.

وفي سنة ٩٩ (٧١٧م) تُوُفِّيَ سُليمانُ بنُ عبدِ الملكِ وخَلَفَهُ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز. فقام عُمَرُ بعزلِ محمّدِ بنِ يزيدَ عن إفريقية وولّى مكانَه إسماعيلَ بنَ أبي المُهاجر، كما ولّى على الأندلس السَّمْحَ بنَ مالكٍ الخَوْلانيّ. وكان عُمَرُ قد قالَ للسمحِ أن يَنْظُرَ في أمورِ الأندلس، فإذا كان فيها خطرٌ على المسلمين فَلْيُقْفِلْهُمْ (يَرُدَّهم) إلى إفريقية ويَنْسَحِبْ مِنَ الأندلس. فكتبَ السمحُ إلى عُمَرَ بأنْ لا خَطَرَ عَلَى المُسْلِمِينَ وأنّ

(١) المنيذر الاسلمي. ويعرف أيضاً باسم المنيذر الإفريقي لأنّه سكن إفريقية (الاستقصا ١ : ٤١؛ نفح الطيب ٢ : ٢٣٣)؛ راجع استعراض أقوال المؤرّخين في المنيذر في «المنهل العذب» ١ : ٤١ - ٤٣.

أحوَالَهُمْ مُسْتَقِرَّةٌ. عندئذٍ أمر عُمَرُ بالبقاءِ في الأندلس وبالقِيامِ بِعَدَدٍ من الإصلاحات. وقام السمح بغَزْوَتَيْنِ إلى فرنسة، سَنَةَ ١٠٠ وسنة ١٠٢، فقُتِلَ في الثانية منها فاستطاع أحدُ القادةِ في جيشه - وهُوَ عبدُ الرحمنِ الغافقيُّ- أنْ يَنْسَحِبَ بالجيشِ بِمَهارةٍ فائقةٍ. فقدّمَهُ الجندُ وجَعَلوه والياً مُوقّتاً على الأندلس.

وفي سنة ١٠١ (٧٢٠م) تُوُفِّيَ عُمَرُ بنُ عبد العزيز وخلفه يزيدُ بنُ عبدِ الملك، فولّى يزيدُ على إفريقية يزيدَ بْنَ أبي مُسْلِمٍ. فلمّا وَصَلَ يزيدُ بنُ أبي مسلم إلى القَيْروان (١٠٣ هـ) ولّى على الأندلس عَنْبَسَةَ بْنَ سُحَيْمٍ الكَلْبِيَّ. وغزا عنبسةُ فرنسة (١٠٥ - ١٠٧ هـ) فصَعّدَ في حَوْضِ نهر رودنةَ (الرون) حتّى وصل إلى لوكسُوي (في مقاطعة سأوون العُليا)، وهيَ أبعدُ نقطةٍ وصل إليها العربُ في فرنسة.

معركة بلاط الشهداء: في فرنسة

ومن وُلاةِ الأندلسِ المشهورين عبدُ الرحمن الغافقيُّ، تَوَلّى الأندلسَ للمرّةِ الثانية سَنَةَ ١١٢ (٧٣٠م). قاد عبد الرحمن الغافقي جيشاً إلى فرنسة فَالتَقى بينَ مدينة تُور ومدينة بَوَاتِيَه (على نحو ٢٥٠ كيلو متراً من باريسَ جَنوباً)، بالحاجبِ (كبير البَلاط) قارلُه ومَعَه جُموعٌ لا تُحصى من جميعِ أقطارِ أوروبّةَ (من النصارى ومن القبائل الجرمانية التي لم تكُنْ بعدُ قد دخلتْ في النصرانية). وكان عددُ العرب قليلاً جدّاً، فانهزموا وقُتِلَ عبدُ الرحمن الغافقي وكثيرون مَعَه، في شَوّالِ ١١٤ (أواخر ٧٣٢م). وتُعْرَفُ هذه المعركة باسم بَلاطِ الشُهداء لكَثْرة ما اسْتُشْهِدَ فيها من المُسْلمين. وبَعدَ هذه المعركةِ سُمِّي قارلُه «شارل مارتل» (المِطرقة).

فتنة ميسرة المضغري: في المغرب الأقصى:

في سنة ١١٥ ولّى هشامُ بنُ عبدِ الملك على إفريقية عُبيدَ الله بن الحَبْحاب. وقد حَدَثَتْ في أيامه فِتنةُ مَيْسَرَةَ المَضْغَرِيِّ، وهُوَ رَجُلٌ من البربر تَقبّل دعوةَ الصُفْرِيَّة[١] من الخوارج؛ فأرْسَلَ ابنُ الحبحاب على مضغرة جيشاً بقيادة خالدِ بنِ حبيبٍ فانهزمَ

(١) الصفرية نسبة إلى زياد بن الأصفر، وقيل نسبة إلى عبد الله بن صفّار (بفتح الصاد وتشديد الفاء).

مَضْغَرةُ ولم يَثْبُتْ، فقتَلَهُ أصحابُهُ لأنّه آنْهَزَمَ ثمّ وَلّوْا على أنْفُسِهِمْ خالدَ بنَ حُميدٍ الزّناتيّ وكرّوا على جيشِ خالدِ بن حبيبٍ، على ضِفافِ نهرِ الشليف، فقُتِلَ من المسلمين عددٌ كبيرٌ حتّى عُرِفَتْ تلك المَعْرَكةُ بآسمِ غزوةِ الأشْراف.

وآسْتَمرّ الآضطرابُ في المغرب وتغلّب البربرُ على الأمور وقاتلوا العربَ فأرسلَ هشامُ بنُ عبد الملك جيشاً كبيراً بقيادةِ كُلْثومِ بنِ عِياضٍ القُشَيْرِيّ، وعلى مُقَدّمةِ الجيشِ بَلْجُ بنُ بِشْرٍ (ابنُ أختِ كُلثومِ بنِ عِياضٍ). ولكنّ خالدَ بنَ حُميدٍ الزَناتيَّ تغلّبَ على هذا الجيشِ، على نَهْرِ سباو (أواخر ١٢٣ هـ = خريف ٧٤١م)، وقد قُتِلَ كلثومُ بنُ عِياضٍ في المعركة. ثمّ إن النزاعَ بينَ العرب والبربر بدأ في الأندلسِ وكادَ يَسْتَفْحِلُ، وكانَ أميرَ الأندلس في ذلك الحين عبدُ الملكِ بنُ قطَنٍ فاسْتَقْدَمَ بَلْجَ بنَ بِشْرٍ من المَغْرب مَعَ عَشْرَةِ آلافٍ من أهلِ الشام (بعد آنْهزامِهِمْ أمامَ الخوارج بقيادةِ خالدِ الزناتيّ).

بعدَ أن تغلّبَ عبدُ الملك بن قَطَنٍ، بمَعُونةِ بَلْجٍ وأهلِ الشام، على البربر طَمِعَ بَلْجٌ بالوِلاية على الأندلس. ثمّ حَدَثَ نِزاعٌ طويلٌ وقتال بينَ عبدِ الملكِ بنِ قَطَنٍ وبين بلجِ آبنِ بِشْرٍ قُتِلَ فيه عبدُ الملك ثمّ قُتِلَ بَلْجٌ أيضاً (نحو سنة ١٢٣ = ٧٤١م).

وآضْطَرَبتِ الأمورُ في الأندلس. ثمّ آضْطَرَبَ أمرُ بني أميّةَ في المشرق فلم يَبْقَ لهم سُلْطَةٌ لا على المَغْرب ولا على الأندلس، فأخذ أهلُ كلِّ قطرٍ يَتَدَبّرون أمورَهم بأنفُسِهِمْ. وآنقسَمَ أهلُ الأندلسِ خاصةً ثلاثةَ أقسامٍ مُتناحِرَةٍ: البربرَ والبلديّين والشاميّين (راجع، فوق، ص ٣٩).

في هذه الفترة تَوَلّى الأندلسَ رجلٌ مِنَ اليَمانيةِ (عَرَبِ الجَنوبِ) آسمُهُ أبو الخطّارِ حُسامُ بنُ ضِرارٍ الكَلْبِيُّ. خافَ أبو الخطّار من تجمُّعِ الشاميّين حولَ قُرطبةَ ففرّقهم: أنزلَ أهلَ دِمَشْقَ في إلبيرةَ (مقاطعة غَرْناطة) لشَبَهِ إلبيرة بدمشقَ وسَمّاها «دمشق» - وأنزل أهلَ حِمْص في إشبيلية، لشَبَهِ مقاطعة إشبيلية بحمص، وسمّاها «حمص» - وأنزل أهلَ الأُرْدُنّ في مقاطعة ريّة (في أرْشَذونَة ومَالَقَة) وسمّاها «الأردنّ» - وأنزل أهلَ فِلَسْطينَ في شَذونةَ (وهي مقاطعة شَريش) وسمّاها «فِلَسْطينَ» - وأنزل أهلَ

مِصْر (وكانوا كثاراً) في مكانين: في مقاطعة باجة من جَنوبيِّ غربي الأندلس، وفي مقاطعة تُدْميرَ من جَنوبيٍّ شرقيّ الأندلس- وأنزل أهلَ قِنّسْرينَ في مقاطعة جيّان وسَمّاها «قنّسرين».

أحداث المغرب

في هذه الفترة (١٢٦ هـ=٧٤٤م) تولّى المَغرِبَ عبدُ الرحمن بن حبيبِ بنِ أبي عبدةَ بن عُقْبَةَ بن نافعٍ، وكان من الذين جاءوا مَعَ بَلْجٍ ثمّ جازَ مَعَ بلجٍ إلى الأندلس ثمّ أخرجه أبو الخَطّار من الأندلس خوفاً منه ومن طُموحِهِ إلى السُلْطة. في هذه المدّة اَشْتَعَلَ المغربُ كلُّه بِفِتَنِ الخوارج من الصُفْريّة والإباضية، فيما بين طَرابُلُسِ الغَرْبِ والمحيط الأطْلَسيِّ؛ ثمّ جعَلَ بعضُ الخوارجِ يُقاتلُ بَعْضاً. واستطاعَ عبدُ الرحمن بنُ حبيبٍ أن يَضْبِطَ المَغْرِبَ كلّه وأن يُخْمِدَ تلك الفِتَنَ إلى حين.

العصبيّات في الأندلس (بين القيسية واليمانية)

لم تَخْفَ نيّةُ أبي الخطّارِ في تفريق أهل الشام على الصُميل بن حاتمٍ قائد جُنْدِ قِنّسرينَ، فلم يَرْضَ أن ينتقلَ بِمَنْ مَعَه من قرطبةَ إلى جيّان. جمعَ الصُميل وجوهَ قومِهِ القَيْسِيَّةَ وعَرَضَ عليهم خُطّته للتغلّب على أبي الخطّار. وقال لهم: إنّنا نحن القيسيةَ قَليلو العددِ، بينما اليمانيةُ، قومُ أبي الخطّار، كثيرون ولكنّهم منقسمون. والرأيُ أن نستميلَ منهم قوماً ليسوا على وفاقٍ مَعَ أبي الخطار ثمّ نُقَدِّمَ رجلاً منهم لِلْوِلاية يكونُ له الاَسْمُ ولنا الرسْمُ (الحُكْم الفِعْلي). فاَستمال الصُميلُ بني لَخْمٍ وبني جُذامٍ ثمّ جعل ثُوابةَ بنَ سَلامةَ الجُذاميَّ والِيَ الأندلس. ووقعت الحربُ بين الصُميل وبين أبي الخطّار فانهزم أبو الخطار ووقَعَ في الأسْر فحَبَسَه الصميل. ونجا أبو الخطار من السجن ولكنْ لم يستطعْ أن يَسْتعيدَ نفوذَه السياسيّ.

تُوُفِّيَ ثُوابةُ بنُ سَلامةَ فجأةً فاتّفق الصُميل مَعَ اليمانية على أن تتَعاقبَ الوِلايةُ بين اليمانيين والقَيْسيين: يكونُ الوالي في عامٍ قَيْسِيًّا وفي العام الذي يليه يمانياً، وهكذا دَوالَيْكَ. ثمّ إنّه أقنع اليمانية بأنْ يكونَ البدءُ بقيسيّ لأنّ قيساً هِيَ القبيلةُ التي يَنتمي

إلَيْها الرسولُ، ثمّ قدّم للولاية يوسفَ بنَ عبدِ الرحمن الفِهريَّ، وكان رَجُلاً من نَسْلِ عُقْبَةَ بنِ نافعٍ متقدّماً في السّن لَيّنَ العَريكة ليس له أعداءٌ. فقَبِلَ الجميعُ به وجَعَلَ الصُميلُ يَحْكُمُ من ورائه؛ ثم لم يَفِ الصُميل بما كان قد وعد اليمانية به فظلّت الوِلايةُ بعد ذلك ليوسفَ الفهريّ اسْماً وللصُميل فِعْلاً.

ثمّ وَقَعَ القتالُ بين اليمانية بقيادة يَحيى بن حُريثٍ (ومَعَهم أبو الخطّار) والقيسية بقيادةِ الصُميلِ (ومَعَهم يوسف الفِهريّ)، في أوائل سنة ١٣٠ (أواخر ٧٤٧م) فآنهزم اليمانية وهرب آبن حُريث وأبو الخطّار؛ ولكن جنودَ الصُميل أدركوهما فَضَرَبَ الصميلُ عُنُقَيْهما وأعناق نفرٍ آخرين من الأسرى اليمانية.

وَوَقَعَتِ الوَحْشةُ بين يوسفَ الفهريِّ والصُميلِ لأنّ كلّ واحدٍ منهما كان يخشى على نفوذه السياسيّ من الآخر.

سقوط الدولة الأمويّة في المشرق

كان لسقوطِ الدولةِ الأُمويةِ في المَشْرق (١٣٢ = ٧٤٩م) وقيامِ الدولةِ العَبّاسيّة أثرٌ في المغرب وفي الأندلس: آنقسم أهلُ البلاد فريقينِ؛ منهم مَنْ كان يرى الآستمرارَ في الوَلاءِ لِلأُمويّينَ، ومنهم من كان يرى مُناصرةَ العبّاسيين. وكذلك طَمِعَ كثيرون بأنْ يَسْتَبِدّوا ببعضِ البِقاعِ مُستقلّين عن الدَوْلتَيْنِ. فكَثُرتِ الثَّوْراتُ في الأندلس والمغرب معاً. وتحرّك الخوارجُ في المغرب وكان أكْثَرهُم من البربر فضَعُفَتْ سُلطةُ الوُلاةِ العَرَبِ عن ضَبْطِ البلاد. وفي المغرب الأدنى خاصّةً (القطر التونسي) وَقَعَ النزاع بين آل عُقْبَةَ بن نافعٍ على الحكم. وكذلك تحرّك الجَلالِقةُ (سُكّانُ الجانبِ الشّمالي الغربي من إسبانية، وهو البقعة التي لم يَسْتَوْلِ عليها العرب) وجعلوا يُغِيرون على أطراف الأندلس في الشمال فَجَلاَ قسمٌ كبير من المسلمين عن تلك الأطراف.

المظاهر الأدبية في عصر الولاة

حملَ العربُ لُغَتَهُمْ مَعَهم إلى المغرب والأندلس فكانت تنتشرُ بٱنتشارِ الإسلام؛ غير أن الحاجةَ ظلّتْ مُلِحّةً إلى من يُعَلِّم البربرَ في المغرب والمُولَّدين (المسلمين من الإسبان) في الأندلس أمورَ الدين واللُّغَةَ العربيةَ. أرسل عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز عَشْرةَ من التابعين (من أهلِ الجيل الذي تلا جيلَ أصحابِ رسول الله) إلى المغرب لِيُفَقِّهوا أهل المغرب في الدين؛ من هؤلاء حِبّانُ بنُ أبي جَبَلَةَ وعبدُ الرحمن بن نافعٍ وسعدُ بنُ مسعودٍ التُجيبيّ. ونشأ في المغرب والأندلس طَبَقَةٌ من المُؤَدِّبين الذين كانوا يعلّمون أبناء الخاصّة في البيوت ويعلّمون أبناء العامّة في الجوامع والمساجد. ونحن نَعْرِفُ أن الغازيَ بنَ قيسٍ[1] - في مَطْلع شبابه، قبلَ دخول عبدِ الرحمن بنِ مُعاوية إلى الأندلس (١٣٨ هـ= ٧٥٦م)- كان مُلتزماً للتأديب (التعليم) في قرطبة. بعدئذٍ رَحَلَ إلى المشرق ولَقِيَ الإمامَ مالكَ بنَ أنسٍ ونَفَراً من شيوخ اللغة والنحو كالأصمعيّ (الزبيدي ٢٧٦ - ٢٧٧).

أما النَزْرُ اليسيرُ الذي وَصَلَ إلينا من النثر والشعر في عصر الوُلاةِ (٩٣ - ١٣٨هـ) فقد قالَه مَشارقةٌ من الطارئين على المغرب والأندلس. من ذلك مَثَلاً أن عُبيدةَ بنَ عبد الرحمن تولّى إفريقِيَةَ والمغربَ سَنَةَ ١١١ (٧٢٩م) بعدَ بِشْرِ بنِ صَفْوانَ فأخذ نَفَراً من عُمّال بِشرٍ وأصحابِهِ وأساء إليهم ونكّل بهم. وكان في هؤلاءِ أبو الخطّار بنُ ضِرارٍ الكَلْبي[2] - وكان شريفاً في قومِهِ مَعَ فصاحةٍ وبراعة؛ وكان قد

(١) راجع ترجمته، تحت، ص ٨٦.

(٢) القاموس ٢ : ٢٢؛ وفي تاج العروس (الكويت) ١١ : ١٩٩ «هو حسام بن ضرار بن سلامان بن خيثم بن ربيعة بن حصن بن ضمضم بن عديّ بن جناب شاعر ولي الأندلس (في خلافة) هشام (بن عبد الملك) وأظهر العصبية لليمانية على المضرية وقتله الصميل (بالتصغير) بن حاتم بن شمر (بفتح فكسر) بن =

وَلِيَ في إفريقية وِلاياتٍ كثيرةً في أيامِ بِشْرٍ - فعزَلَهُ عُبيدةُ ونكّل به، فكَتَبَ أبو الخطّار إلى الخليفةِ هِشامِ بنِ عبدِ الملك بقصيدةٍ منها[1]:

أفأتُمْ، بني مَروانَ، قَيْساً دِماءنا؛ وفي اللهِ إنْ لم تُنْصفوا حَكَمٌ عَدْل[2].
كأنّكُمُ لم تَشْهَدوا مرجَ راهطٍ ولم تعلَموا من كان ثَمَّ له الفَضْل[3].
تغافَلْتُمُ عنّا كأنْ لم نَكُنْ لَكُمْ صديقاً؛ وأنتم ما رَعَيْتُمْ لها - فعل[4].

ومِثْلُ ذلك خبرُ عبيدِ الله بن الحَبْحاب[5]:

كان الحَبْحابُ (والدُ عبيد الله) مولًى لبني سَلولٍ، وقدْ أعْتقه رجلٌ اسمُه الحَجّاجُ السَّلوليّ. ونشأ عبيدُ الله بن الحَبْحاب فكانَ رئيساً نبيلاً وأميراً جليلاً بارعاً في الفصاحة والخَطابة حافظاً لأيّامِ العربِ وأشعارِها ووقائعِها. ثمّ ترقّتْ به الحالُ فأصبحَ، في ربيعِ الآخِرِ من سَنَةِ ١١٦ (٧٣٤م) والياً على إفريقيةَ وعلى المغربِ كلّهِ، وعلى الأندلسِ أيضاً فيما بعدُ. وهُوَ الذي بني المسجدَ الجامعَ في تُونِسَ ودارَ الصِناعة (لبناء السفن) فيها.

ووَرَدَ على عبيدِ الله بن الحَبْحاب، في ذلك العامِ نفسِه، عُقْبَةُ بنُ الحجّاجِ السَلوليُّ يُهَنِّئُهُ بالوِلايَةِ فأكرمَهُ عبيدُ الله. فغِيظَ أبناءُ عبيدِ الله لأنّ أباهم والِيَ إفريقيةَ

= ذي الجوشن (بالفتح) الضبابيّ». راجع أيضاً جذوة المقتبس ١٨٨؛ الحلّة السيراء ١: ٦١ - ٦٦؛ نفح الطيب ١: ٢٣٨ (قتل أبو الخطّار سنة ١٢٩)، ٢: ٢٢ - ٢٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٤ - ١٣٥؛ الأعلام للزركلي ٢: ١٨٧ (١٧٥).

(١) الحلّة السيراء ١: ٦٤، ٦٥؛ راجع البيان المغرب ١: ٥٠.

(٢) - يا بني مروان، لقد جعلتم دماءنا فيئا (غنيمة لبني قيس أعدائنا= سلّطتم أعداءنا علينا).

(٣) كأنكم نسيتم أنّنا نحن (اليمانية من عرب الجنوب) كنّا حلفاءكم في معركة مرج راهط (٨٦ هـ)، وهي المعركة التي وقعت قرب دمشق وانتصر فيها مروان بن الحكم وأحلافه اليمانية على الضحّاك بن قيس وقومه وكانوا من أتباع عبد.الله بن الزبير منافس الأمويّين في طلبِ الخلافة. في الأصل: «تمّ» (بالتاء بنقطتين من فوقها) والأصحّ أن تكون «ثَمّ» (بالثاء المنقوطة بثلاث نقط)= هناك (في تلك المعركة).

(٤) ما رعيتم لنا فعل: لم تدركوا العمل الذي قمنا به في سبيلكم.

(٥) البيان المغرب ١: ٥١ - ٥٣.

والمغرب يبالغُ في إكرام رَجُلٍ من عُرْضِ الناس. فجمَعَ عبيدُ الله بن الحبحابِ الناسَ وقام فيهم خطيباً فقال:

أيُّها الناسُ: إنّ بَنِيَّ هؤلاءِ غَرّتْهُمْ غِرّةُ الشَيطان لِعِزّةِ السلطان[١] فأرادوا أمراً أخْرُجُ به عنِ الحقّ، وأنكروا ما رأوا من بِرّي[٢] لهذا الرجل. وإنّما أُخْبِرُكُم أنّه مَوْلايَ، وأنّ أباه أعْتَقَ[٣] أبي! وأنا أكْرهُ كِتْمانَ أمرِ اللّهُ سُبحانَهُ شهيدٌ عليَّ بهِ[٤]!

وفي سَنَة ١٣٧ (٧٥٤م) ثار الحَبحابُ بن رَواحةَ وعامرُ بنُ عمروٍ العَبْدريُّ وحاصرا الصُميلَ بنَ حاتمٍ في سَرَقُسْطَةَ وضَيّقا عليهِ الحصارَ. واجتمع أقوامٌ من أنصارِ الصُميل لنَجْدته ولكن لم يَجِدوا سبيلاً إلى الوُصولِ إليهِ والحصارُ مضروبٌ عليه. وأرادوا أن يُبَشّروه بالنَجْدة ويُشَدِّدوا من عَزِيمتِهِ فاحْتالوا بأن رَمَوْا إليه، من فوقِ السُورِ، بحِجارةٍ جَعَلوا مَعَ كلّ حجرٍ منها وَرَقةً فيها هذانِ البيتان[٥]:

ألا أبْشِرْ بالسلامـةِ، يا جِدارُ؛ أتـاكَ الغَوْثُ وانقطع الحِصارُ[٦]:
أتَتكْ بناتُ أعْوَجَ مُلْجَماتٍ عليهـــا الأكرمون وهُمْ نِزارُ[٧]:

فقُرِئَتِ الأبياتُ على الصُميل - وكان أُمّيّاً لا يَخُطُّ ولا يقرأ الخطَّ - فقال لمن حَوْلَه: «أبْشِروا، يا قومُ! فقد جاءكُمُ الغَوْثُ، وربِّ الكعبةِ[٨] ». ثمّ عُرِضَ على الصُميل أن يُناصِرَ عبدَ الرحمن (الداخل) ويزوّجَه ابنتَه (تمكيناً للتحالف بينهما)

---

(١) خدعهم الشيطان بما أصبح لهم من عزّة (قوة) السلطان (الحكم).
(٢) البرّ: الطاعة والإحسان.
(٣) أعتق: حرّر (أنقذ من العبودية).
(٤) الله شهيد عليّ به: الله يعرفه ويوجب عليّ أن أكافىء فاعله.
(٥) أخبار مجموعة ٦٨.
(٦) الجدار كناية عن الحصار. أبشر بالسلامة، يا جدار= ثق أن المحاصرين لم يخرقوك. الغوث: النجدة، المساعدة، الانقاذ من البأس والضيق.
(٧) بنات أعوج: الخيل. كان أعوج حصاناً أصيلاً تنسب إليه الخيل الكريمة. نزار: عرب الشمال.
(٨) وربّ الكعبة= أقسم (بصاحب) الكعبة: الله.

فقال: أُروّي[1] في أمري. بعدئذٍ رَجَعَ في قوله وقال: «تأمّلْتُ الأمرَ فوجدتُّه صَعْبَ المُرام؛ فبارَكَ اللهُ لكما في رَأيكُما ومَوْلاكُما! فإنْ أحبّ غيرَ السُلطانِ[2] فلَهُ عِندي أن يُواسِيَهُ يوسفُ ويزوّجه ويَحْبُوَهُ. ٱنطلَقا راشدَيْنِ!» ولَمّا عَزَمَ عبدُ الرحمنِ بنُ معاوية على الحرب قال يوسف بن عبد الرحمن الفِهريُّ للصُميل: «ما الرأيُ؟» فقال له الصُميل: «بادِرْهُ الساعَة، قبلَ أن يَسْتَفْحِلَ أمرُه»[3].

أبو الأجرب الكلابيّ

١ - هُوَ أبو الأجربِ جَعونةُ بنُ الصِمّة الكِلابي من العرب (البدو) الطارئين على الأندلس، كان يَرْحَلُ (حيناً) ويَحِلُّ (حيناً) بأكنافِ قُرطبةَ. وقد كان فارساً شُجاعاً حتّى سُمّي «عنترةَ الأندلسِ».

لا نعلَمُ متى دخل أبو الأجرب إلى الأندلس، ولكنّنا نعلم أنّه كان يهجو الصُميلَ ابنَ حاتَمٍ الكلابّي حينما ثارتِ العَصَبِيّةُ (الفِتْنة والقتال) بينَ والي الأندلس أبي الخَطّارِ حسام بنِ ضِرارٍ الكلبي (وكان يَمَنِيّاً من عَرَبِ الجَنوب) والصُميلِ قائدِ جُنْدِ قِنّسْرينَ (جيّانَ)، وكان قَيْسِيًّا (من عرب الشَمال)، سَنَةَ ١٢٦ (٧٤٤م). وكان أبو الأجرب قَيْسيًّا كالصُميل، ولكنَّ العصبيّةَ العربية لم تنقسم دائماً ٱنقساماً واضحاً، بل كان في كلِ فريقٍ من المتنازعين عادةً جماعةٌ من عربِ الشَمال وجماعة من عرب الجَنوب.

ظَفِرَ الصُميلُ بأبي الأجرب ثمّ عفا عنه فانقلبَ أبو الأجرب يمدَحُ الصُميلَ ويُكثِرُ حتّى كان مُعْظَمُ شعرِه في مديحِ الصُميل. فأقسم الصُميلُ ألاّ يرى أبا الأجرب إلاّ أعطاه (مالاً) - كما كانَ قد فَعَلَ هَرِمُ بنُ سِنانٍ مَعَ زُهيرِ بنِ أبي سُلمى -.

---

(١) روّى في الأمر: قلّبه على وجوهه وتأمّله بأناة وصبر.

(٢) السلطان: الحكم. واساه: عزّاه؛ ساواه بنفسه. يوسف= يوسف بن عبد الرحمن الفهري أمير الأندلس (وكان الصميل وزيراً لعبد الرحمن الفهري). يحبوه: يعطيه (مالاً).

(٣) بادره: ٱسبقه (إلى القتال). استفحل الأمر (أصبح فحلاً) شديداً تصعب معالجته.
وكانت وفاة الصميل في سجن عبد الرحمن سنة ١٤٢ هـ. وكذلك قتل يوسف الفهري في السجن أيضاً سنة ١٤٢ هـ.

من أجلِ ذلك كان أبو الأجرب يُغِبُّ لِقاءَ الصُّميل (يَلْقاه في فَتَرات مُتباعِدةٍ). ثمّ اقتصرَ على زِيارته في العيدَيْنِ فقط (عيدِ الفِطْر وعيد الأضْحى).

وتُوُفِّيَ أبو الأجرب في أعقاب عَصْرِ الوُلاةِ في الأندلس، قبلَ وقعة المَصارَةِ (على ثلاثة وعشرين كيلو متراً غربَ قُرطبة). وكانتْ وقعةُ المَصارةِ في التاسعِ من ذي الحِجّة ١٣٨ . (١٣/ ٥/ ٧٥٦م).

٢ - كان أبو الأجرب جَعونةُ من قُدماءِ شُعراءِ الأندلس، وكان من طَبَقة جَريرٍ والفَرَزْدقِ في المَشْرق يجري على مذاهب العَرَبِ (البدو) في الشِعْر لا عَلى مذاهب المُحْدَثين[١]. وكان أبو نواس يُعْجَبُ به[٢].

٣ - مختارات من شعره

- يبدو أنه لم يبق لنا من شعر أبي الأجرب إلاّ هذانِ البيتان، وليسا من المديح:

ولقـــد أراني من هَوايَ بمَنْزِلٍ عالٍ، ورأسي ذو غدائرَ أفْرَعُ[٣]؛
والعيشُ أغيـدُ ساقـطٌ أفنانُـه، والمـاء أطيبُـه لنـا والمرتـع[٤]!

٤ - ★★ جذوة المقتبس ١٧٧ - ١٧٨؛ (الدار المصرية) ١٨٩ - ١٩٠ (رقم ٢٦١)؛ بغية الملتمس ٢٤٤ -٢٤٥؛ (رقم ٦٢٦)؛ المغرب ١ : ١٣٢ - ١٣٣؛ نفح الطيب، راجع ٣ : ١٧٧، ٢٢٥.

---

(١) راجع نفح الطيب ٣ : ١٧٧.
(٢) راجع نفح الطيب ٣ : ٢٢٥.
(٣) من هواي بمنزل عال: شابّا أتمتّع بالهوى تمتّعاً كاملاً. غدائر جمع غديرة: ضفيرة (خصلة من الشعر). أفرع: طويل.
(٤) أغيد: جميل، ناعم، فيه سعة وطيب. ساقط أفنانه (أغصانه): أغصانه متدلّية مثقلة بالفاكهة، كناية عن طيب العيش. المرتع: المرعى - وأطيب المأكل والمشرب لنا (نحن الشباب).

عبد الرحمن بن زياد

١ - هو أبو خالدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ زيادِ بنِ أَنْعُمٍ المُعافِريّ الإفريقي، وُلِدَ في بَرْقَةَ (شرقّي ليبيا اليوم)، سَنَةَ ٧٤ (٦٩٤م) وَهُوَ أوّلُ مولودٍ للمسلمين في إفريقية.

أخذ عبدُ الرحمن بنُ زيادٍ عن جماعةٍ من علماءِ المَغْرب وَرَحَلَ إلى المشرق مِراراً: رحل مرّة في أيام هشامِ بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) ومرّة في أيام مروانَ بنِ محمّدٍ (١٢٧ - ١٣٢ هـ)، وقد ولاّه مروانُ بنُ محمّدٍ قضاءَ القيروان. ورَحَل مرّة أخرى في صدرِ الدولة العبّاسية وصَحِبَ أبا جعفرٍ المنصورَ قبلَ أن يَلِيَ الخِلافة.

ولمّا سقطتِ الدولةُ الأموية وقامتِ الدولة العبّاسية، سَنَةَ ١٣٢ (٧٤٩م) كان الواليَ على إفريقية، منذُ سَنةِ ١٢٧، عبدُ الرحمنِ بنُ حبيبِ بن أبي عَبْدةَ بنِ عُقْبةَ بنِ نافعٍ، فأقرّه أبو العبّاس السفّاحُ (١٣٢ - ١٣٦) عليها ثمّ أقرّه المنصورُ (١٣٦ - ١٥٨) أيضاً.

ثمّ حَدَثَ ما حَمَلَ عبدَ الرحمن بنَ حبيبٍ على خَلْعِ طاعة المنصور، وجَرَتْ أحوالٌ قُتِلَ فيها عبدُ الرحمن بنُ حبيبِ (١٣٧هـ)، فاستطاعَ ابنهُ حبيبٌ، في حديثٍ طويل، أن يتولّى على إفريقية. ثمّ رأى، تأييداً لمركزهِ أن يَرْجعَ بإفريقية إلى طاعةِ العبّاسيّين فأرسل، في ذي الحِجّة من سَنةِ ١٣٧ (أَواخرِ الربيعِ من عام ٧٥٥م)، إلى المنصور وفداً فيه عبدُ الرحمن بنُ زيادٍ (ابن الأثير ٥: ٣١٤ - ٣١٥).

ووَقَعَ عبدُ الرحمنِ بنُ زِيادٍ في الأسر (لسبب لا نَعْرِفه) ففداه المنصورُ وَردّهُ إلى إفريقية وولاّه القضاءَ في القيروان. ويبدو أن مُدّتَه في القضاءِ طالتْ حتّى جاء يزيدُ ابنُ حاتَم والياً على إفريقية (١٥٤ - ١٧٠) فطَلَبَ منه إنفاذ حُكمٍ على وجهٍ مُعَيَّنٍ فلم يقبلْ عبدُ الرحمنِ فعَزَلَهُ.

وكانتْ وفاةُ عبدِ الرحمنِ بنِ زيادٍ سَنَةَ ١٦٢ (٧٧٨م) في الأغلب (ابن الأثير ٦: ٥٩؛ راجع البيان المغرب ١: ٨٠)؛ وقيلَ سَنَةَ ١٥٦ (ابن الأثير ٦: ١٢؛ شذرات الذهب ١: ٢٤٠) أو سَنَةَ ١٥٧ (ابن الأثير ٦: ١٢).

٢ - كان عبدُ الرحمنِ بنُ زِيادٍ تَقِيّاً وَرِعاً وزاهداً واعظاً ومحدثاً، تولّى القضاءَ فكان عادلاً في أحكامهِ صُلْباً في مسلَكهِ. وكان أديباً بليغاً شاعراً.

وقد كان عبدُ الرحمن بنُ زياد بنُ أنعمٍ من العلماء، روى عنه الحديثَ جماعةٌ (راجع تراجم أغلبية ٩، ٢٧، ٧١، ٧٧، ١٤٤ ثم ٤٣٦؛ نفح الطيب ١ :٢٧٨، ٢ :٥٧٥، ٣ :٥٨).

٣ - مختارات من آثاره

- لمّا كان عبدُ الرحمنِ بنُ زِيادٍ في العِراق اشتاقَ إلى القيروانِ فقال:

ذكَرْتُ القَيْروانَ فهاجَ شَوْقي؛ وأينَ القَيروانُ مِنَ العِراق!
مَسيرةُ أشْهُرٍ للعِيسِ نَصّاً على الإبلِ المُضمَّرة العِتاق[١].
فأبْلِغْ أنْعُماً وبني أبيه ومن يُرجى لنا وله التلاقي:
بأنّ اللهَ قد خلّى سبيلي وجَدَّ بنا المَسيرُ إلى مِزاقِ[٢].

- كانتْ لعبدِ الرحمنِ بنِ زيادٍ أحاديثُ مرّتْ فيها الفِقَرُ التالية:

أنا أوّلُ مولودٍ في الإسلام بإفريقية - إذا رأيتَ الهَديّة دخلتْ إلى القاضي من بابٍ فاعلمْ أنّ الأمانة خرجت من كُوّةِ دارِه - ما أمرٌ كنتُ أراه ببابِ هشامٍ إلاّ أرى اليومَ طرَفاً منه بالقيروان - ما يُدْرَكُ المالُ والشرف إلاّ في صُحْبَتِك وصحبة من هو مِثْلُك وإنّي تركتُ عجوزاً (بالقيروان) وإنّي أُحِبُّ مُطالعتَها[٣].

(١) العيساء: الناقة. النّص: حثّ الدابّة على السير الشديد. المضمّرة = الضامرة: النحيلة الخصر القادرة على الجري بسرعة ومدّة طويلة. العتيق: الأصيل، الكريم.

(٢) خلّى سبيلي: أخرجني من الأسر! سمح بعودتي إلى الوطن. ناقة مزاق: سريعة جدّاً (القاموس ٣: ٢٨٣). والملموح هنا أنّ «مزاق» اسم مكان.

(٣) ما أمر (من الظلم...). بباب هشام (بن عبد الملك) أي في الدولة الأموية. اليوم (أي في أيام الدولة العبّاسية) طرفاً (جانباً، قسماً، شيئاً منه). عجوز (كناية عن أمّه). المطالعة: النظر إلى الشيء باستمرار.

- ومن أحاديثه قوله:

أُسِرْتُ أنا وجماعةٌ معي. فَرُفِعْنا إلى الطاغية. فبَيْنا نحنُ في حَبْسِهِ إذ غَشِيَهُ عيدٌ فأقبلَ علينا فيه من الحارِّ والباردِ ما يفوقُ المِقدارَ(١). فبَيْنَا نحنُ كذلك إذ خَطَرَتِ آمرأة نفيسةٌ(٢) على الطاغيةِ فأُخْبِرَتْ بحُسْنِ صنيعِ الملكِ بالعرب. فمزّقتْ ثِيابَها ونَشَرَتْ شَعْرها وسَوّدتْ وَجْهَها وأقبلتْ إليه بمنظرٍ شاهٍ(٣). فقال: ما لكِ؟ فقالتْ: إنّ العَرَبَ قتلوا آبنيَ وزوجيَ وأخي وأبي، وأنتَ تفعل بِهِمُ آلّذي رأيتُ؟......

٤ - ★ ★ طبقات علماء إفريقية وتونس ٩٥ - ١٠٥؛ تراجم أغلبية - راجع الفهرست ص ٤٣٦؛ ابن الأثير ٥: ٣١٥، ٦: ١٢، ٥٩؛ البيان المغرب ١: ٨٠؛ شذرات الذهب ١: ٢٤٠؛ عنوان الأريب ١: ١٩ - ٢٠؛ مجمل الأدب التونسي ٣٢ - ؛ الأعلام للزركلي ٤: ٧٨ (٣: ٣٠٧).

---

(١) الطاغية: الظالم (ملك الروم!). غشيه عيد: حلّ عيد من أعياد قومه. من (الطعام) الحارّ والبارد (من أنواع الطعام). ما يفوق (يزيد على) المقدار (الضروريّ).

(٢) خطرت (جاءت تتبختر). نفيسة على الطاغية: عزيزة، ذات مكانة عنده.

(٣) سوّدت وجهها: وضعت عليه لوناً أسود (كناية عن الحزن). شاه (مشوّه؟).

بنو أُميّةَ في قُرْطُبَةَ

تَنقَسِمُ الدولةُ الأُمويّة في قُرطبةَ حِقبَتَيْنِ: حِقْبَةَ الأمراءِ المُتوارثين، مِنْ سَنَةِ ١٣٨ إلى سنة ٣١٦ (٧٥٥ - ٩٢٩ م)، وهم الأمراء الذين حكموا الأندلس من غير أن يَتَسَمَّوْا بآسمِ خليفةٍ؛ ثمّ حِقبةَ الخلفاءِ، مِنْ سَنَةِ ٣١٦ إلى سنة ٤٢٢ (٩٢٩ - ١٠٣١ م).

عصر الأمراء المتوارثين (١٣٨ - ٣١٦ هـ)

لمّا سَقطَتِ الدولةُ الأمويّةُ في المَشرِق (١٣٢ = ٧٤٩ م) تَتَبّعَ العبّاسيون أمراءَ البيتِ الأمويّ المالكِ بالقتلِ. وكان مِمّن نَجا من القتل عبدُ الرحمن بنُ معاويةَ بنِ هشامِ بنِ عبدِ الملك بنِ مروانَ فآستطاع أن يَصِلَ إلى الأندلس وأن يَجْمَعَ حولَهُ أنصاراً منهم الصُميلُ بن حاتَمٍ. ولكنّ قِتالاً نَشِبَ بين عبدِ الرحمن بنِ معاويةَ وعبد الرحمن الفِهريّ آنتصرَ فيه عبدُ الرحمن بنُ معاويةَ فبُويعَ له بالإمارة في قُرطبةَ يومَ عيدِ الأضحى (العاشرِ من ذي الحِجّة) ١٣٨ (١٣/ ٥/ ٧٥٦ م). ثمّ دخل عبدُ الرحمن الفهريُّ في طاعةِ الأميرِ عبدِ الرحمن بنِ مُعاويةَ. وقد سُمّيَ عبدُ الرحمن بنُ معاويةَ عبدَ الرحمن الداخلَ لأنّه أولُ من دخل الأندلس من الأمويّين في أحوال قاسيةٍ جدّاً.

حاولَ الخليفةُ العبّاسيُّ أبو جعفرٍ المنصورُ (١٣٦ - ١٥٨) أنْ يُثيرَ في الأندلس فِتنةً على عبدِ الرحمن الداخلِ، ولكنّ عبدَ الرحمن الداخلَ تَغَلّب على تلك الفِتنةِ وَشيكاً. فأدرك أبو جعفرٍ المنصورُ أنْ لا فائدةَ من مُقاومةِ عبدِ الرحمن الداخل وسمّاه صَقْرَ قُرَيْشٍ إعجاباً به وبمَقْدِرَتهِ على الدخولِ إلى الأندلس والآستيلاء على المُلْكِ فيها.

ثارتْ على عبدِ الرحمن الداخلِ فِتَنٌ كثيرةٌ فتغلّبَ عليها كلِّها، وقد قُتِلَ الصُميلُ بنُ حاتَمٍ وعبدُ الرحمنِ الفِهريُّ في فتنةٍ من تلك الفتن، سَنَةَ ١٤٢ (٧٥٩ م). وقَطَعَ عبدُ الرحمن الداخلُ صِلته بإفْرِيقِيَةَ وتركَها للمُتنازعين فيها. ثمّ إنّه لم يُحاوِلْ أن يُغيظَ العبّاسيّين فلم يَتَسَمَّ بالخلافةِ آحتراماً لِحقِّهِم فيها وتَجَنُّباً للنزاع معهم.

الخوارج في أقطار المغرب

لّما جدّ الأمويون في المَشْرق في تَتَبُّعِ الخوارجِ، انتقلَ عددٌ من فِرَقِ الخوارجِ إلى المَغْرب كالأزارقة[١] والصُفريّة[٢] والإباضيّة (وسيأتي الكلامُ على النشاطِ السياسيّ للخوارجِ مُفَرَّقاً في أماكِنِهِ). ولكنْ لا بدَّ هنا مِنْ كَلِمة في «الإباضيّة» لأنّهم كانوا أبعدَ أثراً في تاريخ المغرب: من طرابلسَ (في غربيّ ليبيا) إلى المغرب الأقصى على شاطىء المحيط الأخضر (الاطلنطيقي). وهم وحدَهُمُ آلذين آستطاعوا أن يؤسّسوا دولةً بالمعنى المألوف، هي الدولة الرُستَميّة.

الإباضيّة أتباع عبدِ الله بن إباضٍ[٣] التميميّ. وهو من التابعين (الذين أدركوا صَحابةَ رسولِ الله ولم يدركوا رسولَ الله نفسه). ويبدو أنّه من أهل الكوفة ثمّ خرَجَ

(١) الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق (ت نحو ٦٥) كانوا كثيري التشدّد في كلّ شيء: حكموا على مخالفيهم بالشرك واستباحوا قتل المخالفين لهم مع نسائهم وأطفالهم (راجع «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي، ص ٥٠ - ٥٤). قالوا: كلّ ذنب صاحبه مشرك.

(٢) الصفرية هم أتباع زياد بن الأصفر، في المشهور، يتشدّدون كالأزارقة، ولكن لا يقولون بقتل النساء والأطفال من مخالفيهم. (الفرق بين الفرق، ص ٥٤ - وما بعد).

(٣) راجع ترجمة مبسوطة لعبد الله بن إباض: الاعلام للزركلي ٤: ١٨٤ - ١٨٦ (٦١ - ٦٢). وفي النشأة السياسية للمذهب، راجع «مختصر تاريخ الإباضية» وفي آراء الإباضية، راجع الفرق بين الفرق ٦١ وما بعد.

ويبدو أنّ الصفرية كانوا ذوي النشاط الملحوظ في المغرب كلّه منذ ظهرت دعوة الخوارج عامّة، وخصوصاً في قبيلة برغواطة، سنة ١٢٢ (ابن عذاري ١: ٥٢، شذرات الذهب ١: ١٦٠). واستطاع أمير إفريقية محمّد بن الأشعث الخزاعي (١٤٣ - ١٤٨)، في مطلع إمارته أن يهزم الإباضيّة في معركة قتل فيها زعيمهم أبو الخطّاب. فلمّا علم بذلك عبد الرحمن بن رستم الإباضيّ فرّ إلى نواحي تيهرت فاختطّها ونزلها (١٤٤ = ٧٦١ م). وبذلك انتقل المذهب الإباضي في المغرب من حركة فقهيّة إلى تنظيم سياسي، ومن جماعة دينية إلى دولة.

إلى الحِجازِ ليشتركَ في قتال الجيش الأُمويّ، فقد كان معاويةُ بنُ يزيدَ قد أرسلَ مُسلمَ ٱبنَ]عُقْبةَ المُرِّيّ، سَنَة ٦٣، بجيش كثيف لقتال أهل المدينة الذين كانوا قد خلعوا بَيْعةَ بني أُمَيَّةَ. وكان عبد الله بن إباض في أيام مُعاويةَ (٤٠ - ٦٠ هـ) ثمّ بَقِيَ إلى آخرِ أيام عبد الملك (ت ٨٦ = ٧٠٥ م).

والإباضيّة ليسوا، على الحَصْر، من الخوارج. ويبدو أنّ الذي حمل المؤرّخين والفقهاءَ على عَدِّهم في الخوارج أمران: عِداوُهم لبني أُميّة ثمّ تشدّدُهم في عدد من مسائلِ الاَعتقاد والعبادة. فهم يعتقدون أن عُثمانَ بنَ عفّانَ سارَ مُدَيْدةً بِسيرةِ أبي بكرٍ وعُمَرَ ثمّ لانَ لقومِهِ الأمويّين في إعطائهم من الدنيا أكثرَ ممّا يستحقّون وفي جمعه الأموال وفي مخالفة عُمَرَ في بعض الأمور، ثم نفى أبا ذَرٍّ الغِفاريَّ عنِ المدينة وغير ذلك ممّا لا يجوز في الإسلام. ثمّ ٱستمرّ عِداوُهم لجميع خلفاء بني أميّة الذين كانت دولتهم دنيوية ظالمة. وهم يُجلّون الإمامَ عليّاً ويجلّون عبدَ الله بنَ عبّاسٍ. ثمّ إنّهم يَرَوْنَ أن الخوارجَ كانوا أوّلاً على الحقّ ثمّ فارقوه. وهُم يتبرّأون من نافعِ بنِ الأزرق وأتباعه.

وبعدَ ٱبنِ إباضٍ رَأَسَ الحركةَ أبو الشعثاء جابرُ بنُ زيدٍ الأزْديّ (١٨ - ٩٣ هـ)، وُلِدَ قربَ نَزْوَى في عُمَانَ (بضمّ العين واهمال الميم: في الطرف الجَنوبي الشرقيّ من شبه جزيرة العرب). وكان عالماً كبيراً وفقيهاً مجتهداً. ويرى سُليمانُ البارونيُّ (مختصر تاريخ الإباضيّة ٢٩) أنّ المذهبَ كان يجبُ أن يُنْسبَ إليه لأنّ ابنَ إباضٍ نفسَه كان لا يبتّ أمراً إلاّ بمَشُورته ورِضاه! ولجابرٍ كتابٌ في الفقهِ عنوانه «ديوان جابر» فُقِدَ فيما بعدُ.

ومُنذُ هذا الحينِ، في أيامِ عبدِ الرحمنِ الداخلِ، كانتِ المذاهبُ الخارجيةُ قدِ ٱنتقلتْ إلى المغرب وأخذت تُرسِلُ جُذورَها إلى كلّ جهة. وقد شجّع على ذلك تخلّي عبدِ الرحمن الداخل عنِ الاهتمامِ بشأنِ المغرب لكي يَتَوَفَّرَ على الاهتمام بالأندلُسِ وحدَها.

وأدركتِ الخِلافةُ العبّاسيّة ذلك فجعلتْ تُرْسِلُ إلى المغرب وُلاةً على أقطارِه

ليملأوا الفراغَ الذي أحْدثه سقوطُ الخلافةِ الأمويّة في المشرق وانصرافُ عبد الرحمن الداخل عن مشاكلِ المغرب.

والجديرُ بالذكْرِ أن الإباضيّةَ الذين كانوا يميلون إلى العبّاسيّين- إلى رجالِ البيتِ العبّاسي - أخذوا الآنَ يُقاومون الوُلاةَ العبّاسيّين ويثورون عليهم.

لم يُحاوِلِ الأميرُ عبدُ الرحمن أن يُحارِبَ الإسبانَ، ولا اتّفقَ أنْ غزا الإسبانُ الأراضِيَ الداخلةَ في حُكْمِ عبدِ الرحمن. ولكن لَمّا غزا مَلِكُ الفرنجةِ شارلمانُ الأندلسَ (١٦١ هـ= ٧٧٨ م) تَصَدّى له عبدُ الرحمن وهَزَمه. ثمّ تَقَطَّعَ جيشُ شارلمانَ في أثناءِ تلك الهَزيمة في مَمَرٍّ رونشبالس (في الافرنسية: رونسفو) عَبْرَ جِبالِ البرانس (البيرينيه). ومن هذه الهزيمةِ نشأتِ الملحمةُ الفرنسية القديمة: أُغْنِيَةُ رولان.

تُوُفِّيَ عبدُ الرحمن الداخلِ (١٧٢ = ٧٨٨ م) فَخَلَفَهُ ٱبنُه هشامٌ الرَضِيُّ، وقد نازعهُ أخَواه سليمانُ وعبدُ الله الحُكْمَ ولكنّه تَغلّبَ عَلَيْهِما ثمّ أرْضاهما بمالٍ دَفعَهُ إليهما فٱنتقلا إلى المغربِ وصفا الحُكْمُ لهشامٍ. وفي سَنَة ١٧٦ قام ملكُ جيليقية برمودةُ الأولُ بمهاجمة الأندلس، ولكن هشاماً الرضيَّ هزمه. ثمّ تتابعتْ غَزَواتُ العرب إلى جيليقية.

وفي أيّامِ هشامٍ الرضيّ ٱنتقل المذهبُ المالكيّ إلى الأندلس. والذي يُلاحَظُ أنّ المذاهبَ الشِيعيةَ ومذاهبَ الخوارجِ التي كَثُرَ انتشارُها كلِّها في المغرب لم يَنْتَشِرْ شيءٌ منها في الأندلس.

وبعدَ هشامٍ جاء ٱبنُه الحَكَمُ، سَنَةَ ١٨٠ (٧٩٦ م). وأولُ ما اصطدم به الحكَمُ سقوطُ مدينةِ برجلونة (برشلونة) في يد شارلمان (١٨٥ = ٨٠١ م). ثمّ كانتْ هَيْجَتا الرَبَضِ، وذلك أن الدُّعاةَ العبّاسيّين ودُعاةَ الفاطميّين الشِيعةَ انْبَثوا بينَ طَبَقات العامّة في الربض (الضاحية الجَنوبية من قرطبة) يُثيرون النِقْمة على الحَكَم. ثمّ زادتِ النِقْمة على الحكم لأنّه كانَ مُندفعاً في لَذّاتهِ ظالماً في فَرْض الضرائب وفي مُعاملة الناس. وقد كانَ ٱتّخذَ حَرَساً من النصارى وجعل لهم رئيساً منهم أيضاً هو ربيعةُ بنُ تيودولفو. فٱجتمع الفقهاء - وأبرزهم يومَذاك يحيى بن يحيى الليثيّ وطالوتُ بن

عبد الجبار - مَعَ العامّة وقاموا بهَيْجَتَيْن (ثورتين). فبعد الهَيْجة الأولى، سنة ١٨٩ (٨٠٧ م) قَتَلَ الحَكَمُ اثنين وسَبْعينَ رَجُلاً من رؤساء الفتنة. وبعد الهيجة الثانية، سنة ٢٠٢ (٨١٨ م)، أجلى عن الأندلس ستّين ألفاً هاجروا إلى المغرب ومِصْرَ وجزيرةِ كريدَ. ومنذ ذلك الحين عُرِفَ الحَكَمُ بآسم الحَكَمِ الرَّبَضي.

وفي تلك الأثناء، سَنَةَ ١٩١ (٨٠٧ م)، قام عَمْروسُ بنُ يوسفَ والي طُليطلَة بالقضاء على رؤساء الفتن في وَقْعةٍ عُرِفَتْ بآسمِ وَقْعةِ الحُفْرة، لأنّه كان يُلْقي الضحايا في حُفْرةٍ كبيرة وراءَ قصر طُلَيْطُلَةَ.

وبعدَ الحَكَمِ (ت ٢٠٦ = ٨٢٢ م) جاء آبنُه عبدُ الرحمن الأوسط(١)؛ وفي أيامهِ كان عامُ المجاعة (٢٠٧ هـ). وفي أيامهِ أيضاً كانتْ غزوةُ المجوس الأُرْدُمانيّين (الشماليّين من سُكّان سكاندينافيةَ في شَماليّ أوروبّةَ، ومن الدنمارك خاصّةً) فقد هاجم المجوسُ الأندلسَ بجماعاتٍ كبيرة وعلى دُفعاتٍ مُتلاحقةٍ. ومَعَ أنّ أهلَ الأندلس صدّوا هؤلاء المجوسَ فقد قُتِلَ من المُسلمين في الأندلس عددٌ كبيرٌ جدًّا. ثمّ كانتْ حركةُ الاستخفاف:

هذه الحركةُ نَظّمَتْها البابويّة ودَوْلة الإفرنْجة (فرنسة) وكانَ رئيسَها في الأندلس الراهبُ أولوغيوس؛ وأمّا مُموِّلُها فكان ألبارو اليهوديُّ. وكان مدارَ الحركةِ أن يقومَ راهبٌ أو رَجلٌ نَصْراني من العامّة قربَ الجامع أو في ساحةٍ عامّةٍ ثمّ يَشْتُمُ محمّداً. فكان عوامُّ المسلمين يثورون إلى هذا «المستخف» فيَضْرِبونه أو يَقْتُلونه. ولكنّ رجالَ الدينِ المسيحيّ في الأندلسِ نفسِها شَجَبوا هذه الحركةَ الطائشة؛ ثمّ تمكّن عبدُ الرحمنِ الأوسطُ بحكمتِه من تخفيفِ حدّتها.

وكَثُرَتِ الثَّرْوَةُ في أيامِ عبدِ الرَّحمنِ الأوسطِ فاتّسعتِ الحضارةُ وعَمّ الترفُ فأقام عبدُ الرحمن بَلاطاً جَمَعَ فيه أسبابَ التَرَفِ واللَّهْوِ ثمّ استقدمَ زِرْيابَ مُغنّيَ العِراق وتلميذَ إسحاقَ المَوْصِليّ كما نَقَلَ طِرازَ الحياةِ العبّاسية إلى بَلاط قُرطُبةَ.

(١) يقال لعبد الرحمن بن الحكم: عبد الرحمن الأوسط (الثاني) بالإضافة إلى عبد الرحمن بن معاوية الداخل (الأول) وإلى عبد الرحمن بن محمّد الناصر (الثالث).

وفي أيامِ الأميرِ محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ (٢٣٨ - ٢٧٣) تمَّ القضاءُ على حركةِ الاستخفافِ، ولكنْ ثارتْ فِتْنَةٌ أوسعُ مدًى وأكثرُ خطَراً هي ثورةُ عُمَرَ بنِ حَفْصونٍ، وكانَ رَجُلاً يَتظاهَرُ بالإسلام فجَمَعَ حَوْلَهُ بٱسمِ الدين جُموعاً من العامّة، ومن ذوي الاتّجاهاتِ المختلفة وٱستولى على رُقْعة واسعة من الأندلس وشَغَلَ الأمراءَ بحربٍ طويلةٍ شديدةٍ. وقد كانت البابويّة ودولة الفِرنجة وراء هذه الحركة أيضاً.

ثمّ جاء الأميرُ مُنْذِرُ بنُ محمّدٍ فَبَقِيَ في الحكمِ سَنتينِ. ثمّ خَلَفَهُ أخوه الأميرُ عبدُ الله (٢٧٥ - ٣٠٠)، والأحوالُ مُضْطَرِبة في كلّ مكانٍ حتّى بَلغَتِ الدولةُ الأُمَويّةُ في قرطبةَ دَرَكَةَ ضَعْفِها. وبدأتِ الأندلسُ تَتَجَزّأُ دُوَيْلاتٍ.

تَنازعَ آلُ الحجّاجِ وآل خَلْدونٍ الحكْمَ على إشبيلية وما حَوْلَها ثمّ ٱستبدَّ بإمارة إشبيليةَ آلُ الحجّاجِ ونَزَحَ آلُ خَلْدونٍ إلى إفريقية (تونس)، سَنَةَ ٢٨٦ (٨٩٩ م). واستقلّ آلُ تُجيبَ ٱستقلالاً تامّاً بِسَرَقُسْطَةَ وقَلْعةِ أيّوبَ وما حَوْلَها، كما ٱستولى بنو ذي النون على طُلَيْطُلَةَ.

ثمّ إن أُمراءَ الأمويّين أخذوا يتنازعون في سبيل التَفَرُّدِ بالحُكْم في قرطبة نفسها. فخاف الأميرُ عبدُ اللهِ مَغَبّةَ هذا النزاعِ وأرادَ أن يُوَطِّدَ المُلْكَ للعرب في الأندلس فَقَتَلَ ٱبْنَيْنِ من أبنائه: مُحَمّداً ومُطَرِّفاً وعدداً من إخوته ثمّ جَعَلَ ولايةَ العهدِ لحفيدِهِ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدٍ المقتولِ وأحاطه بنفرٍ من الرجال الذينَ كان يَثِقُ بهم.

وكانتْ وفاةُ الأميرِ عبدِ الله، سَنَةَ ٣٠٠ (٩١٢ م)، والضَعْفُ والاضطرابُ في ذِرْوَتِها.

الحياة السياسيّة في المغرب كلّه

(في أثناء عصر الأمراء المتوارثين في قرطبة)

(١) في إفريقية: المغرب الأدنى (القطر التونسي)

أرادَ العبّاسيّون أن يَبْسُطوا نُفوذَهم على المغرب فأرسل أبو جعفرٍ المنصورُ، في

سَنَةِ ١٤٤، محمّدَ بنَ الأشعثِ والياً على القيروان، فقام ابن الأشعث بقتالِ أبي الخطّابِ عبدِ الأعلى، رئيس الخوارج فهزمه ودَخَل القيروان. وفي سنة ١٤٨ جاء الأغلبُ بنُ سالمٍ التميميّ لنشر الدعوة العبّاسية وقاتل الخوارجَ الصُفْرية مدّة طويلةً ثمّ أُصيبَ، في أثناءِ قِتَالِهِمْ، بسهمٍ فمات متأثّراً بذلك، سَنَةَ ١٥٠ (٧٦٧ م). وقد ظلّ الأمرُ في القيروان وما حَوْلَها مُضْطَرِباً بحركاتِ الخوارج حتّى قامت الدولة الأغلبية.

في سنة ١٨٣ آستنجد محمّدُ بنُ مقاتلٍ العكّيّ بعامل الزاب (المغرب الأوسط) إبراهيمَ بنِ الأغلبِ، فأسرعَ إبراهيمُ إلى القيروان وآستطاع أن يُقِرَّ الأمنَ ويَضْبِطَ الأمور. عندئذٍ أمرَ هرونُ الرشيدُ بعزلِ محمدِ بنِ مُقاتلٍ العَكّيّ عن إفريقية وبتَوْلِيَةِ إبراهيمَ بنِ الأغلب عليها. وآقترح إبراهيمُ بنُ الأغلبِ على هرونَ الرشيدِ أن يفوِّضَ إليه شيئاً من الاستقلال الداخليّ فيتنازلَ عن مائةِ ألفِ دينارٍ كَانَت تَرِدُ إليه من بَغدادَ لإدارة إفريقية ثم يبعثَ هو من إفريقيةَ الى بَغدادَ بمِائَةِ الفِ دينارٍ في العام. فكتب الرشيدُ إلى إبراهيمَ بنِ الأَغلبِ (١٨٤ = ٨٠٠م) م) يُولّيهِ إفريقيةَ على هذا الشرط. فأقام إبراهيمُ بن الأغلب دولةً في القيروان آتّسعت فيما بعد حتّى آمتدّت من بَرْقَةَ (على حدود مصر) إلى وَلِّيلي على مَقْرُبَةٍ من فاس الحاضرة.

وفي أيام إبراهيمَ بنِ الأغلبِ رَحَلَ الإمامُ أبو سعيدٍ سَحْنونُ بن سعيدٍ إلى المشرق (١٨٨ - ١٩١). فلمّا عادَ ثبّت مذهبَ الإمامِ مالكٍ في المغرب.

ومن أشهرِ الأمراء الأغالبة زِيادةُ الله بنُ إبراهيمَ بنِ الأغلبِ (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) بَعثَ القاضِيَ أسَد بنَ الفُراتِ على رأسِ أُسطولٍ كبير ففتحَ جزيرة صِقِلِّيَةَ، سَنَةَ ٢١٢ (٨٢٧ م)، وقامَ بإصلاحاتٍ كثيرة.

وبنى إبراهيمُ الأصغر (٢٦١ - ٢٩٠)، تاسعُ الأمراء الأغالبةِ، مدينةَ رقّادةَ ونقل العاصمةَ إلَيْها من مدينة العبّاسية. وفي أيامه آتّسع الفتحُ العربي في جزيرة صِقِلّية ثم سار هو بنفسه على رأس جيش كبير للفتح في شبه جزيرة إيطالية، فأصيب بسهم في أثناء حصارِ مدينة كسنتة (كوسنتزا) فمات.

(٢) ليبيا

كانتْ لِيبِيا تابعةً في إدارتها السياسية لإفريقِيَةَ (القطر التونسي).

في سَنَةِ ١٤٠ قادَ عبدُ الملك بن أبي الجَعْدِ الورفجوميّ قبائلَ وَرْفَجومة فٱسْتولى على القيروان وقَتَل والِيَها حبيبَ بنَ عبدِ الرحمن. وفي السنة التالية جَمَعَ أبو الخطّاب عبدُ الأعلى بنُ عبدِ الرحمنِ بن السَمْح المُعافِري، وكانَ من وجوه العرب، جُموعاً من العرب والبربر وقصد طرابُلُسَ الغرب وٱستولى عليها. ثمّ إنّه سار إلى القيروان وأخرجَ منها قبائلَ ورفجومةَ وقاتلهم. وفي هذا القتال سَقَطَ عبدُ الملك الورفجوميّ صريعاً.

وبلغ أبا الخطّاب عبدَ الأعلى أن الخليفةَ أبا جعفرٍ المنصورَ أرسلَ ولاةً للٱستيلاء على طرابلس الغرب فٱستخلف على القيروان عبدَ الرحمنِ بنَ رُسْتَمَ الفارسيَّ وعاد هو إلى طرابلس للدفاع عنها. فنشأت بذلك دويلة أئمّةِ نفّوسةَ الإباضيّين (١٤٠ هـ) في الجانب الجبليّ من الجَنوب الغربي من ليبيا. (قبل قيام الدولة الإباضيّة في تيهرت من المغرب الأوسط: الجزائر اليوم).

وتاريخ ليبيا في هذه الحِقْبة ثوراتٌ متلاحقة وحروبٌ. ومَعَ أن الدولةَ الأغلبية قدِ ٱسْتَوْلَتْ على ليبيا فإن قبائلَ هوّارة ونَفّوسة ولواتة وغيرها ظلّتّ تأبى الخضوعَ للعبّاسيّين وللأغالبة.

(٣) المغرب الأوسط (الجزائر)

كانَ المغربُ الأوسطُ أيضاً مضطرباً بحَركاتِ الخوارج الصُفْرية والإباضية زَمَناً طويلاً. ثمّ لمّا قُتِلَ أبو الخطّابِ عبدُ الأعلى المُعافريّ في حَرب الوالي العبّاسيِّ مُحمّدِ ٱبنِ الأشعثِ هَرَبَ عبدُ الرحمن بن رُسْتَمَ (خليفةُ أبي الخطّابِ على القيروان) إلى قبيلةِ لمايةَ في جبلِ سوفجج (في المغرب الأوسط) فاجتمعَ عليه الإباضيةُ فٱنتقل بهم وبمن كان مَعَه أيضاً إلى تِيَهرْتَ المعروفةِ اليومَ باسمِ تاقدمت. وبعدَ أمدٍ طويلٍ، في سنة ١٦٠ (٧٧٦ م) بايعَ الإباضيةُ بالإمامةِ لعبدِ الرحمنِ بن رُسْتَمَ وأقاموا دولةً

إباضيّة، وصلت حدودُها شرْقاً إلى طَرابُلُس الغرب وقابسَ وجزيرةِ جربةَ. ولمّا تُوُفّيَ عبدُ الرحمنِ بنُ رُسْتَمَ (١٧١ – ٢٨٧ م) بُويع بالإمامةِ بعدَه لابنه عبدِ الوهاب. ثمّ جاء الإمامُ أفْلَحُ بنُ عبد الوهاب فحَكَمَ خمسينَ سَنَةً (١٩٠ – ٢٤٠).

والإباضيّة يَكْرهون أنْ يَدْعُوَهُمُ الناسُ «خوارجَ» لأنّهم يَسيرونَ في الحُكْمِ والحياةِ بِحَسْبِ القرآنِ الكريمِ والسُّنّةِ النبويّة ولكن بمفهوم الأئمّةِ الإباضية. ومَعَ أنَّ الأئمّة الإباضية كانوا يَتوالَوْنَ في الدولة الرسْتَمية من الأب إلى آبنه، فإنَّ هؤلاء كانوا يجيئون بالانتخاب، أو على الأصحّ بمُوافَقَةِ أهلِ الحلِّ والعَقْد، إذ كانوا لا يؤمنون بخِلافـةٍ وراثيـةٍ، وإنْ كـان نِظامُ الحـكم في دَوْلَتِهِم – من الناحيـةِ العَمَلية – خلافةً وراثيةً كما كانَ الشأن في الدولةِ الأموية والدولة العبّاسية.

(٤) المغرب الأقصى

بعدَ قتلِ مَيْسَرَةَ المَضْغَريّ قام بأمرِ قبيلة برغواطةَ طريفُ بنُ صالحٍ البرغواطيّ فتَنَبّأ لأتباعه، سَنَةَ ١٢٧، وأمرَهم بخُرافاتٍ وبِدَع. وبعدَ مدّةٍ طويلةٍ سافر إلى المشرق وانقطعتْ أخبارُه.

ثمّ اضطربَ الأمرُ في المغرب وتداولَ الاستيلاء عليه عبدُ الرحمن بنُ حبيبٍ ثمّ أخوه إلياسُ بنُ حبيبٍ ثمّ حبيبُ بنُ عبدِ الرحمن. بعدئذ عاد الإباضيّة إلى القوّة لَمّا آستولى أبو الخطّاب عبدُ الأعلى على طرابُلُسَ والقيروان والمغرب. ثم علا أمر الصُفْرية في آل مِدرارٍ المكناسيّين بناحيةِ المغرب فنَقَضوا طاعةَ العَرَبِ وولَّوْا على أنفسِهِمْ عيسى بنَ يزيدَ الأسودَ من موالي العرب ومن رؤوس الخوارج واختطّوا مدينة سِجِلْماسَةَ، سَنَةَ ١٤٠. وكان مُلْكُ بني مدرارٍ في سجلماسة طويلاً جدًّا (١٤٠ – ٣٠٩) ولكنْ كثيرَ الاضطراب.

الدولة الإدريسية

بعدَ مَعْرَكة فَخّ (قُرْبَ مكّةَ، سنة ١٦٩) نجا إدريسُ بنُ عبدِ الله بنِ الحَسَنِ بن الحسن بن عليّ بن أبي طالبٍ ووصل إلى المغرب ونزل في وَلّيلي عند أميرِها إسحقَ بنِ

عبد الحميد الأورْبِيّ، سَنَةَ ١٧٢ (٧٨٨ م) فبايعته قبائلُ أورْبةَ على الإمارة. وغزا إدريسُ عدداً من القبائل - وكانتْ منها قبائلُ لم تكنْ قد دخلتْ في الإسلام بعدُ فأسلمتْ - ودَخَلَتْ كلُّها في طاعته. ويُقالُ إنّ هرونَ الرشيدَ لمّا علم بأمرِ إدريسَ في المغرب أرسلَ إليه من سَقَاهُ سمّاً فمات، سنة ١٧٧ (٧٩٣ م).

ولم يكنْ لإدريسَ ولدٌ، بل كانتْ له أمَةٌ اسْمُها كَنْزَةُ حاملٌ في شَهْرِها السابع. فعَهِدَ البربرُ بالأمرِ إلى مَوْلىً لإدريسَ اسمُهُ راشدٌ رَيْثَما تَضَعُ كنزةُ حَمْلَها. ووَلَدَتْ كنزةُ غُلاماً سُمِّيَ إدريسَ بٱسْمِ أبيه، وقامَ راشدٌ على تربيتِهِ وتثقيفه. ولمّا بلغَ إدريسُ الحاديةَ عَشْرَةَ بُويع بالإمامةِ وأجمع عليه أهل المَغْرب الأقصى، وأصْبَحَ يُعْرَفُ بٱسْمِ إدريسَ الأزهرِ أو إدريسَ الثاني.

ولمّا ضاقتْ مدينةُ وَلِيلي بالدولة الجديدةِ خَطّ إدريسُ الثاني مدينةَ فاس، سَنَةَ ١٩٢. ولمّا تمّ بناء فاسَ خَطَبَ إدريسُ خُطبةً قال فيها:

..... اللّهُمَّ، إنّك تعلمُ أنّي ما أردتُّ ببناءِ هذه المدينةِ مُباهاةً ولا مفاخرةً ولا سُمْعَةً ولا مُكابرة، وإنّما أردتّ أن تُعْبَدَ فيها ويُتْلى كِتابُكَ وتُقامَ حُدودُكَ[1] وشَرائعُ دِينِكَ وسنَّةُ نَبِيِّكَ محمّدٍ صلّى اللهُ عليه وسلّم. اللّهُمَّ، وَفِّقْ سُكّانَها وقُطّانَها للخيرِ وأعِنْهُمْ عليه، وٱكْفِهِمْ مَؤونَةَ أعْدائِهِمْ، وأدْرِرْ عَلَيْهِمُ الرِزْقَ، وأغْمِدْ عنهم سَيْفَ الفِتْنةِ والشِقاق؛ إنّك على كلِّ شيءٍ قدير.

وبرز شيءٌ من المنافسة والعَداوة بين إدريسَ الثاني والأغالبةِ (لأنّ الأغالبةَ كانوا من أنصارِ العبّاسيّين) ثمّ ٱستقرّتِ الأمور بينَ الدولتين.

وبعدَ وفاةِ إدريسَ الثاني، سَنَةَ ٢١٣ (٨٢٨ م) خَلَفَهُ ٱبنُه محمّدٌ، ولكنّ أولادَ إدريسَ تنازعوا وهاجَتْ بَيْنَهُمُ الفِتَنُ وتقاسموا المُلْكَ.

ومن مَحاسنِ مُلْكِ الأدارسةِ في المغرب بناءُ جامع القَرَوِيِّيْنَ، بَنَتْهُ أمُّ البَنينَ فاطمةُ بِنْتُ محمّدٍ الفِهْريّ من أهلِ القَيْروان. وكان البدءُ ببناءِ هذا الجامع - الذي

(١) الحدّ: الحاجز (الفاصل) بين شيئين. حدود الله: نواهيه (الأعمال المحرّمة).

أصبحَ أقدمَ الجامعات في العالم - سَنَة ٢٤٥ (٨٥٩ م).

ومن الدُوَيْلات التي نشأت في المَغرب الأقصى، في هذه الحِقبة، دُويلةُ بني مِدرارٍ في سِجِلْماسةَ في بلاد تافيلالتَ، شرقَ مدينة مَرّاكُشَ على بُعد نحو ثلاثِمائَةٍ وخمسين كيلومتراً، قريباً من الصحراء، وكانت دولةً إباضيةً صُفرية. وأوّلُ رؤساءِ هذه الدويلةِ أبو القاسم سمغو المِكناسيّ (١٥٥ - ١٦٧). ثمّ خَلَفَهُ ٱبناه إلياسُ واليَسَعُ. وفي أيام اليسعِ (١٧٤ - ٢٠٨) اتّسعَ مُلكُ سِجِلْماسةَ وٱستَبْحَرَ فيها العُمران.

خصائص الأدب وأعلامه

في عصر الأمراء المتوارثين

في هذه الفترةِ، في عصرِ الأمراء المتوارثينَ، من سَنَةِ ١٣٨ إلى سَنَةِ ٣١٦ (٧٥٦ - ٩٢٩ م)، تطوّر الأدبُ في الأندلس وفي المَغْرب كلّهِ تطوّراً كبيراً: ترقّى الشِعرُ من الحماسة الجافيةِ في الرَجَزِ إلى الوصف الجيّد والأغراضِ الوُجدانيّةِ في الأوزانِ المُطْربة. ويُقال إنّ التوشيحَ المُتْرَفَ نشأ في هذا الدورِ على يَدَيْ مُقَدَّم بنِ مُعافًى القَبْريّ (ت ٢٩٩ هـ) غيرَ أنّ الخصائصَ العامّةَ من الفنونِ والأغراضِ والأُسلوب ظلّتْ كُلُّها مشرقيّةً. ثمّ لم يَصِلْ إلَيْنا موشّحاتٌ من نَظْمِ مُقدّمٍ بنِ مُعافًى.

أما في الحِقْبةِ الأُولى من هذهِ الفَتْرةِ، في بَقيّة القَرْنِ الثاني للهِجْرة، فقد كان الجانبُ الأوْفَرُ من قائلي هذا الشِعْرِ والنَثْر مِنَ المَشارقةِ الذين طَرأوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ على المَغْرب والأَنْدَلُسِ جُنوداً ووُلاةً أو مِنْ أُولئكَ الذينِ كان أسْلافُهُم قد طَرأوا على المَغْرب والأندلس. أمّا الذين تَعَرّبوا مِنَ البَرْبَرِ وجَعلوا يَنْظِمونَ ويَنْثِرونَ في هذهِ الفَتْرة فكانوا لا يَزالون قَليلينَ جِدّاً؛ وكانتْ خَصائِصُهُمُ الأدبيةُ لا تَزالُ ضَعيفةً غيرَ مَصْقولةٍ.

لأمراءِ البيتِ الأُمَويّ في الأندلس - سواءٌ منهم مَنْ تولّى المُلْكَ ومن لم يَتَوَلَّهُ - شِعرٌ بعضُه جيّدٌ. وفي هذا الجزءِ نَفَرٌ منهم جميعاً خُصّوا بتراجِمَ مُستقلّةٍ: عبدُ الرحمنِ الداخلُ (١٣٨ - ١٧٢) وٱبنُه هِشامٌ (وقد وُلِدَ في قُرطُبةَ سَنَةَ ١٣٨) وحفيدُه الحَكَمُ

آبنُ هشامٍ (١٨٠ - ٢٠٦) وعبدُ الرحمنِ الأوسطُ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) وعبدُ اللهِ بنُ محمّدٍ (٢٧٥ - ٣٠٠) آخِرُ الأمراءِ المتوارثين.

ثمّ هنالك آثارٌ أدبيةٌ لِنفَرٍ آخرينَ من بني أُميّةَ جاءوا مَعَ عبدِ الرحمنِ الداخلِ أو لَحِقوا به بعدَ مُدَيْدَةٍ منهم عبدُ الملك بنُ عُمَرَ بنِ مَروانَ بن الحكَم (ت نحو ١٦٠) ومنهم حبيبُ بنُ عبدِ الملك بنِ عُمرَ بنِ الوليد (ت ١٦٠) ومنهم عبدُ الملك بنُ بِشْرِ بنِ عبد الملك بنِ بِشْرِ بنِ مَروانَ قَتَلَ أبو جعفرٍ المنصورُ العبّاسيُّ أباه فنجا هو وقَصَدَ الأندلسَ فدَخَلَها في صَدْرِ إمارةِ عبدِ الرحمن الداخلِ. وعبدُ الملك بنُ بِشْرٍ هذا كان شاعراً رَوَى له آبنُ الأبّار شيئاً من الرثاءِ والفخر ومن الهِجاء والغزل. فمِنْ غزلِه: (الحلّة السيراء ١ : ٥٩):

وبِنَفْسي مَنْ عِنْدَها اليومَ قَلْبي عَلِــقٌ في حِبالِهــا مَعْمودُ[1].
كُلّما قُلْتُ قد تَناهَيْتُ عَنْها عـادَني من غَرامِها ما يَعود[2].
فبِقَلْبي من لاعِجِ الحُبِّ منها كُـلَّ يومٍ سُقْمٌ وحُزْنٌ جَديد[3].

ونَعُدُّ في هذه الفترةِ - من غيرِ أهلِ البيتِ الأُمويّ - في الأندلس أيضاً إبراهيمَ آبنَ محمّدِ بنِ إبراهيمَ بن مَزْيَنَ الأوْدِيّ، وهو من المولَّدين[4]، أوْرَدَ له ابنُ الأبارِ (الحلّة السيراء ١ : ٨٨) شيئاً مِنَ الغَزَل الرقيق:

بِــأبي أنــتَ مِنْ غزالٍ مليـحٍ ليسَ فيــه لمَنْ تــأوّلَ لَوْلا[5].
رَوْضَـةُ الحُسْنِ فيك تُزهى، ولكن كـلَّ حَوْلٍ يَبْقـى ربيعك حَوْلا[6]!

---

(١) معمود: مضروب بالعمود (معذّب).
(٢) تناهى: (هنا): توقّف، انتهى. تناهيت عنها: نسيت حبّها. عادني: رجع إليّ مرّة بعد مرّة.
(٣) لاعج: حريق.
(٤) المولّد (في الأندلس) المسلم من الإسبان.
(٥) تأوّل الكلام: نظر في باطنه (أشار إلى المقصود منه). ليس فيه «لولا»: ليس فيه ما يختلف الناس فيه، لا تختلف فيه الآراء.
(٦) تزهى: تفتخر، تعجب (بالبناء للمجهول) بنفسها. الحول: العام، السنة. الربيع عندك (كرمك) يدوم طول العام.

ويبدو من مراجعة الحِلّة السِيَراء[1] أنّ الشعراءَ والناثرين في إفريقِيَةَ والمغرب من الطارئين عليها كانوا غيرَ قليلين؛ من هؤلاء الحسنُ بنُ حربٍ الكِنْديّ ويزيدُ بنُ حاتَمٍ بنِ قُبيصةَ بنِ المُهلَّبِ ثمّ ابنُ أخيه الفضلُ بن رَوْحِ بنِ حاتَمٍ ثمّ عَبْدُوَيهِ وسواهم.

من أوائلِ الأدباءِ والمُترسّلين في إفريقيةَ خالدُ بنُ ربيعة الإفريقيّ[2] رَحَلَ إلى الشامِ في خِلافة هشامِ بنِ عبدِ الملكِ (١٠٥ - ١٢٥) وتثقّفَ بأشياءَ من اللُّغةِ والنحوِ والأدب وكان من أوائلِ الذين خَدموا في ديوانِ الإنشاء في دِمَشْقَ فنشأتْ بينَه وبينَ عبدِ الحميدِ بنِ يحيى الكاتبِ (قتَلَه العبّاسيّون سَنَةَ ١٣٢) مودّةٌ. ويبدو أنّه عادَ إلى إفريقيةَ بعدَ سقوطِ الدولة الأمويّةِ فاتّصلَ بعبدِ الرحمنِ بنِ حبيبٍ الفِهْريِّ (ت ١٦٢) والِي القَيروانِ من قِبَلِ العبّاسيّين فولّاه عبدُ الرحمن شؤونَ ولايتِهِ في المَغْرب. وكان خالدُ بنُ ربيعةَ مُترسّلاً بليغاً له رسائلُ وله مجموعٌ في الأدبِ نحو مِائتَيْ وَرَقَةٍ (ألفِ سطر). وكانت وفاته سَنَةَ ١٤٠.

وثار الحسنُ بنُ حربٍ الكِنديّ على الأغلبِ بنِ سالمٍ، في سَنَة ١٥٠ (٧٦٧ م) فكَتَبَ الأغلبُ إلى الحسنِ بنِ حربٍ يَتَهَدّدُه:

ألا مَنْ مُبْلِــغٌ عنّي مَقــالاً ... يسيرُ بـِهِ إلى الحسنِ بنِ حَرْبِ.
فإنّ البَغْيَ أبْعَدُهُ وبالٌ ... عليكَ، وقُرْبُه لكَ شرُّ قُربِ[3].
فــإنْ لم تَدْعُــني لِتنَــالَ سِلْماً ... وعَفْوي فأدْنُ مِنْ طَعْني وضربي[4]!

فردَّ الحسنُ بنُ حربٍ عليه بقولِه[5]:

---

(١) راجع ١: ٦٩ - ٧٠، ٧٢؛ ٢: ٣٥٦؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٩ - ٣٠.

(٢) الفهرست ١١٨؛ تاريخ إفريقية وتونس للرقيق القيرواني ١٣٤؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٣٨ - ٣٩؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٣٦ (٢٩٥).

(٣) الوبال: الهلاك.

(٤) ادن: اقترب (فعل أمر). طعني (بالرمح) وضربي (بالسيف): حربي، قتالي.

(٥) الحلّة السيراء ١: ٧٠ - ٧٢؛ مجمل تاريخ الأدب التونسيّ ٢٩ - ٣٠. - بين رواية الحلّة السيراء (١: ٧٠ حاشية) ورواية مجمل تاريخ الأدب التونسي (ص ٣٠) خلاف غير قليل.

ألا قولوا لأغلبَ غيرَ سرٍّ مُغَلْغَلَةً عن الحسنِ بن حربِ[1]
بأنّ الموتَ بَيْنَكُمُ وبيني؛ وكأسُ الموتِ أكرهُ كلِّ شُرب.
رُوَيْدكُمُ، فيَوْمُكُمُ ويومي، وإنْ بَعُدا، مَصيرُهُما لقُرب!

ثمّ وَقَعَ القتالُ بينَ الأغلبِ بنِ سالمٍ والحسنِ بنِ حربٍ فقُتِلَ الأغلبُ، في شَهْرِ شَعبانَ مِنْ تلك السَنَةِ فرثاه الحَكَمُ بنُ ثابتٍ السَعْديّ، وهُوَ شاعرٌ مُجيدٌ من نَسْلِ الشاعرِ الجاهلي سَلامَةَ بن جَنْدلٍ (ت ٣٢ قَبلَ الهِجْرة) بأبياتٍ جِيادٍ منها[2]:

لقد أفسدَ الموتُ الحياةَ بأغْلبٍ غداةَ غدا للموتِ في الحرب مُعْلَما[3].
تبدّتْ له أُمُّ المنايا فأقْصَدَتْ، إذا كان يلقى الموتَ في الحربِ صَمّما[4].
أخا غزَواتٍ ما تزالُ جِيادُه تُصبِّحُ عنه غارةً حيث يَمّما[5].
أتَتْهُ المنايا في القَنا فَاخْتَرَمْنَهُ وغادَرْنَهُ في مُلتقى الخيل مُسْلَما[6].
كأنّ على أثوابهِ من دِمائهِ عَبيطاً، وبالخدَّيْنِ والنَحْرِ عَنْدَما[7].
فباتَ شهيداً نالَ أكرمَ مِيتةٍ ولم يَبْغِ عُمْراً أن يطولَ ويَسْقَما[8]!

---

(١) مغلغلة: رسالة..
(٢) الحلّة السيراء ١: ٧١.
(٣) غداة = في الغداة (الصباح). غدا: خرج باكراً (كانت الحرب النبيلة تبدأ في الصباح، ولا تكون غدراً في الليل). معلماً: كاشفاً عن وجهه (كان الفارس المشهور بشجاعته وكثرة من قتله في الحروب يتلثّم حتّى لا يعرفه غرماؤه فيثأروا منه) فخرج الأغلب معلماً لأنّه لا يريد أن يتخفّى عن غرمائه ولأنّه لا يبالي بالأعداء.
(٤) أمّ المنايا: الموت الشديد. أقصد الرجل خصمه: أصاب منه مقتلاً. صمّم: قصد، سار إلى. ويبدو أن عجز هذا البيت جملة معترضة. والكلمتان «إذا كان» قرَاءة شخصية في مجمل تاريخ الأدب التونسي (!). وفي الحلّة السيراء «فتى حين» (اجتهاداً من المحقّق، لأنّ مكان الكلمتين ممحوّ في المخطوط).
(٥) «أخا» مفعول به من الفعل «أقصدت» (في البيت السابق). تصبّح: تغزو القوم في الصباح. يمّم: قصد.
(٦) أتته المنايا (الموت) في القنا (قتلاً بالرماح) اخترمته (قتلته وهو في مقتبل عمره). غادرنه: تركنه. ملتقى الخيل: ميدان القتال. مسلماً: متروكاً (لا يدافع عنه أحد).
(٧) عبيط: دم مسفوح قريباً (من مدّة يسيرة). النحر: بين الصدر والعنق. العندم: الدم الأحمر.
(٨) لم يشأ أن يطول عمره فتكثر حينئذ أسقامه (أمراضه وأوجاعه).

ثمّ قُتِلَ الحسنُ بنُ حربٍ في أواخرِ شَعبانَ فجِيءَ به إلى تُونسَ فصُلِبَ يومَ السبتِ آخرَ يومٍ من شَهْرِ شَعبانَ نفسِه (١٥٠ هـ). ويبدو أنّ الحَكَمَ بنَ ثابتٍ السعديَّ لم يُعَمَّرْ بعدَ ذلك طويلاً، ولعلّ موتَه كان في أواخرِ سنةِ ١٥٠ نفسِها[١].

ومن هؤلاءِ عَبْدَوَيْهِ، وَهُوَ عبدُ اللهُ بنُ الجارودِ العَبْدِيُّ، أحدُ الثائرين في إفريقية، قاتَلَ الفَضْلَ بْنَ رَوْحٍ بنِ حاتَمٍ والي القَيْروانِ (١٧٧ - ١٧٨ هـ) وقَتَلَه. وجَهَّزَ أبو عبدِ اللهِ مالكُ بنُ المُنْذرِ الكَلْبي والي مِيلةَ جيشاً وقاتَلَ ابنَ الجارودِ لِيَثْأرَ بالفَضْلِ بنِ رَوْحٍ، ولكنّ مالِكاً قُتِلَ أيضاً في المَعْركة. عِنْدَئِذٍ سارَ العَلاءُ بنُ سعيدِ بنِ مَرْوانَ المُهَلَّبي والي الزاب لِقتال ابن الجارود، وَلَكِنْ يبدُو أنهُ لَمْ يَقَعْ بين العَلاء وبين ابنِ الجارودِ قتالٌ لأنّ هرونَ الرشيدَ كان قدِ استطاعَ أن يَسْتَميلَ ابنَ الجارودِ ويَسْتَقْدِمَهُ إلى بَغْدادَ.

لَمّا ٱلْتَقى مالكُ بنُ المُنْذِرِ بابنِ الجارودِ ٱنهزمَ أصحابُ مالكٍ فترجّلَ مالكٌ عَنْ فَرَسِهِ ثمّ هَجَمَ في نَفَرٍ مِمّنْ بَقِيَ مَعَهُ من أصحابهِ وَهُوَ يَقولُ (الحلة السيراء ١: ٨٧ - ٨٨):

يـا موتُ، إنّي مالـكُ بنُ المُنْـذِرِ　　أهْتِـكُ حَشْوَ البَيْـضِ والسَنَوَّرِ[٢]؛
أقتُلُ من صابَرَ أو لَمْ يَصْبِرِ　　كأنّـني أفعَـل مـا لَمْ يُقْـدَرِ[٣].

فخَرَجَ إليه ابنُ الجارودِ وَهُوَ يقولُ[٤]:

إليّ فـٱدْنُ، مالـكَ بنَ مُنْـذِرِ؛　　أنـا الّـذي قَتَلْـتُ رَبَّ المِنْبَرِ[٥]،
جَرّعْتُـهُ كـأسَ الحِمامِ الأحْمَرِ.　　فٱصْبِرْ - سَتَلْقاه- وإنْ لم يَصْبِرِ[٦]!

---

(١) الحلّة السيراء ١: ٧١؛ مجمل تاريخ الأدب الأندلسي ٣٠.
(٢) هتك: شقّ، مزّق، قطع. البيضة: الخوذة (إناء معدني) يضعها المحارب على رأسه. السنّور: الدرع. حشو البيض: الرؤوس. حشو السنّور: الأبدان.
(٣) ما لم يقدر: ما لم يأت وقته بعد (أو ما لا يقدر عليه أحد).
(٤) الحلّة السيراء ١: ٨٧.
(٥) ادن: اقترب (فعل أمر). ربّ المنبر: صاحب العرش (الملك).
(٦) الحمام: الموت.

ولَمّا أرادَ العَلاء بنُ سعيدٍ أن يَخْرُجَ لِقِتالِ ابنِ الجارودِ كَتَبَ إليه يَقولُ (الحلة السيراء ١ : ٨٧):

لَعَمْرُكَ، يا عَبْدُويَ، ما كنتُ تاركاً ... دَمَ الفَضْلِ أو يكسونِيَ التُّرْبَ ثائرُ[١].
نَذَرْتَ دَمي فانْظُرْ، إذا ما لَقيتَني، ... على مَنْ بكأسَيْها تدورُ الدوائرُ[٢].
ستعلَمُ، إنْ أنْشَبْتُ فيكَ مَخالبي، ... إلى أيِّ قِرْنٍ أسْلَمَتْكَ المقادرُ[٣].

فقال عَبْدويه بنُ الجارودِ يَرُدُّ على العَلاءِ بن سعيدٍ[٤]:

أفي كلِّ يومٍ ثائرٌ قَدْ قَتَلْتُه ... بفَضْلٍ؛ وما يَنْفَكّ لِلْفَضْلِ ثائرُ[٥].
قَضَيْتُ لنفسي الثأرَ في قتلِ مالِكٍ؛ ... وإنّي لَها قَتْلَ العَلاءِ لناذرُ[٦].
فما للعَلاءِ خِيرَةٌ في لِقائنا، ... وليس له في الناسِ -إنْ فَرّ- عاذِرُ[٧]!

ثمّ هُنالكَ في هذهِ الحِقْبة، في إفريقية والمَغْرِبِ أيضاً[٨]، مُحمّدُ بنُ مُقاتِلِ بنِ حكيمٍ العَكِّيُّ، وتَمّامٌ بَنُ تَميمٍ الدارِمِيّ والأغلبُ بنْ سالمٍ (ت ١٤٩) وابنُه إبراهيمُ ابْنُ الأغلبِ المشهورُ ويَحْيى بنُ الفَضْلِ بنِ النُّعْمانِ التميمي وخُرَيش بنُ عبدِ الرحمنِ وعِمْرانُ بنُ مُجالدٍ (تُوُفِّيَ قَبيل ٢٠٠) وعامرُ بنُ المَعمَّرِ بن سِنانٍ التَميميُّ وحَمْزَةُ بْنُ السَبّالِ المعروفُ بالحَرونِ وغيرُهم. ثمّ هُنالك بُهْلولُ بنُ عبدِ الواحدِ المَدْغرى

---

(١) ما كنت تاركاً دم الفضل (بن روح بن حاتم): لن أترك الأخذ بثأره. يكسوني الترب ثائر: يقتلني ثائر (آخذ بثأر!).

(٢) نذرت دمي: أعلنت أنّك ستقتلني. الدوائر: المصائب (الموت). دارت الدائرة بكأسها على الناس: أماتتهم واحداً بعد واحد.

(٣) إن أنشبت فيك مخالبي (أظافري): إذا تمكّنت منك، إذا لقيتك. القرن: البطل الند لغيره. - إذا ظفرت بك يدي ستعلم أنّي شجاع قويّ مثلك أو أكثر.

(٤) الحلّة السيراء ١ : ٨٦.

(٥) انتقاماً لمقتل الفضل بن روح بن حاتم والي القيروان (أول ١٧٧ - أواسط ١٧٨ هـ). وسيبقى هنالك ثوّار ينتقمون لمقتله حتّى يفنوا جميع الذين كانوا خصومه.

(٦) مالك بن المنذر والعلاء بن سعيد (راجع الصفحة السابقة). - قتلت مالكاً وأخذت على نفسي (عزمت) على قتل العلاء.

(٧) ما له خيرة (بكسر ففتح): اختيار (لا بدّ له من أن يحاربنا).

(٨) الحلّة السيراء ١ : ٨٨ وما بعد.

(المضغريّ)، وَهُوَ منَ البَرْبَرِ، وسَيَرِدُ ذِكْرُه في تَرْجَمَةِ إبراهيمَ بنِ الأغلبِ.

ويحسُنُ أن نُشيرَ إلى أنّ دراسةَ الفِقه والنحوِ قد بدأتْ في الأندَلُسِ وفي المَغرب منذ هذا الطَّوْر الباكر.

وكذلك رُوِيَ لرجالِ العُدْوة في إفريقِيَةَ (القُطر التُونسي) والمَغْربِ شعرٌ ونثرٌ ممّن تَوَلَّوا الإمارةَ في أقطارهم وممّن لم يَتَولَّوْها، ومِنَ الذين تَرْجعُ أنسابُهم إلى العرب أو إلى البربر. ويبدو أن هذا الشعرَ صحيحٌ ولكنْ يبدو عليه أيضاً تقليدٌ كثيرٌ للمشارقة وأكثرُهُ في الحماسةِ والفخر.

ثارَ عِمرانُ بنُ مُجالِدِ بن يزيدَ الرَبَعيّ[1] على إبراهيم بنِ الأغلب (١٤٠ - ١٩٦ هـ) وهاجم القَيْروانَ فلم يستطعِ التغلّبَ. ثمّ هَرَبَ إلى نواحي الزاب[2] وطَلَبَ الأمانَ من إبراهيمَ فأمّنَهُ إبراهيمُ. ثمّ لما ماتَ إبراهيمُ وخَلَفَهُ ٱبنُه أبو العبّاس عبدُ الله (١٩٧ - ٢٠١ هـ) جدّدَ عِمرانُ طَلَبَ الأمانِ فأجابه أبو العبّاس إلى ما طَلَبَ ولكنْ عاد فغَدَرَ به وقتله (نحو ١٩٨). ولِعِمْرانَ الرَبَعيِّ - وهُوَ يُنازِلُ إبراهيمَ بنَ الأغلب حَوْلَ القيروان - رَجَزٌ منه:

يـــا رُسُلَ الموتِ، أنـــا عِمرانُ، أنـــا الـــذي أنتم لـــه أعْوانُ[3].
تُصْعَـــقُ من خِيفَـــتي الفُرسان يَضْحَكُ عن أيامِنا الزمانُ[4].
نحن ضَرَبْنـــا النـــاسَ حتّـــى دانوا نقتُلُ أهلَ النُكْثِ حيث كانوا[5]!

---

(١) الحلّة السيراء ١: ١٠٤: كان عمران هذا من أصحاب إبراهيم بن الأغلب ثمّ ثار عليه.

(٢) الزاب مقاطعة في الشمال الغربي من الجزائر اليوم وعاصمتها بسكرة (على نحو ثلاثمائة كيلومتر من مدينة الجزائر جنوباً في شرق).

(٣) رسول الموت هو الذي يأتي إلى الإنسان الذي انتهت مدّته في الأرض فيقبض روحه. والشاعر يقول إنّه هو الذي يقبض الأرواح (يقتل الأعداء في المعارك) وإن ملك الموت يساعده في مهمّته!

(٤) يصعق: تصيبه الصاعقة، يسقط فاقداً وعيه (يموت). يضحك عن أيامنا الزمان (يسرّ بنجاحنا في المعارك).

(٥) ضربنا: قاتلنا. دانوا: اتّبعوا الدين (أسلموا) أطاعوا. النكث: الإخلاف بالوعد.

وكان حمزة بن السبّال المعروف بالحَرون[1] أحدَ القُوّادِ الرؤساءِ الشُجعان في جُندِ إبراهيمَ بنِ الأغلب. وقد قُتِلَ حمزةُ هذا في إحدى معاركه في تُونس في صَفَرَ من سَنَةِ ٢٠٩ (أيار - مايو ٨٢٣ م). ولحمزةَ رَجَزٌ جيّدٌ سهلٌ منه (في نُصْرةِ إبراهيمَ بنِ الأغلب):

إنْ غاب إبراهيم عنّا أو حَضَرْ فإنّني أنصُرُهُ فيمن نَصَرْ.
واللهِ، لا أرْجِعُ إلاّ بظَفَرْ؛ ليس يموتُ المرءُ إلاّ بقَدَرْ.
وكلّ من خالَفَنا فقد كفر!

ومن أمراء الأغالبةِ أبو محمّدٍ زِيادةُ اللهِ بنُ إبراهيمَ (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) تثقّف باللغة والنحو وقال الشعر الجيّد[2].

لمّا استعلى الجُنْدُ في القيروانِ وكاد الأمرُ يخرُجُ من يدِ زِيادةِ الله، قال زيادةُ الله يَصِفُ تلك الحالَ، كيف تبدّلتْ بينَ اليومِ والأمسِ:

يا ويحَ نفسي حينَ أركَبُ غادِياً بالقيروانِ تَخالُني مُختالا،
في فِتْيةٍ مثلَ النجومِ طوالعٍ؛ وتَخالُني بينَ النجوم هِلالا!
واليومَ أركَبُ في الرُعاعِ ولا أرى إلاّ العبيدَ ومَعْشَراً أنذالا.

وجاء إلى زِيادةِ اللهِ رسولٌ من المأمونِ العبّاسي يَحْمِلُ رِسالةً يطلُبُ المأمونُ فيها من زِيادةِ اللهِ أن يخطُبَ على منابرِ إفريقِيَة (تُونسَ) لعبدِ الله بنِ طاهرِ بنِ الحُسينِ والي خُراسانَ (أن يذكُرَ عبدَ الله بنَ طاهرٍ في خُطبةِ الجُمُعة) فلم يَرْضَ زِيادةُ الله وخاطَب الرسولَ بقوله:

« قد علِمَ أميرُ المؤمنين طاعتي له وطاعة آبائي لآبائه وتَقدُّمَ سَلَفي في طاعَتِهم، ثمّ

---

(١) الحلّة السيراء ١ : ١٠٧ - ١٠٩.
(٢) الحلّة السيراء ١ : ١٦٣ - ١٧٦.

يأمُرني الآنَ بالدعاءِ لعبدِ خُزاعةَ[1]. هذا، واللهِ، أمرٌ لا يكونُ أبداً».

وقال زِيادةُ الله في تُفّاحةٍ بينَ يديهِ ذَكَّرَتْه بِحَبيبهِ:

ولابِسَةٍ ثَوْبَ اصفرارٍ بــــلا جِسْمِ تَنُمُّ بأنفــاسِ الحبيــبِ لِمُشْتَمِّ[2].
تَجمّعَ معشوقٌ لديها وعاشقٌ، فـذو نظرٍ يرنو إليهـا وذو شَمِّ[3].
سأُفْنيكِ أو أفنى عليكِ تذكُّراً لِمَنْ أنتِ عِطْرٌ منه في الرَشْفِ واللَثْمِ[4].
فقد هِجتِ في قلبي لَظًى لِتَذَكُّري؛ وعُنوانُه في مُقْلتي دمعةٌ تَهْمي[5].
كأنّيَ أُدْني -حينَ أُدنيكِ- مَنْ به أثَرْتِ اشتياقي في عِناقٍ وفي ضَمِّ[6].

ومن بني الأغلب الذين رَغِبوا عن المُلْكِ يَعقوبُ بن المضاء فقدِ انصرفَ إلى الزُهْد ونَزَع السوادَ (ترك لُبْسَ الثيابِ السود شِعارَ العبّاسيّينَ وشِعار الدولة). وانتقل يعقوبُ إلى العِراق ومات هناك. وليعقوبَ هذا شِعرٌ في الشيبِ والشباب يُخاطب في البيت الأخير منه مَنْ قال له: «قد شِبْتَ»:

فـإنْ تَـكُ لِمّتي كُسِيَتْ بياضاً وبُـدِّلَ لي المشيـبُ مِنَ الشبـابِ،
فقــد عُمِّرتُ ذا فَرْعٍ أثيــثٍ كأنّ سوادَه حَنَكُ الغُراب.
فلا تَعْجَلْ، رُوَيْدَكَ، عن قريبٍ كأنّك بالمشيب وبالخِضاب.

ثمّ نحن نَشَمُّ نفحةً أمويّةً من نَفَسِ جريرٍ في أبياتِ أبي العبّاسِ محمّدِ بن الأغلب بنِ إبراهيمَ بنِ الأغلب (ت ٢٤٢ = ٨٥٦م) وهو يفتخرُ قائلاً (الحلة السيراء ١ : ١٧٠):

---

(١) عبد الله بن الحسين فارسيّ النسب من خراسان ولكن ينتسب بالولاء إلى بني خزاعة العرب.

(٢) بلا جسم، لأنّ الأصفرار في التفّاحة جزء منها (ولا يمكن تبديله كالثوب العاديّ).

(٣) تجمّع معشوق لديها وعاشق (؟).

(٤) سأفنيك بكثرة ما أشمّ منك... (لأنك تذكّرينني بحبيبي فأعاملك كما كنت أود أن أعامله. أو أفني عليك تذكّرا...: أو أذوب أنا (أموت) لأنّني لا أستطيع أن أصل فيك إلى غايتي من حبيبي (سيكون تذكيرك لي بالحبيب، مع حرماني من لقائه، سبباً لنحولي أو موتي).

(٥) اللظى: لهيب النار. دمعي الذي يهمي (يتساقط) عنوان (دليل) على ما أشكو من نار البعد عن الحبيب.

(٦) حينما أمسكك بيدي وأدنيك (أقرّبك من أنفي) أتخيّل أنّني أضمّ حبيبي.

أليس أبي وَجـــدّي أوْطـــآني - وجدُّ أبي وعَمّايَ- الرِقابَا؟
وَرِثْـتُ المُلْـك والسُّلطـانَ عنهم فصِرْتُ أعزَّ مِن وَطِـيء التُرابا.
أنــا الملِـكُ آلـذي أسمو بنفسي فأبلُغُ بالسُمُوِّ بها السَحابا.

ولكنّ التقليدَ والضَعْفَ باديانِ على هذه الأبيات بوُضوحٍ.

وإلى جانبِ الشعرِ في إفريقيةَ (تونس) كانت الحركةُ العِلمية في الفِقه هي التي نقلتِ المغرب إلى المذهبِ المالكيّ وأثّرت في مجرى تاريخه.

فمن أوائلِ الذين يُعَدّون في هذا النِطاقِ خالدُ بنُ أبي عِمْران التُجيبيّ، وُلِدَ في تُونسَ وتلقّى العلمَ على أبيه وآخَرينَ ثمّ رَحَلَ إلى الحِجاز فروَى عن نَفَرٍ من التابعين منهمُ القاسمُ بنُ محمّدِ بنِ أبي بكرٍ الصِدّيق (٣٧ - ١٠٧ هـ) وعن سالمِ بنِ عبدِ اللهِ بن عُمَرَ بنِ الخطّابِ (ت ١٠٦) وعن نافعٍ مولى عبد الله بن عُمرَ بن الخطّاب (ت ١١٧) وعن سُليمانَ بنِ يَسارٍ (ت ١٠٧). ثمّ عادَ خالدٌ إلى إفريقية في مَطلعِ القرنِ الثاني للهِجرة يَحْمِلُ فِقْهاً كثيراً ورواياتٍ (في الحديث) صحيحةً. وكان ثِقةً فيما يَروي ويقول. وتولّى خالدٌ قضاءَ إفريقية، وكانتْ وَفاتُه سَنَةَ ١٢٧. ولم تقتصرْ روايةُ خالدٍ على الحديثِ والقِراءةِ (قِراءةِ القرآنِ الكريم) والفِقه، بل كانتْ له رواياتٌ مِنَ التاريخِ عن فَتْحِ إفريقيةَ والمَغْربِ نرى كثيراً منها في كِتاب «فتوحُ الشام» للواقديّ وفي كتاب «فتوحِ مصرَ والمغربِ» لابنِ عبدِ الحكم.

ومن حَمَلَةِ العلمِ في تونسَ أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ فَرّوخ الفارسيُّ من شُيوخِ أهلِ إفريقيَةَ وفقيهُ القَيْروانِ. وُلِدَ سَنَةَ ١١٥ (٧٣٣ - ٧٣٤ م)، قيلَ في الأندلس، ثمّ سكن القَيْروانَ. رَحَلَ إلى المشرقِ فأخذ عن مالكِ بنِ أنَسٍ في الحجاز ثمّ انتقل إلى العِراق فَلَقِيَ في الكوفة أبا يحيى زكريّا بنَ أبي زائدةَ (ت نحو ١٤٨ = ٧٦٥ م) وسُفيانَ الثَّوْريَّ (ت ١٦١) وأخذ عنهما كثيراً من الحديث، كما أخذَ عن أبي حنيفةَ كثيراً من الفِقه.

وعادَ عبدُ الله بنُ فَرّوخ إلى القيروان وأقْرأ بها الحديثَ والفِقه. وكانت له أيضاً

عِنايةٌ بالتفسير. وعَرَضَ عليه رَوْحُ بنُ حاتمٍ والي إفريقية (١٧١ - ١٧٤ هـ) القضاءَ في القيروان فأبى. ثمّ إنّ عبدَ الله بنَ فرّوخ ذهب إلى الحجّ. وفي أثناء عَوْدتهِ مرّ بمْصرَ فتُوُفّيَ بها، سَنَةَ ١٧٥ (٧٩١ - ٧٩٢ م) ودُفِنَ في سَفْحِ جَبَلِ المُقَطَّم[1].

ومن هؤلاءِ عليُّ بنُ زِيادٍ العبسيِّ من أبناءِ تُونِسَ سَمِعَ المُوَطّأَ في المدينةِ من الإمام مالك (ت ١٨٣). وهُوَ أولُ مَنْ أدخَلَ المُوطّأَ إلى المغرب.

ويجيءُ هنا أيضاً عبدُ الله بن حَسانِ اليَحْصُبيّ من أهلِ القَيْروانِ رَحلَ إلى الحِجاز وأخذَ الحديثَ عن مالكٍ ثمّ دَخلَ البَصرةَ والكوفة وتلقّى العربيةَ (النَحْوَ) عن سِيبَوَيْهِ (ت ١٨٠) والكِسائي (ت ١٨٩)، ثمّ عادَ إلى القيروانِ ينشُرُ ما حَمَلَهُ مَعَهُ من العِلم. وكانتْ وفَاتُه في سَنَةِ ٢٢٦ (٨٤٠ - ٨٤١ م).

في القرن الثالث الهجري:

ويحسُنُ هنا، في استكمالِ صورةِ العصر، أن نذكُرَ مؤرّخَيْنِ أحدُهما ابنُ سَلاَمِ بن عُمَرَ (أو عَمْرٍو)، وهُو أوّلُ المؤرخين الإباضيّين الذين نَعْرِفُهم في المغرب. بَلَغَ أشُدَّه بينَ سَنَةِ ٢٤٠ و ٢٦٠ (٨٥٤ - ٨٧٣ م) وكان كتابُه في التاريخ يتعلّق بانتشار الإسلام في جبل نفوّسة (جَنوبيّ غربي ليبيا) بالإضافة إلى تراجمِ نَفَرٍ من أئمة الإباضيّة الأوّلين كأبي الخَطّاب عبدِ الأعلى (بُويعَ سَنَةَ ١٤٠) وأبي حاتمٍ يعقوبَ بنِ حبيبٍ (١٥٤ - ١٥٥ هـ) وبالإضافة إلى شيءٍ من صلةِ الإباضية في تيهرت (في الجزائر اليوم) بإخوانِهم في المشرق. وكان ابنُ سَلاَمٍ من كبار الإباضية في القُطر التونسيّ (دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٧).

والمؤرّخُ الثاني هو ابنُ الصغير مؤلّفُ تاريخٍ يتناولُ حياةَ الأئمّةِ الرُستَميّين في تاهرت (وتلفظ أيضاً تيهرت وتيارت) نَقَلَ منه أبو القاسم بنُ إبراهيمَ البرّادي (ت بعدَ ٨١٠) وأحمدُ بنُ سعيدٍ الشمّاخي في كتابه «السِيَر» (ت ٩٢٨). وكتابه في الأكثر

(١) طبقات علماء إفريقية وتونس ١٠٧ - ١١١، ١٧٣؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي لحسن حسني عبد الوهّاب ٣٧ - ٣٨؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٥٢.

مجموعُ روايات أكثرَ منه تاريخاً سياسيًّا متّصلاً. ولعلّ ابنَ الصغير قد بَقِيَ على فيدِ الحياة إلى سَنَةِ ٣١٠ (٩٢٢ م) أو إلى ما بعدَ ذلك بقليل.

وفي هذا القرنِ نَجِدُ الأدباءَ الذين وُلدوا في الأندلس والمَغْربِ ونشأوا فيهما وظلّت معظمُ خصائصِ أدبهم مشرقيّةً، من هؤلاء بنو أمية في الأندلس وكان من هؤلاءِ جميعاً: الأميرُ عبدُ الرحمنِ الأوسطُ وابنُه الأمير محمّدٌ وحفيدُه الأمير عبدُ الله (ت ٣٠٠ هـ) ثمّ يعقوبُ بنُ الأميرِ عبدِ الرحمنِ الأوسطِ ومُطَرِّفُ بنُ الأمير محمّدٍ. وفي صفّ هؤلاء كلِّهم نَجِدُ في المغربِ نفراً من الأدارسة ومن الأغالبة ونفراً من أهل المغرب كُسليمانَ بنِ وانسوسَ المِكْناسيّ.

في هذا القرنِ نشأ نفرٌ من الذين يستحقّون لَقَبَ شاعرٍ. وَمَعَ أنّ خصائص هؤلاء الشعراءِ كانت لا تزال في الأكثر مشرقيةً، تجري في نِطاقِ الشعر الجاهليّ أو الشعر الأُموي أو الشعر العبّاسيّ، فإنّ نفراً منهم قد خرج عن نِطاقِ التقليد وعن شعر الحماسة إلى فنونٍ منها الرثاء والوصف والغزل والخمر.

وإذا كان بعضُ الشعرِ في الأندلس قد فارقَ عدداً من خصائصهِ المَشْرقيةِ، فإنّ النثرَ ظلّ أبداً مشرقيًّا، فإنّنا لم نَرَ في النثر أجمعَ - في الخطابة والترسُّل والتأليف - ما رأيناه في الشعرِ كنشأةِ المُوشَّح مثلاً. ثمّ إنّ الشعرَ عند عدّه فَنًّا وُجدانيًّا شخصياً أكثرَ من النثر في العادةِ - قد تأثّر بالبيئةِ الطبيعيّة والبيئة الاجتماعية في الأندلس إلى حدٍّ بعيد. أمّا النثرُ فلم يَجْرِ عليه مثلُ ذلك، إلاّ إذا نظرنا إلى عددٍ من الألفاظ والتراكيب التي جدّتْ على لسانِ أهلِ الأندلس. غيرَ أنّ مثلَ هذه الألفاظ والتراكيب تجدُّ في البيئةِ الواحدة في العصور المختلفة فلا دَخْلَ كبيراً لها هنا في خصائص اللغة والأسلوب.

كان هشامُ بنُ عبد الرحمن الداخل (١٣٩ - ١٨٠ هـ) أولَ الأمراءِ الذين وُلِدوا في الأندلس. أرادَ رجُلٌ يوماً أن يُغْرِيَه بشِراء ضَيعةٍ تُباع في دَيْنٍ، فقال له هشامٌ (قبلَ أن يتولّى الخِلافة):

«أنا أريدُ أمراً (الخلافة) إنْ بُلِّغْتُه غَنيتُ عنها، وإن قُطِعَ بي دونَه خَسِرْتُها.

ولاَصْطناعُ رجُلٍ أحبُّ إليّ مِنَ اكتسابِ ضَيْعةٍ.... »(الحلّة السيراء ١: ٤٢ - ٤٣):

البَـذْلُ - لا الجَمْعُ - فِطرةُ الكَرَم؛ فلا تُرِدْ بِيَ ما لم تُرِدْ شِيَمي.
مُلْـكُ الوَرى والعِبـادِ قاطبـةً - لا مُلْكُ بعضِ الضِياع - مِنْ هِمَمي! »

هذا النثرُ وهذا الشعرُ مشرقيّانِ في خصائِصِها.

وكان أبو القاسمِ المُطرِّفُ بنُ الأميرِ محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ شاعراً مُجيداً وبارعاً في الغناء، وهو أشعرُ أولادِ الأميرِ محمّدٍ، تُوُفِّيَ في إمارةِ أبيه (٢٣٨ - ٢٧٣)، وله من العُمُرِ اربعٌ وعشرون سنةً. وفي شعره (الحلة السيراء ١: ١٢٨ - ١٣٠) جدٌّ وهَزْل. فمِنْ شِعرهِ يرثي أخاه عبدَ الرحمن:

أخٌ كان؛ إنْ لم يُمْرِعِ الناسُ أصبحـتْ مواهِبُـهُ للنـاسِ وهي مرابعُ(١).
كثيرٌ عليكَ الحُزْنُ من كلّ جانبٍ كما كَثُرَتْ من راحتَيْكَ الصنائعُ(٢).
عليـك سلامُ اللهِ، إنّ الندى له زَوالٌ وإنّ السَعْيَ بعدَكَ ضائـعُ(٣).

وقال في الشَيْب:

إنّ شيبـاً وصَبوةً لَمُحَـالُ، قد أنى أن يكونَ عنها زوالُ(٤).
رَكِبَ الشيـبُ لِمّتي خَلَلَ الشَّعـ ـرِ لوقتٍ حالتْ به الأحوالُ(٥).
فَزَعِ النفسَ عن مُزاحٍ ولَهوٍ. تلك حالٌ مضتْ وجاءت حـالُ(٦).

---

(١) إذا لم تكن الأرض خصبة (في عام ما) وهب الناس من الأموال ما يجعل حياتهم كلّها ربيعاً.

(٢) كثر حزن الناس عليه بمقدار كثرة الصنائع (أوجه المعروف والكرم) على الناس.

(٣) بعدك لن يكون ندى (كرم) ولن يبقى فائدة من السعي (قصد الكرماء للعطاء: لأنّه لن يبقى بعدك كرماء مثلك).

(٤) وصبوة - مع صبوة (حبّ، ميل إلى اللهو). أنى: قرب، حان، وجب. عنها (عن الصبوة). زوال: (هنا) ترك (للصبوة).

(٥) ركب الشيب لِمّتي (كثر في [illegible]ة رأسي) وتسرّب خلال (بين) سائر شعري. لوقت حالت به الأحوال: في وقت تبدّلت أحوال (من قوّة إلى ضعف، الخ).

(٦) زع فعل أمر من وزع يزع (بمعنى نهى، زجر، منع) - يقول حسين مؤنس (محقّق كتاب الحلّة السيراء ومعلّق حواشيه) أنّ هذا البيت يبدأ في الأصل (في المخطوط) بكلمة «فزع» فاختار هو أن يبدّلها ويجعلها «فدع». ولا ريب في أنّه يدرك أن «فزع» (الفاء حرف عطف، و«زعْ» فعل أمر من وزع يزع) بمعنى فازجر (النفس عن...).

وقال في الخمر واللهو:

أشْهى من الكأسِ حاملُ الكاسِ أرعاهُ ما طافَ حَوْلَ جُلاّسي.
يَثْقُلُ من أجلِهِ الجليسُ ولو كان من النُسْك آمنَ الناس[1]!

ومِنْ أُمرائهم المتوارثين الشعراءِ أيضاً محمّدُ بنُ عبدِ الرحمن تولّى الإمارةَ أربعاً وثلاثين سَنَةً (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، وتمتزجُ الحماسةُ في شِعره بالغزل. من ذلك قولُه (الحلّة السيراء ١ : ١١٩ - ١٢٠):

قَفَلْتُ وأغْمَدتُ السيوفَ عن الحربِ، ومَا أُغْمِدَتْ عنّي السيوفُ من الحُبِّ[2]
أقُرطُبةٌ، هل لي إليكِ وِفادةٌ تَقَرُّ بعَيْني أو تُمَهِّدُ من جَنْبي[3]؟
عَداني عَدُوٌّ عن حبيبٍ فزُرْتُه بجيشٍ تَضيقُ الأرضُ عن عَرْضِهِ الرَحْبِ[4].
إذا اسْوَدَّ من ليلِ الدُروع تَبَلَّجَتْ أسِنَّتُه فيه عن الأنْجُمِ الشُهْبِ[5].

وله في الخمْر (الحِلّة السيراء ١ : ١٢٠):

ذكر الصَبوحَ فظلّ مُصْطَبِحاً يستعملُ الإبريقَ والقَدَحا[6].
ما زال حَيًّا وهو يَشْرَبُها حتّى أماتَتْهُ الكؤوس ضُحى.

في النقد والتقليد:

إنّ الأحوالَ الاجتماعيةَ والخصائصَ الأدبيّة لا تستقِرُّ في الأعصر فَجأةً، بل على

---

(١) يثقل في نظري كلّ حاضر معنا، ولو كان ناسكاً شديد النسك، لأنّي أغار على هذا الساقيَ الجميل من كلّ إنسان.

(٢) قفلت: رجعت (من الحرب منصوراً) وهادنت العدوّ، ولكّن الحبّ لم يهادنّي (لم يغمد سيوفه عنّي).

(٣) تقرّ بعيني: تقرّ بها عيني (أصبح مسروراً). تمهّد من جنبي (تمهّد الأرض لجنبي) تجعلني مستريحاً.

(٤) كنت مسروراً مع حبيبي فاعتدى عليّ عدوّ فتركت حبيبي لأقوم بغزوة على العدوّ كبيرة تضيق عنها الأرض.

(٥) إذا ظهر هذا الجيش وكأنّه قطعة سوداء كالليل (لكثرة ما فيه من الدروع، من الجنود) ظهرت فيه رؤوس الرماح (لكثرتها) كالأنجم الشهب (النجوم البيضاء) فأصبح كالنهار.

(٦) الصبوح: شرب الخمر صباحاً. وكان مسروراً بشرب الخمر، فلمّا استمرّ شربه إلى الضحى (بعد أن تعلو الشمس فوق الأفق الشرقي) مات (غاب عن الوعي).

التدريجِ قليلاً قليلاً وشيئاً بعدَ شيءٍ. ثمّ يحسُنُ أن نُلاحظَ أنّ أحوالَ الاجتماعِ وخصائصَ الأدبِ لا تغيبُ، عندَ الانتقالِ من عصرٍ إلى عصرٍ، مرّةً واحدةً، بل تبقى منها بَقايا راسبةٌ في المجتمعِ وباديةٌ إلى جانبِ الأحوالِ والخصائصِ الجديدة. ويجوزُ لنا أن نقولَ: إنّ في كلِّ عصرٍ رواسبَ من جميعِ العصورِ التي سَبَقَتْهُ مُفرّقةً في نواحيهِ المُختلفةِ.

ليسَ في ما لَدَيْنا من النِتاجِ الأدبي في عصرِ الأمراءِ المتوارثين ما يدُلُّ على حركةٍ للنقد، ولكن لَعلّنا نَجِدُ رأياً هنا ورأياً هناك، كما قالَ عبدُ الملكِ بنُ حبيبٍ السُلمي (ت ٢٣٨، راجع ترجمته):

والشِعْرُ لا يَسلَسُ إلاّ على فراغِ قلبٍ وآتّساعِ الخُلُقْ!

ومن وجوه النقدِ «المقياس» الذي نقيسُ به الشعرَ الجيّدَ والشعرَ غيرَ الجيّدِ. إنّه الإعجابُ أوّلُ أُسُس النقدِ الفِطْريّ، في مقابلِ النقدِ العِلمي الذي هو منهجٌ ذو قواعدَ قائمة على الأسبابِ والنتائج بعدَ النظرِ في القِطعة المعروضة للنقد. في النقدِ الفِطْريِّ (في الاجتماع وفي الأدب) نُعْجَبُ بالرجلِ فنُحِبُّ كلَّ شيءٍ يصدُرُ منه. أمّا في النقد العِلمي فإنّنا ننظُرُ إلى القِطعة بقَطْعِ النَظَرِ عن صاحِبِها. وقد نَنْقُدُ قطعتَيْنِ لأديبٍ واحدٍ، فتَثْبُتُ إحداهما على النَقْد وتسقُطُ الثانيةُ منها عندَ النظر.

والمُعارضةُ (تقليدُ الشاعرِ لشاعرٍ آخَرَ) وجهٌ من وُجوهِ النقد الفِطْري. أليس هو مَظهراً من مظاهرِ الإعجابِ والحُكْمِ لشاعرٍ بأنّه أحسن؟

نَجدُ لِيَحْيى بنِ حَكَمٍ الغَزالِ (ت ٢٥٠) قصيدةً في الخمر عارضَ بها أبا نواسٍ مُعارضةً قريبةً جِدّاً، قيل إنّها خَدَعَتْ أدباءَ بغدادَ (راجع نفح الطيب ٢: ٢٦٠ - ٢٦١). مِنْ هذهِ القصيدةِ ليحيى الغزالِ:

فلمّا أتَيْتُ الحانَ نادَيْتُ ربَّه فثارَ خفيفَ الروحِ نحوَ ندائي[1].

---

(١) الحان: الحانة (دكّان لبيع الخمر).

قليــلُ هجوع العــين إلاّ تَعِلّــةً على وَجَلٍ منّي ومن نُظرائي[١].
فقُلْـتُ: «أذِقْنيهـا». فلمّـا أذاقها طرحــتُ إليــه رَيْطــتي ورِدائي[٢].
وقلتُ: «أعِرْني بِذْلةً أَسْتَتِرْ بها» بَذَلْتُ له فيها طلاقَ نسائي[٣].

إنّنا لا نُخطِئُ في هذه الأبياتِ نَفَسَ أبي نواسٍ (ت ١٩٩ هـ) ولا ألفاظَه وتراكيبه. فمن مديحِ أبي نواسٍ لهرونَ الرشيدِ قصيدةٌ فيها شيءٌ من الخمر منه:

....إلى بيــتِ حــانٍ لا تَهُرُّ كِلابُه عــــليّ ولا يُنْكِرْنَ طولَ ثَوائي[٤].
فــإنْ تَكُنِ الصَهْبـاءُ أَوْدَتْ بتالدي فلم تُوقِني أُكرومتي وحَيائي[٥].
فما رِمْتُه حتّى أتى دونَ ما حَوَتْ يميني حتّى رَيْطتي وحِذائي[٦]!

لمّا أُخْرِجَ الوزيرُ هاشمُ بنُ عبدِ العزيز من سِجنه ليُساقَ إلى القتلِ (٢٧٣ هـ) كَتَبَ إلى جاريةٍ له اسمُها عاجُ يقول (الحلة السيراء ١: ١٤٠ - ١٤١):

وإنّي عــداني أن أزورك مُطْبِـقٌ وبــابٌ مَنيــعٌ بالحديـد مُضَبَّــبُ[٧].
وفي النفس أشياءٌ أَبيتُ بغَمّها كأنّي عــلى جمر الغَضـا أتقلّــب[٨].
وكَم قائلٍ قال: انْجُ، ويحَك سالماً ففي الأرض عنهم مُستَرادٌ ومذهــبُ
فقلتُ له: إنّ الفرارَ مَذَلَّةٌ ونفسي على الأسواءِ أحْلى وأطيب[٩].

---

(١) التعلة: (الشيء القليل)، ما يحاول الإنسان أن يكتفي به. الوجل: الخوف. النظراء: الأكفاء، المتساوون في المرتبة. (صاحب الحانة يكون غير مسلم. من أجل ذلك يخاف من المسلمين الآتين إليه لئلا يكونوا من رجال الشرطة المتخفّين).

(٢) الريطة: رداء من قطعة واحدة رمن نسج ليّن نفيس غال (دفع ذلك ثمناً للخمر).

(٣) - أقسمت يميناً أن أطلّق امرأتي إذا لم أردّ له تلك البذلة.

(٤) هرّ الكلب: نبح وكشّر عن أنيابه. الثواء: المكث والبقاء.

(٥) أودت به الأحداث: أهلكته. التالد: المال القديم (الموروث). وقاه الأمر: منعه إياه أو دفع الأمر عنه، حماه.

(٦) رمت (بكسر الراء) أريم: تركت (غادرت المكان). أتى دون ما حوت يميني: أخذ منّي كلّ ما كنت أملك.

(٧) عداني: شغلني، منعني. مطبق: السجن تحت الأرض. مضبّب: مقفل بضبّة (بفتح الضاد: حديدة عريضة يشدّ بها الباب إلى الجدار).

(٨) الغضا: شجر شديد الاشتعال والحرارة.

(٩) الأسواء جمع سوء (شرّ).

سأرضي بحُكْمِ الله في ما ينوبُني؛ وما من قضاء الله للمرءِ مهرب[١].

ففي هذه الأبيات نفسٌ جاهليٌّ عليه أثرُ النابغة.

وأحسنُ من أبياتِ هاشمِ بنِ عبدِ العزيز أبياتُ سوّارِ بنِ حَمْدونٍ القيسي: (ت٢٧٧) قال (الحلة السيراء ١: ١٥٠):

ولمّا رأوْنا راجعين إليْهِمُ تَوَلَّوْا سِراعاً خوفَ وَقْعِ المناصلِ[٢].
لقد سَلّ سوّارٌ عليكم مُهَنَّداً يَجُذُّ به الهاماتِ جَذَّ المفاصل[٣].
به قتلَ اللهُ الذين تحزّبوا علينا وكانوا أهلَ إفْكٍ وباطل.

ولكنّ النفس لا يزال جاهليّاً برُغْم الألفاظِ الإسلامية.

زرياب: الغناء

في سَنَةِ ٢٠٧ (٨٢٢ م)، في الأغلب، في مَطْلَعِ عهدِ عبدِ الرحمنِ الأوسطِ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) انتقلَ زِرْيابُ من بَغدادَ إلى قُرطُبَةَ.

كان زِرْيابُ، وهو أبو الحسن عليُّ بنُ نافعٍ[٤]، تلميذَ إسحاقَ الموصليِّ (ت ٢٣٥)، مغنِّياً نابغاً وضارباً على العود قديراً، وَقَعَتْ وَحْشَةٌ بينَه وبينَ أستاذِهِ إسحاقَ في خبرٍ طويلٍ (راجع نفح الطيب ٣: ١٢٢ وما بعد) فغادَرَ بَغْدادَ إلى الأندلس. وحَظِيَ زِريابُ عند الأميرِ عبدِ الرحمنِ الأوسطِ حَظْوَةً عظيمةً وعَلَتْ مكانَتُهُ في المجتمعِ الأندلسيّ وقلّدَهُ الناسُ في كثيرٍ من نَمَطِ حياتِه.

وفي الأندلسِ زادَ زِريابُ أوتارَ عودِهِ وَتَراً خامساً وسَطاً (في المكانِ وفي القوّة) وسمّاه الأوسطَ وجعلَه في وَسَطِ الأوتار الأربعةِ تحتَ المَثْلَثِ وفوق المَثْنى، واتّخذَ

(١) ناب: أصاب.
(٢) المناصل جمع منصل (بضم الميم والصاد): السيف.
(٣) جذّ: قطع. الهامة: الرأس.
(٤) زرياب، تأليف محمود أحمد الحفني (في أعلام العرب، رقم ٥٤)، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) بلا تاريخ؛ نفح الطيب ٣: ١٢٢ - ١٣٥؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٨٠ - ١٨١ (فيه شيء من التحقيق). مجلة «العربي» (الكويت) ٤ ٦٢١ ص ١٠٢.

مِضرابَ العود (الريشةَ التي يُعْزَفُ بها) من الريشِ الكِبار في جَناحِ النسر، بَدَلَ قِطعةِ الخشب المُرْهَفة (المُرقّقة)، لأنّ قطعة الخشب المُرهفة تتشعّثُ فتُحْدِثُ عند الضرب عدداً من النَقَراتِ في وقتٍ واحدٍ.

وكانت وفاةُ زِريابَ في الثاني والعِشرين من صَفَرَ من سَنَةِ ٢٣٨ (١٣/ ٨ /٨٥٢ م) - قبلَ وفاةِ عبدِ الرحمنِ الأوسطِ بأربعينَ يوماً. وقد كانتْ مُدّةُ زِريابَ في الأندلس قريبةً جِدّاً من مُدّةِ عبدِ الرحمنِ الأوسط على عَرْشِ الأندلس. وخَلّفَ زِريابُ ثمانيةَ أبناءٍ وبِنْتَيْنِ يَعْرِفون الغِناء. وكان أبرعَ أبنائهِ في ذلك قاممٌ. وكانتْ حَمدونةُ أبرعَ أولادِ زِريابَ في الغِناء، ولكنّ عُلَيَّةَ عاشَت طويلاً بعدَ حمدونةَ فأخذَ الناسُ عنها من الغناء أكثرَ مِمّا أخذوا عن أُختها وإخوتها.

ولقد كان للغناءِ في الأندلس تأثيرٌ كبيرٌ سنراه عند الكلام على نَشْأة فنّ التوشيح.

عبد الرحمن الداخل

١ - هو أبو المُطَرِّف عبدُ الرحمن بنُ مُعاويَةَ بنِ هشامِ بنِ عبدِ الملك بن مروانَ، وأمُّه بربرية من سَبْي المغرب تُسَمّى راحَ أو رَداحَ. وكان مولدُ عبدِ الرحمن في قريةٍ تُدعى دير حَسَنة قُرْبَ دِمَشْقَ، سَنَةَ ١١٣ (٧٣١ م)؛ وقد تُوُفِّيَ أبوه وتركه صغيراً.

آستطاعَ عبدُ الرحمنِ الداخلُ أن يدخُلَ الأندلسَ ويُعيدَ فيها مُلْكَ بني أميّةَ الذي سَقَط في المَشْرق فبويع له بالإمارة في قُرطُبَةَ يومَ الأضحى من سَنَةِ ١٣٨ (الجُمُعة عاشرَ ذي الحِجّة = ١٣ /٥ /٧٥٦ م). وكانتْ وفاتُه في عاشرِ جُمادى الآخرة من سَنَةِ ١٧٢ (١٥ /١١ /٧٨٨ م) - راجع أحداث حياته السياسية، فوق، ص ٥٤.

٢ - كان عبدُ الرحمن الداخلُ عُمرانيًّا جليلاً ومُهَنْدِساً بارعاً فهُوَ مُصَمِّمُ جامعِ قرطبةَ الشهيرِ رتّب أعْمِدَتَهُ الكثيرةَ على شكلٍ يُمَكِّنُ كلَّ مُصَلٍّ من أن يرى الإمامَ. وقد كانَ قَلْبُ الجامعِ يبدو وكأنّه غابةٌ من النخيل.

لعبدِ الرحمن الداخلِ شِعْرٌ كثير مشهور (البيان المغرب ٢ : ٦٠)، ولكن الذي

وصل إلينا منه قليل جدًّا. وشعره الباقي لنا في الحنين إلى أرض المشرق وفي الحماسة والوصفِ؛ وهو شِعرٌ وُجداني. وله أيضاً رَجَزٌ (راجع «أخبار مجموعة»، ص ١١٧ - ١١٨).

٣ - مختارات من شعره

- لمّا نزل الأمير عبدَ الرحمنِ بمُنْيَةِ الرُصافة (بقرطبة) نظر إلى نخلة فهاجت شَجَنَهُ (حزنه) وتذكّر وطنه فقال:

تبـدَّتْ لنـا وَسْطَ الرُّصافـة نخلـةٌ ... تناءَتْ بأرض الغرب عن بلد النخلِ[١].
فقلـتُ: شبيهي في التغرُّب والنَّوى ... وطولِ التنائي عن بَنِيّ وعن أهلي.
نشأتِ بـأرضٍ أنـتِ فيها غريبـةٌ؛ ... فمثلُكِ في الإقصاء والمنتأَى مثلي.
سَقَتْكِ غوادي المُزْنِ في المنتأَى الذي ... يسُحُّ، ويستَمْري السِماكَيْنِ بِالوَبْل[٢].

- وقال أيضاً في وصف هذه النخلة:

يـا نخـلُ، أنـتِ فريدةٌ مثلي ... في الأرض نائيـةٌ عن الأَهلِ[٣].
تبكي، وهـلْ تبكي مُكمَّمَـةٌ ... عجماءُ لم تُجبَلْ على جَبْلي[٤]؟
ولَوَ انَّهـا عقَلَـتْ إذاً لَبكَـتْ ... ماءَ الفُراتِ ومَنبِتَ النخـلِ[٥].
لكنَّهـا حَرُمَـتْ، وأخرجـني ... بُغْضي بني العبـاس عن أهلي[٦].

---

(١) الرصافة = رصافة (مرفأ للسفن على النهر) قرطبة. تناءت: بعدت.

(٢) غوادي: غيوم تأتي في الصباح. المزن: المطر. المنتأى: المكان البعيد. سحّ المطر: تساقط بكثرة واستمرار. يستمري: يستحلب (يسبّب خروج اللبن من ضرع الناقة أو البقرة) = يسبّب سقوط المطر. السماكين: نجمان في السماء. الوبل: المطر الشديد. يستمري السماكين: (كناية عن الإتيان بمطر كثير).

(٣) فريدة: مفردة، موجودة وحدها.

(٤) كمّت (بالبناء للمجهول) النخلة أخرجت كمامها (بكسر الكاف): العذق (بكسر العين) الذي يكون فيه ثمرها. وكمّت أيضاً: غطّيت (بالبناء للمجهول) حتّى يصبح بلحها تمرا. تبكي (= كأنّها تبكي). عجماء (لا تستطيع الكلام). لم تجبل على جبلي (لم يجعل الله طبيعتها مثيل طبيعتي = طبيعة بشريّة).

(٥) لو كانت تعقل (لو كانت من البشر)... ماء (نهر الفرات) ومنبت النخل (بلاد الشام).

(٦) حرمت بلاد الشام عليَ فتركتها.

٤- صقر قريش، تأليف علي أدهم، القاهرة (مطبعة المقتطف والمقطّم) ١٩٣٨ م.

- صقر قريش، تأليف عبد الرحمن كحيلة (أعلام العرب ٧٦)، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٨ م.

★★ أخبار مجموعة ٤٦ - ١٢٠؛ ابن الفرضي ١١؛ جذوة المقتبس ٩ -١٠؛ (الدار المصرية) ٨ - ١٠؛ بغية الملتمس ٦٥؛ الحلّة السيراء ١: ٣٥ - ٤٢؛ نفح الطيب ١: ٢٨٢ - ٢٨٣، ٣٣٢ - ٣٣٤، ٥٤٥ - ٥٤٦، ٥٥٨ - ٥٦٣ (جامع قرطبة)، ٣: ٢٧ - ٥٥، ٥٨ - ٦٠؛ البيان المغرب ٢: ٤٤ - ٦٠؛ وسوى ذلك من كتب التاريخ العامّة؛ نيكلسن ١٧ - ١٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٨١ - ٨٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ١١٣ - ١١٤ (٣: ٣٣٨).

خُريشٌ الكِنْديّ

١ - هو خُريشُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ خريشٍ الكِنْديُّ، وهُوَ من العَرَبِ (البَدْوِ) الذين ٱنتقلوا إلى إفريقِيَةَ (تونس) قبلَ أن يأتيَ إليها المُسَوِّدةُ (دُعاةُ بني العبّاس). وخَلَعَ خُريشٌ طاعةَ بني العبّاس وٱلْتَفّتْ حولَه جموعٌ من العَرَبِ والبَرْبر فحدّثتْهُ نفسُه بالثورة على إبراهيمَ بنِ الأغلبِ والي تونسَ من قِبَلِ هرونَ الرشيدِ. فبَعَثَ إبراهيمُ بنُ الأغلبِ إليه عِمرانَ بنَ مُجالدٍ فَلَقِيَهُ عِمرانُ في سَبْخةِ تونسَ وقاتله. فٱنهزَمَ خريشٌ وقُتِلَ هو وجماعاتٌ من أتباعه، وذلك سَنَةَ ١٨٦ (٨٠٢ م).

٢ - لخريشٍ الكِنْديِّ شعرٌ ونثرٌ يَجْريان على الخصائص المشرقية.

٣ - مختارات من آثاره

لمّا خَلَعَ خُريشٌ طاعةَ بني العبّاس وثار على إبراهيمَ بنِ الأغلبِ كَتَبَ إلى إبراهيمَ ابن الأغلب:

أمّا بعدُ، فإنّي أقَمْتُ عن الخروجِ قبلَ يومي هذا[1] لأنّي كنتُ أنتظرُ أن تُفْنيَكُمُ الحرب[2]. فلعَمْري، لقد أرانا الله فيكم ما قَوّى به أهلَ دعوةِ الحقّ

(١) أقمت عن الخروج...: تركت القيام بثورة قبل اليوم.

(٢) أن تفنيكم الحرب (بالقتال بين العصبيات، بقتال بعضكم بعضاً).

عليكم[1]. فلمّا وُلِّيتَ أنتَ وعَلمْتَ أنهم مقسومون بينَ خوفٍ منك ورجاء لك عرفتَ قلّةَ طَمَعِهم فيك[2]. ولو كان أحدٌ مِمّنْ وَليَ هذا الثَغْرَ - ممّن لا نرى طاعتَه - يستحقُّ أن نرضى بولايته لكُنْتَ أنتَ..... ولستُ أطلُبُك[3] إنْ خرجتَ عن الثغر، فلا تُرِدْ أن تَصْلى[4] بحربي؛ ولْيَكُنْ رأيُك طلَبَ سلمي. والسلام.

فارجعْ عنِ الغرب أو ألْقِ السلامَ به   لا تَخْتَرِمْكَ المنايا حين تَلْقانا[5].
وسوف تعلمُ أنّ الموتَ يسمع لي   إذا الْتَقَتْ بنَواحي الفَحْص خَيْلانا[6].

٤ - ★ ★ الحلّة السيراء ١: ١٠١ - ١٠٤.

محمّد بن بشير المعافري

١ - هُوَ محمّدُ بنُ سعيدِ بنِ بشيرِ بن شُراحيلَ المُعافريُّ أصلُ أهلِهِ من عَرَبِ مِصْرَ الذين جاءوا إلى الأندلس مَعَ بلْجِ بن بِشْرٍ ونزلوا في تُدْمير. وقدِ ٱنتقل سلفه إلى باجة (جَنوبَ غربيّ الأندلس).

تلقّى محمّدُ بنُ بشيرٍ العلمَ في قُرْطُبَةَ. ثمّ رَحَلَ فَسَمِعَ شيئاً من العلم في مِصرَ. وحجّ ولَقِيَ مالك بن أنسٍ فقيه المدينةِ وسمع منه. ثمّ إنّه عاد إلى بلده باجة. ويبدو أنه جاء إلى قرطبةَ بعد ذلك وأصبح كاتباً للقاضي المُصْعَبِ بنِ عِمرانَ، ثمّ عاد إلى باجة بعد وفاة المصعب.

وٱستدعى الأميرُ الحَكمُ بنُ هشامٍ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) محمّدَ بنَ بشيرٍ وعرض عليه القضاء فأبى في أول الأمر ثمّ عاد فقبل وتولّى الصلاة والقضاء. ثمّ إنّ الحكم عزل

---

(١) أهل دعوة الحقّ: بنو عليّ من (الأدارسة؟).
(٢) عرفت قلّة طعمهم فيك: ضعف أملهم بمحاربتك والتغلّب عليك.
(٣) ولست أطلبك: لا أتقدم وأبدأ بقتالك.
(٤) تصلى بحربي: تذوق طعم حربي (وهزيمتك).
(٥) اخترمته المنيّة (الموت): مات باكراً (شابًّا).
(٦) الفحص: كلّ موضع يُسكن (في منخفض من الأرض؟). وفي المغرب والأندلس عدد من الأماكن تعرف باسم الفحص، نحو فحص البلّوط، الخ. خيلانا: خيلي (فرساني، جنودي) وخيلك.

محمّد بن بشير، ولكن ردّه بعدَ مدّة وجيزة إلى مَنْصِبه.

وكانت وفاةُ محمّدِ بنِ بشيرٍ سَنَةَ ١٩٨ (٨١٣ - ٨١٤ م) في قرطبة.

٢ - كان محمّدُ بنُ بشيرٍ من القُضاة المتشدّدين في الحقّ حتّى أنه ردّ شهادة الأمير الحكم بن هشام، كما كان قليلَ الاهتمامِ بأحوالِ الدنيا ثمّ لم يكن يبالي بمن يمدَحُه ولا بِمنْ يذمّه. وكان أديباً له أبياتٌ فيها شيءٌ من الشَكوى والنُكْتة.

٣ - مختارات من شعره.

إنما * أزرى بقَدْري أنّني ... لَسْتُ من بابَةِ هذا البلدِ[1].
ليس منهم غَيْرُ ذي مَقْلِيَةٍ ... لذوي الألباب أو ذي حسد[2].
يَتَحامَوْنَ لقائي مِثْلَما ... يتحامَوْنَ لِقاءَ الأسد.
مَطْلَعي أثقَلُ، في أعْيُنِهِم ... وعلى أنْفُسِهِمْ، من أُحُد[3].
لَوْ رَأَوْني وَسْطَ بحرٍ لم يكن ... أحَدٌ يأخذُ منهم بِيَدي[4].

** بغية الملتمس ٥١ - ٥٣ (رقم ٦٩) قضاة الأندلس ٣٧ - ٥٣؛ المغرب ١ : ١٤٤ - ١٤٥؛ التكملة ١ : ٩٠؛ نفح الطيب ٢ : ١٤٣ - ١٤٩؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٧٧ (٥٢).

جودي بن عثمان

جودي بنُ عُثمانَ العبسيّ الموروريّ، من مُولّدي الأندلسِ، وُلِدَ في طُليطلة ثمّ سكن مَوْرُورَ، وكان مولًى لآل طَلحةَ العبسيّين.

ذَهَبَ جودي إلى غَرناطةَ فدَرَسَ النحوَ ثمّ رَحَلَ إلى المشرق فَلَقِيَ الكِسائيَّ (ت ١٨٨) والرُؤاسيّ (ت ١٩٠) والفرّاء (ت ٢٠٧) وغيرَهم. وهو أوّلُ من أدخلَ كتابَ

(*) تروى لمؤمن بن سعيد (ت ٢٦٧ هـ - راجع تحت ص ١٢٣).
(١) أزرى: عاب (انحطّ بقدري، خفض منزلتي). بابة: نوع، صنف، مستوى (أنا أعلى منهم منزلة).
(٢) مقلية: بغض.
(٣) أحد: جبل قرب المدينة.
(٤) ما كان أحد منهم يريد انتشالي (انقاذي).

الكِسائيّ إلى الأندلُسِ فنَقَلَ تعليمَ العربيةِ (النحو) من مذهبِ البَصْريّين إلى مذهب الكوفيّين (راجع الجزء الثاني)، وخصوصاً مذهبَ سِيبويهِ (ت ١٨٠). وكان أهلُ الأندلُس من قبلُ يدرسون اللغةَ والنحو في النصوص من غيرِ أن يكون لهم كُتُبٌ ذاتُ منهجٍ معيّن (مقسّمة أبواباً وموضوعاتٍ). ثمّ إنّ جودي ألّفَ كتاباً في النحو.

وكان جُودي لمّا عاد من المَشْرِقِ قد سكن في قرطبةَ وتصدّر فيها للتعليم، وكان يؤدّبُ أولادَ الأمراء المتوارثين.

وتوفّي جودي بنُ عثمانَ في قرطبةَ سَنَةَ ١٩٨ هـ (٨١٣ - ٨١٤ م).

★★ الزُبيدي ٢٧٨ - ٢٧٩؛ معجم الأدباء ٧: ٢١٣ - ٢١٤؛ إنباه الرواة ١: ٢٧١ - ٢٧٢؛ بغية الوعاة ٢١٣ - ٢١٤؛ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٢: ٥٧٤ - ٥٧٥.

الغازي بن قيس

كان أبو محمّدٍ الغازي بنُ قيسٍ مُولّداً من أهلِ الأندلس. ولمّا دَخَلَ عبدُ الرحمن ابنُ معاويةَ إلى الأندلس (سنة ١٣٨) كان الغازي بنُ قيسٍ يشتغلُ بالتأديب (التعليم) في قرطبة. ثمّ إنّه رَحَلَ إلى المشرق ثمّ عاد إلى الأندلس في أيام عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢ هـ).

وأدْرَكَ الغازي بنُ قيسٍ - في رحلته إلى المشرق - الأصمعي (ت ١٥٥) وروى عن الأوزاعي (ت ١٥٧) وشَهِدَ مالكَ بنَ أنسٍ (ت ١٧٩) وهُوَ يُؤلِّفُ الموطّأ ورواه عنهُ وحَفِظَهُ وقيل إنّ الغازي بنَ قيسٍ أولُ من أدخلَ كتابَ الموطّأ إلى الأندلس، كما أدْرك نافعَ بنَ عبدِ الرحمن و(ت ١٦٩) أحدَ القُرّاء السبعة (للقرآن الكريم) وقرأ عليه وأدخل قراءته إلى الأندلس.

ولمّا دخلَ الأميرُ عبدُ الرحمن إلى الأندلس (١٣٨ هـ) وجدَ فيها يحيى بنَ يزيدَ اللَخْميَّ قاضياً فأثبته على القضاء ولم يَعْزِلْهُ إلى أن مات (النباهي ٢١). فيقال إنّ الأميرَ عبدَ الرحمن أراد أن يُعيّن للقضاء الغازيَ بنَ قيسٍ فأبى الغازي فولّى عبدَ الرحمن عندئذ مُعاويةَ بن صالحٍ الحَضْرميّ الحِمْصي (ت ١٦٨).

ثم إنَّ الأميرَ هِشامَ بنَ عبدِ الرحمن (١٧٢ - ١٨٠ هـ) والأميرَ الحكَم بنَ هشامٍ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) جعَلاه مؤدّباً لأولادِهما.

وكانت وفاةُ الغازي سَنَةَ ١٩٩ (٨١٤ م) وقد أسنّ في الغالب.

** الزبيدي ٢٨٦ - ٢٨٧، ابن الفرضي ١ : ٣٨٧ (رقم ١٠١٥)؛ جذوة المقتبس ٣٠٥ (الدار المصرية) ٣٢٤ (رقم ٧٤٨)؛ بغية الملتمس ٣٢٥ (رقم ١٢٧٢)؛ بغية الوعاة ٣٧١؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٣٠١ (١١٣).

أبو المُخَشّى

١ - هو أبو يحيى عاصمُ بنُ زيدِ بنِ يحيى بن حنظلةَ بن علقمة بن عديّ بن زيدٍ التميميُّ العِباديُّ المعروف بأبي المُخَشّى، دخل أبوه إلى الأندلس معَ جُند الشام، في أواخر سنة ١٢٣ (خريف ٧٤١ م)، ثمّ نزل بقرية شَوْش.

ويبدو أن أبا المُخشّى نفسه قد وُلد في الأندلس فنشّأه أبوه على قول الشعر، فشبّ شاعراً وٱنقطع إلى سليمانَ بنِ عبد الرحمن بن معاوية، ومدحه مرّة بقصيدة منها:

وليس كمِثْلِ مَنْ إنْ سِيم عُرفاً ... يُقَلِّبُ مُقْلةً فيها ٱزْورارُ!

فغيظَ هشامُ بن عبد الرحمن من قول أبي المخشى - لأنّه كان أحولَ، كما كانت بينه وبين أخيه سليمانَ وَحْشةٌ - فأمر بأبي المخشى فسُمِلت عيناه. فنظم أبو المخشى قصيدةً جاء بها إلى الأمير عبد الرحمن، فرقّ له عبد الرحمن وأعطاه ألْفَيْ دينارٍ (ضِعفَ دِيَة العينين).

وكانت وفاة أبي المخشى في أيام الأمير الحكَم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ).

٢ - أبو المخشى من فحول الشعراء المتقدّمين في الأندلس مقتدرٌ على قول الشعر، بَدْويّ الأسلوب واضحُ المعنى سهل الألفاظ والتراكيب. كان مدّاحاً كثير الفخر جَسوراً على الأعراض. وقد هاجى شاعراً ٱسمه ٱبنُ هُبيرة (المغرب ٢ : ١٢٤) وكان هجاءُ كلّ واحدٍ منهما لخصمهِ مُقذِعاً. وهو حسنُ الوصفِ، وقدِ اشتهر بقصيدة طويلة قالها في العمى بعد أن سَمَلَ هشامٌ عينيه. وله رَجَزٌ أيضاً.

٣ - **مختارات من شعره**

مطلع القصيدة التي قالها أبو المُخشّى في العمى:

خضعَــتْ أُمُّ بنــاتي لِلعــدَى ... أَن قضى الله قضــاءً فمضى.
ورأَتْ أَعمَــى ضريراً إِنمــا ... مشيُهُ في ٱلأَرْض لَمْسٌ بالعصا.
فٱستكانَــتْ ثم قالــت قَوْلــةً، ... وَهْيَ حَرَّى، بلغَتْ منّي المَدَى[1].
ففؤادي قَرِحٌ من قَوْلهـــا: ... ما مِن الأَدواءِ داءٌ كالعَمَى[2].
وإذا نــال العمــى ذا بَصَرٍ ... كان حيّاً مثلَ مَيْتٍ قد ثَوى[3].
وكـــأنّ الناعمَ المسرورَ لم ... يَكُ مسروراً إذا لاَح الرَدى[4].

- وقال في مقاساة الهموم:

وهَمٌّ ضافـــني في جَوْف يَمٍّ ... كِـلا مَوْجَيْها عِنـدي كبـيرُ[5].
فبِتْنــا والقلوبُ مُعَلّقــاتٌ ... وأجْنِحـةُ الرياحِ بنـا تَطـير[6].

٤ - ★ ★ جذوة المقتبس ٣٧٧ (الدار المصرية) ٤٠١ - ٤٠٢ (رقم ٩٥٢ أو ٩٥٣)؛ بغية الملتمس ٥١٣ (رقم ١٥٤٣)؛ المغرب ٢: ١٢٣ - ١٢٤؛ الذيل والتكملة ٥: ١٠٢ - ١٠٣؛ نفح الطيب ٤: ١٦٧؛ نيكل ١٩.

الحكم الربضيّ

١ - هو أبو العاصِ الحَكَمُ الرَبَضيُّ بنُ هشامِ الرَضِيِّ بنِ عبدِ الرحمنِ

---

(١) استكان: خضع وذلّ. حرّى: شديدة الحرّ (من الحزن). قولة بلغت منّي المدى: أثّرت فيّ (أحزنتني كثيراً). المدى: الغاية.
(٢) قرح = مقروح (فيه قرحة بالضمّ) مجروح.
(٣) ثوى: مكث في الأرض، هلك.
(٤) الردى: الموت.
(٥) ضافني: نزل عندي ضيفاً. يم: بحر (من الهموم). كلا موجيها: موج اليم (البحر) وموج بحر الهموم (يبدو أن الشاعر كان يخاف ركوب البحر).
(٦) بتنا: قضينا الليل (في بحر الماء). القلوب معلّقات (مضطربات) بين الخوف والاطمئنان.

الداخلِ - وأُمّه أُمّ وَلدٍ ٱسمُها زُخرفُ- وُلِدَ سَنةَ ١٥٤ (٧٧٠ م)، وهو الابنُ الثاني لهشامٍ الرضيّ، قَدّمَه أبوه على أخيه البِكْرِ عبدِ الملك في ولايةِ العهد. بُويعَ بالحُكْمِ في رابعِ صَفَرَ ١٨٠ (١٨ / ٤ /٧٩٦).

لمّا جاء الحَكَمُ إلى الحُكْمِ نازَعَه أخَواه سُليمانُ وعبدُ الله وثارا عليه. أمّا سُليمانُ فقُتِلَ (١٨٤ هـ). وأمّا عبدُ الله فلم يكن صُلْبَ العودِ كأخيه سُليمانَ، فلمّا قُتِلَ سليمانُ طَلَبَ عبدُ الله الأمانَ من أخيه الحَكَمِ فأمّنه وفَرَضَ عليه الإقامةَ في بَلَنْسِية، فعُرِفَ مُنذُ ذلك الحينِ بالبَلَنْسِيّ. ثمّ استمرّ عبدُ الله البلنسي على الطاعة فكان أخوهْ الحَكَمُ يُرْسِلُه لإخضاعِ الثائرين أو لغَزْوِ بلاد الفِرنجة (الإسبان).

ومُنذُ مطلعِ إمارةِ الحَكَمِ بدأتْ عليه الثَوْراتُ في سَرَقُسْطَة وطُلَيْطُلَة ومارِدَةَ وغيرِها. ولكنّ أعظمَ الفِتَنِ في أيامه كانت في رَبَضِ قُرطبةَ (الضاحية الجَنوبية منها) وفي طليطلة:

كان هِشامٌ الرضيُّ (والدُ الحكم) تقيّاً حليماً فكان للفُقَهاء في أيامه نفوذٌ كبير. أمّا الحَكَمُ فكان أيضاً تقيًّا يُقرِّبُ إليه العُلماءَ والفقهاء، ولكنّه كان حازماً شديداً على المخالفين له قاسياً في مُعاملة خصومه. فٱجتمع عَمّاه مَسْلَمَةُ وأُمَيَّةُ (ٱبنا عبدِ الرحمن الداخل) والفقيهان يحيى بنُ يحيى الليثي وطالوتُ بن عبدِ الجبّار وأخذوا يُثيرون عليه العامّةَ. ثمّ نُقِلَ إليه أنّهم كانوا يريدون خَلْعَه. ويبدو أن الدُعاةَ الفاطميّين والدعاةَ العبّاسيّين كانوا وراءَ هذه الحركة. فلمّا حَدَثَتِ الثورةُ عليه بِرَبَضِ قُرطبةَ أخضع الثائرين بقَسْوة وأمر بقتلِ ٱثْنَيْنِ وسبعينَ من رؤسائهم.

ومن أخطاء الحَكَم أنّه اتّخذ بعدَ هَيْجَة الرَبَضِ الأولى حَرَساً من نصارى الأندلس وجعل القائد عليهم القُومسَ ربيعةَ بنَ تيودولفو (النصراني)، فكان هؤلاءِ أيضاً يَكيدون له. فحدثتْ في الرَبَضِ هَيْجةٌ ثانية (في رمضان سَنةَ ٢٠٢) فكان القضاء عليها أشدَّ قسوةً إذ قتل الحَكَمُ جماعة من أهل الرَبَض ونفى آخرين عن الأندلس. من أجل ذلك عُرِفَ بلقب «الربضي»:

وكذلك كان أهلُ طليطلةَ كثيري الفِتَن فدبّر الحَكَمُ لهم مكيدةً ثم أوْقَع بهم (١٩١

هـ) وَقْعَةٌ عُرِفَتْ باسم يوم الحُفرة.

وكَثُرَتْ غَزَواتُ الحكم للبلاد التي كانت باقيةً في يد الإسبان. إنّ البابويّة والإفرنْجَة وصلوا أَيْدِيَهُمْ بأيْدي نصارى الأندلس وأخذوا يُهاجمون البُلدان الإسلامية. وكان شارلمانُ مَلِكُ فرنسةَ وإمبراطورُ الغَرْبِ (ت ٨١٤ م = ١٩٩ هـ) يقود الحَمَلات على شَماليّ الأندلس بنفسِه، فكان الحَكَمُ يرسلُ الجيوشَ لغزو البلاد الخاضعة للأمراء الإسبان أو للفرنجة في شماليّ الأندلس. وفي سَنَةِ ١٨٥ سقطتْ بَرْشَلونةُ في يدِ شارلمان.

وكانت وفاة الحكم في آخر سَنَةِ ٢٠٦ هـ (ربيع ٨٢٢ م).

٢ - كان الحَكَمُ حازماً، ولكنّ حزمَهُ كان يبلُغُ به أحياناً إلى حدّ القَسْوة. غير أنه كان عادلاً. وهو أوّلُ من اتّخذ المرتزقةَ من غير المسلمين، من النصارى والوثنيّين (من الإسبان والفِرنجة والجِرمان وسواهم) وكان يسمّيهم «الخُرْسَ» (لعُجْمَتِهم: لجهْلِهمُ اللغةَ العربية). ولم يقتصرِ اعتمادُه على العرب، بل قَرّبَ إليه العربَ والبربرَ والمُوَلّدين (المسلمين من أهل الأندلس الأصليّين) والصقالبة (السلاف، سكان شرقيّ أوروبّة)، وإن كانتْ كلمة «صقالبة» تُطلَقُ في الأندلس على جميع الأوروبيّين غير المسلمين مِمّنْ دخلوا في الجيش الأندلسيّ خاصّة. وفي أيام الحكم بدأتِ العصبيةُ العربية تضعُفُ إذ كَثُرَ في أيامه اختلاطُ العرب بالمولّدين من طريق الزَواج.

وكان الحَكَمُ «أديباً مُفْتَنًّا (كثيرَ التفنّن): خطيباً مُفوَّهاً وشاعراً مجوِّداً تُحذَرُ صَوْلاته وتُسْتَنْدَرُ أبياتُه» (الحلّة السيراء ١ : ٤٣). ومُعْظَمُ شِعرهِ الحماسةُ والنسيب والوصف.

٣ - مختارات من شعره

للحكم الربضيّ شيء من النسيب منه:

ظَــلَّ من فَرْطِ حُبّــهِ مَمْلوكــاً ولقــد كــان قبــلَ ذاك مَليكــاً.

إنْ بكى أو شكا الهوى زِيدَ ظُلْماً   وبُعاداً يُدني حِماماً وَشيكاً[١].
تركَتْــه جــآذِرُ القَصْرِ صَبّــا   مُسْتهاماً على الصَعيد تَريكا[٢].
يجعَـلُ الخَـدَّ ماثِـلاً فوقَ تُرْبِ   وهْوَ لا يرتضي الحَريرَ أريكا[٣].
هكذا يحسُنُ التذلُّلُ بالحُرّ   إذا كـان في الهوى مملوكـا .

وكانتْ له خمسُ جَوارٍ مُصْطَحباتٌ مُتّفقات. ولَعلّه أغارَهُنّ يوماً فاتّفَقْنَ على أن يُظْهِرْنَ له شيئاً من الدَلال والتَمَنُّع، فقال:

قُضْبٌ مِنَ البانِ ماسَتْ فوق كُثْبانِ   وَلَّيْنَ عَنّي وقد أزْمَعْنَ هِجْراني[٤].
ناشَدتُّهُنّ بِحَقّي فاعْتَزَمْنَ على الـ   ـعِصْيانِ حتّى حَلا مِنْهنّ عِصْياني[٥].
مَلَكْنَني مُلْكَ مَنْ ذَلّت عزائِمُه   للحُبّ ذُلَّ أسيرٍ مُوثَقٍ عان[٦] .
مَنْ لي بِمُغْتَصِباتِ الروح من بَدَني   يَغْصِبْنَني في الهوى عِزّي وَسُلطاني!

- وقال بعد أن قضى على الفتنة في الربض:

رأيْتُ صُدوعَ الأرض بالسَيْفِ راقعاً،   وقِدْماً لأَمْتُ الشَعْبَ مُذْ كُنْتُ يافِعا[٧]
فسائـلْ ثُغوري هـلْ بها اليومَ ثُغْرَةٌ   أُبادِرُها مُسْتَنْضِيَ السيفِ دارعا[٨].

---

(١) الحِمام: الموت. وشيك: قريب.
(٢) الجؤذر (بضمّ فسكون فضمّ): الغزال الصغير (الفتاة الجميلة). الصبّ: المحبّ. المستهام: الذي كاد يجنّ من شدّة الحب. الصعيد: الأرض. التريك: عنقود (العنب) أو عذق (بكسر العين) النخل إذا جرّد من ثمره (شيء متروك لا قيمة له).
(٣) الماثل (الواقف - الموضوع). الأريكة: الكرسي الفاخر، العرش.
(٤) القضيب (كناية عن القامة الجميلة) البان: شجر أغصانه تامّة الاستقامة. ماس: تمايل. الكثيب: تلّة الرمل (كناية عن عجيزة المرأة أو ردفيها). ولّى: ذهب، انصرف، مال. أزمع: قصد.
(٥) حلا منهنّ عصياني: أحببت عصيانهنّ لي.
(٦) موثق: مقيّد. العاني: الذليل، الأسير.
(٧) الصدع (بالفتح): الشقّ. رأب (أصلح الشقّ بالجمع بين جزئيه). لأم: رأب. الشعب (بالفتح) الانفراج بين جبلين (الشقّ). اليافع: الذي لم يبلغ الحلم بعد.
(٨) الثغر: المكان الذي يخشى مجيء العدوّ منه. ثغرة: انفراج في سياج ونحوه. نضا السيف: أخرجه من قرابه. الدارع لابس الدرع.

تُنَبِّئُكَ أني لم أكُنْ في قِراعِهِمْ ... بِوانٍ، وقِدْماً كُنْتُ بالسيفِ قارعا(١).
وإنّي إذا حادوا حِذاراً من الرَدى ... فَلَسْتُ أخا حَيْدٍ عنِ الموتِ جازعا(٢).
حَمَيْتُ ذِماري فانْتَهَكْتُ ذِمارَهم؛ ... ومَنْ لا يُحامِ ظلّ خَزْيانَ ضارعا(٣).
ولمّا تَساقَيْنا سِجالَ حُروبنا ... سَقَيْتُهُمُ سَجْلاً من الموتِ ناقعا(٤).
وهَلْ زِدتُ أنْ وَفّيْتُهُمْ صاعَ قَرْضِهِمْ ... فلاقَوْا مَنايا قُدِّرَتْ ومَصارعا(٥).
فهاكَ بِلادي، إنّني قد تَركْتُها ... مِهاداً ولم أترُكْ عليها مُنازعا(٦).

٤ - ★ ★ أخبار مجموعة ١٣٢ - ١٣٣؛ ابن الفرضي ١ : ١٢؛ جذوة المقتبس ١١ (الدار المصرية) ١٠، الحلة السيراء ١ : ٤٣ - ٥٠؛ المغرب ١ : ٣٨ - ٤٥؛ البيان المغرب ٢ : ٦٨ - ٨٠؛ فوات الوفيات ١ : ١٨٧ - ١٨٨؛ نفح الطيب ١ : ٣٣٨ - ٣٤٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٣ - ٧٤؛ نيكل ١٩ - ٢١، مختارات ١١ - ١٢؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٩٧ (٢٦٧ - ٢٦٨).

غربيب الطليطلّي

١ - هو أبو عبدِ الله غَرْبيبُ بنُ عبد الله الثَقَفي المعروف بالقُرْطبي (نفح الطيب ٤ : ٣٣٢) والمشهور بالطُليطُلي، كان ذا طُغيانٍ وذا استخفاف بالعُمّال (ولاة البلدان) أسنَدَ إليه أهلُ طُليطُلَةَ أمرَهم. ثمّ إنّه ثار في قرطبةَ واستفحل أمرُه. وكانتْ وفاتُه (المقتبس ٧٦) سَنَةَ ٢٠٧ (٨٣٢ م).

٢ - غَرْبيبُ بن عبد الله شاعرٌ قديم مشهورُ الطريقةِ في الفضل والخير والزهد. وكان الناسُ يتداولون شيئاً من شعره.

---

(١) القراع: الضرب بالسيف. الواني: الضعيف.
(٢) (إذا الملوك) حادوا (مالوا) حذار (حذر: خوف) الردى (الموت).
(٣) الذمار: ما تجب على الإنسان حمايته. الضارع: الضعيف.
(٤) السجل: الدلو العظيم. الناقع: (سمّ) شديد قاتل.
(٥) وفّيتهم صاع قرضهم (دينهم - بفتح الدال): قاتلتهم قتالاً مثل قتالهم لي.
(٦) مهادا: مستوية، مستقرّة، هادئة.

٣ - مختارات من شعره

- جاء في نفح الطيب (٤ : ٣٣٢) من شعر غَربيبِ الطُليطليّ:

أيّهــا الآمِــلُ مــا ليس لــهُ   طالمــــا غرَّ جهولاً أملُـــهْ.
رُبّ مَنْ بـــات يُمنِّـــي نفسَه   خانَه، دونَ مُناهُ، أجلُه.
وفتًـــى بَكّرَ في حاجاتِـــه   عاجلاً، أعْقَبَ رَيْثاً عَجَلُهْ!
قـــل لمن مَثّـــلَ في أشعـــارِه: يذهَبُ المرءُ ويبقى مَثَلُه:
نافِسِ المُحْسِنَ في إحسانِـــه،   فَسَيَكْفِيكَ مُسِيئاً عَمَلُه!

٤ - ★ ★ المغرب ٢ : ٢٣ - ٢٤ ؛ جذوة المقتبس ٣٠٧ ؛ بغية الملتمس ٤٢٨ (رقم ١٢٨١)؛ الذيل والتكملة ٥ : ٩٩٥ (ص ٥٢٢)؛ نفح الطيب ٤ : ٣٣٢ ؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٤٢ .

شبطون

هُوَ أبو عبدِ اللهِ زيادُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ زيادٍ اللَخْميُّ المعروفُ بشَبْطونٍ، من أهلِ قرطبة، سَمِعَ من حَمِيهِ معاويةَ بنِ صالحٍ الحِمْصِيّ (ت ١٥٨) ثمّ رَحَل إلى المشرق فسمع الموطّأ من الإمامِ مالكٍ (ت ١٧٨) في المدينة كما سَمِعَ من سُفيانَ بن عُيَيْنَةَ (ت ١٩٨) في مكّة. وسمع في مِصْرَ من الليث بن سعدٍ (ت ١٧٥).

وشبطونٌ هو الذي أدخلَ الموطّأ إلى الأندلس مُكَمَّلاً مُتْقَناً ونشر فيها المذهبَ المالكيَّ - وقيل أولُ من فعل ذلك (ص ٨٦) الغازي بنُ قيسٍ (ت ١٩٩) - وكان أهل الأندلس يتفقّهون من قبلُ على مذهبِ أبي عمرٍو عبدِ الرحمنِ الأوزاعيّ (٨٨ - ١٥٧ هـ)، أو على مذهبِ أهلِ الحديثِ في الأصحّ.

وأبى شبطونٌ في أولِ الأمر - في أيام هشام بن عبد الرحمن (ت ١٨٠) - أن يتولّى القضاءَ ثمّ تولّى - فيما يبدو - قضاء مدينة طُلَيْطُلة. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٢١٢ (٨٢٧ م) في الأغلب.

** جذوة المقتبس ٢١١ (الدار المصرية) ٢٣٨ (رقم ٥٠٤)؛ بغية الملتمس ٣٠٤ (رقم ٨٤٤)؛ الديباج المذهب ١٢٧؛ نفح الطيب ٢: ٤٥ - ٤٦. شذرات الذهب ١: ٣٣٩ - ٣٤٠.

إدريس الأصغر

١ - في سَنَةِ ١٤٥ (٧٦٢ م) ثار محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ الحَسَن المُثنّى بنِ الحسنِ بن عليّ بن أبي طالب (وكان محمّدٌ يُلقّبُ: النفسَ الزكيةَ) في المدينة (الحِجاز) على أبي جعفرٍ المنصور العبّاسيّ وتسمّى «محمّداً المَهْديَّ». ولكنّه قُتِلَ وشيكاً. فثار أخوه إبراهيم في البصرةِ (العراق) في أواخر ١٤٥ (أوائل ٧٦٣ م) فقُتِلَ أيضاً.

وفي سنة ١٦٩ (٧٨٦ م) ثارَ الحُسينُ بن عليّ بن الحسنِ المثلّث بنِ الحسنِ المثنّى بن الحسنِ السِبْط بن عليّ بن أبي طالب في المدينة في جماعة من أهلِه وأنصاره ولكنّه انهزم في وقعة فَخّ (على ثلاثة أميال من مكّة) في تاسعِ ذي الحِجّة من سنة ١٦٩ (١٢/ ٦/ ٧٨٦ م) وقتل. وكان ممّن نجا من القتل في تلك المَعْرَكة إدريسُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسن المثنّى فهَرَبَ إلى المَغْربِ الأقصى فنَصَرَهُ البربرُ واجتمعوا عليه وبايعوه في مدينة وَلّيلي وهي قاعدةُ جبلِ زهرون (ولعلّها المسمّاة اليوم «قصرَ فرعون»)، وذلك في رابعِ رَمَضانَ من سنَة ١٧٢ (٦/ ٢/ ٧٨٩ م). واتّخذ مستناراً مولى له اسمُه راشدٌ.

ولمّا اتّسعَ مُلكُ إدريسَ في المَغْربِ غِيظَ العبّاسيّون فأرسلوا إليه سُليمانَ بنَ جريرٍ المعروفَ بالشمّاخ. فاتّصل سليمانُ بإدريسَ ونال عنده مكانةً ثمّ احتال في سَمّه بقارورةٍ من طِيب. وكانت وفاة إدريس في فاتحِ (أولِ) ربيعِ الآخِرِ من سَنَةِ ١٧٧ (١٥/ ٧/ ٧٩٣).

وكان للمولى (الإمام الخليفة) إدريس جارية بربرية اسمها كَنْزةُ مات عنها وهي حُبلى. فقام راشدٌ بتدبير أمرِ البلاد. وفي ثالثِ رَجَبَ من سنَة ١٧٧ (١٤/ ١٠/ ٧٩٣ م) وَضَعَتْ كنزةُ غُلاماً سُمّي إدريسَ وعُرِفَ بإدريسَ الأصغرِ (أو الأزهر)، وقام راشدٌ بتدبير أمرِ إدريسَ الأصغر. ويبدو أنّ العبّاسيّين قدِ آستطاعوا أن يَدسّوا إلى راشدٍ من يقتُلُهُ، سنة ١٨٦ هـ (٨٠٢ م) فقام بكفالةِ إدريسَ عندئذٍ أبو خالدٍ يزيدُ آبنُ الياسَ العَبْدِيّ.

ولمّا بَلَغَ إدريسُ الأصغرُ الحادية عَشْرَةَ بايعه البربرُ خليفةً لأبيه، في غُرّةِ ربيعِ الأوّلِ من سنة ١٨٨ (١٨/ ٢/ ٨٠٣ م).

وضاقتْ مدينةُ وَلِيلي بالناسِ فشرع إدريس الأصغر ببناء مدينةِ فاسَ في سنة ١٩٢ (٨٠٨ هـ) وجعَلها عُدْوَتَيْنِ (جانبين): عدوة الأندلسيّين نَزَلَ فيها من وَفَدَ عليه من الأندلس وعدوةَ القَرَوِيّين نزل فيها من جاء إليه من مدينة القَيْروان، وبنى في كلّ عدوةٍ جامعاً.

وما زال إدريسُ الأصغرُ جادًّا في توسيع رُقعة ملكه وفي نشر العُمران حتّى كانت وفاتُه في ثاني جُمادى الآخِرةِ من سَنَةِ ٢١٣ (١٨/ ٨/ ٨٢٨ م) في إبّانِ شبابه.

٢ - يبدو أنّ إدريسَ الأصغرَ كان كثيرَ الذكاء حتّى استطاع أن يَتَثَقَّفَ ويخطُبَ الخُطَبَ البليغةَ ويقول الشعرَ المتينَ في الحادية عَشْرَةَ من العُمُر (ولعلّ بعضَ ذلك منسوبٌ إليه). ثمّ إنّه كان قديراً جَواداً ومُصْلحاً عُمرانيًّا. وأكثرُ شِعْرِ إدريسَ الأصغرِ يدورُ على الحماسة والفخر والأدب (الحكمة). وأمّا نثرُهُ فخُطَبٌ فيها التأكيدُ على حقّ أُسرتِه في المُلكِ لصِلَتِها برسولِ الله، وفيها أشياءُ من النُّصح الدينيّ والسياسة الإدارية.

٣ - مختارات من آثاره

- لما فَرَغَ إدريسُ من بناء مدينة فاسَ وحضرتِ الجُمعة الأولى، خطب خُطْبَةً قال في آخرها:

اللّهُمَّ، إنّك تعلَمُ أنّي ما أردتُّ ببناءِ هذه المدينةِ مُباهاةً ولا مُفاخرةً ولا رِياءً ولا سِمْعَةً ولا مُكابرةً، وإنّما أردتُّ أن تُعْبَدَ بها ويُتلى بها كِتابُك وتُقام بها حُدودُك وشرائعُ دينِكَ وسُنّةُ نَبيِّكَ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم ما بَقِيَتِ الدنيا. اللّهُمَّ، وَفِّقْ سُكّانَها وقُطّانَها للخيرِ وأعِنْهُمْ عليه واكْفِهِمْ مَؤونَة أعدائهم وادْرِرْ عليهِمُ الأرزاقَ وأغْمِدْ عنهم سيفَ الفِتنة والشِّقاق. إنّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

- قِيلَ لمّا بُويع إدريسُ الأصغرُ بالخِلافة خَطَبَ الناسَ فقال:

الحمدُ للهِ أحْمَدُه وأسْتَغفِرُه وأستعينُ به وأتوكّلُ عليه وأعوذُ به من شرِّ نفسي ومن شرِّ كلّ ذي شرٍّ. وأشهَدُ أن لا إلَهَ إلاّ اللهُ وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلى الثَقَلَينِ[١] بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنِه وسِراجاً مُنيراً[٢] صلّى الله عليه وعلى آلِ بيتِه الطاهرينَ الذين أذْهَبَ اللهُ عنهُمُ الرِجسَ وطَهّرهم تطهيرا[٣]. أيُّها الناسُ، إنّا قد وَلِينا هذا الأمرَ الذي يُضاعَفُ فيه للمُحْسِنِ الأجرُ و(يضاعف) على المُسيء الوِزرُ. ونحنُ، والحمدُ للهِ، على قَصْدٍ[٤]، فلا تَمدّوا الأعناقَ[٥] إلى غيرِنا فإنّ الذي تطلُبونه من إقامةِ الحقِّ إنّما تَجِدونه عندنا.

- وقال إدريسٌ الأصغرُ يخاطب البُهلولَ بنَ عبدِ الواحد المُدْغريَّ ويُحذّره من الخروج عنِ الطاعةِ ومن أنْ يسمعَ كلامَ إبراهيمَ بنِ الأغلب:

كأنّك لم تسمَعْ بمكرِ ابنِ أغلبٍ ... وما قد رَمى بالكَيْدِ كلَّ بلادِ.
ومِنْ دونِ ما منّتْكَ نفسُكَ خالياً ... ومَنّاك إبراهيمُ خَرْطُ قَتاد[٦]!

- وكتب إلى إبراهيمَ بنِ الأغلب يدعوه إلى الطاعة:

أُذَكِّرُ إبراهيمَ حقَّ محمّدٍ ... وعِتْرتهِ، والحقُّ خيرُ مَقول[٧].
وأدْعوه للأمرِ الذي فيه رُشْدُه، ... وما هو -لولا رأيُه- بجَهول.
فإنْ آثرَ الدُّنيا فإنّ أمامَه ... زلازلَ يومٍ للعِقاب طويل!

(١) الثقلان: الانس (بكسر الهمزة) والجّن.
(٢) القرآن الكريم ٣٣: ٤٦، سورة الأحزاب.
(٣) القرآن الكريم ٣٣: ٣٣، سورة الأحزاب.
(٤) قصد: اعتدال.
(٥) مدّ عنقه: نظر إلى ما عند الآخرين، طمع، ثار.
(٦) القتاد: نبات له شوك قاس. الخرط: نزع الورق من الغصن بأن تمسك أعلى الغصن بيد ثمّ تحاول أن تجرد ورقه بالمرور بقبضتك عليه. دون ذلك خرط القتاد (أي مشقّة عظيمة).
(٧) العترة: قوم الرجل وعشيرته.

٤ - ★ ★ ★ كتب التاريخ عامة. وتحسن مراجعة تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير (يهتدى بفهرسيها). ثمّ أنظر مقدّمة ابن خلدون ٣٨ وما بعد، ٤٠٢ س؛ الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى ١ : ٧٠ - ٧١؛ الوافي بالوفيات ٨ : ٣١٤ - ٣١٥، ٣١٨ - ٣١٩؛ الحلّة السيراء ١ : ٥٠ - ٥٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ١٠٣١ - ١٠٣٢؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٦٦ (٢٧٨).

حسّانة التميميّة

١ - هِيَ حَسّانةُ بنتُ أبي المخشى الشاعر (أنظر، فوق، ص ٨٧)، ماتَ أبوها في أيام الحَكَم الرَّبَضيّ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) فوَفَدَتْ على الحَكَم مُسْتَميحةً لفضلهِ فكتب الحكَمُ إلى عاملهِ على إلبيرةَ بأن يُجْرِيَ عليها راتباً ويُحْسِنَ إليها. وكانتْ حسّانةُ في ذلك الحينِ بِكْراً لمّا تتزوّجْ بَعْدُ.

ولمّا جاء عبدُ الرحمنِ بنُ الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) كان العاملَ على إلبيرةَ جابرُ بن لَبيدٍ، وكانتْ حسّانةُ فيما يبدو قد تزوّجتْ قبلَ مدّة ورُزِقت أولاداً ثمّ ماتَ زَوْجُها. وقَطَعَ جابرُ بنُ لَبيدٍ الراتبَ الذي كان جارياً على حسّانة فجاءت حسانةُ إلى عبدِ الرحمن بن الحكم تَشْكو إليه جابراً فعَزَلَهُ عبدُ الرحمن وردّ على حسّانةَ ما كان جارياً عليها في أيامِ أبيه الحكم.

ولعلّ وفاةَ حسّانةَ كانتْ نحو سَنَة ٢٣٠ (٨٤٤ - ٨٤٥ م).

٢ - كانت حَسّانةُ التميميةُ قد تأدّبتْ وتعلّمتِ الشعرَ، وشِعْرُها الباقي لنا مَشْرقيّ النَهْجِ متينُ الأُسلوب وفيهِ شيءٌ من الرِّقَّة برُغْمِ أن ما بَقِيَ منه يدورُ حَوْلَ المديحِ والعِتابِ والاستعطاف.

٣ - مختارات من شعرها

- لمّا وفدتْ حَسّانةُ التميميّةُ على الحَكَمِ أنشدَتْهُ:

إنّي إليــك، أبـا العاصي مُوَجَّعـةٌ - أبا المُخَشَّى سَقَتْهُ الواكفَ الدِيَمُ -[1]

---

(١) سقت الديم (جمع ديمة: السحابة الممطرة) أبا المخشّى واكفاً: (مطراً غزيراً).

قـد كنـتُ أرتَـعُ في نُعاه عاكفةً؛ فاليومَ آوِي إلى نُعْماكَ، يـا حَكَمُ!
أنتَ الإمامُ الـذي آنقادَ الأنـامُ له ومَلّكتْه مقاليدَ النُّهى الأممُ[1].

- ولها تُخاطِبُ الحَكَمَ أيضاً تشكو إليه جابراً عاملَ إلْبيرةَ:

إلى ذي النَّدى والجدِ سارتْ ركائبي على شَحَطٍ تَصْلَى بنارِ الهواجر[2]
لِيَجْبُرَ صَدْعي، إنّه خيرُ جابرٍ، ويَمْنَعُـني من ذي الظُّلامـةِ جابر[3].
فإنّي وأطفالي بقَبْضةِ كَفِّهِ كذي الريش أضْحى في مخالبِ كاسر[4].
جديرٌ لِمثْـلي أن يُقـال مَرُوعَـةٌ لموتِ أبي العاصي الذي كان ناصري.
سَقاهُ الحيا! لو كان حيّاً لما آعتدى علـيَّ زمـانٌ باطشٌ بَطْشَ قـادر[5].

٤ - ★ ★ نفح الطيب ٤: ١٦٧ - ١٦٨.

يحيى بن يحيى الليثي

هو أبو محمّدٍ يحيى بنُ يحيى بنِ كثيرِ بنِ وسلاسَ بنِ شمال بن منغايا اللَّيْثيّ، من قبيلة مصمودة البربرية (في المغرب). أما نِسبتُهُ إلى بني الليث فهي بالوَلاء.

دخلَ يحيى بنُ يحيى إلى الأندلس في مَطْلَعِ شبابِهِ فسَمِعَ من يحيى بنِ مُضَرَ القَيْسِيِّ الأندلسيِّ (ت ١٩٠) ومن شَبْطونٍ (ت ٢١٢). ثمّ إنّه رَحَلَ إلى المشرق - وكان عُمُرُه آنذاك ثَمَانِيَ وعِشرينَ سَنَةً - فسمع في مِصر من الليث بن سعدٍ (ت ١٧٥) وسمع في مكّة من سَفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ (ت ١٩٨)، كما سمع في المدينة من الإمام مالك (ت ١٧٩).

ولمّا عاد يحيى بن يحيى الليثي إلى الأندلس، بعدَ وَفاةِ الإمام مالكٍ، صارتْ إليه

---

(١) مقاليد (مفاتيح) النهى (العقل).

(٢) الندى: الكرم. الركائب جمع رَكوب: الجمل أو الناقة يسافر الناس عليها. الشحط: البعد. الهاجرة: نصف النهار. صلي بالنار يصلى: تعرّض لحرّها.

(٣) ليجبر صدعي: ليصلح أمري (جبر الصدع: جمع بين الشقّين). جابر الأولى: المصلح. جابر الثانية (في القافية): حاكم إلبيرة الذي تشكو حسّانة من سوء معاملته.

(٤) ذو الريش: الطير الصغير. الكاسر: الطير الكاسر الذي يصطاد الطيور الصغيرة.

(٥) الحيا: المطر.

رئاسة المذهب في الفِقْه فٱنتشر المذهبُ المالكيّ على يديه ٱنتشاراً واسعاً وتفقّه عليه جماعة لا يُحْصَوْنَ عدداً، وكان فقيهَ الأندلس غيرَ مُنازَعٍ.

وكانت وفاةُ يحيى بنِ يحيى الليثيّ في ٢٢ من رَجَبَ ٢٣٤، وقيل ٢٣٣ (٨٤٨ م)، ودُفِنَ في مقبرة بني عامر في ظاهر قرطبةَ.

★★ ابن الفرضي ٢: ١٧٦ - ١٧٨ (رقم ١٥٥٦)؛ جذوة المقتبس ٢٥٩ - ٢٦١؛ (الدار المصرية) ٣٨٢ - ٣٨٤ (رقم ٩٠٩)؛ بغية الملتمس ٤٩٥ - ٤٩٨؛ (رقم ١٤٩٧) المغرب ١: ١٦٣ - ١٦٥؛ وفيات الأعيان ٦: ١٤٣ - ١٤٤؛ الديباج المذهب ٣٥٠؛ ابن قنفذ ١٧٢؛ شذرات الذهب ١: ٣٣٩ - ٣٤٠؛ نفح الطيب ٢: ٩ - ١٢؛ بروكلمن ١: ١٧٦، الملحق ١: ٣٠٠ - ٣٠١؛ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٤: الأعلام للزركلي ٩: ٢٢٣ - ٢٢٤ (٨: ١٧٦).

عبد الرحمن الأوسط

١ - هو أبو المُطَرِّفِ عبدُ الرحمنِ بنُ الحَكَمِ بنِ هشامِ بنِ عبدِ الرحمنِ الداخلِ، وأمُّه اسمُها حَلاوةُ، وُلِدَ سَنَةَ ١٧٦ (٨٩٢ م) وبُويعَ بالإمارة سَنَةَ ٢٠٦ هـ (٨٥٢ م).

وكانتْ أيامُه أيامَ ازدهارٍ وتَرَفٍ: «لم يَلْقَ المُسلمون مَعَه بُؤساً ولم يَرَوْا يوماً عَبوساً؛ وهو أولُ من جرى على سُنَنِ الخُلفاء في الزينةِ والشَكل وترتيب الخدمة. ثمّ كسا الخلافة[1] أُبَّهَةَ الجَلالة. وفي أيامه دخل الأندلسَ نفيسُ الغِطاء وغرائبُ الأشياء، وسِيقَ إليها ذلك من بَغداد». وفي أيّامِه ٱستبحرتِ الحَضارةُ في الأندلس فٱنصرفَ هُو إلى المَلذّاتِ وٱحتجبَ عن الناس وملأ قصرَه بأسبابِ اللّهْو وبالجَواري وبالمغنّين والمغنّيات. وهو الذي استدعى زِريابَ مُغنّيَ العِراق، مِنْ بَغْداد إلى الأندلس.

وكانتْ لعبدِ الرحمنِ الأوسطِ جاريةٌ تُسمّى طَروبَ، وكان بها دَنِفاً، فصدّت عنه وأغلقتْ على نفسِها بيتاً فأمرَ بأنْ تُجْعَلَ على البابِ خرائطُ (أوعيةٌ) مملوءةٌ بالدراهم

(١) في أيام عبد الرحمن الأوسط لم يكن الأمويّون قد تلقّبوا بالخلافة بعد. والنصّ هنا يذكر الخلافة على سبيل التجوّز والتشبيه.

حتّى سَتَرَتْ تلك الخرائطُ البابَ ٱسترضاءً لها وٱستعطافاً. فلمّا فَتَحَتْ طروبُ البابَ وأخذتِ الخرائطَ وجدتْ فيها نَحْواً من عِشرينَ ألفاً. ثمّ أمرَ لها أيضاً بعِقْدٍ قيمتُه عَشْرَةُ آلافِ دينارٍ.

وتُوُفِّيَ عبدُ الرحمنِ الأوسطُ في الثالثِ من رَبيعٍ الآخرِ من سَنَةِ ٢٣٨ (٨٥٢ م) فَجْأَةً.

٢ - جَمَعَ عبدُ الرحمنِ الأوسطُ في بَلاطِه جماعةً من العلماء والأدباء وكان يُكرِمُهم ويُحْسِنُ إليهم. وكان هو نفسُه شاعراً مُكْثِراً وصاحبَ بديهةٍ. وشِعرُه وُجدانيٌّ يدور على الوصفِ والغزل. وكانت له أيضاً تواقيعُ بليغةٌ.

٣ - مختارات من آثاره

- لعبدِ الرحمنِ الأوسطِ تواقيعُ بليغةٌ منها:

من لم يَعْرِفْ وجهَ مَطلَبِه كان الحِرمانُ أولى به.

- ووصف مرّة جاريتَهُ طَروبَ[1] وقد لَبِسَتْ عِقداً أهداها إيّاه فاستكثرَ بعضُ الحاضرين ثمنَه (عِشرينَ ألفَ دينارٍ) فقال:

« إنّ لابِسَهُ أنفسُ منه خَطَراً وأرفعُ قَدْراً. ولئن راقَ من هذه الحَصباءِ مَنْظَرُها ورُصِفَ في النفس جوهرُها، فلقد برأ اللهُ من خلقهِ جوهراً يُغْشي الأبصارَ ويذهَبُ بالألباب. وهل على وجهِ الأرضِ من زَبَرْجَدِها وجوهرِها أقرُّ لعينٍ وأجمعُ لزَيْنٍ من وجهٍ أكملَ اللهُ فيهِ الحُسْنَ ونُضْرَتَهُ وألقى عليه الجمالَ وبهجتَه! ».

ثمّ ٱلتفتَ إلى الشاعر عبدِ اللهِ بنِ الشَمْرِ، وكان حاضراً، فقال له: هل يحضُرُك شيءٌ في هذا المعنى؟ فأنشدَ عبدُ الله أبياتَه: أتقرن حصباء اليواقيت والشذْر...

فأعْجَبَتْ هذه الأبياتُ الأميرَ عبدَ الرحمن الأوسطَ وطَرِبَ لها طَرباً شديداً ثمّ أنشدَ مُرتجلاً:

---

(١) راجع، فوق، ص ٩٩.

قريضُك يا ٱبنَ الشَّمْر عفّى على الشعر وجلّ عن الأوهامِ والفَهْم والفكرِ.
إذا شافهَتْهُ الأُذنُ أدَّى بسحره إلى القلب إبداعاً فجَلَّ عن السِحر.
وهل برأ الرحمٰن من كل ما برا أقرَّ لِعَيْن من مُنَعَّمَـــةٍ بِكر؟
ترى الوردَ فوق الياسَمين بخدّها كما فُوِّفَ الروضُ المنوَّرُ بالزَّهْر[1].
فلو أنني مُلِّكْتُ قلبي وناظري نظمتُها منها على الجِيد والنَّحْر!

- وخَرَجَ إلى الغَزْوِ فطالت غَيْبَتُه عن قرطبةَ وتذكّر طَروبَ، وكانت أعظم جواريه مكانةً عنده ونفوذاً في بلاطه، وقيلَ إنها كانت قليلة الوفاء له حتّى إنّها شاركت في مؤامرة على خلعه. ومع ذلك فقد قال فيها:

فقدتُ الهوى مُذْ فقدتُّ الحبيبا، فما أقطـعُ الليـلَ إلاّ نحيبا.
وإمّا بَدَتْ لِيَ شمسُ النها رِ طالعـةً ذكّرتـني طَروبـا.
فيا طولَ شوقي إلى وجهِها، ويـا كَبِـداً أوْرَثَتْها نُدوبا[2]،
ويا أحسنَ الخلقِ في مُقلتي وأوفرَهم في فؤادي نصيبـا،
لئن حال دونَك بُعْدُ المَزا رِ من بعدِ أن كنتِ منّي قريبا
لقد أوْرَثَ الشوقُ مني الضَّنى وأضْرَمَ في القلب منّي لهيبا،
عَدانِيَ عنـكِ مزارُ العِـدى وقَوْدي إليهم لُهاماً مَهيبا[3]
كأنّيْ تَخَطَّيْـتُ من سَبْسَبٍ وجاوزتُ بعدَ دُروبٍ دروبا[4]،
أُلاقي بوجهِيَ حرَّ الهَجـيرِ إذا كاد منه الحَصا أن يَذوبا[5]
أُريـدُ بـذاكَ ثوابَ الآلـهِ، ومَنْ غيرُه أبْتَغيه مُثيبا!

(١) فوّف: لوّن. التفويف: اجتماع الألوان متجاورة. المنوّر (بفتح الواو المشدّدة وكسرها): المتفتّح بالأزهار.
(٢) الندوب: جمع ندبة: أثر الجرح الباقي.
(٣) اللهام: الجيش العظيم. مهيباً: يهابه الناس.
(٤) السبسب: الأرض القاحلة الواسعة. الدرب: الممرّ في الجبل.
(٥) الهجير: نصف النهار.

أنــا ابن الهِشامَيْنِ من غالــبٍ   أشُبُّ حروباً وأُطفي حروبا[1]
سَمَوْتُ إلى الشِّركِ في جَحْفَــلٍ   مَلأتُ الحُزون به والسُّهوبا[2].

٤ - ★ ★ المقتبس (راجع الفهرس فيه)؛ جذوة المقتبس ١١ (الدار المصرية) ١٠: الحلة السيراء ١: ١١٣ - ١١٩؛ المغرب ١: ٤٥ - ٥١؛ البيان المغرب... أعمال الأعلام ٢٢؛ نفح الطيب ١: ٣٤٤ - ٣٥٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٨٢ - ٨٣؛ نيكل ٢١ - ٢٢؛ مختارات نيكل ١٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٧٦ (٣: ٣٠٥).

عبد الله بن الشمر

١ - هو عبدُ اللهِ بنُ الشَّمْرِ بن نُميرِ القُرطبيُّ، كان أبوه الشَّمْرُ من موالي بني أُمَيَّةَ ومن أهل العلم بالعربية.

نشأ عبدُ اللهِ بن الشَّمْرِ جامعاً لكثيرٍ من الخِصال التي تُحَبِّبُه إلى الناس: لطيفَ المعاشرة جامعاً لفنونٍ من العلم والأدب. وقد صَحِبَ عبدَ الرحمن بنَ الحَكَمِ قبلَ أن يَلِيَ عبدُ الرحمن الإمارةَ (سنة ٢٠٦ = ٨٢٢ م) ثمّ بعدَ أن تولّى الإمارة. وقد كان في كلّ هذه الحِقْبة نديماً لعبد الرحمن ومُنَجِّماً له وشاعره (راجع نفح الطيب ٣: ٦١٣).

ولمّا غزا عبدُ الرحمن بن الحَكَمِ أرضَ جيليقِيَةَ[3]، سَنَةَ ٢٢٥ (٨٤٠ م)، كان عبدُ الله بنُ الشَّمْرِ مَعَهُ. ثمّ تُوُفِّيَ ٱبنُ الشَّمْرِ بُعَيْدَ ذلك.

٢ - كان عبدُ اللهِ بن الشَّمْرِ مُتَفَنِّناً في عددٍ من العلوم بارعاً في التنجيم خاصّةً جيِّدَ الشِّعْرِ مطبوعاً. وفنونُ شِعرِه، فيما يبدو، المديحُ والعِتاب والوصف والهجاء.

---

(١) الهشامين: هاشم بن عبد شمس (في الجاهليين) وهشام بن عبد الملك الأموي.
وفي نسب قريش (والأمويّون منهم) أجداد هم: لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وجده أيضاً هشام بن عبد الرحمن الداخل.

(٢) الجحفل: الجيش العظيم: الحزن (بفتح الحاء وسكون الزاي): الأرض القاسية التي يصعب المسير فيها. السهب: الأرض المستوية التي يسهل السير فيها.

(٣) جيليقية: الطرف الشمالي الغربي من شبه جزيرة الأندلس.

٣ - مختارات من شعره

- خرج عبدُ الرحمنِ بن الحَكَمِ مرّةً لصيدِ الغرانيق (والغُرنوق طائرٌ مائي يُشْبِهُ الكركيّ)، وكان البردُ شديداً، فقال آبن الشَّمْرِ، وكان مَعَه:

ليتَ شِعْري أمِنْ حديدٍ خُلِقْنا أم نُحِتْنا من صَخْرة صَمّاءِ؟
كلَّ عامٍ في الصيف نحنُ غُزاةٌ، والغَرانيقُ صيدُنا في الشتاء
إذ ترى الأرض - والجليدُ عليها واقعٌ - مثلَ شُقّةٍ بيضاء.
وكأنّ الأنوفَ تُجْدَعُ منّا بالمَواسي لزُعْزُعٍ ورُخاء[(١)].
نطلُبُ الموتَ والهلاكَ بإلحا حٍ، كأنّا نشتاقُ وقتَ الفناء.

- جرى ذاتَ يومٍ حديثٌ طويلٌ بينَ عبدِ الرحمن بن محمّدٍ ووزيرِه في المُوازنة بين جاريةٍ وعِقدٍ من الجوهر (اللؤلؤ) كانت تلبَسُهُ، فطَلَبَ عبدُ الرحمنِ مِن آبنِ الشَّمْرِ أنْ يقولَ شيئاً في هذا المعنى فقال:

أتَقْرُنُ حَصْباءَ اليواقيتِ والشَذْرِ إلى مَنْ تعالى عن سَنا الشَّمْسِ والبدر[(٢)]؟
إلى من بَرَتْ قِدْماً يدُ الله خلقَهُ، ولم يكُ شيئاً غيرُه أبداً يَبْري[(٣)]؟
فأكْرِمْ بهِ من صِبْغَةِ اللهِ جوهراً تضاءل عنه جوهرُ البر والبحر[(٤)]!

٤ - ★ ★ أخبار مجموعة ١٣٦ - ١٣٨؛ ابن الفرضي ٢٦٨ رقم (٦٩١)؛ المقتبس ٦٥ - ٦٦، راجع الفهرست أيضاً؛ الحلة السيراء ١: ١١٦ - ١١٨؛ المغرب ١: ١٢٤ - ١٢٧؛ البيان المغرب ٢: ٨٥ - ٩٢؛ نفح الطيب - راجع الفهرس؛ نيكل ٢١؛ مختارات ١٣ - ١٤.

---

(١) تجدع: تقطع. المواسي: جمع موسى: سكّين حادّة. الزعزع: الريح الشديدة. الرخاء: الريح الليّنة. - إذا اشتدّ البرد وتجمّدت الأعضاء (كالأذن والأنف) يسهل انفصالها.

(٢) قرن: جمع، (شبّه، وازن بين شيئين). الحصباء: الحصا، الحجارة الصغيرة. الشذرة: القطعة الصغيرة من الذهب، الخرزة الصغيرة يفصل بها بين الحبّتين من اللؤلؤ في العقد. السنا: ضوء البرق.

(٣) برت - برأت: خلقت. ولم يكن غيره (أي الله) يبري (يبرأ) شيئاً.

(٤) الجوهر: اللؤلؤ.

عبد الملك بن حبيب

١ - هو أبو مروانَ عبدُ الملكِ بنُ حبيبٍ[١] السُلَمي المِرْداسي الإلْبيري القُرْطبي الأندلسيّ، من موالي بني سُليم، وُلِدَ في حِصْنِ واطَ قُربَ غَرناطةَ (في كورة إلبيرةَ) بُعيد سنة ١٨٠ (٧٩٦ م).

عاش عبدُ الملك بنُ حبيبٍ في صدرِ حياتهِ مُدَّةً في إلبيرةَ وقُرطبةَ وتَفَقّه فيهما ثمّ رَحَلَ إلى المَشْرق فحجّ ولَقِيَ نفراً من أصحاب مالكِ بنِ أنَسٍ ومن غيرهم: سَمِعَ من عبدِ الملكِ بنِ الماجشون (ت ٢١٢) وأسدِ السنّةِ أسدِ بنِ موسى الأُمويّ (ت ٢١٢) وأصبغَ بنِ الفَرَجِ (ت ٢٢٥) ومن إسماعيلَ بنِ أبي أُوَيْسٍ وعُبيدِ الله بن موسى الكوفي وسواهم. ولا يُمْكِنُ أن يكون عبدُ الملكِ بنُ حبيبٍ، الذي وُلِدَ سَنَةَ ١٨٠ ، قد لَقِيَ مالكَ بنَ أنسٍ الذي تُوُفّي سَنَةَ ١٧٩ ، كما زعم نَفَرٌ من الذين ترجموا لعبدِ الملكِ بن حبيبٍ!.

ولمّا عاد عبدُ الملك بنُ حبيبٍ إلى الأندلس سَكَنَ قُرْطبةَ إلى أن تُوُفّي في رابعِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٢٣٨ (١٨/ ٢/ ٨٥٣ م) في الأغلب. وكان قبلَ وفاتهِ قد وَقَفَ جميعَ أملاكهِ على جامع قرطبة.

٢ - كان عبدُ الملكِ بنُ حبيبٍ عالماً مشهوراً مُتَصَرِّفاً في عددٍ من فُنونِ العلم من التفسير والحديث والفِقْه والتاريخ والشعرِ والطِّب والفلك. وقد عُرِفَ بلقب « عالم الأندلس »؛ ومنهم مَنْ يجعَلُه صِنْواً لشبطونٍ (راجع، فوق، ص ٩٣) فلقد كان له أثرٌ في انتقالِ أهلِ المَغْرِبِ والأندلس من مذهبِ أهلِ الحديثِ إلى مذهب الإمام مالك.

وعبدُ الملكِ بنُ حبيبٍ مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ، فمن كتبه: كتاب مكارم الأخلاق - أصول الفرائض (إرث) - كتاب الورع - غريب الحديث - طبقات الفقهاء - تفسيرُ موطّإِ مالكٍ - الواضحة (شرح على موطّأ الإمام مالك) - « التاريخ »

---

(١) في البيان المغرب لابن عذاري (٢ : ١١٠): « هو عبد الملك بن سليمان بن مروان بن جيهلة بن عبّاس بن مرداس السلمي، يكنى أبا هارون ».

(وعنوانه طويل يُوجزُ محتوياته. كتابٌ في ابتداء خَلْق الدنيا وذِكْرِ ما خلق اللهُ فيها مِنَ ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجبال والجنّة والنار وخلق آدمَ وحوّاءَ وما كان من شأنهما مَعَ إبليسَ وعِدّةُ الأنبياء نَبيًّا نَبيًّا إلى محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين وعِدّةِ الكتب المُنْزَلة وعدة الخلفاءِ إلى حين استفتاحِ الأندلس... وفي آخرِ الكتاب فصولٌ في الفِقْه والأخلاق والآداب وطائفة من الأشعار ثمّ فصل عن قضاة الأندلس).

والذي يبدو أنّ النُسخةَ التي وصلتْ إلينا من هذا الكتاب الكبيرِ هي من صُنْعِ ٱبن أبي الرِّقاع تلميذِ عبدِ الملكِ بنِ حبيبٍ أضافَ فيها إلى ما كان قد رواه عن ٱبنِ حبيبٍ أشياءَ كثيرةً، مِنْ ذلك أنه ٱستمرَّ في سِلسلةِ أمراءِ الأندلسِ إلى سَنَةِ ٢٧٤ هـ (٨٨٨ م)، بينما كانت وفاةُ عبدِ الملكِ بن حبيبٍ سَنَةَ ٢٣٨ هـ (راجع بروكلمن ١: ١٥٦).

٣ - **مختارات من شعره**

- قال عبد الملك بن حبيب يشكو الدهر:

صَلاحُ أمري والذي أبْتَغي ... هَيْنٌ على الرحمنِ في قُدْرَتِهْ.
ألفٌ من البيض؛ وأقْلِلْ بها ... لعالمٍ أزرى على بُغْيَتِه[1].
زِرْيابُ يأخذُها قَفْلَةً ... وصَنْعَتي أشرفُ من صَنْعته[2].

- وكَتَبَ إلى محمّدِ بنِ سعيدٍ الزجّاليّ رِسالةً خَتَمها بهذهِ الأبياتِ، وهي أيْضاً في الشكوى:

كيف يُطيقُ الشعرَ من أصْبَحَتْ ... حالتُه اليوم كحالِ الغَرِقْ.
إذا قَرَضْتُ الشعرَ أو رُمْتُه ... حالتْ همومي دونه فانغَلَقْ.

---

(١) ألف من البيض: ألف درهم (من الفضّة).

(٢) زرياب المغنّي (راجع ص ٨٠). يأخذها قفلة (يأخذ ألف درهم في غناء قفلة - نحو شطرين في آخر الأغنية).

والشعرُ لا يَسْلَسُ إلاّ على فَراغِ قلبٍ واتّساعِ الخُلُق.

٤ - ★ ★ ابن الفرضي ١: ٣١٢ - ٣١٥؛ رقم (٨١٦)؛ الزبيدي ٢٨٢ - ٢٨٣؛ جذوة المقتبس ٢٦٣ - ٢٦٥ (الدار المصرية) ٢٨٢ - ٢٨٤ (رقم ٦٢٨) بغية الملتمس ٣٦٤ (رقم ١٠٦٣)؛ انباه الرواة ٢: ٢٠٦ - ٢٠٧؛ المغرب ٢: ٩٦؛ الديباج ١٥٤؛ بغية الوعاة ٣١٢؛ شذرات الذهب ٢: ٩٠؛ نفح الطيب ١: ٤٦ ثمّ ٢: ٥ - ٨؛ بروكلمن ١: ١٥٦، الملحق ١: ٢٣١؛ ابن قنفذ ١٧١؛ المطمح ٣٦ - ٣٧؛ بالنثيا ١٩٤ - ١٩٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٧٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٢ (١٥٧).

عبّاس بن ناصح

١- هو أبو العَلاءِ عبّاسُ بنُ ناصِحٍ الثَقَفيّ الجَزِيريُّ، نِسبةً إلى الجزيرة الخضراء (جَنوبيّ الأندلس). وقيل إنّ أباه ناصحاً كان عبداً لِمُزاحِمةَ بنتِ مُزاحِمٍ الثَقَفيّ الجزيريِّ (المغرب ١: ٣٢٤).

وُلِدَ عبّاسُ بنُ ناصحٍ في الجزيرة الخضراء ونشأ فيها. ثمّ إنّه جعل يتردّدُ على قُرْطُبَةَ ويتّصلُ بالحَكَمِ بنِ هشامٍ الرَبَضِيِّ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) ويمدَحُهُ. فولاّه الحكَمُ القضاءَ على الجزيرةِ الخضراء[١].

ورَحَلَ عبّاسٌ إلى المشرق، قيل ذهب لِيَرَى أبا نُواسٍ وغيرَه من شُعراءِ العِراقِ[٢]. وقيل أرسَلَه عبدُ الرحمنِ بنُ الحَكَمِ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) إلى العراقِ في الْتِماسِ الكُتُبِ القديمةِ، فأتاه بالسنْدْ هِنْد[٣] وغيرِه.

(١) نقل السيوطي (بغية الوعاة ٢٧٦) عن الزبيدي وابن الفرضي أن عباس بن ناصح ولي قضاء (القضاء في) بلده و(في مدينة) شذونة. وفي المغرب (١: ٣٢٤): أنّ الزبيدي قال في كتابه «طبقات العلماء» إن عباس بن ناصح «ولي قضاء بلده مع شذوذه»!

(٢) ابن الفرضي ١: ٣٤١. ويذكر ابن الفرضي أيضاً (١: ٣٤٠ - ٣٤١) أن ناصحاً رحل بابنه عباس، وهو صغير، إلى المشرق، فنشأ عباس في مصر وتردّد في الحجاز طالباً للغة العرب؛ ثمّ رحل به إلى العراق فلقي الأصمعيّ (ت ٢١٦ هـ). ورجع عباس إلى الأندلس، فلمّا سمع بذكر أبي نواس رحل إلى المشرق ثانية. ولا أرى هذه الروايات تتّسق اتّساقاً معقولاً.

(٣) السندهند كتاب في الفلك والحساب (راجع تاريخ العلوم عند العرب، للمؤلّف، ص ١٢٣ - ١٢٦).

وكانتْ وَفاةُ عبّاسِ بنِ ناصحٍ سَنَةَ ٢٣٨ (٨٥٢ – ٨٥٣ م) في الأغلب.

٢– كان عبّاسُ بنُ ناصحٍ من ذَوي الفصاحة عالماً باللُّغةِ[١] والنَحْوِ والفِقْه والحديث والتعاليم (العلوم العَدَديَّة: الرِياضيّات وما يتّصل بها)، ولكنْ غَلَبَ عليه الشعرُ، وكان شِعرُهُ جَزْلاً مَتيناً يُشْبِهُ ما أَلِفَهُ قدماءُ الشعراءِ في المَشْرق.

٣– **مختارات من آثاره**

في الحلّة السيراء (١: ٤٨):

قال عثمانُ بن المُثنّى النَحْويّ المؤدّب: قَدِمَ بعدَ الوقعة علينا عبّاسُ بن ناصحٍ قرطبةَ، أيامَ الأميرِ عبد الرحمن بن الحكم، فٱستَنْشَدني شعرَ الأميرِ الحكم في الهَيْج (راجع، ص ٥٧)، فأنشدتّه إياه. فلمّا بلغتُ إلى قوله:

وهل زِدْتُّ أن وَفيتُهم صاعَ قَرْضِهم ... فلاقَوْا منايا قُدِّرَتْ ومصارعا،

– قال عبّاس (بن ناصح):

.... لو أنّ الحكَمَ يَخشى الخصومةَ (يومَ القيامة) بينَه وبين أهل الرَبَض لقام بعُذرِه فيهم هذا البيتُ. وفي رواية: إذا كانتْ (تلك) الخصومةُ بينَه وبين أهل الربض (عندي) جَبَرْتُه (عَطَفْتُ عليه)، فإنّ هذا البيتَ لَيُحاجِجُ عنه يومَ القيامة (لأنه نسب مقتل خصومه إلى انتهاء آجالهم لا إلى محاربته هو لهم).

– قال عباسُ بنُ ناصحٍ في طولِ الحياة (بغية الوعاة ٢٧٦):

ما خيرُ مُدّةِ عيشِ المرءِ لو جُعِلَتْ ... كمُدّةِ الدهرِ، والأيامُ تُفْنيها[٢]؟
فارغَبْ بنفسِك أنْ ترضى بغيرِ رضاً[٣] ... وٱبْتَغْ نجاتَك بالدُنيا وما فيها.

---

(١) ذكره الفيروزابادي في «البلغة في تاريخ أئمّة اللغة» (ص ١٠٣).

(٢) هذا البيت يفهم على معنيين: لا خير في مدّة، مهما تكن طويلة، ما دامت في آخر الأمر ستنتهي.
– لا خير في طول الحياة، ولو كانت طول الدهر (بلا نهاية)، إذا فنيت (إذا أصبح الإنسان عاجزاً عن التمتّع بما فيها).

(٣) بغير رضا (وإن لم يكن في الحياة ما ليس يدعو إلى الرضا).

- وفي نفح الطيب (١ : ٣٤٣) أنّ العبّاسَ الشاعرَ سَمِعَ امرأةً في مدينة وادي الحجارة تستغيثُ بالحكمِ بنِ هشامٍ لكَثْرة اعتداء الإسبان على المسلمين. فلما عاد عباسٌ إلى قُرطبةَ دخل على الحَكَم وأنشدَه قصيدةً كان قد نَظَمَها في ذلك، مَطْلَعُها:

تَمَلْمَلْتُ في وادي الحِجارةِ مُسْهَراً ... أُراعي نجوماً ما يُرِدْنَ تَغَوُّرا[١].
إليك، أبا العاصي، نَضَيْتُ مَطِيّتي ... تسيرُ بِهَمٍّ سارِيـــاً ومُهَجِّرا[٢].
تـــدارَكْ نساءَ العالَـــمين بنُصْرةٍ، ... فإنّـك أحْرى أن تُغيث وتَنْصُرا!

- وفي طبقات الزبيدي (ص ٢٨٦) أنّ أبا نواسٍ سأل عباسَ بن ناصحٍ إنشاد قصيدةٍ فأنشده: فأدتُ القريضَ، من ذا فأد[٣]!

٤ - ★ ★ الزبيدي ٢٨٤ - ٢٨٦؛ ابن الفرضي ١ : ٣٤٠ - ٣٤١ (رقم ٨٨١)؛ المغرب ١ : ٤٥، ٣٢٤ - ٣٢٥؛ إنباه الرواة ٢ : ٣٦٥ - ٣٦٧؛ بغية الوعاة ٢٧٦؛ نفح الطيب ١ : ٣٤٣، ٢ : ٢٦١ - ٢٦٢، ٣ : ٤٢٤ (الرقم في الفهرست يبدو أنّه خطأ)، دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٢.

أفلح بن عبد الوهّاب

١ - هو أبو سعيدٍ أفلحُ بنُ عبدِ الوهّابِ بنِ عبدِ الرحمن بنِ رُسْتَمَ الإمامُ الثالثُ في الدولة الإباضية في تِيهَرتَ بُويع له بالإمامة (سَنَةَ ١٩٠) يومَ وفاةِ أبيه. ومَعَ أنّه كان ذا عزمٍ وحزمٍ ضابطاً لأمورهِ فقد كَثُرَتْ عليه الفِتَنُ والحروب. من أشهرِ حروبهِ وأكبرِها حربه مَعَ خَلَفِ بنِ السَمْحِ بن أبي الخطّاب عبد الأعلى (وكان السَمْحُ هو الإمامَ الأولَ بطرابُلُسَ ووزيراً لأفلحَ ثمّ واليَه على جَبَلِ نفّوسةَ). ولكنّ خَلَفاً طَمِعَ في الإمامة (العامَة) ونَصَبَ الحرب لأفلحَ. فولّى أفلحُ على جبلِ نفّوسةَ أبا

(١) مسهراً: مصاباً بهمّ يذهب بنـ[illegible]ي. تغوّرت النجوم = غارت: غابت.
(٢) أبو العاصي كنية الحكم بن هشام الربضي. نضيت الثوب وأنضيته: أبليته. المطيّة: الدابة. نضيت مطيّتي: أنضيت مطيّتي بطول الطريق ووعورته.
الساري: المسافر في الليل. المهجّر: السائر في الهجير (نصف النهار، في وقت الحرّ الشديد).
(٣) لم يذكر الزبيدي غير هذا الشطر، ويبدو أنّه مطلع القصيدة. فأد فلان فلاناً: أصاب فؤاده. فأدتّ القريض (الشعر): برعت فيه، بلغت فيه الغاية.

الحسنِ أيوبَ بنَ العبّاس. ويبدو أن أبا الحسنِ هذا تُوُفِّيَ وشيكاً فولّى أفلحُ بعدَه أبا عُبَيْدَةَ عبدَ الحميد الجِنّاويَّ (الأزهار الرياضية ٢ : ١٥٢) فحارب أبو عبيدةَ خلفاً وتغلّب عليه في ثالثَ عَشَرَ رَجَبَ من سَنَةِ ٢٢١. وقد نصب الحربَ أيضاً لأفلحَ رجلٌ يُعْرَفُ بابن فندين، كما كان عددٌ من القبائل يخرُجُ عن طاعتهِ مرّةً بعدَ مرّةٍ.

وكانت لأفلحَ صِلاتٌ حسنةٌ بملوكِ السودان (الغربي) وبملوك الأندلس الذين عاصَرَ منهم ثلاثةً هُمُ الحَكَمُ الأولُ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) وعبدُ الرحمنِ الأوسط ومحمّدُ بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). ولمّا بنى محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الأغلب قُرْبَ مدينة تيهرتَ مدينةً سمّاها «العبّاسية» سارَ إليها أفلحُ وأحْرَقَها، سَنَةَ ٢٢٧[١] وكتبَ بذلك إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط فأرسلَ إليه عبدُ الرحمن مِائَةَ ألفِ درهمٍ[٢].

وكانتْ وفاةُ أفلحَ سَنَةَ ٢٤٠ (٨٥٥ م) بعد أن بَقِيَ في الإمامة خمسينَ سَنَةَ.

٢ - كان أفلحُ بنُ عبدِ الوهّاب فقيهاً، كما كان أديباً له نَثْرٌ ونَظْم. ولم يكن في نَثرِهِ ونظمِهِ ابتكارٌ، بل كانتْ آثارُه مجموعاً من الآراءِ العامّة المعروفةِ السائدة، إلاّ أن سَبْكَه لهذه الآراء والأقوال المعروفةِ كان سَبْكاً سائغاً جميلاً ذا أثرٍ في النفوس. وتكاد تكونُ جميعُ آرائه وتعابيرِه آقتباساً من القُرآنِ والحديث. ولآثارِه قيمةٌ واضحةٌ هي أنّها تُمَثِّلُ رأيَ الإباضيةِ في الدينِ والأخلاقِ وفي المَسْلَكِ العَمَليّ في الحياة.

٣ - مختارات من آثاره

- النصيحة العامّة:

من أفلحَ بنِ عبدِ الوهّاب إلى مَنْ بَلَغَهُ كِتابُنا هذا من المسلمين. أمّا بعدُ، فالحمدُ

---

(١) في تاريخ ابن الأثير (٦ : ٥١٩) أن هذه الحادثة كانت في سنة ٢٣٩ (نقلاً عن فتوح البلدان للبلاذري، ص ٢٣٤)، فتكون الحادثة حينئذ في أيام الأمير محمّد.

(٢) يقول الباروني (الأزهار الرياضيّة ١٨٦ - ١٨٧) أن أفلح كان يهادي ملوك الأندلس بالمال، وأنّ أفلح لم يتقرّب بإحراق العبّاسية تقرّباً لملوك الأندلس، بل كان ملك الأندلس هو الذي تقرّب من أفلح بالمال.

لله الذي هدانا للإسلامِ وأكرمنا بمحمّدٍ عليه السلام. وأبقانا بعدَ تناسخِ[1] الأمم حتّى أخْرَجَنا في الأمة المُكرَّمةِ التي جعَلَها أمّةً وسَطاً شاهدةً لِنَبيئِها بالتبليغِ ومُصَدِّقةً لجميعِ الأنبياء وشاهدةً على جميعِ الأممِ بالبلاغِ من الأنبياءِ عَلَيْهِمُ[2] السلامُ مَنًّا من اللهِ ورحمةً. أرسلَ إلينا نَبيئَهُ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم بالهدى ووَعَدَهُ بالنصرِ على الأعداء وضَمِنَ له الفَلَجَ والغَلَبَةَ ووَعَدَهُ بالعِصمة[3] وقال له عزّ وجلّ: « يا أيُّها الرسولُ، بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إليك مِنْ ربّك. وإنْ لم تفعلْ فما بَلّغتَ رسالاتِه. واللهُ يَعْصِمُكَ من الناس »[4]. فأدّى ما أمَرَهُ اللهُ بهِ ونَصَحَ لأُمّتِه ودعا إلى سبيلِ ربّه وجاهد عَدُوَّه وغَلُظَ على الكفّار ولانَ للمؤمنين، فكان لهم كما وَصَفَه اللهُ تعالى رؤوفاً رحيماً. حتّى انْقَضَتْ مُدّتُه وفَنِيَتْ أيامُه واختار له ربُّه ما عنده فقَبَضَهُ[5] إليه محمودَ السَّعْيِ مشكورَ العَمَلِ صلّى الله عليه وسلّم. فلم تَبْقَ خِصْلَةٌ من خِصال الخير الدالّةِ على الرُشْدِ إلاّ دعا إليها وسَنّها أو فَرَضَها أو أوْجَبَها، ولم تَبْقَ خصلةٌ من خِصالِ الشر الداعيةِ إلى الهَلَكَةِ إلاّ زَجَرَ عنها وأمر باجْتِنابِها رحمةً من الله لعباده. فله الحمدُ على ذلك كثيراً. ثمّ أمرَ تعالى بالجِهادِ في سبيلِه والقِيام بحقّه والأخذِ بأمرِه والانتهاء عمّا نَهى عنه، وفَرَضَ الأمرَ بالمعروف والنَهْيَ عن المُنْكر وإغاثةَ الملهوف والقيامَ مَعَ المظلوم والقَمْعَ[6] للظالمين لكيلاً تقومَ للشيطانِ دعوةٌ ولا تثبُتَ لأهلِ حزبِه قَدَمٌ ولا ينفُذَ لهم حُكْمٌ....

(١) تناسخ الأمم (هنا) تطوّر بعض الأمم من بعض وترقّيها في سلّم الحضارة.

(٢) هذه الجملة مقتبسة من ثلاث آيات: من سورة البقرة (٢ : ١٤٣) « وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » ثمّ من سورة آل عمران (٣ : ١١٠) « كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون (بفتح الهاء) عن المنكر » ثمّ من سورة النساء (٤ : ٤١) « فكيف إذا جئنا من كلّ أمّةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً؟ ». - هذا مثال واحد، ومعظم جمل أفلح تشبه ذلك.

(٣) العصمة (هنا): الحماية من الناس (دفع ضرر الناس عن الرسول)، راجع الآية المستشهد بها. الفلج الظفر.

(٤) راجع سورة المائدة (٥: ٦٧).

(٥) اختار له ربّه ما عنده (عند ربّه): فضّل له الحياة الأخرى على هذه الحياة الدنيا. قبضه إليه: توفّاه (نقله من الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى).

(٦) الملهوف: المظلوم الذي يطلب من الناس مساعدتهم. القمع: القهر والإذلال.

ثمّ أُحَذِّرُكم أهلَ البِدَعِ الذين لم يَعْرِفوا حقًّا فيَتَّبِعوه ولم يَلْقَوْا أهلَ العلمِ فيَقْتَبِسوا منهمُ الدينَ. عاشوا مَعَ أهلِ الجهلِ فخَلا بِهِمُ الشيطانُ ونَفَخَ في قلوبِهِمُ الكِبْرَ وأَوْرَثَهُمُ العُجْبَ فاسْتَحْيَوْا[1] أن يقولوا فيما لا يَعلمون «لا نَعْلَمُ». فأَفْتَوْا برأيِهِمْ[2] أقواماً جَهَلَةً لا يَعْرِفون ما يُقال لهم: قَلّدوهم[3] دينَهم وألزموا أنْفُسَهُمُ الرأيَ فٱتّبعوهم على بِدْعَتِهِمْ فضلّوا وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل... فاحْذَروا، مَعاشرَ المسلمين، مَنْ كانت هذه صِفَتُه ومَنْ حَلّ بهذه المنزلةِ ورَضِيَها لنفسِه. وٱعلموا أنّ مَنْ كانَ كهذا فقد صارَ من حِزْبِ الشيطانِ وأوليائه....

هذا، وقد بالَغْتُ إليكم في النصيحة وشَرَحْتُ لكم الموعظةَ ورَضِيتُ لكم بما رَضِيتُ بِهِ لنفسي ونَهَيْتُكم عمّا أنْهى عنه نَفْسِيَ نصيحةً لله وٱجتهاداً في طَلَبِ رِضائه....

- فضلُ العلم. قال من قصيدةٍ له:

لله عُصبــــةُ أهــلِ العــلمِ إنّ لهم ... فضـلاً على الناسُ غُيّاباً وحُضّار[4].
العــلمُ عــلمٌ، كفـى بالعلمِ مَكْرُمَةً. ... والجهـلُ جهـلٌ، كفى بالجهل إدْبار[5].
للعــلم فضــلٌ عــلى الأعمال قاطبةً؛ ... عن النَبِيءِ رَوَيْنـا فيه أخبار[6].
يقول: طالبُ علمٍ باتَ ليلتَه ... في العــلم أعظمُ عنـد الله أخطـارا
من عابدٍ سَنَةً لله مُجتهداً ... صامَ النهارَ وأحْيا الليـلَ إسهارا.
وقال: إنّ مِدادَ الطالبين على ... ثِيابِهِمْ وعـلى القُرطاسِ أسطارا[7].

---

(١) الكبر: الجبر والتعاظم على الناس. العجب: الزهو (الافتخار) بالنفس. استحيا: غلبه الحياء أو الخجل.

(٢) أفتى برأيه: فسّر أمور الدين بعقله هو من غير رجوع إلى القرآن أو الحديث أو أعمال الصحابة.

(٣) الملموح هنا أن العامّة من الناس تابعوا الفقهاء في الاعتقاد والعبادات. ويمكن أن تعني أن الفقهاء قلّدوا العامّة الدين (فرضوه عليهم - جعلوه كالقلادة في أعناقهم).

(٤) إنّك تستفيد من العالم إذا حضرت عليه شخصياً أو إذا قرأت في كتبه (ولو بعد موته).

(٥) الإدبار: تولي (ذهاب) النجاح والتوفيق عن الإنسان.

(٦) وصل إلينا عن النبيّ أحاديث في فضل العلم.

(٧) المداد: الحبر. الطالبون: طالبو العلم (التلاميذ). القرطاس: الورق. الأسطار: السطور.
- إنّ الحبر سواء أكتبت به سطوراً من العلم أو سقط على الثياب خطأً...

مثل[١] دم الشهداءِ المُكرَمينَ: لهم فضـلٌ؛ فأكْرِمْ بأهـلِ العلم أخْيـارا.
أكْرِمْ بهم مِنْ ذوي الفضـلِ المُبـين، لهم إرْثُ النُبُوّةِ في أيْديهِمُ صــــارا[٢].
ولا تكُنْ جامعاً للصُحُفِ تَخزِنُها كالعَير يحمِلُ بـين العِـير أسْفارا[٣].
فاَطلُبْ من العلم ما تُقْضى الفُروضُ به واَعمَـلْ بعلمـك مُضْطرًّا ومختـارا[٤].
واَجعَلْهُ للهِ، لا تجعَلْهُ مَفْخَرَةً، ولا تُرائي بــه بَـدْواً وأحْضـارا[٥].
مولاك يعلَمُ ما تُخفي الصُدورُ، فلا يكن لـك الحِلْمُ من مولاك غرّارا[٦].
ولا تُداهِنْ إذا ما قُلتَ مسألةً، أضْرَرْتَ بالدين- إن داهَنْتَ - إضرارا[٧].
وعاشرِ الناسَ - وانظُرْ من تُعاشِرُهُ - قَصْداً، ولا تُكْثِرَنَّ الصَحْبَ إكثارا[٨].
فرُبَّ مُكْثِرِ صَحْــبٍ لا يزالُ يرى لِنفسه قُرَنـــــاءَ السوءِ أشرارا.

٤ - ★ ★ الأزهار الرياضيّة ٢: ١٦٦ - ٢٢٢؛ معجم أعلام الجزائر ١: ٣٤٢ (٢: ٥)؛ تاريخ الجزائر العام ١: ١٩٨؛ الطهار ٣١.

سحنون

١ - هو أبو سعيدٍ عبدُ السلامِ بنُ سعيدِ بن حبيبٍ التَنوخيُّ، المعروفُ باسم سحنونٍ (بفتح السين أو بضمّها)، وُلِدَ في القيروانِ في أولِ رَمَضانَ من سنة ١٦٠ (١١/ ٦/ ٧٧٧ م).

---

(١) «مثل» فيها عيب (ينقص فيها مدّ: يجب أن يكون مكانها كلمة على وزن معنى أو رمى).
(٢) في الحديث: العلماء ورثة الأنبياء.
(٣) العير: الحمار. في القرآن الكريم: «كمثل الحمار يحمل أسفاراً (٦٢: ٥، سورة الجمعة). يحمل كتباً ولا ينتفع بما فيها. العير (بالكسر): القافلة.
(٤) ما تقضى الفروض به: ما يعلّمك أمور الدين (أو: ما تقرأه في صلاتك، مثلاً). اعمل بعلمك مضطرّاً ومختاراً (في كلّ حال) في أمور الدين وفي غير أمور الدين.
(٥) أحضار (المقصود جمع حضر ضدّ البدو).
(٦) - إذا لم يعاقبك ربّك اليوم على ذنب اقترفته فلا تغتّر بذلك وتمضي في اقتراف ذلك الذنب تكراراً، فقد تعاقب على ذلك كلّه غداً.
(٧) المداهنة: المصانعة: (موافقة الناس على رأي أنت تعتقد في نفسك خلافه).
(٨) عاشر الناس قصداً (باعتدال) لا تستكثر من الأصدقاء ولا تندفع في صداقة أحد بلا ضابط.

بدأ سحنونٌ دراستَه في تونسَ ثمّ رَحَلَ (١٨٨ هـ) إلى القاهرة فدرس على الفقيه المالكي أبي عبدِ الله عبدِ الرحمن بنِ خالدٍ العُتَقي (١٣٢ - ١٩١ هـ). وهو صاحبُ المُدوَّنة (في الفقه المالكي) أخذها عن مالكِ بنِ أنَسٍ، ثم أخذَها عنه سحنونٌ. ودَرَسَ سحنونٌ على نفرٍ كثيرين أيضاً. وزار سحنونٌ الشامَ ثمّ عاد إلى القيروان (١٩١ هـ = ٨٠٧ م) وبدأ نشرَ مذهبِ مالكٍ في المغرب.

وتولّى سحنون قضاءَ القَيْروانِ في رَمَضان من سَنة ٢٣٤ (نَيسان - أبريل ٨٤٩ م) في أيامِ أبي العبّاس محمّدِ بنِ الأغلب (٢٢٦ - ٢٤٢ هـ).

وكانت وفاةُ سحنونٍ في التاسعِ من رَمَضانَ من سَنَةِ ٢٤٠ (٧/ ٣/ ٨٥٥ م)، وقيل في رَجَبَ.

٢ - كان سحنونٌ حافظاً للعلم ثِقَةً زاهداً في الدنيا مُتواضعاً سليمَ الصدرِ ولكنْ شديداً على أهلِ البِدَعِ. ولسحنونٍ أثرٌ كبيرٌ في انتشار مذهبِ مالكٍ في المَغْرب.

وكان سحنونٌ مُصَنِّفاً، له: المدوّنة في مذهبِ الإمام مالكِ - كتاب الأجوبة - كتاب آداب المعلّمين (بروكلمن، الملحق ١ : ٣٠٠).

في وفيات الأعيان (١ : ٥٢٣) أن القائد القاضِيَ أسدَ بنَ الفُراتِ (توفّي في بَلرْمَ عاصمةِ صِقِلّية سَنَةَ ٢١٣ هـ) وكان قد رَحَلَ إلى مِصر وسمع من عبد الرحمن بن القاسم وبدأ تأليف كتابٍ في مذهب الإمام مالك. وكان هذا الكتابُ يُعرَفُ بآسم «الأسدية». ثمّ إنّ سحنوناً حرّر هذا الكتاب ونقّحه وزاد فيه فأصبح عندنا يعرف اليوم باسم «المدوّنة».

وذَكَرَ ابنُ خلدونٍ (المقدّمة ٨٠٧) أنّ الناسَ اتّبعوا «مدوّنةَ سحنونٍ، على ما فيها من اختلاطِ المسائلِ في الأبواب، فكانتْ تُسمّى المدوّنةَ والمُخلِّطة».

٣ - مختارات من آثاره

- لسحنونٍ أقوالٌ حكيمةٌ منها:

أشقى الناسِ من باعَ آخرتَه بِدُنياه؛ وأشقى منه من باع آخرتَه بدنيا غيرِه

- أجرأُ الناسِ على الفُتْيَا أقلُّهم عِلْماً؛ يكونُ عندَ الرَجُلِ بابٌ واحدٌ من العلم فيظُنُّ أنّ الحقَّ كلَّه فيه - مِنْ فِقْهِ الرَجُلِ مَطْعَمُه ومَلْبَسه ومدخَلُه ومخرَجُه وصُحْبَتُه لأهلِ الخيرِ؛ وليستِ العِبادةُ بِطَأْطَأَةِ الرأس.

٤ - المدوّنة الكبرى، القاهرة ١٣٢٤ - ١٣٢٥ هـ؛ القاهرة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م.
كتاب آداب المعلّمين (تحرير حسن حسني عبد الوهّاب)، تونس ١٩٣١ م.

★ ★ تراجم أغلبية ٨٦ - ١٣٦؛ علماء إفريقية وتونس ١٨٤ - ١٨٧؛ وفيات الأعيان ٣: ١٨٠ - ١٨٢؛ ابن قنفذ ١٧٤؛ الديباج المذهب ١٦٠؛ بروكلمن ١: ١٨٦، الملحق ١: ٢٩٩ - ٣٠٠؛ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٤: ٦٤ - ٦٥؛ مجلّة العربي (٨/ ٦٥، ص ١١١)؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٢٩ (٤: ٥).

عبيد الله بن قارلُمان(١)

١ - هو عبيـدُ اللهِ بنُ قَرْلُمانَ بنُ بدرٍ، كان مولًى للأميرِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحَكَمِ آبنِ هشامٍ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) ومن نُدْمانه. ولعلّ وفاتَه كانت قبلَ انتصافِ القرنِ الثالثِ (قبل ٨٤٦ م).

٢ - عبيدُ اللهِ بنُ قرلُمانَ من الشعراءِ المُتقدّمين، وكان مُقلاًّ فيما يبدو، ولم يكنْ من فحولِ الشعراء.

٣ - **مختارات من شعره**

- جَلَسَ الأميرُ عبدُ الرحمنِ بنُ الحكم يوماً للفَصْدِ(٢) وفرّقَ على مَنْ حَضَرَهُ من مواليهِ ونُدمانهِ مبالغَ من المال. وكان ابنُ قارلُمانَ غائباً في باديَتِهِ (في ضيعةٍ له قُرْبَ قُرطُبةَ)، فلمّا عَلِمَ بذلك أسْرَعَ إلى قُرطُبةَ رجاءَ أن ينالَ ما ناله غيرُه لهذه المناسبة، وأنْفَذَ إلى الأميرِ عبدِ الرحمنِ رُقعةً فيها الأبياتُ التاليةُ:

---

(١) راجع في تخريج الأسم «قرلمان»، تحت: أحمد بن قرلمان (ت ٣٧٧ هـ).
(٢) الفصد من وسائل الطّب القديم: استخراج شيء من الدم من جسم الإنسان (في الربيع) تخفيفاً.

يــا مَلِكَــاً حَــلَّ ذُرى المَجْـدِ وعمّ بالإنعــامِ والرِفْــدِ[1]،
طوبى لِمَنْ أَسْمَعْتَهُ دعوةً في يومِ إجماعِــكَ للفَصْــد
فظلَّ ذاك اليومَ من قَصْفِه مُسْتَوْطِنــاً في جنّــة الخُلْـد[2].
وقد عَداني أن أُرى حاضراً؛ جَدٌّ متى يُحْظِ الورى يُكْدِ[3].
فأَنْتَعِشِ العَثْرَةَ مِنْ عاثرٍ عَــدَتْ عليــه أَنْجُمُ الفُرْد[4]،
وٱمْنُنْ بإصفــادي عطــاً لم يَزَلْ يَشْمَلُ أهلَ القُرْبِ والبُعْدِ[5].

فوقّعَ الأميرُ عبدُ الرحمنِ في أسفلِ رُقعةِ ابنِ قَرْلُمانَ: « من آثَرَ (فضّل) التَضَجُّعَ فَلْيَرْضَ بحظِّه من النَوْم ».

فعاوَدَهُ ابن قَرْلُمانَ برُقْعةٍ أُخرى فيها أبياتٌ مَطْلَعُها:

لا نِمْتُ إنْ كنتُ، يا مولايَ، مَحْروماً.

فأمَرَ له الأميرُ عبدُ الرحمنِ بِصلَةٍ.

٤ - ★ ★ ★ أخبار مجموعة ١٣٩ - ١٤١؛ الحلّة السيراء ١: ١١٨ - ١١٩.

يحيى بن حكم الغزال

١ - هو يحيى بنُ حَكَمٍ البكريّ الجَيّاني، أصلُه من جيّانَ، وقد كان مولدُه في نحو سَنَةِ ١٥٤ (٧٧١ م)، وقيل في سَنَةِ ١٥٦: وكانت إقامتُه في قرطبة.

كان يحيى بن حَكَمٍ رجلاً فارِعَ الطولِ قويَّ البُنْيَةِ جَمَّ النَشاط جميلاً، ولقدِ

---

(١) الرفد: العطاء. عمّ بالرفد: أعطى جميع الناس. في هذه الأبيات روايات مختلفة قليلاً أو كثيراً.
(٢) القصف: اللهو.
(٣) عداه: مرّ به، فاته. جدّ: حظّ. يحظي: يجعل (للناس) حظّا. يكدى: يبخل؛ وأكدى فلان فلاناً عن الشيء: ردّه عنه (يحظ ويكد مجزومتان باسم الشرط « متى »).
(٤) أنهضني من عثرتي (غلطتي). عدت عليه: اعتدت عليه، ظلمته. أنجم الفرد (بضمّ الفاء) الأنجم التي تبدو وحدها متفرّقة في أطراف السماء (راجع تاج العروس - الكويت ٨: ٤٨٣، ٤٨٧).
(٥) الأصفاد: العطاء.

ٱحتفظَ بنشاطِه وجمالِه إلى زمنِ شَيْخوختهِ، فلُقِّبَ من أجلِ ذلك كلِّهِ بالغَزالِ.

من أشهرِ الأحداثِ في حياةِ يحيى بنِ حَكَمٍ أنّ عبدَ الرحمنِ الأوسطَ أرسلَهُ سفيراً إلى بلاد المجوس في (إحدى جُزُرِ الدانمارك)، نحو سنة ٢٠٥ (٨٢٠ - ٨٢١ م) فأظهر إعجاباً بالملكة «تود». ويبدو أيضاً أنه سَفَرَ إلى بَلاطِ القُسْطنطينية[١]. وقيل إنّ زِريابَ لمّا جاء إلى قرطبة، سَنَةَ ٢١٧ (٨٣٢ م) نشأتْ بينَه وبينَ يحيى بنِ حَكَمٍ نُفْرَةٌ فهجاه يحيى وأقْذَعَ في هجائه. فغَضِبَ عبدُ الرحمن الأوسطُ ونَفَى يحيى عن بَلاطه (وزعموا عنِ الأندلس) فذهب يحيى إلى العِراقِ بُعَيْدَ وَفاةِ أبي نُواسٍ (ت ١٩٩ = ٨١٤ م) وبَقِيَ هُنالِكَ نحو عَشْرِ سَنَواتٍ. ولكنَّ زَمَنَ إقامته في العِراق وزَمَنَ سَفَارَتِهِ إلى بلادِ المجوس يتداخلان تداخلاً شديداً.

وتُوُفِّيَ يحيى بنُ حكمٍ الغَزالُ في مطلَع ٢٥٠ (٨٦٤ م).

٢ - كان يحيى بنُ حكمٍ الغزالُ متعدّدَ نواحي الشخصية. وكان مُشارِكاً في عددٍ من العلوم منها الفَلْسفة والفَلَك. وكذلك كان لَبِقاً حَسَنَ التحديثِ مِمّا جَعَله ناجحاً في الحياةِ السياسيةِ وفي السِفارة.

وكذلك كان أديباً وشاعراً مطبوعاً صاحِبَ بديهةٍ وٱبتكارٍ في المعاني، وإنْ كان في أُسْلوبِهِ يَطْبَعُ على غِرارِ المشَارقة مَعَ قِلّةِ عِنايةٍ بالديباجةِ، إذا كانتِ الديباجةُ تَحولُ بينَه وبينَ كمالِ التعبيرِ عنِ المعنى (كما كانَ شأنُ ابن الروميّ). وفنونُ شعرِه المدحُ والهجاء والغزل والـمُجون والخمريّات (وإن لم يكنْ يشرَبُ الخمر) والحكمةُ مَعَ

---

(١) صدر في سفارة الغزال هذه كتاب هو

The Poet and the Spae-Wife
An attempt to reconstruct al-Ghazal's embassy to the Vikings,
by W. E. D. Allen.
Dublin (Allen Figgis and Co. Ltd). 1960.

ومؤلّفه لا يوافق المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال على رأيه في أن سفارة الغزال كانت إلى القسطنطينية، بل يرى أنّها كانت إلى جزيرة إيرلندة، (غرب جزيرة انكلترة) حينما كانت ايرلندة تحت حكم الفايكنغ الشماليين، وأن هذه السفارة كانت بين الشهر الأوّل من عام ٨٤٥ للميلاد (شوّال ٢٤٤) ومنتصف الصيف من ذلك العام (ص ٥٤).

شيء من التشاؤم. وله أيضاً قَصَصٌ، فقد نَظَمَ أُرْجوزةً طويلة في فتح الأندلس وفي الوقائع التي دارتْ بينَ المسلمين وملوك النصارى. وشاعتْ هذه الأُرجوزةُ بين الناس. (نفح الطيب ١ : ٢٨٢)، ولكنّها ضاعت فيما بعد[١].

٣ - مختارات من شعره

- كان بعضُ أمراءِ الأندلسِ قد ولّى يحيى الغزالَ قَبْضَ الأعشارِ (نصيب الدولة من المواسم) وخَزْنها. وبدأ قحطٌ في البلاد فباع يحيى الغزالُ الحبوبَ التي في الأهراء بالثمن الرائج فَنَفَقَتْ بسُرعةٍ. فغَضِبَ الأمير وطالب يحيى بثمن المثل (بعد ارتفاع الأسعار) فلم يستطعْ يحيى ذلك لأنّ الفرق بين الثمن الذي باع به يحيى الحبوبَ والثمن الذي غلا كان ثلاثينَ ألفَ (درهمٍ). فأمرَ الأميرُ بسَجْنِ يحيى الغزال وتقييدِه. فنَظَم يحيى الغزالُ في سِجْنه قصيدةً يبسُطُ فيها القضيّة من وِجْهةِ نظرهِ هو، فَرضِيَ الأميرُ وأطلق سَرَاحَ يَحْيى.

وفي المطرب أن الأميرَ الذي وقعتْ في أيامهِ هذه الحادثةُ هو عبدُ الرحمن ابن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ). لكنّ مطلعَ القصيدةِ يَدُلّ على أن شاعرَها كان في الخمسين من العمر (ويحيى الغزالُ كان في أيام عبد الرحمن بن الحكم في صدر شبابه)، إلاّ إذا قَبِلْنا أن يكونَ المطلعُ تقليديًّا عامًّا وليس تجريداً (خطابَ الشاعرِ نفسَه). وفي ما يلي عددٌ من أبياتِ القصيدة المذكورة:

بعضَ تصابِيكَ على زينبِ.   لا خيرَ في الصَبْوة للأشيبِ[٢].
أبعدَ خَمسينَ تَقضَّيْتَها   وافيةً تصبو إلى الرَبْربِ[٣]!
من مُبْلِغٌ عنّي إمامَ الهُدى   الوارثَ المجدَ أباً عن أب

(١) في جذوة المقتبس (ص ١٨٦) وبغية الملتمس (ص ٢٥٨؛ راجع الأعلام للزركلي ٢ : ١٧٠) أنّ حبيب بن أحمد الشطجيري (ت نحو ٤٣٠ هـ)، وهو أديب شاعر من أهل قرطبة جمع ديوان يحيى بن الحكم الغزال ورتّبه على الحروف.

(٢) الصبوة: جهلة الشباب. التصابي: تكلّف ذلك، التظاهر بالشباب.

(٣) الربرب: الغزال الصغير.

أنّي إذا أطْنَبَ مُدّاحُه … قَصَدتُّ في القول فلم أُطْنب[1].
لا فَكَّ عنّي اللهُ إن لم تكنْ … أذْكَرْتَنا مِنْ عُمَرَ الطيّب[2]؛
وأصبحَ المَشْرِق من شَوقهِ … إليكَ قد حَنّ إلى المَغْرب:
مِنْبَرُهُ يَهْتِفُ من شَوْقِهِ … إليكَ بالسَهْل وبالمَرْحب.
أطْرَبَهُ الوقتُ الذي قد دَنا، … وكان من قَبْلِكَ لم يَطْرَب.
هفا به الوجدُ، فلو مِنْبَرٌ … طار لوَافى خَطْفَةَ الكوكبْ[3]
إلى جميلِ الوجهِ ذي هَيْبةٍ … ليست لحامي الغابة المُغْضَب[4].
لا يُمْكِنُ الناظرَ من رُؤيَةٍ … إلاّ التماحَ الخائفِ المُذْنب[5].
إن تُرِدِ المالَ فإنّي آمرُؤ … لم أجْمَعِ المالَ ولم أكْسِب[6].
إذا أخذتَ الحقّ منّي فلا … تلتمسِ الربحَ ولا تَرْغَب[7].
قد أحسنَ اللهُ إلَيْنا معاً … إنْ كان رأسُ المالِ لم يذهَب[8]!

- لمّا كان يحيى بنُ حكمٍ الغزالُ في بلاد المجوس لَفتَ نَظَرَ الملكةِ «تودَ» فسألته يوماً: كَم عُمُرُكَ؟ فقال لها: عشرونَ عاماً! فقالت له: ولكنّ في رأسك شعراً أبيضَ! فأنشد مُرتجلاً:

---

(١) أطنب: بالغ، زاد على الحدّ المطلوب. قصد: اعتدل (جاء بالقصد: بالقدر المطلوب المعقول الكافي).
(٢) لا فكّ الله قيدي ولا أخرجني من السجن إن لم يكن فيك شيء من صفات عمر بن الخطّاب.
(٣) وافى: جاء إلى جوارك. خطفة (لمعة) الكوكب: بسرعة.
(٤) حامي الغابة: الأسد. المغضب: الغضبان (في الحقّ).
(٥) لا يستطيع أحد أن يطيل النظر إليه لهيبته.
(٦) إذا كنت تريد مالاً فلا تطلبه منّي، لأنّي رجل لم أجمع في حياتي مالاً ولم أستطع أن أكسب من المال ما يبقى منه شيء للخزن.
(٧) أنا أعطيتك جميع الثمن الذي بعت به الحبوب فلا تحاول أن تحصل منّي على ربح (لأنّي لا أملك مالاً).
(٨) من حسن حظّي وحظّك أنّي دفعت إليك ثمن الحبوب (كان يحيى الغزال معروفاً بالانهماك في الشهوات وبالإسراف وكان من الممكن أن يتصرف بالثمن الأصلي فيضيع المال كلّه).

كُلِّفْتَ، يا قلبي، هوًى مُتْعِبا غالبْتَ منه الضَيْغَمَ ٱلأَغلبا(١).
إنّي تعلَّقْتُ مجوسيَّةً تأبى لِشمس الحسن أن تغرُبا(٢).
أَقصى بلادِ اللهِ في حيثُ لا يُلفِي إليه ذاهبٌ مَذْهبا.
يا تودَ، يا رُودَ الشبابِ التي تُطْلِعُ من أزرارِها الكوكبا(٣)،
يا بِأَبي الشخصَ الذي لا أرى أَحلى على قلبي ولا أَعذَبا.
إن قلتُ يوماً إن عيني رأتْ مُشْبِهَهُ لم أَعْدُ أن أَكذِبا(٤).
قالت: «أَرى فَوْدَيه قد نَوّرا»، دُعابةً توجبُ أن أَدْعَبا(٥).
قلتُ لها: «ما بالُه؟ إنَّهُ قد يُنْتَجُ المُهرُ كذاأشْهبا»(٦).
فٱستضحكَتْ عُجْباً بقولي لها؛ وإنما قلتُ لكي تعجبا!

- وقال في النساء:

قالتْ: «أُحِبُّكَ!» قلتُ: «كاذبةٌ؛ غُرّي بذا من ليس يَنْتَقِدُ.
هذا كلامٌ لستُ أقبَلُه: الشيخُ ليس يُحِبُّه أحدُ».

- وقال في الخمر (وتجد على قوله شيئاً من منحى أبي نواس):

ولَمّا رأيتُ الشَربَ أَكدَتْ سماؤهم تأبّطتُ زِقّي وٱحتسبتُ عَنائي(٧).
فلمّا أتيتُ الحانَ ناديتُ ربَّه فثاب خفيفَ الروح نحو ندائي(٨).

(١) الضيغم: الأسد.

(٢) تعلّقت (أحببت) مجوسيّة (امرأة على دين المجوس - يقصد تود الدنماركيّة. ومع أن سكّان الدنمارك في ذلك الحين كانوا نصارى، فإن قسماً من سكّان شماليّ أوروبّة كانوا لا يزالون في ذلك الحين على الوثنيّة. وكان العرب يسمّونهم كُلّهم «مجوساً»).

(٣) الرود: الرأد، الرؤد (المرأة الشابّة، الليّنة). الأزرار: مدخل العنق من الثوب.

(٤) لم أعد: لم أتجاوز. لم أعد أن أكذب: ما عدوت (تجاوزت) الكذب (في قولي): كذبتُ.

(٥) الفود: الشعر عند الأذن. نوّر (الزهر) تفتّح، كان أبيض.

(٦) نتج (بالبناء للمجهول) المهر (الحصان الصغير): ولد، ولدته أمّه.

(٧) أكدت سماؤهم: قلّ مطرها (افتقروا، احتاجوا). الزقّ: وعاء للخمر. العناء: التعب. احتسبت عنائي: جعلت تعبي احتساباً (في سبيل الله) - هنا: في سبيل إخواني.

(٨) الحانة محلّ بيع الخمر، جمعها حان. والشاعر يستعمل «الحان» هنا مكان الحانة. ثاب: أقبل.

قليـلَ هجوعِ العـينِ إلا تَعلَّـةً على وجل منّي ومن نُظرائي[١]
فقلتُ: «أذِقْنيها»، فلمَّا أذاقها طرحتُ إليه رَيْطتي وردائي[٢].
وقلتُ: أَعِرْني بِذلةً أَستتِرْ بها بذلتُ له فيها طَلاق نسائي[٣].
فوالله ما بَرَّتْ يميني ولا وفَتْ له، غير أنّي ضامن بوفائي[٤].
فأُبْتُ إلى صَحْبي ولم أَكُ آيباً فكلٌّ يفدّيني وحُقَّ فِدائي[٥].
تداركتُ في شُرب النبيذ خَطائي وفارقْتُ فيه شيمتي وحيائي[٦].

- وقال يحيى بن الحَكَمِ الغزالُ يَصِفُ أهوالَ بحرِ الشَّمال، ويُخاطِبُ رفيقاً له اسمه يَحْيى (أو هو يخاطب نفسه!):

قـالَ لي يحيـى، وصِرْ نـا بـينَ مَوْجٍ كالجِبـال،
وتَوَلَّتْنَا رِياحٌ من دَبورٍ وشَمال[٧]
شَقّـتِ القلْعـينِ وانْـ ـبتّتْ عُرى تلك الحِبال[٨]

---

(١) التعلّة = ما يتعلّل به الإنسان عن شيء يحتاج إليه: يغمّض عينيه ولكن لا ينام حتّى يتوهّم فقط أنّه نائم فيدخل على نفسه شيئاً من الراحة. وجل: خوف. نظراء: أنداد، أمثال، أشباه، (كان بيع الخمر ممنوعاً، ولذلك كان الخمّارون يخافون من الذين يأتون إليهم لشراء الخمر لئلاّ يكونوا من رجال الشرطة. فكان إذا طرق أحد باب الحانة - وكانت الحانات سرّية - تناوم صاحب الحانة حتّى يقوم القادم بحركات ويقول أقوالاً تدلّ قطعاً على أنّه زبون وليس رجل شرطة).

(٢) فلمّا ذقت خمره وأعجبتني أعطيته ريطتي (ثوبي الحرير) وردائي (ثوبي السابغ: الذي ألبسه فوق ثيابي الأخرى) ليعطيني بقيمتها خمراً.

(٣) طلبت منه ثوباً رخيصاً أستتر به وحلفت له بالطلاق أنّني سأردّه إليه.

(٤) إلى الآن لم أردّ إليه ذلك الثوب، ولكنّني عازم على ردّه. ما برّت يميني: ما وفيت بيميني (بقسمي، بحلفي بالطلاق).

(٥) فأبت: فرجعت (إلى أصحابي بخمر). ولم أك آيباً = ما كنت أظنّ أنني أستطيع أن أرجع إلى أصحابي بشيء من الخمر. يفدّيني: يقول لي: فداك نفسي (يمدحني). وحقّ فدائي: كنت مستحقًّا ذلك.

(٦) أدركت: فعلت الأمر دراكاً (مرّات متوالية). فارقت: خالفت (فعلت غير ما تجيز الأخلاق).

(٧) الدبور: الريح الغربية (والمقصود هنا أنّها شديدة). الشمال (بفتح الشين): الريح الشمالية (المقصود: باردة وشديدة).

(٨) القلع (بكسر القاف): شراع (بكسر الشين) السفينة. انبتّت: تقطعت. العرى (جمع عروة بضمّ العين): (هنا) المكان الذي تربط به أشرعة السفينة بالسارية أو بجوانب المركب.

وتمطّـــــــى ملــــــك المو ت إلينـــــا عن حيـــــال[1].
فرأينــــــا الموتَ رأيَ الـ ـعينِ حالاً بعدَ حال:
«لم يَكُنْ للقومِ فينـــــا، يا رفيقي، رأسُ مال[2]».

- وقال في تأمّلِ الناسِ والنظرِ إلى حقيقتهم:

ومن أنعــامِ خالِقنـا علينـا بــأنّ ذنوبَنـا ليست تَفوحُ.
فلو فاحَــتْ لأصبَحْنـا هُروبـا فُرادى بالفَـلا مـا نستريح[3]،
وضـاق بكـلّ مُنْتَحِـلٍ صلاحاً - لنَتْنِ ذُنوبهِ - البلدُ الفسيحُ[4].

٤- يحيى بن الحكم الغزال، تأليف محمّد صالح البنداق (ت اوائل ١٩٨٠ م)، بيروت (دار الآفاق الجديدة) ١٩٧٩ م.

★★ المقتبس ١١ - ١٣، ٦٤ - ٦٦، ٦٩ - ٧٠، ١٣٤، ١٨١ - ١٨٢، ١٨٥ - ١٨٦، ١٩٤؛ جذوة المقتبس ٣٥١ - ٣٥٣ (الدار المصرية) ٣٧٤ - ٣٧٥ (رقم ٨٨٧ أو ٨٨٨)؛ بغية الملتمس ٤٨٥ - ٤٨٦؛ (رقم ١٤٦٧)؛ المغرب ١ : ٣٢٤ - ٣٢٥؛ البيان المغرب ٢ : ٩٣؛ نفح الطيب ٢ : ٢٥٤ - ٢٦٢؛ نيكل ٢٤ - ٢٧، مختارات نيكل ٢٥ - ٢٦؛ بروكلمن، الملحق ١ : ١٤٨ : دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ١٠٣٨؛ الاعلام للزركلي ٩ : ١٧٣ (٨ : ١٤٣).

ابن قطن المهري القيروانيّ

هو أبو الوليدِ عبدُ الملكِ بنُ قَطَنٍ المَهْريُّ القَيْروانيّ[5] لَقِيَ جماعةً من عُلماءِ اللغةِ والنحوِ منهم أبو مالكٍ أمانُ بنُ الصَمصامةِ بن الطِرِمّاحِ الأعرابيُّ وأبو المَنيع الأعرابيُّ ثمّ أصبحَ شيخَ أهلِ اللغة والعَربية (النحو) في بلدِه وزمانِه. له من الكتب:

(١) تمطّى: مشى وهو يتبختر ويحرّك يديه (ليلفت - بفتح الياء وكسر الفاء - انتباهنا: ليخيفنا). ملك الموت: عزرائيل. حيال: جانت.
(٢) القوم (هنا): أصحاب السفينة - لم نكن أنا وأنت عند أصحاب السفينة «رأس مال» (شيئاً ثميناً) يحافظون عليه.
(٣) هروباً فرادي: هاربين متفرّقين (يهرب بعضنا من بعض).
(٤) منتحل صلاحاً: ذلك الذي يدّعي أنه صالح ويتظاهر بذلك.
(٥) هو غير عبد الملك بن قطن الفهري (ت ١٢٣) الذي كان والياً على الأندلس.

تفسيرُ مَغازي الواقديّ - الألفاظ - آشتقاق الأسماء (زاد فيه على ما كان قد جاء به قُطْرُب)(1). وكذلك كان خطيباً بليغاً وشاعراً عاديًّا وكاتباً متندراً: كَتَبَ إليه رجُلٌ يوماً كتاباً وأطال فيه على غيرِ فائدةٍ فردّ عليه عبدُ الملكِ المَهريُّ يقول: «خيرٌ من الإطالة السكوتُ، وفي القَصْدِ إلى الحاجة قطعٌ لمسافة الإطالة».

وعُمِّرَ عبدُ المَلِكِ بنُ قَطَنٍ المَهْريُّ طويلاً، وكانتْ وفاتُه لِعَشْرٍ خَلَوْنَ من رَمَضانَ من سَنَةِ ٢٥٦ (١١/٨/٨٧٠ م).

★★ الزبيدي ٢٤٩ - ٢٥٣؛ إنباه الرواة ٢: ٢٠٨ - ٢١١؛ الوافي بالوفيات ٦: ٤٩٤؛ بغية الوعاة ٣١٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٧٦؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٩ (١٦٢)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٠.

مؤمن بن سعيد

١ - هو مُؤمِنُ بنُ سعيدِ بنِ إبراهيمَ بنِ قَيْسٍ، كان جَدُّه إبراهيمُ مولًى للأميرِ عبدِ الرحمنِ الداخلِ. رَحَلَ مؤمنُ بنُ سعيدٍ إلى المَشْرق فَلَقِيَ أبا تَمّامٍ (ت ٢٣٢) وروى عنه شعرَه. فلمّا عاد إلى الأندلس جعل الناسُ يقرأون عليه شعرَ أبي تمّام.

وكان مؤمن بن سعيد مُؤدِّباً لأولادِ أمراءِ قُرْطُبَةَ. وكذلك اتّصل بهاشمِ بنِ عبد العزيز وبغيره من رجال الدولة. ولكنَّ فَلَتاتِ لسانهِ أوقعتِ الوَحْشَةَ بينَه وبين هؤلاء.

في سَنَةِ ٢٦٢ خرج القائدُ هاشمُ بن عبد العزيز لقتال الثائر عبدِ الرحمن بنِ مروانَ الجِليقيِّ (وكان من الذين يَتَظاهرون في الأندلس بالإسلام) على غيرِ أُهْبةٍ صحيحةٍ ثمّ أوْغل في اللِّحاق بابنِ مروانَ فقُتِلَ عددٌ كبيرٌ من رجاله ووقع هو أسيراً في يدِ ابن مروانَ الجِليقي. فشَمِتَ به مؤمنُ بنُ سعيدٍ وهجاه (من غير ضَرورةٍ تُوجِبُ ذلك سوى فُحْشِ لسانه). فلمّا خرج هاشمٌ من الأسْر، بعدَ عامين، أوْغرَ صدرَ الأميرِ محمّدٍ على مؤمنِ بنِ سعيدٍ فغضب الأميرُ محمّدٌ على مؤمنِ بن سعيد وحَبَسه.

---

(١) راجع الجزء الثاني.

وظلّ مؤمنُ بن سعيد في السِجْن حتّى تُوُفِّيَ في الرابعِ من رَجَبَ ٢٦٧ (٨٨١/٢/٩ م).

٢ - كان مؤمنُ بن سعيدٍ شاعراً مشهوراً مُكْثِراً مُحْسِناً مطبوعاً، وكان فَحْلَ شعراءِ قرطبةَ في زمانه. ولكنّ شعرَه ضاع ولم يبقَ منه سوى نُتَفٍ أكثرُها في الهِجاء. وكان مؤمن بن سعيد يُهاجي ثمانيةَ عَشَرَ شاعراً فيَعْلوهم. من هؤلاء عبّاسُ بنُ فِرناسٍ وديكُ تيسِ الجِنّ (أحمدُ بن محمّد الكتّاني) والعُتْبي. ولقد كان كثيرَ التهكّم بالناسِ شديدَ الهجوم على أعْراضِهم لا يَهابُ سُوقَةً ولا وزيراً حتّى سمّاه الحِجاريّ دِعْبلَ الأندلس؛ لشِدة هِجائه (راجع نفح ٣: ٥٣٨).

٣ - المختار من شعره

- قال مؤمنُ بن سعيدٍ في الشكوى والنسيب:

حُرِمْتُكَ ما عدا نظراً مُضِرًّا ... بقلبٍ بين أضلاعي مُقيمِ:
فعَيْني منكَ في جَنّاتِ عَدْنٍ ... مُخَلّدةً وقلبي في الجَحيمِ!

- وقال شامِتاً بهاشِمِ بنِ عبدِ العزيز، عندَ أسرهِ، يُخاطب أبا حَفْصٍ (ابنَ عمِّ هاشمٍ وعدوَّه):

تَصَبّحْ، أبا حَفْصٍ، على أسْرِ هاشمٍ ... ثلاثَ زُجاجاتٍ وخمسَ رَواطمِ[١]،
وبُحْ بالذي قد كنتَ تُخفيه خِفْيةً ... فقد قطعَ الرحمنُ دولةَ هاشمِ.

- ولمّا صنع عبّاس بن فِرناسٍ لنفسه جَناحين وطار بهما قال فيه مؤمن بن سعيد:

يَطُمُّ على العَنقاء في طَيَرانها ... إذا ما كسا جِثْمانَه ريشَ قَشْعمِ[٢].

---

(١) تصبّح: اشرب الخمر صباحاً. ثلاث زجاجات (من خمر). خمس رواطم (لا تفهم في هذا البيت إلاّ إذا كانت كناية عن النكاح): مع خمس رواطم (؟ الرطوم: المرأة الضيقة....).

(٢) طمّ الطائر الشجرة: علاها (يطمّ على العنقاء في طيرانها: يزيد عليها في الطيران). القشعم: النسر المسنّ (التامّ العمر القويّ). العنقاء: طائرٌ خرافيّ كبير قويّ.

- وقال يشكو من أهل بلده. (تُروى لمحمدِ بن بشيرٍ المعافري - ت ١٩٨ هـ - فوق، ص ٨٥):

إنّما أزرى بقَـــدْري أنّـــني لستُ من بابـةِ هـذا البلـدِ(١).
ليس منهم غيرُ ذي مَقْلِيَةٍ لِذوي الألبابِ أو ذي حسد(٢).
يتحامَوْنَ لِقائي مِثْلَما يتحامَوْنَ لقـــــاءَ الأسد.
طَلْعَـــتي أثقـــلُ في أعيُنِهِمْ وعـــلى أنْفُسِهِمْ من أُحُـــدِ(٣).
لو رَأَوْني قَعْرَ بحرٍ لم يكن أحـــدٌ يأخـــذُ منهم بِيـــدي(٤).

٤ - ★ ★ المقتبس ١٢٢ وما بعد، ١٦٦ وما بعد؛ جذوة المقتبس ٣٣٠ (الدار المصرية) ٣٥١ (رقم ٨٢٦)؛ بغية الملتمس ٤٥٦ - ٤٥٧ (رقم ١٣٧٦)؛ الوافي بالوفيات ٦ : ٩٤؛ بغية الوعاة ١٨٥؛ بروكلمن، الملحق ١ : ٧٣٧؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٢٩١ (٧ : ٣٣٤).

العتبي الشاعر(٥)

١ - هو محمّدُ بنُ عبدِ العزيز العُتبيُّ من شعراءِ دولةِ الأمير محمّدٍ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) كان منقطعاً إلى الأميرِ القاسمِ بنِ محمّدٍ. فلمّا تولّى الأميرُ عبدُ الله بن محمّدٍ الحُكْمَ (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) اتّهم أخاه قاسماً بأنّه يعملُ على خَلْعه فأمر بسَجْنه. وماتُ الأمير القاسمُ في سِجْنه مسموماً. ولعلّ وفاةَ العُتبيِّ الشاعرِ كانت نحو ٢٧٠ (٨٨٣ م).

(١) أزرى به الشيء: نقص من قدره، عابه. البابة: النوع، المستوى.
(٢) مقلية: بغض، كره.
(٣) أحد: جبل (قرب المدينة).
(٤) قعر بحر: في قعر بحر.
(٥) محمّد بن عبد العزيز العتبي الشاعر غير محمّد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي (ت ٢٥٤ أو ٢٥٥) الفقيه (نفح الطيب ٢ : ٥١، ٢١٥ - ٢١٦، ٦٢٧؛ شذرات الذهب ٢ : ١٢٩؛ بروكلمن ١ : ١٨٦، الملحق ٣٠٠ - ٣٠١؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٩٧. وفي الوافي بالوفيات (٢ : ٣٠): محمّد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي المتوفّى في عشر الستّين بعد المائتين. وهنالك نفر آخرون أسماؤهم محمّد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي (الذيل والتكملة ٤ : ٦٨٣ - ٦٨٥) كلّهم محدّثون.

٢ - كان العُتْبيُّ الشاعرُ من نُبهاءِ الشعراء مُنقطعاً إلى الأميرِ القاسمِ كما كان الشاعرُ مؤمنُ بنُ سعيدٍ (ت ٢٦٧؛ راجع، ص ١٢٢) منقطعاً إلى أخيهِ الأميرِ مَسلمةَ. وكان بين الشاعرين مُهاجاةٌ. وللعُتبي، نثرٌ وشعر. ومن فنون شِعره فخرٌ ومديح وهِجاء ومجون ووصف وخمر. ثمّ إنّ ألفاظَه جَزْلَةٌ وتراكيبه متينة ونَفَسَه مَشرقيّ. وفي شعره شيءٌ من الصِناعة.

٣ - مختارات من شعره

- قال محمّدُ بنُ عبدُ العزيز العتبيّ يمدح الأميرَ قاسمَ بنَ محمّد[١]:

....في جنّـةٍ بإزاء النجم ساميةٍ ... أهدتْ لها طيبَها جنّاتُ رِضوان[٢].
وأوجــهٍ كنجومِ الليـــل زاهرةٍ ... حُفّتْ ببدرِ دُجًى من آلِ مَروانِ[٣].
أعـلى قريشٍ مَحلاً في أُرومَتِها، ... وجُودُه لِمُرَجّي جودِه دانِ[٤].
غَمْرُ النَوالِ لـه كَفّانِ قد حَوَتا ... مِنَ المكـارم ما لم تَحْوِ كفّان[٥].
أغرُّ أشْبَهَ آباءً له سَلَفوا: ... جُوداً بجودٍ وإحسانـاً بإحسان[٦].
فَاشْرَبْ عـلى جِدّةِ الدنيا وزَهْرتِها ... وجَوْدةِ العيش ما كَرَّ الجديدان[٧].

- وقال يمدح الأمير محمّداً (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، وذلك سنة ٢٥٤ هـ:

سائِــــلْ بمـــاردةٍ سيوفَ محمّـــدٍ ... خَلَّيْنَ مـاردةً كـأنْ لم تمرُدِ[٨].

---

(١) قاسم بن محمد أخو الأمير عبد الله (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) اتّهمه أخوه بأنّه يكيد له فسجنه. ومات القاسم في السجن مسموماً.
(٢) رضوان: خازن الجنّة.
(٣) حفّت: أحيطت. دجى (ظلام الليل).
(٤) الأرومة: الأصل. دان: قريب.
(٥) غمر: (الماء) الكثير. النوال: العطاء.
(٦) أغرّ: أبيض (كناية عن شرف الأصل).
(٧) الجديدان: الليل والنهار.
(٨) مرد، يمرد (بفتح الراء وضمّها): طغى وجاوز حدّه. يجانس الشاعر بين ماردة وتمرد.

غَمَطَتْ مسالمَةَ الأميرِ وهيّجتْ حرباً أباحَتْها لكلِّ مُهَنّد[1].
يترُكْنَ أبنــــاءَ النِفــــاقِ كأنّهم بالقـاعِ صَرْعى قَهْوةٍ أو مُرْقِد[2].
وكـــأنّ عاكفــــةَ النسورِ عَلَيْهِمُ أبناءُ حامٍ يَعْكِفون بمسجدِ[3].
قَضَتِ الصوارمُ بالحُتوفِ عَلَيْهِمُ؛ وإذا قَضى بقَضِيّةٍ لم يُرْدَد[4].
كم خائنٍ منهم تَمنّــى - إذ رأى بِيضَ الصوارمِ - أنّه لم يُولَدِ!

٤ - ★ ★ المقتبس ١٥٧ - ١٥٨، ٢٠١ - ٢١١، ٣٢٣ - ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٥٩ - ٣٦٠؛ المغرب ١: ١٣٤؛ الحلّة السيراء ١: ١٢٨، ١٤٧؛ البيان المغرب ٢: ١١٢، ١١٣

وليد بن غانم

١ - هو وليدُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ عبدِ الحميد بنِ غانمٍ، كان جَدُّه عبدُ الحميد من موالي عبدِ الرحمن الداخلِ ومن قُوّادِه. وأمّا أبوه عبدُ الرحمن فقد تولّى الوزارةَ والحِجابةَ للحكَمِ بنِ هشامٍ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) ثمّ لابنِه وخليفتِه عبدِ الرحمن الأوسطِ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ). وكانت وفاةُ عبدِ الرحمن بنِ عبدِ الحميد في الحبس سَنَةَ ٢١٠ هـ[5].

ويبدو أنّ أُسرةَ وليدِ بنِ غانمٍ كانت قدِ انتقلتْ إلى كورة المُوسّطة[6]، وكان قومُه من أجناد الدولة.

---

(١) غمط النعمة: كفرها ولم يشكرها. الأمير محمّد منح أهل ماردة سلماً (عفواً وحسن معاملة) فلم يقابلوا ذلك بالطاعة.
(٢) القاع: الأرض المنخفضة. قهوة: خمر. المرقد: المخدّر.
(٣) النسور السود (كأنّهم من أبناء حام) تطيل المكث على جثثهم.
(٤) الحتف: الهلاك. وإذا قضى (الأمير محمّد!).
(٥) راجع تعليقاً لمحمود علي مكّي (المقتبس ٤٥٠). فعلى هذا يجب أن يكون وليد بن غانم قد بلغ نحو سبعين سنة من العمر.
(٦) المقتبس ١٤١. الموسّطة: كورة قريبة من كورة رية (المقتبس ٣٩٣). و«كورة رية التي منها مالقة» نفح الطيب ١: ٢٦٣) في جنوب الأندلس.

لا نَعْرِفُ شيئاً من أخبار وليدِ بنِ غانمٍ قبلَ أن يتولّى مَنْصِبَ صاحبِ المدينةِ للأمير محمّدٍ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). ثمّ رُفِعَ إلى مَنْصِبِ الوزارة. وفي سَنَةِ ٢٦٣ هـ خرج تحتَ إمرة الأميرِ مُنذرٍ[١] لقتالِ عبدِ الرحمن بن مروانَ الجِلّيقيّ[٢]. أمّا وفاتُه فكانتْ في شَعبانَ من سَنَةِ ٢٧٢ (مطلع عام ٨٨٦ م)[٣].

٢ - كان وليدُ بنُ غانمٍ «مِنَ المحكوم لهم بالتَبْريز في العقل والفضل وجَوْدةِ الرأيِ وحُسن السِيرة وسَدادِ المذاهب» وفيًّا لأصدقائه. وكان أديباً مُتَرَسّلاً وبَليغاً، وقيل إنّ له شِعراً. ونثرُه ينكشف عن مَتانةٍ وفَهْمٍ لِلُّغةِ مَعَ إحاطةٍ بعدد من وجوه المعرفة.

٣ - مختارات من آثاره

- خرج الوزيرُ هاشمُ بنْ عبدِ العزيز في حملةٍ على الثائرِ عبدِ الرحمن بن مروانَ الجِلّيقيّ فهزَمَه عبدُ الرحمن وأسَره. ووصَلَ الخبرُ إلى الأميرِ محمّدٍ فلام هاشماً ورماه بالعَجْز والطَيْش. وكان الوليدُ بنُ غانمٍ في المجلس فدافع عن هاشمٍ، وكان صديقاً له، فقال (المقتبس - مكّي - ص ١٧٨):

أصلَحَ اللهُ الأميرَ. إنّه لم يكنْ على هاشمٍ التَخَيُّرُ في الأمرِ ولا الخروجُ على القَدَر[٤]، بلِ آسْتفرغ نُصْحَهُ وأعمَلَ جُهدَه وحامى آستطاعَتَه، فأسْلَمَه اللهُ بخِذْلانِ مَنْ مَعَه ونُكولِ مَنْ أطافَ به[٥]. فجُوزِيَ عن نفسِه وسُلطانه خَيْراً! أصلَحُ اللهُ الأميرَ. إنّما كان هاشمٌ عبدَك ونَشْءَ صَنيعَتِكَ وسيفاً من سُيوفك وسَهْماً من سِهامك،

---

(١) قبل أن يتولّى الحكم.

(٢) عبد الرحمن بن مروان الجليقيّ من أهل ماردة (شمال غربي قرطبة بنحو مائة وستّين كيلومتراً) ثار سنة ٢٥٤ هـ. وطالت فتنة ابن مروان الجليقيّ ووصل يده بألفونس الثالث ملك قشتالة. وظلّ ابن مروان الجليقي ثائراً إلى أيام عبد الرحمن الناصر.

(٣) في المقتبس أن وفاته كانت ٢٩٢، ويبدو أنّه خطأ.

(٤) ما كان يستطيع أن يبدّل القضاء والقدر.

(٥) الخذلان ترك نصرة الذي ينتظر منك النصرة. النكول: الرجوع عمّا يعد به الإنسان.

نَفَذَ أمرُك فيه وٱسْتُقْدِمَ للدِفاع عن سُلطانك حتّى فُلَّ[1] في مَرْضاتِك. فالأَوْلى بكَرَمِ الأميرِ وشرف خَليقتِهِ أن يُحْسِنَ خِلافةَ هاشمٍ في عَقِبهِ ويحفَظَه في ساقتِه[2] ويُهَوِّنَ عليه بلاءَه بإمْضاء وَلَدِه على خِدمته وخِلافتِه بحَضْرتِه[3] حتّى يَمُنَّ اللهُ تعالى بيُمْنِ الأميرِ فيُطْلِقَ سَراحَه ويُقيل عَثْرتَه[4].

- وبَلَغَ إلى هاشمِ بنِ عبدِ العزيزِ ما قاله وليدُ بنُ غانمٍ فكتب إليه يشكُرُه على وَفائه وكَرمِ أخلاقه. فردّ عليه وليدٌ برسالةٍ فيها:

أسألُ اللهُ راغباً إليه فَكَّ أسْرِكَ وتعجيلَ تَخْليصك وتَيْسيرَ إطلاقك. وَرَدَ كتابُك، يا سَيِّدي، فسَكَّنَ من حُرَقي بِك وأطفأ من غُلَّتي[5] فيك وهدّأ من عويلي عليك. فيا لَهْفي على فِراقِ غُرّتِك وفُقْدان رُؤيتك لَهْفاً ما إنْ ينقطعُ ولا ينصرم[6]. ولَئِنْ صِرْتَ - خلّصك الله - من حُكمِ الله إلى مَشيئته، ومِنْ نافذِ أمرِه إلى سابقِ علمه[7]، لَما قَصّرتَ في المُحاماة عن سُلطانك ودِينِك والتعرُّضِ للشهادة بجُهْدك[8] فما إنْ تَجدُ لِلاحِيكَ ولائِمِكَ خَلَلاً في عِرْضِك وحَزْمِك[9] ولا إضاعةً في تَدْبيرك وضَبْطِك.

٤ - ★ ★ المقتبس ١٤١، ١٧٣ - ١٧٥، ١٧٧ - ١٧٩، ٢٧١، ٣٨٨ - ٣٩٢، ٤٤٩ - ٤٥٠؛ الحلّة السيراء ١: ١٤١، ٢: ٣٧٤؛ نفح الطيب ٣: ٣٧٢ - ٣٧٣؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٤٠ (٨: ١٢٠).

---

(١) كسر (شبّهه بالسيف الذي إذا فلّ لم يقطع).
(٢) أن يحسن خلافته (الاهتمام برعاية أهله) في عقبه (نسله، أهل بيته).
(٣) يدخل ابنه (ابن هاشم بن عبد العزيز) في خدمة الدولة اعترافاً بفضل هاشم.
(٤) يفتديه من الأسر.
(٥) الغلّة: العطش (حرقة الحزن).
(٦) «إن» هنا وفيما يلي زائدة بعد «ما» النافية.
(٧) ... لو رجعت إلى ما كنت فيه (من الحرّية)....
(٨) التعرّض للشهادة (للموت في الجهاد).
(٩) اللاحي: اللائم. لما وجد أحد فيك نقصا.

عثمان بن المثنّى

١ - هو أبو عبد الملك عُثمانُ بن المُثنّى القيسي القُرطبي، وُلِدَ نحو سَنَةِ ١٨٠(٧٩٦ م)- وقيل عاش تِسعاً وتِسعين سَنَةً (فيكون مولده حينئذٍ سَنَةَ ١٧٤) - . رَحَلَ إلى المشرق فلَقِيَ جماعةً من علماءِ اللغة والنحْو منهُمُ ٱبنُ الأعرابيّ (ت ٢٣١). وقد لَقِيَ أبا تمّامٍ وقرأ عليه ديوانَه، وكان أوّلَ مَنْ أدخل ديوانَ أبي تمّامٍ إلى الأندلس.

وكانت وفاةُ عُثمانَ بن المثنّى بعد شهر صفر من سنة ٢٧٣ (٨٨٦ م).

٢ - كان عُثمانُ بنُ المثنّى شُجاعاً مُكْثِراً للغَزْوِ في الثُّغور (شَماليِّ الأندلس عند الحدود المُصاقبة للإمارات المسيحية). وكذلك كان مُؤدِّباً لأولادِ الأميرِ عبد الرحمن ٱبن الحَكَم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) ولأولادِ ٱبنهِ الأميرِ محمدٍ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). وهو من أئمَّةِ النحو، وله شيءٌ من النظم. ففي المقتبس (٢٧٤ - ٢٧٥) قصيدةٌ مَدَحَ بها الأميرَ محمّداً، لمّا أسقط الأميرُ محمّدٌ ثُلُثَ العُشورِ عن الرعيّة، تُحِسُّ فيها بنَفَسِ أبي تمّامٍ (وهذا معقولٌ جِدًّا لحُبِّ عُثمانَ بنِ المثنّى لأبي تمّامٍ) في رِثاءِ محمّدِ بنِ حُميدٍ الطوسي.

٣ - مختارات من شعره:

- قال عثمان بن المُثنّى يمدَحُ الأميرَ محمدَ بنَ عبدِ الرحمن بن الحكم:

غـدا في أساريرِ الإمـامِ محمّـدٍ ... إمامِ الهدى بدرٌ وفي كَفّه بحرُ[(١)].
تلافـى رعاياه بإسْقـاط ثُلْثِ ما ... عليهم بما ٱستوفـى... قبله العُشرُ[(٢)].
وأوسعَهُم عــدلاً ورِفْــقَ سياسةٍ ... فطابتْ به عنه الأحاديثُ والذِّكْر.

---

(١) الأسارير (جمع أسرار): خطوط في الوجه. بدر (كناية عن المهابة من حقيقة الملك). بحر (كناية عن الكرم).

(٢) تنقص في الأصل كلمة «الذي».

لقد حَسَدَتْ أرضُ العِراقين أرْضَهــا ... على عدلِه فينا كما حَسَدَتْ مِصْرُ[1]
هو الدهرُ في تصريفه الفقرُ والغِنى، ... كذلك في أحداثِه النفْعُ والضُرّ.
إذا ذَخَرَ الأملاكُ كَسْباً فما له ... سوى الجدِ والمعروفِ كسبٌ ولا ذُخْر[2]

٤ - ★ ★ الزبيدي ٢٨٨؛ ابن الفرضي رقم ١: ٣٤٦ (رقم ٨٩١)، طبعة القاهرة ٢: ٣٠٢؛ المقتبس ٢٧٤ - ٢٧٥؛ المغرب ١: ١١٢ - ١١٣؛ الحلّة السيراء ١: ٤٨؛ بغية الوعاة ٣٢٤؛ البلغة ١٤١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٧٦ (٢١٣).

الرازي المؤرّخ

هو محمّدُ بنُ موسى بنِ (بشيرِ بنِ جنّادِ بنِ لقيطٍ الكِنانيُّ) الرازيُّ من أهلِ الريّ (خُراسان - فارس) كان يَفِدُ من المشرق على أمراءِ بني أُميَّةَ في الأندلُسِ مُتَّجِراً بالحُليّ والعقاقيرِ وسِواها من عُروض التجارةِ الثمينة. ويبدو أنّه اسْتقرّ في الأندلس سَنَةَ ٢٤٩ (٨٦٤ م) فسكن قرطبة ونال حَظوةً عند الأميرِ محمّدٍ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) فانْتَدَبَهُ الأميرُ محمّدٌ للإصلاحِ بينَ العَرَبِ والمُوَلَّدينِ (المسلمين من أصلٍ إسبانيٍّ)، بنواحي غَرناطةَ، في سَنَةِ ٢٧٣. وقد تُوُفِّيَ الرازيُّ في إلبيرة بعد رُجوعهِ من هذه الرِحلة، في ربيعٍ الثاني ٢٧٣ (أيلول - سبتمبر ٨٨٦ م)[3]، في أيامِ الأمير المُنذرِ الذي جاء إلى الإمارة في صَفَرَ من سَنَةِ ٢٧٣ (تمّوز - يوليو ٨٨٦ م).

كان الرازيُّ هذا مُتَفَنِّناً في عددٍ من العلوم وكانَ مُؤرّخاً ألّف «كتاب

(١) اقرأ: أرضنا.
(٢) الأملاك جمع ملك مثل ملوك.
(٣) في نفح الطيب (٣: ١١١) أن محمّد بن موسى الرازي توفّي في ربيع الآخر من سنة ٢٧٣. وقد ذكر ابن الفرضي أن مولد ابنه أحمد كان في ذي الحجّة من سنة ٢٧٤، ونقل ذلك عنه السيوطي في بغية الوعاة (ص ١٦٨) وأخل جنثالث بالنثيا (تاريخ الفكر الأندلسي ١٩٧). وهذا محال لأنّه يجعل وفاة أحمد بعد مولد أبيه بعشرين شهراً. ولو أننا قبلنا من جنثالث بالنثيا أن تكون وفاة محمّد في ٢٧٣ هـ/ ٨٨٦ م مع الإصرار على مولد ابنه أحمد في ذي الحجّة من ٢٧٤ لظلّ الفرق بين وفاة الوالد ومولد ابنه أكثر من عام. والمخرج: إمّا أن تكون وفاة الوالد في سنة ٢٧٤ هـ أو يكون مولد الابن في سنة ٢٧٣ هـ.

الرايات »[1] ذكَرَ فيه دُخولَ العربِ إلى الأندلس على راياتهم (أي بِحَسْبِ قبائِلِهِمْ وبحسبِ البُعوثِ التي جاءوا فيها جيشاً بعد جيشٍ). وكتابُ الراياتِ ضائعٌ، ولكنّنا نَجِدُ نُتَفاً منه في عددٍ من كتب التاريخ.

- ★★ المقتبس ٢٦٥ - ٢٦٩؛ التكملة ١: ٣٦٦ (رقم ١٠٤٨)؛ نفح الطيب ٣: ١١١؛ بالنثيا ١٩٣ - ١٩٦؛ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٣: ١١٣٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٣٨ (١١٧).

هاشم بن عبد العزيز

١ - هو أبو خالدٍ هاشمُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ هاشمِ بنِ خالدِ بنِ عبدِ الله بنِ حسنِ ٱبنِ جُعْدِ بنِ أسلمَ بنِ أبانِ بنِ عمرٍو. وكان عمرٌو هذا مولًى لِعُثمانَ بنِ عفّانَ (ت ٣٥ = ٦٥٦ م). ثمّ إنّ أهله كانوا قدِ ٱنتقلوا إلى الأندلُسِ وسكنوا إلْبيرة فأصبحَ لهم فيها رِئاسةٌ وجَلالةٌ.

وُلِدَ هاشمُ بنُ عبدِ العزيزِ (في إلبيرة) في أيامِ الأميرِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحكَمِ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ)، ولمّا شَبّ أصبحَ من أشياعِ الدولة الأُمَويَّة في الأندلسِ مُخْتَصًّا بالأميرِ محمّدِ بنِ عبدِ الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، فكان الأميرُ محمّدُ بنُ عبدِ الرحمنِ يُقَرِّبُه فقدِ ٱتّخذه وزيراً ثمّ ولاّهُ كُورةَ جيّانَ.

وخاض هاشمُ بنُ عبدِ العزيز حروباً كثيرةً، ولكنّه لم يكنْ كثيرَ التوفيق. في سَنَةِ ٢٦٢ (٨٧٦ م) قاد جيشاً لِقتالِ عبدِ الرحمنِ بنِ مروانَ الجِليقيّ بنواحي بَطَلْيَوْسَ فأَوْغَلَ بالجيشِ بلا ٱستعدادٍ تامٍّ ولا ٱحتياطٍ كافٍ، فقُتِلَ عددٌ كبيرٌ من عسكرِه

(١) المقصود بالرايات: الرايات التي كانت تحملها القبائل العربية التي دخلت إلى الأندلس (عدد القبائل التي دخلت الأندلس في زمن الفتح): رايتان لموسى بن نصير: عقد له إحداها عبد الملك بن مروان على إفريقية وما وراءها (يكون والياً على ما يفتحه في إفريقية وما وراءها من البلاد)، والثانية عقدها له الوليد بن عبد الملك على إفريقية أيضاً وما يفتحه وراءها من الغرب، ثمّ راية ثالثة لعبد العزيز بن موسى بن نصير (وقد دخل الأندلس مع أبيه موسى)... وذكر محمّد الرازي أيضاً بيوتات العرب (الأسر العربية المشهورة) التي دخلت إلى الأندلس ولم تكن تحمل رايات (لقلّة عددها، ولأنّها تنتسب إلى القبائل التي كانت تحمل رايات).

وجُرِحَ هو نفسُه وأُسِرَ، ففداه الأميرُ محمّدٌ بمبلغٍ كبيرٍ فخرج من الأسرِ سَنَةَ ٢٦٤.

وفي سَنَةِ ٢٦٨ (٨٨١ م) سار بجيشٍ إلى قتالِ أهلِ سَرَقُسْطَةَ - وكان مَعَهُ المُنْذِرُ بنُ الأميرِ محمّدٍ - فانتصرَ هاشمٌ في تلك الغزوةِ وحَطَّمَ سَرَقُسْطَةَ وفتح عدداً من الحصون حولَها، ولكنّه أساء الأدبَ مَعَ المُنذِرِ حتّى حَقَدَ عليه المنذرُ.

ولمّا جاء المُنذِرُ إلى الإمارة، في ثالثِ ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٢٧٣ (٨/ ٨/ ٨٨٦ م) - وقيل في ثامنِ ربيعٍ الأوّل - أوْهَمَ هاشماً أنّه نَسِيَ ما كان بَيْنَهما واسْتَحْجَبَهُ (جعلَه حاجباً: رئيساً للوَزارةِ)، ثمّ نَكَبَهُ وحَبَسَهُ وعذّبه وقتَله، في ٢٦ شوّالٍ من سَنَةِ ٢٧٣ (٢٥/ ٣/ ٨٨٧ م).

٢ - كان في هاشمِ بنِ عبدِ العزيزِ عددٌ من الخِصالِ الحميدةِ فقد كان فارساً شُجاعاً ورئيساً كريماً مُحْسِناً وذا قُوّةٍ وجَلَدٍ في الحرب وصبرٍ في المصائب. ولكنّه كان أيضاً حَقوداً لَجوجاً سَيِّىءَ التصرُّفِ في أمورِه مَعَ الناس. ثمّ إنّه كان كاتباً بليغاً وشاعراً بارعاً متينَ الأُسلوبِ واضحَ التعبير. وفنونُ شعرِه الفخرُ والعِتابُ والأدبُ (الحِكمة) والهجاء. وكان يَرْتَجِلُ الشِّعْرَ أيضاً.

٣ - مختارات من آثاره

- كان الوزيرُ الوليدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بن غانمٍ صديقاً لهاشمِ بنِ عبدِ العزيزِ. فلمّا أُسِرَ هاشمٌ جرى ذِكْرُهُ في مجلسِ الأميرِ محمّدٍ، والوليدُ حاضرٌ، فَنَسَبَهُ الأميرُ محمّدٌ إلى الطيشِ والعجلة والاستبدادِ في الرأيِ حتّى أدّى ذلك إلى انْهزامِه في المَعْرَكَةِ وأَسْرِه. فدافع الوليدُ عن هاشمٍ ونَسَبَ انهزامَه وأسْرَهُ إلى عواملَ كثيرةٍ منها سوءُ الحظّ. فذَهَبَ غَضَبُ الأميرِ محمّدٍ وسعى في تخليصِ هاشمٍ من الأَسْرِ بفِدْيةٍ كبيرةٍ. وبَلَغَ ذلك إلى هاشمٍ فكَتَبَ إلى الوليدِ (نفح الطيب ٣: ٣٧٣):

« الصديقُ مَنْ من صَدَقَكَ في الشِّدّةِ لا في الرَّخاء، والأخُ من ذَبَّ[1] عنك في الغَيْبِ لا في المَشْهَدِ، والوفيُّ من وَفَى لك إذا خانَك زمانٌ. وقد أتاني مِنْ كَلامِك بَيْنَ

---

(١) ذبّ: دافع.

يَدَيْ سَيِّدِنا - جعلَ اللهُ تعالى نِعمتَه سَرْمَداً[1] - ما زادني بِمَوَدَّتِك اغتباطاً وبصَداقتِك ارتباطاً. ولذلك ما كنتُ أشُدُّ يَدي على وَصْلِكَ بإخائي. وأنا الآنَ بمَوْضِعٍ لا أقْدِرُ فيه على جزاءٍ غيرِ الثناء. وأنتَ أقدرُ منّي على أنْ تَزيدَ ما بَدأتَ به بأنْ تُتِمَّ ما شَرَعْتَ فيه حتّى تَتكَمَّلَ لك المِنَّةُ ويَسْتَوثِقَ عِقْدُ الصداقة...».

- وقال هاشمُ بنُ عبدِ العزيزِ في الفخر بأحوالِ الهَزْلِ وأحْوالِ الجِدّ:

أهْوى مُعانقـــةَ المِـــلا ح وشُربَ أكواسِ الطِّـلى[2].
ويَسُرُّني حُسْنُ الريا ض وقـد تَوشّتْ بالحُـلى[3].
وأذوبُ مِنْ طَرَبٍ إذا مـا الصبـحُ جَرَّدَ مُنْصُلا[4].
وأهيمُ في قَوْدِ الجُيو شِ ونَيْـلِ أسبـابِ العُـلا[5].
وأُهَزُّ مُرتاحاً، إذا سَرَتِ المواضي في الطُّـلا[6].
قُلْ لِلّذي يَبْغي مكا ني: هكــذا أو لا فــلا!

- وكان أحدُ أبناءِ هاشمِ بنِ عبدِ العزيزِ قد خاطَبَ أباه هاشماً برُقْعةٍ فيها شِعْرٌ ضعيفٌ، فوَقَّعَ على ظهرِ تلك الرُقعةِ بَديهَةً:

لا تَقُلْ- إنْ عَزَمْتَ- إلاّ قريضاً رائقاً لفظُه ثَقيفاً رَصينا[7]

---

(١) سيّدنا (يقصد الأمير محمّداً). سرمدا: أمداً دائماً.
(٢) الملاح جمع مليحة: المرأة ذات اللون الحسن. أكواس جمع كأس (غير قاموسية)، وجمع كأس في القاموس كؤس وكؤوس وكاسات وكئاس. الطلى = الطلاء (بالكسر فيهما): الخمر.
(٣) توشّت: (تطرّزت) بالحلى (بالأزهار التي تشبه المعادن الثمينة التي تتحلّى بها النساء).
(٤) المنصل: السيف (نصل السيف). جرّد الصبح منصلاً: بدأت أنوار الصبح تبدو في الشرق كأنّها سيوف (لأن النهار وقت العمل).
(٥) قود الجيوش: قيادة الجيوش (في الحرب).
(٦) أهزّ (بالبناء للمجهول؟): أطرب، أفرح. المواضي: السيوف. الطلا جمع طلاة (بالضمّ فيهما)· العنق (أي في المعارك).
(٧) القريض: الشعر. الثقيف: المهذّب (الخالي من الخطأ).

أوْ دَعِ الشِّعْرَ، فهو خيرٌ من الغَثْـ ـثِ، إذا لم تَجِدْ مقالاً ثميناً!

- وكتب إلى جاريتِهِ - واسْمُها عاجُ - من سِجنهِ أبياتاً هي (وفيها شيءٌ من نَفَسِ النابغةِ ونفس أبي فراسٍ):

وإنّي عداني أن أزورَكِ مُطْبِقٌ وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضَبَّبُ[1].
فإن تَعْجَبي، يا عاجُ، مِمّا أصابني؛ ففي رَيْبِ هذا الدهرِ ما يُتَعَجَّبُ[2].
وفي النفسِ أشياءٌ أبيتُ بغَمِّها كأنّي على جمرِ الغَضى أتقلّبُ[3].
تَرَكْتُ رَشادَ الأمرِ إذ كُنتُ قادراً عليه فلاقيتُ الذي كنتُ أرْهَبُ.
وكم قائلٍ قال: آنْجُ، وَيْحَكَ، سالِماً؛ ففي الأرضِ عنهم مُسْتَرادٌ ومذْهَبُ[4].
فقُلتُ لـه: إنّ الفِرارَ مَذَلَّةٌ، ونفسي على الأسواءِ أحْلى وأطيبُ.
سأرضى بحُكْمِ اللهِ فيما يَنوبُني، وما من قضاءِ اللهِ للمرءِ مهرب.
فمن يَكُ مسروراً بِحالي، فإنّه سَيَنْهَلُ في كأسي وَشيكاً ويشرب[5]!

- وقال هاشمُ بنُ عبدِ العزيز (المقتبس ١٣٤):

كان الأميرُ محمّدٌ (راجع، فوق، ص ٥٨) أبصرَ الناس بالرأي وأنفذَهم لِوجهِه، فكان يجمَعُنا للمَشورة على رَسْمٍ من قِبَلِه، فنجتهدُ ويقول كلُّ واحدٍ منّا ما يحضُرُه. فإن وافقَ ما قدِ آنتقاه هو أمضاه عن تَحصيلٍ. وإنْ كان في الرأي خَلَلٌ ناظَرَنا على خِطْئِه وقلّبَ لنا وجوهَه وعَدَلَنا عنه بحِجاجٍ وتِبْيانٍ لا نكاد ندفَعُه فتُصغي أفهامُنا إليه ونختاره.

---

(١) عداه: فاته. مطبق: (بضمّ الميم وكسر الباء): السجن تحت الأرض. مضبّب: مقفل بحديدة تدخل من الباب في الجدار.

(٢) ما يتعجّب (الإنسان) منه: أمور عجيبة غريبة.

(٣) الغضى شجرة يصنع منه فحم ذو نار شديدة الحرارة (وجمعها: غضى).

(٤) مستراد: مكان بعيد ينزله الإنسان للنجاة من أعدائه. المذهب: مكان يذهب إليه الإنسان.

(٥) سينهل (يشرب) من كأسي: سيصيبه مثل الذي أصابني.

٤ - ★ ★ المقتبس ١٣٤ وما بعد، ١٥٧ - ١٧١، ١٧٧ - ١٧٨، ٢٣٧ - ٢٣٩، ٢٤٨ - ٢٥١، ٣٤١، ٣٤٤ - ٣٤٥، ٣٦٠ - ٣٦٤، ٣٦٨ - ٣٧٨، ٣٨٦ - ٣٨٩؛ جذوة المقتبس ٣٤٢ - (الدار المصرية) ٣٦٤ (رقم ٨٦٤) بغية الملتمس ٤٧٠ (رقم ١٤٢٣)؛ البيان المغرب ٢: ١٠٢ - ١٠٥؛ وأماكن أخرى؛ المغرب ١: ٥٢ - ٥٣، ٢: ٩٤ - ٩٥؛ الحلّة السيراء ١: ١٣٧، ١٤٢، ١٦١ - ١٦٢، ٢: ٣٧٣ - ٣٧٦؛ نفح الطيب ٣: ١٣٠ - ١٣١؛ ٣٧٢ - ٣٧٣؛ الأعلام للزركلي ٩: ٤٨ (٨: ٦٦).

عبّاس بن فِرناس

١ - هو أبو القاسمِ عبّاسُ بنُ فِرْناسٍ[١] بن وَرْدوسَ (ورداس؟) الأندلسيُّ، أصلُ أهلهِ من بربرِ تاكُرُنّا (إقليم رُنْدةَ - من جَنوبيّ الأندلس) ومن موالي بني أُمَيَّةَ. وُلِدَ في أعقاب القرنِ الثاني للهجرة (أوائل القرن التاسع للميلاد)، وقد عاش في بَلاط قُرْطُبَةَ، في أيامِ الحَكَمِ الرَبَضِيّ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) وعبدِ الرحمنِ الأوسطِ ومحمّدِ بنِ عبدِ الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). وكان مَسكنُه في الرَبَض (الضاحية) الغربيّ من قرطبة. ويقال إنّه زار العِراق.

اشتهرَ عبّاسُ بنُ فرناسٍ بالبراعة في فنونٍ نظريّة وتَجْريبية فَنُسِبَ إليهِ عددٌ من المُخْتَرَعات منها صِناعةُ الزُّجاجِ من الحِجارة، ومنها المِنقالة[٢]. وكان بارعاً في الرياضيّات والفيزياء والكيمياء والفَلَك والموسيقى. على أنَّ أشهرَ ما عُرِفَ به كان محاولَتَهُ الطيرانَ: فقد كَسا جِسمَه بحريرٍ مُلْصَقٍ عليه ريشٌ كثيرٌ وجعل لنفسه منه جَناحَيْنِ مُتَحرّكين ثمّ صَعِدَ إلى مكانٍ عالٍ وألقى بنفسهِ فطار مسافةً يسيرةً، ولكنّه

---

(١) الفرناس: رئيس الدهاقين (أصحاب الأراضي الواسعة) والأسد. والشجاع؛ والاسم عربي أيضاً. فإنّ رجلاً من بني سليط العرب كان اسمه فرناساً (راجع في ذلك كلّه القاموس ٢: ٢٣٦).

(٢) المنقالة (ويقال: المنقانة): آلة لحساب الوقت أو ساعة (راجع تعليقاً في نفح الطيب ٣: ٣٧٤، الحاشية ٢).

كان قد غَفَلَ عن أن يجعَلَ لنفسهِ ذيْلاً من ريش (مثل زِمِكِّ الطائر)[1] فوقع على مُؤخَّرته، ولكنّه نجا من الموت. ويَجِبُ أن يكونَ قد فَعَلَ ذلك في أوائل كُهولته. وكانتْ وفاةُ عبّاسِ بنِ فرناسٍ في نحو ٢٧٤ (٨٨٧ م) وقد أسنّ، قيل قد زادَتْ سِنُّه على ثمانينَ سَنَةً.

٢ - كان عبّاسُ بنُ فِرْناسٍ فيلسوفاً حاذقاً فَعُرِفَ بحكيم الأندلس، كما كان عالماً ذا عقلٍ مُبْدِعٍ. وكذلك كان من علماءِ النحو[2] أديباً مشهوراً وشاعراً مُجيداً. وفنونهُ المدحُ (مَدَحَ جميع أمراءِ بني أُمَيَّةَ الذين عاصَرَهُمْ) والهجاءُ، وقد هاجى مُؤمِنَ ابن سعيدٍ[3] فأفْحَشَ كلُّ واحدٍ منهما على خصمه. وله وصفٌ بارع. ومَعَ إجماعِ الرُّواةِ على جَوْدة شِعره وكَثْرتهِ، فإنّهم لم يحفظوا لنا منه إلاّ عدداً من الأبيات.

٣ - مختارات من شعره

- في المُحرَّم من سَنَةِ ٢٤٠ (تمّوز - يوليو ٨٥٤ م) ثارَ أهلُ طُليطلةَ واستنجدوا بِمَلِكِ جلّيقية فجاءتهم جموعٌ كبيرةٌ من الإسبان. فَلَقِيَهُمُ الأميرُ محمّدٌ على وادي سَليطٍ (أحدِ روافدِ نهرِ تاجُه جَنوبَ طُليطلة) وهَزَمَهُمْ هزيمةً مُنكرةً قُتِلَ فيها من الإسبان نَحوُ عِشرينَ ألفاً. فقال عبّاسُ بنُ فرناسٍ في ذلك (ابن عِذاري ٢: ١١١، راجع ٩٤ - ٩٥ ونفح الطيب ١: ٣٥٠ في معركة وادي سليط):

ومُخْتَلِفِ الأصواتِ مُؤتلفِ الزَّحْفِ ... لَهُومِ الفَلا عَبْلِ القنابل مُلْتَفِّ[4].
إذا أوْمَضَتْ فيه الصوارمُ خِلْتَها ... بُروقاً تراءى في الجَهام وتستَخْفي[5].

(١) الزمكّ (بكسر فكسر فتشديد) والزمكّى (بكسر فكسر فتشديد أيضاً): ذنب الطائر أو أصله ومنبته (القاموس ٣: ٣٠٥).

(٢) بغية الوعاة، ص ٢٧٦.

(٣) راجع فوق، ص ١٢٢.

(٤) مختلف الأصوات (جيش) متعدّد أنواع السلاح (فكلّ نوع من السلاح يحدث صوتاً معيّناً). مؤتلف الزحف: موحّد السير (لأنّه موحّد الهدف). لهوم: أكول. الفلا: الأرض الواسعة (يقطع المسافات الشاسعة بسرعة). عبل: مكتنز، شديد العضلات. القنابل: جماعات الخيل. ملتفّ: متقارب، موحّد، منظّم.

(٥) الصوارم جمع صارم: سيف. خلتها: ظننتها. الجهام: السحاب الذي لا مطر فيه.

كأنّ ذُرى الأعلامِ في مَيلانِه قراقيرُ في يَمٍّ عَجَزْنَ عن القَذْف(١).
وإن طَحَنَتْ أرحاؤها كان قُطْبُها حِجَا مَلْكٍ نَدْبٍ شمائُله عَفّ(٢).
سَمِيُّ خِتامِ الأنبياءِ محمّدٍ، إذا وُصِفَ الأملاكُ جَلَّ عن الوصف(٣).
بَكَى جَبَلا وادي سَليطٍ فأعْوَلا على النَفَرِ العُبْدانِ والعُصْبةِ الغُلْفِ(٤).
دعاهُمْ صريخُ الحَيْنِ فاَجتمعوا له كما اَجتمعَ الجُعْلانُ للبَعْرِ في وَقْف(٥).
فما كان إلاّ أنْ رماهم بِبَعْضِها فولَّوْا على أعقابِ مهزولةٍ كُشْف(٦).
كأنّ مساعيرَ الموالي عَلَيْهِمُ شواهينُ جادَتْ للغَرانيقِ بالنَّسْف(٧).
بِنَفسي تَنانينَ الوغى حينَ صَمَّمَتْ إلى الجبلِ المشحونِ صَفّاً على صفّ(٨)

---

(١) الذرى جمع ذروة (بالكسر أو الضمّ): الرأس. القمّة (بالكسر). الأعلام جمع علم: الجبل. في ميلانه: تحرّكه في مسيره. القرقور (بالضمّ): السفينة الطويلة العظيمة. اليمّ: البحر. القذف: الاندفاع والسير! - هذا الجيش كبير جدًّا إلى حدّ أن الجبال ترى كأنّها سفن عائمة فيه.

(٢) إن طحنت أرحاؤها (الرحى: حجر الطاحون): إذا بدأت المعركة. القطب: المحور القائم الثابت في الطبق الأسفل من الرحى يدور عليه الطبق الأعلى. القطب (هنا) سيّد القوم، القائد. الحجى: العقل. ندب: ماض حازم في الأمور، عاقل. شمائله: أخلاقه، صفاته (القياس: ندبة شمائله - والتركيب هنا أعسر). العفّ: العفيف (عن الاعتداء).

(٣) الأملاك جمع ملك (بفتح فسكون): ملك (بفتح فكسر).

(٤) أعول: رفع صوته بالبكاء. العبدان: العبيد. الأغلف: الذي لم يختتن (كناية عن الإسبان النصارى. والعبدان كناية عن المسلمين الذين كانوا في جيش ملك الإسبان من الثائرين).

(٥) الحين (بالفتح): الموت. الجعل (بضمّ ففتح): دويبة سوداء كريهة الرائحة. للبعر: لإلقاء البعر (لإخراج القذر من الجسم). في وقف: في سطر أو صفّ واحد(؟).

(٦) فولّوا (هربوا) على أعقاب (وراء؟) مهزولة (خيل هزيلة، ضعيفة). كشف (جمع أكشف: الحصان الذي له التواء في ذيله). والكشف أيضاً: الذين لا سلاح معهم.

(٧) المسعر (جمعها مساعر) والمسعار (جمعها مساعير): الذي يوقد (يبدأ) الحرب، الشجاع. الموالي: الموالون (وهي أيضاً: المسلمون من غير العرب، في الأندلس). الشاهين: طائر قويّ تصاد به الطيور. الغرنوق (بضمّ الغين): طائر مائي جميل ضعيف. النسف: التبديد والتفريق (الإهلاك). جادت: تكرمت، أعطت (جاءت؟).

(٨) التنّين (بكسر التاء) نوع من الزواحف (المقصود هنا: الحيّة العظيمة، الشجاع). صمّم: اتّجه إلى، سار، قصد. بنفسي (أفدي بنفسي). صفّا على صفّ (كناية عن كثرة جيوش الأعداء).

يقولُ ابنُ يوليشٍ لموسى وقد وَنى: أرى الموت قُدّامي وتحتي ومِنْ خلفي[١].
قَتَلْنا لهم ألْفاً وألفاً ومِثْلَها وألفاً وألفاً بعدَ ألفٍ إلى ألْف،
سوى من طَواه النهرُ في مُسْلَحِبّه فأُغْرِقَ فيه، أو تَذأذأ من جُرْف[٢]

- كان محمودُ بن أبي جميلٍ جوّاداً وعاملاً للأميرِ عبدِ الرحمن بن الحكم على كورة...... فاتّفق أن عَمِل قُبّةَ أدَمٍ (خيمةً كبيرة من جلد) ونصبها عند وادي (نهر) لكُّه وأدَبَ فيها مأدُبةً دعا إليها أشراف الكورة. وبعد المأدبة غنّى أحدُ بني زِريابَ:

ولو لم يَشُقْني الظاعنون لَشاقَني حَمامٌ تداعتْ في الدِّيارِ وقوعُ[٣]؛
تَداعَيْن فاسْتَبْكَيْنَ مَنْ كان ذا هوًى: نوائحُ ما تَجري لَهنّ دموع.

فلمّا تقضّى غِناءُ ٱبنِ زِريابَ مَدّ عبّاسُ يده إلى العود فأخذه وغنّى البَيْتين ثمّ وَصَلَها (ببَيْتَينِ) من عندهِ بديهةً فقال:

شَدَدتُ بمحمودٍ يداً حين خانَها زمانٌ لأسبابِ الرجاء قَطوعُ.
بنى لسَماعِ الجودِ والمجدِ قُبّةً إليها جميع الأجْوَدِينَ ركوعُ.

- ولمّا ثار أهلُ طُليطلَة غزاهمُ الأميرُ محمّدٌ ثمّ ٱحتال فهَدَمَ القَنطرةَ (الجِسْرَ) الذي على نهرِها (نهرِ تاجُه) فقال عباسُ بنُ فرناسٍ يُسَوِّغ (يُبَرِّرُ) هَدْمَها:

أضْحَتْ طُليطِلةٌ مُعطَّلَةً من أهلِها في قَبْضةِ الصَّقْرِ.
تُرِكَتْ بلا أهلٍ تُؤهِّلُها مهجورةَ الأكنافِ كالقبر.
ما كان يُبْقي اللهُ قنطرةً نُصِبَتْ لِحَمْلِ كتائبِ الكُفر!

---

(١) موسى بن موسى قائد في الثغور (شماليّ الأندلس). ابن يوليش (لعلّه القائد الإسباني). هذه المعركة كانت في أيام أرذون ابن أذفونش (ألفونس) صاحب (ملك) جيليقية (الجانب الشمالي الغربي من إسبانية). ونى: تعب.

(٢) المسلحبّ: الطريق الطويل الممتدّ (والمسلئبّ المطر الكثير). تذأذأ: اضطرب في مشيه (سقط). الجرف: شقّ الوادي، صخر فوق هاوية.

(٣) شاقه الأمر: جعله يشتاق إليه، يرغب فيه. تداعت الحمام: دعا بعضها بعضاً (صوّتت إحداها فصوّتت ثانية بعدها وثالثة إلخ).

- وقال يَصِفُ رَوْضَةً:

ترى وَرْدَهـا والأُقحُوانَ كأنّـه بها شَفَةٌ لعْسَاء[1] ضاحكَها ثَغْرُ.

٤ - ★ ★ الزبيدي ٢٩١ - ٢٩٢؛ المقتبس ١٢٤ - ١٢٥، ٢٢٧ - ٢٣٤؛ جذوة المقتبس ٣٠٠؛ (الدار المصرية) ٣١٨ (رقم ٧٣١) بغية الملتمس ٤١٨؛ المغرب ١: ٣٣٣؛ نفح الطيب ١: ١٦٢، ٣: ٣٧٤، ٣٧٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٧، (٣: ٢٦٤).

محمّدٌ البَريديُّ

١ - هو أبو العبّاسِ محمّدُ بنُ أحمدَ البَريديُّ من أهلِ إفْريقِيَةَ (تونس)، جَعَلَهُ الأميرُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ الثاني (٢٦١ - ٢٩٠ هـ) أحدَ بني الأغلبِ، كاتِبَهُ الخاصَّ. ثمّ غَضِبَ عليهِ وسجنَهُ. وكانتْ وفاتُه (أو مقتلُه في السِّجن، في الأغلب)، سَنَةَ ٢٧٦ (٨٨٩ م).

٢ - كان محمّدٌ البريديُّ من مشاهيرِ كُتّابِ الدولة الأغلبية وأُدَبائها الظُّرفاءِ، ناثراً ومُتَرَسِّلاً وشاعراً. وأسلوبُه في نثرِه وشعرِه سَهْلٌ متينٌ.

٣ - مختارات من آثاره

- كَتَبَ محمّدٌ البَريديُّ من سِجنِهِ إلى الأمير أبي إسحاقَ إبراهيمَ يَسْتَعْطِفُهُ:

«أعزَّ اللهُ الأميرَ. مِنْ كَرَمِ العَفْوِ وعُلُوِّ قدرِهِ وجليلِ خَطَرِهِ[2] أن تسمّى اللهُ عزَّ وجلَّ به فسمّى نفسَه الغَفورَ الرحيم. والطَبْعُ البشريُّ مُرَكَّبٌ على النقصِ مقرونٌ بالزَلَل، إلاّ ما خصّ الله به الأنبياءَ، وأوْدَعَهُ الساداتِ والأمراءَ، مِنْ طهارةِ الأخلاق ونَزاهة الأنفُسِ. ولستُ - أيّدَ اللهُ الأميرَ - مِمّنْ يَدّعي العِصْمة والبَراءةَ من الهَفْوة.

(١) الورد: الزهر الأحمر. الأقحوان: زهر بتلاته بيض ووسطه أصفر. اللعساء: السمراء (وكان العرب يحبّون السمرة في الشفاه). ضاحكها ثغر (الصورة غير واضحة).

(٢) الخطر: المكانة الرفيعة والشرف (قيمة العفو وحسن الاتّصاف به).

ولستُ أمُتُّ إليكَ[1] إلاّ بفَضْلِكَ عليّ وإحسانك إليّ. ولا أُعَرِّفُك بل أُذَكِّرُك أنّ مَنْ غَرَسَ غَرْساً فواجبٌ ألاّ يَجْتَثَّه وإنْ أبطأ بُسُوقُهُ[2]، بل يَمُدُّه بمدٍّ مواردهِ العَذْبة حتّى تَمتدَّ حِيطانه[3] وتُورِقَ أغصانُه. أعاذكَ اللهُ، بما أودعهُ (فيك) من معالي الأخلاقِ، مِنْ تَرْكِ العَفْوِ عن مُقرٍّ مُعْترفٍ لا يَعْرِفُ إلاّ فضلَكَ ولا يرجو إلاّ عدلَكَ...

- ودخل بعضُهم على محمّدٍ البَريديِّ في السِّجن وأخبرَه أن الأميرَ يُريدُ قتلَهُ، فقال:

تُخَوِّفُني بمخلوقٍ ضعيفٍ · يَهابُ من المَنيّة ما أهابُ[4].
لـه أجلٌ، ولي أجلٌ. وكُلٌّ · سيَبْلُغُ حيث بَلّغهُ الكتابُ![5].

٤ - ★ ★ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٥ - ٦٧.

بقيّ بن مخلد

هو أبو عبدِ الرحمن بَقِيُّ بنُ مَخْلَدِ القرطبيّ، وُلِدَ في قرطبة في رَمَضانَ من سَنَة ٢٠١ (مطلع الربيع ٨١٧م) وسَمِعَ من أبي عبد الله محمّدِ بنِ عيسى المُعافري القُرطبي (ت ٢٢٢) ومن يحيى بن يحيى الليثيّ (ت ٢٣٨).

ورَحَلَ بقيٌّ بن مخلَدٍ إلى المشرق مرتين مكث في الأولى منها أربعَ عشْرةَ سَنَةً وفي الثانية نحو عشرين عاماً؛ لَقِيَ أحمدَ بنَ حَنْبلٍ (ت ٢٤٠ هـ) وصَحِبه وتَوثّقتِ الصلةُ بينَهما. وأخذَ أيضاً عنْ إبراهيمَ بنِ محمّدٍ الشافعيّ (٢٣٧ هـ) وعن أبي المُصْعَبِ الزُّهْريِّ

---

(١) متّ رجل إلى آخر: توسّل ، بقرابة بينهما.
(٢) اجتثّ النبتة: انتزعها من الأرض بجذورها. أبطأ بسوقه: تأخّر نموّه واستتمامه.
(٣) يمدّه: يزوّده، يعينه. الموارد: مصادر الماء. تمتدّ تتّسع. الحائط (هنا): البستان (مجموع الأغراس) لأن على البستان حائطاً (سور).
(٤) يهاب: يخاف. المنيّة: الموت. - سيموت يوماً ما كما سأموت أنا الآن.
(٥) الأجل: الزمن المعيّن من الحياة. الكتاب (هنا): وقت نزول الموت (موعد استحقاق الدين).

(ت ٢٤٢ هـ) وغيرِها. ولقدْ أخذ عن جميع أصحابِ المذاهب ولمْ يَقْصُرْ هَمَّه على الأخذِ عمّن كان يعتنق مذهَبَهم كما كان يفعل غيره.

إلى ذلك الحين كان الغالبَ على أهل الأندلس حفظُ رأي الإمامِ مالكٍ والاكتفاءُ بكتبِ الفُروع (أبواب الفِقْه الجزئية: الصلاة - الزكاة - الحَضانة - الشراكة، الخ)، فلمّا عاد بقيٌّ بن مخلدٍ من المشرق حاول أن يحمل الفقهاءَ في الأندلس على الاستناد في آرائهم وأحكامِهم إلى القُرآنِ والحديثِ فانتشر الحديثُ في الأندلس. وكذلك حاول أن ينشُرَ في الأندلسَ مذهبَ الإمامِ الشافعيّ في أيامِ الأميرِ محمّدٍ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، ولكنه لَقِيَ مُقاومةً من نَفَرٍ من خصومِهِ أشهرهُم ابن مرتيل (ت ٢٤٠ هـ) شيخُ المالكيّة في عصره.

وكانت وفاةُ بقيّ بن مخلدٍ في ٢٩ جُمادى الثانية من سنة ٢٧٦ (٢٩/ ١٠/ ٨٨٩ م).

كان بقيّ بن مخلدٍ من المفسّرين للقرآن الكريم ومن حُفّاظِ الحديث ومن أئمّةِ الدين والفِقه على المذهب الشافعي ومن الزّهّاد الصالحين.

ولابن بقيٍّ من الكتب: تفسيرُ القرآن الذي فضّله ابنُ حزمٍ (ت ٤٥٦ هـ) على كلّ تفسير آخر، وعلى تفسير الطبري أيضاً، وله كتابٌ في الحديث «المصنّف الكبير» فيه الأحاديث على أسماء الصحابة، ثمّ رتّب الأحاديثَ المَرْويّةَ عن كلّ صَحابي على أبواب الفقه، فهذا الكتاب مُسْنَدٌ (منسوبةٌ أحاديثهُ إلى رُواتها) ثمّ مُصَنَّفٌ (مُرَتَّبٌ على أبواب الفقه).

- تاريخ خليفة بن خيّاط برواية بقي بن مخلد (حقّقه سهيل زكّار)، دمشق (منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي) ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م.

★ المقتبس ٢٦١ - ٢٦٥؛ ابن الفرضي ٩١ - ٩٣ (رقم ٢٨٣)؛ جذوة المقتبس ١٦٧ - ١٦٨ (الدار المصرية) ١٧٧ - ١٧٩ (رقم ٣٣١)؛ بغية الملتمس ٢٢٩ - ٢٣٢؛ الصلة لابن بشكوال ١٢١؛ معجم الأدباء ٧: ٧٥ - ٨٥؛ قضاة الأندلس ٦٣ - ٦٥؛ نفح الطيب ٢: ٤٧، ٥١٨ - ٥٢٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٥٦ - ٩٥٧؛ بروكلمان ١: ١٧٢، الملحق ١: ٢٧١؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٣ (٦٠).

عبد الجبّار السرتيّ

١- هو عبدُ الجبّارِ بنُ خالدِ بنِ عِمرانَ السَّرْتيّ (وسَرْتُ مرفأ في أواسط ساحل ليبيا اليوم)، وُلِدَ سَنَةَ ١٩٤ (٨١٠م) ولازم سحنوناً (ت ٢٤٠) ما ترك مَجْلِسَ عِلمٍ له لم يحضُرْهُ. وكان صديقاً لحمديسٍ القطّانِ[١] وشريكاً يعمَلانِ في القُطْنِ معاً في سوق الأحدِ ثمّ تقاطعا بسببِ كُتُبِ محمّدِ بنِ مَهْدِيٍّ البكريّ[٢]: كان عبدُ الجبّارِ يقرأها، وكان حَمديسُ يريدُ أن يَصرِفَه عن قِراءتِها. وقد تقاطعا أربعاً وعِشرينَ سَنَةً ولكن لم يُسِئْ أحدٌ منهما إلى الآخَرِ بفعلٍ أو بقولٍ. ولمّا مات عبدُ الجبّار صلّى عليه حمديسٌ.

وجَلَسَ عبدُ الجبّارِ للإفادةِ فسَمِعَ منه جماعةٌ كثيرةُ العددِ.

وكانتْ وفاةُ عبدِ الجبّارِ في أولِ رَجَبَ من سَنَةِ ٢٨١ (٧/ ٩/ ٨٩٤م).

٢- كان عبدُ الجبّارِ السرتيُّ شيخاً صالحاً مُتَعَبِّداً يُضْرَبُ به المَثَلُ في الفضلِ والدِّين. وكان ذا فهمٍ لمعاني العِلْمِ، وله أقوالٌ كثيرةٌ تجري مَجْرى الحِكمة.

٣- مختارات من أقواله

- من أقوالِ عبدِ الجبّارِ السرتي (تراجم أغلبية ٢٩٨- ٢٩٩):

مَنْ قلّ كلامُه قَلّتْ آثامُه- الصومُ عن الكلامِ أثقلُ (على النفس) من الصومِ عنِ الطعام- من خَلا بربّهِ لم يَعْدَمِ النورَ من قلبهِ، ومن خلا بغيرِه لم يعدمِ الزِّيادَةَ في ذنبه- لولا الفُضولُ لَصفَتِ العُقولُ ولأصْبَحَ المجهولُ عندك (وهو) معقولٌ- من وبّخكَ فقد نَفَعَكَ، ومن نفعك فقد رَفَعَكَ- كُنتُ أخلو (بنفسي) لأعلَمَ فصِرْتُ أخلو لأغنَمَ- من كان بالليلِ نائماً وبالنهار هائماً فمتى (يصبح غانماً)؟[٣]. وقال (ص ١٢٨، ٣٣٧):

---

(١) حمديس القطّان هو أحمد بن محمّد الأشعري (٢٣٠- ٢٨٩ هـ) كان على مذهب الأشاعرة الذين يفضّلون الرواية الدينية على التخريج العقلي (في مسائل الإيمان والعبادات).

(٢) يبدو أن محمّد بن مهدي البكري كان من المعتزلة الذين يقدّمون العقل على الروايات الدينية. وكان سحنون (راجع، فوق، ص ١١٢) يقول: «ابن مهدي هذا ضالّ مضلّ (تراجم أغلبية، ص ٢٩٦)».

(٣) في الأصل: متى ينال الغنائم!.

تَرْكُ الحرام أفضلُ من مَلْءِ الأرضِ إلى عِنانِ[1] السماءِ ذَهباً وفِضّةً كُسِبَت (من وَجْهِها الشرعي) وأُنْفِقَتْ في سبيلِ الله لا يُراد بها إلاّ وجهُهُ (وجه الله).

٤- ★ ★ تراجم أغلبية ٢٩٤- ٢٩٩؛ الأعلام للزركلي ٤: ٤٨ (٣: ٢٧٤).

تمّام بن عامر[2]

١- هو أبو غالبٍ تمّامُ بنُ عامرِ بنِ أحمدَ بنِ غالبِ بنِ تمّامِ بنِ علقمةَ، وُلِدَ سَنَةَ ١٨٤ هـ (٨٠١ م). وقد وَلِيَ الوَزارةَ للأمير محمّدِ بن عبد الرحمن (٢٣٨- ٢٧٣ هـ) ولولدَيْهِ المُنذرِ وعبدِ الله (٢٧٥- ٣٠٠ هـ). وكانتْ وفاتُه في جُمادى الآخرة من سَنَة ٢٨٣ (صيف ٨٩٦ م).

٢- كان تمّامُ بنُ عامرٍ عالماً وأديباً وإخبارياً، كما كان شاعراً مُكثِراً، وله أُرجوزةٌ في تاريخ الأندلسِ من وقتِ طارقِ بنِ زِيادٍ إلى آخر أيام عبد الرحمن بن الحَكَمِ (ت ٢٣٨) قَلّدَ فيها أُرجوزةَ يحيى بنِ الحكَمِ الغَزالِ (راجع، فوق، ص١١٥). وشعرُه سهلٌ عذبٌ وأغراضُه المدحُ والقَصَص والنسيب والهِجاء، وله مقطوعةٌ في ذمّ الشِّطرنج.

٣- مختارات من شعره

- كانتْ أُمُّ الوليدِ بن خلفِ بن رومانَ (رومانس) فتاةً بارعةَ الجمالِ سَبّاءةً للألبابِ نَصْرانيةً، رآها تمّامٌ فهامَ بها وتزوّجها، فكان أناسٌ يَلومونَه في ذلك فقال:

---

(١) عنان (بالكسر) السماء: نواحيها و(بالفتح): ما بدا لك منها.

(٢) هنالك ثلاثة أشخاص باسم تمّام بن علقمة: وهنالك نفر من المؤرّخين للأدب يخلطون بينهم. إنّ تمّام بن علقمة هذا الذي أوردتّ ترجمته، وكانت وفاته سنة ٢٨٣ هـ،لا يمكن أن يكون تمّام بن علقمة أو تـمّاماً الذي كان من أنصار عبد الرحمن الداخل (ت١٧٢ هـ)، كما ذكر ابن الأبار في «الحلّة السيراء» (١: ١٤٣)، فإنّ النقيب (المناصر) لعبد الرحمن الداخل مات سنة ١٩٨ هـ (المغرب ١: ٤٤). ويرد ذكر تمّام بن علقمة أحد كبار النقباء لعبد الرحمن الداخل في نفح الطيب (٣: ٣٢، ٤٥، ٤٩ - ٥٠؛ راجع ابن عذاري ١ :٥٣، ٥٤). وهنالك تمّام بن علقمة (ت ٤٣٦ هـ)، وستأتي ترجمته.

(٣) قيل ١٩٤ أو ١٩٧ (مطلع القرن التاسع للميلاد).

يُكلِّفُني العُذّالُ صَبْراً على الّتي ... أبى الصبرُ عنها أن يَحِلَّ مَحلَّها[1].
إذا ما قَرَعْتُ النفسَ يوماً فأبصرتْ ... سبيلَ الهُدى عاد الهوى فأضلّها[2]
وكم مِنْ عزيزِ النفسِ لم يَلْقَ ذِلّةً ... أقادَ الهوى من نفسِه فأذلّها[3]
عَجِبْتُ لمعذولٍ على حُبِّ نفسِهِ ... يُكلِّفُه عُذّالُه أن يَملَّها[4]!

٤- ★ ★ المقتبس ١٧٩- ١٨٤؛ الحلّة السيراء ١: ١٤٣- ١٤٤؛ نفح الطيب ٣: ٣١، ٤٥، ٤٩، ٥٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٢؛ بروكلمان، الملحق ١: ١٤٨؛ الأعلام للزركلي ٢: ٦٩- ٧٠ (٨٦).

سعيد بن جوديّ

١- هُوَ سعيدُ بنُ سُليمانَ بنِ جُوديٍّ السَّعْدِيُّ، كان بَدْوياً خانِصاً وفارساً شُجاعاً من نَسْلِ الطارئين على الأنْدلس مَعَ جيوشِ الفتحِ أو مَعَ بَلْجِ بنِ بِشْرٍ الذي جاء بجيوشٍ من أهل الشام.

لمّا ثار عُمَرُ بنُ حَفْصونٍ- وكان من المُولّدينَ ومِنَ الذين يَتَظاهرون بالإسلام- قاتَلَهُ سعيدُ بنُ جودِيّ. غيرَ أنَّ سعيداً أُسِرَ ثمّ خَلَصَ من الأسر، سَنَةَ ٢٧٦.

وكان سعيدٌ أميراً في كورة إلْبيرةَ (قُرْبَ غَرْناطة)، في أيّام الأمير عبدِ اللهِ (٢٧٥- ٣٠٠ هـ)، ولكنّه ثارَ على الأميرِ عبدِ الله لمّا أخذتْهُ العصبيةُ العربيةُ (البَدْوية) على بني مَرْوانَ الحاكمين في قرطبة.

وكان سعيدُ بن جوديّ مُحبّاً مُغامراً أحَبّ جاريةً مُغَنِّيَةً كانتْ للأميرِ عبدِ اللهِ (قبلَ أن يَصِلَ الأميرُ عبدُ الله إلى الحُكْمِ) يُكْنى عنها باسمِ جَيْحانَ؛ وقد تَتَيَّمَ بها ولم

(١) العذّال جمع عاذل: اللائم (الذي يلوم الآخرين على الحبّ خاصّة).
أن يحلّ الصبر محلّ المحبوبة (أن أصبر عنها ثمّ أنساها).
(٢) - ألوم نفسي على أنّني مخطىء في حبّي لأمّ الوليد هذه ثمّ يغلبني حبّي فأستمرّ في حبّها.
(٣) - كم من إنسان لم يذلّ في حياته أبداً ولكنّه أحبّ بإرادته وأذلّ نفسه للمحبوب.
(٤) - لا يمكن أن أنسى حبّ أمّ الوليد. إنّها مثل نفسي. فهل رأيتم أحداً يسمع قول الآخرين ويكره نفسه.

يَسْتَطِعِ الوُصولَ إليها فاشترى جاريةً وسمّاها جَيْحانَ. غيرَ أنّ جَيْحانَ الجديدةَ لم تُنْسِهِ هَوَى جَيْحانَ القديمةِ.

وواعَدَ سعيدٌ امرأةً على اللقاءِ فَعَلِمَ زوجُها بذلك فدبّر مَقْتَلَ سعيدٍ، في ذي القَعدة سَنَة ٢٨٤ (آخر عام ٨٩٧ م). وقيل كان مقتَلُه بعامل سياسيّ لِكُرْهِهِ إمارةَ بني أميّةَ في الأندلس. وقد رثاه المُقدَّم بن المعافى (نفح الطيب ٣: ٥٣٨).

٢- كان في سعيدِ بنِ سليمانَ بنِ جُوديٍّ «عَشْرُ خِصالٍ تَفرّدَ بها في زمانه لا يُدْفَعُ عنها: الجودُ والشجاعة والفُروسيةُ والجمال والشِّعر والخَطابة والشدّة والطَّعْن والضرب والرِّماية». وكان أديباً خطيباً وشاعراً مُجيداً أكثرُ شِعْرِهِ الحماسةُ والغزَلُ مَعَ شيء من الشكوى فيها.

٣- المختار من آثاره

- قال سعيدُ بنُ جودي يُظْهِرُ الكُرْهَ لبني أميّةَ، مخاطباً الأميرَ عبدَ اللهِ:

يـا بـني مروان، شُدّوا في الهَرَبْ — نَجَمَ الثائرُ من وادي القصـبْ
يـا بـني مَروانَ، خَلّوا مُلْكَنـا؛ — إنّما المُلْـكُ لأبنـاءِ العَرَبْ[1]!
قرّبوا الوَرْدَ المُحلّى بالذهبْ — أسرِجوه إنّ نَجْمي قد غَلَبْ[2]

- وقال يتغزّل ويَنْسِب بجيحان:

سَمْعي أبى أن يكونَ الروحُ في بَدَني، — فاعْتـاضَ قَلْبِيَ منه لَوْعَـةَ الحَزَنِ.
أعْطَيْتُ جَيْحانَ روحي عن تَذكُّرِها؛ — هـذا، ولم أرَهـا يوماً ولم تَرَني.
كأنّني واسْمَها، والدَّمْعُ مُنْسَكِبٌ — من مُقْلَتي، راهبٌ صلّى على وَثَنِ.

- وقال يصف مَيْلَهُ في الحياة والحبِّ:

لا شيءَ أمْلَحُ من ساقٍ على عُنُقٍ[3] — ومن مُناقَلَـةٍ كأساً علـى طَبَـقٍ؛

(١) العرب هنا بمعنى البدو.
(٢) الورد: الحصان الورد (الأحمر).
(٣) كناية عن اللهو بالنساء.

ومن مُواصَلَةٍ من بَعْدِ مَعْتَبَةٍ، ومن مراسلةِ الأحبابِ بالحَدَق.
جريت جَرْيَ جَموحٍ في الصِّبا طَلِقاً وما خرجتُ لصَرْفِ الدهرِ عن طَلَقي[1]؛
ولا اْنْثَنَيْتُ لداعي الموتِ يومَ وَغًى كما انثنيتُ وحبلُ الحب في عُنُقي[2]!

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٢١٣ (الدار المصرية) ٢٢٩ (رقم ٤٦٦)؛ بغية الملتمس ٢٩٤ (رقم ٧٩٥)؛ المغرب ٢: ١٠٥ - ١٠٦؛ الحلّة السيراء ١: ١٥٤ - ١٦٠؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٤٨ (٩٥).

مجبر بن سفيان

١ - هو مُجْبِرُ بنُ إبراهيمَ بنِ سُفيانَ من الأُسرة الأغلبية. تولى عِدّةَ مُقاطعاتٍ في إمارة بني الأغلب. ثمّ ولاّه ابو اسحاق إبراهيمُ الثاني (٢٦١ - ٢٩٠ هـ) على جَزيرة صِقِلّيَةَ[3]. فلمّا كان في البحر أَسَرَهُ الروم وحَمَلوه إلى القُسْطنطينية فمات فيها أسيراً.

٢ - لِمُجْبِرِ بنِ سُفيانَ «روميّةٌ» (قصيدةٌ قالَها في أَسْرِهِ في بلاد الروم) وهي طويلةٌ، تُذَكِّرُنا بقصيدةِ أبي فراسٍ الحمدانيِّ (ت ٣٥٧): «أراك عَصِيَّ الدمعِ شِيمَتُكَ الصَبْرُ»، مَعَ العلم بأنّ مُجْبِراً تُوُفِّيَ قبلَ أبي فراسٍ بنحو سبعينَ سَنَةً! والقصيدة سهلةٌ رقيقة.

٣ - مختارات من شعره.

قال مُجْبِرُ بنُ سُفيانَ في سِجنه في القُسطنطينية:

أَلا ليتَ شِعري، ما الذي فعل الدهرُ بإخواننا، يا قَيْروانُ ويا قَصْرُ[4].
ونحن، وإن طَحْطَحَتْنا رَحى النَوى فلم يَجْتَمِعْ شَمْلٌ لَدَيْنا ولا وَفْرُ[5].

---

(١) الجموح: الحصان النشيط النافر. طلقاً الأولى: حرّاً بلا قيد: طلق الثانية: بشاشة الوجه.

(٢) ما رجعت من المعركة مسروراً بسلامتي كما تعوّدتّ أن أرجع مسروراً من مغامرات الحبّ.

(٣) صقلّية أو سقلّية جزيرة كبيرة عند الطرف الجنوبّي من شبه جزيرة ايطالية فتحها الأغالبة على يد أسد بن الفرات، سنة ٢١٦ للهجرة.

(٤) القيروان عاصمة الأغالبة. القصر مدينة قديمة للأغالبة جنوب القيروان.

(٥) طحطح الرجل الشيء: كسّره وبدّده (فرّقه). الرحى: الطاحون. النوى: البعاد (الغربة). الشمل: المجتمع. لم يجتمع شملهم: لم يلتقوا (ظلّوا متفرّقين في الأرض). الوفر: الغنى. - أنا في الأسر بعيد عن أهلي وفقير.

رأيْنا وُجوهَ الدهر وهْي عوابسٌ بأعيُنِ خَطْبٍ في مَلاحِظِها شَزْرُ[1].
لعلّ الذي نجّى من الجُبِّ يوسُفاً، وفرّج عن أيوبَ إذ مسّه الضُرّ[2]؛
وخلّصَ إبراهيمَ من نار قَوْمه، وأعلى عصا موسى فذلّ له السِحْر[3]،
يُصَبِّرُ أهلَ الأسْر في طول أسْرهم على مُعْضلات الأسر. لا سَلمِ الأسرْ[4].

٤ - ★ ★ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٧ - ٦٨.

أبن عبّد السلام الخشنّي

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ السلامِ بن ثعلبةَ بنِ زيدِ (بغية الوعاة ٦٧) بن الحسن بن كليب (أو كلب) الخُشَنِيُّ من أهلِ كُورة جيّانَ، وُلِدَ سَنَةَ ٢١٧ (٨٣٢ - ٨٣٣ م).

انتقل ابنُ عبدِ السلام الخشنيُّ إلى قُرطبةَ وسكَنها وأخذَ عن ابنِ أبي مِطْحَنَةَ (أبي محمّد عبد الله بن محمّد) الصريحيّ المُرسيّ. وقد رَحَلَ، قبل ٢٤٠ (٨٥٤ - ٨٥٥ م)، إلى المَشرق وتطوّف فيه خمْساً وعشرينَ سَنة وأخذ عن نفرٍ كثيرين من العلماء، في مصر والحجاز وفي العراق خاصّة. ثمّ إنّه رَجَعَ إلى الأندلس فأخذَ عنه كثيرون. وأرادوه أن يَتولّى القضاء فلم يقبلْ. وكانتْ وفاتُه في ٢٦ من رَمَضانَ ٢٨٦ (٥/ ١٠/ ٨٩٩ م) في قُرطُبةَ.

٢ - كان ابنُ عبدِ السلام الخُشنيُّ عالماً وحافظاً للحديث فصيحَ اللسان بصيراً

---

(١) الخطب: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب (الأخذ والردّ). بأعين خطب: بحيرة (بعيون حائرة) ولكن في ملاحظها (نظراتها) شزر (النظر بمؤخّرة العين، من الغضب).

(٢) الجبّ: البئر (كان أبناء يعقوب قد ألقوا - بفتح القاف - أخاهم يوسف في بئر أو حفرة عميقة على طريق مصر). الضرّ: سوء حال البدن (بالمرض الشديد).

(٣) كان قوم إبراهيم الوثنيّون قد أرادوا أن يحرقوه لأنّه كان يدعوهم إلى التوحيد. ولمّا دعا فرعون من كان عنده من السحرة لمناظرة موسى تحداه بعضهم بالسحر. فألقى السحرة العصيّ والحبال وأوهموا الناس بسحرهم أنّها حيّات تتلوّى. فألقى موسى عصاه فاختفت حيّات السحرة.

(٤) المعضلة: المسألة لا يهتدي أحد إلى وجه حلّها.

بكلام العرب. وقد أدْخَلَ إلى الأندلس عِلماً كثيراً من الحديثِ واللغة ومن أشعارِ الجاهليّين. وله عددٌ من التآليف في شرح الحديث.

٣ - مختارات من شعره

- لمّا عادَ ابنُ عبدِ السلام الخُشَنيُّ إلى الأندلس - بعدَ غيابِ خمسٍ وعشرينَ سنة - بدا له كأنّه لم يَغِبْ عن الأندلس قطُّ، فقال:

كأنْ لم يكُنْ بَيْنٌ ولم تَكُ فُرقةٌ   إذا كان من بعد الفراق تلاق[١].
كأنْ لم تُؤرِّقْ بالعِراقَين مُقْلتي،   ولم تَمْرِ كفُّ الشوق ماءَ مآقي[٢]،
ولم أزُرِ الأعرابَ في خَبْتِ أرضِهم   بذات اللِّوى من رامةٍ وبِراق[٣]،
ولم أصْطَبح بالبِيدِ من قهوة النَوى   بكأسٍ سقانيها الفِراقُ دِهاق[٤].
بَلى، وكأنّ الموتَ قد زارَ مَضْجَعي   فحوّلَ منّي النفسَ بين تَراق[٥].
أخي، إنّما الدُنيا مَحَلّةُ فُرقةٍ   ودارُ غرورٍ آذنتْ بفِراق.
تَزوّدْ، أخي، من قَبْلِ أن تَسكُنَ الثَرى   وتَلْتَفَّ ساقٌ للنُشور بساق[٦]!

٤ - ★ ★ الزبيدي ٢٩٠؛ ابن الفرضي ٢: ١٦ (الدار المصرية ٢: ١٤ - ١٥)؛ المقتبس ٢٥٠ - ٢٥٨م، ٢٦٠، ٢٦٥؛ جذوة المقتبس ٦٣ - ٦٥ (الدار المصرية) ٦٨ - ٧٠ (رقم ١٠٠)؛ بغية الملتمس ٩٢ - ٩٣(رقم ٢٠٢)؛ بغية الوعاة ٦٧؛ نفح الطيب ٢: ٢٣٦، ٦٤٩؛ الأعلام للزركلي ٧: ٧٦ - ٧٧ (٦: ٢٠٥).

---

(١) البين: الفراق، البعاد.

(٢) مرى يمري: مسح وعصر (وحاول استخراج اللبن من الضرع). لم تجعلني أبكي المأق والمؤق: طرف العين.

(٣) الخبت: الأرض الواسعة أو المنخفضة. ذات اللوى ورامة وبراق أسماء لأماكن.

(٤) اصطبح: شرب الخمر صباحاً. القهوة: الخمر. النوى: البعاد. (قضيت في البادية وقتاً طويلاً بعيداً عن أهلي). الدهاق: المترع: الملآن.

(٥) التراقي جمع ترقوة (في أعلى الصدر ترقوتان مشرفتان). بلغت الروح التراقي: أشرف صاحبها على الموت.

(٦) الثرى: التراب. سكن الثرى: مات ودفن. التفّت الساق بالساق: (كناية عن الازدحام حتى تشتبك أرجل نفر من الناس بأرجل نفر آخرين).

عيسى بن مسكين

١ - هو عيسى بنُ مِسكينِ بنِ منصورِ بنِ خُديجِ بنِ محمّدٍ الإفريقيّ، كان مَوْلدُه في قريةِ مَسْجِدِ عيسى قُرْبَ المُنَسْتيرِ (على الساحلِ الجَنوبيّ الغربيّ من تونسَ) سَنَةَ ٢١٤ (٨٢٩ م).

سَمِعَ عيسى بنُ مِسكينٍ في المَغْرب جميعَ كُتُبِ سَحنونٍ من سَحنونٍ (ت ٢٤٠) نفسِه ومِن ابنِه مُحمّدِ بنِ سحنونٍ (ت ٢٥٦)، وسَمِعَ في مِصْرَ من الحارث بنِ مسكينٍ (ت ٢٥٠) ويونسَ بنِ عبد الأعلى الصَدَفّي (ت ٢٦٤) ومحمّدِ بنِ عبدِ الله بن عبد الحكم (ت ٢٦٨) ومحمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ زيادٍ الموّازِ (ت ٢٨١)، وسَمِعَ في الشام من أبي جعفرٍ الإيليّ، كما سمع من نَفَرٍ آخرينَ.

وأرادَ إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ الأغلبِ أن يُولّيَ عيسى بنَ مسكينٍ القضاءَ فأبى عيسى حتّى أجمَعَ الناسُ على وُجوبِ توليتهِ. فهدّده إبراهيمُ بالعِقاب إن لم يفعَلْ فَقَبِلَ، بعد شروطٍ اشترطها منها: «أهْلُكَ - في الحقّ - وبنو عَمّك وجُندُكُ وفقراءُ الناسِ وأغنياؤهم سَواءٌ. ولا تُوَجِّهُ ورائي، ولا أُهَنّئُ ولا أُعزّي ولا أُشَيّعُ ولا أتَلَقّى. فمتى لم تَفِ لي بشرط (منها) عَزَلْتُ نفسي». فقبل إبراهيمُ منه ذلك ثمّ عَرَضَ عليه الكُسوةَ والصِلَة (اللتين تُخْلعان عادةً على القضاة) فلم يقبل عيسى ذلك.

وكانت وفاةُ عيسى بنِ مسكينٍ سَنَةَ ٢٩٥ (٩٠٧ - ٩٠٨ م).

٢ - كان عيسى بنُ مِسكينٍ من أهلِ الفِقْه والوَرَعِ ثِقَةً مُتَفَنّناً في العلوم من الحديثِ والفِقْهِ واللغة وغيرِها، كما كان فصيحاً يُجيد الشعر.

٣ - **مختارات من آثاره**

- قال عيسى بنُ مِسكينٍ يَصِفُ نفسَه في الشيخوخة:

لمّا كَبِرْتُ أتَتْني كلُّ داهيةٍ؛ وكلُّ ما كان منّي زائداً نَقَصا.
أُصافحُ الأرضَ إن رُمْتُ القِيامَ، وإن مَشَيْتُ تَصْحَبُني ذاتَ اليمين عصا!

- وكانتْ له أقوالٌ حكيمةٌ منها:

أشْرَفُ الغِنىَ تَرْكُ المُنى - في تَقلُّبِ الأحوالِ علمٌ بجواهرِ الرجال - المَعاش مُذلٌّ لأهلِ العلم - قاربِ الناسَ في عُقولِهِم تَسْلَمْ مِنْ غوائلهم - خَلّوا لهم دُنياهم يُخلّوا بَيْنكم وبينَ آخِرَتِكُمْ.

٤ - ★ ★ تراجم أغلبية ٢٣٢ - ٢٥٣، ١١ الديباج المذهب ١٧٩ - ١٨١؛ عنوان الأريب ٢٤ - ٢٥.

مهريّة الأغلبيّة

١ - هي الأميرة مَهْرِيّةُ بنتُ الحسنِ بن غَلبونِ التميميّ من بني الأغلبِ ملوكِ القَيروانِ، نشأت في مدينة رَقّادةَ في بيتِ مجدٍ وشِعرٍ. وكانتْ وفاتُها في مكّةَ، سَنَةَ ٢٩٥ (٩٠٨ م).

٢ - مَهْرِيّةُ الأغلبيةُ أديبةٌ شاعرةٌ مُجيدةٌ تميلُ إلى التصوّفِ، لها رثاءٌ.

٣ - **مختارات من شعرها**

- قالتْ مَهْرِيّةُ الأغلبيةُ ترثي أخاها[1] (ولم يصلْ إلينا من شِعرها إلاّ هذه القطعةُ):

لَيتَ شِعري، ما الذي عانَيْتُهُ بعدَ طولِ الصّوْمِ مَعْ نَفْيِ الوَسَنْ[2]:
مَعْ غُروبِ النفس عن أوطانِها والتخَلّي عن حبيبٍ وسَكَنْ[3].
يا شقيق، لَيْس في وَجْدٍ به غلّةٌ تمنَعُني مِنْ أن أُجَنّ[4].

(١) هو أبو عقال غلبون، كان في أوّل حياته شاعراً ماجناً ثمّ تاب وأقبل على العلم فدرس الحديث وبرع في الأدب. ثمّ إنّه رحل إلى مكّة وجاور فيها فلحقت به أخته مهريّة. وكانت وفاته في مكّة سنة ٢٩١ هـ (راجع الأعلام للزركلي ٥: ٣١٤).

(٢) ما الذي عانيته...: ما أكثر ما قاسيته في سلوك طريق التصوّف الصحيح من كثرة الصيام وقلّة الوسن (النوم).

(٣) السكن: الزوج.

(٤) الأصوب: يا شقيقي (لسلامة الأعراب مع المحافظة على وزن الشعر). أجنّ: أصبح مجنونة. المقصود: حبّي له يجعلني أجنّ (حزناً عليه).

وكما تَبْلَـــى وُجوهٌ في الثَّرى، فكذا يَبْلى عَلَيْهِنّ الحَزَن[1]!

٤ - ★ ★ معالم الإيمان ٢: ١٤٤ - ١٤٥؛ شهيرات النساء ٢٥؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٤ المنتخب المدرسي ٣٢؛ بساط العقيق (والكتب الأربعة الأخيرة لحسن حسني عبدالوهّاب)؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٦٠ (٧: ٣١٥).

بكر بن حمّاد

١ - هو أبو عبدِ الرحمنِ بكرُ بنُ حمّادِ بنِ سهر (أو سهل) بن اسماعيلَ الزَّناتيُّ التاهرتيُّ، وُلِدَ في تاهرتَ (الجزائرِ اليومَ)، نحوَ سَنَةِ ٢٠٠ (٨١٥ - ٨١٦ م) ونشأ فيها.

في سنة ٢١٧ انتقل بكرُ بنُ حمّادٍ إلى القيروانِ وقرأ فيها على عَوْنِ بنِ يوسفَ الخُزاعي (ت٢٣٩) وسَمِعَ من سحنون (ت ٢٤٠)، ثمّ سار وشيكاً إلى المشرق وقصد بغدادَ فأخذ عن نَفَرٍ من علمائها ولَقِيَ نفراً من أُدَبائها. ويبدو أنّه تكسّبَ في بغدادَ بالشعر.

وفي سَنَة ٢٧٤ (٨٨٧ م) نَجِدُ بكرَ بنَ حمّادٍ ثانيةً في القيروان يتصدّرُ لتدريس العلم والأدب. ويبدو أنّ اهتمامه الأوّلَ كان التكّسبَ بالشعر: مَدَحَ الأميرَ إبراهيمَ بنَ أحمدَ الأغلبيَّ (٢٦١ - ٢٩٨ هـ)، وكان طاغيةً سفّاكاً للدماء، ومَدَحَ أحمدَ بنَ سُفيانَ بَنِ سَوادةَ. وكان بكرُ بنُ حمّادٍ يتردّدُ في أثناء ذلك على بلده تاهرتَ، وقدِ اشترك في الفتنة التي نَشِبَتْ سَنَةَ ٢٨٢ (٨٩٥ م) على أبي يوسفَ بنِ محمّدٍ سادسِ الأئمة الرُسْتَميّين في دُويلةِ بني رُسْتَمَ في تاهرت.

وَوَشَى بعضُهم ببكرِ بنِ حمّادٍ إلى الأميرِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ، فغادر بكرٌ القيروانَ راجعاً إلى تاهرتَ - وكان مَعَهُ ابنُه عبدُ الرحمن - سَنَةَ ٢٩٥ (٩٠٧ م). وفي أثناء الطريق خَرَجَ عليهِ اللصوصُ، قُرْبَ قلعةِ ابنِ حمّةَ (شَمالَ تاهرتَ)، فقُتِلَ ابنُه عبدُ الرحمنِ وجُرِحَ هو جِراحاً أوْدَتْ به بُعَيْدَ ذلك في شوّالٍ من سَنَةِ ٢٩٦ (صيف ٩٠٩ م)، ودفن في داره في آرشقول بجوفيّ (جنوبي) مدينة تيهرت.

---

(١) ولكنّ الحزن ينقضي مع مرور الأيام.

٢ - يبدو أن بكرَ بنَ حمّادٍ كان رَجُلاً مُتقلّب الهوى مثلَ مُعْظَمِ الذين يتكسّبون بالشعر: هجا عِمرانَ بن حِطّانَ الخارجيَّ (ت ٨٤ هـ) لأنّ عِمرانَ كان قد أثنى على عبد الرحمن بن مُلْجَمٍ الذي قتل الإمامَ عليّاً، وهجا المعتصمَ العبّاسيَّ وقال فيه «فليسَ له دينٌ وليس له لُبّ» (عقل). ثمّ عاد فمدح المعتصَم وحرّضه على دِعْبِلٍ الخُزاعيّ الشيعيّ. وثار على الإمام الإباضي أبي حاتمٍ يوسفَ بن محمّدٍ الرُستميّ ثمّ عاد فاعتذر إليه.

وكان من المشتغلين بالحديثِ؛ ولكنّ شُهرتَه إنّما هي في الشعر. وهو شاعرٌ مُجيدٌ متفنّن في أبواب الشعر متين السبك حَسَنُ الديباجة سهلُ التراكيب فصيح الألفاظ يُجيد في القصائدِ الطوالِ وفي المُقَطّعات. وفنونُ شعرهِ المديحُ والعِتاب والهجاء والرِثاء والوصف والغَزَل والزُهد.

٣ - مختارات من شعره

قال بكرُ بنُ حمّادٍ يعتذرُ إلى أبي حاتمٍ يوسفَ بنِ محمّدٍ الرستمي عن اشتراكه في الفتنة التي ثارت على أبي حاتم:

ومُؤنِسَةٍ لي بالعراق تركْتُها ... وغُصْنُ شبابي في الغصون نضيرُ.
فقالت، كما قال النُواسيّ قَبْلَها: ... (عزيزٌ علينا أن نَراكَ تسير)(١).
فقلت: جَفاني يوسفُ بنُ مُحمّدٍ؛ ... فطالَ عليّ الليلُ وهو قصير(٢).
أبا حاتمٍ، ما كان ما كان بُغْضَةً، ... ولكنْ أتَتْ بعدَ الأمور أمور(٣).
وأكْرَهَني قومٌ خَشِيتُ عِقابَهم ... فدارَيْتُهم، والدائراتُ تدور(٤).
وأكرمُ عَفْوٍ يُؤثِرُ الناسُ أمرَه ... إذا ما عفا الإنسانُ هو قدير!

(١) النواسي: أبو نواس الشاعر. الشطر المضمّن من قصيدة لأبي نواس يمدح بها الخصيب عامل مصر في أيام هرون الرشيد.

(٢) جفاني: مال عنّي، تركني، أهملني. طال عليّ الليل: أهمّني، أحزنني.

(٣) ما الأولى حرف نفي، والثانية اسم موصول= لم يكن الذي كان (حدث). بغضة: كرها بك. أتت بعد الأمور أمور: تقلّبت الأحوال كثيراً.

(٤) الدائرات تدور: الأحوال تتبدّل (وتأتي بالمصائب).

- وقال في الغزل والنسيب:

خُلِقْنَ الغواني للرجـــالِ بَلِيَّـــةً، فهُنّ موالينـــا ونحنُ عَبيدُهـــا.
إذا ما أرَدْنا الوردَ في غيرِ حينهِ أتَتْنـا به في كلِّ حينٍ خُدودُها.

- وقال يصف البَرْد في مدينة تاهرت:

مـــا أخْشَنَ الـــبردَ وريْعانَـــه وأطرفَ الشمسَ بتاهرتِ!
تبـدو من الغـيم إذا ما بَدَتْ كأنّهـــا تُنْشَرُ من تَخْـــتِ[1].
فنحن في بحرٍ بـــلا لُجّـــةٍ تجري بنا الريح على السَمْتِ[2].
نفرَحُ بالشمس إذا مـــا بَـــدَتْ كفَرْحَـــةِ الذمِّي بالسَبْتِ[3].

- وقال يمدح أحمد بن سفيان: (الحلّة السيراء ١ : ١٨٣):

وقائلـــةٍ: زارَ الملوك فـــلم يُفِـــدْ؛ فيا ليته زارَ ابنَ سُفيانَ أحْمـدا[4].
فتىً يُسْخِطُ المالَ الذي هو ربُّه ويُرْضي العَوالي والحُسامَ المُهَنّـدا[5].

- وقال يرثي ابنه عبد الرحمن:

وهوّنَ وَجْدي أنـي بِـكَ لاحقٌ وأن بَقـــائي في الحيـــاة قليلُ،
وأنْ ليس يبقى للحبيـبِ حبيبهُ، وليسَ بباقٍ للخليل خليل.
ولو أن طولَ الحُزْن ممّـــا يَرُدّه للازمني حزن عليك طويل[6].

---

(١) التخت: صوان (صندوق) الثياب. - كأنّ الغيم ثياب جديدة (تستخرج من صندوقها لأوّل مرّة): تنشر في السماء.

(٢) حينما يغطّي الضباب تاهرت ويعمّها نصبح كأنّنا في بحر هادىء (بلا أمواج) أو لا يغرق أحد فيه (بلا لجّة: معظم الماء). تجري بنا الريح (كأنّها تجري بنا الريح) على السمت: في خطّ مستقيم (نسير دائماً في اتجاه واحد لا نستطيع أن نتّجه يميناً أو يساراً لأننا لا نرى حولنا شيئاً نقصده أو نهتدي به).

(٣) الذمّي: غير المسلم إذا كان يعيش في الدولة الإسلامية (هنا: اليهوديّ).

(٤) لم يفد: لم يستفد، لم يحصل على فائدة.

(٥) ربّه = ربّ المال: صاحبه، مالكه. العوالي: الرماح (العالية نصل حديد في أعلى القناة أو القصبة، في أعلى الرمح). الحسام المهنّد: السيف المصنوع في الهند (السيف الجيّد، الذي ينتصر المحارب به).

(٦) ممّا يردّه = يردّ الميت (بسكون الياء: الذي مات).

٤ ـ الدرّ الوقاد من شعر بكر بن حمّاد (تقاديم وجمع وشرح محمّد بن رمضان شاوي) مستغانم بالجزائر (المطبعة العلوية) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.

★ ★ الحلة السيراء ١ : ١٧٣ - ١٧٤ ، ١٨٣ ؛ وفيات ابن قنفذ ٥٤ ؛ راجع فهارس « طبقات علماء أفريقية والمغرب »؛ ابن عذاري ١ : ١٥٣ - ١٥٤ ؛ رياض النفوس ٢ : ١٦ - ١٩ ؛ معالم الإيمان للدبّاغ ٢ : ١٩٢ ؛ الأزهار الرياضية ٧٠ وما بعد؛ تاريخ الأدب الأندلسي ٧٢ ؛ تاريخ الجزائر العام ٢ : ٣١ ؛ الطمّار ٣٢ وما بعد؛ مجلة العربي، نيسان ٦٣ (ص ٧٨). الأعلام للزركلي ٢ : ٣٧ (٦٣).

أبو اليسر الشيباني

هو أبو اليُسْرِ إبراهيمُ بنُ أحمدَ الشيبانيُّ المعروفُ بالرياضي، كان مولدُه في بغدادَ سَنَةَ ٢٠٠ (٨١٥ - ٨١٦ م) وسَمِعَ فيها الحديثَ والفِقه والنحو. وقد لَقِيَ في بغدادَ أيضاً نفراً كثيرين من أهلِ العلم والأدب منهم ابنُ قُتيبةَ (ت ٣٢٢) وأبو تمّام (ت ٢٣١) ودِعْبِلٌ الخُزاعيّ (ت ٢٤٦) وعليّ بن الجهْم (ت ٢٤٩) وسعيدُ بن حُميد الكاتبُ (ت ٢٥٠) والجاحظُ (ت ٢٥٥) وسُليمانُ بنُ وَهْبٍ الكاتب (ت ٢٧٢) وأحمدُ بن أبي طاهر طَيْفورٌ المؤدّب الكاتب (ت ٢٨٠) والبحتريّ (ت ٢٨٤) ومحمّد بن يزيد المبرِّد (ت ٢٨٦) وثعلبٌ إمام الكوفيّين في النحو واللغة (ت ٢٩١).

وبعدَ أن تَطوّفَ أبو اليُسْرِ في المشرق كثيراً انتقل إلى المغرب في أيامِ أميرِ القَيْروانَ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ محمد الأغلب (٢٦١ - ٢٨٩ هـ) وكَتَبَ له. ثمّ كتب لابنه أبي العبّاس عبدِ الله (٢٨٩ - ٢٩٠). وكان في أيامِ زيادةِ الله آخرِ الأمراء الأغالبة (٢٩٠ - ٣٠٤ هـ) على بيتِ الحكمة. في هذه الأثناء كلِّها كَثُرَ تَطوُّفُ أبي اليسر في المغرب والأندلس. وقد كانت وفاته بالقيروان. سَنَةَ ٢٩٨ (٩١٠ - ٢٩٠ م)، وقد أسنَّ كثيراً.

كان أبو اليُسْرِ الشَّيباني جميلَ الخُلُقِ نزيهَ النفس، عالماً أديباً شاعراً كاتباً ومُترسّلاً بليغاً ومُشاركاً في كثيرٍ من فنون العِلم والأدب حَسَنَ الخَط حَسَنَ التأليف، ألّف من الكتب: سِراجَ الهُدى (في القرآن ومشكله وإعرابه) - لَقيط المَرْجان - المُرصّعة

- المُدبّجة - المُؤنسة - الوحيدة - قُطْب الأدب. وهو الذي أدخل إلى أفريقية رَسائلَ المُحْدَثين وأشعارَهم وطرائفَ أخبارِهم.

★ التكملة ١٧٣؛ نفح الطيب ٣: ١٣٤ - ١٣٥؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٢ (٢٨).

مقدّم بن معافى القبريّ

١ - هو مُقَدَّمُ بنُ مُعافًى القَبْريّ، نسْبةً إلى مدينة قَبْرَةَ (وقبرةُ كورةٌ من أعمال قُرطبةَ قَصَبَتُها أو عاصمتها قبرةُ أيضاً). نَعْرِفُ من أحداثِ حياته أنّه كان شاعرَ بَلاطٍ في أيامِ الأميرِ عبدِ الله بنِ محمّدٍ (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ). ولعلّ مَوْلِدَه كان سَنَةَ ٢٢٥ (٨٤٠ م). أمّا وفاتُه فكانتْ في حُدودِ سَنَةِ ٢٩٩ (٩١٢ م). ولعلّه كان ضريراً[١].

٢ - يبدو أن مقدّمَ بنَ مُعافى كان شاعراً مدّاحاً، اتّصل بِبَلاطِ قُرطبةَ أيامَ الأمير عبدِ الله، كما مدح سعيد بنَ سُليمان بن جُوديّ (ت ٣٨٤ = ٩٩٤ م)، الذي كان فارساً شاعراً. وكذلك مدح سعيدَ بنَ المُنذر بن سعيدِ البلّوطيّ. غير أنّ أهمّ ما يتعلّق بخصائص مقدّم هذا أنّ مؤرخي الأدب يَنْسِبون إليه اختراعَ الموشّح[٢]. غير أنّ موشّحات مُقدّم لم تصل إلينا، ولا وصل إلينا من شعره إلاّ أبياتٌ يسيرة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال مُقَدَّمُ بنُ مُعافى يرثي سَعيدَ بن جوديّ (نفح الطيب ٣: ٥٣٨):

من ذا الـــذي يُطْعِمُ أو يكسو | وقد حَوَى حِلْفَ النَدى رَمْسُ؟
لا آخضرّتِ الأرضُ، ولا أورقَ الـ | ـعُودُ، ولا أشرقـــتِ الشمس
بعدَ ابنِ جُوديّ الذي لن ترى | أكرمَ منـــه الجِنُّ والإنس.
دموعُ عيــني في سبيـلِ الأسى | عـــلى سعيــدٍ أبــداً حُبْس.

(١) بروكلمان، الملحق ١: ٤٧٧.

(٢) راجع، تحت، الكلام على الموشح. ثم نفح الطيب ٧: ٥ - ٦ (عن مقدمة ابن خلدون) ينسب ابن بسّام (الذخيرة) اختراع الموشّح إلى رجل ضرير من قبرة اسمه محمّد بن حمّود أو محمود.

- وله قصيدة أوّلها :

أشجيتَ إنْ طَرِبتْ حمامةُ وادي ... ميّـــادةٌ في ناعمٍ ميّـــاد؟
تلهو ومـا مُنِيَـتْ بجَفْوة زَيْنبٍ ... يومـاً، ولا بخَيالهـا المُعْتـاد.
لا تَرْجُ -إذ سَلَبَتْ فؤادكَ زينبٌ- ... عَيْشاً؛ فما عيشٌ بغـيرِ فُؤاد!

- قيل لِمُقدّمِ بن مُعافى: أتَرْثي سعيدَ بنَ جُوديٍّ وقد ضَرَبَكَ؟ فقال:

واللهِ، إنّه نَفَعَني حتّى بذنوبِه. ولقد نَهاني ذلك الأدبُ (القصاص، العقاب) عن مَضارَّ جمّةٍ كُنْتُ أقعُ فيها على رأسي، أفَلا أرْعَى له ذلك؟ واللهِ، ما ضَرَبَني إلاّ وأنا ظالمٌ له، أفَأبْقى على ظُلمي له بعدَ موته؟

وقيل له: لِمَ لا تهجو مُؤمِنَ بنَ سعيدٍ؟ فقال:

لا أهجو مَنْ لو هجا النجومَ ما اهْتَدى أحدٌ بها!

٤ - ★ ★ الحلّة السيراء ١ : ١٥٦؛ جذوة المقتبس ٣٣٣؛ بغية الملتمس ٣٦٠ - ٣٦١ (رقم ١٣٨٦)؛ نفح الطيب ٣ : ٥٣٨، ٧ : ٦.

الأمير عبد الله بن محمّد

هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحكَم، واسم أمّه بَهارُ. كان مولدُه في نِصف ربيعٍ الآخِرِ من سَنَة ٢٢٩ (١٢/ ١١/ ٨٤٣ م).

بُويع عبدُ الله في نصف صَفَرَ من سنة ٢٧٥ (٢٩/ ٤/ ٨٨٨ م)، والأندلس في أحلكِ أيّامِها لكَثْرةِ الفِتَنِ، فلقد بَلَغَتْ فِتنةُ ابنِ حَفْصونٍ في عهدِهِ ذُروةَ اشتدادِها. وكانَ أنصارُ ابنِ حفصون يَصِلونَ في غاراتِهِمْ إلىٰ أحْوازِ قُرطبة. وكذلك استبدَّ بنو حجّاجٍ وبنو خَلْدُونٍ بِمِنْطقِ إشبيلية وقَرمونة كما استبدّ آل تُجيبَ بِسَرَقُسْطة وما حولها (في الشَّمال) وبنو ذي النون بطُلَيْطُلة.

وفي أيّامِهِ نَبَعَتِ الدولة الفاطمية في القَيْروان، وكانت دَوْلة مُناوئةً للأمويّين في الأندلس.

وكَثُرَتْ غاراتُ الإسبانِ على أطرافِ البلاد فقام الأميرُ عبد الله بغَزَوات كثيرةٍ إلى بِلادِ الإسبان، ولكنّ هذه الغزَوات كانت ضعيفة الأثر.

وكان أشدَّ ما لَقِيَهُ الأميرُ عبدُ الله فسادُ قلوبِ إخوتِهِ وأبنائهِ عليه حتّى بَلَغَتِ الجُرأةُ بهم إلى أن تآمروا عليه. فلمّا عَرَفَ ذلك قتل نفراً منهم. ثمّ لم يَجِدِ الأميرُ عبدُ اللهِ أحداً من إخوته وأبنائه الباقين يصلُحُ للإمارةِ فبايعَ بالإمارةِ لحفيدهِ عبدِ الرحمنِ آبن محمّدٍ المقتولِ (الذي أصبح الخليفة عبدَ الرحمن الناصر).

وكانتْ وفاةُ الأميرِ عبدِ اللهِ في مُسْتَهَلِّ رَبيعٍ الأولِ من سَنَةِ ٣٠٠ (١٦/ ١٠/ ٩١٢ م).

٢ - كانَ الأميرُ عبدُ اللهِ بنِ محمّدٍ شاعراً مطبوعاً له أشعارٌ حِسانٌ في الغَزَلِ والزُهْدِ وشيءٌ من التوقيع والرسائل.

٣ - المختار من آثاره

- قال الأمير عبد الله بن محمّد في صباه يتغزّل:

وَيْـلي عـلى شادِنٍ كحيـلٍ   في مِثْلِـهِ يُخْلَـعُ العِـذارُ[١].
كأنّما وَجْنتـاهُ وَرْدٌ   خالطَـهَ النَّوْر والبَهـار[٢].
قضيـبُ بـانٍ إذا تَثَنَّـى   يُديرُ طَرْفـاً بـه آحْوِرار[٣].
فصَفْوُ وُدّي عليـهِ وَقْـفٌ   مـا آطّرَدَ الليـلُ والنهـار[٤].

- وقال في الغزل أيضاً:

يا مُهْجَـةَ المُشْتـاقِ، ما أوْجَعَكْ!   ويا أسيرَ الحبِّ، ما أخشعَكْ[٥]!

(١) الشادن: الغزال الصغير. الكحيل: الذي تكثف رموش عينيه فتبدو أطراف جفونه سودا.
(٢) النور (بفتح النون) الزهر الأبيض. البهار: الزهر الأصفر.
(٣) البان شجر أغصانه شديدة الاستقامة والطول. تثنّى: تمايل. الأحورار أو الحور أن يكون بياض العين شديد البياض وسوادها شديد السواد.
(٤) آطّرد: تتابع واستمرّ.
(٥) المهجة: دم القلب، القلب. ما أخشعك: ما أكثر خضوعك وطاعتك للمحبوب.

ويـا رسولَ العـينِ من لَحْظِها بالردّ والتبليـغ مـا أسرَعَـكْ:
تذهَـبُ بالسرِّ وتـأتي بـه في مجلسٍ يخفى على مَنْ مَعَكْ
كم حاجـةٍ أنجزتَ إبرازَهـا! تبـارَكَ الرحمنُ، مـا أطوَعَـكْ!

- وله في الزهد:

يـا من يُرواغُـهُ ٱلأجَـلْ، حتى م يُلْهيكَ ٱلأملْ[1]؟
حـتى م لا تخشى الردَى وكأنه بك قد نَزَلْ[2]؟
أَغفَلْـتَ عن طلَـب النجـاةِ، ولا نجاةَ لمن غفَلْ؟
هيهـاتِ تَشْغَلُـكَ المُنـى؛ ولِمَ يدوم بك الشغَل[3] ؟
فكـأنَّ يومَـك لم يكُنْ، وكأنَّ نَعْيَك لم يَزَلْ[4].

- وأذْنب بعضُ موالي الأمير عبدِ الله يوماً فقال له الأمير عبد الله (ابن عذاري ٢ : ١٥٤): إنّ مَخايلَ الأمور لَتدُلُّ على خِلافِ قولكَ وتُنْبىءُ عن باطِل تَنصُّلكَ[5]. ولو أقْرَرْتَ بذنبك واسْتَغْفرتَ لجُرْمكَ لَكانَ أجملَ بكَ وأسدَلَ لستْر العفو عليك[6].

فقال له المُذنبُ: قد اشتملَ الذنبُ عَلَيَّ وحاقَ الخطأُ بي[7]. وإنّما أنا بَشَرٌ، وما يقومُ لي عُذْرٌ.

فردّ عليه الأميرُ عبدُ الله: مَهْلاً عليك، رُوَيْداً بكَ. تَقَدَّمَتْ لك خدمةٌ وتأخرّتْ لك تَوْبةٌ، وما للذنب بينَهما مَدْخَلٌ. وقدْ وَسِعَكَ الغُفرانُ[8].

---

(١) راوغه: داوره، يبدو مبتعداً عنك ، يقترب وبالعكس.
(٢) الردى: الموت. وكأنه قد نزل: سينزل عمّا قريب جدّاً.
(٣) إنّ الأماني الكاذبة تنسيك الموت، فلماذا يدوم اشتغالك بالأماني الكاذبة؟ الشغل (بفتح ففتح أو بضم فضم).
(٤) كأنّ اليوم الذي أنت فيه (أنت حيّ فيه) لم يأت، وكأنّك لا تزال مهدّداً بالموت.
(٥) مخايل (جمع مخيلة بفتح الميم وكسر الخاء): دلائل، علامات. تنصّل من الذنب: أظهر أنّه بريء منه
(٦) الجرم: الذنب الكبير. أجمل بك: أليق بك وأحسن لك. أسدل (فعل تفضيل) (٧) حاق: أحاط (٨) تقدّمت لك خدمة (اهتمام بأمورنا) وتأخرت لك توبة (لقد تبت أخيراً): قد وسعك الغفران: غفرنا لك!

- وأملى الأميرُ عبدُ الله (على بعضِ كُتّابِهِ) كتاباً إلى بعض عُمّاله:

أما بعدُ، فلو كان نَظَرُكَ فيما خَصَصْناكَ به واهْتِبالُك بهِ على حَسْبِ مُواتَرَتِكَ(١) بالكُتُبِ واشتغالِكَ بذلك عن مُهِمِّ أمركَ لَكُنْتَ من أحسنِ رِجالِنا عَناءً(٢) وأتَمِّهِمْ نظراً وأفضلِهِمْ حَزْماً. فأقْلِلْ من الكُتُبِ فيما لا وَجْهَ له ولا نفعَ فيه، وٱصْرِفْ همّتَكَ وفِكْرَتَكَ وعِنايَتَكَ إلى ما يبدو فيه ٱكْتِفاؤكَ ويظهَرُ فيه غَناؤك(٣)، إن شاءَ اللهُ.

★ ★- ٤ المقتبس ١٩٥ - ٢٠٠؛ الحلة السيراء ١: ١٢٠ - ١٢٤؛ البيان المغرب ٢: ١٥٢؛ نفح الطيب ١: ٣٥٢-٣٥٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٩؛ نيكل ٢١ - ٢٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٢ (١١٩).

محمّد بن عاصم النحوي

هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عاصمٍ(٤) (وقيل محمّد بن موسى بن هاشم بن يزيد) القُرْطبي النَحْويّ المعروفُ باسم الأقشتين (أوغسطين)، مولى الأمير المنذر بن محمّدٍ (ولعلّه دخل الإسلامَ على يَدَيْهِ).

رَحَلَ محمّدُ بن عاصمٍ إلى المشرق وزار الشامَ والعِراقَ وأخذ عن نَفَرٍ من عُلَمائها، وٱنتسخ «الكتابَ» (كتابَ سِيبَوَيْهِ، في النحو) من نُسخةِ سِيبَوَيْهِ نفسِها وأخذ الكتابَ بالروايةِ عن سِيبَوَيْهِ نفسه. وهو نَحْويّ مشهورٌ لم يُقَصِّر في علم النحو عن أصحابٍ محمّدِ ٱبنِ يزيدَ المُبَرِّد(٥). ثم هو مُصَنِّفٌ له: طبقات الكتّاب بالأندلس- شواهد الحكم- الموفّق- الرائق- فضائل المستبصرة. وكانتْ وفاتُه في رَجَبَ من سَنَةِ ٣٠٧ (مطلع ٩٢٠ م).

---

(١) لو كان اهتمامك بما جعلنا الأمر فيه لك وحدك واهتبالك (إسراعك) في تنفيذه على حسب (بمقدار) مواترتك (متابعتك، موالاتك، إكثارك) من الكتب (الرسائل إلينا).....

(٢) العناء (بالعين المهملة): تعب، اهتمام.

(٣) الغناء (بفتح الغين): النفع.

(٤) راجع نفح الطيب ٣: ١٧٤- ١٧٥.

(٥) راجع تاريخ الأدب العربيّ للمؤلّف ٢: ٣٥٤

★★ الزبيدي ٣٠٥ ؛ ابن الفرضي ٢ :٣١ ؛ جذوة المقتبس ٧٤ ، ٨٢ (الدار المصرية) ٧٩ - ٨٠ (رقم ١٢٢)؛ بغية الملتمس ١٠٧ ؛ ١١٦ (رقم ٢٤٣ ، ٢٦٨)؛ إنباه الرواة ٣ :٢١٦ ؛ الوافي بالوفيات ٥ :٩٠ - ٩١؛ بغية الوعاة ١٠٨ - ١٠٩ .

عبد الله المكفوف النحويّ

هو أبو محمّدٍ عبدُ الله بنُ محمدِ (وقيل: محمود) النَحْويُّ القَيْروانيُّ من أهل سَرْتٍ أدركَ أبا الوليدِ عبدَ المَلِك بنِ قَطَنٍ المَهْريَّ (ت٢٥٦ هـ) وأخذَ عنه. ثمّ صَحِبَ حَمْدوناً النَحْوِيَّ (أبا عبدِ الله محمّدَ بنَ إسماعيلَ) القيروانيَّ المَغْرِبيّ الإفريقيَّ المعروفَ بالنَعْجة (يبدو أن وفاتَه كانت بعد سَنَةَ ٢٠٠ بأمَدٍ). ثم عَظُمت مكانةُ عبدِ اللهِ المكفوفِ فقَصَدَهُ الطُلاّبُ من أنحاءِ إفريقِية (تُونِسَ) ومن المَغْرب. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٣٠٨ (٩٢٠ - ٩٢١ م).

كان عبدُ الله المكفوفُ قويَّ الذاكرة جدًّا عالماً بغريب اللغة وبالنحو والشعر وأخبار العرب. وله كتابُ « العَروض » (وهو من أفضل ما وُضِعَ في هذا الفنّ) ثمّ كتابٌ آخَرُ في « صفة أبي زبيد الطائيّ » (ت ٦٢ هـ). وله أيضاً أشعارٌ قصائدَ وأراجيزَ.

★★ الزبيدي ٢٥٧ - ٢٥٩ ؛ نكت الهميان ١٨٤ - ١٨٥ ؛ إنباه الرواة ٢ : ١٤٧ - ١٤٩ ؛ بغية الوعاة ٢٩٠ ؛ البلغة في تاريخ أئمّة اللغة ١١٢ - ١١٣ .

أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي

١ - هو أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بن أبي عاصمٍ اللُؤْلُؤيُّ، وُلدَ في القيروان، سَنَةَ ٢٧٢ (٨٨٥ - ٨٨٦ م). وكان اللؤلؤيُّ كثيرَ المُلازمة لأبي محمّدٍ المكفوفِ النَحْويّ (ت ٣٠٨) كثيرَ الأخذِ عنه. مات كهلاً سَنَةَ ٣١٨ (٩٣٠ م).

٢ - كان اللُؤلؤيّ من نُحاةِ القَيْروان ومِنَ العلماءِ النُقّاد في اللُغة والنَحْو والحِفْظ والمقدرةِ في شَرْح دواوين العرب. وكان شاعراً مُجيداً سهلَ القول للشعْر كثيرَ الطَبْع على أشعار القدماء. ولم يمدَحْ أحداً تكسّباً، إذ كان أبوه مُوسِراً (الوافي

بالوفيات ٦ : ١٩٨). ثم إنّه، في آخر عُمُره، ترك الشعرَ وتوفّرَ على الحديث والفقه. وكان مُؤلّفاً له كتاب الضاد والظاء.

٣- مختارات من شعره:

- قال أحمدُ بنُ إبراهيمَ اللؤلؤيُّ في النسيب، وعلى شعرِه هذا نفحةٌ من نفس آمرىءِ القيس:

أيا طلَلَ الحيِّ الذي تحمّلوا | بوادي الغَضا، كيف الأحِبّة والحالُ[١]؟
وكيف قضيبُ البانِ والقمرُ الذي | بوَجْنَتهِ ماءُ المَلاحة سيّال[٢]؟
كأن لم تَدُرْ ما بَيْنَنا ذَهَبيّةٌ | عَبِيريّةُ الأنفاس عذراءُ سِلسال[٣]؛
ولم أتوسّدْ ناعماً بطنُ كفِّه | ولم يَحْوِ جسْمَيْنا معَ الليل سِربال[٤].
فبانَتْ به عنّي- ولم أدرِ- بَغْتَةً | طوارقُ هذا البَيْن، والبينُ قتّال[٥].
فلمّا آسْتقلّت ظَعْنُهم وحُدوجُهم | دَعَوْتُ، ودَمْعُ العين في الخدّ هطّال[٦]:
سُقيتُ نَجيعَ السُمِّ إن كان ذا الذي | تَحَدّثَه الواشون عنّي كما قالوا[٧]!

- وله من النسيب الرقيق أيضاً:

لا تقتُلِ الصبَّ فما حَلّ لَكْ، | يا مالكاً أسرفَ في ما مَلَكْ!

٤-★ ★ الزبيدي ٢٦٥-٢٦٦؛ إنباه الرواة ١ :٢٧-٢٨؛ الوافي بالوفيات؛ ٦ :١٩٩؛ معجم الأدباء ٢ :٢١٨ - ٢٢٤؛ بغية الوعاة ١ :١٢٧؛ الأعلام للزركلي ١ :٨١ (٨٥).

---

(١) الطلل: أثر الخيمة بعد تقويضها. تحمّلوا: رحلوا. وادي الغضا في الحجاز (وهو يستعمل رمزاً عن مسكن الأحبّة).

(٢) قضيب البان: كناية عن القامة الرشيقة (المرأة الجميلة). وفي رواية: يختال مكان سيّال.

(٣) ذهبية: خمر. عبيرية: طيّبة الرائحة. عذراء (من وعاء للخمر فتح لأوّل مرّة). سلسل وسلسال: باردة سلسة المجرى في الحلق.

(٤) سربال: كساء طويل (جمعنا الليل في لباس واحد: قريباً بعضنا من بعض).

(٥) بان: ابتعد. البين: البعاد. الطارقة: الحادث المفاجىء.

(٦) الظعن: الحمولة (الناقة) تسافر عليها امرأة. الحدج: (شبه بيت تحمله الإبل. استقلّ الظعن: رحلوا.

(٧) في الأصل: نجيع (دم) وهو خطأ. اقرأ: نقيع (ناقع، منقوع) مركّز، شديد (سمّ قاتل بسرعة) وفي الوافي بالوفيات (٦: ١٩٩):

حرمت مناي منك إن كان ذا الذي | تقوّله الواشون عنّي كما قالوا.

هذا البيت الأخير تضمين للقاضي عبد الله بن محمّد الحلنجي ابن أخت علّويه»

أبو الأصبغ موسى بن محمّد

١- هو أبو الأصبغ موسى بنُ محمّد بن سعيدِ بن موسى، لعلّ مولدَه كان نحو سَنَةِ ٢٥٠ (٨٦٤م). تولّى أبو الأصبغ خُطّه القُطُع (جِبايةَ الأموال من المقاطعات التي يستبدّ بها نفرٌ مُتَنفّذون أو ثائرون) للأميرِ عبدِ الله بنِ محمّدٍ (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) ثمّ تقلّب في عددٍ من المناصب. ولمّا جاء الأميرُ عبدُ الرحمن بن محمّدٍ إلى العرش جَعَلَ أبا الأصبغ وزيراً له. ثمّ ولاّه الحِجابة، سَنَةَ ٣٠٩ (٩٢١م).

وكانتْ وفاةُ أبي الأصبغ موسى بن محمّدٍ في مُنْتَصَفِ صَفَرَ من سَنَةِ ٣٢٠ (٢٦/٣/٩٣٢م).

٢- أبو الأصبغ موسى بنُ محمّدٍ من أهلِ العِلم والأدبِ والشعرِ، يقول الشعرَ رَوِيّةً وبَديهةً. وكان حسنَ التحديثِ في الجِدِّ والهَزْل. وشعرُه كثيرُ المعاني سهلٌ عذبٌ. وأبرزُ فنونِه الأدَبُ والوصفُ.

٣- **مختارات من آثاره:**

- جرى ذِكْرُ الشَيْبِ وذَمُّه في مجلسٍ للأمير عبدِ الله- وكان يكره الشيبَ- فسأل عن أحسن ما يُرْوَى في هذا الباب، فقال له أبو الأصبغ: أحسنُ ما قيل فيه عندي- في رأيي- قولُ الأوّل [أي قول شاعر قديم]:

أقولُ لضيف الشيب، إذ حلّ مَفرِقي: نصيبُكَ منّي جَفْوة وقُطوبُ.
حرامٌ علينا أن تَنالَكَ عندَنا كرامةُ بِرٍّ أو يَمَسَّكَ طِيبُ!

فاستحسن الأميرُ عبدُ اللهِ البيتين وأمَر أبا الأصبغ أن يَزيدَ فيهما. فزاد عليهما أبو الأصبغ في المجلس نفسه أبياتاً هي:

فيا شرَّ ضَيفٍ حلّ بي؛ وحُلولُهُ يُخبِّرني أن المماتَ قريبُ،
وأنّ جَديدي كلَّ يومٍ إلى بِلًى وأنّيَ من ثوب الشباب سَليب[1].
فما طيبُ عيش المرءِ إلاّ شبابُه؛ وليس إذا ما بانَ عنه يَطيب.
سأَقْريكَ، يا ضيفَ المشيب، قرى القِلى فما لك عنْدي في سِواهُ نصيب[2].

---

(١) البلى: التهرؤ، الفناء. سليب: مسلوب. ثوب سليب (ثوب خلعه صاحبه عنه).

(٢) القرى (بكسر القاف): الضيافة. القلى: البغض. سأقريك (سأطعمك) قرى القلى: لن أكرمك.

وأبكي على ما قد مضى من شبيبَتي بُكاءَ مُحبٍّ قد جَفاه حبيب.

٤ - ★ ★ الحلة السيراء ١: ٢٣٢ - ٢٣٧.

يزيدُ الفصيح

١- هو أبو خالدٍ يزيدُ بنُ طَلْحَة العَبْسيُّ المعروفُ بالفصيح مِنْ أهلِ إشبيليةَ، أخَذَ عنِ الخصيبِ الكَلْبِيّ اللُّغويّ وعن محمّدِ بنِ عبدِ السلام الخُشَني (ت ٢٨٦) ومحمّدِ بنِ عبدِ اللهِ بن الغازي (ت ٢٩٦). وزاد الفرضيُّ أنّه سَمِعَ من محمّدِ بنِ أحمدَ العُتْبيِّ ويحيى بن إبراهيمَ بن مَزْين (رقم ١٦٠٨)؛ وذلك مُسْتَبْعَدٌ لأنّ العُتبيَّ تُوُفِّيَ سَنَةَ ٢٥٥.

وكان ليزيدَ الفصيحِ بإبراهيمَ بنِ حجّاجٍ اللَّخْميّ المُسْتبِد بحكم إشبيلية وقَرَمونةَ صِلَةٌ شخصيةٌ (راجع الزبيدي ٢٩٤) ثمّ صِلة رسمّية في الأغلبِ حتّى يَكْتُبَ كتاباً إلى أهل قَرَمونةَ (أو قرمونيّة) يَحُضُّهم على الطاعة لسُلطةِ إبراهيمَ بنِ الحجّاج.

وكانتْ وفاةُ يزيدَ الفصيحِ سَنَةَ ٣٢٠ (٩٣٢ م).

٢- كان يزيدُ الفصيحُ بارعاً في اللغة والنحو والفِقه ومشهوراً بالفصاحة والبلاغة والخَطابة. وله نثرٌ وشيءٌ من الشعر.

٣- **مختارات من آثاره**

- قال يزيدُ بنُ طَلْحَةَ العَبسيُّ الفصيحُ:

إنّ العِلْمَ ليس من جِهة المُغالبة، ولكنْ من جِهة الإنصافِ والحقيقة.

- وكتب إلى أهل قَرَمونَة (على لسان إبراهيم بن حجّاج!) يَحُضُّهُمْ على الطاعة:

إنّ أحقَّ ما رَجَعَ إليه الغالون ولَحِقَ بهِ التالون، وآثَرَهُ المؤمنون وتعاطاه[1] بَيْنَهُمُ المسلمون- مِمّا ساءَ وسَرّ ونَفَعَ وضَرّ- ما أصْبَحَ بهِ الشَمْلُ مُلْتَئِماً والأمرُ مُنْتَظِماً، والسيفُ

---

(١) الغالون: المغالون، المتطرّفون؛ والأغلب أن معناها هنا: السابقون (الذين قبلنا). التالون: الذين يأتون بعد غيرهم. آثره: فضّله. تعاطاه المسلمون: تعاملوا به فيما بينهم.

مغمودٌ ورِواقُ الأمنِ ممدودٌ[١]. وليس من ذلك شيءٌ أَوْلى، بإحرازِ الثوابِ ولا أحرى، من الدخولِ في الطاعة وتَرْكِ الشُذوذِ عن الأئمّة[٢]. فإلى اللهِ نرغَبُ المَعونةَ على أحسنِ بصائِرنا في وَهْيٍ يُرَقّعه وشَعْبٍ يَلْأَمُهُ وسِلْكٍ يَنْظِمه[٣]، وأن يَجْعَلَ ما حَضَضْناكم عليه مِنَ اجتماع الإلْفِ والدُخولِ في الطاعة آختبارًا! يَصِلُ منه لنا (اقرأ: إلينا) خيرُ الدارين[٤] ويُحْمَلُ عنّا فيه حقُّ الخِلافة المَرْضِيّة التي هي مِنَ الله صلاحٌ لهذه الأُمّة وسُنَّةٌ متَّبَعَةٌ لتأليف الشَمْلِ وحَقْنِ الدماء وتَحْصين الفُروج والأموال[٥].

- وله:

فألْبَسَني قُمْصاً مِنَ الفضلِ والنَدى ... وألْبَسْتُه قُمْصَ البديعِ من الشِعْرِ[٦]:
رِياضاً وحَلْياً لا يزالُ لِباسُه ... من اللُؤْلُؤِ المكنونِ والسُنْدُسِ الخُضْرِ[٧]
كأنّ دقيقَ السِحر بعضُ نشيدِها ... ولكنّها دَقّتْ فجَلّتْ عن السِحرِ[٨]
تَفَضَّلَ بالفَضْلِ الذي هو أهلُه ... وأدْرَكَ ماءَ الوجهِ مِنْ قَبْلِ أن يجري[٩].

٤- ★ ★ الزبيدي ٢٩٤- ٢٩٦؛ الفرضي رقم ١٦٠٨؛ بغية الوعاة ٤١٧؛ البلغة في تاريخ أئمّة اللغة ٢٨٤- ٢٨٥؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٧ (٨: ١٨٤).

(١) والسيف مغمود (الواو هنا واو الحال. غمد السيف وأغمده فهو مغمود ومغمد: وضعه في قرابه).
(٢) الأئمّة: أولي الأمر (الحكّام).
(٣) فإلى الله نرغب... (في الجملة اخلال: كلمات ناقصة). الوهي في الثوب: البقعة المهترئة. يرقّعه (فاعلها: اسم الجلالة، الله). الشعب: الشقّ، الكسر. يلأمه: يجمعه، يصلحه. السلك: الخيط تجمع به الخرز. ينظمه: يسلك به الخرز على نظام معيّن. الإلف: الأليفَ (الموافق في المشرب والسلوك) آختبارا (؟).
(٤) الداران: الدنيا والآخرة.
(٥) تحصين الفروج والأموال: حماية الأعراض والأملاك.
(٦) تفضّل عليّ بمال فأعطيته بدل ذلك شعراً جميلاً. هذا من قول أبي تمّام:
فما فاتني ما عنده من حبائه ... ولا فاته من فاخر الشعر ما عندي.
(٧) السندس: نسيج رقيق من الديباج (الحرير). - ثياب (سندس) خضر.
(٨) إنشاد هذه القصيدة يفعل فعل السحر الدقيق (الخفيّ، البارع). ولكنّ هذه القصيدة كانت أبرع من السحر فجلّت (عظمت وارتفعت) فأصبحت بذلك أبعد فعلاً من السحر.
(٩) أعطاني على قدره هو (أي كثيراً) قبل أن يجري ماء وجهي: قبل أن أذلّ نفسي بسؤاله.

عصر الخلافة الأمويّة
في قرطبة

كان الحُكْمُ الأمويُّ في الأندلس، منذ تولى عبدُ الرحمن الداخلُ الإمارةَ في قُرطبةَ سَنَةَ ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) إلى سقوط الخِلافة الأمويّة سَنَةَ ٤٢٢ (١٠١٣ م)، مِائَتَيْنِ وثَلاثاً وثمانينَ سَنَةً تنقسم أربعَ فَتَراتٍ ظاهرةً:

فترة الأمراء المتوارثين (١٣٨ - ٣١٥ هـ/٩٢٧م)

فترة ازدهار الخلافة (٣١٦ - ٣٦٦ هـ/٩٧٦م)

فترة استبداد المنصور بن أبي عامر (٣٦٦ - ٣٩٢ هـ/١٠٠٢م)

فترة الفتنة (٣٩٢ - ٤٢٢ هـ/١٠٣٠م)

تعاقبَ على العرشِ الأُموي في الأندلس ثمانيةُ أمراءَ من غيرِ لَقَبٍ بالخِلافة، في مَدَى مِائَةٍ واثْنَتَيْنِ وسبعينَ سَنَةً ثَبّتَ الأمويّون فيها دَعائِمَ مُلْكِهم وبَدأ في مُلْكهم هذا بروزُ حضارةٍ جديدةٍ في السياسة وفي الحياة الاجتماعية. وكانتْ هذه القوّةُ الناشئة يُطِلُّ منها خطرٌ كبيرٌ على أوروبّةَ. فٱجتمعَ الإفرنجة والبابوية على أن يُثيروا في الأندلس «حركةَ الاستخفاف»، وذلك أن ينهَضَ شخصٌ نَصْرانيّ (رجل أو ٱمرأةٌ، أو راهبٌ في كثيرٍ من الأحيان) في مجمعِ من الناس أو عند بابٍ لأحد المساجد فيشتُمَ محمّداً. ثارتْ هذه الحركة التي كان النصارى يُسمّونها حركةَ الاستشهاد في أيامِ عبدِ الرحمن الأوسطِ ٱبن الحَكَم (٢٠٦- ٢٣٨ هـ). ولكنّ الخليفةَ والقُضاةَ عالجوا هذه الحركةَ بحكمةٍ فلم يَحْكموا بالقتل على أولئك المستخفّين. فانتهت تلك الحركة لأنّها لم تُؤَدِّ إلى نتيجة عمليةٍ من الفوضى والقتل.

ثمّ وَضَعَ الإفرنجُ والبابوية في الساحة رجلاً نَصْرانياً يُسمّي نفسَه عُمَرَ بنَ حَفصونٍ

ويتظاهر بالإسلام فجمع حولَه عدداً كبيراً من الناقمين وقاتل الدولةَ الأموية وكاد يَصِلُ إلى قُرطبةَ نفسِها. بدأت هذه الحركة في أيامِ محمّدِ بنِ عبد الرحمن (٢٣٨- ٢٧٣ هـ) ثمّ استمرّتْ في أيام المُنْذِر ثمّ في أيام عبد الله بن محمّد (٢٧٥- ٣٠٠ هـ). في هذه الحِقْبة من الضَعْف والتنازع بين أُمراءِ البيت الأموي رَجَع الأميرُ عبد الله إلى نفسِه، ووجد أولادَه غيرَ صالحين لأنْ يَخْلفوه، فعَهدَ بالأمر بعده إلى حفيد له هو عبدُ الرحمن بن محمد (وكان الأمير عبد الله قد قتل ابنه محمداً هذا) وهيّأ له مُستشارين حازمين مُخلصين.

- وجاء عبدُ الرحمن بن محمّد إلى العرش، سَنَةَ ٣٠٠ (٩١٢ م)، وعُمْرُهُ ثلاثٌ وعِشْرونَ سَنَةً، فاستطاع في مَدى ستَّ عَشْرَةَ سَنَةً أن يَقْضِيَ على ثورةِ المُسمّى عُمَرَ بنَ حفصونٍ وأن يُعيدَ الأمنَ والنظام والهَيْبة إلى الأندلس. ثمّ رأى أن الخِلافة العبّاسية قد ضَعُفَتْ كثيراً في أيام المقتدر والمعتضد والمرتضى والقاهر (٢٩٥- ٣٢٠ هـ). بالتنازع على العرش. ثمّ الْتفَتَ شَمالاً فإذا أوروبّةُ تَحْكُمها- شكلاً على الأقلّ- بابويّةٌ في عصرٍ كان للحُكم الدينيّ وجاهةٌ في كلّ مكان. ففي أوّل ذي الحِجّة من سَنَةِ ٣١٦ (١٣/ ١/ ٩٢٩ م) نادى عبدُ الرحمنِ بنفسِه خليفةً وتلقّب « عبدَ الرحمنَ الناصرَ لدينِ الله »، فأصبحتْ إمارةُ الأمويّين في قُرطُبةَ منذ ذلك اليوم خِلافةً.

وفي أيّامِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ بلغتِ الأندلسُ ذِروةَ القُوَّة والحضارة والوجَاهة والسُلطة حتّى كادتْ تَكْسِفُ نورَ بَغدادَ وحتّى كان الأمراءُ الإسبانُ النصارى يحتكمون إليه في خِلافاتِهمُ الداخلية (راجع، تحت: بناء الزهراء، ص ١٧٨).

- وتُوُفِّيَ عبدُ الرحمن الناصرُ، سَنَةَ ٣٥٠ (٩٦١ م)، بعدَ أن حكَمَ خمسين سَنَةً، فخلَفه ابنُه الحَكَمُ المُسْتَنْصِرُ، وكان رجلاً كثيرَ الاهتمام بالعِلم والفلسفة جَمَعَ في بَلاطه مكتبةً قيل إنّها ضمّتْ أربعينَ ألفَ مُجلّدٍ. ومَعَ انصرافِ الحكَمِ المستنصرِ عن شؤونِ الدولةِ فإنّ دولتَه عاشتْ قويّةً بفضلِ الهَيْبة التي كانتْ لها من أيّام أبيه. ولكنّ ذلك كلَّه فَسَحَ المجالَ لِشيءٍ من الاضطراب في شؤون الدولة ولشيءٍ من الاستبداد يطمَحُ إليه نَفَرٌ من رجالِها ولشيء من الجُرأة، في الأعداء الداخِليّين والخارجيّين، على

الثورة أو على الحَرْب.

كان للحكَمِ المُسْتَنْصِرِ مَحْظِيّةٌ بُشْكنسيّةٌ اسْمُها أورورا، وكان هو يُسَمِّيها صُبْحَ (ترجمةَ كلمةِ «أورورا») ويناديها «جَعْفَرُ» تحبّباً. وقد رُزِقَ (٣٦٠ هـ) منها غُلاماً سمّاهُ هِشاماً ثمّ جَعَله (سنة ٣٦٥ هـ) وليّاً للعَهْد.

رجال الدولة: غالب والمصحفي وآبن أبي عامر

كان غالبُ بنُ عبدِ الرحمن الصَقْلَبِيُّ قائداً قديراً مُظفراً حتّى سُمِّيَ «ذا السَيْفينِ». وكان جعفرُ بنُ عُثمانَ المُصْحَفي كاتباً للحكَمِ المستنصِرِ (حينما كان الحَكَمُ لا يزالُ وَليّاً للعهد) ثمّ أصبحَ وزيراً له. وكان محمّدُ بنُ أبي عامرٍ شابّاً ذَكِيّاً نشيطاً طَموحاً آستطاعَ أن يدخُلَ في خِدمة الدولة باكراً وأن يتّصلَ بالبلاط ثمّ يكونَ ناظراً على أملاكِ السيدةِ صُبْحَ.

هشام بن الحكم وبدء الفتنة

تُوُفِّيَ الحَكَمُ المُستنصرُ، سَنَةَ ٣٦٦ (٩٧٦ م) فخَلَفَه ابنُه هِشامٌ باسم هشامٍ المُؤيَّدِ، وكان لا يزالُ قاصراً قليلَ العلمِ والاهتمام بمُعاناةِ أمورِ الدولة. اتّخذَ هشامٌ المؤيَّدُ جَعْفراً المُصْحَفيّ حاجباً (رئيساً للوزارة) وجعَلَ محمّدَ بنَ أبي عامرٍ وزيراً للمُصْحفي.

اتّفقَ أن هاجمَ الإسبانُ شماليَّ الأندلس، فكان رأيُ غالبٍ والمُصحفيّ مُفاوضةَ العدوِّ لأنّ هزيمتَه في المَعْركةِ أمرٌ مُسْتَبْعَدٌ. أمّا ابنُ أبي عامرٍ فقد أكّدَ أنّ العدوَّ سينهزمُ في المعركة ثمّ اقترح أنْ يقودَ هُوَ الجيشَ بنفسِه. وكانتْ صبحُ الوصيّةُ على ابنها تخافُ أنْ يفقُدَ ابنُها عرشَه فمالتْ إلى رأي آبن أبي عامرٍ. وشاء القَدَرُ أن ينتصرَ ابنُ أبي عامرٍ على الإسبان فَعَلَتْ مَنزلتُه كثيراً وتدنّتْ منزلةُ غالبٍ والمُصحفي كثيراً (مع أن غالباً كان القائد الذي خاضَ المعركةَ فعلاً، ولكنّ الحملةَ كانت بِقيادة آبن أبي عامرٍ).

طَمِحَ ابنُ أبي عامرٍ الآن إلى الاستبدادِ بالسُلْطَةِ فحجَبَ هِشاماً وشَغَلَه بالتَرَفِ واللَهْو ثمّ نَكَبَ المُصْحفي وَغَدَرَ بغالبٍ، في حديثٍ طويل، فأصبحتِ الدولةُ كلُّها في

يَدَيْهِ. عندئذٍ تسمّى «المنصورَ بنَ أبي عامرٍ» وبَنى مدينةً سَمّاها الزاهرةَ (تقليداً للزهراء التي بناها عبدُ الرحمن الناصرُ) وأقامَ فيها بلاَطاً وأصبحَ الحاكمَ الفِعْليَّ في الأندلس. وقد حارَبَ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ الإسبانَ ووَسَّعَ رُقعةَ الأندلسِ وقامَ بخمسينَ غزوةً آنتصر فيها كلِّها. وكانتْ وفاتُه سنة ٣٩٢ (١٠٠٢ م) في مدينةِ سالم وهو آيبٌ من غزو بلاد الجلالقة.

خلفاء الفتنة

معنى الفتنةِ هنا تَنازعُ الأحزاب المختلفة في قرطبةَ على الخلافة. وقدِ آمتدّتْ هذه الفِتنةُ ثلاثينَ سَنَةً، من وَفاةِ المنصورِ ابنِ أبي عامرٍ (٣٩٢ هـ) إلى سقوطِ الدولةِ الأُموية في قرطبةَ (٤٢٢ هـ).

بعدَ المنصورِ بنِ أبي عامرٍ تولّى الحِجابةَ في الأندلس ابنُه عبدُ الملك المُظَفَّرُ، وكان قديراً شُجاعاً قريبَ الصِفاتِ من أبيهِ فآستمرَّ في حَجْبِ هشامٍ وفي الاستبدادِ في تسييرِ أمورِ الخِلافة.

ولّما توفّي عبدُ الملكِ المظفّرُ (٣٩٨ هـ) خَلَفَه أخوه عبدُ الرحمن المُلقّبُ «شَنْجولَ»، أي شانُجة الصغيرَ (لأنّ أُمّه كانتْ حفيدةَ مَلكِ بَنْبلونةَ الفِرنْجيّ). غير أنّ عبدَ الرحمنِ هذا كان ضعيفاً مُنْصرفاً إلى مَلَذّاته فآنْحدَرَتِ الأندلسُ في أيامهِ إلى الفتنةِ والفَوْضى. جاء عبدُ الرحمنِ شَنْجولُ وعلى عرشِ الأندلسِ هشامٌ المؤيّدُ (٣٦٦- ٣٩٩ هـ) الذي كان المنصورُ بنُ أبي عامرٍ قد حَجَبَه واسْتَبَدَّ بحُكْمِ البلادِ مكانه. ثمّ طَمِعَ عبدُ الرحمن شنجول بالمُلْك فأقنع هشاماً المؤيّدَ بأنْ يَجْعَلَهُ وليّاً للعهدِ. فغاظَ ذلك بني مروانَ فعَمِلوا على خَلْعِ هِشامٍ (جُمادى الآخرة ٣٩٩) ثمّ نَصَبوا مكانَه محمّداً المَهْدِيَّ بنَ عبدِ الجبّار الأمويّ. وبما أن محمّداً المهديَّ كان يُمَثّلُ «الحِزْبَ» الأُمويّ العربيّ، فقد غَضِبَ البربرُ فهاجموا قُرْطُبَةَ وخلعوا محمّداً المَهْدِيَّ ونصبوا مكانه سُليمانَ المُسْتعينَ بنَ الحَكَمِ بنِ سُليمانَ (وهو أيضاً من البيت المروانيّ المالك) في رَبيعِ الأولِ من سَنَةِ ٤٠٠. ولكنّ المروانيّين أعادوا مُحمّداً المَهْديّ في شوّالٍ من سَنَةِ ٤٠٠؛ وبعدَ شهرينِ استطاعَ أنصارُ هشامٍ المؤيّدِ أن يخلعوا محمّداً المَهْديّ ثانيةً وأن يُعيدوا هشاماً إلى العرش.

وبعدَ ثلاثِ سَنواتٍ، في شوالٍ من سَنَةِ ٤٠٣ (١٠١٣ م)، اقتحمَ البربرُ قرطبةَ ونصبوا خليفتَهُمْ سُليمانَ المستعينَ على عرشِ الخلافةِ مرّةً ثانيةً. وبعدَ أنْ سالتِ الدماءُ في قرطبةَ أنهاراً أمرَ سُليمانُ المستعينُ بقتلِ هشامٍ المؤيَّد. وعاشَ سليمانُ في خلافتهِ الجديدةِ ثلاثَ سَنَواتٍ وثلاثةَ أشهُرٍ. ثمّ إنّ البربرَ تَخلَّوْا عن سليمانَ المستعينِ والْتَفّوا حولَ رَجُلٍ منهم هو عليُّ بنُ حَمّودٍ وجعلوه خليفةً وسَمَّوْهُ الناصرَ لدينِ اللهِ. ولكنّ العربَ عادوا فقتلوا عليَّ بنَ حمّودٍ وردّوا إلى العرش المُقَلْقَلِ رَجُلاً مروانيّاً هو عبدُ الرحمنِ المُرْتضى بنُ محمّدٍ، في رَمَضانَ ٤٠٨ (١٠١٨ م). وبعدَ شَهْرَيْنِ فَقَطْ جاء القاسمُ ٱبنُ حمّودٍ إلى عرشِ قرطبةَ، ثمّ خَلَفَه، بعد أربع سَنَواتٍ ٱبنُ أخيه يحيى بن حمّود، ثمّ عاد القاسمُ ثانيةً إلى العرش. ثمّ عادَ الأمرُ في قرطبة إلى العرب فجاء إلى عرش الخلافة المُتَزَعْزِعِ عبدُ الرحمن المُسْتَظْهِرُ بن هشامٍ؛ ثمّ بعدَ شهرين جاء محمّدٌ المُسْتَكْفي- وقد كانتِ ابنَتُهُ ولاّدةُ أَشهرَ منه في تاريخ السياسةِ وتاريخ الأدب- ثمّ عاد البربرُ بيحيى بن عليّ بن حمّود؛ ثمّ أعاد العربُ رجلاً مروانيّاً إلى الخلافة هو هشامٌ المُعْتَدُّ بنُ عبد الرحمن المرتضى فحكم حُكْماً مُعْتَلاًّ أَرْبَعَ سَنَواتٍ ٱنتهتْ بقَتْله، سَنَةَ ٤٢٢ (١٠٣١ م). وبسقوطِ الدولةِ الأمويّة في قرطبة.

الدولة الفاطمية

ينتسبُ الفاطميّون إلى فاطمةَ الزهراءِ بنتِ محمّدٍ رسولِ اللهِ (صلّى اللهُ عليه وسلّم) وزوجِ عليٍّ بن أبي طالبٍ (كرّم الله وجهه). وربّما قيل: العُبيديون والدولةُ العبيدية (نسبة إلى عبيد الله المهديّ أول أئمتهم- خُلفائهم- في المغرب).

الشيعة- الفاطميّون: الاسماعيليّون

الشِيعةُ هم القائلون بأنّ الإمامة (الخِلافة) تكون بالنصِّ والتَعْيين لأنّها مِنْ أمورِ الدين (العقيدة) التي لا يَجوزُ أن تُتْرَكَ إلى نَظَرِ الناس، وأنّ الرسولَ صلّى اللهُ عليه وسلّم قد أَسَرَّ إلى عليٍّ بنِ أبي طالبٍ بأنّ الخلافةَ ستكونُ فيه وفي نَسْله. ثمّ إنّ الأئمّةَ الشيعةَ (منذ عليٍّ) كانوا يُوصي بعضُهم إلى بعضٍ. وهذا خلافُ رأيِ أهلِ السُنّةِ

والجماعةِ الذين يَرَوْنَ أن الخلافةَ أمر دُنْيَوِيٌّ وأن الأُمّة تختارُ من تشاءُ خليفةً بالانتخاب.

والشيعةُ فَرقان كبيران: اَلاَثنا عَشَرِيّةُ أو الإماميةُ الذين يَعُدّونَ اَثْنَي عَشَرَ إماماً، ابتداءً بعليِّ بنِ أبي طالبٍ، هم: عليٌّ- الحَسَن- الحُسينُ بنُ عليٍّ- علي زينُ العابدينَ- محمّدٌ الباقرُ- جَعْفرٌ الصادقُ- موسى الكاظمُ- عليٌّ الرضا- محمّدٌ الجَوادُ- عليّ الهَادي- الحسنُ العسكريُّ- محمّدٌ المَهْدِيُّ المُنْتَظَرُ (الذي غابَ وسَيَرْجعُ). ثمّ هنالك السَبْعِيَّةُ أوِ الاسماعيليةُ الذين يَقِفون عندَ سَبْعةِ أئمّة ظاهرينَ آخِرُهم إسماعيلُ بنُ جعْفرٍ الصادقِ (ولا يأخذون بأخيه موسى الكاظمِ).

والشيعةُ الإمامية- في النَظَرِ إلى القُرآن الكريم- من أهلِ الظاهرِ مَعَ تأويل الآياتِ عند الحاجةِ على مُقْتضى قوانينِ البلاغةِ وقواعدِ اللغة العربية، فهم في ذلك كأهلِ السُنة والجماعة.

أمّا الشِيعة السبعيةُ أو الإسماعيليةُ فهم، بخِلافِ أهلِ السنّةِ والجَماعة وبخلاف الشِيعة الإمامية، من أهلِ الباطنِ يعتقدون أنّ لآياتِ القرآنِ ظاهراً وباطناً؛ ثم لهم في ذلك تأويلاتٌ باطنيةٌ تخرُجُ بالقائلِ بها عن الإسلام جُمْلَةً. هذا الفَرْقُ من الشيعةِ هو الذي يُسمّي أصحابُه أنفسَهم «فاطميّين»، وهم أهلُ الدولة الفاطمية.

ويَرَى الفاطميّون أن جَعْفراً الصادقَ أعلَنَ أنّ ابنَه اسماعيلَ قد ماتَ ثمّ سَتَرَهُ خوفاً عليه من الأُمويّين. ثمّ يأتي في سِلسلةِ نَسْلِ اسماعيلَ، عندَ الفاطميّين: محمّدٌ المكتومُ فجعفرٌ المُصَدَّقُ فمحمّدٌ الحبيبُ فعُبَيْدِ اللهِ المَهْدِيّ. وليسَ لهذه السِلسلة من النَسَبِ سَنَدٌ من التارِيخ المعروف.

وبدأ الفاطميّون دَعوةً سِرّيةً في مدينة سَلَمِيَةَ، شَرْقَ حِمْصَ (في الشام) ثمّ انتقلوا بها إلى المَغْرب.

في أواخرِ القرنِ الثالثِ للهجْرة جاء أبو عبدِ الله الصَّنعانيُّ الشيعيّ إلى المَغْربِ داعياً إلى الرِضا من آلِ مُحمّدٍ ثمّ تألّفَ أقساماً مِنَ البربرِ واستطاعَ أنْ يَتَغَلَّبَ على

الأغالبَةِ، سَنَةَ ٢٩٦ (٩٠٩ م) في مَعركة الأرْبُس، إلى الشَّمال الغربي من القَيْروانِ قريباً من حدود الجزائر اليومَ. ثمّ إنّه دخل القيروانَ وأخذ البَيْعَةَ فيها لعُبيدِ الله المَهْديّ الفاطميّ (مَعَ أنّ نفراً من المؤرّخين لا يَرَوْنَ نَسَبَ عُبيدِ الله هذا صحيحاً في أولاد فاطمة). وبما أن أهلَ القيروان كانوا كلُّهم من السُنّة فقدِ انْتَقل عُبيدُ اللهِ إلى نُقْطَةٍ من مُنْتَصَفِ الساحل الشرقيّ (من القطر التُونسي اليومَ) وبنى فيها مدينة المَهْدِيَّةَ واتّخذَها عاصمةً.

وبعدَ عبيدِ الله المهديِّ جاء ابنُه القائمُ (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ) ثمّ إسماعيلُ المنصور ثمّ أبو تميمٍ مَعَدٌّ المُعِزّ لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ هـ) فاتّسعتْ مَمْلَكَتُه من البحر المُحيط إلى برْقَةَ (على حدود مصر). وفي سنة٣٥٨(٩٦٩ م) وجّهَ المُعزُّ قائدَهُ جوهراً الصِقلّيّ إلى مِصر فانتزعها من يدِ الإخْشيديّين، ثمّ فَتَحَ الرملةَ (في فِلَسْطينَ) ودِمَشْقَ في العام التالي. وفي رَمَضانَ من سَنَة ٣٦٢ (٩٧٤ م) بَنى جوهرٌ الصقلّيُّ مدينةَ القاهرة فانتقل إليها المُعزُّ لدين الله، كما بنى الجامع الأزهر (نسبة إلى فاطمة الزهراء: البيضاء). ومن ذلك الحين أصبحت القاهرةُ عاصمةً للدولة الفاطمية.

ولمّا انتقل المُعِزّ من المغرب عَهِدَ بخلافتهِ هنالك إلى بُلُكِّينَ بنِ زيري. وجاء بعد بُلكّينَ ابنُه المنصورُ (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ) ثمّ جاء أبو مَنادٍ باديسُ بنُ المنصور فاسْتَبْحَرَتِ الحضارةُ، وفي أيّامه بلغتْ إفريقيةُ ذِرْوةً عاليةً من القوّة والثروة. وبعد باديس جاء ابنُه المعزّ (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ). وقد سقطت الخلافةُ الأموية في قرطبةُ قبل أنْ يَخْلَعَ المعزُّ بنُ باديسَ طاعةَ الفاطميّين وقبلَ أن تثورَ نقْمةُ العامة على الشيعةِ في القيروان.

أما في المَغْرِبِ فقدِ انتهتْ دَوْلةُ الادارسةِ سَنَةَ ٣١٣ هـ وخَلَفَتْها دولةُ آل أبي العافية المِكْناسيّين الخوارجُ، وكان أوّلَهم موسى بنُ أبي العافية (٣٠٥ - ٣٤١ هـ) فخلَعَ طاعةَ الفاطميّين ومالَ إلى بني مَروانَ في الأندلس.

وأما في ريف المَغْرب فقامت دولةُ الأدارسة الثانيةُ فكان أولَ حُكّامها القاسمُ كَنّونٌ (٣٢١ - ٣٣٧ هـ) ثمّ جاء ابنُه أبو العَيْش أحمدُ ثمّ ابنُه الآخرُ الحسن بن كنّون (٣٤٣ - ٣٧٥ هـ). ومال الحسن بن كنون إلى طاعة الفاطميّين لأنّ جَوْهَراً الصقلّيّ

كان قادماً على رأس جيشٍ لإعادة سُلْطة الفاطميّين إلى المغرب. ثمّ لمّا زال خطرُ ذلك انقلب الحسنُ بن كنّون إلى صَداقةِ المروانيّين في الأندلس من جديد.

بهذا تكونُ الدولة الفاطمية التي قامتْ سَنةَ ٢٩٦ (٩٠٩ م) قد حلّتْ في المغرب محلَّ الدولة الأغلبية بالقَيْروان (١٨٤ - ٢٩١ هـ) والدولة الرستَمية بتاهرتَ (١٦٠ - ٢٩٦ هـ) ومحل أمراء نفّوسة- بجبل نفوسة إلى الجَنوب الغربي من ليبيا اليومَ (١٤٠ - ٣١٠ هـ) ومحلَّ دولة الأدارسة بفاس (١٧٢ - ٣٤٣ هـ) وبنىمدرار؟ بَسِجلماسة (١٥٥ -٣٥٢ هـ) ثم- في سنة ٢٩٦ - محل الأغالبة في صقلية (٢١٢ - ٢٩٠ هـ)، كما استَوْلَوْا على الجزر الثلاث مالطة وسردانية وكورسيكة. ثم حلّ الفاطميون أيضاً، سنة ٣٥٨ (٩٦٩ م) في مصر محلّ الدولة الإخشيدية.

الفاطميّون في المغرب وصقلّية

وقد عاشت الدولةُ الفاطمية في المغرب مُنافِسةً لدولةِ بني أميةَ في الأندلس، ولكنْ لم تنجْح لها دعوةٌ في الأندلس. غيرَ أن المغرب قد عانى من حكم الفاطميين شدائدَ كثيرةً، إذ عمد الفاطميون إلى فرض آرائهم السياسية ومذهبهم الفقهي بالحُسنى وبالقَهْرِ وكانوا يحاولون القضاء على المذهب المالكي وهو المذهب السائدُ في أقطار المغرب وفي الأندلس أيضاً. وحاول الفاطميون أن ينشروا مذهبهم في صِقِلّيَة أيضاً وفي طرابلس (ليبيا اليوم).

لم يَرْضَ المسلمون في صقلّية بحكم الفاطميّين الجديد، لا لأنّ الفاطميّين كانوا شيعةً أعداءً لبني العبّاس في بغداد فقط، وهوى الصقلّيين كان مَعَ بني العبّاس فحَسْبُ، بل لأنّ الولاةَ الفاطميّين على صقلّية أيضاً كانوا قُساة ظالمين غادرين فاستمرّتِ الفِتَنُ والقلاقلُ في صقلّية على الفاطميّين ووُلاتِهم نحوَ جيلٍ من الدهر (٢٩٦ - ٣٣٧ هـ). ولقد فعلَ وُلاةُ الفاطميّين في صِقلّية من المظالم ما حَمَلَ الناسَ على أن يستنجدوا بالروم على إزالة الحُكم الفاطميّ! لقد حاولوا ذلك مراراً!

ولكّن التاريخ جرى مجرًى أحسنَ عَدْلاً.

في سَنَةِ ٣٣٦ هـ (٩٤٧ - ٩٤٨ م) أرسل الفاطميّون إلى صِقلّية والياً هو الحسنُ بنُ

عليّ بن أبي الحسين الكَلْبّي. ومَعَ أنّ الحسنَ هذا كان والياً للفاطميّين ومِنْ أشياعِهم، ومَعَ أنّه سار في أوّلِ أمرِه بالعَسْف والظُلم، فإنّه ٱرْعَوى بعدَ قليلٍ عن ظُلمهِ ومالَ إلى أن يستقلّ بصقلّيةَ عن السلطةِ الفاطمية مَعَ الإبقاء على السِيادة الاسمية على صقلّية للفاطميّين. وهكذا ظلّتْ صقلّيةُ تابعةً للعُبيديّين (الفاطميّين في القيروان) ثمّ بَقِيَتْ على ذلك الوَلاءِ الاسميّ لهم لمّا انتقلوا من القيروان إلى القاهرة، سَنَةَ ٣٥٨ هـ.

والفقهاء المالكية قاوموا إرادة العبيديين. ولم ينشأ ٱتّجاهٌ فقهي في صقلّيّة إلا في أواخر القرن الرابع. في ذلك الحين (وبعد أن نقل الفاطميون دولتهم إلى مصر) بدأ نفر من الذين كانوا يميلون إلى المذهب الفاطميّ (بعوامل مختلفة) يجدون شيئاً من الصعوبة في البقاء في القيروان (بين كَثْرة من أتباع المذهب المالكي) فهاجروا إلى صقلّية علّهم يجدون تلك الجزيرة أرحب لهم. ولكن ذلك لم يزد على أن هيّأ الجو لشيء من الجدال بين نفر من رجال المذهبين برُغْم مَيْل الولاة الفاطميين في صقلية إلى المتقرّبين إليهم بنصرة المذهب الفاطمي.

ونحن لا نكاد نَعْرِف شيئاً ذا أثر من التراث العلمي أو العقلي أو الأدبي في صقلية، في أيام حكم العبيديين - ذلك الحكم الذي ٱمتدّ في صقلية إلى سنة ٣٣٧ (٩٤٨ م) وقام مقامه حكم الأمراء الكلبيين.

المغرب الأوسط (الجزائر).

لمّا قامتِ الدولةُ العُبيدية (الفاطمية) في المَغرِبِ خَضَعَ لها القُطْرُ الجزائريُّ أيضاً. ولكنْ سَرْعانَ ما ثار أهلُ المغرب الأوسط على العُبيديّين وقتلوا ابنَ حَبّوسٍ عاملَ تاهَرْتَ الفاطميَّ (٣١٢ = ٩٢٥ م) ثمّ استمرَّ القِتالُ بين زَناتَةَ وأحلافِها من قبائل كُتامةَ وصِنهاجةَ وبينَ الشيعة خمسين عاماً. ونجحَتِ الدعوةُ الأُموية في القطر الجزائري أيضاً فثار أبو يزيدَ مَخْلَدُ بن كَيْدادٍ الخارجيُّ المعروفُ بلقبِ صاحبِ الحِمار (٣٣٢ = ٩٤٣ م) على الفاطميّين فانضمّ إليه جماعاتٌ من خوارجِ زَناتَةَ ومن أهلِ السُنة فاستولى أبو يزيدَ على كثير من بلدانِ القُطر الجزائري. ومَعَ أن الفاطميّين

تغلّبوا على أبي يزيدَ وأتباعِه وقتلوه، سنة ٣٣٦، فإنّ الثورةَ على الفاطميّين في الجزائرِ ظلّتْ ناشِطةً. وكان الثائرون على الفاطميّين - في هذهِ الحِقْبة يدْعُون[١] لعبدِ الرحمنِ الناصرِ الخليفةِ الأمويّ في الأندلس. غيرَ أنّ هذا لم يَمْنَعْ - مَعَ الأسف - من تنازُعِ القبائل البربريةِ في المَغْربِ الأوسط خاصّة.

في ليبيا

كانت ليبيا في أيّامِ الفاطميّين في المَغْربِ تابعةً للفاطميّين، فلمّا انتقلَ المُعِزُّ الفاطميُّ إلى مِصْرَ عَهِدَ إلى بُلُكّينَ بنِ زِيري بالإشراف على ليبيا كلِّها ما عدا مِنْطَقةِ طرابلسَ وما حولها (سَرْتة وأجْدابِيَةَ) فإنّ المُعِزَّ جعَلَها تابعةً له مباشرةً. ويَحْسُنُ أن نَعْلَمَ أن ليبيا تقسّمتْ في ذلك الحين بينَ حُكّامٍ مَحلّيّين: استقلّ بنو خَطّابٍ في زَويلةَ (٣٦٠ هـ)، كما استقلّتْ مِنْطَقةُ فَزّانَ. وكذلك ٱستقلّ الإباضيّة (وهم فُرقةٌ معتدلة من الخوارج) في جبل نَفّوسة.

وحاولَ باديسُ بنُ المنصور بن زيري (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ) أن يَمُدَّ سُلْطَتَهُ إلى بَرْقَةَ (شرقيّ ليبيا)، ولكنّ الفاطميّين هزموه. وفي سَنَةِ ٣٩٦ كانتْ حَرَكَةُ أبي ركوة:

في سنة ٣٩٥ جاء من الأندلس رَجُلٌ اسمُه الوليدُ بنُ هِشامٍ من نَسْلِ بني أمية ودعا إلى نفسِه فبايعه جماعاتٌ من البربر من لُواتَةَ وزَناتة وبني قُرّةَ ثُمّ قويَ أمرُه في بَرْقَةَ وحكمها سَنَةً كاملةً (٣٩٦ هـ). ولكنّ الحاكِمَ بأَمرِ الله الفاطمي تَغلّبَ عليه وقَتَلَهُ. غير أن أمرَ برقةَ لم يستقرّ للفاطميّين، فإن بني قُرّةَ ظلّوا لا يَخْضَعون لسُلطانِ الفاطميّين.

وفي مَطلعِ القرنِ الخامسِ كانتِ طرابلسُ (ليبيا) مُتنازعةً بينَ العُبيديّين الفاطميّين في القاهرة وبَيْن الصِنهاجيّين المالكيّين (خصوم الفاطميّين) في القيروان. وكان الوُلاةُ المحلّيون ينتقلون بوَلائهم مِنْ هؤلاءِ إلى أولئك ومن أولئك إلى هؤلاء،

(١) يدعون لعبد الرحمن الناصر: يذكرون اسمه على المنبر في خطبة الجمعة: اقراراً له بالسلطة السياسية أو الرئاسة الدينية على الأقل.

بحَسْبِ مصالحِهِمُ الآنيةِ. وكثيراً ما كان الانتقالُ بينَ الوَلائَيْنَ يُرافِقُه اقتتالٌ يَهْلِكُ في أثنائه جموعٌ غفيرةٌ.

وقبلَ أن ينقضيَ قرنٌ واحدٌ من الزمن على الحكم الفاطميّ في المغرب، كاد المذهبُ المالكيُّ يندثر في ليبيا، فقد كانَ وُلاةُ الفاطميين قد حَظَروا كلَّ شيءٍ (في الحياة الدينية) غير مذهبِ أسيادِهم حتى صلاة الضُحى وصلاة التراويح[1]- ذانكَ مَظْهرانِ عاديّانِ، ولكنهما شديدا الدَّلالةِ على اتجاه الفاطميين في الحكم.

ولقد تصدّى أبو الحسن المنمّر (٣٤٨ - ٤٣٢ هـ) - تلميذُ ابنِ أبي زيدٍ القيروانيّ (ت ٣٨٦ هـ) للتيار الفاطمي عاملاً على رَدّ المذهبِ المالكي إلى مكانته (في طرابلس - ليبيا). وبعدَ صِراعٍ طويلٍ في مَيْدانيِ الثقافة والسياسة أُسِرَ ونُفِيَ. ولكنّ كفاحه لم يذهبْ سُدًى[2].

السودان المغربي (أو الغربي)

السودانُ في عُرف المؤرخين والجغرافيِّين العربِ هو الاقليمُ الأوّل (المِنْطقة الأولى) شَمال خطّ الاستواء (لأنّ القدماءَ اعتقدوا أن ما يقعُ جَنوبَ خطّ الاستواء غيرُ مسكون - ولا يصلُحُ للسُكنى). فالسودانُ إذَنْ، بهذا النظَرِ، اسمٌ يشمَلُ البلادَ المُمتدّة في أواسِطِ قارّة إفريقيَةَ، من البحرِ الأحمر شرقاً إلى البحر الأخضر (المُحيط الأطلسي) غرباً. هذه البلادُ كلُّها كثيرةُ الحرِّ كثيرة المياه (برُغْمِ بِقاعٍ من الصحارى) وفيها نهرانِ عظيمان سمّاهما ابنُ خلدونٍ (المقدمة - بيروت: دار الكتاب اللبناني، ص ٩٢ - ٩٤) «نهرَ النيل». يعتقد ابنُ خلدونٍ أن هنالك نهراً كبيراً ينبُعُ من جِبال القمر (بفتح القاف أو بضمّها) وراءَ (جَنوبَ) خطّ الاستواء. هذا النهرُ هو نهرُ النيل.

---

(١) صلاة الضحى ركعات (أقلها اثنتان) يتطوع المسلم بها كلّ يوم بعد أن تعلو الشمس مقدار رمح في رأي العين. والتراويح ركعات وتر (ثلاث، خمس،... تسع، واحدة وعشرون، الخ) تصلى في رمضان بعد صلاة العشاء (وتكون صلاة العشاء بعد اختفاء الشفق- الضوء الأحمر الذي يبدو على الأفق الغربي بعد غياب الشمس- بعد نحو ساعة ونصف ساعة من غياب الشمس).

(٢) راجع «أعلام من طرابلس»، تأليف علي مصطفى المصراتي، ص ٣٥ وما بعد.

ثمّ إنّ هذا النهرَ ينقسم فرعَيْنِ: يمرّ فرعٌ منه شمالاً حتّى يصُبَّ في البحر الأبيض المتوسط (وهذا نيلُ مِصْرَ)، كما يَعْطِفُ الفرعُ الثاني منه غرباً حتّى يصبَّ في البحر المحيط (المحيط الأطلسيّ)، وهذا الفرع - عندَ ابنِ خلدونٍ - هو نيل السودانِ أو نهرُ السودان.

بعد هذه الصورة الخاطئة يحسُنُ أن نقولَ:

السودانُ المغْربيّ (أو السودان الغربي أو بلادُ السودان) هو البُقعة الواسعة التي يقع فيها حَوْضُ نهر صِنهاجة (السنغال) وحوضُ نهر السودان (النيجر) أو ما يُعْرَفُ اليومَ باسم «غربيّ (قارّة) إفريقية» (جنوبَ الجزائر والمغرب).

إنّ الفتحَ الإسلاميَّ للمَغْرِب وللأندلس فتحَ أبوابَ السودانِ المَغْربيّ لدُخول الإسلام. ففي سَنَةَ ١١٦ (٧٣٤ م) غزا عُبيدُ اللهِ بنُ أبي عُبيدةَ الفِهْري أرضَ السُوس (جبالَ المغرب الجَنوبية) وبلادَ السودان. ولكنّ الإسلامَ لم يدخُلْ إلى السودانِ بالحرب، بل من طريقِ التجارة حيناً ومن طريق الدُعاة حيناً آخرَ. ومَعَ أنّ انتشار الإسلام أخذ في الاتّساع، في تلك البلادِ، منذ القرنِ الرابعِ (العاشِر للميلاد)، فإنّ تعريبَ السودانِ المغربيّ لم يتمَّ باكراً ولم يستَقِرَّ كثيراً، فلا نَجِدُ - من أجلِ ذلك - في تلكَ الحِقبةِ أدباءَ كتبوا باللغة العربية، وإن كنّا (مُنذُ ذلك الحين) نَجِدُ عُلماءَ اهتموا بالفِقه لحاجة الناس إلى الفِقه في عباداتهم وفي معاملاتهم التجارية والاجتماعية أيضاً.

صقلّية

صِقِلِّيَةُ (القاموس المحيط ٤ : ٣) جزيرةٌ كبيرة مُصاقبةُ للطرَف الجَنوبيّ من البرّ الطويل (شبه جزيرة إيطالية) أهلُها مزيجٌ من شعوبٍ قديمة. ثمّ نَزَلَ فيها الكَنْعانيّون (الفينيقيّون) ثمّ استعْمَرَها الإغريق (اليونان القدماء) وحكموها. وعَظُمَ النِزاعُ عليها مدّةً بينَ الإغريق والقَرْطاجيّين (أحفادِ الكنعانيّين في قرطاجة - تونس) ثمّ بين الرومان والقرطاجيّين. وفي القَرْن الخامسِ للميلاد - في أثناء هِجْرات البرابرةِ وانْسياحِهِم في أوروبّة - نَزَلَ فيها الفاندالُ والقوطُ الشرقيّون. ثمّ استردّها الرومُ

(اليونان المتأخّرون: البيزنطيّون) عامَ ٥٣٥ م (٨٧ قبْلَ الهِجْرة).

بدأ العربُ غزْوَ صِقلّية منذ أيامَ مُعاوية (٤٠ - ٦٠ هـ) ولكنْ لم يَتِمَّ لهم آستقرارٌ في أرضها.

وأنّتْ صِقلّيةُ من الحُكم الرومي طويلاً - خِلالَ ثلاثةِ قرونٍ مُتواليةٍ - كما كانت تَئِنّ جميعُ البلادِ الرومية وجميعُ البلاد التي كانتْ خاضعةً للروم. في هذه الأثناء آمّحَتِ المظاهرُ العُمرانيةُ والحَضارية في صقلّيةَ وتضاءلَ فيها عددُ السكّان. وآشتدّ سوءُ الأحوال السياسيةِ والاقتصادية فثارَ فيها رجلٌ شريفٌ من أهلِها، ومِنْ أصلٍ روميّ، اسمُهُ فيمي (أوفيميوس) على قُسطنطين بِطْريق (قائد) صِقلّيةَ وحاكِمِها من قِبَلِ ملكِ الروم ميخائيل الثاني الألثَغ (٨٢٠ - ٨٢٩ م) وحَكَمَ الجزيرة ثمّ استَنْجَدَ بزيادة الله بن إبراهيم بنِ الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ). وفي النِصْف من ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٢١٢ (مَطلعِ الصيف من عام ٨٢٧ م) أرسل زيادةُ الله أسطولاً إلى صِقلّية بقيادة القاضي أسدِ بنِ الفُراتِ (١٤٢ - ٢١٣ هـ)، يُسانده أسطول فيمي، ففتح مازَرَ (عند الطرف الجَنوبي الغربي) ثمّ انتقل إلى سَرَقوسة (عند الطرف الجَنوبي الشرقي) - وهي عاصمةُ الجزيرة - فَجَرَتْ عِنْدَها مَعْرَكَةٌ عظيمةٌ قُتِلَ فيها فيمي. ثمّ تُوفّي أسدُ بنُ الفُراتِ في أثناءِ حصار سرقوسةَ، سَنَةَ ٢١٣ هـ، من جِراحٍ أصابَتْهُ. وَفي سنة ٢١٦ هـ فَتَحَ المسلمون بَلَرْمَ (على الشاطىء الشماليّ من الجزيرة).

وطالَ حِصارُ سرقوسةَ خمسين سَنَةً واستمرّتِ الحَملاتُ على صقلّية حتّى فتح المسلمون سرقوسةَ سَنَةَ ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م). ولكنّ الاستيلاءَ على الجزيرةِ كلِّها لم يَتِمَّ إلاّ في سَنَةِ ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م)، في العام الذي انقرضتْ فيه دولةُ بني الأغلب وقامتْ فيه الدولة الفاطميةُ في المَغْرِب.

العمران:

إنّ السِلْمَ والأمن يُنْتَجُ منهما آستقرارٌ وآطمئنانٌ فتَتّسِعُ الحياةُ الاقتصادية ويستبْحِرُ العُمران، كما يقولُ ابنُ خَلْدون. ويكفي في آجتلاء صورةِ العُمران في

أيام عبدِ الرحمن الناصر في الأندلس أن نُشير إلى « الزهراء »، وهي المَقَرُّ الرسميّ الجديدُ الذي بناه عبدُ الرحمن الناصر إلى الشَمال الغربي من العاصمةِ قُرطبةَ على جبل العروس (ويقال له اليومَ بالإسبانية: سيارا مورانا - بالألف الأولى والألف الثالثة ممالتين) مُطلّةً على نهر الوادي الكبير.

وإذا نحن قُلنْا: « الزهراءُ » فيحسُنُ أن نفهَمَها على ثلاثةِ أوجهٍ: الجامع والقصرِ والمدينةِ. أمّا الجامع فقد عمل في بنائه من حُذّاق الفَعَلة كلَّ يومٍ ألفُ نسمةٍ منهم ثلاثُمِائَة بَنّاءٍ ومِائَتا نجّارٍ وخمسُمِائَةٍ من الأُجَراء وسائر (أرباب) الصنائع. فاستَتَمَّ بناؤه وَإتقانُهُ في مُدّةِ ثمانيةٍ وأربعين يوماً.... وطول المسجد أجمعُ من القِبلة إلى الجَوْف[1] - سِوى المِحراب - سبعةٌ وتسعونَ ذِراعاً، وعَرْضه من الشرق إلى الغرب تسعةٌ وخمسون ذِراعاً. وطولُ صَوْمَعتهِ (مِئْذَنَتِه) في الهواء أربعون ذِراعاً وعرضها عَشْرَةُ أذْرُعٍ في مِثْلها (نفح الطيب ١ : ٥٦٤). وكان الفراغُ من بنائه في الثاني والعِشرين من شَعبانَ من سَنَةِ ٣٢٩.

وأمّا القصرُ فقد « أطبق الناسُ على أنّه لم يُبْنَ مثلُه في الإسلام البَتّةَ. وما دخل إليه قطُّ أحدٌ من سائرالبلاد النائية والنِحَلِ المختلفةِ من مَلِكٍ واردٍ ورسولٍ وافدٍ وتاجرٍ جهْبَذٍ - وفي هذه الطَبقاتِ من الناس تكون المعرفةُ والفِطْنة - إلاّ قطع أنّه لم يرَ له شَبَهاً، بل لم يَسْمَع به، بل لم يَتَوَهَّمْ مثلَه..... ولو لم يكنْ فيه إلاّ السطح[2] المُمَرَّدُ[3] المُشْرِفُ على الروضة المُباهي بمجلس الذهبِ والقُبّة وعجيبِ ما تضمّنه من إتقان الصَنعة وفخامة الهمّة وحُسنِ المُسْتَشْرَفِ[4] وبراعة الملبس والحِلّة - ما بين مرمرٍ

---

(١) القبلة (بكسر القاف) هي السمت الذي يتّجه فيه المصلّي المسلم نحو مكّة. والقبلة في الأندلس هي نحو الشرق الجنوبي. أمّا الجوف فهو الوسط من الأندلس.

(٢) يقصد: « السقف ».

(٣) المُمرّد: الذي فيه طول (واتّساع) مع ملاسة.

(٤) فخامة الهمّة (؟): علوّ همّة بانيه. المستشرف: المنظر من مكان عال.

مسنونٍ وذهبٍ موضونٍ[١] وعَمَدٍ كأنّها أُفْرِغَتْ في القوالبِ[٢] ونقوشٍ كالرياض وبِرَكٍ عظيمةٍ مُحكَمةِ الصَنعة وحِياضٍ وتماثيلَ عجيبةِ الأشخاص لا تَهْتدي الأوهام إلى سبيلِ آستقصاءِ التعبيرِ عنها- «لكفاه فخراً». (نفح الطيب ١: ٥٦٥ - ٥٦٦).

وكان عبدُ الرحمن الناصرُ قد أتمّ، في أوائل سَنَةِ ٣٢٩ هـ، «بُنيانَ القناةِ الغريبةِ الصَنْعةِ التي جرى فيها الماءُ العَذْبُ من جبل قُرطبةُ إلى قصر الناعورة غربَ قرطبة في المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة[٣]، يجري ماؤها بتدبيرٍ وصَنعةٍ مُحكَمة إلى برْكة عظيمةٍ عليها أسدٌ عظيمُ الصورةِ بديعُ الصَنعةِ شديدُ الرَوْعة.... مَطْليٌّ بذهبِ إبريزٍ[٤] وعَيْناه جَوْهرتانِ لهما وميضٌ شديد، يجري الماء إلى عَجُزِ هذا الأسدِ فيَمُجُّه[٥] في تلك البركة من فيه. فيُبهَرُ الناظرُ بحُسنه ورَوْعة منظره وثَجاجةِ صبّهِ فتُسْقى من مَجاجه[٦] جنانُ هذا القصر على سَعَتها، تَفيضُ على ساحاته وجَنَباته ويُمَدُّ النهرُ الأعظمُ[٧] بما فَضَلَ منها» (نفح الطيب ١: ٥٦٤ - ٥٦٥).

وبَدَأ «عبدُ الرحمن الناصرُ لدين الله بُنيانَ (مدينة) الزَهْراء أوّلَ سَنَةَ ٣٢٥، وكان مَبْلَغُ ما يُنْفَقُ فيها كلَّ يومٍ من الصخر المنحوت المنجورِ المُعدّل[٨] ستّةَ آلافِ صخرةٍ،

---

(١) مرمر (نوع من البلاط الجيّد: الرخام). مسنون: مصقول أو ذو أشكال مختلفة. موضون: مضعّف (موضوع طبقات على أشياء أخرى) أو منزّل (مجعولاً أشكالاً معيّنة في مادّة ثانية من الخشب أو الفضّة الخ).

(٢) عمد = أعمدة (جمع عمود). كأنّها أفرغت في القوالب: مستوية ويشبه بعضها بعضاً.

(٣) المنهر: شقّ في الحصن (في بناء) يجري فيه الماء. المهندس: المصنوع على قواعد من أصول البناء. الحنيّة: القوس، القنطرة الصغيرة. المعقود من البناء: المبنيّ بحجارة يمسك بعضها بعضاً لملاستها (من غير ملاط: طين).

(٤) الروعة: الهيبة (الجمال مع إلقاء الرعب في الناظر). الإبريز: الذهب الخالص، الصافي.

(٥) وميض: بريق. عجز: مؤخّرة. مجّ: لفظ الشيء من فمه.

(٦) ثجاجة: انصباب الماء بكثرة. مجاج: خروج الماء من فم (الأسد).

(٧) أمدّ: زاد في، صبّ في. النهر الأعظم: نهر الوادي الكبير الذي تقوم عليه قرطبة.

(٨) المنحوت: المقشور، المجعول أملس. المنجور: المقشور أيضاً (ولكن تستعمل للخشب). المعدّل: المسوّى (المجعول بعضه موافقاً لبعض).

سوى الصخرِ المُصرَّفِ في التبليط.... وكان يَخْدِمُ في (بناء) الزهراء كلَّ يومٍ ألفٌ وأربَعُمِائَةِ بَغْلٍ... وكان يَرِدُ (إلى) الزهراء من الجير والجِصّ[1] في كلّ ثالثٍ من الأيام ألفٌ ومِائَةُ جَمَلٍ....» وقَد قُدِّرَتِ النَفَقَةُ على بناء مدينةِ الزهراء في كلِّ عامٍ بثلاثِمِائَةِ ألفِ دينارٍ مُدّةَ خمسةٍ وعِشرينَ عاماً من خِلافة عبدِ الرحمنِ الناصرِ (نفح ١ : ٥٦٧- ٥٦٨) سوى ما أُنْفِقَ على بنائها في مَدى خمسةَ عَشَرَ عاماً أُخرى في خِلافةِ الحَكَمِ المستنصر.

من مظاهر الثقافة

كان أهلُ الأندلس يقرأون القرآنَ الكريم بقراءةِ[2] أهلِ المشرق إلى أيام مُجاهدٍ العامريّ مؤسّسِ الدولةِ العامرية في دانِيَةَ (بشرق الأندلس) وجزيرةِ مَيورقة وما حولَها والمُتوفّى سَنَةَ ٤٣٦ هـ (١٠٤٤- ١٠٤٥ م). وكان لِمُجاهدٍ العامريّ عنايةٌ بهذا الفّن لِمَا كان مولاه المنصورُ بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) قد حَرَصَ على تعليمه القراءة على أئمّة القُرّاء. وقد عاصَره اثنان من كِبار القرّاء: ابن حَمّوش وأبو عمروٍ الداني.

وُلِدَ ابنُ حمّوش (ت ٤٣٧ هـ- راجع ترجمته) في القَيْروانِ. وبعدَ رِحلةٍ إلى المشرق عاد إلى القيروان وأقْرأَ بها. ثمّ انتقل (٣٩٣ هـ) إلى قُرطبةَ وخَطَبَ بجامِعِها وأقرأ. وأمّا أبو عمروٍ عُثمانُ بنُ سعيدِ بنِ عثمانَ الدانيُّ (٣٧١ - ٤٤٤ هـ) فهو من أهل دانيَةَ بشرقِ الأندلس، رَحَلَ إلى المشرق ثمّ عاد بعلم كثيرٍ في قِراءة القرآن وتفسيره.

وكان جُمهورُ أهلِ المغرب وأهل الأندلس يَكْتفون بالرِواية عن السَلَفِ فلا يَرَوْنَ

---

(١) الجير: الكلس قبل حرقه (قبل مزجه بالماء). الجصّ: الكلس المعالج بالماء حتّى يصبح ملاطاً.

(٢) قراءة القرآن: أداء أحكام لفظه بإعطاء الأحرف حقّها من المخارج من الفم واعطاء المدود حقّها من الزمن (بالطول أو القصر) مع مراعاة الجمع بين عدد من الأحرف بالإدغام وغيره.

وكان أهل المشرق يدخلون في القراءة شيئاً من التنغيم. أمّا القراءات (بالجمع) - أو الأحرف، على الأصح - فهي ألفاظ يسيرة نزل بها الوحي بلغات القبائل، نحو: (١٢ : ٨٧، سورة يوسف): «يا بَنِيَّ، اذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه (أو فتجسّسوا، بالجيم). ثم هنالك قراءات مشهورة وقراءات شاذّة. فليراجع ذلك كله في مواضعه.

أن يُفَسِّرَ أحدٌ من المتأخّرين شيئاً من القرآنِ حتّى جاء بَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ (ت ٢٧٢). ثمّ لانوا فاشتغل مكّي بن حموشٍ بشيءٍ من التفسير.

وبما أنّ المالكيةَ أكثرُ اعتماداً على الرواية عن السَلَفِ منهم على التفسير بالرأي فقد كان مُعْظَمُ فُقهائهم من أهلِ الحديث. من هؤلاء المُحدّثين والفُقهاء أبو بكرٍ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ وِشاحٍ المعروفُ بابن اللَبّاد (٢٥٠- ٣٣٣ هـ) القَيْرواني، كان من كِبارِ علماء المالكية وله من الكتب: فضائل مالكِ بن أنَسٍ - الآثارُ والفوائد- كَشْف الرِواق عن صُروف الجامعة للأواق (؟) (في تقسيم الإرث). وكان قاسمُ بنُ أصبغَ البياني (ت ٣٤٠- له ترجمة مُفَردَة) من المُحدّثين والفقهاء. وكذلك كان أبو عثمانَ سعيدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ ربّهِ (ت ٣٤٢)فقيهاً وطبيباً وأديباً شاعراً. ثمّ هنالك محمّدُ بنُ القاسمِ بنِ شَعبانَ، ويُعْرَفُ بابن القُـرْطِيّ (؟ نحوَ ٢٧٣- مِصْر ٣٥٥ هـ)، من أكابرِ فُقهاء المالكيةِ في عصرِه وأحفظِهِمْ لمذهبِ مالكٍ.

اتّسعتْ دِراسةُ الفِقْه في هذا العصر في الأندلس والمغرب، كثيراً. فمَعَ أنّ محمّدَ بنَ عُمَرَ بنَ القوطيّة الأندلسي (ت ٣٦٧ هـ) كان مُؤرّخاً مشهوراً، كما أنّ محمّدَ بن عبدِ الله ابن أبي زَمَنِينَ القُرطبي (٣٢٢- ٣٩٩ هـ) كان من الأدباءِ الشعراء، فإنّهما كِلَيْهِما كانتْ لهما عِنايةٌ كبيرةٌ بالفِقه.

وعَرَفَ المغرب، في هذه الفَتْرة، نَفَراً من أشهرِ الفُقهاءِ المالكية. من هؤلاء أشهرُ فُقهاءِ المغرب في عَصره ابن أبي زيدٍ القَيروانيُّ (ت نحو ٣٨٦ هـ) ثمّ ابنهُ محمّدٌ مُؤلفُ «المَدْخَل إلى علم الدين والديانة» (بروكلمن١ : ١٨٨) ثمّ تلميذُه أيضاً خَلَفُ بن أبي القاسم الأزدي البراذعي الذي ألّف (٣٧٢ هـ) كتاب تهذيب المُدوَّنَة والمُخْتَلطة. ثمّ جاء أبو القاسم عبدُ الخالق بن شَبْلونِ (ت ٣٩١ هـ)، ولقد كان الاعتماد عليه في القيروان في الفُتيا والتدريس بعد ابن أبي زيد. ثمّ هنالك أبو محمّد عبدُ الله بن إبراهيم الأصيليّ (ت ٣٩٢ هـ)- من أهل أصيلةَ في الجانب الشماليّ الغربي من المغرب- كان عالماً بالحديث والفِقه والكلام. وبعد أن تطوّف في المغرب والمشرق استقرّ نهائياً في الأندلس في أيام الحَكَم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦ هـ).

ولا بدّ من الإشارةِ إلى فقيهين كبيرين في أعقابِ هذا العصر: أبي الحسنِ عليّ بنُ محمّدِ القيروانيّ القابسيّ (٣٢٤- ٤٠٣ هـ) شيخُ المالكية في عصره، كان حافظاً للحديث عالماً بالفِقه أصولهِ وفروعهِ ومشاركاً في عِلم الكلام كثيرَ التأليف في الأصول والفروع؛ ثمّ موسى بنِ عيسى بنِ حاجٌّ الغَفْجوميّ- نِسبةً إلى غفجوم وهي فَخِذٌ من زَناتةَ- والمشهور بأبي عِمرانَ الفاسي (٣٦٨- ٤٣٠ هـ) طاف البلادَ فسمع العلمَ في القيروان وقرطبةَ ومِصْرَ وبَغْدادَ ومكّةَ. وكان يُقرئ القرآنَ بالقراءات السبعِ ويُجوّدها مَعَ المعرفة بالحديثِ ورجاله وبالفقه. ثمّ كانت وفاتُه في القيروان وقبرُه في ظاهِرها معروفٌ يُزارُ ويُشارُ إليه.

ومَعَ أنّ الفِقه المالكي كان هو الغالبَ في المغرب والأندلس، فإنّ المغرب والأندلس كِلَيْهما قد عَرَفا ٱتّجاهاتٍ قليلةِ البُروزِ أو كثيرةِ البروز من مذاهبَ أُخرى. أمّا في المغرب فٱنتشر، في وقتٍ من الأوقاتِ، فِقْهان: الفِقهُ الإباضي والفِقه الفاطمي.

بعدَ انقضاءِ حُكمِ الرُسْتَمِيّين في تاهَرتَ بالاستيلاء الفاطمي (٢٩٦ هـ) ٱنسحبَ الإباضيّة إلى جبَلِ نَفّوسةَ وأقاموا لأنفسِهم حُكماً مَحَلِّيّاً وحكومةً يجب أن تكون شُورَويّة، كما هو معروفٌ من قواعدِ المذهب. والمفروضُ في هذه الحكومة المحلّيّة أن يكون أمراؤها عُلماءَ. فمن الأئمة (بالمعنى السياسيّ والمعنى الديني معاً) ممّن نَعْرِفُ أسماءهم: أبو عمرَ ميمونُ ثمّ أبو الفضل سَهْلُ ثمّ أبو يَحيى زكريّا الأرجاني. وقد ثار هؤلاء على العُبيديّين. ويرى سليمانُ البارونيُّ (مختصر تاريخ الإباضيّة ٥٢) أنّ هؤلاء جميعَهم كانوا في المِائَةِ الرابعة من الهجرة والنصفِ الأوّل من المائَةِ الخامسة. ولعلّ أبا زكريّا يحيى بن الخير الجَنَوُوني- وهو من جبلِ نفّوسة أيضاً- (راجع بروكلمن، الملحق ١ : ٦٩٢) كان من هؤلاء أو بُعيدَ عصرهم. لقد كان من علمائهم على الحصر، دَرَسَ على سُليمانَ بنِ أبي هارونَ وعَرَفْنا له كتابين طُبِعا فيما بعد: كتابَ الوَضْعِ في الفروع (القاهرة ١٣٠٥ هـ) وكتاب النكاح والطلاق (القاهرة، بلا تاريخ).

وفي هذهِ الحِقْبة ألّفَ القاضي أبو حنيفةَ النُعمانُ بنُ محمّدِ بنِ منصورٍ (ت ٣٦٣ هـ)

كتابه: «دعائمَ الإسلامِ في الحلال والحرامِ والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله». هذا الكتاب مصدر للفِقه الفاطمي.

أمّا في الأندلس فبرز، في هذا العصر أيضاً، ٱتّجاهانِ فِقهيّان: المذهبُ الشافعيّ الذي ظلّ قاصراً على نَفرٍ من الفقهاء ثمّ المذهبُ الظاهريُّ الذي لَقيَ ٱنتشاراً أوسع قليلاً.

يبدو أنّ أوّلَ دُخولِ المذهبِ الشافعي إلى الأندلس كان على يدِ المُحدّثِ قاسمِ بنِ محمّدِ بنِ سيّارٍ القُرطبيِ البيانيّ (ت ٢٧٨) وكان يعمل في التوثيق ويُعْرَفُ بصاحب الوثائق. رَحَلَ قاسمُ بنُ محمّدٍ إلى المشرق في أواسط القرن الثالث للهِجرة ولَقِيَ نَفَراً من أصحاب الشافعي ثمّ عاد إلى الأندلس ووضع تآليفَ في هذا المذهب منها كتاب الإيضاح في الردّ على المقلّدين. وقد روى عنه أيضاً أسْلَمُ بنُ عبدِ العزيز بن هاشمٍ (ت ٣١٩) وكان من الأئمّة القُضاةِ، تولّى قَضاء الجَماعة في أيامِ عبد الرحمن الناصر، وثقةً من الرُواة يميل إلى مذهبِ الشافعي. وروى عنه أحمدُ بن خالد بن الجَبّاب (٢٤٦-٣٢٢ هـ).

ومن كِبار الأندلسيّين الذين أخذوا بمذهب الشافعيّ بَقِيُّ بنُ مَخْلدٍ (ت ٢٧٢ هـ) وله ترجمة مُفْرَدَةٌ. ويبدو أن الأميرَ محمّدَ بنُ عبدِ الرحمن الأوسط (٢٣٨- ٣٢٢ هـ) قد سَكَتَ عن نشاطِه في الدعوة لهذا المذهبِ الذي تلقّاه عنه نَفَرٌ كثيرون. وليس ذلك بمستغربٍ فالأمويّون الذين كانوا قد جاءوا من الشام أصبح المذهب الشافعيّ مذهباً لقومهم وقطرهم. ومن أواخرِ الذين مالوا إلى المذهب الشافعي في عصر الأمراء المتوارثين أبو زكريا يَحْيى بنُ عبدِ العزيز المعروفُ بابن الخرّاز القرطبي (ت ٢٩٥). وقد تصدّرَ للتدريس في القَيْروان وفي قُرطبةَ وتكلّم في الفِقه الشافعي.

كان الأميرُ عبدُ الله بنُ عبدِ الرحمن الناصر فقيهاً شافعياً؛ ويبدو أنّ فُقدانَ أملِه في الخِلافة دفعه إلى الاهتمام بالعلم وإلى شيء من العمل السياسيّ (وله ترجمة مفردة). وكان من أنصار المذهب الشافعيّ أحمدُ بنُ عبْدِ الوهّاب بن يونسَ المعروفُ بٱبنِ صلا الله (صلّى اله) المُتوفّى سَنَةَ ٣٦٩ (وقيل ٣٩٨)، كان يأخُذُ بالرأي (بتفسير المدارك

الدينية بالعقل) فاتّهمه فقهاءُ المالكية بأنّه معتزلي. والحَكَمُ المُستنصرُ نفسُه (٣٥٠-٣٦٦ هـ) كان يستحسنُ المذهبَ الشافعيَّ ويُكْرِمُ أهلَه من الأندلسيّين ومن غيرهم، وقد عيّنَ أبا عمرو يوسفَ بنَ محمّدِ الهَمْدانيّ (ت ٣٨٣) من أهل شَذونةَ- وكان شافعياً- على قضاء قلسانةَ، وعيّن أخاه على الصلاة في شَريشَ.

وفي نطاق المذهب الظاهريّ:

وُلدَ أبو سليمانَ داوودُ بنُ عليّ بن خَلَفٍ الاصفهانيُّ (٢٠١ - ٢٧٠ هـ) في الكوفة. ثمّ إنّه انتقل إلى بَغْدادَ. وكان اعتمادُه في الفقه على الظاهر (يأخُذُ بما يَدُلّ عليه ظاهرُ آياتِ القرآن وأحاديث الرسول من غير لجُوءٍ إلى تأويلٍ أو رأيٍ أو قِياسٍ). فعلى هذا يكونُ قد أوجدَ المذهبَ الظاهريَّ وعُرفَ هو بداوودَ الظاهريّ.

ومعَ أنّ المذهبَ الظاهريَّ كان قدِ انتقل إلى الأندلس على يدِ أبي محمّدٍ عبدِ الله ابن محمّدِ بن هِلالِ (ت ٢٩٢)، فإنّ الرجلَ الذي عَمِلَ عن نشر المذهب والاحتجاج له والدفاع عنه كان مُنذرَ بنَ سعيدٍ البلّوطيَّ (٢٧٢- ٣٥٥ هـ). غيرَ أن هذا المذهبَ ظلّ، في المشرق والمغرب، قاصراً. وفي أيام المنصور بن أبي عامرٍ (٣٦٦- ٣٩٢ هـ) خفّتِ الدعوةُ إلى المذهب الظاهري لأنّ المنصورَ وَقَفَ إلى جانبِ فقهاءِ المذهب المالكيّ خصومِ المذهب الظاهري.

مِنَ المُنتظَرِ أن تكونَ الحضارةُ والثقافة في صِقِلّيةَ جانباً من الحضارةِ والثقافةِ في إفريقيَةَ (القيروان) والمَغْرب. ويبدو أن الحياةَ في دَوْرها الأوّل (في عهد الأغالبة) كانتْ دينيةً في مُجْمَلِها فقدْ أكثرَ المسلمون الأوّلون في صِقِلّية من بناءِ المساجدِ: كانَ الأخُ وأخوه أو الأبُ وابنُه يَبْني كلُّ واحدٍ منهما مسجداً قريباً أحدهُما من الآخَر. ولم يكنْ ذلك دليلاً على انتشار الإسلام وعلى عُمْق الشعور الديني في الناس فحَسْبُ، بل كانتِ المساجدُ مراكزَ للعِلْمِ وللتعليم أيضاً.

وكذلك يبدو أن الفِقْهَ المالكي كان السائدَ في صِقِلّيةَ، ولا غَرْوَ فإنّ فَتْحَ صِقِلّيةَ بدأ بأسدِ بن الفُرات. وأساسُ العِلْم عند أتْباع مالكٍ اليومَ كِتابُ (المدونة) وقد جمَعَها أسدُ بن الفرات في «الأسدية».... وكان أسدُ بنُ الفراتِ تلميذاً للإمام

مالكٍ[1] (فلسفة التشريع ط ٤، ص ٥٦).

ومن فُقهاءِ المالكية في صِقِلّيةَ أبو يحيى محمدُ بنُ قادمٍ (ت ٢٤٣) تلميذُ أسدِ بنِ الفراتِ ثمّ عبدُ الله بنُ حَمْدونٍ (أو حَمْدُوَيْهِ) الكَلْبي الصِقِلّيّ (ت ٢٧٠ هـ) ودِعامةُ بنُ محمّدٍ الفقيهُ (ت ٢٩٧ هـ) تلميذُ سَحنونٍ (ت ٢٤٠ هـ). ثمّ هنالك أبو لُقمانَ بنُ يوسفَ الغَسّانيّ (ت ٣١٩ هـ) وقد درّسَ المُدوّنةَ في بَلَرْمَ أرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً. ولا نعلَمُ متى دَرّسها: أفي عهدِ الأغالبة أم في مَطْلَعِ عهدِ العُبَيْديّين؟.

اللغة

اقتصرَ الأندلسيّون في الاهتمام باللغةِ والنحو- في هذا العصرِ- على الاهتمام بكُتُبِ المشارقة. وقد أدخلَ كتابَ العين[2] إلى الأندلسِ ثابتُ بنُ عبدِ العزيز السَرَقُسْطيُّ (ربّما في أواخر القرن الثالث[3]) كما ألّف أبو بكرٍ الزُبيديُّ (ت ٣٧٩) مُختصراً لكتاب العين ثمّ كتاباً في الاستدراك (لكلمات جديدة) على كتابِ العين نفسه.

والمعاجمُ في الأندلس بدأتْ مُختصراتٍ[4] لكتب المشارقة، ولم يكن فيها مِنَ الابتكار إلاّ قليلٌ. حتّى كتابُ «نوادر اللغة» للقالي - وقد وَضَعَهُ القالي في الأندلس- يُشبهُ كتابَ «الكامل» للمبرِّد[5].

ووضع محمّدُ بن أبانٍ بنِ سِيدِ بنِ أبانَ القُرطبيُّ (ت ٣٥٤ هـ)[6] مُعجَماً كبيراً (في نحو مِائَةِ سِفْرٍ) بناه على الأنواع لا على الحروف وسمّاه «كتاب العالم». وذكر آنخل

(١) قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرّف بن سليمان بن يحيى العوفي السرقسطي عالم بالحديث والفقه واللغة والنحو والشعر، رحل هو وأبوه إلى المشرق وحجّا ثمّ عادا إلى الأندلس. وقاسم (٢٥٥- ٣٠٢ هـ) أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس. وبدأ قاسم تأليف كتاب الدلائل في شرح الحديث (بذكر ما أغفله أبو عبيدة وابن قتيبة منْ غريب الحديث). ولكنّه مات قبل أن يتمّه فأتمّه أبوه ثابت (٢١٧- ٣١٣ هـ).

(٢) كتاب العين أول القواميس العربية، وهو للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (١٠٠ - ١٧٠ هـ).

(٣) الزبيدي ٣٠٩.

(٤) راجع تاريخ الفكر الأندلسيّ ١٨٩.

(٥) أبو العبّاس المبرِّد البصري (ت ٢٨٦ هـ) من علماء اللغة والنحو.

(٦) تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٩؛ بغية الوعاة ٤؛ ابن الفرضي ٣٦٢.

جنثالث بالنثيا (تاريخ الفكر الأندلسيّ ١٨٩) أنّ المؤلّف المشرقي سَعيداً الرباعي (ت ٤١٦) قد نَهَجَ في تأليفه «كتابَ اللآلي» نهجَ ابنِ سيدِ الأندلسيّ. ولكنّ في نِسبةِ الابتكار في هذا النوع من التأليف إلى الأندلسيّين موضعاً للنظر.

إلاّ أنّ الإشارة تحسُنُ هنا إلى كتابِ الزُبيدي «طَبَقات النَحْويّين واللغويّين» (في المشرق والمغرب والأندلس) للدَلالة على اهتمام المغاربة كلِّهِمْ بهذا الموضوع، كما تحسُنُ الإشارةُ إلى أبي عليٍّ القالي. مرّت تَرجمةُ أبي عليٍّ اسماعيلَ بنِ القاسمِ القالي البَغْداديِّ في الجزء الثاني. وسآتي هنا بعددٍ من المُلاحظات البارزةِ التي تتعلّقُ به لأنّه يمثّلُ في الأندلسِ اتّجاهاً مَشْرقيًّا واضحاً زاد في أثرِ المشارقةِ في المغاربةِ.

وُلِدَ أبو عليٍّ القالي سَنَةَ ٢٨٨ (٩٠١ م) في بلدةِ مَنازَكَرْدَ (منازجرد) على الفُرات الشرقيّ قُربَ بُحيرةِ «وانَ» من دِيار بكرٍ (شماليّ الشام والعراق)، في الجَنوب الشرقيّ من آسيةَ الصُغرى (تركية) اليوم.

طافَ القالي في مِنْطَقَتهِ ثمّ جاء إلى المَوْصل، سَنَةَ ٣٠٣ هـ. بعدَئذٍ دخلَ بَغْدادَ سَنَةَ ٣٠٥ وأقامَ فيها إلى سَنَةَ ٣٢٨ وكتب فيها الحديث. ثمّ إنّه خرج من بَغْدادَ قاصداً الأندلسَ. وكان دُخولُه إلى قُرْطُبَةَ في السابع والعشرين من سَنَةِ ٣٣٠ (١٧/ ٥/ ٩٤٢ م). وكانت وَفاةُ القالي في قُرطبةَ في أوائل ربيعٍ الآخِر أو جُمادى الأُولى من سَنَةِ ٣٥٦ (في أواخرِ الشتاءِ من عام ٩٦٦ م).

أخذ القالي الحديثَ عن جماعةٍ منهم القاضي يوسفُ بنُ يعقوبَ البَصْريُّ (٢٠٨- ٢٩٧ هـ) وأبو القاسم عبدُ الله بنُ محمّدٍ البَغَويّ البَغْداديّ (٣١٣- ٣١٧ هـ) المعروف بابن بنتِ مَنيعٍ وكان مُحدّثَ العراقِ في عصره. ومنهم الحُسينُ بنُ إسماعيلَ المَحامليُّ البَغْدادي (٢٣٥- ٣٣٠ هـ). غيرَ أنّ شيوخَه في اللغة والنحو والأدب كانوا أوسَعَ شُهرةً وأوضحَ نسباً. كان منهم: أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ السَريّ الزجّاجُ (٢٤١- ٣١١ هـ) وأبو الحسنِ عليُّ بنُ سُليمانَ المعروفُ بالأخفشِ الأصغر (ت ٣١٥) وأبو بكرٍ محمّدُ بنُ السَرِيّ بن السرّاج (ت ٣١٦) وأبو بكرٍ محمّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُريدٍ (٢٢٣- ٣٢١ هـ) وأحمدُ بنُ عبدِ الله بن مُسلمِ بنِ قُتيبةَ الدِينَوَرِيُّ (ت ٣٢٢).

بهذا يكونُ القالي قد نقلَ إلى الأندلسِ زُبْدَةَ علمِ اللُّغة وعلم النحو.

ولمّا وَفَدَ القالي على الأندلس حَمَلَ مَعَه عدداً كبيراً من الكُتُب وأقرأها بلا ريب، فكان لها تأثيرٌ كبيرٌ في اتّجاهِ الأندلسيّين في الدراسةِ والثقافة. كانت هذه الكتب لجماعةٍ من أعلام المَشارقة منهم(١): الفرّاءُ (ت ٢٠٧) والمازنيُّ (ت ٢٤٩) والمبرِّدُ (ت ٢٨٦) وثَعلبٌ (ت ٢٩١) والأخفشُ الأصغرُ (ت ٣١٥) وابنُ دريدٍ (ت ٣٢١) وابن قُتيبةَ الدِينَوَرِيُّ (ت ٣٢٢) ونِفْطَوَيْهِ (ت ٣٢٣) وابن أبي الأزهر (ت ٣٢٥) وابنُ الأنباري (ت ٣٢٨) وابن دُرُسْتَوَيْهِ (ت ٣٤٧).

وعُنِيَ القالي بإقراءِ شعرِ نَفَرٍ من الشعراء الجاهليّين والإسلاميّين والمُحْدَثين (العبّاسيّين). من هؤلاء: طَرَفَةُ بنُ العبد والنابغةُ الذُبياني وعُروةُ بنُ الوردِ وحاتمٌ الطائيُّ وزُهيرُ بنُ أبي سُلمى وعَدِيّ بنُ زيدٍ والأعشى الكبير ثمّ الخَنْساء والحُطيئة وحَسّانُ ابنُ ثابتٍ وجميل بُثَيْنَةَ وعُمَرُ بن أبي رَبيعةَ وذو الرُمّة والطِرِمّاحُ بن حكيمٍ ثمّ أبو نُواسٍ.

الجغرافية والتاريخ

وفي الجُغرافية والتاريخ ألّف المغاربة الكُتُبَ تقليداً للمشارقة. ألّف أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ يوسفَ التاريخيُّ الورّاقُ (٢٩١ - ٣٦٢ هـ) للحكَمِ المستنصرِ كتاباً ضخماً «مسالك إفْريقِيَةَ وممالكها» وألّف في أخبارِ ملوكِها وحروبِها كتباً جَمّةً، كما ألّف كتباً في أخبارِ عددٍ من المُدن مثل تِيهرتَ ووَهرانَ وسِجِلماسةَ والبصرةِ. ومحمّدُ بنُ يوسفَ هذا

(١) راجع «فهرسة... ابن أبي خير الأشبيلي» (ت ٥٧٥ هـ)، ص ٣٩٨ وما بعد. وللدكتور محسن جمال الدين دراسة هي: «أدباء بغداديّون في الأندلس» (بغداد - منشورات مكتبة النهضة) ١٩٦٢ - ١٩٦٣ م، بذل فيها جهداً مشكوراً لإحصاء هذه الكتب وتنسيقها، ولكن هذا الإحصاء والتنسيق لا يزالان بحاجة إلى إعادة نظر. وفضله أنّه رأى أثر هذه الكتب في حركة العلم في الأندلس. ولأبي عليّ القالي ترجمة نافعة في «طبقات النحويّين واللغويّين» (ص ٢٠٢ - ٢٠٥: أبو عليّ البغداديّ) لتلميذه أبي بكر محمّد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ). ولقد عدّه تلميذه الزبيدي (بضم الزاي) مع المشارقة.

أندلسيّ الأصل نشأ في القيروانَ ثمّ هاجر إلى قُرطبة[1].

وقد كانتِ الغايةُ من تأليفِ كتب الجغرافية معرفةَ الطُرُقِ إلى الحجّ خاصّةً ومعرفةَ الطرق بين بلادِ العالم الإسلاميّ. ولقد ألّف ابن خُرداذبه البغدادي (ت نحو ٢٨٠ هـ) كتاب المسالك والممالك، قبل الوراقِ بنحو قَرْنٍ من الزمن.

واشتهر في التأليف في التاريخ ثلاثةُ أجيالٍ من آلِ الرازيّ وأصلُهم من الرَّيّ في فارسَ بالمشرق: محمّدُ بنُ موسى (ت ٢٧٣ هـ) وابنُه أحمدُ (٢٧٤ - ٣٢٤ هـ) ثمّ حفيدُه عيسى (ولعلّ وفاتَه كانتْ في الثُلُثِ الأخيرِ من القرن الهِجري الرابع).

أمّا محمّد فيُنْسَبُ إليه كتابُ الرايات، وقد ضاعَ إلاّ مقاطعَ يسيرةً مُفرّقةً في عددٍ من المصادر. وأمّا ابنُه أحمدُ فَهُوَ مؤرّخُ الأندلس ألّفَ أربعةَ كُتُبٍ ضاعتْ أيضاً. وأحَدُ كتبهِ «صِفة قُرطُبة وخِطَطُها ومنازلُ الأعيانِ فيها» يُشبه كتابَ «تاريخِ بغداد» لأحمدَ بنِ أبي طاهرٍ طيفورِ الخُراسانيّ (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ). ولعِيسى أيضاً كتابان: تاريخُ الأندلس ثم حُجّابُ خلفاءِ الأندلس، وقد ضاعا.

ومَعَ أنّ هذه الكُتُبَ كلّها قد ضاعتْ، فإنّ أسماءها وما بَقِيَ من بَعْضِها (مُفرّقاً في المصادر) يَدُلُّ على اتّجاه أصحابِها في تأليفِ التاريخ.

ومن الكُتُبِ المُهمّةِ في التاريخ كتابٌ عُنوانُه «أخبارٌ مجموعةٌ» يبدأ بفتح الأندلس وينتهي بعَدَدٍ من الحوادث في أيامِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ). من أجل ذلك يميلُ نفرٌ من الدارسين إلى الاعتقاد بأنّ الكتابَ من هذا العصر. ولكنّ منهم من يرى أنّه أحدثُ من ذلك عهداً. وبما أن الكتاب لا يظهَرُ عليهِ اسمُ مؤلّفٍ فقد ظنّ نَفَرٌ آخرون من الدارسين أنّه من تأليفِ جماعةٍ من المؤرّخين المُتوالين في الزمن[2]. وهنالك كتابٌ صغيرٌ هو «تاريخُ افتتاحِ الأندلس» لابن القوطيّة (ت ٣٦٧ هـ)، وهو يَسْرُدُ الأخبارَ من لَدُن الفَتْحِ إلى آخرِ أيامِ الأمير عبدِ الله بن محمّدٍ (ت ٣٠٠) على غايةٍ من الوَجازةِ مَعَ شيءٍ من الرَشْوِ المملوحِ بالقُوط، لأنّ جَدّةَ ابن القوطية

(١) جذوة المقتبس ٩٠؛ بغية الملتمس ١٣١؛ بروكلمن، الملحق ١ : ٢٣٣.

كانتْ سارةَ حفيدةَ غَيْطَشَةَ الذي وَقفَ يومَ الفتح إلى جانب المسلمين ٱنتقاماً من لُذَريقَ الذي كان قدِ ٱنتزع منه المُلك.

وكان عَريبُ القرطبي (ت ٣٦٩) قدِ اختصر بعضَ « تاريخ الرُسُلِ والملوكِ » لأبي جعفرٍ محمّدِ بنِ جريرٍ الطَبَريّ (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) ثمّ أضاف إليه أشياءَ من تاريخ الأندلس. ثم هنالك كتابٌ كبيرٌ في التاريخ لأحمدَ بنِ عبدِ الملكِ بن شُهيدٍ (ت ٣٩٢) مَبْنِيٌّ على السِنينَ، وهُوَ النَهْجُ الذي كان الطبريّ قدِ اتّبعه.

الرياضيات والطبيعيات

تأخّرَ اتّساعُ النشاطِ العلمي في مَيْدانَيِ الرياضيّاتِ والطبيعيّات في الأندلس، ثمّ ظلّ الأندلسيّون خاصّةً يُشاركون في علومٍ كثيرةٍ من الحِساب والهَندسة والفلك إلى جانب الطِبّ والفِقه والفلسفة أحياناً. واقتصر نشاطُ أهلِ المغربِ في الأكثر على الطِبّ. وإذا نحن قارنّا جهودَ المغاربة والأندلسيّين - حتّى أواخرِ هذا العصرِ الذي نُجمل خصائصَه العامّةَ هنا - في هذه العلوم بجهود المشارقة لم نَجِدْ للمغاربةِ والأندلسيّين براعةً تُوجِبُ عَدَّهم إلى جانبِ العُلماء المشارقة[1].

لعلّ أولَ مَنْ يستحقُّ الذِكْرَ في هذا الباب، ومن هذه البابةِ، ادريسُ بن ميتم (؟) الإشبيلي القُرطبي (ولعلّ وفاتَه كانت نحو ٣٦٠ هـ)، كانَ نحويّاً بصيراً بحدِّ المَنْطِق حاذقاً بعلم الحساب والتنجيم شاعراً مطبوعاً ومن عُلماءِ الكلام (الزبيدي ٣٣٢). ولقد كان على شعرِه طَلاوةٌ. فمن شعره:

أرحِ النفسَ بالدموعِ فَفِيهـــا ... من جَوَى الشَوْقِ راحةٌ للنفوسِ[2].
وقريــضٌ يَغـضّ من زَهَرِ الرَوْ ... ضِ ويُزْري على حُلِيِّ العروس[3]؛
ظـلّ إدْريسُ شاكراً فيـه نُعمى ... أُسْدِيَـــتْ آنفـاً إلى إدْريسِ!

---

(١) راجع تاريخ العلوم عند العرب ١٣١ وما بعد.

(٢) الجوى: اشتداد الحزن أو المرض من الحبّ.

(٣) أزرى: عاب. أزرى على حليّ العروس: أظهر نقص قيمتها بالإضافة إليه نفسه

ومثلُ إدريسَ هذا محمّدُ بنُ عَبْدُونِ الجَبَليّ العُذريّ كانت له رِحْلة إلى المشرق (٣٤٧ - ٣٦٠ هـ) ومُشاركةٌ في عددٍ من العلوم (طبقات الأطباء ٢ : ٤٦). ولكنْ لا بدَّ مِنْ وَقفةٍ قصيرةٍ عند مَسْلمةَ بنِ أحمدَ المِجريطي (ت ٣٩٨=١٠٠٧ م) إمامِ الرياضيّين في الأندلس في عصرهِ، دَخَلَتِ العلومُ الرياضيّةُ إلى الأندلس على يديهِ وكَثُرَ تلاميذُه فيها. عُني مسلمة بالفلك وبزيج[١] الخوارزمي (ت ٢٣٢) خاصّة وحوّله من السنينَ الفارسيةِ (الشمسية) إلى السنينَ العربية (الهجرية القمرية) ثمّ اختصره وأصلحه. وله كتابٌ اختصر فيه تعديلَ الكواكب من زيج البَتّاني (ت ٣١٧)[٢].

ثمّ هنالك أبو القاسمِ أصبغُ[٣] بنُ محمّدِ بنِ السمح الغَرْناطيّ (٣٦٨ - ٤٢٦ هـ) له من الكتب: المُدخِلُ إلى علم الهندسة (في تفسير كتاب الأركان لأُقْليدُس) - كتاب الهندسة الكبير (؟ معالجة الأشكال الهندسية ذوات الخطوط المستقيمة والمقوّسة والمنحنية)[٤] - طبيعة العدد (خواصّ الأعداد: المُتواليات)[٥] - ثمار العدد (في المعاملات: الحساب التجاريّ) - التعريف بالأُصطرلاب - العمل بالأصطرلاب - زِيجٌ على مذهب السِند هِند[٦] يتألف من قسمين: أحدهما الجداول (وفيها مواقع النجوم وحركاتها) والثاني منها رسائل الجداول (شرح لها ؟).

---

(١) الزيج: جدول فيه مواقع النجوم ومطالعها ومغاربها. والخوارزمي أكبر علماء الرياضيّات في الإسلام وموجد علم الجبر.

(٢) البتّاني من كبار علماء الفلك.

(٣) طبقات الأطباء ٢: ٣٩؛ بروكلمن ١: ٦٢٣، الملحق ٨٦١.

(٤) المقوّسة (التي هي قوس): جزء من دائرة (يقال للقوس اليوم: المنحنية). والمنحنية هنا هي التي يقال لها اليوم: الخطّ المنكسر.

(٥) المتواليات: سلاسل أعداد على نسق مخصوص. فالسلسلة الحسابية الطبيعية (تبدأ بالواحد) نحو: ١، ٢، ٣، ٤، ٥... الخ أو بفرق معلوم هو اثنين مثلاً نحو ١، ٢، ٤، ٦، ٨ الخ أو ١، ٣، ٥، ٧، الخ، أو بفرق خمسة نحو ١، ٥، ١٠، ١٥، ٢٠ الخ. هذه كلها تسمّى متواليات حسابية. أمّا المتوالية الهندسية فتكون بأن يكون كلّ حدّ (عدد) فيها ضعف الذي قبله، نحو: ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢ الخ أو ثلاثة أضعافه ١، ٣، ٩، ٢٧، ٨١ الخ.

(٦) الزيج جداول فيها تعيين مواقع النجوم وحركاتها (على مدار السنة) أصله هندي. وهو يتناول الفلك والانساب (المثلّثات)في الأكثر.

وقريب من أصبغَ هذا أبو القاسم أحمدُ بنُ محمّدِ بن عُمَرَ بنِ الصفّار[1] من تلاميذ مَسْلمةَ بن أحمدَ المرحيطي (أو المجريطي أيضاً)[2] كان بارعاً في علم العدد والهندسة والنجوم، وقد تصدّر في قُرطبةَ لتعليم ذلك كلّه. وله زيجٌ مختصرٌ على مذهب السند هند وكتاب العمل بالأصطرلاب حَسَنُ العبارةِ قريبُ المأخذ. وفي صدر الفِتنة ٱنتقل من قرطبة إلى دانية ثمّ تُوفّي فيها سنة ٤٢٦. وكان لابن الصفّار أخٌ يسمّى محمّداً مشهورٌ بعمل الأصطرلاب لم يكنْ قبلَه في الأندلس أبرعُ منه في ذلك.

ولا بدَّ مِنْ ذِكرِ أبي الحسن عليّ بن أبي الرِجالِ[3] الشَيْباني المَغْربي القيْرواني من أهل مدينة فاسَ، وقد عاش مدّة في بَلاط المُعِزّ بن باديسَ الصِنهاجي (٤٠٦ - ٤٥٤ هـ) في القيروان. ويبدو أنّه كانتْ له رِحلةٌ إلى المشرق وأنّه شارك في الأرصاد[4] التي قام بها أبو سهل وَيْجامُ بنُ رُسْتَمَ القوهي (أو الكوهي) في بَغْداذَ سَنَةَ ٣٧٨ هـ. ولابن أبي الرجال تآليفُ أشهرُها كتاب البارع في أحكام النجوم (في التنجيم) وقد كان له أثرٌ كبيرٌ في أوروبّة خاصّة فقد نُقِلَ إلى العِبرية وطُبِعَ بها مرّتين (البندقية في إيطالية ١٤٨٥ م وباسل في سويسرة ١٥٥١ م) كما نُقِلَ إلى اللاتينية وطُبع بها خمسَ مرّاتٍ، وإلى الإسبانية والبُرتغالية. وكانتْ وفاةُ ابنِ أبي الرجال في سَنَةِ ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) أو بعدَ ذلك بقليلٍ.

عُنِيَ أهلُ المغرب وأهلُ الأندلس بالطبّ وبالنبات لصِلة النباتِ بالمُداواة.

في أيامِ الأميرِ محمّد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) وَرَدَ من المشرق طبيبٌ يُعْرَفُ بالحَرّانيّ وكانت معهُ مُجرَّباتٌ في الطِبّ منها مَعَجونٌ لوجع البَطْنِ كان يبيعُ

---

(١) طبقات الأطباء ٢: ٤٠.

(٢) المجريطي: نسبة إلى مجريط (مدريد: عاصمة اسبانية اليوم) وفي الصلة لابن بشكوال (ص ٥٨٩): المرجيطي (بتقديم الراء على الجيم). وفي طبقات الأطباء (٢: ٣٩، ٤٠، ٤٥): المرحيطي (بالحاء المهملة)، ولعله خطأ مطبعي. راجع أيضاً بروكلمن: ١: ٢٥٦، الملحق ١: ٤٠١.

(٣) راجع تاريخ الفلك عند العرب تأليف نالينو ١٩٥؛ بروكلمن ١: ٢٥٦، الملحق ١: ٤٠١؛ تاريخ العلوم عند العرب تأليف فرّوخ ١٧٩.

(٤) الأرصاد جمع رصد (بفتح ففتح)- مراقبة حركات النجوم لتعيين مطالعها ومغاربها وسيرها.

الشَرْبَةَ منه بخمسينَ ديناراً، وكان بَيْعُه رائجاً. فحَسَدَه جماعةٌ من الأطباء وجاء إليه نَفَرٌ منهم فيهم حَمدينُ بنُ أبانٍ وجوادٌ الطبيبُ النصراني واشترَوْا منه شَرْبَةً بخمسين ديناراً وجعلوا يذوقونَها ويشَمّونها. ثمّ رَجَعوا إليه فقالوا: قد عَلمنا أن في المعجون كذا وكذا من العقاقير. فقال لهم: «أصبتُمُ العقاقيرَ وأخطأتم مقاديرَها» ثمّ أشْرَكَهُمْ في تِجارتِه لئلاّ ينفردوا بصُنْعِ المعجون. (طبقات الأطبّاء ٢: ٤٢، راجع ٤١).

ثمّ هنالك أحمدُ وعُمَرُ ابنا يونسَ بنِ أحمدَ الحرّانيّ- ولَعَلَّهما ابنا الحرّاني الآنفِ الذِكْرِ- زارا المشرقَ (٣٣٠- ٣٥١ هـ) ثمّ عادا واتّصلا بالحَكَمِ المُسْتَنصرِ (٣٥٠- ٣٦٦ هـ). ولكنّ عُمَرَ تُوُفِّيَ وشَيكاً وبَقِيَ أحمدُ مُنْقَطِعاً إلى الحكم يُطَبِّبُهُ ويطبّبُ أهلَ بيته. وكان أحمدُ بارعاً جدّاً في الأدوية المفردة والأدوية المُركّبة، وبارعاً في مُداواة أمراض العيون. ويبدو أنّه عاشَ إلى أواخرِ الدولة الأمويّة. ولعَريبِ بنِ سَعْدٍ القُرطبيِّ (ت ٣٧٠ هـ) كتاب «خَلْق الجَنين وتدبيرُ الحَبالى والمولود».

ثمّ يأتي في هذا العصر أبو داوودَ سُليمانُ بنُ حسّانٍ بن جُلْجُلٍ (ت ٣٩٩) وكان طبيباً مختصّاً بهشامٍ المُؤيَّد (٣٦٦- ٣٩٩ هـ، في المرّة الأولى) له من الكتب: تاريخ (أو طبقات) الأطبّاء والفلاسفة، ويسمّى أيضاً: تاريخ الحكماء (ألّفه سنة ٣٧٧)- أدوية الترياق- كتاب تفسير الأدوية المُفردة (الواردة في كِتاب «الأدوية المفردة» تأليف ذيوسقوريدس العين زربيّ اليوناني من أحياء القرن الأوّل بعد الميلاد)، ولعلّه كتاب الحشائش لابن جلجل أيضاً.

ومن كبار الأطبّاءِ ابنُ الجزّارِ القيروانيُّ (ت ٤٠٠ هـ)، وقد كان أبوه وعمُّه طبيبَيْنِ. كان ابنُ الجزّار طبيباً بارعاً ومؤلّفاً مُكثِراً في موضوعاتٍ مختلفة. فمن كُتُبه في الطِبّ: زادُ المسافر وقوتُ الحاضِر (طعام الإنسان في السفر والحَضَر)، أو هما كتابانِ فيكون «زادُ المسافر» (في علاج الأمراض)- الاعتماد (في الأدوية المفردة)- البُغية (في الأدوية المركّبة)- العُدّة لطول المدّة (كتاب كبير في الطّب)- قوت المقيم (عشرين مجلّداً)- طِبّ الفقراء- البُلغة (في حفظ الصحّة)- كتاب في المَعِدَةِ وأمراضِها ومداواتها- كتاب في الفَرْقِ بينَ العِلل التي تَشْتَبِهُ أسْبابُها وتختلف أعراضُها

(عَلاماتها)- مُجرَّباتٌ في الطِبّ.

وكان ابنُ الجزّارِ يُنَزِّهُ نفسَه عن أن يتناولَ أجراً من المريضِ أخذاً بيدِهِ. فجَعَلَ على باب داره سَقيفةً وأقعدَ فيها غُلاماً له اسمُه رشيقٌ ووضَعَ بين يَدَيْهِ جميعَ الأدوية. فكان إذا فحصَ مريضاً أرسله إلى رشيقٍ ليأخذَ منه الدواءَ ويدفع إليه المال. فكان بذلك قد أسّس نِظامِ الصَيْدَلةِ بالفصل بينَ الطبيب والصيدلاني.

ومن الذين درسوا على ابن الجزّارِ في القيروان عُمَرُ بنُ حَفْص بن برتقٍ أخذَ عن ابن الجزّار «كتاب زاد المسافر» ثمّ أدخله إلى الأندلس.

وأشهرُ الأطبّاء في الأندلس أبو القاسم خَلَفُ بنُ عبّاسٍ الزهْراويُّ- نِسبةً إلى الزهراءِ قُرْبَ قُرطبةَ حيثُ وُلِدَ- بَرَعَ في الجِراحة خاصّة. له كتاب «التصريف لِمَنْ عَجَزَ عن التأليف». ويذكر الزهراويُّ تعقيمَ الجروح بالكيّ وبالقوابض (الموادّ المرّة والحِرّيفة) ويتكلّم على جراحة العينِ والأُذُنِ والأسنان والفَتْقِ وعلى تفتيت الحصى في المَثانة وعلى التوليد وعلى ربط الشِريان لمنع النزيف. وهو يؤكّد حاجةَ المشتغلين بالطِبّ إلى تشريحِ الأجسامِ مَيْتَةً وحَيّةً. وكانت وفاته سَنَةَ ٤٠٤ (١٠١٣- ١٠١٤ م).

الفلسفة

بدأ التفكيرُ الفلسفيُّ في الأندلس- مستقلاً عنِ الكَلام في المذاهبِ الدينية- مَعَ احتكاك المغاربة في أثناءِ رِحْلاتهم إلى المشرق بأهل الرأي الفلسفي وأهل الاعتزال (النظر العقليّ والبحث المنطقي في العقائد). وأوّلُ من تحسُنُ الإشارةُ إليه في هذا الباب يَحيْى بن يحيى المعروفُ بابن السَمينة (ت ٣١٥)، وكان بصيراً بالحِساب والنجوم والطِبّ والنحو واللغة والفِقه والحديث والأخبار (التاريخ). وكانت له رحلة إلى المشرق رَجَعَ منها وقد تعلّق بأشياءَ من الجَدَل الفلسفي وأصبح مُعْتزليّ المذهب (طبقات الأطبّاء ٢ : ٣٩).

وأوّل الذين اتّجهوا اتّجاهاً فلسفيّاً على الحَصْر في الأندلس محمّدُ بنُ عبدِ الله بن مَسَرَّةَ (٢٦٩- ٣١٩ هـ) عَرَفَ أشياءَ من الفلسفة اليونانية ومال إلى الاعتزال وإلى

التأويل الباطني في الدين. من أجل ذلك كان يَكْتُم أمرَهُ أشدَّ الكِتمان. ثمّ اضْطُرّ إلى أن يخرُجَ من قرطبةَ فانتقل إلى القيروان. ولكنّه عاد بعدَ ذلك إلى قرطبةَ ولَزِمَ فيها بيتاً نائياً عن الناس. وكانت آراءُ ابنِ مسرّة خليطاً من الآراء اليونانيةِ المتأخّرةِ وأكثرها يدورُ حولَ تخيّلِ هذا العالمِ ووجودهِ من الاعتقاد بمادّةٍ روحانيةٍ تتألّف منها الكائنات (المادّية) في مقابلِ العالَمِ العقليّ الذي يتألفُ من الجواهر الخمسة. وفي فلسفته أشياءُ كثيرةٌ وثنيّةٌ.

وكَثُرَ أتباعُ ابن مسّرةَ وخصوصاً في أيام الحَكَم المستنصر لِمَا كان من تشجيع الحكمِ للعلم ولتساهله في آنتشار الآراء المختلفة. فلمّا تُوفّي الحَكَمُ المستنصر، سَنَةَ ٣٦٦ (٩٧٦ م) حدثتْ حملةٌ على آراءِ ابن مسرّةَ وعلى اتباعهِ ثمّ آشتدّت هذه الحَمْلة في أيام المنصور بنِ أبي عامرٍ (ت ٣٩٢ هـ).

مظاهر الأدب وخصائصه وأعلامه

في عصر الخلافة

كان أُمراءُ بني أُميّةَ ينظُرون إلى دولتِهِمْ في قُرطبةَ بالأندلُس على أنّها آستمرارٌ لِدولتِهم في دِمَشْقَ بالشام. فهذا النظرُ القوميُّ العصَبي مُضافاً إلى الجامع الدينيّ الروحيّ جعَلَ أهلَ الأندلُسِ كلَّهم يَرَوْنَ في المشرق مَثَلاً أعلى وقُدوةً في الحياة الاجتماعية وفي الفِقه والعلم والتفكير والأدب. من أجل هذا كلّهِ لا يَسْتَغرِبَنَّ أحدٌ إذا لم يختلفِ الأدبُ الأندلسيُّ في الشعر والنثر من الأدب المشرقي- في خصائصهِ المعنويةِ وخصائصه اللفظية- اختلافاً ظاهراً. وممّا يُروى في هذه الحالِ أنّه لمّا وَصَلَ كتاب «العِقد» لابنِ عبدِ ربّهِ الأندلسيّ (ت ٣٢٨ هـ) إلى المشرقِ واَطّلَعَ عليه الصاحبُ بنُ عبّادٍ (٣٢٦- ٣٨٥ هـ) قال: «هذه بِضاعتُنا رُدَّتْ إلَيْنا!» فإنّ كتابَ «العِقد» هذا كتابٌ مشرقيّ في اتّجاهه وموضوعاته وأسلوبهِ وروحهِ ومُنْتَخَباته. ولولا أن فيه فصلاً يتعلّق بأمراءِ الأمويّين في قُرطبةَ لَمَا أدْرَكَ أحدٌ أنّ للكتاب صِلةً بالأندلس.

أوّلُ ما يَلْفِتُ النظرَ في الشعر الأندلسيّ أن الجانبَ الفِكريّ فيه ضعيفٌ بالإضافةِ إلى ما نَعْرِفُه من الشعر المشرقي في طوره الجاهليّ أيضاً. إنّ التَنوُّعَ والاتّسَاعَ والعُمْقَ التي نراها في شعر المشارقة لا نراها في شعر المغاربة، فليس في شعراء المغرب والأندلس جبابرةُ فكرٍ وعلمٍ من أمثال آمْرِئِ القيس وطَرَفَةَ بن العبدِ والفَرَزْدَق وبَشّار بن بُرْدٍ وأبي نواسٍ وأبي تمّامٍ والمُتنبّي والمَعرّيّ. لقد كان من مُثُلِهمُ العُليا أن يُقال في ابن هاني الأندلسيِ «متنبي الغرب» وفي ابنِ زيدونِ «بُحْتريُّ المَغْرب»!

النتاج الأدبي

إنّ إعجابَ الأندلُسِيّين والمغاربةِ بالمشارقةِ- في السياسةِ والاجتماع- قد بَرَزَ أيضاً في النِتاجِ الأدبيّ وفي خصائصهِ المعنويّة واللفظية. وإذا كانتِ الأغراضُ الأدبيةُ قد عَرَفَتْ بعضَ الاختلافِ والابتكار، لاختلافِ البِيئةِ العامّةِ وآختلافِ عددٍ من أحوالِ المُجْتَمَعِ في الغربِ الإسلاميّ منها في الشرقِ الإسلاميّ- قليلاً أو كثيراً- فإنّ الخصائصَ اللفظية لم تختلفْ في العصرِ الذي نُعالِجُه اختلافاً ظاهراً إلاّ في التركيب اللُّغويّ الذي خَسِرَ شيئاً من مَتانتهِ.

في الشعر:

أمّا فُنونُ الشعرِ فقد بَقِيَتِ الفنونَ المَشْرقيةَ: المدحَ والفخرَ والحماسةَ والرِثاء والهِجاء والوصفَ والغزلَ والنسيب والعِتاب والأدبَ (الحكمة). غيرَ أنّ الأغراضَ (الموضوعاتِ الجزئيةَ) في عددٍ من هذه الفنونِ قد عَرَفَتْ أشياءَ جديدةً، وخصوصاً في الوصفِ الذي آتّسعَ في الأندلُس خاصّةً آتّساعاً عظيماً، وعلى الأخصّ وَصْفَ المعاركِ البحرية ثمّ وصفَ الرياض من عالم الطبيعةِ ووَصْفَ المُنْشآتِ من عالم العُمْران (كوصفِ المُدن ورثائها مَثَلاً). ولقد رَقّتْ في هذه الفنونِ كلِّها عاطفةُ الشاعر وآتّسع خيالُه. ولكن الشعرَ عامّةً ظلّ- من حيثُ المعاني المُبْتكَرَةُ والمداركُ البعيدةُ الغَوْرِ- أدنى طَبَقَةً من الشعرِ المشرقيّ. ثمّ إنّ المداركَ الفلسفيةَ الصحيحةَ لم تَجِدْ طريقَها إلى

الشعر الأندلُسيّ، لأنّ دراسةَ الفلسفةِ نفسَها قد تأخّرتْ في الغربِ الإسلاميّ عنها في الشرق الإسلاميّ، ولأنّ سيادةَ مذهبٍ دينيّ واحدٍ (هو المذهبُ المالكيّ) لم يُشجِّعْ على إبداء الآراءِ المختلفةِ كما كان الشأنُ في المشرق مَعَ تَعَدُّدِ المذاهبِ والأديان والفلسفات. ولا شكّ في أنّنا نَجدُ في الشعرِ المَغربيّ عامّةً، في بابِ الأدبِ (الحكمة)، خَطَراتٍ من الفِكْر المُثَقَّفِ قد تبلُغُ إلى ما عندَ ابنِ الروميّ وعند المُتَنبيّ أحياناً. ولكنّنا لا نَجِدُها تبلُغُ- من حيثُ القصدُ والمَنْطِقُ والشُمول والجرأة الصحيحة- إلى ما نَجِدُ عند أبي العَلاءِ المَعَرِّيّ.

غيرَ أنّه كانَ لانتشارِ المذهبِ الفاطميّ (وهو مذهبٌ باطنيّ حُلولِيّ)[1] في المَغْرِب- ولَدى نَفَرٍ قليلينَ مِن الأدباء المُتَكسّبينَ- أثرٌ في تقبُّلِ عددٍ من المداركِ الخارجةِ عنِ التوحيد. من أشْهرِ هؤلاءِ الأدباءِ الشاعرُ ابنُ هاني الأندلسيّ (ت ٣٦٢) فقد قال في مَدْحِ المُعِزِّ لدين الله الفاطميّ (٣٤١- ٣٦٥ هـ):

ما شِئْتَ، لا ما شاءتِ الأقدارُ! فَاحْكُمْ، فأنتَ الواحدُ القهّارُ!

وسوى ذلك مِمّا تَراه في تَرْجَمَتِهِ.

ولا شكَّ في أنّ الوصفَ- وَصْفَ الطبيعة- كان أبهى مظاهِرِ الشعرِ الأندلسيّ، لِجَمالِ البيئة الطبيعيّة في الأندلُسِ ولتَنَوُّعِ مظاهِرِها. ومَعَ الإيقانِ بأنّ الأندلسيّين كانوا بارعينَ جِدّاً في وصفِ الجِنانِ والأنهار والأشجار والأزهار وفي وصفِ السماء وما فيها، فإنّهم لم يَكسِفوا في ذلك نورَ ابن الروميّ (ت ٢٨٣) وابن المُعْتَزّ (ت ٢٩٦) والصَّنَوْبَريّ (ت ٣٣٤) في ذلك الفنِّ ولا في أغراضِهِ. بَيْدَ أنّ هذا كُلَّهُ لا يمنعُ الدارسَ من أنْ يكونَ مُنْصِفاً فيرى للأندلُسيّين في وصفِ الطبيعة- وفي غيرِ وصفِ الطبيعة- خَيالاً جميلاً ولَفَتاتٍ كثيرةً بارعةً. غيرَ أنَّ تزاحُمَ الصُّوَرِ أحياناً ثمّ مُحاولةَ الإغراب أحياناً أُخرى كانا يُفْقِدان تلك الأخيلةَ كثيراً من وَضاءتِها. هذا الوصفُ

---

(١) الفاطمي، الباطنيّ (انظر، فوق، ص١٧٠). مذهب الحلول: الاعتقاد بأن الله يمكن أن يتمثّل بالبشر، يحل في جسم بشريّ.

البارعُ لمظاهرِ الطبيعةِ كان في الأندلس - مُنْذُ هذا الدور الباكر- أحدَ مُقَوِّماتِ الأدب الأندلسيّ.

ولقد رَأَيْنا في صورةِ العصرِ السابقِ (عصرِ الأمراء المُتوارثين) آتّكاءَ يحيى الغَزالِ (ت ٢٥٠) في الخمريّات على أبي نُواسٍ. ويحسُنُ أنْ نُشيرَ هُنا إلى أنّ ابنَ درّاجٍ القَسْطَلّيَّ (ت ٤٢١)- بعدَ الغَزالِ بجيلَيْنِ مِنَ الدهرِ أو يَزيدانِ[١]- قدِ آتّكأ في إحدى مَدائِحه (والغايةُ هنا ضربُ مَثَلٍ فَقَطْ) على قصيدةٍ بعينِها لأبي نُواسٍ نفسِه، في الفنِّ والغَرَض والنَفَس والبَحْر والقافية. ولم يَنْسَ ابنُ درّاجٍ أن يُودِّعَ امرأتَه- قبلَ أنْ يذهَبَ إلى الممدوحِ- وأن يُمنِّيَهَا عَطاءً جَزيلاً، كما فعلَ أبو نُواسٍ تَماماً. وهذا يتّضح بأدْنى نَظَرٍ مِن مُقارنةِ قصيدةِ ابنِ درّاجٍ «دعي عَزَماتِ المُسْتَضامِ تَسيرُ» بقصيدةِ أبي نُواسٍ «أجارةَ بَيْتَيْنا، أبوكِ غَيورُ». وفي مختاراتِ ابنِ درّاجٍ جانبٌ من قصيدته المذكورة.

ثمّ بالَغَ المغاربةُ والأندلسيّون في مُحاكاة المشارقة في الأغراض، حتّى في وصف الصحراءِ والبادية، ووصف الأطلالِ والنياق، مَعَ أنّ الغالبَ على الأندلس خاصّةً كَثْرةُ الأنهار والرياض.

أمّا الأُسلوبُ فإنّه أصبحَ في هذا الدورِ- عُموماً- أكثرَ رشاقةً وأناقةً، مَعَ فصاحةِ الألفاظ وسُهولةِ التراكيب ووُضوحِ المعاني، وإنْ كان ذلك الأُسلوبُ ذاتُه قد ركَّ تركيبُه قليلاً أو كثيراً. غيرَ أنّ الشاعرَ الفَصيحَ لم يُدْخِلْ شيئاً من الألفاظِ العاميّة في شعره ولا تَرَكَ الإعراب. ويَلْفِتُ النظرَ أنّ الأندلُسيِّين والمغاربةَ قدِ آستعملوا ألفاظاً عربيةً لم تَبْقَ- منذُ ذلك الحين- مألوفةً في المشرق، كما آجتهدوا في آشتقاق صِيَغٍ مُتنوّعةٍ أو في آسْتِحْداثِ مَعانٍ جديدةٍ لصِيَغٍ قديمةٍ بحَسْب ما آقْتَضَتْهُ أحوالُ بيئاتِهم. وهذا ما حَمَلَ المُستشرقَ الهولنديَّ راينْهارْتْ دوزي على تصنيف قاموس لهذه الألفاظِ والصِيَغِ والمعاني[٢]. ورُبّما لجأتُ أنا إلى الإشارة إلى عدد من الصِيَغ

(١) الجيل ثلاث وثلاثون سنة.

(٢) R. G. Dozy. (1828-1882)

والمعاني التي تَردَ في النصوص الأندلسيةِ من هذا الجزءِ ، ثمّ لا تكون قد وَرَدَتْ في القواميس العربية المُعْتَمَدَة، بأنْ أحْصُرَها بينَ أهِلّةٍ أو بأنْ أنُصَّ على أنّها لم تَردْ في القاموس (وتكونُ الإشارةُ عادةً إلى القاموس المُحيط للفيروزابادي).

وأمّا في الخصائص اللفظيّة فإنّ الشعرَ الأندلسيّ لم تكن له في التركيبِ تلك المَتانةُ التي صَنَعَتْ رَوْعَةَ الشعر المشرقيّ. ولمّا قَصّر الأندلسيّون في آختراع المعاني والغَوْص عليها تَعَلّقوا بالألفاظِ الجميلةِ وبالتَنْميق والزُخْرُف. ولا يُنكِرُ أحدٌ عليهم ألفاظَهم ذاتَ الطَلاوة والرنينِ في التراكيبِ السهلةِ. ولقد نَحا مُعْظَمُ شعراء الأندلس نَحْوَ البُحْتُري (ت ٢٨٦ هـ) في الاتّكاءِ على الألفاظِ الفصيحةِ الحُلوة والتراكيب السَهلةِ العَذْبة والمعاني المألوفةِ القريبةِ المأخذِ. ولكنَّ البُحتريَّ ظلّ في ذلك كلّهِ زعيمَ الشعراء الذين اختاروا أن يَسْلُكوا سبيلَ الألفاظِ الرائقةِ ويَنْشُروا لِواءَ الديباجةِ الأنيقة.

وفي هذا الدَّوْرِ بدأ الاهتمامُ بالمَلاحمِ . قال ابنُ خلدونٍ (المقدمة ٦٠٢): كَتَبَ الناسُ في حَدَثانِ الدُوَلِ منظوماً ومنثوراً ورَجَزاً ما شاء اللهُ أن يكتُبوا. وفي أيدي الناسِ (أشياءُ كثيرةٌ متفرّقةٌ) منها، وتُسمّى الملاحمَ. وبعضُها في حَدَثانِ المِلّة على العُموم، وبعضُها في دولةٍ (دولةٍ) على الخُصوص. وكلّها منسوبةٌ إلى مَشاهيرَ مِنْ أهلِ الخليقة. وليسَ لها أصلٌ يُعْتَمَدُ على رِوايتهِ عن واضعهِ المَنْسوبة إليه.

وأوّلُ إشارةٍ إلى الملاحمِ نَجِدُها في آثارِ يحيى بن حَكَمٍ الغزالِ المُتوفّى سَنَةَ ٢٥٠ (راجع ترجمته).

ومِنَ المَلاحمِ الثابتةِ المعروفةِ أرجوزةٌ لابنِ عبدِ رَبّهِ (ت ٣٢٨) تبلُغُ أرْبَعمِائَةٍ وخمسينَ بيتاً فيها وصفٌ لحُروب عبدِ الرحمنِ الناصر، مِنْ سَنَةِ ٣٠١ إلى سَنَةِ ٣٢٣ (٩١٣- ٩٣٣ م). ولكنَّ اهتمامَ ابنِ عبدِ ربّهِ في مَلْحمته كان بِسَرْدِ الأحداثِ التاريخية، ولم يُعْنَ بالفنِّ المَلحميّ، مِنَ التزيينِ بالخَيال ومن براعةِ القَصَص ووَصْفِ البُطولات وحَبْكِ المُفاجئات وتدخُّلِ القُوى الخارقةِ للطبيعة في سبيلِ حَلّ العُقَدِ (مِمّا هو معروفٌ في الملاحم التي هِيَ على النَمَطِ اليونانيّ).

ويقال إنّه كانَ لابن عبدِ رَبّهِ مُوشَّحاتٌ (راجع ترجمته). ولكنْ لم يَصِلْ إلينا شيءٌ

منها. ولمْ يُورِدْ ابنُ عبدِ ربّهِ شيئاً مِنْ مُوشّحاتِهِ- ولا من مُوشّحاتِ غيرِه- في كتابهِ «العِقْد»، مَعَ كَثْرةِ ما يُورد من شِعرِ غيرِه وشعرِ نفسهِ في هذا الكتاب.

ومَعَ كُلِّ هذا التجديدِ الطارىءِ على الأدبِ الأندلسيّ- في الشِعر وفي النثر- فإنّ الرَجَزَ (وهُوَ فَنٌّ بَدْوِيٌّ جافٍ ونِتاجٌ فِطْرِيٌّ بَسيطٌ- حتّى قِيل فيه: إنّه حِمارُ الشعر) ظَلَّ معروفاً في الأندلُس، لا في الألفيّاتِ الفِقْهيّة والنَحْوية وما شابَهها فَقَطْ، بل في الإنشاد الوُجْدانيّ أيضاً. وقد ظلّ الرَجَزُ مألوفاً إلى أواخرِ العصر الأندلسي. وفي نفح الطيبِ نحوُ مِائةِ شاهدٍ تَطولُ أو تقصرُ من هذا البحر[1].

فمن الراجزينَ في عصرِ الخِلافة أبو المُطَرِّفِ عبدُ الله بنُ محمّدٍ الأصمُّ (ت ٣٣٥)، «كان نَحْويّاً لُغَويّاً فصيح اللسانِ شاعراً مُجَوِّداً. وأكثرُ أشعارِه على مذاهبِ العَرَب، وله أراجيزُ فصيحةٌ» (الزبيدي ٣٣١).

وللشاعرِ الرَماديِّ (ت ٤٠٣) المشهورُ رَجَزٌ في موضوعٍ حَضَريّ مِنْ وصفِ الخمرِ ووصفِ الطبيعة (نفح الطيب ٤: ٧٤):

نَوْءٌ وغَيْثٌ مُسْبَلُ ... وقَهْوَةٌ تَسَلْسَلُ[2]؛
تَدورُ بينَ فِتْيَةٍ ... بخُلْقهمْ تُمَثَّلُ[3].
والأُفْقُ من سَحابِهِ ... طَلٌّ ضعيفٌ يَنْزِلُ[4]،
كأنّهُ من فِضّةٍ ... بُرادةٌ تُغَرْبَلُ[5].

ومَرّ ابنُ شُهيدٍ (ت ٤٢٦) برَجُلٍ من مَعارفهِ بينَ يَدَيْهِ زِنْبيل فيه حَرْشَفٌ[6] فأصرّ

---

(١) راجع نفح الطيب ٨: ٤٤٨- ٤٥٢ (فهرست الرجز).

(٢) النوء في الأصل منزلة للنجم يحدث في زمانها مطر. الغيث: المطر النافع. المسبل: الكثير (الهطول)، المستمر. القهوة: الخمر المطبوخة بالنار. تسلسل= تتسلسل: من «سلسل»: صبّ (الماء) شيئاً فشيئاً. (خمر كانت تشرب قليلاً قليلاً).

(٣) بخلقهم تمثّل (كانت رقيقة دمثة، ليّنة مثل أخلاقهم الكريمة).

(٤) الطلّ: المطر الخفيف.

(٥) البرادة: القطع الصغيرة المنفصلة من قطعة كبيرة من المعدن بعد حكّها بمبرد.

(٦) الزنبيل: وعاء كبير مصنوع من خوص النخل (قفة). الحرشف، أو الخرشف، والخرشوف: شوكة=

عليه الرجلُ أنْ يَصِفَ ذلك الحَرْشَفَ، فقال ابنُ شُهيدٍ ارتجالاً (نفح الطيب ٣ : ٢٤٦) أشطُراً منها:

هل أبْصَرتْ عَيْناكَ، يا خَليلي، قنافِـذاً تُبـاع في زِنْبيـلِ[١]؟
من حرشَفٍ مُعْتَمَدٍ جَليلِ ذي إبَرٍ تُنْفِـذُ جِلْـدَ فيـلِ[٢].
كأنّها أنيابُ بِنْتِ الغولِ لو نَخَسَتْ في آستِ امْرِئٍ ثقيـلِ،
لَقَفّزَتْهُ نَحْوَ أرضِ النيلِ[٣]

في النثر:

إنّ النثرَ العربيَّ (في المَغْرب وفي المشرق أيضاً) لم يَتَطَوَّرْ بالسُرعةِ التي تطوّرَ بها الشعرُ لِسَبَبَيْنِ. أوّلُ ذَيْنِكَ السببينِ أنّ النِتاج في النثرِ- في الخَطابة والترسُّلِ والنقد والمُناظرات والتصنيف- كان يقومُ في الدرجةِ الأُولى على «الرِواية» (نقل الآراءِ عنِ المتقدّمين بلَفْظِها ما أَمْكَنَ) حِرْصاً على صِحّةِ تلك الآراء وإضْفاءً لِشَيْءٍ من الثِقة عليها. فالبُحوثُ في اللُغةِ والصَرْف والنَحْو والأدب والتاريخ ثمّ في الفِقْهِ بطبيعة الحالِ كانت كُلُّها قائمَةً على الرِواية. وكلّما كان الراوي أقربَ زَمَناً إلى الذين يَرْوي عنهم، وكُلّما كانتْ ألفاظُه أقربَ إلى ألفاظِهم، كانتِ الثِقَةُ به أكبرَ والاعتمادُ عليه أكثَرَ. ولا رَيْبَ في أنّه كان لِروايةِ الحديثِ الشريفِ عن رسولِ اللهِ، على هذا المَنْهَجِ ، أثرٌ أكيدٌ بالغٌ في جَرَيانِ سائرِ فُنونِ المعرفةِ في الإسلام هذا المَجْرى. وثاني ذَيْنِكَ السَبَبينِ أنّ العرب كانوا- وما يزالون- مَيّالين إلى الاستشهادِ في ثنايا كلامِهم بالآيات الكريمةِ

---

* الدمَن، أرضي شوكي (لفظ تركيّ!): نبات مأكول يتألّف من قرص مغطّى بطبقات مثلّثة ليفية تنتهي بطرف إبْريّ.

(١) قنفذ (بضمّ فسكون فضمّ): الشيهم بفتح فسكون ففتح)، الدلدل (بضمّ فسكون)، الدلدول (بالضم): حيوان يشبه الجرذون ولكن أكبر حجماً، جسمه مغطّى بشوك مثل الإبـر يستطيع أن يطلقها على عدوّه دفاعاً عن نفسه. ويستطيع أن يخفي رأسه في بطنه فيتكوّر ويصبح كرة مغطّاة بشوك، ولذلك يسمّيه العامّة «كبّابة الشوك».

(٢) معتمد: معتبر (حسن النوع، مرغوب فيه). جليل: كبير الحجم. تنفذ: تخرق.

(٣) نخس: شكّ. الاست: المقعدة (بالكسر)، مؤخّرة البدن. قفّزته (ليست في القاموس): جعلته يقفز.

والأحاديثِ النَبويَّةِ الشريفة وبأقوالِ المُتقدّمين من الشعرِ والأمثال، ممّا يدعو إلى ثُبوتِ الخصائص الأدبية وآستمرارها، (فيما يتعلّق ببِناءِ الجُمَلِ) على مَناهجَ مُتقاربةٍ. وإذا نحنُ استَعْرَضْنا كِتابَ «العِقد» لابنِ عبدِ ربّهِ (ت ٣٢٨) وكتابَ «الأمالي» لأبي عليٍّ القالي (ت ٣٥٦) وخُطَبَ مُنْذرِ بن سعيدٍ البلّوطيّ (ت ٣٥٥) وكتابَ «زَهْرِ الآداب» للحُصْريّ (ت ٣١٣) ووَصيّةَ ابنِ بُرْدٍ الأكبرِ (ت ٤١٨) ورَسائلَ ابنِ شُهَيْدٍ- وكُلُّ هذه تَرْجِعُ إلى أيامِ الخِلافة المَرْوانية في الأندلُس- لم نَجِدْ فيها كُلِّها ما يدُلُّ على آختلافها مِنْ أمْثالِها مِنْ نِتاجِ المشارقة. وأنْصَعُ الأدِلّةِ على هذا أنّ أبا عليٍّ القالي- وَهُوَ مَشْرقيٌّ آنتقل إلى الأندلس سَنَةَ ٣٣٠ (٩٤٢ م) - قد أمْلى كتابَه «الأمالي» في مدينةِ الزَهْراء. ومعنى هذا أن أُسْلوبَ النثر الذي جاء به التالي من المَشْرق كان الأُسلوبَ المألوفَ- في ميادينِ العلمِ والأدب- في الأندلُس.

والنَثْرُ أنواعٌ منها الخَطابةُ والترسُّلُ والمُحاضراتُ والمُناظرات، ومنها النَقْدُ والتأليف. وما دامَ العُنْصُرانِ الغالِبانِ في هذه الأنواعِ هُما الرِوايةَ والاستشهادَ، فمِنَ المُنْتَظَرِ ألاّ يكونَ بينَ هذه الأنواعِ من النَثْرِ فروقٌ شاسعة.

وللخَطابة أغراضٌ: تبليغُ أوامر الدولةِ أو الموعظةُ والتحذيرُ أو الحثُّ على عَقْدِ الأحلافِ والصَداقات. وفي هذهِ كُلِّها يحسُنُ أن يكونَ الموضوعُ قريباً من السامعِ وأنْ يكونَ الأُسلوبُ الذي يجري فيه ذلك يُشْبهُ ما خَطَبَ به القاضي أحمدُ بَنُ بَقيٍّ بن مَخْلَد (ت ٣٣٤) فقال (المرقبة العليا ٦٥):

اللّهُمَّ، وقدْ دَعاك هذا النَفَرُ من عِبادِكَ الساعونَ لِثَوابِكَ المُجْتَمعون ببابِكَ، فَزَعاً من عِقابِكَ وَطَمعاً في ثَوابِك؛ وقِبَلَهُمْ(١) من الذُنوبِ ما أحاطَ به عِلْمُكَ وأحْصاه حِفْظُكَ. فَعُدْ عَلَيْهِمْ في مَوْقِفِهِم(٢) هذا بِرَحْمةٍ تُوجِبُ لهم جَنَّتَكَ وتُجيرُهم من عَذابِك.

وإذا كانتْ أغراضُ الرسائلِ في الغَرْبِ الإسلاميّ- سَواءٌ أكانتْ تلك الرسائلُ سِياسيةً إداريّة أمْ إخوانيّةً شَخْصية- هي أغراضَها في الشرق الإسلاميّ، فلا مَفَرَّ مِنْ

---

(١) قبلهم: عندهم، عليهم.
(٢) عاد فلان على فلان: رجع إليه- ارجع عليهم برحمتك بعد غضبك.

أن يكونَ أُسلوباها في المَغْرِب والمشرق واحداً أو كأنّهما واحدٌ. في سَنَةِ ٣٩٣ (١٠٠٢ م) كَتَبَ عبدُ المَلِكِ المُظَفَّرُ بنُ المنصور بنِ أبي عامرٍ رسالةً إلى المُعِزِّ بنِ زيري بنِ عَطِيّةَ الصِنْهاجِيّ مَلِكِ فاسَ يُقِرُّهُ على عَمَلِهِ[١]. مِنْ هذهِ الرِسالةِ (الاستقصا ١ : ٩٤):

.... إلى كافّةِ أهلِ فاسَ وكافّةِ أهلِ المغرب سَلّمَهُمُ اللهُ..... إنّ المُعِزَّ بنَ زيري بنِ عَطِيّةَ- أكرَمَهُ اللهُ- تابعَ رُسُلَهُ لَدَيْنا وكُتُبَهُ[٢]، مُتَنَصِّلاً من هَناتٍ دَفَعَتْهُ إليها ضَروراتٌ[٣]، ومُسْتَغْفِراً من سَيِّئاتٍ حَطّتها من تَوْبَتِهِ حَسَناتٌ[٤]. والتوبةُ مِمْحاةٌ لِلذَّنْبِ[٥] والاستغفارُ مُنْقِذٌ مِنَ العَيْبِ..... وقد وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ ٱسْتِشْعارَ الطاعةِ ولُزومَ الجادّةِ[٦] وٱعتقادَ الاستقامةِ وحُسْنَ المَعونة وخِفّةَ المَؤونةِ[٧]. فوَلَّيْناه ما قِبَلَكُمْ، وعَهِدْنا إليه أن يعمَلَ بالعَدْلِ فيكم وأن يرفَعَ الجَوْرَ عنكم وأن يُعَمِّرَ سُبُلَكُمْ[٨]، وأن يَقْبَلَ من مُحْسِنِكم ويتجاوزَ عن مُسيئكم، إلاّ في حُدودِ اللهِ تبارَكَ وتَعالى[٩].....

ومِنَ النِتاجِ المُبْتَكَرِ في الأندلس الكتابةُ الخَيالية التي يُمَثِّلُها أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ ٱبنِ شُهيدٍ (ت ٤٢٦) في كِتابه «التوابع والزوابع»، وفيه كلامٌ على عالَمِ الجِنّ (راجع ترجمة ابن شهيد). ألّفَ ابنُ شُهيدٍ هذا الكتابَ سَنَةَ ٤٢١ (١٠٣٠ م)- قَبْلَ أن يُؤلِّفَ المَعَرِّيُّ «رِسالةَ الغُفران» بَيْنَ سَنَةِ ٤٢٢ وسَنَةِ ٤٢٤ (١٠٣١- ١٠٣٣ م). ومِنَ

(١) كان عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠ هـ) قد بسط سلطانه على أمراء المَغْرِبِ ثمّ استمرّ ذلك زمناً بعده. أقرّه على عمله (منصبه): ثبّته فيه.

(٢) تابع رسله: أرسلهم تباعاً وجعلهم كثيرين.

(٣) الهنة (بالفتح): الشيء القليل (من الخطأ).

(٤) حطّتها: (أنزلتها عن ظهره، غفرتها) من توبته (بحسن توبته).

(٥) ممحاة (بالكسر): خرقة تزال بها الأوساخ.

(٦) لزوم (البقاء على) الجادّة: الطريق الواسعة (السلوك في الطاعة مع الجماعة).

(٧) حسن المعونة: المساعدة (بالقيام بما يتعهّد به من الأموال والجيوش ومن سياسة الدولة). خفّة (قلّة) المؤونة (تكليف الإنسان ما يثقله).

(٨) الجور: الظلم. يعمّر سبلكم (طرقكم) يجعلها عامرة، آهلة، آمنة.

(٩) يقبل من محسنكم (ويثيبه على إحسانه) ويتجاوز عن مسيئكم (ينسى سيّئاته الماضية). حدود الله: ما نهى الله عنه.

المُمْكِنِ، كما يقولُ بروكلمن (الملحق١ :٤٥٣)، أن يكونَ المَعَرِّيُّ قد تأثَّرَ بابنِ شُهيدٍ في ذلك.

ثمّ يأتي النَقْدُ. لا شكَّ في أن النقدَ يبدأ بفَهْمِ القِطْعَةِ المَعْروضةِ على النَظَرِ. من أجْلِ ذلك كانتِ «الشُّروح» أوّلَ خُطُواتِ النقدِ لِما فيها من مُحاولةِ الكَشْفِ عنِ المعاني ومن تَرْجيح بعضِ المعاني على بَعْضٍ. ومَعَ أن الشُروحَ تبدأ مُحاولةً بسيطةً لِلْفَهْمِ اللُّغوي، فإنّها كثيراً ما تَتّسِعُ فتتَناوَلُ الفَهْمَ الأدبيَّ (مَقْصِدَ الأديب الشاعرِ أو الناثرِ من قولِهِ) والفَهْمَ البيانيّ (تعبيرَ الأديبِ عن مقاصِده) والفَهْمَ البلاغي (الصُوَرَ المختلفةَ لتعبير الأديبِ عن معانيهِ المُفْرَدَة). من ذلك كلّهِ مَثَلاً:

ذَكَرَ الزُبيديُّ (ت ٣٧٩) أنّه سأل ابنَ الورّانِ النَحْويَّ (ت ٣٤٠) عنِ اعتراضِ العُلماءِ على تفسيرِ الإمامِ الشافعيّ (ت ٢٠٤) في قولِه تعالى: «ذلك أدْنى ألاّ تَعولوا» (٤: ٣، سورة النساء) ففَسَّرَ الشافعيّ «تَعولوا» بمعنى «يَكْثُرُ عِيالُكم». فقال ابنُ الورّانِ (الزبيدي ٣٧١): أخطأَ الشافعيُّ. يُقال: عال(الرجلُ)يَعيلُ إذا افْتَقَرَ، وأعال (يُعيلُ) إذا كَثُرَ عِيالُه.....

وهنالك مُلاحَظَةٌ مِنَ النقدِ من طريقِ الشرح اللُّغويّ ذَكَرَها الزُبيديُّ أيضاً في مَعْرِضِ الكلامِ على «الشجي» (الذي أثْقَلَهُ الهَمُّ)- كما وَرَدَتْ في شِعرِ أبي عبدِ الله مُحمّدِ بنِ الحكيمِ الأندلسيّ (ت ٣٣١): أهِيَ شَجٍ أم شَجِيٌّ؟ وما القياسُ في ذلك وما المَرْوِيُّ عنِ العرب (راجع الزبيدي ٣٠١). وكذلك ذَكَرَ الزُبيديّ (ص ٣٣١) أن أبا عُمَرَ أحمدَ بن مَضاءٍ المعروفَ بابنِ الحصّارِ (ت في أواسط القرن الرابع) كان نَحْوِيّاً ذكيّاً، وكان قليلَ المُطالعة لِكُتُبِ النُحاةِ «لأنّه كان يُعَوِّلُ على قياسِه وتعليله» (في فَهْمِ وُجوهِ التَخْريج والإعراب).

وليست بِنا حاجةٌ إلى قَوْلٍ هُوَ أنّ المَغاربةَ كانوا يُقدّمون رأيَ المشارقة في النَقْد، وفي النِتاج الأدبيّ الأندلسيّ نفسه. قال أحدُ الأندلسيّين الذين رَحَلوا إلى المشرق (الزبيدي ٣٠١- ٣٠٢): «اسْتَنْشَدَني المُعَوّجُ ببَغْدادَ لأهلِ بَلَدِنا فأنْشَدْتُهُ لأحمدَ بنِ

محمّدِ بنِ عبدِ ربّهِ[١] قصيدةً وثانيةً، فلم يَسْتَحْسِنْ شيئاً مِمّا أنْشَدتُه. فأنْشَدتُه لمحمّدِ بنِ يحيى:

يـــــا غزالاً عَنَّ لي فابْـ ـتَزَّ قَلْـــبي ثمّ وَلّـــى[٢]،
أنـــــــت منّي بِفُؤادي، يـــا مُـــنى نَفْسِيَ، أحلْـــى!

حتّى أتَيْتُ على آخرِ الشعرِ. فقال: هذا الشعرُ بِختْمِه، لا ما أنْشَدتَني به آنِفاً[٣].

وأرادَ عبدُ الرحمنِ الناصرُ، في مَطْلَعِ خِلافَته، انتساخَ شِعْرِ حَبيبٍ[٤] فأحْضَرَ جَماعةً فيهم مُحمّدُ بنُ محمّدِ بنِ أرقمٍ النَحْويُّ الأندلسيّ والوزيرُ أبو الأصبغِ موسى بنُ محمّدِ بنِ الحاجب (ت ٣٢٠) والشاعرُ القَلْفاط وابنُ فَرَجٍ المعروف بالبيساري أو بابن البيساري- وكان من أهلِ العلمِ بالعَرَبيةِ (النَحْو) ومن طَبَقةِ ابنِ الحكيمِ والقَلفاطِ. وشاوَرَهُمْ عبدُ الرحمنِ في أي القصائدِ يحسُنُ أنْ يُقدَّمَ في صَدْرِ الكِتاب[٥] فقال ابنُ أرقمٍ: «إنّما يُفضَّلُ الشِعْرُ ويُقدَّمُ لِغَرابتهِ وحُسْنِ مَعْناه. وشِعْرُه (شعرُ أبي تمّامٍ) الذي وَصَفَ فيه القَلَمَ[٦] لم يَتَقَدَّمْهُ (فيه) عليه مُتَقدِّمٌ ولا لَحِقَهُ فيه مُتأخّرٌ». واختلفَ المُجتمعون في ذلك. ثمّ اتّفق أنْ حَضَرَ أبو عبدِ اللهِ الغابي[٧] فَسُئِلَ رأيَه في ذلك (من غَيْرِ أن يَعْرِفَ آراءَ المختلفين) فقال: إنّ أهلَ بغدادَ لا يُفضِّلون على شعرِ أبي تمّامٍ في القلمِ شيئاً لِغَرابة مَعناه.

ولكن بينما كانَ الشُعراءُ والنُقّاد يذهبون في تذوُّقِ الشِعرِ مذهَبَ القدماء، من

---

(١) الملموح أنّه ابن عبد ربّه صاحب العقد (ت ٣٢٨).
(٢) عنّ: بان، ظهر، بدا. مرّ بسرعة. ابتزّ: سلب. ولّى: انطلق، ذهب.
(٣) بختمه: بعسله (؟)، راجع القاموس ٤: ١٠٢. آنفاً: سابقاً، من قبل.
(٤) الزبيدي ٣٠٦- ٣٠٧. وبويع لعبد الرحمن الناصر بالخلافة سنة ٣١٦. حبيب هو أبو تمّام.
(٥) في صدر الكتاب. يبدو أن المراد كان جمع عدد من مختارات شعر أبي تمّام.
(٦) قطعة مطلعها:

لكَ القلم الأعلى الذي بشَباتـــــه تُصـــاب من الأمر الكُـــلى والمفاصـــل.

(٧) كذا في الزبيدي ٣٠٧. في انباه الرواة (٣: ٧٠): أبو عبيد الله الغسّاني.

جَزالةِ اللّفظ ومَتانة الأُسلوب وصِحّة المعنى وشَرَفه، كانتْ طَبَقةٌ من العامّة قد أصْبَحَ أفرادُها لا يفقَهونَ تلك القوانينَ الأدبيةَ. ذَكَرَ الزُبيديُّ (ص ٣٣٧، راجع ص ٣٣٥) أنّ أبا عبدِ اللهِ محمّدَ بنَ يحيى الرياحيّ الأزْديَّ[١] كان يُعاني[٢] الشِعرَ فلا يَتّفق له منه شيءٌ مقبولٌ. ثمّ حَسُنَ شِعرُه وسَلِسَ طبعُه[٣]. وكان الرياحيُّ صديقاً للزُبيدي ولعبد الله ابنِ حمّودِ الزُبيديّ الأندلسيّ فكَتَبَ إليْهِما بقصيدتين مَطْلعاهُما:

خَليلَيَّ من فَرْعَيْ زَبيدٍ ومَذْحِجِ ... قِفا واسْمَعا. قد يُسعِدُ الشَجِيُ الشَجِي[٤].

ألم تَعْلَما أنّي أرِقْتُ، وشاقني ... خَيالٌ سَرى وَهْناً ولَمّا يُعَرِّجِ[٥]؟

★ ★يا خَليلَيَّ، عَرِّجا بِمُحِبٍّ ... هِيضَ سُقْماً فما يَريمُ الفِراشا[٦].

ولمّا تُوُفِّيَ أحمدُ بنُ موسى بنِ حُديرٍ رَثاهُ الرِياحيُّ بقصيدةٍ بَناها على مذاهبِ العرب وخرج فيها عن مذاهب المُحْدَثين فلم يَرْضَها العامّةُ.

ثمّ يحسُنُ أن نُشيرَ إلى أربعةٍ ممّن عُنُوا بالنَقْدِ وهُمْ ابنُ عبدِ ربّهِ (ت ٣٢٨) والطَبيخي (ت ٣٥٢) وعبدُ الكريمِ النهشلي (ت ٤٠٥) وابنُ شُهيدٍ (ت ٤٢٦)، ولهم كُلُّهُمْ في هذا الجزءِ تراجمُ مستقلّةٌ.

وفي النقد (أو تذوّقِ الأدبِ والحُكمِ على قائليه) نِزاعٌ قَديمٌ ما يزال جديداً هو «المَيْلُ إلى القَديمِ أو إلى الحديث»: آلأدبُ القديمُ أفضلُ وأبرعُ وأحقُّ بالحِفْظِ والرِواية

---

(١) راجع ترجمته (ت ٣٥٨).

(٢) كان يعاني الشعر: يحاول نظم الشعر.

(٣) سلس طبعه: لان طبعه للشعر (وانقاد الشعر له).

(٤) زبيد ومذحج من قبائل اليمن. أسعد: أعان (على حمل الهمّ). الشجي. الحزين. الشجي (بفتح فكسر)- شج (بكسرتين لأنّه منقوص)، ووردت ياء «الشجي» في الشعر مشدّدة (القاموس ٤: ٣٤٧). والشاعر هنا حذف الشدّ وأعرب الياء.

(٥) أرق فلان: ذهب نومه. شاقه: حرّك شوقه إلى المحبوب. خيال: طيف (ما يرى في المنام). سرى: سار ليلاً. وهناً: في منتصف الليل. عرّج: مال إلى مكان (زار).

(٦) هيض (مجهول من هاض): كسر عظمه (يقصد: لان عظمه- بمرض يخفّ به الكلس في العظام فيعجز المريض حينئذ عن النهوض أو الاستواء). رام: بارح، ترك.

أمِ الأدبُ الحديث؟ ذلك النزاعُ الذي عَرَفَهُ المَشْرِقُ قد عَرَفَه فيما بعدُ المَغربُ أيضاً. وحينما نرى كلمة «العَربِ» في النصوصِ المَغْربية عامّةً لا يكون العربُ هنا في مُقابلِ العَجَمِ (في المَدْرَكِ القوميّ)، بل يكونُ العربُ بمعنى «البَدْوِ» (في مُقابلِ أهلِ الحَضَرِ أو أهل المُدُن). أمّا المُحْدَثونَ فهمُ الناشِئون في كلِّ جيلٍ (لأن كلَّ جيلٍ بالإضافةِ إلى الجيلِ الذي سَبَقَهُ مُحْدَثٌ، وبالإضافةِ إلى الذي جاءَ بعدَهُ قديمٌ). ولكنْ يبدو أنّ المَغْرِبَ لم يَعْرِفْ ذلك النزاعَ الحادَّ في النَقْد ولا ذلك الانتصارَ المُتَطَرِّفَ لشاعرٍ دونَ شاعرٍ على ما عَرَفْنا في المَشْرِقِ من أمرِ المُخْتلفين في الفَرَزْدَقِ وجريرٍ أو في أبي تمّامٍ والبُحتريّ أو في المُتنبيّ ما له وما عليه. ولقدِ اصْطَحَبَ المَذْهبانِ (طريقةُ العَرَبِ وطريقةُ المُحْدَثين) في المَغْرِبِ فكنتَ ترى ذَيْنِكَ المَذهبَيْنِ في نظمِ الشاعرِ جَنْباً إلى جنبٍ في ديوانهِ (وقد رأيْنا مثلَ ذلك أيضاً في المَشْرق عندَ أبي نُواسٍ مَثَلاً).

وابنُ عبدِ ربّهِ صاحبُ «العِقدِ» (ت ٣٢٨) أولُ مَنْ تحسُنُ الإشارةُ إليه في حركة النَقْدِ في الأندلس. ولكّن فضلَ ابنِ عبدِ ربّهِ لم يكنْ في الإتيانِ بجديدٍ في هذا الموضوعِ، بل في نَقْلِ المَداركِ الأساسيّةِ في النَقْدِ من المشرقِ إلى المغربِ. فأوّلُ ما يذهَبُ إليه ابنُ عبدِ ربّهِ أنّ الشِعرَ الجَيّدَ لا يَضُرُّهُ تأخُّرُ صاحبهِ في الزَمَنِ، كما أن الشِعْرَ الرَديءَ لا يَنْفَعُهُ أن يكونَ صاحِبُه معدوداً في القُدماء. والإجادةُ في النِتاج الأدبيّ والحِذْقُ في النقد يَقْتَضيانِ طبيعةً (استعداداً) وصِناعةً (تَثَقُّفاً بفنون الأدبِ وبالعلوم المختلفة) ومُدارسَةً (اختباراً). والاختبارُ أرجحُ في المَيْدانَيْنِ من الصِناعة (التعلّم). وهنالك المُفاضلة بينَ اللَفْظِ والمعنى والحُكْمُ بأن المعنى الجَيّدَ مُحتاجٌ في بُروزِهِ إلى لفظٍ جَيّدٍ. هذه المداركُ الأساسية في النقد (مَعْرفةُ النِتاج الجَيّد في الأدبِ) معروفةٌ عند ابنِ سَلّامٍ الجُمَحيّ (ت ٢٣١) وابنِ قُتَيْبةَ الدِينَوَريّ.

ويُمْكِنُ أن نُدْخِلَ وليدَ بنَ عيسى الطَبيخيَّ (ت ٣٥٢) في النُقّاد. لقد كان في أثناءِ شَرْحهِ للأشعارِ يُرَجِّحُ بينَ المعاني المرويّة أو الممكنة، كما كان يَعْرِضُ أحياناً لأوجهِ البلاغة، على ما نرى في تَرْجَمتهِ (راجع، تحت، ص ٢٥٤).

أمّا عبدُ الكريم النهشليُّ (ت ٤٠٥) فهو ناقدٌ على الحقيقة رَجّحَ سَبْقَ النَثْرِ على

الشعرِ فأصابَ في الترجيح وأخطأ في تعليلِ ذلك. وجعل الشعر أربعةَ أنواع: المديحَ والهجاء والحكمةَ واللهو. وعَرَضَ لمكانةِ اللفظ والمعنى في جَوْدة الشعر، ووصل بين جودةِ الشعر والأخلاق. وأفضلُ الشعرِ عنده ما بَقِيَ محفوظاً على وجه الدهرِ. ثمّ هو يرى أن النظرَ إلى الشعر يختلفُ باختلافِ الزمانِ والمكانِ (من حيث الأغراض) على «ألاّ يخرُجَ عن حُسنِ الاستواء وحَدّ الاعتدالِ وجَوْدة الصَنْعة».

وأمّا ابنُ شُهيد (ت ٤٢٦) فقد أبْدى رأياً فلسفيّاً في النقد قائماً على الحِسّ الشخصي عند النظر إلى القطعة المعروضةِ للعين، ولم يُحاولْ أن يَضعَ بينَ يدَي القارىء آلاتٍ عمليّةً لتَطْبيق الأشعار (لجَعْلِ بعضِها فوق بعض في درجات الجودة)، كما فعَلَ عبدُ الكريم النهشليّ.

وأوّلُ مَطالع ابن شُهيدٍ في فلسفةِ النقد أنّه يُريد، وهو الأديبُ البارعُ نظماً ونثراً، أن يجعلَ علمَ اللغةِ في مَعْزِلٍ عن مَيْدانِ النقد، لأنّ إصابة الناقد إنّما تكون في طبيعته (استعداده الذاتي) أكثر ممّا تكونُ في الأدواتِ الخارجية (المعارفِ اللغوية والتاريخية وسواها). وهو يرى الاعتدالَ في التجنيس والقصد (الاعتدال) بين طريقة العرب (أسلوب القدماء) وطريقة المحدثين (اتّجاه أبناء كلّ جيل جديد).

وإذا كانَ ابنُ شُهيد لم يأتِ في بابِ النقد بأشياءَ جديدةٍ - أو نَستطيعُ الجزمَ بأنّها جديدةٌ - فإنّه عبّر عنها تعبيراً جديداً، إذ أدخل العُنصُر الذاتي (الشخصي) في عمل الناقد. ثم هو يوافق عبدَ الكريم النَهشليَّ في أن الشعرَ الجيّدَ يتّصفُ بصِفةِ الدوام ويبقى مَرْويّاً على وَجْهِ الأيام.

الأدب في صقلية

ومن الأمراء الكلبيّين حكّام صِقِلّيةَ نفرٌ من الشعراء المُجيدين، ولكنّ من الذين ظلّ شِعْرُهم تقليداً واضحاً للمشارقة في كلّ شيءٍ حتّى لَيَصْعُبُ جدًّا أن ترى فيه لمحةً من صقلّية. من هؤلاء مثلاً الأميرُ أبو القاسمِ عبدُ الله بنُ سليمانَ يخلف[1] فقد تصرّفَ

(١) راجع «المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطالية تأليف أحمد توفيق المدني (نشرته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر) - تاريخ المقدّمة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥ م) - ص ٢١٣ - ٢١٤.

في وجوهِ الأغراضِ وأجادَ الوصفَ والتشبيهَ، إلى جانبِ عددٍ من الكُتبِ له في الردّ على العُلماءِ (الفقهاء ؟) وفي تَطْبيقِ الشُعراءِ (جعْلهم طبقاتٍ على أزمانِهم أو فنونِهم أو مَكانتِهم) . قال الأميرُ أبو القاسم في الخمر والغزل ووصف الطبيعة:

أُسابِـقُ صُبْحي بصُبْـحِ الدِنـانِ وأصْرِفُ لَيْـلي بصِرْفِ العُقـارِ [١] .
ألا رُبَّ يومٍ لنـــا بالـــبروجِ بَخيـلُ الضيـاءِ جوادُ القِطارِ [٢] .
كـــأنّ الشقيـــقَ بهـــا وَجنـــةٌ بآخرهـــا لَمْعَـــةٌ من عِـذارٍ [٣]؛
كأنّ البنفسجَ في لونه آختلا طُ الظـــلام بضوءِ النهـــار .
وأُتْرُجُّهـــا كحقـــاق النُّضـــار تُصَفَّفُ أو كَثُدِيٍّ الجَواري [٤] .
أقَمْنـــا نُسابِقُ صَرْفَ الزمـان بداراً إلى عَيْشِنا المُستعار [٥]
نُجيـبُ بصوت القنـاني القيـانَ إذا ما أجابتْ غِناءَ القَمارى .
نَشَمُّ الخُـدودَ شَمـيمَ الريـاض ونَجْني النُهودَ اجتناءَ الثمار .
ونُسْقى عـلى النَوْرِ مِثْـلَ النجو مِ مِثْلَ البُدورِ اعْتَلَتْ للمَدار [٦] .
نَعِمْنـــا بهـــا وكـــأنّ النجومَ دَراهمُ من فِضّـةٍ في نِثـارٍ [٧] .
إذا مـــا لَقِيـــتَ الليـــالي بهـــا فأنـتَ عـلى صَرْفِهـا بالخِيار [٨]!

---

(١) الدن (بالفتح): وعاء كبير للخمر. العقار: الخمر. صرف: خالصة (غير ممزوجة).

(٢) البروج (لعلّه اسم مكان). القطار: المطر (يوم غائم ممطر).

(٣) الشقيق (شقائق النعمان) كناية عن الحمرة. العذار: الشعر النابت في الوجه.

(٤) الأترج: نوع من الليمون (يكون كبيراً وأصفر). الحقاق (بالكسر) جمع حقّ (بالضمّ): وعاء صغير. النضار: الذهب.

(٥) صرف: أحداث (مصائب). بدارا: استباقاً (نحاول نحن أن نلتقي الصباح مثلاً قبل أن يأتي الصباح حتّى لا نضيع من عمرنا دقيقة سدى).

(٦) النور (بالفتح): الزهر. مثل النجوم: الحبب (بفتح ففتح) وهي نفّاخات صغيرة تطوف على وجه الخمر في الكأس. وربّما بدأ البيت:ونسقى(بالبناء للمجهول)..... فيكون المعنى: ويسقينا في جنينة مملوءة بالأزهار ندمان مثل البدور (بجمالهم) حينما اعتلت في المدار (في مدارها: ارتفعت الى كبد السماء) مثل النجوم (خمراً يطفو الحبب على سطحها). حينئذ تصبح « مثل البدور » فاعلاً.

(٧) النجوم (نجوم السماء أو نجوم الكاس: الحبب؟) في نثار: قطع صغيرة (من ذهب) كناية عن الخمر.

(٨) إذا دهمتك مصائب الدهر فإذا شئت فاشرب الخمر (لكي تنسى تلك المصائب).

وكانَ في النِصْفِ الأوّلِ من القَرْنِ الخامِس للهِجْرة (النصف الأوّل من القرنِ الحادي عَشَرَ للميلاد) نفرٌ من الشعراء منهم الفقيهُ أبو بكرٍ عتيقُ السَمَنْطاري[١]، نِسبَة إلى سامانترية إحدى قُرى صِقلّيةَ، وكان يَنْظِمُ شِعراً من شِعرِ العُلماء العاديّ كقوله:

فِتَنٌ أقْبَلَــــــتْ وقومٌ غفُولُ وزمــانٌ عــلى الأنــام يَصول.

– ويبدو أنّ من هؤلاء أيضاً أبو عبدِ الله بنُ الطوبيّ ، وقد كان كاتبَ ٱلإنشاء في صقلّيّة. وهُوَ شاعرٌ مُتَقَلِّبُ الرأي في الدنيا يدعو حيناً إلى الزهدِ والتصوّف الحقيقيّ ويمجُنُ أحياناً في الغزَل المذكّرِ خاصّةً. قال في التصوّف والمتصوّفين:

ليس التصوّفُ لُبْسَ الصوفِ ترقعُه، ولا بُكاءَكَ إن غنّى المُغنّونا؛
ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طَرَبٌ ولا تَغاشٍ كأنْ قد صِرْتَ مجنوناً[٢].
بل التصوّفُ أنْ تصفو بلا كَدَرٍ وتَتْبَعَ الحقَّ والقُرآنَ والدينا،
وأن تُرى خائفاً لله ذا نَدَمٍ على ذُنوبِك طولَ الدهرِ محزوناً.

وكذلك قال في الغزل المذكّر:

أنظُرْ إلى حَسَنٍ وحُسْنِ عِذارِه لِترى مَحاسِنَ تَسْحَرُ الأبصارا[٣].
فإذا رأيتَ عِذارَه في خَدّهِ أبصرتَ ذا لَيْلاً وذاك نَهارا!

غيرَ أنّنا نرى في هذه الحقْبة أيضاً مَنْ أدرك سُوءَ الحال في صقلّية فنَفَثَ ذلك في شِعْره. قال أبو محمّدِ القاسمُ بنُ عبدِ الله التميمي:

---

(١) المسلمون في صقلية، تأليف مورينو ٤٣، ٤٤.
(٢) تغاش (غير موجودة في القاموس) والمقصود التظاهر بأن الإنسان قد أغمي عليه (من شدّة الخوف من الله).
(٣) العذار: الشعر النابت في الوجه.

وما كنتُ أشقى الغربِ لو كان لم تكن صِقِلّيَةٌ منه، وإن لامَ لائمُ[1].
مُنينا بذاتِ البَيْن حتّى كأنّنا نرى أن مَنْ يَبْغي سوى البَغْي غاشمُ[2].
يُغيرُ الفتى منا على مالِ نفسهِ، ويقتلُهُ غَدْراً أخوه المُلائم.
وكانت بلادُ الرومِ طوعَ سُيوفِنا إذا رامَها منّا على البُعْدِ رائم[3].
فإن نال مِنّا الناسُ أو قَلّ كُثْرُنا فقد تقتُلُ الحُمّى وتُردي السَمائم[4].
أتَوْنا، ولكن بالدروعِ، أساوِداً؛ ولكن أتَيْنا والسيوفُ عزائم[5].
وطِيبُ حياةِ المَرءِ في عِزِّ مَوْتِهِ. وما الموتُ إلاّ أنْ تموتَ الكَرائمُ.

ابن عبد ربّه

١ - هو شِهابُ الدين أبو عُمَرَ أحمدُ بنُ عبدِ ربّهِ بنِ حبيبِ بنِ حُدَيْرِ بنِ سالمٍ القرطبيُّ، وكان سالمٌ القُرطبيّ مولَى هشامِ بنِ عبدِ الرحمنِ الداخل.

وُلِدَ أحمد بن عبد ربّه في عاشرِ رَمَضانَ ٢٤٦ (٢٩/ ١١/ ٨٦٠ م) في قُرطبةَ ونشأ فيها. وتلقّى العلم على نَفَرٍ منهم بَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ (ت ٢٧٦ هـ) ومحمّدُ بنُ وضّاحٍ (ت ٢٨٦) ومحمّد بن عبد السلام الخشني (ت ٢٨٦).

وكان أحمدُ بنُ عبد ربّه شاعرَ بلاطٍ للأمير المُنْذِرِ (٢٧٣- ٢٧٥ هـ) وللأميرِ عبدِ الله (٢٧٥- ٣٠٠ هـ) ولعبدِ الرحمنِ الناصر بعدَهما. وكذلك كان صديقاً للشاعرِ

(١ و ٢) نحن أشقياء في صقلّية لأن صقلّية جزء من الغرب (الأندلس) الشقي. منينا: أصبنا (بالبناء للمجهول) بذات البين (بالبغضاء والعداوة). يبغي: يطلب. البغي: الظلم. غاشم: ظالم. تعوّدنا الظلم: من الناس حتّى إذا رأينا رجلاً لا يظلم سمّيناه ظالماً. أو نظنّه غشيماً جاهلاً (راجع المعجم الوسيط، ص ٦٥٩). وما كنت (؟) للمخاطبة المؤنثة: أشقى الغرب (بغين منقوطة) أو (للمتكلم المفرد: أشقى العرب (بعين مهملة ومضمومة).

(٣) رام: أراد، قصد.- كنّا نحن نتغلّب على بلاد الروم....

(٤) تردي: تهلك. السموم (بالفتح): الريح الحارّة.

(٥) الروم (النصارى) يتغلّبون علينا لأنهم يلبسون دروعاً (عندهم وسائل كثيرة للقتال)، ونحن نقاتل بعزائمنا (بأيدينا) بدل السيوف (ليس عندنا سلاح).

القَلْفاطِ (ت نحو ٣٣٣) ثمّ فَسَدَ ما بَيْنَهما وتَهاجيا.

وفُلِج ابنُ عبد ربّه أعواماً ثم تُوُفِّيَ في قُرطبة في ثامنَ عَشَرَ جُمادى الأولى من سنة ٣٢٨ (٣/ ٣/ ٩٤٠ م).

٢- أبو عُمَرَ أحمدُ بنُ عبدِ ربّه أديبٌ واسعُ الإحاطة بفنونِ العلم والأدب. ثمّ هو شاعرٌ مُكْثِرٌ صحيحُ الأسلوبِ متينُ السَبك سهلُ التركيب يَغْلِبُ على شعرِه مَنْطِقُ العلماءِ، ومَعَ ذلك فنحن نَجِدُ على شعرِه شيئاً من الطلاوة. وليس في شِعره من الصِناعة إلا ما جاء عفواً، مَعَ وجود شيءٍ من التكلّف المعنويّ فيه. وقد ضاعَ شعرُ ابنِ عبدِ ربّه إلاّ ما أورده ابنُ عبدِ ربّه نفسُه في كتابه «العِقد». أما فنونُ شعره فهي المديحُ وفيه شيء من التكلّف والمبالغة، ثم الرثاءُ وهو عندهُ كثيرٌ ومعظمه في أهله رقيقٌ صادقُ العاطفة. وغزلُه كثيرٌ رائقٌ، ولعل أحسنَ شعرِه الغزلُ والرثاءُ. وفي هجائه فُكاهةٌ ودُعابة وشيءٌ من الإقذاع أحياناً. وله أيضاً وصفٌ للطبيعة لا يبلُغُ فيه مبلغَ شعراءِ الأندلس. أما زهُده ففيه تكلّفٌ كثيرٌ لأنّه حاول أن يأتيَ بمعارضةٍ في الزهد لكلّ مقطوعةٍ في الغزَلِ كان قد قالَها في شبابِه. إنّ هذا جعل زُهدَه كثيراً ولكن لم يرفَعْهُ إلى مستوًى عالٍ. ولابنِ عبد ربّه أرجوزةٌ من بابِ الملاحم أبياتُها أربعُمائةٍ وخمسةٌ وأربعون قالها في غزَواتِ عبدِ الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠ هـ) وتناول فيها بطبيعةِ الحال الغزَواتِ الأولى. وشعرُ ابن عبدِ ربّهِ قصيدٌ ورَجَز.

كان ابنُ عبدِ ربّهِ مُغْرَماً بشعرِهِ يُورده في كتابه «العِقد» عند كلِّ مُناسبةٍ. ومَعَ ذلك فلم يُورِدْ لنفسه (ولا لغَيْره) شيئاً من المُوَشحّات. ولقد خُدِعَ نفرٌ من النقّاد ومؤرّخي الأدب بجملةِ ابنِ خَلْدونِ (المقدمة، ١١٣٨) تَنْسِبُ موشّحاتٍ إلى «أبي عُمَرَ أحمدَ بن عبدِ ربّه». ومَعَ أن ابنَ خَلْدونِ نفسَه يذكُرُ أن ابنَ عبدِ ربّه هذا هو صاحبُ «العِقد» (كتاب العقد الفريد)، فالحقيقةُ أن صاحبَ الموشّحات هو ابن أخي ابن عبدِ ربّه هذا (وكنيته واسمُه ككنية عمّه واسمِه أيضاً: أبو عمرَ أحمدُ بنُ عبدِ ربّه). وعلى كلّ فإنّه لم يَصِلْ إلينا من موشّحات صاحب العقد (إذا كان صاحبُ العِقد قد نظم موشّحاتٍ) ولا من موشّحات ابن أخيه شيءٌ.

غيرَ أن شهرةَ أبي عُمَرَ أحمدِ بن عبدِ ربّه هي في النثر- وفي كتابه « العقد » خاصّة[1]. جَمَعَ ابنُ عبدِ ربّه في كتابِهِ العقد أخباراً وأقوالاً واختياراتِ من النثر والشعر يتعلّق القسمُ الأوفى والأوفر منها بالمشرق حتّى قال الصاحبُ بن عبّاد (ت ٣٨٥ هـ)، وقد رأى هذا الكتاب، جملته المشهورة: « هذه بضاعتُنا رُدّتْ إلينا؛ ظَنَنْتُ أن هذا الكتابَ يشتملُ على شيءٍ من أخبار بلادِهم، وإنّما هو مشتملٌ على أخبار بلادِنا. لا حاجةَ لنا فيه ».

جعلَ ابنُ عبدِ ربّه كتابَه خمسةً وعشرين باباً وشَبّهه بعِقْدٍ فيه خمسةٌ وعشرون حَجَراً كريماً: واسطةٌ (في وَسَط العِقد، وتكونُ أكبرَ حَبّاتِ العقد) ثمّ أربعةٌ وعشرون حَجَراً كلُّ حَجَرَيْنِ منها مُتماثلانِ من جِنْسٍ واحدٍ يَحْتَلاّنِ مكانَيْنِ متقابلين من طَرَفَي العقد على جانبي الواسطة. فمن أبواب العقد: اللؤلؤة في السلطان، الفريدة في الحروب، الزبرجدة في الأجواد، الجُمانة في الوفود،....

وقد جمع ابن عبدِ ربّهِ مادّةَ كتابه من مَصادِرَ مختلفةٍ: من الكتبِ السماوية، ومن دواوينِ الشعراء، ومن كُتُب ابنِ المقفّع والجاحظِ والمبرِّد ثم ألحّ بصورةٍ خاصة على كتاب « عيونِ الأخبار » لابن قُتَيْبَةَ حتّى أن بعضَ أبواب العِقد نَسْخٌ واضحٌ من أبوابٍ مماثلةٍ في كتاب عيون الأخبار.

أمّا قيمةُ كتاب « العِقد » فتَرْجِعُ إلى أنّه في الدرجةِ الأولى كتابُ مُتْعَةٍ يقرأ الإنسانُ فيه أخباراً طريفةً حتى بلغتِ الحالُ بالمؤلّفِ إلى أن روى أشياءَ من باب الخُرافة. ثمّ إن المؤلّفَ جَمَعَ موضوعاتٍ مختلفةً في كتابٍ واحدٍ، ولكن أحسنَ تصنيفَ هذه الموضوعاتِ وترتيبَها وعَرْضَها. وفي الكتاب نماذجُ جميلةٌ من الشِعر والنثر والأقوال. ثمّ إنّ المؤلّف قَصَدَ إلى العِبْرة الحَسَنةِ والتهذيب الخُلُقي (وإن كان قد أتى أحياناً بأشياءَ خارجةٍ على المألوف)- والكتابُ أيضاً « مَرْجِعٌ بمثابةِ مصدرٍ »: أي إنّ ابنَ عبدِ ربّهِ أخَذَ أخباراً وأشعاراً من كُتُب ضاعتْ، فأصْبَحْنا لا نَعْرِفُ هذه الأخبارَ إلا من كتابه.

---

(١) إن العنوان « العقد الفريد » تطوّر متأخّر زاد فيه كلمة « الفريد » أحد المطالعين أو الناشرين.

ومَعَ أن المادة التي في كتابَ «العقد» مُعْظَمُها نُقولٌ لا تدُلُّ بطبيعةِ الحال على أسلوبِ ابن عبدِ ربّه، فإنّنا نستطيعُ أن نَصِلَ في الكتابِ إلى مقاطعَ هي بلا ريبٍ من إنشاءِ ابنِ عبد ربّهِ وتدُلُّ على أن أسلوبَ الرجلِ كان مُوجَزاً واضحاً قريبَ المعاني يرتبطُ بعضُ جُملِه ببعضِها الآخَرِ ارتباطاً منطقيّاً.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن عبد ربّه في الغزَلِ والنسيبِ أشياءَ رقيقةً. وقد كَثُرَ الاستشهادُ بأبياتِه التالية:

يـا لُؤلُؤاً يَسْبِي العقولَ أنيقا، ورشاً بتقطيعِ القلوبِ رَفيقا(١)،
مـا إن رأيتُ- ولا سَمِعْتُ بمثلِهِ- دُرًّا يَعودُ من الحَيـاء عَقيقا(٢).
وإذا نَظَرْتَ إلى محاسنِ وجهِـهِ أبصرتَ وَجْهَك في سنَاه غريقا(٣).
يا من تَقَطّعَ خَصرُه من رِدْفِه، ما بالُ قلبِكَ لا يكونُ رقيقا!

- وله الأبيات الصادقةُ العاطفةِ في رثاء ابنه:

واكَبِـدَا! قـد تقطّعـتْ كَبِـدي! قـد حَرّقَتْها لواعجُ الكَمَـدِ(٤).
مـا مـاتَ حيٌّ لِمَيّتٍ أسَفـاً أعْـذَرُ من والـدٍ عـلى ولـدِ.
يا رحمةَ اللهِ، جَاوري جَدَثاً دَفَنْـتُ فيـه حُشاشتي بيَـدي(٥).

---

(١) لؤلؤ (هنا: كناية عن اللون الأبيض الجميل). أنيق: جميل يعجب العين. الرشأ: الغزال الصغير (الفتاة الشابّة الجميلة). الرفيق: الكثير العناية في العمل.

(٢) الدرّ: اللؤلؤ. العقيق: حجر كريم أحمر. درّ يعود من الحياء عقيقاً: وجهه (الأبيض كالدرّ) يعود (يصبح) من الحياء والخجل عقيقاً (أحمر).

(٣) السناء: النور. أبصرت وجهك في سناه غريقاً: ترى صورة وجهك في وجهه (كأنّ وجهه مرآة).

(٤) اللاعج: (الحبّ أو الحزن) المحرق (الشديد الحرارة والألم). الكمد: الحزن.

(٥) الجدث: القبر. الحشاشة: بقية الحياة (كناية عن ولده).

لا صبرَ لي بعدَه ولا جَلَدٌ، فُجعتُ بالصبر فيه والجلد[1].

- وقال ابن عبد ربّه في مقدّمة كتابِ العِقد:

وقد نَظَرْتُ في بعضِ الكتب الموضوعةِ فوجدتّها غيرَ متفرّقةٍ في فنون الأخبار، ولا جامعةٍ لِجُمَلِ الآثار. فجَعَلْتُ هذا الكتابَ كافياً جامعاً لأكثرِ المعاني التي تجري على أفواهِ العامّةِ والخاصّةِ، وتدورُ على ألْسِنَةِ الملوكِ والسُوقة. وحَلَّيْتُ كلَّ كتابٍ (فصل) منها بشَواهِدَ من الشعر تُجانسُ الأخبارَ في معانيها وتُوافقه (توافق الشعر) في مذاهبها.

- وقال يَصِفُ تَولّي عبدِ الرحمنِ الناصرِ حفيدِ الأميرِ عبدِ الله وخليفته؛ وفي هذه القِطعةِ تأنُّقٌ ظاهرٌ:

ثمّ وَلِيَ المَلِكُ القَمَرُ الأزهرُ الأسد الغَضَنْفَرُ المَيْمون النقيبة المحمودُ الضريبة[2]، سيّدُ الخلفاء وأنجبُ النُجباء عبدُ الرحمن بنُ محمّدٍ أميرُ المؤمنين... فتولّى المُلْكَ وهو جَمرةٌ تحتدمُ ونارٌ تَضْطرِمُ وشِقاقٌ ونفاق[3]. فأخْمَدَ نيرانَها وسكّن زَلازِلَها، وافْتَتَحَها عَوْداً كما (كان قد) افتتحها بدءاً[4] سَميُّهُ عبدُ الرحمن بنُ مُعاويةَ رَحِمَهُ اللهُ. وقد قُلْتُ وقيلَ في غَزَواتــه كلِّها أشعارٌ قد جالتْ في الأمصار وشَرَدَتْ في البُلدان حتّى أتْهمَتْ وأَنْجَدَتْ وأعْرَقَتْ[5].

ولولا أنّ الناسَ مُكْتفون بما في أيديهم منها لأعَدْنا ذِكْرَها أو ذِكْرَ بعضِها. ولكنّا سنذكُرُ ما سَبَقَ إلينا من مناقبِهِ التي لم يَتَقَدَّمْه إليها مَتقدّمٌ ولا أُختَ لها ولا نظيرٌ.....

---

(١) الجلد: القوّة واحتمال المصاعب.

(٢) الأزهر: الأبيض. الغضنفر: الأسد الغليظ الجثّة (القويّ الشديد). الميمون: المبارك. النقيبة: الطبيعة. الضريبة (كالنقيبة). النحيب: الذي له فضل على غيره وشهرة، الذي ينجب أولاداً نابهين، الذكّي.

(٣) جمرة تحتدم (تشتعل) بالفتن والثورات. شقاق: خلاف، نزاع (بين أصحاب الملك أنفسهم).

(٤) افتتحها عوداً: فتحها (ردّها إلى حكم بني أميّة من حكم الإسبان أو الثّوار من المسلمين) كما كان جدّه عبد الرحمن الداخل انتزعها (بدءاً) لبني أميّة من أنصار بني العبّاس.

(٥) اتهمت: نزلت إلى تهامة (شاطىء الحجاز). أنجدت: صعدت إلى نجد (الهضبة الوسطى في شبه جزيرة العرب). أعرقت (وصلت إلى العراق)- عمّت واشتهرت.

ومن مَناقبهِ أنّ الملوكَ لم تَزَلْ تَبْني على أقدارِها ويُقضى عليها بآثارِها[١]. وأنّه بَنى في المُدّةِ القليلةِ ما لم تَبْنِ الخلفاءُ في المُدّة الطويلة.... ومن مناقبه أنه أولُ من سُمِّيَ أميرَ المؤمنين من خُلفاءِ بني أُمَيَّة بالأندلس.

- ولابنِ عبدِ ربّه أبياتٌ رِقاقٌ بارعاتٌ، منها:

صِلْ من هَوِيتَ وإنْ أبْدى مُعاتبة؛ فأطْيَبُ العَيْشِ وَصْلٌ بين إلْفَيْنِ.
واقطَعْ حَبائِلَ خِدْنٍ لا تُلائمه، فقلّما تَسَعُ الدُنيا بغيضين[٢]!

- اشْرَبْ على المَنْظر الأنيق، وٱمْزُجْ بريق الحبيب ريقي؛
وٱحْلُلْ وشاحَ الكعاب رِفقاً خَوْفاً على خَصْرها الرقيق[٣].
وقُلْ لِمَنْ لام في التَصابي: خَلِّ قليلاً عن الطريق!

- أَنتَ دائي، وفي يديك دوائِي، يا شِفائِي من الجَوى وبَلائِي[٤].
إنَّ قلبي يُحِبُّ مَن لا أُسمِّي في عَناءٍ، أَعْظِمْ به من عناء!
كيف لا، كيف أَن أَلَذَّ بعيشٍ ماتَ صبري به ومات عزائي.
أيُّها اللائمون، ماذا عليكم أَن تعيشوا وأَنْ أَموتَ بدائي؟
ليس مَن ماتَ فٱستراح بَميْتٍ، إنّما الميْتُ ميِّتُ الأَحياء!

- ودّعتني بزَفْرةٍ وٱعتناقِ ثم نادَتْ: متى يكونُ التلاقي؟
وتصدَّتْ فأَشْرَقَ الصُبْحُ منها بينَ تلك الجيوبِ والأطواق[٥].
يا سقيمَ الجفونِ من غير سُقْمٍ، بين عَيْنَيْكَ مَصْرَعُ العشّاق.
إنّ يومَ الفراقِ أَفظعُ يومٍ، ليتَني مِتُّ قبلَ يوم الفراق!

---

(١) الملوك في العادة تعمل ما تقدر عليه ثمّ نحكم نحن على أعمالهم بما يكون لهذه الأعمال من نتائج.....
(٢) الخدن: الصديق، الأليف.
(٣) الوشاح: قطعة من النسيج تجعلها المرأة على أعلى جسمها. الكعاب والكاعب: الفتاة أول صباها.
(٤) الجوى: ألم الحبّ.
(٥) الجيب: مدخل الثوب في العنق. الطوق: حلية توضع في العنق.

- من أرجوزة ابن عبدِ ربه:

سُبحـانَ مَنْ لم تَحْوِهِ أقطـارُ ولم تكن تُدركُـه الأبصـار؛
ومَنْ عَنَـتْ لوجهـهِ الوجوهُ، فما لـه نِـدٌّ ولا شَبيـه[١].
لكنّـه يـدرك بالقريحـه والعقـلِ والأبْنِيَـةِ الصحيحه[٢].
معرفـةُ العقـلِ مِنَ الانسانِ أثبـتُ من معرفـة العِيـان.
وبعـد حمدِ اللهِ والتمجيـدِ وبعـدَ شُكرِ المُبدئَ المُعيد[٣]،
أقولُ في أيـامِ خـيرِ النـاسِ ومَن تحلّـى بالنَّدى والباس[٤]،
ومن أبـادَ الكُفرَ والنِّفاقـا وشرّدَ الفِتْنـةَ والشِّقاقـا،
ونحن في حنـادِسٍ كالليْـلِ وفِتنـةٍ مثـلِ غُثـاءِ السَّيْل[٥]،
حـتى تولّـى عابـدُ الرحمنِ ذاك الأغَرُّ من بـني مروان.
قد أشرقتْ بنوره البلادُ وانقطـعَ التشغيـبُ والفساد.
خليفـةُ اللهِ الـذي ٱصطفـاهُ على جميع الخلق وٱجتباه[٦].
أحْيـا الذي قد ماتَ من مكارم من عهـدِ كعبِ وزمانِ حاتَم[٧].
هو الذي جمّع شمْلَ الأمهْ وجـاب عنها دامساتِ الظُّلْمهْ[٨]،

---

(١) عنا يعنو: خضع. الند: المثيل.
(٢) القريحة: المقدرة على إدراك الأمور والحكم عليها. الأبنية الصحيحة: مقدمات المنطق، خطوات التفكير المنظم.
(٣) المبدىء والمعيد: الله (هو بدأ الخلق أول مرة وهو سيعيد الناس إلى الحياة يوم القيامة).
(٤) الندى: الكرم. البأس: القوة.
(٥) الحندس (بضم فسكون فضم): اشتداد الظلام. غثاء السيل: الأقذار الخفيفة التي يجرفها السيل فتطفو على سطحه. المقصود في الأصل بهذه الاستعارة: الضعف والشيء لا قيمة له. والشاعر يقصد (أن الفتن) كثيرة شديدة متلاحقة.
(٦) اصطفاه: اختاره. اجتباه: قرّبه.
(٧) كعب بن مامة وحاتم الطائي من الأجواد (من الكرماء) في الجاهلية.
(٨) الدامس: المظلم. جاب ليست في القاموس بالمعنى الذي أراده الشاعر. هـ يقصد «أزاح».

وجدّدَ المُلكَ الذي قد أخلقا حتى رَسَتْ أوتادُه وٱستوثقا[1].
وٱفتتح الحصونَ حِصناً حصنَا وأوسعَ الناسَ جميعاً أمْنا .
وجمّع العُدّة والعَديدا وكثّف الأجنادوالحشودا[2]
ولم يَزَلْ حتى ٱنتحى جَيّانا فلم يَدَعْ بأرضها شَيْطانا[3].
فأصْبحَ الناسُ جميعاً أُمَّهْ قد عقَدَ الإلَّ لهم والذِّمّهْ[4] .
وانصرفَ الناسُ إلى القُليعهْ فصبّحوا العدُوَّ يومَ الجُمعهْ[5] .
ثم التقى العِلجان في الطريقِ: البَنْبَلونيُّ مَعَ الجِلّيقي[6] .
فأعْقَدَا على ٱنتهابِ العسكرِ وأن يموتا قبلَ ذاكَ المحضر.
وأقبلوا بأعظم الطُّغيان قد جلّلوا الجبال بالفُرسان[7] ؛
فأُشرعتْ بينَهُمُ الرِّماحُ وقد علا التكبير والصياح[8] .
وٱلْتقتِ الرِّجالُ بالرجال وٱنغمسوا في غَمرةِ القتال،
في موقفٍ زاغتْ به الأبصارُ وقَصُرتْ في طولهِ الأعمارُ.
حتى بَدَتْ هزيمةُ البُشكَنْس كأنه مُخْتَضبٌ بالوَرس[9] .

---

(١) أخلق: تهرأ، ضعف. رست: ثبتت. استوثق الأمر (والكلمة في القاموس لا تأتي بهذا المعنى): أصبح موثوقاً به مضموناً وفي أمان.

(٢) العدة: الآلات والسلاح. العديد: العدد الكثير (من الجند). الحشد (بالفتح): الناس المجموعون لأمر ما.

(٣) انتحى: قصد. جيان: مدينة في جنوبي الأندلس... شيطان: (ثائر).

(٤) الإلّ والذمة: العهد.

(٥) القليعة... صبح الرجل القوم: جاءهم في الصباح.

(٦) بنبلونة: بلدة في أقصى الشمال. البنبلوني (أمير اسباني مسيحي؟) والجلّيقي (ابن مروان الجليقي): ثائر مسلم مرتدّ.

(٧) جلّلوا: غطّوا (بفتح الطاء). جللوا الجبال بالفرسان (لكثرة عددهم).

(٨) التكبير (قول: الله أكبر) من المسلمين. والصياح من الإسبان.

(٩) البشكنس : أمير البشكنس أو الجلالقة (سكان الشمال الغربي من إسبانية) أو قائدهم. الورس: صباغ أصفر مائل إلى الحمرة (من الخوف أو الغضب).

لمّا أتَتْهُ ميتَةَ الخِنزير | وأنــه صــار إلى السعــير[1]،
كاتَبَهُ أولادُه بالطاعهْ | وبالدُّخول مدخَــلَ الجماعــهْ[2]؛
وأن يُقِرَّهُمُ عــلى الولايــهْ: | عــلى دُرورِ الخَرْج والجبايــهْ[3]
فاختـار ذا ذاك الإمامُ المُفضِلُ، | ولم يَزَلْ من رأيــهِ التَّفضُّــلُ.
ثم لَوَى الشيطــانُ رأسَ جعفرِ | وصـار منـه نافخاً في المُنْخُر[4]
فنقَــضَ العُهودَ والميثاقــا | واستعملَ التشغيبَ والنفاقا
فاعتاقــه[5] الخليفــة المُؤيَّــدُ | وهو الــذي يُشقـى بـه ويُسعَد.
فجنّــد الجنودَ والكتائبــا | وقوّد القُوّادَ والمقانبا[6].
ثم آنتحــى من فَوْرِهِ بُبَشْتَرَا | فلم يَدَعْ فيها قضيباً أَخضرا .
حــتى إذا حَــلّ عــلى تُطيلــهْ | بكتْ على دمائها المطلولهْ[7].
وهَمَّ أن يُديــخَ دارَ الحرْب | وأن تكونَ ردْأه في الدَّرْبِ[8].
ثمّ آستشارَ ذا النُّهــى والحِجْر | مِن صَحْبـه ومن رجـال الثَّغر[9] .

---

(١) الخنزير هنا: عمر بن حفصون كان يتظاهر بالإسلام ولم يكن مسلماً (كما ظهر فيا بعد حينا نبش قبره). وقد شغل عمر بن حفصون بثورته الأمراء الأندلسيين مدة طويلة، وكان يتلقى المساعدات من الإسبان ومن الأوروبيين خارج إسبانية.

(٢) بعد موت عمر بن حفصون استمر أولاده في الثورة على أمراء قرطبة. ولكنهم كانوا أحياناً- إذا ضعفوا- تظاهروا بطلب الصلح والعفو.

(٣) درور الخرج: تقديم ضرائب وافية عن أراضيهم.

(٤) ثم... عاد (جعفر بن عمر بن حفصون) إلى الثورة.

(٥) اعتاقه: عاقه، منعه وصده (عن إنزال ضرر بالناس). المؤيد: المُعان (بضم الميم)، الذي يعينه الله.

(٦) قوّد...: عين قوّاداً. المقنب (بكسر الميم وفتح النون): جماعة من الفرسان دون المائة.

(٧) تطيلة بلدة إلى **الشمال الشرقي من سرقسطة**. المطلول: الذي يذهب دمه هدراً، لا ينصره أحد ولا يأخذ بثأره أحد. بكت. لعلّها: بكّت (بتشديد الكاف: جعلت الناس يبكون عليها). وهذا أصحّ في الوزن وفي المعنى.

(٨) أداخ: أخضع وأذل. دار الحرب: بلاد العدو ردأه: عون (؟) له، محطة. الدرب: الطريق في الجبل (أخضع تطيلة حتى لا تكون خطراً وراءه إذا هو قطع الجبال التي وراءها لمحاربة الإسبان).

(٩) النهى والحجر: العقل. الثغر: المكان المخوف، القريب من بلاد العدو (شمالي الأندلس).

فكلُّهم أشار ألاّ يُدْربـــا ولا يجوزَ الجبَلَ المُوَشّبا[1]؛
وشنعوا أنّ وراءَ الفَـــجّ خمسينَ ألفاً من رجال العِلجِ[2].
فقـال: لا بُـدّ من الدخول؛ وما إلى «حاشاه» من سبيلِ[3].
فاستنصرَ اللهَ وعبّـى ودخَـلْ، فكانَ فتحاً لم يكنْ له مَثَلْ[4].
وعاذ بالرَّغبةِ والدُّعاءِ واستنزل الصبرَ من السماء[5]؛
فقدّم القُوّاد بالحُشودِ وأتبـع المُدودَ بالمـدود[6].
فانهزمَ العِلْـجُ، وكانـتْ ملحمـهْ جاوزَ فيها الساقةُ المقدّمه[7].
لم يَغْزُ فيهـا وانتحـى بُبَشْترا فرمّها بما رأى ودبّرا[8].
واحتلهـا بالعِزّ والتمكـين ومَحْو آثار بني حَفْصونِ[9]؛
وعاضَها الإصـلاحَ من فسادِهِمْ وطهَّرَ القُبورَ من أَجسادهم.
حـتى خـلا ملحودُ كـلِّ قـبر من كُلّ مُرتدٍّ عظيم الكُفر.
عِصابـةٌ من شِيعـةِ الشيطـان عدُوَّةٌ للهِ والسُّلطان

٤- كتاب العقد (المطبوع باسم «العقد الفريد»)، بولاق (المطبعة الأميرية) ١٢٩٣ هـ، القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٢ هـ، (مطبعة إبراهيم عبد الرازق) ١٣٠٢ هـ (؟)؛ (المطبعة الشرقية) ١٣٠٢ هـ؛ (مطبعة شرف) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ، ١٣١٦

(١) أدرب: جاوز (أو دخل) الدرب (الممر في الجبل) ليغزو وراءه: المؤشّب (الكثير الرجال والسلاح).
(٢) شنّع: (هوّل بنشر أخبار غير صحيحة أو للتخويف). الفجّ: الطريق الواسع (والمملوح هنا): الطريق في الجبل. العلج: الرجل الغليظ (والكافر الذي لا يعرف اللغة العربية)، ملك الإسبان.
(٣) وما إلى «حاشاه»: إلى استثنائه، إلى تركه.
(٤) عبأ الجيش: جمعه ورتبه.
(٥) عاذ: لجأ.
(٦) المدود: (يقصد جمع مدد- بفتح ففتح- ألف رجل ينضمون إلى جيش).
(٧) الساقة: جماعة ملحقة بالجيش (وتكون الساقة لإعداد الطعام ونقل السلاح وإصلاحه). والمقدمة: القسم الأول المتقدم في الجيش. جاوز فيها...: هرب الجيش كله (؟).
(٨) فيها: في سنة ٣١٦ هـ. انتحى: قصد ببشتر: حصن كان فيه عمر بن حفصون. رمّ القلعة: أصلح ما خرب فيها وزاد في قوتها.
(٩) بنو عمر بن حفصون الذين استمروا في الثورة بعد موته.

هـ؛ (المطبعة الأزهرية) ١٣٢١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الجمالية) ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م)؛ القاهرة ١٩٢٨ م (١٣٤٦- ١٣٤٧ هـ)؛ (مصطفى محمّد) ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م)؛ (تحرير أحمد أمين- أحمد الزين- إبراهيم الأبياري) القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) وما بعد؛ (تحقيق محمّد سعيد العريان) القاهرة ١٩٤٩ م (١٣٦٨ هـ)، الطبعة الثانية (١٩٥٣ م. ١٣٩٣ هـ (١٩٧٢ م)؛ (تحرير عبد الستّار فرّاج) القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، الطبعة الثانية ١٣٦٧ هـ= ١٩٤٨ م.

** ديوان ابن عبد ربّه الأندلسي - مع دراسة لحياته وشعره (نشره محمد ألتونجي)، دمشق (منشورات مؤسسة ومكتبة الخافقين) ١٣٩٧ هـ= ١٩٧٧

- فهارس تحليلية لكتاب العقد الفريد، القاهرة ١٣٢١ هـ؛(استخراج محمّد شافع) كلكتّا ١٩٣٥- ١٩٣٧ م.

- ديوان ابن عبد ربّه (جمعه وحقّقه وشرحه محمّد رضوان الداية)، بيروت (منشورات الرسالة) ١٩٧٩.

- ابن عبد ربّه وعقده، تأليف جبرائيل جبّور، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٣ م؛ (دار الآفاق) ١٩٧٩ م.

- دراسة العقد الفريد، مقال لشفيق جبري (مجلّة مجمع اللغة العربية ٢٧: ١٧ و١٦٥)؛ ابن الفرضي ١: ٤٩- ٥٠؛ جذوة المقتبس ٩٤- ٩٦؛ بغية الملتمس ١٣٧- ١٤٠ (رقم ٣٢٧)؛ المقتبس ٢٤١- ٢٤٣؛ المطمح ٥١- ٥٣؛ المطرب ١٥١- ١٥٦؛ معجم الأدباء ٤: ٢١١- ٢٢٤؛ وفيات الأعيان ١: ١١٠- ١١٢؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٠- ١٤؛ البيان المغرب ٢: ٢٢٥؛ نفح الطيب ٧: ٤٩- ٥٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٦- ٦٧٧؛ بروكلمان ١: ١٦١، الملحق ١: ٢٥٠- ٢٥١؛ نيكل ٣٥- ٤٣؛ مختارات نيكل ١٧- ١٨؛ الأعلام للزركلي ١: ١٩٧- ١٩٨ (٢٠٧)؛ داية ٢٧٩- ٢٩٢.

القلفاط

١- هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ يحيى القُرطبيُّ المعروفُ بالقَلْفاط، لا نَعْرِفُ من حياتهِ الأولى إلاّ أنه كان أحدَ المعلّمين. ويبدو أنّه كان قديمَ العهدِ بصِناعة التعليم حتّى أصبحتْ له جُرأةٌ على العَبْثِ بزُملائه المؤدّبين. وكان القلفاط يدرّسُ النَّحْوَ.

أما أحداثُ حياتهِ البارزةُ فتكاد تتجمّع في أيّام الأميرِ عبدِ الله بنِ محمّدٍ (٢٧٥- ٣٠٠ هـ) وأيّام عبدِ الرحمن الناصرِ (٣٠٠- ٣٥٠ هـ). قال الحُميدي (جذوة ٩٢): «وأظنّه كان في أيامِ الحكَم المستنصر» (٣٥٠- ٣٦٦ هـ).

غير أنّنا إذا حَسَبْنا أنّه مَدَحَ إبراهيمَ بنَ حَجّاجٍ الثائرَ في إشبيليةَ (ت فجأة ٢٨٨) ثمّ هجاه، كما هجا الأمير عبدَ الله بن محمّدٍ (ت ٣٠٠)، وإذا علمنا أنّه كان صديقاً لابنِ عبدِ ربّه (ت ٣٢٨) ثمّ فَسَدَ ما بينَهما فهجاه، وأنّه كان صديقاً لأبي عبد الله محمّدِ ابن إسماعيلَ الحكيم (ت ٣٣١) لا نستبعدُ أن يكون القَلفاطُ قد عاش رَدْحاً في القرن الهجريّ الرابعِ . ثمّ إنّ عبدَ الرحمنِ الناصرِ قد عَهِدَ إليه وإلى نفرٍ آخرينَ بنَسْخِ شِعر أبي تمّامٍ وترتيبه، ولا يمكن أن يكونَ عبدُ الرحمن الناصرُ قد تَفَرَّغَ لذلك قبل أنْ هدأتْ أحوالُ الأندلس وتسمّى هو بالخلافة (٣١٦ هـ). فلعلّ هذا كلّه يَميلُ بنا إلى الاعتقاد بأن القَلْفاط ظلّ على قيدِ الحياة إلى نحو ٣٢٥ أو ما بعدَها أيضاً.

٢- « القَلفاطُ » لقبُ محمّدِ بنِ يحيى الأديبِ (تاج العروس ٥ : ٢١٢) من نُحاةِ قُرطبةَ المشهورين ومن اللُّغويّين المُقتدرين. ثمّ إنّه كان أديباً مُقتدِراً في الشعر مُجَوِّداً مطبوعاً يُقَصِّدُ (يَنْظِمُ القصيدة) فيُحْسِنُ ويُطيل. لكنْ لم يَصِل إلينا من شعرِه إلاّ قليلٌ. وكانتْ فنونُ شعرِه المديحَ والهجاءَ والغزلَ الرقيق السهل ووصفَ الطبيعة. لكنّ تَوَثُّبَه على الناسِ (بالهجاء) جعله قليلَ الحَظْوَةِ عندهم. وشُهرتُه بالهِجاء خاصّةً.

٣- مختارات من شعره

- قال محمّد بن يحيى القلفاط يَصف الرياضَ:

مُزْنٌ تُغنّيه الصَّبا، فإذا هَمى ... لَبّتْ حَياهُ رَوْضةٌ غَنّاءُ[١]:

فالأرض من ذاك الحَيا مَوْشِيّةٌ، ... والروض من تلك السماء سماءُ[٢].

---

(١) المزن: المطر. الصبا: ريح الشرق. تغنّيه الصبا (بصوت الرعد): أي يجعل المطر كثيراً (الرعد مرور شرارة كهربائية في الغيم تحيل في العادة بخار الماء الذي هو في الغيم ماء). والملاحظ أن المطر يغزر بعد الرعد مباشرة. همى: سقط بكثرة. الحيا: المطر. الروضة الغنّاء: الكثيرة الأزهار (أو الكثيرة الأطيار التي تألف الرياض حينا يكون ماؤها كثيراً وأزهارها كثيرة). لبّت (استجابت). حياه (ماء مطره) روضة غنّاء (أنبتت نباتاً ناضراً كثيراً ذا أزهار مختلفة).

(٢) موشيّة: فيها وشي (زركشة وزخرف من كثرة أنواع النبات والأزهار). السماء الأولى: المطر. السماء الثانية (استعارة): مثل السماء (يشبّه الأزهار التي في تلك الروضة بالنجوم التي تظهر في السماء (النجوم- جمع نجم: من النبات ما لا ساق له، والأجرام السماوية).

ما إن وَشَتْ كفٌّ صَناعٌ ما وشى ... ذاك الغِنــاءُ بها وذاك الماءُ[1]
زُهْرٌ لهــا مُقَــلٌ جَواحـظُ تــارةً ... ترنو، وتــاراتٍ لهــا إغضــاءُ[2]

- وقال في النسيب:

يـــــــــا غزالاً عَنّ لي فابْـ ... ـتَزّ قلـــــبي ثمّ ولّــــــى،[3]
أنتَ مِنّي بفؤادي ... - يـــا مُنـــى قَلْبِيَ- أولى.

٤- ★ ★ الزبيدي ٣٠١- ٣٠٥؛ جذوة المقتبس ٩١- ٩٢ (الدار المصرية) ٩٨ (رقم ١٦٥)؛ بغية الملتمس ١٣٤- ١٣٥؛ المغرب ١: ١١١، إنباه الرواة ٣: ٢٣١، راجع ٢٣٣؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٩٢ (راجع ٢٠٠)- في ص ٩٢ (الحاشية ٤) أنّ الصفدي خلط بين محمّد بن يحيى الرباحي (ت ٣٥٨) ومحمّد بن يحيى القلفاط؛ بغية الوعاة ١١٤؛ نفح الطيب ٣: ٢٩٤- ٢٩٥؛ البلغة ٢٤٩، ٢٥٢- ٢٥٥ (ترجمتان موجزة ومبسوطة)؛ نيكل ٣٧.

الحكيم القرطبيّ النحويّ

١- هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ إسماعيلَ المعروفُ بالحكيم القُرطُبيِّ كان مولدُه في قُرطبةَ نحو سنة ٢٥١ (٨٦٥ م).

أخذ الحكيمُ القرطبيُّ عن المُحدِّث محمّدِ بنِ وضّاحٍ (ت ٢٨٦) وعن اللُّغويّ والمحدّث محمّدِ بنِ عبدِ السلامِ الخُشَنيّ (ت ٢٨٦ أيضاً) وأخذ المَنْطِقَ عن المتفلسف محمّدِ بنِ عبدِ الله بن مَسَرَّةَ (٢٦٩- ٣١٩ هـ)، ولكن يبدو أنّه لم يتأثّر بشيءٍ من تَطرُّفِ ابنِ مَسرّةَ وزَنْدَقتهِ. وكذلك أخذ عن محمّدِ بن الغازي (ت ٢٩٦ هـ) ما كان محمّدُ بنُ الغازي قد

---

(١) الصناع: البارع في عمل ما. «إن» زائدة. وشى: زركش، زيّن بالألوان. الغناء: صوت الرعد. الماء = ماء السماء: المطر.

(٢) زهر (بضمّ الزاي): كلّ حيوان أو نبات برّاق اللون. المقلة: جسم العين (يشبّه الأزهار بالعيون). جواحظ جمع جاحظة (بارزة، يقظة). ترنو: تتطلّع (كأنّها تنظر). الأغضاء: تقارب جفني العين أو انطباقها (من النعس). المقصود: بعض الأزهار متفتّحاً كثيراً، وبعضه يكون قليل التفتّح. ولعل الكلمة «إغفاء» لا «اغضاء».

(٣) عنّ: ظهر. ابتزّ: سلب، سرق. روي هذان البيتان (فوق ص ٢٠٤).

جَلَبَهُ مَعَه من المَشْرِق من الشِّعر واللُّغة والنحو ومن الأشعار المشروحة روايةً عنه وسَماعاً عليه.

والحكيمُ القرطبيٌّ كان مُؤَدِّباً للحَكَمِ المستنصر بنِ عبدِ الرحمنِ الناصر. كما كان صديقاً للشاعر القَلفاط (ت ٣٢٥).

وكانت وفاةُ الحكيمِ القرطبيِّ في عاشرِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٣٣١ (٢٦/ ٨/ ٩٤٣ م).

٢- كان الحكيمُ القرطبيٌّ بارعاً في اللغة والنحو والحساب والمنطق يُنْعِمُ النظرَ في كلّ شيء، فإذا بَحَثَ في أمرٍ أثار معانِيَه الدقيقةَ. ولكنّه كان عَيِيّاً في المُخاطبات. ومَعَ أنّه لم يُعْنَ بنظمِ الشعر فقد وصل إلينا منه بضعةُ أبياتٍ فيها نَفَسٌ ولَفَتاتٌ ثم سهولةٌ في التعبير.

٣- مختارات من شعره

- سَهِرَ الشاعر القَلفاط عند الحكيمِ القرطبي ليلةً ثمّ باتَ عنده وطال نومُه حتّى كادتِ الشمسُ تُشرق. فانتبه القَلفاط فقال يُخاطِبه مُتَنَدِّراً به يُسمّيه ديكاً ثمّ يُعاتِبُه لأنّه لم يَصِحْ في الوقتِ المُناسب حتى يَنهضَ القَلفاط لصلاةِ الصُّبح:

يا ديكُ، ما لك لم تَصْرُخْ فتُنْبِهَنا؟ ... لقد أسأتَ بنا، ديكَ الدَّجاجاتِ!
يا آكلاً للقَذى، يا سالحاً عَبَثاً ... على الحصيرِ بَهيمِيَّ البهيماتِ !

فأجابه الحكيم القرطبي:

لقد صَرختُ مِراراً جَمّةً عدداً ... قبلَ الصباح، وبعدَ الصبح، تاراتِ.
لكنْ عَلِمْتُك نوّاماً وذا كَسَلٍ ... قليلَ ذِكْرٍ لجبّارِ السماواتِ

- وللحكيم القرطبيِّ أيضاً يُخاطب مَن ٱسْمُه ٱبنُ تَقيّ (في النسيب):

سَلْ تَقيّاً، باللهِ، يا ٱبنَ تَقيٍّ: ... هل ترى قَتْلَ مُستَهامٍ شَجيّ ؟
كلّما جَنّ لَيْلُه باتَ يَرعى ... أنْجُماً هائماً بطَرْفٍ خفِيّ

يا سَميَّ النَّبيِّ، حَسْبُك ما بي؛ لا تَزِدْني جوًى، بحقّ النبيّ

٤- ★ ★ الزبيدي ٣٠٠، ابن الفرضي ١: ٣٤٩ (رقم ١٢٣٠)؛ معجم الأدباء ١٨: ٣٠؛ الوافي بالوفيات ٢: ٢١٠؛ بغية الوعاة ٢٢، البلغة ٣١٠.

خليل بن إسحاق

١- هو أبو العبّاس خليلُ بنُ إسحاقَ بن وَرْدٍ من أهلِ طرابُلُس (الغرب) ومن أبناء الجُنْد فيها. بَرَع في عددٍ من وُجوهِ العلم وأحاط بعددٍ من فُنون الأدب. وصَحِبَ الصوفيةَ مُدّةً. ويبدو أنّه كان رجلاً صالحاً، فمن أعمالِه أنّه أشْرَفَ على بناء الجامعِ الكبير الذي تمّ بناؤه سَنَةَ ٢٩٩ (٩١٢م) ثمّ زادَ فيه المَنارة (٣٠٠ هـ).

وفي سَنَةِ ٢٩٩ ثار أهلُ طرابُلُس على الفاطميّين، فحاصَرَ عُبيدُ اللهِ المَهْدِيُّ- أولُ خلفاءِ الدولة الفاطمية- مدينةَ طرابُلُس حِصاراً شديداً ثمّ فَتَحَها بعدَ مُقاومةٍ عنيفة، سَنَةَ ٣٠٣، وفَرَضَ عليها غَرامةً باهظةً، قيل: أربعمائَة ألفِ دينارٍ! في هذه الأثناءِ كان خليلُ بنُ إسحاقَ قد مالَ إلى الدعوة الفاطمية وٱعْتَنَقَها فولاّه عبيدُ اللهِ المَهْدِيُّ جَمْعَ تلك الغرامةِ، فٱشتطّ في جَمْعِها وعَذّبَ الناسَ في تحصيلها. وتقلّب خليلُ ٱبنُ إسحاقَ في عددٍ من مناصب الدولة: تولّى جَمْعَ الضرائب كما تولّى قيادَةَ فريق الخَيّالةِ.

غير أنّ عبيدَ الله المَهْدِيَّ عادَ فغَضِبَ عليه وأهمله. فلمّا جاء القائمُ بأمرِ الله (٣٢٢- ٣٣٤ هـ) ابنُ عبيدِ الله المَهْدِيّ أمّنَ خليلَ بنَ إسحاقَ وولاّه على جزيرةِ صقلّيَة (٣٢٥- ٣٢٩ هـ) فأكثرَ فيها من الظلم وسَفْك الدماء وكان يفتخر ويزعُمُ أنّه قتل في صقلِّيَةَ ألفَ ألفِ (مليون) نفس.

ثمّ إنّ القائمَ بأمرِ الله صَرَفَ خليلَ بنَ إسحاقَ عن صِقلِّيَةَ وولاّه على جيشٍ لقتالِ أبي يزيدَ مَخْلدِ بنِ كَيْدادٍ الخارجيِّ (٣١٦- ٣٣٦ هـ) المعروفِ بلقبِ «صاحب الحمار». ولكنّ أبا يزيدَ حاصَرَهُ في مدينةِ القَيْروان ثمّ أخذَه فقَتَلَهُ، سَنَةَ ٣٣٢ هـ (٩٤٣- ٩٤٤ م) وصَلَبه.

٢- كان خليلُ بنُ إسحاقَ شديدَ التقلّبِ في حياته؛ وسَبَبُ ٱنتقاله من الخَيْرِ والصَّلاح إلى الظُّلم وسفك الدماء والانتقام يخفى علينا اليومَ. ومَعَ ذلك فإنّه كان شاعراً مُجيداً عذبَ الألفاظ سهلَ التراكيب رقيقَ المعاني. وأكثرُ شِعره مديحٌ للفاطميّين.

٣- مختارات من شعره

- قال خليلُ بنُ إسحاقَ يمدَحُ عُبيد اللهِ المَهْدِيَّ بقصيدةٍ منها:

قِفْ بالمنازل وٱسْألَنْ أطْلالَها. ماذا يَضُرُّكَ لو أردتَّ سُؤالَها(١)؟
هل أنتَ أولُ من بكى في دِمْنةٍ دَرَسَتْ وغَيّرتِ الحوادثُ حالَها(٢)!
يا دارَ زَيْنَبَ، هل تَرُدّينَ البُكا عن مُقْلةٍ سَفَحَتْ عليكِ سِجالَها(٣)؟
بُدِّلْتِ، بالأُنُسِ الخرائدِ كالدُّمى، وَحْشَ الفلاةِ ظِباءها ورِئالَها(٤).
صلّى الالَهُ على النَّبيِّ مُحَمّدٍ، وعلى الإمامِ وزادَهُ أمثالَها:
إنّ الإمامَ أقامَ سُنّةَ جَدّه للمُسلمينَ كما حَذَوْتَ نِعالَها(٥)،
وهَدَى بهِ اللهُ البَرِيّةَ بعدَما طلبَ الغُواةُ الظالمون ضَلالَها.
إنّ الخلافة، يا ابنَ بِنْتِ مُحمّدٍ، حَطّتْ إليكَ عن النبيّ رحالَها(٦).

---

(١) الطلل: مكان الخيمة بعد أن ينتزعها أهلها ويرحلوا عن المكان الذي كانوا فيه.

(٢) الدمنة: الطلل. درس المنزل: ٱمّحت آثاره.

(٣) سفحت العين: سال دمعها. سفحت سجالها (السجل بفتح السين: الدلو العظيم): بكت كثيراً.

(٤) في القاموس (٢: ١٩٨): الأنوس من الكلاب ضدّ العقور وجمعها أنس (بضمّ فضمّ). ويقصد الشاعر بقوله بالأنس الخرائد: النساء الجميلات اللواتي يأنس بهنّ الرجل عادة. الدمية: التمثال، الصورة (المرأة الجميلة). الرئال جمع رأل: ولد النعامة.

(٥) السنّة: الطريقة، المنهاج، نمط الحياة. جدّه: محمّد رسول الله (يعتقد الفاطميّون أنّ عبيد الله المهدي مؤسّس الدولة الفاطمية من نسل فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وسلم). كما حذوت نعالها: كما فصّلت أديم إحدى النعلين على النعل الأخرى (يعني: يسلك كما كان يسلك رسول الله تماماً)- وفي هذه الاستعارة في هذا المكان قبح ظاهر.

(٦) يا ابن بنت محمّد: يا ابن فاطمة بنت محمّد: يا من أنت من نسلها. حطّت الخلافة إليك رحالها: وجدت فيه الخليفة الحقيقي (يعتقد الفاطميّون أن الإمام عليًّا وحدَه كان خليفة، ثمّ بقي الناس بلا خليفة حتّى جاءت الدولة الفاطمية).

ولقدْ عَهِدتُّ لآلِ زَيْنبَ حَبرةً فيهـا ودُنيـاً أقبلتْ إقبالَها[1].
بيضـاءُ ناعمـةٌ يجولُ وشاحُهـا، وتَهُزُّ دِقّـةُ خَصْرِها أكفالَها[2].
وكـأنّ في فِيهـا بُعيـدَ رُقادِها عَسَلاً أصابَ من السماء زُلالَها[3].
ولقـد عَصَيْتُ عَواذلي في حُبِّها. والنفسُ تَعْصي في الهَوى عُذّالَها[4].

٤- الحلّة السيراء ١: ٣٠٢- ٣٠٤؛ أعلام ليبيا ١٠٥.

أبو العرب التميميّ

١- هو أبو العرب محمّدُ بنُ أحمدَ بن تميم بن تمّام بن تميم القَيْروانيُّ المَغْربيُّ الإفريقيّ، كان جَدّه تَميمُ بنُ تمّامٍ من أُمراءِ العرب (البَدْو) وأميراً على تونس.

بدأ أبو العرب التميميُّ تَلقي العِلمِ على محمّد بنِ يحيى بن السلام[5] ثمّ سَمعَ من جماعةٍ منهم: أبو موسى عيسى بنُ مِسكينِ الإفريقيّ المحدّثِ الفقيه اللغوي (ت ٢٧٧) وحبيبُ ابنُ نصر بنِ سهلٍ (ت ٢٨٧) وأبو جعفرٍ حَمديسُ بنُ محمّدٍ القطّان (ت ٢٨٩) ويحيى بنُ

---

(١) الحبرة (بفتح الحاء): السرور والنعمة (النضارة والرونق، السعادة). ودنيا أقبلت: خصب ونعيم وازدهار.

(٢) يجول وشاحها: يتحرّك وشاحها على كتفيها (كناية عن أنّ جسمها أهيف رشيق غير ضخم). الكفل (بفتح ففتح): الردف (بكسر الراء).- لعلّه يقصد: ضخامة أردافها تتعب خصرها النحيل الضعيف فتجعله يهتزّ بغير إرادته!

(٣) بعيد رقادها: بعد نومها بوقت قليل (عند استيقاظها). الزلال: الماء الصافي. السماء المطر.

(٤) العذلة (بضمّ ففتح) والعذّال (بفتح فتشديد) اللائم (الذي يلوم المحبّ على حبّه)، والجمع منها عذلة (بفتح ففتح) وعذّال وعذّل (بضمّ فتشديد فيها). والعواذل جمع عاذل: عرق يخرج منه دم الاستحاضة في المرأة (القاموس ٤: ١٤). والشاعر يقصد بالعواذل جمع عاذلة (لائمة للمحبّ على حبّه).

(٥) في المقدّمة لناشري كتاب «طبقات علماء إفريقية وتونس» (ص ٢٤) أن أبا العرب ولد بين سنة ٢٥٠ وسنة ٢٦٠ ثمّ على لسان أبي العرب: «أتيت وأنا حدث إلى دار محمّد بن يحيى بن السلام (كذا) فرأيت عنده الطلبة. وقيل لي إنّ الزيّ الذي كنت ألبَسه ليس زيّ طلبة العلم. ثمّ جاء في الصفحة ١١٣ (من الكتاب المنشور) أن محمّد بن يحيى قد مات سنة ٢٦٢ هـ. ومعنى هذا أن أبا العرب لم يكن (لمّا مات محمّد بن يحيى) في سنّ من يطلب العلم. فإذا تشدّدنا وأجزنا أن يكون أبو العرب قد ولد في سنة ٢٦٠ هـ فيكون عمره يوم توفّي محمّد بن يحيى سنتين! وإذا تساهلنا فقبلنا أن يكون قد ولد سنة ٢٥٠ هـ فيكون عمره يوم وفاة محمّد بن يحيى اثنتي عشرة سنة.

جعفرٍ التونسي الحافظ (للحديث) الزاهد (ت ٢٨٩) وأبو عثمانَ سعيدُ بنُ إسحاقَ الكلبيّ (ت ٢٩٥) وأبو يوسفَ جَبَلَةُ بن حَمّودِ بنِ عبدِ الرحمنِ الصَّدَفيّ الفقيه (ت ٢٩٧ أو ٢٩٩) وأبو عثمانَ سعيدُ بنُ الحدّادِ الفقيهُ (ت ٣٠٢ هـ).

وقدِ ٱحترفَ أبو العربِ تربيةَ أولادِ العرب ونسخَ الكتب. سمع منه أيضاً جماعةٌ منهم نَفَرٌ من الأعلام. من هؤلاء جميعاً ابناه تمّامٌ وتميمٌ ثمّ الفقيه المشهور ابنُ أبي زيدٍ القَيْروانيّ (ت ٣٨٦ هـ) ومحمّدُ بنُ الحارثِ الخُشني (ت بعد ٣٦٦ هـ).

وفي رَجَبَ من سنة ٣٣٣ (٩٤٥ م) حَضّ أهاليَ القيروانِ على القتالِ إلى جانبِ أبي يزيدَ أحمدَ بنِ يزيدَ الخارجيّ صاحبِ الحمارِ ضِدّ العُبيديّين (الفاطميّين) ولكنّه أُسِرَ وحُبسَ ثمّ مات في ٢٢ من ذي القَعْدة في الأغلبِ من سَنَةِ ٣٣٣ (٧/ ٧/ ٩٤٥ م)- وفي الديباج المذهب (ص ٢٥٠) سنة ٣٠٣.

٢- كان أبو العربِ التميميُّ رجلاً صالحاً عارفاً بالحديث ورجالهِ ثِقَةً، وكان فقيهاً حافظاً للمذهب المالكيّ. وقد كان كثيرَ التأليفِ في الحديثِ والفِقه والتاريخ. ويبدو أن معظم كتبهِ في الحديث والفِقه أبوابٌ (أي فصول وليست كتباً مستقلّة). له من الكتب (الفصول) في الفِقه: الوضوء والطهارة- الجنائز- في الصلاة- ذكر الموت وعذاب القبر. ثمّ له طَبَقات علماء إفريقية- (مجموع من التراجم لعلماء القيروان وتونس مَبْنِيّ على الرواية والإملاء)- عُبّادُ إفريقية- مناقب بني تميم- فضائلُ مالكٍ- كتابُ سحنونٍ (ذكر مناقبه وسيرته في قضائه، ص ١٨٥)- كتاب التاريخ في سَبْعَةَ عَشَرَ جزءاً (ص ٢٧، ٣٦) وقيل في أحَدَ عَشَرَ جُزءاً (ص ٣٨)، وهو الكتاب الذي كَسَبَهُ لَقَبَ «رافعِ لواءِ التاريخ في إفريقية» (ص ٢٧، راجع ٣٦)- المِحَن- موتُ العلماء (جزءان)- عوالي حديثه[1].

---

(١) عوالي الحديث: الأحاديث التي جرى جمعها وتخريجها في زمن متقدّم. فالأحاديث الواردة مثلاً في «السنن» للنسائي (ت ٣٠٣ هـ) فإنّها تعدّ في عوالي الحديث بالإضافة إلى الأحاديث الواردة في «المستدرك» للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) ولم ترد عند النسائي، فإنها لا تعد من عوالي الحديث بل من نوازله. والمعروف أن الحاكم النيسابوري قد استدرك أحاديث لم ترد في «الصحيحين» في صحيح (مجموع أحاديث) البخاري (ت ٢٥٦ هـ) وصحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ). فالأحاديث الواردة =

وأسلوب أبي العربِ عاديٌّ واضحٌ، ولكنّه كثيرُ الإيجازِ إلى حدِّ الإخْلال أحياناً. وكذلك كان له نظمٌ صحيحُ المعنى مِنْ مِثْلِ شعرِ العلماء.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو العربِ التميميُّ في الصديقِ الذي يتغيرُ:

إذا وَلّى الصديقُ لِغَيْرِ عُذْرٍ فزادَ اللهَ خُلّتَه انقطاعا[١]
إلى يوم التّناد بلا رجوع. فإن رامَ الرجوعَ فلا استطاعا[٢]!
إذا ولّى أخوك فَوَلِّ عَنْهُ وزِدْهُ، وراءَ ما والاكَ، باعا[٣].
ونادِ وراءه: «يا ربِّ، تَمِّمْ؛ ولا تجعلْ لِفُرقتهِ اجتماعا».

- وقال في الضَّعْفِ من التقدّم في السنّ:

ضَعُفَتْ حِيلتي وقلّ اصطباري، وإلى اللهِ أشتكي كلَّ ما بي:
وَهَنَ العَظْمُ بعدَ أن كان صُلْباً، وفقدتُ الشبابَ أيَّ شَباب[٤].

- سحنون (طبقات علماء إفريقية وتونس ص ١٨٤ - ١٨٥)، وهو نصّ إنشائي لا رواية:

قال أبو العربِ: ومن شيوخِ أهلِ إفْريقِيَةَ أبو سعيد سَحْنونُ بنُ سعيدِ بنِ حبيبٍ التَّنوخيُّ، من صَليبةِ العربِ[٥]، وأصلُه من الشام من أهل حِمْصَ. وأبوه سعيدٌ قَدِمَ معَ الجُند، وهو من أهل حمص. كان (سحنون) جامعاً للعلم فقيه البدن (؟) اجتمعتْ فيه

= عند البخاري ومسلم هي من عوالي الحديث بالإضافة إلى الأحاديث التي استدركها الحاكم عليهما. ثمّ إن لعوالي الحديث ونوازله درجات ليس هذا الكتاب مكاناً للتفصيل فيها.

(١) الخلّة (بالضمّ) الصداقة والمحبّة التي تتخلّل القلب.

(٢) التناد: التنادي: يوم القيامة.

(٣) والاك (كذا في الأصل). إقرأ: ولاّك (ولّى عنك). الباع: مدى الذراعين مبسوطتين. أي زده بعداً جديداً فوق ما ابتعد عنك.

(٤) وهن: ضعف. أي شباب!: ذلك الشباب الناضر الذي كان لي.

(٥) صليبة العرب: من العرب الخلّص الذين لم يتّفق اختلاط في أنسابهم.

خِلالٌ[1] ما آجتمعتْ في غيره: الفِقهُ البارع والورع الصادق والصرامة في الحقّ والزهادة في الدنيا والتخشُّنُ في الملبس والمطعم والسماحةُ والتَّرْكُ[2]، لا يقبَلُ من السلطان شيئاً، وكان ربّما وصلَ، بَعْضَ إخوانهِ بالثلاثين ديناراً[3]. وكان (سحنون) أوّلَ من شرّدَ أهلَ الأهواء من المسجد الجامع، وكان فيه حَلَقات للصُّفْرِيّة والإباضيّة (والمعتزلةِ يتناظرون فيه) ويُظْهِرون زَيْغَهم[4]. وقد كان حافظاً للعلم، ولم يكن يَهابُ سُلطاناً في حقٍّ يُقيمه... ووَلِيَ القضاءَ سَنَةَ أربعٍ وثلاثينَ ومائتَيْنِ، وهو يومَئذٍ ابنُ أربعٍ وسبعين سَنَةً، ولم يأخُذْ على القضاءِ أجراً. وتُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللهُ، يومَ الثُّلاثاء لِسَبْعَةِ أيامٍ مَضَتْ من رَجَبَ سَنَةَ أربعينَ ومائتَين.

٤- طبقات علماء إفريقية- ذكر علماء تونس (نشرهما محمّد بن أبي شنب المتوفّى ١٣٤٧ هـ- ١٩٢٩ م منفصلين)، الجزائر ١٩١٤ م. ثمّ نشرهما منقولين إلى الفرنسية، الجزائر ١٩٢٠ م- طبقات علماء إفريقية وتونس (تقديم وتحقيق علي الشابّيّ ونعيم حسن اليافي)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.

★ راجع مقدّمة «طبقات علماء إفريقية وتونس»؛ الوافي بالوفيات ٢: ٣٩؛ الديباج المذهب ٢٥٠؛ بروكلمن، الملحق ١: ٢٢٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٠٠ (٥: ٣٠٩)؛ المجمل في تاريخ الأدب التونسي ٨٠؛ عنوان الأريب ٢٨.

عبد الله بن الناصر

١- هو أبو محمّدٍ عبدُ الله بنُ عبدِ الرحمنِ الناصرِ لدينِ الله، سَمِعَ من جُملةٍ من

---

(١) خلال جمع خلّة (بالفتح): الخصلة (بالفتح)، الصفة.

(٢) الترك: الترك لما هو حقّ للشخص كيلا يكون في أخذه إساءة إلى غيره!.

(٣) وصل... أعطى.

(٤) الصفرية من الخوارج الذين فارقوا الإمام عليًّا لأنّه قبل بالتحكيم بينه وبين معاوية بعد معركة صفّين. وهم يعدّون أصحاب الذنوب في المشركين ولكن لا يقولون بقتل نسائهم وأطفالهم. والإباضيّة أتباع عبد الله بن أباض، يقال فيهم إنّهم خوارج، ولكنّهم أقرب إلى أن يكونوا سلفيّة، غير أنّهم يتشدّدون في أشياء كثيرة كالخوارج (راجع الفهرس الهجائي). المعتزلة هم الذين يريدون إقامة البراهين على صحّة العقائد الإيمانية بالبرهان العقلي ولا يكتفون بالاقتناع بما ورد من ذلك في الروايات الدينية. الزيغ: الميل عن الحق، الباطل.

العلماء منهم المُحدِّثُ محمّدُ بنُ عبدِ الملك بن أيْمَنَ (٢٥٢- ٣٣٠ هـ) والمؤرخُ محمّدُ بنُ عبدِ البرّ[١] والمؤرّخُ المحدّثُ مَسْلَمَةُ بنُ القاسم (٢٩٣- ٣٥٣ هـ) ومحمّدُ بنُ مُعاويةَ القُرَشيّ (ت ٣٦٥ هـ) وغيرُهم. وقد أخذَ المذهبَ الشافعيَّ عن حسّانِ بنِ سعدٍ[٢] وأحمدَ ابنِ محمّدِ بنِ عبدِ البرّ. وكان صديقاً لسعيدِ بنِ فَرَجٍ الجَيّانيّ (أخي أحمدَ بنِ فرجٍ صاحبِ كتاب الحدائق والمُتَوفّى سَنَةَ ٣٤٤).

وغيظَ عبدُ الله هذا لأنّ أباه عبدَ الرحمنِ الناصرَ جعَلَ وِلايةَ العهدِ لأخيهِ الحَكَم. ثمّ نُقلَ إلى عبد الرحمن الناصر خبرُ مؤامرةٍ لخلعه ولقتل الحَكَم، قيل فيها ابنُه عبدُ الله وأحمدُ بن محمّد بن عبد البرّ وأحمدُ بنُ عبد الله بن العطّار (ت ٣٤٥ هـ). فحُبِسوا كلُّهم في رَمَضَانَ من سَنَةِ ٣٣٨. ثمّ إنّ عبدَ الرحمن الناصرَ أمرَ بقتلِ ابنهِ في ١١ أو ١٢ من ذي الحِجّة من سَنَةِ ٣٣٩ (٢٠ أو ٢١/ ٥/ ٩٥١ م).

٢- من غرائبِ الاتّفاق أن عبدَ الله بنَ عبدِ الرحمنِ الناصرِ كان فقيهاً شافعياً وأنّ أخاه عبدَ العزيز كان حَنفيّاً بينَما الحَكَمُ كان مالكيًّا. ولا غرابةَ في أن يكونَ مقتلُ عبدِ الله قد أدّى بالمذهبِ الشافعيّ إلى الرُكودِ في الأندلس.

وكان عبدُ الله بنُ الناصرِ فقيهاً مُتَنَسّكاً حتّى سُمِّيَ الزاهدَ، كما كان مُحِبًّا للعلم والعُلماء بصيراً بلسانِ العربِ وشاعراً مطبوعاً مُحْسِناً ومُصَنِّفاً لكتبِ الأدب والتاريخ. له من الكُتُبِ: العليلُ والقتيل (في أخبار بني العبّاس بلَغ به إلى الراضي بنِ المقتدر المتوفّى سنة ٣٢٩ هـ)- المُسْكِتة في فضائلِ بَقِيّ بنِ مَخْلَدٍ.

---

(١) هو أحمد بن محمّد بن عبد البرّ من موالي بني أميّة كان في حزب عبد الله بن الناصر ولم يكن يفارقه. ولمّا عرف عبد الرحمن الناصر بمؤامرة ابنه عبد الله وبمساعدة ابن عبد البرّ هذا أمر بسجنهما مع رفاقهما في المؤامرة. وقد توفّي ابن عبد البر في السجن (٢٨ رمضان ٣٣٨). وهو من فقهاء قرطبة ومن المؤرخين له «تاريخ فقهاء قرطبة» (راجع ابن الفرضيّ ١: ٢٧؛ الحلّة السيراء ١: ٢٠٧؛ الأعلام للزركلي ١: ١٩٩).

(٢) في تاريخ الفكر الأندلسي (ص ٤٣٤): حسان بن سعد و (ص ٤٣٥): الحسن بن سعد!

٣- مختارات من آثاره

- قال عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الناصرِ في الشَكْوى من المحبوب:

أمّـــا فُؤادي فكـــاتمٌ ألَمَـــهُ لوْ لمْ يَبُـحْ ناظري بِما كَتَمَـهْ[1].
ما أوضَحَ السُقْمَ في مَلاحِظِ مَنْ يَهْوى، وإنْ كان كاتِماً سَقَمَهْ[2]!
ظَلِلْتُ أبكي، وظَــلَّ يَعْذِلُـني مَنْ لم يُقاسِ الهوى ولا عَلِمَـهْ[3].
إلَيْـــكَ مِن عاشقٍ بكـى أسَفـاً حبيبَه في الهوى وإنْ ظَلَمَهْ[4].
ظَلّـــتْ جيُوشُ الأسى تُقاتِلُـــهُ مُـذْ نَـذَرَتْ أعْيُنُ المِلاحِ دَمَهْ[5].

- ومن نثره:

إنّ هذهِ الوجوهَ الحِسانَ خلاّبةٌ، ولكنّا لا نَتَغَلْغَلُ في نَظَرِها ولا ندّعي العِفّةَ عنها بالجُملة[6]. وفيها اعْتبارٌ وتَذْكارٌ بالحُور العِينِ التي وعَدَ الله تعالى[7] - إنّ مِثْلَكَ في الفُقهاءِ لَمَعْدومٌ. ومِنْ عَقْلِ المرءِ ألاّ يُفْنِيَ عُمُرَهُ في ما لا يُنْفِقُهُ عصره[8].

٤ ★ ★ جذوة المقتبس ٢٤٤ (الدار المصرية) ٢٦٢ - ٢٦٣ (رقم ٥٥٥)= بغية الملتمس ٣٣ ، المغرب ١ : ١٨٢ ؛ الحلّة السيراء ١ :٢٠٦ ؛ نفح الطيب ٣ : ٥٨٢ - ٥٨٣ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٣٠ (٩٦).

---

(١) قلبي أخفى ألمه من حبّه، ولكن عيني ظهر فيها هذا الألم.
(٢) الملاحظ جمع ملحظ: اللحظ (الرؤية) أو موضعه (العين).- مرض القلب من الحبّ (وكلّ مرض آخر) يظهر في العيون واضحاً جدًّا.
(٣) يعذلني: يلومني.
(٤) إليك من عاشق (كذا في الأصل). أقرأ: إليك عن (أبعد، ابتعد، اترك)..... وإن ظلمه حبيبه.
(٥) الأسى: الحزن. نذر دمه: أباح دمه (سمح لجميع الناس أن يقتلوه).
(٦) خلب: خدع، فتن (سلب العقل). لا نتغلغل..... لا نمعن النظر (إلى الحسان) ولا نستطيع أن نردّ بصرنا عنهنّ بالكلّيّة.
(٧) ....في الجنة
(٨) العاقل لا يعمل عملاً لا يكون له قيمة في عصره أو لا يكون هنالك راغبون فيه.

قاسم بن أصبغ البيّاني

هو أبو محمّدٍ قاسمُ بنُ أصبغَ بنِ محمّدِ بنِ يوسفَ بنِ ناصحٍ بنِ عَطاءٍ البيّانّي؛ كان جَدّه الأعلى عطاءٌ مولى الوليدِ بنِ عبدِ الملك.

وُلِدَ قاسمُ بنُ أصبغَ في بَيّانةَ يومَ الإثنين في الثاني والعشرين من ذي الحجّة من سنة ٢٤٧ (بغية الوعاة ٣٧٥) أو ٨٦٢/٢/٢٦م، وسَكَنَ قُرطبةَ.

سَمِعَ في قُرطبةَ نفراً من العلماء منهم ابنُ وضّاحٍ ومحمّدُ بن عبد السلام الخُشَنيّ. ثمّ رَحَلَ إلى المشرق فوصل إلى بغدادَ سَنَةَ ٢٧٦ هـ (٨٨٩- ٨٩٠ م) فسَمِعَ من محمّدِ بنِ عيسى التِرْمِذيّ (ت ٢٧٩ هـ) والحارثِ بن أبي أُسامة التميميّ (ت ٢٨٢ هـ) واسماعيلَ ابنِ اسحقَ الأزدي القاضي (ت ٢٨٢ هـ). وأراد أن يسمَعَ من أبي داوودَ السجسْتانيّ، ولكنْ لم يُدْرِكْهُ لأنّ أبا داوودَ كان قد تُوفّيَ سَنَةَ ٢٧٥ هـ (٨٨٩ م)، قبلَ أن يدخُلَ قاسمُ بن اصبغَ بغدَادَ بِبَعْضِ عامٍ. وكانت وفاةُ قاسم بن اصبغ في ١٤ جمادى الأُولى من سَنَة ٣٤٠ (٩٥١/١٠/١٨م). وفي شذرات الذهب (٢: ٣٥٧) أنه عاش ثلاثاً وستّين سنة (لعلّه خطأ صوابه ثلاث وتسعون) لأن ذهنه تغيّر قبل ثلاث سنوات من وفاته، كما جاء أيضاً في شذرات الذهب.

كان قاسمُ بنُ أصبغَ من أئمَّةِ العلم حافظاً للحديث ثقةً مُكْثِراً من الحِفْظ، بارعاً في الفِقْه وفي علم اللغة. وقدِ آشتهر في الحديثِ خاصّةً شُهرةً عظيمةً حتّى أن الناس كانوا يرحَلون إليه لسَماع الحديث. وكانتْ له تصانيفُ منها: أحكام القرآن- الناسخ والمنسوخ- المصنّف (في الحديث، ألّفه على ترتيب سنن أبي داوود السجستاني وخرّج ما فيه من الأحاديث: ذكر طرق رواياتها، وذلك أنّه لم يدرك أبا داوود ليتخرّج عليه فتخرّج على كتابه)- الكبير (في الحديث)- المجتنى (كتاب حديث مصنّف على أبواب الفقه، صنّفه قاسم بن أصبغ لأمير المؤمنين الحكم المستنصر، اختصره من كتابه «الكبير» وبدأ اختصاره في المحرّم من سنة ٣٢٤ هـ)- غرائب حديث مالك بن أنس ممّا ليس في «الموطّأ»- فضائل قريش- كتاب في الانساب.

-★★ ابن الفرضي ١: ٤٠٦- ٤٠٨ (رقم ١٠٧٠)؛ جذوة المقتبس ٣١١ (الدار المصرية) ٣٣٠- ٣٣١ (رقم ٧٦٩)؛ بغية الملتمس ٤٣٣- ٤٣٤ (١٢٩٨)؛ معجم الأدباء ١٦: ٢٣٦- ٢٣٧؛ بغية الوعاة ٣٧٥؛ نفح الطيب ٢: ٤٧- ٤٩؛ شذرات الذهب ٢: ٣٥٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٧١٧- ٧١٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٧ (٥: ١٧٣).

حفصة الحجاريّة

١- هِيَ حَفصةُ بنتُ حَمْدونٍ، من أهل وادي الحِجارة، كانت على شيء من الثروة والوجاهة تَمْلكُ عبيداً. وكانت وفاتها في القرنِ الرابعِ (العاشرِ للميلاد).

٢- كانتْ حَمدونُة الحِجاريةُ عالمةً وأديبةً شاعرةً لها شعرٌ كثير.

٣- مختارات من شعرها

- قالتْ حمدونةُ الحِجاريةُ تَذُمّ عبيدَها:

يا ربِّ، إنّي من عبيدي على   جَمْرِ الغَضى؛ ما فِيهِمُ من نجيبْ:
إمّا جهولٌ أبْلَهٌ مُتْعِبٌ،   أو فَطِنٌ من كَيْدِهِ لا يُجيب!

- وقالتْ في النسيب:

لي حبيبٌ لا يَنْثَني لِعتابٍ؛   وإذا ما تركتُهُ زادَ تيها.
قالَ لي: هلْ رَأيتِ لي مِنْ شبيهٍ؟   قلتُ: أيضاً، وهل تَرى لي شبيها!

٤-★★ المغرب ٢: ٣٧- ٣٨؛ نفح الطيب ٤: ٢٨٥- ٢٨٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٩٢ (٢٦٤).

أبو الحزم جهور بن أبي عبدة (١)

١- هو أبو الحزمِ جَهْوَرُ بنُ عُبيدِ الله (ت ٢٩٦) بنِ محمّدِ بنِ الغَمْر بن يحيى بن عبد الغافر بن حسّانِ بن مالكِ بن عبد الله بن جابرٍ: كان عبدُ الله مملوكاً للخليفة الأمويّ مَروانَ بن الحَكَم (ت ٦٥ هـ). وكان حسّانٌ- وكُنيتُه أبو عَبْدةَ- هو الذي دخل الأندلس (سَنَةَ ١١٣، وإليه تُنْسَبُ الأسرةُ). ثمّ إنّ عُبيدَ الله، وكان يُكنى أبا

(١) حق هذه الترجمة أن تأتي بعد ترجمة «الرازي المؤرخ» (ص ٢٣٨ - ٢٤١).

عُثمانَ، قد تقلّب في مناصب الدولة طويلاً، ولكنه آثر أخيراً أن يعتزلَ المناصبَ وأن يهجُرَ المجتمعَ إلى أن تُوُفِّيَ سنة ٢٩٦.

وأمّا جَهْورُ بنُ عُبيدِ الله صاحبُ هذه التَرْجَمةِ فلا نَعْرِفُ من أحداث حياته إلاّ ما ذكره ابنُ الأبّار (ت ٦٥٨) من أنّه تصرّفَ في الكُوَرِ (تولّى المقاطعات) والأمانات والقيادة والمدينة ومن أنّه وَزَرَ للخليفة عبدِ الرحمن الناصرِ (الحلّة السيراء ١ : ٢٤٧). وجاء في البيان المغرب (٢ : ٢٢٠)، في أخبار سَنَة ٣٤٤، أن الخليفةَ عبدَ الرحمنِ الناصر «قَلّدَ الوزيرَ جَهْوَرَ بنَ أبي عَبْدةَ النَظَرَ في جميع كُتُبِ أهلِ الخِدمة». وإذا كان والدُ جَهْوَرٍ قد تُوُفّيّ سَنَة ٢٩٦، فلا يُنْتَظر أن يكونَ جهورٌ نفسُه قد عاشَ طويلاً بعد ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م).

٢- كان أبو الحزم جهور بن عبد الله بن أبي عبدة الوزيرُ شاعراً مكثراً، أكثر شعره الوصف والنسيب والأدب (الحكمة).

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الحزم جَهْورُ بنُ أبي عبدةَ يَصِفُ الوردَ ويُفَضّله (على الأزهار)، ويَرُدُّ في ذلك على ابن الروميّ الذي فضّل النَرْجسَ على الورد[١]. قال أبو الحزم:

الوردُ أحسنُ ما رأتْ عَيْنٌ، وأزْ كى ما سقى ماءُ السحابِ الجائدُ[٢].

خَضَعَتْ نواويرُ الرياض لحُسنه فتذلّلتْ تنقادُ وَهْيَ شوارد[٣].

---

(١) قال ابن الرومي (٢٨٣ هـ):

للنرجس الفضل المبين لأنّه زهر ونور وهو نبت واحد.

- المبين: الظاهر، الواضح. الزهر: الورق الملّون (أحمر، أصفر، الخ).

النور: بفتح النون): الورق الأبيض. يقول ابن الرومي: النرجس أفضل وأحسن لأنّه زهرته تتألف من لونين: أوراق الوسط فيها صفراء والأوراق المحيطة بيضاء.

(٢) أزكى: أحسن وأطيب رائحة. الجائد: الكريم.

(٣) النواوير (جمع نوّار بضمّ النون وتشديد الواو)، والنّوار جمع نوّارة (بضمّ فتشديد أيضاً): الزهر الأبيض اللون. فتذلّلت.....: اعترفت جميع الأزهار بفضل الورد مع أنّها شوارد: عاصية لا تخضع لأحد....

وإذا تبدّى الوردُ في أغصانـهِ ذَلّوا: فذا مَيْتٌ وهذا حاسد.
وإذا أتى وَفْدُ الربيعِ مُبَشِّراً بطلوعِ صَفْحتهِ فنِعْمَ الوافد[١].
ليس المُبَشِّرُ كالمُبَشَّرِ بآسمِـه؛ خَبَرٌ عليه من النُبُوَّةِ شاهد[٢].
وإذا تَعرّى الوردُ من أوراقه بَقِيَتْ عوارفُه فهنّ خوالد[٣].

- وقال في العِتاب والنسيب:

يـا عاتبـاً لِيَ بالصُـدو دِ، ألا ذَكَرْتَ قبيحَ غَدْرِكْ[٤]؟
أخْلَيْـتَ من قلـبي مكـا نـاً كـان معموراً بذِكْرِكْ؛[٥]
وأنـا أُحِبُّـكَ، لو وَثِقـ ـتَ، وأستـديمُ طويلَ عُمْرِكْ[٦]!

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ١٧٧ (الدار المصرية) ١٨٨- ١٨٩ (رقم ٣٦٠)؛ الحلّة السيراء ١: ٢٤٥- ٢٥٢ (وفيه مناقشة لتحقيق نسبة أشعار أبي الحزم جهور ومناقشة خلْط نفر من أصحاب المصادر بينه وبين أبي الحزم جهور الذي استبدّ بقرطبة بعد سقوط الخلافة المروانية)؛ راجع أيضاً نفح الطيب ١: ٢٠٣- ٢٠٤ (وفيه أيضاً حاشية في الموضوع نفسه).

سعيد بن عبد ربّه

١- هو أبو عثمانَ سعيدُ بنُ إبراهيمَ (عبدِ الرحمن) بنِ محمّدِ بنِ عبدِ ربِّهِ بنِ حبيب آبنِ محمّدِ بن سالمٍ، وسالمٌ هذا مولى الأميرِ هشامٍ الرضيِّ بنِ عبدِ الرحمنِ الداخل. ثم هو

(١) النرجس يسبق الورد في الظهور (فكأنّ النرجس يبشّرنا بقدوم الورد)....
(٢) ...- والمبشِّر (بكسر الشين) يكون أدنى مكانة من المبشَّر (بفتح الشين) به. والدليل على ذلك أنّ عيسى بن مريم جاء مبشّراً بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم. في القرآن الكريم (٦١: ٦ سورة الصفّ): وإذ قال عيسى بن مريم: يا بني إسرائيل، إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد....».
(٣) العوارف جمع عارفة: الإحسان. الخالد: الباقي الذي لا يزول.- وإذا تعرّى الخ: إذا ذهبت أيام الورد بقي لنا ما نصنعه من الورد (ماء الورد، الخ).
(٤) أنت تلومني لأنّني تركت لقاءك، مع أنّك أنت قد خنت عهودنا.
(٥) أنت هجرتني مع أنني لم أكن أحبّ أحداً غيرك (لم يكن في قلبي سواك).
(٦) ومع ذلك فأنا أستديم (أطلب دوام) حياتك، وأرجو أن تثق بقولي....

ابنُ أخي ابنِ عبدِ ربّه (ت ٣٢٨) صاحب كتاب « العِقْد ». تكسّبَ بالطِبِّ وعَمِيَ في أواخر أيامهِ. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٣٤٢ (٩٥٣- ٩٥٤ م).

٢- كان سعيدُ بنُ عبدِ ربِّه من أهلِ العلمِ والأدبِ وشاعراً محسناً. غيرَ أنّه شُغِلَ بالطِبِّ والفلك. ومن آثاره: أُرجوزةٌ في الطِبّ- كتاب في الأقراباذين (الأدوية)- وتعاليقُ مُجرّباتٌ (في الطبّ).

٣- مختارات من شعره

- بَعَثَ سَعيدُ بنُ عبدِ ربّهِ يوماً إلى عمّهِ أحمدَ (صاحب كتاب « العقد ») يدعوه إلى أن يحضُرَ إليه لِيُؤانسه. فلم يُجبْهُ عَمّه فكَتَبَ إليه يقولُ معاتباً:

لمّـــا عَدِمْـــتُ مُؤانساً وجَليساً ... نادَمْـــتُ بُقراطـاً وجالينوسا[١].
وجَعَلْـــتُ كُتْبَهُما شِفــاءَ تَفَرُّدي، ... وهما الشِفاءُ لكلّ جُرحٍ يُوسى[٢].
ووجَـــدتُ عِلْمَهما إذا حصّلْتُـــه ... يُذكي ويُحيي للجُسوم نفوساً[٣]!

- وقال في أواخرِ عُمُرِه:

أمِنْ بعدِ غَوْصي في علومِ الحقائق ... وطولِ انبساطي في مواهبِ خالقي[٤]،
وفي حينِ إشرافِي على مَلَكوته، ... أُرى طالباً رِزْقاً إلى غير خالقي[٥]؟
وأيـامُ عُمْرِ المرءِ مُتْعَـةُ ساعـةٍ ... تَجيء حثيثاً مِثْلَ لَمْحةِ بارق[٦].

---

(١) بقراط أو أبقراط (ت ٣٦٥ ق. م.) طبيب يوناني قديم مشهور بالبراعة في المداواة. وجالينوس (ت نحو ٢٠٠ م) طبيب يوناني متأخّر في الزمن ولكن بارع في التشريح والتطبيب.

(٢) يوسى = يؤسى (المجهول من أسا): يداوى.

(٣) أذكى فلان النار: أوقدها. والشاعر يقصد هنا أنّ قراءة كتب بقراط وجالينوس تذكي الإنسان (تجعله ذكيّاً).

(٤و٥) في هذين البيتين نزعة إلى التصوّف.

(٦) متعة: استفادة، سرور. ساعة: وقت قصير. الحثيث: المستمر (السريع).

وقد آذنت نفسي بتَقْويضِ رِحْلِها، وأَسْرَعَ - في سَوْقي إلى الموت - سائقي[1].

وإنّي وإن أوْغَلْتُ، أو سِرْتُ هارباً من الموت في الآفاق فالموت لاحقي[2]!

٤ - ★ ★ جذوة المقتبس ٢١٣ ثمّ ٣٧٥ - ٣٧٦ (الدار المصرية) ٢٢٩ ثمّ ٤٠٠ (رقم ٤٦٥ ثمّ ٩٤٨/٩٤٩)؛ بغية الملتمس ٢٩٣ (رقم ٧٩١)؛ طبقات الأطبّاء ٢: ٤٤ - ٤٥؛ ابن جلجل ١٠٤ - ١٠٦ وفيات ابن قنفذ ٢١٤؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٥٠ (٩٧).

الدارونيّ

١ - هو أبو محمّدٍ حسنُ بنُ محمّدٍ التميميُّ العنبريُّ الدارونيُّ، نِسبةً إلى دارونَ - وهي مَنْزِلٌ (محطّة للقوافل قربَ القيروان). وكان يعرفُ بابنِ أختِ العاهة (!).

كانَ الدارونيُّ مُعْجَباً بقومِهِ تميمٍ وبنَسَبِهِ فيهم شديدَ الافتخارِ بهم إلى درجةٍ تخرُجُ عن الحدّ المعقول. وكان كثيرَ الحُبّ للبادية يكرَهُ أهلَ الحَضَر وأهل البَدْو ممّن يعملون في الصناعاتِ والزراعةِ والتجارة. وكانتْ وفاةُ الدارونيّ سنة ٣٤٣ (٩٥٤-٩٥٥ م).

٢ - كان الدارونيُّ إماماً في اللغة وفي العِلم بالشعر مشغوفاً بالشعراءِ القُدماءِ وبذي الرُمّة خاصّةً، عارفاً بأخبار العرب وأنسابها وأيامها. وكذلك كان شاعراً مُجيداً غزيرَ الشعر جيّد الطبع مقتدراً على المعاني.

٣ - مختارات من شعره

- أملقَ (أعْسَرَ وافتقر) الدارونيُّ يوماً فكتب إلى أبي جعفرٍ المَرْوَذيّ، وكان يَخْدِمُ الشيعة (الفاطميّين):

كَتمْـــتُ إعساري وأخْفَيْتُـــهُ خوفـــاً بـأن أشْكو إلى مُعْسِرِ،

(١) آذنت بالمدّ: قاربت. تقويض الرحل: نزع الخيمة من مكانها (استعداداً للرحيل)؛ كناية عن قرب الموت.

(٢) أوغل الرجل في الغابة: سار فيها بعيداً. في الآفاق: أطراف البلاد (الأماكن البعيدة عن الحضر المناطق المعمورة والمناطق المهجورة: سيلحق بي الموت أينما ذهبت.

وأنْ يقولَ الناسُ إنّي فتًى لم أصُنِ العِرض ولم أصْبِرِ.
فإن تكُنْ في حاجةٍ شاكياً، فاْشْكُ إلى مِثل أبي جعفرِ.
فَهْوَ لما أمّلْتَه أهلُه؛ وما أراه اليومَ بالموسِرِ!

٤- ★★ طبقات الزبيدي ٢٦٧- ٢٦٨؛ بغية الوعاة ٢٣٦؛ البلغة ٦٦.

الرازيّ المؤرّخ

١- هو أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ موسى(١) الرازيُّ، وُلِدَ في عاشرِ ذي الحِجّةِ من سَنَةِ ٢٧٤ (٢٦/ ٤/ ٨٨٨ م). وقد سَمِعَ أبو بكرٍ الرازي هذا من أحمدَ بن خالدٍ(٢) وقاسمِ بن أصبغ وغيرِهما. وكانتْ وفاتُه في ثاني عَشَرَ رَجَبَ من سَنَةِ ٣٤٤ (١/١١/ ٩٥٥ م).

٢- كان أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ موسى الرازيُّ واسعَ الحِفظ للأخبار فعُرِفَ باسم «المؤرّخ» و «بالتاريخيّ» لكَثْرَةِ آشتغاله بالتاريخ. وكان أيضاً متميزاً بالجغرافية أديباً وشاعَراً ولغويّاً ونحويًّا؛ ومُؤلِّفاً مُكْثِراً، له: أخبارُ ملوك الأندلس وكتّابهم وخِططهم (الوافي بالوفيات ٨: ١٣١)- كتاب أنساب مشاهير أهل الأندلس (خمسة أجزاء)، ويسمّى الاستيعاب (الحلّة السيراء ١: ٢٤٥)- كتاب صفة قرطبة وخِطَطِها ومنازل العظماء بها- كتاب كِبار الموالي الأندلسيّين أو أعيان الموالي- أخبار عُمَرَ بنِ حفصونٍ- أخبار مروان بن عبد الرحمن الجِلّيقي- أخبار بني قَسي والتُجيبيّين وبني الطُوَيْل والثغرِ (ولعله كتاب الموالي) هذه الكتب لم تصل إلينا، ولكنّ المؤرخين المتأخّرين نقلوا منها في كتبهم نُتَفاً كثيرة.

---

(١) راجع تتمّة نسبه في ترجمة أبيه محمد بن موسى الرازي (ت ٢٧٣ هـ).

(٢) في «تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس» لابن الفرضي ثلاثة أسماؤهم أحمد بن خالد: أبو عمر أحمد بن خالد بن الجبّاب القرطبي الفقيه المحدّث (١: ٤٢)، ثم أبو القاسم أحمد بن خالد بن يزيد الأسدي من أهل بجّانة ويعرف بابن أبي هاشم، كان محدّثاً، وقد توفّي في سادس شوّال من سنة ٣٦٨ (١: ٥٩)، ثمّ أبو عمر أحمد بن خالد بن عبد الله الجذاميّ المحدّث المتوفّى في ٢٦ من ذي القعدة من سنة ٣٧٨ (١: ٦٨- ٦٩).

٣- مختارات من آثاره

- قال أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ موسى الرازيُّ في نسَب عبيدِ الله الملقّبِ بالمَهْدِيّ أوّلِ ملوك الشيعة في المغرب (الحلّة السيراء ١ : ١٩٠):

واختلف الناسُ في نسب عبيد الله. فقال قوم: هو عبيدُ الله بن محمّد بن اسماعيلَ بنِ جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ. قال: وأخبرني الثِقة عن أبي القاسم أحمدَ بنِ اسماعيلَ الرّسيّ الحَسَني أنّه قال: باللهِ الذي لا إله إلاّ هو، ما عبيدُ الله منّا. ولا أقولُ هذا لِما فعل، فقد فعَلَ مَنْ لا يُشَكّ في نسبِهِ أكثرَ من فعله وأشنع[١].

- وقال في وصف الأندلس (نفح الطيب ١ : ١٢٩- ١٣١):

بلدُ الأندلسِ هو آخِرُ الإقليمِ الرابعِ [٢] إلى المَغْرب. وهو عند الحكماء بلدٌ كريمُ البُقعةِ طيّب التُربة خِصْب الجَناب مُنْبَجِسٌ بالأنهار الغِزار والعيون العِذاب[٣]، قليلُ الهَوام[٤] ذواتِ السموم، معتدلُ الهواء والجوّ[٥] والنسيم، ربيعُه وخريفه ومشتاه ومَصيفه على قَدْر من الاعتدال..... تتصل فواكِهُهُ أكثرَ الأزمنة وتدوم متلاحقةً غيرَ مفقودة. أمّا الساحل منه ونواحيه فيُبادرُه بباكوره[٦]. وأمّا الثَغْر[٧] وجهاته والجبال المخصوصة منه ببرد الهواء فيتأخّر بالكثيرِ من ثمره. فمادّة الخيرات بالبلد مُتَمادِيةٌ في كلّ أوان. وله خواصٌّ في كَرَم النبات يوافقُ في بَعضها أرضَ الهند.... منها أن المَحْلَب- المقدَّم في الأفاويهِ والمفضّلَ في أنواع الأشْنان[٨]- لا يَنْبُتُ بشيء من الأرض إلا بالهند

(١) لا أتهمه بذلك لأفعاله الشنيعة، فقد فعل غيره (ممّن كانوا أشرف نسباً) أفعالاً أشنع من أفعاله.

(٢) الإقليم الرابع: المعتدل (يقع الأقليم الأوّل على خطّ الاستواء، ويقع الأقليم السابع عند القطب الشماليّ).

(٣) منبجس: متفجّر، سائل. الغزير: الكثير. العذاب (بكسر العين): جمع عذب (حلو).

(٤) الهوامّ: (الحشرات الصغيرة).

(٥) الجوّ: المنخفض في الأرض (وهنا: حال الهواء من البرد والحرّ).

(٦) يبادر بباكوره: يعطي أشياء من ثمره باكراً.

(٧) الثغر: المكان الذي يخشى منه مجيء العدوّ (وهنا: شماليّ الأندلس المصاقب لأمراء النصارى).

(٨) المحلب: نوع من الطيب المستخرج من النبات (يؤكل). الأفاويه: أنواع الفلفل. الأشنان (بفتح الهمزة أو كسرها): أنواع من النبات يستخدم ورقه في الغسل والتنظيف (كالصابون).

والأندلس. وللأندلس المدنُ الحصينة والمعاقل المنيعة والقِلاع الحريزة والمصانع الجليلة [١]،ولها البرّ والبحر والسهل والوعر..... والأندلسُ اندلسانِ في اختلاف هبوبِ رياحها وجَرَيان أنهارها: أندلسٌ غربيٌّ وأندلسٌ شرقيّ. فالغربيّ منها ما جرَتْ أوْدِيَتُهُ إلى البحر المُحيط الغَرْبي [٢]، ويُمْطَرُ بالرِياحَ الغربية. ومبتدأ هذا الحَوْز [٣] من ناحية المشرق معَ المفازة الخارجة من الجَوْف إلى بلد شَنْتَمَرِيّة [٤] طالعاً إلى حوز اغريطة المجاورةِ لِطُلَيطلةَ [٥] مائلاً إلى الغرب ومجاوراً للبحر المتوسط الموازي لقَرْطاجَنّـةِ الخلفاء التي من بلد لُورقة [٦]، (ثم) الحَوْزِ الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى [٧] وتجري أوديته إلى الشرق، وهو من حدّ جبال البُشْكَنس، هابطاً معَ وادي إبْرُه إلى بلدِ شنت مرية [٨]. ومن جوف هذا البحر وغربه المحيطُ . وفي القِبلة [٩] منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج إلى بلاد الشام، وهو البحر المسمّى ببَحْرِ تِيرانَ [١٠]، ومعناه الذي يشُقّ دائرةَ الأرض، ويسمّى البحرَ الكبير.

- وقالأحمدُ بنُ محمّدِ بنِ موسى الرازيُّ (المقتبس ٨٩):

كان الأميرُ عبدُ الرحمنُ (بن الحكم) [١١] مُقدَّمَ الطبَقةِ في البلاغة مطبوعاً على الكتابة

---

(١) المصنع (هنا): البناء العظيم (وفي الأصل: الحوض تجمع فيه المياه).

(٢) الوادي (في المغرب): النهر. المحيط الغربي (الاطلنطيكي).

(٣) الحوز: جانب من الأرض ذو حدود معيّنة.

(٤) المفازة: الصحراء. شنتمريّة: بلدة في أقصى الجنوب الغربي من الأندلس (البرتغال اليوم، وأسمها فارو).

(٥) طليطلة جنوب مدريد.

(٦) قرطاجنّة الحلفاء (أو الخلفاء) مرفأ في الجانب الجنوبي الشرقي من الأندلس. لورقة بلدة داخلية غرب قرطاجنة.

(٧) الأندلس الأقصى الجانب الشمالي الشرقي.

(٨) جبال البشكنس: في الشمال عند اتصال اسبانية بفرنسة. نهر ابره يصبّ عند طرطوشة (على الشاطيء الشمالي الشرقي). شنتمريّة الشرق: بلدة إلى الشرق الشمالي من مدريد.

(٩) الجوف: الجنوب. (وسط اسبانية). المحيط (الاطلنطيكي). القبلة (الجنوب الشرقي): اتجاه المصلّى في الأندلس نحو مكّة.

(١٠) يبدو أن الإشارة هنا إلى البحر الأبيض المتوسّط (ولفظه في الأجنبية مديترّانيوم).

(١١) عبد الرحمن بن الحكم رابع الأمراء المتوارثين في الأندلس (٢٠٦- ٢٣٨ هـ).

مُقتدراً على ما حاولَ من سَنِيّ المنثورِ والمنظوم مُؤثراً لِمَنْ يُحْسِنُها مُقَرِّباً بوسيلتِها[1]. وكان له التوقيعُ الوجيزُ[2] والقريض المُستَحْسن.

- وقال أيضاً (المقتبس ١٢٩- ١٣٠):

كان لخلافة الأمير محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ غَضارةٌ[3] ولأيامه زهرةٌ ولسُلطانه جلالةٌ سَرَتْ إلى المشرق من قِبَلِ مَنْ تجاوَزَ الأندلسَ من أهل العُدوةِ[4]، فأضحى لديهم طيّبَ الخَبَرِ جميلَ الأثر اعتقدَ له من أجلهِ كثيرٌ من ملوكِ أهلِ العدوةِ الولايَةَ[5]، وألْقَوْا إليه بالمودّة وأبْدَوْا إليه المحبّةَ وأعتمدوه بالمُشاركة فيما يُحْدِثُ اللهُ إليهم من مِحْنَة[6]. فَبَلَوْا منه صِحّةَ عقدٍ[7] ونَحيزةً صَغَوْا بها إليه فداموا له على المُواصلة. وكان أكْلَفَهُمْ بما لَدَيْهِ من أملاك[8] أهلِ العُدوة بنو مدرارٍ ملوكُ سِجِلْمَاسَةَ وبنو أفْلَحَ بنِ عبدِ الوهّاب الرُسْتَميّ أمراءُ تاهَرْتَ[9] وغيرُهم.

٤- ★ ★ الزبيدي ٣٢٧؛ جذوة المقتبس ٩٧، راجع أيضاً ٩٦-٩٧ (الدار المصرية) ١٠٤ مرتين (رقم ١٧٤ و ١٧٥)؛ بغية الملتمس ١٤٠ (رقم ٣٣٠، راجع أيضاً رقم ٣٢٩)؛ ابن الفرضي ١: ٥٤-٥٥؛ معجم الأدباء ٤: ٢٣٥- ٢٣٦؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٣١؛ بغية الوعاة ١٦٨؛ نفح الطيب ٣: ١٧٣- ١٧٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ط ١، ٣: ١١٣٧؛ بروكلمن ١: ١٥٦- ١٥٧، الملحق ١: ٢٣١؛ الأعلام للزركلي ١: ١٩٩- ٢٠٠. (٢٠٨).

---

(١) يقرّب إليه البارعين فيها.

(٢) التوقيع: جملة يدوّنها الخليفة أو الوالي أو القاضي في أسفل القصة (الطلب، المعروض المقدم اليه) وتكون حكما بتنفيذ الطلب أو رفضه.

(٣) محمّد بن عبد الرحمن خامس أمراء الأندلس (٢٣٨- ٢٧٣ هـ). غضارة: السعة (بفتح السين) والنعمة.

(٤) العدوة (بضمّ العين أو كسرها): الجانب. (هنا) الشاطىء الشمالي من قارة إفريقية. من تجاوز (في رحلته: أسفاره) الأندلس.

(٥) اعتقد له الولاية: أقرّ له بالطاعة وبحقّه في الحكم.

(٦) واعتمدوه بالمشاركة.... سألوه رأيه وعونه على التغلّب على ما ينزل بهم من الأحداث (اعتداء الأعداء عليهم).

(٧) العقد: العهد، يضمره الإنسان في نفسه.

(٨) أكلفهم: أشدهم تعلّقاً به وحباً له. النحيزة: الطبيعة. صغا: مال إلى... الأملاك (الملوك).

(٩) راجع، فوق، ص ٦١.

أبو وهبٍ العبّاسيُّ

١ - هو أبو وَهْب عبدُ الرحمنِ العبّاسيُّ من بني العَبّاس، مَوْلِدُهُ (في بَغدادَ) نحو سَنَةِ ٢٥٤ (٨٦٨ م)؛ طرأ على الأندلس وسكن قُرطُبَةَ وأخفى نَسَبَهُ. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٣٤٤ (٩٥٥ م).

٢ - كان أبو وهبٍ العبّاسيُّ زاهداً وَرِعاً قليلَ الاحتفالِ بأمورِ الدنيا، مَعَ أنّه كان مُتَفَنِّناً في أطرافٍ من العلومِ. وله كلامٌ في الزُّهد والوَعْظ متينُ الأُسلوبِ. ومثلُ ذلك شعرُه مَعَ سهولةٍ في التركيب وحَلاوةٍ في اللفظ.

٣ - مختارات من شعره

- وممّا ينسب إلى أبي وهبٍ العباسي (نفح الطيب ٤: ١١٤):

قد تَخَيّرتُ أن أكونَ مُخِفًّا ... ليس لي من مَطِيِّهم غيرُ رِجْلي[١].
فإذا كنتُ بينَ ركْبٍ فقالوا: ... «قدّموا للرحيل»، قدّمتُ نَعْلي[٢].
حيثما كنتُ لا أُخَلِّفُ رحْلاً؛ ... من رآني فقد رآني ورحلي[٣].

- وقال في الزهد (نفح الطيب ٣: ٢٢٦):

تنامُ، وقد أُعِدَّ لك السُّهادُ؛ ... وتُوقِنُ بالرحيل، وليس زادُ[٤]!
وتُصْبِحُ مثلَ ما تُمسي مُضيعاً، ... كأنّك لست تدري ما المُراد.
أتطمَعُ أن تفوزَ غداً هنيئاً ... ولم يكُ منك في الدنيا ٱجتهاد.
إذا فرّطتَ في تقديمِ زَرْعٍ، ... فكيفَ يكون- من عَدَمٍ - حَصاد!

---

(١) المخفّ: الذي لا يحمل متاعاً أو أثقالاً (ليس معه أشياء يحملها في انتقاله). المطيّ جمع مطيّة: الدابة التي تُستخدم في الركوب.

(٢) الركب: الجماعة يركبون (ينتقلون، يسافرون) معاً.

(٣) الرحل (هنا): متاع البيت، الأثاث.

(٤) السهاد: السهر (الحزن من التفكير في العواقب). الرحيل: (هنا) الموت. الزاد (هنا) العمل الطيّب الذي ينفع الإنسان في آخرته.

- كان أبو وهبٍ العبّاسيُّ إذا أصبحَ، ونَظَرَ إلى استيلاءِ النور على الظُلْمة، رفع يَدَيْهِ إلى السماء وقال:

اللَّهُمَّ، إنّك أمرتَنا بالدُعاء إذا أسْفَرْنا[١] فاسْتَجِبْ لنا كما وَعَدتّنا. اللّهمَّ، لا تُسَلِّطْ علينا في هذا اليوم من لا يُراقِبُ[٢] رضاك ولا سُخْطَك. اللّهمَّ، لا تَجْعَلْ رِزْقَنا على يدِ سِواك. اللّهمَّ، امْحُ من قلوبنا الطَمَعَ في هذه الفانيَةِ[٣] كما مَحَوْتَ بهذا النور هذه الظُلْمَةَ. اللّهمَّ، إنّا لا نَعْرفُ غيرَك فنَسْألَه، يا أرْحَمَ الراحمينَ، يا غِياثَ من لا غياثَ له؛

- ومن شعره:

أنــا في حالَــتي الـتي قـدْ تَراني ... أحسَنُ النـاسِ إن تَفكَّرْتَ حالا:
مَنْزلي حيــثُ شِئْــتُ مِنْ مُسْتَقَرِّ الأرْضِ ... أُسْقَى مِنَ المِيــاهِ زُلالا[٤]؛
ليس لي كُسْوةٌ أخــافُ عليهــا ... مِنْ مُغيرٍ، ولا تَرى ليَ مالا[٥].
أجعَــلُ الساعِـدَ اليمـينَ وِسادي، ... ثمّ أثـني إذا انْقَلَبْتُ الشِّمالا[٦].
قـــد تَلَــذَّذْتُ حِقْبَـــةً بأمورٍ ... فتَدَبَّرْتُهــا فكانــت خَيــالا[٧]!

٤-★★ المغرب ١: ٥٨ - ٥٩؛ نفح الطيب ٣: ٢٠٧، ٢٢٦؛ نيكل ٢١٢؛ مختارات نيكل ١٤٨.

---

(١) أسفر الرجل: سافر باكراً (نهض من نومه).- الدعاء مطلوب في كلّ حين، ولا وجه بتقييده بزمن معيّن أو بحال معيّنة.

(٢) رقب الشيء وارتقبه انتظره. لا يراقب (لا ينتظر، لا يؤمن. لا يخشى)

(٣) السخط: الغضب. الفانية: الحياة الدنيا.

(٤) الزلال: الماء الصافي.

(٥) المغير: الهاجم (اللص).

(٦) الوسادة: المخدّة. أثني (أطوي) الشمال (اليد اليسرى). مرة أجعل وسادتي يدي اليمنى ومرّة أجعلها يدي اليسرى.

(٧) حقبة: مدّة طويلة. تدبّر الأمر: نظر فيه وفكّر فيه.

أحمد بن محمّد بن أضحى

١- هو أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ أضْحى بنِ عبدِ اللطيفِ بنِ خالدِ الغريبِ بنِ يزيدَ بنِ الشَمِرِ بنِ عبدِ شمسٍ بنِ غريبٍ الهَمْداني الإلبْيريّ، من أهلِ هَمْدانَ وَهِيَ قريةٌ على مقرُبةٍ من غَرناطةَ. وعُرِفَ جَدّهُ خالدٌ بلقبِ الغريب لأنّه كانَ أوّلَ مولودٍ من العرب الشاميّين (الذين جاءوا مَعَ بَلْجِ بنِ بِشْرٍ-راجع، فوق،ص ٣٩) في كورة إلبِيرةَ. وكان والدُه محمّدٌ صاحبَ حِصنِ الحَمّةِ من أعمال إلبيرة ومن أنصارِ الأميرِ عبدِ اللهِ بنِ محمّدٍ.

أمّا أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ أضْحى نفسُه فلا نَعرِفُ من أحداثِ حياتِه إلا أنه كان في أيامِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ (٣٠٠- ٣٥٠ هـ = ٩١٢- ٩٦١ م). ولعلّ وفاته كانتْ في حدود سنة ٣٤٥ (٩٥٦ م)[١].

٢- في الحلّة السِيَراء (١: ٢٢٩) أنّ أحمدَ بنَ محمّدِ بنِ أضحى «كان من أحسنِ الناسِ وجهاً وأفصحِهِمْ لِساناً وأشْهَمِهِمْ نفساً وأوْسَعِهِمْ أدباً» وكان شاعراً مُجيداً وخطيباً قديراً عارفاً بأشياءَ من العلم (كما نرى من خُطبته)

لابن أضْحى هذا بيتانِ من الرَجَز ألْحَقَهُما بخُطبتِهِ بينَ يَدَيْ عبدِ الرحمنِ بنِ مُحمّد، هما:

اللهُ أعطاكَ التي لا فوقَها   وقد أرادَ المُلْحدون عَوْقَها

(١) في الحلّة السيراء (١: ٢٢٩) أن أحمد بن محمّد بن أضحى قدم مع أبيه في وفد من قومه على الناصر عبد الرحمن بن محمّد داخلين في طاعته. إنّ قدومهم هذا يجب أن يكون سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) حينما جاء أبو مطرّف عبد الرحمن بن محمّد إلى الإمارة. أمّا قول ابن الابّار (الحلّة السيراء ١: ٢٢٩): «على الناصر عبد الرحمن بن محمّد» وقول لسان الدين بن الخطيب (الإحاطة ١: ١٥٧): «قدم على الخليفة عبد الرحمن» فمن باب التجوّز (لأنّ عبد الرحمن بن محمّد لم يأخذ لنفسه البيعة بالخلافة ولا تلّقب بلقب «الناصر» إلاّ في سنة ٣١٦ هـ. وبما أنّ لسان الدين قال عن أهل أحمد بن محمّد بن أضحى «جميعهم من أهل البلاغة والبيان والأدب والشعر البارع» (الإحاطة ١: ١٥٦)، فإنّ تقدّم أحمد بن محمّد ابن أضحى لإلقاء خطبة وإنشاد قصيدة عن الوفد يدلّ على أنّه كان في ذلك الحين من أسنّهم أو من احسنهم أدباً. ولعلّ الاحتمال الثاني هو الأصحّ هنا، وهذا أيضاً يندر أن يتّفق للإنسان قبل الثلاثين من عمره.

عنـك، ويأبـــى اللهُ إلاّ سَوْقَهـا   إليك، حتّـى قلّـدوكَ طَوْقهـا[1].

فإذا هو عَنَى بقوله «التي لا فوقَها» الخِلافةَ فيكونُ وفودُه على عبدِ الرحمنِ بنِ محمّد سَنَةَ ٣١٦ للهجْرة أو بعدَها بقليلٍ.

٣- مختارات من آثاره

- قَدِمَ أحمدُ بنُ محمّد بنِ أضْحى الإلبيريُّ على أبي مُطرِّفٍ عبد الرحمن بن محمدٍ فخطب بين يديه وقال:

الحمدُ للهِ المُحتجبِ بنورِ عظمتهِ عن أبصارِ بَرِيّته، والدالِّ بحُدوثِ خَلْقه على أزْليّته... وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له إقراراً بوَحْدانيّته.... وأشهدُ أنّ محمّداً عبدهُ ورسولُه انْتَخَبَه من أطيب البُيوتاتِ... ثمّ أكرمَهُ برسالتهِ وأنزلَ عليه مُحْكَمَ تنزيله واختارَ له من أصحابِه وأشْياعه خَلْقاً جَعَلَ منهم أئمّةً يَهْدون بالحق وبه يَعْدلون[2] . وجَعَلَ اللهُ الأميرَ- أعزّهُ اللهُ- وارثَ ما خَلّفوهُ من معاليهم وبانيَ ما أسَّسوه من مَشاهِدِهم حتّى أَمَّنَ المَسالك[3] وسَكّنَ الخائفَ، رَحْمةً من الله أَلْبَسَه كرامَتَها وطَوّقَه فَضيلتَها. واللهُ يُوْتي مُلْكَهُ مَنْ يشاء. واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ.

- وقال في العتاب والاعتذار:

هَوًى كَدّرَ الواشونَ منه الذي صفا   ونَمُّوا بأفعى الإفْكِ عنّي مُزَخْرَفاً[4].

---

(١) الشاعر هنا لم يجعل الشطر وحدة المعنى. ولو أردنا ترتيب هذين البيتين بحسب المعنى (كما يفعل نفر من الشعراء المعاصرين لنا بأشعارهم من باب التجديد) لكان الترتيب كما يلي:
الله أعطاك التي لا فوقها،
وقد أراد الملحدون عوقها عنك.
ويأبى الله إلاّ سوقها إليك،
حتّى قلّدوك طوقها.

(٢) راجع القرآن الكريم ٧:٥٩ (سورة الأعراف): «ومن قوم موسى أمّة يهدون بالحق وبه يعدلون» (يحكمون بالعدل بين الناس بحسب أمره).

(٣) المشاهد: الآثار الحضارية. المسالك: الطرق (كان عبد الرحمن بن محمّد قد جاء إلى الإمارة والبلاد مضطربة جدًّا بالثورات، وبثورة عمر بن حفصون خاصّة).

(٤) نمّ: زيّن الكلام بالكذب ونقله على غير وجهه. الأفك: الاختلاق، الكذب. مزخرفاً: مذوّقاً، مكذوباً فيه.

وَشَوْا، وأصاخَتْ أُذْنُ خِلّي، فما وَفَوْا   بِتَبليغِهِ ما لم أَقُلْهُ؛ ولا وَفى[1]!
وهلاّ - كما أنْصَفْتُه في مَحَبّتي-   ثَناهُمْ على الأعقاب منهم فأنْصَفا[2]؟
فلا كان واشٍ كان داءُ ضَميرِه   هَواناً، فلمّا أنْ رأى هَجْرَنا اشتفى[3].
ولا يَفْرحوا أنْ أوْقَدوا الهَجْر جاحِماً   فعمّا قريبٍ ينطفي؛ أوْ قدِ انطفى[4]!

٤- الحلّة السيراء ١: ٢٢٨- ٢٢٩؛ الإحاطة ١: ١٥٦ - ١٥٩.

أبو القاسم الفزاري

١- هو أبو القاسمِ محمّدُ بنُ عبدِ الله الفَزاريُّ، وُلِدَ في القَيْروانِ ونشأ فيها. وكانتْ وفاتُهُ سَنَةَ ٣٤٥ (٩٥٦- ٩٥٧ م).

٢- كان أبو القاسمِ الفَزاري رَجُلاً مُتقلّبَ الهوى يتكسّبُ من أهلِ كلّ دَوْلةٍ قائمةٍ. لمّا تغلّبَ مَخْلَدُ بن كَيْداد[5] على عددٍ من المُدُنِ التونسية وانتزَعها من يدِ الفاطميّين ثم خضعتْ له القيروانُ (٣٣٣ هـ) مَدَحَهُ أبو القاسم الفَزاري بعددٍ من القصائدِ هجا فيها الفاطميّين وتعرّض للمذهب الفاطميّ. ولمّا تمكّن الفاطميّون من هزيمةِ مَخْلدٍ واستردادِ القيروان، وَشِيكاً بعدَ ذلك، ثم بذَلوا الأمانَ لأهلِ القيروان مدحَهُمْ أبو القاسم الفَزاريُّ بقصيدةٍ يَرْفَعُهُمْ فيها فوقَ جميعِ المشاهيرِ من أهلِ الجاهليةِ والإسلامِ، ويُشيدُ بالمنصورِ الفاطميّ (٣٣٤- ٣٤١ هـ). والقصيدةُ مَتينةُ السَبْكِ سَهْلَةُ التِلاوةِ برُغْمِ ازدحامِها بأسماءِ الرجال.

---

(١) الوشاية حمل الكلام من شخص إلى شخص بقصد الإفساد بينهما. أصاخ: أصغى، استمع. الخلّ: الصديق. ما كان هؤلاء الناس أوفياء (صادقين) في الكلام الذي نقلوه، ولا كان هو صديقاً وفيًّا لي لمّا صدق هذا الكلام.

(٢) ثناهم على الأعقاب: ردّهم خائبين (لم يسمع منهم).

(٣) كان هذا الواشي مبغضاً لنا وكان يرى نفسه محتقراً (حينما كان يشي ولا نسمع منه). فلمّا سمع منه خلّي (صديقي) تلك الوشاية بطل شعوره بحقارة نفسه.

(٤) الجاحم: الشديد الحرارة.

(٥) راجع، فوق، ص ١٧٣.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو القاسمِ الفَزاريُّ من القصيدة التي يَرْفَعُ فيها من شأنِ الفاطميّين:

لَعَمْرُكَ، ما أوْسُ بنُ سُعدى بقومِهِ ... ولا سيّدُ الأوبار قيسُ بنُ عاصم[١]،
ولا كان ذو الجَدّين بينَ كتائبٍ ... لهامــيمَ من بَكْرٍ وحيٍّ اللهَـازم[٢]،
وربُّ مَعَدٍّ والأحاليفُ حولَهُ ... عُبــابٌ كمَوْجِ اللُّجَــةِ المتلاطم[٣]،
ولا حاجبٌ ذو القوسِ يخطُرُ حولَه ... قُرومٌ كأُسْدِ الغِيـلِ من آلِ دارم[٤]،
ولا خالدٌ سُمُّ العُداةِ آبنُ جعفرٍ ... ولا الحارثُ الشهمُ الفؤادِ آبنُ ظالم[٥]،
ولا كان بَسطامُ بنُ قيسِ بنِ خالدٍ ... وعمروُ بنُ كُلثومٍ شِهابُ الأراقم[٦]،
ولا عَلَمُ الأجوادِ كعبُ بنُ مامةٍ ... عقيدُ الثناءِ المَحْض دونَ اللوائم[٧]،
بأمَنْعَ مِنّي في جوارِ خليفةٍ ... عطوفٍ على أهلِ البيوتاتِ راحم[٨]،
كريمِ المساعي والأيــادي، سَمَتْ بــه ... أُبُوَّةُ صِدْقٍ من ذُؤابَةِ هاشمِ[٩] ....

(١) أوس ابن حارثة الطائي من السادات الكرماء وسعدى أمّه. وقيس بن عاصم سيّد بني تميم قال فيه رسول الله: « هذا سيّد أهل الوبر ».

(٢) ذو الجدّين (من كان جدّه لأبيه وجدّه لأمّه عظيمين)، وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث فارس الضحياء (اسم لعدد من الخيل المشهورة). وفي « مجمل تاريخ الأدب التونسي » (ص ٨٤): ذو الحدّين (بالحاء المهملة): مسعود بن بسطام، وكان شريفاً في قومه. الكتيبة: قطعة من الجيش (المشاة أو الفرسان). اللهاميم جمع لهموم (بضمّ اللام): الجيش العظيم، العدد الكبير. اللهازم: لقب بني تيم الله بن ثعلبة (القاموس ٤: ١٧٩). وفي مجمل الأدب التونسي (ص ٨٤): بطن من بني شيبان.

(٣) ربّ معدّ (من مجمل تاريخ الأدب التونسي): قصيّ بن كلاّب لأنه جمع كلمة قومه. الأحاليف (يقصد الأحلاف جمع حليف) ستّ قبائل من قريش اجتمعوا على أن ينصر بعضهم بعضاً وأن يكونوا عوناً على غيرهم (وهم أبناء عبد مناف، وهؤلاء متأخّرون عن قصيّ، ولكن الشاعر جعلهم حول قصيّ). العباب: معظم السيل، أو ارتفاعه أو موجه.

(٤) حاجب بن زرارة رهن قوسه عند كسرى حتّى لا يعتدي قومه بنو تميم على مراعي القبائل الأخرى عند الفرات، ووفت بنو تميم بذلك. دارم من بني تميم.

(٥) خالد بن جعفر الكلابي والحارث بن ظالم الغطفاني مشهوران بالشجاعة.

(٦) بسطام بن قيس سيّد بني بكر، وعمرو بن كلثوم سيّد بني تغلب. الشهاب: اللامع، المشهور. والشهاب حجر يخرج من مداره حول كوكب فيصل مشتعلاً إلى الأرض (كناية عن الشجاعة والشدّة). الأراقم (جمع أرقم: حيّة) حيّ من تغلب.

(٧) كعب بن مامة من مشاهير الأجواد في الجاهلية.

(٨) البيوتات: الأسر (جمع أسرة) المشهورة ذوات المكانة.

(٩) ذؤابة: أعلى الأشياء (الشريف المقدّم في قومه).

- وقال يفتخرُ بالقيروانِ ويُفضّلها على بَغْدادَ:

فهـــل للقـــيروانِ وساكِنِيهـــا عَدِيـــلٌ حـــينَ يفتخرُ الفَخورُ[1]؟
بلادٌ حَشْوُها عِلْمٌ وحِلْمٌ وإسلامٌ ومعروفٌ وخِـــــير[2].
عِراقُ الشامِ بَغـــدادٌ، وهـــذي عراقُ الغَرْبِ بينَهما كثـــــير[3]!
ولستُ أقيسُ بَغداداً إليها. وكيـــف تُقـــاس بالسَنَـــة الشُهور؟
بَناها كلُّ بَدْرِيٍّ كريمٌ كـــأنَّ صِفـــاحَ أوْجُهِهِمْ بُـــدور[4].
هم صَلَّوْا بمَسجدها براحاً وليس لهـــا جِـــدارٌ مُستدير[5].

٤- ★ ★ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٨٣.

ابن الوزان القيرواني النحوي

١- هو أبو القاسمِ ابراهيمُ بنُ عُثمانَ المعروفُ بابنِ الوزّانِ القَيروانيِّ النحويّ، كان كثيرَ السَماع (التعلّم) من ابن عيذون قرأ عليه شرح «غريب الحديث» لأبي عُبيد[6]

(١) عديل: مثيل.
(٢) الخير (بالكسر) كالخير (بالفتح).
(٣) الشام (هنا): المشرق. العراق أعظم أقطار المشرق، وتونس أعظم أقطار المغرب.
(٤) البدري: الذي حارب مع الرسول في معركة بدر (أولى معارك الإسلام، في السنة الثانية للهجرة، ٦٢٤ م).
(٥) براحا: حينما كانت أرضه براحاً (أرضاً لا زرع فيها ولا شجر = غير مبنية)- ليس المهمّ أن يكون هناك بناء يسمّى مسجداً، بل المهمّ أن يجتمع الناس للصلاة.
(٦) ابن عيذون (أبو عليّ القالي، ت ٣٥٦ هـ). لم أعثر على كتاب في غريب الحديث لأبي عبيد. هنالك كتب عنوانها «غريب الحديث» للنضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) وأبي عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠ هـ) وأبي عبيد القاسم بن سلّام الهروي (ت نحو ٢٢٣ هـ) والمبرّد (ت ٢٨٥ هـ) وإبراهيم الحربي المتوفّى سنة ٢٨٥ هـ (بروكلمن ١: ١٢٩، الملحق ١: ١٨٨) وأبي العبّاس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ومحمّد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ولآخرين أحدث عهداً من ابن الوزّان. ولعلّ المقصود هنا هو أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي صاحب «غريب الحديث». ويبدو أن كلمة «شرح» في طبقات الزبيدي (ص ٢٦٩) زائدة. ولعلّ الأصوب ما ذكره السيوطيّ (بغية الوعاة ١٨٣): «وكان (ابن الوزّان) يحفظ العين وغريب أبي عبيد المصنّف (يقصد: يحفظ كتاب العين للخليل بن أحمد وغريب الحديث لأبي عبيد بن سلّام والمصنّف». وفي معجم الأدباء لياقوت الحموي (١: ٢٠٣): وكان يحفظ كتاب العين للخليل ابن أحمد وغريب المصنّف لأبي عبيد. وفي «إنباه =

وكان صديقاً لأبي محمّدٍ عبدِ الله بنِ محمودٍ المكفوفِ (ت ٣٠٨ هـ). وكانتْ وفاتُه في عاشرِ المُحرَّمِ من سَنَةَ ٣٤٦ (١٣/ ٤/ ٩٥٧ م).

٢- كان ابنُ الوزّان القيروانيُّ النحويُّ فقيهاً على مذهب أهل العراق[1]. وكذلك كان إماماً في النحو واللُّغة والعَروض. وكان في ذلك يميلُ إلى مذهب البَصْريين مَعَ معرفتهِ الواسعةِ بمذهب الكوفيّين. ثمّ كان يُفَضِّلُ المازنيَّ في النحو وابنَ السِكّيتِ في اللغة. وهو حَسَنُ الاستخراج يستخرجُ من مسائل اللغة والنحو أموراً لم يتقدّمْهُ فيها (لم يكن فيها أحسنُ منه) أحدٌ. وكان غايةً في استخراج المُعمّى[2]. وفي أواخر أيامهِ نَظَمَ شيئاً من الشعر لم يَرْضَهُ ولا أحبَّ أن يُوسَمَ به (أن يُنْسَبَ ذلك الشعرُ إليه). وكانتْ له تصانيفُ كثيرةٌ في اللغة والنحو.

٣- شيء من آثاره

- ممّا رُوي عنِ ابنِ الوزّانِ (طبقات الزبيدي ٢٧٠- ٢٧١):

... والعربُ تقول: «رَجُلٌ ورَجْلٌ» (بضمّ الجيم أو بتسكينها)، وهي لغةُ بني تميم وبني ربيعةَ... وعلى هذا جاء «سُرْقَ» (بتسكين الراء مكان سُرِق بكسر الراء). واللام تُدْغَم في الراء، وقال أكثر القُرّاء «قُرَّبّي» (مكانَ: قُلْ رَبّي) لأنّهما من حافّةِ اللِسان مُتقاربتان. ولا تُدْغَمُ الراءُ في اللام (إذا جاءتْ الراءُ أوّلاً) لأنّ الراء فيها تكرير.

و «الذي» فيها خَمْسُ لغاتٍ: الّذي بياءٍ خفيفةٍ (بلا تشديد)؛ والّذِيّ (بتشديد

= الرواة (١: ١٧٣): وحفظ كتاب العين للخليل بن أحمد.... وكتاب المصنّف لأبي عبيد. ويبدو أن ناشري المراجع المذكورة (طبقات النحويّين واللغويّين، ومعجم الأدباء، وبغية الوعاة) قد أخطأوا في قراءة أصولهم أو توهّموا شيئاً غير موجود أو غفلوا في أثناء تصحيح الملازم. ويكون تصحيح ذلك كلّه كما يلي: قرأ ابن الوزّان القيرواني كتاب العين للخليل ابن أحمد وكتاب غريب الحديث وكتاب غريب المصنّف لأبي عبيد بن سلاّم الهروي. فغريب الحديث.وغريب المصنّف كتابان (راجع معجم الأدباء ١٦: ٢٥٥ الأسطر ٥، ٦، ٩، ١١، ٢٦٠ السطرين ٤، ٥).

(١) مذهب أهل العراق في الفقه الأخذ بالرأي وإمامهم الأكبر أبو حنيفة.

(٢) المعمَّى: الغامض، الأحجية (راجع طبقات الزبيدي ٢٧٠).

الياء)، والّذِ بحذف الياء وكسر الذال؛ والّذْ بإسكان الذال ويَرِدُ في حالِ الرفع والجر والنصب.

– وسُئِلَ عن تفسير قولهِ تعالى: «ذلك أدْنى ألاّ تَعولوا»[1] وأنَّ الإمامَ الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) قال: معنى ذلك ألاّ يكْثُرَ عِيالُكم. فقال ابنُ الوزّان:

أخطأ (الشافعي)، يُقال: عالَ يَعيل، إذا افتقر؛ وأعال، إذا كَثُرَ عِياله؛ وعال يَعول عَوْلاً، إذا جار (ظَلَم)، ومنه قولُه تعالى: «ألاّ تَعولوا» (في هذه الآية). وعالَ الشيءُ يَعولُ عَوْلاً، إذا زادَ، ومنه: عالتِ الفَريضة[2]. وعالَني الشيء يَعولني إذا أثْقَلني، ومنه قولُ الخنساءِ: «وَيكَفي العشيرةَ ما عالَها». ويُقال: عالَ يَعول عَوْلاً إذا تَبَخْتَر.

– وقال ابنُ الوزّانِ: وجاء فَعِلَ يَفْعِلُ (بكسر العين في الماضي والمضارع) في ثلاثةِ أحرفٍ (كلِمات)؛ قالوا: حَسِبَ يَحْسِبُ وبَئِسَ يَبْئِس ويَبِسَ يَيْبِسُ. وجاء (ذلك) في ثمانيةِ أحرفٍ من المعتلّ الفاء (الفعلِ الذي أوّلُه حرفُ علّة): وَرِمَ يَرِمُ، ووَرِيَ الزَنْدُ يَرِي (خرجت منه شرر من نار)، ووَرِثَ يَرِثُ، ووَرِعَ يَرِع، ووَلِيَ يَلِي، ووَمِقَ يَمِق، ووَثِقَ يَثِق، ووَفِقَ يَفِق، ووَلِه يَلِهُ ويَوْلَهُ، ووَهِلَ يَهِلُ ويَوْهَل.

٤- ★ ★ الزبيدي ٢٥٨، ٢٦٩- ٢٧١؛ معجم الأدباء ١: ٢٠٣- ٢٠٤؛ البلغة ٦؛ انباه الرواة ١: ١٧٢؛ الوافي بالوفيات ٦: ٥٠؛ الديباج المذهب ٩١؛ بغية الوعاة ١٨٣؛ شذرات الذهب ٢: ٢٧٣.

اسماعيل بن بدر

١- هو أبو بكرٍ إسماعيلُ بنُ بدرِ بنِ اسماعيلَ بنِ زيادٍ من أهلِ قُرطُبةَ كان مولًى لبني أُميّةَ، سَمِعَ الحديثَ من بَقِيّ بن مَخْلدٍ ومن محمّدِ بن عبد السلام الخُشَني ومحمّدِ بن

(١) القرآن الكريم ٤:٣، سورة النساء.

(٢) الفريضة: النصيب من الإرث. عالت الفريضة: نقصت (راجع ذلك في كتب الأحوال الشخصية، في باب تقسيم الإرث).

وضّاحٍ ومُطَرِّفِ بن قَيْسٍ وعبد الله بن مَسَرَّةَ وعُبيدِ الله بن يَحيى. (ابن الفرضي، رقم ٢١٦).

وكان إسماعيل بنُ بدرٍ مُتّصِلاً بعبدِ الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠ هـ) فولاّه الناصرُ الخاصة (إدارة أملاكه الخاصّة) في ربيعٍ الأوّلِ من سنة ٣٠٠ هـ ثمّ ولاّه إشْبيلِيَةَ. وكذلك ولاّه أحكامَ السوق (الحِسْبة: المحافظة على الأخلاق في الأسواق ومراقبة البضائع وأسعارها).

وكانت وفاةُ إسماعيلَ بنِ بدرٍ سَنَةَ ٣٥١ (٩٦٢ م) وقد عُمِّرَ طويلاً.

- اشتغَلَ اسماعيلُ بنُ بدرٍ بالحديثِ، ولكنّ الشِعْرَ غَلَبَ عليه. وكان شاعراً مُكْثِراً مُجيداً، له مدحٌ ورثاء ووصف وخمريّات. وفي شعرِه متانةٌ ورِقة أيضاً.

٣- مختارات من آثاره

- قال إسماعيلُ بنُ بدرٍ يرثي ابنُه أحمدَ، وقد ماتَ صغيراً:

غَرَسْتُ قضيباً زَعْزَعَتْهُ يدُ الرّدى ... فخلّوا دموعَ العينِ تَبْكِ على غَرْسي.
وهذا حَمامُ الأيْكِ يبكي هديلَه، ... فما لِهَديلي لا تذوب له نفسي[1]!
- ما حُزْنُ يعقوبَ على يوسفٍ ... أشدَّ مِن حُزْني على أحمد.
أحمدُ ملحودٌ- وهل نَستوي؟- ... وذاك لم يُقْبَرْ ولم يُلْحَد[2].
وكان يرجوه؛ وهل أرتجي. ... هذا وقد غَمّضتُه باليَد[3].

- وأهْدَى إلى بعضٍ من يَعْرِفُه توتاً وكَتَبَ مَعَهُ:

تفاءلتُ بالتوت التأنّي لِزَوْرَةٍ؛ ... وذلك فألٌ- ما عَلِمْتُ- صَدوقُ[4].

---

(١) الهديل: صوت الحمام. وهو أيضاً فرخ الحمام (القاموس ٤: ٦٧، السطر الأخير).

(٢) القبر هو الحفر التي يدفن الميت فيها. واللحد شقّ يكون في عرض القبر.

(٣) اذا مات الانسان جفّ جسمه. من أجل ذلك يسرع أهل الميت بمدّ أعضائه وتغميض عينيه كيلا تظلّ أعضاؤه على غير طبيعتها وكيلا تظلّ مفتوحتين.

(٤) التأنّي: (لعلّه يقصد: الأمل، الرجاء، انتظار زورة).

فأهْدَيْتُه غَضّاً حكى حَدَقَ المَها، | له منظَرٌ بالحُسْنِ منه يَروق[١].
وبَعْضٌ حكى الياقوتَ مِنهُ احمرارُه، | وما مَجّه للذائقين رحيقُ[٢].
فذا سَبَجٌ- فيما يُرى لاَسْودادِه، | وذا- لاَحمرار اللون منه- عَقيق[٣].

- قالَ اسماعيلُ بنُ بدرٍ يَصِفُ غزوةً قام بها عبدُ الرحمن الناصرُ إلى بلادِ الإسبان ويذكُرُ آثار الخرابِ الذي أتى على كلّ شيءٍ. لاحظْ أنّه يُشَبِّهُ الجيش بالبحرِ ويشبّه البِيض (السيوف) بالبِيض (النساء):

وذي لَجَبٍ كالبحر عَبّ عُبابُه | فضاقَ به رَحْبُ الفضا والتنائف[٤]
قريبُ الخُطا نائي المَدى مالِئُ المَلا، | بجمْعٍ تراه واقفاً غيرَ واقفِ[٥]
تركنا به أرضَ العَدُوِّ كأنّها | مَجاهِلُ للمُرتادِ غيرَ مَعارف[٦]؛
غَدَتْ بعدَ سَحْب البيض فيها ذُيولَها | مَجَرَّ ذُيول الطامساتِ العواصف[٧].

٤- ★ ★ أخبار مجموعة ١٦٠- ١٦٥؛ راجع ابن الفرضي ٨٠ (رقم ٢١٦)؛ راجع جذوة

---

(١) الغضّ: الطريّ، المقطوف حديثاً. الحدقة: العين. المهاة: نوع من الظباء أبيض اللون، كبير العينين. راق: سرّ الناظر.
(٢) حكى: شابه. مجّه: أخرجه من فمه. الرحيق: العسل الموجود في قلب الزهرة.
(٣) السبج: خرز أسود (المعجم الوسيط ٤١٤؛ تاج العروس، الكويت ٦: ٢٧). العقيق: حجر كريم أحمر اللون.
(٤) ذو لجب: (جيش) ذو أصوات كثيرة (لكثرة عدده وسلاحه). العباب: كثرة الماء، السيل العظيم، ارتفاع الموج. عبّ عبابه: عظم موجه وتلاطم. الرحب: الواسع. التنوفة: الفلاة (الأرض الواسعة).
(٥) قريب الخطى: الجنود يمشون فيه بخطوات قصيرة (لازدحامهم وضيق المكان بهم). نائي المدى: بعيد ما بين أوّله وآخره. تراه واقفاً غير واقف: هو يملأ بقعة كبيرة جدًّا من الأرض فلا تدرك العين أنّه يتحرّك.
(٦) المجهل: الأرض لا علامات فيها (خراب). المرتاد: الآتي إلى مكان يطلب شيئاً (عشباً، ماء، الخ). المعرفة: العلامة في الطر يهتدي بها السائرون.
(٧) غدت: أصبحت. بعد سحب البيض فيها ذيولها: بعد المعركة- في البيت استعارة جميلة: يقول الشاعر إنّ البيض (السيوف) بعد أن تنزّهت (يشبّه السيوف البيض، المجلوّة، القاطعة، بالنساء البيض الجميلات) ظفرت بسرعة وسهولة كأنّها كانت تتنزّه. جرّرت ذيولها: سارت متأنّية تتبختر (سرن متأنّيات يتبخترن). مجّر ذيول الطامسات العواصف: مكان تمرّ به الرياح الشديدة تحمل الرمال وتطمس (تغطّي) بها كلّ أثر.

المقتبس ١٥٣، وبغية الملتمس ٢١٥ (رقم ٥٤٣)؛ الحلّة السيراء ١: ٢٥٤- ٢٥٦، راجع ١٩٩- ٢٠٠؛ ثمّ الأعلام للزركلي ١: ٣٠٥ (٣١٠).

ابن مغيث الأنصاري

١- هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنِ محمّدِ بنِ مغيثٍ الأنصاريُّ من أشرافِ قُرطُبَةَ، وُلِدَ في ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٢٨٥ هـ (نَيْسان- ابريل ٨٩٨ م).

روى ابن مغيثٍ عن خالدِ بنِ سعدٍ ومحّمدِ بنِ أحمدَ الإشبيليِّ الزاهدِ وأحمدَ بنِ سعيدِ آبنِ حزمٍ واسماعيلَ بنِ بدرٍ وغيرِهم. ولَقِيَ حظوةً ومكانةً عند الخليفةِ الحَكَمِ المُسْتنصرِ (٣٥٠- ٣٦٦ هـ) قبلَ مجيئهِ إلى الخلافةِ وبعدَ مجيئهِ إلى الخلافة. وقد زَهِدَ في أواخرِ أيامهِ، وكان جِسْمُه قد ضَعُفَ. ثمّ تُوُفِّيَ في صدرِ شوّالٍ مِنْ سَنَةِ ٣٥٢ (٢٢/ ١٠/ ٩٦٣ م).

٢- كان ابنُ مُغيثٍ الأنصاريُّ من أهلِ الذكاء والمعرفة كاتباً شاعراً وأديباً ناقداً ومؤلّفاً له كتابُ «أشعار الخلفاءِ من بني أُمَيَّةَ» (في الأندلس وفي المشرق) وَضَعَهُ بطلبٍ من الخليفة الحَكَمِ وجعله على مِثال كتابِ أبي بكرٍ الصولي (ت ٣٣٥ هـ): «أشعارِ أولادِ الخُلفاء». وله أيضاً كتاب التوّابين.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن مُغيثٍ الأنصاريُّ في النسيب:

أتَوْا حِسْبَةً إذ قيلَ: «جدّ نُحولُه ... فلم يَبْقَ من لَحْمٍ عليه ولا عظمِ (١)»؛
فعادوا قَميصاً في فراشٍ فلم يَرَوْا ... ولا لَمَسوا شيئاً يدُلُّ على جِسمِ (٢).
طواه الهوى في ثوْب سُقْمٍ من الضَنى، ... فليس بمحسوسٍ بعينٍ ولا وَهْمِ (٣)!

---

(١) في الأصل: إن. جدّ نحوله: كثر هزال (بالضم) جسمه. حسبة: طاعة لله (واشفاقاً علي) لا حباً بي ولا رجاء نفع في.

(٢) عادوا: زاروا (المريض).

(٣) الضنى: شدّة النحول والمريض الذي طال مرضه.

- وقال:

أوْثَقُ عملي في نفسي مَلامةُ صدري[1]: أنّي آوي إلى فِراشي ولا يأوي إلى صدري غائلةٌ لُمسْلمٍ.

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٢٣٥-٢٣٦؛ (الدار المصرية) ٢٥٢ - ٢٥٣ (رقم ٥٣٣) بغية الملتمس ٣١٩ - ٣٢٠ (رقم ٨٨٣)؛ الصلة ١ : ٢٣٧ . الأعلام للزركلي ٤ : ٢٦٤ (١٢٠).

وليد بن عيسى الطبيخي

١- هو أبو العبّاس وليدُ بنُ عيسى بن حارث بن سالمٍ الأمويُّ بالوَلاءِ، عُرِف بالطبيخيّ لأنّه أهدى إلى مؤدّبه الحكيم أبي عبد الله محمّد بن اسماعيلَ القُرطبيّ (٢٥١- ٣٣١ هـ) طعاماً، فقال له مؤدّبه: ما هذا؟ فقال: «طبيخٌ أجدتُّ صُنْعَه لك». فلقّبه مؤدّبُه الطبيخيّ.

وتلقّى الطبيخيُّ العلمَ على نفرٍ منهم أبو عبدِ الله الغابي أخَذَ عنه شِعْرَ أبي تمّامٍ (الزبيدي ٣١٥). ثمّ إنّه اتّخذ التعليمَ صَنعةً واقتصر على تعليم أبناءِ السَراة ولم يتعرّضْ لتعليم أبناء العامّة. وكان يُحْسِنُ تقريبَ قضايا العلم من الأفهام. وكانتْ وفاة الطبيخيّ في شَوالٍ من سَنَةِ ٣٥٢ (خَريفَ عام ٩٦٣ م).

٢- كان الطبيخيُّ عالماً باللغة والشِعر، وكان له حَظّ من العربية (النحو): كان واسعَ الاّطلاع على كتب المشارقة كثيرَ الاحتجاج (ضرب الأمثلة) بالقرآنِ والأمثال، كما كان جامعاً لكثيرٍ من أخبار أهل الأندلس له «شرح ديواني مسلم بن الوليد الأنصاريّ». والطبيخيّ ناقدٌ أيضاً: كان جَيّد التَفطُّن إلى أوجه البلاغةِ حَسَنَ الترجيح بين المعاني خاصّة. وَمَعَ أن شروحَه كانتْ مُفْرَدَةً (يشرَحُ الشِعرَ بيتاً بيتاً)، فإنها كانت مُوجزةً ثم كانت، مَعَ هذا الإيجاز، شاملةً للأوجهِ اللغوية والنَحْوية والبلاغية والتاريخية، ولكنّه قلّ ما يشيرُ إلى وجهِ البلاغة- كما فعل لمّا قال (في شرح البيت ٦٤ من القصيدة الأولى، ص ١٧): «وَجَعَلَ للدين دعائمَ على الاستعارة».

---

(١) أحسن عملي أن آويَ إلى فراشي (أن ينتهي يومي) من غير أن أكون قد غضبت من مسلم أو أغضبته.

هذا معَ العلم بأن ديوانَ مُسلم بن الوليد مملوءٌ بأوجه الصناعة وبالغريب النادر الجميل منها، كقوله مثلاً (في القصيدة الأولى):

يكسو السُيوفَ دِمـاءَ الناكثـين بـه   ويجعـل الهامَ تِيجان القَنا الذُبُلِ.

٣- مختارات من آثاره

- من شرح ديوانِ مسلِم بنِ الوليد[١]: (القصيدة الأولى، البيت التاسع والخمسون، ص ١٥- ١٦):

(والمـارِقُ ٱبنُ طريفٍ قد دَلَفْتَ له   بعسكرٍ للمنايا مُسْبِـلٍ هَطِـلِ)[٢]

كان ابن طريف الخارجيّ قد أضرّ بهرون الرشيد إضراراً شديداً لا يقوم له أحد من قوّاده[٣] فاستشار هرون فيه بني برمك فأشاروا إليه بيزيد وكانوا على بغضة[٤] فأرادوا به إحدى حالتين إمّا أن ينهزم فيسقط حرمته[٥] بذلك وإمّا أن يقتل فيستريحوا منه فأخرجه هرون إليه[٦] فجعل يماكره ويقول له إنّي ابن عمّك من شيبان ولا أريد بك إلاّ خيراً وإنّما أخرجت إليك رغماً فطاوله[٧] بذلك شهراً حتّى انكسر حدّ أصحابه واطمأنّوا فقال بنو برمك لهرون إنّ يزيد قد حالف ابن طريف إذ هو من رهطه ودلّس[٨] عليك فبعث هرون إليه يقول له إمّا أن تناشب[٩] الرجل وإمّا قتلتك

---

(١) مسلم بن الوليد شاعر عبّاسي (ت ٢٠٨ = ٨١٣ م) يمدح بهذه القصيدة أحد مشاهير القوّاد يزيد بن مزيد الشيباني بعد انتصاره على الثائر الخارجيّ الوليد بن طريف الشيباني، سنة ١٧٩، في أيام هرون الرشيد. وقد تركت هذا النّص بلا شكل ولا تنقيط. ولكن لم يكن بد من شرح عدد من الألفاظ والتراكيب.

(٢) دلف اليه: سار إليه ببطء (وخدعة). العارض: السحاب الكثير يمتدّ في عرض الأفق. المسبل (الملقي ماءه) الهطل (الكثير المطر).

(٣) لا يقوم له أحد من قوّاده: لم يستطع أحدٌ أن يتغلّب عليه، بل كان هو يتغلّب عليهم.

(٤) بنو برمك كانوا وزراء في مطلع الخلافة العبّاسية. كانوا على بغضة (كره ليزيد بن مزيد).

(٥) فيسقط حرمته (فتسقط حرمته).

(٦) فأخرجه هرون الرشيد إليه (بعث هرون الرشيد بيزيد بن مزيد لقتال الوليد بن طريف).

(٧) .... أخرجت (بالبناء للمجهول) فطاوله: (هنا) تأخّر فيْ قتاله.

(٨) دلّس: كتم العيب الذي في السلعة (غشّ، خدع).

(٩) تناشب (تحارب).

فجمع يزيد أصحابه إلى نفسه وقال لهم إنّما هم الخوارج وإن لهم صدمة واحدة فمن صبر لها لم ينل[١] بعدها وإنّي حامل بنفسي من ذلك على الاجتهاد[٢] فاصبروا معي ثمّ عبّى جيوشه وترحّل[٣] هو وأصحابه ولقيه فكان بينهم قتال عظيم ووقعت الهزيمة على الخارجيّ ابن طريف فقتل فأصبحت أخته وقد لبست درعها في عسكرها تدعو براز يزيد فحمل عليها يزيد فضربها وأنشدت ترثي أخاها:

أيا شجر الخابور[٤] ما لك مورقا؟ كأنّك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يريد الزاد إلاّ من التقى

- وقال في شرح البيت الثاني والعشرين من القصيدة الرابعةَ عَشْرَةَ (ص ١٠٤):

(نَسْتَوْدِعُ الليلَ أسرارَ الهُموم إذا باحَ النعاسُ بعَجْزِ الصاحبِ الواني)

يقول: «نستودع الليل أسرار الهموم»، نكلّم في همومِنا الليلَ فكأنّنا نُودِعه إيّاها. (ويقول): «إذا باح النعاس بعجز الصاحب الواني» أي إذا أظْهَرَ النعاس عَجْزَ الصاحبِ الواني، أي الفاتر[٥] الذي قد كلَّ من المشْيِ وغلبه النومُ فباح النعاسُ بعجزه، كما تقول: بُحْتُ بالأمر، أي أظهرتُه وتركتُ كِتمانَه. ومعناه أنّه يقطع الليلَ بِجِدٍّ ونشاط إذا كَلَّ أصحابُه وأثقَلَ النومُ بهم[٦] على رِحالهم والنوق. تمشي بهم. وأمّا قوله: «نستودع الليل أسرار الهموم» فهو مِثْلُ ما تُحدّثُ وتنزل على فلان فتقول له كذا وكذا ويَصِلُنا بكذا وكذا، فكأنّه يُخْبِرُ الليلَ بذلك لأن أصحابَه قد سَكِروا من النوم.

---

(١) ينل (بالبناء للمجهول): لم يصب (بالبناء للمجهول)، لم يجرح أو يقتل.
(٢) على الاجتهاد: بقدر علمي وطاقتي.
(٣) عبّى وعبأ (الجيش) جمعه وأعدّه للقتال. ترحّل: سار.
(٤) الخابور: نبت أو شجر له زهر أصفر زاهي المنظر جيّد الرائحة تزيّن به الحدائق.
(٥) الواني: المتعب (بضم فسكون ففتح)، الذي أعجزه التعب. كلّ: تعب.
(٦) «بهم» موجودة في الأصل.

٤- (شرح) ديوان أبي الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري الشهير بصريع الغواني (حرّره... دي خويه)، ليدن (بريل) ١٨٧٥ م؛ (نشره سامي الدهّان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م.

★ الزبيدي ٣٢٩، راجع ٣٠٣ - ٣٠٤؛ ابن الفرضي ٢ : ١٥٩ (رقم ١٥١٢)؛ بغية الوعاة ٤٠٥؛ الأعلام للزركلي ٩ : ١٤٣ (٨ : ١٢٢)؛ الداية ٧٩- ٩٣.

منذر بن سعيد البلّوطيّ

١- هو القاضي أبو الحَكَم مُنْذِرُ بنُ سعيدِ بنِ عبد الله بنِ عبد الرحمن بن قاسمٍ بن عبد الملك بن نجيحٍ، أصلُ أهلِهِ من برابرةِ نَفْزَة أحدِ فروع كَزْنَة، آنتقلوا إلى الأندلس وسكنوا في فَحْص البلّوط (قرب قرطبة).

وُلِدَ مُنْذِرُ بنُ سعيدٍ، سَنَةَ ٢٦٥ (ياقوت ١٩ : ١٧٤) في محلّة النشّارين بالرَبَض (الضاحية) الشرقي من قرطبة، وقيل كان مولده سنة ٢٧٣.

دَرَسَ مُنذرُ بنُ سعيدٍ في قُرطبَة على عبيدِ الله بنِ يحيى (ت ٢٩٧ هـ) أحدِ أئمّةِ الفِقْهِ وعلى ابن يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٤).

وفي سَنَةِ ٣٠٨ (٩٢٠ م) رَحَلَ مُنذرُ بنُ سعيدٍ إلى المشرق فمرّ بِمِصْرَ فسَمِعَ من أبي جعفرٍ أحمدَ بن محمّدٍ المِصْري المعروف بابن النحاس (ت ٣٣٨) ومن أبي العبّاس أحمدَ بنِ محمدٍ المعروف بابن ولاّد (ت ٣٣٢). ثمّ إنّه حجّ وسمع في مكّة من محمّد بن المنذر النيسابوري. وطالت رِحلته في المشرق أربعين شهراً.

عاد مُنذرُ بنُ سعيدٍ من المشرق ومكثَ في الأندلس عِشرين سَنَةً أو تزيدُ لا نعلَمُ شيئاً من أخبارِه في أثنائها. ونفهم أنه زار طرطوشة (نفح ٢ : ٥١١) وفي سنةِ ٣٣٤ (٩٤٥- ٩٤٦ م) جاء من القسطنطينية إلى قُرطبةَ رُسُلُ ملكِ الروم قُسطنطينَ السابعِ (٩١٢- ٩٥٩ م) يحملون منه رِسالةً؛ كما وصل إليها في ذلك الحين وفودُ ملوك الفِرنجة. فاحتفل عبدُ الرحمنِ الناصرُ بهذه الوفودِ في قصر قُرطبةَ وَسْطَ أُبَّهَةٍ عظيمة وأرادَ من الشُعراء والخُطباء أن يقوموا بينَ يَدَيْهِ أمامَ الوفود ويذكُروا ما قام به في توطيد الخِلافة وما كان له من جلائل الفتوح والأعمال. فنهض الفقيه مُحمّد بن عبد

البرّ الكسنيانيّ ليتكلّم فأخذَتْه هيبةُ الموقف وأُرْتِجَ عليه ثمّ سَقَطَ أرضاً مَغْشِيًّا عليه. فقيل لأبي عليٍّ القالي (ت ٣٥٦ هـ)- ضيفِ عبدِ الرحمن الناصر-: «قُمْ فاَرقَعْ هذا الوَهْي». فقام فحَمِدَ الله وأثنى عليه وصلّى على نَبِيِّه؛ ثمّ انقطعَ به القولُ فوقَفَ ساكتاً.

فلمّا رأى مُنذرُ بنُ سعيدٍ ذلك «قام من ذاتِه فوصل آفتتاحَ أبي عليٍّ لأوّلِ خُطبته بكلامٍ عجيبٍ وفَصْلٍ مُصيبٍ يَسُحُّه سحًّا كأنّما يَحْفَظُه قبلَ ذلك بمدّةٍ، وبدأ من المكان الذي (كان قد) وَصَلَ إليه أبو عليٍ البغدادي «القالي» (النباهي ٦٦). فكانتْ تلك الخُطبةُ سبيلَ حَظْوتهِ عند عبدِ الرحمن الناصر.

بُعيدَ تلك الحادثةِ، فيما يبدو، عَيّنَهُ الناصُر قاضياً في مدينة مارِدَةَ ثمّ جعله على قضاء الثغور الشرقية. وفي ربيع الآخر من سَنَةِ ٣٣٩ (مطلع خريف ٩٥٠ م) أصبحَ مُنذرُ بنُ سعيدٍ قاضيَ الجماعةِ في قُرطبةَ. ومَعَ أنّ مُنذرَ بنَ سعيدٍ كان من أتباعِ المذهب الظاهريّ، فإنّه كان يَقْضي على مذهبِ الإمام مالكٍ. وكان عادلاً بين الخُصوم شديداً في الحقّ لا تأخذه في اللهِ لَوْمَةُ لائمٍ. وقد بَقِيَ في القضاء ستَّ عَشْرَةَ سَنَةً إلى حينِ وفاتهِ في ٢٨ من ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٣٥٥ (١٥/ ١١/ ٩٦٦ م). ودُفِنَ في الرَبَضِ الغَرْبي من قرطبةَ قريباً من داره.

٢- كان مُنذرُ بنُ سعيدٍ البلّوطيّ فقيهاً مُتفنّناً في ضُروبِ العلم يَعْرِفُ المذهبَ الظاهريَّ ومذهبَ الإمام مالكٍ قادراً في الجَدَل. وكان أديباً شاعراً مترسّلاً له أشعارٌ مطبوعةٌ وخطب عجيبةٌ ورسائلُ بليغةٌ، كما كان مُؤلّفاً. ومَعَ متانةِ خُلقه فقد كانتْ فيه دُعابةٌ حَسَنَةٌ. وشعرُه القليلُ الباقي في الزهد والشكوى من الدهر ومن الناس حيناً وفي الفخرِ بالنفسِ حيناً آخرَ. وشعرُه صحيحٌ متين. أما خُطَبُهُ فبارعةٌ جدًّا تَغْلبُ عليها السهولةُ وتتّسم بالتبسّطِ في القولِ والإتيان بالمعاني القليلةِ اليسيرة القريبة المتُناوَل مِمّا يُسَهِّلُ على السامعين آستيعابَها فيكونُ ذلك أدعى إلى تأثيرها فيهم. ويزيدُ في تأثيرها في السامعين بروزُ العُنصُرُ الدينيّ فيها من الوعظ بالترغيبِ والترهيب وإخراجِ ذلك كلّهِ مخرجَ الخِطاب للحاضرين مَعَ كَثْرة الاستشهاد بالآياتِ.

ولقد كان مُنْذرُ بنُ سعيدٍ عظيمَ الاستيلاء بخطبه على السامعين.

٣- مختارات من آثاره

- قال منذر بن سعيد البلّوطيّ يذكر الموت:

الموت حَوضٌ وكلُّنـــا يردُ؛ لم يَنـجُ مِمَّـا نخافُـهُ أَحدُ[١].
فلا تكن مُغرَماً برزقِ غدٍ، فلَسْتَ تـدري بما يجيءُ غـدُ.
وخذ من الدهر ما أَتاك به؛ ويَسْلَمُ الروحُ منـك والجسدُ.
والخيرَ والشرَّ لا تدعْهُ، فما في الناس إلاَّ التشنيعُ والحسدُ.

- وقال يشكو من الدهر والناس (قبل إقبال الدنيا عليه):

هـذا المقالُ الذي ما عابَه فَنَدُ، لكنَّ صاحبَه أزرى به البَلَدُ[٢].
لو كنتُ فيهم غريباً كنتُ مُطَّرَفاً، لكنَّني منهمُ فاْغتالني النكَد[٣].
لولا الخلافةُ- أَبقى اللهُ بهجتَها- ما كنتُ أَبْقَى بأَرض ما بها أَحد!

- نُتَفٌ من خطبته يومَ دخلت الوفودُ على عبد الرحمن الناصر:

أمّا بعدَ حمدِ الله والثناءِ عليه والتَعْدادِ لآلائه[٤]..... فإنّ لكلّ حادثةٍ مقاماً- ولكلّ مقامٍ مقالٌ. وليس بعدَ الحقّ إلاّ الضلالُ. وإنّي قد قُمْتُ في مقام كريم، بين يَدَيْ مَلكٍ عظيم. فأصْغُوا إليّ- معشرَ المَلإِ- بأسماعِكُمْ وأيْقنوا عنّي بأفْئدَتكُمْ[٥].... وإنّي أُذكّركم بأيام الله عندكم وتلافيهِ لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لَمّتْ شَعْثَكم وأمّنتْ

---

(١) يرد: يذهب إلى الماء (ليستقي أو ليشرب). جميع الناس سيموتون.
(٢) الفند: ضعف الرأي من الهرم (التقدّم في السنّ). الكذب. أزرى به (عابه، خفض منزلته). البلد (أنه من أهل البلد- أهل البلد لا يحبون النابه منهم، بل يحبّون الغريب عن بلدهم).
(٣) مطّرفاً: طريفاً: جديداً، بهيجاً. غاله واغتاله: قتله، اهلكه. النكد: صعوبة العيش وضيقه، الشؤم.
(٤) الآلاء جمع إلى (بكسر الهمزة أو فتحها): النعمة.
(٥) الملأ: أشراف القوم. الفؤاد: القلب. أيقنوا عنّي بأفئدتكم: كونوا واثقين ممّا أقول.

سِرْبَكم ورفعت[١] قوّتكم: كُنتم قليلاً فكَثّركم.... ومُسْتَذَلّين فنَصَركم. ولاّه اللهُ رعايتَكم وأسند إليه إمامتَكم أيامَ ضَرَبتِ الفِتنةُ سُرادُقَها على الآفاق وأحاطت بكم شُعَلُ النفاق[٢].....

أُنْشِدُكُمُ اللهَ- معاشرَ المَلإِ- ألم تكنِ الدماءُ مَسْفوكةً فحقَنَها، والسُبُلُ مَخُوفةً فأمَّنها[٣] والأموالُ مُنْتَهَبَةً فأحْرَزَها وحَصّنها[٤]؟ ألم تكن البلادُ خَراباً فعَمّرها وثغورُ المسلمين مُهْتَضَمَةً فحماها ونصَرها[٥]؟ فاذكروا آلاءَ اللهِ عليكم بخلافتهِ وتلافِيَهُ جَمْعَ كَلِمَتِكُمْ بعدَ افتراقها بإمامته حتّى أذهبَ عنكم غيظَكم وشفى صدورَكم وصِرْتم يداً على عدوِّكُم بعد أن كان بأْسُكم بينكم[٦]... فأصبحتم بنعمتهِ إخواناً وبِلَمِّ أمير المؤمنين لِشَعْثِكُمْ على أعدائه أعواناً حتّى تواتَرَتْ[٧] لديكم الفتوحاتُ، وفَتَحَ اللهُ عليكم بخلافته أبوابَ الخَيْرات والبَرَكات، وصارتْ وفودُ الروم[٨] وافدةً عليه وعليكم، وآمالُ الأقْصَيْنَ والأدْنَيْنَ مُتّجهةً إليه وإليكم: يأتون من كلّ فَجٍّ عميقٍ وبلد سحيقٍ ليأخذوا بحبل[٩] بَيْنَكم وبَيْنَه جُملةً وتفصيلاً لِيَقْضِيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً. ولن يُخْلِفَ اللهُ وعدَه؛ ولهذا الأمر ما بعدَه.....

٤- ★ ★ الزبيدي ٣١٩- ٣٢٠؛ جذوة المقتبس ٣٢٦- ٣٢٧ (الدار المصرية) ٣٤٨- ٣٤٩ (رقم ٨١١)؛ بغية الملتمس ٤٥٠- ٤٥٢ (رقم ١٣٥٧)؛ ابن الفرضي ٢: ١٤٢- ١٤٣؛ مطمح الأنفس ٣٧- ٤٦؛ تاريخ قضاة الأندلس ٦٦- ٧٥؛ انباه الرواة

---

(١) التلافي: تجنّب الأمور (المؤذية). لمّ الشعث: جمع القوم ووحّد أمورهم. أمّن السرب (جماعة الغنم أو الابل السارحة): نشر الأمن في بلدكم.

(٢) السرادق: الخيمة الكبيرة. ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق: انتشرت في كلّ مكان.

(٣) حقن الدماء: حمى الناس من القتل. مخوفة: يخاف السائرون فيها (من الاعتداء عليهم).

(٤) أحرزها: وضعها في حرز (مكان أمين) وحصّنها (أحاطها بما يحفظها).

(٥) الثغور جمع ثغر: المكان الذي يخشى منه مجيء العدوّ برّاً أو بحراً. مهتضمة: مغتصبة، منقوصة (معتدى عليها).

(٦) البأس الشّدة، الحرب.- بأسكم بينكم: كنتم في شقاق وقتال (فيما بينكم).

(٧) التواتر: التوالي، التتابع (أن تأتي الأشياء متّفقة من كل مكانٍ وبلا انقطاع).

(٨) الروم: النصارى عموماً من أي جنس كانوا.

(٩) الفجّ: الطريق في الجبل. عميق وسحيق (هنا) بمعنى بعيد. ليأخذوا بحبل منكم: ليعقدوا معكم معاهدة، ميثاقاً (في سبيل حماية أنفسهم).

٣: ٣٢٥؛ معجم الأدباء ١٩: ١٧٤- ١٨٥؛ ابن الأثير ٨: ٢٤٣- ٢٤٤؛ بغية الوعاة ٣٩٨؛ نفح الطيب ١: ٣٦٨- ٣٧٦، ٥٧٠- ٥٧٦، ٢: ١٦- ٢٢؛ شذرات الذهب ٣: ١٧؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٨٤؛ نيكل ٣٣- ٣٥، مختارات نيكل ٢٧؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٢٩ (٧: ٢٩٤).

محمّد بن يحيى الرَباحيّ

١- هو أبو عبدِ اللهِ مُحمدُ بنُ يحيى بنِ عبدِ السلام الأزديُّ الأندلسيُّ الرَباحيُّ(١)، أصلُه من جيّانَ ومَنزلُه في قُرْطُبةَ. «وكان يُعرف بالقَلفاط أيضاً» (بغية الوعاة ١١٣).

رَحَلَ إلى المَشْرِقِ وأخذَ في مِصْر عن أبي جعفرِ بنِ النحّاسِ (٢٣٨ هـ) كتابَ سِيبَوَيْهِ، وعن ابنِ وَلّادٍ (ت ٣٣٢ هـ)، وكان ابن ولّاد يهتمُّ أيضاً بسيبويهِ وله كتاب «تفسيرُ أبياتِ (شواهدِ) سيبويه».

وعاد الرَباحيُّ إلى قرطبةَ وتصدّرَ للتدريس وأقرأ كتابَ سيبويه فكَثُرَ المُلتفّونَ حولَ حَلْقَتِهِ لبَراعتِهِ ولِطريقتِهِ المُبْتَكَرَةِ في إقراء النحو.

وكانت وفاته في رَمَضانَ من سَنَةِ ٣٥٨ (صيفِ ٩٦٩ م).

٢- كان الرَباحيُّ بارعاً في عِلمِ النحو مُقتدِراً في نظمِ الشِعرِ على النَهْج العَرَبي البَدْويّ. له أرجوزة في رِثاءِ أحمدَ بنِ موسى بن حُديرٍ(٢) أوغَلَ في بِنائها على مَذهبِ العَرَبِ وفي الخروج فيها عن مذهبِ المُحْدَثينَ فلم يَرْضَها العامّةُ.

وكان الرباحيُّ قد طالعَ كُتُبَ علماءِ الكلامِ ونَظَرَ في كتبِ المَنْطِقِ فبَرَعَ في الاحتجاج وفي سِياقةِ الأدلّةِ حتّى كان يجادلُ الفُقهاء والأطبّاء وأهلَ التنجيمِ - وليس ذلك كلّهُ مِنَ اختصاصه- فيجولُ مَعَهُم في دقائقِ صِناعاتِهم وربّما غَلَبَهم بالحُجّة. واستفادَ الرباحيُّ من هذه الخاصّة في نفسِهِ فكان يَعْقِدُ مجلساً للمناظرة (في النحو) في

(١) نسبة إلى قلعة رباح (بنقطة واحدة تحت الباء) قرب طليطلة، وكان أبوه أو جدّه قد سكنها.

(٢) كان موسى بن محمّد بن حدير من الذين ساعدوا عبد الرحمن الناصر على الوصول إلى الخلافة ثمّ أصبح حاجباً (رئيساً للوزارة) (الظاهر أن المرثيّ ابنه).

كلِّ جُمُعة. «ولم يكنْ عند مُؤدِّبي العَرَبية ولا عند غيرِهم، مِمّن[١] عُنِيَ بالنحو، كبيرُ علمٍ حتّى وَرَدَ الرَباحيّ عليهم. وذلك أن المؤدّبين إنّما كانوا يُعانون إقامة الصِناعة في تلقينِ تلاميذهم العواملَ وما شاكلَها، وتقريبَ المعاني لهم. ولم يأخُذوا أنفسَهم بعِلم دقائقِ العربية (النحو) وغوامِضِها والاعتلال لمسائلها. ثمّ كانوا لا يَنظُرون في إمالة ولا ادْغامٍ ولا تصريفٍ ولا أبْنِيَةٍ، ولا يُجيبون في شيءٍ منها حتّى نَهَجَ لهم (الرباحي) سبيلَ النظر، وأعْلَمَهُم بما عليه أهلُ هذا الشأن في المَشْرِق، مِنَ اسْتقصاءِ الفنّ بوجوههِ واستيفائه على حُدودهِ وأنّهم بذلك (أي المشارقةَ) استحقّوا اسمَ الرياسة».

٣- مختارات من آثاره

- كَتَبَ محمّدُ بنُ يحيى الرَباحيّ إلى أبي بكرٍ الزُبَيْدي (ت ٣٧٩ هـ) بقصيدةٍ في مَطْلَعِها:

خَليـليَّ من فَرْعَي زبيدِ بنِ مَذْحجٍ قفا واسْمعا، قد يُسْعدُ الشَجِيُ الشَجي[٢].

ألم تعلما أنّي أرقــتُ،وشاقــني خيــالٌ سرى وهْنــاً ولّمـا يعرِّج[٣].

- ورثى الرباحيُّ أحمدَ بنَ موسى بن حدير بأرجوزة قلّدَ فيها مقصورةَ ابنِ دُريد[٤] أوّلُها ثم أحدُ أبياتِها اللذان يَليَان:

إحـدى الرَزايا ولا أُعطي السِوى رُزْءٌ بـه دَهْري ولو عَزّ العَزا[٥].

---

(١) في الزبيدي (ص ٣٣٦، السطر الثالث من أسفل) «من عني بالنحو» (المقصود أن النحاة لم يكونوا بعد قد تعمّقوا في فقه النحو وفي طريقة تعليمه).

(٢) زبيد (بضمّ الزاي للتصغير): قوم من مذحج (بفتح فسكون فكسر) من عرب الجنوب. الشجي الحزين. الشجي الأولى مفعول به والثانية فاعل (أو بالعكس). يسعد: يعين (إذا اجتمع حزينان، فربّما تعزّى كل واحد منهما إذا رأى مصيبة الآخر أشدّ من مصيبته هو).

(٣) سرى: مرّ، سار ليلاً. وهنا: بعد منتصف الليل. لم يعرّج: لم يتوقّف، لم يمل (لم يجعل طريقه) إلى مكاني.

(٤) ابن زيد (ت ٣٢١ هـ) - راجع الجزء الثاني.

(٥) إحدى الرزايا (المصائب الكبار). السوى (بكسر السين وضمّها): العدل، التساوي (لا أعطي السوي: لا أجعل مصيبة مساوية لها). عزّ العزاء: قلّ، صعب نسيان هذه المصيبة.

سائـــلْ بطَسْمٍ والــذين قبلَهم   والحَضْرَ والحَيّ الحِلالَ من سَبا[1]!

٤- ★ ★ الزبيدي ٣٣٥- ٣٤٠؛ ابن الفرضي ٧١- ٧٢ (رقم ١٢٩٣)؛ جذوة المقتبس ٩١ (الدار المصرية ٩٨ (رقم ١٦٤)؛ بغية الملتمس ١٣٤؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٩٢؛ بغية الوعاة ١١٣.

الخشني المؤرّخ

١- هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ الحارثِ بن أسدٍ الخُشَنيُّ، وُلدَ في القَيْروان ودَرَسَ فيها وفي تونسَ وسكن مدّة في سَبْتَةَ.

دَخَلَ الخُشنيُّ الأندلسَ سَنَةَ ٣١١ أو ٣١٢ (٩٢٤ م) حَدَثاً، ودرس في قُرطبةَ على قاسمِ بن أصبغَ (ت ٣٤٠ هـ) وعلى مُعاصرهِ محمّدِ بنِ عبدِ الملك بن أيْمَنَ.

وأرادَ الخليفـــةُ عبـــدُ الرحمنِ الناصرُ أن يُولِّيَ الخشنيَّ القضـــاءَ في جيّانَ فأبى الخشنيُّ إباءً شديداً، ولكنّه قَبِلَ، في أيامِ الحكمِ المُسْتَنْصِرِ (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) أن يتولّى المواريثَ في مدينةِ بجّانةَ من أعمالِ المَريّةَ. وبعدَ وفاةِ الحَكَمِ عَمِلَ الخُشنيُّ بالعِطارة (بيع العطور والبذور وبيع موادَّ لها صلة بالأدوية الخفيفة وبالكيمياء).

وتُوُفِّيَ محمّدُ بنُ حارثٍ الخُشنيّ في الثالثِ من صَفَرَ من سَنَة ٣٧١ (٨/٨/٩٨١ م) وفي تحقيق سَنَة وفاته اختلافٌ بينَ سَنة ٣٦١ وسنَة ٣٧١ هـ.

٢- محمّدُ بنُ حارثٍ الخُشنيُّ مُحَدِّثٌ وفقيهٌ ومؤرّخ؛ له من الكتب: كتاب القُضاة بقُرطبة- كتاب علماءِ إفريقية (القطر التونسي)- أخبار الفُقهاء والمُحدِّثين- الاتفاق والاختلاف لمالكِ بنِ أنسٍ وأصحابهِ. ويبدو أنه كان لأبي عبدِ الله محمّدِ بنِ حارثٍ الخُشنيِّ شعرٌ كثيرٌ مشهور يدلنا القليل الذي بَقِيَ لنا منه على شيءٍ من المَتانة وعلى أن من أغراضهِ الزُهْدَ والحِكمةَ.

---

(١) طسم: قبيلة عربية بادت (انقرضت). الحضر: بلد (أو قصر) في العراق. الحيّ الحلال (بكسر الحاء) الأقوام النازلون في مكان موقّتاً. سبا: أهل سبأ (أهل اليمن).- اسأل جميع الناس (من البدو والحضر، ومنذ أقدم الأزمنة)...

٣- مختارات من آثاره

- قال محمّدُ بنُ حارثٍ الخُشنيُّ في مقدّمة كتاب «القضاة»، بعدَ أن ذكر اهتمامَ الأميرِ الحكَمِ المُسْتَنْصِرِ[١] بالعلومِ وتدوينِها وأنه هو الذي أمر بتأليفِ هذا الكتابِ:

لمّا كان القاضي أعظمَ الوُلاةِ خطَراً بعدَ الإمام الذي جعلَه الله زِماماً للدين وقِواماً[٢] للدنيا، لِمَا يتقلّدُه القاضي من تنفيذِ الأحكام في الدِماء والفُروج والأموال والأعراض[٣] وما يتّصلُ بذلك من ضُروبِ المنافع ووجوهِ المَضارّ، وكانتِ العُقبى من الله في ذلك فظيعةَ المقام هائلةَ الموقف مَخُوفَةَ المطلع[٤]، ختلفتْ في ذلك الهِمَمُ من عُقلاءِ الناس وعُلمائهم. فقَبِلَ كثيرٌ منهم القضاء رَغبةً في شرف العاجلة[٥] ورجاءً لِمَعونةِ الله عليه واتّكالاً على سَعَةِ عَفْوِهِ فيه، ونفَرَ آخرونَ منه رَهبةً من مكروه الآجلة[٦] وحِذاراً من الله فيما يكون منهم وعلى أيديهم. وقد سَلَفَ من رجال الأندلس، من أهل حاضِرَتِها العظمى[٧]، رِجالٌ دُعُوا إلى القضاء فلم يُجيبوا رَهبةً..... من مُنْتَظَرِ العاقبة[٨]. وقد رأيتُ أنْ أُدَوِّنَ ذِكْرَهُمْ وأَصِفَ مقاماتِهم بينَ يَدَيْ خُلفائهم وإشفاقاً ممّا دعاهم إليه أُمراؤهم، وأن أجعَلَ لذلك باباً في صدرِ الكتاب[٩]، ثمّ أصيرَ

---

(١) الحكم المستنصر كان ابن عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠ هـ) وخليفته.

(٢) الخطر: القيمة المكانة، الشرف. زمام: رسن، قياد، ضابط. القوام: النظام، الأصل، العماد.

(٣) في الدماء (القصاص على القتل والجروح) والفروج (الزواج والطلاق وما يتعلّق بها) والأموال (الزكاة والصدقات والضرائب) والأعراض (جمع عرض بكسر العين: شرف الإنسان ثمّ جمع عرض بفتح ففتح: البضائع، وهي المقصودة هنا: أي أمور التجارة من البيع والشراء الخ).

(٤) ضروب: أنواع. العقبى: النتيجة (ما يصير إليه الإنسان في الآخرة). فظيعة: شديدة، شنيعة. المطلع: المظهر

(٥) العاجلة: الدنيا.

(٦) الآجلة: الآخرة (يوم القيامة).

(٧) سلف: مضى (عاش قبل أيامنا). الحاضرة: العاصمة (قرطبة).

(٨) خوفاً من الحساب على أعمالهم يوم القيامة.

(٩) واشفاقاً (العطف هنا غير واضح). صدر: أوّل.

إلى ذِكْرِ وُلاةِ القضاءِ قاضياً قاضياً على ما كانت عليه دُوَلُهُمْ[١].....

- قال أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ حارثٍ الخُشَنيُّ في يَحْيى بنِ مَعْمَرٍ الالهاني[٢] (المقتبس ٥٤):

يحيى بنُ مَعَمر بنِ عِمرانَ بنِ منير بنِ عُبيدِ بنِ أُنَيْفٍ الألهانيّ من العرب الشاميّين[٣]، وكان من أهل إشبيليةَ، منزله منها بمغرانةَ- قريةٍ بقُرْبِ الحاضرة وعليها ممّر السابلة[٤]. وكان في وقتهِ فقيهَ إشبيليةَ وفارِضَها[٥]. وكانتْ له رِحلة لَقِيَ فيها أشهبَ بَن عبدِ العزيزِ[٦] وسَمِعَ منه ومن غيره من أهل العلم. وكان وَرِعاً زاهداً فاضلاً عِفّاً مُقبلاً على عِمارة ضَيْعتهِ وترقيح[٧] مَعيشته. فانتهى خبرُه إلى الأميرِ عبد الرحمن[٨]، وقدِ احتاجَ إلى قاضٍ، فاعتامه[٩] للقضاء واستقدَمَه إلى قُرطبةُ وقلّده قضاءَ الجماعةِ بها. فصدَق الظنُّ به واغتدى من خير القضاة في قَصْدِ سِيرته وحُسن هَدْيِهِ وصَلابةِ قَناتِه وإنْفاذِ الحقّ على من تَوَجَّهَ عليه لا يَحْفِلُ لَوْمَةَ لائمٍ فيه.

- ومن مشهورِ شعرِ أبي عبدِ الله (محمّدِ بنِ حارثٍ) الخُشَنيِّ (المقتبس ٢٥٧- ٢٥٨):

كـأنْ لم يكُنْ بَيْنٌ ولم تَكُ فُرقةٌ إذا كـان من بعد الفراق تَلاق[١٠]؛
كـأنْ لم تُؤَرَّقْ بالعِراقـين مُقلـتي، ولم تَمْرِ كـفُّ الشوق ماءَ مآقي[١١]،

---

(١) الدولة: الدور (المدّة التي يقضيها الإنسان بعد غيره)- دولة دولة: مرّة بعد مرّة.

(٢) توفّي يحيى بن معمر قبل ٢٣٤ هـ.

(٣) راجع، فوق، ص ٣٩.

(٤) الحاضرة: العاصمة (هنا: قرطبة). ممّر السابلة (السائرين في السبيل: الطريق): الطريق العامّ (بين مدينة ومدينة).

(٥) الفارض: الذي يتولّى قسمة الارث بين أصحاب الحقّ (والعالم بذلك).

(٦) أشهب بن عبد العزيز فقيه مالكي من أهل مصر (ت ٢٠٤ هـ=٨١٩ م).

(٧) الترقيح: إصلاح أمر المعيشة.

(٨) هو عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦- ٢٣٨ هـ) رابع الأمراء المتوارثين في الأندلس.

(٩) اعتامه: قصده (طلبه).

(١٠) البين: البعد، الفراق.

(١١) العراقان: البصرة والكوفة (القطر العراقي). مرى اللبن من ضرع البقرة: مسّ الضرع برفق ليخرج منه اللبن.

ولم أَزُرِ الأعرابَ في خَبْتِ أرضِهِمْ بـذاتِ اللِوى من رامةٍ وبُراق[1] ،
ولم أصْطَبِـحْ بالبِيد من قهوةِ الندى بكـأسٍ سقانِيها الفِراقُ دِهاق[2] .
بـلى، وكأنّ الموتَ قد زارَ مضجعي فحوّل منّي النفسَ بـين تَراق[3] .
أخي، إنّما الدُنيـا محلّـةُ فُرقـةٍ ودارُ غُرورٍ آذَنَـــتْ بفِراق[4] .
تزوّدْ، أخي، مِنْ قبلِ أن تسكُنَ الثرى وتلتـــفَّ ساقٌ للنشورِ بساق[5] .

٤- كتاب القضاة بقرطبة (ريبيرا)، مدريد ١٩١٤ م؛ (عزّت العطّار)، القاهرة ١٣٧٢ هـ.

- كتاب علماء إفريقية (محمّد أبو شنب)، الجزائر ١٩١٦، ١٩٢١ م.

★ المقتبس (راجع الفهرس)؛ جذوة المقتبس ٤٩ - ٥٠ (الدار المصرية) ٥٣ (رقم ٤١)؛ ابن الفرضي ٢: ٢١٤ - ٢١٥ (رقم ١٤٠٠)؛ معجم الأدباء ١٨: ١١١؛ الوافي بالوفيات ٢: ٣١٥؛ المغرب (٢: ٥٤)؛ بغية الوعاة ٥٢. الديباج المذهب ٢٥٩ - ٢٦٠؛ بروكلمن ١: ١٥٧، الملحق ١: ٢٣٢؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٠٣ (٧٥).

ابن هاني الأندلسيّ

١- يَرْجعُ نَسَبُ ابن هانئ الأندلسيِّ إلى يَزيدَ بن حاتَم بنِ قُبَيْصَةَ بن المهلّب بن أبي صُفْرَةَ الأزديِّ، وقيل بل إلى أخيه رَوْحِ بنِ حاتَمٍ. كان يزيدُ بنُ حاتم قد جاء إلى إفْريقيَةَ (سنة ١٤٥ هـ) لقتال عَمْرو بنِ حَفْصٍ. ثمّ لمّا تُوُفِّيَ يزيدُ (سنة ١٧٠ هـ) خَلَفَهُ عَلَى إفريقية أخوه رَوْحٌ.

وُلِدَ أبو القاسم (وقيل: أبو الحسن) محمّدُ بنُ هاني[6] بنِ محمّدِ بن سَعْدونٍ المعروفُ بابنِ

(١) الخبت من الأرض: المنخفض (الذي يكون فيه عادة ماء) الواسع.
(٢) اصطبح: شرب الخمر صباحاً. القهوة: الخمر المطبوخة بالنار. دهاق: مملوءة. قهوة الندى..... (؟).
(٣) التراقي جمع ترقوة (بضمّ التاء): عظم في أعلى الصدر. فحوّل منّي الخ: قرّبني من الموت.
(٤) آذن: أوشك، اقترب.
(٥) النشور: يوم القيامة. التفّت الساق (العظم الأدني من رجل الإنسان): اشتبكت (كناية الازدحام والاضطراب).
(٦) كان هاني بن محمّد بن سعدون (والد صاحب هذه الترجمة) من قرية من قرى المهدية في إفريقية (القطر التونسى) ثمّ انتقل إلى الأندلس. وكان أديباً شاعراً.

هانئ الأندلسيّ[1] سَنَةَ ٣٢٠ (٩٣٢ م) أو ٣٢٦ في قريةِ سكون؟ من قُرى إشْبيلِيَةَ.

ونشأ في إشبيلية، ثمّ انتقلتْ أُسرتُه إلى إلبيرة (قرب غرناطة)، ولذلك أصبحَ يُعْرَفُ أيضاً باسم ابن هانئ الإلبيريّ. وقد تلقّى علومه في مدينة قرطبة.

واتّصل ابن هانئ الأندلسيُّ أولَ ما اتّصل بولاة اشبيلية، ولكنْ يبدو أنّه لم يَنَلْ حَظْوَةً لدى رجال الدولة المروانيّة فانتقل إلى المَغْرِبِ، وعُمُرُهُ إذ ذاك سَبْعٌ وعِشرونَ سَنَةً (٣٤٧ أو ٣٥٣ هـ) ثمّ اتّصل برجال الدولة الفاطمية. ومن المستبعد أن يكونَ ابن هانئ قدِ اَعتنق المذهب الفاطميّ في الأندلس ثمّ اضطُرّ إلى مُغادرة الأندلس من أجلِ ذلك، فقد قيل إنّه اتّصل في المغربِ بجَوْهَرٍ الصِقِلّيٍّ ومَدَحَهُ فأعطاه جَوْهَرٌ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ. ثمّ سأل عن رجلٍ كريمٍ يَقْصِدُهُ فدَلّوهُ على جَعْفَر بنِ فَلاحٍ وعلى جَعْفرِ اَبنِ عليٍّ بنِ حَمْدونٍ المعروفِ بابنِ الأندلسية- وكان جَعْفَرُ بنُ عليٍّ وأخوه يحيى والِيَيْنِ على المَسيلةِ (المُحمّدية) إحدى مدن الزابِ (في المغرب الأوسط)، فسار إلَيْهما ومَدَحها ونال عندَها حَظوةً كبيرة. ثمّ بلغ خبرُ ابنِ هانئ إلى المُعزّ لدينِ الله الفاطميّ (٣٤١-٣٦٥ هـ) فاسْتَقْدَمَهُ المعزُّ إلى القَيْروانِ وبالغ في إكرامه.

في أواخرِ شَوّالٍ من سَنَةِ ٣٦١ (صيف ٩٧٢ م) اَنتقل المُعزّ لدينِ الله إلى القاهرةِ فخَرَجَ ابنُ هانئ مَعَهُ مُشَيِّعاً. ثمّ إنّه عاد وجاء بأهلِه وسار يريدُ مِصْرَ. فلمّا كان في بَرْقَةَ وُجِدَ مقتولاً، في ٢٣ من رَجَبَ من سَنَةِ ٣٦٢ (٢٩/ ٤/ ٩٧٣ م) في الأغلب. ولم يَتّفِقِ المؤرّخون على سَبَبِ مَقْتلِهِ.

٢- يَدُلُّ شِعْرُ ابنِ هانئ الأندلسي على أنّ ابنَ هانئ كان مُلِمّاً بِعَدَدٍ من العلوم كعِلْمِ اللُّغَة والفِقْه والكَلام وعلم الهيئة (الفَلَك)؛ ولكنّ اختصاصَه كان في الأدبِ. وَهُوَ شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيدٌ جعَلَه مُعْظَمُ النُّقّاد في مُقَدِّمةِ شُعَراءِ المَغْرِبِ كُلِّهِمْ؛ والمَغاربةُ يَقْرِنونه بالمُتَنَبّي، وقَدْ سَمَّوْه «مُتنبّي المَغْرِبِ أو متنبّي الغَرْب».

وابن هانئ الأندلسيّ مُغْرَمٌ بالألفاظ الطَنّانة ذاتِ الجَلَبَةِ من غيرِ ضَرورةٍ تدعوه إلى

---

(١) تمييزاً له من ابن هانئ الحكميّ أبي نواس ومن ابن هانئ محمّد بن إبراهيم بن مفضّل (ت ٥٦٠ هـ).

استعمالها حتّى أفْسَدَ بذلك بَعْضَ شِعْرِه، كما يَذْكُرُ ابنُ رَشيقٍ[1]. وربّما أكْثَرَ ابنُ هاني من الألفاظ الغَريبة وربّما جاء بالصِيَغ التي لا تَرِدُ في القواميس، نحو: دَمّع، مُمَنْطَق، صَدْقاء (مستقيمة)، الخَطِيء (الخاطيء، المُخْطيء). غيرَ أنّ بناءَ جُمَلِه مَتينٌ؛ والغالبُ على شَكْلِ القصيدةِ عندَهُ شكلُ المُعَلّقة، وقد يَقْتَرِبُ من المعلّقة حتّى يُقارب بألفاظهِ ألفاظَ عَنْتَرَةَ وزُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمى وغيرِهما. وكثيراً ما كان يَطْبَعُ شِعْره على غِرارِ شِعْرِ المتنبّي في الخصائصِ اللفظيةِ والخصائص المعنوية وفي الأغراض.

والغالبُ على الديوان الذي وَصَلَ إلينا مِنَ ابنِ هاني الأندلسي المديحُ؛ ثمّ فيه شيءٌ من الرثاء وقليلٌ من الهجاء. والوَصْفُ والغَزَلُ والحِكْمة أغراض بارزةٌ في هذا الديوان. ومَعَ أنَّ الحكمةَ قليلةٌ في ديوان ابن هاني الأندلسي فإنّها بارعةٌ جِدّاً لما فيها من التحليل المَنْطقي المُتَّسق ولما فيها أحياناً من الابتكار.

ويَشْتَمِلُ ديوانُ ابن هاني على أربعةِ آلافِ بيتٍ في قصائدَ طِوالٍ عادةً، وقد بَلَغَتْ إحداها مائتي بَيْتٍ. فمن هذه الأبياتِ ١٦٣١ بيتاً في جَعْفَرِ بن عليّ وآلهِ و ١٧٧٤ بيتاً في المُعزِّ لدين الله وَحْدَهُ. وليسَ في الديوان الذي بينَ أيدينا شيءٌ من الشِعْر قاله ابنُ هاني في الأندلس قبلَ مَجيئه إلى المغرب.

ومُعْظَمُ قصائدِ ابنِ هاني الأندلسي مملوءٌ بالألفاظِ والمَدارك الفاطمية وبالمبالغة بالمديح والرثاء بها حتّى يَخْرُجَ بذلك إلى الكُفْرِ[2]. ولا رَيْبَ في أن ابن هاني كان يأتي

---

(١) قال ابن رشيق في « العمدة » (المكتبة التجارية، ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م ،): « ومنهم (من الشعراء) » فرقة أصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل معنى إلاّ القليلَ النادر كأبي القاسم بن هاني.... فإنّه يقول في أوّل مذهبته: أصاخت فقالت: وقع أجرد شيظم! (تبيان المعاني ٦٥٧).... وليس تحت هذا كلّه إلاّ الفساد وخلاف المراد.... وكانت عند أبي القاسم مع طبعه صنعة: فإذا أخذ في الحلاوة والرقّة وعمل بطبعه وعلى سجيّته أشبه الناس ودخل في جملة الفضلاء، وإذا تكلّف الفخامة وسلك طريق الصنعة أضرّ بنفسه وأتعب سامع شعره... (العمدة ١ : ١٠٤- ١٠٥).

(٢) من المشهور في ديوان ابن هاني الأندلسي قوله في مطلع قصيدة:

ما شئت، لا ما شاءت الأقدار. فاحكم، فأنت الواحد القهّار.
فكأنما أنت النبيّ محمّد، وكأنما أنصارك الأنصار.

ونقرأ في البيان المغرب (٢: ٢٩٢- ٢٩٣) أن المنصور بن أبي عامر (ت ٢٩٣ هـ) كان =

بهذه المُبالغاتِ إرضاءً للممدوحين واستكثاراً لعطاياهم. وإيغاله في تلك المبالغات يَدُلّ على أنّه لم يَكُنْ يَسْتَشْعِرُ في نفسه ما كان يُعَبِّرَ عنه بلسانه، لأنّ أصحابَ المذهبِ الفاطميّ أنفسَهم لم يُصَرِّحوا بمِثْلِ ما صرّح بهِ هُوَ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ هاني يمدحُ الأميرينِ طاهراً والحسينَ ابْنَيِ المنصورِ بالله الفاطميِّ (وهما أخوا المُعِزّ لدين الله):

امْسَحوا عن ناظري كُحْلَ السُّهادْ ... وانْفُضوا عن مَضْجَعي شَوْكَ القَتادْ[١]،

أو خُـــذوا مِنِّيَ مـــا أبْقَيْتُمُ؛ ... لا أُحِبُّ العَيْشَ مسلوبَ الفُؤاد[٢].

هــل تُجــيرونَ مُحِبّاً من هوًى! ... أو تَفُكّونَ أسيراً من صِفــاد[٣]!

وإذا كانـــتْ صَـــلاةٌ فَعَلَـــى ... هاشمِ البَطْحاءِ أرْبابِ العِباد[٤]؛

هُمْ أقَرّوا جانـــبَ الدهرِ، وهم ... أصْلَحوا الأيامَ من بَعْدِ الفَساد؛

أهـــلُ حَوْضِ الله يجري سَلْسَلاً ... بالطَهور العَذْبِ والصَفْوِ البُراد[٥].

أسِواهُمْ أبْتَغي يومَ النَـــدى؟ ... أمْ سِواهُمْ أرْتَجي يوم المَعاد[٦]؟

= يكره الجدل والآراء الدهرية والاستخفاف بشيء من الشريعة. واتّفق أن كان في أيامه شاعر من شعرائه اسمه عبد العزيز بن الخطيب قال: «ما شئت....» (البيتين)، فضربه خمسمائة سوط وحبسه ثمّ نفاه عن الأندلس. فإذا نحن قبلنا قول ابن عِذاري في البيان المغرب وجب أن يكون هذان البيتان وأمثالها ثمّ الاتّجاه الفاطمي في الأندلس أقدم من ابن هاني الأندلسيّ.

(١) السهاد: السهر، العجز عن النوم. القتاد: نبات له شوك قاس - ساعدوني على أن أنام وعلى أن يكون نومي مريحاً.

(٢) ما أبقيتم: ما أبقى حبّكم من جسمي.- أخذتم قلبي ونومي.... وتركتم شيئاً من جسمي، فخذوه أيضاً.

(٣) هل تشفقون على محبّ لكم أو تطلقون سراح أسيركم؟ الصفاد: الوثاق (رباط من جلد أو من حديد).

(٤)- (وإذا صلّى أحد فصلاته لتقديس بني هاشم أصحاب بطحاء مكّة- لا بني هاشم الذين كانوا يسكنون خارج مكّة- لأنّ هاشم البطحاء هم أرباب العباد = الذين يحكمون الناس في الأرض بوصية من الله!).

(٥)- هم يقفون يوم القيامة على الحوض ويسقون الناس (هم الذين يجري حساب الناس يوم القيامة على أيديهم).

(٦) الندى: الكرم. المعاد: الحشر، القيامة.

هُمْ أباحوا كلَّ مَمْنوعِ الحِمى وأذلّوا كلَّ جبّارِ العِنادِ[1].

– وقال يرثي والدةَ جعْفَرٍ ويَحْيى ٱبْنَيْ عليٍّ:

صَدَقَ الفَناءُ وكَذَّبَ العُمُرُ، و .... العظات وبالغ النُذُرُ[2].
إنّا – وفي آمالِ أنفسِنا طُولٌ، وفي أعمارِنا قِصَرُ[3] –
لَنرى بأعْيُنِنا مصارِعَنا لو كانتِ الألْبابُ تَعْتَبِرُ[4].
مِمّا دَهانا أنّ حاضِرَنا أجْفانُنا، والغائبَ الفِكَرُ[5].
فإذا تَدَبَّرْنا جوارِحَنا فأكَلُّهُنّ العَيْنُ والنَظَرُ[6].
لو كانَ للألْبابِ مُمْتَحِنٌ ما عُدَّ مِنْها السمعُ والبَصَرُ.
أيُّ الحياةِ ألَذُّ عِيشَتَها من بَعْدِ عِلْميَ أنّني بَشَرُ[7]!
خَرِسَتْ – لَعَمْرُ اللهِ – ألْسُنُنا لَمّا تكلّمَ فوقَنا القَدَر.
تَفْنى النُجومُ الزُهْرُ طالعةً والنّيِّرانِ الشمسُ والقمر.
وَلَئِنْ تَبَدَّتْ في مَطالِعِها مَنْظومةً فَلَسَوْفَ تَنْتَثِر.
أعَقيلةَ المَلِكِ المُشَيِّعِها، هذا الثناءُ، وهذهِ الزُمَرُ[8]!

---

(١) الحمى: المكان الذي يدافع أهله عنه، الحصن المنيع.

(٢) صدق الفناء (الموت) إذ أتى على كلّ إنسان. وكذّب العمر: خاب أمل كلّ إنسان في أن يعيش (إلى الأبد أو طويلاً).

(٣) حياتنا أقصر من أن تكفي لتحقيق آمالنا.

(٤) إنّنا نرى مصارعنا بأعيننا: نرى غيرنا يموتون ونوقن أنّنا سنموت مثلهم. ولكن ألبابنا (عقولنا) لا تعتبر (لا تتّعظ).

(٥)- خطأنا (في تقدير الحياة والموت) أنّنا نلتهي في حاضرنا بما تراه أعيننا ثمّ نغفُل عمّا سيأتي به المستقبل، لأنّ المستقبل مدرك بالفكر والعقل (ونحن لا نفكّر كثيراً).

(٦)- نحن نعتمد الحكم في الأمور على عيوننا (على النظر إلى حاضرنا) مع أن العين أكلّ (أضعف) حواسّ الإنسان.

(٧) إذا أدرك كلّ واحد منّا أنّه بشر (أي أنه سيموت) لم يلتذّ بشيء في هذه الحياة.

(٨) المشيّعها في متن الديوان (تبيين المعاني ٣١٥) مضبوطة بكسر العين، والصواب (ممّا نرى في شرح البيت نفسه أيضاً) فتحها، فيصبح نسق الكلام: يا عقيلة الملك التي يشيّعها (يسير وراءها إلى قبرها) ثنائي (رثائي)، هذا (الفخم) وهذه الزمر (الجماعات الكثيرة من الناس)... فيكون البيت كلّه منادى، ويكون جواب النداء في البيت التالي.

شَهِـدَ الغَمامُ، وإنْ سَقاكِ حَياً، أنّ الغَمامَ إلَيْـــكِ مُفْتَقِر(١).
ولَقَــدْ نَزَلْــتِ بَنِيَّــةً عَلِمَــتْ مــا قــد طَوَتْه فَهْيَ تَفْتَخِر(٢)؛
تَغْـدو عليهـا الشمسُ بازِغَــةً فتَحِـــجُّ ناسكَـــةً وتَعْتَمِر(٣).
وبَنو عَـــلِيٍّ لا يُقـــال لَهُمْ: صبراً! وهم أُسْدُ الوَغى الضُبُر(٤).

أنظر تتمة القصيدة في صفحة ٢٧٦.

- وقال يمدحُ جعْفَرَ بنَ عَليٍّ:

فُتِقَتْ لَكُمْ ريحُ الجِلادِ بعَنْبَرٍ، وأمَدّكُمْ فَلَقُ الصَباحِ المُسْفِرِ(٥)؛
وجَنَيْتُمُ ثَمَرَ الوقائــعِ يانِعــاً بالنَّصْرِ من وَرَقِ الحديدِ الأخْضَرِ(٦).
أبَــنِي العَوالي السَمْهَرِيَّــةِ والسُيو فِ المَشْرَفِيّــةِ والعَديـدِ الأكْثَرِ،
مَنْ مِنكُمُ المَلِـكُ المُطـاعُ كأنّهُ تَحْتَ السَوابغِ تُبَّعٌ في حِمْيَرِ(٧)!
في فِتْيَــةٍ صَدأُ الحَديـدِ عَبيرُهم وخَلوقُهم عَلَقُ النَجيعِ الأحْمَرِ(٨).

---

(١) الحيا: المطر.

(٢) البنيّة: البناء (هنا: القبر). القبر يعلم قدومك فهو يفتخر بأنّه حوى جسدك الميت.

(٣) تطلع الشمس كلّ يوم على قبرك لتحجّ ناسكة (متعبّدة، لأنّ الحجّ إلى قبرك فرض) ثمّ لا تكتفي بالحجّ الذي هو فرض فتعتمر (تحجّ، تطوّعاً تراعي، تتأمّل قبرك مرّات كثيرة في اليوم الواحد).

(٤) - نسل الإمام عليّ لا يعزّون (بالبناء للمجهول= بضمّ الياء وفتح الزاي المشدّدة) عن موتاهم بقول الناس لهم: صبراً! لأنّهم في الدرجة الأولى ليسوا بشراً عاديّين، بل هم صور مختلفة للعزّة الآلهية. وكذلك هم في صورهم البشرية أسود شجعان من عادتهم الصبر في الوغى (الحرب، وفي جميع الشدائد). الضبر (بالضاد المعجمة) جمع ضبور (كما في متن تبيين المعاني ٣١٨): الأسد الشديد (ولعلّ صبر بالصاد المهملة وبضمّ فضمّ توافق المعنى أيضاً).

(٥) الجلاد: الحرب، القتال. ريح: رائحة. فتقت الريح: أخرجت (بالبناء للمجهول).- أنتم تشمّون (بفتح الشين) رائحة القتال طيّبة كالعنبر (مع أن رائحة الجثث في ميدان القتال تكون كريهة)= أنتم تحبّون القتال. أمدّكم: أعانكم، ساعدكم. فلق الصباح المسفر: انشقاق الفجر واضحاً (الصبح أحسن ساعات اليوم= كان حظّكم في القتال عظيماً!).

(٦) الوقائع: المعارك. يانعاً: ناضجاً. الأخضر: الأسود.- في البيت استعارة الشجر للحرب، والورق للسيوف، والثمر للفتح (للنصر، للظفر)= نلتم الظفر في الحروب بحدّ السيف.

(٧) تبّع: لقب ملوك اليمن. حمير (بن سبأ): أبو قبيلة (جانب من سكّان اليمن، كبار اليمن).
تحت السوابغ (الدروع): في الحرب.

(٨) العبير: الرائحة الطيّبة. الخلوق (بفتح الخاء): نوع من الطيب. علق: الدم (أو الدم الجامد) أو شديد الحمرة من الدم، عنصر الدم (الكريّات الحمر). النجيع: دم الجوف، الدم المائل إلى السواد.

لا يأكُلُ السِرْحانُ شِلْوَ طَعينِهِمْ ... مِمّا عليه من القَنا المُتَكَسِّر(١).

قد جاوَروا أجَمَ الضواري حَوْلَهم، ... فإذا هُمُ زأروا بِها لم تَزْأر(٢).

قَوْمٌ يَبيتُ على الحَشايا غَيْرُهم، ... ومَبيتُهم فوقَ الجِياد الضُمَّر(٣).

وتَظَلُّ تَسبَحُ في الدِماءِ قِبابُهم ... فكأنَّهنّ سَفائِنٌ في أبْحُر(٤)

إنّا لَتَجْمَعُنا وهذا الحَيَّ مِنْ ... بَكْرٍ أذِمّةُ سالفٍ لم تُخْفَر(٥):

أحْلافُنا فَكأنّنا من نِسْبَةٍ؛ ... وَلِداتُنا فكأنّنا من عُنْصُر(٦).

لي مِنْهُمُ سَيْفٌ إذا جَرّدتُه ... يوماً ضَرَبْتُ بهِ رِقابَ الأعْصُر(٧)!

- وقال يمدحُ الخليفةَ المُعِزَّ لدينِ الله:

ما شِئْتَ، لا ما شاءتِ الأقْدارُ. ... فاحْكُمْ، فأنتَ الواحِدُ القَهّارُ(٨)!

وكأنّما أنتَ النَبِيّ مُحَمّدٌ، ... وكأنّما أنصارُكَ الأنصارُ(٩).

---

(١) السرحان: الذئب. الشلو: القطعة من الجثّة، العضو المسلوخ من الجسم. الطعين: المقتول طعنا (بالرماح). القنا جمع قناة: الرمح.

(٢) الاجم جمع أجمة: الشجر الكثير الملتفّ (الكثيف). الضواري جمع ضار: الحيوان المولع بأكل اللحم - ... تخافهم الضواري في بيوتها.

(٣) الحشيّة: الفراش. يبيت على الحشية: يقضي الليل نائماً (منعّماً غافلاً عن الكفاح أو مهملاً للكفاح). الجياد: الخيل الأصيلة. الضمّر جمع ضامر (نحيل البطن).- مبيتهم فوق الجياد: في الحرب.

(٤) القبّة: الخيمة من الأدم (الجلد)، وتكون للملوك. تسبح في الدماء (لكثرة حروبهم).

(٥) الذمام (بكسر الذال): الحق، الحرمة (ما تجب المحافظة عليه فيكون بذلك حراماً على غير أهله). سالف: (زمن) قديم. لم تخفر: لم تنكث، لم يغدر بها.

(٦) اللدات في الأصل: النساء اللواتي هنّ في سنّ واحدة. من عنصر: من أصل (واحد).

(٧) لي منهم (من بني هاشم الفاطميّين) سيف (رجل انتصر به). إذا جرّدته: إذا استجرت به. ضربت به رقاب الأعصر: تغلّبت به على جميع الأزمنة (على كلّ مناوىء أو خصم).

(٨) في هذا البيت كفر صريح، أو هو شطح (تعبير خارج عن المألوف) قبيح. غير أن الباطنيّة (والإسماعيليةالفاطميّين منهم) يرون أن لهذا البيت تفسيراً باطنيّاً فلسفياً: إنّ الله لا يباشر الأمور بنفسه، بل هو يجري أحداث الحياة كلّها في خلقه أو على يدي خلقه ممّن يشاء منهم (راجع تبيين المعاني، المقدّمة ٥٧- ٥٨).

(٩) أنصارك: أعوانك، رجال شيعتك. الأنصار: أهل المدينة الذين نصروا محمّداً رسول الله بعد أن هاجر من مكّة.

أنتَ الذي كانت تُبَشِّرُنا بهِ — في كُتْبِهِ الأحْبارُ والأخبار[١].
هذا الذي تُجْدي شَفاعتُه غَداً — حَقّاً، وتَخْمُدُ أنْ تَراهُ النار[٢]؛
من آلِ أحْمَدَ كُلُّ فَخْرٍ لَمْ يَكُنْ — يُنْمى إلَيْهِمْ- ليسَ فيهِ فَخارُ[٣].
والخَيْلُ تَمْرَحُ في الشَكيم كأنّها — عِقْبانُ صارَةَ شاقَها الأوْكار[٤]؛
وعَلى مَطاها فِتْيَةٌ شِيعيّةٌ — ما إن لَها إلاّ الوَلاءَ شعارُ[٥].
أبناءَ فاطمَ، هلْ لنا في حَشْرِنا — لَجَأٌ سِواكُمْ عاصِمٌ ومُجار[٦]؟
أنتُمْ أحِبّاءُ الآلهِ، وآلُه — خُلفاؤه في أرضِهِ الأبرارُ[٧]:
أهلُ النُبُوَّةِ والرِسالةِ والهُدى — في البَيِّناتِ وسادَةٌ أطْهار،
والوَحْيِ والتأويلِ والتَحْريـ — ـمِ والتحليلِ، لا خُلْفٌ ولا إنْكار.
إن قيل: مَنْ خَيرُ البَرِيّةِ لم يَكُنْ — إلاّكُمُ خَلْقٌ إلَيْهِ يُشار!
لو تَلْمِسون الصَخْرَ لانْبَجَسَتْ بِه — وتَفَجّرتْ وتَدَفقتْ أنْهار[٨]؛
أو كان مِنْكُمْ لِلرُّفاتِ مُخاطِبٌ — لَبَّوْا وظَنّوا أنّه إنْشار[٩].

---

(١) الأحبار: علماء الدين. الأخبار: الروايات الدينية.

(٢) تجدي: تنفع. غداً (يوم القيامة). وتخمد أن ترا (إذا رأته) النار (جهنّم).

(٣) يمى إليهم: ينسب إليهم، يتّصل بهم.

(٤) تمرح: تلعب (من النشاط). الشكيم: حديدة اللجام التي توضع معترضة في فم الحصان. العقاب (بضمّ العين): طير من الجوارح، النسر. صارة: اسم جبال في بلاد بني أسد (وفي أماكن أخرى). كأنّها عقبان صارة شاقها الأوكار: مسرعة إلى أوكارها (لتطعم أولادها بما جاءت به من اللحم).

(٥) المطا: الظهر. الولاء: الطاعة والوفاء (لعليّ بن أبي طالب). شعار: علامة.

(٦) فاطم ترخيم فاطمة (بنت محمّد رسول الله). الحشر: جمع الناس يوم القيامة للحساب. لجأ: التجاء، حماية. عاصم: مانع، حام، مدافع. مجار: اسم مكان من أجار، مكان يحتمي به الإنسان (يوم القيامة من عذاب النار).

(٧) وآله (!)...- أنتم خلفاء الله في الأرض (تحكمون باسمه وبعهد منه).

(٨) انبجس بالصخر أنهار= انبجست من الصخر أنهار: خرجت، نبعت. تفجّر: نبع بكثرة.

(٩) الرفات: الحطام (بضمّ الحاء المهملة)، الأشياء المتكسرة كأنّها مدقوقة (بقايا الأموات). إنشار: إحياء الموتى وبعثهم من القبور.- لو خاطب أحد منكم الموتى لأجابوه وقاموا من قبورهم وظنّوا (أيقنوا، وقد جاءت «ظنّ» بمعنى أيقن في القاموس وفي القرآن الكريم).

أمُعِزَّ دينِ اللهِ، إنّ زَمانَنــــا بـكَ فيه بأوٌ جَلّ واسْتِكْبار[١].
شَرُفَتْ بِكَ الآفاقُ، وانْقَسَمَتْ بكَ الـ ـأرزاقُ والآجــالُ والأعمار.
جَلّتْ صِفاتُكَ أنْ تُحَدَّ بِقَوْلٍ! ما يَفْعَلُ المِصْداقُ والمِكْثار!

- وقال يمدحُ يَحْيى بنَ عَليٍّ الأندلسيَّ:

فَتَكاتُ طَرْفِكِ أمْ سُيوفِ أبيكِ، وكُؤوسُ خَمْرٍ أمْ مَراشِفُ فيكِ[٢]!
أجِلادُ مُرْهَفَةٍ وفَتْكُ مَحاجِرٍ؟ ما أنتِ راحِمَةٌ ولا أهلوكِ[٣].
يا بنْتَ ذا السَيْفِ الطويل نجادُه، أكَذا يجوزُ الحُكْمُ في ناديك[٤]؟
قد كان يَدْعوني خَيالُكِ طارِقاً حتّى دَعاني بالقَنا داعيك[٥]
عَيْناكِ أمْ مَغْناكِ موعدُنا؟ وفي وادي الكَرَى نَلْقاكِ أوْ واديك[٦]؟
مَنَعوكِ من سِنَةِ الكَرى وسَرَوْا، فلو عَثَروا بطَيْفٍ طارقٍ ظنّوك[٧].
ودَعَوْكِ نَشْوَى، ما سَقَوْكِ مُدامةً؛ فإذا تَثَنّى عِطْفُكِ اتّهموك[٨].

---

(١) بأو: عزّ، افتخار. جلّ: كبر، عظم، تعالى عمّا سواه.

(٢) أهذا الذي يقتل الناس (ما تفعل بهم عيونك في الحبّ) أم (ما تفعله في المعارك) سيوف أبيك (قومك). وهل هؤلاء الناس السكارى في الحياة من الخمر التي يشربونها أم من القبلات التي يجنونها من فمك (من حبّك)؟

(٣) إن قتل الناس بالسيف مرّة والفتك بهم بلحاظك (بعيونك) مرّة أخرى فوق ما يحتمل الناس. لا أنت ترحمين الناس ولا قومك يرحمونهم!

(٤) يا بنت ذا (هذا) السيف الطويل نجاده (يا بنت هذا الرجل الطويل القامة، وهذا الرجل الشجاع). النادي المجلس (كناية عن رؤساء القوم).- أهكذا حكمكم أبداً في الناس: بالظلم (بقلّة المبالاة بالمحبّين)؟

(٥) قد كنت أراك في المنام (فأحببتك) ثمّ رأيتك عياناً. القنا جمع قناة: الرمح (كناية عن أنّه رأى التي يتغزّل بها وكانت ذات قامة طويلة كالرمح، فازداد حبًّا لها).

(٦) هل سيبقى حظّي منك النظر من بعيد (عيناك) أم سنلتقي (في مغناك: في مسكنك). وهل سيبقي وصلي لك في وادي الكرى (في المنام) أو سيكون في واديك (في بلدك، في اليقظة).

(٧) السنة (بكسر السين: النعاس). الكرى النوم - حرّموا عليك النوم وسروا (ساروا بكِ ليلاً- لئلاّ تستطعين الاغفاء- وحتّى لا يستطيع طيفك، أي خيالك أن يزور أحد في النوم) فلو اتّفق أن شاهدوا طيفاً لظنّوا أنّه طيفك بعثت به إلى أحد المحبّين فمنعوا وصوله إليهم.

(٨) إنّك في عنفوان شبابك ودلالك ولذلك تتأوّدين- تمايلين- فكانوا يقولون عنك إنّك نشوى (كرانة) مع أنّهم ما سقوك خمراً قطّ (ولا غفلوا عن مراقبتك حتّى يمكن أن تصل إليك خمر فتشربيها)، ومع ذلك كلّما تثنّى (اهتزّ، تمايل) عطفك ظنّوك (اتّهموك) قد شربت خمراً.

حَسِبوا التَّكَحُّلَ في جُفونِكِ حِلْيَةً. بـــاللهِ، مــا بأكُفِّهِمْ كَحَلوك[١].
وجَلَوْكِ لي إذ نَحْنُ غُصْنـا بانةٍ، حتّى إذا احْتَفَلَ الهَوى حَجَبوك[٢].
ولَوَى مُقَبَّلَكِ اللِثامُ، وما دَرَوْا أنْ قد لُثِمْتِ بهِ وقُبِّلَ فوك[٣].
فَضَعي اللِثامَ، فقَبْلَ خَدِّكِ ضُرِّجَتْ راياتُ يَحْيى بالدَمِ المَسْفوك[٤].
يا خَيْلَهُ، لا تَسْخَطي عَزَماتِهِ؛ وإذا سَخِطْتِ فقَلَّما يُرْضيك[٥].
عُوجي بِجِنْحِ اللَّيْلِ، فالمَلْكُ الذي يَهْدي النُّجومَ إلى العُلا هاديك[٦].
يَـدُكَ الحَمْيدةُ قبلَ جُودكَ، إنّها يَـدُ مالكٍ تَقْضي على مَمْلوك[٧].

---

(١) التكحّل في القاموس اكتساء الأرض بالنبات.- حسبوا (ظنّوا) التكحّل (سمرة منبت الاشفار في أجفان العين) حلية (زينة، تطرية: تلويناً صناعياً). أقسم بالله إنّهم ليسوا هم الذين جعلوا كحلاً في جفونك، ولكنّ الله خلقك كذلك.

(٢) وجلوك لي (أبرزوك لي في أحسن زينتك) ونحن غصناً بانة (ناعمين كأغصان شجر البان- أي ونحن صغيران في السن لا ندري ما معنى الهوى)، حتّى إذا احتفل، أي امتلأ (قلبانا) بالهوى حجبوك (حالوا بيني وبينك ومنعونا من الاجتماع).

(٣) المقبّل: الفم. اللثام: غطاء يوضع على الوجه ويراد منه ستر الفم. لوى مقبّلك اللثام: التوى اللثام على مقبّلك، كثر وقوع اللثام على فمك (كأنّ اللثام يقبّل فمك)؛ راجع في القاموس (٤ : ٣٨٧): «لاوت الحيّةُ (فاعل) الحيّة (مفعول به)= انطوت (التفّت) عليها».

(٤) ضعي اللثام: ارفعي اللثام عن فمك (عن وجهك) ولا تظنّي أنّك تسترين بها جمالك النادر (احمرار خدّيك) فإنّ هذه الحمرة التي جعلت خدّك جميلاً قد كانت موجودة من قبلك على رايات يحيى بن عليّ (من خوضه المعارك وكثرة القتال فيها والانتصار على الأعداء) - وفي هذا البيت تخلّص من الغزل إلى المديح بارع جداً.

(٥) - يا أيّتها الخيل التي يخوض بها يحيى بن عليّ المعارك الكثيرة وفي البلاد البعيدة، لا تغضبي من ذلك، فإنّك إذا غضبت فلن يرضيك (لن يترك عادته في خوض المعارك).

(٦) عاج: مال إلى، عطف، اتّجه إلى جانب ما. الجنح (بكسر الجيم، ويجوز ضمّها): الطائفة (المدّة) من الليل.- أيّتها الخيل (راجع تفسير البيت السابق)، لا تصرّي- إن لم يكن بدّ من الذهاب إلى المعارك- على أن تذهبي فقط في النهار؛ بل لا تخشي (بفتح الشين) أيضاً أن تذهبي في الليل لأنّ الملك (يحيى بن عليّ) هو الذي يدلّ النجوم في الليل على مواقعها في السماء، فهو يستطيع أيضاً أن يدلّك في الليل على طريقك إلى المعارك.

(٧) - قبل أن تعوّدت يدك الجود (على الناس بالمال) كانت حميدة (تهب الناس الحياة والخير.....)، ولا غرو فإنّها ليست فقط يد إنسان عاديّ تملك مالاً فتتكرّم به على المحتاجين، بل هي يد من يملك الناس ويقضي على الناس الذين هم ملكه (بضمّ الميم) في جميع أمورهم.

وأرى المُلوكَ- إذا رأيْتُكَ- سُوقَةً، وأرى عُفاتَكَ سُوقةً كمُلوك(1)
وَقَعاتُ نَصْرِكَ في الأعادي حَدّثَتْ عن يَوْمِ بَدْرٍ قبلَها وتَبوك(2).
هلْ أنتَ تارِكُ نَصْلِ سَيْفِكَ حِقْبَةً في غِمْدِهِ أمْ ليس بالمَتْروك(3)!

الأبيات التالية تتمة القصيدة ص ٢٧١.

ولَخَيْرُ عَيْشٍ أنتَ لابِسُهُ عيشٌ جنى ثَمَراتِهِ الكِبَر(4).
وحُدودُ تَعْميرِ المُعَمَّرِ أنْ يَسْمُو صُعوداً ثمّ يَنْحَدِر(5).
والسيفُ يَبْلَى وَهْوَ صاعِقَةٌ، وتَنالُ مِنْهُ الهامُ والقَصَر(6).
والمرءُ كالظِلّ المديدِ ضُحىً، والفَيْءُ يَحْسِرُهُ فيَنْحَسِر(7).
أبْقَتْ حديثاً مِنْ مآثِرِها يَبْقى، وتَنْفَدُ قَبْلَهُ الصُوَر(8).
قَسَمَتْ عَلَى ابْنَيْها مكارِمَها؛ إنّ التُّراثَ المجدُ لا البِدَر(9).

---

(١) إذا قارنت الملوك بك كنت أنت وحدك ملكاً، وأصبح الذين يسمّون (بفتح الميم) الآن ملوكاً سوقة (من عامّة الناس). أمّا عفاتك (الذين يأتون إليك فيطلبون عطاءك) والذين هم سوقة (يرجعون بعد أن تعطيهم الأموال) وكأنّهم ملوك (لغناهم ووجاهتهم).

(٢) إنّ معاركك التي انتصرت بها على الأعداء تشبه معركة بدر (٢ هـ = ٦٣٤ م) وتبوك (سنة ٩ هـ)؛ وكما أن محمّداً رسول الله قد ثبّت الإسلام بمعاركه، فإنّك أنت قد ثبّت الدعوة الفاطمية (الاسماعيلية) بمعاركك!

(٣) - أراغب أنت في أن تترك سيفك في غمده (تهادن الناس مدّة ما) أم تريد أن تظلّ معاركك متّصلة؟

(٤) أفضل أعمار البشر ما كان في آخره أحسن ممّا كان في أوله.

(٥) المعمّر: الذي يعيش عمراً طويلاً.

(٦) والسيف يبلى (يدركه البلى- بكسر الباء-: الفناء) وهو صاعقة: موت (القاموس ٣: ٣٥٤). وتنال منه (تفرّضه، تشقّقه) الهام (الرؤوس) والقصر (الرقاب)- السيف يسبّب الموت للناس ثمّ هو أيضاً يموت. ومع أن السيف حديد والرؤوس والرقاب من عظم ولحم، فإن كثرة قطع السيف للرؤوس والرقاب تؤثّر فيه.

(٧) الظل يكون في أول النهار. والفيء يكون في آخر النهار- حسره: أزاله (كما أن ظلّ الأشياء يقصر جدًّا إذا تكبدّت الشمس السماء، فكذلك عمر الإنسان يقصر إذا مرّ عليه الزمن).

(٨) المآثر: المحامد، الصفات الحميدة. تنفد قبله الصور= يرى أهل العقيدة الفاطمية أن صور الوجود لا تنفد (لا تنتهي لأنّها تجليّات للعزّة الإلّهية)، ومع ذلك فإنّ هذه الصور تنفد ومآثر هذه الميتة لا تنفد (لأنّ هذه الميتة تمثّل تجلّيًا حقيقياً لله عندهم).

(٩) الإرث الحقيقي هو المجد وليس البدر (جمع بدرة: عشرة آلاف درهم).

وإذا صَحِبْتَ العيشَ أوّلُهُ صَفوٌ، فَهَيْنٌ بَعْدَهُ كدر[1].
وإذا انْتَهَيْتَ إلى مَدى أملٍ دَرْكاً فيومٌ واحدٌ عُمُرُ[2]!

٤- ديوان ابن هاني، بولاق ١٢٧٤ هـ؛ القاهرة ١٢٧٦ هـ؛ بيروت (١٨٨٤ م) (١٣٠٢ هـ)، ١٨٨٦ م، ١٣٢٦ هـ.
- تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني (صحّحه وهذّبه زاهد عليّ)، حيدر آباد ١٣٢٦ هـ، ١٣٥٢ هـ= ١٩٣٣ م، مصر ١٣٣٢ هـ؛ مصر (دار المعارف) ١٩٥٢ م.
- ابن هاني الأندلسي، تأليف عارف تامر، بيروت ١٩٦١ م.
- ابن هاني الأندلسي: درس ونقد، تأليف منير ناجي، بيروت (دار النشر للجامعيين) ١٩٦٢ م.

★ مطمح الأنفس ٧٤- ٧٩؛ المغرب ٢: ٩٧- ٩٩؛ المطرب ١٩٢- ١٩٥ (الخرطوم) ١٧٥- ١٧٨؛ معجم الأدباء ١٩: ٩٢- ١٠٥؛ خريدة القصر (مصر) ١: ٢٤٨- ٢٨٢؛ الوافي بالوفيات ١: ٣٥٢- ٣٥٥؛ وفيات الأعيان ٤: ٤٢١- ٤٢٤؛ الإحاطة ٢: ٢١٢- ٢١٥؛ نفح الطيب ٣: ٤٤٣- ٤٤٤، ٤: ٤٠- ٤٦؛ ٨٦- ٨٧؛ شذرات الذهب ٣: ٤١- ٤٤؛ أعيان الشيعة ٧: ١١٢- ١٣١؛ نيكل ٢٨، مختارات نيكل ١٥- ١٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٥ وما بعد؛ بروكلمن ١: ٩١، الملحق ١: ١٤٦- ١٤٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٥٤ (١٣٠)؛ بالنثيا ١٦، ٦٣- ٦٤.

أبو حنيفة النعمان المغربيّ

١- هو النُعمانُ بنُ محمّدِ بنِ منصورِ بنِ أحمدَ بن حيّونٍ التَميميُّ الداعي الإسماعيليّ المَغْربيّ، لُقِّبَ أبا حَنيفةَ كي يُضاهِيَ الفاطميّون بهِ أبا حنيفةَ النُّعمانَ بنَ ثابتٍ فقيهَ الدولةِ العبّاسيةِ.

وُلِدَ أبو حَنيفةَ النُّعمانُ المَغْربيُّ بُعَيْدَ سَنَةِ ٢٨٠ (٨٩٣ م)، فيما يبدو، ونشأ على المذهبِ المالكي. ولا نَعْلم مَتى انْتَقَلَ إلى مَذْهبِ الإمامية الاثْنَيْ عَشَريّة. وفي نحو سَنَةِ ٣١٢ (٩٢٤ م) اتّصل أبو حنيفة النُعمانُ المَغْربي بالإمام المَهْدِيِّ (٢٩٧- ٣٢٢ هـ)

---

(١) إذا عاش الإنسان مدّة طويلة في سعادة ونعيم هان عليه في آخر حياته شيء من الكدر (الموت).
(٢) وإذا أدركت كلّ آمالك في الحياة بسرعة فيكفي أن تعيش ذلك اليوم الواحد فقط!

أولِ الأئمّةِ الفاطميّين في القَيْروانِ. ثمّ استمرّ في خِدمةِ القائمِ بنِ المَهْدي (٣٢٢- ٣٣٤ هـ) والمنصورِ بنِ القائمِ (٣٣٤- ٣٤١ هـ) والمُعِزِّ بن المنصور.

وفي سنة ٣٣٣ (٩٤٤- ٩٤٥ م) اعْتَنَقَ المذهبَ الفاطميَّ (الإسماعيليّ) وعَكَفَ على دِراسةِ التاريخِ والفلسفةِ والفِقهِ ثمّ أخذ يضعُ الكتبَ في نُصْرَةِ المذهب الإسماعيليّ. وفي سَنَة ٣٣٥ ولاّه الإمام القائم قَضاءَ طَرابُلُسِ الغربِ ثمّ جعَلَهُ قاضيَ المَغْرِبِ. وقد بدأتْ مكانةُ أبي حنيفةَ المغربيِّ ترتفعُ في أيام المنصور الفاطميّ ثمّ بلغتْ أوْجَها في أيامِ المُعِزّ.

ولمّا انْتَقَلَ المعزُّ لدينِ اللهِ الفاطميُّ إلى القاهرةِ، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٣٦٢ صَحِبَهُ أبو حنيفةَ النُعمانُ إليها وتَقلّدَ فيها القضاء. غير أنّه لم يَعِشْ بعدَ ذلك طويلاً فقد تُوُفِّيَ في الفُسطاط، في مُسْتَهَلِّ رَجَبَ ٣٦٣ (٢٨/ ٣/ ٩٧٤ م).

كان أبو حنيفةَ النُعمانُ المَغربيُّ من أهلِ العِلْمِ بالقرآنِ وبالفقهِ، وهو مؤسّسُ الفقهِ الإسماعيلي. وبما أنّه كان يَسْتشيرُ الأئمّةَ الفاطميّين، والمُعِزَّ منهم خاصةً، في كلّ ما يَعْرِضُ له عند التأليف، فقد عُدّ كتابُه دعائمُ الإسلام خاصةً مَصْدَراً للفقهِ الإسماعيليّ.

ولأبي حنيفة من الكتب: كتابُ الدعوة للعُبيديّين- افتتاح الدعوة وابتداء الدولة- المجالس المستنصرية والمواقف والتوقيعات (ألفه للمعزّ)- اختلاف أصول المذهب- أساس التأويل الباطن- تأويل الشريعة- تأويل الدعائم- اليَنْبوع- الاقتصار- المستطاب- الأخبار في الفقه- شرح الأخبار- مختصر الأخبار في ما رُوِيَ عن الأئمّة الأطهار- الهمّة في آداب آتّباع الأئمّة.

- دعائم الإسلام (آصف عليّ أصغر فيضي)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١- ١٩٦٠ م.
- الهمّة في آداب آتّباع الأئمة (محمّد كامل حسين)، القاهرة (دار الفكر العربي) بعيد ١٩٥٠ م.
- أساس التأويل (عارف تامر)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٠ م.
- كتاب الاقتصار: في الفقه (محمّد وحيد ميرزا)، دمشق (المعهد الفرنسي للدراسات العربية) ١٩٥٧ م.

★★- منتخبات إسماعيلية (تحقيق الدكتور عادل العوّا)، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٣٧٨ هـ= ١٩٥٨ م.

★ وفيات الأعيان ٥: ٥١٥- ٥٢٥؛ الذريعة ٣: ٢٥١؛ بروكلمن ١: ٢٠١، الملحق ١: ٣٢٤- ٣٢٥؛ أعلام ليبيا ٣٥٦؛ الأعلام للزركلي ٩: ٨ (٧: ٤١).

عليّ بن محمّد الأياديّ

١- هو عليُّ بنُ محمّدٍ الإياديُّ، نشأ في مدينةِ تونسَ والتحقَ بخدمةِ الدولة العُبيدية (الفاطمية) في القَيْروان والمَهْدِية في أيامِ القائم بأمرِ الله (٣٢٢- ٣٣٤ هـ) وأيّام اسماعيلَ المنصورِ (٣٣٤- ٣٤١ هـ)، وكان مُعَظّماً لَدَى الملوكِ وعند الخاصّةِ والعامّة. وعُمِّرَ عليُّ بنُ الإياديّ طويلاً وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٣٦٥ (٩٧٦ م).

٢- كان عليُّ بنُ الإيادي شاعراً سَهْلَ الكلامِ عذبَ القول رائقَ النظم متينَ السَبْكِ يُحْسِنُ الوصفَ والغزَلَ والمَدْحَ، وقد سارَ شِعرُه في أيامِه على الألْسِنة.

٣- مختارات من شعره

- قال عليُّ بنُ الإيادي يَصِفُ رَوْضةً في يومِ دَجْنٍ (يومٍ غائمٍ مُمطر):

نَمّ بالرَوْضِ خَفْقُ الرِياحْ، واقْتَدَحَ الشَرْقَ زِنادُ الصَباحْ[1].
وأخجلَ الوَرْدُ شُعاعَ الضُحى وآبْتَسَمَتْ فيه ثُغورُ الأقاح.
وقام في الدَوْحِ لِنَعْيِ الدُجى حَمائمٌ تُطْرِبُنا بالصِياحْ[2].
مُذْ وُلِدَ الصُبْحُ وماتَ الدُجى صاحتْ، فلم نَدْرِ غِناً أو نُواح.
ويومَ دَجْنٍ حُجِبَتْ شَمْسُه وأشرقتْ في لَيْله شَمْس راحْ[3]؛

---

(١) نمّ...: الريح دلّت على مكان الروض (لأنّها حملت منه رائحة الأزهار). واقتدح...: الزناد: حديد تقدح بها النار من الحجر الصوان. طلوع الصبح أضاء الجهة الشرقية.

(٢) الدوح جمع دوحة: الشجرة العظيمة. نعي الدجى: نشر الخبر بموت (انتهاء) الليل.

(٣) يوم دجن: يوم فيه غيم (لا تظهر فيه الشمس). الراح: الخمر.

فما ظَنَنّــا الصُبْــحَ إلاّ دُجىً، ولا حَسبْنا الليلَ إلاّ صَباحْ[١].

- وقال يصف فَرَساً للأمير جَعْفرِ بنِ الخليفةِ الفاطميِّ القائمِ بأمرِ اللهِ:

وأقَــبَّ من لحــقِ الجِيــاد كأنّـه قَصْرٌ تباعـدَ رُكْنُه عن ركنهِ[٢].
وكأنّما ٱنفجرَ الصباحُ بوَجْهه حُسْناً، أوِ ٱحتبسَ الظلامُ بمَتْنه[٣].
حُلْوُ الصَهيــلِ يُخالُ في لَهواتـهِ حــادٍ يَصوغُ بدائعـاً من لَحْنـه[٤].
قـد راحَ يَحْمِلُ جَعْفرَ بنَ محمّدٍ حَمْـلَ النسيمِ لِوابـلٍ من مُزْنـه .
قيـدُ العُيونِ إذا بَصُرْنَ بشَخْصه، ورِضا القُلوب إذا ٱصْطَلَيْنَ بِضِغْنه[٥].
يَسْتَوْقِـفُ اللَحَظاتِ في خُطُواتِـه بكَمالِ خِلْقته ودِقّة حُسنه.
مُتَجبِّرٌ، يُنْــبي بعِتَــق نِجـارِه إشرافُ كاهلِهِ ودِقّة أُذْنه[٦].
وكأنّـــــه فُلْــــكٌ، إذا حرّكتـــــه
جــارٍ عــلى سَهْــلِ البِـلاد وحزنـه[٧].

- وقال يَصِفُ أسطولَ القائمِ بأمرِ اللهِ الفاطمي (في عُرْضِ البَحْر في المَهْدية

---

(١) الصبح كان من نتيجة احتجاب الشمس كأنّه دجى (ليل): أمّا الليل المظلم فبدا من نور الخمر كأنّه نهار.

(٢) أقبّ: عالي الصدر. لحق (ليست في القاموس بمعنى يوافق هذا البيت). الجياد: الخيل. لحق الجياد (بضمّ اللام والحاء) جمع لاحق (؟): سابق أو لحق الجياد (بفتح ففتح- مصدر- بمعنى ضمور بطن الفرس (وذلك محمود في الخيل). كأنّه قصر (عظيم الجسم). تباعد ركنه من ركنه (لعلّ التباعد بين كتفي الفرس من محامده).

(٣) يحمد في الفرس أن يكون له غرّة (سبحة كبيرة) بيضاء في مقدّمة رأسه وأن يكون جسمه أسود خالصاً (لا لون آخر فيه). المتن: الظهر.

(٤) الصهيل: صوت الخيل. اللهوات جمع لهاة (بفتح اللام): قطعة لحم تتدلّى من أعلى مقدّم الحنجرة. الحادي: سائق الإبل (يغنّي للإبل فتستمرّ في سيرها).

(٥) جسمه جميل حتّى أن العيون تظلّ تنظر إليه كأنّها مقيّدة (مربوطة) به. الضغن: الحقد، والشوق إلى الوطن، وللضغن صلة بجري الخيل (إذا ركض هذا الحصان أرضى القلوب لأنّه سريع جدّاً!).

(٦) ينبي بعتق (بكسر العين وفتحها) نجاره (كرم أصله) إشراف (علوّ) كاهله (كتفه) ودقة (صغر) أذنيه.

(٧) الفلك: السفينة الكبيرة. إذا حرّكته: إذا دفعته للجري. جار (يستسهل السير). الحزن (بفتح الحاء): الأرض الصلبة.

يخوضُ معركَةً)؛ ويبدو أن الأبيات الخامس وما يليه تحتاج إلى إعادة ترتيب:

واعْجَبْ لأُسطولِ الإمامِ محمّدٍ ... ولحُسنه وزمانِه المُسْتغرَبِ.
لَبِسَتْ بهِ الأمواجُ أحْسَنَ منظرٍ ... يبدو لعين الناظر المُتعجّب.
من كلّ مُشرفةٍ على ما قابلت ... إشرافَ صَدْرِ الأجْدلِ المُتَنَصّب[١].
دَهماءُ قد لَبِسَتْ ثِيابَ تصنُّعٍ ... تَسْبي العقولَ على ثيابِ تَرَهُّب[٢]:
من كلّ أبيضَ في الهواءِ مُنَشَّرٍ ... منها وأسودَ في الخليجِ مُغَيَّب[٣].
سَجَروا جَواحِمَ نارِها فتقاذفوا ... مِنها بألْسُنِ مارجٍ مُتَلَهّب[٤].
وتَحُثُّها أيدي الرجالِ إذا وَنَتْ ... بمُصعِّد منها بُعيدَ مُصوِّب[٥].
جَوفاءُ تَحْمِل كوكَباً في جَوْفِها ... يومَ الرِهانِ وتستقلّ بمركب[٦].
يعلو بها حدب العُبابِ مطارة ... في كلّ لُجٍّ زاخرٍ مُغْلَوْلب[٧].
من كلّ مَسْجورِ الحريقِ إذا انبرى ... من مِجْنه انْصَلَتَ انصلاتَ الكَوْكب[٨]،
عُريانَ يَقْذِفُ بالدُخانِ كأنّه ... صُبْحٌ يَكُرُّ على الظلام الغَيْهب[٩].

---

(١) الأجدل: الصقر.

(٢) دهماء: سوداء اللون. لبست ثياب تصنّع: لها أنواع من الشراع (لأغراض مختلفة من السير مع الريح). ثياب ترهّب: ثياب سود (لأنّ الجزء الذي يغوص من السفينة في الماء يطلى بالزفت لمنع تسرّب الماء بين شقوق الخشب).

(٣) أبيض في الهواء منشّر: الشراع. أسود في الخليج مغيّب: نصف السفينة الأسفل المطلّي بالقار.

(٤) سجر: أوقد (النار). جاحم: الجمر الشديد الاشتعال. المارج: الشعلة من اللهب. تقاذفوا: قذف بعضهم (بالنار) بعضًا.- يصف الشاعر هنا القتال بالنار اليونانية.

(٥) إذا هدأت الريح فأبطأ سير السفينة حثّها الرجال (باستخدام المجاذيف). المصعّد: الصاعد. بعيد: بعد. مصوّب: هابط (يبدو أنّه قد كان للسفينة طبقتان من المجاذيف). ونت: تعبت.

(٦) في نفح الطيب (٤: ٥٨):.... موكبا.... بموكب. (بهذا يصبح المعنى أوضح): كلّ سفينة تحمل في جوفها عدداً كبيراً من الجند، والسفن في الأسطول كثيرة العدد.

(٧) في نفح الطيب:... مطارة... معلولب (ومعلوب بالعين المهملة ليست في القاموس ولا في التاج).- ترتفع السفينة بذلك (بالمجاذيف) فوق حدب العباب (انحناء الماء العظيم: الموج). مطارة.. في كلّ لجّ (المكان الواسع من البحر) زاخر (هائج، مضطرب) مغلولب (بالغين المنقوطة) الكثير.

(٨) من كلّ مسجور الحريق (كرة من نار: من النار اليونانية: مزيج من النفط والزفت الخ) إذا انبرى (ظهر، عرض) من سجنه (من المكان الذي يعدّ فيه) انصلت (أسرع، سبق). الكوكب: (هنا): الشهاب.

(٩) عريان (كتلة خالصة من النار) يقذف بالدخان (ينفصل منه الدخان). كأنّه صبح يهجم على ليل مظلم. في نفح الطيب: عريان يقدمه... ظلام غيهب. (وهو أصحّ).

شَرَجوا جوانِبَـــه مَجـــاذف أَتْعَبَـتْ   شأوَ الريـــاحِ لهـــا ولَمّا تَتْعَبِ[١].
والبحرُ يجمَـــعُ بينَهـــا فكأنّـــه   ليـــلٌ يُقرِّبُ عقربـاً من عقربِ[٢].
تنصـــاع من كُثُـبٍ كما نَفرَ القطـا   طَوْراً، وتجتمـع آجتماع الرَبْربِ[٣].
وعـــلى مراكِبِهـــا أُسُودُ خِلافَــةٍ   تختالُ في عُـدَدِ السِلاحِ المُرْهِبِ[٤].

٤- ★ ★ نفح الطيب ٤: ٥٧- ٥٨؛ مجمل تاريخ الأدب الأندلسيّ ٩٦- ١٠١.

ابن فرج الجيّانيّ

١- هو أبو عمرَ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ فَرَجٍ من أهلِ جيّانَ ولكنّه سكنَ قُرطبةَ وأصبح من شُعراء الحَكَمِ المُسْتنصر (٣٥٠- ٣٦٦ هـ) فقرّبَه المستنصرُ. وللمستنصرِ ألّف ابنُ فرجٍ كتاب الحدائق. ثمّ نُقِلَ للمستنصرِ أنّ آبنَ فرجٍ هجاه فأمرَ المستنصرُ به فأُلْقِيَ في السجن. وكانت وفاتُه في السجن في صَفَرَ من سَنَةِ ٣٦٦ (أيلول- سبتمبر ٩٧٦ م) بعدَ وفاةِ المستنصر بأيامٍ (راجع الحلّة السيراء ١: ٢٥٠).

٢- ابنُ فرجٍ الجيّانيُّ معدودٌ في الأدباءِ والعلماء، ولم يكنْ في القرنِ الرابعِ أحدٌ أكثرُ منه آعتناءً بالتأليف في شعراءِ الأندلس يريدُ إظهارَ فضلِهم على شعراءِ المشرق. ولابنِ فرجٍ كتاب «الحدائق» عارضَ فيه كتابَ الزَهْرة لابنِ داوودَ الإصبهانيّ[٥]، إلاّ أنّ ابنَ داوودَ ذكرَ مِائَةَ بابٍ في كلِّ بابٍ مِائَةُ بيتٍ. وأبو عمرَ (بن فرج الجيانيّ) ذكر مِائَتَيْ بابٍ في كلِّ بابٍ مائتا بيت: وليس فيها بابٌ يكرِّرُ أبو الفرج آسمَه تقليداً لأبي بكر. ولم يُوردْ (ابن فرج) فيه لغيرِ الأندلسيّين شيئاً (معجم الأدباء ٤: ٢٣٧). وكتاب الحدائق مفقود. وقد عَرَفَه ابنُ الأبار القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) ونقل

---

(١) في نفح الطيب: شرعوا جوانبه... شادي الرياح...- مدّوا من جوانب السفن مجاذيف على نسق واحد. هذه المجاذيف تدفع السفينة قدماً إلى الإمام في وجه الرياح التي تثير الموج الذي يحاول عرقلة سير السفن.

(٢) أصبح البحر كلّه كأنّه ليل (لكثرة السفن المطليّة بالقطران)....

(٣) وهي حيناً تنفتل بسرعة (مثل طيور القطا) فتتفرّق (كما تقتضي إدارة المعركة) ثمّ تعود فتتجمّع مثل الربرب (القطيع من الظباء).

(٤) في نفح الطيب: السلاح المذهب (المحلّى بالذهب). المرهب: المخيف.

(٥) أبو بكر محمّد بن داوود (٢٥٥- ٢٩٧ هـ) كان فقيهاً وأديباً وشاعراً.

منه أشياءَ في « الحلّة السِيَراء ». والمَقّريّ (ت ١٠٤١ هـ) لم يَعْرِفِ الكتابَ بل ذَكَرَه آعتماداً على الذين عَرَفوه من قبلُ. ولابن فرجٍ أيضاً كتابُ « المُنْتزين والقائمين بالأندلس وأخبارُهم »(١).

ثمّ هو شاعرٌ مُكْثِرٌ مشهور وافرُ الأدب، وشِعره رقيقٌ عَذْبٌ عفيف وفيه حكمة.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن فرج الجيّاني في النسيب:

وما زالَ الهَوى سَكَناً لقلبي ... أفِرُّ إليه من نُوَبِ الخُطوبِ،
وألتذ الغرام المحضَ منه ... واسْتَحْلي به حتّى كُروبي.
كذاكَ الحُبُّ ضَيْفٌ ليس يأتي ... إلى غيرِ الكِرامِ من القلوب.

- وله مقطوعة في النسيب مشهورة هي:

وطائعةِ الوِصالِ عَفَفْتُ عنها، ... وما الشيطانُ فيها بالمُطاعِ(٢).
بَدَتْ في الليل سافرةً فباتتْ ... دَياجي الليلِ سافرةَ القِناع(٣).
وما من لحظةٍ إلاّ وفيها ... إلى فَتْنِ القلوب لها دَواع(٤).
فملّكتُ النُهى جَمَحاتِ شوقي ... لأَجْرِيَ في العَفافِ على طِباعي(٥).
وبتّ بها مَبيتَ السَّقْبِ يظما ... فيمنَعُه الكِعام عن الرَضاع(٦).
كذاك الرَوْضُ ما فيه لِمِثْلي ... سِوى نظرٍ وشمٍّ من مَتاع.

(١) في معجم الأدباء (٤: ٢٣٧، الحاشية ٢): الأصل الذي في مكتبة أكسفورد « المنتزين القائمين » (بلا واو. ممّا يدلّ على أن الكتاب موجود).

(٢) لم أطع الشيطان فأعصي الله فيها.

(٣) أصبح الليل من ضوء وجهها نهاراً.

(٤) فتن القلوب: تعذيبها (أو استمالتها) لتخالف الخلق الكريم. دواع جمع داعية: سبب.

(٥) النهى: العقل. جمحة الشوق: الرغبة في مجانبة الطريق المستقيم.

(٦) السقب: ولد الناقة الذكر ساعة يولد. الكعام والكعامة (كلاهما بالكسر): ما يجعل على فم الحيوان كيلا يعضّ (بفتح العين) أو يأكل.

ولستُ من السوائم مُهْمَـــلاتٍ فأَتّخذَ الرِياضَ من المراعي!

- وقال يصف الرُمّانَ السَفْري[1]:

ولابسةٍ صَدَفـــــاً أحمرا أَتَتْـكَ وقـد مُلِئَتْ جوهرا[2]،
كأنّك فاتحُ حُقٍّ لطيفٍ تضمّنَ مَرْجانَـــهُ الأحمرا[3]:
حُبوبـاً كَمِثْـلِ لِثـاتِ الحبيـبِ رُضاباً إذا شِئْتَ أو منظرا[4].
وللسَفْرِ تُعزى ومـــا سافرتْ فتشكو النَّوَى أو تُقاسي السُرى[5].
بـلى؛ فارقــتْ أيْكَهـا ناعماً رطيبــاً وأغصانهـا نُضَّرا[6]،
وجاءتْــكَ مُعتاضــةً إذْ أتَتْـكَ بأكرمَ من عُودِها عُنْصُرا[7]:
بعُودٍ تَرى فيـه مـاءَ النَـدى، ويُورِقُ من قبلِ أن يُثْمِرا،
هديّـــةَ مَنْ لو غَـــدَتْ نفسُه هَدِيّتَه ظَنَّه قَصّرا!

- وقال في كتاب «الحدائق» يَصِفُ أشعارَ الخُلفاء (الحلّة السيراء ١ : ٢٠٥):

وهم يُجِلُّونَ عنِ الشعرِ أقدارَهم كما يَرْتفعون عنْ أن يُروَى عنهم أو يُؤْخَذَ من أقوالِهم، وإنّما يَنْبَسطون به في سَرائرِهم فليس يظهَرُ عليهم منه إلاّ الشاذُّ القليل. ولعلّ ما سَقَط (منه) عنّا أفضلُ ممّا سقط إلينا[8]. فأمّا أميرُ المؤمنين المستنصرُ بالله-

(١) نسبة إلى سفر (بسكون الفاء) بن عبيد الكلاعي. كان عبد الرحمن الداخل قد استقدم من الشام شيئاً من الرمّان الجيّد. فلمّا وصل ذلك الرمان كان في الحاضرين سفر بن عبيد فأعطاه عبد الرحمن شيئاً منه. فاعتنى سفر بزراعة بزر الرمّان في قرية من قرى ريّة فخرج حسن الصورة غزير الماء طيّب الطعم صغير البزر طريّه.

(٢) قشرها أحمر وحبّها أبيض (!).

(٣) الحقّ: وعاء صغير.

(٤) اللثات جمع لثة (بكسر اللام و بلا شدّة على الثاء): اللحم الذي تكون فيه الأسنان في الفم. الرضاب: الريق ما دام في الفم.

(٥) النوى: البعد والفراق. السرى: السفر ليلاً.

(٦) الأيك جمع أيكة: الشجر الكثير الملتفّ (المجتمع بعضه على بعض). الناضر: الأخضر الطريّ.

(٧) استغنت عن أصلها الأوّل (في الشام) وتبدّلت به عنصرك أنت (أصلك) لأنّه أكرم من أصلها.

(٨) الذي لم يصل إلينا من شعر المستنصر أكثر من الذي وصل منه إلينا.

أطالَ اللهُ بقاءه- فَهُوَ فوقَ أن يُعْلِنَ بهِ أو ينشُرَ ٱسمَهُ عليه. ولعلّ له منه ما لا نَعْرِفُه. فأمّا الأدواتُ التي يُقال بها، بل التي يَحْتاج إليها كلُّ علم[1]، فَهِيَ مَعَه بأزْيَدَ مِمّا كانت لأحدٍ قبلَه أو تكونُ لأحدٍ بعدَه[2].

- وقال في كتاب «الحدائق» يَذْكُرُ المَرِيَّةَ (المُغرب ٢: ١٩٣- ١٩٤):

حَدَث فيها من صَنْعةِ الوَشْيِ والديباجِ على اختلافِ أنواعهِ، ومن صِناعة الخَزّ وجميعِ ما يُعْمَلُ من الحرير، ما لم يُبْصَر مِثْلُه في المَشْرق ولا في بلادِ النصارى. وأعظم مبانيها الصُّمادِحِيّةُ التي بَناها المعتصم بن صُمادِحٍ. ومِنْ مَتَفَرّجاتِها مِنى[3] عَبْدوسٍ ومنى غَسّان، والنّجاد وبركة الصُّفْر وعين النَّطيّة. ونهرُها من أحسن الأنهار.

٤- ★ ★ المطمح ٧٩- ٨٠؛ جذوة المقتبس ٩٧- ٩٨ (الدار المصرية) ١٠٤- ١٠٥ (رقم ١٧٦)= بغية الملتمس ١٤٠ (رقم ٣٣١)؛ معجم الأدباء ٤: ٢٣٦- ٢٣٨؛ المغرب ٢: ٥٩؛ المطرب (الخرطوم) ٥- ٦؛ الوافي بالوفيات ٨: ٧٧- ٧٨؛ الحلّة السيراء ١: ١٢٦، ١٣٠، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٥٠؛ نفح الطيب ١: ٤٦٨، ٦٠٤، ٦٠٥، ٢: ٥٠١، ٣: ١٧٣، ١٧٥، ١٩٦، ٢٦٥- ٢٦٦، ٤٣٧، ٤: ٤٦- ٤٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠١- ٢٠٢؛ (١٩٤ - ١٩٥)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٢ - ٧٦٣.

ابن القوطيّة

١- هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ إبراهيمِ بنِ عيسى بن مُزاحمٍ المعروفُ بابنِ القوطيةِ نسبةً إلى جَدّة له هي سارةُ بنتُ أوباسَ (أسقفِ إشبيليةَ) ٱبن غَيْطَشَةَ ملكِ القُوط. جاءت سارةُ هذه إلى دِمَشْقَ تشكو إلى هِشامِ بنِ عبدِ الملكِ عمَّها أرطباس الذي ظلمها حقّها من إرثِ أبيها. فأكرمها هشامٌ وزوّجها أحدَ موالي بني أميّةَ عيسى بنَ مُزاحمٍ. وقد تزوّجها عيسى وٱنتقل بها إلى الأندلسِ وسكَنَ إشبِيلِيَةَ.

(١) المقوّمات التي يقوم عليها كلّ علم، من الشعر أو اللغة أو الحساب الخ.
(٢) يلوم ابن الأبار في «الحلة السيراء» ابن فرج على هذه المبالغة (١: ٢٠٥).
(٣) منية (بضمّ الميم أو بكسرها): ضيعة أو قرية بعيدة عن المدن يتخذها الأمراء والأغنياء للنزهة أو لقضاء فصل من فصول السنة.

وُلِدَ أبو بكرِ بن القوطية في إشبيليةَ ونشأ فيها وسَمِعَ مِنْ محمّدِ بنِ عبدِ الله بن الفرق وسعيدِ بنِ جابرٍ وحسنِ بنِ عبدِ الله الزَّبيديّ. ثمّ انتقل إلى قُرْطُبَةَ وسمع من قاسمٍ بنِ أصبغ (ت ٣٤٠) وابن الأغبش وأبي الوليد الأعرج ومحمّد بن عبد الوهّاب آبن مُغيث ومن طاهرِ بنِ عبدِ العزيز. وكذلك رَوى عن القاضي أبي الحزمِ خَلَفِ بنِ عيسى بن سعيدِ الخَير الوَقّشي.

وقد عرّفَ أبو عليٍّ القالي (ت ٣٥٦) الحَكَمَ المُسْتَنْصِرَ بالله (٣٥٠- ٣٦٦هـ) فَضْلَ آبن القوطية وأنه مِنْ أعلم أهلِ البلدِ باللغة والنحو.

وتولّى ابن القوطية القضاءَ وخُطّة الشُرْطة.

وكانت وفاةُ ابن القوطية في ٢٣ ربيعٍ الأولِ سَنَة ٣٦٧ (٦/ ١١/ ٩٧٧ م) بعد أن طالَ عُمُرُهُ.

٢- ابن القوطية نَحْويّ ومؤرّخ، وكان يَنْظِمُ الشعرَ أحياناً ويُجيد في المطالع والمقطّعات. وله من الكتب: تصاريف الأفعال- المقصور والممدود- تاريخ افتتاح الأندلس (والحوادث فيه متخلخلة وفيه رواياتٌ شعبية كثيرة- ويبدو أن هذا الكتاب لأحد تلاميذه استملاه عنه).

٣- مختارات من آثاره

من شعر ابن القوطية في الوصف:

ضَحِكَ الثَّرى وبدا لَكَ آسْتِبْشارُه، واخْضَرّ شارِبُه وِطَرّ عِذارُه[1].

ورَبَتْ حَدائِقُهُ، وآزَرَ نَبْتُهُ، وتَبسّمت أنوارُه وثِمارُه[2].

---

(١) الثرى: التراب (وجه الأرض). أخضرّ: أسودّ. طرّ: ظهر، بدا. العذار: الشعر النابت على جانبي الوجه.- يشبّه الشاعر سطح الأرض بوجه الرجل فيقول: بدأ النبات على وجه الأرض وعلا قليلاً (مع مجيء الربيع).

(٢) في معجم الأدباء (١٨: ٢٧٦) وفي الوافي بالوفيات (٤: ٢٤٣) رنت (بالنون) والصواب: ربت (بالباء) حدائقه (كثر فيها النبات). آزر النبات: التفّ وكثر. الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهر الأبيض اللون.

واهتزّ قَدُّ الغُصْنِ لمّا أنْ كُسِي وَرَقاً كَدِيباجٍ يَروقُ إزاره[١].
وتَعَمَّمَتْ صُلْعُ الرُّبى بِنَباتِها، وترنّمت بلُحونِها أطْيارُه[٢].

– من كتاب «تاريخ افتتاح الأندلس»:

..... وحَكى الشيخُ ابن لُبابةَ رَحِمَهُ اللهُ، عن مَنْ أدْرَكَه من الشُيوخ، أن أرْطُباسَ[٣] كان من عُقَلاءِ الرِجال في أمرِ دُنياه وأنّه دخلَ عليه..... مَيْمونٌ العابدُ- جَدّ بني حزمٍ البوّابين وهو أحَدُ موالي الشاميّين[٤]. فلمّا رآه أرطبَاسُ داخلاً قام إليه وٱلتزمه وجعل يقودُه إلى كُرْسِيِّهِ الذي قام منه، وكان مُصَمّداً[٥] بالذهب والفضّة. فأبى الرجلُ الصالح الجلوسَ عليه وقال له: «لا يَحِلّ لي هذا» وجلس على الأرض. وجلسَ (أرطبّاس) معه ثمّ قال له: «ما جاء بِمِثلِك إلى مِثْلي؟» فقال له ميمونٌ: «قَدِمْنا إلى هذا البلدِ وظَنَنّا أنّ ثُوانا[٦] لا يَطولُ فيه، ولم نَسْتَعِدَّ للمُقام. فحدث من الاضطراب على موالينا بالمشرق[٧] ما نَتَوَهَّمُ معه أنّا لا نعود إلى مَوْضِعنا به. وقد وسّع الله عليك، فأريدُ منك أن تُعْطِيَني ضَيْعةً من ضِياعك أعْتمرُها بيدي، وأُؤدّي إليك الحقَّ منها وآخُذُ الحقّ». فقال له أرطباسُ: لا، واللهِ، ما أرضى

---

(١) الديباج: نسيج من حرير. يروق: يحسن في العين. الإزار: ثوب يلفّ به الجسم.

(٢) كانت الربى (التلال) صلعا (لا نبات عليها، تشبيهاً لها بالرأس الذي فقد شعره) فتعمّمت: لبست عمامة النبات.

(٣) كان أبو عبد الله محمّد بن يحيى بن عمر بن لبابة فقيهاً مالكياً وقاضياً في إلبيرة (الأندلس) قرب غرناطة. وكانت وفاته في الاسكندرية نحو سنة ٣٣٠ للهجرة. أدركه: لحق زمانه، كان في أيامه. الشيوخ: الأساتذة، كبار رجال العلم. أرطباس (أو أرطباش أو أرطبان) هو الأمير أردبست بن غيطشة كان من الذين انضمّوا إلى طارق بن زياد ضد لذريق الذي كان قد اغتصب الملك من غيطشة (فيتيزا). وعاش أرطباس في قرطبة مكرّماً ومنح شيئاً من السلطة على قومه. وكان لأرطباس بنت هي سارة القوطية (وكان ابن القوطية صاحب هذا النصّ من نسلها).

(٤) البوّابون: الحجّاب الوزراء (؟). الشاميّون: العرب الذين جاءوا مع بلج بن بشر بن عياض (ت ٢١٤ هـ) من الشام (سورية) إلى الأندلس في أيام القتال بين القيسية واليمانية في أواخر عصر الولاة قبل وصول عبد الرحمن الداخل.

(٥) التزمه: اعتنقه. مصمّد: مكسوّ، ملفوف، مغطّى.

(٦) ثوانا: مكثنا، بقاؤنا.

(٧) موالينا (أنصارنا وأحلافنا).

أن أُعْطِيَكَ ضَيعةً مُناصَفَةً. ودعا (أرطباسُ) بوكيلٍ له وقال له: «ادْفَعْ إلَيْهِ المجشر الذي على وادي شَوْشٍ وما فيه من البقر والغنم والعبيد، وادْفَعْ إليه القلعة بجَيّانَ وَهِيَ المعروفةُ بقرية حزم ....».

- وقال في السوسن (الزنبق) والورد:

اشربْ على السَّوْسنِ الغَضِّ الذي نَعِما ... وباكرِ الأُنسَ والوردَ الذي نَجَما[1]،
كأنّما ارْتَضَعــــــا خِلْفَيْ سمائِهِما: ... فأُرْضِعَتْ لَبَناً هذي، وذاك دَما[2].
خِلاّنِ: قد كفَّرَ الكافورُ ذاك، وقد ... عَقّ العقيقُ احمراراً ذا وما ظَلَما[3].
كأنّ ذا دُمْيَةٌ نُصَّتْ لِمُعْتَرِضٍ ... وذاك خدٌّ غَداةَ البَيْنِ قد لُطِما[4]؛
أو لا، فذاك أنابيبُ اللُّجين وذا ... جَمْرُ الغَضا حَرّكته الريح فاضْطرما[5]!

٤- كتاب الأفعال (في اللغة) (نشره غويدي) ليدن ١٨٩٤ م؛ (تحقيق علي فودة)، القاهرة (مطبعة مصر: شركة مساهمة مصرية) ١٩٥٢ م.

- تاريخ افتتاح الأندلس، باريس ١٨٦٧ م؛ مدريد ١٨٦٨ م؛ (أعيد طبعه باعتناء ريبيرا)، مدريد ١٩٢٦ م؛ (نشرة هوداس) باريس ١٨٨٩؛ مصر (مطبعة التوفيق) بلا تاريخ؛ (نشره عبد الله الطبّاع)، بيروت (دار النشر للجامعيين) ١٩٥٧ م.

★ مطمح الأنفس ٥٨- ٥٩؛ جذوة المقتبس ٧١- ٧٢ (الدار المصرية) ٧٦-٧٧ (رقم ١١١)؛ بغية الملتمس ١٠٢ (رقم ٢٢٣)؛ ابن الفرضي ٢: ٧٨- ٧٩؛ إنباه الرواة ٣: ١٧٨؛ معجم الأدباء ١٨: ٢٧٢- ٢٧٧؛ وفيات الأعيان ٤: ٣٦٨- ٣٧١؛ بغية الوعاة ٨٤- ٨٥؛ شذرات الذهب ٣: ٦٢- ٦٣؛ (وفيات سنة ٣٦٧ هـ)؛ الوافي بالوفيات ٤: ٢٤٢- ٢٤٣؛ البلغة ٢٣٧؛ نفح الطيب ٣: ٧٣- ٧٤؛ الديباج المذهب ٢٩٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٤٧- ٨٤٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠١ (٦: ٣١١).

---

(١) نعم: لان ملمسه، وكان طريّاً نضيراً. نجم: نبت حديثاً (خرجت زهرة الورد من كأسها: الأورق الخضر التي كانت تغلّفها).

(٢) الخلف (بالكسر): حلمة الثدى. السماء: المطر. كأنّ الورد (الأحمر) والسوسن (الأبيض) رضعا من سماء واحدة (من مطر واحد) ولكن من ثديين مختلفين: رضع الورد من ثدى فأصبح أحمر، ورضع السوسن من ثدى آخر فأصبح أبيض.

(٣) الكافور: مادّة شفّافة تميل إلى البياض. العقيق: حجر كريم أحمر. كفّر: غطّى، ستر، غلّف. عقّ: ذبح ذبيحة.

(٤) الدّمية: الصورة، التمثال. نصّ: رفع. المعترض: الذي يعترضك: يقف مقابلاً لوجهك. البين: الفراق. قد لطم (حزناً على فراق المحبوب).

(٥) اللجين: الفضّة. الغضا: شجر خشبه كثيف يتّقد بشدّة.

عريب القرطبي

١ - هو عَرِيبُ بنُ سَعْدٍ من موالي الأندلس ومن أهلِ قُرْطُبَةَ يتّصِلُ نسَبُه ببني التُركي (الذيل والتكملة ٥ : ١ : ١٤١ - ١٤٢) لا نَعْرِفُ من أحداثِ حياتِه إلاّ نُتَفاً: آستعملَه عبدُ الرحمنِ الناصرُ على كُورة أَشونةَ، سَنَةَ ٣٣١ ثمّ آستَكْتَبَهُ الحَكَم المُسْتَنْصِرُ (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) بنُ الناصر. وقد كانتْ له مكانةٌ أَثيرةٌ عند الحاجب جَعْفَرٍ المُصْحَفيّ (قتل ٣٧٢ هـ) ومكانةٌ رفيعةٌ عند المنصورِ بنِ أبي عامرٍ (٣٩٢ هـ). ولعلّ وفاتَه كانتْ نَحْوَ سَنَةِ ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م).

٢ - كان في عَريبٍ القُرطبيِّ بأْوٌ (فخر أو تعاظُم) شديدٌ أدّى إلى آنخفاضِ منزلتهِ عندَ جعفرٍ المُصَحفيّ وعند المنصورِ بن أبي عامرٍ في حَديثَيْنِ طويلين. ولكنّه كان أديباً بارعاً وشاعراً مطبوعاً ومُؤرّخاً واسعَ المَعْرفة بالتاريخ جامعاً للأخبار. ثمّ إنّه كان أيضاً ذا حظٍّ من اللُّغة ومن النَحْو، كما كان طبيباً ماهراً وذا عِنايةٍ بكُتُبِ الأطبّاء القُدماء والمُحْدَثين. غيرَ أن شُهْرَتَهُ كانتْ في التاريخ خاصّةً، فلقدْ أشارَ إليه، في هذا البابِ، عليُّ بنُ موسى بنِ سعيدٍ العَنْسِيُّ في قصيدةٍ له مَدَحَ بها ابنَ عمّهِ أبا عبدِ الله بنِ الحُسين (بن سعيد) فقال (نفح الطيب ٢: ٢٧٥): «وإنْ سَرَدَ التاريخَ قُلْتَ: عَريبُ».

وكان عرَيبٌ القُرطبيُّ مُصَنِّفاً آشْتَهَرَ له كتابٌ عُنوانُه «صِلُة تاريخِ الطَبَريّ»[1] بَدَأه سَنَة ٢٩١ (وَهِيَ السَنَةُ التي وَقَفَ الطبريُّ عندَها في تاريخه). ثمّ استمرّ عَريبٌ في السَرْد إلى سَنَةِ ٣٢٠. وفي كتاب «الذيل والتكملة»: لِعَرِيبٍ هذا «تاريخُه الذي اختصَرَهُ من تاريخ أبي جعفرٍ الطَبَريِّ وأضافَ إليه أخبارَ إفْريقيَةَ والأندلُسِ، وَهُوَ كتابٌ مُمْتِعٌ». ويبدو أن هذا الكتابَ (المختصَر من تاريخ الطبري) غير كتابِ «صِلةِ تاريخِ الطبريّ» الذي طَبَعَهُ دي خويه والذي أُلْحِقَ أيضاً بالجُزْءِ الثاني عَشَر من «تاريخ الرسل والملوك» للطبريّ في طبعةِ القاهرة[1]. وقد أصابَ إحسانُ عبّاسٍ لمّا

(١) المطبعة الحسينية ١٣٣٦ هـ.

قال[١]: «وأحْسَبُ أنّ هذا المنشورَ لا يُمَثِّلُ ما يقولُه ابنُ عبدِ الملك (المراكشي) في هذه الترجمة».

ولِعَريبٍ أيضاً من الكتب: كتابُ خَلْقِ الجَنين وتدبيرِ الحَبالى والمَوْلودين (كتاب خَلْقِ الإنسان وتدبير الأطفال) - كتابُ عُيون الأدوية - كتاب الأنواء[٢]، وهو مُفيدٌ ومُسْتَعْمَلٌ ومُعْتَمَدٌ (الذيل والتكملة) - تقويمُ قُرْطُبَةَ[٣].

٣ - مختارات من آثاره

- اتّفق أن جاء عَريبٌ مرّةً إلى مجلسِ الحاجبِ جعفرٍ المُصْحفيّ، وكان المجلسُ مُكْتَظًّا، فأجلَسَهُ المُصْحَفِيّ في مكانٍ قريبٍ منه ولكنْ كان بينَهما رَجُلٌ آخَرُ، فكَتَبَ عَريبٌ في رُقْعةٍ بَيْتَيْنِ ثمّ ناولَ الرُقعةَ للمُصْحفي. والبيتانُ هُما:

حالَ بَيْني وبينَ وَجْهكَ في المَجْـ . ـلِسِ شخصٌ على القلوبِ ثقيلُ.
مـا تَوَهّمْـتُ قبلَها أنّ شخصاً بـينَ قَلْـبي وناظِري سَيَحول[٤].

- بَدَأَ عَريبٌ صِلةَ تاريخِ الطَبَرِيّ كما يلي:

(ثمّ دَخَلَتْ سَنَةُ ٢٩١): ذِكْرُ ما دارَ في هذهِ السَنَةِ من أخبارِ بني العَبّاسِ: فيها كتب الوزيرُ القاسمُ بنُ عبدِ اللهِ إلى مُحمّدِ بنُ سُليمانَ الكاتب[٥]، وكانَ المُكْتفي[٦] قد وَلاّهُ حَرْبَ القُرْمطِيِّ صاحبِ الشامةِ[٧] وصيّر إليه أمرَ القُوّادِ والجيوش، فأَمَرَهُ

---

(١) الذيل والتكملة ٥: ١: ١٤٢ (الحاشية الثانية).

(٢) الأنواء (أحوال الجوّ).

(٣) راجع نصّاً من مطلعه في المختارات من هذه الترجمة.

(٤) بين قلبي (المقصود: الممدوح جعفر المصحفي) وناظري (عيني، بصري). حال: اعترض.

(٥) محمّد بن سليمان الكاتب الحنيفي قائد قدير تولّى قتال القرامطة في الشام (توفيّ بعد ٣٩٧ هـ).

(٦) المكتفي: الخليفة العبّاسي علي بن أحمد (المعتضد) بن الموفّق بن المتوكّل تولّى الخلافة نحو ستّ سنوات (٣٨٩ - ٣٩٥ هـ) ومات شابًّا (ولد ٣٦٣ هـ).

(٧) هو أحمد بن زكرويه القرمطي صاحب الشامة قاتل العبّاسيّين في العراق والشام ثمّ انهزم وأخذ أسيراً فجيء به إلى المكتفي بالله العبّاسي فأمر بقتله.

بُمناهضةِ[١] صاحب الشامة والجِدِّ في أمْرِهِ وجَمْعِ القُوّادِ والرِجال على مُحاربته. فسارَ إليه مُحمّدُ بنُ سُليمانَ بجَميعِ مَنْ كان مَعَهُ وأهلِ النواحي التي تَليه من الأعْرابِ وغيرِهم حتّى قَرُبوا من حَماةَ[٢] وصار بَيْنَهم وبينَه نحوُ ٱثْنَيْ عَشَرَ ميلاً، فَلَقُوا أصحابَ القُرْمُطِيِّ هُنالِكَ يومَ الثُلاثاء لِستٍّ خَلَوْنَ من المُحَرّمِ[٣]. وكان القُرْمُطِيُّ قد قَدَّمَ بَعْضَ أصحابِهِ في ثلاثةِ آلافِ فارسٍ وكثيرٍ من الرِجّالة في مُقَدَّمَتِهِ، وتخلّفَ هُوَ في جَماعةٍ منهم رِدءاً لهم، وجَعَلَ السوادَ[٤] وَرَاءه. وكان مَعَهُ مثالٌ جَمَعَهُ. فٱلْتَقَى رِجالُ السُلطانِ بِمَنْ تَقَدّمَ مِنَ القَرامطةِ لِحَرْبِهِمْ. وٱلْتَحَمَ القتالُ بَيْنَهم، وصَبَرَ الفَريقانِ. ثمّ ٱنْهَزَمَ أصحابُ القُرْمُطِيّ وأُسِرَ من رِجالِهِ بَشَرٌ كثيرٌ وقُتِلَ منهم عددٌ عظيمٌ وتَفَرّقَ الباقونَ في البوادي. وتَبِعَهُمْ أصحابُ السُلطانِ ليلةَ الأَرْبُعاء[٥] يَقْتُلونَهم ويأْسُرونَهم.............

- وقال عَريبٌ في تَرْجَمَةِ أبي اليُسْرِ[٦] إبراهيمَ بنِ أحمدَ الشَيْبانيِّ (نفح الطيب ٣: ١٣٤ - ١٣٥):

... كان شاعراً مُرَسِّلاً حَسَنَ التأليف. وقَدِمَ الأندلُسَ على الإمامِ محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ[٧]، وذَكَرَ له مَعَه قِصةً ذَكَرَها ٱبنُ الأبّارِ في كتابه «إفادة الوِفادة[٨]» وحَكَى أن له مُسْنَداً في الحديث وكتاباً في القُرآن سَمّاه «سِراجَ الهُدى» والرسالة الوحيدة

---

(١) مناهضة: مقاومة.

(٢) حماة بلدة في الشام بين حمص وحلب.

(٣) ١٠٠٠/١٢/٦ م.

(٤) الردء: المعين، الناصر (قوّة احتياطية). جعل السواد (سواد العراق، القسم الجنوبيّ منه) وراءه (كي يستطيع الهرب إليه إذا انهزم في الشام).

(٥) في يوم الثلاثاء نفسه (ليلة الأربعاء هي مساء يوم الثلاثاء).

(٦) هو أبو اليسر ابراهيم بن أحمد الشيباني المعزوف بالرياضي (٢٢٣ - ٢٩٨ هـ) من الأدباء والكتّاب. أصله من بغداد جال في البلاد ودخل الأندلس ثمّ انتقل إلى القيروان وتولى فيها بيت الحكمة في أيام آخر الأمراء الأغالبة زيادة الله بن عبد الله الأغلبي. وكانت وفاته في القيروان.

(٧) جاء إلى إمارة الأندلس ٢٣٨ هـ وتوفّي سنة ٢٧٣ هـ.

(٨) الملموح أن ابن الأبار هذا هو محمّد بن عبد الله القضاعي (٥٩٥ - ٦٥٨ هـ). ولم أعثر في مصدر آخر على اسم كتابه «افادة الوفادة». وليست التكملة لابن الأبار بين يدّي الآن.

والمُؤنسة وقُطب الأدب وغير ذلك من الاوضاع[١]. قال وكَتَبَ لِبَني الأغلبِ حتّى آنصرمتْ أيامُهم، ثمّ كَتَبَ لِعُبيدِ الله حتّى مات[٢]. ومن الرُواة عنه أبو سعيدٍ عُثمانُ آبنُ سعيدِ بنِ الصَيْقل[٣] مَوْلَى زِيادةِ اللهِ بنِ الأغلب[٤]. وأَسْنَدَ إليه الحافظُ بنُ الأبّارِ جُملةً منه على غيره. وناوَلَني جَميعَه وحَدّثني به عن أبي عبدِ الله بنِ زرقونٍ عن[٥] الخَوْلانيِّ[٦] عن أبي القاسمِ حاتَمِ بنِ مُحمّدٍ[٧] عن أبي غالبٍ تَمّام بنِ غالبٍ[٨] بنِ عُمر الُغَويٍّ عن أبيه أبي تمّامٍ[٩] عن أبي سعيدٍ المذكور - يَعْني آبنَ الصيْقلِ - عن أبي اليُسْرِ عن حبيبٍ[٨]. وهُوَ إسْنادٌ غريب[١٠]. انتهى[١١].

- من مطلع «كتاب عريب في تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان» (أو تقويم قرطبة):

هذا كتابٌ جُعِلَ مُذكِّراً بأوقات السَنة وفُصولها وعددِ الشهور وأيّامها ومجاري الشمس في بُروجها ومنازلها[١٢] وحُدود مَطالِعها وقَدْرِ مَيْلها وآرتفاعها[١٣] وآختلافها في

---

(١) راجع في أبي اليسر الشيباني ترجمة له في نفح الطيب (٣: ١٣٤ - ١٣٥).

(٢) هو المهدي الفاطمي عبيد الله بن محمّد مؤسّس الدولة الفاطمية في المغرب بويع له سنة ٢٩٧ وتوفّي سنة ٣٢٢ هـ.

(٣) زيادة الله بن الأغلب هذا هو آخر أمراء الأغالبة (ت ٣٠٤ هـ).

(٤) هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي - راجع ترجمته تحت (ت ٦٣٤ هـ).

(٥) هو أبو عبد الله محمّد بن سعيد بن زرقون (ت ٥٨٦ هـ) فقيه مالكي، محدّث، وكان مسند الأندلس (في علم الحديث وروايته).

(٦) الخولاني - لعلّه أبو جعفر أحمد بن محمّد بن الأبار الخولاني (ت ٤٣٣ هـ) - راجع ترجمته تحت.

(٧) حاتم بن محمّد؟

(٨) تمّام بن غالب التيّاني (ت ٤٣٦ هـ) أديب لغوي أندلسي.

(٩) هو أبو تمّام حبيب بن أوس الشاعر العباسيّ المشهور.

(١٠) أسناد غريب (فيه رجال مجهولون؟).

(١١) «انتهى» موجودة في الأصل، ولعلّ في هذا النصّ في نفح الطيب شيئاً من التصرّف.

(١٢) البرج مجموعة من النجوم تمرّ بها الشمس في أثناء السنة. المنازل (جمع منزلة) المدد التي تقضيها الشمس في كلّ برج من البروج الأثني عشر.

(١٣) يختلف مطلع الشمس على الأفق الشرقي بين فصل وفصل (في الصيف يكون أبعد إلى الشمال). قدر ميل الشمس (بين فصل وفصل عن كبد السماء). استواء الشمس (أعلى نقطة ترتفع إليها الشمس في السماء - في نصف الصيف). كلّما ارتفعت الشمس كان ظلّ الأشياء أقصر.

الظِلّ عند استوائها، و (في) تصرُّفِ الأزمان وتعاقُبِ الأيام بالزِيادة والنُقصان[١] و (في) فصل البرد والحرّ وما بَيْنَهما من التَوَسُّط والاعتدال[٢] و (في) مِيقات كلِّ فصلٍ وعددِ أيامِه على مذهبِ أهلِ التعديل والحِساب ومذهبِ الأوائلِ[٣] مِنَ الأطبّاء الذين حدّوا الأزمنةَ والطبائعَ[٤]، إذ كان بَيْنَهم في فصل السَنة ٱختلافٌ سيأتي عليه الاسِتجْلابُ[٥] ويَقَعُ في مَوْضِعِه من هذا الكتاب، إنّ شاء الله؛ وذِكْرِ ما لا غِنىً عنه للناس من معرفةِ الزِراعة وحينِ الغِراسة[٦] وتعاهُدِ كثيرٍ من أسبابِ الفِلاحة وإمكان جَني الثمارات وضمّ الذُخر والأقوات[٧] وٱبتداء نُضْجِ الفَواكِه ومواقيت النِتاج[٨] وغير ذلك من مرافِقِ الناسِ ومصالحهم، والأزمنة التي توافق تَنْقِيَةَ أجسامهم بالدواء والفَصْدِ[٩] وأوقات جمعِ العقاقيرِ والأشربةِ والمُرَبَّباتِ في أوانِها وحينَ إمكانها[١٠] و (في) علم تصارُفِ الرِياح ومذاهبِ العرب في الأنواءِ والأمطار[١١] إذ كانتِ (العرب) تُعنى بها وتَحتاج إلى تحديد مَطالعِ النجوم ومَساقطها[١٢] والمُمْطِر والمُخْوي[١٣] منها لتَقَلُّبِهِمْ في الطلبِ للمعاشِ والانتقال إلى مواضعِ المياه[١٤]........

(١) تزايد طول النهار في الصيف (مع قصر الليل) وتزايد طول الليل في الشتاء (مع قصر النهار).

(٢) من التوسّط والاعتدال (حينما يتقارب الليل والنهار في الطول (في الربيع والخريف) يكون الجو معتدلاً (بين الحر والبرد).

(٣) أهل التعديل والحساب (علماء الفلك). القدماء (من اليونانيّين خاصة).

(٤) حدّ (الأطباء) صلة طبيعة البشر (بالقوة أو بالمرض) بحسب فصول السنة (؟).

(٥) الاستجلاب (سيأتي ذكره في هذا الكتاب).

(٦) الزرع للحبوب والنبات السنوي. والغرس للأشجار.

(٧) ضمّ الذخر والأقوات (اتّخاذ الحبوب وغيرها للمؤونة).

(٨) النتاج: ولادة الأنعام (الغنم والأبل الخ).

(٩) استعمال الأدوية بحسب الفصول (كالمسهل) أو الفصد أي استخراج الدم (في أول الربيع).

(١٠) تحضير الأدوية (من النباتات التي تنضج في الفصول المختلفة) والأشربة (من منقوع النبات) والمربّبات تكثيف عصير الفواكه، كلّ بحسب أوانه (زمانه).

(١١) النوء: الزمن الذي يكون فيه سقوط المطر (وصلة ذلك بظهور عدد من النجوم في السماء).

(١٢) مطالع النجوم (الزمن الذي تبدو النجوم فيه ظاهرة في السماء مدّة طويلة أو قصيرة. المساقط: غياب النجوم من السماء.

(١٣) المخوى: الزمن أو الشهر لا يكون فيه مطر.

(١٤) بسبب رحلة البدو (تنقّلهم في البادية وراء الماء والعشب).

٤ - صلة تاريخ الطبري (دي خويه)، ليدن (بريل) ١٨٩٧ م؛ في الجزء الثاني عشر من تاريخ الرسل والملوك للطبري (ملحق)، مصر (المطبعة الحسينية ١٣٣٦).

- تقويم قرطبة (بالعربية مع ترجمة فرنسية) (نشره دوزي)، ليدن (بريل) ، الطبعة الثانية (شارل بلاّ)، ١٩٦١ م.

★ ★ الذيل والتكملة ٥: ١: ١٤١ - ١٤٣؛ نفح الطيب ٣: ١٣٤، ١٨٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٦٢٨؛ بروكلمن ١: ١٤٩ (السطر الخامس)، الملحق ١: ٢١٧ (السطر الخامس والعشرين)؛ بالنثيا ٤٨٧ - ٤٨٨؛ الأعلام للزركلي (٤: ٢٢٧).

جعفر المصحفيّ

١- هو أبو الحسنِ جعفرُ بنُ عثمانَ بنِ نصرِ بنِ فوزِ بنِ عبدِ الله بن كُسيلَة من بربرِ بَلَنْسِيَةَ، بدأ حياتَه العامّةَ بأنْ كان مُؤدِّباً للحَكَمِ بنِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ. ثمّ إنّ الناصرَ ولاّه على جزيرةِ مَيورقةَ. ولمّا جاء الحَكَمُ إلى الخِلافة (٣٥٠ هـ) استوزره.

لم يكن جعفرٌ المُصْحَفِيُّ حَذِراً من دهرِهِ فاسْتنام إلى الأيام ونثر أهله في مرافقِ الدولة. ودَخَلَ محمّد بن أبي عامر (ت ٣٩٢) في خِدمة الدولة فأدْرَكَ أنّه لا يستطيعُ الوصولَ إلى هَدَفِهِ مِنَ الاستبدادِ بالدولة إلاّ إذا أزاحَ المصحفيّ من طريقه. فلمّا تُوُفِّيَ الحَكَمُ المُستنصرُ وخَلَفَهُ آبنُه هشامٌ كان هشامٌ وفيًّا لذِكرى أبيه فَرَفَعَ المُصْحَفِيَّ إلى رُتْبةِ الحِجابة (رئاسة الوزارة)، في عاشِر صَفَرَ من سَنَة ٣٦٦ (٧/ ٩/ ٩٧٦ م)، بعدَ مجيئهِ إلى الخلافة ببِضْعةِ أيامٍ.

غير أنّ محمّدَ بنَ أبي عامرٍ- وكان قد نالَ حظوةً عند صُبْحَ أمِّ هشامٍ وأصبح له سلطةٌ على هشامٍ نفسِه- ما زال بهشامٍ القاصرِ حتّى أمرَ هشامٌ بصَرْفِ المُصْحفيّ من الحِجابة، في ثالثَ عَشَرَ صَفَرَ من سَنَةِ ٣٦٧ (٢٥/ ٣/ ٩٧٨ م) وبنَكْبَةِ المصحفيّ وأهلِه. وبدأ محمّدُ بنُ أبي عامرٍ- وكان قدِ آستولى على الدولةِ وتسمّى المنصورَ- يُصادِرُ أموالَ المصحفيّ وأموالَ أهلِه ويقتُل نفراً منهم. ثمّ إنه ألْقى جعفراً المصحفيّ نفسَه في السجن وأمرَ أخيراً بقتله سَنَةَ ٣٧٢ (٩٨٢- ٩٨٣ م).

٢- كان جعفرٌ المصحفيُّ أحدَ شعراءِ الأندلُسِ المُحسنين المُتَصرفين في أنواعِ الشعرِ من المديح والخمر والأوصاف والغزل غايةً في كلِّ ذلِك في الرِقّة والإبداعِ والحُسْن، وكان يقولُ مُرْتَجِلاً (البيان المغرب ٢: ٢٥٤) وهو شاعرٌ مُكْثِرٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال المصحفي في نَكْبَتِه:

تأمّلتُ صَرْفَ الحادثاتِ فلم أزَلْ ... أراها تُوافي عندَ مَقْصِدِها الحُرّا[١].
فللهِ أيامٌ مَضَتْ لِسَبيلها، ... فإنّيَ لا أنْسى لها أبداً ذِكْرا.
تجافَتْ بها عنّا الحوادثُ بُرْهَةً ... وأبْدَتْ لنا منها الطَلاقة والبِشرا[٢]؛
ليالِيَ لم يَدْرِ الزمانُ مَكانَنا، ... ولا نَظَرَتْ مِنّا حَوادِثُه شَزْرا.
وما هذهِ الأيامُ إلاّ سَحائبٌ ... على كلِّ حالٍ تُمْطِرُ الخيرَ والشرّا.

★ أُجاري الزمانَ على حالِهِ ... مُجاراةَ نفسي لأنفاسِها[٣].
إذا نَفَسٌ صاعِدٌ شَفّها ... توارَتْ به بين جُلاّسِها[٤].
وإن عَكَفَتْ نَكْبَةٌ للزمانِ ... عَكَفْتُ بصَدْري على رأسِها[٥].

★ لا تأمَنَنَّ من الزمان تَقَلُّباً؛ ... إنّ الزمانَ بأهلِهِ يَتَقلّبُ.
ولقدْ أراني والليوثُ تَخافُني، ... فأخافني من بعدِ ذاك الثَعْلَبُ[٦].
حَسْبُ الكريمِ مَذَلّةً ونقيصةً ... ألاّ يَزالَ إلى لئيمٍ يَطْلُبُ.
وإذا أتتْ أُعجوبةٌ فاصْبِرْ لها، ... فالدهرُ يأتي- بعدُ- ما هو أعْجَبُ.

★ لي مُدّةٌ لا بدّ أبْلُغُها؛ ... فإذا انقضتْ أيامُها متُّ.

---

(١) صرف الحادثات: المصائب.
(٢) تجافى: ابتعد، تجنّب.
(٣) أسلك مع الزمان كما ينبغي، مجاراة نفسي لأنفاسها (تماماً).
(٤) شفّها: أصابها فأنحلها أو أضعفها. توارت به بين جلاّسها (كتمته عمّن حولها، عن الناس).
(٥) إذا نزلت بي مصيبة قضيت على تلك المصيبة (صبرت عليها؟).
(٦) لعلّه يشير إلى المنصور بن أبي عامر.

لو قابلَتْني الأُسْدُ ضارِيةً - والموتُ لم يُقْدَرْ- لَمَا خِفْتُ[١].
فانظُرْ إليَّ وكُنْ على حَذَرٍ، فَبِمِثْلِ حالِكَ أمسِ قد كُنْتُ.

★ صَبَرْتُ على الأيّامِ حتّى تولّتِ؛ وألْزَمْتُ نفسي صَبْرَها فاستمرّتِ.
فواعَجَباً للقلبِ، كيف اعترافُه، وللنفسِ بعدَ العِزّ كيفَ استذلّتِ.
وما النفسُ إلاّ حيثُ يجعلُها الفتى؛ فإنْ طَمِعَتْ تاقَتْ وإلاّ تَسَلّت[٢].
وكانتْ على الأيّامِ نفسي عزيزةً، فلمّا رأتْ صَبْري على الذُلِّ ذلّت.
فقُلْتُ لها: يا نفسُ، موتي كريمةً؛ فقد كانتِ الدنيا لنا ثمّ ولّت.

- وقال المُصْحفيُّ يُعَرِّض بالمنصورِ ابن أبي عامرٍ (لأنّه هو الذي كان قد ساعدَ على تقديم ابنِ أبي عامرٍ في مراتبِ الدولة):

غَرَسْتُ قضيباً خِلْتُه عُودَ كَرْمَةٍ وكُنْتُ عليه في الحوادثِ قَيِّما[٣].
وأُكْرِمُهُ دَهْري فيزدادُ خُبْثُه؛ ولو كان من أصلٍ كريمٍ تَكَرّما.

- وقال في كِتمان السرّ:

يا ذا الذي أوْدَعَني سِرَّه، لا تَرْجُ أن تَسْمَعَهُ منّي.
لم أُجْرِهِ بعدَكَ في خاطري، كأنّه ما مرّ في أُذْني.

- ولجَعْفرِ بنِ عُثْمانَ المُصْحفيّ في الغزَل والنَسيب:

أمَا، والهوى، ما كنتُ أعْرِفُ ما الهوى ولا ما دَواعي الشوقِ حتّى تَكلّما.
دعاني بلَفْظٍ لو دعا يَذْبُلاً به لَلَبّاهُ مُشتاقاً ووافاه مُغْرَما[٤].

---

(١) الأسد الضاري (الجائع) لأنّه يكون أكثر شراسة وأكثر جرأة.
(٢) تاقت: اشتاقت، رغبت.
(٣) عود كرمة (عنب)، أي ظننته غرسة كريمة نبيلة.
(٤) يذبل اسم جبل.

★ إنْ فـاهَ أُشْرِبَـتِ الضُلوعُ هَوىً حتّـــى كـأنّ جَميعَهـا أُذُنٌ.
لا تُنْكروا كَلَفَ الضُلوع بِهِ فحديثُـــه لِوَجيبِهـــا سَكَنُ[1].

★ لِعَيْنَيْـكِ في قلـبي عـليَّ عُيونُ، وبـين ضُلوعي للشُجُونِ فُنونُ[2].
لئن كان جسمي مُخْلَقاً في يدِ الهوى، فحُبّك غَضٌّ في الفؤاد مَصون[3].
نَصيبي من الدُنيا هَواك، وإنّه عذابي؛ ولكنّي عليه ضَنين.

- ولهـ في وصف الخمر:

صَفراءُ تَطْرُقُ في الزُجاج، فإنّ سَرَتْ في الجِسْمِ دبّتْ مثلَ صِلٍّ لادغٍ[4].
عَبَثَ الزمانُ بجسمها فتَسَتّرتْ عن عينـــهِ بِرِداء نورٍ سابـغٍ.
خَفِيَتْ على شُرّابِها فكأنّما يَجِـدونَ رِيًّـا في إنـاء فارغ.

٤- ★ ★ مطمح الأنفس؛ جذوة المقتبس ١٧٥- ١٧٦ (الدار المصرية) ١٨٧-١٨٨ (رقم ٣٥٣)؛ بغية الملتمس ٢٤٠ (رقم ٦١٤)؛ الحلّة السيراء ٢٥٧ وما بعد؛ نفح الطيب ١: ٤٠٢ وما بعد؛ ٥٩٢- ٥٩٤، ٣: ٨٦- ٩٠، ٥: ٦٠٠- ٦٠٢، ٤: ٦؛الذخيرة ١: ٤: ٤٦ وما بعد؛ البيان المغرب ٢: ٢٥٤ وما بعد، نيكل ٤٩- ٥١؛ الأعلام للزركلي ٢: ١١٩ (١٢٥).

ابن أبي حنيفة النعمان

١- هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي حنيفةَ النُعْمانِ القَيْروانيُّ[5]، وُلِدَ (في القيروان) في ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٣٢٩ (خريفِ ٨٤٣ م) ونشأ فيها. انتقل إلى القاهرةِ في صُحبةِ

---

(١) الكلف: شدّة التعلّق بالمحبوب. الوجيب: الخفقان.
(٢) الشجن (بفتح ففتح): الحزن.
(٣) مخلق: متهرّئ. غضّ: طريّ، جديد.
(٤) صفراء (خمر) تطرق (؟) والملموح أن معناها: تهدأ. الصلّ: الحيّة الخبيثة، الشديدة السمّ. لادغ (وهو يلدغ): يضرب بنابه.
(٥) الملموح أنّه ابن القاضي النعمان بن محمّد (ت ٣٦٣ هـ) واضع المذهب الفاطمي ومؤلف «دعائم الإسلام» - انظر أعلاه ص ٢٧٧ -

المُعِزِ الفاطميِّ، سَنَةَ ٣٥٨ هـ. ثمّ تولّى القضاءَ في جميعِ البلاد التي كانتْ خاضعةً للنفوذ الفاطميّ. وكانت وفاتُه في سادسِ رَجَبَ من سَنَةِ ٣٧٤ (٤/ ١٢/ ٩٨٥ م) ودُفِنَ في القَرافة (مصر).

٢- كان ابنُ أبي حنيفةَ النعمانِ عارفاً بفنونٍ كثيرةٍ منها القضاءُ والفِقهُ والنحو والأدب. وكان شاعراً وُجْدانياً تَغْلِبُ عليه الصِناعةُ. ومن فنونِه الحكمةُ والنسيب.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ أبي حنيفةَ النُعمانِ في صديق له صدوق:

ولي صديـقٌ مـا مسّني عَـدَمٌ   مُذْ وقعَتْ عينُه على عَدَمي[١].
أغْنى وأقنى؛ وما يُكَلِّفُني   تقبيـلَ كـفٍّ له ولا قَدَم[٢].
قام بأمري لمّا قَعَدتُّ به؛   ونِمْـتُ عن حاجتي ولم يَنَم[٣].

- ولـه في النسيب مَعَ الإشارات البارعة إلى مناسِكِ الحجّ على سبيلِ الموازنة والجِناس:

رُبَّ خَوْدٍ عَرَفْـتُ في عُرَفـاتِ   سَلَبَتْـني بِحُسْنِهـا حَسَنـاتي[٤].
حَرّمَتْ، حينَ أحْرَمَتْ، نَوْمَ عَيْني   واسْتباحـت حِمايَ باللَحَظـات[٥].
وأفاضَتْ مَعَ الحَجيـجِ ففاضَتْ   من جُفوني سَوابِقُ العَبَرات[٦].
ولقـد أضْرَمَتْ على القلب جمْراً   مُحْرِقاً إذ مَشَتْ إلى الجَمَرات[٧].

---

(١) العدم: الفقر. مذ عرف أنّي فقير أغناني.
(٢) أقنى: جعل لي ما اقتنيه (أملكه، ثروة). ولم يطلب منّي أن أتذلّل له.
(٣) قعدت بأمري: عجزت عن تدبير أموري.
(٤) الخود: المرأة الجميلة. عرفات: هضبة شرق مكّة يقف عليها الحجّاج.
(٥) أحرمت: دخلت في الإحرام (نيّة القيام بالحجّ).
(٦) أفاض الحجيج: رجعوا من الوقوف بعرفات.
(٧) الجمرات: سبع حصى صغيرة يرمي بها كلّ حاج في المحصّب (حينما ذهبت لرمي الجمار أو الجمرات).

لم أَنَـلْ من مِنِى مُنَى النفسِ حتّى خِفْتُ بالخَيْفِ أن تكون وَفاتي[1].

٤- ★ ★ وفيات الأعيان ٥: ٤١٧- ٤١٩؛ عنوان الأريب ١: ٣٧- ٣٨.

أحمد بن قرلمان[2]

هُوَ أبو عُمَرَ أحمدُ بنُ قَرْلُمانَ من أهلِ قُرْطُبة، سَمِعَ من قاسِمِ بنِ أصْبَغَ (ت ٣٤٠ هـ) والحسنِ بن سَعْدٍ. وكانتْ وفاتُه في ثامنَ عَشَرَ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٣٧٧ (٨/ ٤/ ٩٨٨ م).

قالَ ابنُ الفَرَضِيِّ: «كانَ (ابنُ قَرْلُمانَ هذا) حافظاً للفقه على مَذْهبِ مالكٍ وأصحابِه، وكان يُؤَدِّبُ[3] بالقرآنِ. وكان مِنَ العُبّاد المُتَبَتِّلينَ، لَقِيتُهُ ولم أكْتُبْ عنه، ولا حَدّثَ فيما أعْلَمُ».

٤- ★ ★ ابن الفرضي ١: ٦٧ (رقم ١٨٢)؛ أعمال الأعلام ٥٠.

---

(١) بعد الوقوف في عرفات يبيت الحجّاج ليلة في منى ثمّ يتابعون سيرهم إلى مكة لطواف الإفاضة. الخيف مكان قرب منى.

(٢) للدكتور احسان عبّاس في «كتاب التشبيهات» (ص ٣٢٥) تعليق قيّم على الأبيات التالية (ص ٢١، رقم ١٠).

أرى أرجل الجوزاء غير بوارح وأيـدي الثريّـا كالسقـيم صحيحهـا.
وهمّت ولم تمض السبيل كأنّها من الأين صرعي أثخنتهـا جروحهـا.
وللبـدر إشراق عليهـا كأنّـه رقيـب عـلى ألاّ يتمّ جنوحهـا.

قال في تعريف قائلها عيسى بن قرلمان: «عيسى بن عبد الله بن قزلمان (بالزاي) أبو الأصبغ الخازن الملّقب بالزبراكة.... شاعر مشهور....، ويرد اسمه ابن قرلمان (بالراء المهملة في بعض المصادر). وكان واحداً من الذين اعتقلهم صاحب المدينة (رئيس الشرطة) عام ٣٦١ لأنّهم يجتمعون على (نظم أشعار في الهجاء يتناولون بها أعراض الناس). وذكر الزبيدي من اسمه فرج أبو محمّد ابن قزلمان (قرلمان في المطبوعة) وقال: وكان الأغلب عليه علم النجوم وكان شاعراً مطبوعاً وسكن إشبيلية.... وهنالك ابن قزلمان آخر هو عبيد الله وكان من موالي عبد الرحمن بن الحكم (المتوفّى ٢٣٨ هـ) والمختصّين به وكان شاعراً أيضاً». (انتهى تعليق احسان عبّاس موجزاً). وفي النسخة التي بين يديّ من «طبقات النحويّين واللغويّين» (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مصر ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م، ص ٣٣٤): فزلمان (بالفاء والزاي) ثمّ ضحّحت في التصويبات (ص ٤٠٨): قزلمان (بالقاف وبالزاي أخت الراء). ويبدو أن ابن قرلمان الذي ترجم له هنا غير هؤلاء الثلاثة (راجع المصادر والمراجع). ثمّ إنّني أفضّل ضبط الاسم قرلمان (أو على الأصحّ: قارلمان: قارله مانيوس أو قارل الكبير).

(٣) يؤدّب بالقرآن: يقرىء القرآن للصبيان (في بيوتهم!).

أبو بكر الزبيديّ

١- هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ الحسنِ (ت ٣٢٠) بنِ عبدِ الله بن مَذْحِجِ بن محمّد بن عبدالله بن بِشْرٍ الزُبَيْديّ الإشبيليّ، وُلِدَ في إشبيلية، سَنَةَ ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) ودَرَسَ في قُرطبةَ على نفرٍ منهم: قاسمُ بنُ أصبَغَ (ت ٣٤٠ هـ) وأبو عُثمانَ سعيدُ بنُ فَحْلونٍ (٢٥٢- ٣٤٦ هـ) وأحمدُ بن سعيدِ بنِ حزمٍ (ت ٣٥٠) وأبو عليٍّ القالي (ت ٣٥٦) ومحمّدُ بنُ يحيى الرَباحيّ (ت ٣٥٨).

عَهِدَ الحَكَمُ المُسْتنصر إلى أبي بكرٍ الزبيديّ[١] بتأديب وليّ عَهْدِه هِشامٍ (وُلِدَ سنة ٣٥٤)، فعلّمه الزبيديّ الحسابَ والعربية. ولمّا جاء هشامٌ إلى الخلافة (٣٦٦ هـ) جعل أبا بكرٍ الزُبيديَّ قاضياً في إشبيلية (بروكلمان ١ : ١٤٠)؛ ولعلّه في ذلك الحينِ تولّى أيضاً خُطّةَ الشُرطة. ثمّ ألّف أبو بكر الزبيديُّ كتاباً في الردّ على مذهبِ محمّدِ بن عبدِالله بن مَسَرّةَ (٣١٩ هـ)، وكان مذهبُه مزيجاً من آراءِ المعتزلةِ ومن الآراءِ الإشراقيةِ والباطنية والصوفية. ولعلّه بدأ تأليف هذا الكتابِ بعدَ استبدادِ المنصورِ ابن أبي عامرٍ بالحكم (٣٦٧ هـ)، لأنّ المنصورَ كان ينصُرُ مذهبَ أهلِ السنة ويكره مذهبَ الفلاسفة.

وكانتْ وفاةُ أبي بكرٍ الزُبيديِّ في إشبيلية، في أولِ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٣٧٩ (٦/ ٩/ ٩٨٩ م).

٢- قال ابنُ خلّكان (٤ : ٣٧٢) عن أبي بكرٍ الزبيدي: « كان أوحدَ عصرِهِ في علم النحو وحِفْظِ اللغة، وكان أخبرَ أهلِ زمانِه بالإعراب والمعاني والنوادر (الألفاظِ القليلةِ الاستعمال) إلى علمِ السِيَرِ والأخبار. وله كتب تدلّ على وُفور علمه ».

والزبيديّ شاعرٌ مكثرٌ تَغْلِبُ على شعره نفحةٌ من التصوّف وأكثرُ فنونهِ الزهدُ والحِكمة مَعَ شيءٍ من التعريض والتهكّم. وله شيءٌ من الغزل والنسيب والشكوى.

ومن كتبه: مختصرُ كتاب العين (للخليل بن أحمد)- طَبَقات النحويّين واللغويين

---

(١) منتصف ذي القعدة من سنة ٣٦٢ (١٦/ ٨/ ٩٧٣ م)

(بالمشرق والأندلس من زمن أبي الأسود الدُؤلي إلى زمن شيخه أبي عبد الله الرباحي النحويّ)- هتك ستور المُلحدين (في الرد على ابن مسرّةَ وأتباعهِ)- كتاب لحن العامّة (ما يلحن فيه عوامّ الأندلس)- كتاب الواضح (في العربية: النحو)- كتاب الأبنية (في النحو).

٣- مختارات من آثاره

- اشتاق أبو بكر الزُبيديُّ- وهو في قُرطبةَ- إلى إشبيليةَ فاستأذن أميرَ المؤمنين الحَكَمَ في الرجوع فلم يأذَنْ له، فكتب أبو بكرٍ إلى جاريةٍ له اسمُها سلمى في إشبيلية:

وَيْحَكِ، يا سَلْمَ، لا تُراعي؛ لا بُدَّ للبَيْنِ من زَماع[١].
لا تحسَبيني صَبَرتُ إلاّ كصبرِ مَيْتٍ على النِزاع[٢].
ما خلقَ الله من عذابٍ أشدَّ من وَقْفةِ الوَداع.

- من مقدّمة كتاب طبقات النحويّين واللغويّين:

..... ولم تزلِ العربُ تَنْطِقُ على سَجِيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليّتها حتّى أظهر الله الإسلامَ على سائرِ الأديان فدخل الناس فيه أفواجاً وأقبلوا إليه أرسالا[٣]، واجتمعت فيه الألسنةُ المتفرّقة واللغاتُ المختلفة ففَشا الفسادُ في اللغة العربية، واستبان[٤] منها الإعراب الذي هو حَلْيها والمُوضِحُ لِمعانيها..... فعظُم الإشفاقُ من فُشُوِّ ذلك وغلَبَتِه حتّى دعاهم[٥] الحذرُ من ذَهاب لُغَتِهم وفساد كلامهم إلى أن سببّوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه.

---

(١) لا تراعي: لا تخافي، لا ترهبي. البين: البعاد، البعد، الفراق. الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه. لا بدّ للبين من زماع: لا بدّ من أن يوطّن الإنسان نفسه على البين ويصبر.
(٢) النزع (بسكون الزاي): والنزاع (وليست في القاموس): قلع الحياة، خروج الروح من البدن.
(٣) الأرسال: الجماعات.
(٤) استبان: (في الأصل): وضح وظهر. ويقصد المؤلّف: ذهب (منها الاعراب).
(٥) دعا علماء اللغة.

ولم تزلِ الأئمَّةُ من الصَحابة ومن تَلاهم من التابعين يَحُضّون على تعلّم العربية وحِفظها والرِعاية لمعانيها إذ هي من الدين بالمكان المعلوم: فبِها أنزل الله كتابَه المُهَيْمِنَ على سائر كُتُبِه، وبها بَلّغ رسولُه عليه السلام وظائفَ طاعته وشرائع نَهْيِه. وكذلك كانوا يحضّون على رواية الشعر الذي هو حِكمة العرب في جاهليّتها وإسلامها، وديوانُها الذي أقامته مقام الكتاب[1] لِما تقدّم من مآثرِها وأيامها، فكانوا يتناشدونه في مجالسهم ويتذاكرون به في محافلهم.....

وإن أميرَ المؤمّنين الحكمَ المُسْتَنْصِر بالله- رَضِيَ اللهُ عنه- لِمَا اختصّه الله به ومَنَحَهُ الفضيلةَ فيه من العِناية بضروب العلوم والإحاطة بصنوف الفنون، أمرني بتأليف كتابٍ يشتمل على ذكر من سَلَف من النحويّين واللُّغويين في صدر الإسلام ثمّ من تلاهم من بعدُ... إلى زماننا هذا، وأن أطبِّقَهم[2] على أزمانهم وبلادهم بحَسْبِ مذاهبهم في العلم ومراتبهم، و(أن) أذكر مَعَ ذلك موالِدَهم وأسْنانهم ومُدَدَ أعمارِهم وتاريخ وفاتهم على قَدْرِ الإمكان في ذلك، وبحسب الإدراك له، وأجْلُبَ جُملةً من نُتَفِ أخبارهم والحكاياتِ المتضّمنةَ لفضائلهم المُشْتَملة على محاسنهم لِيكونَ ذلك شكراً لجميل سَعْيهم وحميد مَقامهم، إذ كان ذلك من حَقّهم على من أدَّوْا إليه عِلمهم وأعْمَلوا في صلاحِه جُهْدَهم، وكان في تَقْيِيد أخبارِهم وتخليدِ مآثرِهم ما يُبقي لهم لِسانَ الصِدقِ الذي هو بَدَلُ البقاء والخُلْد.....

- لأبي بكر الزبيدي مقطّعات فيها لَفَتات بارعة. من هذه المقطّعات:

أبــا مُسْلِمٍ، إنَّ الفَــتى بجَنَانــه ... ومِقْوَلــه لا بالمراكـب واللِّبْس[3]
وليس ثيــاب المرء تُغْني قُلامـةً ... إذا كان مقصوراً على قِصَرِ النفس[4].

---

(١) الكتاب: الكتابة والتدوين.

(٢) أجعلهم طبقات، جماعات متقاربة في الزمن أو في المرتبة.

(٣) الجنان (بالفتح): القلب (العلم، الشجاعة، الخير الخ). المقول: اللسان (حسن التعبير، الكلام الجميل). المركب (الدابّة): البرذون (بكسر الباء وفتح الذّال): البغل، الحصان، الخ. اللبس (بالكسر): ما يلبس، الكسوة، الثوب.

(٤) تغني: تفيد. قلامة: ما يقطع عادة من الظفر. قصر النفس: على مقياس الجسم لدفع الحرّ أو البرد (؟).

وليس يُفيد العلمَ والحِلْمَ والحِجا، أبا مسلم، طولُ القعود على الكرسي[1].

★ الفقر في أوطاننا غُربةٌ، والمال في الغربة أوطانُ.
والأَرض شتَّى كلها واحد، والناس إخوان وجيران.

★ أُتركِ الهمَّ إذا ما طَرقَكْ، وكِلِ الأَمرَ إلى مَن خلقَكْ[2].
وإذا أَمَّلَ قوم أَحداً، فإلى ربِّك فاْمدُدْ عُنُقَكْ[3].

ما طلبتُ العلومَ إلاَّ لأَنِي لم أَزلْ من فنونها في رياضِ.
ما سواها له بقلبيَ حظٌّ غيرَ ما كان للعيون المِراض[4].

★ أشْعِرَنْ قلبَك يا سَا، ليس هذا الناس ناسَا.
ذَهَب الإبريز منهم فبَقُوا بعدُ نُحاسا[5]
سامريّين يقولو نَ جميعاً: «لا مِساسا!»[6]

٤- كتاب الاستدراك (باعتناء كويدي)، روما ١٨٩٠ م.
- طبقات النحويّين واللغويّين (تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم)، مصر (محمّد سامي أمين الخانجي)، ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م.
- لحن العَوام (نشره رمضان عبد التّواب)، القاهرة (مكتبة دار العروبة) ١٩٦٤ م؛ (تحقيق عبد العَزيز مطر)، الكويت (مكتبة الأمل) ١٩٦٨ م.

★ ابن الفرضي ٢ : ٩٢ (رقم ١٣٥٥)؛ جذوة المقتبس ٤٣- ٤٦؛ (الدار المصرية) ٤٦- ٤٩ (رقم ٣٤) بغية الملتمس ٥٦- ٥٧ (رقم ٨٠)؛ مطمح الأنفس ٥٣- ٥٥؛ إنباه الرواة ٣ : ١٠٨- ١٠٩؛ المحمّدون من الشعراء (حيدر آباد) ٢٥٠- ٢٥٦؛ معجم الأدباء ١٨ : ١٧٩- ١٨٤؛ المغرب ١ : ٢٥٠- ٢٥١؛ وفيات الأعيان ٤ : ٣٧٢- ٣٧٤؛ الوافي

---

(١) الجلوس على الكرسي: احتلال المناصب الرفيعة كالوزارة والقضاء. إن نيل المناصب لا يجعل الإنسان عالماً ولا حليماً ولا عاقلاً.
(٢) طرقك الهمّ: أتى عليك ما يهمّك (يحزنك). كل (بكسر فسكون) فعل أمر من وكل: عهد (بالأمور) إلى، سلّم، فوّض.
(٣) امدد عنقك: ارفع رأسك بالدعاء.
(٤) العيون المراض (المريضة): الفاترة، الناعسة.
(٥) الابريز: الذهب.
(٦) «لا مساس» (٢٠ : ٩٧، سورة طه): لا تمسّني (لا تطلب منّي شيئاً).

بالوفيات ٢: ٣٥١؛ الديباج المذهب ٢٦٣؛ شذرات الذهب ٣: ٩٤- ٩٥؛ بغية الوعاة ٣٤؛ نفح الطيب ٤: ٦- ٨؛ بروكلمن ١: ١٣٩- ١٤٠، الملحق ١: ٢٠٣؛ نيكل ٤٦- ٤٧، مختارات نيكل ٣٤- ٣٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣١٢ (٨٢).

ابن جلجل

١- هو أبو أيُوبَ أبو داوودَ سُليمانُ بنُ حسّانٍ المعروفُ بابنِ جُلْجُلٍ، يبدو أنّه وُلِدَ في قُرطُبَةَ سَنَةَ ٣٢٢ (٩٣٤ م).

بدأ ابن جُلجُلٍ تَلَقِّيَ العلمِ باكراً، قال هو في العاشرةِ من عُمُرِهِ، فسمع الحديثَ من أبي حزمٍ وهبِ بنِ مَسرّةَ (ت ٣٤٦) وأبي بكرٍ أحمدَ بنِ الفضلِ الدِينَوَرِيِّ (ت ٣٤٩ هـ) ومحمّدِ بنِ هلالٍ واسحاقَ بنِ إبراهيمَ ومن أحمدَ بنِ سعيدٍ الصَدَفيِّ المُنْتَجالي (٢٧٤- ٣٥٠ هـ) والأسعدِ بنِ عبدِ الوارث. وأخذَ النحوَ عن محمّدِ بن يحيى الرَباحيِّ (ت ٣٥٨ هـ) قرأ عليه كتابَ سِيبَوَيْهِ في سَنَةِ ٣٥٨ نفسِها. غيرَ أنّ ابنَ جُلْجُلٍ عُنِيَ بالطِّبّ خاصّةً وبَلَغَ منه الغايةَ وَهُوَ لا يزالُ في مطلعِ شبابِهِ. إلاّ أنّ شُهْرَتَه تأخرتْ كثيراً حتّى أصبحَ طبيباً للخليفةِ هِشامٍ المُؤَيّدِ (٣٦٦- ٣٩٩ هـ).

ولعلّ وفاةَ ابنِ جُلْجُلٍ كانتْ سَنَةَ ٣٨٥ (٩٩٥ م).

٢- يبدو أنّ ابنَ جلجلٍ قد عُنِيَ بعددٍ من فنون المعرفة. ومَعَ أنّه اهتمَّ بعلمِ الطبِّ خاصّة، فالواضحُ أنّه كان أقدرَ على التأليفِ منه على التطبيب. له من الكتب: تفسيرُ أسماءِ الأدوية المُفردَة من كتاب ديسقوريدس (العين زربيّ)- مقالةٌ في ذِكر الأدوية التي لم يذكُرْها ديسقوريدس في كتاب صِناعةِ الطِبّ- مقالة في أدْويةِ الترياق- رسالةُ التَبْيِينِ فيما غَلِطَ فيه بعض المُتَطَبِّبين- طبقاتُ الأطبّاءِ والحكماء (ألّفه سنة ٣٧٧).

٣- مختارات من آثاره

- مقدّمة كتاب « طبقات الأطبّاء والحكماء » لابن جلجل، ثمّ خاتمته[١]:

سألتَ، أيُّها الشريفُ الأديبُ[٢]، أن أكتبَ إليك بِما تأدّي إليّ عِلْمُه، مِمّا

---

(١) ص ١- ٤ ثمّ ص ١١٦ .- هذه الترجمة ومعظم حواشي المختارات مأخوذان من طبعة فؤاد سيّد لكتاب « طبقات الأطبّاء والحكماء ».

(٢) لم يسمّ ابن جلجل « الشريف » الذي ألّف هذا الكتاب برسمه وقدّمه إليه، وإن كان الملموحَ أنّه أحد أبناء الخلفاء المروانيّين في الأندلس.

تَصَفّحْتُ من كُتُبِ الماضينَ وسِيَرِ المُتَقدّمين، عن أوّلِ مَنْ وَضَعَ صِناعةَ الطِبّ وتكلّم فيها في بَدءِ الزمانِ وقبل الطوفان وبعده، وفي أيّ زمان كان كلّ متكلّم فيه ممّن شنع اسمه وفشا ذِكره[١] وصحّتْ براعتُهُ وتمّتْ حِكمتُه وخلّدَ عِلماً نافعاً وذِكْراً باقياً.

وذَكَرْتَ أنّك لم تَر لأحدٍ من المتقدّمين في ذلك كِتاباً مَرْضِيّاً ولا كلاماً مُقْنعاً مُشْبَعاً، فصادفتَ مِنّي نشاطاً إلى تقييدِ ما سألتَ ورَغِبْتَ، إذ كان عندي ما رَجَوْتَ أنْ أحْسِمَ به عنك الشُبْهَةَ وأُبَلِّغَكَ من ذلك الغايةَ[٢]، إن شاءَ اللهُ؛ ولِمَا رَجَوْتَ من هذه الرسالةِ مِن إحياءِ ذِكْرِ قومٍ قد دَرَسَ ذِكْرُهم وامّحى أثَرُهُم. ولم أصِلْ، أيُّها الشريفُ، إلى علمِ ما قيّدتُّه لك في رسالتي هذه إلاّ بعدَ النظرِ والبحث للكتب القديمة ككِتاب الألوف لأبي مَعْشَرٍ المنجّم[٣] وككتاب هروسيش صاحبِ القِصص[٤] وككتاب القروانقة لِيرونمَ التَرْجُمانِ[٥] وكأخبارٍ رأيتُها لِحكماء اليونانية آستَدْلَلْتُ بها على مكانِ كلّ حكيمٍ منهم ودَرَجَتِه وفي دَوْلَة من كان من الملوك.

فلمّا وصلتُ إلى علمِ ذلك- وكان السببُ في تأليفي هذا الكتاب تحريكاً لي- لم أجدْ لنفسي عُذراً في التَخلُّفِ عن إسعافك فيما سألته ورَغِبْتَه. فقيّدتُّ ذلك ووَجّهْتُ به إليك. فكنْ به سعيداً، ومن الله مُوَفّقاً رشيداً. فقد نَحَلَكَ باريكَ بِنِحْلةٍ[٦] من العُلا فَضّلَكَ بها من ذَوِي الهِمَمِ الناقصةِ المُظلمة، كما قال المسيحُ عليه السلامُ في الإنجيلِ

---

(١) شنع (كذا في الاصل). والمقصود «شاع». فشا ذكره: انتشر صيته.

(٢) حسم الشبهة: بيّن الأمر المختلف فيه، ردّ الباحث إلى اليقين. بلع الغاية: منتهى ما يصل إليه الإنسان (من الصواب).

(٣) أبو معشر جعفر بن محمّد الفلكيّ (ت ٢٧٢ هـ) له كتاب الألوف في بيوت العبادات (فيه ذكر الهياكل والبنيان العظيم الذي يحدث بناؤها في العالم في كلّ ألف عام).

(٤) هروسيش أو باولوس أوروسيوس مؤرّخ إسباني عاش في القرنين الرابع والخامس الميلاديّين. وكتاب القصص كتاب في تاريخ الروم في العصور القديمة.

(٥) القدّيس يرونم (جيروم) أحد علماء الكنيسة في عصره (ت ٤٢٠ هـ) له كتاب قرونيقا أو «حوليات» (كتاب تاريخ مرتّب على السنين).

(٦) نحلك (وهبك) (باريك: خالقك).....

الطاهر: كلُّ نِحْلةٍ يُوهَبُها الشخصُ من العقلِ فَهِيَ نازلةٌ من بابِ النور من العُلا[١].
فاشكرِ اللهَ على مَوْهِبَتِه، ومجّدْه على نِحْلَتِه، واضرَعْ إليه في الاستزادة من فضلِه فالعَوْنُ منه وبه لا شريكَ له.....

.... قد ذكرتُ، أيُّها الشريفُ، ما أحاطَ به علمي وبَلَغَه إدراكي من وصفِ الحُكماءِ والأطبّاء المشهورين غيرِ المشكوكِ فيهم، مِنْ لَدُنْ آدَمَ عليه السلامُ إلى الزمانِ الذي كُنّا فيه وَهُوَ زمنُ المُؤَيَّدِ باللهِ بجَوْزةِ الأندلس[٢]. وذكَرْنا مَنْ كان منهم بالمشرقِ والمَغْرب. ولم نذكر من كان بالمشرقِ مشهوراً- من لَدُنْ دولةِ الراضي إلى أيام الطائعِ لله[٣]- إذ لم تكُنْ حَوْزَتَنا ولا جِهتَنا، ولا ظَهَرَ رجلٌ بارعٌ في تلك الدُوَلِ فيكونَ معروفاً برئاستِه ومشهوراً بإحسانه مَعَ تراخي تلك الدُوَلِ بما دَخَلَ فيها من مُلْكِ الدَيْلَمِ والأتراكِ الذين لا نَفاقَ[٤] لشيء من العلمِ عِنْدَهم. وإنّما يظهَرُ الحُكماءُ بظهور دُوَلِ الملوكِ الطالبين للحكمة. واقتصَرْنا على مَنْ عَرَفْنا بناحِيَتِنا بالأندلسِ إذ كانوا مشهورينَ معروفينَ ظاهرينَ في دُوَلِ أئمّةٍ للعلمِ طالبينَ وعنِ الحكمةِ باحثين، ملوك أبناء ملوكٍ[٥]. واقتصَرْنا على ذِكْرِ المشهورينَ الظاهرين الخادمينَ، وأضْرَبْنا عن ذِكْرِ مَنْ كان في زَمانِهم مِمّن لم يُوازِهِمْ ولا حَلّ مَحِلَّهُمْ، إذ لم يكونوا في اتّساعِ الذِكْرِ مثلَ هؤلاء. ووصفتُ صِفاتِهم وأقدارَهم وما ظهر لهم من النوادرِ والأخبار. واقتَصَرْنا على قليلٍ من كثيرٍ لِئلاّ يَمَلَّهُ قارِئُه ولِيَسْهُلَ على النفسِ حِفْظُه. والكلامُ إذا طال ثَقُلَ. وحَسْبُنا أنْ نَبَّهْنا وأنْبأنا من كُلِّ شيءٍ بأحْسَنِه وأخَفِّه.....

٤- طبقات الأطبّاء والحكماء (بتحقيق فؤاد سيّد)، القاهرة (مطبوعات المعهد الفرنسي

---

(١) ترد في المصادر العربية أعداد (جمل) من التوراة ومن الإنجيل مختلفة كثيراً أو قليلاً أو غير معروفة في التوراة والأناجيل الموجودة بأيدي الناس.
(٢) المؤيد بالله: هشام الثاني بن الحكم (عاشر خلفاء الأندلس ٣٦٦- ٣٩٩ هـ). حوزة الأندلس (ناحية الأندلس، ملك الأندلس).
(٣) الراضي بالله العبّاسي (٣٢٢- ٣٢٩ هـ) والطائع لله العبّاسي (٣٦٣- ٣٨١ هـ).
(٤) النفاق (بفتح النون): الرواج، الانتشار، الاقبال على الأشياء.
(٥) ملوك أبناء ملوك (كذا في الأصل)، والأصوب «ملوكاً أبناء ملوك».

للآثار الشرقية: نصوص ونقول لمؤلّفين مشارقة، رقم ١٠)، القاهرة (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية) ١٩٥٥م؛ بغداد مكتبة المثنّى.

★ ★ جذوة المقتبس ٢٠٨ (الدار المصرية) ٢٢٥ (رقم ٤٥٣)؛ بغية الملتمس ٢٨٥ (رقم ٧٦٧)؛ وفيات الأعيان ٥: ١٦٠ (نقول عنه)؛ طبقات الأطباء ١: ٢١، ٢٧، ٢٨، ٤٩، ٥٤، ٧٧، ٨٠ (نقول عنه لا ترجمة له)؛ القفطي ١٩٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٥٥-٧٥٦؛ تاريخ الفكر الأندلسي ٤٦٥؛ بروكلمن ١: ٢٧٢، الملحق ١: ٤٢٢؛ الأعلام للزركلي (١٩٧٩) ٣: ١٢٣.

ابن أبي زيد القيروانيّ

١- هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بن أبي زيدٍ عبدِ الرحمنِ القيروانيُّ النَفْزيّ، نِسبةً إلى قبيلةِ نَفْزَةَ أو نَفْزاوةَ، وُلِدَ في القيروانِ سَنَةَ ٣١٠ (٩٢٢-٩٢٣ م) وتتلمذَ على أبي بكرٍ محمّدِ ابنِ أحمدَ بن اللبّاد (ت ٣٣٣) وعلى غيرِه.

رَحَلَ ابنُ أبي زيدٍ إلى المشرق وحجّ وسَمِعَ من جماعة من العلماء ثمّ عاد إلى القيروان وقضى فيها مُعْظَمَ حياتِه. ولقد عانى محنةً شديدةً من الدولة العُبيدية (الفاطمية، الإسماعيلية) التي سادت في المَغْرِبِ (٢٩٧- ٣٦٢ هـ). وكانت وفاتُه في ٣٠ شَعبانَ من سَنَةِ ٣٨٦ (١٧/ ١١/ ٩٩٦ م).

٢- كان ابنُ أبي زيدٍ إمامَ علماءِ القيروانِ في زمانهِ، وَهُوَ الذي لَخّصَ المذهبَ المالكيَّ فَسهّلَ بذلك انتشاره فأصبح هو يُعْرَفُ بِلَقَب «مالكِ الأصغرِ». ثمّ هو مُصَنِّفٌ مكثِرٌ له من الكتب: الرسالة (في الفِقه)- كتاب النوادر (جمع فيه ما في أمّهات كتب الفقه على المذاهب المختلفة من المسائل ومن أقوال الفقهاء واختلافهم)- مناسك الحجّ- السنن- العقيدة- مختصر المُدَوَّنة- الأمر والاقتداء- النَهْيُ عنِ الشذوذ عن العلماء- إيجاب الائتام بأهل المدينة- مسألة النكاح بغير بيّنة- الذَّبّ (الدفاع) عن مذهب مالك- الدعاء- تفسير مسألة الأعيان في الخمس- أحكام المعلّمين والمتعلّمين- الجامع في السنن والأدب في الرق- جملة

مختصرة من واجب أوامر الدين – باكورة السعد – بديعية[1]. وكان له شعر عاديّ، بعضه شعرٌ ديني (بديعيّات: شعر في مدح محمّد رسول الله).

٣- مختارات من آثاره

– كَتَبَ ابنُ أبي زيدٍ إلى مُحرزِ بنِ خَلَفٍ التونسي رسالةً في تعليمِ الوُلْدانِ أمورَ الدِيانة، جاء في مَطْلَعِها:

أمّا بعدُ– أعانَنا الله وإيّاكَ على رِعايةِ ودائعهِ وحِفْظِ ما أوْدَعَنا من شرائعهِ– فإنّك سألْتَني أنْ أكتُب إليك جُملةً مُخْتصَرَةً من واجبِ أمورِ الدِيانةِ ممّا تَنْطِقُ به الألْسِنَةُ وتعتقدُه القلوبُ وتعمَلُه الجوارح (مَعَ) شيءٍ من الآداب منها وجُمَلٍ من أصول الفِقْهِ وفنونهِ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنَسٍ رَحِمَه اللهُ تعالى. (ذلك) لِما رَغِبْتَ فيه من تعليمِ ذلك للوُلْدانِ كما تُعَلِّمُهُمْ حُروفَ القُرآنِ لِيَسْبِقَ إلى قلوبِهم من فَهْمِ دينِ الله وشرائعهِ ما تُرجى لهم بَركَتُه وتُحْمَدُ لهم عاقبتُه. فأجَبْتُك إلى ذلك لِما رَجَوْتُه لِنَفْسي ولكَ من ثوابِ مَنْ عَلّمَ دينَ اللهِ أو دعا إليه.

واعلَمْ أنَّ خيرَ القلوب أوْعاها للخَيْرِ، وأرجى القلوب للخَيْر ما لم يَسْبِقِ الشرّ إليه. وأوْلى ما عُنِيَ به الناصحون ورَغِبَ في أجرهِ الراغبون إيصالُ الخيرِ إلى قلوبِ أولادِ المؤمنين لِيَرْسَخَ فيها، وتَنْبيهُهُم على معالمِ الدِيانةِ وحدودِ الشريعة لِيُراضوا عليها، فإنّه رُوِيَ أنّ تعليمَ الشيءِ في الصِغَر كالنَقْش في الحَجَر. وقد مَثّلْتُ لكَ من ذلك ما ينتفعون، إن شاءَ اللهُ، بِحِفْظِه، ويَشْرُفون بعِلْمه، ويَسْعَدون باعتقادِه والعملِ به.....

٤- الرسالة، فاس بلا تاريخ؛ القاهرة بلا تاريخ؛ ثمّ القاهرة ١٣٣٨ هـ؛ (نشرها رسّل وسهروردي مع ترجمة إلى الإنكليزية)، لندن ١٩٠٦م؛ (نشرها؟ فانيان في مجموعة أشرف عليها أساتذة مدرسة اللغات الشرقية الحيّة في باريس، مع ترجمة فرنسية)، باريس ١٩١٤م.

---

(١) راجع في كتبه فهرسة ابن خير ٢٤٦ – ٢٤٧، مقدمة ابن خلدون ٨٠٧ – ٨٠، ١٠٤٣؛ بروكلمن ١: ١٨٧ – ١٨٨، الملحق: ١ – ٣٠١ – ٣٠٢.

★ الديباج المذهب ١٣٦- ١٣٨؛ وفيات ابن قنفذ ٢٢١؛ شذرات الذهب ٣: ١٣١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٥؛ بروكلمن ١: ١٨٧- ١٨٨، الملحق ١: ٣٠١- ٣٠٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٣٠- ٢٣١ (سقط من الطبعة الرابعة ١٩٧٩)؛ المجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٠٦.

يحيى بن هذيل القرطبي الكفيف

١- هو أبو بكرٍ يحيى بنُ هُذيلِ بنِ الحَكَمِ بنِ عبدِ الملك بنِ اسماعيلَ التميميُّ القرطبيُّ الكفيف، كان مولُده نحوَ سَنَةِ ٣٠٠ (٩١٢- ٩١٣ م). سَمِعَ الحديثَ من أحمدَ آبنِ غالبٍ، وأخذَ عن ابنِ القوطية (ت ٣٦٧ هـ). وقَدِمَ يحيى بنُ هذيلٍ إلى المشرقِ (شرق الأندلس!) فأخذَ عنه الرَّماديُّ الشاعرُ (ت ٤٠٣ هـ) وغيرُه (معجم الأدباء ٢٠: ٣٩). وكانتْ وفاةُ يحيى بنِ هُذيلٍ سَنَةَ ٣٨٩ (٩٩٩ م)(١).

٢- كان يحيى بنُ هُذيلٍ من أهلِ العلمِ والأدب والشعر ذا بديهةٍ- قيل فيه: عالمُ أدباءِ الأندلس (نفح الطيب ٤: ٣٦)- ولكنْ غَلَبَ عليه الشعرُ. وشعرُهُ جيدٌ رائقٌ تكثُرُ فيه المُقَطَّعاتُ الوُجدانيةُ في النسيبِ والحِكمة.

٣- **مختارات من شعره**

- لأبي بكر يحيى بن هذيل مقطّعات منها:

لا تَلُمْـني عـلى الوقوفِ بِـدارٍ　　　أهلُها صَيّروا السَقامَ ضَجيعي(٢):
جعلوا لي إلى هواهُمْ سبيـــلاً　　　ثمّ سَدّوا عليّ بابَ الرُجوعِ!

- وقال في النسيب أيضاً:

شاهدتُّهم وأنــا أخــافُ عِناقَهم　　　شُحّاً على أجسامِهِم أن تُحْرَقا(٣)؛
فتَركْتُ حَظّي من دُنُوِّيَ مِنْهُمُ،　　　ومن الوفـاء بأن تُحِبَّ وتصدُقا.

---

(١) من نكت الهميان ومعجم الأدباء. وفي معجم الأدباء أيضاً: وقد جاوز التسعين. وفي جذوة المقتبس ووفيات الأعيان: توفّي سنة ٣٥٦ أو ٣٥٨ وهو ابن ستّ وثمانين سنة.

(٢) الوقوف بدار: الوقوف في مكان كان يسكنه الأحبّة.

(٣) شحّا: بخلا، ضنّا.- أخاف إن دنوت منهم (اقتربت إليهم) لأعانقهم أن يحترقوا من شدّة نار حبّي.

وأقلُّ فِعْلي يومَ بانوا أنّني ... قبّلتُ آثارَ المَطِيّ تَشَوُّقا[1].
وَلَوَ اَنّ عُذرَةُ شاهدتْ من مَوْقفي ... شيئاً لحَذّرَها بألاّ تَعْشَقا[2]!

– في نفحِ الطيب (٣: ١٥٣– ١٥٤): قال الحُميديُّ: أُنْشِدَ بحضرةِ بعضِ ملوكِ الأندلسِ قِطعةٌ لبعضِ أهلِ المَشْرِق، وَهِيَ:

ومــاذا عَلَيْهِمْ لو أجابُوا فسَلّموا، ... وقــدْ عَلِموا أنّي المَشوقُ المُتَيَّمُ[3].
سَرَوْا ونجومُ الليــلِ زُهْرٌ طوالــعٌ، ... عـلى أنّهم بالليلِ للناسِ أنْجُمُ[4].
وأخْفَوْا عـلى تلكَ المَطايا مَسيرَهم ... فنَمّ عليهـا في الظـلامِ التَبَسُّمُ[5].

فأفْرَطَ بعضُ الحاضرين في اَسْتِحْسانِها، وقال: هذا ما لا يَقْدِرُ أندلُسيٌّ على مِثْلِهِ، وبالحضرةِ أبو بكرٍ يحيى بنُ هُذيلٍ فقال بَدِيهاً:

عَرَفْـتُ بعَرْفِ الريحِ أينَ تَيَمّموا، ... وأينَ اسْتقــلَّ الظاعنون وخَيّموا[6].
خَليلَيَّ، رُدّاني إلى جانــبِ الحِمــى؛ ... فلستُ إلى غــيرِ الحِمــى أتَيَمَّمُ.
أَبِيــتُ سمــيرَ الفَرْقَدَيْنِ كأنّما ... وِسادي قَتــادٌ أو ضَجيعيَ أرْقَمُ[7].
وأحْوَرُ وَسنــانُ الجفونِ كأنّــه ... قَضيبٌ من الرَيْحانِ لَدْنٌ مُنَعَّمُ[8]،

---

(١) بانوا: ابتعدوا، رحلوا. المطيّ جمع مطيّة: الراحلة، الدابة التي يسافر الناس عليها.
(٢) عذرة = بنو عذرة. بنو عذرة قبيلة كانت تسكن في بادية الحجاز اشتهر أفرادها بالحبّ، وبأنّ أحدهم كان إذا أحبّ ترك طعامه وشرابه ونومه وربّما مات من شدّة حبّه. يقول الشاعر: لو أنّ بني عذرة شاهدوا أثر الحبّ فيّ أنا لتركوا هم الحبّ خوفاً من نتائجه على المحبّ.
(٣) المشوق: المشتاق، المحبّ. المتيّم: الذي ذلّله الحبّ وأضناه (أسقمه وأمرضه).
(٤) سرى: سار ليلاً. زهر: لامعات (لشدة ظلام الليل). طوالع: عاليات في كبد السماء (في نصف الليل)
(٥) المطيّة: الدابة التي يسافر الناس عليها – سافروا على تلك المطايا في منتصف الليل حتّى يخفوا مسيرهم (سفرهم) عن المحبّ.
(٦) العرف: الرائحة الطيّبة. تيمّم: قصد، اتّجه. وأين استقل = ومن أين استقلّ (بدأ السفر، نهض من مكانه ليسير). الظاعن: المسافر. خيّم: نزل، نصب خيامه ليسكن.
(٧) أبيت: أقضي الليل. سمير الفرقدين: ساهراً مع الفرقدين. الفرقدان: النجم القطبي (وهو نجم مزدوج يتألف من نجمين) وهو لا يغيب أبداً – يقصد الشاعر أن الحبّ يجعله يسهر الليل كلّه فلا ينام أبداً.
(٨) الحور (بفتح ففتح) شدّة بياض بياض العين وشدّة سواد سوادها. وسنان الجفون: ناعس العينين. الريحان: نبت له رائحة طيّبة. لدن: طريّ. المنعّم: الذي لا يكلّفه أهله أعمالاً متعبة، ولذلك يظلّ جسمه ليناً ناعماً ممشوقاً.

نظرتُ إلى أجْفانــــهِ وإلى الهَوى فأيقَنْــتُ أنّي لستُ مِنْهُنّ أسْلَمُ[1].

- قال يحيى بن هذيل القرطبي في المباهاة ببناء القبور:

أرى أهــل الـثراء إذا تُوُفّوا بَنَوْا تلك المراصِدَ بالصخورِ[2].
أبَوْا إلاّ مُباهــــاةً وفخراً عــلى الفُقراء حتّــى بالقبور.
عَجِبْـتُ لِمَنْ تأنّــقَ في بنــاءٍ أميـنــاً مِن تصاريــفِ الدهور،
ألم يَبْصُرْ بمــا قد خرّبَتْه الد هورُ مِنَ المدائنِ والقصور[3]؟
وأقوامٍ مَضَوْا قَوْمــاً فقومــاً وصــار صغيرُهم إثْرَ الكبـير[4]؟
لَعَمْرُ أبِيهِمُ، لو أبْصَروهم لَمـا عَرَفوا الغَنِيَّ من الفقــير،
ولا عَرَفوا العبيــدَ من الموالي، ولا عَرَفوا الإنـاثَ من الذكور[5].
إذا أكَـلَ الـثرى هــذا وهــذا، فما فضـلُ الجليـلِ عـلى الحقـير؟

٤- ★ ★ المقتبس (الحجّي- بيروت) ٢٠٥- ٢٠٦؛ ابن الفرضي ٢: ١٩٣ (رقم ١٦٠٢)؛ جذوة المقتبس ٣٥٨- ٣٥٩ (رقم ٩٠٧) (الدار المصرية) ٣٨٠- ٣٨١ (رقم ٩٠٨)؛ بغية الملتمس ٤٩٥- ٤٩٦ (رقم ١٤٩٥)؛ معجم الأدباء ٢٠: ٣٩- ٤٠؛ نكت الهميان ٣٠٧- ٣٠٨؛ وفيات الأعيان ٤: ٣٦٩، ٧: ٢٢٩؛ نفح الطيب ٣: ٧٣- ٧٤، ١٥٣، ٤: ٣٦؛ نيكل ٦٠- ٦١، مختارات نيكل ٤٠- ٤١؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢٢٢- ٢٢٣ (٨: ١٧٥- ١٧٦).

---

(١) منهنّ= من أجفانه.
(٢) المرصد: مكان رصد النجوم (المكان المرتفع)، يقصد: بنوا (بفتح النون) قبورهم عالية مشرفة (ليراها الناس).
(٣) بصر (بفتح فضمّ) به: علم، أدرك.
(٤) صار: انتهى إلى مصيره.
(٥) المولى: السيّد.

أبو القاسم بن العريف القرطبي

١- هو أبو القاسمِ الحُسينُ بنُ الوليدِ بنِ نصرٍ المعروفُ بابنِ العَريفِ النَحْويّ.

أخذَ ابنُ العريفِ النحويُّ عنِ ابنِ القُوطيّةِ (ت ٣٦٧). ثمّ انّه رَحَلَ إلى المشرق فأقام في مِصْرَ مدّةً سَمِعَ في أثنائها من الحافِظِ آبنِ رشيق ومن أبي طاهرٍ الذُهْليّ وغيرِهما. بعدَئذٍ عاد إلى الأندلسِ فجعله المنصورُ بنُ أبي عامرٍ مُؤدِّباً لأولاده.

وكانْ بَيْنَ ابنِ العريفِ وبينَ أبي بكرٍ الزُبيديِّ (ت ٣٧٩) وصاعدٍ البَغْداديِّ (ت ٤١٧ هـ) وغيرِهما مُناظراتٌ كانَ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ يَحْضُرُها. ولكنّ المناظراتِ بينَ صاعدٍ وابنِ العريفِ آشتدّتْ فانقلبتْ منافسةً فعداوةً (أنظر مختارات من شعره).

وكانت وفاة أبي القاسمِ بنِ العريفِ في طُلَيْطلةَ، في رَجَبَ من سَنَةِ ٣٩٠ (أواسط ١٠٠٠ م).

٢- كان أبو القاسمِ بنُ العريفِ أديباً وإماماً في العربية (النحو)، عارفاً بصنوفِ الآداب وشاعراً رقيقاً مقتدراً في تقليدِ أساليبِ الشعراءِ (على ما ترى في المختارات، وإنْ كُنتُ لم أجِدْ له في المصادر التي بين يَدَيَّ شعراً أصيلاً واضحَ النِسبة إليه). وكانتْ له مُصنّفاتٌ منها: كتاب في النحو- كتاب شرح الجُمَل (للزَجّاج)- كتب الردّ على أبي جعفرٍ النحّاسِ في كتابه «الكافي»- رسالة في إعرابِ قولِهم: إنّ الضارب الشاتم والده كان زيداً (يستقصي فيها ثمانِمائةٍ ونَيّفاً وعشرين وَجْهاً!!)- معاني الحروف وأقسامها (فهرسة ابن خير ٣٢٠).

٣- مختارات من شعره

- لمّا قال صاعدٌ البَغْداديُّ في مجلسِ المنصورِ بنِ أبي عامرٍ يَصِفُ وردةً:

أتَتْكَ، أبا عامرٍ، وردةٌ ... يُذَكِّرُكَ المِسْكُ أنفاسَها
كَعَذراءَ أبصَرَها مُبْصِرٌ ... فغطّتْ بأكْمامِها[1] رأسَها!

زَعَمَ ابنُ العريفِ أن صاعداً سرق الأبياتَ من العبّاس بن الأحنف ثمّ ادّعى أنه رأى تَتِمّةً لها في كتابٍ قديمٍ في بيتِه. زعم ابنُ العريفِ أن الأبياتَ هيَ:

---

(١) أكمام جمع كم (بالضم): الأوراق الخضر التي تغطّي الزهرة قبل أن تتفتّح الزهرة.

غَـــــدَوْتُ إلى قَصْرِ عَبّاسةٍ، وقــد جَــدّل النومُ حُرّاسَهــا[1]؛
فألْفَيْتُهـــا- وَهْيَ في خِدْرهـــا- وقــد صَــدّعَ السُكْرُ أُنّاسها[2].
فقالــت: «أسِرْتَ عــلى هَجْعـةٍ؟» فقلــتُ «بـلى!» فرَمَـتْ كاسها[3]؛
ومـــدّتْ يَدَيْهـــا إلى وردةٍ يُحاكي لَـكَ الطيـبُ أنفاسَهـا،
كعـــذراءَ أبْصرَهـــا مُبْصِرٌ فغطّـــتْ بأكمامِهـــا راسهـــا.
وقالــتْ: «خَـفِ اللهَ، لا تَفْضَحَنّ في ٱبْنَـــةِ عَمِّـكَ عُبّاسهـــا[4]».
فولَّيْتُ عنها على خَجْلةٍ ومـــا خِنْـتُ ناسي ولا ناسَهـــا.

٤- ★ ★ ابن الفرضي ١: ١٣٤- ١٣٥ (رقم ٣٥٦)؛ جذوة المقتبس ١٨٢- ١٨٣ (الدار المصرية) ١٩٤ - ١٩٥ (رقم ٣٧٧)؛ بغية الملتمس ٢٥١- ٢٥٢ (رقم ٦٥٥)؛ معجم الأدباء ١٠: ١٨٢- ١٩١؛ بغية الوعاة ٢٣٧- ٢٣٨؛ البلغة ٧١- ٧٢؛ نفح الطيب ١: ٥٨٢- ٥٨٤، ٣: ٧٧- ٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧١٣؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٨٧ (٢٦١).

المنصور بن أبي عامر

١- هو أبو عامرٍ محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الله بنِ عامرِ بنِ الوليدِ بنِ يزيدَ ٱبنِ عبدِ الملكِ المُعافِريُّ القَحْطانيّ (من عربِ الجَنوب)، وأُمُّه أمّ عبدِ اللهِ بُرَيْهَةُ بنتُ يحيى بنِ زكَرِيّا التَميميّة (من عرب الشمال) من بني برطالَ في قُرطُبةَ. وكان عبدُ الملك المعافريُّ هو الذي دَخَلَ الأندلسَ مَعَ طارقِ بنِ زيادٍ ثمّ سَكَنَ بلدةَ طُرُّشَ في الجزيرةِ الخضراء (جَنوبيّ الأندلس) حيثُ أقام لنفسهِ أُسْرَةً وجيهةً قويّةً. وأمّا أبو حَفْصٍ عبدُ اللهِ (والدُ المنصور بن أبي عامرٍ) فكان معروفاً بالتقوى والعِلم وبالزُهْد في مناصبِ الدولةِ، وقد ماتَ عند طرابُلُسِ الغربِ، في أثناءِ رجوعه من الحجّ، في أواخرِ أيّامِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ (ت ٣٥٠).

وأمّا المنصورُ بنُ أبي عامرٍ نفسُه فقد وُلِدَ (في طرّش!) سَنَةَ ٣٢٦ (٩٣٧- ٩٣٨ م).

(١) جدّل: صرع (ألقى بالخصم أرضاً)، قتل. غدا: ذهب في الصباح.
(٢) الخدر: مخدع الفتاة في البيت. صدّع السكر أناّسها (ندمانها، الذين يؤانسونها): أفقدهم وعيهم.
(٣) أسرت على هجعة: هل جئت إلينا والذين حولي نيام؟
(٤) عبّاس (بالضمّ) جمع عبّاس (بالفتح): عاذل، غاضب، خصم.

ولمّا شَبَّ قَدِمَ إلى قُرطُبَةَ طلباً للعلم فتلقّى اللغة على أبي عليّ البَغْداديّ القاليّ (ت ٣٥٦) وأبي بكرِ بن القوطيّة (ت ٣٦٧)، كما سَمِعَ الحديثَ من أبي بكرِ بنِ مُعاوية القُرَشيّ. ثمّ إنّ ابن أبي عامرٍ أصبحَ كاتباً لدى القاضي أبي بكرٍ محمّدِ بنِ إسحاقَ بنِ السَلِيم (٣٠٦- ٣٦٧ هـ).

وفي سَنَةِ ٣٥٦ (٩٦٧ م) عَهِدَ الحَكَمُ المُستنصرُ إلى ابنِ أبي عامرٍ بجميعِ شؤونِ آبنهِ الأميرِ هشامٍ وجعله ناظراً على أملاكِ زوجتهِ صُبْحَ[1]. وفي سَنَةِ ٣٥٨ أصبحَ قاضياً للجُنْدِ في إشْبيلِيَةَ ولَبْلَةَ ثمّ (٣٦١ هـ) أصبح صاحبَ الشُرطة. وقدِ آستطاع ابنُ أبي عامر بلباقته ودهائه وكَرَمه أنْ يَنالَ حظوةً لدى أهل البَلاطِ جميعِهم.

ولمّا مات الحَكَمُ المُستنصرُ بُويعَ لهشامٍ بالخِلافة، في رابعِ صَفَرَ من سَنَةِ ٣٦٦ (٢/ ٩/ ٩٦٧ م)، ولُقِّبَ «المُؤَيَّد»، قبل أنْ تَتِمَّ له آثنتا عَشْرَةَ سنة، فأقامتْ أُمُّهُ صُبْحُ نَفْسَها وصيّةً عليه. في ذلك اليومِ جَعَلَ هشامٌ خِطَطَ الشُرطة الوُسْطى والسِكّةِ والمواريثِ لابنِ أبي عامرٍ. وفي عاشرِ صَفَرَ جعل هشامُ الحِجابة (رئاسةَ الوزراة) لجعفر آبنِ عثمانَ المُصْحَفي (راجع، فوق، ص ٢٩٤) وجعل ابنَ أبي عامرٍ وزيراً للمُصحفي.

وفي سنة ٣٦٦ نفسِها كَثُرَ الاضطراب في أقاصي الأندلُسِ وخِيفَ من هجوم النصارى على شَمالِيِّ الأندلسِ، فعَقَدتْ صُبْحُ مَجْلِساً ضمّ رِجالَ الدولة وفيهم غالبُ بنُ عبدِ الرحمنِ الصَقْلبي- وكانَ قائداً قديراً تولّى الجيشَ والغَزَواتِ منذ أيامِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ-وجعفرُ بنُ عثمانَ المُصحفي وابنُ أبي عامرٍ. فأجْمَعَ أهلُ المجلسِ على وُجوبِ تجهيزِ جيشٍ كبيرٍ للجهاد، فلم يَجْسُرْ أحدٌ على القيامِ شَخْصيًّا بالحربِ. فتقدّمَ ابنُ أبي عامرٍ لتولّي مثلِ هذهِ الغزوةِ. وكانتْ صُبْحُ حريصةً على تثبيت مكانةِ آبنِها بكلِّ سبيلٍ فأعْطتِ ابنَ أبي عامرٍ كلَّ ما طَلَبَه من مالٍ وجُنْدٍ. وكان ابن أبي

(١) السيّدة صبح البشكنسية (من البُشكنس: سكان الطرف الشمالي الغربي من إسبانية) كانت زوج الحكم المستنصر وأمّ ابنه هشام. وكان الحكم يسميّها «جعفر» تحبّبا. كانت امرأة قديرة. وكانت- بلا ريب- ذات أثر كبير في رفع مكانة ابن أبي عامر. وفي الروايات كلام كثير على صلة صبح بابن أبي عامر واختلاف أكثر.

عامرٍ داهيةً فجَعَلَ غالباً القائدَ الأعلى للجيش (حتّى إذا هُزِمَ الجيش كان اللَّوْمُ على غالبٍ) وتولّى هُوَ القيادةَ الفِعلية. وسارَ الجيشُ في رَجَبَ من سَنَةِ ٣٦٦ (آذار- مارس ٩٧٨ م). وانتصر ابنُ أبي عامرٍ نصراً عظيماً فزادَ ذلك في مكانتهِ عندَ الناسِ وعند صُبْحَ.

وفي أواخرِ تلكَ السَنَةِ نفسِها أدرك ابنُ أبي عامرٍ مَدى قُوّته ومدى ضَعْفِ مَنْ حولَه فاستبدَّ بالأمرِ وحَجَبَ هشاماً فأصْبَحَ الحاكِمَ الفِعلي في الأندلسِ. ثمّ بدأ في التفكير بالتَخلُّص من خصومه. وفي سَنَةِ ٣٦٨ للهِجْرة بدأ ببناءِ مدينةِ الزاهرة، شَرْقَ قُرطُبَةَ على النهرِ الأعظم (نهرِ الوادي الكبير) وجعَلَها مَقرًّا له وعاصمةً للأندلس (لأنّ الزهراءَ مقرُّ عبدِ الرحمنِ الناصرِ وابنهِ الحَكَمِ المُستنصرِ كانت مقرًّا لخُصومهِ السِياسيّين). وتمّ بناءُ الزاهرةِ سَنَةَ ٣٧٠ هـ فانتقلَ ابنُ أبي عامرٍ إليها. وفي السنةِ التاليةِ تَلَقَّب «المنصورَ» فأصبحَ يُعْرَفُ في التاريخ باسم المنصور بنِ أبي عامرٍ.

وقد دبّر المنصورُ بنُ أبي عامرٍ مقتلَ نفرٍ كثيرينَ كان يَخْشاهم على نفوذه الشخصي أو على الدولةِ المَرْوَانية في الأندلس: دبّر مقتل غالبٍ الصَقْليّ (٣٧٠ هـ) والمُصْحفي (٣٧٢ هـ) وجَعفرَ بن عليّ بنِ حَمْدونٍ (٣٧٢ هـ) والشريفِ الحَسَني الإدريسي حَسَنِ بنِ قَنّونٍ (٣٧٥ هـ) وكان في المَغربِ فجهّز عليه جيشاً كبيراً. ولمّا استسلم حَسُن بنُ قنّونٍ للجيشِ أمر المنصورُ بحَمْله إلى قُرطُبَةَ ثمّ دبّر مقتله.

وقـاد المنصورُ بنُ أبي عامرٍ خمسينَ غزوةً بنفسِه (أوْ: ثمانِيَ وخمسينَ) كان مُظَفّراً فيها كُلِّها، وبَسَطَ سُلطانَ العَرَبِ في الأندلس بعدَ أن كان ذلك السلطانُ قد تَراجَعَ في شَمالِيّ البلادِ وشَرْقِيِّها. وضَبَطَ البلاد ضَبْطاً مُحْكَماً.

وكان المنصورُ بنُ أبي عامرٍ مُصاباً بالنِقْرِسِ [١]. وقد تُوُفِّيَ في مدينةِ سالمٍ، وهُوَ راجعٌ من الغَزْوِ، ليلةَ الاثنين لِثَلاثِ لَيالٍ بَقِينَ من رَمَضانَ في سَنَةِ ٣٩٢ (٨/ ٨/

(١) النقرس: داء الملوك (مرض يحدث في مفاصل القدم) ويبدو أنّه ناشيء عن تجمّع الرواسب في مفاصل العظام. وسمّي «داء الملوك» (الأغنياء) لكثرة ترف هؤلاء في مآكلهم ولإخلادهم إلى الراحة فتكثر الرواسب في أجسامهم.

١٠٠٢ هـ) مَبْطوناً[١]. وجاء في « تاريخ العَرَب » (المطوّل) للدكتور فيليب حتّي[٢]: « أمّا المؤرّخُ الراهبُ الذي دوّنَ هذه الحادثةَ فقد علّق عليها بإيجازٍ مُعَبِّراً عن شُعورِ نصارى إسبانيةَ تِجاهَها فَكَتَبَ: في سَنَةِ ١٠٠٢ ماتَ المنصورُ فدُفِنَ في جَهَنَّمَ ».

٢- قال ابنُ خَلْدونٍ: ومن الوزراءِ أولئك « الذين عَظُمَتْ آثارُهم وعَفَّتْ[٣] على الملوك أخبارُهم كالحجّاجِ وبني المُهَلَّبِ والبرامكةِ وبني سَهْلِ بن نَوْبَخْتَ وكافورِ الإخشيديّ وابنِ أبي عامرٍ وأمثالِهم فغيرُ نكيرِ الإلماعُ بآبائهم والإشارة إلى أحوالهم لانْتِظامِهِم في عِدادِ الملوك ».

وقد كان المنصورُ بنُ أبي عامرٍ من دُهاةِ العرب والحازمين في الأمور وذوي الشجاعة والبأس. وكذلك كان قاسياً شديدَ القَسوةِ في سبيلِ الحِفاظ على الدولة وفي سبيل نفسِه أحياناً كثيرةً. وكان له أيضاً أشياءُ متفرقةٌ من النَثْر الحِكْميّ ومن الشعرِ المتين، وإن لم يكن على شعرهِ نضارةٌ ولا عُذوبةٌ لأنّه من شعرِ العلماءِ والفُرسان.

٣- **مختارات من آثاره**

- لمّا غَضِبَ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ على جَعْفَرٍ المُصْحفيّ وألقاه في السِجن كتب جعفرٌ إلى المنصور يتذلّلُ له ويَعْرِضُ عليه نفسَه ليكونَ مُؤدِّباً لابْنَيْهِ عبدِ اللهِ وعبدِ الملكِ. فقالَ المنصورُ:

« أرادَ (جعفر) أن يَسْتَجْهِلَني ويُسْقِطَني عندَ الناس، وقد عَهِدوا منّي ببابهِ مُؤَمِّلاً ثمّ يَرَوْنَه اليومَ بدِهليزي مُعَلِّمَا ».

- وَعَلِمَ أن امرأةً مُسلمةً كانتْ أسيرةً مُنْذُ زمنٍ في كنيسةٍ عندَ غرسيه ملكِ البُشْكُنْسَ (برُغْمِ معاهدةٍ بينَهما تَقضي بإطلاق جميعِ الأسرى) فقال:

« كان قد عاهدني ألاّ يبقى في أرضهِ مأسورةٌ ولا مأسورٌ ولو حَمَلَتْه في حواصِلِها

(١) المبطون: الذي يشتكي بطنه (انتفاخ بطنه من ماء أو نحوه).

(٢) تاريخ العرب لحتّي (نقله إلى العربية أدورد جرجي وجبرائيل جبّور) بيروت ١٩٥١، ٣: ٦٣٥.

(٣) المقدّمة (بيروت، مكتبة المدرسة، ١٩٦١) ص ٥٢.

النسور. وقد بَلَغَني، بعدُ، مُقامُ فُلانةٍ المُسلمةِ بتلك الكنيسة. وواللهِ، لا أنتهي عن أرضهِ حتّى أكْتَسِحَها».

– وقال يوماً: «إنّ المَلِكَ لا يَنامُ إذا نامَتِ الرعيّةُ. ولو آسْتَوْفَيْتُ نومي لَمَا كان في دُورِ هذا البلدِ العظيمِ عينٌ نائمة».

قال المنصورُ بنُ أبي عامرٍ يُعبِّرُ عن طُموحِهِ إلى الاستيلاءِ على المَشْرِقِ لكَشْفِ الظُلْمِ عن أهلِ المشرق:

مَنَعَ العَيْنَ أن تذوقَ المَناما ... حُبُّها أن ترى الصَّفا والمَقاما[1].
لي ديونٌ بالشَرْقِ عند أُناسٍ ... قد أحلّوا بالمَشْعَرَيْنِ الحرَاما[2].
إن قَضَوْها نالوا الأماني، وإلاّ ... جَعَلوا دُونَها رِقاباً وهَاماً[3].
عن قريبٍ تَرى خُيولَ هِشامٍ ... يَبْلُغُ النيلَ خَطْوُها والشَاما[4]!

– وقال في الحماسةِ والفَخْر:

رَمَيْتُ بِنفسي هَوْلَ كلِّ عظيمةٍ ... وخاطَرْتُ، والحُرُّ الكريمُ مُخاطِرُ.
وما صاحبي إلاّ جَنانٌ مُشَيَّعٌ ... وأسْمَرُ خَطِّيٌّ وأبْيَضُ باتِرُ[5].
وإنّي لَزَجّاءُ الجُيوشِ إلى الوَغى ... أَسوداً تُلاقيها أسودٌ خَوادِرُ[6].

(١) الصفا والمقام (مقام إبراهيم) في مكّة من المشاعر (مناسك الحجّ. حيث تجب أو تسنّ العبادة).
(٢) ديون (هنا): ثأر. أناس (من الحكّام). قد أحلّوا الحرام: ظلموا حتّى أصبح ما يحرم فعله مسموحاً (عادة).
(٣) إن قضوها (إن أصلحوا هذا الظلم من تلقاء أنفسهم). جعلوا دونها رقاباً (أجبروني على قطع تلك الرقاب) وهاماً (جمع هامة: رأس).
(٤) هشام: هشام المؤيّد (الخليفة الأمويّ في الأندلس) وكان المنصور بن أبي عامر قد حجبه (استبدّ مكانه في الحكم). الشآم والشام: سورية.
(٥) صاحبي: رفيقي. جنان: قلب. مشيع: شجاع. أسمر: رمح. خطّيّ (من بلاد الخطّ: الشاطىء الشرقيّ من شبه جزيرة العرب، وكانت الرماح، أو القصب الفارسي الذي تصنع منه الرماح تجلب إليه من الهند) كناية عن جودة تلك الرماح. أبيض: سيف. باتر: قاطع.
(٦) أزجى وزجّى: أرسل، بعث. أسود: أبطال. خوادر جمع خادر (وهو الأسد الذي يكون في خدره: في الأجمة أو الغابة الصغيرة) كناية على الشجاعة في ذلك الأسد والمفاجئة.

وسُدتُ بِنَفْسي أهلَ كلِّ سيادةٍ ... وفاخَرْتُ حتّى لم أَجِدْ من أُفاخر.

وما شِدتُ بُنياناً، ولكنْ زِيادةً ... على ما بَنى عبدُ المليكِ وعامِرُ[1].

رَفَعْنا المَعالي بالعَوالي حديثةً، ... وأوْرَثَناها في القديمِ مُعافِرُ[2].

٤ ★★★ منصور الأندلس، تأليف علي أدهم، القاهرة (البابي) بلا تاريخ (في سلسلة أعلام الإسلام).

★ ★ راجع كتب التاريخ العامّة؛ ثمّ بغية الملتمس ١٠٥- ٠٧(رقم ٢٤٢) الذخيرة ٤: ٥٦-٧٨ (راجع الفهارس أيضاً)؛ المغرب ١: ١٩٤ ١٩٨؛ الحلّة السيراء ١: ٢٦٨- ٢٧٧؛ المعجب ٦٢ وما بعد (مع شيء من التقطّع)؛ الوافي بالوفيات ٣:٣- ٣١٣؛ البيان المغرب ٢: ٢٥٣ وما بعد؛ نفح الطيب ١: ٣٩٦- ٤٢٢، ٥٧٨- ٦٠٤، ٣: ٧٦- ٩٨؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٣: ٢٥٤- ٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٩٩- ١٠٠ (٦: ٢٢٦).

عبد الملك بن شهيد[3]

١- هو أبو مَروانَ عبدُ الملك بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الملك بن عُمَرَ بنِ محمّدِ بن شُهيدِ بن عيسى بن شهيدِ بنِ الوضّاحِ الأشْجَعيُّ الأندلسيُّ القُرطبيُّ، وُلِدَ في قُرطُبَةَ.

وتلقّى الحديثَ خاصّةً على قاسمِ بنِ أصبغَ (ت ٣٤٠) ووهبِ بنِ مسرّة.

وتولّى عبدُ الملك بنُ شُهيدٍ الوزارةَ للحاجبِ المنصورِ بن أبي عامرٍ ونال حظوةً عنده، كما بقي متّصلاً ببلاط الخليفة الحَكَمِ المُسْتَنْصِر (٣٥٠- ٣٦٦ هـ). وكذلك كان بينه وبين عبد الملك بن جَهْوَرٍ أحدِ وزراء عبدِ الرحمن الناصرِ (٣٠٠- ٣٥٠ هـ) مساجلةٌ ومنافسة.

مرضَ عبدُ الملك بن شُهيدٍ في شيخوخته بالنِقْرس (ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين) فكان يُحْمَلُ في مِحَفَّةٍ، ومع ذلك لم يفارقْهُ نشاطُه ولا مرحه.

---

(١) ما شدّت (بنيت بناء جديداً) ولكن زيادة (زدّت على البناء الذي كان قد بناه) عبد الملك ومعافر (من أجداد المنصور بن أبي عامر).

(٢) العوالي: الرماح (بالحرب، بالقوّة).

(٣) كان ثلاثة من آل شهيد وزراء وأدباء، أبو مروان عبد الملك بن أحمد هذا؛ ثمّ والده أبو عمر أحمد بن عبد الملك؛ ثمّ أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد (ت ٤٢٦ هـ)، وستأتي ترجمته.

وكانت وفاة عبد الملك بن شُهيدٍ سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠٢ م).

٢- كان عبدُ الملك بنُ شهيدٍ شاعراً ناثراً كاتباً ومؤلّفاً. كان في شِعْره مَرَحٌ وحبٌّ للخمر والنساء، كما كان له شيٌّ من الوصف والغزل والهِجاء والحِكمة. وكانت له معرفةٌ جيّدة بالبلاغة والشعر وبشعراءِ المَشْرق وبالتاريخ. وله كتابُ «التاريخ الكبير في الأخبار» رتّبه على السِنينَ من سَنة ٤٠ إلى أيّامه.

٣- مختارات من شعره

- قال عبد الملك بن أحمد بن شهيد (جذوة المقتبس):

أقصرتَ عن شأوي فعادَيْتَــني. أقْصِرْ، فليس الجهلُ من شاني[١].
إن كان قد أغناكَ ما تحتوي بُخلاً، فإنّ الجود أغناني.

- خضر عبدُ الملك بنُ شهيدٍ، وهو مريضٌ بالنِقْرِس، بعضَ مجالس الأُنس، عندَ المنصور بن أبي عامرٍ، فاستخفّه الطَرَبُ، فقام- برُغْمِ مرضِهِ- يرقُصُ. ثم قال مرتجلاً:

هـاكَ شيخاً قـادَه السُكْرُ لكـا قـام في رَقْصتـهِ مُسْتهلكـا[٢].
لم يُطِقْ يرقُصُها مُسْتَثْبِتاً فانثنى يرقُصُها مُستمسكا[٣]،
عاقَـه مِنْ هزِّهـا مُعتـدلاً نِقْرِسٌ أخنى عليه فاتّكا،
من وزيرٍ فيهِمُ رقّاصـةٍ قام للسُكر يُناغي مَلِكا[٤].
أنـا لو كنـتُ كما تَعْرِفـني قُمْتُ إجلالاً على رأسي لكا.
قَهْقَـهَ الإبريـقُ منّي ضاحكـاً ورأى رَعْشَةَ رِجْلي فبكى.

- وقال في الخمر (نفح الطيب ٣: ٢٦٠):

أمـا ترى بَرْدَ يومِنـا هـذا صيّرنـا للكُمون أفـذاذا[٥]؟

---

(١) أقصرت أو قصّرت عن شأوي (شوطي: المدى أو المسافة التي أستطيع أنا الركض فيها).

(٢) مستهلكا: عاجزاً عن إقامة جسمه.

(٣) مستثبتا: ثابت القدمين منتصباً (معتمداً في وقوفه على نفسه).

(٤) يناغي (يلاطف في الحديث) ملكا (رجلاً عظيماً ذا سلطة).

(٥) الكمون (الاختباء في البيوت). أفذاذا (منفردين).

قد فُطِّرتْ صِحَّةُ الكُبودِ به ... حتّى لكَادتْ تعود أفْلاذ[1].

فادْعُ بنا للشَمولِ مُصْطلياً ... نُغِذَّ سيراً إليك إغذاذا[2].

وادْعُ المُسمّى بها وصاحِبَه ... تَدْعُ نبيلاً وتَدْعُ أُستاذا[3].

ولا تُبالِ أبا العَلاء زها ... بخَمْرِ قُطْرُبُّلٍ وكلواذا[4].

ما دام من أرملاطَ مشربُنا ... دعْ ديرَ عَمّى وطِيزَناباذا[5].

– وقال في الغزل يخلط المجون بالعفّة:

ويلي على أحورَ تيّاهِ ... أجُدُّ فيه، وهو بي لاه[6].

أقبلَ في بيضٍ حَكَيْنَ الظِبا: ... بيضٍ تَراقٍ حمرِ أفواهِ[7].

يأمرُ فيهنّ ويَنْهَى، ولا ... يَعْصِينَهُ من آمرٍ ناهِ.

حتّى إذا أمْكَنَني أمرُهُ ... تركتُه من خشية الله!

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٢٦١ (الدار المصرية ٢٨٠ (رقم ٦٢٢)؛ بغية الملتمس ٣٦٢ (رقم ١٠٥٧)؛ الصلة ١: ٣٣٨- ٣٣٩ (رقم ٧٥٩)؛ الحلّة السيراء ١: ٢٣٩- ٢٤٠؛ المغرب ١: ١٩٨- ١٩٩؛ بغية الوعاة ٣١١ (وفيه وفاته ٤٩٣ بالأحرف، وهو خطأ)؛ نفح الطيب ١: ٤٠٠- ٤٠١، ٥٨٥- ٥٨٦، ٣: ٢٦٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٨- ٩٤٠؛ نيكل ٤٧- ٤٩؛ مختارات نيكل ٣٠- ٣١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٠ (١٥٦).

---

(١) فطّرت: قطّعت. الكبود جمع كبد (بفتح فكسر). أفلاذ جمع فلذة (بالكسر): قطعة.

(٢) الشمول: الخمر (الباردة أو المبرّدة). مصطلياً: تعرّض جسمك للنار (في الشتاء)- أدعنا إلى مكان دافىء. أغذّ السير: أسرع.

(٣) وادعُ معنا شخصاً اسمه «شمول» ورجلاً آخر صاحباً لشمول.

(٤) لا تبال أبا العلاء (؟): لا تحفل (لا تهتم) برجل اسمه أبو العلاء. زها: أعجب (بضمّ فسكون فكسر)، افتخر. قطربّل وكلواذا قريتان في العراق مشهورتان بالأعناب (وبالخمر).

(٥) الملموح أن أرملاط من الأندلس. أمّا ظيزناباذ ففي العراق، دير عمّى (؟).

(٦) الأحور: شديد بياض بياض العين وشديد سواد سواد العين. التيّاه: الذي يعجب بصفاته ويرى نفسه فوق أنداده.

(٧) بيض: نساء بيض (جميلات). حكين: شابهن. الظباء جمع ظبية (الغزال). الترقوة: جانب الصدر الأعلى. بيض تراق: كناية عن الشباب والجمال.

عبد الملك بن جهور[1]

١- هو عبدُ الملكِ بنُ جَهْوَرٍ، لم أجِد فيما بينَ يديّ من المصادر، أكثرَ من أنّه كان وزيراً في أيامِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ (٣٠٠- ٣٥٠ هـ)، وأنّه كان بينَه وبينَ ابنِ شُهيدٍ عبدِ الملكِ بنِ أحمدَ (ت ٣٩٣) شيءٌ من التحاسد. وكانت وفاةُ عبدِ الملكِ بنِ جَهْوَرٍ في سَنَةِ ٣٩٣ (١٠٠٢- ١٠٠٣ م).

٢- كان عبدُ الملكِ بنُ جهورٍ وزيراً جليلاً من عِلْيَةِ الرجال وسَرَوات الكُتّاب في فضلِ آدابهم واتّساعِ أفهامهم مَعَ المُرُوءَةِ الظاهرةِ والسِيرة الجميلة. وكان كاتباً شاعراً، وشِعرُه وُجْدانيٌّ يَدورُ على الوَصْفِ والغَزَل والنَسيب والعِتاب.

٣- مختارات من شعره

- قال عبد الملك بن جهور في الغزل والعتاب[2]:

يا أحسنَ الناسِ في عينيّ مبتسماً ... وأعذبَ الخَلْقِ عندي مَنْطِقاً وفَما[3]،
حلّتْ بقلبيَ من عينَيْكَ نازلةٌ ... من الهوى صيرتني في الورى عَلَما[4].
لم تبقَ جارحةٌ مني أقلّبُها ... إلا بعثتَ عليها بالهوى سقماً[5].
فارْحَمْ مُقام محبٍّ ما شكا وبكى ... تبرُّماً بالذي يَلْقى ولا نَدِما[6].

★أُجِلُّكَ أنْ تَحِلَّ بك الأماني، ... فكيف بأنْ أراك وأنْ تراني[7]؟
وأكرهُ أنْ يمثّلَكَ التمنّي ... حَذاراً أن يبوحَ بهِ لساني.

---

(١) آل جهور أسرتان تتداخل أسماء أعضائها. ويبدو أن في هذه الترجمة شيئاً من التداخل.

(٢) من عادتي أن أعدّ كتبي للطبع منسوخة على الآلة الكاتبة. ولكنّ المقاطع الثلاثة الأولى معدّة للطبع على ورقة بخطّ اليد نسخت بلا ريب في عام ١٩٧٦ حينما تركت بيتي في الطريق الجديدة بسبب **الأحداث المؤسفة في لبنان (أعرف ذلك من أوراق شبيهة مؤرّخة)، ممّا يدلّ على أنني وجدّت هذه الأبيات منسوبة في كتاب ما إلى عبد الملك بن جهور.**

(٣) منطقاً: كلاماً. فما (كناية عن جمال الفم).

(٤) نازلة: مصيبة. علماً: معروفاً، مشهوراً.

(٥) جارحة: عضو.

(٦) مقام (بالضمّ): موقف، حالة. التبرّم: الملل، الضجر.

(٧) لا أريد أن تكون مستجيباً لكلّ أمنية من كلّ إنسان (فإن جميع الناس يحبّونك ويتمنون لقاءك، ولكن كيف السبيل إلى أن نجتمع نحن الاثنان (؟)

ولو أني استطعْتُ، لِفَرْطِ شَجْوي عليــك، لَما رآك الحافظــان[1].
وما أشكو إليك بغيرِ دمعي: بَيـانُ الدمعِ أعربُ من بياني[2]!

– وقال بين الوصف والنسيب:

قد بَعَثْنا إليكَ بالنَرْجِسِ الغَضْـ ـضِ حكـى لَوْنَ عاشقٍ معمودِ:
فيـه ريحُ الحبيبِ عند التلاقي واصفَرارُ المُحِبّ عند الصُدود.

ومن شعر أبي مروانَ عبدِ الملك بن جَهْورٍ (جذوة المقتبس ٢٦٣)[3]:

أتـاني كتابٌ منكَ أحلى من المُنى وأعـذبُ من وصلٍ مَحَا آيةَ الصَدِّ.
فجــدّدَ لي شَوْقــاً إليـكَ مُذَكِّراً وأذكى الذي في القلب من لَوْعة الوَجْد[4].
وإني على أضعاف ما قد وصفتَه لديك من الشوق المُبرِّحِ والجَهْدِ[5].
فلو أنّـني أقوى أطـيرُ صَبابةً، جعلـتُ جوابي نحوَ أرضِكُمُ قَصْدي
عليـكَ سلامٌ من مُحِـبٌ مُتَيَّمٍ يراكَ بعينِ القلبِ في القُربِ والبُعْد[6].
★ إن كانـت الأبـدانُ نائيـةً فنفوسُ أهلِ الظَرف تأتلفُ.
يـا رُبَّ مفترقـينِ قـد جَمَعَتْ قَلْبَيْهِما الأقلامُ والصُحُف.

٤– ★ ★ جذوة المقتبس ٢٦٣ (الدار المصرية) ٢٨٢ (رقم ٦٢٦)؛ نيكل ٤٨– ٤٩؛ بالنثيا ٦٣، ٢٠١.

محمّد بن الحسين الطبني

١– هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ الحُسينِ بنِ محمّدٍ الطُبْنيُّ، نِسبةً إلى طُبْنَةَ عاصمةِ

---

(١) الشجو: الحزن. الحافظان (الملكان اللذان يكتبان على الإنسان أعماله الصالحة وأعماله الطالحة) (؟).
(٢) كلام دمعي أوضح من كلام لساني.
(٣) الأبيات التالية جواب على كتاب (رسالة) جاءت اليه من صديق له (أنظر البيت الأوّل).
(٤) أذكى: أوقد، زاد في حرارة الشيء. اللوعة: الحرقة في القلب أو الألم من حبّ أو مرض. الوجد: الحبّ الشديد.
(٥) شوقي اليك أضعاف شوقك اليّ. المبرّح: الشديد (المؤلم). الجهد: التعب.
(٦) المتيّم: الذي ذلّله الحب وأمرضه وذهب بعقله.

مقاطعة الزاب في المغرب الأوسط (القُطر الجزائري)، الحماني التميميّ نِسبةً إلى زيدِ مَناةَ بنِ تميمٍ.

وُلِدَ محمّدُ بنُ الحُسينِ الطُبنيُّ نحو سَنَة ٣٠٠ (٩١٣ م) في طُبْنَةَ. ثمّ إنّه انتقل إلى الأندلس سَنَةَ ٣٣١ (٩٤٢ م) وافداً على المنصور بن أبي عامرٍ. وسَكَنَ الطُبنيُّ في قرطبةَ ونال حَظْوةً عند المنصور فولاّه المنصورُ خُطّةَ الشُرطةِ ثمّ اتّخذه نديماً.

وكانتْ وفاةُ الطُبنيّ لثلاثِ ليالٍ بَقِينَ من ذي الحِجّة من سَنَةِ ٣٩٤ (٢٧/ ١٠/ ١٠٠٣ م).

٢- كان محمّدُ بنُ الحُسينِ الطُبني عالماً بأخبار العَرَبِ وأنسابِهِمْ أديباً مُتَفَنِّناً وشاعراً مُكْثِراً مُجِيداً.

٣- مختارات من شعره

- قال محمّدُ بنُ الحُسين الطُبني في الغَزَل، وهو ممّا يغنّى به:

صَدَفَتْ ظَبْيةُ الرُصافةِ عَنّا، وهي أشْهى من كلِّ ما يُتَمنّى.
هَجَرَتْنا، فما إليها سبيلٌ غيرَ أنّا نقولُ: كانتْ وكُنّا!

- وقال في الخمر:

واجْتَمَعْنا بعدَ التَفَرُّقِ دهراً فَظَلِلْنا نُقَطِّعُ العُمْرَ سُكرا.
لا يراني الإلَهُ إلاّ طريحاً حيثُ تُلقي الغُصونُ حَوْلِيَ زَهْرا،
قائلاً كُلّما فَتَحْتُ جفوني من نُعاس الخُمارِ: زِدْنِيَ خَمْرا!

- وقال في الهجاء:

ووَغْدٍ إن أردتُّ له عِقاباً عَفا عن ذَنْبِهِ حَسَبي ودِيني.
يُؤَنِّبني بغَيْبةِ مُستطيلٍ ويَلْقاني بوجهٍ مُسْتكينِ[١].

(١) اذا كنت غائباً عن مجلسه أخذ يؤنّبني (يلومني، يوبّخني، يعنّفني) وهو مستطيل (يذكر تفضّله عليّ وتعاليه فوقي). واذا اتّفق أن كنت معه في مجلس واحد أقبل علي يتقرّب اليّ بذلّة وخضوع.

وقالوا: « قد هجاكَ ». فقلْتُ « كلبٌ عَوَى جَهْلاً إلى ليث العَرين ».

٤- ★ ★ ابن الفرضي ٢: ١١٩- ١٢٠ (رقم ١٤٠٦)؛ جذوة المقتبس ٤٧ (الدار المصرية) ص ٥٠ (رقم ٣٨)؛ بغية الملتمس ٥٨ (رقم ٨٤)؛ الصلة ٢: ٥٦٢؛ المغرب ١: ٢٠١- ٢٠٢؛ وفيات ابن قنفذ ١٤٩؛ أعلام الجزائر ١٤٩؛ نيكل ٦١؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٢٩ (٩٨).

أبو مروان الجزيري

١- هو أبو مروانَ عبدُ الملكِ بنُ إدريسَ الأزدِيُّ الجريريُّ من أهلِ قُرطُبةَ، وَلاّه المنصورُ بنُ أبي عامرٍ الشُرطةَ ثمّ ولاّه ديوانَ الإنشاء (الوزارة). ويبدو أن أبا مروانَ الجزيريَّ كان يتجرّأُ على المنصورِ فكان المنصورُ يَسْجِنُه مرّةً بعدَ مرّةٍ. وقد سَجَنَهُ مرّة في برجِ طُرطوشَةَ ومرّةً في سجن الزاهرة. ثمّ ردّه بعدَ السجنِ إلى الوزارة.

وبَقِيَ أبو مروانَ الجزيريُّ في الوزارة إلى أيامِ المُظَفَّر بنِ المنصور. وغَضِبَ المظفَّرُ عليه فسجَنَه ثمّ قتَلَهُ في السِجن، سَنَةَ ٣٩٤ (١٠٠٣- ١٠٠٤ م).

٢- أبو مروانَ الجزيريُّ كاتبٌ مُتَرَسِّلٌ وشاعرٌ مُكْثِرٌ يُشَبَّهُ بمُحمّدِ بنِ عبدِ الملكِ الزيّاتِ[1] في البلاغة والعبقرية. وفنونُه المدحُ والعِتاب والوصف والحِكمة. وأكثرُ شِعره في المنصورِ بن أبي عامرٍ مديحاً أو في المناسبات.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو مروانَ الجزيريُّ يَصِفُ البَدْرَ في ليلةٍ فيها غيمٌ يَحْجِبُ البدرَ حيناً بعد حينٍ: ويخاطب المنصور:

أرى بَـدْرَ السماءِ يلوحُ حِينـاً فيَبْـدو ثمّ يَلْتَحِـفُ السَحابـا،
وذلــك أنّــه لمّــا تَبَـدّى وأبْصَرَ وجْهَـك ٱسْتَحْيا وغابا!

---

(١) راجع الجزء الثاني (توفيّ ابن الزيّات سنة ٢٣٣).

- وقال وهُوَ في السِجن:

شَحِطَ المَزارُ، فلا مزارَ، ونافَرَتْ ... عيني الهُجوعَ فلا خيالٌ يَعْتري[١].
أزْرى بَصبْري وهْوَ مشدودُ العُرى، ... وألانَ عُودي وهو صُلْبُ المَكْسِرِ[٢]،
وطوى سُروري كلَّـــهُ وتَلـــذّذي ... بالعيش طَيَّ صحيفةٍ لم تُنشَر.
هـــا إنّما ألْقـــى الحَبيـــبَ توهُّماً ... بضميرِ تَذْكاري وعينِ تذكُّري.
عَجَبـــاً لِقَلْـــبي يومَ راعَتْـــني النَّوى ... ودنـــا وَداعي كيفَ لم يَتَفطَّرِ[٣]!

- وقال يُخاطِبُ المنصورَ بنَ أبي عامرٍ على لسانِ إحدى بناتِه وكان اسمَها بَنَفْسَجُ:

.... إذا تدافَعَتِ الخُصومُ- أيّدَ اللهُ مولانا المنصورَ- في مذاهِبِها وتنافرتْ في مفاخِرِها فإلَيْهِ مَفْزَعُها. وهو المَقْنَعُ في فَصْلِ القضيّةِ بينَها لاستيلائه على المفاخر بأسْرِها وعلمِه بسِرّها وجَهْرِها. وقد ذهب البَهار والنَرْجِسُ[٤] في وصف محاسِنِها والفخر بمَشابِهِها كلَّ مذهبٍ. وما مِنْها إلاّ ذو فضيلةٍ، غيرَ أنّ فَضْلِيَ عليها أوضحُ من الشمس التي تَعْلونا وأعذبُ من الغَمام الذي يَسْقينا.

و (إذا) كانا قد تشبّها في شِعرها ببعض ما في العالَمِ من جواهرِ الأرضِ ومصابيحِ السماء، ....، فإنّي أتَشَبَّهُ بأحسنِ ما زيّنَ اللهُ به الإنسانَ وهُوَ الحَيَوانُ الناطِقُ، مَعَ أنّي أعطَرُ منها عُطْراً وأحْمَدُ خُبْراً، وأكرم إمتاعاً شاهِداً وغائباً ويانعاً وذابلا. وكلاهُما لا يُمتِعُ إلاّ رَيْثَما يَيْنَعُ[٥]. ثمّ إذا ذَبَل تَسْتَكْرِهُ النفوسُ شَمّه وتستدفعُ الأكُفُّ ضَمَّه. وأنا أُمْتِعُ يابساً ورَطْباً وتَدّخِرُني الملوكُ في خزائنِها وسائرُ (اقرأْ:

---

(١) شحط (ابتعد). الهجوع: النوم. خيال: منام، طيف. يعتري (يأتي إليّ).
(٢) أزرى: عاب (أزرى بصبري: إنَّ السجن جعل الناس يهزأون بي لأني ظهرت أمامهم ضعيفاً). مشدود العرى: قويّ.
(٣) راعتني أخافتني. النوى: البعاد. تفطّر: تقطّع.
(٤) البهار: النبت الأصفر اللون، والأزهار التي تظهر في الربيع. النرجس: زهر حقلي (برّي) أبيض البتلات أصفر الوسط (غير الأقحوان).
(٥) الامتاع: إدخال السرور على النفس. اليانع (في الأصل): الثمر إذا نضج.

جميع) الأطبّاءِ، وأُصرَّفُ في منافعِ الأعضاء. فإنْ فَخَرا بأَستقلالِها على ساقٍ هي أقوى مِنْ ساقي، فلا غَرْوَ أنّ الوَشْيَ ضعيفٌ والهوى لطيفٌ والمِسْكَ خفيفٌ. وليس المجدُ يُدْرَكُ بالصِراع..... (ثمّ) لِمَوْلانا أتمُّ الحُكْمِ في أن يَفْصِلَ (بينَنا) بحُكمِهِ العَدْل. وأقول:

شَهِـــدَتْ لِنُوّارِ البَنَفْسَجِ أَلْسُنٌ ... من لونِـهِ الأحوى ومن إيناعه[1].
لِمَشابِـهِ الشَعر الأعمِّ أعـاره الـ ... ـقمرُ المنـيرُ الطَلْـقُ نورَ شُعاعه[2].
مَلِـكٌ جَهِلْنـا قبلَـه سُبُـلَ العُـلا ... حتّـى وَضَحْنَ بِنَهْجِـه وشِراعه[3].
في سيْفِــهِ قِصَرٌ لِطولِ نِجــاده ... وتَمامِ ساعِده وفُسْحَةِ باعه[4].
ذو هِمّــةٍ كالـبرق في إسْراعِــه ... وعزيمةٍ كالحَيْنِ في إيقاعه[5].
تَلْقـى الزمـانَ لـه مُطيعـاً سامعاً ... وترى المُلوكَ الشُمَّ من أتباعـه[6]!

٤- ★ ★ جـذوة المقتبس ٢٦١ (الدار المصرية) ٢٨٠ (رقم ٦٢٤)؛ بغيـة الملتمس ٣٦٢ - ٣٦٣ (رقم ١٠٥٨)؛ الذخيرة ٤: ٤٦ - ٥٢؛ الصلة ٣٢٩ - ٣٣٠؛ اعتاب الكتاب ١٩٣ - ١٩٦؛ نفح الطيب ١: ٥٢٩ - ٥٣٣، ٥٨٦ - ٥٨٨؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠١ (١٥٦).

ابن أبي زَمَنِين

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عيسى الإلبيريُّ، وُلِدَ في إلبيرةَ في ذي الحِجّةِ من سَنَةِ ٣٢٤ (تشرين الأوّل - أكتوبر ٩٣٦ م).

---

(١) النوّار: الزهر. الأحوى: الأسمر (هنا: الأزرق القاتم).

(٢) مشابه جمع شبه (على غير قاعدة). الشعر الأعم (الوافر، الكثير)......

(٣) هذا البيت وما يليه في مدح المنصور بن أبي عامر (ولا صلة لها بوصف البنفسج). وضح: ظهر، بان. النهج: الطريق الواضح، الطريقة. الشراع (في القاموس) القلع (بالكسر) الذي تسير به المراكب. (لعلّه يقصد: ما شرعه الممدوح للناس).

(٤) سيفه قصير لأنّ ذراعه طويلة يصل بها إلى العدّو (ولو كان السيف نفسه قصيراً). **النجاد: ما يحمل به السيف. لطول نجاده (كناية عن طول قامته).**

(٥) الحين: الموت. الإيقاع: إنزال الأذى بالناس.

(٦) الأشمّ: العالي قصبة الأنف (وكان ذلك عندهم دليلاً عن النسب الملكي الصحيح).

درس ابنُ أبي زمنين الفقهَ والشعر في مدينة بيّانة. وكان فقيهاً مُقدّماً وزاهداً مُتَبَتِّلاً يَلْحَقُهُ الخشوعُ إذا تلا القرآنَ أو سَمِعَه يُتْلى فتَسيلُ دموعُه على خدّيه.

تُوُفِّيَ أبو عبد الله بن أبي زمنين في إلبيرة، في ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٣٩٩ (كانون الأول- ديسمبر ١٠٠٨ م).

٢- ابنُ أبي زمنين فقيهٌ وزاهدٌ وشاعرٌ واعظٌ تَغْلِبُ على شِعْره نَفْحَةٌ دينيّة مَعَ شيء من التشاؤم، ويبدو أن شعره كان كثيراً مُتداوَلاً بين الناس. وكانتْ له تآليفُ منها: تفسير القرآن- أصول السنن- مُنْتَخَب الأحكام- قدوة الغازي- وغير هذه في الزهد والوعظ وأخبار الصالحين- المقرَّب في اختصار المدوَّنة- المُذْهَب في الفقه-

٣- مختارات من شعره

- لابن أبي زمنين هذه الأبيات في الزهد والوعظ:

الموتُ في كلّ حينٍ ينشُر الكفنا، ونحن في غفلةٍ عمّا يُرادُ بنا.
لا تَطْمَئِنَّ إلى الدنيا وبهجتِها وإن توشّحْتَ من أثوابها الحَسَنا.
أيْنَ الأَحِبَّةُ والجيران، ما فعلوا؟ أين الذين هُمُ كانوا لنا سَكَنا؟
سقاهُمُ الدهر كأساً غيرَ صافيةٍ فصيَّرتْهم لِأَطباق الثرى رُهُنا[1].
تبكي المنازلُ منهم كلَّ منسجمٍ بالمَكْرُمات، وترثي البرّ والمِنَنا[2].
حَسْبُ الحِمام، لو أبقاهم وأمهلهم، ألاّ يَظُنَّ على مَعْلوّةٍ حسنا[3].

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٥٣ (الدار المصرية) ٥٦-٥٧ (رقم ٥٧)؛ بغية الملتمس ٧٧-٧٨

(١) رهن (بضمّتين) جمع رهن (بسكون الهاء). بين أطباق الثرى رهن: محبوسون بين طبقات الأرض (موتى).

(٢) منسجم بالمكرمات: كثير الكرم. المنسجم: (المطر أو الدمع) السائل، المنهمر. البر: الإحسان إلى الأقربين. المنّة: المعروف الذي يتبرّع الإنسان به لغيره (من غير استحقاق).

(٣) الحمام: الموت. المعلوّة: الأرض. «حسناً (في القافية) مكّررة، ولعلّها خطأ».

(رقم ١٦٠) مطمح الأنفس ٤٩ - ٥٠؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٢١؛ الديباج المذهب ٢٦٩- ٢٧١؛ أعمال الأعلام ٥٢؛ وفيات ابن قنفذ ٢٢٤- ٢٢٥؛ شذرات الذهب ٣: ١٥٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٤؛ بروكلمن ١: ٢٠٥، الملحق ١: ٣٣٥؛ نيكل ٦٤، مختارات نيكل ٤٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠١ (٣: ٢٢٧).

ابن القزّاز البربريّ

هو سعيدُ بنُ عُثمانَ بن سعيدِ بنِ محمّدِ بنِ سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يوسفَ بنِ سعيدٍ البربريُّ، ويُعْرَفُ بابنِ القزّاز اللُّغويّ وبلِحْيةِ الزِبْلِ، من أهلِ قُرطبةَ، وُلِدَ سَنَةَ ٣١٥ هـ (١١١٩ م).

رَوَى ابنُ القزّازِ البربريُّ عن قاسمٍ بنِ أصبغَ ومحمّدِ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ السلامِ الخُشَنِيِّ وأحمدَ بنِ بِشْرِ بنِ الأغبسِ وابنِ عبدِ البَرِّ صاحبِ التاريخ وسعيدِ بنِ فحلونٍ وأخذَ عن أبي عليٍّ القاليّ وصَحِبَهُ. وقد فُقِدَ في وَقْعة قنتيشَ، في نِصْفِ ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٤٠٠ (٦/ ١١/ ١٠٠٩ م).

وكان ابن القزّازِ البربريُّ من العُلماءِ في الحَديث ،والفِقْهولكنّ براعتَه الأولى كانتْ في اللُّغة والنحو، «ومن طريقهِ صَحّتْ اللُّغةُ بالأندلسِ بعدَ أبي عليٍّ (القالي) ومن طريقِ ابنِ أبي الحبّاب وأبي بكرِ الزُبيدي» (الصلة ٢٠٦). وله كتابٌ في الردِّ على كتابِ «الفصوص» (في النوادر والغريب) لصاعد البغدادي اللغوي.

★ الصلة ٢٠٤- ٢٠٦ (رقم ٤٦٧)؛ جذوة المقتبس ٢١٥ (رقم ٤٧٥)؛ بغية الملتمس ٢٩٨ (رقم ٨٠٩)؛ إنباه الرواة ٢: ٤٤- ٤٧؛ بغية الوعاة ٢٥٦؛ بروكلمن، الملحق ١: ٥٣٩.

ابن شخيص القرطبي

١- هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ مُطَرِّفٍ من أهلِ قُرطُبَةَ اتّصلَ بالمنصورِ بنِ أبي عامرٍ (ت ٣٩٢ هـ) ثمّ بابنهِ المُظَفَّرِ من بعدهِ وكان يجالِسُ المظفَّر. وماتَ قبلَ سَنَةِ ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م).

٢- كان ابن شُخيصٍ القرطبيُّ «من أهلِ الأدب المشهورين ومن أعيان الشعراءِ المُقَدَّمين سالكاً في أساليبِ الجِدّ والهَزْل، وشعرُه كثيرٌ مشهور». وتجد له عدداً من المختارات[١] في كتاب التشبيهات للكَتّاني (ت ٤٢٠ هـ). ولابنِ شخيصٍ قصائدُ ومُقَطَّعاتٌ. وفنونُه الوصفُ والغَزَلُ والمدحُ والهجاء، وربّما نَحا نَحْوًا بدويّاً في مديحهِ ونحواً سوقِيًّا في هجائه.

٣- مختارات من شعره

- قال محمّد بن شخيص في الوصف:

كأنّ انْتِشارَ الطَلّ في الوردِ أدْمُعٌ ... تَبدّى على زَهْرِ الخُدودِ آنتثارُها[٢].
كـــأنّ جَنِيَّ الأُقحُوانِ برَوْضِهـــا ... ثُغورُ العَذارى حين راقَ آثّغارُها[٣]!

- وقال في الوصف أيضاً:

ولـمّـا آمْـترى في جَنّـةِ الخُلْدِ بَعْضُهُمْ ... أقــامَ لأبصــارِ الجميــعِ مِثالَهــا[٤].
فَلِلْعَيْنِ أنوارُ البساتـــينِ حَوْلَهـــا، ... وللسمــعِ تفجـيرُ الميـاه خِلالَهـا[٥].

---

(١) اثنتا عشرة قطعة تجمع ستّة وأربعين بيتاً.

(٢) الطلّ: نقاط الماء التي تسقط في الصباح الباكر على الأغصان عادة.- كأنّ الورد خدود، وكأنّ الطلّ دموع.

(٣) الأقحوان زهر يتألف من دائرة صغيرة صفراء حولها بتلات بيض تشبه الأسنان الأمامية. الجني: الناضر (الزاهي اللون) الطريّ (الجديد). الأثّغار: بدء ظهور الأسنان (الأسنان الجديدة، وتكون صحيحة بيضاء مستوية، الخ).

(٤) لمّا شكّ قوم في شكل الجنّة (جهلوا صورتها ووصفها) أنشأ هو في الأرض شبهاً لها.

(٥) الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهر الأبيض.

كـأنّ يواقيتـاً أُذيبـتْ فأُشْرِبَـتْ سطوحُ المبـاني صِبْغَهـا وصِقالَهـا[١].

– وقال في النسيبِ (ويبدو أنّ الأبياتَ التالية والأبياتَ السابقةَ من قصيدةٍ واحدةٍ في المديح):

– وقال في تفضيلِ الوردِ لأنه نَبْتٌ سَنَويٌّ (يأتي في أوائلِ فصلِ الربيع بعدَ أن تكونَ النفوسُ قدِ ٱشتاقتْ إليه) وتصغير شأنِ الآسِ لأنّه نُضارٌ (دائمُ الخُضرةِ، ولذلك يَمَلُّه الناسُ):

ومُعْتَلّـةِ الأجفـانِ ما زِلْتُ مُشْفِقاً عليهـا، ولكنّي أَلَـذُّ ٱعتلالَهـا[٢].
جفونٌ أجـــالَ الحُسنُ فيهنَّ فَتْرة فحلّ عُرى الآجالِ مُنْذُ أجالها[٣].
فهلْ من شفيعٍ عندَ ليلى إلى الكَرى، لعلّي إذا مـا نِمْـتُ ألقى خَيالها.
يقولون لي: صبراً على مُطل وَعْدِها؛ ومـا وَعَـدَتْ ليـلى فأَشكو مِطالها[٤].
ومـا كـان ذنـبي غيرَ حِفظي عُهودَها طيِّي هَواهـا وآحـتمالي دَلالهـا[٥].

أرادَ الوَرْدُ بـالآسِ انْتِقاصـاً فقـال له[٦]: نَقيصَتُـك المَـلالُ.
فقـــال الوردُ: لستُ أزورُ إلاّ عــلى شَوْقٍ كما زارَ الخَيـــال[٧].
وأنـــتَ تُـديمُ تَثْقيـلاً طويـلاً تـدومُ بـه كما رَسَتِ الجِبـال.
فتَسْأمُـك العيونُ لـذاك بُغْضـاً وترقُبُـني كما رُقِـبَ الهِـلالُ[٨]!

– وقال في الهجاء مع الهزء:

قِسْتُ بالشِعرِ مَعْشراً فـــإذا هم صُوَرُ الإنْسِ في طِباع الحميرِ.

---

(١) انعكس لون الزهر على سطوح الابنية!!

(٢) معتلّة الأجفان: ناعسة العينين. ألذّ اعتلالها: أجد لذّة في نعس عينيها.

(٣) أجال الحسن فيهنّ فتره: جعل في عينيها كلتيهما فتره (فتوراً، نعساً). حلّ عرى الآجال (الأعمار): قصّر أعمار الناس.

(٤) المطل (بالضم) والمطال (بكسر الميم): المماطلة، تأخير الوفاء بالوعود بأعذار مختلفة.

(٥) طيِّي (المصدرطيّ مضافا إلى الضمير المتصل (الياء) هواها: إخفائي حبّي لها عن الناس.

(٦) فقال الآس للورد.

(٧) الخيال: الطيف الذي يرى في المنام.

(٨) تسأم: تملّ. ترقبني: تنتظرني. كما رقب الهلال: كما ينتظر الناس هلال (العيد).

كُلّما جِئْتُهم . لأُنْشِدَ شِعري طَمَعـــــاً من نَوالِهم باليسير[١]،
فكأنّي وَضَعْــــتُ فلكــــةَ بُوقٍ في فَمي أو ضَغَطْتُ أُنبوبَ كِيرِ[٢]!

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٨٤ (الدار المصرية) ٩١ رقم ١٤٤؛ بغية الملتمس ١١٩ (رقم ٢٧٠)؛ نيكل ٤٣.

الطليق المروانيّ

١- هو أبو عبدِ الملكِ مَروانُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ مروانَ بن عبدِ الرحمنِ الناصرِ، وُلِدَ في سَنَة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م)، قُبيل وفاةِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ. ونحنُ لا نَعْرِفُ من أحداث حياته إلاّ قِصّةَ سَجْنِه وما يتعلّق بها:

كان عبدُ الرحمن بنُ مروانَ قد ربّى مَعَ ابنهِ مَروانَ جاريةً ووعده بأنْ يُزوّجه إيّاها ثمّ اسْتأثرَ هو بها. ولَحِقَتْ مروانَ غَيْرةٌ- وكان قد أحبَّ الجارية- فقَتَل أباه. وكانت تلك الحادثةُ في أيامِ حِجابةِ المنصورِ بنِ أبي عامرٍ فسَجَنَ المنصورُ مروانَ في المُطبِق (وهو سِجْنٌ في مدينة الزهراء قرب قرطبة) وعُمُرُهُ آنذاك نحو ستَّ عَشْرَةَ سَنَةً. وقد مكث مروانُ في سِجنه ستَّ عَشْرَةَ سَنَةً أيضاً أطلقه في نِهايتها المنصورُ بن أبي عامر لأنّ المنصور- فيما قيل- رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام «يأمره أن يُطْلِقَه فأطْلَقَهُ». من أجلِ ذلك عُرِفَ مروانُ هذا بالطليق المرواني والطليق القُرَشي. وكان يُعْرَف أيضاً بلقب الشريف المرواني والشريف القرشي (لنسبهِ في البيت الأمويّ المالك في قرطبة). وتُوُفِّيَ الطليقُ المرواني نحو سَنَةِ ٤٠٠ هـ (١٠٠٩- ١٠١٠ م).

٢- كان الطليق المروانيّ أديباً وشاعراً، وهو في بني أُميّةَ كعبدِ الله بن المعتزّ في بني العبّاسِ «مَلاحةَ شِعرٍ وحُسْنَ تَشْبيهٍ»؛ وقد نَظَم مُعْظَمَ شعرِه وَهُوَ في السِجن في فَتَياتٍ شُقْرٍ. وله قصيدةٌ على رويّ القاف فريدةٌ في بابها.

٣- مختارات من شعره

- قال الطليق المرواني في الغزل والخمر ووصف الطبيعة:

(١) النوال: العطاء. اليسير: القليل.

(٢) فلكة (؟) البوق: آلة يزمّر بها. الكير منفاخ الحدّاد. سدّوا آذانهم (كيلا يسمعوا الصوت) وهربوا (كيلا تتّسخ أثوابهم).

غُصُنٌ يَهْتزّ في دِعْـــصِ نَقَـــا   يَجْتَــني منــه فُؤادي حُرَقــا[١].
أطلــعَ الحسنُ لنـــا من وجهـهِ   قمراً ليس يُرى مُمَّحِقـــــا[٢].
ورنـــــا عن طَرْفِ رِيمٍ أحْورٍ   لحظُـــه سهمٌ لقلـــبي فُوِّقـا[٣].
وتَناهــــى الحسنُ فيــــه- إنّما   يَحْسُنُ الغُصْنُ إذا ما أوْرقا[٤].
رُبَّ كأسٍ ، قد كَسَتْ جِنْحَ الدُّجى   ثَوْبَ نُورٍ من سَناهــا يَقَقـا[٥]،
ظِلْـتُ أسْقيهـا رشاً في طَرْفـهِ   سِنَـــةٌ تُورِثُ عَيْــني أرَقــا[٦].
فكـــأنّ الكـــاسَ في أُنْمُلِــه   صُفْرَةُ النَّرْجِسِ تعلو الوَرِقا[٧]:
أصْبَحْـــت شَمْساً وفُوهُ مَغْرِبــاً   ويـــدُ الساقي المُحَيِّي مَشْرِقــا.
فـــإذا مـــا غربـــتْ في فَمِــهِ   تَركَـتْ في الخَدِّ (منها) شَفَقا[٨]!
وغَمامٍ هَطِـــــلٍ شُؤبوبُــــــه   نــادمَ الرَّوْضَ فغَنّى وسقى[٩]؛

---

(١) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة (تلّة صغيرة، أو جانب من تلّة كبيرة). نقا: رمل أبيض.- كناية عن الجزء الأوسط من المحبوب!

(٢) القمر الممّحق: القمر حينما لا يكون له نور (في آخر الشهر).

(٣) رنا: تطلّع وأدام النظر. الطرف: طرف العين، النظر. الريم: الغزال الأبيض. الأحور: شديد بياض بياض العين وشديد سواد سوادها. فوّق السهم: صوّبه.

(٤) تناهى: (هنا) بلغ النهاية والغاية، كمل. يحسن الغصن إذا ما أورق: اكتسى بالورق (في الربيع). يقصد الشاعر أن محبوبه لمّا شبّ وظهر الشعر في وجهه أصبح أجمل من ذي قبل (تشبيهاً له بالغصن إذا أورق في الربيع).

(٥) الجنح (بكسر الجيم): الجانب. الدجى: الظلام، الليل. السنا: اللمعان. اليقق: الأبيض.- نور الخمر في الكأس ردّ الليل أبيض كأنّه نهار.

(٦) ظلت (بكسر الظاء) = ظللت (بكسر اللام الأولى): بقيت، استمررت. الرشأ: الظبي الصغير إذا قوي وبدأ يمشي مع أمّه. الطرف: العين. السنة (بكسر السين): النعاس (فتور العين دلالة على الحسن والإغراء). الارق: السهر (من شدّة الحبّ).

(٧) الانمل: أطراف الأصابع. «صفرة النرجس تعلو الورق» يمكن أن تمثّل صورتين (أ) كقلب النرجس الأصفر بين ورق (بفتح الراء) زهرة النرجس (بتلات الزهرة)، كناية عن إمساك الساقي بالكأس؛ أو (ب) كزهر النرجس الأصفر تحمله يد جميلة بيضاء كأنّها من ورق (بكسر الراء) أي من فضّة.

(٨) الشفق: اللون الأحمر الذي يبقى على الأفق بعد غياب الشمس.

(٩) الشؤبوب: الدفعة (بضم الدال) من المطر. الهطل: المتتابع مرّة بعد مرّة، الكثير الهطلان أو التهطال (السقوط والانهار).- يقول: الغمام ينادم الروض: يسقي الروض من مائه ويغنّيه برعده.

فكـأنّ الروضَ منــه مُطْبِـقٌ، وكـأنّ الهضب جـانٍ أُطْبِقا[1].
خلَـع الـبرقُ عـلى أرجائـهِ ثوبَ وَشْيٍ منــه لَمّـا أبْرقـا.
وكــأن العــارِضَ الجَوْنَ بــهِ أدْهَمٌ طَــلّ عليــه بُلُقـا[2].
في ليــالٍ ظـلّ ساري نَجْمِهـا جائِراً لا يَستبـينُ الطُرُقـا[3].
وَقَــدَ الــبرقُ لنــا مِصباحَهـا فَثنـى جِنْحَ دُجاهـا مُشْرِقا[4].
وشَدا الرعــدُ حَنينــاً فجَرَتْ أكْؤُسُ المُزْنِ عليــه غدَقـا[5].
فانْتَشى شُرْبـاً وأضحـى مائِـلاً مِثْـلَ نَشْوانٍ وقـد خرّ لَقَى[6].
وغـدتْ تَحنو لـه الشمسُ وقَـدْ ألْحَفَتْـه من سَناهـا نُمْرُقـا[7].
وكــأنّ الوردَ يعلوه النَّــدى وجْنَــةُ المعشوقِ تَنْدَى عَرَقـا!

- وقال في النسيب:

أقول ودمعي يَستهِــلّ ويَسفَــحُ وقد هاج في الصدر الغَليلُ المبرِّح:[8]

---

١٠) (الصورة في البيت غير واضحة؛ والكلمات: مطبق، هضب، أطبقا ليس لها في القاموس معان تلائم استعمالها في هذا البيت). المطبق: السجن تحت الأرض. أطبق: سُجن.

(٢) العارض: الغيم المقبل يحمل مطراً. الجون (هنا): الأسود (لكثرة ما فيه من المطر). أدهم (فرس؟) أسود. طلّ عليه: أنزل على الروض طلاً (مطراً خفيفاً). بلقا جمع أبلق: فرس أبيض- الصورة غير واضحة. كأن الغيمة السوداء فرس أدهم (أسود) أحاطت به بُلق (خيل بيضاء)- غيوم بيضاء (؟).

(٣) ليلة شديدة السواد كثيرة المطر لا يستطيع فيها أحد أن يسير ولا النجوم أيضاً.

(٤) وقد: أوقد، أشعل، أضاء. ثنى: ردّ (جعل). ثنى جنح دجاها مشرقاً: جعل (البرق) جانباً من الليل مضيئاً.

(٥) غدقا: كثيراً. الغدق: الماء الكثير.

(٦) انتشت (سكرت) أغصان الروض (لكثرة ما سقط عليها من المطر- كأن هذا المطر خمر) فمالت كثيراً فأصبحت تشبه السكران الذي «خر» (سقط من كثر الشراب) لقى (مطروحاً على الأرض)».

(٧)- ثمّ حنت له (حنت عليه، عطفت) الشمس فأشرقت وألحفت الروض (غطّته بلحاف) من سناها (نورها) بنمرق (ببساط ملوّن).- في الغيم الكثيف يظهر كلّ شيء داكناً. أمّا في نور الشمس فيبدو كلّ شيء بلونه الطبيعي.

(٨) استهلّ: طلع، بدأ. يسفح: انصبّ، سال بكثرة. الغليل: الشوق إلى الماء، العطش، عطش الحبّ. المبرّح: الموجع، الشديد.

دعوني من الصبر الجميل فإنّني ... رأيتُ جميلَ الصبر في الحُبّ يَقْبُحُ .
لقد هيَّج الأَضحى لنفسي جوَى أَسًى ... كريهُ المنايا منه للنفس أَرْوَح(١) .
كأَنَّ بعيني حَلْقَ كُلِّ ذبيحة ... به، وبصدري قلبَها حين تُذْبَح(٢) .
فيا ليتَ شعري هل لمولايَ عطفةٌ ... يُداوَى بها منّي فؤاد مجرَّح؟
يَحِنُّ إلى البدر الذي فوق خدّه ... [مكانَ سوادِ البدر] وردٌ مفتَّح .
تقنَّع بدر التِمّ عند طلوعه ... مخافةَ أَن يَسري إليه فيُفْضَح(٣) .
فقلتُ له: «يا بدرُ، أَسفرْ فقد غوَى ... عليه رقيب للعدى ليسَ يبرح»(٤) .
لعمري لذاك البدرُ أَجملُ منظراً ... وأَحسنُ من بدر التَمام وأَملح .

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٣٢١، (الدار المصرية) ٣٤٢-٣٤٣ (رقم ٧٩٩)؛ بغية الملتمس ٤٤٧ (رقم ١٣٤٣)؛ المغرب ١: ١٨٦ ١٨٧؛ المطرب ٧٢ وما بعد (وفيها استطراد)؛ الذخيرة ١: ٥٥٣ وما بعد؛ الحلّة السيراء ١: ٢٢٠- ٢٢٥؛ المنّ بالإمامة ١٥٩- ١٦٤؛ نفح الطيب ٣: ٣٨٨- ٣٨٩، ٥٨٦- ٥٨٨؛ الأعلام للزركلي ٨: ٩٦ (٧: ٢٠٨)؛ نيكل ٦١- ٦٤، مختارات نيكل ٣٧- ٣٨.

عائشة بنت أحمد

١- هي عائشةُ بنتُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ قادمٍ من أهلِ قرطبةَ لا نَعرِفُ من أخبارِ

(١) الأضحى = عيد الأضحى. الجوى: الحرقة الشديدة. المرض المتطاول. الأسى: الحزن. جوى أسى (على الإضافة): حزن شديد طويل الأمد. أروح: أكثر راحة للنفس.- .... الموت الفظيع أسهل على الإنسان من هذا الحزن الناشىء من (بعاد) الحبيب.

(٢) حينما أرى الذبائح تذبح في عيد الأضحى (والحبيب بعيد عنّي) أشعر أن السكّين الذي يمر بحلقها (يذبحها) كأنّه يمر بي أنا (يذبحني أنا). كأنّ بصدري قلبها: أنا أشعر في الحبّ بما تشعر هي به عند الذبح.

(٣) بدر التِمّ (بكسر التاء) والتَمام (بفتح التاء): البدر ليلة أربع عشرة. تقنّع: أرخى القناع على وجهه. سرى: سار ليلاً.- استتر البدر بالغيوم كيلاً يخرج محبوبي (إلى النزهة في ضوء القمر)، وحينئذ يظهر بدري (محبوبي) أجمل من بدر السماء.

(٤) أسفر: اكشف عن وجهك. غوى عليه رقيب للعدا: وضع أعدائي على حبيبي رقيباً قد غوى (ضلّ)، فهو يتشدّد في منعه من الخروج ليلاً ونهاراً. يبرح: يترك، يغادر (لا يترك مراقبة المحبوب).

حياتِها إلاّ أنّها كانت تمدَحُ الملوكَ (الرؤساءَ والأعيانَ) وأنّها عَشِقَتْ أحدَ أبناءِ المنصور ٱبنِ أبي عامرٍ (ت ٣٩٢ هـ)، وأنّها ماتت سَنَة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩- ١٠١٠ م) عذراءَ لم تتزوّجْ قطُّ.

٢- كانت عائشةُ بنتُ أحمدَ مِنْ أدقِّ الناسِ فَهْماً وأوْسَعِهِمْ عِلماً وكانتْ أديبةً شاعرةً ذاتَ فصاحةٍ، كما كانتْ حَسَنَةَ الخطِّ تكتُبُ المصاحفَ. وربّما ارتْجلَتِ الشِعر.

٣- **مختارات من شعرها**

- دخلتْ عائشةُ بنتُ أحمدَ على المُظفّرِ بنِ المنصورِ بنِ أبي عامرٍ (ت ٣٩٩ هـ) وبينَ يدَيْهِ ولدٌ فارْتَجلَتْ:

أراكَ اللهُ فيـه مـا تريـدُ، ... ولا بَرِحَـتْ مَعاليـه تزيـدُ.
فسوفَ تراهُ بدْراً في سماءٍ ... من ٱلعَليـا كواكِبُـه الجنودُ.
وكيفَ يخيبُ شِبْلٌ قد نَمَتْهُ ... إلى العَليـا ضَراغِمَـةٌ أسودُ؟
فأنتم، آلَ عامرَ، خيرُ آلٍ: ... زكـا الأبناءُ منكم والجُدودُ[1].
وليدُكُمُ لَدى رأيٍ كشيخٍ ... وشَيْخُكُمُ لَـدى حَربٍ وَليـد.

- ولها قصيدةٌ وجُدانية مطلَعُها:

لولا الدموعُ لَما خَشِيتُ عَذولاً، ... فَهيَ التي جعلتْ إليك سَبيلا[2].

٤- ★ ★ الصلة ٦٥٤؛ نفح الطيب ٤: ٢٩٠؛ تاريخ الفكر الأندلسي ٧٣؛ الأعلام للزركلي ٤: ٤ (٣: ٢٣٩- ٢٤٠).

السرقسطيّ المعافريّ

١- هو أبو عثمانَ سعيدُ بنُ محمّدِ المُعافريُّ السَرَقُسْطيّ المعروفُ بابنِ الحدّادِ والملقّبُ

---

(١) زكا: طاب، صلح (بفتح اللام).
(٢) العذول: الذي يلوم الناس على أعمالهم.

بالحمار(١)، لعلّ مولدَه نحو ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) في سَرَقُسْطة. ثمّ يبدو أنّه انتقلَ مَعَ أهله إلى قُرطبةَ ونشأ فيها وتلقّى العلم على جماعةٍ منهمُ ابنُ القوطية (ت ٣٦٧ هـ) فلازمه وأصبحَ أشهرَ تلاميذه، كما رَوى عن صاعدٍ الرَبَعيّ البَغْداديّ (ت ٤١٧ هـ). واسْتُشْهِدَ السَرَقُسطيُّ المُعافريُّ في قُرطبةَ في أيام الفِتنة (بعد ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م).

كان السَرَقُسْطيُّ المُعافريُّ ذا اتّجاهٍ دينيّ حَمَلَه على التطوُّعِ في سبيلِ الله وهو في الستّين من عُمُرِه. وكان نحويًّا وأديباً، له «كتابُ الأفعال»- على غِرارِ كتابِ شيخهِ «كتاب الأفعال»- (ولكنّه بسطٌ له: مقدّمةٌ وتوضيحٌ وتوسيع!)، إلاّ أنّه آقتصر فيه على الغريب من الأفعال ومن معاني الأفعال، ولكنْ أكثَرَ فيه من الشواهد. وقدِ آنتهى من تأليفه بعدَ وفاةِ آبن القوطية وقبلَ وفاتهِ هو بِبِضْعَ عَشْرَةَ سَنةً. وكتابُ السَرَقُسْطيّ المُعافريّ أتمُّ الكتبِ في موضوعه، إذ لم يقيّدِ المؤلّفُ فيه نفسَه بمذهبٍ معيّن، بل أوردَ آراءَ البَصْريّين كأبي زيدٍ (الأنصاري) والأصمعيّ وابنِ دُريدٍ وأبي حاتمٍ (السِجِسْتاني) وآراءَ الكوفيّين كابنِ الأعرابيّ وابنِ السِكّيت وأبي عُبيدةَ (مَعْمَرِ آبنِ المُثنّى) إلى جانبِ آراءِ نفرٍ آخرينَ من النُحاة.

٤- ★ ★ الصلة ٢٠٩ (رقم ٤٧٨)؛ فهرست ابن خير ٣٥٦، ٤٧٣؛ بروكلمن، الملحق ١: ٢٠٣؛ الأعلام للزركلي (٣: ١٠١) - وفي هذه الترجمة تفاصيل أكثر ممّا نجد في هذه المصادر والمراجع المذكورة سقط منّي مواضع آخذها.

محمّد بن مغيث المغربي

١- هو محمّدُ بنُ مُغيثٍ المَغْربيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) وكانت وفاتُه سَنَةَ ٤٠٢ هـ (١٠١٢ م) بعدَ مرضٍ أقْعَدَهُ، وقد بدا الهَرَمُ عَلَيْه.

٢- محمّدُ بنُ مُغيثٍ المَغْربيّ شاعرٌ مطبوعٌ مُرْسَلُ الكَلامِ مَليحُ الطريقةِ يَقَعُ على

(١) أبو عثمان سعيد بن محمّد بن الحدّاد الملقّب بالحمار هذا غير أبي عثمان سعيد بن محمّد بن الحدّاد من أهل الطبقة الثالثة من النحاة الاندلسيّين (طبقات الزبيدي ٢١٦؛ راجع بغية الوعاة ٢٥٧) وغير أبي عثمان سعيد بن محمّد القرطبي النحوي (راجع بغية الوعاة ٢٥٧) وغير سعيد بن فتحون السرقسطي الملقّب بالحمار (راجع نفح الطيب ٢: ١٧٥، ٥٠٢).

النُكَتِ ويُصيبُ (مواقع) الكلامِ ويُقيم (يُثيرُ) حربَ الشعراء (العداوةَ بينَ الشعراء). وكان مُنْهَمِكاً في الخمرِ كثيرَ الهِجاء مُقْذِعاً، حَسَنَ التعليلِ في شِعْره.

٣- مختارات من شعره

- رُزِقَ أحدُ الرؤساءِ بِنْتاً فَحَزِنَ، فكتبَ إليه محمّدُ بنُ مُغيث:

لا تـأسَ إنْ رُحْـتَ أباً لاَبْنَـةٍ تَكْظِمُ أشجانـاً إلى كاظِمَـهْ[1]؛
فـإنّ أبنـاءَ نَبِيِّ الهُـدى كُلُّهُمُ مِنْ وَلَدَيْ فاطمهْ[2]!

- جاء محمّدُ بنُ مُغيث إلى عبدِ المَجيد بن مُهَذَّبٍ فحَجَبَه (رفض عبد المجيد أن يستقبله) فقال محمّدُ بنُ مُغيثٍ يهجوه، وكان لعبدِ المجيد قُروحٌ في رأسهِ يكرهُ أن تَظْهَرَ كما كان له عبدٌ اسمُه سعيدٌ يُؤْثِرُه[3]:

زُرْتُ عبـدَ المجيـدِ زَوْرَةَ مُشْتـا قٍ إليـه فصَـدَّ عنّي صُـدودا؛
فَكأنّي أتَيْتُـــــه أنْزِعُ العِمْـ ـمّةَ عن رأسهِ وأخْصي سعيـدا.

ابن الفَرَضيّ

١- هُوَ أبو الوليدِ عبدُ اللهِ بنُ محمّدِ بنِ يوسفَ بنِ نَصْرٍ الأزْديّ القُرطُبيُّ، وُلِدَ في قرطبة، في ٢٣ من ذي القَعْدة من سَنَةِ ٣٥١ (٢٢/ ١٢/ ٩٦٢ م).

تلقّى ابنُ الفرضيّ العلم على كثيرين منهم في الأندلس يَحْيى بنُ مالكِ بن عائذٍ (ت ٣٧٦ هـ) ومحمّد بن يحيى بن الخرّاز.

وفي سَنَة ٣٨٢ هـ (٩٩٣ م) رَحَلَ ابن الفرضي من الأندلس فسمع في القيروان من ابن أبي زيدٍ القيرواني (ت ٣٨٦ هـ) ومن أبي الحسن القابسي (ت ٤٠٣ هـ). وسَمِعَ في مِصْرَ من أبي بكرٍ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ اسماعيلَ المهندسِ. وبما أن رِحْلَتَهُ إلى المَشْرق لم

(١) لا تأس: لا تحزن. تكظم: تردّ، تمنع، تحبس (تصبر على الغضب). الشجن (بفتح ففتح): الحزن. كاظمة (بلدة في الكويت تسمّى اليوم: الجهرة). تكظم أشجاناً إلى كاظمة (؟). (تزيد أحزان نفسك).

(٢) نبيّ الهدى: محمّد رسول الله. فاطمة ابنة محمّد رسول الله تزوّجها الإمام عليّ بن أبي طالب فجاءه منها الحسن والحسين. وجميع نسل رسول الله كان من الحسن والحسين ابني فاطمة.

(٣) يؤثره: يفضّله على غيره (والشاعر يتّهم عبد المجيد بالفاحشة).

تستَمرَّ سوى سنتينِ فقطْ (٣٨٢- ٣٨٤ هـ) فلا بدّ من أن يكون قد وصل إلى مكّة في أواخر سَنَة ٣٨٢ هـ (في آخر عام ٩٩٢ أو أول عام ٩٩٣ م) فحجّ ثمّ سمع من أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن الدخيل الصيدلانيّ المكّي.

وبعد أن عاد ابن الفرضي إلى الأندلس تقلّدَ القضاءَ في بَلَنْسِيَةَ، في أيام الخليفة محمّدٍ المَهْديِّ (٣٩٩- ٤٠٠ هـ). ثمّ إنّه انتقل إلى قرطبة. وفي قرطبة قُتِلَ ابنُ الفرضي في الفتنة، في السادس من شوّالٍ من سَنَةِ ٤٠٣ (٢٠/ ٤/ ١٠١٣ م)، لمّا دخل البربرُ إلى قرطبة وأعادوا سُليمانَ المستعينَ إلى سُدّة الخِلافة.

٢- أبو الوليدِ بنُ الفَرَضيّ مُحَدّثٌ بارعٌ في علوم الحديث وفقيه وخطيب وذو حظّ وافرٍ من الأدب. وهو أيضاً شاعر مقلّ- وعند ابن خلّكان (وفيات ٣: ١٠٦) شاعر مكثر- وشعره لطيف تَغْلِبُ عليه العاطفة الدينية. غير أن شهرة ابن الفرضي إنّما هي في تآليفه التاريخية عرفنا منها: تاريخ العلماء والرُواة للعلم في الأندلس- تاريخ شعراء الأندلس- المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال.

٣-مختارات من آثاره

- رَوَى ابنُ خِلّكانٍ لأبي الوليدِ بنِ الفرضي هذه المُناجاةَ (وفيات ١: ٤٧٩):

أسيرُ الخَطايا عندَ بابِكَ واقفُ ... على وَجَلٍ ممّا بهِ أنتَ عارِفُ؛
يَخافُ ذُنوباً لم يَغِبْ عنك غَيْبُها ... ويرجوكَ فيها، فهو راجٍ وخائف.
ومَنْ ذا الذي يَرْجو سِواكَ ويَتّقي؟ ... وما لَكَ في فَصْلِ القَضاء مُخالف.
فيا سَيِّدي، لا تُخزِني في صَحيفتي، ... إذا نُشِرَتْ- يومَ الحساب- الصَحائف!
وكُنْ مُؤْنسي في ظُلْمةِ القَبْرِ عِنْدما ... يَصُدُّ ذَوُو القُربى ويَجْفو المُؤالف.
لَئِنْ ضاق عنّي عَفْوُكَ الواسعُ الذي ... أُرَجّي لإسرافي فإنّي لَتالِف!

- لمّا رَحَل ابن الفرضي عن الأندلس (٣٨٢ هـ) قال:

وما لي حياةٌ بَعْدَكم أسْتَلِذُّها؛ ... ولَوْ كان هذا لم أكن بعدَها حُرّا.
مَضَتْ لي شُهورٌ، مُنْذُ غِبْتُمْ، ثلاثةٌ؛ ... وما خِلْتُني أبْقى- إذا غِبْتُمُ- شهرا.

سأسْتَعْتِبُ الدهرَ المُفَرِّقَ بَيْنَنا. وهلْ نافعي إنْ صِرْتُ أستعتبُ الدهرا؟
أُعَلِّلُ نفسي بالمُنى في لِقائِكُمْ؛ وأسْتَسْهِلُ البَرّ الّذي جُبْتُ والبحرا.
ويُؤنِسُني طَيُّ المَراحلِ بعدَكم: أروحُ على أرضٍ وأغدو على أُخرى.

- وقال في مقدّمة كتابه «تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس»:

هذا كتابٌ جمعناه في فُقهاءِ الأندلُس وعلمائِهم ورُواتِهم وأهلِ العِناية منهم مُلَخَّصاً على حروفِ المُعْجَمِ قَصَدْنا فيه قَصْدَ الاختصارِ- إذ كانتْ نيّتُنا قديماً أن نُؤلّفَ في ذلك كتاباً مُوعِباً على المُدن يشتمل على الأخبار والحكايات، ثمّ عاقَتْ عوائقُ عن بلوغ المُرادِ فيه- فجمعنا هذا الكتابَ مُختصراً.

وغَرَضُنا فيه ذكرُ أسماءِ الرجالِ وكُناهم وأنسابِهم ومَنْ كان يَغْلِبُ عليه حِفظُ الرأي منهم، وَمَنْ كان الحديث والرِوايةُ أملكَ به وأغلبَ عليه، ومَنْ كانت له إلى المَشْرقِ رِحلةٌ، وعمّن رَوى ومَنْ أجلُّ مَنْ لَقِيَ، ومَنْ بَلَغَ منهم مبلغَ الأخذِ عنه ومن كان يُشاوَرُ في الأحكام ويُستفتى، ومَنْ وَلِيَ منهم خُطّةَ القضاء؛ ومِنَ المَوْلِدِ والوَفاةِ ما أمْكَنني على حَسْبِ ما قَيّدتُه.....

٤-تاريخ علماء الأندلس (كوديرا)، مدريد ١٨٩٢ م= تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، (عني بنشره وصحّحه ووقف على طبعه السيّد عزّت العطّارالحسيني)،القاهرة ١٣٧٣ هـ=١٩٥٤م.

★ جذوة المقتبس ٢٣٧- ٢٣٩ (الدار المصرية) ٢٥٤- ٢٥٦ (رقم ٥٣٧)؛ بغية الملتمس ٣٢١- ٣٢٣ (رقم ٨٨٨)؛ المغرب ١: ١٠٣- ١٠٤؛ مطمح الأنفس ٥٧- ٥٨؛ الذخيرة ١: ٦١٤- ٦١٦؛ الصلة ١: ٢٤٦- ٢٥٠؛ وفيات الأعيان ٣: ١٠٥- ١٠٦؛ شذرات الذهب ٣: ١٦٨؛ نفح الطيب ٢: ١٢٩- ١٣٠؛ بروكلمن ١: ٤١٢، الملحق ١: ٥٧٨- ٥٧٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٥ (١٢١).

يوسف بن هرون الرماديّ

١- هو أبو عُمَرَ يوسفُ بنُ هرونَ الكِنْديُّ، وُلِدَ في قُرطبةَ، سَنَةَ ٣١٤ هـ (٩٢٦ م). وقد عُرِفَ بلَقَبِ الرَماديّ في مقابل «أبو جنيس» من الإسبانية الدارجة: cenisa (الرماد)؛ ويبدو أنّه لا صلة للقبه هذا ببلدة الرمادة في المغرب.

أخذَ الرماديُّ الأدبَ عن أبي بكرٍ يحيى بن هُذيل الكفيف (ت ٣٨٦ هـ) أحدِ علماءِ الأدبِ في الأندلس، ثمّ عُنِيَ بالفلسفة القديمة.

ولمّا دخل أبو عليٍّ القالي إلى الأندلس (٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م) مدحه الرماديُّ بقصيدةٍ بارعةٍ، برُغم صِغرِ سِنّهِ يومذاك.

وتكسّب الرماديُّ بالشِعر، وكان شاعرَ الحَكَمِ المُسْتَنْصِرِ (٣٥٠- ٣٦٦ هـ)، فَعَلَتْ منزلتُه. وكذلك قصد بشعرِه عَبدَ الرحمن بنَ محمّدٍ التُجيبيّ في سَرَقُسْطَةَ وفرحون بنَ عبدِ الله في شَنترينِ الغَرْبِ. غير أن أكثرَ اتّصاله كان بالحاجبِ المنصورِ بن أبي عامرٍ (٣٦٦ - ٣٩٢هـ) ولكن لمّا وقعتِ المنافسةُ بينَ الحاجبِ المنصورِ والوزير جعفرِ آبنِ عثمانِ المُصْحَفي وَقفَ الرماديُّ في جانبِ المُصْحفي. فلمّا تغلّب المنصورُ على المصحفي أمرَ بسَجنِ الرماديّ (٣٦٨ هـ=٩٧٨ م) ثمّ عفا عنه (٣٧٦ هـ).

وكانت وفاةُ الرماديّ في ١٢ من ذي الحِجّة ٤٠٣ (٢٤/ ٦/ ١٠١٣ م).

٢- يوسفُ بنُ هرونَ الرماديُّ شاعرٌ وُجدانيّ مُكْثِرٌ مشهورٌ عند الخاصّة والعامة لأنّه كان بارعاً في عدد من فنونِ الشعر التي تنفُقُ عند الفريقين. وفي شعرِه شيءٌ من الطَبْع وشيء من التَصْنيع والتكلُّفِ، وكان مُغْرَماً باستخراجِ الصور الشِعرية المستغرَبَةِ والمعاني المبتكرة؛ ومَعَ ذلك فقد كان سريعَ القولِ. وفنونُ الرماديّ المدحُ والهجاء والوصف والغَزَلانِ والمُجونُ والخمر. وهو يجري في الخمر على أثرِ أبي نُواسٍ. ولعلّ تطلُّبَه للصُوَرِ الشِعرية والمعاني المبتكرة هو الذي دعا أهلَ الأندلس إلى أن يُسمّوه «متنبّي الغربِ» (لقباً أُطلِق أيضاً على آبن هاني وابنِ درّاجٍ القَسْطلّي).

وللرمادي كتاب الطيرِ ألّفه في السجن.

٣- مختارات من شعره

- يبدأ ابن دِحْية (ت ٦٣٣ هـ) كتابَ «المُطرب من أشعار أهل المغرب» بالرماديّ ويقول: «أنشدَ مُقَدَّمُ شعراءِ الأندلسِ أبو عُمَرَ يوسفُ بنُ هارونَ الرماديُّ لنفسهِ:

وليلــــةٍ راقَبْـــتُ فيهـا الهوى ... عــلى رقيـبٍ غـيرِ وَسْنـانِ[1]،
والراحُ لا تَنْزِلُ عن راحـــتي، ... وقتــاً، وعن راحــةِ نُدْمـاني[*]
وربَّ يومٍ قَيْظُـــه مُنْضِـــجٌ ... كأنّــــــه أحْشاءُ ظَمْـــآن،
أبْرَزَ، في خَدّيْـــهِ، لِي رَشْحُـــه ... طَـلاًّ عــلى وَرْدٍ وسَوْسان[2].
فُتِّحَـــتِ الجَنّـــة من جَيْبِـــه ... فَبِــــتّ في دَعْوة رِضْوان[3]؛
مُروءةٌ في الحُـبّ تَنْهَـى بـأنْ ... نُجاهِرَ اللهَ بعِصْيــــــــان!

- وقال في النسيب والخمر:

بَـدْرٌ بـدا يَحْمِلُ شَمْساً بَـدَتْ، ... وحَدُّها في الحُسْنِ من حَـدّهِ[4]:
تَغْرُبُ في فيـــهِ، ولكنّهـــا ... من بعـدِ ذا تطلُـعُ في خَـدّه!

- وقال في معذّبه (محبوبه الذي يعذّبه) يحاولُ أن يختار له محلاًّ يحفظه من كلّ سوء:

في أيِّ جارحةٍ، أَصونُ مُعَذِّبي، ... سَلِمَتْ من التعذيب والتنكيل[5]؟
إن قُلتُ في بَصَري فثَمَّ مَدامعي؛ ... أَو قلت في كَبِدي فثَمَّ غَليلي[6].
لكِنْ جَعَلتُ لـه المسامعَ موضعاً ... وحجبتُها عن عَذْلِ كُلِّ عَذول.

- لمّا دَخَلَ أبو عليٍّ القالي إلى الأندلس (٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م). مَدَحَهُ الرماديُّ بقصيدةٍ بارعةٍ، وكانَ الرماديُّ لا يزالُ حَدَثاً. قال:

---

(١) الوسنان: الذي يغالبه النعاس.
(*) الندمان (بالفتح: النديم الواحد: الذي يشارك في شرب الخمر). الندمان (بالضمّ: جمع نديم).
(٢) رشحه: عرقه. السوسن: (الورد) الأبيض. الطلّ: الندى. - لمّا علا العرق وجنتيه تداخل عليها عرقه الأبيض ولونها الأحمر.
(٣) الجيب: مدخل العنق في الثوب. رضوان: خازن الجنّة. - بتّ في دعوة رضوان (منعّماً مع حبيبي) من غير معصية (راجع البيت التالي).
(٤) بدر (كناية على الساقي الجميل) يحمل شمساً (كأساً من الخمر). حدّها من حدّه (صفاتها جيلة كصفاته).
(٥) الجارحة: العضو في الجسم (اليد، العين الخ).
(٦) الغليل: الحرّ (من الحبّ أو الحزن).

مَنْ حــاكِمٌ بَيْـني وبـين عَـذولي؟ الشَجْوُ شَجْوي والعَويل عويلي[1].

وبعدَ شيءٍ من الغزَلِ والنسيبِ قال الرماديّ يوازِنُ بين الغَرْبِ (الأندلس) بعدَ وصولِ أبي عليٍّ القالي إليه والشرق بعدَ أن غادرَهُ القالي (ويشبّه القالي بالروض):

رَوْضٌ تَعاهَـدَه السَحـاب كأنّــه مُتَعاهَـدٌ من عَهْـدِ إسماعيـلِ[2].
قِسْهُ إلى الأعرابِ تَعْلَمْ أنّـــــه أولى من الأعراب بالتفضيـل[3]:
حــازَتْ قبائِلُهم لُغـاتٍ فُرِّقَـتْ فيهم؛ وحـازَ لُغاتِ كلِّ قَبيل[4].
فالشرقُ خـــالٍ بعـــدَه، فكأنّما نَزَلَ الخَرابُ برَبْعــــهِ المأهول.
وكأنّــه شَمْسٌ بَــدَتْ في غَرْبِنــا وتَغَيَّبَـــــتُ عن شرقِهِمْ بأُفول[5].

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٣٤٦- ٣٤٩ (الدار المصرية) ٣٦٩- ٣٧٣ (رقم ٨٧٨)؛ بغية الملتمس ٤٧٨- ٤٨١ (رقم ١٤٥١)؛ المغرب ١: ٣٩٢- ٣٩٤؛ المطرب ٣- ٤؛ وفيات الأعيان ٧: ٢٢٥- ٢٢٩؛ معجم الأدباء ٢٠: ٦٢- ٦٤؛ مطمح الأنفس ٦٩- ٧٤؛ شذرات الذهب ٣: ١٧٠- ١٧٢؛ نفح الطيب ٣: ٧١- ٧٢، ٧٥، ٣٦٤- ٣٦٥؛ ٤: ٣٥- ٤٠، ٧٤؛ بروكلمن ١: ٣١٨- ٣١٩، الملحق ١: ٤٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٣: ١١١٣- ١١١٤؛ نيكل ٥٨- ٦٠، مختارات نيكل ٤١- ٤٣؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٣٦ (٨: ٢٥٥).

عبد الكريم النَّهْشليّ

١- هو أبو محمّدٍ عبدُ الكريم بنُ إبراهيمَ النهشليُّ، وُلِدَ في المَسيلة (المحمّدية) من بلادِ الزاب (في القطر الجزائري) ونشأ فيها.

---

(١) العذول: الذي يلوم المحبّ على شدّة حبّه للمحبوب. الشجو: الحزن. العويل: البكاء بصوت مرتفع.

(٢) تعاهده السحاب (استمرّ هطول المطر عليه). اسماعيل: أبو العرب. من عهد اسماعيل (منذ زمن بعيد جدًّا) كان هذا الممدوح يعرف اللغة العربية منذ عهد اسماعيل (هو عربي أصيل ونسبه قديم في العروبة). والممدوح (القالي) اسمه اسماعيل أيضاً.

(٣) الأعراب (البدو الذين ينطقون باللغة العربية الفصحى سليقة وسليمة صحيحة).

(٤) كلّ قبيلة (بدوية) تتقن لغة واحدة (لغتها). أمّا الممدوح (القالي) فإنّه يتقن لغات جميع القبائل.

(٥) الأفول: غياب الشمس وراء الأفق (في المساء).

في سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦- ٩٥٧ م) انتقل عبد الكريم النهشلي إلى القيروانِ، في أيامِ المعزّ لدينِ الله الفاطميّ (٣٤١- ٣٦٥ هـ)، ولَقِيَ فيها الشاعرَ ابنَ هاني والشاعر عليَّ بنَ الأياديّ وغيرَهما.

ويبدو أنّ عبدَ الكريم النهشليَّ دخل في خِدْمَةِ بني زِيري الصِّنْهاجيِّين، مُنذُ أوائل عَهْدِهم بخَلْع دعوةِ الفاطميّين واستبدادِهم بالحُكْمِ في المَغْرب، فكانَ كاتباً لهم في ديوانِ الرسائل ثمّ نالَ عندهم حَظوةً وصَحِبَهم في حُروبهم في المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وكان يُنادمهم أيْضاً. وقد صَحِبَ منهم المنصورَ بنَ بُلُقّينَ (٣٧٣- ٣٨٦ هـ) وابنَه باديسَ (٣٨٦- ٤٠٦ هـ).

وكانتْ وفاةُ عبدِ الكريم النهشليّ في المَهْدية في الأغلب، سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٣- ١٠١٤ م).

٢- كان عبدُ الكريم النهشليُّ عالماً في اللغة عارفاً بأيّام العرب وأشعارِهم، كاتباً مُترسِّلاً وأديباً ناقداً قديراً وشاعراً مُحسناً، قيل يُجيدُ القصائدَ الطِوالَ ولا يكادُ يصنَعُ مقطوعاً. ولكن لعلّه لم يُجاوِزْ في شِعرِه نظمَ خمسِ قِطَعٍ (العمدة ١: ١٦٣). وهو يذهب في شعرِه مذهبَ التَرْوِيَةِ (التفكير) ولا يرتجلُ أو يَبْتَدِهُ. وشعرُه الرثاء والوصف والخمر، ولم يقلْ في الهجاء ٱقْتداء بأُستاذه عليٍّ بن الأيادي.

وله كتابُ «المُمتع» في علم الشعر وعمله وفي النقد على نَمَط كتاب الشِعر لِقُدامةَ ٱبنِ جعفرٍ وكتاب الصِناعتينِ لأبي هلالٍ العسكريِّ. وعلى كتاب «الممتع» اعتمد ابنُ رَشيقٍ القيروانيُّ (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه «العُمدة في صِناعة الشعر ونقده»: في الموضوعاتِ وأسماء الأبواب، كما نَقَلَ منه فصولاً كاملة. ويبدو أنّه كان لعبد الكريم النهشليّ كتبٌ أخرى أيضاً لم تَصِلْ إلينا أسماؤها.

ويبدو أنّ قيمةَ كتابِ «المُمْتعِ» إنّما هي في الجمع والتنظيم أكثرَ منها في الابتكار. قَسَمَ الشعرَ أربعةَ أقسامٍ: مديحاً وهجواً وحِكمة ولَهْواً (غزلاً وخمراً). ثمّ عاد فَقَسَمَه من وجهٍ آخر فقال: من الشعر ما هو خيرٌ كُلُّه (الزهدُ والوعظ والمثَل) ثمّ

ما هو ظَرْفٌ كلّه (النعوت والتشبيه وما يُفتَنُّ فيه من المعاني والآداب) ثمّ ما هو شرّ كلّه (الهجاء) ثمّ شعر التكسّب (مخاطبةُ كلِّ إنسان من حيثُ هو والإتيان إليه من حيث فَهْمُهُ).

وعبد الكريم النهشلي يفضّلُ المعنى على اللفظ ثمّ هو يؤكّدُ أثرَ البيئة وأثرَ الزمنِ في مرتبة الشعر (يَحْسُنُ في بِيئةٍ أو في زمنٍ ما لا يحسُنُ في بيئةٍ أخرى أو في زمن آخرَ).

٣-مختارات من آثاره

- قال عبد الكريم النهشليّ في الشكوى:

أواجِـدةٌ وَجْـدي حَمامَـةُ أيْكَـةٍ تَميـلُ بها مَيْلَ النَزيفِ غُصونُها[١]؟
نشاوى ومـا مالـتْ بخَمْرٍ رِقابُها، بواكٍ ومـا فاضتْ بدَمْع عُيونُها[٢].
أفيقي، حَمامـاتِ اللِّوَى، إنّ عندَنا لشَجْواكِ أمثـالاً يعودُ حَنينُها[٣].
وكـلُّ غريبِ الدارِ يدعو هُمومَه غَرائبَ محسوداً عليه شُجونُها[٤]!

- وقال عبد الكريم النهشلي (العمدة ١ : ١٠٧):

الكلامُ الجَزْلُ أغنى عنِ المعاني اللطيفة مِنَ المعاني اللطيفةِ عنِ الكلام الجَزْل. قالَ بعضُ الحُذّاق: المَعنى مِثالٌ واللفظ حَذْوٌ. والحَذْوُ يَتْبَعُ المِثال ويتَغَيّرُ بتغيُّرِه ويثبُتُ بثباتِه.

- في اختلاف الشعر بحسب الأمكنة والأزمنة (من كتاب «المُمْتِع»):

قد تختلفُ المَقاماتُ والأزمنةُ والبلاد فيحسُنُ في وقتٍ ما لا يحسنُ في آخَرَ،

---

(١) الوجد: شدّة الحبّ أو الحزن: الأيكة (مكان فيه شجر ملتفّ كثيف). النزيف: (هنا) السكران. الغصون تتمايل بهذه الحمامة بشدّة كما يتمايل السكران الشديد السكر في مشيه.

(٢) نشاوى جمع نشوى (سكرى، سكرانة). بواك جمع باكية.

(٣) اللوى: التلّة المستديرة من الرمل (ويكون عند سفحها ماء وشجر ؟) . الشجوى ليست في القاموس. والشاعر يقصد الشجو (الحزن). يعود (يرجع مرّة بعد مرّة) حنينها (صوتها الدالّ على حزنها).

(٤) كلّ غريب (عن داره وبلاده) يعتقد أن همومه غريبة (أعظم من هموم كلّ شخص آخر) مع أن أشخاصاً آخرين يحسدونه على تلك الهموم اليسيرة القليلة التافهة.

ويُستحسنُ عندَ أهلِ بلدٍ ما لا يُستحسنُ عندَ أهلِ غيرِه. ونَجدُ الشعراءَ الحُذّاقَ تُقابلُ كلَّ زمانٍ بما اسْتُجِيدَ فيه وكَثُرَ استعمالُه عندَ أهلِه بعدُ، وإلاّ تَخْرُجُ (اقرأ: خرجتْ) عن حُسنِ الاستواءِ وحدِّ الاعتدال وجَوْدةِ الصَنْعة. وربّما اسْتُعْمِلَتْ في بلدٍ ألفاظٌ لا تُستعملُ كثيراً في غيرِه، كاستعمالِ أهلِ البصرةِ بعضَ كلامِ أهلِ فارسَ في أشعارِهم ونوادرِ حكاياتِهم.

والذي أختارُه أنا التجريدُ والتحسينُ الذي يختارُه علماءُ الناسِ بالشِعر، ويبقى غابرُه على الدهرِ ويبعُدُ عن الوَحْشِيّ المُسْتَكْرَهِ ويرتفعُ عن المُوَلَّدِ المُنْتَحَل[١] ويتضمّنُ المَثَلَ السائرَ والتشبيهَ المُصيب والاستعارةَ الحَسَنة.....

الشعرُ أصنافٌ: فشعرٌ هو خيرٌ كلُّه، وذلك ما كان من بابِ الزُهد والمواعظِ الحَسَنة والمَثَل العائدِ على من تَمثَّل به بالخيرِ وما أشبَهَ ذلك؛ وشعرٌ هو ظَرْفٌ كلُّه، وذلك القولُ في الأوصافِ والنُعوتِ والتشبيه وما يُفْتَنُّ[٢] به من المعاني والآداب؛ وشعرٌ هو شرٌّ كلُّه، وذلك الهجاءُ وما تَسرّع به الشاعرُ إلى أعراضِ الناسِ؛ وشعرٌ يُكْتَسَبُ به، وذلك أن يَحْمِلَ (الشاعرُ) إلى كلِّ سوقٍ ما ينفُقُ فيها ويُخاطِبَ كلَّ إنسانٍ من حيثُ هو ويأتيَ إليه من جِهةِ فَهْمِه.....

٤- * * العمدة لابن رشيق (في أماكن كثيرة مختلفة)؛ تاريخ النقد الأدبي عند العرب لاحسان عبّاس ٤٤٠- ٤٤٤؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١١- ١١٤؛ مجلة الفكر (تونس) تموّز (جويليه) ١٩٥٩ م، ص ٥-٨.

عبد العزيز الخشني القيرواني

١- عبدُ العزيزِ بنُ أبي سهلٍ الخُشَنِيُّ الضريرُ القَيْروانيُّ النَحْويُّ المعروفُ بابنِ البقّال الضريرِ من أهلِ القيروانِ تَصَدَّرَ فيها لتعليمِ اللغة والنحو والأدب والشعر. وكان باديسُ بنُ المنصورِ بنِ بُلُكّينَ (٣٨٦- ٤٠٦ هـ) يحترمُه ويُكْرِمه جدًّا. وقد تُوُفِّيَ

(١) المولّد المنتحل (هنا): الكلام المأخوذ من لهجات غريبة ثمّ لم يجر آخذه في صوغه على مقاييس العرب.
(٢) افتنّ الرجل في القول: أتى بأفانين (بأنواع) منه مختلفة (وفاتنة: جيلة).

في السنةِ التي تُوُفِّي فيها باديس، سَنَة ٤٠٦ هـ (١٠١٥- ١٠١٦ م)، وقد أسنَّ جدًّا.

٢- كان عبدُ العزيز الخشنيُّ القيروانيُّ طَيِّبَ النفسِ كثيرَ الحياء عالماً في اللغة والنحو والأدب، وكان شاعراً مطبوعاً سَهْلَ الكلامِ لطيفَ التركيب قريبَ مآخِذِ المعاني. وفنونه الوصفُ والعِتاب والغَزَلُ والنسيبُ والحِكْمة.

٣- مختارات من شعره

- قال عبدُ العزيزِ الخُشنيُّ في العِتاب:

ولستُ كَمَنْ يَجْزي على الهَجْر مِثْلَهُ، ولكنّني أزدادُ وصلاً على هَجْري.
وما ضَرّني إتلافُ عُمْرِيَ كلّهِ إذا نِلْتُ يوماً من لقائِكَ في عُمْري!

- أراد عبدُ اللهِ بنُ محمّدٍ الكاتبُ جَرَّ عبدِ العزيزِ الخُشنيِّ إلى دَعْوَى (إلى شهادةٍ في دَعْوَى يُجانبُ فيها العدلَ) فقال عبدُ العزيزِ يخاطبه:

لكم عليَّ وفاءٌ ما حَيِيتُ؛ ولا أعْدو رِضاكم ولا أُرضي بهِ أحَدا.
لا تسألونيَ عن ديني فأُسْخِطَكُمْ؛ لا بِعْت دِيني بدُنْياكم إذَنْ أبَدا!

- وقال في العِتاب والنسيب:

يا غُصُناً غَضّاً من الآسِ ودُرّةً وَهْيَ من الناسِ،
صَوّرك اللهُ على صورةٍ كانتْ بها أسْبابُ وَسْواسي.
ترديدُ ذِكْري لك في خاطري أكثرُ من ترديدِ أنفاسي.
نَسِيتَ وُدّي وتناسَيْتَني، وليسَ قلبي لك بالناسي.
وليسَ لي مِنْكَ سوى حَسرةٍ تَجُول بينَ الشّوْق واليَاس.

٤- **انباه الرواة ٢: ١٧٨- ١٨٠؛ نكت الهميان ١٩٤- ١٩٥؛ بغية الوعاة ٣٠٨.

سليمان المستعين

١- هو أبو أيوبَ سُليمانُ بنُ الحَكَمِ بنِ سليمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ، وُلِدَ سَنَةَ ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م). ولمّا بَلَغَ سليمانُ أَشُدَّه كانتِ الأندلسُ قد تقَسّمتْ بالفِتنة بينَ العربِ

والبربرِ خاصّةً. وكان البربرُ أنفُسُهُمْ على جانبَيِ الفِتنةِ مَعَ المُتنازعين. فلمّا قُتِلَ مُحَمَّدٌ المَهْدِيُّ بنُ هِشامٍ بنِ عبدِ الجبّارِ بنِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ، في سادس شوالٍ من سَنَةِ ٣٩٩ (١/ ٦/ ١٠٠٩ م) بايَعَ البربرُ سليمانَ بالخِلافةِ فتلقّب « المُسْتَعينَ »، ولكنّه لم يَسْتَطِعْ دُخولَ قُرْطُبَةَ إلاّ في ربيعٍ الأوّلِ (وقيل في ربيعٍ الثاني) من سَنَةِ ٤٠٠ (نحو تشرين الثاني- نوفمبر ١٠٠٩ م).

ثمّ إنّ سُليمانَ خَرَجَ بجموعِ أتباعهِ من البربرِ يجولُ في أقطارِ الأندلس للقضاء على خُصومه، فكان البربرُ الذين مَعَه يَخْرِبون ويقتُلون ويُدَمِّرون. وفي شوّالٍ من سَنَةِ ٤٠٣ (ربيعِ ١٠١٣ م) دخَلَ قرطبةَ ثانيةً فاتّخذ لقَباً ثانياً هو « الظافرُ بحول الله ».

وكان مَعَ المُستعين رجلٌ من نسلِ الأدارسة يُقالُ له عَلِيُّ بنُ حمّودٍ فولاّه المُستعينُ على سَبْتَةَ وطنجةَ في العُدوةِ الإفريقية (المغرب). ولكنّ عليَّ بنَ حمّودٍ كان يطمَحُ إلى ما فوق الوِلاية فثارَ على المُستعينِ ثمّ سارَ إلى الأندلس ودَخَلَ قُرطبةَ وقتل سُليمانَ لِثماني لَيالٍ (أو تسعٍ) بَقِينَ من المُحرَّم من سَنَةِ ٤٠٧ (١٧ أو ١٨/ ٦/ ١٠١٦ م).

٢- كانَ سُليمانُ المُستعينُ أديباً فصيحاً وشاعراً مُكثِراً له رسائلُ وقصائدُ في فنونٍ كثيرة.

٣- مختارات من شعره

- قال سليمانُ المستعينُ في الفَخْر:

عَجَباً! يَهابُ اللَّيْثُ حَدَّ سِناني، وأهابُ لحظَ فواترِ الأجفانِ(١).
وأُقارِعُ الأهوالَ لا مُتَهَيِّباً منها سوى الإعراضِ والهِجْرانِ(٢).
وتَملَّكَتْ نفسي ثَلاثٌ كالدُّمى زُهْرُ الوجوهِ نواعِمُ الأبدانِ(٣).

(١) السنان: حديدة جارحة في رأس الرمح. فواتر الأجفان(ناعسات العيون: من صفات الجمال) كناية عن النساء الجميلات.
(٢) أنا أكافح جميع أهوال الحياة، ولكن أضعف (أعجز- بكسر الجيم) إذا أعرضت عنّي (هجرتني) النساء الجميلات.
(٣) ثلاث (ثلاث نساء). الدمية: الصورة الجميلة. أزهر: أبيض.

ككواكـــبِ الظَّلْماءِ لُحْنَ لِناظِرٍ   من فوقِ أغصانٍ على كُثْبانِ[1].
هذي الهِلالُ ، وتلكَ بِنتُ المُشتري   حُسْناً ، وهذي أُخْتُ غُصْنِ البانِ[2].
حاكَمتُ فِيهنَّ السُلُوَّ إلى الصِبا   فقضى بسُلْطانٍ على سُلْطانِ[3].
فأَبَحْنَ مِنْ قلبي الحِمى وثَنَيْنَني   في عِزِّ مُلْكي كالأسيرِ العاني[4].
لا تَعْذِلوا مَلِكاً تَذَلَّلَ لِلهَوى؛   ذُلُّ الهوى عِزٌّ ومُلْكٌ ثانِ.
مــا ضَرَّ أنّي عبدُهُنّ صَبابَــةً   وبنو الزمانِ وهُنّ من عِبْداني!
إنْ لم أُطِعْ فيهنّ سُلطانَ الهوى   كَلَفاً بِهِنّ فلستُ من مَرْوانِ[5]

٤ - ★ ★ جذوة المقتبس ١٩- ٢١ (الدار المصرية) ١٩-٢٢؛ بغية الملتمس ٢١-٢٢؛ المعجب ٤٢- ٤٥؛ الحلّة السيراء ٢ : ٥- ١٢؛ البيان المغرب ٣ : ٩١ وما بعد إلى ١٢٠؛ فوات الوفيات ١ : ٢٢٣- ٢٢٤؛ الذخيرة ١ : ٣٥- ٤٨ الخ؛ نفح الطيب ١ : ٤٢٨- ٤٣١؛ الأعلام للزركلي ٣ : ١٨٤- ١٨٥ (١٢٣).

أبو الحسن الكاتبُ المغربيّ

١ - هُوَ أبو الحسنِ (أو الحسين) محمّدُ بنُ إسماعيلَ بنِ اسحاقَ، وُلِدَ في القَيْروانِ سَنَةَ ٣٣٤ هـ (٩٤٥- ٩٤٦ م) في بَيْتِ رِئاسةٍ وكِتابةٍ ووَجاهةٍ وشِعرٍ. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٤٠٨ هـ (١٠١٧- ١٠١٨ م).

---

(١) لحن (لجماعة الإناث الغائبات من «لاح » ظهر ، بدا). الغصن كناية عن القوام المشوق. الكثيب: الجانب المستدير من الرمل (كناية عن أوسط الجسم)- القمر (أو الكوكب) الأبيض المشرق فوق الغصن (القامة المشوقة) فوق الكثيب (وسط الجسم الممتلىء) من أوصاف المرأة الجميلة.

(٢) المشتري: كوكب يدور حول الشمس. غصن البان: غصن مستقيم تشبّه به القامة المشوقة الجميلة.

(٣) السلوّ: النسيان. الصبا : الشباب. بسلطان: بقوّة (بقوّة الشباب). على سلطان: ملك (خليفة).- جعلت الصبا حكمًا أستشيره في نسيانهن أو الاستمرار في حبّهن، فحكم الصبا عليّ (وأنا سلطان، ملك، خليفة) بأن أستمر في حبّهن.

(٤) أباح الشيء: مكّن منه جميع الناس. الحمى: ما تجب حمايته من مسكن أو شرف الخ. ثناه: ردّه. العاني: الذليل (وتستعمل عادة للأسير).- هؤلاء النسوة الثلاث استولين على قلبي (إرادتي) وجعلنني (وأنا ملك في أوج القوّة) أسيراً ذليلاً لهنّ.

(٥) كلفا بهنّ: محبًّا لهنّ شديد التعلّق بهنّ. لست من مروان: لست من بني مروان... (!).

٢- كان أبو الحسنِ الكاتبُ المغربيُّ حَسَنَ الشعرِ في الوصفِ والمَدْح والغَزَل مَعَ التصنيع أحياناً.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الحسن الكاتبُ المغربيُّ يَصِفَ المَوْجَ:

انْظُرْ إلى البحرِ وأمواجِـهِ ... فَقَـدْ علاهـا زَبَـدٌ مُتَّسِقْ؛
تخالُهـا العـينُ إذا أقبلـتْ ... خَيْـلاً بَدَتْ في حَلْبَةٍ تَسْتَبِقْ،
حُمْراً ودُهْماً؛ فـإذا مـا دَنَـتْ ... من شاطىءِ البحرِ عَلاها بَلَقْ[1].

- وقال يَمْدَحُ محمّدَ بنَ أبي العَرَبِ (ت ٣٩٦ هـ). وكان ابنُ أبي العربِ والياً على إفريقِيَةَ (تونس) مُنْذُ سَنَةِ (٣٨٢ هـ):

سأشكُرُ نُعماكَ التي انْبَسَطَتْ بِها ... يَدي ولِساني فهْو بالمَجْدِ يَنْطِقُ؛
وأُثْني لِما أَوْلَيْتَني مِنْ صَنيعةٍ ... ومن مِنّةٍ تغدو عليّ وتَطْرُقُ[2].
وكلُّ امرىءٍ يرجو نَداكَ مُوَفَّقٌ، ... وكلّ امرىءٍ يُثْني عليك مُصَدَّقُ.

- وقال في الغزل:

أَبَرْقٌ سَرى أمْ وَجْهُ ليلى تَبَلّجا ... فَشَقَّ بأيدي النُورِ أقمِصَةَ الدُجا[3]؟
لَئِنْ بَيَّنَتْ بالبَيْنِ وَجْداً لقلبِهِ ... أثار جَوًى هِجْرانُها مُتأجِّجا،[4]
فما صَدَّعَتْ إلاّ حَشاً مُتَصَدِّعاً ... ولا هَيَّجَتْ إلاّ فُؤاداً مُهَيَّجا.
تُريكَ الشَقيقَ الغَضَّ منها مَحاجِراً ... مُكَحَّلَةً منها، وخَدّاً مُضَرَّجا[5].

---

(١) الأدهم: الأسود. البلق: البياض (إذا ركضت الخيل تراكم على جسمها عرق أبيض). واذا اقتربت الأمواج العالية من الشاطىء بدت بيضاء (لاختلاط مائها بالهواء).
(٢) تطرق: تطلع عليّ، تأتيني.
(٣) تبلّج الصبح: أضاء.
(٤) البين: الفراق، البعاد. الوجد: شدّة الحبّ. الجوى: ألم الحبّ.
(٥) عيناها تشبهان شقائق النعمان (من حيث السعة لا من حيث اللون). ولكنّها مكحّلتان بسواد (يشبه البقع السوداء الموجودة على بتلات الشقائق الحمراء). مضرّج: أحمر (من التلطّخ بالدم).

وتحسَبُ نَوْرَ الأُقْحُوانِ إذا بـدا — وكفُّ الحيا يَجْلوه- ثَغراً مُفَلَّجا[1].
كـأنّ دنانـيراً بـهِ ودَراهِماً — نُثِرْنَ عليها مُفْرَداً ومُزَوّجا.

٤- ★ ★ الأنموذج (السنوسي) ١١٧- ١٢١؛ الوافي بالوفيات، ٢: ٢١٤- ٢١٦.

مريم الشلبية

١- هي الحاجّةُ مريمُ بنتُ أبي يعقوبَ الفصولي[2] أصلُها من شِلْبَ، ولكنّها سكنتْ إشْبيلية وكانت لها في إشبيلية شهرةٌ. وقد كانتْ تُعَلِّمُ النساءَ. وأسَنّتْ مريمُ كثيراً وماتَتْ بعدَ سَنَةِ ٤٠٠ (١٠١٠ م) بأمَدٍ.

٢- كانت مريمُ الشِلبيةُ أديبةً شاعرةً جَزْلَةَ الشِعرِ مشهورة؛ وفي تراكيبها شيء من الضّعف.

٣- مختارات من شعرها

- بعث ابنُ المُهَنَّدِ[3] إلى مريم الشلبية بدنانيرَ وكتب إليها مَعَ هذه الدنانيرِ بأبياتٍ مطلَعُها: «ما لي بشكر الذي أوْلَيْتِ من قِبَلِ[٢ب]»، فكتبتْ إليه:

من ذا يُجاريكَ في قولٍ وفي عملٍ — وقد بَدَرْتَ إلى فضلٍ ولم تُسَلِ[4]؟
مـا لي بشُكرِ الذي نظّمتَ في عُنُقي — من الـلآلي ومـا أَوْلَيْتَ من قُبُلِ[5].
حَلّيْتَـني بِحُلًى أصبَحْـتُ زاهيـةً — بها على كلِّ أنثَى من حُلىً عُطُلِ[6].

---

(١) ثغر مفلّج: فم أسنانه مفترق بعضها عن بعض. تريك (هي) الشقيق (مفعول به أول) محاجر (مفعول به ثان).

(٢) في «بغية الملتمس» الفصولي (بفتح الفاء والصاد) وفي غير بضمّ الفاء وفتح الصاد.

(٣) في نفح الطيب «المهدي» (وهو في الأغلب خطأ- راجع البيت الأخير).

(٢ ب) من قبل (بكسر وفتح): طاقة، قدرة.

(٤) بدر: سبق. لم تسل: لم تسأل (بالبناء للمجهول).

(٥) من قبل (بضمّ فضم) من قبل (يبدو أنّ ابن المهنّد كان قد أحسن إليها مراراً قبل ذلك).

(٦) العطل (بضم فضمّ): العاطل (المرأة الجميلة جمالاً طبيعيًّا فتستغني عن التزيُّن بالحلى).

لِلهِ أخلاقُك الغُرُّ التي سُقِيَتْ ماءَ الفُراتِ فرَقَّتْ رِقّةَ الغزَل.
أشْبَهْتَ في الشعرِ من غارَتْ بدائِعُهُ وأنْجَدَتْ وغدَتْ من أحسنِ المَثَل[1].
من كان والدُه العَضْبَ المُهنَّدَ لم يَلِدْ من النَسْلِ غيرَ البِيض والأسَل[2]

- وقالت لمّا أسَنّتْ وبَلَغْت سَبْعاً وسبعينَ سَنَةً:

وما يُرْتَجى من بنتِ سَبعينَ حِجّةً وسبعٍ كنسجِ العَنكبوتِ المُهَلْهَلِ[3]
تَدِبُّ دبيبَ الطِفلِ تسعى إلى العصا وتمشي بها مَشْيَ الأسيرِ المُكبَّلِ[4]

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٣٨٨ (الدار المصرية) ٤١٢-٤١٣ (رقم ٩٨٦)؛ بغية الملتمس ٥٢٨- ٥٢٩ (رقم ١٥٨٤)؛ الصلة ٥٦ - ٥٧ (رقم ١٥٣٧)؛ نفح الطيب ٤: ٢٩١؛ الأعلام للزركلي ٨: ٩٩ (٧: ٢١٠).

القزّاز النحويّ القيروانيّ

١- هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ جعفرٍ التَميميُّ النحويُّ القَيْروانيّ المشهورُ بالقزّاز القَيْروانيّ[5]، وُلِدَ في القَيروانِ نحوَ سَنَةِ ٣٢١ هـ (٩٣٢ م).

رَحَلَ القزّازُ القَيْروانيّ إلى المَشْرِقِ فنَزَلَ في مِصْرَ ودخل في خدمة العزيز الفاطميّ (٣٦٥- ٣٨٦ هـ) وألّف له كتابَ «الجامع» في اللغة. وحَجّ القزّازُ القيروانيُّ ثمّ زار العِراق ولَقِيَ الحَسَنَ بنَ بِشْرٍ الآمديَّ (ت ٣٧٠ هـ) صاحبَ كتابِ «المُوازنة بين أبي تمّامٍ والبُحتري». ثمّ إنّه عادَ إلى القَيْروان وتَصدّرَ فيها للتعليم. وكانتْ وفاتُه في

(١) بدائعه: أبيات شعره البديعة. غارت: نزلت إلى الغور (بفتح الغين المعجمة: الأرض المنخفضة). أنجدت: صعدت إلى نجد (المكان المرتفع)- أشعاره اشتهرت في كلّ مكان.

(٢) العضب: السيف القاطع. المهنّد: السيف من صنع الهند. البيض: السيوف. الأسل: الرماح (يلد البيض والأسل: يلد الشجعان).

(٣) المهلهل: الرقيق (الضعيف).

(٤) المكبّل: المقيّد.

(٥) يرى المنجي الكعبي أن لقب القزّاز أضيف إلى اسم أبي عبد الله محمّد بن جعفر التميميّ، وأن هذا الرجل لا يعرف لا بالقزّاز ولا بابن القزّاز، ومع ذلك فقد ألّف المنجي الكعبي كتاباً عن هذا الرجل وسمّي الكتاب «القزّاز القيرواني» (راجع المصادر والمراجع) وراجع القزّاز القيرواني للمنجي الكعبي (ص ٨- ١٥).

القَيْروانِ سَنَةَ ٤١٢ هـ (١٠٢١- ١٠٢٢ م).

٢- القزّازُ النحويُّ القيروانيُّ شيخ القيروان في العربية، أي النحوَ (راجع نفح الطيب ٢ : ١١٠) أديبٌ مشهورٌ ناثرٌ شاعرٌ مُجيدٌ مطبوعٌ مصنوعٌ (معجم الأدباء ١٨ : ١٠٧)، وهُوَ أيضاً لغويٌّ نَحْويّ. والشعرُ الباقي لنا من القزّازِ القيروانيّ مقطّعاتٌ وُجدانيةٌ تمتازُ بالسَلاسة والسُهولة. ثمّ هو ناقدٌ أيضاً. وتصانيفُ القزّازِ القيرواني[١] كثيرةٌ: كتابُ الحروف- إعراب (القصيدة) الدُرَيْديّة وشرحها- كتاب المعترض- كتاب المفترق- ما يجوزُ للشاعر في الضرورة- الجامع في اللغة (وهو كتاب واسعٌ جدًّا في اللغة مرتّب على حروف المعجم)- المُثَلّث (المثلّث أو المثلّثات لفظة ثلاثية ساكنة الوسط يأتي أوّلُها مفتوحاً ومكسوراً ومضموماً ثمّ يختلف معنى هذه اللفظة باختلافِ حَركة أوّلها)- كتاب فيه ذكرُ شيء من الحُلَى (الصِفات الجِسمية كاللون والقدّ وصفات الأعضاء وذكر العيوب الجسمية، وربّما ذُكِرَ النَسَبُ: نحو: روميّ، إفرنجيّ، تُركيّ، بربريّ حينما تدلّ هذه الصفاتُ على خصائصَ جسديةٍ بارزة)- كتاب العَشَرات (ذكر القزّاز الألفاظ التي تبلغ معاني اللفظة الواحدة منها عَشْرةَ معانٍ مختلفة أو تزيدُ على عشرة)- كتاب المِئات (وَعَدَ القزّاز بتأليفه، ولا نعلم إذا كان قد ألّفه)- كتاب الظاء أو كتاب الضاد والظاء (الكلمات التي يستوي معناها إذا كُتبت مبدوءة بضادٍ أو بظاء!)- الكلمات المشاكلة الصور- كتاب التعريض والتصريح (مجموع حكاياتٍ فيها تعريضٌ ظاهر من الأجوبة المفحمة)- شرح رسالة البلاغة (وهو كتاب كبير)- ما أُخِذَ على المتنبيّ من اللحن والخطأ- أبياتُ معانٍ من شعر المتنبيّ- معاني الشعر- شرح رسالة الشيخ أبي جعفرٍ العَدَويّ- أدبُ السلطان والتأدّب له.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة كتاب العشرات:

.... أمّا بعدُ- جعَلَ الله الشيخَ الرئيسَ أبا عبدِ اللهِ محمّدَ بنَ أبي العَربِ الكاتبَ، أطالَ اللهُ بقاءه وأدامَ عزّه ونَعْماءه- .... فقد اتّصل بي ما ذَكَرَهُ من كتابِ **العَشَرات**

---

(١) راجع «القزّاز القيرواني للمنجي الكعبي، ص ٤٤ وما بعدها.

لأبي عمرٍ وعمرو مُحمّدِ بن عبدِ الواحدِ المعروفِ بالزاهدِ فرَغِبْتُ في ما رَغِبَ فيه، ومِلْتُ إلى النظَرِ في ما مالَ إليه رغبةً (في) أن أؤلّف كتاباً في معناه أُؤَدّي به بعضَ ما يَلْزَمُني من حَقّه راجياً أن يَقَعَ في التأليفِ بموافقته. ورأيتُ أبا عمرٍو قد أخذَ في بابٍ من العلم مُتَّسِعٍ (ثمّ هو) يَسْلُكُ طريقاً في التأليف غيرَ مُمْتَنع: يَجِدُ المؤلّفُ فيه من المِئاتِ ما وَجَدَهُ أبو عمرٍو من العَشَرات. ولستُ أقْصِدُ به وجودَ ما ذَكَرْناه من المِئاتِ في أبوابِ ما صَنَّفَه من العَشَرات، غيرَ أنّا لا نَدْري ما السببُ المانعُ من تكثيره، وما العائقُ القاصرُ عن يَسيره. فأرَدْنا أن نأتِيَ في أبوابِهِ على حدٍّ ما رَسَمَ في كتابِهِ من المِئات بأضعافِ ما جِئْنا به من العَشَرات. ثمّ عَلِمْنا مَعَ ذلك أنّا لو تَكَلّفناه وجِئْنا به على ما ذَكَرْناه لَمِا كان غريباً في التأليف ولا مُسْتَظْرَفاً من التصنيف، إذ كان الكلامُ كلُّه لا يخرُجُ عن ثلاثةِ أقسامٍ: مَعانٍ مُفْتَرِقاتٍ يُعَبَّرُ عنها بألفاظٍ مُختلفاتٍ، كقولِ أبي عمروٍ: «المَثْع مِشْيةٌ قبيحة، والمنع السرَطان، والمَتْع الطُول» وأشباه ذلك.... ومعانٍ متّفقاتٍ يُعَبَّرُ عنها بألفاظٍ مُتّفقاتٍ، وهذا الباب قليلُ التأليفِ، مِثْلُه غريبٌ؛ فألّفنا ما وَجَدْنا فيه من العَشَرات إلى ما يَزيدُ عليها وسَمّيناه منها. وخَشِينا أن يُتَوَهَّمَ علينا تَقصيرٌ في ما ضَمِنّاه من المِئاتِ في ما أتى به أبو عمرٍو من العَشَرات، فقَدّمْنا أمامَ ما قَصَدْناه باباً نَدلّ به على القُدْرة على ما ضَمِنّاه مُبَوَّباً على بابٍ من كتاب أبي عمرٍو موجودٍ لِيُعْلَمَ قَدْرُ الزِيادةِ عليه ويُوجَدَ ما ضَمِنّاهُ فيه. فمن قولِ أبي عمروٍ: «المَثْع مِشْية قبيحة، والوَدْع المقبرة، والمنع السرَطان، والسَطْع الأخذ، والكَبْع النَقْد، والقلع الكِنف، والمَتْع الطول، والسَلْع الشقّ، والقَنْع أن يطأطيء (الإنسانُ) رأسَه، والوقع الطريق في الجبل». فهذه عَشْرَةُ أبي عمرٍو.

وقُلنا موصولاً بذلك: والنَخْع قتل النفس أسَفاً، والبَدْع اختراعُ الشيء، والبطع القطع، والبكع استقبال الرجلِ (رجلاً) بما يكره، والبلع كثير الصمت، والبصع ضِيق مخرج الماء، والبضع قطع اللحم.... الخ.»

- من مقدّمة كتاب «ضرائر الشعر»:

هذا كتابٌ أذكُرُ فيه- إنْ شاء اللهُ- ما يجوزُ للشاعرِ عندَ الضَرورة مِنَ الزِيادة

والنُقصان و(من) الاتّساعِ في سائرِ المعاني من التقديمِ والتأخير والقَلْب والإبدال وما يتّصلُ بذلك من الحُجَجِ عليه وتَبينَ ما يَمُرُّ من معانيه فأرُدّه إلى أُصوله وأقيسُه على نظائِره. وهو بابٌ من العلمِ لا يَسَعُ الشاعرَ جهلُه ولا (هو) يستغني عن مَعْرفته لِيكونَ له حُجّةٌ لِمَا يَقَعُ في شِعرِه مِمّا يُضْطَرُّ إليه من آستقامة قافيةٍ أو وَزْنِ بيتٍ أو إصلاحِ إعرابٍ. وذلك أن كثيراً مِمّنْ يطلُبُ الأدبَ- وأخذَ نفسَه بدِراسةِ الكتب- إذا مرّ به بيتٌ لشاعرٍ من أهلِ عصرِه أو لطالبٍ من نُظرائه فيه تقديمٌ أو تأخير أو زِيادةٌ أو نُقصان أو تغييرُ حركةٍ عمّا حَفِظَ من الأُصول المُؤلَّفةِ له في الكتب أخَذَ في التَشْنيع عليه والطعنِ على علمه....

- قال القزّاز القيرواني في الغزل والنسيب:

إذا كان حَظّي منكَ لحظةَ ناظرٍ ... على رِقْبَةٍ لا أَسْتَديمُ لَها لَحْظا،

رَضِيتُ بها في مُدّةِ الدهر مَرّةً؛ ... وأَعْظِمْ بِها من حُسْنِ وَجْهِكَ لي حَظّا.

ولو نَظَرَ بعينِ الحقّ لَعَلِمَ أنّ ذلك لا يخرُجُ إلاّ من وجْهين: إمّا أن يكونَ ذلك جائزاً لِعِلَلٍ تَغَيّبَتْ عنه ولم يبلُغِ النهايةَ من عِلمِها، وهو كذلك؛ (ثمّ) وَهْمُه الذي لَعَلّه، إنْ نُبِّهَ عليه أو أعادَ (هو) نَظَرَهُ فيه رَجَعَ عنه إلى الصواب وتخطّاه إلى ما لا مَطْعَنَ فيه من الكلام، إذْ كان غيرَ مَعصومٍ من الخطأ ولا ممنوعٍ من الزَلَل. فليس للناظرِ في الأصول - مَعَ تأخّرِه عن الإحاطة بسائرِ الفروع - الهُجومُ على ما لَعَلّه جائزٌ عندَ المتقدّمين في العِلم (من) الناظرينَ بعينِ الحقّ......

- وله في النسيب (الوافي بالوفيات ٢: ٣٠٥؛ معجم الادباء ١٨: ١٠٨):

أحِينَ عَلِمْتَ أنّكَ نورُ عَيْني ... وأنّي لا أرى حتّى أراكا،

جَعَلْتَ مَغيبَ شَخْصِكَ عن عِياني ... يُغَيِّبُ كلَّ مخلوقٍ سِواكا.

للاطلاع على طبعات كتب «القزاز القيرواني» ومراجع ترجمته راجع ص ٣٧٤

محرز بن خلف

١ - هو مُحْرِزُ بنُ خلفِ بن رَزينِ التَميمي، يَتّصِلُ نَسَبُهُ بأبي بكرٍ الصِدّيق. كان من أهلِ إفريقية (القُطر التُونسي)، ومَوْلده فيها نحوَ سَنَةِ ٣٤٠ (١٠٣٨ - ١٠٣٩ م). ويبدو أنّه بدأ منذُ مطلَعِ حياتِه بتربية الصِبيان وتعليمهم أمورَ الدينِ ومكارمَ

الأخلاق. وقد لَقِيَهُ عبدُ الرحيمِ بنُ نصرٍ التميمي البخاري[1] وصَحِبَه. وكانتْ وفاةُ مُحْرِزِ بنِ خلفٍ سَنَةَ ٤١٣ (١٠٢٢ - ١٠٢٣ م). ومدفَنُه معروفٌ في المدرسة التي كان يُعلّم فيها في داخِل تُونسَ الحاضرةِ.

٢ - كان مُحْرِزُ بنُ خَلَفٍ رجُلاً صالحاً وواعظاً ذا تأثيرٍ وهَيْبةٍ في النفوس، كما كان وَرِعاً جليلاً وذا مَيْلٍ إلى التَصوُّف. له «حِرْزُ الأقسام» وَهِيَ قصيدةٌ صوفيّةٌ ذَكَرَ بروكلمن (الملحق ١: ٧٨٥) أنّها تُنْسَبُ إليه. أما المَقَّريُّ الجَدّ (ت ٧٥٩ هـ) فجاء في تائيته التي قال إنه تَمّمَ بها تائيّةَ ابنِ الفارضِ (نفح الطيب ٥: ٣٣٥):

وفي حِرْزِ أقسامِ المُؤدّبِ مُحْرِزٍ وحزبِ أصيـلِ الشاذليِّ وبُكرةِ...

وكذلك كان محرزُ بنُ خلفٍ أديباً ناثراً شاعراً له شعرٌ في الزَهد وفي الوصف. وشِعرهُ بارعٌ وأسلوبُه سهلٌ.

٣ - مختارات من آثاره

- قال مُحرِزُ بنُ خلفٍ يَصِفُ أطلالَ مدينة قَرْطاجَنّة (قرطاجةَ قُربَ تُونِسَ الحاضرةِ):

خَليـليَّ، مُرّا بالمدينـةِ وٱسْمعا مدينــةَ قَرْطاجَنّـةٍ ثمّ وَدِّعـا[2]
طُلولاً بها تبكي لِفُقدانِ أهلِها، كما نَدَبَ الأطلالَ كِسرى وتُبَّعا[3].
وقولا لهـا: ما بالُ رَبْعِكِ دارساً؟ ومـا بـالُ وفدٍ قد بَناكِ ووَدَّعا[4]

---

(١) هو أبو زكريّا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن اسحاق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمي البخاري حافظ للحديث ومحدّث، أصله من بخارى ونزل مدّة في مصر، جاء إلى إفريقية وصحب محرز بن خلف وجال في المغرب ودخل الأندلس. مولده سنة ٣٨٢ ووفاته سنة ٤٧٠ هـ.

(٢) اسمعا (تنبّها) إلى ما يمكن أن تحدّث به هذه المدينة عن سكّانها الذين انقرضوا.

(٣) «طلولا» منعول به من «ودّعا» في البيت السابق. كسرى (لقب ملوك الفرس) وتبّع (لقب ملوك اليمن). لا وجه لنصب «تبع» (وكسرى طبعاً) إلا إذا قلنا: «كما تندب الأطلال. (بالرفع: فاعل) كسرى وتبعا».

(٤) الربع: المكان المأهول. دارس: قد امحت معالمه. الوفد: القوم يأتون ثمّ يرجعون.

وخـلاّكِ- مِنْ بعـدِ اجتماعٍ وغِبطةٍ ومن بعدِ تَشْيِيدٍ- خَلاءً وبَلْقعا[١]؛
تُصفِّـقُ فيكَ الريحُ من كلّ جانبٍ؛ وفَرَّقَ مِنْـكَ الدهرُ مـا قد تجمّعا!

ثمّ ذكَرَ الطياطرَ (التياترو: المَسْرَحَ) الذي فيها فقال:

ومِنْ بعدِهِ الرومانُ، يا صاحِ، قد بنى طَياطِرَهـا ثم القنـاةَ فأبدعـا[٢]،
وألّـفَ من بعـدِ العريضـةِ فرضَها، وشَدّ ببعضٍ بَعْضَها فتجمّعا[٣].
تراها كَمِثْلِ العِقْدِ في الجِيدِ نُظّمـت، فلا بَعْضُها يعلوعلى البعض إصْبعا[٤].
فلمّـا انتهى بُنْيانُهم ثمّ أوْصَلوا بهـا من زُلالِ المـاء ما قد تَفَرّعا[٥]،
وفرّقَـه بـين القصورِ جَـداولاً وأفرَطـه حتّـى أعَمّ وأشْبعـا
فلم يُغْنِ عنهم مـا بَنَوْهُ وشيّدوا وما مُتِّعوا في الدهرِ مَعْ مَنْ تمتّعا[٦].
فيـا صاحبي، إن جُزتُما برُبوعها، خليليّ، إلاّ نادياني وسمّعا[٧]،
فَلَنْ تَسْمعا إلاّ الصَدى- بعد هاتـفٍ- مُجيبـاً لها، ثمّ الرياحَ الزُّعازعا[٨]!

- وكتب إلى الأميرِ المُعزِّ الصِنهاجي[٩] في التوصيةِ ببعض (بفَرْدٍ مِنْ) تلاميذه:

---

(١) خلاء (من السكان) وبلقعا (خالية من كلّ شيء).

(٢) يستعمل الرومان مفرداً (بمعنى الشعب الروماني). القناة: قناة جر الماء. في عنوان الأريب (ص ٣٧) عدد من هذه الأبيات خمس....

(٣) هذا البيت يصف المدرّج في المسرح. العريضة (الباحة المستوية في وسط المسرح للتمثيل؟). الفرضة (بالضمّ) من النهر: مشرب الماء منه. وجمعها فرض (بضم ففتح). والملموح من البيت التالي أن الشاعر يقصد المقاعد في المدرّج أو الصفوف المدرّجة نفسها.

(٤) تراها (أي صفوف المدرّجات التي هي دوائر حول المسرح) كأنّها عقد متعدّد الأسماط وأنّه- أي المسرح- عنق.

(٥) الزلال: الماء العذب الصافي. تفرع الماء (أي كان مشتّتاً في أماكن مختلفة فجيء به بوساطة هذه القناة مجموعاً إلى قرطاجة (كما يلفظها اهل تونس، اليوم).

(٦) وما متّعوا به...

(٧) البيت غامض لسوء تركيبه. الملموح: يا صاحيّ وخليليّ، إذا مررتما بقرطاجة فناديانى وسمّعا (ارفعا الصوت عالياً).

(٨) الهاتف: المنادي. الزعازع: الريح الشديدة.

(٩) المعزّ الصنهاجي بن باديس (٤٠٦- ٤٥٢ هـ).

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ. حَقّقَ اللهُ الحقَّ في قلوبِ العارفين[1] من عِباده ونقل المُذنبين إلى ما افْترضَ عليهم من طاعته. أنا رجلٌ عرَفَ كثيرٌ من الناس آسْمِيَ، وهذا من البَلاء[2]. وأنا أسألُ اللهَ أن يَتغَمّدني برحمةٍ منه وفضلٍ. وربّما أتاني المُضْطَرُّ يسألُ الحاجة: فإنْ تأخّرتُ خِفْتُ، وإن ساعدتُ فهذا أشدُّ[3]. وقد كتبتُ إليك في مسألة رجُلٍ من الطَلَبة طُولِبَ بدراهمَ ظُلْماً، ولا شيءَ له[4]. وحاملُ رُقْعتي يشرَحُ لك ما جرى. فعامِلْ فيه من لا بُدَّ من لِقائه، واسْتَحِ ممّن بِنعْمته وَجَدتَّ نعيمَ العيش[5]. واحذرْ بِطانة السوء فإنّهم إنّما يريدون دَراهِمَك. وشاوِرْ في أمرِكَ من يتّقي الله: ومَن يَتّقِ الله يجعَلْ له من أمرِهِ يُسْراً، ومن يتّق الله يجعَلْ له مخرجا». واسْتَعِنْ باللهِ، فإنّه مَنْ يتوكّلْ على الله فهو حَسْبه[6]. والسلام.

٤- ★ ★ نفح الطيب ٣: ٦٣، ٥: ٣٣٥؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١٦- ١١٩؛ بروكلمن، الملحق ١: ٧٨٥، ٢: ١٠٠٩؛ عنوان الأريب ٣٥- ٣٧.

المُسْتَظْهِر بالله المروانيّ

١- هو أبو المطرِّفِ عبدُ الرحمنِ بن هشامِ بنِ عبدِ الجبّار بن عبدِ الرحمن الناصرِ، وُلِدَ سَنَةَ ٣٩١ هـ (١٠٠١ م) وعاش في أيامِ ضَعْفِ الخلافة الأندلسية ومِحْنة الفِتنة بين العرب والبربر على آقتسام مغانمِ الحُكم. قدّمَه العامّةُ عليهم ففاجأ بهم غرناطةَ وقُرطُبَةَ وأزالَ دُوَيْلَةَ الطوائفِ التي كانت لبني حَمّودٍ في البلدين. فَنَصَبه العامّة خليفةً في رَمَضانَ من سَنَةِ ٤١٤ (أواخر ١٠٢٣ وأوائل ١٠٢٤ م) وعُمُرُه يومَذاك ثلاثٌ وعِشرون سَنَة، فتلقّب المستظهرَ.

(١) العارف: الصوفي المتقدّم في طريق التصوّف. والعارف: المطّلع على بواطن الأمور.

(٢) هذا من البلاء (الشهرة التي تحمل الناس على أن يطلبوا من المشهور أموراً كثيرة تخرج عن نطاق قدرته).

(٣) إن تأخرت عن تلبية حاجته خفت أن يصيبه ضرر فأشعر بالتقصير، وإن حاولت مساعدته خفت أن أطلب من الحاكم ما لا يجوز طلبه.

(٤) لا شيء له (لا يملك المبلغ الذي طلب منه- لا وجه حقّ في طلب المبلغ منه).

(٥) فعامل فيه من إلخ (أي الله).

(٦) راجع القرآن الكريم في هذه الآيات الثلاث (٦٥: ٢- ٤، سورة الطلاق).

بدأ المُستظهِرُ بتوزيع المناصب على الناسِ لمن يستحقّها ولمن لا يستحقها، فلم يكنْ له ولا لهم هَيْبةٌ ولا حقيقةٌ من حقائق الحكم. ثمّ اتّفق أن جاء إليه رَجُلانِ من البربر فأكرمها (ربّما دفعاً لِشَرّهما أو شرِّ قَوْمِهما) فأساء العامّةُ الظنّ به وظنّوه يريدُ إعادة سُلطة البربر إلى قُرطبة فهجموا عليه وقتلوه في ٢٦ من ذي القَعْدة من سَنَة ٤١٤ نفسِها (١٠/ ٣/ ١٠٢٤م).

٢- جاء في « الذخيرة » (١ : ٤٨) أنَّ عبدَ الرحمن بنَ هشامٍ (المستظهر) كان ذكياً أديباً اكتسبَ اختباراً من تقلُّبِهِ في البلاد تُطاردُه المخاوفُ (ولكنّه لم يستفدْ من هذا الاختبار فائدةً تُذْكَرُ). وكان حَسَنَ الكلام جيّدَ القريحةِ مليحَ البلاغة يتصرّفُ في الخَطابة بديهةً ورَوِيّةً (ارتجالاً واستعداداً) ويصوغُ قِطَعاً من الشعر مُستجادَة. ويبدو أنه كان أيضاً كريمَ النفسِ عفيفاً لم يَشْرَبِ الخمرَ ولا واقعَ مُحرّماً. وبَرَع في العِتاب والغَزَلِ والوَصْفِ وفي الفَخْر أيضاً.

٣- مختارات من شعره

- خَطَبَ عبدُ الرحمن بنُ هِشامٍ (المستظهرُ) حبيبةَ بنتَ سُليمانَ المستعين (وكُنْيَتُها أُمُّ الحكم)، ولكنّ أمّها شنف (أو مشنف) وَعَدَتْهُ بها ثمّ أخْلفتْ. واعتذرتْ إليه بعُذْرٍ غيرِ مقبول، فقال (الذخيرة ١ : ٥٦):

وجالبـةٍ عُـذْراً لِتَصْرِفَ رَغْبَـتي؛ وتأبى المعالي أنْ تُجيزَ لها عُذْرا.
يُكَلِّفُهـا الأهلون رَدّي سَفاهـةً، وهـل حَسَنٌ بالشمس أن تمنَعَ البدرا[1]؟
ومـاذا عـلى أمّ الحبيبـةِ، إذ رأتْ جلالةَ قَدْري، أنْ أكونَ لها صِهراً؟
تعلّقتُهـا من عبـدِ شمسٍ غريرةً مُحَـدَّرَةً من صِيـدِ آبائهـا غُرّا[2].
لقد طـال صَوْمُ الحُبّ عنك، فما الذي يضُرُّك منـه أن تكوني لـه فِطْرا؟

(١) تمنع (مبنية للمعلوم): لا يليق بالشمس (المرأة الجميلة) أن تمنع (ترفض الزواج) بالبدر (بالرجل الجميل الكريم). تمنع (مبنية للمجهول): لا يجوز لأحد أن يمنع الشمس من الاقتران بالبدر.

(٢) عبد شمس: بنو أميّة. محدّرة (ينحدر نسبها). الصيد (بالكسر جمع أصيد: الشريف). الغرّ جمع أغرّ: أبيض (ذو أصل ومكانة).

وإنّي لأستشفي بَمرّي بِدارِكُمْ هُدوءًا، وأستسقي لِساكِنِها القَطْرا[١].
وأُلْصِــقُ أحشائي بِبَرْدِ تُرابِهـــا لِأُطْفِـئ من نـار الأسى بِكُمُ جمرا.
فإنْ تَصْرِفيني، يا ابنةَ العمِّ، تَصْرِفي - وعَيْشِكِ- كُفأً مَدّ رَغْبَتَه سِترا[٢]
وإنّي لأرْجو أنْ أُطَوِّقَ مَفْخَري بِملْكي لها، وَهْيَ التي عَظُمَتْ فَخْرا[٣].
وإنّي لطعّـــانٌ إذا الخيـــلُ أقبلـتْ جرائدُها حتّى تُرى جُونُها شُقْرا[٤].
وإنّي لأَوْلى النـاسِ من قومِها بها وأنْبَهُهُمْ ذِكرًا وأرفَعُهم قَــــدْرا.
وعِنْـدِيَ مـا يُصبي الحليمـةَ ثَيّباً ويُنْسي الفتاةَ الخَوْدَ عُذْرَتَها البِكْرا[٥]:
جمالٌ وآدابٌ وخُلْـــقٌ مُوطَّــأٌ ولفظٌ، إذا ما شِئتَ، أسْمَعَكَ السِحرا[٦].

- وله في الغزل الخفيف (الذخيرة ١ : ٥٧- ٥٨):

طـال عُمْرُ الليـلِ عِنـدي مُـنْذ تَولَّعْـتِ بصَـدّي،
يا غزالاً نَقَضَ الوُدْ دَ ولم يُوفِ بعَهْـــدي.
أَنَسِيتَ العهدَ إذ بِتْـ ـنــا عـــلى مَفْرشِ ورد،
وٱجْتَمَعْنا في وِشاحٍ وانتظَمْنــا نَظْمَ عِقْـــد،
وتَعانقْنا كَغُصْنَيْـ ـنِ وقَدّانـــا كَقَـــدّ[٧]،
ونجومُ الليلِ تَحْكي ذَهَبـــاً في لازَوَرْدِ[٨]؟

---

(١) الهدوء: الحين أو المدّة من الليل.
(٢) سترا: في ستر (طلباً للعيش في ستر؟).
(٣) الملك (بفتح الميم وكسرها وضمّها): حيازة الشيء، الزواج.- أريد بزواجك أن أزيد إلى فخري فخراً جديداً.
(٤) الجريدة: الجماعة من الخيل. حتّى ترى جونها (ذات اللون الأسود) شقرا (حمراء) من الدم. (من خوض المعارك).
(٥) عندي صفات تجعل الحليمة (العاقلة) الثيّب (التي تزوّجت من قبل) تميل اليّ، وتجعل الفتاة البكر تنسى أنها عذراء عزبة (بفتح ففتح)...
(٦) الخلق الموطأ: الخلق الرضي (الحسن المعاشرة).
(٧) وقدّانا كقدّ (واحد): من أبصرنا متعانقين ظننا شخصاً واحداً.
(٨) اللازورد: لون أزرق (هنا صفة لليل).

٤- ★ ★ الذخيرة ١: ٤٨ - ٥٩؛ الحلّة السيراء ٢: ١٢ - ١٧؛ المعجب ٣٥؛ نفح الطيب ١: ٤٣٥ - ٤٣٧، ٤٨٨ - ٤٩٠، ٣: ٥٤٩؛ الأعلام للزركلي ٤: ١١٦ (٣: ٣٤١).

خلف بن أحمد السعدي

١ - هو خَلَفُ بنُ أحمدَ السَعْدِيُّ، نِسبةً للسعديّين من إحدى قُرى المَهْديّة (تونس)، وُلِدَ سَنَةَ ٣١٨ هـ (٩٣٠ م). تأدَّبَ في إفريقيَةَ (القُطْر التونسي) ثمّ دَخَلَ مِصْرَ. وكانت وفاتُه في زَوِيلةِ المَهْدِيّة، سَنَةَ ٤١٤ هـ (١٠٢٣- ١٠٢٤ م).

٢- لخَلَفِ بنِ أحمدَ السَعْدِيِّ شِعْرٌ جيّدٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال خلف بن أحمد السعدي في النسيب:

هَـلِ الدهرُ يومـاً بِلَيْـلى يجودْ ... وأيّامُنـــا في اللِّوى سَتَعُود !
عُهودٌ تَقَضَّتْ وعيشٌ مضى؛ ... بنفسي ولِلَّـــهِ تلـــكَ العُهودْ.
ألا قُلْ لِسُكّانِ وادي الغَضا: ... هَنيئاً لكم في الجِنانِ الخُلودُ .
أفيضوا علَيْنا مِنَ الماءِ فَيْضاً، ... فنَحنُ عِطـــاشٌ وأنْتم وُرودْ[1]

٤- ★ ★ الأنموذج (السنوسي) ٩٧- ٩٩؛ معجم الأدباء ١١: ٦٥- ٦٦.

زيادة الله الطُبنيّ

١- هو أبو مُضَرَ زِيادةُ اللهِ بنُ عليِّ بنِ حسينٍ الطُبْنِيُّ، نِسبةً إلى طُبْنَةَ (في الجزائر)، التَميميُّ، انتقلَ أهلُه إلى الأندلُس وسكنوا قُرطُبَةَ.

وُلِدَ زِيادةُ الله في قُرطبةَ في الأغلب، في شَعبانَ من سَنَةِ ٣٣٦ (شباط- آذار= فبراير- مارس ٩٤٨ م). وقد تَنقّلَ بينَ بَلاطاتِ الأندلس ثمّ انقطعَ إلى المنصور ابنِ أبي عامرٍ وأصبح نديماً له (نفح الطيب ٢: ٤٩٦). وكانت وفاتُه في عاشرِ ربيعٍ الأوّل من سَنَةِ ٤١٥ (٢٢/ ٥/ ١٠٢٤ م).

٢- كان زِيادةُ الله الطُبنيُّ خفيفَ الروحِ سريع الخاطر بارعَ النُكتةِ ظريفاً حسَنَ

(١) ورود: جمع وارد (ساكن قرب الماء).

العِشرة. وكان عالماً باللغة والأدب والشعر شاعراً فصيحَ الألفاظ سهلَ التراكيب واضحَ المعاني. وأكثرُ شعرهِ الوصفُ والنسيب، وله مديح. وله كتابٌ اسمه « الحَمامُ » ألّفه للمنصورِ بنِ أبي عامرٍ.

٣- مختارات من شعره

- قال زِيادةُ الله الطُبنيُّ يَصِفَ الحَمامَ ويذكُرُ حروبَ المنصورِ بنِ أبي عامرٍ:

أذْكَرَ القلبَ بالتصابي فحَنّا ... ساجعٌ في أراكةٍ قد أرَنّا[١].
أخْضَلَتْ ريشَه السماءُ بطَلٍّ؛ ... ورأى الرَوْضَ مُونِقاً فتَغَنّى[٢].
غَرِدٌ بالسُرورِ فازتْ يَداهُ ... بِحَبيبٍ عليه لا يَتَجَنّى[٣].
بأبي عامرٍ رأى الدينُ في الكُفْـ ... ـرِ، على رُغْمِ أهلهِ، ما تَمَنّى[٤].
مَلِكٌ لم يَزَلْ برَكْضِ المَذاكي ... وجِهادِ العِدا مَشوقاً مُعَنّى[٥].

- وقال في النسيب والعِتاب:

عَجَباً أنْ يكونَ ساكنُ قلبي ... راتِعاً منه في بساتينِ حُبّي،
يجازي على الوفاءِ بِغَدْرٍ؛ ... حَسْبِيَ اللهُ، ثمّ حَسْبِي وحسبي.
جازِني كَيْفَ شِئْتَ، لا أتْرُكِ الذّنْـ ... ـبَ إذا كان فَرْطُ حُبِّكَ ذَنبي.

- وقالَ يَصِفَ حَمامةً بحُسنِ الصوت والبراعةِ في الغناء كأنّها - عُلَيَّةُ بِنْتُ زِريابٍ المُغنّي والعازفِ المشهور[٦] - تُعَلِّمها الألحانَ:

---

(١) أذكر (فعل ماض) القلب (مفعول به مقدّم)... ساجع (فاعل « أذكر »).- التصابي: فعل أفعال الصبا (الشباب) فحنّ (إليها): تمنّى أن يفعل مثلها (بعد أن تقدّمت به السنّ). الأراكة شجرة في الحجاز تؤخذ من أغصانها المساويك. أرنّ = رنّ: صاح (غرّد).

(٢) أخضلت: بلّلت. الطلّ: المطر الخفيف. مونق: جميل يسرّ العين.

(٣) يتجنّى: يتّهمه زوراً بالجنايات (الذنوب).

(٤) رأى الانتصار والغلبة.

(٥) ملك (هو المنصور بن أبي عامر).

(٦) هو أبو الحسن علي بن نافع الملّقب زريابا

أَدْنَـــتْ إليَّ صَبابـــاتي مُغَرِّدَةٌ   أذْكى الجَوى بَيْنَ أضلاعي تَرَنُّمُها
كأنّما مَكَثَـــتْ في عُشِّهـا زَمَنـاً   عُلَيَّةٌ بنتُ زِريابٍ تُعَلِّمُها .

٤- ★ ★ الصلة ١ : ١٩٢ (رقم ٤٣٧)؛ جذوة المقتبس ٢٠٥ (الدار المصرية) ٢٢١ (رقم ٤٤٦) بغية الملتمس ٢٨٢ (رقم ٧٥٩)؛ انباه الرواة ٢ : ١٨ ؛ المغرب ١ : ٩٣ ؛ نفح الطيب ٢ : ٤٩٦ ؛ كتب وشخصيّات ١٦- ٢٠ .

صاعِدٌ البَغْداديّ

١- هُوَ أبو العَلاءِ صاعدُ بنُ الحسنِ بنِ عيسى الرَّبَعِيُّ[1] المَوْصِلِيّ البَغْداديُّ الأندلسيّ اللُّغَوِيّ، أصله من بلاد المَوْصِلِ. ولعلّ موْلِدَه فيها كان قُبيل ٣٤٠ هـ (٩٥١ م).

دَخَلَ صاعدُ بنُ الحسنِ بَغْدادَ وتلقّىْ فيها اللُّغة والأدب على أبي سعيدٍ السِيرافيّ (ت ٣٦٨ هـ) وأبي عليٍّ الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) وأبي سليمانَ الخَطّابيّ.

وفي سَنَة ٣٨٠ (٩٩٠ م) جاء إلى الأندلس واتّصل بالمنصورِ بنِ أبي عامرٍ، فأكْرَمَهُ المنصورُ ثمّ اسْتَوْزَرَهُ (جعله كاتباً له). وبعدَ سقوطِ دولةِ العامريّين في قُرطُبَةَ واسْتبدادِ مُجاهِدٍ العامِرِيٍّ بدانِيَةَ (٤٠٨ هـ) انتقلَ صاعدٌ إلى دانية واتّصل بمُجاهدٍ.

ولمّا زادَ الاضطرابُ في الأنْدلس (ربّما حوالَيْ ٤١٢ هـ) انتقل صاعدٌ إلى جزيرة صِقِلّيَةَ حيثُ تُوُفِّيَ، سَنَةَ ٤١٧ (١٠٢٦ م)، وقد أسَنَّ.

٢- كانَ صاعدٌ البَغْدادِيُّ أديباً عالماً باللغة وكاتباً وشاعراً. غيرَ أنّ براعته في اللغة قد غَطّى عَلَيْها أنّه كان يَخْتَلِقُ الرواياتِ والتفاسيرَ في بعض الأحيان. وأما شِعرهُ فكان عادّياً إلاّ بَعْضَ ما فيه من اللَفَتاتِ. ولعلّ شُهرتَه الحقيقية تقومُ على أنه كان كاتباً. ويبدو أنّه كان يهتمّ بالتاريخ وبالقَصَص.

---

(١) نسبة إلى أمّ الربيع وأمّ الربيعين: مدينة الموصل.

ولصاعدٍ كُتُبٌ منها: كتابُ الفُصوص (نَحى فيه منحى القالي في «كتاب الأمالي» ولكنّه كان فيه قليل الأمانة في الرواية)- كتاب الجَوّاس بن قعطل المَذْحِجي مَعَ ٱبنة عمّه عَفْراء- كتاب الهجفجف بن غيدقان اليَثْربي مَعَ الخِنَّوْت بنت محرمة بن أُنيف.

٣- مختارات من آثاره

- كتب صاعدٌ البَغْداديّ رسالةً إلى الوزير أبي جعفر الدّب يرجوه فيها أن يَشْفَعَ عند الخليفة سُليمانَ المستعينِ بالوزيرِ عبدِ اللهِ بنِ مسلمةَ، وكان سليمان قد نَكَبَ ابنَ مَسْلمة وسجنه مقيّداً (وكان صاعد لمّا دخل الأندلس قد اتّصل بابن مسلمة هذا):

.... لمّا جَمَعَ اللهُ طوائِفَ الفضل عليك وأَذْلَقَ بِكَ الألْسُنَ وأَرْهَفَ فيك الخَواطر[١]، ورَفْرَفَ عليك طيرُ الآمال ونُفِضَتْ إليك عَلائق الرجال[٢] لم أجِدْ لابنِ مَسلمةَ- حين عضّه الثِقاف[٣] وضاق به الخِناق وانقطع به الرجاء وكَبا به الدهرُ- مَلْجأً غيرَك. فعطفك على والهٍ نبّهه النحسُ من سِنَةِ السَعْد[٤] وأيْقَظَتْه الآفاتُ من رَقْدة الغَفْلة..... فحنانَك عليهِ وعليَّ فيه، واذْكُرْ تَعَلُّقَ الآمال به وتَعَلُّقَ أمله بِكَ، وحاجةَ الرؤساءِ إلَيْهِ وحاجتَه إليك....

- جيء يوماً إلى المنصورِ بنِ أبي عامرٍ بوردةٍ في غيرِ أيّامِها لم يَتِمَّ تَفَتُّحُها بعدُ، فقال فيها صاعدٌ مُرْتجلا (راجع، فوق، ص ٣١٢):

أتَتْـــكَ، أبـــا عامرٍ، وردةٌ   يُذَكِّرُكَ المِسْكُ أنْفاسَهـــــا؛
كعَـــذْراءَ أبصرَهـــا مُبْصِرٌ   فغَطّـــتْ بأكمامِهـــا راسَهـــا[٥]!

---

(١) جعل الألسن تكثر الثناء عليك وجعل الخواطر تأتي بالمعاني الجّمة فيك (لكثرة فضائلك).
(٢) (فُتشت الصلات بين الرجال- نظر في أيهم أفضل).
(٣) الثقاف أداة تقوّم بها الرماح: يمرّون بالقناة (القصبة) المعوجّة على النار ثمّ يقوّمون اعوجاجها بالثقاف. عضّ به الثقاف: اشتدّ عليه الأمر.
(٤) الواله: الحزين الخائف الذي كاد الحزن (أو الخوف) يذهب بعقله. السنة (بكسر السين): الاغفاء، النوم.
(٥) أكمام الوردة: الأوراق الخضر (الكأس) التي تتفتّح عن البتلات (الأوراق الملّونة).

– وطلب المنصورُ منه أن يُعارِضَ قصيدةَ أبي نواسٍ: «أجارةَ بيْتَيْنا، أبوكِ غَيورُ». فاعتذرَ إجلالاً لأبي نواسٍ وهَيْبَةً من ذلك فقال:

إنّي لَمُسْتَحْيٍ عُلا ... كَ مِنَ ٱرْتجالِ القَوْلِ فيهِ:
مَنْ لَيْسَ يُدرِك بالرَوِيَّةِ ... كيفَ يُدرِك بالبَديهِ[1]!

– من عَجائبِ الاتّفاقِ أنّ صاعداً أهْدى إلى المنصور بن أبي عامرٍ ذاتَ يومٍ أيِّلاً مُقَيَّداً بحَبْلٍ، وقد سمّاه «غرسيه»؛ يتفاءل بذلك أن يأسُرَ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ عَدُوَّه غرسيه الأوّلَ بنَ شانجه مَلِكَ قشتالة، وقد كتب إلى المنصورِ بالأبيات التالية. وكان ذلك في أحدِ أيامِ ربيعٍ الأولِ من سنة ٣٨٥ = نَيْسان – أبريل ٩٩٥ م:

يا حِرْزَ كلِّ مُخَوَّفٍ وأمانَ كلِّ ... مُشَرَّدٍ ومُعِزَّ كلّ مُذَلَّلِ،
جَدْواكَ إن تَخْصُصْ به فلأهلِهِ؛ ... وتَعُمُّ بالإحسانِ كلَّ مُؤَمِّلِ[2]
كالغَيْثِ طَبّق فاسْتوى في وَبْلِه ... شُعْثُ البِلاد مَعَ المُرادِ المُبْقِلِ[3]
الله عَوْنُك، ما أبرَّكَ بالهُدى ... وأشدَّ وَقْعَك في الضَلال المُشْعَلِ!
مَوْلايَ- مُؤْنِسَ غُربتي، متخطّفي ... من ظُفْرِ أيامي مُمَنِّعَ مَعْقِلي-
عَبْدٌ، نَشَلْتَ بِضَبْعِه وغَرَسْتَه ... في نِعْمَةٍ، أهْدي إليك بأيِّلٍ[4].
سَمَّيْتُه غَرْسِيّةً وبَعَثْتُه ... في حَبْلِهِ لِيُتاحَ فيه تَفاؤلي.

فاتّفق أنْ غرسيه هذا جِيءِ بهِ، في ذلك اليومِ عينهِ، أسيراً إلى المنصور.

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٢٢٣- ٢٢٧ (الدار المصرية) ٣٤٠ (رقم ٥٠٩)؛ بغية الملتمس ٣٠٦- ٣١١

---

(١) الرويّة: التفكير والتأمل. البديه: القول ارتجالاً.

(٢) الجدوى (يبدو من القاموس أن اللفظة مذكّرة): المطر العام؛ العطيّة، الكرم.

(٣) الغيث: المطر. الوبل والوابل: المطر الكثير. شعث البلاد: البلاد المغبرّة (لقلة سقوط المطر فيها). المراد: المقصود (الذي يقصده الناس لرعي أنعامهم فيه، لكثرة نباته ولخصبه). المبقل: الذي يكثر فيه البقل (النبات).

(٤) الضبع: جانب البدن. نشلت بضبعه = أخذت بضبعه، أعنته، ساعدته، أنهضته من كبوته، أنقذته من مشكلة. الأيّل: نوع من الوعول (يشبه المعزى الجبلية!!).

(رقم ٨٥٢)؛ معجم الأدباء ١١ : ٢٨١- ٢٨٦؛ الذخيرة ٤ : ٨-٥٦؛ انباه الرواة ٢ : ٨٥-٩٠؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٨٨ - ٤٨٩؛ بغية الوعاة ٢٦٧- ٢٦٨؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٠٦-٢٠٧؛ نفح الطيب ٣ : ٧٥- ٨٤، ٩٥- ٩٨؛ بروكلمن، الملحق ١ : ٢٤٥؛ الأعلام للزركلي ٣ : ٢٧١ (١٨٦).

أحمد بن برد الأكبر

١- هو أبو حفصٍ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ بردٍ من أهلِ قرطبةَ. وُلِدَ بُعيدَ ٣٣٨ هـ (٩٤٧ م). كان وزيراً ورئيساً مُقدّماً في أيامِ المنصور بن أبي عامرٍ (ت ٣٩٢ هـ) ووَلَدَيْهِ من بعدهِ عبدِ الملكِ وعبدِ الرحمن. وكانت وفاتُه سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م).

٢- كان أحمدُ بنُ بردٍ الأكبرُ كاتباً مُترسّلاً ذا حظٍّ وافرٍ من البلاغة والأدب وشاعراً مُحسناً مُجيداً، متينَ السَبْكِ (في شعره ونثره) بديعَ الصِناعة حُلْوَ القولِ. نَظَمَ في الغزل والوصف، ولكنّ براعتَه كانت في الوصف.

٣- **مختارات من آثاره**

- قال أحمدُ بنُ بردٍ الكاتبُ يَصِفُ طلوعَ الفَجْر:

تَنَبَّـهْ فقـد شقّ النهـارُ مُغلِّساً ... كمائِمَه عن نَوْره الخَضِلِ النَدي(١):

مداهنُ تِبْرٍ في أنامـلِ فِضّـةٍ ... على أذرعٍ مخروطةٍ من زَبَرْجَدِ(٢)!

- وقال يَصِفُ ليلةً قَمْراءَ في جوِّها شيءٌ من الضَبابِ الخفيف:

والجوُّ من عَبَـقِ النسيمِ مُعَنْبَرٌ، ... والنَجْمُ قد أغفى بغيرِ نُعاسِ(٣).

---

(١) مغلّساً (أي لا يزال الغلس، أي سواد الليل، يخالط نوره). الكمائم جمع كمامة وهي (هنا) الكأس أي الأوراق الخضر التي تكون غلافاً للزهرة (قبل أن تتفتّح الزهرة). النور (بالفتح): الزهر الأبيض. الخضل: المبتّل بالماء من ندى الليل. والندي: الذي تجمّع عليه الندى.

(٢) هذه الأنوار (الأزهار البيض) مداهن (أوعية صغيرة) من تبر (ذهب، لأنّ قلب الزهرة يكون عادة أصفر اللون) في أنامل (أصابع، أي بتلات الزهرة: أوراق الزهر التي تكون عادة ملوّنة) فضّة (بيضاء اللون) على أذرع (سوق جمع ساق، أي غصن) مخروطة (مصنوعة بنسبة واحدة) من زبرجد (حجارة كريمة خضراء اللون).

(٣) العبق: انتشار الرائحة الطيّبة. معنبر: يشبه العنبر (أسمر اللون). والنجم قد أغفى بغير نعاس: أجبر نفسه على النوم من غير حاجة به إلى النوم (فهو من أجل ذلك يفتح عينيه ويغمضها - كناية عن تلألؤ النجوم).

والبدرُ كالمرآةِ غيّرَ صَقْلَها عَبَثُ الغواني فيه بالأنفاس[1]!

- من إنشاء ابنِ بردٍ الأكبر

كان عبدُ الرحمن بنُ أبي عامرٍ حاجباً لأميرِ المؤمنين هشامٍ المؤيّدِ بنِ الحَكَمِ في ولايتِهِ الأُولى (٣٦٦- ٣٩٩ هـ) والمستبدَ بأمورِ دولته. ثمّ طَمِعَ في أن يكونَ رسمُ الخلافة أيضاً له فأجْبَرَ هشاماً المؤيّدَ على أن يجعَلَهُ وليًّا للعَهْدِ. فاضُطّر هشامٌ إلى القَبول. وقد كتب ابنُ بردٍ الأكبرُ هذه الوثيقةَ في ربيعٍ الأولِ من سَنَةِ ٣٩٨ (أواخر ١٠٠٧ م):

هذا ما عَهِدَ به هِشامٌ المؤيّدُ بالله أميرُ المؤمنين إلى الناسِ عامّةً، وعاهد اللهَ عليه من نفسهِ خاصّةً... بعد أن أنْعَمَ النَظَرَ وأطالَ الاستخارة وأهَمّه ما جَعَلَهُ اللهُ إليه من الإمامةِ[2].... واتّقى حلولَ القَدَرِ بما لا يُصْرَفُ، وخَشِيَ إنْ هَجَمَ محتومُ ذلك عليه ونَزَلَ مقدورُه به ولم يرفَعْ لهذهِ الأمّةِ عَلَماً تأوي إليه[3] أن يلقى ربّه تباركَ وتعالى مُفَرِّطاً ساهياً عن أداءِ الحقّ إليها. وتَقصّى عندَ ذلك مِنْ أحياءِ قُريشٍ وغيرها[4] مَنْ يستحقُّ أن يُسْنَدَ هذا الأمرُ إليه ويُعَوَّلَ في القِيام عليه، مِمّا يستوجبُهُ بدينهِ وأمانتِهِ وهَدْيِهِ وصِيانته بعدَ اطّراحِ الهَوى، والتحرّي للحقّ، والتزلُّفِ[5] إلى الله جلّ جلالُه بما يُرضيه - وبعد أن قطع الأواصر وأسخط الأقاربَ[6] - فلم يَجِدْ أحداً هو أجدرُ

---

(١) غير صقلها = جعل صفحتها غير صافية.- لأنّ النساء الجميلات يقرّبنها من وجوههنّ فتصل أنفاسهنّ إليها فينشأ على صفحتها شيء من بخار الماء!

(٢) أنعم النظر: دقّقه (نظر في تفاصيل الأشياء). في الأصل: أمعن. الاستخارة: طلب الخير (والتفكير فيما يريد الرجل أن يفعله). وأهمّه......: جعل يفكّر في عواقب خلو الخلافة بعده من امام عادل.

(٣) اتّقى: خاف. حلول القدر (مجيء الموت). بما لا يصرف: في حالٍ لا يمكن معها التفكير بأمره المحتوم والمقدور: الموت. علم: شيء بارز عال يهتدي الناس به، ملجأ، حصن. تأوى إليه الأمة: تلجأ إليه وتحتمي به في الشدائد.

(٤) تقصّى: بحث بحثاً دقيقاً. أحياء قريش: قبائل العرب وبيوتاتهم (في الأندلس) وغيرهم (من البربر ومن المولّدين: المسلمين في الأندلس من أصل أسباني).

(٥) اطرّاح: ترك، إهمال. الهوى (ميل النفس إلى شيء- إلى أن يكون الخليفة المقبل عربياً أمويّاً). التحرّي: الطلب والتفتيش. التزلّف: التقرّب.

(٦) قطع الأواصر جمع آصرة: القرابة. أسخط: أغضب.

أن يُوَلِّيَهُ عَهْدَه ويُفوِّضَ إليه الخِلافَة بعدَه، لِفَضْلِ نفسِه وكَرَمِ خِيمِهِ[١] وشرفِ مرتبته وعُلوِّ مَنْصِبِهِ، مَعَ تُقاهُ وعَفافِه ومعرفته وحَزْمِهِ، من المأمون الغيبِ الناصحِ الجيبِ أبي[٢] المُطَرِّفِ عبدِ الرحمنِ بنِ المنصورِ بن أبي عامرٍ، وَفّقه اللهُ؛ إذ كان أميرُ المؤمنين أيّده اللهُ قدِ ٱبتلاه واخْتَبَرَهُ ونَظَرَ إليه واعتبره[٣] فرآه مُسارعاً في الخَيْرات سابقاً في الحَلَبات مُسْتَوْلِياً على الغايات جامعاً للمأثُرات[٤]. ومَنْ كانَ المنصورُ أباه والمظفّرُ أخاه، فلا غَرْوَ أن يبلُغَ من سبيلِ البِرِّ مداه ويَحْوي من خِلالِ الخير ما حواه[٥].....

٤- ★ ★ يمكن أن يحصل التباس في المصادر والمراجع بين أبي حفص أحمد بن برد الجدّ هذا وأبي حفص أحمد بن برد الحفيد (ت نحو ٤٥٠ هـ- راجع تحت). جذوة المقتبس ١١١ (الدار المصرية) ١١٩ (رقم ١٩٩)؛ بغية الملتمس ١٦١ (رقم ٣٨٧)؛ الذخيرة ١: ٣: ١٠٣- ١٢٣؛ المطمح ٢٤ - ٢٥؛ المغرب ١: ٢٠٠- ٢٠١؛ الوافي بالوفيات ٦: ٢٦٣؛ البيان المغرب ٣: ٤٤؛ نفح الطيب ١: ٤٢٤- ٤٢٦، ٣: ٢٩٣، ٥٤٥- ٥٤٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣٩؛ الأعلام للزركلي ١: ٩٩ (١٠٣).

حسّان بْنُ مالكٍ

١- هُوَ أبو عَبْدَةَ حسانُ بنُ مالكِ بنِ أبي عبدةَ الأندلسيُّ من أهلِ بيتِ جَلالةٍ ووِزارةٍ في قُرْطبةَ؛ رَوى عن أبي بكرٍ الزُبيديِّ (ت ٣٧٩ هـ) وأبي عُثمانَ القزّاز وأبي العبّاس أحمدَ بنِ عبدِ الله بن ذَكوانَ القاضي (ت ٤١٣ هـ).

لمّا جاءَ عبدُ الرحمنِ المستظهرُ بنُ هِشامٍ إلى الخِلافة اسْتَوْزَرَ حسانَ بنَ مالكٍ،

(١) الخيم: الطبيعة والأصل.

(٢) المأمون الغيب: الذي يحفظ عهدك ولو كنت غائباً عنه. الناصح الجيب: الذي لا يخونك في ما ائتمنته عليه (والأليق أن تقال في المرأة).

(٣) ابتلاه: اختبره. اعتبره: قدّره، نظر في جميع أحواله.

(٤) مسارعاً في عمل الخير، سابقاً (متقدّماً على غيره) في الحلبات (ميادين السباق) مستولياً على الغايات (يصل إلى الهدف قبل غيره من الخيل)- يشبّهه بالحصان الذي يسابق الخيل. المأثرة (بضمّ الثاء): الفعل الحميد الكريم.

(٥) لا غرو: لا عجب. البر: التقوى، طاعة الرجل لقومه وطلب المنفعة لهم ولو أضرّ ذلك به. الخلال: (هنا): الخصال: جمع خصلة (بفتح الخاء): العادة والطبيعة.

ولكنّ خلافةَ المستظهر لم تَطُلْ سوى شَهْرَيْنِ أو يزيدان مِنْ سَنَة ٤١٤ هـ (١٠٢٣-١٠٢٤ م). ويبدو أنّ حسّاناً كانَ كارهاً للوزارة في تلك الفترة، فقضى قسماً من أيام الفِتْنة مُعْتزلاً للحياة العامّة بعيداً عن العاصمة. ويبدو أنه عادَ بعدَ ذلك إلى قُرطبة وحَسُنَتْ حالُه فيها.

وكانت وفاةُ حَسانِ بنِ مالكٍ في شوّالٍ من سَنَةِ ٤١٦ (١) وقَدْ أسنّ كثيراً. ورثاه أبو عامرِ بنُ شُهيدٍ (ت ٤٢٦ هـ).

٢- كان حسّانُ بنُ مالكٍ من جِلّة العلماء والأدباء فقيهاً وكاتباً مُترسّلاً وشاعراً وُجدانيّاً مُجيداً؛ ومن فنونِ شعرهِ الشكوى ووصف الطبيعة. وكان مصنّفاً له كتاب رَبيعةَ وعَقيلٍ:

دخل(٢) حسّانُ بنُ أبي عبدةَ يوماً على المنصور بن أبي عامرٍ (ت ٣٩٢ هـ) وبينَ يديْهِ كتابُ أبي السَريّ(٣) وهو يُعْجَبُ به. فخَرَجَ (حسّان) من عندِه وعَمِلَ (مثل) هذا الكتابِ وفرَغَ منه تأليفاً ونسخاً وتصويراً، وجاء به في مِثْلِ ذلك اليومِ من الجُمُعةِ الأخرى وأراه (للمنصور) فسُرَّ به ووَصَلَه عليه.

٣- مختارات من شعره

- لما كَثُرَ الاستبدادُ مِنَ الخليفةِ المُسْتَظْهِرِ، كَتَبَ إليه حسانُ بنُ أبي عَبدةَ:

إذا كـان مِثْلي لا يُجازى بصَبْرِهِ، فمَنْ ذا الذي بَعْدي يُجازى على الصبر؟

---

(١) في جذوة المقتبس (ص ١٨٤ س) وبغية الملتمس (ص ٢٥٦) ومعجم الأدباء (٧: ٢٢١- ٢٢٢) وبغية الوعاة (ص ٢٣٨) أن حسان بن مالك توفّي قبل ٣٢٠ هـ، وهذا بلا ريب خطأ نقله بعضهم عن بعض من غير تفطّن إلى أن حساناً كان في أيام المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢). والتصحيح من كتاب الصلة لابن بشكوال (ص ١٣٥).

(٢) جذوة المقتبس ١٨٤.

(٣) هو أبو السريّ سهل بن أبي غالب الخزرجي وضع كتاباً ذكر فيه أمر الجنّ وحكمتهم وأنسابهم وأشعارهم وزعم أنّه بايعهم للأمين بن هرون الرشيد وليّ العهد فقرّبه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة أمّ الأمين. وأفاد منهم (مالاً كثيراً). وله أشعار حسان وضعها على الجنّ والشياطين والسعالى. و (قد) قال له الرشيد: إن كنت رأيت ما ذكرت، لقد رأيت عجباً. وإن كنت ما رأيته، لقد وضعت أدباً. (وفيات الأعيان ٥: ٢٢١).

فكم مَشهدٍ حاربتُ فيه عَدُوَّكم ... وأمّلتُ في حَرْبي له رَاحةَ الدهر[1]!
أخوضُ إلى أعدائكم لُجَجَ الوَغى ... وأسْري إلَيْهِمْ حيث لا أحدٌ يَسْري[2].
وقد نامَ عنكم كلُّ مُسْتَبْطِنِ الحَشا ... أكولٌ إلى المُمْسى نَؤُومٌ إلى الظُهْر[3]
فما بالُ هذا الأمرِ أصبحَ ضائعاً، ... وأنتَ -أمينَ اللهِ- تحكُمُ في الأمرِ[4]!

- وقال في الشيب:

رأتْ طالعاً للشيبِ بينَ ذَوائبي ... فباحتْ بأسرارِ الدموع السواكبِ.
وقالتْ: أشَيْبٌ؟ قُلْتُ: صُبحُ تجاربي ... أنارَ على أعقابِ لَيْلِ نَوائبي.

- وقال يتشوّق إلى أهلهِ:

سَقى بلداً أهلي به وأقاربي ... غوادٍ بأثقالِ الحَيا وروائحُ[5]،
وهبّتْ عليهم بالعَشِيّ وبالضُحى ... نواسمُ بَرْدٍ والظِلالُ فوائح[6]!
تذكّرتُهُمْ والنأيُ قد حالَ دونَهم ... ولم أنْسَ، لكن أوْقَدَ القلبَ لافحُ[7].
وممّا شَجاني هاتفٌ فوقَ أيْكةٍ ... ينوحُ ولم يعلَمْ بما هو نائح[8].
فقلتُ: اتَّئِدْ! يَكْفيكَ أنِّيَ نازحٌ، ... وأن الذي أهواهُ عَنِّيَ نازحُ[9].
ولي صِبْيَةٌ مِثلُ الفِراخِ بقَفْرةٍ ... مضى حاضِناها فاطّحَتْها الطوائح[10].

---

(١) المشهد: المكان المشهود (الذي يكثر فيه الناس)، هنا: «المعركة الشديدة». وأمّلت (لكم) راحة طول الدهر من عدوّكم.

(٢) سرى: سار في الليل (في الأوقات العصيبة).

(٣) مستبطن الحشا: كبير البطن (وليست بهذا المعنى في القاموس).

(٤) «أمين الله جملة معترضة (للنداء)- وجملة «تحكم» خبر «أنت». أو نقول: أمين (بالرفع) خبر «أنت». وجملة «تحكم» نعت «أمين».

(٥) الغادية: الغمامة التي تأتي في الصباح. الرائحة: الغمامة التي تأتي في المساء. بأثقال الحيا (المطر): بمطر ثقيل (كثير).

(٦) نواسم (؟) يقصد «نسم» (بفتح ففتح: مفردة): الريح الخفيفة. فوائح جمع فائحة (؟) متّسعة.

(٧) النأي: البعد. اللافح واللافحة (النار أوّ الريح) التي تلفح (تحرق) ما قابلها.

(٨) شجاني: حزنني، أحزنني. هاتف: رافع صوته. الأيكة: مجتمع من الشجر الملتف.

(٩) اتّئد: تمهّل. نازح: بعيد (عن وطنه).

(١٠) أطّحتها الطوائح (؟). في القاموس «طحى»: ذهب في الأرض وهلك. (يقصد: نزلت بها الشدائد).

إذا عَصَفَتْ ريحٌ أقامتْ رؤوسَها   فلم يَلْقَها إلاّ طُيورٌ بَوارح[1].
فمَنْ لِصِغـارٍ بعـد فَقْـدِ أبِيهِمُ   سوى سانحٍ في الدهرِ،لو عَنَّ سانحُ[2].

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ١٨٣- ١٨٤ (الدار المصرية) ١٩٦ (رقم ٣٨٠)؛ بغية الملتمس ٢٥٥- ٢٥٦ (رقم ٦٦٢)؛ مطمح الأنفس ٢٦- ٢٧؛ الصلة ١٥٣؛ معجم الأدباء ٧: ٢٢١- ٢٢٥؛ بغية الوعاة ٢٣٨؛ نفح الطيب ١: ٤٣٦- ٤٣٧، ٣: ٥٤٧- ٥٤٩؛ الأعلام للزركلي ٢: ١٩٠ (١٧٧).

ابراهيم بن غانم الكاتب

١- هو أبو إسماعيلَ إبراهيمُ بنُ غانمِ بنِ عبدونٍ الكاتبُ المَغْربيّ، كان مولدُه نحوَ سَنَةِ ٣٦٠ (٩٧٠- ٩٧١ م). وقدِ انتقل إلى مِصْرَ فعاش فيها مُدّةً ثمّ عاد إلى القيروان حيثُ تُوُفّي سَنَةَ ٤٢١ (١٠٣٠ م).

٢- كان إبراهيمُ بنُ غانمٍ الكاتبُ أديباً ناثراً وشاعراً كُتّابيَّ الشعرِ (يَغْلِبُ على شِعرِه أسلوبُ الكُتّابِ: صحيحُ المعاني والتراكيبِ قليلُ الرونق). وكان يُوجِزُ في المعاني ويَسْلُكُ في النظم على أسلوبٍ واحدٍ ويلجأ إلى الصِناعة. وأبرزُ فنونِه المدحُ والهِجاء والمعاني الوُجْدانية في المواعظِ خاصّةً. وكانتْ له مُشاركةٌ في الفلسفةِ والهندسة.

٣- مختارات من شعره

- قالَ إبراهيمُ بنُ غانمٍ الكاتبُ في البخيلِ والبُخل:

قُلْ للبخيلِ: وإنْ أصْبَحْتَ ذا سَعَةٍ،   لأَنت بالبُخلِ في ضيقٍ وإقلالِ:
لَتَأسَفَنَّ عـلى تَرْكِ النـدى نَدَمـاً   إذا تَخَلّيْتَ من أهلٍ ومن مالِ[3].

---

(١) إذا عصفت ريح (حدثت حركة) أقامت (رفعت).... طيور بوارح (جمع بارح): تمرّ عن يمينك إلى يسارك (وكان ذلك دليل الشؤم والحرمان).

(٢) السانح: الطائر الذي يمر من يسارك إلى يمينك (دليل الخير والبركة). في القاموس (١: ٢٣٠): «من لي بالسانح بعد البارح أي بالمبارك بعد الشؤم».

(٣) الندى: الكرم. إذا تركت الكرم (الإحسان إلى الناس) الآن ثمّ اتّفق أن افتقرت (في المستقبل) وتخلّيت عن أهلك (بموتهم) وعن مالك (بالفقر) فإنّك لن تجد حينئذ أحداً من الناس حولك.

ومَنْ رأى في العُلى من مالِه عِوَضاً   أفضى إلى خيرِ أعْواضٍ وأبْدالِ[١].

- وقال في حُسْنِ الصبر:

رُبّما كانتِ الخلائقُ- إن ضا   قتْ بخَطْبٍ- معدودةً في الخطوبِ[٢].
وتَهونُ الأحداثُ عند مُعانٍ   لفؤادٍ شَهْمٍ وصدرٍ رحيبِ[٣].
ورجاءُ المَعْسورِ يُثْمِرُ في الأنـ   ـفسِ يُسْراً تنالُه من قريبِ[٤].
والصبورُ الداعي إلى الله مَحْـ   ـبوبٌ مُجابٌ مِنَ السميع المُجيبِ[٥].
فتوكّلْ عليه يَكْفِكَ، والْزَمْ   حُكْمَ ذي حِكْمةٍ ورأيٍ مُصيبِ.

- وقال يَصِفُ النيلَ في مِصْرَ:

والنيلُ بينَ الجانِبَيْنِ كأنّما   صُبّتْ بصَفْحَتِه صَفيحةُ صَيْقَلِ[٦].
يأتيكَ في كَدَرِ الزواخرِ مَدُّهُ   بمُمْسَّكٍ من مائِه ومُصَنْدَلِ[٧].
فكأنّ ضوءَ البدرِ في تَمْويجِه   برقٌ يموجُ على سحابٍ مُسْبَلِ[٨].
وكأنّ نُورَ السُرْجِ من جَنَباتِه   زُهْرُ الكواكبِ تحتَ ليلٍ أليلِ[٩]،
مِثْلَ الرياضِ مُفَتَّقاً أنوارُها   يبدو لعينٍ مُشَبِّهٍ ومُمَثِّلِ[١٠].

---

(١) إنّ الذي ينفق ماله في سبيل العلا (المجد) يجد عوضاً من المال وبديلاً منه (في مكانته عند الناس).

(٢) إذا ضاق خلق الإنسان أو طبعه أو صدره بمصيبة نزلت به، فإنّ خليقته (أو طبيعته) تصبح حينئذ مصيبة دائمة عليه أكبر من المصائب التي تنزل به حيناً بعد حين.

(٣) معان (اسم فاعل من عانى: مختبر لأمور الحياة) ومعان (اسم مفعول من أعان) كان له فؤاد (قلب) شهم (شجاع) يعينه على تلقّي مصائب الدهر.

(٤) الأمل في النفس يساعد على احتمال الأحداث. من قريب: بسهولة وسرعة.

(٥) السميع المجيب (هو الله).

(٦) سطح النيل هادىء أبيض لامع كأنه صفيحة (قطعة حديد: سيف) صيقل (حدّاد).

(٧) الزاخر: الممتلىء والمضطرب. المدّ: (هنا) الفيضان. حينما يمدّ (يفيض) نهر النيل وتصبح مياهه الزاخرة (الكثيرة المضطربة) ممزوجة بالكدر (بالأتربة) يصبح لها رائحة طيّبة كالمسك والصندل.

(٨) المسبل: المرخى، المدلّى.

(٩) زهر الكواكب: الكواكب التي تلمع. ليل أليل (شديد السواد).

(١٠) في هذه الحال يشبّه الشاعر سطح نهر النيل ببستان تفتّقت (تفتّحت) أنواره (جمع نور بفتح النون: الزهر الأبيض).

والبدرُ يبخَلُ ثمّ يبذُلُ رَغْبَةً   أنْ يستردَّ فَليْتَـــه لم يبـــذُلِ[1]

- ★ ★ الأنموذج ٢٢- ٢٥؛ الوافي بالوفيات ٦ : ٧٨- ٧٩؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٢٧- ١٢٨.

أبو عبد الله بن الكتّانيّ

١- هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ الحَسَنِ بنِ الحسينِ المَذْحِجيُّ الأندلسيّ المعروفُ بابن الكَتّانيّ، وُلِدَ بُعَيْدَ ٣٤٠ هـ (٩٥٢ م) وسكن قُرْطُبُةَ.

أخذَ ابنُ الكَتّاني صِناعةَ الطِبّ عن عمّهِ أبي الوليدِ محمّدِ بنِ الحسينِ، وأخذَ المَنْطِقَ وعلومَ الفلسفةِ والفَلَك عن نَفَرٍ منهم أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عَبْدونِ الجَبَليّ الطبيبُ وعُمَرُ آبنُ يونسَ بنِ أحمد الحرّانيّ وأحمدُ بنُ حَفْصونِ الفيلسوفُ ومَسْلَمَةُ بنُ أحمدَ المَجْريطيّ (ت ٣٩٩ هـ)؛ وأخذَ عنه ابنُ حَزمٍ (ت ٤٥٦ هـ).

اتّصلَ أبو عبدِ الله بن الكَتّانيّ بالمنصور بن أبي عامرٍ (ت ٣٩٢ هـ) وبابنهِ المُظَفَّرِ (ت ٣٩٩ هـ) وكان طبيباً لَهُما. ثمّ إنّه انتقلَ في أولِ الفِتْنة بينَ العَرَبِ والبربرِ في قُرطبةَ على الخِلافة، نحو ٤٠٠ هـ، إلى سَرَقُسْطَةَ. وكانتْ وفاتُه قريباً من سَنَةِ ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م).

٢- أبو عبدِ اللهِ بنُ الكَتّانيّ طبيبٌ ماهرٌ، وقد كانتْ له مُشاركةٌ في المَنْطِق وعلومِ الفلسفةِ ومقدرةٌ في الأدب. ومَعَ أنّ شِعره عاديٌّ فيه جَفافُ شِعر العلماء، فإنّ آطّلاعه على الشِعر وأقوالِ الشُعراء كان واسعاً جِدّاً، كما نرى من كتابهِ «كتاب التشبيهات» من أشعار أهل الأندلس، وهو مختاراتٌ من الشِعر على الأغراض: السماء والمطر، الربيع والزهر، الورد، الشراب وأوصاف الخمر، الشَعْر وسواده وشُقرته، العِناق والوداع، النيران، الخيل، السيوف، الخوف، الدَواة والقلم

(١) والبدر يبخل (يستتر بالغيم) ثمّ يبذل (يظهر من خلال الغيم) رغبة أن يستره (أن يعود إلى استتاره وراء الغيوم)....

والصَحيفة، البُخل، هَجْوُ النساء، اللِحى، الشيب والهَرَم، وأشباه ذلك. وله أيضاً كتاب «محمّد وسُعدى» وغيره.

٣- مختارات من آثاره

- قال محمّدُ بن الحسن المَذْحِجيُّ الأندلسيُّ في الغزل والنسيب والخمر:

ألا قد هَجَرْنا الهَجْرَ واتّصلَ الوَصْلُ، وبانتْ ليالي البَيْنِ وآجتمع الشَمْلُ.
فسُعْـدى نديمي والمُدامةُ رِيقُها، ووَجْنَتُها روضي وتَقْبيلها النُقل.

- وقال في النسيب:

نأيـتُ عنـكم بـلا صبرٍ ولا جَلَدِ، وصِحْتُ: «واكبدَا!» حتّى مَضتْ كَبِدي[1].
أضحـى الفِراقُ رفيقـاً لي يُواصِلُني بالبُعْدِ والشَجْوِ والأحزانِ والكَمَـدِ[2]؛
وبالوجوه الـتي تبـدو فأُنْشِدُهـا، وقد وَضَعْتُ على قلبي يَدي بيدي:
إذا رأيتُ وجوهَ الطـيرِ قُلْتُ لها: لا باركَ اللهُ في الغِربان والصرد[3]!

٤- كتاب التشبيهات (عني بتصحيحه محمد عبد المعين خان)، كمبردج (تعريف مجلة المجمع ٢٧ : ١١٨)؛ (تحقيق الدكتور احسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.

★ جذوة المقتبس ٤٥- ٤٦ (الدار المصرية) ٤٩-٥٠ (رقم ٣٥)؛ بغية الملتمس ٥٧ (رقم ٨١)؛ التكملة ١١٨؛ المحمّدون ٢١٠؛ المغرب ١ : ٢٠٦؛ معجم الأدباء ١٨ : ١٨٤- ١٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٦؛ طبقات الأطبّاء ٢ : ٤٥؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣١٣- ٣١٤ (٨٣).

إسحاق بن إبراهيم

١- هو إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المعروفُ بالمَغْربيّ الرافضيّ، يبدو أنّه كان من أهلِ القُطْر التونسيّ، قَتَله المُعِزُّ بنُ باديسَ، سَنَةَ ٤٢٠ (١٠٢٩ م). لأنّه كان سبّاباً (لأبي بكرٍ وعُمَرَ).

---

(١) نأيت: بعدت، ابتعدت. الجلد: الاحتمال (الصبر على البعد). حتى مضت كبدي: تقطعت.
(٢) الشجو: الحزن. الكمد: الألم من كتمان الحزن.
(٣) الصرد (بضمّ ففتح): طائر كبير الرأس والمنقار (جمعه صردان بكسر الصاد) وكانوا يتشاءمون به كما يتشاءمون بالغراب.

٢- يبدو أنّ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ كان شاعراً قديراً مُحْسِناً وناقداً، وكانَ يتعصّبُ لابنِ هاني الأندلسيّ (ت ٣٦٢ هـ) إذ كان يجمَعُ بينهما الهوى للدولة الفاطميةِ وإنْ لم يَسْلُكْ طريقَه في المُبالغات المُسْتَهْجنة والألفاظِ التي تُقَعْقِعُ. وله شيءٌ منَ الشعرِ الرائق.

٣- مختارات من شعره

- لإسحاقَ بنِ إبراهيمَ قصيدةٌ في المدح منها (النائل: العطاء):

ثنـــاؤكَ كالروضِ في نَشْرِهِ، وجودُك كالغَيْـــث في قَطْرِهِ[1].
وما أنا مِمّنْ يَبْتغي نائلاً بمَدْحِـك إذ جـاء في شِعره[2].
ولكنْ لِساني إذا ما أَردتّ (م) مديحـــاً خَطَرْتَ عـــلى ذِكْره.
فخانتْ عدوَّك أيامُه ولاقـــى الحوادثَ من دَهْره.
ولا عاشَ يوماً به آمِناً ولا بَلَـــغَ السُّول في أمْره.

٤- ★ ★ الأنموذج ٤٥- ٤٦؛ الوافي بالوفيات ٣٩٨- ٤٠٠.

فـيما يـلي، مُؤَخَّرةً، طبعـات كتب القزّاز النحوي القيرواني ومراجع ترجمته - الواردة سابقاً ص ٣٥٤-:

٤- كتاب فيه ذكر شيء من الحلى (عني بحلّ ألفاظه طاهر النعساني وأحمد قدري الكيلاني) (الناشر: مكتبة عنوان النجاح- حماة)، صيدا (مطبعة العرفان) ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م.
- ضرائر الشاعر: ما يجوز للشاعر عند الضرورة (تحقيق محمّد زغلول سلاّم ومحمّد مصطفى هدّارة)، الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٧٣ م.
- كتاب العشرات في اللغة، صيدا ١٣٣٤ هـ.

★ القزّاز القيرواني، تأليف المنجي الكعبي، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.
الأنموذج ١٢٣- ١٢٨؛ إنباه الرواة ٣: ٨٤- ٨٧؛ المحمّدون من الشعراء ١٨٥- ١٨٦؛ معجم الأدباء ١٨: ١٠٥- ١٠٩؛ الوافي بالوفيات ٢: ٣٠٤- ٣٠٥؛ وفيات الأعيان ٤: ٣٧٤- ٣٧٦؛ بغية الوعاة ٢٩؛ بروكلمن، الملحق ١: ٥٣٩؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٩ (٧١).

---

(١) النشر: الرائحة الطيبة. القطر: سقوط المطر.
(٢) النائل: العطاء.

الحُصْري صاحبُ زَهْرِ الآداب

١- هو أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن عليٍّ بنِ تميمٍ الأنصاريُّ المعروفُ بالحُصْري[١] القَيْرواني، كان على شيءٍ من الوجاهة في بلدهِ وعلى كثيرٍ من العِلْمِ بالأدب، فكان شُبّانُ القيروانِ يجتمعون عندَه ويأخذون عنه. ويبدو أنّه كان يتكسّبُ بالشعر أو يرتزقُ بتآليفهِ «حتّى انثالتْ عليه الصِلاتُ من الجِهات» (وفيات الأعيان ١ : ٥٤). وكانتْ وفاتُه في المنصورية قُرْبَ القيروان سَنَةَ ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) وقد جاوز أشُدَّه.

٢- قال ياقوتُ الحَمَويُّ: وكانَ (أبو إسحاق الحصري) شاعراً نَقّاداً عالماً بتنزيل الكلام وتفصيل النِظام يُحِبُّ المُجانسة والمطابقة ويرغَبُ في الاستعارة، تَشَبُّهاً بأبي تّمامٍ في أشعاره وتتبُّعاً لآثاره. وعندَه من الطبع ما لو أرسَلَه على سَجِيّتهِ لجرَى جَرْيَ الماء ورقَّ رِقّةَ الهواء (معجم الأدباء «٢ : ٩٥»).

والحُصْري هذا[٢] مُصَنِّفٌ تدُور كُتُبه على الأخبار الطريفةِ والأشعار اللطيفة. من كتبه: زهر الآداب وثمر الألباب[٣]- ذيل زهر الآداب (أو: جمع الجواهر في المُلَح والنوادر)- كتاب النُورين (نور الظرف ونور الطرف)- المَصون والدر المكنون (المصون في سِرّ الهوى المكنون مجموع مقطّعات شعرية)- المُعَشَّرات[٤].

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن عليٍّ الحُصْريُّ القيروانيُّ (معجم الأدباء ٢ : ٩٣):

---

(١) ابن خلكان ينسب الحصري إلى صنع الحصر وبيعها (اجتهاداً!). ويقول حسن حسني عبد الوّهاب (مجمل الأدب التونسي ١١٩) أن الحصري منسوب إلى قرية الحصر قرب القيروان.

(٢) هنالك مصادر ومراجع تخلط بين إبراهيم بن عليّ الحصري القيرواني صاحب كتاب «زهر الآداب» وعلي بن الغني الحصري القيرواني الضرير صاحب قصيدة «يا ليل الصبّ». (وقد فعل بروكلمن مثل ذلك عند الكلام على أسماء الكتب) فَلْيتفطّن الدارس إلى ذلك.

(٣) ألّفه لأبي الفضل العباس بن سليمان.

(٤) بروكلمن ١ : ٣١٥.

يــا هَــلْ بَكَيْــتَ كما بَكَــتْ وُرْقُ الحمائمِ في الغُصونِ[١]؛
هَتَفَـــتْ سُحَيْراً والرُبـــى للقَطْر رافعـــــةُ الجفون[٢].
فكأنّهـــا صاغـــتْ عـــلى شَجْوي شَجى تلك اللُحون[٣]!
ذَكّرْنَني عَهْداً مضى للأُنس مُنْقَطِعَ القرين.[٤]
فتصرّمـــــتْ أيّامُهـــــا وكأنّهـــا رَجْـــعُ الجفون[٥].

– وقال في النسيب:

إنّي أُحِبُّـكَ حُبّـاً ليس يَبْلُغــه هَمّي، ولا يَنْتَهي فَهْمي إلى صِفَتِـهْ.
أقصى نِهايـةِ عِلْمي فيـه مَعْرِفتي بالعجزِ مِنّيَ عن إدراكِ معرفتهْ.

– الشعر المطبوع والشعر المصنوع (من كتاب زهر الآداب):

الشعرُ مطبوعٌ ومصنوعٌ. فالمطبوعُ الجيّدُ الطبعِ مقبولٌ في السَمْعِ قريبُ المِثال بعيدُ المَنال، أنيقُ الديباجةِ رقيقُ الزُجاجة يدنو من فَهْمِ سامعهِ كدُنُوِّه من وَهْم صانعه. والمصنوعُ مُثقَّفُ الكُعوبِ معتدلُ الأُنبوب، يَطَّرِدُ ماءُ البديعِ على جَنَباته ويجولُ رَوْنَقُ الحُسْن في صَفَحاته. وحَمْلُ الصانعِ شِعْرَه على الإكراه في التعمُّلِ بتَنْقيحِ المباني دونَ إصلاحِ المَعاني يُعَفّي آثارَ الصَنْعة ويُطفىء أنوارَ الصبغة!!، ويُخْرِجُه إلى فسادِ التعسُّفِ وقُبْحِ التكلُّف. وإلقاءُ المطبوعِ بيدهِ إلى قَبولِ ما يَبْعُثه هاجِسُه ويثقّفه!! وَساوِسُه- من غيرِ إعمالِ النَظَرِ وتدقيقِ الفِكَرِ- يُخْرِجُه إلى حدِّ المُسْتَهْدَمِ الرثِّ وحيِّزِ المَسْتَوْخَمِ الغثّ. وأحْسَنُ ما أُجْرِيَ إليه وَعُوِّلَ عليه هو التوسطُ بين الحالين والمنزلةِ بين المنزلتين مِنَ الطَبْعِ والصَنْعة.

---

(١) بكيت (بفتح التاء) للتجريد (اذ يخاطب الشاعر نفسه). الورقاء: الحمامة. ورق (؟) الحمائم: الحمام (الرماديّ اللون؟) البرّي (ولعلّه أجمل صوتاً).
(٢) الجفون (كذا في الأصل)، ولعلّها العيون. (رافعة العيون) تطلب من الله سقوط المطر.
(٣) الشجا (هنا) والشجو: الحزن والهمّ.
(٤) منقطع القرين (المثيل، الشبيه): عهد الشباب.
(٥) تصرّم: انقضى. رجع الجفون (كناية عن السرعة).

٤- زهر الآداب (على هامش العقد)، مصر ١٣٠٢ هـ؛ (نشره زكي مبارك)، القاهرة ١٣٤٤ هـ؟؛ (نشرة عليّ البجاوي)، القاهرة ١٩٢٥ م؛ (بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام محمّد هارون)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)؛ (بتجقيق زكي مبارك ومحمّد محيي الدين عبد الحميد)، بيروت (دار الجيل) الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م..

- ذيل زهر الآداب أو جمع الجواهر في الملح والنوادر القاهرة (المطبعة الرحمانية) بلا تاريخ؛ (حرّره عبد العزيز البشري)، القاهرة ١٣٥٣ هـ.

★ الأنموذج ١٧- ٢٠؛ بغية الملتمس ٢٠٩ (رقم ٥١٦)؛ معجم الأدباء ٢: ٩٤- ٩٧؛ وفيات الأعيان ١: ٥٤- ٥٥، ٣٩٤- ٣٩٥؛ الوافي بالوفيات ٦: ٦١- ٦٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٣٩- ٦٤٠؛ بروكلمن ١: ٣١٤- ٣١٥؛ الملحق ١: ٤٧٢- ٤٧٣؛ الأعلام للزركلي ١: ٤٤ (٥٠)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١٩- ١٢١.

ابن دَرّاجٍ القَسطلّيّ

١- هو أبو عُمَرَ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ العاصي بنِ أحمدَ بنِ سليمانَ بنِ عيسى بن دَرّاجٍ، أصلُ أهلهِ من بربر صِنْهاجة جاءوا إلى الأندلسِ في أيام الفَتْحِ مَعَ طارقِ بنِ زيادٍ في الأغلب، ثمّ استقرّوا في قَسْطَلّةِ دَرّاجٍ التي هي عند جيّانَ (شرقَ قرطبةَ) فيما يبدو.

وُلِدَ ابنُ درّاجٍ في المُحَرَّمِ من سَنَة ٣٤٧ (آذار- مارس ٩٥٨ م) في جَيّانَ في الأغلب. ونحن لا نَعْرِفُ شيئاً يُذْكَرُ عن حَياتهِ الأولى قبلَ أن يَتَّصِلَ بالمنصور بن أبي عامرٍ، سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م)، ويصبحَ شاعرَهُ. ومن الثابت أنّ ابنَ درّاجٍ قد رافقَ المنصورَ بنَ أبي عامرٍ في عددٍ من غَزَواتهِ.

ولمّا تُوُفِّيَ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ (٣٩٢ هـ= ١٠٠٢ م) خَلَفَهُ- في الحِجابة وفي الحَجْرِ على الخليفةِ هشامٍ المُؤَيَّدِ- ابنُهُ عبدُ المَلكِ فظلّ ابنُ درّاج يتمتّعُ بالحَظْوَةِ التي كانتْ له من قبلُ. ولكنْ لمّا تُوُفِّيَ عبدُ الملك وخَلَفَهُ أخوه عبدُ الرحمن (٣٩٨ هـ) سَقَطَتْ مَنْزِلةُ ابنِ درّاجٍ في البَلاط العامِريِّ، فصبرَ ابنُ درّاجٍ على ذلك مُكْرَهاً.

ثمّ سَقَطتِ الدولةُ العامِريَّةُ التي كانت مستبدّةً بالخُلَفاء الأُمويّينَ في قرطبةَ وجاء سُلَيْمانُ المُسْتَعينُ إلى الخِلافة (٤٠٠ هـ) فمدحه ابن دَرّاجٍ، ولكنّ سليمانَ لم يَحْفِلْ بمديحِ ابن درّاجٍ.

واتّصلَ ابنُ درّاجٍ بالقاسمِ بن حَمّودٍ (وزيرِ سليمانَ المستعينِ في قرطبةَ) ومدحه ولكنْ لم يَنَلْ منه شيئاً، فجازَ البحرَ إلى سَبْتَةَ (في المَغْرِبِ الأقصى) ومدح عليَّ بنَ حمّودٍ (أخا القاسمِ بن حمّود) فلم يَنَلْ منه شيئاً أيضاً.

عندَئذٍ عاد ابنُ درّاجٍ إلى الأندلسِ ومدح خَيْرانَ العامِريَّ صاحبَ المَرِيَّةِ (٤٠٥- ٤١٩ هـ) فأثابَهُ خَيْرانُ ثواباً قليلاً. فجاء ابنُ درّاجٍ إلى قرطبةَ (٤٠٧ هـ) ومدح الخليفة عبدَ الرحمنِ المُرْتَضى فلم يُثِبْهُ بشيء. وطال تطوّفُ ابنِ درّاجٍ بين بَلاطاتِ العامريّين من غيرِ أنْ يَحْصُلَ على فائدة.

وأخيراً ذهب إلى سَرَقُسْطَةَ ومدح المُنْذِرَ بنَ يحيى التُجِيبِيَّ (٤١٠- ٤١٤ هـ) فنالَ عنده حَظْوَةً فكَثُرَتْ مدائحُه في المنذر بن يحيى ثمّ في ابنهِ يحيى (٤١٤- ٤٢٠ هـ)؛ وأقْبَلَتِ الدُّنيا عليه واقْتَنى الأراضِيَ والضِياعَ. ويبدو أن شيئاً من الفُتورِ حَدَثَ بين ابنِ درّاجٍ وبين يحيى فغادرَ ابنُ درّاجٍ سرقسطةَ وجاء إلى دانِيَةَ (سنة ٤١٩ هـ) ومدح أميرَها مُجاهداً العامريَّ.

لم تَطُلْ حياةُ ابنِ درّاجٍ بعدَ ذلك فتُوُفِّيَ في دانِيَةَ في الأغلب، في النصفِ من جُمادَى الثانيةِ من سَنَةِ ٤٢١ (٢٢/ ٦/ ١٠٣٠ م).

٢- ابنُ درّاجٍ القَسْطلّيُّ شاعرٌ فَحْلٌ مُكْثِرٌ مُطيلٌ وكاتبٌ مترسّلٌ بارعٌ. وَهُوَ من جُمْلةِ الشعراء المُجيدين والعُلَماءِ المتقدّمين. وشعره أعلى طبقة من نثره.

وأسلوبُ ابن درّاجٍ مطبوعٌ على غِرارِ الشعرِ المَشْرقيِّ من شعرِ أولئك الذين يَتَكلّفون الغَوْصَ على المعاني ويتأنّقون في الصِياغة كأبي تَمّامٍ والمتنبّي حتّى سُمّي « متنبّيَ الغرب ». غيرَ أنّ في شعرِهِ- برُغْمِ ذلك كلّهِ- قَدْراً كبيراً من العُذوبة والسَلاسة، مَعَ شيءٍ من الغُموض أحياناً. وربّما رأيناه يُقَلِّدُ أيضاً أبا نُواسٍ وابنَ الروميّ وابنَ هانئ الأندلسيّ وغيرَهم.

وشعرُه الذي وصلَ إلينا مُعْظَمُه مدائحُ ثمّ بِضْعُ قصائدَ في الرثاءِ والتعزية تَبْلُغُ خَمْساً. ثمّ هنالك شيءٌ من الغزل والوصف للطبيعة وللحرب مَعَ أبيات من الحكمةِ متفرّقة في القصائد. وابن درّاجٍ يُكْثِرُ من وصف الأمجادِ ويُشيد بعظَمَةِ الإسلام

إشادةً بارزةً، ولا غَرْوَ فطبيعة الحروبِ التي كان العرب يَخوضونَها في الأندلسِ في ذلك الحين كانتْ تَقْتَضي ذلك.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ درّاجٍ القسطلّيُّ يمدح المنصورَ بن أبي عامر، وكان المنصورُ قد أمره بأنْ يُعارِضَ قصيدةَ أبي نواسٍ في مدحِ الخَصيب بن عبدِ الحميدِ صاحبِ الخَراج في مصرَ (أجارةَ بَيْتَيْنا أبوكِ غَيورُ)، فقال ابنُ درّاجٍ قصيدة منها:

أَلَمْ تَعْلَمي أن الثَواءَ هو التَوَى — وأنَ بيوتَ العاجزين قُبُورُ[(١)].
تُخَوِّفُني طُولَ السِفارِ، وإنّه — لِتَقْبيل كفِّ العامريِّ سَفير[(٢)].
دعيني أَرِدْ ماء المَفاوزِ آجِناً — إلى حيثُ ماءُ المَكْرُماتِ نَمير[(٣)]،
وأَخْتَلِسِ الأيّامَ خُلْسَةَ فاتكٍ — إلى حيثُ لي من غَدْرِهنّ خَفير[(٤)]؛
فإنّ خَطيراتِ المَخاطرِ ضُمَّنٌ — لِراكِبِها أنَّ الجزاء خَطير[(٥)].
ولّما تدانتْ للوَداعِ، وقد هَفا — بصَبْرِيَ منها أَنَّةٌ وزَفير[(٦)]-
تُناشِدُني عهدَ المَودّةِ والهَوى، — وفي المَهْدِ مَبْغومُ النِداء صغير[(٧)]

---

(١) الثواء: المكث والبقاء (في مكان واحد). التوى: الهلاك.... والذين لا يبرحون بيوتهم عجزاً منهم عن الضرب في الأرض تكون بيوتهم قبوراً لهم.

(٢) طول السفار: بعد السفر وطول مدّته. سفير: وسيلة إلى تقبيل كف المنصور بن أبي عامر (لنيل نداه وعطاياه).

(٣) ورد الماء: شربه. المفازة: البيداء التي يخشى فيها الهلاك وسمّيت مفازة للتفاؤل بأن الذي يسلكها يرجى له أن ينجو- يفوز ويخرج- منها. نمير: صاف، عذب.- اتركيني أشق (مجزومة: من الشقاء) واتعب حتّى أصل إلى المكان الذي فيه راحة وكرم.

(٤) واتركيني أغافل الأيّام بجرأة وعزم لأنجو منها إلى حيث آمن على نفسي منها.

(٥) ركوب المخاطر العظيمة يضمن للإنسان ثواباً عظيماً.

(٦) هفا: أسرع، ذهب. الزفرة: تنفّس طويل يصعّده الإنسان من همّ أو أسف - أنينها وزفرتها ذهبا بصبري.

(٧) المبغوم: الذي يشبه صوته البغام (صوت الظبي): طفل.

عَيِيٌّ بمرجوعِ الخِطاب، ولَفْظُهُ	بموقعِ أهواءِ النفوس خبير[1]-

عَصَيْتُ شَفيعَ النفس فيه وقادَني	رَواحٌ لِتَدْآبِ السُرى وبُكور[2].

لَئِنْ وَدّعتْ منّي غَيوراً فإنّني	على عَزْمتي من شَجْوِها لَغَيور[3].

أُسَلِّطُ حَرَّ الهاجراتِ إذا سطا	على حُرِّ وجهي والأصيل هَجير[4]،

ولِلْموتِ في عين الجَبان تَلَوُّنٌ،	وللذُعْرِ في سمعِ الجَرْيءِ صفير[5].

لقد أيْقَنَتْ أنّ المُنى طَوْعَ هِمّتي،	وأنّي بعَطْفِ العامريّ جَدير[6]!

وأيُّ فتًى للدينِ والمُلْكِ والنَدى	وتصديقِ ظَنِّ الراغبين نَزور[7]!

مُجيرُ الهُدى والدينِ من كُلِّ مُلْحِدٍ،	وليس عليهِ للضَلال مُجير[8]

تلاقَتْ عليه من تَميمٍ ويَعْرُبٍ	شُموسٌ تَلالا في العُلا وبُدور[9]

---

(١) عيِيّ: عاجز. بمرجوع الخطاب: بتبيان الألفاظ (بالرد على الأسئلة). ولفظه بموقع أهواء النفوس خبير: تأثير لفظه يصل إلى قلوب سامعيه.

(٢) الرواح: الرجوع في المساء، الذهاب مساء. التدآب: الدأب (بفتح الدال والهمزة)، المثابرة والاستمرار. السرى: السفر ليلاً.

(٣) إذا كانت امرأتي قد مانعت أنْ أسافر لأنّني غيور عليها، فأنا أيضاً غيور على أن أنفّذ ما أعزم عليه ولا أرجع عنه لئلا تشجى (يدخل على قلبها الحزن من ذلك).

(٤) حرّ الوجه: ما يبدو منه عادة (ما لا يستره الإنسان عادة- كما يفعل البدوي بالكوفية التي تستر جوانب وجهه فقط). الأصيل: منتصف الوقت بين الظهر وغياب الشمس. هجير: حرّ (بفتح الحاء).- وفي سبيل تنفيذ عزمي أعرّض وجهي للحر في نصف النهار حينما يكون الأصيل حرًّا لا يطاق.

(٥) في الديوان (ص ٢٩٩) وللموت في عيش، وهو خطأ مطبعي بلا ريب ولكن لم ينبّه عليه في باب الصواب والخطأ (ص ٦٢٦) - وحينما يكون للموت صور مختلفة في عين الجبان، وحينما يبلغ الخوف قدراً عظيماً حتّى تبدأ أذنا الجريء الشجاع تصفران من الخوف (تسمعان أصواتاً غير موجودة).

(٦) حينئذ أيقنت أنّني أستطيع أن أنال كلّ ما أعزم عليه. وهذا يجعلني أيضاً جديراً (مستحقًّا) بعطايا المنصور بن أبي عامر.

(٧) ليس هنالك رجل آخر غير المنصور بن أبي عامر ننتظر منه الدفاع عن الدين وعن الملك وننتظر منه العطايا التي تحقّق آمال الطالبين مهما تكن تلك الآمال كبيرة.

(٨) هو يجير (ينقذ، يحمي) الدين من الملحدين جميعاً، ولا يستطيع أحد أن يمنعه من القضاء على الضلال.

(٩) اجتمع في نسبه بنو تميم (دلالة على الكثرة والقوّة) ويعرب (دلالة على قدم المجد في أسلافه). ويعرب بن قحطان أيضاً أبو عرب اليمن (دلالة على عراقة المجد).

من الحِمْيَرِيِّينَ الذين أكُفُّهُمْ سحائبُ تَهْمي بالنَدى وبُحور[١] .
لهم بَذَلَ الدهرُ الأبيُّ قِيادَه، وهم سَكّنوا الأيّامَ وَهْيَ نَفور[٢] ؛
وهم ضَربوا الآفاقَ شَرْقاً ومَغْرِباً بجَمْعٍ يسير النصرُ حَيثُ يَسير؛
وهم نَصَروا حِزْبَ النُبُوَّةِ والهُدى وليس لها في العالمينَ نَصير.
ألا كلُّ مدحٍ عن مَداكَ مُقَصِّرٌ، وكلّ رجاءٍ في سِواكَ غُرور[٣].
لقد حاطَ أعلامَ الهُدى بِكَ حائطٌ، وقَدّرَ فيكَ المَكْرُماتِ قَدير[٤].
مُقيمٌ على بذلِ الرَغائبِ واللُّهى، وفِكْرُكَ في أقصى البلاد يَسير[٥].
فعَزْمُكَ بالنصرِ العزيزِ مُخَبِّرٌ، وسَعْدُك بالفتح المُبين بَشير.

– وقال يتغزّل[٦]:

وَحْشِيّةَ اللفظِ، هل يُودى قَتيلُكُمُ؟ دَمي مُضاعٌ، وجاني ذاك عَيْناكِ[٧].
إنّي أراكِ بقتلِ النفسِ حاذِقَةً؛ قولي- فَدَيْتُكِ-: مَنْ بالقتلِ أوْصاك!
ما لي وللبرقِ أسْتَسْقيهِ من ظَمَإٍ؛ هيهاتِ، لا رِيَّ إلاّ من ثَنايـاك!
لولا الضُلوعُ لَطارَ القلبُ نَحْوَكُمُ. ضَعي- بعيشِكِ- فوقَ القلبِ يُمْناك.

---

(١) الحميريّين: عرب الجنوب (دلالة على جمع المجد من عرب الشمال ومن عرب الجنوب). تهمي: تهطل: تسقط بكثرة. الندى: الكرم.

(٢) إن الدهر الذي يأبى أن يطيع أحداً من الناس انقاد لهم طائعاً راضياً. والأيّام التي هي نفور (كثيرة النفرة والهرب والجفلة من الناس) هدأت على يدهم.

(٣) غرور: خديعة النفس، مطلب لا يتحقّق.

(٤) الحائط: الحامي، المدافع. والمقصود بقوله: حائط وقدير «الله تعالى».

(٥) هو في بلده مستقر يعطي الناس الرغائب (جمع رغيبة: الأمر المرغوب فيه) واللهى (جمع لهية- بفتح اللام أو بضمّها-: العطية الجزيلة، ألف دينار، أو ألف درهم)، بينما هو يفكر (ويدير) جميع أنحاء البلاد.

(٦) هذه الأبيات تقليد لمقطوعة للشريف الرضيّ (ت بغداد ٤٠٦ هـ):
يا ظبية البان ترعى في خمائله ليُهْنِكَ اليوم أن القلب مرعاك.

(٧) وحشيّة اللفظ: لفظها يشبه بغام (بضمّ الباء) بقر الوحش (الظباء). في الديوان (ص ٥٣٨): هل يودي (بنقطتين تحت الياء): يهلك، يموت. والأصوب أن نقرأ: هل يودى (بألف مقصورة): هل تدفع ديته (بكسر الدال وفتح الياء بلا تشديد)، يدلنا على ذلك تتمّة البيت: دمي مضاع.... جاني ذاك عيناك: عيناك سفكتا دمي ثمّ حالتا بيني وبين أن أطلب منك دية (لأنّني أحبّك).

أَصْلَيْتِني لَوْعَةَ الهِجْرانِ ظالمةً ... رُحْماكِ من لَوْعة الهِجْرانِ رُحْماك[1]!
حاشاكِ أن تَجْمَعي حُسْنَ الصِفاتِ إلى ... قُبْحِ الصَنيع بِمَنْ يَهواكِ، حاشاك.
إن كانَ واديكِ مَمْنوعاً فمَوْعِدُنا ... وادي الكَرى فَلَعَلّي فيه ألقاكِ[2] !

- وكتب ابنُ درّاجٍ القسطلّيّ إلى مُنذرِ بنِ يحيى التُجيبي صاحبِ سَرَقُسْطَةَ (٤١٠- ٤١٤ هـ) رسالةً منها: (:الذخيرة ١ : ٦٤):

حيّاكَ بتحيةِ المُلْكِ مَنْ أحيا بك دعوةَ الحقّ، وردّاك رِداءَ الإعظام مَنْ[3] أعلى بك لِواءَ الإسلام: مُجْري الأقدارِ بإعلاءِ قَدْرِكَ ومُصَرِّفُ الليلِ والنهارِ بإعزازِ نَصْرِك، ومُظْهِرُ[4] مَنْ أطاعَك على مَنْ عَصاك، ومُدَمِّرُ مَنْ عاداكَ بسُيوف مَنْ والاك. قد جَعَلَ الله أوّلَ أسمائِك أوْلى بأعدائك وأقربَ اعتزائك صَفْواً لأوليائك[5]،؛ ثمّ سَما بك حاجبُ الشمسِ نُوراً وأُنْساً لهذا الإنس[6] ونَفْسَ حياةٍ لكلّ نَفْسٍ.

- وقال يمدحُ يحيى المظفّرَ بنَ المنذرِ التُجِيبيَّ (٤١٤- ٤٢٠ هـ) صاحبَ سَرَقُسْطَةَ. وهذه القصيدة تَبْعُدُ عن التقليد:

نجومُ الصِبا، أين تلك النجومْ؟ ... نَسيم الصَبا، أينَ ذاك النسيمْ[7]؟
أما في التَخَيُّلِ منها ضِياءٌ، ... أما في التَنَشُّقِ منها شَميمْ[8]؟

(١) أصلاه: عرّضه لحر النار. اللوعة: حرقة في القلب، ألم من حبّ أو همّ.
(٢) واديك: منزلك، المكان الذي تسكنينه. وادي الكرى: النوم - إذا كنت لا أستطيع أن أزورك في أرضك (خوفاً من أهلك) فلعلّي أراك في نومي (إذ ليس لأهلك سلطة على الرؤيا في النوم، ولا يستطيعون أن يمنعوها عنّي).
(٣) ردّاك: ألبسك. من: الذي (أي الله).
(٤) مظهر: ناصر.
(٥) أوّل أسمائك (المنذر: الذي يحمل خبر الشرّ). اعتزاؤك: انتاؤك، انتسابك: التجيبي (الجيب؟).
(٦) الأنس (بضم الهمزة): الحديث المفرح و(بكسر الهمزة): الناس.
(٧) نجوم (جمع نجم: أول ما ينبت من عشب الأرض). نجوم الصبا: أوائل الشباب. أين تلك النجوم: (نجوم السماء)أين أيام شبابنا الأولى؟ أين ذاك النسيم: أين ذلك الهواء الذي كنا نتنشّقه في أوطاننا؟
(٨) أليس في تخيل الإنسان لأيّام شبابه ضياء (رؤية) لذلك الشباب الذي مضى (شعور به)؟ أليس في التنشّق (محاولة شمّ الريح من نحو الوطن) شعور بأن الإنسان قريب من وطنه أو موجود فيه؟

لقــد شَطّ رَوْضٌ إليــهِ أحنُّ، وغــارتْ مِيــاهٌ إليهــا أَهــيم[١]،
لَيالِيَ إذ لا حبيــــبٌ يَصُــدُّ، وعَهْــدِيَ إذْ لا عَــذولٌ يلومْ؛
وخَمْري مِنَ الـدُّرِّ مِسْكٌ مُذابٌ، ورَوْضي من السَّحْر دَلٌّ رَخيم[٢]؛
وغُصْنُ شبــابٍ عــلاهُ المَشيــبُ كغَضٍّ رِياضٍ علاهـا الهَشيم[٣].
فيــا عَجَبــاً لِصُروفِ الزمــانِ شُهوداً لَنـا وَهْيَ فينا خُصوم[٤]!
فكيــفَ قضى حُكْمُ هذا القضاءِ عــليَّ لِدَهْرِيَ وَهْوُ الظَلوم[٥]؟
فنحنُ ديونُ النَوى، كــلَّ يومٍ على حُكْمِهِ يَقْتَضينـا الغَريم[٦]!
جُسومٌ تطــــيرُ بِهِنَّ القلوبُ بأَجْنِحَــــةٍ ريشُهُنّ الهُموم[٧]
بِكُــلِّ هَجــيرٍ لوِ النــارُ تَصْلَى جَحــيماً لأَصْبَحَ وَهْوُ الجَحيم[٨]!
وفي كُلّ بحرٍ- كما قيل- خَلْقٌ صغــير يُهاويــه خَلْقٌ عَظيم[٩]؛

(١) شط: ابتعد. غار الماء: ذهب في الأرض وضاع. هام: أحبّ امرأة. هام بالمرأة: حَنّ (بفتح الحاء) اشتاق. أهيم إليه (ليست في القاموس): اشتاق إليه.

(٢) خمري (الخمر التي أشربها وأسكر بها) من الدرّ (اللؤلؤ من الاسنان، أسنان المحبوب: من فمه). مسك مذاب: ريق المحبوب. في الديوان (ص ٢٧١): وروضي من السحر (بكسر السين)؛ وأرّجح أنا القراءة: وروحي (بفتح الراء: الراحة والانتعاش) من السحر (بفتح السين: الصدر!). الدلّ: الدلال، الجرأة على الزوج بتغنّج. الرخيم: (الكلام) اللّين العذب.

(٣) ليس الشباب جميلاً مع الشيب أو مع الشعر الأبيض، كما أن الروض الناضر لا يكون جميلاً إذا كان فيه عشب يابس.

(٤) من العجيب أن أحداث الدهر سالمتنا (في الماضي) مع أنّها (في الأصل والعادة) عدوّ لنا.

(٥) وكيف أعانني القضاء على دهري (ووهبني سعادة)، مع أن القضاء في العادة ظلوم (يظلم: يسلب الناس ما هو حقّ لهم)؟

(٦) نحن البشر ديون للدهر في هذه الحياة. وفي كلّ يوم يطلب الغريم (صاحب الدين، أي الدهر) دينه ممّن يريد: بالإفقار، بالمصائب، بالموت، الخ.

(٧) إنّ القلوب تتمنّى أمنيات عسيرة التحقيق ثمّ تحمل الأجسام على تحقيق هذه الأمنيات فتلقى الأجسام من جرّاء ذلك تعباً شديداً.

(٨) يسعى الإنسان إلى أن يحقّق رغباته في أحوال قاسية: في هجير (حر نصف النهار) ولو أن هنالك شيئاً أشدّ حرًّا من النار (من الجحيم: جهنّم) لكان هو ذلك الهجير.

(٩) وفي كلّ بحر عظيم يخوض فيه ذلك الإنسان الصغير. يهاويه ليست في القاموس. والأقرب أن يكون =

كأنّـــا عليـــه نُجومُ الثُّرَيّـــا تَسير وقـد أفْرَدَتْها النجوم[١] .
وفي اسم المظفّر فـــأل الحيـــاة ليحيـــا الغريـــب بـــه والمقـــيم.
يُبَشِّرُنـــا بِسَنـــاهِ الصَبـــاحُ ، وتُخْبِرُنـــا عن نَـداهِ الغُيوم[٢] .
وفي كـــلّ نـــادٍ مُنـــادٍ إليـــك: هَلُمَّ إلى حيثُ يَغْنـى العَديم[٣] ؛
هَلُمَّ إلى حيـثُ تُنْسى الرَزايا ، هلّم إلى حيثُ تُوسى الكُلوم[٤] .
عُلاً أعْرَقَتْ فيك من عَهْدِ عادٍ يَـــدينُ الكريمُ بهـــا واللَئيم[٥] .
وفي كـــلّ بَرٍّ وفي كـــلّ بحرٍ صِراطٌ إليـــك لَهـــا مُسْتَقـــيم.
وسيفُـــك للـــدينِ رُكْنٌ شديـــدٌ، وحَظُّك في المُلْك حَـظٌّ عَظـيمْ.
لَبِسْتَ إليهـــا من المُلْـكِ تاجـــاً يُهِـــلُّ الهِـــلالُ لـــه والنُجوم[٦]
عـــلى حُلَـــلٍ حاكَهُنّ السَنـــاءُ وأرْدِيَـــةٍ نَسَجَتْهـــا الحُلوم[٧].

= «يهاديه» (وهذه أيضاً ليست في القاموس، وإن جاءت في شعر الأخطل). والمقصود يدفعه أمامه بيسر. والإشارة هنا إلى قول عمرو بن العاص حينما سأله عمر بن الخطّاب أن يصفَ له البحر، فكتب إليه عمرو بن العاص: «البحر خلق كبير يركبه خلق صغير. وراكبه دود على عود. الداخل فيه مفقود، والخارج منه مولود».

(١) الثريّا عنقود نجوم. أفردتها: عزلتها.- كان الإنسان في البحر مثل عنقود الثريا في السماء إذا لم يكن في السماء نجوم غيرها (أي شيء ضئيل جدًّا).

(٢) سناء (نور الصباح جزء من سنائه: بشاشة وجهه ولطفه) والمطر نموذج من كرمه.

(٣) العديم: الفقير. في الديوان (ص ٢٧٣): يغنى (بالبناء للمجهول) ويجوز أن تكون يغنى (بالبناء للمعلوم).

(٤) الرزايا جمع رزيّة: مصيبة. الكلوم جمع كلم (بسكون اللام): جرح. أسا الجرح: داواه.

(٥) علا= العلا، العلى: الجد والرفعة والعظمة. أعرقت: كانت عريقة (قديمة في أسلافه). يدين: يقرّ. يدين الكريم بها واللئيم: يقرّ (له بهذا الكرم) جميع الناس.

(٦) هلّ يهلّ (بالبناء للمعلوم أو للمجهول) الهلال: ظهر. وهلّ الرجل: فرح.- إذا رأى الهلال والنجوم تاجك فرحن ثمّ رفعن أصواتهن من الدهشة والحسد (لأنّ تاجك أجمل منهن).

(٧) السناء: العلّو والارتفاع (والشاعر يقصد النور؟). الحلوم جمع حلم (بالكسر): العقل. يمدح الشاعر ممدوحه بكرم الأصل وبالحكمة (؟).

وللسابغـــــــاتِ بُحورٌ تَمورُ، وللسابحـــــاتِ سَفــــينٌ يَعومُ[1]
كـــــأنّ خَوافِــــقَ أعْلامِهِنَّ طيورٌ عـلى الماء منها تَحوم[2].
فــلا شاءَ دَهْرُكَ مــا لا تشاءُ، ولا رامَ شانيكَ ما لا تَروم[3].
فنصْرُكَ أوّلُ مـــــا نَسْتَمِـــدُّ، وعُمْرُكَ آخِرُ مــــا نَسْتَــديم[4].

٤- ديوان ابن درّاج القسطلي (حقّقه محمود علي مكّي)، دمشق (المكتب الإسلامي) الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م، الطبعة الثانية ١٣٨٩ ه.

★ جذوة المقتبس ١٠٢- ١٠٦ (رقم ١٨٦) الدار المصرية ص ١١٠- ١١٤؛ بغية الملتمس ١٤٧- ١٥٠ (رقم ٣٤٢)؛ الصلة ٤٤ (رقم ٧٧)؛ الذخيرة ١: ٥٩- ١٠٣؛ الوافي بالوفيات ٨: ٤٩- ٥٢؛ وفيات الأعيان ١: ١٣٥- ١٣٩؛ المغرب ٢: ٦٠- ٦١؛ المطرب ١٥٦- ١٥٧؛ شذرات الذهب ٣: ٢١٧- ٢١٩؛ نفح الطيب ٣: ١٩٥- ١٩٦؛ ٣٤١- ٣٤٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٤٢- ٧٤٤؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٧٨؛ نيكل ٥٦، مختارات نيكل ٣٣- ٣٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٤ (٢١١).

عصر ملوك الطوائف

يمتدُّ عصرُ ملوكِ الطوائفِ في الأندلسِ جِيلَيْنِ: من سقوطِ الخِلافة المَرْوانية سَنَةَ ٤٢٢ (١٠٣٧ م) إلى أنْ قضى يوسفُ بنُ تاشفينَ[5] على ملوكِ الطوائفِ سَنَةَ ٤٨٤

---

(١) السابغات: الدروع. تمور: تموج (كناية عن كثر الجنود). السابحات: الخيل (؟). سفين: سفن، مراكب (كناية عن كثرة الفرسان؟).

(٢) كأن الأعلام التي تخفق فوق جيشك (لكثرتها) جماعات من الطيور فوق ماء البحر لا أعلام لسفن (لأنّ السفينة يرتفع عليها علم واحد أو علمان اثنان أو ثلاثة أعلام. ولكّن كثرة سفنك بكثرة أعلامها تشبه جماعات الطيور.

(٣) الشانيء: العدوّ المبغض. رام يروم: أراد، أحبّ.

(٤) أوّل دعائنا أن ينصرك الله، وآخر دعائنا أن يديم الله بقاءك.

(٥) يوسف بن تاشفين أوّل سلاطين دولة المرابطين التي نشأت في المغرب سنة ٤٤٨ وكان لها في أوّل الأمر رئيس ليس بسلطان ثمّ أصبح يوسف بن تاشفين، سنة ٤٥٣، سلطاناً مستقلاً فيها. وسيرد تفصيل ذلك في صورة العصر السياسية لعصر المرابطين في الأندلس.

(١٠٧١ م). وأوائلُ ملوكِ الطوائفِ، في الأصلِ، كانوا- عندَ سُقوطِ الخِلافة المروانية- وُلاةً على مُدُنٍ مختلفةٍ فاستبدّوا بما كان تحتَ أيديهم ثم أوْرثوا الحُكْمَ عليهِ أولادَهم أو أتباعهم. وهنالك نَفَرٌ آخَرونَ كانوا من قبلُ قد حكَموا مُستقلين في عددٍ من المدن كَبَني الحَجّاجِ في إشبيليةَ، ولكننا لا نَعُدُّهم في ملوكِ الطوائف لأنّهم كانوا في الحقيقةِ ثائرينَ على سُلطةِ المَرْوانيين في قُرْطُبَةَ.

كانتْ كلُّ دويلةٍ من دُويلاتِ الطوائفِ تتألّفُ من مدينةٍ وما حولَها أو مِنْ مدينتَيْنِ؛ وكان ملوكُها من عصبيّاتٍ مُختلفةٍ: عرباً وبربراً ومُوَلَّدين (مُسلمينَ إسبانِيِّي الأصلِ). ثمّ كانوا مُتنافسين مُتخاصمين يغزو بعضُهم بعضاً. وربّما استعانَ بعضُهم بالطاغيـة (بملكٍ من ملوكِ النصارى الإسبان) على بعضٍ. ولقدِ اتّخذَ ملوكُ الطوائفِ جميعَ مظاهرِ الدُوَلِ من التلقُّبِ بألقابِ الخِلافة ومن الحِجابة (رِئاسة الوزارة) والوزَارة ومن أسبابِ التَرَف، كما كانوا يَجْمَعون في بَلاطاتِهِمُ الأدباء والشعراءَ فيُغْدِقون عليهمُ الأموال، يَمثِّلُ ذلك كلَّه قولُ ابنِ رشيقٍ (ت ٤٥٦ هـ):

مِمّا يُزَهِّدُني في أرضِ أندلُسٍ ... ألقـابُ معتمدٍ فيها ومُعْتَضِدِ:
ألقـابُ مَمْلكـةٍ في غيرِ مَوْضِعِها، ... كالهِرِّ يحكي آنتفاخاً صورةَ الأسد!

ويصعُبُ ضَبْطُ عددِ دُويلاتِ الطوائف وضبطُ مُدَدِها، فقد تولّى نفرٌ من مُلوكِها مُدُناً مختلفةً في أزمنةٍ مختلفة، وكان بعضُهم- في أثناءِ ذلك- ينتزعُ بعضَ هذهِ المدنِ من بعضٍ. وكذلك كان ملوكُ النصارى يستَوْلونَ- بين الحينِ والحينِ- على عددٍ من هذه المدن. ولكن بإمْكانِنا أن نقولَ إنّ دويلاتِ الطوائفِ كانتْ ثلاثاً وعِشرينَ منها:

- دويلات العامريّين (أعقابِ المنصور بن أبي عامرٍ ومواليه)، وكان موالي المنصور فتياناً من الصقالبة (السلاف) فكانوا أقدرَ الناس على الاستبداد بالمقاطعات المختلفة لأنّهم كانوا قُوّاداً ورؤساءَ حرسٍ، بالإضافة إلى أن نفراً منهم كانوا منذ أيامِ المنصور نفسِه وُلاةً على المدن التي استبدّوا بها.

من أصحاب هذه الدويلات مُجاهِدٌ العامريُّ في دانيةَ والجَزائر الشرقية (ميورقة ومنورقة ويابسة)، خَلَفه فيها ابنُه إقبالُ الدولة علي. ومنهم عبدُ العزيزِ (حفيدُ المنصورِ بنِ أبي عامرٍ) كان في بلنسية. ومنهم الفتى خَيْرانُ الصَقْلَبيُّ العامريُّ في المَريَّة. ثم انتقلتِ المريةُ إلى زُهيرٍ الصقلبيّ وشيكاً، سَنَةَ ٤٣١ (١٠٤٩ م). ثمّ انتقلتْ إلى المعتصم ابن صُمادحٍ (محمّدِ بنِ معنٍ)، سَنَةَ ٤٤٤ (١٠٥٢ م)، وكان أديباً شاعراً فحَفَلَ بَلاطُه برجالِ الأدبِ.

- دويلةُ بني هودٍ في سَرَقُسْطَةَ أولُهم منذرُ بنُ يحيى التُجِيبيّ، وقد طالَ حُكْمُهم من ٤١٠ إلى نحو ٥٤٠ هـ= (١٠١٩- ١١٤٥ م) لأنّهم كانوا بعيدينَ في شَمالِيّ الأندلسِ عن دولَتيِ المُرابطين والمُوحِّدين في المَغْرب. وكَثُرَتِ المنازعاتُ بين امراءِ بني هودٍ كما كثرتْ حروبهم مَعَ ملوك الطوائف ومَعَ الإسبان فهَلَك في تلك المنازعاتِ والحُروب جماعاتٌ كثيرةٌ من المسلمين.

- دويلة بني ذي النون (تعريب زَنّونَ: اسمٍ بربريّ) في طُلَيْطُلَةَ، واشهرُ ملوكِها يحيى المأمون، هَلَكَ أيضاً في حروبه مَعَ ملوك الطوائف ومَعَ الإسبان خَلْقٌ كثيرٌ من المسلمين.

- بنو زِيري في غَرناطَةَ. غَلَبَ على غَرْناطةَ حَبّوسُ بنُ ماكِسِنْ بنِ زيري الصِنْهاجيّ ثمّ خَلَفَهُ ابنُه باديسُ فاستبقى وزيراً كان لأبيهِ اسمُه إسماعيلُ بن النَغْرَلةِ[1] (وكان يهوديًّا) فملأ اسماعيلُ هذا مناصبَ الدولةِ بأبناء جِنسه فاكْتَسبوا

---

(١) يرد هذا الاسم في صور مختلفة. في البيان المغرب لابن عِذاري (٣: ٢٣١، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٦): نغزالة بالزاي، وفي إعلام الأعلام للسان الدين بن الخطيب (ص ٢٣٠) نغرالّة (بالراء وباللام المشدّدة). والكتابان بتحقيق ليفي بروفنسال، وهو مستشرق يهوديّ واسع المعرفة بتاريخ الأندلس، وكان من المنتظر أن يحقق هذا الاسم في المصادر اليهودية. وورد هذا الاسم في نفح الطيب (٤: ٣٢٢): نغدلة (وهو الصواب)، ولكن مفهرس نفح الطيب لمّا قرأ (٣: ٣٨٧): «... ابن الفراء.... عاد إلى غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي» أفرد في الفهرس الهجائي سطراً باسم ابن نغرالة (مباشرة بعد السطر الذي فيه: ابن نغدلة). وفي الإحاطة لابن الخطيب (بتحقيق محمّد عبد الله عنان): ابن نغرالة (١: ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٧). وقد علق عنان بحاشية (ص ٤٤٢) ذكر فيها أن الاسم ورد في مخطوطتي الإحاطة «نعرالة» (بالعين والراء) وفي الذخيرة «النغريلي» وفي البيان المغرب =

المالَ والجاه واستطالوا على المسلمين. وماتَ اسماعيلُ فخَلَفه في الوزارةِ ابنُه يوسفُ فزادَ على أبيهِ في الإساءة إلى المسلمين فنَشِبَتْ ثورةٌ سنة ٤٥٩ (١٠٦٩ م) قُتل فيها يوسفُ وكثيرٌ من أبناء قومه.

- دويلةُ بني الأفطس في بَطَلْيَوْسَ، أشهرهُم مُحمّدٌ المُظفَّرُ وكان عالماً لبيباً وأديباً شاعراً وبطلاً شُجاعاً.

- دَوْلة بني عبّادٍ في إشبيليةَ، أكبرُ دويلاتِ الطوائف وأشهرُها وأكثرُها أثراً في حياة الأندلس في أيامِهم (٤١٤- ٤٨٤ هـ)، وسَنُلِمُّ بأشياءَ من تاريخِ دَوْلَتِهِم في أثناءِ تراجمِ رجالِهِمْ.

في الشمال الإفريقي

لمّا بدأ عصرُ ملوك الطوائفِ في الأندلُسِ كان لبني مَغْراوةَ وبني يفرن (وهم من زِناتة) دولةٌ في فاسَ (المغرب)، ولكنّها كانتْ تحتَ نَظَرِ المَروانيين في الأندلس. وكان أولَ ملوكِ هذه الدولةِ زيري بنُ عَطِيةَ المَغْراويُّ. وتقلّب هوى زيري بنِ عطيةَ بين المَرْوانيين في الأندلُسِ والفاطميين في مِصْرَ. وبعدَ قتالٍ بينَه وبينَ المنصورِ بنِ أبي عامرٍ عاد إلى طاعةِ المنصورِ والمروانيين. واستطاع زيري أن يُوَسِّعَ مُلْكَه فيضُمَّ إليه جانباً من شَمالي غَربيّ الجزائر (تاهرتَ وتِلِمْسانَ وجوارَهما)، ولكنه أُصيبَ بجِراحٍ تُوُفِّيَ منها، سَنَةَ ٣٩١ (١٠٠٠ م).

وبعدَ زيري جاء ابنُه المُعِزُّ (٣٩١- ٤١٧ هـ) ثم جاء حَمامةُ بنُ المُعِزِّ (ابنُ عمّ المعزِ ابنِ زيري) فاستتبَّ الأمرُ له وعَظُمَ ملكُه وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٤٤٨ (١٠٥٦ م).

= « نغزالة (بالزاي) ثمّ يرجّح « نغرالة » (بالغين والراء).- والصحيح أن الاسم من جذر عبري « نجد » (بجيم فارسية) كالجذر العربي « نجد » (الأرض المرتفعة). وبما أن الدال يمكن أن تلفظ في القشطالية ذالاً (بإخراج طرف اللسان من بين الأسنان)، فالاسم يمكن أن يقرأ: نجدلة أو نجذلة أو نغذلة. ويرد هذا الاسم في « تاريخ الفكر الاسباني » (ص ١٥، ١٠٧، ١٠٨): نغدلة (ولكنّه في الفهرس: نغرلة). ويرد في « تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف (لاحسان عباس) والمرابطين »: النغرالة (ص ١٣) والنغريلة (ص ٧٥، ١٣٦، ١٤٧، ١٤٨).

في هذه الأثناءِ كان الحُكْمُ على القُطر التونسي للمعزِّ بنِ باديسَ الصِنْهاجي (٤٠٦- ٤٥٣ هـ)، وفي عَهْدِهِ ازدهرتِ الزِراعةُ والصِناعةُ واتّسعتِ الحضارةُ ونَمتِ الثروةُ وعَمّتِ الرفاهِيَةُ وكَثُرَ العُمرانُ ونَشِطَتِ الحركةُ الفِكريةُ والحركةُ الأدبية. وعلا صيتُ المُعزّ الصِنْهاجي فهادَنَتْه الملوكُ وهادَتْه من السودانِ (الغربي) ومن مِصْرَ ومن القُسطنطينية، بينَ سَنَةِ ٤٢٣ وسَنَةِ ٤٢٦ (١٠٣٢- ١٠٣٥ م).

إلى ذلك الحينِ كانتْ إفريقية (القُطر التونسي) لا تزالُ على وِفاقٍ مَعَ الفاطميّين أصحابِ مِصْرَ، وكان المذهبُ الفاطمي (المذهبُ الشيعي المُتَطرِّفُ سياسياً ودينيًّا) سائداً فيها. ولكنْ في سَنَةِ ٤٣٥ (١٠٤٣ م) حدثتْ نِقمةٌ على أشياعِ الفاطميين ثمّ اتّسعتْ فأصبحتْ فِتنةً فلم يستَطِعِ المُعزُّ وَقْفَ القتالِ فيها ثمّ اضْطُرَّ إلى مُجاراةِ الرعيّةِ في اتّجاهِها فخَلَعَ طاعةَ العُبَيدِيّين (الفاطميّين) وردّ البلادَ إلى مذهبِ الإمامِ مالكٍ ثمّ حوّل الخُطبةَ (الدَعوةَ يومَ الجُمُعْة على المنابر) مِنَ الفاطميين (خُلفاءِ القاهرة) إلى العبّاسيّين خُلفاءِ بغدادَ، سَنَةَ ٤٣٩ (١٠٤٧- ١٠٤٨ م).

وغِيظَ الفاطميّون فسرّحوا إلى إفريقية عدَداً من القبائل البَدْويةِ، كانتْ في ذلك الحين في صعيدِ مِصْرَ، منها بنو هِلالٍ وبنو سُليمٍ وبنو رِياحٍ وبنو زغبةَ- نحوَ أربعِمِائَةِ ألفٍ- فانْساحَ هؤلاء في الشّمال الافريقيّ من برقةَ (شرقيّ ليبيا) إلى القُطْر التونسي ثم إلى القُطْر الجزائري فتوغّلوا فيه حتى بلادِ مِزابَ في الداخل وحتّى الشواطىء الشّمالية الشرقية.

وجَهِدَ المُعزُّ في مُقاومتهم وصَدِّهم فلَمْ يَسْتَطِعْ. وفي رَمَضانَ من سَنَةِ ٤٤٩ (خَريفِ ١٠٥٧ م) انتشرَ بنو هلالٍ «ومَنِ انْضمّ إليهم من بِطانةِ السوء في أرجاءِ إفريقيةَ فعاثوا فيها فساداً وتخريباً ونهباً واستباحوا القَيْروانَ حتى أصبحتْ حاضِرَتُها الزاهرةُ أثراً بعد عَيْنٍ» (خلاصة تاريخ تونس ٩٤- ٩٥).

ثم نَفَذَتْ هذه القبائلُ إلى القُطْر الجزائري، سَنَةَ ٤٥٧ (١٠٦٥ م) فحَرَصَ الناصرُ آبنُ علناس، خامسُ ملوكِ الدولة الحَمّادية،- وكان أشهرَ ملوكِ هذه الدولةِ وأعلاهم شأناً، وفي أيامِهِ استفحلَ مُلكُ بني حمّادٍ- على رَدِّهِم فلم يستطعْ فَنَجا منهم إلى مدينةِ

قُسَنْطينة « فتَبِعَهُ الهلاليون واقتحموا عليه المدينةَ فاسْتَوْلَوْا عليها وعلى القلعة والمَسيلة وطُبْنَةَ وهم ينهُبونَ ويَخْرِبون حتّى تركوا البلادَ بلاقعَ والديارَ خَراباً... ومعَ ذلك فإنّ أضرارَ بني هلالٍ بالجزائر لم تبلغْ مَبْلَغَها في تونسَ وطرابُلُسَ (ليبيا) لأنّ الجزائرَ لم تكن المقصودةَ من (هذه) الحملةِ بالذات » (تاريخ الجزائر العام ١ : ٣١٥).

وفي ذلك كلّهِ يقولُ ابنُ خلدونٍ في مقدّمته (بيروت ١٩٦١ م، ص ٢٦٥):

« وإفريقيةُ والمَغْربُ لمّا جاز إليها بنو هِلالٍ وبنو سُليمٍ منذ أوّلِ المِائةِ الخامسةِ.... عادتْ خَراباً كُلُّها، بعدَ أن كان ما بينَ السودان والبحر الروميّ كلُّه عُمراناً ». ومن أجلِ ذلك عَقَدَ ابنُ خلدونٍ فصلاً عُنوانه (ص ٢٦٣): « في أنّ العَرَبَ إذا تغلّبوا على أوطانٍ أسْرَعَ إليها الخرابُ ». وابنُ خلدونٍ يَقْصِدُ بكلمةِ العربِ « البَدْوَ ».

بدأتْ هذه الفَترةُ وآلُ خزرونٍ يَتَوَلَّوْنَ طرابلسَ ويَتردّدونَ بوَلائهم- بِحَسْبِ مَصالِحِهِمُ الآنِيّةِ- بينَ الصِنْهاجيّين في القَيْروان والفاطميّين في القاهرة.

استعانَ سعيدُ بنُ خَزرونٍ بِمِصْرَ ثمّ استطاعَ أن يطرُدَ ابنَ عمّهِ خَليفةَ بنَ وَرّو من طرابُلُسَ ويَتَولاّها مكانه (٤٣٣- ٤٦٦ هـ). وفي أيامِه كانَ انسياحُ بني هِلالٍ وبني سُليمٍ في ليبيا ثمّ في بَقيةِ الشَّمال المَغْربي. ثم وَجَدْنا خَزرونَ بنَ خَليفةَ يتولّى طرابُلُسَ (ولكن لا نَعْرِفُ كيفَ). وفي أيامِه عادتْ طرابُلُسُ عنِ المذهبِ الفاطميّ إلى المذهبِ المالِكيّ.

وفي سَنَةِ ٤٥٠ (١٠٥٨ م) فَتَحَ المُنتصرُ بنُ خزرونِ بنِ سعيدٍ طرابُلُسَ وطَرَدَ منها ابنَ عَمّهِ خزرون بنَ خليفةَ. ثمّ إنّ خليفةَ بنَ خزرونِ بنِ سعيدٍ استطاع أنْ يتولّى طرابُلُسَ (٤٦٠- ٤٨٨ هـ) وكان مُستبداً ظالماً (راجع في بني خزرون « ولاة طرابلس » تأليف الطاهر أحمد الزواوي، بيروت ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م، ص ٨٣ وما بعد).

- أوجه الحضارة:

كان عصرُ ملوكِ الطوائفِ عَصْرَ تَفَكُّكٍ اجتماعيّ وضَعْفٍ سِياسيّ، ولكنّه كان أيضاً عَصْرَ زَهْوٍ حَضاريّ ورُقِيٍّ ثقافيّ. إنّ أوّلَ ما يَلْفِتُ نَظَرَنا في عصرِ ملوكِ الطوائفِ اضطرابُ الحياةِ الاجتماعيّة بالفِتَنِ الداخليةِ: بالمُنازعاتِ بينَ العربِ والبربرِ وبالاقتتالِ بينَ ملوكِ الطوائفِ وبالحُروب بينَ المسلمين والنصارى. في أثناءِ ذلك كلِّهِ كان السُكانُ يخضَعون لِهِجْراتٍ إجباريةٍ أوِ اختياريةٍ: هِجراتٍ داخليةٍ بينَ مُدُنِ الأندلسِ ينتقلون في أثنائها من مدينةٍ يَظُنّونها أقلَّ أمناً أو مغانِمَ إلى مدينة يظُنونَها أكثَرَ سلامةً وأوفرَ رِبْحاً. وقد تكونُ الهِجرةُ خارجيةً فيُغادِرُ الأندلسيون مُدُنَهُمْ إلى المَغْرب، وخصوصاً حينما يستولي الإسبانُ النصارى على المُدُنِ الأندلسيّة. ولقد نشأ في أثناءِ ذلك كلّهِ نَفَرٌ من المسلمين أنفسِهم انتحلوا المُغامرةَ والشَطارةَ وتنقّلوا بينَ المُدُنِ المنكوبةِ يَسْلُبون ويَنْهَبون وربّما قتّلوا وخرّبوا.

وملوكُ الطوائف الذين كانت مصادرُ أموالهم قليلةً- لضيقِ الأرض التي كانوا ملوكاً عليها- عَمَدوا إلى إثقالِ كاهلِ رعاياهم بالضرائبِ حتّى يتمكّنوا مِنَ الإنفاق على وُجوهِ تَرَفِهِمْ من البناء والمَتاع واللَّهْو وعلى الغَزْوِ، مِمّا يُضْطَرُّ إليه في العادة عظماءُ الملوك.

ومَعَ هذا كلّهِ، فإنّ الحضارةَ في عصرِ ملوك الطوائف قدِ آستبحرتْ- على ضيقِ المكانِ وقِلّةِ عددِ السكّان- مِمّا يدُلُّ على غِنى البلادِ وخِصْبِ الأرض. إنّ الزراعةَ في الأندلس كانتْ عِمادَ الثروة الوطنية. وإنّ المرءَ لَيَعْجَبُ حينما يرى دولةً كدولةِ بني عبّادٍ في إشبيليةَ أو دُويلةً كدويلةِ بني ذي النون في طُلَيْطُلة تُنشىء القصورَ والجنائن وتستكثرُ من الرقيق وتغالي في اقتناء الجواهرِ والثيابِ ويشتري أحدُهم الجاريةَ بثلاثةِ آلافِ دينارٍ. ولم يكن هذا التَرَفُ قاصراً على الحُكّام، بل كان المحكومون أيضاً على مِثلِ هذا الترفِ والإسراف.

ووَمَضَ في عصرِ ملوكِ الطوائفِ بارِقانِ ضعيفانِ: التشيُّع والشُّعوبية.

كان بنو حمودٍ مُلوكُ قُرْطُبَةَ ينتسبون- حقاً أو باطلاً- إلى بني هاشمٍ قومِ

الرسولِ. ومَعَ أنّ هؤلاء الحمّوديّين أنفسَهم لم يُلَوّحوا بهذا النسبِ كثيراً فإنّ نفراً من الشعراء أَلَحّوا في المديحِ عليه من بابِ الطَرافة والتجديدِ على الأقلِّ، تَكَسُّباً لا اعتقاداً.

ومَعَ أنّه كان للشعوبية مُسوِّغاتُها لِقلّة عددِ العرب الأقحاح ولِغَلَبَةِ غيرِ العرب في الأندلس، مِنَ الفِرنجةِ خاصّةً، فإنّ الإسلامَ كان قدْ أغرقَ العصبيّاتِ كلَّها. والأندَلُسيُّ كان مُسلِماً في الدرجةِ الأولى. فالعربُ والعربيةُ أوِ العُروبة والعُروبيّة ألفاظٌ تدلّ كلُّها في نظرِه ورأيِه على الإسلام. ومَعَ هذا فنحن نَجِدُ مثالاً من الشعوبية الحادّة (تفضيلِ غيرِ العربِ على العربِ) عند أبي عامرٍ أحمدَ بنِ غَرْسِيَةَ، وكانَ أصلُه من نصارى البُشْكَنْس (الشَمال الغربي من إسبانية) عُنِيَ به مُجاهدٌ العامريُّ صاحبُ دانِيَةَ ونشّأه على الإسلام والعربية. ولابن غَرْسِيَةَ هذا رِسالةٌ يُعْلِي فيها شأنَ قومِهِ ويحُطُّ من شأنِ العرب. ولَعَلّنا لا نَجِدُ شخصاً آخَرَ فَعَلَ ذلك!

- أوجه الثقافة في الأندلس:

لَقِيَتِ الثقافةُ في الأندلسِ في عصرِ الطوائف كثيراً من الحُرّية والتشجيعِ ولكنّها لم تُرْزَقْ كثيراً مِنَ الاتّساع. إنّ الثقافةَ تحتاجُ إلى زمنٍ تَنْضَجُ فيه شيئاً فشيئاً بخِلاف الحَضارة التي يُمْكِنُ أنْ تَسْتَبْحِرَ في الزمنِ القصيرِ بعاملِ النَّقْلِ والتقليد.

كان أبو عمروٍ الدانيُّ (ت ٤٤٤ هـ = ١٠٥٣ م) أحدَ الأئمّةِ في علمِ القُرآن وتفسيرِه وأحدَ حُفّاظِ الحديث، له تصانيفُ كثيرةٌ: التَيْسيرُ (في القِراءات السَبْع) - المُقْنعُ (في رَسْمِ - تهجئة - المَصاحف ونَقْطِها) - طَبَقاتُ القرّاء، الخ.

واشتهَرَ بعلومِ الحديثِ ابنُ غلبونِ الخَوْلاني (ت ٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م)، وكان مُكْثِراً من الرِوايــة ثَبْتــاً دَيّنــاً. وأشْهَرُ منـه في ذلك ابنُ عَبـدِ البَرِّ (ت ٤٦٣ هـ = ١١٧٠ م)، ويبدو أنّه كان يَجْمَعُ بينَ المذاهب. غيرَ أنّ شُهرتَه تقومُ على كتاب «الاستيعاب» (في تراجمِ الصَحابةِ والتابعين).

ومن علماءِ هذه الفترةِ أبو الوليدِ هِشامُ بنُ أحمدَ الكاتبُ المعروفُ بابنِ الوَقّشي

(٤٠٨- ٤٨٩ هـ) من أهلِ طُليطلة. كان واسعَ العِلم بعددٍ من فنونِ المعرفة: بالحديثِ والفِقْهِ وباللغة والنحْو وبالخَطابة والبلاغة والشِعر وبالحِساب والفَلَكِ والهندسة والفرائضِ وبالمنطقِ، كما كان شاعراً بارعاً، له:

بَرّحَ بي أنّ عُلومَ الورى اِثنانِ ما إنْ فيهما مِنْ مَزيدْ:
حقيقـــةٌ يُعْجِزُ تَحْصيلُهـــا، وباطـــلٌ تحصيلُـــه لا يُفيـــدْ!

وكانتْ له تآليفُ منها: « نُكَتُ الكامل » للمُبرِّد (بغية الوعاة ٤٠٩).

ومن فُقهاءِ هذه الحِقبة محمدُ بن عَتّابٍ (ت ٤٦٢ هـ = ١٠٦٩ م)، وكان فقيهاً عالماً عاملاً وَرِعاً عاقلاً بصيراً بالحديثِ وطُرُقهِ وعالماً بالوثائق وعِلَلها كَتَبَها مُدةً في حياتِه ولم يأخُذْ عليها من أحدٍ أجْراً. وقد كان شيخَ أهلِ الشورى في زمانِه وعليه مَدارُ الفتوى في وقتهِ. ولم يَقْبَلْ أنْ يتولى القضاء.

ومنهم أبو الوليدِ الباجيُّ المُتوفَّى سَنَةَ ٤٧٤ للهجرة (راجع ترجمته)، له من الكتب: التسديدُ إلى معرفة التوحيد- إحكامُ الفُصول في أحكام الأصول- شرحُ المُوَطّأ- مُخْتَصَرُ المُخْتَصَرِ في مسائل المُدَوَّنَةِ-[1] سُنَنُ الصالحين، الخ.

رَحَلَ أبو الوليدِ الباجيُّ إلى المشرق ثمّ عادَ فوجَدَ الأندلسَ في اضطرابٍ سياسيٍ وفقْهِيّ، فحاول أن يجمَعَ بينَ ملوكِ الطوائف بالصُلْح. ثمّ حَرَصَ على جِدالِ ابنِ حزمٍ في المذهبِ الظاهري الذي كان ابنُ حَزْمٍ ينشُرُه في الأندلس. كان ابنُ حزمٍ يرى أنّ جميعَ ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف يَجِبُ أنْ يُفْهَمَ على ظاهرِه إلاّ إذا كان منه ما جَرَتْ عادةُ العربِ على فَهْمِهِ مَجازاً ثم كان فَهْمُهم له على هذهِ الصورة مُوافقاً لأُصول البلاغة العربية. وكان نَفَرٌ من الفقهاءِ يَرَوْنَ في المذهبِ الظاهريّ لابنِ حزمٍ بِدْعَةً. ولقد بادَ هذا المذهبُ (بَطَلَ العملُ به).

وابن حزمٍ (ت ٤٥٦ هـ ١٠٦٤ م) عالمٌ وفيلسوف أيضاً.

---

(١) المدونة: أجلّ كتب الفقه المالكي- راجع ترجمة سحنون (ت ٢٤٠).

فَنّدَ ابنُ حزمٍ رأيَ قُدماءِ اليونانيين في الفلك فقال: ليس للنجومِ نفوسٌ وَهِيَ لا تَعْقِلُ ولا تَعْرِفُ الغيبَ ولا هي تُدَبّرنا في شأنٍ من الشؤون، إلاّ إذا قُصِدَ بالتدبيرِ التدبيرُ الطبيعيّ كأثَرِ حرارةِ الشمس فينا. وكذلك سَفّه قولَ اليهودِ ورأيَ نَفرٍ من عَوامٍّ المسلمين الذين يزعُمون أنّ النِيلَ والفُراتَ ودِجْلَةَ وجَيْحونَ (نَهْراً في أواسطِ آسِيَةَ شَمالَ الأفْغان) أنهارٌ تَخرُجُ من الجَنّة ثم قال: إنّ مَخارجَ هذه الأنهارِ مَعْروفة في الأرض ومذكورة في كتب الجغرافية.

ومن البارعين في العلوم الرياضية، وفي الفلك والهندسة خاصةً، الحسنُ بنُ محمدِ بنِ حَيٍّ التُجيبي (ت ٤٥٦ هـ) وأبو الحَكَم الكَرْماني السَرَقُسْطي (ت ٤٥٨ هـ) من أهلِ قُرْطُبَةَ وكان بارعاً في علم العدد (خواصّ الأعداد) والهندسة. رَحَلَ إلى المشرق، وكان أوّل من أدْخَلَ رَسائِلَ إخوانِ الصفا[1] إلى الأندلس. ومنهم أبو الوليد الوقّشي (ت ٤٨٩ هـ- وقد مَرّ ذِكْرُه قريباً) ثم أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ يحيى التُجيبي النقاش المعروف بالزرقالي (ت ٤٩٣ هـ = ١٠٩٩ م) وقد أدْخَلَ أشياءَ من أوْجُهِ التحسين على صناعة الاسطُرْلابِ وعلى تسهيل العمل به. وقد حَسَبَ دَرَجَةَ مَيْلِ أوْج الشمسِ بالنسبة إلى النجوم الثوابت.

ولَمَعَ في هذا العصرِ، في الجُغرافية، أبو عُبيدٍ البَكْريُّ (ت ٤٨٧ هـ)- وستأتي له ترجمةٌ.

ونَجِدُ في التاريخ «التذكرةَ» أو «الكتابَ المُظَفّريّ» للمُظَفّرِ بنِ الأفطس (ت ٤٦٠ هـ) في فنونٍ مختلفةٍ (نحوَ خمسينَ جُزءاً) لعلَّ أبرزَها التاريخُ. ثم هنالك كتابُ «الاستيعاب» لابنِ عبدِ البرّ (ت ٤٦٣ هـ) وقد مرّتِ الإشارةُ إليه. أمّا كبيرُ مُؤرّخي هذا العصرِ- وأحدُ أكابرِ المؤرّخين- فهو حَيّانُ بنُ خلفِ بنِ حيّانَ (ت ٤٦٩ هـ) صاحب كتاب «المقتبس»، وَنَعْرِفُ منه اليومَ ثلاثةَ أجزاءٍ من عَشْرةٍ.

---

(١) إخوان الصفا جماعة سرية نشأت في البصرة في القرن الرابع (العاشر للميلاد). ولهم «رسائل» جمعوا فيها المعارف القديمة (العلمية والفلسفية) إلى أيامهم ثم بثّوا فيها كثيراً من آرائهم الدينية.

ولِحَيّانَ ترجمةٌ مستقلة. وهنالك كتابُ « البيانِ الواضحِ في المُلِمِّ الفادِح » لمحمدِ بن عَلْقَمَةَ (٤٢٨- ٥٠٩ هـ) في تاريخ بَلَنْسِيَةَ ومَصائِبها على يدِ الإسبان النصارى.

وفي « طبقاتِ الأطبّاء » (٢: ٣٥ وما بعد) أسماءٌ كثيرةٌ لِعُلَماءَ اشتغلوا بالطِبِّ سَبَقَتِ الإشارةُ إلى نَفَرٍ منهم في مَيْدانِ الرياضيّات. ثم نذكُرُ من غيرِ هؤلاء ابنَ الخياط (ت ٤٤٧ هـ) وأبا مُسْلِمٍ عمرَ بنَ أحمدَ بنِ خَلْدونٍ (ت ٤٤٩ هـ) وعبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الذَهبيَّ (ت ٤٥٦ هـ) وقدِ اشتغلَ بالطِب والكيمياء والفلسفة. ونجْمُ هذهِ الحِقبة في الطب ابنُ وافدٍ الأندلسيُّ (ت ٤٦٠ هـ) كان لا يُداوي بالأدويةِ ما أمْكَنَ التَداوي بالأغذية. ثم لا يُداوي بالمُركَّبِ من الدواء ما أمْكَنَتِ المداواةُ بالبسيطِ منه، فإذا احتاجَ إلى التركيبِ لم يُكْثِرِ المُركَّباتِ في الدواء.

ولم تَجِدِ الفلسفةُ تشجيعاً في الأندلسِ: تكلّمَ ابنُ حَزْمٍ (ت ٤٥٦ هـ) في المَنْطِقِ قليلاً فزجَروه وحملوا عليه. ثمّ تكلّمَ في نَظريةِ المَعْرفة (في الجزء الخامس من كتاب « الفِصَل بينَ الأهواء والمِلَلِ والنِحَل ») كلاماً في ذِرْوَةِ التَفكيرِ الفلسفيّ المُطْلَقِ حينما جَعَلَ المعارف (حتى المعدودَ منها من حَيِّزِ العقل) راجعةً إلى الحَواسِّ السليمة.

وألَّفَ صاعدٌ الطُلَيْطُليُّ (٤٢٠- ٤٦٢ هـ) كتابَ « طَبَقات الأُمم» أوْجَزَ فيه تاريخَ الفكرِ والعِلم عند الأُمم القديمة وعند العرب.

- الثقافة في المغرب الإفريقي:

يتراكب عصرُ ملوكُ الطوائفِ في الأندلس (٤٢٢- ٤٨٨ هـ) وعصرُ المُرابطين في المَغْرب (٤٤٨- ٥٤١ هـ). ولكنْ بما أنّ الثقافةَ السائدةَ كانتْ أندَلُسِيةَ النشأةِ أندلسيةَ الطابَعِ فسنأخذ بالزمن الأندلسيّ أيضاً ونُغَلِّبُ حِقبة الطوائفِ على حِقبة المُرابطين.

كان الغالبَ على الثقافةِ في هذه الحِقبة كثيرٌ من الفِقْهِ والنحوِ وقليلٌ من العِلم والنَقْد. هنالك في هذا المَنْحى عبدُ الله بن ياسينَ (ت ٤٥١ هـ) مؤسّسُ دولةِ المرابطين وأبوها الروحي، وقد كان فقيهاً وأديباً ناثراً كاتباً. ثمّ هنالك مروانُ بن سَمْحونٍ (٤٢١- ٤٩١ هـ) وأبو القاسم المُعافريّ السَبْتيّ (ت ٥٠٢ هـ) وأبو عبد الله التميميُّ

(٤٢٩- ٥٠٥ هـ) وعبدُ الله بن سعيد الوُجْديّ (ت قبلَ ٥١٠ هـ) وأبو جعفرٍ اللُّواتي المعروفُ بابنِ الفاسي (ت ٥١٣ هـ). وكل هؤلاء من المغرب الأقصى.

ثمّ تَحْسُنُ الإشارةُ إلى ابنِ رشيقٍ القَيْروانيّ الأديبِ الشاعر الناقدِ (ت ٤٥٦ هـ)، له ترجمةٌ مستقلةٌ. وكذلك تحسُنُ الإشارةُ إلى ثلاثةِ نَفَرٍ من القُطْر الجزائري: الطبيبِ العالمِ ابنِ عَمْرونٍ الوهْرانيّ (من أحياء القرن الخامس) وإلى أبي القاسمِ يوسفَ بنِ علي البِسْكَريّ (٤٠٣- ٤٦٥ هـ) وكان بارعاً في القِراءات واللُّغة والنحو، رَحَلَ إلى المْشرق وتولّى التدريسَ في مدرسةِ نَيْسابورَ إلى أنْ تُوُفِّيَ. وهنالك أيضاً الحسنُ بنُ عليِ بنِ طريفٍ التاهَرْتِيّ النَحْوي (ت ٥٠١ هـ).

الخصائص الفنيّة

كان المَغْرِبُ- في إفريقيةَ والأندلُسِ- مختلفاً من المشرق في وجوهٍ كثيرةٍ: في طبيعةِ الأرض وفي أجناسِ السُكّان وفي التُراثِ الحَضاريّ والثقافيّ وفي المنازعِ الشخصيةِ التي تُمْليها عواملُ مختلفةٌ في بيئةِ الأدبِ العربي الجديدة: لا جِدَال في أنّ العربَ في المشرقِ كانوا أقربَ إلى جيرانِهِمُ المُخالطين لهم من الآراميين واليهودِ والأحباش (بعاملِ القَرابة العِرْقية- المظنونة على الأقلّ) ثمّ إلى جيرانِهِمُ المُتاخمين لهم من الروم والكُرْد والفُرس (بعامل الحَضارة الشرقية والتُراث الثقافي) من العرب في المغرب إلى جيرانِهِمُ الجُدُدِ من الرومان والقُوط والفِرنْجة، في شِبهِ جزيرةِ الأندلس. ثمّ إنّ النَصرانيةَ الشرقيةَ في المشرق لم تكنْ شديدةَ العِداء للإسلام (إذ كان في النصرانية يومَ ظَهَرَ الإسلامُ فِرَقٌ نصرانيةٌ قريبةٌ في عقائدها من العقيدة الإسلامية). أمّا النصرانيةُ الغربية (الكنيسةُ الكاثوليكية) التي كانتْ شديدةَ العِداء للنصرانية الشرقيةِ فإنّها كانتْ بطبيعةِ الحال أشدَّ عِداء للإسلامِ ولِمَا يَتّصلُ بالإسلام.

لم يكنْ لِهذه العناصرِ آثارٌ منظورةٌ في الأدب الأندلسي، ولكن كان في الأدبِ الأندلسي مظاهرُ لا يُمْكِنُ تفسيرُها بَجلاءٍ إلاّ إذا نحن أوْلَيْنا هذه العناصرَ شيئاً من العِناية. وإنّ الذي خَفَّف أثرَ هذه العناصرِ عاملانِ اثنانِ أساسيّانِ: أوّلُهما أن

الإسلامِ أغْرَقَ العصبيّاتِ كلَّها، وثانيهما أن طريقةَ التعلْيم في الأندلس كانتْ تقومُ على دِراسةِ التُراثِ العربي المُتقدِّم من القرآنِ والفِقه والشِعر الجاهليّ والتاريخ العربي والحياة المشرقية- مَعَ الرِحلةِ أحياناً كثيرةً إلى المشرق نفسِه- قبلَ التَوَفُّرِ على وجهٍ من وجوه الاختصاص المُختارة. هذانِ العاملانِ جَعَلا من الأندلُسِيِّ مُسلماً في عقيدتهِ على سَمْتٍ واحدٍ، حتى إنه لم يَسُدْ في المغربِ (من عُدْوَةِ إفريقيةَ ومن عُدْوة أوروبةَ) إلاّ مذهبٌ واحدٌ هو المذهبُ المالكيّ. وكذلك بَلَغَ رسوخُ اللغة العربية في النفوس مبلغاً جعل نَصارى الأندلُس- وهم بطبيعة الحال غير عربٍ وغير بربر، بل جرمان (قوط) ولاتين وجِلّيقيون- يتعربون ويتقنون العَربية ويَنثِرون فيها ويَنظِمون.

بلغَ النِتاجُ الادبي في عصرِ ملوك الطوائف- في مَدى جِيلَيْنِ: نحوِ ستّينَ عاماً أو تزيدُ قليلاً- مبلغاً كبيراً في المِقدار وفي البَراعة والتفنُّن والجَوْدة. ومَعَ العلم اليقين بأنّ الفنونَ الأندلسيّة ما زالتْ هي الفنونَ العبّاسيةَ: المدحَ والرِثاءَ والهِجاء والغَزَل والخمر والوصف والزُهد وما إلى ذلك، ومَعَ أن الأغراض: وصفَ الخمرِ ووصف القُصور ووصف الجنائن ووصف السماء ونجومها ظلت كما كنّا نرى عند أبي نواسٍ والبُحتريّ وابن الرومي وابن المُعتزّ العباسيّينَ، فإنّ الأندلسيّين عالجوا هذه الفنونَ وهذه الأغراضَ نفسَها مُعالجةً جديدةً من حيثُ المِقدارُ لا من حيث النوع: لقد أكْثروا من التشخيص (إضفاء صفاتِ الأحياء على الكائنات الجامدة) ومن سَعَةِ الخيال. أمّا فيما عدا ذَيْنِكَ، فإنّ النَفَسَ المشرقيّ العربيَّ والأثرَ المشرقى الفارسي- مِنَ خِلالِ النَفَسِ العربي- ظلاّ يسريان في الأدب الأندلسيّ. من ذلك مثلاً قول المعتضد بن عباد (مختارات نيكل ٧٦):

فـــــإنْ أرَدتَّ، إلَهي، بالوَرَى حَسَنـــــاً
فَمَلِّكَنّي زِمـــــــــامَ العُرْبِ والعَجَمِ

وقول المعتمد بن عبّاد يفتخر بعشيرته (الحلة السيراء ٢: ١٥٦):

إن كوثروا كانوا الحصى، أو فوخروا   فمن الأكاسر من بني الأحرار[1]؟

ويُعْزى التنَّوعُ في نِتاجِ الأدبِ الأندلسي إلى التنوّع في طبيعةِ الأرض الأندلسيةِ.

ولقد كان الأندلسيون أنفسُهم يشعُرون بهذا التنوّعِ ويفتخرون به. نقل المَقَّريُّ (ت ١٠٤١ هـ = ١٦٣١ م) عن أبي عُبيدٍ البكريّ (ت ٤٨٧ هـ) قولَه (نفحِ الطيب ١ : ١٢٦):

الأندلُسُ شاميةٌ في طِيبها وهوائها، يَمانيةٌ في اعتدالها واسْتوائها، هِنديةٌ في عِطْرها وذَكائها، أهوازية في عِظَمِ جِبايتها، صينية في جواهرِ معادنها، عَدَنية في منَافع سَواحلها....

ودراسةُ الخصائصِ الفنّيّةِ والفنونِ الأدبية في هذا العصرِ ليست سهلةً - لِقِصَرِ هذا العصرِ ولأخذِ عددٍ كبيرٍ من أُدبائه من عصرِ الخلافةِ المروانيةِ قبلَه ثم من عصرِ المرابطين بعدَه. من هؤلاء جميعاً: ابنُ الخياط الرَبَعِيّ الصِقِلّي (ت بُعيد ٤٣٦ هـ) وابنُ حزمٍ الأندلسيُّ وابنُ رشيقٍ القَيْروانيّ وأبو عبد الله بن شَرَفٍ القيرواني وابنُ زيدون (ت ٤٦٣ هـ) ثمّ تميمُ بنُ المُعزّ الصِنْهاجي (ت ٥٠١ هـ) وابنُ اللّبّانة وابنُ النَحْويّ التَوْزَري وابن صارةَ الشَنْتريني والأعمى التُطيلي وابنُ عبدونٍ وأُميةُ بنُ عبدِ العزيزِ والفتحُ بنُ خاقانَ وابنُ حمديسٍ الصِقِليّ (ت ٥٢٩ هـ).

إنّ كَثْرةَ ملوكِ الطوائفِ وتنافُسَهم في الأُبّهة ومظاهرِ المُلك ثم عَداوةَ بعضِهم لبعضٍ جعَلَتْهم في حاجةٍ إلى شُعَراءَ يمدحونَهم رَفْعاً لِمكانَتِهِمْ في عيونِ أعدائهم أو إغاظةً لأندادِهم ومُنافسيهم. من أجلِ ذلك تقاطَرَ الشُعراء من كُلِّ طبقةٍ ومَيْلٍ إلى بلاطاتِ هؤلاء الملوكِ يمدحونهم تكسُّباً.

وكان هؤلاءِ طَبَقَتَيْنِ رَئِيسَتَيْنِ: طبقةً من شعراءِ البَلاطات على الحَصْرِ مثلَ ابنِ

---

(١) الأكاسر جمع كسرى: لقب ملوك الفرس. الأحرار (الأبناء) أبناء الفرس الذين كانوا في صدر الإسلام وفي اليمن خاصّة.

عبدونٍ شاعرِ بَلاطِ بني الأفطس في بَطَلْيَوْسَ ثمّ طبقةً من الشعراء المتكسّبين المتَنَقلين بين البَلاطاتِ مثلَ الأسعد بن بِلّيطةَ. وقد قَسَمَهُمْ إحسانُ عباسٍ (تاريخ الأدب العباسي: عصر الطوائف والمرابطين ٨٢ وما بعد): شُعراءَ مُنْتمين وشُعراءَ جَوّالين، ثمّ أضاف إلى هؤلاء عدداً آخَرَ من الطبقات.

واستعملَ نفرٌ من هؤلاءِ الشُعراء الإلحاحَ والغَلاظة والقِحَةَ حتى إنّ أبا الحسنِ الحُصْريَّ القَيروانِيَّ (ت ٤٨٨ هـ) تَعَرّض للمعتمدِ بن عبادٍ- والمعتمدُ أسيرٌ- بالمدح واعتصر منه جائزةً كان المعتمدُ أحقَّ بها. وفي أحيانٍ كثيرةٍ كانَ هؤلاء الشعراءُ يرضَوْنَ بالدُون من العطاء.

ومعاني المديح في الأكثر ظلّتِ المعانيَ المشرقيةَ، وإن كانَ التعبيرُ عنها يجيءُ، بطبيعةِ الحال، مُختلفاً. قال ابنُ عمّارٍ يمدحُ المعتمدَ بنَ عبادٍ:

من لا تُسابقه الرياحُ إذا جرى، ... من لا تُوازِنُه الجِبالُ رَزانةً،
لَمّا رأيتَ الغُصن يُعْشَقُ مُثْمِرا. ... أثْمَرْتَ رُمْحَكَ من رُؤوس كُماتِهِمْ
لمّا عَلِمْتَ الحُسنَ يُلْبَسُ أحمرا. ... وَصَبَغْتَ دِرْعَكَ من دِماء مُلوكِهِمْ

ففي البيتِ الأوّلِ قولُ الفرزدقِ «أحلامُنا تَزِنُ الجِبال رزَانةً». وفي البيت الثاني معنى مُسلِمِ بنِ الوليد:

«يكسو السيوفَ دِماء الناكثين به ... ويجعَلُ الهامَ تيجانَ القَنا الذُبُلِ»!

وأما البيت الثالث فمن بيت بشارٍ:

«وإذا دَخَلْتِ تَقَنّعي ... بالحُمْرِ، إنّ الحُسْنَ أحْمرْ»!

ومن توابعِ المديحِ الفَخْرُ (مدحُ الإنسانِ قومَه وأهلَه ونفسَه) والحماسةُ (التمدُّحُ- مدحُ النفسِ- بالأعمال المَجيدة وبالصبْرِ على المكاره). وقد كان الفخرُ والحماسةُ مشرِقيَّيْنِ في خصائصها. قال عبدُ الملكِ بنُ هُذيل بنِ رَزينٍ[1]:

---

(١) الحلّة السيراء ٢ : - ذو الرئاستين حسام الدولة أبو مروان عبد الملك بن هذيل بن رزين صاحب السهلة =

شأوْتُ أهلَ رَزِينٍ غيرَ مُحْتَفِلٍ وهم- على ما عَلِمْتم- أفضلُ الأممِ .
قوم إذا حُوربوا أفْنَوْا ، وإنْ سُئلوا أغْنَوْا ، وإن سُوبقوا حازوا مَدَى الكرم .
جادوا فما يَتعاطى جُودَ أُنْمُلِهم مدُّ البِحارِ ولا هَطّالةُ الدِيَمِ .
وما ارْتَقَيْتُ إلى العَليا بلا سَبَبٍ. هيهاتِ! هل أحدٌ يسعى بلا قَدَم؟
فَمَنْ يَرُمْ جاهداً إدْراكَ مَنزلتي ، فَلْيَحْكِني في النَدى والسيف والقلم!

وقال عبد الله الشقراطيسي[1] في الحماسة:

وكم أقدمت لي نخوة البأس في الوغى إذا حسّر الأقوامَ فيها التخلّفُ[2].
أُصَمِّمُ تصميمَ الفِرِنْدِ وأمتري خَلوقَ المنايا والأسِنّةُ ترعُف[3].
وأعْتَسِفُ الهَوْلَ العَماسَ ، وصاحبي رقيقُ الظُّبا عَضْبُ الغِرارين مُرْهَفُ![4]

ولعلّ الرثاء في هذا العصرِ كان ألصقَ بالخصائص المشرقية من كلِّ فنٍ آخَرَ: ذكراً لمفاخرِ المَيْتِ في الحياة ومُغالاةً في ذلك ثمّ تفجّعاً شديداً ، وما يُضاف إلى ذلك من التأسي بالمصائب السابقة وضرب الأمثال وإيرادِ الحِكَم والمواعظ. قال ابن اللّبّانة يرثي المعتمدَ بنَ عبّاد:

تبكي السماءُ بدَمْعٍ رائحٍ غادٍ على البهاليلِ من أبناءِ عبّادِ[5]:

= (شنتمريّة الشرق: شرق الأندلس) وتدعى اليوم ألباراثين (على مائتي كيلو متر شرق مدريد ومائة كيلو متر إلى الشمال الغربي من بلنسية).

(١) المجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٦٦.

(٢) أقرأ: وكم أقدمت بي. إذا حسّر الأقوام....: إذا انهزم القوم فكان ذلك حسرة في نفوسهم.

(٣) صمّم السيف: قطع اللحم والعظم. الفرند: السيف (الشديد الجلاء حتى ليتراقص النور على صفحتيه). امترى: استخرج. الخلوق: نوع مركّب من الطيب (العطر). المنايا جمع منيّة (الموت). خلوق المنايا: الدم (؟). السنان: الحديدة في أعلى الرمح. رعف يرعف: سال منه دم.

(٤) اعتسف الطريق: سار فيه على غير هدى (بلا مبالاة- ثقة بنفسه وشجاعته). الهول: الأمر الشديد (الحرب). العماس: الشديد. الظبا جمع ظبة (بضم ففتح) والغرار: حد السيف. العضب: القاطع. المرهف: الرقيق الحد (القاطع).

(٥) البهلول (بضم الباء): السيّد الجامع لصفات الخير.

على الجبالِ التي هُدّتْ قواعِدُها، وكانتِ الأرضُ منها ذاتَ أوْتادِ.
يا ضيفُ، أقفرَ بيتُ المَكْرُماتِ فخذْ في ضمِّ رَحْلِكَ واجْمع فضلةَ الزاد.
ويا مُؤَمِّلَ واديهِمْ لِيَسْكُنَهُ، خَفَّ القَطينُ وجَفَّ الزرعُ بالوادي[1].
حانَ الوَداعُ فضجّتْ كلّ صارخةً وصارخٍ مِنْ مُفدّاةٍ ومن فادِ[2].
كم سال في الملءِ من دمعٍ، وكم حملتْ تلك القطائعُ من قِطْعات أكْبادِ[3]!

وقصيدةُ ابنِ عبدونٍ مشهورةٌ في ذلك، ومنها قِطعةٌ صالحةٌ في ترجمة صاحبها[4]. وليس في رِثاءِ شعراءِ الأندلسِ للمُدُن والقصورِ من جديدٍ في الموضوع (وإنْ كان ثمّةَ اختلافٌ في الأحداث). من ذلك لَمّا اسْتولى الأُرْدُمانيّون على حِصن بَرْبَشْتر[5] قال الفقيهُ الزاهدِ ابن العسّالِ:

ولقد رمانا المشركونَ بأَسْهُمٍ لم تُخْطِ، لكن شانَها الإصْماء[6]:
هَتَكوا بخَيْلِهِمُ قصورَ حريمِها: لم يَبْقَ لا جَبَلٌ ولا بَطْحاء[7].
جاسوا خلال ديارِهم فلهم بها في كلّ يومٍ غارةٌ شَعواء[8]:
كم موضعٍ غَنِموه لم يُرْحَمْ به طِفلٌ ولا شيخٌ ولا عذراء.

---

(١) خفّ (رحل) القطين (الساكن).

(٢) المفدّاة: التي تفدّي الميت (تقول عند رأسه: أفديك بنفسي) تندبه. الفادي: الحامي عن غيره يفديه بنفسه.

(٣) القطيعة: قطعة من الأرض يولّي عليها الحاكم من يشاء (إشارة إلى أنّ أبناء المعتمد بن عبّاد الذين كانوا يتولّون مدنا أو يعدّون في الأمراء، وكانوا كثيرين).

(٤) عبد المجيد بن عبدون (ت ٥٢٩ هـ = ١١٣٥ م) شاعر ووزير لبني الأفطس من ملوك الطوائف.

(٥) (راجع نفح الطيب ٤: ٤٤٩). والأردمانيّون يقال لهم أيضاً: المجوس لأنّهم لم يكونوا، إلى ذلك الحين، قد دخلوا في النصرانية بعد.

(٦) تاريخ الأدب الاندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٧٨. لم تخط (يقصد: لم تخطىء: لم تحد عن هدفها). لكن يقصد: إذ، لأنّ. أصمى: اصاب مقتلا.

(٧) حريمها (كذا في الأصل) البطحاء: الارض المستوية.

(٨) ديارهم (كذا في الأصل). الشعواء. المنتشرة: (التي تمتدّ الى كل مكان).

ونحن نَعْرِفُ مثلَ ذلك في الشعرِ المَشْرقي: رثاء البصرةِ بعدَ فِتنةِ الزَنْج لابن الرومي ثمّ إيوان كِسرى للبحتري وسوى ذيْنِكَ.

وعَرَفَ هذا العصرُ الأندلسيّ هِجاءً قاله رجالٌ ونساءٌ منهم أبو إسحاقَ الإلبيري وابنُ الحدّاد الوادي آشي والسُمَيْسِرُ ووَلاّدةُ ومُهْجَةُ القرطبية. وقد كان بعضُ هذا الهِجاء مُقْذِعاً فاحشاً. غيرَ أنّ الأدبَ الأندلسيَّ لم يَعْرِفْ شعراءَ هِجاءٍ من نَجْرِ الحُطيئة وجَريرٍ وبشارٍ وأبي نُواسٍ وابنِ الروميّ من الذين برعوا في ابتكارِ المعاني وفي تصويرِ المعائب وفي تحليل الطباع. وتحسُنُ الإشارةُ إلى الإلبيري (ت ٤٦٠ هـ) في هجاء اليهود (كما نرى في ترجمته).

والشكوى من الدهرِ والإخوانِ ثمّ عتابُ الأقاربِ والأباعد معروفانِ في كلِ زمانٍ ومكانٍ. والحنينُ إلى الوطن ضَرْبٌ من الشكوى كانتْ دواعيه في المَغْرب- وفي الأندلسِ خاصّةً- أكثرَ منها في المشرق، ذلك لأنّ الحروبَ الإسبانية كانتْ تُزْعِجُ الناس عن أوطانِهِمْ طَوْعاً وكَرْهاً. وأشهرُ من يُشار إليه في هذا الموضوع ابنُ حَمْديسٍ الصِقليّ المتوفّى سنة ٥٢٩. كان ابنُ حمديسٍ قدِ انتقلَ من صِقِلّيَةَ- لمّا استولى عليها النورمان، سَنَةَ ٤٧٠ (١٠٧٨ م) فقال أبياته المشهورة:

ذَكَرْتُ صِقِلِّيَــــــةً والأسى   يُهَيِّـــجُ للنفسِ تَذْكارَهــــا.

والإنسانُ يُحِبُّ وطنَه على كلِ حالٍ، فكيف بهِ إذا كانَ ذلك الوطنُ جميلاً عظيماً. فقدِ اتفقَ لمحمدِ بنِ شَرَفٍ القَيْرَوانيّ (ت ٤٦٠) ولأبي الحسنِ الحُصْري (ت ٤٨٨) أن يُفارِقا بَلَدَهما إلى الأندلُس، فَشَكَوَا كِلاهُما البُعادَ، وأبيات الحُصريّ:

على العُدْوةِ القُصوى، وإنْ عَفَتِ الدارُ،   سلامُ غريبٍ لا يَؤوب فيَزْدارُ[1].

وحُقَّ بُكاءُ العينِ، والقلبُ مُسْعَرٌ،   لمَنْ باتَ مِثلي لا حبيبٌ ولا جارُ[2].

---

(١) العدوة (الجانب) القصوى (الأكثر بعداً): الجانب الإفريقي (في مقابل الجانب الأوروبيّ: الأندلس). آب: رجع. ازدار (افتعل: ازدور: ازدار): زار.

(٢) مسعر: مشعل، حارّ (حزين).

شفى اللهُ داءَ القَيْروانَيْنِ بَعدَنا؛ فقد مَرِضَتْ للقَيْروانَيْنِ أبصـار[1].
وكيـف غِناءُ الطيرِ في غيرِ وُكْرِها، وقـد بَعُدَتْ عنهـا فِراخ وأوْكـار.
ألا يا بُروقاً لُحْنَ من نحو صَبْرةٍ، وليس لها إلاّ دُموعِيَ أمْطار[2]،
عَسى فيـك من ماءِ الحُبَيْباتِ شَرْبَةٌ ولو مِثلَ ما يُوعي من الماءِ مِنْقار[3]!

- الوصف:

والوصفُ في المَشْرقِ كانَ مَيّزَةَ العصر العباسيّ، وهُوَ في الأندلس ميّزةُ الأدبِ الكبرى، في الشعرِ والنثر: وصفُ الطبيعةِ بما فيها من آثارٍ عُلْوية (بضم العين وسكون اللام: غَمامٍ ورِياح وأمطار) وبما فيها من جَنائنَ وأنهارٍ ومن أشجارٍ وأزهار وأثمار، ومن حَيَوان، وبما ينشأ فيها من مُدُنٍ وقُصورٍ ومن أساطيلَ وسِلاح وسوى ذلك. ولا حاجةَ إلى الاستشهاد على ذلك لأننا نراه عند كُلِّ خُطوةٍ في تاريخ الأدب الأندلسي.

وإذا نحن أردْنا حَلاوةَ اللفظ وأناقةَ المعنى وحدَها في وصفِ الخمر اسْتَطَعْنا أن نُورِدَ نماذجَ كثيرةً من ذلك، كقولِ ابنِ عمارٍ (ت ٤٧٧): «أَدِرِ الزُجاجةَ فالنسيمُ قدِ انبرى» أو كقولِ ابنِ حَمْديسٍ (ت ٥٢٩): «قُمْ هاتِها من كَفّ ذاتِ الوِشاحْ» (والقِطْعتـان كِلْتاهما من صُلْبِ عصرِ الطوائف- وهما مذكورتانِ في تَرْجَمَتَيْ شاعرَيْهما).

والغزل والنسيب من الوصف- والشعر إلاّ أقلّه وصفٌ، كما يقولُ ابنُ رشيقٍ-. وقد عرَف هذا العصرُ الأندلسيُّ الغَزَلَ الصريحَ مُؤنّثاً ومُذكّراً، كما عَرَفَ الغَزَلَ العفيفَ صحيحاً ومكذوباً. ولكنّ الغزلَ الأندلسيَّ لم يَعْرِفْ شاعراً قصَرَ شِعرَه على الغزل كعمرَ بنِ أبي ربيعةَ ومجنونِ ليلى، أو شاعراً شُهِرَ بالغزلِ وحدَه كجَميلِ بنِ مَعْمر والعَبّاسِ بنِ الأحنف. ولا نستطيعُ أن نَتَبَيَّنَ في الغزل الأندلسيّ جانباً لم

(١) القيروانان: مدينة القيروان ومدينة صبرة التي تسمى المنصورية، وقد كان العمران بين القيروان وصبرة متّصلاً.
(٢) لاح: ظهر.
(٣) أوعى: جمع وحفظ (بمقدار ما يحمل منقار الطائر من الماء: قليلاً جداً).

نَجِدُهُ في الغزلِ العبّاسيّ. إن قصةَ أبي عبدِ الله بنِ الحدادِ القَيْسيّ شاعرِ المُعتصمِ بن صُمادحٍ مَعَ نُويرةَ النصرانية - والتي أراد بُطْرُسُ البُستانيُّ[1] أن يَجْلُوَها ثمّ أحبّ إحسانُ عبّاسٍ[2] أن يَجْعَلَها مِثالاً للنزعةِ الفكريةِ الفلسفية في مُقابل قصيدةِ ابنِ زيدونٍ «أضحى التنائي» التي رأى إحسان عباس أنّها كَسَفَتْ قصيدةَ ابنِ الحدّاد بالشُهرةِ الاجتماعية لابنِ زيدونٍ وولادةَ وبالمقدرةِ الشعرية لابنِ زيدونٍ- لم تكن جديدةً في الأدب العربي: شاعرٌ مسلمٌ يُحِبُّ فتاةً غيرَ مُسلمةٍ.

قال بطرس البستاني:

«وكان من جَراء اختلاطِ (الأندلسيّين) بالنصارى أنْ شاعَ عندَهم الغَزَلُ النَّصْرانيُّ[3] وذكرُ الكنائسِ والقَساوِسَةِ والصُلبان كَغَزَلِ ابنِ الحدّاد في نُويرةَ النصرانية، وكان يَهْواها فلم تَرْضَ به بَعْلاً لاختلاف دِينها عن دِينه. فهامَ بها وأكْثَرَ مِن التشبيب». ثم يُورد بُطْرُسُ البستاني مقطوعةً لابنِ الحداد في نُويرةَ هذه:

عَساكِ، بحَقِّ عِيساكِ ... مُريحــــةُ قَلْبِيَ الشاكي.
فـــإنّ الحُسْنَ قــد وَلاّ ... كِ إحْيائي وإهْلاكي.
وأوْلَعــني بصُلبــانٍ ... ورُهبــانٍ ونُسّاكِ.
ولم آتِ الكنائسَ عنْ ... هَوىً فيهنَّ لولاك!
وهــا أنــا مِنْــكِ في بَلْوى ... ولا فَرَجٌ لبَلْواك
ولا أسْطيــعُ سِلوانــاً ... فقــد أوْثَقْــتِ أشراكي.
وكم أبْكي عليــكِ دَمــاً ... ولا تَرْثِينَ للباكي!
فهــل تَــدْرينَ مــا تَقْضي ... على عَيْنَيَّ عَيْناكِ؟
ومــا يُذكيــه من نــارٍ ... بقلبي نُورُكِ الذاكي؟

---

(١) أدباء العرب ٣: ٥٨- ٥٩.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٦٠- ١٦٢.

(٣) يقصد: الغزل بالنصرانيّات.

نُويرةُ، إن قَلَيْـــتِ فإنـ ـنَني أهواكِ أهواك[1].
وعينـــاكِ الشَهيـــدانِ بأني بعضُ قَتْلاك.

هذه المقطوعةُ، إذا تأمَلْتَها، لا تَجِدُ فيها فنّاً شِعرياً يُسوِّغ الحديثَ عليها، إذ ليسَ فيها شيءٌ من عبقريّةِ ديكِ الجنِ الحِمْصي مَعَ جاريته النَصرانية وَرْدٍ[2]. وليسَ فيها أيضاً شيءٌ من ذلك الحِسِّ الصادِق في قِصَّة مُدْرِكِ بنِ عليٍّ الشَيْبانيّ مَعَ عَمْرو النصراني[3]. وهي طبعاً نازلةٌ عنِ العاطفة وعنِ الصورة اللّتَيْنِ نَلْقاهُما في قول القائلِ:

زُنّـــارُه في خَصْرِه معقودُ كأنّـــه من كَبِـــدي مَقْـــدودُ!

وقد توسّع الأندلسيّون عندَ الغَزَلِ في أوصافِ الطبيعةِ: تلك الأوصافِ التي غَلَبَتْ في شِعْرهم على كلِّ فنّ آخَرَ.

ويلحَقُ بالغزلِ المُجونُ، وهو الإفصاحُ عن المدارك الجِنْسية باللفظ الصريح كثيراً أو قليلاً. ولعلَّنا نَجِدُ اتساعَ مَدى المُجونِ والصراحَة فيه، في الشعرِ الأندلُسي، أكثَرَ مّما نَجدُ مِنْها في الشعر المشرقي. ومن الأمثلة على ذلك وَلاّدةُ.

ومِثلُ ذلك في هذا الموضعِ شِعرُ الهَزْل والسُخف، وكان لهما مِثْلٌ في المشرق. ومِنْ أحسنِ الأمثلة على الهزل مَعَ الفُحْش « الرسالةُ الهَزْلية » التي كَتَبَ بها ابنُ زَيْدونٍ إلى ابنِ عَبدوسٍ على لِسانِ وَلاّدةَ.

والسُخْفُ هو الإتيانُ بالمعاني المُبْتذَلَةِ والتمدُّحُ بأشياءَ لا قيمةَ لها أوِ استحسانُ تلك الأشياء. فمِمَّنْ يشارُ إليه هنا أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ مسعودٍ القُرْطبيُّ، مِنْ مشاهيرِ شُعراءِ المائةِ الخامسةِ. ويبدو (راجع المغرب ١ : ١٣٤) أنّه دَخَلَ على مَمْدوحٍ فألْقى بَيْنَ يدَيْهِ شِعْراً ساقطاً فلم يُعْطَ عليه شيئاً ولكنْ صُفِعَ. فَخَرَجَ وقال:

---

(١) قلى يقلي: أبغض.
(٢) راجع من هذه السلسلة ٢ : ٢٧٢.
(٣) مثله ٢ : ٥٧٢- ٥٧٤.

وَخَرَجْنــا كما دَخَلْنــا بــلا فَلْـ ـسٍ، ولكن رَبِحْتُ صَفْعَ قَفاءِ

وتحدّثَ مرةً عن المطاعم فقال[1]:

وإذا قِيـلَ لي: بِمَنْ أنتَ صَبٌّ؟ وعــلامَ انْسكــابُ دَمْعِ المآقي؟

قُلْتُ: همِّــي السِكْبـاجُ والجُمّليّا تُ ورَخْـصُ الشِوا مَعـاً بالرُقاق[2].

وجَشيشُ السَميـذِ أعـذبُ عِنْـدي من رُضابِ الحبيبِ عند العِناق[3].

أدخَلَ نفر من الشعراء الأندلسيين عَدَداً من المعاني الفلسفيةِ في أشعارهم. ولكنّنا لا نَعُدُّ ذلك في شعرِ الحِكمة (والنَقّادُ العَرَبُ يسمّونها: الأدبَ)، بلْ في بابِ « النظم التعليمي » كأراجيزِ النحو. فمن ذلك مثلاً قولُ ابنِ وَهْبونِ المُرسي (ت ٤٨٣):

نَفْسي وجِسْمي إن وَصَفْتَهُما مَعـاً آلٌ يــذوبُ وصَخْرةٌ خَلْقـاء[4]

تتعاقبُ الأضداد مِمّا قد تَرى جلبَتْ عليـك الحِكمة الشَنْعاء[5].

أمّا الحِكمة المألوفةُ في الشِعر فهي اللَمْحةُ البارعةُ من الرأي الصائبِ الذي يَصْدُقُ في الواقعِ أو يُوافقُ المَنْطِقَ أو يُوجزُ الاختبارَ الإنسانيَ الطويل. وقيمة الحِكمة في الشِعر أن يَرِدَ المعنى الحكيمُ الجديدُ في التعبيرِ الوجيزِ الواضحِ. مِنْ ذلك قولُ عبدِ

(١) تاريخ الأدب الأندلسي: الطوائف والمرابطون ١٥٢.

(٢) في الاصل: قلت بالسكباج (ولا يستقيم بها الوزن) فأجزت لنفسي أن أثبت ما في المتن. السكباج: لحم يتبّل بأفاويه وبزورات مختلفة. الجمليات (؟). الرخص: الطريّ. الشواء: اللحم المشوي. الرقاق: خبز يصنع رقيقاً (وربّما قيل له: خبز مرقوق، خبز تنّور، خبز صاج: قطعة من حديد مستديرة ومحدّبة كأنّها قطع من كرة) تخبز الرقاق على ظاهرها وتكون النار تحتها).

(٣) الجشيش: حبّ (حنطة، قمح) يجرش خشناً ثمّ يلقى عليه لحم أو تمر فيطبخ بأحدهما. السميذ: السميد لباب البر (بالضم) « القمح ».

(٤) تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٢٧- ١٢٨ (عن الذخيرة) آل: سراب. خلق (بفتح فكسر) الثوب والجلد وغيرهما: بلي (تهرّأ) ولان وآمْلاسّ (بتشديد السين). الملموح (من الفلسفة لا من البيت): أنّ النفس مفارقة (لا يتفق لها ما يتّفق للبدن: لا تهلك بهلاكه)، أما الجسم (وهو مادة) فإنه يتبدل ويهلك (تتغيّر صورته).

(٥) إن تبدّل الصورة على المادّة: ماء = بخار = غمام= ماء = ثلج الخ هو أصل العذاب في الدنيا - « جلبت » (في الأصل) مبنية للمجهول. فلعلّ بناءها للمعلوم أصحّ.- أن مثل هذا العسف في المعاني والتراكيب لا يجعل من الكلمات المنظومة « فناً فلسفياً »؟.

الملك بن هُذيلِ بنِ رَزينٍ (الحلّة السيراء ٢ : ١١٣) يوازن بينَ ما تُذيبُه النارُ من جِسْمِ الشَمْعةِ المُضاءة وما يَنْقُصُ من حياةِ الإنسان تدريجاً بفعل تناقص الأجل (والصفراء : الشمعة):

رُبَّ صَفراءَ تَردّتْ بِرداءِ العاشقينا .
مِثْلَ فِعلِ النارِ فيها تَفْعَلُ الآجالُ فينا .

ومن ذلك أيضاً قول ابنِ عبدونٍ[١]:

فالدهْرُ حربٌ، وإن أبدى مُسالمةً؛ فالبِيضُ والسُمْر مِثْلُ البيضِ والسُمُر[٢]
ولا هَوادةَ بينَ الرأسِ- تأخُذُهُ يدُ الضِراب- وبين الصارمِ الذكَرِ[٣].
فلا تَغرَّنْكَ من دُنياكَ نَوْمَتُها، فما صِناعةُ عَيْنَيْها سِوى السَهَرِ.

ويتبَعُ هذا الشعرَ ذا الاتّجاهِ الفلسفيّ الحكيمِ شعرٌ ذو نفحةٍ دينيةٍ لا يبلُغُ إلى أن يُسمّى «زُهداً»، فالزهدُ عند المتصوّفين أن ينصرفَ الفردُ عن التمتعِ بملاذِّ الحياةِ وهو قادرٌ على الحصول عليها. أمّا الفقيرُ الذي يُظْهِرُ الكُرْهَ للمالِ، وأما العاجزُ الذي يَنْفِرُ ويُنَفِّرُ من الشهوات، وأمّا الخائبُ في الوصولِ إلى بعضِ مراتبِ الجاهِ فليسوا زاهدين.

وعلى كلِّ حالٍ، فإنّنا نَجِدُ على بعضِ شعرِ هذا العصرِ نفحةً دينيةً، فإنّ الإنسانَ يَرْجِعُ بينَ الحينِ والحينِ إلى نفسِه يُحاسِبُها، فيتذكّرُ- في أثناءِ ذلكَ، ربَّه أو يذكُرُ الموتَ أو يأسَفُ على أنّه قد أضاع في بعضِ ما مضى من حياتِه وقتاً ونشاطاً كان

(١) راجع ترجمة ابن عبدون (ت ٥٢٩ د).
(٢) (الفتيات) البيض و(الفتيات) السمر تفعل في حياة الإنسان من المصائب ما تفعله البيض (السيوف) والسمر (الرماح).
(٣) الهوادة: اللين والرفق والمحاباة. الصارم الذكر: السيف من الفولاذ.- إنّ قسوة اليد (التي هي من جنس الإنسان) كقسوة السيف (الذي هو من غير جنس الإنسان) ما دامت اليد هي التي تضرب بالسيف.

باستطاعتِه أن يستخدمَها على وجهٍ أصحَّ أو أنفعَ. في هذا البابِ من الشعر ذي النفحةِ الدينية يدخُلُ مثلُ قولِ أبي إسحاقَ الإلبيري (ت ٤٦٠):

يـــا أيُّهـــا المُغْتَرُّ بـــاللهِ، فِرَّ من اللهِ إلى اللهِ؛
ولُـــذْ بـــه واسألْـهُ من فضلـهِ فقـــد نجـا من لاذَ بـــالله.
وقُمْ لـــه، والليـلُ في جِنْحـهِ، فحبّـــــذا مَنْ قـــام لله[1].

وكذلك قولُ العسّالِ الطُلَيْطُلي (ت ٤٧٨):

انْظُر الدنيـــا: فـــإنْ أبْـ ـصَرْتَهـــا شيئـــاً يَـــدومْ،
فاغْـــدُ منهـــا في أمـــانٍ، إنْ يُساعِدْكَ النعـــــيمْ.
وإذا أبْصَرْتَهـــــا مِنْـ ـكَ عـــلى كُرْهٍ تهـــيمْ[2]،
فاسْلُ عنها واطَّرِحْها وارْتَحِـــلْ حيـــثُ تُقـــيم[3].

ففي البيتِ الثاني من المقطوعةِ الأولى ثم من المقطوعة الثانيةِ «رَغبةٌ في الدنيا» مِمّا يُناقضُ مذهَبَ الزُهدِ. ثمّ إنّ المقطوعةَ الثانيةَ على الأخصِّ ليس فيها من المقوّماتِ الفَنّية ما يَرْفَعُها إلى منزلةِ الشِعر.

وأمّا الشعرُ الدينيُّ على الحَصْرِ فيتَبَدّى، في هذا العصرِ، في قصيدةِ عبدِ اللهِ الشُقْراطيسيّ التونسي (ت ٤٦٦): «الحمدُ للهِ مِنّا باعثِ الرسلِ». ولم يُخْطِئْ حَسَنُ حُسني عبدُ الوهابِ لمّا قالَ (مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٦٥) «يظهَرُ أنّ قصيدَتَيِ «البُردة» و«الهَمْزيّة» للإمام البوصيريّ (راجع من هذه السلسلة ٣: ٦٧٣- ٦٧٥) مُسْتَوْحيتانِ من قصيدةِ الشُقراطيسي هذه (أنظر: ترجمة الشقراطيسي).

---

(١) جنح الليل: قسم من الليل يشتدّ فيه الظلام. قام لله (قيام الليل: العبادة في أثناء الليل).
(٢) على كره منك تهيم (تنصرف).
(٣) أسل عنها: انسها. وارتحل (إلى) حيث تقيم.

النثر

النثرُ الأندلسيُّ- في أسلوبه- هو النثرُ المشرقيُّ، لولا ذلك التطوُّحُ في الخيالِ أحياناً كقولِ أبي حفصٍ بنِ بُردٍ (ت بعيد ٤٥٠): « ما أعجبَ القلَم يشرَبُ ظُلمةً ويَلْفِظُ نوراً- على غَيْثِ القلمِ يَتفَتّحُ زَهْرُ الكَلِمِ - التعليمُ فِلاحةٌ وليستْ كلُّ أرضٍ مُنبتةً ». ولابنِ بردٍ هذا رسائلُ في تفضيلِ الوردِ وفي المُناظرة بينَ السيفِ والقلمِ مما نراه في ترجمته.

وحاكى الأندلسيون جميعَ أساليبَ المشارقةِ في النثرِ حتّى ما تَقعّرَ منه في الغَرابة- كقولِ أحدِهِمْ في العصرِ الذي نُوجزُ على هذه الصَفَحاتِ خصائصَه- : « لِمَنْ هذا الكلامُ الذي اَعْذَوْذَبَ مَوْرِدُهُ واَفْضَوْضَلَ مَنْبِتُهُ وتَحلّتْ بِقلادةِ الحَلاوة بِكْرُه وهَدَر بِشِقْشِقة الجَزالة بَكْرُه... مَعْشَرَ قومي، اسْمعوا ما سَمِعْته، وعُوا ما وَعَيْتُهُ، فإنّه لَفَخْرٌ طَلَبَكُمْ وشرفٌ تلاصَقَ بكم ».

وتوفّرَ الأندلسيّون على كِتابة الرسائل- إخوانيةً وديوانيةً- ولكنّهم لم يخرُجوا في ذلك كلّه، من حيثُ الأسلوبُ، عن نَمَطِ المشارقةِ ثمّ لم يَبْلُغوا إلى شيءٍ من مستوى ذلك النمَطِ.

النقد الأدبي

نَهضَ في هذا العصرِ نُقّادٌ أبرَعُهُمْ وأشهرهُمُ ابنُ رشيقٍ القَيْروانيّ (ت ٤٥٦). وقد كان اتّجاهُهُ وعددٌ من آرائهِ يَرْجِعان إلى أستاذه عبدِ الكريمِ النَهْشَليّ القيرواني (ت ٤٠٥). ومَعَ أنّ ابنَ رشيقٍ قدِ آستفادَ من مذاهبِ النقدِ الواردة من المشرق، فإنّ كتابه « العُمدة في صناعة الشعر ونقده »، ألصق الكتب الى ذلك الحين بموضوع النقد الأدبي.

وجاء في هذه الحِقْبة نفرٌ آخرونَ من النُقّاد مثلُ أبي القاسمِ بنِ الإفليليّ (ت ٤٤١) وله شرحٌ على ديوانِ المُتنبيّ ثمّ ابنِ حزمٍ الأندلسيّ (ت ٤٥٦) ثمّ أبي الحسنِ آبن سِيدَه (٣٩٨- ٤٥٨ هـ) صاحبِ كتابِ المُحْكَم وكتاب المُخصّص ثمّ الأعلمِ

الشَنْتَمري (ت ٤٧٦) وأشهرُ ما نَعْرِفُ له « شَرْحُ الشُعراء السِتّة » (الجاهليين) ثم مُحمّدِ ابنِ فَتّوحٍ الحُميدي (ت ٤٨٨) صاحبِ « جُذوةِ المُقْتَبِس » وكتاب « السَبيل إلى تَعَلُّمِ التَرْسيل » ثمّ أبي بكرٍ عاصمِ بنِ أيوبَ البَطَلْيَوْسِيّ (ت ٤٩٤) وله شروح على الأشعارِ القديمةِ ثمّ ابنِ السِيدِ البَطَلْيَوْسِيّ (٤٤٤- ٥٢١ هـ) وله « الانتصار مِمّنْ عَدَلَ عنِ الاستبصار » و « شرحُ سِقْطِ الزَنْد » (للمَعريّ). هؤلاء النفرُ الآخرونَ- وكلّهُمْ أندلسيّون- كانتْ لهم ملاحظاتٌ وآراءٌ في النقد اللُّغويّ والنقد النَحْوي والنقد البياني مُفَرَّقَةٌ في كُتُبِهِمُ المُختلفة. ويبدو أنّ « السبيلَ » للحُميدي كان قريباً جدًّا من منهج النقدِ الأدبي القائم على استعراضِ نماذجَ جيادٍ من فنونِ الترسُّل.

الموشّح: خصائصه ونشأته

الشعرُ العربيُّ، من حيثُ القافيةُ، ثلاثةُ أجناسٍ: قصيدٌ ورَجَزٌ ومُسَمَّطٌ. وكلُّها قديمةٌ. فالقصيدةُ أبياتٌ متواليةٌ ومختومةٌ بمجموعاتٍ مُتماثِلَةٍ من الأحرف تُدعى قافيةً. وتكونُ هذه المجموعاتُ كلُّها مَبْنِيّة على حَرْفٍ واحدٍ مَخصوصٍ يُسمّى « رَوِيًّا »[1]. قالتِ الخنساءُ تَرْثي أخاها صَخْراً:

يُذكِّرُني طلوعُ الشمسِ صخراً، وأندُبُـهُ لكـلِّ غُروبِ شمسِ.
ولولا كَثْرةُ الباكـينَ حَوْلي عـلى إخوانِهِمْ لَقَتَلْـتُ نفسي.

فحرفُ الرويِّ هنا هو السينُ المكسورةُ؛ أما القافيةُ فهي السكون على الحرف (الصحيح) قبل السين المكسورة مع السين المكسورة. أمّا الياء في البيت الثاني بعد السين هو حرف إشباع للسين المكسورة.

---

(١) الرويّ هو الحرف الذي تبنى عليه القافية في القصيدة: د، ر، ل، ن، ي، ا، الخ. أمّا القافية فهي حرف الرويّ مع الأحرف الساكنة والمتحركة السابقة عليه والتالية له والتي تكون ضرورية في اتّساق الموسيقى اللّفظية. إنّ قوافي القصيدة الواحدة يمكن أن تكون: كلام، حرام، أمام (ولكن لا يجوز أن تكون: كلام، سليم، منام، الخ ولا تكون أيضاً: حرام، كلاماً، الخ، ممّا هو معروف في علم القافية)، أو بحر، بصر، صخر، نظر الخ.

والرَجَزُ في الأصلِ بَحْرٌ من بحورِ الشِعر[١] تُنْظَمُ عليه الأراجيزُ[٢]. والأُرجوزةُ أشْطُرٌ وَتْرٌ[٣] مَبْنِيّةٌ كلُّها على حرفِ رَويٍّ واحدٍ. قالتِ امرأةُ أبي حَمزةَ الضَبّيِّ الخارجيِّ- وكان زَوْجُها قد هَجَرَها وجعلَ يَبيتُ في خَيْمةٍ مُجاورةٍ لخَيْمَتِها، وهُوَ غاضبٌ لأنّها كانتْ مِئْناثاً وَلَدَتْ له عِدّةَ بناتٍ ولم تَلِدْ له غُلاماً-:

ما لأبي حَمزةَ لا يأتينا، يَظَلُّ في البيتِ الذي يَلينا،

غَضْبانَ ألاّ نَلِدَ البَنينا؟ تاللهِ، ما ذلكَ في أيْدينا:

وإنّما نأخُذُ ما أُعْطينا. ونَحْنُ كالأرضِ لزارِعينا

نُنْبِتُ ما قدْ زَرَعوه فينا!

وتَجيءُ أشْطُرُ الأرجوزةِ أيضاً شَفْعاً[٤]، ويكونُ لكلِّ شَطْرينِ (للصَدْرِ ولِلْعَجُزِ) في كلّ بيتٍ من أبياتِها قافيةٌ على رَويٍّ واحد. قال أبو العَتاهيةِ:

إنّ الفسادَ ضِدُّهُ الصَلاحُ، يا رُبَّ جِدٍّ جَرّه المُزاحُ.

ما تطلُعُ الشمسُ ولا تَغيبُ إلاّ لأمرٍ شأنُه عجيبُ.

لكلِّ شيءٍ مَعْدِنٌ وجوهرُ وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ.

---

(١) بحور الشعر (أو أوزان الشعر) يمكن أن تكون غير متناهية في العدد لأنّها في الأصل ألحان موسيقية تنشأ من توالي الألفاظ بقدر معيّن على نسق مخصوص. ثم جاء الأخفش الأوسط فزاد فيها البحر السادس عشر. وليس من الضروري أن تكون هذه هي جميع الأبحر التي يمكن أن يأتي عليها الشعر العربي. وإذا نحن علمنا أن كلّ بحر من هذه البحور يمكن أن يأتي تامّاً أو مجزوءاً، وأنّ معظم الأضرب (جمع ضرب- بفتح فسكون-: التفعيل الأخير في الصدر) ومعظم الأعاريض (جمع عروض بالفتح: التفعيل الأخير في العجز) يمكن أن يأتيا على أقدار مختلفة، وجدنا أن بحور الشعر في الحقيقة أكثر من ستّة عشر بحراً.

(٢) الأراجيز تنظم على بحر واحد من البحور الستّة عشر.

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن.

(٣) مفردة: ٣، ٥، ٩، ١٧، ٤٩ الخ.

(٤) مزدوجة: ٤، ١٠، ٢٢، ٣٦، الخ.

• وربّما جاء الشاعرُ بأُرجوزتهِ مولعة[1] فيجعلُ أشطُرَها تَتَردَّدُ شَفعاً ووَتْراً، كما فَعَلَ أبو العتاهيةِ أيضاً:

مـا عيشُ مَنْ آفتُـه بقـاؤه! نغّـص عَيْشاً طيّبـاً فَنـاؤه.
إنّـا لَنَفْنـى نَفَساً وطَرْفـا، لم يـترُكِ الموتُ لإلْفٍ إلْفا[2].
وللكــلامِ باطنٌ وظاهرُ. في ساعـةِ العدلِ يموتُ الفاجرُ.
عَلِمْـتَ، يا مُجاشعَ بنَ مَسْعَدَهْ أن الشبـابَ والفَراغ والجِدَه[3]
مَفْسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسدهْ.
يـا لَلشَّبـابِ المَرِحِ التصـابي! روائـحُ الجَنّـة في الشبـابِ.
ليس عـلى ذي النُصْح إلاّ الجُهْدُ. الشيـبُ زَرْعٌ حـانَ منه الحَصْدُ.
الغدْرُ نَحْس والوفاءُ سعدُ.
وَهْيَ المقاديرُ، فلُمـني أو فَـذَرْ، تجري المقاديرُ عـلى غَرْزِ الإبَرْ[4].
إنْ كُنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَرْ!

وبما أنّ التسميطَ يقومُ على اختلافِ القوافي والأوزانِ معاً، فسأُرجِىءُ الكلامَ عليه إلى حين الكلام على الأوزانِ في القصيد والرَجَز (كيلا أتكلّمَ على التسميط – وهو جِنْسُ الشعرِ القريب من المُوَشَّحِ – في مكانين مختلفين).

أمّا من حَيْثُ الوزنُ، فإنّ من حقِّ كلِّ مقطوعةٍ شعريةٍ (من القصيد أو الرَجَز)،

(١) المولّع: الإنسان أو الحيوان: إذا أخذ فيه البرص (وهو مرض يتبدّل به لون الجلد في مكان دون مكان). وقال الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ - ١٠١٦ م).

يُولِّـع الطـلّ بردينـا وقد نسمت رُويحـة الفجر بـين الضـال والسلم.

الطل: المطر الخفيف. البرد: الثوب. ولّع الطّل بردينا: جعل بقعاً منها مبتلّة وترك بقعاً فيها جافة.

(٢) نفساً وطرفاً (لحظاً): قليلاً قليلاً.

(٣) الفراغ: قلّة العمل واتّساع الوقت. الجدة: الغنى، الثروة.

(٤) ذر (وذر بكسر الذال يذر بفتحها): ترك – أو ذر (اترك لومي). على غرز الإبر: بالترتيب والموالاة (على قوانين دقيقة).

طالتْ أو قَصُرَتْ، أن تكون من بَحْرٍ (على وزنٍ) واحدٍ، فإنّ «الوزنَ أحدُ أركانِ الشعرِ وأولاها بهِ خُصوصيّةً. وهُوَ مُشْتَمِلٌ على القافيةِ وجالبٌ لها ضَرورةً، إلاّ أن تختلفَ القوافي[١] فيكونَ ذلك عيباً في التقفية لا في الوزنِ. وقد لا يكون[٢] عيباً (في) المُخمّساتِ وما شاكَلَها[٣]».

وتفاعيلُ الشعر لا تأتي تامّةً دائماً: مُسْتَفْعِلُنْ. فاعِلاتُنْ، مفاعيلُنْ، فَعولُنْ إلخ بل تأتي أحياناً مقبوضةً، نحو مَفاعِلُنْ، فَعولُ (مكانَ مستفعلن، فعولن). وفي كثيرٍ من الأحيانِ يكونُ التفعيلُ المَزْحوفُ أو المقبوضُ (الناقص في أحدِ وُجوهِه) أجْرى في اللَّفْظِ وأكثر موافقةً للغِناء من التفعيلِ التامِّ[٤]. ورُبّما زادَ الذي يُنْشِدُ الشِعرَ في أوّلِ البيتِ حرفاً أو كَلِمةً من غيرِ أن يَقْلَقَ الإنشادُ، كالذي رَوَوْهُ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ[٥]:

اشْدُدْ حيَازِيمَـــــك للموتِ فـــــإنّ الموتَ لاقيكـــــا.
ولا تجزَعْ من الموتِ إذا حَـــــلَّ بواديكـــــا!

فإنّ الأصل فيه: «حيازيمَك للموت.....».

غيرَ أنّ هذهِ الجَوازاتِ كلَّها في التفاعيلِ وهذا الجَزْءَ للبُحورِ وهذه الزياداتِ على الأبياتِ لا تُخْرِجُ الأبياتَ من الوزنِ المخصوصِ.

وكان الخليلُ بنُ أحمدَ (ت ١٧٤ هـ = ٧٩٠ م) قدِ آستعرضَ أشعارَ العربِ

---

(١) راجع الحاشية ص ٤١٦.

(٢) هذا التركيب: «قد لا يكون» غير فصيح، وقد أجازه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أظنّ عام ١٩٧٠).

(٣) لأنّه في المخمّسات والمسمّطات أصبح قاعدة.

(٤) قلّ أن تجد بيتاً في قصيدة تامّ التفاعيل بلا جوازات، ذلك لأنّ التفاعيل التامّة تجعل الأبيات شديدة الرتوب (على وتيرة واحدة).

(٥) سواء أكانت هذه الأبيات للإمام عليّ كرّم الله وجهه أو كان هو قد استشهد بها، فإنّه قد أضاف كلمة «أشدد» في أول البيت الأول. الحيزوم: الصدر. أشدد حيازيمك للأمر: وطّن نفسك عليه واحزم.

فاسْتَخْرَجَ مِمّا وَقَعَ تحتَ نَظَرِهِ منها خمسةَ عَشَرَ بحراً أو وَزْناً. وبما أنّ بحورَ الشِعر تَرْجعُ في الحقيقة إلى الايقاع (حُدوثِ النغَم مِنْ تَعاقُبِ النقْرِ على نَسَقٍ مخصوصٍ)، فإنّ كثيراً من الكلامِ الذي يأتلفُ مَعَ ضُروبِ الإيقاع المُختلفةِ والمتعدّدة يَجِبُ أن يُعَدَّ داخلاً في الكلامِ المَوْزُونِ المنظومِ، ولو لم يأتِ على أحدِ الأبحر الخَمْسةَ عَشَرَ التي اتّفق للخليل بنِ أحمدَ أن يَسْتَخْرِجَها من الشعرِ العربيّ القديم. والذي يُؤَكِّدُ هذا الحَدْسَ أنّ الأخفشَ الأوسط (ت ٢١٥ هـ = ٨٣٠ م) قدِ استدركَ على الخليلِ بنِ أحمدَ بحراً وزنُه «فاعِلُنْ فاعلن فاعلن فاعلن» مرّتين وسَمّاهُ المتدارَكَ (لأنّه تداركَه: لَحِقَ به بعدَ أن فاتَ ذلك البحرُ الخليلَ، أي سَبَقَهُ). ثمّ إنّ الأخفشَ اشتقّ من المُتدارَكِ - بأنْ جعَلَ من «فاعِلن» تفعيلاً آخرَ هو «فَعِلُنْ» (بثلاثِ حرَكاتٍ فسُكونْ)- بحراً مُستقلاً سمّاه الخَبَب، لأنّ توالِيَ لَفْظِه يُشْبِهُ خَبَبَ الفَرَسِ[١].

فن التسميط

التسميطُ هو تَنوُّعُ القوافي والأوزان في المقطوعة الشِعْرية الواحدة.

بدأ ابنُ رشيقٍ الكلامَ على «باب التَقْفِيَةِ والتصريع» (العُمدة ١ : ١٤٩) بقوله: «هذا بابٌ يُشْكِلُ[٢] على كثيرٍ من الناس عِلمُه، ويَلْحَقُهُ عيبٌ سمّاه قُدامَةُ[٣] التجميعَ، كأنّه من الجَمْعِ بين رَوِيَّيْنِ وقافيتين. ورأيتُ مَنْ يقولُ: التخميعُ - بالخاء (المُعجمة)- كأنّه من الخَمْعِ[٤] في الرِجْلِ».

---

(١) خبّ الفرس خببا: (في القاموس) أن ينقل الفرس أيامنه وأياسره جميعاً في الركض (والصورة ليست واضحة) ولعلّ الخبب أن ينقل الفرس قائمتيه الأماميّتين معاً وقائمتيه الخلفيّتين أو أن يخالف في نقلها (القائمة الأمامية اليمنى) «ثم الخلفية اليسرى ثمّ الأمامية اليسرى ثمّ الخلفية اليمنى» - وعلى كلّ فالخبب أشبه بالقفز منه بالركض المستمرّ. وفي تاج العروس (الكويت ٢ : ٣٢٩): «أو هو أن يراوح بين يديه ورجليه: أن يقوم على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة».

(٢) أشكل الأمر: أصبح غامضاً.

(٣) قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ = ٩٤٨ م) كاتب وأديب وناقد له كتاب «نقد الشعر».

(٤) في القاموس (٣ : ١٩) الخمع (بالفتح): العرج.

أمّا التصريعُ فَهُوَ أن يكونَ لِلضَرْبِ وللعَروض (في مَطْلَعِ القصيدة) قافِيتانِ على رَوِيٍ واحدٍ كقولِ المتنبّي:

علـى قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تأتي العزائمُ، وتـأتي على قَدْرِ الكِرامِ المكارمُ.

وأمّا التجميعُ (أو التخميع) فذلك أن تكونَ القصيدةُ غيرَ مُصرَّعةٍ، أو على الأصحِ أن يكونَ المَطْلَعُ قابلاً لِلتَّصريع ثمّ لا يُصَرِّعهُ شاعرُه، كقولِ جميلِ بنِ مَعْمَرٍ:

يـا بُثْنُ، إنّك قد مَلَكْتِ فأسْجِحي وخُـذي بحَظّكِ من كريمٍ واصِلِ.

(ولقد كان بإمكان جميلِ أن يقولَ: « ... وخُذي بحظِّكِ من كريمٍ تنجَحي »، فيأتيَ المطلعُ مُصرَّعاً ويَظَلَّ المَعْنى والوزنُ مُستقيمَيْنِ. ولكنَّ جميلاً لم يفعَلْ ذلك، بلِ اختارَ لقصيدتهِ قافيةً لاميةً رآها، فيما يبدو، أوسَعَ من القافية الحائية).

ويبدو أنّ هذا المَسْلَكَ، في المُخالفة في القوافي خاصّةً، كان قديماً في الشعرِ العربيّ. قال ابنُ رشيقٍ (ت٤٥٦ هـ أو ٤٦٣ هـ) في كتابهِ العُمدة (١ : ١٥٤- ١٥٨):

ومن الشِعرِ نوعٌ غريبٌ يُسمّونه القَواديسيّ، تَشْبيهاً بقواديسِ السانيةِ[١]، لارْتفاعِ بعضِ قوافيهِ في جِهَةٍ وانخفاضِها في الجِهة الأخرى. فأوّلُ من رأيْتُه جاء بهِ طلحةُ بنُ عبيدِ اللهِ العوْنيّ[٢] في قولِه، وهو من قصيدةٍ مشهورةٍ طويلة[٣]:

كم لِلدُّمـــى الأبكـــارِ بالـ ـخَبْتَيْنِ من منـــــازلِ
بمُهْجَـــتي للْوَجْـــدِ من تَذْكارِهـــا منـــازلُ.
معاهـــدٌ رَعِيلُهـــا مُثْعَنْجِرُ الهواطـــلِ
لَمّـــا نـــأى ساكِنُهـــا؛ فأدْمُعي هواطِـــلُ.

---

(١) السانية: الناعورة. القادوس: صندوق صغير يكون على دولاب أو على سلسلة يحمل فيه الماء من البئر إلى سطح الأرض.

(٢) طلحة بن عبيد الله العوني... (؟). في القاموس (٤: ٢٥) عون (بالضم) بلد بساحل اليمن.

(٣) لن أشرح الأبيات المستشهد بها في هذا الفصل (عن مقدّمات التوشيح والتوشيح) لأنّ الغاية من هذه الأبيات شكلها الظاهر (ترتيب أشطرها وتنوّع قوافيها).

وهو مربوعُ الرَجَزِ   تَعَمّدَ (الشاعر) فيه الإقواء وأوطأ[١] في أكثرِه قَصْداً، كما فَعَلَ في البَيْتَيْنِ الأوّلين.

ومِنَ الشِعْرِ جِنْسٌ كلُّه مُصَرّعٌ، إلاّ أنّه مختلفُ الأنواع.... فمن ذلك الشِعْرُ المُسَمَّطُ، وهُوَ أن يبتدئَ الشاعرُ ببيتٍ مُصَرّعٍ ثمّ يأتيَ بأربعةِ أقْسِمَةٍ على غيرِ قافيتِه، ثمّ يُعيد قَسِماً واحداً من جِنْسِ ما ابتدأ به. وهكذا إلى آخرِ القصيدة. مِثالُ ذلك قولُ امْرِئِ القَيْسِ - وقيلَ: إنّها منحولة[٢]- :

تَوَهمْتُ من هِنْـدٍ مَعالِمَ أطـلالِ   عَفاهُنّ طُولُ الدهرِ في الزمنِ الخالي.
مَرابِـعُ من هِنْدٍ خَلَتْ ومصائفُ   يَصيـحُ بِمَغْناها صَدىً وعوازِفُ،
وغَيّرَهـا هُوجُ الرياحِ العواصفُ   وكُـــلُّ مُسِفٍّ، ثمّ آخَرُ رادفُ
بأسْحَمَ من نَوْءِ السِّماكَيْنِ هَطّالِ.

وهكذا يأتي بأربعةِ أقْسمةٍ على أي قافيةٍ شاء، ثمّ يُكَرِّرُ قَسِماً على قافيةِ اللام. ورُبّما كان المُسَمَّطُ بِأقلَّ مِنْ أربعةِ أقْسِمَةٍ، كما قال أحَدُهُمْ:

خَيـــالٌ هـــاجَ ليْ شَجَنـــا   فَبِـــتُّ مكابِـــداً حَزَنـــا
عميـــدَ القلـــبِ مُرْتَهَنـــا   بذِكْرِ   اللَّهْوِ   والطَرَبِ.
سَبَتْـــني ظَبْيَـــةٌ عُطُـــلُ،   كـــأنّ رُضابَهـــا عَسَلُ،
يَنوءُ بخَصْرِهـــا كَفَـــلُ   ثقيـــلُ روادفِ الحُقُـــبِ.

ورُبّما جاءوا في أوله بأبيات خمسةٍ على شَرْطِهِمْ في الأقْسِمَةِ - وَهُوَ المُتعارَفُ - أو

---

(١) الإقواء: أن يخالف الشاعر في حركة الروي فيأتي به مرة مكسوراً ومرة مضموماً الخ. والإيطاء: الاتيان بالقافية مكررة لفظاً ومعنى (القاموس)؛ أو تتمة البيت في البيت الذي يليه (؟).

(٢) منحولة: نظمت بعد عصر امرئ القيس ثمّ نسبت إليه (لو تساهلنا وقبلنا أن تكون هذه القطعة منحولة، لظلّت أقدم من ابن رشيق وأقدم من نشأة الموشّح).

أربعةٍ. ثمّ يأتون بعدَ ذلك بأربعةِ أقسمةٍ، كما قال خالدٌ القَنّاص ، أنشده الزَجّاجيُّ أبو القاسمِ[١]:

لَقَدْ نَكَرَتْ عَيْني مَنازِلَ جيرانِ كأسْطارِ رَقٍّ ناهِجٍ خَلَقٍ فان.
تَوَهَّمْتُها من بعدِ عِشرينَ حِجّةً، فما أسْتَبِينُ الدارَ، إلاّ بِعِرفان[٢].
فقلتُ لَها: حُيِّيتِ، يا دارَ جِيرتي، أَبيني لَنا أنّى تَبَدَّدَ إخواني؛
وأيَّ بِلادِ اللهِ رَبْعُك حالفوا فإنّ فُؤادي عندَ ظَبْيَةِ جيراني.

فجاء بأربعةِ أبياتٍ. ثمّ قال بعدَها:

وما نَطَقَتْ، واسْتَعْجَمَتْ حين كُلِّمَتْ، وما رَجَعَتْ قولاً وما إنْ تَرَمْرَمَتْ.
وكان شِفائي عِندَها لو تكلّمتْ إلَيَّ، ولو كانتْ أشارَتْ وسَلّمتْ؛
ولكنّها ضَنّتْ عليّ بتِبْيانِ.

وهكذا إلى آخرِها. وقد جاء هذا الشاعرُ في قصيدتهِ بخمسةِ أقسمةٍ مرّةً واحدةً ولم يُعاوِدْها. ولو عاودَها لم يَضُرَّهُ، وكذلك لو نَقَصَ (منها). إلا أنّ الاعتدالَ أحسنُ.

والقافيةُ التي تتكرّرُ في التَسْميط تُسمّى عَمودَ القصيدة. واشْتقاق (التسميطِ) مِنَ السِمْطِ، وهُوَ أن تَجْمَعَ عِدّةَ سُلوكٍ[٣] في ياقوتةٍ أو خَرْزَةٍ ما، ثمّ تَنْظِمَ كلَّ سِلْكٍ منها على حِدَتهِ باللُؤلؤِ يسيراً، ثمّ تجمعَ السُلوك كلَّها في زَبَرْجَدَةٍ أو شِبْهِها أو نحوِ ذلك. ثمّ تَنْظِمَ أيضاً كلّ سِلْكٍ على حِدَتهِ وتصنَعَ به كما صنعتَ أوّلاً إلى أن يَتِمَّ السِمْطُ. هذا هُوَ المتعارَفُ عندَ أهلِ الوَقْتِ[٤].

(١) الزّجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) النهاوندي (ت ٣٤٠ هـ = ٩٥٢ م).
(٢) كذا في الأصل. اقرأ: بعرفاني (لأنّي كنت أعرف هذا المكان من قبل).
(٣) السلك (بالكسر): الخيط الذي تُنظم به حبات العقد.
(٤) هذا يدل على أن التسميط كان قد أصبح واسع الانتشار في أيام ابن رشيق.

وقال أبو القاسمِ الزجّاجيُّ: إنّما سُميّ (التسميط) بهذا الاسمِ تشبيهاً بسِمْطِ اللؤلؤ، وَهُوَ سِلْكُه الذي يَضُمّه ويجمَعه مَعَ تَفَرُّقِ حبِّه[1]. وكذلك هذا الشِعرُ لَمّا كان مُتَفَرِّقَ القوافي مُتَعقَّباً بقافيةٍ تَضُمّه وتَرُدُّه إلى البيت الأوّلِ الذي بُنِيَتْ عليه القصيدة صار كأنّه سِمْطٌ مُؤلَّفٌ من أشياءَ مُفْتَرِقَةٍ.

« ونوْع آخَرُ يُسمّى مُخَمَّساً، وهُوَ أنْ يُؤتى بخمسةِ أقسمةٍ على قافيةٍ، ثمّ بخمسةٍ أُخرى في وَزْنِها على قافيةٍ غيرِها كذلك، إلى أن يُفْرَغَ من القصيدة. هذا هو الأصلُ. وأكْثروا من هذا الفّنِ حتّى أَتَوْا به مِصْراعَيْنِ مصراعينِ فَقَطْ- وهو المُزْدَوِجُ- إلاّ أنّ وَزْنَهُ كُلَّه واحدٌ، كذاتِ الأمثالِ وذات الحُلَل[2] وما شاكَلها. ولا يكونُ أقلَّ من مِصْراعين. وكُلُّ مشطورٍ أو مَنْهوكٍ فهو بَيْتٌ[3]. وإن قيل: مُصَرَّعٌ فَهُوَ على المَجاز. وما سِوى ذلك مِمّا لم يأتِ مِثْلُه عن العرب[4] فَهُوَ مَصاريعُ ليسَ بِبَيْتٍ. ولم أجِدْهُمْ يستعملونَ من هذه المُخَمّساتِ إلاّ الرَجَزَ خاصّةً. فأمّا المُسَمَّطاتُ فقد جاءتْ في أوزانٍ كثيرةٍ مختلفة.

(وهنالك) نوعانِ من الرَجَزِ، وهُما المشطورُ والمنهوك[5]. فأمّا المشطورُ فما بُنِيَ

(١) يتألف عقد اللؤلؤ من حبّات مختلفة الأحجام: من واسطة (حبّة كبيرة في الوسط) ثمّ تتدرّج الحبّات أصغر فأصغر نحو طرفي العقد. وتكون هذه الحبّات مفصّلة (مفصولة مجموعات) بشذر (بفتح فسكون: جمع شذرة أو قطعة صغيرة من ذهب).

(٢) ذات الأمثال أرجوزة أبي العتاهية (ت ٢١١ هـ) وقد مرّ الاستشهاد بعدد من أبياتها. وذات الحلل قصيدة في أمور الفلك نظم فيها شاعرها ابان بن عبد الحميد اللاحقي (ت ٢٠٠ هـ= ٨١٥م) عدداً من قواعد الفقه ومما يتعلق بالصيام خاصة (راجع بروكلمن، الملحق ١ : ٢٣٩).

(٣) في التسميط يعدّ القسم الموزون (مهما يكن قصيراً) بيتاً.

(٤) العرب (هنا): العرب القدماء: الجاهليّون والأمويّون.

(٥) تفسير ابْن رشيق للمشطور والمنهوك يتناول القافية لا التفاعيل. وفي القاموس: المشطور ما نقصت ثلاثة أجزاء من ستّته (٢ : ٥٨). وفي تاج العروس (الكويت ١٢ : ١٧٢): المشطور من الرجز ما ذهب شطره، وذلك إذا نقصت ثلاثة أجزاء من ستّته. والمنهوك (القاموس ٣ : ٣٢٢): من الرجز ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه «غير أنّ المثل الذي أورده ابن رشيق: وبلدة فيها زور (مفاعلن مستفعلن) قد بقي ثلثاه وذهب ثلثه فقط. (أنظر الصفحة التالية).

على شَطْرِ بيتٍ، نحوَ قول أبي النجم الراجز[1]:

الحَمْـــــدُ للهِ الوَهوبِ المُجْزِلِ　　　أعطـى فلم يَبْخَلْ ولم يُبَخَّلِ.

وأمّا المنهوكُ فهو ما بُنِيَ على ثُلث بيتٍ ونُهِكَ بذَهاب ثُلُثَيْـــهِ، أي أُضْعِفَ.

وهذا مِثْل قولِ أبي نواسٍ:

وبَلْـــدَةٍ فيهـــا زَوَرْ　　　صَعراءَ تَخْطَـــى في صَعَر.

وأنشدَ الزّجاجيُّ وَزْناً مُشطّراً مُحَيِّرَ الفصولِ لا أشُكُّ (في) أنّه مُوَلّدٌ مُحْدَثٌ، وهو:

سقـــى طَلَـــلاً بحَزْوَى　　　هزيمُ الوَدْقِ أحْوى
عَهِدْنـــا فيـــه أرْوى　　　زَمانـــاً ثمّ أقْوى
وأرْوى لا كَنودُ　　　ولا فيهـــا صُـــدودُ
لهـــا طَرْفٌ صَيودُ　　　ومُبْـتَـسِمٌ بَـــرودُ.
لئِنْ شَطّ المَزارُ　　　بهـــا ونـــأتْ دِيـــارُ
فقلـــبي مُستطـــارُ　　　وليس لـــه قرارُ
ستُدْنيهـــا ذَمولُ　　　جَلَنْفَعَـــةٌ ذَلولُ
إذا عَرَضَـــتْ هَجولُ　　　تُقَصِّرُ مـــا يطولُ

وهذا وَزْنٌ مُلتَبِسٌ يجوزُ أن يكونَ مَقْطوعاً من مُربَّعِ الوافر[2]، ويجوز أن يكونَ من المُضارِع مَقْبوضاً مكفوفاً، ذَكَره الجوهريُّ[3] وأنشدَ لبعض المُحْدَثين:

---

(١) أبو النجم الراجز (ت ١٢٠ هـ = ٧٣٨ م). والبيت الذي أورده مثالاً على المشطور: الحمد لله الوهوب المجزل (مستفعلن مستفعلن مستفعلن). لم ينقص من تفاعيله شيء.

(٢) [تفعيل الوافر (في الأصل): مفاعلتن مفاعيلن فاع لاتن (مرتين)، وتفعيل المضارع: مفاعيلن فاعلاتن (مرّتين). فإذا جزأنا الوافر فأصبح مفاعلتن فعولن ثمّ أدخلنا القبض والكفّ على المضارع أصبح مربوع الوافر (مع الجواز): مفاعيلن فعول، ثمّ أصبح المضارع (بالقبض: حذف خامس التفعيل، إذا كان ساكناً) مع ما يمكن من الجوازات العديدة، أصبح المضارع حينئذ: مفاعيلن فعول (كأنّه مربّع الوافر).

(٣) الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حمّاد (ت ٣٩٨ هـ = ١٠٠٨ م) له كتاب «عروض الورقة» جيّد بالغ (معجم الأدباء ٦: ١٥٥).

أشاقَكَ طَيْفُ مامَهْ، بِمكّــــةَ، أمْ حَمامَـــهْ؟

«أشاقَكَ» مفاعل، وحقُّه في أصلِ الوزنِ مفاعيلن. وقد رأيتُ جماعةً يُركِّبونَ المُخمَّساتِ والمُسمّطاتِ ويُكثِرون منها. ولم أرَ مُتَقدِّماً حاذقاً صَنَعَ شيئاً منها، لأنّها دالّةٌ على عَجْزِ الشاعرِ وقِلّةِ قوافيه وضِيق عَطَنه[1]- ما خلا امْرَأَ القيسِ في القصيدةِ التي نُسِبَتْ إليه، وما أُصحِّحُها له. وبَشّارُ بنُ بُردٍ[2] قد كان يَصنَعُ المُخمّساتِ والمُزْدَوِجات عَبْثاً واستهانةً بالشعر؛ وبِشْرُ بنُ المُعْتَمِرِ فقد أنشدَ الجاحظُ له مُزْدَوِجَةً[3]. وصَنَعَ ابنُ المُعتّزِ قصيدةً في ذَمّ الصَبوح[4] وقصيدةً في سِيرة المُعْتَضِدِ رَكِبَ فيها هذا الطريقَ، لما تَقْتضيهِ الألفاظُ المختلفةُ الضروريّةُ ولِمُراودَةِ التوسُّعِ في الكلام والتَمَلُّحِ بأنواعِ السَّجْع. وهذا الجِنْسُ مَوْقوفٌ على ابنِ وكيعٍ[5] و(على) الأميرِ تميمِ بنِ المُعزّ[6] و(على) مَنْ ناسب طَبْعَهُا من أهلِ الفراغ وأصحابِ الرُخَص[7]. وقد يَقَعُ لِبَعْضِ الشُعراءِ البيتانِ والثلاثةُ لها قافيةٌ واحدةٌ يجعلونها

---

(١) فلان ضيّق العطن (مبرك الجمل): ضيّق الصدر.

(٢) بشّار بن برد (ت ١٦٧ هـ = ٧٨٢ م) رأس المحدثين وأوّل من خرج بالشعر العربي من الخصائص القديمة إلى الخصائص العبّاسية (في المعاني وفي شكل القصيدة).

(٣) المزدوِجة قصيدة كلّ بيتين منها برويّ مستقل. بشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ) من رجال الاعتزال الذين يعتمدون تفسير العقائد الدينية بالعقل. والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أديب موسعي كبير ومشارك في معظم فنون المعرفة ومصنّف مكثر.

(٤) عبد الله بن المعتّز (ت ٢٩٥ هـ). الصبوح: شرب الخمر في الصباح. ركب هذا الطريق (نظم المقطّعات الشعرية المختلفة القوافي).

(٥) ابن وكيع التنّيسي (ت ٣٩٣ هـ=١٠٠٣ م) شاعر ظريف وقف شعره على الوصف والغزل ومال إلى المجون فاتّخذه مذهباً في الحياة، شعره الباقي مقطعات ومزدوجات ومربّعات (المربعة: أرجوزة كل بيتين منها على رويّ واحد في الصدرين والعجزين).

(٦) تميم بن المعزّ الفاطمي (٣٣٧- ٣٧٤ هـ)، من فنونه الغزل عامة، وهو يذهب مذهب أبي نواس في المجون والزندقة. وله وصف للطبيعة على مثال أوصاف ابن المعتّز.

(٧) أهل الفراغ: الذين لديهم متسع من الوقت وليس لديهم عمل جدي يملأون وقتهم به. الرخصة (في الحياة وفي الفقه): الشذوذ عن القاعدة العامة فيا لا يبلغ إلى أن يكون نقيضاً لها.

مُعاياةً فيَتَلاقَفُها العَروضيّونَ[١] كالأبياتِ التي تُروى لابنِ دُريدٍ[٢] » (انتهى قول ابن رشيق).

★ يبدو ممّا ذكره ابنُ رشيقٍ ما يلي:

– في الشعر العَربيّ مَجالٌ فسيحٌ للجَوازات في تفاعيلِ الشعر وفي اختصارِها وفي تنويع القوافي (في الرَجَز الجاهليّ مثلاً).

– نَظَمَ العربُ منذُ الجاهلية على أبحُرٍ خارجةٍ عن البُحورِ التي استخرجها الخليلُ ابنُ أحمدَ. وربّما نوّعوا الأبحرَ في المقطوعة الواحدة.

– وكانوا يفعلون ذلك عبثًا وتَملُّحاً على سبيل التَسْليَةِ لاعتقادِهم أن هذا التصرُّفَ في النظم ليسَ من شأنِ كِبارِ الشعراء (وهذا ما يُفسِّر قِلّةَ المَرْوِيِّ من هذا النوع من الشعر).

– والتسميطُ الذي هو قريبٌ جدّاً مِمّا سُمِّيَ، فيما بعدُ، بالمُوَشَّحِ، قديمٌ جدّاً في الشعر العربي؛ ولعلّه كان مُنذُ الجاهلية.

– ذَكَر ابنُ رشيقٍ أن هذه الأجناسَ المختلفةَ من النَظْمِ كانت في أيامِه (في القرنِ الخامس للهِجرة والثاني عَشَرَ للميلاد) شائعةً مألوفة.

نشأة الموشّح وتعريفه

يُجْمِعُ مؤرّخو الأدَبِ على أن المُوشّحَ في شكلهِ المخصوصِ وخصائصِه المعروفةِ، فنٌّ أندلسيٌّ. وكذلك يَكادون يكونون مُجْمِعين، عِند تعريفِ الموشّحِ ووصفِه على أن أوفى ما قيل فيه ما قاله ابن خلدون (المقدّمة ١١٣٧-١١٣٨):

(١) المعاياة: الإتيان بالأمثلة النادرة التي تعيا (تستعصي، تصعب) على الآخرين. يتلاقفها (يتناولها بعضهم من بعض). العروضيون: العلماء المؤلّفون في العروض (بفتح العين: قواعد نظم الشعر)، (يحبّ) هؤلاء وأمثالهم أن يحشدوا في كتبهم قواعد وشواذّ عن هذه القواعد ممّا لم يقع عليه غيرهم من قبلهم.

(٢) ابن دريد البصري (٢٢٣- ٣٢١ هـ) من علماء اللغة ونقّاد الشعر.

« وأمّا أهلُ الأندلس، فلمّا كَثُرَ الشعرُ في قُطْرِهِمْ وتَهذّبَتْ مَناحيهِ، وبَلَغَ التنميقُ فيه الغايةَ، اسْتَحْدَثَ المتأخرّون منهم فنّاً منه سَمَّوْه بالموشحِ: يَنْظِمونه أسْماطاً أسماطاً. وأغصاناً أغصاناً، يُكثِرون منها ومن أعاريضها المختلفةِ ويُسَمّون المتعدّدَ منها بيتاً واحداً[1]، ويلتزمون ذلك عِندَ قوافي تلك الأغصانِ وأوزانها فيما بعدُ إلى آخرِ القطعة؛ وأكثرُ ما تَنْتهي عِندَهم إلى سبعةِ أبياتٍ. ويشتملُ كلُّ بيتٍ على أغصانٍ عددُها بحَسَبِ الأغراسِ والمذاهب[2]. ويَنْسِبون فيها ويمدحون كما يُفْعَلُ في القصائد. وتجارَوْا في ذلك إلى الغايةِ واستظرفَهُ الناسُ جُملةً، الخاصّةُ والكافّةُ، لِسهولةِ تَناوُلِهِ وقُرْبِ طريقهِ.... »

فالموشّحُ[3]، إذَنْ، أو التوشيحُ فنٌّ أندلسيٌّ، وهُوَ « كلامٌ منظومٌ على وَزْنٍ مخصوصٍ ». أمّا الموشّحاتُ فَهِيَ جمعُ موشّحةٍ. والموشّحةُ قِطعةٌ شِعريةٌ طويلةٌ في الأغلبِ تتألّفُ من مَقاطِعَ تترتّبُ فيها الأشْطُرُ والقوافي على نَسَقٍ مخصوص. فإذا اختار الوشّاحُ نَسَقاً ما في المقطعِ الأوّلِ من مُوشّحتهِ، وَجَبَ عليه أن يَلْتزم ذلك النَسَقَ بِعَيْنهِ في سائرِ مقاطعِ تلك الموشّحة.

نظريّات في نشأة الموشّح

هنـالك عددٌ من النظريّات في نشأةِ الموشّحات منها:

أ) النظرية الأجنبية:

يقول بالنثيا[4]: قال ريبيرا: إن أهل الأندلسِ كانوا يتعلمونَ العربيةَ الفصيحةَ لُغةً رسميةً في المدارس والدواوين (وفي الإنتاج الأدبي، طبعاً)، وأمّا في شؤونِهِمُ اليوميةِ فكانوا يستعملون الأعجمية . ثمّ يقولُ: « وكان هذا الازدواجُ في اللغة هو الأصلَ في نُشوء طِرازٍ شِعريّ مُخْتَلط، تمتزجُ فيه مؤثّراتٌ غَرْبية وشَرْقية. وقدِ

(١ و ٢)راجع، تحت: نسق الموشحات، ٤٢٩

(٣) « والحميني (بالتصغير): ضرب (نوع) من ضروب الشعر الحدثة، وهو المعروف بالموشح، يمانية » (تاج العروس ٩: ١٨٤.

(٤) تاريخ الفكر الأندلسي ١٤١ - ١٤٢.

ازدرى أهلُ الأدب الفصيحِ والمَعْنيّون بأمرِه (أي بأمرِ الأدبِ الفصيح) هذا الطِرازَ الجديدَ، بينَما مضى الناس جميعاً يتناقلون مُقَطَّعاتِه سِرًّا بينَهم. وذاعَ أمْرُهُ داخلَ البيوتِ وفي أوساطِ العَوامِّ. وما زال أمره يعظُمُ والإقبال عليه يشتدّ حتّى أصبحَ في يومٍ من الأيام لَوْناً من الأدب. وقد أخَذَ هذا الطِرازُ الجديدُ من الأدب الشعبيّ صورتَيْنِ: إحداهُما الزَجَلُ والثانيةُ الموشَّحةُ».

هذهِ نظريةٌ ساذَجَةٌ لا شكّ في أنّ صاحبها قد وَضَعَهَا في مَطْلَعِ حياتِهِ الفِكرية (وأرجو أن يُعيد القارئ تلاوة الأسطر الخمسة السابقة كي يُدْرِكَ أن صاحبَ هذه النظرية- وإنْ كان اسمَه ريبيرا الإسبانيُّ- قد غَفَلَ عن عددٍ من العوامل التاريخية واللغوية والأدبية من تلك التي تعمَلُ في تطوّرِ الحضارةِ وفي نُشوء الثقافات).- ولعلّ الاستغراب يبلُغُ ذِرْوته إذا قرأ جملة ريبيرا: «بينما مضى الناسُ جميعاً (كذا) يتناقلون مقطعاته (أي مقطعاتِ الموشح) سِرًّا (كذا) بينهم. وذاع أمره داخل البيوت وفي أوساط العامة. لا شك في أن ريبيرا قد كتب ذلك قبل أن يتحلى رأسه بشيء من الشعر الأبيض!

ومن المؤسف حقًّا أن يكونَ في العربَ نفرٌ قد تمسكوا بهذه النظريةِ الساذَجَةِ البعيدةِ عن مَدْرك الاتّساقِ في تعاقُبِ أحداثِ التاريخِ وعن المنطقِ في تعليلِ تلك الحوادث وعن الواقعِ المُشاهَدِ: كيف يرى المتعلّقون بهذه النظرية أنّ نوعاً من الأدب بَلَغَ تمامَهُ في القرنِ الرابعِ (العاشِر للميلاد)- أو قبلَ ذلك- كما يقولون، على يد مُقَدَّمِ آبنِ مُعافىً القَبريّ مِنْ شُعراءِ الأميرِ عبدِ الله المَرْوانيّ (٢٧٥- ٣٠٠ هـ) قد أخذ من شعرٍ أو غناءٍ بلغةٍ لم تكن قد نشأتْ بعدُ[1]؟

لا أُريدُ الجِدالَ في هذا الوجه السلبي من الموضوع لأنّني سأُوردُ الأوجُهَ الإيجابيةَ بالتفصيل.

---

(١) أنظر، تحت: «نشأة الآداب الرومانسية».

ومعَ أنّ نفراً من هؤلاء المتعلّقين بهذه النظريّة كثيراً أو قليلاً هم مِمّن أعْرِفُهم وأُجِلّهم، فإنّي لا أمِلْكُ استغرابيَ مِنَ استمرارهم في موقفهم بعدَ أن صَدَرَ في النظريةِ العربيـةِ للشعرِ الأُوروبي دراساتٌ علميّـةٌ مفصلةٌ باللغاتِ الإنكليزية والألمانية والاسبانية والفرنسية. لا أُريدُ أن أعتقدَ أنّهم قرأوا هذه الدراساتِ. ولكنْ أليسَ غريباً مُسْتَغرباً أن يقولَ الافرنسيون والإيطاليون والألمان والإسبان إنهم قد أخذوا شِعْرَهم من أزجالِنا وموشّحاتنا ثمّ يأتي نفرٌ منا فيَزْعُمون أنَّ موشحاتِنا وأزجالَنا مأخوذةٌ منهم؟

لقد تبنى هذه النظرية الاجنبية نفرٌ من العرب، منهم في لبنان مؤلفو كتاب « الادب العربي في آثار أعلامه »(١) فقالوا (٢ : ٢٣٣): « وقد تأثّر شعراءُ الاندلس بطرق مُنشدي الشعر الاسباني الأصلي، فمالوا اليها في شعرهم العربيّ ونظموا أبياتَهم ومقاطعَهم موافقةً لأصولِ التلحين والغناء ... »

وكذلك فعل مصطفى عوض الكريم- ولكن مَعَ شيءٍ كثيرٍ من الإصرار- إذ بدأ بقوله (فنّ الموشح ١٠٧):

« إن كثيراً من الأسئلة الحائرة لا تجد جواباً شافياً إلاّ إذا قبلنا النظرية القائلة بأن الموشحات ما هي إلاّ تقليد لشعر غنائي عجمي، وهي النظرية التي جاء بها

---

(١) الأدب العربي في آثار أعلامه، نصوص منتخبة وفقاً لمنهاج البكالوريا اللبنانية لخليل تقي الدين وفؤاد أفرام البستاني وواصف بارودي (١٨٩٧ - ١٩٦٢ م)، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٥.
واصدر بطرس البستاني (١٨٩٥ - ١٩٦٩ م) كتابه « أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث » (بيروت ١٩٣٧) فقال (ص ٨٠) « ولم يكن للأسبانيين موسيقى راقية قبل الفتح الإسلامي. فلما افتتحت الأندلس وانتشر الغناء العربي تهذبت موسيقاهم واصطبغت بألوان عربية بينة: منها أنهم اتخْذوا الشبابة من آلات الغناء: وهي عربية الأصل ولهم أناشيد يسمونها Segrel وهي مأخوذة من الزجل العربي... وعندهم ربع صوت وثلث صوت. وأجزاء الأصوات عربية لا يستعملها في أوروبة غير الإسبانيين. وتقاطيعهم الصوتية تجري على نغم واحد كالتقاطيع العربية. ومن الفاظهم ما يراجع فيه الغناء غير مرة، كما يراجع لفظ يا ليل يا ليل في الغناء العربي ». ثم يقول بعد صفحتين (ص ٨٢): « فاتفاق منظومات التر وبادور والموشحات في أكثر النواحي يحملنا على الاعتقاد أن العرب تأثروا بالأدب الأسباني الفرنسي (كذا) كما تأثر الأسبانيون والفرنسيون بالأدب العربي. فأخذ العرب فكرة التحرر من نظام الأوزان في أغانيهم وأخذ أولئك (يقصد الأسبان والأفرنسيين) القافية والصور الخيالية الجميلة ».

المستشرقان الإسبانيان خوليان ريبيرا ومننديث بيدال وحشدا لها من الأدلة ما يجعل رفضها ضرباً من المكابرة والتعنّت ».

ثم يذهب مصطفى عوض الكريم مذهب التعنّت فيقول (ص ١٠٩):

« ولكن الأستاذ نيكل يزعم أن الطروبيين هم الذين تأثروا بالموشحات ويسوق الحجج والأدلة التي تثبت رأيه ويذكر أن الموشحات فن عربي بحت ترجع أصوله إلى الشعر التقليدي المشرقي وحده ».

ويتابع عوض الكريم الكلام فيقول:

« ونحن أميل إلى الرأي القائل بأن الوشاحين الأوائل قد قلّدوا شعراً غنائياً عجمياً كان موجوداً أمامهم سمعوه وامتلأت نفوسهم بموسيقاه وألحانه فحاولوا النظم على نهجه فجاءت الموشحات ».

ب) **النظرية الفنية**- قال ابن خَلْدونٍ في مقدمته (ص ٥٨٣/ ١١٣٧): « وأما أهل الأندلس فلما كَثُرَ الشعرُ في قُطْرهم وتهذّبت مناحيه وفنونُه وبلغ التنسيقُ فيه الغايَة استحدث المتأخرون منهم فَناً منه سَمَّوْهُ بالموشّح ينظمونه أسماطاً أسماطاً وأغصاناً أغصاناً يُكثرون من أعاريضها المختلفة ويسمّون المُتَعَدِّدَ منها بيتاً واحداً، ويلتزمون ذلك عند قوافي تلك الأغصانِ وأوزانها متتالياً في ما بعدُ إلى آخر القطعة، وأكثرُ ما تنتهي عندَهم إلى سبعةِ أبياتٍ. ويشتملُ كلُ بيتٍ على أغصانٍ عددُها بحَسْبِ الأغراس والمذاهب. وهم ينَسْبِون فيها ويمدحون كما يُفْعَلُ في القصائد. وتجارَوْا في ذلك إلى الغاية، واستظرفه الناسُ جُمْلَةً، الخاصةُ والكافّةُ، لسهولة تناوله وقرب طريقه ».

جـ) **نظرية تطور الأنواع الأدبية**- قال ابن رشيق (العمدة ١: ١٤٩ وما بعدها):

« ومن الشعر جِنْسٌ كله مصرّع[١]، إلا أنه مختلف الأنواع. فمن ذلك الشعر

(١) التصريع أن يكون صدر البيت وعجزه مقفيين، كمطالع معظم القصائد.

المُسَمّطُ، وهو أن يبتدئَ الشاعرُ ببيت مصرّعٍ ثم يأتي بأربعةِ أقسمةٍ على غير قافيته، ثم يعيدَ قَسيماً[١] واحداً من جنس ما ابتدأ به. وهكذا إلى آخر القصيدة... والقافية التي تتكرّر في التسميط تسمى عمود القصيدة. واشتقاق (المسمط) من السِمْط، وهو أن تَجْمَعَ عدّة سُلوك[٢] في ياقوتة أو خَرْزة ما؛ ثم تَنْظِم كلّ سِلك على حِدَتِه باللؤلؤ يسيراً، ثم تَجْمَعَ السلوك كلها في زبرجدة واحدة أو شبهها. ثم تَنْظِمَ كل سلك على حدته وتصنعَ به كما صنعتَ أولاً إلى أن يَتِمّ السِمْطُ. وهذا هو المُتعارَف عند أهل الوقت»[٣]. «والمسمطات جاءت في أوزان كثيرة مختلفة».

هذا الشعر المسمط قديم في الأدب العربي: كان معروفاً منذ الجاهلية، ويقال إن امرأ القيس نفسَه نظم شيئاً منه[٤].

د- **النظرية الموسيقية**- قال ابن سناء المُلك في كتابه دار الطِراز (ص ٣٥-٣٩):

«ومن الموشحات ما لا مَدْخلَ لشيء منه في أوزان العرب[٥]، وهو الكثير والجَمّ الغفير والعدد الذي لا ينحصر. وأكثرُها مَبنيٌّ على تأليف الأرْغُن[٦]. ومن الموشحاتِ قِسمٌ أقفالُه مخالفةٌ لأوزان أبياته مخالفةً تامّة. وهذا القسم لا يجسُرُ على عمله إلا الراسخون في العلم من أهل هذه الصِناعة. فأما من كان طُفَيْلِيًّا على هذه المائدة فإنه إذا سمِعَ هذا الموشّحَ ورأى مباينةَ أوزانِ أقفالِه لأوزانِ أبياتِه ظنّ أن ذلك جائزٌ في كل موشَّحٍ[٧]، فعَمِلَ ما لا يجوزُ عَمَلُه وما لا يُمشيّه التلحينُ له وتظهَرُ فضيحتُه في وقتِ غِنائه، فإنّ المغنّيَ ببعضِ الآلاتِ يحتاجُ إلى أن يغيّرَ شدّ الأوتار عند خُروجه

(١) القسيم: الشطر (جمعها قسمة).
(٢) السلك هو الخيط الذي تسلك (تجمع) فيه اللؤلؤ والخرز.
(٣) هذا يدل على أن التوشيح كان قد أصبح شائعاً جداً في أيام ابن رَشيق (ت ٤٦٣ هـ).
(٤) راجع العمدة: ١: ١٥٠- ١٦٠.
(٥) أوزان الشعر العربي.
(٦) الأرغن أو الأرغول (الأرغل): مزمار ذو قصبتين مُثقّبتين إحداهما أطول من الأخرى (المعجم الوسيط ١٤).
(٧) يسمي ابن سناء الملك وغيره من المتأخرين الموشحة «موشحاً» أيضاً.

من القُفل إلى البيت ومن البَيت إلى القفل ». فالموشحات إذنْ نشأتْ من حاجةِ المغنّين إلى كلام يسايرون به الألحانَ. إنّ المشارقةَ كانوا إذا أُعْجِبوا بشعرٍ دفعوه إلى مُغَنٍ يَسْكُبُ عليه لحناً موافقاً. وبما أن بحور الشعر العربي المختارةَ محدودةٌ، فإنّ الألحان التي كانت تُسْكَبُ على المقطعات العربية ظلّتْ أيضاً محدودة. أما الأندلسيون فكانوا يُلقون آذانَهم إلى الألحان ثم يؤلفون عليها الكلماتِ. وبما أن الألحانَ التي يُمْكِنُ استخراجُها غيرُ متناهية نظريًّا وعمليًّا، فإن أوزانَ الموشحاتِ التي نظمت كانت كثيرةَ الاختلافِ عَدّ منها مارتن هارتمانّ مِائَةً وسِتّةً وأربعين مزيجاً سمّى كل مزيجٍ منها بحراً[1].

والتوشيحُ الصحيحُ فنٌّ صَعْبٌ، فإنّ على الوَشّاحِ أن يكونَ موسيقيًّا قبل أن يكونَ شاعراً؛ والعَزْفُ على الآلةِ الموسيقيّة هو الميزانُ الصحيحُ لبراعةِ الوشّاح. وقد شَرَحَ ابنُ سناء المُلْكِ ذلك ثم ضرب عليه مثلاً وقال: «وأكثرها مبنيٌّ على تأليف الأرغن. والغِناء بها على غيرِ الأرغن مُستعارٌ وعلى سِواه مجازٌ». ومِنَ المُوشّحاتِ قسمٌ يَستقلُّ به التلحينُ ولا يفتقر إلى ما يُعينه عليه وهو أكثرُها؛ وقسمٌ لا يحتملُه التلحينُ ولا يَمْشي به إلاّ بأنْ يَتوكأ على لفظةٍ لا معنى لها تكون دِعامةً للتلحينِ وعُكّازاً للمُغنّي، كقول ابن بَقِي:

من طالب ثار قتلي ظبيات الحُدوجْ فتّانات الحَجيجْ،

فإن التلحين لا يستقيم (في هذه الموشحة) إلا بأن يقول (المغني) «لا لا» بين الجزءين الجيميين من هذا القفل.

فنّ الموشّح:

قال ابنُ بسّامٍ الشَنتريني في الموشّح كَلِمة جامعة هي (الذخيرة ١: ٤٦٨- ٤٧٠):

« ....وكان أبو بكرٍ (عُبادة بنُ ماء السماء المتوفى نحو سنة ٤٢٢ هـ) في ذلك العصر شيخَ الصِناعة وإمامَ الجماعة: سلَكَ إلى الشعرِ مسلكاً سهلاً، فقالتْ له غرائبه:

(١) Das arabische Strophengedicht 121-208

مرحباً وأهلاً. وكانت صَنعةُ التوشيح التي نَهج أهلُ الأندلس طريقتَها ووضَعوا حقيقتَها غيرَ مرموقةِ البُرودِ ولا منظومةَ العُقود[١]. فأقامَ عُبادةُ هذا مِنآدَها وقَوّمَ مَيْلَها وسِنادَها[٢]. فكأنّها لم تُسمع بالأندلس إلاّ منه وِلا أُخِذَتْ إلاّ عنه. واشتهر بها اشتهاراً غلَب على ذاتِه وذهب بكثيرٍ من حَسَناته[٣].

« وَهِيَ أوْزانٌ كَثُرَ استعمال أهلِ الأندلس لها في الغزَل والنَسيب، تُشَقّ على سَماعِها مَصوناتُ الجُيوب، بلِ القلوب[٤]. وأوّلُ من صنَع أوزانَ هذهِ المُوشّحات بأُفُقنا[٥] واخترعَ طريقتَها- فيما بَلَغني- محمّدُ بنُ محمودٍ القَبْريُّ الضرير[٦]. وكان يصنَعُها علـى أشْطار الأشعار[٧]. غيرَ أنّ أكثَرَها على الأعاريض المُهْمَلة غيرِ المُستعمَلة[٨]: يأخُذُ اللفظَ العامِّيَّ والعَجَمي[٩] ويُسمّيه المركزَ[١٠] (ثمّ) يضَعُ عليه

---

(١) مرقومة (مزيَّنة) البرود (الأثواب من الحرير): غير منوعّة. ولا منظومة العقود (مرتبة): ليس لها قواعد.

(٢) المناد: المتثني المعوجّ. الميل: الانحراف عن الطريق القويم. السناد: اختلاف في القافية سيف (بفتح السين) وريف (بكسر السين).

(٣) ذهب بكثير من حسناته: برع أبو بكر عبادة في أكثر وجوه التوشيح.

(٤) الجيب (بفتح الجيم): مدخل الرأس من الثوب. شق الجيب كناية عن الحزن الشديد أو الفرح الشديد.

(٥) أفقنا: صقعنا، منطقتنا، بلادنا (الأندلس).

(٦) قبرة: بلدة في الأندلس. ومحمد محمود القبري الضرير ينسب اليه ابن بسام نظم موشحات. وفي جذوة المقتبس (ص ٨٦) وبغية الملتمس (ص ١٢١ - ١٢٢) انه « أديب شاعر »- وذلك رواية عن ابن حزم الاندلسي- ولم يذكر هناك انه نظم موشحات. وفي مقدمة ابن خلدون (ص ١١٣٨/٥٨٤) ينسب اختراع الموشحات الى مقدم بن معافى القبري (وفي النسختين معافر الفريري أو الفبريري- وذلك خطأ) ثم في جذوة المقتبس (ص ٣٣٣) وبغية الملتمس (ص ٤٦٠): « مقدم بن معافى القبري شاعر معروف في أيام عبد الرحمن الناصر » (٣٠٠-٣٥٠ هـ). وفي نفح الطيب (٣: ٥٣٨): « .... قال المقدّم بن المعافى (بتعريف الاسمين) في رثاء سعيد بن جودي .... » (ثلاثة أبيات). ثم (٧: ٦) « ..... مقدّم بن معافى (بالتنكير). » (مقطع منقول من مقدمة ابن خلدون).

(٧) قلّ أن يبني الموشّح على البيت الكامل (على شطرين) والمألوف أن يبنى على أشطر مختلفة القوافي (والأوزان أحياناً).

(٨) الأوزان التي لم يألف العرب استعمالها (مع أنها جارية على موسيقى الشعر).

(٩) العجمي (هنا) لغة نصارى الأندلس (لاتينية مشوّهة).

(١٠) المركز: القفل أو القفلة (من حيث تعود القافية إلى المطلع).

الموشّحةَ دونَ تضمينٍ فيها ولا أغصان[١] . وقيل إنّ ابنَ عبدِ ربِّه صاحبَ كتابِ « العِقْد »[٢] أوّلُ من سَبَق إلى هذا النوع من الموشّحات عندنا. ثمّ نشأ يوسفُ بنُ هرونَ الرَمادِيُّ[٣] فكان أوّلَ من أكثر فيها التضمينَ في المراكيز[٤] : يضمِّنُ كل مركزٍ يَقِفُ عليه في المركز خاصة. فاستمرّ على ذلك شعراءُ عصرِنا كمكرم بن سعيد وابْنَيْ أبي الحسن[٥] . ثمّ نشأ عُبادةُ هذا فأحدَثَ التَضْفيرَ، وذلك أنّه اعتمد مواضِعَ الوَقْفِ في الأغصان فيُضَمِّنُها، كما اعتمد الرَّماديُّ مواضعَ الوقف في المراكز.

« وأوزانُ هذه الموشحاتِ خارجةٌ عن غَرَضِ هذا الديوان[٦] إذ أكثَرُها على غيرِ أعاريضِ أشعارِ العرب[٧] ».

نسق الموشّحات

للموشّحات نَسَقانِ رئيسانِ: النسقُ المُؤتلف والنسقُ المُختلف- والنسق المؤتلف يكون عادةً في الموشحات التي على الأبحر المألوفة، من الرَمَل في الأغلبِ. ويكونُ للموشحِ على النسق المؤتلف مطلعٌ ثم تَليه الأبياتُ. ويكونُ كل بيتٍ من أسْماطٍ وقُفْلٍ (أو قَفْلَةٍ). ويحسُنُ أن نُشيرَ إلى ثلاثِ دَرَجاتٍ من الموشحات المؤتلفة: الموشحةِ المُفردةِ (البسيطة) والموشحةِ المثّناة (المُزْدوجة) والموشحة المركبة (المتعددة). ومِثالُ الموشحةِ المُفردة الموشحةُ المنسوبةُ إلى أبي بكرٍ بنِ زُهْرٍ.

المطلع: أيُّها الساقي، إليكَ المُشتكى؛ قـــد دَعَوْنـــاكَ وإنْ لم تَسْمَـــعِ !

---

(١) أشطر مختلفة.

(٢) راجع، فوق، ص ٤٣٩.

(٣) راجع فوق، ص ٤٣٩.

(٤) المراكيز (كذا في الأصل): المراكز.

(٥) مكرم بن سعيد وابنا أبي الحسن (؟).

(٦) هذا الديوان: هذا الكتاب (الذخيرة). إن علماء الشعر الأندلسيين لم ينظروا إلى الموشّح نظر الجد فلا نجد مختارات منه في العقد (مع أنّه يقال إنّ ابن عبد ربّه من السابقين إلى هذا الفن)، الخ.

(٧) الصحيح أن الأوزان التي بني عليها الموشّح عربية (لها موسيقى الغناء العربي)، ولكنّها لم تكن مألوفة لأسباب خارجة عن نطاق هذه الحاشية.

البيت ١ : ونديمٍ هِمْتُ في غُرّتهِ
وبشُرْبِ الراحِ من راحتِهِ.
كُلّما اسْتَيْقَظَ من سَكْرتهِ

جَـــذَبَ الزِّقَّ إليـــه واتّكـــا وسقاني أربعاً في أربعِ.

فالمطلعُ في الموشحةِ المُفردة يتركب من سِمْطين لكل سِمْطٍ منها قافيةٌ مستقلة. أما البيتُ فيتركّب من خمسةِ أسماطٍ: ثلاثةِ أسماطٍ على رَوِيّ واحدٍ ثم سِمْطَيْنِ قافيةُ كلِ سِمْطٍ منها على رَوِيّ السِمْطِ المقابلِ له في المطلعِ. وجميعُ الأبياتِ في الموشحة تجْرَيْ في البحرِ والترتيب والتقفية هذا المجرى.

أما الموشّحةُ المثناةُ فتكونُ الأسماطُ في مَطْلَعِها أربعةً، أي مُضاعفة. ويُبنى صَدْرَا المَطْلعِ على رَوِيّ وعَجُزاه على رَوِيّ آخَرَ. وكذلك يكونُ البيتُ في الموشحة المثناة مضاعفاً (سِتّةَ أسْماطٍ بِرَوِيٍّ لِصُدورِها ورَوِيٌّ آخَرَ لأعْجازِها، ثم أربعةَ أسماطٍ في القَفْلة تُقابِلُ بقوافيها قوافيَ المطلع)- . مِثال ذلك مُوشحةُ إبراهيمَ بنِ سَهْلٍ:

هــل دَرى ظَبْيُ الحِمى أن قد حَمَى قلــبَ صَـبٍّ حَلّهُ عن مَكْنَسِ ؟
فَهْو في حرٍ وخَفْقٍ مِثلَما لَعِبَــتْ ريــح الصَبــا بالقَبَسِ
يا بُدوراً أشْرقتْ يومَ النَوى غُرَراً تسلُــكُ بي نَهْــجَ الغرَرْ،
ما لِنفسي في الهوى ذنبٌ سِوى مِنكُمُ الحُسنى ومِنْ عيني النظرْ.
أجْتَني اللذاتِ مَكْلومَ الجَوى. والتمــداني من حبيــبي بالفِكَرْ.
كُلّما أشكوه شَوْقي بَسَما كالرُبــى بالعــارِضِ المُنْبَجِسِ ؛
إذ يُقـــيمُ القَطْرُ فيهـــا مأتَمَا وَهْيَ من بَهْجَتِها في عُرُسِ.

وأما الموشّحة المتعددةُ فَهِيَ التي يكون المطلَع فيها مُركَّباً من ستّةِ أسْماطٍ مجزوءةٍ (لأنها لو جاءتْ تامةً لطال النسَق فيها فتفقدُ رَوْعةَ النغَم)، ويكونُ البيتُ فيها بالتالي ثلاثةَ أضعافِ البيتِ في الموشحة المفردة. فاعتبرْ موشّحةَ ابنِ زُهْرٍ التالية:

ما لِلْمُوَلَّهْ　　من سُكرِه لا يُفيقْ　　يا لَه سَكرانْ
من غيرِ خمرِ　　ما للكئيبِ المَشوقْ　　يندُبُ الأوطانْ.

★ ★ ★

هل تُستعادْ　　أيامُنا في الخليجْ　　ولَيالينا؟
أو يُستفادْ　　مِنَ النسيمِ الأريجْ　　مِسكُ دارينا؟
وإذْ يَكاد　　حُسْنُ المكانِ البهيجْ　　أن يُحَيّينا.
نَهْرٌ أظلَّهْ　　دَوْحٌ عليه أنيقْ　　مُورِقُ فَيْنانْ
والماءُ يَجْري　　وعائمٌ وغريقْ　　من جَنى الرَيْحانْ.

ثمّ هنالك الموشّحاتُ ذواتُ النَسَقِ المختلفِ، وَهِيَ مُوشّحاتٌ لم يَتَّبعِ الوشّاحون فيها قاعدةً ما، بل كان كلُّ وشّاحٍ يختارُ من ترتيبِ الأشْطُر ومن ترتيبِ القوافي ما كان يَروقُ له أو يتّفقُ له. من أجلِ ذلك قَلْ أن تَجِدَ مُوشّحتينِ على نَسَقٍ مختلفٍ واحدٍ، وخصوصاً إذا كان الوشّاح قد تَصرّفَ في الأوزان فأتى بِبُحورِ الشِعرِ مجزوءةً على أقدارٍ مُتفاوتة أو إذا خرج في مُوشّحتهِ عن أوزانِ العربِ جُملةً. وهذا ما حَمَلَ ابنُ سَناءِ المُلْكِ على أن يقول[1]:

« والقِسم الثاني من المُوشحاتِ هو ما لا مَدْخَلَ لشيءٍ منه في أوزانِ العرب. وهذا القِسْمُ منها (من الموشحات) هو الكثيرُ والجَمّ الغَفير، والعددُ الذي لا يَنْحَصِرُ، والشارِدُ الذي لا ينضبط. وكنتُ أردتُّ أن أُقيمَ لها عَروضاً يكونَ دفتراً لِحسابِها، وميزاناً لأوْتادها وأسبابِها[2]، فعزّ ذلك وأعْوزَ لِخُروجها عن الحَصْر وانفلاتِها من الكَفّ. وما لها عَروض[3] إلاّ التلحينُ، ولا ضَرْبَ إلاّ الضَرْبُ[4]، ولا أوتادَ إلا

---

(١) دار الطراز.

(٢) الوتد في العروض (نظم الشعر) مقطع مؤلف من ثلاثة أحرف أحدها ساكن في وسط المقطع (نحو: فيل، بحر) أو في آخره، نحو: علىْ فقط). والسبب مقطع من حرفين متحركين (نحو: فمُ، يدُ) أو متحرك وساكن (نحو: قد، لم، ما).

(٣) العروض (نظم الشعر): مقياس، ميزان.

(٤) ضرب (الأولى): نوع، جنس. ضرب (الثانية) عزف، نقر على الآلة الموسيقية.

الملاوي(١)، ولا أسبابَ إلا الأوتار(٢). فبهذا العَروض يُعْرَفُ الموزونُ من المكسور، والسالمُ من المَزْحوفِ(٣)».

فمِنْ أمْثِلَةِ النسَقِ المختلفِ موشّحةُ أبي بكرِ الأبيضِ الوشّاحِ (قارِنِ الأوزانَ والقوافيَ في البيتِ الأوّل بما يُقابِلُها في البيتِ الثاني):

البيت الأول	البيت الثاني
ما لَذّ لي شُرْبُ راحِ	مِمّا أبادَ القلوبا
على بِساطِ الأقاحي،	يمشي لنا مُستريبا.
لولا هضيمُ الوِشاحِ	يا لَحْظَه، رُدَّ نُوبا.
إذا أسا في الصباحْ؛	ويا لَماهُ الشَنيبا،
أو في الأصيلْ	بَرِّدْ غَليلْ
أضحى يقولْ:	صبٍّ عليلْ
ما للشَمولْ؟	لا يَستحيلْ
لَطَمْتُ خدّي!	فيه عن عَهْدي.
ولِلشّمالْ؟	ولا يزالْ
هبّتْ فمالْ	في كُلِّ حالْ
غُصْنُ اعتدالْ	يرجو الوِصالْ
ضَمّه بُرْدي!	وهْوَ في الصَّدِ.

(١) الأوتاد جمع وتد (انظر الحاشية. ٢، ص ٤٣١). الملاوي (جمع ملوي بكسر الميم): قطع من الخشب لربط الأوتار (المعجم الوسيط ٨٥٥) - لعلها المفاتيح التي تضبط بها أوتار العود بشدها على مقادير معينة.

(٢) الأسباب (راجع الحاشية ٢، ص ٤٣١). الأوتار (أوتار الآلة الموسيقية)، أي قواعد شدها.

(٣) فبهذه العروض (بهذا الميزان الشعري). المكسور (الشعر الخارج عن الوزن الصحيح). المزحوف: التفعيل الذي دخله الزحاف (بكسر الزاي): تغيير يلحق الحرف الثاني في السبب (المعجم الوسيط ٣٩١)، أي الاضطرار إلى تحريكه (إذا كان ساكناً) أو تسكينه (إذا كان متحركاً).

أجزاء الموشّحة وأسماؤها

للموشّحة من النَسَقِ المؤتلفِ أجزاءٌ مُتحيّزةٌ أُطْلِقَ عليها عددٌ من الأسماء. ومعَ أن هذه الأسماء تختلفُ بينَ كتابٍ وكتابٍ، فسأُشير إلى أشهرها فيما يلي (بالإشارة إلى الموشّحة المشهورة لابنِ زُهْرٍ):

(١) أيُّها الساقي إليكَ المُشتكي   قد دَعَوْناكَ وانْ لم تَسْمَعِ

(٢) ونديمٍ هِمْتُ في غُرّتهِ

(٣) وبشُرْبِ الراحِ من راحتهِ

(٤)كُلّما ٱسْتيقظ من سَكْرتهِ

(٥) جَذَبَ الزِقَّ إليهِ وٱتّكا   وسقاني أربعاً في أربعِ

تبدأ الموشّحةُ المؤتلفةُ بمطلع أو مذهبٍ (رقم ١) مستقلٍّ، وهُوَ الذي تُبنى عليه الموشّحةُ فيما يتعلّقُ بالوزنِ وبعددِ الأشطُرِ وبالأعاريض (جمع عَروضٍ: الكَلِمَةَ التي ينتهي بها كلُّ شطرٍ، أي القافية). ويحسُنُ أن يكونَ اسم كلِّ شطر في المطلع « غَرْساً ».

ثمّ تأتي الأسماطُ (رقم ٢، ٣، ٤) ومعها القُفْلُ أو القَفْلَةُ أو اللازمةُ (رقم ٥). وجَميعُ هذه الأشْطُرِ (رقم ٢، ٣، ٤، ٥) تُسمّى « بَيْتاً ». أمّا الأسْماطُ وَحدَها (رقم ٢، ٣، ٤) فتسمّى « الدَوْر » (لأنّ قوافِيَها تدورُ فتأتَي في كلِّ بيتٍ مُختلفةً عمّا مرّ في الأبياتِ السابقة). وأمّا كلُّ شطرٍ في القُفْلِ فيحسُنُ أن نَحْفَظَ له اسمَ « غُصْنٍ » (لأنّه يَتَفرّعُ من الغَرْس الذي في المطلع). والقُفْل أو القَفْلة غايَتُها قَفْلُ « البيتِ »، أي خَتْمُه. وقد يُسَمّيانِ « اللازمةَ » لأنّها « تلزَمُ » البيتَ، أي تَصْحَبُهُ بِلا شُذوذٍ ثمّ تكون قافيتاها كقافِيَتَي المطلع. وأمّا القُفل في البيتِ الأخيرِ من الموشّحةِ فيُسمّى الخَرْجةَ، لأنّ الوَشّاحَ يخرُجُ بها من النَظْمِ (أي ينتهي من النظم)، فَهِيَ علامةُ انتهاء الموشّحة.

أعاريض الموشّحة

الأعاريض جمع عَروضٍ (بفتح العين- وهي مؤنّثة): اسمُ للجُزء الأخيرِ من النِصف الأوّل من بيتِ الشعرِ (القاموس ٢: ٣٣٤) في القصيدِ، أو هي الكَلِمةُ الأخيرةُ في كلِّ شطرٍ من أشطُرِ الموشّحةِ (أي القافية).

وللأعاريضِ في الموشّحةِ المؤتلفة (سواءٌ أكانتْ مُفردةَ المطلعِ أو مزدوجةَ المطلعِ أو متعدّدةَ المطلع) قواعدُ ثابتةٌ لتوالي القوافي: ففي المَطَلعِ للموشّحة المُفردةِ (راجع موشّحة ابن زهر، ص ٤٢٩ - ٤٣٠) وللموشّحة المزدوجة (راجع موشّحة ابنِ سهلٍ الإشبيلي، ص ٤٣٠) قافيتان مختلفتان. أمّا الموشّحة ذات المطلع المتعدّدِ (راجع موشّحة ابن زهر، ص ٤٣١) ففي مَطْلَعِها في العادةِ ثلاثُ قوافٍ مختلفاتٌ.

وللأسْماط في الموشّحةِ المُفردة قافيةٌ واحدةٌ مستقلةٌ. أمّا الأسماط في الموشّحةِ المزدوجة فيكونُ لها قافيتان مُستقلّتانِ: قافيةٌ للأسْماط اليُمنى (صُدورِ الأسْماط) وقافيةٌ أُخرى للأسْماطِ اليُسرى (أعْجازِ الأسماط).

وأمّا في الأقفالِ (وفي الخَرَجة) فإنّ القوافيَ تَتْبَعُ في تَنَوُّعِها وفي ترتيبها قوافِيَ المطلعِ.

ورُبّما تَمَلّحَ الوشّاحون المتأخرون بإدخالِ ألفاظٍ أو جُمَلٍ من العاميّة أو الأعْجميّة (لُغةِ النصارى الإسبان) في خَرَجة الموشّحة.

الخرجة خاصّة

الخَرْجَةُ أو القُفْل هي الأشطر الأخيرة في الموشّحة، وتكون في العادة باللغة الفصيحة. غير أنّ نفراً من الوشّاحين المتأخّرين عن نشأةِ التوشيح قد مالوا إلى التَمَلُّح بإدخال كلمةٍ من العاميّة في الخرجة أو أكثرَ من كلمة أو إلى أن يجعلوا بعضَ الخرجة أوِ الخرجةَ كلَّها باللغة العامّيّة. وربّما جعلوا هذه الألفاظ أو الأشطر باللغة الأعجمية (لغة نصارى الأندلس، وهي لهجة رومانسية مزيج من اللاتينية العامّيّة ومن بقايا محلّية).

بَيْدَ أن هذا التملُّحَ ليسَ جديداً مقصوراً على الوشّاحين الأندلسيّين، فلقد سبقهم إلى ذلك الشعراءُ المُحْدَثون في مطلعِ دولةِ بني العبّاسِ، فقد رأينا العبّاسَ بنَ الأحنفِ (ت ١٩٨ هـ = ٨١٤ م) يقول في طفلة صغيرة:

تُنــــادي كُلّما رِيعَــــتْ من العِزّةِ: يـــا (بابـــا)!

ويبدو أنّ أبا نواس (ت ١٩٩ هـ) قد أكثَرَ من هذا التملُّح فجاء به أحياناً شطراً كاملاً من الألفاظ الفارسية في الوزن العربي، كقوله:

يـــا غاسل (الطرجَهـــار) للخندريس العُقـــــار[١]،
يـــا نَرجِسي وبهـــاري (بـــده مرا، يـــك بـــاري)[٢].

وظهر هذا التملُّحُ في الشعر،(وفي النثر أيضاً فيما بعد، قال ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ = ٨٩٦ م):

أعجمي (آيينُـــــه) عربيٌّ مجـــدُه ينتمي إلى عَدْنـانِ[٣].

ولكن هذا التملحَ كانَ من باب الهَزْل لا من باب الجِدّ. قال المتنبي (ت ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م):

وكِلْمةٍ في طريقٍ خِفْتُ أُعْرِبُها فيُهْتَدى لي، فلم أقْدِرْ علىٰ اللَّحَنِ[٤]!

ولا نعلَمُ متى بدأ هذا المُزاحُ (استعمالُ غيرِ اللغة العربية الفَصيحة في خَرْجات

---

(١) الطرجهارة (بفتح فسكون ففتح): إناء يشبه الكأس. الخندريس (الخمر القديمة) العقار (الجيّدة). - أيها الرجل الذي تغسل الكأس جيّداً ليزول منها كلّ شيء آخر (حتّى تصبح خليقة بأن تصبّ فيها تلك الخمر)...

(٢) البهار: زهر (أصفر) ينبت في أوائل الربيع. بده مرا (أعطنيها، اسقني فيها) يك: واحد. باره: نوبة، مرّة، قطعة. يك باري (مرّة واحدة).

(٣) آيين: حضارة، سلوك، أسلوب (حياة)، شريعة، قانون. عدنان: جدّ عرب الشمال.

(٤) اللحن: ترك الاعراب (الكلام بالعاميّة لا بالفصحى) - هم قوم لا يحسنون الكلام بالفصحى، أردْت أن أجاريهم فلم أستطع لأنّي مطبوع على الكلام بالعربية الفصيحة.

الموشّح). إنّ الطَبَقاتِ الأولى من الوشّاحين- من الذين قِيل إنهم نظموا في القرنِ الرابعِ للهِجرة أو مِنَ الذين نظموا في القرنِ الخامسِ - لم تَصِلْ إلينا مُوشحاتُهم أو لم يَصِلْ إلينا إلاّ عددٌ يسيرٌ من موشّحاتهم. ومن مُراجعةِ كتاب « جيش التوشيح »[1] نَجِدُ خَرْجاتٍ عامّيّةً في الأكثر وأعجميّةً في الأقلّ لشعراءَ أوّلُهم ابنُ اللّبّانة (ت ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م) وآخِرُهُمْ ابنُ زُهْرٍ الحفيد (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٩ م).

واللحْنُ العامّيُّ أوِ الأعجميّ يكونُ كَلِمَةً أو أكثرَ من كَلِمَةٍ، ويكونُ شطراً من الخَرْجة أو يكونُ الخرجةَ بِتَمامِها. ففي خَرْجَةٍ لابن بَقِيٍّ (ت ٥٤٠ هـ)[2]:

قد بَلِينا وابْتُلِينا. (واش) يقولُ النــاسُ فينـا[3]؟
قُمْ بنـــا، يـــا نورَ عَيـــني، نَجْعَـــلِ الشكَّ يَقينـــا!

ولابنِ اللبانةِ (ت ٥٠٧ هـ) خرجةٌ عاميةُ التركيب (جيش التوشيح، ص ٦٩):

الله زانك يالاسمَرْ زين كل عسكر قد خرجت، يا شاطر في الحرب ظافر .

والخرجةُ حينما تكونُ بغيرِ اللغةِ العربية الفصيحة يُفْرَضُ فيها أن تكونَ مُبتذلةً وفيها إسفافٌ أيضاً كقول أبي القاسمِ المَنيشي- وقد كان يقودُ الأعمى التُطيلي المتوفى نحوَ ٥٣٠ هـ (جيش التوشيح، ص ١١٢):

قل لي قبل نقتلك: سروالك آش حَلّو؟ الخليل الجديد أمّا كان القديم حَلّو ؟

وإذا كانتِ الخرجةُ أعجميةً فإنّها تكونُ على وزنِ المُوشّحةِ التي ترد فيها تلك الخرجة، كما تكون في العادة أيضاً في المعنى السَفْساف واللفظ المُبتذل.

ومن الخرجاتِ الأعجميةِ واحدةٌ لأبي بكرِ بنِ رُحيم (وقد كان حيًّا سنة ٥١٥ هـ)- ولا أهتدي لوجه المعني فيها (جيش التوشيح، ص ١٧٩):

لمرني أو كـــدش دبيـــب حسب سم بغـــا درد مسيـــد.

---

(١)
(٢)
(٣) واش (وأيّ شيء؟)

فمِنْ أينَ جاءتِ الخرجاتُ الأعجمية إلى الموشّحاتِ الفصيحة؟

لا يحسُنُ أن نُعالجَ الخرجاتِ الأعجميةَ في مَعْزِلٍ عن الخَرْجات العامّيّة، فإنّها كُلَّها تَرْجعُ إلى شيءٍ من « تظرّف » الوَشّاح ومن مَيْلِ طَبَقَةٍ من الناس إلى « استظراف » السُخْفِ في مواقفِ الجِدّ!

وفي مقدمة ناشرِ كتاب « جيش التوشيح » هلالِ ناجي مناقشةٌ سليمةٌ صحيحةٌ لهذه الخرجات ولمصدرها، أُوجِزُها فيما يلي:

ذَهَبَ خوليانُ ريبيرا وميننديثُ بيدالُ وغِرْسيه غُوميث من الإسبان ثمّ تابَعَهُمْ في رأيهم نَفَرٌ من العرب كالدكتور مصطفى عَوَضِ الكَريم مؤلفِ كتاب « فن التوشيح » إلى أنّ الخرجاتِ الأعجميةَ « تمثّل الشِعرَ الغنائيَّ الرومانسيّ الذي سَبَقَ الموشّحاتِ ».

وقد نَقَضَ هِلالُ ناجي هذا الرأيَ بأدلّةٍ منها:

- ليس لدينا نماذجُ من ذلك الشعرِ الغنائي الرومانسيّ الذي سَبَقَ الموشّحاتِ.

- إنّ هذه الخرجاتِ الأعجميةَ موزونةٌ وزناً عربياً .

- يُؤخَذُ مِما ذكره ابنُ بَسّامٍ وابنُ سناءِ المُلك أنّ هذه الخَرَجاتِ (العامّيّةَ والأعجميةَ) من نَظْمِ أصحابِ المُوشّحاتِ أنفسِهم.

- إنّ نفراً من الشعراء الذين كانوا يَعْرِفونَ لُغتين (في الأندلس وفي المشرق أيضاً) كانوا أحياناً يتظرّفون بإدخال ألفاظٍ وجُمَلٍ في أشعارهم من غيرِ اللُّغةِ العربية.

الخصائص الأدبية في الموشّح

أولُ خصائصِ الموشّح عذوبةُ الألفاظ مَعَ استعمالِ عددٍ منها لمعانٍ عربيةٍ قليلةِ الشُهرةِ في المشرق نحو « أكحل » بمعنى الأسمر[1] و« سانية » (الناعورة) والرَبَض

(١) في دير الزور (على الفرات) يقولون للاسمر « اكحل ». وهذه الكلمة لا تزال مستعملة في المغرب.

(الضاحية، ظاهر المدينة). وهنالك بعض الضعف في التركيب وفي الألفاظ، نحو «أنا فيه أهيم» (في موشّحة الأعمى التطيلي) مكانَ «به». غير أن الوشاحين لم يستعملوا كلماتٍ عاميةً ولا تركوا الإعرابَ. وقدِ احتفظ نَفَرٌ منهم بأسلوبٍ مَشْرقيٍّ متين.

وتكثُرُ في الموشحاتِ الصُوَرُ الشعريةُ في التشابيه والاستعارات البارعة إلى حدِّ الرمزِ اللطيف، نحو:

وسَلّتْ على الأُفْقِ   يدُ الغَرْبِ والشَرْقِ   سُيوفاً من البَرْقِ

وقدْ أضحكَ الزَهْرَ   بُكاءُ الغيومْ

أما الصِناعةُ اللفظيةُ فقليلةٌ جدًّا في الموشّح.

وكان الموشحُ منذُ نشأتِهِ الأُولى فنًّا وُجدانيًّا خالصاً يُعَبِّرُ عن شخصية شاعره، ولذلك كثُرَ فيه الغزلُ والوصفُ والخمر وبَطَلَ فيه الوقوفُ على الأطلال والأغراضُ التقليدية الأُخرى التي ظل الشعرُ المَشْرقيُّ يَنوءُ بها. إلاّ أنّ الوشّاحين المتأخرين طَرَقوا في موشحاتِهِمْ سائرَ فُنون الشعر. قال ابن سناء الملك (دار الطراز ٣٧): «والموشحات يُعْمَلُ فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمُجون والزهد». وقال ابن خَلْدون (المقدمة ٥٨٣): «ويَنْسِبون فيها ويمدحون كما يُفْعَلُ في القصائد».

ويَلْفِتُ النظرَ أنّ الإجادة في التوشيح لم تَتّفِقْ لجميعِ الشُعراءِ ولا لجميعِ الوشّاحين، ذلك لأن التوشيحَ فنٌّ وُجدانيٌّ خالصٌ وفنٌّ يستند، فوق ذلك، إلى الموسيقى استناداً أساسيّاً. فإذا لم يكنِ الشاعر وُجدانياً مطبوعاً وعارِفاً بأُصولِ الموسيقى فإنّ الإجادة في الموشح لا تتّفقُ له.

وكذلك لم يَعِشِ الموشحُ طويلاً، ولم يَبْرَع فيه المشارقةُ براعةً تُذْكر لهم؛ بل كان طوراً من أطوارِ الشعر ازدهرَ مُدة ثم زالَ، كما اتّفق لفنِّ المقاماتِ تماماً. إننا نَجِدُ بين الحينِ والحينِ شاعراً يَنْظِمُ موشحةً، كما رأينا أُدَباءَ كثيرين كتبوا مَقاماتٍ. ولكنّ ذلك كُلَّه من باب التقليد: إننا نرى في الموشحاتِ المتأخرةِ شكلَ الموشّحِ ولكننا نَفْتَقِدُ

روحَه ونفتقد عبقريةَ الوشّاح الأندلسيّ فيه.

أوائل الوشّاحين

لمّا ذكَرَ ابنُ خَلْدونٍ فنَّ الموشّحِ قال (المقدّمة٥٨٤/١١٣٨):

«وكانَ المخترعَ له بجزيرةِ الأندلسِ مُقدّمُ بنُ معافىً القَبْريُّ[١] من شُعراءِ الأميرِ عبدِ اللهِ بنِ محمّدِ المَروانيِّ؛ وأخذَ ذلك عنه أبو عبدِ الله أحمدُ بنُ عبدِ ربّهِ صاحبُ كتاب العِقد. و (لكن) لم يَظْهَرْ لهما مَعَ المُتأخّرين ذِكْرٌ، وكَسَدَتْ مُوشّحاتُهُما. فكانَ أوّلَ من برَعَ في هذا الشأنِ عُبادةُ القزّازُ شاعرُ المعتصمِ بنِ صُمادحٍ صاحبِ المَريّة».

إنّ المتداولَ في تاريخِ الأدبِ أنّ مُقدّمَ بنَ مُعافىً القَبريَّ الضريرَ هو أوّلُ الذين قيل فيهم إنّهم نَظَموا موشّحاتٍ. ولكن لم يَصِلْ إلينا من مُوشّحاتِه شيءٌ. أمّا ابنُ عبدِ ربّهِ صاحبُ «العِقد» فاسْمُهُ أبو عُمَرَ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ ربّهِ (ت ٣٢٨هـ.) ولست أرَى أنّه نَظَمَ موشّحاتٍ لِسَبَبَيْنِ رَئيسَيْنِ:

١- لم يَصِلْ إلينا موشّحاتٌ تُنْسَبُ إليه.

٢- كان ابنُ عبدِ ربّهِ صاحبُ العِقْدِ مُولَعاً بإيراد أشياءَ من شعرهِ في كتابهِ «العِقدِ» عندَ كلِّ مُناسبةٍ. ولم نَرَ أنّه أوْرَدَ شيئاً من التوشيح من نَظْمِه. ولو أنّه نظَمَ من هذا الفنّ الجديدِ الجميلِ شيئاً لأَوْرَدَ منه عَدداً من مقاطعِ شِعرهِ الموشّحِ كما أوْرَدَ من شعرهِ المُقصَّد. إلاّ إذا كانَ ابنُ عبدِ ربّهِ يعتقدُ أن ذلك الشعرَ الجديدَ كان ضَرْباً من العَبَثِ لا يَليقُ إيرادهُ في كتابٍ بُنِيَ على الجِدّ!

وهنالك شاعرٌ آخرُ هو يوسف بن هرون الرَماديّ (ت ٤٠٣ هـ= ١٠١٣ م)، وكان معاصروه يسمونه «المتنبي» لأنهم كانوا يَرَوْن أنه في منزلة أبي الطيب. وقد قيل إن للرمادي موشحاتٍ، ولكنها لم تصلْ إلينا.

أما أول من وصلتْ إلينا موشحاتُه فهو أبو بكرٍ عُبادةُ بنُ ماءِ السماء المتوفّى في مالِقَةَ بعدَ شهرِ صَفَرَ من سَنَةِ ٤٢١ (١٠٣١ م)، وإليه يَرْجِعُ الفضلُ في توسيع فن

(١) نسبة إلى بلدة قبرة (ياقوت ٤: ٢٩). ثم اقرأ: معافى لا معافر.

الموشح والرقيّ به. ثم جاء أبو عُبادةَ القزّازُ ففاق أهل عصره في فن التوشيح. ونحن لا نعلم زمن القزّاز بالتأكيد، بل نَعْرِفُ أنه كان شاعراً في بَلاط المعتصم بن صُمادحٍ في المَرِيّة. والمعتصم تولى حكم المرية في ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م).

ثم اتسع القول في الموشح فنبغ فيه ابنُ اللبّانة (ت ٥٠٧ هـ = ١١٣٣ م) والأعمى التُطيلي (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) وابن بَقيٍّ (ت ٥٤٠) وابن زُهرٍ (ت ٥٩٦ هـ = ١٢٠٠ م) وابن سهلٍ الإشبيليّ (ت ٦٤٩ هـ = ١٢٥١ م) ولسان الدين بن الخطيب وابن زُمرُكٍ.

- ضعف الموشّح لغوياً:

الموشّحُ عَمَلٌ فَنِّيٌّ يجبُ أن يَجْرِيَ في الفِكرة البارعة القريبةِ والتعبيرِ السهل الأنيق، وإلاّ لم يكن للناظمِ فضلٌ. إنّ التسهيلَ على الناظمِ في تحريرِ الوَشّاحِ من رِبْقَةِ الرَوِيّ الواحدِ ومن أسْرِ البحر الواحد إنّما قُصِدَ منه إتاحةُ الفُرصةِ للوشّاح كي يُنْفِقَ جُهْدَه في آقتناص المَعنى الجميل وفي تخيُّرِ التركيب الأنيق. فإذا لم يستطعْ ذلك لم يَبْقَ لَه مُسوِّغ في تفضيلِه الموشّحَ على القصيد.

من أجلِ ذلك كُلّهِ لم يكنْ للوشاح بُدٌّ من أنْ يكونَ شِعره من الناحيةِ اللغوية ضعيفاً لأنّ عِنايَته تنصرفُ إلى المعنى واللفْظِ القريبَيْنِ من الفَهْم العامّ. ولكن ما كان يجوزُ في الموشّح أن يضعُفَ حتى يَصِلَ إلى مِثل قولِ أبي القاسم المَنيشي (جيش التوشيح ١١٠):

الهوى آله معبود دينِنا إلى التوحيد والجزع منا بعيد.

وإذا نظرت فكفـــار ولنـــا عـــلى الذنـــب إصرار
فما نراعي الربّ وناهيـــك من ذنـــب.

- موقف النقاد من الموشح:

إذا كانتِ الرواياتُ قد جاءتْ بأن نَفَراً من شعراءِ القرنِ الرابعِ - كأبي عُمَرَ

أحمدَ بنِ عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) وكابن أخيه (واسمُه وكُنيتُه أيضاً كاسم عمه وكنية عمه: أبو عمرَ أحمدُ بنُ عبد ربه)، وكالشاعرِ المشهورِ يوسفَ بنِ هرونَ الرَّماديّ (٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م)- قد وَشّحوا، فأينَ مُوشحاتُهم؟ وإذا كانتْ قد ضاعتْ فما سبَبُ ضَياعِها؟ وهل كان ضياع الموشحاتِ الأُولى اتّفاقاً أو كان إهمالاً مقصوداً نُتِجَ من موقفٍ للوشاحين أنفسِهم وللنقاد ومؤرخي الأدب؟

يرى إحسان عباس أنّ الموشحات «نالت تقدير الأندلسيين منذ البداية.... ولكنّها لم تصبح موضع تقييد وتدوين في فترة مبكّرة، بل ظلت تُسمَعُ وتُتناقل شِفاهاً». أما مصطفى عوضُ الكريم فكان ظالماً- حتى لا نستعمل نحن كلمة أخرى نكون بها ظالمين له- لمّا قال: «ومن أقوى الأدلّة على أصل الموشحات الأعجمي ازدراء أنصار الشعر التقليدي من العلماء والكتاب للموشحات ونرفعهم من ايرادها». إنه قد نسب إهمال الموشحات إلى ازدراء العلماء. ولكنه لم يقل لنا ما الذي ٱزْدَرَوْهُ فيه: آلشكل؟ أم الأغراض؟ أم الأسلوب؟- إلاّ أن يكون جادًّا في قوله إن الازدراء له كان لأصله الأعجمي. وليس في زعمه هذا شيء من المنطق. إن العرب- في عصر نشأة الموشحات- كانوا قد بدأوا يأخذون العلم والفلسفة عن الأعاجم.

ولو كانت نظرية عوض الكريم صحيحة لوجب أن يزدريَ العرب المسلمون ما جاءهم من العلم والفلسفة عن الأعاجم لأن العلم والفلسفة كانا وثيقي الصلة عند نشأتها في بيئة أسلافنا بالدين- فيما يتعلق بالعقيدة من الفلسفة وفيما يتعلق بأوقات العبادات من العلم. ثم إن الموشح فن عربي أصيل كما سنرى بعد قليل. ولقد كان يكفي في نقض رأي عوض الكريم أن نذكر أن الدكتور شوقي ضيف (وهو الذي كتب مقدمة لكتاب عوض الكريم) قد قال (ص ٨):

> «والذي لا ريب فيه أن الموشحة فن أندلسي خالص. وقد نخالف الدكتور مصطفى عوض الكريم في أنها نبعتْ من الأغاني الإسبانية الأعجمية...».

ويحسُنُ هنا أن نستعرض موقف نفرٍ من النقاد من الموشحات ومن روايتها في كتبهم أو إهمالها قليلاً أو جملة(١).

أما ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) فقد سبق الكلام على ما يتصل به في شأن نظمه للموشحات وفي شأن غيابها من كتابه، كتاب العقد (راجع، فوق، ص٤٣٩). وفي أواخر القرن الخامس (أو أوائل السادس) ألف ابن سعد الخير البلنسي (ت ٥٢٥ هـ) كتاباً عنوانه «مشاهير الموشحين في الأندلس» أو «نزهة الأنفس وروضة التأنّس في توشيح أهل الأندلس». وفي هذا الزمن نفسه أهمل الفتح بن خاقان الإشبيلي (ت ٥٢٩ هـ) إيراد شيء من الموشحات عند الترجمة لشعراء اشتهروا بالتوشيح كابن اللبانة (ت ٥٠٧ هـ) وابن باجُّه (ت ٥٣٣ هـ) ثم أشار من بعيد إلى الموشحات بكثيرٍ من الاستهانة والتحقير فقال في ثنايا ترجمة أبي القاسم المنيشي المعروف بعصا الأعمى لملازمته لقطب التوشيح العظيم الأعمى التطيلي: «ونكّب عن المقطع الجذل إلى الغرض الفَسْل. وليس من شرط كتابي هذا إثبات بَذائه ولا أن أقف حِذائه(٢). وقد أثبتّ له ما هو عندي نافق ولغرضي موافق» (مطمح الأنفس ٨٨).

ومعَ أن ابن بسّام (ت ٥٤٢ هـ) قد أبدى إعجاباً بالتوشيح والموشحات فإنه نصّ على أنه لم يورد في كتابه «الذخيرة» شيئاً منها لأنّ «أوزانها خارجة عن غرض الديوان (الذخيرة) إذ أكثرها على غير أعاريض العرب». وأما الحجاري (ت نحو ٥٥٠ هـ) فقد عُنِيَ بالموشحات في كتابه «المُسْهِب» الذي تطور على يد نفر من آل سعيد فأصبح كتاب «المغرب في حلى المغرب».

ولما جعل ابن جبير (ت ٦١٤ هـ) مراثِيَه(٣) في زوجه عاتكة (في مجموع) سمّاه

(١) عني الدكتور مصطفى عوض الكريم في كتابه «فن التوشيح» (بيروت ١٩٩٦ م، ص ١١٠- ١١٦) والدكتور إحسان عباس في كتابه «تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين (بيروت ١٩٦٢ م، ص ٢١٧- ٢٢١) بهذه الناحية.

(٢) الأصوب: بحذائه (في سبيل صحة السجع).

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي: الطوائف والمرابطون، ص ٢١٨.

«نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح» كان في هذا المجموع قصائدُ وموشحات.

وأورد ابن دحية الكلبيّ (ت ٦٣٣ هـ) في «المطرب» (ص ٢٠٤- ٢٠٦) موشحتين لأبي بكر بن زهر مطلعاهما:

★ سدلن ظـــــــلام الشعورْ   عـــلى أوجـــه كالبـــدورْ

★ أيّها الساقي، إليك المشتكى: قــد دَعَوْنــاك وإن لم تسمــعِ

بعد أن قدّمها بالمقطع التالي:

«والذي انفرد شيخنا به وانقادت لتخيّله طباعه وأصارتِ النُّبهاء خَوَله وأتباعه الموشحات. وهي زبدة الشعر وخلاصةُ جوهره وصفوتُه. وَهِيَ من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق».

ولعل المؤلف الذي اتّخذ موقفاً قاسياً تجاه الموشحات كان عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ) فقد ذكر أبا بكرِ بنَ زهر في كتابه «المعجب» (ص ٩٢) وأثنى عليه ثم قال: «ولولا أن العادة لم تجر بإيراد الموشحات في الكتب المجلّدة المخلدة لأوردتُّ له بعض ما بقي على خاطري من ذلك».

هذا النص لا يمثل رأي عبد الواحد المراكشيّ وحدَه بل يدلُّ أيضاً على أن نفراً كثيرين من المؤلفين في تاريخ الأدب لم يكونوا يألفون رواية الموشحات إلى جانب القصائد- ربما لاعتقادهم أن تلك نازلة عن هذه! غير أن إحسان عباس يرى أن إهمال الرواية للموشحات كان قاعدة للمؤلفين السابقين على المراكشي، وأن المراكشي ظل يتمسّك بهذه القاعدة من غير أن يعلم أنها قد فقدت سلطانها قبل زمنه بقرن على الأقل (٢١٨ تاريخ الأدب الأندلسي: عصر طوائف والمرابطين).

ثم جاء ابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) فعُنِيَ في كتاب «المغرب» بالموشحات (تقليداً للحجاري مبتدىء هذا الديوان البارع) عنايةً ظاهرة وختم عدداً كبيراً من أقسامه بفصول مستقلة سماها «أهداباً» (أي حواشيَ) وخصّ بها الموشحات والأزجال أيضاً.

وتقبّل ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) الموشحات في كتابه « الذيل والتكملة » قبولاً حسناً إذ وجد لها مكاناً في تراجم أصحابها. وفي أواسط القرن الثامن تكلم ابن خاتمة (ت ٧٧٠ هـ) على نفر من الوشاحين وعلى الموشح نفسه في كتابه « مزيّة المريّة » فقال: « وهذه الطريقة (التوشيح) من مخترعات أهل الأندلس ومبتدعاتهم الآخذة بالأنفس » (أي التاركة في النفس أثراً حسناً وارتياحاً).

ولم يكتفِ لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) بأن يؤلف في التوشيح كتاباً مستقلاً هو « جيش التوشيح »، بل نظم أيضاً عدداً من الموشحات. ونستطيع أن نقول بلا حذر إن أشهر الموشحات هي موشحةٌ للسان الدين مطلعها:

جادَكَ الغَيْثُ إذا الغيث همى، يا زمانَ الوصل بالأندلس.

واحتفل ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) بالموشح (التوشيح) والموشّحات وخصّها بفصل من مقدمته وبرع في تعريفها وتأريخها حتى أصبح فصله هذا أساساً لكل دراسة جادّة في هذا الفن الأندلسي الرائع.

وقدِ اعتمد المَقّريّ (ت ١٠٤٠ هـ) فصلَ ابن خلدون في التوشيح فغرف منه غرفاً (نفح الطيب ٧ : ٥ وما بعد) ثم مضى يورد الموشحات حيث وجد إيرادها متّسقاً مع نهجه في التأليف.

ولكن يبدو أن النُفرة من رفع الموشح إلى مرتبة القصيد ظلت واضحة جداً مدة طويلة حتى بعد سقوط الأندلس (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م) فإن المقري يعتذر في « أزهار الرياض » (٢ : ٢٢٧ - ٢٢٨) من إيراد الموشحات (ربما في كتابيه: نفح الطيب وأزهار الرياض) ويقول في ذلك:

« كأني بمنتقدٍ ليس له خِبرةٌ... يقول: ما لنا وإدخالَ الهزل (والمُزاح) في مَعْرض الجِدّ الصُراح، وما الذي أحوجنا إلى ذكر هذا المنحى، والأليق طرحُه كلَّ الاطّراح؟ فنقول:... لم تزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف. وليس مرادهم إيثار الهزل على غيره، وإنما ذلك من باب ترويح القلب وهو أعون على

خيره. وللسلف في مثل ذلك حكاياتٌ يطول جلْبُها... وليس قصدنا نحن بهذا - علم الله - غرضاً فاسداً، وإنما غرضنا صحيح، وزندنا غير شحيح »[1]. وليس في هذا القول للمقري مدح للموشح.

نرى مما تقدّم أن موقفَ النُّقاد من « الموشحات » كان موقفاً طبيعياً عاديًّا. إن « الموشح » فنّ من فنون الشعر نشأ في زمنٍ معين لغرضٍ مخصوصٍ، ولم يكن حركةً تمثل عبقريَّة أمةٍ كما نرى في الشعر نفسِه أو في العلم أو في الفلسفة.

إن الموشحاتِ التي وصلتْ إلينا نتاجُ القرنِ الخامس والقرن السادس ثم كَثُرَ التقليد عند الطبع على غِرارِها. ثم إنها نشأتْ للتعبير الوُجدانيّ عن موضوعاتٍ شخصيةٍ كالغزلِ والخمر وبعض الوصف، تلك الأغراضِ التي تأتلفُ مَعَ الغناء إلى حدٍّ بعيدٍ - وقد كان الغناءُ من الأسبابِ التي دعتْ إلى نشوء فن التوشيح.

بهذا النظر نستطيعُ أن نُقارنَ موقف النُّقاد من الموشح بموقفهم من عدد من فنون الأدب وأغراضِه: كالطَّرْدِ والمقامات أو كالرَجَز أو كالغَزَل المذكّر والمجون عامةً. كلُّ هذه الفنونِ والأغراضِ نشأتْ ثم انقرضت بين حدَّيْنِ في الزمنِ يتباعدان كثيراً أو قليلاً، ثم كان للنُّقاد منها مواقفُ مختلفةٌ.

وإذا كان الموشحُ قد خَبَرَ شيئاً من الفُتور لدى نفرٍ من النقاد ومؤرخي الأدب فللأسبابِ التالية:

- انطواؤه عامةً على كثيرٍ من الهَزْل من حيثُ الأغراضُ وعلى شيءٍ من التساهل من حيثُ الأسلوبُ.
- الضَّعْفُ في التركيب اللُّغويّ والنَّحْويّ.
- اللُّجوءُ في الخَرْجة أحياناً إلى جُمَلٍ وتراكيبَ عاميةٍ أو عَجَميةٍ (فرِنْجية).
- قِلّةُ البراعة في كثيرٍ من الموشحات بحيثُ أصبح مجموعُ الموشحاتِ نازلاً في

---

(١) الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجارة. وزندنا غير شحيح (بخيل): نحفظ كثيراً من القصائد، وكان بإمكاننا إيرادها مكان هذه الموشحات.

المرتبة والإجادة عن مجموع القصائد.

وبعدُ، فإذا نَفَرَ نَفَرٌ من النقاد من الموشحات فإن نفراً آخرينَ تقبّلوها قَبولاً حَسَناً، فلا مُسوِّغَ لخلق قضيةٍ جادّةٍ من أجل ذلك. ولكنْ بما أنّ هذه القضيةَ قد ثارتْ فلم يكن بُدٌّ من هذه الكلمة الوافية.

راجع في النظريّة العربية لنشأة الآداب الرومانسية:

Hispano-Arabic Poetry and its Relations with the Old Provençal Troubadours,.by A. R. Nykl, Baltimore 1946.

Uber the Beziehungen zwischen der arabischen und frühitalianischen Lyrik, von Silvestro Fiore, Köln 1956.

La poésie française 5 troubadours et Trouvères), par France Igly, Collection Mellior, Marabout, Paris, Pierre Seghers, éditeurs, 1960.

رحلة الأدب العربي إلى أوروبّا، تأليف محمّد مفيد الشوباشي، مصر (دار المعارف) ١٩٦٨ م.

عبادة بن ماء السماء

١ - هو أبو بكرٍ عُبادةُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمّدِ بنِ عُبادةَ بنِ أفلحَ بنِ الحسينِ بنِ يحيى ابنِ سعيد بن قيس بن سعدِ بن عُبادةَ[١] المعروفُ بابنِ ماءِ السماء، وُلِدَ في مالَقَةَ أو في قُرطبةَ قِيلَ سَنَةَ ٣٠٤ هـ - ٩١٦ - ٩١٧ م - (نفح الطيب ٤ : ٢٣). أمّا دائرة المعارف الإسلامية ففيها (٣: ٨٥٥) أنّ مَوْلِدَه كان في مُنتصف القَرْن الرابع (نحو ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م).

تلقّى عُبادةُ بنُ ماءِ السماء العلمَ على نَفَرٍ منهم أبو بكرٍ الزبيديّ (٣١٦ - ٣٧٩ هـ). وقد تكسّبَ بالشعر: مَدَحَ العامِريّين (أولادَ المنصور بنِ أبي عامرٍ) كما مَدَحَ عليَّ بنَ حمّودٍ الفاطميَّ صاحبَ مالَقَةَ فقال فيه:

أبوكم عليٌّ كان بالشرق بَدْءَ ما ... وَرِثْتُمْ، وذا بالغرب أيضاً سَمِيُّهُ.
فَصلّوا عليه أجْمعونَ وسَلّموا ... له الأمرَ إذ وَلاّه فيكم وَلِيُّهُ![٢]

وكذلك مدح الوزير أبا عمر بن حزم، فيما قيل، ورثى أبا بكر بن زيدون[٣]. وكانت وفاة عبادة بن ماء السماء في مالقة بُعيد ٤٢٢ (١٠٣١ م).

٢ - كان عُبادةُ بنُ ماء السماء من فحولِ الشُعراءِ وكان أبرزَهُمْ مكانةً في زمنهِ،

(١) سعد بن عبادة (ت ١٤ هـ = ٦٣٥ م) كان سيّد بني الخزرج في المدينة ومن أصحاب رسول الله.

(٢) في الحديث: «من كنت مولاه فَعَليٌّ مولاه» (حديث يوم غدير خمّ).

(٣) ابن حمّود هذا من ملوك الطوائف في مالقة، جاء إلى الحكم مرّتين (٤١٢ - ٤١٣ و ٤١٦ - ٤٢٧ هـ) وكان فاطميّ الهوى والمنتمى. وقيل في عبادة بن ماء السماء إنّه كان معروفاً بالتشيّع (نفح ١ : ٤٨٤). والوزير أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم المنتجيلي توفّي سنة ٣٥١ هـ (جذوة المقتبس ١١٧). فإذا كان عبادة قد مدحه (جذوة المقتبس ٢٧٥) - والخبران واردان في كتاب واحد - فيجب أن يكون عبادة قد أسنّ كثيراً حتّى يكون قد اتّصل (قبل موته بإحدى وسبعين سنة!) بوزير. وأمّا أبو بكر عبد الله بن زيدون (ت ٤٠٥ هـ) فهو والد أبي الوليد أحمد بن زيدون الشاعر المشهور (ت ٤٦٣ هـ).

يُضاف إلى ذلك مُشاركةٌ في علمِ الغِناء وفي التنجيم. ولعُبادةَ قصيدٌ وموشّحٌ. ويبدو أن الموشّحَ كان قد بَقِيَ إلى أيامهِ بسيطاً قليلَ الاختلاف عمّا عُرفَ من قبلُ من التسميط[1]، فكانَ عُبادةُ أوّلَ مَنْ جعَلَ الموشّحَ شكلاً من القصيدة قائماً بنفسِه، ثمّ أحدثَ التضفير[2]. وكان مُصنِّفاً له كتابُ «أخبار شعراءِ الأندلس»،قال فيه المقّري (نفح ٣ : ١٧٣) إنّه كتاب حَسَنٌ. وبراعة عُبادةَ هذا إنما هي في التوشيح لا في القصيد. وشعره وصف ومدح ورثاء وغزل وخمر.

٣ - مختارات من شعره

- قال عُبادةُ بنُ ماء السماء في الغَزَلِ:

إنّما الفتــحُ هِــلالٌ طالــعٌ   لاح مــن أزرارِه فـي فَلَكِ[3]
خَدُّه شمسٌ، وليلٌ شَعْرُه.   من رأى الشمسَ بَدَتْ من حَلَكِ[4]!

- وقال يرثي أبا بكرِ بنَ زَيْدونٍ[5]، وكان قد تُوُفّيَ في ضَيْعةٍ له فنُقلَ تابوتُه إلى قُرطبةَ:

أيُّ رُكْنٍ مــن الرياسةِ هِيضـا   وجَمومٍ من المَكارِمِ غِيضا[6]؟
حمَلوه من بلدةٍ نحو أُخرى   كي يُوافوا بـه ثَراهُ الأريضا[7]،
مِثْلَ حَمْلِ السحابِ ماءً طبيباً   لِتُداوي به مكاناً مريضاً[8]!

---

(١) راجع، فوق، ص ٤١٤.
(٢) تاريخ الفكر الاندلسيّ ١٥٤، السطر الثاني.
(٣) الأزرار: فتحة الثوب عند العنق. الفلك: الممرّ الذي يدور فيه الكوكب (حول الشمس).
(٤) الحلك: الظلام، شدّة السواد.
(٥) راجع، فوق، ص ٤٤٧ للمؤلف الدكتور عمر الحاشية ٣.
(٦) هاض فلان الشيء: كسره. غاض الماء: غار في الأرض.
(٧) الثرى: التراب. الأريض: الزكّي الرائحة، المعجب للعين الخليق للخير (راجع القاموس ٢ : ٣٢٣).
(٨) طبيباً: كالطبيب - إعرابها: مفعول به ثان من المصدر (حمل) المضاف إلى فاعله (السحاب). وماء (مفعول به أوّل).

- ولعُبادةَ بن ماء السماء مُوشّحَةٌ في الغزل*:

مَنْ وَلِي ★ في أُمّةٍ أمراً ولم يَعْدِل ★ ★ يُعْزَلِ ★ إلاّ لحاظَ الرَشأ الأكْحلِ (١) .

جُرْتَ في ★ حُكمِكَ في قتلِيَ، يا مُسْرِفُ (٢)
فأنْصِفِ ★ فواجبٌ أنْ يُنْصِفَ المُنصِفُ،
وآرافِ ★ فإنّ هذا الشَوْقَ لا يرأفُ!

عَلِّلِ ★ قَلْبي بذاك البارِد السَلْسَلِ ★ ★ يَنْجلي ★ ما بفؤادي من جَوًى مُشْعَلِ (٣) .

إنّما ★ تبرُزُ، كَيْ تُوقِدَ نارَ الفِتَنِ
صنماً ★ مُصَوّراً في كلّ شيءٍ حَسَنِ (٤) .
إنْ رَمَى ★ لم يُخْطِ من دونِ قلوبِ الجنن (٥)

كيف لي ★ تَخَلُّصٌ من سَهْمِكَ المُرْسَلِ ★ ★ فَصِلِ ★ واسْتَبْقِني حَيّاً ولا تَقْتُلِ (٦) .

يا سَنا ★ الشمسِ ويا أبهى من الكَوْكَبِ
يا مُنى ★ النفسِ ويا سُؤلي ويا مَطْلبي،
ها أنا ★ حَلَّ بأعدائِكَ ما حَلَّ بي! (٧)

---

(١) من تولّى أمراً من أمور الناس..... الرشأ: الغزال الصغير. الأكحل: الأسمر.

(٢) جار: ظلم.

(٣) علل (فعل أمر من علّ فلان فلاناً: سقاه تباعاً، مرّة بعد مرّة). البارد (الريق البارد). السلسل: الماء العذب الصافي السهل في المرور في الحنجرة. الجوى: شدّة الحبّ التي تفضي إلى حزن شديد أو إلى مرض شديد. .

(٤) تبرز أنت صنماً (كالصنم، كالصورة الجميلة).

(٥) الجنن (بضمّ ففتح) جمع جنّة (بالضمّ): وقاية (ترس). المقصود: إن رمي (هذا الغزال) المحبّ بسهم من عينيه لم يخطئه (بل أصابه). لم يخطىء من دون قلوب الجنن = لم يخطىء القلوب من دون (وراء) الجنن .

(٦) صل (فعل أمر من وصل المحبوب محبّه): عطف عليه...

(٧) حلّ بأعدائك ما حلّ بي! (أدعو الله أن ينزل بأعدائك (من الحزن والخيبة) مثل الذي نزل بي (لمّا هجرتني).

عَـذَلي ★ مِنْ أَلَمِ الهِجرانِ في مَعْزِلِ ★★ والخَلي ★ في الحُبِّ لا يسألُ عَمّنْ بُلِي[1].

أنتَ قدْ ★ صيّرتَ بالحُسنِ مِنَ الرُشْدِ غَيّْ.
لم أجِدْ ★ في طرفي! حبّك ذنباً عَلَيّ[2].
فاتّئِـدْ ★ وإنْ تشأ قَتْلي، شيئاً فشيّ[3].

أَجْمِلَنْ ★ ووَالني مِنْكَ يَدَ المُفْضِلِ ★★ فَهْيَ لي ★ مِنْ حَسَناتِ الزَمَنِ المُقْبِلِ[4].

ما اغْتذى ★ طَرْفيَ إلاّ بسَنا ناظرَيْكَ.
وكذا ★ في الحُبّ ما بي لَيْس يَخفى عليك.
ولـذا[5] ★ أُنْشِدُ والقلبُ رهيناً لديْكَ:

يا عَلِي ★ سَلّطْتَ جَفْنَيْكَ على مَقْتَلي ★★ فأَبْقِ لي ★ قَلْبي وجُدْ بالفَضْلِ يا مَوْئلي[6].

٤ - ★★ جذوة المقتبس ٢٧٤ - ٢٧٥ (الدار المصرية) ٢٩٣ - ٢٩٤ (رقم ٦٦٢)؛ بغية الملتمس ٢٨٣ - ٢٨٤ (رقم ١١٢٣)؛ المطمح ٨٤؛ الصلة ٤٢٦؛ الذخيرة ١: ٤٦٨ - ٤٨٠؛ المغرب ١: ١١٥، ١٢٥؛ فوات الوفيات ١: ٢٥٤ - ٢٥٧؛ نفح الطيب ١: ٢٩٤، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤: ٢٣، ٥٢ - ٥٣، ١٠٩ الخ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٥٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠ (٣: ٣٥٨).

---

(١) عذلي (لومي لك) على الألم (الذي أحدثته أنت في نفسي بسبب هجرانك لي) في معزل (بعيد عنك): لا فائدة من أن ألومك لأنّ الخليّ (الذي لم يعرف الحبّ بعد) لا يسأل (لا يستطيع أن يدرك ما يعانيه) من بلي (من ابتلي بالحبّ).

(٢) كلمة «طرفي» قلقة من حيث الوزن ومن حيث المعنى.

(٣) اتَّئِدْ: تأنّ، تمهّل. إن تشأ أن تقتلني (بحبّك) فشيئاً شيئاً: اجعل ذلك شيئاً بعد شيء (حتّى لا تكون الصدمة في نفسي شديدة).

(٤) أجملن أو أجمل (فعل أمر) عاملني (حتّى في هجرك لي وفي محاولة قتلي بحبّي لك) بشيء من الإحسان. والني (كذا في الأصل). والى: تابع، نصر، حابى، أحبّ (ولا معنى لها هنا). ولعلّ الكلمة من الخطأ المطبعي وصوابها وأولني منك يد المفضل (اصنع بي معروفاً، أحسن إليّ)

(٥) في الأصل: كذا (مكّررة من أول السمط السابق). والمعنى يقتضي «لذا» (باللام لا بالكاف).

(٦) الموئل: الملجأ.

الرقيق القيروانيّ

١ - هو أبو اسحاقَ ابراهيمُ بنُ القاسمِ القَرَويُّ أو القَيْروانيُّ - وكِلاهُما نسبةٌ إلى مدينةِ القَيروانِ - المغربيّ (نفح الطيب ١ : ١٩٣) المعروفُ بالنديمِ الرقيقِ، والرقيقُ لقبٌ له (معجم الأدباء ١ : ٢١٦). وقد تولّى ديوانَ الإنشاء في الدولة الصِنهاجية في القيروان (بعد انتقال الدولة الفاطمية إلى مِصْرَ) مُدّةً تزيدُ على عِشرين سنةً منذ أيامِ المنصورِ بن بُلُكّينَ (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ) فيما يبدو.

وفي سَنَةِ ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) قَدِمَ الرقيقُ القيروانيُّ بهديّةٍ من نصيرِ الدولةِ باديس ابن زيري (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ) إلى الحاكمِ بأمرِ اللهِ الفاطميّ (٣٨٦ - ٤١١ هـ) في مِصْرَ، فَسرّ في مِصْرَ وطالَ فيها مُكْثُهُ.

وكانتْ وفاتُه في القيروان نَحْوَ سَنَةِ ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م).

٢ - قال ابنُ رشيقٍ في الرقيقِ القيرواني: «هو شاعرٌ سَهْلُ الكلامِ مُحْكَمُه، لطيفُ الطبع قويّه تلوحُ الكتابة (!) على ألفاظِه؛ قليلُ الصَنْعة (في) الشعر، (ولكن) غَلَبَ عليه اسمُ الكِتابة وعلمُ التاريخِ وتأليفُ الأخبار، وهُوَ بذلك أحذقُ الناس». ويقولُ ابنُ خَلْدونٍ (المقدّمة ٤): «وابنُ الرقيقِ مؤرّخُ إفْرِيقِيَةَ والدولِ التي كانتْ بالقيروان. ثمّ لم يأتِ بعدَ هؤلاء (أندادِ ابنِ الرقيقِ كأبي حيّانٍ) إلاّ مُقلّدٌ...».

وكان الرقيقُ القيروانيُّ أديباً كاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً مُكْثِراً ومُؤلّفاً. وشِعْرُهُ سهلٌ عَذْبٌ ولكن يَغْلِبُ عليه أحياناً شيءٌ من تَكَلُّفِ أوجهِ البلاغةِ تَشَبُّهاً بالمشارقة.

وللرقيق القيروانيّ تصانيفُ كثيرةٌ في علمِ الأخبار منها: كتابُ تاريخِ افريقية والمَغْرِب (عدّة مجلّدات) - كتاب النساء (كبير) - كتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك (أربع مجلّدات)، ثمّ له كتاب الراح والارتياح (معجم الأدباء ١ : ٢١٦) - مُعاقرة الشراب (نفح الطيب ٣ : ١٣٢) - قُطب السرور (نفح الطيب ١ : ١٣٣) في وصف الأنبذة والخمور (بروكلمن ١ : ١٦١) أو في إدارة رَحَى أقداح الأشربة وإثارة نشوة الأنبذة وكاسات الخمور (بروكلمن، الملحق ١ : ٢٥٢).

٣ - مختارات من آثاره

- قال الرقيقُ القيروانيُّ يذكُرُ مِصْرَ ويتشوّقُ إلى إخوانه فيها:

هل الريحُ إنْ سارت مُشَرِّقةً تَسْري ... تُؤدّي تَحِيّـاتي إلى ساكـني مِصْرِ!(١)
فما خَطَـرَت إلاّ بَكَيْـتُ صَبابـةً ... وحمّلْتُها ما ضاق عن حَمْلِه صدري.
تـراني إذا هَبّـتْ قَبولاً بنَشْرِهِمْ ... شَمَمْتُ نسيمَ المِسْكِ في ذلك النشر(٢).
وما أنْسَ من شيءٍ خلا العهدُ دونَه، ... فليس بخالٍ من ضميري ولا فِكْري(٣).
ليـالٍ أنِسْناهـا علـى غُرّةِ الصبـا ... فطابتْ لنـا إذ وافقت غُرّة الدهر(٤).
لَعَمْري لئن كانتْ قصـاراً أعُدُّهـا ... فلستُ بمُعْتَدٍّ سواها من العُمْر(٥).
فـكم لِيَ بالأهرامِ أو ديـرِ نُهْيَـةٍ ... مصايدَ غِزلانِ المكابدِ والقَفْر(٦).
وكم بـين بُستـانِ الأمـيرِ وقصره ... إلى البركةِ الزهراء من زَهَرٍ نَضْر!
وكم بِـتّ في دير القصـير مُواصِـلاً ... نهاري بلَيْلي لا أُفيقُ من السُكْر،
تبادِرُني بالراحِ بِكْرٌ غريرةٌ ... إذا هَتَفَ الناقوسُ في غُرّة الفجر(٧)؛
مسيحيّـةٌ خُوطيّـةٌ كـلّـما انْثَنَـتْ ... تَشَكّتْ أذى الزُنّارِ من دِقّة الخصر(٨).
سقى اللهُ صوبَ القصرِ تلك مغانياً ... وإن غَنِيَتْ بالنيل عن سُبُلِ القَطْر(٩)!

- وقال يَصِفُ مِصْرَ في مطلع قصيدة مدح فيها باديسَ بنَ زيري:

---

(١) تسري: (تهبّ) ليلاً.

(٢) قبولاً: من الجنوب. النشر: الرائحة.

(٣) لو نسيت كلّ ما مرّ بي في الزمن الخالي (الماضي) لما نسيت أيام اقامتي في مصر.

(٤) الغرّة: أوّل الشيء وبدؤه. غرّة الصبا: الشباب. غرّة الدهر: اقبال الدنيا على الإنسان (النجاح والثروة والصحّة).

(٥) لم ترد «معتدّ» في القاموس المحيط. وقد جاء في القرآن الكريم: «فما لكم عليهنّ من عدّة (بكسر العين: بقاء المرأة في عزلة بعد الطلاق أو بعد وفاة زوجها) تعتدّونها». والشاعر قال: فلست بمعتدّ سواها: لا أعد غيرها.

(٦) المكابد (؟).

(٧) الغريرة: القليلة التجربة والاختبار.

(٨) خوطيّة تشبه الخوط: الغصن الرفيع الطريّ (كناية عن الشباب ورشاقة الجسم).

(٩) صوب القصر (كذا في الأصل). لعلّها صوب القطر (المطر) فيكون المعنى: سقى الله تلك المغاني (الأماكن المعمورة بالسكّان) صوب القطر (المطر الكثير).

إذا ما ابنُ شَهْرٍ قد لَبِسْنا شَبابَه بدا آخَرٌ من جانبِ الأفقِ يَطْلَعُ[١]
إلى أنْ أقَرّتْ جِيزَةُ النِيلِ أعْيُناً كما قَرّ عَيْناً ظاعِنٌ حين يَرْجِعُ[٢].

- وقال يتغزّل في مقدمة قصيدة للمديح أيضاً:

أظالِمَةَ العَيْنَيْنِ يَخْلِطُها سِحْرُ، وإن ظُلِمَ الخَدّان واهْتُضِمَ الخَصْرُ[٣].
أعوذ بِبَرْدٍ من ثَنايَاكِ قد ثَنى إليك قُلوباً حَشْوُ أثنائِها جَمْرُ[٤]!

- وقال في « قطب السرور » يصف عبدَ الوهّاب بنَ حسينِ بنِ جعفرٍ الحاجبَ (نفح الطيب ١ : ١٩٣ - ١٩٤):

... كان واحدَ عصرِهِ في الغناء الرائق والأدب الرائع والشعر الرقيق واللفظ الأنيق ورِقّة الطبع وإصابة النادر والتشبيه المُصيب... وكان قد قَطَعَ عُمُرَهُ وأفنى دهرَه في اللهو واللَعِبِ والفُكاهة والطَرَب. وكان أعلمَ الناس بضرب العود واختلاف طرائقهِ وصَنْعة اللُّحُون. وكثيراً ما يقولُ المعانيَ اللطيفةَ في الأبيات الحَسَنةِ ويصوغُ عليها الألحانَ المطربة البديعة المُعْجِبة اختراعاً منه وحِذْقاً. وكان له في ذلك قريحةٌ وطبعٌ...... وكان بعيدَ الهِمّة سَمْحاً بما يَجِدُ. تُغِلُّ عليه ضِياعُه كلَّ عامٍ أموالاً جليلةً فلا تحولُ السنةُ حتّى يُنْفِدَ جميعَ ذلك ويستسلفَ غيرَهُ......

٤ - قطب السرور في أوصاف الخمور (تحقيق أحمد الجندي)، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٩٦٩ م.

---

(١) ابن شهر: الهلال، القمر. لبسنا شبابه، لبسناه: قضيناه، مرّ وانقضى. بدا آخر = بدا هلال آخر جديد (كناية عن سرعة مرور الأيّام).

(٢) الجيزة = المجاز (الجانب الآخر من النهر). جيزة مصر: الضِفّة الغربية من نهر النيل جنوب القاهرة. قرّت الأعين: فرحت واطمأنّت وسكنت. الظاعن: المرتحل عن أهله.

(٣) ظالمة العينين: عيناها تظلمان المحبّين (تضنيهم، تمرضهم، تقتلهم). وإن ظلم الخدّان (وإن كانت نسبة الظلم إلى العينين وحدهما ظلماً للخدّين، لأنّ خدّي هذه الفتاة يفعلان فعل عينيها أيضاً). واهتضم الخصر (هضم حقّ الخصر أيضاً لأنّه هو أيضاً يفعل فعل العينين). وفي الكلمة تورية (معنيان)؛ اهتضم الخصر: أصبح هضيماً = نحيلاً.

(٤) أعوذ: ألجأ، احتمي. الثنايا: الأسنان. إن حرارة العشق التي يشعر بها العاشق في قلبه لا يبردها سوى قبلة من ثغر الحبيبة.

- تاريخ افريقية والمغرب: قطعة منه (تحقيق المنجي الكعبي)، تونس (الناشر: رفيق السقطي) ١٣٧٨ هـ = ١٩٦٨ م؛ جزء منه (تحقيق أحمد الجندي)، دمشق (المجمع العلمي العربي؟) ١٩٦٩ م.

★ ★ الأنموذج ٢٧ - ٣٤؛ معجم الأدباء ١: ٢١٦ - ٢٢٦؛ الوافي بالوفيات ٦: ٩٢ - ٩٦؛ نفح الطيب ١: ١٤٤ - ١٤٥، ١٩٣ - ١٩٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٢ - ٩٠٣؛ بروكلمن ١: ١٦١، الملحق ١: ٢٥٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٥١ - ٥٢ (٥٧)؛ المجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٢١.

أبو عامر بن شهيد

١ - هو أبو عامرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ شُهيدٍ، وُلِدَ في قُرطبةَ سَنَةَ ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م) وكان أبوه الأديبُ الوزيرُ عبدُ الملكِ بنُ شُهيدٍ شيخاً كبيراً مريضاً يميل إلى النُسك. من أجلِ ذلك لم يتمتّعِ الطفلُ الصغيرُ بشيءٍ من مالِ أبيهِ ولا جاهِ أبيه إلاّ ما كان يُبديه نحوهُ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ من الإنعام والعطف. ثمّ مات الأبُ وللطفلِ من العُمْر نحو إحدى عَشْرَةَ سَنَةً.

ومَعَ ذلك فقد نشأ أبو عامرِ بنُ شُهيدٍ جواداً عزيزَ النفس ثم نالَ قِسطاً كبيراً من العلم والآداب وفاز بنصيبٍ من عِلْم الطِب. غير أنّه ما كاد يبلُغُ مبلَغَ الشبابِ ليأخذَ بحَظّه من الدنيا حتّى ثارتِ الفِتنةُ في قرطبةَ فضاع فيها شبابُه وعِلْمُه وأدبُه وعُمُره.

واضْطُرَّ أبو عامرِ بنُ شُهيدٍ في سبيلِ الحصولِ على الرِزْق إلى أن يَتَطَوّفَ بِشعْرِه للتكسّب من الذين كانوا يتنازعون الحُكْمَ على قرطبةَ وعلى عددٍ من المدن الأندلسية كمالَقَةَ والمَريّةِ ودانيةَ: مَدَحَ سُليمانَ الأُمويَّ الذي جاء إلى الخلافة مرّتينِ قصيرتينِ (سنة ٤٠٠ ثمّ من أواخر ٤٠٣ إلى مطلع ٤٠٧ هـ) والمُعْتليَ بنَ حَمّودٍ المستبدَّ بقرطُبةَ (٤١٢ - ٤١٣ هـ). ثمّ إنّه وزر لعبد الرحمن المستظهرِ الأمويّ الذي جاء إلى الخلافة نحو شهرين (٤١٤ هـ). وأخيراً لجأ إلى بَلاطِ الخليفةِ هشامٍ المُعْتدِّ (٤١٨ - ٤٢٢ هـ) - آخر الأمويّين في قرطبة - فكان جليساً له ونديماً.

وظنّ أبو عامر بن شهيْدٍ أنّ حظّه من العامريّين (نسلِ المنصور بن أبي عامر ممّن

تَوَلَّوْا حُكْمَ عددٍ من البلاد في تلك الحِقْبة) أوفر، فلم يتحقّق ظنُّه حتّى أن مجاهداً العامريَّ صاحبَ دانِيَةَ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) وميورقةَ، في بعضِ تلك الفترة، قَطَعَهُ ولم يلتفتْ إليه.

وكان أبو عامرِ بنُ شهيدٍ أصمَّ، كما كان يشكو من ضيق التنفّس (الربو!). وقَوِيَ مرضُه سَنَةَ ٤٢٥ هـ فبقي طريحَ الفراشِ يحتمل الآلامَ بصبرٍ بالغٍ حتّى وافتْ مَنِيَّتُه في آخِرِ جُمادى الأولى من سَنَةِ ٤٢٦ (١٠٣٥/٤/١١ م) في قرطبة.

٢ - أبو عامرِ بنُ شُهيدٍ شاعرٌ ناثرٌ ناقدٌ مُكْثِرٌ مطيلٌ مجيدٌ ومقتدرٌ في كلٍّ ذلك، وهو قريبُ الشَبَهِ بشعراءِ المشرق وعلى شعرِه لمحةٌ من البَداوة. وكان من أعلمِ أهلِ الأندلسِ بالأدبِ والشِعرِ وأقسام البلاغة بارعاً في جميعِ الفنون.

وأدبُه وُجدانيٌّ فلسفيٌّ وعاطفيّ موضوعيّ في وقت معاً؛ تَجِدُ فيه الشَكْوى إلى جانبِ الفُكاهة والتشاؤمَ إلى جانب الدُعابة. وفي أدبه أيضاً تأنّق وتكلّفٌ أحياناً وصِناعةٌ يكثُرُ فيها الجِناسُ والميلُ إلى استعمالِ الغريبِ، كلُّ ذلك مَعَ سُرْعةٍ في البديهة ومقدرةٍ على الارتجال.

وفنونُ شِعْرِهِ المديحُ والرثاء والهِجاء والوصف البارع لمظاهرِ الطبيعة وللآثار العُلْويّة خاصةً (الجو والسماء) وهو مغرمٌ باستخراجِ الصور الغريبة المبتكرة. وله نسيبٌ وغزلٌ وإخوانيّاتٌ. غيرَ أنّنا نلمَحُ في شعرِه أخذاً كثيراً من معاني أهلِ المشرق حتّى لكأنّه يتَعَمَّدُ ذلك.

ثمّ له تصانيفُ غريبةٌ عجيبةٌ منها: كشف الدّك وإيضاح الشكّ - حانوت عطّار - التوابع والزوابع[1].

ورسالةُ التوابعِ والزوابعِ قِصّةٌ خَياليةٌ جَعَلَ ابنُ شُهيدٍ مسرحَها في وادي الجنّ من دُنيانا هذه وجعل دليلَه في ذلك الوادي جِنّيّاً اسمُه زهيرُ بنُ نُمير من بني أَشْجَعَ

(١) التابع والتابعة: الجنّيّ والجنّيّة يكونان مع الإنسان يتبعانه حيث ذهب. الزوبعة اسم شيطان أو رئيس للجنّ.

الجنّ (وابنُ شُهيدٍ من بني أشجعَ أيضاً). وفي هذه القِصّة يستعرض ابنُ شهيدٍ عدداً من المُشْكِلاتِ البَيانية والأدبية مَعَ نَفَرٍ من الجِنّ الذين يتبدَّوْنَ في صُوَرٍ مختلفةٍ (في صور البِغال والحمير والأوزّ، الخ) في أُسلوب قَصَصيٍّ نَقْديّ مَرِحٍ يميلُ مرّةً ذاتَ الهَزْلِ ومرّةً ذات الجِدّ. هذه الرسالة تذكّرنا بقصّة أبي العلاء المعرّي رسالة الغفران. غيرَ أن رسالةَ الغُفران أشهرُ.

ويرى زكي مبارك[1] أن رسالةَ التوابع والزوابع وُضِعَتْ بعدَ سَنَةِ ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) بقليلٍ، وقبلَ (أن كَتَبَ المعرّيُّ رسالته بعِشْرين سَنَةً أو تزيدُ) ووجّهها إلى أبي بكرِ بنِ حَزْمٍ[2].

٣ - مختارات من آثاره

قال أبو عامر بن شهيد في الغزل وهو ينظر إلى معاني نفر من الشعراء المشارقة:

أصباحٌ شِيْمَ أَم برق بدا ... وسنى المحبوب أورى أزْنُدا[3]!
هَبَّ من مَرْقده منكسراً ... مُسْبِلاً للكُمّ، مُرْخٍ للرِدا،
يمسح النعسة من عَيْنَي رشاً ... صائدٍ في كل يوم أَسَدا[4]
أَوردَتْهُ لَطَفاً آياتُه ... صَفوةَ العيش وأرعَتْه دَدا[5]
فهْو من دَلٍّ عَراهُ زُبْدَةٌ ... من صريح لم يخالط زَبَدا[6]

---

(١) للدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفنّي في القرن الرابع (القاهرة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م، ج ٢: ص ٢٥٨ - ٢٧٠) بحث مفصّل في هذه القصّة وفي الصلة بينها وبين رسالة الغفران.

(٢) أبو بكر بن حزم هو أخو أبي محمّد بن حزم الفقيه الأديب المشهور (ت ٤٥٦ هـ). وقد توفّي أبو بكر ابن حزم قبل أخيه أبي محمّد.

(٣) شيم: رؤي (فعل مبنيّ للمجهول من «شام»). السنى: ضوء البرق. أزند جمع زند (بسكون النون): حديدة تقدح بها النار من الحجر الصوّان. أورى زنداً: أشعل ناراً.

(٤) الرشأ: الغزال الصغير.

(٥) أورده: أسقاه، أخذه إلى الماء. أرعته: تركته يرعى، أخذته إلى المرعى. الدد: اللهو. آياته (ألوان حسنه وجماله) جعلت الاهتمام به كبيراً فنشأ منعّماً.

(٦) الدلّ: الدلال، الغنج، تظاهر المحبوب بغير الرضا وهو راض. زبدة: نخبة، خلاصة، أحسن ما في =

قلتُ: «هَبْ لي يا حبيبي قُبلةً تشْفِ من عمّك تبريحَ الصدى»[1]
فانثنى يهتزّ من منكِبه مائِلاً لطفاً وأعطاني اليدا.
كُلّما كلّمني قبّلْتُه، فهو إمّا قال قولاً ردّدا[2].
شرِبتْ أعطافه ماءَ الصِبا وسقاه الحسنُ حتى عربدا[3].

ومن نسيبه البارع الذي يخالطه مجون:

ولّما تَملاّ من سُكره ونام ونامَتْ عيونُ العَسَسْ[4].
دنَوْتُ إليه على بُعده دنُوَّ رفيق درى ما التَمَس.
أدِبّ إليه دبيبَ الكرى وأسمو إليه سُمُوَّ النَفَس.
وبِتّ به ليلتي ناعماً إلى أن تبسّم ثَغْرُ الغَلَس[5]
أُقبّلُ منه بياض الطُلى وأرشِف منه سواد اللعَس[6]

- وقال يمدَح يحيى المُعتليَ بالله بنَ حمّودٍ ويصف في أثناء ذلك شِعرَه ونفْسَه ويشكو الناسَ والأيّام، من ذلك قولُه: (ونلمح هنا حيناً نَفَسَ المتنبّي وحيناً نفسَ أبي نواسٍ):

= الأشياء. الصريح: الخالص الصافي (من النسب أو من الأشياء المادّية). الزبد: ما يطفو على وجه السيل (أو الشراب) مّما لا قيمة له ولا فائدة منه.

(١) تبريح: تعذيب. الصدى: العطش.

(٢) إمّا قال قولا: إن ما قال قولا: إذا قال قولاً كلّمني كثيراً فكنت أقبّله حتّى انتهى الكلام (لكثرة ما قبّلته) فجعل يردّد (يعيد) الكلام.

(٣) الأعطاف جمع عطف (بكسر العين): جانب الجسم. عربد الرجل: أخرجه السكر عن طوره فقال كلاماً مسيئاً أو فعل أفعالاً مؤذية.

(٤) العسس: الحرس، الحرّاس.

(٥) الغلس: الظلام.

(٦) الطلى جمع طلية (بضمّ الطاء): العنق، جانب العنق. اللعس: السمرة في الشفاه.

وما فـيَّ إلاّ الشعرُ أثْبَتَهُ الهوى   فسار به في العالمين فريدُ[١].
أفوهُ به - لم آتِه متعرِّضاً   لِحُسْنِ المعاني - تارة فأزيد[٢].
فإنْ طال ذِكري بالمُجون فإنّني   شَقِيٌّ بمظلومِ الكلامِ سعيد[٣].
وهل كُنْتُ في العُشّاق أولَ عاشقٍ   هَوَتْ بحِجاهُ أعْيُنٌ وخُدود[٤]؟
وإنْ طال ذِكري بالمُجون فإنّها   عَظائمُ لم يَصْبِرْ لَهنّ جَليد[٥]:
فراقٌ وسِجْنٌ واشْتياقٌ وذِلّةٌ   وجبّارُ حُفّاظٍ عليّ عَتيد[٦].
فمَنْ مُبْلغُ الفِتيانِ أنّيَ بَعْدَهُمْ   مُقيمٌ بدارِ الظالمين وَحيد:
مقيمٌ بدارٍ ساكنوها مِنَ الأذى   قِيامٌ على جَمْرِ الحِمام قُعود[٧].
وقلت لصدّاحِ الحَمامِ وقد بكى   على القصر إلْفاً والدموعُ تجود[٨]:
ألا أيّها الباكي على من تحبّه،   كِلانا مُعَنًّى بالخَلاءِ فريد[٩].
وما زال يُبْكيني وأُبْكيه جاهِدًا   ولِلشَّوْقِ من دونِ الضُلوع وَقود[١٠]؛
إلى أنْ بكى الجُدرانُ من طول شَجْونا   وأجْهَشَ بابٌ جانباه حَديد[١١].
أطاعتْ أميرَ المؤمنين كتائبٌ   تَصَرّفَ في الأموال كيف يُريد[١٢]

---

(١) فريد: (لا مثيل له)، يعني الشاعر بذلك نفسه.
(٢) مع أنّني لا أتطلّب المعاني فإنّ في شعري من المعاني أكثر مّما في شعر غيري.
(٣) إذا أكثر الناس من القول بأنّي ماجن (خليع، هاجم على اللذات)، فهذا الكلام يشقيني (يؤسفني، يحزنني) لأنّ قائله يقصد اهانتي. كما أنّني في الوقت نفسه سعيد بهذا الكلام لأنّه يدلّ على شبابي ونشاطي.
(٤) أضاع حجاه (عقله) لّما رأى عيون الحسان وخدودهن.
(٥) وإذا اشتهر عني أنني ماجن فلأنّ الإغراء الذي نلقاه من الحسان الجميلات لا يستطيع الإنسان أن يقاومه مها يكن جليداً (صبوراً مالكاً لعواطفه).
(٦) الحفّاظ: الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسيّئاته. جبّار حفّاظ (الذي يتولّى الرقابة علي من هؤلاء جبّار لا يتساهل معي في شيء!) عتيد: حاضر (لا يفارقني، يرى كلّ ما أعمله).
(٧) قيام على جمر الحمام قعود: (متعرّضون للموت في كلّ حين!).
(٨) يبكي على إلف (بكسر الهمزة) حبيب. على القصر (طائر الحمام الواقف على سطح القصر).
(٩) كلانا معنًى بالخلاء فريد: كلّ واحد منّا يجب أن يكون وحده في مكان خال من الناس.
(١٠) من دون الضلوع وقود (في طيّ الضلوع اشتعال).
(١١) الشجو: الحزن. أجهش: تهيّأ للبكاء (بكى). حتّى الباب الذي هو من حديد بكى حزناً علينا.
(١٢) تصرّف في الأموال (؟): تتصرّف هي بالأموال (؟).

فللشمسِ عنهـا بالنهـار تأخّرٌ، وللبَـدْر عنهـا بالظـلام صدودُ[١]
ألا إنّهـا الأيّامُ تَلْعَبُ بالفتـى: نُحوسٌ تَهادَى تارةً وسُعود.
[تقولُ التي عن بَيْتِها خفّ مَرْكبي:] أقُرْبُكَ دانٍ أم نَواك بعيد[٢]؟
فقلتُ لها: أمْري إلى مَن سَمَتْ بـه إلى المجـد آبـاءٌ لـه وجُـدود:
إلـى المُعْتـلي عالَيْتُ هَمّيَ طالباً لكَرّته، إنّ الكـريم يَعـود؛[٣]
هُمـامٌ أراهُ جُودُه سُبُلَ العُلى، وعَلّمـه الإحسانُ كيـف يَسـود!

- رسالة التوابع والزوابع (مطلع الفصل الأوّل):

تذاكرتُ يومًا مَعَ زهيرِ بنِ نُميرٍ أخبارَ الخطباءِ والشعراء وما كان يألَفُهم[٤] من التوابع والزوابع، وقلتُ: هل حيلةٌ في لِقاءِ مَنِ اتّفقَ منهم؟ قال: حتّى أستأذِنَ شيخَنا. وطار عنّي ثمّ انصرف[٥] كلَمْحٍ بالبصر - وقد أُذِنَ له - فقال: حُلَّ على مَتْنِ الجواد.

فصِرْنا عليه وسارَ بنا كالطائر يجتابُ الجوَّ فالجوَّ، ويقطَعُ الدوَّ فالدوَّ[٦]؛ حتّى الْتَمَحْتُ أرضاً لا كأرضِنا، وجوًّا لا كجوِّنا متفرّعَ الشجر عَطِرَ الزَهَر. فقال لي: حَلَلْتَ أرضَ الجِنِّ، أبا عامرٍ! فَبِمَنْ تريدُ أن نَبْدأ؟ قُلتُ: الخطباءُ أولى بالتقديم، لكِنّي إلى الشعراء أشوقُ. قال: فمَنْ تُريدُ منهم؟ قلت: صاحبُ امْرِئِ القيس. فأمال العِنانَ[٧] إلى وادٍ من الأوْدِيَةِ ذي دَوْحٍ، تتكسّرُ أشْجارُه وتَتَرنَّمُ أطْيارُه، فصاح: يا عُتْبَةَ بنَ نَوْفَلٍ، بسِقْطِ اللوى فحَوْمَلِ ويومِ دارةِ جُلْجُلِ[٨]، إلاّ ما عَرَضْت

---

(١) هي أجمل من الشمس في النهار وأجمل من القمر في الليل (؟)- للبدر صدود عنها (لأنه يغار منها).
(٢) الشطر الأول لأبي نواس. أتعود قريباً أم أفق سفرتك بعيدة؟
(٣) عاليت همّي: صعدتّ فوق همّي (لم أبال بهمّي لمّا قصدته). لكرّته: (حتّى يعود إلى ما عوّدني من كرمه).
(٤) من كان من الجنّ يألف البشر (ويعيش معهم).
(٥) ثمّ انصرف راجعاً.
(٦) اجتاب: قطع. الدو: الفلاة، الصحراء الواسعة.
(٧) العنان: عنان الفرس. أمال العنان: عطف بنا (نحو وادي الجنّ).
(٨) بسقط (الباء في «بسقط» للقسم). أقسم عليك بسقط اللوى فحومل ويوم دارة جلجل (سقط اللوى وحومل ودارة جلجل أماكن مذكورة في معلّقة امرىء القيس).

علينا وَجْهَك وأنشدتّنا من شِعْرِك (ثمّ) سَمِعْتَ من هذا الإنْسيِّ وعَرَّفْتَنا كيف إجازتُك له[1].

فَظَهَرَ لنا فارسٌ على فرسٍ شقراءَ كأنّها تلتهبُ، فقال: حيّاكَ اللهُ يا زُهيرُ- وحيّا صاحِبَكَ. أهو فَتاهُم[2]؟ قُلتُ: هو هذا؛ وأيُّ جَمْرَةٍ، يا عُتْيبةُ !.

- وقال يتخيّل أنّه يتحدّث وصديقاً له في قبريهما (وهي أبيات كانت مكتوبة على شاهد قبره):

يا صاحبي، قُمْ فقد أَطَلْنا، أَنحن طولَ المَدى هُجودُ؟[3]
فقال لي: لَنْ نقومَ منها ما دام مِن فوقِنا الصَعيد[4].
تَذْكُرُ كم ليلةٍ نَعِمْنا في ظِلِّها، والزمان عيد؟
كلٌّ كأَنْ لم يكن تقضّى وشُؤمه حاضرٌ عَتيد[5]
حصَّلهُ كاتبٌ حفيظٌ وضمَّه صادقٌ شهيد[6].
يا ويلَنا إن تنكَّبَتْنا رحمةُ مَنْ بَطْشُه شديد[7].
يا ربِّ، عفواً! فأَنْتَ مولًى قصَّرَ في شُكره العبيد.

٤ - ديوان ابن شهيد الأندلسي (جمعه وحقّقه يعقوب زكي)، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) بعد ١٩٥٨ م، (تحرير شارل بلاّ)، بيروت ١٩٦٣ م.
- حانوت عطّار (تحقيق ابن تاويت الطنجي)، القاهرة ١٩٥١ م.
- رسالة التوابع والزوابع (صحّحها... بطرس البستاني)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م.

---

(١) كيف إجازتك له = ما تقول في جودة شعره.
(٢) أهو فتاهم (أهذا من البشر!). وأي جمرة من جمرات العرب! مثل يضرب للرجل القويّ البارع.
(٣) فقد أطلنا = فقد أطلنا النوم. هجود: نائمون.
(٤) الصعيد: التراب (الأرض).
(٥) عتيد: حاضر، معدّ.
(٦) لكلّ إنسان في الدنيا كاتبان حفيظانَ عليه موكّلان به يكتب أحدهما حسنات الإنسان ويكتب الثاني سيّئاته. ثمّ يأتي كلّ إنسان يوم القيامة ومعه سائق به إلى الحساب وشهيد على أعماله في الدنيا.
(٧) تنكبتنا: مالت عنا. انصرفت عنا (لم يشملنا الله برحمته). من بطشه شديد = الله.

★ ★- ابن شهيد الأندلسي: حياته وآثاره، تأليف شارل بلاّ (منشورات الجامعة الأردنية - كليّة الآداب)، عمّان (جمعية عمّال المطابع التعاونية) بلا تاريخ (بعد ١٩٦٥ م).

جذوة المقتبس ١٢٤ - ١٢٧ (الدار المصرية) ١٣٣ - ١٣٦ (رقم ٢٣٢)؛ بغية الملتمس ١٧٧ - ١٧٨ (رقم ٤٣٧)؛ المطمح ١٦ - ٢٢؛ الذخيرة ١ : ١٩١ - ٣٣٦؛ المغرب ١ : ٧٧ - ٧٨؛ إعتاب الكتاب ٢٠٣ - ٢٠٥؛ الخريدة (المغرب والاندلس) ٥٥٥ - ٥٦١؛ المطرب ١٥٨ - ١٦٣؛ معجم الأدباء ٢ : ٢٢٠ - ٢٢٣؛ الوافي بالوفيات ٧ : ١٤٤ - ١٤٨؛؟ خريدة الأندلس ٤٢٦ (محمّد بن عبد الملك)؛ وفيات الأعيان ١ : ١١٦ - ١١٨؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٣٠؛ نفح الطيب ١ : ٣٨٠ - ٣٨٢، راجع ٣٥٦ - ٣٦٠، ٦٢١ - ٦٢٣؛ النثر الفنّي لزكي مبارك ١ : ٢٥٨ - ٢٧٠؛ ٢ : ٤٨ - ٥٨، ٣٠٢ - ٣١٨؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٩٣٨ - ٩٤٠؛ بروكلمن، الملحق ١ : ٤٧٩؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٥٧ (١٦٣)؛ داية ٢٩٣ وما بعد؛ بالنثيا ٧٣ - ٧٤، ٢٠٧.

ابن مغلّس البلنسيّ

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أحمَد بنِ السيد القَيْسي البَلَنسيّ الأندلسيّ، قرأ الأدبَ على أبي العَلاء صاعدِ بنِ الحسنِ الربعيّ (ت ٤١٧ هـ) ثمّ رَحَلَ من الأندلس إلى مِصْرَ واستوطنها.

وقيل قرأ في مِصْرَ على النجيرمي. ثمّ إنّه دَخَلَ بَغدادَ فقرأ على نفرٍ من عُلمائِها كما قرأ عليه فيها جماعةٌ من طُلاّب العِلم. وكانتْ وفاتُه في مِصرَ، في ٢٤ من جُمادى الأولى من سنة ٤٢٧ (١٠٣٦/٣/٢٥ م).

٢ - ابنُ مُغلّس البَلَنْسيّ من أهلِ العِلم باللُّغةِ والنحو مشهورٌ. وهو شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيدٌ، وله ديوان. وقد كانتْ بينَه وبينَ إسماعيلَ بنِ خَلَفٍ مُعارضاتٌ (يَرُدُّ أحدُهما على الآخَرِ في قصائد).

٣ - مختارات من شعره

قال ابنُ مغلّس البلنسيُّ في النسيب:

مريضُ الجفونِ بلا عِلّةٍ، ولكنّ قلبي به مُمْرَضُ.

أعانَ السُهادَ على مُقلتي   بِفَيْضِ الدموعِ فما تُغْمِضُ.
وما زارَ شوقاً، ولكنْ أتى   يُعَرِّضُ لي أنّه مُعْرِضُ.

وقال في الحَمّام وما يجتمع فيه من أخلاط الناس:

ومنزلِ أقوامٍ إذا ما اغْتَدَوْا به   تَشابَهَ فيه وَغْدُه ورئيسُهُ.
يُخالطُ فيه المرءُ غيرَ خليطهِ   ويُضْحي عَدُوُّ المرءِ وهو جَليسهُ.
يُفَرِّجُ كَرْبِي إنْ تزايدَ كَرْبُه   ويُؤنِسُ كربي أن يُعَدّ أنيسه.
إذا ما أعَرْتُ الماءَ حوضًا تكاثرتْ   على مائِه أقمارُه وشموسه.

٤ - ** وفيات الأعيان ٣: ١٩٣ - ١٩٤؛ جذوة المقتبس ٢٦٩ (الدار المصرية) ٢٨٨ (رقم ٦٤٥)؛ بغية الملتمس ٣٧١ (رقم ١٠٨٨)؛ الصلة ٣٥١؛ بغية الوعاة ٣٠٧؛ نفح الطيب ٢: ١٣٢ - ١٣٣؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٣٦ (١٣).

ابن أبي الرجال

١ - هو أبو الحسَنِ عليُّ بنِ أبي الرجالِ الشَيْباني الكاتبُ المَغْربيّ القَيْروانيُّ، من أهلِ فاسَ ولكنّه عاش مدّةً في بَلاطِ المُعزِّ بنِ باديسَ (٤٠٦ - ٤٥٤ هـ) وكان رئيسَ ديوانِ الإنشاءِ في الدولةِ الصِنْهاجية. وهُوَ الذي لقّنَ المُعزَّ العلومَ. ولعلّه شاركَ القوهيَّ في أرْصاده التي كان يقومُ بها في بَغْدادَ (في الثُلث الثالثِ من القرن الرابعِ - أواخرِ القرن العاشرِ للميلاد). وكانت وفاته سنة ٤٢٦ (١٠٣٤ - ١٠٣٥ م)، أو بعد بضع سنوات أخرى.

٢ - يبدو أن ابنَ أبي الرجالِ كان من ذوي المَيْلِ إلى العلوم الرياضية، ألّف كتابَ «البارع» في التنجيم، ولكنّ كتابَه هذا جاء غامضاً ضعيفَ التركيبَ (كأكثر الكتب في هذا الموضوع). ثمّ إنّه كانَ أديباً ناثراً وشاعراً متينَ السَبْكِ رقيق الكلامِ؛ من فنونه الفَخْرُ والحِكمة والغَزَل والعِتاب والخمر. كان ابنُ أبي الرجال بتاهِرْتَ فتذكَّرَ أهلَه بالقَيْروان فقال:

ولي كَبِدٌ مكلومةٌ من فِراقِكُمْ   أُطامِنُها صبراً على ما أجَنَّتِ.
تَمَنَّتْكُمُ شَوْقًا إليكم وصَبْوةً   عسى اللهُ أن يُدني لها ما تَمَنَّت.
وعينٌ جفاها النومُ واعتادَها البُكا   إذا عَنّ ذِكْرُ القيروانِ اسْتَهلّت!

وقد علّق ابنُ رشيقٍ على هذه الأبيات بقولِه: « فلو أن أعرابيًّا تذكّرَ نَجْدًا فحنّ به إلى الوطنِ أو تشوّقَ فيه إلى بعضِ السَكَنِ ما حَسِبْتُه يزيدُ على ما أتى به هذا المولَّدُ الحَضَري المتأخّرُ العصرِ ».

وكان ابنُ أبي الرجالِ يَعْطِفُ على الكُتاب والشُعراء ويأخذُ بناصِرِهِمْ: وقد ألَّفَ باسمِهِ ابنُ رشيقٍ مؤلّفاتٍ أدبيةً نفيسةً منها كِتاب « العُمْدة »، كما قدّم إليه ابنُ شَرَفٍ « رسائلَ الانتقاد » (مجمل تاريخ الأدب التونسيّ ١٢٩).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو الحسن عليّ بن أبي الرجال في الشكوى من الناس:

أيا ربِّ، إن الناسَ لا يُنْصِفونني ... ولم يُحْسِنوا قَرْضي على حَسَناتي:
إذا ما رأوْني في رَخاءٍ تَردّدوا ... إلَيّ، وأعدائي لَدى الأزَمات.
ثِقاتِيَ ما دامتْ صِلاتي إليهِمُ، ... وإنْ عَنْهم أخّرْتُها فعِداتي.
سأمنَعُ قلبي أن يَحِنَّ إلَيْهِمُ، ... وأصْرِفُ عنهم - قالياً - لَحَظاتي؛
وأُلْزِمُ نَفْسي الصبرَ دأبًا لَعَلّني ... أُعايِنُ ما أمّلتُ قبل مَماتي.
ألا إنّما الدنيا كَفافٌ وصِحّةٌ ... وأمْنٌ؛ ثلاثٌ هنّ طِيبُ حياتي.

- وقال في الخمر:

ألا ليتَ أيامًا مَضى لي نَعِيمُها ... تَكِرُّ علينا بالوصالِ وتُنْعِمُ.
وصفراءُ تحكي الشمسَ من عَهْدِ قَيْصرٍ ... يَتوقُ إليها كلُّ من يَتَكرّمُ؛
إذا مُزِجَتْ في الكأسِ خِلْتَ لآلئًا ... تُنَثَّرُ في حافاتِها وتُنَظَّم.
جَمَعْنا بها الأشتاتَ من كُلّ لَذّةٍ، ... على أنّه لم يُغْشَ في ذاك مَحْرم!

- من كتاب البارع:

.... ومتى جاءتِ السُعودُ في الثاني عَشَرَ في تحاويلِ السنينَ قَوِيَتْ أعداءُ المَوْلودِ وأيديهم. فإذا حلّتْ فيه النُحوسُ أضْعَفَتْهُمْ وأبادتهم. وإذا كان ربّ الثاني عَشَرَ في الطالعِ كان المولودُ شَقِياً كثيرَ الأعداء مُحارَباً ويَلْقى من الأعداء شِدّةً في أولِ أمره؛ وفي الثاني يكونُ رَديءَ العيشة سيِّءَ الحال يُكْذَبُ عليه كثيراً. وفي الثالث يُعاديه إخْوتُه ويَلْقى منهم شِدّةً وتَسوءُ أحوالُه. وفي الرابعِ يُعاديه آباؤه ويُنازعه أهلُهُ

وتَخْرَبُ الدار التي وُلد فيها ويُنْقَلُ منها.

٤ - ★★ الجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٢٩ - ١٣٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٨٨ - ٦٨٩؛ تاريخ العلوم عند العرب ١٧٨ - ١٧٩؛ بروكلمن ١: ٢٥٦، الملحق ١: ٤٠١؛ معجم المطبوعات العربية ٣١؛ عنوان الأريب ١: ٥٧ - ٥٨.

ابن خلوف الحروريّ

١ - هو عبد العزيز بن خلوف الحروريّ[١]، من أهل القيروان، كانت وفاته نحو ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م).

٢ - كان ابن خلوفٍ الحروريُّ ذا ذكاء نادر وكان مشاركاً في عدد من فنون العلم. غير أنّه اشتهر بالنحو وبالقراءات وما يتعلّق بها. وشعره حسن الألفاظ والمعاني جميل الصناعة. له مديح ووصف.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن خلوف الحروريُّ في مديح المعزّ بن باديس[٢]:

لو يستطيعُ لأدْخَلَ الأمواتَ من ... نُعماه في ما نالتِ الأحياءُ.
سوّتْ رعاياه يدا إنصافِه ... حتّى الشوامخُ والوِهادُ سواء[٣].
مُتنوّعُ العَزَماتِ: ماءٌ مُغْدِقٌ ... فيهم، وعنهم صخرةٌ صمّاء[٤].
ما أنتَ بعضُ الناسِ إلاّ مِثْلَما ... بعضُ الحصى الياقوتةُ الحمراء[٥].
فتحتْ لنا نُعماك كلَّ بلاغةٍ ... فَجَرَى اليَراعُ وقالتِ الشعراء.

---

(١) الحروريّ: الخارجيّ (أحد الخوارج).

(٢) الرابع من ملوك بني زيري الصنهاجيّين بالقيروان (٤٠٦-٤٥٣ هـ).

(٣) رعاياه مفعول به. يدا انصافه فاعل. الشوامخ: الجبال العالية. الوهاد: الأراضي المنخفضة.

(٤) مغدق: كثير. ليّن في معاملة قومه، شديد (صخرة) في الدفاع عنهم. (أو: هو كريم عليهم وصخرة صماء عنهم: لا يقبل فيهم ذمّاً).

(٥) - أنت أفضل من جميع الناس، كما أنّ الياقوت أفضل الحجارة.

- ويروى له في وصف سحابة[1]:

راحتْ تذكّرُ بالنسيمِ الراحا ... وطْفاءُ تَكْسِرُ للجَنوبِ جَناحا[2].
مُرْتَجّةُ الأرجاءِ يَحْبِسُ سيرَها ... ثِقَلٌ فتُعْطيه الرياحُ سَراحا[3].
أخْفى مسالكَها الظلامُ فأوْقدَتْ ... من بَرْقِها - كي تَهْتدي - مِصْباحا.
فكأنّ صوتَ الرعدِ خَلْفَ سَحابِها ... حادٍ، إذا وَنَتِ الركائِبُ صاحا[4].

- وقال يَصِفُ مِرْوَحَةً من ريشٍ أو نَسيجٍ تُطْوَى وتُفتَحُ:

ومِـرْوَحَـةٍ إنْ تـأمّـلْتَـهـا ... تـرى فَلَكـاً دائـراً في اليَدِ.
وتُطوى وتُنْشَرُ مِن حُسْنِها ... فتُشْـبِـهُ قُنْـزُعَـةَ الهُـدْهُـدِ.

٤ - ★★ بغية الوعاة ٣٠٧؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٣١ - ١٣٤.

ابن الربيب القيرواني

١ - هو أبو عليٍّ الحسنُ[5] بنُ محمدِ بن الربيبِ[6] التميميُّ القيروانيُّ، أصلُه من تاهِرْتَ[7] ومولِدُه نحو سَنَةِ ٣٨٠ (٩٩٠ م)[8]. نشأ ابنُ الربيب في القيروانِ وطلبَ

---

(١) يروي نفح الطيب (١ : ٤٨٣) بيتين من هذه الأبيات لأبي عبد الله محمّد بن سليمان الحنّاط (وكان سليمان يبيع الحنطة في قرطبة) القرطبي الرعيني (بالتصغير) الأعمى الشاعر (ت ٤٣٧ هـ).

(٢) راحت (في المساء) تذكّرنا بطيب نسيمها الراح (الخمر). وطفاء: السحابة المتشعّبة (الكبيرة التي لها ذيول بارزة من أطرافها). الجنوب: ريح الجنوب. تكسر للجنوب جناحاً: تطيع الريح في دفعها. أو: تكسر جناح الريح (لا تستطيع الريح أن تحرّكها).

(٣) مرتجّة (متحرّكة بعنف) الأرجاء (الأطراف، الجوانب). يحبس سيرها ثقل: يمنعها ثقلها من أن تسير. فتعطيه الرياح (تتجمّع الرياح وتنفخ وراءها). السراح: التسرح (الاطلاق من القيد).

(٤) الحادي: الذي يسوق القافلة. ونى يني: تعب. الركائب (جمع ركوبة: الدابّة المخصّصة للركوب).

(٥) أو الحسين (راجع حاشية في نفح الطيب ٣ : ١٥٦، من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري عن ابن رشيق).

(٦) كذا سمّاه حسن حسني عبد الوهّاب (مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص ٢١٤) وابن رشيق وابن فضل الله العمري (نفح الطيب ٣ : ١٥٦، الحاشية الثانية). وسمّاه السيوطي (بغية الوعاة ٢٣٠) ابن الزبيب (بالزاي أخت الراء) نقلاً عن ياقوت الحموي. وكذلك سماه عادل نويهض (تاريخ أعلام الجزائر ٩٦).

(٧) يقول حسن حسني عبد الوهّاب (ص ١٢٤): «هو قيرواني صميم».

(٨) معجم أعلام الجزائر ٦٩. وقال حسن حسني عبد الوهّاب: كانت وفاته (سنة ٤٣٠ هـ) وقد جاوز الخمسين.

العلمَ فيها، وقد عُنِيَ به محمّدُ بنُ جعفرٍ القزّازُ القيروانيُّ (ت ٤١٢) عِنايةً صحيحةً فبلغ به نِهايةَ الأدب (التأديب: التعليم) ونهاية علمِ الخبرِ (التاريخ) والنسبِ (أنساب القبائل). وتولّى ابنُ الربيبِ القضاءَ في تاهرتَ حيناً فصار يُعرَفُ بالقاضي التاهرتّي أيضاً.

صَحِبَ ابنُ الربيبِ بني أبي العـرب فنال بهم وَجاهةً ومكانةً: سُئِلَ عبدُ الكريمِ النهشليُّ يوماً عن أشعرِ أهلِ بلدهِ فقال: أنا ثمّ ابنُ الربيب. وكانتْ وفاةُ ابن الربيبِ في القيروان، سَنَةَ ٤٣٠[١] (١٠٤٠ م).

٢ - كان ابنُ الربيبِ القيروانيُّ لُغويًا نَحْويًا وعارفًا بأنسابِ الناسِ حتّى اكتسبَ لَقَبَ «النسابةِ الإفريقيّ». وكان أيضاً أديباً ناثراً وشاعراً مُجيداً قَويَّ الكلام يقولُ في المدح والرثاء، ورُبّما تكلّفَ في النظم. ثمّ هُوَ مصنّفٌ له كتابٌ في النَسَب.

٣ - مختارات من آثاره

- كتب ابنُ الربيبِ التاهرتيُّ إلى أبي المُغيرة عبدِ الوهّابِ بن حزمٍ رسالةً يذكرُ له فيها فضلَ أهلِ الأندلس واتّساعَ الثقافةِ والحضارةِ في بلادِهم وهم مَعَ ذلك مُقصّرون في تخليدِ آثار عُلمائهم وفي تدوينِ فضائلِ بلادِهم. قال:

..... فكّرتُ في بلادِكم إذ كانت قرارةَ كلِّ فضلٍ ومنهلَ[٢] كلِّ خيرٍ ونُبْلٍ ومصدرَ كلّ طُرْفةٍ وموردَ كلّ تُحفة[٣].... إنْ بارتْ تجارةٌ فإلَيْها تُجْلَبُ، وإن كَسَدَتْ بِضاعةٌ ففيها تَنْفُقُ، مَعَ كَثْرة عُلمائها ووَفْرة أدبائها وجَلالة ملوكها ومحبّتهم للعِلمِ وأهله...

ثمّ هُمْ مَعَ ذلك في غايةِ التقصير ونِهايةِ التفريط...

---

(١) في بغية الوعاة: سنة ٤٢٠ هـ. وفي معجم أعلام الجزائر: ٣٤٠- ٤٢٠ هـ.

(٢) قرارة: مكان منخفض إذا حلّ به شيء بقي هناك. المنهل: مكان يشرب منه الناس الماء.

(٣) الطرفة: الشيء المستحدث (الجديد) العجيب. التحفة: الطرفة إذا كانت ثمينة (غالية الثمن) تستحقّ أن يتحف (بالبناء للمجهول) بها الناس (أن تهدى إليهم).

فعُلماؤكم مَعَ استظهارِهم على العلوم[١] كلُّ امرىءٍ منهم قائمٌ في ظِلّه لا يبرَحُ، وراتبٌ[٢] على كَعْبه لا يتزحزَحُ. يخافُ إنْ صَنّفَ أن يُعَنَّفَ، وإن ألّفَ أن يُخالَفَ ولا يُوالَفَ. لم يُتْعِبْ أحدٌ منهم نَفْساً في جَمْعِ فضائلِ أهلِ بلدِه، ولم يستعملْ خاطرَهُ في مفاخرِ مُلوكه، ولا بلَّ قلَماً بمناقبِ كُتّابهِ ووُزرائِه، ولا سوّد قُرطاساً بمحاسِنِ قُضاتِه وعلمائه. على أنّه لو أطْلَقَ ما عَقَلَ[٣] الإغفالُ من لِسانه، وبَسَطَ ما قَبَضَ الإهمالُ من بَيانِه، لَوَجَدَ للقولِ مَساغاً[٤] ولم تَضِقْ عليه المسالكُ ولم تخرُجْ به المذاهبُ ولا اشْتَبَهَتْ عليه المصادرُ والموارد[٥]. ولكنّ همَّ أحدِهِمْ أن يطلُبَ شأوَ[٦] من تَقَدّمَهُ من العُلماء ليَحوزَ قَصَباتِ السَّبْقِ بقِدْحِ ابنِ مُقْبِلٍ بكظم دَغْفَلٍ، ويصيرَ شَجاً في حَلْقِ أبي العُمَيْثَل[٧]. فإذا أدركَ بُغْيَتَهُ واخْتَرَمَتْهُ[٨] مَنِيَّتُهُ دُفِنَ مَعَه أدبُه وعِلْمُه، وانقطعَ خَبَرُهُ... وعُلماء الأمصارِ احتالوا لِبقاءِ ذِكْرِهِمُ احتيالَ الأكياس[٩] فألّفوا دواوينَ بَقِيَ لهم بها ذِكْرٌ مُجَدَّدٌ طولَ الأبد. فإنْ قُلتَ: إنّه كان مثلُ ذلك من عُلمائنا فألّفوا كُتُباً لكنّها لم تَصِلْ إلَيْنا[١٠]. فهذه دَعْوًى لم يَصْحَبْها تحقيقٌ لأنّه ليس بَيْنَنا وبَيْنَكم

---

(١) استظهارهم: استيلاؤهم، ظفرهم.

(٢) راتب: ثابت في مكانه لا يتزجزح.

(٣) عقل: ربط.

(٤) المساغ: المجرى، الطريق.

(٥) اشتبه: غمض، خفيت. المصادر والموارد (سير الأمور: أوائلها وأواخرها، أسبابها ونتائجها).

(٦) الشأو: الأمد والغاية (النقطة التي يحاول أن يصل إليها المتسابقون).

(٧) حار قصبات السبق: سبق غيره وتقدّم عليه (كان على السابق أن يصل إلى آخر الشوط ويتناول هنالك قصبة قبل أن يصل إليها غيره). ابن مقبل: شاعر كان في صدر الإسلام الأوّل. قدح ابن مقبل (النصيب الأكبر، الظفر التامّ) راجع ديوان ابن مقبل بتحقيق عزّة حسن (ص ١٩ - ٢٠ من المقدّمة). دغفل بن حنظلة (ت ٦٥ هـ) يضرب به المثل في معرفة الأنساب. بكظم دغفل (وبكظم دغفل!):... أبو العميثل هو عبد الله بن خليد (ت ٢٤٠ هـ) كان حاضر البديهة سريع الجواب مع الإصابة.

(٨) اخترمته منيّته (مات باكراً).

(٩) الأكياس جمع كيّس: عاقل.

(١٠) لم تصل إلينا (أي لم تصل من الأندلس إلى المغرب).

غيرُ رَوْحةِ راكبٍ أو رِحلةُ قاربٍ، لو نَفَثَ من بلدِكم مصدورٌ[١] لأسْمَعَ من بِبَلَدِنا في القبور، فَضْلاً عمّن في الدورِ والقصور.

- وقال من قصيدةٍ يمدحُ بها مُحمّدَ بنَ أبي العَرَبِ:

ولمّا الْتَقى الجَمْعانِ واسْتَمْطَرَ الأسى   مدامعَ مِنّا تُمْطِـرُ[٢] الدَّمْعَ والدَّما،
بـدا مأتَمٌ للبَيْنِ غَنّـى بـه الهوى   بِشَجْوٍ، وَحنّ الشَّوْقُ فيه فأرْزَما[٣].
تَصَدَّتْ فأشْجَتْ، ثـمّ صَدّتْ فأسْلَمتْ   ضمـيرَكَ للبَلْوى عقيلـةُ أسْلَما[٤].

- وقال يرثي المنصورَ بنَ محمّدِ بنِ أبي العربِ:

يـا قـبرُ، لا تُظْلِـمْ عليـه فطـالَمَا   جَلّـى بغُرّتِـه دُجـى الإظـلامِ[٥].
أعْجِـبْ بقـبرٍ قِيدِ شِبْرٍ قد حوى   لَيْثاً وبَحْـرَ نَدًى وبَدْرَ تَمـامِ[٦]!

- ورثى جماعةً قُتلوا (في مَعْركَةٍ بعد أن قَتلوا من خُصومهم خمسين):

وهـوّنَ وَجْدي أنّهم خمسةٌ مَضَوْا   وقـد أقْعَصوا خمسينَ قَرماً مُسَوَّما[٧].
وكـان عظيماً لو نَجَوْا، غـيرَ أنّهم   رأَوْا حُسْنَ ما أبْقَوْا من الذِّكْرِ أعْظَما.

٤ - ★★ الأنموذج ٦٩ - ٧٢؛ الذخيرة ١: ١٣٣ - ١٣٦؛ إنباه الرواة ١: ٣١٨ - ٣١٩؛ بغية الوعاة ٢٣٠؛ نفح الطيب ٢: ٣٠١ - ٣٠٢، ٣: ١٥٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠١؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٢٤ - ١٢٧؛ معجم أعلام الجزائر ٦٩.

---

(١) المصدور: المصاب بالسلّ (ويكون نفثه: تفله، بصاقه ضعيفاً).

(٢) في إنباه الرواة: (١: ٩): مدامع ما تمطو به الدمع والدما!

(٣) المأتم: اجتماع النساء (لمناسبة الموت). البين: الفراق، البعاد (كان النساء يبكين لفراقي كأنّهنّ كنّ في مأتم). غنّى به الهوى (التي بكت كانت تحبّني فكان بكاؤها بدافع حبها لي لا بدافع حزنها عليّ). أرزم: صوّت، رفع الصوت عالياً.

(٤) تصدّت: تعرضت (ظهرت أمامي، رأيتها). أشجى: حزن وأحزن. صدّت: أعرضت (لم توافقني على طلب لي). عقيلة (امرأة كريمة من بني) أسلم.

(٥) جلّى: كشف. الغرّة: الشعر في مقدّم الرأس (هنا): الجبهة، الوجه. والغرّة توصف بالبياض.

(٦) أعجب (صيغة للتعجّب): ما أعجب! قبر قيد (بمقدار) شبر: ضيّق.

(٧) قعصه: طعنه بالرمح طعناً متوالياً (قتله). القرم: السيّد. المسوّم: الذي له علامة (دلالة على شرفه ومكانته في قومه).

أبو الفتوح الجرجانيّ

هو أبو الفُتوحِ ثابتُ بنُ محمّدٍ الجُرْجانيُّ الإستراباذي العَدَويّ الأندُلسي النَحْويّ، أصلُه من جُرجانَ؛ وكانَ مولدُه سَنَةَ ٣٥٠ هـ (٩٦١ م).

تَلقَّى أبو الفتوحِ الجرجانيُّ علم اللغة والنحوَ في بَغْدادَ: روى عن عُثمانَ بن جِنّي (ت ٣٩٢ هـ) وعليِّ بنِ عيسى الربَعيِّ (ت ٤٢٠ هـ) وعن عبدِ السلام بن الحسن البَصْري قرأ عليهِ ديوانَ الحَماسة لأبي تَمّامٍ سنة ٣٧٨ هـ. أما أكثرُ روايتهِ فكان عن ابنِ السيرافيِّ قرأ عليه كتابَ الجَمْهرةِ لابن دُريدٍ وديوانَ المتنبّي وغيرَ ذلك.

ودخلَ الجُرجانيُّ إلى الأندلُسِ سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ - ١٠١٦ م)، ويبدو أنه لم يَتَّصِلْ بأحدٍ من أُمَرائها قبلَ اتّصاله بمُجاهِدٍ العامريّ صاحبِ دانِيَةَ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ)؛ وكانَ مُجاهِدٌ سائراً إلى غَزْوِ جزيرةِ سَردانيَةَ فاصطحبه. ثمّ اتّصل بيحيى بنِ عليّ بن حَمّودٍ صاحبِ ما لَقَةَ (٤١٢ - ٤٢٧ هـ). فألْزَمَ يحيى بنُ حمّودٍ ابنه (الحسَن) صُحْبَةَ الجُرجانيّ لأنّه كان يُعِدّ ابنَه هذا للحُكْمِ من بَعْدِه. ثمّ تغيَّر قلبُ يحيى على الجُرجانيّ فذهب الجرجاني إلى بني زِيري في غَرْناطةَ.

تصَدّرَ الجرجانيُّ، في أثناءِ تَطْوافهِ الكثيرِ في الأندلُس، للتدريس فأملى شَرْحَ كتاب الجُمَلِ للزّجّاجيّ وشرْحَ ابنِ السيرافيِّ لأبياتِ إصلاحِ المَنْطِق لابن السِكّيت.

في سَنَة ٤٣٠ هـ جاء إلى حُكْم غَرْناطةَ باديسُ بنُ حبّوسٍ، فتآمرَ عليه ابنُ عَمّه يدِّيرُ بنُ حُباسةَ. ويبدو أن الجرجاني ناصَرَ يدّيرَ. فلمّا انْكَشَفَتِ المؤامرةُ هَرَبَ الجُرجاني إلى إشبيليةَ فقَبَضَ باديسُ على زوجةِ الجُرجاني وابنهِ وحَبَسَهما في المُنَكَّبِ (حُصْنِ المُنَكَّبِ على الساحل، جَنوبَ غَرْناطة). فَرَجَعَ الجُرجانيُّ إلى غَرناطةَ ليستعطف باديسَ فلم يَعْطِفْ عليه باديسُ وقتله في ٢٨ من المُحَرَّم من سَنَةَ ٤٣١ (١٠٣٩/١٠/٢٠ م).

كان أبو الفتوحِ ثابتٌ الجُرجانيُّ إماماً في غَريب اللغة وفي علم العَربية (النحو) غزيرَ الأدبِ كثيرَ الحِفْظ لأشعارِ الجاهليين والإسلاميّين، عارفاً بعِلْم المنطق مُشاركاً في علوم التعاليمِ (الرياضيّات والطبيعيّات) والنجوم وفي الأدب والحِكْمة. وكان أيضاً مُؤَلِّفاً له: شَرْحُ ديوانِ الحَماسةِ لأبي تَمّام - شرحُ كتاب الجُمَل للزّجاجي.

٤ - ** جذوة المقتبس ١٧٣ - ١٧٤ (الدار المصرية) ١٨٤ - ١٨٥ (رقم ٣٤٤)؛ بغية الملتمس ٢٣٦ - ٢٣٧ (رقم ٦٠٢)؛ معجم الأدباء ٧: ١٤٥ - ١٤٨؛ كتاب الصلة ١٢٥؛ الذخيرة ٤: ١٢٤ - ١٢٦؛ الإحاطة ٤٦٢ - ٤٦٦؛ بغية الوعاة ٢١٠؛ إنباه الرواة ١: ٢٦٣ - ٢٦٤؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٠ (السطر ٢٢).

آل عبّاد

آلُ عبّادٍ يَمانِيَةٌ (من عرب الجَنوب) من بني لَخْمٍ، قيل إنّهم ينتسبون إلى اللخميّين آل المُنذرِ بنِ ماء السماء ملوكِ الحِيرة. وكانت مساكِنُهم في الإسلامِ في العريش (بين الشام ومصر). وكان أقدم من جاء منهم إلى الأندلس نُعيمٌ وابنُه عِطافٌ (بكسر العين وطاء مهملة بلا تشديد) - جاءا مَعَ بَلْج بن بِشْرٍ القُشيريّ الذي أرسله هِشامُ بنُ عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) في جيشٍ من أهلِ الشام نَجْدةً للعرب لمّا ثار مَيْسَرةُ الخارجي في جماعاتٍ من بني مَضْغَرَةَ البربر. ثم إن بَلْجاً دخل بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أهلِ الشام إلى الأندلس - في حديثٍ طويل - في أواخر سَنَةِ ١٢٣ (٧٤١ م).

وفي الأندلسِ نَزَلَ نُعيمٌ وابنه عِطافٌ في إقليم طُشّانةَ قُربَ إشبيليةَ حيث أنشأا أُسْرَتَها الجديدة. وكان أوّلَ مَنْ نَبَغَ في هذه الأُسرة أبو القاسمِ محمدُ بنُ إسماعيلَ (ت ٤٣٣ هـ) ثم ابنهُ أبو عَمْرٍو عَبادٌ (ت ٤٦١ هـ) ثم حفيدُه أبو القاسم مُحمدٌ (المعتمدُ بن عباد المُتوفَّى ٤٨٨ هـ). وكان للمعتمدِ عددٌ من الأولاد منهم عُبيدُ الله ويَزيدُ ويحيى وحَكَمٌ وبُثينةُ. وجميعُ بني عبادٍ المذكورين هنا قد قالوا الشعر، وأشعرُ آلِ عبادٍ المعتمدُ، وأشعرُ أولادِ المعتمدِ يَزيدُ وبُثينةُ.

أبو القاسم بن عبّاد

١ - هو القاضي أبو القاسمِ محمّدُ بنُ إسماعيلَ ذي الوزارتينِ بنِ محمّدِ بنِ اسماعيلَ ابنِ قريشِ بنِ عَبّادٍ من بني لَخْمٍ، قيل من نسلِ النُعمانِ بن المُنْذرِ مَلِكِ الحِيرة. كان في أوّلِ أمرِهِ قاضياً على إشبيلية في دولة بني حَمّودٍ أصحابِ مالَقَةَ في أيامِ القاسم بن حمّودٍ (٤٠٨ - ٤١٦ هـ). فلمّا وَقَعَ النزاع بين القاسم بن حمودٍ وابنِ أخيه يحيى بنِ علّي بن حمّودٍ وتعاقبا على العرشِ مرّتينِ مرّتينَ، انتزعَ أبو القاسمِ بنُ

عبّادٍ إشبيليةَ وأسّسَ فيها مملكةً، واحتفظَ مُدّةً بلقبِ «حاجبٍ» (وزير، رئيسِ وزارةٍ) ثمّ اتخّذَ لَقَبَ «الظافرِ». وكانتْ وفاةُ أبي القاسم (محمّدِ بنِ اسماعيلَ) بنِ عبّادٍ في التاسعِ والعِشرين من جُمادى الأولى من سَنَةِ ٤٣٣ (١٠٤٢/١/٢٤ م).

٢ - كان أبو القاسمِ بنُ عبّادٍ عاقلاً كريماً وأديباً ناثراً مترسّلاً وناظماً على شيء من البراعة في الوَصْفِ والفَخْر.

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو القاسمِ بنُ عبّادٍ يُشَبِّهُ شَجَرَةَ الياسَمينِ بِمِطْرَفٍ (ثوبٍ من حريرٍ) أخضرَ كأنَّ أزهارها عليها دراهمُ من فِضّة:

وياسَمينِ حَسَنِ المنظرِ ... يفوقُ في المرأى وفي المَخْبَرِ.[1]
كأنّه من فوق أغصانهِ ... دراهمٌ في مِطْرَفٍ أخْضَر.[2]

- وقال يفتخرُ ويُمنّي نفسَه باتّساع مُلْكِهِ:

ولا بدّ من يومٍ أسودُ على الورى ... ولو رُدّ عَمْروٌ للزمانِ وعامِرُ.[3]
فما المجدُ إلاّ في ضُلوعي كامنٌ ... ولا الجودُ إلاّ من يَميني ثائر.
فجيشُ العُلا ما بينَ جَنْبَيَّ جائلٌ ... وبحرُ النَّدى ما بينَ كَفَّيَّ زاخرُ.

٤ - ★ ★ الصلة ٤٩٥ - ٤٩٦؛ الذخيرة ٢ : ١٢ - ٢٣؛ جذوة المقتبس ٧٥ (رقم ١٢٦)؛ بغية الملتمس ١٠٧ - ١٠٨ (رقم ٢٤٧)؛ الحلّة السيراء ٢ : ٣٦ - ٣٩؛ البيان المغرب ٣ : ٢٧٣ وما بعد؛ وفيات الأعيان (في ترجمة المعتمد) ٥ : ٢٢ وما بعد؛ فوات الوفيات ١ : ٢٥٤؛ الوافي بالوفيات ٢ :٢١٢ - ٢١٤؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٥٢ - ٢٥٣؛ نفح الطيب ٤ : ٢٢٦ - ٢٢٨؛ نيكل ١٢٧؛ مختارات نيكل ٧٤ - ٧٥؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٦٠ - ٢٦١ (٣٥ - ٣٦).

---

(١) في المرأى والمخبر (المنظر والرائحة).

(٢) ... دراهم (بيض) في مطرف (ثوب حرير).

(٣) عمرو (عمرو بن عامر) ماء السماء أعظم ملوك اليمن. وملك آخر من الغساسنة. وعامر (ذو رياش) أيضاً من ملوك اليمن. سأملك الأرض ولو رجع هذان الملكان (وأمثالهما) إلى الحياة (سأخضعهما أيضاً).

ابن الأبّار الخولاني الشاعر

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمّدٍ الخَوْلاني الأندلسيّ الإشبيليّ من أهلِ إشبيليةَ، وُلدَ فيها، ومن شُعراءِ القاضي أبي القاسم بن عبّادٍ كانتْ وفاتُه في إشبيلية سَنَةَ ٤٣٣ هـ (١٠٤٢ م).

٢ - ابنُ الأبار الخَوْلانيُّ شاعرٌ مُجيدٌ حَسَنُ الصِناعة له قصائدُ ومقطّعاتٌ ويَظهرُ على شِعرِهِ شيءٌ من نَفَس المتنبّي. وكانت له تصانيفُ وفنونُه الوصفُ والغزل معَ شيءٍ من المُجون، وله مديح.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ الأبّار الخَوْلانيُّ يمدح المُعتضِدَ[١] بنَ عبّادٍ (المغرب ١ : ٢٥٣):

مَلِكٌ إذا الهَبَواتُ أظلَمَ جُنْحُها جعلَ الحُسامَ الى الحِمامِ دليلاً[٢]
إنْ كانتِ الأُسْدُ الضواري لم تَخَفْ من بأسِه فَلِمَ اتّخَذْنَ الغِيلا؟[٣]
أو كانتِ البِيضُ الصوارمُ لم تَهِمْ في حُبّه فَلِمَ اكْتَسَيْنَ نُحولا؟

- وقالَ في النسيب، مع شيءٍ من المُجون وشيء من العِفّة:

خافَ العُيونَ فوافاني على عجلٍ مُعَطِّلاً جيدَه إلاّ من الجَيَدِ[٤]
عاطَيْتُه الكأسَ فاستَحْيَتْ مُدامتُها من ذلك الشَنَبِ المعسولِ والبَرَدِ[٥]
حتّى إذا غازلتْ أجفانَه سِنَةٌ وصَيّرتْه يدُ الصَهباءِ طوعَ يدي[٦]

---

(١) كذا في «المغرب». ولعلّه يقصد القاضي محمّد بن اسماعيل بن عبّاد.

(٢) الهبوة: الغبرة (الثائرة في المعركة). الجنح (بكسر الجيم وضمّها): الجانب (القسم) من الليل. الحمام (بالكسر): الموت.

(٣) الغيل (مفرد) مكان فيه شجر كثير ملتفّ (كثيف) تأوي إليه الأسود أحياناً.

(٤) الجيد: العنق. عطّل جيده (لم يزينه بالحلى). الجيد (بفتح ففتح): طول العنق (وهو من شارات الجمال).

(٥) عاطيته الكأس: شربت معه الخمر. الشنب: جمال الأسنان وصفاء لونها. البرد (الحبّات المتبلورة في أثناء سقوط المطر عند البرد الشديد (كناية عن استواء شكل الأسنان). لون الخمر الجميل (الصافي) استحيا من لون أسنانه وصفائها.

(٦) السنة (بكسر السين): النعاس. غازلت أجفانه سنة (بدا النعاس يستولي عليه). الصهباء: الخمر.

أردتُ تَوْسِيــدَه خــدّي وقــلّ لــه؛ فقـال: كَفُّكَ عِندي أفضلُ الوُسُدِ[١]!
فبـات فـي حَرَمٍ لا غَـدْرَ يذعـره، وبِتُّ ظمآن لم أصدُرْ ولم أرِدِ[٢].
بـدرٌ ألـمَّ وبـدرُ التـمِّ مُمْتَحِـق والأُفـقُ مُحْلَوْلكُ الأرجاءِ من حسد[٣].
تَحيَّـرَ البـدرُ منــه أيـنَ مطلَعُه، أمـا دَرى الليلُ أن البدرَ في عَضُدي[٤]؟

٤ - ★★ جذوة المقتبس ١٠٧ (الدار المصرية) ١١٥ (رقم ١٩٠)؛ بغية الملتمس ١٥٢ - ١٥٣ (رقم ٣٥٢) المطمح ١٠ - ١١؛ الذخيرة ٢: ١٠٦ - ١١٢، ١٥٣ - ١٥٨؛ ٢٠٣، ٢٠٧ - ٢٠٩، ٣٩٦ - ٣٩٧؛ وفيات الأعيان ١: ١٤١ - ١٤٢؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٣٧؛ المغرب ١: ٢٥٣؛ نفح الطيب ٣: ٤٧٧ - ٤٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧١ - ٦٧٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٦ (٢١٣)؛ نيكل ٢١٠.

أبو الحزم جهور

١ - هُوَ أبو الحَزْمِ جَهْوَرُ بنُ محمّدِ بنِ جَهورِ بن عُبيدِ الله بن محمّدِ بن أبي الغَمْر بن يحيى كان جَدّه الأعلى فارسياً مولًى لعبدِ الملكِ بن مروانَ. ثمّ إنّ جدًّا له - يسمّونه يوسفَ بنَ بُخْتَ - دَخَل الأندلس قبل مجيء عبد الرحمن الداخل.

وُلِدَ أبو الحَزْم جَهْورٌ في أول المحرّم سنة ٣٦٤ (٢١/٩/٩٧٤ م) في قرطبة، في أسرة وَجيهةٍ غنيةٍ. وقد رَوى عن أبي بكرِ عباسِ بنِ أصبغَ الهَمْدانيِّ وأبي محمّدٍ الأصيليّ والقاضي أبي عبد الله بن مُفَرِّجٍ وسواهم.

كان أبو الحزم جَهْورٌ مشهوراً بالتقوى والفضل والعقل ومِنْ ذوي المكانةِ مَسموعَ الكَلمَةِ. وكانَ من وزراء الدولة العامرية، فلمّا حَدَثَتِ الفِتنةُ على هشامٍ الثالثِ المعتَدِّ وثارتِ العامّةُ وَخُلِعَ هشامٌ، في ١٢ من ذي الحِجّة من سنة ٤٢٢ (٢/١٢/١٠٣١ م) اجتمعَ الوزراء وطلبوا منه تَهْدئَةَ الناسِ فهتف بهم فهَدَأوا. وطلب الناس إخراج

---

(١) التوسيد: وضع الرأس (للنوم) على وسادة (مخدّة). الوسد (بضمّ فسكون أو بضمّ فضمّ) جمع وسادة.
(٢) ... يعني الشاعر أنّه عفّ عن محبوبه الذي كان نائماً على ذراعه. ورد: ذهب إلى الماء (شرب)... صدر: رجع عن الماء.
(٣) بدر (غلام جميل، محبوب) ألمّ (زار زيارة قصيرة) وبدر التم (قمر السماء) ممتحق (في آخر الشهر). محلولك: مظلم.
(٤) العضد: ما بين المرفق الكتف.

بني أميّة (أمراء البيت المالك) من قُرْطُبَةَ فأخرجهم أبو الحزم جَهْوَرٌ ومَعَهُمْ هشامٌ نفسُه من غيرِ أن يَحْدُثَ شَغَبٌ.

بعدئذ أَجْمَعَ الناسُ على أن يَتَوّلى أبو الحزم جهورٌ أمرَ قرطبةَ.

وكانت وفاةُ أبي الحزمِ جَهْوَرٍ في السادسِ من المُحَرَّمِ مِن سَنَةِ ٤٣٥ (الذخيرة ١: ٦٠٤) الواقع فيه ١٥/٨/١٠٤٣م.

٢ - كان في أبي الحزمِ بن جهورٍ مزايا نادرةٌ. كان يُصرِّفُ الأمورَ بحِكمةٍ وعَدْلٍ وتجرُّد، فما كان يقضي في مسألة إلاّ إذا استشار أهلَ الحلِّ والعَقْد. ولم يَتَسَمّ بلقبٍ فوق لقبِ «وزير» وهُوَ اللقب الذي كان له قبلَ أن يتولى أمورَ قُرطُبَةَ. وقد حَرّمَ الخمرَ وأمر بكَسْر أوانيها في قرطبة. ثمّ إنّه ساعدَ على هدوء الفِتنة التي كانتْ ثائرةً في أعقاب الخِلافة المروانية في الأندلس، فما كان زعيمانِ في صِقع من أصقاع الأندلسِ يتنازعانِ على حكمِ بلدٍ أو في أمرٍ عامٍّ إلاّ سعى إلى الإصلاح بَيْنَهما. ولم تُغَيِّرْهُ الدنيا ولا الثروةُ، ولا غرّتْه الدولة والمكانة حتّى إنّه ظلّ يُؤَذِّنُ بنفسهِ على بابِ مسجدهِ كما كان يفعل من قبلُ.

وكذلك كان أبو الحزمِ جهورٌ فقيهاً من الشيوخ الأكابر وأديباً مُترسِّلاً وشاعراً ليس من الطبقة الأولى. وشِعْرُه يدور على الوصفِ والحِكمة والزُهد في الأكثر. وكانتْ بينَه وبينَ أبي عامرِ بنِ شُهيدٍ (ت٤٢٦ هـ) مكاتباتٌ.

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو الحزم جَهْوَرٌ في العِتاب (الحلّة السيراء ١: ٢٤٨ - ٢٤٩):

أسأتَ - لَعَمْري - إذ أسأتَ بيَ الظنّا … وأَلْزَمْتَني ذنباً شَغَلتَ به الذِّهنا.
تَجَنَّيتَ في عَذْلي كأنِّيَ مُذنبٌ … رُوَيْدَكَ، إن العَذْلَ قد يُوجِبُ الشَّحْنا[1].
فلا تَتَجَنَّ الذنبَ من غيرِ عِلّةٍ، … فرُبَّ تجنٍّ يُورِثُ الحِقدَ والضِّغْنا[2].
وإنّي امْرُؤٌ محْضُ المودّةِ مُخلصٌ … أُصافي خليلي بالذي هو بي أسنى.

---

(١) تجنّى فلان عليك ذنباً: نسب إليك الذنب ظلماً. العذل: اللوم. الشحناء: الحقد والعداوة.

(٢) الضغن: الحقد الشديد.

وإنْ زَلَّ يوماً في وِدادي أَقَلْتُه وقارَضْتُه في ذاك بالصُحْبة الحَسْنا[1].
وهل لي - فَدَتْكَ النفسُ - دونَك راحةٌ وأنتَ شقيقُ النفسِ والأقربُ الأدنى؟
فَثِقْ بي ولا تعجَلْ عليّ فإنّني أَدينُ بما تَرْضى وأُعنى بما تُعْنى[2]
ولا ذنب لي - فيما علمتُ - ولم أكُنْ لأُصْغي إلى الواشين في قِيلِهِمْ أُذْنا.

- وقال في الزُّهْد:

قلتُ يوماً لدارِ قومٍ تَفانَوْا: أيـن سُكّانُك العِزازُ عَلَيْنا؟
فأجابتْ: هنا أقاموا قليلاً ثمّ ساروا، ولستُ أعلمُ أيْنا!

- وله في العتاب والتقريع:

يا عاتباً لِيَ بالصُدو دِ، ألا ذكرتَ قبيحَ غَدْرِك؟
أخْلَيْتَ من قلبي مكا ناً كان معموراً بذكرك.
وأنا أُحِبّك - لو وَثِقْـ ـتَ - وأستديمُ بقاءَ عُمْرِكْ.

٤ - ** جذوة المقتبس ٢٦ ثم ١٧٧ (الدار المصرية) ٢٧ ثم ١٨٨ - ١٨٩ (رقم ٣٦٠) بغية الملتمس ٢٤٤ (رقم ٦٢٥)؛ المطمح ١٤ - ١٥؛ الصلة ١٣٠؛ المغرب ١ : ٥٦؛ البيان المغرب ٣ : ١٨٥ - ١٨٨؛ الحلة السيراء ٢ : ٣٠ - ٣٤؛ نفح الطيب ١ : ٣٠٢ - ٣٠٤، ٥٢٥؛ الأعلام للزركلي ٢ : ١٣٩؛ (٢ : ١٤١). راجع فهارس الذخيرة (مثلاً ٢ : ٥٣، ١٠٠، ٣ : ٤٢، ٥١٢، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٢٧).

تمّام بن غالب بن التيّانيّ

هو أبو غالبٍ تمّامُ بنُ غالبِ بنِ عُمَرَ المعروفُ بابنِ التّيّانِ أو ابن التياني (نسبةً إلى التين وبيعهِ في الأغلب)، المُرسيّ القُرطبيّ الأندلسيّ، كان من أهل مُرْسِيَةَ. وقد كان إماماً في اللغة ثِقةً وأديباً بارعاً أميناً نزيهاً. وكان يَرْوي شعرَ أبي تمّامٍ حبيبٍ (الطائي) فيأخذُه الناسُ عنه (نفح الطيب ٣ : ١٣٥). وعَرَفْنا له كتابين في اللغة: «تلقيح العين» وقد أجمعَ رواةُ الأدب على مدحه لأنّه كتاب جامعٌ وموجز في وقتٍ

---

(١) أقلته (عفوت عن ذنبه). قارضتّه: بادلته. الحسنا: الحسناء.
(٢) أعنى: اهتمّ.

واحدٍ، ثم كتاب «الموعب». وكانتْ وَفاةُ تمّامِ بن غالبٍ في المَريّة، في أحَدِ الجمادين من سَنَةِ ٤٣٦ (أواخر ١٠٤٥ م).

- ★★ جذوة المقتبس ١٧٢ (الدار المصرية) ١٨٣ (رقم ٣٤٢)؛ بغية الملتمس ٣٢٦ (رقم ٦٠٠)؛ الصلة ١٢٢ - ١٢٣؛ المغرب ١: ١٦٦؛ إنباه الرواة ١: ٢٥٩ - ٢٦٠؛ وفيات الأعيان ١: ٣٠٠ - ٣٠١؛ فهرست ابن خير ٣٥٩ - ٣٦٠؛ معجم الأدباء ٧: ١٣٥ - ١٣٨؛ بغية الوعاة ٢٠٩؛ نفح الطيب ٣: ١٣٥، ١٧١ - ١٧٢، ١٩٠؛ شذرات الذهب ٣: ٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٧٠ (٨٦ - ٨٧)؛ معجم المؤلّفين ٣: ٩٢ - ٩٣.

مكّي بن أبي طالب

١ - هو أبو محمّدٍ مكّيُّ بنُ أبي طالبِ محمّدِ (أو حموش بتشديد الميم في الأغلب: تصغير محمّدٍ) بنِ محمّدِ بنِ مُختارِ القيسيُّ المُقرىء. وُلِدَ في القَيْروانِ في ٢٢ من شَعبانَ ٣٥٤ في الأغلب (٢٢/٨/٩٦٥ م) ونشأ فيها. وقد تردّدَ مكّيُّ بنُ أبي طالبٍ بين القيروانِ ومِصْرَ ومكّةَ مراراً - بينَ سَنَةِ ٣٦٧ وسَنَةِ ٣٩٢ هـ (٩٧٧ - ١٠٠١ م). في هذه الأثناءِ تلقّى كثيراً من العِلم.

ففي القيروان سَمِعَ من أبي محمّدٍ عبدِ الله بن أبي زيدٍالقيرواني(٣١٠- ٣٨٦هـ)(؟) وأبي الحسنِ عليِّ بنِ محمّدٍ القابسيّ (٤٠٣ هـ) وغيرِهما. وفي مِصْرَ قرأ القرآنَ على المُقرىء أبي الطيّب عبدِ المنعم بن غَلبونِ الحلبيّ (ت ٣٨٩ هـ) وعلى ابنهِ طاهرٍ (ت ٣٩٩ هـ). ثمّ أكملَ استظهارَ القرآن الكريم في مِصْرَ، بعد دراسةِ أشياءَ من الحسابِ وغيرِه من العلوم والآداب، سَنَةَ ٣٧٤هـ. أمّا في مكّةَ فقرأ على نفرٍ منهم: أحمدُ بن فِراسِ العَبْقَسيّ ومحمّدِ بنِ محمّدِ بنِ جبريلَ العُجيقيّ وأبو الحسن بن زُرَيقٍ البَغداديّ ومحمّدِ بنِ إبراهيمَ المَرْوَزيّ.

وفي سَنَةِ ٣٩٢ هـ (١٠٠٢ م) عاد نهائياً إلى القيروان. وفي رَجَبَ من السَنة التالية انتقل إلى قُرطبةَ. وفي قُرطبةَ أقرأ القرآنَ في مسجدِ النُّخيلة في الرقاقين (أو الزقاقين أو الرواقين!) عند باب العَطّارين. ثمّ نقلَهُ المظفّرُ عبدُ الملك بن أبي عامر الحاجبُ (٣٩٢ - ٣٩٩ هـ) إلى جامعِ الزاهرة (راجع، فوق، ص ١٧٨)فأقرأ فيه إلى

أنِ انصرمتْ دولةُ العامريّين (٣٩٩ هـ = ١٠٠٩ م). في تلك السنة نقله الخليفة محمّدٌ المهديُّ بن هِشام إلى المسجدِ الجامع بقرطبةَ فأقرأ فيه مدّة الفِتنة كلّها (٣٩٩ - ٤٢٢ هـ).

وكانتِ الصلاةُ والخُطبة في جامع قرطبةَ للقاضي أبي الوليدِ يونسَ بنِ عبدِ الله المعروفِ بابنِ الصفّار (ت ٤٢٩ هـ). وكانَ يُونُسُ بن عبد الله كثيراً ما يستخلفُ مكّيَّ ابن حموشٍ على الخُطبة والصلاةِ مكانَه. فلمّا تُوُفِّيَ يونسُ أقام أبو الحزمِ جَهْوَرٌ المستبدُّ بأمرِ قُرطبةَ (٤٢٢ - ٤٣٥ هـ) مكّيَّ بن حموشٍ إماماً رتيباً في جامع قرطبة.

وكانت وفاةُ مكّيِّ بنِ أبي طالبِ حموشٍ في قرطبةَ في ثاني المُحرّمِ من سَنَةِ ٤٣٧ (٢٠/٧/١٠٤٥ م).

٢ - كان مكّيُّ بنُ أبي طالبٍ إماماً عالماً بوجوه القراءات متبحّراً في علوم القرآن، كما كان فقيهاً وأديباً شاعراً، ولكنّه كان ضعيفاً في الخَطابة ربّما تلجْلَجَ على المِنْبر. وكذلك كان مفكّراً ينكر الخُرافاتِ ويكرَهُ الصوفية من أجلِ اختراعِهم كثيراً من الخُرافات والمُحالات. ومَعَ أنّ شِعره من طَبَقةِ شعرِ العلماء، فقد كان واضحاً سَهْلاً وعلى شيء من الطَلاوة. وهُوَ مؤلّفٌ مُكْثِرٌ قيل إنّ له خمسةً وثمانين مُصَنّفاً مبسوطة في أجزاء كثيرة خمسةٍ فعشْرةٍ فعِشرين إلى سبعين جزءاً. من هذه:

تفسيرُ القرآن - الهِداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه (سبعون جزءاً) - مشكل معاني القرآن - مشكل غريب القرآن - المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره - الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه - الإيضاح في الناسخ والمنسوخ - انتخاب كتاب الجرجاني[1] في نظم القرآن وإصلاح غلطه (غلط

(١) الجرجاني المذكور هنا يجب أن يكون القاضي عليّ بن عبد العزيز (ت ٣٩٢ هـ) أو حمزة بن يوسف (ت نحو ٤٢٧ هـ) أو عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ). ولم أعثر فيما بين يديّ من المراجع على كتاب لأحدهم عنوانه «نظم القرآن». غير أنّ لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي (٢٣٥ - ٣٢٢ هـ) كتاب «نظم القرآن» (الفهرست ١٣٨، السطر ٢١؛ معجم الأدباء ٣: ٦٧، السطر ٣؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٠٨، السطر ٥ من أسفل). وفي الفهرست عن البلخي: «كان فاضلاً في العلوم القديمة والحديثة، تلا (تبع) في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الفلاسفة، إلاّ أنه بأهل الأدب أشبه وإليهم أقرب».

الجرجاني) - الاختلاف في عدد الأعشار[١] - كتاب تسمية (قسمة) الأحزاب[٢] - بيان إعجاز القرآن - إعراب القرآن[٣] - الإبانة عن معاني القرآن - الرِعاية في تجويد القرآن وتحقيق لفظ التِلاوة - المُوجَز في القراءات - اختصار (★) أحكام[٤] القرآن - التبصرة[٥] في القراءات - كتاب الإمالة[٦] شرح الإدغام الكبير في المخارج - اختصار الإدغام الكبير على ألف، با، تا، ثا - كتاب الحروف المُدغمة (فرش الحروف المُدغمة) - شرح الوقف التام - الوقف على كلاّ وبَلى ونَعَمْ في القرآن[٧] - منع الوقف على «إنْ أرَدْنا إلاّ الحُسنى»[٨] ★ - التذكرة في اختلاف القرّاء - البيان عن وجوه القراءات السَّبْع (ألّفه ٤٢٤ هـ) - الكشوف عن وجوه القراءات وعللها - اتّفاق القُرّاء - التنبيه على

---

(١) العشر عشر آيات من القرآن تامّة المعنى تقرأ عادة في المناسبات.

(٢) الحزب ربع الجزء من القرآن الكريم. والقرآن كلّه ثلاثون جزءاً.

(٣) ورد له: مشكل إعراب القرآن - إعراب مشكلات القرآن - إعراب مشكلات القرآن وذكر علله وسببه ونادره.

(٤) الأحكام هنا تفهم على وجهين: أحكام (قواعد) أداء الألفاظ في التلاوة (وهو أليق بالموضوع) ثمّ الأحكام التي هي القواعد في المعاملات كالبيع والشراء والقصاص. وورد له «اختصار أحكام القرآن».

(٥) كان مكّيّ بن أبي طالب قد ألّف «الموجز في القراءات» أو في القراءة سنة ٣٨٥ هـ، ثمّ جاء بكتاب التبصرة توسيعاً لكتاب الموجز فألّفها من أربع عشرة رواية من القراءات السبع المشهورة، وخصوصاً من قراءة ابن غلبون.

(٦) الإمالة لفظ الألف بين الفتح والكسر.

(٧) لعلّ مكّيّ بن أبي طالب بدأ بهذا الكتاب ثمّ لم يتمّه فإنّ له كتاباً في الوقف على «كلاّ وبلى» فقط. ولعلّ هذا الكتاب يرد في المصادر المختلفة بعناوين مختلفة، فعندنا مثلاً: رسالة في حكم كلاّ وبلى ونعم والوقف عليها والابتداء - شرح كلاّ وبلى ونعم والوقف على كلّ واحدة منهنّ وذكر معانيها وعللها.

(٨) هذه الألفاظ مأخوذة من آية تتعلّق بمسجد الضرار، وذلك أن نفراً من المنافقين بنوا بجانب مسجد قباء (عند مدخل المدينة من الجنوب) مسجداً يريدون به أن يكون لجماعة تنافس أصحاب رسول الله ثمّ ادّعوا (بفتح العين) أنّهم يريدون فقط أن يبنوا مسجداً ثانياً. وقد نزل في شجب عملهم هذا عدد من الآيات منها الآية التالية: (٩ : ١٠٧، سورة التوبة): والذين اتّخذوا مسجداً ضراراً (بكسر الضاد) وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل. وليحلفنّ (بضمّ الفاء) إن أردنا إلاّ الحسنى، والله يشهد إنّهم لكاذبون». فالواضح هنا أن الوقف على كلمة «الحسنى» يبدّل المعنى بأن يجعل بناء هذا المسجد أمراً حسناً.

أصول قراءة نافعٍ[١] وذكرِ الاختلاف عنه - أصول الظاء في القرآن والكلام وذكر مواضعها في القرآن - كتاب الياءات المشدَّدة (المشدودة) في القرآن - منتخب الحجّة في القراءات ★ لأبي علي الفارسي[٢] - شرح الراءات على قراءة ورش وغيره - كتاب وجوه اللَّبس التي لَبّس بها أصحابُ الأنطاكي في مدّ وَرْشٍ[٣] - الرسالة إلى أصحاب الانطاكي في تصحيح المدّ لورش - شرح رواية الأعشى عن أبي بكر بن عاصم[٤] - إصلاح ما أغفله ابن مسرّة في قراءات شاذّة[٥] - الاختلاف بين أبي عمرٍو وحمزةَ[٦] - شرح الفرق لحمزةَ وهشامٍ[٧] - الاختلاف بين قالونَ وأبي عمرٍو[٨] - الاختلاف بين قالون وحمزةَ - الاختلاف بين قالون والكِسائي[٩] - الاختلاف بين قالون وعاصمٍ - الاختلاف بين قالون وابنِ عامرٍ[١٠] - الاختلاف بين قالون وابنِ كثيرٍ[١١] - التِّبيانُ بين قالون ووَرْشٍ - هِجاء المصاحف[١٢] - علل هجاء المصاحف - اختصار الألفات[١٣] - الاختلاف في الرسم

(١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ) أحد القرّاء السبعة.

(٢) أبو عليّ الحسن بن أحمد الفارسي (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ) أحد الأئمّة في النحو.

(٣) الإنطاكي ... (؟). ورش هو عثمان بن سعيد المصري (١١٠ - ١٩٧ هـ) من القرّاء.

(٤) الأعشى هو عبد الحميد بن أبي أويس من القرّاء. في إنباه الرواة: «أبو بكر بن عاصم». المقصود: أبو بكر عاصم بن أبي الجود القارىء الكوفي (ت ١٢٧ هـ).

(٥) ابن مسرّة ... (؟) القراءة الشاذّة التي لا يقرّها القراء السبعة.

(٦) أبو عمرو بن العلاء البصري (٧٠ - ١٥٤ هـ) من أئمّة اللغة والأدب وأحد القرّاء السبعة. وحمزة بن حبيب بن الزيّات الكوفي (٨٠ - ١٥٦ هـ) أحد القرّاء السبعة.

(٧) هشام ... (؟)

(٨) قالون هو أبو موسى عيسى بن ميناء المدني (١٢٠ - ٢٢٠ هـ) أحد القرّاء المشهورين.

(٩) الكسائي هو عليّ بن حمزة الكوفي (ت ١٨٩ هـ) أحد أئمّة اللغة والنحو والقراءة.

(١٠) أبو عمران عبد الله بن عامر الشامي (ت ١١٨ هـ) أحد القرّاء السبعة.

(١١) عبد الله بن كثير المكّيّ (٤٥ - ١٣٠ هـ) أحد القراء السبعة. قالون: عيسى بن ميناء المدني (٢٢٠ هـ) أحد القراء المشهورين ومن علماء النحو.

(١٢) هجاء المصاحف أو التهجئة أو الرسم في المصاحف (نسخ القرآن الكريم) يتبع أحياناً صوراً مخالفة للتهجئة اللفظيّة المعاصرة لنا، نحو بسم (باسم)، الرحمن (الرحمان)، الصلوة (الصلاة)، الغدوة (الغداة) هويه) هواه، ءاتت(آتت)، فاعبدون (فاعبدوني) إلخ.

(١٣) اختصار الألفات من الرسم منعاً لالتقاء أحرف العلّة أو للاستغناء عنها: الرحمن (الرحمان)، الشيطن (الشيطان) إبرهيم (إبراهيم)، إسحق (إسحاق).

من « هؤلاء » والحُجَّة لكلّ فريق[1] - تنزيهُ الملائكة عن الذنوب وفضلُهم على بني آدمَ - بيانُ الصغائر والكبائر (من الذنوب) - الهِداية (في الفِقه) - الردّ على الأئمّة فيما يقع في الصلاة من الخطأ واللَّحن في شهر رَمضانَ وغيره - الترغيب في الصيام - كتاب فرض الحجّ على منِ استطاعَ إليه سبيلاً - بيانُ العمل في الحجّ من أول الإحرام[2] إلى الزيارة لقبر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم - إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحَرَمِ[3] خطأً على مذهب مالك والحُجَّة في ذلك - الترغيب في النوافل[4] - التهجّد[5] في القرآن - المُدخل إلى علم الفرائض (تقسيم الإرث) - كتاب ما أغفله القاضي منذر ★ ووَهم فيه في كتاب « الأحكام »[6] - شرح العارية والعريّة[7] - شرح حاجة وحوائج وأصلها[8] - التذكرة لأصول العربية (النحو) ومعرفة العوامل - الزاهي في اللُّمَع الدالّةِ على مشتملاتِ (مستعملات) الإعراب - الوصول إلى تذكرة الأصول لابن السرّاج في النحو[9] - مسائل الإخبار بالذي وبالألف واللام! - كتاب دخول حروف الجرّ بعضها على بعض[10] - الانتصاف في الردّ على أبي بكرِ الأدفويّ فيما زَعَمَ من تغليطه في كتاب

---

(١) هؤلاء. هاؤلاء، هوأولاء...

(٢) الإحرام: نية الدخول في أعمال الحجّ. وقد يكون الإحرام قبل ساعات من الوقوف بعرفة (تاسع ذي الحجّة) أو قبل أيام أو أشهر.

(٣) الحرم: منطقة مكّة. وتحريم الصيد يكون في أثناء موسم الحجّ للحاجّ أو للمعتمر (الحاجّ في غير أوائل ذي الحجّة).

(٤) النوافل: العبادات غير المفروضة والتي يتطوّع المسلم بأدائها.

(٥) العبادة في الليل. التهجّد بالقرآن (قراءته ليلاً). قال تعالى: ﴿ومن الليل فتهجّد به نافلة لك، عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً﴾ (١٧: ٧٩، سورة الإسراء).

(٦) القاضي منذر بن سعيد البلّوطي الأندلسيّ (٢٧٣ - ٣٥٥ هـ) له كتاب « الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله » (والأحكام هنا: قواعد المعاملات والقصاص إلخ).

(٧) العارية (بإهمال الياء أو بتشديدها، جذرها عور): ما تعطيه لغيرك على سبيل الإعارة. والعريّة من عري: الريح الباردة.

(٨) الحاجة مفردة هي الحائجة: ما يفتقر (يحتاج) إليه الإنسان. ولكن « حاجة » تجمع على حاجات، أمّا « حائجة » فتجمع على حوائج.

(٩) أبو بكر محمّد بن السريّ بن السرّاج البغدادي (ت ٣١٦ هـ) من أئمّة النحو والأدب.

(١٠) كقولنا مثلاً: « طار العصفور من على الغصن »، فإنّ على هنا تقوم مقام اسم أو تستعمل اسماً.

الإمالة[1] - المواعظ المنبّهة - المبالغة في الذِّكْر - تحميدُ القرآن وتهليلُه وتسبيحه[2] - منتقى الجواهر في الدُّعاء - دعاء خاتمةِ القرآن - الرياضُ (مجموع!) - المسترضى شرح خطب ابن نباتة[3] - منتخب كتاب الإخوان لابن وكيعٍ[4] - اختلاف العلماء في النفس والروح - المُنتقى من الأخبار - إسلام الصحابةِ - معاني السنين القحطية والأيام - الاختلاف في الذبيح من هو[5].

وهنالك بضعةَ عَشَرَ كتاباً يقتصر كلُّ كتابٍ منها على آيةٍ واحدةٍ من آياتِ القرآنِ الكريم، نحو «شرحُ قولِه تعالى» ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاّ لِيَعْبُدونِ﴾[6]. لم أُورِدْها هنا.

٣ - مختارات من شعره

- قال مكّيُّ بنُ حموشٍ في إنكار البدع والخُرافات وفي الحَمْلة على الصوفية وفي التمسّك بسُنّة الرسول:

قُلْ لِمَنْ يبغي المِرا والجَدَلا ... في البراهين وذِكرَ البُدَلا[7]
وحكاياتِ الأحاديثِ التي ... تُورِثُ العَجْز وتُبدي الكسلا:
وَيْكَ، دعْ عنكَ الخُرافاتِ ولا ... تُكْثِرِ المَزْح، أخي، والهَزَلا[8].
أين من يمشي على الماءِ ولَمْ ... تَخْشَ منه قَدَماهُ البَلَلا؟

---

(١) أبو بكر محمّد بن عليّ الأدفوي المصري (٣٠٤ - ٣٨٨ هـ) من علماء التفسير والنحو.
(٢) التحميد (الحمد لله) والتهليل (لا إله إلاّ الله) والتسبيح (سبحان الله)...
(٣) أبو يحيى عبد الرحيم بن محمّد بن نباتة (٣٣٥ - ٣٧٤ هـ) الحلبي، كان بارعاً في الخطب المنبرية (الدينية) وفي الحثّ على الجهاد.
(٤) ابن وكيع وكتاب الإخوان... (؟)
(٥) أهو إسحاق بن إبراهيم أم إسماعيل بن إبراهيم؟
(٦) ٥١ : ٥٦، سورة الذاريات.
(٧) المراء: الجدال والمخالفة في الرأي. البدل (بفتح وفتح وتجمع على أبدال) ثمّ البديل (وتجمع على بدلاء): أحد كبار الصوفية يزعمون له تأثيراً في العالم الطبيعي. - ...للذي ينكر البراهين المعقولة ثمّ يستشهد بأقوال أهل التصوّف غير المعقولة.
(٨) وي: كلمة للزجر والتهديد. ويك: ويل لك! الهزل بفتح ففتح: المزج (مزج الحق بالباطل).

او يَلـتُّ المـاءَ بالرمـلِ، فـإنْ شاء زُبْداً ردّه أو عَسَلا؟[١]
أو يكـونُ الطيرُ في جوِّ السما، فإذا أوْما إليه نزلا؟[٢]
أو يَحـجّ البيتَ في يومٍ؟ لقد كَذَبَ الناقلُ في ما نقلا![٣]
هذه الأخبارُ لا أصلَ لـهـا، لا ولا فرعَ لها مُتّصلا.
ألّفَتْهـا عُصبـةٌ صُوفيّـةٌ تشتهي الأكلَ وتأبى العملا.
مَـنْ عَدا القُرآنَ والعِلْمَ فقـد خالفَ اللهَ وخانَ الرُسُلا[٤].
أنـزلَ الله كتـابـاً واضحـاً، حَسْبُنا، لا نَبْغ عنه بَدَلا[٥]
ثـمّ مِنْهـاجَ النـبيّ المُصطفـى فَبِهِ اللهُ هَدانا السُّبُلا[٦].
فـالْـزَمـوا السُّنّـةَ لا تَبْتَـدِعـوا واحْذروا الزَّيْغَ وخافواالزَلَلا![٧]

٤ - ★★ جذوة المقتبس ٣٢٩ (الدار المصرية) ٣٥١ (رقم ٨٢٠)؛ بغية الملتمس ٤٥٥ (رقم ١٣٦٧)؛ الصلة ٥٩٧؛ معجم الأدباء ١٩: ١٦٧ - ١٧١؛ وفيات الأعيان ٥: ٢٧٤ - ٢٧٧؛ إنباه الرواة ٣: ٣١٣ - ٣١٩؛ ابن قنفذ ٢٤٢؛ الديباج المذهب ٣٤٦؛ البلغة ٢٦٣؛ بغية الوعاة ٣٩٦ - ٣٩٧؛ شذرات الذهب ٣: ٢٦٠ - ٢٦١؛ بروكلمن ١: ٥١٥، الملحق ١: ٧١٨؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢١٤ (٧: ٢٨٦).

ابن الحَنّاطِ الأعمى

١ - هُوَ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ سُليمانَ بنِ الحَنّاطِ الرُعَيْنيُّ الأعْمى القُرْطُبِيُّ، كانَ

(١) لتّ: خلط. الزبد: ما يستخرج من اللبن (السمن والزبدة).
(٢) أوما = أومأ: أشار.
(٣) يروي الصوفية مثلاً أن عمر بن الفارض كان يصلّي الظهر في مكّة ثمّ يصلّي العصر (في اليوم نفسه) في المدينة.
(٤) عدا: تجاوز - من أهمل ما جاء في القرآن أو ما يقول به العلم...
(٥) الكتاب: القرآن. حسبنا: يكفينا. لا نبغ (مكان لا نبغي)، وردت كذلك في القرآن (١٨: ٦٤، سورة الكهف): «قال: ذلك ما كنّا نبغ».
(٦) منهاج النبيّ: طريقته ومسلكه.
(٧) السنة = سنّة رسول الله (طريقته). الزيغ: الميل والانحراف. الزلل: العثار، السقوط.

أبوهُ يَبيعُ الحِنْطةَ. وُلدَ أعْشَى[1] ثمّ عَمِيَ من كَثْرةِ المُطالعة. وقد كَفاه بنو ذَكْوانَ - وهُمْ أبناءُ أُسْرةٍ وجيهةٍ غنيّة في قرطبة - مؤونَةَ السَعْيِ في سبيل الرزق وجعلوه يَتَفرّغُ لطلب العِلْم.

وكان ابنُ الحنّاطِ يتكَسّب بإقراءِ النَحْوِ وبشيءٍ من التطبيب وبَمدْحِ الملوك والأمراء. وقد مدح عليَّ بنَ حمّودٍ المستبدَّ بأمرِ قرطبة (٤٠٧ - ٤٠٨ هـ) ثمّ مدح أخاه القاسمَ بن حمّود (٤٠٨ هـ وما بعدها). وكان في ابنِ الحنّاطِ شيءٌ من الجُرأةِ على الناس وعلى الحقّ فناوأَ أبا عامرِ بنَ شُهيدٍ (٣٨٢ - ٤٢٦ هـ) مناوأةً شديدةً واستهتر في القول والفعل حتّى نُفِيَ عن قرطبة فانتقل إلى الجزيرة الخضراء، وكان صاحبَها وحاكمَها محمّدُ بنُ القاسم بن حمّود (٤٢٨ - ٤٤٠ هـ). ولعلّ نَفْيَه هذا كان في أواخر أيامِه. ومِنَ الجزيرةِ الخضراءِ أرسل ابنُ الحنّاط مِدْحَةً إلى المظفّر بن الأفطس صاحب بَطَلْيَوْسَ.

وقد قالَ ابنُ حيّان في «المَتين» (المغرب ١: ١٢٣): «وفي سَنَةِ ٤٣٧ نُعِيَ إلَيْنا أبو عبدِ اللهِ بنُ الحَنّاطِ الشاعرُ الأديبُ القُرطبيُّ...» وبما أن المظفّر قد جاء إلى الحكم بعد ١٧ من جُمادى الثانية من سنة ٤٣٧، فمن المفروض أن تكون وفاة ابن الحنّاط في أواخر ٤٣٧ هـ (أواسط عام ١٠٤٦ م) أو بعد ذلك بقليل.

٢ - كان ابنُ الحنّاطِ الأعمى متقدّماً في علوم اللغة العربية وفي البلاغة وفنونِ الأدب مَعَ معرفةٍ بالمنطق وشيءٍ من البراعة في التطبيب. وكذلك كان أديباً ناثراً شاعراً. وشعره يتراوح بين الرِقّة والسلاسة ثم بين المتانة والجزالة، وعليه نفحةٌ دينية. وكذلك كان هواه مَعَ الفواطم (أبناء فاطمة) من بني هاشم (اعتقاداً أو تكسّباً). وفنونه المديح والفخر (بنفسه وبشعره) والوصف والطَرْدُ (وصف الصيد) في البر والبحر.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابنُ الحنّاط الأعمى قصيدةً يَصِفُ الطبيعةَ في مَطْلعها ثمّ يَتَخَلّصُ إلى مدح

---

[1] أعشى: ضعيف البصر (لا يبصر في الليل).

عليٍّ بنِ حمّودٍ العلويِّ (الفاطمي):

راحَتْ تُذَكِّر بالنَسيمِ الراحا وَطْفاءُ تَكْسِرُ للجُنوح جَناحا[١].
مرّتْ على التَلَعاتِ فاكْتَسَتِ الرُّبى حُلَلاً أقام لها الربيعُ وِشاحا[٢].
فانْظُرْ إلى الرَّوْضِ الأريضِ وقد غدا يُبْكي الغَوادي ضاحكاً مُرْتاحا[٣]،
والنَّور يَبْسُطُ نَحْوَ دِيَمتِها يَداً أهْدى لَها ساقي النَّدى أقْداحا[٤].
وتَخالُهُ حَيّا الحَيا من عَرْفِهِ بذَكِيَّةٍ فإذا سَقاهُ فاحا[٥].
رَوْضٌ يُحاكي الفاطِمِيَّ شَمائِلاً طِيباً، ومُزْنٌ قد حَكاه سَماحا[٦]!

– وله من قصيدة في القاسم بن حَمّود يذكر فيها مقتلَ الخليفةِ عبدِ الرحمنِ المُرتضى (٤٠٨ هـ)، وقدِ استبدَ القاسمُ بنُ حمّودٍ في أيامه بالحُكْم، كما يَذْكر فيها مَوْتَ خَيْرانَ الصَقْلَبيِّ العامري (٤١٨ هـ). وكان خيرانُ من أنصارِ القاسمِ بن حمّود ثمّ انقلبَ عليه:

لَكَ الخيرُ: خَيرانٌ مَضى لسبيلِهِ؛ وأصبحَ مُلْكُ اللهِ في ابنِ رَسولِهِ[٧]،
وفُرِّقَ جَمْعُ الكُفْرِ، واجْتَمَعَ الوَرى على ابنِ حبيبِ الله بعدِ خَليلِه[٨].

---

(١) للجنوح (كذا في الذخيرة ١ : ٤٤٥)، والأصوب: الجنوب (بفتح الجيم): الريح الجنوبية. راجع شرح البيت، فوق ص ٤٦٥.

(٢) التلعة: أرض مرتفعة يسيل منها الماء إلى أرض أخرى تحتها.

(٣) الأريض: الكريم (بالنبات). الغادية: السحابة المملوءة بالمطر والقادمة في الصباح. المرتاح: المسرور. الروض يبكي (بضمّ الياء) الغوادي (يجعلها تبكي: تمطر)، وهو ضاحك (بالأزهار التي تتفتّح فيه).

(٤) النور (بالفتح): الزهر الأبيض. الديمة: الغمامة الممطرة. القدح (هنا): جسم الزهرة. الندى: قطرات الماء التي تنزل في أواخر الليل. الأزهار ترتفع نحو الغيم فيسقط فيها الماء (من المطر ومن الندى) فتمتلىء (رطوبة تنعشها).

(٥) حيّا يُحَيّي: ألقى التحية (السلام). الحيا: المطر. ذكيّة (رائحة ذكيّة: طيّبة). العرف: الرائحة الطيّبة. فاح: انتشر (انتشرت الرائحة). الصورة هنا بعيدة المتناول: النور (بالفتح: الأزهار البيضاء، وهنا الزهر عامّة) يشكر المطر بمنح المطر شيئاً من الرائحة الذكيّة. وكلّما زاد المطر سقيا للزهر زاد الزهر في شكر المطر ووهبه قدراً أكبر من الرائحة الطيّبة (وكلّما كثر المطر نشعر نحن بكثرة الرائحة الطيّبة).

(٦) حكى، حاكى: شابه. الشمائل جمع شمال (بكسر الشين: الخلق الكريم). المزن: المطر. السماح: التسامح والتساهل. والشاعر يقصد السماحة: الجود والكرم (ويجوز أن تكون كلمة «سماح» (هنا) جمع جنس للسماحة.

(٧) مضى لسبيله: مات.

(٨) خليله (خليل الله) ابراهيم.

وقامَ لِواءُ النصرِ فوقَ مُمَنَّعٍ من العِزّ جبريلٌ إمامُ رَعيلِه[١].
وأشْرَقَتِ الدنيا بنورِ خَليفةٍ به لاح بدرُ الحق بعد أُفوله[٢].
فلا تَسْألِ الأيّامَ عمّا أتَتْ بِه؛ فما زالتِ الأيّامُ تأتي بُسوله[٣]!

– ومن رسالة لابن الحنّاط كتب بها إلى المظفّر بن الأفطس:

حجَبَ اللهُ عنِ الحاجب المُظَفَّر – مولايَ وسيّدي – أعْيُنَ النائبات وقَبَضَ دونه أيْدِيَ الحادثات، فإنّه – مُذْ كانَ – أنورُ من الشمس ضِياءً وأكملُ من البدر بَهاء، وأنْدى من الغيث كفًّا وأحمى من الليث أنْفاً[٤]، وأسخى من البحر بنَاناً وأمضى من النَصْل لِساناً[٥]. وأنْجَبَه المنصورُ فجرى على سَنَنِه، وأدّبه فأخذ بسُنَنِه[٦]. وكانتِ الرئاسة عليه موقوفةً والسياسة إليه مصروفة[٧]. قَصّرتِ الأوهامُ عن كُنْهِ[٨] فضله وعَجَزَتِ الأقلام عن وصفه. غيرَ أن الفضائل لا بُدّ من نَشْرِها والمكارمَ لا عُذْرَ في ترك شكرها:

فالشكر للإنسان أربحُ متجرٍ لم يَعْدَمِ الخُسرانَ من لم يشكُرِ.[٩]

– وله رسالة يتهكّم فيها بأبي عامرِ بنِ شُهيدٍ[١٠] جاء فيها:

الإسْهابُ كُلْفة[١١] والإيجاز حِكمة، وخواطرُ الألباب سِهامٌ يُصاب بها أغراضُ

---

(١) الرعيل: الجماعة القليلة من الناس (أو من الخيل) تتقدّم غيرها (في الزمن أو في المكانة).
(٢) الأفول: الغياب، الغروب.
(٣) السول = السؤل = السؤال: الطلب.
(٤) أحمى (أكثر حماية) من أنف الليث (الأسد): كناية عن خوف الناس من الاعتداء عليه.
(٥) بنانا (أصابع): كناية عن الكرم. النصل: (حدّ السيف) لساناً: كناية عن براعته في الكلام وعن نفوذ أوامره.
(٦) عبد الله المنصور (ت ٤٣٧) والد أبي بكر محمّد المظفّر (تولّى من سنة ٤٣٧ إلى سنة ٤٦٠). أنجبه: ولده. السنن (بفتح ففتح): المثال والمنهاج. السنن (بضمّ ففتح جمع سنّة بالضم): الطريقة، السيرة، العادة.
(٧) كأنّها لا يصلح غيره للرئاسة (الإمارة، الملك) وكأنما السياسة (تدبير الأمور) قد قصد هو بها.
(٨) كنه: سرّ.
(٩) الذي لا يعرف أن يشكر (الناس على معروفهم اليه) سيكون خاسراً.
(١٠) راجع، فوق، ص ٤٥٤.
(١١) الإسهاب: التطويل في الكلام. الكلفة: المشقّة.

الكلام[١]. وأخونا أبو عامرٍ يُسْهِبُ نثراً ويطوِّل نظْماً، شامخاً بأنفهِ ثانياً من عِطفه[٢] مُتخيِّلاً أنّه قد أحرز السِباقَ في الآداب وأُوتيَ فصلَ الخِطاب[٣]. فَهُوَ يستَقْصِر أساتيذَ الأدباء ويستَجْهل شيوخَ العلماء....

- ولابن الحنّاط في ذكر بني فاطمةَ الزهراء:

أبنــاءُ فاطمــةٍ رُسْلُ العــلا رَضِعوا ... وبالسَماح غُـذُوا والجـود إذ فُطِموا.
قــوم إذا حلـفَ الأقــوامُ أنّهمــو ... خيرُ البريّة لم يحنَثْ لَهُمْ قسَمُ،
سما لهـم من سماء المجـد مِن شرفٍ ... بيتٌ تداعَت إليه العُرْب والعجم:
مناقبٌ سمحــت فــي كـل مكرُمــةٍ ... كأنما هي في أنف العلا شمَمُ.

- ولابن الحنّاط الكفيف قصيدة منها:

أرِقْتُ وقـد غَنَّى الحَمـامُ الهواتـفُ ... بمُنْعَرَج الأجزاع والليــلُ عاكفُ[٤].
أعَدْنَ لِيَ الشوقَ القديم، وطاف بي ... على النأي من ذِكرى المليحة طائـــف[٥].
ومـا الجانبُ الشرقيّ من رمْلِ عالجٍ، ... بحيث استوتْ غِيطانه والنَفانف[٦]،
إذا مـا تغنّى الرعدُ فـوق هِضابه ... - سقى الروضَ من وبْل الغَمامة واكف[٧]
بأحسنَ مــن أطــلالِ عَلْوةَ منظـراً ... وإنْ دَرَسَــتْ آياتُــه والمعــارف[٨].
خليليَّ، هل بالخَيْفِ للشمل إلفةٌ ... فيأمنَ قلبٌ من نَوى الخيف خائف[٩]؟
أفــي وقفـةٍ عنـد العقيــق مَلامــةٌ ... عـلى دَنِف شاقَتْه تلك المواقـف[١٠]؟

---

(١) الغرض: الهدف. اغراض الكلام: مقاصده.

(٢) و٣) شامخاً (رافعاً) بأنفه (كناية عن التكبّر). ثانياً (دائراً) من عطفه (طرف جسمه الأعلى) كناية عن الإعجاب بنفسه. فصل الخطاب: ما كان القول فيه حكماً باتّاً قاطعاً لا يحتمل الجدل.

(٤) الهاتف: المنادي بصوت مرتفع. الليل عاكف: نازل (شديد الظلام).

(٥) النأي: البعد. الطائف: خيال يتراءى للإنسان (في النوم أو في اليقظة: بفتح ففتح).

(٦) الغَيط: الأرض المطمئنّة (المنخفضة، وتكون خصبة). النفنف: الصحراء.

(٧) الوبل: المطر الكثير. الواكف: المطر المنهلّ (الشديد).

(٨) آيات: علامات. معارف: أماكن ظاهرة يعرفها الناس.

(٩) الخيف: مكان في الحجاز يكثر الشعراء من ذكره.

(١٠) العقيق: مرج قرب المدينة. الدنف: الذي قرب من الهلاك.

سقى عَرَصاتِ الدار كلُّ مُلِثّةٍ من المُزْنِ تُزجيها البروقُ الخواطف[1].
كأنّ نثيرَ القَطْر منها جواهرٌ تُفرقّها للريح أيْدٍ عواصف[2].
كأنّ ابتسام البرق فيها إذا بدتْ سيوفُ عليٍّ بالدماء رَواعف[3].

– يبدو أن ابنَ الحنّاطِ لمّا أرسل مِدْحَتَهُ إلى المُظَفَّرِ بنِ الأفطسِ أرسلَ المظفّرُ إليه جائزةً سَنِيّةً، فكتب ابنُ الحنّاط إلى ابنِ الأفطس:

كَتَبْتُ على البُعْدِ مُستَجْدِياً لِعِلْمِي بأنّكَ لا تَبْخَلُ.
فجاء الرسولُ كما أشتهي وقد ساق فوقَ الذي آمُلُ.
وما كانَ وَجْهُكَ ذاك الجَميلُ لِيَفْعَلَ غيرَ الذي يَجْمُلُ!

٤ – ★ ★ جذوة المقتبس ٥٣ (الدار المصرية) ٥٧ – ٥٨ (رقم ٦٠)؛ بغية الملتمس ٦٧ (رقم ١٢٤)؛ الخريدة (الأندلس)؟ ٢: ٢٢٤ – ٢٤١؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٢٩٧ – ٣٠٨؛ الذخيرة ١: ٤٣٧ – ٤٦٨؛ المحمدون ٣٣٦ (؟)، ٣٥٩؛ الوافي بالوفيات ٣: ١٢٤؛ المغرب ١: ١٢١ – ١٢٤؛ نفح الطيب ١: ٤٨٣، ٥٠٣، ٣: ٢٦٣، ٢٨٨ – ٢٨٩، ٦١٠ – ٦١١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠ (٦: ١٤٩).

أبو المغيرة بن حزم

١ – هو أبو المُغيرةِ عبدُ الوهّاب بنُ أحمدَ بن عبدِ الرحمن (نفح الطيب ٣: ١٥٦) ابن محمّدِ بنِ حزمٍ. وهو ابنُ عمِّ الفقيهِ ابنِ حزمٍ الظاهريّ (ت ٤٥٦ هـ).

وُلِدَ أبو المُغيرةِ بنُ حزمٍ في قرطبةَ. ومن الذين سَمِعَ منهم أبو القاسم الوَهْراني. ويبدو أن أبا المغيرة قد عاش عِيشةَ لهوٍ مندفعاً في الحبّ، بِرُغْمِ اتّصاله برِجالاتِ الأندلس وأصحابِ الدولة فيها. فلقدْ نشأت بينَه وبين جاريةٍ للمنصور بن أبي عامرٍ اسْمُها أُنْسُ القلوبِ ناشئةُ هوًى انكشفتْ للمنصورِ فغَضِبَ في أولِ الأمرِ ثمّ اسْتُرْضِيَ فرَضِيَ ووَهَبَ أُنسَ القلوبِ لأبي المُغيرة.

---

(١) العرصة: الباحة أمام الدار. الملثّ: الدائم. المزن: المطر. تزجيها: ترسلها. البرق الخاطف (الشديد اللمعان) الذي يخطف (بفتح الطاء) البصر.

(٢) جواهر: لآلىء.

(٣) عليّ بن حمود المتوفى ٤٠٨ هـ (؟؟). رعف: سال.

وَولِيَ أبو المغيرة بن حزم الوِزارة لعبدِ الرحمنِ المستظهرِ بن هشامٍ (٤١٤ هـ) ثمّ بَدَرَ منه ما أوْجَبَ العَتْبَ عليهِ فهَرَبَ إلى بلادِ الثَّغْر (شَمالِيّ الأندلس). وتطوّفَ أبو المغيرة حيناً بملوكِ الطوائفِ ونالَ عند نَفَرٍ منهم حُظْوَةً كبيرة. وكانتْ وفاتُه في مُسْتَهَلِّ صَفَرَ من سنة ٤٣٨ (١٠٤٦/٧/٧ م) في عَسْكَرِ يحيى المأمونِ بن ذي النون (٤٢٩- ٤٦٧ هـ) بطُلَيطلةَ، غيرَ متقدمٍ في السنّ.

٢ - كان أبو المغيرةِ بن حزمٍ من المقدّمين في الآداب والشِّعر والبلاغة، وكان شاعراً فَحْلاً وُجْدانيّاً مُكْثِراً. وكذلك كان ناثراً مترسّلاً رصينَ المعاني متينَ السَّبْكِ يتكلّف أحياناً، وكان مُصَنِّفاً؛ غيرَ أنّ شُهْرة ابن عمّهِ قد غَطّتْ عليه فَخَمَلَ ذكْرُهُ.

٣ - مختارات من آثاره

قال أبو المغيرة بنُ حزمٍ يمدح يحيى المظفَّرَ بنِ المنذر التُجيبيَّ (٤١٤ - ٤٢٠ هـ) أوِ المنذرَ الثانيَ بن يَحْيى (٤٢٠ - ٤٣١ هـ)، وقد بَدأ بغَزَلٍ وختم بالفخرِ بنفسه وبشعره:

بِتْنا - وباتَ المِسْكُ فينا واشِياً ... بِمَكانِنا، والحَلْيُ عنّا مُخْبِرا[١].
ورَنَتْ بألحاظٍ تُديرُ كؤوسَها ... فينا فنَشْرَبُها حَلالا مُسْكِرا[٢]،
واللَّيْلُ يُلْحِفُني سَرابيلَ الدُّجى ... جَهْلاً وقد عانَقْتُ صُبْحاً مُسْفِرا[٣].
لو جِئْتَنا لَرَأيْتَ أعْجَبَ مَنْظَرٍ: ... أسدٌ تَوَسّدَ كَفَّ ظَبْيٍ أعْفَرا![٤]
إلاّ تَرى المَنْصورَ تَحتَ لِوائِهِ ... تَلْقَ ابْنَه طَلْقَ الجَبينِ مُظفّرا[٥].
لا غَرْوَ، جِئْتُ البحرَ إذ أجلى الحَيا؛ ... ورأيتُ يَحْيى حين لم أرَ مُنْذِرا[٦].

(١) رائحة المسك كانت تضوع (تنتشر) منا والحلى التي تتحلّى بها المحبوبة كانت ترنّ فيشي ذلك كلّه بنا (يدلّ على مكاننا).

(٢) رنا: أدام النظر بطرف ساكن هادىء (مستغرقاً)... كأنّنا نشرب من ألحاظها خمراً (ولكنّها خمر محلّلة مع أنّها تسكر كالخمر المحرّمة).

(٣) يلحفني: يغطّيني. سرابيل (أردية، أثواب) الدجى (الظلام). جهلاً - الليل يحاول أن يسترني عن العيون، وكيف يستطيع ذلك ومعي فتاة جميلة تضيء الظلام مثل الصبح المسفر (الطالع).

(٤) أسد: رجل (بطل). توسّد (نام على) كف ظبي أعفر (غزال أسمر): فتاة جميلة.

(٥ و ٦) الحيا: المطر. أجلى الحيا... - لا يمكن تفسير هذين البيتين إلاّ إذا فصلنا في هذه المدحة: أهي في يحيى المظفّر أو في ابنه المنذر الثاني.

فإذا دَعَوْنا: من يُجيبُ لِنَكْبَةٍ؟ لَبّتْ تُجيبُ، فخِلْتَها سَيْلاً جرى[1].
شِيَمٌ غَدَتْ قُرْطَ الزّمان، فلم أنَمْ حتّى نَظَمْتُ عليه شِعْرِيَ جَوْهر[2].
للهِ دَرُّكَ والرِّماحُ شَوارِعٌ والبِيضُ تَقْطع لأمَةً وسَنَوَّرا[3].
فإذا أتَيْتُكَ مادحاً لَكَ لم يَجِئْ شِعري لِيَسْألَ، بل أتاكَ لِيَفْخُرا[4].
غَيْري الذي اتّخذَ المدائحَ مَكْسَبا، وسِواي مَنْ جعل القوافي مَتْجَرا.
أنا ما شَعَرْتُ لأنْ أُنبِّهَ خامِلاً، لكن لأمنَعَ شاعراً أن يَشْعُرا[5].

- عقد المنصور بن أبي عامر مجلس شراب، فلما دارت الكؤوس غنت جارية له اسمها أُنس القلوب.

قَدِمَ الليلُ عندَ سَيْرِ النهار، وبدا البدرُ مثلَ نصف سوار.
فكأن النهارَ صفحةُ خدٍّ، وكأَنَّ الظلام خَطّ عذار.
وكأَنَّ الكؤوسَ جامدُ ماءٍ وكأَنَّ المُدامَ ذائبُ نار.
نَظَري قد جَنى عليَّ ذُنوباً؛ كيف مِمّا جَنَتْه عَيْني اعتذاري؟
يا لَقَوْمي، تَعجَّبوا من غَزالٍ جائرٍ حيّ مهجتي وهو جاري.
ليتَ لو كان لي إليه سبيلٌ فأُقضّي من حُبّه أوطاري.

- وكان أبو المغيرة بن حزمٍ حاضراً فارتجل الأبياتَ التالية:

كيفَ، كيفَ الوصولُ للأقمارِ بين سُمْر القَنا وبِيض الشِّفارِ؟
لو عَلِمنا بأَنَّ حُبَّك حقٌّ لَطَلبنا الحياةَ منك بثار.
وإذا ما الكِرامُ همّوا بشيء خاطروا بالنُفوس في الأَخطار.

---

(١) تجيب: قبيلة الممدوح.

(٢) شيم: خصال، مكارم. قرط الزمان: مشهورة (كأنّها أقراط معلّقة بأذن الزمن). نظمت عليه شعري جوهراً: حلّيت ذلك القرط بشعري.

(٣) شوارع: مشرعة (مسدّدة نحو العدوّ). البيض: السيوف. اللأمة: الدرع (من حديد). السنّور: شبيه الدرع (من جلد).

(٤) ... ليسأل (عطاء) بل ليفتخر (بأنّه مدح رجلاً عظيماً!).

(٥) لأن أنبّه خاملاً: أجعل رجلاً غير مشهور مشهوراً. لأمنع شاعراً أن يشعرا: لأمدحك بقصيدة بارعة لا يجسر بعدها شاعر آخر أن يقدم على مدحك (لعجزه عن أن ينظم مثلها).

غَضِبَ المنصور وأراد أن يقتلَ الجاريةَ، فبكتِ الجاريةُ واعتذرت بأن هذا الحُبَّ كان بقضاء اللهِ ولم تَمْلكْ هيَ له دفعاً. حينئذٍ قال أبو المغيرة على لِسانها:

أذْنبــــتُ ذنبــــاً عظيــــماً فكيـــف منـــه ٱعتـــذاري؟
واللهُ قـــــدَّر هـــذا ولـــم يكُـــنْ بٱختيـــاري.
والعَفْـــوُ أَحســـنُ شـــيءٍ يـــكونُ عنـــدَ ٱقتـــدار.

– وله من رسالة يصف فيها الروض في الربيع:

... والأرضُ قد نَشَرتْ مِلاءها وسَحَبَتْ رِداءها ولَبِسَتْ جِلْبابها وتَقَلَّدتْ سِخابها(١). وبَرَزَ الوردُ من كِمامهِ واهتزّ الرَّوْضُ لتغريدِ حَمامهِ؛ والأشجارُ قد نشرتْ شُعورها وهزّت رؤوسها، والدُّنيا قد أبدتْ بِشْرَها وأماطتْ عُبوسها(٢). وكأنّي بها قد أَطْلَعَتْ من كلّ ثَمَرٍ ضُروباً وأبْدتْ من سَناها منظراً عجيباً، وإنْ كُنّا لا نُشاركُ في تلك إلاّ بالعِيانِ لا باللِسان، وبالطَّرْفِ لا بالكَفّ، ونَنالُها بالاخْتلاسِ لا بالأضْراس. وللدَّهْرِ قِسْمٌ من أقسام اللَّذة وصِنْف من أصناف الشَّهْوة... وحالي حالٌ لِلسَّقامِ بها اتّصالٌ وللصِحّة عنها انْفصالٌ، يُعينُ على ذلك ضَعْفُ البُنْيَةِ وفَسادُ الأهْويةِ والتَّخْليطُ في الأغْذيَة...

٤ – ★★ جذوة المقتبس ٢٧٣ (الدار المصرية) ٢٩١ – ٢٩٢ (رقم ٦٥٨)؛ بغية الملتمس ٣٨٠ – ٣٨١ (رقم ١١١٠)؛ الصلة ٣٦١ – ٣٦٢؛ المطمح ٣١ – ٣٤؛ الذخيرة ١: ١٣٢ – ١٦٦؛ فوات الوفيات ٢: ٣٣٩؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٩٤؛ المغرب ١: ٣٥٧؛ نفح الطيب ١: ٦١٦ – ٦١٨، ٦٢٠ – ٦٢١، ٢: ٧٩ – ٨١، ٣: ٤٣٥، ٤٧١، ٤٧٢، ٥٥٣ – ٥٥٤، ٧: ٤٥ – ٤٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٩٠، النثر الفني ٢: ٢١٨ – ٢٢٥؛ نيكل ٥٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٣٠ (١٧٩).

---

(١) الأرض نشرت ملاءها: غطت الأرض بملاءة (رداء) خضراء؛ سحبت رداءها (جعلت في ذلك الملاء الأخضر بقاعا من الورد الملّون)؛ لبست جلبابها: عمّ النبات والزهر جميع أقطارها؛ تقلّدت (لبست قلادة في عنقها) سخابها (السخاب عقد من قرنفل زكيّ الرائحة، فاحت رائحة أزهارها).

(٢) الكمام: الورق الأخضر الذي يغلّف الأزهار قبل أن تتفتّح. اهتزّ: تحرك طرباً. الأشجار نشرت شعورها: تمّ خروج ورقها. هزّت رؤوسها: أصبحت أغصانها تتحرّك في النسيم لأنّ عليها ورقاً. البشر (بكسر الباء): السرور. أماط: أزاح، نحّى، أزال.

الأسعد بن بلّيطة

١ - هو أبو القاسم الأسعدُ بنُ إبراهيمَ بنِ بلِّيطةَ[١] القُرطبيُّ. وُلِدَ في قُرطبة. تَردّدَ بينَ بلاطاتِ ملوكِ الطوائفِ يتكسّبُ بالشعر، كما كان فارساً أيضاً يتكسّب بالخِدمة في ديوان الجُند، فقد قالَ فيه ابنُ بسّامٍ في «الذخيرة»: فارسُ جَحْفَلٍ وشاعرُ مَحْفِل فَجَرى في المَيْدانَيْنِ وارْتَزَقَ في الديوانَيْن. وتطوّفَ أيضاً في بُلدانِ المغربِ. ولكنه معدودٌ في شعراءِ المعتصم بن صُمادحٍ. وقد كان حيّاً[٢] قبلَ سَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ - ١٠٤٩ م).

٢ - كان الأسعدُ بنُ بلِّيطةَ ناثراً وشاعراً مُجيداً، وشِعره سَهْلٌ عَذْبٌ وأبرزُ فنونهِ الوصفُ والغَزَلُ. وله القصيدة الطائية البارعَة (وهي تسعون بيتاً) في مدح المعتصم بن صمادحٍ.

٣ - مختارات من شعره

- قال الأسعدُ بنُ بلّيطةَ يمدَحُ المُعتصمَ بن صُمادحٍ:

بـرامةَ ريـمٌ زارنـي بعدَما شَـطّـا ... تَقَنَّصْتُه في الحُلْمِ في الشَّطِّ فاشْتَطّا[٣]

رعـى مِنْ أفانـينِ الهوى ثَمَرَ الحَشا ... جَنيّاً، ولم يَرْعَ العُهودَ ولا الشَّرْطا[٤]

---

(١) من الإسبانية القديمة: بلّيدو (بإمالة الباء وكسر اللام المشدّدة): الجميل (نيكل ١٩٦). وقال ابن خلّكان (٥: ٤٥): لا أعرف معناه، وهو بلغة أعاجم الأندلس (نصارى الأندلس الذين لا يتكلّمون العربية). ونقل حسين مؤنس (الحلّة السيراء ٢: ٨٣) عن دوزي أن «بليطة» من الكلمة الإسبانية «بلّيتا» (بكسر الباء وتشديد اللام وإمالة الياء والألف). بمعنى البطاقة (قطعة من الورق بنحو قدر الكفّ). ويبدو أنّ تعليل نيكل أصحّ.

(٢) جذوة المقتبس ١٦٦؛ وفي بغية الملتمس (ص ٢٢٩): توفّي في حدود ٤٤٠. وعن بغية الملتمس أخذ شوقي ضيف (المغرب ٢: ١٧، في الحاشية). ولكن إذا كان الأسعد بن بلّيطة قد مدح المعتصم بن صمادح صاحب المريّة (٤٤٤ - ٤٨٠ هـ) بهذه القصيدة وبغيرها (راجع وفيات الأعيان ٥: ٤٢؛ نفح الطيب ٤: ١٠٠، ١٠١) فيجب أن يكون الأسعد بن بلّيطة قد عاش بعد سنة ٤٤٠ مدّة طويلة.

(٣) ريم: غزال أبيض. شطّ: بعد. الشطّ: جانب النهر، النهر (ومجتمع الماء).

(٤) رعى (أكل): تمتّع. أفانين (جمع أفنون - بضمّ الفاء: غصن): أنواع. جنيّا: جديداً، طريّاً. لم يرع: لم يحفظ.

خَيـــالٌ لَمرقومٍ غريرٍ برامــــةٍ / تأوّبَني بالرَقْمَتَيْنِ لَدى الأرْطى[1]
فأكْسَبـني من خدِّهـا رَوْضَةَ الجَنـى / وألْدَغَني من صُدْغِها حَيّةً رَقْطا[2]
وباتَـــتْ ذِراعاهــا نجــاداً لعاتِقي / إذا ما الْتَقاها الحَلْيُ غَنّى لها لَغْطا.
وسَلّ اهْتِصاري غُصْنَهَا من مُخَصَّرٍ / طواه الضَّنى طَيَّ الطوامير فامْتطــا[3].
وقد غابَ كُحْلُ الليلِ في دَمْعِ فَجْره / إلى أن تَبدّى الصُبْحُ كاللِّمّة الشَمْطا.
كأنّ الدُّجى جيشٌ من الزَّنْجِ نافرٌ / وقدأرسلَ الإصباحفي إثْرِه القُبْطــا[4].
وقـامَ لها يَنْعى الدُّجى ذو شَقيقةٍ / يُديرُ لنا من عينِ أجْفانه سَقطا[5]
إذا صــاحَ أصْغـى سَمْعُـه لأذانـه / وبادرَ ضَرْباً من قوادِمِهِ الإبْطا[6].
كـــأنّ أنوشروانَ أعـــلاه تاجَـــه / وناطَـتْ عليـه كَـفُّ مارِيَةَ القُرْطا[7].
سَبى حُلّةَ الطاوُوسِ حُسْنَ لِباسِها / ولم يَكْفِه حتّى سَبى المِشْيَةَ البطّا[8].
تَوَهَّمَ عَطْـفَ الصُـدْغِ نُونـاً بخَدِّها / فباتتْ بمِسْكِ الخال تَنْقُطُه نَقْطا[9].
غُلامِيّةٌ جاءتْ وقد جَعَلَ الدُّجى / لخاتَمِ فيها فَصَّ غاليةٍ خطّا[10].

---

(١) مرقوم: ذو علامة (جميل). غرير: جميل، ناعم العيش، شاب بلا تجربة. تأوّبني: عاد إليّ (في المنام) مرّة بعد مرّة . الرقمتين (اسم مكان - المقصود بها هنا جمال اللفظ لا الدلالة على علم جغرافيّ مخصوص). الأرطى جمع أرطاة: نوع من الشجيرات.

(٢) الرقطاء: حيّة منقّطة (خبيثة). خصلة الشعر على صدغها لدغتني (عذّبتني بالحب).

(٣) هصر الغصن: شدّ به ليقطف ما عليه. المخصّر (خصرها الناحل). الطومار: نوع من الورق يكتب فيه ثمّ يلفّ كالأسطوانة.

(٤) القبط: جيل من الناس (أقل سواداً من الزنج): كان الليل زنجيّاً، فلمّا بدأ الصبح يطلع أصبح الليل كالقبطيّ.

(٥) ينعى الدجى: يبشّر بانقضاء الليل. ذو شقيقة: صاحب قنزحة حمراء (الديك). يدير لنا إلخ (؟) - الملموح (يسقينا ماء صافياً). السقط: الندى. وعين الديك توصف بالصفاء.

(٦) بعد أن يصيح الديك يهدأ قليلاً (كأنّه يستمع إلى ماضي صياحه). القوادم: كبار الريش في جناح كلّ طائر.... ثم يصفق بجناحيه.

(٧) كسرى أنوشروان من عظماء ملوك الفرس. أعلاه: جعل فوقه، ألبسه. ناط: علّق. وكان لمارية بنت ظالم بن وهب، وهي أمّ آل جفنة (ملوك غسان) قرطان في كلّ واحد منها درّة (لؤلؤة) بحجم بيض الحمام.

(٨) يمشي ببطء وتثاقل يميل يميناً وشمالاً كالبطّة (إعجاباً بنفسه) «المشية» مفعول به ثانٍ مقدم. «البط» مفعول به أوّل مؤخر.

(٩) - لها خال أسود اللون على صدغها كأنّه نقطة النون(يشبّه جانب صدغها بالنون).

(١٠) حول فمها الصغير خطّ أسمر اللون (شفاه سمر). فص (فلقة، قطعة) غالية (روح العطر)...؟

غدَتْ تنقَعُ المِسواكَ في بَرْدِ ثَغْرِها ... وقد ضَمّختْ مِسْكاً غدائرُها المِشْطا[1].
مُحيّرةُ العَيْنينِ مِنْ غيرِ سَكْرةٍ ... متى شَربتْ ألحاظُ عَيْنَيْكِ إسْفَنْطا؟[2].
أرى نَكهَةَ المِسواك في حُمْرة اللّمى ... وشارِبَك المُخْضَرَّ بالمِسْكِ قد خُطّا[3].
عَسى قُزَحٌ قَبّلْتِه فإخالُه ... على الشَّفَةِ اللَّمياءِ قد جاء مُخْتَطّا[4].
كأنّ أبا يَحيى بنَ مَعْنٍ أجادَها ... فعلّمَها مِنْ كَفّه الوكْفَ والبَسْطا[5].
تألّفَ مِنْ دُرٍّ وشَذْرِ نِجارُه ... فجاءت به العَليا على جيدها سِمْطا[6].
إذا سارَ سارَ المجدُ تحتَ لِوائِه ... فليسَ يُحطُّ المجدُ إلاّ إذا حَطّا[7].
رفيعُ عِمادِ النارِ في الليلِ للسُّرى ... فما يَخْبِطُ العشواءَ طارِقُه خَبْطا[8].
أقولُ لِركْبٍ يَمَّمُوا مَسْقَطَ النَّدى ... وقد جاوزَ الرُّكْبانُ من دونكِ السقطا[9]:
أفي المجدِ تَبْغي لابنِ مَعْنٍ مُناقِضاً؟ ... ومن أوقدَ المِصباحَ في الشمسِ قد أخْطا!

- وقال:

لو كنتَ شاهِدَنا عَشيّةَ أمْسِنا ... والمُزْنُ تَبْكينا بِعَيْنَيْ مُذْنِب[10]،
والشمسُ قد مدّتْ أديمَ شُعاعِها ... في الأرضِ تجنَحُ غيرَ أن لَمْ تَغْرُبِ،
خلتَ الرَّذاذَ به بُرادةَ فِضّةٍ ... قد غُرْبِلَتْ من فوقِ نِطْعٍ مُذْهَبِ[11].

---

(١) - شعرها يكتسب رائحة طيّبة من مشطها (بينما كانوا يمشطون الشعر بمشط من عنبر حتّى يكتسب الشعر رائحة طيّبة).

(٢) الاسفنط: الخمر.

(٣) المخضرّ: المسودّ.

(٤) قزح (يقصد قوس قزح). اللمياء: السمراء...

(٥) الوكف: سيلان الماء من سقف البيت وسيلان الدمع من العين. البسط: الكرم في الإنفاق. (معنى البيت غامض) إلا إذا قصد «الجود والكرم».

(٦) الدرّ: اللؤلؤ. الشذر: قطع صغيرة من الذهب تسلك مع اللؤلؤ في العقد. النجار: الأصل. الجيد: الصدر. السمط: الخيط الذي ينظم فيه اللؤلؤ عقداً.

(٧) حطّ المسافر أحماله: نزل.

(٨) - يشعل في الليل ناراً كبيرة، فطارقه (ضيفه) لا يخبط خبط العشواء (لا يسير في الليل على غير هدى).

(٩) يمّموا: قصدوا. مسقط الندى (حيث يكون الكرم). ولكنّهم لمّا مرّوا بك ولم ينزلوا عندك كانوا قد جاوزوا (خلّفوا وراءهم) مكان الندى (الكرم)، أي مكانك انت.

(١٠) المزن تبكي بعيني مذنب: يهطل المطر بغزارة.

(١١) خلت: ظننت. الرذاذ نقاط المطر المتفرّقة التي تظلّ تسقط بعد المطرة الشديدة. النطع: وطاء (فراش) من لبّاد.

٤ - ** جذوة المقتبس ١٦٦ (الدار المصرية) ١٧٦ (رقم ٣٣٠)، بغية الملتمس ٢٢٨ (رقم ٥٨١)؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ١٦٦ - ١٦٧ ، ٦٧٦ - ٦٧٩؛ الخريدة (المغرب) ٢ : ٩٠ ، ٢٦٢ - ٢٧٠ ، ٥٨٥ - ٥٨٨؛ مطمح الأنفس ٨٣ - ٨٤؛ المطرب ١٢٦ وما بعد؛ المغرب ٢ : ١٧؛ الحلة السيراء ، ٢ : ٨٣ ، ١٦٩ - ١٧٠؛ وفيات الأعيان ٥ : ٤٢ - ٤٥ ، ٧ : ٣٤٠؛ الذخيرة ١ : ٧٩٠ - ٨٠١؛ نفح الطيب ٤ : ٥١ - ٥٢ ، ١٠٠؛ نيكل ١٩٦ .

أبو الوليد إسماعيل بن محمد

١ - هو أبو الوليدِ اسماعيلُ بنُ محمدِ بن عامرِ بنِ حبيبٍ من أهل إشبيليةَ ، كان يُلقّب بحبيبٍ - وقيل إن أباه كان يُلقّب بحبيبٍ أيضاً ، وكان من أهلِ الرئاسة - . ووُلدَ أبو الوليد بنُ إسماعيلَ نحوَ سَنَة ٤١٠ (١٠٢٠ م). ووَزَرَ مُدّةً يسيرة فيما يبدو للمعتضد بن عبّادٍ (٤٣٤ - ٤٦١ هـ). وقيل إن المعتصد قتله قريباً من سنة ٤٤٠ (١٠٤٨ م).

٢ - كان أبو الوليدِ إسماعيلُ بنُ محمّدٍ من أهل الفهم والعلم والبلاغة. ثم هو أديبٌ كاتب وشاعر ومؤلف. وشعره سهلٌ أنيق فيه شيء من الصناعة ونُحِسّ فيه نَفَسَ صفيّ الدين الحِلّيّ (ت ٧٥٠ هـ). وأكثر شعره الوصف والغزل. وهو أكثر تكلُّفاً للصناعة في شعره منه في نثره. وله كتاب « البديع في وصف الربيع » جمعه من أقوال الشعراء ، وقد جعله برسم المعتضد (أي ألفه له وقدمه إليه). ويميل المؤلف في كتابه هذا إلى الكشف عن براعة الأندلسيين وتبيان عبقريتهم وابتكارهم في الأدب (في مقابل ما كان يقال فيهم من الاندفاع في تقليد المشارقة)؛ ولقد أراد أن يتابع فيه كتاب الحدائق لابن فرج الجيّاني (ت ٣٦٦ هـ).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو الوليدِ إسماعيلُ بنُ محمّدٍ في صدرِ كتابهِ « البديع في وصف الربيع »:
فصلُ الربيع آرَجُ وأبهجُ[١] وآنَسُ وأنفسُ وأبدع وأرفع من أن أَحُدَّ حُسْنَ ذاتِه

(١) آرج: أكثر أرجاً (طيب رائحة). البهجة: حسن المنظر، السرور بالمنظر الحسن.

وأعُدَّ بديعَ صفاتِه. وهو مَعَ سِماتِه الرائقةِ وآلاتِه الفائقةِ لم يُعْنَ بتأليفِها أحدٌ وما انفردَ بتصنيفِهـا مُنْفَرِدٌ... لكنّ أهـلَ المشرق، عـلى تأليفهم لأشعارهم وتثقيفهم لأخبارهم - مُذ تكلّمتِ العربُ بكلامها وشُغلت بنثرها ونظامها - لا يَجِدون لأنفسهم من التشبيهاتِ في هذه الموصوفات ما وجَدتُه لأهل بلدي[١] على كَثْرة ما سَقَط منها من يدي بالغفلة التي ذكرتُها عنهم وقلّة التهَمُّم[٢] بها، وعلى قرب عهدِ الأندلس بمُنْتحلي الإسلام، فكيف بمنتحلي الكلام[٣]؟ فكيف (لا) يُرى فضلُهم وقد سَبقوا في أحسن المعاني مُجتلًى وأطيبها مُجتنًى[٤]، وهُوَ البابُ الذي تضمّنه هذا الكتابُ فلهم فيه مِنَ الاختراع الفائق والابتداع الرائق وحُسنِ التمثيل والتشبيه ما لا يقوم أولئك[٥] مَقامَهم فيه.

- ولأبي الوليدِ نفسِه في كتابه المذكور قطعةٌ (كان قد خاطب بها أباه):

لمّا خُلِقَ الربيعُ من أخلاقك الغُرّ وسُرِقَ زَهْرُه من شِيَمِكَ الزُّهر[٦]. وتاقت النفوسُ إلى الراحةِ فيه ومالتْ إلى الإشراف على بعض ما يحتويه، من النَّوْر[٧] الذي كسا الأرضَ حُلَلاً لا يرى الناظرُ في أثنائها خَلَلاً. فكأنّها نجومٌ نُثِرَتْ على الثّرى وقد مُلئتْ مِسكاً وعنبراً. إن تَنَسَّمْتَها فأَرِجَةٌ، أو تَوَسَّمْتَها فَبَهِجَة. تَروقُ العيونَ أجناسُها وتُحيي النفوسَ أنفاسُها...

- وقال يصف الربيع ثم يتخلّص إلى المدح:

أَبْشِرْ فقد سَفَرَ الثّرى عن بشْرِه وأتاك ينشُرُ ما طوى من نَشْره[٨].

---

(١) بلدي (الأندلس).

(٢) التهمّم: طلب الأشياء والبحث عنها.

(٣) انتحل: اتّخذ نحلة (ديناً، عادة). منتحلي الكلام: البارعين في النثر والشعر.

(٤) المجتلى: المنظر. المجتنى: القطف من الشجرة (المقصود: طعماً).

(٥) أولئك: (أي: المشارقة، أهل المشرق).

(٦) الأغر: الأبيض. الشيمة: الصفة. الأزهر: الأبيض، اللامع.

(٧) النور (بالفتح): الزهر الأبيض.

(٨) سفر: كشف. الثرى: التراب (وجه الأرض). البشر: طلاقة الوجه (ارتياح الإنسان للقاء الناس سروزاً بهم). النشر: الرائحة الطيّبة: وأتاك ينشر ما طوى من نشره (يعبق منه ما كان مخفياً فيه - من طيب الرائحة وجمال المنظر).

مُتَحَصِّناً من حُسنه في مَعْقِلٍ   عَقَلَ العيونَ على رِعاية زهره[١].
فضّ الربيعُ خِتامَه فبدا لنا   ما كان مِنْ سَرّائه في سِرّه[٢]،
من بعدِ ما سَحَبَ السَّحابُ ذُيولَه   فيه ودَرّ عليه أنْفَسَ دُرِّه[٣].
فاشْكُرْ لآذارِ بدائعَ ما ترى   من حُسْنِ مَنْظرِه النضيرِ وخُبْرِه[٤].
شهرٌ كأنّ الحاجبَ ابنَ مُحَمّدٍ   ألْقى عليه مَسْحةً من بشره[٥]!

– وبعث إلى أبيه وَرْداً (بعدَ أوانه) وكَتَب إليه مع ذلك الوردِ يقول:

يا من تأزّرَ بالمكارِمِ وارتدى   بالجدِ والفضل الرفيعِ الفائقِ،
أُنظُرْ إلى خَدِّ الربيعِ مُركَّبا   في وجهِ هذا المِهرجان الرائق.
وردٌ تقدّمَ، إذ تأخّر، واغتدى   في الحُسن والإحسان أولَ سابق.
وافاك مشتَمِلاً بثوبِ حَيائه   خجلاً (وقد) حيّاك آخرَ لاحِقٍ[٦].

٤ – البديع في وصف الربيع (نشره هنري بارس)، باريس ١٩٤٠ م، الرباط ١٩٤٩ م.

★★ جذوة المقتبس ١٥٢ (الدار المصرية) ١٦٢ (رقم ٢٩٥)؛ بغية الملتمس ٢١٣ (رقم ٥٣٤)؛ الذخيرة ٢: ١٢٤ – ١٣٥؛ معجم الأدباء ٧: ٤٣ – ٤٤؛ المطرب ١٢٦؛ التكملة ١: ٤٧٤؛ المغرب ١: ٢٤٥؛ بروكلمن ١: ٣١٩؛ نيكل ١٢٣ – ١٢٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٢ (٣٢٣).

---

(١) – كثرة جماله جعلت الأيدي تخاف أن تقطفه، ولكنّ حسنه ربط العيون بالتطلّع إليه.

(٢) – الربيع جعل الزهر يتفتّح ويبدي لنا سروره الذي كان مختفياً في الأزهار حينا كانت في براعمها.

(٣) – سحب السحاب ذيوله (مرّ منخفضاً فوق الأرض، وكان مطره قريباً). ودرّ (انهمر بكثرة). الدرّ (اللؤلؤ). أنفس: أغلى (يشبّه نقط الماء الساقطة باللؤلؤ. في هذا البيت اتكاء على أبي تمّام يصف روضاً:

فقد سحبت فيه السحائب ذيلها   وقد أخملت بالنور فيه الخمائل

–أخملت، بالبناء للمجهول. والنور، بفتح النون: الزهر الأبيض).

(٤) في الواحد والعشرين من شهر آذار (مارس) يبدأ فصل الربيع. حسن المنظر من جمال الزهر. النضير: الطريّ الممتلىء بالحياة. الخبر: الباطن الذي يعرف بالاختبار (النفع والحقيقة من الشيء).

(٥) البشر (راجع شرح البيت الأوّل). المسحة: الشيء القليل – إذا كان الربيع جميلاً إلى هذا الحدّ فلأن الحاجب ابن محمّد ألقى على الربيع شيئاً قليلاً من بشره، فكم يكون بشر الحاجب ابن محمّد عظيماً؟.

(٦) بثوب حيائه (بلونه الأحمر). حيّاك آخر لاحق: خجل منك لأنه تأخّر في المجيء إليك (لأنّه أزهر بعد جميع الأزهار).

أبو القاسم الإفليليّ

هو أبو القاسم ابراهيمُ بنُ محمّدِ بنِ زكريّا بن مُفَرِّجِ بنِ يحيى بن زيادِ بنِ عبدِ الله آبن خالدِ بنِ سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ القرشيُّ الزُهْريُّ المعروف بالإفليلي أصلُه من الإفليلِ، وهي قريةٌ بالشام.

وُلِدَ أبو القاسم الإفليليُّ في قُرطُبَة في شوّالٍ من سَنَةِ ٣٥٢ (خريف عام ٩٦٤ م). وقد حدّثَ عن أبي بكرٍ محمّدِ بنِ الحسنِ الزُبيدي (ت ٣٧٩ هـ) بكتابِ النوادر عن أبي عليٍّ القاليّ (ت ٣٥٦ هـ). ثمّ تصدّرَ للعلم في قُرطبةَ فكان الناسُ يقرأون عليه كُتُبَ الأدبِ خاصّةً.

وبعد الفتنةِ في الأندلس تقرّبَ إلى آلِ حَمّودٍ المستبدّين بقرطبة (٤٠٧ - ٤١٨ هـ)، وكتب في أثناء ذلك للخليفة المستكفي (٤١٤ - ٤٢٦ هـ). ثم لَحِقَتْه تُهمةٌ في دينه فسُجِنَ في المُطبِق بمدينةِ الزَهراء (قربَ قرطبة) أيامَ هِشامٍ المُعتدِّ (٤١٨ - ٤٢٢ هـ) ثمّ أُطْلِقَ سَراحُه.

وكانت وفاةُ أبي القاسمِ الإفليليّ في قرطبة في ١٣ من ذي القَعْدة ٤٤١ (٨/٤/ ١٠٥٠ م).

كان أبو القاسم الإفليليّ عالماً باللغة والنحو ويتكلّم في البلاغة ومعاني الشعر والنقد، ضابطاً لأشعارِ العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. وممّا يؤخَذُ عليه أنّه كان إذا أخطأ مضى على عنادِه وأصرّ على تخريج خطأه. له كتابُ «شرح معاني شعر المتنبّي» (وليس له غيره)، وهو كتابٌ حسن جيّد. وله شيءٌ من الشعر العاديّ. وكذلك عانى الكتابة حيناً ولكنّه لم ينجح (في الدواوين) لأنّه كان يكتبُ على طريقة المعلّمين المتكلّمين ولم يَجْرِ في أساليب الكُتّاب المطبوعين.

يَسلُكُ الإفليليُّ في شرح ديوان المتنبّي مسلَكاً قريبَ المأخذِ: يقدّمُ للبيتِ من الشعر بشرحٍ لُغويٍّ مُوجَزٍ ثمّ يستعينُ على ما غَمَضَ من معاني الأبيات بالاستشهاد بآياتٍ من القرآنِ الكريم وبأبياتٍ من الشعر. ثمّ ينثرُ في أثناء ذلك كلِّهِ عدداً من الملاحظات النحويّة. وهو قليلُ التعليقِ على الأبياتِ المشروحة. واهتمام الإفليليّ باللغة، حينما يشرَحُ الشعرَ، أكثرَ من اهتمامه بالبلاغة. ثمّ إنّ الإفليلي مُعْجَبٌ بالمتنبّي

إعجاباً شديداً لم يُنَبِّهْ على خطإٍ له ولا أرادَ أن يأخُذَ عليه هَفْوةً، بل كان يحاول تخريجَ أخطاء المتنبّي على وجهٍ مقبولٍ ثمّ يلتمس له الأعذارَ.

- ★★ جذوة المقتبس ١٤٢ - ١٤٣ (الدار المصرية) ١٥١ - ١٥٢ (رقم ٢٦٢)؛ الصلة ٩٤ - ٩٥؛ بغية الملتمس ١٩٩ (رقم ٤٨٥)؛ معجم الأدباء ٢: ٤ - ٩؛ المغرب ١: ٧٢ - ٧٣؛ انباه الرواة ١: ١٨٣ - ١٨٤؛ الوافي بالوفيات ٦: ١١٤ - ١١٦؛ وفيات الأعيان ١: ٥١؛ بغية الوعاة ١٨٦؛ البلغة ٩؛ شذرات الذهب ٣: ٢٦٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٦ - ٨٠٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٥٩ (٦١ - ٦٢)؛ الداية ٩٤ - ١١٦.

أبو عمرو الداني

١ - هو أبو عَمْرٍو عُثمانُ بنُ سعيدِ بنِ عثمانَ بنِ سعيدِ بنِ عُمَرَ المعروفُ بابنِ الصَيْرفيّ، كان أبوه (ت ٣٩٣) من موالي بني أُمَيّةَ ومن أهالي قُرطبةَ.

وُلِدَ أبو عمروٍ الدانيُّ سَنَةَ ٣٧١ أو ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) في قُرطبةَ وبدَأ طلبَ العلم فيها وهو ابنُ أربعَ عَشْرَةَ سَنةً. وقد سَمِعَ من كثيرين من علماء الأندلس في قرطبةَ وأستُجّةَ وبَجّانةَ وسَرَقُسْطَةَ وغيرِها. ثمّ إنّه رَحَلَ في مطلع سَنةِ ٣٩٧ فسكن القَيْروانَ أربعةَ أشهرٍ ثمّ انتقل إلى مِصْرَ. وفي أواخرِ سَنةِ ٣٩٨ (صيف ١٠٠٨ م) حجّ. بعدئذٍ انصرفَ راجعاً إلى الأندلس فوصل إليها في ذي القَعْدة من سَنةِ ٣٩٩ (منتصف صيف ١٠٠٩ م). في أثناء هذه الرِحلة أخذ عن علماءَ كثيرين منهم: أحمدُ بنُ محمّد بنِ محفوظٍ الجيزيّ المِصْري (ت مصر ٣٩٩ هـ) - محمّدُ بنُ أحمدَ الكاتبُ البَغْداديّ (ت ٣٩٩ هـ) - مُحمّدُ بنُ عبدِ الله النَجّادُ (ت نحو ٤٠٠ هـ) - فارسُ بنُ أحمدَ الحِمْصي (ت مصر ٤٠١ هـ) - خَلَفُ بنُ إبراهيمَ بن خاقانَ المِصْري (ت ٤٠٢ هـ) - عُبيدُ اللهِ ابنُ سَلَمةَ اليَحْصُبيّ الأندلسيّ[1]، أخذ عنه عامّة القُرآن - محمّدُ بنُ يوسُفَ القُرطبيّ النّجاد (ت ٤١٢ هـ).

---

(١) في مقدّمة أوتّو برتزل (مصحّح كتاب التيسير ومخرجه) أن عبيد الله بن سلمة مات في الفتنة سنة ٤٥٠. لعلّ المقصود ٤٠٥.

حلّ أبو عمروٍ الدانيُّ في قرطبةَ يُقْرِئ ويؤلّفُ إلى سَنةِ ٤٠٣ ، حينما اشتدّتِ الفِتْنة فيها فغادَرها إلى سَرَقُسْطَةَ حيثُ سكن سبعةَ أعوامٍ ثمّ انتقل إلى دانيةَ سَنةَ ٤٠٩ هـ ، ولكنْ لم يَلْبَثْ أن انتقلَ إلى جزيرةِ مَيورِقَةَ وبَقِيَ فيها ثمانيةَ أعوامٍ عاد بعدَها إلى دانية واتّخذها دارَ سَكَنٍ ، ذلك لأنّ صاحبَ دانيةَ مُجاهداً العامريَّ كان ذا عِناية بالقِراءة والقُرّاء فكَثُرَتِ الرَّغبةُ فيّ أيامِه في ذلك. ومنذُ ذلك الحين عُرِفَ أبو عمروٍ بلَقَبِ الدانيّ. وكانتْ وفاتُه في دانيةَ في نِصْفِ شَعبانَ من سَنةِ ٤٤٤ (١٢/ ١٢/ ١٠٥٢ م)[١].

٢ - كان أبو عَمْرٍو الدانيُّ من أهلِ الذكاءِ والحِفظ والعلم والفَهْم كما كان حَسَنَ الخطِّ عارفاً بقواعده. وكذلك كان مُحِبّاً للعلوم راغباً في تحصيلها، وخصوصاً فيما يتعلّق بعُلومِ القرآن وبعلوم الحديث ورِوايته. وقد كان عارفاً بالفِقه مُتَبَحِّراً في اللغة وفي مذاهب النَّحويّينَ. وقد كانتْ له كُتُبٌ كثيرةٌ جدّاً ضاع منها كثيرٌ. فمن كُتُبه الباقيةِ لنا: الإدغام الكبير - الأُرجوزة في أصول السُنّة - الاقتصاد في رَسْم المُصْحَف - الإمالات - الاهتداء في الوَقْفِ والابتداء - التحديدُ في صِناعة الإتقان والتجويد - التيسير في القراءات السَبْع[٢] - طَبقات القُرّاء - الفِتَن والمَلاحم - المُحْتَوى في القراءات الشَواذّ - المُقْنِعُ في رسم مصاحف الأمصار - النُقَطُ - المُحْكم في نَقْط المصاحف - رسالة الظاءات القرآنية[٣]

(أ) كتاب التيسير: بدأ أبو عَمرٍو الدانيُّ هذا الكتابَ، بعدَ المقدّمة، بذِكر القُرّاء السبعة الذين هم أصْلُ القِراءات المختلفة: عبدُ الله بنُ عامرٍ الشاميُّ (ت دِمَشْقَ ١١٨ هـ) - عبدُ الله بن كَثيرٍ المكّي (ت ١٢٠ هـ) - عاصِمُ بن أبي النَجود الكوفي (ت ١٢٧ هـ) - أبو عمرِو بنُ العَلاءِ البَصْرِيُّ (ت ١٥٤ هـ) - حَمْزَةُ بنُ حبيبٍ الزيّاتِ

---

(١) بروكلمن (١ : ٥١٧ ، الملحق ١ : ٧١٩): نصف شوال ٤٤٤ = شباط (فبراير) ١٠٥٣ (لا أرى ذلك يستقيم في الحسبان).

(٢) وهو كتاب مشهور (نفح الطيب ٣ : ١٨٠ - ١٨١).

(٣) يلفى هذا الكتاب في مستل من مجلة البلاغ (مكة) ١٩٧٠ (؟) راجع مجلة « قافلة الزيت »(شوّال ١٣٩٠ هـ = تشرين الأول - اكتوبر ١٩٧٠ م).

الكوفيّ (ت ١٥٦.هـ) - نافعُ بنُ عبدِ الرحمنِ المَدَنيّ (ت ١٦٩ هـ) - عليُّ بنُ حَمْزَةَ الكِسائيّ الكوفي (ت ١٨٩ هـ).

ثمّ ذكَرَ الرِجالَ الذين أخذوا عن هؤلاء السبعةِ ثمّ الذين كانوا بينَنا وبين هؤلاءِ. (كيف وَصَلَتْ إلينا القِراءاتُ عنِ القرّاء السبعة).

بعدئذٍ بدأ أبو عَمْرٍو الدانيُّ سَرْدَ الخِلاف في القراءات:

(وَصَلَ إلينا القُرآنُ الكريمُ تامًّا في آياتِه وألفاظِه وترتيبِه كما كان في أيام رسولِ الله. وهنالك ألفاظٌ وأحوالٌ في القِراءة كلُّها راجعةٌ إلى الصَحابة الذين أخذوا كلَّ شيءٍ عن الرسول صلّى اللهُ عليه وسلّم). من هذه الأمورِ والأحوالِ كلِّها:

- الاستعاذة: أعوذُ بالله مِنَ الشَيْطانِ الرجيم، لا خِلافَ في وُجوبِ قِراءتِها جَهْراً عند كلِّ بَدْءٍ لقراءةٍ من القُرآنِ الكريم.

- التسميةُ أو البَسْمَلة: بِسْمِ اللهِ الرَحْمنِ الرَحيم، لا خِلافَ أيضاً في الجَهْر بها عند بَدْءِ قِراءةِ القرآن. وأوْجَبَ بعضُهُمُ الجهرَ بها عند بدء كلِّ سورة (ولو قُرِئَتِ السُوَرُ مُتَتاليَةً)، ماعدا سورةَ بَراءةٍ أو التَوْبَةِ فإنّه لا بَسْمَلَةَ فيها. ومنهم من يُسْقِطُ التسميةَ بين السُوَرِ عند مُتابعة التِلاوة.

- الإمالة: ومِنَ القُرّاء من يُميلُ «الألِفَ المقصورةَ» (يَلْفِظُها بينَ الفتح والكسر)، نحو: «والنجم إذا هَوَى ★ ما ضلّ صاحبكم وما غوى...» أو الألف الطويلة أحياناً: «أحياكم».

- الترقيق: حقّ الراءِ المفتوحةِ أو المضمومة أنْ تُلْفَظَ مُفخّمةً. أمّا الراءُ المكسورة أو الساكنة بعد كَسْرٍ فحقّها الترقيق في اللفظ. ولكنّ بعضَهم أمالَ الراء أحياناً في مثل قوله تعالى: «في الآخرَة والأُولى - سَتَجِدُني ان شاء اللهُ صابراً».

- تسهيل الهمزة: نحو قوله تعالى «فأكلَه الذيبُ» مكان «فأكله الذئب». أو كان يُهْمِلُ الهمزةَ مطلقاً (وتلك لغةٌ لأهلِ الحجاز) نحو ياخذ (مكان يأخذ)، ونحو: إنّ ياجوجَ وماجوجَ مُفْسِدون في الأرض» (مكان يأجوج ومأجوج)، الخ.

- حَذْفُ الياء المتطرّفة، كقوله تعالى: «رَبَّنا وتَقَبَّلْ دُعاءِ» (مكان دعائي) أو «وثَمودَ الذين جابوا الصَخْرَ بالوادِ (مكان الوادي)».

- قرأ جُمهورُ القرّاء: سلامٌ هِيَ حتّى مَطْلَعِ الفَجْرِ (بفتح اللام)، وقرأ الكِسائي « مَطْلِع » (بكسر اللام). الخ.

(ب) المُحْكَمُ في نقط المصاحف. المقصودُ بالنَقْطِ هنا شيئانِ: نقطُ الإعجام ونقط الحركات: نَقْطُ الإعجام للتفريقِ بين الباء والتاء والياء أو بينَ الجيم والحاء والخاء ثمّ نقط الحركات (أو الإعراب)، نحو: جَمَعَ وجُمِعَ وجَمَّعَ أو يجمَعُ ولم يجمَعْ.

كانتِ الكِتابةُ العربية في أوّل الأمر مُعرّاةً من النقط ومن الحركات (وكذلك كُتِبَتِ المصاحف). ثمّ بدأ اللحنُ يتطرّق إلى ألْسِنَةِ العرب في قراءة القرآن أيضاً. فأشار زِيادُ بنُ أبيه على أبي الأسودِ الدُؤَلِيّ أن يُوجد طريقةً تمنَعُ مثلَ ذلك اللحن. فاستنبط أبو الأسودِ أُسلوباً من التنقيط (وضع نُقَطٍ على الأحرف) للدّلالة على لفظها مُفْرَدَةً: ب، ث، ج، خ، د، ذ، س، ش الخ. أو لمعرفة الحَرَكات الصرفية والنحويّة. (وقد تطوّر هذا التنقيط بدَلالَتَيْهِ حتّى صار إلى ما هو معروف اليوم في كتابتنا).

ويبقى هنالك، فيما يتعلّقُ بالمصاحف، شيءٌ هو التفريق بين التَهْجئة والرَسْم. إنّ الكلماتِ في المصاحف - ما عدا عدداً يسيراً منها - تُكْتَبُ في التهجئة بحَسْبِ لفظِها نحو: « إيّاكَ نعبدُ وإيّاك نَسْتعين ★ اهْدِنا الصِراطَ المُسْتقيم.... »

ولكنّ عدداً من تلك الكلمات « تُرْسَمُ » رَسْماً خاصّاً يُخالفُ القاعدة أحياناً (من حيث اللفظُ أو من حيث جمالُ الشكلِ أو الخطِّ أو كَراهةَ اجتماعِ حرفَيْ عِلّة وما أشْبَهَ). من ذلك:

- بِسم اللهِ الرحمنِ الرحيم (بَدَلَ: باسم اللاه الرحمان الرحيم).

- الصلوة (مكان: الصلاة، لأنّ أهل الحجاز يفخّمون لفظها) والزكوة والغدوة؛ والشيطن (الشيطان)، داود (داوود)، المنفقين (المنافقين)، الموءدة (الموءودة)، يا يّها (يا أيّها).

- وبما أنّ النَقْطَ كان لِتبيانِ لفظِ الكلمات في القُرآن الكريم فقدْ أوجَبَ الأَئِمَّةُ أن يكونَ خَطُّ الآياتِ في المصاحف بحِبْرٍ (بلون أسودَ) وأن يكونَ النَقْطُ (للإعجام أو للإعراب) بصِبْغٍ (بلون: أحمرَ أو أصفر) لكيلا يظُنَّ القارىءُ القليلُ الاختبار أن

هذه العلاماتِ من القرآن فيَقْرَأَها فيختلطُ حينئذٍ الوحيُ بالعلاماتِ الاصطلاحية التي هِيَ مِنْ وَضْع البشر، وخصوصاً إذا كانت تلك العلامات «لتوجيهِ القارىء»، نحوَ قف، لا (يجب الوقف عند هذه الكلمة)، ط (وقف مُطلَق: يجوز الوقف ويجوز الوصل)، ز (وقف جائز: الأفضلُ أن تقطع القراءة)، جـ (وقف مجوّز: الأفضل أن تصل القراءة) الخ. فمن أجل ذلك فقط رأى الأَئِمَّةُ الأوّلون أن تكون جميع العلامات الموجّهة لمعرفة الحروف ولمعرفة الحركات ولمعرفة مواضع الفصل والوصل بِصبْغ (بلون) مُخالفٍ لِحِبر الخَطّ الأصلي في المصحف. (أمّا اليومَ، وقد أصبحَ نصُّ القرآنِ محفوظاً، فإنّ المصاحفَ تُطبع بحبر واحدٍ: النصَّ القرآني والنقاط على الحروف وعلاماتِ الإعراب وعلامات الوقف).

٣ - مختارات من آثاره

- مقدّمة «المحكم» لأبي عمرو الداني:

.... هذا كتابُ عِلْمِ نَقْطِ المصاحف وكَيْفيّته[١] على صِيَغِ التِلاوة ومذاهبِ القِراءة فيما اتفّقوا[٢] عليه وفيما اختلفوا فيه، وعلى ما سَنّه الماضون واستعمله الناقطون وما يُوجبه قياسُ العربية[٣] وتُحَقّقه طريقُ اللغة، مشروحاً ذلك بأُصوله وفُروعه، مُبَيَّناً بِعلَله ووُجوهه، مَعَ ذكر السُنَنِ[٤] الواردة عن السَلَف الماضين والأئمّة المُتقدّمين في النَقْطِ ومَنِ ابْتَدَأَ بِهِ أوّلاً ومَنْ كَرِهَه منهم ومن تَرَخّصَ فيه، إلى غيرِ ذلك ممّا يَنْضافُ إليه ويتّصلُ به من ذِكْرِ رَسْمِ فواتحِ[٥] السُورِ ورُؤوس الآي والخُموسِ والعُشور[٦]، ومَنْ أبى ذلك....

---

(١) كيفية نقط المصاحف.

(٢) .... اتّفق عليه الأئمّة.

(٣) العربية: النحو.

(٤) السنن عن رسول الله (الأحاديث الشريفة).

(٥) فاتحة السورة: أوّلها. المقصود: ذكر اسم السورة وعدد آياتها وموضع نزولها في رأس كلّ سورة.

(٦) رؤوس الآي: أوائل الآيات: وضع علامات للدلالة على انتهاء الآية وبدء التي تليها. الخموس جمع خمس: مجموع من خمس آيات (توضع له علامة)، والعشور جمع عشر. وكان بعضهم يضع علامة عند كلّ انتهاء خمس آيات وعند انتهاء كلّ عشر آيات.

- من مقدّمة «كِتاب التيسير في القراءات السبع»:

... أمّا بعدُ، فانكم سألْتُموني - أحسنَ اللهُ إرشادَكم - أنْ أُصَنِّفَ لكم كتاباً مختصراً في مذاهب القرّاء السبعةِ بالأمصار[1]، رَحِمَهُمُ الله، يَقْرُبُ عليكم تناوُلُه ويَسْهُلُ عليكم حفظُه ويَخِفّ عليكم دَرْسه (ثمّ) يتضمّنُ من الرواياتِ والطُرُق ما اشتهرَ وانتشر عند التالين[2] وصَحّ وثَبتَ عن الأيمّةِ المتقدّمين. فأجَبْتُكم إلى ما سألْتُموه وأعْمَلْتُ نَفْسِيَ في تصنيفِ ما رَغِبْتُموه، على النحو الذي أرَدتُّموه، واعتمَدت في ذلك على الإيجاز والاختصار وتَرْكِ التطويلِ والتكرار. وقرّبتُ الألفاظَ وهذّبتُ التراجمَ ونبّهتُ على الشيء بما يُؤدّي عن حقيقتهِ مِنْ غير استغراقٍ لكي يُوصَلَ إلى ذلك في يُسْرٍ ويُتَحَفّظَ في قُرْبٍ.

- جامعُ القَوْلِ في النَقْط (المحكم ١٨ - ١٩):

إنّ الذي دعا السَلَفَ، رَضِيَ اللهُ عنهم، إلى نَقْطِ المصاحف، بعد ان كانتْ خاليةً من ذلك وعاريةً عنه وقتَ رَسْمِها وحين توجيهها إلى الأمصار..... ما شاهدوه من أهلِ عصرهم - مَعَ قُرْبِهم من زمن الفصاحة ومُشاهدة أهلِها - من فسادِ ألْسِنَتِهِمْ واختلاف ألفاظهم وتغَيُّر طِباعهم ودخول اللحن على كثيرٍ من خواصِّ الناس وعَوامِّهم، وما خافوه مَعَ مرور الأيام وتطاوُل الأزمان من تزَيُّد ذلك وتضاعُفِه فيمن يأتي من بَعْدِهم - لا شكّ - في العلمِ والفصاحة والفَهْم والدِراية دون من شاهدوه، ممّن عَرَضَ له الفسادُ ودخل عليه اللحن، لكي يُرْجَعَ إلى نَقْطها ويُصار الى شَكْلِها[3] عند دخول الشكوك وعدم المعرفة ويتحقّقَ بذلك إعراب الكَلِمِ وتُدْرَكَ به كَيْفيّةُ الألفاظ.

ثمّ انهم لمّا رَأَوْا ذلك وقادَهُمُ الاجتهادُ اليه بَنَوْهُ على وَصْلِ القارىء بالكَلِمِ دونَ

---

(١) المصر (بكسر الميم) عاصمة المقاطعة في مقابل «العاصمة». كانت بغداد عاصمة الدولة العباسية. أمّا الكوفة والبصرة ثمّ دمشق والقاهرة (في أيام الدولة العبّاسية) فكانت أمصارا.

(٢) التالون: القارئون (قارئو القرآن الكريم).

(٣) وضع حركة عليها.

وَقفه عليهنّ[1]. فأعربوا أواخِرَهُنّ لذلك لأنّ الإشكالَ أكثرَ ما يدخُلُ على المُبتدىء المتعلّم، والوَهْمَ أكثرَ ما يَعْرِضُ لِمَنْ لا يُبْصِرُ الإعرابَ ولا يَعْرِفُ القراءة في إعراب أواخرِ الأسماء والأفعال. فلذلك بَنَوُا النَقْطَ على الوَصْل دونَ الوَقْف. وأيضاً فإنّ القارىء قد يقرأ الآية والأكثر[2] في نَفَسٍ واحدٍ ولا يقطَعُ على شيءٍ من كَلِمِها، فلا بدَّ من إعرابِ ما يَصِلُه (ما يَصِلُ القارىءُ بَيْنه) من ذلك ضرورةً.

قال أبو عمرٍو (الداني): فأمّا نَقْطُ المصاحفِ بالسَواد من الحِبر وغيرِه فلا أسْتجيزُه، بل أنْهَى عنه وأُنْكِرُهُ اقتداءً بِمَنِ ابتدأَ النَقْطَ من السلف واتّباعاً له في استعمالِهِ لذلك صِبْغاً يُخالف لونَ المِداد، إذ كان (الصبغ) لا يُحْدِثُ في المرسومِ تَغْييراً ولا تخليطاً. والسَوادُ يُحْدِثُ ذلك فيه. ألا ترى أنّه رُبّما زيدَ في النُقطة[3] فَتُوُهِّمَتْ لأجل السوادِ الذي به تُرْسَمُ الحروفُ – أنها حرفٌ من الكَلِمَةِ فزيدَ في تلاوتها لذلك. ولأجل هذا وَرَدَتِ الكَراهِيَةُ عمّن تقدّمَ من الصَحابةِ وغيرِهم في نَقْط المصاحف (بالحبر الأسود).

والذي يستعملُه نُقّاطُ أهلِ المدينة في قديمِ الدهرِ وحديثِهِ من الألوانِ في نَقْطِ مصاحفهم الحُمرةُ والصفرةُ لا غيرَ..

٤- التيسير... حيدر آباد ١٣١٦ هـ؛ دهلي (حجر) ١٣٢٨ هـ؛ (أوتّو برتزل) ليبزغ ١٩٣٠ م.
- المقنع في معرفة رسم المصاحف (أوتو برتزل)، ليبزغ ١٩٣٢ م. المحكم في نقط المصاحف (عزّة حسن)، دمشق (وزارة الإرشاد والثقافة) ١٣٧٩ هـ= ١٩٦٠ م.

★★ جذوة المقتبس ٢٨٦ - ٢٨٧ (الدار المصرية) ٣٠٥ - ٣٠٦ (رقم ٧٠٢)؛ بغية الملتمس ٣٩٩ - ٤٠٠ (رقم ١١٨٥)؛ معجم الأدباء ١٢: ١٢١ - ١٢٨؛ (ترجمتان منفصلتان)؛ الصلة ٣٨٥ - ٣٨٧؛ إنباه الرواة ٢: ٣٤١ - ٣٤٢؛ الديباج المذهب ١٨٨؛ نفح الطيب ٢: ١٣٥ - ١٣٦؛ شذرات الذهب ٣: ٢٧٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:

---

(١) إذا وقف القارىء على آخر الآية ألغى الحركة على الحرف الأخير منها(نحو:مالك يوم الدين ★ إياك نعبد... أو. مالك يوم الدين إياك نعبد).

(٢) أكثر من آية واحدة.

(٣) اقرأ: زيدت النقطة (بالحبر الأسود).

١٠٩ - ١١٠؛ بروكلمن ١: ٥١٦ - ٥١٧، الملحق ١: ٧١٩ - ٧٢٠؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٦٦ - ٣٦٧ (٢٠٦).

ابن الخيّاط الأندلسي

١ - هو أبو بكرٍ يحيى بنُ أحمدَ بنِ الخيّاطِ الأندلسيُّ، وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٣٦٨ هـ (٩٧٨ - ٩٧٩ م). وَهُوَ من تلاميذِ مَسْلَمَةَ بنِ أحمدَ المَرْحيطي (المَجْريطي = المدْريدي)، تلقّى عليه علمَ العددِ والهندسةَ ثمّ مالَ إلى علمِ أحكامِ النجومِ وبَرَعَ فيه واشتهر. وكان مُتّصلاً بالخليفةِ سُليمانَ المُستعينِ وبالمأمون القاسمِ بنِ حمّودِ بنِ ذي النون[١]. وكانتْ وفاةُ ابنِ الخيّاطِ الأندلسيِّ سَنَةَ ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ - ١٠٥٦) في طُلَيْطُلَةَ.

٢ - كان ابنُ الخيّاطِ الأندلسي بارعاً في الهندسة والفلك وفي الطِّبّ دقيقَ العلاج، كما كان أيضاً بارعاً في النحو وأديباً شاعراً.

٣ - مختارات من شعره

قالَ ابنُ الخيّاطِ الأندلسيُّ في الشكوى:

لم يَخْلُ من نُوَبِ الزمانِ أديبُ — كلاّ - فشأنُ النائباتِ عجيبُ[٢].
وغَضارَةُ الأيامِ تأبى أن يُرى فيها لأبناءِ الذكاءِ نصيبُ[٣].
وكذاك من صَحِبَ الليالِيَ طالِباً جَدّاً وفَهْماً، فاتَه المطلوبُ![٤]

---

(١) كان الخليفة سليمان المستعين والمستبد القاسم بن حمّود في أيام الفتنة (أيام الاضطراب في قرطبة) قد تداولا مع نفر اخرين الحكم على قرطبة في فترات قصيرة متقطّعة، بين سنة ٤٠٠ وسنة ٤١٦ هـ (١٠٠٩ - ١٠٢٥ م). والأرجح أن ابن الخيّاط كان متّصلاً بالمستعين وبالمأمون من قبل سنة ٤٠٠ هـ

(٢) النوب (جمع نوبة) والنائبات (جمع نائبة): المصائب.

(٣) الغضارة: النعمة والسعة في العيش. - المقصود: النعمة لا تريد أن يكون منها نصيب للأذكياء الأمناء في هذه الحياة.

(٤) - من قضى حياته في طلب العلم بالجدّ (بكسر الجيم: المثابرة) والفهم لم يكن لديه وقت لطلب المال والحظّ.

وقال في بخيل:

لا تكــونَنَّ مُبْرِمــاً[١] وعَسوفاً؛ سَلْهُ أُدْماً، وخَلِّ عنك الرغيفا[٢].
أكْرَمَ الخُبْـزَ بالصِّيانةِ حتّى جعل الكَعْكَ للبناتِ شُنوفا[٣].

٤ - ★★ طبقات الأطبّاء ٢: ٥٠؛ معجم الأدباء ١٩: ٣١٣ - ٣١٤؛ الوافي بالوفيات ٦: ١١٤.

أم العلاء الحجاريّة

١ - هي أمُّ العَلاءِ بنتُ يوسفَ الحِجاريةُ، نِسبةً إلى مدينة وادي الحِجارة في شَمالِيِّ الأندلسِ، عاشتْ في القرنِ الخامس للهِجْرة (الحادي عَشَرَ للميلاد).

٢ - كانتْ أمُّ العَلاءِ الحِجاريّةُ حَسَنَةَ الشِّعْرِ، وفي شِعْرِها لَفَتاتٌ، وفيه شيءٌ من الضَّعْف.

٣ - مختارات من شعرها

كان رَجُلٌ أشْيَبُ قد عَشِقَ أمَّ العَلاءِ الحِجاريّةَ فكَتَبَتْ إليه:

الشيبُ لا يُخْدَعُ فيه الصِّبا بحيلــةٍ، فاسْمَــعَ إلى نُصْحي
فلا تكُنْ أجهلَ مَنْ في الوَرى يَبيــتُ في الجَهْـلِ كما يُضحي!

ولها في النسيب:

كــلُّ مــا يَصْدُرُ منــكم حَسَنٌ، وبعَلْيــاكم تَحَلّــى الزَّمَنُ.
تَعْكِـفُ العيـنُ عـلى مَنْظرِكم وبــذكـراكـم تَلَذُّ الأُذن[٤].

---

(١) المبرم: الملحّ في السؤال. العسوف: الشديد العنيف في المطالبة.

(٢) الأدم (بضمّ الهمزة) جمع أدمة (بضمّ الهمزة أيضاً): الناقة السمراء الثمينة، السمن، الطعام المعالج بالسمن. - المعنى: أطلب من هذا الرجل البخيل شيئاً ثميناً (نياقاً أو طعاماً مطبوخاً بالسمن واللحم) (لأنّه يمكن أن يعتذر حينئذ اعتذاراً لطيفاً فيقول لك: ليس عندي الآن مثل هذا - ويكون صادقاً). أمّا إذا طلبت منه رغيفاً (والرغيف يجب أن يكون موجوداً دائماً عند جميع الناس، فلا يمكنه أن يعتذر عند منع الرغيف عنك بعذر مقبول فيتظاهر بالغضب الشديد ويسيء إليك).

(٣) الشنف (بفتح الشين) حلية صغيرة تعلّق في أعلى الأذن.

(٤) عكف على الصنم: أطال الوقوف أمامه. تعكف العين على منظركم: تنظر إليكم كثيراً سروراً بكم.

مَنْ يَعِشْ دونَكُمُ في عُمْرِه فَهُوَ في نيـــلِ الأمـــاني يُغْبَنُ.

وقالت في العتاب والاعتذار:

اِفْهَمْ مَطارِحَ أحوالي وما حَكَمَتْ بـه الشواهدُ واعْذُرْني ولا تَلُم[1]؛
ولا تَكِلْني إلى عُذْرٍ أُبيِّنُه شرّ المعاذيرِ ما يَحْتاج للْكَلم![2].

٤ - ** المغرب ٢: ٣٨؛ نفح الطيب ٤: ١٦٩؛ بغية الوعاة ٢٢.

ابن البزلياني

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أحمدَ - أوِ ابن عامرٍ (المغرب ١: ٤٤٤) - البزليانيّ، أصلُه من مالَقَةَ، وهو منسوبٌ إلى بزليانةَ (حِصْنٍ من حصون مالَقَةَ على بحر الزُّقاق - بين الأندلس والمغرب). وكان مولده في صَفَرَ من سَنَةِ ٣٩١ (الصلة ١: ٢٦٧).

عَمِلَ ابن البزلياني كاتباً أو وزيراً عند نفرٍ من ملوك الطوائف: كان عند حَبّوسٍ صاحبِ غَرْناطةَ، وكانتْ ولايةُ حَبّوسٍ من سَنَةِ ٤١٠ إلى سنة ٤٣٠ للهجرة. ولمّا استولى المُعتَضِدُ صاحبُ إشبيلية على أُونبةَ وشلطيشَ (في أقصى الجَنوب الغربيّ من البرتغال اليوم)، سَنَةَ ٤٤٣ هـ، جعَلَ ابنَهُ مُحمّداً والياً عليها وجعل ابنَ البزليانيّ كاتباً لابنهِ ووزيراً.

ثمّ نشأتْ لإسماعيلَ بنِ المُعتضدِ ناشئةُ استقلالٍ عن أبيه وأرادَ قتلَ أبيه في سبيلِ ذلك - وقيلَ بل زَيّنَ له ذلك وزيرُهُ ابنُ البزلياني، فَقتَلَهُ المعتضدُ في أولِ ثورةِ ابنهِ إسماعيلَ (الذخيرة ٢: ١٤٧ ن) - . وقد قَتَلَ المعتضدُ بعدَ ذلك بمدّةٍ قصيرةٍ ابنَهُ إسماعيلَ، سَنَةَ ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م).

٢ - أبو عبدِ اللهِ بنُ البزليانيّ أديبٌ كاتبٌ مترسِّلٌ، له رسائلُ ديوانيةٌ ورسائلُ

---

(١) مطارح أحوالي: كيف تقلّبت بي الأحوال (المصائب التي نزلت بي). الشواهد: جمع شاهد: العلامة الظاهرة.

(٢) - العذر الذي يحتاج إلى شرح (ولا يكون ظاهراً بنفسه ليس عذراً).

إخوانيّة. وأغراضُه فيها المديحُ والعِتاب والهجاء. وكانتْ له معرفةٌ باللغة. ويبدو أنه كان يَنْظِمُ الشعرَ (راجع الذخيرة ١ : ٦٣٥)، إذ يقول في إحدى رسائله: «... وكما أن بَرَكَةَ الأشجارِ في الأنوار، فكذلك بركةُ الأدب في الرسائل والأشعار».

٣ - مختارات من آثاره

- لابن البزلياني رسالةٌ إلى ابن مُنذرٍ[١] جاء فيها (الذخيرة ١ : ٦٢٧):

واتّصل بي ما وقَع بينك وبينَ المؤتَمَنِ وأبي المُنذرِ والموفَّقِ وعضُد الدولة أبي الحسن[٢]، وأنّكُمْ اضطُررْتُمْ إلى إخراجِ كلِّ فريقٍ منكم النصارى إلى بلاد المسلمين[٣]. فنظرتُ في الأمر بعينِ التحصيل وتأوّلْتُه بحقيقة التأويل، فعَظُمَ قَلَقي وكَثُر على المسلمين شَفَقي في أن يطأَ أعداؤهم بلادَهم ويُوتِموا أولادَهم ويتّسعَ الخَرْقُ على الراقع وينقطعَ طَمَعُ التلاقي على الطامع. ولو لم تكن - يا سيّدي - الفتنةُ إلاّ بينَ المسلمين والتشاجرُ إلاّ بين المؤمنين[٤]، لكانتِ القارعةُ العُظمى والداهيةُ الكبرى. فإذا (نحن) تأيّدْنا بالمُشركين واعتَضَدْنا بالكافرين[٥] وأبَحْناهم حُرْمَتنا ومنحناهم قوّتنا وقتلنا أنفُسَنا بأيدينا وأدّتْنا إلى النَّدَمِ مَساعينا، كانتِ الدائرةُ أمضَّ والحَيْرة أرمَضَ[٦] والفِتنة أشدَّ والمِحنة أهدَّ والأعمالُ أحبَط والأحوالُ أسقطَ والأوزارُ أثقلَ والمَضارُّ أشمَلَ. والله يُعيذُنا من البوائق[٧] ويسلُكُ بنا أجملَ

---

(١)و(٢) ابن منذر والمؤتمن وأبي المنذر والموفق وعضد الدولة أبي الحسن يجب أن يكونوا من ملوك الطوائف وأن يكونوا أيضاً في زمن واحد. ولكن أسماء نفر من ملوك الطوائف وألقابهم وكناهم تتشابه أو تتفق. وبمراجعة جداول زامباور (ص ٨٩ وما بعد) لم أستطع أن أعيّن أصحاب هذه الأسماء تعييناً دقيقاً صحيحاً.

(٣) الشكوى من أن هؤلاء الملوك المسلمين كانوا يستعينون بجيوش النصارى على قتال بعضهم بعضاً أو على قتال منافسيهم المسلمين.

(٤) لعلّ الأصح أن يقال: ولو لم يكن (من ذلك) إلاّ الفتنة بين المسلمين وإلاّ التشاجر بين المؤمنين. «كان» في هذه الجمل والتي بعدها «تامّة» تحتاج إلى فاعل لا إلى اسم وخبر.

(٥) تأيّدنا واعتضدنا: استعنّا.

(٦) الدائرة (المصيبة المفاجئة) أمضّ (أشدّ ألماً). أرمض (أشدّ حرّاً).

(٧) البائقة: الشرّ، الداهية.

الطرائق... ولمّا انتظرتُ أن يُسفِرَ ذلك الديجورُ[١] وتستقرَّ تلك الأمورُ، (ثمّ) أبطأ عليّ ذلك ولم يعُدْ مِنْ قِبَلِكَ رسولٌ إليّ، داخلتُ عميدَ الدولةِ[٢] جاري في هذه الأنباء وراوَضْتُه[٣] في علاج هذه الأدواء. وأنت - يا سيّدي - للمسلمين الحِصْنُ الحَصينُ والسَّبَبُ المتينُ والنَّصيح الأمين، فاجْرِ في جَمْعِ كَلِمَتِهِمْ والمُراماةِ دون حوزتهم[٤]

- وله رسالةٌ إخوانيةٌ إلى، أبي جعفرِ بنِ عبّاس[٥] يقرِّعه فيها (وقد كان زاره فلم يُوَفِّهِ حقَّه من إكرام الضيف) (الذخيرة ١ : ٦٣٣):

كُلَفُ المُروءةِ - أبقاك اللهُ - صعبةٌ إلاّ على الكِرام، وطُرُقُ الجَفاء رحبةٌ لسلوك اللِئام. والأحمقُ يرى البِرَّ[٦] خُسراناً ويعتقدُ إكرامَ الوافدين نُقصاناً، فيَمْنَحُ الكثيرَ من عِرْضه ويمنَع اليَسيرَ من عَرَضه[٧]، ويلبَسُ دِرْعاً وهو مهتوكٌ بالطَّعْن[٨]، ويجعل الكِبرياء رِداءه وهو مُطرّزٌ باللعن... وما يتكبَّرُ متكبّرٌ إلا من جَهْله، وعُجْبُ المرءِ أحدُ حُسّادِ عَقْله[٩] ... وجِئْتُك زائراً فكأنّي جِئْتُك آملاً[١٠]. وأردتُ مُصافَحَتَك فما مَددتَّ إليَّ يداً. وطلبتُ مُعانَقَتَك فخِلْتُكَ مُقْعَداً[١١]. وبعدَ أن هَمَمْتَ بالنُّهوض أقْعَدَكَ الكسلُ، كأنك خُمصانَةٌ أثقلَها الكَفَلُ[١٢]. وجعلتَ تُشيرُ بالحاجب وتَلْوي الشَّفَة

---

(١) أسفر: انكشف (زال). الديجور: الظلام (الشدّة، المحنة).

(٢) داخلت: شاركت في البحث، شاورت، حاولت معرفة رأي (فلان). عميد الدولة (؟).

(٣) راوض فلان فلاناً (حاول استمالته وإقناعه).

(٤) اَجر (فعل أمر): سِرْ، اسع، حاول. المراماة (أن يرمي كلّ خصم خصمه بالسهام). و(هنا): قاتل، دافع. الحوزة: ما يملكه الإنسان.

(٥) أبو جعفر بن عبّاس الوزير الكاتب.

(٦) البرّ: عمل الخير والإحسان إلى الآخرين والطاعة للأقارب.

(٧) العرض (بالكسر): الشرف، ما يجب أن يدافع الإنسان عنه. (وبفتح ففتح): السلعة، المادّة.

(٨) الدرع (التي تلبس في الحرب) مؤنّثة: إقرأ إذن: وهي مهتوكة (مقطوعة، ممزقة: لا تدفع أذى). والدرع (ثوب للفتاة) مذكّر.

(٩) العجب (رفع الإنسان نفسه فوق مقامها) من حسّاد عقله (يصرف الرجل عن الاستعانة بعقله؟).

(١٠) ... جئتك آملاً (جئت إليك أطلب عطاء أو مالاً).

(١١) خلتك (ظننتك) مقعداً (عاجزاً عن القيام على رجليك).

(١٢) الخمصانة (الفتاة النحيلة الخصر) أثقلها (منعها من النهوض) الكفل: مؤخّرة الإنسان (لضخامته).

وتَدّعي – بالجهلِ في كلِّ شيءٍ – معرفةً. فما كان ضَرّكَ حينَ أخلَلْتَ لو أجْلَلْتَ ؟[1] وما كان يَسوءُك حينَ ناظرتَ لو أجْمَلْتَ؟[2] وما كان يَنْقُصك[3] حين حكمت لو عدلتَ؟.

٤ – ★★ الذخيرة ١: ٦٢٤ – ٦٤٣، ٣: ١٤٦ – ١٤٧؛ الصلة ٢٦٧ راجع المغرب ١: ٤٤٤ – ٤٤٥.

ابنُ بُرْدٍ الأصغر

١ – هو أبو حَفْصٍ أحمدُ (الأصغرُ) بنُ محمّدِ بن أبي حَفْصٍ أحمدَ (الأكبرِ) بنِ بُرْدٍ مولى أحمدَ بنِ عبدِ المَلِكِ بنِ عمرَ بنِ محمّدِ بنِ شُهيدٍ.

كان أحمدُ بْنُ بُرْدٍ الأصغرُ من أهلِ بيتِ جاهٍ ورِئاسةٍ فقد كان جَدّه أحمدُ بنُ بُرْدٍ الأكبرُ (٣٣٥ – ٤١٨ هـ) وزيراً في أيام الدولة العامريّة. وقد قرأ أحمدُ الأصغرُ على جَدّهِ فنونَ الأدبِ والعلمِ كما تعلّم على يَدَيْهِ صِناعةَ الكِتابة ثم مارسَها قبلَ أن يُتَوَفّى جَدّهُ (سَرَقُسْطَة، ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م).

كان آلُ بردٍ يَعيشون في قُرطبةَ. ويبدو أنّهم تركوها في المحرّم من سَنَةِ ٤٠٧ هـ (حَزِيرانَ – يونيو ١٠١٦ م) لمّا ضَيّق عليُّ بنُ حَمّودٍ المستبدُّ بقرطبةَ على الذين كانوا قد خدموا سليمانَ المستعينَ الأمويّ وفيهم جَدّه أحمدُ بن بُرْدٍ الأكبرُ (راجع الذخيرة ١: ٨٠ – ٨٢). والذي أُرجّحه أنّهُمُ انتقلوا إلى دانيَةَ فاتّصل أحمدُ الأصغرُ بمُجاهدٍ العامريّ (٤٠٨ – ٤٣٢ هـ) ثمّ بابنهِ وخَلَفِه أبي الأحْوصِ مَعْنٍ (٤٣٢ – ٤٣٦ هـ). ثمّ إنّه انتقل إلى المَرِيّةِ، قبلَ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م)، فقد قال الحُميديُّ (جذوة ١٠٧): «وقد رأيته بالمَرِيّة بعدَ الأربعينَ وأرْبعِمائةٍ زائرًا لأبي مُحَمّدٍ عليِّ بنِ أحمدَ غيرَ مرّة». وقدِ استوزرَه المُعْتصمُ بن صُمادحٍ. وبما أن المعتصم بن صُمادحٍ جاء إلى حُكم المَرِيّة سَنَة

(١) أخلّ الرجل في أمر: قصّر فيه (مادّياً). أجلّ: أحترم (معنويّاً).
(٢) ناظر فلان فلاناً: ناقشه. المقصود هنا: طلب المساواة به.
(٣) الفعل «نقص» يكون لازماً ومتعدّياً. ما ينقصك؟: ما ينقص منك؟ ما تخسر؟.

٤٤٤، فالمُنتَظَر أن يكونَ ابنُ بُردٍ قد بَقِيَ في المَرِيّةِ بعدَ ذلك مُدّة. وكذلك صَنّف ابنُ بردٍ كتاباً للمعتصم بن صُمادح ورفعه إليه، ولا نَدْري أفَعَلَ ذلك قبل أن يَلِيَ الوِزارةَ (وهذا أقربُ إلى المعقول لأنّ مثل هذا العمل يكون لتقرّبِ الإنسانِ من ذَوي الجاهِ، وقلّ ما ينفع بعد الوصول إلى الوزارة) أم بعد ذلك.

ولَعَلَّ وفاةَ أحمدَ بنِ بُرْدٍ الأَصْغرِ كانتْ في حدود سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) أو بعد ذلك بقليل، في المرية على الأرجح.

٢ - كان أحمدُ بنُ بردٍ الأصغرُ كاتباً بليغاً له رسائلُ سُلطانيّاتٌ ورسائل إخوانيّات، وهو كثيرُ التأنّق والتكلّف فيها. وكذلك كان شاعراً مليحَ الشعر له قصيدٌ ورجزٌ. وقيمةُ شعره إنّما هي في أنّه يأتي بالصِناعة البارعة في التركيب البَدْوي المتين. وأكثر شعره الوصفُ. وقدِ اشتهرَ برسالةِ السيفِ والقلم وهي مُباراة في بيانِ فضل السيفِ وفضل القلم.

٣ - مختارات من آثاره

- من رسالة السيف والقلم، وهي رسالة كتبها ابن برد الأصغر إلى الموفّق أبي الجيش مجاهد العامريّ صاحب دانية والجزر الشرقية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ):

... وإنّ السيفَ والقلمَ - لمّا كانا مِصْباحينِ يَهْدِيانِ إلى القَصْدِ مَنْ باتَ يَسْري[١] إلى المجد، وسُلَّمَيْنِ يُلْحِقانِ بالكواكبِ مَنِ ارتقى لِسامياتِ المَراتبِ، وطريقينِ يَشْرَعانِ نَهْجَ الشرفِ لِمَنْ تَقَرّى إليه، ويجمعانِ شَمْلَ الفخر لِمَنْ تأشّب[٢] عليه... - جَرّرا أذيالَ الخُيَلاءِ تفاخُراً وأشَمّا بأنفِ الكِبرياءِ تنافُراً، وادّعى كلُّ واحدٍ منهما أنّ الفوزَ لقِدْحِهِ وأن الوَرْيَ لقَدْحه[٣]... وحين كشفَ الجِدالُ قِناعَه ومدّ

(١) سرى يسري: مشى في الليل، (وهنا). سار بعزم وثبات.
(٢) شرع: أظهر وبيّن. نهج: طريق واضح. تقرّى البلاد وقرا البلاد: سار فيها ينظر إلى خصائصها وطرقها وأحوالها. تأشّب: اجتمع.
(٣) أشمّا (رفعا) بأنف الكبرياء: تنافرا (دعا كلّ منهما صاحبه إلى القتال). الفوز لقدحه (بكسر القاف): القدح سهم عليه رقم يستخدمونه في الميسر (القمار) والقدح الفائز (الرابح). والقدح (بفتح القاف): استخراج النار من حجر الصوّان بضربه بقطعة من حديد. الوري: الإشعال والاشتعال.

الخِصامُ ذِراعه... قاما يَتباريانِ في المَقال ويتساجلانِ في الخِصال ويَصِفُ كلٌّ واحدٍ منهما جَلالَ نفسِهِ ويذكُرُ فضلَ ما اجْتُنِيَ من غَرْسِه[١]....

فقال القلمُ: ها! اللهُ أكبرُ! أَيُّها السائلُ بَدْءاً يَعْقِلُ لِسانَك ويُحَيِّرُ جَنانَكْ[٢] وبَديهةً تملأُ سَمْعَكَ وتُضَيِّق ذَرْعك[٣]: خيرُ الأقوالِ الحقُّ، وأحْمَدُ السَجايا الصِّدْقُ. والأفضلُ مَنْ فضّلَهُ اللهُ عزَّ وجلّ في تَنْزيلِهِ، مُقْسِماً بِهِ لِرسولِهِ، فقال: «نَ، والقلم وما يَسْطُرون»؛ وقال: ﴿اقْرَأ وربُّكَ الأكرمُ الّذي عَلّم بالقلم﴾[٤]. فجلَّ مِنْ مُقْسِمٍ وعزَّ مِنْ قَسَمٍ. فما تراني وقد حَلَلْتُ بينَ جَفْنِ الإيمانِ وناظِره، وجُلْتُ بين قلبِ الإنسان وخاطِرِه! لَقَدْ أخذتُ الفضلَ برُمّتِهِ وقُدتُ الفَخرَ بأزِمَّتِهِ[٥].

فقال السيفُ: عَدِّنا مِنْ ذِكْرِ الشريعة إلى ذكر الطبيعة، ومن وصف المِلّةِ إلى وصف الخِصلة[٦]. لا أُسِرُّ ولكنْ أُعْلِنُ: قيمةُ كلِّ امْرِئٍ ما يُحْسِنُ! إنّ عاتِماً حمل نجادي لَسعيدٌ، وإنّ عَضُداً بات وِسادي لَسديدٌ[٧]. وإنّ فتًى اتّخذني دليلَه لَمَهْدِيٌّ، وإنّ امْرَأً صَيّرني رسولَه لَمُفَدًّى. يُشَقّ مِنّي الدُّجى بِمِصْباح، ويُقابَلُ كلُّ بابٍ بِمفتاح.

---

(١) تساجل الرجلان: تباريا وتفاخرا. ما اجتني (ما قطف) من غرسه (أشجاره): ما استفاده من جهوده.

(٢) يعقل (يربط) لسانك ويمنعه من الكلام (الله أكبر هو البدء الذي يفعل ذلك!). الجنان: القلب.

(٣) البديهة: الكلام الفوري بلا استعداد. يملأ سمعك (يدهشك) ويضيّق ذرعك (مقدار ما بين كتفيك: صدرك): يجعلك تعجز عن الجواب.

(٤) ن... (مطلع السورة ٦٨، سورة القلم). والحرف «ن» هنا يمكن أن يكون معناه «حرف، كلمة» ويمكن أن يكون معناه «محبرة» (وكلا المعنيين متعلّق بالقراءة والكتابة وبفضل القلم). إقرأ... (في مطلع السورة ٩٦، سورة العلق، أوّل سور القرآن نزولاً على رسول الله).

(٥) بين جفن الإيمان وناظره (في أسمى الأمكنة منه: في القرآن). بين قلب الإنسان وخاطره. في عقله (وهو خير الأمكنة فيه). برمّته (الرّمة قطعة الحبل يربط بها البعير): كلّه. وقدتّ الفخر بأزمّته (جمع زمام: لجام): استأثرت به وحدي.

(٦) عدّنا: اجتز بنا، لنترك. الشريعة: الدين (الدفاع عن القلم بقول الدين فيه) إلى الطبيعة: إلى عمل القلم (أو السيف) وحده. ومن الملّة (الدين) إلى الخصلة (الصفة الذاتيّة).

(٧) العاتق: ما بين العنق وطرف الكتف. النجاد: حمالة السيف. العضد: ما بين المرفق إلى الكتف. بات وسادي (أصبح مقيلاً لي، حملني). يقول السيف: من ملكني دافعت عنه وحميته. سديد: صائب الرأي.

أفْصُحُ والبطلُ قد خَرِسَ، وأبْتَسِمُ والأجلُ قد عَبَس[1] ...

- قال ابن برد الأصغر في الشكوى من ظلم المحبوب:

بـأبـي أنـتَ وأُمّـي ... لِـمْ تَطَبّعْـتَ بظُلْـمي؟[2]
أَبَـداً تـأتـي بـعَـتْـبِ ... دون أن آتـي بـذَنْـب
بَيْنَنا في الحُبِّ قُرْبى: ... سُـقْـمُ عَيْـنَيْـكَ وجِسْمـي!

- وقـال في الشكوى من البُعاد:

يا مَنْ بِفيهِ يَعْبَقُ العَنْبَرُ ... ومَنْ لَمـاه سُـكّرٌ مُسْـكِرُ[3]،
صَـحّ الهـوى مِنّـا، ولكنّـني ... أعْجَـبُ من بُعْدٍ لَنـا يُقْـدَرُ[4].
كـأنّنـا فـي فَلَـكٍ دائـرٍ ... فأنـتَ تَخْفـى وأنـا أظْهَرُ[5]!

- وقال في النسيب والخمر:

سقاني - وجفـنُ اللّيْـلِ يَغْسِلُ كُحْلَه ... بماءِ الصبـاحِ والنسيمُ رَقيـق -[6]
مُداماً كذَوْبِ التِّبْر: أما نِجارُها ... فضَخْمٌ وأمّـا جِرْمُهـا فدَقيـق[7].

- وقال في وصف الطبيعة:

سقـى جَـوْفَ الـرُصافـةِ مُسْتَهِلٌّ ... تُؤَلِّـفُ شَمْلَـه أيـدي الرِّيـاح[8].

---

(١) السيف (القوّة) يشقّ الدجى (سواد الليل)... ويقابل كلّ باب بمفتاح: يفصل في المشاكل ويسهّل الأمور. الأجل: مدّة الحياة الدنيا. في الحرب والأخطار حينما يسكت البطل من الذهول والخوف أفصح أنا (أي أتكلّم): أنقذ البطل من الخطر. وإذا كاد المحارب أن يقتل (وكنت أنا في يده) أبعدتّ عنه القتل.

(٢) أفديك بأبي... لماذا أصبح ظلمي طبعاً فيك؟

(٣) يعبق العنبر: تفوح رائحته الطيّبة (من فمه). اللمى: سمرة في الشفاه. ومن لماه: تقبيل شفتيه.

(٤) - كلانا يحبّ صاحبه، ومع ذلك فإنّ الدهر قدّر لنا (حكم علينا) بالبعد (الفراق).

(٥) - كأنّنا موجودان على نقطتين متقابلتين في الفلك (مدار النجم أو النجوم) فلا يمكن أن نرى (من مكان واحد في الأرض) في وقت واحد.

(٦) جفن الليل يغسل كحله بماء الصباح: الليل يفتح عينه (ليأتي النهار) فكأنّه يأتي بماء الصبح (النور) ليغسل به الكحل (سواد الليل)...

(٧) مدام: خمر. التبر: الذهب. النجار: الأصل. الجرم: الجسم، المادّة.

(٨) بطن الرصافة (وسط مدينة الرصافة). مستهلّ: مطر. تؤلّف شمله...: تزيده الرياح تجمّعا فيكثر سقوط الماء منه (من السحاب المتجمّع).

مَحَلٌّ ما مَشَيْتُ إلَيْه إلاّ   مشى فِيَّ ابْتهاجي وارْتياحي[1].
كأنّ تَرنُّمَ الأطيارِ فيهِ   أغانٍ فوق أوتارٍ فِصاح[2]؛
كأنّ تَثَنّيَ الأشجارِ فيه   عَذارَى قد شَرِبْنَ سُلافَ راح[3]؛
كأنّ الجَدْوَلَ المُنْسابَ نَصْلٌ   صَقيلُ المَتْنِ هُزّ إلى كِفاح[4]؛
كأنّ رِياضَهُ أبْرادُ وَشْيٍ   تَعَطَّفُ فوق أعْطافٍ مِلاح![5]

٤ - ★★ الذخيرة ١ : ٤٨٦ - ٥٣٥؛ جذوة المقتبس ١٠٧ - ١٠٨ (الدار المصرية) ١١٥ - ١١٦ (رقم ١٩٢)؛ بغية الملتمس ١٥٣ (رقم ٣٥٤)؛ معجم الأدباء ٥ : ٤١ - ٤٢؛ الوافي بالوفيات ٧ : ٣٥٠ - ٣٥١؛ المطرب ١٢٧ - ١٣٢؛ المغرب ١ : ٨٦ - ٩١؛ نفح الطيب ٣ : ٥٤٥ - ٥٤٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٤٠؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٠٦ - ٢٠٧ (٢١٣).

ابن حصن الإشبيليّ

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ غالبِ بنِ حُصْنٍ الإشبيليُّ نشأ في إشبيليَةَ ولم يكن فيها من ذوي اليَسار. ثمّ إنّه اتّصل بإسماعيلَ بنِ المُعتضد بنِ عبّادٍ؛ ومن طريق إسماعيلَ اتّصلَ بالمعتضد. ونال ابنُ حصنٍ حظوةً عند المعتضد فولاّه المعتضدُ الوزارةَ والكِتابةَ فحسُنَتْ حالُه.

وفي سَنَةَ ٤٤٠ هـ أو بعدَها بقليل جاء ابنُ زيدونٍ إلى بَلاطِ بني عبّادٍ في إشبيليَةَ فأصبحَ وزيراً للمعتضد. حينئذٍ نشأتْ بينَ ابنِ حُصنٍ وابنِ زيدونٍ نُفْرةٌ فحَسَدٌ. جعلَ ابنُ حصنٍ يُعرِّضُ بابنِ زيدونٍ ثمّ هجاه. ولكنّ ابنَ زيدونٍ سكت في الظاهر عن ابن

---

(١) الابتهاج والارتياح: الفرح والسرور.
(٢) أغان...: أغان عذبة يرافقها عزف بارع على الآلات الموسيقية.
(٣) السلاف: الخالص من الخمر (أجود الخمر). الراح: الخمر.
(٤) نصل: حديدة عريضة قاطعة (سيف). هزّ إلى الكفاح (القتال). يشبّه النهر الذي يجري متعرّجاً ينساب (كالحيّة) بالسيف الذي يهزّه حامله في الهواء (فيتثنّى لدقّته).
(٥) البرد (بالضمّ): ثوب من الحرير. الوشي: التطريز. تعطّف: استدار، استقر. الأعطاف جمع عطف (بكسر العين): الجانب الأعلى من الجسد. ملاح جمع مليح ومليحة (جميل وجميلة).

حصن. ثمّ كانت مِحْنةُ ابن حصن: كان المعتضدُ قد جعل ابنَه إسماعيلَ - ولم يكنْ إسماعيلُ بِكْرَهُ - وليّاً للعهد. غيْرَ أنّ إسماعيلَ حاولَ الغدرَ بأبيهِ لِتَولّي المُلكِ قبلَ أوانه وشايَعه على ذلك نفرٌ فيهم ابنُ حصن.

قال ابنُ عِذاري (البيان المغرب ٣ : ٢٤٤): «وفي سَنَةِ ٤٤٩ (١٠٥٧ م) قتل عبّادٌ المعتضدُ بالله ابنَه إسماعيلَ - وكان خليفتَه المُرشّحَ لمكانهِ - بعدَ أن كان (إسماعيلُ) هَمّ بغدره. فأخذَه أبوه وثَقّفه (حَبَسَه مُقيّداً) في قصره. فذهب (إسماعيل) إلى التدبير عليه ثانيةً من مَكانِ اعتقاله. فقال عبّادٌ: «لا يُلْدَغُ المُؤمِنُ من جُحْرٍ مرّتين» (وهذا حديث شريف) فقتله بيده وقتلَ الوزيرَ الذي واطأه على ذلك (والراجحُ أن هذا الوزير كانَ ابنَ حصنٍ) - راجع، فوق، ص ٥٠٧.

٢ - يبدو أن ابنَ حصنٍ الإشبيليَّ كان شاعراً مُكثراً أجاد الوصفَ والفخر والمديح والغزل والخمر والمُجون. وهو متينُ الأُسلوبِ جَزْلُ الألفاظ يطبَعُ على غِرارِ المشارقة. وكان طويلَ النفس إلاّ أن المعانيَ المبتكرةَ في شعره قليلةٌ. وجمالُ شعرِه إنّما هو من حيثُ الصياغةُ المتينة المُعبّرةُ عمّا يريد.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ حصنٍ الإشبيليُّ يَصِفُ فَرْخَ حَمامٍ:

وما هاجَني إلاّ ابنُ ورقاءَ هاتفٌ	على فَنَنٍ بينَ الجزيرةِ والنهرِ[(١)]؛
مُفَسْتَقُ طَوْقٍ لازَوَرْدِيُّ كَلْكَلٍ	مُوشّى الطُّلا أحوى القوادمِ والظهرِ[(٢)]؛
أدارَ على الياقوتِ أجفانَ لؤلؤٍ	وصاغ من العُقيانِ طَوْقاً على الثَّغْرِ[(٣)].

(١) ورقاء: حمامة. فنن: غصن.

(٢) مفستق: مائل الى الخضرة. الطوق: العقد (ريش ملوّن حول عنق الحمامة). لازورديّ: أزرق. الكلكل: أعلى الصدر. موشّى: مطرّز (مختلف الالوان). الطلا جمع طلاة (بالضمّ): العنق أو جانب العنق. أحوى: أسمر. القوادم جمع قادمة: ريشة في طرف الجناح.

(٣) عيناه حمراوان وأجفانه بيض. العقيان: الذهب الخالص (الأصفر). يكون على جانبي منقار الحمامة لحيات مستطيلة حمراء. ويبدو أن الشاعر قد خلط بين العقيان (الذهب الأصفر) والعقيق (الحجر الكريم الأحمر).

حـديدُ شَبا المِنـقار داجٍ كأنّــه شَبا قلمٍ من فِضّة مُدّ في حِبر[١].
تـوسّدَ من فَـرْعِ الأراك أريـكـةً ومـالَ على طيّ الجَناحِ من النَّحْر[٢].
ولـمّا رأى دمعي مُـراقـاً أرابه بُكـائيَ فاستولى على الغُصُنِ النَّضْر[٣]،
وحـثَّ جنـاحَيْهِ وصَفّق طـائـراً وطـار بقلبي حيثُ طار ولا أدري![٤]

وقال يفتخر بشِعره ويُعرّض بابنِ زيدونٍ ويقول في ذلك إنّ قيمة شعرِه إنّما هي في معانيه وإنّه لا يُحَسِّنُ معانِيَهُ بتفخيم إنشادِ الأبياتِ وترديدها:

تذكّرتُ قَـوْلي للـقـوافـي[٥] فلم تَزَلْ تُـســاعـدنـي عـفـواً ولـم تَـتَـعـذّر.
فدونــك عَـذْراءَ المعـاني ابْتَدَعْتُها عَـوانَ القـوافـي خِيرةَ المُتخيّر[٦]؛
إذا مـا الـرواةُ استَنْشَدتْها تبرقَعَتْ لـهـا أوجهٌ من حِـشـمـة وتغيُّـر[٧].
ويَنْكُــل عنهــا شاعرُ المِصرِ كُلّــهِ ألاَ فاضْحَكَنْ من شاعرِ المِصر وافخر![٨]
ولستُ بكاسيهـا مَـدى الدهرِ حُلَّـةً بنَغْمة إنشادٍ ولا بمُكَرّر.

– وكان مرةً في قُرطبةَ فذَكَرَ إشبيليةَ (وكان يُقالُ لها حِمصُ تشبيهاً لها بحمصِ الشام):

---

(١) حديد: حادّ، ماض، قاطع. الشبا جمع شباة: حدّ السيف. داج: أسود.

(٢) توسّد: نام (هنا: جثم = وضع بطنه على الغصن). الفرع: الغصن. الأراك: شجر تصنع منه المساويك له ثمر أحمر يؤكل. أريكة: صفّة، مقعد وثير (مريح). ومال بعنقه الى جانبه (نام).

(٣) مراق: مسكوب، سائل. أرابه = رابه: أقلقه وأزعجه. استولى: امتلك، استوى (نهض من مجثمه). النضر والناضر: الأخضر الطريّ.

(٤) حثّ جناحيه: والى تحريكها.

(٥) قول القوافي: نظم الشعر.

(٦) عذراء المعاني: ذات معان جديدة مبتكرة. عون القوافي أو عوانها: مكرّرة القوافي (لأنّ القوافي محدودة لا يستطيع الشاعر أن يبتكر شيئا منها غير الموجود في أحرف الهجاء). ولكنّها متخيّرة (منتقاة: مختارة).

(٧) رواة الشعر والعلماء بالشعر يطلبون أن يسمعوا شعري. ولكنّ نفراً من الشعراء تتبرقع (تتغطّى) وجوههم بالحشمة (بالحياء، لأنّهم لا يستطيعون أن يقولوا مثله) أو بالتغيّر (بالاصفرار، لأنّ شعري يعرّض بهم أو يعجّزهم عن قول مثله).

(٨) نكل عن الشيء: جبن وتراجع خوفاً أو عجزاً. المصر: البلد. شاعر المصر: الشاعر المعترف له رسميّاً بأنه شاعر الدولة (إبن زيدون!) سأضحك أنا عليه وأهزأ به ثمّ أفتخر بشعري.

ذكرتُـكِ، يـا حِمصُ، ذِكرى هَوًى ... أمـــاتَ الحَـــسـودَ وتَعْنِيتَـــهْ[1]
كأنّكِ، والشمسُ عند الغُروبِ، ... عروسٌ مـن الحُسـن منحـوتـهْ.
غدا النهرُ عِقْدَكِ، والطَّودُ تا ... جَكِ والـشمسُ أعلاه يـاقـوتهْ.

- وقال في الخمر:

قُمْ، يا غُلامُ، فسَقِّنيها واطرَبِ ... واشرَبْ- عَتَبْتُ عليك- إن لم تشرب
من قهوةٍ صفراءَ ذاتِ أسِرّةٍ ... في الكأسِ تأتَلِقُ ائتلاقَ الكوكب[2].
خُضِبَتْ بَنانُ مُديرها بشُعاعِها ... فِعلَ العَرارةِ في شِفاه الربرب![3]

٤ - ★★ جذوة المقتبس ٣٩٥ (الدار المصرية) ٣٩٥ (رقم ٩٣٣)؛ بغية الملتمس ٣١٤، ٥٠٦ (رقم ١٢٣٢ و ١٥٢٣)؛ الذخيرة ٢: ١٥٨ - ١٨٦؛ المغرب ١: ٢٤٥ - ٢٤٧؛ نفح الطيب ٣: ٢٦٦، ٤٢٩؛ الشعر في ظلّ بني عبّاد، تأليف محمّد مجيد السعيد، النجف الأشرف (مطبعة النعمان) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م (ص ٢٩٥ - ٣٠١).

اسماعيل بن أحمد التجيبي البرقيّ

١- هو★ أبو الطاهر إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ زيادةِ الله التُجيبيُّ المعروفُ بالبَرْقيّ،[4] من أهلِ القَيْروانِ، أخذَ عن أبي اسحاقَ الحُصْريّ (ت ٤٥٣ هـ) تآليفَه.

دخل إسماعيلُ بنُ أحمدَ الأندلسَ بعدَ سَنَةِ ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) ومكثَ فيها مُدّةً، فقد كان في مالَقَةَ سنة ٤٠٦ هـ. ثمّ رَحَلَ إلى مِصْرَ نحو ٤١٤هـ ثمّ زارَ صِقِلّيَةَ وقضى

---

(١) في القاموس: عنّته (تعنيتا) شدّد عليه وألزمه ما يعجز عن ادائه! والكلمة قلقة هنا، ولعلّها قراءة خاطئة.

(٢) الأسرّة جمع سرير: صفّة (بضمّ الصاد) أو فراش مرتفع أو مقعد مرتفع (ولا معنى لها هنا). ولقد قال عنترة في معلّقته: «بزجاجة صفراء ذات أسرة» (وحاول الشرّاح أن يجعلوا الأسرة خطوطاً في الكأس؛ (ولكنّ عنترة أيضاً ليس حجّة في اللغة). ائتلق: لمع وأضاء.

(٣) العرارة: بهار (زهرة صفراء) طيّبة الرائحة. الربرب: القطيع من الظباء أو البقر الوحشي أو الإنسي لا واحد له. الملموح أن الظبي إذا أكل من العرار تلوّنت شفتاه كما تتلوّن كفّ الساقي من لون الخمر من خلال كأسها.

(٤) البرقي نسبة إلى برقة (مقاطعة بين الاسكندرية وطرابلس الغرب: الجانب الشرقي من ليبيا اليوم).

(★) جميع الأرقام المسبوقة بالحرف: ص (في هذه الترجمة) تشير إلى صفحات كتاب «المختار من شعر بشّار».

فيها بضعةَ أعوام على طَرَفَيْ سَنَةِ ٤٣٠ هـ. ثمّ نَجِدهُ في الإسكندرية سَنَةَ ٤٣٨ هـ. ويبدو أنّه في أثناء هذا التَجْوال اتّصل بنفرٍ منهم أبو القاسم سعيدُ بن أبي مَخْلدٍ الأزديّ العُثماني وأبو حسنٍ عليُّ بن حُبش[١] الشَيْبانيّ الأديبُ وأبو يعقوبَ النَجِيرَمي (ت ٤٢٣ هـ)- أخذ عنه كتاب «أدب الكاتب» لابن قُتيبة (ت ٢٧٦ هـ)- وأبو القاسم عمّار (بن !) محمّد الإسكندراني وأبو القاسم عبد الرحمن بن أبي البِشْر (وكان مؤدّباً له) وأخذ عن هؤلاء وعن سواهم.

وكان إسماعيلُ بنُ أحمدَ موجوداً في جُمادى الثانية من سَنَةِ ٤٤١ (ص: ل)[٢].

٢- كان اسماعيلُ بنُ أحمدَ التُجيبيُّ البرقيُّ أديباً بارعاً في معرفةِ الأدب والشِعر خاصّةً بالإضافة إلى معرفته باللغة والنحو والبلاغة. وله في النثر أسلوبٌ سهلٌ رصينٌ واضحٌ متينٌ. وكان له نظمٌ عاديّ. ولم يتكسّبْ بالأدب (ص ١٧٨). وكان مُصنّفاً له: شَرْحٌ على «المختار من شعربشّار »(صنعه بعيد ٤٢٧ هـ)- الرائق بأزهار الحدائق.

٣- مختارات من آثاره

- كيف شُفِيَ اسماعيلُ بنُ أحمدَ التُجيبيُّ البَرْقيُّ من مَرَضِه، قال (ص ١٤ - ١٥):

كنتُ بمدينةِ مالَقَةَ من بلادِ الأندلس سَنَةَ ستٍّ وأربعِمائَةٍ فاعْتَلَلْتُ بها مُدَيْدَةً انقطعتُ فيها عن التصرُّفِ ولَزِمْتُ المنزلَ. وكان يُمَرِّضُني حينئذٍ رفيقانِ كانا معي يلُمّانِ من شَعْثي[٣] ويَرْفِقان بي. وكنت إذا جَنّني الليلُ اشتدَّ سَهري، وخَفَقَتْ حَوْلي[٤] أوتارُ العِيدانِ والطنابيرِ والمَعازف[٥] من كلِّ ناحيةٍ واختلطتِ الأصواتُ بالغِناء فكان ذلك شديداً عليّ وزائداً في قَلَقي وتألُّمي. فكانتْ نفسي تَعافُ تلك

---

(١) «حبش» بسكون الباء أو فتحها.

(٢) قدّر الزركلي (الأعلام للزركلي ١: ٣٠٤) وفاته سنة ٤٤٥ هـ (ولعلّها بعد ذلك).

(٣) الشعث: التفرّق (لمّ الشعث: جمع الأمور ورتّبها).

(٤) خفقت (أخرجت أصواتاً) حولي (في جوار مسكني).

(٥) العود والطنبور (بالضمّ) والمعزف (بالكسر): آلات موسيقية وترية.

الضُروبِ طبعاً وتكرَهُ تلك الأصواتَ جِبِلَّـةً[١] ،وأوَدُّ (أنْ) لو أجِدُ مَسْكناً لا أسمعُ فيه شيئاً من ذَيْنِكَ[٢]، ويتعذّرُ عليّ وجودُه لِغَلَبَةِ ذلك الشأنِ على أهلِ تلك الناحيةِ وكَثْرتِه عندهم[٣]. وإنّي لَساهرٌ لَيْلةً - بعد إغفاءةٍ في أوّلِ لَيْلتي، وقد سَكَنَتْ تلك الألفاظُ المكروهةُ وهَدأتْ تلك الضُروبُ المُضْطربةُ - وإذا ضَرْبٌ خَفيٌّ معتدلٌ حَسَنٌ لا أسمعُ غيرَهُ، فكأنّ نفسي أَنِسَتْ به وسكنتْ إليه ولم تَنْفِرْ منه نِفارَها من غيره. ولم أسمعْ معه صوتاً[٤]. وجعل الضَرْبُ يرتفعُ شيئاً فشيئاً ونفسي تَتْبَعُه وسمعي يُصغي إليه إلى أن بلغَ في الارتفاع إلى ما لا غايةَ وراءه[٥]. وارْتَحْتُ له ونَسِيتُ الألَمَ. وتداخلني[٦] سرورٌ وطربٌ. وخُيِّلَ إليّ أن أرضَ المنزلِ ارتَفَعَتْ بي، وأنّ حِيطانَه تمورُ حَوْلي[٧]. وأنا في كلِّ ذلك لا أسمعُ صوتاً. فقلتُ في نفسي: أمّا هذا الضَرْبُ فلا زيادةَ عليه. فليتَ شِعْري، كيف صوتُ الضاربِ وأينَ يَقَعُ من ضَرْبه[٨]؟ ولم أَلْبَثْ أن اندفعتْ جاريةٌ تُغنّي في هذا الشِعرِ بصوتٍ أَنْدى من النُّوّارِ غِبَّ القطار[٩] وأحلى من البارد العَذْبِ على قلبِ الهائم الصبّ[١٠]. فلم أَمْلِكْ نفسي أنْ قُمْتُ - ورَفيقايَ نائمانِ - ففتحتُ البابَ وتَبِعتُ الصوتَ، وكان قريباً منّي، فاطّلَعْتُ من وَسَطِ منزلي على دارٍ فسيحةٍ، وفي وَسَط الدار بُستانٌ كبير، وفي وَسَط البُستان شَرْبٌ[١١] نحوٌ من عِشرينَ رجلاً قدِ اصطفّوا - وبينَ أيديهم شَرابٌ وفاكهةٌ وجَوارٍ قِيامٌ بِعيدانٍ وطنابيرَ وآلاتِ لَهْوٍ ومزاميرَ[١٢] لا يُحرِّكْنَها - وجاريةٌ جالسةٌ ناحيةً وعودُها في حُجْرِها، وكلٌّ

(١) الضروب جمع ضرب: العزف على آلة موسيقية. الجبلّة: الطبع.

(٢) من ذينك الشيئين (صوت العزف وصوت الغناء).

(٣) لكثرة اهتمامهم بالطرب.

(٤) الصوت: الأغنية، النشيد (بخلاف العزف).

(٥) إلى ما لا غاية وراءه (بعده، فوقه): صوت مرتفع جدًّا.

(٦) تداخلني: لزمني، أقام فيّ (استقرّ في نفسي...)

(٧) مار يمور: اضطرب وماج.

(٨) الضارب: العازف على الآلة الموسيقية. أين يقع من ضربه؟ (أصوته جميل مثل عزفه؟).

(٩) النوار: الزهر الأبيض. القطار: المطر. أندى من النوار: أكثر نضارة وجمالاً.

(١٠) الهائم الصبّ: المحبّ الذي هام (تحيّر واضطرب) من شدّة الحبّ.

(١١) الشرب (بفتح فسكون): جماعة يشربون (الخمر) معاً.

(١٢) المزمار: آلة موسيقية من آلات النفخ (من قصب أو من أنبوب مشابه للقصب).

يَرْمُقُها ببصره ويُوعِيها سَمْعه[1]. وأنا قائمٌ بحيثُ أراهم ولا يَرَوْنني وكُلّما غنّتْ بيتاً حَفِظْتُه إلى أن غنّتْ عِدّةَ أبياتٍ وقَطَعَتْ[2]. فعُدتُ إلى مَوْضعي - يشهَدُ اللهُ - وكأنّما أُنْشِطْتُ مَن عِقالِ[3]. وكأنْ لم يكُنْ بي ألمٌ.

- وله من أبيات (ص ١٢٥ = ٢٩٥)

خِلٌّ بَلَوْتُ خِلالَه فوَجدتُّها محمودةً في الجَهْر والإسرارِ[4].
عَلِقَتْ يدي منه بأروعَ ماجدٍ جَمِّ الفضائِل طيّبِ الإخبار[5].
كَرُمَتْ أُرومَتُه، وأشرقَ وجهُه، وصَفَتْ خلائقُه من الأكْدارِ[6].
وشأى الأفاضلَ واستبدَّ برُتْبةٍ أعْيَتْ على الأدباء والنُظّار[7].
كم سابقٍ جاراه في مِضمارِهِ فكبا، وجاز نهايةَ المِضمار[8].

٤ - المختار من شعر بشّار (اختيار الخالديّين)[9]، وشرحه[10] (اعتنى بنسخه الخ السيد محمّد بدر الدين العلويّ)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مطبعة الاعتماد) ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م[11].

★★ التكملة ١ : ٢٢٨؛ بغية الوعاة ١٩٣؛ الأعلام للزركلي ١ : ٣٠٤ (٣٠٩)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٣٧ - ١٤٠.

---

(١) أوعى = وعى: حفظ (جعلها الكاتب متعدّية إلى مفعولين، وليس ذلك عملها. يقصد: أوعاها في سمعه).

(٢) قطعت الغناء، انتهت من غنائها.

(٣) أنشطت من عقال: فكّ عنّي رباط.

(٤) خلّ (صديق) بلوت (اختبرت) خلاله (صفاته).

(٥) علقت يدي (وجدت، ظفرت). الأروع: الذكيّ. الشريف الخيّر. جمّ: كثير. الإخبار (يقصد: الخبر = حقيقة الإنسان، خلاف ظاهره).

(٦) الأرومة: الأصل.

(٧) شأى: سبق. أعيت على: استحالت، امتنعت. النظّار: (المتكلمون بالمنطق؟).

(٨) جرى معه (إلى المجد) كثيرون فكبوا (بفتح الباء: سقطوا) في أثناء الطريق، وجاز (قطع المضمار كلّه) هو إلى الهدف.

(٩) الخالديّان أخوان (أبو بكر محمّد وأبو سعيد عثمان) من الأدباء الذين عاشوا في بلاط سيف الدولة في حلب، وكانا يؤلّفان الكتب معاً (القرن الهجري الرابع).

(١٠) الشرح لأسماعيل بن أحمد صاحب الترجمة.

(١١) ليس على الكتاب تاريخ للطبع (التاريخ المثبت هو التاريخ الملحق بمقدّمة الشارح).

ابن الخيّاط الربعي الصقلّيّ

١ - لم يَصِلْ إلينا من حياةِ ابنِ الخيّاطِ هذا حوادثُ واضحةٌ. إنّ النَزْرَ اليسيرَ الذي نَعْرِفه ممّا يتّصلُ بحياتِه نقولُه تخميناً من قرائنَ نَجِدُها في حياةِ المُعاصرين له.

هو ابنُ الخياط (ولم يَرِدْ اسمُه في فهارِس « الذخيرة » ولا في فهارِس « نفح الطيب » ولا في فهارس « المكتبة الصِقلّية العربية » التي جَمَعَها المستشرقُ الايطاليّ ميخائيل أماري. وكذلك لم يَرِدِ اسمُهُ في « خريدة القصر » - لا في قسم الأندلسِ ولا في قسمِ المَغْرِب، ولا في فهارِسِ تاريخ الأدب العربيّ للمستشرق الألمانيّ كارل بروكلمن). وقدِ اكتفيتُ أنا في هذه الترجمة بكتابِ الدكتور إحسانِ عبّاسٍ « العربِ في صقلّية ».

وهو ابنُ الخيّاطِ الصِقلّي (من جزيرةِ صقلّيةَ) الربعي (بفتح ففتح: نسبةً إلى قبيلةِ رَبيعةَ؛ أو بفتح فسكون: نسبةٌ إلى الرَبْعة: وهو اسمٌ لحَيَّيْنِ من العرب؛ أو نسبةً إلى الرُبَع بضمّ ففتح أي الفصيلِ من الإبِلِ يُنتج - بالبناء للمجهول - أي يُولد في الربيع).

وقد حاول الدكتور إحسان عبّاس أن يجعل لوفاة ابن الخيّاط زمناً بين حدّين: قال عنِ ابنِ الخيّاط (ص ٢١٠): « وهذا لا يُبعِدُ صِلَتَهُ بالأمراء الكَلْبيّين (حُكّامِ صقلّيةَ العربِ) عن سَنَة ٣٩٠ هـ » (١٠٠٠ م) بعدَ أنْ قال (ص ٢٠٩) « فإنّه (أي ابنَ الخيّاطِ) لم يَشْهَدْ صقلّيةَ في عصرِها الجديد - عصرِ الحكم النورمانيّ - ». والنورمانُ استبدّوا بحُكْمِ صقلّيةَ سَنَةَ ٤٧٣ (١٠٨٠ م). ومعنى هذا أنّ ابنَ الخياطِ انتقَل من صقلّيةَ (إلى القيروان) قبلَ أن يَنْزِلَ فيها النورمان، وليس معنى هذا (من الجملة الأخيرة) أنّ ابنَ الخيّاطِ تُوُفّيَ سنة ٤٧٣. فإذا كانَ اتّصالُ ابنِ الخيّاط بالأمراءِ الكلبيّين سَنَةَ ٣٩٠ (وعمره تقديراً بين خمسٍ وعِشرين وخمس وثلاثينَ) ثمّ بَقِيَ حيًّا إلى ما بعدَ سَنَةِ ٤٧٣، فمعنى هذا أنّه قد عاشَ مائةً وعشْرَ سَنَواتٍ على الأقلّ.

وبما أن التاريخَ الأوّلَ (في افتراض الدكتور احسانِ عبّاسٍ أقربُ إلى الواقع، لأنّ الشاعرَ اتّصلَ بِحَسَبِه، بالكلبيّين (والدليلُ على ذلك قصائدُ مَدَحَهُمْ بها) فيحسُنُ

أن يميلَ المؤرّخُ إلى تقديمِ وفاةِ ابن الخياط إلى زمنٍ سابق على الفتحِ النورمانيّ لصقلّيةَ مدّةً طويلة، أي إلى سَنَةِ ٤٤٠ أو سَنَةِ ٤٥٠ (١٠٤٨-١٠٥٨ م).

٢- ابنُ الخيّاطِ الصِقلّي الربعي شاعرٌ مُجيدٌ، وشعرُهُ سهلٌ واضحُ الأغراضِ قليلُ التكلُّفِ والصِناعة، ثمّ هو يهتّم بالمعاني أكثَرَ مِنَ اهتمامه بالألفاظ. وأغراضُ شِعره المديحُ والحماسةُ (وصفُ الحربِ) ووصفُ الطبيعة - وهنا نَجِدُه شاعراً يمثلُ صقلّيةَ في طبيعتها، كما كان قد صوّر أحوالَها السياسيةَ من ضَعْفها ومن الفِتَن فيها في أماديحه وفي حماساته - ثم الأدبُ أوِ الحِكمة مَعَ أشياءَ من مداركِ الفلسفة وتعابيرها. وله وصفٌ للخمر وَغَزَلٌ مَع التحلُّلِ من عددٍ من قيود المجتمع السليم.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الخيّاط الربعيّ يمدح انتصارَ الدولة:

ويـــا رُبَّ يـــومٍ لـــه مُسْعَـرٍ إذا خَـمَـدتْ نـــارُه أوقـــدا[١]؛
تـخاف بـه الـرجلُ من أختِـها، ولا تـأمنُ الـيَـدُ فـيـه الـيدا[٢].
وتـرمـي رِجــالاً بـأعضائـهـم، فـمَثْـنـى تَراهُنّ أو مَـوْحَـدا[٣].
تــرى السـيفَ عُـريانَ مــن غِمده وتــحـسَـبُــه مــن دمٍ مُـغْـمَـــدا.

- ولابن الخيّاط الربعيّ مقاطعُ في الأدب تنطوي على أشياءَ من الحِكمة تجري في عددٍ من تعابيرِ الفلسفة:

★ أرى كـلَّ شـــيءٍ لـــه دولـــةٌ لحُكْمِ التَعاقُبِ فيها عملْ[٤].
فـلا تـفْرَحـنّ ولا تَحْزَنَـــنّ لشـيءٍ إذا ما تـناهـى انـتـقلْ[٥].
★ ما كانَ أمسِ فقد فاتَ الزمانُ به، وما يكونُ غداً في الغيب موعودُ.
وبـين ذَيْـنِكَ وقتٌ أنت صاحبُه في حالتَيْهِ: فمذمومٌ ومحمود.

---

(١) مسعر: موقد (شديد الحرّ) يوم مسعر: معركة شديدة. كلّما خفّت شدّة المعركة زادها هو اشتعالاً.
(٢) المعركة شديدة إلى درجة لا يأمن فيها أحد أحداً (ولو كان من حلفائه).
(٣) قد يصاب المحارب بإحدى يديه أو رجليه أو عينيه، أو فيها كليها.
(٤) دولة: دور، فترة زمنية (لأن تعاقب الأحداث من عمل قانون طبيعي).
(٥) تناهى: بلغ نهايته. انتقل: تبدّل.

★ تمتّعْ بالمَنامِ على شِمالٍ، فسوفَ يطولُ نومُك باليمينِ[1].
ومَتِّعْ من يُحِبُّكَ من تَلاقٍ، فأنت من الفِراقِ على يقينِ[2].
★ إنّ سبَّ الملوكِ من شُعَبِ الموتِ، فإيّاك أن تسُبَّ المُلوكا[3].
إن عَفَوْا عنك بالذنوبِ أهانوك، وإن عاقَبوا بها قتَلوكا.

– وقال ابن الخيّاط الربعيّ يمدح انتصارَ الدولة حينَ ظَفِرَ بثائر ثارَ عليه:

ظنَّ الإمارة ظُلّةً، فإذا بها حربٌ يكاد أُوارُها يتأجّجُ[4]،
ومُهنّداتٌ كالعَقائِق ماؤها مترقرقٌ ولهيبُها متأجّجُ[5].
لا تستقرُّ العينُ فوقَ مُتونها فكأنّما هي زِئْبَقٌ مُترجْرِجِ[6].
ومداعسٌ للخيلِ يرمَحُ وسْطَها من غير فارسِه، طِمِرٌّ مُسْرَج[7].
عَقْرى وسالمةٌ تَعثَّرُ بالقَنا: العَسْجديُّ وذو الخِمارِ وأعْوج[8]،
طرَحَتْ فوارسَها على أذقانهم طرْحَ الكِعاب: فمُفْرَدٌ أو مُزْوج[9].
في موطنٍ سلَبَ الحليمَ وَقارَه فكأنّما هو مُسْتَطارٌ أهْوَج[10].

---

(١) النوم على الجانب الأيسر في الحياة (كناية عن التمتّع باللذة...). أمّا في الموت فيسجّى الميت في قبره على جانبه الأيمن.

(٢) تلاق: اجتماع. الفراق: الموت.

(٣) الشعبة (بالضمّ): الغصن ونحوه (وهنا: طريق، سبب).

(٤) الظلّة: العريش الذي يحمي الإنسان من الشمس أو المطر... الأوار: شدّة الاشتعال.

(٥) المهنّد: السيف. العقيق: حجر كريم أحمر اللون (كناية عن كثرة الدم). ماء المهنّد: صقاله (بالكسر)، لمعانه (لأنه ماض: قاطع) جدًّا.

(٦) إن صفحات هذه السيوف مصقولة تلمع في النور حتّى لا يستطيع البصر أن يثبت عليها.

(٧) المدعس: الطريق الذي كثر السير عليه (كناية عن طول المعركة. ذهاباً وإياباً: هجوماً وتقهقراً). رمح (في القاموس): أضاء، رفس (وهنا معناها: يركض بحرّيّة). الطمرّ: الفرس السريع. يرمح فوقها من غير فارسه طمِرّ مسرج (كناية عن أن القتلى كانوا كثيرين حتّى أن معظم الخيل كانت تجول في ميدان المعركة وليس عليها فوارسها).

(٨) عقرى (مجروحة) تعثّر = تتعثّر. القناة: الرمح. (لمّا قتل الفوارس أصبح سلاحهم ملقى على الأرض، فالخيل في أثناء تجوالها تعثر به). العسجدي وذو الخمار وأعوج (من أسماء الخيل).

(٩) الذقن (بفتح ففتح): الوجه. الكعب: قطعة مكعّبة صغيرة تستخدم في لعب النرد. طرح الكعاب (بسهولة). مفرد (فارس قتيل مطروحاً أرضاً وبعيداً عن غيره) أو مزوج (فارسان اعتنقا في القتال ثم قتل كلٌّ منهما الآخر فسقطا معاً).

(١٠) مستطار القلب: شديد الخوف. أهوج (يفعل أفعاله بلا تنظيم).

– وقال بين الوجدان والآراء الفلسفية:

ليس إلاّ تنَفُّسُ الصُعَداءِ وبُكائي، وما غَناءُ بُكائي؟[١]
مَنْ رَسولي إلى السماءِ يُؤدّي لي كتاباً إلى هِلال السماء؟[٢]
كيف يرقَى إلى السماء كثيفٌ؟ يسلُكُ الجسمُ في رَقيقِ الهواء[٣].
عجَزَ الإنسُ أن تَرَقّى إليها، فعسى الجِنُّ أن تكونَ شِفائي[٤].
أم ترى الجِنَّ تتّقي شُهُبَ الرَجْمِ؟ فدَعْني كذا أموتُ بدائي[٥].

٤–★★ راجع كتاب «العرب في صقلّية»، تأليف احسان عبّاس، مصر (دار المعارف) ١٩٥٩ م (والمصادر المثبتة فيه).

محمّد بن الحسين المغربي

١ – هو محمّدُ بنُ الحسينِ بنِ أبي الفتحِ القُرَشِيُّ المَغْربيّ السُوسيّ القَيْروانيّ المعروفُ بابنِ ميخائيل، من أهلِ سوسةَ، استوطنَ القيروانَ وتأدّبَ فيها. كان في أيامِ المُعِزِّ بنِ باديس[٦].

٢ – كان محمّدُ بنُ الحُسينِ المَغْربيُّ شاعراً رقيقاً سَهْلَ الكلام، وكان شديدَ الانتقاد للشِعر على مذهبِ قُدامةَ الكاتبِ[٧]. وفنونُه الغزلُ العفيف والصريح في الكِنايات البريئة.

---

(١) تنفّس الصعداء (النفس العميق الطويل الحار – كناية عن الحزن). الغناء (بالفتح): الفائدة.
(٢) هو يريد أن يعرف أسرار العالم العلوي (ألعلّه يكني بذلك عن محبوب جميل؟).
(٣) في الفلسفة أنّ الجسم (مادّة كثيفة) لا ترقى (بعد الموت) إلى الملأ الأعلى (عالم الخلود). ولكنّ النفس (وهي جوهر روحاني خفيف) يمكن أن تصعد إلى الملأ الأعلى.
(٤) هل أستطيع أن أبلغ إلى الملأ الأعلى من طريق الجنّ فأعرف من طريق الجنّ أخبار السماء؟
(٥) تتّقي: تخاف، تتجنّب. شهاب الرجم: (الجنّ ممنوعون من الدنُوّ من السماء، إذ يقذفون (إذا اقتربوا منها) بالشهب المشتعلة فيحترقون.
(٦) جاء المعزّ إلى العرش سنة ٤٠٦ هـ ثمّ استقلّ بالحكم، سنة ٤١٧، وتوفّي سنة ٤٥٣ هـ.
(٧) قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ).

٣ - مختارات من شعره

- لمحمّد ابن الحسينِ المَغربيّ مقاطعُ رُوِيَ له منها:

★ صُوِّرَ عبدُ اللهِ من مِسْكةٍ ... وصُوِّرَ الناسُ من الطينِ.
أبدَعَهُ اللهُ - وسُبحانَه - ... كَمِثْلِ حُورِ الجنّةِ العِينِ[١].
مُهَفْهَفُ القَدِّ هَضيمُ الحشا ... يَكاد يَنْقَدُّ من اللِّينِ[٢].
كأنّ في أجفانِه، مُنْتَضًى، ... سيفَ عليٍّ يومَ صِفّينِ[٣].

★ سافراتٌ عنِ الوجوهِ تُحَيِّي ... أوجهَ الشَرْبِ بالذي تختارُهْ[٤].
كالعَذارى الحِسانِ في الحُلَلِ الحُمْـ ... ـمرِ وكالجَمْرِ طارَ عنه شَرارُهْ[٥]،
في أوانٍ من الربيعِ أنيقٍ ... زهرُهُ، مُستقلّةٍ أطيارُه[٦].
زائرٌ نَوّرَ الربيعَ فخِلْنا ... وَشْيَ صَنعاءَ أنّه نُوّارُه[٧].
واكتسى الأُفْق بِشْرَه، فحَسِبْنا ... مِسْكَ دارينَ ما حَوَتْ أقْطارُه[٨].

★ أحْبَبْتُ منه شمائلاً فوجدتُها ... في الطبعِ مِثْلَ خلائقي وشمائلي[٩].

(١) الحوراء من النساء من اشتدّ سواد عينيها واشتدّ بياضها. العيناء الواسعة العينين.

(٢) مهفهف القدّ: ممشوق (فيه طول مع اعتدال وامتلاء بلا سمنة). هضيم الحشا (نحيل الخصر). ينقدّ: ينقطع.

(٣) كأن سيف الإمام عليّ منتضى (مسلول) من عيونه.

(٤) سافرات (كاشفات). الشرب: الذين يشربون (الخمر) معاً. تختاره (بإشارة تختارها: بكأس خمر، بزهرة، بحركة من يدها، الخ).

(٥) كالجمر طار عنه شراره (كناية عن شدّة الاشتعال وعن النشاط).

(٦) أوان: زمان. أنيق: جميل يعجب العين. مستقلّة: طائرة في الفضاء (مع أن من عادة الطيور أن تختبىء في أيام المطر وأيام البرد الشديد. فإذا بدأ الجوّ بالاعتدال أخذت بالطيران من مكان إلى مكان).

(٧) زائر (كناية عن الزهر) نوّر (أضاء). خال: ظنّ. ظننا أن نوّار الربيع (أزهاره) وشي (تطريز) من نسج صنعاء (عاصمة اليمن المشهورة بنسج الحرير وتطريزه).

(٨) البشر: طلاقة الوجه. دارين: مكان في الشام ومكان في البحرين (أحدهما أو كلاهما مشهور بأن المسك يأتي منه). الأقطار جمع قطر (بضمّ القاف): الجانب، الناحية. كلّ جانب من الأرض (في الربيع) فيه رائحة طيّبة.

(٩) الشمائل جمع شمال (بكسر الشين): الخلق (بالضمّ) والطبيعة.

فكأنّني أحْبَبْتُ مَنْ قد شَفّه ... حُبّي ورُحْتُ مُشاكِلاً لِمُشاكلي[١].
كم ليلةٍ مزّقتُ ثوبَ ظلامِها ... بضيائِه وقَبِلْتُ فيه وسائلي[٢].
فكأنّني من وَجْهِهِ في صُبْحِها، ... وكأنّه مِنّي مَناط حَمائلي[٣].
والعيشُ ليس يَلَذُّ طعمَ مَذاقِه ... حتّى يُشاب بمأثَمٍ أو باطلٍ[٤]!

٤-** المحمّدون من الشعراء ٢٦٢ - ٢٦٣؛ الوافي بالوفيات ٣: ٦.

عبد الملك بن غصن الحجاري

١ - هو أبو مروانَ عبدُ الملكِ بنُ غُصْنٍ الحِجاريّ من أهل وادي الحِجارة (على مقرُبة من مدريدَ، شَمالاً) رَحَلَ إلى المشرق وتأدّب (على نفرٍ من علمائه) وحَجّ ثمّ عاد إلى بلده. نال حظْوةً عند ملوكِ الطوائف، غيرَ أنّه فضّل صُحبةَ أبي عُبيدةَ (المستبدِ بأمرِ مدينة وادي الحِجارة؟) فغضب عليه المأمونُ بن ذي النون (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) صاحبُ طُلَيطُلَةَ (ربّما لمنافسةِ أبي عبيدة له ولِطَمَعِ المأمون في الاستيلاء على وادي الحجارة - لقرب المسافةِ بين البلدين). وقدِ استطاع المأمونُ أن يَنْكُبَ عبدَ الملكِ الحِجاريَّ وأن يسجُنَه أيضاً. ولكّن المقتدِر بنَ هودٍ صاحبَ سَرَقُسْطَة (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ) استطاع أن يخلّصه، إذ شَفَعَ له عند المأمون (نفح الطيب ٣: ٣٦٤) فأطلَقَ المأمونُ سَراحه. وكانت وفاة عبد الملك بن غصن سَنَةَ ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م).

٢ - كان أبو مروانَ عبدُ الملكِ الحجاريُّ أديباً شاعراً. وشعرُهُ عذبٌ رقيقٌ مُتفرّقٌ بينَ الفخر والمدح والهِجاء والاعتذار والعِتاب والخمر ووصف الطبيعة والإخوانيّات. وكان بارعاً في أنواعِ العلوم والآداب من الأدبِ والتاريخ خاصّةً.

---

(١) شفّه الحبّ: أنحله وأمرضه. مشاكل: مشابه. مشاكل لمشاكلي (أشبه محبوبي).
(٢) وقبلت فيه وسائلي (؟) - تمتعت بما قدرت عليه (؟).
(٣) المناط: المكان الذي تتعلّق به الأشياء. الحمالة (بكسر الحاء): علاقة السيف في العنق. فكأنّه منّي مناط حمائلي: يعانقني.
(٤) يشاب: يخلط. مأثم: ذنب. باطل: عبث (بفتح فسكون)، لهو، لعب، عمل لا فائدة نافعة منه.

وكان أيضاً مؤلّفاً كتب في سِجنه رسالةً عنوانها «رسالةُ السِجن والمسجون والحُزن والمحزون» وضمّنها ألفَ بيتٍ من شِعره وأهداها إلى المأمونِ بن ذي النونِ (أملاً في إطلاقِ سراحه). وله رسالة أُخرى عُنوانها «العَشْرُ كلِماتٍ».

٣ - مختارات من شعره

- كتب عبدُ الملك بنُ غصنِ الحِجاريُّ من سِجنه إلى أخيه:

أأرْوَى، وبينَ ضُلوعي حريقُ؟ وأشْجى وإنسان عيني غريقُ(١)؟
وفي كلّ يومٍ وفي كلّ حينٍ يُحَمّلني الدهرُ ما لا أُطِيقُ.
تَهيمُ الخُطوبُ بوَصْلي، فما لَهنّ إلى غيرِ قلبي طريقُ.
أيا واحِدي وشَقيقي ويا فريقاً يُبكِّيهِ منّي فريقُ(٢)،
أخوك أخو نَكَباتٍ لها يَرِقُّ العَدُوُّ، فكيفَ الصديقُ؟
كَسَدتُ ونَظْمِيَ دُرٌّ نفيسٌ، وضِعْت ونَثْرِيَ مِسْكٌ عَبِيقُ.
وما أظلمَ الجَهْلُ في معشرٍ وفي أُفْقِهم من علومي شَريقُ(٣).
ولو جاثليقٌ تَخَوّلْتُه بموعظةٍ آمَنَ الجاثليقُ(٤).

- وقال يفتخر برِسالته وبما ضَمّنها من الشعر:

وألفُ بيتٍ من القريضِ إذا ماتَ جميعُ الأنامِ لم تَمُتِ.
لو أنّ شعرَ الورى يُنَظَّمُ في عِقْدٍ لكَانتْ بمِوْضعِ السَطَةِ(٥).
سائرةٌ حيث لم يَسِرْ قمرٌ ولا سَرَتْ أنجُمٌ ولا جرَتِ.

---

(١) أشجى أنا (من شجي: طرب). إنسان عيني (البؤبؤ) غريق: عيني مملوءة بالدموع (حزين).

(٢) واحدي وشقيقي (أخي الذي ليس لي أخ غيره). فريق يبكيه منّي فريق: نحن شخص واحد يبكي على نفسه.

(٣) في أفقهم: في بلادهم. شريق: شارق أو مشرق (القاموس المحيط ٣: ٢٤٩). - لا يخيّم ظلام الجهل على قوم إذا أشرق عليهم شيء من علومي.

(٤) لو تخوّلت (تعهدتُ بالموعظة) الجاثليق (رئيس النصارى) حتّى يؤمن بالإسلام لآمن (كناية عن مقدرته).

(٥) السطة: الوسط (اللؤلؤة الكبيرة جدًّا والتي تكون في وسط العقد).

- وقال يهجو المأمونَ بنَ ذي النون:

تَلقّبتَ بالمأمون ظُلماً، وإنّني ... لآمنُ كَلْباً حيثُ لستَ مُؤَمِّنَهْ[1].
حرامٌ عليه أن يجودَ ببِشْرِهِ، ... وأمّا النَدى فاندُبْ هنالك مدفَنَه[2].
سطورُ المخازي دونَ أبوابِ قصرِهِ ... بُحجّابِهِ للقاصدين مُعَنْوَنَهْ[3].

- وقال يصف الربيع:

يا صَوْبَ غاديةِ الربيعِ المُمْطِرِ، ... بادِرْ بسَيْبِكَ رسمَ دارٍ مُقْفِرِ[4]:
مَيدانَ أفراسِ الصِبا وملاعبَ الـ ... ـآرامِ والرَوْضِ الأنيقِ الأزهرِ[5].
واقْذِفْ بسِلْكِ الغيثِ في ساحاته ... واسكُبْ لآلِيَهُ عليه وانْثُرِ[6]
حتّى ترى الغِيطانَ زاهرةَ الرُبى ... تُنبِيكَ عن عهد الزمان الأزهرِ[7]؛
وترى الأقاحَ كأنّه فَمُ شادنٍ ... غَنِجٍ تبسّم عن لَقيطِ الجوهرِ[8]،
وشقائقَ النُعمانِ مثلَ الغِيدِ والطَـ ... ـلَّ النَديَّ كدمعةٍ في مَحْجِرِ[9].
لولا خفارتُها وحالكُ شَعْرِها ... قُلنا: سبايا من بناتِ الأصفرِ[10].

---

(١) آمن = أأتمن (أثق بـ).

(٢) البشر: طلاقة الوجه واظهار السرور بالناس. الندى: الكرم.

(٣) حجّاب القصر عنوان للمخازي الموجودة في داخل القصر.

(٤) الصوب: المطر المعتدل. الغادية: السحابة التي تمطر في الصباح. السيب: العطاء (المطر). مقفر مهجور (صفة للاسم «رسم»: المكان الذي كانت فيه الدار قائمة).

(٥) الدار التي كانت ميداناً للهونا وملعباً (مرتعاً) للآرام (جمع رئم بكسر الراء: الغزال الأبيض): النساء الجميلات.

(٦) لآلىء جمع لؤلؤة (كناية عن حبّات المطر التي لها شكل اللؤلؤة وقيمتها).

(٧) الغيط (بالفتح): الأرض المنخفضة (تتجمّع فيها المياه فتكون خصبة). تنبيك = تنبئك: تخبرك. الأزهر (مكرّرة في الأصل).

(٨) الأقاح جمع أقحوانة (بضم الهمزة): زهر قلبه أصفر وله بتلات بيض. الشادن: الغزال الصغير (الفتاة الجميلة). الجوهر: اللؤلؤ (كناية عن أسنانه البيض الجميلة).

(٩) الغيداء: المرأة الجميلة. الطلّ: الندى الذي يسقط ليلاً. المحجر (التجويف الذي تكون فيه العين): العين.

(١٠) الخفارة (تكون بالفتح والكسر والضمّ وتتعلّق بالحراسة) والمقصود هنا: الخفر (بفتح ففتح): الحياء. الحالك: الأسود. بنو الأصفر: الروم.

- وقال عبدُ الملك الحجاري يصف الخمر:

يا فِتيـةً خِيـرةً فَدَتْهُمُ   مـن حـادثـاتِ الزمـانِ نـفسي،
شُرْبُهُمُ الخمرَ في بُكورٍ   ونُطْقُهُمْ عـنـدَهـا بـهَـمْس،
أما تَـرَوْنَ الـشِـتـاءَ يُـلـقـي   فـي الأرض بُسْطاً من الدِمَقْسِ[1]؟
مُقطّبٌ عابِسٌ يُنادي: يـومُ سرورٍ ويـومُ أُنس[2].

٤-** الذخيرة ٣: ٣٣١ - ٣٣٦؛ التكملة ٦٠٦؛ المغرب ٢: ٣٣ - ٣٤؛ نفح الطيب ٣: ٤٢٣ - ٤٢٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٧ (١٦١).

محمّد بن عبد الواحد البغدادي

١ - هو أبو الفضلِ محمّدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ عبدِ العزيزِ بن الحارث بن أسدِ بن سليمانَ بن الأسودِ بن سُفيانَ الدارميُّ التميميُّ البَغداديُّ، وُلِدَ في بَغدادَ سَنَةَ ٣٨٨ (٩٩٨ م).

سَمِعَ محمّدُ بنُ عبد الواحد من أبي طاهرٍ محمّدِ بنِ عبد الرحمن المُخلّص الذَهبي البَغداديّ (٣٠٥ - ٣٩٣ هـ) - وكـان من أصحابِ الحديثِ ومُسْنَدَ بغدادَ في أيامه[3] - . ويبدو أن خلافاً نشأ بينَه من جانب وبين أبيه وإخوتهِ من جانبٍ آخرَ فتَرَكَ بغداد وله من العُمُرِ عِشْرون سَنَةً مُتّجهاً شَرْقاً حتّى وصل إلى الهند ولَحِقَ بالسُلطانِ محمودِ الغَزْنويّ الذي امتدّت وِلايتُه من سَنَةَ ٣٨٩ إلى سنةِ ٤٢١ وبَقِيَ معه ثمّ مَعَ ابنهِ مسعودٍ (٤٢١ - ٤٣٢ هـ) ووَزَرَ للسُلطانِ مسعودٍ.

تُوُفِّيَ السُلطانُ مسعودٌ وخَلَفَهُ أخوه مَوْدودٌ، ومحمّدُ بنُ عبدِ الواحد في الهند. ولم يحمَدْ محمّدٌ بعد ذلك مُقامَه في الهند فكاتَبَ القائمَ العبّاسيَّ فاستدعاه القائمُ. واتّفق في

(١) بسط جمع بساط (ما يفرش على الأرض). الدمقس: الحرير (الشتاء يكسو الأرض بالنبات الأخضر؟؟.) كذا في بغية الملتمس ص ٩٧ س.

(٢) مقطّب عاقد بين حاجبيه (كناية عن الغضب). يوم سرور ويوم أنس (بضمّ الهمزة: سرور بعشرة الناس)... لعلّها: « بؤس » (؟).

(٣) المسند: الذي يحفظ أحاديث رسول الله بأسانيدها: بسلاسل الراوين لها (ويكون في ذلك حجّة يرجع الناس إليه).

ذلك الحين فَوْرَةُ الدعوة الفاطمية (وكان أمرُها قد علا في مِصْرَ كثيراً) فأرادَ القائمُ العبّاسيّ رجُلاً يذهب إلى المَغْرِب ليُفْسِدَ قلوبَ أهلِ المغربِ على الفاطميّين فأرسْلَ في ذلك محمّدَ بنَ عبدِ الواحد. وفي الطريقِ إلى المغرب مرَّ محمّدُ بن عبد الواحد بالمَعرّة ولَقِيَ أبا العَلاء المَعَرّي. فسمع المعرّيُّ شيئاً من شِعْره ومَدَحَهُ عليه. وسار محمّدٌ إلى المغرب فوصَلَ إلى القيروانِ سَنَةَ ٤٣٩ واستطاعَ إقناعَ المُعِزِّ بنِ باديسَ في أولِ الأمر بالانتقال عن دَعْوة الفاطميّين إلى دعوةِ العبّاسيّين. ثمّ حَدَثَ الاضطرابُ في المغرب - وكان لابنِ عبدِ الواحدِ فيه يدٌ ظاهرة - وعادَ المُعِزُّ عن الدعوةِ العبّاسية في سَنَةِ ٤٤٦ فأصبحَ مُقامُ ابنِ عبدِ الواحد في المَغْرِبِ صَعْباً فانتقلَ إلى الأندلُس وتنقّل بين بُلدانِها حتّى استقرّ في طُلَيطُلَةَ في ٢٧ من جُمادى الأولى ٤٥٤ (١٠٦٨/٦/٨ م) عِند المأمون بن ذي النون. وكانت وفاةُ ابنِ عبدِ الواحد في رابعَ عَشَرَ شوّالٍ من سَنَة ٤٥٥ (١٠٦٣/٩/١١ م).

٢ - لمحمّدِ بنِ عبدِ الواحد نظمٌ ونثر، وكان مُكثِراً ومُطيلاً أيضاً. وشِعْرُه ونَثْره يَنوءانِ بِصِناعة كثيرة بعيدة. وأكثرُ شِعره عاديّ وعليه نفحةٌ من الأُسلوب القديم مَعَ شيءٍ من الغريب. وهو كثيرُ التَرْداد للأفكار وللتراكيب: أوْرَدَ له ابنُ بسّامٍ (الذخيرة ٣: ٥١١ - ٥١٣) تِسعةً وثلاثينَ بيتاً واحدٌ وعِشرون منها تبدأ بالحَرْف المُشبَّه بالفعل «كأنّ»، ونحن نَجِدُ شيئاً من هذا الترديد عند ابنِ هاني الأندلسيّ أيضاً. وفي الذخيرة (٤ : ٨٨) وفي نفح الطيب (٣ : ١١٢) أن أبا العَلاءِ المَعرّي قد سَمِعَ شيئاً من شِعر ابنِ عبدِ الواحدِ وحكم له بالإجادة. ولعلّ إعجابَ المعرّي كان راجعاً إلى كَثْرةِ تَشابيهِ ابنِ عبد الواحد وغَرابةِ بعضِها. وفنونُ شِعرِ ابنِ عبدِ الواحد المديحُ والهِجاء والرِثاء والفخر والعِتاب والوصف وكثيرٌ من الغزَل معَ شيء من المُجونِ الظاهر. وله أيضاً طَرْد (وصف للصيد) وإخوانيّات. وابنُ عبدِ الواحدِ أدخل كتابَ «يَتيمة الدهر» للثعالبيّ إلى الأندلس.

٣ - مختارات من آثاره

- كتب أبو الفضلِ محمّدُ بنُ عبدِ الواحد البَغْداديُّ رسالةً إلى الوزير الكاتبِ أبي

المُطَرِّف[*] بنِ مُثَنَّى (الذخيرة ٣ : ٤١٠) جاء فيها:

أطالَ اللهُ بقاءَ سيّدي وجعل دَرَجَ المعالي مُستقرّةً تحتَ قدَمِهِ وسُرُجَ المساعي مُسفِرةً عن بوارقِ هِمَمِهِ[١]، وظامئاتِ الأمانيّ رَوِيّةً من لُعابِ سِنّ قَلَمِهِ[٢]، وعَذَباتِ الإقبال مَنُوطةً بألْوِيَةِ عزائِمِه وآرائِه[٣]... وكنتُ مَرَرْتُ ببِلادٍ شموسُ الفضائِل في آفاقِها مكسوفةٌ، وعيونُ العلم والآداب في عَرَصاتِها مَطْروفةٌ[٤]، وستائرُ الأحرارِ بين أهلِها مهتوكةٌ مكشوفة[٥]... نَبَعَتْ بينَ أهلِها عيونُ الخِيانة والبُهتان[٦]، وضَعُفَ حبلُ الديانةِ فيهم والإيمان... فأبْدَلَهُمُ اللهُ من النور في أحوالِهم ظلاماً، وبالحلالِ في مكاسِبِهِم حراماً. وخصّ أسعارَهم بالغَلاء وجَمْعَهم بالفناء ولَفيفَهُمْ بالتشتُّتِ والجلاء[٧]. وللخَرابِ ما يعْمُرونَ[٨]، وللقتل ما يَلِدونَ وللنهب ما يجمَعون ولغيرِهم ما يَكْسِبون. «وحاقَ[٩] بهم ما كانوا به يستهزئون» (٣٩ : ٤٨ سورة الزمر)، «وكذلك أخْذُ ربِّكَ إذا أخَذَ القُرى[١٠] وهي ظالمةٌ، إنّ أخْذَهُ أليمٌ شديد» (١١ : ١٠٢، سورة هود). ... وأكبَرْتُ أن أُفارقَ بلدَ الأندلسِ، وقد أظهرَ اللهُ فيه إحدى آياتِه الدالّةَ على عِظَمِ مُعجزاته، الناطقةَ بِصحّة براهينهِ وبَيِّناته، بسيّدِنا المأمونِ بنِ ذي النونِ أطالَ اللهُ بقاءَ سلطانِهِ، وقَوّى دعائمَ مُلكه وأركانِه...

(*) هو أبو المطرّف عبد الرحمن بن أحمد بن صبغون المعروف بابن مثنّى من أهل قرطبة وسكن بلنسية. وقد استوزره المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة (٤٢٧ - ٤٦٣ هـ) عدّة سنين. «انتفع الناس به في أثناء وزارته لحسن دينه وسلامة باطنه وظاهره ولتفكيره الهادىء». وكانت وفاته في بلنسية سنة ٤٥٨ (١٠٦٦ م).

(١) السراج: القنديل. مسفرة: منكشفة.

(٢) من لعاب: ريق (هنا: حبر) سنّ قلمه (الطرف الذي يكتب به من القلم).

(٣) العذبة (بفتح ففتح): طرف الشيء (زائدة تتدلّى عادة من طرف العمامة - بكسر العين). منوطة: معلّقة.

(٤) مكسوفة: مغطّاة (قد حجب نورها). العرصة (بفتح ففتح): الباحة أمام الدار.

(٥) مهتوكة ممزّقة. مكشوفة: مزاحة (كناية عن جرأة الناس على من كانت مسدولة عليه: ساترة له).

(٦) البهتان: الافتراء (اتّهام الناس بما ليس فيهم).

(٧) الجلاء (الخروج من الوطن).

(٨) عمر الناس المكان (سكنوا فيه).

(٩) حاق: أحاط.

(١٠) الأخذ: العقاب، القصاص. القرية: المدينة.

- وله يَصِفُ الليلَ (الذخيرة ٣ : ٥١١):

وليلٍ تجلّى الصُبحُ في جَنَباتهِ ... سنا بارقٍ في لُجٍّ بحرٍ تَعَبّبا[١].
أحاطتْ بآفاقِ السماء خِيامُه ... وطبّق شرقاً في البلاد ومَغْربا[٢].
نَفى طولُه عنّي الرُقادَ كأنما ... يَغارُ على الجَفْنين أن يَتَركّبا[٣].
فبِتُّ أُجيلُ الطَرْفَ أرتادُ صُبْحَه ... كما ارتادَ ذو الشوقِ الحبيبَ المُحَجّبا[٤].
كأنّ النُجومَ الزُهْرَ فيه خرائدٌ ... تُطالِعُ من زُهْرِ الكواكب رَبْرَبا[٥].
كأنّ ثُريّاهُ أناملُ فِضّةٍ ... تُقلِّب تُرْساً من سَنا الليلِ مُذْهَبا[٦].

- وقال يتشوّق إلى بلده:

أَهيمُ بذِكْرِ الشَرْقِ والغَرب دائباً، ... وما بيَ شرقٌ للبلادِ ولا غربُ[٧].
ولكنّ أوطاناً نأتْ وأحِبّةً ... فَقدتُّ متى أذكُرْ عُهودَهُمُ أصْبُ[٨].
إذا خَطَرَت ذِكراهُمُ في خواطري ... تناثَرَ من أجفانيَ اللؤلؤُ الرَطْبُ[٩].
ولم أنسَ مَنْ ودّعتُ بالشَطِّ سُحْرةً ... وقد غرّدَ الحادون واسْتُعْجِلَ الرَكْبُ[١٠]:
أليفانِ هذا سائرٌ نحو غُرْبةٍ، ... وهذا مُقيمٌ سار عن صَدْره القلب.

---

(١) اللجّة (بالضمّ): معظم الماء (وسط البحر). تعبّب: كثر عبابه (بالضمّ): أمواجه.
(٢) خيام جمع خيمة (كناية عن اتّساع الغيوم). طبّق (ملأ).
(٣) أن يتركّبا (أن يركب أحدهما الآخر: أن ينطبقا فينام صاحبهما).
(٤) الطرف: البصر. أرتاد: أطلب. المحجّبا (الذي جعل على نفسه حجاباً: رفض الاجتماع بالمحبّ).
(٥) الزهر: اللامعة (يقصد: الكبيرة). تطالع: تديم النظر إلى (تراعي، تعتني بـ). الربرب: القطيع من الظباء. الخريدة: المرأة الجميلة. الصورة غير واضحة.
(٦) الثريّا عنقود نجوم فيه سبعة نجوم كبيرة (ظاهرة للعين) ثمّ ألوف من النجوم الأخرى. «أنامل فضّة» (لعلّ الشاعر يشير هنا إلى النجوم السبعة الكبيرة اللامعة في عنقود الثريّا). ترساً مذهباً (يشبّه الليل بترس: برقعة سوداء واسعة مذهبة: فيها نجوم تلمع صفراً وحمراً، الخ).
(٧) الشرق والغرب من بلاد الأندلس. وما بي (شوق إلى) شرق الأندلس أو غربها: إلى الأرض نفسها...
(٨) أوطان نأت: بعدت (عنّي: بعدت أنا عنها). أصبو: أميل (يعظم حبّي).
(٩) اللؤلؤ الرطب. النقيّ، الصافي اللون كناية عن الدموع.
(١٠) الشط: جانب النهر. سحرة: قبيل الفجر. غرّد الحادي: بدأ يترنّم (يغنّي) استعداداً للانطلاق بالإبل (البدء بالسفر). واستعجل الركب (جعل الحادي، سائق الأبل، يحثّ العازمين على السفر على العجلة للبدء بالسفر).

٤ - ★★ جذوة المقتبس ٦٨ - ٦٩ (الدار المصرية) ٧٣ (رقم ١٠٥)؛ الصلة ٥٦٦؛ بغية الملتمس ٩٧ - ٩٨ (رقم ٢٠٩)؛ الذخيرة ٣: ٤١٠ - ٤١٣، ٤: ٨٧ - ١١٩؛ نفح الطيب ٣: ١١١، ١١٣ - ١١٥.

الحسين التجيبي القرطبيّ

١ - هو الحُسَيْنُ بنُ محمّدِ بنِ الحسينِ بنِ حَيٍّ التُجِيبيُّ القُرْطبيُّ، أخذَ عِلْمَ العددِ والهندسةَ والهَيْئَةَ[١] عن ابي عبدِ الله محمدِ بن عَمرِو بن محمدٍ المعروفِ بابنِ بَرْغوثٍ الرِياضيِّ الفلكيّ (ت ٤٤٢ هـ). وفي سَنَةِ ٤٤٢ هـ رَحَلَ الحسين التجيبيّ إلى القاهرة ثمّ إلى اليَمَنِ. وفي اليمنِ اتصلَ بأميرِ المؤمنين الصُليحيّ القائم[٢] بالدعوة للمُسْتنصرِ الفاطمي مَعَدٍّ (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) وحَظِيَ عِندَه. ثمّ إنّ الصليحيَّ أرسله رسولاً إلى القائمِ العبّاسيّ (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ). وتُوُفِّيَ الحسينُ التُجيبيُّ في اليمنِ، سَنَة ٤٥٦ (١٠٦٤ م)، بعدَ رُجوعِه من بَغْدادَ.

٢ - الحُسينُ التُجيبيُّ القرطبيّ أديبٌ شاعرٌ وعالمٌ بالهندسةِ والفلك. له زيجٌ مُختصرٌ على طريقةِ السِند هِنْد[٣]. وشِعْرُه القليلُ الذي وصل إلينا مُقطّعاتٌ قِصارٌ تدورُ على التأمُّل والحِكمة وفيها إشاراتٌ من الرِياضيّات والفلك.

٣ - مختارات من شعره

- قال الحُسينُ التُجيبيّ يوازِنُ بينَ الواحدِ من العدد (الذي هو أوّلُ الأعداد ومنه تأتي كلُّ الأعدادِ، مَعَ أنّه في رأي علماء العددِ ليس مثلَ سائرِ الأعداد) واللهِ الذي هو أيضاً الموجودُ الأوّلُ (وهو سابقٌ على جميعِ الموجوداتِ ومُخالفٌ لها، معَ أنّها جميعَها قد جاءتْ منه):

---

(١) الهيئة: الفلك.

(٢) عليّ بن محمّد الصليحي أمير يمني اعتنق، سنة ٤٢٨، دعوة الفاطميّين (أئمّة مصر). وفي سنة ٤٢٨ حالفه في الموسم (في الحجّ) نحو ستّين نصيراً على الدعوة للمستنصر الفاطميّ صاحب مصر. وفي سنة ٤٥٥ أصبح ملكاً على اليمن. وتوفّي سنة ٤٧٣.

(٣) السند هند كتاب هندي في الرياضيات والفلك.

تـأمَّـلْ صـورةَ الـعَـدَدِ، فَمَنْ يـنـظُرْ إلـيـه هُـدِي.
كـمـا الأعـدادُ راجـعـةٌ، وإنْ كـثُـرَتْ، إلـى الأحـدِ[1]،
كـذاك الخَـلْـقُ مَـرْجِـعُـهم لِـربٍّ واحـدٍ صَـمَـدِ[2].

- وله مقطّعاتٌ قِصارٌ في التأمُّل والحِكمة:

★ ورأيـتُ السماءَ كالبحر، إلاّ أنّ ما وَسْطَه من الدُرّ طافي[3].
فيه ما يملأ العيونَ كبير وصغيرٌ ما بين ذلك صافي[4].
★ ودّعتُـه حيـثُ لا تُودّعُـه روحـي ولـكنّـها تـسيـرُ مَـعَـهْ.
ثـمّ تولّـى والـعيـون لـه ضِيـقُ مجالٍ وفي القلوب سَعَهْ.
★ إذا ما كَثُرْتَ على صاحبٍ وقـد كـان يُدنيك مـن نَفْسهِ[5]
فلا بُـدَّ مـن مَـلَـلٍ واقـعٍ يُـغَـيِّـرُ مـا كـان مـن أُنـسـه.

٤ - ★ ★ معجم الأدباء ١٠: ١٥٨ - ١٦٠.

ابن حزم الكبير

١ - وُلِدَ أبو محمّدٍ عليُّ بنُ أحمدَ (ت ٤٠٢ هـ) بنِ سعيدِ بنِ حزمٍ في قُرطبةَ، في آخرِ يومٍ من رَمَضانَ من سَنَةِ ٣٨٣ (معجم الأدباء ١٢: ٢٣٧) أو ٣٨٤ (وفيات الأعيـان ٣: ٣٢٥)- يُوافـقُ ذلك من العامِ الميلاديّ ١٨/١١/٩٩٤ أو

---

(١) الأحد: الواحد من العدد (قبل الاثنين). كلّ الأعداد تبدأ من الواحد بزيادة واحد على العدد الذي قبله ما عدا الأثنين فهو الواحد مكرّراً ثمّ ٢ + ١، ٣ + ١، ٤ + ١، الخ.

(٢) الصمد: المقصود (الله). وكما أن جميع الأعداد ترجع إلى الواحد، فكذلك جميع الأشياء مرجعها (مبدأها) الله (الذي هو: واحد).

(٣) ..إلاّ أن ما (في) وسطه. الدرّ: اللؤلؤ. طاف: عائم على سطح الماء.-الليل بسعته يشبه البحر، مع فارق: اللؤلؤ الذي في البحر يكون غارقاً في قعره. أما الليل (السماء) فإنّ ما فيها من اللؤلؤ (النجوم) طاف (سابح) على سطحها.

(٤) في السماء نجوم كبيرة وصغيرة تملأ العيون (أي كثيرة). صافي (صاف)؟؟

(٥) كثرت على صاحب: أثقلت عليه (بالزيارات الكثيرة أو بالمطالب الكثيرة).

٧/١١/٩٩٤ ، في بيتِ جاهٍ وثروةٍ وتَرَفٍ وسُلطان. غيرَ أنه لَقِيَ عَنَتاً كبيراً من جرّاء الفِتنة في الأندلس، ولأن أباه كان وزيراً للمنصور بن أبي عامرٍ الحاجبِ (رئيس الوزراء) الذي كان قد حَجَرَ على الخليفة هِشامٍ المُؤيَّدِ واستبدَّ بالحُكم دونه. فلما تُوُفِّيَ المنصورُ (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م) ثم استطاعَ هِشامٌ المؤيدُ أن يحكُمَ بنفسه تتبّع رجالَ دولةِ المنصور فلَحِقَ آلَ حزم من ذلك نصيبٌ وافر تشتّتوا به في البلاد. ثم زال الحكمُ المرواني عنِ الأندلس وبُويع عَلِيُّ بنُ حمودٍ بالخلافة وتغلّب على قُرطبةَ فاتَّهِمَ آلُ حزمٍ بأنهم من أنصارِ المروانيين. ولقدْ أضاعَ آلُ حزم في أثناء ذلك كثيراً من أموالهم وقصورِهم وكُتُبهم.

وبعد خرابِ قُرطبةَ في فتنة البربرِ انتقل ابنُ حزم إلى شاطبةَ، وفيها ابتدأ تأليفَ كتابهِ « طَوْقُ الحمامة ». وكان في سَنَةِ ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) يعيش فيها. وفي سَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) كان موجوداً في جزيرةِ مَيُورقَةَ لاجئاً فيها. واتفق أن رَجَعَ الفقيهُ أبو الوليدِ الباجيُّ من المشرق فناظره مناظرةً أضرّتْ به. ولما كَثُرَتْ عليه دسائسُ الفقهاء بسببِ مذهبه الظاهريّ اعتكفَ في تُربة بلده مُنْتَ لِيَشَم حيث تُوُفِّيَ في السابعِ والعِشرينَ من شَعْبانَ من سَنَة ٤٥٦ (١٤/٨/١٠٦٤ م).

٢ – كان ابن حزمٍ قديراً في التفسير حافظاً للحديث، وكان فقيهاً متكلماً وعالماً لُغوياً ومؤرخاً بارعاً وأديباً بليغاً ومفكّراً رصيناً، ولكنّ الشهرةَ بالأدب غَلَبت عليه.

وكُتُبُ ابنِ حزمٍ كثيرةٌ متنوعة، غيرَ أن كثيراً منها قد ضاع في النَّكَبات، في الفتن في قُرطبةَ وفي غَضْبة العامة عليه، تلك الغضبةِ التي أدّت مِراراً إلى إتلاف كتبه بالحرق والتمزيق. فمن كتبه:

الإحكام لأصول الأحكام – أسواق العرب – رسالة في الإمامة (الخلافة) – رسالة في أُمّهات المؤمنين – التحقيق في نقد مذهب محمّد بن زكريا الرازي – التقريب لحدّ المنطق والمُدخل إليه بالألفاظ العامّيّة والأمثلة الفِقهية – جمهرة الأمثال – جمهرة أنساب العرب – حِجّة الوَداع – الردّ على ابن النغريلة اليهودي – رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل – طَوْق الحمامة في الأُلفة والأُلاف (يتناول أحوالَ العشّاق وما يعتريهم من الحبّ والإذعان والسُلُوّ والطاعة والهَجْر وما

تقتضيه حياتهم من السفير والمراسلة وما يُنَغِّص حياتهم كالواشي والرقيب وما يُبْهِجُهم كالوصل) - رسالة في الغِناء المُلهي أمباح هو أم محظور؟ - الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِحَل (عَرَض فيه للأديان القديمة ومذاهب قدماء الفلاسفة وآراء اليهود والنصارى ومذاهب أهلِ الإسلام والبحث في مذهب الظاهر ومهاجمة خصومه؛ وفلسفة ابنِ حزمٍ كلُّها منطوية في هذا الكتاب) - رسالة في فضل الأندلس - المُحلّى (في فروع الفقه) - مراتب الإجماع - مراتب العلوم - المفاضلة بين الصحابة - فصل في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها. - معرفة الناسخ والمنسوخ - النُبذة الكافية في أصول أحكام الدين - نَقْطُ العَروس في تواريخ الخلفاء.

ابن حزمٍ من أتباع المذهب الظاهري وإمام هذا المذهب في أيامه. وهو يقبل كلَّ ما نصَّ عليه القرآنُ أو ورد في الأحاديث الموثوقة على ظاهرِ معناه، إلاّ أنْ يكون هنالك ضرورةٌ من عقل أو حِسّ تدعو إلى صَرْفِ المعنى عن ظاهره وإلى الأخذ بالتأويل. يقول ابن حزم في الملل والنحل: «بلِ الآياتُ كُلُّها حقّ على ظاهرِها لا يَحِلُّ صَرْفُها عنه (٣: ١٥٢)؛ وإنما نتّبع ما جاءتْ به النصوصُ (٣: ١٦٢). والنصُّ لا يَحِلُّ خِلافُه (٤: ٨٥ س)، لأن اللهَ تعالى يَنصّ أحياناً نصّاً لا يحتملُ تأويلاً (٣: ١٤٤). وكذلك الأحاديث الموثوقة (٥: ١١٣).

وصَرْفُ الآياتِ والأحاديث عن ظاهرِها لا يجوزُ إلا ببُرْهان (٣: ٢٠٧، ٥: ٧٧)، أو بنصّ من قُرآنٍ أو حديث أو بإجماعٍ مُتَيَقَّنٍ أو بضَرورةٍ من حِسّ. وعندئذٍ تَجِبُ مُخالفةُ الظاهرِ والعملُ بالتأويل على مُقتضى البلاغة العربية.

وابنُ حزمٍ مفكّرٌ في الدرجة الأولى مِمّا جعله - حينما ينصرف إلى النِتاج الأدبي: في النثر والشعر - أديباً من الطبقة الأولى أيضاً. فكتابه «طوقُ الحمامة»، وإن كان في ظاهِره أدباً خفيفاً يَصِفُ مظاهِرَ الحياةِ الإنسانية في الأُلفة والأُلاّف (في الحُبّ والمُحبّين)، فإنّه في حقيقتهِ نِظْرةٌ ثاقبةٌ في أعماق النفس الإنسانية والحياة الاجتماعية. وشعرُه متينٌ جَزْلٌ يَغْلِبُ فيه المعنى على اللفظ، ولكنّه يبقى شعراً وُجدانيّاً بعيدَ الأثر في النفس والفكر معاً.

٣ - مختارات من آثاره

- لابن حزم الأندلسيّ مقطّعات شعريّة منها حينما نُكِبَ وأُحرقتْ كتبه:

★ لا يَشْمَتَنْ حاسدي إنْ نكبةٌ عرضَتْ — فالدهر ليس على حال بتَّرِكِ[١].
ذو الفضل كالتبر يُلْفى تحت مَتْرَبةٍ — طوراً، وطوراً يُرَى تاجاً على ملك[٢]
★ سيكون الذي قُضِي، — سَخِطَ العبد أم رَضِي.
فدعِ الهمَّ، يا فتى؛ — كلُّ همٍّ سينْقَضي.
★ وذي عَذَلٍ فيمن سبانِيَ حُسْنه — يُطيل مَلامي في الهوى ويقول[٣]:
أفي حُسْنِ وجه لاح، لم ترَ غيرَه — ولم تدر كيف الجسمُ، أنت قتيل؟[٤]
فقلت له: أسرفتَ في اللوم ظالماً؛ — وعنديَ ردّ، لو أردتَ طويلُ[٥]:
ألم ترَ أني ظاهريٌّ وأنني — على ما بدا حتى يقومَ دليل[٦].
★ إذا شئتَ أن تحيا غنيّاً فلا تكن — على حالة إلاّ رضِيتَ بدونها[٧].
★ دعونيَ من إحراق رَقّ وكاغدٍ — وقولوا بعلمي كي يَرَى الناسُ مَن يدري[٨].
فإن تُحْرِقوا القِرطاسَ لا تحرقوا الذي — تَضمَّنه القرطاسُ، بَلْ هو في صدري.
★ أنا الشمس في جوّ العلوم منيرةً — ولكنَّ عيبي أنْ مَطْلَعِيَ الغربُ[٩].
ولَوْ أنّني مِن جانب الشرق طالع — لجَدَّ لي ما ضاع مِن ذكريَ النهب[١٠].

---

(١) ....الدهر لا يترك أحداً على حال واحدة (بل ينقله من سعد إلى نحس ومن نحس إلى سعد).

(٢) ألفي: وجد. متربة (المقصود: تراب تحت متربة: مدفون).

(٣) عذل: لوم. سباني: أسرني.

(٤) أنت لم تر من هذا الشخص سوى وجهه، فلا تعرف ما حال أقسام جسمه الباقية....

(٥) أسرف: جاوز الحدّ.

(٦) أنا أثبت على الأخذ بظاهر الأمور، ولا أميل عن الظاهر (لا أتركه) حتّى يقوم عندي دليل على خلافه.

(٧) أنت تكون غنيّاً إذا أنت اعتقدتّ أنّك محتاج إلى أقلّ ممّا تملك (والانسان لا يحتاج فعلا، إلى كلّ ما يطمع ان يجمعه).

(٨) الرقّ (من الجلد) والكاغد (فارسية: من الورق). - لا تذكروا حادثة إحراق كتبي (ولا عدد كتبي قبل إحراقها) ولكن اذكروا معارفي التي أجمعها في صدري (راجع البيت التالي) فتعرفو حينئذ الذي هو عالم (من العلوم التي ينصّها من صدوه) ومن ليس عالماً (يقرأ على الناس من الكتب).

(٩) عيبي (عند الناس) أنني من الأندلس.

(١٠) - لو كنت من أهل المشرق (ثمّ أحرقت كتبي) لاتّسع ذكري في الأندلس نفسها (لأن الناس هنا لا يحبّون ابن بلدهم ويكرمون الذي يأتي إليهم من المشرق).

وليِ نحوَ آفاق العِراق صَبابة. ولاغَرْوَأن يستوحِشَ الكَلِفُ الصبُّ(١).
ولكنَّ لي في يوسفٍ خيرَ أُسْوة؛ وليس على مَن بالنبيّ آئتسى ذنبُ(٢)
يقول مقالَ الحقّ والصِّدق إنني حفيظٌ عليمٌ، ما على صادقٍ عَتْبُ(٣).

- ومن مقطّعاته في غير ذلك:

★ كَذَبَ المدّعي هوى آثنينِ حتماً، مثلَ ما في الأُصول كُذِّبَ ماني(٤)-
ليس في القلب موضعٌ لحبيبَين، ولا أُحْدِثَ الأُمورُ بثاني(٥)،
فكما العقل واحد، ليس يهوى غيرَ فردٍ مُباعِدٍ أو مُدان-
هو في شِرعة المودّة ذو شكٍّ (م) بعيدٌ من صِحَّة الإيمان
وكذا الدين واحدٌ مستقيم؛ وكَفور مَن عَقْدُه دينان.

★ يَعيبونها عندي بشُقرة شَعرها، فقلتُ لهم: «هذا الذي زانَها عندي».
يعيبون لَوْنَ النور والتِّبر، ضِلَّةً لرأيِ جهولٍ في الغَواية ممتدّ!
وهل عاب لونَ النَّرجِسِ الغضّ عائبٌ ولونَ النجوم الزاهرات على البعد؟
وأبعدُ خلقِ الله من كل حِكمةٍ مُفضِّلُ جِرمٍ فاحمِ اللون مُسْوَدّ.
به وُصِفَتْ ألوانُ أهلِ جهنّمٍ، ولِبسة باكٍ مُثْكَلِ الأهلِ محتدّ.
ومذْ لاحتِ الراياتُ سوداً تيقّنتْ نفوس الورى أنْ لا سبيلَ إلى الرشد(٦)

(١) صبابة: محبّة. - وليس من الغريب أن يجد الإنسان وحشة (إذا كان كلفاً صبّاً: شديد التعلّق والحبّ لمكان ما أن يميل إلى ذلك المكان).

(٢) يوسف الصدّيق (ابن يعقوب). أسوة: قدوة. ائتسى: اقتدى، تسلّى (عن مصيبته). - يوسف كان يكرهه اخوته فأرادوا قتله ثمّ قرّروا أن يلقوه في حفرة إلى جانب الطريق في أثناء سفرهم الى مصر.

(٣) قال يوسف لفرعون: «اجعلني على خزائن الأرض، إنّي حفيظ عليم» (١٢: ٥٥، سورة يوسف) وأنا أقول مثل قوله؟؟.

(٤) ماني: صاحب مذهب الفرس والقائل بالثنويّة بوجود إلّهين للعالم: إلّه الخير أو النور وإلّه الشرّ أو الظلمة. الأصول: قواعد المنطق الأساسية (أو أصول الدين).

(٥) لعلّه يشير إلى العقل الفائض (عند الإسكندرانيّين) عن الله. فإنّ الله (الأوّل، الواحد) عندهم لا يباشر الخلق. ولكن من «الثاني» (العقل الفائض من الأوّل تحدث سائر الفيوضات وتتنوّع الموجودات).

(٦) منذ لاحت الرايات سودا: منذ قيام الدولة العبّاسية (!) لأنّ لونها المختار كان السواد مخالفة لبني أميّة الذين كان شعارهم البياض. وكان آل حزم من أنصار الأمويّين.

★ وسائلٍ لِيَ عمّا لي من العُمُرِ، وقد رأى الشيب في الفَوْدَين والعُذُرِ[1]،
أجبته: «ساعةٌ؛ لا شيءَ أحْسِبُه عُمْراً سواه بحكم العقل والنظر».
فقال لي: «كيف ذا؟ بيِّنْه لي، فَلَقَدْ أخبرتَني أشنعَ الأنباء والخبر»[2].
فقلتُ: «إنّ التي قلبي بها عَلِقٌ قبَّلتُها قُبلةً يوماً على خطر؛
فما أَعُدّ، ولو طالتْ سِنيَّ، سوى تلك السُّوَيْعة بالتحقيق من عُمُري»!
★ جَرى الحُبُّ مِنِّيَ مجرى النَّفَسْ وأَعْطَيتُ عَيْني عِنانَ الفَرَسْ[3].
ولي سيِّدٌ لم يزل نافراً، وربّما جاد لي في الخُلَس[4].
فقبَّلته طالباً راحةً فزاد أليلاً بقلبي اليبس[5].
وكان فؤادي كنَبْتٍ هَشيمٍ يبيسٍ رَمَى فيه رامٍ قبس[6].
★ وَدِدتُ بأن القلبَ شُقّ بمُدْيةٍ وأُدْخلتِ فيه ثم أُطْبِقَ في صدري،
فأصبحتِ فيه لا تَحِلّينَ غيرَه إلى مُنقَضَى يوم القيامة والحشر:
تعيشين فيه ما حَيِيتُ، فإنْ أمُتْ سكنتِ شِغافَ القلبِ في ظُلَم القبر.
★ لقد بُورِكَتْ أرضٌ بها أنتَ قاطنٌ، وبورك مَنْ فيها وحلّ بها السعدُ:
فأحجارُها دُرٌّ وسَعدانُها وَرْدٌ وأمواهها شَهد وتُربتها نَدٌّ[7].
★ فأيّام عُمْر المرءِ مُتْعة ساعةٍ تمرُّ سريعاً مثلَ لمعةِ بارقِ.
وقد آذنَتْ نفسي بتقويض رَحْلِها وأسْرعَ في سَوقي إلى الموت سائقي[8]

---

(١) الفود: الشعر السائل من جانب الرأس. العذر (بضمّتين) جمع عذار (بالكسر): الشعر النابت على صفحة الخدّ.

(٢) الخبر (مفرد): ما ينقل من أحوال الناس. وكان حقّ الكلمة أن تكون جمعاً لأنّها هنا معطوفة على جمع ولأنّ الأفصح أن يضاف اسم التفضيل إلى جمع لا إلى مفرد، نقول: أحسن الأشياء (لإمكان المفاضلة بين أشياء متعدّدة) ولا نقول: أحسن شيء (وإن كان المولّدون قد فعلوا ذلك فقال المتنبّي مثلاً: «وخير جليس في الزمان كتاب»)

(٣) أعطيت عيني عنان (رسن) الفرس: أطلقت نفسي تفعل ما تريد (بالنظر بالعينين فقط).

(٤) في الخلس (بفتح فسكون)انتهاز الأمر. والخلسة (بالضمّ): النهزة والفرصة (بالضمّ فيها).

(٥) الأليل: الاضطراب، الحرارة. اليبس (ربما بفتح وكسر: اليابس): الذي نسي الحب وفارقه الشباب - لعلّ ابن حزم قصد بالأليل «الاحتراق» (راجع البيت التالي).

(٦) هشيم: يابس. قبس: شيء مشتعل.

(٧) درّ: لؤلؤ. السعدان: نبت تأكله الإبل وتسمن من أكله. شهد: عسل. ند: نبات طيّب الرائحة.

(٨) آذن: اقترب. بتقويض رحلها (بيتها) للرحيل عن الدنيا.

وإنّي وإنْ أوغَلْتُ أوسِرْتُ هارباً   من الموت في الآفاقِ، فالموت لاحقي[١].

من مقدّمة « طوق الحمامة »:

... وكلّفتَني - أعزّك الله - أن أُصنّفَ لك رسالةً في صِفة الحُبِّ ومعانيهِ وأسبابه وأعراضه[٢] وما يَقَعُ فيه وله على سبيل الحقيقة لا مُتَزَيِّداً ولا مُفَنِّناً[٣]، لكنْ مُورِداً لِمَا يحضُرُني على وجههِ وبِحَسْبِ وقوعه حيثُ انتهى حِفْظي وسَعَةُ باعي فيما أذكُرُه. فبَدَرْتُ إلى مَرْغوبِك. ولولا الإيجابُ لكَ لَمَا تَكَلّفْتُه. فهذا من الفِقَر. والأَوْلى بنا مع قِصَرِ أعْمارِنا ألاّ نَصْرِفَها إلاّ فيما نرجو بهِ رَحْبَ المُنْقَلَبِ وحُسْنَ المآبِ غداً. وإنْ (جاء في الحديث): أَجِمّوا النفوسَ بشيءٍ من الباطل لِيكونَ عَوْناً لها على الحقّ... والذي كَلّفتَني فلا بُدَّ فيه من ذِكرِ ما شاهَدَتْه حَضْرَتي وأدْركَتْه عِنايتي وحَدّثني به الثِّقاتُ. فاغْتَفِرْ لي الكِنايةَ عن الأسماء، فَهِيَ إمّا عَوْرةٌ لا نَسْتجيزُ كَشْفَها، وإمّا نحافظ في ذلك صديقاً وَدوداً ورَجُلاً جَليلاً. وبحَسْبي أنْ أُسَمِّيَ من لا ضَرَرَ في تَسْمِيَتِه ولا يَلْحَقُنا عَيْبٌ في ذِكْرِهِ: إمّا لاشْتِهارٍ لا يُغني عنه الطَّيُّ وتركُ التَّبْيينِ، وإمّا لِرِضاً مِنَ المُخْبَر عنه بظهورِ خَبَرِهِ وقِلّة إنكارٍ منه لِنَقْلِهِ.

وسأُورِدُ في رسالتي هذه أشْعاراً قُلْتُها فيما شاهَدتُّه فلا تُنْكِرْ أنتَ ومَنْ رآها عليّ أنّي سالِكٌ فيها مَسْلَكَ حاكي الحديث عن نفسه. فهذا مذهبُ المُتَحلّينَ بقول الشعر... وقَسَمْتُ رِسالتي هذه على ثلاثين باباً منها في أُصولِ الحبِّ عَشْرةٌ. فأوّلُها هذا البابُ في علاماتِ الحبِّ ثمّ بابُ ذِكْرِ مَنْ أحبَّ في النوم... ثمّ بابُ الإشارةِ بالعَيْنِ ثمّ بابُ المراسلةِ ثمّ باب السَّفير. ومنها في أعْراض الحُبِّ وصِفاتِه المحمودةِ والمذمومة اثْنا عَشَرَ باباً... وهي بابُ الصديقِ المُساعدِ ثمّ بابُ الوصلِ ثمّ باب كشف السِّرّ... ثمّ باب الغَدْرِ ثمّ باب الضَّنى ثمّ باب الموت. ومنها في الآفاتِ الداخلة على الحبّ، سِتّةُ أبوابٍ وهي بابُ العاذِلِ ثمّ باب الرقيب ثمّ باب الواشي ثمّ باب الهَجْر... ومنها بابانِ خَتَمْنا بِهِما

---

(١) أوغلت في الآفاق (أطراف الدنيا) ابتعدتّ (هرباً من الموت).

(٢) العرض (بفتح ففتح) وجمعه أعراض: العلامات التي تظهر على المرضى.

(٣) وفي رواية: مفتناً (بتشديد النون) أي متصرفاً في تنويع الأمور وسياقتها على وجه غريب.

الرسالةَ وهما بابُ الكلامِ في قُبْحِ المَعْصِية وبابُ فضل التَّعَفُّف لِيكونَ خاتمةَ إيرادِنا وآخِرَ كلامِنا الحضُّ على طاعةِ الله عزّ وجلَّ والأمرُ بالمعروف والنَّهْيُ عنِ المُنْكَر...

٤ - الإحكام في أصول الأحكام، مصر (مطبعة السعادة)، ١٣٤٥ هـ؛ القاهرة (مطبعة الإمام) بلا تاريخ.

- المحلّى (عنيت بنشره إدارة الطباعة المنيريّة) مصر (مطبعة النهضة) ١٣٤٧ - ١٣٥٢ هـ؛ (تصحيح محمّد خليل هرّاس) القاهرة (مطبعة الإمام) بلا تاريخ.

- الفصْل (الفِصَل؟) في الملل والأهواء والنحل، مصر (المطبعة الأدبية) ١٣١٧ - ١٣٢١ هـ؛ القاهرة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م)؛ (نسخة بالتصوير)، بيروت (مكتبة خيّاط).

- طوق الحمامة في الألفة والألاف (بتروف)، ليدن (بريل) ١٩١٤ م؛ وباعتناء (ليون برشيه) الجزائر (كاربونيل) ١٩٤٩ م؛ دمشق (مكتبة عرفة) ١٣٤٩ هـ؛ (تحقيق حسن كامل الصيرفي)، القاهرة ١٩٥٠، مصر (المكتبة التجاريّة الكبرى) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م؛ بيروت (دار الحياة) بلا تاريخ؛ (تحقيق نصر فريد محمّد واصل، عبد العزيز محمّد عزّام، محمّد فهمي السرجاني)، القاهرة (المكتبة التوفيقية) ١٩٧٦ م.

- الناسخ والمنسوخ (بهامش تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس للفيروز أبادي)، القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣١٦ هـ.

- رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل (هذه الرسالة تلفى مطبوعة بعناوين مختلفة) الإسكندرية بلا تاريخ؛ (نشره أحمد عمر المحمصاني)، القاهرة (مطبعة السعادة)، بلا تاريخ؛ ١٣٢٥ هـ؛ القاهرة (مطبعة النيل) ١٣٢٣ هـ؛ (بعناية محمّد هاشم الكتبي)، دمشق ١٣٢٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الجمالية) ١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م؛ (اللجنة الدولية لترجمة الروائع)، بيروت ١٩٦١ م؛ بيروت (دار الآفاق الجديدة) ١٩٧٨ م؛ (اختصره محمّد أدهم)، القاهرة ١٩١١ م.

- جمهرة أنساب العرب (نشره... أ. ليفي بروفنسال)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٨ م؛ (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٢ م.

- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات (مطبوع مع «محاسن الإسلام...» لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري) القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٧ هـ.

- ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل (تحرير سعيد الأفغاني) دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م.

- أسواق العرب، باريس ١٩٣٥ م.

- رسائل ابن حزم (حققها إحسان عباس)، مصر (مكتبة الخانجي) وبغداد (مكتبة المثنى) بلا تاريخ.
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى (تحقيق إحسان عباس وناصر الأسد)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٤ م (؟).
- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، (تحقيق إحسان عباس)، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٥٩ م.
- حجة الوداع (حققه... ممدوح حقي)، دمشق (دار اليقظة العربية) ١٩٥٠ م (؟)، الطبعة الثانية، بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٠ م.
- الرد على ابن النغريلة[١] اليهودي ورسائل أخرى (تحرير إحسان عباس)، القاهرة (مكتبة دار العروبة) ١٩٦٠ م.
- مسائل أصول الفقه (نشره محمد بن إسماعيل بن الأمير الصنعاني وجمال الدين القاسمي)، (مطبوع في «مجموع الرسائل في التفسير وأصول الفقه»)، دمشق (مطبعة الفيحاء) ١٣٣١ هـ.
- كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء بالأندلس، القاهرة ١٩٥١ م.
- فضائل أهل الأندلس لابن حزم ولابن سعيد وللشقندي (نشرها صلاح الدين المنجد)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٨ م.
- ★★ ترجمة ابن حزم الأندلسي (من سير النبلاء للذهبي - تحقيق سعيد الأفغاني)، دمشق (مطبعة الترقي) ١٩٤١ م.
- كلمات في الأخلاق أو مداواة النفوس لابن حزم وقاسم أمين... القاهرة ١٩١٣ م.
- نظرات في اللغة عند ابن حزم، تأليف سعيد الأفغاني، دمشق (مطبعة جامعة دمشق).
- معجم فقه ابن حزم الظاهري للجنة موسوعة الفقه الإسلامي، دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٩٦٦ م.
- ابن حزم: حياته وعصره وآراؤه الفقهية، تأليف محمد أبي زهرة، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٥٤ م.
- ابن حزم الأندلسي، تأليف عبد الكريم خليفة، بيروت (دار العربية للطباعة والتوزيع والنشر)- عمان (مكتبة الأقصى) ١٩٦٢؟ م.
- ابن حزم الموسوعي، تأليف زكريا إبراهيم، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ١٩٦٦ م (أعلام العرب ٥٦).
- ابن حزم، تأليف فاروق سعد، بيروت (دار الحياة)؟ ١٩٧٢ م.؟

---

(١) راجع تحقيق صورة هذا الاسم في «ابن حزم الكبير» للمؤلف.

- ابن حزم: صورة أندلسية، تأليف طه الحاجري، القاهرة (دار الفكر العربي) بلا تاريخ.
- ابن حزم رائد الفكر العلمي، تأليف عبد اللطيف شرارة، بيروت (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) بلا تاريخ.
- ابن حزم الكبير، تأليف عمر فروخ، بيروت (دار لبنان) ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.

★ الصلة ٣٩٥ - ٣٩٦؛ الذخيرة ١: ١٦٧ - ١٨٠؛ جذوة المقتبس ٢٩٠ - ٢٩٤ (الدار المصرية) ٣٠٨ - ٣١١ (رقم ٧٠٨)؛ بغية الملتمس ٤٠٣ - ٤٠٥ (رقم ١٢٠٤)؛ مطمح الأنفس ٥٥ - ٥٦؛ معجم الأدباء ١٢: ٢٣٥ - ٢٥٧؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٢٥ - ٣٣٠؛ المغرب ١: ٣٥٤ - ٣٥٧؛ المعجب ٣٢ - ٣٥؛ بغية الوعاة ٤٠٢ - ٤٠٥؛ شذرات الذهب ٣: ٢٩٩ - ٣٠٠؛ نفح الطيب ٢: ٧٧ - ٨٤، ٣ : ١٥٨ - ١٨٦، ٥٥٥ - ٥٥٦؛ نيكل ٧٣ - ١٠٣، مختارات نيكل ٤٨ - ٥٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٩٠ - ٧٩٩؛ بروكلمن ١: ٥٠٥ - ٥٠٦، الملحق ١: ٦٠٢ - ٦٠٧؛ بالنثيا ٧٤ - ٧٧، ٢١٣ - ٢٣٨؛ الأعلام للزركلي ٥: ٥٩ (٤: ٢٥٤ - ٢٥٥)؛ الذكرى المئوية التاسعة لوفاة ابن حزم (مجلة العربي - الكويت: آب - أوغسطس ١٩٦٣؛ ص ٢٠ وما بعد).

المرابطون في المغرب

بعدَ سُقوطِ الخِلافةِ الأُمويّةِ في الأندلسِ انتقلتِ القُوّةُ السياسيةُ مِنَ الأندلسِ إلى المَغرِبِ، ومن العَرَبِ إلى البربر.

في مَطْلعِ القرنِ الخامس للهِجْرة (الحادي عَشَرَ للميلاد) كانت قبيلةُ صِنْهاجَةَ في المغرب الأقصى وَفيرةَ العددِ قويّةَ الشكيمةِ، وقدِ اجتمعتْ حولَ الأميرِ عبدِ اللهِ بنِ محمّدِ بن تيفاوتَ المعروفِ باسم تاسَرْتَ اللمْتُونيِّ. واسْتُشْهِدَ الأميرُ عبدُ اللهِ في بعضِ غَزَواتِهِ فقام بأمرِ صِنهاجةَ يحيى بنِ إبراهيمَ الكَدّالي. زارَ يحيى الكدّاليُّ في مدينةِ القيروانِ الشيخَ أبا عِمرانَ الفاسيّ وسأله أنْ يَبْعَثَ مَعَهُ رَجُلا يعلّمُ صِنهاجةَ أمورَ الدينِ. فدَلَّهُ أبو عِمرانَ على رَجُلٍ من قبيلةِ مَصْمودةَ من بلدةِ نفيسَ في السوس (سِلْسلةِ جبالِ الأطلس) الأقصى اسْمُهُ واجاجُ اللَّمْطيّ. وكان واجاجُ قد أخذ العِلْمَ عن أبي عِمرانَ الفاسيّ ثمّ عاد إلى بلدهِ وبنى فيها داراً للعلمِ وقِراءةِ القُرآنِ سمّاها دار المُرابطين. وأرسل واجاجُ إلى قبيلةِ صِنهاجةَ رجُلاً من أتباعِهِ اسمُه عبدُ الله بنُ

ياسينَ الجَزولي، وذلك سَنَةَ ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م).

اجتمعَ حَوْلَ عبدِ اللهِ بنِ ياسينَ، في مَدَى أربعِ سَنَواتٍ، بِضْعَةُ آلافِ نَفرٍ سمّاهم المرابطين. غير أنّه أدْرَكَ أن الدعوةَ الصالحةَ وحدَها لا تنفعُ، فبدأ بغزْوِ القبائلِ التي لم تدخُلْ في حركتهِ فانتشرتْ عندئذٍ حركةُ المرابطينَ بين البربر.

وتقلّبَ على صِنْهاجَةَ نَفَرٌ من القادةِ حتّى جاء يوسفُ بنُ تاشفينَ فتابع غزوَ القبائلِ وإخضاعَها ثمَّ استبدّ بأمرِ المُرابطين وبنى مدينةَ مَرّاكُشَ (٤٥٤ هـ = ١٠٦٢ م) فدانَ له مُعْظَمُ المغربِ.

كانت عنايةُ المرابطين منصرفةً إلى الفِقه، وإلى الفِقه على المنهج السَلَفيّ - لا ميلَ فيه إلى الرأي أو الجِدال ولا خُروجاً منه إلى عِلمِ الكلام أو إلى التصوّف - حتّى أنّ نُسَخاً من عددٍ من كتبِ الإمامِ الغزّاليّ قد جرى إحْراقُها في مَرّاكُش في أيامِ عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفينَ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) لأنّها كانتْ ممزوجةً بعلمِ الكلام وبالتصوّف.

وبدأتْ مُنذُ عهدِ المرابطين نهضةٌ فِكريةٌ وعِلْمية (في الفلسفة والطِبّ خاصةً) ولكنْ لم تتفتّحْ إلاّ في عهد المُوحِّدين التالي. فالحركاتُ الثقافيةُ تحتاجُ إلى زمنٍ تَنْضَجُ فيه وإلى حَضارةٍ سابقة. ونحنُ نَعرفُ أنّ الأدبَ لم يَلْقَ تشجيعاً في دولةِ المرابطين كذلك التشجيعِ الذي كان يَلقاهُ في بَلاطاتِ ملوكِ الطوائف، ذلك لأنّ المُرابطين كانوا في سَبيلِ إنشاءِ دولةٍ يَبْعُدُ نظرُها إلى جَمْعِ شَتاتِ بِقاعِ الإسلامِ في القارة الإفريقية وفي القارةِ الأُوروبّية. وإذا نحنُ عَدَدْنا نفراً من الحُكّام الذين عَظُمَتْ آثارُهم واتّسعتْ شُهرتُهم مثلَ إدريسَ الأنورِ (١٨٨ - ٢١٣ هـ) وأَفْلَحَ بنِ عبدِ الوهّاب (١٩٠ - ٢٤٠ هـ) وزيادةِ اللهِ بنِ الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) والمُعِزّ الفاطميّ (٣١٩ - ٣٦٥ هـ) والمُعزّ بنِ باديسَ (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ) ويوسفَ بنِ تاشفينَ (٤٥٣ - ٥٠٠ هـ) والناصرِ الحمّاديّ (٤٥٤ - ٤٨١ هـ) لم نَجِدْ فيهم مِثْلَ يوسفَ بنِ تاشفينَ في اتساع الأُفقِ والأثرِ السياسي الجامعِ والخِدمة التي أُدِّيَتْ للإسلام.

لمّا نَجَمَتْ دولةُ المرابطين في المَغْرِبِ، سَنَةَ ٤٤٨ (١٠٥٦ م) كانتِ الدولةُ الحَمّاديةُ في المَغْرب الأوسط (الجزائر) واسعةَ الرُقعةِ. وانتهز بُلُقّينُ بنُ محمّدٍ الحَمّاديُّ الفرصةَ

في الدولة التي لم تَقْوَ بعدُ وغزا فاسَ، سَنَةَ ٤٥٤ وأخرج منها يوسفَ بنَ تاشفينَ. ولكنّ بُلُقّينَ كان شديدَ الوطأةِ على جيرانهِ كثيرَ القَسوةِ على رعاياه فعَظُمَ الحِقدُ العامُّ عليه فقُتِلَ غَيْلَةً في تلك السَنَةِ نفسِها.

وبعدَ بُلُقّينَ جاء الناصرُ بن علناس قاتلُ بلقّينَ ولم يكنْ أقلَّ منه قسوةً: قضى على آل رومانَ حُكّامِ بَسْكَرَةَ وغزا تونسَ ولكنّه هُزِمَ في معركة سبيبة، قُرْبَ القَيْروانِ، سَنَةَ ٤٥٨!. ثم كَثُرَ الاضطرابُ عليه وثارتْ قبائلُ بني هِلالٍ وسواها من جديدٍ، وانساحوا فيما حولَ القلعة وقُسَنْطِينَةَ، فأنشأ الناصرُ، مكانَ ضيعةٍ صغيرةٍ اسْمُها « بِجايَةَ »، عاصمةً جديدةً له وانتقل إليها، سَنَةَ ٤٦١ (١٠٦٩ م)، وسَمّاها الناصريةَ.

ولم يَخِفَّ الاضطرابُ في المغرب الأوسطِ فاستطاع يوسفُ بنُ تاشفينَ أن يَسْتَوْلِيَ على الجانبِ الأكبرِ منه (٤٧٢ - ٤٧٥ هـ)، ولكنَّ الدولةَ الحمّاديةَ ظلتْ قائمةً في جانبٍ صغيرٍ من مُلكِها الأوّلِ وهي تضعُفُ شيئاً فشيئاً بالنزاعِ الداخليّ، برُغْمِ أنّ المنصورَ بنَ الناصرِ استطاعَ أن يَهْزِمَ المرابطين، سَنَةَ ٤٩٦ (١١٠٣ م) ويُخْرِجَهم من تِلِمْسانَ.

ازدهرَ المغربُ الأوسط في عهدِ الدولةِ الحمّادية فكَثُرَتِ المدارسُ وارتقتِ العلومُ والفنونُ وقَصَدَ الناسُ حواضرَ الجزائرِ يغترفون منها ما شاءوا من وُجوهِ الحَضارةِ والثقافةِ، وعَظُمَ العُمرانُ واتّسعتِ الصِناعاتُ فكثُرَتْ معاملُ النسيجِ والزرابيّ (السجّاد) والزلاّج أو الزُلّيج (البلاط المُزَخْرف: القَيْشاني) والزُجاج. وصِناعةُ الشَمْعِ يَرْجِعُ الفضلُ فيها إلى بِجايةَ عاصمة الحَمّاديّينَ الجديدةِ ففيها تعلّمَ الأوروبيّون هذه الصِناعةَ، ولذلك تسمّى « الشَمْعة » في اللغة الفرنسية والإيطالية والإسبانية بكلمة مشتقّة من اسم « بجاية »: BUJIA, BUGIA, BOUGIE (بوجيَ، بوجيا، بوخيبا) على التوالي.

وفي تونسَ كانتِ الدولةُ الصِنْهاجيّة في منتصف عُمُرِها الزَّمَني تماماً (٣٦٢ - ٥٤٣ هـ)، ولكنْ في أواخرِ عُمُرِها السياسيّ، إذ لم يكُنْ قد بَقِيَ في سُلطانِها، أيامَ تَميمِ بنِ المُعزِّ (٤٥٣ - ٥٠١ هـ) سوى سِيفٍ (شريطٍ ضيّقٍ على الساحل) بينَ سوسةَ وقابسَ. أما ما بَقِيَ من البلادِ فقد تقاسَمَهُ الأمراءُ الصِغارُ

وشيوخُ القبائلِ. وفي سَنَةِ ٤٨٠ (١٠٨٧ م) استولى الجَنَوِيّون (الإيطاليون) على المَهْديةِ، ثمّ نَزَلَ النُرمانُ في جزيرةِ صِقِلّية، سَنَةَ ٤٨٤.

وامتلأ النصفُ الثاني من حياة الدولة الصِّنْهاجيّة في تونسَ بالاضطرابِ الداخليِّ، كما كَثُرَ الغزوُ إليها من شواطىء إيطاليةَ وصِقِلّية ثم كَثُرَ الغزو منها إلى تلك الشواطىء. ولكنّ أمرَها كان إلى الزَوال.

ولم تَصِلْ سُلطة المرابطين، في هذه الحِقبة، إلى لِيبيا - وحياةُ ليبيا السياسيةُ يومذاك كانتْ تدورُ في مدينةِ طرابُلُسَ. وكان آلُ خَزْرونٍ لا يزالون يَتَوَلَّوْنَ الحُكْمَ فيها.

ولكنْ في مطلعِ هذه الحِقبة ساقتِ المقادير من مِصْرَ إلى طرابُلُسَ رجلاً تُركيًّا مُغامراً اسمُهُ شاه مَلِكٍ (اسمانِ بمعنىً واحدٍ). واتّفق أنّ أهلَ طرابُلُسَ كانوا مُستائينَ من والِيهِمْ خليفةَ بنِ خَزْرونٍ فاستنجدوا بشاهِ ملك. واستطاعَ الطرابُلُسيّون بمُساعدةِ شاه ملك أن يطرُدوا خليفةَ من المدينةِ وقَبِلوا أن يتولّى الحُكْمَ فيها شاه ملك. غيرَ أن شاه ملك أساء السِيرةَ في الناس كثيراً وقدِ اتّفقَ في ذلك الحينِ أن سار تميمُ بنُ المُعزّ أميرُ إفريقيةَ (تونسَ) إلى طرابلس فحاصرها واستولى عليها ثمّ حَمَلَ شاه ملك وأشياعَه أسْرى إلى المهدية. وبعدَ شاه ملك تولّى طرابُلُسَ محمّدُ بنُ خَزْرونِ بنِ خليفةَ ابنِ وُرّو فقرّبَ إليه شيوخَ بني مطروحٍ لِمَا كان لهم من المَكانة في طرابلسَ.

ولكنْ سَرعانَ ما وَقَعَتِ الوحشَةُ بين محمّدِ بنِ خزرونٍ وآلِ مطروحٍ فألّبَ آلُ مطروحٍ عليه القبائلَ وأخرجوه من المدينة، ولكنْ لم يستطيعوا أن يَضْبِطوا أمرَها فَبَقِيَ حُكْمُها مُتنازَعاً بينَ الطامعين الأقوياءِ مُدّةً طويلة.

وأعظم ما اضطرب المغربُ به في القرن الخامس كان النزاعَ في المذهب الفاطميّ(١) بين أنصارِه وخُصومه. إنّ الدولة الفاطميةَ في المغرب وفي المشرق (في مِصْرَ والشام) - ولم ينتقلِ المذهبُ الفاطمي إلى الأندلس - سَلَكَتْ مسلَكاً ليس فيه من الإسلام شيء. وكذلك سلك خُصومُها مَعَها مسلَكاً لا هَوادةَ فيه. وإذا كان صلاحُ

(١) راجع، فوق، ص ١٦٩.

الدين الأيوبيُّ قد قضى، فيما بعدُ، على الدولة الفاطمية في مِصرَ من غير أن يُريقَ دماً، فإنّ الدمَ في المغرب قد سال على جانِبَيْ هذا النزاعِ أنهاراً. ولقد أطْنَبَ المؤرّخون في وصفِ هذا الصدام بين أشْياع الفاطميّين وخصومهم. وأُحِبُّ أن أُورِدَ هنا عدداً من الجُمل من مَرْجعٍ حديثٍ ليكونَ ما أُورِدُهُ نَموذجاً لِما أردتُ تِبْيانَه، لا مُتَّكأً للتبسُّط فيه والإثارة به.

قال طاهرُ أحمدَ الزواويُّ (أعلام ليبيا ٢١٦ - ٢١٧) عن سياسة الفاطميّين في طرابلس (الغرب):

«... انتشرتْ بِدَعُهُمْ ومنعوا صلاةَ التراويحِ[١] وصلاةَ الضُحى[٢].... وكان أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ المُنَمِّرِ أولَ من أفتى ببُطلانِ مذهبهم ونَبْذِ تقاليدِهِمُ الباطلةِ وبِدَعِهِمُ المُضلِّلة.. وَهُوَ أوّلُ من..... أمر الناس بصلاة رَكْعَتَيِ الضُحى، وكان العُبيديّون يقتُلونَ من صَلاّهُما. وأمر بصَلاة التراويحِ في رَمَضانَ وصلاّها بالناس في طرابُلُسَ. وأعادَ ما كان (العُبيديّون قد) أبْطلوهُ من معالمِ دينِ اللهِ وسُنّةِ رسوله».

أبو الحسنِ المُنَمِّرُ الطرابلسيُّ أديبٌ مُحسِنٌ وفقيهٌ مُجَدِّدٌ وُلِدَ سَنَةَ ٣٤٨ (٩٥٩ م) وتُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٣٢ (١٠٤٠ م)، وهو من أقدم رجال الفِقه والرأي في طرابلس. وقد قال فيه عليّ المِصْراتيّ (أعلام من طرابلس ٣٤): «لولا ابنُ المُنَمِّرِ لانْدَثَرَ مذهبُ مالكٍ في طرابلس».

لا شكّ في أن للمؤرّخين مغالطَ - كما يقولُ ابنُ خَلْدونٍ - وفي أنّ نفراً كثيرينَ منهم يُبالغون أحياناً كثيرةً. ولكنّ العُبيديّين (الفاطميّين) مالأُوا الصليبيّين على المسلمين وأتَوْا بِبِدَعٍ كثيرة. وممّا لا يتّفق في المنطق أن يُقْتَلَ مُسلمٌ يُصلّي صلاةَ الضُحى - وهي رَكْعتانِ خَفيفتانِ يُصلّيها المُسلمُ إذا شاء بعدَ ارتفاعِ

(١) صلاة التراويح عدد من الركعات الوتر (٣، ٧، ١١، ١٧، ٢١ أو أكثر) تصلّي في شهر رمضان بعد صلاة العشاء.

(٢) صلاة الضحى ركعتان من النوافل يصلّيها من شاء بعد ارتفاع الشمس في الصباح مقدار رمح في رأي العين. ويقال إنّ من فرضها على نفسه وجب أن يحافظ عليها.

الشمس - ولكنّ الفقهاءَ ذكَروا أن مَنْ فَرَضَها على نفسِه فَيَجِبُ أن يُحافظَ على أدائها في كلٍّ يوم.

وكان الفاطميّون يعتقدون أنّ أئِمَّتَهُمْ آلهةٌ. وحَسْبُكَ أن يكونَ المُعِزّ الفاطميُّ قد قبل من ابنِ هاني الأندلسي (ت ٣٦٠ هـ) قولاً هو:

ما شِئْتَ، لا ما شاءتِ الأقدارُ. فاحْكُمْ فأنتَ الواحدُ القَهّارُ.

ربّما كان لِبعضِ الناسِ تفسيرٌ أو تعليلٌ يُخَفِّفُ أثرَ هذا القول - من الناحية الأدبية أو من الناحية الفلسفية، ولكنّ ظاهرَ القولِ لا يَقْبَلُ تعليلاً. وهذه كلمةٌ لِتَدُلَّ على صورةٍ لجانبٍ من العصر في المغرب في القرنِ الخامس، وليستْ لإثارة جَدَلٍ.

الحياة الاجتماعية والثقافية

في القرن الخامس للهجرة (الحادي عَشَرَ للميلاد) كانتْ سلطةُ الخلافة في بَغدادَ قد ضعُفت مُنذ أمدٍ طويل وكانتِ البلاد الإسلامية قد تقسّمت بينَ دُوَيْلاتٍ على أقدارٍ مختلفة من السَعة والضيق ومن القوّة والضَعف. غيرَ أنّ السلاجقةَ الأتراكَ الذين أنشأوا لأنفسهم دُويلاتٍ مَدّتْ سلطانَها في المشرق والعِراق وبلاد الروم (آسية الصغرى) قد نَصَروا الإسلام واحترموا مكانةَ الخلفاء العبّاسيّين. ولمّا نَشِبَتِ الحروبُ الصليبية، في أواخرِ هذا القرن، سَنَةَ ٤٩١ (١٠٩٨ م)، حَمَلَ السلاجقةُ الجانبَ الأكبرَ من عِبْئِها.

وفي هذا القرنِ أيضاً كانتِ الخلافة المروانية في الأندلس قد سقطتْ مُنْذُ عهد بعيد (٤٢٨ هـ = ١٠٣٦ م) وقامتْ على انقاضِها دويلاتُ الطوائف.

غير أنّ الذي حَدَثَ في المشرق وفي الأندلس، في هذا القرنِ: من تَجَزُّؤِ الخلافة الجامعة دويلاتٍ مختلفةً، قد حَدَثَ خِلافُهُ في المغرب من قارّةِ إفريقية. إنّ الدويلاتِ التي كانت في المغرب - وأشهرُها دولةُ بني زِيري (في القُطرين التونسي والجزائري) ودولةُ بني حمّادٍ (في القُطر الجزائري) ثمّ دولةُ مَغْراوةَ وبني يَفْرَنَ (في المغرب الأقصى) - قد دخلت كُلُّها، إلى حدٍّ كبيرٍ، في دولةِ المُرابطينَ الجامعة. وسنرى أن المرابطينَ قد أقاموا الوَحْدَةَ السياسيةَ أيضاً في الأندلس نفسِها.

ونحن نستطيعُ أن نقولَ عنِ المشرق إنّ الحركةَ الأدبية والعقلية قدِ انتقلتْ أيضاً من بَغْدادَ إلى الأمصارِ (في المشرق: شرقَ العراقِ وفي الشامِ).

لم يكن عهدُ المُرابطين كلُّه (٤٤٨ - ٥٤٣ هـ) عصرَ ازدهارٍ للثقافة:

★ لم يكنْ يوسُفُ بنُ تاشفينَ خاصّةً ممّن يَفْقَهُ اللغةَ العربية أو يطرَبُ للشِعر العربي خاصّةً.

★ إنّ يوسُفَ بنُ تاشفينَ قد أدرك أنّه في سبيل تأسيسِ دولةٍ، ورجالُ الدُوَلِ في مثل هذه الأطوار لا يُلْقونَ بالاً إلى الفنون النظريّة وإلى أوْجُهِ الكماليّات.

ومَعَ ذلك فنحن نَجِدُ في عصر المُرابطين في المغرب وفي الأندلس جماعةً اتّجهوا إلى العِلمِ والثقافة. إنّ أُميّةَ بنَ عبدِ العزيز الدانيَّ أبا الصلتِ (٤٦٠ - ٥٢٩ هـ) كان من الأدباء ومن العلماء وكان له اهتمامٌ في علم الحِيَل (الميكانيك) خاصّة. وعاشَ أبو الصلتِ هذا في الأندلس وفي مِصْرَ. وفي هذا العصر أيضاً يمكن أن نَعُدّ ابنَ باجّه (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) واضعَ أُسُسِ الفلسفةِ العَقْلية، وقد عاشَ في الأندلس وفي المَغْرب. وحاولَ جابرُ بنُ أفلحَ الإشبيليُّ (ت ٥٤٠ هـ = ١١٤٥ م) تصحيحَ نِظامِ بَطْلَيْموسَ في حَركاتِ الأفلاك.

وعَظُمَتْ شُهرةُ آلِ زُهْرٍ في الطِبّ في عهد المرابطين، فكان منهم في هذا العهد أبو العَلاءِ زُهْرُ بنُ عبدِ الملك بن محمّد (ت ٥٢٥ هـ = ١١٣١ م)، بَرَعَ في الطبّ ولَمّا يَزَلْ في أوّلِ شبابه: كان يرى المريضَ فَيَجُسّ نَبْضَه وينظُرُ في قارورةِ الماء (البَوْل) ثمّ يُخْبِرُ المريضَ بما بِهِ من غيرِ أن يسألَه شيئاً. ثمّ كان في هذا العهدِ أيضاً ابْنُه أبو مروانَ عبدُ الملك (ت ٥٥٧ هـ = ١١٦٢ م) وكان طبيباً بارعاً لم يشتغل بغيرِ الطِبّ.

وكان للمرابطين أثرٌ بعيدٌ في غربيّ قارّةِ إفريقيةَ، فإنّ التوارِقَ (وهم من قبيلةِ مَسوفَةَ المَغْرِبية) امْتَدّتْ في صِلاتِها السياسية والاجتماعية جَنوباً فنشأتْ على أيديهم مدينـةٌ هي تَنْبَكْتُ، في أواخرِ القرنِ الخامسِ للهِجرة. إن هذه المدينةَ العظيمة في السودانِ الغربيّ (في ملّي أو مالي، قريبةٌ من نهر النيجر) قد بدأتْ، فيما يبدو، محطّةً تجاريّةً ثمّ أصبحتْ سوقاً تجاريةً عامّة مقصودةً من أماكنَ بعيدةٍ من مِصْرَ وليبيا وتُونِسَ والجزائرِ والمغرب لأنّها نُقطةٌ صالحةٌ للانطلاق نحوَ الشواطىء الغَرْبية الوُسْطى

من قارةِ إفريقية ونحوَ أواسطِ قارةِ إفريقية أيضاً.

ومنذ مطلَعِ القرنِ الخامس للهجرة كان الإسلام قد بدأ ينتشرُ على ضِفّتَيْ نهرِ النيجر. ومنذ ذلك الحينِ بدأ الدُعاةُ المُسلمون يأتون إلى مملكةِ السونراي على النيجر من أماكنَ مختلفةٍ أبرزُها ليبيا. وفي سَنَة ٤٠٠ (١٠١٠ م) دَخَلَ الملكُ «زا» - صاحبُ مملكة سَنْغاي (على ضِفّتَيْ نهر النيجر) في الإسلام. وفي سَنَةِ ٤٣٥ (١٠٤٣ م) أسّس أهلُ سنغايَ عاصمةً جديدةً - جنّى أو دينيه - ، ربّما هَجْراً لعاصمةٍ قديمةٍ تسودُ فيها الوثنيةُ.

وفي سَنَة ٤٤٨ (١٠٥٦ م) هاجمَ المُرابطون مملكةَ غانةَ ثم فتحوا عاصمتَها كومبي بعدَ عِشرينَ سَنَةً. ولا نعلَمُ السببَ الذي دعا المرابطينَ إلى الانسحاب من عاصمةِ غانة (٤٨٠ للهجرة أو قبلَ ذلك بقليل)، ربّما استعداداً للمعركة الفاصلةِ في الزلاّقة حيث قضى يوسفُ بنُ تاشفينَ على الجيشِ الإسباني واستطاعَ أن يُعيدَ إلى الأندلسِ شيئاً من الوَحْدة).

لم يُبدّلِ انسحاب المرابطينَ من كومبي عاصمةِ غانةَ - ومن غانةَ كُلِّها أيضاً - شيئاً من مسيرة الإسلام في غربيّ قارّةِ إفريقية. إنّ مملكةَ مَلّى استولتْ على غانةَ فزادَ فيها انتشارُ الإسلام.

إنّ الإسلامَ بدأ ينتشرُ في غَربّي قارّةِ إفريقيةَ في البُقعة المُمتدّةِ بينَ بُحيرةِ تشادَ ونهرِ السنغال إلى الشاطىء الغَربيّ وإلى الشاطىء الجَنوبيّ: أي في حَوْضِ نهرِ النيجر وحوضِ نهر الفولتا وحوض نهر السنغال، وذلك كلُّه ابتداءً من مطلعِ القرنِ الخامسِ للهجرة أو قبل ذلك بقليل. غيرَ أنّ الثقافةَ العَرَبية يَجِبُ أن تكونَ قد تأخّرتْ عن ذلك، فليسَ من المعقول أن نرى هناك - مُنْذُ ذلكَ الطَورِ الباكر - شعراء يَنْظِمون باللغة العربية. ولكّن هذا لا يمنَعُ من أنْ يكونَ نفرٌ من الفقهاء قد دَوّنوا أشياءَ من الفِقه أو من الحديث أو من التفسير أو من الصَرْف والنَحْو. ولا أظنّ أنّ مثلَ هذا كان يبلُغُ، في تلك الحِقبة القديمة، إلى أن يُعَدَّ في الأدب.

ابن رشيق القيرواني

١ - كان رشيقٌ مملوكاً رومياً من موالي الأزدِ ومن أهل مدينةِ المَسيلة (المُحمّدية) في المغرب الأوسط (الجزائر)، وكانت صنعتُه الصِياغةَ. وفي المحمّدية وُلِدَ ابنُه الحسَنُ سَنَةَ ٣٩٠ (١٠٠٠ م) أو قبلَ ذلك بقليل، فتعلّم صَنعةَ أبيه وتأدّبَ قليلاً.

في سَنَةِ ٤٠٦ (١٠١٦ م) انتقل الحسنُ بنُ رشيقٍ إلى القَيْروانِ ودرس على جماعةٍ من أُدبائها وعُلمائها، وكان منهم أبو محمّدٍ عبدُ الكريمِ بنُ ابراهيمَ النَهشليُّ (وابنُ رشيقٍ كثيرُ الاستشهادِ بآرائهِ في كتاب « العُمدة »). ومنهم أيضاً أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ جعفرٍ القزّازُ القيروانيُ (ت ٤١٢ هـ).

اشتهر ابنُ رشيقٍ في القيروان واتّصل بصاحبها (أميرها) المُعِزِّ بنِ باديسَ، مُنذُ سَنَةِ ٤١٠ ، فحَظِيَ عنده وأصبح من بِطانته وأهل دولته. واستقلّ ابنُ باديسَ بالحُكم (٤١٧ هـ = ١٠٢٦ م) ثمّ خَلَعَ طاعةَ الفاطميّين (٤٣٥ هـ) فغِيظَ الفاطميّون فسرّحوا قبائلَ بني هِلالٍ وقبائل بني سُلَيمٍ، إلى القُطر التونسيّ. وَصَلَتْ هذه القبائلُ إلى مُعْظمِ أراضي المغْرب ثمّ عاثتْ في القُطر التونسيّ خاصّةً فساداً كبيراً (٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م) فاشتهر ابن خَلْدونٍ بقوله: « إنّ العَرَبَ (البَدْوَ) إذا استَوْلوا على بلدٍ أسرع إليه الخراب ».

انتقلَ ابنُ رشيقٍ إلى جزيرة صِقلّيةَ ونزل في مازَرَ (على الساحل الجَنوبيّ الغربي) وبَقِيَ فيها إلى أن أدْركَتْه الوَفاةُ في غُرّةِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٤٥٦ (١٠٦٤/١١/١٤ م).

٢ - ابنُ رشيقٍ عالمٌ باللغة والنحو وبارعٌ في الأدب والنقد وشاعرٌ ومؤلّفٌ حسن التأليف. ولقد غَلَبَ نَقْدُ الشعر عليه فعُرِفَ به دونَ سائرِ فنون العلم والأدب. وابن رشيقٍ شاعرٌ مقتدر صحيح المعاني متين الأُسلوب، غيرَ أن العقل يَغْلِبُ في شعره على العاطفة. ومعظم معانيه مستعارة، وإن كان أحياناً يُصيبُ الصورةَ الشِعرية.

تقوم شُهرةُ ابنِ رشيقٍ ومكانتُه على كتاب « العمدة »، وهو يتألّف من قسمين في أولهما نقدٌ تاريخيّ للشعر، وفي الثاني منهما بلاغةٌ ونقد (وإنْ كنتَ تَجدُ أبواباً في القسم

الأوّل هي أخلَقُ بالقسم الثاني، كما تجد في القسم الثاني أبواباً أقلَّ عدداً كان يجب أن تكون في القسم الأوّل). فمن أبواب القسم الأوّل: فضل الشعر - الردّ على من يكره الشعر - شعرُ الخلفاء والصَحابة - بابُ مَنْ رفَعَهُ الشِعْر (كامرِىء القيس) ومن وَضَعَه (حَطّ قدرَهُ) الشعرُ (كالنابغة) - باب التكسب بالشعر والأَنَفَة من التكسّب به - القدماء والمُحْدَثون - المُقِلُّون من الشعراء والمُكثِرون - مشاهيرُ الشعراء - باب الشعراء والشعر: حدّ الشعر - اللفظُ والمعنى - المطبوعُ والمصنوع - الأوزان - القوافي - القِطَعُ والطِوال - المبدأ والخُروج والنهاية - الإيجاز - الفرق بين الاختراع والإبداع - المَجاز - الاستعارة - التجنيس - الفرق بين الترديد والتكرار - الاستثناء: توكيد المدح بما يشبه الذمّ - السَّرِقات - النسيب - المديح - الرثاء، الخ - سيرورة الشعر والحظوة عند الممدوحين - باب في أصول النسب وبيوتات العرب - باب معرفة الأماكن والبلدان - باب الوصف - الخ.

وقد أشار حسنُ حُسني عبدُ الوهّاب[١] إلى أنّ ابنَ رشيقٍ قدِ ٱئْتَمَّ في وضع كتاب «العُمدة في صِناعة الشعر ونَقْده» بكتابِ عبدِ الكريم النَهْشَليّ «المُمْتِعُ في علمِ الشعر وعَمَله». ويبدو أن ابنَ رشيقٍ لم يَكْتَفِ بمُحاكاة كتاب «المُمْتِع» في الموضوعات وفي عناوينِ الفصول، بل نَقَلَ فصولاً برُمّتها من كتاب الممتع إلى كتاب العمدة.

ولا رَيْبَ في أنّ ابنَ رشيقٍ قد أفادَ كثيراً من آراءِ عبدِ الكريم النهشلي (وقد أكثر من ذكرِه عند بسطِ هذه الآراء) كما أفادَ من آراءٍ كثيرة للنُقّاد الذين سَبقوه. وقَرّظَ ابنُ خلدونٍ كتابَ «العُمْدَة» فقال[٢]: «.... وَهُوَ الكتاب الذي انفرد بهذهِ الصِناعة (صناعة الشعر) واعطاءِ حقّها. ولم يُكْتَبْ فيها قبلَه ولا بعدَه مثلُه».

ولابنِ رشيقٍ من التصانيف أيضاً: كتاب الأُنموذج (في شَعراء القيروان المعاصرين

(١) مجلّة «الفكر» (تونس) ٤: ١٠ (جويليه - تموز ١٩٥٩ م)، ص ٨.
(٢) مقدّمة ابن خلدون ٥٧٤ (دار الكتاب اللبناني)، ص ١١٠٦.

له) - قُراضة الذهب في نقدِ أشعار العرب (لطيف الجرم كبير الفائدة) - كتاب الغرائب والشواذِّ في اللغة (يذكر فيه كلّ كلمة جاءت شاذّة في بابها). وله عَدَدٌ من الرسائل يردُّ فيها على مُواطنه ومُعاصره ومُنافسه ابنِ شَرَفٍ القيرواني؛ منها: (فوات الوفيات ٢: ٢٥٥): رسالة ساجور الكلب - رسالة قطع الأنفاس - رسالة نُجْحُ الطَلَب - رسالة رفْعْ الإشكال ودفع المُحَال - فسخُ اللُمَح ونسخ المُلَح - ميزان العمل في أيام الدول.

٣- مختارات من آثاره

- من مقّطعات ابنِ رشيقٍ التي تنطوي على لَفَتاتٍ حِسانٍ:

★ أُحِبُّ أخي - وإنْ أعْرَضْتُ عنه، وقَلَّ على مَسامعهِ كلامي؛
ولي في وَجْهِهِ تقطيبُ راضٍ كما قَطّبتَ في وَجْه المُدام[١].
وربّ تَقَطُّبٍ من غير بُغْضٍ، وبُغْضٍ كامنٍ تحتَ ابتسام

★ إذا ما خَفَفْتُ كعهدِ الصِبا أبَتْ ذلك الخمسُ والأربعونا[٢].
وما ثَقلَتْ كِبَراً وَطْأتي، ولكنْ أجُرُّ ورائي السنينا[٣]!

★ وقائلةٍ: ما هذا الشُحوب وذا الضنا؟ فقلتُ لها قولَ المشوقِ المُتيَّمِ[٤]:
هواكِ أتاني، وهو ضَيفٌ أُعِزُّه، فأطْعَمْتُه لحمي وأسْقَيْتُه دمي.

- ومن ذلك في الخمر والنسيب:

★ ومن حَسَناتِ الدهرِ عِنْدِيَ لَيْلةٌ من العُمْرِ لم تتركْ لأيّامِها ذَنْباً.
خلَوْنا بها نَنْفي القَذى عن عُيونِنا بلُؤلُؤةٍ مملوءةٍ ذَهَباً سَكْبا[٥].
ومِلْنا لتقبيلِ الثُغورِ ولَثْمِها كمَيْلِ جَناحِ الطيرِ يَلْتَقِطُ الحَبّا.

---

(١) المدام: الخمر. أعبس في وجه صديقي (وأنا راض عنه - حبًّا بأن يكون أفضل ممّا هو)، كما أن شارب الخمر يعبس بعد تناول كلّ جرعة منها وهو مسرور بذلك.
(٢) خفّ الرجل: مال إلى السرور.
(٣) سيري أصبح بطيئاً لا لأنيّ ضعيف عن السير، بل لأنيّ أجرّ حملاً ثقيلاً (خمسة وأربعين عاماً).
(٤) الشحوب: اصفرار لون الوجه. الضنى: النحول من المرض. المتيّم: الذي ذلّله الحبّ.
(٥) القذى: الوسخ (الهموم). اللؤلؤة (كأس من بلّور). ذهباً سكباً (خمراً خالصة صافية).

★ مِمّـا يُزهِّـدُني في أرضِ أندلسٍ سَماعُ مُقتـدرٍ فيهـا ومُعتضِـدِ:
ألقـابُ مملكـةٍ في غيرِ موضِعها كالهِرِّ يَحْكي انتفاخاً صورةَ الأسد!

– وقال يَصِفُ زُرافةً (جاءت هديّة إلى المعزِّ بنِ باديسَ من مِصْرَ):

وأتَتْـكَ من كَسْبِ الملوكِ زُرافـةٌ شَتّـى الصِفـاتِ لِلَوْنهـا أثْنـاءُ[1].
جَمَعَتْ مَحاسِنَ ما حَكَتْ فتناسبتْ في خَلْقها وتَنافَتِ الأعضاء[2]
تَحْتَثُّهـا بـينَ الخوافِـقِ مِشْيـةٌ بادٍ عليها الكِبْرُ والخُيلاء[3].
وتَمُدُّ جِيـداً في الهواء يَزينُهـا فكأنّه تحت اللواءِ لِواءُ.
حُطّـتْ مآخِرُهـا وأشْرَفَ صَدْرُهـا حتّى كأنّ وقُوفَها إقْعاء[4]
وكـأنّ فِهرَ الطِيبِ منـا رَجَمَتْ به وَجْهَ الثرى لو لُمَّتِ الأجزاء[5]
وتَخيّرتْ دون المـلابِـسِ حُلّـةً عَيّتْ لِصَنْعةِ مِثْلها صَنعاء[6]:
لَوْنـاً كلونِ الذبـلِ إلاّ أنّـه حَلْيِ وجِزْعٌ بعضه الجلاء[7]!!
أو كالسحـابِ المُكْفهِرّةِ خَطّطَـتْ فيه البُروقُ وميضها إيماء[8]
أو مثـل مـا صَدِئـتْ صَفائحُ جَوْشَنٍ وجرى على حافاتِهِنّ جَلاء[9]

(١) للونها أثناء (طيّات): خطوط لونها متعرّجة.
(٢) شابهت حيوانات كثيرة فأخذت من كلّ حيوان أحسن ما فيه. تناسبت في خلقها (صورتها) كان كلّ عضو فيها يناسب سائر الأعضاء. وتنافت الأعضاء: تباينت (اختلفت).
(٣) الخوافق جمع خافق: الأفق، الجهة. تحتثّها نحو الخوافق (إذا ركضت مال جسمها إلى كلّ جهة، فكأنّها تريد أن تسير إلى كلّ مكان). باد: ظاهر. الكبر: الإعجاب بالنفس. الخيلاء: التكبّر.
(٤) حطّت: انخفضت. أشرف: علا. الإقعاء: الاستناد إلى مؤخرة الجسم.
(٥) الفهر: حجر بحجم قبضة اليد تسحق به الأشياء. ما رجمت به وجه الثرى (الأرض): حافرها. لو استطعنا أن نجمع الحفر التي أحدثتها حوافرها في الأرض لكان عندنا من كلّ حفرة إناء للعطر (!).
(٦) عيّت (عجزت) لصنعة مثلها صنعاء (عاصمة اليمن)، وكانت مشهورة بنسج الثياب الحريرية.
(٧) الذبل: جلد السلحفاة (غطاء السلحفاة عند ظهرها له تقاطيع نافرة، والجلد الزرافة مثل هذه التقاطيع ولكن من لون مخالف للون جلدها الأصلي). حلي: حلى وحليه، ثوب جميل. وجزع بعضه الجلاء (غير مستقيمة في الوزن ولا واضحة المعنى).
(٨) المكفهرّ المسودّ. البقع القاتمة في جلد الزرافة تشبه الغيوم الصغيرة. والفواصل بين تلك البقع تشبه البروق الخاطفة.
(٩) وكلّ بقعة قاتمة اللون مع ما حولها تشبه جوشنا (درعاً) صدئاً أخذ العاملون في جلائه من أطرافه.

نِعْمَ التجافيفُ التي ادّرَعَتْ بها   من جِلْدها لو كان فيه وِقاء[1].

- وقال في الحماسة ووصف الناقة:

إليك يُخاضُ البحرُ فَعْماً كأنّه   بأمواجهِ جيش إلى البرّ زاحفُ[2]؛
ويبعَثُ خلفَ النُجْحِ كلّ مُنيفةٍ   تُريكَ يداها كيف تُطوى التنائفُ[3].
من المُوجفاتِ اللاءِ يَقْذِفْنَ بالحصى   ويُرمى بهنّ المَهْمَهُ المُتقاذف[4].
يطيرُ اللُّغامُ الجَعْدُ عنها كأنّه   من القُطْنِ - أو ثَلْجِ الشتاء - نَدائف[5].
وقد زاغَ من فضلِ الزمام ابنُ نُكْبةٍ   هو السيفُ لا ما أخلصَتْهُ المشارف[6].
فكيفَ تراني لو أُعِنْتَ على الغِنى   بَجدٍّ؟ وإنّي للغِنى لَمُشارف[7]!
وقد قرّبَ اللهُ المسافةَ بينَنا   وأنْجَزَني الوعدَ الزمانُ المُساوف[8].
ولولا شقائي لم أغِبْ عندَ ساعةٍ   ولا رامَ صَرْفي عن جَنابِك صارف[9].
ولكنّني أخْطأت رُشْدي فلم أُصِبْ؛   وقد يُخطىء الرشدَ الفتى وهو عارف!

- مختارات من كتاب «العمدة»:

(أ) التكسّب بالشعر:

وكانتِ العربُ (في الجاهلية) لا تتكسّبُ بالشِعر، وإنّما يصنَعُ أحدُهم ما يصنَعُهُ

---

(١) التجافيف جمع تجفاف (بفتح التاء أو كسرها): شيء مثل الدرع. الوقاء: الوقاية، الحماية.

(٢) فعما: ممتلئاً، فائضاً (بالماء).

(٣) النجح: النجاح. المنيفة: التامّة الطول والحسن. التنوفة: الصحراء الواسعة. كيف تطوى التنائف: كيف تقطع المسافات الطويلة.

(٤) أوجف: أسرع في سيره. اللاء: اللواتي. يقذفن (بأرجلهنّ) الحصى (لسرعتهنّ وشدّة جريهنّ). المهمه: المفازة (الصحراء الواسعة) المتقاذف (المهمه الذي يتقاذف المسافرين فيه: يتنقّلون به من جانب إلى جانب فلا يهتدون).

(٥) اللغام: زبد (ريق) أفواه الإبل. الجعد: المستدير. ندائف: ما يطير من القطن عن قوس الندّاف.

(٦) زاغ من فضل الزمام (ساق الناقة بمهارة!!). ابن نكبة (بضمّ النون: صبرة، القليل من الطعام): رجل قليل المال. أخلصته (صنعته من الحديد الخالص الجيد) المشارف (بلاد أعالي الشام التي كانت تصنع السيوف المشرفية الجيدة).

(٧) الجدّ: الحظّ. المشارف: المقبل على، القريب من (الغنى).

(٨) المساوف: الماطل.

(٩) جنابك: جنبك (المكان الذي تنزل أنت فيه).

فُكاهةً أو مُكافأةً عن يدٍ لا يستطيعُ أداء حَقِّها إلاّ بالشُكر إعظاماً لها، كما قال امْرُؤُ القيس يمدَحُ بني تَيْمٍ رَهْطَ المُعَلّى:

أقرَّ حَشا امرىء القيس بن حِجْرٍ   بنو تَيْمٍ مصابيحُ الظلامِ؛

لأنّ المُعَلّى أحسنَ إليه وأجاره حين طَلَبَهُ المُنْذِرُ بنُ ملِءِ السماء لقَتْله بني أبيه الذين قَتَلَ بدير مَرينا[1]...

حتّى نشأ النابغةُ الذُبيانيُّ فمدَحَ الملوكَ وقَبِلَ الصِلَةَ على الشعر وخَضَعَ للنُعْمانِ بن المُنْذِرِ - وكان قادراً على الامتناع منه بِمَنْ حولَه من عشيرتهِ أو بِمَنْ سار إليه من مُلوكِ غسّانَ - فسَقَطَتْ مَنْزِلتُه. و (لكنه) تكسّبَ مالاً جسيماً حتّى كان أكلهُ وشُربُهُ في صِحافِ الذهب والفِضّة وأوانيه من عَطاء المُلوك.

وتكسّبَ زهيرُ ابنُ أبي سُلمى بالشعر يسيراً مَعَ هَرِمِ بنِ سِنانٍ.

فلمّا جاء الأعشى جَعَلَ الشعر مَتْجَراً يَتَّجِرُ به نَحْوَ البُلدانِ؛ وقَصَدَ حتّى ملوكَ العجم. فأثابَهُ (كِسرى) وأجزلَ عَطِيّتَه عِلْماً بقَدْرِ ما يقول (الأعشى) عند (ملوك) العرب، واقتداء بهم فيه[2]. على أن شعره لم يَحْسُنْ عنده حين فُسِّرَ له، بلِ اسْتَهْجَنَهُ[3] واسْتَخَفّ به، لكن آحْتذى فعلَ الملوكِ ملوكِ العربِ (في الرَّغبة في مدح الشعراء لهم).

(ب) المشاهير من الشعراء:

والشُعراءُ أكثرُ من أن يُحاطَ بهم عَدداً. ومنهم مشاهيرُ قد طارتْ أسماؤهم وسارَ شِعْرُهم وكَثُر ذِكْرُهم حتّى غَلَبوا على سائر مَنْ كان في زمانهم. ولكلٍّ أحدٍ منهم طائفةٌ تُفَضِّله وتتعصّبُ له. وقَلّ ما يُجْتَمَعُ على واحدٍ......

---

(١) كان المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (ت نحو ٥٨ قبل الهجرة = ٥٦٤ م) قد قتل إخوة امرىء القيس في ديار بني مرينا (قرب الكوفة).

(٢) لمعرفته بقيمة شعر الأعشى في الدعاية وتقليداً لملوك العرب في اعطاء الأعشى مالاً على مدحه لهم.

(٣) لما نقلت معاني شعر الأعشى لكسرى إلى اللغة الفارسية استهجنه: استقبحه (وجده نازلاً عن مرتبة العقل والسلوك الصحيح). استخفّ به (بالأعشى).

وليس في المُولّدينَ أشهرُ آسماً من الحَسَنِ أبي نُواس؛ ثمّ حبيبٌ[1] والبُحْتريُّ، ويقال إنّهما أخمَلا في زمانِهما خمسَمِائَةِ شاعر كُلُّهم مُجيد. ثمّ يَتْبَعُهما في الاشتهار ابنُ الروميّ وابن المُعْتزّ، فطار اسمُ ابنِ المعتزّ حتّى صار كالحسن في المُوَلَّدين وامرىء القيس في القدماء. فإنّ هؤلاء الثلاثةَ لا يَكاد يجهَلُهم أَحَدٌ من الناس. ثمّ جاء المتنبّي فملأَ الدُنيا وشَغَلَ الناسَ.

(جـ) الوصف:

الشعرُ، إلاّ أقلَّه، راجعٌ إلى الوصف. ولا سبيلَ إلى حَصْره (حصر الوصف) واستقصائه. وهُوَ مناسبٌ للتشبيه ومشتملٌ عليه وليسَ بِهِ[2]، لأنّه (أي التشبيه) كثيراً ما يأتي في أضعافه[3]. والفَرْقُ بن الوصف والتشبيه أن هذا (أي الوصفَ) إخبارٌ عن حقيقةٍ، وأن ذلك مَجازٌ وتمثيل[4]... وأحسنُ الوصف ما نُعِتَ به الشيءُ حتّى يكادَ يُمَثِّلُه عِياناً[5] للسامع... وقال بعضَ المتأخّرين: أبلغُ الوصفِ ما قَلَبَ السَمْعَ بَصَراً...

والناس يتفاضلون في الأوصاف كما يتفاضلون في سائر الأصناف. فمنهم مَنْ يُجيد وَصْفَ شيءٍ ولا يُجيد وصفَ آخَرَ؛ ومنهم من يُجيد الأوصاف كلَّها، وإنْ غَلَبَتْ عليه الإجادةُ في بعضِها كامرِئِ القيس قديماً، وأبي نُواسٍ في عصرِهِ، والبُحتريّ وابنِ الروميّ في وقتِهما...

★ ★ ★

- وقال يَصِفُ حالَ المسلمين حينما بدأ الإسبانُ النصارى يستَوْلون على المُدُنِ الأندلسية ويُخرجون منها أهلَها المسلمين تقتيلاً وتشريداً:

---

(١) حبيب (بن أوس) هو أبو تمّام.

(٢) الوصف غير التشبيه.

(٣) في أضعافه (في ثناياه): في أثنائه (تأتي التشابيه في أثناء الوصف). إنّ الوصف باب كبير. أمّا التشبيه فهو جملة مفردة تتناول صورة واحدة أو جزءاً من صورة.

(٤) تمثيل: مقارنة (بالحقيقة).

(٥) عيانا (بكسر العين): في رأي العين.

والمسلمون مُقسَّمونَ تنالُهم أيْدي العُصاةِ بذِلّة وهَوانِ.
يستصرخون فلا يُجابُ صريخُهم. حتّى إذا سَئِموا من الأزمان
بادَوْا نفوسَهُمُ. فلمّا أنفدوا ما جمّعوا من صامتٍ وصِوان[1]
خرجوا حُفاةً عائذينَ بربِّهِمْ من خوفِهِمْ ومصائبِ الألوان.
هربوا بكلِّ وليدةٍ وفطيمةٍ وبكلّ أرملةٍ وكلّ حَصانِ[2]،
فتفرّقوا أيْدي سَبا وتشتتوا بعدَ اجتماعِهِمُ على الأوطان[3].

٤- العمدة في صناعة الشعر ونقده،؟ مصر ١٢٨٥ هـ؛ تونس والقاهرة (مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م)؛ القاهرة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥ م؛ (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد) القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م؛ بيروت (دار الجيل) ١٩٧٢ م.
- قراضة الذهب (في «مجموع الرسائل النادرة»)، مصر (مكتبة الخانجي) ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م.
- شعراء القيروان من أنموذج الزمان (جمع وتعليق زين العابدين السنوسيّ)، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥١ - ١٩٧١ م.
- ديوان ابن رشيق القيرواني (عبد الرحمن ياغي)، بيروت (دار الثقافة) بلا تاريخ.
- النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف... (جمعه عبد العزيز الميمني الراجكوتي)، القاهرة (المطبعة السلفيّة) ١٣٤٣ هـ.
** بحث ممتع عن حياة ابن رشيق ودولة المعزّ بن باديس العمراني القيرواني، تأليف أبي البركات عبد العزيز الميمني الراجكوتي (منقول عن الأرديّة)، القاهرة بعد؟ ١٣٤٣ هـ (١٩٢٠ م).
- بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تأليف حسن حسني عبد الوهّاب، تونس ١٣٣٠ هـ.
- حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦١ م.
- ابن رشيق الناقد الشاعر، تأليف عبد اللطيف مخلوف، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والأنباء والنشر) ١٩٦٥ م.

---

(١) بادوا نفوسهم؟؟ أنفدوا: استهلوا (أنفقوا) ما كانوا قد خزنوه. الصامت: المال الجامد (كالعملة والأبنية الخ). الصوان: الصندوق توضع فيه الثياب الثمينة (لصونها).
(٢) الحصان: المرأة الشريفة النبيلة (التي لا يمسّها أجنبيّ).
(٣) تفرّق القوم أيدي سبا: تشتّتوا (تفرّقوا تفرّقاً لا اجتماع بعده).

- ابن رشيق ونقد الشعر، تأليف عبد الرؤوف مخلوف، الكويت (وكالة المطبوعات) ١٩٧٣ م.

معجم الأدباء ٨: ١١٠ - ١٢١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٢١ - ١٢٥؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٢٣٠ - ٢٣٣؛ إنباه الرواة ١: ٢٩٨ - ٣٠٤؛ وفيات الأعيان٢: ٨٥-٨٩؛ المطرب ٥٧ - ٦٥؛ ابن الأثير ١٠: ١٥ - ١٦؛ بغية الوعاة ٢٢٠؛ شذرات الذهب ٣: ٢٩٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٣ - ٩٠٤؛ عنوان الأريب ٢: ٥٢ - ٥٤؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٤٣ وما بعد؛ بروكلمن ١: ٣٧٤، الملحق ١: ٥٣٩؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٠٤ - ٢٠٥، (١٩١)؛ تاريخ النقد لإحسان عبّاس ٤٤١ - ٤٥٩؛ مجلّة العربي (الكويت) ٢/١٩٦٤ م، ص ٥٨.

عبد الملك الطبنيٌّ

١ - هو أبو مروانَ عبدُ الملكِ بنُ زيادةِ اللهِ بنِ عليٍّ بنِ حسينِ بنِ محمّدٍ الطُّبنيُّ، وُلِدَ في قُرطُبةَ، في سادسِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٣٩٦ (١٤/٩/١٠٠٥ م). أخذَ عن ابنِ حزمٍ المشهور (ت ٤٥٦ هـ) وطالتْ صحبته له وصَداقتُه، كما أخذَ عن نفرٍ كثيرين (راجع كتاب الصلة، رقم ٧٧٤). ورَحَلَ إلى المشرق، قيل مرّتينِ أو أكثرَ، فكان في الإسكندرية سَنَةَ ٤٤٧ هـ وفي مكّة ٤٤٨ هـ (ربيع ١٠٥٧ م). وقد أملى عدداً من العلوم على جمعٍ غفير في قرطبة.

وكانت وفاةُ عبدِ الملكِ الطُّبنيُّ قتلاً، في قرطبة، في ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٤٥٧ (آذار - مارس ١٠٦٤ م)، قَتَلَه أهلُه لِشدّةِ بُخْلِهِ عليهم ولإغاظتهِ لهم بالتهكُّم بهم إذا طلبوا منه حاجة. وقد اتّهم ابنه بقتله.

٢ - كان عبدُ الملكِ بنُ زيادةِ الله الطُّبنيُّ هذا إماماً في الحديث والفِقه والنحو والأدبِ وشاعراً على أساليب العرب. وكانت له صفاتٌ جيلةٌ من التقوى وحسن المعاشرة والاستقامة، ولكنّ البخلَ يغطّي على جميع الفضائل التي يمكن أن يتّصفَ بها البخيلُ.

٣ - مختارات من شعره

- قال عبدُ الملكِ الطُّبنيُّ يفتخر بكَثْرة عدد الذين يستملون منه:

إنّي إذا حَضَرَتْني ألفُ مِحْبَرَةٍ تقولُ:أخبَرَني هذا وحدّثني[1]،
صاحتْ بِعَقْوَتِي الأقلامُ زاهيةً: «(هذي المكارمُ! لا قُعبانَ مِنْ لَبَنِ)»[2].

- وكتَبَ إلى ذي الوزارتين أبي الوليدِ بنِ زَيْدونٍ الشاعر المشهور:

أبا الوليدِ، وما شَطّت بنا الدارُ وقلّ منّا ومنك اليومَ زُوّارُ[3]
وبيْنَنا كلُّ ما تَدْريهِ مِنْ ذِمَمٍ وللصبا وَرَقٌ خُضْرٌ وأنْوار[4].
وكلُّ عَتْبٍ وإعتابٍ جرى فلَهُ بدائعٌ جِلوةٌ عِندي وآثار[5].
فاذْكُرْ أخاكَ بخيرٍ كُلّما لَعِبَتْ بهِ الليالي، فإنّ الدهر دَوّار!

- وقال في العتاب:

لا يُبْعِدِ اللهُ مَنْ قد غابَ عن بصري ولم يَغِبْ عن صميمِ القلبِ والفِكَرِ.
أشتاقُه كاشْتياقِ العينِ نَوْمَتَها بعدَ الهُجودِ[6]. وجَذْبِ الأرضِ للمطر.
وعاتبوني على بَذْلِ الفُؤادِ له، وما دَرَوْا أنّني أعطَيْتُه عُمُري!

٤ - ★★ مطمح الأنفس ٥٠؛ الصلة ٣٤٣ - ٣٤٥؛ جذوة المقتبس ٢٦٥ - ٢٦٦ (الدار المصرية) ٢٨٤ - ٢٨٥ (رقم ٦٢٩)؛ بغية الملتمس ٣٦٦ - ٣٦٧ (رقم ١٠٦٥)؛ الذخيرة ١: ٥٣٥ - ٥٤٩ وما بعد؛ المغرب ١: ٩٢ - ٩٣؛ المطرب ٢١٥؛ تعريف الخلف (الجزائر) ٢: ٢٤٣ - ٢٤٧؛ بغية الوعاة ٣١٢؛ نفح الطيب ٢: ٤٩٦، ٥١١، ٧: ٤٨ - ٤٩؛ تاج العروس ٩: ٢٦٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٣ (١٥٨)؛ كتب وشخصيّات ٢١ - ٢٨.

ابن سِيدَه

١ - هُوَ أبو الحسنِ عليُّ بنُ إسماعيلَ (وقيلَ ابن أحمد أو ابن محمّد) بن سِيدَه الضريرُ المُرْسيُّ، وُلِدَ في مُرْسِيَةَ سَنَةَ ٣٩٨ هـ (١٠٠٨ م). وقد دَرَسَ أوّلاً على أبيه ثمّ على أبي العَلاء صاعدٍ البَغْداديّ وأبي عُمَرَ أحمدَ بنِ محمّدٍ الطَلَمَنْكيّ.

---

(١) ألف محبرة: ألف تلميذ يأخذون عنّي العلم.
(٢) العقوة: الموضع المتّسع أمام الدار. القعبان جمع قعب (بالفتح): قدح ضخم (يقصد أنّ العلم في الحضارة أفضل من الحياة في البداوة).
(٣) شطّ: بعد.
(٤) الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهر الأبيض.
(٥) العتب: اللوم. الأعتاب: إرضاء الذي كان يعتب.
(٦) الهجود: النوم (ولا يستقيم ذلك في المعنى). لعلّ الصواب: قبل الهجود. والهجود أيضاً: السهر في العبادة.

واتّصلَ ابنُ سِيدَه بأبي الجيش المُوفّق مُجاهدٍ العامريّ صاحبِ دانِيَةَ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) ثمّ بخَلَفِه أبي الأحْوص مَعْنٍ. ولمّا جاء إقبالُ الدولة إلى الحُكم (٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ - ١٠٤٥ م) وَقَعَتْ بينَه وبينَ ابن سيده جَفْوَةٌ فهَرَبَ ابن سِيده عن دانية ثمّ عاد إليها ومدح إقبال الدولة واستَعْطَفَهُ.

وماتَ ابنُ سِيده في دانية، في ٢٦ ربيعٍ الآخرِ من سَنَةِ ٤٥٨ (٢٥/٣/١٠٦٦ م).

٢ - كانَ ابنُ سِيده إماماً في اللغة وفي العربية (النحو) حافظاً لها وعارفاً بأيّامِ العَرَبِ وأشعارِهم ومُلِمّاً بشيءٍ من علوم الحِكمة. وكان له أيضاً شيءٌ من الشعر.

ولابنِ سِيدَه كُتُبٌ منها: المُحْكَم والمُحيط الأعظم (في اللغة، وهو جامع لأنواع اللغة ومرتّب على حروف المعجم) - المُخَصَّص (في اللغة، وهو مرتّب على الأبواب) - كتاب العالَم (بفتح اللام، في اللغة، وهو مرتّب على الأجناس: بدأه ابن سِيدَه بالفلك وختمه بالذَّرّة = صِغار النمل) - كتاب العالِم والمُتعلِّم (مرتّب على المسألة والجواب) - شرحُ إصلاح المَنْطِق (لابن السكّيت) - كتابُ شاذِّ اللغةِ - الوافي في علم أحكام القوافي - الأنيق في شرح الحماسة - شرح مُشْكِلِ ديوانِ المتنبّي. وله أيضاً كتاب السماء والعالم (نفح الطيب ٣: ١٩٢).

٣ - مختارات من آثاره

قال ابن سِيدَه يمدح إقبالَ الدولة ويستعطفه:

ألا هَلْ إلى تَقْبيلِ راحَتِك اليُمْنى ... سَبيلٌ؟ فإنّ الأمْنَ في ذاك واليُمْنا[١].
فيا مَلِكَ الأملاكِ، إنّي مُحَلَّأٌ ... عن الوِرْدِ لا عَنه أُذادُ ولا أُدْنى[٢].
فإن تَتَأكّدْ في دَمي لَكَ نيّةٌ ... بصِدْقٍ، فإنّي لا أُحِبُّ له حَقْنا[٣].
وما لِيَ من دَهري حَياةٌ ألَذُّها ... فتَعْتَدَّها نُعْمى عليَّ وتَمْتَنّا[٤].

---

(١) اليمن: البركة.

(٢) المحلّأ: الذي حيل (بكسر الحاء) بينه وبين ما يريد، منع (بالبناء للمجهول) ممّا يريد. الورد: الشرب. أذاد: أطرد. أدنى: أقرّب.

(٣) - إذا كان في نيّتك أن تسفك دمي (تقتلني)، فأنا لا أريد حقن دمي (حفظ دمي: بقائي حيّاً).

(٤) - ليس لي سرور بحياتي فلا تعدّ بقائي حيّاً نعمة منك عليّ ثمّ تمنّ عليّ إن تركتني حيّاً (إفعل بي ما تشاء).

إذا مِيتَةٌ أرْضَتْكَ مِنّـا فهاتِها! حَبيبٌ إلَيْنا ما رَضِيتَ به عَنّا!

- من مقدمة « المخصص »:

... أما بعدُ، فإن الله عز وجلّ لمّا كرّم هذا النوعَ المَوْسومَ بالإنسانِ وشرّفه بما آتاه من فضيلةِ النُّطْق على سائرِ أصنافِ الحَيَوانِ وجعل له رَسْماً يَميزه، وفصلاً يُبيِّنُه على جميعِ الأنواعِ فَيَحُوزُه[١] أحْوَجَهُ إلى الكشْف عمّا يَتَصَوَّر في النُّفوس من المعاني القائمة[٢] فيها المُدْرَكة بالفِكرة ففَتَقَ الألسنةَ بضُروبٍ من اللفظ المحسوس ليكونَ رَسْماً لِما تَصَوَّرَ وهَجَسَ[٣] من ذلك في النفوس. فعَلِمْنا بذلك أنّ اللغة اضطراريةٌ وإن كانت موضوعاتُ ألفاظِها اختياريةً. فإن الواضِعَ الأوّلَ المُسمِّيَ للأقلِّ جُزءاً وللأكثرِ كُلّاً وللّوْنِ الذي يُفرّق شُعاعَ البصر وينشُرُه بياضاً، وللّذي يَقْبِضه ويحصُرُه سواداً، لو قَلَبَ هذه التَّسْميةَ فسمّى الجُزءَ كُلّاً والكُلَّ جُزءاً والبياضَ سواداً والسوادَ بياضاً لم يُخِلَّ بموضوعٍ[٤] ولا أوْحشَ أسْماعنا من مسموع.

وقدِ اختلفوا في اللغة: أمُتَواطأٌ عليها أمْ مُلْهَمٌ إليها؟[٥] وهذا موضوعٌ يحتاجُ إلى فضلِ تأمُّلٍ. غيرَ أنّ أكثرَ أهلِ النَّظَرِ على أنّ اللغةَ إنما هي وضعٌ واصْطلاحٌ لا وَحْيٌ ولا توقيف[٦].

- من مقدمة « المحكم »:

بذِكرِ اللهِ نفتتحُ وبنوره نقتدح[٧]، وبما أفاضَه علينا من نوريّةِ إلهامِه نهتدي،

---

(١) الرسم: السلوك ونمط الحياة. الفصل: النوع والهيئة. يبيّنه (يجعله مختلفاً من غيره). مازه يميزه (بفتح فكسر): اختاره. فضّله. حازه: استولى عليه، اتّصف به.

(٢) يتصوّر (تجوز بالبناء للمعلوم أو للمجهول). المعاني (مجرورة لفظاً مرفوعة محلاً على أنّها فاعل أو نائب فاعل للفعل « يتصوّر »). القائمة فيها (الموجودة في النفوس).

(٣) هجس: خطر.

(٤) لم يخلّ بموضوع: لم يفقد اللفظ الذي أطلق على شيء تسمّى شيئاً من دلالته.

(٥) متواطأ: متّفق عليه (بين الناس). ملهم إليها: موحى بها.

(٦) على أنّه (متّفقون على أنّ ألفاظ اللغة). توقيف: التعليم، التلقين (المقصود: أول اللغة لم يكن بتعليمها جملة للناس).

(٧) اقتدح: استخرج النار من حجرها بالقدح (نقتبس أو نهتدي بنور الله).

وبما سَنّه لنا نبيُّنا المُقْتفى ورسولُه المُصطفى[1] من فُروض طاعته نقتدي. نَحْمَدُه بآلائه ونُصلّي على عاقِبِ أنبيائه[2]. ونسألُه خيرَ ما يَخْتِمُ وأفضلَ ما به لهذه النفوس يَحْتِم[3]...

أما بعدُ، أيُّها المُسْهِرُ طلبُ العلمِ لجفونه الكاتبُ لحور عيونه[4]. الرائعُ منه في أزاهيرِ فنونه، فإني أقولُ لك: هنيئاً! فقد أُوتيتَ بَغِيَّتَك[5]. وشُكْراً! فقد مُلِّكْتَ أُمْنيَّتَك...

وشكراً له، أيُّها النَّهِمُ على محاسنِ العلوم الباحثُ عن نتائجِ مُقدّمات الحُلوم[6]، فما أسْلَمَك للواحقِ الزمان، ولا خلّى بينَك وبين طوارق الحَدَثان[7]، بل كَفاكَ ما كان يُنازِعُكَ من هواك ويُمِرُّ عليك مُسْتَعْذَبَ نَواك[8]: من تصوُّرِ التعب بشَدّ الرِّحال ومَئونة التَّرحال ولَفْح السَّموم[9] وعَقْدِ الطَّرْفِ ليلاً بسُموتِ النجوم[10]، وتأمُّلِ السَّرابِ شَوْقاً إلى بَرْدِ الشراب، والتمتُّع بأباطيلِ الخيال بَدَلاً من لذيذ محصولِ الوِصال...

٤ - المخصّص، بولاق (المطبعة الكبرى الأميرية) ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (تحقيق مصطفى السقّا وحسين نصّار

---

(١) المقتفى: المتبع. المصطفى: المختار.
(٢) الآلاء: النعم. عاقب: آخر.
(٣) خير ما يختم (به الحياة: الموت على شريعة الإسلام). يحتم: يوجب، يقضي.
(٤) المسهر خبر مقدّم. طلب العلم مبتدأ مؤخّر. لجفونه (اللام زائدة). جفونه مجرورة لفظاً منصوبة محلاً على أنّها مفعول به لاسم الفاعل «المسهر». الحُور في الأصل جمع حوراء (المرأة الناعسة العينين، الجميلة (وهنا، حور عيونه: خير ما في العلم).
(٥) البغيّة: الطلبة (بالكسر) والمطلب.
(٦) الحلوم (جمع حلم بالكسر): العقول. نتائج مقدّمات الحلوم: ما يوجبه العقل من القواعد والأحوال. شكراً له (لله).
(٧) لم يجعلك الله عرضة لمصائب الدهر ولا جعل لمصائب الدهر إليك طريقاً.
(٨) يمرّ الشيء (يجعله مرّاً). النوى هنا: المقصد (بلوغ ما يقصد الإنسان).
(٩) لفح السموم (الريح الحارّة): ملاقاة الوجه وإحراقه.
(١٠) عقد الطرف (البصر، العين) بسموت (السمت بالفتح: النقطة القائمة عمودياً على رأس الناظر): أي قضى الليل ساهراً.

وغيرها) - (جامعة الدول العربية - معهد المخطوطات)، القاهرة (مصطفى البابي الحلبي) ١٩٥٨ - ١٩٦٨ م.

المخصَّص لابن سِيده، تأليف محمد الطالبي، تونس (المطبعة العصرية) ١٩٥٦ م.

** جذوة المقتبس ٢٩٣ - ٢٩٤ (الدار المصرية) ٣١١ - ٣١٢ (رقم ٧٠٩)؛ بغية الملتمس ٤٠٥ (رقم ١٢٠٥)؛ الصلة ٣٩٦ - ٣٩٧؛ معجم الأدباء ١٢: ٢٣١ - ٢٣٥؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٣٠ - ٣٣١؛ المطمح ٦٠ - ٦١؛ المغرب ٢: ٢٥٩؛ نكت الهميان ٢٠٤ - ٢٠٥؛ الديباج المذهب ٢٠٤ - ٢٠٥؛ بغية الوعاة ٣٢٧؛ شذرات الذهب ٣: ٣٠٥ - ٣٠٦؛ نفح الطيب ٣: ٣٨٠، ٤: ٢٧ - ٢٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٤٠؛ بروكلمن ١: ٢٧٦، الملحق ١: ٥٤٢؛ الأعلام للزركلي ٥: ٦٩ (٤: ٢٦٣).

ابن شرف القيروانيّ أبو عبد الله

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أبي سعيدٍ مُحَمّدٍ الجُذاميُّ المعروفُ بابنِ شرفٍ القَيْروانيّ، لعلّه وُلِدَ في السنينَ الأخيرةِ من القرنِ الهِجْري الرابع.

روى ابنُ شرفٍ القيروانيُّ عن أبي الحسنِ القابسي (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) وأبي عِمرانَ الفاسيّ وقرأ النَّحْوَ على أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ جعفرٍ القزّازِ، وأخذَ العلومَ الأدبية عن أبي إسحاقَ إبراهيمَ الحُصريِّ.

ونال ابنُ شَرَفٍ حُظوةً في بَلاط المُعِزّ بن باديسَ في القيروان، وكان المُعِزُّ قدِ استقلَّ بالحُكمِ سنة ٤١٧ هـ (١٠٢٦ م)، ولكنّنا لا نعلَمُ متى جاء ابنُ شرف إلى بَلاط القيروانَ. وفي هذا البَلاط التقى ابنُ شرفٍ بابنِ رشيقٍ فتنافَسا وتنافَرا ثمّ تهاجَيا وأقْذَعَ كلُّ واحدٍ منهما في هِجاءِ الآخَرِ، ولكنْ يبدو أنّهما لم يتقاطَعا ولا تَعاديا.

وفي سَنَةِ ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) هاجَمَ العَرَبُ (البدو) القيروانَ واستباحوها فانتقلَ المُعِزُّ بنُ باديسَ منها إلى المَهْدِيّةِ، وانتقلَ مَعَه ابنُ شرفٍ. ثمّ تُوُفِّيَ المعزُّ (٤٥٣ هـ = ١٠٦١ م) وخَلَفَه ابنُه تميمٌ، فَلَزِمَه ابنُ شرفٍ مُدّةً يسيرةً فلم يَجِدْ عنده من الحظْوة ما كان قد وَجَدَ عند أبيهِ فغادَرَ إفريقيةَ (تونس) إلى جزيرةِ صِقِلِّيَةَ ثمّ انتقلَ، نحو سَنَةِ ٤٥٠ هـ، إلى الأندلس وسكن المَرِيَّةَ. ثمّ إنّ نفسَه نازعَتْه إلى الترددِ على بَلاطاتِ ملوكِ الطوائف للتكسُّبِ بشعرِه. وقدِ استقرّ حيناً في طُلَيْطُلَةَ عندَ

المأمون بن ذي النونِ (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ثمّ انتقلَ إلى إشْبيلِيَةَ واتّصلَ بالْمُعْتَضِدِ بنِ عَبّاد (٤٣٤ - ٤٦١ هـ).

وكانتْ وفاةُ أبي عبدِ الله بن شرفِ الجُذاميّ القَيْروانيّ في إشبيليةَ، أول المحرم من سَنَةَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٧/١١/١١ م)

٢ - أبو عبدُ اللهِ محمّدُ بنُ شرفٍ القيروانيُّ أديبٌ كاتبٌ مُترسِّلٌ وشاعرٌ. أما نثرُه فترسّلٌ فيه تأنُّقٌ وتكلُّفٌ، وفيهِ تقليدٌ للمقامات، وإن كان يُعالِجُ فيه أحياناً موضوعاتٍ بعيدةً عن طبيعةِ المقامةِ كما عَرَفها المَشْرِقُ. وأما شعرُه فرقيقٌ عذبٌ سَلِسٌ في أكثرِ الأحيان. وفنونُ شعرِه المدحُ والرثاء الصادقُ (وخصوصاً رثاء بلدِهِ القيروانِ بعدَ أن هاجمها البدو وخرّبوها). وأحسنُ فنونهِ الوصفُ. وله هجاءٌ فيه دُعابةٌ تَحولُ أحياناً إقذاعاً. ثمّ له غزلٌ وحِكمة.

وفي معجم الأدباء (١٩. ٤٣): «ولابنِ شرفٍ القيروانيّ من التصانيف: أبكار الأفكار جمع فيه ما اختاره من شعره ونثره، وأعلام الكلام (مجموعٌ فيه فوائدُ ولطائفُ ومُلَحٌ مُنْتَخبَةٌ)، ورسالة الانتقاد[١] (وهي على طرازِ مقامةٍ نَقَدَ فيها شِعرَ طائفةٍ من شُعراءِ الجاهليةوالإسلام)، وديوان شعر وغير ذلك». وله رسائل ومقامات.

٣ - مختارات من آثاره

من مطلع «أعلام الكلام»:

هذه أحاديثُ صُغْتُها مختلفةٌ في الأنواع مؤتلفة في الأسماع، عربياتُ المواشم غريبات التراجم[٢]. واختلَقْتُ فيها أخباراً فصيحاتِ الكلام بديعيات النظام لها

(١) وله أيضاً «مسائل (أو رسائل) الانتقاد». يقول إحسان عباس (تاريخ النقد ٤٦٠ - ٤٦١): «ليس ثمة ما يمنعُ أن تكون أعلامُ الكلام رسالةً في النقد، ولكن هل هي نفس الرسالة (إقرأ: الرسالةُ نفسُها) التي تُدعى مسائلَ (أو رسائل) الانتقاد؟». - إن ما يذكره ياقوت الحَمَويّ في صدد هذا المقطع يدل على أن «أعلام الكلام» كتابٌ مختلف من رسالة الانتقاد والتي نشرت أيضاً باسم رسائل (أو مسائل) الانتقاد (راجع قسم المصادر، ص ٥٧٠).

(٢) في القاموس (٤: ١٨٦): صادفت الإبل مرعى موشماً (بضمّ الميم وكسر الشين) أي طيّباً. والميسم (بكسر الميم وفتح السين المهملة بلا نقط) المكواة تجعل بها العلامات (على أجسام البهائم) وجمعها مواسم =

مقاصدُ ظِرافٌ وأسانيدُ طِرافٌ يَروقُ[1] الصغيرَ معناها والكبيرَ مغزاها. وعَزَوْتُها إلى أبي الريّان الصَّلْتِ بن السكن من سلامان[2] - وكان شيخاً هِمّاً في اللسان وبدراً تِمّاً في البيان[3] - قد بَقِيَ أحقاباً ولَقِيَ أعقاباً[4]، ثم أَلْقَتْهُ إلينا من باديته الأَزَماتُ وأورَدَتْه علينا العَزَمات[5]. فآمْتَحَنّا من علمه بحراً جارياً وقَدَحْنا من فَهْمه زَنْداً وارِياً[6]، وأَدَرْنا من بِرّه طَرَفاً وآجْتَنَيْنا من ثمره طُرَفاً[7]. ونحن إذ ذاك والشبابُ مقتبلٌ، وغَفْلةُ الزمان تُهتَبَلُ[8]. وآحتذيتُ فيما ذهبت إليه ووقع تعريضي عليه[9] - من بث هذه الأحاديث - ما رأيتُ الأوائلَ قد وضعَتْه في كتاب كليلةَ

= ومياسم. وهنا عربيّات المواشم (بالشين المعجمة): صفاتها عربية. غريبات التراجم: أعمالها غريبة مستطرفة (مستحسنة).

(١) الظراف جمع ظريف: جميل الوجه خفيف الظلّ حسن الكلام والأعمال. أسانيد جمع إسناد (بالكسر): رواية، اتّصال، إرث (هنا: أخبار نادرة مستحسنة). يروق: يعجب (راقني هذا المنظر: أعجبني فسررت به).

(٢) عزوتها: نسبتها. أبو الريّان الصلت بن السكن (بفتح ففتح: من أسماء الرجال) بن سلامان اسم مرتجل أو مخترع (خيالي).

(٣) الشيخ الهِمّ (بالكسر) الكبير الفاني. البدر التِمّ: الكامل. البيان: التعبير عن المقاصد (الكلام الواضح البليغ).

(٤) بقي أحقاباً (عاش مدّة طويلة) ولقي أعقاباً (نسلاً كثيراً من أجيال متتابعة).

(٥) الأزمة (بفتح ففتح أو بفتح فسكون): الشدّة، الضيق (الفقر، القحط). العزمات في القاموس (٤: ١٥٠): الحقّ (من حقوق الله). والمقصود هنا جمع عزيمة (الهمّة والصبر على المشاق والجرأة على الأعمال).

(٦) الزند قطعة من الحديد نحكّ بها قطعة من الحجر الصوّان فيقدح (من الحجر) نار وري (بفتح فكسر ففتح) الزند يورى (بفتح فسكون ففتح): قدح النار من الحجر بسرعة وثبات فهو وار. قدحنا من فهمه زنداً وارياً (المقصود: كل سؤال كان يخرج منه رأياً صائباً).

(٧) أدرنا (طفنا على أنفسنا، وزعنا) من برّه (من خيره، من علمه ورغبته في الإفادة). طرف: جانب. قسم (شيء قليل). اجتنينا (قطفنا، نلنا، استفدنا) الطرفة (بالضمّ): كل شيء جديد عجيب (يسر النفس).

(٨) مقتبل (بالبناء للمجهول): نحن نستقبله (في أول شبابنا). غفلة الزمان (عن الإساءة إلينا) تهتبل (تنتهز، تغتنم).

(٩) احتذى: قلّد. التعريض: الإشارة من غير شرح.

ودِمنةَ[١] فأضافوا حِكَمَهُ إلى الطير الحوائم ونَطَقوا به على ألسنة الوحش والبهائم[٢] لتتعلق به شَهَوات الأحداث وتُسْتَعْذَبَ بثمره ألفاظ الحُدّاث[٣]... فأقمتُ من هذا النحو عِشرين حديثاً أرجو أن يتبيَّنَ فضلُها ولا تقصّر عمّا قبلها[٤]...

وجاريت أبا الريّان في الشعر والشعراء[٥] ومنازِلهم في جاهليّتهم وإسلامِهم، وٱسْتَكْشَفْتُهُ عن مذهبِهِ فيهم ومذاهبِ طبقتهِ في قديمهم وحديثهم[٦]. فقال: الشعراءُ أكثرُ من الإحصاء وأشعارهم أبعدُ شُقّةً من الاستقصاء[٧]. فقلتُ: لا أعَنْتُك بأكثرَ من المشهورين ولا أُذاكر رأيَك إلاّ في المذكورين[٨]، مثل الضِّلّيل والقتيل ولبيد وعَبِيدِ والنوابغ والعُشْوِ[٩]... ومن الطَّبَقة المتأخرة في الزمان المتقدمة في الإحسان كابن حَمْدانَ والمتنبي أحمدُ بنُ الحسين بن عبدان[١٠]...

- من مقامة لابن شرفٍ القيروانيّ اسمُها أعلام الكلام (ص ٢٥، ٢٦):

... وأما أبو فراسٍ بنُ حَمدانَ ففارسُ هذا المَيْدانِ، إن شِئْتَ ضرباً وطعناً أو شِئْتَ لفظاً ومعنًى، مَلَكَ زماناً ومَلَكَ أواناً، أشعرُ الناسِ في المملكةِ وأشعرُهم في ذُلّ

(١) راجع، فوق، ٢: ٥٤.

(٢) الحوائم (التي تدوم في طيرانها في الجوّ). الوحش (الحيوان الذي يعيش بعيداً عن الناس، كالأسد والثعلب) والبهيمة (الحيوان الأليف كالبقرة والدجاجة).

(٣) الشهوة: الرغبة. الأحداث جمع حدث (بفتح ففتح): الصغير السنّ. الحدّاث: الجماعة يتحدّثون (وهو جمع على غير قياس - راجع تاج العروس، الكويت ٥: ٢١٤).

(٤) ... عمّا قبلها: عمّا سبقها (مثل كتاب كليلة ودمنة، مثلاً).

(٥) جاريته: جريت معه، رافقته في مسيره (هنا: خاطبته، ناقشته، باحثته).

(٦) طبقته (الذين هم في المعرفة والمكانة مثله).

(٧) الشقّة (بالضمّ): البعد، المسافة. الاستقصاء: الاستنفاد (ذكر الأشياء كلّها حتّى لا تترك منها شيئاً) - أبعد شقّة من (عن) الاستقصاء: يستحيل أن يحيط بها أحد.

(٨) أعنتك: ساعدتّك (ذكرت لك). ذاكر ليست في القاموس ولا في تاج العروس (المقصود: أتبادل الكلام معك في شيء ما). المذكور (المعروف الذي يكثر الناس ذكره).

(٩) الضلّيل (امرؤ القيس) والقتيل (طرفة بن العبد) ولبيد (بن ربيعة) وعبيد (بن الأبرص) والعشو جمع أعشى (وهم عدد من الشعراء (ميمون بن قيس الجاهلي أشهرهم) راجع أسماء نفر منهم في القاموس (٤: ٣٦٣).

(١٠) ابن حمدان أبو فراس أو سيف الدولة. ابن عبدان خطأ (عيدان - بالياء التحتية بنقطتين - السقاء لقب والده. راجع ٢: ٤٥٨).

المَلَكة. وله الفخريّاتُ التي لا تُعارَضُ والأسْريّات التي لا تُناهَض.

وأمّا المُتنبّي فقد شُغِلَتْ به الألْسُنُ وسَهِرتْ في أشعارِه الأعيُنُ. وكَثُرَ الناسخُ لشعرهِ والآخذُ لذِكْرهِ والغائص في بحرِه والمُفتّش في قَعْرِه عن جُمانه ودُرّه. وقد طال فيه الخُلْفُ وكَثُرَ عنه الكَشْف. وله شِيعةٌ تغلو في مَدْحه، وعليه خوارجُ تتغايا في جَرْحه. والذي أقولُ إنّ له حسناتٍ وسيّئاتٍ، وحسناتُه أكثرُ عدداً وأقوى مَدداً. وغرائبُه طائرةٌ وأمثالُه سائرة، وعلمه فسيح ومَيْزه صحيح. يروم فيَقْدِرُ، ويَدري ما يُورِدُ ويُصْدِرُ.

... وأمّا ابن درّاجٍ الأندلسيّ القَسْطَلّيُ فشاعرٌ ماهرٌ عالمٌ بما يقولُ، تشهَدُ له العقولُ بأنّه المُؤخَّرُ بالعَصْر المُتقدِّمُ في الشِّعر. حاذقٌ بوضع الكلام في مواضِعه، لا سِيّما إذا ذَكَرَ ما أصابه في الفِتْنة وشكا ما دَهاه في أيام المِحْنة. وبالجُملة فهو أشعرُ أهل مَغْرِبهِ في أبعدِ زمانهِ وأقربهِ...

- وقالَ أبو عبدِ الله بنُ شرفٍ يَصفُ أهل القَيْروان وقد جَلَوْا عن القيروان بعدَ أن هاجمها العرب (البدو) وخرّبوها:

تَرَحّلَ عنها قاطنوها، فلا تَرى ... سِوى سائرٍ أو قاطنٍ وهو سائر[(١)].
تَكَشّفتِ الأستارُ عنهم، ورُبّما ... أُقيمتْ سُتورٌ دونَهم وستائر[(٢)].
تَبيتُ على فُرْشِ الحَصى، وغِطاؤها ... دَوارسُ أسمالٍ زَوارٍ حقائر[(٣)].
فيا ليتَ شِعرَ القيروانِ مَواطني، ... أعائدةٌ فيها الليالي القصائر!؟[(٤)]
ويا رَوْحَتي بالقيروان وبُكْرتي، ... أراجعةٌ رَوْحاتُها والبواكر؟
كأن لم تكن أيّامُنا فيك طَلْقةً ... وأوجهُ أيّامِ السرورِ سوافرُ[(٥)].

(١) القاطن: الساكن في البلد أو المنزل. وهو سائر (راحل. مهاجر).

(٢) انكشف عنه ستر (الله): افتضح بين الناس وظهرت معائبه إلخ أقيمت ستور دونهم (كناية عن حفظ كرامتهم) وستائر (كناية عن احتجابهم عن العامة لعلو منزلتهم).

(٣) فرش (بضم فضم - وهنا بضم فسكون لضرورة الشعر). الحصى: صغار الحجار. السمل (بفتح ففتح): الثوب البالي المتهرىء. الدارس (المحوّ): القديم المتهرىء. زوار جمع زارية (؟): تكسب صاحبها عيباً (؟).

(٤) المواطن جمع موطن. قصائر جمع قصيرة.

(٥) الوجه الطلق: البشوش، الضاحك، الفرح. والوجه السافر: المشرق، المضيء.

– وقال يَصِفُ ليلةَ أُنسٍ كان المطرُ فيها كثيراً والبَرْدُ شديداً:

ولقـد نَعِمْـتُ بليلـةٍ جَمَـدَ الحَيـا ... في الأرض فيهـا، والسماءُ تـذوبُ(١).
جَمَـــعَ العِشاءينِ المُصَلِّي، وانْزَوى ... فيها الرقيبُ كأنّه مـرقـوب(٢).
والكـأسُ كاسيـةُ القميـصِ كأنّهـا ... قَدْراً ولَوْنــاً، مِعْصَــمٌ مخضـوب(٣).
هِيَ وردةٌ في خدِّه، وبكأسِها الـدْ ... (م) ـدُرّيِّ منهـا عَسْجَـدٌ مصبـــوب(٤)
مِنّي إليـه، ومِنْ يَدَيْـهِ إلى يـدي؛ ... فـالشمـسُ تطلُعُ تارةً وتَغيبُ(٥).

– ولابن شرف في نقد الشعر:

أوّلُ ما عليهِ تَعْتَمِدُ وإيّاهُ تَعْتَقِدُ ألاّ تستعجلَ باستحسانٍ ولا استقباحٍ ولا باستبرادٍ ولا باستملاحٍ حتّى تُنْعِمَ النَّظَرَ وتستخدمَ الفِكَر. واعلمْ أن العَجَلَةَ في كلِّ شيءٍ موطئٌ زَلوقٌ ومركَبٌ زَهوقٌ(٦): فإنّ من الشعر ما يَمْلأُ لفظُه المسامعَ (ثمّ لا) يَرِدُ على السامعِ منه (إلاّ) قَعاقعُ. فلا يدعكَ!!(٧) شَماخةُ مَبْناهُ وانظُرْ إلى ما في سُكناه من مَعْناه، فإنْ كان في البيتِ ساكنٌ فتلك (هي) المحاسنُ، وإن كان خالياً فاعْدُدْهُ جسماً بالياً.

وكذلك إذا سَمِعْتَ ألفاظاً مُستعملةً وكلماتٍ مبتذَلةً فلا تَعْجَلْ باستضعافِها؛ فكم من مَعْنًى عجيبٍ في لفظٍ غيرِ غريبٍ. والمعاني هي الأرواحُ، والألفاظُ هي الأشباحُ؛ فإنْ حَسُنَا فذلك الحَظّ الممدوحُ، وإن قَبُحَ أحدُهما فلا يَكُنِ الروحُ!.

---

(١) الحيا: المطر. السماء (الغيوم) تذوب (تسقط ماء).

(٢) جمع العشاءين (صلاة المغرب وصلاة العشاء) لشدة البرد (كيلا يصليها بوضوءين (؟)). انزوى: جلس بعيداً في زاوية. الرقيب: الحارس (المكلف بمراقبة الناس) كأنه مرقوب (كأن أحداً يراقبه).

(٣) والكأس كاسية القميص: جمدت حولها (أو فيها) نقط الخمر فكأنها (ببياض زجاجها معصم امرأة بيضاء جميلة وبلون الخمر فيها مخضوبة بالحناء).

(٤) الدُّرِّيّ: الذي يشبه الدر (اللؤلؤ): الأبيض. العسجد: الذهب.

(٥) الشمس (كناية عن الخمر). تطلع تارة (مرة) تصب في الكأس. وتغيب (تنسكب في أفواهنا: نشربها).

(٦) زلوق: تزلق فيه قدم السائر. زهوق: زائل (؟).

(٧) القعقعة: الصوت (الذي لا فائدة منه). يدعك (كذا في الأصل)، ولعلها: يرعك (بفتح فضم فسكون): يخفك، يعجبك.

- وقال في عُودٍ (الآلة الموسيقية المعروفة):

سَقى اللهُ أرضاً أنْبَتَتْ عودَكَ الذي زكَتْ منه أغصانٌ وطابتْ مَغارسُ:
تَغنّى عليهِ الطيرُ وَهْيَ رَطيبةٌ، وغَنّى عليها الناسُ والعودُ يابسُ![1].

٤ - أعلام الكلام (نشره حسن حسني عبد الوهّاب) دمشق ١٩١٢؛ (الرسائل النادرة - جمعها عبد العزيز أمين الخانجي)، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م.

- رسالة الانتقاد (نشرها حسن حسني عبد الوهّاب)، تونس ١٣٣٠ هـ، = مسائل الانتقاد (نشرها شارل بلاّ)، الجزائر ١٩٥٣ م = (في مجموعة الرسائل النادرة) (أنظر الكتاب السابق).

★ الصلة ٥٧١؛ الذخيرة ٢: ٦٤١ - ٦٤٣، ٤: ١٦٩ - ٢٤٥؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١١٠ - ١٢١؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٢٢٤ - ٢٣٠؛ معجم الأدباء ١٩: ٣٧ - ٤٣؛ الوافي بالوفيات ٣: ٩٧ - ١٠١، فوات الوفيات ٢: ٢٥٥ - ٢٥٦؛ المغرب ٢: ٢٣٠ - ٢٣٢؛ المطرب ٦٦ - ٧١؛ جيش التوشيح ٩٧ - ١٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٦؛ بروكلمن ١: ٣١٥، الملحق ١: ٤٧٣، المجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٥٠ وما بعد؛ عنوان الأريب ١: ٥٦ - ٥٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠ (٦: ١٣٨)؛ تاريخ النقد لعبّاس ٤٦٠ - ٤٦٩؛ العربي (الكويت) ١٩٦٥/١١، ص ٤٨.

أبو حفص الهَوْزنيّ

١ - هو أبو حفصٍ عُمَرُ بنُ الحسنِ بنِ عبدِ الرحمنِ بن عُمَرَ الهَوْزنيُّ من بيتٍ كبيرٍ مشهورٍ كانت إليه زعامةُ إشبيليةَ قبلَ دولةِ بني عبّاد.

وُلِدَ أبو حفصٍ الهوزنيّ في رَجَبَ من سَنَةِ ٣٩٢ (أواخرِ الربيعِ من عام ١٠٠٢ م). وقد روى الهوزنيُّ عن نفرٍ من العلماء منهم أبو القاسمِ بن عصفورٍ وأبو عبدِ الله الباجيّ وأبو محمّدٍ الشنتجالي.

لمّا خَلَفَ عبادٌ المُعْتَضِدُ أباه محمّداً في الاستبداد بإشبيلية سنة ٤٣٤ هـ، كان الهوزنيُّ ظاهرَ الرئاسة في إشبيليَة رفيعَ المكانةِ فيها. وسَرعانَ ما ثَبّتَ المُعتضدُ حُكمَهُ في إشبيليةَ فخاف الهَوزنيُّ مَغبّةَ ذلك على نفسِه واستأذنَ المُعتضدَ بالذّهاب إلى الحجّ.

(١) كان هذا العود (آلة الطرب) من قبل غصناً أخضر تتغنى عليه الأطيار. وبعد أن يبس صنع الناس منه عوداً (آلة طرب) يغنون عليها.

وفي سَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٤٩ م) رَحَلُ الهوزنيُّ إلى المشرق فزار مِصْرَ ثمّ تابع طريقه إلى مكّة. وفي أثناء رِحْلته التي دامتْ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فيما يبدو ، سَمِعَ « صحيح البخاري » (وقيل : « سُنَنَ التِرْمذيّ ».) فلمّا عاد إلى الأندلس، قبل ٤٥٦ هـ، استأذنَ المعتضدَ في سُكنى مُرْسِيَةَ وجعل يُحدِّثُ بصحيحِ البُخاريّ، إذ هو أوّلُ من أدخل هذا الكتابَ إلى الاندلس. ثمّ إنّ المعتضد حاسَنَ الهوزنيَّ وسأله أن يَرْجِعَ إلى اشبيليةَ، فرجَعَ إلى اشبيلية ففوّضَ اليه المعتضدُ شيئاً من أمور الدولة.

ولمّا اطمأنّ الهوزنيُّ في اشبيلية غَدَرَ به المعتضدُ وقتله في قصْره بيدِه، في مُنتصف ربيعٍ الآخرِ (في الأغلب) من سَنَةِ ٤٦٠ (أواخرِ شباط - فبراير ١٠٦٨ م).

٢ - كان أبو حفصٍ الهَوْزنيُّ مُتَفَنِّناً في علومٍ كثيرة قد نال من كلِّ علمٍ منها قِسْطاً وافراً، كما كان كثيرَ الذكاء ثاقبَ الذهنِ صحيحَ الرأي دقيقاً في معارفه. وقدِ اشتهرَ بالحديثِ، ولكنّه كان مجيداً للنثرِ والنظم أيضاً.

٣ - مختارات من آثاره

- لمّا استولى الإسبانُ على حُصْنِ بربُشْتر (أو ببشتر) ، سَنَةَ ٤٥٦ هـ ، كتب أبو حفصٍ الهَوْزنيُّ من مُرْسِيَةَ الى المعتضدِ بن عبّادٍ رسالة يحضّه فيها على الجِهاد ، منها:

أعبّادُ، جلّ الرُزْءُ والقومُ هُجّعُ   على حالةٍ من مِثْلِها يُتَوَقَّعُ[1].
فَلَقِّ كتابي من فَراغِك ساعةً   وان طالَ، فالموصوفُ للطول موضِعُ[2].
إذا لم أبثَّ الداءَ ربَّ شِكايةٍ   أضَعْتُ؛ وأهلٌ للمَلامِ المُضَيِّعُ[3].

وما أخطأَ السبيلَ من أتى البيوت من أبوابِها، ولا أرجأَ الدليل من أناطَ الأمور بأربابِها[4]. ولَرُبَّ أملٍ بينَ أثناءِ المحاذيرِ مُدْمَجٌ، ومحبوبٍ في طيّ المكارِهِ مُدرَجٌ[5].

---

(١) هجّع جمع هاجع: نائم. يتوقع (ينتظر الخطر أو الهلاك ....).

(٢) اجعل لرسالتي ساعة وإن كانت رسالتي طويلة. الموصوف (في رسالتي) الخطر من استيلاء الإسبان على حصن ببشتر موضع (أي يستحق) للطول.

(٣) أبث : أظهر ، أذكر (أشكو الحزن الذي بي). رب (صاحب) شكاية (القدرة على ازالة الشكوى).

(٤) أناط (علّق) الأمور بأربابها (أصحابها، القادرين على معالجتها).

(٥) قد يكون الأمل (رجاء الخير) في المحاذير (جمع محذور: ما يخاف الناس منه) مدمج (موضوع، مدخل). مدرج (مدخل).

فانتهزْ فُرصتَها فقد بانَ من غيرِكَ العَجْزُ، وطَبّقْ مفاصِلها فقد أمْكَنَكَ الحزّ[1]. ولا غَرْوَ أن يُسْتَمْطَرَ الغَمامُ في الجَدْبِ وَيُسْتَسْحَبَ الحُسامُ في الحرب.

٤-★★ الذخيرة ٢: ٨١ - ٩٤؛ الصلة ٣٨١ (رقم ٨٦٣)؛ المغرب ١: ٢٣٤ - ٢٣٥؛ نفح الطيب ٢: ٩٣ - ٩٤؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٠١ (٤٤)؛ نيكل ١٣٤.

أبو اسحاق الإلبيري

١ - هو الاستاذُ (نفح الطيب ٤: ٣١٧) أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ مسعودِ بنِ سعيدٍ التُجيبيُّ الغَرْناطيُّ الإلبيريُّ، نَعْرِفُ من حقائقِ حياتهِ أنّه كان عربيّ الأصلِ وأنّ أصلَ أهلِهِ من سَرَقُسْطَةَ، كما يُدلّ لقبُه «التُجيبيّ»؛ ثمّ إنه كان تلميذَ الفقيهِ الشاعرِ ابنِ أبي زَمنينَ (ت ٣٩٨ هـ).

كان أبو إسحقَ هذا يسكن غَرْناطةَ في أيام باديسَ بنِ حَبّوسٍ (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ) ولم يدركْ عند باديسَ الحُظوةَ ولا المكانةَ التي كان يرجوها. وكان لباديس وزيرٌ يهودي اسمهُ اسماعيلُ (صموئيل) بن النَّغْدَلة (ت ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م) - والنغدلّة تحريف من «الناجِد» بِمعنى «الرئيس» - فاستولى على الأمور. ثمّ خَلَفَه في الوزارة ابنٌ له اسمهُ يوسفُ فزادَ استبدادُه بأمور الدولة. وكان لباديس ابنٌ اسمهُ بُلُقّين يُرَشِّحُه باديسُ للملك من بعده. وضاق بلقّين باستبداد يوسف بن صموئيل فجعل يحضّ أباه على الاستغناء عنه. علم يوسف بذلك فدبّر اغتيال بلقّين. ولمّا انكشف أمر الاغتيال زعم يوسف أن نفراً من خَدَمه وجواريه فعلوا ذلك بغير علمه وارادته فقام باديس بقتل جماعات من اليهود (بتحريض من يوسف). غير أن نفوذ يوسف ازداد كثيراً.

وكان أبو اسحق الإلبيريّ ممّن يَحُضّ باديسَ وبني صِنْهاجةِ، قومَ باديسَ، وأهلَ غَرْناطةَ كلَّهم على الفتك باليهود. واستطاع يوسف أن يحمل باديس على أن يُخْرِجَ أبا اسحاقَ الإلبيريّ من غرناطة. فذهب أبو اسحق الى إلبيرة وعاش في دار على

---

(١) طبّق المفصل (الوصلة بين عظمين): أحسن القطع (تدبير الأمور). الحزّ: القطع.

إحدى التلال عيشةَ الزهد والتصوّف. وهنالك نظم قصيدة في الحضّ على الفتك باليهود وسَرَدَ فيها جميع التهم الموجّهة إليهم وَذَكَرَ جميعَ الصور التي كان استبدادُهم بالمسلمين يجري فيها. وأثّرتْ هذه القصيدةُ في أهلِ غَرْناطةَ فثاروا على اليهود فيها وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة (قيل ثلاثةُ آلافٍ) وقُتِل في هذه المَعْركةِ (تاسعَ صَفَرَ من سَنَة ٤٥٩ = ١٠٦٦/١٢/٣٠ م) يوسُفُ بنُ النَغْدلة نفسُه. وفي «أعمال الأعلام» (ص ٢٣٣) أنّ هذه المعركة كانتْ سَنَة ٤٦٩ أو ٤٦٥.

ويبدو أن وفاةَ أبي اسحاقَ الإلبيريِّ كانتْ بعدَ ذلك بمُدّةٍ يسيرة، بعدَ أنْ تقدّمتْ به السِّنُّ كثيراً.

٢ - كان ابو اسحق الإلبيريُّ فقيهاً ومُحَدِّثاً بارعاً في علم الحديث. وكذلك كان شاعراً وُجْدانياً مُحسناً يُغْرَمُ أحياناً بالصناعة وبالجِناس خاصّة ويتكلّم عن الحب بتعابير الحرب والقتال، ولكن على نَهْجٍ بَدْويٍّ لا في سبيل الإثارة الجنسية. وأكثر شعره في الزهد والتصوّف والحِكَم تغلب عليه العاطفة الدينية وشيءٌ من التشاؤم. على أن شهرته قائمة على القصيدة التي يَحُضّ فيها باديس بن حبّوس وقومَه صِنهاجةَ على الفتك باليهود. وهي قصيدة سهلة التركيب واضحة المعاني مملوءة بالصور المثيرة للنخوة والإباء من طريق المقارنة.

٣ - **مختارات من شعره**

- قال أبو اسحاق الإلبيري يُحَرِّضُ باديسَ بنَ حبّوسٍ وقومَه صِنْهاجةَ على الفتك باليهود:

ألا قُلْ لِصِنْهاجةٍ أجمَعِينْ بُدُورِ الزمانِ وأُسْدِ العرينْ
مقالةَ ذي مِقَةٍ مُشفِقٍ يَعُدُّ النصيحةَ زُلْفَى ودينْ[1]:
لقد زلّ سيِّدُكُمْ زلّةً تقَرُّ بها أعينُ الشامتينْ.
تخيّر كاتِبَهُ كافراً، ولو شاءَ كان من المؤمنينْ[2].

---

(١) زلفى: تقرّبا (إلى الله). دين: يأمر بها الدين.
(٢) الكاتب: الوزير.

فعَزَّ اليهودُ به وٱنتَخَوْا ... وتاهوا، وكانوا من الأَرذلين.
فكم مُسلِمٍ راغبٍ راهبٍ ... لأرذلِ قِرْدٍ من المُشركين.
أباديسُ، انت امْرُؤٌ حاذقٌ ... تُصيبُ بِظنِّك نفسَ اليقين،
فكيف خَفِي عنك ما يَعْبَثُون ... وفي الأَرض تُضرَب منها القرون[1]؟
وكيف تُحِبُّ فِراخ الزنا ... وقد بغَّضوك الى العالمين؟
وكيف يَتِمُّ لك المُرْتَقى ... إذا كنت تبني وهم يَهدِمون؟
فلا تَتَّخِذْ منهمُ خادماً، ... وذَرْهم إلى لَعْنةِ اللاعنين[2].
فقد ضجَّت الأَرض من فِسْقِهِمْ ... وكادت تميد بنا أجمعين.
وإنّي حَلَلْتُ بغَرناطةٍ ... فكنتُ أراهم بها عابثين،
وقد قسّموها وأعمالَها ... فمنهم بكلّ مكانٍ لعين.
وهم يَقْبِضون جِباياتِها، ... وهم يَخْضِمون وهم يَقْضِمون[3].
وهم يَلْبَسون رفيع الكِسا ... وانتم لأَوضعِها لابسون.
وهم أُمناكم على سرّكم، ... وكيف يكون أميناً خَؤُون؟
ويأكلُ غيرُهُمُ درهماً ... فيُقْصى، ويُدنَوْنَ إذ يأكلون.
وقد ناهضوكم إلى ربّكم ... فما يُمنَعون وما يُنكَرون[4].
وهم يذبحون بأسواقنا، ... وأنتم لإطريفهم آكلون[5].
ورخَّمَ قِردُهُمُ دارَه ... وأجرى إليها نَميرَ العيون[6].
وصارَتْ حوائجُنا عندَه، ... ونحن على بابه قائمون.
ويضحَكُ منّا ومن ديننا. ... فإنّا إلى ربّنا راجعون.
ولو قلتُ في ماله إنّه ... كمالكَ كنتُ من الصادقين.
فبادرْ إلى ذبحه قُرْبَةً ... وضحِّ به فهو كَبش سمين.
ولا ترفعِ الضغط عن رَهْطه ... فقد كنزوا كلَّ عِلْق ثمين[7].

---

(١) وفي الأرض تضرب منها القرون: (؟).
(٢) الخادم: الكاتب (الوزير).
(٣) الخضم: أكل الشيء الطري. القضم: أكل الشيء اليابس - يأكلون الأخضر واليابس.
(٤) ناهضوكم إلى ربّكم: قاوموكم وحملوكم على ما يغضب ربّكم. ما ينكرون: لا ينكر عليهم أحد ما يفعلون.
(٥) الإطريف: الطريف(بامالة الياء): اللحم الذي به عاهة (كالمرض في الذبيحة والنقص في أعضائها. واليهود لا يأكلون مثل ذلك اللحم).
(٦) رخّم داره: فرشها (بلّطها) بالرخام (البلاط الأبيض الثمين). النمير (الماء) الحلو.
(٧) العلق: الشيء النفيس.

وفرِّقْ عُـراهـم وخذ مـالـهم، فـأنـت أحقُّ بـمـا يَجْـمَـعـون.
ولا تحسَبنْ قتلَهم غَدْرةً؛ بـل الـغـدرُ فـي تـركـهم يَعْبَثون.
فقد نَكَثوا عهدَنا عندهم، فـكـيـف نُلامُ عـلـى الـنـاكـثـين؟
وكيف تكون لنا هِمَّة ونحن خُمول وهم ظاهرون؟
ونحن الأذلَّـــــة من بينهم، كأنّـا أسأنـــا وهم مُحسِنون.
فـلا تَـرْضَ فينا بأفعالهم فأنت رَهينٌ بما يفعَلون.
وراقبْ إلاهَكَ في حِزبه، فحزبُ الإله هم المُفلحون!

- في نفح الطيب (٣: ٤٩١): لمّا مَرِضَ الفقيهُ الزاهدُ أبو اسحاقَ ابراهيمُ الإلبيريُّ دَخَلَ عليه الوزيرُ أبو خالدٍ هاشمُ بنُ رجاءٍ فرأى ضِيقَ مَسْكَنِه فقال: «لو اتّخذتَ غيرَ هذا المسكنَ لكان أولَى بِكَ». فقال (أبو اسحاق)، وهُوَ آخرُ شِعرٍ قاله:

قالوا: ألا تَسْتجيدُ بَيْتاً تَعْجَبُ من حُسنِه البيوتْ!
فقلتُ: ما ذلِكُمْ صَواباً؛ عُشٌّ كثير لِمَنْ يموتْ.
لولا شِتاءٌ ولَفحُ قَيْظٍ وخوفُ لِصٍّ وحِفظُ قوتْ[1]
ونِسْوةٌ يَبْتَغِينَ سِتْراً، بَنَيْتُ بُنْيانَ عنكبوتْ.

- وقال يلوم الشيوخَ المتصابين، وفيها كِناياتٌ بارعةٌ ملموحةٌ:

الشيب نَبَّهَ ذا النُهى فتنَبّها، ونَهى الجَهولَ فما استفاقَ ولا انْتَهى.
فإلى مَتى ألْهو وأُخْدَعُ بالمُنى؛ والشيخُ أقبحُ ما يكونُ إذا لَها[2].
ما حُسْنُه إلاّ التُقى، لا أن يُرى صَبًّا بألحاظِ الجآذِرِ والمَها[3]:
أنّى يُقاتِلُ، وهو مَفْلولُ الشَبا كَابِي الجوادِ، إذا اسْتَقَلَّ تأوّها[4]!
مَحَقَ الزمانُ هِلالَه فكأنّما أبْقى له منه على قَدْرِ السُها[5]؛

(١) لفحت النار بحرّها (أحرقت). القيظ: الحرّ الشديد.
(٢) لها يلهو (انصرف إلى اللهو).
(٣) الجآذر جمع جؤذر (الغزال الصغير) والمها جمع مهاة (بقرة الوحش: نوع من الغزلان).
(٤) في هذا البيت كناية لو صرّح بها لكانت قبيحة جدًّا. الشبا جمع شباة (حدّ السيف). مفلول= مفلّل: كالّ (لا يقطع). كابي (ساقط على وجهه، لا يستطيع أن يقف ثابتاً) الجواد (الحصان). استقلّ: بدأ سيره، ركب. تأوّه: تحسّر.
(٥) محق نوره (بالبناء للمجهول) ذهب نوره (كما يكون القمر في آخر الشهر). السها: نجم صغير في بنات نعش مجاور لنجم آخر لا يكاد يراه إلاّ من كان بصره حديداً (صحيحاً قويًّا).

فغدا حَسيراً يَشْتَهي أن يُشْتَهى؛ ولَكَمْ جَرى طَلْقَ الجَموحِ كما اشْتَهى[1].
فَقَدَ اللِداتِ، وزادَ غيّاً بَعْدَهم. هَلاّ تَيَقّظ بعدَهم وتَنَبّها[2]!
يا ويحَه! ما بالُه لا يَنْتهي عن غيِّهِ، والعُمْرُ منه قدِ انتهى؟

– وقال في إقبال الدنيا وإدبارها:

خليليَّ عوجا بي على مَسْقَط اللوى لعلّ رسومَ الدار لم تتغيَّرا[3]
فأسألَ عن ليلٍ تولّى بأُنسِنا وأندبَ أيّاماً تقضَّتْ وأَعْصرَا.
ليالِيَ إذ كان الزمانُ مسالِماً وإذ كان غصن العيش فَيْنَانَ أخضرا[4]،
وإذ كنتُ أُسقَى الراحَ من كفّ أغيدٍ يناولُنيها رائحاً ومبكِّراً[5].
أُعانق منه الغصنَ يهتزُّ ناعماً وألثِمُ منه البَدر يَطْلُعُ مُقمِرا.
وقد ضربَتْ أيدي الأَمان قِبابَها علينا، وكفَّ الدهر عنّا وأَقْصَرَا[6].
فما شئتَ من لهوٍ وما شئتَ من دَدٍ ومن مبسم يُجنيك عذباً مؤَشَّراً[7].
وما شئتَ من عُودٍ يغنّيك مُفصِحاً (سما لك شوقٌ بعد ما كان أقصرا)[8].
ولكنّها الدنيا تُخادعُ أهلَها تَغُرُّ بصفوٍ وهْيَ تَطْوي تَكَدُّرا.

---

(١) في هذا البيت كناية لو صرّح بها لكانت أيضاً قبيحة جدًّا. الحسير: الضعيف البصر. وحسر البعير: ضعف وتعب. وحسر الرجل: تلهّف (أراد شيئاً وعجز عنه)، أعيا: تعب فانقطع (عن المشي، أو العمل أو القيام). يشتهي (يريد، يرغب) أن يشتهى (بالبناء للمجهول): يعامل معاملة الأنثى. طلق: غير مقيّد. الجموح: استبداد الفرس براكبه لنشاطه وقوّته.

(٢) اللدة (بكسر ففتح): الترب (بكسر التاء) من كان في مثل سنّك. واللدة والترب تقالان للذكور وللإناث.

(٣) عاج: مال. مسقط اللوى (ورد في معلّقة امرىء القيس «سقط اللوى»). لم تتغيّرا = لم تتغيّرن (قلبت نون التوكيد الخفيفة ألفاً).

(٤) فينان: ممتدّ (الفينان ذو الشعر الحسن الطويل).

(٥) الأغيد الناعم اللّين (الجميل). رائحاً (في الرواح: المساء).

(٦) ضربت أيدي الأمان علينا قبابها: حمتنا، جعلتنا آمنين.

(٧) الدد: اللهو. مبسم (فم) يجنيك (يعطيك، يقدّم لك) عذباً (حلواً، أي ريقاً حلواً) مؤشّراً (مخطّطاً) حينما تكون الأسنان لصغير في السنّ وتكون صحيحة ونظيفة يبدو عليها تأشير (أي خطوط).

(٨) العجز (بفتح فضمّ) لامرىء القيس – تجدّد في نفسه شوق (الى اللهو) بعد أن كان قد ترك (اللهو) مدة.

لقـد أوردتـني بعـد ذلـك كلِّه موارِدَ مـا أَلفَيْتُ عنهنَّ مصدرا[١].
وكم كابدتْ نفسي لها من مُلمَّة وكم باتَ طرفي من أساها مسهَّرا[٢]؟
خليـليَّ ما بالي على صدق عَزمتي أرى من زمـاني وَنيـةً وتعذُّرا؟
وواللهِ مـــا أدري لأيّ جريمـــةٍ تَجَنَّـى ولا عن أي ذنب تغيّرا؟
ولم أكُ عن كَسْبِ المكارمِ عاجزاً ولا كنتُ في نَيْلِ أُنيل مقصِّراً[٣].
لئن ساء تمزيـقُ الزمـان لدولـتي لقـد ردَّ عن جهلٍ كثيرٍ وبصَّرا[٤]
وأيقـــظَ من نوم الغَرارة نائماً وكسَّب علماً بالزمـان وبالورى[٥]

- وقال في حال الدنيا:

تَمُرُّ لِـداتي واحداً بعد واحدٍ وأعـلَمُ أَنّي بعدَهم غـيرُ خالدِ[٦].
وأَحمِلُ موتاهم وأشْهَـــدُ دَفْنَهم كأَنّي بعيــدٌ عنهمُ غـيرُ شاهد.
فهـا أنـا في علمي بهم وجهالـتي كمستيقِظٍ يَرْنو بمقلةِ راقـد[٧].

- وقال، وفيه شيء من الفخر:

ذروني أَجُبْ شرق البلاد وغربَها لأَشْفِيَ نفسي أو أموتَ بـدائي[٨].
فلستُ ككلب السوءِ يُرضيه مرْبَـضٌ وعَظْمٌ، ولكنّي عُقَـــاب سماء،
تحوم لكيما يُدْرِكُ الخصبَ حَوْمُها أَمـــامَ أَمـــامٍ أو وراءَ وراءِ.
وكنـتُ إذا ما بلدةٌ لي تنكَّرَتْ شدَدتُّ إلى أُخرى مطِيَّ إِبـائي[٩]،

---

(١) المورد: مكان شرب الماء. المصدر: الرجوع عن الماء (بعد الشرب أو بعد للتزوّد بالماء).
(٢) الملمّة: النازلة، المصيبة. طرفي: بصري (عيني). الأسى: الحزن.
(٣) النيل (العطا)، أنيل (اعطي أنا).
(٤) كما أن ذهاب الملك عنّي قد ساءني من جانب فإنّه من الجانب الآخر قد علّمني أن أتّعظ بأحداثه.
(٥) الغرارة: الغفلة وحداثة السنّ. الورى: مجموع البشر.
(٦) تمرّ (تموت).
(٧) يرنو: ينظر يتطلّع. مستيقظ يرنو بمقلة (عين) راقد (نائم): يرى بعينيه من غير أن يعرف ما يرى.
(٨) ذر: دع. جاب: طاف.
(٩) المطيّ: ما يركبه الإنسان من الحيوان للانتقال من مكان إلى آخر. الإباء: الترفّع عن الأمور الدنية.

وسرتُ ولا أَلْوي عـلى متعـذِّرٍ   وصممت لا أُصغي إلى النُصَحـاء[1] ،
كشمسٍ تبـــدَّتْ للعيون بمشرق   صباحاً ، وفي غربٍ أصيلَ مسكِ .

٤ - ديوان أبي اسحاق الإلبيري (تحقيق ايليو غرسيه غومس)، مدريد، غرناطة ١٩٤٤ م، الطبعة الثانية ١٩٥١ - ١٩٦٥؟

★★ بغية الملتمس ٢١٠ ؛ نفح الطيب ٣ : ٤٩١ ، ٤ : ٨٦ ، ١١٢ - ١١٣ ، ٣٢٢ ، ٣٤٥ - ٣٤٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٣٠ ؛ بروكلمن، الملحق ١ : ٤٧٩ - ٤٨٠ ؛ نيكل ١٩٧ - ٢٠٠ ، مختارات نيكل ١٣٨ - ١٤٦ ؛ مم‌عع ٤٩ : ١ ، ص ٢١ - ٣٣ ؛ الأعلام للزركلي (١٩٧٩ م). ١ : ٧٣ - ٧٤ .

ابن مُقانا

١ - هو أبو زيدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ مُقانا القَبْذاقيُّ - نِسبةً إلى قرية القَبذاق من ساحل شِنْتَرَةَ (الذخيرة ٢ : ٧٨٧) - الأُشْبوني البَطَلْيَوْسيّ من سكّان بَطَلْيَوْسَ، ويبدو أنّ أصله من القبذاق في غربيّ الأندلس. بدأ ابن مُقانا حياته بالتكسّبِ بالشعر: مدح المُعْتَدَّ بالله المروانيَّ آخِرَ خلفاءِ قُرطبةَ (٤٦٤ - ٤٢٨ هـ) ومُنذِرَ بنَ يحيى التُجيبيّ صاحبَ سَرَقسْطَةَ (ت ٤٣٠ هـ) ومُجاهداً العامريَّ (ت ٤٣٦ هـ) وإدريسَ بن يحيى صاحبَ مالَقَةَ الملقّبَ بالعالي بالله، وقد تولّى الإمارة مرّتين من سَنَةِ ٤٣٤ إلى سَنَةِ ٤٣٨ ثمّ من سنة ٤٤٥ إلى سنة ٤٤٦ . وارتفعت مكانة ابن مقانا فتولّى القضاء في بطليوس (راجع الحلة السيراء ٢ : ٩٩).

وبلغَ ابنُ مَقانا أشُدَّه نحوَ سَنَةِ ٤٣٨ (١٠٤٦ م). وفي أواخرِ حياتِه عاد إلى موطنه في القبذاق ثمّ كانت وفاتُه في مطلعِ النِصف الثاني من القرن الخامسِ (في النِصف الثاني من القرن الحادي عَشَرَ للميلاد)، في الأغلَبِ.

٢ - ابن مَقانا أديبٌ وشاعرٌ مُحسِنٌ مُجيد، وقدِ اشتهر بقصيدتهِ النونيّة التي مدَحَ بها ادريسَ بنَ يحيى، وَهِيَ قصيدةٌ حَسَنة مُشْرقة فصيحةُ الألفاظ صحيحةُ التراكيب

---

(١) لا ألوي (لا ألتفت، لا أهتمّ بـ). المتعذّر: الذي يتنصّل من الذنب (المقصود: الذي يلوم). صمم: قصد، تقدّم، ثابر.

عَذْبَةُ التِلاوة يكثُرُ فيها الاقتباس من القُرآن الكريم. وفنونُ شِعرِه المديحُ والعتاب والوصف. وكان ابن مَقانا في أوّلِ حياتهِ الأدبية أجودَ شعراً منه بعدَ كُهولته.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن مقانا يمدح العاليَ بالله إدريسَ بنَ يحيى بن حمود (٤٣٤ - ٤٣٨ هـ).

أَلِبَرقٍ لاح لـي مـن أنْـدَريـنْ ... ذَرَفَـتْ عيناك بالماء المَعينْ؟[١]
لَـعِبَــتْ أسيـافُـه عـاريــةً ... كَمخاريقَ بأيْدي لاعبيـنْ[٢].
وأناجي في الدُجـى عـاذِلـتي: ... ويْكِ! لا أسمعُ قولَ العاذلين[٣].
عَـيّرتْـنــي بسَقام وضَــنــىً؛ ... إنّ هــذين لَزَيْنُ العاشقــين[٤].
اسْقِنيها مُـزّةً مَشْمــولــةً ... لَبِثَـتْ في دَنِّها بِضْعَ سِنين[٥]،
مَعَ فِتيـانٍ كِـرامٍ نُجُـبٍ ... يَتَهادَوْنَ رياحينَ المُجون[٦].
وسَيُسْقَوْنَ إذا مـا شَرِبــوا ... بأباريـقَ وكـأسٍ مِنْ مَعِين[٧]،
ومصابيــحُ الدُجـى قد طُفِئَتْ ... في بقايا من سوادِ الليل جُون[٨].

---

(١) ورد هذا البيت مكسوراً (سقطت منه «لي») في المغرب (١: ٤١٣) وفي نفح الطيب (١: ٤٣٣). ويقتضي أن تجعل «عيناك» عيناي، فإنّه أصح في المعنى وأحسن في مخاطبة الملوك، يدلّنا على ذلك استخدام ضمير المتكلّم في الأبيات التالية للمطلع: أناجي، عيّرتني الخ. أندرين قرية أو قرى قيل فيها إنّها اشتهرت بالخمر. راجع في صيغتها اللغوية والنحوية (القاموس ٢: ١٤٠)؛ المعين: الظاهر، المرئي (ويكون عادة كثيراً). - في الذخيرة (٢: ٧٩١): لائح (وهو صحيح في المعنى والوزن).

(٢) أسيافه (أسياف البرق): الأذرع التي ترى بين الغيوم حينما يلمع البرق. المخراق: لفافة من النسيج شبه السوط يتضارب بها الصبيان في أثناء اللعب. هذا اقتباس من قول عمرو بن كلثوم:

كأنّ سيوفنا منّا ومنهم ... مخاريق بأيدي لاعبينا.

(٣) العاذلة: التي تلوم المحبّين. ويك: ويل لك.

(٤) الضنى: الهزال (بالضمّ) الشديد.

(٥) مشمولة (هبّت عليها ريح الشمال - بفتح الشين): باردة. الدنّ: إناء الخمر.

(٦) المجون: التصريح في الغزل (؟).

(٧) معين (غير معين في مطلع القصيدة). خمر جارية من منبع على وجه الأرض كأنهار الماء. الشطر تضمين من القرآن الكريم (٥٦: ١٨ سورة الواقعة).

(٨) إنّ عدداً من النجوم قد اختفى وبقي من النجوم عدد آخر مفرّق في البقع المظلمة من السماء.

وكـأنّ الظِـلَّ مِسْكٌ في الـثرى، وكـأنّ الطَلَّ دُرٌّ في الغُصون[١]،
والنـــدى يـقـطُـرُ مـن نَـرْجِسِه كدُموعٍ أسْبَلَتْهُنّ الجُـفـون.
والثُريّا قـد هَوَتْ مـن أُفقِهـا كقضيـبٍ زاهـرٍ من ياسَمـين.
وكـأنّ الـشمسَ لمّـا أشرقـتْ- فانْثَنَـتْ عنها عُيون الناظرين-
وجهُ إدريسَ بنِ يحيى بنِ عَلِيّ بـنِ حَمّودٍ أمــيرِ الـمؤمنـين.
مَـلِـكٌ ذو هَـيْـبـةٍ لكنّــــه خاشـعٌ لله ربِّ الـعـالمـيـن.
خُـطَّ بـالمِسْكِ عـلى أبوابـهِ: ادْخُلوهـا بَسلامٍ آمنـين![٢]
فـإذا مـا رُفِعَـتْ راياتُـه خَفَقَتْ بينَ جَناحَيْ جِبْرئينْ[٣].
وإذا أشْكَـلَ خَطْـبٌ مُعْضِـلٌ صَدَعَ الشكَّ بِمصباحِ اليقين[٤].
فبيُسْراه يَسارُ المُعْسرينْ، وبيُمْنـاه لِـواءُ السـابقـين[٥].
يا بَني أحمدَ- يا خيرَ الورى- لأبيكمْ كـان وَفْدُ المُسلمين[٦].
نَـزَلَ الـوحـيُ عـلـيـه، فـاحْتَبى في الدُجى فوقهم الروحُ الأمين[٧].
خُلقوا مـن مـاءِ عَدْلٍ وتُقـىً وجميعُ النـاسِ من ماء وطين.
انظُرونـا نَـقْتَـبِسْ من نورِكُم، إنّـه مـن نـور ربّ العالمـين[٨].

(١) الظلّ (ظلام الليل) يبدو على الأرض كأنّه مسك (أسود اللون) مفروش. الطلّ: نقط الماء التي جمدت (بفعل برد الليل) على الأغصان. درّ: لؤلؤ.

(٢) «ادخلوها بسلام آمنين» تضمين من القرآن الكريم (١٥: ٤٦، سورة الحجر - بكسر الحاء).

(٣) جبرئين وجبرئيل وجبريل: الروح القدس.

(٤) أشكل (أبهم، غمض) خطب (حادث مفجع، مصيبة) معضل (لا علاج له) صدع (شقّ) اليقين (العقل!).

(٥) اليسار: الغنى، الثروة. المعسر: الذي لا يجد ما ينفق. السابقون: الذين يتقدّمون غيرهم في أعمال البر (في الإيمان، في التقوى، في الإحسان، الخ).

(٦) أحمد من أسماء رسول الله. الورى: مجموع البشر. - الشاعر يرفع نسب المدوح إلى رسول الله.

(٧) الروح الأمين = الروح القدس: جبريل. احتبى: جلس أرضاً وضمّ ركبتيه إلى صدره بشملة أو بيديه (وتلك جلسة الأشراف والرؤساء). - احتبى فوقهم... ليس لهم رئيس من البشر، رئيسهم الروح الأمين (جعلهم الله ملوكاً على البشر).

(٨) انظرونا: انظروا الينا (لأنّ الشاعر كان ينشد من وراء ستار، والممدوح لم يكن يراه). نقتبس: نأخذ قبساً (قطعة من خشب مشعلة من قطعة أخرى أكبر منها): نستمدّ منكم نوراً أو علماً أو قوة... «انظرونا نقتبس من نوركم» اقتباس من القرآن الكريم (٥٧: ١٣، سورة الحديد).

٤ - ★★ الذخيرة ٢ : ٧٨٦ - ٧٩٦ ؛ جذوة المقتبس ٢٦٠ (الدار المصرية) ٢٧٩ (رقم ٦١٨) ؛ بغية الملتمس ٣٥٨ - ٣٥٩ (رقم ١٠٤٤) ؛ المغرب ١ : ٤١٣ ؛ نفح الطيب ١ : ٢١٤ ، ٤٣٣ - ٤٣٥ ، ٣ : ٢٦٤ ؛ نيكل ١٠٥ .

المظفّر بن الأفطس

١ - هو أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ محمّدِ بنِ مَسْلمَةَ (وقيل: سلمة) التُجيبيُّ الأندلسيُّ، المعروفُ بالمُظَفَّر بنِ الأفطس ، لعلَ أصلَه من البربر وإن كانت نسبتُه الرسميةُ إلى قبيلةِ تُجيبَ العربية. جاء المظفَّر هذا إلى عرش بَطَلْيَوْسَ بعدَ وفاة أبيه المنصورِ عبدِ الله بنِ محمدٍ، في جُمادى الثانية من سَنَةِ ٤٣٧ (أواخر ١٠٤٥ م). ولم تكنْ أيامهُ أيامَ هُدوءٍ وسِلْمٍ فقد كَثرتْ حروبُه مع المعتمدِ بنِ عبادٍ (ت ٤٨٨) ويَحيى المأمونِ بنِ ذي النون صاحبِ طُليطلة (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ومَعَ الجَلالقة الذين استَوْلَوْا ، سَنَةَ ٤٥٦ (١٠٦٤ م) على قَلَمَرِيَةَ (في البُرتغال اليوم).

وكانتْ وفاةُ المُظفَّر سَنَةَ ٤٦٠ (١٠٦٧ - ١٠٦٨ م).

٢ - كان المظفرُ بنُ الأفطس جَمَّ المعرفةِ جمّاعةً للكتُب عارفاً بالتاريخ وبالأدب أديباً شاعراً ناثراً، مُلِمًّا بعددٍ من العلوم. وكذلك كان ناقداً يُفَضّل الشعرَ المتين إذا كان نبيلَ المعنى. وكان كريمَ الخُلُق لا يشرَبُ الخمرَ ولا يُحِبّ وَصْفها في الشعر، فقد قَطَعَ لسان شاعرِه القَلَمَنْدَرِ لأنّه ذَكَرَ الخمرَ بخيرٍ ودافع عن شُرْبها. ثم هو مُصَنّفٌ له تفسيرُ القرآنِ الكريم ثم له كتاب التذكرة المعروفة باسم (الكتاب) « المُظفريّ »، نسبةً إليه. والتذكرة هذه مؤلَّفةٌ على نَمَطِ «عيون الأخبار» لابنِ قُتيبةَ (المشرقي) وفيها أدبٌ وشِعر وتاريخٌ وسوى ذلك، وهو كتاب كبير قيل خمسون مجلدة (نفح ١ : ٤٤٢ ، ٣ : ١٨١ ، ٤ : ٤٤٦) وقيل « نحو مائة مجلدة » (نفح ٣ : ١٩٤).

٣ - مختارات من آثاره

- قال المظفرُ بنُ الأفطس يوماً (نفح الطيب ٤ : ٤٦٦):

« واللهِ، ما يَمْنَعُني من إظهار الشِعر إلا كوني لا أقولُ مثلَ قولِ أبي العشائرِ بنِ حَمْدانٍ... وقولِ أبي فِراسٍ ابنِ عَمّه... (ولكنْ) أينَ هذا من قولي:

أنِفْتُ مـن الـمُدامِ لأنّ عـقـلـي   أعزُّ عـلـيَّ من أُنسِ المُدامِ[1].
ولـم أرْتَـحْ إلـى رَوْضٍ وزهـرٍ   ولـكـن لـلـحـمـائِـلِ والحُسام[2].
إذا لـم أمْلِـكِ الشَهَواتِ قَهْراً،   فَلِمْ أبْغي الشُفوفَ عن الأنـام[3].

- ومن شعره (نفح الطيب ٤: ٤٦٧) في النسيب:

يـا لَحْظَـهُ، زِدْ فُتـوراً   تَـزِدْ عـلي اقْتِـدارا.
فاللَّحْـظُ كالسيـفِ أمضـا   هُ مـا يَـرِقُّ غِـرارا[4].

٤ - ★★ التكملة ١٢٨؛ المطرب ٢١ - ٣٣؛ المغرب ١: ٣٦٤ - ٣٦٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٢٣؛ الذخيرة راجع ٢: ٣٣ - ٣٦، ٦٤٠ - ٦٤٦ وأماكن أخرى (راجع فهرست الجزءين الأول والثاني)؛ البيان المغرب ٣: ٢٢٠، ٢٣٦؛ راجع المغرب ١: ٢٣، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٧؛ نفح الطيب ١: ٤٤٢، ٣: ١٨١، ١٩٤، ٣٨٠، ٣٩٨، ٤: ٤٦٦؛ الاعلام للزركلي ٧: ١٠٢ - ١٠٣ (٦: ٢٢٨).

صاعد الطليطلي

١ - هو أبو القاسمِ صاعدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدِ بنِ صاعدٍ التَغْلَبيّ الأندلسي القُرطبي الطُليطليّ، أصلُه من قُرطبةَ ومولدُه في المَرِيّة، سَنَةَ ٤٢٠ (١٠٢٩ م). وقد سكنَ قُرطبةَ. ورَوَى صاعدٌ عنِ ابنِ حزمٍ الكبيرِ (ت ٤٥٦ هـ) وعن الفتحِ ابنِ قاسمٍ وأبي الوليد الوقّشي القاضي (؟) وغيرِهم.

وَوَلِيَ صاعدٌ القضاءَ في طُليطلَة استقضاهُ فيها المأمونُ يحيى بنُ ذي النون، فَبَقِيَ في القضاء إلى وَفاتهِ في رابعِ شوّالٍ من سَنَةِ ٤٦٢ (١٠٧٠/٧/٦ م).

---

(١) المدام: الخمر.

(٢) الحمالة (بالفتح): الدية (بكسر ففتح بلا تشديد) يدفعها قوم عن آخرين (يقصد انّه كريم). الحسام: السيف (يقصد الشجاعة في الحرب).

(٣) الشفوف (ظهور الشيء من وراء ستر رقيق). الأنام: الناس - يقصد: إذا لم استطع بإرادتي أن ابتعد عن العيوب فأنا لا أحاول التستر عن الناس (أنا ظاهر دائماً للناس لأنّني لست على شيء من الشهوات الرديئة).

(٤) الغرار: حدّ السيف.

٢ - كان صاعدٌ الطُليطليُّ من أهلِ الذكاءِ والمعرفة وكان مؤرّخاً بَحَّاثة وفقيهاً. وكان لصاعدٍ عددٌ من الكتب: جوامعُ أخبارِ الأمم من العرب والعجم - صِوان الحِكمة في طَبَقات الحكماء - مقالاتُ أهلِ المِلَل والنِحَل - إصلاح حركاتِ النجوم - تاريخُ الأندلس - تاريخ الإسلام (ويبدو أن هذه كلَّها قد ضاعتْ). وقد بَقِيَ لنا كتابُه المُوجَزُ «طبقاتُ الأمم». دَرَسَ صاعدٌ في هذا الكتاب أجناسَ البشر وجعلَها طَبَقَتَيْنِ: طبقةً عُنِيَتْ بالعلوم وصدرَ عنها معارفُ هي الهِند والفُرس والكَلْدان والعِبران واليونان (القدماء) والروم (البيزنطيّون) وأهلُ مِصْرَ والعرب. ثمّ هنالك طَبَقةٌ لم تُعْنَ بالعلوم ولا صدرَ عنها شيء مفيدٌ من المعارف. من أُمَمِ هذه الطَبَقةِ الصينُ والصقالبة والبربرُ والسودان وغيرُهم.

٣ - مختارات من آثاره

- قال صاعد الطليطلي في «طبقات الأمم»:

اعلمْ أن جميع الناس في مشارق الأرض ومغاربها وجنوبها وشمالها، وان كانوا واحداً، يتميّزون بثلاثة أشياء: بالأخلاق والصور واللغات (ص ٥).

ووجدنا هذه الأمم، على كثرة فِرَقهم وتخالُفِ مذاهبهم، طبقتين: فطبقة عُنيت بالعلم فظهرت منها ضروب العلوم وصدرت عنها فنون المعارف؛ وطبقة لم تُعْنَ بالعلم عناية تستحق بها اسمه... وأما الطبقة التي عنيت بالعلوم فثماني أمم: الهند والفرس والكلدانيون والعبرانيون واليونانيون والروم وأهل المغرب والعرب (ص ٧).

وأما الطبقة التي عُنيت بالعلوم فهم صفوة الله من خَلْقِه ونخبته من عباده لأنهم صرَفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة الصانعة لنوع الإنسان والمقوّمة لطبعه (ثم) زهدوا فيما رغب فيه الصين والترك ومن نَزَعَ مَنْزِعَهم من التنافس في أخلاق النفس الغضبية والتفاخر بالقوى البهيمية، إذ علموا ان البهائم تَشْرَكُهم فيها وتفضلهم في كثير منها (ص ١٠).

.... احمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ أبي خالدِ القيروانيّ المعروفُ بابنِ الجزّار كان حافظاً للطِب دارساً للكتب جامعاً لتواليف الأوائل حَسَنَ الفَهْمِ لها. وله مصنَّفاتٌ حسنةٌ في الطِبّ

وغيره فمن أشهرها كُنّاشُه في علم الأمراض المعروف بزاد المسافر وكتابه في الأدوية المفردة المعروف بالاعتماد وكتابه في الأدوية المركبة المعروف بالبُغية ورسائله في النفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها. وكان له أيضاً عناية بالتاريخ أدّت الى أن يؤلّفَ فيه مختصراً حسنا سماه «كتاب التعريف بصحيح التاريخ». وكان مع هذا جميل المذهب فاضل السيرة صائناً لنفسه منقبضاً عن الملوك ذا وفرةٍ وثروة. (ص ٦١ - ٧٢).

.... وابو عثمانَ سعيدُ بنُ فتحونٍ بن مكرم المعروف بالحمار السَرَقَسْطيّ كان متحقّقاً إماماً في علم النحو واللغة (وبعلم الهندسة والمنطق والموسيقى متصرّفاً في سائر علوم الفلسفة). وله تأليف في الموسيقى ورسالة في تعديل العلوم وكيف ١ ر جت إلى الوجود من انقسام الجوهر والعرض. ونالته في ايام المنصور بن ابي عامر محنة شديدة مشهورة السبب أدّته بعد انطلاقه من السجن الى الخروج عن الاندلس فتوفيّ في جزيرة صِقلّية (ص ٦٨).

٤ - طبقات الأمم (نشره... الأب لويس شيخو اليسوعي)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩١٢ م؛ مصر بلا تاريخ.

★ ★ الصلة ٢٣٢ (رقم ٥٣٩)؛ بغية الملتمس ٣١١ (رقم ٨٥٢)؛ طبقات الأطباء ١: ٣٦، ٣٧، ٤٣، ٥٧ - ٥٨؛ بروكلمن ١: ٤١٩، الملحق ١: ٥٨٥ - ٥٨٦؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٧١ (١٨٦)؛ بالنثيا ٢٣٩ - ٢٤٠.

ابن عبد البرّ

١ - هُوَ أبو عُمَرَ يُوسُفُ بنُ عبدِ البَرِّ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ البَرِّ بن عاصمٍ النَمِريُّ القُرطبي، وُلِدَ في قرطبة، في ٢٤ ربيعٍ الآخرِ من سنة ٣٦٨ (٢٩/١١/٩٧٨).

وفي قرطبة رَوَى ابنُ عبدِ البرّ الحديثَ عن نَفَرٍ من مشاهيرِ العلماء منهم أبو عُمَرَ الباجيُّ وأبو عُمَرَ الطَلَمَنْكِيُّ وأبو الوليد بن الفَرَضيّ (ت ٤٠٣ هـ) وقد لَزِمَ ابنَ الفَرَضي وأخذَ عنه كثيراً من علم الحديث وعلم الأدب.

وسَكَنَ ابنُ عبد البرّ اشبيلية وتفقّه فيها على الفقيه أبي عُمَرَ أحمدَ بن عبدِ الملك بن

هاشمٍ الاشبيلي. ولم تَعْرِفْ اشبيليةُ قَدْرَ ابنِ عبدِ البرّ، كما لم تَعْرِفه قُرْطبةُ من قبلُ، فانتقـل إلى غَربي الأندلس فولاّه المُظفّرُ بنُ الافطس صاحبُ بَطَلْيَوْسَ (٤٣٧ - ٤٦٠ هـ) القضاءَ في الإشبونةِ ثمّ في شَنْتَرينَ. ثمّ إنّه تَحوّل إلى شَرقي الأندلس وسكن دانِيَةَ وتنقّل بينها وبين بَلَنْسِيَةَ وشاطبةَ. وكان مَرّةً في زِيارةٍ لشاطبةَ فأدركَتْهُ فيها الوَفاةُ، في آخرِ ربيعٍ الآخِرِ من سَنَةِ ٤٦٣ (١٠٧١/٢/٣ م).

٢ - كانَ أبو عُمَرَ يُوسُفُ بن عبد البرّ أحفظَ أهلِ الأندلس للحديث، كما كان فقيهاً على المذهب الظاهري ثمّ انتقل عنه إلى مذهب مالكٍ. وكذلك كان عالماً بالسِيَرِ والأنْسابِ. وكان أيضاً شاعراً كثيرَ الأنَفَةِ في شعرهِ، ولكّن شِعْرَه يَنوءُ برَصانةِ العُلَماء.

وابنُ عبدِ البرّ مؤلّفٌ خِصْبٌ له من الكتب: الاستيعاب في معرفة الصِحاب (جمع فيه أسماء أصحابِ رسول الله) - التمهيدُ لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (رتّبه على أسماء شيوخ الإمام مالكٍ وعلى حروف المُعْجَم) - الاستذكار في شرح مذاهب علماء الامصار (في ما تضمّن الموطأ من معاني الرأي والآثار، شرح فيه ابن عبد البرّ الموطأ على وجهه ونَسْقِ أبوابه) - الدُّرر في اختصار المغازي والسير - الإنباه في ذكر أصول القبائل والرُواة عن رسول الله - القصد الأَمَم في التعريف بأصول العرب والعجم - التقصّي في الحديث النبويّ - جامع بيانَ العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله - الكافي في الفقه - الإنصاف في ما بين العلماء من الخلاف - العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم - بهجة المَجالس وأُنس المُجالس مما يجري في المذاكرات من غُرر الابيات ونوادر الحكايات (من الأمثال والأشعار والحكايات المتعلقة بمكارم الأخلاق والحلم والصداقة والعداوة والوعظ الخ).

٣ - مختارات من آثاره

- توجّه ابنُ عبدِ البرّ من دانِيَةَ قاصداً المُعْتَضِدَ بنَ عبّادٍ في أشبيلية وقال له:

قَصَدتُ إليك من شَرْقٍ لغَرْبٍ   لِتُبْصِرَ مُقْلتي ما حَلّ سَمْعي[١].

(١) مقلتي (فاعل للفعل «تبصر»)، ما (اسم موصول، مفعول به).

وتَعْطِفُكَ المكارِمُ نحوَ أصْلٍ دعاكُمْ راغباً في خيرِ فَرْعِ
فإن جُدتُّم به من بعدِ عَفْوٍ فليس الفضلُ عِنْدكُمُ بِبِدْعِ(١)!

- وقال يفتخر بعلومه:

إذا فاخرتَ فافخَرْ بالعلوم ودعْ ما كان من عَظْمٍ رميمِ(٢).
فكم أمسيتُ مُطَّرَحاً بَجْهلٍ، وعلمي حل بي بَيْنَ النجوم.
وكم أقبلت مُتّئِداً مُهاباً فقام إليّ من ملك عظيمِ(٣).
وركْبٍ سار في شرق وغرب بذِكْري مِثْلَ عَرْفٍ في نسيمِ(٤).

- وقال في الشكوى من الناس:

تنكَّر مَن كنَّا نُسَرُّ بقربه وصار زُعافاً بعدما كان سَلْسَلا(٥).
وحُقَّ لجارٍ لم يوافقْهُ جارُه ولا لاءمتْه الدارُ أنْ يتحوَّلا.
بُلِيْتُ بحمصٍ، والمُقام ببلدة طويلاً لَعَمْري مُخْلِقٌ يُورثُ البِلا(٦)
إذا هان حرّ عند قوم أتاهمُ، ولم ين عنهم كان أعمى وأجهلا(٧).
ولم تُضْرَبِ الأَمثالُ إلا بعالم وما عُوتب الإنسان إلاّ ليَعْقِلا.

- ومن مقدمة كتاب «الاستذكار»:

اما بعدُ، فإنّك سألتني - رَحِمَكَ اللهُ - عن معنى العلم وفضل طَلَبه وحَمْدِ السعْي

---

(١) بدع: مستغرب.

(٢) العظم الرميم: الذي تفتّت من القدم (يقصد: لا تفتخر بنسبك بل بعلمك).

(٣) متّئدا: على مهل. مهابا (يقصد: مَهيبا: ذا هيبة = اجلال واحترام مع شيء من الخوف). من ملك عظيم: كم من ملك عظيم قام نحوي يستقبلني احتراماً لي.

(٤) الركب: الجماعة يركبون الخيل (أو الإبل) ويسيرون أو يسافرون معاً. العرف: الرائحة الطيّبة.

(٥) الزعاف: السم الشديد. السلسل: الماء العذب.

(٦) بُلي بالبناء للمجهول: جرب، امتحن. حمص: اشبيلية. أخلق الثوب: صيَّره بالياً. البلا (كذا بالأصل) البلاء، ولكن المقصود: البلى (بكسر اللام): الرثاثة وذهاب الجدة.

(٧) ونى يني. تعب. لعلها. لم ينأ: لم يبتعد. أعمى: المقصود أشدّ عمى: إذا اتفق ان جاء رجل حر إلى قوم فهان عندهم ثم لم يرتحل عنهم فإنه اعمى جاهل.

فيه والعِناية به، وعن تثبيت الحِجاج [١] بالعِلم وتبيين فساد القول في دين الله بغير فَهْم وتحريم الحُكم بغير حُجّة، وما الذي أُجيز من الاحتجاج والجدل وما الذي كُرِهَ منه، وما الذي ذُمّ من الرأي[٢] وما حُمِدَ منه، وما يجوز من التقليد[٣] وما حُرِّم منه.

ورغبتَ أن أُقدّم لك قبل هذا البابِ من آداب التعلم ما يلزم العالِمَ والمتعلّمَ التخلّقُ به والمواظبةُ عليه، وكيف وجهُ الطلب وما حُمِدَ ومُدح فيه مِنَ الاجتهاد والنَصَب[٤] إلى سائر انواع آداب التعلم والتعليم وفضلُ ذلك وتلخيصه باباً باباً ممّا رُوِيَ عن سَلَفِ هذه الأمة - رضي الله عنهم أجمعين - لِتتّبعَ هَدْيَهم[٥] وتسلُكَ سبيلهم وتَعْرِفَ ما اعتمدوا عليه من ذلك مجتمعينَ أو مختلفين في المعنى منه. فأجَبْتُك إلى ما رَغِبْتَ وسارعتُ فيما طلبتَ رَجاءَ عظيم الثَّواب وطمعاً في الزُلفى يوم المآب[٦]، ولِما أخذه اللهُ عزّ وجلَّ على المسؤول العالِم بما سُئل عنه[٧] من بيان ما طُلب منه وتَرْك الكتْمان لِما عَلِمَهُ. قالَ اللهُ عزّ وجلَّ: «وإذْ أخَذَ اللهُ مِيثاقَ الذين أُوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتُمونه». وقال ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عِلْماً عَلِمَهُ فكتَمَهُ جاء يومَ القِيامة مُلْجَماً بِلِجامٍ من نارٍ»....

- ومن مقدمة كتاب «الانتقاء»:

.... أما بعدُ، فإن طائفةً مّن عُنِيَ بطلب العِلمِ وحملِهِ، وعَلِمَ - بما علّمه الله - عظيمَ بركتهِ وفضلِه سألوني، مجتمعين ومتفرّقين، أنْ أذكرَ لهم من أخبار الأئمّة الثلاثة الذين طار ذِكرُهم في آفاق الإسلام لِما انتشر عنهم من عِلْمِ الحلال والحرام، وهُم: ابو عبد الله مالكُ بن أنَسٍ الأصبحيّ المدَنيّ وابو عبد الله محمدُ بنُ إدريسَ

---

(١) الحِجاج: نصر القول بالحجة (والجدل).

(٢) الرأي: الحكم في قضايا الفقه حكماً شخصياً.

(٣) التقليد: أن يتبع إنسان إنساناً آخر في آرائه.

(٤) النصب: التعب، بذل جهد كبير.

(٥) الهدي (بالفتح) هو الهدى (بالضم).

(٦) يوم المآب (الرجوع): يوم القيامة.

(٧) إن الله تعالى إذا أنعم على إنسان بعلم أوجب عليه أن ينفع الناس بذلك العلم.

الشافعيّ المكّيّ وابو حَنيفةَ النُعمانُ بنُ ثابتٍ الكوفيّ، عُيوناً وفِقَراً[1] يستدلّون بها على مَوْضِعهم من الإمامة في الدِيانة، و (أن) يكون ذلك مختصراً ليَسْهُلَ حِفظُه ومعرفته والوقوفُ عليه والمذاكرة بهِ من ثناء العلماء بعدَهم عليهم وتفضيلهِم لهم وإقرارِهم بإمامتهم. وقد أكثر الناس في ذلك بما يُرْغَبُ عن كثير منه[2]. فاقتصرت ممّا ذكروه على عُيونه دون حشوِه وعلى سمينه دون غثّهِ[3]. وسأذكر في كتابي هذا من ذلك - إن شاءَ اللهُ - ما يكفي ويشفي مَعَ الاختصار وطرْح التَكرار والاقتصار على ما يَجْمُلُ به التذكار...

٤- الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الاقطار فيما تضمّنه الموطّأ من معاني الرأي والآثار (تحقيق علي النجدي ناصف)، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧٠ م.)

- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، حيدر اباد ١٣١٨ - ١٣١٩ هـ، ١٣٢٦ هـ؛ (على هامش الإصابة لابن حجر)، القاهرة ١٣٢٣ - ١٣٢٧ هـ؛ حيدر اباد (دائرة المعارف) ١٣٣٦ هـ؛ (تحقيق علي محمّد البجاوي)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها) بلا تاريخ.

- الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاءِ: مالك والشافعي وأبي حنيفة، القاهرة (مكتبة القدسيّ) ١٣٥٠ هـ.

- الإنباه على الرواة (مطبوع مع «القصد والأمَم»)،النجف (المطبعة الحيدرية) ١٩٦٦ م.

- بهجة المجالس وأنس المجالس (مطبوع مع «الأدب الكبير» لابن المقفّع بعنوان:(جواهر الحكماء) القاهرة ١٩٠٧ م. (تحقيق محمّد مرسي الخولي) القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) بلا تاريخ.

- مختصر بهجة المجالس، الجزائر ١٨٦٩ م.

- تجريد التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والاسانيد أو التقصّي لحديث الموطّأ وشيوخ الامام مالك...، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ؛ نشره محمّد التائب السعيدي، الرباط؟ (نشرته وزارة الاوقاف المغربية) ١٣٩٢ هـ (؟).

---

(١) العين: الرجل الوجيه في قومه، والشيء النفيس. الفقرة (بكسر فسكون): الجملة القصيرة التي تتضمّن نكتة (معنى مبتكراً أو لفتة بارعة).

(٢) وقد أكثر الناس... كثير منه (كتب المؤلفون أشياء كثيرة عن هؤلاء الأئمة ومعظمه لا حاجة اليه) (يرغب عنه).

(٣) عيون الشيء: النفيس البارع منه. الحشو (ما يستغنى عنه). السمين من الكلام: الرصين (ما فيه معنى نافع). الغث: النحيف أو الرديء أو الفاسد.

- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله (نشره أحمد عمر المحمصاني)، القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢٠ هـ؛ المدينة المنورة (المكتبة العلمية) بلا تاريخ؛ (نشره عبد الرزّاق مليح آبادي)، الهند؟ (كتابستان) ١٩٦٢ م.
- الدرر في اختصار المغازي والسير (تحقيق شوقي ضيف)، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) ١٩٦٦ م.
- القصد والأمم في التعريف بأصول العرب والعجم، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ؛ النجف (المكتبة الحيدرية) ١٩٦٦ م.

** المطمح ٦١ - ٦٢؛ الصلة ٦٤٠ - ٦٤٢ (رقم ١٥٠١)؛ جذوة المقتبس ٣٤٤ - ٣٤٦ (الدار المصرية) ٣٦٧ - ٣٦٩ (رقم ٨٧٤)؛ بغية الملتمس ٤٧٤ - ٤٧٦ (رقم ١٤٤٢)؛ مطمح الأنفس ٦١؛ الخريدة (الاندلس) ٢: ٤٧٨ - ٤٧٩؛ المغرب ٢: ٤٠٧ - ٤٠٨؛ وفيات الاعيان ٧: ٦٦ - ٧٢؛ الديباج المذهب ٣٥٧؛ شذرات الذهب ٣: ٣١٤ - ٣١٦؛ نفح الطيب ٣: ٢٣٥، ٤: ٢٨ - ٣٠، ٣٦ (راجع الفهرس أيضاً)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٤؛ نيكل ٢٠٨ - ٢٠٩، مختارات ١٤٦ - ١٤٧؛ بروكلمن ١: ٤٥٣ - ٤٥٤، الملحق ٦٢٨ - ٦٢٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣١٦ - ٣١٧ (٨: ٢٤٠).

ابن زيدون

١ - هو أبو الوليدِ أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ غالبِ بنِ زَيْدونٍ المَخْزوميُّ، أصْلُ أهلِهِ من بني مخزوم من قُريش. تَقَعُ حياتُه في ثلاثةِ أدوارٍ: من وِلادتِه إلى اتصاله ببَلاطِ بني جَهْوَرٍ - حياتِه في بَلاطِ بني جهور (٤٢٢ - ٤٤٢ هـ) - حياتِه في بلاطِ بني عبّادٍ.

(أ) وُلِدَ ابنُ زَيْدونٍ في رُصافةِ قُرطبَة ، في بيتِ علمٍ وجاهٍ وغِنَى، سَنَةَ ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ - ١٠٠٤ م)، فبدأ تَلَقِّيَ العلم على أبيه، وكان أبوه فقيهاً مشهوراً معروفاً بالنَباهةِ والعلم والأدب. ولمّا تُوُفِّيَ أبوه (في إلبيرةَ، سَنَةَ ٤٠٥ هـ) كَفَلَهُ جَدُّه لأُمّهِ القاضي أبو بكرٍ محمّدُ بنُ ابراهيمَ بنِ سعيدٍ القَيْسيُّ (٣٥٥ - ٤٣٢ هـ) فأخذَ عن جَدّه هذا أيضاً شيئاً من العلم. وقد كان من شُيوخِه (أساتذته): الفقيهُ القاضي أبو العبّاس أحمدُ بنُ عبدِ الله بن ذَكْوانَ (٣٤٣ - ٤١٣ هـ) وأبو بكر مُسلمُ بنُ أحمدَ

القرطبيُّ النَحْوي (ت ٤٣٢ هـ). ولكنْ يبدو أن عبقريّة ابن زيدونٍ قد صُقِلَتْ بدِراساتهِ الخاصّة وبالاختبار في الحياة. وقد ظهر ذلك واضحاً في مرثيته لشيخه ابن ذكوان - وهو بعد في العشرين من عمره.

(ب) لمّا إضطرب أمرُ بني أُميّةَ في قرطبةَ - قبلَ سقوط الخلافة نهائيّاً - وفرّ هِشامُ الثالثُ عنها، سَنَةَ ٤٢٢ هـ، كان أبو الحزم جَهْوَرُ بنُ محمّدِ بن جهورٍ وزيراً له. خاف أهلُ قُرطبةَ من عواقب الاضطراب والفوضى ووجدوا في أبي الحزم بنِ جهورٍ حاكماً قديراً فوَلَّوْهُ أمرَ المدينة. وقد أنشأ أبو الحزمِ في قرطبةَ دُوَيْلَةً من دويلات الطوائف.

واتّصل ابنُ زيدونٍ بالدويلة الناشئة باكراً ووَزَرَ لأبي الحزمِ جهورٍ (وزارةَ استشارةٍ لا وزارة عمل). وقد كان أبو الحزم وابنُ زيدونٍ صديقينِ من قبلُ ثمّ كانتْ لابنِ زيدونٍ، من أوّل أمره، آمالٌ سياسيّةٌ سَنَحَتِ الآنَ فُرصةُ الوصول إلى شيءٍ منها. بذلك قَذَفَتْ ريحُ السياسة بابنِ زيدونٍ في تيّارِ الحياة العامّة بما فيها من خصومةٍ ومكائدَ. وفي هذا التيّارِ اَلْتَقى شِراعُ ابن زيدونٍ - في الحياة - بشراع ولاّدةَ اَبنةِ المستكفي.

وأعظمُ الاحداثِ أثراً في حياة ابنِ زيدونٍ وفي أدبه كانَ اتّصالَه بولاّدة. كانت ولاّدةُ ابنةً للخليفةِ المُسْتكفي من أمَةٍ له مُسْتَعْرَبةٍ من أهل مَوْرُورَ اسمُها سَكْرى. كان الخليفة المُسْتكفي نفسُه رجلاً جاهلاً ضعيفَ الإرادةِ والرأيِ مُنْغمساً في اللهوِ مُستهتراً به. وكانت سكرى امرأةً خبيثةً شِرّيرة. أما ولاّدةُ فكانت فتاةً جميلة بيضاءَ شقراءَ مائلةً إلى الصُهبة (الحُمْرة)، كما كانت ذكيةً متأدّبة بالفنون والآداب قوّية الشخصية؛ ولكنّ جمالَها وذكاءَها كانا يَطْغَيانِ على ثقافتها وأدبها. ويُروى لولاّدةَ شيءٌ من الشعر يَغْلِبُ عليه الفحشُ والاستهتار. ولّما قُتِلَ المستكفي (٤١٦ هـ = ١٠٢٥ م) انفلتَتْ ولاّدةُ من القيودِ الاخلاقية والاجتماعية وَجَعَلَت دارَها مُنْتدًى لرجالِ الأدبِ وانصرفت إلى كثيرٍ من أسبابِ اللّهو.

في هذه الفترةِ اتّصلتْ ولاّدةُ بابن زيدون - ويبدو أنّها كانت لِدَةً له أو تَصْغُرُهُ قليلاً - أغراها بهِ أدبُه وشبابُه. ولقد نَعِمَ الحبيبانِ بأيّامٍ وليالٍ مشهورةٍ عند الناس.

كان منَ المُنتَظرِ أن يَقعَ ابنُ زيدونٍ في حبّ وَلاّدةَ. وكذلك كان من المنتظرِ أن تَستجيبَ ولاّدةُ لدعوةِ الحبِّ التي تمثّلت في شَبابِ ابن زيدون وفي جاههِ الاجتماعي ومكانته الأدبية. ولعلّ ولاّدةَ كانتْ ذاتَ آمالٍ سياسيّة - كابنِ زيدونٍ نفسِه - فساقها ذلك إلى أن تُوَثِّقَ صِلَتَها به، وخصوصاً بعدَ أن أصبح ابنُ زيدونٍ أثيراً في بلاط بني جَهْور. هذا على رأي من يعتقد أن صِلَةَ ولاّدةَ بابنِ زيدونٍ قد نشأت قبلَ قِيام الدُوَيْلة الجَهْوَريّة.

غير أنّ هذا الحبَّ الذي بدأ باكراً ثمّ اشتعلَ بأشدِّ ما يكونُ من السُرعة وبأشدِّ ما يكون من العُنف لم يَعِشْ في صَفائه ووَفائه سوى بضعةِ أشهُرٍ ثمّ أخذ يفتُرُ بمثل السرعةِ التي كان قد نشأ بها. انّ قلبَ ولاّدةَ تغيَّرَ قبلَ قلبِ ابنِ زيدونٍ. ومَرَدُّ ذلك إلى عددٍ من الاسباب فيما قيل. ولكنّ أقربَ تلك الأسبابِ الى التصديق الظاهرِ على الأقلّ أنّ ابنَ زيدون تعلّق بجاريةٍ سوداءَ بارعةٍ في الغناء كانتْ لولاّدة، قيل لِيُثِيرَ غَيْرة ولاّدة فتعْودَ اليه. وقد عاتبتْ ولاّدةُ في ذلك ابنَ زيدون، كما أنّ ابنَ زيدون قد أقرّ على نفسِه بأنّ مَيْله إلى الجاريةِ السوداءِ كان ذَنْبا له، ولكنّه ذَنْبٌ أجْبَرَتْهُ ولاّدةُ نفسُها على ارتكابه. وبعدُ، فنحن لا نعلَمُ اليومَ مبلغَ هذا الحبّ: أكانَ حُبّاً صريحاً للجاريةِ السوداء نفسِها أو حُبّاً عُذْرِياً لوَقْعِ غِنائِها في قلبه.

وحاولَ ابنُ زيدون أن يستردَّ عطفَ ولاّدة ببراعته الشعرية، ولكنّ ولاّدة لم تأبهْ به. ولا ريب في أن حبّ ابن زيدون لولاّدة - برُغْمِ ما يقال فيه - قد أوحى إلى ابن زيدونٍ أجملَ قصائده. ولقد أخطأ ابنُ زيدون في الطريق التي أرادَ أن يسلُكَ بها إلى قلب ولاّدة، كما ضلّ عنترةُ الطريقَ إلى قلبِ عبلةَ لمّا ظنّ أن الفَخْرَ بنفسِه وبقوّة طَعْنه وضربه في ميادين القتال يقرّبُه من قلب الفتاة اللَعوب. إنّ ابن زيدونٍ وعنترةَ لم يُرْزَقا براعةَ امرِىء القيس وبراعةَ عُمَرَ بنِ أبي ربيعةَ في خطاب المحبوبة!

وأرادتْ ولاّدةُ أن تَغيظ ابنَ زيدون وتُجازِيَهُ غَيْظاً بغيظٍ فألْقَتْ شِباكَ هواها على رجلٍ قليلِ الذكاء واسعِ الثَراء قليلِ العلم عظيمِ الجاه هو الوزير أبو عامر بن عبدوس - وكانتْ في حاجةٍ إلى رجلٍ مِنْ مِثلهِ تَفْرِضُ عليه إرادتَها ويُطيعها في كلّ شيء - ثمّ قَطَعَتْ صِلَتَها بابن زيدون مرّةً واحدة. غيرَ أن تعلّقَ ابنِ زيدون بولاّدةَ

ظلّ شديداً، كما أنّ شِعرَه ظلّ يَفيضُ بذِكْرها. أمّا هي فأخذت في هجائِه هِجاءً فاحشاً مرّا (راجع عدداً من أبيات هجائها في نفح الطيب ٤: ٢٠٥ - ٢٠٦).

ثمّ أطلّتْ محنةُ ابنِ زيدون.

كَثُرَ حُسّادُ ابنِ زيدون وخصومُه في بَلاط بني جَهْور وفي خارج بلاط بني جهور. وكان أشدَّ هؤلاءِ عداوةً له وأعظمَهم أثراً الوزيرُ أبو عامرِ بنِ عبدوسٍ. فكتب ابنُ زيدون رسالَته الجِدّيّةَ وحاول فيها أن يَحُطَّ من مَقامِ ابنِ عبدوس في عيون ولاّدة. ومَعَ أن هذه الرسالةَ راجتْ بين الأدباء الذين أخذوا يتفكّهون بما سَرَدَهُ ابنُ زيدون فيها من معايِبِ ابنِ عبدوس، فإنّ ولاّدة نفسَها لم تتأثّرْ بهذا الأُسلوب الجديد: فلا هي رقّتْ للمُحّبِ القديم ولا هي نَفَرَتْ من المحبّ الجديد. وغيظَ ابنُ عبدوس فجعل يُلْصِقُ بابن زيدون تُهَماً منها أنّه كان ميّالاً إلى ردّ الحكم إلى بني أمية - تُهمةً كانت شائعةً يومذاك - فأمرَ أبو الحزم جَهْور بحبسِ ابنِ زيدون (في ١٤ من رجب سنة ٤٣٣ هـ).

جعل ابن زيدون يُوالي القصائدَ إلى أبي الحزم وإلى نفرٍ آخرين لِيَشفعوا له عند أبي الحزم: كتب إلى أبي الوليد بن أبي الحزم وإلى الشاعر ابنِ بردٍ وإلى شيخه القديم أبي بكرٍ مسلم بن أحمد القرطبي فلم يستطع أحد منهم أن يَعْطِفَ قلبَ أبي الحزم على ابن زيدون. واقترحوا على ابن زيدون أن يهرُبَ من سجنه، فلم يقبلْ في أوّل الأمر، ولكنّه عاد فقبل واستطاع الهَرَبَ (بمساعدة أبي الوليد بن أبي الحزم).

وطاف ابنُ زيدون في قُرطبة مُتَخَفِّياً لعلّه يلقى ولاّدة فلم يَلْقَها، فكتب إليها بقصيدته المشهورة «أضحى التنائي بديلاً من تَدانينا» فلم تَرُدَّ عليه. ثمّ بعثَ إليها بالقصيدة «إنّي ذكرتُكِ في الزهراء مُشتاقاً» فلم تردّ عليه أيضاً. وأخيراً بعث بقصيدته الطائية «شَحَطْنا وما للدارِ نأيٌ ولا شَحْط» إلى شيخه القديم أبي بكرٍ مُسلمِ ابنِ أحمدَ يشكو حاله ويستشفع به إلى أبي الحزم. فنَجَحَتِ الشفاعة فاستعاد ابن زيدون رِضا أبي الحزم واستقرّ في قرطبة.

وفي سَنَةِ ٤٣٥ هـ تُوُفِّيَ أبو الحزم بن جَهَور وخلفه ابنه أبو الوليد في حكم قرطبة فقرّب ابن زيدون. ويبدو أن ابن زيدون لم يَنْسَ حبَّ ولاّدة فأراد أبو الوليد أن

يُنْسِيَهُ ذلك الحبّ فجعله سفيراً له عند ملوك الطوائف فأرسله إلى إدريس العالي بالله صاحبِ مالَقَة (٤٣٤ - ٤٣٨ هـ)، فطال مُكْثُ ابن زيدون في مالقة حتّى عَتَبَ عليه أبو الوليد بن جهور. وأرسله أيضاً إلى بَطَلْيَوْسَ إلى المُظَفَّر أبي بكرٍ محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ (٤٣٧ - ٤٦٠ هـ) وإلى بَلَنْسِيَةَ إلى عبد العزيزِ المنصورِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي عامرٍ (٤١٢ - ٤٥٣ هـ)، فيما أظنّ.

(جـ) ثمّ عاد قلب أبي الوليد بن جهور فتغيّر على ابن زيدون لأنّ نفرا من أصحاب ابن زيدون قاموا في قرطبة بمحاولة لإعادة دعوة الامويّين إلى قرطبة، سنة ٤٤٠ هـ. خاف ابن زيدون مَغَبَّةَ الرجوع إلى قرطبة فذهب إلى إشْبِيلِيَةَ ولَحِقَ بالمعتضدِ عبّادٍ (٤٣٤ - ٤٦١ هـ) فنال عنده حُظْوةً كبيرة وأصبح وزيراً ونَديماً وشاعراً للمُعْتَضِدِ ثمّ لابنهِ المعتمد من بعده.

ولمّا حدثت فِتنةُ العامة في قرطبةَ (بين المسلمين واليهود) أرسل المعتمد نفراً من رجال الدولة لتهدئة الخواطر وجعل فيهم ابن زيدون. وكان ابن زيدون مريضاً فاستعفى المعتمدَ فلم يُعْفِهِ - قيل لأن قلب المعتمد كان قد تغيّر على ابن زيدون، وقيل إنّ ابن مرتينَ وابن عمّارٍ أوغرا صدرَ المعتمد على ابن زيدون ففعل المعتمد ذلك - اشتدّ المرض على ابن زيدون من أثرِ تلك الرِحلة ثمّ تُوُفّيَ، في اشبيلية، في نِصْفِ رَجَبَ من سَنَةِ ٤٦٣ هـ (١٨/ ٤/ ١٠٧٠ م). ونقل جثمانه إلى قرطبة ودفن فيها.

٢ - ابنُ زيدونٍ أديبٌ بارعٌ، فهو شاعرٌ مُجيدٌ مُحْسن وناثرٌ مُقتدر حَسَنُ التصرّفِ في النثر المُرْسَل والنثر الأنيق المسجوع. وابن زيدون في شعرِه ثم في نثره خاصّةً كثيرُ الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن الأمثال والأشعار، وله إشاراتٌ واضحة إلى نِتاج الشعراء والنّاثرين مُنذُ الجاهلية إلى معاصريه من العصر العبّاسيّ. وأثرُ البُحتري واضح جِدّاً في شعر ابن زيدون، كما أنّ أثر الجاحظ واضح جدّاً في نثره. ولابن زيدون ديباجةُ شعرٍ رائقةٌ تُلقي على شعره وُضوحاً وحَلاوة وموسيقى وتظهَرُ فيها البراعةُ في الصناعة حتّى سمّاه النقّاد « بُحتريَّ المَغرب ». وهو أفضلُ شعراءِ الاندلس الذين حافظوا على عَمود الشعر العربي، ولسنا نَعْلَمُ أنّه نظَمَ

مُوشّحاتٍ مَعَ أن عصرَه كان قدِ امتلأ بالوشّاحين.

وفنونُ ابنِ زيدونٍ في شعرِه الغَزَلُ والنسيب (أوسعُ فنونِ شعرِه وأجملُها وأصدَقُها تعبيراً عن نفسِه وألْصقها بأحداث حياته) ثمّ المديح ولم تكنْ غايتُه التكسّبَ، لاستغناءِ ابنِ زيدون عن الكَدْح في سبيل المعاش، ولكنّه كان يتقرّبُ بمديحه من رجال الدولة وذَوي الوَجاهةِ وخصوصاً لمّا نَزَلَت به مِحْنَتُه ثمّ أراد أن يدفَعَها عن نفسِه باستشفاع هؤلاء إلى الذين كانوا السببَ في تلك المِحنة. وله أيضاً أشياءُ في وصفِ الطبيعة وشيءٌ من الرثاء العاديّ.

وابن زيدون كاتبٌ مترسّلٌ في أسلوبٍ جَزْلٍ متين ولكنّه نِتاجُ قُدرةٍ لا فَيْضُ وُجدان. وهو يميل إلى الصِناعة ويتّكىء على السجع والموازنة بين الجمل مَعَ شيء من الترديد. غير أن السجع في رسالته الهزلية أكثرُ منه في الرسالة الجدّية. وفي الرسالتين كثيرٌ من الإشارات التاريخية من أسماء الرجال وأحداث الزمان ومن التلاعب بأقوالِ الشعراء والناثرين - يُورد هذه الاقوالَ أحياناً إيراداً أميناً أو يَنْثرُها أحياناً ثمّ يَسْلُكُها في خِلال جُمَله - من أجل ذلك تغمُضُ غاياتُه في كثيرٍ من الأحيان حتّى على المُثَقَّف الذي لم يُحِطْ بأصول الأدب إحاطةً وافية. وربّما ألْحَقَ برسائله القِصار مقاطع من الشعر تَطولُ أو تقصُرُ. وله أيضاً كتابُ التبيين في خلفاءِ بني أُميّةَ في الأندلس (نفح الطيب ٣ : ١٨٢) وقيل إن هذا الكتابَ لابنهِ ابي بكرٍ (راجع نفح الطيب ١ : ٣٣٢ في الحاشية).

٣ - مختارات من آثاره

- لمّا هرب ابن زيدون من سجنه كتب إلى ولاّدة بهذه القصيدة، وهي أشهر ما يحفظه الناس له. من هذه القصيدة:

أَضحى التنائي بَديلاً من تدانينا، وناب عن طيب لُقيانا تجافينا.
مَن مُبْلغُ المبلِسينا بأنتزاحِهِمُ حُزناً مع الدهر لا يَبْلَى ويُبلينا[1].

---

(١) المبلسينا: الذين أبلسونا (قطعوا حجتنا وحيرونا) لأننا لا نستطيع أن نسوغ (ان نجد مبرراً) لانتزاحهم (لابتعادهم عنا وهجرنا). يبلى: يفنى (ينتهي).

أَنَّ الزمانَ الذي ما زال يُضحِكُنا … أُنساً بقربِهِمُ قد عاد يُبْكينا.
غِيظَ العِدى مِن تَساقينا الهوى فدَعَوْا … بأَن نَغَصّ، فقال الدهرُ: آمينا!
وقد نكونُ وما يُخشى تفرُّقُنا؛ … فاليوم نحن وما يُرجى تَلاقينا.
لم نعتقِد بعدكُمْ إلاَّ الوفاءَ لكم … رأياً، ولم نتقلَّدْ غيرَهُ دِينا[١].
ما حقُّنا أَنْ تُقِرُّوا عينَ ذي حسد … بنا، ولا أَن تُسِرُّوا كاشحاً فينا[٢].
بِنْتُم وبِنَّا فما ٱبتلَّتْ جَوانحُنا … شوقاً اليكم ولا جفَّت مآقينا[٣].
نكاد، حين تُناجيكم ضمائرُنا، … يَقْضي علينا الأَسى لولا تأَسّينا[٤].
حالَتْ لفَقْدِكُمُ ايامُنا فغدَتْ … سوداً؛ وكانت بكم بيضاً ليالينا[٥]،
إذ جانبُ العيش طَلْقٌ مِن تألُّفِنا … ومَوْردُ اللهو صافٍ من تَصافينا.
وإذْ هَصَرْنا فنونَ الوصلَ دانيةً … قُطوفُها، فجَنَيْنا منه ما شِينا[٦].
لِيُسْقَ عهدُكُمُ عهدُ السرور، فما … كنتم لِأَرواحنا إلاَّ رَياحينا.
لا تَحْسَبوا نأيكم عنَّا يُغَيِّرنا … إنْ طال؛ ما غيَّر النأيُ المُحبينا.
واللهِ، ما طلبَتْ أهواؤنا بَدَلاً … منكم، ولا ٱنصرفَتْ عنكم أَمانينا.
يا ساريَ البرق، غادِ القصْرَ وٱسْقِ به … مَن كان صِرْفَ الهوى والوُدِّ يَسقينا[٧].
ويا نسيمَ الصَّبا، بلِّغْ تحيَّتَنا … مَنْ لَوْ على البُعْد حيّا كان يُحْيِينا.
يا روضةً طالما أَجْنَتْ لواحِظَنا … وَرْداً - جلاه الصِبّا غضّاً - ونسرينا[٨].
ويا حياةً تملَّينا بزهرتها … مُنًى ضُروباً ولذّاتٍ أفانينا[٩]،

---

(١) الدين: العادة، السلوك.

(٢) الكاشح: المبغض. قرت عين فلان (سكنت): أصبح مسروراً.

(٣) ما جفت مآقينا (اطراف عيوننا): لم ننقطع عن البكاء. الجوانح: الأطراف. ما ابتلت جوانحنا: كانت الدموع تنهمر بكثرة على صدورنا، ولكن حر صدورنا (من الحزن على فراقكم كان شديداً إلى درجة كانت تجفف هذه الدموع فوراً).

(٤) حين تناجيكم ضمائرنا (حين نفكر بابتعادكم عنا ونتمنى قربكم من جديد). الاسى: الحزن. التأسي: الاقتداء بغيرنا (لم يقض علينا الحزن لأننا نعرف محبين مثلنا عاملهم المحبوبون مثل المعاملة التي تعاملوننا بها الآن).

(٥) حالت: تغيرت.

(٦) هصر فلان الغصن: شده إليه ليقطف ثمره.

(٧) غاد (اذهب باكراً).

(٨) أجنى فلان فلاناً ثمراً (اعطاه، منحه). النسرين: الورد الابيض. كنا قد نلنا منكم جميع أنواع السرور.

(٩) الضرب (بفتح فسكون): النوع. الافانين جمع أفنان جمع فنن: غصن (صنف، نوع).

لسنا نُسَمّيكِ إجلالاً وتكرِمةً / وقدرُكِ المُعتلي عن ذاك يُغنينا.
يا جنَّةَ الخُلْدِ أُبْدِلْنا بسَلْسَلِها / والكَوثرِ العَذْبِ زَقّوماً وغِسلينا[1]،
كأَنَّنا لم نَبِتْ والوصْل ثالثُنا / والسعدُ قد غَضّ مِن أَجفان واشينا[2]:
سِرّانِ في خاطرِ الظلْماء يَكْتُمُنا / حتّى يكادَ لسانُ الصُبحِ يُفشينا.
إنْا قَرَأْنا الأَسى يومَ النوى سُوَراً / مكتوبةً وأَخذنا الصبرَ تَلْقينا[3].
دومي على العهد، ما دُمنا، مُحافِظةً / فالحرُّ مَن دان إنصافاً كما دِينا[4].
فما ٱسْتَعَضْنا خليلاً منكِ يَحبِسنا، / ولا ٱستفدنا حبيباً عنك يَثْنينا.
ولو صَبا نحوَنا من عُلْوِ مَطْلَعِه / بدرُ الدُّجى لم يكن، حاشاك، يُصْبينا[5].
ابلي وفاءً، وان لم تَبْذُلي صِلَةً / فالطيفُ يُقنِعنا والذِكر يَكفينا[6].
عليكِ منّا سلامُ الله ما بَقِيتْ / صُبابةٌ منكِ نُخفيها فتُخفينا[7].

– بعد لقاء ابن زيدون بولّادة ثمّ انفصاله عنها في اليوم التالي كتب إليها «هذا الوداع»:

ودَّعَ الصبرَ مُحِبٌّ ودَّعَكْ / ذائعٌ مِن سرّه ما استودعَكْ؛
يقْرَعُ السِنَّ على ان لم يكن / زاد في تلك الخطى اذ شيَّعَكْ[8].

---

(١) السلسل: الماء العذب. الكوثر: ماء نهر في الجنة. الزقوم (طعام أهل جهنم) والغسلين: الصديد (القيح) الذي يخرج من الجسم عند أول احتراقه (في جهنم).

(٢) غض: كسر، خفض. ان الواشي المبغض لما رأى سرورنا المتبادل انكسرت نفسه ولم يستطع أن ينقل عنا أن أحداً منا لم يكن مسروراً بصاحبه.

(٣) الأسى: الحزن. النوى: البعاد، الفراق. سوراً (كأنها من القرآن الكريم – نقرأ باستمرار لأنها فرض علينا). تلقينا: تعلماً (لطول ما صبرنا).

(٤) دان: قضى، حكم. عاملينا بالحب كما نعاملك.

(٥) صبا: مال (احب). اصبى: استال (اوقع في الحب). حاشاك: الاك. لو ملت إلينا انت لأسرعنا في الميل إليك.

(٦) في جميع المصادر التي بين يديّ «أبلي» (باختلاف في التنقيط والتحريك). وجميع هذه الوجوه غامضة. فأنا اقترح «أبْدِي» (فعل أمر من «أَبْدَى»: أظهر) ليكون فيه شيء من التجنيس مع «تبذلي». فيكون المعنى حينئذ: (تظاهري بشيء من الوفاء، إن لم تستطيعي أن تمنحيني وصالا (وفاءً لما كنت أعاملك به من الحبّ من قبل). الطيف: الخيال في النوم. الذكر (هنا) ذكرك لنا.

(٧) الصبابة (بالضمّ): البقية (بقية من حبك عندي) – ومع ذلك فإن هذه البقية القليلة التي لا نحاول اظهارها للناس تكاد تخفينا عن الناس (تقتلنا).

(٨) قرع فلان سنه: ندم. شيّع فلان فلاناً: رافقه (في اثناء سفره، الخ)

يا اخا البدر سناءً وسناً حفـــظ الله زمانـــاً اطلَعَـكْ[1]،
ان يَطُلْ بَعْدَك ليلي فلَكَم بِـــتُّ اشكو قِصَرَ الليـــل معَـكْ!

- لمّا فرّ من سجنه وتوارى في نواحي قرطبة جاء يوماً إلى الزهراء[2] ليتذكّر أيامه في تلك المعاهد مع ولاّدة. ثمّ كتب إليها:

إنّـي ذكرتُـكِ بـالـزهـراء مُشتاقاً والأُفقُ طلْقٌ ووجه الأرض قد راقا[3]،
وللنسيمِ ٱعتلالٌ في أَصائلهِ كأنمـا رَقّ لـي فٱعتـلّ إشفاقـا[4]،
والروض عن مائه الفِضّيّ مبتسم كـمـا حَلَلْـتَ عنِ اللَّبّات أَطواقـا[5].
يوم كأَيام لذّاتٍ لنا ٱنصرمَت بِتْنـا لها - حينَ نام الدهر - سُرّاقا[6]،
نلهو بمـا يستميـلُ العينَ مِن زَهَر جـال النـدى فيه حتى مال أَعناقا[7].
لا سكّن الله قلباً عنّ ذكركُمُ فـلم يَطِرْ بِجَنـاح الشوق خفّاقـا[8].
لو شاءَ حَمْلي نسيمُ الريح حين هفا وافاكُمُ بفتى أَضناهُ ما لاقى
يا عِلْقِيَ ٱلأَخْطرَ ٱلأَسنى الحبيبَ الى نفسي اذا ما ٱقتنى ٱلأَحبابُ أَعلاقا[9]،
كـان التجاري بمَحْضِ الوُدّ مذ زمنٍ ميدانَ أُنسٍ جرَيْنـا فيـه أَطلاقا[10].
فٱلآن أَحْمَد (؟) ما كنّا لِعهدكُم: سلَوتُمُ وبَقِينـا نحـنُ عشّاقـا[11].

---

(١) السناء: العلو. الرفعة. السنا: ضوء القمر.

(٢) الزهراء (راجع، فوق. ص ١٧٨).

(٣) طلق: (هنا) واسع (ليس فيه ضيق أو حزن). راق: صفا وحسن واصبح يسر النفس.

(٤) الاعتلال (الاولى): اللطف، الرقة. اعتل (الثانية) مرض.

(٥) اللبة: اعلى الصدر. الطوق: العقد.

(٦) انصرمت: مضت. بات: قضى الليل. بتنا لها سراقاً: نسرع في اغتنام اللذات فيها قبل ان تمضي.

(٧) جال: طاف، تحرك (كثر) الندى: قطرات الماء التي تتكوّن ليلا (بعد برودة الجو). مال اعناقا: مالت اعناقه، انحنت الازهار على عروقها. حتى نعس الزهر مثلنا (؟).

(٨) اذا كان قلبي لا يطير (يضطرب كلما جرى ذكركم) فلا جعله الله ساكناً ابداً.

(٩) العلق: الشيء النفيس (الغالي) الثمين. الاخطر: الاعلى خطراً (شرفاً وقيمة). الاسنى: العالي القدر.

(١٠) كان التجاري (الجري معاً بمحض الود..): احب بعضنا بعضاً زمناً طويلا. الطلق (بفتح فسكون): الشوط. جرينا اطلاقاً: تمتعنا بالحب كثيراً.

(١١) حالي الحاضرة احمد (افضل) شيء لكم انتم: انتم نسيتم حبنا (واحببتم آخرين) ونحن لا نزال نحبكم (فاصبح لكم حبيبان مكان الحبيب الواحد).

- من رسالته الهزلية التي كتب بها إلى ابن عبدوس يهزأ به - على لسان ولّادة -:

أمّا بعدُ، أيّها المُصابُ بعقلِهِ المورَّط بجهلِهِ البيّنِ سَقَطُه الفاحش غَلَطُه.... الساقطُ سقوطَ الذُّباب على الشراب المُتهافتُ تَهافُتَ الفَراش على الشهاب[١]، فإنّ العُجْبَ أكذبُ ومعرفة المرءِ نفسَه أصوبُ[٢]. وانّك راسَلْتَني مُستهدياً من صِلَتي ما صَفُرتْ منه أيدي أمثالكَ.... مُرْسِلاً خَليلتك مرتادةً.... كاذباً نفسَك أنّك ستَنْزِلُ عنها إليّ وتَخْلُفُ بعدَها عليّ[٣]......

ولا شكّ إذ لم تَضِنَّ بِكَ، ومَلّتْك إذ لم تَغرْ عليك، فإنّها أعْذرتْ في السِفارة لك وما قصّرتْ في النِيابة عنك: زاعمةً أن المُروءة لَفْظٌ أنت معناه والإنسانيةَ اسمٌ أنت جِسمه وهَيولاه[٤]؛ قاطعة أنّك انفردتّ بالجمال واستأثرت بالكمال..... حتّى خَيّلتْ أنّ يوسُفَ عليه السلامُ حاسَنَكَ فَغَضَضْتَ منه وأنّ امرأة العزيزِ رأتْكَ فسَلَتْ عنه[٥]، وأن قارونَ[٦] أصاب بعض ما كنزت وأن.... كُليبَ بن رَبيعة إنّما حَمى المرعى بعِزّتِك وجَسّاساً انّما قَتَلَهُ بأنَفَتِك ومُهَلْهِلاً انما طلب ثأره بِهمّتك[٧].... و (أنّ) أفلاطون أوْردَ على أرسطاليس ما نقل عنك، وبَطْلَيْموسَ سوّى الاصْطرلاب

---

(١) المورط بجهله: الذي يورطه (يوقعه) جهله بما لم يحسب له حساباً ثم لا يستطيع الخلاص منه. الورطة (بالفتح): الحفرة العميقة، الوحل... على الشراب (الحلو). تهافت الفراش على الشهاب (الضوء، النار): اسرع (فاحترق).

(٢) العجب: الكبر والتكبر.

(٣) صفرت: خلت، فرغت (بفتح فكسر). خليلتك: عشيقتك. مرتادة: طالبة. تريد ان توهمني انك ستترك عشيقتك لي لاعشقها انا. تخلف هي او انت (؟).

(٤) الهيولى: المادة الاصلية في الوجود (المقصود هنا: مادة الجسد).

(٥) حاسنك: باراك، نافسك في الحسن. غض فلان من فلان: قلل من قيمته. امرأة العزيز هي زليخا (امراة فرعون الذي كان يوسف بن يعقوب في ايامه). سلت عنه: نسيت زوجها (اعجاباً بجمالك).

(٦) قارون: اغنى الناس في ايامه.

(٧) كان كليب بن ربيعة من العزة (القوة) انه كان عنده جرو كلب يلقيه في ارض فيها عشب. فيعوي ذلك الجرو فلا يجسر احد ان يرعى في مكان من تلك الارض يسمع فيه صوت ذلك الجرو. جساس بن مرة قتل كليب في حديث طويل. مهلهل اخو كليب طالب بثار كليب فوقعت حرب البسوس (بفتح الباء) ودامت العداوة فيها بين بكر وتغلب اربعين سنة.

بتَدْبيرك .... وبُقْراطَ علّم العللِ والأمراض بلفظ حسّك[١] .... وأن صِناعة الألحان اختراعك.... وأن عبدَ الحميدِ بنَ يحيى باري أقلامِك، وسهلَ بنَ هارونَ مُدوّنُ كلامِك، وعمروَ بنَ بحرٍ مُسْتمليك[٢]، ومالكَ بنَ أنسٍ مُسْتَفْتيك[٣] ......

ليس على الله بِمُسْتَنْكَرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحدِ[٤].

...... وذكرتَ أنك عِلْقٌ لا يُباع ممّن زادَ، وطائر لا يَصِيدُه من أرادَ، وغَرَض لا يُصيبُه إلاّ من أجادَ......

– من الرسالة الجدّيّة التي كتب بها من السجن يستعطف أبا الحزم بن جهور ويتنصّل ممّا نسب اليه:

يا مولايَ وسَيّدي الذي ودادي له واعْتدادي به[٥] وامتدادي منه، أبقاكَ اللهُ ماضِيَ حدِّ العزمِ وارِيَ زَنْدِ الاملِ ثابتَ عهدِ النعمة. إن سَلَبْتَني – أعزّكَ اللهُ – لِباسَ نَعْمائِك وعطّلتني من حَلْيِ إيناسك[٦].... وغَضَضْتَ عنّي طَرْفَ حِمايتك بعدَ أن نظرَ الأعمى الى تأميلي لك وسمع الاصمّ ثنائي عليك[٧].... فلا غَرْوَ، قد يَغَصُّ بالماء شاربُه، ويقتلُ الدواءُ المُسْتشفِيَ به، ويُؤتى الحَذِرُ من مأمَنِه وتكون مَنِيّةُ[٨] المُتَمَنّي في أُمْنِيَّتِهِ،....

---

(١) افلاطون استاذ ارسطوطاليس، وهما أكبر فلاسفة اليونان أو أكبر الفلاسفة. بطليموس عالم بالرياضيات والفلك. الاصطرلاب اداة تشبه الزاوية يقاس بها ارتفاع النجوم فوق الافق. بقراط او ابقراط اكبر الاطباء اليونانيين القدماء.

(٢) عبد الحميد بن يحيى وسهل بن هرون وعمرو بن بحر (الجاحظ) من كبار الكتاب والمنشئين العرب.

(٣) مالك بن انس فقيه اهل المدينة وقد ضرب المثل به في الفتيا (بالضم) فقيل: ايفتى ومالك في المدينة؟

(٤) في الفلسفة القديمة ان الإنسان هو العالم الاصغر (ان كل ما في العالم موجود بصورة مصغرة في الإنسان: الصورة والمادة والعناصر الأربعة.... الخ).

(٥) اعتدادي به: جعلته عدة لي (استعين به في المستقبل على كل شيء).

(٦) الزند: قطعة من الحديد تقدح بها النار من حجر الصوان. وري (بفتح فكسر) الزند يري (بفتح فكسر): اخرج ناراً من حجر الصوان عند القدح. عطلتني: سلبتني الحلى التي ألبسها.

(٧) في هاتين الجملتين تضمين من بيت المتنبي:

انا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم.

(٨) المنية: الموت.

كـلّ المصائبِ قد تَمُرُّ على الفتى وتهـونُ غــير شماتـةِ الحسّـاد .

وانّي لأتجلّدُ وأُري الشامتينَ أنّي لِرَيْبِ الدهرِ أتَضَعْضَعُ[1]، فأقولُ[2]: هلْ أَنا إلاّ يدٌ أدماها سِوارُها، وجَبينٌ عَضَّهُ إكْليلُه....

هذا العَتْبُ محمودٌ عواقِبُه، وهذه النَبْوَةُ غَمْرَةٌ ثمّ تَنْجلي، وهذه النكبة سَحابة صيفٍ عَنْ قليل تَقَشّعْ . ولن يَريبَني من سَيّدي أنْ أبطأ سَيْبُه أو تأخّرَ - غيرَ ضَنينٍ - غَناؤه فأبطأُ الدِلاءِ فَيْضاً أملأُها وأثقلُ السحائبِ مَشْياً أحفَلُها .... ومَعَ اليوم غَدٌ، ولكلّ أجلٍ كتابٌ ....

وأعودُ فأقولُ: ليتَ شِعْري، ما هذا الذنبُ الذي لم يَسَعْهُ عَفْوُكَ، والجَهْلُ الذي لم يأتِ من ورائه حِلْمُكَ!.... ولا أخْلو من أنْ أكونَ بريئاً فأينَ العَدْلُ أو مُسِيئاً فأينَ الفضل؟.....

٤- ديوان ابن زيدون (كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة)، القاهرة// ١٩٣٢ م، ١٣٧٠ هـ ١٣٧٥ هـ؛ (علي عبد العظيم)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٧ م؛ (سيّد كيلاني)، القاهرة//؛= شعر ابن زيدون (تحقيق كرم بستاني)، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥١ م، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م؛ بيروت (الشركة اللبنانية للكتاب) بلا تاريخ.

- الرسالة الجدّية، القاهرة ١٢٧٨ هـ= ١٨٦٢ م؛ (أبو بكر محمّد حكيم)، القاهرة ١٣٤٥ هـ.

- الرسالة الهزلية (رايسكه)، ليبسك ١٧٥٥ م؛ (هيرت)، يانا ١٧٧٧ م؛ القاهرة ١٢٧٨ هـ، ١٢٩٠، ١٣٠٥، ١٣٢١ هـ؛ (على هامش لامية العرب للصفدي، الاسكندرية ١٢٩٠ هـ؛ (محمد أبو الفضل ابراهيم) القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٨٣ هـ= ١٩٦٤ م.

** تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون (للصلاح الصفدي)، بغداد (مطبعة الولاية) ١٣٢٧ هـ؛ (لابن نباتة) (تحرير محمّد أبي الفضل ابراهيم)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٤ م، ١٩٦٤ م، ١٣٨٩ (١٩٦٩ م).

- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (لابن نباتة)، الاستانة ١٢٧٥ هـ؛ القاهرة

---

(١) هاتان الجملتان اقتباس من بيت ابي ذؤيب الهذلي:

وتـجـلـدي للشامتين اريهم اني لريب الدهر لا اتضعضع.

(٢) وفي الجمل التالية اقتباس من الامثال والأشعار ومن أي القرآن الكريم.

(المطبعة الأميرية) ١٢٧٨ هـ؛ الاسكندرية ١٢٩٠ هـ؛ مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ؛(تحرير محمّد أبي الفضل ابراهيم)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٤ م.

- اظهار المكنون من الرسالة الجدّية لابن زيدون، تأليف مصطفى العناني، القاهرة (مطبعة المعارف) ١٣١٧، الطبعة الثالثة، القاهرة (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م.
- الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون (ابو بكر محمد بن حكيم)..
- قطعة عن ابن زيدون (من قلائد العقيان للفتح بن خاقان) (تحرير وايرس)، ليدن (بريل) ١٨٣٠ م.
- ابن زيدون، تأليف أحمد زكي، القاهرة (مطبعة صبيح) ١٨٨٨ م، ١٩١٤ م.
- ابن زيدون، تأليف نهاد عناية، دمشق (المكتبة الهاشمية) ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٩ م.
- ابن زيدون، تأليف شوقي ضيف، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٣ م.
- ابن زيدون: عصره وحياته وأدبه، تأليف علي عبد العظيم، القاهزة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٥، القاهرة (نهضة مصر) ١٩٥٧ م.
- ابن زيدون: حياته - عصره - أدبه، تأليف حسن جار حسين، القاهرة (المطبعة المنيرية) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م.
- ابن زيدون، تأليف نديم مرعشلي، بيروت (دار الشرق الجديد).
- ابن زيدون: أو صفحة من مجالي الانس في ليالي الاندلس، تأليف زكي أحمد،
- شوقي وابن زيدون في نونيّتيها، تأليف أبي القاسم محمّد كرّو، تونس (منشورات كتاب البعث، رقم ٢) (مطبعة الترّقي) ١٩٥٦ م.

ابن زيدون: أثر ولاّدة في حياته وأدبه، تأليف وليم الخازن، بيروت (دار مكتبة الحياة)؟ ١٩٦١ م.

- ولاّدة وابن زيدون، تأليف عبد الرزّاق مجيد الهلالي، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٤٧ م.
- مجلّة الكتاب (بغداد): عدد خاصّ بالذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون (٣٩٤ - ١٣٩٤ هـ)، الرباط ١٥ - ٢٢/ ١٢/ ١٩٧٥ م، السنة التاسعة، العددان ١١ - ١٢ (تشرين الثاني وكانون الأول = نوفمبر وديسمبر ١٩٧٥ م).

المطمح ٦٠ - ٦١؛ الذخيرة ١: ٣٣٦ - ٤٢٨؛ جذوة المقتبس ١٢١ - ١٢٢ (الدار المصرية) ١٣٠ - ١٣١ (رقم ٢٢٤)؛ بغية الملتمس ١٧٤ - ١٧٥ (رقم ٤٢٦)؛ قلائد العقيان ٧٩ - ٩٣؛ وفيات الأعيان ١: ١٣٩ - ١٤١، ٤٥٧؛ الوافي بالوفيات ٧: ٨٧ - ٩٤؛ اعتاب الكتّاب ٢٠٧ - ٢١٤؛ المغرب ١: ٦٣ - ٦٩؛ المطرب ١٦٤ - ١٦٨؛ نفح الطيب ١: ٦٢٧ - ٦٣٤، ٦٦٨ - ٦٧٠، ٣: ٢٧١ - ٢٨٧، ٥٦٥ - ٥٦٦، ٤: ٩٩ - ١٠٠، ٢٠٥ - ٢١٢، ٢٦٤ - ٢٧١؛ شذرات الذهب ٣:

٣١٢ - ٣١٣؛ دائـرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٣ - ٩٧٤؛ بروكلمن ١: ٣٢٤ - ٣٢٥، الملحق ١: ٤٥١؛ نيكل ١٠٦ - ١٢٠، مختارات نيكل ٦٢ - ٧٣؛ الأعلام للزركلي ١: ١٥١ - ١٥٢ (١٥٨).

غانم المخزومي

١ - هو أبو محمدٍ غانمُ بنُ وليدِ بن عُمَرَ[١] بن عبد الرحمن المخزوميُّ القرشيّ الأشوني (نِسبةً إلى أشونة وهي حصن بالأندلس من نواحي أُستُجة).

روى غانمٌ المخزوميُّ علومَه في النحو واللغة والأدب عن نفر منهم أبو عمرَ يوسفُ ابنُ عبدِ اللهِ بن خَيْرونٍ وأبو عبدِ الله بنُ السرّاج. واشتغل بالتدريس وكان قديراً محمود الطريقة في ذلك.

وعاش غانم في مالَقة مدّة ونال حُظوةً كبيرةً عند صاحبها إدريسَ العالي بالله (٤٣٤ - ٤٣٨هـ)، كما عاش (بعد ذلك) في غَرْناطةَ متّصلاً ببلاط باديس بنِ حَبّوسٍ (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ).

ويبدو أن وفاةَ غانمٍ المخزومي كانت نحو ٤٦٥ هـ لأنّه شَهِدَ، فيما يبدو، مقتلَ القاضي أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ الحسنِ بنِ يحيى بن الحسن الجُذامي النُباهي في قرطبةَ، سنة ٤٦٣ هـ[٢]، ولم يَرْوِ له ابنُ بسّامٍ في الذخيرة (١: ٢: ٣٤٥ - ٣٦١) رثاءً في باديس بن حبّوسٍ (ت ٤٦٦ هـ). ويبدو أنه عاش طويلاً.

٢ - كان غانم المخزوميّ فقيهاً ولُغَويّاً ونحويّاً وأديباً ناثراً ناظماً، وكان مقتدراً في تدريس هذه الفنون محمود الطريقة في ذلك.

وكان في شعره صاحبَ بديهة ومقتدراً. وأكثر شعره الذي بين أيدينا في المديح والرثاء والوصف والغزل والحكمة والزهد. وكذلك له ترسّل أكثره إخوانيّات وبعضه مديح في مجرى الخطابة أو الكتابة.

---

(١) في كتاب الصلة، ص ٤٣٣: غانم بن وليد بن محمّد بن عبد الرحمن. وفي جذوة المقتبس، ص ٣٠٦: غانم ابن الوليد بن عمر بن عبد الرحمن.

(٢) راجع كتاب قضاة الأندلس، ص ٩٣، السطر ١٣، ثمّ ص ٩٣، السطر الثالث.

٣ - مختارات من آثاره

- دخل غانم على باديس بن حبّوس، وكان باديسُ يجلس في مكان ضيّق، ومَعَ ذلك فقد وسّع لغانم مكاناً يَجْلِسُ فيه. عند ذلك قال غانم بديهة:

صيِّرْ فؤادَكَ للمحبوب مَنْزِلةً؛ سَمّ الخِيَاط مَجالٌ للمُحَبَّيْنِ[١].
ولا تُسَامِحْ بَغِيضاً في مُعاشرةٍ فقلَّما تَسَعُ الدنيا بَغِيضَيْنِ!

- وقال في الصبر والتجمّل بالوقار:

الصبرُ أولى بوقارِ الفتى من مَلِكٍ يَهْتِكُ سِتْرَ الوَقارْ[٢].
من لَزِم الصبرَ على حالةٍ كان على أيّامه بالخِيارْ

- وله في مَطْلَعٍ غزلّي لقصيدة في مدح ادريسَ العالي بالله؛ وهذه الأبيات تقليد ظاهر لمقطوعة الشريف الرضيّ:

يا ظبيةَ البانِ ترعى في خَمائلهِ، لِيُهْنِكِ اليومَ أنّ القلبَ مَرْعاكِ.

قال غانمٌ المخزوميّ:

لولا التحرّجُ لم يُحْجَبْ مُحَيّاكِ؛ حُيِّيت عنّا، وحُيِّينا بمَحْياكِ[٣].
أيا غزالَتَنا، شمسُ الضُّحى طلعتْ على اتّفاقٍ فَسِيماها كسِيماك[٤].
بَدَوْتِ في حُلّةٍ زَرقاءَ، وَهْيَ كذا. فقالَ قاضي الهوى: «هذي ولا ذاكِ».
أظْمَأتِني منكِ، يا ظمياءُ، جائرةً؛ ما كان ضَرّك لو أحْظى بسُقْياك[٥].
إنّي أراك بقَتْل النفس حاذِقَةً؛ قولي، بفَضْلِكِ، من بالقَتْل أوْصاك؟
إن كانَ واديكِ مَمْنوعاً فمَوْعدنا وادي الكَرى ثمّ تلقاني وألْقاك[٦].
دَمْعي بِبَغْدادَ مَمْدودٌ بدِجْلَتِها، وأنتِ من رَوْض نَجْدٍ نَشْرُ ريّاك[٧].

---

(١) سمّ الخياط: ثقب الابرة.
(٢) هتك: شقّ، مزّق.
(٣) المحيّا (بتشديد الياء): الوجه. المحيا (بلا تشديد): الحياة.
(٤) الغزالة: الشمس والمرأة الجميلة. السيما: العلامة، الهيئة.
(٥) الظمياء: الناقة السوداء، الشفة الرقيقة السمراء، العين الرقيقة الجفون (المرأة الجميلة).
(٦) واديك: بلدك. وادي الكرى (كناية عن النوم).
(٧) النشر (هنا): الانتشار. الريّا: الرائحة الطيّبة.

– توفّي لغانم المخزوميّ أخَوانِ أحدُهما مات غَرَقاً فقال غانمٌ يرثيهما بمقطوعة يقلّد فيها مقطوعةً غَزَليةٍ لابن زيدونٍ:

يـا دمـعُ، لا تَخْذُلْ وكُنْ مُسْعِداً؛ لا تَخْشَ من صـبرِيَ أن يَمْنَعَكْ[١].
أخٌ غريقٌ وأخٌ في الثَّرى، وتَـرْتـجـي السَّلْوة؟ مـا أطمعَكْ!
إنّ جمودَ العينِ - خوفَ العِدى ورِقْبـةَ الحُسّادِ - لـن يَنْفَعَـكْ[٢].
يـا عُـمَـراً، أعْمَرْتَ قلـبي أسـىً وودّع (؟) صبري مِثْلَما ودّعك[٣].
رُزِئتُ فـي الدنيـا يَـدَيْ نُصْرتي؛ يا دهرُ، بَتّاً لكَ، ما أفْجعك[٤]!

– وله من رُقعةٍ خاطب بها أبا الحسن الحُصْرِيَّ:

ما أفصحَ لِسانَكَ وأفسحَ مَيْدانَك وأوضحَ بَيانَك وأرْجح ميزانَك وأنور صَباحَك وأزْهَرَ مِصْباحك، أيُّها السابقُ المُتمهِّلُ في مَيْدانِ النُّبْلِ، والسامق[٥] المتطوّل بفضائل الذكاء والفَضْل: أرَحْتني من غُلِّ الهَمّ فازْدَهَتْني أرْيَحِيّةٌ[٦]، وأزَحْتَني عن ظِلِّ الغمِّ فلاحت لي شَمْسُ الأُمْنيّة بما أطْلَعْتَه عليّ وَأنْفَذَتْهُ مكارِمُك إليّ. فقلت: أعَصْرُ الشباب رَجَعَ، أم كوكبُ السعدِ طَلَع، أم بارق الإقبال لمع؟كلاّ، واللهِ، إنّها لَمَكْرُمَةٌ فِهريّةٌ[٧] أهْدَتْها نَفْسٌ سَخِيّةٌ وهِمّةٌ عَلِيّة... بَلى، واللهِ، أرَتْني زهرَ الربيعِ في غير أوانهِ، وحُسْنَ الصَنيعِ على عَدَمِه في أهلِ زمانهِ... فأنتَ واحدُ البلاغةِ الذي لا يُجارى، وفارسُ الفصاحةِ الذي لا يُبارى.

٤ – ★★ الصلة ٤٣٣ – ٤٣٤ (رقم ٩٨٢)؛ الذخيرة ١ : ٨٥٣ – ٨٧٠؛ جذوة المقتبس ٣٠٦ – ٣٠٧ (الدار المصرية) ٣٢٥ – ٣٢٦ (رقم ٧٥٤)؛ بغية الملتمس ٤٢٨ (رقم ١٢٨٠)؛ مطمح الأنفس ٦٠ – ٦١؛ معجم الأدباء ١٦ : ١٦٧ – ١٦٩؛ إنباه

---

(١) المسعد: المساعد. الدمع المسعد هو الذي يسيل بسرعة وبكثرة.
(٢) الرقبة: المراقبة. رقبة الحسّاد (رجاء الحسّاد أن تزول النعمة عن غيرهم).
(٣) الأسى: الحزن. ثم اقرأ: ودّعت صبري الخ.
(٤) رزئت: فقدت. يدي نصري: نصرتي بكلتا يدي (بكل قوتي). بتا: قطعا. ما أفجعك: ما أكثر انزالك الفجيعة (فقدان الأحباب بالموت) منك.
(٥) السامق: العالي.
(٦) ازدهتني: أخذتني خفة (سرور) بالأريحيّة (الارتياح للكرم أو للعمل الجميل والسرور به).
(٧) فهرية: نسبة إلى فهر بن مالك من جدود العرب القدماء (عربية صحيحة).

الرواة ٢ : ٣٨٩؛ الوافي بالوفيات ٨ : ٣٢٤ - ٣٢٥؛ المطرب ٨٤؛ المغرب ١ : ٣١٧ - ٣١٨؛ بغية الوعاة ٣٧١؛ نفح الطيب ٣ : ٢٦٥، ٣٩٨، ٤٤٧، ٥٩٥ - ٥٩٦، ٦١٥، ٤ : ٢٨، ٢٢٦، ٣٣١؛ راجع نيكل ١٨٨ - ١٨٩ ومختارات نبكل ١٣١؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٣٠٧ (١١٦).

أبو جعفر اللمائي

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ أيّوبَ اللمائيُّ من أهلِ مالَقَةَ، كان كاتباً لَدى ناصرِ الدين عليِّ بنِ حمّودٍ صاحبِ مالَقَةَ (٤٠٧ - ٤٠٨ هـ) ومدبّرَ أمورِه، كما كَتَبَ لغيرِه (من ملوك مالقة؟). وقد علا صيتُه بسبب ذلك وعَلَتْ مكانتُه. ويبدو أنّه حَصَلَ على أملاكٍ في غَرْناطةَ فكان يتردّد عليها فيَتَفقّدُ أملاكَه ويزورُ ملوكَها الصِنْهاجيّين، في أيام باديسَ بنِ حَبّوسٍ (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ) في الأغلب، أَو في أيام أبيهِ حبّوسٍ (٤١٠ - ٤٣٠ هـ) أيضاً.

وعَرَضَتْ لأبي جعفرٍ اللمائيّ النَسَمَةُ (من أمراض الصدر: الرَبْو؟) وأزْمَنَتْ فتُوُفّيَ من أثرِها في مالَقَةَ، سَنَةَ ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ - ١٠٧٣ م). وقد نُقلت جُثّتُه إلى حِصنِ الوَرْدِ عندِ مونْتَ مَيورَ (الجبلِ الكبير) بحَسْبِ وَصيّتِه ودُفِنَ هنالك في قبرٍ كان قدِ ابتناه. وإذا كان أبو جعفرٍ اللمائيُّ قد راسلَ أبا جعفرِ بنِ عبّاسٍ (ت ٤٢٧ هـ) فيَجِبُ أن يكونَ قد عاشَ سبعينَ سنةً أو تزيدُ.

٢ - أبو جعفرٍ اللمائيّ أديبٌ مُترسِّلٌ وناثر شاعر. وشِعرُه مدحٌ ووصف للطبيعة. ويبدو أن مُعظَمَ شِعرِهِ وُجدانيٌ قالَه في أحوالِ مرضِه وفي الشَكْوى من الأيام. وله نَسيبٌ أيضاً.

٣ - مختارات من آثاره

- كتب أبو جعفرٍ اللمائيُّ إلى أبي جعفرِ بنِ عبّاسٍ[١] يُعزّيه بأبيه:

إنْ لم أُجِدِ التأبينَ فأجد[٢] البكاءَ والحنين، وإن لم أُحْسِنِ التملُّقَ والإطراء

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن عبّاس كان وزيراً لزهير صاحب المريّة ولباديس صاحب غرناطة. وكان غنيّاً جدّاً وبخيلاً جدّاً. وقد نكبه باديس وسجنه ثمّ أمر بقتله، سنة ٤٢٧ هـ وهو ابن ثلاثين سنة.

(٢ و٣) التركيب خاطىء. ليس هنا مكان لربط جواب الشرط (وهو فعل مضارع بالفاء). والصواب أن =

فأحسن الإخلاص والدعاء. واتّصلَ بي موتُ الوزيرِ أبيك - لقّاه اللهُ غُفْرانَه - وكَوْنُك بفضلِ الله مكانَه، فروّعَ جَنانَ[1] الصبرِ وأخرَسَ لِسانَ الشكر: بَدْرٌ أَفَلَ وهِلالٌ استَقَلّ[2]. أعزّيك وأُسَلّيك: قَدْرُ مُصابِكَ قدرُ ثَوابِك[3]. صبراً جميلاً عليه لتُؤجَرَ، وفعلاً حميداً[4] بعدَه لِتُذكرَ......

- وقال أبو جعفرٍ اللمائيُّ في عِلته (داء النسمة):

عَظُمَ البلاءُ فلا طبيبٌ يُرتجى ... منه الشفاءُ، ولا دواءٌ ينجَعُ[5].
لم يبقَ شيءٌ لم أعالِجْها به ... طَمَعَ الحياةِ؛ وأينَ مَنْ لا يطمع[6]؟
(وإذا المَنيّةُ أنشَبَتْ أظفارَها ... ألْفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفع)[7].

- ودخل عليه بعضُ أصحابه في عِلته (في فَتْرته التي مات فيها) فجعل يُرَوِّحُ عليه بِمِرْوَحةٍ. فقال ارتجالاً:

رَوّحَني عائِدي فقُلتُ لَه: ... مَهْ، لا تَزِدْني على الذي أجِدُ[8].
أما ترى النارَ، وهي خامِدة، ... عند هُبوبِ الرياحِ تَتّقِدُ؟

- وقال (يُصوّرُ الربيعَ وهو يطلُبُ النَدى - العَطاءَ - من يدِ باديس):

طَلَعَتْ طوالعُ للربيع فأطْلَعَتْ ... في الرَوْضِ ورداً قبلَ حِينِ أوانه[9]
حيّا أميرَ المؤمنين مُبشّراً ... ومُؤمِّلاً للنَيْلِ من إحسانه[10].

= يقال مثلاً: فإن لم أجد التأبين فأنا أجيد الدعاء (فيكون جواب الشرط جملة اسمية مربوطة بالفاء).

(١) جنان: قلب.

(٢) بدر (رجل كبير) أفل (غاب)، وهلال (رجل شابّ) استقلّ (طلع).

(٣) كلّما عظم مصابك بالميت كان أجرك عظيماً على مقدار ذلك.

(٤) صبراً جميلاً: أصبر صبراً جميلاً.....

(٥) ينجع: ينفع.

(٦) طمع الحياة (طمعاً في الحياة). وهل في الدنيا أحد لا يطمع بطول الحياة.

(٧) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (بضمّ ففتح) وهو شاعر مخضرم (ت ٢٨ هـ).

(٨) العائد: الذي يزور المريض. مه: كف، كفي.

(٩) طالعة: أول نبات (الربيع).

(١٠) النيل: العطاء.

- وقال يشكو نوائب دَهْرِه:

أمسى سَقامي زاجري ومُؤنِّبي، وغدا مَشيبي واعظي ومُؤدّبي.
أوْهَتْ خُطوب الدهرِ مني عاتِقي ثِقْلاً، وزعزعَ مَنْكِباهُ مَنْكبي[1].
وَهمَتْ سحائبُه عَليّ فغادرَتْ أرضي قَرارةَ كل خَطْبٍ مُعْجِبِ[2]،
يا سَيّدي وأخي الوَفِيَّ، وما أخي منه إلى قلبِ الإخاء بأقربِ.
وإذا غدا العِلْمُ المُشَرِّفُ أهلَهُ نَسَباً يُؤلِّفُنا، فنحن بنو أب
وكتبْتَ عن وُدٍّ، وقد كَتَبَ الإخا بينَ النفوس صحائفًا لم تُكْتَبِ،[3]
بأرَقَّ من دَمْعِ المَشوقِ فؤادُه وأرقَّ من ريقِ الحبيب وأعذبِ.
فَظَلِلْتُ منه في غديرِ بلاغةٍ عَذْبٍ ومُلْتَفِ الحدائقِ مُعْشِبِ.
كَرُمَتْ مغارِسُهُ فأوْرَقَ فرعُه عِلْماً وأثمَرَ بالكلامِ الطيّب
خَفِيَتْ معانِيه على أوهامِنا، فالفِكر بينَ مُصدِّقٍ ومُكَذِّب.

٤ - ** المطمح ٢٥ - ٢٦؛ بغية الملتمس ٥٠٥ (رقم ١٥٢٠)؛ الذخيرة ١ : ٦١٧ - ٦٢٤؛ المغرب ١ : ٤٤٦ - ٤٤٧؛ الإحاطة ١ : ٢٤٠ - ٢٤٣؛ نفح الطيب ٣ : ١٩٦، ٥٤٧، ٥٩٦، ٤ : ١٥٤؛ نيكل ١٢٢.

أبو الحسن البلّنوبي

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ أبي القاسمِ عبدِ الرحمن بنِ أبي البِشَر (أو البشائر) البَلّنوبي الصِقلّي نِسبةً إلى مدينة بيلاّ نووبا (باللفظ الإسباني) أو فيلاّ نوفا (باللفظ الإيطالي الحديث: البلدة الجديدة)، وهي بلدة في غَرْبيّ جزيرةِ صِقلّيةَ. وقد كان أبو القاسمِ عبدُ الرحمن (والدُ أبي الحسن البلّنوبي)، فيما يبدو، رجلَ علمٍ وأدبٍ وشعرٍ[4].

---

(١) المنكب: ما بين الكتف والعنق. للدهر منكبان (هو أقوى منّي).
(٢) هما: سقط، هطل، (نزل الماء من السحاب). القرارة: المكان المنخفض تستقرّ فيه الأشياء. الخطب: المصيبة. المعجب: الداعي إلى العجب (الكبير، الشديد).
(٣) للأخاء (الصداقة) صفحات كثيرة جميلة لم يستطع أن يكتب بقلمه مثلها.
(٤) في «المختار من شعر بشّار» (الصفحة ل) أنّ أبا القاسم عبد الرحمن ابن أبي البشر أنشد:

نزل المشيب بعارضيّ ولمّتي. يا نفس، فازدجري عن اللذّات.
ودعي الحياة لأهلها وتجهّزي، يا نفس - ويك - تجهّز الأموات. =

أمّا مَوْلِدُ أبي الحسن البلّنوبيّ فكان في صِقليّةَ، ولكنّنا لا نَعْرِفُ شيئاً من تفاصيل حياته فيها. ثمّ إنّه هاجرَ منها في أواخرِ عهدِ الفِتنة أو في مطلعِ الاحتلالِ النورماني إلى مِصْرَ، لأنّنا نرى له اتصالاً بأبي محمّدٍ الحسنِ بنِ عليٍّ اليازوريّ الذي استوزره المُستنصرُ الفاطميُّ من المُحرّم سَنَةَ ٤٤٢ إلى المُحرّم سَنَةَ ٤٥٠ (١٠٥٠ - ١٠٥٨ م). ويبدو أنّ أبا الحسن البلّنُوبيَّ كان أحياناً في الاسكندرية وأحياناً في القاهرة وأنّه تكسبَ بمدحِ العُظماء وبشيءٍ من التدريس. ولعلهُ قد بَقِيَ في الحياة إلى الثُلُثِ الأخيرِ من القرنِ الهِجْري الخامس (نحو ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م) أو إلى ما بَعد ذلك.

٢ - كان أبو الحسنِ البلّنوبيُّ شاعراً كثيرَ التقليدِ للمشارقة في أغْراضهم وأساليبهم مَعَ شيء من الفصاحة ومن جَمال الأسلوب، برُغم ما في أسلوبِهِ أحياناً من الضَعْف. ولم يَرِدْ في شعرِه ذِكْرٌ لصِقلّية، بل كان فيه كثيرٌ من خصائصِ شعراءِ مِصْرَ في العهد الفاطمي مِمّا يَدُلّ على أنّ أكثر شعرِه قد قيلَ في مِصْرَ، ولعلَّ جانباً كبيراً من حياته كان أيضاً في مصر. وفنون شعره المدحُ والهِجاء والرثاء والوصف وشيءٌ من الغزل.

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو الحسن البلّنوبي يمدح الوزير رئيس الرؤساء:

لَحَظاتٌ مِـن شَبيهـاتِ الدُّمـى　　　صَرَعَتْني بـين ظَلْمٍ ولَمـى[١]

= فنلقد نصحتك ان قبلت نصيحتي،　　　ولقد وعظتك ان قبلت عظاتي.

وكان أبو القاسم عبد الرحمن هذا مؤدّباً لأبي طاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله صاحب «المختار من شعر بشّار». وكان التجيبي (ت نحو ٤٤٥ هـ) من أهل اللغة (بغية الوعاة ١٩٣)، وهو من القيروان وسكن المهدية ويعرف بالبرقي (تكملة الصلة) فلعلّ أصله كان من برقة (شرقي ليبيا اليوم). وقد كان عالماً بالآداب شاعراً مجوّداً ومن المصنفين للكتب دخل الأندلس، بعد سنة ٤٠٠ هـ فكان في مالقة سنة ٤٠٦ هـ ثمّ سار إلى مصر فرأيناه فيها سنة ٤١٥ هـ. وقد اجتمع به أبو مروان الطبني في الاسكندرية سنة ٤٣٨. ورأى ابن الابّار شيئاً بخط أبي طاهر مؤرخاً في جمادى الأخرة من سنة ٤٤١ (تشرين الثاني - نوفمبر ١٠٤٩ م).

(١) الدمية: الصورة الجميلة (أو التمثال الصغير الجميل، أو اللعبة على هيئة فتاة جميلة). شبيهات الدمى: نساء جميلات جداً. صرع: ألقى (خصمه) أرضاً، (قتله). الظلم (بفتح الظاء): ماء الأسنان وبريقها (لونها الأبيض). اللمى: سمرة في الشفتين (من مظاهر الجمال البدوي).

بعدَ ما قلتُ تناهتْ صَبْوتي رَجَعَتْـني مُستهاماً مُغْرَمـا[١].
لائمي، أقْصِرْ فإنّي كُلّما زِدتَّ لَوْماً زاد سمعي صَمَا[٢].
بأبي من جاءني مُعتذِراً وَجِـلاً مِمّـا جَنـاهُ ندِمـا[٣]
فرأيتُ البدرَ من طَلعتهِ ضاحكًـا مـن وجهـه مُبْتَسِا.
زائرٌ أسألُ عنه مُقْلتي هـل رأتْـه يَقظـةً[٤] أم حُلُما؟
كيـف تخفى زَوْرةُ الصُبحِ وقد فَتّـحَ الروضَ وجلّـى الظُلَا.
عَجَبًا من سَقَمٍ في طَرْفه يُورث الجسم ويَشْفي السَقَا[٥].
قـد أعـارَ الكأسَ منه وَجْنةً وثَنايًـا ورضُـابًـا وفَـما.[٦]
كيـف أعتـدُّ بلُقْيـا هـاجـرٍ قَبْلَما حاولَ وَصْلي صَرَما[٧]؟
لو تجاسرتُ عـلى الفَتْـكِ بـه لم أعُدْ أقرَعُ سِنّي نَدَما.
أيُّ شيءٍ ضرّني لـو أنـني كنتُ في الحِلِّ طَرَقْتُ الحَرَما[٨]؟
ولقـد ذُقْـتُ بكـاسـاتِ الهـوى عَسلاً طَوْراً وطوراً عَلْقَا.

---

(١) الصبوة: ميل الانسان إلى الحبّ. تناهت: بلغت منتهاها، انتهت، بطلت (بالتقدّم في السنّ). رجع (بلا تشديد) فعل لازم ومتعدّ. رجعتني (بلا تشديد للجيم): ردّتني، أعادتني. مغرم (شديد الحبّ والتعلّق بالمحبوب) مستهام (كاد الحبّ يذهب بعقله).

(٢) لائمي = يا لائمي. أقصر: أقلل من لومك إيّاي.

(٣) وجلا: خائفا. جناه: أذنب فيه. ندما = نادما.

(٤) اليقظة (يجب أن تكون بفتح القاف).

(٥) سقم في طرفه: من فتور في عينيه (من الدلال والنعمة والجمال) في الأصل يورث الجسم. والبلاغة والشاعرية تقتضيان أن يقول الشاعر: يورث السقم (بضمّ السين: إذا هجر) ويشفي السقم (إذا وصل، أنعم على المحبّ).

(٦) قد أعار الكأس (الخمر) منه وجنة (لوناً أحمر جميلا كلون وجنته: خدّه) وثنايا (حببا أبيض يعلو صفحة الخمر في الكأس كبياض ثناياه: أسنانه). ورضابا (طعما حلوا كريقه) وفما (رائحة طيّبة كرائحة فمه).

(٧) كيف أعتدّ (أحسب، أجد ربحا في) لقيا هاجر (لقاء حبيبي الذي كان قد هجرني طويلا). صرم: قطع.

(٨) الحلّ: كلّ مكان خارج مكان الحجّ أو زمن الحج في مكّة. الحرم (تورية) مساحة حول مكّة يحرم فيها الصيد في أيام الحجّ. والحرم: المكان الذي يحرم من جسم المحبوب.

وجليسٍ قد شَنِئْنا شخصَهُ   مُذْ عَرَفْناه مُلحًّا مُبْرِمًا[1].
ثَقَّلَ الوَطْأةَ في زَوْرَتِهِ   ثمّ ما وَدّعَ حتّى سَلّما.
بعضُ ما لاقَيْتُ منه أنّه   نفّرَ الرِئْمَ الذي قد رَئِما[2].

★ ★

وأعزُّ الخلقِ طُرًّا عائذٌ   برئيسِ الرؤساءِ اعْتَصَما.
نحنُ منه في جنان ورع   نَلْبَسُ العِزَّ ونَجْني النِعَما[3].
قد بَلَوْناهُ على عِلاّتِهِ   فَبَلَوْنا العارِضَ المُنْسَجِما[4].

٤ - ★★ بروكلمن ١ : ٣١٧، الملحق ١ : ٤٧٤؛ تاريخ الأدب العربي في صقلّية (تأليف ريزيتانو) ص ١٢١ - ١٢٥؛ راجع الخريدة (تحقيق الدسوقي وعبد العظيم) ٤ : ٢ : ١٢٨ - ١٢٩.

الشقراطيسيّ

١ - هو أبو محمدٍ عبدُ الله بنُ يحيى (ت ٤٢٩ هـ) بنِ عليٍّ بنِ زكريا التوزريُّ الشقراطيسيّ، نِسبةً إلى قلعة قديمة كانت بالقُرب من قَفْصَةَ (في تُونِسَ) تسمّى شقراطس.

وُلِدَ الشقراطيسيُّ في تَوْزرَ (جَنوبيَّ القُطر التونسي) وعاش فيها. وتلقَّى العلم على والدهِ وعلى غيرهِ. وفي سَنَةِ ٤٢٩ رَحَلَ إلى المشرق وحجّ وزار (المدينة). وفي أثناء رِحلته (ذَهاباً أو إياباً) اتفق نُزولٌ للفِرنْجةِ (الصليبيّين) في مِصرَ فاشترك في مقاتلتهم.

---

(١) شنئنا: أبغضنا، كرهنا. شخصه (حضوره في مجلسنا). المبرم: الذي يملّ الناس منه.
(٢) نفّر الرئم (الغزال الأبيض، المحبوب). رئم: عطف. كان المحبوب قد عزم على أن ينيلني مرادي منه، فلما رآه هرب.
(٣) جنان ورع (؟). جنان (بالفتح: القلب، وبالكسر جمع جنّة). نجني: نقطف، ننال.
(٤) بلوناه: اختبرناه. على علاّته: في جميع أحواله وعلى ما كان منه من نقص أحياناً. العارض: السحاب (الكثيف). المنسجم: الهاطل (الساقط) بكثرة.

ويبدو أنه أبلى في هذا القتالِ بَلاءً حَسَناً، إذ له في ذلك قصيدةٌ تدُلّ على مَتانةٍ وجمال، منها:

واسمَـرَ عَسّـالِ الـكُعـوبِ سَقَيْتُـه   نَجيعَ الطُلى والخيلُ تَدْمى نُحورُها[1].

وعادَ الشقراطيسيُّ إلى تَوْزرَ فأفتى فيها ودرّس. وكانتْ وفاتُه في ثامن ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٤٦٦ (١٠٧٣/١١/١١ م).

٢ - كان الشقراطيسيُّ من فقهاءِ بلدةِ تَوْزرَ ومن القضاة فيها، وقد بَرَعَ أيضاً في شيء من النثر والشعر. واشتهر ببَديعيّة (قصيدةٍ في مدحِ الرسول) عُرِفَتْ بلامية الشقراطيسي، تبلُغُ نحوَ مائةٍ وثلاثةٍ وثلاثينَ بيتاً أورد فيها الشقراطيسي أشياءَ من السِيرة (حياة رسول الله) من أحداث وغزوات ومعجزات. وفي هذه القصيدةِ وجهانِ من أوجهِ الضَعْف: المبالغةُ في الصِناعة اللفظية (الجِناس والطِباق) خاصةً (ممّا يجعل المعانيَ في أكثرِ الأحيان غامضةً) ثمّ ضَعفٌ في اللغة (في استعمال الألفاظ وفي التراكيب). ولكن لا شكّ في أن البوصيري (ت ٦٩٤ هـ)[2] قد نَظَرَ إلى هذه القصيدةِ لمّا نظم قصيدتَه البُرْدَةَ: «أمِنْ تذكُّر جيرانٍ بذي سَلَمِ ؟». وقدِ اهتّم بهذه القصيدةِ نفرٌ كثيرون فشطّروها أو خمّسوها أو شَرَحوها. وكذلك أصابَ الذين انتقدوا ما فيها من الغُلُوِّ في التَصنيع (أوجه البلاغة).

٣ - مختارات من شعره

- منتخبات من القصيدة الشقراطيسية:

الحمدُ للهِ، منّا باعثُ الرسلِ   هَدَى بأحمدَ منّا أحْمَدَ السُبُلِ[3].
خيرُ البَرِيّةِ من بَدْوٍ ومن حَضَرٍ   وأكرمُ الخَلْقِ من حافٍ ومُنْتَعِلِ.
توراةُ موسى أتتْ عنه فصَدّقها   إنجيلُ عيسى بحقٍّ غيرِ مُفْتَعلِ[4].

(١) أسمر: رمح. عسّال: اللين الذي يهتزَ. الكعوب (جمع كعب): العقد التي في قناة (قصبة) الرمح. نجيع: دم. الطلا (بالضمَ) جمع طلاة (بالضمّ): العنق.

(٢) راجع، فوق، الجزء الثالث.

(٣) أحمد (الأولى): محمّد رسول الله واحمد (الثانية): أحسن.

(٤) جاء ذكر بعثة رسول الله في التوراة وفي الانجيل.

أخبارُ أحبارِ أهلِ الكُتْبِ قد وَرَدَتْ عمّا رأَوْا أو رَوَوْا في الأعصُرِ الأُوَل.
ضـاءتْ بمَوْلـده الآفـاقُ واتّصلـتْ بُشرى الهواتفِ في الإشراق والطَفَل(1).
وصَرْحُ كِسرى تداعـى من قواعِـدِه وانقضَّ منكسرَ الأرجاءِ ذا مَيَل(2).
ونـارُ فـارسَ لم توقَدْ، ومـا خَمَـدَتْ مُذْ ألفِ عامٍ، ونَهرُ القوم لم يَسلِ(3).
خرّتْ لَمبْعَثه الأوثانُ وانبعثتْ ثواقـبُ الشُهْبِ تَرْمي الجنَّ بالشُعَل
والجِذْعُ حنّ لأنْ فارقتَه أسفاً حنـينَ ثَكْلى شَجَتْها لَوْعةُ الثَكَل(4).
ما صبرُ مَنْ صارَ من عينٍ إلى أثرٍ وحالُ من حالَ من حَلْيٍ إلى عَطَل(5)؟
دعوتَ للخَلْـق عـامَ المَحْل مُبْتَهِلاً؛ أفْديكَ في الخَلْق من داعٍ ومُبْتهل(6).
صَعَّدتَّ كَفيْـكَ إذْ كـفّ الغَمامُ فما صَوّبتَ إلاّ بِصَوْبِ الواكِفِ الهَطِل(7).
أراقَ بـالأرض ثَجّـا صَوْبَ رَيِّقِـه فحلّ بالرَوْضِ نَسجاً رائقَ الحلل(8).
زُهْرٌ من النُورِ حَلتْ روضَ أرْضِهِمُ زَهْراً من النَّوْرِ ضافي النَبْتِ مُكْتَهِل(9).
من كـلّ غُصْنٍ نضـيرٍ مُورِقٍ خَضِرٍ وكلِّ نَوْرٍ نَضيدٍ مُورِقٍ خَضِل(10).
تحيـةٌ أحيـتِ الأحيـاءَ من مُضَرٍ، بعد المَضَرّةِ تَرْوي السُبْلَ بالسيل(11).

---

(1) الهاتفة: المنادية (من غير أن يراها أحد). الطفل: الوقت الذي تقترب فيه الشمس من المغيب.

(2) الميل (بفتح ففتح): الاعوجاج. من الأحداث التاريخية الثابتة أن ايوان (قصر) كسرى انشقّ (بزلزال) في نحو الزمن الذي ولد فيه محمد رسول الله.

(3) وكذلك غاض ماء بحيرة ساوة في فارس (بفعل الزلزال نفسه) وانطفأت النار التي كانت تشتعل في الهيكل للعبادة.

(4) شجاه الأمر: حزنه وأحزنه. اللوعة: مرض الحزن أو الحب. الثكل (بفتح ففتح أو بضم فسكون): موت الأولاد.

(5) الحلي: لَبس الحلي (من الذهب وغيره). العطل: التجرّد من أسباب الزينة

(6) المحل: القحط وانحباس المطر. دعوت: استسقيت (طلبت من الله أن ينزل المطر).

(7) صعدت: رفعت. صوبت: خفضت (كفّيك) بصوب الواكف الهطل. بانسكاب المطر الغزير.

(8) أراق: صبّ. الثج: الانصباب الشديد (للمطر). الريق (أول المطر). نسج رائق (يعجب العين). الحلل (اللباس): كناية عن كثرة النبات والزهر على وجه الأرض.

(9) الزهر (بالضم): النجوم و(بالفتح) أزهار النبات. مكتهل: ناضج، واف، كثير.

(10) نضير: ريّان (طري) من الماء. نضيد: منظوم، مرتب. خضل: مبتل.

(11) تحيّة (من المطر). الأحياء: منازل القبائل. مضر (العرب). السبل: الطرق (السائرون على الطرق): السيل (بفتح وسكون): جريان الماء (حرّك الشاعر الياء لضرورة الشعر).

دامتْ علـى الأرض سَبْعاً غيرَ مُقْلِعَةٍ، لولا دعاؤُك بالإقلاع لم تَزُلِ[1].
أعجزتَ بالوَحْيِ أربابَ البلاغةِ في عصرِ البيـانِ فضلّتْ أوجهَ الحِيَلِ[2].
سألتَهُمْ سُورةً في مثلِ حكمتهِ فتلَّهُمْ عنه حَيْنُ العَجْزِ حين تُلي[3].

بَرِئـتَ من دينِ قومٍ لا قَوامَ لهم: عُقولُهم من وِثـاقِ الغيِّ في عُقُـلِ[4].
يستخبرون خَفِيَّ الغيبِ من حَجَرٍ صَلْـدٍ، ويَرْجون غَوْثَ النصرِ من هُبَـلِ[5]
نالوا أذىً منـك لولا حِلْمُ خالقِهِمْ؛ وحُجّةُ اللهِ بالإعذارِ لم تُنَلِ[6].
واستضعفوا أهـلَ دينِ اللهِ فاضطُبروا لكـلِ مُعْضِـلِ خَطْـبٍ فادحٍ جَلَلِ[7].
أرَحْـتَ بالسيـفِ ظهرَ الأرضِ من نفَرٍ أزَحْـتَ بالصِدْقِ منهم كاذبَ العِلَلِ[8].
تركـتَ بالكُفرِ صَدعـاً غيرَ مُلْتَئِمٍ، وآبَ عنك بقرحٍ غير مندملِ[9].
وأفْلَتَ السيـفُ منهم كلَّ ذي أسفٍ على الحِمامِ حَماهُ آجلُ الأجَلِ[10].
ويومَ مكّـةَ إذ أشرفـتَ في أُمَمٍ يَضيـقُ منهـا فِجاجُ الوَعْثِ والسهلِ[11].
خوافـقٌ ضـاقَ ذَرْعُ الخافقـينِ بهـا في قـاتمٍ من عَجـاجِ الخيلِ والإبلِ[12].

---

(١) سبعا: سبع ليال. أقلع المطر: وقف عن السقوط. - ولولا أنّك دعوت الله ليقف هطول المطر (كما كنت قد دعوته لانزال المطر) لاستمر المطر في هطوله بلا انقطاع.

(٢) ضلّت أوجه (بالرفع) الحيل: لم يكن هنالك حيلة (وسيلة) لمباراة نظم القرآن (لأنه وحي). (وبالنصب): أرباب (أصحاب) البلاغة ضلّوا (لم يهتدوا) إلى وجه يستطيعون به تقليد نظم القرآن.

(٣) تلّه: كبّه على وجهه. حين (موت؟) تلي: قرىء.

(٤) العقل جمع عقال (بالكسر): الرباط.

(٥) صلد: يابس. هبل: صنم كبير كان في مكّة.

(٦) لو لم يرد الله بحلمه أن يدفع عنهم الأذى لنالهم أذى منك......

(٧) الخطب: الحادث العظيم (المصيبة) الفادح: الثقيل. المعصل: الذي لا دواء له. الجلل: الكبير.

(٨) أزحت (أزلت) كاذب العلل: ما يتعلّلون به لبقائهم على الوثنية (؟).

(٩) الصدع: الشقّ (بفتح الشين). آب: رجع. القرح (بالفتح أو الضمّ): الجرح. اندمل الجرح: انضمّ (برىء).

(١٠) الحمام: الموت - نجا من السيف نفر لأن آجالهم لم تنته، وهم يأسفون على أنّهم لم يموتوا (لأن بقاءهم كان عاراً عليهم....؟).

(١١) الفجّ (بالفتح): الطريق في الجبل، الطريق. الوعث: الطريق العسير. السهل (بفتح فسكون) الأرض اللينة (وحرّك الشاعر الهاء لضرورة الشعر).

(١٢) (الجماعات) الخوافق: الذين يذهبون في طول البلاد وعرضها. الخافقان: الأفقان (المشرق والمغرب). الذرع: القياس، المسافة، المساحة (بكسر الميم). العجاج: الغبار.

قالوا: «محمّدُ قد زارتْ كتائبُهُ كالأُسْدِ تزأرُ في أنيابها العُصُل[1]
فويلُ مكّةَ من آثارِ وَطأته، وويلُ أمِّ قُريشٍ من جَوى الهبل[2].
فجُدتَّ عَفْواً بفضلِ العفوِ منك، ولم تُلْمِمْ ولا بأليمِ اللَّوْم والعَذَل[3].
عاذُوا بظِلٍّ كريمِ العفوِ ذي لَطَفٍ مُبارَكِ الوجهِ بالتوفيق مُشْتَمل[4].
وحلَّ أمْنٌ ويُمْنٌ منك في يَمَنٍ لمّا أجابت إلى الإيمان عن عَجَل[5].
وأصبحَ الدينُ قد حُفّتْ جوانبُه بعزّةِ النصرِ واستولى على المِلَل.
قد طاعَ مُنحرفٌ منهم لِمُعترفٍ وانقاد مُنْعدلٌ منهم لمعتدل[6].
لم يَبْقَ للفرسِ ليثٌ غيرَ مُفترسٍ، ولا من الحُبْشِ جيشٌ غيرَ مُنْجفِل[7].
ولا من النُوب جِذْمٌ غير مُنْجَذِمٍ، ولا من الزَنْج جذل غيرَ مُنجذل[8].
وسُلّ بالغَرْب غَرْبُ السيفِ إذ شَرِقَتْ بالشرقِ قبلُ صدورُ البِيض والأسَل[9].
وعادَ كلُّ عدوٌّ عزَّ جانبُه قد عاذَ منك ببَذْلٍ غير مُبْتَذَل.[10]
يا صفوةَ الخلقِ، قد أصْفَيْتُ فيك صَفا صَفْوِ الوِدادِ بلا شَوْبٍ ولا دَخَلِ[11].

- قال عبد الله الشقراطيسي في الفخر:

فلمّا تَجلّى الفَجْر من طُرّةِ الدُجى، وولّتْ بأعجازِ النجوم صُدورُها؛
تَيمَّمْتُ أسْدامَ المياه، ودونها مَجاثِمُ آجامِ القضا ووُكورها،

---

(١) محمّد رسول الله. وحقّ «محمّد التنوين» (ومنعه الشاعر من الصرف لضرورة الوزن). العصل جمع أعصل وعصلاء: (الناب) المعوجّة الصلبة.

(٢) ويل أم قريش = ويل قبيلة قريش. الجوى: شدة الحزن. الهبل: الثكل (موت الأولاد).

(٣) ألم: زار زيارة خفيفة و(هنا) عذل (عاتب) عتاباً قليلاً.

(٤) عاذوا: لجأوا إلى. مشتمل: عامّ، مغطّى بشملة. تكون الميم في «مشتمل» مكسورة (هو مشتمل بالتوفيق) والأصوب أن تكون مفتوحة (شمله (بفتح فكسر) الله بالتوفيق.

(٥) اليمن (بالضمّ): البركة، النعمة. أجابت إلى الايمان (دخل أهل اليمن في الاسلام).

(٦) طاعه وأطاعه بمعنى. المنحرف: المائل (عن الدين) المعترف (المقرّ بالإسلام). منعدل ليست في القاموس (يقصد: المائل، الجائر، المنحرف). المعتدل (السائر على الطريق العدل أو الحق: الإسلام).

(٧) المنجفل: المطرود الشارد.

(٨) الجذم: الأصل. منجذم: منقطع (مقطوع من أصله). الجذل: الجذم.

(٩) غرب السيف: حدّه. الغرب (المغرب من الأرض). شرق: غصّ (امتلأ). قبل (من قبل). البيض (السيوف) والأسل (الرماح).

(١٠) عاذ: لجأ. بذل: عطاء (عفو) غير مبتذل (لا يمنح لكلّ من يطلبه).

(١١) الشوب: المزج، الخلط. الدخل: الفساد، العيب، المرض، الريبة.

بقلبٍ رَبيطِ الجأشِ مُتَّسعِ الحَشا ... على الهَوْل مجموعِ الحَصاةِ وقورها.
وأسْمَرَ عسّالِ الكُعوبِ سَقَيْتُه ... نجيعَ الطُلى والخيلُ تَدْمى نُحورها.
وقد عَلِمَ الأبطالُ كَرِّيَ فيهمُ ... إذا جاحمُ الهيجاءِ شُبَّ سَعيرهــا.

٤ - عبد الله الشقراطيسي (في: أعلام الأفارقة)، تأليف الهادي مصطفى التوزري (نشره رابطة التضامن الأدبي بتونس)، تونس (مطبعة الترقي) ١٩٥٥ م.

★★ فهرست ابن خير ٤١٩، راجع ٥١٦؛ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٥٤: ١ (صفر ١٣٩٩/ كانون الثاني - يناير ١٩٧٩)..... القصيدة الشقراطيسية في مدح المصطفى (لعبد الله كنون)، ص ٨٦ - ١٠٦؛ ابن قنفذ ٢٥٣؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٦٣ - ١٦٧؛ عنوان الأريب ١: ٤٢ - ٤٣؛ المرحلة المغربية (جدّو) ٤٠؛ بروكلمن ١: ٣١٦، الملحق ١: ٤٧٣؛ الأعلام للزركلي (٤: ١٤٤ - ١٤٥).

ابن حيّان المؤرّخ

١ - هو أبو مروانَ حيّانُ بنُ خَلَفِ بنِ حُسينِ بنِ حيّانَ بنِ محمّدِ بنِ حيّانَ بنِ وهْبِ ابنِ حيّانَ؛ وحيّانُ هذا (والدُ وَهْبٍ) كان مولًى للأمير عبدِ الرحمن الداخل. وكذلك كان أبوه (خَلَفُ بنُ حُسين) كاتباً للمنصورِ بن أبي عامرٍ، وقدْ أثّرَ باتّجاهِه الأُمويّ الشديدِ في قيامِ سياسةٍ مُعاديةٍ لملوكِ الطوائف.

وُلِدَ ابنُ حيّانَ سَنَةَ ٣٧٧ (٩٨٧ م) في قُرطُبةَ ونشأ فيها، وتلقّى العلمَ على أبيهِ ثمّ على أبي عمرٍو أحمدَ بنِ عبدِ العزيز بنِ أبي الحُبابِ النَحْويّ (ت ٤٠٠ هـ) وأبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ حسينِ بنِ نابلٍ (ت ٤٠١ هـ) وأبي العَلاءِ صاعدٍ البَغْداديّ (ت ٤١٧ هـ).

وشَغَلَ ابنُ حَيّانَ مَنْصِبَ صاحبِ الشُرطة (أو صاحب المدينة) في قُرطبةَ ثمّ وَلِيَ الوَزارةَ لأبي الوليدِ محمّدِ بنِ جَهْوَرٍ (٤٣٥ - ٤٥٠ هـ) ثمّ لابنهِ عبدِ الملك (٤٥٠ - ٤٦١ هـ)، ولكنّنا لا نعلَمُ مُدّةَ بقائهِ في الوزارة. وخالفَ ابنُ حيّانَ سياسةَ أهلهِ فتقرّبَ إلى بني ذي النونِ أصْحابِ طُلَيْطُلَةَ. ولمّا استولى المعتمدُ بنُ عبّادٍ على إشبيليةَ من يدِ بني جَهْورٍ، سَنَةَ ٤٦٢ (١٠٧٠ م) كتب ابنُ حيّانَ إليه رِسالةَ تهنئةٍ.

وقد كانتْ وفاةُ ابنِ حيّان في ٢٨ من ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٤٦٩

(٣٠/١٠/١٠٧٦ م) ودُفِن في مقبرة الرَبَض في قُرطبةَ.

٢ - كانَ ابنُ حيّانَ رجلاً سياسِيّاً مُتَقَلِّبَ الهَوى، ولكنّه كان « مؤرّخَ الأندلسِ والدولةِ الأموية فيها، إمامَ أهلِ الصِناعة (صناعة التاريخ) في هذِه المَلكة (المملكة) ورافعَ الراية لهم فيها » (مقدّمة ابن خلدون ١٠٩٠/٥٦٥) واسعَ الاطّلاعِ موثوقَ الروايةِ وافرَ الحظِّ من فنونِ العلمِ والأدَب. وكانت له كتبٌ عَرَفْنا منها: المَتين - المآثر العامرية (أخبار الدولة العامرية) - البطشة الكبرى (سقوط أبي الوليد ابن جهور) - كتاب المقتبس في أخبار بَلَد الاندلس - كتاب معرفة الصحابة. وكتاب المقتبس أجلُّ كتبهِ، وقد كان في الاصل عشرةَ أجزاءٍ تتناول تاريخ الاندلس منذُ افتتاحِها إلى أيام المؤلّف، ولكن لم يَبْقَ لنا منه سوى أربعةِ أجزاء تتناول أحداث الاندلس من سَنَةِ ١٨٠ إلى سنة ٣٦٧ للهِجْرةِ (٧٩٦ - ٩٧٧ م).. ويورد ابن حيّان تاريخ الاندلس في هذا الكتاب على السنين وبتفصيل وافٍ ودقّةٍ بالغة ثمّ يستطرد عادة إلى الاحوال الاجتماعية والأدبية والطبيعية كذِكْرِه « خَبَرَ الصَبيّ المتفاوِتِ الخَلْق »، فقد وُلِدَ هذا الصبيُّ ونما في جسمهِ وكلامه فوق المُشاهَدِ في العادة (المقتبس، دار الثقافة - بيروت، ١٩٦٥ م، ص ٦٢). وكان جُلُّ اعتمادِ ابنِ حيّانَ في أحداثِ التاريخ على كتابين لأحمدَ بنِ محمّدٍ الرازيِّ (ت ٣٤٤ هـ) هما: كتاب أخبار ملوك الأندلس وكتاب الاستِيعاب لأنسابِ أهلِ الاندلس (والكتابان لم يَصِلا إلينا).

٣ - المختار من آثاره

- من منهج ابن حيّان في تدوين التاريخ: الفتنة البربرية:

... فأنْعَمْتُ البحثَ عن ذلك عند من بَقِيَ يومئذٍ من أهلِ العلم والأدب لدينا، فلم أظفرْ منه الاّ بما لا قَدْرَ له لزهدِ مَنْ قِبلَنا قديماً وحديثاً في هذا الفنّ ونَفْيِهم له عن أنواع العلم.... وَشَرَعْتُ في التفنيدغِبَّذلك التفنيد[1] غير مُخِلّ به، ووصلتُ القولَ في ما فاتني قبلُ من ذِكْرِ انبعاثِ تلك الفتنةِ وأخبارِ ملوكِها ومشهورِ حروبها ممّا

---

(١) فنّدفلان فلاناً (في القاموس): كذّبه وعجّزه وأبطل رأيه. غب: بعد. ولعل التفنيد هنا: التفصيل فنداً فنداً (من الفارسية: بند). لعل الجملة: فشرعت في « التقييد » بعد « التفنيد »

أصَبْتُ[1] به عندي تذكرةً أو أخذته عن ثِقَةٍ، أو وصلتني به مشاهدةٌ أو حاشته[2] إليّ مذاكرةٌ، حتّى نظمت أخبارَها إلى وقتي، وجئتُ بها على وجوهها وأوردتّها على سُبوغها[3] ناشراً مطاويها ومُعْلِناً بخوافيها، غيرَ محابٍ ولا خائفٍ في الصدق عليها....

فركِبْتُ سَنَنَ[4] مَنْ تقدّمني في ما جمعتُه من أخبارِ هذه الفتنةِ البربرية[5]، ونظمته وكشفت عنه، وأوْعَبْتُ[6] فيه ذكرَ دُوَلِهِمُ المُضْطربةِ وسياساتِهم المُنَفّرة وأسبابِ كبارِ الأمراء المُنْتَزِينَ[7] في البلاد عليهم وسببِ انتفاضِ دولهم (حالٍ فحالٍ بأيديهم) ومشهورِ سيرتهم وأخبارهم وما جرى في مُدَدِهم وأعْصارهم من الحروب والطوائل والوقائع والملاحم[8]، إلى ذكر مقاتل الأَعلام والفرسان ووَفاة العلماء والأشراف حَسْبَ ما انتهت إليه معرفتي ونالَتْهُ طاقتي.

- موت زاوي بنِ زيري[9] (الذخيرة ١ : ٥٨٨):

ونُعِيَ إلينا عدُوٌّ نفسِه زاوي بنُ زيري مُوقدُ الفِتنةِ بعدَ الدولة العامرية[10]. وَرَدَ النبأُ بِمَهْلِكهِ في القَيْروانِ وطنِه، بعدَ مُنْصَرَفِهِ إليها خامِلاً مغموراً بينَ أعاظمِ قومِه لم يرتفعْ له ذِكْرٌ بينَهم[11]. مَهْلِكُه كان - زعموا - مِنْ طاعونةٍ[12] أصابَتْه. فالحمد للهِ

---

(١) أصبت: وجدت.

(٢) حاش: جمع.

(٣) السبوغ: التفصيل.

(٤) السنن: الطريق، الطريقة.

(٥) البربرية: التي قام بها بربر افريقية على عرب الاندلس.

(٦) أوعب (بالباء) وأوعى بمعنى واحد: جمع الأشياء ولم يترك منها شيئاً.

(٧) المنتزي: الثائر.

(٨) الطائلة: العداوة، الثأر. الواقعة: الحادثة. الملحمة: المعركة الكبيرة.

(٩) زاوي بن زيري من زعماء البربر تآمر مع علي بن حمود البربري وغدرا بالخليفة سليمان المستعين فخلعاه (سنة ٤٠٧) ثم قتلاه.

(١٠) الدولة (الوزارة) التي كان قد أنشأها المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢) واستبد فيها بأمور الخلافة ثم خلفه فيها ولدان له وانتهت بسقوط الخلافة الأموية في قرطبة (٤٢٢ هـ)

(١١) إن غدر زاوي بن زيري لم يجعل له مكانة بين قومه البربر.

(١٢) طاعونة (بثرة أو خراج - بضم الخاء وفتح الراء بلا تشديد - تخرج للإنسان في مرض الطاعون أو في ما يشبهه).

المُنْفَرِدِ بإهلاكِهِ الكفيلِ بقِصاصه. فلقد كان، في الظُلْم والجَوْر والاستحلالِ للمحارم[١] و (في) القسوة، آيةً من آيات الله[٢]. أهانَ اللهُ مَثْواه ولا قدّس صَداه[٣].

٤- تاريخ دولة الأمير عبد الله الأمويّ بقرطبة (نشره ملشور أنطونيه)، باريس (كتنر) ١٩٢٨، ١٩٣٧ م.
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس (تحقيق عبد الرحمن عليّ الحجّي)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م.
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (حقّقه محمود علي مكّي)، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

★★ جذوة المقتبس ١٨٨ (الدار المصرية) ٢٠٠ (رقم ٣٩٧)؛ بغية الملتمس ٢٦١؛ الذخيرة ١: ٥٧٣ - ٦١٤؛ الصلة ١٥٠ - ١٥١؛ المغرب ١: ١١٧؛ وفيات الأعيان ٢: ٢١٨ - ٢١٩؛ إعتاب الكتاب ١٩٨؛ نفح الطيب (راجع الفهرس في أماكن كثيرة أكثرها نقول)؛ شذرات الذهب ٣: ٣٣٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٩ - ٧٩٠؛ بروكلمن ١: ٤١٢ - ٤١٣؛ الملحق ١: ٥٧٨؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٢٨ (٢٨٩)؛ بالنثيا ٢٠٨ - ٢١١؛ العربي (الكويت) ١٩٦٦/٣، ص ٤٨.

محمّد بن خلصة

١- هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ خلصة الشذونيّ[٤]، يُقال له البصيرُ وكان أعْمَى.

---

(١) الجور: الظلم. استحلال المحارم: الجرأة على فعل ما حرّمه الله (الاعتداء على نسوةٍ لا يحللن (بضم اللام الأولى وتسكين الثانية) له.

(٢) آية من آيات الله (نموذج نادر شاذّ).

(٣) المثوى (القبر). الصدى (الهلاك، الموت، الجثة).

(٤) جاءت كلمة «خلصة» في المصادر المنشورة بالطبع على صور مختلفة. في القاموس (٢: ٣٠١): الخلصة (بفتح ففتح): نبات و (بفتح ففتح أو بضمّ فضمّ): بيت كان يدعى الكعبة اليمانية. وفي القاموس أيضاً (٤: ٢٣٩): شذونة ومنها أبو عبد الله بن خلصة (بفتح ففتح) النحوي. وقبل ذلك محمدُ أبو الفضل ابراهيم (انباه الرواة ٣: ١٢٥). وأمّا محمّد بن تاويت الطنجي (جذوة المقتبس ٥١) وابراهيم الابياري وطه حسين (المقتضب ٢٠) فاختاروا فتح الخاء وسكون اللام. واختار أحمد زكي (نكت الهميان ٢٤٨) ضمّ الخاء وسكون اللام. ولا شكّ في أن احسان عبّاس قد توقف أمام هذه المشكلة فاختار اهمال الكلمة فلم يضبطها (نفح الطيب ٤: ١١٠، ١٥٦، ٧: ٣٠). أمّا كلمة شذونة فالمشهور فيها والمعمول به فتح الشين وضمّ الذال (راجع القاموس ٤: ٢٣٩). ولكنّ محمّد أبا الفضل ابراهيم ضبطها (انباه الرواة ٣: ١٢٥.) بفتح الشين وسكون الذال وفتح الواو اعتمادا على السمعاني.

أخذ عنِ ابنِ سِيدَه (ت ٤٥٨ هـ) ثمّ تَصدّرَ للتدريس في دانيةَ (بشرق الأندلس) بعدَ سَنَةِ ٤٤٠ هـ. وكان أيضاً يتكسّبُ بالشعر، وقد مَدَحَ أحمدَ بنَ سُليمانَ بنِ هودٍ لمّا استولى على دانية، سَنَةَ ٤٦٨ هـ (١٠٧٥ - ١٠٧٦ م). ويبدو أنّه تُوُفّيَ سَنَةَ ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) أو قَبْلَها بقليلٍ.

٢ - بَرَعَ مُحمّد بن خلصةَ في الُّلغة والنحو وكانَ شاعراً مُجيداً فنونُه المدحُ والغزلُ والوصف. وشِعرُه عذبٌ مَشرقيُّ الدِيباجةِ فَخْمٌ واضحٌ حَسَنُ الصِناعة مَعَ أنّه يتكلّفها أحياناً.

٣ - مختارات من شعره

- قال مُحمّدُ بنُ خلصة الشذونيّ في النسيب:

أَمُدْنَفُ نفسٍ ذو هوًى أم جَليدُها ... غَداةَ غدتْ في حَلْبَةِ البَيْنِ غِيدُها[١]؟

وقد كَنَفَتْ مِنْهنّ أكنافُ مَنْعِجٍ ... عبادِيدَ ساداتُ الرجالِ عبيدُها[٢].

تبادَرْنَ أستارَ القِبابِ كما بَدَتْ ... بدورٌ، ولكنّ البروجَ عُقودُها[٣].

تَخُدُّ بألحاظِ العيونِ خدودَها، ... وترهَبُ أن تنقَدَّ لِيناً قُدودُها[٤].

فيا لَدِماءِ الأُسْدِ تَسْفِكُها الدُّمى ... وللصِيدِ من عُفْرِ الظِباءِ تَصيدُها[٥].

وفوقَ الحَشايا كلُّ مُرْهَفَةِ الحَشا ... حَشَتْ كَبِدي ناراً بَطيئاً خُمودُها[٦].

---

(١) المدنف: القريب من الهلاك. الجليد: المتصبّر، المتماسك. البين: البعاد، الهجر. - غداة غدت...الخ: حينما أخذت المحبوبات يتسابقن في هجر المحبّ.

(٢) كنفت (أحاطت) أكناف (أطراف). منعج بفتح الميم وكسر العين (تاج العروس - الكويت - ٦: ٢٤٤). عباديد تدلّ على عدد من المعاني لا توافق المعنى المراد (راجع تاج العروس ٨: ٣٣٧ - ٣٣٨). الشاعر يقصد النساء الجميلات (كالظباء التي في وادي منعج) الإماء المملوكات...

(٣) تسابقن ينظرن من وراء ستور القباب (الخيم الكبيرة: دلالة على غناهن وتنعّمهن وعلوّ مكانتهن في المجتمع. البروج: مجموعات نجوم (عددها اثنا عشر) كان القدماء يعتقدون أن الشمس تمر بها كلّها في عام كامل.

(٤) كذا في الاصول: تخدّ وترهب (بالتاء فيها). ولعلّها بالنون: نخدّ (نجرّح) خدودها بألحاظنا (دلالة على نضارة وجوههن ورقّتها). تنقدّ: تنقطع.

(٥) الدمية: الصورة، التمثال (المرأة الجميلة). الصيد: الرجال الأشراف الشجعان . العفر: السمر.

(٦) الحشيّة: الفراش، الأريكة. مرهفة الحشا: ضامرة الخصر. وفوق الحشايا...(دلالة على التنعّم).

لَئِنْ زَعَموا أنّي سَلَوْتُ، لقد بَدَتْ دلائـلُ من شَكْوايَ عَدْلٌ شهودُها:
نُحولٌ كرَقْراقِ السَراب، وعَبْرة كما انْهَمَلَتْ غُرُّ السَحاب وسودُها[1].
لِتَفْـدِكِ أكبـادٌ ظِماءٌ أجَفَّهـا هواكِ وأجْفانٌ جَفاها هُجودُها[2].
ضَنَى جَسَدي إن كـان يُرضيكِ بُرْؤه، وإتـلافُ نفسي في هواكِ خُلودها.
ولولا الهوى لم تَرْضَ نفسٌ نفيسةٌ هواناً، ولكنْ حِبُّ نفس قؤودها[3].

٤ - ★★ الذخيرة ٣: ٣٢٢ - ٣٣١؛ جذوة المقتبس ١: ٥٤ - ٥٥ (رقم ٤٩)؛ بغية الملتمس ٦٤ - ٦٥ (رقم ١١١)؛ المحمدون من الشعراء ٤١٠ - ٤١١؛ انباه الرواة ٣: ١٢٥؛ نكت الهميان ٢٤٨ - ٢٤٩؛ الوافي بالوفيات ٣: ٤٢ - ٤٣؛ المغرب ٢: ٣٩٣ - ٣٩٤؛ بغية الوعاة ٤٠؛ نفح الطيب ٤: ١٠٠ - ١٠١، ١٥٦.

ابن الأجدابيّ

١ - هو أبو إسحاقَ ابراهيمُ بنُ إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الله اللُّواتي الطَرَابُلُسيُّ المَغْربي المعروفُ بابنِ الأجْدابيّ، نِسْبَةً إلى أحد أجدادِه الذي كان من أجدابِيَة، وَهِيَ بلدةٌ على نحو مائةٍ وستين كيلو متراً جنوب بنغازي (ليبيا).

وُلِدَ ابن الأجدابيّ في طرابُلُسَ ونشأ فيها وتعلّم على علمائها وعلى الذين كانوا يَفِدون إليها لأنّه لم يُبارِحْها قَطُّ. ولسنا نَعْرِفُ شيئاً من أحداثِ حَياته ولا نَعْرِفُ تاريخَ مَوْلده ووفاتِه. وإذا كان ابنُ الأجدابي هذا مُعاصِراً للقاضي أبي مُحمّدٍ عبدِ اللهِ ابنِ محمّدِ بنِ هانِشٍ[4] الـذي تولّـى القضـاءَ في طَرابُلُسَ اثنتينِ وثلاثينَ سَنَة

(١) عبرة: دمعة. في السحاب الاسود ماء كثير.
(٢) لتفدك (لتكن فداء لك). هجود: النوم.
(٣) القؤود والقوود (من قاد): الذي ينقاد بسهولة - ولكن حبّ (محبوب) الانسان يحمل ذلك الانسان على قبول الذلّ والهوان.
(٤) نفحات النسرين والريحان ٧٢، ٨٦. ابن هانش كان قاضيا في طرابلس (الغرب) من سنة ٤٤٤ الى سنة ٤٧٦ (١٠٥٢ - ١٠٨٣ م) راجع أعلام ليبيا، ص ١٩٣.

(٤٤٤ - ٤٧٦ هـ) فَيَجِبُ أن يكونَ ابن الاجدابيّ من أحياءِ المائةِ الخامِسة[١]. وكان ابن الأَجدابي أحْوَلَ.

٢- يبدو أنّ ابنَ الأجدابيّ كان مُلِمّاً بعددٍ من فُنونِ المعرفة كالحديثِ والفِقْهِ واللغة والصَرْفِ والنحو والأدبِ والتاريخ والحِساب والفَلَك، ولكنّ شُهرتَه في اللغة. ثمّ هو مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ، له: كِفايةُ المُتَحَفِّظِ ونهايةُ المُتَلَفِّظِ في اللُّغة العربية[٢] - كتابُ الردّ على أبي حفص في تَثْقيفِ اللسان - كتابٌ في شرح الأسماء المُعْتَلّة بالياء وما يتّصلُ بها من تصغيرٍ وتكسير - كتابٌ في العَرْوض (كبير) - كتاب في العروض (صغير، مختصر) - مُخْتَصَرٌ في علم الانساب - مختصرُ كتابِ نَسَبِ قريش لأبي عبدِ اللهِ الزبيرِ بنِ بكّار - كتابُ الأزمنةِ والأنواء - كتابُ الحُول (جمع أحول).

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة «كفاية المتحفّظ»:

هذا كتاب مختصر في اللغة وما يُحتاج إليه من غريب الكلام، أودعناه كثيراً من الأسماء والصفات وجنّبناه حوشيّ الألفاظ واللغات وأعريناه من الشواهد ليسهل حفظه ويقرب تناوله. وجعلناه مغنياً لمن اقتصد في هذا الفن ومُعينا لمن أراد الاتساع فيه.

- من مقدّمة كتاب الأزمنة والأمكنة:

.... هذا كتابٌ مُخْتَصَرٌ أوْدَعناه أبواباً حَسَنَةً في علمِ الأزمنة وأساساتِها، والفصولِ وأوقاتِها، ومناظِرِ النُجومِ وهَيْئاتِها، بأوضْحِ ما أمْكَنَنا من التَبْيِينِ وبأسْهلِ ما حَضَرَنا من التقْريب.......

---

(١) في نفحات النسرين والريحان تضارب في اثبات تواريخ ولاية ابن هانش وتواريخ ابن الأجدابي. فصاحب نفحات النسرين والريحان يذكر أن وفاة ابن الاجدابيّ كانت في صدر المائة السابعة بعيد ٦٠٠ هـ ثمّ يجعله معاصرا لابن هانش. ولعلّ ما اختاره الزركلي (الاعلام ١ : ٢٥) قريب من الصواب اذ جعل وفاته سنة ٤٧٠ هـ.

(٢) كتاب في فقه اللغة (على مثال «فقه اللغة» للثعالبي).

- السَنَةُ (كتاب الأزمنة والأمكنة، ص ٣٠):

... وأمّا السَنَةُ فَهِيَ المُدّةُ الجامعةُ للفصولِ الأربعةِ التي هي الربيعُ والصيفُ والخريف والشتاء، ومِقْدارُها عندَ الروم والسُريانيّينَ اثْنا عَشَرَ شَهْراً شَمْسِيّةً، قد أُكْمِلَ الكَسْرُ في بَعْضِها فصارَ واحداً وثلاثينَ يوماً وأُسْقِطَ من بَعْضِها فصار ثلاثينَ يوماً لا غيرُ. ومِقدارُها عند القِبْطِ اثنا عَشَرَ شَهْراً شَمْسيّةً قد أُسْقِطَ الكَسْرُ من جَميعِها فصارَ كلُّ شهرٍ منها ثلاثين يوماً؛ ويَزيدونَ على ذلك خَمْسَةَ أيامٍ تُسمّى النَسيءَ عِوَضاً عن الكُسورِ التي أُسْقِطَتْ من كلِّ شَهْرٍ.

ومِقْدارُ السَنَةِ عندَ العَرَبِ اثنا عَشَرَ شَهْراً قَمَريّةً، وكذلك هي عند العِبرانيّين واليونانيّين، إلاّ أنّ هؤلاءِ يَزيدونَ في كلّ ثلاثِ سِنينَ من سِنِيهِم، شَهْراً فتكونُ الثالثةُ من سِنِيهمَ أبداً ثلاثةَ عَشَرَ شَهْراً قمريّةً يُسَمّونَها الكبيسةَ. وربّما كانت زيادتُهم لهذا الشهرِ في مُدّةِ سَنَتَيْنِ لأنّهم يفعْلون ذلك في كُلِّ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَة تِسْعَ مرّاتٍ[1] ....

٤- كفاية المتحفّظ ونهاية المتلفّظ، القاهرة ١٢٨٥، ١٢٨٧، ١٣١٣؛ (نشره أحمد عبّاس)، بيروت ١٣٠٥ هـ؛ (في المجموعة اللغوية - نشرها مصطفى الزرقا)، حلب ١٣٤٥ هـ.

- كتاب الأزمنة والأمكنة (حقّقه عزّة حسن- نشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي الجمهورية العربية السورية: احياء التراث القديم، رقم ٩)، دمشق (دار سميراميس للطباعة والنشر) ١٩٦٤ م.

★★ معجم الأدباء ١: ١٣٠؛ انباه الرواة ١: ١٥٨؛ بغية الوعاة ١٧٨؛ رحلة التجاني ٢٦٢ - ٢٦٤؛ المنهل العذب ١: ١٥٤ - ١٥٦؛ أعلام ليبيا ٤- ٥، أعلام طرابلس ١١٦ - ١٢٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩؛ تاج العروس (الكويت) ٢: ١٤١؛ بروكلمن ١: ٣٧٥، الملحق ١: ٥٤١؛ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٣: ٣٤٩؛ مجلّة كلّية الآداب (الجامعة الليبية)، العدد الثالث ١٣٨٩ هـ= ١٩٦٩ م، ص ١٤٥ - ١٨٢؛ صوت الحقّ (المغرب) السنة الأولى، العدد الأوّل، ص ٣٣؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٥ (٣٢).

---

(١) لأنّ السنة الشمسية في الحقيقة ثلاثمائة وخمسة وستّون يوما وربع يوم وكسر من الساعات.

إدريس بن اليمان

١ - هو أبو عليٍّ إدريسُ بنُ اليَمانِ بنِ سامٍ العَبْدريُّ اليابسيّ (نسبة إلى يابسةَ أصغرِ الجزرِ الشرقية - شرقَ الاندلس) الشبينيّ (نسبةً الى الشبين، وهو شجر الصَنَوْبر لأنه يكثُر في بلده). أصلُ أهله من قسطلّةِ الغربِ من عملِ شنت مريّةِ ابنِ هارونَ من مملكة شِلب حيثُ حكم بنو مَزيّن من ملوك الطوائف (٤١٩ - ٤٤٤ هـ). ويبدو أن مولده كان في جزيرةِ يابسةَ. ولقد نشأ وقرأ العلمَ في مدينة دانية (على الساحل الجنوبيّ الشرقي من الاندلس). ثم طال مُكثه فيها، وفيها بدأ حياته العامّةَ وعُرِفتْ مواهبُهُ الأدبية. بعدئذٍ أخـذ يتردّد على بلاطات ملوك الطوائف فَنَفَقَ شعره فيها وتكسب به: مدح ابن حمّود (لعلّه محمدُ المهديّ بن القاسم بن حمودٍ صاحب الجزيرة الخضراء من سنة ٤٣١ إلى سنة ٤٤٠) ومدح ابن مقنة وزير يحيى بن حمّودٍ صاحب مالَقة ومدح الموفّق مُجاهداً العامري في دانية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) وابنَه اقبال الدولة (٤٣٦ - ٤٦٨ هـ) ومدح المأمون بن ذي النون في طليطلة (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ثم مدح المعتضد بن عبّادٍ صاحب اشبيلية (٤٣٤ - ٤٦١ هـ).

وكانت وفاةُ ادريسَ بنِ اليمانِ اليابسيِّ سنة ٤٧٠ (١٠٧٧ م). وإذا نحن قبلنا أن يكون مدحه قد بدأ بابن مقنة وزير يحيى بن حمّودٍ - وكان يحيى قد حكم مالَقَةَ في فترتين بين سنة ٤١٢ وسنة ٤٢٧ (١٠٢١ - ١٠٣٥ م)، فيجب ان يكون قد عاش ثمانين سنة او تزيد.

٢ - إدريس بن اليمانِ اليابسي شاعرٌ جليل ومُكْثِرٌ مُطيلٌ، نَجِد في شعره الوُجدانيّ عُذوبةً. أمّا شِعْره الرسمي في الفخرِ والمديح ففيه تقليدٌ للمشارقةِ في الأغراض والأسلوب. وهُوَ مَعَ ذلك، في الأندلس، من فُحولِ الشعراء. ولم يكنْ بعدَ ابن درّاجٍ (راجع، فوق، ص ٣٧٧) من يجري مجراه في متَانة التركيب وعُلُوّ النفس. وقد تصرّف في المديح تصرّفاً حسناً، وكان يأخذ على القصيدة مائَةَ دينارٍ. وغزَلُه ونَسيبه حَسنانِ. وله وصف بارعٌ للخمر وللطبيعة: وله هِجاء.

٣ - مختارات من شعره

- من مشهور شعرِ (ادريس بن اليمان) في المغرب والمشرق (نفح الطيب ٤ : ٧٥) في الخمر:

ثَقُلَتْ زُجاجاتٌ أتَتْنا فُرَّغاً   حتّى إذا مُلِئَتْ بِصِرْفِ الراحِ[١]،
خفّتْ فكادتْ أن تطيرَ بما حَوَتْ،   وكذا الجُسومُ تخِفّ بالأرواح.

- ومن أبياته المُستحسَنَة عندهم:

قُبلةٌ كانتْ على دَهَشٍ   أذْهَبَتْ ما بي من العَطَشِ[٢].
ولها في القلبِ مَنْزِلةٌ   لو عَدَتْها النفسُ لم تَعِشِ[٣].
طرقَتْني والدُجى لَبِسَتْ   خِلَعاً من جِلدةِ الحنشِ[٤].
وكأنّ النجمَ حين بدا   دِرْهمٌ في كفِّ مُرْتَعِشِ.

- ومن أبياته القصيرة المُرقصة بألفاظها:

أقْبلتْ تَهْتزّ كالغُصْنِ وتَمْشي كالحَمامهْ
ظَبْيةٌ تحسُدُ عَيْنَيْها وخدّيْها المُدامهْ[٥].

- وله في لِحْيةٍ طويلةٍ عريضة (المغرب ١ : ٤٠٠):

لو أنّها دونَ السماء سَحابةٌ   لم تَخْتَرِقْها دعوةُ المظلومِ[٦].

- ومن شعرِه الفخم الذي يقلّد فيه المشارقة قولهُ:

لَبّيْكَ لبّيْكَ، داعي اللّهْوِ من كَثَبِ   إلى مُعاطفةِ الأغصانِ والكُثُبِ[٧]،

---

(١) صرف الراح: الراح (الخمر) الخالصة (غير الممزوجة بالماء).

(٢) دهش (بفتح فكسر) يدهش (بفتح الهاء) دهشا (بفتح ففتح) : ذهاب العقل او تحييره من خوف او حب او حياء.

(٣) عدتها: تجاوزتها.

(٤) من جلدة الحنش (حية سوداء كبيرة غير سامة): شديدة السواد.

(٥) المدامة: الخمر.

(٦) في الاثر: ان الشخص المظلوم اذا دعا الله فلا يكون بين دعوته وبين وصولها الى الله حجاب.

(٧) كثب (الاولى): قرب. الكثب (الثانية) جمع كثيب: التلة من الرمل العظيم المستدير. الاغصان (هنا): كناية عن قدود النساء، والكثب كناية عن اوساط النساء.

إلى خدودِ بناتِ الروم قد بَرَزتْ — من حُجْبِها وأدارتْ أعيُنَ العَرَبِ،
من كلّ سافرةٍ عن مَشْربٍ خَجِلاً — فيه طِرازانِ من ماء ومن لَهَبِ[١].
واستَضْحكتْ عن لآلٍ أو حَصَى بَرَدٍ — يَكادُ يقطُرُ من مائيَّةِ الشَنَبِ[٢].
يحدو بها فِتْيَةٌ صِيغتْ وُجوهُهُمُ — من الرِضا وعواليهم من الغَضَبِ[٣].
قد قارعوا دونَها كلَّ ابنِ قارعةٍ — يهُبّ مُنغمساً في الحَرْب والحَرَبِ[٤].
ماذا أقولُ لِدُنْيَا لو ظَفِرْتُ بها — أدّبْتُها غَضَباً للظَرْفِ والأدبِ[٥].
ألقى الأحِبّةَ مخفوضَ الجَناح وقد — أختالُ تحتَ الرداءِ العضبُ ذو الشُطَبِ[٦].

- وقال في فعل الخمر بشاربيها:

ومُوَسّدينَ على الأكُفّ رؤوسَهم — قد غالَهُمْ في السُكْر ما قد غالَني[٧].
مـــا زِلْــتُ أسْقيهِمْ وأشربُ فَضْلَهُمْ — حتّى انْثَنَيْتُ ونالَهم ما نالَـــني.
والخمرُ تَعْرِفُ كيف تأخُـذُ حَقّهـا. — إنّي أمَلْتُ إناءها فأمالَني[٨].

- وقال في الوصف:

وفتيـانِ صـدقٍ عرّسوا تحتَ دَوْحـةٍ — وليس لهم الاّ النَبـــاتُ فِراشُ[٩].

---

(١) مشرب: فم. طرازان: صفان (من الاسنان) من ماء (ريق ابيض حلو زكي الرائحة) ومن لهب (كناية عن اشتعال العاطفة بالحب).

(٢) حصى (حجارة) برد: حبات البرد (قطرات الماء المتجمدة والساقطة مع المطر، كناية عن نظافتها وشدة بياضها). الشنب: اللون الابيض في الاسنان.

(٣) العالية: صدر الرمح (اعلاه). - هم في السلم يبدو الرضا على وجوههم (للجميع) وفي الحرب يكونون في غضب شديد على الخصم.

(٤) قارعوا دونها: قاتلوا ودافعوا (عنها). القارعة: الداهية (المصيبة). ابن قارعة الرجل المتمرس بالدهاء والاختبار. الحرب (بفتح ففتح): السلب.

(٥) ادبتها (عاقبتها بالضرب) غضبا (انتقاما) للظَرف والادب (لأنه ليس فيها او لا ينفع فيها الظرف - الحلاوة في الكلام وفي المعاملة مع النكتة).

(٦) مخفوض الجناح (الجانب) متواضع. ثم امشي الخيلاء (بضم ففتح) متعاظما متكبرا، اذا كنت احمل تحت ثوبي عضبا (سيفا قاطعا) ذا شطب (شقوق) لكثرة ما حاربت به. - يختال (فرحا) وهو ذاهب الى الحرب.

(٧) قوم جعلوا أكفّهم وسادة (ناموا من السكر أو التعب في غير فراش). غالهم: أهلكهم، (أتعبهم، ذهبت الخمر بوعيهم).

(٨) أملت اناءها (حنيته لأصب منه الخمر: شربت ما فيه من الخمر) فأمالني (حنى رأسي من النعاس).

(٩) عرّسوا: نزلوا في الليل، باتوا. دوحة: شجرة عظيمة.

فكأنّهم - والنَوْرُ يسقُـــطُ فوقَهم - مصابيحُ تَهْوي نحوهُنّ فَراشُ[1].

- سأله المُعْتَضِدُ أن يمدحَهُ بقصيدةٍ يُعارِضُ بها قصيدتَه السِينيةَ التي مَدَحَ بها ابنَ حمّودٍ فقال له: «أشعاري مشهورةٌ. وبناتُ صدري كريمة. فمن أرادَ أن يَنْكِحَ بِكْرَها فقد عَرَفَ مهرها».

٤ - ★★ الذخيرة ٣: ٣٣٦ - ٤٠٩؛ جذوة المقتبس ١٦٠ (الدار المصرية ١٧٠ (رقم ٣١٣)؛ بغية الملتمس ٢٢٢ (رقم ٥٦٠)؛ الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٧ - ٣٢٨؛ المغرب ١: ٤٠٠؛ الحلة السيراء ٢: ١٨٤ - ١٨٥؛ نفح الطيب ٤: ٧٥، ٥: ٦٠١.

ابن عبد البرّ الصغير

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ الله بنُ الفقيهِ أبي عمرَ يوسفَ بنِ عبدِ الله بنِ محمّدِ بن عبد البَرِّ النمري القُرْطُبي المالكيّ نقولُ لأبي محمّدٍ: ابنُ عبدِ البَرِّ الصغيرُ بالإضافة الى أبيه أبي عُمَرَ. (ت ٤٦٣ هـ).

عَلَتْ منزلةُ أبي محمّدِ بنِ عبدِ البرِّ في الكِتابة والأدب فتنافسَ في اجتذابه ملوكُ الطوائف، ولكن ظَفِرَ به المُعْتَضِدُ عَبّادُ بنُ محمّدٍ صاحبُ إشبيلِيَة (٤٣٤ - ٤٦١ هـ). وفي سَنَةِ ٤٥٠ هـ كان ابنُ عبدِ البرّ في بَلاط المُعْتَضِد وكتب الرسالةَ المشهورةَ في تبريرِ قتلِ اسماعيلَ بن المعتضد.

وبعدَ ذلك بَرَزَتِ العداوةُ بينَ ابنِ عبدِ البرّ وابن زَيْدونٍ (لأنّ ابنَ زيدونٍ وزيرَ المعتضد خاف على مَنْصِبه من ارتفاع منزلةِ ابن عبدِ البرّ عند المعتضد). ثمّ تغيّرَ المعتضدُ على ابن عبد البر. وأحسَّ ابن عبدِ البرّ الخَطَرَ على حياته فاستطاع أن يُغادِرَ إشبيليةَ في قِصّةٍ طويلة. وبعدَ هربه من إشبيلية تنقّل في البلدان وكتب (عُيِّنَ كاتباً) عن أكثرِ ملوكِ الطوائف. ثمّ إنّه لَحِق بالعامريّين أصحابِ دانية. وكانت وفاته سَنَةَ ٤٧٤ هـ (١٠٨٠ م) في الأغلب.

٢ - كان أبو محمّدِ بنُ عبدِ البرّ (الصغير) كاتباً مُجيداً مُترسّلاً رَوِيّةً وارتجالاً.

---

(١) النور (بفتح النون) الزهر الابيض.

ورسائلُه سُلطانية (ديوانية، حكومية، رسمية) وإخوانية (شخصيّة). وأغراضُه في رسائله كلِّها التهنئةُ والتعزية ثمّ ما بينَ التهنئة والتعزية ثمّ في العِتاب وفي الهِجاء ثمّ في الموضوعات الدينية والموضوعات الأدبية. وهو يُكْثِرُ الاقتباسَ من الأمثال ومن القرآن. ثمّ إنّه يُكثِر الاستشهادَ بالشعر، ولكن لم يُرْوَ عنه من النَظْم الاّ أبياتٌ يسيرة. والصِناعة عنده كثيرة ولكنّه لا يُلِحّ على السَجْع، فكثيرٌ من فُصوله (جُمَلِهِ) مُطْلَقٌ.

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو محمّدِ بنُ عبدِ البرِّ في الأدب (الحكمة):

لا تُكْثِرنّ تأمُّلاً ... واحْبِسْ عليك عِنانَ طَرْفِكْ[١].
فَلَرُبّما أرْسلْتَه ... فرماكَ في مَيْدان حَتْفِكْ[٢].

- ولابن عبد البرّ الصغير رسالةٌ أنشأها ارتجالا بحضرة المعتضد عبّادِ بنِ مُحمّدٍ، وكان المعتضدُ قد قَتَلَ ابنَه اسماعيل لمّا ثار عليه. وطلبَ المعتضدُ من ابنِ عبدِ البرّ أن يُنْشِئ هذه الرسالةَ في شرح أسبابِ ذلك القتل وتسويغها (والرسالة طويلة جدّاً):

... ولمّا وَثَبَ هذا اللعينُ الغبين[٣] من المَهْد الى المجد[٤]، ودَرَجَ من الأذْرَع الى المحلّ الأرفع[٥]، ورآه اسْتَغْنى وأثْرَى من زِينة الدنيا[٦]، أشَرَه ذلك وأبْطَره وأطغاه وأكْفَره[٧]، وطلبَ الازديادَ وأحبّ الانفرادَ[٨]. وقُيِّضَ له قُرناءُ سوءٍ أعْدَوْهُ

---

(١) العنان: الرسن، اللجام. الطرف: البصر، العين.
(٢) الحتف: الهلاك.
(٣) الغبين والمغبون: الضعيف الرأي.
(٤) من المهد (الطفولة) الى المجد (الحكم): بسرعة (جاء الى الحكم صغيرا).
(٥) درج من الأذرع الى الأرفع (الأذرع: المقرف، الخسيس الدنيء).
(٦) استغنى: أصبح غير محتاج. أثرى: غني، أصبح مالكا لأشياء كثيرة.
(٧) أشره (بالمعنى المقصود: أبطره أي كثر فرحه بالنعمة حتّى جعل يسرف في الأشياء) غير موجودة في القاموس. أطغاه: جعله ظالما. أكفره: نسبه الى الكفر (والمقصود: جعله يكفر بالله أو يكفر النعمة).
(٨) الازدياد من القوة والانفراد بالحكم.

وأرْدَوْهُ(١)، وأُتِيحَ له جُلَساءُ مكْر أغْرَوْهُ وأغْوَوْهُ(٢)، وأشْعَروه الاستيحاشَ والنِفار وزيّنوا لَهُ العُقوق والفِرار(٣)، لينفرد - وينفردوا مَعَه - بالبلدِ ولا تكونَ على أيديهم فيه يدُ أحدٍ. فخرج ليلاً بأهلِه وولدِهِ خُروجاً شنيعاً فَتَقَ فيه قَصْري وخرق به حِجاب سِتري(٤) يَؤُمُّ الجزيرةَ الخضراء وما يليها لِيتملّكَها ويَعيثَ فيها(٥). وكنتُ غائباً على مَقْرُبَةٍ فوردتُّ وطيّرتُ في الحِين الى الجِهة(٦) من يصُدُّه عنها ويمنعه منها. فسبقه الخبرُ وفاته الوطَر(٧) ... فوجّهتُ الى (هذا) اللعين أعْرِضُ عليه قَبولَ عُذرِه. وسرّبتُ الخيلَ مَعَ ذلك للإطاحة به وحَصْره حتّى ألجأه ذلك الى التنصُّلِ والاعتذار وأجاءه الى الإقالة(٨) والاستغفار. فأَقْبَلْتُه وعفوتُ عنه وأغْضَيْتُ(٩) على ما كان منه. (ثمّ) صرفتُه الى جميع حالِه ومالِه(١٠). ولم أُؤدِّبْه الاّ بالإعراض والهِجران، وإنْ كنت قد أنَّسْتُه مَعَ ذلك بمزيد الإنعام والإحسان. فإذا به كالحيّة لا تُغني مُداراتها، والعَقْربِ لا تُسالم شَباتها(١١). وكأنّه قدِ استصغر ما أتى واحتقر ما جنى، فردّى وسَدّى(١٢) ما صارتْ به الصُغرى التي كانت العُظمى(١٣). فلم أشعُرْ به الاّ وقد ألّفَ أوْباشاً من خِساس صِبيان العبِيد المُمْتَهَنين(١٤) في أدْوَنِ وُجوهِ التصريف - إذ لم

(١) قرناء أصحاب قيّضوا (أتاحوا، هيّأوا، سهّلوا). أعدى: نقل اليه (المرض). أردى: أهلك.

(٢) أغرى: أطمع. أغوى: أضلّ.

(٣) العقوق: عصيان الوالدين.

(٤) فتق: شقّ. خرق حجاب ستري: أطلع الأعداء على أسراري وعلى أحوال أسرتي.

(٥) الجزيرة الخضراء: مقاطعة في جنوبيّ الاندلس. يليها: يقاربها، يتبعها. يعيث: يفسد.

(٦) وردت (رجعت الى البلد). في الحين: حالا. الى الجهة (المكان الذي هرب اليه).

(٧) الوطر: الغاية.

(٨) أجاءه: ألجأه، دفعه الى. الإقالة (العفو عن الخطأ).

(٩) أغضى على الأمر: سكت عنه وصبر عليه.

(١٠) وصرفته إلى جميع حاله وماله: رددتّه إلى ما كان عليه من المشاركة في الحكم وإلى ما كان معه من المال.

(١١) شباة العقرب: ابرتها. لا تسالم (بالبناء للمعلوم أو للمجهول): العقرب لا تترك اللسع أو الضرب بابرتها.

(١٢) ردّى: ألبس رداء أو ثوبا. سدّى الثوب (عند النسج): مدّ الخيوط طولا (المقصود أنه أتمّ حبك المؤامرة).

(١٣) ما صارت به...: عظم ذنبه (لعلّ المنطق يقتضي: ما صارت به العظمى التي كانت الصغرى).

(١٤) الأوباش: الأخلاط من الناس والسفلة. المتهنين: المستخدمين (بفتح الدال).

يطمعِ اللعينُ أن يُساعِدَه على هذه الفَتْكة من فيه أدنى رَمَقٍ وأقلُّ مُسكةٍ[١] - ثمّ سقاهُمُ الخمرَ وسقى نفسَه لِيَجْتَرِيَ ويُجَرِّيهم[٢] ويحولَ بينَهم وبينَ أدنى مَيْزٍ[٣] إن كان فيهم. وسَلّحهم بضُروب من الأسلحة المتصرِّفة في أماكنِ الضِيق والسَعة. وطَرَقَ القصرَ في بِضْعَ عَشْرةَ[٤] منهم. وتعلّق معَهم الأسوارَ والحِيطانَ، وتسنّم بهم السُقوفَ والجُدرانَ يَرومُ فِيّ القضيّةَ العُظمى والطامّة الكُبرى[٥] التي قام دونَها دِفاعُ الله تعالى. فَشَعَرْتُ بالحركة فخرجتُ. فلمّا وقعتْ عينُه وأعيُنُهم عَلَيّ تساقطوا هاربين وتطارحوا[٦] خائفين خائبين. وإنّما كان رجاءَ هم[٧] أن يَجدوني في غَمْرةِ الكرى أو على غَفْلة من أن أسْمع وأرى. ففالتْ، بحَمْدِ الله، أراجيهم[٨]، وضلّتْ أعمالهم ومَساعيهم. وأعْجَلَتْهم عواقبُ كُفْرهم وتَعَدّيهم. وَخَرَقَ اللعينُ سورَ المدينة فارّاً بنفسه. وأخرجتُ الخيلَ في أثَره فلُحِقَ غيرَ بعيدٍ، وسِيق إلَيَّ في حالِ الأسير المَصْفود. وكذلك سائرُ الجُناة وباقي العُصاة أظفرَ اللهُ بهم ومكّن منهم وأعْثَرَ عليهم جميعِهم. فلم يُفلِتْ منهم أحدٌ، ولا فاتَ منهم بَشَرٌ... وحَصَلَ في قَبْضتي جميعُ الصبيان من العبيد المذكورين. وأقَمْتُ حُدودَ الله تعالى[٩] على الجميع منهم. وأنْفَذْتُ حُكْمَه العَدْلَ فيهم. والحمْدُ للهِ كثيراً...

- وقال يرثي رجُلاً مات مجذوماً[١٠]:

---

(١) أدنى (أقل) رمق: بقيّة (من الحياء) ومسكة: القليل (من العقل).
(٢) يجتري يجترىء (يقدم). يجرّيهم = يجرّئهم.
(٣) الميز: الرفعة (بكسر الراء) العلوّ. والمقصود: التمييز (التفريق بالعقل بين الأمور).
(٤) الصواب: في بضعة عشر (بفتح التاء والعين والشين والراء).
(٥) الطامّة: الداهية، المصيبة (موت المعتضد).
(٦) تطارحوا: تناظروا وتحاوروا (والمقصود هنا: انطرحوا: ألقوا (بفتح القاف) بأنفسهم أرضا.
(٧) في الأصل: رجاؤهم. والصواب: رجاء هم (خبر كان مقدّم، لأنّ «المصدّر المؤوّل» (أن يجدوني) يعرب اسماً لكان لا خبراً لها).
(٨) فال: خاب، أخطأ، ضعف. أراجيّ (بتشديد الياء) جمع أرجية (بضمّ الهمزة وتشديد الياء): الشيء الذي يؤخّر (والمقصود: أمانيّهم).
(٩) أقام الحدّ على المذنب: عاقبه بالعقاب الذي أمر الله به.
(١٠) الجذام (بالضمّ): مرض يتهرّأ به اللحم.

مـاتَ مَـنْ كُنّـا نـراه أبـداً سالمَ العقـلِ سَقيمِ الجَسدِ؛
بحرُ علمٍ ماج في أعضائـه فـرمـى فـي جِلـده بالـزَبَد[١].
كانَ مِثلَ السيفِ، إلاّ أنّه حُسِدَ الدهرُ عليـه فصَـدِي[٢].

– وله من رسالة اخوانية:

... إنْ أخذْتُ في ذِكرِ فضائلكَ أو عَطّرتُ كلامِيَ بِطيب شمائِلكَ فلسانُ الأيام بها أفْصحُ ولها أشْرح. وان عَدَلْتُ[٣] إلى وصفِ ما أعتقده فيك وأُضْمِرُه، وأطْويه من وِدادي لك وأنشُرُه، فشاهدُ ضميرِكَ به أنْطَقُ وعنه أصْدَقُ. فليس إلاّ الاتّفاق والاصطلاح[٤] على ما تتناجى بِهِ النفوسُ والأرواح.

– ولابنِ عبد البرّ الصغيرِ رسالةٌ وجّه بها الى أبي القاسم بن خَيْرونٍ[٥] في شأن الكُتّاب والكُتُبِ والذين يَدّعون العلمَ والأدب وليس لهم منها شيء. من هذه الرسالة ما يلي:

... ووَقَفْتُ على ما جَدّدتَّه من مُقابلة السِفرينِ المُشْتَمِلَيْن[٦] على فنونِ الآداب وصِناعة الكُتّاب[٧] وطُرُقِ الخِطاب الجامعةِ لفصاحة الأعراب[٨] ولُباب اللباب. وبادرتُ الى ذلك بِدارَ[٩] من عَلِمَ أنّها نِعمةٌ سابغة مُنِحْتُها، ووَصْلة وُصِلْتُها، لمَا في تأمُّلِها من الإشراف على طُرُقِ البلاغة والكتابة وصِناعة الترسيل والخَطابة، مَعَ ما يلزمني من حَقِّك أقْضيه وواجِبِك أتصرّف فيه وأُوَفّيه[١٠]، إذ أنتَ صِنْوُ[١١] أبي

(١) فرمى في جلده بالزبد (وصف فعل المرض في الجلد).
(٢) مثل السيف (في الجلاء وبياض اللون). صدي = صدىً (علاه الصدأ، سواد).
(٣) عدل: مال.
(٤) فليس الاّ الاتفاق الخ: لم يبق الاّ أن أتكلّم بما ألفه الناس من الكلام في هذا الشأن.
(٥) أبو القاسم بن خيرون شاعر من دانية (شرقيّ الاندلس) كان في بلاط إقبال الدولة بن مجاهد العامري (المغرب ٢: ٤١٩). وقد حكم اقبال الدولة من سنة ٤٣٦ إلى سنة ٤٦٨ هـ (زامباوّر ٩١).
(٦) يبدو أنّ ابن خيرون هذا كان له كتابان اطّلع عليهما ابن عبد البرّ.
(٧) الكتاب (بتشديد التاء أو بتخفيفها) بمعنى «الكتابة».
(٨) الأعراب: البدو.
(٩) بادر بدارا (بكسر الباء): أسرع.
(١٠) وفّاه يوفّيه: أتمّه.
(١١) صنو: النظير والمثل.

مولايَ - مَدّ الله عَليّ ظِلَّكما وكَبَتَ[1] الباغيَ عليكما والحاسدَ لكما - فكم يقرَعُ سَمْعي مِنْ قولِ الحاسدين مَنْ خَصّ أبي مولايَ بمُعاداة أهلِ الجهل وحَباه[2] بمُوالاة أهلِ الفضل. ولا غَرْوَ[3] ، فغيرُ غريبٍ ذلك من فِعْلِهم بالعلماء ، ولا بِبَديعٍ من صُنْع الدَهْماء[4] ... ومِنْ أطْرفِ ما جاءتْ به الأيامُ وتحدّثتْ به الأنام مُناوأة جاهلٍ خسيسٍ لإمامٍ عادلٍ رئيس... إنّ البُغاثَ بأرْضِنا يَسْتَنْسِر[5] . وما لِتَيْسٍ جَبانٍ والجَرْيَ مَعَ العلماء في مَيْدان. أوْهَمَتْهُ نفسُه أنه لُقِّبَ بالفقيه، وذلك أقصى أمانيه. وهُوَ من العلم أبعدُ من النجم ومن الجهل الشديدِ أقربُ من حبل الوريد[6] ... وانّي لَيَبْلُغُني ما يأتي به من هَذَيانِهِ في المنثور والموزون[7] ، وتَخَطّيه الى العِرْضِ المَصون، والنَيْلِ[8] من ذَوِي الفَضْل والدين، فأهُمُّ بمُعارضته ثمّ أُمْسِكُ عنه لِتفاهَته ودَناءته...

٤ - ★★ قلائد العقيان ٢٠٦ - ٢٠٩؛ الذخيرة ٣: ١٢٥ - ٢٢٦ (مع استطراد كثير)؛ إعتاب الكتّاب ٢٢٠ - ٢٢٢؛ المغرب ٢: ٤٠٢ - ٤٠٣؛ البيان المغرب ٣: ٢٤٤ - ٢٤٨.

أبو الوليدِ الباجيُّ

١ - هو أبو الوليدِ سليمانُ بنُ خَلَفِ بن سعدِ بنِ أيّوبَ بنِ وارثِ المالكيُّ الأندلسيّ التُجيبيّ الباجيّ، أصلُ أهلِهِ من بَطَلْيَوْسَ ثمّ انتقلَ جَدّه إلى باجةَ التي هِيَ قُربَ إشبيليـة، وفيهـا وُلِدَ أبو الوليدِ، في النِصْفِ من ذي القَعْدة من سَنَة ٤٠٣ (١٠١٣/٣/٢٨ م).

(١) كبت (غاظ ، أذلّ) الباغي (الظالم).
(٢) حبا: منح، أعطى.
(٣) لا غرو: لا عجب.
(٤) بديع: مبتكر. الدهماء: عامّة الناس.
(٥) البغاث (ضعاف الطير) يستنسر (يقوى، يصبح كالنسر).
(٦) الوريد: عرق في جانب العنق.
(٧) المنثور (النثر) والموزون (الشعر).
(٨) تخطّية (تقدّمه، وصوله) الى العرض (الشرف العائلي) المصون (المحفوظ)، أي بالهجاء. النيل: الحطّ، التحقير.

نشأ أبو الوليدِ الباجيُّ في باجةَ في أُسْرَة مُعْدِمَةٍ ثمّ انتقل إلى قُرطبةَ فبدأ تَلَقّي العلومِ فيها وهُوَ يعيشُ عِيشةً مُجْهدَةً. وفي سَنَة ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) رَحَلَ إلى المَشْرق للأخذ عن عُلَمائه وليتَثَقّفَ في الحديثِ والفقْه والأدب. وقد مَكَثَ في المشرقِ ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً: ثلاثاً منها في مكّة ثمّ ثلاثاً في بَغدادَ وسَنَةً في المَوْصِل. ومكث حيناً في الشام. وفي أثناء رِحْلَته هذه مال إلى المذهبِ الأشعريّ. وكذلك كانتْ حياةُ أبي الوليد الباجيّ في المشرق مُضْنيَةً فقدِ اضطرَّ إلى العَمَلِ في حِراسةِ الدُروب حتّى يَكْسِبَ عَيْشَه.

وفي سَنَةِ ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) عادَ أبو الوليد الباجيّ إلى الأندلسِ فأرادَ نَشْرَ المذهبِ الأشعريّ فيها. واتّفقَ بعدَ عَوْدته بمُدّةٍ يَسيرةٍ أنْ دَعاه ابنُ رَشيقٍ والي جَزيرةِ مَيورقةَ فلَقِيَ هنالك ابنَ حَزْمٍ الظاهريَّ فتناظرا في مَجْلِسِ محمّدِ بنِ سعيدٍ المالكيّ مُناظرةً عنيفةً ولكن لا نَعْرِفُ شيئاً من آثارِها العملية.

وبعدَ ذلك بدأتِ الدُنيا تُقْبِلُ على أبي الوليدِ الباجي فتولّى القضاءَ في عَدَدٍ من المُدُنِ في شَرْقيِّ الأندلسِ، ولكنّ كلَّ تلك المدنِ كانتْ تَصْغُرُ عن قَدْرِه. غيرَ أنه نال حُظوةً كبيرةً عندَ المُقْتدرِ بنِ هودٍ صاحبِ سَرَقُسْطَةَ (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ).

وكانتْ وفاةُ أبي الوليدِ الباجيّ في المَرِيَّةِ، في ١٩ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ ٤٧٤ (١٠٨١/١٢/٢٣ م).

٢ - كانَ أبو الوليدِ الباجيُّ أحدَ الأئِمَّةِ في الفِقْه، كما كان مُحَدِّثاً مُتَكلِّماً وأديباً شاعراً. على أن شُهْرتَه تقومُ على مُصَنّفاتِه التي يدور مُعْظَمُها على علومِ القُرآنِ وعلوم الفِقْه. فمن كتبه: تفسير القرآن - الناسخ والمنسوخ - المعاني (في شرح المُوطّأ، في عِشْرينَ جزءاً) - الاستيفاء (شرح الموطّأ) - المنتقى (مختصر من الاستيفاء) - الإيماء (مختصر من المنتقى) - اختلاف الموطّآت - التَعْديل والتَجْريحُ لمن خرج عنِ البخاريّ في الصحيح - التسديد إلى معرفة التوحيد - إحكام الفصول في أحكام الأصول - الحدود في الأصول - الإشارة في الأصول - المُقْتَبَس في علمِ مالكِ بنِ أنَس - المُهَذّب (في اختصار المُدوّنة) - مختصر المختصر (في مسائل المُدوّنة) - فِرَقُ الفقهاء - التبيين لمسائل المهتدين (اختصار فرق الفقهاء) - السراج في ترتيب

الحِجاج (في المُناظرة والجدال) - سُنَن المنهاج وترتيب الحِجاج - السُنن في الدقائق والزهد (في النصيحة لولديه).

٣- مختارات من شعره

- قال في حال الناس:

مضى زمَنُ المكارم والكِرام؛ سقاه اللهُ من صَوْب الغَمام!
وكان البِرُّ فِعْلاً دون قول، فصار البرّ نُطقاً بالكلام.
وزال النطق حتى لستَ تلقى فتىً يسخو بردٍّ للسلام.
وزادَ الأمرُ حتى ليس إلاَّ سَخِيٌّ بالأذى أو بالمَلام!

- قال أبو الوليد الباجي في الدُنيا والعَمَل فيها:

إذا كُنتُ أعلمُ عِلْمَ اليَقينِ بأنّ جَميعَ حياتي كَساعَهْ،
فَلِمْ لا أكونُ ضَنيناً بها فأجْعَلَها في صَلاحٍ وطاعَهْ!

- وقال في لَذّةِ الوَداع:

ليسَ عِنْدي شَخصُ النَّوى بعظيمٍ؛ فيهِ غمٌّ وفيه كَشْفُ غُمومِ:
إنّ فيه اعْتناقةً لِوَداعٍ وانتظارَ اعْتِناقةٍ لِقُدوم.

- ومات له ولدانِ فأكثرَ من رِثائِها؛ من ذلك قولُه في رثاء ابنهِ محمّدٍ:

أمُحمَّدُ، إنْ كنتُ بَعْدَك صابراً صَبْرَ السليمِ لما به لا يَسْلَمُ[1]
ورُزِئْتُ قَبْلَك بالنبِيِّ مُحمَّدٍ؛ ولَرُزْؤُهُ أدهى لَدَيَّ وأعْظم[2]،
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بأنّني بِكَ لاحقٌ، مِنْ بَعْدِ ظَنّي أنّني مُتقدِّمُ[3].
للهِ ذِكْرٌ، لا يزال بِخاطري، مُتَصرِّفٌ في صَبْره مُتَحكّم.
فإذا نظرتُ فَشَخصُه مُتخَيَّلٌ، وإذا أصخْتُ فصَوْتُه مُتَوَهَّم[4].

---

(١) السليم كناية عن الذي لدغته الحيّة (سمّي سليماً تفاؤلاً بأن يسلم) - وإن كان المعروف أنه لا يسلم.
(٢) الرزء: المصيبة الكبيرة. أدهى (أشدّ).
(٣) كنت ظننت، وأنا أبوك، أن أموت (كما جرت العادة) قبلك.
(٤) أصاخ: استمع.

وبكلِّ أرضٍ لي مِنَ اَجْلكَ لَوْعةٌ، وبكلِّ قبرٍ وَقْفَةٌ وتَلَوُّمُ[1].
فإذا دعوتُ سِواكَ حادَ عنِ اسْمِه، ودَعاهُ باسْمِك، مِقْوَلٌ بك مُغْرَمُ[2].

٤- ★★الذخيرة ٢: ٩٤ - ١٠٥؛ بغية الملتمس ٢٨٩ (رقم ٧٧٧)؛ قلائد العقيان ٢١٥ - ٢١٦؛ الصلة ١٩٧ - ١٩٩؛ معجم الأدباء ١١: ٢٤٦ - ٢٥١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٤٩٩ - ٥٠٠؛ وفيات الأعيان ٢: ٤٠٨ - ٤٠٩؛ فوات الوفيات ١: ٢٢٤ - ٢٢٥؛ المغرب ١: ٤٠٤ - ٤٠٥؛ الديباج المذهب ١٢٠ - ١٢٢؛ ابن قنفذ ٢٥٥؛ قضاة الأندلس ٩٥؛ شذرات الذهب ٣: ٣٤٤ - ٣٤٥؛ نفح الطيب ٢: ٦٧ - ٧٧، ٨٤ - ٨٥، ٦: ١٧٣ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٨٦٤ - ٨٦٥؛ بروكلمن ١: ٥٣٤، الملحق ١: ٧٤٣ - ٧٤٤؛ نيكل ١٠٣، مختارات نيكل ٦٠؛ الاعلام للزركلي ٣: ٨٦ (١٢٥).

ابن خلّوف المغربي النحويّ

١- هو عبدُ العزيزِ بنُ خَلّوفٍ المَغْرِبيُّ من أهلِ إفريقيَةَ (تُونسَ) وسُكّانِ القَيْروانِ، كان حَرورِيًّا (من الخوارج). وقد كان في أيامِ باديسَ بنِ حبّوسٍ الصِنْهاجيّ المستولي على إفريقِيَةَ (٤٢٨ - ٤٦٥ هـ) ومُعاصراً لابنِ رَشيقٍ (ت ٤٦٣ هـ).

تصَدّرَ ابنُ خلّوفٍ للإفادةِ في القَيْروانِ وتقدّم هنالك على كثيرينَ من أهلِ عصرِه. ويبدو أنّ وفاتَه كانت نحو سَنَةِ ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م).

٢- كان ابنُ خَلّوفٍ المَغْرِبيّ ذَكِيًّا جِدًّا ومُلِمًّا بعلومٍ كثيرةٍ أبرزُها القِراءاتُ والنَحْو. وكذلك كان شاعراً مُكْثِراً مُجيداً، وكان في شِعره قُوّةٌ وحسنُ تَصَرّفٍ في الفنون المختلفةِ من مدحٍ ووصفٍ وغزَلٍ مَعَ أشياءَ من التصنيع وتطلُّبِ أوجهِ البلاغة ومَعَ البراعة في انتقاء البحور المُناسبة لمعانيه. قال فيه ابن رَشيقٍ: «شاعرٌ مُتْقَنٌ ذو ألفاظٍ حَسَنَةٍ ومعانٍ مُتَمَكِّنَةٍ، مُثَقَّفُ نواحي الكلام»، وفي شعره طَبْعٌ وعُذوبة.

---

(١) التلّوم: الانتظار (الوقوف في مكان من غير أن يدرى ماذا يريد - إنّ الذي يطيل الوقوف على قبر لا ينتفع بوقوفه ولا ينفع الميت).

(٢) المقول: اللسان. - إذا أردتُ أن أنادي أحداً سبق لساني إلى اسمك فناديته باسمك أنت.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ خلّوفٍ المَغربيّ يمدَحُ المعزّ بن باديس (ت ٤٥٤ هـ):

أَبلَحْظِ طَرْفٍ هذه الأنضاءُ! ... شَقِيَتْ، إذَنْ، بالأعيُنِ الأعضاءُ[١].
تَتَمثّلُ الغِيدُ الحِسانُ ببعضِ ما ... جرّتْ عليه الغادةُ الحسناء[٢].
تصبو الجمادات المَواتُ لوَجْهِها ... طَرَباً، فكيف النُطَّقُ الأحْياء؟
سارتْ وقدْ بَنَتِ الأسِنّةُ حولَها ... سُوراً يُجازُ بحَدّهِ الجَوْزاء[٣].
فَتَحَتْ لنا نُعماك كلَّ بلاغةٍ ... فجرَى اليراعُ وقالتِ الشُعراء.

- وقال في الغزل:

مُرُوا أنْ يُروَّحَ هذا الأسيـ ... ـرُ بالقَتْلِ، إن كان لا يُطْلَقُ[٤].
أيَتْلَفُ ذا العَبْدُ: لا رَغْبَةً ... يُباعُ، ولا حِسْبَةً يُعْتَقُ[٥].
وإنّيَ مَنْ فَقْرُه مَوْتُه ... لأنّيَ من كَبِدي أُنْفِقُ[٦].
لقدْ فَتَقَتْ يدُ سِحْرِ العيو ... نِ فَتْقا على العَقْل لا يُرْتَقُ[٧]!

٤ - ★★ انباه الرواة ٢: ١٨٠ - ١٨٢؛ بغية الوعاة ٣٠٧.

---

(١) النضو (بالكسر): التعب (بفتح فكسر)، الضعيف المنهوك، المريض. الظرف: العين، البصر. أبلحظ طرف... الخ: أكل هؤلاء المرضى مرضوا من عيون الحسان (من الحب؟). فالعيون، اذن، شقاء (مصيبة، عار) على جميع أعضاء البدن.

(٢) لا تكون المرأة الجميلة، عادة، جميلة بكل ما فيها، بل بوجهها وحده أو بعينيها وحدها... الخ. جرت عليه (على الحب).

(٣) هذه الحسناء جميلة جداً يغار عليها اهلها غيرة شديدة، فإذا سارت حموها (بفتح الميم) بالأسنَّة (الرماح) الكثيرة. الجوزاء: كوكبة (مجموع نجوم) في السماء.

(٤) يروح (تجلب له الراحة). هذا الأسير (في الحب).

(٥) لا رغبة (في ثمنه) يباع ولا حسبة (احتساباً: طلباً للأجر من الله).

(٦) أنا إذا افتقرت فإني أموت لأني لا أنفق من مال إذا نفد كسبت غيره، بل من كبدي التي إذا ذهبت لا يمكن أن يكون لي بعدها كبد ثانية.

(٧) إن العيون تجني علينا جنايات لا يستطيع العقل ان يتلافاها.

الأعلم الشنتمريّ

١ - هو أبو الحجّاجِ يوسُفُ بنُ سُليمانَ بنِ عيسى المعروفُ بلقب «الأعلمِ الشَنْتمري »[١].. ولُقِّبَ بالأعلم لأنّ شَفَتَه العُليا كانتْ مشقوقةً شقًّا واسعاً. ومَوْلدُ الأعلمِ كان في شنتمريّة الغرْبِ، سَنَةَ ٤١٠ (١٠١٩ م) وفيها نشأ. وفي سَنَةِ ٤٣٣ (١٠٤١ م) جاء إلى قُرطُبَةَ وأخذ العلمَ عن أبي القاسم ابراهيمَ بنِ محمّدِ بن زكريا الأفليليّ - وقيل ساعده في شرح ديوان المتنبّي (وكان قد قرأ هذا الديوانَ على الأفليليّ) - وأخذ أيضاً عن أبي سهلٍ يونُسَ بنِ أحمدَ الحرّانيّ وأبي بكرٍ مُسلمِ بنِ أحمدَ. وقدِ انتقل إلى إشْبيلية واتّصل بالُمعتمدِ بنِ عبّادٍ وقرّظه ومدحه. ويبدو أنّه عاشَ مدّةً طويلةً في إشبيلية إلى أن تُوُفِّيَ فيها ٤٧٦ (١٠٨٣ م).

٢ - كان الأعلمُ الشنتمريُّ عالماً بالنحوِ خاصّةً وباللغة والشعر واسعَ الحِفظ جيّدَ الضَبْط. وكان مُصَنِّفاً للشروح على شعرِ الشعراءِ خاصّةً، فمن كُتُبه: شرحُ الأشعار (الدواوين) الستة (من شعر المعلّقات) - شرح أشعارِ الحماسة (لأبي تمّامٍ) - شرح ديوان عَلْقَمةَ الفحلِ - النُكَت في كتاب سِيبَوَيْهِ - عيونُ الذهبِ في شرح أبياتِ (الشواهدِ في) كتاب سيبويه - شرح أبياتِ الجُمَل للزجّاجي - الُمختَرَعُ في النحو.

٣ - مختارات من آثاره

- من شرح الأعلمِ الشَنْتَمريّ لمعلّقةِ طَرَفَةَ:

وإنْ يَلْتَقِ الحيُّ الجميعُ تُلاقِني ... إلى ذِرْوةِ المجدِ الكريمِ الُمصمَّدِ.
نَدامايَ بِيضٌ كالنّجوم، وقَيْنةٌ ... تَروحُ علينا بينَ بُرْدٍ ومُجْسَد.

★ يقولُ: إذا التقى الحيُّ الجميعُ، بعدَ افتراقِهِمْ، وَجَدتَّني في موضعِ الشرفِ منهم وعُلُوّ المنزِلة. وقولُه: « إلى ذِروة المجد » أيّ إلى ذروة البيت. وذِروة كلِّ شيءٍ أعلاه. والُمصَمَّدُ الذي يَصْمُد إليه الناسُ لشرفه ويلجأون إليه في حوائجم. والصَمْدُ القصْدُ.

---

(١) هو غير الأعلم البطليوسي (بفتح الباء والطاء) ابراهيم بن محمّد (أو ابن قاسم) بن ابراهيم كان بارعاً في النحو ومصنّفاً له: « الجمع بين الصحاح للجوهري والغريب المصنّف »، وله تاريخ بطليوس. كانت وفاته سنة ٦٣٧ هـ، وقيل ٦٤٢ أو ٦٤٦ هـ (بغية الوعاة ١٨٥؛ الأعلام للزركلي ١ : ٦٠)

وقولُه: « نَدامايَ بيضٌ كالنجوم »: الندامى الأصحابُ المُشاربون[١]. وقوله: « بيضٌ كالنجوم »، أيْ هم أعلامٌ مشاهيرُ. ويحتملُ أن يريدَ الحَسَني اللونِ. والقَيْنة المُغنّية. وكلُّ أمَـةٍ[٢] قينة. والبُرْدُ ثوبُ وَشْيٍ. والمُجْسَدُ الثوبُ المصبوغُ بالزَعْفرانِ المُشْبَعُ. والجِساد الزعفران[٣]. « بين بُرْدٍ ومُجْسَد »، أيْ تروحُ إلينا وعَلَيْها بُردٌ ومُجسَد.

وظُلْمُ ذَوي القُربى أشدُّ مَضاضةً   على النفس من وَقْعِ الحُسام المُهنَّدِ.

★ قولُه: « أشدُّ مَضاضةً »، أي حُرقةً. يقولُ: ظلمُ القَرابةِ أشدُّ ظُلْمٍ على الإنسان وأبلَغُه، وإنّما ذلك لأن المظلومَ لا يكادُ يَجِدُ[٤] في الانتصار من قريبه، بل يَنْطوي على ما يلقى منه ويَصْبِر. فموقعُ ذلك الظلمِ أشدُّ من وقعِ الحُسام، وهُوَ السيفُ القاطع. والمُهنَّدُ المنسوبُ إلى الهِند.

– ومن شرحه لديوانِ عَلْقَمةَ الفَحْلِ[٥]:

وما أنتَ أمْ ما ذِكْرُها رَبَعِيّةً   يُخَطُّ لها من ثرمداءَ قَليبُ[٦]؟

★ قولُه: « وما أنتَ أمْ ما ذِكْرُها؟ » يُعاتبُ نفسَه ويُنكِرُ عليها تَتَبُّعَه هذه المرأةَ وقد بَعُدَتْ عن دِيارِه وحلّتْ في غيرِ قبيلته. وقولُه « رَبَعيّةٌ » يَعْني أنّها من قبيلةِ بني ربيعةَ بنِ مالكٍ، وهم غيرُ قبيلتهِ وعَشيرتِه. وقولُه: « يُخَطُّ لها من ثرمداءَ قليبُ »، أي هِيَ نازلةٌ في هذا الموضعِ مُقيمةٌ فيه. وكَنى عن إقامتها بحَفْرِ القليبِ، لأنّ من أقامَ بموضعٍ فلا بُدّ له من ماءٍ يُقيم عليه. وقالَ الأصمعيّ: يكونُ أيضاً معناهُ أن يكونَ كأنّها لا تَبْرَحُ منه حتّى تموتَ وتُدْفَنُ فيه، فيكونُ القليبُ، على هذا، القبرَ. ورَوَى

---

(١) المشاربون: الذين يشربون (الخمر) معاً.

(٢) الأمة: الجارية (الفتاة) تطلق على الحرّة وعلى الرقيقة.

(٣) الزعفران نبت له زهر أصفر (مائل إلى الحمرة). المشبع: الوافر، الممتلىء.

(٤) اقرأ: لا يكاد يجد (سبيلاً أو وسيلة) في الانتصار من قريبه.

(٥) علقمة الفحل شاعر جاهلي عاش طويلاً: عاصر امرأ القيس (ت ٥٤٠ م) وبقي إلى ما بعد الهجرة بثلاث سنوات (٦٢٥ م).

(٦) القليب: البئر.

ابنُ ولاّدٍ[1] ثُرمُداءَ بضمّ الثاء والميم. وروايةُ أبي عليٍّ[2] بفَتْحها.

٤- شرح ديوان زهير (مطبوع مع «طرف عربية» - جمعها كارلو لاندبرغ)، ليدن ١٣٠٣ - ١٣٠٦ هـ.

- شرح ديوان الشعراء الستّة، منشن: ميونيخ ١٨٩٢ م.
- تحصيل عين الذهب في معدن جواهر الأدب في علم مجازات العرب: شرح شواهد سيبويه (مطبوع على هامش كتاب سيبويه)، القاهرة (بولاق) ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ؛ بيروت (مؤسّسة الأعلمي) الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.
- ديوان طرفة بن العبد (اعتنى بتصحيحه.... مكس سلغسون)، شالون (برتران) ١٩٠٠ م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (جمع..... محمّد بدر النعساني)، القاهرة (جماليّ وخانجي) ١٣٢٣ هـ.
- شرح ديوان علقمة الفحل (اعتنى بتصحيحه محمّد أبو شنب)، الجزائر (كربونل) ١٩٢٥ م.

★★ معجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ - ٦١؛ مطمح الأنفس ٦٤ - ٦٧؛ نكت الهميان ٣١٣ - ٣١٤؛ وفيات الاعيان ٧ : ٨١ - ٨٣؛ بغية الوعاة ٤٢٢؛ شذرات الذهب ٣ : ٤٠٣؛ نفح الطيب ٤ : ٧٩ - ٨٦ (المسألة الزنبورية)؛ بروكلمن ١ : ٣٧٦ - ٣٧٧، الملحق ١ : ٥٤٢ - ٥٤٣؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٠٨ (٨ : ٢٣٣).

ابن عمّار الأندلسيّ

١ - هُوَ ذو الوزارتينِ أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عمّارِ بنِ الحسينِ بنِ عمّارٍ المَهْرِيُّ، نِسْبَةً إلى مَهْرَةَ وَهِيَ قبيلةٌ عربيةٌ من قُضاعةَ؛ ويُقال له أيضاً الشِلْبِيّ والأنْدَلُسِيّ.

وُلِدَ ابنُ عمّارٍ سَنَةَ ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) في قرية شَنّبوسَ قُرْبَ شِلْب (في الجَنوبِ الغَربيِّ من الأندلس).

انتقلَ ابنُ عمّارٍ إلى شِلْبَ ثمّ رَحَلَ الى قُرْطُبَة في طَلَبِ العِلْمِ.

وقد بَدَأَ ابنُ عمّارٍ حياتَه العمليّة بالتَّطْوافِ في البلادِ يَمْدَحُ أشْخاصاً مُخْتَلفي

---

(١) ابن ولاّد نحوي مصري (ت ٣٣٢ هـ).

(٢) أبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ).

المراتبِ في الهيئة الاجتماعية؛ غيرَ أنّه فيما يبدو لم يَنَلْ حِظْوةً في بلاطٍ من بلاطاتِ ملوكِ الطوائفِ لِكَثْرَةِ الشعراء في ذلك الحين. وأولُ حِظْوةً نالَها كانت لَدى المُعْتَضِدِ عبّادٍ ملكِ إشْبيلِيَةَ، وكانَ المُعتضدُ قد حارَب ابنَ الأفْطس مَلِكَ بَطَلْيَوْسَ وانتصر عليه فجاء إليه ابنُ عمّارٍ، سَنَةَ ٤٤٥ هـ (١٠٥٣ م)، ومدحه بقصيدةٍ رائيةٍ بارِعةٍ. وعَرَفَ ابنُ عمّارٍ، في بلاطِ إشبيلية، المعتمدَ بنَ عبّادٍ المعتضدِ - وكانَ لا يزالُ أميراً - وتَوَثَّقَت الصِّلة بينَ الشابَّيْنِ الشاعِرَيْنِ، فقد كان يَجْمَعُ بَيْنَهما في الحياةِ حُبُّ اللَّهْوِ ونَزْعَةُ الطُّموح والتَّوسُّلِ بالمكائدِ إلى بُلوغ المآرِب.

وأدْرَكَ المُعْتَضدُ أنَّ حالَ ابنهِ المعتمدِ وحالَ شاعرِه ابنِ عمّارٍ ذَوَاتا خَطَرٍ على مُلْكِهِ فأحاطَهما بِرَقابةٍ شَديدةٍ؛ ثمّ إنّه أبْعَدَ ابنَ عمّارٍ عن إشبيلية، سَنَةَ ٤٥٠ (١٠٥٨ م)، فمضى ابنُ عمّارٍ يَتَنَقَّلُ في البلاد: زارَ المَرِيَّة ثمّ السَّهْلَةَ ثمّ اسْتَقَرّ في سَرَقُسْطَةَ عند بني هُود.

وفي سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) تُوُفّيَ المُعتضدُ فَخَلَفَهُ ابنُه المعتمدُ فأسْرَعَ المُعتمدُ باسْتِدْعاءِ صديقهِ القديمِ ابنِ عمّارٍ. وأحبَّ ابنُ عمّارٍ أن يَتَولّى مدينةَ شِلْب فولاّه المُعتمدُ عليها. ثُمّ إنّ المعتمدَ استدعى ابنَ عمّارٍ من شِلْب وشيكاً وولاّه الوزارةَ.

وأخذَ ابنُ عمّارٍ والمعتمدُ بنُ عبّادٍ يَضَعانِ الخُطَطَ لانتزاعِ المُدُنِ من مُلوكِ الطوائف (راجع ترجمة المعتمد بن عبّاد) - وهُمْ في ذلك يَسْتَظْهرونَ بملوكِ الإسبانِ على إخوانِهِمُ المُسلمينَ - فنشأ في نَفْسِ ابنِ عمّارٍ ناشئةٌ مِنَ الاسْتِبْدادِ. ففي سَنَةَ ٤٧١ هـ (١٠٨١ - ١٠٨٢ م) استَوْلى ابن عمّارٍ باسمِ المعتمدِ على مُرْسِيَةَ فأخَذَ يَتَصَرّفُ بِها وكأنّه مُسْتَقِل. ثمّ إنّه تَمَرَّدَ على المعتمدِ واستبدّ بالمدينة. ثمّ زادَ طُموحُ ابنِ عمّارٍ، وكانت أحوالُ طُلَيْطُلَةَ مُضْطَرِبَةً، فسارَ من مُرْسِيَةَ مُحاوِلاً الاستيلاءَ على طُلَيْطُلَةَ بطريقةٍ يمتزجُ فيها الخِداعُ بالحرب فلم يَنْجَحْ. وانتهز ابنُ رَشيقٍ، قائدُ ابنِ عمّارٍ وخليفتُه على مرسيةَ، هذه الفرصةَ واستبدّ بالمدينة. ولمّا لم يَسْتَطِعِ ابنُ عمّارٍ أنْ يَعودَ إلى مرسيةَ لجأ إلى سَرَقُسْطَةَ وعاش في كَنَفِ مَلِكِها المُؤتَمَنِ بنِ هُود (٤٧٤ - ٤٧٨ هـ). واتّفق أن تَمَرّدَ أحدُ أتباعِ المؤتمنِ بنِ هود في حصن مِنَ الحُصونِ، فاقترحَ ابنُ عمّارٍ على المؤتمن أن يُعيدَ التابعَ المتمرّدَ إلى الطاعة. واستطاع

ابن عمّارٍ أنْ يُعيدَ تلك القلعةَ إلى سلطانِ المؤتمن. ثُمّ تَمرّدَ بنو سُهَيْلٍ في قَلْعَةِ شقورة[1] فجاء ابنُ عمّارٍ لِيُعيدَ هذه القلعةَ أيضاً إلى سُلطانِ المؤتمن ولكنَّ بني سُهَيْلٍ خدَعوا ابنَ عمّارٍ وقَبَضوا عليه وألْقَوْهُ في السجن، في ربيعٍ الأول من سَنَةِ ٤٧٧ هـ (آب - أوغسطس ١٠٨٤ م) ثمّ باعوه للمعتمدِ بنِ عبّادٍ، في حديثٍ طويلٍ، بمَبْلغٍ كبيرٍ من المال. وأُلقِيَ ابنُ عمّارٍ في سِجْنِ إشبيلية مُدَّةً يسيرةً ثمّ دَخَل عليه المعتمدُ بنُ عبّادٍ وقتله بيدِه.

وبُرْغمِ القَسْوة التي نُسِبَتْ إلى المعتمدِ بنِ عبّادٍ، فإنّ قلوبَ الناسِ لم تَرِقَّ لِمَقْتَلِ ابنِ عمّارٍ، وخصوصاً بعد أنِ اشْتَهَرَ عنه أنّه كان يُداخِلُ ملوكَ الإسبانِ لانتزاع المُدُنِ من أيدي مُلوكِ الأندلسِ حتّى يستبدَّ هُوَ بِحُكْمِ تلك المُدُنِ أو حتّى يُضيفَها إلى مُلْكِ بني عبّادٍ أو حتّى تَخْرُجَ من يدِ أصحابِها المُسلمينَ لِتَدْخُلَ في حُكْمِ الإسبانِ. ولقد عبّر عبدُ الجليل بنُ عَبْدونٍ عن عاطفة الصداقة التّي يَكِنُّها نَحْوَ ابنِ عمّارٍ إلى جانبِ النُّفورِ من خياناتِهِ حينَما رَثاهُ فقالَ:

عَجَباً له! أبْكيهِ مِلْءَ مَدامِعي   وأقولُ: لا شُلَّتْ يمينُ القاتلِ!

٢ - كان لابنِ عمّار الأندلسيّ ذكاءٌ مُفْرِطٌ وطُموحٌ بعيدٌ وثَقافةٌ واسعة واخْتبارٌ كثيرٌ، غيرَ أنه كانَ قليلَ المُبالاةِ بالعُرْفِ وبالمُثُلِ العُلْيا عِنْدَ السَّعْيِ لِتَحْقيقِ مآربِهِ في الحَياةِ.

وابنُ عمّارٍ شاعرٌ مَطبوعٌ مُكْثِرٌ ضاعَ قِسْمٌ مِنْ شِعْرِهِ، ويُقال إنّه قد أحْرَقَ هجاءَه قَبْلَ موتِه. وشِعْرُه فصيحُ اللفظِ متينُ السَّبكِ مَشْرِقيُّ الدِيباجةِ في الأكثرِ مَعَ شَيءٍ من الرَشاقةِ الأندلسية. وهُوَ يَعْتَمِدُ الصورةَ الحِسِّيَّةَ والتعبيرَ الرَّصينَ عَنِ الفكْرة لإبرازِ أغراضِهِ. ولا تراه يَتَكَلَّفُ الصِناعةَ؛ وإذا هُوَ فَعَل ذلكَ وَاتَتْهُ الصورةُ الحِسّيّة ثم أخطأ هُوَ الصِناعة البَحْتَ، ففي قولِهِ مثلاً:

يَوْمٌ تَكاثَفَ غَيْمُهُ فكأنّهُ   دُونَ السماءِ دُخانُ عودٍ[2] أخْضَرِ؛

---

(١) شقور (كصبور) بلد في الأندلس.

(٢) العود (الغصن، الحطب) الأخضر لا يشتعل بسهولة، ولذلك يكثر دخانه.

والطَّلُّ مِثْلُ بُرادَةٍ من فِضّةٍ مَنْثورَةٍ في تُربَةٍ مِنْ عَنْبَرِ.
والشَّمْسُ أحْياناً تَلوحُ كأنَّها أمَــــةٌ تُعَرِّضُ نَفْسَهــــا للمُشْتري.

لا تَتَأتّى له التَّوْرِيَةُ بينَ المُشْتري (الذي يَدْفَعُ المالَ في السِلْعَةِ المَبيعَةِ) وبينَ المُشْتري (الذي هو كَوْكَبٌ مِنَ الكواكبِ السَيّارة)، لأنّ المُشْتري نَجْمٌ بعيدٌ قلّ أنْ يُرى بالعينِ المُجَرّدة؛ وأما إذا أرَدْنا أنْ ننظُرَ في التوريةِ من حيثُ صِلَتُها بالشمسِ (في النَّهارِ) فإنّ هذه التوريةَ تَفْقِدُ حينَئذٍ قيمَتَها. وكذلكَ الصورةُ في البيتِ الثاني غيرُ صحيحةٍ: إنّ الطَّلَّ (النَّدى) يكونُ في الليالي البارِدَةِ جامداً على الأغصانِ، ولكنّه إذا سَقَطَ على الأرض فيكونُ قد ذابَ واصبحَ ماءً فلا يُمْكِنُ أن يَبْقى حينئذٍ بَلّوراتٍ (بُرادة مِنْ فِضّةٍ) حتّى يَبْدُوَ وكأنّه فُتاتٌ من الفِضّةِ منثورٌ على أرضٍ من العَنْبَرِ (الأسودِ أو الأسمرِ)!

وفنونُ شِعرِ ابنِ عمّارٍ المَدْحُ والعِتاب والإخوانيّات والهِجاء والوَصْف والنَسيب والغَزل مَعَ شَيْءٍ من المُجونِ أحياناً.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ عمّارٍ الأندلسيّ يَمْدَحُ المعتضدَ عبّاداً لمّا لَقِيَهُ للمرّة الأولى:

أدِرِ الزُجاجــةَ فالنسيمُ قــدِ انبَرَى، والنَّجْمُ قد صَرَفَ العِنانَ عَنِ السُّرى(١)؛
والصُّبْحُ قــد أهْدى لنــا كافـورَهُ لمّا اسْتَرَدَّ الليلُ منه العَنْبرا(٢)،
والــرَّوْضُ كــالحَسْنا كَســاهُ زَهْرُهُ وَشْياً، وقَلَّدَه نَداهُ جَوْهرا(٣):
رَوْضٌ كــأنّ النَّهْــرَ فيه مِعْصَمٌ صافٍ أطَلّ على رِداءٍ أخْضرا،
وتَهُزُّهُ ريــحُ الصَّبــا فَتَخالُــه سَيْفَ ابنِ عبّادٍ يُبَدِّدُ عَسْكرا!
مَلِكٌ إذا ازْدَحَمَ المُلوكُ بِمَوْرِدٍ ونَحاهُ، لا يَرِدونَ حَتّى يَصْدُرا(٤).

---

(١) النسيم قد انبرى (قد بدأ يهبّ بليلاً عليلاً، بعد أن برد الجو في الليل). السرى: المسير ليلاً. النجم قد صرف العنان عن السرى: توقّف عن المسير (بقي الليل، تأخّر طلوع الصبح).

(٢) الكافور: مادّة طيّبة الرائحة بيضاء اللون. العنبر: مادّة طيّبة الرائحة سوداء اللون.

(٣) الوشي: التزيين، التطريز، تحسين الثوب بنقوش صغيرة. قلّده: جعل له قلادة، عقداً (حلية في العنق). الندى: قطرات الندى التي تتجمّع في الليل على الأغصان. الجوهر: اللؤلؤ.

(٤) المورد: الشريعة (مكان على النهر صالح للاستقاء: لأن يشرب الناس منه). نحاه: اتّجه اليه. يردون: يجيئون إلى النهر للشرب. يصدر: يرجع عن النهر بعد أن يكون قد أخذ حاجته من الماء.

أنـدى علـى الأكبـادِ من قَطـرِ النَّدى وألَـذُّ في الأجفـانِ من سِنَةِ الكَرى[١].
قدّاحُ زَنْدِ المجد: لا يَنْفَكُّ من نـارِ الوَغـى إلاّ إلى نـار القِرى[٢].
يا سائِلي، ما حِمصُ إلاّ خاتَمٌ أبصَرْتُ إسْماعيـلَ فيها خِنصَراً[٣]؛
لا شيءَ أقرأُ من شِفارِ حُسامِهِ إن كنـتَ شَبَّهْتَ الكتائِبَ أسْطُرا[٤].
قادَ المواكِبَ كالكواكِبِ فَوْقَهُم مِنْ لأمِهِمْ مِثْـلُ السَحـابِ كَنَهْوَرا[٥]:
مِنْ كُلِّ أبيضَ قد تَقَلّدَ أبْيَضاً عَضْبـاً، وأسْمَرَ قد تقلّد أسمرا[٦].
مَلِكٌ يَروقُكَ خَلْقُهُ أو خُلْقُهُ كالرَّوْضِ يَحْسُن مَنْظَراً أو مَخْـبرا.
أُعْلِمْتُ بالإيمانِ حَتّى شِمْتُه فَـرَأيْتُـه فـي بُـرْدَتَيْـهِ مُصَوّرا[٧].
فاحَ الثَّرى مُتَعَطِّراً بِثَنائِه حَتّـى حَسِبْنـا كُـلَّ تُـرْبٍ عَنْـبرا.
يا أيُّها المَلِكُ الذي أصلُ المُنى مِنْـهُ بوَجْـه مِثْـلَ حَمْـدِي أزْهرا،
اَلسَّيْفُ أفْصَحُ من زيادٍ خُطْبَةً في الحَرْبِ إنْ كانـتْ يَمينُكَ مِنبرا[٨]!
أثْمَرْتَ رُمْحَكَ من رُؤوسِ كُماتِهِمْ لَمّـا رأيـتَ الـغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرا؛
وصَبَغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِماءِ مُلوكِهِمْ لَمّـا رأيـتَ الحُسْنَ يُلْبَسُ أحْمَـرا.
ولَئِن وَجَدتَّ نسيمَ حَمْدِي عاطِراً فَلَقَـدْ وجدتَّ نَسيـمَ بِـرِّكَ أعْطَرا!

– وكتب ابنُ عمّارٍ إلى الأميرِ محمّدٍ المعتمدِ من سَرَقُسْطَةَ، وكانَ المُعتضدُ قد نَفاه من إشبيلية:

---

(١) أندى: أكثر ندى (برداً ورطوبة). قطر الندى: سقوط الندى (راجع فوق ص ٦٤١ الحاشية ٣). السنة (بكسر السين) أول النوم. الكرى: النوم. – ألذّ ممّا يشعر به الإنسان الشديد التعب والحاجة إلى النوم إذا بدأ يغفو.

(٢) الزند: حديدة تقدح بها النار من حجر الصوّان. قدّاح زند المجد: دائم الطلب لمعالي الأمور. نار الوغى: الحرب. نار القرى: الضيافة (الكرم).

(٣) حمص: مدينة اشبيلية. اسماعيل: ابن المعتضد بن عبّاد. أبصرت اسماعيل فيها (في اشبيلية) خنصراً (الأصبع الصغيرة في طرف الكفّ): قادراً على تدبير أمورها (اشارة إلى استحقاقه لولاية العهد).

(٤) أقرأ: أحسن قراءة (أشدّ فعلاً وأثراً). شفار جمع شفرة (بفتح الشين): السكّين العظيم، نصل السيف. الحسام: السيف. الكتائب: جماعة الجند بين مائة وألف.

(٥) اللأم جمع لأمة: الدرع. مثل السحاب (ممتدًّا). كنهور (قطع السحاب المتراكم).

(٦) أبيض (أبيض اللون، له مجد) تقلّد (علّق في مقلّده: في عنقه) أبيض (سيفاً) عضباً (قاطعاً) وأسمر (أسمر اللون، له فتوّة وشباب تامّ) قد تقلّد أسمر (رمحاً).

(٧) شام يشيم: نظر، تطلّع. البردة: الثوب.

(٨) زياد بن أبيه والي البصرة والكوفة من قبل معاوية، ومن الخطباء المعدودين (راجع الجزء الأول).

عَلَيَّ وإلاّ ما بكاءُ الغَمائمِ؟ وفِيّ وإلاّ ما نِياحُ الحَمائِمِ[1]؟
وعنّي أثار الرَّعْدُ صَرْخَةَ طالبٍ لثَأرٍ، وهَزَّ البَرْقُ صَفْحَةَ صارمِ[2]!
وما لَبِسَتْ زُهْرُ النُّجومِ حِدادَها لغَيْري ولا قامتْ له في مآتِمِ[3].
ألا قاتلَ اللهُ الجيادَ فإنّها نَأتْ بِيَ عَنْ أرْضِ العُلا والمكارِمِ.
أشِلْبٌ؟ ولا تَنْسابُ عَبْرَةُ مُشْفِقٍ! وحِمصٌ؟ ولا تَعْتادُ زَفْرَةُ نادِمِ[4].
كَساها الحَيا بُرْدَ الشَباب! فإنّها بِلادٌ بها عَقّ الشَّبابُ تَمائمي[5].
ذَكَرْتُ بها عَهْدَ الصِبا فكأنّما قَدَحْتُ بنارِ الشَّوْقِ بين الحَيازِمِ[6].
لَياليَ، لا ألْوي على رُشْدِ لائمٍ عِناني ولا أُثْنيهِ عن غَيّ هائمِ[7].
أنالُ سُهادي من عُيونٍ نَواعِسٍ وأجْني عَذابي من غُصونٍ نواعِمِ[8].
ولَيْلٍ لنا بالسَّدِّ بين مَعاطِفٍ من النَّهرِ يَنْسابُ انسِيابَ الأراقِمِ[9]؛
بحَيْثُ اتَّخَذْنا الرَّوْضَ جاراً تَزورُنا هَداياهُ في أيْدي الرِّياحِ النواسِمِ[10]
تُبَلِّغُنا أنْفاسَهُ فنَرُدُّها بأعْطَرِ أنفاسٍ وأذْكى مَناسِمِ[11].

---

(١) نياح: النواح (بضمّ النون)، النوح (بفتح النون): البكاء على الميت. - لا أحد أشقى منّي يستحقّ أن تبكي عليه الغمائم (تسقط على قبره الأمطار) أو تنوح الحمائم!

(٢) من صوتي تعلّم الرعد القصف (الصوت الشديد). ومن عزمي تعلّم البرق أن ينشر أشعّته كأنّها السيوف شكلاً ولمعاناً.

(٣) زهر النجوم: النجوم البيضاء. لبست حدادها: ظهرت في الليل محاطة بالسواد. ولا قامت (زهر النجوم: النساء الجميلات). المأتم: اجتماع النساء (في أماكن الموت).

(٤) أ (أذكر) شلباً ولا تسيل مدامعي، و (أتذكّر) حمصاً ولا تعتادني (ترجع إليّ مرة بعد مرّة) زفرة (نفس حار من الحزن) نادم (عليها: على فراق اشبيلية).

(٥) كساها الحيا برد (ثوب) الشباب! (يدعو الشاعر لحمص بأن تظلّ شابّة: زاهرة فتيّة). عقّ الشباب (قطع) الشباب تمائمي (جمع تميمة: الحرز أو الحجاب يعلّق في عنق الطفل): في اشبيلية انتقلت من طور الطفولة إلى طور الشباب.

(٦) الحيازم جمع حيزوم (بفتح الحاء): جانبا الحلق، عند العنق. إذا تذكّرت أيام شبابي في اشبيلية شعرت بغصّة (بضمّ الغين) في حلقي.

(٧) في تلك الأيّام ما كنت استمع إلى نصيحة ولا أرجع عن انغماس في الملّذات. الهائم: الذي يسير على غير هدى.

(٨) لم يكن يسهرني شيء إلاّ عيون النساء ولا يعذبني شيء إلّا قدودهنّ الليّنة.

(٩) السدّ (الحاجز على النهر). الأرقم: الثعبان، الحيّة الكبيرة.

(١٠) هداياه - هدايا الروض: الروائح الزكيّة. النواسم جمع ناسمة (!): الهبّة الضعيفة من الريح.

(١١) الذكي (بالذال أخت الدال): الساطع (الشديد) الرائحة (الطيّبة). المنسم: مكان هبوب النسيم.

وبِتْنا ولا واشٍ يُحَسُّ، كأنّما حَلَلْنا مَكانَ السِّرِّ من صَدْرِ كاتِمِ.
هُوَ العَيْشُ، لا ما أشْتَكيهِ من السُّرى إلى كلِّ ثَغْرٍ آهلٍ مثلِ طاسِمِ[١]؛
وصُحْبَةِ قَوْمٍ لَمْ يُهذَّبْ طِباعَهُمْ لقاءُ أديبٍ أو نَوادِرُ عالم[٢].
نَدامَى ولا غيرُ السُّيوفِ أزاهِري لَدَيْهِمْ ولا غيرُ الغُمودِ كَمائِمي[٣].
وما حالُ مَنْ رَبّتْهُ أرضُ اعارِبٍ وألْقَتْ بهِ الأقدارُ بينَ الأعاجِمِ؟
ونُبِّئْتُ إخوانَ الصفاءِ تَغَيّروا وذَمّوا الرِضا من عَهْدِيَ المُتَقادِمِ.
لَقَدْ سَخِطوا ظُلْماً على غيرِ ساخِطٍ عَلَيْهِم، ولاموا - ضِلّةً - غيرَ لائِمِ.
إلى الحاجبِ الأعلى، إلى العَضُدِ الذي تَطول بيُمْناهُ قِصارُ الصوارم[٤]؛
لَهُ هِزّةٌ في الجودِ مُعْتَضِدِيّةٌ تَهُزُّ إلى تَشْتيتِ شَمْلِ الدراهم[٥].
سَما بأبيهِ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ الذي أباطِحُهُ سَهْلُ النَّدى والمَكارِمِ[٦].
إذا نَشَرَتْ لَخْمٌ بذِكْراهُ فَخْرَها طَوَتْ طيّئٌ من خَجْلَةٍ ذِكْرَ حاتَمِ[٧].
أبَى أنْ يراهُ اللهُ غَيْرَ مُقَلَّدٍ حِمالَةَ سَيْفٍ أو حَمالَةَ غارِمِ[٨].
إذا جَرّ أذيالَ الجُيوشِ إلى العِدى أطاعَتْهُ أو جرّتْ ذُيولَ الهَزائِمِ.
مُلوكٌ مُناخُ العِزّ في عَرَصاتِهِمْ؛ ومَثْوى المَعالي بينَ تِلْكَ المعالم[٩].

---

(١) السرى: السير ليلاً. الثغر: المكان على طرف البلاد (القريب من أرض العدوّ). الآهل: المسكون. الطاسم: الممحو (غير مسكون).

(٢) النوادر جمع نادرة: الكلمة القليلة الورود (الأشياء القليلة التي لا يعرفها إلاّ العلماء).

(٣) هؤلاء هم ندماني (بضمّ النون): الذين يصحبونني ويرافقونني (برغمي). إذا أردت أن أشمّ زهرته ضربوني بالسيف. وليس لي كمائم (الكمامة في الأصل الورق الأخضر الذي يحيط بالزهرة): ستر، مأوى (!) إلاّ غمود السيوف: الحبس (!).

(٤) الحاجب في الأندلس يشبه رئيس الوزارة في أيامنا. العضد: أعلى الذراع (من الكتف إلى المرفق). تطول بيمناه قصار الصوارم (السيوف) كناية عن شجاعته: إذا كان السيف لا يصل إلى العدوّ فإنّه يمدّ يده بالسيف فيصل إلى العدّو.

(٥) معتضديّة نسبة إلى المعتضد (والد المعتمد بن عبّاد). تهزّ: تجعل الإنسان يهتزّ (يطرب).

(٦) الأبطح: مكان مجرى السيل (المكان المنخفض). الندى: الكرم. المكارم: الأعمال الجيدة.

(٧) مجد المعتمد بن عبّاد (في قومه بني لخم) يجعل كرم حاتم طيّ قليلاً حتّى يخجل بنو طيّ من ذلك الكرم القليل.

(٨) مقلّد (حامل في عنقه) حمالة سيف = سائر إلى الحرب، أو حمالة غارم (رجل عليه دين) = هو ينقذ (بكرمه) المدينين من ديونهم .

(٩) العرصة (بفتح ففتح): الباحة أمام المنزل. المعلم: المكان (مساكن المعتمد بن عبّاد).

أَلِكْنِيَ - مِنْهُمْ بالسَّلامِ إلى فَتىً تَهادى بهِ جُرْدُ العتاقِ الصَّلادِمِ[١]؛
تَبَوَّأَ مِنْ لَخْمٍ - وناهِيكَ مَقْعَداً - مَكـانَ رَسولِ اللهِ مِنْ آلِ هاشِمِ[٢]!
أبا القاسِمِ، اقْبَلْها إليْكَ فإنّما تَنـاؤُكَ مِسْكِي والقَـوافي لَطائمي[٣].
أنـا العبدُ في ذُلِّ الخُضوعِ لَوَ انّني أرى البـدْرَ تاجي والنُّجومَ خَواتِمي.
وإنّي - إذا أنْصَفْتَ - بَعْدَكَ خادِمٌ لدَهْري، وكانَ الدهرُ عِنْدَكَ خادِمي.
لَعَلّ الذي أقْذى بِتَرْحَةِ راحِلٍ عُيوناً سَيَجْلوها بفَرْحَةِ قادِمِ[٤]،
فتَرْجِعَ أيّامٌ مَضَتْ وكأنّها، إذا امْتَثَلَتْها النَّفْسُ، لَذّةُ حالِمِ[٥].

- وقال ابن عمّار في هجاء المعتضد وابنه المعتمد (وفيات الأعيان ٢ : ٣٧١):

مِمّـا يُقَبِّـحُ عِنْـدي ذِكْرَ أنْدَلُسٍ سَمـاعُ مُعْتَضِـدٍ فيهـا ومُعْتَمِـدِ؛
أسْماءُ مَمْلَكَةٍ في غيرِ مَوْضِعِها، كالهِرِّ يَحْكي انْتِفاخاً صَوْلَةَ الأسَد.

٤ - نحلة اللبيب، الجزائر ١٩٠٤ م.
★★ ابن عمّار: ترجمة قصصية، تأليف ثروت أباظة، القاهرة (دار المعارف - سلسلة «اقرأ»، رقم ١٤٣) بلا تاريخ؛ (مطبوع مع مؤلّفات ثروت أباظة)، القاهرة (الهيئة المصرية العامّة للكتاب) ١٩٥٧ م.
- محمّد بن عمّار الأندلسي: دراسة أدبية تاريخية، تأليف صلاح خالص، بغداد (مطبعة الهدى) ١٩٧٥ م.

قلائد العقيان ٩٣ - ١١١؛ الذخيرة ٢ : ٣٦٨ - ٤٣٣؛ خريدة (المغرب) ٢ : ٧١ - ٨٣؛ المغرب ١ : ٣٨٩ - ٣٩١؛ المطرب ١٦٩ - ١٧٤؛ الحلّة السيراء ٢ : ١٣١ - ١٦٥؛ الوافي بالوفيات ٤ : ٢٢٩ - ٢٣٤؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٢٥ - ٤٢٩؛ المعجب ١١١ - ١٢٩؛ أعمال الأعلام ١٥٩ - ١٦٢؛ نفح الطيب ١ : ٦٥٢ - ٦٥٦،

(١) ألكني: احمل عني (منّي) رسالة. تهادى - تتهادى: تتمايل (تفتخر). جرد (الخيل القليلة الشعر) العتاق (الأصيلة) الصلادم جمع صلدم (بكسر الصاد والدال): الأسد، الصلب، الشديد الحافر.
(٢) تبوأ: نزل منزلاً، اتّخذ مكانة. ناهيك مقعداً: يكفيك شرفاً أن تكون في مثل هذا المقعد. مكانة المعتمد بن عبّاد في لخم كمكانة رسول الله في بني هاشم (مبالغة مكروهة).
(٣) أبو القاسم - المعتمد بن عبّاد. اقبلها = اقبل هذه القصيدة. ثناؤك مسكي: لا أستطيع أن أهدي اليك مسكاً (شيئاً طيباً) سوى مدحي ايّاك. القوافي: القصائد. لطائمي جمع لطيمة: قافلة تحمل مسكاً للتجّارة من بلد إلى بلد.
(٤) أقذى العين: ألقى فيها القذى (وتأتي بمعنى أزال منها القذى). الترحة: الحزن. سيجلوها = سيجلو القذى منها.
(٥) امتثلتها: جعلتها هدفاً، تخيّلتها.

٦٦٧ - ٦٦٨، ٦٧١ - ٦٧٢، ٣: ٢٤٢ - ٢٤٤، ٣٢٥ - ٣٢٨، ٤: ٢١٢ - ٢١٣، ٣١٣ - ٣١٤، ٥: ١٨١ - ١٨٢؛ شذرات الذهب ٣: ٣٥٦ - ٣٥٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٧٥ - ٧٧٦؛ نيكل ١٥٤ - ١٦٣، مختارات تيكل ١٠٧ - ١١٣؛ بالنثيا ٨٩ - ٩٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٩٩ - ٢٠٠ (٦: ٣١٠ - ٣١١)؛ مجلة العربي (الكويت) ١٩٦٨/١١، ص ٧١، ١٩٧٠/٧، ص ٧٦.

ابن أرفع رأسه

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ أرفعَ رأسه[١]، من أهلِ طُليطلةَ، رَوى عن محمّدِ بنِ ابراهيم الخشنيِّ وغيره.

كان ابنُ أرفع رأسه متّصلاً بيحيى المأمونِ (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) من بني ذي النونِ أصحابِ طُليطلةَ. وقد تولّى قضاءَ طَلَبيرة (غَربَ طُليطلة)، في زمنٍ لا نَعْرِفُه. أمّا وفاتُه فَلَعَلّها كانت في أواخرِ القرنِ الخامسِ للهجرة (أواخرِ الحادي عَشَر للميلاد).

٢ - كان ابنُ أرفع رأسَه من أهلِ الذِهْن الثاقبِ والعلمِ البارع حافظاً لرأي مالكٍ ومن رؤساء المذهب في زمنه. كان شاعراً لهُ موشّحاتٌ ذاعتْ على ألسُنِ أهلِ الأندلس. وكانتْ مكانتُه في التوشيح تَلي مكانةَ ابنِ عُبادةَ القزّازِ[٢].

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن أرفع رأسه يمدحُ المأمونَ بنَ ذي النون:

دَعوا الملوكَ وأبناءَ الملوك فمَنْ ... أضْحى على البحر لم يَشْتَقْ إلى نَهَرِ.
ما في البسيطةِ كالمأمونِ ذو كرمٍ، ... فانظُرْ لتصديق ما أسمعتُ من خبر.
يا واحداً ما على عَلْياه مُختلفٌ، ... مُذْ جاد كَفُّكَ لم نحتَجْ إلى المطر.
وقد طلعتَ لنا شمساً، فما نظرتْ ... عينٌ إلى كوكبٍ يَهْدي ولا قمر.

---

(١) في الصلة (ص ٣٨٥، رقم ٨٧٤): أبو بكر عثمان بن عيسى بن يوسف التجيبي من أهل طليطلة ويعرف بابن أرفع رأسه.

(٢) مقدمّة ابن خلدون ١١٣٨. راجع ترجمة ابن عبادة القزّاز، فوق، ص

وقد بَدَوْتَ لنا وُسْطى ملوكِهِمُ فلمْ نُعَرِّجْ على شَذْرٍ ولا دُرَرِ[١].

- وقال من موشّحة:

من علّقَ القُرْطا في أُذُنِ الشِعْرى وأكفَفَ المِرْطا الغُصُنَ النضْرَا[٢]؟

★ ★ ★

قد هِمْتُ في وَسْنانْ أُسْدَ الشَرى يَسْبي[٣]
بلحظِهِ الفتّانْ في مَعْرَكِ الحبّ.
أعلى ظُبا سلطانْ بقُدرة الربّ[٤].
سُبحانَ من أعْطى جُفونَكَ النَصْرا والقَبْض والبَسطا والنَهْيَ والأمْرا[٥].

★ ★ ★

ضنَّ بإسعاد، والشمسُ تَحْكيه[٦]،
من بعدِ ميعادِ أبْدى الرضا فيه.
فكانَ إنشادي خوفَ تَجنّيه[٧]:
حيثُ قد أبطا من أمْسك البَدْرا عَنّي لقدَ أخْطا وأشْغل السِرّا[٨].

---

(١) الوسطى: الجوهرة الكبرى التي تكون في وسط العقد. وسطى ملوكهم: أعظم الملوك. لم نعرّج (لم نلتفت، لم نهتمّ). الدرر: اللؤلؤ. الشذر: قطع صغيرة من ذهب تكون بين اللؤلؤة واللؤلؤة في العقد.

(٢) الشعرى نجم كبير لامع (المحبوب الجميل). أكفف (؟). المرط: ثوب من حرير. الغصن (المحبوب ذو القامة المنتصبة كالغصن). النضر (الأخضر الريّان). (من أحاط هذا الغصن بثوب من حرير).

(٣) هام: اشتدّ حبّه. وسنان: محتاج إلى النوم (هنا: ناعس العينين). أسد الشرى (الجبال) تكون أشد (؟)، يقصد الرجال الأقوياء.. يسبي: يأسر، يستعبد.

(٤) أعلى ظبا (جمع ظبة بضم ففتح: حد السيف) سلطان (؟)

(٥) القبض والبسط: القدرة على الحرمان والعطاء.

(٦) ضنّ: بخل. اسعاد (مساعدة): استجابة للمحبّ. تحكيه: تشبهه.

(٧) أنشدتّ فيه (تغزّلت به) خوف أن يتجنى عليّ (فيدّعي أنّه مال عنّي لأنني لا أحبّه).

(٨) حيث (إذا) أبطأ (تأخر) من أمسك (الذي يشرف على؛ المربّي أو المربّية) البدرا (المحبوب الجميل)... (ولمّا اتّفق أن مرّ بي جعله يتخطّاني ولا يلتفت إلى مكاني) فأشغل السرّ (القلب، قلبي: بلبله وحيّره).

- ومن موشّحاته الموشّحةُ التاليةُ (ونلاحظُ في أعاريضها عدداً من أوجهِ الاختلاف في الوزن!):

خلعتُ عُذْري وبُحتُ بالغُزلان[١]،
مذ بانَ عُذري في الأوجه الزُهْرِ الحِسان[٢]؛
من كلّ بدرِ يلوحُ في غصنِ بانْ[٣].
أوطفٌ قد أدارْ لحظاً يُصيب حبَّ القلوبْ بسَهْمِ احْورارْ[٤].

★ ★ ★

قضيبُ رَنْدِ يَميس في دِعْصِ رجراج[٥]؛
وبدرِ سَعْدِ يُريك تحتَ الليلِ داجْ[٦]
رُمّانَ نَهْدِ أينَعَ في لَبّات عاجْ[٧].
يُقْطَف بأفكارْ فوقَ قضيبْ لَدْنٍ رطيبْ من ذَوْب البلاّر[٨].

★ ★ ★

أوْدى بصبري لامَا عبيرْ في شقيقْ[٩]،

---

(١) عذر (بضمّتين، وحذف الشاعر الثانية للضرورة) جمع عذار (بالكسر): اللجام، أي أعلنت حبّي وبحت (بأسماء) المحبوبين..

(٢) بان: ظهر. يبدو أن «الزهر» زائدة.

(٣) البان شجر أغصنه طويلة مستقيمة سمراء.

(٤) أوطف: كثيف شعر الحاجبين. أدار لحظاً: جعل يتطلّع إلى كلّ جهة. يصيب حبّ القلوب (وسطها): يصيب مقتلاً. الأحورار: شدّة بياض العين وشدة سوادها.

(٥) الرند نوع من الشجر. يميس: يتمايل. الدعص: الجانب المستدير من رمل أبيض. (يقصد الكفل - بفتح ففتح).

(٦) تحت الليل داج (داجياً: مسودًّا): تحت شعره الأسود الحالك.

(٧) أينع الثمر: نضج (بلغ تمامه). اللبّة (بالفتح): أعلى الصدر. عاج: سنّ الفيل (شديد البياض).

(٨) يقطف (أي رمّان النهد) بالفكر والنظر (ويمنع مسّه). قضيب: قامة منتصبة. لدن: طريّ يتثنّى. البلاّر: البلّور (بكسر الباء وفتح اللام المشدّدة أو بفتح الباء وضمّ اللام المشدّدة. اقرأ «بلاّر» (بلا لام للتعريف).

(٩) أودى بصبري: ذهب به، أفناه. لاما (مثنّى لام = ل: استدارة خصلة من الشعر على جانب الصدغ. في شقيق (على خدّ أحمر كشقائق النعمان).

خُطّا بالسحرِ في صَفْحتَّيْ خدٍّ أنيقْ[١]؛
وسِمْط ثغرِ قد نَمّ بالمِسْك الفتيقْ[٢]،
وصُفَّ بالنُضارْ ألْمى شَنيبْ مِثْلُ الضَريبْ يُزري بالعُقارْ[٣].

★ ★ ★

حَماني الظَلْما من لا يبالي ظُلْما[٤].
ان راشَ سهما أصابَ قلبي وأدْمى[٥].
رَضيتُ السُقْما في حبّهِ حَظًّا وقِسْما
بملتف بمدرار. ما للكئيبْ حينَ يصوبْ كالمُزْنِ أسْرارْ[٦].

★ ★ ★

أضاقَ ذَرْعي بالصَدّ عنّي يومَ زارْ[٧].
يهفو عن رَوْعي كطائرٍ في الجوِّ طارْ[٨].
هَمَّ بوَقْعِ وخافَ من إنْسٍ فحارْ[٩].

---

(١) كأنّها خطّا (خطّتا، رسمتا) بالسحر (بمقدرة غير بشرية، لجمالها الخارق). أنيق: مؤنق (يعجب العين).

(٢) وسمط (عقد) ثغر (فم): صفّ أسنان. نمّ: وشى (نقل الكلام): فاح منه. الفتيق: الجديد (يكون المسك في وعاء مغلق، فإذا فتح لأوّل مرّةٍ كانت رائحته قويّة).

(٣) النضار: الذهب. صفّ (سمط الثغر - أي الأسنان) بالنضار (في لثّة تشبه الذهب في صفائها). ألمى: أسمر (شفة سمراء) شنيب: بارد (ريق بارد). الضريب: اللبن الذي يحلب من عدد من النوق في إناء واحد (والشاعر يقصد الضرب - بفتح ففتح - أي العسل). يزري: يعيب، ينتقص القدر. العقار: الخمر (ريقه أفضل من الخمر!).

(٤) حماني: منع عنّي. الظلم (بالفتح): الريق.

(٥) راش السهم: وضع ريشاً في مؤخره ليكون سيره في الهواء أدق (إن نظر بعينيه إلى المحبّ أصابه وآذاه).

(٦) ملتف (؟) لعلّها متلف: مهلك. مدرار: كثير الدر (بالفتح) الهطول والسيلان (بدموع مدرارة). - ما (ليس) للكئيب (العاشق الحزين لأنّ محبوبه قد هجره) حين يصوب (دمعه، أي ينحدر دمعه: يبكي) كالمزن (كالمطر) أسرار (أي أسرار مكتومة - الدموع الكثيرة دليل على العشق).

(٧) أضاق ذرعي (المسافة بين الكتفين: صدري): جعله يضيق.

(٨) يهفو: يسرع في مشيه: عن روعي (اقرأ : من روع): من خوف.

(٩) همّ: عزم، أراد. وقع الطائر على الغصن: حطّ عليه.

رفرفْ ثمّ طــارْ طـيرٌ غريـبْ حُلوٌ عجيبْ بالعهدِ غدّارْ.

- وله موشّحة (بقي منها مَطلَعها وخاتمتها):

العودُ قـد ترنّمْ بأبـدعِ تلحينْ وشَقّت المذانبْ رياضَ البساتينْ(١)
تخطُرُ ولا تسلِّمْ عساكَ المأمونْ مروّع الكتائبْ يحيى بنُ ذي النونْ(٢)

٤ - ** المغرب ٢: ١٨؛ جيش التوشيح ص ٧٣ - ٨٥؛ (راجع ص ٢٤٤ - ٢٤٥)؛ نفح الطيب ٤: ١٣٤ - ١٣٥، ٧: ٦؛ مقدّمة ابن خلدون (بيروت - دار الكتاب اللبناني) ١١٣٨ - ١١٣٩؛ نيكل ٢٠١ - ٢٠٢.

علي بن فضّال

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ فَضّالِ بن عليٍّ بنِ غالبِ بنِ جابرِ بنِ عبدِ الرحمنِ التميميُّ المُجاشعيّ الفَرَزْدَقيّ (من نسل الفرزدقِ) القَيْروانيّ. يبدو أنّه وُلِدَ في القَيْروانِ ثمّ هَجَرَ مسقَطَ رأسِه (معجم الأدباء ١٤: ٩١؛ إنباه الرواة ٢: ٢٩٩)، باكراً ورَحَلَ إلى العراق من الغَرْبِ (البلغة ١٦١) وطوّف كثيراً في الأرض حتّى وصلَ إلى غَزْنَةَ (الأفْغانِ اليومَ) وأقامَ في نيسابور ولَقِيَ فيها إمامَ الحَرَمَيْنِ أبا المعالي عبـدَ الملـك الجُويـنيَّ (٤١٩ - ٤٧٨ هـ) أستـاذَ أبي حامـدٍ الغزّاليّ (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) - وكان الغزّاليّ لا يزالُ في الأغلبِ في نَيْسابور قبلَ أن ينتقلَ إلى بغدادَ، ولعلّه رآه.

ثمّ عادَ عليُّ بنُ فَضّالٍ إلى العراقِ وسكن بَغْدادَ وأقرأ اللغةَ والنحوَ فيها مدّة «وحدّث عن جماعةٍ من شُيوخِ المَغْرب» (بغية الوعاة ٣٤٥). ثمّ دَخَلَ في خِدمةِ نظام الملك(٣) وكانتْ وفاتُه في بَغدادَ، ثانيَ عَشَرَ ربيعٍ الأوّلِ ٤٧٩ (٢٧/٦/١٠٨٦ م).

---

(١) المذنب (بكسر الميم وفتح النون) مسيل الماء.

(٢) مروّع الكتائب: مخيف الجيوش.

(٣) نظام الملك هو الحسن بن عليّ الطوسي (٤٠٨ - ٤٨٥ هـ) وكان وزيراً للسلاجقة يهتمّ بالعلم والعمران، بنى عدداً من المدارس (الجامعات) في بلاد المشرق فكانت تعرف باسم «المدارس النظامية». قتل قرب نهاوند (فارس). ولا ندري إذا كان ابن فضّال قد دخل في خدمة نظام الملك في فارس أو أنّه قد دخل في خدمة دولة السلاجقة في بغداد.

٢ – كان عليُّ بنُ فَضّالٍ إماماً في النحوِ واللغة والتصريف والتفسير والتاريخ، كما كان شاعراً مُحْسِناً يَرِقّ حيناً ويبدو على شعره الجفافُ حيناً. وفنونُه الحكمةُ والمديح والغزل. وهو يلجأُ أحياناً إلى الصِناعة والتَوْرِيَةِ خاصّةً. ثمّ هو مؤلّفٌ مُكْثِرٌ، له: الإكسير في علم التفسير (خمسة وثلاثون مجلّداً) – البُرهان العَميدي (في التفسير، عشرون مجلّداً) – النُكَتُ في القرآن – شرح بسم الله الرحمن الرحيم – الفصول في معرفة الأصول – المقدّمة في النحو – شرح عُنوانِ الإعراب – العواملُ والهوامل (في الحروف خاصّة) – الإشارة في تحسين العبارة – شرح معاني الحروف – إكسيرُ الذهب في صِناعة الأدب والنحو (اقرأ: صناعة النحو والأدب) – معارف الأدب – شجرة الذهب في معرفة أئمّة الأدب – العَروض – الدُوَلُ (في التاريخ: خمسة وثلاثون مجلّداً).

٣ – مختارات من شعره

– قال عليُّ بنُ فَضّالٍ في «فُقدانِ الصَداقة من الناس»:

وإخوانٍ حَسِبْتُهُمُ دُروعاً، فكانوها ولكنْ للأعادي.
وخِلْتُهُمُ سِهاماً صائباتٍ، فكانوها ولكن في فُؤادي.
وقالوا: قد صَفَتْ منّا قُلوبٌ. لقد صَدَقوا، ولكن من وِدادي.

– وقال من قصيدة في مَدْحِ نِظامِ المُلك:

دوارسُ آيٍ ما تَكادُ تُبينُ عَفاهنّ دمعٌ للسَحاب هَتونُ(١).
وقَفْنا بها مُسْتَلْهِمينَ فلم يَزَلْ لِسانُ البِلى عن عُجْمِهِنّ يُبينُ(٢)؛
على حينَ عاصَيْتُ الصِبا وهو طائعٌ وأرْخَصْتُ عِلْقَ اللَّهْوِ وهْوَ ثمين(٣).
سقى اللهُ حيثُ الظاعنون سحائباً فقَلْبِيَ حيثُ الظاعنونَ رَهين(٤).

---

(١) دوارس (أمكنة ممحوّة الأثر، مهدّمة. آي=آيات (جمع آية) مكان تتلى فيه الآيات (؟). عفاهنّ (محاهنّ) دمع (مطر) هتون (كثير).

(٢) البلى: الفناء، الخراب. عجمهنّ (صمتهنّ) يبين (يعبّر، يتكلّم).

(٣) العلق: الشيء النفيس. حينما كنت شاباً قادراً على اللهو لم أكن ألهو؛ بينما كان غيري يرى أن هذا اللهو مهمّ جدّاً.

(٤) الظاعنون: الراحلون عنّي (أحبابي – يقصد: الظاعنات: النساء الحسان).

فكم ضُمِّنَتْ أحْداجُهُم مِنْ جآذِرٍ أوانسَ يَنْضوها جآذر عِينُ[(١)]!
وأقمارِ تِمّ لم يَرَ الناسُ قبلَها بُدوراً تَثَنّى تحتَهنّ غُصون[(٢)]،
يُجَرِّدْنَ من ألحاظِهِنّ صوارِماً مُهنّدةً أجفانُهنّ مُتون[(٣)].

٤ - معجم الأدباء ١٤: ٩٠ - ٩٨؛ الخريدة (المغرب) ١: ٢٨٧ - ٢٨٩، إنباه الرواة ٢: ٢٩٩ - ٣٠٢؛ بغية الوعاة ٣٤٥؛ البلغة ١٦١؛ شذور الذهب ٣: ٣٦٣؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٣٥ (٤: ٣١٩).

ابن جاخ البطليوسيّ

١ - هو ابنُ جاخٍ البَطَلْيَوْسِيُّ الصبّاغُ (كان يعمَلُ في صَبْغِ الثياب)، وكان أُمّياً لا يَخُطُّ ولا يقرأُ الخَطَّ. ولا أعلَمُ إلى ما اسْتَنَدَ نيكلُ لمّا ذكَرَ (ص ١٧٩) أنّه كان أعمى.

يبدو أن حَياةَ ابنِ جاخٍ تَقَع كلُّها في القرنِ الخامسِ (القرنِ الميلادي الحادي عَشَرَ)، ويبدو أيضاً أنّه لم يَجِدْ في بَلاطِ بَطَلْيَوْسَ عندَ بني الأفطس ما يُؤمِّلُ، إذ كان أمرُ بني الأفطسِ مُضْطَرِباً، فذهب إلى إشبيليةَ ومدح المُعْتَضِدَ عبّاداً (٤٣٢ - ٤٦١ هـ). ثمّ لمّا اسْتَقَرَّ أمرُ بني الأفطس واستقلّ عُمَرُ المتوكّلُ بالإمارةِ (٤٧٣ - ٤٨٧ هـ) زارَه ابنُ جاخٍ مادحاً. وسَمِعَ الوزيرُ أبو بكرِ بنِ عمّارٍ بابنِ جاخٍ قبلَ اشتهارِه فمرّ على حانوتِه وَهُوَ آخذٌ بعملِه وطارَحَه شيئاً من الشِعْر ثمّ قَدّمه وأحسنَ إليه. فإذا كانَ ابنُ عمّارٍ الذي وَلِيَ الوزارةَ للمُعْتَمدِ بنِ عبّادٍ، مُنْذُ سَنَةِ

---

(١) الحدج (بالكسر) مركب من مراكب النساء كالهودج. الجؤذر (بضمّ فسكون ثمّ بفتح أو ضم): الغزال الصغير (كناية النساء الحسان). الآنسة: الفتاة التي يؤنس بها. نضاها ينضوها (يتقدّمها!). العيناء: الواسعة العينين. هنالك سرب من الحسان المتقدّمات في السنّ يسرن في الطليعة (كما يكون في أسراب الحيوان).

(٢) بدر التمّ (في الليلة الرابعة عشرة). بدور (وجوه جميلة). تثنّى = تتثنّى (تتمايل). غصون جمع غصن (كناية عن قوام الفتاة النحيلة).

(٣) صارم: سيف. مهنّده: من صنع الهند. جفن السيف: قرابه، بيته. ولكنّ أجفان هؤلاء الحسان متون (صفائح سيوف)!

٤٦١، قد لَقِيَ ابنَ جاخٍ قبل أن يشتهر فيجب أن يكون ابنُ جاخٍ قد عاشَ بعدَ ذلك مدّةً طويلةً. فلعلّ وفاتَه لم تَقَعْ قبلَ ٤٨٠ (١٠٨٧ م).

٢ - كان ابنُ جاخٍ البَطَلْيَوْسِيُّ شاعراً مُحسناً. ولعلَّ جهلَه القِراءةَ والكِتابةَ قد ترك شِعْرَهُ بريئاً من التكلّف. ومَعَ ذلك فإنّ صُوَرَهُ الشِعرية تُلْفى أحياناً بارعةً. ولكن لا يجوزُ أن نُخْدَعَ كثيراً بالقولِ إنّه كان أمّياً، لأنّ الأُمِّيّةَ شيءٌ والثقافةَ شيءٌ آخرَ. ففي شِعرِ ابنِ جاخٍ ما يَدُلُّ على أنّه عَرَفَ غَريبَ اللغة ووَصْفَ الناقة وسَيْرِها عند الجاهليّين.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ جاخٍ البَطَلْيَوْسِيُّ في النَسيبِ:

ولمّا وَقَفْنا غَداةَ النَوى ... وقد أسْقَطَ البَيْنُ ما في يدي(١)،
رأيتُ الهوادجَ فيها البُدورُ ... عليها البَراقعُ من عَسْجَدِ؛
وتحتَ «البراقعِ» مَقْلوبُها ... تَدِبُّ على وَرْدِ خَدٍّ نَدي(٢)
تُسالِمُ مَنْ وَطِئَتْ خَدَّهُ ... وتلدَغُ قلبَ الشَجِي المُكْمَدِ(٣).

- وقال يمدحُ المُعْتَضِدَ عبّاداً:

قَطّعْتَ، يا يومَ النَوى، أكبادي ... وحَرَمْتَ عن عيني لذيذ رُقادي(٤)؛
وتَرَكْتَني أرْعى النُجومَ مُسَهَّداً ... والنارُ تُضرَمُ في صَميمِ فُؤادي(٥).
فكأنّما آلى الظَلامُ أليّةً: ... لا يَنْجلي إلاّ إلى ميعادِ(٦).

---

(١) البين: البعد، البعاد. أسقط ما في يدي (جعلني حائراً).
(٢) مقلوب براقع «عقارب» (كناية عن الشعر المتدلّي والمتعرّج على الصدغ (هذا يدل على أنه كان يعرف الخط).
(٣) الشجي: الحزين. المكمد: الذي أكمده الحزن (أغمّه).
(٤) لو قال: «وحرمت عيني من لذيذ رقادي» لكان أصحّ في التركيب والمعنى (من غير اختلاف في الوزن).
(٥) مسهّد: طائر النوم.
(٦) آلى: أقسم. أليّة: يمين، قسم. اقرأ: إلى الميعاد (يوم القيامة).

وَلَرُبَّ خَرْقٍ قد قَطَعْتُ نِياطَه والليلُ يرفُلُ في ثِيابِ حِداد[1]،
بشِمِلّةٍ حَرْفٍ كأنّ ذَميلَها سُرُحُ الرِياحِ وكلُّ برقٍ غاد[2]،
والنَجْمُ يَحْدوها، وقد نادَيْتُها: يا ناقُ، عُوجي على عبّاد[3]!
مَلِكٌ إذا ما أُضْرِمَتْ نارُ الوغى وتلاقَتِ الأجنادُ بالأجناد
فَتَرى الجُسومَ بلا رُؤوسٍ تَنْثَني، وترى الرؤوسَ لَقًى بلا أجساد[4].
يا أيُّها الملكُ المُؤَمَّلُ والذي قِدْماً سَما شَرَفاً على الأنداد،
إنّ القصيدَ لَكاسدٌ في أرْضِنا، ولـه هنا سُوقٌ بغَيْرِ كَساد.
فجَلَبْتُ من شِعري إلَيْكَ قوافياً يَفْنى الزمانُ وذِكْرُها مُتمادي،
مِنْ شاعرٍ لم يَضْطَلِعْ أدباً ولا خَطّتْ يداهُ صَحيفةً بِمِداد!

- وقال ابن جاخ:

(إذا مَرَرْتِ بِرَكْبِ العِيسِ حَيِّيها) يا ناقَتي، فَعَسى أحْبابُنا فيها[5].
يا ناقُ، عُوجي على الأطلالِ، عَلَّ بها مِنْهُمْ غَريبٌ يراني كَيفَ أبْكيها؛
أو كيف أرفُضُ طِيبَ العيشِ بَعْدَهُمُ، أو كيف أُسْبِلُ دمعي في مَغانيها[6].
إنّي لَأكْتُمُ أشواقي وأَسْتُرُها جُهْدي، ولكنّ دَمْعَ العينِ يُبْديها.

٤ - ★★ جذوة المقتبس ٣٨١ (رقم ٩٦٣) (الدار المصرية ٤٠٥ (رقم ٩٦٤))؛ بغية الملتمس ٥٢٢ (رقم ١٥٦٢)؛ نفح الطيب ٣: ٤٥٢ - ٤٥٣، ٦٠٨، ٤: ٢٤٣ - ٢٤٤؛ بغية الوعاة ٥٢٢؛ نيكل ١٧٩ - ١٨٠، مختارات نيكل ١٢٣ - ١٢٤.

---

(١) خرق: القفر، الفلاة الواسعة. النياط (المسافة البعيدة).

(٢) شملّة: (الناقة) السريعة. الحرف (الناقة) الضامرة (الخفيفة السريعة). الذميل: السير السريع. السرح (بضمّ فضمّ: مفردة أو جمع): السريع.

(٣) النجم يحدوها (يسوقها) تسير ليلاً.! عوجي: ميلي (اقصدي). اقرأ: يا ناقتي...

(٤) لو قال «تلقى» مكان «فترى» لكان أصحّ في الإعراب. لقى: ملقى أرضاً، ما طرح ثمّ ترك لهوانه (لا قيمة له).

(٥) في جذوة المقتبس (ص ٣٨١) أنّ ابن جاخ قصد فخر الدولة أبا عمرو عبّاد بن محمّد بن عبّاد (الملموح أنّه المعتضد عبّاد صاحب إشبيلية). فلمّا دخل عليه، قال له (المعتضد) أجز: «إذا مررت بركب العيس حيّيها». فقال ابن جاخ هذه الأبيات ارتجالاً.

(٦) أسبل دمعه: تركه يسيل. المغنى: المكان المسكون العامر.

ابن الحدّاد الوادي آشي[1]

١ - هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ أحمدَ بن عثمانَ القيسيُّ المعروفُ بابنِ الحدّادِ الوادي آشي[1] - وكان لَقَبُهُ « مازنٌ » - مَوْلده ونشأته في وادي آشَ. وهنالك عَشِقَ في صِباه فتاةً فلّاحة رومية (مسيحية) اسمُها جميلةُ ولكنّه يُكني عنها في شِعره باسم « نُويرة » اتّصل ابنُ الحدّاد الوادي آشيُّ بِبَلاطِ المعتصم بن صُمادحٍ (٤٤٤ - ٤٨٠ هـ) في المَرِيّة وقضى فيه مُعظَمَ حياته. واتّفق مرّةً أن عرّضَ في شِعره بالمعتصم بنِ صمادحٍ بالبخلِ فخافَه ثمّ فَرّ منه إلى سَرَقُسْطَةَ ومكث عند صاحِبها المقتدِر بنِ هودٍ سنينَ قلائلَ (٤٦١ - ٤٦٤ هـ) ولكنّه عاد بعدئذٍ إلى بَلاط المعتصم.

وكانت وفاةُ ابنِ الحدّادِ الوادي آشي سَنَة ٤٨٠ هـ (١٠٨٨ م) أو بعدَها بقليل.

٢ - كان ابنُ الحدّاد الوادي آشيُّ مُتَفَنّناً في علومٍ كثيرةٍ ولا سيّما في علومِ الأوائل (الفلسفة) وعلومِ التعاليم (الرياضيّات والفلك[2] خاصّة) كما كان شاعراً فَحْلاً مُجيداً شديدَ الغَوْصِ على المعاني مُغْرَماً بالتشبيهات التي تبدو مُشرِقةً في الشعر (بارعةَ المَظْهَرِ) من غيرِ أن يكون بينها وبين المعاني المقصودة صلةٌ وثيقة بالضرورة. وفنونُ شِعره المديح (ومُعْظَمُ مديحه في المعتصم) والغزلُ والعتاب والفخر والزُهد، وله هجاءٌ مُقْذِع. وكذلك كان حافظاً للحديث ومؤرّخاً وناقداً له كتاب في العَروض مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية وآراء الخليلِ بنِ أحمدَ[3] وردّ فيه على السرقُسطيّ المنبوذِ بالحمارِ[4] ونقدَ كلامه فيما يتعلّق بالأشْطار.

---

(١) هو غير الأديب الكاتب المؤرخ والحافظ الفقيه أبي عبد الله محمّد بن الحدّاد الشهير بالوادي آشي نزيل تلمسان بعد سقوط غرناطة (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م). انظر نفح الطيب ٦ : ٢٢ ، ثمّ ٤ : ٥٠٧ ، ٧ : ١٠٣ .

(٢) راجع نفح الطيب ٧ : ٢٦ . قيل عرف خسوف البدر قبل موعده، وهي الحادثة المذكورة لابن باجّه المتوفّى ٥٣٣ هـ (راجع نفح الطيب ٧: ٢٥).

(٣) توفّي عام ١٧٠ هـ. (راجع ٢: ١١١ - ١١٦).

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن فتحون التجيبي كان بارعاً في علوم اللغة وفي علوم الفلسفة وله في علم العروض كتاب مطوّل وكتاب مختصر وله رسائل في الفلسفة. امتحنه المنصور بن أبي عامر محنة (اتّهمه باعتقاد آراء الفلاسفة!) وسجنه. ثمّ أطلق سراحه فانتقل إلى جزيرة صقلّية، وبقي فيها إلى أن توفّي (أوائل القرن الخامس). راجع الذيل والتكملة ٤ : ٤٠ - ٤١ ؛ بغية الوعاة ٢٥٦ ، نفح الطيب ٣ : ١٧٥ ، ٥٠٢ .

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن الحدّاد في النسيب:

هُمْ في ضَميرِكَ، خيّموا أمْ قوّضوا، ومُنى جُفونِك أقْبلوا أم أعْرضوا[١].
وهُمُ رِضاكَ مِنَ الزمانِ وأهْلِهِ سَخِطوا كما زَعَمَتْ وُشاتُك - أم رَضُوا[٢].
أهواهُمُ وإنِ اسْتَمرَّ قِلاهُمُ؛ ومِنَ العجائبِ أن يُحَبَّ المُبْغِضُ[٣]!

- وقال يتغزّل في نُوَيْرَةَ:

وارَتْ جُفوني مِنْ نُوَيْرَةَ، كاسْمِها، ناراً تُضِلُّ؛ وكلُّ نار تُرْشِدُ[٤].
والماءُ أنتِ، وما يَصِحُّ لِقابضٍ؛ والنارُ أنتِ، وفي الحَشى تَتَوَقَّدُ[٥].

- وقال في مُسامَحَةِ الإخوانِ وتَشْبيهِهِم بالسِراج:

سامِحْ أخاكَ إذا أتاكَ بِزَلّةٍ؛ فخُلوصُ شيءٍ قَلَّما يَتَمَكَّنُ.
في كلِّ شيءٍ آفةٌ مَوْجودةٌ: إنّ السِراجَ على سَناهُ يُدَخِّنُ!

- وقال يَصِفُ إعطاءَ المَمْدوحِ ألْبِدَرَ للطالبين (والبَدْرَةُ خَمْسُمِائَةِ دينارٍ، وتكونُ عادةً في صُرّةٍ مُكوَّرةٍ):

يَدينُ نَداهُ دينَ كَعْبٍ وحاتمٍ؛ فحَتْمٌ عليه، الدهرَ، وَصْلُ صِلاتِها[٦].
يُجاهدُ في ذاتِ النَّدى بَيْتُ مالِهِ؛ ولا جَيْشَ إلاّ من أكُفٍّ عُفاتِها[٧].
إذا ألْبِدَرُ انْثالَتْ عَلَيْهِمْ حَسِبْتَها، بأيْدي مَواليها، رُؤُوسَ عِداتِها[٨]!

---

(١) خيّموا أو قوّضوا: أقاموا أو رحلوا (حضروا أو غابوا). ومنى جفونك: الذين تتمنّى أن تراهم.
(٢) الوشاة: الذين ينقلون الأخبار السيئة أو المختلقة للإفساد بين المتحابين.
(٣) القلى: البغض.
(٤) واري: أخفى. كاسمها (يقصد: ناراً، حرارة، حبّاً وشوقاً وتلهّفاً إلى رؤية المحبوبة).
(٥) أنت تشبه الماء لا يستطيع أحد أن يقبض عليه (ولا أن يصل إليك) وكالنّار ولكن تشتعل في القلوب.
(٦) نداه (جوده وكرمه) يدين (يسلك، يعمل، يسير على) دين (عادة) كعب (بن مامة الأيادي) وحاتم (الطائي) كريمان مشهوران. حتم عليه: يرى من الواجب عليه. الدهر (طول الدهر) وصل (مواصلة، استمرار) الصلات (بكسر الصاد) العطايا.
(٧) الندى: الكرم. العفاة (جمع عاف: طالب المعروف والعطاء). كأن بيت ماله (أمواله) في جهاد (حرب) في ذات الندى (في سبيل الندى= ضدّ البخل والفقر) والجنود هم أكفّ (أيدي) طالبي العطاء.
(٨) انثالت: انهمرت، انصبّت. مواليها: أصحابها (أصحاب البدر، الذين يستحقّون هذه البدر).

- وقال ابن الحدّاد الوادي آشي يتغزّل ثمّ أحسن التخلّص إلى مديح محمّد بن معن (المعتصم بن صمادح):

- عُجْ بالحِمى حيث الغياضُ العين فعسى تَعُنّ لنا مَهاهُ العِينُ[1].
واستقبِلَنْ أَرَجَ النسيمِ فدارُهم نَدّيّة الأَرجاءِ لا دارينُ[2].
أُفُقٌ إذا ما رُمْتَ لحظَ شموسِهِ صَدّتْك للنَقْعِ المُثارِ دُجون[3].
أنّى أُراعُ لهم وبين جوانحي شوق يُهَوّن خطبَهم فيهون[4]؟
أنّى يَهابُ ضِرابَهم وطِعانَهم صَبٌّ بألحاظ العيون طَعين[5].
فكأنّما بِيضُ الصِفاحِ جَداولٌ وكأنّما سُمْرُ الرِماحِ غُصون[6].
ذَرْني أَسِرْ بين الأَسِنّة والظُبى فالقلب في تلك القِباب رَهين[7].
فلعلّه يُروي صَدايَ بلحظه وجهٌ به ماء الجمال مَعين[8].
يا ربّةَ القُرطِ المُعيرِ خُفوقَه قلبي، أما لِحراكِه تَسْكين؟
توريدُ خدِّكِ للصَّبابة مُوردٌ، وفتور طَرْفِكِ للنفوس فُتون.
فإذا رَمقتِ فَوحي حبِّك مُنْزِلٌ وإذا نَطَقْتِ فإنّه تَلْقين[9].
أنتِ الهوى، لكنّ سُلوانَ الهوى قَصْدُ ابنِ مَعْنٍ؛ والحديثُ شُجون[10]

---

(١) عاج بالمكان: أقام. الغيضة: المكان يكثر فيه الشجر ويلتفّ. الحمى: المكان الذي لا يجسر أن يقترب منه عدوّ. العين (جمع عينة: الجميلة المنظر، الفائقة على غيرها). المها: الظباء (النساء الجميلات). العين جمع عيناء (بفتح العين): المرأة الواسعة العينين.

(٢) أرج: رائحته الطيّبة المنتشرة. نديّة (نسبة إلى ندّ: نوع من الطيب يستخدم بخورا). دارين مكان في الشام فيه نباتات طيّبة الرائحة.

(٣) الأفق: البلد، الجانب من الأرض. النقع: غبار الحرب. دجن: الغيوم. بلد تكثر فيه الحروب(؟).

(٤) أنّى: كيف (لماذا). راع: أخاف (نار الحبّ التي في قلبي أشد خطراً من الحروب بين الجيوش).

(٥) هاب: خاف. الضراب (بالسيف) والطعان (بالرمح). صبّ: محبّ.

(٦) بيض الصفاح (صفحات الحديد: السيوف). جداول: أنهار.

(٧) ذرني: دعني. السنان: الحديدة في رأس الرمح. الظبة (بضمّ ففتح): حد السيف. القبّة: الخيمة الكبيرة من الجلد (تكون للقوّاد وللأشراف).. سأستسهل السير بين المتحاربين حتى أصل إلى خيمة المحبوب.

(٨) الصدى: العطش. معين: ماء كثير جار (عذب).

(٩) رمق: نظر. إذا نظرت إليّ أوحيت إليّ (قول الشعر). تلقين: تعليم بالقراءة.

(١٠) سلوان: نسيان. قصد «زيارة» ابن معن (المعتصم بن صمادح). زيارته تنسيني المحبوب.

فالحسنُ أجمعُ مـا يُريـكِ عِيانُـه، لا ما أَرتْهُ سَوالِفٌ وعيـون[١].
والروض ما اشْتملت عليه سُهولُه، لا ما أَرَتْهُ أباطِحٌ وحُزون[٢].
قصـرٌ تَبيَّنَتِ القُصورُ قُصورَهـا عنـه، وفضـلُ الأفضلين يَبـين[٣].
هـو جنّـةُ الـدنيا تَبَوَّأَ ظِلَّهـا مَلِـكٌ تَمَلَّكَـهُ التُقى والـدين[٤].
فَمَنِ ابنُ ذي يَزَنٍ؟ ومـا غُمْدانُـه؟ النَقْـلُ شكٌّ والعِيـانُ يَقـين[٥]!

- وقال في النسيب (التشابيهُ والاستعاراتُ والكنايات هنا كثيرة):

بِعَيْشِكُما ، ذاتَ اليَمـينِ! فـإنّـني أُراحُ لِشمِّ الروح مـن عقداتِهـا[٦].
فقـد عَبِقَتْ ريـحُ النُّعامـى كأنّـما سَـلامُ سُلَيْمـى راحَ من نَفَحاتِها[٧].
وتَيْمـاءُ للقلـبِ المُتَيَّـمِ مَنْـزِلٌ؛ فعُوجـا بِتَسليـمٍ عـلى سَلَماتِهـا[٨].
مَشـاعـرُ تـهيـامٍ وكَعْبـةُ فِتْنـةٍ، فُـؤاديَ مـن حُجّاجها ودُعاتِهـا[٩].

---

(١) عيانه: مشاهدته. السالف: الشعر المتدلّي من جانب الرأس. سوالف وعيون كناية عن النساء الجميلات.

(٢) الأبطح: الأرض الواسعة المستوية. الحزن (بالفتح) الأرض الصلبة يعسر السير فيها. بلاد المعتصم بن صمادح أجمل (وأفضل) من بلاد غيره....

(٣) قصورها (تقصيرها) عنه. يبين: يظهر (من تلقاء نفسه).

(٤) تبوّأ: سكن وأقام في المكان.

(٥) سيف بن ذي يزن: ملك مشهور في اليمن. غمدان: قصر سيف بن ذي يزن. نحن نسمع عن سيف بن ذي يزن سماعاً، ولكنّنا نرى مجد المعتصم بن صمادح بعيوننا.

(٦) استحلفكما بحياتكما أن تميلا بنا ذات اليمين. راح لذلك الأمر يراح: فرح (قا ١ : ٢٢٥، السطران ٥ - ٦). الروح (بفتح الراء): نسيم الريح. عقداتها (بضم العين وفتح القاف) جمع عقدة (بضمّ العين وسكون القاف): كلّ أرض مخصبة.

(٧) النعامى: (بضمّ النون): ريح الجنوب، أو ريح بين الجنوب والشرق. عبقت الريح: لزقت بها رائحة الطيب. النفحة: الهبة من الرائحة الطيّبة.

(٨) تيماء بلدة في نجد (المقصود: بلد المحبوبة). المتيّم. الّذي تيّمه (استعبده وذلّلّه) الحبّ. وتيماء للقلب المتيّم منزل: قلبي لا يترك حبّ المحبوبة ولا يترك تذكّرها. عوجا: ميلا (بنا)، دعانا نذهب إلى (بيت المحبوبة). السلمات (بفتح ففتح): جمع سلمة (بفتح ففتح): نوع من الشجر؛ أو جمع سلمة (بفتح فكسر): حجر (المقصود: ديار الحبيبة).

(٩) مشاعر جمع مشعر (المكان المقدّس الذي يزار). التهيام (غير موجودة في القاموس، مع أنّها وردت في شعر كُثَيِّر عزّة): شدّة الحبّ للمرأة.

فكم صافَحَتْني في مِناها يدُ المُنى، وكم هبّ عَرْف اللّهْوِ في عَرَفاتها[1].
عَهِدتُ بها أصنامَ حُسْنٍ عَهِدْنَني هَوًى عَبْدُ عُزّاها وعبدُ مَناتِها[2].
أُهِلُّ بأشْواقي إلَيْها وأتّقي شَرائِعَها في الحُبِّ حَقّ تُقاتِها .

٤ - ★★ المطمح ٨٠ - ٨٣، الذخيرة ٢ : ٦٩٢ - ٧٢٩ ؛ جذوة المقتبس ٣٧٣ (رقم ٩٣٩)؟؛ المحمدون من الشعراء ١٠٦ - ١٠٨ ؛ الخريدة (المغرب) ٢ : ٢٧١ - ٢٨٩ ؛ الخريدة (الأندلس)١ : ١٧٧ - ٢٠٩ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٠٩ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٨٦ - ٨٨ ؛ التكملة ١٣٣ (رقم ٤٦١)؛ الذيل والتكملة ٦ : ١٠ وما بعد؛ أزهار الرياض ٣ : ٣١٤؛ المغرب ٢ : ١٤٣ - ١٤٥ ؛ الاحاطة (١٣١٩) ٢ : ٢٥٠ - ٢٥٢ ؛ نفح الطيب ٣ : ٢٦٣ ، ٥٠٢ - ٥٠٥ ، ٤ : ٤٨ - ٥١ ، ٥٦ ، ١٠١ - ١٠٢ ، ٧ : ٢٦ - ٢٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣ : ٧٧٥ - ٧٧٦ ؛ نيكل ١٩٤ - ١٩٥ ، مختارات نيكل ١٣٥ - ١٣٨ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٠٧ (٥ : ٣١٥).

ابن الدبّاغ

١ - هو أبو المُطرِّفِ عبدُ الرحمنِ بنُ فاخرٍ من سَرَقُسْطة، كان كاتباً عند صاحبها المقتدرِ بنِ هودٍ (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ)، فوقعتْ بينَها وَحْشةٌ فهرب ابنُ الدبّاغ ولَحِقَ بالمُعتمد بنِ عبّاد في إشبيلية (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) فنال عندَه حظوةً وسَفَرَ[3] بينَه وبينَ المُتوكِّلِ بنِ الأفطس صاحبِ بَطَلْيَوْسَ. وكان لابنِ الدبّاغ حُسّاد وأعداء، كما كان هو أيضاً ضيّق الخُلُق كثيرَ التضجُّر من الناس. ووقعت بينَه وبينَ ابنِ عَمّارٍ (قتله المعتمد سنة ٤٧٧ هـ) عداوةٌ فانتقلَ إلى المُتوكّل بنِ الأفطس، في ٤٧٣ هـ أو بعدَ ذلك بقليلٍ (راجع الذخيرة ٣ : ٢٥٢).

---

(١) منى (بكسر الميم) مشعر أو منسك من مناسك الحجّ. العرف: الرائحة الطيّبة. عرفات: جبل يجتمع عليه الحجّاج للتلبية (دعاء الله).

(٢) عهدت: عرفت. عهدني: تعوّدن أن يرينني. هوى: محبّ. العزّى ومناة (من بنات الله عند عرب الجاهلية).

(٣) سفر: عمل سفيراً (تردّد بين الدول في مهمّات رسمية).

وكان أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أيْمنَ[1] وزيراً لدى المُتوكّل - أو مُسْتَوْلِياً على أمورِ الوزارة فخافَ من مُنافسة ابنِ الدبّاغِ فنشأتْ بينَهما عداوةٌ شديدة ارتحلَ ابنُ الدبّاغ بعدَها إلى بلدهِ سَرَقُسْطَةَ. وبعدَ قليلٍ قُتِلَ ابنُ الدبّاغ في بعضِ بساتينِ سَرَقُسْطَةَ. وقد رَثاه ابنُ عَبْدونٍ (ت ٥٢٩ هـ).

إنّ هذه الأحداثَ المُتلاحقةَ تَدُلّ على أن مقتلَ ابنِ الدبّاغ كان في حُدودِ سَنَةِ ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م).

٢ - كان ابنُ الدبّاغِ أديباً ناثراً شاعراً وكاتباً. وكان النثرُ أغلبَ عليه. ومُعْظَمُ رسائلهِ إخوانيّاتٌ كثيرةُ السجعِ والصِناعة، وتكاد تكونُ كلُّها في الشكوى من الدهر ومن السِعايات (الذخيرة ٣: ٢٦٩). ومن رسائلهِ المتقدّمةِ رسالةٌ ذكرَ فيها سببَ خُروجهِ عن سَرَقُسطة (٣: ٢٧٢). أمّا شعرُه فسهلٌ عذْب، ولكنَّ معانِيَهُ عاديّة. والقليلُ المَرْويّ من شِعره في الغَزَل والنسيب والمديح.

٣ - مختارات من آثاره

- فصل من رسالة له في الشكوى (الذخيرة ٣: ٢٥٧):

كتابي، وعِندي من الدهر ما يهُدُّ أيسرُه الرواسِي[2] ويُفَتِّتُ الصخرَ القاسِيَ. فأنا وإيّاه فَرَسا رِهانٍ[3]: «يُجِدّ نوائباً وأُجيدُ صبْراً»[4]. ومن أجَلِّها[5] قَلْبُ محاسِني مَساوِيَ[6]، وأوْليائي أعادِيَ، وقَصْدي بالبُغْضة من جهة المِقة، واعتادي بالخِيانة من حيثُ الثِقةُ[7]. فقِس بهذا على ما سِواه وعارِضْه بما عَداه[8]. ولا أُطوِّل عليك،

(١) هو أبو عبد الله محمّد بن أيمن كان وزيراً للمتوكّل صاحب بطليوس (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ).

(٢) الرواسي: الجبال.

(٣) فرسا رهان: متساويان في المقدرة.

(٤) يجدّ (يأتي بأشياء جديدة) نوائب (جمع نائبة: مصيبة) وأجيد صبراً (أصبر صبراً جميلاً، كثيراً). والجملة شطر من الشعر (مستشهد به هنا).

(٥) أجلّها: أعظمها، أكبرها.

(٦) قلب (عكس، تبديل) مساوي (مساوىء، جمع سيّئة).

(٧) المقة: الصداقة والمحبّة. من حيث الثقة (في مكان الثقة).

(٨) عارضه: قارنه. بما عداه: بما تجاوزه (بغيره).

فقدغَيّر عليّ حتّى شَرابي وأوحشَني حتّى ثيابي[١] . فها أنا أتّهم عِياني وأسْتريب من بَناني[٢] وأجْني الإساة من غَرْس إحساني. وقاتل الله الحُطَيْئةَ[٣] في قبره فَلَشَدَّ ما غَرّ بقوله:

مَنْ يفعـلِ الخـيرَ لا يعـدَمْ جوازِيَهُ؛ لا يذهـبُ العُرْفُ بين الله والناس[٤] .
من يزرعِ الخيرَ يَحْصُدْ ما يُسَرّ به. وزارعُ الشرّ منكوسٌ على الراس[٥] .

أنا، واللهِ، اغْتَرَرْتُ به[٦] وفعلت خيراً فعَدِمْتُ جوازِيَه وأذْمَمْتُ عوائِدَه ومَبادِيَه[٧] . وزرعته فلم أحصُدْ إلاّ شرّاً ولا اجْتَنَيْتُ معه إلاّ ضُرّاً. وهكذا جَدّي[٨] ، فما أصنع، وقد أبى القضاء إلاّ أن أقضيَ عُمُرِيَ في بُوس ولا أنْفَكّ في نُحوس[٩] . ويا ليتَ باقِيه قدِ انصرم وغائِبَ الحِمام قد قَدِمَ[١٠] . فعسى أن تكونَ بعدَ المَمات راحة من هذا النَصَب وسَلوةٌ عن هذه الخُطوب والكُرَب[١١] . ودَعْ بنا[١٢] هذا التَشكّي « فالدهرُ ليس بمُعْتِب من يجزَعُ »[١٣]،ولا بمُشْفِقٍ على مَنْ يتوجّع[١٤] . واطّرِحْ

---

(١) كذا في الأصل (لعلّها: حتّى من ثيابي).

(٢) العيان: البصر،(النظر بالعينين). استراب: شكّ. البنان جمع بنانة: طرف الأصابع (عقد الأصابع، الأصابع).

(٣) الحطيئة جرول بن أوس العبسيّ (ت ٥٩ هـ = ٦٧٨ م). شاعر مخضرم (أدرك الجاهلية والإسلام) اشتهر بالعنف في الهجاء.

(٤) الجوازي: جمع جازية: الجزاء (الثواب أو العقاب). العرف: المعروف، عمل الخير.

(٥) يبدو أن هذا البيت ليس للحطيئة (الذخيرة ٣: ٢٥٨، الحاشية الثانية).

(٦) .... به (ببيت الحطيئة).

(٧) أذممت الشيء: وجدتّه ذمياً (قبيحاً). العوائد جمع عائدة: راجعة (الشيء يفعل مرة بعد مرّة). مبادئه: أوائله (الشيء يفعل للمرّة الأولى).

(٨) جَدّي (بالفتح): حظّي.

(٩) بوس = بؤس: شدّة، الفقر، لا أنفكّ: لا انقطع (أبقى دائماً).

(١٠) ويا ليت باقيه (باقي العمر) قد انصرم (انقطع، انتهى) وغائب الحمام (بالكسر: الموت) قد قدم (أتى، وصل).

(١١) النصب: التعب. الكربة (بالضمّ): الحزن والغمّ.

(١٢) فدع بنا هذا... (بنا لا حاجة إليها).

(١٣) « والدهر ليس بمعتب... » شطر لأبي ذؤيب الهذلي (بضم ففتح): شاعر مخضرم (ت ٢٨ هـ).

(١٤) في الأصل « توجّع » (يحسن أن تكون « يتوجّع » للسجع مع « يجزع ».

بنا[١] هذا القولَ في الرِياح واعْدِلْ بنا عن الجِدّ إلى المُزاح[٢].

– وقال ابن الدبّاغ، وقد رأى غُلاماً وسيماً يحمل بين يديه عُصفوراً:

يـا حامـلَ الطائرِ الغرِّيـدِ يعشَقُـه، تَهْنـا العصافيرُ إن فـازتْ بلُقياكـا.
تُمسي وتصبـحُ مشغوفـاً بعُجْمتهـا في غَفلةٍ عن دمٍ أجْرَتْه عَيْناكا[٣].
إذا رأتْـكَ تَغنّـتْ كلُّهـا طرَبـاً حتّـى كـأنّ طُيورَ الجوّ تَهْواكـا.
يـا ليْتَني الطيرُ في كَفَّيْكَ مَطْعَمُه وشُربُه، حين يَظْما، من ثَناياكا[٤].

– وله من رُقعة خاطب بها الوزيرَ الكاتب أبا محمّدٍ عبد الله بن عبد البرّ[٥] (الذخيرة ٣ : ٣١٦):

لمّا أصبحتَ، أعزّكَ اللهُ، في صِناعة البلاغة إماماً ولأشتات الفضائل نِظاماً[٦]، لمْ تَتّهِمْ – في وِدادٍ تَدّعيه واعتلاق تَبْتغيه[٧] – مَنْ سَمَتْ بِهِ إليكَ هِمَمٌ أو تقدّمتْ له فيها قَدَمٌ[٨]، لأنّك المُبتغى الذي إليه يُجرى وتُبتغى لَدَيْهِ الزُلفى ويُتَوصّل به إلى العَليا[٩]. وأنا مِمّن يتشيّعُ فيك تشرُّعا ويُحِبُّك طبْعاً لا تَطَبُّعاً[١٠]، وأَسْتَنْزِلُ في الجَمْعِ بك الأقدارَ وأَسْتخدمُ[١١] في التعلُّق بأسبابِك الليلَ والنهارَ لِتُلْحِقَه بالعِتاق

---

(١) اطّرِحْ: (ألق، ارم). «بنا» لا حاجة إليها.
(٢) عدل: مال.
(٣) عجمتها: غناؤها الأعجم (الذي لا يفهم).... وأنت غافل عن أن عينيك قتلتا محبّين كثيرين.
(٤) يظما = يظمأ (يعطش). الثنايا: الأسنان (المقصود: الريق، التقبيل).
(٥) راجع، فوق، ص ٦٢٦.
(٦) النظام: السلك الذي تجمع فيه حبّات العقد.
(٧) اعتلاق: تعلّق (صداقة). تبتغيه: تريده.
(٨) تقدّمت له قدم (سبقت له مقدرة) له قدم: أمر ثابت.
(٩) الزلفى: الوسيلة، التقرّب بوساطة إنسان أو شيء. العليا = العلياء: كلّ شيء مرتفع (هنا: الشرف).
(١٠) يتشيّع: يتبع، يناصر. تشرّعا (كذا في المتن) ليست في القاموس. وفي قراءتين: تشيّعا (ص ٣١٦، الحاشية الرابعة). أصحّ. لعلّها أيضاً تسرّعا (اسراعا). التطبّع: التكلّف، التظاهر بالشيء.
(١١) استنزل واستخدم (بالبناء للمضارع في الأصل). ولكن توالي الأزمنة يقتضي أن يكون هذان الفعلان بصيغة الماضي، وإلاّ فيجب أن تكون القراءة: يستنزل ويستخدم مطابقة للفعلين: يتشيّع ويحبّك قبلها ثمّ للفعل «تلحقه» بعدها.

السوابق[1] وتُلْقِيَ عليه شُعاعك فيُشرقَ[2] في المَغارب والمشارق.... (ثمّ ختم ابن الدبّاغ رسالته بأبيات يمدح فيها ابن عبد البر هذا). من هذه الأبيات:

حِلْمٌ لَوَ أنّ الدهرَ حُمِّلَ بعضَه ... لَشَكَتْ عواتقُه من الإعياءِ[3].
وإذا تناوَلَتِ الرِقاعَ بَنانُه ... أنْسَتْكَ طرز الوَشْيِ في صَنْعاءِ،[4]
تَقْضي بأنّ سَنا البلاغة لم يَلُحْ ... من قَبْلِهنّ لأعيُنِ البلغاء[5].
وله إذا شاء النِظام غرائبٌ ... لا تَدّعيها فِطْنة الشعراء[6].
بَرِئَتْ من التعقيد في تأليفها ... فأتَتْك أمْلَسَ من زُلال الماء.
ما كُنتُ بالمدّاحِ غيرَك واصلاً، ... لو كانتِ الشِعرى عليه جزائي[7].

٤ - ** قلائد العقيان ١٢٠ - ١٢٣؛ الذخيرة ٣: ٢٥١ - ٣١٧؛ المغرب ٢: ٤٤٠؛ الخريدة (الأندلس) ٤: ٣٤٩ - ٣٥٦؛ الخريدة (المغرب) ٣: ٣٨٧ - ٣٩٣.

ابن وهبون المرسيّ

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ الجليلِ بنُ وهبونٍ المُرسيُّ المعروفُ بالدمغة (فوات الوفيات ٢: ٣١٣)، وُلِدَ في مُرسِيَةَ بين سَنَةِ ٤٣٠ وسَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٣٨ - ١٠٤٨ م) فيما يبدو. كان شاعرَ المُعتمِدِ بن عبّادٍ ونديماً له وقد نالَ منه عطايا كثيرةً جَزيلة. ولمّا غَضِبَ المعتمدُ على وزيرِه ابنِ عمّارٍ وقتلَه بيدِهِ (٤٧٧ هـ) قال ابنُ وهبونٍ بيتاً فيه حُزْنٌ على ابن عمّار وتَقِيَّةٌ من المعتمدِ (الحلة السيراء ٢: ١٦٠):

---

(١) العتاق (الخيل الأصيلة الكريمة) السوابق (التي تسبق غيرها).
(٢) فيشرق (في الأصل) بضمّة على القاف (والصواب بفتحة).
(٣) العاتق: المسافة بين الكتف والعنق. الإعياء: التعب.
(٤) صنعاء: عاصمة اليمن. الوشي: النقش (بالألوان) والتزيين. الطرز: الشكل والنمط والجيّد من كلّ شيء. الرقاع جمع رقعة (الرسالة). إذا تناولت الرقاع بنانه (أصابعه): إذا كتب رسائل.
(٥) لاح يلوح: ظهر. السنا: الضوء.
(٦) النظام: النظم (الشعر).
(٧) واصلاً (؟). الشعرى اسم لنجمين (الشعرى اليمانية ومطلعها جنوبي بفتح الجيم ولا نراها من نصف الكرة الشماليّ بفتح الشين ثمّ الشعرى الشاميّة ومطلعها شماليّ ولا ترى من نصف الكرة الجنوبي) يقصد: ولو كان ثوابي على مدح غيرك عظيماً.

عَجَباً لِمَنْ أبكيهِ مِلْءَ مدامِعي وأقولُ: لا شُلَّتْ يمينُ القاتلِ!

وعاشَ ابنُ وهبونٍ مُنْقطِعاً إلى بَلاطِ المعتمد في إشبيلية، ولمّا دعاه المُعتصِمُ بنُ صُمادحٍ صاحبُ المَرِيَّةِ (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ) لم يذهبْ إليه. وقد كان صديقاً لابنِ حمديسٍ (ت ٥٢٩ هـ) ولابنِ خَفاجة (ت ٥٣٣ هـ) ومُعْجَباً بالأعلم الشَنْتَمريّ (ت ٤٧٦ هـ) وقد رثاه. وفي سَنَةِ ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) كان ابنُ وهبونٍ راجعاً مَعَ ابنِ خَفاجةَ من المَغْرِب، فبينما كانا في الطريق، بين لُورَقَة ومُرْسِيَةَ، طَلَعَتْ عليهم طالعةٌ من الجنودِ النصارى سَلبوا ابنَ خفاجَة ما مَعَه وقتلوا ابنَ وهبون.

٢ - ابنُ وهبونٍ من فطاحلِ الشعراءِ وأهلِ الأدب متينُ السَبْكِ يُجيد القصائدَ والمقطّعاتِ ويطبَعُ أحياناً شعرَهُ على غِرارِ المشارقة. وربّما نَزَعَ إلى ألوانِ البِيئة الأندلسية. وفنونُ شعرِه المديحُ والطَرْد (وصف الصيد) والرثاء والشكوى والوصف والغزل ويميلُ إلى الغزل المذكّر والمُجون. وله وصفٌ للأُسطول وتَغَنٍّ بوَقْعة الزلاّقة (٤٧٩ هـ).

٣ - مختارات من شعره

- أنشدَ المعتمدُ بنُ عبّادٍ يوماً بيتاً للمتنبيّ واستجاده فجعَلَ يردِّدُه، فقال عبدُ الجليلِ بنُ وهبونٍ:

لئن جادَ شِعْر ابنِ الحُسينِ فإنّما تُجيدُ العَطايا؛ واللُّهى تفتَحُ اللَها.
تنبّأ عُجْباً بالقريضِ، ولو دَرَى بأنّك تَرْوي شِعْرَه لَتألَّها!

- وقال يصف بِركةً فيها زَهْرُ نَيْلَوْفَرٍ:

وبِرْكَةٍ تنزهو بنَيْلَوفَرٍ نَسيمُه يُشْبِهُ ريحَ الحبيبْ.
حتّى إذا الليلُ دنا وقتُه ومالتِ الشمسُ لعَيْنِ المغيب،
أطبقَ جَفْنَيْهِ على إلفِهِ وغاصَ في الماء حَذارَ الرقيب!

- وقال في الغزل:

زَعَموا الغزالَ حَكاه، قلت لهم: نَعَمْ! في صَدّه عن عاشِقيهِ وهَجرِهِ.
قالوا: الهلالُ شَبيهُه! فأجَبْتُهُمْ: إن كان قِيسَ إلى قُلامَةِ ظُفْرِه.
وكذا يقولون: المُدامُ كَريقهِ! يا ربِّ، لا عَلِموا مَذاقةَ ثَغْرِه.

- وقال في ذَهاب الوَفاء من الناس:

غـاضَ الوَفـاءُ فما تَلْقاه في رَجُلٍ ولا يَـمُـرُّ بمخـلوقٍ عـلى بـالِ.
قـد صـار عندَهُمُ عَنقـاءَ مُغْرِبَـةً أو مِثْـلَ ما حَدّثوا عن ألفِ مِثْقالِ.

- في نفح الطيب (٣ : ٢٦٨): خَرَجَ ابنُ وهبونٍ لِنَظَرِ هِلالِ شَوّالٍ، وأبو بكر (عبد العزيز) بن القبطرنة الوزيرُ يُسايره وهو يومَذاك غُلامٌ يُخْجِلُ البدرَ..... فارتجَلَ عبدُ الجليلِ (بن وهبون):

يـا هِـلالُ، اسْتَتِرْ بِوَجْهِـكَ عنّي؛ إنّ مـولاك قـابِـضٌ بِشِمالي.
هَبْـكَ تَحْكي سَنـاه خَـدّاً بخدٍّ، قُـمْ فجِئْـني لِقَـدِّهِ بِمِثـالِ!

- في معركَةِ الزلاّقةِ (٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م) طُعِنَ فَرَسُ المُعتمدِ بنِ عبّادٍ فكبا به فسقَطَ عنه. فَقدّمَ له أحدُ جُنْدِه فرساً فَرَكِبَهُ وقاتَلَ عليه قِتالاً شَديداً. فقال ابنُ وهبونٍ يمدَحُ المعتمَد بقصيدةٍ منها:

ولـم يَثْبُـتْ مـن الأشْيـاعِ إلاّ شَقيقُـك وهْـو صارِمُـكَ الحُسامُ(١):
يَمـانٍ في يَـدَيْ مـاضٍ يَمـانٍ فـلا نـابي الغِـرارِ ولا كَهـامُ(٢).
ولـم يَحْمِلْـكَ طِرْفُـكَ، بـل فؤادٌ تعوَّدَ أن يُخـاضَ بـه الحِمامُ(٣)!

٤ - ★★ الذخيرة: ٢: ٤٧٣ - ٥١٩؛ قلائد العقيان ٢٧٨ - ٢٨٢؛ بغية الملتمس ٣٧٤ - ٣٧٥ (رقم ١١٠١)؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٩٥ - ١٠٣؛ المغرب ١: ٣٩١ - ٣٩٣؛ أخبار وتراجم أندلسية ١٩؛ المطرب ١١٨ - ١٢٣؛ فوات الوفيات ١: ٣١٣ - ٣١٥؛ أعمال الأعلام ٢٤٦؛ نفح الطيب ٣: ٣١٨ - ٣١٩، ٦٠٦، ٤: ٥٩ - ٦٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٦٣؛ نيكل ١٦٥ - ١٦٧.

---

(١) الأشياع: الأنصار، التابعون. الصارم: السيف القاطع.

(٢) يمان (الأولى) صفة للسيف (من صنع اليمن). ماض: رجل ذو عزم واقدام. يمان (الثانية) نسبة إلى اليمن (المعتمد بن عبّاد أصله من اليمن - عرب الجنوب). الغرار: حدّ السيف. نابي الغرار (ينبو أي يرجع عن الضريبة ولا يؤثّر فيها). الكهام: كالّ (لا يقطع).

(٣) الطرف (بالكسر): الحصان. الحمام: الموت.

المُعْتَصِمُ بنُ صُمادحٍ

١ - هُوَ أبو يحيى المعتصمُ مُحمّدُ بنُ مَعْنِ بنِ محمّدِ بن أحمدَ بنِ صُمادحٍ التُجيبيُّ، كان مَوْلدُهُ سَنَةَ ٤٢٩ (١٠٣٧ - ١٠٣٨ م) في مدينة وَشْقَةَ. وجاء الى حُكْمِ المَريّةِ في رمضان من سنة ٤٤٣ (البيان المغرب ٣: ١٦٧).

كان محمّدُ بنُ أحمدَ بن صُمادحٍ (جَدُّ المُعْتصم بنِ صمادح) صاحبَ مدينة وَشْقَةَ منذ أيامِ المُؤَيَّدِ هشامِ بنِ الحكمِ (٣٦٦ - ٣٩٩ هـ). ولمّا قُتِلَ زُهَيرٌ الصَّقْلَبيُّ صاحبُ المَريّةِ (٤٢٩ هـ) استولى عبدُ العزيزِ العامريُّ على المريّة لأنّ زُهيراً كان من مَوالي العامريّين. ولكنّ مُجاهدَ بْنَ عبدِ الله العامريَّ صاحبَ دانيةَ نازَعَ عبدَ العزيزِ على المريّة. فخرج عبدُ العزيز لِلقاءِ مُجاهدٍ واسْتَخْلَفَ على المريّة صِهْرَهُ ووزيره مَعْنَ بنَ محمّدٍ (والدَ المعتصم بن صمادح)، فخانه فيها وطرَده عنها ثمّ استبد بحكمها سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م).

فلمّا تُوُفِّيَ مَعْنٌ، في رمضان من سنة ٤٤٣ (١٠٥٢ م) خَلَفه ابنهُ مُحَمّدٌ وعُمْرُهُ أَرْبعَ عَشْرَةَ سَنَةً فتولّى عَمُّه الوِصايةَ عليه. وتَسَمّى محمّدُ بنُ مَعْنٍ بالمعتصمِ ثمّ بَلَغَ رُشْدَهُ واستقلّ بملكهِ الصغيرِ في المريّةِ وبِجايةِ الاندلس وما حَوْلَها مُنْصَرِفاً الى لَذّاته غيرَ ناهضٍ الى جهادٍ ولا دِفاعٍ عنِ البلادِ. وبَنى قصراً عظيماً جميلاً سمّاه الصمادحية وجمع فيه نفراً عديداً من الشعراء كابنِ شرفٍ البَرْجيّ القَيروانيّ (ت ٤٦٠ هـ) وابنِ أختِ غانمٍ - وهو أبو عبدِ الله محمّدُ بن مَعْمَر المالكيّ - وأبي حَفْص بنِ الشهيدِ (ت بعد ٤٤٤ هـ) وابنِ الحدّادِ الوادي آشي (ت ٤٨٠ هـ) والسُمَيْسِر الإلْبيري ونفراً من العلماء منهم أبو بكرٍ محمّدُ بنُ أبي دَوْسٍ البيّاسيّ النحويّ (ت ٤٩٦ هـ) وأبو عُبيدٍ البَكْريّ الجُغْرافيّ (ت ٤٨٧ هـ). وكان في آل المعتصم شُعراءُ منهم أولادُه عِزّ الدولة ورفيع الدولة وأمُّ الكرام.

وكانتْ وفاةُ المعتصمِ بنِ صُمادحٍ في ٢٢ من رَبيعٍ الاوّلِ من سَنَةِ ٤٨٤ (١٠٩١/٥/١٤ م) في المريّة. وحينما كان في النَزْعِ الأخيرِ حاصر المرابطون المريّة واستَوْلَوْا عليها. فلمّا سَمِعَ المعتصم اختلاطَ الأصواتِ في أثناء الحِصارِ قالَ: «لا إلَه إلاّ اللهُ، نُغِّصَ علينا كلُّ شيءٍ حتّى الموتُ!»

٢ - كان المعتصمُ بن صُمادحٍ أديباً مُحِبّاً للعلم والأدب وأهْلِها، وكانَ شاعراً مُقلاً يقول بديهةً وعن رَوِيّةٍ، ويقول في المناسبات الوُجْدانية؛ ولكن لم يَجْعَلِ الشعرَ وُكْدَه ولا شُغْلَه. وشِعْرُه سَلِسٌ رقيقٌ عَذْبٌ. وقد لَفَتَ المُعْتَصِمُ بن صمادحٍ الأنظارَ منذ زَمَنٍ بعيدٍ، فقد ألّفَ مُحمّدُ بن أيوبَ الأنصاريُّ، في سَنَةِ ٥٦٨ هـ (١١٧٢ - ١١٧٣ م)، كِتاباً في تَرْجمة المعتصم بن صمادح للسلطانِ الملك الناصر صلاحِ الدين الأيّوبيّ (٥٦٤ - ٥٨٩ هـ) ذكرَ فيهِ طرفاً من أخباره وشيئاً من أشعارِه وحَكى صورةَ حِصارِه وقولَه في مرضِه: نُغِّصَ علينا كُلُّ شيءٍ حتّى الموتُ! (وفيات الاعيان ٥: ٤٤).

وكان للمعتصم بنِ صُمادح بِضعةُ أولادٍ يقولون الشعر: عزُّ الدولة (بُعيد ٥٠٤ هـ) ورفيع الدولة (نحو ٥٤١ هـ) - وقد أُفْرِدَ لكلٍّ واحدٍ منهما تَرجمةٌ - ثمّ:

مُعِزُّ الدولة أبو جعْفَرٍ أحمدُ، لعلّه بِكْرُه، إذ كان قد رَشَّحَهُ لِولايةِ العهد. قيل تولّى المُلْكَ بعدَ أبيه (٤٨٤ هـ) أياماً ثمّ تَركَ المَرِيَّةَ هَرَباً من المُرابطين ولجأ إلى بِجايَة (في الجزائر اليومَ)، وقيلَ إنّ أباه أمرَه بذلك لَمّا ٱسْتَوْلى المرابطون على إشبيلية وخَلَعوا المُعتمدَ بنَ عبّادٍ. وكانَ أبو جعْفَرٍ أحمدُ هذا شاعراً عادِيًّا له (المغرب ٢: ٢٠٠ - ٢٠١):

أتـى بالبَـدْرِ من فوقِ القَضيـبِ فطـارَتْ نحـوَهُ طَـيْـرُ القلوبِ[1].
وأشْرقَ مـا بأُفقي من ظـلامٍ لنورٍ منه في أُفُقِ الجُيوبِ[2].
وولّـى بعـدَ تـأنيـسٍ وبِرٍّ كَمِثْلِ الشَمْسِ ولَّتْ للمَغيب.

وأمّ الكرامِ وقدِ اعْتَنى أبوها بتأديبها لِمَا رأى من ذكائها فقالتِ الشعرَ ونَظَمَتْ قصائدَ ومُوَشّحاتٍ. غيرَ أن مُوشّحاتِها لم تَصِلْ إلينا. وكانتْ أُمُّ الكرام قد عَشِقَتْ فتىً من دانية مَشهوراً بالجمال يُعْرَفُ بالسَمّارِ وتَشَوَّقَتْ إليه في شِعرها. فلمّا عَلِمَ أبوها بذلك خَفِيَ أمرُ السمار هذا من ذلك الحينِ (أي قُتل غَيْلةً وخِفْيَة). ومِمّا قالته أمُّ الكرام في التشوُّق إلى السمّار (المغرب ٢: ٢٠٢ - ٢٠٣):

---

(١) البدر كناية عن الوجه الجميل. القضيب كناية عن القوام المعتدل.

(٢) الجيب: مكان الثوب عند العنق (الوجه).

ألا لَيْتَ شِعري، هلْ سبيلٌ لَخَلْوةٍ		يُنَزَّهُ عنها سَمْعُ كُلِّ مُراقِبِ.
ويا عَجَباً، أشتاقُ خَلْوةَ من غدا		ومَثْواهُ ما بينَ الحَشا والترائب[١].

- ومما قالته أمُّ الكرام بعدَ مَقْتَلِ السمّار:

يا معشرَ الناسِ ، ألا فاعْجَبوا		مِمّا جَنَتْهُ لَوْعَةُ الحُبِّ.
لولاه لم يَنْزِلْ بِبَدْرِ الدُجى		من أُفْقِهِ العُلْويِّ للتُرْبِ[٢].
حسبي بِمَنْ أهْواه، لو أنّه		فارَقَني تابَعَهُ قَلْبي[٣]!

وكان رشيدُ الدولة - أبو يحيى محمّدُ بنُ عزِّ الدولة - حفيدُ المعتصمِ بنِ صُمادِح يَنْظِمُ الشعرَ أيضاً. وكان شعرُه عاديًّا. من ذلك قولُه (الحلّة السيراء ٢: ١٩١):

صبراً على نائباتِ الدَهْرِ، إنّ له		يوماً كما فَتَكَ الإصباحُ بالظُلَمِ.
إنْ كُنْتَ تعلَمُ أنّ اللهَ مُقْتدرٌ،		فَثِقْ بهِ تَلْقَ رُوْحَ اللهِ من أَمَمِ[٤].
وقلّما صَبَرَ الإنسانُ مُحْتَسِباً		إلاّ وأصبح في فَضْفاضة النِعَمِ[٥].

٣ - مختارات من أشعاره

- ورد الشاعر النحليّ على المريةِ في أسْمالٍ سُودٍ باليةٍ فَكَتب إلى المُعْتَصِمِ يَقولُ مُسْتَميحاً ويَذْكُر أنّ الحُجّابَ منعوه مِنَ الوُصولِ إليه:

أيا مَنْ لا يُضافُ إليه ثانٍ		ومَنْ وَرِثَ العُلى باباً فبابا،[٦]،
أيَجْمُلُ أن تكونَ سَوادَ عَيْني		وأُبْصِرَ دونَ ما أبْغي حِجابا؛
ويَمْشي الناسُ كلُّهُمُ حَماماً		وأمشي بَيْنَهم وَحْدي غُرابا؟[٧]

---

(١) الترائب (جمع تريبة): عظام الصدر العليا. ما بين الحشا والترائب (في قلبي).
(٢) لولاه - لولا الحبّ. بدر الدجى (كناية عن المحبوب). للترب (للقبر).
(٣) يكفيني أنّه إذا فارقني محبوبي (بالموت) فإنّ قلبي يتبعه (مات بموته، يرافقه ولا ينساه!).
(٤) تلق روح الله (مؤيّداً لك من الله) من أمم (من قرب): سريعاً.
(٥) المحتسب هو الذي يرجو الثواب على عمله من الله وحده.
(٦) لا يضاف إليه ثان: ليس في البشر من يدانيه في مجده وكرمه الخ.
(٧) يكون الناس فرحين في مثل ثياب العيد (لأنّ الحمام مختلفة الألوان زاهية الريش)، وأكون أنا وحدي غراباً (ألبس ثياباً سودا حزينة، لأنّ الغربان كلّها سود).

فأرسل إليه المعتصم مالاً وثياباً وكتب إليه يقولُ:

وَردتَّ ولِلَّيْلِ البَهيم مَطارِفٌ عليك، وعِنْدي للصّباحِ بُرودُ[1]
وأنتَ لَدَيْنا، ما بقيتَ، مُقرَّبٌ وعَيْشُك سَلْسالُ الجِمامِ بَرودُ[2]

- وبَلَغَ إلى المعتصم عن الشاعرِ ابنِ عمّارٍ (قتله المعتمدُ بن عبّاد، سنة ٤٧٧ هـ) أنه يَغتابُه فقال:

(وزَهّدني في الناس مَعْرِفتي بهم) وطولُ اخْتِباري صاحباً بعدَ صاحب[3].
فلم تُرِني الأيّامُ خِلاًّ تَسُرُّني مَباديه إلاّ ساءني في العَواقب[4]؛
ولا قُلْتُ أرجوه لِدَفْعِ مُلِمّة من الدهرِ إلاّ كان إحدى المصائب![5]

- وقال عند موته:

تَمَتّعْتُ بالنَّعماءِ حتّى مَلِلْتُها، وقد أضْجَرَتْ عَيْنَيّ مِمّا سَئِمْتُها!
فيا عَجَباً، لمّا قَضَيْتُ قضاءَها ومُلِّيتُها عُمْري تَصَرَّمَ وَقْتُها[6].

٤- ★★ قلائد العقيان ٥٣ - ٥٧؛ الذخيرة ٢: ٧٢٩ - ٧٣٦؛ المغرب ٢: ١٩٥ - ١٩٨؛ الوافي بالوفيات ٥: ٤٥ - ٤٧؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٨٣ - ٨٩؛ المطرب ٣٤ - ٣٨؛ الحلة السيراء ٢: ٧٨ - ٨٨؛ وفيات الأعيان ٥: ٣٩ - ٤٥؛ البيان المغرب ٣: ١٦٧، ١٧٣ - ١٧٥، ١٩٢؛ أعمال الأعلام ١٩٠ - ١٩٢؛ نفح الطيب ١: ٦٦٦ - ٦٦٧، ٣: ٢٦٣ - ٢٦٤، ٣٢٨ - ٣٢٩، ٤١٢ - ٤١٣، ٥٠٣ - ٥٠٥؛ شذرات الذهب ٣: ٣٧٢ - ٣٧٣؛ دائرة المعارف الإسلامية؛ نيكل ١٨٣ - ١٨٤، مختارات نيكل ١٢٥ وما بعد؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٢٧ (١٠٦).

★ ترجمة «محمّد بن عبادة القزّاز (ت نحو ٤٨٨ هـ) ستأتي (خطأً غير مقصود) على الصفحة ٧٤٤.

---

(١) المطرف: رداء من خزّ (حرير) ذو أعلام مربّعة. البرد (بضمّ الباء): ثوب رقيق من حرير.
(٢) السلسال: العذب (الحلو) البارد. الجمام: أطراف (حوض الماء). برود (بفتح الباء): بارد سيكون لك عيش ناعم رغيد.
(٣) الشطر الأوّل للمعريّ، وتمامه: وعلمي بأن العالمين هباء.
(٤) مباديه = مبادئه: في أول أمره. العاقبة: آخر الأمر.
(٥) الملمّة: المصيبة.
(٦) المعنى غامض

عبد العزيز بن أرقم

١ - هو أبو الأصبغ عبدُ العزيزِ بنُ محمّدِ بنِ أرقمَ النُميريُّ الوادي آشيُّ كان كاتباً لدى ملوك الطوائف: كَتَبَ عن مُجاهدٍ العامريّ صاحبِ دانية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) إلى المُعزِّ بنِ باديسَ ملكِ المَغْرب (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ) وعن عبدِ الملك بن رَزينٍ (٤٣٦ - ٤٩٦ هـ) صاحبِ السهلةِ واتّصل بالمُعتمدِ بنِ عبّادٍ ملكِ إشبيليةَ (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) وكان وزيراً للمُعْتَصِمِ بنِ صُمادحٍ صاحبِ المَريّةِ (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ) - وقيل هو ذو الوَزارتين (الذخيرة ١ : ٧٤٠)، كما كَتَبَ عن مُجاهدٍ العامري إلى صاحبِ مِصْرَ (المستنصر أبي تَميمٍ مَعَدٍّ)، سنة ٤٥٢ هـ (١٠٦٠ م).

وكانت وفاة ابنُ أرقم هذا في أيامِ المعتمدِ بن عبّادٍ. ولعلّ ذلك كان نحوَ سَنَةَ ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م).

٢ - كان أبو الأصبغ بنُ أرقمَ «أحَدَ كَتَبَةِ الجزيرةِ المَهرَةِ والنَقَدَةِ الشَعَرَةِ» بارعاً في النثر عارفاً باللُغة مُحيطاً بفنونٍ من العلم. وكان له اتّجاهٌ دينيٌّ في الكِتابة وفي السُلوك، كثيرَ الاستشهاد بالقرآن والحديث وبالأمثال والأشعار، حسن الرَوِيَّةِ والارتجال كِتابةً وخِطاباً، جِدًّا وهزلاً. وكان فوق ذلك كريمَ الأخلاق كثيرَ الوفاء. كان ابنُ صمادحٍ صاحبُ المَريّة قد أرسلَ أبا الأصبغ بنَ أرقمَ في أمرٍ إلى المعتمدِ بنِ عبّادٍ. فأُعْجِبَ المعتمدُ بابنِ أرقمَ وأرادَ إفساده على المعتصم للاحتفاظ به زينةً لبَلاطه هو. فقال له ابنُ أرقمَ: «ما رأيتُ من صاحبي ما أكرَهُ فأُؤْثِرَ عندَ غيرِه ما أُحِبُّ. ولو رأيتُ (عنده) ما أكْرَهُ لَما كان من الوفاء تركي له في حينِ فَوّضَ إليّ أمرَه ووَثِقَ بي وحَمّلني أعباءَ دولته».

فاستَحْسَنَ ابنُ عبّادٍ ذلك منه وقال له (إذَنْ) فاكْتُمْ عليّ.

فلمّا عاد ابنُ أرقمَ إلى صاحبِهِ (المعتصمِ بنِ صُمادحٍ) سأله عن جميعِ ما جرى له. فقال ابن أرقمَ له:

«... وجرى لي معَه (مع المعتمد) ما إنْ أعْلَمْتُك به أن تَحْسَبَ فيه كالامتنانِ

والاستظهار، وتَظُنَّ أن خاطِري قد فَسَدَ به. وإنْ كَتَمْتُكَ لم أُوَفِّ النصيحةَ حقَّها. وخِفْتُ أنْ تَطّلعَ عليهِ من غيري فيَحُطَّني ذلك من عَيْنِك وتحسَبَ فيه كَيْداً». ثمّ إنّ ابنَ أرقمَ أخبرَ المُعتصمَ بما كان قدِ اتّفق له من الحديث في بَلاطِ المعتمد.

٣ - مختارات من آثاره

- كتب أبو الأصبغ عبدُ العزيز بنُ أرقمَ عن إقبالِ الدولة عليٍّ بن مُجاهدٍ صاحبِ دانِيَةَ (٤٣٦ - ٤٦٨ هـ) إلى المُسْتنصِرِ الفاطميّ في مِصْرَ رسالةً جاء فيها:

... إذا كانت نِعَمُ الله عند الحَضْرة الإسلامية[١] مُشرقةَ المطالعِ ورحيبةَ الأرجاء والمراتعِ، وكان أنصارُها وعبيدها وكتائِبُها المنصورةُ وجنودُها المرهوبةُ - في اجتماعِ كَلِمَتِهم على طاعتِها واتّفاقٍ من أهوائهم في مُناصَحَتِها وتضافرٍ[٢] من جميعِهِم على خِدمتها - فقد عَلَتْ يدُ الإسلامِ واحتمى عِزُّه أن يُضامَ وجانبُه أن يُرامَ. وشَمِلت نُعماها الأقطارَ وأمدّتْ أقاصِيَ الديارِ وأبَرّتْ على نأيِ المَزارِ[٣]. فَهِيَ جُمّاعُ الدين وردْءُ المؤمنين ومَحْفِل المسلمين[٤]... وممّا وَجَبَ التعريفُ به ما عمّ أقطارَ ثَغْرِنا وغَشِيَ مجامعَ أُفُقِنا[٥] من تَمالُؤِ النصارى وتضافُرِهم من كلّ أوْبٍ إلينا بجَمْعٍ[٦] لا عهدَ لنا بِمِثْله مَلأَ الفضاءَ وطبّقَ الأرجاءَ، وشُغِلْنا بالفِتْنة[٧] بينَنا عن تخفيف وطأتِهِم وتضعيف سَوْرَتِهم[٨]؛ فطَمَسوا الآثارَ وجاسوا خِلالَ الدِيارِ، مَوْفورينَ[٩] لا

---

(١) الحضرة الإسلامية (يقصد: القاهرة التي هي عاصمة إسلامية قويّة).
(٢) التضافر: الاجتماع للتعاون على أمر ما.
(٣) أبرّ: أحسن إلى الناس (وتفضّل عليهم). نأي: بعد (بضمّ الباء).
(٤) جماع (بضم الجيم وتشديد الميم، أو بكسر الجيم وتسهيل الميم): أصل الشيء ومجتمعه (مركزه، تماسكه). الردء: المعين، الناصر. المحفل: مكان اجتماع العدد الكبير من الناس.
(٥) الثغر: (هنا) المكان الذي يهدّده العدوّ. غشي: غطّى، عمّ. أفقنا (الناحية التي نسكنها).
(٦) الأوب: الجهة. بجمع (بعدد كبير).
(٧) واشتغلنا بالفتنة (بحرب بعضنا بعضاً).
(٨) الوطء: الدعس بالرجل. السورة: الشدّة.
(٩) طمس: محا. الآثار: البناء القائم. جاس (تردّد) خلال (بين) الديار: أفسد فيها وخرّبها. موفورين: لم يمسّهم أذى.

مانعَ منهم ولا دافِعَ لهم إلاّ الْتِفاتَةُ الله تعالى لأهلِ دِينهِ بأنْ أَقَلَّ فائدَتَهُمْ وخيّبَ مَرامَهم وأطاشَ سِهامَهم[1] . والحمدُ لله على مِنْحَته ومِحْنَته.

– وله من رُقعةٍ طويلةٍ خاطَبَ بها الفقيهَ أبا بكرٍ صاحبَ الأحْباس[2] وشرح فيها عدداً من الكلِماتِ وَرَدَتْ في رسالته إلى صاحبِ مِصْرَ، وكان ابنُ سِيْدَه[3] ، قدِ انتقدها. وحمل ابنُ أرقمَ في هذه الرسالة على ابنِ سِيْدَه، ، وعلى الذين زيّنوا لابن سيده أنْ ينتقدَه. ويبدو أنّ أبا بكرٍ صاحب الأحباس كان شيخَ (أستاذ) ابنِ أرقمَ. والرسالةُ مَصوغةٌ في قالَبٍ من التهكّم. وسأترك هذه الرسالة بلا شَرْحٍ، إلاّ في النادر، لأنّ شرحَها يقتضي مِساحةً واسعةً لِما فيها من الأعلامِ وأسماء الكُتُب والتَوْريات والإشارات التاريخية:

لّما كُنتَ – أعزّك اللهُ – في أَكفِّ الآدابِ عَلَماً وعلى لِسان العرب وغيرِه قَيِّماً[4]، لاقْتباسِكَ العِلْمَ من كُتُبٍ ووِراثَتِك إياه عن كلالةِ أبٍ[5]. ولم تَزَلْ تتلقّاه كابراً عن كابرٍ وباهراً عن باهر: لستَ ابنَ سَمْعِك ولا عبدَ طَبْعك[6]، تُقَلِّدُ كاتباً ساذَجاً وتعتقدُ قارئاً هازِجاً[7] وتقبَلُ البصرَ بلا بصيرةٍ وتقْفو الأثَرَ على غير وتيرة[8]. تُراعي الحروفَ ولا تُبالي التحريف.وتَتْلو الصُحُفَ ولا عليك بالتصحيف[9]. ولم تَقْتَصِرْ على حِفظِ سُطورٍ من كتاب سِيبَوَيْهِ، و « شرح الفصيح » لابن دَرَسْتَوَيْهِ، واستظهار

---

(١) أطاش سهمهم: جعل سهمهم ينحرف فلا يصيب هدفه. (لم ينالوا ما كانوا قد أمّلوا).

(٢) الأحباس: الأوقاف. صاحب الأحباس: الموظّف المشرف على ادارة الأوقاف. أبو بكر صاحب الأحباس (؟).

(٣) ابن سيده (أنظر، فوق، ز، ص ٥٦٠).

(٤) قيّما: وكيلا، حافظاً (مقتدراً في اللغات).

(٥) الكلالة: أن يموت رجل ليس له زوجة ولا أولاد فيرثه أقاربه (المقصود: ورثت أدب رجل ليس له وريث غيرك).

(٦) لست ابن سمعك... (لم تسمع العلم عرضاً فقط ولا أنت تعرف الأشياء بالطبع وحدَه بلا تعلم – بل تلقّيت العلم منظماً على شيوخ أو أساتذة).

(٧) الساذج: البسيط (غير المثقف). تعتقد قارئاً هازجاً (مطرّباً، متغنّياً).... (؟)

(٨) تقفو (تتّبع) الأثر (الطريق الذي خطّه غيرك) على غير وتيرة (طريقة منظمة).

(٩) التحريف: الخروج على المعنى. التصحيف: تبديل حرف بحرف عند القراءة.

أوراقٍ من الغريب، والتَحفُّظ مَعَ الشروق ما تنساه في المَغيب. ولم تَشْدُ إلى المَخْرقةِ بفَرْفوريوسَ(١)، ولا الغَطْرسةِ بأرِسْطاطاليسَ، والفرقَعَــةِ بقافـاتِ أرِثْماطيقـا وأنالوطيقا(٢)، والصفيرِ بسينات قاطيغورياسَ وباري أرْمينياس(٣). و (لا) ضَيّعت علومَ القرآنِ والتفنُّنَ في حديثهِ عليه السلام وصَحابتِهِ، وتفهُّمِ أغراضِهِ ولُغاته، واجْتناء زَهْرِهِ وثَمَراته. و (لا) أغفلتَ «الكاملَ» و «البيان» وتواريخَ الأزمانِ ونوادرَ البُلغاءِ أهلِ اللَسَنِ والبَيان(٤) و (لا) أهملتَ أشعارَ العربِ والمُحْدَثين(٥)، إلاّ طَلَبَكَ أثراً بعدَ عينٍ، وقد أرْبَيْتَ على السِّتين(٦). ولم تَتَمَعْدَدْ أعْجَميًّا، ولم تَتَبَغْدَدْ بَدْويًّا(٧)، ولم تكُنْ مرّةً شَبيبيًّا ومرّةً قَطَريًّا(٨)، وتارةً طبيعيًّا، وتارة فَلَكيًّا. ولم تَتَزَبّبْ حِصْرِماً، ولم تَتَشَحَّمْ وَرَماً(٩) ..... وأنتَ الذي أدَرَّ لي غَمائِمَ الأدب وأطلَعَ لي من كمائِمِهِ كلَّ مُعْجِبٍ(١٠)، وما كاد الشبابُ يَحُلّ تمائمي، ولا الزمانُ يُطْلِعُني على كمائمي(١١)... فأنْدُبِ العلمَ وأهْليهِ، وأَرْثِهِ وحامِليهِ، وابْكِ رُسومَه وَحَيِّ طُلولَه وسَلِّمْ

---

(١) كتاب سيبويه في النحو، كتاب الفصيح في اللغة. الغريب: الكلام القليل الدوران في حديث الناس. تشد إلى (؟). شدا من العلم يشدو (حصل منه شيئاً قليلاً). المخرقة: الكذب والتمويه على الناس البسطاء. فرفوريوس الصوري له كتاب ايساغوجي (المقدمة إلى المنطق).

(٢) ارسطوطاليس كبير فلاسفة اليونان. أرثماطيقا (علم الحساب) وأنالوطيقا (القياس) من أقسام المنطق.

(٣) قاطيغورياس (المقولات: الألفاظ المفردة) وباري آرمنياس (العبارة، تركيب الكلمات المفردة) من أقسام المنطق (وهي من تأليف أرسطوطاليس).

(٤) اللسن (بسكون السين): اللغة عامّة. و (بفتح اللام والسين): الفصاحة والبلاغة. البيان: المقدرة في جعل الكلام صحيحاً وواضحاً.

(٥) أشعار العرب (البدو، الجاهليّين) والمحدثين (العباسيّين، أهل الحضر).

(٦) أربى على (زاد عمره على).

(٧) لم تنتسب إلى العرب بينما أنت فارسي. ولم تتبغدد (تنتسب إلى بغداد، إلى الحضر...).

(٨) شبيب بن يزيد الشيباني من الخوارج الصفرية (قتل ٧٦ هـ) وقطريّ بن الفجاءة (ت ٧٩ هـ) من الخوارج أيضاً. لم تبدّل مبدأك مرة بعد مرة.

(٩) لم تبرز في الحياة قبل أوانك ولا كان مظهرك الخارجي خلاف حقيقة أمرك.

(١٠) أدرّ (سكب)، - منك تعلمت الأدب (الشعر والنثر). الكمامة (بكسر الكاف): الكأس من النبات (الأوراق الخضر التي تكون فيها الزهرة قبل أن تتفتح).

(١١) التميمة: حرز تعلّقه الأمهات في أعناق أطفالهن (حلت عنه التمائم: أدرك مدرك الرجال). الكمائم (هنا): المستور من المقدرة الشخصية في العلم والأدب وغيرها.

عليه تسليمَ وَداعٍ وأشفِقْ لعِلْقهِ[١] المُضاع. واعلَمْ أن صَدْعَه كصَدْعِ الزُجاجةِ أعيا الصَنَاع[٢]. فيا له مَغْنىً هُجِرَ على بَرْدِ مَوْقِعهِ وبَقْلاً[٣] زُهِدَ فيه على شرفِ موضعه:.. ولم يَبْقَ إلاّ من قَدّمتُ نُعوتَه وحُلاه، ووصفتُ حَذْوَه، وحُذَيّاه[٤]، وأغناني ما صَدّرتُ[٥] به عن إعادة ذِكراه.... فأفْتَوْا بغيرِ علمٍ فضَلّوا وأضَلّوا. ومن الأمرِ المُعْجِبِ والخَطْبِ المُغْرب[٦] أنّهم يَدّعون - على جهلهم وما بَيّنْتُ من وَصْفهم - الترؤُسَ في الأدب من غيرِ رِياسة، والمنافسةَ لأهْليه من غير نَفاسة، ومُناقضةَ ذَوِي العِلمِ باللِسان بالهذيانِ[٧] حين آنسوا[٨] عَدَمَ المُنْتَقِدِ وفُقدانَ المُفْتَقِد.

... وتفسيرُ ما أجْمَلْتُه وتفصيلُ ما أبْهمتُه أُورِدُه عليك محلولَ العُقدةِ مَنْضُوَّ البُردة[٩]. وذلك أن إقبال الدولة - أيّدَهُ اللهُ - أمرني بإنشاء رِسالتين إلى مصر. فلمّا عَلَتْ شُرُفاتُها وروّضت عَرَصاتُها[١٠]، وَرَدَ عليهم مِنْهُا المُقيمُ المُقعِد[١١]. وكاد يُهْلِكُهُمُ الحسدُ... وطاروا طَيَرانَ الفَراشِ حولَ النار وجالوا جَوَلانَ الذُبابِ بين الأزهار، مرّةً يستَفْتونَ الفُقهاء، ومرّة يستَشْهِدون السُفهاء. ومرّةً يقولون: هذا يُسأل

---

(١) أندب العلم (الآن): ابك عليه (لأنّه ضاع في هذا الزمان). الطلل (مكان الخيمة بعد أن ترفع من مكانها - لم يبق من العلم إلاّ آثار يسيرة). العلق: الشيء النفيس.

(٢) الصدع: الشقّ. أعيا: أعجز. الصناع: البارع في صناعته (والزجاج إذا تكسّر لا يعود إلاّ إذا سبك من جديد).

(٣) المغنى: المنزل المسكون. البقل: النبات الصالح لطعام البشر.

(٤) الحذو: جعل الشيء على قياس معلوم. الحذيّا (ما كان قريباً منك) - وصفته هو وما يتصل به.

(٥) صدّرت به (أوردتّه في صدر رسالتي).

(٦) المعجب (الذي يتعجّب منه الناس) والخطب (المصيبة) المغرب (المستغرب عند الناس).

(٧) الهذيان: الكلام المضطرب الخارج على المعقول (من أثر مرض أو نحوه).

(٨) آنسوا: أبصروا، علموا.

(٩) منضوّ: مخلوع البردة (غير لابس ثيابه)، بصراحة.

(١٠) الشرفة: شبه نافذة بارزة يطلّ الناس منها على ما هو خارج بيوتهم. روّض: كثر النبت (في المكان). العرصة (بالفتح): الباحة الواسعة أمام الدار، أو بالعراء (في الخلاء) - يقصد: لمّا ظهرت براعته في رسائله.

(١١) المقيم المقعد: (الهمّ الذي يجعل صاحبه مضطرباً لا يستقرّ من الغضب أو الفزع...)

عنه إن كان يقال، وربّما كان له في مِضْمار اللُغة مجالٌ[١]. (ثمّ) يتَسَوّرونَ ويتَشوّرون[٢]، حديثُ النِسكِ بعدَ البُعول وهَريفُ الإماء دونَ الكَفيل[٣]... فاتّفَقَ رأيُهُم واستَمرّ هَدْيُهم إلى سُؤالِ أبي الحسنِ ابنِ سيده. فلم يُفكّرْ أبو الحسن في العواقب ولم ينظُرْ نظَرَ أهلِ التجارِب. فسلّمَ لهم واغتَرّ بمِثْلِ وَشْيِ الحَيّاتِ[٤]، وانقاد في زِمامِ الزَخارف والتُرّهات[٥] .... فردّ مواضِعَ أنا واصِفُها وجوابَها على سَرْدٍ[٦]، وذاكِرُها وما يجلو ارْتيابَها على حَرْدٍ ....

- لابن أرقم مَقاطعُ من الشعر:

★ نشرتْ عليك من النعيم جَناحا | خضراءُ صيّرتِ الصباحَ وِشاحا[٧].
تحكي بخَفْقِ قلبَ مَنْ عاديتَه | مهما تُصافحْ صفْحُها الأرواحا[٨].
ضَمِنَتْ لك النُعمى برأيٍ ظافر | فترقّبِ الفألَ المُشير صباحاً.

★ فتى الخيل يقتادُها ذُبَّلاً | خِفافاً تُباري القَنا الذابلا[٩].
ترى كلَّ أجردَ سامي التَليـ | ـلِ وتحسَبُه غُصُناً مائلاً[١٠].

---

(١) ينتقدون كلّ لفظ (في رسائله) فإذا وجدوا فيها شيئاً صحيحاً لا مجال (موضع) للنقد فيه، قالوا (تقليلاً لشأنه): «ربما كان جائزاً في اللغة».

(٢) تسوّر (الجدار) تسلّقه. تسوّر: هجم على. (هنا): انتقدوا رسائلي بالباطل. تشوّر غير موجودة في القاموس. اشتوروا: تشاوروا (تعاونوا على نقض رسائلي).

(٣) حديث (بالرفع - وتجوز بالنصب) النساء بعد البعول (بعد فراق أزواجهنّ بالموت أو بالطلاق، ويكنّ عادة كثيرات الكلام فيما لا ينفع). هرف الرجل: قال كلاماً غير مفهوم وغير معقول أو قال عن جهل. الأمة (بفتح ففتح): الجارية دون الكفيل (ليس معها من هو مسؤول عنها فتتحدّث في كل شيء).

(٤) وشي الحيات (ربما كان جلد الحيّة جميل الرقش، ولكنّ الحيّة تكون مؤذية).

(٥) الزخرف: الكلام المنمّق بلا صحّة. الترّهة: الباطل.

(٦) على سرد: متابع (كان الجواب بسرعة). الحرد: البعد عن الناس (هنا: البعد عن الحقّ).

(٧) خضراء (راية خضراء)...

(٨) قلوب أعدائك تخفق (ترتجف خوفاً منك) مثل خفقها (تحركها هي. الأرواح جمع ريح. صفح جمع صفحة. مهما (كلّما) مسّت الريح أحد صفحيها (وجهيها).

(٩) ذابل: نحيل. القناة: الرمح. باري: نافس. - تقود خيلاً نحيلة كأنّها رماح (الخيل النحيلة تستطيع الجري بسرعة).

(١٠) الأجرد: الحصان الخفيف الشعر (وذلك من صفاته الحسنة). التليل: العنق.

- وله مطلع موشحة:

★ مَبْسِمُ البَهْرمانْ
في المُحيّا الدُرّي
صادَ قلبي وبانْ(1)
وأنا لم أدْر.

٤ - ★★ الذخيرة ١: ٧٤٠، ٢: ٤٦، ٣: ١٥٠، ٣٦٠ - ٤٠٩، ٥٠٥، ٥٠٦؛ التكملة ٦٢٢ (رقم ١٧٣٥)، نفح الطيب ٣: ٣٩٨ - ٣٩٩؛ نيكل ١٨٧، مختارات نيكل ١٢٨ - ١٢٩؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٥١ (٢٥).

الراضي العبّادي

١ - هُوَ الراضي أبو خالدٍ يزيدُ بنُ محمّد المعتمدِ بنِ عبّادٍ، لعلَّ مَوْلِدَه كان نحو ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م). كان المعتمدُ بنُ عبّادٍ قد ٱسْتنابَ مرّةً على مُرْسِيةَ وزيرَه ابنَ عمّارٍ فَطَمِعَ ابنُ عمّارٍ بمُرْسِيَةَ وٱسْتَبدّ بها وخَلَعَ طاعةَ ابنَ عبّادٍ. فاحتالُ ابنُ عبّادٍ في القبضِ على ابنِ عمّارٍ ثمّ أرْسَلَ ابنَه الرَاضِيَ لِتَسلُّمِ ابنِ عمّارٍ من يدِ آسِرِيهِ، وكان ذلك سَنَةَ ٤٧٧ هـ.

وتولّى الراضي على الجزيرةِ الخَضْراءِ (مدينةٍ في أقصى الجنوب من الاندلس). فلمّا أرادَ يوسفُ بنُ تاشفينَ الجَوازَ إلى الأندلُسِ ٱسْتعداداً لِمَعْركةِ الزَلاّقة (٤٧٩ هـ) ٱشْترطَ أنْ تكونَ الجزيرةُ الخضراءُ له مكاناً لتجميع جُيوشه. فنَزَلَ المعتمدُ عنِ الجزيرةِ الخضراءِ وأمرَ ابنَهُ الراضيَ أن ينتقلَ والياً على رُنْدةَ (على مسافةٍ يسيرةٍ شَمال الجزيرة الخضراء). وبعدَ أن استولى المرابطون على إشبيليَةَ وخلَعوا المعتمدَ حاصروا رُنْدة. ورأى الراضي أن يَنْزِلَ للمرابطين عن رُندةَ طَوْعاً، حِفاظاً على حياته وحياةِ أبيه، فأخذَ مِنَ المرابطين مَوْثِقاً بأنْ يُبقوا عليه. ولكنّهم لم يفعلوا وقتلوه في رَمَضانَ من سنةِ ٤٨٤ (خريف ١٠٩١ م).

---

(١) مبسم: ثغر (فم). البهرم (والنسبة إليه بهرمانيّ): نبت ذو زهر أحمر يصبغ به (يشبّه بذلك الشفتين). المحيّا: الوجه. الدرّي (نسبة إلى الدرّ: اللؤلؤ): الأبيض. بان: ابتعد (هجرني).

٢ - كان الراضي بنُ المعتمدِ العَبّاديُّ من أهلِ العِلمِ والأدب كَلِفاً بالمُطالعة والدِراسة قرأ كُتُبَ أبي بكرٍ الباقلاّنيِّ (ت ٤٠٣ هـ) وكُتُبَ ابنِ حزمٍ الظاهريّ (ت ٤٥٦ هـ) فمَهَرَ في أُصولِ الفِقْهِ ولكن ذَهَبَ الى النَظَرِ والاختيار[١]. ثمّ إنّه كان عالماً بالشرعيّاتِ واقفاً على الطبيعيّات ذاكراً للعرب وأنْسابها حافِظاً للّغة وآدابها. و « كان شاعرَ بني عبّادٍ بعدَ أبيه، غيرَ أنّه أقوى عارضةً[٢] من أبيه، وأبوه ألْطَفُ طبعاً وأرقُّ صُنْعاً ». وشِعْرُه حُلْوٌ سَلِسٌ واضحُ المعاني يَجْري على السَجيّة لا تكادُ تلمَحُ فيه أثراً للصَنْعة. وفُنونُه النسيبُ والعِتاب والحِكمة.

٣ - مختارات من شعره

- قال الراضي بنُ المعتمدِ بنِ عبّادٍ في النسيب:

مرّوا بِنا أُصُلاً من غير ميعادِ … فأوْقَدوا نارَ شَوْقي أيَّ إيقاد[٣].
وأذْكَروني أيّاماً لَهَوْتُ بِهِمْ … فيها ففازوا بإيثاري وإحْمادي[٤].
لا غَرْوَ أنْ زادَ في وَجْدي مُرورُهم، … فرُؤْيَةُ الماءِ تُذكي غُلّةَ الصادي[٥].

- وقال يعاتِبُ أباه المعتمدَ، « وكان أبوه قدْ أنْهَضَ جماعةً من إخوته دونَه » (أنْعَمَ عليهم أو عَهِدَ إليهم بأمرٍ جليل):

أُعيذُكَ أن يكونَ بنا خُمولُ … ويطلُعَ غيرنا، ولنا أُفولُ[٦].
حنانَكَ! إنْ يكُنْ جُرمي قبيحاً، … فإنّ الصفحَ عن جرمي جميل.
وإنْ عَثرتْ بنا قَدَمٌ سَفاهاً، … فإنّي مِنْ عِثارِيَ مُسْتقيلُ[٧].
وأحْسَنُ ما سَمِعْتَ به - عزيزٌ … يُناديه فيَرْحَمُه - ذليل.

---

(١) النظر: تحكيم العقل. الاختيار (أن الإنسان حرّ في أعماله غير مجبر عليها).
(٢) قويّ العارضة (المعجم الوسيط ٦٠٠): ذو قدرة على الكلام وذو بديهة (ارتجال) ورأي جيّد.
(٣) أصل جمع أصيل: الوقت في أواخر النهار.
(٤) فازوا بإيثاري (بتفضيلي إياهم على غيرهم) واحمادي (مدحي، شكري).
(٥) لاغرو: لا عجب. الوجد: شدّة الحبّ. يذكي: يزيد (الأمر شدّة). الغلّة: العطش. الصادي: العطشان.
(٦) أفول: غروب (عزل، زوال الحكم، زوال الملك).
(٧) عثر: زلّ (أخطأ). استقال فلان فلاناً - . (طلب أن يقيله): يساعده على النهوض (يعفو عنه).

وها أنا ذا أُناديكم، فهلْ لي | إلى قُرْبٍ من الرُحمى سبيل[١]؟
وأنتَ المَلْكُ تعفو عن كثيرٍ، | فما لك ظِلْتَ يُغْضِبُكَ القليل؟
بعثتُ برُقْعتي هذي رسولاً | صغيرَ السِنّ ليس له حَوِيلَ[٢]
لِتَرْحَمَه وأفراخاً إذا ما | عَتَبْتَ عليّ عادَ لهم عَوِيل[٣].
بَقِيتَ لهم على عَتْبٍ وعُتْبى، | فإنّ حياتَك الظِلُّ الظليل[٤]!

– وقال يَصِفُ نَكَدَ أيّامِهِ ويَصِفُ أحوالَ الدنيا:

هِيَ الدارُ غادرةٌ بالرجال | وقاطعةٌ لِحبال الوِصال.
وكُلُّ سُرورٍ بها نافدٌ، | وكلُّ مُقيمٍ بها لارْتحالِ.
ومَوْعِدُها أبداً كاذبٌ، | فإنْ أنجزَتْهُ فبعدَ المِطال[٥].
فمَنْ رامَ منها وفاءً يدومُ | ومُكْثاً لها، رامَ عَيْنَ المُحال.
خُلِقْنا نياماً، وظَلّتْ خَيالاً. | وأوْشَكُ شيءٍ فِراقُ الخيال[٦].
نُعَذَّبُ منها بغيرِ اللذيذِ | ونَشْرَقُ منها بغيرِ الزُلال[٧].
ونَزْدادُ مَعْ ذاك عِشْقاً لها. | أَلاَ إنّما سَعْيُنا في ضَلالِ.

– وخاطبه المعتمدُ بقصيدةٍ يهزأ به فيها ويطعَنُ عليه لأنّه كان كثيرَ الانصرافِ إلى العلمِ قليلَ الاهتمامِ بأمورِ الدولة وشؤونِ الحرب. ومطلَعُ قصيدةِ المعتمدِ:

المُلْكُ في طيِّ الدفاترْ، | فَتَخَلَّ عن قَوْدِ العساكرْ[٨].

---

(١) الرحمى: الرحمة.

(٢) الحويل (القاموس ٣: ٣٦٣، السطر الثاني من أسفل): القصد. لعلّه يقصد: ليس له حويل بالتصغير (قوة).

(٣) أفراخ (كناية عن الأطفال).

(٤) العتب: العتاب، اللوم. العتبى: الرضا.

(٥) المطال: المطل (بالضمّ): قلة الوفاء بالوعد.

(٦) أوشك: أقرب.

(٧) شرق (بفتح فكسر): غصّ. الزلال: الماء العذب الصافي السائغ. نشرق منها (من الدنيا) بغير الزلال (بالمصائب).

(٨) ألدفتر: كتاب العلم.

طُفْ بالسريرِ مُسلِّماً … وٱرْجِعْ لتوديعِ المنابِرْ[1].
واضْرِبْ بسِكّينِ الدوا … ةِ مكانَ ماضي الحدِّ باترْ[2]؛
أَوَلَسْتَ رَسْطاليسَ إنْ … ذُكِرَ الفلاسفةُ الأكابر؟
وأبو حنيفةَ ساقطٌ … في الرأي حين تكونُ حاضرْ

فكَتَبَ إليه الراضي بقصيدةٍ طويلةٍ يَتَنَصّلُ فيها من كثير مّما رماه به أبوه ويَعِدُ بأن يَرْجعَ إلى ما يُرضي أباه. من هذه القصيدة:

مَوْلايَ، قد أصبحتُ كافرْ … بجميعِ ما تَحْوي الدفاترْ؛
وفَلَلْتُ سِكّينَ الدَوا … ةِ وظِلْتُ للأقلامِ كاسرْ.
وعَلِمْتُ أنّ المُلكَ ما … بينَ الأسِنّةِ والبواتر[3].
والمجدُ والعَلياءُ في … ضَرْبِ العساكرِ بالعساكر،
لا ضَرْبَ أقوالٍ بأقْ … والٍ ضعيفاتٍ مَناكِرْ[4].
قد كُنْتُ أحسَبُ، من سَفا … هٍ، أنّها أصْلُ المفاخر؛
فإذا بها فرعٌ لها … والجهلُ للإنسان عاذرْ.
لا يُدْرِكُ الشَرَفَ الفتى … إلاّ بعَسّالٍ وباتر[5].
وهَجَرْتُ مَنْ سَمّيْتَهم، … وَجَحَدتُّ أنّهم أكابِرْ.
لو كُنتَ تَهْوى ميتَتي … لَوَجَدتَّني للعيشِ هاجر.
ضَحِكُ المَوالي بالعبيـ … ـدِ، إذا تُؤُمِّلَ، غيرُ ضائر[6].
إن كانَ لي فضلٌ فمِنْ … ـكَ، وهل لذاك النورِ ساتر؟

---

(١) السرير: العرش.
(٢) مكان: بدلا من. باتر: (سيف) قاطع.
(٣) السنان: الرمح. البواتر جمع باتر (سيف).
(٤) ضرب أقوال بأقوال: نقاش وجدال. مناكر (جمع منكر؟): ما تحكم العقول بقبحه. ومناكر (مناكير؟): جمع منكور: مجهول.
(٥) العسّال: الرمح.
(٦) المولى: السيد. ضائر: مضرّ.

أو كـــان بـــي نَقْـــصٌ فمِنْـ ... ـني. غـيرَ أنّ الفضلَ غامر[1].
ذَكَّـرْتَ عَبْـدَكَ ســاعــةً ... يَبْقى لها ما عاشَ ذاكـر.
يــا لَيْتَهــا قــد غَـيَّبَـتْـ ... ـهُ عندَهـا إحْـدى المقابـر.
أتريـدُ منّـي أنْ أكــو ... نَ كمن غدا في الدهر نادر[2]؟
هَيْهــاتِ! هــذا مطمَــعٌ ... يُعْيِـي الأوائــلَ والأواخــر.
لا تَنْسَ، يـا مَـولايَ، قَـوْ ... لَةَ ضارعٍ، لا قـولَ فـاخـر،
ضَبَـطَ الجـزيـرةَ عِنـدَمـا ... نَزَلَتْ بعَقْوتِهـا العسـاكـر[3]،
أيّـامَ ظِلْـتَ بهـا فـريـ ... ـداً ليس غـيرَ الله نـاصـر؛
إذ كـــان يُعْشـي نـاظـري ... لَمْـعُ الأسِنّـةِ والبـواتـر[4]،
ويُصِـمُّ أسْمـاعـي بهـــا ... قَـرْعُ الحِجـارَةِ بالحوافـر[5].
وَهِـيَ الحَضيـضُ سُهـولـةً ... لكـنْ ثَبَـتُّ بهـا مُخاطـر.
هَبْـنـي أسـأتُ - كمـا أسأ ... تُ - أمـا لهذا العَتْـبِ آخِـر؟
هَـبْ زَلّـتي لِبُنُـوتـي ... واغْفِـرْ، فـإنّ اللهَ غـافـر.

٤ - ** الحلّة السيراء ٢: ٧٠ - ٧٥؛ المطرب ٣٨ نفح الطيب ١: ٦٢٧، ٦٦١ - ٦٦٢؛ ٤: ٢٤٩ - ٢٥٦.

السميسر الإلبيري

١ - هو أبو القاسم خَلَفُ بنُ فرجٍ المَعْروفُ بلَقَبِه «السُمَيْسِر»، أصلُه من إلْبيرةَ (قُربَ غَرْناطة) وسَكَنَ غَرْناطَةَ مُدّةً مُتّصلاً بصاحِبها باديسَ بنِ حَبّوسٍ (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ). ثمّ وَقَعَتْ وَحْشَةٌ بينَه وبينَ باديسَ لبيتين قالَها في هجاء البربر،

---

(١) غير أن الفضل (فضلك) غامر (يغمرني: عفوك أكبر من ذنبي).
(٢) نادر: ساقط، شاذ.
(٣) العقوة: المكان المتسع أمام الدار. العساكر (اشارة إلى الجنود الاسبان؟).
(٤) أعشى النور البصر: جعله ضعيفاً لا يرى. الأسنة والبواتر: الرماح والسيوف.
(٥) بالحوافر: بحوافر الخيل (في الحرب).

فهَرَبَ إلى المَرِيَّةِ لاجئاً إلى صاحبِها المعتصمِ بنِ صُمادحٍ. ويبدو أنّ مَجيئه إلى المَريّة كان باكراً (قبل ٤٦٦ هـ، بلا ريبٍ)، كما يجبُ أن تكونَ إقامته في المَريّة قد طالتْ حتّى استحقّ أن يُسَمِّيَهُ المَقّري « شاعرَ المريّةِ » (نفح الطيب ٣ : ٣٩٠). ثمّ بَقِيَ في المريّة إلى ما بعد وفاةِ المُعتصم بن صُمادحٍ، ثامنِ ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٤٨٤ (٣٠/ ٤/ ١٠٩١ م).

٢ - كان السُميسرُ شاعراً مطبوعاً سهلَ الشعرِ، وكان أفضلَ الشعراء الذين حَفَلَ بهم بَلاطُ المعتصم بن صُمادحٍ. وهو صاحب مُزْدَوِجٍ (في قوافي الشعر) لعلّه قلّدَ فيه منصورَ بنَ اسماعيلَ التميميَّ الفقيهَ الشافعي الضرير (المُتوفّى في مِصْرَ سَنَة ٣٠٦). ثمّ له طبعٌ وتصرُّفٌ مُستحسَنٌ في المُقطعات لا في المُطوّلات. وأغراضُ شعرِهِ الشكوى والزُهدُ والحِكَم والنسيب والهجاء المُقْذِع، فقد كان هجّاءً مُتَوَثِّباً على الناس مُرَّ اللِسانِ لم ينْجُ من لسانِهِ هذا أحدٌ ولا أولئك الذين عاشَ في بَلاطهم. وكذلك كان له إخوانيات. ويبدو انهْ صنّفَ كُتُباً، فقد ذكروا له كتاباً عُنوانُه « شِفاء الأمراضِ في أخْذِ الأعراض » (نفح الطيب ٤ : ١٠٨).

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو القاسم السُميسِرُ في الدنيا وحقيقةِ مَوْقفِ الناسِ منها:

للهِ في الدنيا وفي أهْلِها	مُعَمّياتٌ قد فكَكْناها:
مِنْ بَشَرٍ نحن، فمِنْ طَبْعِنا	نُحِبُّ فيها المال والجاها.
دَعْني من الناسِ ومِنْ قَوْلِهِمْ،	فإنّما الناسكُ خَلاّها.
لم تُقْبِلِ الدنيا على ناسكٍ	إلاّ وبالرَحْبِ تَلَقّاها.
وانّما يُعْرِضُ عن وَصْلِها	من صَرَفَتْ عَنْه مُحيّاها[1]!

- وقال، وقد وقف على أطلال مدينة الزهراء:

وَقَفْتُ بالزهراءِ مُسْتَعْبِراً	مُعْتَبِراً أنْدبُ أشْتاتا[2]

(١) محيّاها: وجهها. الذين يزهدون في الدنيا هم (عند السميسر) أولئك الذين تكون الدنيا قد ضنّت عليهم بخيرها.

(٢) مستعبرا: باكياً: معتبرا: متأمّلاً بالعواقب. أشتاتاً: أشياء مبدّدة (متفرّقة - متهدّمة).

فقلتُ: يا زَهـرا، ألا فـارْجِعي. قالـتْ:وهـلْ يَرْجِـعُ مَـنْ ماتـا؟
فـلـم أزلْ أَبْكـي وأُبْكـي بهـا؛ هَيْهـاتِ يُغنـي الدَمْعُ هَيْهـاتـا!
كـأنّمـا آثارُ مَـنْ قـد مضـى نـوادبٌ ينـدُبْـنَ أمـواتـا.

– وقال في بعوضٍ كانت تلدغه:

بَعـوضٌ شَرِبْـنَ دَمـي قَهْـوةً وغَنَّيْنَنـي بضُـروبِ الأغـانْ[1].
كـأنّ عـروقِـيَ أوْتـارُهـا وجِسْمِي الرَبـابُ وهُـنّ القِيـان[2]!

– وفي المَرِيَّة يقولُ السُميسر شاعرُها (نفح الطيب ٣: ٣٩٠):

بِئْـسَ دارُ المَـرِيّـةِ اليـومَ داراً ليـسَ فيهـا لساكـنٍ مـا يُحِـبُّ.
بلـدةٌ لا تُمـارُ إلاّ بِريـحٍ رُبّمـا قـد تَهُـبُّ أو لا تَهُـبُّ[3].

– وقال يهجو البربر:

رأيتُ آدَمَ في نـومي فقُلتُ لـه: أبا البريّةِ، إنّ النـاسَ قد حكَموا
أنّ البرابرَ نسلٌ مِنكَ. قال: إذَنْ، حَوّاءُ طالقةٌ إن كانَ ما زَعَموا.

– وقال في سوء الظنّ بالبشر (وبأقاربه):

قـرابـةُ السـوءِ داءٌ فاحْمِـلْ أذاهُـم تَعِـشْ حَميدا.
ومـن تَكُـنْ قَـرْحةٌ بِفيـه يَصْبِـرْ عـلى مَصِّـه الصَديدا![4]

– وقال في العليل الشَرِهِ ومَوقفهِ من الطبيب:

يـا آكـلاً كـلَّ مـا اشْتَهـاهُ وشـاتـمَ الطِّـبِ والطبيـبْ،
ثِمارُ مـا قـد غَـرَسْتَ تَجْني. فانتـظرِ السُقْمَ عـن قريـبْ.
يجتمـعُ الـداءُ كـلَّ يـوم: أغْذِيَـةُ السـوءِ كـالذُنـوب.

٤ – ★★ الذخيرة ٢: ٨٨٢ وما بعد؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٥ – ١٦؛ المغرب ٢: ١٠٠ – ١٠١؛ المطرب ٩٣؛ نفح الطيب ١: ٥٢٧ – ٥٢٨، ٣: ٢٢٧ – ٢٢٨، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٢٠ – ٣٢١، ٣٢٩، ٣٩٠، ٤١٢، ٤: ٢٠، ١٠٨، ١١٦؛ نيكل ١٩١ – ١٩٣، مختارات نيكل ١٣٢ – ١٣٥؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٥٩ (٣١١).

---

(١) قهوة: خمر.
(٢) الرباب والربابة آلة موسيقية وترية: القيان جمع قينة (بالفتح): المرأة (الجميلة) المغنّية.
(٣) تمار: تأتيها الميرة (الطعام). المريّة: ثغر في الجنوب الشرقي من الأندلس.
(٤) بفيه: في فمه. الصديد: القيح.

ابن غرسيه

١ - هو ابو عامرٍ احمدُ بنُ غرسيه أصله من البُشكَنْس (شمال غربيّ الاندلس) سُبِيَ صغيراً فاعتنق الإسلام ودخل في وَلاء مجاهدٍ العامري صاحبِ الجُزُر الشرقية ومدينة دانية. ويبدو انه قد قضى حياته كلها في دانية. وكانت وفاته بعيد سنة ٤٧٧ (١٠٨٤ م).

٢ - ابن غرسيه اديب قدير في النثر ومجيد في الشعر وكانت تَغْلِبُ عليه شعوبية حمل بها على العرب حملة شديدة سفيهة، وان كانت هذه الرسالة (في هجاء العرب) تنكشف عن معرفة بغريب اللغة وبالأحداث التاريخية ومصادر الثقافة. والمعروف ان الشعوبيين يفضّلون المسلمين على العرب (أي يفتخرون بالإسلام على الذين يتعصبون للنسب العربي). والملموح عند ابن غرسيه أنه يفضل الفرس والروم واليهود على العرب، ولكنه يتستر بمدحِ رسولِ الله (الذخيرة ٣: ٧١٢ - ٧١٣). ولقد فَطِنَ الذين ردّوا عليه إلى ذلك فنَسَبَهُ بعضُهم إلى النِفاق. وقال بعضُهم إنّه بَرِيء من الإسلام (ودخل في الكُفر مُرْتدّاً وانه يستحقُ القتلَ على ذلك - ولكنْ لم يكُنْ في الاندلس في ذلك الحين ملكٌ قويّ يستطيعُ أن يُقيمَ مِثْلَ هذا الحَدّ: يُوقع مِثلَ هذا القِصاص).

وفي شِعر ابنِ غرسيه فخرٌ بنفسِه وبأصله. غيرَ أن شِعرَه الذي بين أيدينا نازلٌ عن مرتبةِ نثرِه (وخصوصاً من حيث المتانةُ) والوضوحُ.

ولقد ردّ على ابنِ غرسيه نفرٌ من مُعاصريه منهم ابنُ الدودينِ وأبو الطيبِ عبدُ المُنعم القَرَوِيّ ثمّ رجُلٌ آخَرُ يدعى ابنَ عبّاس يبدو أنه ألّف في ذلك كتاباً. وسأُورِدُ أشياءَ من تراجمِ هؤلاءِ ومن رسائِلِهِمْ في هذا الشأن، بعدَ المختاراتِ من رسالةِ ابنِ غرسيه.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابنُ غرسيه يفتخر بأصله (المغرب ٢: ٤٠٧):

إن أصْلي كما عَلِمتَ، ولكنّ(م) لساني أعزُّ من سَحْبـانِ[1].
وأنا من خير الملوك بصدْرٍ، هل ترى بالقَناةِ صدرَ سِنان[2]؟

– ومن الرسالة الشُعوبية لابنِ غرسيه (في هَجْو العرب) يُخاطبُ بها الأديبَ الشاعرَ أبا جعفرٍ بنَ الخرّاز[3]. قال (الذخيرة ٣: ٧٠٥ – ٧١٤):

.... كأنّ ما في الأرض إنسانٌ إلاّ من غسانٍ أو من آلِ ذي حسّانٍ[4]. وإنْ كان القومُ أقْنَوْكَ وما أغْنَوْك، على حَسْبِ المذكور، فما هذا الإعمال للكُور وتَرْكُ الوُكور[5]؟ وقلّ ما تأخُذ الشَعَرةُ في الرحيل إلاّ عن الربْع المَحيل[6]. ولو أن القومَ خَلَطوك بالآلِ لَمَا ألْجأوكَ إلى الخَبْط في الآلِ[7]. مَهْ مه. مَنْ أحْوَجَكَ إلى رُكوبِ المَهْمَه[8]؟.... أحسبك[9] أنْ أزْرَيْتَ، وبهذا الجيلِ النجيب ازْدَرَيْتَ[10]، وما دَرَيْتَ أنّهمُ الصُهْبُ الشُهْب، ليسوا بعُرْبٍ ذَوِي أيْنُقٍ جُرْبٍ[11]. بل هم القياصِرةُ والأكاسرة. مُجُدٌ نُجُدٌ: بُهَمٌ لا رُعاةُ شُوَيْهاتٍ وبَهَم[12]. شُغِلوا بالماذيّ والمُرّان عن

---

(١) أصلي كما علمت (بشكنسي نصراني، ثمّ مولى). أعزّ: أقوى. سحبان: خطيب عربي مشهور.

(٢) هذا البيت مضطرب الوزن في أوّله (اقرأ: وأنا خيرة الملوك بصدر). القناة: عصا الرمح. السنان: الحديدة التي في أعلى الرمح.

(٣) أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن الخرّاز من أهل سرقسطة وسكن بلنسية وكان أديباً شاعراً.

(٤) من غسان أو آل ذي حسّان (من العرب أو من ملوك العرب؟).

(٥) أقنوك: منحوك قنية (عطية). وما أغنوك (المفروض أن يقال: وأغنوك). على حسب المذكور (كما ذكر في التاريخ). الإعمال (بالكسر: الاستخدام، السير) بالكور (رحل الناقة): السفر (الكثير). وترك (هجر) الوكور (المساكن) يشبّه بيوت العرب بالوكور احتقاراً.

(٦) الشعرة: الشعراء. الربع: المسكن. المحيل: المغيّر، المتبدّل (المهدوم).

(٧) القوم (قومك) خلطوك بالآل (أدخلوك في أهلهم). الخبط: السير على غير هدى. الآل: السراب.

(٨) مه: أكفف، توقّف (عن الادّعاء). المهمه: الصحراء الواسعة.

(٩) أحسبك (الصيغة غير واضحة. اقرأ: حسبك (يكفيك) إن (بكسر الهمزة).

(١٠) أزريت (عبت غيرك) وبهذا الجيل (من الناس، أي الفرس أو الروم أو الافرنج) ازدريت (احتقرتهم) أن تعلم (تحسن زيادتها هنا).

(١١) الأصهب: الأشقر، الأحمر. الأشهب: الأبيض. أينق جمع ناقة.

(١٢) في تاج العروس (الكويت ٩: ١٥٢) مجد (بضمّتين): النياق التي تشبع من المرعى. الجد (بضمتين) جمع مجود (بالفتح): نبيل، شريف. البهم (بضمّ ففتح) جمع بهمة بالضمّ: الشجاع. البهم (بفتح ففتح): الغنم، البهائم.

رَعْيِ البُعْران[١] ، ويجَلْبِ العزّ عن حَلْب المَعز. جبابرةٌ قياصرة، ذَوُو المَغافر والدُروع للتنفيس عن رَوْعِ المَروع[٢] . حُماة السُروح نُماة الصُروح[٣] . صقورةٌ غَلَبت عليهم شُقورة، وصُقورة الخُرسان، لكنّهم خَطَبَة بالخرصان[٤] .

بُصُرٌ صُبُر ، قيولٌ على خيول كأنّهم فُيولٌ، بنو غابٍ مُنْتَفون من كلّ عابٍ[٥] . لم تَلِدْهُم صواحبُ الراياتِ[٦] ، بل تَبَحّجتْ عنهمْ سارةُ[٧] الجمال والكمال، ربّة الإياة[٨].... غَنُوا بالإسْتَبْرق والسُنْدُس عن البَتّ المُقَيِّظ المُشَتّ المجموع من النَعَجات السِتّ[٩]. طعامُهُمُ الحنيذُ[١٠] وشرابُهُمُ النبيذ، لا زهيدُ الهَبيدِ في البيد[١١]....

---

(١) الماذيّ: الدرع. المرّانة (بالضمّ): الرمح الصلب ولكن ينثني. البعران جمع بعير.

(٢) المغفر (بكسر فسكون ففتح): وقاء للرأس في الحرب. الروع: الخوف. المروع: الخائف.

(٣) السروح (قطعان الماشية). نماة الصروح (القصور): الذين يبنون قصوراً عالية.

(٤) الذخيرة ٣ : ٧٠٦ (الحاشية العاشرة): أي فيهم صقورة الخرسان، وهم الصقالبة من حرس القصر وكانوا يلقّبون الخرس، وإنّما يظهرون فصاحتهم بالخرصان (بالضم أو بالكسر) أي الرماح (كذا). صقورة جمع صقر (طائر يصاد به). شقورة (ليست في القاموس). المقصود « شقرة » (أي هم أبطال ولكن شقر: أفرنج لا عرب). الخرسان أو الخرس: حرس صقالبة اتّخذهم خلفاء الأندلس، سمّوا خرسا (لأنهم لم يكونوا يتكلّمون العربية). خطبة (يقصد خطباء). أي يحسنون الكلام بالخرصان (بالضمّ أو بالكسر) جمع خرص (بالكسر): الرمح اللطيف (القصير)، أي يجيدون القتال.

(٥) الغاب جمع غابة. العاب: العيب.

(٦) كانت المتزيّنات للرجال ينصبن على مداخل بيوتهن راية ليعرفن. في هذا تعريض بزياد بن أبيه، وكانت أمه من صواحب الراية، ادّعى معاوية أنّ أباه أبا سفيان أتاها (قبل اسلامه) وأنّ زياداً كان ابنه منها. وقد ألحقه معاوية، فيما بعد، بنسبه.

(٧) سارة امرأة ابراهيم الخليل وأمّ اسحاق أبي اليهود.

(٨) أيا وأياة (بكسر الهمزة فيهما): ضوء الشمس وحسنها.

(٩) غني الرجل أصبح غنيّاً وليس محتاجاً إلى شيء. الإستبرق والسندس من الحرير. البتّ: كساء من صوف أو وبر. المقيّظ المشتّي (يلبس شتاء وصيفاً). وهنا إشارة إلى أشطر من الرجز لأعرابي يذكر أن له ثوباً واحداً يلبسه في جميع الفصول وقد نسجه هو من ست نعجات كانت عنده.

(١٠) الحنيذ: اللحم السمين.

(١١) الزهيد: القليل القيمة. الهبيد: الحنظل (ثمر نبات صحراوي يشبه البطيخ، ولكنّه أصغر حجماً ثمّ هو مرّ).

معشرَ البُداةِ العُداة، اعتقدتم غِلاًّ فاسْتَتَرتم صِلاّ[١].

.... أما علمتم ان الدولة النُوشرانية والدولة الأزدشيرية[٢] بَقَروا أجوافَكم وخلعوا أكتافَكم[٣] ثم عطفوا ورأفوا وملّكوكُمُ الحِيرة بعد عظيمِ الحَيرة قُلُلاً ذُللاً[٤] تتخيّرون البناتِ عند البَياتِ مَبْهورات لا ممهورات[٥]. فَبَرِم مِنْ ذلك غسّانُكم ونُعْمانكم[٦]. وكان بَرَمُه سبباً لِدَرْء أَمانكم[٧]، فأصْبح بعدَ جرّ الذيول مدوساً بأخْفاف الفُيُول[٨]. (هذا) والكِرامُ بنو الأصفر[٩] الأطهر الأظهر عَطَفتْهم عليكُمُ الرَحِمُ الإبراهيميةُ والعُمومة الإسماعيلية[١٠] وسَمَحوا لكم من الشام بأقْصى مكان بعدَ ان كان من سَيْلِ العَرِم[١١] ما كان....

فلا فخرَ، مَعشرَ العُربان الغِربان[١٢] بالقديم المُفَرَّى الأديم[١٣]. لكنْ بابن عمِّنا الاسماعيليِّ الحَسَبِ الابراهيمي النَسَبِ.... بهذا النَبيّ أُفاخرُ من يَفخَر وأُكاثرُ مَنْ تقدّم وتأخَّر.... أُصَلّي عليه عددَ الرمْل ومددَ النمل. وكذلك أُصلّي على واصلي جَناحه، سُيوفه ورِماحِه، صحابَتِهِ الكرامِ علَيْهِمْ أفضلُ السلام.

---

(١) البداة (سكان البادية) العداة (الأعداء) اعتقدتم (أضمرتم) غلًّا (حقداً). الصلّ: الحية الخبيثة.

(٢) نسبة إلى أنو شروان وأزدشير (من ملوك الفرس).

(٣) كان سابور (ملك الفرس) يلقّب «ذا الأكتاف» لأنّه كان يخلع أكتاف الأسرى.

(٤) قلل جمع قلال (بالضمّ): قليل. ذلل: مذلّلين.

(٥) البيات (هنا): النوم. مبهورات (خائفات، تغتصبونهنّ). ممهورات (دفع مهرهن (أي تزوّجتموهنّ حلالاً).

(٦) برم بكم: ملّ منكم (غسّانكم ونعمانكم: الملوك الذين جعلوا بني غسّان وبني النعمان حكّاماً عليكم).

(٧) درء أمانكم (الملموح: ذهاب الأمن عنه وعنكم).

(٨) جرّ الذيول (ذيل الثوب): العزّ والتبختر. مدوساً بأخفاف الفيول (إشارة إلى النعمان آخر ملوك الحيرة الذي استدعاه كسرى إليه وانتقم منه بأن ألقاه تحت أقدام الفيلة فداسته).

(٩) بنو الأصفر: اليونان.

(١٠) الرحم: القرابة. إبراهيم الخليل ثمّ ابنه اسحاق أخو اسماعيل، فاسحاق عمّ العرب لأنّ اسماعيل أبو العرب.

(١١) لمّا انفجر سدّ مأرب في اليمن هاجرت قبائل يمنية كثيرة نحو العراق والشام. العرم: الشديد.

(١٢) العربان (البدو) الغربان (السود الألوان).

(١٣) المفرّى (المقطّع) الأديم (الجلد) كناية عن الذل وكثرة اعتداء الناس (على العرب).

- وفيما يلي أشياءُ من الردّ على هذه الرسالة:

من الذين ردّوا على ابن غرسيه أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ الدودينِ لَقِيَهُ ابنُ بسّامٍ في الأُشبونةِ (لشبونةَ عاصمةِ البرتغال اليومَ)، سَنَةَ ٤٧٧ (١٠٨٤ م) واستملى منه شيئاً من نثرِه وشِعره فأمْلاهُ - مِمّا وَصَل إلينا - أبياتاً في الغزل المذكّر ليس فيها براعةٌ معنوية خاصّةٌ ولا لفظيّةٌ. وأمّا رِسالته التي ردّ بها على ابنِ غرسيه ففيها أشياءُ من المَقْدِرة اللغوية وصِناعة البلاغة مَعَ أشياءَ من المعرفة بالتاريخ والعلم. وفيما يلي مختاراتٌ من رسالة ابن الدودينِ (الذخيرة ٣: ٧١٥ - ٧٢٢):

اخسأْ، أيُّها الجهول المارقُ والمرذولُ المُنافق. أينَ أَمُّك، ثَكلَتْكَ أُمُّك[١]؟ أَوَما عَلِمْتَ انّما سُحِبْتَ من عِقالِكَ لِعُقّالك[٢]، وقدّمتَ أوّلَ قدمِك لِسَفْكِ دَمِكَ[٣]... (ثمّ) حبّرتَ بِحِبرِك لذَهاب خُبْرِك[٤]؟ فما حقيقةُ جوابك على خَطَل خِطابك الاّ سَلْبُكَ عن إهابِك[٥] وصَلْبُكَ على بابِك، لو كان في الحَضْرة أقيالٌ وحَضَرَكَ رجال[٦]. لكنّك بين هَمَجٍ هامج ورَعاعٍ مائج[٧]: «مُذَبْذَبِينَ: لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاء»[٨]....

هل يجوز في التحصيل أو يَصِحّ في العقول أن يَحْمِيَ قومُك سُروحَ شائِهم وقد أباحوا فروج نسائهم؟ أليس هذا عينَ المُحال ومغالطةَ الجُهّال؟ فهلاّ توهّمتَ، يا فتى، الجوابَ قبلَ الخِطاب وأبصرتَ الوَرْطة[٩] قبل السَقْطة؟

---

(١) المارق (الخارج من الإسلام).
(٢) العقال: الرباط الذي يحمي الإنسان. العقّال (الرباط الذي يمنع الإنسان من الحركة).
(٣) أوّل ما عملته (من سب العرب): الكفر.
(٤) الخبر (حقيقة الأمر - كلامك دلّ على أنّك لم تبق مسلماً).
(٥) الخطل: الفساد (فساد الرأي والعقل). سلبك (سحبك) من اهابك (جلدك): قتلك.
(٦) الحضرة: العاصمة أو المكان الذي أنت فيه. أقيال: ملوك (حقيقة). وحضرك (كان حولك) رجال (لهم رأي وعزيمة).
(٧) الهمج: جماعات الناس (كالبهائم). هامج: بلا نظام، سائبون، فوضى. رعاع: جماعات لا انتظام لها.
(٨) من القرآن الكريم (٤: ١٤٣، النساء): «مذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء».
(٩) الورطة: الحفرة العميقة، الوحل.

وأما ما قَعْقَعْتَ به ووَعْوعت[1] من صواحبِ الراياتِ[2]، فهنّ – وأبيكَ – بعضُ بناتِ الإياة[3]، فما عُجْنا بهنّ عمّا عوّدتُّموهنّ مِنَ البغاء[4] للاسترضاء. فكَثَّر معشرُ العُربانِ من وَلَدِ سارَتِكم الإمْوانَ والعُبدان[5]. وفيكَ و(في) أبيك من ذلك أصحُّ دليلٍ وأوضح بُرهان[6].

وأمّا لَوْكُهُمُ العُرودَ[7] فأوضح من السِراجِ الوهّاج في الليل الداج. لكنْ أُلْمِعُ بذلك لُمعةً تشهد بذاتها على ذَواتها: وذلك أنّه قد تُحُدِّثَ أنّ وُلدانَكم قد عطّلوا في بعضِ أعوامِكم سوقَ نِسائكم. فَنُمِيَ[8] ذلك إلى مَليكِكُمْ فحكَمَ – أكَرِمْ به من حَكَمٍ – أن يُبيحَ النِسوانُ من أنْفُسِهِنَّ ما أباح الولدانُ (من أنفسهم). فامتَثَلْنَ ذلك، فاتَّسَقَتِ الحالانِ ونَفَقَتِ السُوقان.

وأمّا ما عيّرتَ به العربَ مِنَ الاغتذاء بالحيّاتِ فَكَتَغَذِّيكُمْ بالدِماء والمَيْتات.... وأمّا فخرك بالشرائعِ فمن أبدعِ البدائع. وأنّى يكون ذلكَ كذلكَ، ولم يأخُذوها عن نبّيٍ ولا نقلوها عن حَواريّ[9] إلى أن أصاروها في حَيّزِ الهَذَيان. وحَسْبُكَ بهم جهلاً أنّهم يعتقدون إلّهاً نَبِيَّهُمْ، فوَسَموه بالربّ المعبود وصيّروه – بعدُ – مصلوبَ اليهود. فاعجَبْ لجهلٍ يجمع بين هذين الطَرَفين. وأعجبُ من ذلك أنهم مُجمعون على أنّ عيسى يَنْزِل إلى الأرض لِحساب الخلائق يومَ العَرْض. فما ظَنُّك يفعل اليهوديّةُ على ما قدّموه، على زَعْمهم، إذا (هو) ناقَشَهُمُ الحسابَ[10]؟

---

(١) وعوع الكلب الخ: عوى وصوّت.

(٢) صواحب الرايات (انظر، فوق، ص ٦٨٥، الحاشية ٦.

(٣) الاياة: ضوء الشمس، حسن الشمس.

(٤) عاج: مال، انحرف (خالف). البغاء: النكاح غير المشروع، الزنا.

(٥) كثر نسل العربان (البدو) من بنات سارة (امرأة إبراهيم وام اسحاق): اليهوديات. الاموان والعبدان: الارقّاء من الإناث والذكور.

(٦) ومشابهة جماعات من اليهود للعرب دليل على ذلك.

(٧) لاك الشيء: حرّكه في فمه كأنّما يريد أن يمضغه. العرد: الصلب الشديد، عضو الرجل.

(٨) نمي: رفع (نقل الكلام إلى....)

(٩) الحواريّ: الصاحب (من أتباع الرسل خاصّة).

(١٠) بماذا يدافع اليهود عن أنفسهم إذا نزل عيسى ليحاسب البشر وسأل اليهود عن دعواهم قتله.

والآن تذكّرتُ مَساقَ أبي غَبْشانَ[1]- وما أنْسانِيه إلاّ الشيطانُ[2]- ذلك الذي به ظَنَنْتَ ومن قضيّته عظّمتَ. وليس الأمرُ كما توهّمت. وأبو غَبْشانَ إنّما باع خِدْمَتَهُ في البَيْت. وهَبْها وَصْمَةَ سفيهِنا العربيِّ، فاين تقعُ (بالإضافة إليها) قضيّةُ إمامِكُمْ يَهوذا[3] الحَواريِّ، إذ باع نَبيَّه روحَ القُدُس بالأفلُسِ. فكذّبَ اللهُ ظنّه وأنجى نَبِيَّه[4]. فدونَك: ضَعْ قضيّةَ سفيهِنا في كِفّةٍ[5]، وفي أُخرى قضيّةَ إمامِكُم (ثمّ) رَجّح بينَهما.

وما كان أغناكَ، يا كُشاجِمُ[6]، عن كشف عَوْراتِ آلكَ الأعاجم؟ لكنّ ضَعْفَ نظرك حَداك إلى هَذَرِك[7]، وسوءَ أدبِك وافَى بك على عَطَبِك. نسألُ اللهَ سِتراً يَمْتَدُّ ووجْهاً لا يسوَدُّ.

★ ومن الذين ردّوا أيضاً على ابنِ غرسيه **أبو الطيّب عبد المُنعمِ القَرَوِيُّ** (القَيْرواني) المُتَوَفّى سَنَةَ ٤٩٣ (١٠٩٩ - ١١٠٠ م) دخلَ إلى الأندلس وحدّث في الجانب الشرقي منها. وردُّ أبي الطيّبِ القَرَويّ بارعٌ جِدًّا. ويبدو أنّ ثقافته العامّة كانت واسعةً. وفيما يلي مختارات من رِسالته الطويلةِ في هذا الموضوعِ (الذخيرة ٣: ٧٢٢ - ٧٤٦):

.... أيُّها الفاخرُ بزعمه بلِ الفاجرُ برُغمه، ما هذه البَسالةُ في الفَسالة[8]؟ما هذه الجسارةُ على الخسارة؟ لقد تجرّأتَ ومِنَ المِلّةِ تبرأتَ[9].... فأخبِرْني عنك: أما كانتْ

(١) أبو غبشان كان له نصيب في خدمة البيت (الكعبة) فباعه في أثناء سكره.
(٢) القرآن الكريم (١٨ : ٦٣، الكهف).
(٣) يهوذا الاسخريوطي كان من أتباع المسيح الاثني عشر الأوائل فخان المسيح بأن دلّ الجنود الرومان عليه حتّى قبضوا على المسيح.
(٤) أراد اليهود لعيسى أن يقتل ويصلب، ولكن الله نجاه ورفعه إليه.
(٥) للميزان كفّتان.
(٦) كشاجم: اسم علم (فارسي). يا كشاجم (يا من يدعي نسبة الى غير العرب)
(٧) حدا: ساق، دفع. الهذر: سقط الكلام (الكلام الغثّ الساقط: لا معنى له).
(٨) البسالة: الشجاعة. الفسالة: سوء الرأي (الفسولة بالضمّ: قلّة المروءة).
(٩) الملّة: الدين (الإسلام). تبرّأت (تخلّيت عنه، وهذا ممّا يدلّ على أن الذين ردّوا على ابن غرسيه اعتقدوا أن رسالته الشعوبية قد أخرجته من الإسلام إلى الكفر).

للعرب (عليك) يدٌ تشكُرها ومِنّةٌ تذكُرها؟ أما جَبَرَتْ نقيصتَك؟ أما رفعتْ خسيستَك؟ أَلَمْ تُربِّكَ فينا وَليداً[١]؟ ألم تَتّخِذْك تَليداً[٢]؟ ألم تُعْنَ بتخريجِك وتدريجِك؟ أما أنْطَقَتْكَ بعدَ العُجمة؟ أما أسْلَقَتْكَ عَقِبَ اللُكْنة[٣]؟ حتّى إذا اشتدّ كاهِلُكَ[٤] وعَلِمَ جاهلُك، وقوِيَ ساعدك ورَقِيَ صاعِدُك، كفرتَ نعمتَها لَدَيْكَ ونثرتَ عِصمتَها[٥] من يدَيْك؟ أحينَ فكّتْ أسْرَكَ.... ناهَضْتَها بحُسامِها وجاهضتَها بكلامِها[٦] ورَمَيْتَها بسِهامِها:

أُعلِّمُـه الرِمايةَ كـلَّ يـومٍ ، فلمّا استـدَّ ساعِـدُه رَمـاني[٧].

وهاتِ أَرِنا مَفاخِرَك نُرِكَ مَساخِرَك....: ليس للسَخاء في الروميةِ اسمٌ ولا للوفاء في العَجَمية رسْمٌ[٨]. أينَ أنتَ عن السُمْرِ القُمْر[٩]: البيضِ غُرَراً وصِفاحاً السودِ طُرراً وأَوْضاحاً[١٠].... قِمَمٌ من العمائم وهِمَمٌ من الغمائم، سَعّروا عليكم نارَ الحرب بتلك الأيْنُقِ الجُرُب فكسروا أكاسِرتَكُمْ وقَصَروا قياصرتكم.

والعربُ....، إن فاخرتَهـا فبغـيرِ الطعـامِ والشرابِ، ولكنْ بالطِعـانِ والضِراب.... ومن الآياتِ ذِكْرُ صواحبِ الرايات، والمُباضعةُ عندَكم كالمُراضعة، ما

---

(١) راجع القرآن الكريم (٢٦ : ١٨ ، الشعراء): ألم نربّك (لجماعة المتكلمين) فينا وليدا...؟
(٢) التليد: القديم (اتّخذتك منذ زمن قديم؟).
(٣) أما أنطقتك (بالعربية) بعد العجمة (الكلام الأجنبي) أسلقتك (ليست في القاموس بمعنى موافق. لعلّ المقصود: جعلت لك سليقة الكلام بالعربية). اللكنة: صعوبة الكلام بالعربية.
(٤) الكاهل: ما بين الكتف والعنق (كناية عن بلوغ الرجولة والقوّة).
(٥) نثرت (خلعت) عصمتها (رباطها)... تخلّيت عن أهل اللغة العربية.
(٦) ناهض: قاوم. جاهضه: مانعه من بلوغ مراده، قاوم.
(٧) استدّ ساعده (أصبحت يده سديدة: تصيب الهدف).
(٨) رسم: صورة (حقيقة، في مقابل «اسم»). العجمية (لغة نصارى الأندلس).
(٩) الأقمر: الأبيض الشبيه بالقمر.
(١٠) الغرّة: مقدّم الرأس. الصفح (بالفتح): جانب الوجه. الطرّة: الشعر المشرف على الجبهة. الأوضاح (جمع لا مفرد له): كثرة الناس. أو جمع وضح (بفتح ففتح): الغرّة.

في الشَكْرِ [١] عِندَكم نُكرٌ تبيحون وُلوجَ العُلوجِ على بدورِ الحُدوج [٢]. والزِنا عندكم سَنا، وفَجارِ بينكم فَخارٌ [٣]: تقتادونَهنّ وتستأذِنونهن [٤]. فكيف أنكرتَ ما ذكرت وسَرِفْتَ [٥] ما عرفتَ وأنتَ على سَنَنِ تلك السُنَن [٦]؟....

وعلامَ جَثَثْتَ أصلَك من الأنباط وأزَحْتَ فَصْلَك عن الأقباط [٧]؟ ما كان ذنبُهم إليكَ وجِنايتُهم عليك حتّى أخرَجْتَهم من جُملة الأعاجم ونَفَيْتَهم عن جَنَبة أصحاب التراجم [٨].... هذا على اتّصالِ نَسَبِكَ برومانَ [٩]. فإن كنت من وَلَدِ كَنعانَ فما أبعدَ دارَك وأشْحَطَ مَزارَك وأطمَسَ آثارَك [١٠]. وأمّا الخيلُ فسامِحِ العربَ بركوبها ووُثوبِها، وخَلِّ بينَهم وبينَ عُيوبِها [١١].... الخيلُ حرثُ العرب وحَصادُها وعِدّتُها وإرصادُها [١٢]. ليستْ أُمّةٌ من (جميع) الأمم الأعجمية تُنازِعها ذلك ولا تُدافعها عنها: تُسمّيها بأسمائها وتَنْسِبها إلى آبائها وتَعْرِفها بأصواتها وتُؤثِرها [١٣] بأقواتها. وإنّك لَتَعْلَمُ

---

(١) المباضعة: الصلات الجنسية. المراضعة: أن يرضع الأطفال معاً (من مرضع واحدة). الشكر (بفتح فسكون): عضو المرأة. النكاح.

(٢) ولوج: دخول. العلج (الأجنبي). الحدج (بالكسر): مركب المرأة (في الهودج).

(٣) سنا: ضوء القمر (شيء ممدوح محبوب). فجار (بالبناء على الكسر، معرفة): الفجور (يقال للمرأة السيّئة: يا فجار).

(٤) تقتادونهن (بالأجرة). وتستأذنونهن (بالصداقة)؟؟

(٥) سرف (بفتح فكسر): اهمل، أغفل.

(٦) السنن (بفتح ففتح): نهج، منهج. السنّة (بالضمّ): الطريقة.

(٧) جثّ: قطع. الأنباط (فرع من الآراميّين في العراق والشام) والأقباط (فرع من الاعرابيّين) في مصر. والأنباط والأقباط ظلّوا نصارى،وإن كان أصلهم من الأعرابيّين (أشقاء العرب). لماذا تبرأت من الأنباط والأقباط وهم نصارى مثلك (في الأصل)؟

(٨) جنبة: جانب. ناحية. أصحاب التراجم (الترجمة: تاريخ حياة شخص)؟؟.

(٩) رومان: الرومان (نصارى أوروبّة يومذاك).

(١٠) كنعان: الأعرابيّون سكان الأراضي المنخفصه الساحلية (سمّاهم اليونان « فينيقّيين »). أشحط: أبعد. الآثار المطموسة (المحوّة المنسيّة).

(١١) العرب تعرف عيوب خيلها (ومحاسنها) أكثر منك.

(١٢) الحرث: الزرع. الحصاد: قطع الزرع (الخيل مبدأ عمل العرب ومنتهاه). العدّة: وسيلة العمل (السفر، الحرب الخ). الإرصاد (بكسر الهمز): اعداد الخيل للحرب أو للسباق.

(١٣) تؤثر: تفضّل.

أن خَيْلَهم أشهرُ من مُلوكِكُمْ أسماءً وألقاباً وأطهرُ من نسائكم أنساباً وأعقاباً[١]، قالوا: بناتُ أعوَج[٢]، وداحسٌ والغبراءُ، والنَعامة والشمّاء، وحافلٌ والشقراء، وأسماؤها كثيرةٌ وألقابُها شهيرة. ولَعَلّك أنْ تذكُرَ لنا من خَيْلِ آبائك الأوّلين وأفراس أسْلافك الأقدَمين فَرَساً مشهوراً وفارساً مذكوراً. فإن أتيتَ بذلك شَهِدْنا وآمَنّا....

وكيف اسْتَجَزْتَ، على فَضْلِكَ الباهرِ وشرفك - بزعْمك - الظاهر، أنْ تستعينَ على فخرك بغير الحقّ وتلجأَ في تهوّرك إلى غير الصِدق؟ هل كان النُعمانُ الاّ مَلِكُ أملاكٍ وشمسُ أفلاك: أصلُه عريقٌ وفَرْعه وَريق[٣]. اتّخَذْتُموه جَبّاراً ودون العرب حِجازاً[٤]. نزل الحِيرة وأنتم له جِيرة... قد كَفاكُمُ العربَ جمعاءَ من جِلّقَ إلى صنعاءَ[٥]: يذُبّ عنكم بماله واحتماله[٦] بعد عَقْدٍ مؤكّدٍ وعهدٍ منكم مُؤبّد. وأجارتِ العربُ مَنْ أجارَ وأغارتْ على من أغار. وحسُنَتْ حالُ الفُرْسِ بمكانه وعزّتْ بسُلطانه[٧]. فلمّا شَمَخَ على أعلاجكم وامتنع من زَواجكم[٨] - ولم تكُنِ العربُ تزوّجُ أحْفاها أو يكونَ من أكْفاها[٩]. فقال لباغي السَواد: عليك ببَقَرِ السَواد[١٠]. فاسْتَزَرْتُموه وغَرَرْتُموه[١١]. فكيف رأيتم غضبَ العرب لثارِها وطَلَبَها لأوْتارها؟ ألم

(١) أعقاب جمع عقب (بفتح فكسر): نسل.

(٢) أعوج، داحس، الغبراء الخ: أسماء خيل مشهورة.

(٣) عريق: قديم، كريم. وريق: كثير الورق، أخضر، جميل (كثير العدد).

(٤) جبّاراً: قويّاً مستبدّاً بين يحكم. حجاز: فاصل (جعل الفرس امارة المناذرة (أسرة النعمان) في العراق فاصلاً بين بدو شبه الجزيرة وبلاد فارس).

(٥) جلّق (في حوران في الشام)، وصنعاء؟ (عاصمة اليمن).

(٦) احتماله: طاقته، مقدرته (بأقصى ما يستطيع).

(٧) قَوِيَ الفرس (لمّا أمنوا من غارات البدو على حدودهم).

(٨) طلب كسرى من النعمان أن يرسل إليه زوجة عربية فلم يفعل النعمان ذلك.

(٩) أحفاها (أكرمها؟) أكفاها = أكفاؤها جمع كفؤ (ند، مماثل). كانت العرب لا توافق على زواج أحد بامرأة من نسائها (ولو كان كريم الأصل) إلا إذا كان مماثلاً لها.

(١٠) باغي (مستبد، ظالم = كسرى) السواد (سواد العراق: جنوب العراق). البقر: الغزلان (كناية عن النساء الجميلات). كان النعمان قد قال: «عين» (بكسر العين) الواسعة العينين من النساء، فنقلت الجملة إلى كسرى بمعنى البقرة أنثى الثور لا الغزال.

(١١) غرّ: خدع.

تَصْدِمُكم بذي قارٍ [١] صَدْمَةَ ذي احتقار، فأدركتْ فِيكُمْ رِضا الرحمنِ وأخذتْ بثأر النُعمان. وطَحْطَحَتْ [٢] بني ساسانَ وآلَ كاسانَ [٣]. ولم تقُمْ للفرس بعدَها قائمةٌ ولا رَعَت لها سائمة [٤]. ولم تَزَلِ (الفُرْسُ) في قواصفَ تتقاذفُ وعواصفَ تترادفُ [٥] حتّى تَمَّمَ اللهُ آفتَها واستأصلَ الإسلام شأفَتَها [٦].

وفَخَرْتَ بالرياضيّةِ والأرِيضية [٧]. صدقتَ ونُبْتَ عنّي في الجواب.... والموسيقى وهو عِلْمُ فنونِ اللُحون بالعَجَمِ إليه حاجةٌ مُجْحِفة وضرورةٌ مُعجِفة [٨]، لِعَجْزِ طِباعهم عنِ الأوزان وقِلّة اتّساعهم في (هذا) المَيْدان [٩] لأنّ لُغاتِهم قليلة وقُواهم كليلة لا تستجيبُ الاّ بوسائطَ ولا تستقلّ الاّ ببسائطَ [١٠]. ليس عندهم شعرٌ موزون ولا كلامٌ مرصون [١١]. ولُغةُ العرب واسعةُ العباراتِ ناصعة الإشارات، لها الشِعرُ الموزونُ والنظم المكنون والكلام المنثور والسجْع المأثور [١٢] والرَجَز المشطور والمُزْدَوِج المبتور والمُوشّح والأطْواق والقلائدُ في الأعناق والمخمّسات والمربّعات [١٣]... و(لهم) الأهْزاجُ والأرْمال وغير ذلك من الأعمال: كالركباني والأعْرابي، والنَصْبي والمَدَني، والثقيلُ

---

(١) ذو قار: معركة اجتمع فيها العرب على قتال الفرس (١٣ قبل الهجرة - ٦١٠ م) وانتصروا.

(٢) طحطح: فرّق، أهلك، شتّت.

(٣) آل ساسان وآل كاسان (الفرس). كاسان (ليست في القاموس).

(٤) السائمة: البهيمة ترعى في الفلاء.

(٥) قواصف (رعود) تتقاذف (يقذف بعضها بعضاً: تقع في كلّ جانب). تترادف: تتتابع.

(٦) استأصل شأفتها (أزالها من أصلها).

(٧) الأريضية... (؟)

(٨) مجحف: شديد الضرر. ضرورة (فقر) معجف (يجعل الإنسان هزيلاً ناحلاً).

(٩) في هذا الميدان (الغناء).

(١٠) كليلة: ضعيفة. تستقلّ ببسائط: لا تستطيع إلاّ الأمور البسيطة (السهلة، الهيّنة).

(١١) مرصون: كامل محكم. في هذا المقطع ينظر عبد المنعم القرويّ إلى اللغة الأعجمية (لغة نصارى الأندلس التي كانت لا تزال في ذلك الحين لهجة قاصرة متقهقرة من اللغة اللاتينية).

(١٢) المأثور: المرويّ. المكنون: المستور، المخبّأ (لقيمته).

(١٣) الرجز المشطور: الذي يتألف من أشطر متوالية كلّها على رويّ واحد. المزدوج الخ: أنواع من الأوزان والقوافي. القلادة: العقد (كناية عن جودة القصائد العربية التي هي كالعقود التي توضع في الأعناق).

الثاني، والماخوري والسُرَيْجي[١] .... وَهِيَ كثيرةٌ نُسِيَ معَها الارغن والسلياق والصَنج والكنكلة والقندورة والقِيثارة[٢] فلا يُعْرَفْنَ ولا يُوْلَفْنَ[٣].

وما أظنّ مَعبَداً والغريضَ وأشعَبَ وطُوَيْساً وابن سُريجٍ وابن مُحْرِز والمَيْلاء وبُصْبُصاً[٤] قرأوا قطُّ موسيقى ولا سمعوا بفوطيقا[٥]. فاعْرِضْ، إنْ شئتَ، ألحانَهُمُ المطبوعة على أوْزانكم المصنوعة[٦] (ثمّ) أَظْهِرْ (إن استطعت) غَلَطَهُم في التنغّم وخطأهم في الترنُّم.... وقد كان منهم مَنْ إذا غنّى ثَنَتِ الوُحوشُ أجيادَها وفارقتِ اعتيادَها[٧]، وعَطَفَتْ خُدودَها وتركت شُرودها، مُصْغِيَةً إليه مُقْبِلة عليه[٨]. فإذا قَطَعَ عاودتْ نِفارها وطلبتْ أوكارها. هذا فعلُ الأوابدِ والوحوش الشوارد[٩]، فما ظنُّك بالقلوب الرقيقة والفِطَن الرشيقة؟ ولقد ألّفَ الإسلاميّون في الأغاني وما يتّصلُ بها من المعاني ما إنْ نظرتَ بِمَيْزٍ وحكمت بعدلٍ وقفتَ على الفضل في هذا الفصل[١٠]؛ ولم تُحْوِجْكَ العصبيةُ والنَفْسُ الغَضَبية[١١] إلى شَهادةِ الزورِ والجَوْر المأزور[١٢]..

★ ومن الذين قِيلَ إنّهم ردّوا على ابنِ غرسيه ابنُ عبّاسٍ (الذخيرة ٣: ٧٤٦ - ٧٥٧) ثم يَسْبِقُ الظَّنُّ إلى أنّه أبو جعفرِ بنُ عبّاسٍ كاتبُ زهيرٍ الفتى المُستبدِّ

---

(١) الهزج والرمل (هنا): من أنواع الغناء. الركباني..... السريجي: (نسبة لابن سريج: مغن مشهور توفي ٩٨ هـ) من طرائق الغناء وأساليبه.

(٢) الأرغن... الخ: آلات موسيقية فرنجية.

(٣) لا يعرفن (لا يعرفهنّ أحد في ذلك الحين) ولا يؤلفن (لا يستسيغها أحد إذا سمعها).

(٤) معبد الخ: مغنّون وملحنون عرب مشهورون (عزّة الميلاء وبصبص مغنّيتان).

(٥) فوطيقا أو بؤطيقا (فنّ الشعر) واسم كتاب لأرسطو في قواعد الشعر.

(٦) المطبوعة: الطبيعية (الجارية على السليقة). المصنوعة: المصطنعة التي فيها تعمّل.

(٧) ثنت (لفتت) أجيادها (أعناقها) لتستمع إلى الغناء.

(٨) الشرود: النفار، النفور. مصغية: مائلة (مستمعة).

(٩) الآبدة: الحيوان يقيم في أرضه (لا يقترب من مساكن الناس). الشاردة: الحيوان الذي ينفر إذا هو شعر بدنوّ إنسان.

(١٠) الفضل: الزيادة (في البراعة). الفصل (جانب من الغناء: الغناء العربي).

(١١) النفس الغضبية (في الفلسفة): العاطفية (التي بها يغضب الإنسان ويرضى).

(١٢) الجور: الظلم. المأزور: الذي يحمّل صاحبه وزرا (ذنبا).

بأمر المَرِيّة (راجع الذخيرة: ٣: ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٤) مُنذُ سَنَة ٤١٩ (١٠٢٨ م). وكذلك خدم أبو جعفر بنُ عبّاسٍ هذا عبدَ العزيزِ صاحبَ بلنسية كاتباً (ووزيراً)، وكان عبد العزيز قد تولّى بَلَنْسِيةَ من سَنَةِ ٤١٢ إلى سنة ٤٢٩ (١٠٢١ - ١٠٣٧ م) - راجع الذخيرة ٣: ٢٥٠. وفي فِهرِسِ القسمِ الأول من كتاب الذخيرة (ص ٩٥٤) اسم «أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبّاسٍ الوزير» مُحالاً على «أحْمَدَ بنِ عبّاسٍ الوزير». ولكنّ الاسم المُحال عليهِ لا يظهرُ - مَعَ الأسف - في هذا الفهرس.

وفي الإحاطةِ ترجمةٌ شِبهُ مفصّلةٍ لابي جعفرٍ أحمدَ بنِ عبّاس بنِ زكريا الأنصاريِّ الوزيرِ (١: ٢٦٧ - ٢٧٠). كان مولدُ ابنُ عبّاسٍ هذا سَنَة ٣٩٧ (١٠٠٦ - ١٠٠٧ م) ثمّ دَخَلَ في خِدمة نفرٍ من ملوك الطوائف في المَرِيَّةِ وبَلَنْسِية، في الكِتابة والوَزارة، وجَمَعَ - على صِغَرِ سِنّه ثروةً طائلةً (قيل خمسمِائَة ألفِ مثقالٍ من الذهب) ومكتبةً عظيمة (قيل أربعُمِائة ألف مجلّدٍ كامل. وأمّا المُجلّدات المخرومةُ التي تنقُصُ صَفَحاتٌ من أماكنَ مختلفة فيها فكانتْ أكثرُ من ذلك كثيراً). وكذلك كان ابنُ عبّاسٍ هذا أديباً شاعراً ناثراً حَسَنَ الكِتابة جميلَ الخطّ، كما كان فاحشَ البُخل فاحش الإعجاب بنفسِه ومعروفاً أيضاً بسوء الخَلْوة.

وفي سَنَة ٤١٩ (١٠٢٨ م) توفّي خَيْرانُ صاحبُ مُرْسِيَةَ فصار الأمرُ إلى أخيه زُهيرٍ (البيان المغرب ٢: ١٦٦) وكان الذي قام بهذا الترتيب بين أهلِ الدولة أحمد (بن عبّاس) بنُ أبي زكريا الوزيرُ (أعمال الأعلام ٢١٦، راجع الفهرس، ص ٣٣٩ من أجل زيادة «ابن عبّاس»). في هذه الاثناءِ كان حبّوسٌ ملكُ غَرْناطةَ قد مات (سنة ٤٢٧) وقام بالأمرِ بعدَه ابنه باديسُ. (البيان المغرب ٢: ١٩١). ثمّ وقعتِ الحربُ بين زُهيرٍ وباديسَ (البيان المغرب ٢: ١٦٧)، وكان أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبّاسٍ هو الذي حَضّ زُهيراً على هذه المُغامرة (البيان المغرب ٢: ١٧٠، ١٧١، ٢٩٣)، فالتقى الجيشانِ في قرية يقال لها ألْفونْتْ على نحو أربعةِ أميالٍ من غَرْناطة (البيان المغرب ٢: ٢٩٣) فانهزَمَ زهيرٌ ثمّ قُتِلَ، في آخِرِ يومٍ من شوّالٍ من سَنَة ٤٢٩ (البيان المغرب ٢: ٢٩٣). وفي هذه المَعْركة وَقَعَ ابن عبّاس في الأسرِ وسيقَ إلى باديسَ في غَرْناطة، فسَجَنَه باديسُ مدّةً ثمّ قتله في سَنَةِ تسعٍ وعشرين (البيان المغرب ٣: ١٩١) وأربعمائةٍ.

وفي البيان المغرب ما يمكن أن يدلّ على مقتل زُهيرٍ وأحمدَ بن عباس في يومٍ واحد (راجع ٣: ١٧١، ١٧٢ السطر ١٠). وفي الإحاطة (١: ٢٧٠) أن مقتلَ أحمدَ بنِ عبّاسٍ كان في الواحدِ والعِشرين من ذي الحِجّة من سنة سَبْعٍ وعِشرين (كذا) (وأربعمائة).

وفي « نفح الطيب » (١: ٤٢٠ - ٤٢٣) نقلاً عن « المطمح » حديثٌ جرَى في أيام الحاجبِ المنصورِ بنِ أبي عامرٍ (ت ٣٩٢) يتناول جعفرَ المُصحفي (قُتِلَ ٣٧٢) يُبدي الوزيرُ أحمدُ بنُ عبّاسٍ فيه رأياً. وفي « نفح الطيب » أيضاً (٣: ٥٣٥ - ٥٣٦) كلامٌ على أشياءَ من ترجمةِ « الوزيرِ الكاتبِ أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ عبّاسٍ وزيرِ زُهيرٍ الصَقْلَبِيّ » وعلى أشياءَ من عناصرِ شخصيّته وخصائصه الأدبية. وكذلكَ نَجِدُ في « نفح الطيب » (٣: ٦١٠ - ٦١١) ذِكْرَ مجلسٍ يجتمع فيه أبو عامرٍ بن شُهيد (٣٨٢ - ٤٢٦ هـ) وابن بُرْدٍ الأكبر (تُوُفِّيَ سنة ٤١٨) والأصغرُ (توفّي سَنَة ٤٤٠ هـ). وحضر هذا المجلس الوزيرُ أحمدُ بنُ عبّاس.

وليس في نفح الطيب ولا في الإحاطة ولا في أعمال الأعلامِ ذِكْرٌ لردٍ للوزيرِ أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ عبّاسٍ على ابنِ غرسيه. وليس من المعقول أن يكونَ للوزيرِ ابنِ عبّاسٍ هذا (ت ٤٢٩) ردٌّ على مقالٍ تُوُفِّيَ صاحبه بعدَ سَنَة ٤٧٧ بمدّة.

ويُصيبُ إحسانُ عبّاسٍ (الذخيرة ٣: ٧٥٥، الحاشية) في التساؤُلِ عمّا إذا كان هنالك شخصانِ بهذه الكُنية « أبي جعفرٍ ».

انّ الذي يبدو مِنَ الاستعراض المُفَصّلِ الذي سَبَقَ يُجيزُ أن يكونَ هنالك أشخاصٌ تَتّفِقُ كناهم وأسماؤهم وألْقابُهم (في الكتابة أو الوَزارة). وجميعُ القرائنِ تدلّ على أن الوزيرَ أبا جعفرٍ أحمدَ بنَ عبّاسٍ المقتولَ سَنَةَ ٤٢٩ يصعُبُ أن يكون صاحبَ الردِّ على ابنِ غرسيه المُتوفّى بعدَ سنة ٤٧٧.

★ وفيما يلي مختاراتٌ من الردّ الذي صنعة ابنُ عبّاسٍ - كائناً مَنْ كان ابن عبّاس هذا - اعتماداً على رواية ابن بسّامٍ الشَنْتريني في هذا الشأن (الذخيرة ٣: ٧٤٦ - ٧٥٤).

هذا الردُّ أدنى مرتبةً من الردّين الآخَرَيْن: لا يمتازُ بجديدٍ ولا يدلّ على براعةٍ ثقافية خاصّة. وهو يدورُ في الأكثرِ على الجدالِ اللُّغويّ والشواهدِ الأدبية وعلى كثيرٍ من الإشاراتِ التاريخية والعِلمية (الفَلَكية مثلاً) والتي تَرْجعُ إلى الخصائص اللغوية.

قال ابنُ عبّاس:

عليكَ السِّلامُ لا السَّلامُ - تحيّةَ آلك لا هديّةَ آلك[1] - يا ذا الوَسَنِ لا اللَّسَن، واللَكَن لا الركن[2]، وابنَ المَراغة لا البلاغة المُزْري[3] بولاء مُواليهِ، المُغري بهاجَرَ وقد نَسِيَ أرِقّاءَ مَواليه[4].... أما هالَكَ ما أضْناك وأمالك عن اللَّهَجِ بآلِ ذي حسّانِ وحَلَلَةِ الماء من غسّانَ[5]؟ أوَ ما أجرَّ منك اللسانَ ما في عُنُقك من المَنّ والإحسان[6]؟ على أنّك اسْتَغْنَيْتَ بنُعماك حين أبْقَيْتَ فأقْطَعْتَهُمْ مُلْكَ البلاد والحَسَب التِلاد[7] ومواردَ الشرف والأعداد، السامين على الأنْداد النامِين بالآباء والأجداد[8] من عَدَانِ عادٍ وعادِ شدّادٍ[9]... (والعرب هم) ذَوُو الفِطَن والهِمم والآراء والمَجْد العَمَم[10] والعلمِ بالأفلاك والرَصْد في الأحْلاك[11]....أخذوا على البدرِ ثنايا سَفَرِهِ

---

(١) السلام (بالكسر) جمع سلمة (بفتح فكسر): الحجر. الآل: الأهل. والآلك: (الأولى:) مرسل الرسالة. آلك (الثانية): أهلك. والمعنى المقصود غامض.

(٢) الوسن: النعاس. اللسن: الفصاحة. حسن الحديث. اللكن: صعوبة الكلام.

(٣) المراغة: الأتان، الحمارة. المزري العائب (المتكلّم في المعايب).

(٤) الولاء: القرابة، المحبّة. الموالي (بالضمّ): التابع، المقتدي. المغري: المحرّض. هاجر: امرأة ابراهيم وأم اسماعيل (جدّة العرب). الموالي (بالفتح) جمع مولى: سيّد.

(٥) هالك: أفزعك. أضناك: ألزمك الفراش من الضنى (شدّة المرض). اللهج: تكرار الكلام (المثابرة عليه (في هجاء الآخرين؟؟)...

(٦) إنّ للعرب فضلاً كبيراً عليك، ولكنّك لم تذكر ذلك.

(٧) ويبدو أنّك قد استفدتّ من الانتساب اليهم فأبقيت (كانت فيك بقيّة من خير ومعرفة للجميل) فأشرت إلى اتّساع ملكهم وإلى حسبهم (أعمالهم الكريمة) التلاد (القديمة).

(٨) النامين (المرتفعين).

(٩) عدان: ساحل البحر وحافّة النهر (أهل الحضرة).

(١٠) العمم: العميم، العامّ الشامل.

(١١) الأفلاك: مدارات الكواكب (علم الفلك). الحلك: الظلام (الليل).

ونَفَضوا عن مكامن سَرَره[1] ، وقدّوا قُلامته من ظُفُره[2] ، وأدْلَوُا الدَلْوَ بالرِشاء وخلَّوْا للحوت سَرَبَهُ حيث شاء[3] ، وقلّدوا العَقْرَب إبْرَتَه والأسدَ زُبْرته وراشوا من الطائرِ قَوادِمَه وقصّوا من الواقعِ مقادمه[4]....

حَلّوا من الارضِ سِطَتَها[5] ، ومن قِلادة الدنيا واسِطَتَها، وبينَ سَمْعِ الارض وبَصَرها[6] ، وفي جَفْنِ كِسراها وقَيْصرها[7] .... لَقاحٌ لا يدينون وبإلقاح الحروب يَدينون[8] يَسْتَأْدونَكُمُ الإتاوةَ في كل وَهْدٍ ورُباوة[9] .... ويومَ ذي قارٍ، وهو أشهرُ من بادٍ وقارٍّ[10]: إذ أَسَروا أساوِرَتَك وكسروا أكاسِرَتَك وقَصَروا قياصِرَتك.

وعلى ذكر البِغاءِ فأنتم له بُغاء[11]: نساؤكم عليه حوابسُ[12].... ولا تَرَوْنَ ذلك من

---

(١) ثنايا سفر البدر (حسبان عمره). نفضوا: كشفوا، بحثوا. السرار (بالكسر): الأيام الأخيرة من الشهر القمري (ويكون القمر فيها مستسرّاً: لا يظهر للناظر).

(٢) قدّوا: قطعوا. قلامته: طرفه (القمر حينما يكون هلالاً يشبه قلامة الظفر. من ظفره (تمامه: حينما يكون البدر تامًّا يشبه ظفر الإبهام (بالكسر): الأصبع الغليظة من اليد أو الرجل.

(٣) الدلو، الحوت، الطائر، الخ: من أبراج السماء (مجاميع من النجوم حول مدار الشمس والقمر، في علم الفلك القديم). الرِّشاء: الحبل الذي يستقى به من البئر.

(٤) زبرة الأسد: الشعر المتجمع حول كاهلي الأسد. ثمّ (النسر) الطائر و (النسر) الواقع. راشوا: جعلوا له ريشاً. القادمة: الريشة الكبيرة في طرف الجناح. المقصود أنهم أدركوا صور هذه المجاميع من النجوم (في رأي العين) وسمَّوها (بفتح الميم المشدّدة) أسماءها.

(٥) السطة: الوسط (بفتح ففتح).

(٦) بين سمع الأرض وبصرها (ظاهرة، واضحة).

(٧) في جفنه (في مكان مزعج له).

(٨) اللقاح: الذي فيه مناعة (إذا ألقحت الناقة رفضت الفحل بعد ذلك). والقوم اللقاح هم الذين ما دانوا (ما خضعوا) للملوك في الجاهلية، ولا أصابهم سبي. يدينون بالقاح الحرب (يعتقدون بصواب إثارة الحروب).

(٩) يستأدونكم... الخ: كانت قبائل من العرب في الجاهلية يحمون قوافل الفرس التجارية إذا مرّت في مناطقهم ويأخذون على ذلك أتاوة (خوّة، ضريبة). الوهد (الأرض المنخفضة) والرباوة: الرابية، التلّة.

(١٠) ذوقار (راجع، ابن الأثير ١: ٤٨٢). البادي: الساكن في البادية (المتنقّل). القارّ (بتشديد الراء): المستقرّ (الساكن في الحضر).

(١١) البغاء (بالكسر) النكاح غير المشروع. بغاء: طالبون.

(١٢) حوابس: محبوسات عليه (لا يفعلن غيره).

النُكْر. (أمّا) نساؤنا (فهن) للطَرْفِ قواصرُ وعلى بني العَمُ قواصرُ[1] لم يُحْتَضَنّ بَغيّةً ولا حُصِّنَّ قطُّ لِغِيّة ولا إقرافٍ[2]، بل عن أشرافٍ فأشراف....

فخَلٍّ عن العَدَنية واليَزَنيّة لا الرَسَبيّة[3]، فنَفاستهم نفسانيةٌ وسياستهم إنسانية.

فقد أعْذَرْنا وما عَذَرْنا، و(لكن) نَذَرْنا وما أنْظَرَنا[4]. فالعصا للعَبد إن عصى، ومِثْلُكَ من بني سَهوانَ لا يُوصى[5]. ولا يُقْبَلُ - ولا كرامةَ - ما رأيتَ في سَيّدِ المُرسلين من الكرامة[6].

٤ - ★★ الذخيرة ٣: ٧٠٥ وما بعد؛ المغرب ٢: ٤٠٦ - ٤٠٧.

ولاّدة المروانيّة

١ - هي ولاّدةُ بنتُ الخليفةِ المُستكفي باللهِ، وهُوَ محمّدُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ عُبيدِ الله ابن (الخليفةِ عبدِ الرحمن) الناصرِ (نفح الطيب ١: ٣٠١). وكانتْ أمُّها أمَةً (جارية) إسبانية (نصرانية) اسمُها سَكْرى. وقد وَرِثَتْ ولاّدةُ من أُمّها بَشَرَتَها البيضاءَ وشعرَها الأصهبَ (المائلَ إلى الحُمرة وعَيْنَيْها الزرقاوَيْنِ وجمالَ قَوامها، كما وَرِثَتْ من أَبَوَيْها كلَيْهما مَيْلَها إلى المَرَح والتَفَلُّتَ من قُيود المجتمع والجُرأةَ على الفساد.

ولمّا خُلعَ المستكفي ثمّ قُتل (٤١٦ هـ) بَرَزَتْ ولاّدةُ للحياة العامّة - وهي بعدُ في نحو الخامسةَ عَشْرةَ من العُمُر أو فوقَ ذلك قليلاً - وانْفَلَتَتْ من قيودها ثمّ استطاعت،

---

(١) قاصرات الطرف: حييّات (لا يرفعن أبصارهنّ إلى ما لا يليق بهنّ). على بني العمّ قواصر: لا يتزوجن إلا في بني عمّهنّ (لأنهم أكفاؤهنّ).

(٢) بغيّة؟؟ غيّة: زنا. بغيّة: غاية، مطلب. (لغواية، لضلال؟؟). اقراف: ذكر بالسوء. ولكنّ حصّنّ (حمين بضمّ فكسر) عن أشراف فأشراف (ليتزوجهنّ (هنّ ونسلهنّ) أشراف من الرجال.

(٣) اترك أنت الكلام في العدنية (عرب الشمال؟؟) واليزنية (عرب الجنوب) لا الرسبية (؟).

(٤) أعذرنا القوم: جعلناهم يشرفون على الهلاك (أهلكناهم)، انتقمنا. نذرنا: أوجبنا (على أنفسنا قتالهم). انظرنا: أمهلنا.

(٥) السهوان: الساهي (الناسي، الغافل): من بني سهوان لا يوصى (إذا أوصيته بعمل شيء نسي، فلا فائدة من توصيته بشيء).

(٦) من أجل ذلك لا يقبل منه مديح في محمّد رسول الله.

بما كان لها من الجمالِ والجاه والمال، أن تجعلَ من بيتها مُنتدىً لرجالِ الأدبِ والجاه والسياسة.

في هذه الحِقبة نشأتِ الصِلةُ بين ولاّدةَ وابنِ زيدون (راجع ترجمة ابن زيدون، ت ٤٦٣ هـ). غيرَ أن حبَّ ولاّدةَ لابنِ زيدونٍ لم يدُمْ طويلاً، بينما هُيامُ ابنِ زيدونٍ بولاّدةَ قد بَقِيَ على شيءٍ من العُنْفِ إلى آخرِ حياةِ ابنِ زيدونٍ. والذي يبدو أنّ ولاّدةَ قد أظهرَت الميلَ إلى أبي عامرٍ أحمدَ بنِ عبدوسٍ، في أوّلِ الأمر، إغاظةً لِابن زيدون، كما كان ابنُ زيدون قد أظهرَ الميلَ إلى جاريتها السوداءِ إغاظةً لها فيما قيل. ولكنْ لمّا أجمعتْ ولاّدةُ أمْرَها على أن تقطعَ صِلَتها بابنِ زيدونٍ قطعتْ صِلَتَها بالمجتمع وبالسياسة أيضاً ثمّ اطمأنّتْ إلى العيشِ الهادىء في بيتِ ابنِ عبدوسٍ بقيّةَ عُمُرها. وعاشتْ ولاّدةُ عشرينَ سنةً بعدَ ابن زيدونٍ ثمّ ماتت - وقد تقدّمتْ بها السِنُّ وبابنِ عبدوسٍ كثيراً - في ثاني صفر من سَنَةِ ٤٨٤ (٢٦/٣/١٠٩١ م) في الأغلب.

٢ - كانت ولاّدةُ بنتُ المستكفي أديبةً شهيرةً (نفح ١ : ٤٣٧) ومن أشهرِ شواعرِ الأندلس (نفح ٤ : ٢٠٥) وإلَيها كتبَ ابنُ زيدونٍ بقصيدته النونية المشهورة (نفح ٣ : ٢٧٥): «أضحى التنائي بَديلاً من تدانينا». ولولاّدةَ أبياتٌ من الشعر يَغْلِبُ فيها جانبُ المعنى على جانب الرَوْنق. هذه الأبيات وُجدانية في الأكثر. ثمّ لها هِجاءٌ مُؤلم فاحشٌ سَفيه (راجع نفح الطيب ٣ : ٢٠٨ و ٤ : ٢٠٥ - ٢٠٦).

٣ - مختارات من شعرها

- جعلتْ ولاّدة لثوبها الرسميّ (الذي تظهَرُ به في المجتمعات) طِرازاً (شِعاراً) نسجته بالذهب: جعلت على كلّ جانب منه بيتاً من البيتين التاليين:

أنا - واللهِ - أصلُحُ للمعالي ... وأمشي مِشْيتي وأتِيهُ تيها[1]؛
وأُمْكِن عاشقي من صَحْنِ خدّي ... وأُعطي قُبلتي من يشتهيها.

- وكتبت إلى ابنِ زيدونٍ لمّا أُولعَ بها بعدَ طول تمنّع:

---

(١) التيه (بفتح التاء أو كسرها): التكبّر، الفخر بالنفس على الأقران.

ترقّبْ إذا جَنّ الظلامُ زِيارتي، فإنّي رأيتُ الليلَ أكتَمَ للسرِّ[١].
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تَلُحْ، وبالبدر لم يطلُعْ، وبالنَجْمِ لم يَسْرِ[٢].

– وكتبت إليه: (وقد اشتد شوقُها إليه):

ألا هل لنا من بعدِ هذا التفرُّقِ سبيلٌ فيشكو كلُّ صَبٍّ بما لَقِي[٣]؟
وقد كنتُ أوقاتَ التَّزاوُرِ في الشِتا أبيتُ على جَمْرٍ من الشوق مُحْرِق[٤].
فكيفَ وقد أمْسَيْتُ في حال قَطْعةٍ؟ لقد عجّل المقدور ما كُنتُ أتَّقِي[٥].
تَمُرُّ الليالي لا أرى البَيْنَ ينقضي ولا الصبرَ من رِقِّ التشوّق مُعْتقي[٦].
سقى الله أرضاً قد غَدَتْ لكَ مَنْزِلاً بكل سَكوبٍ هاطِلِ الوَبْلِ مُغْدِقِ[٧]!

– ويبدو أن عينَ ابنِ زيدونٍ قدِ امتدّتْ إلى جاريةٍ سوداءَ لولاّدةَ، فكتبتْ ولاّدةُ إليه:

لو كنتَ تُنْصِفُ في الهوى ما بَيْنَنا لم تَهْوَ جاريتي ولم تتخَيَّرِ[٨]،
وتركتَ غُصناً مُثْمِراً بجماله وجَنَحْتَ للغُصْنِ الذي لم يُثْمِرِ[٩].
ولقد عَلِمْتَ بأنّني بدرُ السما، لكن وَلِعْتَ لِشَقْوتي بالمُشْتري[١٠].

---

(١) جنّ الظلام (الأشياء): غطّاها وسترها (عن العيون).
(٢) لاح يلوح: ظهر، بدا للنظر. سرى يسري: سار ليلاً.
(٣) « يشكو » حقّها النصب. الباء في « بما » زائدة.
(٤) وقد كنت عند دنوّ وقت الزّيارة في الشتاء (البارد) أبيت: أقضي الليل (انتظر) على جمر (أشعر بحرّ شديد، مع أن الوقت شتاء).
(٥) فكيف، وأنت الآن قد قطعت زيارتك عنّي مرّة واحدة. اتّقى يتّقي: خاف.
(٦) البين: الفراق، البعاد.. معتقي: منقذي، مخلّصي.
(٧) تصف ولاّدة المطر بأنّه سكوب وهاطل (ساقط بكثرة وشدّة). الوبل: المطر الكثير. المغدق: المطر الذي يغطّي الأرض.
(٨) تتخيّر = تتخيّرها (تفضلّها عليّ).
(٩) تركتني وأنت تستطيع الوصول إليّ (لأنني أنا أحبّك) وجنحت (ملت) إلى الغصن الذي لم يثمر (لا ينفعك لأنّها جاريتي وأنا أستطيع أن أحول بينك وبين الاتّصال بها).
(١٠) بدر السماء: كناية عن الجمال وعن الظهور والوضوح. المشتري كوكب يعسر اكتشافه لبعده إلاّ على العارفين بالفلك. وهو بعيد جدًّا. ثمّ هو كوكب نحس.

٤ - ** الذخيرة ١: ٤٢٩ - ٤٣٣؛ الصلة ٦٥٧؛ بغية الملتمس ٥٣١ - ٥٣٢ (رقم ١٥٩٥)؛ نفح الطيب ٤: ٢٠٥ - ٢١٢؛ المطرب ٧ - ١٠؛ نيكل، راجع ١٠٧، ١٠٨؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٣٥ - ١٣٦ (٨: ١١٨). راجع أيضاً ترجمة ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) ومصادرها.

أبو عبيد البكرّي

١ - هو أبو عُبيدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ العزيز بن محمّدِ بنِ أيوبَ بن عمروٍ البكريُّ (نِسبةً إلى بكرِ بنِ وائلٍ) الأندلسيُّ من بيتِ شرفٍ وإمارة: كان آباؤه ولاةً على وَلْبَةَ وشَلطيشَ من قِبَلِ خلفاءِ قُرطبةَ. فلمّا ضعُفتِ الخلافةُ المروانية في قرطبةَ بالمنازعات وسقطتْ دولةُ العامريّين (٤٠٢ هـ) استبدَّ آلُ البكريّ بما كان تحتَ أيديهم. ثمّ إنّ المُعتضدَ بنَ عبّادٍ صاحبَ إشبيليةَ انتزعَ ولبةَ من أبي المُصْعَبِ عبدِ العزيز (والدِ أبي عُبيدٍ) بالحرب (٤٤٣ هـ) وأخذَ منه شلطيشَ بالشِراء. فانتقل عبدُ العزيزِ بأهلهِ إلى قُرطبة التي كان يحكُمُها بنو جَهْوَرٍ.

وُلِدَ أبو عُبيدٍ البكريُّ في ولبةَ أو في شلطيش، في مطلعِ القرنِ الخامس (أوائلِ القرن الحادي عَشَرَ للميلاد). وتلقّى أبو عُبيدٍ البكريُّ أشياءَ من العلم على نفرٍ من العلماء منهم أبو مروانَ بنُ حيّانَ وأحمدُ بنُ عمرَ بنِ أنسٍ العُذريّ (ت ٤٧٨ هـ) وأبو بكرٍ محمّدُ بنُ هشامٍ المُصْحفيّ (ت ٤٨١ هـ) وأجازَ له أبو عُمَرَ بنُ عبدِ البَرِّ (ت ٤٦٣ هـ). وانتقل أبو عُبيدٍ بعدَ موت أبيه (سَنَةَ ٤٥٦) إلى المَرِيّة (وفيها لَقِيَ ابنَ أنسٍ العُذريَّ). وفي المَرِيَّةِ أيضاً دخل في خِدمة صاحبِها المعتصمِ بنِ صُمادحٍ (٤٤٤ - ٤٨٠ هـ). وكان أبو عُبيدٍ يَسْفِرُ للمعتصم: ذهب مرّةً في سِفارة له إلى إشبيليةَ إلى المُعتمد بنِ عبّادٍ، فاستمالَه المعتمد ابنُ عبّادٍ فَبَقِيَ في إشبيلية. ويبدو أن أبا عُبيدٍ قد تَقَلَّبَ بينَ البُلدان في الأندلس، ولكن يبدو أيضاً أنّه في أواخر حياته زَهِدَ في السياسة وفي المناصب وعادَ إلى قُرطبةَ لِيَقِفَ وقتَه كلَّه على العلم وحدَه.

ومَرِضَ في أواخرِ أيامهِ ثمّ تُوُفِّيَ في شوّالٍ من سَنَةِ ٤٨٧ (خريفِ ١٠٩٤ م)، في قُرطبةَ.

٢ - أبو عُبيدٍ البكريُّ مؤلّفٌ خِصْبُ الجُهودِ له كُتُبٌ مختلفةُ الموضوعاتِ في اللغة والدين والطبّ والنبات. غير أنّ شهرتَه إنّما هي في كتبه الجغرافية. ومعَ أنّه لم يرحَلْ من الأندلس، فإنّ كتبه الجغرافية جامعةٌ موثوقة حسنةُ التصنيفِ والترتيب. فمن كتبه «المسالكُ والممالك» (وقد ضاعَ إلاّ فصلاً منه عن المَغْربِ والأندلس وما جاورها). ثمّ له كتابُ «مُعجَمُ ما استعجَمَ» (وهو في أسماءِ المواضعِ في المَشْرق)، وله كتابٌ في الأمثال. وللبكريِّ أيضاً شعرٌ قليلٌ عليه مسحةٌ من حُبّ اللهو.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدّمة فصل المقال في شرح كتاب الأمثال:

... أمّا بعدُ، فإنّي تَصَفّحْتُ «كتابَ الأمثالِ» لأبي عُبيدٍ القاسمِ بنِ سَلاّمٍ[١] فرأيتُه قد أغفلَ تفسيرَ كثيرٍ من تلك الأمثالِ فجاء بها مُهْمَلةً، وأعْرَضَ أيضاً عن ذكرِ كثيرٍ من أخبارِها فأوْرَدَها مُرْسَلَةً[٢]. فذكرتُ من تلك المعاني ما أشكل[٣]، وَوَصَلْتُ من تلك الأمثالِ بأخبارِها ما فَصَلَ. وبَيّنْتُ ما أهْمَلَ ونَبّهْتُ على ما ربّما أجْمَل[٤]، إلى أبيات كثيرةٍ غيرِ منسوبةٍ نَسَبْتُها وأمثالٍ جَمّةٍ غيرِ مذكورةٍ ذَكَرْتُها، وألفاظٍ عِدّةٍ من الغريبِ فسّرتُها. وعلى اللهِ قَصْدُ السبيلِ، وهو حَسْبُنا ونِعْمَ الوكيلُ[٥]. وقد رَتّبْتُه على عِشرينَ باباً يَتَفَرّعُ منها أبوابٌ في مَحالِّها: في حِفْظِ اللسانِ ويتفرّع منه أبوابٌ في معناه - في معايب المَنْطِق... - في مكارِمِ الأخلاق - في الجود والمجد - ...في المَعاض والأموال - في العلم والمعرفة - ... في الظلم - ... في البخل وصفاته - ...

- اسم جزيرة الأندلس (من «المسالك والممالك»):

يُذكَرُ أنّ اسمَها القديمَ إبارِيةُ من وادي أبْرُهْ[٦] ثمّ سمِّيَتْ بعد ذلك باطقةَ من

(١) أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهرويّ (١٥٤ - ٢٢٣ هـ) له كتاب الأمثال السائرة.

(٢) مهملة ومرسلة (الملموح هنا): بلا تفسير ثمّ مقطوعة عن رواتها وما يتعلّق بها.

(٣) أشكل: كان مشكلاً (غير واضح).

(٤) أجمل: أوجز ولم يفصّل.

(٥) «وعلى الله قصد السبيل» (١٦ : ٩، سورة النحل): إنّ الله هو الذي يوجّهنا في الطريق المستقيم الصحيح. «حسبنا...» (٣ : ١٧٣، سورة آل عمران).

(٦) يبدأ في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة ويصبّ في الغرب (في المحيط الأطلسيّ).

وادي بيطي وهُوَ نهرُ قُرطُبةَ. ثمّ سُمّيت إشبانيةَ من اسم رجُلٍ مَلَكَها في القديم كان اسمَه إشبانُ. وقيل إنّما سُمّيت بالإشبان[١] لـمّا سكنوها في أوّلِ الزمان على حرمة[٢] النهر وما والاه. وقال قومٌ: إنّ اسمها إنّما هو في الحقيقة اشبارية، مُسمّاةً من أشبرشَ وهو الكوكب المعروف بالأحمر. وسمّيت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها...

- جبال الأندلس (منه):

ومن الجبال المشهورة بالعِظَمِ في بلدِ الأندلس منها إلْبِيرَةُ وهو جبل الثلج وهو متّصل بالبحر المُحيط المتوسط[٣]، منتظمٌ بجبل ريّة ولاصق بالجزيرة[٤] مَعَ البحر. ويذكُرُ ساكنوه أنهم لا يزالون يَرَوْنَ الثلج نازلاً فيه شتاءً وصيفاً. وهذا الجبل يُرى من أكثرِ بلاد الأندلس، ويُرى من عِدْوةِ البحر ببلاد البربر[٥]. وفي هذا الجبل أصنافُ الفواكهِ العجيبة. وفي قُراه المتّصلةِ به يكونُ أفضلُ الحريرِ والكَتّان الذي يفضُل كِتّان الفيّوم.

ومنها جبال البُرْت، وهو الحاجز بين بلاد الإسلام وبلاد غاليش، ومُبتدأُه من البحر القِبلي المتوسّط المُجاور طُرطوشةَ ومنتهاهُ إلى البحر الغَربي بين الإشبونة[٦] وجِلّيقيّة.

ومنها الجبل الحاجز بين بلاد إفرنجة وبلاد الصقالبة.

- قال أبو عبيد البكري في الخمر:

خَليليَّ، إنّي قد طَرِبتُ إلى الكاسِ   وتُقْتُ إلى شَمّ البَنَفْسجِ والآس؛

---

(١) لعلّ هذا الاسم جاء من شابان أو شيشبان (سابان)، وهو شجر الصنوبر (أو شجر من فصيلة الصنوبر) الذي يكثر هناك.

(٢) وفي رواية «جرية» (بكسر الجيم: مجرى).

(٣) المقصود: البحر الأبيض المتوسّط الذي يحيط بشبه الجزيرة من الشرق وبعض الجنوب.

(٤) الجزيرة الخضراء (رأس في جنوب شبه جزيرة اسبانية).

(٥) من المغرب (من قارّة أفريقية).

(٦) لشبونة عاصمة البرتغال اليوم (على المحيط الأطلسي).

فقوما معي نلهو ونستمتعُ الغنا ونسرُقُ هذا اليومَ سِرًّا من الناس.
فليس علينا في التعلُّل ساعةً - وإن وَقَعَتْ في عُقْبِ شَعْبان - من باس.

- وقال يصف خطَّ ابن مُقْلَةَ (الخطاطِ العبّاسي المُجيد المشهور):

خَطُّ ابنِ مُقلةَ من أرْعاه مقلته ودّت جوارحُه لو أصبحت مُقلا [1].
فالدُرُّ يَصْفَرُّ لاستحسانهِ حَسَداً، والوَرْدُ يَحمَرُّ من إبداعهِ خَجَلا!

٤- المسالك والممالك، الجزائر ١٩١١ م.
معجم ما استعجم (نشره وستنفلد)، غوتنجن (دويرليخ) ١٨٧٦ م؛ (حقّقه مصطفى السقّا)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٥ - ١٩٥١ م.
- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (تحقيق دي سلان)، الجزائر ١٨٥٧ م؛ (نسخة بالتصوير)، المغرب (مطبعة الحكومة) وبغداد مطبعة المثنّى بلا تاريخ.
- جغرافية الأندلس وأوروبّة من كتاب المسالك والممالك (تحقيق عبد الرحمن علي الحجّيّ)، بيروت (دار الإرشاد) ١٩٦٨ م.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي القاسم بن سلاّم الهرويّ (حققه عبد المجيد عابدين واحسان عبّاس)، الخرطوم (جامعة الخرطوم) ١٩٥٨ م، ثمّ بيروت (دار الثقافة) ١٩٧١ م.
- سمط اللآلي في شرح الأمالي (للقالي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٦ م.
- التنبيه على أبي علي (القالي) في أماليه، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٢٦ م، ثم ١٩٥٤ م؛ بيروت (دار الكتاب العربي) بلا تاريخ.

★★ قلائد العقيان ٢١٨ - ٢١٩؛ الذخيرة ٢: ٢٣٢ - ٢٣٨ الصلة ٢٧٧ - ٢٧٨؛ الخريدة (الأندلس) ٤: ٥٠٤ - ٥٠٦؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٤٧٥ - ٤٧٦؛ الحلّة السيراء ٢: ١٨٠ - ١٨٧؛ طبقات الأطبّاء ٢: ٥٢؛ المغرب ١: ٣٤٧ - ٣٤٨؛ بغية الوعاة ٢٨٥؛ نفح الطيب ١: ٢٩٢، ٢: ٦٦٥، ٣: ١٨٤ - ١٨٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٥٥ - ١٥٦؛ م م ل ع د ٢٧: ٥٢٠؛ بروكلمن ١: ٦٢٧ - ٦٢٨، الملحق ٨٧٥؛ نيكل ١٩٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٣٣ (٩٨)؛ بالنشيا ٣٠٩ - ٣١١.

---

(١) تمنّى أن تكون كلّ جارحة (عضو) في جسمه مقلة (عيناً) ينظر بها إلى ذلك الخط الجميل.

ابن العسّال

١ - هو أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ فَرَجِ بنِ غَزْلونَ بنِ خالدٍ الأنصاري اليحصُبيّ، وُلِدَ في طُلَيطِلةَ في مطلعِ القرن الخامس. وتلقى ابنُ العسّال العلمَ على أبيه وعلى نَفَرٍ آخرينَ منهم ابنُ عبدِ البَرِّ ومكّيٌّ بنُ أبي طالبٍ وابنُ شِق الليلِ محمدُ بنُ إبراهيمَ الأنصاريُّ المحدّثُ الطَّلَبيريّ (ت ٤٥٥ هـ). ويبدو أن ابنَ العسّالِ كان قدِ انتقل إلى طَلَبيرة ليسمعَ مِنَ ابنِ شِقّ الليل، إذ أنّه تولّى فيها القضاءَ بعدَ أبي الوليدِ الوَقَشيّ.

ثمّ إنّ ابنَ العسّال عادَ إلى طُلَيطلة. ولكنْ لمّا استَوْلى الإسبانُ عليها، سَنَةَ ٤٧٨، انتقلَ منها إلى غَرْناطة. وكان ابنُ العسّال يُقرىء الفِقهَ والتفسير. وفي غَرناطةَ كان يَعِظُ الناسَ في مَسْجِدِها الجامع. وفيها كانتْ وفاتُه في عاشِرِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٤٨٧ (١٠٩٤/٩/٢٣ م).

٢ - أبو العسّالِ اليحصُبيُّ فقيهٌ زاهدٌ غَلَبَ عليه حِفظُ الحديث والوعظ، وكانتْ له معرفة واسعة بالأدب والنحو وبالتفسير. وكان أديباً فصيحاً وشاعراً مطبوعاً، ولكنْ وَصَلَ إلينا نُتَفٌ من شعره فقط. وكان له تأليفٌ في الوعظ.

٣ - **مختارات من شعره**

- قال ابنُ العسّالِ اليحصُبيّ، بعدَ سقوط طُلَيطلةَ، يَرَى الخَطَر الداهمَ على الأندلس من الإسبان:

يا أهلَ أندلُسٍ، حُثّوا مَطِيَّكُمُ، فما المُقام بها إلاّ من الغَلَطِ.
الثوبُ يَنْسِلُ من أطرافِه، وأرى ثوبَ الجزيرةِ منسولاً من الوَسَط
ونحن بين عَدُوٍّ لا يُفارقنا؛ كيفَ البقاءُ مَعَ الحيّاتِ في سَفَط[1].

- وله في التزهيد (نفح الطيب ٣ : ٢٠٨ - ٢٢٨):

انظُرِ الدنيا فإنْ أبْـ ـصرتَها شيئاً يدومُ،
فاغْدُ منها في أمانٍ إنْ يُساعدْكَ النَعيم.

---

(١) السفط: وعاء (في الأصل، يوضع فيه الطيب).

وإذا أبْصــرتَهــــا منــ ـــك عـــلى كُـــرْهٍ تَهــــيم،
فــاسْــلُ عنهـــا واطّرِحْهـــا وارتحـــلْ حيــــثُ تُقــيم.

- وقال أيضاً:

أعندكُمُ علمٌ بأنّي مُتَيَّمٌ؟ وإلاّ فما بالُ المدامعِ تَسْجُمُ[1]؟
وما بالُ عيني لا تغمّضُ ساعةً كأنّيَ في رَعْيِ الدراري مُنَجِّمُ[2].

٤ - ★★ الصلة ٢٧٦؛ المغرب ٢: ٢١؛ بغية الوعاة ٢٨٦؛ نفح الطيب ٣: ٢٠٨، ٢٢٨، ٤: ١٣٥؛ نيكل ٣١٣؛ مختارات نيكل ١٤٨ (وفيه أبو العسّال)، ١٩٩.

أبو الحسن الحصري الضرير القيرواني

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ الغَنِيِّ الفِهْرِيُّ القَيْرَوانيُّ الضَريرُ الحُصْرِيُّ، نِسْبَةً إلى صِناعة الحـصر، وُلِدَ في القَيْروانِ سَنَةَ ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) في الأغلب. وقد تُوُفِّيَتْ أمّهُ وَهُوَ صغيرٌ لم يُجاوِزْ دَوْرَ الطُفولةِ بعدُ، ثمّ أَضرَّ (عمِيَ). ويبدو أنّه كان قد جاوَزَ الخامسة والعِشْرين وقال الشِعْر حينما تُوُفِّيَ أبوهُ قُبيل ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م).

تَلَقّى الحُصْريُّ الضَريرُ القِراءاتِ وعلومَ اللُغةِ والأدبِ على أساتذةٍ منهم أبو بكرٍ عَتيقُ بنُ أحمدَ بنِ إسحاقَ التميميُّ القصريّ (ت في شَعبانَ ٤٤٧ هـ) وأبو عليٍّ الحسنُ ابنُ حَسَنِ بنِ حَمدونٍ الجَلّوليّ وأبو مُحمّدٍ عبدُ العزيزِ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الحميد.

وعاش الحُصْريُّ في القَيروانِ مُنْصَرِفاً إلى التدريسِ وإلى قَوْلِ الشِعر، ولكن يبدو أنّه لم يتّصل بالمُعِزِّ بنِ باديسَ (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ). وبعدَ هُجومِ العرب (البَدْو) على القَيروانِ واستباحتِها، سَنَةَ ٤٤٩ هـ، انتقلَ الحُصْرِيُّ إلى سَبْتَةَ حيثُ اشتغلَ بالتدريس أيضاً ولَمَعَ نَجْمُه في عالم الشِعْر، فاستدعاه المُعتمدُ بنُ عبّادٍ، وكانَ لا يزَالُ أميراً، إلى إشبيليةَ. فلم يشأ الحُصْريُّ أن يَجوزَ إلى الأندلُسِ، خوفاً من رُكوبِ

(١) سجم: سال.
(٢) رعي: (مراقبة، رصد) الدراري (النجوم).

البحر، فكان يُراسلُ المعتمدَ ويُرسِلُ إليه غُلامَه لِيَحْمِلَ إليه من المعتمدِ الأموالَ والجوائز.

غير أنه عادَ فانتقلَ إلى الأندلُسِ، سَنَةَ ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م)، واتّصلَ ببَلاطِ المعتمد ولكن سَرعانَ ما غادره - لِسَبَبٍ لا نَعْرِفُه - وأخذَ يتطوّفُ ببَلاطاتِ ملوكِ الطوائف الآخَرينَ: نَزَلَ في دانيةَ فَمَدَحَ أميرَها إقبالَ الدولة بنَ مُجاهدٍ العامريَّ، ولمّا استولى المقتدرُ بنُ هودٍ أميرُ سَرَقُسْطَةَ على دانيةَ وأسَرَ إقبالَ الدولة، نحو سَنَةِ ٤٦٨ هـ (١٠٧٥ - ١٠٧٦ م) لم يَجِدِ الحُصْرِيُّ ضَيْراً في أن يمدَحَ المقتدرَ بنَ هودٍ (ت ٤٧٤ هـ). ويبدو أن الحُصْرِيَّ مَدَحَ بعدَ ذلك أبا عبدِ الرحمنِ محمّدَ بنَ طاهرٍ أميرَ مُرْسِيَةَ (٤٥١ - ٤٧١ هـ). وكذلك مدح المُعْتَصِمَ بنَ صُمادحٍ (ت ٤٨٠ هـ) أميرَ المَرِيّةِ. ولعلّه بَقِيَ في المريّةِ مُتّصلاً بأحمدَ بنِ المعتصمِ.

في هذهِ الأثناء، أو بعدَ ذلك بقليلٍ، نَجِدُ الحُصْرِيَّ في مالَقَةَ يمدَحُ القاضيَ أبا المُطَرِّفِ الشَّعْبِيَّ ثمّ يمدَحُ خَلَفَه في القضاء أبا مروانَ بنَ حَسّونٍ (ت ٥٠٥ هـ).

ثم اضطربتْ أحوالُ الأندلس اضطراباً شديداً، لأنّ الأمورَ كانت قد فَسَدَتْ بينَ ملوكِ الطوائف وبينَ سُلطانِ المُرابطين يوسفَ بنِ تاشُفِينَ وبدأ المرابطون يَسْتَوْلونَ على دُويلاتِ ملوكِ الطوائف. وعاد الحُصْرِيُّ من الأندلُسِ إلى طَنْجَة، سَنَةَ ٤٨٣ هـ ومكث فيها إلى أن تُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م).

٢ - أبو الحسنِ الحُصْرِيُّ الضريرُ أديبٌ مُتَرَسِّلٌ وشاعر. على أنّ شُهْرتَه إنّما هي في شِعره. وَهُوَ سَهْلُ الشعرِ سريعُ النظم صاحبُ بديهةٍ ذو مَعانٍ قريبةٍ حِسانٍ تَسْهُلُ سَيْرورتُها على الألْسُن، غزيرُ المادّةِ اللُّغَوِيَّةِ صحيحُ الأُسلوبِ ولكنّ تراكيبَه تَضْعُفُ أحياناً. ثمّ هو متكلّفٌ في تَطَلُّب أوجهِ البلاغة (في نثره وشعره) يقلّد في ذلك نفرًا من المشارقة والمعرّيَّ (ت ٤٤٩ هـ) منهم خاصّةً في لُزومِ ما لا يَلْزَم على الأخصّ(الديوان ١٣٣):

يــا أديبًــا مَلَكْتَنــي ... فــي يَدَيْــهِ المَكْرُمــاتُ
ليــتَ قومــاً دأبُـهُــمْ ... فِـيَّ وفيــكَ الـمكـرُ مـاتــوا.

وشِعْرُه كلُّه قصيدٌ (ليس له توشيحٌ أو رجَز) في قصائدَ ومقطّعاتٍ. ثمّ له تخميسٌ

ومُعَشَّراتٌ (مقاطعُ تتألّف كلّ واحدةٍ منها من عَشْرة أبياتٍ) هُوَ مُبْتَكِرُها، وقدِ التزم فيها أن تكون مبادئُها كقوافيها:

زخارفُ دُنْيانا الأنيقة أصبحتْ هشيماً كما رثّ الرداءُ المُطَرّزُ.
زمانَ الصبا، للهِ درُّكَ، لم تَزَلْ مواعيدُ من نَهْوَى لنا فيك تُنْجَزُ[1].
زَعَمْتُمْ بأنّ الحبَّ فيه تذلّلٌ؛ صَدَقْتُمْ! وفيهِ للمِلاحِ تَعَزُّز.

للحُصْرِيّ مديحٌ للتكسّب، وربّما أحسَنَ في مدح الذين يُحِبّهم. وله رثاء كثيرٌ، وخصوصاً في وطنهِ - بعد نَكْبَةِ القَيروان - وفي ابنهِ عبدِ الغَنِيِّ، وهجاءٌ مُرّ لاذعٌ ونَسيبٌ قليلٌ فيه عُذوبة ورِقّة وبراعة. وله أيضاً شيء من الحِكمةِ والمواعظ والشَكْوى.

وآثار الحصري الضرير:

١ - رسائلُ إخوانيةٌ وخُطَبٌ ليس فيها براعةٌ سِوى تكلُّفِ أوجهِ البلاغة بجَعْلِ الخُطْبة عاطلةً (خالية من الإعجام: النقط على الأحرف) أو منقوطةً على جميعِ حروفها.

٢ - مجموعاتٌ مختلفةٌ من الشعر:

(أ) المُعَشّرات: مقطّعاتٌ في الغزل تتألّفُ كلُّ واحدةٍ منها من عَشْرةِ أبياتٍ على جميعِ حروفِ الهِجاء، أي مِائَتَيْنِ وتِسعينَ بيتاً (باعتبار «لا» حرفاً مُستقلاًّ). وكل مقطوعةٍ تبدأ أبياتُها وتنتهي بحَرْفٍ واحدٍ وليس هذا الكتاب للحصري صاحب «زهر الآداب»...

(ب) اقتراحُ القريح واجتراحُ الجريح: مجموعٌ من الشِعر في رثاء ابنهِ عبدِ الغنيِّ، وقد عاشَ تِسْعَ سَنَوات وأربعة أشهُرٍ (نحو ٤٦٦ - ٤٧٥ هـ). وفي هذا الديوان قصائدُ على حروفِ الهِجاء منها تِسعٌ وعشرون مقطوعةً على نَمَطِ المُعَشّرات (ولكنّه جعل كلَّ مقطوعةٍ منها خَمْسَةَ عَشَرَ بيتاً).

---

(١) أنجز الوعد: وفى به (حقّقه) - ما زلنا قادرين على أن نتمتّع بما يعدنا به المحبون (ما زلنا في أول الشباب).

(جـ) مُسْتَحْسَن الأشعار: قصائد في مدح المعتمد بن عبّاد.

(د) متفرّقات مختلفة فيها القصيدة المشهورة: «يا ليل الصبّ متى غده؟».

٣ - مختارات من آثاره

- للحُصْرِيِّ الضريرِ قصيدةٌ طويلةٌ مطلعها: يا ليل الصب متى غده! قالها في مَدْحِ الأميرِ أبي عبدِ الرحمنِ محمّدِ بنِ طاهرٍ صاحبِ مُرْسِيَةَ (ت ٤٥٥ هـ). في ذلك الحين كان الحُصْريُّ يُدَرِّسُ في جامع مُرْسِيَةَ فوَشَى جماعةٌ به إلى الأمير وقالوا إنّه يَشْتِمُهُ في مجالسِه. فنظم الحُصريُّ هذه القصيدةَ ليدفَعَ التُهمة عن نفسِه أو ليتبرّأ منها. والقصيدةُ تِسعةٌ وتسعون بيتاً منها ثلاثةٌ وعِشرون في مَطْلعها في الغَزَل من هذه القصيدة:

يا ليلُ، الصبّ مَتى غَدُهُ ... أقيامُ الساعةِ مَوْعِدُهُ[1]؟
رَقَدَ السُمّارُ فأرّقَه ... أسفٌ للبين يُردّده[2].
فبكاه النَجْمُ ورَقّ له ... مما يَرْعاه ويَرْصُدُه[3].
كَلِفٌ بغَزالٍ ذي هَيَفٍ ... خَوْفُ الواشين يُشَرِّده[4].
نَصَبَتْ عَيْناي له شَرَكاً ... في النَوْمِ فعَزّ تَصَيّده.
صَنَمٌ للفِتْنةِ مُنتصبٌ ... أهواه ولا أتَعَبّده.
صاحٍ - والخَمْرُ جَنى فَمِهِ - ... سكرانُ اللَحْظِ مُعرْبِدُه.
يَنْضو من مُقْلتِه سَيْفاً، ... وكأنّ نُعاساً يُغْمِدُه[5].
فيُريقُ دَمَ العُشّاقِ بِه؛ ... والوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلّدُه.
كلا، لا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ ... عيناهُ ولم تَقْتُلْ يده.
يا مَنْ جَحَدَتْ عَيناه دَمي، ... وعلى خَدّيْهِ تَورُّده،

---

(١) الصّب: المحبّ. قيام الساعة: يوم القيامة.

(٢) السامر: الساهر بالليل يتحدّث إلى رفاقه. البين: البعاد، الهجر.

(٣) رعى الرجل النجم (راقب حركته). رصده: درس مواقعه (تبدّل مواقعه في السماء).

(٤) الكلف: الشديد الحبّ. الهيف: دقّة الخصر.

(٥) نضا الرجل السيف: شهره (أخرجه من بيته ليقاتل به).

خَدّاكَ قَـدِ اعْتَرفا بِـدَمـي فعَــلامَ جُفونُــك تَجْحَــده؟
إنّــي لأُعِيــذُكَ مــن قَتْـلي وأظُنُّـــك لا تَتَعَمّــده.
بـاللهِ، هَـبِ المُشتـاقَ كَـرًى فلَعَــلّ خَيالَـك يُسْعِـدُه!
مـا ضَرّكَ لو داوَيْـتَ ضَنـى صَــبٍّ يُدْنيــكَ وتُبْعِـده[1]؟
لـم يُبْـقِ هَواكَ لـه رَمَقـاً، فَلْيَبْـكِ عليــه عُـوَّدُه[2]
وغـداً يَقْضي أو بعـدَ غـدٍ؛ هــل مـن نَـظَـرٍ يَتَـزوّدُه؟
الحـبُّ أعَـفُّ ذَويــهِ أنـا -غَيْري بالباطـــل يُفْسِده-
كـالدهـرِ أجَـلُّ بَنيــه أبــو عَبْـدِ الـرحمـنِ مُحَمَّـدُه.
فـاليـومَ هُـوَ المَلِكُ الأعْـلى مَـولـى مَــنْ شاء وسَيِّــدُه؛
هَيْـنٌ لَيْـنٌ فــي عِزّتِــه، لكن في الحَرْبِ تَشَدُّدُه.
يَـطْـوي الأيّـامَ ويَنْشُرُها، ويُقيـمُ الدهـرَ ويُقْعِـده.
تَـركَ اللّـذّاتِ، فَهِمّتُـهُ عِـلْـمٌ يَرْوِيــهِ ويُسْنِـدُه[3]
وهُـدًى فــي الخيـر يُرَغِّبُـه، وتُقًّــى في المُلْـك يُزَهِّـدُه.
مَـنْ ذمّ الدهرَ وزارَك، يـا مَلِــكَ الدُنيــا، فَسَيَحْمَـدُه.
إن ذَلّ فجيشُك يَنْصُرُه، أو ضَــلّ فرأيُـك يُـرْشِـده؛
أو راحَ إلـى أُمْنِيَّـته ظَمْـآنَ فحَـوْضُـك يُـورِدُه.
أنْـتَ الدُنيـا والـدينُ لنـا وكَـريـمُ العصـرِ وأوْحَـدُه.
لو أنّ الصَخْـرَ سَقـاه نَـدَى كَفَّيْــكَ لأوْرَقَ جُلْمُــدُه[4].
أتَـراكَ غَضِبْـتَ لِـما زَعَموا وطَمـى من بَحْرِكَ مُزْبِـده[5]،
فبـدا مِـنْ سَيْفِـك مُبْرِقُـه، وعَــلا مـن صَوْتِـكَ مُرْعِـدُه!

(١) الضنى: شدة المرض (مع النحول)..
(٢) الرمق: بقية الروح (في الجسم). العائد: الذي يزور المريض.
(٣) يرويه (عن العلماء) ويسنده (يذكر الراوين الذين قبله): علمه كثير وموثوق.
(٤) الندى: الكرم. الجلمد: الصخر القاسي.
(٥) طمى الماء في النهر أو البحر: ارتفع(كثر). المزبد: الهائج (حينما يصبح الزبد عائماً على الأمواج).

أنتَ المَولى، والعَبْدُ أنا؛ فبأيٍّ وَعِيدِك تُوعِدُه؟
ما لي ذَنْبٌ فتُعاقِبَني؛ كَذِبَ الواشي تَبّتْ يَدُه[١] !
ولوِ استَحْقَقْتُ مُعاقَبةً لأَبى كَرَمٌ تَتَعَوّدُه.
أَهْدَيْتُ الشِعرَ على شَحَطٍ ونَداكَ قريبٌ مَوْلِدُه[٢] .
ما أجودَ شِعْري في خَبَبٍ! والشعر قليلٌ جَيِّده[٣] .
لولاك تَساوى بَهْرَجُه، في سوقِ الصَرْف، وعَسْجَدُه[٤] ؛
ولَضاعَ الشِعر لِذي أدبٍ أو يُنْفِقُه مَنْ يَنْقُده[٥] !

- وللحُصْريِّ الضريرِ رسالةٌ يهجو فيها أبا الحُسينِ بن الطراوة:

..... وزَعَمَ هذا الأهْوَجُ الأعْوَج أنّه لم يَعْرِفْ رَسمي ولا سَمِعَ باسمي؛ كأنّما وُلِدَ بالأمسِ أو بُعِثَ من الرَمْس أو عَمِيَ عن الشمس. لو عَلِمَ قَدْرَ نفسِه لم يَجْهَلِ العِلْمَ، ولو أرادَ السَلامة لألقى السِلْم.....

- ومن خطبةٍ له عاطلةٍ (غير مُعْجَمة):

الحمدُ لله مالكِ المُلكِ ولا أمدَ، ومُمْسِكِ السماء ولا عَمَدَ؛[٦] سَمَكَها وأطْلَعَ مُهْلَها، وَعلّم آدمَ الأسماء كلَّها[٧] ، ....لا أمرَ إلاّ أحْكَمَهُ، ولا مُرادَ إلاّ حَكّمه. لا إلَه إلاّ هُوَ إلَهٌ واحد، لا وَلَدَ له ولا والِد....

صلاحُ العادةِ أصلُ السعادة، والوُدّ مَعَ المَلَل أسْوأ المِلَل[٨] ...

- وقال في موت المعتضد وخلافة ابنه المعتمد له:

---

(١) تبّت: انقطعت، هلكت.
(٢) الشحط: بعد الدار والمسكن.
(٣) الخبب بحر (وزن) من بحور الشعر يندر أن تنظم عليه القصائد الطوال.
(٤) البهرج: الباطل (قطعة العملة المغشوشة التي لا تقبل في السوق). العسجد: الذهب.
(٥) ينفقه (يشتري منه كثيراً حتّى يروج: يكثر عليه الطلب) من ينقده (من يعرف الجيّد منه من الرديء).
(٦) الأمد: المدّة. العمد جمع عمود.
(٧) سمكها: رفعها. المهل: أطلع الله مهل الأرض: أخرج منها المعادن. علّم آدم الأسماء كلّها (القرآن الكريم ٢ : ٣١ ، سوزة البقرة) إنّ الله هو الذي علم الإنسان اللغة التي يتكلّم بها.
(٨) الملّة: الدين، الشريعة (العادة). والتاء المربوطة لا تعدّ هنا من ذوات النقط.

مـــات عبَّـــادٌ ولـــكـــن بقي الفرعُ الـكـريمْ .
فكـــأنَّ المَيْـــتَ حـــيٌّ غـــير أنَّ الضـــادَ مـيم(١) .

٤ - ★★ أبو الحسن الحصري القيرواني: عصره، حياته، رسائله، ديوان المتفرّقات الخ، تأليف محمّد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى، تونس (مكتبة المنار) ١٩٦٣م.
- معارضات قصيدة «يا ليل الصبّ» (جمعها عيسى اسكندر المعلوف)، القاهرة (مطبعة الهلال) ١٩٢١ م؛ معارضات قصيدة الحصري (جمعها محي الدين رضا)، القاهرة ١٣٣٨ هـ = ١٩١٩ م، الطبعة الثانية ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م؛ «يا ليل الصبّ.... ومعارضاتها لكبار شعراء العربية»، الطبعة الرابعة، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٩٥١ م.
جذوة المقتبس ٢٩٦؛ بغية الملتمس ٤١٢ - ٤١٣؛ الذخيرة ٤: ٢٤٥ - ٢٦٤؛ الصلة ٤١٠؛ معجم الأدباء ١٤: ٣٩ - ٤١؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٣١ - ٣٣٤؛ الخريدة (الأندلس) ٤:٥٠ - ٥١؛ نكت الهميان ٢١٣ - ٢١٤؛ ابن قنفذ ٢٥٩ - ٢٦٠؛ بغية الوعاة ٣٤١ - ٣٤٢؛ شذرات الذهب ٣: ٣٨٥ - ٣٨٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٤٠ - ٦٤١؛ بروكلمن ١: ٤٠٨، الملحق ١: ٤٧٩؛ مجمل تاريخ الأدب التونسيّ ١٥٨؛ الأعلام للزركلي ٥: ١١٤ - ١١٥ (٤: ٣٠٠).

المعتمد بن عبّاد

١ - هو المُعْتَمِدُ على الله، الظافر المؤيد، أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل بن عباد، ولد في ربيع الأول من سنة ٤٣٢ (كانون الأول ١٠٤٠) في مدينة باجة قرب إشبيلية. وتقع حياة المعتمد السياسية والأدبية في ثلاثة أدوار:

(أ) دور الشباب - حينما كان أميراً يتبع اللهو ويغشى مجالس الأنس غير مُلْقٍ بالاً إلى تكاليف الحياة. لما بلغ المعتمد الثالثة عشرة من عمره (٤٤٥ هـ=١٠٥٣ م) عينه والده والياً على شِلْب (في أقصى الجنوب الغربي من الأندلس) وبعث معه الشاعر أبا بكرٍ بنَ عمّار نديماً ووزيراً. وكان ابن عمّار أسنّ من المعتمد بتسع سنوات. ومكث المعتمد في شلب خمس سنوات أو تزيد قليلاً ثم استدعاه والده إلى اشبيلية على أثَر ما

(١) عبّاد لقبه المعتضد (بالضاد قبل الدال) وابنه محمّد لقبه المعتمد (بالميم قبل الدال).

بلغه من انغماسه في الملاذّ واندفاعه مع ابن عمّار في شيء من المُجون. غير أن ابن عمار بقي وزيراً للمعتضد.

(ب) دور الرجولة - حينما بدأ والده يعهد إليه بقيادة الحملات ثم حينما أصبح ملك إشبيلية. في مطلع هذا الدور الْتَقَى المعتمد بالجارية التي تزوّجها: كان المعتمد يتنزه معَ ابن عمار (٤٥١ هـ = ١٠٥٩ م) على ضِفاف نهر الوادي الكبير، قرب مرج الفِضة، فأُخِذَ المعتمد بمنظر الماء المُتَمَوّج فقال:

صنع الريح على الماء زَرَدْ ....

وطلب من ابن عمار أن يُجيزه. فتوقف ابن عمار قليلاً. وكان على شاطىء النهر جوارٍ يَمْلأنَ الماء ففالت احداهن:

.... أيُّ دِرْعٍ لقتال لو جَمَدْ!

فأُعجبَ المعتمدُ بذكاء تلك الجارية وبجمالها - وكان اسمُها اعتمادَ جاريةَ الرُمَيْك بن الحجّاج - فاشتراها من سيدها وتزوجها وهو لا يزال ولياً للعهد. ولم يرض المعتضد عن هذا الزواج في أول الأمر. ولكن لما وَلَدت الرُميكية للمعتمد بِكْرَه عباداً، بعث المعتمد بالطفل وأمه إلى أبيه المعتضد. ورأى المعتضد حفيده فامتلأ حُنُوًّا وعاد إليه رضاه.

في نحو ذلك الزمن غضب المعتضد على ابن عمار فأخرجه من بلاطه. فتنقل ابن عمار في عدد من بلاطات ملوك الطوائف حتى استقر في بلاط المقتدر بن هود في سَرَقُسْطة.

وتوفي المعتضد في سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) فخلفه ابنه المعتمد. وكان أول ما فعله المعتمد أن استدعى ابن عمار واستوزره. وأقام المعتمد قصوراً حول اشبيلية تزخر بالترف وتغرق في الجنات والأشجار والأزهار. واتفق أن دخل يوماً، (في نحو سنة ٤٧٤ هـ = ١٠٧٠ م) فرأى امرأته تنظر من نافذة القصر إلى شاطىء النهر. فسألها عما استأثر بانتباهها، فأشارت إلى جوارٍ كُنّ يملأن ماء من النهر وهن حافيات يَغُصْنَ في الطين وقالت إنها تذكرت أيامها الأولى يوم كانت تفعل مثلهن. فجاء المعتمد بماء

الورد وبالمسك والسكر ثم أمر بجبلها وجَعَلها في باحة القصر؛ فأخذت الرميكية وبناتها الصغيرات - فيما قيل - يَسِرْنَ حافيات في هذا المزيج المُتْرَف على أنه طين. ولكن يبدو أن أفكار الرميكية كانت ذاهبة في أبعد من النظر إلى الجواري الحافيات على شاطىء النهر، ذلك أن الشاعر ابن عمار كان قد أصبح ذا نفوذ عظيم على زوجها. فقالت لزوجها ذات يوم بعد ذلك: لم أرَ منك يوماً صالحاً. فقال لها: « ولا يوم الطين! »

(جـ) المعتمد في الأسر - وعادَ العربُ في الأندلسِ إلى النزاعِ فيما بينَهم، فلم يَجِدْ يوسفُ بنُ تاشفينَ بُدًّا من القضاء على ملوكِ الطوائف وضمِّ بقايا الأندلسِ إلى دولتِه. وكان أنْ خَلَعَ يوسفُ بنُ تاشفينَ المعتمدَ بنَ عبّادٍ وحَمَلَهُ أسيراً إلى حصن أغماتَ، قُربَ مدينةِ مَرّاكُشَ، هو وأفرادَ أُسرته.

وكان للمعتمد ابنٌ اسمُه عبدُ الجبار كان قد تخفّى لما أُسِرَ أبوه فلم يَصِلِ المرابطون إليه. فلما خَرَجَ عبدُ الجبار من مَخْبأه، بُعيدَ سَنَةِ ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) وثار في مدينة أرقُش على حُكم المرابطين غَضِبَ ابنُ تاشفينَ وقيدَ المعتمدَ في سِجنه. فكان ذلك مما زادَ في حُزن المعتمد وآلامِه. ثم إن عبد الجبار قُتِلَ بعدَ قليل. وتُوُفِّيتِ الرُمَيْكِيّة بعدَه بمدةٍ يسيرةٍ. ثم تُوُفِّيَ المعتمدُ في شَوّالٍ من سَنَةِ ٤٨٨ (تشرين ١٠٩٥).

٢ - كان المعتمدُ بنُ عبّادٍ من أُسرةٍ من الشعراء: أسلافهُ شعراءُ وأولاده - صِبياناً وبناتٍ - شُعراءُ، ولكنّه هو كان أشعرَهم قاطبةً، وأشعرَ مُلوك الأندلسِ على الإطلاق. ونَعِمَتْ مملكةُ إشبيليةَ بالثروةِ والترَفِ، وكان بَلاطُ المعتمدِ عُنوانَ ذَيْنِكَ الثروةِ والترف فجَمَعَ المعتمدُ في بَلاطه هذا من الشُعراء والعُلماء ما لم يكن قدِ اجتمعَ مثلُهُ في بَلاطٍ ما من قبلُ، إلاّ أنّ الشعرَ كان أغلبَ فيه على جَميعِ فنونِ الأدب. ولم يَسْتَوْزِرِ المعتمدُ وزيراً إلاّ أن يكونَ أديباً شاعراً، وقد كان اهتمامُه بالشعرِ فوق اهتمامه بإدارةِ مُلْكِه. وكذلك كان ناقداً للشعر عارفاً به وبرجاله وبِقصائده.

وشعرُ المعتمدِ بن عبّادٍ صورةٌ لحياتِه، وهو من هذه الناحية قِسمانِ: قسمٌ قاله قبلَ أسْرِه (وهو شعرٌ مُتْرَفٌ أنيقٌ يَميلُ إلى التكلّف والصِناعة ويَدورُ حولَ المدح والحماسة والوصف والغَزَل والعِتاب والرثاء، ويبرُزُ بروزاً واضحاً في وَصْفِ مجالسِ

السرور ووصفِ المعارك) ثمّ قسمٌ قاله بعدَ أسرِه (وهو أصدقُ أشعاره عاطفةً وأكثرُه أثراً في النفس - ولا ريبَ، فقد كان يُعَبِّرُ في هذا الشعرِ عن حالهِ التي يَخْتَبِرُها في حاضرِه). قال أميليو غرسيه غومس (الشعر الأندلسي ١٠٧): «فالقصائدُ التي قالَها (المعتمدُ بن عبّادٍ) في مَنْفاهُ في أغماتَ وَصوّرَ فيها مراراتِ السجنِ وآلامَ النَفْيِ تُعَدُّ من أرْوَعِ ما لَدَيْنا من غُرَرِ الشِعر العالَميّ».

٣ - مختارات من شعره

- لمّا كان المعتمدُ والياً على شِلبَ (٤٤٠ - ٤٤٥ هـ) انغمسَ في اللهو انغماساً أغضبَ أباه المعتضدَ. أدرك المعتمدُ خطأه ومغبّة هذا الخطأِ على مستقبلهِ، فكتب إلى أبيهِ بهذه القصيدة يمدَحُه بها ويترضاه:

سَكِّنْ فؤُادَكَ لا تذهَبْ بِكَ الفِكَرُ! ... ماذا يُعيدُ عليك البَثُّ والحَذَرُ؟(١)
وازجُرْ جُفونَك لا تَرْضَ البُكاءَ لها، ... واصبِرْ فقد كنتَ عند الخَطْبِ تصطبرُ(٢).
فإنْ يَكُنْ قَدَرٌ قد عاقَ عن وَطَرٍ، ... فلا مَردَّ لما يأتي به القدرُ(٣)؛
وإنْ تكُنْ خَيْبَةٌ في الدهرِ واحدةٌ، ... فكم غَزَوْتَ ومِنْ أشْياعِك الظفر(٤)
مَنْ مِثْلُ قَوْمِكَ؟ مَنْ مثلُ الهُمامِ أبي ... عمروٍ أبيكَ له مجدٌ ومُفتَخَر؟
سَمَيْدَعٌ يَهَبُ الآلافَ مُبتدئاً ... ويستقلّ عطاياهُ ويعتذر(٥).
له يدٌ كلُّ جبّارٍ يُقَبِّلُها؛ ... لولا نداها لقُلنا إنّها الحجر(٦)!
يا ضَيْغَماً يقتُلُ الفُرسانَ مُفترساً، ... لا تُوهِنَنّي فإنّي النابُ والظُفُرُ(٧).

---

(١) البثّ: الحزن.
(٢) زجر: منع. الخطب: الأمر العظيم الصعب (المصيبة).
(٣) إذا كانت إرادة الله قد عاقت (أخّرت) إنساناً عن وطر له (غاية) فإنّه لا يستطيع أن يبدّل شيئاً من قضاء الله وقدره.
(٤) إذا كنتُ (يا والدي) قد خبت مرّة واحدة (في ما أمّلت فيّ أنا)، فكم من مرّة قد ظفرت بأعدائك في الغزوات.
(٥) السميدع: السيّد الشجاع الكريم.
(٦) نداها: كرمها (وفي البيت تورية: نداها: لينها أيضاً ملموحة من القرينة «الحجر»).
(٧) الضيغم: الأسد الواسع الشدق. أوهنه: أذهب قوّته وجعله ضعيفاً. فإنّي الناب والظفر (لك) سأدافع في المستقبل عنك وعن مجدك.

قد أخلفَتْني صُروفٌ أنتَ تعلَمُها، وغال مَوْرِدَ آمالي بها كَدَرُ[١].
فالنفسُ جازعةٌ، والعين دامعة، والصوت منخفضٌ والطَرْف منكسر[٢].
لم يأتِ عبدُكَ ذنباً يستحقّ به عَتْباً، وها هُوَ قد ناداك يعتذر.
ما الذنبُ إلاّ على قومٍ ذَوِي دَغَلٍ وَفَى لهم عَدْلُكَ المألوفُ إذْ غَدَروا[٣]:
قومٌ نَصيحَتُهم غِشٌّ، وحُبُّهُمُ بُغْضٌ، ونَفْعُهُمُ - إن صرّفوا - ضَرَرُ[٤].
يُمَيِّزُ البُغْضُ في الألفاظِ إنْ نَطَقوا، ويُعْرَفُ الحِقدُ في الألحاظ إن نظروا.
أَجِبْ نداءَ أخي قلبٍ تَمَلَّكَهُ أسىً، وذي مُقلةٍ أودى بها سَهَرُ[٥].
لم أُوتَ مِنْ زَمَني شيئاً أَلَذُّ به: فلستُ أَعْرِفُ ما كأسٌ ولا وتر[٦]،
ولا تَمَلّكَني دَلٌّ ولا خَفَرٌ، ولا سَبى خَلَدي غُنْجٌ ولا حَوَر[٧].
رِضاكَ راحةُ نفسي - لا فُجِعْتُ به - فَهْوَ العَتادُ الذي للدهر أَدَّخِرُ[٨].
كم وقعةٍ لك في الأعداء واضحةٍ تفنى الليالي ولا يَفْنى بها الخَبَر
ما تَرْكِيَ الخَمْرَ عن زُهْدٍ وعن وَرَعٍ فلم يُفارِقْ، لَعَمْري، سِنّيَ الصِغَرُ[٩].
وإنّما أنا ساعٍ في رِضاكَ، فإنْ أَخْفَقْتُ فيه فلا يُفْسَحْ لِيَ العُمُرُ[١٠]!

---

(١) إنّ أحوالاً لا أملكها قد كدّرت حياتي. الصرف (الحادث المؤلم) غال: قتل. المورد: مكان شرب الماء.
(٢) الطرف: العين.
(٣) الدغل: العيب والفساد (شرّ). عاملتهم بالعدل والإحسان فازدادوا شرًّا.
(٤) صرّف الرجل الأمر: دبّره. حتّى لو أرادوا أن ينفعوا لجاء من محاولتهم النفع ضرر (لأنّهم جهّال لا يفرّقون بين الخير والشر ولا بين النفع والضرر).
(٥) الأسى: الحزن. أودى: أهلك.
(٦) أوت - أُوْتى (مبني للمجهول): أعطى.. ما كنت أعرف سيّئات الكأس (الخمر) والوتر (الغناء = اللهو).
(٧) الدلّ: حالة من الوقار مع الاطمئنان (يوحى بها إلى الإنسان بثقته باعجاب الناس به أو بتأثيره فيهم). الخفر: اشتداد الحياء (وهو من صفات الجمال في النساء). سبى: أسر، ملك. الخلد: البال، النفس. الحور: اشتداد بياض العين واشتداد سوادها. الغنج: إتيان المرأة بأقوال وأفعال من الدلال تتحبّب بها إلى زوجها.
(٨) العتاد: العدّة، ما يهيّئه الإنسان ويستعدّ به للقاء المستقبل والعدوّ الخ. ادّخر: خبّأ (للمستقبل)، كنز.
(٩) كنت أشرب الخمر، وقد تركتها الآن. لم أتركها زهداً فيها (ميلاً عنها وكرهاً بها) ولا ورعاً (للتقوى) لأنّني لا أزال صغير السنّ، والزهد والورع يكونان عادة في أواخر العمر.
(١٠) تركتها إرضاء لك. إن أخفقت: خبت (لم ترض أنت عنّي). فلا يفسح لي العمر: لا طال عمري!

– وقال يُخاطبُ أبا بكرِ بنَ عمّارٍ ويُذكِّرُه أيامَهُا في شِلْبَ:

أَلا حَيِّ أَوطـاني بشِلْـبَ، أَبـا بكـرٍ، وسَلْهن: هـل عهدُ الوصال كما أدري[1]؟
وسلِّم عـلى قَصْرِ الشراجيبِ عن فتىً له أَبـداً شوقٌ إلى ذلـك القصر[2].
منازلُ آسادٍ وبيضٍ نواعمٍ فناهيكَ من غِيلٍ وناهيك من خِدر[3]
وكم ليلةٍ قد بتُّ أنْعَمُ جُنحَها بُمخصبـة الأَرداف مُجدبـة الخصر[4].
وبيـضٍ وسُمرٍ فاعـلاتٍ بُمهْجَتي فِعالَ الصِفاحِ البيضِ والأَسَلِ السُمر[5].
وليـلٍ بسدِّ النهر لَهْواً قطعتُـه بـذات سِوارٍ مثلِ منعطف النهر[6].
وباتـت تُسَقّيـني المُـدامَ بلحظهـا ومِن كأسِها حِيناً وحِيناً من الثَغر.
وتُطربـني أَوتارُهـا، فكأنّـني سَمِعـتُ بأَوتـار الطُلى نغم البُتـر[7]
نضَتْ بُردَها عن غُصن بـانٍ منعَّمٍ نضيرٍ كما انشقّ الكِمامُ عن الزهر[8].

– وقال في الخمر (يصف تلألؤ الخمر بالبرق ويصف الساقية الجميلة بشمس الضحى):

ريعَـتْ من الـبرق وفي كفِّهـا بـرقٌ مـن القهـوة لَمّـاعُ.
عجبتُ منهـا وهي شمسُ الضُّحى كيــفَ من الأنوارِ ترتــاع.

– كان للمعتمد جارية يحبها اسمها سِحْر، فوقعت بينهما جَفْوة فتركت زيارته. واتفق أن مرض المعتمد فجاءت سحر تزوره فقال:

(١ و٢) شلب في أقصى الجنوب الغربي من جزيرة الأندلس (في البرتغال اليوم). والشراجيب قصر في شلب.

(٣) آساد – أسود (أبطال، شجعان) وبيض: نساء جميلات. ناهيك: يكفيك. من غيْل ومن خدر (من بلد هو في الوقت نفسه مسكن للأسود ومسكن للنساء الجميلات).

(٤) جنح الليل: قطعة منه شديدة السواد. أنعم جنحها (في أثناء جنحها: في أثنائها). مخصبة: كبيرة، كثيفة. الردف (بالكسر) وسط البدن. مجدبة الخصر: نحيلة الخصر.

(٥) بيض وسمر (نساء جميلات). الصفاح البيض (السيوف) والأسل السمر (الرماح).

(٦) مثل منعطف النهر: في الجمال (؟).

(٧) أوتارها = أوتار عودها. أوتار الطلى: عروق الرقبة. البتر جمع أبتر (المقطوع الذنب، الخ)، وهو يقصد البواتر جمع باتر (السيف). صوت عودها ذكّره صوت السيوف التي كان يسمعها في المعارك التي خاضها!

(٨) نضى: خلع. البرد: ثوب من الحرير. البان: شجر أغصانه طويلة مستقيمة سمراء (يشبّه بها القوام الجميل). الكمامة: الكأس (الأوراق الخضر التي تغلّف الزهرة قبل تفتّحها).

سأسأل ربي أن يـــديم لي الشكوى
وقد قرّبت من مَضْجَعي الرَشأ الأحْوى[1].

إذا علـةٌ كانــت لقربــك علــةً،
تمنيت أن تبقى بجسمي وأن تَقْوى[2]،

شكوت وسِحْر قـد أغبَّت زيـارتي
فجاءت بها النُعْمى التي سميت بلْوى[3].

فيـا علـتي، دومي فأنـت حبيبة؛
ويـا رب، سمعاً من ندائي والشكوى[4].

- وقال يصف شمعة:

وشمعـــةٍ تنفي ظـــلامَ الدُّجـــى
نَفْيَ يـدي العُـدْمَ عن النـاسِ[5]

ساهرتهـــا، والكـأس يسعـى بهـــا
مَنْ ريقــه أشهـــى من الكـاس.

ضياؤهــــا لا شك من وجهـــه،
وحَـرُّها مـــن حـرِّ أنفاســـي!

- وقال في الغزل:

ثلاثـــةٌ منعتهــا عن زيارتنـــا،
خوف الرقيب وخوف الحاسد الحَنَقِ[6]:

ضوءُ الجبـين ووسواس الحُليّ ومـا
تحوي معاطفهـا من عنـبرٍ عَبِقِ[7].

هَـبِ الجبـينَ بفضـل الكُمّ تستره،
والحَلْيَ تَنزعـه، مـا حيلةُ العَرَقِ[8]؟

- وقال وهو أسير مسجون في حصن أغمات، وقد حلّ عيد الفطر، يوم الخميس في أول شوّال من سنة ٤٨٥ (الرابع من تشرين الثاني ١٠٩٢)، قبل أن يقيد، يذكر ما هو فيه من الحبس والبـؤس ويتذكر ما كان فيه من قبل من النعيم:

في ما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا
فجاءك العيدُ في أغماتَ مأسورا[9].

ترى بناتكَ في الأطمار جائعةً
يغْزلْن للناس ما يَمْلكْنَ قطْميرا[10].

برزْنَ نحوك للتسليم خاشعةً
أبصارُهنّ حَسيراتٍ مكاسيرا،

---

(١) الرشأ: الغزال الصغير. الأحوى: ذو الشفة السوداء.

(٢) إذا علة (مرض) كانت لقربك علة (سبباً).

(٣) أغبت: تركت. إن المرض الذي يسميه الناس بلوى (بلية، مصيبة) هو نعمة عندي لأنه كان سبباً في رضا محبوبي علي.

(٤) لندائي. في الاصل: من ندائي.

(٥) شمعة تبدد ظلام الليل مثل ما تقضي يدي (بالجود والعطاء) على الفقر من بين الناس.

(٦) الرقيب العذول الذي ينغّص على كل محبين اجتماعها. الحنق، الغاضب المغتاظ.

(٧) الوسواس: الصوت الخفيف. العبق: الذي تضوع (تنتشر) رائحته.

(٨) لنفرض أنها غطت وجهها (فمنعت ضوءه) وخلعت حلاها (فبطل صوتها)، فكيف تستطيع أن تمنع انتشار الرائحة الطيبة منها؟

(٩) يقول الشاعر: كنت (بفتح التاء)... يخاطب نفسه (وهذا في البلاغة يسمى التجريد).

(١٠) قطمير: (في الأصل) الغشاء الرقيق الذي يغلف نواة التمر، شيء يسير جداً.

يطأن في الطين، والأقدامُ حافية، كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا[١]!
أفطرتَ في العيد لا عادت اساءته وكان فِطْرك للأكبادِ تَفْطيرا[٢].
قد كان دهرُك إنْ تأمُرْهُ ممتثلاً؛ فردّك الدهرُ مَنْهيًّا ومأمورا[٣].
من بات بعدك في مُلْكٍ يُسَرّ به فإنما بات بالأحلام مغرورا.

– لما حُمل المعتمد أسيراً إلى المغرب ألحف الشعراء عليه بطلب النوال، فقال متأففاً:

شُعراءُ طَنْجَةَ كلُّهم والمَغْرِبِ ذهبوا من الإغراب أبعدَ مذهب[٤].
سألوا العسيرَ مِن الأسير، وإنَّه بسُؤالهم لأَحقُّ فاعْجَبْ واعجب[٥]
لولا الحياءُ وعِزّةٌ لَخميّةٌ طيَّ الحشا، ناغاهمُ في المطلب[٦].

– وكان المرابطون قد هاجموا قصرَه فَنَشِبَتْ بينَه وبينَهم مُناوشةٌ تمكّن في أعقابها من النجاة. ولكنّ الأحداثَ توالَتْ وأدّتْ إلى انفضاضِ عددٍ كبيرٍ من أنصارِه عنه فتغلّبَ المرابطون عليه وخَلَعوه وأسروه. فقال في ذلك:

إنْ يَسْلُبِ القومُ العِدى مُلْكي، وتُسْلِمْني الجمُوعْ،
فالقلبُ بينَ ضلوعِهِ: لم تُسْلِمِ القلبَ الضُلوعْ!
قد رُمْتُ يومَ نِزالِهِمْ ألاّ تُحَصِّنَني الدُروعْ.
وبَرَزْتُ ليس سوى القَميـ ـص على الحشا شيءٌ دَفوعْ.
أجَلي تأخّرَ! لم يكُنْ يَهواه ذُلّي والخُضوعْ.
ما سِرْتُ قطُّ إلى القتا ل وكان من أمَلي الرُجوعْ.
شِيَمُ الأُلى أنا مِنْهُمُ؛ والأصلُ تَتْبَعُه الفُروعْ.

وكان للمعتمدِ بنِ عبّادٍ بضعةَ عَشَرَ ولداً منهم :سِراجُ الدولةِ أبو عُمَرَ عبّادٌ (قُتِلَ سَنَةَ ٤٦٨ هـ، وعُمُره سِتَّ عَشْرَةَ سَنةً) والمأمونُ أبو نصرٍ الفَتْحُ (هَلَكَ في أوائل ٤٨٤

---

(١) راجع قصة يوم الطين. فوق، ص ٧١٤.
(٢) تفطير: تقطيع. كان تفطيراً للأكباد: يدعو إلى الحزن الشديد مع الإشفاق.
(٣) كنت من قبل آمر الدهر (جميع الناس) فأطاع، فأصبحت اليوم وعلي ناه وآمر (سجان).
(٤) الإغراب: السلوك المستغرب.
(٥) العسير (المال الكثير أو القليل الذي لا يملكه لأنه الآن أسير). فاعجب (من حالي كيف كانت وكيف أصبحت) ثمّ اعجب من حالهم كيف يسألونني وهم يعرفون حالي).
(٦) لخمية نسبة إلى لخم (بني المنذر بن ماء السماء في الحيرة، وإليهم يردّ آل عبّاد نسبهم).

هـ) والمُعْتدُّ أبو بكرٍ عبدُ الله وزينُ الدولةِ أبو هاشمٍ المُعَلّى وشَرَفُ الدولة أبو بكرٍ يَحْيى وذُخْرُ الدولةأبو المكارمِ الحَكَم وتاجُ الدولةِ أبو سليمانَ الربيعُ وعَضُدُ الدولة ومالكٌ (راجع في مالكٍ نفحَ الطيب ٤ : ٢٤٧) وكان مَقْتلُه في أثناءِ اسْتيلاءِ المُرابطين على إشبيلِيَةَ، سَنَةَ ٤٨٤ هـ (وليسَ لهؤلاءِ كُلِّهمْ ما يُذْكَرون به) ثمّ عبدُ الجبّارِ الذي ثار على المُرابطين في جَنوبيِّ الأندلسِ فغَضِبَ يوسفُ بنُ تاشِفين وأمرَ بتَقْييدِ المُعتمِدِ في السِجْنِ انتقاماً منه لفعلِ ولدهِ عبدِ الجبّار (نفح الطيب ٤ : ٢١٧-٢١٨).

وأولادُ المعتمدِ الذين طارَ لهم ذِكْرٌ في الأدبِ: الراضي والرشيدُ وبُثَيْنَةُ. أمّا الراضي فكان شاعراًمُجيداً وقد أُفْرِدَت له تَرْجَمة. وأمّا بُثَيْنَةُ ففي ما يلي شيءٌ من خَبَرِها وشعْرِها.

وُلِدَتْ بُثينةُ نحوَ سَنةِ ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) وأُمّها اَعْتمادٌ الرُمَيْكِيّة. ووَرِثَتْ قولَ الشعر من أُمِّها وأبيها فأَحْسَنَتْ فيه بعضَ الإحسان. وكذلك كانتْ قريبةً من أُمِّها في الجمال وفي النادرة: في سُرعة الخاطرِ مَعَ الإتيانِ بالنُكْتة اللطيفة البارعة. وفي سَنَةِ ٤٨٤ هـ، لمّا اسْتَوْلى المُرابطونَ على إشْبيلِيَة، أُخِذَتْ سَبِيَّةً فاشتراها تاجرٌ من إشبيليةَ وَهُو لا يعلَمُ من أمرِها شيئاً ووَهَبَها لاِبْنِهِ. ورَفَضَت بُثينةُ - في حديثٍ طويلٍ - أن يَقْرَبَها ابنُ التاجرِ الإشْبِيليِّ الاّ بعدَ استشارةِ والِدِها وبعدَ عَقْدٍ شرعي. وفي هذه المناسبة كَتَبَتْ بُثينةُ إلى أبيها الأسيرِ في أغماتَ (بالمغرب) بالأبياتِ التالية، وَهِيَ مِنَ الشِعر العاديّ (نفح الطيب ٤: ٢٨٤):

اسْمَعْ كَلامي واسْتمعْ لمقالتي، فَهِيَ السُلوكُ بَدَتْ مِنَ الأجيادِ[1].
لا تُنكِروا أنّي سُبِيتُ وأنّني بِنْتٌ لِمَلْكٍ من بني عبّاد:
مَلْكٍ عظيمٍ قد تولّى عَصْرُه. وكذا الزمانُ يَؤولُ للإفساد[2].
لمّا أرادَ الله فُرْقَةَ شَمْلنا وأذاقَنا طعمَ الأسى عن زاد[3]،
قامَ النفاق على أبي في مُلكهِ؛ فدنا الفِراقُ، ولم يكُنْ بمُراد.

(١) السلك: الخيط (تنظم فيه حبات اللؤلؤ وغيرها). الجيد: أعلى الصدر. العنق.
(٢) آل يؤول: يرجع، يعود.
(٣) جعل الله الأسى (الحزن) زاداً (طعاماً) لنا. أذلّنا.

فخرجْتُ هاربةً فحازَنِيَ امْرُؤٌ | لم يأتِ في إعجالِه بسَداد[1]
إذ باعني بيعَ العبيدِ فضَمّني | من صانني إلاّ من الإنكاد[2].
وأرادَني لِنِكاحِ نَجْلٍ طاهرٍ | حَسَنِ الخلائقِ من بني الأنجاد[3].
ومضى إليك يَسومُ رأيَك في الرِضا؛ | ولأنتَ تنظُرُ في طريق رَشادي[4].
فعساك، يا أبَتي، تُعَرّفُني به، | إن كان مِمَّنْ يُرتَجى لِوِداد.
وعسى رُمَيْكِيَّةُ الملوكِ بفضْلِها | تدعو لنا باليُمن والإسعاد[5].

٤ – ديوان المعتمد بن عبّاد (وزارة التربية والتعليم المصرية) ؛ (تحقيق أحمدبدوي وحامد عبد المجيد) ، القاهرة ١٩٥١م ؛ المعتمد وشعراءعصره (حقّقه محمّد زهدي يكن)، بيروت (دار يكن للنشر) ١٩٧٥م .

★★ المعتمد بن عبّاد: الملك الجواد الشجاع، الشاعر المرزّأ، تأليف عبد الوهّاب عزّام، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩ م .

– المعتمد بن عبّاد، تأليف علي أدهم، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والطباعة والنشر– أعلام العرب، رقم٢)، بلا تاريخ.

راجع كتب التاريخ العامّة ثمّ قلائد العقيان ٤ – ٣٥ ؛ المطمح ١١ – ٢٢ ؛ الذخيرة ٢ : ٤١ – ٨١ ثمّ أماكن كثيرة في جميع الاقسام ؛ المطرب ٧ – ١٠؛وفيات الأعيان ٥ : ٢١ وما بعد (ترجمة عامّة لبني عبّاد ، وفيها استطراد كثير) ؛ الحلّةالسيراء ٢ : ٥٢ – ٦٨ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٨٣ – ١٨٨ ؛ أعمال الأعلام ١٥٧ – ١٧٠؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٨٦ – ٣٩١؛ نفح الطيب ٤ : ٩٢ – -٩٩، ٢١١ – ٢٢٧، ٢٤٥ – ٢٨٥، ٣٥٤ وما بعد (أخبار معركة الزلاّقة ويوسف بن تاشفين وما يتّصل بذلك من أخبار ملوك الطوائف عامّة والمعتمد بن عبّاد خاصّة) ؛ بروكلمن١ : ٣١٩ – ٣٢٠، الملحق ١ : ٤٧٩؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى)؛ نيكل ١٣٤ – ١٦٣ ؛ مختارات نيكل ٨٢ – ١٠٣ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٥٠ – ٥١ (٦ : ١٨١).

---

(١) السداد: الصواب.
(٢) الانكاد: قلّة الخير (الحاجة إلى أسباب الحياة)، الفقر.
(٣) النجل: الولد (ولد الرجل). النجد (بفتح فكسر أو بفتح فضمّ): الرجل ذو العزيمة.
(٤) سام: طلب. تنظر في طريق رشادي (تريد لي الخير).
(٥) رميكية، الرميكية: امرأة المعتمد وأمّ بثينة.

الحُمَيْديُّ

١ - هُوَ أبو عبدِ اللهِ مُحمّدُ بنُ فَتّوحِ بنِ عبدِ اللهِ بن حُمَيْدِ بنِ يَصَلَ الأَزْدِيُّ، كان أبوهُ مِنْ أهلِ الرُصافة (بقُرطبة) ثمّ انتقلَ إلى جَزيرةِ مَيورقَةَ. ولد الحميدي هذا قبل ٤٢٠.

سَمِعَ الحميديّ من أبي القاسمِ أصبغَ بنِ راشدِ بنِ أصبغَ (ت ٤٤٠ هـ) ثمّ من أبي عبدِ اللهِ أحمدِ بنِ مُحَمّدٍ ومن أبي العبّاسِ العُذْري ومن ابنِ عبد البَـرّ، ولَزِمَ ابنَ حَزْمٍ (ت ٤٥٦ هـ) وأَخَذَ عنه المذهبَ الظاهريَّ وأكثرَ من الرواية عنه.

ولّما اشتدّ الاضْطِهادُ على أتباعِ المذهبِ الظاهريّ رَحَلَ الحُمَيْدِيُّ عنِ الأندلس، سَنَةَ ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) فحَجّ وسَمِعَ الحديث في مَكّةَ من أبي القاسمِ سَعْدِ بنِ عليّ الزَنْجانيّ (ت ٤٧١ هـ). ثمّ إنّه عاد إلى مِصْرَ فرَوى عن أبي عبدِ اللهِ بن أبي الفَتْح وسَمِعَ من الضَرّاب ومن أبي عبدِ اللهِ بن سَلامةَ القُضاعي (ت ٤٥٤ هـ). ثمّ رَحَلَ إلى الشامِ فالعراقِ: نَزَلَ في بَغدادَ ثمّ قَضَى مُدّةً في واسطَ، وبعدَئذٍ عاد إلى بَغداد واسْتَقَرّ فيها. وفي بَغْدادَ أدْرَكَ الخَطيبَ البَغْداديّ وروى عنه. وكانت وفاةُ الحُمْيَدِي في بَغْدادَ، في ١٧ مِنْ ذي الحِجّة ٤٨٨ (١٩/ ١٢/ ١٠٩٥ م).

٢ - كان الحُمَيْدِيُّ إماماً ثِقَةً في عِلْم الحديثِ وَعِلَلِهِ ومَعْرفةِ مُتونه ورُواتِه مُحيطاً بفنونٍ من العلم والأدب وبالفِقه عامّة والفقه الظاهري خاصّة. وهُوَ الذي حَمَلَ كُتُبَ ابنِ حزمٍ إلى المشرق. وكان له شيء من الشِعْرِ.

وكانَتْ للحُمَيْدِيّ مُصَنّفاتٌ كثيرةٌ ضاع كثيرٌ منها وبَقِيَ بَعْضُها. فمن أشْهرِ مّما بَقِيَ لنا منها: جَذْوَةُ المُقْتَبِسِ في ذِكْر ولاةِ الأندلس وأسماء رُواة الحديث وأهلِ الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر - الجمعُ بين الصحيحين (جمع الأحاديث المتّفق عليها في صحيح البُخاري وصحيح مُسْلِمٍ) - تفسير غريب ما في الصحيحين - الذهب المسبوك في وعظ الملوك - تذكرة الحميديّ (مختارات في الأخلاق والأدب) - بلغة المستعجل في معرفة جُمَلٍ من التاريخ.

٣ - مختارات من آثاره

- قال الحُمَيْدِيُّ في مقدّمة كتابه « جذوة المقتبس »:

.... أما بعدُ، فإنّ بَعْضَ من أَلْتزم (!) واجبَ شُكْرِهِ على جميل برّه - لمّا وصلتُ إلى بَغْدادَ وحَصَلْتُ من إفادته على أفضل مُسْتَفادٍ - نَبّهني على أنْ أجمع ما يَحْضُرُني من أسماء رواةِ الحديثِ بالأندلس وأهلِ الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر ومن له ذِكْرٌ منهم أو ممّن دَخَلَ إليْهم أو خَرَجَ عنهم، في مَعْنًى من معاني العلم والفضل أو الرئاسة والحرب.

فأعْلَمْتُه عن بُعْدي بمكان هذا المَطْلوب وقِلّة ما صَحِبَني منَ الغَرَض المرغوب، وأنّي إنْ رُمْتُه على قِلّةِ ما عِنْدي وتعاطَيْتُهُ على انقطاع موادّي وبُعْدي لم أخْلُ من أحَدِ وَجْهَيْنِ: إمّا أن أبْخَسَ القومَ حَظَّهُمْ وأنْقُصَهم فأتَعرّضَ لِلائِمَتِهِمْ في ما أوْردتُ وأقِفُ موقفَ الاعْتذارِ في ما إليه قَصَدتُ؛ وإمّا أن أُوهِمَ من رأى قِلّةَ جَمْعي ونِهايَةَ ما في وُسْعي أنّه ليس من أهلِ الفضلِ في تِلْكَ البلادِ إلاّ نَزْرٌ من الأعدادِ، فأكونَ بعدَ احْتِفالي لَهُمْ قد قَصّرتُ بهم، وعِنْدَ اجتهادي في ذِكْرهم قد أخْلَلْتُ بفخرهم. وما أراني مَعَ ذلك إلاّ مُتَصَدِّياً لِمَذَمّةِ الطائفتين..

- للحميدي مقطعات في الزهد منها:

★ طريـق الزهد أفضلُ ما طريق — وتـقـوى الله تاليـة[1] الـحقـوق.
فثِـقْ بـالله يَكْفِكَ، واستَعِنْـه — يُعِنْـك ودع بُنَيّاتِ الطريـق[2].
★كـلام الله عز وجـلّ قولي — ومـا صحّتْ بـه الآثـار[3] ديني.
ومـا اتفـق الجميـعُ عليـه بـدءًا — وعوداً، فـهـو مـن حـقٍّ مبين.
★ لِقاءُ الناس ليس يُفيد شيئاً — سـوى الهذيـانِ من قيـل وقـال.
فأَقْلِـلْ مـن لقـاءِ النـاس إلاَّ — لأَخـذِ العـلم أو إصلاح حـال.

---

(١) « ما » زائدة. تالية: تابعة (؟).

(٢) بنيات الطريق: الطرق الضيقة المتفرعة من غيرها.

(٣) الآثار ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

★ أَلِفْتُ النَّوى حتى أَنِسْتُ بوَحْشِها وصِرْتُ بها لا في الصبابة مُولَعَا .
فلم أُحْصِ كم رافقته من مرافق ولم أُحصِ كم خيَّمتُ في الأرض مَوضِعا .
ومن بعدِ جَوْبِ الأَرض شرقاً ومغرباً فلا بدَّ لي من أن أُوافيَ مَصْرعا[1] .

٤ - جذوة المقتبس... (قام بتصحيحه محمّد بن تاويت الطنجي)، القاهرة (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م؛ القاهرة (الدار المصرية للتأليف والنشر) ١٩٦٦ م.

★★ بغية الملتمس ٥٣٠ - ٥٣١ (رقم ١١٣)؛ المغرب ٢ : ٤٦٧ - ٤٦٨؛ معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٢ - ٢٨٦؛ وفيات الأعيان ٤ : ٢٨٢ - ٢٨٤؛ الوافي بالوفيات ٤ : ٣١٧ - ٣١٨؛ الخريدة (الأندلس) ٤ (الجزء الثاني): ١٢؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٩٢؛ نفح الطيب ٢ : ١١٢ - ١١٥، ٣ : ١٨٠، ١٨١، ٤ : ٣٣٧ - ٣٣٩، ٣٤٨؛ نيكل ٢١١ - ٢١٢؛ مختارات نيكل ١٤٧ - ١٤٨؛ بروكلمن ١ : ٤١٣، الملحق ١ : ٥٧٨ - ٥٧٩؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢١٨ - ٢١٩ (٦ : ٣٢٧).

ابن عبد الصَمَد

١ - هو أبو بكرٍ (وأبو بحرٍ) يوسفُ بنُ أبي القاسمِ بنِ خَلَفِ بنِ أحمدَ، من نسلِ السَمْحِ بن مالك الخَوْلانيّ الذي كان والياً على الأندلس (١٠٠ - ١٠٢ هـ) من قِبَلِ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز، أصلُه من كُورةِ جيّانَ. وكان أهلُه من ذَوِي الجاهِ ومن أهلِ الكتابة والأدب.

قَسَتِ الدنيا على ابنِ عبدِ الصَمَد حتّى اتّصل بالمعتمدِ بنِ عبّادٍ وحَظِيَ عندَه فارتقَتْ مَنزِلَتُه ونال من المعتمدِ عطايَا كثيرةً. ولمّا استَوْلى المرابطون على الأندلس وأزالوا جميعَ ملوكِ الطوائف وأَسَروا المعتمدَ بنَ عبّادٍ، يومَ الأحدِ في الثاني والعِشرين من رَجَبَ من سَنَةِ ٤٨٤ (٧/ ٩/ ١٠٩١ م)، تخفّى ابنُ عبدِ الصمد ثمّ انتقلَ إلى المَغْرِبِ ولكنّه لم يَنَلْ حُظوةً عند المرابطين، ولكن يبدو أنّه عاشَ في المغرب بعدَ ذلك مُدّةً. وفي عيدِ الأضحى من سَنَةِ ٤٨٨، بعدَ وفاةِ المعتمدِ بن عبّادٍ بشهرين تامَّيْنِ، اتّفقَ ان كان ابنُ عبدِ الصمد في أغماتَ (إحدى ضواحي مدينة

(١) جوب الأرض (الجولان فيها).

مَرَّاكُشَ، وفيها قبرُ المعتمد) فزارَ قبرَ المعتمد مَعَ الزائرين وأنشد عندَه قصيدتَه المشهورةَ الرائعة. ولسنا نعلَمُ سَنَةَ وفاةِ ابن عبد الصمد، ويبدو أنّه تُوُفّي في أواخِرِ القرنِ الخامسِ للهِجرة.

٢ - كان لابنِ عبد الصمدِ نثرٌ وشعر، ولكنْ لم يصلْ إلينا من آثاره في الأغلب إلاّ قصيدتُه الداليةُ وهي قصيدةٌ رائعة طويلةٌ جِدّاً أورد منها ابن الخطيب في كتابه «أعمال الأعلام» (ص ١٦٥ - ١٧٠) مائةً وأربعةَ أبياتٍ. وهي قصيدةٌ فصيحةُ الألفاظِ سهلة التراكيب واضحة المعاني ذاتُ تأثيرٍ في النفس. وفيها صناعة يسيرةٌ وعددٌ من الإشارات التاريخية. وفيها رثاءٌ للمعتمد ثمّ فخرٌ بشعره هو.

٣ - مختارات من شعره

- في عاشرِ ذي الحِجّة من سَنةِ ٤٨٨ (١٠/ ١٢/ ١٠٩٥) انصرف الناس من صلاة عيدِ الأضحى وجاء جَمْعٌ منهم لزيارة قبرِ المعتمد بنِ عبّادٍ، وكان فيهم ابنُ عبدِ الصمدِ، فوَقَفَ على القبرِ وأنشد:

مَلِكَ الملوكِ، أسامعٌ فأناديَ؛ ... أم قد عَدَتْكَ عن السَماع عوادِ[١].
لمّا خَلَتْ منك القصورُ فلم تكن ... فيها كما قد كنتَ في الأعياد[٢]،
أقبلتُ في هذا الثرى لك خاضعاً ... وتَخِذْتُ قبرَكَ موضعَ الإنشاد[٣].
قد كنتُ أرجو أن تُبَرِّدَ أدمُعي ... نيرانَ حُزنٍ أُضرِمَتْ بفؤادي.
فإذا بدَمْعي كلّما أجْرَيْتُه ... زادتْ عليَّ حراوةُ الأكباد.
يا أيُّها القمرُ المنيرُ، أهكذا ... يُمحى ضِياء الكوكب الوَقّاد؟
ما كان ظنّي قبلَ موتِكَ أن أرى ... قبراً يضُمُّ شوامخَ الأطْواد[٤].
عَهْدي بِمَلْكٍ وَهْوَ طَلْقٌ ضاحِكٌ ... مُتَهَلِّلُ الصَفَحاتِ للقُصّاد[٥]،

(١) عواد جمع عادية: نائبة، مصيبة. عدتك: صرفتك (عن الأمر) وشغلتك.
(٢) خلت: فرغت (بكسر الراء). لم تبق القصور اليوم كما قد كنت أنت فيها من قبل.
(٣) الثرى: التراب (هذا الجانب من الأرض، البلد)، أغمات (موضع قبر المعتمد).
(٤) الطود: الجبل. الشامخ: العالي.
(٥) الصفحات (صفحتا الوجه). طلق: منطلق، ضاحك، مسرور. متهلّل: فرح.

أيّامَ تَخْفِقُ حولَكَ الراياتُ فو ... ق كتائبِ الرؤساءِ والأجناد،
والأمرُ أمرُكَ والزمانُ مُبشِّرٌ ... بمَالِكٍ قد أذْعَنَتْ وبلاد،
والخيلُ تمرَحُ والفوارس تنحني ... بينَ الصوارمِ والقَنا المَيّاد[1]؛
إذ تحسَبُ الهَيْجاءَ رَوْضاً يانعاً ... وترى الأزاهِرَ من ضِياء صِعاد[2].
وكأنّ بِيضَ المُرهَفاتِ على الطُلا ... وُرْقُ الحَمام على الغصون شَواد[3].
ولكَمْ هَزَزْتَ الغُصْنَ من طرَبٍ لها ... وجَرَرْتَ أذيالاً من الأزْراد[4].
وكأنّما في الدِرْعِ منك رَبيعةُ بْـ ... ـنُ مُكدَّمٍ والحارثُ بن عُباد[5]!
حتّى إذا ما الدهرُ أظهرَ حِقْدَه، ... والدهرُ للأحرارِ ذو أحْقاد،
ألْقَتْ بأيْدِيها مَعاقِلُكَ التي ... مُلِئَتْ من العُقْبانِ والآساد[6].
وتهدّمتْ أركانُ كلِّ سياسةٍ، ... وانْهَدّ حولَ المُلْكِ كل عِماد.
قالوا: أضاع الحَزْمَ وَهْيَ بواطِلٌ؛ ... نورُ الحقائقِ للنواظرِ باد[7].
وإذا انْقَضَتْ أيّامُ مُلْكٍ فالعَنا ... في غايةِ الإكثارِ والإعداد[8].

---

(١) تنحني (!) اقرأ: تنتمي (تفتخر، تذكر أنسابها - والانتماء من عادة العرب في الحروب عند المبارزات). الصارم: السيف. القناة: الرمح. الميّاد: المتأوّد (ينحني ولا ينكسر).

(٢) الهيجاء: الحرب. اليانع (من الأثمار): الناضج. الصعدة: الرمح (إذا رأيت الرماح في أثناء المعركة خيّل إليك أنّها أغصان مزهرة).

(٣) المرهف: الرقيق، القاطع. البيض: السيوف. الطلاة (بضمّ الطاء): جانب العنق. الورقاء: الحمامة. شادية: مترنّمة، مغنّية (أنت تحسب أصوات السيوف وهي تقطع الأعناق كأنّها حمائم تشدو على الأغصان).

(٤) الغصن (هنا): الرمح. الزرد: الدرع (أنت تطرب للطعن بالرمح وتتبختر في الدرع - في أثناء المعركة - كما يسرّ الناس بتمايل أغصان الأشجار وبالتبختر في ثيابهم النفيسة).

(٥) ربيعة بن مكدّم والحارث بن عباد من الفرسان الشجعان في الجاهلية.

(٦) المعقل (بفتح فسكون فكسر): الحصن. ألقت معاقلك بأيديها: استسلمت (للعدو). العقبان (كناية عن الخيل) والآساد (كناية عن الجنود).

(٧) اتّهموا المعتمد بأنه كان بملاذّه قد بَعُد عن الاهتمام بإدارة الملك. باد: ظاهر.

(٨) العناء: التعب. الإعداد (الاستعداد، الاحتياط لما سيحدث في المستقبل). الإكثار: إكثار الكلام في اللوم (؟) - إذا آذن عمر الدولة في الانتهاء فإنّها ستسقط حتماً، ولن يمنع سقوطها جهود أو لوم (راجع ابن خلدون - ت ٨٠٨ هـ).

حازتْ بنو العبّاسِ مُلْكَ أُمَيَّةٍ وَهُمُ ذَوُو الأعداد والأمداد[١].

ورأى مُعاويةٌ عَليّاً هالكاً، وعَليٌّ الليثُ الهِزَبْرُ العادي[٢].

والدهرُ أذهَبَ تُبَّعاً وجُنودَه وأزال مُلْكَ الأرضِ عن شَدّاد[٣].

انّي لأعْجَبُ بعدَ فَقْدِكَ كيف لا تُسْتَنْكَرُ الأسيافُ في الأغماد[٤].

مَنْ يَفْتَحُ الأمصارَ بعدَ محمّدٍ؟ مَنْ يَعْقِدُ الراياتِ للقُوّاد؟

مَنْ يترُكُ الأسطارَ في الأوراقِ مثـ ـلَ الحَلْيِ في اللَبّات والأجياد[٥]؟

مَنْ يفهَمُ المعنى الخَفِيَّ، ومن له صِدقُ الحديثِ وصِحّة الإيراد[٦]؟

مَنْ ذا يَرُدُّ على العُفاةِ ظِلالَه ويُبلِّغُ الآمالَ كلَّ مُراد[٧]؟

هَيْهاتِ، ماتَ الجودُ بعدَ محمّدٍ وأصابَ بَزَّ الفَهْمِ كُلُّ كَساد[٨].

مُسِخَ الزمانُ بأهلِهِ فتعَوّضوا من ذلك الإصلاح بالإفساد[٩].

يا ساكنَ القبرِ الذي فُقْدانُه قتلَ الرجاءَ وفتّ في الأعضاد[١٠]،

كُنّا نُؤَمِّلُ أن نرى لك عَوْدةً تُعطي بها الأيامَ كلَّ قِياد[١١]،

وتَبيتُ خَيْلُك في مَرابطها على وعْدٍ من الإتهام والإنجاد[١٢].

---

(١) .... وكان بنو أميّة كثيري العدد كثيري الثروة والجنود.

(٢) الليث: الاسد. الهزبر: الاسد الضخم الكاسر. العادي (الجريء على القتال).

(٣) تبّع بن حسان ملك اليمن، كان قويّاً مظفّراً طال ملكه جدّاً (زعموا ثمانية وسبعين عاماً). شدّاد بن عاد ملك يمنيّ قديم، غزا البلاد (زعموا أنّه وصل إلى أرمينية والمغرب).

(٤) الغمد (بالكسر): قراب (بالكسر) السيف. - ... كيف لا تسلّ السيوف للانتقام من أعداء المعتمد.

(٥) اللبّة: أعلى الصدر. الجيد (بالكسر): العنق. أدبه (شعره ونثره) جميل مثل الحليّ على النساء الحسان.

(٦) صادق في حديثه وصحيح الإيراد (النقل) لأحاديث الآخرين).

(٧) العافي: الذي يطلب المعروف (العطاء).... ويحقّق كلّ أمل.

(٨) ... كسد بزّ (حرير) الفهم: قلّ الاهتمام بالنتاج العقلي والأدبي (هذا تعريض بيوسف ابن تاشفين الذي خلع جميع ملوك الطوائف وقيل فيه انّه كان لا يعرف اللغة العربية ولا يقبل إنشاد الشعر في حضرته).

(٩) الصلاح الذي كان في أيام المعتمد حلّ محلّه الفساد في أيام يوسف ابن تاشفين.

(١٠) فتّ (كسر) في العضد (بفتح فضمّ: ما بين المرفق والكتف). فتّ في عضده: أوهن قوته وأيأسه.

(١١) .... كنا نرجو أن تعيد ملكك.

(١٢) الاتهام: النزول إلى الأرض المنخفضة. الانجاد. الصعود إلى الأرض العالية (تسيير جيوشك إلى جميع البلاد).

إنّي لأعْجَبُ من ضَجيعَتِك التي قد كان قُرْبُكَ أُنْسَها في النـــادي (١).
جاوَرْتَهـــا فـــي قَبْرِهـــا فكأنّما قد كُنْتُما في ذا على ميعاد (٢).
أمَّ الملوكِ، أمــا عَلِمْـتِ بزائرٍ لك ذي وفاءٍ مُخلصٍ ووِداد؟
أبْكى العُلا والمجدَ فَقْدُكُما الذي لَبِسَتْ له الدنيا ثِيابَ حِداد.
لَهْفي عــلى تلـك السَجايا إنّها زَهْرُ الرُبى مَوْشِيَّةُ الأبْراد (٣).
كم نعمــةٍ خضراءَ قــد ألْبَسْتَـني ومواهــبٍ وَالَيْتَهـــا وأيــاد (٤)!
أخْجَلْتَ في الجود الذي دَفَّقْتَ حا تَم طَيّئٍ وفَضَحْتَ كَعْبَ إياد (٥).
قد كنتُ لا أرضى البِحارَ مَناهلي زَهْواً ولا أرضى السِماكَ مِهادي (٦)
فـي دولــةٍ غــرّاءَ عَـبّـاديّــةٍ فَلّتْ مِنَ الأملاكِ كُلَّ عِناد (٧)،
ورِئاسةٍ تحمي البـــلادَ، رئيسُهـــا يوماهُ: يومُ نَدًى ويوم جِلاد (٨)؛
والبــدرُ تِرْسي والثُريّـــا مَعْقِـلي والصُبْحُ سَيْفي والرِّياحُ جِيادي (٩).
أغْرَقْتَـني في بَحْرِك الطامي الذي منــعَ الظِماءَ وُرودَ كُـلّ ثِماد (١٠).
وسَلَلْتَ في نَصْري سُيوفَ مكارمٍ تركـتْ سيوفَ الهِندِ غيرَ حِداد (١١).
عادتْ بحاراً إذ سَقَيْتَ ضَحاضِحي، وغدتْ هِضاباً إذ رفعتَ وِهــادي (١٢).

(١ - ٢) يشير الشاعر إلى موت اعتماد (زوج المعتمد) قبله بقليل.
(٣) السجايا: الطبائع (الأخلاق الجميلة). موشيّة: مطرزة. البرد (بالضمّ): ثوب من حرير.
(٤) الموهبة (الهبة) العطاء. والى الأشياء: جاء بها متوالية (متتابعة). الإيادي: النعم.
(٥) حاتم الطائي المشهور بالكرم. كعب بن مامة الأيادي يضرب به المثل في الكرم (وكلاهما جاهلي).
(٦) النهل: الشرب الخفيف. الزهو: الإعجاب بالنفس. السماك (الأعزل) والسماك (الرامح) مجموعتان من النجوم. المهاد: الفراش.
(٧) الأملاك: الملوك. فلّت عناد الملوك (أخضعتهم).
(٨) ندى: كرم. جلاد: حرب.
(٩) الثريّا: مجموع نجوم. المعقل: الحصن. الجواد: الحصان.
(١٠) الطامي: المرتفع (الكثير الفائض). الظماء جمع ظمآن: عطشان. الورود: الذهاب إلى الماء. الثماد: الماء القليل- كان الشعراء يأتون إليك لأنّك كنت تعطي كثيراً بينما كان الآخرون يعطون قليلاً أو لا يعطون شيئاً. (عطاؤك الكثير أغنى الناس عن الذهاب الى جميع الملوك).
(١١) حداد جمع حادّ: ماض، قاطع- رفعت منزلتي حتّى خافني الأبطال ذوو السيوف.
(١٢) الضحضاح: الماء القليل. الوهدة: المكان المنخفض.

ومَدَدتُ كفّي للكواكبِ قاعِداً | فبَلَغْتُها لمّا غَدَوْتَ مَصادي[1].
نَفّقْتَني والدهرُ يبخَسُ قِيمتي | وأنِفتَ من رُخْصي به وكَسادي[2].
وأقَمْتَني لمّا رأيتَ حوا | دِثَ الأيّام قد أسْرَفْنَ في إقعادي.
فالجَفْنُ بعدَكَ ليس يدري ما الكَرى | (مِنْ) دمعةٍ مُنْهَلَّةٍ وسُهاد[3].
وكأنّ قَلْبِيَ في مخالبِ طائرٍ، | وكأن جَفْنِيَ فوقَ شَوْكِ قَتاد[4].
ان لم تَطِبْ فيك المَراثي والثنا | مِنّي فلستُ بطيّبِ الميلاد!
ما كان إلاّ الرَوْضَ مَوْشِيَّ الحُلى | سُقِيَتْ أزاهِرُه بصَوْبِ عِهاد[5].
يَهْتزّ عند الحَمْدِ مِعطفه كما | يهتزّ عِطفُ الأملَدِ المَيّاد[6].
يا موتُ، لم تترُكْ حنيفاً مُسلماً | صَعْبَ اللقاء على ذَوي الأحقاد[7].
قد كان من أعلى المُلوكِ رِئاسةً، | وفُؤادُه من أوْرعِ الزُهّاد.
يا موتُ، كيف رأيتَ صبرَ مُحمّدٍ، | قَبْلَ احتِلالِكَ كان في اسْتعداد[8].
كم رامَ في رَجَبٍ لقاءَك جاهِداً، | والحَظُّ ليس يُنالُ دونَ جِهاد[9].
أهْوَى الشهورَ سِواهُ فَهْوَ أذَلّني | وأُحِبُّ أيّامي سِوى الآحاد[10].
صبراً جميلاً، يا بَنيهِ، فرُبّما | نال المُنى قومٌ بلا ميعاد.
إنّي نظمتُ لكم لآلِىءَ قَوْلَةٍ | عَرَضَتْ على الأيام صَفْوَ ودادي[11].

---

(١) المصاد: مكان الصيد.
(٢) يبخس (يقلّل من) قيمتي (مكانتي).
(٣) الكرى: النوم. السهاد: السهر. في الأصل: «في دمعة».
(٤) قلبي في مخلب طائر: قلق (خائف). القتاد: نبت له شوك قاس.
(٥) موشيّ: مطرّز. العهاد: المطر المتتابع. الصوب: انسكاب (المطر) بكثرة.
(٦) معطف: ثوب يلبس في الشتاء (كناية عن المعتمد نفسه). اهتز: ارتاح (طرب، سرّ). العطف: الجانب الأعلى من الأشياء. الأملد: (الغصن) الناعم اللين. المياد المتايل، المتثني.
(٧) بعد موت المعتمد لم يبق في الدنيا مسلم حنيف (حقيقي).
(٨) قبل أن يدركه الموت كان يستعد ليستعيد ملكه بالحرب.
(٩) في رجب من سنة ٤٨٤ استولى يوسف بن تاشفين على اشبيلية وخلع المعتمد. كان المعتمد في ذلك الحين يريد أن يموت في سبيل الدفاع عن ملكه.
(١٠) كان خلع المعتمد في يوم أحد (راجع ترجمته).
(١١) قولة: قصيدة. نظمتها إظهاراً لخالص مودّتي للمعتمد (مع العلم بأن دولة المرابطين لم تكن تريد ذلك).

ولقد رَثَيْتُ وما قَضَيْتُ حُقوقَكم، والله يعلَمُ مـــا يُكِنُّ فُؤادي[1].

٤ - ★★ قلائد العقيان ٣٤ - ٣٥؛ الذخيرة ٣: ٨٠٩ - ٨٢١؛ المغرب ٢: ٢٠٣ - ٢٠٤؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٥٣٧ - ٥٣٨؛ أعمال الأعلام ١٦٥ - ١٧٠؛ نفح الطيب ٣: ٥٣٤، ٤: ٢٢٣ - ٢٢٤، ٢٥٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٧؛ نيكل ١٥٣.

أبو مروان عبد الملك بن سراج

١ - هو أبو مروانَ عبدُ الملك بن سراج بن عبدالله بن محمد بن سراج، قيل إنه من ذرية سراج بن قُرّة من صحابة رسول الله فيكون بذلك عربي النسب، ولكنّ الأقرب إلى الصواب أنـه من موالي بني أمية في المشرق. ولعلّ الصحيح أن أصله من الأندلس وانه مولى المروانيين في الأندلس. ولا ريب في أن آل سراج كانوا ذوي شهرة ومكانة كما كانوا أهل بيت ذوي خير وفضل ومن مشاهير الموالي أيضاً.

ولد عبد الملك بن سراج في قرطبة في ثاني عَشَرَ ربيعٍ الأوّل من سنة ٤٠٠ (١٠٠٩/١١/٣ م). وتلقى العلم على أبيه (ت ٤٥٦ هـ) وعلى القاضي يونس بن عبد الله بن الصفّار (ت ٤٢٩ هـ) وابراهيم بن محمد الإفليلي (ت ٤٤١ هـ) وأبي مروان بن حيان المؤرخ (ت ٤٦٩ هـ) ومكي بن أبي طالب القيرواني.

وكانت وفاة عبد الملك بن سراج يوم الخميس ليلة عَرَفَةَ (في ثامن ذي الحجّة) من سنة ٤٨٩ ودفن يوم عرفة (تاسع ذي الحجّة) أو ١٠٩٦/١١/٢٩ م، في مقبرة الرَبض من قرطبة.

٢ -كان أبو مروانَ عبدُ الملكِ بنُ سِراجٍ إماماً في اللغة غيرَ مُدافَعٍ وعالماً بعددٍ من الفنون من معاني القرآن ومعاني الحديث وغريب اللغة والنحو والأنساب والأيام (المعارك) كما كان حريصاً على إسناد الأخبار في ذلك إلى العلماء والرواة كثيرَ الاستشهاد بآيات القرآن الكريم. وكذلك كان له نظم عاديّ منه مديح وعتاب وفخر ونسيب.

---

(١) رثائي كان أقلّ مّما يجب عليّ. يكنّ: يضمر يكتم، يخفي.

٣ - مختارات من آثاره

- جاء عبد الملك بن محمد بن جَهْوَرٍ - وهو ابن أبي الوليد محمد بن جهور صاحب قرطبة (٤٣٥ - ٤٥٠ هـ) - لزيارة ابن سراج، ولم يكن ابن سراج يزوره ثم عاتبه في ذلك. فقال له عبد الملك بن سراج:

أعزّك الله. أنت إذا زُرتَني قال الناس: أمير زار عالِماً تعظيماً للعلم واقتباساً منه. وأنا إذا زُرتُك قالوا: عالِمٌ زارَ أميراً للطمع في دنياه والرَغبة في رِفْده ولا يصون علمه.

- قال أبو مروان عبد الملك بن سِراجٍ يمدح المظفر بن جهور ويعاتبه على قِلة العناية به:

أمّا هواكَ ففي أعزِّ مكانِ ... كم صارمٍ من دونه وسِنانِ[1]!
وبنو حروبٍ لم تزلْ تغذوهمُ ... حتى الفِطامِ ثُديُّها بِلِبانِ[2].
في كلِّ أرضٍ يَضرِبون قِبابَهم، ... لا يُمنعون تخيُّرَ الأوطانِ.
ولقد سَرَيْتُ وما صَحِبْتُ على السُرى ... غيرَ النجوم إرادةَ الكِتمانِ[3].
في ليلةٍ نظرتْ إليّ نجومُها؛ ... ومُقَحِّمُ الغَمَراتِ غيرُ جبانِ[4]
قالت فتاتُهمُ وقد نبَّهتُها ... والليلُ مُلقي كلكلٍ وجِرانِ:[5]
كيف اجترأتَ على تجاوُزِ من ترى ... من نائمٍ حولي ومن يقظانِ؟
فأجبتُها إن ابن جهورٍ الرضا ... منع المخاوف أن تَحِلّ جَناني.
أتعود دلوي من بحور سَماحِكم ... صِفراً وليست رَثّةَ الأشطانِ[6]،

---

(١) صارم: سيف. سنان: رمح.

(٢) الثديّ (بضمّ فكسر فتشديد) جمع ثدي (بفتح فسكون): العضو الذي يرضع منه الطفل من أمّه. اللبان (بكسر اللام): الرضاع (بالكسر أو الفتح) تناول اللبن من الثدي.

(٣) سرى: سار ليلاً.

(٤) - انّ الذي يسير وحده في الليل لا يكون جباناً.

(٥) الكلكل: الصدر. الجران: باطن عنق البعير (الليل في أواسطه شديد الظلام).

(٦) السماح: الكرم. الشطن (بفتح ففتح): الحبل الطويل (يسحب بوساطته الماء من البئر).

ويكون رَبْعـي مُسْتَبِينـاً جَدْبُـه   حـتى أهيمَ بنجعة البلـدان[1] ؟
قِسْني بمن ينـأى برفـع مكانـهِ   بنَديِّكَ العالي وخفض مكاني[2] .
أمِنَ السَّوِيَّــةِ ان يَحِلّوا بالربي   من أرضه وأَحِلُّ بالغيطان[3] ؟
إن تُرخِصوا خطَري فكم مُغْلٍ له   يستـام فيـه بأرفـع الأثمان[4] .

٤ - ★★ قلائد العقيان ٢١٧ - ٢١٨ ؛ الصلة ٣٤٦ - ٣٤٧ ؛ بغية الملتمس ٣٦٧ - ٣٦٨ ؛ المغرب ١ : ١١٥ - ١١٦ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٢٠٧ - ٢٠٨ ؛ الذخيرة ١ : ٨٠٨ - ٨١٤ ؛ الخريدة (الاندلس) ٤ : ٥٠١ - ٥٠٣ ؛ الديباج المذهب ١٥٧ ؛ نفح الطيب ٤ : ١٦٢ - ١٦٣ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٩٢ - ٣٩٣ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٣٠٤ (١٥٩).

أبو الوليد الوقّشيّ

١ - هو أبو الوليدِ هِشامُ بنُ أحمدَ بنِ هشامِ بنِ خالدِ بنِ سعيدٍ الكِنانيُّ المعروفُ بالوَقّشيّ نسبةً إلى وَقَّشَ (على مقرُبَةٍ من طُليطلة)، وفيها كان مولدُه سَنَة ٤٠٨ (١٠١٧ م).

تلقّى الوقّشيُّ العلمَ على أبي عمرَ عُثمانَ بنِ أبي بكرٍ السفاقسي (ت ٤٤٠ هـ) وأبي عُمرَ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ الحذاء (ت ٤٦٧ هـ) وأبي عمرَ الطَلَمَنكي وغيرِهم. وتولى الوقّشيُّ القضاءَ في طَلَبيرَة من أعمالِ طُليطُلة. وفي أواخرِ أيامِه سكَنَ بَلَنْسِيَةَ مُدّةً يسيرةً ثمّ غادرها، سَنَةَ ٤٨٧ لمّا استولى عليها النصارى، وانتقلَ إلى دانيةَ وفيها كانتْ وفاتُه في السابع والعشرين من جُمادى الثانيةِ من سَنَة ٤٨٩ (٢٠/ ٦/ ١٠٩٦ م).

٢ - كان أبو الوليد الوقّشيُّ دَمِث الأخلاقِ حَسَنَ المُعاشرة واسعَ المعرفة بفنون

---

(١) ...حتّى اضطرّ (بالبناء للمجهول) إلى أن أهيم (أسير على وجهي من غير مقصد معروف) بنجعة (بالذهاب الى أماكن بعيدة).....

(٢) ينأى : يبعد (هنا: ينأى بجانبه: ينفر ويتكبّر - لأنّه رفيع المكان في بلاطكم). النديّ: مجتمع القوم.

(٣) الغيط (بالفتح) المكان الكثير الماء (ويكون منخفضاً). المقصود (هنا): انخفاض المنزلة.

(٤) - ان جعلتم أنتم قيمتي عندكم قليلة، فهنالك كثيرون يساومون (على تركَكم ويدفعون) أعلى الأثمان.

العلم والأدب عالماً باللغة والنحو والأدب ومعاني الشعر حافظاً للحديث بارعاً في الفقه وفي الفرائض (تقسيم الإرث) قديراً في المنطق والفلسفة ومُحَقّقاً لعلم الحساب والهندسة والموسيقى. ثمّ هو أديبٌ بليغٌ وشاعرٌ مُجيدٌ يحومُ على المعاني ويسوقُها في التراكيب السهلة. وكانت له قصيدةٌ في رِثاء بَلَنْسِيَةَ لمّا استولى عليها الإسبانُ ولكن يبدو أنّها لم تَصِلْ إلينا. والوقَّشيُّ هذا مُصَنِّفٌ له: نُكَتُ الكاملِ للمُبرِّدِ - المُنتخبُ من غريبِ كلامِ العرب - مختصرٌ في الفقه.

٣ - مختارات من شعره

- لأبي الوليد الوقشي عدد من المقطعات، منها:

★ قد بَيّنَتْ فيه الطبيعةُ أنّها ... بدقيقِ أعمالِ المهندسِ ماهرهْ:
عُنِيَتْ بَمبْسِمِه فخطّتْ فوقَه ... بالمِسك خطّاً من مُحيط الدائره[١].

★ لا أركَبُ البحرَ ولو أنني ... ضربتُ فيه بالعَصا فانفلقْ[٢].
ما إنْ رأَتْ عَيْنايَ أمواجَه ... في فِرَقٍ إلاّ تَناهى الفَرَقْ[٣].

★ برّحَ بي أن علومَ الورى ... اثنانِ ما إنْ فيها من مزيدْ:
حقيقةٌ يُعْجِزُ تحصيلُها، ... وباطلٌ تحصيلُهُ لا يُفيدْ.

★ عجباً للمُدامِ ماذا استعارتْ ... من سجايا مُعَذّبي وصِفاتِهْ:
طيبَ أنفاسِه وطعْمَ ثنايا ... ه وسُكْرَ العقولِ من لَحَظاتِهْ،
وسَنا وجهِهِ وتوريدَ خدّيْـ ... ـهِ ولُطْفَ الديباجِ من بَشَراتِه[٤]؛
والتداوي منها بها كالتداوي ... برِضا من هَوِيتُ مِنْ سَطَواته[٥].
وَهْيَ مِنْ بعدِ ذا عليَّ حرامٌ ... مِثْلَ تَحْريمِهِ جنى رَشَفاته.

---

(١) يصف شاربي ذلك الشاب وأنها منحنيان فوق شفتيه انحناء مستوياً لا تعرّج فيه.

(٢) موسى ضرب البحر بالعصا فانفلق البحر وظهرت أرضه فقطع موسى وبنو اسرائيل من مصر إلى سيناء.

(٣) الفرق (بكسر فسكون): الموجة العالية. الفرق (بفتح ففتح): الخوف. تنامى: بلغ نهايته (في الحجم، في المقدار، الخ)، أصبح عظيماً جداً.

(٤) البشرة (بفتح ففتح): ظاهر الجلد.

(٥) التركيب هنا معقد (المقصود: صفاته الجميلة تمرض المحبّ والتمتّع به يشفي المحبّ من مرضه).

٤ - ★★ الصلة ٢١٧ - ٢١٨؛ بغية الملتمس ٤٧٠ (رقم ١٤٢٦)؛ الخريدة (المغرب) ٢: ١٨٩ - ١٩١؛ الخريدة (الأندلس) ٤: ٥٥ - ٥٧؛ المطرب ٢٢٣ وما بعد؛ معجم الأدباء ١٩: ٢٨٦ - ٢٨٧؛ بغية الوعاة ٤٠٩؛ نفح الطيب ٣: ٣٧٦ - ٣٧٧، ٤: ٩٠، ١٣٧ - ١٣٨، ١٦٢ - ١٦٣، ٣٠٦؛ بروكلمن ١: ٤٧٩، الملحق ١: ٦٦٢؛ نيكل ٣٠٨ - ٣٠٩، مختارات نيكل ١٨١ - ١٨٢؛ الأعلام للزركلي ٩: ٨٠ - ٨١ (٨: ٨٤).

ابن البين البطليوسيّ

١ - هو أبو عبد الله محمد بنُ البَيْنِ البَطَلْيَوْسيُّ، من شعراء المِائَة الخامسة (المغرب ١: ٣٧٠)، كان يعيش في مدينة بَطَلْيَوْسَ معاصراً لابن صارةَ (ت ٥١٧ هـ). ولعلّ وفاتَه كانت نحو سَنَة ٤٩٠ (١٠٩٧ م).

٢ - ابن البَيْنِ البَطَلْيَوْسِيُّ أحدُ الشعراء المُجيدين مُسْتَظْرَفُ الألفاظِ والمعاني يميل إلى طريقة ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) مشغوفاً بها. وقد بَرَعَ في المدح والغزل والنسيبِ والوصف.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابنُ البَيْنِ البَطَلْيَوْسِيُّ في الغزل والنسيب:

غَصَبوا الصباحَ فقسّموه خُدوداً   واسْتَوْهَبوا قُضُبَ الأراكِ قُدودا[1].
ورَأَوْا حَصى الياقوتِ دُونَ مَحَلِّهِم   فاسْتَبْدَلوا منه النجومَ عُقودا[2]،
واسْتَوْدَعوا حَدَقَ المَها أجْفانَهم   فَسَبَوْا بِهِنّ ضراغماً وأُسودا[3].
لم يَكْفِ أن سَلَبوا الأسِنَّةَ والظُبى   حتّى اسْتعانوا أعْيُناً ونُهودا[4].
وتضافروا بضفائرٍ أبْدَوْا لنا   ضَوْءَ النهارِ بلَوْنِها معقودا[5].

---

(١) الأراك: شجر تتخذ من أغصانه المساويك.

(٢) الياقوت (مأخوذ من الارض) والنجوم (في السماء).

(٣) المهاة: بقرة الوحش (نوع من الغزلان له عيون واسعة). الضرغام (الاسد).

(٤) السنان (الرمح) الظبة (بضم ففتح): حدّ السيف... حتى استعانوا بالعيون وبالنهود (على قتل المحبّين).

(٥) تضافروا: اجتمعوا وتعاونوا.

– اجتمعَ ابن البَيْنِ البَطَلْيَوْسيُّ بابن صارة الشَنْتريني فقال له ابنُ صارةَ: أجزْ:

هذي البسيطةُ كاعِبٌ أَبْرادُها حُلَلُ الربيعِ وحَلْيُها الأزهارُ(١).

فقال ابنُ البين:

وكأنّ هذا الجوَّ فيها عاشقٌ قد شَفّه التعذيبُ والإضرار(٢).
فإذا شكا فالبرقُ قلبٌ خافقٌ، وإذا بكى فدُموعه الأمطار.
من أجلِ ذِلّةِ ذا وعِزّةِ هذه تبكي السماءُ ويضحَكُ النّوارْ(٣).

٤ – ★★ الذخيرة ٢: ٧٩٩ – ٨٠٣؛ المغرب ١: ٣٧٠؛ رايات المبرّزين ٣١ (؟)؛ الخريدة (المغرب) ١: ١٨٥ – ١٨٦؛ المحمدون من الشعراء ١٩٧ – ١٩٨؛ نفح الطيب ٣: ٤٥٣، راجع ٤٠٣.

لبّون بن عبد العزيز

١ – هو ذو الوزارتين أبو عيسى لَبّونُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ لَبّونَ، وَزَرَ في طُليطلةَ للمأمونِ بنِ ذي النون (٤٢٩ – ٤٦٧ هـ) ثمّ لأخيه وخَلَفِه يحيى القادرِ (٤٦٧ – ٤٧٨ هـ). ثمّ استولى الإسبان على طليطلةَ (٤٧٨ هـ) فانتقل لبّونُ إلى بلنسية وتولى فيها القضاءَ، في أيامِ صاحبها الأمير المنصور أبي بكرِ بنِ عبدِ العزيز (٤٦٨ – ٤٧٨ هـ). ثمّ إن يحيى القادرَ (صاحب طليطلة) استولى على بلنسية، في حديثٍ طويلٍ، في أواخرِ سَنَة ٤٧٨ نفسِها.

ويبدو أن لبّون قد فضل ولايةَ البلدان على القضاء فأصبح قائداً (والياً) على قلعة عبدِ السلام قرْبَ وادي الحجارة (أعمال الأعلام ٢٠٩)، إلى الشمال الشرقي من مدريد. ثمّ إنّه استبد بحكم مُرْبَيْطَرَ (من أعمال بلنسية)، شمالَ بلنسية وعلى الساحل.

---

(١) الكاعب: الفتاة في أول صباها (حينما يبدأ نهداها بالبروز). البسيطة (الأرض) ابرادها (البرد بالضم: ثوب من حرير). الحلة (بالضم): الثوب النفيس. الحلي (بفتح فسكون) الحلى (بضم ففتح): ما تزين به المرأة عنقها ويديها من الذهب وغيره.

(٢) شفّ المرض المريض (أنحله وهزله): جعله نحيلاً وهزيلاً.

(٣) النوار: الزهر الأبيض.

ولكن عبدَ الملك بن هُذيل أميرَ السهلةِ (٤٣٦ - ٤٩٦ هـ) خدعه وأخذ مُربيطر منه على أن يُعوِّضَه منها بلداً آخرَ. ولكن عبدَ الملك لم يَفِ للبونَ بذلك. ولم يكن لبّون ميّالاً إلى الكفاح فانتقل إلى شَنتمريّةَ الشرقِ (شرق مدريد) ليعيشَ في دَعَةٍ.

ولعل حياةَ لبون قد امتدت إلى نحو سَنَةِ ٤٩٠ (١٠٩٧ م) أو إلى ما بعدها بقليل. وقيلَ إن وفاته كانت في شَنتمريةَ الشرقِ، وقيل: بل في سَرَقُسْطة.

٢ - كان أبو عيسى لبونُ بنُ عبدِ العزيز أديباً ناثراً شاعراً. وفنونُ شعره الوصفُ (للخمر والزهر في الأكثر) ثمّ الزُهد والرثاء.

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو عيسى بن لبون بعد أن لَحِقَ بابن رزينٍ واستقل ما كان يأخذه منه (على تخلّيه له عن مُرْبَيْطَر):

ذَروني أجُبْ شرقَ البلاد وغربَها ... لأشْفِيَ نفسي أو أموتَ بدائي[1].
فلستُ ككلبِ السوءِ يُرضيه مَرْبَضٌ ... وعَظْمٌ، ولكنّي عُقاب سماء
تحومُ لكيما يُدْرِكُ الخِصبَ حَوْمُها ... أمامَ أمامٍ أو وراءَ وراء*.
وكنتُ إذا ما بلدةٌ لي تنكّرتْ ... شَدَدتُ إلى أُخرى مَطِيَّ إبائي[2]؛
وسِرتُ ولا ألْوي على مُتَعَذِّرٍ ... وصَمّمتُ لا أُصْغي إلى النُصحاء[3]
كشمسٍ تبدّتْ للعيونِ بمشرقٍ ... صباحاً، وفي غربٍ أصيلَ مساءِ[4].

- وقال أيضاً يَكْشِفُ عن الخِدعة التي وَقَع فيها بتخلّيه عمّا كان يَمْلِكُ من البلدان:

---

(١) ذرني: دعني، اتركني. جاب الأرض: طاف فيها.

* في بعض المصادر «أمام أمامي» وما اخترناه أصح. ولعل المقصود ما قصده ابو فراس «لنا الصدر دون العالمين او القبر».

(٢) المطية: الدابة يركبها الإنسان في أسفاره. شدّ المطية: أعدّها للسفر.

(٣) المتعذر: الذي ينتحل الأعذار لنفسه ليبرر أخطاءه. ألوي: ألتفت (أخاصم). صمم الرجل (مضى في رأيه لا يبالي بلوم الآخرين).

(٤) الأصيل (الوقت قبيل غروب الشمس).

خليليَّ، ما بالي على صِدْقِ عَزْمتي أرى مِنْ زماني وَنْيَةً وتَعَذُّرا[1]!
فوالله، مـــا أدْري لأيٍّ جريمـــةٍ تَجَنّـى ولا عن أيِّ ذنبٍ تغيّرا[2]؟
ولم أكُ عن كسبِ المكارمِ عاجزاً ولا كنتُ في نَيْلٍ أُنيلُ مُقَصِّرا[3].
لَئِنْ شانَ تمزيقُ الزمانِ لِدَوْلتي، لقد ردَّ عن جهلٍ كثيرٍ وبَصّرا[4]؛
وأيْقَظَ من ليلِ الغَرارة نائماً وكَسَّبَ عِلْماً بالزمان وبالوَرى[5]!

- وقال يصف الخمر:

يـــا رُبَّ ليلٍ شَرِبْنا فيه صافيةً حمراءَ في لَوْنِها تَنْفي التباريحا[6].
ترى الفراشَ على الأكواسِ ساقطـةً كأنّما أبْصرتْ منها مصابيحا[7].

- وله في العِتاب:

لحـا اللهُ قلـبي كم يَحِنُّ إلَيْكُمُ، وقدْ بِعْتُمُ حظّي وضاعَ لَدَيْكُمُ[8].
إذا نحن أنْصفناكُمُ من نفوسِنا، ولم تُنْصفونـــا، فالسلامُ عليكُمُ!

٤ - ** قلائد العقيان ١١١ - ١١٥؛ الذخيرة ٣: ١٠٤ - ١٠٨؛ أزهار الرياض ٣: ١٢٠ - ١٢٣؛ المغرب ٢: ٣٧٦ - ٣٧٧؛ خريدة (المغرب) ٢: ٣٧٥ - ٣٨٠؛ الخريدة (الأندلس) ٤: ٣٣٢ - ٣٣٦؛ الحلة السيراء ٢: ١٦٧ - ١٧١؛ أعمال الأعلام ٢٠٩؛ جيش التوشيح ١٥٨ - ١٦٩ (راجع ٢٦٢ - ٢٦٥)؛ نفح الطيب راجع ١: ٦٧٢ - ٦٧٣، ٣: ٥٩٧، ٤: ٣١٤؛ نيكل ٢٠٢ - ٢٠٤.

عبد الملك بن رزين

١ - هو ذو الرئاستين حُسامُ الدين أبو مروانَ عبدُ الملكِ بنُ هُذيلِ بنِ عبدِ الملك

(١) الونية: التعب، الضعف. التعذر: العسر، المشقة.
(٢) تجنّى (زماني علي): اتهمني بالذنوب والتقصير (بغير حق). ولا عن أي ذنب (ارتكبته أنا).
(٣) النيل: العطاء. أنيله: أعطيه (كرما مني).
(٤) شان: عاب.
(٥) الغرارة (بالفتح): الغفلة، حداثة السن.
(٦) التباريح: الشدائد (الخمر تنسي الإنسان ما يحيط به من المشكلات أو كذلك يزعُمون).
(٧) الأكواس (يقصد بها الشاعر هنا جمع كأس) وليس هذا في القاموس ولا في تاج العروس.
(٨) لحا: لعن.

ابنِ خَلَفِ بن لُبٍّ بنِ رَزينٍ، قيل إنّ أصلَ أهله عربٌ من هَوّارةَ، وقيل من بَرابرةِ الثغْر (شَمالِيّ الأندلس)، والاسم «لُبٌّ» في أعلى نَسَبه اسمٌ إسباني مشهور.

وُلِدَ عبدُ الملك بن رَزينٍ نحوَ سَنَةِ ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م). ويبدو أن مجيئه إلى الحكم باكراً (في العِشرين من عُمُرِه) حالَ بينَه وبين التثقيف المُنظَّم. وكان مُلكُ آلِ رَزين في السَهْلة من كورة شَنْتَبريةَ ما بين سَرَقُسْطةَ ووادي الحِجارة (أو شنتمريّة الشرق) على مقرُبَةٍ من مجريط (مدريد) شرقاً في شَمال. وهي كورةٌ كثيرةُ الخِصْب كثيرة التضاريس (الجِبال والأودية) وكثيرة المعاقل.

وفي سَنَةِ ٤٩٣ جرَتْ عليه مؤامرة، فإنّ جماعة من أتباعِهِ وأهلِهِ فيهم ابنه وصِهْره خبطوه بالسيوف فأكثروا فيه الجِراحَ ولكنّه سَلِم. وقد عاقَبَهم عِقاباً شديداً بالتعذيب والقتل، غيرَ أنّه أمرَ بابنِهِ أن تُقْطَعَ رِجله ويُترَكَ. ودامَ ملكه سِتينَ سَنَةً أو تَزيدُ.

وكانت وفاةُ عبدِ الملك بن رَزينٍ في تاسعِ شَعبانَ من سَنَةِ ٤٩٦ (١١٠٣ م).

٢ - يَحمِلِ ابنُ عِذاري على عبدِ الملك بنِ رَزينٍ حملةً شديدة (٣ : ٣٠٩) فيقول فيه نقلاً عن ابنِ حَيّانَ: سيّئةُ الدهر وعارُ العصر جاهلٌ خاملٌ قليلُ النباهة شديدُ الإعجاب بنفسه طويل الدعوى بما ليس فيه، قليلُ العلم. ولكن لا شكّ في أنّه كان حَسَنَ المعاملة لجُنده ولكنْ قليلَ العطاء للشعراء (ولعلّ النِقمَةَ عليه جاءتْ من هنا). ثمّ إنّه كان فَظّاً قاسياً في العِقاب قليل الاهتمام في السِياسة والمُلك إلاّ بأمر نفسِه ومُلكه. من أجلِ ذلك لم يختلفْ من سائرِ ملوكِ الطوائفِ الذين كانوا يستعينون بمُلوكِ النصارى على ملوك المسلمين، فقدِ اشترك مَعَ السيد القمبياطور، سَنَةَ ٤٨٧ هـ، في حِصار بَلَنْسِية.

وكان لعبد الملك بن رَزينٍ أدبٌ من نَثْرٍ ونظْم، إلاّ أنّ أدبَه كان عاديّاً. ومن أغراضِهِ الفخرُ والوصف والخمر والأدب (الحكمة) والغزل والنسيب والهجاء.

٣ - مختارات من آثاره

- من رسالة إخوانية كتب بها إلى أبي عبد الرحمن بن طاهر يطلُبُ منه الوفودَ عليه بعدَ أن بلغه ما حلّ به من طرده من ملكه:

أنت - أدامَ الله عِزَّك - عالمٌ بالزمانِ وانقلابهِ، عارفٌ بإعارتهِ واستلابهِ. ومَنْ عَرَفَه حقَّ معرفتهِ لم تَزِدْهُ شِدّتُه إلاّ مُعْتَبَراً وشُكراً لله وتدبُّراً. وما زِلتُ ألقاكَ بالوُدّ على البُعْد، فأعْلَمُك بتقدُّمِك في الأعيان وإنْ لم أرَكَ بالعِيان[1]. وأستخبرُ الأخبار فأسمعُ ما يَقْرَعُ صَفاةَ الكَبِد بإنحاء الزمان[2] عليك وتنكُّرِه لديك... وأنا - أعزّكَ اللهُ - أَعْرِضُ ما هو الأوفقُ لي والأليق بي، عن عَزْمةٍ مَكينة ورَغْبة أكيدة: مِنَ الانتقالِ إلى جِهتي والانبساط في دولتي، فأقاسِمُك خاصَّ ضِياعي ومَعلومَ أملاكي وان شَقّ عليكَ الكَوْنُ بجِهتي لبَرْدِ هوائِها وبُعْد أنحائها، فها هي شنت مريّة أَقِفُ طاعتها عليك وأصْرِفُ أمرَها إليك[3]. وعندي من العَوْن على الارتحال ما يَقْتَضيه لك في الحال. ولك الفضلُ في مُراجعتي بما يستقِرّ عليه رأيُك...

- ولعبد الملك بن رَزين يَصف روضاً:

ورَوْضٍ كساه الطَلُّ وشْياً مُجدَّدا ... فأضحى مُقيما للنفوسِ ومُقْعِدا[4].

إذا صافحَتْه الريحُ ظلّتْ غُصونُه ... رواقصَ في خُضْرٍ من العَصْبِ مُيَّدا[5].

إذا ما انسِكابَ الماءِ عايَنْتَ خِلْتَه ... - وقد كسّرَتْه راحةُ الريحِ - مِبْردا.

وان سكنَتْ عنه حَسِبْتَ صفاءه ... حُساماً صقيلاً صافِيَ المَتْن جُرِّدا.

وغنّتْ به وُرْقُ الحمائمِ حولَنا ... غناءً يُنَسِّينا الغَريضَ ومَعْبَدا[6].

فلا تجْفُوَنَّ الدهرَ ما دام مُسْعِداً، ... ومُدّ إلى ما قد حَباكَ به يدا[7].

وخُذْها مُداماً من غَزالٍ كأنّه، ... إذا ما سعى، بدرٌ تحمّلَ فَرْقدا[8].

---

(١) بالعيان: برؤية العينين.

(٢) يقرع: يدقّ، يضرب. صفاة (صخرة) القلب. - يحزن النفس. انحى الزمان على الإنسان انحاء: مال على (شيء بشدة أو ظلم).

(٣) أصرف أمرها إليك: أجعل لك الحكم عليها (أجعلك حاكماً عليها).

(٤) الطلّ: الماء الذي ينعقد من بخار الماء في الليل على الأشجار. الوشي: النقش (بالألوان والتزيين). المقيم المقعد (في الأصل): الهمّ الشديد. المقصود هنا: كثير الطرب.

(٥) العصب: نوع من الثياب الحريرية. مائد (يتمايل).

(٦) الغريض ومعبد مغنيان من العصر الأموي أولهما يجيد الغناء الحزين.

(٧) مسعد: مساعد، نافع. حبا: أعطى.

(٨) الفرقد نجم معيّن. وهنا: نجم.

– وأخذ عبدُ الملك بن رزينٍ شَطْرَ المُتنبّي « فلا مَجْدَ في الدنيا لِمَنْ قلّ مالُه » وحلّه حلاًّ لطيفاً في الأبيات التالية:

من كَثّرَ الجُنــد يرى سَعْـدَهُ يصعَدُ حتّـى ينتهي حـدَّه[١].
ومـن أذلّ المـالَ عزّتْ بـه أيّامُـه أو نَصرَتْ جُنـدَه[٢].
فاهدُمْ بناء البُخل وارفض به. من هدّمَ البُخـلَ بنـى مجدَه[٣].
لا عــاش إلاّ جائعـاً نائعـاً مَنْ عاش في أموالـه وحدَه[٤].

– وفي الذخيرة (٣ : ١١٦): « ومن غريب شعرِ ابنِ رَزينٍ قولُه » (في الهجاء):

أخْسِسْ بمجلسِ مَعْشَرٍ ما فيه إلاّ الطنزُ بِرُّ[٥].
جُلَساؤه قــومٌ ثِقـــال كلُّهم خُبْثٌ وشرّ.
مـا فِيهِـمُ إلاّ دَنـيٌّ أو غَـبيٌّ أو مُـضِـرّ.
أُسْـدٌ عـلى ثَلْبِ الكِـرام ، وإنْ وَزَنْـتَهُـمُ فـذَرّ[٦].
هــذا يَغـوثٌ، بــل أضَلُ، وذا يَعوقُ، وذاك نَسْر[٧].
ذاك المَحَــلّ كــواد عَــوْفٍ ليس يُلقـى فيـه حُرّ[٨].

– وقال بين الفخر والنسيب:

دعِ الدمعَ يُفْنِ الجَفْنَ ليلةَ ودّعوا. إذا انقلبوا بالقَلْب ،لا كان مدمعُ[٩].

---

(١) حدّه (في الأصل أيضاً) منصوبة، ولا أدري وجه ذلك.

(٢) في الأصل: انصرفت جنده (والتصحيح من الحلة السيراء ٢ : ١١١).

(٣) رفض (بفتح الفاء) يرفض (بكسر الفاء أو ضمّها): ترك الشيء. « به » لا حاجة إليها.

(٤) النائع: العطشان، والذي يتمايل من شدة الجوع (يمكن أن تكون اتباع « جائع »).

(٥) اخسس = ما أخسّه: ما أقلّه وأتفهه وأحقره. الطنز: الهزؤ والاستخفاف.

(٦) الثلب: السبّ والشتم. الذرّ: صغار النمل.

(٧) يغوث ويعوق ونسر من الأصنام (كانت في الجاهلية).

(٨) تضمين للمثل « لا حرّ بوادي عوف » (الذخيرة ٣ : ١١٦ ، الحاشية الخامسة). راجع هذا المثل وقصته في فرائد اللآلي ١ : ١٩٩ – ٢٠٠ . يلقى (كذا في الأصل): يوجد (ولعل الأفصح: يلفي بالفاء ، وهما بمعنى).

(٩) أكثر من البكاء . إذا انقلبوا بالقلب (إذا ارتحلوا وأخذوا قلبك معهم، لأنك تحبّهم) فلا كان مدمع (لم يبق بعدهم حاجة إلى البكاء أو الحزن على شيء).

سَرَوْا كاغتداء الطيرِ، لا الصبرُ بعدَهم جميـلٌ ولا طولُ الندامة ينفع(1).
أَضيقُ بحملِ الفادحاتِ من النَوى، وصدري من الأرض البسيطة أوسع(2)
وان كُنتُ خَلاّعَ العِذار، فإنّني لَبِسْتُ من العلياء ما ليس يُخلَـع(3).
إذا سَلّتِ الألحاظُ سيْفاً خَشِيتُه، وفي الحرب لا أخشى ولا أتوقّع(4).

- وقال في الغزل والنسيب:

بـالله، إن لـم تَـزْدجِـرْ، يـا مُشْبِـهَ البـدرِ المنـيرْ،
لأُسَـرِّحَـنّ نـواظـري فـي ذلـك الخَـدّ النَضـير،
ولآكُلَنّـك بالمُنـى ولأشربَنّـك بالضمـير.

٤ - ★★ قلائد العقيان ٥٨-٦٤؛ الذخيرة ٣: ١٠٩ - ١٢٤؛ الحلّة السيراء ٢: ١٠٨ - ١١٥؛ المغرب ٢: ٤٢٨ - ٤٣٠؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٢؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٣٦٠ - ٣٦٣؛ البيـان المغرب ٣: ١٨١ - ١٨٢، ٣٠٩ - ٣١٠؛ المطرب ٣٩ - ٤١؛ أعمال الأعلام ٢٠٥ - ٢٠٧؛ نفح الطيب ٣: ٢٤٦ - ٢٤٧، ٤٠٧، ٤٣٢ - ٤٣٣، ٥٦٧ - ٥٦٨؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٤ (١٦٥ - ١٦٦).

ابن الودّاني

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي إسحاقَ إبراهيمَ ابن الودّاني، نسبةً إلى وَدّانَ وَهِيَ بلدة في إفريقيةَ (ليبيا اليوم). وكان ابنُ الودّاني من العرب الذين انتقلوا إلى جزيرةِ صِقِلِّيَةَ وسكنوها وأصبحَ لهم مكانةٌ فيها. ثمّ أصبح ابنُ الودّاني نفسُه فيها من أهلِ النَفاسة والرِئاسة وصارَ صاحبَ الديوانِ أو رئيسَ الكُتّاب.

وكان ابنُ الودّاني من أحياءِ القرنِ الخامسِ للهجرة (الحادي عَشَرَ للميلاد). وفي الخريدة (قسم المغرب ١: ٨٣) أن ابن الودّانيّ «كان في عهد ابنِ رشيقٍ و(كانت)

(١) سروا: سافروا ليلاً. اغتداء الطير: خروج الطيور من أوكارها صبحاً (باكراً جدًّا).
(٢) الفادح: الثقيل. الفادحة: النازلة، المصيبة. النوى: البعد، البعاد (الفراق).
(٣) خلاّع العذار (الرسن من الرقبة): أعمل الأشياء التي يستحيا منها في العادة.
(٤) إذا نظرت إليّ العيون الجميلة خفت منها. اتوقّع: انتظر (أو ينتظر مني) أن أخاف.

بينها مكاتبات ». وبما أن وفاةَ ابنِ رشيق كانتْ سَنَةَ ٤٥٦ (وفي رواية سنة ٤٦٣)، فلا يُنْتَظَرُ أن يكونَ قد عاش إلى ما بعدَ سَنَةِ ٤٩٠ (١٠٩٧ م).

٢ - وصل إلينا من آثار ابنِ الودّاني خمسةُ أبياتٍ من الشعر أحبّهُ الدارسون من أجل ثلاثةٍ منها. إنها أبياتٌ بارعةٌ في المعنى عَذْبةٌ في اللفظ سهلةٌ في الأَداء، وفيها كلِّها لفتةٌ من الابتكار في الاستعارة: « من يشتري منّي النجومَ - شيبٌ أطلّ على سَوادِ شبابي ».

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ الودّاني يَصِفُ ليلةً اجتمع فيها بأصحابٍ له يتحاورون في فُنونٍ من الأدب:

من يشتري مِنّي النجومَ بلَيْلــةٍ ... لا فرقَ بينَ نُجومِها وصِحابي[1].
دارتْ على فَلَكِ السماء، ونحن قد ... دُرْنا على فَلَكٍ من الآداب[2].
وأتى الصباحُ - فلا أتى - وكأنّه ... شَيْبٌ أطلّ على سوادِ شبابي.

- وقال في الشيب:

وبرُغْمي لَمّا أتاني مَشيبي ... قُلتُ: أهلاً بذا الضَحوكِ القَطوب[3].
ولَعَمْري ما كنتُ مِمّن يُحيِّيـ ... ـهِ، ولكنْ تَمَلُّقُ المغلوب.

٤ - ★★ الخريدة (المغرب) ١: ٨٢ - ٨٣؛ أعلام ليبيا ٢٠٤؛ أعلام من ليبيا (من طرابلس؟)، تأليف علي مصطفى المصراتي، طرابلس - ليبيا (مكتبة دار الفكر) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م، ص ٥٩ - ٧٤؛ المكتبة الصقلّية ١٣٣، ٥٩١.

---

(١) أنا أستغني عن نجوم الليل (عن الاستضاءة بها) لأن أصحابي مثل النجوم في الإضاءة والهداية.

(٢) نجوم الليل ثابتة في أفلاكها على الدوران مجتمعة. ونحن أيضاً ثابتون على الاجتماع بعامل الآداب (كأننا ندور في أفلاك ثابتة كالنجوم).

(٣) الضحوك (لأنه أبيض اللون). القطوب: العابس (لأنه يسيء إلى الإنسان بتذكير الإنسان بالعجز وبالموت).

ابن القزّاز محمّد بن عبادة

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عُبادَة المعروفُ بابنِ القزّاز - ويُكْنى أبا بكرٍ (أزهار الرياض ٢ : ٢٥٢). ويُشار إليه أحياناً باسم عُبادةَ القزّازِ (راجع الخريدة: المغرب والأندلس ٢ : ١٨٢؛ وفي نفح الطيب ٧ : ٦، نقلاً عن مقدّمة ابن خلدون، بيروت، المطبعة الأدبية، عام ١٩٠٠، ص ٤٨٥ ثمّ دار الكتاب اللبناني، عام ١٩٦١، ص ١١٣٨). وقد يَقَعُ الخلْطُ فيما يُنسَبُ إليه من الشعر بينه وبينَ عُبادَة بنِ ماء السماء. وقد وَقَعَ مثل هذا في هذا الكتاب، فقد أثبتُّ أنا (فوق، ص ٤٤٩ - ٤٥٠) المُوشّحة البارعةَ: «مَنْ وَلِي - في أمّةٍ - أمراً ولم يَعْدِلِ، يُعْزَل...» لِعبادةَ بنِ ماء السماء، استناداً إلى «فوات الوفيات» (١ : ٢٥٥ - ٢٥٦). ثمّ هي مُثْبَتَةٌ في «الوافي بالوفيات» (٣ : ١٨٩ - ١٩٠) لابنِ القزّازِ مُحمّدِ بنِ عُبادةَ صاحبِ هذه الترجمة.

ونحن لا نكادُ نَعْرِفُ من حياة ابنِ القزّازِ هذا شيئاً من التفاصيلِ المفيدة. إنّ ابنَ خاتمةَ (٧٧٠ هـ) ذكَرَ ابنَ القزّازِ في كِتابه «مَزيّة المَريّة» فقال: «مُحمّدُ بنُ عُبادةَ يُكْنى أبا بكرٍ ويُعْرَفُ بالقزّاز (لا بابنِ القزّاز)، وأحْسَبُهُ من أهلِ مالَقَةَ...» (أزهار الرياض ٢ : ٢٥٢).

وكانَ ابنُ القزّازِ محمّدُ بنُ عُبادةَ متّصلاً بالمعتمدِ بن عَبّادٍ. ولكنْ يبدو أنّ اتّصالَه بالمُعْتَصِمِ بن صُمادِحٍ وبابنِه وَوَليّ عهدِه كانتْ أوثقَ.

ولعلّ وفاةَ ابنِ القزّازِ كانتْ في سَنَةِ ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) أو بعدَ ذلك بقليل.

٢ - كان ابنُ القزّازِ محمّدُ بنُ عُبادةَ «من مشاهير الأدباء والشعراء. وأكثرُ ما اشتهرَ اسمهُ وحُفِظَ نَظْمه في أوزانِ الموشّحات» (الذخيرة ١ : ٨٠١). أمّا قصائدُه فليستْ بالمكانِ الذي يستحقّه، فيما يبدو، بمُوشّحاتِه. وفنونُ شعرِه المديحُ والغزل. وله هجاءٌ فيه إقذاعٌ ثم له وصف. وله أيضاً ترسُّلٌ فيه كثيرٌ من السُهولة برُغْمِ كَثْرةِ الصِناعة فيه.

٣- مختارات من آثاره

- من رسالةٍ كَتَبها محمّدُ بنُ عُبادةَ المعروفُ بابنِ القزّاز إلى أبي بكرٍ الخَوْلاني المنجّم (الذخيرة ١ : ٨٠٢):

إنْ لم تَتَقدَّمْ بينَنا مُخاطبةٌ ولا جرتْ مُكاتبةٌ، فقد عَلِمَ اللهُ تعالى أنّ ودادي لك محْضٌ لا يَشوبُه[١] كدَرٌ، وأنّ ثنائي عليك غضّ يتضَوَّعُ[٢] تضوُّعَ الزَهَر. فحالُ قدري[٣] لوصْفِكَ الجليلِ مُطرَّزةٌ بذكركَ الجميل، وتِيجانُه على مَفارقِ مَجْدِك الأثيلِ[٤] مُرَصّعةٌ بلآلئِ حَمْدِكَ الجزيل[٥]. وكنتُ عندَ حُلولكَ بالمَرِيّةِ قد باشرتُ من أفعالك السَنيّةِ وشَهِدتُ من مَحاضِرِك الحِسانِ ما يَكِلُّ عن وَصْفِه كُلُّ لِسانٍ. وما زِلْتُ مُنذُ غِبْتَ عنها - لا غابَ نجمُ سَعْدِك ولا أصلد واري زَنْدِك[٦] - أذكُرُ مآثِرَكَ[٧] وأنشُرُ مفاخِرَكَ وأبُثُّ ما عايَنْتُ من مناقِبِك، كالذي يَتَعَيَّنُ من واجِبِك أعانَ الله على أدائِه والقيامِ بأعبائه[٨]....

- وله من قصيدةٍ (الذخيرة ١ : ٨٠٤ = الوافي بالوفيات ٣ : ١٨٩)؛ وهي في استجداءٍ من الممدوح (من آلِ عبد الحميد؟) ظاهرٍ:

يا دَوْحَةً بظِلالِها أتفيّأُ، بـل مَعْقِـلاً آوي إليـه وألجَـأُ[٩]،
رَمِدَتْ جُفوني مذ حَلَلتُ هنا، ولو كُحِلَـتْ برُؤيتِكُمْ لكانَـتْ تَـبرأ.

---

(١) المحض: الخالص الذي لا يشوبه (لا يخالطه شيء آخر).

(٢) الغضّ (من النبات): الطريّ الناضر. تضوّع: انتشر (فاحت رائحته).

(٣) فحال قدري.. حلمي.....

(٤) الأثيل: الأصيل (الثابتة أصوله والمعروف بالشرف).

(٥) الجزيل: الكثير العظيم من كلّ شيء.

(٦) أصلد: أصبح صلداً (قاسياً). وواري زندك (الزند: حديدة تقدح بها النار من حجر النار. الواري: المشعل). وإذا أصلد الزند بطل تأثيره في الحجر فلا يخرج من الحجر ناراً.

(٧) المأثرة (بضمّ الثاء): العمل الكريم المتوارث أباً عن جدّ.

(٨) بثّ: نشر، أذاع. المنقبة (بفتح فسكون ففتح): العمل الكريم. يتعيّن عليّ (يجب عليّ). العبء: الحمل (الثقيل).

(٩) الدوحة: الشجرة الكبيرة. المعقل: الحصن الذي يحمي من فيه.

فَخُبِئْتُ عنك، وإنّما أنا جَوْهرٌ في طيّ أصدافِ الحوادثِ أُخْبَأُ[١].
يا من إذا انتسبَ البرايا للثّرى، فَلَهُ من الشمسِ المنيرةِ ضِئْضِئُ[٢].
لم أخترعْ فيك المديحَ، وإنّما مِنْ بَحْرِك الفيّاضِ هذا اللُؤلُؤُ.
أمّا بنو عبدِ الحميدِ فإنّهم زُهْرٌ، وأنتَ هِلالُها المُتلألِىءُ[٣].
فَخَرَ الزمانُ بنا لأنّك حاتمٌ في جوده، ولأنّني المُتَنبّىءُ[٤].

– وقال يمدَحُ المعتصمَ بنَ صُمادحٍ (نفح الطيب ٤ : ١٠٣):

نَفَى الحبُّ عن مُقْلَتَيَّ الكَرى كما قد نَفَى عن يَدَيَّ العَدَمْ[٥].
فقد قَرَّ حبُّكَ في خاطِري كما قرّ في راحَتَيْكَ الكَرَمْ.
وفرّ سلُوُّكَ عن فِكْرتي كما فَرّ عن عِرضِهِ كُلُّ ذَمّ.
فحُبّي ومَفْخَره باقيان لا يذْهبانِ بطُولِ القِدَمْ:
فأبقى لِيَ الحبُّ خالٌ وجَدٌّ، وأبقى له الفخرَ خالٌ وعَمّ[٦].

– ولابن القزّازِ محمّدِ بنِ عُبادةَ موشّحاتٌ منها الموشّحة التالية (المغرب ٢ : ١٣٦):

أذابَ الخَلَدْ نَهْدٌ مُنَهَّدْ
وغُصنٌ تأوّدْ في دِعصٍ مُلبّدْ
عن سقم مكمد[٧]
آه!

★ ★ ★

(١) الجوهر (اللؤلؤ) يكون عادة مخبوءاً في الصدف. – لمّا نزلت بي المصائب غبت عنك كيلا أحمّلك شيئاً من أثقالي (؟).

(٢) الثرى: التراب. الضئضىء: الأصل.

(٣) زهر (بالضمّ): نجوم. – كان القدماء يعتقدون أن القمر أكثر ضوءاً من النجوم.

(٤) حاتم (الطائي) كريم مشهور. والمتنبّي شاعر متكّسب.

(٥) الكرى: النوم. العدم: الفقر.

(٦) أنا ورثت حبّي لك عن خالي وجدّي. وأنت ورثت الفخر (المجد) عن خالك وعمّك (من أسرة أمّك وأسرة أبيك).

(٧) الخلد: البال، النفس. أذاب الخلد (شتّت بالي). نهد: ثدي. منهّد (عال). تأوّد: تمايل. الدعص: الجانب المستدير من الرمل (كناية عن ردفي المرأة). ملبّد: مكتز (؟). مكمد (اسم مفعول من أكمد وكمّد): يورث الغمّ والحزن.

فـــــدَعْ عَـــذْلي يــــا مَنْ يلومُ.
فَلَوْمُــــــــكَ لي في الحُـــــبِّ لُومُ.
أقصى أمَـــــــلي ظَبْيٌ رَخــــيمُ
ابتزّ الجَلَـــــــدْ بلحـــــظٍ مُرَقَّــدْ
ولِمّـــــةٍ عَسْجـــــدْ، قتلي قدْ تعَمّدْ،
دَمي تَقَلّدْ[1]..
آه!

* * *

ولّمـــــا انـــــبرى لـلـعـامِــــــرِيّ
خَيــــــــالٌ سَرى فِــعْـــلَ الـــكَمِـــيّ
شَدَوْتُ الوَرى شَـــدْوَ الـشَجِـــيّ.
البـــــدرُ سَجَـــدْ والريم أسجَـــــدْ
لِنَعْــــلِ مُحمّـــدْ بالخـــــدِّ المُورَّدْ.
والجِيدِ الأَغْيَدْ[2].
تاه!

٤ - المغرب ٢ : ١٣٤ - ١٣٧ ؛ الذخيرة ١ : ٨٠١ - ٨٠٥ ؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ١٨٢ - ١٨٣ ، راجع ٣ : ٧٠٨ ؛ الترجمة المشار إليها في معجم الأدباء لياقوت

(١) العذل: اللوم. لوم = لؤم. ظبي: ولد الغزال أو الغزال. الرخيم: الليّن الصوت (صاحب الصوت المطرب). ابتزّ: سلب. الجلد: احتمال المشاق. مرقّد: ناعس. اللمّة: شعر الرأس المجاور للأذن (الشعر عموماً). عسجد: ذهب (أشقر). تقلّد (لبس) دمي (أنّ تورّد خدّيه من دمي المسفوك في حبّه).

(٢) انبرى: عرض، تصدّى. للعامري: قيس بن الملوح (مجنون ليلى) للمحبّ. سرى: سار ليلاً. الكمي: الشجاع التامّ عدة الحرب. شدوت (غنّيت) الورى (للورى: للناس كلّهم) شدو (لحن) الشجيّ (الحزين). البدر والريم (الغزال الأبيض (كناية عن المحبوب الجميل). سجد: خضع. أسجد: نظر بعين مسكورة (مطمئنّة). محمّد (هو الشعر: محمّد بن عبادة). الجيد: العنق. الأغيد: الناعم المتثنّي. الضمير في «تاه» يرجع إلى محمّد (؟).

١٩ : ١٠٥ (والصواب ١٨ : ١٠٥ وما بعد) هي لمحمّد بن جعفر القزّاز القيرواني المتوفّى سنة ٤١٢ للهجرة؛ قلائد العقيان (ستّة أبيات حائية في ترجمة المعتمد بن عبّاد)؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٤٢ - ٤٣؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٨٩ - ١٩٠؛ فوات الوفيات، راجع ١ : ٢٥٥ - ٢٥٦؛ نفح الطيب ٣ : ٤١١، ٤٩٢، ٦١٠، ٤ : ١٣، ١٠٣، ٧ : ٦؛ أزهار الرياض ٢ : ٢٥٢، ٢٥٤.

* * * * * * *

يقف هذا الجزء عند أصحاب التراجم الذين شهدوا عصر ملوك الطوائف أو جانباً منه. ويبدأ الجزء التالي بتراجم الذين شهدوا عصر المرابطين في الأندلس.

فهرس هجائي
لأعلام الأشخاص

لا يدخل في هذا الفهرس أسماء الأشخاص ممّا يَرِدُ في قسم المصادر والمراجع (القسم ٤) من كلّ ترجمة، ولا الأسماء التي ترد (عند الاستشهاد بمصدر أو مرجع، في المتن أو في الحاشية) إلاّ إذا كان صاحب هذا المصدر أو المرجع قد أبدى رأياً معيّناً أو قال قولاً صريحاً في بحثٍ ما. وكذلك لا تظهر في هذا الفهرس أسماء المؤلفين والمحرّرين والمحقّقين والناشرين للكتب الموجودة في ثبت المصادر والمراجع.

إذا كان للاسم صيغة مشهورة جدًّا، نحو: أبي بكر الصّدّيق، أبي تمّام، البحتري، ابن خلدون، فأنا أكتفي بإيراد هذه الصيغ المشهورة من غير إحالة عليها من: عبد الله بن أبي قحافة - حبيب بن أوس - الوليد بن عبيد - عبد الرحمن بن خلدون.

م = مكرّر، ح = في الحاشية، ح م = مكرّر في الحاشية فقط.
= (انظر الاسم الذي بعدها).

آ - أ

(١) النجوم تدلّ على أولاد المعتمد بن عبّاد (ت ٤٨٨ هـ). وكثيراً ما يقال في أشخاص أُسرة آل عبّاد: « فلان بن عبّاد » بقطع النظر عن اسم والده.

ت - ث

ج

ح

خ

د - ذ

س

ص – ض

ط

ع

غ

ف

ك

ل

ن

هـ

و

ي

١٩٨١/٢/١١

تاريخ الأدب العربي

الجزء الخامس

الأدب في المغرب والأندلس
عصر المرابطين والموحدين

تأليف

عمر فروخ

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو المجمع العلمي العراقي في بغداد
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

الطبعة الأولى

كانون الثاني (يناير) ١٩٨٢

تاريخ الأدب العربي

الكلمة الأولى

هــــذا هو الجزءُ الخامس «من تاريـــخ الأدب العربي»، وهو يُؤرِّخُ للأدب العربي في المَغرب (من قارّة إفريقيَةَ) وفي الأندلُس وصِقلِّيَةَ (من قارّة أوربّة). وقد رأى القارىء الكريم أنني في هذه السلسلة قد أرّخْتُ للأدب في المشرق ثمّ للمَغْرب، لا لأنّ الأدبَ المشرقيَّ منفصلٌ من الأدب المَغْربي، بل لأنّ هذا الفَصْلَ جعلَ مُعالجةَ الموضوع أيْسَرَ عليّ.

وهذا الجزءُ الخامس يبدأُ نحوَ سَنَةِ ٤٩٠ للهجرة (١٠٩٦ م) - قبل قيامِ البابوية بالحروبِ الصليبيةِ على المُسلمين والإسلامِ في الشَّرْق - ثمّ يَنْتهي نحوَ سَنَةِ ٦٣٩ للهجرة (١٢٤٠ م). وهذه المدّة عينُها تكادُ تنطَبِقُ انطباقاً تامًّا على المدّة التي حَكَمَ المرابطون والمُوَحِّدون في أثنائها في الأندلس.

إنّ كُلَّ تقسيمٍ للأحقابِ السياسيةِ خاصّةً (والاجتماعيةِ عامّةً) تقسيمٌ عُرْفِيٌّ، ولكنْ لا بُدَّ من ذلك، مِنَ الناحيةِ العمليّة. ثمّ يظَلُّ في هذا التقسيمِ ثَغَراتٌ لا حيلةَ للمؤلِّفِ في سدِّها. ويزيدُ في هذه الثَّغَراتِ في وقْتِنا هذا - وقتِ تَنْضِيدِ الحُروفِ بالحَسّاب (بتشديد السينِ) - فإنّ «صفّ الأحرُفِ» سريعٌ جِدًّا، فيُضْطَرُّ المؤلِّفُ إلى تصحيح مِئاتِ الصَّفَحات في الأزمنة القصيرة. ثمّ إذا وقع خطأٌ في الترتيب (من المؤلّف) أو في التنضيد (من العُمّال) فإنّ إصلاحَه أكثرُ صُعوبة مِمّا كان في عَهْدِ «الصف» بالحروف المُنْفردة، وخصوصاً في الكُتُب الكبيرة المَبْنِيّة على نظامٍ جامعٍ في التأليف.

وقد وَقَعَ في هذا الجزء أيضاً أشياءُ من الاضطراب أصْلَحْنا أوجُهاً منه ثم بَقِيَ أوجُهٌ يسيرةٌ جِدًّا لا تكاد تعترض سبيلَ القارىء إلاّ قليلاً. وكان من أُمْنِيَتي أنْ يتناولَ الإصلاح هذه أيضاً، ولكنّ الكمالَ في الأعمال الإنسانية مستحيلٌ.

وقد بَقِيَ من هذهِ السلسلة جُزْءٌ واحدٌ يبدأ بقيامِ بني نصرٍ أو بني الأحمر (في الأندلس) ثمّ ينتهي بمَجيء الأتراك العثمانيّين إلى المغرب (نحو سَنَـــــــةِ

٩٣٠ هـ = ١٥٢٣ م)، وربّما آمتدَّ ذلك الجزءُ السادسُ بِضعةَ عَشَرَ عاماً بحَسْبِ تراجمِ نَفَرٍ من الذين تَرْجَمْتُ لهم، وذلك بعدَ جيلٍ مِنَ الدهر (نحوَ ثلاثة وثلاثينَ عاماً) مِنْ سُقوطِ دولة بني نصرٍ (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م)، وخُروجِ العَرَبِ من الأندلس - في العام الذي حَمَلَتِ الريحُ فيه كولومبوسَ إلى العالمِ الجديد (قارّة أميركا) وهُوَ يظنّ أنّه وصَلَ إلى الهِند.

هذا الجزءُ السادس موجودٌ شِبْهَ تامٍّ. وحينما يَصِلُ هذا الجزءُ الخامسُ إلى يدِ القارىء أكونُ أنا قد دَفَعْتُ ذلك الجزءَ السادسَ إلى المطبعة أو على وَشْك أنْ أدفعَه إلى المطبعة، مرّةً واحدةً أو أقساماً مُتلاحِقَةً.

والحمدُ للهِ في كلِّ أمرٍ وفي كلّ حينٍ على ما أَقْدَرَ عليه، وهُوَ المُسْتعانُ في كلِّ عملٍ؛ وليس للإنسانِ إلاّ السَّعْيُ. وما الوصولُ على العاملين المُخلصين إلى تحقيقِ أشياءَ من آمالِهم - بعدَ عَوْنِ اللهِ - بعزيز.

في الثالث والعِشرين من شوّالٍ ١٤٠١، ع. ف.

٢٣ /٨ /١٩٨١

تاريخ الأدب العربي
الجزء الخامس

المرابطون في الأندلس: معركة الزلاقة - المغرب وصقلية - الحياة السياسية في الأندلس - والحياة الاجتماعية - الحياة الثقافية خاصة: في العلوم الرياضية والطبيعية - في الطب خاصة: آل زهر - الفلسفة - الأدب - صورة الحياة العامة: الحياة الثقافية - تاريخ الفكر - اللغة - النثر - الشعر خاصة ٣٣.

مقدّمة

يَحْرِص المؤلّفُ عادةً على أن يكونَ كلُّ كتابٍ له تامًّا في موضوعه. إنّ هذا السَّعْيَ إلى الكمال ممدوحٌ، ولكنّ الوصولَ إلى الكمال مُستحيل.

إنّ أوّلَ ما يصطدمُ به مؤرّخُ الأدبِ كَثْرةُ الأدباءِ والشعراء. وسأكتفي هنا بالقولِ المشهور لآبن قُتَيْبَةَ: لو عَدَدتُ كلَّ مَنْ قال شِعْراً شاعراً لَعَدَدتُ جميعَ العرب. فلا بُدَّ، إذَنْ، من التخيُّرِ ومن الاجتهاد في ذلك التخيُّرِ عند آنتقاءِ الأدباء والشعراء والمؤرّخينَ للأدبِ والنُّحاةِ والنُّقّادِ مِمّنْ يَجِبُ ضَمُّهم - أو يحسُنُ ضمُّهم - إلى كتابٍ عامٍّ في تاريخ الأدب العربيّ.

ثمّ تبدو مصاعبُ أُخرى. هنالك أشخاصٌ مُكْثِرونَ من النَّثْر والشِّعر، ولكنّ نِتاجَهم نازلٌ عن مَرْتَبَةِ الجَوْدة. إنّ هؤلاء، بلا رَيْبٍ، من صورةِ الجانبِ الأدبيّ في حياةِ الأُمَم. ولكنْ بما أنّ المؤلّفَ في تاريخِ الأدب مُضْطَرٌّ إلى التخيُّرِ من أصحابِ النِتاجِ الجيّد، فَمِنَ الأَوْلى أنْ يُهْمِلَ هؤلاءِ الأدباءَ العاديّينَ الذين لا نَجِدُ في نِتاجِهِم جانباً جديداً أو جانباً مُفيداً وأنْ يُتْرَكَ مكانُهم لأولئك المُقِلّين من ذوي الإنتاج الجيّد، ما أمكنَ ذلك.

وهنالك أدباءُ وشعراءُ لهم نِتاجٌ جيّدٌ، ولكنّنا نجهَلُ تواريخَ وَفَياتِهم، ورُبّما جَهِلنا عَصْرَهم أيضاً، فلا حيلةَ لمُؤلِّفِ كتابٍ في تاريخِ الأدب قائمٍ على الحَوْليّاتِ (توالي السنين) في هؤلاء. أمّا إذا كان مؤلّفٌ يَضَعُ قاموساً في الأدب (على أحرُفِ الهِجاء)، فإنّ بإمكانهِ أن يضُمَّ إلى قاموسِهِ هذا أشخاصاً نجهَلُ أعمارَهم أو أعصارَهم.

ونَجِدُ أيضاً جماعةً مشهورين نَعْرِفُ تاريخَ وَفَياتِهم، ولكنْ ليس لَدَيْنا نُصوصٌ مِنْ نِتاجِهم. إنّنا لا نستطيعُ أن نَسْلُكَ هؤلاء في سِلْسِلَةِ بُحوثنا إذا لم يكُنْ لَدَيْنا نصٌّ من نِتاجِهم يقومُ دليلاً أوْ شِبْهَ دليلٍ على مكانتهم.

ثمّ يأتي هؤلاء الذين هم شُعَراءُ (أو أدباءُ) بالعَرَض كالنُّحاة والفلاسفة والعُلماء

والفُقهاء، فما نفعل بهم؟ لقد ضَمَمْتُ أنا نفراً من هؤلاءِ إلى هذه السلسلةِ كآبنِ باجّه وآبنِ طُفيلٍ (مخترع القصّة العِلْمية) وآبنِ رُشْدٍ (الحفيد: الفيلسوف) ثمّ الشاطِبيِّ صاحب «حِرْزِ الأماني» (وَهِيَ أُرجوزةٌ في القِراءاتِ: قِراءاتِ القُرآنِ الكريم) وآبْنِ مالكٍ النَّحْوِيّ.

من مشاكل التحقيق:

يقول آبنُ خَلْدونٍ[1]: إنّ من «مغالطِ»[2] المؤرّخين «الثقةَ بالناقلين». ولقد قَصَدَ آبنُ خَلدونٍ، بلا ريبٍ، أولئك المؤرّخين الذين لا ينظُرون في مصادرِ أخبارِهم أو يتشيّعون لآراءٍ ومذاهبَ فيُجانبون الحقَّ ويحيدون عنِ الصواب فيما رَوَوْا.

ونحن اليومَ حينما نأتي إلى تاريخ الأدب نَقِفُ من المعاصرينَ لنا ومن الذين سبقونا كثيراً أو قليلاً كما وَقَفَ آبنُ خَلْدونٍ من المؤرّخين الذين سبقوه. ومعَ أن عدداً كبيراً من المصادرِ والمراجعِ التي نعتمدُها اليومَ قد ظهرتْ وعلى صَفَحاتها الأولى «أنّها مُحقّقَةٌ» أو مُحرّرة[3] أو أنّها بآعتناءِ فلانٍ وفلانٍ، فإنّا نَجِدُ فيها مغامزَ[4] مختلفةً. ففي كتابِ «زادِ المُسافر» (بيروت ١٩٧٠ م) لا تَجِدُ في «فهرست الأعلام» رقماً منطبقاً على صفحات ذلك الكتاب. إنّ «المخزوميَّ الأعمى الشريفَ» مذكورٌ في الفهرست على أنّ آسْمَهُ يَرِدُ على الصَفْحتينِ ٧٥ و٨٣، بينما هذا الاسم يَرِدُ على الصفحتين ١١٧ و١٢٥. وكذلك شأنُ جَميع الأسماء في ذلك الفهرس.

ويبدو أنّ الناشرَ الجديدَ (للطبعة الثانية) قد أرادَ أنْ يُحْدِثَ تبديلاً في شكلِ طبعتهِ الثانية فضمّ أرقامَ صَفَحاتِ المُقدّمةِ التي كان «مُخْرِجُ الكتاب» قد أعدَّها للطبعةِ الأولى إلى صَفَحات مَتْنِ الكتاب في نَسَقٍ واحدٍ، وغابَ عنه أن فهارسَ

(١) المقدّمة (المطبعة الأدبية، بيروت ١٩٠٠ م)، ص ٩ (دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦١ م)، ص ١٢.
(٢) المغلطة (بالفتح): الكلام يُغلط (سهواً) أو يُغالط به (قصداً).
(٣) التحقيق هنا: ضبط النصّ في المخطوط الذي طبع منه الكتاب المحقّق. والتحرير ضبط الألفاظ من حيث الصحّة.
(٤) المغمز: العيب (المطعن: أمر خطأه ظاهر).

الكتاب (للأعلام الأشخاص - للمدن والأماكن - للقوافي) قد وُضِعَتْ للدَّلالةِ على صَفَحات الطبعة الأولى.

- وفي كتاب «النبوغ المغربي» للأستاذ عبدِ الله كنّون ثروةٌ من التراجم المَغْربية والأخبار والمُختارات نظماً ونثراً في مُعظم فنونِ الأدب. ولكن ترقيمَ الصَّفَحاتِ مضطربٌ: يبدأ الجزء الأوّل بالصفحة «واحدة» وينتهي بالصفحةِ ٣٣٨. ثمّ يبدأ الجزء الثاني بالرقم «واحدٍ» إلى «تسعةٍ» ثمّ من ٣٤١ إلى ٩٩٣ (فيكون هنالك أرقامٌ يَدلّ كلّ رقمٍ منهاعلى صَفْحتين). هذا خطأُ الناشرِ والطابع، وليسَ خطأً من المؤلّف. ومعَ أن عددَ الصَّفَحات المكرورة كان قليلاً (نحوَ مِائَةِ صفحةٍ) فإنّه لا يساعد على الوضوح عند إحالة القارىء إلى صفحةٍ من تلك الصفحات المكرورة.

وهنالك مشاكلُ سأمرّ بها سريعاً: سَنَواتُ وَفَياتٍ مُتباعدةٍ (وهو كثير) - مصادرُ تخلُط بين ترجمتَيْ شَخْصين أو أكثر - إحالة القارىء على مصدرٍ ثمّ تَجِدُ الصفحةَ المُحال عليها تسرُدُ ترجمةَ شخصٍ غيرِ المقصود - اضطرابٌ في الفهارس الهجائية: أسماءٌ في متن الكتابِ لا تظهَرُ في الفهرس وأسماءٌ في الفهرس لا تَجِدُها في الصَّفَحات المذكورة - أسماءٌ يَرِدُ كلُّ اسمٍ منها (في الفهرس) في مكانَيْنِ مُختلفين بصِيغتين مختلفتين - أسماءٌ جُمِعَ اثنانِ منها أو أكثرُ في واحدةٍ - ترتيبٌ مُخالفٌ للمألوفِ: الأصمعي، الأفلاطونية، آكل المرار (حقّ الألف الممدودة، وهي في الحقيقة ألفانِ، أنْ تأتيَ قبلَ ذلك: قبل تِسْعِ صَفَحاتٍ في الفهرس الذي أعنيه)، الأغماتي (فقد جعل مرتّب الفهرس الغين بعد الفاء)، آل البيت (الألف الممدودة أيضاً جاءت متأخرة تسع صفحات وفُصِلَ بينَها وبينَ أُختها باسمٍ آخرَ هو «الأغماتي»)... العزيز بالله، الأيوبي، الهلاليون، ألوف، اليوسفي، اليونان، امرؤ القيس، أمغار، أنخل، مُحسن الأمين، محمّد (ص)، محمّد الفضل، محمّد البرنسي (تأخّرت الباء عن الفاء)، محمد الفاسي، محمّد بن ابراهيم (تأخّرتَ الألف عن الفاء)،..... محمد بن المنصور، محمّد بن تاويت (تأخّرت التاء عن الميم).

وفي كتاب آخر (في حرف الميم من الفهرس): أبو مدين، المسيلي، المحاسبي، الموارقة، معروف، مالك، المتنبّي، ابن مقدام، مضر، المؤمناني، المالقي، الخ.

إنّ مِثْلَ هذا يحدُثُ في الكتب الضخمة.

ولكنّ هنالك فارقاً بينَ أمرينِ: بينَ أمرٍ يَغيبُ أحياناً عن المؤلّف (أوِ المُحقّق) أو لا يَسْترعي انتباهَه عند التصحيح (مَعَ أنّ التصحيحَ أحياناً يقومُ به أكثرُ من واحدٍ أكثرَ من مرّةٍ) وأمرٍ يُهْمِله المؤلّفُ أوِ المحقّق حينما يعهَدُ به إلى نفرٍ أقلَّ منه دِرايةً.

أمّا أخطاءُ الأمرِ الأوّلِ (الأخطاءُ العارضة) فيُمكِنُ استدراكُها حينما يُعيدُ المؤلّفُ الطبعَ. لمّا صَدَرَ الجزءُ الثالث من هذه السلسلةِ (تِسعمِائَةِ صفحةٍ من المَتْن ثم من الحواشي بالحرفِ الدقيق - ما عدا المُقدّمات والفهارس - والمتن مشكولٌ شكلاً كاملاً في الأكثر) كان فيه مائةُ غلطةٍ أوْ أكثرُ. وقد صُحِّحتْ هذه في الطبعة التالية (ولعلّه لا يزال في ذلك الجزءِ شيءٌ من الأخطاء). وفي كلّ طبعةٍ يُحاولُ المؤلّفُ تصحيح غلطةٍ هنا وغلطةٍ هناك.

ولكنّ هنالك أمراً آخرَ: هنالك نفرٌ من المؤلّفين أو المحقّقين للمصادرِ يعتمدون مُساعدينَ من طُلّابهم أو أصدقائهم أو زُملائهم أو يتّخذون مُستأجَرينَ لذلك يقومون بعددٍ من الأعمال في الكتاب المحقّق (صُنْعِ الفهارس مثلاً). وهذا الاعتماد ظاهرٌ جدًّا. لا يُمْكِنُ لمحقّقِ كتابٍ (على هذا المستوى) أن يَشْكُلَ بيتاً من الشعر مثلَ هذا الشكل: فهل لهم سائل عنهم فيخبرُهم (ويضع ضمّة على الراء مكان الفتحة). وكذلك لا يمكن أن يغفُلَ محقّقٌ عن أنّ بيتَ الشعر:

هو البحر غص فيه إذا كان ساكنا ... على الدرّ واحذره إذا كان مزبدا

للمتنبيّ وليس لأبي الصلت أميّة بن عبد العزيز.

ويَرِدُ بيتانِ من الشعر مرتّينِ في كتابينِ لِمُحقّقٍ واحدٍ. يَرِدانِ مرّةً على الصورة التالية (٢ : ٥٩٣):

- قــل لابن شلبون مقال تنزّه ... غـيري يجاريـك الهجـاء فَجـارِ
(إنّا اقتسمنا خطّتينا بيننا ... فحملـت برّة واحتملت فَجـارِ)

ويلي البيتانِ (هنا) هذه الجُملةُ (في النصِّ نفسِه):

- وهذا (البيتُ الثاني) مُضمّن من شعر النابغة الذبياني.

وكذلك يَرِدُ هذانِ البيتانِ مرّةً ثانية (٥: ٢٧٤) على هذه الصورة الأخرى:

- قــل لابن شلبون مقــال تنزّه   غــيري يجاريــك الهجــاء فجار
انّا اقتسمنا خطّتينا بيننا   فحملت برّة واحتملت فجاري

الملاحظة على الرواية الثانية:

- انّ المحقّق لم يُشِرْ هنا إلى أنّ البيت «إنّا اقتسمنا...» مأخوذٌ من النابغة. وهو يعرف ذلك بلا شكّ. ثمّ إنّ الرواية الثانية قد أفسدتِ الجِناسَ التامَّ في «فَجارِ (في البيت الأوّل: الفاء للعطف؛ جار: فعل أمر من جارى)، ثمّ في فجارِ (اسم للفجور: الانغماس في المعاصي، معدول عن الفاجرة ومبني على الكسر بلا تنوين).

وليس من المعقول أن تكونَ الروايتانِ مَضبوطتينِ ومُحرّرتين بقلمِ مُحقّقٍ واحدٍ. ولا ريبَ في أنّ الذي ضَبَطَ الروايةَ الثانيةَ أقلُّ معرفةً بالنّحْو وبتاريخ الأدب من الذي ضَبَطَ الروايةَ الأولى.

وكذلك ليس من الممكنِ أن يكونَ محقّقُ الكتاب قد ضَبَطَ الظاء بالكسر في البيت التالي: عاثت بساحتك الظِّبا... (يقصد الظباء جمع ظبي: الغزال)، بينما المقصود الظُّبا (بضمّ الظاء جمع ظُبَة - بضمّ ففتح بلا تشديد - : حدّ السيف).

لعلّ نفراً من هؤلاء الذين يساعدون المحقّقَ ليسوا جهّالاً ولكنّهم يَقْصِدون أن يُوقعوا المحقّقَ في مثلِ هذه المآخذ. هنالك كتابٌ كبيرٌ قيّمٌ فيه كثيرٌ من هذه الأمور، فرجائي إلى مُحقّقه - وهو زميلٌ وصديق أُجلّه وأعرِفُ مقدارَ علمه. ولقدِ اعتمدتُ كتابَه آعتماداً كثيراً ونوّهتُ بعمله في مواضعَ من الأجزاء الأندلسية في هذه السلسلة - رجائي أن يُمرَّ هو بقلمِه على أجزاء ذلك الكتابِ وأن يُعيد هو بنفسهِ وَضْعَ «فهرسِ الأعلام» من جديدٍ.

ويلحقُ بهذه المشاكلِ شيءٌ آسمُه «التحقيق»:

تناولتُ كتاباً على صفحته الأولى «نشرٌ وتحقيق: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تأليف خالد بن عيسى البلويّ الأندلسي، ثمّ (بحرف أصغر): مقدّمة للكتاب «بقلم الحسن السائح».

إنّ الحسنَ السائحَ قد حقّق « رِحْلة البَلَويّ » (ص: هـ)، ثمّ آختارَ أنْ ينشرَ المقدّمةَ التي صَنَعَها للرحلة المُحَقّقة نشْراً مستقلّاً (ولا أعلَمُ فائدةَ ذلك)، غيرَ أنَّ هذه المقدّمة (المطبوعةَ وحدَها مستقلّةً في الكتاب الذي تناولتْه) - في الحقيقة - محاولةٌ لجمع ما تفرّق في عَدَدٍ من الكتب مِمّا يتعلّق بالبَلَوي. وبعض ما جَمَعَه الحسنُ السائحُ من الكتب قليلُ الصِلةِ بتحقيق « رحلة البَلَويّ ».

ومنذ مطلعِ هذه المقدّمة يبدأ صاحبُها بآستطرادٍ، هو: «آشْتَهَرَ المغاربةُ والأندلسيّون بتأليف الرِحلات..... » (ص ١). ثمّ يتكلّم على المنهاج الذي آتّبعه في التحقيق وعلى أصول (يقصد: مخطوطات) الرِحلة كلاماً في صُلْب الموضوع. فإذا جاء إلى حياة البلويّ بدأ بعنوانٍ هو « قبيلة البلويّين » فيتكلّمُ على نَفَرٍ من المعروفين بالآنتساب إلى هذه القبيلة (ص ٣ - ٤). غير أنّه لا يذكُرُ آسْمَ القبيلة (وآسمها: بَلِيٌّ مثلَ عليّ، راجع القاموس ٤: ٣٠٥). ولكنّه يُلْحِقُ بكلمةِ « بلوي » حاشيةً يقولُ فيها: « البَلَويّ مفرد بلى (كذا) كعلي. والبليّة الناقة يموت صاحبُها فتُشَدُّ إلى قبرِه حتّى تموتَ » (ص ٣).

وبعدَ كلامٍ على حياةِ البلويّ ينتقلُ الحسنُ السائحُ إلى « فنّ الرِحلات ودواعيه: الرحلات العربية الإسلامية في المشرق والمغرب » (ص ٦١ - ٧١). ثمّ ينتقل إلى الكلام على الجغرافية في رحلة البلوي، فيتكلّم على الجغرافية عند العرب (ص ٧٣ - ٨٦) وعلى أدب الرحلات والأسلوبِ الأدبي في رحلة البلويّ (ص ٨٨ - ٩١)، ولكنْ لا نرى في هذا الفصل الطويل « الأسلوبِ الأدبيّ في رحلة البلويّ » (ثلاثَ صَفَحاتٍ كاملةً) شيئاً يتعلّق بالبَلَوي من قُرْبٍ أو من بُعْد.

- إنّ هذه المقدّمةَ، في الحقيقة، مُتَكَأٌ لتعليقٍ حُرٍّ يدورُ حول البَلَويّ.

- لا اعتراض لي الآنَ على الحَسَنِ السائح: إنّ ما فَعَلَهُ في رِحلة البلوي يَفْعَلُه كثيرون من أولئك الذين يَظنّون أنّ كلَّ مَنْ تناوَلَ كتاباً لهم يجهل كُلَّ شيءٍ من التاريخ ومن الأدب ومن العلم فيُحاولون أن يَحْشُروا كُلَّ ما يَعرِفونَه في كلِّ مُناسبةٍ.

- ليس معنى ما تَقَدَّمَ أنّ هذه « المقدّمة » التي صَنَعَها الحسنُ السائحُ للتحقيقِ الذي قام به لرِحلة البَلَويّ لا جُهْدَ فيها أو لا فائدةَ منها. إنّي أحْبَبْتُ بهذا العَرْضِ

الذي طال فوق ما يَجِبُ أنْ أَكْشِفَ عن عددٍ من المصاعب التي يلاقيها مؤلّفو الكُتُب الواسعة حينما يُريدونَ أن يُقدّموا للقارىء أكْثَرَ ما يمكن مِنَ المعارف في أقلِّ ما يمكن من اللفظ وعلى أوضحِ ما يكونُ من الغَرْض.

– ولقد أحسَنَ العلاّمةُ الحسنُ بنُ محمّدٍ السائح صُنْعاً فنَشَرَ «تاج المفرق» لخالدِ بن عيسى البَلَوِيّ (بإشراف اللَّجنة المُشترِكة لنشر التُّراث الإسلامي بينَ المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتّحدة. – مطبعة فضالة في المحمّدية، بالمغرب – بلا تاريخ للطبع).

ومن مشاكل الفهارس ما يلي:

أنّ نفراً من المؤلّفين ومن المُحقّقين للكُتُبِ لا يَضَعون الفهارس بأنفسِهم، بل يعهَدون بوضعها إلى آخرين. وهؤلاء الآخرون (وخصوصاً إذا كانوا أكثر من واحد) يتّبعون مَنْهجاً شَكليًّا في وضع الفهارس الهِجائية لأعلام الأشخاص: يُثبتون رقمَ كلِّ صفحةٍ يَردَ فيها الاسْمُ المقصودُ وُروداً ظاهراً، من غير نظَرٍ في قيمة وُرودِه في كلّ صفحةٍ. فَلْآخُذْ مَثَلاً واحداً لم أتَخيَّرْهُ، بل وَقَعَ نظري عليه اتفاقاً:

في «فهرست الأعلام» (ص ٨): أثيرُ الدين أبو حيّانَ النحويُّ الغَرْناطيّ (٢) ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨ – ٢٣٠، ٢٤٢ الخ.

وبالرجوع إلى الصَّفَحات المذكورة نجدُ أنّ الكلامَ على أثير الدين قد وَرَدَ عَرَضاً في الصفحات ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ثمّ وَرَدَ مُتّصِلاً على الصفحتين ٢٣٠ و ٢٣١. فالترقيم، إذَنْ، يجب أن يكون ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠ – ٢٣١، الخ. إن الذي صنع هذا الفهرسَ جعل الاستمرارَ في الكلام على أثير الدين في الصَّفَحات ٢٢٨ إلى ٢٣٠، مَعَ أن الكلام المتّصل على أثير الدين جاء على الصفحتين ٢٣٠ و ٢٣١ (وقد أهمل صانعُ الفهرس الصفحة ٢٣١، لأن اسْمَ أثير الدين أبي حيّانَ لم يَرِدْ فيها صَراحةً، مَعَ أنّ النصّ في تلك الصفحة متعلّق بأبي حيّان).

ومن المشاكل أيضاً الوصولُ إلى بحوث وتراجمَ مفصّلةٍ ودقيقةٍ في المجلّاتِ:

لا شكّ في أنّ قارئَ هذه السلسلةِ قد رأى منذ مطلَعِ الجزء الأولِ أن كلَّ ترجمةٍ

مقسومةٌ أربعةَ أقسام : ١ - الترجمةَ الشخصية، ٢ - خصائص صاحب الترجمة، ٣ - مختارات من آثار (صاحب الترجمة) ٤ - ★★ المصادر والمراجع.

ويرى القارئُ أيضاً أني أوردُ في هذا القسم الرابع تلك الكتب التي أُلِّفت في صاحب الترجمة المقصودِ ثمّ ما وَرَدَ عنه في عددٍ من المصادر العامّة. وأنا لا أستطيع، معَ الأسف، أنْ أستَنْفِدَ كلَّ ما قيل عنه في كلِّ مصدرٍ عامٍّ أو مرجعٍ عامّ. وممّا يَزيدُ في أسفي أنّي لا أستطيع أنْ أستَشْهدَ بمقالاتٍ واسعةٍ دقيقةٍ جليلةٍ تصدُرُ في المجلاّت (ٱبتداءً بمجلّةِ المجمعِ العِلمي العربي بِدِمَشْقَ مَثلاً، مُروراً بمجلّةِ «العربيّ» في الكويت وٱنتهاءً بعدَدٍ من المجلاّت المُتَخَصِّصة التي تكثُرُ اليومَ، كمجلّة معهدِ المخطوطات العربية التي تُصْدِرُها جامعةُ الدول العربية والتي تَتَضَمَّنُ أعدادُها أحياناً كُتُباً برُمّتِها حتّى ليَتَألَّفُ من كلّ عددٍ من أعدادِ هذه المجلّة كتابٌ كامل).

غيرَ أنّ وصولَ المؤلّفِ إلى بُحوثِ هذه المجلاّتِ طويلُ الطريقِ وشاقٌّ أيضاً. أمّا وصولُ القارىء إليها فيُمْكِنُ أن يكونَ من باب المستحيل.

وهذا الذي يَنْطَبِقُ على المجلاّتِ العربية ينطبقُ أيضاً على المجلاّت في اللُّغاتِ الأخرى، وخصوصاً تلك المجلاّتِ التي تنشُرُ مقالاتِها وبحوثَها بلغاتٍ مُختلفة.

ولكن ما الطريقُ إلى ٱسْتخدامِ هذه المجلاّتِ (بعدَ أنْ يكونَ القارئُ العالِمُ أوِ القارئُ المؤلّفُ قدِ ٱطّلعَ على ما نُشِرَ فيها)؟

لقد حاولَ نَفَرٌ من القائمين على عدَدٍ من هذه المجلاّت أنْ يُوجدوا حَلاًّ لهذه المُشكلةِ فحَرَصوا - في أحيانٍ مُعَيَّنَةٍ - على أن يجعَلوا بُحوثَ جُزْءٍ من أجزاء مَجلّتِهم في شهرٍ ما (أو فصلٍ ما) تُعالجُ موضوعاً واحداً (فيكاد ذلك الجُزء يكونُ كتاباً مُستقلاًّ). غيرَ أنّ هذا الحَلَّ ظلَّ حلاًّ جُزئيًّا قاصراً. وكذلك حَرَصت مجلاتٌ عِدّةٌ على إصدار فهارس عامة (مرةً في كُلّ عَشْرِ سنواتٍ مثلاً). ولكنّ هذه الفهارسَ أيضاً حلّ جزئي.

هنالك، إذَنْ، ثَرواتٌ أدبيةٌ وعلميةٌ وتاريخيةٌ مُفرّقةٌ في أعدادِ المجلاّت الخاصّةِ والعامّةِ لا سبيلَ سَهْلاً إلى الوُصولِ إليها. ولكنْ لا أُريدُ من قارئِ هذهِ الكلمةِ أنْ يذهَبَ به الظنُّ إلى أنّي أَقصِدُ أن تَقِفَ هذهِ المجلاّتُ عن الصُّدور، ولكنّي أَقْصِدُ أنّ

الفائدةَ العَمَليةِ من أجزاء هذه المجلاّتِ - بعدَ زَمَنٍ طويلٍ أو قصيرٍ من صُدورِها - تُصبِحُ فائدةً ضئيلةً في أكثر الأحيان.

ومُعْظَمُ المصادرِ والمراجعِ ممّا رَجَعتُ إليه في هذا الجزء الخامس كنتُ قد رَجَعتُ إليه في الجزء الرابع. وفي الجزء الرابع ثَبَتٌ به. أما ما رَجَعت إليه في هذا الجزء ممّا لم أكُنْ قد رَجَعت إليه من قبلُ فيَرِدُ فيما يلي:

- اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى لآبن سعيدٍ أبي الحسن عليّ بن موسى: آختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل (تحقيق إبراهيم الابياري)، القاهرة (الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية) ١٩٥٩ م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري السلاوي، القاهرة (المطبعة المصرية) ١٣١٢ هـ.
- الأصالة (مجلّة تصدرها إدارة الشؤون الدينية في الجزائر).
- أعلام الجزائر.
- البحث العلمي (مجلّة يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي: جامعة محمّد الخامس - الرباط).
- البلغة في أئمّة اللغة
- تاريخ الجزائر العامّ، تأليف عبد الرحمن محمّد الجيلاني، الجزائر (المطبعة العربية) ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م.
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، تأليف محمّد رضوان الداية، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.
- تحفة القادم = المقتضب من تحفة القادم.
- التشوّف إلى رجال التصوّف، تأليف يوسف بن يحيى التادلي (ابن الزيات) - (اعتنى بتصحيحه أدولف فور)، الرباط (معهد الأبحاث العليا المغربية) ١٩٥٨ م.
- جذوة الاقتباس.
- الخريدة: خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب الأصفهاني:

قسم شعراء الشام (عني بتحقيقه شكري فيصل): مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.

قسم شعراء مصر (نشره أحمد أمين، شوقي ضيف، احسان عباس)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٢ م.

قسم شعراء المغرب (تحقيق محمّد المرزوقي، محمّد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاجّ يحيى)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٦ م وما بعد (ثلاثة أجزاء).

- الداية = تاريخ النقد الأدبي في الأندلس.
- رحلة التجاني لأبي محمّد عبد الله بن محمّد بن أحمد التجاني (قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب)، تونس (المطبعة الرسمية) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.
- زاد المسافر لأبي بحر صفوان ابن ادريس التجيبي المرسي، بيروت (دار الرائد العربي) ١٩٧٠م.
- طبقات السبكي: طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٤ هـ.
- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى، (بتحقيق ابراهيم الابياري)، الطبعة الثانية، القاهرة (دار المعارف بمصر)، مصر (مطابع دار المعارف) ١٩٦٧ م (تاريخ تقديم الطبعة الثانية).
- مجلّة البحث العلمي = البحث العلمي.
- القدح المعلّى = اختصار القدح المعلّى.
- مجلّة المقتبس لصاحبها محمّد كرد علي، القاهرة ثم دمشق.
- المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن (بتحقيق ابراهيم الابياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٤ م.
- المطرب (الخرطوم): المطرب من أشعار هلال المغرب لابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن.
- المعجم لابن الابار: المعجم في أصحاب أبي عليّ الصدفي، تأليف محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (بتحرير فرنشيسكو كوديرا أي زايدين)، مجريط (مطبع روخس) ١٨٨٥ م.
- معجم أعلام الجزائر.
- معجم الصدفي = المعجم لابن الأبار.
- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، جمعه ورتّبه يوسف اليان سركيس (منشورات مكتبة يوسف اليان سركيس)، مصر (مطبعة سركيس) ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ = ١٩٣٨ م.
- معجم المؤلّفين، تأليف عمر رضا كحالة، دمشق (مطبعة الترقي) ١٩٥٧ - ٩٦١ م.
- المقتضب من تحفة القادم لابن الابار أبي عبد الله محمّد بن عبد الله القضاعي الأندلسي (اختيار وتقييد أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم البلفيقي) - (بتحقيق ابراهيم الابياري)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٧ م.
- المكتبة العربية الصقليّة: نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم جمعها ميخائيل أماري)، ليبسك (مطبعة بروكهاوس) ١٨٥٧ م؛ نشرت بالتصوير، بغداد (مكتبة المثنّى (بلا تاريخ).

- منهاج الرعيني = برنامج الرعيني.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (تحرير أحمد يوسف نجاتي)، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٦ م.
- النباهي = قضاة الأندلس (راجع الجزء الرابع).
- نويهض.

إنّ تحريرَ المخطوطات (نشرَ نصوصها مضبوطةً بحسْبِ الأصلِ المأخوذةِ عنه) وتحقيقَها (تحرّي صِحّة كَلِماتها وجُمَلِها واَخْتِلاف ألفاظها) منهجٌ قام به المستشرقون لَمّا بدأوا طبعَ كتب التُّراث العَرَبيّ (دواوينِ الشعر القديم وكتبِ التاريخ ومجاميعِ الأدب وكتبِ الفِقه وغير ذلك. ذلك هو التارِيخ، لِأن المطبعة ظهرَتْ في أوروبّة قبلَ أن تَنْتَقِل إلى بلاد العرب والاسلام.

ولكنّ لا بُدّ من كَلِمَةٍ في «تَصحيحِ الكتب» العربية التي صَدَرَتْ في أوّل عهدِ البلاد العربية بالمِطْبعة، مِطْبعة بولاق (من أحياء القاهرة - ولَعلّها المِطبعة التي كان نابليون قد جاءَ بها). كان يُصَحِّحُ تلك الكتب في المَطْبعة الأميرية (بولاق) أديبٌ اَسمُه نَصْرٌ الهورينيّ.

هو أبو الوفاءِ نَصْرُ بنُ الشيخ نصرِ يونسَ الهورينيُّ المِصري الأزهريّ، كان عارفاً بالفِقه واللُّغة والأدب والتاريخ. وقد أرسلته الحكومةُ المِصرية (الأميرية: في أيام مُحَمد عليّ مؤسّس الأسرة العَلَويّة) إماماً للبعثة المِصرية التي كان أفرادُها يدرُسون في فَرَنسةَ[1]. ويبدو أنّه قد بَقيَ في فرنسةَ مُدّةً مَكّنَتْه من أنْ يَتَعلّمَ اللُّغةَ الفرنسية.

---

(١) كان محمّد عليّ باشا مؤسّس الأسرة العلوية في مصر قد أرسل نفراً من نبهاء الطلّاب لمتابعة الدراسة في أوروبة (فرنسه وانكلترة وفي الروسية؟) في العلوم النظرية وفي الفنون العملية. ولم يكن في الشرق العربي قبل محمّد علي نهضة عصرية في الدولة، ولكنّ احتكاك العرب بأوروبة بعد حملة نابليون على مصر والشام، من ١٧٩٩ إلى ١٨٠١ للميلاد (١٢١٥ - ١٢١٧ هـ) دفعت محمّد عليّ باشا إلى تناول أسباب الحضارة المادّية من الغرب الأوروبّي. ويحسن أن نعلم هنا أنّ البعثات التي أرسلها محمّد علي باشا إلى أوروبّة قد ساعدت على تطوّر الحياة العلمية والحياة الأدبية بين العرب. وقد انتقل أثر هذا التطوّر من مصر إلى سائر البلاد العربية. أمّا ما درج عليه نفر من المتأدّبين من نسبة بوادر النهضة =

ولمّا عاد نَصْرٌ الهورينيُّ من فرنسةَ إلى القاهرة تولى رِئاسةَ التصحيح (تصحيح الكتب المطبوعة) في المَطْبعة الأميرية (مطبعة بولاق). وقد صَحّحَ عدداً كبيراً من الكتب. ولا شكَّ في أنّه كانَ له مُعاونونَ في التصحيح، ولكنّ هذا لا يمنعُ من أن يكون هو المسؤولَ عن الكُتُبِ التي صَحّحها هُوَ وعنِ الكتب التي قد صحَّحها أعوانُه أيضاً. ونحن نَعْرفُ أن الكتبَ التي خَرَجَتْ من المَطْبعة الأميرية في بولاقَ كانتْ مضبوطـةً ضبطاً يدعو الى الإعجاب (يزيد في الدِقّة كثيراً على بعض ما يُسمّى اليوم « تحقيقاً »). ومن المُنْتَظَر أن يكونَ أعوانُ الهورينيِّ في تَصحيحِ الكتب بارعينَ مِثْلَه في أمر اللُّغة. غيرَ أنّنا لا يجوزُ أن نَنْسى أن كثيراً من الضَّبْطِ لِنَصِّ الكتب المطبوعة في المَطْبعة الأميرية كان يَرْجِعُ إلى التأنّي الذي ٱمتازَ به القرنُ الماضي - إذا قُورِنَ ذلك التأنّي بالسُّرعة الطاغيةِ على الناسِ في القرن الحاضر.

وكانتْ وفاةُ نَصْرٍ الهورينيِّ سَنَةَ ١٢٩١ للهِجرة (١٨٧٤ م)(١)

إنّ نصراً الهورينيَّ يستحقّ دِراسةً تُنْصِفه وتضعُ جُهودَه في ضبْطِ الكُتُبِ التي صحّحَ « مَلازمَها » (كما نقولُ في عالم الطِّباعة) في إطارِها الصحيح بالكشْف عن أمانةِ هذا الرجل ومَقْدِرته وفي العمل الذي قام به في تصحيح الكتب. وقد كنتُ ٱقترحتُ على الدكتور إبراهيم مدكور - رئيسِ مجمعِ اللُّغةِ العربية في القاهرة - أنْ يتولّى أحدُ أعضاء المجمع من الإخوة المِصريّين هذا العملَ (وأهلُ مَكّةَ أدْرى بِشعابها). ولعلّه فاعلٌ - إنّ شاءَ الله.

ونعودُ إلى المستشرقين وتحقيق الكتب.

كانتِ الغايةُ من تحقيقِ الكُتُب العربيّة - لمّا بدأ المستشرقون يَنْشُرون تلك الكتبَ - إخراجَ كُتُبِ التُّراثِ العربيّ بالنَّصّ الذي جاءَ على أقلامِ مُؤلّفيها. كان من المُنْتَظَر أنْ نرى كُتُباً نُشِرَتْ بالتصوير ثمّ كُتُباً نُشِرَتْ بالحُروفِ مجرَّدةً من الشكل

= الأدبية إلى نفر من الأدباء والصحافيين في لبنان فيجب أن نصحّحه بأن هذا الذي كان في لبنان جاء بعد التفتّح العربي في مصر بنحو جيل من الدهر أو يزيد. ولهذه القصة حديث طويل سيأتي.

(١) بروكلمن، الملحق ٢ : ٧٢٦؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٣٥١ (٢٩)؛ معجم المطبوعات العربية لسركيس، الصفحات ١٩٠٢ - ١٩٠٤.

(ضبطِ الكَلِمات بالحَركات) ومن علاماتِ الوقف (إشاراتِ التنقيط) كَيْ يترُكَ مُحقّقُ الكتاب للقارىء حرّيّةَ آختيار «القِراءة» الموافقةِ بحَسْب آجتهاد القارىء.

وكانتِ الكتبُ الكبيرة (العديدةُ الأجزاءِ) يَتولّى نَشْرَها في العادة بِضعةُ نفرٍ. فكتابُ الطَبَريّ في التاريخ: «تاريخُ الرُّسُل (أوِ الأُمم) والملوك»، مثلاً، أشْرَفَ على تحقيقهِ المُستشرقُ ده خويه الهُولنديُّ (فهو مُحَرِّر الكتاب أوِ المُشرفُ على تحقيقه). وقد عاونه في هذا التحقيق نفرٌ من المستشرقين منهم نولدكه الألمانيُّ وغوِيدي الإيطالي وهوتْسْما الهولنديُّ وغيرُهم.

ومحقّقو «تاريخ الطبريِّ» لم يكتَفوا بإبرازِ النصّ، بلِ آستعرضوا القِراءاتِ المُختلفة في المخطوطات العديدة. ثمّ إنهم تَوَلَّوْا ضبطَ كثيرٍ من الكَلِمات (وخصوصاً في الأشعار) بالحَرَكات. فليس من الحِكمة أن نترُكَ الحُريّة المُطلقةَ لكلِّ قارئٍ في آختيار القِراءة التي يُريدها (وإن كانَ الفردُ بعدَ الفردِ من القرّاء العلماء لا يحتاج الى هذا الضبط. وربما كان مثل هذا الضبط لمثلِ هذا الفردِ حَجْراً على عِلمه ودِرايته). غيرَ أنّ مُحَقّقي تاريخِ الطبريّ كانوا يَسْتَحِقّون الشُّكْر على تلك التَّبِعة التي حَمَلوها في ضَبْطِ أقسامٍ من نصِ الكتاب بالحَرَكات.

ولقد أطلتُ الكلامَ - من قبلُ في هذه المُقدِّمةِ - على الأخطاء العارضة في نشر كتب التُّراث العربيّ، ولكنْ لا بُدَّ من التَنْبيه على نُقطة أُخرى هنا. لم يَبْقَ هنالك ريبٌ في حملة الآستعمار على المُسلمين في كلّ وجهٍ من وجوه حياتهم حتّى وَصَلوا إلى «الشهادات» يُعطونها لِنَفرٍ مِنّا ثمّ يُطْلقون أيْدِيَهُمْ في حَضارتنا وثقافتنا ليخربوا حضارة قومنا وثقافة قومنا بأيديهم. ويَتَولّى «تخريجَ» هؤلاء النفرِ مستشرقون نَعرفُ كُتُبَهم فلا يستحقّون بها شهادةً عاديّة.

حضرتُ مؤتمراً في أوروبّة (عام ١٩٧٩) فألقى بَعْضُ المستشرقين مقالاً في «العلوم عند العربّ». لم يكنْ في هذا المقالِ شيءٌ من العِلم (إذ يبدو أن ذلك المستشرق لم يكن «حِصاناً» في الرياضيّات)، ولكنْ كان فيهِ كثيرٌ من الحِقد والتحامُل. ولقد رَدَدتُ على هذا المستشرق بجُملة واحدةٍ، فقلتُ له: أنا أُعلّم تاريخَ العلوم عند العرب لطلاّب البكالوريا اللُّبنانيّة. ولوْ أنّ طالباً عِندي كَتَبَ مثلَ هذا المقال الذي قرأته

أنتَ علينا ٱلآنَ لَمِا ٱستحقَّ عليه ثمانيةً من عشرين (مَعَ نِظرةٍ من الرحمة إلى الطالب).

ويبدو أن هذا السوءَ ليس خاصًّا بالعربِ.

فيما يلي قِصّة لَعَلّها واقعةٌ أَوْ لَعَلّها كانتْ مثَلاً مضروباً.

قيل إنّ ألكساندر دوماس الصغيرَ (الآبنَ) سألَ ٱبْنَتَهُ مرّةً فقال لها: أقرأتِ روايتي الأخيرةَ؟ فأجابته على ذلك بقَوْلِها: وهل قرأتَها أنتَ؟

ولا شكّ في أن نَفَراً كثيرين يضعون أسماءهم على كُتُبٍ وهم لا يَدْرون ما فيها. جَرَتْ عادةٌ منذُ زمنٍ قريب في بعضِ البلاد العربية أن يَضَعَ نَفَرٌ كثيرون (ثمانيةٌ أو تِسعةٌ) – مِمّنْ كانتْ أسماؤهم من ألمعِ الأسماء في ذلك الحين – أسماءهم ،مثلاً ، على كتابٍ لتعليم النحو العربي في المرحلة الابتدائية. وكانتِ الأسماءُ تُسْرَدُ على غِلاف الكتاب بحَسْب شُهرة تلك الأسماء عندَ أنصافِ المتعلمين. ولا ريبَ في أنّ الكتابَ كان من تأليفِ صاحبِ الآسمِ الأخيرِ في القائمة الطويلة. أمّا صاحب الآسْمُ الذي ظهر مِراراً أولاً في تلك القائمةِ فلم يكن صاحبه يَعْرِف من الكتاب إلاّ أنّ ٱسمَه وُضِعَ على غِلافه وإلاّ نصيبَه السمينَ من حُقوق التأليف.

وأحبّ أن أعودَ قليلاً إلى أولئك الذين يعهَدون إلى غيرِهم بتحقيق أقسامٍ من الكتب التي ينشُرونها فيقومُ غيرُهم بتَشْويهِ هذا التحقيق قصْداً ، ٱنتقاماً من أولئك المُحقّقين لأسبابٍ كثيرة.

ليس من المعقول أن يكونَ محقّقُ العددِ الكبيرِ من الكُتب والمؤلفُ في فنونِ الأدب والشّعر والبلاغة جاهلاً حقائقَ النحو المشهورة ، ولا أنْ يعهَدَ بتحقيقِ جزءٍ من كتابٍ ينشُره إلى رجلٍ جاهلٍ بتلك القواعد. وليس لهذه الأخطاء النحويّة العاديّة إلاّ تفسيرٌ واحدٌ: إنّ هؤلاء الذين أُجبروا على معاونةِ المُحقّق قد أرادوا أن يَنْتَقموا من المُحقّق فدسّوا هذه الأخطاء في كتبه.

جاء في كتاب.... (٣: ٣٢٥ ثمّ ٦: ٢٣٠) هذان البيتان:

أمـا في الدهر من أُفشي إليـه بأسراري فيؤنس بالجواب؟
أنِلْـني، يـا خير البريّة خطّة ترفّعـني قـدراً وتكسبني عزّا،

فأعتزّ في أهلي كما ٱعتزّ بيدق   على سفرة الشطرنج لمّا ٱنثنى فرزاً .

وقد جاءت كَلِمة « فيؤنس » في البيت الأول ثمّ كلمة « فأعتز » في البيت الثالث محركتين بالرفع (بالضمة) وحقّها النصب (بالفتحة) لأنّها بعد فاء السببية (وقد جاءت الأولى بعد ٱستفهامٍ وجاءتِ الثانيةُ بعد فعل الطَّلَب - أي بعدَ فعلِ أمرٍ). فهل يُعْقَلُ أنْ يُخطىء اسْتاذٌ كبير مثل هذا الخطأ. أليس قولي: « إنّ الذين ساعدوه في التحقيق قد دسّوا عليه هذا الخطأ » دِفاعاً عنه.

ومثل ذلك (وأهونُ منه في كتب النحو) جزمُ الفعلِ المضارعِ بعدَ ٱسْمِ الشرط. هنالك مثلاً بيتٌ (٥ : ٥٩٢):

من يبتغي اليوم صديقـــاً كما   يرضى فقـد زلّـت بـه بغيتـه.

يجب أن نقول « يبتغ » (مجزومة لأنّها ٱسم الشرط، وعلامة جزمها حذف حرف العلّة). والفاء في « فقد » (في الشطر الثاني) رابطة لجواب الشرط. وجواب الشرط « قد زلّت به بغيته » (في محل جزم جواب الشرط).

وأسهل من ذلك البيت التالي: (٥ : ٥٩١):

كن وحيـداً مـا عشت تحيا بخير   سالمـاً من شرور كـلّ البريّـة.

يجب أن يقال « تحي » (مجزومة في جواب الطلب). وعلامة جزمها حذف حرف العلّة من « تحيا ».

ولا نزال في النحو. هنالك مقطوعة (٢ : ٣٩٠) في صدرها:

بجامــع جلّــق ربّ الزعامــه   أقم تلـق العنايـة والكرامــه
ويمّم نحوه في كـــلّ وقـــت   وصـلّ بـه تصل دار الاقامـه

فإنّ كلمة « ربّ » محرّكة بالجرّ (بالكسر)، ظنًّا من الذي حرّكها بالكسر أنّها بدل من « جامع ». وحقّ « ربّ » أن تحرّك بالنصب (بالفتح) لأنّها منادى مضاف (يا ربّ الكرامة). والبيتان يجب أن ينقّطا كما يلي:

بجامــعِ جِلّـقٍ، ربَّ الزعامــهْ،   أَقمْ تَلْـقَ العِنايـة والكَرامـهْ؛

ويَمِّمْ نحوَه في كــــلّ وقــــتٍ   وصَــلِّ بـه تَصِـلْ دارَ الإقامـهْ.

(ولم ينس الناشر هنا أنّ «تَلْقَ» و «تَصِلْ» مجزومتان في جواب الطلب بعد «أَقِمْ» و «صَلِّ». وننتقل قليلاً إلى فهم معاني الشعر.

هنالك بيتٌ يَرِدُ في مكانين (٤: ٣٨١ و ٤٦٥) هو:

فـلا صدرَ إلاّ فيه صدر مثقّف   وحول الوريــــد للحسام ورود.

إنّ كلمة صدر (الثانية) مضبوطة مرّة بضمّة واحدة (صدرُ مُثقّفٍ: أعلى الرمح)، وهذا صحيحٌ. و فيالمكان الآخر ضُبِطَ التعبيرُ بضمتّين في جُزئيه: صدرٌ مُثقّفٌ (ولا معنى له). فهل من الممكن أن يكون ضابطُ هذا التعبير الواحدِ ضبطينِ مختلفينِ (أحدهُما صواب والثاني منهما خطأ) رجلاً واحداً؟

وهذا البيت (٤: ٦٨):

لكن معــــاني حسنــــه تمّت كما   قـد تمّ عن صدأ الحديد فرنده.

يجوز أن تكون تمّت (في الشطر الأوّل) بالتاء. ولكّن الشطرَ الثاني يحتاج إلى «نمّ» (بالنون): ظهر (إنّ اللمعان من خلال الصدأ يدلّ على جودة حديد هذا السيف).

وبيت آخر (٣: ٣٩٣):

أَقــــلَّ عتابَــــك انّ الكريم   يجــازِي عــلى حبّــه بالقِــلى

القِلى (بالكسر): البغض. وكلمة «يجازِي» مضبوطة بكسرة تحت الزاي وبنقطتين تحت الياء.

والحق أن يقال: يُجازَى (بالبناء للمجهول، كما تدلّ الأبيات التالية لهذا البيت).

وبيت أخير هنا (٤: ١٨٤):

- ولأبي جعفر بن سعيد في قوّادة:

منّاعــــة للنعــــل من كيسهــــا   موسرة في حــــــال اعسار.

إنّ الكلمة الأولى في البيت يجب أن تكون «مبتاعة». والكلمة الثانية يمكن أن

تكون « النعل »، والنعل: الزوجة (أصبح المعنى مفهوماً).

وأخيراً هنا جُملةٌ من النثر (٣: ١٢٣) في الكلام على صُنع أوتارٍ للعود (آلة الطرب المعروفة). يقول زِريابُ المغنّي العازف المشهور والذي ذهب إلى الأندلس ثمّ أدخل تطوّراً على العود...: « وأوتاري من حرير لم يغزل (؟) بماء سخن ». يجب أن نقرأ: لم يُغْسَل أو لم يُغْمَسْ (وهذا أمر معروفٌ عن زِريابَ في تاريخ الموسيقى).

ثم شيءٌ يسيرٌ من البلاغة. في كتابٍ آخرَ (٧: ١٣ - ١٤) يَرِدُ هذانِ البيتانِ:

كلــف بالغيــد مــا عَقَلَــتْ نفسه السلوان مــذ عقــلا.

......

أضمنتم أمن جيرتــــكم ثمّ مـــا آمنتم السبــــلا؟

إنّ اللغة والمعنى والبلاغة تقضي أن يقولَ الشاعرَ ما « عَلِقَتْ »، وإلاّ فَسَدَ « الجِناسُ » الذي أراده الشاعر. إنّ « عقلت » و « عَقَلا » لا جِناسَ فيهما. ثمّ لا وجهَ هُنالك لقول الشاعرِ « آمنتم » (بمدّة على الهمزة) ولا ظلَّ للمعنى. والصواب « أمّنْتم » (بشدّة على الميم). ومراجعة الأبيات بين هذين البيتين تدُلّ على ذلك بوضوح.

وكذلك جاء في هذا الكتاب (١: ١٦٩) تلك المقطوعة المشهورة:

شدّوا المطيّ، وقد نالوا المُنى بِمَنى .....

وقد تكلّفَ المحقّقُ وَضْعَ فَتْحَتَيْنِ على كَلمة « بِمِنىً » فأفسد على الشاعر « مُحاولةِ تَمامِ التجنيس » بين « المُنى » و « بِمِنَى ». ومِنَى في الأصل ممنوعةٌ من الصرف (للعَلَمِيّة والتأنيث).

ومعَ أن القاموس المُحيط (٤: ٣٩٢) يقول: مِنَى مثل إلَى.... وتُصْرَفُ (فإنّ مَنْعَها من الصَّرْف - وَهُوَ أعلى طَبَقةً في اللغة - يدُلّ، في هذا البيتِ على رِقّةِ الحِسّ في الشاعر.

يقول المقّري (نفح الطيب ٤: ٥٠٠): « وقد عرّفتُ بآبن الأبار في أزهار الرياض بما لا مزيد عليه... »

ونأتي إلى كتاب المقّري « أزهار الرياض » فَنَجِدُ على صفحة الغلاف منه:

« ضبطه وحقّقه وعلّق عليه مصطفى السقّا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي » ونبحث عن ابن الأبار في « أزهار الرياض » فيردّنا الفهرس الهجائي إلى الصَّفَحات ٢٣، ٢٤، ٢٥ من الجزء الأوّل (ص ٣٤٠، تحت « ابن الأبار »)، ثمّ إلى الصفحة ٣٧٩ من الجزء الثاني (ص ٣٩٩، تحت « أبو عبد الله بن الأبّار »)، ثمّ إلى الصفحة ٦٣ من الجزء الثالث (ص ٣٣١، تحت « أبو عبد الله بن الأبّار محمّد بن عبد الله القضاعي »).

فأين يتكلّم المقّري، إذن، في « أزهار الرياض » على ابن الأبار بما لا مزيدَ عليه... (من التفصيل)؟

إنّ المقّري، يخُصُّ ابنَ الأبار بأربعٍ وعِشرين صفحةً من الجزء الثاني من كتابه « أزهار الرياض » (٢: ٢٠٤ - ٢٢٧). ولكنّ الفهارسَ الهجائية لا تُشير إلى هذه الصَّفَحات أبداً.

فهل من المعقول أن يكونَ الأفاضلُ الذين ضبطوا نصَّ « أزهار الرياض » وحقّقوه وعلّقوا عليه - كما قالوا هم أنفسهم - هم الذين صنعوا هذه الفهارس الناقصة (فيما يتعلّق بابن الأبار) نقصاً مَعيباً؟

٢٢ من ذي القعدة ١٤٠١
١٩/ ٩/ ١٩٨١.

ع. ف.

المرابطون في الأندلس

معركة الزلّاقة

كانَ الإسبانُ يُلِحُّونَ على ممالِكِ الطوائفِ، يَسْتَوْلونَ عليها أوْ على أقسامٍ منها حتّى كادتْ تَنْقَرِض. وكانَ ألفونسُ السادسُ (١٠٦٥ - ١١٠٩ م) يقودُ جيوشاً كثيفةً من البُشْكَنْس والجَلالقة والإفرنج (من مُعْظَمِ أنحاءِ أوروبّة) ويطوفُ بدويلات ملوكِ الطوائف يُفْسِدُ ويقتُلُ ويَسْبي.

اسْتَنْجَدَ ملوكُ الطوائفِ بيوسفَ بنِ تاشفينَ، فجاز يوسفُ بنُ تاشفين إلى الأَندلسِ وآلْتَقى ألفونسَ السادسِ في الزلّاقة (ساقرلياس)، إلى الشّمال الشرقيّ من مدينة بَطَلْيَوْسَ، على الحدود بين إسبانيةَ والبُرتغال اليومَ، في ١٢ رَمَضانَ من سَنَةِ ٤٧٩ (٢٢/١٠/١٠٨٦ م). وقدِ انتصرَ يوسفُ بنُ تاشفين على ألفونسَ السادسِ وردَّ خَطَرَهُ عن مُلوكِ الطوائف. ثمّ إن يوسفَ بنَ تاشفينَ ترك جميعَ الغنائم لملوكِ الطوائفِ وترك لهم أربعةَ آلافِ جُنْديٍّ من جُنوده البربرِ وعاد إلى مَرّاكُشَ. وتَسمّى يوسفُ بنُ تاشفين بعدَ مَعْركة الزّلّاقةِ باسم «أميرِ المسلمين».

غيرَ أنَّ ملوكَ الطوائف عادوا إلى التنازعِ وإلى آسْتِنْجادِ بعضِهِمْ بملوكِ الفِرنْجة على بَعْضٍ. ولمّا جاز يوسف إلى الأندلس للمرّة الثانية جعل ملوكُ الطوائف يتآمرون مَعَ الإسبانِ عليه. رَجَع يوسفُ عنِ الأندلسِ ثمّ عادَ إليها مرّةً ثالثة (٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م) وجَعَل يستولي على دُويلاتِ الطوائفِ واحدةً واحدةً. وفي مدى عَشْرِ سَنَواتٍ دخلتْ جميعُ الأندلس في حُكْمِ المُرابطين وآنجابَ عنها الخَطَر. وآمتدّ عُمُرُ الحُكْمِ الإسلاميّ- بفضلِ يوسُفَ بنِ تاشفينَ- مِائَةَ عامٍ. غيرَ أن نفراً من مؤرّخي السياسة والأدب يَحْمِلُون على يوسفَ بنِ تاشفينَ ويتّهمونه بالآسْتِبْداد وبِحُبِّ الآستيلاءِ على الدويلاتِ الأندلسيةِ الصغيرةِ. والواقع أنّ يُوسُفَ بنَ تاشفينَ قد أحْسَنَ

صُنْعاً لأنّه حَفِظَ العربَ والعُروبةَ والإسْلام في الأندلس. أمّا الذين ذمّوا يوسُفَ بنَ تاشفين فكانوا نَفَراً من الأدباء والشُعراء الذين كانوا يتكسّبون شيئاً من المالِ من البَلاطاتِ الكَثيرة.

وبعدَ مَعْركة الزلاّقة أدركتِ البابويةُ وأوروبةُ أنْ لا قُدْرَةَ لها على مُجابهة يوسفَ ابنِ تاشفين فتركوا الأندلُسَ وشأنَها إلى حينٍ ثمّ وجّهوا قُواهُمْ إلى المشرق وقاموا بالحُروب الصليبيّة (٤٨٩ هـ = ١٠٩٦ م)، بَعْدَ عَشْرِ سَنَواتٍ من معركة الزلاّقة.

ويُعَدُّ يوسُفُ بنُ تاشفينَ من عُظماءِ الملوك؛ ومن حُسْنِ حظِّ العربِ والإسلامِ أنّه عاشَ خَمسينَ سَنَةً في الحكم (٤٥٠ - ٥٠٠ هـ). ثمّ تَعاقَبَ على عرشِ المرابطين أربعةُ سَلاطينَ لم يكن في أيّامِهِمْ ما يُذْكَر.

المغرب وصقلّية

لم تَسْتَطِعْ دولةُ المُرابطينَ من قبلُ أن تَسْتَوْلِيَ على المغرب كلّهِ، فقدِ ٱستمرّتْ دولةُ بني زيري الصِنْهاجية في المغرب الأدني (القُطْر التونسيّ)؛ وظلّت ليبيا تابعةً للدولةِ الفاطميّة في مِصْر. أمّا في المغرب الأوْسَط (القُطْر الجزائري) فقد نشأتْ دولةُ بني حَمّادٍ (٤٠٥ - ٥٤٧ هـ) في مِنْطَقَتَيْ مدينةِ الجزائرِ ومدينة قُسَنْطينة (قسطنطينة)، وكانت تُقاتِلُ أحياناً دولةَ المرابطين.

ويَعُمُّ المَغرِبَ كلَّه، في أثناء هذهِ الحِقْبة أمرانِ: زَحْفُ العَرَبِ (البَدْوِ) على المغرب ثمّ استيلاءُ النورمان على جانبٍ من الساحل الإفريقي.

١ - لمّا قَطَعَ المُعِزُّ بنُ باديسَ الدعوةَ للفاطميّين، سرّحَ الفاطميّون (٤٤٣ هـ) جُموعاً من عَرَبِ بني هِلالٍ وبني سُليمٍ كانوا يَنْزِلون في صَعيدِ مِصْر. وقدِ ٱنتشرتْ هاتانِ القبيلتان في المَغرب، من طرابُلُسِ الغربِ إلى أواسط الجزائرِ، تَعيثُ فساداً بالقتل والتدمير. وحينما يَذْكُرُ ابنُ خَلْدونٍ العربَ بالسوء وبأنّهم أبعدُ الناسِ عن العُمْران وأنّهم يَخرُبون القصْرَ حتّى يأخذوا أخشابَه لنارِهِمْ ولبناء خِيامِهِمْ فإنّما يَعْني البَدْوَ، قياساً على ما فَعَله بنو هِلالٍ وبنو سُليمٍ في المغرب (وفي القَيْروان من القطر التونسي، خاصّةً).

٢ - في سَنَةِ ٤٨٤ هـ اسْتَوْلى النُورمانُ على جزيرةِ صِقِلّيَةَ من أيْدي العَرَب. ومَعَ أنّ النورمانَ أحْسنوا السِيرة مَعَ عَرَبِ صِقِلّيَةَ واتّخذوا الحَضارَةَ العربيةَ حضارةً لهم ولم يَقْبلوا أنْ يَشْتَركوا في الحُروب الصليبيةِ مُحافظةً على صِلاتِهِمُ الحسنة بمُسْلمي الجزيرة، فإنّهم كانوا طامِحينَ إلى تَوْسيع نفوذِهِمُ السياسيِّ والاقتصادي. ففي سَنَةِ ٥٤٣ هـ آستولى النورمانُ على طرابُلُس الغربِ، بعدَ أنْ كانوا، سَنَةَ ٥٣٩ هـ، قدِ آستَوْلَوْا على جانبٍ كبيرٍ من الساحل الإفريقي. وزادَ بُؤسُ المَغرب حينَما آجتمعَ عليهِ الدّمارُ على يدِ البَدْوِ من بني هِلالٍ وبني سُلَيمٍ وعلى يدِ النورمان في وَقْتٍ واحدٍ.

الحياة السياسيّة في الأندلس...

امتدّ حُكْمُ المرابطين على الأندلس نصفَ قَرْنٍ من الزمن أو يزيدُ قليلاً، من سَنَةِ ٤٨٤ إلى سَنَةِ ٥٣٩ للهجرة (١٠٩١ - ١١٤٤ م). وقد كان أميرُ المسلمين (سُلطانُ المرابطين)، في أثناء تلك الحِقبة، يُعيّنُ أحدَ أبنائه على الأندلس والياً ثمّ يجعَلُ معَهُ وُلاةً آخرينَ في قواعدِ البلادِ (المدنِ الكبيرة). وحُكْمُ المرابطين في الأندلس كانَ - مثلَ كلِّ حُكمٍ في كلِّ مكانٍ آخرَ وكُلِّ زمانٍ آخرَ - أمناً وعدلاً وآزدهاراً في أيامِ قُوّتِهم ثمّ ضَعْفاً وآضطراباً عامًّا في أيام ضَعْفِهم، حينَما مالَ أمرُهم إلى الزَوال.

استطاع المرابطون أن يُوحّدوا البلادَ التي كانوا يسيطرون عليها: المغربَ والأندلسَ والسُودانَ الغربيَّ. ثمّ إنّهم نَشَروا الأمْنَ في هذه الأقطار وأبعدوا العُدْوانَ المسيحيَّ عن الأندلس - ذلك العدوانَ الذي كان قد أذلّ الأندلسيّين في أيامِ ملوك الطوائف - ثم قطعوا دابِرَ الفِتَن. وحَكَمَ المرابطون بالشرع الإسلاميّ فألْغَوُا الضرائبَ الكثيرةَ والجائرةَ من تلك التي كان ملوكُ الطوائف يجمعونها بأسماءٍ مختلفةٍ وبوسائلَ مختلفةٍ وبتسليطِ الجُباةِ اليهودِ على الرعيّة. إنّ المرابطين لم يَفرِضوا من الجِبايات إلّا ما أوجَبَهُ القُرآنُ الكريمُ أو جاء فيه حُكْمٌ في الحديث أو السنّة.

تلك عواملُ ساعدتْ على الأمنِ فعادَ كثيرون من الذين كانوا قد هَجَروا أراضِيَهم إلى أراضِيهم فآنتشرتِ الزراعة وآزدهرتِ الصِناعة وآتّسعتِ التجارةُ الداخليةُ والتجارةُ الخارجية حتّى أن أُوروبّة المسيحيةَ كانتْ تعتمدُ، في تجارتها - في

الصادرِ والوارد – أسواقَ الأندلسِ وطُرُقَ مُواصلاتها. ويحسُنُ أن نُشيرَ هنا إلى بلدةِ ٱلْمَرِيَّة (وهي مرفأ في جَنوبيِّ الأندلس)، وقد أصبحتْ في تلك الفَتْرةِ مركزاً صِناعياً وتجارياً زاهراً لصناعة الحرير وصناعة النحاس.

... والحياة الاجتماعية

وكان لاختلاطِ المغاربةِ بالأندلسيّين حَسَناتٌ وسيّئات. إنّ ٱختلاطَ الشعبِ القويّ بالشعب الضعيف (إذا اتّفقا في الحَضارة والثقافة) يزيدُ في قُوّتَيْهما. فٱزديادُ السُكّان في الأندلس ثمّ قيامُ المرابطين بالدفاع عن الأندلس والأندلسيّين في وَجْهِ العُدوان الإسباني الأُوروبيّ المسيحيّ كانتْ لهما نتائجُ حميدةٌ. ولكنْ لمّا ضَعُفَتِ السُلطةُ قليلاً ثمّ زاد العُنصرُ المغربي حدث شيء من الاضطراب: إنّ المرابطين المغاربةَ البربرَ كانوا أقربَ في طِباعهم إلى البداوة والجفاء، فكانوا يعيشون في الأكثر في شِبْهِ عُزْلةٍ عن سكّان الأندلس؛ ثمّ إنّهُمْ ٱستطاعوا لِمكانِ قوّتهم السياسية والحربية أن يتسلّطوا على الأندلسيّين فنشأ شيء من النُّفور بين المرابطين والأندلسيّين، وخصوصاً حينما كانتْ جماعاتٌ من المرابطين يتجوّلون في البلاد ويَحْمِلون أسْلحتَهم، وربّما ٱعْتَدَوْا في أثناء ذلك على الناس.

ولقد شَجّعَ ذلك نفراً من سُفهاءِ الأندلس فَتَلَثّموا – تقليداً للمرابطين – وحَملوا السِلاحَ مِثْلَهم وطافوا في البلاد يَعيثون في الأرض فساداً. ذلك كان بطبيعةِ الحال في زَمَنِ ضَعْفِ السُلطةِ المركزية في أعقابِ الحُكم المُرابطي في الأندلس.

والمرأةُ الأندلسية بَرْزَةٌ من أوّلِ أمْرِها. ولكنّ بروزَها في المجتمعاتِ زادَ مَعَ مجيء المرابطين. من المعروف أنّ رجالَ المُرابطين يَتَلَثّمون – من أجلِ ذلك يُعْرَفُ المُرابطون أيضاً باسم المُلَثّمين – ولكنّ نساءَ المرابطين لا يَتَلَثَّمْنَ. فٱزدادَ ظهورُ المرأة – المرابطية والأندلسية – في المجتمع وقَصَدَها الشُعراءُ للمديحِ وأصحابُ الحاجاتِ في الدولة.

ولقد قلّ، في أيامِ دولة المرابطين في الأندلس، تسلُّطُ النصارى واليهود في الأمور، ذلك التسلّطُ الذي كان يُشَجِّعُ عليه من قبلُ ضَعْفُ ملوكِ الطوائف وعُدْوانُ

ملوكِ الإسبان.

وعظُمَ نفوذُ الفقهاء في الأندلس حتّى شاركوا الوُلاةَ في الحُكم وحتّى ٱنغمَسَ نَفَرٌ كثيرون منهم في ٱنتهاز الفُرَص لِجَمْعِ المال من وجوهٍ مختلفة. وقد كان من أثَرِ ذلك أن نَقَمَ الناسُ من الفُقَهاء ومن الوُلاةِ المرابطينَ معاً.

الحياة الثقافيّة خاصّة

وإذا نحن أتَيْنا إلى التفصيلِ في المظاهرِ الأدبيةِ والثقافية خاصةً عَسُرَ علينا الفَصْلُ الباتُّ بين عصرِ ملوكِ الطوائف وعصرِ المرابطين، فإنّ نفراً كثيرين من العلماءِ والأدباء عاشوا في العَصْرَيْـنِ معاً. ويزيدُ هذا العُسْرُ إذا نحن جئنا إلى شاعرٍ مثلِ ابنِ عَبْدونِ (ت ٥٢٩)، فإنّه أدرك خمسةً وأربعين سنةً من عَهْدِ المرابطين في الأندلسِ، ولكنّ شُهرتَه تقومُ على قصيدتهِ «البَشامة»: الدَهْرُ يفجَعُ بعدَ العينِ بالأثرِ. وهذه القصيدةَ من نِتاجِ عصرِ ملوكِ الطوائف.

ونحن نستطيعُ أنْ نقولَ إنّ الثقافةَ عامةً والأدبَ خصوصاً قدِ ٱنْحطّا في عهدِ المرابطين عمّا كانا عليه في عصرِ ملوكِ الطوائف. إنّ دولةَ المرابطين كانتْ دولةً بَدْويَّةً في الأكثرِ، وكان همُّها الأولُ تثبيتَ أركانِ الحُكم. ثم إنها كانتْ أيضاً دولةً دينيةً سَلَفِيّةً لم تنظُرْ بعينِ الرِضا إلى الثقافة النظرية - والفلسفةِ منها خصوصاً - إلى جانب أن الولاةَ المرابطين (والسلاطين أو الخلفاء المرابطين أيضاً) لم يكونوا ذوي دِرايةٍ وافيةٍ باللغةِ العربية. من أجْلِ ذلك بارَ الشِّعْرُ في بَلاطاتِ المرابطين في المغرب والأندلس، ونَفَرَ الشعراءُ الذين كانوا يرتزقون في بَلاطات ملوكِ الطوائفِ رِزقاً كبيراً من حُكمِ المرابطين ثم حَمَلوا على الحكّام كلِّهم حتى على أميرِ المسلمين يوسفَ بنِ تاشفينَ، وهُوَ الذي مدّ عُمُرَ العُروبةِ والإسلامِ في الأندلس - بٱنتصاره الباهرِ في معركة الزلّاقة على الجيوش الأوروبية - مِائَةَ عامٍ.

* * *

من أشهرِ الذين اشتغلوا بتفسيرِ القُرآنِ وبالحديثِ عبدُ الحقّ بنُ غالبِ بنِ عطيّةَ

(٤٨١ - ٥٤٢ هـ) من أهل غَرْناطةَ، تولّى القضاءَ في المَريّة وفي غَرناطة. وقد كان عارفاً بتفسير القرآن حافظاً للحديث وأديباً وشاعراً ونَحْويًّا، ألّفَ تفسيراً (للقرآن) وافياً زادَ فيه على جميع الذين تقدّموه (في الأندلس) وأدْرَكَ به شُهْرةً واسعة[١]. ثمّ نَجدُ في علماءِ الحديث أبا الحسن رزينَ بنَ مُعاويةَ بن عمّارِ العَبْدريَّ (ت ٥٢٤ هـ)، له في الحديث تصانيفُ منها: تجريدُ الصِحاح الستّة[٢] - أخبارُ مكّةَ والمدينةِ وفضلُها - (تجريد) ما يتضمّنه صحيحا مُسلمٍ والبخاريِّ والموطأُ والسننُ للنّسائيّ والتِرمذي[٣]. ثمّ نجدُ أيضاً أبا محمّدٍ عبدَ الله بنَ عليٍّ اللَّخْميَّ الرُّشاطيّ (٤٦٧ - ٥٤١ هـ) من أهل المَريّة، وله من الكُتُب: الإعلام بما في كتابِ المؤتلف والمختلف للدارقُطني من الأوهام[٤] - اقتباسُ الأنوار والتماسُ الأزهار في أنساب الصَحابة ورُواةِ الآثار.

وكذلك نجدُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ خَلَفِ بنِ سُليمانَ المعروفَ بابنِ فتحونِ الأوريولي (ت ٥١٩ هـ)، وله ذيلٌ على كتابِ «الاستيعاب»[٥]، كما أنّ له كُتُباً في الحديث.

وراجَ الكلامُ - في عصر المرابطين - على الفِقه الخالص، على فُروعِ الفِقه (من العبادات والمعاملات) من المذهب المالكيّ، ولم يكنْ ثمّة عِنايةٌ بالتخريج العقلي للأحكام الفقهية، بل كان ذلك ممقوتاً حتى أن كتبَ الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، وهي التي كانتْ تنحو نحوَ التصوّفِ المعتدل في تفسير الأحكام، قد أُحْرِقتْ عَلَناً في المغرب.

---

(١) لابن عطية هذا ترجمة مفردة.

(٢) الصِحاح الستة (في أحاديث رسول الله) هي: الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) والجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ = ٨٧٥ م) ثم كتب السنن الأربعة لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة (ت ٢٧٣ هـ = ٨٩٢ م) ولأبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ = ٧٨٩ م) ولأبي عيسى بن محمد بن عيسى الترمذي - ويعرف كتابه في السنن أيضاً باسم «الجامع الصحيح» (ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م) ولأبي عبد الرحمن أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ = ٩١٥ م).

(٣) في بروكلمن، الملحق ١: ٦٣٠، له: كتاب التجريد في الجمع بين الموطأ والسنن الخمس. أما الموطأ فهو لأبي عبد الله مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ = ٧٩٥ م). راجع فيما بقي الحاشية السابقة.

(٤) الدارقطني هو أبو الحسن عليَ بن عمر الشافعي إمام أهل عصره في الحديث (ت ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م)، من أهل بغداد

(٥) لابن عبد البرّ (ت ٤٦٣ هـ).

وآشتهرَ في هذا العصرِ الفقيهُ أبو الوليدِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ رُشْدٍ (٤٥٠ - ٥٢٠ هـ) جَدُّ الفيلسوفِ أبي الوليدِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ رشدٍ (ت ٥٩٥ هـ) فقد كان من أهلِ الدِراية في الفِقه ومن المؤلفين فيه.

ومَعَ أن القاضيَ عِياضَ بنَ موسى اليَحْصُبيَّ السَبتيَّ (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) - وحياتُه تنطبقُ على عصرِ المرابطين في الأندلس آنطباقاً كاملاً - كان فقيهاً في الدَرَجةِ الأولى، فإنه كان أيضاً من علماءِ الحديث واللغة والنحو والتاريخ (راجع ترجمته).

ومن أعلامِ النحو في القرنِ السادسِ أحمدُ بنُ خَلَفٍ الأنصاريُّ المعروفُ بابنِ البـاذشِ الغَرْناطيّ (ت ٥٤٠ هـ). وأشهرُ منه في ذلك آبنُ السِّيد البَطَلْيَوْسِيُّ (ت ٥٢١ هـ).

وفي هذا العصرِ نفرٌ من المؤرّخين منهم أبو عامرِ بنِ مَسْلَمَةَ (٤٣٢ - ٥١٠ هـ)، كان وزيراً في إشبيلِيَةَ وكانَت له عِنايةٌ بالتاريخ، ألّف « حديقةَ الآرتياح في وصف حقيقة الراح » وغيرَه.

ويلمَعُ في هذا العصرِ - في فلسفةِ التاريخ - أبو بكرٍ الطُّرْطوشيُّ (٤٥١ - ٥٢٠ هـ) صاحبُ كتاب « سِراج الملوك »، وقد أشارَ الطُّرطوشيُّ في هذا الكتابِ إلى أشياءَ سَيُوَفِّيها ابنُ خَلْدونٍ (ت ٨٠٨ هـ) حقَّها في مُقَدِّمتِه.

وفي نِطاقِ تراجمِ الأدباءِ خاصّةً، وما يتعلّقُ بها من النقد كثيراً أو قليلاً، هنالك الفَتْحُ بنُ خاقانَ (ت ٥٢٩ هـ) وابنُ بَسّامِ الشَنْتَرينيّ (ت ٥٤٢ هـ) وأبو عامرٍ محمّدُ بنُ يحيى بنِ يَنّقٍ (ت ٥٤٧ هـ). وهنالك الحِجاري صاحب كتاب « المُسْهِب » (ت نحو ٥٥٠ هـ) وله في هذا الجزءِ ترجمةٌ وافية. ومَعَ أن أبا بكرٍ يحيى بنَ محمدٍ الأنصاريَّ الغَرْناطيَّ المعروفَ بابنِ الصَّيْرفيّ (ت ٥٥٧ هـ) قد أدركَ حِقبةً طيّبةً من عصر المُوَحّدين، فإنّنا نذكُرُهُ هنا لأنّه كان كاتباً للأميرِ المُرابطي أبي حامدِ بنِ تاشفينَ، وقد ألّفَ ابنُ الصيرفيُّ لأبي حامدٍ هذا كتاباً عُنوانُه « أخبار دولة لَمْتونةَ ».

ومن المُتَصَوِّفة في هذا العصرِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدٍ المعروفُ بابنِ العَريف الصِنهاجيُّ الأندلسي (ت في مَرّاكُش ٥٣٦ هـ) له كتاب « محاسنُ المجالس » (بروكلمن،

الملحق ١ : ٧٧٦) وعبدُ السلام بنُ عبدِ الرحمن بنِ برّاجان اللَّخْميُّ الإشبيلي (ت ٥٣٦) له كُتُبٌ منها: « شرح معاني أسماء الله الحُسنى » (بروكلمن ١ : ٥٥٩) ثمّ أبو القاسمِ أحمدُ بنُ قَسِي الشِلْبي (ت ٥٤٦ هـ) له: « شَرْحُ حديثِ خَلْعِ النَعْلينِ واْقتباسُ الأنوار من مَوْضعِ القَدَمَيْن » (بروكلمن ١ : ٥٥٩ ، الملحق ١ : ٧٧٦).

- في العلوم الرياضيّة والطبيعية:

وقَلّ علماءُ الرياضيّاتِ والطبيعيّات في هذا العصر عمّا كنّا قد عَرَفْنا منهم في العصر السابق. ومَعَ ذلك فإنّنا نذكُرُ من هؤلاء ابنَ مسعودٍ الإشبيليَّ (ت ٥٢٦ هـ) وكانت له مشاركةٌ في الفلك وفي حسابِ الأنساب (المُثلّثات). ثمّ هنالك جابرُ بنُ أفلحَ (ت ٥٤٠ هـ)، وكانت له مَعْرفةٌ بالجَبْر والفَلَك وعلم الحِيَل (الميكانيك)، كما كان له عددٌ من الكتب في الفَلَكِ خاصّةً. وهنالك أيضاً من هؤلاء أبو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ بنُ عبدِ العزيز الدانيُّ الأندلسيُّ (ت ٥٢٩ هـ)، وكان بارعاً في علم الحِيَل (من الفيزياء) كما كان أديباً شاعراً. ثمّ هنالك ابنُ باجّه (ت ٥٣٣ هـ)، ولهما في هذا الجزء تَرْجَمتان مُستقلّتان.

- في الطبّ خاصّة: آلُ زُهْرٍ:

والطِبّ من العلوم الطبيعية، وقلَّ مِنَ العلماءِ بالرياضيّاتِ والطبيعيّات مَنْ لم يشتغلْ بالطِبّ.

وتجدُرُ الإشارةُ في عصر المرابطين إلى آل زُهْرٍ، وهم أُسرةٌ كان لها وَجاهةٌ، في الأندلس وفي المغربِ معاً، كما كان لها مكانةٌ في الفِقه والعِلم والأدب ثمّ في التطبيب خاصّة. وأصل آل زُهْرٍ من شاطبةَ (في شرقيّ الأندلس) ثمّ اْنتقلوا إلى إشبيليةَ. واتّسعتْ شُهرةُ آل زُهر في الأندلس والمَغْرب وفي المَشْرق وفي أُوروبّةَ المسيحيّةِ أيضاً. وكان أوّلهم أبو العلاء زهرُ بنُ عبدِ الملك (ت ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م)، وقد كان له رفقٌ وعِنايةٌ بالمَرْضى يَحتالُ في مُعالجةِ الذين يكرَهون تناوُلَ الأدويةِ بأنواعٍ من الأغذية. وأمّا أشْهرُ آل زهرٍ وأعظمُهم في الطِبّ والتطبيب فهو أبو مروانَ عبدُ الملك بنُ زُهْرٍ (٤٦٤ - ٥٥٧ هـ) - وهو ابنُ أبي العلاءِ زُهْرٍ - له تشخيصٌ سريريٌّ (بالمُراقبة اليَوْمية) ومعرفةٌ بالأوْرام الخبيثة (السَرَطان) وبالسِلّ المَعَويّ. وكان يلجأ إلى

التغذيةِ الصِناعية في معالجة الذين يَعْجزون عنِ البلع، وذلك بإدْخال الطعام من شِقٍّ يُحْدِثُه في المَريءِ (أُنبوب الطَعام) أو مِنَ المستقيم (بالحَقْنِ الشَرَجيّ: من بابِ البَدَن).

وكذلك بَرَعَ في الطِبّ ابنُ باجّه (ت ٥٣٣ هـ) مُعاصِرُ آلِ زُهْرٍ ومُنافِسُهم. وقد كانَ آلُ زُهْرٍ مُتسلّطين في مُجْتَمَعِهم فيُقال إنّهم دَسّوا له السُّمَّ لأنّ مقدرتَه في التطبيب كانتْ تُزاحِمُهم على مَكانتهم وعلى مَكاسبهم. ولقد لَحِقَتْ أبا مروانَ بنَ زُهْرٍ مِحنةٌ، إذِ اتُّهِمَ بشيءٍ من الزَيْغ في أمورِ الدين فسُجِنَ مُدّةً في مدينةِ مَرّاكُش.

ثمّ جاء الحفيدُ ابنُ زُهْرٍ (٥٠٧ - ٥٩٥ هـ) - وهو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ الملك (ابنُ أبي مَروانَ عبدِ الملكِ وحفيدُ أبي العَلاءِ زُهْرِ بنِ عبد الملك)، وقد كان نجماً لامعاً في أُسرته وزمانه. ولكنّ حياتَه تقع في أيامِ المُوحِّدين بعدَ انقضاءِ حُكمِ المُرابطين.

وبَرَزَ أبو جَعْفرٍ أحمدُ بنُ محمّدٍ الغافِقيّ (ت ٥٦٠ هـ) في معرفةِ الأدوية، له كتابُ «الأدويةِ المُفْرَدة» لا نظيرَ له في الجَوْدة (طبقات الأطبّاء ٢ : ٥٢).

- الفلسفة:

ولم يكنْ حظُّ الفلسفة قليلاً في أيام المرابطين، فقد عاش في ذلك العصر ابن السِيد البَطَلْيَوْسيُّ (ت ٥٢١ هـ) فهو - بالإضافةِ إلى براعتهِ في اللغةِ والنحو ثمّ في الفِقه - قد مدّ بَصَرَهُ إلى الفلسفة اليونانية في أثناء مُعالجته عدداً من المُشكلات في الفكر الإسلاميّ. وله من التصانيفِ «شرحُ الخمسِ المقالاتِ الفلسفيةِ» (بروكلمن، الملحق ١ : ٧٥٨).

ثم نجد هنا أيضاً أبا الصَلْتِ أُميّةَ بنَ عبد العزيز الدانيَّ (ت ٥٢٩ هـ) فقد كان مشاركاً في عدد من العلوم كعلم الحيل (الميكانيك) والطب والفلسفة، إلى جانب براعته في النظم.

ثم هنالك ابن باجه (ت ٥٣٣ هـ) أولُ الفلاسفة العقليين على الحصر. لقد أقام ابن باجه الفلسفة العقلية على أسس من الرياضيات والطبيعيات قبل أن يفعل أحد غيره ذلك - وإن كان أفلاطون وأرسطو قد عُنِيا بالمنطق، معَ الإيقان بأن أفلاطون قد خلط المنطق بأشياء كثيرة من الخيال.

ثمّ هنالك أيضاً أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمّدِ بنِ خَلَفٍ الأنصاريُّ الإشبيليّ (ت ٥٣٧ هـ) له: كتاب «النُكَتِ والأمالي في النَقْضِ على الغزّالّي» (بروكلمن، الملحق ١: ٧٦٢).

- الأدب

قيل إنّ الأدب لم يَزْدَهِرْ في أيام المرابطين لأنّ المرابطين كانوا لا يفهمون الشعر (ولا يتقنون اللغة العربية). وهنا موضع ملاحظات:

★ إنّ يوسفَ بنَ تاشفينَ وحدَه كان لا يقرّب الشعراء:

- لم تكن معرفته بالعربية واسعة.
- كان في سبيلِ إنشاء دولةٍ. وحينما تكون الدُوَلُ في عُنفوان قوّتها في دور التأسيس، فقلّما يلتفتُ القائمون بذلك عادة إلى الشعر (كما اتّفق مثلاً للمنصور العبّاسي مَعَ بشارِ بنِ بُرْدٍ).
- إنّ الشعراءَ الذين كانوا يتكسّبون من مُلوكِ الطوائف (بحقٍّ وبلا حقٍّ) لمّا أهملهم يوسفُ بنُ تاشفينَ تقوّلوا عليه مثلَ تلك الأشياء.

★ ولكنّ عليَّ بنَ يوسفَ بنِ تاشفينَ ونفراً ممّن جاءوا بعدَه إلى إمارة المسلمين وإلى الولاية على المُدن الأندلسية ٱستمعوا إلى الشعراء وأجازوهم على القصائد.

فمن كبارِ الشعراء ومَشاهيرهم في أيامِ المرابطين في الأندلس الأعمى التُطيلي (ت ٥٢٠ هـ) وابن الزقّاق وابن عَبْدونٍ وابن خَفاجةَ وابن بَقِيٍّ (ت ٥٤٠ هـ).

أمّا الصورةُ الأدبية في هذا العصر فيجبُ أن نبدأ فيها بالكلام على المعتمدِ بن عبّادٍ الإشبيلي (ت ٤٨٨ هـ)، ونحن نشير إلى شعره الذي قاله في أسره في أغمات (قرب مدينة مَرّاكُشَ). إنّ هذا الشعرَ من نِتاج عصر المرابطين. ولا غَرابةَ إذا قُلنا إن شعرَه هذا كان أصدقَ أشعارِه عاطفةً وتعبيراً عن حاله معاً. من ذلك مثلًا قولُه يتذكّرُ أيامَه الناعمةَ الخواليَ في قصور إشبيلية:

كنتُ حِلْفَ النّدى وربَّ السَّماحِ   وحبيبَ النفوسِ والأرواح؛

إذْ يميـني للبَـذْل يومَ العطايا، ولقَبْـض الأرواح يومَ الكِفـاح،
وشِمالي لقبــض كُــلِّ عِنــانِ يُقحِمُ الخيـلَ في مَجالِ الرماح[1].
وأنـــا اليومَ رهنُ أسْرِ وفقرِ مُستباحُ الحِمى مَهيضُ الجَناح[2]:
لا أُجيبُ الصريخَ إن حَضَرَ النا سُ، ولا المُعتفينَ يوم السماح[3].
عاد بِشْري الذي عَهدتُّ عُبوساً: شَغَلَتْني الأشجانُ عن أفراحي[4].
فَالتماحي إلى العيون كريــهٌ؛ ولقـد كـان نُزهـةَ اللَّمّـاح[5]!

وبعد أن كانتْ حركةُ التوشيح قد قَوِيَ ساعِدُها منذ مطلَعِ عصر ملوك الطوائف (ومنذ مطلع القرن الخامس)، عاد الشعراء إلى اصطناع الجزالة (سِياقةِ الألفاظِ الدقيقة الدَّلالةِ في التركيب المتين). ولكنّ التقليدَ ظلّ بادياً على قصائدِ هؤلاء الشعراء وخصوصاً من أثرَ ديوان المتنبي وديوان المَعَرّيّ المَشْرقيَّيْن. ولم تكتسبِ القصائدُ المُقَلَّدةُ كثيراً من صِحّة الشعر المَشْرقي ومَتانته.

غيرَ أن هذا كلّه لم يمنعْ جانباً من الشعر الأندلسي مِنَ الآستمرار على سَمْتِه الأول من حيث الرِقّةُ والبراعةُ في وصف الطبيعة، كما نرى عند ابن الزّقاق (ت ٥٣٠ هـ) وعند خالِه آبنِ خَفاجةَ (ت ٥٣٣ هـ)؛ ولا مَنَعَ هذا أيضاً من بقاءِ الموشَّح الجميل، كما نرى عند ابن بَقِيٍّ القُرطُبي (ت ٥٤٠ هـ).

ولكنّ المستغربَ في هذا الباب أنّ الغناء كان في هذا العصر ملتصقاً بالقصيد لا بالموشحات، مَعَ أنَّ المُوَشَّحاتِ كانتْ قد نُظمت في الأصلِ لمواكبةِ الغناء. لقد كان الفيلسوف آبن باجّه (ت ٥٣٣ هـ)- وآبنُ باجه كان عالماً وشاعراً وموسيقيًّا أيضاً- يعلّم الموسيقى، وكانتْ عنده قِيانٌ (جَوارٍ مُغَنِّيَاتٌ) يصنعُ لهنّ التلاحينَ، ويعلمهنّ الغناء.

(١) عنان الفرس: زمامه، لجامه، رسنه. أقحم (أدخل) الخيل في مجال الرماح (في المعركة).
(٢) مستباح الحمى (غير قادر عن الدفاع عن ملكي). مهيض: مكسور.
(٣) الصريخ: نداء الحرب. المعتفي: طالب الإحسان. السماح: الكرم.
(٤) البِشر (بالكسر): طلاقة الوجه، السرور. الشجن (بفتح ففتح): الحزن.
(٥) والتماحي (النظر إليّ).

لا يغيبُ في هذا العصر تقليدُ الناثرين في الأندلس للناثرين المشارقة في الأسلوب (مع التقصير) وفي الأغراض (مع عدد من أوجه البراعة). أما في الأسلوب فقد طَغَتِ الصِناعة والسَّجْع منها خاصةً على مُعظَم أبواب النثر، وإن لَمَعَ فيها أحياناً جُمَلٌ مُغْرِبةٌ في الخيال الجميل قليلاً أو كثيراً، كقولِ أبي الفضل بن شَرَفٍ (ت ٥٣٤ هـ) مثلاً[١] (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين لإحسان عباس، ص ٢٨٣): « العالِمُ مَعَ العِلم كالناظر للبحر يستعظمُ منه ما يرى، وما غاب عنه أكثر- التعليم فِلاحة الأذهان، وليست كلّ أرض مُنبتةً- الفاضلُ في الزمنِ السوءِ كالمِصباح في البَراح[٢]، قد يُضيء لو تركته الرِّياح ».

وفي تقليدِ المشارقة نجد أبا عبد الله بن أبي الخِصال (ت ٥٤٠ هـ) يجري على خُطى آبنِ نُباتةَ الفارقيّ الخطيب (ت ٣٧٤ هـ) وأبي العَلاء المَعَرّيّ (ت ٤٤٩ هـ) والحريريّ صاحبِ المقامات (ت ٥١٦ هـ). وأمّا محمّد بن عبدِ الغَفور الكِلاعيّ (ت ٥٤٢ هـ) فقدِ آشتدّ إعجابه بالمَعَرّيّ ولم يُقَلِّدْهُ فقطْ في أسلوب رسائله، ولكنْ في معاني عناوين تلك الرسائل أيضاً، فقد كتب[٣] رسالة « الساجعة والغربيب » مُعارضة لرسالة « الصاهل والشاحج »[٤] لأبي العلاء (المعريّ). ثم عارضه بتأليف سمّاه « ثمرةَ الألباب » مُضاهياً بذلك « سَقط الزَّند »[٥].

ومن الممكن أن نضُمَّ أبا الحسين سِراجَ بنَ عبد الملك بنِ سراجٍ (ت ٥٠٨ هـ) إلى هذا العصر في هذا الباب، فإنه آبتدأ نوعاً من الرسائل جرى فيها مجرى التفكّه والسُّخرية حينما أنشأ رسالة يشفع فيها لرجل يُعرف بالزُرَيْزير، فنشأ بعدَ ذلك نهجٌ في رسائل عُرفت بالزَّرْزوريات لأنّ آبنْ سِراجٍ كان قد تكلم على صاحبه الزُرَيْزير مُوازناً بين هذا الرجل وبين الصفات المتصلة بهذا الطائر.

---

(١) لابن شرف هذا (ت ٥٣٤ هـ) ترجمة مفردة.

(٢) البراح: الأرض الواسعة لا نبات فيها.

(٣) ابن عبد الغفور (ت ٥٤٢ هـ) له ترجمة مفردة.

(٤) الساجعة: الحمامة. الغربيب الشديد السواد (الغراب). الصاهل: الحصان. الشاحج: الحمار. والشحيج يقال أيضاً لصوت البغل والغراب.

(٥) سقط الزند (ديوان شعر أبي العلاء المعرّي).

ونجد في هذا العصر نوعاً غريباً من الرسائل. إن نفراً من أهلِ الأندلس لم يُكْتَبْ لهم حظٌّ بالذهاب إلى الحج، فكانوا يكتبون رسائلَ «مُوَجَّهةً إلى حضرة رسول الله ومطويةً على كثير من التشوُّق والتوسُّل» ثم يبعثون بها مَعَ نفرِ ذاهبين إلى الحج ليضعوها لهم على قبر الرسول في المدينة. وربما جعلوا مكانَ الرسائلِ قصيدةً. ونشير هنا إلى أبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ) فقد أنشأ لهذا الغَرَض رسائلَ ونظم قصائدَ.

والمقامةُ تلحَقُ بالرسالة. كَثُرَ اهتمامُ الأندلسيين في هذا العصر بالمقامات - وبمقامات الحريري خاصةً - فتدارسها الأدباءُ وشرحوها وحاولوا النَّسْجَ على مِنْوالها. من ذلك مثلاً مقامةٌ للفَتْحِ بن خاقانِ (ت ٥٢٩ هـ) ومقامةٌ لأبي إسحاق بن خَفاجةَ (ت ٥٣٣ هـ) ومقامةٌ لأبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ) ثم المقامات اللُّزومية للسَرَقُسْطي الأشتركوي (ت ٥٣٨ هـ) - راجع ترجمته.

غيرَ أن بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ) كان قد ذَهَبَ بالبراعةِ في مادّة المقامةِ (في القصة والموضوعات) كما كان الحريريُّ (ت ٥١٦ هـ) قد ذهب فيما بعدُ بالأُسلوب فيها (الصِناعة اللفظية والمعنوية). وجميع المقامات التي أُنشِئَتْ بعد ذلك كانت تقليداً نازلاً عن المرتبة التي ٱرتفعتْ إليها مقاماتُ البديعِ ومقاماتُ الحريري.

- فمن أصحاب المقامات الوزيرُ أبو الوليدِ محمّدُ بنُ عبدِ العزيز المعلّم، وَرَدَ في مقامة له (الذخيرة ٢: ١١٤):

.... وكان لي أليفٌ، وعقيدٌ شريف، من صرحاءِ الإخوان، وصُيّابة الفِتيان، ومُصاص (١) أعيان الزمان. وحين سوّلتْ لي هِمّتي ما سوّلتْ(٢) وخيّلتْ لي أُمْنِيّتي ما خَيّلتْ، أَجَلْنا قداحَ الرأي وأسْهَمْنا بين القُرب والنأي(٣): شاوَرَ في أمري قَريحته

(١) الأليف: الذي تعوّد صحبتك. العقيد: الكريم. صيّابة (سادة) الفتيان (الرجال الشجعان البارزين في قومهم اللبقين في سلوكهم). المصاص: الخلاصة.

(٢) سوّل فلان لفلان أمراً: زيّنه له وحبّبه إليه وأغراه به.

(٣) أجال: أدار. القدح (بالكسر): قطعة من خشب عليها رقم أو علامة تستخدم في لعب الميسر (القمر). أجلنا قداح الرأي: تبادلنا الرأي وقلّبناه على وجوهه. النأي: البعاد، الفراق.

ونَخَلَ لي نصيحته، وقال: أرى ألّا تَرِيمَ بَيْضَتَكَ وأُرومَتَكَ[١]، وأن تُوطِنَ أرضَك ولا تُفارِقَ عشيرتك. وأرْبأُ بك عن مَضلّات المُنى، وأُعيذُك من تُرّهات لعلّ وعسى[٢]، فتَحْسَبَ كلَّ بيضاءَ شحمةً وتظنّ كلَّ سوداءَ تمرةً[٣]. وربّما سَقَطَ العَشاء بك على سِرْحان، وكلُّ الناس بكْرٌ، وفي كلّ وادٍ بنو سعدٍ[٤].....

- ومن المترسّلين الذين يقلّدون أُسلوبُ المقامات في رسائِلهمُ الوزيرُ الكاتبُ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ مسلمٍ، قال (الذخيرة ٣: ٤٣١ - ٤٣٢.):

.... حتّى وَصَلْنا إلى دارٍ منفرجةِ الأقطار، مُستَوْفِزَةِ الأنوار[٥] مُتدفّقة الأنهار، هواؤها جلاءٌ للغمّ وزِيادةٌ في العُمر، وضياؤها شفاء للكَظْم[٦] وانشراح للصدر. وكأنّ مياهَها تنبعثُ من بَنانِ سَيّدها فصارت عيناً سَلْسبيلاً وكان مِزاجُها زَنْجبيلاً[٧]؛ أو كأنّها مَسّتْ عيناً حَيَواناً فأنبتتْ من الزَبَرْجَدِ رَيْحاناً ومن الزُمُرُّدِ شجَراً فَيْناناً[٨]، وجعلتْ من النارَنْجِ عُقياناً ومن الآسِ لُؤلؤاً ومَرْجاناً[٩]. ومِيلَ بنا إلى التاج - وهو مصنَعٌ على مَفْرقِ القصر من جانب البحر - مُرِّدَ من قوارير[١٠]

(١) نخل لي نصيحته: منحني خلاصة تفكيره في نصحي (إرادة الخير لي). رام يريم: ترك، هجر. البيضة: الحمى (المسكن، دار القوم) ما يجب على المرء حمايته (الوطن). الأُرومة: الأصل.

(٢) أربأ بك (أرفع، أنزّهك، لا أرضى لك). مضلّات المنى (الأمانيّ الباطلة). التّرهة: الفلاة الواسعة، التمنّي الكاذب. لعلّ وعسى (كناية عن تمنّي ما لا يكون).

(٣) أي تخدع بظواهر الأمور.

(٤) سقط العشاء بك على سرحان (ذئب): مثل، أصله: خرج رجل يطلب شيئاً يتعشّاه (يأكله في المساء)، فلقي في طريقه ذئباً فأكله الذئب. كلّ الناس بكر - في كلّ واد بنو سعد، مثلان معناهما أن الناس يشبه بعضهم بعضاً.

(٥) مستوفزة الأنوار: (ليس في القاموس معنى موافق لها - لعلّ المقصود: منتشرة الأنوار).

(٦) الكظم: ذهاب الغضب.

(٧) بنان: رؤوس الأصابع. تنبعث من بنان سيّدها (الكريم): بكثرة. عيناً سلسبيلاً (ماؤها سائغ، سهل في الحلق). مزاجها زنجبيلا ممزوجة بشيء طيّب - (الزنجبيل نبت حرّيف الطعم طيّب الرائحة).

(٨) عيناً حيواناً: شيئاً حيًّا (؟). الزبرجد والزمرّد (حجران كريمان أخضران). الريحان نبت طيّب الرائحة. الفينان (الواسع)، واسع الظلّ.

(٩) النارنج: نوع من الليمون. العقيق والمرجان: (أحمران).

(١٠) ميل المجهول من مال. ميل بنا: ذهبوا بنا، قادونا المصنع: البناء العظيم. ممرّد: مصقول، أملس. قوارير: زجاج

وأُلْبسَ الصُبحَ المُستنيرَ، وقُلِّدَ قِلادةَ الطاووسِ ونُقِّطَ نَقْطَ العَروس[١] .....

- وكان للجدّ والهزل دَوْرٌ في هذا العصر، وفي النثر والشعر. فمن الذين سلَكوا هذا المسلَكَ الأديبُ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ مسعودٍ، قال من رُقعة كتبها إلى ابنهِ لمّا توجّهَ ٱبنُه إلى الغرب (غرب الأندلس)- وقد بلَغه عنه أنّه ٱنغمسَ في اللهو والشَراب- قال:

.... فازَ، يا بُنَيَّ، مَن ٱسْتَشْعَرَ البِرَّ والتقوى واستمسكَ بالعُروة الوُثقى[٢] واعتصم بحبل القناعة والرِضا، وتحصّن بالعَفاف وتبلّغ بالكَفاف[٣]، فلم يزاحِمِ الأقدارَ ولا غالَبَ الليلَ والنهار[٤] .... فأخْبِرْني، يا تاجرَ البحرينِ وسِمسارَ العِراقين ودليلَ الحِجازَيْنِ وخِرّيتَ الفَلاتين وابنَ عظيمِ القريتين[٥]، أتْعِسْ بِكَ من خَرّاجٍ وَلّاجٍ ماضٍ على السُرى والإدلاج[٦]، جَريءٍ على الليل الداج، كالسِراج الوهّاج

(١) قلادة الطاووس (كناية عن تنوع الألوان وجمالها). نقط العروس: صبغ أصابع يد العروس بالحنّاء (؟).

(٢) استشعر: لبس (لباس) البرّ والتقوى. العروة الوثقى (المتينة): الرباط المكين (كناية عن الاتّحاد).

(٣) تبلّغ: اقتصر على، اكتفى. الكفاف (ما يكفي لحفظ الحياة) الحدّ الأدنى ممّا يحتاج إليه الإنسان.

(٤) لم يزاحم الأقدار (لم يحاول أن يتغلّب على مجرى الأيام). ولا غالب الليل والنهار (الزمن وما يأتي به من خير أو شرّ).

(٥) تاجر البحرين (المتاجر باللؤلؤ). وسمسار العراقين (البصرة والكوفة: طريق التجارة من الهند والصين). ودليل الحجازين: مكّة والمدينة (؟) لشرف الزيارة إليها. الخرّيت: الدليل الحاذق الخبير. الفلاتان (الفلاة: الأرض الواسعة الخالية. الفلاتان للتقفية؟) ابن عظيم القريتين- الصواب «أحد ابني عظيمي القريتين» (مكّة والطائف). في القرآن الكريم ٣٤: ٣١، وقالوا: «لولا نُزّل (بالبناء للمجهول مع تشديد الزاي) هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»، أي الوليد بن المغيرة (ت ١ هـ = ٦٢٢ م) زعيم قريش في الجاهليّة وأحد أغنيائها الكبار؛ (من أهل مكّة) ثمّ عروة بن مسعود الثقفي (ت ٩ هـ = ٦٣٠ م) من أهل الطائف، وكان أيضاً عظيماً في قومه (وقد أسلم، ولكنّ قومه قتلوه).

(٦) خرّاج: كثير الخروج. ولّاج: كثير الولوج (الدخول). وفي تاج العروس (الكويت ٦ : ٢٦٤): «ورجل خرّاج ولّاج (بتشديد الراء واللام) أو خروج ولوج (بتسهيل الراء واللام) أو خرجة ولجة (بضمّ ففتح ففتح فيهما): كثير الدخول والخروج (عظيم النشاط، له مقدرة في معالجة الأمور). ماض (صاحب عزم) على السُرى (السفر في الليل) جريء على الإدلاج: سير الليل كلّه (بلا توقّف).

والعارض الثّجاج[١].....

صحّ عِندي أنّ العسل في تلك الجهةِ مُمْكِنٌ غيرُ غالٍ ومُنحطّ غيرُ عالٍ، فتناوَلْ إقامتَه وتركيبَهُ، وأتقِنْ صِناعته وتربيبَه. لقد نَسِيتُ، يا بُنَيَّ، أن أبعثَ إليك بنسخةٍ في تربيب العسل المشروبِ مُطابِقةً للمرغوب الْتَقَطْتها مُغتنماً عن فلانٍ اليهوديّ كان ٱنْتَخَبَها للمنصورِ بنِ أبي عامرٍ وأصحابه....[٢]

- ولأبي عبدِ اللهِ محمّدِ بنِ مسعودٍ هذا أُرجوزةٌ خاطبَ بها الوزيرَ ابنَ بقنّه[٣] على لسان جاريةٍ كان الوزيرُ قد أهداها إليه وضاعتْ حالُها بينَ يديه، فقال (الذخيرة ١ : ٥٥٣ - ٥٥٤) على لسانِ الجاريةِ تشكو إلى الوزيرِ ما تُلاقيهِ في دارِ ابنِ مسعودٍ:

وَهَبْتَني لأوْحَدٍ مُنقطِعِ ... في القُبْحِ والفقرِ خَفِيِّ الموضعِ.
جعلتَني أسيرةً مملوكهْ ... لطَلْعةٍ حائلةٍ صُعلوكهْ[٤]،
يُعزى، على الفألِ، إلى مسعودِ، ... وهْو شقيٌّ ليس بالمحمود[٥].
كما يُكنّى بأبي البيضاءِ ... أسودُ كالسَرْوةِ في الظلماءِ[٦].
ألا وهَبْتَني لشخصٍ تاجرِ، ... ولم أكنْ عند فقيرٍ فاجرِ.
أو ليتَني كُنتُ لبعضِ الجُنْدِ ... فربّما حاز نفيسَ المجدِ،
يَضرِب بالسيف ولا يُقاسي ... خُطّةَ خَسْفٍ بسؤال الناس[٧].
قد كسدَتْ آدابُه والشِعرُ، ... فما له عند البرايا قَدْرُ.
ولو تراه سائراً للسوقِ، ... إذا بدا في كُسوةِ الغُرنوقِ[٨]،

---

(١) الداجي: المظلم. العارض: الغيم المقبل بمطر. الثّجّاج: الكثير الماء (غزير المطر).

(٢) المنصور بن أبي عامر: الحاجب (كبير الوزراء بالأمور في آخر الخلافة المروانية في الاندلس (ت ٣٩٢ هـ).

(٣) قراءة هذا الاسم محيّرة (راجع الذخيرة ١ : ٥٥٢، الحاشية ٥).

(٤) الطلعة: الوجه. حائل: متحوّل (متغيّر)، لا يعرف له لون ثابت. صعلوك: فقير.

(٥) يعزى: ينسب. على الفأل: إذا تفاءلنا به (ظننا فيه خيراً).

(٦) السروة شجرة طويلة مائلة في خضرتها إلى السواد (... لشدّة سواده لا يرى).

(٧) خطّة (طريقة) خسف (ذلّ).

(٨) الغرنوق: طائر طويل الساق. إذا بدا في كسوة الغرنوق (عارياً أو كالعاري).

مشمِّرًا في الوحْــل عن ساقَيْـهِ مُــداوِلاً عَصــاه في كَفّيــه.
فمرّة يُعطي وألفــــاً يـمنَـعُ، ومرّةً يمشي وعشْراً يَقَـــــعُ.

ونشأت في هذا العصر « مجاميع الشعر »، بدأها الفتحُ بنُ خاقانَ (ت ٥٢٩ هـ) بكتابين: « مطمح الأنفس ومسرح التأنُّس في مُلَح أهل الأندلس » جمع فيه نماذجَ لثلاثِ طوائفَ من الذين قالوا الشعرَ قبل أيامه[١]: ثمانيةَ عَشَرَ من الوزراء وتسعةَ عَشَرَ من الفقهاء وأربعة عَشَرَ من الأدباء، ذكر في مقدمة « المطمح » أن الذي ندبه إلى جمعها الوزيرُ أبو العاصي حَكَمُ بنُ الوليد[٢]. والذي يبدو أن الفتحَ بنَ خاقانَ قد جمع هذه النماذجَ هَوْناً وعَفْوَ يدهِ لِمُلْحةٍ في كل نموذجٍ عدّها أهلًا لأن تُذْكَرَ في كتابه. ولستُ أدري بأيّ شيء آستحقَّ « الفقيهُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عبدِ الله بن مَسَرّةَ » (ت ٣١٨ هـ) مكاناً في « المطمح » (ص ٥٨) بهذين البَيْتين وحدَها:

أقْبِــلْ فــإنّ اليومَ يومُ دَجْنِ إلى مكــانِ كالضمــير مَكْــني[٣]
لنــا بحُــكمٍ فيــه أشهــى فنِّ فأنت في ذا اليومِ أمْشى مِنّي[٤].

مع أن الفتح بن خاقان قد ذمّه وكشف عن إلحاده.

وأما « قلائد العقيان ومحاسن الأعيان » فهو أكبرُ حجماً من « المطمح » وأوفى اختياراً. ولكنْ يبدو أن الفتح قد قَصَره على المعاصرين له وزاد في مدحهم على حسب ما نال من عطائهم.

وللنماذج التي اختارها الفتحُ في كِتابَيْهِ « المطمحِ » و « القلائدِ » مقدماتٌ إنشائيةٌ لَفْظية ليس فيها فائدةٌ تاريخية ولا هي صالحة لأن تكون أساساً لمعرفة خصائص الشاعر. ولا ريبَ في أن الصفات التي كان يخلَعُها الفتحُ على كل شاعرٍ كانتْ تستند إلى رضا الفتح عنه. فالغالب أن الفتحَ قد أرادَ التكسُّب في « القلائد »

---

(١) راجع بالنشيا ٢٩٨.
(٢) راجع مقدّمة المطمح (منقول بعضها في نفح الطيب ٧: ٦٠).
(٣) دجن: غيم. مكني (مستور عن عيون الناس).
(٤) لنا بحكم فيه (نحن نحكم فيه بما نشاء: نفعل ما نشاء من لهو). أمشى منّي: أقدر على المشي منّي (أبرع منّي في ذلك اللون من اللهو).

من الشعراء الذين سَلَكهم في كتابه.

قال الفتح بن خاقان في مطلع « ترجمة » الحاجب جعفرِ بنِ عُثمانَ المُصْحفيّ[١] في « المطمح » (ص ٤): « تجرّد للعُليا وعرّد في طلب الدُّنيا حتى بلغ المنى وتسوّغ ذلك الجنى[٢]. فسما دون سابقةٍ وارتقى إلى رتبة لم تكن للَبينَتِهِ بمطابقة[٣]. فٱلتاح في أفياء الخلافة وٱرتاح إليها بعِطْفِه كنَشْوان السُّلافة[٤]. وٱستَوْزَرَهُ المُستنصرُ، وعنه كان يسمعُ وبه يُبْصِرُ.....[٥] ».

هذا كلام قد يكون حُلْواً في الخيال، وهو منطوٍ على شيءٍ من الحقيقة. ولكنْ لا يستطيعُ أحَدٌ أن يَصِلَ إلى هذا الشيءِ من الحقيقة إلاّ إذا كان عارفاً بالمصحفي وبأحواله معرفة تامّة. وإنّ ممّا يُؤسَف له أنّ هذه الخُطّةَ الرديئةَ قد تركتْ أثَرها ظاهراً على كثيرين من الذين جمعوا مختارات من الشعر كٱبنِ بسّامٍ (ت ٥٤٢ هـ) في « الذخيرةِ » حتى نَصِلَ إلى لسانِ الدين بنِ الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في « الكتيبة الكامنة » وسواها. وكذلك فعل الحِجاري (ت ٥٥٠ هـ) لما وضع كتابه « المُسْهِب ». ثم ٱنتقل هذا السوء (مع الإيجاز) إلى « المُغرب » لابن سعيدٍ العَنْسيّ (ت ٦٨٥ هـ).

- النقد:

نبدأ في النقد الأدبي في هذا العصر بالفتح بنِ خاقانَ (ت ٥٢٩ هـ) مَعَ أنّ نقدَه، يتعلّق في الأكثر بالشاعر لا بشِعره. ثم إن أحكامَه شخصيةٌ قاصرةٌ في جملٍ عاطفية مسجوعة. ومعَ ذلك ففيها بذور من النقد مفيدة في عدد من الأحيان. فمن أحكامه التي لا فائدة فيها قوله في أبي عامر بن شُهيد (المطمح ١٦): « عالم بأقسام البلاغة ومعانيها، حائز قَصَبَ السبق فيها. لا يُشبِهُه أحدٌ من أهل زمانه، ولا يُنسق في نسق

---

(١) للمصحفي هذا ترجمة مستقلّة (ت ٣٧٢ هـ).

(٢) الجنى: الثمر. تسوّغ (ليست في القاموس): أجاز الأمر لنفسه، وجد ذلك الأمر سائغاً.

(٣) اللبينة: (؟) اللبين (الذي يربّى على لبن الحيوان- البقر، مثلا).

(٤) التاح: عطش، تغيّر (لا معنى لها هنا)- لعلّه يقصد رؤى. النشوان: السكران. السلافة: الخمر.

(٥) المستنصر: الحكم (مكث في الخلافة في الأندلس من ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ) ابن عبد الرحمن الناصر. عنه يسمع وبه يبصر (يعتمد عليه في أعماله).

من درّ البيان وجُمانه. توغّل في شِعاب البلاغة وطُرُقها، وأخذ على مُتعاطيها ما بين مَغْربها ومَشرقها. لا يقاومه عمْرو بن بحرٍ ولا تراه يغترف إلا من بحرٍ...... »، وأمّا أحكامه التي تنطوي على شيء من الفائدة فقوله في أبي حفصٍ احمدَ بنِ بُردٍ (المطمح ٢٤): « وأبو حفصٍ هذا بديعُ الإحسان بليغ القلم واللسان، مليحُ الكتابة فصيح الخطابة. وله رسالة السيف والقلم وهو أول من قال بالفَرْقِ بَيْنَهما. وشعره مُثَقَّف المباني.... ».

وعَرَضَ ابنُ خَفاجةَ (ت ٥٣٣ هـ) في مقدمة ديوانه لشيءٍ من النقد المنظّم فآعتمد في تقديم الشاعر على ما في شعرهِ من جَزالةٍ ورِقّة. ثم هو يرى أنّ الشعرَ قائمٌ في الأصل على التخييل (على الزيادة فيما يرى الشاعر في الواقع) وليس في ذلك شيْءٌ من الكَذِبِ ضرورةً. وابنُ خفاجةَ أميلُ إلى الأخذ بالجانب الفنّي (جمالِ التعبير وغرابته) منه إلى الجانب الأخلاقي (موافقةِ الشاعرِ في أقوالِه لعاداتِ زمانه ومكانه) لأنه يذهب إلى أن الشعرَ تعبيرٌ عن الواقع الشخصي للشاعر نفسِه.

ولأبي الطاهر الاشتركوي (ت ٥٣٨ هـ) أحكامٌ ساقَها في مَقامتين له: أحكامٌ عامّةٌ قليلةُ الفائدة جَمَعَ أكثَرها من أقوالِ الذين سبقوه (راجع ترجمته).

ومَعَ أن ابنَ بسّامٍ (ت ٥٤٢ هـ) صاحبَ « الذخيرة » قد سار في تعريف الشعراء على خُطى الفتح بنِ خاقانَ أو قريباً من ذلك في النثر الأنيق المسجوع، فإن في كتابه « الذخيرة » أُسُساً للنقد متفرقةً لا نَجِدَ فيها شيئاً من الآبتكار. كان آبنُ بسّامٍ يُريد إبرازَ بدائعِ الأدب الأندلسي لَوْماً لأولئك الذين يَرَوْنَ الإحسانَ في شعرِ المَشارقة وحدَهم. ثم إنه يَميلُ إلى الجانب الأخلاقي في الشعر فَيَحْمِلُ على الهِجاء ويُهْمِلُ إيراد ما قبُحَ منه. وأما كُرْهُ آبنِ بسّامٍ للإكثار من المعاني الفلسفية في الشعر ونُفورُه من الآستعارات البعيدة ثم آستحسانُه الإشارةَ إلى الأحوال دون التفصيلِ فيها إلى جانبِ مَدْحِهِ للبديهة والآرتجال فأشياءُ مشهورةٌ عند ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ). وابن بسامٍ لا يَفْسَحُ في كتابه الواسعِ مكاناً للموشّحات.

أما الذي قَصَدَ إلى النقد في هذا العصر ثم توفّرَ عليه فكان ابنَ عبدِ الغَفور الكِلاعي (ت ٥٤٣ هـ) في كتابه « إحكام صنعة الكلام »، مَعَ العلم بأنّ هذا الكتابَ

أَلْصَقُ بعلم البلاغة عامةً منه بفنّ النقد خاصةً. وأكثرُ ٱهتمامِه في هذا الكتاب بالنثر، وقد وفّاه حقه من جَعْلِهِ أنواعاً ومن تعريفِ تلك الأنواع. وهو يُفَضِّلُ النثرَ على الشعر.

ومَعَ تأخُّرِ ابن خِيرةَ المواعيني (ت ٥٦٤ هـ) في الزمن فإننا نستطيعُ أن نسلُكَهُ في عصر المرابطين. لابن خيرة كتبٌ في النقد منها «الرَّيْحان والرَّيْعان» ٱعتمد فيه كثيراً من كتب المشارقة. فهو يرى حُسْنَ مخارج اللفظة المُفْرَدَةِ (بتباعد مخارج حروفها طلباً للوضوح في اللفظ) وحسن تأليفها (تركيبها في الجملة) مَعَ الموافقة بين اللفظ والمعنى. ويرى أيضاً الاَبتعادَ (في الشعر) عن الضَّروراتِ (الجوازات الشاذّة) وعن الحَشْو والإخلال (زيادة الألفاظ أو نقصها عما يجب). ولكنْ لا بأسَ بالكَذِبِ (المبالغة) في الشعر. أمّا الخَطابة فيجب أن تكونَ أقربَ إلى الواقع.

صورة الحياة العامّة

كانتِ الصلاتُ بين العُدوتين: العدوة الأوروبيّة (الأندلس) والعُدوة الإفريقية (المَغْرب) وثيقةً دائماً، وكان التبادل الاجتماعيّ والثقافيّ كثيراً. ولما بسط المرابطون نفوذَهم السياسيَّ على الأندلس كَثُرت تلك الصِلاتُ وتوثّقت. وقبل مجيء المُرابطين إلى الأندلس كانتِ الأندلس من الناحية السياسة في دَرْكِ انحطاطها. فلما انتصر يوسفُ بنُ تاشفينَ على الإسبان وحَطّم مقاومتَهم العسكرية، إلى حينٍ، استروَحَ المسلمون في الأندلس رِيحَ القوة وتجدد أملُهم في البقاء. وأدرك نصارى الأندلس أنهم قد هُزموا في مَعْرَكةٍ فاصلة (معركة الزَلاقة) ولكنهم لم يَتْركوا القتال. ثم إن نصارى أوروبة (بزَعامة البابوية) زادتْ في عزيمتها على الحرب. ولما أيقنتِ البابوية أنها لن تقوى على مُجابهة يوسفَ بنِ تاشفينَ وجّهتْ وجهها نحوَ الشرق ونقلت حربَها الصليبيةَ مِنَ الأندلس إلى فِلَسْطين.

بعدَ القضاء على ملوكِ الطوائفِ أصبحَ للأندلسِ حاكمٌ واحد، كان أميراً من المرابطين. وكان هذا الأمير المُرابطي يُعيّنُ على قواعدِ الأندلس (المُدُنِ الكبيرة فيها) وُلاةً. ويبدو أن الولاةَ كانوا دائماً من المُرابطين (أهل المغرب) ولكنّ الوُزراءَ كان

بالإمكان أن يكونوا من الأندلسيين، فلقد وَزَرَ ابنُ باجُه مَثَلاً لأبي بكرِ بنِ إبراهيمَ اللمتوني في غَرْناطة. وكذلك لم تكُنْ مُدَدُ الوُلاةِ على الأندلس تطولُ في العادة - وإنْ كان سِيرُ بنُ أبي بكرٍ قد ظَلّ في وَلايته إشْبيلِيَةَ سبعاً وعِشرينَ سَنَة - كيلا يُحاولَ أحدٌ منهُمُ الاستبدادَ بالبَلَدِ الذي تحتَ يَدِه.

ثمّ إن المرابطين حَرَصوا على دَوام العَدْل في الرَعيّة، فقد كتب أبو القاسمِ بنُ الجَدّ (على لسانِ يوسُفَ بنِ تاشفين) رسالةً إلى أبي محمدِ بنِ فاطمةَ (أحَدِ عُمّاله - ولا رَيْبَ في أنّ فَحْوى هذه الرِسالةِ يُمكِنُ أن يَنْطبقَ على أهلِ المغرب وعلى أهل الأندلس) يقولُ:

« .... فاتّخِذِ الحقَّ إمامَك ومَلِّكْ يَدَكَ زِمامَه، وأجْرِ عليه في القَوِيِّ والضعيف أحكامَك. وارْفَعْ لِدَعْوةِ المظلومِ حِجابَك ولا تَسُدَّ في وَجْهِ المُضْطَهَدِ بابَك. ووَطِّئ للرعية - حاطَها اللهُ - أكنافَك. وابْذُلْ لها إنصافَك. واستعملْ عليها مَنْ يَرْفِقُ بها ويَعْدِلُ فيها، واطَّرِحْ كلَّ من يَحيف[1] عليها ويُؤذيها. ومن سَبّب عليها من عُمّالك زِيادةً أو خَرَقَ في أمرها عادة، أو غيَّرَ رسماً أو بدّل حُكْماً، أو أخذ لنفسهِ منها دِرْهماً ظُلْماً، فاعْزِلْهُ عن عمَلِهِ وعاقِبْهُ في بَدَنِه، وألْزِمْه رَدَّ ما أخذ - تَعَدِّياً - إلى أهلِهِ واجْعَلْهُ نَكالاً[2] لغيرِه حتى لا يُقْدِمَ منهم أحدٌ على مِثْلِ فعلِه.... » (قلائد العقيان ١٢٧ - ١٢٨).

وكان لوزراءِ المرابطين سُلطةٌ واسعة لا تقتصر على المغرب فقط بل تتناول الأندلس أيضاً، كما كان للقُضاة مثلُ تلك السلطة، ذلك لأنه كان للفقهاء أثرٌ كبير في نُصرة المرابطين، فقد كانوا حَبّبوا حُكْمَ المرابطين إلى الناس - بعد أن كان حكمُ ملوكِ الطوائف قد أمَلّ الناس لكَثْرة ما كان في عهدهم من الترف ومن الحُروب التي ضيّعتْ بلاداً كثيرة فنقلتها من حُكْمِ ملوكِ الطوائفِ المسلمين إلى حكمِ ملوكِ الإسبان النصارى.

---

(١) حاف: جار وظلم.

(٢) النكال: العقاب (بشدّة تردع الآخرين من الوقوع في الذنوب).

وهؤلاء القُضاةُ الذين أصبحتْ لَهُمُ السلطةُ الواسعة على الناس في المَغرب والأندلس معاً، بما كان المرابطون قد خَوّلوهم من المكانة لم يَتْرُكْهُمْ سلاطين المرابطين بلا نُصْح أو تذكيرٍ بلزومِ العَدْلِ في الناس والرِفْق بهم. إن القاضيَ لما أصبحتْ له السُلطةُ والرَقابة على القضاء والفُتْيا والشُورى والخُطبة (يوم الجمعة) وعلى أحكام السوق كُلِّها (رَقابة سُلوك الناس ثم الفَصْل في مُنازعاتهم)، مما كاد يجعَلُه حاكماً فَرْداً، مالَ في عددٍ من الأحوال إلى شيءٍ مِنَ الآستبداد وإساءةِ التصرُّف. من أجل ذلك كَتَبَ آبن القصيرة الإشبيليُّ (ت ٥٠٨ هـ) إلى قاضي الجماعة بقُرْطُبَةَ آبنِ حَمْدين (تولّى القضاءَ من سَنَةِ ٤٩٠ إلى وفاتِهِ في المُحَرَّم من سَنَةِ ٥٠٨)- على لسانِ أميرِ المسلمين يوسفَ بنِ تاشفينَ- (الذخيرة ٢ : ٢٦١):

« .... اسْتَهْدِ اللهَ يَهْدِكَ، وآسْتَعِنْ به يُعنْكَ في صَدْرك ووِرْدِك[١]. وتَوَلَّ القضاءَ الذي وَلّاكَهُ اللهُ بجدّ وحَزْم وجَلَدٍ وعَزْم. وأمْضِ القضايا على ما أمضاها اللهُ تعالى في كِتابه وسُنة نبيّه.. وآسِ[٢] بينَ الناسِ في وَجْهكَ وعَدْلك ومجلسك حتى لا يطمَعَ قويٌّ في حَيْفِكَ ولا يَيْأسَ ضعيف من عدلك. ولا يكُنْ عندك أقوى من الضعيف حتى تأخُذَ الحقَّ له، ولا أضعفُ من القوي حتى تأخُذَ الحقَّ منه...... » (إن هذه الرِسالة- والجُمَلَ الأخيرةَ منها خاصةً- مأخوذةٌ من رسالة عمرَ بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعريّ في القضاء).

ومَعَ هذا كُلِّه فقد أساء نفرٌ من القضاة تَصَرُّفَهم في الرعية وأموالِ الرعية، حتى قال الشاعر الأندلسي ابنُ البُنّيّ يهجو قاضيَ قُضاةِ قُرطُبةَ آبنَ حَمْدين نفسَه (المعجب ١٢٢: راجع نفح ٣ : ٤٤٨- هي للأبيض).

أهلَ القضاء، لَبِسْتُموا ناموسَكم كالذِئْبِ أدْلج في الزمان العاتم؛[٣]

---

(١) الصدر (الرجوع عن الماء بعد الشرب) والورد (بالكسر) والورود (الذهاب إلى الماء للشرب): في جميع اعمالك.

(٢) آسى بين الشخصين: سوّى بينهما.

(٣) عتم (بفتح ففتح) الليل: بدأ ظلامه. أدلج: سار في أوّل الليل. الناموس: الشريعة (القانون)- لبستم ناموسكم (تّخذتم عملكم في القضاء ستاراً على استغلال القضاء وظلم الناس).

فمَلَكْتُمو الدُنيـا بمذهبِ مالكٍ[١]، وقَسَمْتُمو الأموالَ بابنِ القاسم[٢].
وركِبْتمو شُهْبَ الدَوابِ باشْهَبٍ[٣]، وبأصْبـغِ صُبغَتْ لكم في العالم[٤].

★ ★ ★

والمغاربة كانوا دائماً كِثاراً في الأندلس، ولكنهم الآن أصبحوا أهلَ طَبَقةٍ سائدةٍ وأخذَ كثيرون من الأندلسيين يقلدونهم في اللثام[٥] خاصة ويسيئون التصرف في الأمور أيضاً، بالإضافة إلى حياة الترف البالغ التي كانوا يَحْيَوْنَها. وبرزت المرأة في الأندلس- تشبها بالمرأة الصنهاجية من الملثمين[٦]- فوق ما كان لها من البروز قبل الحكم المرابطي في الأندلس. ثم لم يَخْلُ عصر المرابطين في الأندلس من مثل رجل شُعوبيّ كأبي عامر بن غرسيه (راجع أخباره المفصلة في الجزء الرابع).

الحياة الثقافية

إنّ الاتجاهَ الدينيَّ الواضحَ في نشأة دولة المرابطين ظَهَرَ بارزاً جِدًّا في الحديث. غيرَ أن جُهد المُحَدّثين انصرفَ إلى أمورٍ جانبية في الأكثر: في مختاراتٍ مُعَيّنة من كتب الحديث وفي تعريفِ رِجالِ السَنَد في الحديث وفي أشياءَ من أصول التَحْديث،

(١) مذهب مالك (بن أنس): المذهب الرسمي في المغرب والأندلس- ملكتم الدنيا بمذهب مالك: استغللتم انتماءكم إلى المذهب الرسمي للحصول على المغانم الشخصية.

(٢) وقسمتموا (اقتسمتم) الأموال (بينكم) بابن القاسم= أبو عبد الله عبد الرحمن بن قاسم العتقي (بضم ففتح) فقيه مصري ١٣٢ - ١٩١ هـ) تفقّه على الإمام مالك وصحبه عشرين سنة. وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك. وهو صاحب «المدونة» (المصدر الرئيس في الفقه المالكي)، وعنه أخذها سحنون (ت ٢٤٠ هـ).

(٣) ركبتم شهب الدوابّ (البغال): نلتم المناصب العالية وتمتّعتم بالحياة الناعمة. وأشهب بن عبد العزيز القيسي (١٤٥ - ٢٠٤ هـ) فقيه مصر في زمانه صحب الإمام مالك زماناً.

(٤) أبو عبد الله أصبغ بن الفرج المصري (ت ٢٢٥ هـ) كان تلميذ ابن القاسم. صبغت لكم (اللقمة) بأدم (بفتح ففتح): وضع لكم دسم على خبزكم (تنعّمتم في الحياة).

(٥) اللثام: القناع- جعل الأندلسيون يضعون اللثام على وجوههم (تقليداً للمرابطين ليتصرفوا كأنهم حكام أو أعيان).

(٦) كانت المرأة من المرابطين برزة (تكشف عن وجهها- بخلاف الرجال من قومها).

نذكُر من هؤلاء: الحُسينَ بنَ محمدٍ الغَسّاني الجَيّانيّ (ت ٤٩٨ هـ) له «تقييدُ المُهمَلِ وتَمْييزُ المُشْكِل من رِجال الصَحيحين»، وله «الكُنى والألقاب». وقد كان بارعاً في التحديث، رَحَلَ الناسُ إليه وأخذوا عنه. وهناك رَزينُ بنُ مُعاوِيةَ العَبْدَريّ (ت ٥٢٤ هـ) له «التجريدُ في الجَمْعِ بين المُوطّأ والصِحاحِ الخمس»، وله «أخبارُ مكّةَ والمدينةِ وفضائلُها». ولعبدِ اللهِ بنِ عليٍّ الرُشاطيّ (ت ٥٤١ هـ) تصانيفُ في تصحيحِ كُتُبِ الحديث وفي أنسابِ الصَحابة. وكذلك لابنِ وكيلِ الإقليشيّ (ت ٥٤٩ هـ) مُختاراتٌ من كتب الحديث وشيءٌ من التأكيد على الجانبِ الصوفي منها. ومثلُه في المَيْلِ إلى الجانبِ الصوفيّ عبدُ المجيد بنُ عُمَرَ الميانيشيّ (ت ٥٧٩). وكان لمحمدِ بنِ عليٍ بن ياسينَ الأنصاريِّ الجَيانيِّ مُختاراتٌ من رِواياتِ مَنِ آسْمُ كلّ واحدٍ منهم محمدٌ. واشهَرُ هؤلاءِ في العصرِ الذي نُعالجه أبو بكرِ بنِ العربي (ت ٥٤٣ هـ) والقاضي عِياضُ بنُ موسى (ت ٥٤٤ هـ).

وكان المَيْلُ في هذا العصر إلى الفِقه السَلَفيّ مَعَ التشدّد في الجوانب النظريّة منه وفي الفروع أيضاً. لقد رَفَعَ المُرابطون (في المغرب وفي الأندلس) لِوَاءَ السُنّة ورَفَضوا الرأي والفَلْسفة، وبَلَغ من تَشَدّدهم أن أحرقوا كُتبَ الإمامِ أبي حامدٍ الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ) مَعَ العِلم بأن الصِلاتِ بين الغزّاليّ ويوسفَ بنِ تاشفينَ كانتْ حسنةً، وكان مِنَ المنتظر أنْ يستجيب الغزاليُّ لدعوةِ يوسفَ بنِ تاشفين في المجيء إلى المَغْرِب لولا وفاةُ ابنِ تاشفينَ في سَنَةِ ٥٠٠ هـ. غير أن هذا التشدُّدَ لم يمنَعْ مِنَ الجَدَلِ ومِنَ اتجاه نَفَرٍ مِنَ الفقهاء نحوَ عِلْمَ الكلام من أمثال ابنِ السِيدِ البَطَلْيَوْسِيّ (ت ٥٢١ هـ) ويَحْيى ابنِ عُمَرَ بنِ سعدونِ القُرطبيّ (ت ٥٦٧ هـ). ولقد ذَهَبَ بالشُهرة في أصول الفِقه والكلام وفي فُروع الفِقه أيضاً أبو بكرِ بنِ العربي والقاضي عِياض.

ثم يحسُنُ أن نذكُرَ من فقهاءِ هذا العصرِ أبا الوليدِ بنَ رُشْدٍ الجَدّ (ت ٥٢٠ هـ) ومحمدَ بنَ عليٍّ المازَرِيَّ الصِقِلّيَّ (ت ٥٣٦ هـ) ثم أبا بكرِ بن العربيّ والقاضيَ عِياضاً أيضاً.

ثم نَنْتَقِلُ إلى العلومِ الرِياضية والعلوم الطبيعية.

كان إبراهيمُ بنُ يحيى المعروفُ بابن النقّاش الزرقالي (ت ٤٩٣ هـ) بارعاً في علوم

الفَلَكِ النَظَرية والعَمَلية له كتاب العَمَلِ بالصَحيفة الزيجية (للاستدلالِ على حَركات النجوم) وكتاب حَركات النجوم الثابتةِ (الثابتةِ بالإضافة إلى الأرض)، وله أيضاً « المُدخِلُ إلى علمِ النجوم ». ثم هو أبرعُ أهلِ زمانِه في رَصْد النجوم.

ولأبي الصَلْتِ أُميَّةَ بنِ عبدِ العزيز (ت ٥٢٩ هـ) براعةٌ في الطِب والأدب وغيرِهما، ولكنّ براعتَهُ البارزةَ كانت في الفيزياء وفي عِلْم الحِيَل (الميكانيك) خاصة.

واشتهرَ في هذا العصرِ عالِمانِ في الجغرافية أحدُهما الشريفُ الإدريسيّ (ت ٥٦٠ هـ) صاحبُ كتابِ « نُزْهَة المُشتاق في اختراق الآفاق » ألّفه حينما انتقلَ إلى جزيرةِ صِقِلِّيَةَ لِمَلِكِها رُجّارَ (روجر) الثاني النورماني، ولذلك يُعْرَف كتابُه أيضاً بعُنوان « الكِتاب الرُجاريّ ». ولقدِ استعانَ الشريفُ الإدريسي في تأليفِ هذا الكتاب بنَفَرٍ من العُلماء كان يَبْعَثُ بهم إلى الأقطار المختلفة (والقريبة منه) مَعَ المَسّاحين والرسامين لدراسة طبيعة البلاد التي يذهبون إليها. ولقد وضعَ الشريفُ الإدريسِي للعالمِ المعروفِ في زمانه خارطةً على شيءٍ كثير من الدِقّة واصطلح فيها على أن يكونَ الجَنوبُ في جانبها الأعلى (بِخلاف ما عليه الاصطلاحُ اليومَ من أن الشَّمال هو الجانبُ الأعلى). ثم إنه رَسَمَ العالمَ على كُرَةٍ من الفِضة. ثم يأتي هنا أبو حامدٍ محمدُ بنُ عبدِ الرحيم المازنيُّ (ت ٥٦٥ هـ)، وكان رحّالةً كثيرَ الأسفار بعيدَها زار بلادَ البُلغار والروس والخَزَر وخَوارَزْمَ (في الجانب الشرقيّ من أوروبة خاصة). وللمازنيّ كتبٌ منها: المُعْرِب في عجائب المَغْرب - تُحفة الكِبار في أسفار البحار.

واشتهر في هذا العصر يَحْيى بنُ محمدِ بنِ العَوّام (ت نحو ٥٨٠ هـ) صاحبُ كتاب « الفِلاحة النبطية » جَمَعَهُ من مَصادرَ مختلفةٍ يونانيةٍ في الأكثر ثم أضاف إليه ملاحظاتِه الكثيرة.

ولَمَعَ الطِبّ في هذه الحِقبة من التاريخ لَمَعاناً شديداً. لقدِ ٱزْدَانَ هذا العصرُ بٱثنينِ من بني زُهْرٍ أوّلُهما أبو العَلاءِ زُهْرُ بنُ عبدِ الملك (ت ٥٢٥ هـ) وكان بارعاً جدًّا في التطبيب فنال منزلةً ساميةً عند المرابطين، ولكنه كان أيضاً بَذيءَ اللسان كثيرَ التكَبُّرِ. أهْدى إليه رجلٌ نُسخةً من كِتاب « القانون » لابنِ سينا (ولم يكُنْ كتابُ القانون قد وَصَلَ بعدُ إلى الأندلس) فازدرى الكتابَ وجعَلَ يَقْطَعُ منه طُرَراً (قِطعاً)

يكتُبُ عليها وَصَفاتِه. وإذا كان هذا العملُ في نفسِه يدُلُّ على شيءٍ مِنَ الثِقة بالنفس وعلى شيءٍ من البراعة، فإنه- في الوقتِ نفسِه- يدُلُّ على كثيرٍ من الجَهْل وقِلّة التهذيب. وكذلك بَرَعَ أبو مروانَ عبدُ الملك بنُ زُهْرٍ (ت ٥٥٧ هـ) في التطبيب واشتهر به وكان ناجحاً جَمَعَ من صِناعته ثروةً عظيمة. ولكنْ كانتْ له آراءٌ شاذّةٌ منها أنه مَنَعَ الحمّامَ (الاغتسال بالماء) ظنًّا منه أن الماء يُدْخِلُ على الجسم عُفونَةً تَضُرُّ به. ولعلَّ ابنَ زُهْرٍ هذا كان مُتأثّراً بسُلوكه في ذلك بنصارى أُوروبةَ الذين كانوا يمنَعون الاغتسال، لأنّ الاغتسالَ يُزيلُ أثر ماءِ «التعميد» الذي كان طِفلُهم يُغْمَسُ فيه لإدخاله في النصرانية.

ومن البارعين في المُداواة أحمدُ بنُ محمدِ الغافقيُّ (ت ٥٦٠ هـ) كان عارفاً بالأدوية المُفردة جامعاً لِمَا عَرَفَ الأوائلُ (القدماء: اليونان) منها (طبقات الأطباء ٢ : ٥٢). وكانت له كُتُبٌ منها: «دَفْعُ المَضارّ الكُلية للأبدان الإنسانية» (؟)... . (بروكلمن ١ : ٦٤٣). وفي تلك الحِقبة نفسِها عاش محمدُ بنُ القاسمِ بنِ أسلمَ الغافقيُّ الذي بَلَغَ أشُدَّه في القرن الهِجْري السادِسِ، وكان كحّالاً (طبيباً للعيون)، وله كتابٌ مطبوع (بروكلمن، الملحق ١ : ٨٩١).

* * *

ونَضِجَتُ الفلسفةُ في الأندلس في هذه الحِقبة بظهورِ ابنِ باجُّه (ت ٥٣٣ هـ) خاصةً. كان ابنُ باجُّه عالماً وأديباً وموسيقيًّا وفيلسوفاً وطبيباً. غيرَ أن شُهرتَه بالفلسفةِ غَطّتْ على كلِّ فنٍّ آخرَ له، فهُوَ الذي بنى التفكيرَ الفلسفيَّ على الرياضيات والطبيعيات واقترب بالفلسفةِ من أنْ تكونَ علماً ثم قال إن التَصوُّفَ يُميت الحِسَّ ويمنعُ التفكيرَ السَوِيَّ في المُتصوّف. ويحسُنُ أنْ نذكُرَ في هذه التَوْطِئة ابنَ السيد البَطَلْيَوْسِيَّ (ت ٥٢١ هـ) فلقد كان هو أيضاً أديباً ولُغَوِيًّا وفقيهاً وفيلسوفاً. وتجدُرُ الإشارة هنا إلى كِتابه «الحدائق» وهو خَمْسُ مقالاتٍ فلسفيةٌ سهلةُ الأُسلوب مُوجزةُ البحثِ تتناول عدداً من الآراء اليونانية عندَ أفلاطون خاصةً- لا تَتّفقُ دائماً مَعَ آراء أفلاطون، وتلك مُشْكلةٌ معروفة في الفلسفة الإسلامية لا مَجالَ للتبسّط فيها في هذه الأسطر.

ويبرزُ في هذا الدَوْرِ أبو بكرٍ الطُرطوشيُّ (ت ٥٢٥ هـ) فيلسوفاً اجتماعياً سابقاً في تعليل التاريخ على ابنِ خَلْدونٍ. وابنُ خَلْدونٍ يُشير إلى ذلك صَراحةً ويرى أن كثيراً من آرائهِ التاريخية قد وَرَدَتْ عند الطُرطوشيِّ هذا، ولكنّ ٱبْنَ خَلْدونٍ – كما يقولُ ٱبنُ خَلْدونٍ نفسُه – قد زادَ على الطُرطوشيِّ في تنظيمِ هذه الآراء وفي التبسُّط فيها وضَرْبَ الأمثلة عليها – راجع ترجمة الطرطوشي (في هذا الجزء) وترجمة عبد الرحمن ابن خلدون في الجزء التالي).

وبينما كان ابنُ باجَّه يرفُضُ التصوفَ كان أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ العَريف (ت نحو ٥٣٦ هـ) يشُقُّ في التصوّفِ طريقاً جديداً هو الزُهْدُ في كلّ شيءٍ إلا في الله، وذلك هُوَ التخلّي الكاملُ عن كلِّ أمرٍ من أمور الدنيا. ونحنُ نَشَمّ في ذلك شيئاً من رائحةِ الهِنْدوكية. ولابنِ العَريفِ هذا كتاب «مَحاسنِ المجالس» ذَكَرَ فيه الصِفاتِ التي رآها هو ضَرورِيةً في المتصوف. وكانتْ له أيضاً قصيدةٌ صوفية. ويبدو أنّ التصوفَ قدِ ٱنْحَرَفَ ٱنحرافاً أكْبرَ مَعَ أبي القاسمِ أحمدِ بنِ القيسي (؟) الذي قَتَلَهُ المُرابطون سَنَةَ ٥٤٦، فإنه كان قدْ أقام للمُريدين من أتباعه رِباطاً في غربيِّ الأندلس (البرتغال اليوم)، وله كتابُ «شَرْحِ حديثِ خَلْعِ النَعْلَيْنِ» (صاحبُ هذين النعلين: رسولُ الله) وٱقتباسُ الأنوار من موضع (؟ موطىء) القَدَمَيْنِ (بروكلمان، الملحق ١: ٧٧٦).

ويبدو أن ٱهتمامَ المؤرّخين في هذا الدَّوْرِ كان مُنصرفاً إلى كُتُبِ التراجم وكتب الخصائص الجانبية، فمن هؤلاءِ المؤرّخين: ابنُ مُدَيْرٍ (ت ٤٩٥ هـ) ومحمّدُ بنُ عَلْقَمَةَ الصَدَفِيّ (ت ٥٠٩ هـ) له «البَيانُ الواضحُ في المُلِمِّ الفادحِ» (في تاريخِ مدينة بَلَنْسِيَةَ وتغلُّب الإسبان عليها ومِحْنتها). ثم هنالك عبدُ الجبار بنُ عبدِ الله بنِ أَصبغَ (ت ٥١٦ هـ) له «عيون الإمامة ونواظر السياسة» ومحمدُ بنُ فِيرُّه بنُ سُكّرةَ الصَدَفيّ (تُوُفيَ ٥١٦ أيضاً) ثمّ محمدُ بنُ يَحْيى بنُ يَنَّقَ (ت ٥٤٧ هـ) له كتابُ «ملوكِ الأندلس والأعيان والشعراء» ثمّ أبو بكرٍ يحيى بنُ مُحمدِ بنِ يوسُفَ الأنصاريُّ الغَرْناطِيّ له «أخبار دولة لَمْتونَةَ» (المرابطين) ثم محمدُ بنُ أحمدَ الطُرطوشي البَلَويّ (ت ٥٥٩ هـ) – وهو مؤلّف مُوسِعِيّ – له من الكتب: كتابُ «أُنْموذَجُ العُلوم»

وكتاب « دُرَرُ القلائِد وغُرَرُ الفوائد » وكتاب « أخبارُ الأندلس وأُمرائها وطَبَقات عُلمائها وشُعرائها ». ثم هنالك ٱلْيَسَعُ بنُ عيسى بنُ حَزْمٍ الغافقيُّ (ت ٥٧٥ هـ) له: كتابُ « فضائل أهلِ المَغْرب » وكتاب « المُعرب في محاسن أهل المَغْرب ». وأشهَرُ هؤلاء كُلِّهمُ ابنُ بشكوالَ (ت ٥٧٨ هـ) صاحبُ كتابِ « الصلة ».

تاريخ الفكر

ما دامتْ حركةُ المرابطين قدْ بدأتْ دينيةً ورِدّةَ فعلٍ على ما انتشر من الترف وتوابعه في عصر ملوك الطوائف، فقد كان من المنتظر ألّا تَلْقى الفلسفةُ في أيام المرابطين أرضاً صالحةً وخصوصاً إذا نحن علِمْنا أن الفلسفةَ في الأصل نتاجٌ يونانيٌّ غريبٌ وَوَثَنِيّ. من أجل ذلك يقولُ عبدُ الواحدِ المَرّاكُشي (المعجب ١٢٣، راجع ١٢٨): « ولم يكُن يقرُبُ من أميرِ المسلمين ويَحْظى عِنْدَه إلا مَنْ عَلِمَ عِلْمَ الفُروع - أَعْني فروعَ مذهبِ مالكٍ - فَنَفَقَتْ في ذلك الزمان كُتُبُ المذهبِ وعُمِلَ بمُقتضاها ونُبِذَ ما سِواها، وكثُرَ ذلك، حتّى نُسِيَ النَظَرُ (أيِ التفكيرُ بالتأويل) في كتابِ اللهِ وحديثِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فلم يكن أحَدٌ من أهلِ ذلك الزمان يَعْتني بها كلَّ الاَعتناء. ودانَ أهلُ ذلك الزمانِ بتكْفِير كلِّ مَنْ ظَهَرَ منه الخَوْضُ في شيءٍ مِنْ عِلْمِ الكلام. وقرَّرَ الفقهاءُ عند أميرِ المسلمين تَقْبيحَ علمِ الكلام وكراهةَ السلَفِ له وهجْرَهُمْ من ظَهَرَ عليه شيءٌ منه وأنّه بِدْعةٌ في الدين، وربّما أدّى أكْثَرُه إلى ٱختلال في العقائد.... فكان (أميرُ المسلمين) يُكْتَبُ عنه في كل وقتٍ إلى البلاد بالتشديد في نَبْذِ الخَوْض في شيءٍ منه؛ وتَوَعَّدَ مَنْ وُجدَ عنده شيءٌ من كُتُبه. ولمّا دخلتْ كتُبُ أبي حامدٍ الغزّالي - رَحِمَهُ اللهُ - المَغْربَ أمَرَ أميرُ المسلمين بإحراقِها وتَقَدَّمَ بالوعيدِ الشديد مِنْ سَفْكِ الدَّمِ واستئصالِ المالِ إلى مَنْ وُجدَ عندَه شيءٌ منها. وٱشتدّ الأمرُ في ذلك ».

ثمّ « اسْتُفْتِيَ في ذلك الأمرِ الفقيهُ أبو الحسن البَرْجيُّ فأفْتى بتأديبِ مُحْرِقِها وتَضْمينهِ ثَمَنَها. وتابعَهُ على ذلك ٱثنان آخرانِ من الفُقهاء » (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ٥٨ - ٥٩). ومَعَ ذلك فلم يَمْنَعْ هذا كُلُّه من أن

ينصرفَ نَفرٌ إلى الفلسفة كابنِ السِيدِ البَطَلْيَوْسيّ (ت ٥٢١ هـ) الأديب الذي ألّفَ أيضاً في الفلسفة. غيرَ أن كِتابه «الحدائق» مزيجٌ من الآراء الإسلامية والآراء اليونانية والآراء الهندية وشيءٌ من علم الكلام. وقد سَمّى ابنُ السِيدِ البطليوسيّ كتابَه هذا «كتابَ الحدائقِ في المطالب العالية الفلسفية العويصة» (القاهرة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م). وهذا الكتاب في الحقيقة نُتَفٌ من آراءٍ مختلفة: ففي أصلِ العالَمِ يأخُذُ من أفلاطونَ فيما يتعلق بالمادة والصورة وبترتيب الفَيْض، كما يأخُذُ عن نيقوماخوسَ الجَرَشِي أنّ العددَ هو أوّلُ الموجودات. ويأخذ من أرسطو كلاماً في طَبَقاتِ النفوسِ: النفسِ النباتيةِ والنفسِ الحَيَوانية (البهيمية) والنفس الإنسانية، ويُعرِّجُ في أثناء ذلك على آراء الفارابي في صِلة العُقول (في أثناء الفيض عن الموجود الأول: الله) بالأفلاك.

أما فيلسوفُ هذا العصر والفيلسوفُ الأوّلُ في ترتيب الزمن فهو ابنُ باجُّه صاحبُ كتاب «تدبير المتوحد». ولقد كان في عِداءِ المرابطين للتفلسُفِ أثَرٌ في اتجاهِ ابنِ باجُّه نحوَ القولِ بأن «المُتَوحِّدَ» هو الرجلُ ذو الفِطرةِ الفائقة الذي يُضْطَرُّ إلى أن يعيشَ بين عوامِّ الناس.

ويذكُرُ بروكلمن (الملحق ١: ٤٨١) أن لأبي الحَسَنِ سَلّامِ بنِ سلّامٍ الباهليّ (ت ٥٤٤ هـ) كتاباً في الأخلاق (القاهرة ١٢٩٨ هـ). أما الشاعرُ أبو عامرٍ الشَنْتريني (ت ٥٤٥ هـ) ففي أبياته آراءٌ في الموت والحياة (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٢٨ - ١٢٩) لا تبلُغُ إلى أنْ تكونَ تفلسُفاً (ولم أعثَرْ على الشنتريني هذا في فَهارس كتاب «الذخيرة» (بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م).

اللغة

وفي أيام المرابطين اتسعتِ الدراسات اللغوية، ففي باب المُحمدينَ من «بغية الوعاة» للسيوطي، ومن الذين وقعتْ وَفَياتُهم بين ٥١٦ و ٥٤٠ للهجرة (١١٢٥ - ١١٤٥ م) جماعة منهم (على ترتيب الوَفَيات): أبو عبد الله محمد بن الفَرَج الكَتّاني الصِقِلّيّ المعروف بالذكي (ص ٩٠) وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خَلْصَة الأندلسي

(ص ٥٢) وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أيمن السعدي الغَرْناطيّ (ص ١٧) وأبو جعفر محمد بن حكيم بن باقٍ الجُذاميّ السَرَقسْطي المقتول في تِلمْسان سَنَةَ ٥٣٨ (ص ٣٨) وأبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي المعروف بابن الأشتركوني والمُتوَفّى في قرطبة سَنَةَ ٥٣٨ أيضاً (ص ١٢٠) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن خَيْثَمَةَ القيسي (ص ١٧) وأبو عبد الله محمد بن مسعود بن خَلْصة بن أبي الخصال الغافقي (ص ١٠٤). كلٌّ هؤلاء كانوا بارعين وجامعين لفنون كثيرة من اللغة ومن العربية (النحو) وغيرِها. ويحسُنُ أن نُشيرَ إشارة خاصة إلى ابن القطّاع الصِقِلّيّ عليِّ بنِ جعفرِ السعدي (٣٣ - ٥١٤ هـ) وإلى ابن السِيد البَطَلْيَوْسيّ (ت ٥٢١ هـ). ثم هنالك أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ الملك بن السرّاج الشنتريني (ت ٥٤٩) النَحْوي أحدُ أئمّة العربية المُبرّزين فيها (ويكفيه فخراً أنه أستاذ أبي محمدٍ عبد الله بن بَرّيّ المِصْريّ اللُغويّ النَحْويّ) قرأ العربية بالأندلس وقَدِمَ مِصْرَ سَنَةَ ٥١٥ وأقام بها وأقرأ الناسَ العربيةَ. ثم ٱنتقل إلى اليمن. ثم إنه عاد إلى مِصْرَ فكان له في جامعها (بالفُسطاط) حَلْقةٌ لإقراء النحو. وكانت وفاته في مِصْرَ (نفح الطيب ٢ : ٢٣٨ ؛ راجع الوافي بالوفيات ٤ : ٤٦ ، بغية الوعاة ٦٨ - ووفاته هنا ٥٥٠ ؛ راجع بروكلمن ١ : ٣٧٧ ، الملحق ١ : ٥٤٣).

النثر

وإذا نحن نظَرْنا إلى النثر على أنه أسلوبٌ للتعبير - في هذه الحِقبة أيضاً - وجدنا أن التقليد فيه للمشارقة كان أكثرَ من تقليد الأندلسيين للمشارقة في الشعر. ولقد غَلَبَ السجعُ والاقتباس (من القُرآن الكريم والشعر والأمثال وغيرها) ولُزوم ما لا يَلْزَمُ خاصةً غَلَبَةً ظاهرة على نثرهم. ولكن النثرَ الأندلسي ظل في جميع فنونهِ أقلَّ متانةً من النثر المشرقي وأقلَّ ٱبتكاراً. أما المِثالان العظيمانِ اللذان كانا يُحتَذَيانِ في النثر فكانا الجاحظ وأبا العَلاء المعريّ. وأُغْرِمَ السَرَقسطيُّ (ت ٥٣٨) وابن عبدِ الغَفور (ت ٥٤٢) بتقليد المعريّ في لُزوم ما لا يلزم خاصةً ثم في فنونٍ كثيرةٍ أيضاً.

وكذلك كان تقليد الأندلسيين، في هذا الدورِ أيضاً، للرسائل الديوانية وللمقاماتِ التي ٱبتكرها المشارقة تقليداً كبيراً.

وَمَعَ أن الذين نقدوا الفنونَ المختلفة (من النثر والشعر والفلسفة) كانوا كثيرين، فإنّ النقدَ عندهم كان فِطريًّا لفظيًّا. إنه كان أحكاماً مُفْرَدَةً لا تَرْجِعُ إلى منهَجٍ مُقنَّنٍ ولا إلى قواعدَ مُحْكَمة، ولكنْ كان فيه أحياناً عصبيةٌ أندلسية وَلّدَتْها في نفوسِ هؤلاءِ الناقدينَ نفورٌ على أولئك الذين كانوا يُغْرِقون في الإعجاب بالأدب المَشْرقيّ وبالأدباء المشارقة. ويبدو لنا أنَ ابنَ بسّامٍ الشَنْترينيّ قد ألّف كتابه الواسعَ القيِّمَ «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لمقاومة تلك النزعةِ المُتطرفة في الإعجاب بالأدب المشرقي. وفي مقدمة «الذخيرة» زفرةٌ من أثر هذه النزعة. يقول ابن بسّام مثلاً (الذخيرة ١ : ١٢):

«.... إن أهل هذا الأُفُقِ (أي أهلَ الأندلس) أبَوْا إلّا مُتابعةَ أهلِ المشرق، يَرْجِعون إلى أخبارهم المُعتادة رُجوعَ الحديث إلى قَتادةَ[١]، حتى لو نَعَقَ بتلك الآفاق غُرابٌ أو طَنّ بأقصى الشام والعِراق ذُبابٌ، لَجَثَوْا على هذا صَنَماً وتَلَوْا ذلك كِتاباً مُحْكَماً[٢]. (هذا) وأخبارُهم (أي أخبارُ أهل الأندلس) الباهرةُ وأشعارهم السائرة مرمى القَصِيّة ومُناخ الرَذِية[٣]، لا يُعْمَرُ بها جَنانٌ ولا خَلَدٌ[٤]، ولا يُصَرّف فيها لسانٌ ولا يَد. فغاظني منهم ذلك وأنِفتُ مِمّا هنالك. وأخذتُ نَفْسِي بجمع ما وجدتُ من حَسَناتِ دهري وتتبُّع محاسن أهلِ بلدي وعَصْري.... وقد مَجّتِ الأسماعُ «يا دارَ مَيّةَ بالعَلْياءِ والسَنَدِ»، ومَلّتِ الطِباع «لخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ.... »[٥].

---

(١) قتادة بن دعامة (بكسر الدال) البصري (٦١ - ١١٨ هـ) مفسّر للقرآن وحافظ للحديث.

(٢) جثا: اعتمد على ركبتيه. كتاب محكم: لا خطأ فيه.

(٣) في القاموس المحيط (٤ : ٣٧٨): القصيّة الناقة الكريمة النجيبة المُبعَدة (بالبناء للمجهول) عن الاستعمال. والرذلة (بفتح فسكون) ضدّها. والرذيّة: الناقة المريضة أو الضعيفة. مرمى القصيّة ومناخ (مسكن، منزل) الرذيّة (لا تنتشر أخبارهم وأشعارهم كالناقة القصيّة التي يضنّ أهلها بها عن السفر عليها وكالناقة الرذيّة التي لا تستطيع السفر).

(٤) لا يعمر بها جنان (بالفتح: قلب) ولا خلد (بفتح ففتح: البال، الذاكرة)- لا يحبّها أحد ولا يحفظها أحد.

(٥) مجّ: قذف (الماء) من فمه، كره (الشيء). «يا دار ميّة» مطلع معلّقة النابغة الذبياني. و «لخولة أطلال» مطلع معلّقة طرفة بن العبد.

وأما النقدُ (رُؤيةُ الحَسَناتِ والسيئات في القطعة المنقودة) فكان أحكاماً في جُمَل يُمْكِنُ أنْ تَعْنِيَ أشياءَ كثيرةً ويمكن أيضاً ألّا تَعْنِيَ شيئاً أبداً. وربما كان لها صِلَةٌ بالأديب الذي تنقُد نِتاجَه وربّما لم يكن لها صلةٌ بذلك كُلِّه. بدأ ابنُ بسّامٍ كلامَه على أبي عامرٍ أحمدَ بنِ عبدِ الملك بنِ شُهيد بالمقطع التالي (الذخيرة ١: ١٩١ - ١٩٢):

«وكان أبو عامرٍ شيخَ الحَضْرة العُظمى[١] وفَتاها، ومبدأ الغاية القُصوى ومُنتهاها. ويَنبوعَ آياتها ومادّة حياتِها وحقيقةَ ذاتِها وابنَ ساستِها وأُساتِها[٢] ومَعنى أسمائها ومُسَمَّياتها: نادرةَ الفَلَكِ الدوّار وأُعجوبةَ الليل والنهار. إنْ هَزَلَ فسَجْعُ الحمام، أو جدّ فزئيرُ الأسد الضَرغام. نَظَمَ كما اتّسق الدُّرُّ على النحور، ونَثَر كما خُلطَ المِسك بالكافور، إلى نوادِرَ كأطرافِ القَنا الأملود[٣] تشُقُّ القلوبَ قبلَ الجُلودِ، و(إلى) جَوابٍ يَجْري مجرى النَفَس ويَسْبِقُ الطَرْفَ المُخْتَلَس[٤]».

وبعدَ أن كان ابنُ بسام قد نَقَمَ من الأندلسيّين تقليدَهُمُ المشارقةَ واقتباسَهُمْ منهم، رأينا عنده هو مثلَ ذلك كُلّه. ولا يَغْفُلُ أحدٌ في هذا النص لآبن بسّامٍ عن اقتباس ابنِ بسّامٍ من بيت أبي الطَيِّب المُتنبي:

راميـــاتٍ بأسْهُمٍ ريشُهـــا الهُـدْ ... بَ تشُقُّ القلوبَ قبلَ الجُلودِ[٥].

ومَعَ أنّ ابنَ بسامٍ كان أحياناً كثيرةً يَرْجِعُ إلى الكلامِ الواضحِ الدقيق في دِراسة الشعر والشعراء، فإنّ جماعةً غيرَ ابنِ بسامٍ، من أهل عصرِه، كالفتح بنِ

---

(١) فتى (الرجل ذو النجدة والقدرة) الحضرة العظمى (عاصمة الدولة: قرطبة) - كان مشهوراً في قرطبة يرجع الناس في القول إليه.

(٢) الأساة جمع آسٍ (طبيب).

(٣) القنا جمع قناة: قصبة، رمح. الأملود أو الأملد: اللّين الناعم من الغصون (يمدح الرمح إذا كان ينثني من غير أن ينقصف).

(٤) الطرف: البصر. المختلس (النظرة السريعة). ويجوز أن تكون «المختلس» بكسر اللام (أي النظر السريع الخاطف).

(٥) الهدب (بالضم) جمع هدبة (بالضم): شعرة الجفن. ريشها الهدب (يوضع عادة في أسفل السهم ريش ليساعده على المرور باستقامة وسهولة في الهواء) والمتنبّي يشبّه أهداب عيون المحبوبة بريش السهام (وعيون المحبوبة بالسهام).

خاقان مثلًا، كانوا لا ينتقلون عنِ الألفاظ القليلة الجَدْوى في نقد الشعر والنثر. ولعلّك تعجَبُ إذا عَلِمتَ أن ابنَ بسامٍ وأندادَه في هذا المِضمار لا يُشيرون، في مُعْظَمِ الأحيان، إلى سَنَةِ المَوْلد أوِ الوفاة ولا يُعَرِّجون على حادثٍ مُعَيّن في حياة الأديب. قال الفتحُ بنُ خاقانَ (قلائد العقيان ١٤٤) في الوزير الكاتب أبي محمدِ بنِ القاسم(١):

«رَجُلٌ زَهَتْ به السِياسةُ والتدبير، وجَبَلٌ دونَه يَلَمْلَمٌ وثَبيرٌ(٢)، ووَقارٌ لا يُسْتَفَزُّ ولو دارتْ عليه العُقار(٣). إذا كَتَبَ باهَتِ البُدورَ رُقْعَتُه، وقرطستْ أفئدةَ المعاني نَزْعَتُه(٤). وضعتْه الدولةُ في مَفْرِقِها، وأطلعتْه في مَشْرِقها، فأظهر جَمالَها وعطّر صَباها وشَمالَها(٥).... »

ويلحَقُ بالنقد الأدبي تأريخُ الأدب، ومُمَثِّلا عصرِ المرابطين في ذلك ابنُ بسامٍ والفتحُ بن خاقانَ نَفْسُهما. ومن المُؤلم أن كتابَ ابنِ القَطّاع الصِقِلّي (ت ٥١٤) «الدُّرّةَ الخطيرةَ في شُعراءِ الجزيرةِ (صقلية)» لم يَصِلْ إلينا.

الشعر خاصّة

لقد أُصِيبَ الشعرُ في عصر المرابطين بالكَساد.

ولكن «للكسادِ» في هذا الموضعِ مَعْنَيانِ.

---

(١) ....

(٢) يلملم وثبير جبلان.

(٣) العقار (بالضم): الخمر.

(٤) الرقعة التي يكتب عليها (بأسلوبه أو بخطّه) تزيد (في البهاء: الجمال) على القمر ليلة البدر. فرطست أفئدة المعا نيءنزعته (؟)-..... إذا نزع (مدّ قلمه إلى الدواة ثم أخرجه وبدأ يكتب به أتى بمعان صائبة كل الصواب (الأصل الاستعارة أن الرجل ينزع (بكسر الزاي) السهم في وتر القوس ثم يرسلها فتصيب الهدف.

(٥) المفرق: مكان افتراق الشعر فيمقدم الرأس (أكرم موضع في الإنسان). الصبا (بالفتح) ريح الشرق. والشمال (بالفتح) ريح الشمال (والصبا والشمال، في نجد، محبوبتان للرطوبة وللبرودة التي فيهما (بخلاف ما يعرف في الشام أو غربي آسية، مثلاً، حيث يكون الصبا شديدة الحرارة والجفاف، والشمال شديدة البرد والجفاف).

ذكر المستشرق نيكل[1] كَسادَ الشعر فقال: « بعدَ سقوط ملوك الطوائف في أثناء عصر المرابطين آنحطَّ نَظْمُ الشعر المألوف (الفصيح) انحطاطاً كبيراً. وكان يوسفُ (ابن تاشفينَ) - كما كنا قد رأينا - لا يكادُ يفهم الكلامَ العربي السائر، دَعْك من الأسلوب الأدبيّ الكثيرِ الصَنْعة. أما ابنُه عَلِيٌّ فكانَ أحسَنَ معرفةً باللغة العربية، ولكنّ تفكيرَه كان مُتَّجِهاً إلى الأمور الدينية وإلى الرصانة (في أحوال الحياة). وقد كان ثَمّةَ قلةٌ من أحياء ذلك العصر المجيد (عصر ملوك الطوائف) لا يزالون على قَيْدِ الحياة ثم آستطاعوا أن يَجِدوا مَلْجَأً لهم في بلاطيْ شاطِبَةَ وسَرَقسْطة حيثُ كان الأمراءُ المرابطون من الشبان يُحاولون أن يُنافسوا أسلافَهم (ملوكَ الطوائف) أو يَزيدوا عليهم (في تشجيع الشعر). ثم إن المُوَشَّحَ والزَجَلَ على الأخص، وقد كانا أقربَ إلى أفهام الناس - لِقُربِهما من مُستواهُمُ الفكري والخُلُقيّ - أصبحا زيًّا شائعاً، وكان ابنُ قُزمانَ (في الزجل) سيّدَ الجماعة »[2].

أما انخل جنثالث بالنثيا (تاريخ الفكر الأندلسي ١٢٣) فقد كان أكثرَ تشاؤماً، إذ قال: كان « عصرُ سِيادةِ المرابطين على الأندلس عصرَ تأخرٍ وآنكماش للثقافة الأندلسية، وكان يوسفُ بن تاشفين - أولُ أمراءِ هذه الدولة - لا يكاد يفقهُ العربية ».

وأحَبّ إحسانُ عباسٍ (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ٩٠) أن يلزَمَ جانب الشعراء، فقال: « حتى إذا حلّ عصرُ المرابطين تراجعتْ منزلة الشاعر أكثرَ من ذي قبلٍ، وأصبحَ التصريحُ بكَساد الشعر أشدَّ وأوضحَ - ذلك أن الشاعر، حتى في أسمى ما غدا يستطيع بلوغه من مكانة، لم (يبق) في طَوْقِهِ منافسةُ رَجُلِ السيف (وهو من المُلثّمين) والفقيهِ والكاتب (وهما في الغالب من الأندلسيين). ولعَلَّ الأعمىَ التُطيليَّ قد عبّر في بعضِ لَحَظاتِ الإحساس (بالتَعَسِ) عن هذا المعنى

---

(١) عبد الرحمن (١٠ ر ٠) نيكل مستشرق أصله من بوهيمية (إحدى مقاطعات تشيكوسلوفاكية) أميركي الجنسية (مولده عام ١٨٨٥ ووفاته نحو ١٩٦٠ م. هو صاحب النظرية العربية للشعر البروفنسا c (الفرنسي القديم) وأكثر اختصاصه في أدب العرب في الأندلس (الزجل والموشحات على الأخص).

(2) A. . Nykl, Hispane-Arabic Poetry 219

بأجلى عِبارة حين قال:

أيا رَحْمتا للشعر أَقْوَتْ رُبوعه، على أنها للمَكْرُمات مناسكُ[١]؛
وللشُعَراءِ اليومَ ثُلَّتْ عُروشُهم: فلا الفخرُ مُختالٌ ولا العِز تامك[٢].
ويا « قامَ زيدٌ »، أعْرِضي أوْ تعارضي؛
فقد حالَ من دونِ المُنى « قال مالكُ »[٣].

وكان حَسَنُ أحمدَ محْمود (قيام دولة المرابطين ص ٤٤٤) حسَنَ التعليلِ لكسادِ الشعر لما قال: « لا نُنْكِرُ أنْ مجيءَ المرابطين إلى شِبهِ الجزيرة (إلى الأندلس) قد صَحِبَه كسادٌ في سوق الشعر إلى حدٍّ كبير، فقد كان عهدُ يوسفَ (بن تاشفين) في الأندلس عهدَ جِهادٍ وكِفاح وحربٍ، وليس بعهدِ تَرَفٍ ورَفاهِيَةٍ وإقبالٍ على المَلَذّات...، صَوَّرَ ذلك كُلَّه صاحبُ « الذخيرة » أبلغَ تصويرٍ إذ قال (٢: ٦٦٩): فلمّا صَمَتَ ذِكْرُ ملوك الطوائف بالأندلس طُويَ الشعرُ على غَرِّه[٤] وبَرِىءَ من حُلْوِه ومُرِّه، إلّا نفثةَ مَصْدورٍ أوِ ٱلتفاتةَ مذعور. وهو (يَقْصِدُ: عبد المجيد بن عبدونٍ) اليومَ ببلدةِ يابُرَةَ يرتشفُ فضلَ ثِمادِه[٥]، ويأكلُ من بَقيَّةِ زادِه » (مِمّا كان قد ناله في أيّام ملوك الطوائف).

إنّ الشعرَ الذي كَسَدَتْ سُوقُه كان شعرَ التكسّب؛ وإنّ تلك العاصفةَ التي أثارها نفرٌ من الشعراء والمُشايعين للشعراءِ على يوسفَ بنِ تاشفينَ خاصّةً كان سببُها كثرةَ ما

---

(١) أقوت الدار: خلت (من سكانها). الربع (بالفتح): المكان المسكون. المنسك (هنا): المكان الذي يقوم به الإنسان بعبادة مفروضة (كالطواف حول الكعبة).

(٢) ثل فلان الدار (هدمها)؛ وثل العرش (أبطله، أذهب سلطانه وأهله). التامك: السنام (كناية عن العلو).

(٣) « قام زيد » كناية عن الاشتغال بالنحو (واللغة والأدب). أعرض: صد، انصرف (ترك المجال لغيره). تعارض الأمران: (هنا)؟ استعدّ للمقاومة وللنزاع. « قام مالك » (صاحب المذهب المالكي) كناية عن سيادة الفقه.

(٤) طوي الشعر على غرّه (كناية عن رضا الشعراء بالحال السيئة التي وصلوا إليها). الغر: الثني في الثوب، مكان الطيّ منه).

(٥) الثماد جمع ثمد (بفتح فسكون: الماء القليل).

كان ينالُه الشعراء من أمراء الطوائف ثـمّ ضَياعَ تلك المغانم في أيام السُلطان يوسفَ ابن تاشفين. ونحن نعلم، من تاريخ الحضارة، أن الدُّوَل في أيامِ قِيامها قلّما تَحْفِلُ بالشعر وبسائر الفنون، إذ نراها مُهْتَمَّةً بالفِكر وبالعِلم- رأينا ذلك في دولة الخلفاء الراشدين وفي مطلَعِ الدولة الأُموية وفي مطلع الدولة العبّاسية أيضاً. ثم إذا نحنُ استعرضنا العِلم والثقافة والشعر نفسَه أيضاً في عصر المرابطين لم نَجِدْها أدنى مِما كانتْ من قبلُ. وكان بعضُها أحْسَنَ حالاً، إلّا شعرَ التكَسُّبِ. وكتاب «الذخيرة» (وهو من نتاجِ عصر المرابطين) أحسنُ الأدلّة على كَـثْـرة الشِعر وكثرة الشعراء في ذلك الحين.

ثم إن الشعراء قد مدحوا سلاطين المرابطين (بعد يوسفَ بن تاشفين) ومدحوا أمراءَ المرابطين على المدن الأندلسية كثيراً. إن الأعمى التُطليلي (ت ٥٢٠ هـ) قد قَصرَ ديواناً برُمّته على السلطان الثاني من المرابطين- عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفين- بعد الحملةِ التي قادها عليٌّ على ألفونسو صاحبِ طليطلة (وكان الإسبان قدِ آستردوا طُليطلة منذُ عام ٤٨٥ هـ = ١٠٨٥ م) وآستنقاذِ طَلَبيرة (راجع بروكلمن ١ : ٣٢٠). وكذلك مَدَحَهُمُ آبنُ خَفاجةَ (ت ٥٣٣ هـ) وأكْثَرَ.

وأما سائرُ الشعراء الكِبار الذين امتلأ بهم عصر المرابطين في الأندلس فمنهم ابن صارةَ الشَنْتريني (ت ٥١٧ هـ) ثم بنو القَبْطُرنوهْ ثم عبدُ الجبار المعروف بالُمتنبي الجَزيري وابن الزقّاق وابن عَبْدونٍ وابن حَمْديس وابن خَفاجةَ وابنُ شَرَفٍ أبو الفضل جعفرُ بنُ محمدٍ (ت ٥٣٤ هـ) وابن بَقِيّ (ت بعيد ٥٤٠ هـ).

ومَعَ أنّ فنون الشعر الكبرى لا تختلف كثيراً بين عصرٍ وعصر، فإنّ الأغراض (الموضوعات الجزئية) تتبدل. فمن الأغراضِ التي برزتْ في هذا العصر النقدُ الاجتماعي الذي نشأ من كُرْه الأندلسيين للجُند الصِنهاجيين (البربر من جيوش المرابطين) كما نرى عند أبي بكرِ الأبيضِ (ت ٥٤٤ هـ) وأبي بكرِ اليَكيّ (ت نحو ٥٦٠ هـ) وعند ابن خَفاجةَ نفسِه (راجع تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٤٣ وما بعد). ولا غَرابةَ في أن يكثُرَ رِثاءُ الُمدُن التي كانت تتساقط في عهد ملوك الطوائف في يد الإسبان أو بعدَ مطلَع عهدِ المرابطين، كما نَرى عند

الأعمى التُطيلي ثم عند ابنِ عبدونِ خاصّةً (ت ٥٢٩ هـ) ثم عند ابن خَفاجةَ أيضاً. ومَعَ هذا فقد وَجَدَ ابنُ خَفاجةَ نفسُه مَنْدوحةً مِنَ اطمئنانِ النفس فَتَوَفّرَ في أثنائها على وصف الجنائن.

وكان مِنَ المنتظر أن نَجِدَ- لَمّا اضطربتْ أحوالُ هذا العصر- اتجاهَيْنِ متناقضينِ في الشعر: مَدْحاً للرسول وآله، كما نَجِدُ عند أبي عبد الله محمدِ بنِ مسعودِ بن خَلْصَةَ بن أبي الخِصال المُتوَفّى نحو ٥٤٠ للهِجرة وعند أبي عبد الله أحمد بن ابراهيمَ النُميري من أحياء النصف الأول من القرن السادس (راجع تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٦٩ وما بعد، ثم بروكلمن ١ : ٥٤٥). وكذلك نجدُ عند ابن خفاجة، في مثل هذا الباب، ذِكْرا للحِجاز وللأماكن المقدسة، تقليداً للشريف الرضي. أما الاتجاه الآخرُ فَهُوَ الميلُ نحو الهَزْل والخَلاعة، كما نرى عند أبي الحَكَمِ عُبيد الله بن المُظَفَّرِ الباهلي المُرْسِيّ المَرِيِّ (من أهل المَرِيّة) والمُتَوَفّى في دِمَشْقَ سَنَةَ ٥٤٩، وكان له « نهجُ الرَضاعة لأولي الخَلاعة »-ويبدو أن شِعره قد ضاع-، ولكنّا نجد له في « نفح الطيب » أبياتاً في هذا المعنى، منها (٢ : ١٣٤ - ١٣٥) في أحدِ مُعاصريه:

... وهو على خِفّةٍ به أبداً ‍ ‍ ‍ معترفٌ أنه مِنَ الثُقَلا؛
يمُتّ بالثَلْبِ والرَقاعة والسْـ ‍ ‍ ‍ سُخْف، وأما بغيرِ ذاك فلا[1].
إنْ أنتَ فاتَحْتَه لِتَخْبُرَ ما ‍ ‍ ‍ يصدُرُ عنه فَتَحْتَ منه خَلا[2].

وله أيضاً مُعارضةٌ لمقصورة ٱبنِ دُريدٍ منها:

وكلُّ ملمومٍ فلا بُدّ له ‍ ‍ ‍ من فُرقةٍ لو ألزقوه بالغِرا.

وفي « قلائدِ العِقيان » للفتح بن خاقانَ (ت ٥٢٩ هـ) أشياءُ من الهزل والتَجنّي والسَّفَهِ على الأعيان تدخل في هذا الباب ويمكن تأويلها بهذا السبب مِنَ ٱضطراب

---

(١) الثلب: الانتقاص من قدر الناس وذكر معايبهم (أو نسبة المعايب أو العيوب إليهم).

(٢) إذا أنت فاتحته (خاطبته) لتخبر (تعرف) ما يصدر عنه (عمّا له من القيمة الذاتية التي تمكنه من الكلام المفيد) فتحت منه (كشفت منه) خلا= خلاء: فراغاً).

الأحوالِ وضَياع المُثُل العُليا في زمن تُصبح أسبابُ الحياة المادّيةُ مِقياساً للمعاملة.

فقد قال في الوزير أبي محمدٍ بن عبد الغفور (ص ١٨٢) - نثراً:

« قد كنتُ نَوَيْتُ ألاّ أُثبتَ له ذِكراً ولا أُعمِلَ فيه فِكراً[١]، وأدَعَهُ مُطَّرَحاً وأُقْطِعَه الإهمالَ مَسْرَحاً[٢]، لِتَهَوُّرِه وكَثْرة تَقَعُّره[٣]. فإنه بادي الهَوَج واعِرُ المنهج[٤]، له ألفاظ مُتَعَقّدة وأغراضٌ غيرُ مُتَوَقّدة لا يُفَكّ مُعَمّاها[٥] ولا يُعْلَمُ مَرْماها، مَعَ نفسٍ فاسدةِ الاّعتقادِ[٦] ثابتةٍ على الأحقاد.... »

ابن الملح

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ إسحاقَ بنِ المِلحِ أو ابنِ المَلاّح اللَخْميّ، أصلُه من شِلْبَ، كانتْ له مدائحُ في المُعتضدِ العبّاديّ وابنهِ المعتمد. وكانت وفاةُ ابنِ الملحِ في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٠٠ (ربيعِ عامِ ١١٠٧ م)، وقَد أسنّ كثيراً.

٢ - كان أبو بكر بنُ الملح في أول حياته مُشتغلًا بالفُتُوّة والبَطالة ثم أنابَ (تاب) في أواخرِ أيامه وزَهِد. وكان إلى جانبِ مَعْرفته بالفِقه شاعراً وخطيباً. ومن خصائصِ شعرهِ أنّه كان يُغرِقُ أحياناً في الصِناعة من تشابيهَ واستعاراتٍ خاصةً. ومن أغراضِ شعرهِ الفخرُ والمدح والعِتاب والغزل والنسيب والوصف. وشعرُهُ مقاطعُ ومطوّلاتٌ.

---

(١) ألاّ أذكره في كتابي « قلائد العقيان » ولا أفكر في أمره.

(٢) أتركه ملقى جانباً، مرمياً، مهملاً. أقطعه (أمنحه قطعة من الأرض) الإهمال (قلة المبالاة أو الاهتمام به) مسرحاً (يفعل ما يشاء، يسرح كالبهائم).

(٣) التهور: السقوط في الأخطاء والمخاطر لقلة التفكير وللطيش. التقعر: التشدّق (الكلام من أقصى الفم وتكلّف الكلام الغريب مع قلة فائدة).

(٤) بادي (ظاهر) الهوج (بفتح ففتح): الحمق (بالضم) والطيش. واعر (صلب، صعب) المنهج (الطريقة، السلوك).

(٥) المعمّى: الأحجية، اللغز.

(٦) المرمى: الغاية، المقصد. فاسد الاعتقاد (سيء العقيدة) لا يؤمن بالحق.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكرِ بنُ المِلح في الغزل:

ظَبْيٌ يموجُ الهوى بِناظرِه حتّى إذا ما رَنا به انبَعَثا[١].
مُبتدِعُ البُخلِ، لا كَفاءَ له: يعُدّ شكوى صَبابتي رَفَثا[٢].
أنْكَرَ سُقْمي، وما قَصَدتُّ له، ولا تَعرَّضْتُ للهوى عَبَثا[٣].
أَقْسمَ في الحبّ أنْ أموتَ به، فما قَضى بِرّه وما حَنَثا[٤].

- وقال في النسيب:

لا حدَّ للوَجْدِ إلا أنتَ عارفُه[٥]، كأن قلبكَ للأشواق ميزانُ.
ولا صَبابةَ إلاّ أنت واسعُها، كأنّ صدرَكَ للأشْجانِ ميدان[٦].
سِرنا نُراقِبُ إعلانَ الصَباح به، كأنّنا في ضميرِ الليل كِتْمان[٧].

- وقال يمدح المعتمدَ بنَ عبّادٍ بقصيدة فيها مدحٌ ووصف وفخر، منها:

والروضُ يبعَثُ بالنسيمِ كأنّما أهداه يَضرِبُ لاصْطباحِكَ موعدا[٨].
سكرانُ من ماء النعيم، وكُلّما غنّاه طائرُه وأطْرَبَ ردّدا.
يأوي إلى زَهْرٍ كأنّ عُيونَه رُقَباءُ تقعُدُ للأحِبّة مرصَدا[٩].
زَهْرٌ يفوحُ به اخضرارُ نَباتِه كالزُهْرِ أسْرَجها الظلامُ وأوقدا[١٠].

---

(١) رنا: نظر (إليّ). انبعث: ثار (الهوى فيّ).
(٢) الصبابة: الحبّ،الشوق. الرفث: الكلام القبيح.
(٣) ما أحببته عبثاً (لعباً ولهواً)، ولكن جدّا (لأنّه مستحقّ أن يكون محبوباً).
(٤) أَقسمَ أن أموت بحبِّه. لم يفِ بوَعده (لم يحبّني)، وما حنث: ما أخلف وعده (لأنّني متّ من هجره).
(٥) الوجد: شدّة الحبّ.
(٦) الصبابة: الشوق. الشجن (بفتح لفتح): الحزن.
(٧) .... كان الليل شديد الظلمة فلم يرنا أحد.
(٨) الاصطباح: شرب الخمر صباحاً.
(٩) المرصد: الكمين.
(١٠) الزهر (بالضمّ): النجوم.

قـد خفّ مَوْقِعُه لَدَيْهِ، وربما سَمَحَ النسيمُ بعِطْفه فتأوّدا[1].
أغلى مَحَلَّ الشعرِ أنّ قصائدي جعلتْ مديحَك بالمعاني مَقْصِدا.
خطبته تركب بطن كفّي منبرا، ودعتك تعمُر ظهر كفّك مسجدا[2]
أَبْغي لَدَيْكَ العيشَ أخضرَ يانِعاً فأجوبُ جُنْحَ الليلِ أسْفَعَ أسودا[3]،
يقظانَ تحسَبُني الكواكبُ ناظراً فيها أُراقبُ للغزالةِ موردا[4].
وإذا تكنّفَني النهارُ لَبِسْتُه وهْجاً لَفوحاً أو سَراباً مُزْبِدا[5].

– وكان لأبي بكرِ بنِ المِلح ابنانِ شاعرانِ. وكان أحدُهما أبو القاسمِ أحمدُ قدِ اشتغل مُنذُ مطلَعِ شبابهِ بالزُهد وكُتُبِ التصوّف. فقال له أبوه: يا بُنيَّ، هذا الأمرُ ينبغي أن يكونَ في أواخرِ العُمُرِ. أمّا الآنَ فينبغي أن تعاشِرَ الأُدَباءَ والظُرفاء وتأخذَ نفسَك بقولِ الشعر ومُطالعةِ كُتب الأدب. فلمّا عاشرَ نفراً من الظُرّافِ زَيّنوا له شُرْبَ الخمر، فتهتّكَ في الخلاعة ثمّ فَرّ إلى إشبيلية وتزوّجَ امرأةً لا تليق به– كانتْ تَضْرِبُ الدُفَ في الأعراس– فصارَ يَضْرِبُ معَها بالدُفّ. فكتب إليه أبوه:

يا سخنةَ العين يا بُنَيّا ليتَكَ ما كُنتَ لي بُنيّا[6].
أبكيتَ عيني، أطَلْتَ حُزني، أَمَتَّ ذِكْري وكان حيّا.
حَطَطْتَ قَدْري وكان أعلى – في كلِّ حالٍ– مِنَ الثُريّا.
أما كَفاك الزنا ارتكاباً وشُرْبُ مَشْمولةِ الحُمَيّا[7]،

---

(١) العِطف: الجانب الأعلى من الجسم (الكتف). تأوّد: ماس، تمايل.
(٢) قصائدي (التي ألقيها من ورقة أحملها في كفّي) تخطب (تتكلم) في فضائلك (مدحك). وقصائدي (حينما تذكر أنت فيها) تملأ ظهر كفّك بالتقبيل؟).
(٣) اليانع: (الثمر) الناضج. الأسفع: الأسود.
(٤) الغزالة الشمس. المورد (المطلع). أنا سهران في نظم مديحك طول الليل (حتّى ليظنّ الناس أنّني أريد أن أرى الشمس كيف تطلع).
(٥) تكنّفني: أحاط بي (وفي أثناء النهار) أسير إليك، سواء أكان اليوم وهجاً لفوحاً (حارّاً يلفح الوجه) أو سراباً مُزبداً: ماء كثيراً بارداً (؟).
(٦) سخنة العين: دامعة العين (حزينة). يا بنيّا: يا ابني الصغير– ليتك لم تولد لي (لم تكن ابنا لي).
(٧) الحميّا: الخمر.

حتّـــى ضَرَبْـــتَ الدُفوفَ جهْرًا   وقُلـــــتَ للشرِّ: جِئْ إلَيّـــــا؟
فاليومَ أبكيـــكَ مِـــلءَ عَيْـــني،   إن كـــان يُغْـــني البُكـــاءُ شيّـــا.

٤ - ★★ القلائد ٢١٤ - ٢١٥؛ الذخيرة ٢: ٤٥٢ وما بعد؛ المغرب ١: ٣٨٣ - ٣٨٤؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٤٦٦ - ٤٦٧؛ نفح الطيب ٤: ٧٠ - ٧١، ١٤٨ - ١٤٩، ٢٦٣؛ الخريدة (الاندلس ٢: ٤٨٨ - ٤٩٠.

تميم بن المعزّ الصنهاجي

١ - هو أبو يحيى تَميمُ بنُ المُعِزِّ[١] بن باديسَ بنِ المنصورِ[٢] بن زِيري بن مَنادٍ الصِنْهاجيُّ ولـد في المنصـورة[٣]، في ثالـثَ عشَرَ رَجَـبَ من سَنَـةِ ٤٢٢ (١٠٣١/٧/٦ م).

كانتْ عاصمةُ بني زِيري القيروانَ. ففي صَفَرَ من سَنَةِ ٤٤٥ (ربيع ١٠٥٣ م) عَهِدَ المُعِزُّ إلى ابنهِ تميمٍ بالوِلايةِ على مَدينةِ المَهْدِيّةِ. ولمّا تُوُفِّيَ المُعزُّ[٤] ظَفِرَ تميمٌ بالمُلكِ. وقد كانتْ في أيامه أحداثٌ كثيرة: لم تَكَدْ تخلو سَنَةٌ من ثورةٍ داخليةٍ أو هُجومٍ خارجيٍ برًّا أو بحرًا. وقد تغلّبَ تميمٌ على جميع القائمين بهذه الحركات. ولكنّ عهدَ تميمٍ اضْطَرَبَ بِثلاثةِ أحداثٍ كبيرةٍ: هجومُ قبائلِ بني هلالٍ وبني سُليمٍ على القيروانِ وما حَوْلَها، في أيامِ أبيهِ المُعزِّ واستمرارُ آثارِ تلك الهجمة إلى أيامه. ثم احتلالُ الجَنَويّين الإيطاليّين

(١ و٢) المعزّ اسم وليس في الأرجح لقباً (راجع وفيات الأعيان ٥: ٢٣٥). والمنصور مثل ذلك.

(٣) المنصورية التي يقال لها صبرة من بلاد إفريقية (وفيات الأعيان ١: ٣٠٥)، وهي المنصورة (ويقال لها المنصورية) بلد قرب القيروان (تاج العروس - الكويت - ١٤: ٢٣٢).

(٤) هنالك اختلاف يسير في تاريخ وفاة المعزّ. ذكر ابن الأثير (١٠: ١٥) وفاة المعزّ في أخبار سنة ٤٥٣. وفي الحلّة السيراء (٢: ٢١) كانت وفاته ٤٥٤؛ وفي وفيات الأعيان (١: ٣٠٥ و٥: ٢٣٤) أنها كانت في رابع شعبان من سنة ٤٥٤ (١٠٦٣/٨/١٢ م). أمّا البيان المغرب فيجعل وفاة المعزّ سنة ٤٥٤ (١: ٢٩٥ راجع السطرين الخامس والسادس)، ولكنّ سنة وفاته ترد (في المكان نفسه، السطر الرابع من أسفل) هكذا « ٤٥٥ ». ولكنّ في هذا التاريخ غلطة مطبعية تظهر من مراجعة الجملة كلّها: « مولده سنة ٣٩٩، وولي الملك سنة ٤٠٧ ..... وتوفي سنة ٤٥٥ وعمره ثمان وخمسون سنة، فكانت مملكته سبعاً وأربعين سنة » (فتكون وفاته عند ابن عِذاري أيضاً سنة ٤٥٤ هـ).

لمدينتي المَهْدية وزَوِيلةَ (سنة ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م)، ثم استيلاءُ النورمان على صِقِلّيّة (سنة ٤٨٤ هـ). وكانت صقلّيةُ تابعةً، منذ القرنِ الثالثِ للهِجْرة، للدُوَلِ التي تقومُ في القيروان.

وكانت وفاةُ تميمِ بنِ المُعزِّ في رَجَبَ من سَنَةِ ٥٠١ (أواخر الشِتاء من عام ١١٠٨ م).

٢ - كان تميمُ بنُ المُعزِّ شُجاعاً حازماً حَسَنَ السِيرة كريماً مُحِبّاً للعلماء. وهُوَ شاعرٌ مُكْثِرٌ من فُحولِ الشعراء من الملوك. وأكثرُ شِعره الحَماسةُ والغَزَلُ والخمر. وكان ناقداً يعترضُ الذينَ يَمْدحونه أو يُناشدونه فينتقدُ ألفاظَهم فلا يتخلّص منه إلّا الماهرُ منهم. غير أنّنا نَجِد في شِعره، على جَماله وعُذوبته، مآخذَ لغويةً ونَحْويةً.

٣ - مختارات من شعره:

- قال تميمُ بنُ المُعزِّ الصِنْهاجيُّ في الحماسة:

★ فإمّا المُلْكُ في شَرَفٍ وعِزٍّ ... عليَّ التاجُ في أعلى السَريرِ،
وإمّا الموتُ بينَ ظُبا العوالي، ... فلستُ بخالدٍ أبَدَ الدهورِ[1].

★ وذي عَجَبٍ من طولِ صَبْري على الذي ... أُلاقي من الأرْزاءِ، وهْوَ جَليلُ[2]
يقولُ: ألا تشكو؟ فقُلْتُ: متى شَكا ... شَبا السيفِ عَضْبُ الشَفْرَتَيْنِ صَقيلُ[3]
وإنّ امْرَأً يشكو إلى غيرِ نافعٍ ... ويسخو بما في نفسه لَجَهولُ[4].
عَدانِيَ أنْ أشْكو إلى الناسِ أنّني ... عليلٌ ومَنْ أشْكو إليه عليلُ[5].

---

(١) الظبا جمع ظبَة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. والعوالي: صدور الرماح. وكان بإمكان الشاعر أن يقول: « ظبا المواضي » (فلا يختل الوزن ويصحّ المعنى).

(٢) العجب: الاستغراب: الرزء (بالضمّ): المصيبة الكبيرة. الجليل: العظيم.

(٣) الشباة (بالفتح): حدّ السيف. العضب: القاطع، الحادّ. من حقّ « صقيل » (هي نكرة) أن تكون منصوبة على الحال.

(٤) سخا: جاد. بما في نفسه (بأسراره وحقيقة أمره).

(٥) عداني: صرفني.

سأسْكُتُ صَبْرًا واحْتِساباً فإنّني ... أرى الصبرَ سيفاً ليس فيه فُلول[١]

- وقال يَصِفُ مُنافقاً:

رأيتُك قاعداً عن كلِّ خيرٍ ... وأنتَ الشَّهْمُ في « قالوا وقلتُ »[٢]

وطَرّاراً لـه لُطْفٌ وحِذقٌ ... وألفاظٌ يُنَمّقُها وسَمْتُ[٣]

وَثِقْتُ إليه مِنْ حَسَبٍ وبَيْتٍ، ... ولولا ذاك منهُ لَما وَثِقْتُ[٤].

وقد يَعِدُ الوعود وليسَ يُوفي ... وليس بقائلٍ يوماً: « فعلتُ »[٥].

كخزِّ الماءِ فوق الماءِ طافٍ ... يَروقُ وما لهُ أصلٌ ونبتُ[٦]

- ومن شعرِه الوُجدانيِّ في الخمرِ والغزَل:

★ مُدامٌ يَطوفُ بكأسِ المُدامِ ... فَلَمْ أدرِ أيَّها أشْرَبُ[٧]!

فهذا الصديقُ، وهذا الرحيقُ، ... وهذا الهِلالُ، وذي الكَوْكَبُ[٨].

وهذا يَمُدُّ بألحاظِه، ... وهذي بألبابِنا تلعَبُ[٩].

وما البدرُ والنَجْمُ مِنْ ذا وذاك ... ولكنّهُ مَثَلٌ يُضْرَبُ[١٠]!

---

(١) الاحتساب: طلب الأجر من الله. فلول جمع فلّ (بالفتح): الكسر في حدّ السيف.

(٢) الشهم: الذكّي، السديد الرأي، الصبور.

(٣) الطرّار: النشّال الذي يشقّ الجيوب عمّا فيها ويختطفه. السمت: الهيئة، الوقار.

(٤) الحسب: الفعل الحميد (والشاعر يقصد النسب: الأسرة المشهورة). البيت (البيت المشهور بالزعامة أو الغنى، الخ).

(٥) وفى وأوفى بعهده: برّ به ونفّذه.

(٦) خزّ الماء: ما يعلو وجه الماء من الطحلب (تعليق من خريدة المغرب ١: ١٤٤).

(٧) مدام الأولى اسم غلام. مدام الثانية: خمر.

(٨) الرحيق: الشراب الحلو. في البيت تشابيه بليغة: مدام (الغلام) صديق وهلال، ومدام (الخمر) رحيق وكوكب.

(٩) يمدّ بألحاظنا: يجعلنا ننظر إلى بعيد (إلى ما لا يجوز لنا أن ننظر إليه - لا يجوز لنا أن نشتهيه). اللبّ (بالضمّ): العقل.

(١٠) البدر ليس مثل مدام (الغلام)، والنجم (الكوكب) ليس خمراً، ولكن جرت العادة بتشبيه بعض هذه الأشياء ببعض.

★ هُمُ عرّضوني للصَبابــــةِ والهوى وهُمْ قطعوا حَبْلي وهم صَرَفوا رُسْلي[١]
جُفوني جَنَتْ قَتْلي عَليّ صَبابةً؛ ولم أرَ مقتولاً بألحاظِه قَبْلي!
★ وجاهلةٍ بالحُبِّ لم تَدرِ طَعْمَهُ، وقد تركَتْني أعلَمَ الناسِ بالحُبِّ.
أقامتْ على قلبي رقيباً وحارساً فليس لِدانٍ من سواها إلى قلبي[٢].
أدَرْتُ الهوى، حتّى إذا صار كالرَّحا جعلتُ له قلبي بمَنْزِلةِ القُطْبِ[٣].
★ ألَمّــتْ بوجــهٍ كَبَـدْرِ الدُجـى تَقَنّـــــعَ بالمِعْجَرِ الأزْرق[٤]؛
كَبَــدْرِ السماءِ بَــدا طالعــاً تَحِــفُّ بـــه زُرقَــةُ المَشرِقِ.
★ وإذا حَرّكَ المثـــاني عنيـــدٌ وسَمِعْنــا زَمْراً ولَحْنـاً شَجِيّاً[٥]،
وسَعــى بالكُؤوسِ بَــدْرٌ مُنـيرٌ وسَقانـا الرحيقَ صِرْفاً وحَيّا[٦]،
مــا أُبـالي إذا شَرِبْـتُ ثلاثـاً أيَّ قـاضٍ بالجَوْرِ يَقْضي عَلَيّا[٧]!

- ومن أبياتٍ له في دلائلِ التقوى:

★ مــا اختلــفَ الصُبـحُ والمساءُ وأُنفِذَ الحُكْمُ والقضاءُ،
إلاّ ولله فيه سِرٌّ يحكُمُ في الخَلْــقِ مــا يشاء.
★ فكّرتُ في نـار الجحيمِ وهَوْلِها، يا وَيْلَتاهُ، ولاتَ حينَ مَناصِ[٨].

---

(١) الصبابة: الشوق. صرفوا رسلي: ردّوهم (لم يقبلوا دعوتي).
(٢) دانٍ: قريب (مقترب) - رقيبها وحارسها يمنعان غيرها من الدنوّ إلى قلبي (لا أستطيع أن أحبّ سواها).
(٣) الرحا والرحى: الطاحون من حجرين يدور أعلاهما على أسفلها حول قطب (أسطوانة قصيرة) في نصف الرحا الأسفل. - جميع المحبّين جعلتهم من مذهبي.
(٤) المعجر ثوب أصغر من الرداء وأكبر من المقنعة تلفّه المرأة على رأسها ثمّ تلبس فوقه جلبابها.
(٥) المثاني (هنا): الآلات الموسيقية. عنيد(؟). الشجيّ: الحزين (المؤثر في العاطفة).
(٦) الرحيق: الشراب الحلو (هنا) الخمر. صرفا: غير ممزوجة بماء. حيّا: ألقى (علينا) السلام، (أشار إلينا بالكأس).
(٧) الجور: الظلم.
(٨) لات حين مناص: ليس (لي يوم القيامة) مناص (مفرّ من الناس، لسوء أعمالي في الدنيا).

فَدَعَوْتُ ربّي أنّ خيرَ وسَائلي،   يومَ المَعادِ، شَهادةُ الإخلاص[١].
★ فَلَئِنْ صَبَوْتُ لقد صَبا أهلُ النهى،   ولئن هَفَوْتُ فلستُ بالمعصوم[٢]!

٤- ديوان تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٧ م.

٤- ★★ البيان المغرب ١: ٢٩٨ - ٣٠٤؛ الحلّة السيراء (مع ترجمة أبيه) ٢: ٢١ - ٢٦؛ ابن الأثير ١٠: ١٥ - ١٦؛ وفيات الأعيان ١: ٣٠٤ - ٣٠٦؛ الخريدة (المغرب) ١: ١٤١ - ١٦٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ٧١ - ٧٢ (٨٢).

عز الدولة الصُّمادِحيّ

١- هو عزُّ الدولةِ أبو مروانَ عبدُ الله[٣] بنُ محمّدِ المعتصمِ بنِ مَعْنِ بنِ صُمادِح.

في سَنةِ ٤٨٣ هـ جاز يوسفُ بنُ تاشفينَ إلى الأندلس جَوازَه الثالثَ وهو يُضْمِرُ الاستيلاءَ على الأندلس فبدأ بغَرناطة. وكان المعتصمُ بنُ صُمادحَ ماكراً بعيدَ التفكيرِ فأرادَ تألُّفَ يوسفَ بنِ تاشفينَ لعلّهُ يترُكُ الاستيلاءَ على المَريَّة، فأرْسَلَ ابنَه عِزَّ الدولةِ ليُهَنِّىءَ يوسفَ بنَ تاشفين بالفتح. ولم يَخْفَ على يوسفَ مَقْصِدَ المعتصمِ فاعتقلَ عزَّ الدولة وسجَنَهُ مُقَيَّداً. ولكنّ المعتصمَ ٱحْتالَ في إنقاذ عزِّ الدولة ونَقَلَه من طريقِ ثَغرِ مالقَةَ إلى المَريَّة. حينَئذٍ أسْرَعَ يوسفُ بنُ تاشفينَ فأرسلَ جيشاً ٱحْتَلّ المرية (٤٨٤ هـ).

وانتقل عِزُّ الدولةِ وشيكاً إلى شَمالِيِّ إفريقِيَةَ ولجأ إلى أحدِ المُرابطين في بِجاية لصِلةٍ كانتْ له به من قبلُ ولازمه آمناً عنده يُنادمه، وقد صَرَفَ ٱهتمامُه عن الكفاحِ واكتفى بشُرْبِ الخَمْرِ ومُعاشرةِ الملاح.

وفي سَنةِ ٤٨٤ هـ، أو في السنَةِ التي تَليها، أرسلَ الشاعرُ ابنُ اللبّانةِ إلى عزّ

---

(١) المعاد: يوم القيامة. شهادة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله.

(٢) صبا: مال (إلى اللهو والغزل). النهى: العقل. هفا: أخطأ، أذنب.

(٣) في المغرب (٢: ٢٠١): هو الواثق عزّ الدولة أبو محمّد عبد الله. وفي الحلّة السيراء (٢: ٨٨): هو عزّ الدولة أبو مروان عبيد الله (عبيد بالتصغير). وفي نفح الطيب (٧: ٤٠): هو عزّ الدولة أبو مروان عبد الله.

الدولةِ بيْتَيْنِ من الشِعْرِ يَذْكُرُ فيهما أنّه كان ينالُ من عطايا بني صُمادِحَ من قبلُ، فأرسلَ عزُّ الدولة إليه مبلغاً يسيراً قَطْعاً للسانه.

ولمّا سار يَحْيى بنُ أبي بكرٍ، سَنةَ ٥٠٤ هـ (١١١٠ - ١١١١ م)، لِفَتْحِ طُلَيْطُلَةَ كان عزُّ الدولةِ مَعَه. ولعلَّ عزَّ الدولةِ لم يَعِشْ بعدَ ذلك طويلاً.

٢ - قال الشُقُنْدي: إنّ عِزَّ الدولة أشعرُ من أبيه (نفح ٣: ٣٦٩). ومُعْظَمُ ما وَصَلَ إلينا من شعرِ عزِّ الدولةِ الشكوى والعِتابُ والنسيب. كان نَسيبُه يَحْمِلُ خصائصَ مُوَلَّدةً، أمّا عِتابهُ فجزْلُ الألفاظ على عَمودِ الشعر. ويشكو عزُّ الدولةِ مِنْ أنّه، في اعتقالِه في أيامِ أبيهِ ثمّ في اعتزاله بعدِ سُقوطِ دُوَلِ الطوائفِ، لا يُحارِبُ ولا يقاتل، مَعَ أنّه في أيامِ دولةِ أبيه كان مُنْصَرِفاً إلى اللهو وَحْده، وقد زادَ انهاكه في الملاذّ بعد ذلك.

٣ - مختارات من شعره:

- لمّا اعْتُقِلَ عِزُّ الدولة الصُمادِحِيُّ في غَرْناطةَ وثُقِّفَ (قُيِّدَ) كَتَبَ إلى أبيه:

أَبَعْدَ السَنا والمعالي خُمولُ؟ ... وبعدَ رُكوبِ المَذاكي كُبولُ[1]؟
ومن بعدِ ما كُنتُ حُرًّا عزيزاً ... أنا اليومَ عبدٌ أسيرٌ ذليل؟
حَلَلْتُ رسولاً بغَرْناطَةٍ ... فحَلَّ بها بي خَطْبٌ جليل[2].
وثُقِّفْتُ إذْ جِئْتُها مُرْسَلاً، ... وقد كان يُكْرَمُ قَبْلي الرسول[3].
فَقَدتُّ المَرِيَّةَ- أكْرِمْ بها!- ... فما للوُصول إليها سبيل[4].

- قاد الأميرُ يحيى بن أبي بكرٍ غَزْوةً إلى طُلَيْطُلة، وكان مَعَهُ عِزُّ الدولة، فلمّا وَصَلَ الجيشُ إليها ونَصَبَ الخِيامَ في ساحتها اتّفق أن سَقَطَ لِواءٌ من يدِ حاملِه.

---

(١) السنا: الضوء، ضوء القمر (الشهرة). المذاكي: الخيل (القاموس ٤: ٣٣٠) لا مفرد لها. الكبول جمع كبل (بالفتح): قيد.
(٢) خطب: مصيبة. جليل: عظيم.
(٣) ثقّف الرجل: وضع في رجليه أو يديه الثقاف (القيود).
(٤) المريّة: مدينة ساحلية في جنوبي الأندلس.

فانكسرَ عودُهُ. فتَشاءَمَ قومٌ من ذلك فقال عِزُّ الدولة:

لم يَنْكَسِرْ عُودُ اللواءِ لِطِيرَةٍ يُخْشى عليكَ بها، وإن تتأوّلا
لكنْ تَحَقّقَ أنّه يَنْدَقُّ في نَحْرِ العَدُوِّ، لدى الوغى، فتَعَجّلا.

- لمّا لجأ عِزّ الدولةِ إلى صديقهِ المُرابطيّ في بِجايةَ (الجزائرِ اليومَ) تذكّرَ عِزَّه القديمَ فقال يشكو:

لكَ الحمدُ؛ بعدَ المُلْكِ أُصبحُ خاملًا بأرض اغترابٍ لا أُمِرُّ ولا أُحْلي[1]
وقد أصْدأتْ فيه الهُوادةُ مُنْصُلي، كما نَسِيَتْ رَكْضَ الجِيادِ بها رِجْلي[2]
ولا مِسْمَعي يُصغي لِنَغْمةِ شاعرٍ، وكَفِّيَ لا تَمْتدُّ يوماً إلى بَذْلِ؛
طريداً شريداً لا أُؤَمِّلُ رَجْعةً إلى موطنٍ بُوعدتُّ عنهُ وعن أهلي.
وقد كُنتُ متبوعاً فأصبحتُ تابعاً لدى مَعْشرٍ ليسوا بجِنْسي ولا شَكْلي؛
وقولِيَ مَسْمُوعٌ وفِعْلِيَ مُحْكَمٌ، وها أنا لا قَوْلي يَجوزُ ولا فِعْلي.
وقد كُنْتُ غِرًّا بالزمان وصَرْفِه، فقد بَانَ قَدْرُ العِزّ عِنْدِيَ والذُلّ[3]

- وقال في مثلِ ذلك:

إن يَسْلَمِ الناسُ من هَمٍّ ومن كَمَدِ فإنّني قد جمَعتُ الهمَّ والكَمَدا[4]؛
لم أُبْقِ منه لغَيْري ما يُحاذِرُه، فليسَ يَقْصِدُ دوني في الوَرى أحَدا[5]

- ومن شعره في النسيب:

أهوى قَضيبَ لُجينٍ قد أُطْلِعَ البدرُ فيه[6].
إن كان مَوْتي بلَحْظٍ منه فعَيْشِي يَليه.

---

(١) لا أمر ولا أحلي (لا أضر ولا أنفع).
(٢) الهوادة (السكون: البقاء بلا عمل) أصدأت منصلي (سيفي): جعلت الصدأ يعلوه.
(٣) غرّ: قليل الاختبار، جاهل. صرف الزمان: تقلّبه (مصائبه). بان: ظهر.
(٤) الكمد: الحزن والغمّ.
(٥) الورى: الناس، البشر كلّهم. - اجتمع الكمد كله عليّ حتّى لم يبق أحد يخاف أن يحلّ به شيء منه.
(٦) لجين: فضّة. قضيب لجين: كناية عن القامة الرشيقة الجميلة. البدر (كناية عن الوجه الجميل).

يــــا ربِّ، كم أتَمنّـــــى لُقْيـــــاهُ، كم أشْتَهيـــــه!
ولا أرى منــــه شيئــــاً سِوى جَفــــاءٍ وتيـــه[1].
طُوبـــى لـــدارٍ حَوَتْـــهُ وأمّــــــهِ وأبيــــهِ،
بــلْ ألــفُ طوبــى لعبــدٍ في مَوْضـــعٍ يَلْتَقيـــه.

٤ - ★★ المغرب ٢: ٢٠١ - ٢٠٢؛ الحلّة السيراء ٢: ٨٩ - ٩٢؛ نفح الطيب ٧: ٤٠ - ٤٣؛ نيكل ١٨٤ - ١٨٥.

ابن اللّبّانة

١ - هُوَ أبو بكرٍ مُحمّدُ بنُ عيسى بنِ محمّدٍ اللَّخْمِيُّ الدانيُّ، وُلِدَ في مدينة دانِيَةَ ونُسِبَ إلى أُمّهِ التي كانتْ، فيما يبدو، تَبيعُ اللَّبَنَ؛ ولا نَعْرِفُ شيئاً عن أبيهِ عيسى. وكذلك لا نَعْرِفُ شيئاً عن حياتهِ الأُولى.

بدأ ابنُ اللّبّانةِ حياتَه العامّةَ بالدَّوَرانِ على بَلاطاتِ ملوكِ الطوائفِ للتكسّب بِشعرهِ. اختار أن يذهب إلى المَرِيَّة لِيَمْدَحَ أبا يحيى محمّدَ بنَ مَعْنٍ المعروفَ باسم المُعْتَصِم بنِ صُمادحٍ (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ)، سَنَةَ ٤٦٠ هـ أو قبلَ ذلك بقليل. ويبدو أنه لم يستطعْ في أول الأمر أن يَتّصِلَ به، ثمّ اتّصَل بهِ ومدحه. ولكنّ هذا الاتّصال لم يَطُلْ لأنّ شاعراً آخرَ اسمهُ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ الحدّادِ الوادي آشي - كانَ قد نال حظْوةً عند المعتصم بن صُمادحٍ وأصبحَ وزيراً له - سَرْعانَ ما أفسد ما بين المعتصم بن صمادح ابن اللبانة. فغادر ابن اللبّانة المَرِيَّة وذَهَبَ إلى بَطَلْيَوْسَ ليمدح أميرَها المتوكّلَ على الله أبا حفصٍ عُمَرَ. ولكنّ المتوكّلَ على الله كان، فيما يبدو، قليل الاحتفال بالشعر في ذلك الحين لأنّه كان يَحْكُمُ بَطَلْيَوْس بالاشتراك مع أخيه المنصورِ يحيى (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ). وفي سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) توفّي يحيى وانفرد المتوكّلُ بالحُكْمِ.

وبارحَ ابنُ اللبّانة بَطَلْيَوْسَ إلى قُرطُبَةَ. وأغلَبُ الظنّ أنه جاء إلى قرطبة سَنَةَ

(١) الجفاء: البعد. التيه: التكبّر.

٤٦٩ هـ لِيُهَنّىءَ المعتمدَ بن عبّادٍ بفتحه قرطبة للمرّة الثانية. ثمّ انتقل إلى بلاط المعتمد في إشبيلية ونال فيه حُظْوةً أنْسَتْهُ مَرارةَ الأيّامِ الخالية.

وفي سنة ٤٨٤ هـ استولى المرابطون على إشبيلية وحملوا المعتمدَ بنَ عبّادٍ أسيراً وحبسوه في سجن أغْماتَ (قرب مرّاكش)، فظلّ ابنُ اللبّانة وَفيًّا للمعتمد يزورُه بين الفَيْنة والفينة ويمدَحهُ. ولم يَمِلِ ابنُ اللبّانة إلى المرابطين، بل كان منحرفاً عنهم كمُعْظَمِ الشعراءِ في ذلك الحينِ، لأنّ يوسفَ بنَ تاشفينَ كان يبني دولةً ومُلْكاً ولم يَكُنْ يُلْقي بالاً إلى المَدائح والأهاجي.

ثم أنّ ابنَ اللبّانة جاء إلى جزيرةِ مَيُورِقَةَ في آخرِ شَعْبانَ من سَنَةِ ٤٨٥، قبلَ وفاةِ المعتمد بن عبّاد، لِيَمْدَحَ، فيما يبدو، أميرَها ناصرَ الدولة مبشّرَ بنَ سُليمانَ الذي كان قد جاء إلى حكم الجزيرةِ في تلك السنة نفسِها. وبعد وفاةِ المعتمدِ في أغمات (٤٨٨ هـ) عاد ابن اللبانة إلى ميورقة ومدح ناصر الدولة بقصائدَ كثارٍ. غير أن ناصر الدولة غَضِبَ من ابن اللبانة، فغادر ابنُ اللبانة جزيرة ميورقة وانتقل إلى بِجاية (في المغرب الأوسط) لاجئاً إلى بني حمّود، في أواخر أيام المنصور (بجاية ٤٨٣ - ٤٩٨ هـ) أو في أيام ابنه باديس (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ).

وذهب ابن اللّبانة إلى تِلِمْسانَ ثمّ عادَ ثالثةً إلى ميورقة وتوفّي فيها سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) قبلَ وفاة أميرها مُبَشّرٍ بنحو سَنَةٍ واحدة.

٢ - كان أبو بكرِ بنِ اللّبّانة أديباً كاتباً شاعراً مُكْثِراً ومُجيداً في الشِعر وفي النَثْر. وله قصيدٌ ومُوَشّحٌ وقصائدُ طوالٌ ومُقَطّعاتٌ. وَهُوَ مُتَصَرِّفٌ في المعاني قليلُ التَكَلُّفِ قد جَمَعَ بينَ سُهولة التركيبِ ورَشاقةِ التعبير، يعتمدُ في ذلك جَوْدَةَ طبعهِ وقوّةَ قريحتهِ، ولا يَعْرِفُ عِلَلَ الشِعْرِ وعُلومَه. وله مديح كثير أحسنه في بني عبّادٍ. ومن فنونهِ أيضاً الشكوى والعِتابُ والرثاء والهجاء والغَزَلان المذكّر والمؤنّث، وله أيضاً وَصْفٌ للطبيعة. ثمّ هو مؤلّف، له: كتاب مناقل الفِتْنة - نَظْم السلوك في وعظ الملوك - سَقِيطُ الدُرَرِ ولَقيطُ الزّهَرِ (في شعر بني عبّاد).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو بكرٍ بنُ اللبّانةِ يَصِفُ جزيرةَ ميورقَةَ (المغرب ٢ : ٤٦٦):

بَلَدٌ أعارَتْـهُ الحَمامَـةُ طَوْقَهـا، وكساهُ حُلّـةَ رِيشِهِ الطاوُوسُ(١).
وكأنّما تِلْـكَ الميـاهُ مُدامَـةٌ، وكـأنّ قِيعانَ الديارِ كُؤوس(٢)!

- وقال يهجو رجلاً اسمُه ابنُ السيِّد:

يَروقُكَ في أهلِ الجَمالِ ابنُ سَيِّدٍ كتَرْجَمَةٍ راقَتْ وليسَ لَها مَعْنى(٣).
حَكى شَجَرَ الدِفْلاءِ حُسْناً ومَنْظَرًا؛ فما أحْسَنَ المَجْلى وما أقْبَحَ المَجْنى(٤)!

- وقال يَمْدَحُ(٥):

بَكَتْ عندَ تَوْديعي، فما عَلِمَ الرَّكْبُ أذاكَ سَقيطُ الطَلّ أمْ لُؤْلُؤٌ رَطْبُ(٦)!
وتابَعَها سِرْبٌ؛ وإنّي لَمُخْطِئٌ، نُجومُ الدَياجي لا يُقالُ لها: سِرْبُ(٧)!
لَئِنْ وَقَفَتْ شمسُ النَّهارِ لِيُوشَعٍ، لقد وَقَفَتْ شَمْسُ الهَوى لِيَ والشُهْبُ(٨)

(١) طوق الحمامة: الريش الملوّن حول عنق الحمامة (ويكون عادة كثير الألوان). الحلّة: الثوب من الحرير. - كناية عن أن أرض جزيرة ميورقة كثيرة المروج كثيرة الأزهار.

(٢) المدامة: الخمر. القيعان جمع قاع: بقعة منخفضة تتجمّع فيها المياه.

(٣) يروقك: يعجبك، يسرّك. الترجمة: فاتحة الكتاب (مقدّمته).

(٤) الدفلى والدفلاء: شجيرة لها زهر حسن ولكن لا رائحة له ولا ثمر لها. المجلى: المظهر، المنظر. المجنى: قطع (الزهر) أو قطفه قبيح إذ لا رائحة له.

(٥) في فوات الوفيات (٢: ٣٢٥) أن هذه الأبيات من قصيدة في مديح المعتمد بن عبّاد؛ وفي قلائد العقيان (ص ٢٨٥ - ٢٨٦) بيت فيه ذكر ميورق (ميورقة؟) ثمّ ذكر ناصر الدولة (بن سليمان صاحب ميورقة من سنة ٤٨٥ - ٥٠٨ هـ). وفي المغرب (٢: ٤١٠) قصيدة من هذا البحر وعلى هذا الرويّ في المتوكّل بن الأفطس.

(٦) الركب: الجماعة يركبون الخيل أو الإبل ويسيرون معاً. سقيط الطلّ: قطرات الندى التي تتكوّن ليلاً على أوراق الشجر. الرطب (صفة للؤلؤ): الذي له بريق (؟). - لمّا بكت المحبوبة وتساقطت دموعها على خدّيها ظنّ الذين يرافقونني أن دموعها ندى أو لؤلؤ.

(٧) وتابعها سرب: بكى معها لبكائها سرب (السرب في الأصل القطيع من بقر الوحش= الغزلان، الظباء). نجوم الدياجي (جمع دجى: الليل المظلم)= كناية عن النساء الحسان.

(٨) إذا كانت الشمس قد توقفت فوق الأفق ليوشع ولم تغب حتّى استمرّ يوشع في خوض المعركة، فإن =

عَقيلةُ بيتِ المجدِ؛ لم تَرَها الدُجى، ولا لَمَحَتْها الشَّمْسُ وَهْيَ لَها تِرْب[1]
وبَحْرٍ – سِوى بحرِ الهوى – قد رَكِبْتُـهُ لأمرٍ؛ كِلا البحرَيْنِ مَركَبُه صَعْب[2]
ولمّـا رأتْ عَيْـني جَنـابَ مَيورقٍ أمِنْتُ وحَسْبُ المَرءِ بُغْيَتُه حَسْب[3]
نزلـــــتَ بكافورٍ وتِبْرٍ وجَوْهَرٍ يُقالُ لَه الحَصْباءُ والرَّمْلُ والتُّرْب[4]
وقُلْتُ: المكانُ الرَّحْبُ فيه؛ فقيلَ لي: ذُرى ناصرِ العَلْياءِ أجْمَعُهُ رَحْب[5]
حَوى قَصَباتِ السَّبْقِ عَفْواً، ولو سَعى لها البَرْقُ خَطْفاً جاء من دونها يَكْبو[6]
ويَرْتـاحُ عنـد الجودِ حتّـى كأنّه – وحاشاهُ – نَشْوانٌ يَلَذُّ له الشُّرْب[7]
سألـتُ أخاهُ البحرَ عنه فقال لي: شَقيقِي إلاّ أنّـه البـاردُ العَذْب!

– ومن موشّحاتِ أبي بكرِ بنِ اللَّبّانةِ هذه الموشّحةُ التي يَمدَحُ بها باديسَ بنَ المنصورِ (٤٩٨ – ٥٠٠ هـ) من بني حَمّادٍ أصحابِ قَلْعة بني حَمّادٍ وبِجايةَ وغيرِهما في المَغْرِب الأوسط:

في نَرْجِسِ الأحْداقْ وسَوْسَنِ الأجيـادْ نَبْتُ الهَوى مَغْروسْ بَيْنَ القَنا المَيّادْ[8]

★ ★ ★

= اللواتي وقفن لوداعي شمس الهوى (المحبوبة) والشهب (الفتيات الجميلات المرافقات لها). يقصد أن الشمس وحدها وقفت ليوشع، أمّا هو فوقفت له الشمس والنجوم.

(١) العقيلة: الكريمة المخدّرة، المصونة. الدجى: الليل، ظلام الليل. الترب: المماثل لغيره في العمر. – هي مكرّمة مصونة لا تبتذل في الأعمال لا نهاراً ولا ليلاً.

(٢) بحر: هو البحر الذي تجري فيه السفن. لأمر: لبلوغ أمر عظيم. كلا البحرين: البحر والهوى (الحبّ).

(٣) الجناب: الجانب. حسب المرء بغيته: يكفي الإنسان أن ينال بغيته (ما يبغي، ما يطلب).

(٤) نزلت في جزيرة حجارتها ورملها وترابها تشبه الكافور والذهب واللؤلؤ.

(٥) الرحب: الواسع، المتّسع للضيوف. الذرى: المكان المرتفع كالذروة.

(٦) حوى قصبات السبق: سبق الناس أجمعين. عفوًا: على مهل ومن غير استعداد لذلك. ومن غير أن يجهد (يتعب). ولو أن البرق أسرع ليفعل فعل (الممدوح) لجاء البرق وراءه تَعِباً أيضاً. يكبو: يسقط على وجهه.

(٧) يرتاح: يطرب، يسرّ.

(٨) نرجس الأحداق: العيون التي تشبه النرجس. سوس الأجياد: الأعناق التي تشبه السوسن (الزنبق) ببياضها. القنا: الرماح. الميّاد: الذي يهتز (كناية عن قامات النساء الحسان).

وفي نَقـا الكافورْ والمَنْـدَلِ الرَّطْبِ
والهَوْدَجِ المَزْرورْ بالوَشْي والعَصْبِ
نـادَى بهـا المَهْجور مِنْ شِدَّةِ الحُبِّ:
قُضْبٌ من البَلّوْر حُمِـينَ بالقُضْبْ.
أذابَـتِ الأشواقْ روحي على أجسادْ أعارَها الطاوُوسْ من ريشهِ أبْرادْ[1]

★ ★ ★

كواكـبٌ أترابْ تَشابَهَـتْ قَـدّا
عَضّتْ على العُنّابْ بالبَـرَدِ الأنْـدى؛
أوْصَتْ بِيَ الأوْصابْ وأغْرَتِ الوَجْدا.
وأكـثرُ الأحبابْ أعْدى من الأعْدا.
تَفْتَرُّ عن أعْـلاقْ لآلِـئٍ أفْرادْ فيه اللَّمَى مَحْروسْ بألْسُنِ الأغْمادْ[2].

★ ★ ★

خَرَجْتُ مُحتالا أبْغي سَنـا البَرْقِ
أقْطَـعُ أمْيـالا غَرْبـاً إلى شَرْقِ،

---

(١) النقا: الرمل الأبيض. نقا الكافور: أبيض كلون الكافور. والمندل (أجود أنواع العود = نبت طيّب الرائحة) الرطب (الجديد الذي تفوح منه رائحة قويّة). الهودج: شبه غرفة تحمل على الجمل وتركب فيها النساء. المزرور: المربوط، المغلق، المستور. الوشي: نسيج فيه نقوش. العصب: نوع من الثياب الحريرية. قضب من البلّور: نساء بيض (جميلات) طويلات القامة حمين: حماهن، قام حولهن سور من الرجال الشجعان القضب: السيوف. الأشواق (فاعل)، روحي (مفعول به). الأبراد جمع بُرد: ثوب من حرير.

(٢) كواكب أتراب: فتيات جميلات متماثلات في الأعمار. القدّ: القامة. عضّت على العنّاب بالبرد الأندى: لهن شفاه شديدة الحمرة وأسنان شديدة البياض. أوصت....: سبّبت (تلك الشفاه والأسنان) لي الآلام وجعلتني شديد الحبّ لها (لصاحباتها). تفتر (تنفتح، تنكشف) عن أعلاق (جمع علق بكسر العين: الشيء النفيس) لآلىء أفراد (مثل اللآلي الفريدة، الكبيرة، الثمينة: الأسنان) اللمى: السمرة في الشفاه (الشفاه). الغمد: قراب (بيت) السيف. ألسن الأغماد: رموش العيون.

مُؤَمِّــلًا حــالا تكونُ من وَفْقي.
فقــالَ مَنْ قــالا وفــاهَ بالصِــدْق:
دعْ قَطْعَكَ الآفاقْ، يا أيُّها المرتادْ واقْصِدْ إلى باديسْ خَيرِ بني حَمّادْ[١].

– وقال أبو بكرِ بن اللّبّانةِ، لما استولى المرابطون على إشبيليةَ وخلعوا المعتمدَ بنَ عبادٍ وحملوه معَ أهلهِ الباقين على قيدِ الحياة أسرى إلى المغرب:

تبكي السماءُ بمُزنٍ رائحٍ غـادي — عـلى البهاليل مِن أَبناء عبَّاد[٢]،
عـلى الجبال التي هُدَّتْ قواعدُها، — وكانت الأَرضُ منهم ذاتَ أوتاد[٣]
وكعبـةٍ كانـت الآمـال تَخدِمهـا، — فاليومَ لا عاكـفٌ فيها ولا باد[٤].
يا ضيفُ، أَقْفَرَ بيتُ المكرُمات فخُذْ — في ضمّ رَحْلِكَ واْجمعْ فَضْلَةَ الزاد.
ويـا مؤَمِّـلَ واديهم لِيسكُنَـهُ، — خفَّ القطينُ وجفَّ الزرعُ بالوادي[٥].
وأنـتَ يا فارسَ الخيل التي جَعَلَتْ — تختـال في عُدَدٍ منهم وأَعداد[٦]،
أَلـقِ السِلاحَ وخـلِّ المَشْرَفيَّ فقـد — أصبحْتَ في لَهَواتِ الضَيْغمِ العادي[٧].
لمَّا دنا الوقتُ لم تُخلِفْ به عِدَةً؛ — وكـلّ شيءٍ لميقـاتٍ وميعـاد[٨].
كم مِن دراريِّ سعدٍ قد هوَتْ، ووَهَــتْ — هنـاك مِن دُررٍ للمجد أفراد[٩].

---

(١) خرجت محتالا (لكسب الرزق) أبغي (أطلب) سنا البرق (لمعان البرق: الخير). من وفقي: توافقني، تنطبق على ما أريد. المرتاد: الذي يذهب أمام القوم ليكشف لهم مكاناً فيه مرعى وماء.

(٢) المزن (المطر) رائح (في المساء) غاد (في الصباح). البهلول: السيّد الجامع لصفات الخير.

(٣) .... ذات أوتاد (ثابتة، راسخة).

(٤) العاكف: المقيم (في البلد)، المتوطّن. البادي: الطارىء على البلد (الزائر) راجع القرآن الكريم ٢٢: ٢٥، سورة الحجّ.

(٥) القطين: الساكن خفّ: رحل.

(٦) العدّة: الآلات، الأدوات. الأعداد (العدد)، الكثرة من الناس.

(٧) المشرفي: السيف. اللهوات (جمع اللهاة): اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم). الضيغم: الأسد. العادي: الهاجم، الجريء الوثّاب.

(٨) لم تخلف (أنت) عدة (وعدا)- صبرت على ما جاء به القدر.

(٩) الدراري: النجوم. - نجوم السعد غابت (فانتشر الشؤم في العالم). وهى: ضعف وانقطع (سلك العقد). الدرر: حبّات اللؤلؤ. أفراد (يقصد فراد أو فرائد جمع فريدة: اللؤلؤة الكبيرة النادرة الثمينة).

إن يُخْلَعوا فبنو العباس قد خُلِعوا ، وقد خلتْ قبلَ حمصٍ أرض بغداد [١] .
حَمَوْا حَريمُهم حتى إذا غُلِبوا سِيقوا على نَسَقٍ في حَبْلِ مُقتاد [٢] .
حانَ الوَدَاع فضجَّتْ كلُّ صارخةٍ وصارخٍ مِن مُفْدَّاةٍ ومن فاد [٣] .
سارَتْ سفائِنُهم والنَوْح يَصْحَبُهــا كأَنَّها إِبلٌ يَحْدو بها الحادي [٤] .
كم سال في الماءِ من دمع، وكم حَمَلَتْ تلك القطائعُ من قِطْعات أكبــاد [٥] .
من لي بـكم، يا بني ماءِ السماءِ ، إذا ماءُ السماءِ أبى سُقْيا حَشى الصادي [٦] .

- وقال في مثل ذلك:

لِكـلّ شيءٍ من الأَشيـاءِ ميقـاتُ وللمُنُــى مِن مناياهنَّ غايـاتُ [٧] .
والدهر في صِبغـةِ الحِرباءِ مُنْغَمِسٌ ، ألوانُ حالاته فيها آستحالات [٨] .
ونحن مِن لُعَبِ الشِطرنج في يده ، وربّما قُمِرَتْ بالبيــذق الشاة [٩] .
فٱنْفُضْ يديك من الدنيا وساكنها ، فالأرض قد أَقْفرَتْ والناس قد ماتوا .
وقـل لعالَمهـا السُفـليّ قد كَتَمتْ سريرةَ العالَم العُلْويّ أغمات [١٠] .

---

(١) قبل سقوط المعتمد بن عبّاد عن عرش حمص (أشبيلية) سقط بنو العبّاس عن عرش بغداد .

(٢) .... سيقوا أسرى متتابعين في حبل واحد (بعد العزّ ذلّوا).

(٣) حان: قرب. ضجّت: بكت. المفدّاة: التي يفدّيها الناس (يحبّونها) والفادي: الذي يفدّي (يحب) الناس. جميع الناس حزنوا.

(٤) يحدو بها: يسوقها. ساروا مقودين (بعد أن كانوا قوّاداً).

(٥) القطائع جمع قطيعة: قطعة من الأرض. والملموح (هنا) أنّها السفينة.

(٦) بنو عبّاد أصلهم من المناذرة أبناء ماء السماء (وماء السماء هي أمّ المنذر بن امرىء القيس، ملك الحيرة) (ت ٦٠ قبل الهجرة = ٥٦٢ م). ماء السماء (الثانية): المطر. الحشى: القلب. الصادي: العطشان.

(٧) وللمنى (جمع أمنيّة: رغبة) من مناياهنّ غايات (جمع غاية: نهاية). - لكلّ أمنيّة (نعمة، حال حسنة) نهاية (موت، كما يكون للبشر).

(٨) الاستحالة: التبدّل، التغيّر. أحوال الدهر لا تبقى على وتيرة واحدة.

(٩) الشاة (يقصد الشاه - الملك - أعظم قطع الشطرنج) فإذا مات الشاه انتهت دورة اللعب بالشطرنج، ولو بقيت جميع الحجارة الباقية سليمة. البيذق: الجندي: أصغر حجارة الشطرنج.

(١٠) سريرة العالم العلويّ (المعتمد بن عبّاد): خلاصة الوجود الإنساني. أغمات قرب مدينة مرّاكش سجن فيها المعتمد بن عبّاد.

طوَتْ مِظَلَّتُها لا بـل مَذَلَّتُهـا مَنْ لم تَزَلْ فوقَه للعزّ رايات[١]؛
مَن كـان بينَ الندى والبأس أَنْصُله هِنديّةٌ، وعطاياه هُنَيدات[٢].
رماه من حيث لم تَسْتُرْهُ سابغَةٌ دهرٌ مُصيباتُـه نُبْلٌ مُصيبات[٣].
وكـان ملءَ عِيانِ العينِ تُبصره وللأمـانيّ في مَرْعـاه مرعاة[٤].
انكرتُ إلّا التواءاتِ القيودِ بـه؛ وكيف تُنْكَر في الرَوْضات حيات[٥].
حَسِبْتُهـا من قَنـاهُ أو أعِنّتِـه، إذا بها لثِقافِ المجد آلات[٦].
دَرَوْه ليثاً فخافوا منـه عاديـةً، عذرتُهم فلعُدْوى الليث عادات[٧].

- وقال يَصِفُ الروضَ ونسيمَ الروض:

والرَّوْضُ إن بَعُدَتْ عليك قُطوفُه وافَتْكَ عنهُ الرّيحُ وَهْيَ بَليلُ[٨].
حَسْبُ النّسيمِ مِنَ اللّطافَـةِ أنّـهُ صَحّتْ بهِ الأجسامُ وَهْوَ عَليلُ[٩].

٤-★★ قلائد العقيان ٢٨٣ - ٢٩٠؛ المغرب ٢: ٤٠٩ - ٤١٦؛ فوات الوفيات ٢: ٣٢٤ - ٣٢٧؛ الوافي بالوفيات ٤: ٢٩٧؛ ابن الأثير ١٠: ١٨٨ - ١٩٢، ٢٤٩ -

---

(١) المظلّة: الغطاء السقف. المذلّة (كناية عن سقف السجن). - كانت تخفق فوق رأسه رايات العزّ (في الملك والحرب) فأصبح فوق رأسه سقف السجن.
(٢) الندى: الكرم. البأس: القوّة (الحرب). النصل: حدّ السيف. هندي: (سيف) من صنع الهند. الهنيدة: المائة من الإبل.
(٣) السابغة: الدرع. مصيبات (الأولى) مصائب، نوائب. النبلة: السهم. مصيبات (الثانية): اسم فاعل من أصاب (أصاب مقتلاً من الإنسان).
(٤) المرعى (مكان الرعي). مرعاه: رعاية (المعتمد بن عبّاد للناس). مرعاة: مرعى (كان الناس يجدون في حكم المعتمد بن عبّاد أمناً وازدهاراً).
(٥) رأيت المعتمد بن عبّاد في سجنه (في حال نفسية سامية، كما كنت أراه في قصره) لولا القيود التي كانت في رجليه. ثمّ إنّ الشاعر يشبّه المعتمد بن عبّاد بالروض وما فيه من أزهار وثمار، ويشبّه قيوده بالأفاعي. وكلّ إنسان يستطيع أن يرى الفرق بين الأفعى وبين النبات.
(٦) القنا جمع قناة: رمح. أعنّة (جمع عنان بالكسر): لجام، رسن. ولكن كانت في الحقيقة ثقافاً (قيوداً) للمجد (للمعتمد بن عبّاد).
(٧) دروه (عرفوه) ليثاً (أسداً). عادية: اعتداء. ومن عادة الأسد العدوى (الاعتداء) على غيره.
(٨) إذا لم يكن للبستان قطوف (أثمار) تأكلها وافاك (جاءك منه) هواء بليل (رطب).
(٩) عليل: مريض. والهواء العليل (إذا كان هبوبه خفيفاً لطيفاً منعشاً).

٢٥٠؛ المطرب ١٧٨ - ١٧٩؛ المعجب ١٤٧، ١٤٩ - ١٥٠؛ جيش التوشيح ٥٩ - ٧٢، راجع ٢٤؛ نفح الطيب ١: ٦٦٢، ٣: ١٩٩، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٦٨ - ٣٦٩، ٦١٢، ٤: ٩٤ - ٩٨، ١٠٢ - ١٠٣، ١٥٦، ٢١٤ - ٢١٨، ٢٢٢ - ٢٢٣، ٢٤١ - ٢٤٢، ٢٤٦ - ٢٤٨، ٢٥٥ - ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٤ - ٢٧٥، ٢٧٩ - ٢٨٠، ٧: ٤٢ - ٤٣؛ شذرات الذهب ٤: ٢٠؛ نيكل ١٦٣؛ مختارات نيكل ١١٣ - ١١٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٥٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١٤ (٦: ٣٢٢)؛ بالنثيا ١٥٧.

ابن طاهر القيسيّ

١ - أسرةُ ابنِ طاهرٍ هذا أسرةٌ عربيةٌ كبيرةُ العدد واسعةُ الثروة عالية المكانة تَرْجعُ بنسبها إلى قَيْس عَيْلانَ. وكان مسكنها في مُرسِية من كورة تُدْمير (في الطَرَفِ الجَنوبيّ الشرقيّ من الأندلس). ونشأ في هذه الأسرة «أعلامٌ وحَمَلَةُ سُيوفٍ وأقلام»، كما يقول لسان الدين بن الخطيب (أعمال الأعلام ٢٠١) ثمّ صارتْ لهم - في مطلع الفِتنة - الرئاسةُ على مرسية.

وكان أبو بكر أحمدُ بنُ طاهرٍ (والدُ صاحب هذه الترجمة) قدِ استبدّ بأمرِ كورة تدمير كلّها، وكان حُكمه صالحاً على الناس فاجتمعوا على طاعته والاعتراف بحقّه.

أمّا صاحبُ الترجمة نفسُه فهو أبو عبدِ الرحمنِ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ طاهرٍ، كان مَوْلدُه نحوَ سَنَةِ ٤١٥ هـ (١٠٢٤ م). واتّفق أن أحمدَ بن طاهرٍ فُلِجَ في أواخرِ أيامه فقام ابنُه أبو عبدِ الرحمن محمّدٌ مكانَه وسَدّ مسدّه. فلمّا تُوُفِّي ابن طاهرٍ الكبير، (سَنَةَ ٤٥٥ هـ)، خَلَفَه ابنُه أبو عبد الرحمن.

طَمِعَ المعتمدُ بن عَبّادٍ مَلِكُ إشبيلية (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) بالاستيلاء على مُرسية، فواطأ (سَنَةَ ٤٧٤) رايموندو الثانيَ صاحبَ (حاكمَ) برشلونة، وحاصرَ المَلِكُ المُسْلمُ والملكُ النصرانيُّ مرسيةَ المُسلمة - وتلك عادةٌ كانتْ، مَعَ الأسف، مألوفةً في أيامِ ملوكِ الطوائف - ولكنّ المَلِكَيْن لم ينجحا في الاستيلاء على مرسية.

ثمّ استطاعَ المعتمدُ - في حديثٍ طويل - أن يستوليَ على مُرسية (بقيادة عاملهِ على «حصن بَلْجٍ» - على مقرُبَةٍ من جَيّانَ -، عبدِ الرحمن بنِ رشيقٍ). ودخل ابنُ

رشيقٍ مدينةَ مرسية وأخذَ صاحبَها ابنَ طاهرٍ واعتقله. ثمّ إنّ المعتمدَ أمر بإطلاق سَراحِ ابنِ طاهرٍ، فانتقل ابنُ طاهرٍ إلى شاطبةَ، ثمّ ذهبَ إلى بَلَنْسِية وبَقِيَ فيها إلى أن تُوُفِّيَ سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م). وفي العام التالي نُقِلَ رُفاتُه إلى مرسية.

٢ - أبو عبدِ الرحمنِ بنُ طاهرٍ القَيْسيُّ أديبٌ ناثرٌ يُجيدُ النثرَ المسجوعَ جدًّا وهَزْلاً، ورَوِيَّةً وارتجالا، ومحلُّه من الأدب معروفٌ، إذ هو المثلُ السائر في البلاغة والبيان. ثمّ هو ظريفُ التوقيع(١) خفيفُ الروح عَذْبُ النادرة والفكاهة. وكانت به دُعابة غَلَبَتْ عليه لا يتركها بحال. وهُوَ معَ ذلك قد رَوَى الحديثَ وروى الحديثَ عنه آخَرون. وكذلك كان جواداً مُمَدّحاً مَدَحَهُ أبو بكرِ بنِ عمّارٍ (قُتل ٤٧٧ هـ) يوم كان أبو بكر بن عمّارٍ لا يزالِ ناشئاً في الأدب خاملًا. وأغراضُه في رسائله كثيرة. وهو يُكْثِرُ الاستشهادَ بالشعر ولكن لا يقوله. وقد ألّف ابن بسّام صاحب « الذخيرة » كتاباً في رسائل ابن طاهر عنوانه: « سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر » (الذخيرة ٣: ٢٥).

٣ - مختارات من نثره:

- من كتابٍ لابن طاهرِ القَيسيّ خاطبَ به أبا الحسن يحيى بن إسماعيل المأمونَ بنَ ذِي النون صاحبَ طُلَيْطُلة(٢):

....الآنَ عادَ الشبابُ خيرَ مَعادِه، وابْيَضّ الزمانُ بعدَ سَواده، وترك الزمان فضل عِنانه(٣)، فله الشُكر المُردَّد بإحسانه. ووافاني - أيّدكَ اللهُ - كتابٌ كريمٌ كما طرّزَ البدرُ النهرَ، أو كما بَلّل الغَيْثُ المطر، وطوّقني طَوْقَ الحمامة(٤) وألْبسني ظِلَّ

---

(١) التوقيع: تعليق جملة في آخر الرقعة التي تقدّم إلى الحكومة بطلب ما (يصرف - لا يصرف - إنّ الله مع الصابرين - كما تدين تدان....الخ ممّا يعرف منه ماذا يراد أن يفعل بطلب الطالب).

(٢) يحيى بن اسماعيل المأمون بن ذي النون حكم في طليطلة (جنوب مدريد) من ٤٦٧ إلى ٤٧٨ هـ.

(٣) العنان (بالكسر) اللجام. ترك (له) الزمان فضل (زيادة أو بقية عنانه): تركه يفعل ما يشاء.

(٤) وطوّقني (جعل حول عنقي طوقاً: عِقداً) طوق الحمامة (مثل طوق الحمامة: ثابتاً). وطوق الحمامة ريش مخالف في لونه لون الريش في سائر جسم الحمامة.

الغَمامة[1]، وأثبتَ لي فوقَ النجم منزِلةً وأراني الخطوبَ نائيةً عنّي ومعتزلة. فوضعتُه على رأسي إجلالاً ولَثَمْتُ كلّ سطورِه احتفاءً واحتفالا.

- وله من رسالة يجري فيها مجرى الهَزْل:

.... مَثَلي ومَثَلُك مَثَلُ رجلٍ من العرب[2] اسْتقرى عَقيلةَ رَبْرَبٍ[3]، بل سليلةَ فضلٍ وحَسَبٍ. فأجْزَلَتْ قِراه وأكرمت مَثْواه[4]. فلمّا اطمأنّ به المجلسُ وانتظم التأنُّس، سَعَتْ إلى بعض أوْطارها فراقَه ما تحت إزارها[5]. فجعل يُنْشِد:

يا أختَ خيرِ البَدْوِ والحَضارهْ، ماذا تَريْنَ في فَتى فَزارهْ[6]،
أصبح يَهْوى حُرّةً مِعْطاره؟ إيّاكِ أعْني واسْمَعي، يا جارهْ[7].

وكذلك غَيْرُكَ المُخاطَبُ في شؤوني وأنتَ المُراد، وإليه الإيماءُ[8] وفيك يبدأ القولُ ويُعاد. ولله أنتَ ما أعطَرَ خِلالَك وأكثَرَ اهتبالَك[9]. لا زالتْ أياديك كالأطواق ومعاليك مُعَطِّرَةَ الآفاق.

- وله من رسالة في التعزية (الذخيرة ٣: ٨٤ - ٨٥):

الدنيا - أعزّك اللهُ - ليستْ بدارِ قَرارٍ. والمرء منها على شَفا جُرُفٍ هارٍ[10]. وإنّما

---

(١) وألبسني ظلّ الغمامة (ما يدفع عنّي حرّ الشمس من غير أن يؤذيني البرد): تفضّل علي بنعمة بعد نعمة.
(٢) العرب: البدو.
(٣) استقرى: طلب القرى (بكسر القاف) الضيافة. العقيلة: السيّدة المخدّرة، الزوجة الكريمة، سيّد القوم. الربرب: القطيع من الماشية. عقيلة ربرب (؟): اجمل بنات قومها.
(٤) أجزلت: أكثرت. أكرمت مثواه (مقامه، بالضمّ): أقامته عندها.
(٥) أوطارها: أغراضها، غاياتها. راقه: أعجبه. الإزار: ما تلقيه المرأة على جسمها (يبدو أن إزارها انكشف عن بعض جسمها).
(٦) فزارة: قبيلة من العرب.
(٧) معطارة: تستخدم العطر بكثرة. ذات رائحة عطرة. «اياك أعني....» مثل (أنا أتكلّم عن غيرك وأعنيك).
(٨) الإيماء: الإشارة.
(٩) الاهتبال: اغتنام الفرصة (هنا: الذي يدرك حاجة السائل من التلميح).
(١٠) على شفا (طرف) جرف (شقّ الوادي إذا حفر الماء في أسفله) هار (الرمل المتساقط المنهار)- مكان فيه خطر (يخشى منه السقوط).

هي جِسْرٌ على الطريق وعَدُوٌّ في ثِياب صديق[1]. ولمّا بلغتني وفاةُ فلان - رَحِمَه الله ونَضّرَ وجهَه وبرّدَ مَثْواه[2] - عَلمتُ أنّك الجبلُ الذي لا يرتقي الجَزَعُ ذُراه[3]. وإن كان سَهْمُ المنايا قد أصابَ حميماً واسْتَلَبَ كريماً[4]، فقد أبْقى اللهُ بك الصَدْعَ مَرْؤوباً[5] والجَزَعَ مغلوبا.

٤ - ★★ قلائد العقيان ٦٤ - ٧٩؛ المغرب ٢: ٢٤٧؛ الذخيرة ٣: ٢٤ وما بعد؛ الحلّة ٢: ١١٦ وما بعد؛ أعمال الأعلام ٢٠١ - ٢٠٢ الخريدة (الاندلس) ٢: ٣١٣ - ٣٣٠؛ الاعلام للزركلي ٦: ٢٠٧ (٥: ٣١٥) ووفاته فيه نحو ٤٨٠ هـ (وهو تقدير خاطىء).

أبو العرب مصعب بن محمّد

١ - هو أبو العربِ مُصْعَبُ بنُ مُحمّدِ بنِ أبي الفُراتِ القُرَشيّ العَبْدري الزُبيريّ الصِقلّيّ، وُلِدَ في صِقِلّيةَ سَنَةَ ٤٢٣ (١٠٣٢ م). وقد تَركَها بعدَ أنِ استَوْلى عليها النورمانيونَ، سَنَةَ ٤٦٤، وانتقل إلى إشبِيلِيَةَ (في الأندلس) - بدَعوةٍ مِنَ المُعتمدِ بنِ عبّادٍ (وفيات الأعيان ٣: ٣٣٣) - وكان المُعتمدُ يَعْرِفُ له قدرَهُ ويُبالغُ في إكرامه. وقد حَظِيَ كذلك عندَ عددٍ من مُلوكِ الطوائف وتردّد إليهم. وانتقلَ أخيراً إلى بَلاطِ ناصرِ الدَوْلة مبشر بن سُليمانَ في ميورقةَ (٤٨٥ - ٥٠٨ هـ) فتُوُفِّيَ في (جزيرة) ميورقةَ بُعيد سَنَةِ ٥٠٧ (١١١٣ م).

٢ - أبو العربِ مُصْعَبُ بنُ محمّدٍ عالمٌ بالأدبِ وأديبٌ شاعرٌ متينُ الأسلوبِ عالي

---

(١) يقول أبو نواس:
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشّفت ... له عن عدوّ في ثياب صديق.
(٢) نضّر (بيّض ونوّر) وجهه (يوم القيامة) وبرّد مثواه (إقامته في الجنّة).
(٣) الجزع: الحزن مع الخوف. الذرى: أعلى الشيء.
(٤) استلب (الموت): أخذ.
(٥) الصدع: الشقّ. مرؤوب: مضموم، مجموع (إنّ موت ذلك الميت لم يفرّق قومه لأنّهم وجدوا سيّداً لهم بعده لا يقلّ عنه).

النفس ، ولكنّ أثَرَ أبي تمّامٍ وأثَرَ المتنبّي يَظْهران في شِعره واضحَيْنِ. وأبرزُ فنونهِ المدحُ والوصف والخمر والحِكمة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو العربِ مُصْعَبُ بنُ محمّدٍ في الخمر وفي الساقي:

★ أبْهى المناظرِ في عَيْني وأحسَنُها | كأسٌ بكفٍّ رَخيمِ الدَلِّ سَمّارِ[1].
كأنّــــه إذ يُسَقّي سادةً زُهُراً | نجمٌ يُوَزِّعُ نَجْماً بـــين أقْمارِ[2].
★ بِكْرٌ حَصانٌ إذا ما الماء واقَعها | أبْدَتْ لَنا زَبَداً في سَوْرَةِ الغَضَبِ[3].
كادتْ تَطيرُ نفاراً حين نافَسَها ، | لولا الشِباكُ التي صِيغَتْ من الحَبَب.

- وله من قصيدة يمدح بها المُعتمدَ بن عبّادٍ:

يُشاهِــدُ أسرارَ الزمــانِ جَليَّــةً | بفِطْنَــةِ مدلولِ البصــيرةِ مُلْهَمِ .
أيادٍ أبانتْ عنه وهي صوامتٌ؛ | وربّ مُبـــــينٍ ليس بالمتكلّم:
فلا الغَرَضُ الأقصى عليه بعازِبٍ | بعيدٍ، ولا المُعْتاصُ عنه بمُبْهَمِ[4].

- وقال يمدح رجلاً بالقُدرة على الظَفَرِ بكلِّ هاربٍ من سُلطانه:

كأنّ فِجاجَ الأرضِ يُمناكَ، إنْ يَسِرْ | بها خائفٌ تجمعْ عليه الأناملا.
فأنّــى يَفِرُّ المرءُ عنــك بجُرْمه، | إذا كان يَطْوِي في يَدَيْكَ المَراحلا؟

- وقال في الحنين إلى وَطَنهِ صِقِلِّيَةَ:

إلامَ اتّباعي للأمــاني الكواذبِ، | وهذا طريقُ المجدِ بادي المذاهب!
أهُمّ ولي عَزْمــانِ: عزمٌ مُشرِّقٌ | وآخَرُ يُغري هِمّــتي بالمغــارب.

---

(١) رخيم: عذب (مطرب). الدل: إظهار الجرأة (على المحبّ). سمّار: كثير (حسن) السهر مع الندمان.
(٢) سادة زهر: بيض (كناية عن شرفهم ومكانتهم).
(٣) بكر (خمر لم يشرب من إنائها أحد بعد) حصان (لم تلمسها كفّ إنسان). واقعها: جامعها (مزجت بالماء).
(٤) العازب: البعيد. المعتاص: الصعب.

ولا بُدّ لي أن أسألَ العِيسَ حاجةً ... تَشُقُّ على أخفافِها والغوارب[١].
عَلَيّ لآمالي اضْطرابُ مُؤَمِّلٍ، ... ولكن على الأقْدارِ نُجْحُ المطالب[٢].
فيا نَفْسُ، لا تَسْتَصْحِبِي الهُونَ إنّه ... - وإنْ خَدَعَتْ أسبابُه - شَرُّ صاحب[٣]
ويا وَطَنِي، إنْ بِنْتُ عنكَ فإنّني ... سأُوطِن أوكارَ العِتاق النَجائب[٤].
(إذا كان أصلي من تُرابٍ فكلُّها ... بلادي، وكُلّ العالمين أقاربي)[٥].
وما ضاق عنّي في البسيطة جانبٌ ... - وإنْ جَلّ إلاّ اعْتَضْتُ عنه بجانب.
إذا كنتَ ذا هَمٍّ فكن ذا عزيمةٍ، ... فما غائبٌ نال النجاحَ بغائب[٦]!

٤ - ★★ التكملة ٣٨٦ (رقم ١٠٩٩ خريدة القصر (الأندلس) ٢: ١٠٢ - ١٠٨؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٣٣، ٣٣٤، نفح الطيب ٣: ٥٦٩ - ٥٧٠، ٤: ٢٦٠ - ٢٦١ الأعلام للزركلي ٨: ١٥١ (٧: ٢٤٩).

ابن القصيرة الوليّ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ سُليمانَ الكِلاعيُّ الإشبيلي الوَلْبيّ الأندلسيّ، لَعلَّ مَوْلِده كان نحوَ ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م). نشأ ابنُ القصيرةِ في دولةِ المُعْتَضِدِ بن عبّادٍ (٤٣٤ - ٤٦١ هـ) ثمّ بَقِيَ عند المعتمدِ ونُكِبَ مَعَه، سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). ولكنّ يوسفَ بنَ تاشفينَ عادَ فقرّبه وضَمّه إلى كُتّابه. فانتقل ابنُ القصيرة إلى مَرّاكُشَ وبَقِيَ فيها إلى أنْ تُوُفِّي، سَنَةَ ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م).

٢ - كان ابنُ القَصيرةِ كاتباً مُتَرَسِّلًا مُجيداً. وكان له نَظْمٌ.

---

(١) العيس: النياق. الخفّ (بالضمّ) للبعير كالقدم للإنسان. الغارب: أعلى الكتف. تشقّ على أخفافها الخ: حاجة في مكان بعيد لا تستطيع أن تصل إليه النياق.
(٢) اضطرب: تحرّك (تنقّل في البلاد).
(٣) الهون: الهوان، الذلّ.
(٤) بان: ابتعد. العتاق النجائب: الإبل الأصيلة (القادرة على السير).
(٥) راجع ص ١٨٥.
(٦) يقول أبو تمّام (ت ٢٣٢):
مـا آب من آب لم يظفر بحاجتـه ... ولم يغب طالـب بالنجح لم يخب.

٣ - مختارات من آثاره:

- كتبَ ابنُ القصيرةِ رسالةً إلى الفتح بنِ خاقانَ منها:

وافتْني - أطالَ اللهُ بقاءك - أحرُفٌ كأنّها الوَشْمُ في الخُدودِ تَميسُ في حُلَلِ إبداعِها[١]، وإنّك لَسابقُ الحَلْبة لا يُدْرَكُ غُبارُكَ في مِضمارِها ولا يُضافُ سِرارُكَ إلى إبدارِها[٢].... وما أنتَ في البلاغة إلّا نُكْتَةُ فَلَكِها[٣] ومُعْجِزَةٌ تَشْرُفُ الدُّوَلُ بتَمَلُّكِها. وما كان أخْلَقَكَ بمُلْكٍ يُدْنيكَ ومَلِكٍ يَقْتَنيكَ[٤]. ولكنّها الحظوظُ لا تَعْتَمِدُ مَنْ تَتَجَمّلُ به وتَتَشَرَّفُ ولا تَقِفُ إلّا على من تَوَقَّف[٥]. ولو أنْفَقَتْ بِحَسْبِ الرُتَب لما ضَرَبَتْ إلّا عليك قِبابَها ولا عَطَفَتْ إلّا عليك أثوابَها[٦].

- وكتب عن أمير المسلمين يوسفَ بنِ تاشِفينَ إلى طائفةٍ مُتَعَدِّيةٍ (لعلّ الرسالةَ إلى بَعضِ ملوكِ الأندلسِ بعدَ معركة الزلّاقة):

أمّا بعدُ، يا أُمّةً لا تَعْقِلُ رُشْدَها ولا تَجْري إلى ما تَقْتَضيه نِعَمُ اللهِ عندَها ولا تُقْلِعُ عن أذًى تُفَشّيهِ قُرْباً وبُعْداً جُهْدَها[٧]. فإنّكم لا تَرْعَوْنَ لِجارٍ ولا لغيره حُرْمةً ولا تُراقِبون في مُؤمنٍ إلًّا ولا ذِمّةً[٨]. قد أعماكُمْ عن مَصالِحكم الأَشَرُ[٩]، وأضلّكم ضَلالاً بعيداً البَطَر، ونَبَذْتُمُ المعروفَ وراءَ ظُهورِكم....ليس فيكم زاجرٌ، ولا منكم إلّا غَوِيٌّ فاجر.

---

(١) الوشم: علامات ترسم على الجسم طلباً للجمال في الأكثر. تميس تتايل، تتخايل، تعتزّ وتفتخر.

(٢) سابق الحلبة: الحصان الذي يأتي أوّلا. السرار: حال القمر في آخر الشهر. الإبدار: امتلاءالقمر في نصف الشهر. - ظلامك خير من نورهم.

(٣) النكتة: النقطة البارزة. الفلك: مدار النجوم. نكتة فلك البلاغة: أبرز رجالها.

(٤) ما أخلقك: ما أحقّك. يدنيك: يقرّبك. يقتنيك: يخّص نفسه بك.

(٥) لا تعتمد من تتجمّل به: لا تحسب حساب الذي يريدك قيمة، لا تطلبه وتقرّبه ابتداء. من توقّف: من طلب هو (التقرّب من الملوك).

(٦) ولو أنّ الدنيا عاملت الناس بحسب أقدارهم لقربتك (يا فتح بن خاقان). ضربت عليك قبابها، الخ: آوتك، اعتزّت بك.

(٧) تفشّيه: تنشره. جهدها: أكثر ما تستطيع.

(٨) رعى حرمته: حافِظ على كرامته. ولا تراقبون... الخ: لا تحفظون له عهداً ولا حقًّا.

(٩) الأشر: النشاط (الاعتداد بالقوّة).

٤ - ** خريدة (الأندلس) ٢: ٣٤٢ - ٣٤٨؛ أعتاب الكتّاب ٢٢٢ - ٢٢٤؛ قلائد العقيان ١١٧ - ١٢٠؛ المغرب ١: ٣٥٠ - ٣٥١؛ المحمّدون ٣٥٨؛ الوافي بالوفيات ٣: ١٢٨ - ١٢٩؛ الصلة ٥٠٢ المعجب ١١٥ - ١٢١ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠ (٦: ١٤٩ - ١٥٠).

سراج بن عبد الملك بن سراج

١ - أبو الحسينِ سِراجُ بنُ عبدِ الملكِ بن سِراجٍ (ت ٤٥٦ هـ) بن عبدِ اللهِ بنِ مُحمّدِ بنِ سِراجٍ، وُلِدَ في قُرْطبةَ سَنَةَ ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ - ١٠٤٨ م) واقتصرَ في تَلَقّي العلمِ على أبيه عبدِ الملكِ (ت ٤٨٩ هـ) ثمّ تَصدّرَ للتدريس. ويبدو أنّه وَزَرَ للمُعْتَمدِ ابنِ عبّادٍ في إشبيلية. وكانتْ وفاةُ ابنِ سِراجٍ في ثاني عِشْرِي جُمادَى الثانيةِ من سَنَةِ ٥٠٨ (٢٣/١١/١١١٤ م).

٢ - كان أبو الحسينِ بنُ سِراجٍ عالمَ زمانه في الحديثِ والفِقْه، كما كان بارعاً في اللُغة والنحو مُلمًّا بالتاريخ والأدب. وكان شاعراً أكثرُ شِعْرِه الغزلُ والنسيب والحِكمة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحسينِ بنُ سِراجٍ في الحِكمة:

بُثَّ الصنائعَ لا تَحْفِلْ بمَوْقِعها: ... في مَنْ نأى أو دَنا، ما كُنتَ مُقْتَدِرا[1]؛
كالغيثِ ليس يُبالي حَيْثُما انْسَكَبَتْ، ... منه الغمائمُ، تُرْباً كان أو حَجَرا.

- وقال في النسيب:

لمّا تَبوأ مِنْ فُؤادي مَنْزِلاً ... وغدا يُسَلِّطُ مُقلتيه عليه[2]،
نادَيْتُه مُسْتَرْحِماً من زَفْرةٍ ... أفْضَتْ بأسرارِ الضمير إليه:

---

(١) بثّ: نشر، فرّق. الصنائع جمع صنيعة: عمل المعروف. نأى: بعد.
(٢) تبوّأ: نزل، سكن في منزل الخ.

رِفْقــاً بمنزلــكَ الــذي تَحْتَلُّــه، يــا من يُخَرِّبُ بيتَــه بِيَدَيْـهِ!

٤ - ★★ قلائد العقبان ٢٣١ - ٢٣٢؛ معجم الأدباء ١١: ١٨١ - ١٨٢؛ بغية الملتمس ٢٩٠ - ٢٩١ (رقم ٧٨١)؛ المغرب ١: ١١٦ - ١١٧؛ معجم ابن الأبّار ٣٠٥ - ٣٠٧؛ خريدة (الأندلس) ٢: ٥١٩ - ٥٢١؛ المحمّدون من الشعراء ٤٨٩ - ٤٩٠؛ الخريدة (الاندلس) ٢: ٤: ٥١٩ - ٥١٢؛ بغية الوعاة ٢٥١ - ٢٥٢؛ الديباج المذهب ١٢٦.

ابنُ قُزمانَ الكبيرُ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ الملك بنِ عيسى بن قُزمانَ - يُعْرَفُ بابن قُزمان الكبيرِ، تمييزاً له من من ابنِ أخيه أبي بكرٍ محمّدِ بنِ عيسى بنِ عبد الملك بن عيسى بن قزمان الزجّالِ المُتوفّى سَنَة ٥٥٥ (١١٦٠ م) - وَزَرَ أوّلَ ما وَزَرَ لأبي حفصٍ عُمَرَ بنِ محمّدٍ المُتوكّلِ صاحبِ بَطَلْيَوْسَ (٤٦٠ - ٤٨٧ هـ)، ولكنْ لعلّه لم يَزِرْ للمتوكّل إلّا بعد أنِ انفردَ المتوكّل بالحُكم، سَنَةَ ٤٧٣ (١٠٨٠ م). نالَ ابنُ قزمان هذا في أوّلِ الأمر مكانَةً ساميةً وحياة ناعمة. ولكنّ الدهرَ عاد فقَسا عليه قسوةً شديدة؛ - جاء في قلائدِ العُقيان (ص ٢١٣) أنّ القاضيَ ابنَ حَمْدينَ تعمّدَ الإساءةَ إليه. ولكنْ لا أعلَمُ مَنْ كان ابنُ حمدينَ هذا. هنالك ابنُ حمدين تولّى القضاءَ سَنَةَ ٥٢٩ (قضاة الأندلس ١٠٣)، في أيامِ ولاية يحيى بنِ عليٍّ بن غانيةَ (ت ٥٤٣) والي غَرْناطةَ (راجع نفح الطيب ٤: ٧٦)، ومِنَ البعيدِ أن يكونَ ابنُ حمدين هذا مقصوداً بِرواية صاحبِ القلائد[1]. وكانتْ وَفاةُ ابنِ قُزمان الكبيرِ في سادسِ رَجَبَ مِنْ سَنَة ٥٠٨ (١١١٤/٧/٣ م).

٢ - كانَ ابنُ قُزمانَ الكبيرُ وزيراً جليلًا من أُسْرَةٍ كان لها تقدُّمٌ في مناصبِ الدولة، إلّا أنه هو كان ضيّقَ الصَدْرِ قليلَ الأُنس بالناس. ثمّ إنّه كان من أهلِ البلاغةِ والبيانِ، كاتباً مترسّلًا وشاعراً مُجيداً. وفي شعره ونثره دُعابة ومُجونٌ

(١) في دائرة المعارف الإسلامية (٣: ٨٤٩) أن ابن قزمان ذلك كان في خدمة ابن حمدين هذا.

أحياناً، ولكنه مُجون مستور كما ترى في قطعتهِ النثريّة في المختارات. وهو بارعٌ في الوصفِ والغزل.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابنُ قُزمانَ الكبيرُ في وصفِ جيشٍ ذاهبٍ إلى المعركة:

ركِبوا السُيولَ من الخيولِ وركّبوا فوق العَوالي السُمْرِ زُرْقَ نطافِ[١].
واستَوْدعوا الخلل الجداول واصطفَوْا بيضَ الرؤوس من الحَبابِ الطافي[٢].
وتَجللوا الغُـدرانَ مِنْ ماذِيِّـهِمْ مُرتجّـةً إلّا عـلى الأكتـاف[٣].

- وقال بين الوصف والغزل:

قُلْتُ للعينِ حين أذرَتْ على الخَدْ ـدِ دُموعـاً لا تَستفيقُ انْهالا[٤]،
جَزَعـاً من صُدودِ أحْوَرَ قد حَيْـ ـيَرَ بـالاً، وكم جَنى بَلْبـالا[٥]:
لا تَرومي مِثَـالَ مـا لم تَنـالي والْمَحِيـهِ كما رأيـتِ الهِـلالا.
فأجابـتْ: لقـد أحَلْـتَ مِثالاً هو أنـأى مِنَ الهِـلال مَنـالا.
إنّ بـدرَ السماءِ يطلُـعُ للأبْـ ـصارِ مُمْسًى ومُصْبَحاً وزَوالا[٦].

---

(١) ركبوا خيولاً كثيرة (كأنّها سيول). العوالي صدور الرماح. الأسمر: الجافّ الذي خرج بلونه عن لون النبات (لأنّ الرماح تعمل من القصب الفارسيّ). نطاف (بالكسر) جمع نطفة (بالضمّ): الماء الصافي (كناية عن النصل الحديد في أعلى الرمح). زرق جمع أزرق (حينما يكون الماء في الحوض العظيم صافياً يبدو أزرق اللون (لانعكاس لون السماء فيه).

(٢) الخلة (بالكسر): غمد (بالكسر) السيف، بيته. الجدول (كناية عن السيف) لأنه ببياضه واهتزازه يشبه الجدول (مجري الماء في السهل). اصطفى: اختار. البيضة: الخوذة يضعها المحارف على رأسه. حباب الماء: فقاقيع مكورة بيضاء. وضعوا سيوفهم في أغمادها ولبسوا الخوذ (بضم ففتح) على رؤوسهم (لأنهم قاصدون الى الحرب في مكان بعيد).

(٣) تجلّلوا: لبسوا. الماذيّ: الدرع اللينة. الغدران: مجرى من الماء يغادر النهر (؟). مرتجّة: الدروع ليّنة تهتزّ على أبدانهم (لأنّها مصنوعة من الزرد: حلق من حديد). إلّا على الأكتاف فإنّها ثابتة لأنه يكون على الأكتاف صفائح من حديد (؟).

(٤) أذرى: نثر.

(٥) جزعاً: خوفاً. أحور: من كان في عينيه حور (بفتح ففتح: شدّة بياض العين وشدّة سوادها). جنى: ارتكب (سبب). البلبال: اضطراب الفكر.

(٦) الزوال: وقت مرور الشمس فوق الرؤوس (نصف النهار، الظهر).

وإذا مـا اسْتَسَرّ آبَ وقـد ذا ... بَ اكتئاباً مِنْ أنْ يُغِبَّ وِصالا[١].
وَهُوَ البـدرُ قـد أجـدَّ مَلالًا ... واجتنابـاً كما أجـدَّ كمالا[٢].
يتوارى مِنَ العُيون نهـاراً، ... ومَعَ الليـل لا يزورُ خيـالا[٣].

- وله في الحِكمة بيتانِ فيهما تشاؤمٌ وقَسْوة:

لا تطمَئِنَّ إلى أحـدْ ... واحذَرْ وشَمِّرْ واسْتَعِدْ.
فالكـلُّ كلـبٌ مُؤسَدٌ ... إلّا إذا وَجَـدوا أسدْ.

- وكتب رسالةَ تَهنِئةٍ ومُداعبةٍ إلى عَروسٍ[٤]:

الكُلفةُ بينَنا - أعزّك الله - جدُّ ساقطةٍ، والحالُ الجامعةُ لنا في أقصى حَدّ المُؤانسة والمُباسطة[٥]. فلا نُكْرَ أن نَتَباثَّ السِرَّ المُحجَّبَ، ولا غَرْوَ أنْ نَتكاشَفَ المُغَيَّب[٦]. واتّصلَ بي دُخولُك بعَقيلةِ أتْرابها وبَيْضة خِدْرِها وربّة مِحْرابها[٧]، تُشاطِرُك نَسْلَك كما شاطَرَتْك أصْلَكَ[٨]، (وَهِيَ) التي لم تكن تصلُح إلّا لها ولم تكن تصلُح إلّا لك[٩]. فخَدَمَتْكَ بالنيّة وحَضَرَتْك على بُعْدِ المَشقّةِ وتقاذُفِ الطِيّة[١٠].

---

(١) استسرّ: خفي (في آخر الشهر). آب: رجع (في أول الشهر). غبّ الزيارة: جاء يوماً وترك يوماً.
(٢) البدر أيضاً يملّ من الطلوع على الدنيا فيغيب عنها حيناً. هو دائماً يجدّد كماله (طلوعه بدراً) ويجدّد ملاله (غيبته عن سماء الدنيا بدراً).
(٣) يوازن الشاعر هنا بين حبيبه والبدر (حبيبه يخالف البدر: لا يأتي لزيارتي نهاراً ولا أراه في منامي ليلًا).
(٤) العروس تقال على المرأة وعلى الرجل (وليس في القاموس عريس).
(٥) الحال الجامعة: (المؤانسة والمباسطة).
(٦) نتحدّث في الأمور التي لا يبوح بها المتزوجون للعزّاب.
(٧) الدخول (اجتماع الرجل بالمرأة ليلة العرس). عقيلة (سيّدة) أترابها (مثيلاتها). وبيضة خدرها (المصونة التي لا يطلع أحد على أحوالها). وربّة (صاحبة) محرابها (كناية عن كثرة صلاتها وتقواها).
(٨) ستشترك معك في الاتيان بنسل كما قد جئتما من أصل واحد (من أسرة كبيرة واحدة).
(٩) قال الشاعر العبّاسي أبو العتاهية (ت ٢١١) يمدح الخليفة المهدي:

أتته الخلافة منقادة ... إليـه تجرّر أذيالهـا.
فلم تـك تصلـح إلّا لـه ... ولم يـك يصلـح إلّا لهـا.

(١٠) بعد المشقّة (كذا في الأصل: بالميم) والصواب: الشقّة (بالضمّ): السفر البعيد، المسافة الطويلة. وتقاذف =

وسألتُ اللهَ أن يُباركَ لك ويبارك عليك، ويجمع بينكما في خيرٍ وعافيةٍ على أسعدِ الجَدّ وأيمنِ الطيرِ إلى آخرِ القافية[١]. ثمّ ترقّبتُ كِتابك مُودَعاً من وصفِ حالكَ ما يُنْبىء فحواهُ عنِ اجتماعِ شَمْلِكَ ونعمة بالِك. فرابني التِواؤه وقَدَحَ في نَشاطي توقّفه وإبطاؤه[٢]. وتسلّطتْ عليّ الظُنونُ وخِفْتُ ما عسى ألّا يكون. وساءني أنْ أسْتَمْطِرَ مِنَ الأمل جَهاما، وأستنصرَ لدى ذلك العمل كَهاماً[٣]، ويَحيدَ صاحِبُك مُعرّداً عن الْمُناجزة لائِذاً بالمحاجزة[٤]، منقطعاً عن موضعِ الحجج، مبدعاً به عن مستقبل مَفْرَقِ الطريق ولَقَمِ المنهج[٥]:

تريـــــدُ جَوًّا ويُريـــــدُ بَرًّا   كأنّما أُسْعِـــطَ شيئـــاً مُرّا[٦].

ثمّ قُلْتُ: لَعلّه قد حَظِيَ بما جُنِيَ له فافتتحَ الحِصنَ الذي نازَلَه قسْراً، وتخلّله كيف شاء مَجالاً ومَكَرًّا، وأفضى به انصداعُ ما صَدَعَه إلى الْتِئامٍ، وانْشِعابُ ما شَعَبَه إلى انتظامٍ والتحامٍ. ولُهي بتوابعِ هذه الحالِ التي هي أُخت الإمْرة وجامعةُ أفانينِ[٧] المسرّة عن صديقٍ يَصِلُه بكتابٍ إليه يُعلمه[٨]. وإنْ يكن ذلك فهناك وظَفِرَتْ يداك، وإن يكن ما عداه- ويكفي اللهُ- فمَعَ اليومِ غدٌ[٩]، وفي اللّمَمِ خِلالَ ذلك

= الطِيّة: التردّد في الجهات (مناطق البلاد) لعلّ الزوج كان قد قضى وقتاً طويلاً في البحث عن زوجة له.

(١) الجدّ: الحظّ. أيمن الطير (في أحسن الساعات الميمونة: المباركة). إلى آخر القافية: إلى آخر الجمل التي تعبّر عن هذا المعنى.

(٢) التواء الكتاب (ترك إرساله). قدح في نشاطي (جعل رغبتي في صداقتك فاترة؟).

(٣) الجهام (بالفتح): السحاب لا ماء فيه. الكهام (بالفتح): (السيف) المفلول (الذي لا يقطع).

(٤) صاحبك (كناية عمّا لا يجوز ذكره). عرّد: أحجم، تأخّر. المناجزة: القتال. لاذ: لجأ. المحاجزة: الفصل بين المتقاتلين.

(٥) مبدع به: مخذول، منقطع. اللقم: الطريق الواضح.

(٦) جوّا (في الداخل). برّا (في الخارج). أسعط: أعطي سعوطاً (بالفتح): دواء يستنشق فيعطس منه.

(٧) لهي (مثل فرح) ولهي (بالبناء للمجهول): تلهّى، استعاض بالمزح عن الجد (بالكسر). أفانين (جمع فنون جمع فنّ): أنواع. أخت الإمرة (الإمارة)- لذّة الزواج مثل السرور بتوليّ الإمارة والملك.

(٨) كأنّ الجملة هنا ناقصة كلمة أو أكثر.

(٩) ....فمع اليوم غد: إن لم تنجح الآن فيمكن أن تنجح في مرة قادمة.

مُتعَلَّلٌ[1] . ثمّ لا يَشْغَلَ عنِ الكتابِ جَذَلٌ ولا يحول دونَه خَلَل[2] .

٤ - ★★ قلائد العقيان ٢١٣ - ٢١٤ ؛ الذخيرة ٢ : ٧٧٤ - ٧٨٦ ؛ خريدة (الأندلس) ٢ : ٢٨٧ ؛ المغرب ١ : ٩٩ - ١٠٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٤٩ ؛ نيكل ٣٠٢ ، مختارات نيكل ١٧٨ - ١٧٩ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٢٧ (٦ : ٢٤٨).

أبو الحسن بن الحاجّ[★]

١ - هو أبو الحسنِ جعفرُ بنُ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ حسنِ بنِ سعيدِ بنِ أحمدَ بنِ سعيدٍ المُعافري من أهلِ لُورقَةَ؛ سَمِعَ من أبي عليٍّ حُسينِ بنِ محمّدٍ الصَدَفيّ (ت ٥١٤ هـ).

اتّصلَ أبو الحسنِ بنُ الحاجّ ببني عَبّادٍ ليتكّسبَ عندهم بالشِعر فلم يَنَلْ عندَهم حظوةً لأنّ أحوالَهُمُ السياسيةَ كانت قد ساءت. ويبدو أنّه كان في أول حياتهِ مُنْدَفِعاً فياللهو ثمّ مالَ إلى الزُهْدِ والنسك. ولعلّ وفاتَه كانتْ نحو سَنَةِ ٥١٠ هـ (١١١٦ م).

٢ - كان أبو الحسنِ بنُ الحاجِّ شاعراً مُجيداً مُحْسِناً جيّدَ المعاني فصيحَ الألفاظ متين السَبْك، وفنونُ شعرِه المديحُ، مَدَحَ بني عبّادٍ وبني رُحيمٍ ، والعتابُ والهجاءُ والغزلُ والنسيب والوصف البارعُ، يُلِمُّ في أثناء ذلك كلّهِ بالحِكمة. وهو عظيمُ الإجادة في المُقطّعاتِ له في كلّ مقطوعةٍ لَفْتَةٌ بارعة.

٣ - **مختارات من شعره:**

- قال أبو الحسن بنِ الحاجِّ يُعَرِّضُ بالبخلاء :

عَجَبـــاً لمن طَلَـــبَ المحـــا مِـــدَ وهو يَمْنَـــعُ مـــا لَدَيْـهِ،

---

(١) اللمم: الذنوب الصغار (هنا: التقبيل وما يشبهه). خلال: في أثناء. متعلّل: شيء من التعويض.

(٢) ثمّ لا يشغل عن .... (ومع ذلك فكل ما اتفق لك لا يجب أن يمنعك عن أن تكتب إليَّ رسالة قصيرة). الجذل: الفرح. الخلل: نقصان الحال أو فساده.

(★) وصفه الفتح بن خاقان (القلائد ١٥٨) بذي الوزارتين، كما ذكر ابنه محمداً (القلائد ١٦٣) بأنه ذو الوزارتين أيضاً.

ولباسطٍ آمالَــــــــــــه   في المجــدِ لم يَبْسُطْ يَدَيْــهِ
لِمَ لا أُحِبُّ الضيفَ أو   أرتـــاحُ من طَرَبِ إليــــه،
والضيــــفُ يأكُــلُ رِزْقَـــهُ   عِنــدي ويَحْمَــدُني عليــه[١]!

– وله في صديقٍ سيِّءِ الظُنون يُسوِّغُ احتمالَه إياه على ما فيه:

لي صاحبٌ عَمِيَتْ عليّ شُؤونُهُ:   حركاتُــه مجهولــةٌ وسُكونُــهُ.
يرتـــابُ بالأمرِ الجَلِيِّ تَوَهُّماً،   وإذا تَيَقَّنَ نازعَتْــهُ ظُنونُــهُ.
ما زِلْتُ أحْفَظُه على شَرَقي بهِ   كالشَيْبِ تكرَهُهُ وأنت تَصونه[٢]!

– وقال في الأصدقاء عند الرخاء لا عند الحاجة إليهم:

كــلُّ من تَهْوى صديـقٌ مُمْحِـضٌ   لـك ما لا تَتّقي أو تَرْتجي[٣].
فـإذا حاولـتَ نصراً أو جَـداً   لم تَقِـفْ إلّا ببـاب مُرْتَـجِ[٤]!

– وله في معنًى قريبٍ من ذلك:

كَفــى حَزَنــاً أنّ المشارعَ جمّةٌ   وعِنــدي إليهــا غُلّــةٌ وأُوامُ[٥].
ومن نَكَـدِ الأيّامِ أن يَعْدَمَ الغِنى   كريمٌ، وأنّ المُكْــثرين لِئــام[٦]!

– وقال يعرّض ببني عبّاد:

تَعَزَّ عن الدنيـا ومعروفِ أهلِها   إذا عُـدِمَ المعروفُ في آلِ عَبّادِ.
أقمـتُ بهم ضَيْفـاً ثلاثــةَ أشهُرٍ   بغيرِ قرًى، ثمّ انصرفتُ بلا زاد[٧].

(١) إنّ الله تعالى يرسل رزق الضيف إليّ ثمّ يأتي الضيف فيأكل ما أرسله الله إليه ويحمدني (يشكرني) أنا.
(٢) يصونه: يحافظ عليه (لأنّ ذهاب الشيب هو الموت) شرق (بفتح فكسر) فلان بالماء: عصّ.
(٣) محض إنسان إنساناً النصيحة: كان مخلصاً في النصح. تتّقي: تخاف. ترتجي: تأمل، تنتظر، تريد لنفسك.
(٤) الجدا: العطاء. مرتج: مغلق.
(٥) المشرع: مكان الشرب. جمّة: كثيرة. غلّة: شدّة العطش وحرارة الجوف. الأوام: اشتداد العطش حتّى يضجّ منه الإنسان.
(٦) المكثر: الذي عنده مال كثير.
(٧) قرى: ضيافة.

٤ - ★★ قلائد العقيان ١٥٨ - ١٦٣ ؛ بغية الملتمس ٢٤١ - ٢٤٢ (رقم ٦١٦)؛ المغرب ٢ : ٢٧٧ - ٢٨١ ؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ١٣٩ - ١٤٧ ؛ المطرب ١٧٥ - ١٧٧ : معجم ابن الأبار ٦٩ - ٧٠ ؛ بغية الوعاة ٢٤١ ؛ نفح الطيب ٢ : ١٠٨ ، ٣ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٤٦٢ - ٤٦٣ ، ٥٩٦ - ٥٩٧ ، ٤ : ٢٢٦ .

الجزّار السرقسطي

١ - هو أبو بكر يحيى السَّرَقسطيّ (من سَرَقُسْطةَ، في شَمالِيّ الأندلس) كانت حِرفته الجِزارةُ أوِ القِصابة - وهي بيعُ اللحم - . ويبدو أنّه ترك الجِزارةَ مدّةً وأرادَ أن يتكسبَ بالشعر فلم يُوَفَّق، فعاد إلى القِصابة. ثمّ إنّ الأبياتَ الثلاثةَ في المختارات تدُلّ على أنه عُيّن مدّةً في ديوان الخَراج (لجمع الضرائب)، معَ أنّه كان في أوّل حياته يشكو العُمّال (جامعي الضرائب)، ثمّ رأيناه يدافعُ عنهم في الأبياتِ الثلاثة المذكورةِ. ولعلّ وفاتَه كانت نحو سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م). ويبدو أنّه كان صديقاً لِآبنِ حَسْداي الذي غادر الأندلس إلى القاهرة سَنَةَ ٤٩٥ هـ (راجع القطعة الأولى في المختارات).

٢ - كان الجزّار السَرَقُسطيُّ شاعراً مُقصِّداً ووشّاحاً جيّدَ الطَبْع (قليل التكلّف) سهلَ الشِعر إلى حدّ الضَعْف أحياناً. والهزْل يَغْلِبُ على شعرِه. وفنونُه المدحُ والآستعطافُ، وهُوَ فيها كثيرُ الشكوى. وله خمرياتٌ وشيءٌ من الحِكمة ومن القَصَص، ومن الهجاء مَعَ التهكّم.

٣ - مختارات من شعره:

- كتب الوزيرُ أبو الفضلِ بنُ حسداي[1] إلى ابنِ الجزّارِ السَرَقسطيّ:

تركتَ الشعرَ من ضَعْفِ الإصابهْ وعُدتَّ إلى التِجارةِ والقِصابهْ[2].

فردّ ابنُ الجزّار على هذا البيتِ بقصيدةٍ منها:

---

(١) أبو الفضل يوسف بن أحمد حسداي طبيب أصله من الأندلس ثمّ انتقل إلى مصر سنة ٤٩٥ هـ أو بعد ذلك بقليل (عيون الأنباء ٢ : ٥١).

(٢) الإصابة: الصواب (التوفيق في العمل). القصابة: القطع (مهنة القصّاب: الجزّار، بائع اللحم).

تَعيــبُ عــليَّ مألوفَ القصابــهْ. ومَنْ لم يَدْرِ قَدْرَ الشَّيْءِ عابَهْ.
ولو أحكمــتَ منهــا بعضَ فَنٍّ لَما اسْتَبْدَلْتَ منها بالحِجابه[1].
فإنّـــكَ لو نظرتَ إليّ فيهـــا وحَوْلي من بَـني كلبٍ عِصابه[2]،
لَهالَــكَ منظري؛ ولَقُلْـتَ: هــذا هِزَبْرٌ صَيّرَ الأوضــامَ غابـه[3].
فَتَكْنـــا في بـني العَنزيّ فتكـاً أقرّ الذُعْرَ فيهم والمَهابــــه[4]
ولم نُقْلـــعْ عن الثَّوْريّ حتّـــى مزجنـا بالدّمِ القاني لُعابه[5].
وقــد شَهِـدت لنــا كلــبٌ وهِرٌّ بأنّ المجدَ قد حُزنا لُبابه[6].
ومن يغــــترَّ منهم بامتنـــاع، فــإنّ إلى صوارمنــا إيابـه[7].
ويــبرُزُ واحــدٌ منــا لِألْــفٍ فيَغلِبُهم، وتلــك مِنَ الغرابــه.
أبـا الفضلِ الوزيرَ، أجِبْ ندائي، وفضلُكَ ضامِنٌ عنك الإجابه،
وإصغــــاءً إلى شكوى شكورِ أطلــتَ عــلى صِناعتهِ عِتابــه
وحقِّكَ، مـا تركتُ الشِعرَ حتّى رأيتُ البُخْلَ قد أوصى صِحابه[8]؛
وحتّـــى زُرتُ مُشتاقــاً خليــلي فأبْدى لي التَحَيُّلَ والكآبه[9].

---

(١) الحجابة (في الأندلس): رئاسة الوزارة.
(٢) عصابة: جماعة. من بني كلب= من الكلاب (في هذا تورية: بين بنيْ كلب القبيلة الجاهلية وبني الكلب، أي الكلاب).
(٣) هال: أخاف. الهزبر: الأسد. الوضم (بفتح ففتح): الخشبة أو الدفّ الذي يقطّع الجزّار عليه اللحم. الغاب في الأصل جمع غابة. صيّر الأوضام غابه (يفترس الغنم على الوضم كما يفترس الأسد فرائسه في الغابة).
(٤) بني العنزي: المعزى.
(٥) الثوري (هنا) الثور (ذكر البقر) تورية مع الثوري المنسوب إلى قبيلة ثور (راجع القاموس ١ : ٣٨٤). القاني (من الفارسية، قان: دم): الشديد الحمرة. اللعاب: الريق في الفم.
(٦) كلب (أي الكلاب) وهرّ (أي الهررة) تُقرّ لنا (لجماعة الجزارين) بأن خلاصة المجد لنا نحن (لأنها تأكل من فضلات اللحم التي نلقيها إليها).
(٧) والذي لا يأبه بنا (من الغنم والبقر) إذا مرّ بنا (اغتراراً منه بأنه ناجٍ) فسيأتي دوره في الذبح يوماً ما.
(٨) كان الجزّار السرقسطي قد ترك الجزارة وجعل يمدح الوجهاء فلم يعطوه على المديح بالشعر. البخل أوصى صحابه (أصحاب المال) بمنع مالهم عن الناس.
(٩) التحيّل (كيلا يقابلني) والكآبة (الحزن).

وظنّ زِيــارتي لِطِــلابِ شيءٍ، فنافَرَني وغَلّــظَ لي حِجابــه[١].

– كان والدُ الجزّارِ يحيى السَرَقُسطيِّ قد تقبّلَ أرضاً للأحباس (ضَمِنَ قطعة من أراضي الأوقاف) لِيزرعَها ثم يؤدّي عنها خَراجَها فضاع (خَسِرَ) وٱجتمع عليه خَراجُ الأرض (تراكمتْ عليه الضرائب) فكتب (يحيى عن والده) إلى العاملِ (جامع الضرائب) يَستقيلُه (يطلُب منه إعفاءه من ضَمان الأرض معَ إسقاط الضرائب عنه):

يـا أبـا جعفرٍ، لَعاً من عِثارِ وغِياثـــــاً فما يَقَرُّ قَراري[٢].
سيّدي، ٱسْمَعْ لعبدك القِنِّ يحيى خـبراً مُضحِكـا من الأخبـار[٣]:
كـان لي والدٌ، وكان– لَعَمْري– في بـني العصر بالفِلاحة دار[٤].
كامـلُ الرأيِ تاجرُ البرِ والبحـ ـر، وناهيكَ، فارسٌ في التِجّار[٥]،
مِثْـلَ مـا سُمِّيَ اللّديـغُ سليماً؛ وأنـا بعدَه عـلى ذاك جـار[٦].
وكــذا يسلُــكُ النجيــبُ ويَقفو نَهْــجَ آبائــه عــلى آثــار[٧]:
لو ورَدتُّ البحــارَ أطلُــبُ مـاءً جـفّ قبلَ الورودِ ماءُ البحار[٨]؛
أو لَمَسْتُ العودَ النضــيرَ بكفّي لَــذَوَى بعــدَ نَضْرةٍ وٱخضرار.
فاكتراهـا– ولم يكنْ مستخـيراً– وقـتَ شُؤمٍ بطالـعِ الإدْبـار[٩].

---

(١) الحجاب: الستر (منع العامّة من الدخول على الملوك).

(٢) أبو جعفر (هنا) اسم العامل الذي كان يجمع الضرائب على الأراضي في أيام الجزّار السرقسطي. لعاً: رفعاً لك من عثرتك. غياثاً: أغثني، أنقذني. لا يقرّ قراري: لا أستطيع الهدوء والاطمئنان (لكثرة الضرائب التي تطالبني بها).

(٣) القنّ: العبد الدائم أو المرتبط بالأرض.

(٤) دار (حقّها أن تكون دارياً– هي خبر كان).– من هذا البيت وما بعد يبدأ الشاعر بالتهكّم بأبيه: دارٍ بالفلاحة (يقصد: غير دارٍ بها) كامل العقل (يقصد: ناقص العقل) الخ.

(٥) ناهيك: يكفيك. التجار (بتسهيل الجيم) كالتجّار (بتشديد الجيم).

(٦) اللديغ: الذي لدغته الحيّة (يسمّى سليماً تفاؤلاً بأنّه سيشفى من اللدغة). وأنا سائر على خطى والدي (جاهل مثله في هذه الأمور).

(٧) النجيب: الولد الذكيّ. يقفو: يتبع. نهج: طريق.

(٨) الورد (بالكسر: الذهاب إلى الماء).

(٩) اكترى (ضمن، استأجر) هذه الأرض من غير أن يستخير الله (أن يطلب من الله أن يكون في عمله

جَدْبةٌ، بعضُها مِنَ الشؤمِ أضحى   في عُلُوٍّ وبعضُهـا في انحدار[١].
لم يَزلْ زارِعاً بها حِملَ بغلٍ   رافعاً منه نصفَ حِملِ حمار.
ساءني ما أصبتُ فيها، ولكنْ   سرّني منه خَيبةُ العَشّار[٢].
ما أُبالي؛ وقد غدا لِيَ رُكناً   صاحبُ الشرطةِ الكريمُ النِجار[٣].

– وقال أبو بكر بن الجزّار السرقسطي في الحكمة (نفح الطيب ٣: ٥١٨):

إيّـاكَ من زَلَـلِ اللسانِ، فإنّما   عقلُ الفتى في لفظِهِ المسموع.
والمرءُ يختـبرُ الإنـاءَ بنَقْرِه   لِيرى الصحيحَ به من المصدوعِ[٤].

– وقال في بقاء الذكرِ الحَسَنِ بعدَ ذَهاب المال وذهاب أصحاب المال الموهوب (نفح الطيب ٣: ٤٦٤):

ثنـاءُ الفتى يبقى، ويَفْنى ثَراؤهُ.   فلا تَكْتَسِبْ بالمال شيئاً سِوى الذِكْرِ.
فقد أبْلَتِ الأيامُ كَعْباً وحاتماً،   وذِكْرُهُما غضٌّ جديدٌ إلى الحشر[٥].

– وله من موشّحة:

وهِمْ   بافتضاحْ   في الغيـد المِلاحْ   وقُمْ لاصْطِباحْ[٦]
بكأسِ   المُدامْ   ثمّ اشْرَبْ هَنيّـا   واسْقِ النِّدام[٧]

★ ★ ★

خير)، بل اتّفق أنْ كان الوقت وقت شؤم وأن الكواكب كانت في الإدبار، أي في الرجوع (كواكب نحس).

(١) جدبة (مؤنّث جدب: مجدب، قليل الخصب بالكسر).

(٢) سرّني خيبة العشّار (جامع العشور: الضرائب). ومنذ الزمن الأقدم كان الناس يكرهون دفع الضرائب.

(٣) النِّجَار: الأصل والحسب.

(٤) المصدوع: المشقوق.

(٥) كعب بن مامة وحاتم الطائي من الأجواد (الكرماء) في الجاهلية.

(٦) هِمْ (بكسر فسكون) فعل أمر من هام يهيم (أحبَّ حبًّا شديداً). الافتضاح: اشتهار الإنسان بما لا يليق. الغيد جمع غيداء (المرأة الجميلة) التي تتمايل في مشيها. المليحة: الحسنة المنظر (في اللون خاصّة؟). قم (انهض باكراً) الاصطباح: شرب الخمر صباحاً.

(٧) المدام: الخمر. ندام (بالكسر) وندماء (بالضمّ) جمع نديم: المصاحب على شرب الخمر والمسامر (الشريك في الحديث في الليالي).

فتاةٌ كَعابْ نعيمُ الشبابْ عليها مُذابْ[1]
كرَوْضِ الغَمامْ لها المِسْكُ ريّا والدرُّ ابتسامْ

- وشكا جماعةٌ من الناس عُمّالهم (جامعي الضرائب) فوقّع على كتابِ شَكْواهم:

نَسَبْتُمُ الجَوْرَ لِعُمّالِكُمْ ونِمْتُمُ عن سوءِ أفْعالِكم[2].
لا تَنْسِبوا الجَوْرَ إليهم، فما عُمّالُكم إلاّ كأعْمالِكم.
تَاللهِ، لو مُلِّكْتُمُ ساعةً ما خَطَرَ العَدْلُ على بالِكم!

٤ - ★★ الذخيرة ٣ : ٩٠٥ - ٩٠٨ ؛ المغرب ٢ : ٤٤٤ - ٤٤٥ ؛ زاد المسافر ١٤٠ - ١٤١ ؛ جيش التوشيح ١٤٧ - ١٥٧ (راجع ٢٥٩ - ٢٦١)؛ نفح الطيب ٣ : ٤٦٤ ، ٥٩٨ ، ٦٠٩ .

ابن النحوي التوزري (★)

١ - هو أبو الفضلِ يوسُفُ بنُ محمّدِ بنِ يوسفَ المشهورُ بابنِ النَحْوِيِّ التَوْزَرِيُّ وُلِدَ في القَيْروانِ، سَنَةَ ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) وقرأ العِلْمَ في بَلَدِهِ ثمّ دَخَلَ المَغْربَ وتطوّفَ فيه واستقرّ في قلعة بني حَمّادٍ قرب بِجايَةَ. وقد حَجّ وزارَ مِصْرَ.

تصدّرَ ابنُ النَحْوِيِّ التَوْزَرِيُّ للتدريسِ وأَقرأَ النحوَ خاصّةً، وكان لا يَقْبَلُ على التدريس شيئاً، بل كان يعيشُ من ضَيْعةٍ له في تَوْزَرَ. وكانت وفاتُه في قلعةِ بني حَمّاد سَنَةَ ٥١٣ هـ (١١١٩ م) في الأغلب.

٢ - ابن النحويِّ التوزريُّ عالم قَصَرَ حياتَه على طلبِ العِلمِ ونَشْرِه، وكان فقيهاً يَميل إلى الاجتهاد. ثمّ هو شاعرٌ ومُصنِّفٌ، له الوصيةُ، وتُنْسَبُ إليه قصيدةُ «المُنْفَرِجَةِ» (وتسمّى أيضاً: الفرجَ بَعْدَ الشِدّة) نَظَمَها شُكْراً لله، فقد كان ضاع له مالٌ ثمّ رُدّ إليه. وقد نالتْ هذه القصيدةُ شُهرةً كبيرةً فشَرَحها كثيرون وخَمّسها

★ تورر في القطر التونسي

(١) الفتاة الكاعب: التي كعب أو استدار ثدياها (في أوّل شبابها).

(٢) الجور: الظلم.

آخَرونَ، وقد كَثُرَ اعتقادُ الناسِ فيها وجعَلوا قراءتها وسيلةً إلى تفريج كُروبِهم ونَيْلِ أمانيِّهم. وقد نُسِبَتْ هذه القصيدةُ إلى محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ العطّارِ القُرشيّ الأندلسيّ المتوفَّى سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م)، كما نُسِبَتْ إلى الغزّالي (بروكلمان ١: ٣١٦؛ راجع أيضاً طبقات السبكي ٥: ٢٤ - ٢٥). وقصيدةُ «المنفرجة» خاصّةً قريبةُ المعاني جدًّا تلائم أذواقَ عامّةِ الناس وهي منظومةٌ على بحر الخَبَب المُرْقص القليلِ في الشعر. وتراكيبُها سهلةٌ جدًّا أيضاً تَضْعُفُ أحياناً كثيرةً.

٣ - مختارات من شعره:

- مختارات من قصيدة «المنفرجة»:

اشْتَـــدّي، أزْمَـــةُ، تَنْفرجي؛ قــد آذَنَ لَيْلُــكَ بالبَلَــجِ[١].
وظــلامُ الليــلِ لــه سُرُجٌ حتّـــى يَغْشاه أبو السُرُجِ[٢].
وسَحــابُ الخــيرِ لــه مَطَرٌ، فــإذا جــاء الإبّـانُ تَجي[٣].
وفوائـــدُ مولانـــا جُمَـــلٌ لِسروجِ الأنفسِ والمُـهَـجِ[٤]؛
ولهـــا أرَجٌ مُحْيٍ أبـــداً، فاقْصِـــدْ مُحْيِي ذاك الأرَجِ[٥].
والخَلْـــقُ جميعـــاً في يَـــدِهِ: فــذَوُو سَعَـــةٍ وذَوُو حَرَجِ[٦]؛
ونزولُهُم وطُلوعُهُمُ فـــإلى دَرَكٍ وعـــلى دَرَجِ[٧]،
ومعايِشُهم وعواقِبُهم ليست في المَشْي عــلى عِوَجِ[٨].

---

(١) الأزمة: الضيق والشدّة. البلج: الضوء. - آذن ليلك بالبلج (البياض): قرب طلوع النهار.
(٢) سرج (هنا): نجوم. أبو السرج: الشمس.
(٣) الإبّان (بكسر الهمزة وتشديد الباء): الزمن، الموسم.
(٤) مولانا: ربّنا (الله). جمل: كثيرة. سروج (جمع سرج) وسروح (بفتح السين): السريع من الخيل والإبل، والشروح (لم يتضح لي معنى البيت معها).
(٥) أرج: رائحة طيّبة. أبداً: دائماً. محي ذاك الأرج: الله. - لا تحاول أن تستعيد نشاطك بشمّ الرائحة الطيّبة، بل الجأ إلى خالق هذه الرائحة.
(٦) ...- من الخلق (الناس) من هو في سَعة من العيش ومن هو في ضيق.
(٧) الدرك: للنزول (إلى أسفل) والدرج: للصعود (إلى أعلى). - كلّ أعمال البشر مقدّرة عليهم.
(٨) لا يستطيع الناس أن يحتالوا (بالسير الأعوج: خلافاً للقانون الإلّهي) لبلوغ ما يريدون بإرادتهم.

حِكَمٌ نُسِجَتْ بيدٍ حكَمتْ ... ثمّ انتسجت بالمُنْتَسِج:[1]:
فإذا اقتصدت ثمّ انْعَرَجَتْ ... فبمُقْتَصِد وبمُنْعَرج[2].
شَهِدَتْ بعجائِبِها حِجَجٌ ... قامت بالأمر على الحجَج[3].
مُمدحَ العَقل الآتيهِ هُدًى، ... وهَوَى مُتَولٍّ عنه هُجي[4].
وخيارُ القوم هُداتُهُمُ، ... وسِواهم من هَمَجِ الهَمَج[5].
وإذا كنتَ المِقْدامَ فلا ... تَجْزَعْ في الحرب من الرَهَج[6].
وإذا أبْصَرْت مَنارَ هُدًى ... فاظْهَرْ فرداً فوق الثَبَج[7].
والرِفْقُ يدومُ لصاحبه، ... والخُرْقُ يَصير إلى الهَرَج[8].

– ولأبي الفضل النحويِّ التوزريِّ أبيات يتشوّق فيها إلى مصر:

أينَ مِصْرٌ، وأينَ سُكّانُ مِصْرٍ! ... بيْنَنا شُقّة النَوى والبُعادِ[9].
حَدِّثاني عن نيلِ مِصْرَ، فإنّي ... مُنْذُ فارقتُه إلى الماء صاد[10]،
والرياضِ التي على جانِبَيْه؛ ... واجعلاه مِنَ الأحاديثِ زادي.
رَقَّ قلبي حتّى لقد خِلْتُ أنّي ... بين أيدِي الزُوّار والعُوّاد[11].

---

(١) للأمور الجارية في عالمنا حكمة أرادها الله ثمّ هي تنفذ بسعي الإنسان (المنتسج).

(٢) اقتصدت: اعتدلت، استقامت (صلحت).

(٣) عجائب الحكمة الإلهية قامت الحجج (السنوات الكثيرة المتوالية) دليلاً عليها. قامت بالأمر على الحجج (؟) جمع حجة (بالضم).

(٤) من عمل الأمور بعقل مدح (كان ممدوحاً، محموداً). ومن تولّى (مال، انحرف) عن العقل في أعماله هُجي (كان مهجوًّا، مذموماً).

(٥) الهمج: الرَّعَاع من الناس لا نظام لهم.

(٦) الرهج: غبار الحرب (لا تخف من غبار الحرب، فإن الغبار لا يقتل. ولكن أقدم على القتال لأنّ الأعمار بيد الله).

(٧) أظهر (ارتفع، تسلّق) فرداً (وحدك) فوق الثبج (ما بين الكاهل إلى الظهر: المكان العالي).

(٨) الخُرق: الجهل والحمق (قلّة العقل). الهرج: (بفتح الراء): الحيرة واضطراب الأمور.

(٩) الشقّة: المسافة. النوى: البعاد، البعد.

(١٠) صاد: عطشان.

(١١)...– خلت (ظننت) أني... مريض.

ما تراني أبكي على كلِّ رَبْعٍ! ما تراني أهيمُ في كلّ واد[1]!
رَوْشَنٌ من رواشنِ النيلِ خيرٌ - بعدُ - مِنْ دِجْلَةٍ ومن بَغْداد[2].
إنّ مِصْراً لها مَعانٍ، لَعَمْري، قد تأبّتْ على جميعِ البلاد[3].
هذه الأرض إنّما هي نادٍ؛ مِصْرُ من بَيْنِها سِراجُ النادي[4].

٤ - قصيدة «المنفرجة»، الاسكندرية (طبع حجر) ١٣٠٤ هـ (مع تخميس لها)؛ مطبوعة مع «منبّهات ابن حجر - ص ٥٥ - ٥٧»، الاستانة (دار الطباعة العامرة) ١٣١٥ هـ؛ مكّة ١٣١٧ هـ؛ ذيل «جالية الكدر» للبرزنجي؛ القاهرة (مطبعة التقدم) ١٣٢١ هـ.
★★ الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة، لأبي يحيى زكريّا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)، القاهرة ١٣٢٣ هـ.
- المنفرجة على المنفرجة لعبد الله بن عبد العزيز الصوفي، مصر ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م).

المغرب ١: ٣٢٥؛ طبقات السبكي ٥: ٢٤ - ٢٥؛ الخريدة (المغرب) ١: ٣٢٥ - ٣٢٦؛ التشوّف ٧٢؛ نيل الابتهاج ٣٤٩؛ بغية الوعاة ٤٢٤؛ بروكلمن ١: ٣١٦، الملحق ١: ٤٧٣ - ٤٧٤؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٥ - ٣٢٦ (٨: ٢٤٧)؛ مجمل الأدب التونسي ١٧٢؛ نويهض ٢٠٧ - ٢٠٨؛ راجع تخميساً لها في«عنوان الدراية »٢٧٢ وما بعد؛ سركيس ٢٦٦ - ٢٦٧.

أبو القاسم بن الجَدّ

١ - هو أبو القاسمِ محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ يحيى بنِ فرحِ بنِ الجَدِّ الفِهريُّ - ويُعْرَفُ بلقبِ «الأحدَبِ» أصلُه من مدينةِ لَبْلَةَ، في الجَنوب الغربيّ من الأندلس (وقيل من شِلبَ المجاورةِ لِلبَلةَ).

وسكنَ أبو القاسم بنُ الجَدِّ مدينةَ إشبيليةَ، فلمّا ولّى المعتمدُ بنُ عبّادٍ آبنَه يزيدَ الراضِيَ على الجزيرةِ الخضراءِ (في جَنوبيّ الأندلس) جَعَل أبا القاسمِ بنَ الجَدِّ وزيراً

(١) ألا تراني بعد مفارقة مصر أبكي في كلّ مكان (حزيناً) وأمضي هائماً (حيران).
(٢) الروشن: الشرفة (المعجم الوسيط ١: ٣٤٨).
(٣) تأبّت على: استعصت، صعب وجودها.
(٤) النادي: مجتمع الناس، مجلس الأشراف.

معَه. ثمّ انتقل الراضي إلى الوِلاية على رُنْدَةَ فانتقلَ أبو القاسم معَه أيضاً. وبَقِيَ أبو القاسمِ معَ الراضي إلى أن قُتل الراضي (٤٨٤ هـ) في حَمْلة يوسفَ بنِ تاشِفينَ للقضاء على ملوكِ الطوائف.

ثمّ إنّ أبا القاسم بنَ الجَدّ اعتزل الحياةَ السياسيّةَ واستقرّ في بلدهِ لَبْلَةَ فولّاه أهلُها خِطّة الشُورى فيها (المغرب ١ : ٢٤١) فكان يُفتي في لَبْلة.

وبعدَ أنِ استولى المرابطون على الأندلس اتصل بهم أبو القاسم بنُ الجَدّ فدعاه أميرُ المسلمين يوسُف بنُ تاشِفينَ إلى مَرّاكُشَ فانتقل أبو القاسم إليها ثمّ استمرّ يعيشُ فيها. وقد تولّى الكِتابة لعَلّيٍ بنِ يوسفَ بنِ تاشفينَ وكَتَب عنه رسالةً (سَنَةَ ٥١٢ هـ)، ولعلّه كان في هذا المَنْصِب من قبلِ عليٍّ بنِ تاشفينَ أيضاً.

وكانت وفاةُ أبي القاسمِ بنِ الجَدِّ، سَنَةَ ٥١٥ هـ (١١٢١ م)، في مدينة مَرّاكُشَ.

٢ - كان أبو القاسمِ بنُ الجَدّ من أهلِ التَفَنُّنِ في المعارف، بارعاً في الحديث والفِقه خاصّةً، ثمّ كان أديباً كاتباً: مُنشِئاً بارعاً ومُتَرَسِّلاً قديراً وشاعراً أيضاً. وكانتْ بينَه وبينَ الفتحِ بنِ خاقانِ (ت ٥٢٩ هـ) مراسلةٌ. وشِعْره وُجْدانيٌّ يدورُ على الوصفِ والعِتاب في الأكثرِ ثمّ إخوانيّات. ويبدو أن نثرَه أكثرُ من شِعره وأعلى مكانةً(١).

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو القاسم بنُ الجَدّ (يَصِفُ قصيدةً):

لَئِنْ راقَ مَرأًى للحِسانِ ومَسْمَعُ، فحَسناؤكَ الغَرّاءُ أبهى وأمْتَعُ.
عروسٌ جَلاها مطلَعُ الشمسِ فانْجَلَتْ إليها النجومُ الزاهراتُ تَطَلّع.
زَفَفْت بها بِكْراً تَضوَّعَ طِيبُها؛ وما طيبُها إلاّ الثناءُ المُضوَّع.

---

(١) في المطرب (ص ١٩٠) لأبي القاسم بن الجدّ ابنُ عمّ أديبٌ شاعرٌ هو أبو بكر محمّد بن عبد الله بن يحيى ابن الجدّ، ولد سنة ٤٩٦ وتوفيّ سنة ٥٨٦ هـ.

لها من طِرازِ الحُسْنِ وَشْيٌ مُهَلْهَلٌ، ومن صِيغة الإحسان تاجٌ مُرَصَّع[١].

- وكتب عن أميرِ المسلمين عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفينَ إلى أهلِ غَرْناطة مُهَدِّداً:

كتابُنا - عَصَمَكُمُ اللهُ بتقْواه ويَسَّركم لِما يَرْضاه، وجَنّبَكم ما يُسْخِطُكم ويَنْعاه[٢] - مِنْ حَضْرَةِ مرّاكُشَ[٣] حرَسَها الله يومَ الجُمُعة التاسعَ عَشَرَ منْ شَهْرِ الصَوْمِ المُعَظَّم سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسِمائَةٍ، وقدِ اتّصلَ بنا أنّكم من مُطالَبَةِ فلانٍ على أوّلِكُم وفي عُنْفُوانِ عَمَلِكم[٤]، وأنّه لا يَعْدَمُ تَشْغيباً وتأليباً من قِبَلِكُمْ[٥]. فإلى متى تُلحّون في الطلب وتَجِدّون في الغَلَب وتَقْرعون النَبْعَ بالغَرَب[٦]... لقد آنَ[٧] لحَرَكَتِكم في أمرِه أن تَهْدى وللنائرة بَيْنَكم أن تُطْفى ولِذاتِ بَيْنِكم أن تَنْصَلِحَ ولوُجوهِ المراشِدِ قِبَلَكم أن تَتّضح[٨]. وإذا وَصَلَ إليكم خِطابُنا هذا فاتركوا مُتابعة الهوى واسْلُكوا مَعَه الطريقةَ المُثْلى ودَعُوا التنافسَ على حُطامِ الدنيا. ولْيُقْبِلْ كلٌّ واحدٍ منكم على ما يَعْنيه ولا يشتغلْ بما يُنْصِبُه ويُعَنّيه[٩]. فلا بدَّ لكلِّ عملٍ من أجلٍ ولكلِّ وِلايةٍ من غايةٍ[١٠]. ولن يَسْبِقَ شيءٌ أناه، وإذا أرادَ اللهُ أمراً سَنّاهُ[١١]. وعسى أن تَكْرَهوا شيئاً وهُوَ خيرٌ

---

(١) مهلهل: رقيق (نفيس، ثمين، جميل).

(٢) تقواه: طاعته والخوف منه. جنّبكم: أبعد عنكم. يسخطكم: يغضبكم (إذا عوقبتم على سوء تأتونه). ينعاه (عليكم): يعيبكم به، يؤاخذكم عليه.

(٣) الحضرة: المكان الذي يوجد فيه كبير القوم. حضرة مرّاكش: عاصمة المغرب الأقصى.

(٤) مطالبة فلان: ما يطلبه منكم (الثائر، العاصي، الخارج على الدولة). على أوّلكم: كما كنتم من قبل في أول الأمر (على المعصية). العنفوان: الشدّة.

(٥) لا يزال يجد فيكم من يقوم له بالفتنة ويجمع حوله الأنصار منكم.

(٦) تصرّون على محاربة الدولة وتجدون حتّى تنتصروا، وتقرعون (تدقّون، تقاتلون) النبع (أغصان الشجر المتين، الرماح، قوّة الدولة) بالغرب (بأغصان الشجر الضعيف، بقوّة يسيرة).

(٧) آن: قرب الوقت.

(٨) النائرة: الهائجة، الفتنة، الثورة. ذات البين: ما بين قومين، الصلة. قِبَلكم: عندكم.

(٩) الحطام: ما يتكسّر من أطراف الأشياء اليابسة، قشر البيض (أشياء لا قيمة لها). أَنْصَبَهُ الأمر: أتعبه. عنّاه: أتعبَهُ جدًّا (من غير أن يستطيع التغلّب عليه).

(١٠) لكلّ عمل أجل: مدّة (إشارة إلى انقراض دويلات الطوائف). ولاية: حكم. غاية: نهاية.

(١١) أناه: حينه، زمنه (لا يأتي شيء قبل أوانه). سنّاه: سهّله (القاموس ٤ : ٣٤٥). - الأنى (بالفتح أو بالكسر: الحين.

لكم[1] . واللهُ يعلَمُ وأنتم لا تعلمون[2] . وَفَّقَكُمُ اللهُ لما فيه صَوْنُ أديانِكم وتسديدُ أنحائكم وأغْراضِكم، بمَنِّه[3] .

٤ - ★★ قلائد العقيان ١٢٣ - ١٢٩ ؛ الصلة ٥٤٤ ؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٢٥٧ - ٢٦٨ ؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ : ٣٩٣ - ٤٠١ ؛ الذخيرة ٢ : ٢٨٥ - ٣٢٢ ؛ المغرب ١ : ٣٤١ - ٣٤٢ ؛ المطرب ١٩٠ - ١٩٢ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٤٨ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٠٣ - ١٠٤ (٦ : ٢٢٨).

ابن القطّاع

١ - هُوَ أبو القاسمِ عليُّ بنُ جعفرِ بنِ عليِّ بنِ مُحَمّدِ بنِ عبدِ الله بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ ابنِ محمّدِ بن زِيادةِ الله بنِ الأغلب السَّعْديُّ بنِ ابراهيمَ بنِ الأَغلبِ؛ ويُعْرَفُ بابنِ القطّاعِ السعديِّ الصِقِلِّيِّ.

وُلِدَ ابنُ القَطّاع الصِقِلِّيُّ في صِقِلِّيَةَ، في العاشرِ من صَفَرَ من سَنَةِ ٤٣٣ (١٠٤١/٩/٩م).وقرأ ابنُ القطاع في بلدهِ على نَفَرٍ منهم العالمُ اللغويّ أبو بكرٍ محمّدُ ابنُ عبد البرِّ الصقلّيّ.

ولـمّاأشرفَ الإفرنجُ (النورمانديون) على احتلالِ صقلّية، في حدودِ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) رَحَلَ ابنُ القطّاع إلى مِصْرَ واشتغل فيها بإقراء كِتاب الصِحاحِ للجَوْهريّ وبتعليم أولادِ الأفضلِ بن بدر الجمّالّي.

وكانتْ وفاةُ ابنِ القطّاعِ في الفُسطاطِ (مِصْرَ القديمة)، سَنَةَ ٥١٥ هـ (١١٢١ - ١١٢٢ م) في الأغلب.

٢ - كانَ ابنُ القَطّاعِ الصقلّي إماماً في اللُّغة خاصَةً وفي الأدبِ واسعَ الاطّلاع؛ وكان له شِعْرٌ كثيرٌ حَسَنٌ. وكانتْ له أيضاً مؤلّفاتٌ منها: الجوهرة الخطيرة في شعراء

---

(١) قرآن كريم (٢ : ٢١٦)، البقرة.

(٢) قرآن كريم (٢ : ٢١٦).

(٣) الصون: الصيانة والحفظ. النحو: القصد. الغرض: الغاية، الهدف. المنّة: الإنعام.

الجزيرة (أي صقلّية، وقد اشتمل هذا الكتاب على مِائَةٍ وسَبْعين شاعراً وعِشْرينَ ألفَ بيتٍ من الشعر)- كتاب الأفعال (هذّب فيه كتباً في الأفعال لابن القُوطية وابن طريف وغيرها)- كتاب الأسماء أو أبنية الأسماء (جمع فيه أبنية الأسماء كلّها)- فرائدُ الشُّذور وقلائد النحور (في الأشعار)- كتاب العَروض والقوافي- لُمَحُ المِلَح (في شعراء الأندلس)- كتاب ذكر تاريخ صقلّية.

٣- **مختارات من آثاره:**

- قال ابنُ القطّاعِ الصقِلّيُّ يَفْتَخِرُ بشِعْرِهِ:

يا رُبَّ قافِيَةٍ بِكْرٍ نَظَمْتُ بها ... في الجيد عِقْداً بِدُرِّ المَجْدِ قد رُصِفا؛
يَوَدُّ سامِعُها لو كان يَسْمَعُها ... بِكُلِّ أعضائِهِ- مِنْ حُسْنِها- شَغَفَا!

- وقال يتغزّل:

إيّاكَ أن تَدْنُوَ من رَوْضَةٍ ... بوَجْنَتَيْهِ تُنْبِتُ الوَرْدا؛
واحْذَرْ على نَفْسِكَ من قُرْبِها ... فإنّ فيها أسداً وَرْدا!

- وقال في الزُّهْدِ والحِكَمة:

فلا تُنْفِدَنَّ العُمْرَ في طَلَبِ الصِبا ... ولا تَشْقَيَنْ يَوْماً بسُعْدَى ولا نُعْمِ؛
ولا تَنْدُبَنْ أطلالَ مَيَّةَ باللِّوَى ... ولا تَسْفَحَنْ ماءَ الشُؤون على رَسْمِ.
فإنّ قُصارى المَرْءِ إدراكُ حاجَةٍ؛ ... وتَبْقى مَذَمّاتُ الأحاديثِ والإثْمِ!

- من مقدّمة «كتاب الأفعال»:

.... اعلَمْ أنّ أفضلَ ما رَغِبَ فيه الراغبُ وتعلّقَ به الطالبُ معرفةُ لغةِ العربِ التي نَزَلَ بها القرآنُ ووَرَدَ بها حديثُ النبيِّ عليه السلامُ لِتُعْلَمَ بها حقيقةُ مَعانيها ولئلّا يَضِلَّ مَنْ أخذ بظاهِرِها. وقد قال بعضُ الحُكماء: اللغةُ أركانُ الأدبِ والشعرُ ديوانُ العرب. بالشعرِ نُظِمَتِ المآثرُ وباللغةِ نُثِرَت الجواهرُ(١). لولا اللغةُ لذهبتِ الآدابُ،

(١) الجوهرة: اللؤلؤة (نثرت الجواهر: كتبت المقاطع النفيسة). المأثرة (بضمّ الثاء): العمل الحميد.

ولولا الشعرُ لَبَطَلَتِ الأحسابُ. بلغةِ العربِ نَزَلَ القرآنُ، وبشِعْرِهم مُيِّزَ الفُرقانُ[١]. من ذمّ شِعرَهم فَجَرَ، ومن طَعَنَ على لُغتِهم كفَر[٢]. سألتَني - أراك الله السُول[٣] وبلّغك المأمولَ - أن أُلَخِّصَ لك ما انْغَلَقَ وبَعِدَ، وأُخلِّصَ لك ما عَسِرَ وانعَقَدَ من كتابِ «أبْنِيَةِ الأفعال» لأبي بكرٍ محمّدِ بنِ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز المعروفِ بابنِ القوطيّة.[٤]. وهذا الكِتابُ في غايةِ الجودةِ والإحسان، لو كان ذا ترتيبٍ وبَيان، لأنّه قد أربى[٥] فيه على كُلٍّ من ألّفَ في مَعانيه. إلّا أنّه لم يذكُرْ فيه سِوى الأفعالِ الثلاثيةِ وما دَخَلَ عليها من الهَمْز. ولم يَسْتَوْعِبْ ذلك. وتَركَ نحواً ممّا ذكر[٦]، وخَلَطَ في التَبْويب وقدّمَ وأخّرَ في التَرتْيب. وجعَلَ الثُلاثيَّ في اتّفاقِ معنىً في أبوابٍ، وباختلافِ معنًى في أبوابٍ، والثُنائي المُضاعَفَ في أبوابٍ، والمُتّفِق والمُختلف منه في أبوابٍ. فأتْعَبَ الناظرَ وأنصبَ الخاطر[٧]. وصار الطالبُ للحرفِ يَجِدُهُ مُتَفرّقاً في الكتابِ في عدّةِ أبواب. ولم يذكُرْ فيه الأفعالَ الرُباعيّة الصحيحةَ والسُداسية المَزِيدَةَ ولا الثُنائية المُكَرَّرة. فأجَبْتُك إلى ما سألتَ وأسْعَفْتُك[٨] بما أردتَّ، على ما في ذلك من التَعَبِ الطويل والنَصَبِ الجزيل، لأنيّ أحْتاج (إلى) أن أعْرِضَ الكتبَ لِكُلِ حرفٍ عرضةً[٩]، وأُلْحِقَ به ما تَرَكَ من عدّةِ دواوينَ...... فردَدتُّ كلَّ فعلٍ إلى مِثْلِه، وقرَنْتُ كلّ شَكْلٍ بشكلِهِ. ورَتّبتُه خِلافَ ترتيبهِ وهذّبتُه خِلافَ تهذيبه.

---

(١) بشعرهم... بمقارنة شعرهم بلغة القرآن الكريم، ظهر أنّ أسلوب الفرقان (القرآن) مميّز (مختلف، فوق) الشعر.

(٢) فجر: استهتر في ارتكاب المعاصي. طعن على لغتهم: عابها، ذمّها.

(٣) السول = السؤل = السؤال: ما يطلبه الإنسان، الحاجة (أراك الله:...)

(٤) راجع ترجمة ابن القوطية (ت ٣٦٧).

(٥) أربى: زاد.

(٦) استوعب: استوفى (ذكر جميع ما أراده). ترك نحواً (مقداراً مساوياً للذي أثبته في كتابه) ممّا ذكر (أنّه سيعالجه). الأفعال الثلاثية (صيغة فعل: علم، أخذ، سعى). وما دخلها من الهمز (صيغة أفعل: أعلم، آخذ، ألقى).

(٧) أنصب: أجهد، أتعب.

(٨) الفعل الرباعي الصحيح (فعلل: دحرج). السداسية المزيدة (استفعل وافعوعل: استعلم، استعبر ثمّ اخضوضر، احلولى). المكرّرة الثنائية (قلقل، جعجع). أسعف: ساعد.

(٩) عرضة: استعراض الكتاب مرّة جديدة.

وذكرتُ ما أغْفَلَهُ من الأفعال الثُلاثيةِ والمَزيدة بالهَمْزة والثُنائية المكرّرَة. وأوْرَدتُّ الأفعالَ الرُباعية الصحيحةَ والأفعال الخُماسية والسداسية المَزيدة. وأثْبَتُّها على حروفِ المُعْجَم حتّى لا يحتاجَ الناظرُ (إلى) أن يَخْرُجَ من بابٍ إلّا وقدِ اسْتَوْعَبَ جميعَ الأفعال. وأعْلَمْتُ ما أوْرَدَهُ (ابنُ القوطية) بحرف « القاف » وعلى ما أوْرَدتُّه أنا بحرف « العين »، لِيُعْرَفَ بذلك ما أوْرَدَهُ وما أوْرَدتُّه، وما تَركَ وما زِدتُّ.....

٤ - كتاب الأفعال (رتّبه سالم الكرنكوي)، حيدر أباد الدكن (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣٦٠ - ١٣٦٤ هـ.

★★ معجم الأدباء ١٢: ٢٧٩ - ٢٨٣؛ خريدة (المغرب) ١: ٥١ - ٥٥؛ إنباه الرواة ٢: ٢٣٦ - ٢٣٩؛ المحمّدون ٦٣ - ٦٤؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٢٢-٣٢٣؛ بغية الوعاة ٣٣١ - ٣٣٢؛ شذرات الذهب ٤: ٤٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨١٨ - ٨١٩؛ بروكلمن ١: ٣٧٥، الملحق ١: ٥٤٠؛ الأعلام للزركلي ٥: ٧٦ (٤: ٢٦٩).

ابن صارة الشنتريني

١ - هو الأُستاذُ الأديبُ الكبيرُ الشهيرُ (نفح الطيب ٤: ٣٠١، ٣٢٥، ٣٤٤) أبو محمّدٍ عبدُ الله بنُ محمّدِ بنِ عبدِ البَرِّ بنِ صارةَ (أو سارة) الشَنْتَرينيُّ، من أهلِ شنترينِ الغربِ (في البرتغال اليومَ).

كان ابنُ صارةَ « قليلَ الحظِّ إلّا من الحِرمانِ »: كان رجلًا « أعانَ الدهرَ على نفسهِ » فما رَفِقَ في مُعاشرةِ أحدٍ ولا صَبَرَ على عملٍ. من أجل ذلك كان يَتَكَسّب ببَيْعِ المُحَقَّراتِ (الأشياءِ التافهة)، كما اشتغل حيناً بالتأديبِ والتعليمِ. ولقد تطوّفَ في الأندلسِ شرقاً وغرباً وراءَ الرزقِ ومدح نفراً من الأمراءِ وكَتَبَ لبَعْضِهِم (كان كاتباً عندهم). ثمّ استقرّ في بَطَلْيَوْسَ وعاش في بَلاطِ بني الأفْطسِ أيامَ المُتوكّل أبي حَفْصٍ عُمَرَ الذي جاء إلى الحكم سَنَةَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) شريكاً فيه مَعَ أخيه يحيى. فلمّا مات يحيى، سَنَةَ ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) انفرد هو بالحكم.

لـمّا استولى المرابطون على بَطَلْيَوْسَ (٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م) وقتلوا المتوكّل انتقلَ ابن صارةَ إلى إشْبيلِيَةَ (وكانت إشْبيلِيةُ أيضاً في يد المرابطين) واشتغل في الوِراقة

(نَسْخِ الكتب وتجليدِها) وعاش عيشةَ بؤسٍ. ولـمّا رَجَعَ القاضي أبو بكرٍ بنُ العربيّ من المشرقِ، سنة ٤٩٣ هـ، سكن إشبيليةَ فمدحه ابنُ صارةَ. ولـمّا جاء أبو بكرِ بنُ إبراهيمَ والياً على غَرْناطةَ من قِبَلِ المرابطين ذَهَبَ ابنُ صارةَ إلى غَرْناطةَ ودخل عليه مَعَ الشعراء ومدحه. ثمّ مدحه أيضاً في نَوْروزِ سَنَةِ ٤٩٩ هـ (رَجَبَ ٤٩٩ هـ = آذار - مارس ١١٠٦ م). وكذلك مدح أبا العلاء بنَ زُهْرٍ (ت ٥٢٥ هـ) وأبا أميَّة بنَ عصامٍ قاضي الشرق (شرق الأندلس)، ولا أعلم متى فعل ذلك.

ولا يبدو أنْ ابنَ صارةَ تكسّبَ بالشعرِ ما يَذْهَبُ بشقائهِ فاعتزلَ الحياةَ العامّةَ في أواخرِ أيامهِ - وكانت وفاتُه بالمَريّةِ، سَنَةَ ٥١٧ هـ (١١٢٣ م).

٢ - ابنُ صارةَ الشنترينيُّ أديبٌ ناثرٌ ناظمٌ: كان شاعراً بارعاً مُقْتدراً صحيحَ اللغةِ متينَ الأسلوب يُحِبُّ المعانيَ الغريبَة والتلاعبَ بالألفاظِ مَعَ قُدْرة على التَوْليد والاختراع. وقد أُولِعَ بالمُقطّعات القِصارِ فأرْسَلَها أمثالاً. وكذلك كانت له براعةٌ وقدرة في القصائدِ الطِوال.

أما فنونُه فهي المديحُ والرثاء (فقد رثى ابنتَه رثاءً فيه زُهدٌ فيها وفي الدنيا) والهجاء (وقد أكثرَ منه وخصوصاً في أيام شقائهِ الأولى) والوصفُ (وصفُ الطبيعةِ، وله أوصافٌ مُسْتجادةٌ في النارِ وَوَصْفٌ للشِهاب). وتكثُرُ الشكوى في شعره. وله حكمة وزهد وغَزَلانِ، مذكّرٌ ومؤنّث.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن صارة الشنتريني يمدح الأميرَ أبا بكرِ بنَ إبراهيم لما جاء أبو بكر إلى غَرْناطَةَ والياً عليها:

اليومَ أخْمـدتِ الضلالـةُ نارَها، واسْتَرجَعَتْ دارُ الهُدى عُمّارَها[1]؛
واستقبلـت حَدَقَ الورى غَرْناطةٌ وَهْيَ الحديقةُ فَوّفَتْ أزهارَها[2].

---

(١) استرجع (قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون)، المقصود: استردّ. العمّار: الساكنون.
(٢) فوّفت: أزهارها: جعلت ألوانها كثيرة.

فكــأنّ تَشْرينــاً بهــا نَيْسانُــه يكسو رُباها وَرْدَها وبَهارَها[1].
ما شِئْتَ من نَهَرٍ كصَدْرِ عَقيلةٍ شَقّتْ أنامِلُها عليه صِدارَها[2]،
أو جَدْوَلٍ كالنَّصْلِ في يدِ ثائرٍ أمْهى صَحيفتَه وهَزّ غِرارَها[3].
لله أرْوعُ من ذُوائِبِ حِمْيَرٍ راعَ العُداةَ فما تَقرُّ قرارَها[4].
مــا هالَــهُ بِيــدٌ تَعَسّفَهــا، ولا لُجَجٌ بجِنْحِ اللّيْلِ خاض بحارَها[5].
في فِتْيَةٍ تَسري إلى قَصْرِ الهُدى فتَظُنُّهم سدّوا الدُجى أقمارَها[6]؛
خَضَبوا السواعِدَ بالرقاق تَفاؤلاً أنْ سَوْفَ تَخْضُبُ بالنَجيع شِفارَها[7]
غرسوا الأيادِيَ في ثَرى مَعْروفِهم فجَنَوْا بألْسِنَةِ الثَناء ثِمارَها.
ضربوا سُرادُقَ بأْسِهِمْ مِنْ دُونِها وقدِ اشْرَأبّ الكفرُ يَهْدِمُ دارَها[8].
لَبِسوا القلوبَ على الدروع فَدوّخوا أرضَ العِدى واسْتأصلوا كُفّارَها[9].
شُهُبٌ إذا أوْفَتْ على أُفُقِ الوَغى جَعَلَتْ أبا يَحْيى الأميرَ مَدارَها[10].

---

(١) تشرين (الشهر العاشر في التقويم الميلادي) يبدأ فيه الخريف وتساقط ورق الشجر. نيسان (الشهر الرابع) فيه يبدأ الربيع واكتساء الأشجار بالورق وتفتّح الأزهار في الحقول. البهار: الزهر الأصفر أو زهر الربيع عامّة.

(٢) الشاعر هنا يشبّه مجرى النهر في المرج الأخضر بعقيلة (سيّدة كريمة) تكشف بأطراف أصابعها ثيابها (الخضراء) عن (صدرها الأبيض). الصدار (ثوب قصير يغطّي الصدر).

(٣) النصل (السيف). أمهى (رقّق السيف وجلاه). الغرار: حدّ السيف، والمقصود السيف كلّه.

(٤) الأروع: الشجاع. الذؤابة: ضفيرة من الشعر (رئيس القوم). حمير: عرب الجنوب (اليمن) أي الملوك. راع: أخاف.

(٥) ما هاله (لم تخفه) بيد (أي الصحارى) تَعَسَّفَها (قاسى المشقّة في قطعها) ولا لجج (أمواج) بجنح الليل (في الوقت الذي يشتد فيه الظلام).

(٦) فتية (أقارب الأمير المدوح؟). سدّوا الدجى أقمارها (أقمارها بدل من الدجى): سدّوا (غطّوا - بفتح الطاء) الأقمار (لأنهم أجمل من الأقمار).

(٧) خضبوا (صبغوا) السواعد (جمع ساعد: ما بين المرفق إلى الكف) بالرقاق (؟). النجيع: الدم. الشفرة (حديدة السيف).

(٨) السرادق (الخيمة الكبيرة) البأس (القوّة، الحرب) من دونها (دفاعاً عن بلادهم). اشرأبَّ: مدّ عنقه (رغب في، أراد).

(٩) لبسوا القلوب على الدروع (استهانوا بالموت). دوّخ البلاد: جال فيها وعرف جميع نواحيها (استولى عليها). استأصل (اقتلع، قضى على).

(١٠) شهب (جمع شهاب: نجم). أوفى على أفق الوغى (اقترب من ميدان المعركة) جعلت أبا يحيى مدارها =

حاشا لِأَزْنُدِ شِرْعِنا من كَبْوةٍ ... ويدُ ابنِ ابراهيمَ تُوري نارَها[1] .
أوَليَّ أُمّةِ أحمَدٍ، أبْهَجْتَها ... مُذْ صِرْتَ مِنْ جَوْرِ الحوادِثِ جارَها[2]
فَحُطِ الرَّعيّةَ في مَريعِ جَنابِها ... وارْأَبْ ثَآها واصْطَنِعْ أحرارَها[3]
واقْذِفْ نُحورَ المُشتركينَ بجَحْفَلٍ ... يمحو مَعالِمَ أرضِها ومنارَها[4] .
واحْلُلْ عُرى تلك الجَماجِمِ، إنّها ... عَقَدَتْ على بُغْضِ الهُدى زُنّارَها[5] .
وكأنّني بِكَ قد ثَلَلْتَ عُروشَهم ... وسَلَبْتَ بَيْضَةَ مُلْكِهِ جبّارَها[6] !
لا تَرْضَ مِنْهُمْ بالنفوسِ تَحوزُها ... سُمْرُ القَنا حتّى تحوزَ دِيارَها[7] !
صَمَتَتْ سُيُوفُكَ في الغُمودِ وجُرِّدَتْ ... يومَ النِزالِ فحَدَّثَتْ أخبارَها .
لما احْتَسَتْ خَمْرَ الهِياجِ نِصالُها ... أهْدت إلى هام الطُغاةِ خُمارَها[8]

- وقال في الغزل:

ومهفهفٍ أبصرتُ في أَطواقه ... قَمَراً بآفاق المحاسن يُشْرِقُ[9] .

= (دارت حوله لتحميه أو اقتدت به في الدوران معه في ميدان القتال).

(١) الزند (قطعة من حديد تقدح بها النار من الحجر الصوان). شرعنا (الإسلام). الكبوة: العثرة، السقوط. أورى: أوقد.

(٢) أوَليَّ = يا وليَّ (الوالي، الأمير). أحمد (محمّد رسول الله). أبهج فلانٌ فلاناً (أفرحه، سرّه). الجور: الظلم. الجار (المجير، المنقذ، المحامي، المدافع).

(٣) حاط يحوط (حفظ). المريع: المخصب. الجناب (الجانب من الأرض). رأب فلان الصدع: جمع شقّيه وأصلحه. الثأى: الخرم (بالفتح)، الشقّ. اصطنع أحرارها (قرّب إليك الأحرار لا الأشرار).

(٤) الجحفل: الجيش العظيم.

(٥) احلل عرى الجماجم (الرؤوس): اخلع رؤوس هؤلاء القوم عن أجسادهم (؟). الهدى: دين الهدى (الإسلام). الزنّار: شعار النصارى يلفّونه على أوساطهم.

(٦) ثلّ: هدم. بيضة الملك: ما يدافع الملك عنه (العاصمة). الجبّار: الملك. = سلبت الجبّار (مفعول به أوّل) بيضة ملكه (مفعول به ثان مقدم).

(٧) لا تقنع بأن تأخذ سمر القنا (الرماح) أرواحهم، بل يجب أن تستولي أنت على بلادهم.

(٨) احتسى: شرب. خمر الهياج (القتال، الحرب): الدم. الطاغية: المستبدّ الظالم. الخمار: السكر. إكثارك القتل فيهم جعل ملوكهم كأنّما أصابهم صداع (بالضمّ: وجع في الرأس).

(٩) المهفهف: الدقيق الخصر. الطوق: العقد، قبّة القميص. قمر (كناية عن الوجه).

يُفْضي إلى المُهجات منه صعدة   متألِّقٌ فيها سِنانٌ أزرقُ[1].

– وقال يرثي ابنةً له ماتتْ (ونجد في هذا الرثاء شيئاً من الاستخفاف بالأُنثى إذا ماتت):

ألا يا موتُ، كنتَ بنا رؤوفاً   فجدَّدتَّ الحياةَ لنا بزَوْرَهْ.
حَمادِ لِفعْلِكَ المشكورِ لمّا   كَفَفْتَ مؤُونَةً وسترتَ عَورَه[2]؛
فأنْكَحْنا الضَريحَ بلا صِداقٍ،   وجَهّزْنا الفَتاةَ بغيرِ شَوْره!

– وقال يصف شِهاباً ترك وراءه خطًّا طويلًا من النُور:

وكوكبٍ أبصرَ العِفْريتَ مُسْتَرِقاً   فانقضّ يذكي على آثاره لَهَبَهْ[3].
كفارسٍ حلّ إحضارٌ عِمامَتَهُ   فجرّها كُلّها مِنْ خَلْفِهِ عَذَبَهْ[4]!

– وقال في وصف النار:

لِآبْنَةِ الزَّنْدِ في الكوانينِ جَمْرٌ   كالدَراريّ في دُجى الظَلْماءِ[5]!
خَبِّروني عنها ولا تَكْذِبوني: ألَدَيْها صِناعةُ الكيمياء؟
سَبَكَتْ فَحْمَها صَفائحَ تِبْرٍ   رَصّعَتْها بالفِضّةِ البيضاء!
كلّما رفْرفَ النسيمُ عليها   رَقَصَتْ في غُلالَةٍ حَمْراءِ!
لو ترانا من حَوْلها قلتَ: شَرْبٌ   يتعاطَوْن أكْؤسَ الصَهباءِ[6].

(١) يفضي: يصل. المهجة: دم القلب. صعدة (قصبة، رمح) (كناية عن القامة الطويلة الرشيقة). متألّق: لامع. السنان (نصل حديد في أعلى الرمح) أزرق (كناية عن العين). – قدّ هذا المحبوب كالرمح وعينه زرقاء كنصل الرمح، من أجل ذلك هو يقتل المحبّين.

(٢) حماد (اسم فعل): حمداً (لفعلك). العورة: العيب (ما كان النظر إليه عيباً).

(٣) مسترقاً: يستمع سرًّا (أخبار السماء). فانقضّ (الكوكب): سقط بسرعة. على آثار (العفريت): وراءه. لهبه (مفعول به من «يذكي»).

(٤) كالفارس الذي حلّ إحضار فرسه (ركضه السريع) عمامته، فأصبحت عمامته منشورة كأنّها عذبة (قطعة متدلّية من العمامة). لهذا الشهاب الساقط رأس مكوّرة (كرأس الإنسان) ووراءه ذنب طويل من النور.

(٥) الزند (هنا): الحطب أو الفحم المستدير (كزند الإنسان) أو النار (لأنّ الزند – أي قطعة الحديد – هي التي تقدح النار من حجر الصوّان). الدراري: النجوم.

(٦) الشَّرب (بالفتح) الجماعة يشربون (الخمر) معاً. الصهباء: الخمر الحمراء.

- وقال في وصف النار أيضاً:

باتتْ لنا النارُ دِرْياقاً، وقد جعَلَتْ عَقاربُ البَرْدِ تحتَ الليلِ تَلْسَعُنا[١].
زهراءُ قَدَّتْ لنا مِنْ دِفْئِها لحفاً لمْ يَعْلَمِ البردُ فيها أينَ مَوْضِعُنا[٢].
تُبيحُنا قُرْبَها حِيناً وتُبْعِدُنا: كالأُمِّ تَفْطِمُنا حيناً وتُرْضِعُنا!

- وقال يتغزّل:

تَمَنّيْتُ منه قُبلةً حين زارني فقبّلتُه ثِنْتَيْنِ في الخَدّ والخدِّ.
وقُلتُ له: جُدْ لي بِثَغْرِك إنّني أقولُ بتَفْضيلِ الأَقاحِ على الوَرْدِ[٣]!

- وقال يصف الشقاء من كَسْبِ المعيشةِ بصناعة الوِراقة (نسخ الكتب):

أما الوِراقةُ فهْيَ أَنكدُ حِرفةٍ؛ أوراقُها وثِمارُها الحِرمانُ.
شبَّهْتُ صاحبَها بصاحب إبرةٍ تكسو العُراةَ وجسمُها عُريانُ.

- وقال يَتَهكّمُ بالذينَ يَعيبون الجَهالة (ويفضّلون العِلْمَ عليها):

عابوا الجَهالةَ وازْدَرَوْا بِحُقوقِها وتَهاتَفوا بَحديثِها في المَجْلس[٤].
وَهْيَ التي يَنْقادُ في يَدِها الغِنى، وتَجيئُها الدُّنْيا برُغْمِ المَعْطس[٥].
إنّ الجَهالةَ للغِنى جَذّابةٌ جَذْبَ الحديدِ حِجارةَ المَغْنَيْطِسِ!

- وقال يَصِفُ البرد الذي يَهُبُّ على غَرْناطةَ من جبل شُلَير:

يَحِلُّ لنا تَرْكُ الصلاةِ بأرضكم وشُربُ الحُمَيّا وهو شَيْءٌ مُحَرَّمُ،
فِراراً إلى أَرض الجحيم، فإنّها أَحَنُّ علينا مِن شُلَيرٍ وأَرحم.
(فإن كنتَ، ربّي، مُدْخِلي في جَهَنّمٍ ففي مثل هذا اليومِ طابَتْ جهنّم).

---

(١) الدرياق = الترياق (دواء يشفي. كلّ داء).

(٢) قدّت: قطعت، فصّلت، خاطت، صنعت. اللحف (بالضمّ) جمع لحاف (بالكسر): الدثار (بالكسر) ثوب سابغ يغطّي البدن ليمنع عنه البرد.

(٣) الأقاح (زهر الأقحوان) كناية عن الأسنان (الفم). الورد (كناية عن الخدود).

(٤) ازدرى فلان شيئاً: احتقره. تهاتف: هتف (صاح) بعضهم لبعض (استهزاء بشيء ما).

(٥) المعطس: الأنف. برغم الأنف: بالكره، بالإكراه.

٤ - ★★ قلائد العقيان ٢٢٩ - ٣١٤؛ المغرب ١ : ٤١٩ - ٤٢٠؛ المطرب ٧٨؛ وفيات الأعيان ٣ : ٩٣ - ٩٥؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ٣١٥ - ٣٣١، ٣ : ٥٧٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٢٥٦ - ٢٨٢؛ بغية الوعاة ٣٢٥؛ شذرات الذهب ٤ : ٥٥؛ نفح الطيب ١ : ٤٩٩، ٢ : ٣٠ - ٣١، ٦٥٢ - ٦٥٣، ٣ : ٢١٦، ٤١٤، ٤٣٨، ٤٤١ - ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٨ - ٤٥٩، ٥٦٧، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٤ : ٨٦، ٩١، ١١٧ - ١١٨، ٣٠١، ٣٢٥، ٣٤٤ - ٣٤٥؛ نيكل ٢٣٣؛ مختارات نيكل ١٥٥ - ١٥٧؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٦٨ (١٢٢ - ١٢٣).

أبو بكر بن عطيّة

١ - هو أبو بكرٍ غالبُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ غالبِ بنِ عبدِ الرؤوفِ بنِ تَمّامِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ تمّامِ بنِ عطيّةَ بنِ خالدِ بنِ عطيّةِ المُحاربيُّ، وَلِدَ سَنَةَ ٤٤١ هـ في غرناطة.

رَوَى أبو بكرِ بنُ عَطِيّةَ عن أبي عليٍّ الغَسّانيّ. ثمّ رَحَلَ باكراً سنة ٤٦٩ إلى المشرق فَحَجّ ولَقِيَ نَفَراً من العلماء. ولَمّا عاد إلى الأندلس تَصدّرَ للإفادة فرَوَى الناسُ عنه (راجع قضاة الأندلس ١١٠). وزَهِدَ في أواخرِ حياتِه. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) في غرناطة بعد أن كف بصره.

٢ - كان أبو بكرِ بنِ عطيّةَ عالماً مُحَدِّثاً وله شِعْرٌ في الزُهْد والشكوى والعِتاب.

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو بكرِ بنُ عطيّةَ في الشكوى من البَشَر:

كُنْ بذِئْبٍ صائدٍ[١] مُستأنساً وإذا أبصرت إنسانـــاً فَفِرّ.
إنّما الإنسانُ بَحْرٌ ما لَه ساحلٌ فاحْذَرْهُ: إيّاك الغَرَرْ[٢].
واجعَلِ النـاسَ كشَخْصٍ واحدٍ ثمّ كُنْ من ذلك الشخصِ حَذِرْ[٣]!

---

(١) صائد (كذا في الأصل). اقرأ: صائت: عاوٍ (يعوي). فرّ: هرب.
(٢) الغرر: الهلكة، الهلاك.
(٣) اجعل جميع الناس كأنّهم شخص واحد (شرّير).

– وقال في عِتاب صديقٍ (المغرب ٢ : ١١٨):

وكنتُ أظنُّ أنّ جِبالَ رَضْوى تزولُ وأنّ وُدَّك لا يزولُ.
ولكنّ الزمانَ لَهُ انقلابٌ وأحوالُ ابنِ آدمَ تَستحيلُ.
فإنْ يكُ بَيْنَنا وصلٌ جميلٌ، وإلّا فَلْيكُنْ هجرٌ جميلُ!

٤ – ★★ قلائد العقيان ٢٣٧ – ٢٣٩؛ الصلة ٢ : ٤٣١؟ (رقم ٩٧٧)؛ بغية الملتمس ٣٢٧ (رقم ١٢٧٧)؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ : ٤٨٨ – ٤٩٠؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٥٢٦ – ٥٢٨؛ المطرب ٢١٥؛ نفح الطيب ٢ : ٥٢٣ – ٥٢٦؛ أزهار الرياض ٣ : ٩٩ – ١٠١؛ نيكل ٢٦٤؛ مختارات نيكل ١٧٧ – ١٧٨.

بنو القبطرنوه(١)

١ – بنو القَبْطُرْنُوه ثلاثةُ إخوةٍ من أهلِ قُرْطبةَ ومن ذوي الوجاهةِ والغنى والذكاء والعلم والأدب، ولَعَلّهم كانوا متقاربين في السِنّ. وَوَزَرَ بنو القَبْطرنوه كلُّهم لِعُمَرَ المتوكّلِ بنِ الأفطس صاحب بَطَلْيَوْسَ (٤٦٠ – ٤٨٧ هـ). وبعدَ استيلاءِ المُرابطين على الأندلس، سَنَةَ ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م)، دَخَلَ بنو القَبْطرنوه الثلاثةُ في خِدمة المرابطين.

وكان بنو القبطرنوه يأخذون الحياةَ هَوْناً فانصرفوا إلى اللَّهْوِ والخمر والنساء والصَّيْد وإلى قولِ الشعر في هذه الوجوهِ من الحياة وفي المديح للتكسُّب. وكان شعرُهم، عُموماً، وُجدانيًّا عَذْباً. ولا يبدو من حياتِهم وشِعرهم أنّهم كانوا من ذَوِي المبادىء الساميةِ، بل كانوا يهتمّون بيومِهم ولا يهتمّون بالغدِ قبلَ أن يأتِيَ. ثمّ كانوا يهتمّون بحظّ أنفسِهم في الحياة ولا يبدو أنّهم كانوا يَحْفِلون بأحوالِ البلاد وأحوال الأُمّة. وكانوا كلُّهم أيضاً أصدقاءَ للفتحِ بنِ خاقانَ (ت ٥٢٩ هـ)، وكان الفتحُ مثلَهم

(١) بنو القبطرنوه (القبطورنه، الخ) هم أبناء سعيد بن عبد العزيز بن يحيى، ويبدو أنّ أصلهم من المولّدين. والأغلب أن لقب « القبطرنوه » دخيل من كابو طورنو (الرأس المستدير، المتلفّت) Cabo torno (راجع قاموس اللغة الإسبانية– أصدرته الأكاديمية الإسبانية، مدريد ١٩٤٧ – الطبعة السابعة عشرة، ص ٢١٠ و١٢٣٢).

في النظرِ إلى الحياة، وإن كانوا هم أحسنَ منه تستُّراً ومُداراةً.

(أ) كان أبو محمّدٍ طلحةُ أسنَّ مِنْ أخَوَيْهِ وأكثرَ وجاهَة، كَتَبَ (وَزَرَ) للمتوكّلِ بنِ الأفطس وكان يسامرهُ، ولَعلّه اتّصل بالمعتمدِ بن عبّادٍ. ثمّ كتبَ ليوسفَ بنِ تاشفِينَ. ولـمّا تُوُفِّيَ يوسفُ بنُ تاشفين، وخَلَفَهُ ابنُه عليٌّ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) ظلّ أبو محمّدٍ بن القبطرنوه على اتّصالٍ بالبلاط المرابطي.

(ب) أمّا أبو الحسنِ محمّدٌ فكان أيضاً شاعراً بارعاً، ولكنّ أخبارَه أقلُّ من أخبارِ أخَوَيْهِ.

(جـ) وأمّا أبو بكرٍ عبدُ العزيزِ فلعلّه أصغرُ الإخوةِ الثلاثةِ سِنًّا؛ وتذكُر المصادرُ أنّه كان فَتًى جميلًا وأنّه تولّى الوزارةَ قبلَ أن يَلْتَحِيَ ولُقِّبَ « الرئيسَ الكاتبَ الوزيرَ الخطير ». ويبدو أن مُكْثَهُ عندَ بني الأفطس في بَطَلْيَوْسَ يَلِي لهمُ الوزارة قد طالَ حتّى لُقِّبَ « البَطَلْيَوْسيّ ». وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢ - كان شِعْرُ بني القَبْطرنوه وجُدْانيًّا عَذْباً وأكثرُه مُقطَّعاتٌ في أغراضٍ عارضةٍ. وشعرُهم سَهْلٌ عذبٌ وإنْ لم يكُنْ فيه مَعانٍ مبتكرةٌ ولا بعيدةُ الغَوْر.

٣ - مختارات من أشعارهم:

- كَتَبَ أبو محمّدٍ طلحةُ بنُ القبطرنوه إلى أبي نصرِ الفتحِ بنِ خاقانَ الأندلسيِّ صاحبِ كتابِ « قلائدِ العِقيان » (وقد غادر أحدُهما بلده):

أبـا النصرِ، إنّ الجَدَّ لا شكّ عاثِرُ، وإنّ زمـانـاً شاء بَيْنَك جائِرُ[١].
فـلا تُوِّجَتْ من بعدِ بُعْدِكَ راحةٌ براحٍ ، ولا حَنّتْ عليها المزامر[٢].
ولا اكحتلـتْ من بَعْدِ نأيكَ مُقلةٌ بنَوْمٍ ، ولا ضُمّت عليها المَحاجر[٣].

(١) الجدّ (الحظّ) عاثر (واقع، ساقط): حظّي سيّىء. بينك: فراقك (البعد عنك). جائر: حائد عن الصواب (ظالم).

(٢) الراحة: الكفّ. الراح: الخمر. حنّت: رنّت (صدر عنها صوت حينما تنقر أوتارها أو ينفخ فيها). لا دارت بعدك الخمر ولا صدحت الموسيقى (لا كان بعدك سرور ولا لهو).

(٣) النأي: البعاد. المحجر (بفتح فسكون فكسر): التجويف الذي تكون المقلة فيه.

وليَ رَغْبَةٌ جاءتْكَ وَهْيَ مُدِلّةٌ تَسوقُ إليك الحمدَ وهو أزاهر[١]
لتَعْلَم أنّي عن جوابِكَ عاجزٌ ومُعْتَذِرٌ فيه، فقُلْ: « أنا عاذر ».
وكيفَ أُجاري سابقاً لم تَقُمْ له هُبوبُ الصَبا والعاصفاتُ الخواطر[٢]
إذا قيلَ: من هذا؟ يقولون: كاتبٌ! وإنْ قيل: من هذا؟ يقولون: شاعر!
وإنْ أخَذَ التحقيقُ فيك بَحقّه وقيل: ومن هذا؟ يقولون: ساحر!
تُشَيِّعُك الألبابُ وهي أواسفٌ، وتَتْبَعُكَ الألحاظُ وهي مواطر[٣].

- وقال في الخمر:

إذا ما الشَوْقُ أرّقَني وباتَ الهَمُّ من كَثَب[٤]،
فَضَضْتُ الطِينةَ الحمرا ءَ عن صفراءَ كالذهب[٥].

- وقال يرثي امرأتَه أمَّ الفضل:

مَعاذَ اللهِ أنْ أسْلو ببَدْرِ وأن أصْبو إلى كأسٍ وخمرٍ[٦]،
ولا لِأراكةٍ نَهضَتْ بِحِقْوٍ ولا لِروادفٍ وعظيمِ خَصْرٍ[٧]،
ولا تفّاحةٍ طلعَتْ بخدٍّ ولا رُمّانةٍ نَبَتَتْ بصدر[٨]،

---

(١) مدلّة: جريئة في طلب الأشياء (منك).

(٢) أجاري: أسابق. السابق: الحصان. لم تقم له: (لم تنافسه) هبوب الصبا (الريح الشرقية، الريح) والعاصفات (جمع عاصفة) الخواطر (التي تهبّ فجأة - وتكون عادة سريعة عنيفة).

(٣) الألباب (العقول) أواسف (جمع آسفة: حزينة). الألحاظ (العيون) مواطر (تمطر، تدمع): باكية، حزينة.

(٤) أرقني: أقلق نومي، منع نومي. كثب: قرب.

(٥) فضضت (نزعت، أزلت) الطينة الحمراء (الختم الذي يكون على دنّ الخمر أو على قنّينة الخمر) عن صفراء كالذهب (خمر صافية عتيقة).

(٦) معاذ الله (لا قدّر الله) أن أسلو (أنسى أمّ الفضل، ولو كان بجانبي بدر: امرأة أخرى جميلة) وأن أصبو (أشتاق، أميل) إلى كأس خمر (ينسيني أمّ الفضل).

(٧) أراكة: شجرة (كناية عن المرأة الرشيقة الجميلة). نهضت: قامت، بدا لها. الحقو (بالفتح أو بالكسر): حيث يعقد الإنسان إزاره (الجانب الأدنى من الخصر). الردف (بالكسر): أحد قسمي مؤخّرة الإنسان. وعظيم خصر (المقصود معظّم خصر): دقيق الخصر(؟).

(٨) ... ولا خدّ أحمر جميل، ولا نهد بارز على صدر فتاة.

وأن ألْهو من الدنيـــــا بشيءٍ ، وأمُّ الفضـلِ، يا أسفَا، بقبر!

★- وقال أبو الحسن محمّد بن القبطرنوه في النسيب:

ذكرتُ سُلَيْمـــى وحَرُّ الوَغـــى كجِسْمِيَ ساعـــةَ فارَقْتُهـــا[١].
وأبصرتُ بـــين القَنـــا قَدّهـــا، وقـــد مِلْنَ نَحْوي فقبَّلْتُهـــا[٢]!

★- وقال أبو بكرٍ عبدُ العزيزِ بن القبطرنوه يدعو صديقاً إلى جلسة أُنس:

هَلُمَّ إلى رَوْضِنـــا، يـــا زَهَرْ؛ ولُحْ في سماء المُنى، يا قَمَرْ[٣].
هَلُمّ إلى الأُنس؛ سَهْمُ الإخـــاءِ لقـــد عُطِّلَـتْ قَوْسُه والوَتَر[٤] .
إذا لم تكن عندنـــا حاضراً، فما لِغُصونِ الأمـــــاني ثمر.
وَقَعْتَ من القلبِ وَقْعَ المُنـى، وحَسَّنْتَ في العين حُسْنَ الحور[٥] .

- وله يرثي امرأته:

يـا ربّةَ القبرِ، فوقَ القبرِ ذو حُرَقٍ يَرْثي له القبرُ من شَجْوٍ ومن شَجَنِ[٦].
تبايَنَتْ فيكِ أحوالي أسىً، فمَضَى إلى لِقائِكِ صبري طالبَ الوسن[٧]؛
وخالفَ القلبُ فيكِ العَيْنَ من كَمَدٍ فاسودّ بالغمّ وابْيَضّتْ من الحَزَن[٨]!

★★★- كان للمتوكّلِ عمرَ بنِالأفطسِ صاحبِ بَطَلْيَوْسَ مُنْيَةٌ (روضة واسعة،

---

(١) الوغى: الحرب.

(٢) القنا: الرماح. قدّها: قامتها. ذكّرتني الرماح بقامتها. فلمّا مالت الرماح نحوي (لتقتلني) قبّلت تلك الرماح (هذا من قول عنترة: ولقد ذكرتك والرماح...- راجع عنترة في الجزء الأوّل من هذه السلسلة).

(٣) يا زهر، يا قمر (أيّها الذي تشبه الزهر والقمر). لح (فعل أمر من لاح): ظهر، حضر.

(٤) ... تعال إلينا. سهم الاخاء .....(؟).

(٥) في الإحاطة: وحزت من العين حسن الحور (أنت منّا كالبؤبؤ من العين: لا يستغنى عنك، ولا نفع للعين بغير بؤبؤ).

(٦) فوق (عند) القبر ذو حرق (يقف زوجك). الشجو والشجن: الحزن.

(٧) تباين: اختلف. الأسى: الأسف، الحزن. الوسن: النوم.

(٨) الكمد: الحزن الشديد... قلبي الأبيض أصبح أسود (بالحزن) وبؤبؤ عيني الأسود صار أبيض (لا يرى) من كثرة البكاء.

ضيعة خِصبة)، وكان بنو القبطرنوه يَقْضون فيها بعضَ أيّامِ لهوهم. ففي ليلة سكروا فغَلَبَهُمُ النومُ. وقُبيلَ الصُبح استيقظ أبو مُحمّدٍ فقال:

يا شَقيقي، وافى الصَباحُ بوجهٍ ... سَتَرَ الليـلَ نورُه وبهاؤُهْ[1]؛
فاصْطَبِـحْ واغْتَنِمْ مَسرةَ يومٍ ... لستَ تَدْري بما يجيءُ مساؤه[2].

ثمّ استيقظ أبو بكر فقال:

يا أخي، قُمْ تَرَ النسيمَ عليلًا: ... باكرِ الروضَ والمُدامَ شَمولا[3].
لا تَنَمْ واغْتَنِمْ مَسرّةَ يومٍ؛ ... إنّ تحتَ التُرابِ نوماً طويلا!
في رياضٍ تَعانَقَ الزهرُ فيها ... مِثْلَ ما عانَقَ الخَليلُ خليلا.

ثمّ استيقظ أبو الحسن فقال:

يا صاحبيَّ، ذَرا لَوْمي ومَعْتَبَتي، ... قُمْ نَصْطَبِحْ خمرةً من خيرِ ما ذَخَروا[4]؛
وبادِرا غَفْلَةَ الأيّامِ واغْتَنِما. ... فاليومَ خَمْرٌ، ويبدو في غدٍ خَبَرُ[5].

٤ - ★★ قلائد العقيان ١٦٩ - ١٧٦؛ المغرب ١: ٣٦٧ - ٣٦٨؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٤١٢ - ٤١٩؛ المطرب ١٨٦ - ١٨٧؛ المعجب ١٧٣؛ الإحاطة ١: ٥٢٨ - ٥٣١؛ نفح الطيب ١: ٦٣٤ - ٦٤٠، ٤: ٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨١٣ - ٨١٤؛ نيكل ١٧٣ - ١٧٩.

محمّد بن بشير

١ - هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عبدِ الصمدِ بنِ بشيرٍ التَنُوخيُّ المَهْدَويُّ، كان من

---

(١) وافى: أقبل، جاء. نور الصبح وبهاؤه (جماله) ستر الليل (أذهب سواد الليل).
(٢) اصطَبَحَ: شَرِبَ الخمر صباحاً.
(٣) عليل: مريض (خفيف، فيه برد يسير ورطوبة يسيرة ينعشان الجسم). المدام: الخمر. شمول (مشمولة، الريح الباردة): باردة.
(٤) وذر، يذر: ترك. ذخر = ادّخر: خبأ (مدّة طويلة).
(٥) بادر: سبق. خمر (لهو). يبدو خبر (يحدث ما يسيء إلى الإنسان: (خبر الموت).

شُعراءِ الأميرِ عليٍّ بنِ يحيى بن تميمٍ الصِنْهاجيِّ، وقد مَدَحَه لـمّا فَتَحَ مدينة قابِسَ (تونس)، سَنَةَ ٥١١ هـ. وكانت وفاتُه في حُدود ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢- كان محمّدُ بنُ بشيرٍ أديباً شاعراً جَمَعَ رِقّة المعنى ومتانةَ السَبْكِ إلى وضوح الأغراض. وكانتْ له براعة في الوصف.

٣- مختارات من شعره:

- قال محمّدُ بنُ بشيرٍ قصيدةً يصف فيها الأُسْطول الذي أنشأه الأميرُ عليُّ بنُ يحيى في ثَغْر المَهْدِيّة. وكان هذا الأُسطول مُزَوّداً أَسْلِحةً ناريّةً: من هذه القصيدة:

وأعْـدَدتَّ للأعـداءِ كـلّ مُصَمِّمٍ ... يسيرُ إليهم قاصداً وهو أهْوَجُ[١]؛
كَمِثْـلِ الرواسي مِنْعَةً، غير أنّها ... على ثَبَجِ الدأماءِ تَردي وتُدْلِج[٢].
كأنّ القَنـا والنَبْـلَ في جَنَباتِها ... سِبالٌ بأكناف الهِضاب وعَوْسج[٣].
يُعيـدُ مُضيءَ الجوِّ أقْتَمَ حالكاً ... دُخـانُ لَظَى من نارِها يَتَوهّج[٤].
إذا نَضْنَضَـتْ من ألْسُنٍ لَهَبيّـةٍ ... بمـارجِ نـارٍ يستقلّ ويعرَج[٥]،
رأيـتَ صِلالا أُخْرِجَتْ من جَهَنّمٍ ... تُحَرِّقُ أكبـادَ العُداة وتُنْضِج[٦].

٤- ** مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٧٥ - ١٧٦.

---

(١) المصمّم: الذي عزم ثمّ لا يريد أن يرجع عن عزمه. القاصد: المتّجه اتّجاهاً مستقيماً. أهوج: مجنون.

(٢) الرواسي: الجبال. المنعة (في القاموس: بفتح ففتح): الحصانة، والمنيع ما يصعب الوصول إليه. ثبج الدأماء: وسط البحر. تَردي: تسير بلا مبالاة (واثقة من نفسها). أدلج: سار ليلاً.

(٣) القنا جمع قناة: رمح. النبل جمع نبلة: سهم. السبلة (بفتح ففتح) = السنبلة: مجموع ثمر القمح (إشارة إلى ما فيه من الشوك). العوسج: نبات ذو شوك. أكناف جمع كنف (بفتح ففتح): طرف. الهضاب: الأراضي المرتفعة.- يشبّه المراكب الحربية بهضاب على أطرافها شوك كثير (لكثرة السلاح في تلك المراكب).

(٤) أقتم حالك: (شديد السواد). لظى: نار. يتوهّج: يتّقد، يشتعل، يتلألأ.

(٥) نضنضت الحيّة: أخرجت لسانها (وحرّكته يميناً وشمالاً). المارج: لهيب النار الذي لا يخالطه دخان. يستقلّ: يندفع اندفاعاً مستقيماً. يعرّج: يميل، ينحرف. واستعمل الشاعر يعرج (بفتح الراء لم يستقم مشيه) بمعنى عرّج.

(٦) الصلال هنا لا توافق المعنى. والشاعر يقصد الأصلال جمع صلّة (بكسر الصاد): الحيّة الخبيثة.

أبو بكر بن رحيم

١ - هو أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ رُحَيْمٍ صاحبُ الديوان المُشَرَّفُ ذو الوزارتين كان من بَيْتِ جاهٍ ووَزارةٍ، مَدَحَ الأميرَ أبا اسحاقَ إبراهيمَ بنَ عليٍّ بنِ يوسفَ بنِ تاشِفينَ بقصيدتينِ في سَنَةَ ٥١٥ هـ (١١٢١ م). وكانت وفاتُه سَنَةَ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢ - كان أبو بكر محمدُ بنُ رُحيمٍ شاعراً مُكثِراً مُطيلاً أكثرُ فنونهِ المدحُ والوصف والغزل والنسيب.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكرٍ محمدُ بنُ رُحيمٍ من قصيدةٍ يَصِفُ فيها الرِياضَ:

لله يومٌ ضَرَبْنا للمُدامِ بها رِواقَ لَهْوٍ بطاساتٍ وجاماتِ[١]،
وللبلابلِ ألحانٌ مُرجَّعَةٌ تُجيبُهنّ غوانينا بأصواتِ[٢]،
وللرياحينِ أنفاسٌ مُعَنْبَرَةٌ مَعَ الرياحِ تُوافينا لأوقاتِ.
حدائقٌ أحدَقَتْها للمُنى شَجَرٌ خُضْرٌ وأوْدِيَةٌ حُفّتْ برَوْضاتِ[٣].
جِنانُ أُنسٍ رَعَى الرحمنُ بَهْجَتَها حَسِبْتُ نفسيَ منها وَسْطَ جنّاتِ.
منازلٌ - لستُ أهوى غيرَها - سُقِيَتْ حَيًا يَعُمُّ وخُصّتْ بالتحياتِ[٤].

- وله في النسيب:

خَليليَّ، سِيرا وارْبَعا بالمناهل ورُدّا تَحيّاتِ الخليطِ المُزايلِ[٥].

---

(١) الرواق: جانب البيت (مَمَرّ مسقوف). رواق لهو: مدّة طويلة من اللهو. الطاس والجام: وعاءان تشرب بها الخمر.

(٢) المرجَّعة: المتردّدة في الحلق. الألحان المرجّعة: المتلاحقة. الغواني: النساء الجميلات، المغنّيات.

(٣) أحدقتها = أحدقت (أحاطت) بها.

(٤) الحيا: المطر.

(٥) ربع: وقف. المنهل: مكان استقاء الماء (وتكون عنده مساكن). الخليط: الساكن مع غيره، العشير. المزايل: الذي ينوي الرحلة والسفر.

فإنْ سألَ الأحبابُ عنّي تَشوُّقاً   فقولا: تَركْناه رَهينَ البلابل[1].
لَعلّ الصَبا تأتي فتُحيْي بنَفْحةٍ   فُؤادِيَ من تِلقاءِ من هو قاتلي[2].
فيا ليتَ أعناقَ الرِياح تُقِلُّني   وتُنْزِلني ما بينَ تلك المنازل[3].

- موشّحة لابن رحيم:

هَــزّ ٱرتياحــي   راحٌ بِــراحي مِسكيّــةُ الأنفـاسْ   سحب الوشاحِ[4]

★ ★ ★

مـا لَـذّةُ الدنيـا إلّا   كؤوسْ:
سُلافــةٌ تَحيــا بهـــا   النفوسْ؛
تُديرهــا سُقْيـا لنـــا   شُموسْ[5]

في روض راحِ غَـضّ النّواحي   يُهْديكَ عَرْفَ الآسْ   مَعَ الرواحِ[6]

★ ★ ★

يا شادناً أحْوى رَفَعْــتُ   أمري
إليك، والشكوى عُنوانُ   صـبري
لا تخشَ أنْ أهْوى سِواكَ،   عمري[7].

---

(١) البلابل جمع بلبال: شدّة الهم.
(٢) الصبا: ريح الشرق. من تلقاء: من نحو، من عند. قاتلي (المحبوب الذي كاد حبّه يهلكني).
(٣) ليت أعناق الرياح تقلّني: ليت الريح تحملني (بسرعة إلى المحبوب).
(٤) الارتياح: السرور والنشاط (في نفس الإنسان لطلب اللهو أو لفعل جيّد أو غير جيّد). راح: خمر (كأس خمر) براحي (على كفّي). الوشاح: نسيج عريض تلفه المرأة حول القسم الأعلى من جسمها. سحب الوشاح (؟).
(٥) السلافة: الخمر الخالصة، الصافية. تديرها (تدور علينا بها) سقيا: لسقيانا (لنشربها) شموس (نساء جميلات).
(٦) في القاموس (١: ٢٢٤، السطر التاسع): يوم راح (برفعها): شديد الريح. روض راح: ذكي الرائحة وزكيّها (؟). غضّ: ناضر. الرواح: المساء.
(٧) الشادن: ولد الظبية. الأحوى: الأسمر الشفة. عمري = طول عمري.

أنـــتَ اَقتراحي مِنَ المِـــــلاحِ أغنى عَنِ النِّبراسْ ضوءُ الصباحِ [1]

★ ★ ★

أهواكَ للفَضْـلِ وللعَـــــــلاءِ
وذلــك النُبْــلِ مَـــعَ السَّنــاءِ
والمُقَـلِ النُجْـلِ وهنّ دائي [2].
مَرْضَـى صِحاحِ تَبْري صُراحْ ولا تنْسَني، يا ناسْ، وَرِشْ جَناحي [3]

★ ★ ★

صِلْني، أيا خِلّي، أخشى تَلافي.
والموتُ في الوَصْـلِ مَــــعَ العفـــافِ
وليس من قُبلِ ولا ارتشافِ [4]
ثغرُ الأقــاحـــي على السَّـمــاح لذي العُلا من باسْ ولا جُناحِ [5]

★ ★ ★

لا أنسَ ما عِشْتُ يومـاً شَرِبْــتُ
مَعْ مَنْ بـهِ هِمْتُ يومــاً فقُلْـــتُ

---

١) الملاح: النساء الجميلات. النبراس: السراج.
٢) النبل: الشرف. السناء: الرفعة. المقل (العيون) النجل (الواسعة).
٣) مرضى (فاترة، ناعسة: تظهر كأنّها مريضة). تبري = تبرىء: تشفي. صراح (بالضمّ): صراحة (بالفتح)، بلا شكّ. يا ناس (أيّها الناسي). رش (ضع ريشاً) في جناحي (كناية عن المساعدة على القوّة والحياة والثروة).
٤) تلافي (يقصد تلفي): هلاكي. قبل (يجب أن تكون بضمّ ففتح). جمع قبلة (بالضمّ). ارتشاف: شرب من ريق المحبوب.
٥) الثغر (الفم) الذي فيه أسنان مثل بتلات الأقحوان (رقيقة بيضاء منتظمة). السماح: الكرم. لذي العلا من باس: من (بفتح فسكون) باس (قبّل ؟) أو من (بكسر فسكون) بأس (شدة، مانع، حرج). ومؤدّي القراءتين واحد. «لدى العلا» (؟). جناح: ذنب.

حـيـنَ تناشَيْـتُ وقد طَرِبْـتُ[1]:
بـالله، يا صاحِ، دُرْ كـأسَ راحِ ودَعْ كلامَ الناسْ مَعَ الرياحِ[2].

٤ - ★★ قلائد العقيان ١٢٩ - ١٤٤؛ المحمّدون ٧٩ - ٨١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٣٦٩ - ٣٨٣؛ بغية الملتمس ٤٢ - ٤٣ (رقم ٣٠)؛ المغرب: ٢: ٤١٧ - ٤١٨؛ جيش التوشيح ١٧٠ - ١٨١، راجع ٢٦٦ - ٢٦٨؛ نفح الطيب ١: ٦٧٣؛ نيكل ٢٦٠ - ٢٦١؛ مختارات نيكل ١٧٣ - ١٧٤.

المتنبّي الجزيري

١ - هو أبو طالبٍ (أو أبو الوليدِ) عبدُ الجبّار المعروفُ بالمتنبّي الجَزيري وبالمتنبّي الشقريّ (نسبة إلى جزيرة شَقْر قرب شاطبة)[3]. وبالمتنبّي الأندلسيّ أيضاً. يبدو أنّه في القسم الأوفر من حياتهِ لم يطرأ على الدُّوَلِ (لم يتكسّبْ من ملوك زمانهِ)، ولكنّه فيما بعدُ اتّصَلَ بالمرابطينَ ومَدَحَ عليَّ بنَ يوسفَ بنِ تاشفينَ. وكان لا يزالُ حيًّا في سَنَةِ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢ - المُتنبّي الجَزيريُّ شاعرٌ وناثرٌ، ولكنّ شعرَه أعلى طَبَقةً من نثره. وشِعره رقيقٌ يَدورُ أكثرُه على الغزَل والوصفِ. ويبدو من أُرْجوزته على الأخصّ أنّه كان مُتَفَنِّناً في وجوه العلم والفلسفة، وفي المنطقِ وعلمِ الكلام خاصّةً. وهو أشْعريُّ الرأيِ يعتقدُ بالصفات التي هي من أسماء اللهِ الحُسنى ويكرَهُ الملاحدةَ والمجادلين بغيرِ علمٍ. وله أرجوزةٌ بدأها بالكلام على أشياءَ من العِلم والفلسفة يجمَعُها من نَفَرٍ من الفلاسفة القدماء والمتأخّرينَ بلا قاعدةٍ ثابتة. ثمّ قصّ في هذه الأرجوزةِ أحداثَ التاريخ، مُنْذُ خَلْقِ آدَمَ، ممزوجةً بكثيرٍ من الإسرائيليّات (الخُرافاتِ المأخوذةِ عن اليهود). ثمّ جاء

---

(١) هام: شغف حبًّا. أحبّ حبًّا شديداً. تناشى (ليست في القاموس): دار فيه السكر.

(٢) در (المقصود أدر). الراح: الخمر.

(٣) جزيرة شقر أرض محصورة بين نهر شقر ورافدٍ له شماله. وشاطبة قريبة من منتصف الساحل الشرقيّ من الأندلس. وشقر بالفتح (تاج العروس - الكويت ١٢ : ٢٢٢)، وبالضم (وفيات الاعيان ١ : ٥٧).

إلى تاريخ الإسلام في المشرقِ والأندلسِ (ولم يُعَرِّجْ على تاريخ المَغْرِبِ في قاره إفريقية)، فَعَلَ ذلك كلَّه على غايةٍ من الإيجاز واعتمدَ في ذلك (كما يقولُ هو) المؤرّخَ المَسعوديَّ وغيرَه. ولكنّه كان أكثرَ توسُّعاً في تاريخِ الأندلس. وقد وَصَلَ في القَصَص (في السَرْدِ) إلى أيامِ عليٍّ بنِ يوسفَ بنِ تاشَفينَ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). وتبلغ هذه الأرجوزةُ أربعَمِائَةٍ وأربعةً وسِتّين بيتاً[١].

٣ - مختارات من آثاره:

- كان المتنبّي الجزيريُّ مرّةً في باب الحَنَش بمدينةِ بَلَنْسِيَةَ فأبصر فتاةً جميلةً في أُذُنَيْها قُرطانِ كأنها كَوْكبانِ فقال فيها قصيدةً مَطْلَعُها:

معشَرَ النـاسِ، ببـابِ الحَنَشِ ... بَــدْرُ تِمٍّ طالـعٌ في غَبَشِ[٢].
عَلّــقَ القُرْطَ عــلى مِسْمَعِــهِ ... مَنْ عليــه آفــةَ العَيْنِ خَشِي!

- وله في الخَمْرِ (يجري في سبيلِ أبي نُواسٍ):

وخمّارٍ - أنَخْـتُ بـه - مَسيحي ... رخيمِ الدَلِّ ذي وَتَرٍ فصيحِ[٣].
سَقــاني ثمّ غَنّــاني بصَوْتٍ، ... فـداوى مـا بقلبي مِنْ جُروحِ.
وفـضّ فَمَ الدِنـانِ على اقتراحي ... ففاحَ البيتُ منها طيبَ رِيحِ[٤].
فقلتُ لـه: «لِكَمْ سَنَةً تَراها؟» ... فقـال: «أظُنُّها من عهدِ نوحِ».
فلمّــا أن شَدا الناقوسُ صوتـاً ... دعـاني: أنْ هَلُمَّ إلى الصَبوحِ[٥].
وحيّـاني - وفـدّاني - بكـأسٍ، ... وقبّلــــــني فردَّ إليّ روحي.

- من الخُطبة التي قدّمَ المتنبّي الجزيريُّ بها أرجوزتَه:

---

(١) يمكن أن تصبح هذه الأرجوزة أربعمائة وخمسة وستين بيتاً. في الذخيرة (١ : ٩٣٢)، في الحاشية بيتان: أوّلها قراءة مختلفة من بيت في المتن، وثانيها بيت جديد.

(٢) باب الحنش: محلّة في بلنسية، أو في سرقسطة. الغبش: ظلمة آخر الليل.

(٣) الدلّ = الدلال: الغنج، تجرّؤ المحبوب على المحبّ.

(٤) الدنّ: وعاء الخمر الكبير.

(٥) الصبوح: شرب الخمر صباحاً.

.... لـمّا كانتْ مُخاطبةُ الرئيسِ تَنوبُ عن لِقائهِ الذي هو حياةُ النفوس وربيعُ القلوب..... وكانتْ حالي[1] قد أناختْ بِذُراه الرَّحْبِ[2]، وآمالي قد كَرَعَتْ في مَوْرِدِه العَذْبِ، إذْ هو سماءٌ تُمْطِرُ وبحرٌ لا يُكَدَّر وغيثٌ مُمْرِعٌ[3] يحيا به المُجْدِبُ. وما زِلْتُ أرومُ لِقاءه على تراخي الأيامِ فيَحولُ بيني وبينَه قَدَرٌ لا يُرام[4] وعِقال تَقاضِيه غيرُ مُطْلَقٍ[5] وباب الرجاء به[6] مُغْلَق. فأعْمَلْتُ المِدادَ[7] والأقلام بِرَجَزٍ صنعتُه وكلامٍ وضعتُه. والغَرَضُ فيه امتداحُه، والقصدُ منه اسْتِمْناحُه[8]. وهو في مَعْنَى ما تَضَمَّنَتْه كُتُبُ التواريخ: قَطَفْتُ عيونَ زَهَرِها والتَقَطّتُ مكنونَ دُرَرِها[9]. واقتصرتُ على أقلِّها دونَ أكثرِها مّما لا يَسَعُ جهلُه. وحذفتُ كلَّ حديثٍ يَتَغَلْغَلُ وخبرٍ يتسلسلُ[10]، إلّا ما زِدتُّ حُلاه رَوْنقاً ومُجْتَلاه تألُّقاً[11] من شأنِ فتحِ الأندلس وما اتّصلَ بذلك من أخبارِ أملاكِها الدُرُس[12] إلى وَقْتِنا هذا ومَنْ وَلِيَها من بني أُمَيَّةَ وغيرِهم. وذكرتُ مَنْ وَلِيَ بالمشرقِ من بني العبّاس بعدَ المُطيع لله[13] إلى وَقْتِنا هذا –

---

(١) اقرأ: رحالي.

(٢) أناخت (بركت، نزلت) في ذراه (مكانه العالي، السامي) الرحب (الواسع).

(٣) المرع: الخصيب.

(٤) تراخي الأيام: تطاولها. امتدادها. يحول (يعترض) بيني وبينه. قدر (أمر مكتوب على الإنسان) لا يرام (؟ مبني للمجهول من «رام- يريم»: بارح، ترك) لا يستطيع الإنسان أن يتجنّب وقوعه.

(٥) عقال (رباط). التقاضي: مطالبة الغريم (المدين) بما عليه من مال. (والمقصود هنا: المربوط به).

(٦) اقرأ: دونه (دون عليّ بن يوسف بن تاشفين). أو «باب الرجاء به» (بالقدر) دونه مغلق.

(٧) المداد: الحبر الأسود. أعملت: استخدمت (؟ لم أستطع أن أركب جملاً وآتي إليه فركبت الحبر والأقلام: وجهت إليه هذه الأرجوزة).

(٨) الاستمناح: طلب المنح (العطاء).

(٩) العين: المنتخب، النفيس من كلّ شيء. الزهر بفتح ففتح كالزهر بفتح فسكون. المكنون: المخبّأ (لنفاسته) الدرّة (اللؤلؤة).

(١٠) يتغلغل: أسرع، دخل، جرى، تطيّب بالعطر (وهذه المعاني لا توافق المقصود) اقرأ: يتعلعل (بالعين المهملة): يضطرب. يتسلسل (يستمّر ويتشعّب).

(١١) إلّا ما زدّت حلاه (زينته) رونقاً (جمالاً) ومجتلاه (منظره) تألّقاً (لمعاناً).

(١٢) أملاك جمع ملك. الدُرُس (الذين درسوا): فنوا (بضمّ النون)، ماتوا.

(١٣) المطيع العبّاسي (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ).

وهو وقتُ التاريخ الذي ذكرتُه في الأُرجوزة - والإمام الآنَ فيه القائمُ بأمرِ الله[١] ابنِ القادر بالله. وقصدتُّ إلى مَعْنى الاستذكارِ به[٢] لجوامع التاريخ والأخبار وسَلَكْتُ مذهبَ الاختصار، رجاءَ أنْ تُطْلِعَني قريحتي على مَغْزاهُ وتنشَطَ مُنّي إلى قرب مَرْماه[٣]. وقدّمتُ أولاً (في الأرجوزة) مقدّماتٍ من أصولِ الاعتقادات.

- من أرجوزة المتنبّي الجزيري (في الغاية وفي حمد الله وفي العلم والدين والتاريخ) :

... أُهدي من القريض ما نَمّقتُهُ ... إلى رئيسٍ سيّدٍ أمّلتُهُ[٤]؛
في كَلِمٍ كلُؤلؤِ العُقودِ ... أنْظِمُ ما ضَمّنَهُ المَسْعودي
وغيرُه من سائرِ الأئمّهْ ... في كلّ مَنْ وُلِّيَ أمرَ الأمّهْ؛
مُقْتَصِراً منه على عُيونِهِ ... وحاذِفاً للحَشْوِ من فُنونِهِ.
والحمدُ للمُبْتَدِعِ السماءِ ... والأرض ذي الآلاءِ والنَعْماءِ[٥]
وكلّ شيءٍ عندَه معلومُ، ... فَهْوَ الإلَهُ الواحدُ القيّومُ.
إيّاهُ فَاعْبُدْ، أيُّها الإنسانُ، ... فهو اللطيفُ القادرُ المَنّانُ.
عَلَّمنا بالقَلَمِ البَيانا ... حتّى عَلِمْنا قبلُ ما قد كانا[٦].
مِنْ أُمَمٍ بادَتْ بصَرْفِ الأدهُرِ ... أشْهدَنا من ذاك ما لم نَحْضُرِ[٧].
سُبحانَه من واحدٍ قديرِ ... مُصَرِّفِ الأزمانِ والدهورِ.

---

(١) القائم العبّاسي (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ = ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م)، وهذا يدلّ على أنّ المتنبّي الجزيري بدأ نظم أرجوزته باكراً (في أيام يوسف بن تاشفين).

(٢) استذكار (القاموس ٢ : ٣٦): حفظ. جوامع التاريخ: الأحداث الجامعة لمظاهر كثيرة، المهمّة، البارزة.

(٣) مغزاه: خلاصته والمقصود منه. تنشط منّي (قوّتي) إلى مرماه (نهايته): حتّى أجد في نفسي همّة للانتهاء منه (للبلوغ بتدوين الأحداث إلى أيامي).

(٤) سأشرح المختارات من هذه الأرجوزة شرحاً يقتصر على الأمور التي لا تفهم الأبيات إلّا بها.

(٥) الآلاء جمع ألي وإلى: النعمة. النعماء: الاطمئنان والسكون والمال.

(٦) ... ما قد كان من قبل.

(٧) صرف الدهر: أحداثه ومصائبه.

أُفٍّ لقولِ الفِئَــــةِ البَصْرِيّـــهْ أهلِ الهوى والفِرقةِ الغَوِيّهْ[١].
فاحْذَرْ - هداك اللهُ، يا ذا الفَهْمِ - قولَهُمُ واحْـــذَرْ مَقــالَ جَهْمِ[٢].
وقُــلْ بمــا يقولُ أهــلُ الحــقِّ من مُثبِتي صِفاتِ رَبِّ الخَلْقِ[٣].
وكُـــلُّ مـــا تُدْرِكُـــه موجودُ مُؤَلَّــفٌ مُبَعَّــضٌ محــدودُ[٤].
فالجوهرُ الحامــــلُ للأعراضِ، وهو الذي ليس بذي أبْعاضِ[٥].
والعَرَضُ المَحْمولُ كالألوانِ وحَركاتِ الجِرْمِ والإسْكانِ[٦].
أُوصِيكَ، يا مَنْ يطلُبُ العُلوما أن تَعْرِفَ المَوْهومَ والمَعْلومــا.
ولا تَقُــلْ بالمَيْــلِ للتقليــدِ، فذاك رأي الكَوْدَنِ البليدِ[٧].
واتّخِــــذِ العِلْمَ لنَفْسِ العِلْمِ، لا للمُباهــــاةِ ولا للخَصْمِ[٨].
والعِلْمُ، إنْ أردتَّ حَدَّ مَطْلَبَهْ: معرفةُ الشيءِ على ما هُوَ بِهْ.
والعِلْمُ عِلْمانِ، أيَــا مَنْ يبحَثُ: عِــلْمٌ قــديمٌ ثمّ عــلْمٌ مُحْـدَثُ.
إنّ القـــديمَ عـــلْمُ رَبِّ العرْشِ بــاري (البَرِيّاتِ) الشديدِ البَطْشِ؛

(١) الفئة البصرية: المعتزلة (فرقة كانت تقدّم العقل على الرواية الدينية وتقول بأن الإنسان مخيّر يفعل الخير والشرّ بإرادته واختياره).
(٢) جهم بن صفوان (١٢٨ هـ = ٧٤٥ م) قال: إنّ المرء مجبر على أعماله (لأنّ الفاعل الحقيقي لها هو الله). وقال: إنّ الإيمان هو المعرفة بالله فقط، أمّا الكفر فهو الجهل به فقط. وامتنع عن إبداء رأيه في صفات الله (أنكر صفات الله): إنّ علم الله حادث (أي إنّ الله يعمل الأمور بعد أن تحدث تلك الأمور) راجع «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي (القاهرة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م)، ص ١٢٨.
(٣) أهل الحق (من مثبتي الصفات لله): الأشعرية.
(٤) كلّ شيء مدرك بالحواس مركّب من عناصر مختلفة ثمّ هو قابل للقسمة ومحدود (بمكان معيّن وزمان معيّن).
(٥) كلّ موجود له جوهر (أصل ثابت) وعرض (صفات طارئة متبدّلة). الحديد جوهر، فإذا أحمي بالنار أصبحت الحرارة فيه عرضاً (لأنّها تزول). وإذا صبغناه صبغاً أحمر (مثلاً) فلونه الأحمر عرض (لأنّه كان بإمكاننا أن نصبغه بصباغ أصفر أو أزرق، الخ) ليس بذي أبعاض: غير القابل للقسمة أو للتجزّؤ.
(٦) الجرم: الجسم.
(٧) الكودن: البغل.
(٨) الخصم (مصدر): الخصام والمجادلة.

ومُحْـدَثٌ فـذاك عِـلْمُ الخَلْـق   من ناطـقٍ وغير ما ذي نُطْقِ.
وكـلّ عِـلمٍ مُحْـدَثٍ عِلمانِ:   عـلمٌ ضَروريٌّ بـلا بُرهـانِ
كالعِلْمِ أنّ آثْنَيْنِ ضَعْفُ (الواحد)   وأنّـه مـا قـائمٌ (كالقاعـد).
وبعـدَهُ فالعـلْمُ بآسْتِـدْلالِ   والمَنْطِقُ البحثُ عن الأحوالِ(١):
مـا فيـه يَنْظُرُ مَنْ يُفكّرُ   يُدْرِكُ هذا كلُّ مَنْ يَعْتَبِرُ(٢).
وصانـعُ العـالم فردٌ صَمَـدُ،   والصُنْعُ لم يَشْرَكْهُ فيه أحَدُ(٣).
(ثمّ آسْمُ في) التفكيرِ نحو النَفْسِ   تُبْصِرْ قُواها في مَحَلِّ القُدْسِ(٤)
بِحَجْمِ جِسْمِ العـالمِ المُحيـط   والمُسْتديرِ الشَكْلِ ذي التخطيطِ(٥)
وانظُرْ إلى التسخيرِ فيها لازما   يَؤُمُّهـا كما يَؤُمُّ العالمـا(٦)
مِنْ ذاتِها في حالـةِ التصريفِ   (مُنقـادةٌ فيـه) إلى التكليفِ(٧)
لِقُوّةِ العقـلِ الـذي يَحْمِلُهـا   فهْوَ إلى آختيـارِه يَنْقُلُها(٨).
إذْ هو أعـلى رُتبـةً وأشرفُ   منهـا إذا حَصّلْتَهُ وألطَفُ(٩)
لكنّـه تَلْحَقُـهُ الآفـاتُ   من غـيرِه والعَجْزُ والعاهاتُ.
فـدلّ ذاك أن رَبًّـا فوقَـهُ   بايَنَ بالذاتِ والآسْمِ خَلْقَهُ(١٠).

---

(١) بالاستدلال: بإقامة الدليل. المنطق يبحث في أحوال الموجود (ما هو؟ كيف هو؟ أين هو؟ الخ).

(٢) ما= الذي. إذا نظر الإنسان بعقله في شيء من الأشياء أو في أمر من الأمور أدرك (عرف) ذلك الشيء أو ذلك الأمر.

(٣) صانع العالم (الأصحّ: مبدع العالم): الله. فرد: لا ند (مساو) له. صمد: مقصود إليه.

(٤) محلّ القدس (الألوهية): الملأ الأعلى. هذا رأي أفلاطون في وجود النفس مفارقة (مستقلّة عن الجسد).

(٥) كان القدماء يعتقدون أن هذا العالم بمجموعه جسم يشبه جسم الحيوان (الكائن الحيّ) وأن له نفساً كلّيّة تحييه وتحرّكه.

(٦) وهذه النفس الكلّية (التي تحرّك العالم كلّه) هي بدورها مُسَخّرة (خاضعة في أفعالها) للعقل الكلّيّ الذي يدبّر هذا العالم (لأنّ الله عندهم منزّه عن أن يتّصل بالعالم المادّي. من أجل ذلك، وهب الله للعقل قوّة يسيطر بها على العالم). أمّ: قصد. وللعقل أيضاً سلطة على هذا العالم.

(٧) النفس الكلّية تخضع (من تلقاء نفسها) للعقل.

(٨) العقل يقلّب النفس كما يشاء.

(٩) إذْ هو (أي العقل). حصّلته (أدركت كنهه، فهمت أحواله). ألطف (في « مادّته » من مادّة النفس).

(١٠) باين (خالف) خلقه (الذين خلقهم) بذاته (جوهره) كما خالفهم في اسمه (خالق ومخلوقون).

أقولُ قولاً ليس بالمُفَنَّـــــدِ، ولي لسانٌ كَشَبَــا المُهَنّــدِ[١] :
إنّ مقــالَ المسلمــينَ اتّفقــا أنّ إلَــهَ العالمــين خَلَقــا-
من غـيرِ أصـلٍ أو مِثـالِ شيٍّ مُكَوَّنٍ مِنْ مَيّـــتٍ أوْ حَيٍّ-
أبــدَعَ تكوينَ المَبــادي الأُوَلِ بقُــدْرَةٍ عظيمــةٍ لم تَزَلِ[٢].
وكـانَ بدءُ الخَلْقِ في يومِ الأحدْ وتمّ في يوم العَروبةِ العَدَد[٣].....
ونِعمــةُ اللهِ ببَعْـــثِ الرُّسُلِ بِحَمْدِهـا يَنْطِـقُ كلُّ مِقْوَلِ[٤].
أوّلُهُمْ آدمُ الصفيّ، وآخِرٌ محمّـــــدُ النَبيّ
أرسَلَهُمْ طُرًّا لِيَهْـــدوا الناسا مُؤَلِّفــاً بالدعوةِ الأجناسا
فبيّنوا الحــلالَ والحرامــا وأنفَـذوا الأمورَ والأحكامــا
حتّى بدا الصُبْحُ لِذي عينين وأسْمَعوا مَنْ كـان ذا أُذْنَيْنِ.
تأْلَفُهُمْ صحَابــةٌ أمجــادُ أُسْدُ حُروبٍ قـادةٌ أنجـادُ[٥]
حتّى هدى اللهُ بهم مَنِ آهْتدى، لولاهُمُ لأصبحَ النـاسُ سُدى.
ثمّ تَوَلّــى عُمرُ الفــاروقُ فالتأمـتْ من بعـده الفُتوقُ[٦]،
واستعمـلَ البُعوثَ والأجنـادا وألِــفَ الحُروبَ والجِهــادا.
حتّــى أتَتْــهُ مِحنـةُ الشَهـادهْ فهَيّــأَ اللهُ لــه السعــادهْ.
فصَيّرَ الشورى إلى أصْحابـــهِ سِتَّتِهِمْ (إذ كـان) يشكو ما به[٧].

---

(١) فنّد فلان قول فلان (كذّبه، أبطله). الشَبا: الحد. المهنّد: السيف (يفصل في الأمور بلا تردّد).

(٢) أبدع: أوجد من العدم. المبادىء الأول (المبادىء العالية): العقول والنفوس السماوية (التهانوي ١ : ١٠٦ س)، ولعلّها هنا: العقل والنفس والصورة والمادّة والعلّة.

(٣) بقدرة الله القديمة والتي لا تزال باقية له.

(٤) المقول: اللسان.

(٥) الأمجاد جمع مجيد (الذي له مجد: شرف ومكانة). والأنجاد جمع نجد (بفتح فكسر أو بفتح فضمّ): الرجل ذو العزيمة الماضي في الأمور.

(٦) عمر الفاروق بن الخطّاب. التأم: اجتمع. الفتوق (الشقّ) الذي حدث بعد وفاة الرسول من الردّة (العصيان للسلطة المركزية للخلافة في المدينة).

(٧) لمّا طُعن عمر بن الخطّاب عيّن ستّة من الصحابة (عثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله =

فآثروا عُـــثمانَ بالخِلافـــهْ، وكـــان للإلّـــهِ ذا مخافـــهْ.
بُؤساً لِقومٍ قتلوا عُثمانـــــا إذْ نَقَموا اسْتخلاصَه مُروانا[١].
ثمّ تولّاهـــا أبو السِبْطـــينِ الحَسَنِ (الإمـــامُ) والحُسين:
عـلِيٌّ ذو العِلمِ وذو الشجاعـهْ والزهدِ في الدُّنيا وذو البراعهْ.
وثـــارتِ الحُروبُ بالخَوارجِ - أصلاهُمُ بالنارِ ذو المَعارجِ [٢].
ثمّ عـليٌّ (قـد نَحـا) مُعاوِيَـهْ فاضْطَرَبَ الأمرُ بعَمْرِو الداهيهْ[٣]
فاجتمعوا للحرب في صِفّينـــا وأيْتَموا البنـــاتِ والبَنيـــا
ودامَ في حُروبِـــهِ عـــلِيٌّ حتّـــى دَهـــاه حـادثٌ دَهِيٌّ،
حين (أُصيب من) يَدِ ابْنِ مُلْجَمِ (وخُضِّـبَ) المَفرِقُ منه بالدَّمِ.
تَبًّـــا لــه من خارجيٍّ فاسقِ خالفَ في التَنْزيل أمرَ الخالقِ،
فاغتالَـــهُ وهو يُنـــادي سَحَرا قوموا إلى الصلاة يدعو مُنْذِرا.
ثمّ تولّـــى الحَسَنُ الإمامـــه فَمُنحَـــتْ بِيُمْنِـــهِ السلامـــهْ.
فَحَقَنَ اللهُ بـــهِ الدِمـــاءَ وأذهَـــبَ المِحْنَـــة والـلأْواءَ[٤].
(إذْ) سلّمَ الأمرَ إلى مُعاوِيَـــهْ - حياتَـهُ - وصارَ عنها ناحِيهْ[٥].
فسار فيهـــا ٱبْنُ أبي سُفيـــانِ بسيرةٍ للعـــدلِ والإحسانِ[٦]

= والزبير بن العوّام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص) وكانوا يطمحون إلى الخلافة وأَمَرَهم؛ إذا هو مات، أن ينتخبوا واحداً منهم للخلافة. بعد أن يتشاوروا فيا بينهم.

(١) لّما تولّى عثمان الخلافة (بعد عمر بن الخطّاب) جعل مروان بن الحكم كاتباً له (وزيراً ومستشاراً) وكان مروان هذا يسمّى (طريد رسول الله)، لأنّه كان أوّلاً من كتبة الوحي ثمّ اتُّهم في أمانته. وكان مروان مستبدًّا بكثير من أمور عثمان.

(٢) أصلاهم (أحرقهم) ذو المعارج (الله) بالنار.

(٣) نحا: قصد. كان عمرو بن العاص أحد دهاة العرب، وكان يمالىء معاوية بن أبي سفيان على عليّ بن أبي طالب لأن معاوية كان قد وعده بالولاية على مصر مدى الحياة وعلى أن تكون مصر طعمة (بالضمّ) له (بأن يكون خراجها أو ضرائبها له).

(٤) المحنة (المصيبة على المسلمين بالاقتتال بين الصحابة على الخلافة). اللأواء: الشدّة والضيق.

(٥) اعتزل الخلافة ودفعها إلى معاوية.

(٦) ابن أبي سفيان: معاوية.

وكـان فرْداً في النُهـى والحِلْمِ … حتّـى رمـاه حَيْنـه بسَهْمِ[١].
فانتقـــل الأمرُ إلى يزيـــدِ … فحـادَ عنْ مَناهـجِ التسديـدِ[٢]
مُجْتَرِمـــاً في قَتْلـهِ الحُسينـا … وجاء في الحَرَّةِ فِعْلًا شَيْنا[٣].
وغَلَـبَ البُغـاةَ عبـدُ المَلـكِ … بالحَزْمِ والجِدِّ وعَزْمٍ مُوشِكِ[٤].
وقـد تَوفّـاهُ مُزيـلُ مُلْكـهِ … فَوَلِّيَ الوليـدُ بعـدَ هُلْكـه.
وكـان في السيرة لَدْنـاً لَيْنـا … مُسْتَمْسِكاً حتّى أُذِيقَ الحَيْنا[٥].
وقـد بنـى الجامعَ في دِمَشْقِ … مُقتصداً في ذاك وَفْقَ الصِدْقِ.
في وَقْتـــهِ فتَّـــحَ أندلوسا … طـارقُ مَوْلى ابنِ نُصيرٍ موسى.
في عـامِ تِسعـينَ مَضَتْ واثنـينِ … ثمّ سقاهُ الدهرُ كأسَ الحَيْن.....
ثمّ تولّـى الأمرَ، بعـدُ، عُمَرُ … وكـان في العدل إماما يُؤثَرُ[٦]
زُهْـداً وعِلماً واعتـدالاً وتُقـى … حتّى اغْتَدى في الأمرِ فَرْداً مُنْتَقى
قفـا سبيـلَ جَـدّهِ الفـاروقِ … ودَحَـضَ الباطـلَ بالحُقوق[٧].
وانقرضَ الأمـلاكُ من أُميَّـهْ، … والموتُ قَصْرُ كُلِّ نفسٍ حيّهْ[٨]....

---

(١) فرداً: لا شبيه له في النُّهى (العقل) والحلم (سعة الصدر). الحين (بالفتح): الموت.

(٢) حاد: مال. التسديد: الاستقامة والصواب.

(٣) كان قتل الحسين بن عليّ في أيامه جرماً هو المسؤول عنه. وكانت وقعة (معركة) الحرّة قرب المدينة، وبعد الانتصار في تلك المعركة أباح مسلم بن عقبة المرّيّ (قائد الحملة) المدينة (بالاستيلاء على أموالها ونسائها). الشين: العيب.

(٤) البغاة: الطالبون (للخلافة)، لأنّ مروان بن الحكم (والد عبد الملك) كان لمّا تغلّب على خصومه في معركة مرج راهط وحاز الخلافة دونهم، قد أرضى نفراً منهم بأنّ سمّاهم أولياء للعهد يأتون إلى الخلافة بعده (كان قد قطع لكلّ واحد منهم عهداً، في ستر عن الآخرين).

(٥) اللدن: الطريّ. اللين بتسكين الياء كاللّين (بتشديد الياء). الحين (بالفتح): الموت.

(٦) عمر بن عبد العزيز. آثر فلان فلاناً: فضّله (على غيره).

(٧) كان عمر بن عبد العزيز سبط (بالكسر) عمر بن الخطّاب، كانت أمّه بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب. دحض: أبطل، أزال. بالحقوق (بردّ الحقوق إلى أصحابها)- كان أهل البيت المالك من الأمويّين يتناولون رواتب من بيت المال فمنع عمر بن عبد العزيز ذلك.

(٨) الأملاك: الملوك (جمع ملك). قَصْر: غاية، نهاية (في الذخيرة ١: ٩٣٣ قصرى، وليست هذه في القاموس ولا في تاج العروس).

فصــار في الأمرِ بنو العبّــاسِ ولم يكن في حُكْمِهم من بـاس .
وصُيِّرَ الأمرُ إلى المنصورِ فأحكَمَ التدبـــــــيرَ للأمورِ ،
إذ كــــان ذا سياسةٍ وحَزْمِ مُسَدَّدَ الرأيِ قويَّ العَزْمِ .
وصــار هرونُ الرشيـدُ تاليَـا للمَلِـكِ الهـادي إمامـاً واليـا[1]
فشَيَّـدَ المُلْـكَ وأعـلى كَعْبَـهُ حزمـاً وعزمـاً وأذلّ صَعْبَـهُ .
واستوزَرَ البَرامِـكَ الأمجـادا فاستَوْثَـقَ المُلْـكُ بِهِمْ وزادا[2]
حتّـى دهاهُمْ حـادثُ الأيـامِ ، وكـلُّ عيشٍ فـإلى انْصِرام .
وجاءهــا المأمونُ عبـــدُ اللهِ فانزاحَ عنهـا كلُّ أمرٍ داهِ[3] .
حتّـى اغْتَدَتْ في زينةِ العَروسِ وغـاب عنها كوكَبُ النُحوسِ ،
إذ بايــعَ النــاسُ لـه وسَلّموا فأشْرَقَ الدهرُ وكـــاد يُظْلِمُ .
وكـــان في سيرتـــهِ المأمونُ عَـدْلاً رِضاً لـه تُقًـى ودينُ ،
ذا بَصَرٍ بالعِـــلم والكـــلامِ مُفَوَّهـــاً بالنَثْر والنظـــام[4] .
وصُيِّرَ المُلْـــكُ إلى المُعْتصمِ فأحسن السيرَةَ (إذْ لم) يَظْـلِمِ .
فاستفتـــح المعتصمُ العَمّوريَـــهْ ثمّ أراد غَزْو قَسْطَنْطِينيَــــهْ[5] .
فعاقَـــه عن ذاك أمرٌ مُزعِـجُ من ثائرٍ قـام عليـه يَخْرُجُ[6] ،
وأنّ الأفشينَ بـــدا من كُفْرِهِ مـا كان قد أجَنّه في صَدْرِهِ[7] .
وقَتَـــلَ المُعتصمُ الأفشينـــا إذ كـان بالبَغْي يَكيدُ الدِينـا :

---

(١) موسى الهادي أخو هرون الرشيد وسلفه في الخلافة.
(٢) الأمجاد جمع مجيد: ذو المجد (الشرف والمكانة). استوثق: أخذ وثيقة من شخص (المقصود « ثبت »).
(٣) الداهي: المصيب (الذي يأتي بمصيبة).
(٤) الكلام= علم الكلام (وكان المأمون معتزليًّا يرى تقديم العقل على الرواية الدينية). المفوّه: حسن القول، القادر على الكلام الجيد. النظام: نظم الشعر.
(٥) كان ملوك الروم (في أيام الدولة الأموية) من مدينة أموريوم (في آسيا الصغرى، على مقربة من أنقرة).
(٦) هذا الثائر كان بابكاً الخُرّمي.
(٧) الأفشين (حيدر بن كاوس) كان قائد الجيش العبّاسيّ (ولكنّه كان يمالىء بابكاً الخُرّمي لأنّه كان في الحقيقة يبطن الكفر ويظهر الإسلام). أجنّه: كتمه.

أحرَقَهُ بالنارِ لمّا أنْ بَغى، وهكذا يَجْزي الإلَهُ من طَغى.....
ثمّ انْتَهى مُلْكُ بني العبّاسِ ودَبّرَ الأتراكُ أمرَ الناس[١].
واستوثَقَ المُلْكُ بهذي الناحيهْ لعابدِ الرحمن بِنْ معاويهْ[٢]،
وبعدَه الناصرُ ذو البِناءِ، خمسينَ عاماً، صاحبُ الزهراءِ[٣].
وبعدَه المُسْتنصرُ بنُ الناصر، وبعدَه هِشام آل عامرِ[٤].
لمّا انقضتْ دولةُ آلِ عامرِ قام بها مَهْدِيٌّ آلِ الناصرِ[٥]
فأظلمت في عَصْرِهِ الآفاقُ وعَمّها الشِقاقُ والنِفاقُ[٦].
ولم يَزَلْ فيهم سُليمانُ يَلي حتّى انبرى له ابنُ حمّودٍ علي[٧].
فاستوثَقَ الأمرُ له والطاعهْ وكان- فيما زعموا- تلقاعهْ[٨].
فاغتالهُ الصَقْلَبُ في الحَمّام وجرّعوه أكْؤسَ الحِمام.
ثمّ انقضى (عهد) بني حمّودِ والحربُ والفِتنةُ في مزيد.
وظهر المُستظهر المَرْواني وشِعْره من أحسن المعاني.

---

(١) الأتراك (يقصد الشاعر دويلات المشرق: السامانية والغزنوية؟).

(٢) استوثق (ثبت) الملك (الحكم) بهذي الناحية (في الأندلس) لعبد الرحمن الداخل (بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان). سمّي الداخل لأنّه كان أول من دخل الأندلس من أمراء بني أميّة بعد سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العبّاس.

(٣) عبد الرحمن بن محمّد المقتول بن عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل. وعبد الرحمن الناصر (الثالث) أوّل من تسمّى بلقب خليفة في الأندلس وكانت أيامه أيام قوّة وعزّ وازدهار. بنى قصر (مدينة) الزهراء.

(٤) الحكم المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر وخلفه في الخلافة. هشام آل عامر: هشام المؤيّد (بن الحكم المستنصر وخليفته) جاء إلى الخلافة صغيراً فاستبد بأموره المنصور بن أبي عامر (الحاجب: رئيس الوزراء) بأموره، ثمّ استبد بأموره أيضاً ابنان للمنصور بن أبي عامر.

(٥) المهدي هو محمّد بن هشام، الحادي عشر في سلسلة الجالسين على عرش الأندلس.

(٦) في أيامه بدأت الفتنة (القتال على الخلافة) بين العرب والبربر.

(٧) سليمان المستعين جاء إلى عرش الأندلس بعد محمّد المهدي واتّسعت الفتنة في أيامه. عليّ بن حمود استبد بأمر قرطبة وحكم مستقلاً.

(٨) تلقاعة (في القاموس ٣: ٨٢) بكسر التاء واللام وتشديد القاف: الكثير الكلام، الأحمق، الداهية. ولا تستقيم في الوزن هنا إلّا بسكون اللام.

وقتلوه بعـــــدَ ذاك صَبْرا من بعـد مـا قلّـدوه الأمرا[1]
فبايعوا للناصرِ المُسْتكفي بعدَ خُطوبٍ طال فيها وصفي[2].
ففَرّ عنهـا ثمّ عـاد المُعتـلي بـاللهِ يحيـى نجلُ حَمّودٍ علي.
ثمّ أتـى من بعـدِه المُعْتَـدّ والحربُ في أقطارِهـا تشتـدّ[3]،
فنَقَموا استخلاصـه للحائـكِ وزيرِه، فخرَّ أيَّ هالــكِ[4].
وخلعوا مُعْتَدَّهُمْ هِشامــا وسجنوه عندَهم أعوامــا.
لمّا رأى أعـلام أهـلِ قُرطبهْ أنّ الأمورَ عندهم مُضْطربـهْ،
(إذْ) عُدِمَـتْ شاكلـةٌ للطاعـهْ فاستعملـتْ آراءهـا الجماعـهْ[5]
فقدّموا الشيـخَ مِنَ آلِ جهورِ المكتـــني بالحَزْمِ والتَدَبُّرِ[6]
ثمّ ابنَـه أبـا الوليـدِ بعـدَه وكـان يحدو في السَّداد قَصْدَهُ[7].
فجاهَرَتْ في فَضْلِهـا الجهاورهْ وكـلّ قُطْرٍ حلّ فيه (فاقرهْ)[8]:
(في كـلّ قطرٍ) منتزٍ (أو) ثائرُ وعـادلٌ عن كلِّ عدلٍ جائرُ[9].
وابنُ يعيشَ ثـارَ في طُلَيْطُلَـهْ، ثمّ ابنُ ذي النونِ تَصَفّى المُلْكُ لَه.
وفي بَطَلْيَوْسَ انتزى سابورُ وبعــدَه ابنُ الأفطسِ المنصورُ.

– وله من أرجوزة في تاريخ الأندلس: عدد من ملوك الطوائف ثمّ مجيء المرابطين:

---

(١) قتلوه صبراً (بحبسه بلا طعام حتّى مات جوعاً).
(٢) محمّد المستكفي (جاء إلى العرش سنة ٤١٤ هـ).
(٣) هشام المعتدّ آخر الخلفاء في الأندلس.
(٤) الحكم بن سعيد القزّاز (قتل ٤٢٢ هـ) كان حائكاً في قرطبة ثمّ توصّل إلى أن أصبح حاجباً (رئيساً للوزارة) لهشام المعتدّ. فاستبد بالأمور وأساء السيرة في الناس.
(٥) الشاكلة: القاعدة، الطريقة (؟). الجماعة: رؤساء الناس.
(٦) هو أبو الحزم جهور بن محمّد بن جهور كان وزيراً ثمّ لمّا اضطرب أمر الأندلس استبدّ بأمور قرطبة.
(٧) كان ابنه يسير في ضبط الحكم مثل سيرته.
(٨) الجهاورة (المتوالون في حكم قرطبة من آل جهور). فاقرة: داهية، مصيبة كبيرة (كلّ بلد في الأندلس استبدّ به رجل).
(٩) المنتزي: العاصي على الدولة. عادل: مائل، منحرف. جائر: ظالم.

وثـــارَ في حِمْـص بنو عَبّـادِ والحربُ والفتونُ في ازْدِيـادِ[١].
وشاعَ عن هِشامٍ المُؤيَّـــــدِ بأنّـــه حيٌّ ولمّا يُلْحَـدِ[٢]،
وأنّـــه جـــاء من الحِجـــاز واحتـلّ في حمصٍ على المجاز[٣].
وقـــال عبّـــادٌ بـــهِ فصدّقوا بأنّـــه حيٌّ لَدَيْـــهِ يُرزَقُ[٤].
فنصبوا دَعْوتَـــــه طِلَّسْا وقـد مَحا المَماتُ منه الرَسْا[٥].
فعبـــدوه مُـــدّةً أعوامـــا إذ عَدِموا الألبابَ والأحلاما[٦].
ثمّ نَعـــاهُ بعـــدَ ذا عبّـــادُ من بعدِ ما طاعتْ له البِلادُ[٧].
وثـــار في غَرناطـــةٍ حَبّوسُ ثمّ ابنــــهُ من بعـــدِه باديسُ.
وآلُ مَعْنٍ مَلَكوا المَريّـــــهْ بِسيرةٍ محمودةٍ مَرْضِيّـــــــه.
ذِكْرُهُمُ في غـــيرِ مـــا قصيدِ يُشْرِقُ منـــه النَحْرُ بالفَريـدِ[٨].
وثـــارَ في (شَرْقِيِّهـــا) الفِتْيـــانُ العامريّونَ مِنْهُمُ خَيْرانُ[٩].
ثمّ زهـــيرٌ والفـــتي لبيـــبُ ومنهُمُ مُجاهـــدُ اللبيـــبُ.
سلطانُـــه رسا بمَرْسى دانِيَـــهْ ثمّ غزا حتّى إلى سَرْدانيه[١٠].
ثمّ أقامـــتْ هـــذه الصقالبـــهْ لابنِ أبي عامِرِهِمْ بِشاطِبَـــهْ[١١].
وجُـــلُّ مـــا مُلِّكَـــهُ بَلَنْسِيـــهْ. وثـــارَ آلُ طاهرٍ بمُرْسِيَـــهْ.
ثمّ تمادتْ هـــذه الطوائـــفُ تَخْلِفُهُمْ من آلِهِمْ خوالِـــفُ.

---

(١) حمص (إشبيلية لشبهها بحمص في الشام). الفتون: الفتنة. الفتوق جمع فتق: الخلاف.
(٢) لمّا يُلحد: لم يدفن بعد.
(٣) على المجاز (على ضفّة النهر مستعدًّا للجواز إلى قلب إشبيلية؟).
(٤) أبو عمرو عبّاد (المعتضد) بن محمّد، ملك إشبيلية (ابتداء من ٤٣٣ هـ).
(٥) الطلّسم: العوذة (بالضم)، التميمة (اتّخذوا اسمه حجّة للحكم).
(٦) عبده الناس (أطاعوه وانقادوا له). اللب (بالضمّ) والحلم (بالكسر): العقل.
(٧) وبعد أن استقرّ أمر عبّاد في حكم إشبيلية نعى هشاماً (أعلن موته).
(٨) النحر: أعلى الصدر. الفريد: اللؤلؤ.
(٩) الفتيان: موالي (عبيد) العامريّين (المنصور بن أبي عامر وأهله).
(١٠) رسا: استقرّ. سردانية جزيرة إيطالية.
(١١) الصقالبة (من العرق السلافي) كانوا موالي في خدمة العامريّين وغيرهم.

وإذْ أرادَ اللهُ نصرَ الـــــدينِ		اِستصرخ النـاسُ ابْنَ تاشَفينِ[1]،
فجاءهم كالصُبْـحِ في إثْرِ غَسَقْ		مُتَّئِداً كالماء يُنْقى من رَنَقْ[2].
وافـــى أبو يعقوبَ كالعُقـــابِ		فجرّدَ السيــفَ عن القِرابِ[3]،
وواصـــلَ السيرَ إلى الزلاّقـــهْ		وساقَــهُ لِيَوْمهـا مـا ساقـه[4].
للهِ درُّ مِثْلِهــــا من رُقْعَـــــهْ		قامتْ بنصرِ الدين يومَ الجُمْعهْ.
وثُـــلَّ للشِرك هُنـــاكَ عَرشُهُ،		لم يُغْنِ عنــهُ يومَهـا أُذْفُنْشُهُ[5].
فَوَجَـــبَ الخَلْـعُ لـدى الجَماعَـهْ		وصرّحوا ليوسفٍ بالطاعـــه[6].
فاتّصـلَ الأمرُ عـلى النِظـامِ		وامتـــدّ ظِـــلُّ اللهِ للإسلام.

٤ - ★★ المغرب ٢ : ٣٧١ - ٣٧٢؛ الذخيرة ١ : ٩١٦ - ٩٤٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٩٣ - ٩٧؛ نفح الطيب ١ : ٦٧١ - ٦٧٢، ٣ : ١٨٢؛ نيكل ٢٣٨؛ مختارات نيكل ١٦٠؛ الاعلام للزركلي (٣ : ٢٧٤).

أبو بكر الطُرطوشيّ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ الوليدِ بنِ محمّدِ بن خَلَفِ بنِ سُليمانَ بن أيّوبَ الفِهْريُّ الطُرطوشيُّ، نِسبةً إلى طُرطوشةَ (وهي مدينة في الشمال الشرقيّ من الأندلس على نهر أبْرُه قريباً من مَصَبّه)؛ ويُعْرف أيضاً بابن أبي رَنْدَقَة.

وُلِدَ أبو بكرٍ الطُّرطوشيُّ في طُرطوشةَ، سَنَةَ ٤٥١ هـ (١٠٥٩ م). وعاش في

(١) استصرخ الناس ابن تاشفين (استنجدوا بيوسف بن تاشفين).
(٢) إثر: بعد. غسق: ظلام (محنة من هجمات النصارى الإسبان على البلدان الإسلامية). الرنق: الكدر (الوحل في الماء).
(٣) أبو يعقوب (يوسف بن تاشفين). القراب: غمد (بالكسر) السيف.
(٤) الزلاّقة (راجع، فوق، ص ١٧). ساقه ليومها ما ساقه (جاء به إلى الزلاّقة حرصه على دفع الشرّ عن المسلمين في الأندلس).
(٥) ثلّ: هدم. الأذفنش: اسم عدد من ملوك الإسبان (وقد استخدم أيضاً لقباً). المقصود هنا ألفونس السادس ملك قشطالة (كاستيل).
(٦) أهل الأندلس خلعوا عنهم طاعة ملوك الطوائف ثمّ دانوا (أطاعوا في الحكم) ليوسف بن تاشفين.

سَرَقُسْطة مُدّة ودَرَس فيها وفي إشبيلية. وفي سَرَقُسْطَةَ صَحِبَ أبا الوليد الباجيَّ (٤٠٢ - ٤٧٣ هـ) مدّةً يسيرة وأخذ عنه شيئاً من مسائل الخِلاف.

وفي سَنَةِ ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) رَحَلَ إلى المشرق فحَجّ ثم دخل العراقَ فتفقّه في بَغدادَ على أبي مَكْرَمِ بنِ أحمدَ الشاشِيّ (ت ٥٠٧ هـ) وسَمِع في البصرة من أبي عليّ التُسْتُريّ (ت ٤٧٩ هـ) وزار القُدْسَ. بعدئذٍ جاء إلى الشام وسكن دِمَشْقَ وتطوّفَ بين مُدُنِها. ثمّ انتقل (٤٨٨ هـ) إلى مصر وسكن رَشيدَ مدّة ثمّ استقرّ في الإسكندرية وقَعَدَ فيها للتدريس. وفي الإسكندرية تزوّج امرأةً مُتعبّدةً مُوسِرةً وَفّرتْ عليه كثيراً من السَعْي في سبيل تكاليف الحياة.

وجاء الطُّرطوشيّ إلى القاهرة وزار الأفضلَ بن بَدْرٍ الجَمّالي وزيرَ الفاطميّين (٤٩٥ - ٥١٥ هـ) زيارةَ نصيحةٍ وعِتابٍ أغضبتِ الأفضلَ. ولكنّ الأفضلَ أكرمَ الطرطوشيّ. وبعدَ مدّةٍ يسيرةٍ في الأغلب (في مَطلَع سَنَةِ ٥١٥ هـ) استدعى الأفضلُ أبا بكرٍ الطرطوشيَّ وأوجبَ عليه إقامة قَسْريّة. وفي آخرِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥١٥ مات الأفضل فخلفه في الوزارة أبو عبدِ الله محمّدٌ المأمونُ المعروفُ بالبطائحي (قتل ٥١٩ هـ) فأطلقَ سَراحَ الطُرطوشيّ. فعاد الطُرطوشيّ إلى الإسكندرية.

وكانت وفاةُ الطرطوشيّ في الإسكندرية، في ٢٦ من جُمادى الأُولى من سَنَةِ ٥٢٠ (١٨/ ٦/ ١١٢٦ م).

٢ - أبو بكر الطُرْطوشي عالمٌ حافظٌ مُحَدِّثٌ فقيهٌ وأديب ناثر وشاعر ومؤلّف. له شعرٌ وَسَطٌ في الزّهد والحِكْمة وله عددٌ من التصانيف، إلّا أن شُهرَتَه تقومُ على كتابه «سِراج الملوك» وقد ألّفه في الإسكندرية في مَدى عامٍ واحدٍ وانتهى من تأليفِه في رابعَ عَشَرَ رَجَبَ من سَنَةِ ٥١٦ (١٩/ ١١/ ١١٢٢ م) وقدّمه للبطائحيّ.

وأبو بكرٍ الطرطوشيُّ مصنّفٌ مُكْثِرٌ واسع الدِراية له تصانيف منها: «اختصار الكشف والبيان في تفسير القرآن» (للثعلبي النيسابوري المتوفّى سَنَةَ ٤٢٧ هـ) - اختصار «كتاب أخلاق رسولِ الله» (لأبي محمّدٍ عبدِ الله بن جعفرِ بنِ حَيّانَ) - كتاب الأسرار (في حقيقة العقل وأقسامه ومداركه) - الكتاب الكبير في مسائل الخلافيّات

(أو التعليقة[١] الكبيرة في الخلافيات[٢]) - حاشية على إثبات الواجب - شرح رسالة أبي زيد القيروانيّ - النهاية في فروع[٣] المالكية - تحريم الاستمناء - منتخب من عيون خصائص العباد - نزهة الإخوان المتحابّين في الله - كتاب الدعاء - العدّة عند الكَرْب والشِدّة - الكلام على الغنى والفقر - كتابٌ يُعارض فيه الغزّالي (يأخذ على الغزّاليّ عدداً من آرائه في التصوّف وفي الفلسفة ثمّ يَنْسِبه في بعضها إلى الابتداع، ويبدو أنّه يخالف الغزّالي في إباحة السَماع أو الغناء والعزف) - كتاب الحوادث والبِدَع (أو بدع الأمور ومُحْدَثاتها) - تحريم الغناء واللهو على الصوفية في رقصهم وسماعهم - رسالة في تحريم جُبْن الروم (الجُبْنة التي يصنعها اليونان ثمّ يصدّرونها إلى مصر) - كتاب الفتن - رسالة إلى يوسف بن تاشفين (فيها عددٌ من النصائح في التزام أمور الدين وترك البدع) - كتاب برّ الوالدين - نفائس الفنون - سراج الملوك.

وأشهرُ كتبِ الطرطوشيّ - لعلّه أهمُّها أيضاً - كتابُ سراج الملوك، وهو يبحث فيه في الاجتماع والتاريخ ويريدُ أن يُهَذِّبَ نفوسَ الحُكّام من طريقِ العِظة وضَرْبِ الأمثال. وهو لا يفرّقُ بينَ السُلوك السياسيّ ومبادىء الأخلاق ويعتقد أن صلاحَ الرعيّة من صلاح الملوك (الحكّام). وأسلوبُه فيه سَهْلٌ كثيرُ الاقتصادِ بالمُحسِّنات اللفظيّة قليلُ المبالغة في كلِّ شيءٍ، وهو يمزُجُ فيه النثرَ بشيءٍ من الشعر.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو بكرٍ الطُرطوشيُّ في حالِ الزّهاد ونظرهم إلى هذه الدنيا:

إنّ للهِ عِبــــاداً فُطُنــــا ... طلّقوا الدُّنيا وخافوا الفِتَنا[٤].

نظروا فيهــا، فلمّـا عَلِموا ... أنّهـــا ليستْ لِحَيٍّ وَطَنــا

(١) التعليقة: ما يعلّقه الطالب عن شيوخه (دفتر يدوّن فيه الطالب ما يسمعه من أساتذته).

(٢) الخلافيّات: ما يختلف فيه أصحاب المذاهب.

(٣) في أمور الدين العملية: (العبادات والمعاملات). الفروع غير الأصول.

(٤) الفطن (بضمّ فسكون جمع فاطن وفطين ثمّ جمع فطن (بكسر وبفتح الخ): ذو فهم وعقل. والفتنة (بالكسر): المحن، الابتلاء، الاختبار والإعجاب بالشيء والضلال والاقتتال والنزاع والشقاق.

جَعلوهــــا لُجّـــــةً وآتّخـــذوا   صالــحَ الأعمالِ فيهـا سُفُنـا[١]!

– وممّا ينسب إليه:

إذا كُنْــتَ في حاجــةٍ مُرْسِلاً،   وأنـــــتَ بإنْجازِهــــا مُغْرَمُ،
فأرْسِلْ بأكْمَـــــهَ خَلّابَــــةٍ   بــــــه صَمَمٌ أغْطَشٌ أبْكَم[٢]
ودَعْ عنــكَ كــلَّ رَسولٍ سِوى   رسولٍ يُـقــالُ لـــه الدِرْهَم!

– لأبي بكرٍ الطُرطوشيّ قِطعةٌ عبّرَ فيها عن عددٍ من المعاني نثراً ثمّ أعادَ هذه المعانِيَ وأمثالَها شِعراً، هي التي تلي (ولَعله جاء بهذه المعاني على طريقةِ الصوفية):

يا بُنَيَّ، إذا هاجَ شوقي وتضعضعَ آصطباري واضطربتْ عزائمي وآضطرمتْ بَلابلي[٣] أُسَرِّحُ طَرْفي[٤] فلا أراكُمْ، وأستقبل الرُكبان فلا ألقاكُمْ. فلا نَسيمُكم أشُمُّه، ولا شخصُكَ أعْتَنِقُه وأضمُّه، ولا وجهُكَ أستدنيه وألتزمُه. وأبسُطُ كفًّا وأرفعُ إلى السماء طَرْفاً وأذْرِفُ الدموعَ ذَرْفاً، وأقولُ كما قال من فَهِمَ عنِ اللهِ أمْرَهُ ولم يُعارِضْ قَضاءه وقدرَهُ– لِمَا آبتُلِيَ به من أحبابِه وصَبَرَ على بَلائه–: «فَصَبْرٌ جميلٌ، واللهُ المُستعانُ على ما تَصِفون»[٥]. يا بُنَيَّ، كُلَّما ذكرتُك هاج شوقي إلى رؤيتكم، ألْحَظُ النَجْمَ الذي تَلْحظُونه. وأنا أقول:

أُقَلِّـــبُ طَرْفي في السماء تَرَدُّداً   لَعَلّي أرى النجمَ الـذي أنتَ تَنْظُرُ؛
وأَسْتَعْرِضُ الرُكْبـانَ في كلّ وِجْهَةٍ   لَعَلّي بِمَنْ قـد شَمّ عَرْفَك أظفَرُ[٦].
وأَسْتَقْبِـلُ الأَرْياحَ عند هُبوبِها،   لَعَــلّ نسيمَ الريـح عنك يُخَبِّرُ؛
وأمشي، ومـا لي في الطريق مآربٌ،   عَسى نَغْمَةٌ باسمِ الحَبيب سَتُذْكَرُ[٧].

---

(١) جعلوها (عدّوها، حسبوها) لجّة (جانب من البحر).
(٢) الأكمه (الذي ولد أعمى، ولكن) خلّابة (خدّاع). صمم (فقدان السمع) أغطش (به ضعف في البصر) أبكم (أخرس).
(٣) البلبال: شدّة الهمّ والوسواس.
(٤) الطرف: البصر.
(٥) من القرآن الكريم ١٢ : ١٨، سورة يوسف.
(٦) العرف: الرائحة الطيّبة.
(٧) مأرب: حاجة.

وألْمَحُ من ألْقاه مِنْ غيرِ حاجةٍ، عسى لَمْحَةٌ من حُسْنِ وَجْهكَ تُسْفِرُ[١].
ومَنْ ظَلّ في عيدٍ يُسَرُّ بأهلِه فما لي من الأهلينَ إلا التحيُّرُ.
وإنْ زارَ إلْفاً إلْفُهُ زُرتُ منزِلاً وحَوْلِيَ من أهلِ الحفيظة معشرُ[٢].
يُضاحك في ذا العيدِ كُلٌّ حبيبَه، وما لِيَ مِنكم مَنْ أُناجي وأنظُرُ[٣].
يثوب إلى الأوطانِ من كان غائباً وما لي من الأوطان إلا التذكُّرُ[٤].
ويأوي إلى الأحباب من كان حاضراً ومِنْ دون أحبابي لَيالٍ وأشهُرُ[٥].
كأنّا خُلقنا للنوى، وكأنّما على شَمْلنا خُطَّتْ من البَيْنِ أسطُرُ[٦].
أأحبابَنا، هل يجمعُ اللهُ شمْلَنا عسى نَلْتقي قبْلَ المَات ونحضُرُ!
أما حَذرَ الواشي من الدهرِ صَرْعةً؟ فللدهرِ واشٍ لا ينامُ ويسهَرُ[٧].

- من مقدّمة «سِراج الملوك» للطُرطوشيّ:

إنّي لـمّا نظرتُ في سِيَرِ الأُممِ الماضيةِ والملوكِ الخالية وما وَضَعوه من السِياسات في تدبيرِ الدُّوَلِ والتزموه من القوانين في حِفْظ النحَلِ[٨]، وجدتُ ذلك نوعينِ: أحكاماً وسِياساتٍ. فأمّا الأحكامُ المُشْتَمِلَةُ على ما اعتقدوه من الحَلال والحَرام والبُيوع والأنْكِحَةِ والطَّلاقِ والإجاراتِ ونَحْوِها والرُسوم [٩] الموضوعة لها والحُدود[١٠] القائمة على مَنْ خالفَ شيئاً منها فأمرٌ اصطلحوا عليهِ بعُقولهم، ليسَ على شيءٍ منه بُرْهانٌ ولا أنزلَ اللهُ به مِنْ سُلطانٍ[١١]، ولا أخذوه عن تدبيرٍ[١٢] ولا ٱتّبعوا فيه رسولاً. وإنّما

(١) .... لعلّي أرى شيئاً شبيهاً بجمالك في وجوه الآخرين.
(٢) الحفيظة: البغضاء.
(٣) ناجاه: ساررَه.
(٤) ثاب: رجع.
(٥) ومن دون أحبابي ليالٍ وأشهر (هم بعيدون عنّي جدّاً).
(٦) النوى: البعد. البين: الفراق.
(٧) صرعة: قتلة.
(٨) النحلة (بالكسر): الدين، العقيدة (العقيدة الفرعية من الملّة أو الدين العامّ).
(٩) الرسم: الطريقة التي يجري عليها تصريف الأعمال.
(١٠) الحدّ: العقاب، القصاص.
(١١) ما أنزل الله بها (بوجوبها) من سلطان (حجّة أو برهان).
(١٢) تدبير: تنظيم منتوج من تفكير.

هي صادرةٌ عن خَدَمَةِ النيرانِ وسَدَنَةِ بُيوتِ الأصنام وعَبَدَةِ الأَنْدادِ والأوثان[١]. وليس يَعْجِزُ أحدٌ مِنْ خَلْقِ الله (عن) أنْ يصنَعَ مِنْ تِلقاء نفسِه أشْباهَها ومِثالَها[٢]. وأمّا السِياساتُ التي وضعوها في ٱلتزام الأحكامِ والذَبِّ[٣] عنها والحِماية لَها، وتعظيمِ مَنْ عظّمها وإهانة مَنْ خالَفها، فقد ساروا في ذلك بِسيرة العَدْل وحُسْنِ السِياسة وجَمْعِ القلوب عليها والتزام النَصَفَةِ[٤] فيما بَيْنَهم على ما تُوجِبُه تلك الأحكام.

فجَمَعْتُ مَحاسِنَ ما ٱنطوتْ عليه سيرتُهم خاصّةً مِنْ مُلوكِ الطوائف[٥] وحُكَماءِ الدُوَلِ فوَجَدتُ ذلك في ستِّ أُمَمٍ، وهُمُ العربُ والفُرْسُ والرومُ والهِند والسِنْدُ والسِنْدَهِنْدُ[٦].... فنظمتُ ما أَلْفَيْتُ في كُتُبِهِم من الحِكَم البالغةِ[٧] والسِيَرِ المُستحسنةِ والكَلِمَة اللطيفة والطريقة المألوفة والتوقيعِ الجميل والأثرِ النبيل إلى[٨] ما رَوَيْتُه وجمعتُهُ مِنْ سِيَر الأنبياءِ، عَلَيْهِمُ السلامُ، وآثارِ الأولياء وبَراعةِ العُلَماء وحِكْمة الحُكماء ونوادرِ الخُلفاء وما ٱنطوى عليه القُرآنُ الكريم الذي هو بَحْرُ العُلومِ ويَنْبوعُ الحِكَم ومَعْدِنُ السِياسات ومَغاصُ الجواهرِ المكنونات[٩].

وقد رأيتُ أنْ أختصر[١٠] لَمْحَةً دالّةً وإشارةً خفيفة. فإن طالَ فألفاظٌ بارعةٌ وآياتٌ

---

(١) الخدمة جمع خادم. خدمة النيران: الموكّلون بايقاد النار باستمرار في هياكل المجوس. السادن: الخادم (القائم على تدبير بيوت العبادة).

(٢) الندّ (هنا) ما يعبد على أنّه شريك لله (تعالى الله). الوثن: شيء يعبد، وهو على غير صورة معيّنة (حجر، شجرة، جانب من جبل، الخ).

(٣) الخلق، خلق الله: الناس، جماعات الناس. ومثالها (اقرأ: وأمثالها).

(٤) النصفة: الإنصاف.

(٥) ملوك الطوائف (ملوك الدول الصغيرة).

(٦) السند بلاد بين الهند وكرمان وسجستان- أي بلاد فارس- (تاج العروس- الكويت ٨: ٢٢١-٢٢٢)، هي باكستان اليوم. السندهند (؟).

(٧) ألفى: وجد. البالغة: التامّة (تصل إلى أقصى ما وصل إليه الاختبار الإنساني).

(٨) التوقيع: قول موجز يكتبه الخليفة أو الوزير في آخر الرقعة المقدّمة إليه ليجيز تنفيذ ما فيها أو ليمنعه. إلى ما رويته (بالإضافة إلى ما رويته).

(٩) المغاص: المكان الذي يغوص فيه الملّاحون والصيّادون. الجواهر (اللآلي جمع لؤلؤة). المكنونة: التي لا تزال في الصدفة (النادرة، الثمينة).

(١٠) اقرأ: أن أختصره لمحة...

مُعْجِزَةٌ.... فأنتظمَ الكتابُ بحَمْدِ اللهِ وعَوْنه، وأحْكَمْتُه غايةً[١] في بابهِ غريباً في فُنونه وأسبابه خفيفَ المَحْمِلِ كثيرَ الفائدةِ لم تَسْبِقْ إلى مِثله أقلامُ العُلماء ولا جالتْ في نَظْمِهِ[٢] أفكارُ الفُضلاءِ، ولا حَوَتْه[٣] خزائنُ الملوك والرؤساء....(فهو) عِصْمَةٌ[٤] لِمَنْ عَمِلَ به من الملوك وأهلِ الرئاسةِ وجُنّةٌ[٥] لمن تَحَصّنَ به من أُولي الإمرةِ والسِياسة وجمالٌ لِمَنْ تحَلّى به من أهل الآداب والمُحاضرة[٦] وعُنوانٌ لمن فاوَضَ به من أهل المُجالسة والمُذاكرة[٧]. وسَمَّيْتُه «سِراجَ الملوكِ» يَسْتَغْني الحكيمُ بدِراستهِ عن مُصاحبةِ الحُكماء، والمَلِكُ عن مُشاورةِ الوُزراء...

- من مَتْنِ الكتاب:

(ص ١٢): اعْلَمْ أيُّها الرجُلُ- وكُلُّنا ذلك الرجلُ- أن عقولَ المُلوكِ، وإنْ كانتْ كِباراً، إلَّا أنّها مُسْتغْرَقةٌ بكَثْرةِ الأشغال[٨]، فَتَسْتَدْعي مِنَ المَوْعظة ما يَتولَّجُ[٩] على تلك الأفكارِ وَيَتَغَلْغَلُ في مكامنِ تلك الأسرار...

(ص ٧٩): إنّ السلطانَ خَطَرُهُ عظيمٌ وبَلِيَّتُه عامّةٌ[١٠]، وقد يطرُقُه من الآفاتِ ويَحْتَوِشُه[١١] من الأمورِ المهلكاتِ ما يَجِبُ على كُلِّ ذي لُبٍّ أنْ يَسْتَعِيذَ بالله مّما حَمَلَهُ ويشكُرَه على ما عَصَمَه[١٢]: لا يهدَأ فِكْرُه ولا تسكُنُ خواطِرُه ولا يصفو قلبُه ولا

(١) غاية: نهاية (أحسن ما هو) في بابه (نوعه).
(٢) في نظمه (اقرأ: في نظم مثله).
(٣) ولا حويته (اقرأ: ولا حوت مثله).
(٤) عصمة: حماية، حفظ، وقاية.
(٥) جنّة: ستر (وقاية).
(٦) المحاضرة مفاوضة في الكلام، تبادل الآراء.
(٧) المذاكرة: تبادل الآراء والأقوال التي يساعد بعضها على تذكّر بعضها الآخر.
(٨) غارقة بكثرة الأعمال المطلوبة من الملك (عاجزة عن أن تحيط بكلّ ما يريده الملك).
(٩) تولّج: دخل (أعان على جلاء تلك الأفكار).
(١٠) خطره: مكانته. بليّته: مصيبته (ما ينتظر منه أن يعمله).
(١١) طرق النجم: طلع ليلاً. طرق الأمر فلاناً (أتاه بغتة). احتوشه: أحاط به.
(١٢) اللب: العقل.-... ممّا حمله (الملك) ويشكر (الله) على ما عصمه (عصم الرجل غير السلطان)...

يستقرّ لُبُّه. الخَلْقُ في شُغُلٍ عنه، وَهُوَ مَشغولٌ بهم[١]. والرجُلُ يخافُ عَدُوًّا واحداً، وهُوَ[٢] يخافُ ألفَ عَدُوٍّ. والرجل يَضِيقُ بتدبيرِ أهلِ بيتهِ... وتدبيرِ معيشتهِ، وهُوَ مدفوعٌ لسِياسة جميعِ أهلِ مَمْلكتهِ: كُلَّما رَتَقَ فَتْقاً من حواشي[٣] مملكتهِ آنفتَقَ آخَرُ. وكلّما -.... قَمَعَ عَدُوّاً أرْصَدَ له أعداءٌ، إلى[٤] سائرِ ما يُعانيه مِنْ أخلاقِ الناسِ ويُقاسيه من خُصوماتِهم، و(مِنْ) نَصْبِ الوُلاةِ والقُضاة وبَعْثِ الجُيوش وسَدّ الثغور واستجباءِ الأموال[٥] ودَفْعِ المظالم.

(ص ٢٠٧) مَنْ طالَ عُدْوانُه[٦] زالَ سُلطانه. واعلَمْ أن المالَ قوّةُ السُلطانِ وعِمارةُ المَمْلكةِ ولِقاحةُ الأمن ونتاجة العَدْلِ[٧]. وهو حُسْنُ السُلطانِ ومَادّةُ المُلْك. والمال أقوى العُدَدِ[٨] على العَدُوِّ، وهو ذَخيرةُ المُلْكِ وحياةُ الأرض، فَمِنْ حَقّه أن يُؤخَذَ من حقّهِ ويُوضَعَ في حَقّه ويُمْنَعَ من السَّرف[٩]. ولا (يجوز أن) يُؤخَذَ مِنَ الرعيّة إلاّ ما فَضَلَ عن مَعاشها ومَصالِحها ثمّ (يجب أن) يُنْفَقَ ذلك في الوُجوه التي يَعودُ نَفْعُها على (الرعيّة).

٤- سراج الملوك، الاسكندرية (المطبعة الوطنية) ١٢٨٩ هـ؛ القاهرة ١٣٠٦، ١٣١٩ هـ؛ (بهامش مقدّمة ابن خلدون)، مصر (المطبعة الازهرية) ١٣١١ هـ.

---

(١) الناس لا يهتمّون بما يصيب الملك ولا بالواجبات التي عليه كيف يجب أن يقوم بها، بينما هو مجبر على الاهتمام بكل فرد منهم.

(٢) والرجل (العاديّ) يخاف عدوّاً واحداً، وهو (أي الملك).

(٣) رتق: سدّ (خاط، أصلح). الفتق: الشقّ (الحادث، الثورة على الملك). حواشي المملكة: أطرافها البعيدة.

(٤) وكلّما قمع (قهر، تغلّب على) عدوّاً أرصد (برز) له أعداء، إلى (بالإضافة إلى).

(٥) الثغر: مكان ينفذ منه العدوّ إلى المملكة (الحدود). سدّ الثغر (حماه). استجباء الأموال (جمع أموال الجباية: الضرائب).

(٦) العدوان: الظلم.

(٧) لقاحة ونتاجة (؟). المقصود: لقاح (بالكسر: سبب) ونتاج (نتيجة).

(٨) العدد جمع عدّة (بالضمّ): الأداة أو الآلة التي يستعين الإنسان بها على القيام بالعمل. (السلاح عدّة الحرب).

(٩) السرف: الإسراف.

- كتاب الحوادث والبدع (حقّقه محمّد الطالبي)، تونس (مطبوعات كتابة الدولة للتربية القومية) ١٩٥٩ م.
- رسالة أبي بكر الطرطوشي إلى .... ابن تاشفين (منشورة في «أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد....)- انظر السطر التالي.

★★ أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر، تأليف جمال الدين الشيّال (أعلام العرب، رقم ٧٤ - وزارة الثقافة: المؤسّسة العامّة للتأليف والنشر) ١٩٦٨ م.

المغرب ٢: ٤٢٤؛ الصلة ٥١٧؛ بغية الملتمس ١٢٥ - ١٢٩؛ الخريدة ٢: ٢١١ - ٢١٤؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٧٥؛ الخريدة (المغرب والاندلس) ٢: ٢٩٠ - ٢٩٢؛ الخريدة ٢: ٢١١ - ٢١٤؛ وفيات الأعيان ٤: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ الديباج المذهب ٢٧٦ - ٢٧٨؛ شذرات الذهب ٤: ٦٢؛ نفح الطيب ٢: ٨٥ - ٩٠؛ أزهار الرياض ٣: ١٦٣ - ١٦٥؛ بروكلمن ١: ٦٠٠ - ٦٠١؛ الملحق ١: ٨٣٩ - ٨٣٠؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٥٩ (١٣٣ - ١٣٤)؛ نيكل ٢٣٧ - ٢٣٨؛ مختارات نيكل ١٥٩ - ١٦١؛ سركيس ١٢٣٩؛ تراجم اسلامية لعبد الله عنّان ٢٨٩ وما بعد؛ العربي ٨/ ١٩٧٠ م، ص ٨٨ - ٩٣.

ابن السيد البطليوسيّ

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ السِيدِ[١]، أصلُه من شِلْبَ ومَوْلِدُه في بَطَلْيَوْسَ سَنَةَ ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م).

بدأ ابنُ السِيدِ البَطَلْيَوْسيُّ تَلَقِّيَ العلمِ في بَطَلْيَوْسَ على أبيهِ ثمّ على أخيهِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ السِيدِ (ت ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) وكان لُغَوِيًّا أديباً. دَرَسَ ابنُ السيد القِراءاتِ على عبدِ الله بنِ محمّدِ بنِ خلفٍ الراني (؟) وعلى عليِّ بنِ أحمدَ بنِ حَمْدونٍ (٤٦٦ هـ = ١٠٧٣ م)، كما دَرَسَ اللُّغة على أبي بكرٍ عاصمِ بنِ أيوبَ البَطَلْيَوْسِيّ[٢].

وفي نحوِ سَنَة ٤٦٤ هـ ارتحلَ ابنُ السِيدِ إلى المَرِيَّةِ ومكثَ فيها عاماً واحداً سَمِعَ في أثنائِه من عبدِ الدائمِ بنِ جَبْرٍ القيرُوانيّ. ثمّ غادَرها إلى قُرطُبَةَ حيثُ دَرَسَ الحديثَ على أبي عليّ الحسينِ بن محمّدِ بنِ أحمدَ الغسّانيّ الجيّانيّ (ت ٤٩٨ هـ = ١١٠٥ م)

---

(١) السِّيد (بكسر السين وتسهيل الياء، بلا تشديد): الذئب.

(٢) أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي (ت ٤٩٤ هـ = ١١٠١ م) من علماء اللغة، له «شعر الشعراء الستّة (الجاهليّين)» وكتاب «الأوائل».

المحدّثِ (بروكلمن (١ : ٤٥٤). بعدئذٍ أخذَ ابنُ السيدِ يتنقّلُ بينَ بَلاطاتِ ملوكِ الطوائف: اتّصلَ بالقادرِ يحيى بنِ إسماعيلَ بنِ ذي النونِ (٤٦٧ - ٤٧٨ هـ) في طُلَيْطُلَةَ ثمّ انتقلَ إلى سَرَقُسْطَةَ واتّصل بأحمدَ المستعينِ التُجيبيّ (٤٧٨ - ٥٠٣ هـ). ثمّ إنّه اتّصل بحُسامِ الدولةِ أبي مروانَ عبدِ الملك آخرِ ملوكِ بني رَزين في السَهْلة[١]، فنال عندَه حظوةً ولـمّاساءتْ أحوالُ السَهلةِ وتغيّرَ عبدُ الملك على ابنِ السِيدِ ارتحلَ ابنُ السِيدِ إلى قُرطُبَةَ وجلس في مسجدِها الجامعِ يُقْرِئُ علومَ الدينِ واللغةِ والنحوِ والأدب. غيرَ أنّه انتقلَ عن قُرطبة وشيكاً وذهبَ إلى بَلَنْسِيَةَ حيثُ اشتغلَ بالتدريسِ والتأليف. وفي بَلَنْسِيَة تُوُفّيَ ابنُ السِيدِ البَطَلْيَوْسِيُّ، في مُنْتَصَفِ رَجَبَ من سَنَةِ ٥٢١ (٢٧/ ٧/ ١١٢٧ م).

٢ - كان ابنُ السِيدِ البطليوسيُّ واسعَ المعرفةِ بفنونِ العلمِ: كان مُحدِّثاً وفقيهاً ولغويًّا ونحويًّا وأديباً ناقداً وشاعراً ومؤرّخاً عارفاً بأيامِ العربِ وأشعارها، وقد تكسّبَ بالشِعر مدّةً. وكان أيضاً فيلسوفاً ومُؤلّفاً مُكثِراً.

وشعرُ ابنِ السيدِ الذي وصلَ إلينا قليلٌ، على بعضِه نفحةٌ دينيةٌ صوفيةٌ، وعلى بعضِهِ الآخَرِ شيءٌ من مُجونٍ. وله مدحٌ ورثاءٌ ووصفٌ وغزل وزُهد وحِكمة. وأحسنُ شعرِه الزهدُ والحكمة.

ولابنِ السِيدِ البطليوسيِّ تصانيفُ نافعةٌ ومُمْتِعةٌ، منها كتاب المُثَلَّث[٢] (أتى فيه بالعجائبِ ودلّ على اطّلاعٍ واسعٍ)- الاقتضابُ (في شرحِ «أدبِ الكتّاب» لابن قُتيبةَ[٣]، وهو أشبهُ بدليلٍ يستعينُ بِهِ المُنشئون والمُشتغلون في ديوان الإنشاء)- كتاب الحُروف الخمسة (س، ص، ض، ظ، ذ، مَعَ التمييز بين الكَلِماتِ التي تَرِدُ فيها هذه الحروف)- الإنصاف (في التنبيه على الأسباب الموجبة للاختلاف بينَ الأئمّة)- شرحُ (ديوان) سَقْطِ الزَّنْدِ (للمعرّي؛ وهو أجودُ من الشرحِ الذي صَنَعه المعرّيّ

(١) خلعه المرابطون سنة ٥٠٣ هـ.

(٢) في اللغة، جمع فيه الكلمات التي يجوز أن يكون أولها مفتوحاً أو مكسوراً أو مضموماً، مثل: جنّة، ركوة.

(٣) أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م) من أئمّة الأدب ومن المصنّفين المكثرين.

نفسه) - شرحُ ديوانِ المتنبّي - الحدائقُ في المطالبِ الفلسفية العاليةِ العويصة - الانتصارُ مِمّنْ عَدَلَ عنِ الاستبصار (رسالة صغيرةٌ ردّ فيها على أبي بكرِ بنِ العربي[1] في عددٍ من وجوهِ الشعر واللُّغة والنَحْو والفلسفة).

ومن تصانيفه أيضاً: كتاب المسائل والأجوبة (وهو مجموعُ أجوبتِهِ على مسائل من فنونِ المعرفة كانتْ تَرِدُ عليه) - إصلاح الخَلَلِ الواقع في كتاب الجُمَل[2] (وَصَفَهُ ابنُ السِيدِ نفسُه فقال: غَرَضي في هذا الكتابِ هو الكلامُ في إعراب أبياتِهِ: الأبياتِ الواردةِ في كتابِ «الجمل» ومعانيها وكَشْفِ ما يَخْفى من أسماءِ قائليها وعَرْضِ ما يتّصل بكلِّ بيتٍ منها).

ولقد أرادَ ابنُ السِيدِ البطليوسي (في كُتبه) أن يُيَسِّرَ النظرَ في اللُّغةِ وفي النحوِ وأنْ يَفْصِلَ بينَ الإعراب (الذي يُقْصَدُ منه فَهْمُ المعاني اللغوية) والتعليلِ الفلسفي (الذي يُرادُ منه إظهارُ البراعة في الإتيان بأوْجُهٍ متعدّدةٍ من أحوالِ الإعراب ومن الجِدال عند المفاضلةِ بينَها). وقد جرّ عليه ذلك عداوةُ نَفَرٍ من مُعاصريه أشهرُهم الفيلسوفُ ابنُ باجّه (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) وأبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ خَلَصَةَ الضريرُ النَحْويُّ (ت نحو ٥٠٣ هـ).

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن السيد البطليوسي بيتان في الحكمة مشهوران:

أخو العلم حيّ خالد بعد موته ... وأوصالُه تحت التراب رَميم[3].

وذو الجهل مَيْتٌ وهو ماش على الثرى ... يُظَنُّ من الأحياء وهو عديم.

- وقال في مداراة الناس:

---

(١) أبو بكر محمّد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي الأندلسي القاضي، من حفّاظ الحديث ومن الأدباء والفقهاء (ت ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م).

(٢) كتاب «الجُمَل» لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجّاجي (ت ٣٣٧ هـ = ٩٤٩ م) شيخ العربية (النحو) في أيامه.

(٣) الرميم: البالي، المتفتت.

إذا سألونيَ عن حالـــتي ... وحاولتُ عُذراً فلم يُمكنِ
أقول: بخـــير؛ ولكنَّـــه ... كـلام يدور عـلى الأَلْسُنِ.
وربُّكَ يعلم ما في الصدور ... ويعـــلم خائنـةَ الأَعيُنِ[1].

– وقال يمدح المستعين بالله بن هود:

همُ سلبوني حُسْنَ صبريَ إذ بانوا ... بأقمارِ أَطْواقٍ مطالعُهـا بـانُ[2].
لئن غـادروني باللِّوى، إنَّ مُهجتي ... مُسايرةٌ أَظعانَهم حيـثما كانوا[3].
سقـى عهدَهم بالخَيْـف عهدُ غمائمٍ ... ينازعها مُزْنٌ من الدمع هتَّان[4].
أأحبابَنـا، هل ذلك العهد راجعٌ ... وهل ليَ عنكم آخِرَ الدهرِ سُلوان[5]؟
ولي مقلـة عَبْرَى وبينَ جوانحي ... فؤادٌ إلى لُقياكُمُ الدهرَ حَنَّـان[6].
تنكَّرتِ الدنيـا لنـا بعد بُعدِكُمْ ... وحلَّت بنا مِن مُعْضِلِ الخطبِ أَلْوان[7]
بوجه ٱبن هودٍ كلَّما أَعرض الورى ... صحيفةُ إقبالٍ لها البِشْرُ عُنوان[8].
أناختْ بنـا في أرض شَنْتَمَرِيَّـةٍ ... هواجسُ ظنٍّ خانَ، والظنُّ خوّانُ[9].
رحلنـا سوام الحمد عنها لغيرِها، ... فلا ماؤُها صدًّا ولا النبت سَعْدان[10].

---

(١) في القرآن الكريم: «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» (١٠: ١٩، سورة غافر). خائنة: خيانة.

(٢) بانَ: ابتعدَ. البان: شجرٌ أغصانه طوال سمراء مستقيمة تشبّه بها قامات النساء. قمر: (كناية عن الوجه الجميل). الطوق: شبه العقد يُلبس في العنق.

(٣) اللوى: التلّة المستديرة من الرمل (رمز لمنزل الأحبّة). الظعن: الهودج تسافر فيه المرأة.

(٤) مكان قريب من مكّة (كناية عن منزل المحبوب). هتّان: كثير المطر. عهد غمائم (مطر متتابع).

(٥) سلوان: نسيان.

(٦) عَبْرَى: دامعة.

(٧) المعضل: المرض يستعصي على التطبيب. الخطب: المصيبة. ألوان: أنواع.

(٨) البشر: تهلل الوجه وطلاقته، سروره.

(٩) في هذا البيت يعتذر الشاعر من الزيارة التي كان قد قام بها إلى بلاد بني رزين في السهلة (وشنتمريّة الشرق عاصمة السهلة). أناخ: برك، نزل. الهاجس: الخاطر.

(١٠) سوام: ابتغاء، طلب. لغيرها (لسرقسطة، إليكم). فلا ماؤها (ماء شنتمريّة). صدّا – في المثل: «ماء ولا كصدّاء» (فرائد اللآل ٢: ٢٤٠). صدّاء ركيّة (بئر) ماؤها عذب جدًّا. السعدان: نبت تسمن عليه الإبل.

إلى ملك حاباه بالمجد يوسف، وشاد له البيت الرفيعَ سليمان[١]:
إلى مستعينٍ بالإلَه مؤيَّد له النصر حزب والمقادير أعوان.

- وله من رسالة إخوانية:

....وافاني- أعزّك الله- كتاب شغَلَ حاسَّتَيْ سَمْعي وبَصَري، وملأ حافَّتَيْ فِكري وخاطري. وأراني الدُرَّ[٢] إلّا أنّه لم يُنْظَمْ، وأسمعني السِحْرَ إلّا أنّه لم يُحَرَّمْ. لو صِيغَ عِقْداً لأخجلَ الدُرَّ والعِقيانَ[٣]، ولو حُبِكَ بُرْداً لعَطَّلَ الديباج والخُسْروان[٤]. فلله قريحةٌ أذْكَتْ نارَهْ وأطلعت أنوارَه.... وقد طَلَعَ علينا طُلوعَ البدرِ في الغَسَق[٥]، وضَمَّخَ أُفُقَها بخَلوقٍ من الخُلُق. واقْتَدَحْنا زَنْدَ ذكائه فأوْرى[٦]، ولَمَحْنا كوكَبَ سمائه فأعْشَى[٧]، وشاهَدْنا البلاغةَ فيه شخصاً محسوساً، والرئيسَ المُتعاطي البراعةَ مرؤوساً. أقْدَمَهُ الله خيرَ مَقْدَمٍ وأغْنَمَهُ أفضلَ مَغْنَمٍ.

- وقال في التوحيد والردّ على المشركين:

إلَهيَ، إنّي شاكرٌ لكَ حامدُ، وإنّي لَساعٍ في رِضاكَ وجاهِدُ.
وإنّك- مهما زلّتِ النَّعْلُ بالفتى- على العائدِ التوّابِ بالفضل عائد.
وما لي على شيء سِواك مُعَوَّلٌ إذا دَهَمَتْني المُعْضِلاتُ الشدائد.
وقِدْماً دعا قومٌ سواكَ، فلم يَقُمْ على ذاك بُرهانٌ ولا لاحَ شاهد.
وبالفَلَكِ الدوّارِ قد ضلّ مَعْشَرٌ، وللنَّيِّراتِ السَّبْعِ داعٍ وساجد.

---

(١) المستعين بالله بن هود هو أحمد بن يوسف بن سليمان.
(٢) الدرّة: اللؤلؤة.
(٣) العقيان (بالكسر): الذهب الخالص.
(٤) البُرْدُ: ثوب من حرير. الديباج: ثوب منسوج كلّه من الحرير. الخسرواني والخسروّى نوع من الشراب ومن الثياب (الثمينة) نسبة إلى خسروشاه (من ملوك الفرس)- راجع تاج العروس - الكويت ١١: ١٦٥.
(٥) أذكى: أوقد. الغسق: الظلام.
(٦) ضمّخ: لطّخ، دهن. الخلوق: الطيب، العطر. الزند: حديدة تقدح بها النار من حجر الصوّان. أورى: اشتعل، أشعل.
(٧) أعشى: أضعف البصر، منع البصر من الرؤية.

وللعقـلِ عُبّادٌ، وللنفس شِيعـةٌ؛ وكلُّهُمُ عن منهـجِ الحـقّ حائـد.
وهـل يُوجَدُ المعْلولُ من غير عِلّةٍ، إذا صحّ فِكرٌ أو رأى الرُّشْدَ راشد.
وهـل غِبْتَ عن شيء فيُنْكِرَ مُنْكِرٌ وجودَكَ، أمْ لم تَبْدُ منكَ الشواهد؟
وفي كـلّ معبودٍ سواك دلائـلٌ من الصُّنـع تُبْدي أنّه لك عابد.
وكم لـكَ في خَلْقِ الورى من دَلائلٍ يراها الفتى في نفسه ويُشاهد!

– فقرات من كتاب «الانتصار» (الداية ٣٤٨ – ٣٤١):

قال ابن السيد البطليوسيّ يعرّض بأبي بكر بن العربي:

....ورأيناكَ لمّا وَصَلْتَ بالقراءةِ والتصفُّحِ إلى قولِ (المعرّيّ):

فـإنْ لَقِيتَ وليداً، والنَوى كَثَبٌ، يومَ القِيامـة لم أُعْدِمْهُ تَبْكِيتا[١]،

ذكرتَ أن روايـةَ شَيْخِكَ «قَذَفٌ»[٢]، وهذا من الألفاظ التي ذَكَرْنا أنّ المَعرّيَّ غيّرَها في آخرِ عُمُرهِ، لما فيها من قُبح التأويل والقال والقيل. (ذلك) لأنّ الكَثَبَ: القُرْبَ، وهو الشيءُ القريبُ أيضاً. والقَذَفُ ضِدُّه – فإذا قال: «والنَوَى كَثَبٌ» كان فيه تقريبُ الأمدِ وأنّه هامةُ اليومِ أوِ الغَدِ. وإذا قال «قَذَف»، ففيه استبعادٌ ليومِ القيامة.

....ورأيناك – أعزّك اللهُ – لمّا انتهى بكَ النظَرُ إلى قولِ (المعرّي):

فذكّرني بـــدرَ السماوةِ بادنـــاً شفا لاحَ من بدرِ السماوةِ بالِ[٣]،

أنكرتَ السماوة الثانيـةَ وكَتَبْتَ السماءَة بالهمزة. فَلِمَ أنْكَرْتَها علينا؟ أَحَسِبْتَ أنها لا تُقال أم حسبتَ أنّها أليقُ بالبيت؟ وكِلا الأمرين لنا فيه الظهورُ عليك[٤]، لأنّ أهلَ اللغة حكَوْا أنّه يُقال سماءٌ وسماءةٌ بالهمز وسماءٌ وسَماةٌ على وَزْنِ قَطاة. فمن قال

(١) النوى: البعد، (الفراق). كثب: قريب. التبكيت: التوبيخ.
(٢) قذف: بعيد.
(٣) السماوة: بادية في العراق. ذكّرني بدر السماوة (الهلال الجديد في أول الشهر، راجع البيت السابق، في الديوان، طبعة هندية، ص ١٠١) بادناً (وقد كبر). الشفا: حرف الشيء، والقليل من كلّ شيء....... في الديوان (ص ١٠١) السماوة.... والسماءة.
(٤) الظهور عليك: التغلّب عليك.

سماءةٌ فهمَزَ، بناها على سماءٍ فَهَمَزَ. ومن قال سماوة بالواو بناها على الفِعْل الذي هو سَمَا يَسْمو. وأمّا من طريق الترجيع[1] بين اللّفظتين، فإنّ السماوَةَ أحسنُ الوجهين: أحدُهما أنّه أفصحُ اللغتين، لأنّها أكثرُ استعمالاً وأوسعُ مجالاً. ويدلّ على ذلك أنّهم قالوا سَماواتٌ، وبذلك قرأ القُرّاء[2]، ولا يكادون يقولون سماءاتٌ. والوجهُ الثاني أنّها أليقُ بالبيت لِمَا تقدّمَ في صَدْرِه من ذِكْرِ السماوَةِ الأخرى، فأفْسَدتَّ على الرجُلِ التجنيسَ الذي جَرَى إليه وحام فِكْرُه عَلَيْه. فما هذا الخِلافُ والعِنادُ، أينَ النَظرُ الحَسَنُ والانتقاد؟

....ورأيناكَ - وَفَّقَنا اللهُ وإيّاك - لَمّا وصلتَ إلى قولِ المَعرّيّ:

فبُعْداً لهذا الجسمِ، يا رُوحُ، مَسْلَكاً ... وبُعْداً لهذا الروحِ، يا جسمُ، سالِكا.
تواصَلْتُما فاستحدثَ الوصلُ مِنْكُما ... عجائبَ كانتْ للرجال مَهالِكا.

قد أنكرتَ علينا في بعضِ كَلامِنا فيه أنَّ الروحَ طاهرٌ شريفٌ، والجسمَ دونَه مَواتٌ[3] لا يَقَعُ عليه تكليفٌ[4]. فكتبتَ في الطُرّة[5]: صوابُه موجودٌ شريفٌ وكيف حدثتْ باقترانِهما خطيئةٌ، وهو قولٌ بِقدَمِ الأعراضِ[6] أو مجازٌ لا يَعْدَمُ انتقاض[7]. وهذا كلامٌ أوّلُ ما نَنْقُدُ فيه فسادُ الإعرابِ بترك نَصْبِ الانتقاض وبعدَ ذلك نقولُ: كيف أنكرتَ قَوْلَنا إنّ الروحَ طاهرٌ شريف وقد طهّرَهُ اللهُ تعالى وشرّفَه على النفسِ وقدّمه، في القُرآنِ المُنْزَلِ علينا وفي الكُتُبِ المُتقَدِّمةِ لنا...

٤ - الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب (قلفاط وميداني - وقف على طبعه عبد الله البستاني)، بيروت ١٩٠١ م.

---

(١) الترجيع (لعلّها: الترجيح: المفاضلة بين شيئين).
(٢) القرّاء: حفظة القرآن الكريم.
(٣) موات: بلا حياة. كالحجر مثلاً.
(٤) تكليف: أمر بأداء العبادة وما يشبه العبادة من الواجبات.
(٥) الطرّة: القطعة، رأس الصفحة.
(٦) في الفلسفة: الجوهر (كنه الشيء، مادّته) قديم، لأنّه ثابت. العرض لا يمكن أن يكون قديماً لأنه متبدّل.
(٧) انتقاض: نقض، بطلان (حقّ انتقاض هنا النصب).

- الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم (أحمد عمر المحمصاني)، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣١٩ هـ.
- كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة (محمّد زاهد بن الحسن الكوثري)، القاهرة (السيد عزّت العطّار الحسيني) ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م).
- شرح سقط الزند للمعرّي (في كتاب « شروح سقط الزند » للجنة إحياء آثار أبي العلاء المعرّيّ)، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٤٥ - ١٩٤٨ م.
- شرح المختار من لزوميّات أبي العلاء (حرّره حامد عبد المجيد)، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٧٠ م.
- رسائل في اللغة (إبراهيم السمرّائي)، بغداد (مطبعة الإرشاد) ١٩٦٤ م (؟) كتاب المسائل والأجوبة.

★★ قلائد العقيان ٢٢١ - ٢٣١ ؛ الصلة ٢٨٢ (رقم ٥٣٩) ؛ بغية الملتمس ٣٢٤ (رقم ٨٩٢) ؛ الذخيرة ٣ : ٨٩٠ - ٨٩٦ ؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ : ٤٧٨ - ٤٨٤ ؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٥٠٩ - ٥١٨ ؛ المغرب ١ : ٣٨٥ - ٣٨٦ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٩٦ - ٩٨ ؛ المطرب ٤٣ ، ٢٢٦ ؛ إنباه الرواة ٢ : ١٤١ - ١٤٣ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٩٦ - ٩٨ ؛ الديباج المذهب ١٤٠ - ١٤١ ؛ بغية الوعاة ٢٨٨ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٦٤ ؛ نفح الطيب ١ : ١٨٥ ، ٦٤٣ - ٦٥٠ ، ٣ : ٢٢٨ ، ٢٨٧ ، ٤٥٩ ، ٤٧٠ ، ٥٦٧ ؛ أزهار الرياض ٣ : ١٠١ - ١٤٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٠٩٢ ؛ بروكلمن ١ : ٥٤٧ ، الملحق ١ : ٧٥٨ ؛ نيكل ٢٣٤ ؛ مختارات نيكل ١٥٧ - ١٥٩ ؛ بالنثيا ١٨٧ ؛ الداية ١٧٩ - ٢١١ ، ٣٤٦ - ٣٥١ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٦٨ (١٢٣) ؛ سركيس ٥٦٩ - ٥٧٠ ؛ العربي ٢/ ١٩٦٦ .

ابن أخت غانم

١ - هو أبو عبد الله محمدُ بنُ سُليمانَ بنِ مَعْمَر النَّفْزيُّ المالكيّ المعروفُ بآبنِ أختِ غانمٍ[1]، كان مولدُه في مالَقَة سَنَةَ ٤٣٤ أو قُبيلَ ذلك.

روى آبنُ أختِ غانمٍ عن خالِه، وسَمِع الصحيحَيْنِ على الدلائي[2] وسُنَنَ أبي

---

(١) كان خاله أبو محمّد غانم بن الوليد المخزومي (ت ٤٧٠ هـ أو ٤٦٥) وكان أديباً شاعراً (له ترجمة منفردة).

(٢) الصحيحان: صحيح البخاري وصحيح مسلم (في الحديث). ابن الدلائي: أبو العبّاس أحمد بن عمر من علماء المريّة-الأندلس (ت ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م).

داوودَ[1] على أبي الوليدِ الوَقّشيّ الطُليطليّ (٤٠٧ - ٤٨٨ هـ). ويبدو أنّ تصدُّرَه للإقراءِ كان في مالَقَةَ نفسِها، وقد كانت عِنايتُه مُنصرفةً إلى إقراء كتابِ « الهداية » لأبي العباسِ أحمدَ بنِ عمّارٍ المَهْدَوِيِّ (ت ٤٣٠ هـ).

ثم إن خالَه نصحه بمغادَرةِ مالَقَةَ التي كانت في حُكْمِ البربر - ولم يكونا فيها أمينيْنِ على نفسَيْهما - فٱنتقل إلى المَرِيَّةِ (حتى إذا قُتِلَ أحدُهما في مكانٍ بَقِيَ الآخر حيًّا). وقد نالَ ابنُ أخت غانم حُظوةً عند صاحبِ المريّة المعتصمِ بنِ صُمادِحٍ (٤٤٣ - ٤٨٤ هـ) فأقام فيها زمنا.

وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٢٥ (١١٣١ م) وقد قاربَ مِائَةَ سَنَةٍ أو أرْبى عليها.

٢ - كانَ ٱبن أُختِ غانمٍ واسعَ الحِفظ بارعاً في عددٍ من العلوم: في القُرآنِ والحديثِ واللُّغة والنَّحْو والنَّبات. كما كان حافظاً لكلامِ الأطِبّاءِ ولأحوالِ الدِّيانات. وله شرحٌ لكتاب النباتِ[2] في سِتّين مُجلداً. وكان يقولُ الشعرَ في يُسْر. وقد كانت له نقائضُ مَعَ أبي الفضلِ بنِ شَرَفٍ (ت ٥٣٤ هـ).

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ أختِ غانمٍ في أبي الفضلِ بن شَرَفٍ:

قولوا لِشاعرِ بَرْجَةٍ هل جاء مِنْ ... أرضِ العِراقِ فحازَ طبعَ البُحْتري[3]؟
وافَى بأَشْعارٍ تَضِجُّ بكفِّهِ ... وتقولُ: هل أُعزى لِمَنْ لم يَشْعُرِ[4]؟
يا جعفراً رُدَّ القريضَ لأهلِهِ ... وٱتْرُكْ مُباراةً لتلك الأبْحُرِ.

---

(١) أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ = ٨٨٩ م) إمام أهل الحديث في زمانه، له كتاب السنن (في الحديث).

(٢) كتاب النبات لأبي حنيفة أحمد بن داوود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م) مؤرّخ ومهندس ونباتي جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب.

(٣) حاز: اكتسب. (كان في العراق فهل اكتسب خصائص البحتري؟).

(٤) تضج: (تصرخ متململة) بكفّه (لأنّه سرقها من غيره. تضجّ بفكّه (؟). أُعزى: أُنسب. يشعر: ينظم شعراً.

لا تَزْعُمَنْ ما لم تكُنْ أهلًا له؛ هذا الرُضابُ لغيرِ فِيكَ الأبْخَرِ[1]!

٤ - ★★ المغرب ١ : ٤٣٣ ؛ بغية الوعاة ١٠٦ ؛ نفح الطيب ٣ : ٣٩٧ (راجع ٣٩٥)؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٣٢١ (١٠٦)؛ نيكل ١٨٨ - ١٩٠ ؛ مختارات نيكل ١٢٠ - ١٢١ .

الأعمى التطيليّ(★)

١ - هو أبو العبّاسِ (أو أبو جعفرٍ) أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ (أبي) هُريرةَ القَيْسيُّ التُطيليُّ الإشْبيليُّ، كانَ أصلُ أهلِهِ من مدينةِ تُطيلةَ ثمّ هاجروا إلى إشبيلية وسكنوها.

نَشأ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ الله في إشبيلية ضَريراً، ولذلك لُقّب بالأعمى، وقضى فيها أكثرَ أيّامِ حياتهِ، ولم يكنْ مسروراً من الإقامة فيها، ومَعَ ذلك فقد كان لا يُحِبُّ مُغادرتَها. إلّا أنه اَضْطُرَّ إلى السُكنى مُدَيْدَةً في مُرْسِيَةَ ثم إلى المَجيءِ إلى قُرطُبَةَ ليتكسّبَ بمدحِ رجالٍ فيها.

وكانتْ وفاةُ الأعمى التُّطيليِّ سَنَةَ ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) قبلَ أن يُجاوزَ الأربعينَ من عُمُرِهِ في الأغلب.

٢ - الأعمى التطيليُّ شاعرٌ وُجْدانيّ مُحْسِنٌ مُجيدٌ ووَشّاحٌ بارعٌ يتقدّمُ جميعَ وشّاحي زمانهِ وراجزٌ يكادُ يكونُ بَدْويًّا في أراجيزهِ. وشِعْرُه عَذْبٌ رائقٌ جَزْلُ الألفاظِ متينُ الأُسلوبِ يظهَر عليه أثرُ التقليدِ للمشارقة- ولأبي تمّامٍ والمتنبّي خاصةً- ظهوراً واضحاً. أمّا فنونُه فأكثرُها المدحُ، وله أيضاً رِثاءٌ ووصفٌ قليل وشيءٌ من الهجاء والتعريض، وغزلان، مؤنّثٌ ومذكّرٌ، وإخوانيّات. وموشّحاته

(١) الرضاب: الريق ما دام في الفم (هذا الشعر الجميل). فيك: فمك. الأبخر (الكريه الرائحة).

(★) هو غير أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد التطيليّ الضرير القرطبي - وكان يعرف بالتطيليّ الأصغر- وكان أيضاً شاعراً. وقد توفّي بعد التطيلي الأكبر بزمن يسير (راجع نكت الهميان ٩٠ ؛ الوافي بالوفيات ٦ : ١٣٤ ؛ تحفة القادم ٢٧ - ٢٩).

مختلفةُ النَسَقِ جِدًّا حتّى كأنّه يَقْصِدُ أنْ يَنْظِمَ كلَّ مُوَشَّحَةٍ من موشّحاتهِ على نَسَقٍ مُستقلٍّ.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ٱبنُ خَلْدونٍ (المقدّمة، بيروت ١٩٦١، ص ١١٣٩): «إنّ جماعةً من الوشّاحين ٱجتمعوا في مجلسٍ في إشبيليةَ، وكان كلُّ واحدٍ مِنْهُمْ ٱصطنع مُوَشَّحَةً وتأنّقَ فيها. فتقدّمَ الأعمى التُطيليُّ للإنشاد؛ فلمّا ٱفْتَتَحَ مُوَشّحته المشهورةَ بقولِهِ:

ضاحـــــكٌ عن جُمانْ سافرٌ عن بَـــــدْرِ

خرّق ابنُ بَقِيٍّ موشّحتَه وتَبِعه الباقون». وفي ما يلي هذه الموشّحةُ:

ضاحِـــكٌ عَـنْ جُـمانْ سافـرٌ عـن بَـــدْرِ؛
ضـــاقَ عنـــه الزمـــانْ وحواه صَـــدْري[١].

★ ★ ★

آهِ ممّـــــــا أجِـــــدْ شفّـــني مـــا أجِـــدُ[٢].
قـــــام بي وقعـــــدْ ظـــالمٌ مُتَّئِـــدُ[٣]؛
كلّما قُلـــــتُ: قَـــــدْ! قـــال لي: أينَ قـــدُ[٤]؟
وٱنْثَنـــــى خُوطَ بـــانْ ذا مَهَزٍّ نَضْرِ[٥].

---

(١) جمان (جمع جمانة: اللؤلؤة الكبيرة) كناية عن جمال أسنانه (وشبابه). سافر (كاشف) عن بدر (عن وجه يشبه البدر). والحب الذي ضاق به البشر كلّهم حويته أنا وحدي في صدري.

(٢) وجد، يجد وجداً (بسكون الجيم): شعر بحبّ شديد نحو آخر. شفّه الهمّ أو المرض: جعله نحيلاً أو هزيلاً. وجد، يجد وجداناً ووجوداً الخ: لقي. - يقول الشاعر: إن الذي ألقاه من الحبّ قد أحل جسمي.

(٣) - عذّبني بجميع أنواع العذاب ظالم متّئد (متمهّل): يسير في عذابي على مهل ولا يبالي بي.

(٤) قد = قدى: يكفيني (عذاب منك). أين قد (أين الذي يكفي وزاد عن حدّه)، يقول ذلك متجاهلاً ما حلّ بي.

(٥) خوط (غصن طري ناعم) بان (نبات أغصانه مستقيمة سمر). مهزّ: اهتزاز. نضر: غضّ، أخضر (لأنّ الغصن إذا يبس يبطل تأوّده: اهتزازه وتمايله).

عابَثَتْـــهُ يَـــدانْ للصَّبَـــا والقَطْرِ[١].

★ ★ ★

ليس لي منـــك بُـــدٌّ؛ خُـــذْ فؤادي عن يَـدْ[٢].
لم تَـــدَعْ لي جَلَـــدْ غـــيرَ أنّي أجْهَدُ[٣].
مَكْرَع من شَهَـــــدْ وٱشتياقي يَشْهَـدُ[٤].
مـــا لِبنْـــتِ الدِنـــانْ ولـــذاكِ الثغْرِ[٥].
أينَ مُحَيّـــا الزمـــانْ من حُمَيّـــا الخمر[٦]!

★ ★ ★

بي جوًى مُضْمَرُ ليتَ جُهْدِي وَفْقُـهُ[٧]؛
كـلّـمـا يـظـهَـرُ ففؤادي أُفْقُـــهُ[٨].
ذلـــك المنظرُ لا يُـــداوي عِشْقُـــهُ.
بـــأبي كيـــفَ كـــانْ فلَـــكـــيٌّ دُرّي[٩]

(١) لعبت به ريح الشرق والمطر (وجعلت تحرّكه حركات مختلفة).
(٢) أنا لا أستغني عنك (فلماذا تنتزع قلبي مني انتزاعاً)، خذ فؤادي عن يدي (طوعاً وبإرادتي).
(٣) – حبّك لم يترك لي قوّة على الاستمرار في التعلّق بك، ولكنّي أبذل جهدي في ذلك.
(٤) مكرع: مكان الكرع (بسكون الراء): الشرب، ويقصد الشاعر فم الحبيب. الشهد (بفتح الشين أو بضمّها وبسكون الهاء في الحالين): العسل (واضطر الشاعر إلى فتح الشين). – شوقي إلى فم الحبيب يدلّ على أن فيه عسلاً.
(٥) بنت الدنان: الخمر. الثغر: الفم. – من أين تشبه الخمر ذلك (العسل) في فم المحبوب.
(٦) « محيا الزمان » غامضة الدلالة لعلّها محيا (بسكون الحاء) الزمان (بكسر الزاي: المرضى!) فيكون المعنى حينئذ في البيتين معاً: إن الخمر لا تشبه العسل الذي في فم الحبيب لأن العسل الذي في فم الحبيب يشفي المرضى بينما حميّا الخمر (الشدة أو الإسكار الذي في الخمر) تمرض الأصحّاء.
(٧) – حبّي الشديد المضني ليس جهدي وفقه (لا أستطيع احتماله).
(٨) كلّما ظهر (المحبوب) ظهر في فؤادي (أنا أتذكّره دائماً).
(٩) فَلَكت (بفتح اللام) الجاريةُ وفلّكت (استدار ثديها فشبّت). الدرّيّ: نسبة إلى الدرّة (اللؤلؤة الكبيرة)، كناية عن إشراق الوجه وجماله.

راقْ حتّـــى آستبـــانْ عُـــذْرُه وعذري[١].

★ ★ ★

هـــلْ إليـــكَ سبيـــلْ أو إلى أنْ أيأسا.
ذُبْـــتُ إلّا قليـــلْ عَبْرةً أو نَفَسا.
مـــا عسى أن أقولْ! ساء ظنّي بِعَسى.
وآنقضى كـــلُّ شانْ وأنـــا أستشري[٢]
خالعـــاً من عِنـــانْ جزَعي أو صبري[٣].

★ ★ ★

مـــا عـــلى من يَلومْ لو تَناهـــى عنّي[٤].
هـــلْ سِوى حُـــبِّ رِيمْ دينُـــه التَجَنّي[٥].
أنـــا فيـــه أهـــيمْ، وهو بي يُغَنّي[٦]:
[قـــد رأيتـــك عيـــان ليس عليك، ستـــدري.
سيطول الزمـــان، وستنسى ذكري!][٧]

– وقال الأعمى التُطيلي في مطلع موشّحة له:

---

(١) – راق وجهه وكثر جماله (فوق أنداده) حتّى استبان (ظهر للناس جليّاً) عذره (في الصدود عن المحبوبين) وعذري (في التفاني في حبّه).

(٢) استشرى الأمر: تفاقم (زاد سوءاً). أنا أستشري: يتعاظم حبّي للمحبوب.

(٣) خالعاً لعنان (لا أُلقي بالاً، لا أهتمّ). جزعي وصبري (أن أجزع: أخاف وأحزن حتّى يضرّ بي الجزع، وأن أترك الصبر حتّى يضرّ بي ذلك أيضاً).

(٤) تناهى الشيء: بلغ نهايته. تناهى عنّي: (هنا) أقصر، توقّف (عن لومي).

(٥) الريم: الغزال الأبيض. دينه: دأبه، عادته. التجنّي: أن يدّعي أحد على آخر أنه أتى ذنباً والآخر لم يأت ذلك الذنب.

(٦) أهيم: أُجَنّ (بضم الهمزة وفتح الجيم). يغنّي به: (في القاموس) يمدح أو يذمّه؛ و(هنا): يتسلّى به، يهزأ به.

(٧) هذه القفلة (الأشطر الأربعة الأخيرة) من اللغة المحكيّة العاميّة.

كيفَ السبيلُ إلى صبري، وفي المَعالمِ أشـجـانُ،
والركبُ وَسْطَ الفَلا بالخُرَّدِ النواعمِ قـد بـانـوا[١].

★ ★ ★

أقْبَلْنَ يومَ الحِمـى في سُنْدسِيّـاتِ الحُلَـلْ
بيـضَ مَطَـلِّ الدِّمـا سودَ الفُروعِ والمُقَلْ.
فيـا مُعَنَّـى بمـا لو نالَه نالَ الأملْ[٢].

دونَ ذواتِ الحُلى للسيـفِ بالصَوارمِ حِـرْمـانُ
ٱبْغِ النَجاةَ ولا يَغْرُرْكَ بالضَراغمِ غِـزْلانُ[٣]!

– وقال أيضاً في مطلع موشّحة أخرى:

إلى متى بوصلِنـا تَبْخَـلُ ولا تَلـيـنْ
ولا تَفي ويَشْمَـتُ العُذَّلُ بـالعـاشـقـيـن
أنـتَ القمرْ يجلو الدُّجى نورُهُ
تـحـتَ الشَـعَـرْ يَرِفّ دَيْجورُهُ.

(١) أشجان، جمع شجن (بفتح ففتح): حزن. الركب: الذين يركبون في القافلة (للسفر أو الانتقال) معاً. الخُرَّد جمع خريدة: البكر من النساء (الجميلة). بانوا: ذهبوا، ابتعدوا. وفي المعالم أشجان (؟).

(٢) الحلل جمع حلّة (بضم الحاء): ثوب فاخر. سندس: نسيج رقيق من حرير. مَطَلُّ الدّما: (المكان الذي تطلّ منه الدماء عند الذبح؛ أو يخرج منه الدم ولا يرجع صاحبه إلى الحياة) أي العنق. يقصد الشاعر: بيضاء العنق، بيضاء اللون. الفروع: خصل الشعر. المقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض. (يقصد الشاعر حدقة العين). المعنّى بالشيء: المتعلّق به، الذي يتعب نفسه في طلبه والحصول عليه.

(٣) ذوات الحلى: النساء الجميلات اللابسات للحلى، أو اللواتي يكون جمالهن حلى لهنّ. للسيف (بفتح السين: الرجل الجريء، والذي يحمل سيفاً) حرمان من هؤلاء النسوة بالصوارم (السيوف التي يحملنها في عيونهنّ). ويمكن أن تكون: دون ذوات الحلى بالسيف (بكسر السين: جانب الوادي، الساكنات في جانب الوادي- كناية عن الترف والنعمة). لا يغررك بالضراغم غزلان: لا تغترّ بأنّك تهجم على غزلان (نساء جميلات) فيتبيّن لك أنهنّ يفتكن بجمالهن كالضراغم (الأسود).

إذا خطرْ نـاداه مَهْجورُهُ:

يا مَنَ عَتا طُوبى لِمَنْ قَبّلْ ذاك الجَبينْ.
ويكتفي مِنْ ريقِكَ السَلْسَلْ قبلَ المَنونْ.

– وقال يشكو زمانَه وسِيادة الظالمين الجُهّال الأغبياء ويشكو ما في ذلك في مدينتهِ حِمْص (إشبيلية) ويُحَرِّض أهلَ حمصٍ على حاكمٍ ظالمٍ:

إلى اللهِ أشكو الذي نحنُ فيه: أسًى لا يُنَهْنِهُ منه الأسى[1]!
على مِثلِها فَلْتُشَقَّ القلوبُ – مكانَ الجيوبِ – وإلّا فَلا[2].
فَشا الظُلْمُ واَغترّ أشياعُه، ولا مُسْتَغاثٌ ولا مُشْتَكى[3].
وساد الطَّغامُ بتَمْويهِهِمْ؛ وهل يَفْدَحُ الرُّزْءُ إلّا كذا[4]!
وكيف تَضاحَكُ هذي الرِياضُ؟ وكيف يَصوبُ الغَمامُ الحَصى[5]؟
(وماذا «بحِمْصٍ» من المُضحكاتِ، ولكنّه ضَحِكٌ كالبُكا)[6].
وذا اليومُ حَمّلنا فادِحاً خَضَعْنا له واَنْتظَرْنا غَدا[7].
ويا رُبَّ إلْبٍ على المُسلمين زَوَى الحقَّ عن أهلهِ فاَنْزوى[8].

(١) أسًى: حزناً. ينهنهه: يكفّه، يردّه، يخفّفه. الأسى: المداواة.
(٢) الجيوب: (جمع جيب): مدخل العنق في الثوب. – في المصائب الشديدة النازلة يقال: شقّ الحزين جيبه (وأكثر ما يقال ذلك في موت عزيز). أمّا مصيبة اشبيلية بحاكمها الظالم العدوّ للمسلمين فلا يكفي فيها شقّ الجيوب بل تبلغ من الشدّة والعنف إلى أنّ المصاب يشقّ قلبه (يموت).
(٣) فشا: انتشر، شاع، كثر. اغتر (طمع الظالمون بقوّتهم).... لا أحد قادراً على إغاثة الناس (إنقاذهم) ولا أحد يسمع الشكوى من الناس.
(٤) الطغام: أوغاد الناس. يفدح: يثقل، يعظم (يجعل الإنسان عاجزاً عن الاحتمال). الرزء: المصيبة.
(٥) تضاحك: تتضاحك (يكثر نباتها وزهرها). وكيف يصوب (يسقط) الغمام (المطر) الحصى (صغار الحجارة): كيف ينزل المطر على الأرض من ظلم هذا الحاكم!
(٦) هذا البيت للمتنبّي: «وماذا بمصر من المضحكات.....».
(٧) ....انتظرنا غدا: رجونا أن تتبدّل الحال في المستقبل.
(٨) الإلب (بكسر الهمزة في الأكثر): القوم يجتمعون على عداوة إنسان واحد. زوى: أمال، منع.

هو الكلبُ أسَّده جَهْلُهُ، وطال؛ فخالوه لَيْثَ الشَّرى[1].
وراعَهمُ زأرُه فِيهِمُ؛ ولو كان في غيرِهم ما عَوى[2].
تهاوَنَ باللهِ والمُسلمينَ، وقد كان في واحدٍ ما كفى[3].
وقد خلَعَ الدينَ خَلْعَ النجادِ، وقد أكل الدَّيْنَ أكلَ الربا[4].
فمَرْآهُ في كلّ عينٍ قَذًى، وذِكْراه في كلّ حَلْق شَجا[5].
إذا سُئِلَ العَسْفَ بالمُسلمينَ فأجْوَدُ مِنْ حاتَمٍ بالقِرى[6].
وإنْ أمْكَنَتْ مِنْهُمُ فُرصةٌ فأفْتَكُ من خالدٍ بالعِدا[7].
ولا بُدَّ للحقِّ من دَولةٍ تُميت الضَّلالَ وتُحْيي الهُدى[8].
فما غَفَلَ اللهُ عن أُمّةٍ، ولا ترك اللهُ شيئاً سُدى.
أيا أهلَ حِمْصٍ، وقِدْماً دَعَوْتُ! وهل تسمَعونَ إلى مَنْ دعا؟
ألا قد لَحَنْتُ لكم فاسمَعوا وحاجَيْتُ، إن كان يُغني الحِجا[9].

- معظم قصائد الأعمى التُّطيليّ على النهْج المشرقيّ. ثمّ هو كثيرُ المبالغة كثير الاَستعارات قليلُ المعاني. من ذلك قولُه يمدح أبا العلاء بنَ زُهْرٍ في قصيدة طويلة:

(١) أسّده جهله: جهله (بعاقبة الظلم) أسّده (أغراه وأطمعه) بأن يظلم. خال: ظنّ. ليث: أسد. الشرى: الجبل (للاعتقاد بأن أسود الجبال أشدّ فتكاً).
(٢) راع: أخاف. الزأر: الزئير: صوت الأسد. العواء (بالضمّ): صوت الكلب.
(٣) كان في واحد ما (الذي) كفى: التهاون بالله وحده أو بالمسلمين وحدهم كاف حتّى يجعل الإنسان كافراً مستوجباً للقتل.
(٤) النجاد: سير من جلد يحمل به السيف متدلّياً من العنق إلى جانب الجسم. الربا: الفائدة الفاحشة (أو الفائدة مطلقاً) على الأموال. وقد أكل.....: كناية عن الإسراف في الظلم (الذي هو صنو الكفر) وعن السرور بفعله!!
(٥) قذى: قذر، وسخ، ضرر. شجا: شيء يعترض في الحلق فيؤلمه.
(٦) العسف: الظلم. القرى (بالكسر): الضيافة، الكرم.
(٧) خالد: خالد بن الوليد.
(٨) الدولة (بفتح الدال وبضمّها): انقلاب الزمان والغلبة وانتقال الأمر من حال إلى حال.
(٩) لحن فلان لفلان: قال له قولاً يفهمه هو عنه ويخفى على غيره (القاموس ٤: ٢٦٦). حاجى: فاطن (قال قولاً يختبر به فهم الآخرين: قال تلميحاً). الحجا: الفطنة والعقل (هل ينفع العقل الذي فيكم فتفهموا عنّي ما أعني). والحجا يمكن أن تكون مرخّمة من الحجاء (مصدر حاجى).

أبى اللهُ إلّا أن يكونَ لكَ الفضلُ، وأنْ يتَباهى بٱسْمِكَ القولُ والفِعْلُ؛
وأنْ تَقِفَ العَليا عليك ظنونَها إذا رابَها جِدٌّ من القول أو هَزْل.
أضِيءْ،يا سِراجَ الدينِ وابنَ سِراجِهِ، إذا اشْتَبَهَتْ تلك المَسالك والسُبْل.
عَفاءٌ على الأرضِ التي لا تَحِلُّها ولو نَبَتَتْ فيها السَماحة والبَذْل.

– وقال يشكو الدهر الذي جعل شَعْرَه أبيضَ بعدَ أن بيّض عَيْنَيْهِ (أعماه):

أما ٱشْتَفَتْ مِنّيَ الأيّامُ في وطني حتّى تضايقَ فيما عَنَّ من وَطَرِ[1]؛
ولا قضتْ من سَوادِ العينِ حاجتَها حتّى تَكِرَّ على ما كان في الشَّعَرِ[2]!

– هجاء ومُجون:

وجوهٌ تَعِزّ عـــلى مَعْشَرٍ، ولكن تَهونُ عـــلى الشاعر.

٤ – ديوان الأعمى التطيلي (تحقيق إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.

★★ قلائد العقيان ٣١٥ – ٣٣٢؛ بغية الملتمس ١٧٥ – ١٧٦ (رقم ٤٢٩)؛ المغرب ٢: ٤٥١ – ٤٥٦؛ الوافي بالوفيات ٧: ١٢٦ – ١٣٢؛ خريدة (المغرب والأندلس) ٥١١ – ٥٢١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥٦٧ – ٥٨٢؛ الذخيرة ٢: ٧٢٨ – ٧٥٣؛ نكت الهميان ١١٠ – ١١٣؛ نفح الطيب راجع ٣: ٤٠٤، ٥٣٦؛ جيش التوشيح ١٦ – ٤٥، راجع ٢٣١ – ٢٣٣، ٢٧٩ – ٢٨٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٢٦؛ بروكلمن ١: ٣٢٠، الملحق ١: ٤٨٠؛ نيكل ٢٥٤؛ مختارات نيكل ١٧٠ – ١٧١.

أبو عمرو الأُنديّ

١ – هو أبو عمرٍو أحمدُ بنُ خليلٍ الأُنْديُّ نِسبةً إلى أُنْدةَ من كورة تُدْميرَ (جَنوبَ شرقيِّ الأندلس)، لا نَعْرِفُ من تاريخِ حياتِهِ شيئاً. ولعلّ وفاتَه كانتْ نحو سَنَة ٥٢٥ هـ (١١٣١ م).

(١) أما اكتفت الأيام (الدهر) بما نزل بي من الظلم والمصائب في بلدي إشبيلية حتّى تضايق (تتضايق) من تحقيق غاية من غاياتي مرّة بعد مرّة.

(٢) – ولم تكتف الأيام بإذهاب سواد عيني (بالعمى) حتّى تعود بالهجوم على سواد شعري (بالشيب).

٢ - كان أبو عمرٍو الأُنديُّ طبيباً وشاعراً له مُقطّعاتٌ حِسانٌ وأخْيِلَةٌ شعريةٌ بارعة في اللفظ العَذْبِ والتركيب المتين، مَعَ شيءٍ من الطبعِ على غِرارِ القدماء. ومُقطّعاتُه التي وَصَلَتْ إلينا في الوصفِ والغَزل.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي عمرٍو الأُنديِّ مقطّعاتٌ منها:

★★ ومذعورةٌ من حَلْيِها قد ذَعَرْتُها ... بسَلّةِ مَطْرورِ الغِرارِ مُهَنَّدِ[١].
فما وَجَدَتْ للحزم إلّا ٱلْتَفاتَةً ... تُرَقرِقُها ما بينَ دَمْعٍ وإثْمِدِ[٢].
حَكَمْتُ على أَلْحاظِها بعضَ حُكْمِها؛ ... فحَسْبُكَ مِنّي مُعْتَدٍ غيرُ معتد[٣]!

★★ وهيفاءَ رامَ الغُصنُ يَحْكي قَوامَها، ... وقالتْ لها شَمْسُ الضُحى: أنتِ أمْلَحُ[٤]
يُقِلُّ رِداحَ الرِدْفِ منها مُخَصَّرٌ، ... بأضْيَقَ من خَلْخالِها تَتَوشّحُ[٥].
تَلاعَبَ بالِمرآةِ عُجْباً، وإنّما ... تُلاعِبُ ظبي الموتِ في الماء تَسْبَحُ[٦].

---

(١) - شهر الشاعر سيفه في وجه حبيبته مزحاً ليخيفها فقط لا ليؤذيها. مذعورة: خائفة. من حليها (من وسوسة: صوت الحلى التي تتزيّن بها - لرقّة إحساسها). ذعرتها: أخفتها. بسلّة (بإخراج السيف فجأة من غمده). مطرور (جميل) الغرار (الحدّ)، أي أبيض، مصقول (حادّ، قاطع). مهنّد: من صنع الهند (دلالة على جودته).

(٢) فمالت بوجهها إلى الوراء حذراً حينما توهّمت أن السيف يمكن أن يصيبها. التفاتة ترقرقها (تجري معها دمعاً من عينيها). الإثمد: الكحل.

(٣) أريتها (في لحظة، من التهويل عليها بالسيف) ما تُري هي عشّاقها في كلّ يوم من سيوف عينيها. فحسبك (يكفيك) منّي أنّي كنت معتدياً عليها (لأنّي أخفتها) غير معتد (لأنّي لم أقصد الإضرار بها).

(٤) الهيفاء: المشوقة، النحيلة. رام: أراد. يحكي: يشابه، يقلّد.

(٥) يقلّ: يحمل. رداح الردف (عظيمة وسط الجسم). مخصّر: خصر نحيل. وشاحها الذي تلفّه على خصرها ضيّق جدًّا (كأنّه خلخال: سوار يلبس في الرجل فوق القدم).

(٦) - تَلَاعب بالمرآة (تتسلّى بالنظر دوماً في المرآة، دلالاً - للتملّي دائماً من جمال وجهها) ومعنى الشطر الثاني غامض، وخصوصاً لأنّ كلمة «ظبي» لا تدخل هنا في الوزن. المعنى المقصود: ظبا جمع ظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. ولكنّ الوزن يقتضي لفظة على وزن «فعل» (بحركة فسكون فحركة). ولعلّ الكلمة ظمأ (بفتح فسكون) عطش وظمأ الحياة (راجع القاموس وتاج العروس) تعبير مألوف. =

★★ ذو غُرّةٍ إنْ مرّ تَحْسَبُـــــه ريحـــاً يَمرُّ أمامَهـــا قَبَسُ[1].
شَهْمٌ كطَبْعِكَ في الوغى يَقِظٌ، سَهْلٌ كخُلْقِكَ في الندى سَلِسُ[2].
★★ وغديرٍ رقّـتْ حواشِيـه حتّـى بـانَ في قَعْره الذي قد ساخا[3].
وكأنّ الطيورَ، إذ كَرَعَتْ فيـ ـه وعَلّتْ، تَزُقُّ فيه فِراخا[4].

٤ - ★★ الوافي بالوفيات ٦: ٣٧٤ - ٣٧٥؛ تحفة القادم ١٢؛ القدح المعلى ١٦٨ - ١٦٩.

أبو الحسن بن الباذش

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بن خلفٍ - ابْنُ الباذشِ - الأنصاريُّ الأندلسيّ، وُلِدَ في غَرناطةَ في شوّالٍ من سَنَةِ ٤٤٤ (شِتاءِ ١٠٥٣ م). قرأ على نعم الخلف بنِ محمّدِ ابنِ يحيى الأنصاريّ وأبي عليٍّ الصدفيّ وحَدّثَ عن القاضي عِياضِ بنِ موسى وأبي محمّدِ ابنِ عَطيّةَ وأبي عبدِ الله بن عبدِ الرحيم وأبي خالدٍ عبدِ الله بن أبي زَمَنِين. ثمّ إنّه أمَّ في صَلاةِ الفريضة في جامع غَرناطةَ. وكانتْ وفاتُه في غَرناطةَ في ثالثَ عَشَرَ المحرّمِ من سَنَةِ ٥٢٨ (١٣/ ١١/ ١١٣٣ م).

٢ - كان أبو الحسنِ بنُ الباذشِ بارعاً في النحوِ ومُشاركاً في عددٍ من فنونِ المعرفة: في القراءاتِ والحديث واللغة والأدب وسوى ذلك. وهو مُصنِّفٌ له عدد من الكتب منها: الإقناع في القِراءات ثمّ شُروحٌ على كتب، منها: كتاب سِيبَوَيْهِ - المُقْتَضَب من كلام العرب (لابن جِنّي) - الأصول (لابنِ السرّاج) - الإيضاح لأبي علي الفارسي - كتاب الجُمَل - الكافي لابنِ النّحاس[5]. وكان له نَظْمٌ.

= وظمأ الموت هنا (السيف الذي في عينيها ظامىء إلى قتل المحبّين بالحرمان). فيكون المعنى حينئذ: تتسلّى بالنظر إلى فتنة عينيها في المرآة (في الماء تسبح: ماء المرآة). وتجعل تسبح يسبح.

(١-٢) البيتان في وصف حصان ذي غرّة بيضاء، وهو سريع الجري. ثمّ هو شهم (سريع) في الحرب، سهل، سلس (وديع) في الندى: الكرم (في السلم!).

(٣ و ٤) ساخ: غاص، غرق. كرعت: شربت. علّت: شربت مرّة بعد مرّة. - إنّها وهي تضع مناقيرها في الماء ثمّ ترفع رؤوسها عالية (لينزل الماء في حناجرها) تشبه أمهات العصافير وهي تطعم فراخها.

(٥) راجع في ذلك كلّه بغية الوعاة ٣٢٧.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي الحسنِ بنِ الباذشِ شيءٌ من النظم، منه:

أصبحتَ تَقْعُدُ بالهوى وتقومُ ... وبه تُقَرِّظُ مَعْشراً وتذيمُ[١].
تَعْنيكَ نفسُكَ فاشْتَغِلْ بصَلاحِها؛ ... أنّى يُعَيِّرُ بالسَّقامِ سَقيمُ[٢]!

- وله في مدح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي:

أضِعِ الكَرى لِتَحَفُّظِ الإيضاحِ ... وصِلِ الغُدُوَّ لِفَهْمِه بِصَباحِ[٣].
هو بُغيةُ المُتعلّمين، ومَنْ بَغى ... حَمْلَ الكِتابِ يَلِجْهُ بالمِفتاحِ[٤].
لأبي عليٍّ في الكِتابِ إمامةٌ ... شَهِدَ الرُواةُ لها بفَوْزِ قِداحِ[٥].
يَقْضي على أسرارِه بنَوافذٍ ... مِنْ عِلمِه بَهَرَتْ قُوى الأمداحِ[٦]؛
فيُخاطِبُ المُتعلّمين بلفظِه ... ويحُلُّ مُشْكِلَةً بوَمْضةِ واحِ[٧].
مَضَتِ العُصورُ وكلُّ نحوٍ ظُلْمَةٌ، ... وأتى فكان النحوُ ضُوءَ صَباحِ.
أُوصي ذوي الإعرابِ أن يتذاكروا ... بحُروفِهِ في الصُحْفِ والألواحِ[٨].
فإذا همو سَمِعوا النصيحةَ أنْجحوا. ... إنّ النصيحةَ غِبُّها لِنَجاحِ[٩]!

---

(١) تقرّظ: تمدح. ذام يذيم ذيماً (بفتح الذال) وذاما: ذمّ، هجا.

(٢) أنّى: كيف. - كيف يعيّر السقيم سقيماً آخر!

(٣) أضِعْ فعل أمر من «أضاع» (ضيّع). الكرى: النوم. تحفّظ الكتاب: بذل جهداً في حفظه جزءاً بعد جزء. الإيضاح (كتاب الإيضاح). الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس.

(٤) بغى يبغي: طلب، أراد. ولج: دخل. حمل الكتاب (معرفة كتاب سيبويه معرفة صحيحة). المفتاح (كناية عن كتاب الإيضاح!) - نسبة كلّ مفتاح إلى كلّ باب كنسبة الإيضاح إلى كتاب سيبويه.

(٥) لأبي عليّ (الفارسي) في الكتاب (كتاب النحو لسيبويه) إمامة (مقدرة وتقدّم). القِدح (بكسر القاف): سهم أو قطعة من خشب أو نحوه تستخدم في الاستقسام (الميسر أو القمار).

(٦) - يشرح ما غمض منه برأي نافذ (مصيب، صحيح) بهر: أدهش، غلب، فاق. الأمداح جمع مدح. قوى جمع قوّة (!). فهمه يزيد على كلّ مديح.

(٧) ومضة: برقة، لمعة. الواحي (من وحى يحي: أشار أومأ). بسرعة.

(٨) ذوو الإعراب (المشتغلون بتعليم النحو).

(٩) أنجح (نجح). الغبّ: العاقبة، النتيجة.

٤ - ★★ إنباه الرواة ٢: ٢٢٧ - ٢٢٨؛ بغية الوعاة ٣٢٦ - ٣٢٧؛ الديباج المذهب ٢٠٥ - ٢٠٦؛ الأعلام للزركلي ٥: ٦٠ (٤: ٢٥٥).

ابن الطراوة

١ - هو أبو الحسينِ (أبو الحَسن) سُليمانُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الطَراوةِ الشيبانيّ (المطرب- الخرطوم ٢٠٩ ؛ القاهرة ٢٣١) السَبَئي أو السَبائي (بغية الوعاة ٢٦٣) المالَقيُّ، وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٤٤٠ (١٠٤٨ م). كان أكثرُ اهتمامِه بكتابِ سِيبَوَيْهِ (في النحو) قرأه أوّلاً سَنَةَ ٤٦١ في إشبيلية على أبي بكرِ بنِ عيّاشٍ المَرْشانيّ ثمّ في سَنَةِ ٤٦٥ على أبي الحجّاجِ الأعلمِ (ولكنْ بقراءةِ محمّدِ بنِ الأعلم) ثمّ رَحَلَ إلى قُرطبةَ وقرأ الكتابَ نفسَه على أبي مروانَ بنِ سِراجٍ ثمّ على أبي مروانَ الطِبْني.

ثمّ إنّه جعَلَ يتجوّلُ في البُلدانِ الأندلسية ليُعلِّمَ فيها ما كان يَعْرِفُه من النحوِ ومن الأدب أيضاً. وكانتْ بينَه وبينَ أبي الحسنِ الحُصْريّ (ت ٤٨٨ هـ) مُخاطباتٌ نالَ كلُّ واحدٍ منهما فيها مِنْ صاحبِهِ. وكانت وفاةُ ابنِ الطَراوةِ في رَمَضان أو شوّالٍ سَنَةِ ٥٢٨ (صيفِ ١١٣٤ م).

٢ - ابنُ الطَراوةِ في الأصلِ نحويٌّ، كانَ نَحويَّ المَريّةِ لم يكن بها في هذه الصناعةِ مثلُه. ثمّ إنّ له آراءً تَفرّدَ بها وخالفَ فيها جُمهورَ النُحاة، ولقد مَدَحَه عليها نَفَرٌ ثمّ لامَهُ عليها نفرٌ آخرون. وكذلك كانتْ له عنايةٌ بالأدب وكان يُقرئه (نفح الطيب ٢: ١٤٢). وله شعرٌ في المَدْح، مَدَحَ المعتصمَ بنَ صُمادحٍ وعليَّ بنَ يوسفَ بنِ تاشفينَ. غيرَ أنّ الذي بينَ أيدينا من شِعره مُقطّعاتٌ في الخمر والغزل والنقد الاجتماعي. وكذلك كان مُصَنِّفاً له: الترشيح (في النحو- مختصر)- المقدّماتُ على كتاب سِيبَوَيْهِ- مقالةٌ في الاسم والمُسمّى- الإفصاح ببعض ما جاء في الإيضاح (للفارسي المتوفّى سنة ٣٧٧).

٣ - مختارات من شعره:

- لابن الطراوة مقاطع قصار منها:

★★ يشرَبُهـا الشيـخُ وأمثالُـهُ وكـلّ مَنْ تُحْمَـدُ أفعالُـهُ.

والبَكْرُ إنْ لم يستطع صَوْلَةً تُلقى على البُزْلِ أثقالَه[1].

★★ ألا بأبي وغيرِ أبي غزالٌ أتى وبِراحهِ للشَرْبِ راحُ[2].

فقال مُنادمي في الحُسن صِفْهُ، فقلت: الشمسُ جاء بها الصباحُ.

★★ ولمّا رأيتُ الصُبْحَ لاحَ بِخدّه دَعَوْتُهُمُ: رِفْقاً تَلُحْ لَكُمُ الشمسُ[3].

وأطْلَعَها مِثلَ الغزالةِ، وهو كالـ ـغَزال، فتمّ الطِيبُ واكتمل الأُنس[4]

★★ شَرِبْنا بِمصباح السماء مُدامةً بشاطي غَديرٍ والأزاهرُ تَنْفَحُ[5].

وظلّ جَهولٌ يرقبُ الصُبْحَ ضِلّةً، ومن أكْؤسي لم يَبْرَحِ الصُبحُ يُصْبِحُ[6].

★★ وقائلةٍ: أتَصْبو للغواني وقدْ أضحى بِمَفْرِقكَ النهارُ[7]؟

فقُلت لها: حَثَثْتِ على التصابي (أحقُّ الخيلِ بالركْض المُعار)[8].

★★ خرجوا لِيَسْتَسْقوا، وقد نشأتْ بَحْرِيّةٌ يبدو لها رَشْحُ[9].

---

(١) البيتان في الخمر. البكر (بفتح الباء): الجمل الصغير. البازل: الجمل الذي بزلت (طلعت) سنّه (إذا بلغ ثماني سنوات أو تسعاً). الصولة: السطوة في الحرب ونحوها. - لا تليق الخمر إلّا بالوقور الهادئ. وإذا عجز الصغير عن فعل أمر عهد بهذا الأمر إلى الكبير المجرّب.

(٢) الراح جمع راحة: الكفّ. الشَّرب: الذين يشربون (الخمر) معاً. الراح: الخمر.

(٣) الصبح (الوضاءة والجمال) لاح (ظهر - لمّا بدا الساقي الجميل). تلوح: تظهر. الشمس (الخمر).

(٤) جاء بالخمر مثل الغزالة (الشمس). الطيب: الرائحة (من الخمر). الأنس (بالغلام الجميل).

(٥) شربنا (الخمر) بمصباح السماء (على ضوء القمر). تنفح: تنتشر رائحتها.

(٦) ضلّة: ضلالة وجهلا. يقال: أصبح الرجل: دخل في الصباح (والشاعر يقصد: يطلع في كلّ لحظة من كؤوس الخمر التي أشربها صباح جديد).

(٧) صبا: مال إلى. المفرق: مقدّم الرأس. النهار (البياض، الشيب).

(٨) حثثتِ على التصابي: أنتِ الآن (بقولك هذا وتذكيري أن شبابي سينقضي قريباً) تحضّينني على الميل إلى النساء الجميلات. المعار: العارية (الذي استعرته من غيرك). والمعار: المسمّن. وقيل المغار (بالغين المعجمة): المضمّر - راجع «فوائد اللآل» ١ : ١٨٨ وتاج العروس- الكويت ١٣ : ١٧٩ هذا الشطر يروى لابن أبي خازم الجاهليّ (راجع ديوانه بتحقيق عزّة حسن، دمشق ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م، ص ٧٨ والحاشية الطويلة المفيدة رقم ٥٥). وهو ينسب أيضاً للطرمّاح بن حكيم الأمويّ- يجب أن أستفيد من بقية شبابي!

(٩) خرجوا إلى صلاة الاستسقاء (بالعراء) بعد انقطاع المطر مدّة طويلة. بحرية: غمامة آتية من جهة البحر! الرشح: تسرّب الماء من خلال جسم ما.

حتّـــى إذا اصطفّوا لِدَعْوَتِهِمْ وبـــدا لأَعْيُنِهِمْ بهـا نَضْحُ[1] ،
كُشِفَ الغِطـــاءُ إجابــةً لَهُمُ، فكأنّما جـــاءوا لِيَسْتَصْحوا[2] .

★★ إذا رأوْا جَمَلًا يأتي على بُعُدٍ مَدّوا إليهِ جَميعاً كفَّ مُقْتَنِــصِ[3] .
إنْ جِئْتَهُمْ فارغـاً لَزّوكَ في قَرَنٍ، وإن رأَوْا رَشوةً أَفْتَوْكَ بالرُخَـص[4] !

٤ - ★★ بغية الملتمس ٢٩٠ (رقم ٧٧٩)؛ التكملة ٧٠٤؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٥٧١ - ٥٧٢؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٥٦ = ٦٥٧؛ الذيل والتكملة ٤: ٧٩ - ٨١؛ وفيات الاعيان ٤: ١٦٠؛ بغية الوعاة ٢٦٣؛ نفح الطيب ٣: ٣٨٤ - ٣٨٥، ٤: ٣٣٢؛ بروكلمن ١: ١٧٦ (السطر ٢١)؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٩٦ (١٣٢)؛ أخبار وتراجم أندلسية ١٧، راجع ٦٣.

ابن الزقّاق البلنسيّ

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ (ابراهيمَ بنِ) عَطيّةِ اللهِ بنِ مُطَرِّفِ بنِ سَلَمَةَ اللَّخْميُّ، ويُعرَفُ بابنِ الزقّاقِ وبابنِ الحاجّ، أصلُ أُسرته من إشبيلية، وقد كان بَيْنَهم وبينَ بني عبّادٍ قرابةٌ (فلمّا خُلِعَ المُعتمدُ بن عُبّادٍ أنكروا ذلك). ويبدو أنّ أهلَه انتقلوا، بعدَ آستيلاءِ المرابطين على إشبيليةَ (٤٨٤ هـ)، إلى بَلَنْسِيَةَ. وفي بَلَنْسِيَةَ تزوّجَ والدُ ابنُ الزقّاقِ أختَ الشاعرِ آبن خَفاجةَ (ت ٥٣٣ هـ).

وُلِدَ ابنُ الزقّاقِ البَلَنْسيُّ في بلنسيةَ، سَنَةَ ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م)، وفيها نشأ وطلَبَ العِلمَ وقضى حياتَه كلَّها، ولا نعلَمُ أنّه غادَرها إلى مكانٍ آخرَ. وتلقّى ابنُ الزقّاقِ جانباً من العلم على ابنِ السِيدِ البَطَلْيَوْسِيِّ (ت ٥٢١ هـ) في إحدى زوراتِ البَطليوسيِّ إلى بلنسيةَ.

---

(١) حتّى إذا اصطفّوا (للصلاة) وللقيام بالدعاء. النضح: الرشح.

(٢) كشف الغطاء (انجابت الغيوم عن وجه السماء). ليستصحوا: ليطلبوا الصحو. - في البيت تهكّم.

(٣) هذان البيتان في التهكّم بالفقهاء. الجمل (هنا): شيء ما (ولو كان كبيراً كالجمل). المقتنص: الصيّاد (الذي ينتهز الفرص في الحصول على ما يستطيع الحصول عليه).

(٤) فارغاً (لا تحمل إليه هديّة) لزّوك في قرن (حبل): ربطوك مع غيرك بحبل واحد (أذلّوك). أفتوك بالرخص (الرخصة: ما له وجه من القانون): وجدوا لك مخرجاً للتحلّل من قيود القانون والشرع.

وكانت وفاةُ ابن الزقّاقِ البلنسيّ نحوَ سَنَةِ ٥٢٩ هـ (١١٣٤- ١١٣٥ م) قبلَ الأربعين مِنَ العُمرِ.

٢ - كان ابنُ الزقّاق البلنسيُّ شاعراً وُجدانيًّا رقيقاً مُحسِناً، حَسَنَ التصرُّفِ في معاني الشعر - يحتالُ للمعنى القديمِ حتّى يبدو كأنّه مُخْتَرَعٌ جديدٌ - وكذلك كان نَبيلَ الأغراض، يُطيلُ أحياناً ويُجيد في المقطّعات. ولابن الزّقّاق من الفنون مدحٌ قليلٌ جيّدٌ وشيءٌ من الرثاء وقليل من الهجاء. وله الغَزَلانِ، المؤنّثُ والمذكّر، مَعَ شيء من المُجون المستور فيها كليهما. وله خَمْر. ويَكْثُرُ الوصف في شعر ابن الزّقّاق فهو بارعٌ في وصف الطبيعة دقيقُ الملاحظة؛ غيرَ أنّ وصفَه للطبيعة لَمَحاتٌ مستقلّة موضوعية لم تمتزج عادة بالمشاعر الإنسانية؛ وعلى هذا نَجِدُهُ أدنى مرتبةً في وصف الطبيعة من خاله ابن خفاجة.

٣ - مختارات من شعره:

- لابنِ الزقّاقِ البلنسي قصيدةٌ في مديح أبي بكر بنِ عبدِ العزيز صاحبِ بلنسية يَنسِب فيها ويفتخر، منها:

يا شمسَ خِدْرٍ ما لها مَغْربُ، أرامـــــةٌ دارُك أم غُرّبُ[١]؟
ذهبـــتِ فاسْتَعْبَرَ طرفي دَمـــاً مُفَضْفَضُ الدمعِ به مُذْهَبُ[٢].
اللهُ في مُهْجَـــةِ ذي لَوْعَـــةٍ تَيَّمـــه يومَ النَّقـا الرَبْرَب[٣]!
ناشدتُّـــكَ اللهَ، نسيمَ الصَبــا، أيْنَ اسْتَقَلّتْ[٤] بعدَنا زَيْنَب؟

(١) شمس خدر: فتاة جميلة (كالشمس) مخدّرة (لا تخرج من بيتها لوجاهتها وصونها فلا يراها الناس). ما لها مغرب: لا تقترب من الغروب (شابة أبداً). رامة وغرّب: مكانان في شبه جزيرة العرب (يقصد: من أي بلاد الحسن والجمال أنت؟).

(٢) استعبر: بكى. الطرف: العين. - امتزج دمعي الأبيض بدمي الأحمر.

(٣) المهجة: دم القلب، القلب. اللوعة: الحرقة في القلب من الحبّ. تيّمه: أمرضه أو عذبه بالحب. النقا: الرمل الأبيض. يوم النقا (يوم الاجتماع بذلك المكان الذي فيه نقا). الربرب: القطيع من بقر الوحش (الغزلان)، كناية عن جماعة من الفتيات الجميلات.
- الله في مهجةِ ذي لوعة: أعان الله المحبّ.

(٤) نسيم الصبا (يا نسيم الصبا). استقلّ: ذهب، استقلّ: حمل (أحماله وسافر).

لم تَسْرِ إلّا بشَذا عَرْفِهـــا؛ وإلّا، فماذا النّفَسُ الطَيِّب[١]!
ويـا سَحابَ المُزْنِ، مـا بالُنا يَشُوقُنـا ذَيْلُـكَ إذْ تَسْحَـب[٢]؛
هـاتِ حديثاً عن مغاني اللِّوى فعَهْــدُك اليومَ بهـا أقْرب[٣].
أفْلَحَ من خاضَ بِحارَ الدُجى وصَهْوَةُ العِزّ لـه مَرْكَـب[٤]:
أليْس في البَيْــداء مَنْدوحــةٌ إن ضاق يوماً بالفتى مَذْهب[٥]!
إن كــان للفَضْــلِ أبٌ إنّــه نجـلُ بَـني عبدِ العزيزِ الأبُ.
تَنْحَـــطُّ قَحْطــانُ وساداتُهـا عَنْهُمْ، وتَمْشي خَلْفَهُمْ تَغْلِــبُ.
لم تَخْلُ من نارٍ لَهُمْ في الدجي ثَنِيَّــةٌ عليــاءُ أو مَرْقَــب[٦].
هــل شَيّـدَ العليــاءَ إلّا فتًـى راق بـه المَحْفِـلُ والمَرْكَـب[٧]:
في الدَّسْتِ منــه عَلَمٌ أصْيَــدٌ، وفي الوَغى ضَرْغامَةٌ أغْلَب[٨].
كــلّ شِهــابٍ عنــده خامِـدٌ، وكــلّ بَرْق عِنْده خُلَّــب[٩]

- وله في وصف الخمر ووصف الطبيعه:

---

(١) - لمّا هببت، أيّها النسيم في الليل كانت رائحتك الطيّبة منها، وإلّا فمن أين جئت بهذه الرائحة؟

(٢) المزن: المطر. ذيل السحاب: الأطراف المتدلّية من السحاب (ويكون هذا النوع من السحاب ممطراً). يشوقنا (يهيجنا، يجعلنا نميل) ذيلك إذ تسحب (لأنّك تأتي بالمطر).

(٣) المغاني جمع مغنى: المكان المأهول، المسكون. اللوى: الرمل الملتوي، تلّة الرمل.

(٤) - لقد نجح الذي يسافر في الليالي يدفعه إلى ذلك محافظته على كرامته.

(٥) البيداء: الأرض الواسعة (الصحراء). مندوحة: متّسع. المذهب: الطريق، السبيل، طلب العيش.

(٦) الثنيّة (العطفة في الطريق أو الجبل) العلياء (العالية). المرقب: المكان المرتفع (ترى منه الطرق المتفرّعة). هم كرماء (يشعلون النار للضيوف عند كلّ عطفة طريق) وهم أبطال (يشعلون النار على كلّ مكان مرتفع يدعون بها قومهم إلى الحرب).

(٧) المحفل: مكان اجتماع الناس لأمر من الأمور (في السلم). المركب: الخيل (للحرب).

(٨) الدست: المجلس الرسمي؛ يقال دست الوزارة (الحكم). العلم: الرجل المشهور، الأصيد: الشريف (الصَّيَد بفتح الصاد والياء: ميلان العنق، كناية عن الكبر بكسر الكاف). والأصيد الملك أيضاً. الوغى: الحرب. الضرغامة: الأسد.

(٩) كلّ نجم مهما يكن مضيئاً خامد (لا نور فيه) بالإضافة إلى الممدوح. وكلّ برق (مهما يكن فيه من المطر) خلّب (لا مطر فيه). - كلّ مجد أقل من مجده وكلّ كرم أقل من كرمه.

(أ) بَلَنْسِيَـــةٌ إذا فكّرتَ فيهـــا ... وفي آياتِهـــا أسنـــى البـلادِ[١].
وأعظمُ شاهِـدي منهـا عَلَيْهـا ... بـــأنّ جمالَهـــا للعَيْن بـادِ[٢]؛
كساهـــا ربُّنـــا ديبـــاجَ حُسْنٍ ... لـــــه عَلَمان من بَحْرٍ وواد[٣].

(ب) أديراها علـى الروضِ المُنَدّى ... وحُـكْمُ الصُبْحِ في الظلماء ماضي[٤]
وكأس الراح تنظُر عن حَباب ... ينوب لنـا عنِ الحَدَق المِراض[٥].
ومـا غَرَبَـتْ نجوم الأُفـق لكن ... نُقِلْن من السماء إلى الرياض[٦].

(جـ) نُثِرَ الوردُ بالخليـجِ وقـدْ دَرّ ... جَـــهُ بالهُبوبِ مَرُّ الريـــاحِ[٧]؛
مِثْلَ دِرْعِ الكَمِيِّ مَزّقَها الطَّعْـ ... ـنُ فسالـت بها دِماء الجِراحِ[٨].

(د) ولَيْـــلٍ قطعـــتُ دياجيرَهُ ... بعَـــذْراءَ حَمْراءَ كالعَنْـدَمِ[٩]،
أُديرَتْ كواكـــبُ أقْداحِهـــا ... عـــليّ فأغْرَبْتُهـــا في فَمي[١٠].
فقـال- وقـد طـارَ من خِيفَةٍ- ... وإصْباحُــــه واضِـــحُ المَبْسِمِ:
رأيتُـــك تَشْرَبُ زُهْرَ النُجومِ ... فَوَلَّيْــتُ خَوْفاً عـلى أنْجُمي[١١]!

---

(١) أسنى: أكثر نوراً وإشراقاً. الآيات: العجائب، الأمور الغريبة العظيمة.
(٢) - وأعظم ما يمكن أن أستشهد به على جمالها مأخوذ منها نفسها، وهو أن جمالها ظاهر للعيون.
(٣) الديباج: ثوب منسوج كلّه من حرير. العلم: رسم في الثوب. الوادي: النهر.
(٤) - يا ساقيان، أديرا الراح (الخمر) على الروض المندّى (ونحن جلوس فيروضة في الصباح الباكر لم يجفّ الندى الذي نزل فيها في الليل بعد). وحكم الصبح في الظلماء ماض: نور الصباح يطرد ظلام الليل.
(٥) يشبّه الفقاقيع التي تطفو على وجه كؤوس الخمر بعيون تنظر إلى الشاربين، تقوم (لجمالها) مقام الحدق (العيون) المراض (الناعسة).
(٦) لمّا طلع الصبح واختفت نجوم الليل، فإن نجوم الليل لم تغب ولكنّها نزلت واستقرّت في روضتنا (كناية عن الأزهار، أو كناية عن الفقاقيع التي تطوف على الخمر في الكؤوس).
(٧) الخليج: النهر.
(٨) الكميّ: الشجاع.
(٩) الديجور: الظلام. العذراء: الخمر (إذا شقّ عنها الدنّ- خابية الخمر- للمرة الأولى). العندم: دم الأخوين أو البقم (نبات ثمره شديد الاحمرار).
(١٠) أغربتها (جعلتها تغرب) في فمي (يقصد: شربتها).
(١١) - رأيتك تشرب خمراً يطفو على وجهها فقاقيع (كالكواكب) فخفت أن تشرب نجومي أيضاً.

- وله في الغزل والنسيب وما يلحق بها:

(أ) عَذيري من هضيمِ الكَشْحِ أحْوى ... رخيمِ الدَّلِّ قد لَبِسَ الشَّبابا[1]؛
أعَدَّ الهَجْرَ هاجِرَةً لقَلْبي ... وصَيّر وَعْدَه فيها سرابا[2]!

(ب) وأَغيدٍ طاف بالكؤوسِ ضُحىً ... وحثَّها والصباحُ قد وَضَحا.
والروض أهدى لنا شقائقَهُ، ... وآسُه العنبريُّ قد نفحا.
قلنا: وأين الأقاح، قال لنا: ... أودعْتُه ثَغرَ من سقى القَدحا.
فظلَّ ساقي المُدام يجحد ما ... قال، فلمَّا تبسَّم آفتَضحا.

(جـ) ومرتجَّةِ الأطراف أمَّا قَوامُها ... فلَدْنٌ وأمّا رِدْفها فرَداحُ[3]،
ألَمّتْ فبات الليلُ، من قِصَرٍ بها، ... يطيرُ ولا غَيْرَ السرور جَناحُ[4]
فبتُّ وقد زارَتْ بأنعَمِ ليلةٍ ... يُعانقني حتى الصباحِ صَباحُ[5].
على عاتقي من ساعدَيْها حمائل ... وفي خصرها من ساعِديَّ وِشاحُ[6].

(د) سَقَتْني بيُمْناها وفيها فلم أزلْ ... يُجاذِبُني من ذاكَ أو هذهِ سُكْر.
تَرَشَّفْتُ فاها إذ تَرَشَّفْتُ كأسَها؛ ... فلا، والهَوى، لم أدرِ أيُّهُما الخَمْرُ!

- ولابن الزّقاق موشّحة منها:

---

(١) عذيري= عاذري: من يكون عاذري ولا يلومني (في ما أعمل). هضيم (نحيل، ضامر) الكشح (وسط الجسم). أحوى: أسمر الشفة. رخيم (ناعم) الدلّ (الدلال، الغنج).

(٢) الهاجرة: نصف النهار، شدّة الحرّ-هجره (ابتعاده عنّي) كالحرّ الشديد لقلبي. السراب: لمعان يُرى من بعيد كأنّه ماء. وَعْدُهُ سراب: لا يفي بوعد (لكنّه يُطمع المحبّين بوعوده).

(٣) مرتجّة الأطراف: مهتزّة، متمايلة (كناية عن ليونة الجسد وعن الشباب). لدن: ليّن، طريّ. الردف: الورك، الأَلية. رداح: متّسع، ثقيل.

(٤) ألمّ: نزل، جاء (ضيفاً)، زار. من قِصَرٍ بها: يبدو قصيراً لأنّها معي.

(٥) أنعم ليلة: أكثر الليالي نعمة عليّ. الصباح: أول النهار. صباح: فتاة جميلة تشبه الصباح (ببياضها وحسنها).

(٦) الساعد= الذراع (من المرفق إلى طرف الأصابع). الحمائل جمع حِمالة (بكسر الحاء): علاقة (بكسر العين) سير من جلد يعلّق به السيف إلى الكتف أو العنق. الوشاح: قطعة من جلد أو نسيج تشدّها المرأة على كتفيها وخصرها.

خُذْ حديثَ الشوقِ عن نَفَسي وعنِ الدمعِ الذي هَمَعا[1].

★ ★ ★

ما تَرى شوقي قدِ اتّقدا
وهَمَى بالدمعِ واطّردا
واغْتدى قلبي عليكَ سُدى؟
آهِ من ماءٍ ومن قَبَسٍ بين طَرْفي والحَشا جُمِعا[2].

★ ★ ★

بأبي رِيمٌ إذا سَفَرا
أطلعتْ أزرارهُ قَمرا.
فاحْذروه كُلَّما نَظَرا؛
فبألحاظِ الجفونِ قِسِي أنا منها بعضُ من صُرِعا[3]!

- وقال في الخمر والغزل:

وساقٍ يَحُثُّ الكأسَ حتّى كأنّها تلألأَ منها مِثْلُ ضوءِ جَبينهِ.
سقاني بها صِرْفَ الحُمَيَّا عَشِيَّةً، وثَنّى بأُخْرى من رحيقِ جُفونه[4].
هضيمُ الحَشا ذو وَجْنَةٍ عَنْدميّةٍ تُريكَ جَنِيَّ الوردِ في غيرِ حِينه[5].

(١) همع: سال.

(٢) اتّقد: توقّد، اشتعل. همى: سقط (بكثرة). اطّرد: توالى، تتابع. واغتدى (عطف) قلبي عليه سدى (بلا فائدة). القبس: شعلة من النار تقتبس (بالبناء للمجهول: تؤخذ. تشعل) من نار مشتعلة. الطرف: العين.

(٣) الريم: الغزال الأبيض. سفر: كشف عن وجهه، ظهر. الأزرار: مدخل الثوب في العنق. قسي = قسيّ جمع قوس (ترمى منه السهام). صرع: قتل.

(٤) الحميّا: الخمر. الصرف: غير الممزوجة بالماء. من رحيق جفونه- من خمر عينيه (أسكرني بنظره إليّ).

(٥) هضيم الحشا: نحيف الخصر. عندمية: حمراء كالعندم (نبات شديد الحمرة). جنيّ الورد: الورد المقطوف حديثاً.

فأشرَبُ من يُمْنـاه ما فوق خَدِّه وأَلْثِمُ من خَدَّيْـهِ مـا في يَمينه[1].

٤- ديوان ابن الزقّاق البلنسيّ (تحرير غارثيا غومس) مدريد ١٩٣٤م، ١٩٥٦م؛ (تحقيق عفيفة محمود ديراني)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤م.

★★ المغرب ٢:٢٣٠- ٢٣٨؛ المطرب ١٠٠ - ١١١؛ التكملة رقم ١٨٤٤؛ الذيل والتكملة ٥: ٢٦٥ - ٢٦٨؛ الخريدة (المغرب والأندلس). ٣: ٥٦٤ - ٥٦٨؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٤٧ - ٦٥٣ ثمّ ٦٦٥ - ٦٦٦؛ فوات الوفيات ١: ٧٧ - ٧٩؛ شذرات الذهب ٤: ٨٩؛ نفح الطيب ٣: ١٩٩ - ٢٠٠، ٢٨٩ - ٢٩١، ٤١٤ - ٤١٥، ٤: ١٥٨ - ١٥٩، ٢٩٨ - ٣٠٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧١؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٨١؛ نيكل ٢٣١ - ٢٣٣؛ مختارات نيكل ١٥٤ - ١٥٥ (ذكر باسم ابن القزّاز)؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٢٨ (٤: ٣١٢).

أبو الصلت بن عبد العزيز الأندلسي

١ - هو أبو الصَلْتِ أُمَيّةُ بنُ عبدِ العزيز بن أبي الصَلتِ، وُلِدَ في دَانِيَةَ بِشَرْقِ الأندلُس سَنَةَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) ودَرَسَ على جماعةٍ منهم أبو الوليد الوَقَّشيّ قاضي دانيةَ.

ولـمّا آستَوْلى المرابطون على الأندلس بارَحَها أُمَيّةُ في أهل بيتِه إلى مِصْرَ فوصل إليها يوم الأضْحى من سَنَةِ ٤٨٩ (١٠٩٦/١١/٢٧م)، في أيام الآمرِ الفاطميّ أبي عليّ المنصور. واتّصل أُميةُ برجلٍ اسمُهُ تاجُ المَعالي كان من خَواصِّ الأفْضَلِ شاهنشاهَ آبن بَدْرٍ وزيرِ الآمرِ. وقدّمه تاجُ المعالي إلى الأفضلِ فَحَظِيَ أُمّيةُ عندَه. ولكنّ ذلك ساء كاتباً لدى الأفضلِ فأضمَرَ لأُميةَ المكروهَ. ثم إن الأفضلَ تغيّر على تاجِ المعالي فَقَبَضَ عليهِ وعلى أُميةَ وسَجَنَهُما، سَنَةَ ٥٠٢ هـ. وقيل إن سَجْنَ أُميةَ كان لأن مَرْكَباً كان مُحمّلًا بالنُحاسِ غَرِقَ في ميناءِ الإسكندرية، فقال أُميةُ للأفضلِ إنه قادرٌ على إخراجه. وقدّم الأفضلُ لأُميةَ جميعَ ما طَلَبَ من المُعَدّاتِ والأموال. ولكنّ أمية خابَ

---

(١) أشرب من الكأس التي في يمينه خمراً كخدّه وأقبّل وجنته فأجد تقبيلها لذيذاً كالخمر التي يحملها بيده.

في ذلك (راجع طبقات الأطباء ٢ : ٥٣ وتاريخ العلوم عند العرب ٢٢٨ - ٢٢٩).

وبعدَ ثلاثةِ أعوامٍ وشهرٍ، في ٥٠٥ هـ (١١١١ م)، خرجَ أُميةُ من السِجْن. وبعدَ مدةٍ ذهبَ إلى تُونسَ فاستقبلَه أبو طاهرٍ يحيى بنُ تميمِ بنِ المُعزِّ بنِ باديسَ.

وتُوُفِّيَ أُميةُ في مدينةِ بِجايةَ في عاشرِ المُحرَّم من سَنَة ٥٢٩ (٣٠/١٠/١١٣٤).

٢ - بَرَعَ أُميّةُ بنُ عبدِ العزيز في الطِبّ والفلك وفي الفلسفة وفي الطبيعيّات والرياضيّات والموسيقى. ومعَ ذلك فقد كان قديراً في فنون الأدب: كان شاعراً مُكثراً آختارَ له العِمادُ الأصفهانيُّ في الخَريدة (قسم المغرب ١ : ١٨٩ - ٢٧٠) نحوَ ألفٍ ومائةِ بيتٍ على جميع حروفِ الهجاء، ما عدا الذالَ (أختَ الدال) والواوَ، قصيداً ورجَزاً، ومن أبواب الشعر المختلفة من المديح والتَهْنئة والرِثاء والهِجاء والوصف والخمر والغَزَلَيْن والنسيبِ (مَعَ شيءٍ من الدُّعابة، والمُجونِ أحياناً) والأدبِ والحكمةِ والإخوانيّات والألغاز. وله المقاطعُ القِصارُ والقصائدُ الطوال. ثمّ هو ناقدٌ بارعٌ في شِعْرِه وفي نثرِه. قال مَثَلًا (الخريدة، قسم المغرب ١ : ٢٥٩):

جَرِّدْ مَعاني الشعرِ، إنْ رُمْتَهُ ... كيما تُوَقّى اللَّوْمَ والطَعْنا.
ولا تراعِ اللفظَ مِنْ دُونِها؛ ... فاللفظُ جِسْمٌ روحُه المَعْنى.

ولأُميّةَ بنِ عبدِ العزيزِ اللَّفْتَةُ التاليةُ في النقدِ (الخريدة - قسم المغرب ٢ : ٣١):

وقال (المعتمد بن عبّاد) في جاريةٍ يُحِبّها، وهي بينَ يدَيْهِ تَسْقيهِ والكأسُ في يَدِها، إذْ لمعَ البرقُ، فارتاعتْ فقال:

روّعَها البرقُ، وفي كَفِّها ... برقٌ من القَهْوةِ لَمّاعُ[1].
ياليتَ شِعْري - وَهْيَ شمسُ الضُحى - ... كيف من الأنوار ترتاع.

(واتّفق أنّ المعتمدَ بنَ عبّادٍ أنشدَ البيتَ الأوّلَ أمامَ عبدِ الجَليل بنِ وَهْبونٍ وطلَب منه أنْ يُجيزَه). فقال ابنُ وهبونٍ:

---

(١) القهوة: الخمر المطبوخة بالنار.

ولن ترى أعجَـــبَ من آنِسٍ[١] من مِثْـلِ ما يُمْسِكُ يرتـاعُ[٢].

فقال أبو الصلتِ في (كتابِهِ) الحديقة:

هذا البيتُ (لآبنِ وهبونٍ) أجودُ، لِجَوْدةِ ترتيبِ اللفظِ مَعَ جَوْدةِ المعنى، وللمُطابقة (التضادُّ التامُّ، في البلاغة) بَيْنَ لَفْظَيِ الأُنسِ والآرتياعِ وتشبيهِ لَمَعانِ الخمرِ بلَمَعانِ البرقِ، وإن كان بيتُ الأميرِ (المعتمدِ بنِ عبّاد) جيّداً.

وكان له من الكُتب: الرِسالة المِصْرية (ذكر فيها ما رآه في مِصْرَ من هَيْئَتِها وآثارِها وذَكَرَ مَنِ اجتمع بهم فيها من الأَطِبّاء والمُنجِّمينَ والشُعراءِ وغيرِهم من أهلِ الأدب. وقد ألّف هذه الرِسالةَ لأبي الطاهرِ يحيى بن تميمٍ) - كتاب الأدويةِ المُفْردة (على ترتيبِ الأعضاء المتشابهة الأجزاء، وقد رتّبه أحسنَ ترتيبٍ) - المُلَحُ العصريةُ من شعراءِ أهلِ الأندلس والطارئين عليها - رسالة في الموسيقى - كتاب في الهندسة - رسالة في العمل بالأسطرلاب - تقويم منطق الذهن (طبقات الأطبّاء ٢ : ٦٢). وله أيضاً: ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، كتاب الديباجة في مفاخر صِنهاجة - ديوان رسائل - الحديقة في مختار أشعار المحدثين (معجم الأدباء ٧ : ٦٤).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أُميّةُ بنُ عبدِ العزيز يَصِفُ الثُريّا[٣]:

رأيــتُ الثُرَيّــا لهــا حالتــانِ منظُرهــا فيها مُعْجِــبُ:
لَهــا عنـــدَ مَشْرِقِهــا صورةٌ يُريـــكَ مُخالِفَهـــا المَغْرِبُ[٤].
فتطلُـعُ كالكـأس إذ تُسْتَحَـثُّ وتَغْرُبُ كالكـأس إذ تُشْرَبُ[٥]!

---

(١) ترتاع: تخاف.
(٢) آنس (يسكن مع الإنس، مطمئنّ). من مثل ما يمسك (الخمر التي يحملها في كفّه).
(٣) الثريّا مجموعة نجوم يُرى منها سبعة نجوم بالعين المجرّدة.
(٤) شكلها في رأي العين مختلف حينما تطلع (في المشرق) منه حينما تغرب (في المغرب).
(٥) حينما تطلع ترى طويلة (كالكأس المحمولة في الكفّ) وحينما تغرب ترى مائلة وقصيرة (كالكأس حينما يشرب الشارب بها).

- شكوى:

مارستُ دهري وجرّبتُ الأنامَ فلم ... أحْمَدْهُمُ قطُّ في جدٍّ وفي لَعِبِ.
وكم تَمنّيتُ أن ألْقى به أحداً ... يُسْلي من الهَمِّ أو يُعدي على النُّوَب(١):
فما وجدتُ سِوى قومٍ، إذا صَدَقوا ... كانت مواعيدُهم كالآلِ في الكَذِبِ(٢).
وكان لي سَبَبٌ قد كنتُ أحْسَبُهُ ... أحْظى بــه، فإذا دائي من السَّبَبِ(٣):
فما مُقَلِّمٌ أظفاري سوى قَلَمي، ... ولا كتائبُ أعدائي سِوى كُتُبي(٤)!

- من قصيدةٍ في مدح أبي الطاهر يحيى بن تميم (وفيها نفحةٌ من أبي فراس):

فلم أسْتَسِغْ إلا نَداه ولم يكُنْ ... لِيَعْدِلَ عندي ذا الجنابَ جنابُ(٥).
فما كلّ إنعامٍ يَخِفُّ آحتمالُه، ... وإنْ هَطَلَتْ منه عليّ سَحاب(٦).
ولكنْ أجلُّ الصُنْعِ ما جَلَّ ربُّه ... ولم يأتِ بابٌ دونَه وحِجاب(٧).
وما شِئتُ إلّا أن أدُلَّ عواذلي ... على أنّ رأيي في هَواك صَواب(٨)،
وأعْلَمُ قوماً، خالفوني وشرّقوا ... وغرّبتُ؛ إنّي قد ظَفِرتُ وخابوا(٩)!

- وقال أُميّةُ بنُ عبدِ العزيز يمدَحُ يحيى بنَ تميمِ بنِ المُعزّ الصِنهاجيَّ (حكَمَ المَهْديّةَ من سَنَةِ ٥٠١ إلى سَنة ٥٠٩ هـ). والظاهرُ أن هذه القصيدةَ في مدحِ وَلَدِه عليٍّ

---

(١) يُسلي (ينسى)... يُعدي (ينصر، يساعد) على النوب (جمع نائبة: مصيبة).
(٢) الآل: السراب (يرى من بعيد كأنّه ماء، فإذا جئته لم تجده شيئاً).
(٣) سبب أحظى (أنال حظوة، مكانة عند الناس): شعري وعلمي.
(٤) مقلّم أظفاري (مانعي عن نيل حقّي).
(٥) لم استسغ: (أره سهلاً في حنجرتي) لم أحتمل نداه: كرمه وجوده. يعدل: يساوي الجناب: جانب الأرض، البلد.
(٦) هطل: كثر سقوط المطر (منه).
(٧) أجلّ (أعظم) الصنع (المعروف) ربّه: صاحبه (المنعم بالمعروف). لم يأت بابٌ... الخ.: لم يكن الوصول إليه صعباً.
(٨) عواذلي: الذين لاموني (في قصدك بالمديح).
(٩) هم ذهبوا إلى المشرق ليمدحوا ملوكه فخابوا، وأنا أتيت إلى المغرب (لأمدحك) فظفرت (نلت ما أمّلته).

المتولّي بعدَه، من سَنَةِ ٥٠٩ إلى سَنَة ٥١٥ هـ (راجع الخريدة، قسم المغرب ١ : ١٩٣، الحاشية الرابعة):

وما أعترفَ المجدُ إلّا لكم، فليس إلى غيرِكُمْ يُنْسَبُ[١].
توارَثْتُموهُ أباً عن أبٍ كما ٱطّردَتْ في القَنا الأكْعُبُ[٢].
إذا بلدٌ ضاق عن آمِلٍ فَعِنْدكُمُ البلدُ الأرْحَبُ[٣]،
بحيثُ يُنادي النَدى بالعُفاةِ: هَلمّوا فقد طَفَحَ المشربُ[٤].
دنا كَرَماً ونأى هَيْبَةً فتاهَ بهِ الدَّسْتُ والمَوْكِبُ[٥]؛
وسالتْ نَدًى ورَدًى كَفُّه: فهذا يُرجّى وذا يُرْهَبُ[٦].

– وله رَجَزٌ يشكو فيه البراغيثَ وفعلَها في جسدِه:

وليلةٍ دائمةِ الغُسوقِ بعيدةُ المَمْسى من الشُروقِ[٧]،
كليلةِ المُتيَّمِ المَشوقِ أطالَ في ظلمائها تأريقي[٨]
أخبثُ خلقٍ للأذى مخلوقِ. يرى دَمي أشْهى من الرَّحيقِ[٩]،
يَعُبُّ فيه غيرَ مُستفيقِ. لا يتركُ الصَبوحَ للغَبوقِ[١٠].

---

(١) المفروض أن المشرق كان عند المغاربة أفضل من المغرب. الشاعر الآن يقول: إنّ وجود هذا الممدوح جعل المغرب أفضل من المشرق. المطنب: المبالغ.

(٢) القناة: القصبة. الكعب (العقدة في القصبة). اطّرد: تتابع على استواء. (كلّ واحد منكم كان مثل كلّ سلف من أسلافه).

(٣) الأرحب: الأوسع.

(٤) الندى: الجود، الكرم. العافي: الذي يطلب المعروف. المشرب: المكان الذي يشرب الناس منه. طفح المشرب (كناية عن الخير الكثير والكرم الكثير عند الممدوح).

(٥) تاه: أعجب (بالبناء للمجهول) بنفسه. الدست: كرسيّ الحكم. الموكب (الذهاب إلى الحرب؟).

(٦) الردى: الموت.

(٧) الغسوق: الإظلام (اشتداد الظلام).

(٨) المتيّم: الذي تيّمه (أمرضه) الحبّ. التأريق (منع النوم).

(٩) الرحيق: الخمر الصافية.

(١٠) عبّ: شرب ملء فمه. غير مستفيق (غير واع، مستمرّ في العبّ). الصبوح والغبوق (شرب الخمر صباحاً ومساءً). لا يترك الصبوح للغبوق (يتّصل شربه الخمر من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح).

لو بِــتّ فوقَ قِمّـــةِ العَيّوق ... مــا عاقَه ذلك عن طُروق[1].
كعاشقٍ أسرى إلى معشوق. ... أعلَمُ من بُقْراطَ بالعُروق[2]:
من أكحــلٍ منهـــا وباسِليــقِ ... يَفْصِدُها بِمْبضَعٍ رَقيق[3]
من خَطْمِــه المُــذَرَّبِ الذَليــق ... فَصْدَ الطبيبِ الحاذقِ الرفيق[4].

– وفيما يلي عدد من المقاطع الجياد لأميّة بن عبد العزيز:

١- جـــدّ بقلـــبي وعبـــثْ ... ثم مضى ومـــا اكـــترثْ.
واحَرَبَـــــا مِن شادنٍ ... في عُقَــدِ الصــبر نَفَــث[5].
يقتُـــــلُ مَن شاءَ بعَيْـ ... ـنَيْـــهِ، ومَن شاءَ بعــث.
فـــــأيَّ ودٍّ لم يخُنْ؟ ... وأيَّ عهــدٍ مــا نكــثْ؟

٢- وقائلة: «ما بالُ مِثْلِكَ خاملًا؛ ... أأنتَ ضعيفُ الرأيِ أَم أنت عاجزُ؟»
فقلتُ لها: «ذنبي إلى القوم أنَّني ... لِما لم يحوزوه من المجدِ حائز.
وما فاتني شيءٌ سوى الحظِّ وحــدَه؛ ... وأمــا المعالــي فهي عندي غرائز!»

٣- إذا كان أَصلي مِن تُرابٍ فكلُّها ... بـلادي، وكـلّ العالمين أقـاربي*.

٤- سكنتُكِ يا دارَ الفناءِ مُصَدِقاً ... بأَنّي إلى دارِ البقــاء أَصيرُ[6].
وأَعظمُ مــا في الأَمرِ أنّيَ صائر ... إلى عـادلٍ في الحكم ليس يجور[7].

---

(١) العيّوق: نجم. عاقه: أخّره. الطروق: الطلوع (الوصول إليّ).
(٢) أسرى: سار ليلاً (الحبّ يهتدي إلى محبوبه في جميع الأحوال). بقراط طبيب يوناني قديم كان بارعاً في التطبيب.
(٣) الأكحل (الأزرق): وريد يحمل الدم الوسخ إلى القلب والرئتين لينقى. الباسليق (يبدو أنّه من العروق التي تحمل الدم).
(٤) السيف الذرب: الحادّ، الماضي، القاطع. اللسان الذلق: الطلق البليغ.
(٥) الشادن: الغزال الصغير. نفث: تفل، بصق، (كانت الساحرات يتمنّين لشخص أمنية شرّ في الأكثر ثمّ ينفثن عليها ليربطن المسحور). نفث في عقد الصبر (جعلني مربوطاً بالصبر: أصبر ولا أصل إلى ما أرغب فيه) أو هو جعلني لا أصبر عن حبه.
★ راجع ص ٩٣.
(٦) دار الفناء (هذه الدنيا). دار البقاء (الآخرة).
(٧) إلى عادل (إلى الله). يجور: يظلم.

فيا ليت شِعري، كيف أَلقاه عِندَها وزادي قليلٌ والذنوبُ كثير[1].
فإن أكُ مَجْزِيًّا بذنبي فإنّني بشَرِّ عِقاب المُذنبينَ جَدير[2].
وإن يك عفوٌ منه عنّي ورحمةٌ فثَمَّ نعيمٌ دائمٌ وسرور[3].

٥ - ومَهفهفٍ شَرِكَتْ محاسنُ وجهِهِ ما مجَّهُ في الكاس من إبريقِهِ[4]:
ففِعالُها من مُقْلَتَيْهِ، ولونُها من وجنتَيْهِ، وطعمُها من ريقه[5].

٤ - الرسالة المصرية (مطبوعة في نوادر المخطوطات: (نشرها عبد السلام محمّد هارون)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م.
- تقوم الذهن، مجريط ١٩١٥ م.

★★ معجم الأدباء ٧: ٥٢ - ٧٠؛ المغرب ١: ٢٥٦ - ٢٥٧؛ المقتضب من تحفة القادم ٣؛ الخريدة (المغرب) ١: ١٨٩ - ٢٧٠؛ ابن الأثير ١١: ١٨؛ وفيات الأعيان ١: ٢٤٣ - ٢٤٧، ٤٦٥؛ طبقات الأطبّاء ٢: ٥٢ - ٦٢؛ نفح الطيب ١: ٤٩٦ - ٤٩٨، ٢: ١٠٥ - ١١٠، ٣: ٤٨٠ وما بعد (مختارات)؛ شذرات الذهب ٤: ٨٣ - ٨٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٤٩؛ بروكلمن ١: ٦٤١، الملحق ١: ٨٨٩؛ مختارات نيكل ١٦٠ - ١٦٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٦٣ - ٣٦٤ (٢: ٢٣)؛ سركيس ٣٢٠.

الفتح بن خاقان الإشبيليّ

١ - هُوَ أبو نَصْرٍ الفَتْحُ بنُ محمّدِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ..... بنِ محمّدِ بنِ خاقانَ القَيْسِيُّ الإشبيليّ، وُلِدَ في قرية يُقالُ لها صَخْرةُ الوَلَدِ قُرْبَ قلعة يَحْصُبَ من أعمال غَرْناطة.

ويبدو أنه نَشأ فقيراً مُهْمَلاً فشبّ شِرّيراً ناقِماً مُغامراً خَليعَ العِذار كثيرَ الأسفار سريع التنقّل، لا يُقيم وَزْناً لفضيلةٍ ولا يُراعي حُرْمةً لذي مكانة. على أنّه كان وافرَ الذكاء والنشاط.

---

(١) زادي (من التقوى والأعمال الصالحة).
(٢) جدير: خليق، مستحقّ.
(٣) ثَمّ: هنالك (في الآخرة).
(٤) المهفهف: الضامر البطن الدقيق الخصر. فعل جمال وجهه فعل الخمر. مجّه: لفظه، أخرجه، صبّه. إبريقه (إبريق الخمر).
(٥) ففعالها: فعال الخمر (الإسكار).

وقد تَلَقّى الفتحُ بْنُ خاقانَ شيئاً من فنونِ الأدبِ على ابنِ عبدونٍ (ت ٥٢٩ هـ) وعلى ابنِ السِيّد البَطَلْيَوْسيّ (ت ٥٢١ هـ) خاصّة. ثُمّ كتب لنَفَرٍ من الوُلاةِ، ولكنْ لم يَكُنْ يَسْتَقِرُّ عندَ أحدٍ منهم إلاّ قليلاً، لأنّه كان يُصْرَفُ من الخِدْمة وشيكاً لانغماسهِ في الشَهَوات واسْتِهْتاره بها ولِجُرأته على الناس بالهِجاء والثَّلْبِ. وقد كَتَبَ مدّة يسيرةً لوالي غَرْناطة أبي يوسفَ تاشفينَ بن عليٍّ ثمّ انصرفَ من عِنْده لاستئنافِ تَطَوُّفهِ حتّى وَصَل إلى مَرّاكُشَ.

وفي ٢٢ من المُحَرَّمِ من سَنَة ٥٢٩ (١١٣٤/١١/١٣ م) قُتِلَ الفَتْحُ بنُ خاقانَ في فُنْدُقٍ كان يَنْزِلُ فيه في مدينة مَرّاكش، قِيلَ بتحريضٍ من سُلطانِ المُرابطين أبي الحسنِ عليٍّ بنِ يوسفَ بن تاشفين.

٢ - كان الفتحُ بنُ خاقانَ أديباً بارعاً كثيرَ التكلّف في الصِناعة حاذقاً في التلاعُب بِالألفاظِ وفي اقتناصِ التشابيهِ والاسْتِعارات. أمّا شِعْرُه فقليلٌ جدًّا عاديٌّ المعاني مَعَ لَمَحاتٍ عارضةٍ.

وتَقومُ شُهْرَةُ الفتحِ بنِ خاقانَ على كتابينِ له، هُما:

« قلائِدُ العِقْيانِ »، وقد ألّفه بين سَنَةِ ٥٠٦ وسنة ٥٢١ هـ وقدّمه إلى الأمير أبي إسْحقَ ابراهيمَ ابنِ يوسفَ بن تاشَفين. أحبّ الفتحُ بنُ خاقانَ أن يُقَلِّدَ ابنَ بسامٍ في « الذخيرة » باختياراتٍ من أشعارِ مُعاصريهِ مَعَ نُتَفٍ طريفةٍ من أَحْداثِ حَياتِهِمْ، من غيرِ التزامِ مِنْهاجٍ أوِ اسْتقصاء، مَصوغةً في نَثْرٍ فَنّي أنيقٍ. غيرَ أنّه قصّرَ عنِ ابنِ بسّامٍ في أمرين: في الإحاطةِ بالشعراءِ من مُعاصريه ثمّ في التزام التقسيمِ الجُغْرافي والاجْتماعيّ (راجع الكلام على ابن بسام). عندئذٍ كتبَ الفتحُ بنُ خاقانَ إلى نَفَرٍ من مَشاهيرِ عَصْرِه (وأغنيائه) يَطْلُبُ منهم شَيْئاً من شِعْرِهِمْ خاصةً، فمن لَبّاه منهم سريعاً وأعطاهُ كثيراً ذَكَرَهُ ذِكْراً حَسَناً، وإلاّ أهْمَلَهُ أو أساء ذِكْرَه. ويَسْتَشْهدونَ في هذا البابِ بابن باجّه، فقدْ أساء الفتحُ ذِكْرَهُ في القَلائِدِ (الترجمة الأخيرة) ثمّ ذَكَرَهُ في « مَطْمَحِ الأنفُس » (بعدَ أنِ اتّقى ابنُ باجّه شرّه، فيما يبدو، بشيءٍ من المال) ذِكْراً مُوَرّى: يُمكن أنْ يُفهَمَ على خِلافِ ظاهرِه.

أمّا كتاب « مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس » فهو (من حيث أسلوب السرد) على غرار « قلائد العقيان »، ولكن في نفر ماتوا. ولقد حمله الوزير أبو العاص حكم بن الوليد على جمع هذا الكتاب (ص ٢، المقدّمة).

٣ - مختارات من آثاره:

- « وأحْسَنُ ما أنشدَه (الفتحُ بنُ خاقانَ) من شِعْره قولُه » (المغرب ١: ٢٥٥):

سَقَى أرْضَ حِمْصٍ بالأصيلِ وبالضُّحى ... سَحابٌ كَدْمعي يَسْتَهِلّ ويَسْجُمُ(١).
ومُدَّتْ بها للرَّوْضِ أبرادُ سُنْدُسٍ ... تُطَرِّزُها كفُّ الغَمامِ وتَرْقُمُ(٢).
وحَيّا الحَيا أرْضَ الغُروسِ ورَوْضَها ... بحيثُ التَوَى فيه من النهر أرْقَمُ(٣)!

- وقال يَصِفُ الحُصْنَ الزاهرَ (في إشبيلية)، في ترجمة المُعْتَمِدِ بن عَبّاد (قلائد العقيان ٢٧):

.... وكانَ الحُصْنُ الزاهرُ من أجْمَلِ المواضعِ لَدَيْها وأبْهاها ★ وأحَبَّها إليه وأشْهاها ★ لإطْلالهِ على النهر ★ وإشرافهِ على القَصْر ★ وجمالهِ في العيون ★ واشْتِماله بالشَّجَر والزَّيْتون ★ وكانَ له به من الطرَب ★ والعَيْشِ المُزْري بحَلاوة الضَرَب(٤) ★ ما لم يكن يُجْلَبُ لبني حَمْدان ★ ولا لِسَيْفِ بنِ ذي يَزَنَ في رأسِ غُمْدان(٥) ★ وكان كثيراً ما يُدير به راحَهُ(٦) ★ ويَجْعَل فيه انْشراحَه ★ فلمّا اسْتَدَّ إليه الزمانُ

(١) حمص: إشبيلية. الأصيل: بين العصر وغياب الشمس. الضحى: بعد قليل من ارتفاع الشمس. استهلّ (الدمع والمطر) بدأ يسقط. سجم: كثر سقوطه.

(٢) البرد: الثوب. السندس: ثوب رقيق من الحرير. رقم فلان الثوب: جعل فيه علامات ونقوشاً (أنبت المطر في الروض أنواعاً مختلفة من النبات).

(٣) حيّا: ألقى التحيّة والسلام. الغروس (؟). الأرقم: الحيّة (الشاعر هنا يشبّه النهر في سيره المتعرّج بالحيّة في سيرها المتلوّي).

(٤) المزري: الذي يزري (يعيب). الضرب: العسل.

(٥) بنو حمدان: قوم سيف الدولة حكّام الموصل وحلب. ذو يزن من ملوك اليمن. غمدان أسم قصر في اليمن.

(٦) الراح: الخمر.

بعُدْوانهِ[١] ★ وسَدّ عليه أبوابَ سُلوانهِ[٢] ★ لم يَحِنَّ إلاّ إلَيْه ★ ولم يَتَمنّ إلاّ الحُلول لَديه ★ فقالَ (المعتمد بن عبّاد):

غريـــبٌ بـأرضِ المَغْرِبَيْنِ أسيرُ ... سَيَبْكي عليــــه مِنْبَرٌ وسَريرُ

– من أسلوب الفتح بن خاقان (من مقدّمة « قلائد العقيان »):

الحمدُ لله الذي راضَ لنا البيانَ حتّى انقاد في أَعِنَّتنا وشادَ مثواه في أجِنَّتِنا[٣]، وذلّل لنا من الفصاحة ما تصعّب فملكناه وأوضح لنا من مُشكلاتِها ما تشعّب فسلَكْناه، فصار لنا الكلام عبداً يجيب إذا ناديناه وسهماً يصيب الغَرَضَ إذا رَمَيْناه... وبعدُ، فإنّ الأدبَ أجملُ ما ٱلْتَحَفَتْه الهِمّة وعرَفته هذه الأمّة. فإنّه مُطْلِقُ اللسانِ من عِقالٍ ومُنْطِقُ الإنسانِ بصوابِ المقال. وله من النَثْر والنظم نَجْمانِ صارت القلوبُ لهما فلَكاً والخواطر مسلَكاً..... ولـمّا رأيت عِنانَه في يدِ الامتهان ومَيْدانَه قد عُطِّلَ من الرِهان، وبواترَه قد صَدِئَتْ في أغمادِها وشُعَلَه قد قَذِيَتْ[٤] برَمادها، تداركتُ منه الذَّماءَ الباقِيَ وتلافَيْتُ له نَفْساً قد بَلَغَتِ التراقِيَ[٥] وانتخبتُ منه لُمَعاً كالسيوف المُرْهَفَةِ والشفوفِ المُفَوَّفة[٦].... وانتقيتُ من توليدِه المُخْتَرَعِ وتجديدِه المبتدَعِ لُمَحاً يَهُزّ لها الزمانُ عِطْفَه انتشاءً وتَروقُ كالنجوم طَلَعَتْ عِشاءً...... لِيُعْلَمَ أنَ بالأوانِ افتِناناً جَرَتْ له العوائقُ بَناناً وبياناً[٧] فأبقتْ منهم أثراً لا عِياناً[٨]،

---

(١) استد (اتّجه على استقامة). العدوان: الاعتداء (بالمصائب).

(٢) السلوان: النسيان، التسلّي عن الهموم.

(٣) العنان: الرسن. أجنّة، جمع جنين: الطفل ما دام في الرحم (بفتح فكسر). شاد (بنى) مثواه (بيته) في أجنّتنا (منذ كنّا أجنّة: قبل أن نولد، منذ زمن قديم).

(٤) ميدانه عطّل من الرهان: توقفّ جري الخيل فيه (خلا من الأدباء). الباتر: السيف. قذيت العين: نشأ فيها قذى (وسخ).

(٥) الذَّماء: بقية الروح في الجسم. بلغت النفس التراقي (أعلى الصدر) أصبح موت صاحبها قريباً.

(٦) المرهفة: الرقيقة، الماضية، القاطعة. الشفّ (بفتح أو بكسر): النسيج الرقيق. المفوّف: المختلف الألوان.

(٧) افتنان: تفنّن، تنوّع. البنان (رؤوس الأصابع) والبيان (وضوح التدبير). بنانا وبياناً (؟) كتابة وإنشاداً.

(٨) الأثر: العلامة الباقية بعد زوال الشيء. العيان: الشيء الماثل يرى بالعين.

ورجالاً لم تَفْسَحْ لإبداعِهِم مجالاً .... فأظهرتُ ما خَفِيَ من فَخارِهم ودَلَلْتُ على مَراتِبِهم في المعارفِ وأقدارِهم. واسْتَثْبَتُّ في انتقاءِ من أثْبَتُّ[١]، وانتخبتُ ما جَلَبْتُ وشنّفت[٢] ما صَنّفت، حتّى أتى وكأنّ البدرَ في لَبّتِه[٣] ونسيمَ المِسْكِ من هَبّتِه..... ولم يزلْ شخصُ الأدبِ وهو مُتَوارٍ[٤]، وزَنْدُه غيرُ وارٍ وجَدُّه عاثرٌ ومَنْهَجُه داثرٌ[٥] إلى أن أرادَ اللهُ اعتلاءَ اسْمِهِ وإحياءَ رَسْمِهِ وإنارةَ أُفُقِهِ وإعادةَ رَوْنَقِه، فبعثَ من الأميرِ الأجلِّ أبي اسحاقَ ابراهيمَ بنِ يوسفَ تاشَفِينَ[٦] مَلِكاً عَليًّا غَدَا لِلَبّةِ المَجْدِ حُلِيًّا...... ولـمّا أنارتْ (به تلك) الآفاقُ وعادَ به كَسادُ الفضلِ إلى النَّفاق[٧]، رأيتُ أن أخدُمَ مَجْلِسَه العالِيَ بِزَفِّ (هذا الكتابِ) إليه.... فوَسَمْتُه بِاسْمِهِ وكَسَوْتُه نُورَ رَسْمِهِ.....

- ومن أسلوبه أيضاً (قلائد العقيان، ص ١٥٤ - ١٥٥)- من ترجمة «الوزيرِ الكاتبِ أبي محمّدِ بنِ سُفيانَ رَحِمَه اللهُ تعالى»:

مَنْ بَلَغَتْ هِمّتُه السماءَ وجلَتْ أسِرَّتُه[٨] الظَّلْماءَ، له الرُّتَبُ المكينةُ وعليه الوقارُ والسكينة. أخْدَمَ يراعَه العواليَ[٩] واستَخْدَمَ الأحرارَ والمواليَ، وأقام بدولةِ آلِ ذي النونِ وأقعَدَ وتبوّأ سِماكَها[١٠] واقتعدَ. فسَما به قَدْرُها وهَمى بسَيْبِهِ قَطْرُها[١١] وحَسّنتْ

---

(١) واستثبتّ في انتقاء من أثبتّ: طلبت التثبّت (الوثوق) من الأشخاص الذين ضمنتهم كتابي. (في رأيي).

(٢) الشنف (بالفتح): القرط (الذي يعلّق في الأذن): شنّفت الشيء: زيّنته، حلّيته.

(٣) اللبة: أعلى الصدر.

(٤) متوار: محتجب، مختف. زنده (الحديدة التي تقدح بها النار من حجر الصوّان) غير وار (لا يشعل شيئاً)- لا نتاج أدبيًّا فيه.

(٥) داثر: ممحوّ.

(٦) هو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك (والي) شرقيّ الأندلس، وكان أديباً.

(٧) النفاق (بالفتح): الرواج (ضدّ الكساد).

(٨) الأسرّة (هنا) خطوط الوجه (ملامحه).

(٩) اليراع: القلم. العوالي (جمع عالية: صدر الرمح، القسم الأعلى منه): الرماح. (جعل الرماح (الحرب) خدماً (تطيع) قلمه (أوامره) (؟).

(١٠) السماك برج (مجموع نجوم).

(١١) همى (انهلّ، سقط) بسيبه (بعطائه) قطرها (مطرها): كلّ الخير منه.

سيرَها وأمّنتْ غيرَها. وحُمِدَتْ أيامُها ووردَتْ جِمامَ الأماني خيامُها[1]. وله أدبٌ غَضّ المقاطفِ رطْبُ المعاطف. إنْ نَثَرَ فالنجومُ في أفلاكِها أو نَظَمَ فالجواهرُ في أسْلاكِها. قد أخَذَ بمجامعِ القلوبِ كَلِمُه وأغَذَّ[2] في طُرُقِ الإبداع قَلَمُه. وقد أثبتُّ له ما تستهديهِ زهراً[3] وترتديه بُرْداً مُحبَّراً[4]. فمن ذلك قولُه يُخاطبُ أبا عيسى بنَ لبّونَ. وافر[5]:

أبـا عيسى، أتذكُرُ حـين كُنّـا عـلى هـامِ الكواكب نازلينا،
نَـدوسُ بخيلنـا زُهرَ الثُريّـا ونُورِدهـا المجرّةَ إن ظَمِينا[6]؛
ونَنْزِلُ جَبْهـةَ الأسدِ اعتسافـاً إذا مـا البدر مرّ بها كمينا[7]؟...

٤- أنموذج تحليلي يعطي قطعاً من ابن خاقان عن ابن زيدون (هنريكوس انجلينوس وايزر- فايزر)، ليدن (بريل) ١٨٣١ م (١٢٤٧ - ١٢٤٨ هـ).
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان (المعتني بتصحيحه عبده سليمان الحرائري)، (باريس) ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م)؛ بولاق ١٢٨٣، ١٢٨٤؛ الآستانة ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة التقدّم العلمية) ١٣٢٠ هـ؛ (قدّم له محمد العناني)، تونس (المكتبة العتيقة) ١٩٦٦ م.
- مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس، القسطنطينية ١٢٨٣ هـ؛ القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣٢٠، ١٣٢٥، ١٣٢٨ هـ.

★★ المغرب ١: ٢٥٤ - ٢٥٥؛ خريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٥٣٨ - ٥٤٨ (ترجمة الفتح بن خاقان)، ٢: ١٧٣ - ٣٣٧ (إشارات متفرّقة)، ٣: ٣٥٥ - ٥٣٨ (نقول من القلائد في الأكثر ومن المطمح في الأقلّ)؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦١٠ - ٦٢٤؛ معجم الأدباء ١٦:

---

(١) ورد: ذهب إلى الماء. الجمام جمع جمّة (بالضمّ): معظم الماء - هذا تضمين من قول زهير بن أبي سلمى:
فلمّـا وردن المـاء زرقـاً جمامـه وضعن عصيّ الحاضر المتخيّم.
(زرقة الماء، هنا، كناية عن صفاء الماء الذي لم يكدّره بعد أحد بالنزول عليه قبلهنّ).
(٢) أغَذَّ: أسرع.
(٣) زهر (بالفتح) مفرد أزهار (وبالضمّ) جمع أزهر (لامع) كناية عن النجوم.
(٤) حبّر: حبّر البرد أو الثوب: وشاه وطرّزه.
(٥) لأبي عيسى بن لبون ترجمة مفردة (ت بعيد ٤٩٠ هـ). وافر (من البحر الوافر).
(٦) داس: دعس. زهر (بالضمّ) - راجع الحاشية رقم (؟) أعلاه. المجرّة: أمّ النجوم (نجوم كثيرة متقاربة ترى ممتدّة في عرض السماء كأنها نهر. ظمىء: عطش (في القافية إقواء: اختلاف).
(٧) اعتسافا: بقوّة وعنف. كمينا (؟): كمين لعجمع الإناث الغائبات (من «كمن»: استهتر).

١٨٦ - ١٩٢؛ معجم ابن الأبار رقم ٢٨٥؛ وفيات الأعيان ٤: ٢٣ - ٢٤؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٢٩ وما بعدها؛ فوات الوفيات ٢: ١٥٣ - ١٥٤؛ شذرات الذهب ٤: ١٠٧؛ نفح الطيب (نقول منه) ٢: ٦ - ٨، ٧٤ - ٧٥، ٢٤٥ - ٢٤٧، ٤٩٤ - ٤٩٦، ٥٢٣ - ٥٢٨؛ ٣: ٢٥٩ - ٢٦٠، ٥٤٤ - ٥٤٥، ٥٥٢ - ٥٥٧؛ ٤: ٢٤ - ٥٥، ١٦٣ - ١٦٥، ٢٠٩ - ٢١٤، ٢١٨ - ٢٤١، ٢٤٨ - ٢٥٧، ٢٧٣ - ٢٨٣، ٧: ١٧ - ٢٤، ٢٩ - ٦١ ثمّ ٣: ١٨٣ (تعريف به)، ٤: ٧٢ (تقديم «القلائد» للأمير ابراهيم بن يوسف ابن تاشفين)، ثمّ ٣: ٢٣٢ - ٢٣٣ و٥: ٤٢، ١٣٨ (أخبار عنه) ثمّ ٣: ٣٢٧ و٦: ٢٢٠ و٧: ٩٧ (فيما يتعلّق بأناس قلّدوا أسلوبه)؛ أزهار الرياض ٣: ١٠٣ - ١٤٨ (نقول عنه)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٨٣٦؛ بروكلمن ١: ٤١٣، الملحق ١: ٥٧٩؛ نيكل ٢٢٣ (راجع ٥٣٥)؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٣٣ (١٣٣)؛ بالنثيا ٢٩٦ - ٢٩٩؛ سركيس ١٤٣٤ - ١٤٣٥

ابن عبدون

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ المجيدِ بنُ عبدونِ الفِهْريُّ اليابُريُّ، نسبةً إلى يابُرَةَ، وهي بلدةٌ في غربيِّ الأندلسِ على نحوِ مائةِ كيلومترٍ من بَطَلْيَوْسَ غرباً في جَنوبٍ.

يبدو أن مَوْلِدَ ابنِ عبدونٍ كان في منتصفِ القرنِ الخامس الهجريّ (نحو ١٠٦٠ م). وتلقّى ابنُ عبدونِ العلمَ على أبي الوليد بن ضابطٍ النحوي المالَقّي، كما روى من الأعلمِ الشَنْتَمَريّ (ت ٤٧٦ هـ) وأبي مروانَ بنِ سِراجٍ (ت ٤٨٩ هـ) وعاصمِ بنِ أيوبَ البَطَلْيَوْسيّ (ت ٤٩٤ هـ).

ولَفَتَتْ عبقريةُ ابنِ عبدونٍ نَظَرَ المتوكّلِ عُمَرَ المظفّرِ بنِ الأفطسِ منذ كان عمرُ يتولّى بَطَلْيَوْسَ مَعَ أخيه يحيى (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ) فَقَرّبَ ابنَ عبدون وأكرمه؛ فلمّا تُوُفِّيَ يحيى سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) وانفرد عُمرُ بالحكم اتّخذ ابنَ عبدون كاتباً ووزيراً.

ولـمّا فتح المرابطون بَطَلْيَوْسَ وقتلوا عمر المظفّر وولديه العباس والفضل رثاهم ابن عبدون. ولكنه سرعان ما دخل في خِدمة سيرِ بنِ أبي بكرِ بنِ تاشِفينَ فاتحِ بَطَلْيَوْسَ (٤٧٨ هـ)، فكان ذلك من المآخذِ الكِبار عليه لأنّه جَرَحَ بذلك وفاءه للذين

كانوا سببَ نعمتهِ. ولعلّ الحاجة هي التي دفعتِ ابنَ عبدونٍ إلى التكسّب ممّن قَتلوا أولياءَ نعمتهِ.

ولمّا خَلَفَ عليٌّ بنُ يوسفَ بنِ تاشفينَ أباه على عرش المرابطين، ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م)، استدعى ابنَ عبدونٍ إلى مَرّاكُشَ وولّاه الكتَابة.

وعاد ابنُ عبدون إلى يابُرَةَ، قُبَيْلَ سَنَةِ ٥٢١ هـ (١١٢٧ م)- قيل لزيارة أهله؛ ولعلّه فعلَ ذلك لتقدّمه في السِن ولعجزهِ عن القيام بمهامِّ الدولة مَعَ تبكيت ضميرهِ على الدخول في خدمة المرابطين- ومكث فيها إلى أن تُوُفِّيَ سَنَةَ ٥٢٩ هـ (١١٣٤- ١١٣٥ م) في الأغلب.

٢- كان عبدُ المجيد بنُ عبدونٍ أديباً وكاتباً مُتَرَسِّلًا وشاعراً مُقلًّا. وكان عالماً بالخَبَر والأثرِ (الحديث) عارفاً بالتاريخ واسعَ الحِفظ للأشعار. ولم يصلْ إلينا من شعر ابن عبدونٍ سوى بضعِ مُقَطّعاتٍ وقصيدةٌ واحدةٌ تُعْرَفُ بالقصيدة العبدونية لشُهرتها في المغرب والمشرق وتدعى « البَشامة »[1]. هذه القصيدةُ التي تقومُ عليها شُهرةُ ابنِ عبدونٍ تتألّف من خمسةٍ وسبعينَ بيتاً:

الأبياتُ التِسعةُ الأولى مقدّمةٌ عامّةٌ في عادةِ الدهر وغَدْرِ الدنيا. وابنُ عبدونٍ ينصحُ القارىءَ بألّا يغترَّ بغَفْلة الدهرِ عنه مدّةً ولا بما في الدنيا أحياناً من السرور.

ثمّ تأتي ثمانيةٌ وثلاثونَ بَيتاً يستعرض فيها ابنُ عبدونٍ ما فعل الدهر بالأفراد العِظام وبالقبائل القويّة وبالدول العظيمة قبل الإسلام وبعد الإسلام، عند العرب خاصّة وعند الفرس مع إشارة إلى اليونان.

ثمّ تأتي عشرون بيتاً في رثاء عُمَرَ بنِ الأفطسِ وولدَيْهِ وإشهار مَناقِبِهم وفي التفجّع لهم والحزن عليهم.

---

(١) فيبروكلمن (١ : ٣٢٠، الملحق ١ : ٤٨٠): البسّامة والبشّامة (بالتشديد فيها). وفي المغرب (١ : ٣٧٦، الحاشية ١) البسامة (بلا تحريك) اسم للقصيدة. وفي المطرب (٢٧، الحاشية ٥): « البسامة » (بلا تحريك أيضاً): اسم الشرح الذي صنعه ابن بدرون لهذه القصيدة. والأصوب ما ذكره نيكل (ص ١٧٦): البشامة (بلا تشديد: اسم شجرة طيّبة الرائحة - القاموس ٤ : ٨٠)، يدلّ على ذلك العنوان التامّ: البشامة بأطواق الحمامة.

وختام القصيدة ثمانيةُ أبياتٍ يندب الشاعر حظّه في أربعة منها ثم يتساءل عمّن يمكن أن يقوم له مقَامَ عمرَ بَنِ الأفطس وولديه. وهو لا يستكثر ذلك على الدهر ولا يستغربه من الدهر لأن الدهرَ في العادة كثيرُ التقلّب غريب الأطوار (البيتان ٧١ و٧٢ من القصيدة). وهذا هو الذي حَمَلَ نفراً من النقّاد على أن ينسبوا قِلّةَ وفاءِ ٱبنِ عبدونٍ لمن كانوا سببَ نعمتهِ وشُهرتهِ. ثمّ يفتخر الشاعرُ، في الأبيات الثلاثة الأخيرة، بهذه القصيدة ويتنبأ لها بأن تشتهرَ وتسير على الألسُن.

والشاعر في قصيدته هذه صحيحُ المعاني متينُ الأُسلوبِ مقتدرٌ في النظم بارع في العَرْضِ مَعَ شيء من التأنّق (الصِناعة) وشيءٍ من التكلّف أحياناً. وتبدو مقدِرة الشاعر وبراعته في أنّه استطاع أن يَجْمَعَ في هذه القصيدة بين كَثْرة الإشاراتِ التاريخية (المُجَانبَةِ بطَبْعها للشعر) وبين سَلاسة التركيب وطَلاوة الشعر. وقد صَدَقَ المُسْتَشْرِقُ عبدُ الرحمنِ نيكَلْ البُوهيميُّ حينَما قالَ: « وبخِلافِ ما زَعَمَ دوزي[1] وجميعُ الذين تَبِعوه في رأيهِ[2] من أنّ في هذه القصيدة جَفافاً ومُبالغاتٍ (جُوفاً)، نَجدُ أنّ هذهِ القصيدةَ تستحقّ الشُهْرَةَ ٱلّتي تَتَمتّع بها بَيْنَ العرب. أما القِسْم التاريخي منها فلا يَضِحُ إلا بالشَّرْحِ الذي عَلّقَه عليها ابنُ بَدْرونِ[3]. وعلى قارىء هذهِ القصيدةِ أن يكونَ على علمٍ تامٍّ بما تَضمّنته مِنَ الإشاراتِ التاريخية، على أن يكون هذا القارىءُ مُسْلِماً أو من الذين يَشْعُرون شُعورَ المسلمين. وحينئذٍ فقطْ يكونُ لها صَدًى مستحبٌّ في نفسهِ ».

وكان ابنُ عبدونٍ مؤلّفاً له كتابُ « الانتصار لأبي عُبيدة على ابن قُتيبة ».

---

(١) في مقدّمته لشرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون.

(٢) راجع رأي دوزي موجزاً وشيئاً من التعليق عليه في كتاب « تاريخ الفكر الأندلسي »، تأليف آنخل غنثالث بالنثيا، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م، ص ١١٩ - ١٢٠.

(٣) هو أبو مروان عبد الملك بن عبد الله الحضرمي الشلبي (بكسر الشين)، يبدو أنه عاش مدّة في إشبيلية. وكانت وفاته سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ - ١٢١٢ م) في الأغلب.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابن عبدون من قصيدة طويلة (البَشامة) يرثي بها بني الأفطس:

الدهرُ يَفْجَعُ بعد العين بالأثرِ، ... فما البكاءُ على الأَشباح والصورِ[١]؟
أنهاك أنهاك - لا آلوكَ مَوْعِظَةً - ... عن نَوْمةٍ بينَ نابِ الليث والظُفُرِ[٢].
فالدهرُ حربٌ، وإنْ أبدى مُسالمة؛ ... فالبِيضُ والسُّمْر مثلُ البيضِ والسُّمُرِ[٣].
فلا تَغُرَّنْكَ من دُنياك نَوْمتُها، ... فما صِناعة عيْنيها سوى السهرِ[٤].
ما لليالي؟ أقالَ الله عثرتنا ... من الليالي وخانتْها يدُ الغِيَرِ[٥].
تَسُرُّ بالشيءِ لكنْ كي تَغُرَّ به، ... كالأَيْمِ ثار إلى الجاني من الزَهرِ[٦].
كم دولةٍ وَلِيَتْ بالنصرِ خِدمَتَها ... لم تُبقِ منها - وسَلْ ذِكراك - مِن خبرِ.

★ ★ ★

هَوَتْ بدارا، وفَلّتْ غَرْبَ قاتله، ... وكانَ عَضْباً على الأَمْلاكِ ذا أثَرِ[٧].

(١) العين: البناء الشاخص أو الشخص الماثل. الأثر: العلامة الدالّة على ما كان موجوداً. - فما البكاء على الأشباح والصور: ما الفائدة من الحزن على شيء سيصبح غداً صورةً أو شبحاً.

(٢) أنهاك: أردعك، أمنعك، لا آلوك موعظة: لا أضن عليك بموعظة (أنصحك بجميع النصائح المعروفة والمتخيّلة). أنهاك عن نومة (اطمئنان) بين ناب الليث والظفر (بين أحداث في الحياة خطرة مثل أنياب الأسد وأظفاره).

(٣) حرب (خصام). البيض والسُمر (الأيام والليالي) كالبيض والسمر (السيوف والرماح) في الفتك بالناس.

(٤) لا تغترر (وتطمئن) إذا أمهلتك الأيام فلم تصبك (في فترة ما) بمصيبة. الدنيا بعينيها تكون دائماً ساهرة ترقب، وإن بدت لك أنّها نائمة (غافلة عنك).

(٥) - ما شأن الليالي بنا (تصيبنا في كلّ حين بالمصائب)؟ أقال الله عثرتنا: نجّانا الله منها. الغِيَر: المصائب والأحداث. خانتها يد الغِيَر: أنزل الله المصائب بالدنيا حتّى تغفل عنّا ونرتاح نحن منها.

(٦) الأيم: الحية. الجاني: الذي يجني (يقطف) الزهر. - إذا أراد إنسان أن يمد يده لقطف زهرة (اطمئناناً بأن الأزهار لا خطر منها على الإنسان) هجم عليه منها ثعبان.

(٧) هوت بدارا: سقطت به (أهلكته). دارا: اسم لثلاثة من مشاهير ملوك فارس: دارا الأول (ت ٤٨٦ ق.م. = ١١٠٨ قبل الهجرة) انتصر في معارك كثيرة ووحّد الإمبراطورية وقام بإصلاحات كثيرة ثم انهزم في معركة ماراثون في بلاد اليونان (٤٩٠ ق.م.). دارا الثاني هو قتل أخاً له من أبيه =

واسْتَرْجَعَتْ من بني ساسانَ ماوَهَبَتْ ... ولم تَدَعْ لبني يونانَ مِنْ أَثَرِ[1].
وألْحَقَتْ أُخْتَها طَسْماً، وعادَ على ... عادٍ وجُرْهُمَ منها ناقِضُ المِرَرِ[2].
ومزّقت سَبَأً في كلّ قاصِيَةٍ ... فما اْلتَقى رائحٌ منهم بُمْبْتَكِرِ[3]!
وأنفذَتْ في كُليبِ حُكْمها ورَمَتْ ... مُهَلْهِلًا بين سَمْعِ الأرضِ والبصرِ[4].
ولم تَرُدَّ على الضِلِّيلِ صِحّتَه ... ولا ثَنَتْ أَسَداً عن ربِّها حُجُرِ[5].
ودَوّخَتْ آل ذُبْيانٍ وإخْوَتَهُمْ ... عَبْساً وغَصَّت بني بَدْرٍ على النَّهَرِ[6].
وأهْلَكَتْ إبرَويزاً بابْنِهِ ورَمَتْ ... بيَزْدَجُرْدَ إلى مَرْوٍ فلم يَحُرِ[7].
ومزّقتْ جَعْفَراً بالبِيضِ واخْتَلَسَتْ ... من غِيلِه حَمْزَةَ الظَلّامَ لِلْجُزُرِ[8].
وخَضَّبتْ شَيْبَ عُثْمانٍ دماً وخَطَتْ ... إلى الزُّبيرِ ولم تَسْتَحْيِ من عُمَرِ[9].

= ثم حدث في أيامه اغتيالات كثيرة ثم توفي هو أيضاً (٣٣٠ ق.م.). دارا الثالث حاربه الإسكندر المقدوني، قتله أحد ضباطه. الغرب: حد السيف (ثم قتل قاتله؟). وقد كان هو عضباً (سيفاً قاطعاً) على (في قتال) الأملاك (الملوك) ذا أثر (فيهم: يتغلب عليهم).

(١) سلبت بني ساسان (الفرس) مُلكهم الذي كانت قد منحتهم إياه. وقضت على ملوك اليونان

(٢) طسم وعاد وجرهم من القبائل العربية البائدة (المنقرضة). المرة (بالكسر): القوة. ناقض المرر (مبطل، مضعف كل قوة).

(٣) وشتّتت أهل سبأ (اليمن) بعد انفجار سدّ مأرب فتفرّقوا في جميع نواحي الأرض.

(٤) كليب وائل كان سيد قومه قتله جساس بن مرة (ولم يكن يدانيه في الشرف والقوة)، فأثار مهلهلٌ (أخو كليب) حرب البسوس التي دامت أربعين سنة. ثم إن مهلهلًا اعتزل الحرب وترك أرضه ولم يعرف أحد بعد ذلك ما حدث له.

(٥) امرؤ القيس الشاعر المشهور مات (شابّاً) غريباً عند أنقرة (في آسية الصغرى) بالجدري (في الأغلب). وحجر (والد امرىء القيس) والملك على بني أسد، ثار عليه بنو أسد وقتلوه. الضلّيل لقب امرىء القيس.

(٦) وكذلك أوقعت القتل والفناء في بني ذبيان وأولاد أعمامهم بني عبس في حرب داحس والغبراء. غصَّ: شَرِق (بفتح فكسر) ببني بدر على النهر (؟) الشاعر يستعمل «غصّ» متعدية، وهي لازمة.

(٧) كسرى أبرويز الثاني قتله ابنه قباذ. يزدجرد قاتله المسلمون فانهزم منهم فقتله بعض أتباعه. حار يحور: رجع. (لم يرجع إلى ملكه).

(٨) جعفر الطيار (أخو علي بن أبي طالب) قتل في سرية مؤتة (٨ هـ) ووجد في جسمه تسعون طعنة. وحمزة ابن عبد المطلب (عم الرسول) قتل في معركة أُحُد (سنة ٣ هـ) ومضغت هند بنت أبي سفيان (أخت معاوية) قطعة من كبده (حقداً عليه وانتقاماً) وكان هو كريماً ينحر الجزور (الإبل) ويطعم الناس.

(٩) عثمان بن عفان والزُّبير بن العوام وعمر بن الخطّاب قتلوا قتلاً.

وأَجْزَرَتْ سَيْفَ أَشْقاها أَبا حَسَنٍ ... وأَمْكَنَتْ من حُسينٍ راحَتَيْ شَمِرِ [١].
ولَيْتَها، إذْ فَدَتْ عَمْراً بخارجةٍ، ... فَدَتْ عَليًّا بِمَنْ شاءَتْ من البَشَرِ [٢]!
وفي ٱبنِ هِنْدٍ وفي ابنِ المُصْطَفى حَسَنٍ ... جاءتْ بمُعْضِلَةِ الأَلْبابِ والفِكَرِ [٣]:
فبعضُنا قائلٌ: ما اغتالَهُ أحدٌ؛ ... وبعضُنا ساكتٌ لم يُؤْتَ من حَصَرِ [٤]!
ولم تُراقِبْ مَكانَ ٱبنِ الزُّبيرِ ولا ... راعتْ عِياذَتَه بالبَيْتِ والحَجَرِ [٥].
ولم تَعُدْ قُضُبُ السَفّاحِ نائيةً ... عَنْ رأسِ مَروانَ أو أشياعِهِ الفُجُرِ [٦]
وأشْرَقَتْ جَعْفراً، والفَضْلُ يَنْظُرُهُ ... والشيخُ يَحْيى، بِريقِ الصارمِ الذَكَرِ [٧].
وأَوْثَقَتْ في عُراها كلّ مُعْتَمِدٍ ... وأَشْرَقَتْ بِقَذاها كلَّ مُقْتَدِرِ [٨].
ورَوّعَتْ كلّ مأمونٍ ومُؤْتَمَنٍ ... وأَسْلَمَتْ كلّ مَنْصورٍ ومُنْتَصِرِ [٩].

★ ★ ★

(١) أبو حسن (علي بن أبي طالب) قتله عبد الرحمن بن ملجم. والحسين بن علي قتل في كربلاء، قتله شمر (بفتح فكسر) بن ذي الجوشن.

(٢) عمرو بن العاص كان والياً على مصر. مرض يوماً فلم يستطع الخروج إلى صلاة الصبح ليصلّي بالناس فخرج مكانه رئيس شرطته خارجة بن حذافة (بضم الحاء) فقتل (وكان المقصود بالقتل عمرو بن العاص).

(٣) ابن هند معاوية بن أبي سفيان انتزع الخلافة من علي بن أبي طالب (أو شركه فيها على الأصح) ثم اختار آل علي الحسنَ بن علي للخلافة، فتنازل الحسن عنها لمعاوية. ولم يكن ذلك منتظراً منه. المعضلة هي المشكلة التي لا حلّ لها.

(٤) يقال إن معاوية وعد امرأة الحسن أن يزوِّجها ابنه يزيد إذا هي قتلت زوجها الحسن. وهنا جماعة لا يريدون أن يتكلموا في ذلك فسكتوا. الحصر: العجز عن الكلام.

(٥) وعبد الله بن الزبير قتله الحجاج بن يوسف الثقفيّ (والي بني أمية على الحجاز) وكان ابن الزبير قد التجأ إلى الكعبة. البيت (الكعبة). الحجر (الحجر الأسود).

(٦) القضيب: السيف. السفّاح: أبو العباس (أول الخلفاء العباسيين). نائية (بعيدة). مروان بن محمد (آخر الخلفاء الأمويين). الفاجر: الفاسق الذي يرتكب المعاصي (الذنوب). كان أهل الأندلس (في الأكثر) يحبون بني أمية ويكرهون بني العباس.

(٧) أشرق فلان فلاناً بالماء: أَغَصَّهُ (جعله يَغَصّ - بفتح الياء والغين - لا يسيغه). (هنا) الحياة أشرقت جعفراً البرمكيّ (أماتته مِيتة - بكسر الميم -) غصّ فيها بدمه. ريق الصارم (السيف) الذكر (المصنوع من الحديد الذكر: الفولاذ). الفضل (أخو جعفر) ويحيى (أبو جعفر). لمّا نكب هرون الرشيد البرامكة لم يقتل منهم إلّا جعفراً، ولكنّه صادر أموال الباقين.

(٨ و ٩) أوثق: قيّد، ربط. العروة (بالضمّ): الرباط. أشرق: أغصّ. - إنّ الخلفاء والأمراء الذين تلقّبوا =

بني المظفَّرِ، والأَيامُ ما برِحَتْ مَراحِلًا والورى منها على سفرِ[١]،
سُحقاً ليومِكُمُ يوماً ولا حَمَلَتْ بمثلـهِ لَيْلَـةٌ في مُقبِـل العُمُرِ[٢].
مَنِ للأَسِرَّةِ أو مَن للأعِنَّــة أو مَن للأَسِنَّــةِ يُهديها إلى الثَغرِ[٣]؟
مَن للبراعـة أو مَن لليَراعة أو مَن للسَّاحـة أو للنفع والضَرَرِ[٤]؛
أو دفـع كارثـة أو ردع آزِفـة أو قمْـع حادثة تعيا على القدَرِ[٥]؟
ويحَ السَّماحِ وويحَ البأْسِ لو سَلِما؛ وحَسْرَةُ الـدينِ والدنيا على عمرِ[٦]
سقتْ ثرى الفضلِ والعباس هاميــةٌ تُعزى إلَيْهم سَماحـاً لا إلى المطرِ[٧].
ثلاثـةٌ ما رأى العَصرانِ مثلَهُمُ فضلًا، ولوعُزِّزا بالشمْسِ والقمَرِ[٨]؛
ثلاثة ما ٱرتقى النَسرانِ حيثُ رَقُوا وكـلٌّ ما طار مِن نَسْرٍ ولم يَطِرِ[٩].
ثلاثـةٌ كـذواتِ الدهر مذ نَأَوُا عنّي مضى الدهر لم يَرْبَعْ ولم يَحُرِ[١٠]

= بألقاب هي: المعتمد والمقتدر والمأمون والمؤتمن والمنصور والمنتصر وغير ذلك من الألقاب التي تدلّ على السلامة والقدرة والانتصار كلّهم ماتوا أو سجنوا أو قتلوا (لأنّ للحياة سنّة ثابتة تتبعها ولا تهتمّ بأماني البشر).

(١) مراحل (فترات زمنية). الورى (جميع الناس) على سفر (ينتظرون الموت).

(٢) سحقاً (بعداً) ليومكم (الذي قتلتم فيه).

(٣) السرير: العرش (الملك). العنان: الرسن (الخيل، الشجاعة). السنان: الحديدة في رأس الرمح (الحرب). الثغر (الحدود الشمالية في الأندلس المتاخمة لممالك النصارى): الجهاد.

(٤) البراعة (في نظم الشعر؟). اليراعة: القلم (كتابة النثر). السماحة: الجود والكرم.

(٥) الآزفة: القيامة، ميتة (بكسر الميم) السوء. حادثة (مصيبة) تعيا على القدر (يعيا على الإنسان أن يقاوم فيها القدر).

(٦) السماح: التسامح والتساهل وسعة الصدر. البأس: القوّة، الحرب. عمر بن محمّد المتوكّل بن الأفطس صاحب بطليوس (من ملوك الطوائف) قتله المرابطون مع ولديه، سنة ٤٨٧ هـ.

(٧) ثرى: تراب (تربة، قبر). هامية: سحابة ممطرة. سماحاً (جوداً وكرماً). تعزى: تنسب.

(٨) العصران: الصباح والمساء (الدهر كلّه). عزّز فلان فلاناً بفلان: أيّده، ضمّه إليه.

(٩) النسران: نجمان في السماء. رقي: ارتفع. ما طار من نسر (النسر من الطيور) وما لم يطر (النسر من النجوم).

(١٠) ذوات الدهر: كملوك الدهر (كانوا في ملكهم يملون إرادتهم على الأيام، فأملى الآن الدهر إرادته عليهم). نأوا: بعدوا، ابتعدوا (ماتوا)- مضى الدهر عنّي (زالت سعادتي). لم يربع (لم يبق، لم يستمع). ولم يحر (من حار يحور: رجع عاد) لم ألاقِ توفيقاً ونجاحاً بعدهم.

ومرّ مِن كـلّ شيء فيه أَطيبُه حتى التمتُّعُ بالآصالِ والبُكُرِ[١] .
من للجلال الذي غضَّت مَهابته قلوبُنـا وعيونُ الأَنجم الزُّهُرِ[٢] ؟
أين الإبـاءُ الذي أرْسَوْا قواعدَهُ عـلى دعائمَ مِن عِزٍّ ومن ظَفَرِ[٣] ؟
اين الوفـاء الذي أصْفَوْا شرائعَه فـلم يَرِدْ أحدٌ منها على كَدَرِ[٤] ؟
مَنْ لي ،ولا مَنْ بِهِمْ ،إنْ أظْلَمتْ نُوَبٌ ، ولم يكنْ لَيْلُها يُفْضي إلى سَحَرِ[٥] ؟
من لي ، ولا من بِهِمْ ،إنْ عُطِّلَتْ سُنَنٌ وأُخْفِيَتْ أَلْسُنُ الآثارِ والسِيَرِ[٦] ؟
عـلى الفضائلِ إلّا الصبرَ بعدهُمُ سلامُ مُرتَقِبٍ للأجر منتظرِ[٧] .
يرجو عسى ، ولـه في أُختها طمعٌ ؛ والدهر ذو عُقَبٍ شتّى وذو غِيَرِ[٨] .
قَرّطتُ آذانَ مَن فيها بِفاضحةٍ على الحِسانِ حَصى الياقوتِ والدُرَرِ[٩]
سيَّارةٍ في أَقاصي الأَرضِ قاطعةٍ شَقاشِقاً هَدَرَتْ في البَدْوِ والحَضَرِ[١٠] .

---

(١) مرّ (من مرّ يمرّ بضم الميم في المضارع): ذهب، مضى، انقضى، انتهى؛ أو (من مرّ يمرّ بفتح الميم في المضارع: صار مرًّا، فيه مرارة). الأصيل (بين العصر وغياب الشمس) والبكرة: الصباح (وقت الهدوء والتمتّع بالراحة).

(٢) غضّ: خفض، نقص أو أنقص. الزُهر: النجوم اللامعة.

(٣) أرسى القواعد: جعلها راسخة (ثابتة).

(٤) الشريعة: مكان الشرب من النهر وغيره. ورد (شرب).

(٥) من لي؟: من يعينني، من ينقذني؟ لا من بهم (؟) نائبة: مصيبة. ليلها يفضي: يؤدّي. إلى سحر: صباح (إذا لم تنكشف عنّي الغمّة، فمن يساعدني على إنقاذي منها؟).

(٦) عطلّت سنن (طرقات، شرائع)..... ثمّ من يجهر بفضلهم بعد أن تمحى آثارهم وتتلف كتب التاريخ في حكم المرابطين (كان المرابطون - في أوّل الأمر على الأقلّ - لا يشجّعون الشعر والثقافة).

(٧) لقد فارقني كلّ ما كان فيّ من فضائل (خسرت المال والجاه والسرور..... ولكن لم أخسر الصبر لأني :بر على أن أصبر).

(٨) المرتقب (المنتظر الصابر، أي الشاعر) يرجو (يأمل) «عسى» أن تتبدّل الأحوال. وله في أختها «لعل» (أمل آخر. والدهر ذو عقب - جمع عقبة: تعاقب، الخير بعد الشر، والشر بعد الخير). الغِيَر (جمع غيرة بكسر الغين): أحداث الدهر وأحواله.

(٩) قرّط الأذن: جعل فيها قرطاً. من فيها (من ذكر منهم فيها: عمر المتوكل وأبناه) - مدحتهم فيها مدحاً جميلا. بفاضحة: (بقصيدة) تفضح (تخفض ثمن الياقوت والدرر: اللؤلؤ) مما تتزين به الحسان (النساء الجميلات).

(١٠) سيارة (مشهورة، متداولة بين الناس) قاطعة (مسكتة) شقاشقاً (أصواتاً عالية: أشعاراً تنشد بصوت =

– ولابنِ عبدونٍ رسالةٌ طويلة كتبها سَنَةَ ٥٠٤ هـ (١١١٠ – ١١١١ هـ) عن أميرِ المسلمين علي بن تاشفين يذكر فيها فتح مدينة شنترين:

..... وكانت قلعةُ شَنْتَرِينَ – أدام اللهُ أمرَ أمير المسلمين – من أحصنِ المعاقلِ للمُشركين وأثبت المعاقل[١] على المسلمين. فلم نَزَلْ بسَعْيِكَ الذي اقْتَفَيْناه وهَدْيِكَ الذي اكْتَفَيْناه نَخْضُدُ شَوْكَتَها[٢].... ونتناولها عَلَلًا بعدَ نَهَلٍ ونُطاوِلها عَجَلًا في مَهَل[٣].....

ولمّا.... أحاطَ بِهِمُ البلاءُ، واستشاط عليهِمْ بغضبِ الجبّارِ القضاءُ[٤]، ولم يكن لِلَيْلِ بأسائهم سَحَرٌ يُتأَمّلُ[٥].... اختاروا الدنيّةَ على المَنِيّةِ ورَضُوا بالاسْتِسْلامِ للعُبوديّة..... وكانَ القتلُ – كما قدّمْنا – قد أتى على صِيد أعْيانِهم وصناديدِ[٦] فُرْسانِهم..... وقد سألونا الإبقاءَ عليهم فأجَبْناهم، بعدَ أن قَدّموا من الخضوعِ صَدَقَةً بين يدي نَجْواهم[٧]. ووَهَبْنا أُولاهُمْ لأُخراهم[٨]، وجَعلنا العَفْو عنهم تَطريقاً

= عال) هدرت (ترددت بقوة وبصوت مرتفع) في البيد والحضر (في البادية وفي المدينة: في كل مكان). – هذه القصيدة ستنسي الناس جميع القصائد الأخرى.

(١) المعاقل جمع معقل. من أحصن (أشدّ) المعاقل للمشركين. أثبت المعاقل على المسلمين (من أرسخ القلاع، الحصون لوصول المسلمين إليها).

(٢) اقتفى: أتّبع. اكتفيناه (اكتفينا: قنعنا به). خضد: كسر. الشوكة: القوّة، السلاح.

(٣) العلل: الشرب شيئاً فشيئاً. النهل: الشرب بقدر كبير. نطاولها: نماطل (نتظاهر بالتأخّر في أخذها). عجلًا (ونحن في الحقيقة نسابقهم فيما يبدو منّا مَهلا) (تمهّل، تأنّ، تأخّر).

(٤) شاط: حمي، سخن، احترق. الجبّار (الله تعالى).

(٥) البأساء: الشدّة، الضيق. سحر (صباح، فرج) يتأمّل: ينتظر (يرجى).

(٦) الأصيد: المائل العنق (المتكبّر اعتداداً بنفسه). الصنديد: البطل القويّ.

(٧) قدّموا صدقة بين يدي نجواهم. هذه الجملة مقتبسة من القرآن الكريم: «إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة» (٥٨: ١٢، راجع ١٣، سورة المجادلة). ومعنى الآية: إذا كنتم تريدون أن تخاطبوا الرسول سرًّا في أمرٍ من أموركم الشخصية فتصدّقوا قبل ذلك بشيء إلى أحد المحتاجين دلالة على حبّكم للخير، وعلى أنّكم لا تطلبون المشاورة مجانًّا حينما تريدون، بل يجب أن تشعروا أنّ عليكم في ذلك أيضاً واجباً يجب أن تؤدّوه نحو المؤمنين. ومعنى الجملة: أنّ الإسبان لمّا خاطبونا سرًّا في أمر التسليم دفعوا جزية.

(٨) وهبنا أولاهم (كبار السنّ فيهم؟) لأخراهم (لنسلهم حتّى يربّوهم؟).

لسِواهم ممن يَتقيَّلُ صَنيعَهم[1] إذا نحنُ غداً - بإذْنِ اللهِ - حاصَرْناهُمْ.....

٤ - شرح قصيدة ابن عبدون (نشرها دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٨ م؛ (في مجموعة نشرها محيي الدين صبري)، القاهرة ١٣٤٠ هـ.

- كمامة الزهر وفريدة الدهر: شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون (نشرها دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٦ م.

★★ قلائد العقيان ١٦٤ - ١٦٨؛ الصلة (رقم ٨٢١)؛ الذخيرة ٢: ٦٦٨ - ٧٢٧؛ المغرب ١: ٣٧٤ - ٣٧٦؛ بغية الملتمس ٥٢٣ (رقم ١٥٦٧)؛ المطرب ١٨٠ - ١٨٣، راجع ٢١ - ٣٣؛ المعجب ٥٣ - ٦٣، ١١٥ - ٢٢٢؛ فوات الوفيات ٢: ١١ - ١٣؛ صلة الصلة ٤٢؛ أعمال الأعلام ١٨٦ - ١٨٩؛ نفح الطيب ١: ١٨٥، ٤٤٢، ٦٦٣ - ٦٦٦، ٦٧٣ - ٦٧٥، ٣: ٢٩٣، ٣٩٧ - ٣٩٨، ٤٥٤، ٤٧٠ - ٤٧١، ٦٠٩، ٤: ٣٠٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٨٠؛ بروكلمن ١: ٣٢٠ - ٣٢١، الملحق ١: ٤٨٠؛ نيكل ١٧٥ - ١٧٩؛ مختارات نيكل ١٢٠ - ١٣٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٩٣ (١٤٩)؛ بالنثيا ١١٨ - ١٢٠، سركيس ١٦٧.

ابن حمديس الصِقِلِّيّ

١ - هو عبدُ الجبّارِ بنُ أبي بكرٍ محمّدِ بنِ حَمْديسٍ الأزْديُّ الصِقِلِّيُّ، وُلِدَ في مدينة سَرْقوسَةَ (في جزيرة سِقِلّيَةَ أو صقلّية)، سَنَةَ ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م)، في أسرة عربيةٍ تنتمي إلى الأزْد من عَرَبِ الجَنوب. وكانت أسْرتُهُ مُتَديِّنَةً مُحافظةً. ومعَ ذلك فقد انْصَرَفَ ابنُ حمديسٍ في مَطْلَعِ حياتهِ إلى اللَّهْو كثيراً.

في سَنَةِ ٤٧١ هـ (١٠٧٨ - ١٠٧٩ م) كان النورمَنْديّونَ قَدِ اسْتَوْلَوْا على مُعْظَمِ جَزيرةِ صِقِلِّيَةَ، فرأى ابنُ حمديسٍ أن يُغادِرَ صقلّيةَ فاخْتارَ أن يذهبَ إلى إفْرِيقِيَةَ (تَونس)، فمَكَثَ هنالك مدّةً ثمّ انتقلَ إلى الأندلسِ طَمَعاً في أن ينالَ حُظْوةً عِندَ ملوكِها. ففي سَنَةِ ٤٧٧ حلّ في إشْبيلِيَةَ عاصمةِ المُعْتَمدِ بنِ عَبّاد وأقام فيها مُدّة مُهْملاً

(١) تطريقاً: شقّ طريق (قدوة لغيرهم ليفعلوا مثل فعلهم حينما نتغلّب عليهم). يتقيّل (يستظلّ في القائلة: وقت القيلولة: النوم بعد الظهر، يستريح) صنيعهم (عملهم). يقصد الكاتب: ليكون ما عاملناهم به تشجيعاً لغيرهم أن يفعل مثل ما فعلوا (في الاستسلام لنا).

نازلاً في خانٍ ينتظرُ أن يَسْتَدْعِيَهُ ابنُ عبّادٍ حتّى قَنِطَ أو كاد. ثمّ جاءه رَسولُ المعتمدِ فذهبَ إليه. وامْتَحَنَهُ المعتمدُ بقولِ الشعرِ بديهةً وسُرّ من بديهتِه. ونالَ ابنُ حمديسٍ عندَ المعتمدِ حُظوةً ومالاً وشُهْرةً. ولها في إشبيليةَ ما شاء له اللَّهْوُ.

وفي سنة ٤٨٤ هـ، بعد أسْرِ المعتمدِ بنِ عبّادٍ على يدِ المُرابطين، انتقل ابنُ حمديسٍ إلى المَغْربِ وتَطوّفَ بين أغماتَ (قربَ مدينة مرّاكُشَ، حيثُ كان المعتمدُ أسيراً سجيناً) وبين سَفاقُسَ (في تونسَ على شاطئها الشرقي) وبالمدنِ التي بينهما عِشْرينَ سَنَةً من غيرِ أنْ يَقْطَعَ صِلَتَهُ بالمعتمد. فلمّا مات المعتمد (٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) اتّصل ابنُ حمديسٍ ببني عِلنّاس وبني زيري وبني خُراسان- ولكنّه لم يتّصل بسلاطينِ المُرابطينَ وفاءً منه للمعتمدِ-. وأخيراً اسْتَقَرَّ في بجايةَ (على الساحل، شَرْقَ مدينةِ الجزائر)، ويبدو أنّه كان قد عَمِيَ في ذلك الحين.

وكانتْ وفاةُ ابنِ حمديسٍ في بجايَةَ، في رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ ٥٢٩ (تمّوز- يوليو ١١٣٥ م).

٢- ابنُ حَمْديسٍ الصِقِلّيُ شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيد من أكبرِ شعراءِ الأندلسِ؛ وأسْلوبُه مألوفٌ- على عَمودِ الشعر العربي- وعلى شِعْرِه أثرٌ واضحٌ من النَفَس المَشْرقي في الفنون التقليدية، ويَظْهَرُ هذا الأثرُ في المعاني وفي الألفاظ والتراكيب. ومَعَ أنّ ابنَ حمديسٍ شاعرٌ وُجْدانيّ يَجْرِي في نَظْمِهِ على السليقةِ، فإنّه يُوغل أحياناً في التكلّفِ: في التجنيسِ والمُطابقة. وشعرُ ابن حمديسٍ قصيدٌ ورَجَزٌ قصائدَ طِوالاً ومُقطّعاتٍ قصاراً. أما فنونه فالمديحُ والرثاءُ (وليس له هجاءٌ) والغَزَلُ والنَسيب والشَكْوى، وَهُوَ كثيرُ الحنينِ إلى موطنِهِ صقلّيةَ وإلى أيام طفولتِهِ وشبابه. ووصفُهُ بارعٌ جدًّا؛ وهو وصّافٌ لمظاهرِ الطبيعةِ في مقطّعاتٍ وفي مطالعِ القصائدِ أو في ثناياها أحياناً، ممّا يذهب عادَةً بقيمةِ فنونهِ الأخرى إذ يَضيع المديحُ مثلًا في الأوصاف المُتراكِمة. وقد تَضْعُفُ أوصافُه حيناً حينما يُغْرِقُ في تَطَلُّبِ الصُوَرِ الشعريةِ الغريبة فتَغْمُضُ تلكَ الصُوَر. وكذلك له شيءٌ من الخَمْريات والطَرْدِ (وصف الحيوان) والحِكمة والزُهد.

ولابن حمديسٍ كتابٌ اسمه «تاريخ الجزيرة الخضراء».

٣ - مختارات من شعره:

- قال ٱبنُ حمديسٍ يتذكّر صقلّيَةَ ويصف الخمر والرقص من قصيدة مطلعها:

قَضَتْ في الصِبا النفسُ أوطارَها، وأبْلَغَها الشَيْبُ إنذارَها[١].

منها:

وراهبــــةٍ أغلقـــتْ دَيْرَهـــا فكنّـــا مَـــعَ اللَّيْـــلِ زُوّارَهـــا.
هَدانـــــا إليهـــــا شَذا قهوةٍ تُذيــــع لأنْفِــــكَ أسْرارهـــا[٢].
طَرَحْـــــتُ بميزانهـــــا دِرْهَمي فأجْرَتْ من الـدَنِّ دينارَهـا[٣].
تَفرّسَ في شَمّــــهِ طيبَهــــا مُجيــــدُ الفِراسَةِ فاخْتارهـــا[٤].
فَتًـى دارسَ الخَمْرَ حتّـى دَرى عَصــيرَ الخُمورِ وأَعصارَهــا[٥]:
يَعُـــدّ لِما شِئْـــتَ مِنْ قهوةٍ سِنِيهــــا ويَعْرِفُ خَمّارهــــا.
وقـد سَكّنَــتْ حَرَكـاتِ الأسى قِيــــانٌ تُحرِّكُ أوْتارَهـــا[٦]:
فهــذي تُعانــقُ لي عُودَهـــا وتِلْــكَ تُقَبِّـــلُ مِزْمارهــــا.
وراقصـــةٍ لَقَطَـــتْ رِجْلُهـــا حِسَاب يَــدٍ نَقَرتْ طارَهــا[٧].

---

(١) - في أيام الصبا نلت جميع أوطاري (غاياتي ومآربي)، فلمّا جاء الشيب أجبرني على ترك اللّذات وأخبرني بقرب الموت.

(٢) الشذا: الرائحة. القهوة: الخمر المطبوخة بالنار.

(٣) - أعطيتها درهماً أبيض (من فضّة) فوزنت لي خمراً حمراء (كالتبر: الذهب).

(٤) تفرّس: نظر، تثبّت (فحص واختبر). والاسم من « تفرّس » الفراسة بكسر الفاء (القاموس ٢ : ٢٣٦، السطر الثالث من أسفل).

(٥) دارس= درس: تعلّم الخصائص في الأشياء. درى يدري: أدرك، عرف. عصير الخمور: نوعها (العنب الذي عصرت منه). أعصارها (بفتح الهمزة): زمنها الذي عصرت فيه.

(٦) الأسا أو الأسى: الحزن. (والحزن أحياناً يجعل الإنسان مضطرباً). قيان جمع قينة (بفتح القاف): المرأة الجميلة التي تحترف اللهو (كسقي الخمر والرقص الخ).

(٧) الطار والطارة (ليستا في القاموس): الدف، أداة موسيقية تتألف من إطار يشدّ عليه رق (بكسر الراء: جلد رقيق) وينقر عليه. نقرت رجلها حساب يد: ضربت الأرض برجلها ضرباً يماثل نقر الأصابع على الدّف.

ذكرتُ صِقلِّيَـــــــــةً والأسى يُهَيِّـــــجُ للنفسِ تَذْكارهـــا[١]،
ومَنْزِلـــــةً للتصـــــابي خلَـــتْ، وكـــان بنو الظَرْف عُمّارهـا[٢].
فـإنْ كنـتُ أُخرِجْتُ من جَنّةٍ فإنّي أُحَـــــدِّثُ أخبارَهـــــا.
ولولا مُلوحـــــة مـــــاءِ البكـــاءِ حَسِبْــــتُ دُموعِي أنهارَهـــــا.
ضَحِكْـتُ ابنَ عشرينَ من صَبْوةٍ بَكَيْتُ ابنَ سِتّينَ أوزارَها[٣].
فـــلا تَعْظُمَنَّ لَديْـــكَ الذُنوبُ، فما زالَ رَبُّـــكَ غَفّارَهـــــا.

- وقال يصف جماعة على جانِبَيْ نَهْرٍ يشربون خمراً:

ومُطَّردِ الأجزاءِ يَصْقُلُ مَتْنَه صَباً أعْلنتْ للعين ما في ضميرِه[٤]؛
جَريحٍ بأطرافِ الحَصى كلّما جَرى عليها شَكا أوجاعَه بخَريره[٥].
شَرِبْنا على حافاتِه دَوْرَ سَكْرَةٍ؛ وأقْتَلُ سُكْراً منه لَحْظُ مُديره[٦].
كأنّ الدُّجى حطّ المَجرّةَ بَيْنَنا وقد كُلِّلَتْ حافاتها ببدوره[٧].

(١) - شقاء الإنسان في حاضره يذكّره النعيم في ماضي حياته.

(٢) التصابي هو أن يشوّق الحبّ محبوباً إلى نفسه (أيام التصابي: أيام الشباب). الظرف: الكياسة وحسن الوجه واللسان (يستعمل للفتيان والفتيات لا للشيوخ). العمّار: السكّان: عمر الأرض أو المكان أو المنزل: سكنه.

(٣) - سررت وأنا ابن عشرين سنة من الصبوة (الجهلة في زمن الشباب، الانغماس في الحبّ) ثمّ أصبحت وأنا ابن ستّين أشكو من نتيجة ذلك في صحّتي وفي ديني (الذنب الذي تحمّلته من جراء ذلك).

(٤) مطّرد الأجزاء: متتابع الأجزاء على استواء. صقل: جلا، جعل الشيء أملس. متنه: ظهره، سطحه (سطح النهر). الصبا: ريح الشرق. أعلنت: أظهرت. ما في ضميره: ما في جوفه (في قاعه).

(٥) يقول الشاعر: هذا النهر يتقلّب في سيره على حصى (حجارة صغار) فتجرحه فيتألم فيحدث خريراً (صوتاً خافتاً كالغطيط الخارج من أنف النائم). - إن معنى هذا البيت يأتلف في المنطق مع معنى البيت السابق (لأنّ النهر المستوي الأجزاء المصقول السطح لا يحدث الصوت الذي يقصده الشاعر هنا).

(٦) حافتا الوادي: جانباه. دور سكرة: شرب جماعة الشاربين مرّة واحدة من خمر تدور عليهم. - على أن الذي جعلنا سكارى ليس هذا الدور من الخمر ولكن عيون الساقي الذي كان يدير علينا هذه الخمر.

(٧) كأن الدجى (الليل) حطّ (أنزل) المجرّة (يشبّه الشاعر النهر الأبيض في المرج الأخضر أو في الأرض الداكنة بنهر المجرّة في عرض السماء ليلاً) غير أن هذا النهر يحيط به بدور (شباب صباح الوجوه) بينما المجرّة في السماء يظهر عند أطرافها نجوم (صغار).

كَلِفْتُ بكاساتِ الصَبوحِ مُبكّراً؛ وكَمْ بَرَكاتٍ للفتى في بُكوره[1].
هُوَ العيشُ فاغْنَمْ من زِمانِكَ صَفْوَهُ وصِدْ قَنَص اللّذاتِ قبل مُثيره[2].

– وقال في الدعوة إلى الجهاد بعد الاضطرار إلى الجلاء عن الوطن:

بني الثَغْرِ، لستُمْ في الوَغى من بني أُمّي إذا لم أصُلْ بالعُرْبِ منكم على العُجْمِ[3]
فرُدّوا وُجوهَ الخيلِ نحوَ كَريهةٍ مُصَرِّحَةٍ للروم بالثُكْلِ واليُتْم[4]؛
وصولوا بِبِيضٍ في العَجاجِ كأنّها بُروقٌ بضربِ الهامِ مُحْمَرَّةُ السَجْم[5]،
وقرعُ الحسامِ الرأسَ من كلّ كافرٍ أحبُّ إلى سَمْعي من النَقْرِ في البَمّ[6].
وللهِ أرضٌ إن عَدِمْتُمْ هواءَها فأهواؤكم في الأرض مَنْشورةُ النَظْم[7]؛
وعِزُّكُمُ يُفْضي إلى الذُلِّ، والنَوى من البَيْنِ ترمي الشَمْلَ منكم بما ترمي[8].
فإنّ بِلادَ الناسِ ليست بلادَكم ولا جارُها والخِلْم كالجارِ والخِلم[9].
أعَنْ أرضِكم يُغنيكم أرضُ غيركم؟ وكم خالةٍ جَيْداءَ لم تُغْنِ عن أمّ[10]!

(١) كلف فلان بالشيء: تعلقت به نفسه، اشتدّ حبه له.
(٢) القنص: الطريدة، ما يصيده الصيّاد. مثير الصيد: كلب أو إنسان يسير أمام الصيّاد ليدلّه على مكان الطائر أو ليثير الطائر الذي يكون كامناً هادئاً، ويكون ذلك عادة بإحداث صوت أو إلقاء حجر. وصد قنص اللذات قبل مثيره: أقبل على اللذّة ما دمت أنت قادراً عليها وقبل أن تحتاج إلى من يدلّك عليها (؟).
(٣) الثغر: المكان على حدود أرض العدو. بني الثغر: الأشخاص الموجودون في أرض يحتلّها عدوّ. صال: وثب، هجم. العجم (بضم فسكون أو بفتح ففتح)= عجم الأندلس (إفرنج الأندلس الذين لم يكونوا يتكلّمون اللغة العربية): الأعداء.
(٤) الكريهة: الحرب. الثكل: فقد الزوج زوجه. اليتم: فقد الولد أبويه. الروم: إفرنج الأندلس. الإفرنج عامّة.
(٥) صولوا (اهجموا) ببيض (بسيوف) في العجاج (غبار المعارك، في الحرب).- كأنّ البيض السيوف بروق (لبياض لونها ولكنّها تصبح) بضرب الهام (الرؤوس) محمرّة السجم (يسيل منها الدم الأحمر).
(٦) الرأس مفعول به (من المصدر «قَرْع» المضاف إلى فاعله). البمّ: الوتر الغليظ في العود (أحبّ إليّ من سماع الموسيقى).
(٧) إذا عدمتم شمّ هواء بلادكم (إذا جلوتم عنها) تفرّقت أهواؤكم (غاياتكم وجهودكم).
(٨) يفضي: يقود، يؤدّي إلى.- وتفرّق الناس في الأماكن المتباعدة يقطّع الصلات التي بينهم.
(٩) – .... وليس الجار في البلاد الغريبة كالجار في وطنك ولا الخلم (الصديق) هناك كالخلم في الوطن.
(١٠) الجيداء: طويلة الجيد (العنق) (جميلة أو كريمة الأصل).

تَقَيَّــدْ من القُطْرِ العزيزِ بمَوْطِنٍ ومُتْ عندَ رَبْعٍ من ربوعِك أو رَسْمِ[١].
وإيّاك يوماً أن تُجَرِّبَ غُرْبَةً؛ فلن يَسْتَجيزَ العقلُ تَجْرِبَةَ السُّمّ[٢]!

– وقال يصف الخمر في مطلع قصيدة في المديح:

قُمْ هاتِها من كَفِّ ذاتِ الوِشاحْ فقد نَعى اللَّيْلَ بشيرُ الصباحْ[٣].
خَــلِّ الكَرى عنك وخُذْ قَهْوةً تُهدي إلى الرُّوحِ نسيمَ ارْتِياح.
هــــذا صَبوحٌ وصبــــاحٌ، فما عُذْرُك في ترك صَبوحِ الصباح[٤].
باكِرْ إلى اللَّذّاتِ وارْكَبْ لها سَوابِـــقَ اللَّهْوِ ذَوَاتِ المِراح[٥]
من قَبْلِ أن تَرْشُفَ شمسُ الضُحى ريقَ الغَوادي من ثُغورِ الأقاح[٦]،
في روضــةٍ غَنّــاءَ غَنّتْ بهــا في قُضُبِ الأوْراقِ وُرْقٌ فِصاح[٧].
لا يَعْرِفُ الناظرُ أغْصانَهــــــا – إذا تَثَنّتْ – من قُدودِ المِلاح[٨]!
يا صاحِ، لا تَصْحُ، فكم لَذّةٍ في السُكْرِ لم يَدْرِ بها عيشُ صاح[٩]؛
وارْكَــبْ زَمانــاً لا جِماحٌ لــه من قَبْلِ أن يَحْدُثَ فيه الجِماح[١٠].

---

(١) تقيّد: ضع قيداً في رجلك (لا تبرح وطنك). الربع: المكان المأهول. الرسم: المكان إذا خرب وهجره الساكنون.

(٢) لا تجرّب هجر الوطن لأنّه موت أو كالموت. كما أنّه لا يجوز للعاقل أن يجرّب فعل السمّ في نفسه هو (يكفي أن يرى غيره مات بالسم كما يكفي أن يرى حال غيره ممّن جلوا عن أوطانهم).

(٣) هاتها: هات الخمر. الوشاح (بكسر الواو أو بضمّها): حلية من لؤلؤ وجوهر تلبس في العنق؛ غطاء عريض مرصّع بالجواهر تضعه المرأة على كتفيها. ذات الوشاح: المرأة (الجميلة). – إن البشير الذي يدلّ على قرب طلوع الصباح قد دلّ على قرب انقضاء الليل.

(٤) الصبوح: شرب الخمر في الصباح.

(٥) سوابق (خيل) اللهو ذات المراح (النشاط والتبختر).

(٦) ترشف: تشرب. الغوادي جمع غادية: السحابة الممطرة في الصباح. – قبل أن تجفّف الشمس الأزهار (قبل أن يذهب الشباب).

(٧) القضب جمع قضيب: غصن. قضب الأوراق: الأغصان المكسوَّة بالورق (كناية عن الربيع). الوُرْق (بضم الواو) جمع ورقاء: حمامة. فصاح جمع فصيحة: واضحة (عذبة الغناء).

(٨) – لا يفرّق الناظر بين أغصان الأشجار (في استقامتها وجمالها) وبين قامات الفتيات الملاح (الجميلات). المليحة في الأصل: ذات اللون الحسن (السمراء).

(٩) يا صاح: يا صاحي. لم يدر بها عيش صاح: لم يعرفها من قضى حياته صاحياً (لم يشرب الخمر).

(١٠) الجماح: الاعتزاز بالنشاط ومحاولة التغلّب على الآخرين. – استفد من الزمان ما دام الزمان مؤاتياً.

- وقال يذكر موطنه صقلّية ويندّد باحتلال النورمان لها:

أعاذِلُ، دَعْني أُطْلِقِ العبرةَ التي ... عَدِمْتُ لها من أجملِ الصبر حابسا[١].
لَقَدّرتُ أرْضِي أن تعودَ لِقَوْمِها؛ ... فساءتْ ظُنُوني ثمّ أصبحتُ يائسا[٢].
وكيفَ، وقد سِيمَتْ هَواناً، وصَيّرت ... مساجدَها أيدي النصارى كنائسا!.
إذا شاءت الرُهْبانُ بالضَرْبِ أنْطَقَتْ ... مَعَ الصُبحِ والإمساء فيها النواقسا.
صِقلّيَةٌ كادَ الزمانُ بلادَها، ... وكانت على أهلِ الزمانِ مَحارسا[٣].
فكم أعيُنٍ بالخَوْفِ أمستْ سَواهراً ... وكانت بطِيبِ الأمْنِ منهم نَواعسا[٤].
أرى بَلَدي قد سامَهُ الرومُ ذِلّةً، ... وكانَ بقومي عِزُّهُ مُتَقاعسا[٥].
وكانتْ بِلادُ الكُفْر تَلْبَسُ خَوْفَه، ... فأضحى لِذاك الخوفِ منهنّ لابِسا[٦].
عَدِمْتُ أُسوداً مِنْهُمُ عَرَبِيّةً ... ترى بينَ أيديها العُلوجَ فرائسا[٧].
هُمُ فَتَحوا أغْلاقَها بِسُيوفِهِمْ، ... وهُمْ تركوا الأنوارَ فيها حنادسا[٨].
يخوضونَ بحراً كلَّ حينٍ إلَيْهِمُ ... بِبَحْرٍ يكونُ المَوْجُ فيه فوارسا[٩]

ومن هذه القصيدة في وصف هجوم النورمان بالسفن الحربية على شواطىء صقلّية وإطلاق النيران اليونانية عليها[١٠]:

---

(١) أعاذل= يا عاذلي: يا لائمي (على قلّة الصبر). دعني أطلق العبرة (الدمعة): لا تلمني إذا بكيت. - لقد صبّرت نفسي كثيراً فما استطعت أن أمنع عيني من البكاء.

(٢) لقدّرت: كنت قد قدّرت.

(٣) كاد الزمان بلادها: عاملها بالمكر والخبث والحيلة، غدر بها وأذلّها. المحارس (غير موجودة في القاموس) أماكن للحراسة والأمن.

(٤) منهم= من الذين احتلوا صقلّية (النورمان). نواعسَ: هاجعة، نائمة (مطمئنّة).

(٥) عزّه (قوّته، مجده) متقاعس (مرتفع، قويّ).

(٦) أصبح يخاف من بلاد الإفرنج.

(٧) عدمت: فقدت (الآن).... كنت ترى العلوج (إفرنج الأندلس) أسرى وقتلى بين أيديهم.

(٨) الأغلاق (الأبواب المغلقة، القلاع). وهم تركوا الأنوار فيها حنادس (ظلمات): كانوا كثاراً فملأوا الأرض حتّى بدت الأرض سوداء في النهار (؟).

(٩) كانوا يأتون لفتح هذه الجزيرة بجيوش كبيرة كالبحر الذي له أمواج متلاحقة من الفرسان.

(١٠) النار اليونانية مزيج من النفط والموادّ المشتعلة الأخرى (كالقطن مثلاً) تشعل ثمّ تلقى بالمنجنيق على السفن والأسوار والمدن...

وحَربيّـــةٍ ترمي بمُحْرِقِ نِفْطِهــا ... فيَغْشَى سُعوطُ الموت فيها المَعاطسا[١].
تَراهُنّ في حُمْرِ اللُّبود وصُفْرِها ... كمِثْلِ بناتِ الزَّنْجِ زُفّت عَرائِسا[٢].
إذا عثّنت فيها التنانيرُ خِلْتَها ... تُفتِّحُ للبُركانِ عنها مَنافسا[٣].
أفي قَصْرِ يَنّي رُقْعَةٌ يَعْمُرونَهـا، ... ورَسْمٌ من الإسلام أصبح دارِسا[٤].
ومن عَجَبٍ أن الشياطينَ صَيّرتْ ... بُروجَ النجومِ المُحْرِقاتِ مَجالِسا[٥].
وأضْحَتْ لهم سَرْقوسَةٌ دارَ مِنْعَةٍ ... يزورون بالديرين فيها النواوسا[٦].
مَشَوْا في بِلادٍ أهلُها تحتَ أرضِها، ... وما مارسوا منهم أبِيًّا مُمارسا[٧].
ولو شُقِّقَتْ تلكَ القُبورُ لأنْهَضَتْ ... إلَيْهِمْ من الأجداث أُسْداً عوابسا.
ولكنْ رأيتُ الغِيْلَ إن غابَ لَيْثُه ... تَبَخْتَرَ في أرجائِه الذئبُ مائسا[٨]!

- وقال في هلال رمضان يشبّه شكله بالراء (الحرف الأوّل من كلمة رمضان):

قُلْتُ والنـاسُ يَرْقُبون هِلالاً ... يُشْبِهُ الصَّبَّ من نَحافةِ جِسْمِهْ:

---

(١) وحربية= وسفن حربية كثيرة. المعاطس: الأنوف. السعوط: مادّة مطحونة تشمّ فتثير العطس. يدلّ قول الشاعر على أن النفط كان يترك دخاناً يسبّب الاختناق.

(٢) تراهن: ترى السفن الحربية. في حمر اللبود وصفرها. كانت توضع على السفن الحربية لبود وجلود حتّى لا تتّصل النار بخشب السفن فيحترق. أما لماذا يصف هذه اللبود بأنّها حمر وصفر (وليست سوداً مثلاً) فلا أدري له وجهاً.

(٣) عثن: دخّن. التنور: حفرة توقد فيها نار. البركان: فتحة في الأرض يخرج منها مواد مصهورة. منفس: مكان يدخل منه الهواء ويخرج منه الدخان.

(٤) قصرينّي بلدة في الجانب الشرقي من جزيرة صقلّية تدعى اليوم «أنّا» (بإمالة الهمزة وتفخيم الألف). يعمرونها: (يسكنها الإفرنج). الدارس: الممحّو.

(٥) في هذا البيت إشارة إلي أن الشياطين كانت إذا اقتربت من السماء لتسترق السمع وتعرف أخبار الغيب رجمت بالنجوم (بالشهب). يقول الشاعر: ومن العجيب (الآن) أن الشياطين (الإفرنج) جعلت بروج النجوم (المراكب التي ترمي منها النار كأنّها شهب) مجالس لها!

(٦) دار منعة: مكان يمتنعون فيه (يحميهم). الناووس مقبرة النصارى.

(٧) مشوا (مشى الإفرنج).... أهلها تحت أرضها: أهل البلاد (من الأبطال المجاهدين الأولين) تحت أرضها (ماتوا دفنوا فيها). وما مارسوا (وما اصطدم الإفرنج بأحد من هؤلاء الأباة للضيم الذين كانوا يجاهدون ويقاتلون).

(٨) الغِيل: الشجر الملتف (وربّما كان مسكناً للأسود).

من يَكُنْ صائماً فــذا رَمَضــانٌ   خَــطّ بالنُّور للوَرى أوّلَ ٱسْمِـهْ

- وقال ٱبنُ حمديس في الاعتذار عن الهجاء:

يقولونَ لي: «لا تجيـدُ الهِجـاءَ»، فقلتُ: «وما لي أُجيدُ المديحْ»[١]!
فقالوا: «لأنّـكَ ترجو الثَّوابَ». وهـذا القِياسُ - لَعَمْري - صَحيحْ.
فقلتُ: «صِفاتي؟» فقالوا: «حِسانٌ»؛ فقلتُ: «نَسيبي؟» فقالوا: «مَليــحْ!»[٢]
فقُلْــتُ: إلَيْكُم، فــلي حُجّــةٌ، ولِلْحَــقِّ فيهــا مَجــال فَسيــح -
عَفــافُ اللِّسانِ مَقــالُ الجَميــلِ، وفُسْقُ اللِّسانِ مَقــالُ القَبيــح.
ومــــــا لي ولامْرِئٍ مُسْلِمٍ يَروحُ بِسَيْــفِ لِساني جَريــح!

- وقال في الحماسة والفخر يتذكر بِلاده (صقلية):

ولو أَنَّ أَرضي حُرَّةٌ لأَتيتُهــــا   بعزمٍ يَعُدُّ السَيْرَ ضَرْبَةَ لازِب[٣].
ولكنَّ أَرضي كيـف لي بِفكاكهـا   مِنَ الأَسرِ في أَيدي العُلوجِ الغواصب[٤]
أَحـين يُعاني أَهلُها طَوْعَ فتنـةٍ   يُضرِّم فيهـا نارَه كلُّ حاطب[٥]؟
ولم يَرحمِ الأَرحـامَ منهم أَقاربٌ   تُروِّي سُيوفاً من نَجيعِ الأَقارب[٦].
وأَضحـتْ بهـا أَهواؤهم وكأَنّهـا   مذاهبُهم فيهـا اختلاف المذاهب.
إذا ضاربوا في مأزِقِ الضرب جردوا   صواعـقَ من أَيديهمُ في سحائب[٧].
لهم يومَ طَعْنِ السُمر أَيدٍ مبيحةٌ   كُلَى الأُسْد في كَرَّاتِهم للثعالب[٨].

---

(١) ما لي أجيد المديح: لماذا أنا أجيد المديح، فكيف أنا أجيد المديح؟.

(٢) فقلت: صفاتي؟ = كيف تجدون الوصف في شعري؟.

(٣) السير (الذهاب، الرجوع) إليها ضربة لازب (تعبير أصبح مثلاً): واجب، لازم (لا مفرّ من فعله).

(٤) فكاكها: فكّها، إنقاذها. العلج: الفرنجي الذي لا يتكلّم العربية.

(٥) الحاطب (الذي يجمع الحطب: أصحاب المصالح الشخصية).

(٦) روّى فلان فلاناً من الماء: سقاه حتّى ارتوى (امتلأ). نجيع: دم.

(٧) مأزق الضرب: مكان القتال الضيّق (في المعركة الشديدة). صواعق (سيوف تلمع كالصواعق: مجلوّة، حادّة، قاطعة)..... في سحائب (غمام يمطر دماً).

(٨) الأسمر: الرمح. الكلى جمع كلية (مقتل الإنسان - إذا بطل عمل الكليتين تسمّم بدن صاحبها فمات) - هؤلاء الأقارب يبيحون قتل الأسود (قومهم وأقاربهم) للثعالب (للأعداء: أعداء الفريقين).

تَخِبّ بِهِمْ قُبٌّ يُطِيلُ صَهِيلَها بِأرضِ أعادِيهِمْ نِياحُ النوادب[1].
مُؤَلَّلَةُ الآذانِ تحت إلاهم كما حُرِّفَتْ بالبَرْيِ أَقلامُ كاتب[2].
إذا ما أَدارتْها على آلهامِ خِلْتَها تدورُ لِسَمْعِ الذِكْرِ فوق الكَواكب[3].
إذا ما غَزَوْا في الرومِ كان دخولُهم بُطونَ الخلايا في مُتون السلاهب[4].
يموتون مَوتَ العِزِّ في حَوْمةِ الوغى إذا مات أهلُ الجُبن بينَ الكواعب.

٤- ديوان ابن حمديس الأزدي السيراكوسي (نشره مونكادا)، بالرمو ١٨٩٣؛ ديوان ابن حمديس (وقف على تصحيحه سكياباريللي)، رومية ١٨٩٧؛ (صححه إحسان عباس)، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠.

- الوطنية في شعر ابن حمديس، تأليف زين العابدين السنوسي، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥٢ م.

★★ ترجمة ابن حمديس الصقلي، تأليف عبد الغني المنشاوي ومصطفى السقّا، القاهرة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٩ م.

- في الأدب العربي وديوان ابن حمديس، تأليف زين العابدين السنوسي تونس ١٩٥٢ م.

- ابن حمديس الصقلي، تأليف علي مصطفى المصراتي، القاهرة (في سلسلة اقرأ - دار المعارف) ١٩٦٣ م؛ طرابلس - ليبيا (دار الفكر) ١٩٧٢ م.

الذخيرة ٤: ٣٢٠ - ٣٤٢؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٩٤ - ٢٠٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٦ - ٨٤؛ المطرب ٥٤ - ٥٧؛ وفيات الأعيان ٣: ٢١٢ - ٢١٥؛ المكتبة الصقلية ٢: ٥٩٢ - ٦٠٢؛ نفح الطيب ١: ٤٩١ - ٤٩٦، ٤٩٩، ٣: ٦٠٦ - ٦٠٧، ٦١٦ - ٦١٧، ٤: ٢٥٦، ٢٧١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٢ - ٧٨٣؛ بروكلمن

---

(١) ومع ذلك فهم شجعان (لو أرادوا) - تخبّ (تسير بسرعة) بهم قبّ (خيل ضامرة البطن) يطيل صهيلها: صوتها (وجودها في المعارك) نياح النوادب (نواح النادبات اللواتي يبكين القتلى من أهلهن - كناية عن الانتصار في أرض العدوّ).

(٢) مؤلّلة (آذان خيلهم): منتصبة. الإلال (رفع الصوت بالدعاء).

(٣) إذا أداروا (سيوفهم فوق الرؤوس، وهم يحاربون). الهامة: الرأس. خال: ظنّ، حسب. سمع الذكر (استماع الذكر الحسن). - ظننت سيوفهم تدور في الفضاء الواسع عالية حتّى كأنّها تريد أن تسمع الذين يتحدّثون ببطولتهم في الكواكب (في كلّ مكان).

(٤) الروم: نصارى الأندلس من أي مذهب كانوا. - كان دخولهم (اقتحامهم، هجومهم) بطون الخلايا (إلى قلب مأوى الأسود. الخلية: مأوى الأسد) في (على) متون (ظهور) السلاهب (جمع سلهب: الحصان الطويل).

١ : ٢٦٩ ، الملحق ١ : ٤٧٤ ؛ نيكل ١٦٨ - ١٧٠ ؛ مختارات نيكل ١١٦ - ١٢٠ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٤٧ - ٤٨ (٣ : ٢٧٤)؛ سركيس ٨٧ - ٨٨ .

الرشيد العبّاديّ

١ - هو الرشيدُ أبو الحسينِ عُبيدُ اللهِ[1] بنُ محمّدٍ المُعْتَمِدِ بن عبّادٍ ، كان مَوْلدُه نحوَ سَنةِ ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م)، وأُمُّه آعْتِمادُ الرُّمَيْكِيّة. وهُوَ أحدُ النُجباء من أبناء المُعْتمد، ومِنَ الذين يُوثَقُ بهم. فلمّا آنْصَرَفَ المعتمدُ إلى اللّهوِ ألْقى مقاليدَ الأمورِ في الإدارة والحربِ إلى ابنهِ الرشيدِ هذا. وبَلَغَ الرشيدُ في المكانةِ إلى أن مَدَحه الشاعر مُحمّدُ بنُ عمّارٍ (قُتل ٤٧٧ هـ) بقولهِ: « أنتَ الرشيدُ فدَعْ مَنْ قد سَمعْتَ به »(نفح الطيب ٤ : ٢٧٢) تعريضاً بهرونَ الرشيدِ.

وكان الرشيدُ منذُ مطلَعِ حياتهِ يَميلُ إلى اللهو ويَعْقِدُ مَجالسَ الغناء. ثمّ كَثُرَ انغماسُه في ذلك قُبيلَ النائرة: هِياج الناس ونقْمَتِهِمْ على بني عبّاد، وقُبيل سقوط دَولتهم. وكانتْ وفاةُ الرشيدِ العَبّاديّ في حُدود سَنَةِ ٥٣٠ هـ (الحلّة السيراء ٢ : ٦٨)، أو ١١٣٥ م.

٢ - كان الرشيدُ العَبّاديُّ شاعراً يُحْسِنُ الارتجال. ومن فنونِ شِعرِه الغَزَلُ والحماسةُ والمدح. وعلى شعرِه شيء من الطَلاوة.

٣ - مختارات من شعره:

لـمّـا انتهى المعتمدُ بنُ عبّادٍ من بِناء القُبّة المعروفة باسم « سَعْدِ السعود » فوقَ مَجْلسِه في قَصْرِه « الزاهي » صَنَعَ قَسيماً (شَطْراً من الشعر): « سَعْدُ السعودِ يَتيهُ فوقَ الزاهي » ثمّ طَلَبَ من الحاضرين أن يُجيزوه فعَجَزوا. فقال الرشيدُ ابنُه:

---

(١) عبيد الله (بتصغير عبد) الحلّة السِّيَراء ٢ : ٦٨ ؛ نفح الطيب ٤ : ٢٥٦ . وورد عبد الله (بلا تصغير)، نفح الطيب ٣ : ٦١٢ ، راجع ٤ : ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ (ولعلّه خطأ مطبعي). للمعتمد ابن اسمه عبد الله أيضاً (راجع، فوق، ترجمة المعتمد - توفي ٤٨٨ هـ).

.... وكِلاهُما في حُسنـــهِ مُتناهي.

ومَنِ اَغْتدى سَكَناً لِمثْلِ محمّدٍ قد جَلّ في العَلْياءِ عن أشباهِ[(١)].

لا زالَ يبلُــغُ فِيها مــا شاءه؛ ودَهَتْ عِداهُ من الخطوب دواهِ

– وفيما كانَ المُعتمدُ مُتَّجِهاً من مِكناسةَ إلى أغْماتَ (بعدَ أسْرِه) بَدَرَ مِنَ الرشيدِ في أثناءِ الطريقِ ما حَمَلَ أباه على العَتْبِ عليه وعلى الإفراطِ في العتب. فكَتَبَ الرشيدُ إلى أبيه يَسْتَعْطِفُه:

يا حليفَ النّدَى وربَّ السّماحِ وحبيبَ النفوسِ والأرواحِ[(٢)]،

مِنْ تَمامِ النُعْمــى عَلَيّ اَلْتِماحي لَمْحَــةً من جَبِينِك الوضّاحِ[(٣)].

قــد غَنينــا بِبِشْره وسَنـــاهُ عن ضياءِ الصَباحِ والمِصْباحِ[(٤)].

ذاك حَظّي مِنَ الزمان. فإنْ جا دَ بهِ لي بلَغْتُ كلَّ اَقتراحي.

–ولـمّا وُلِدَ له ابنُه «المُعَلّى» قال يَكْشِفُ عمّا في نفسِه من آمالٍ:

أُهَنِّيكَ– بلْ نفسي أُهنّي– فإنّني بَلَغْتُ الذي كان اقتراحي على الدهرِ:

خَلاصَك من أيدي المَنونِ وغُرّةً بَـدَتْ للمُعلّى مثلَ دائرةِ البدرِ[(٥)].

كأنّي بـهِ عمّـا قريـبٍ مُمَلَّكاً زِمامَ المَعالي نافذَ النَهْيِ والأمر.

يَقودُ إلى الهَيْجـاءِ كـلَّ غَضَنْفَرٍ وبَضْربُ مَنْ ناواه بالبيض والسُمْرِ[(٦)].

فقَرّتْ بـه عَيْني وعَيْنُك في العُلا، ولا زالَ أسْمى في المَحَلِّ من الغفْرِ[(٧)].

---

(١) محمّد المعتمد (والد الرشيد عبيد الله).

(٢) دها: أصاب. الدواهي: الأمور المنكرة العظيمة. الخطب: المصيبة.
الندى: الكرم. السماح: التسامح والتساهل.

(٣) التماحي (أن ألمح أنا).

(٤) البشر: طلاقة الوجه وظهور السرور على الوجه. السنا: الضوء الساطع.

(٥) يبدو أنه كان في ولادة المعلّى عسر. ولعلّ القطعة موجّهة إلى المعتمد.....

(٦) يقود (أي المعلّى). الغضنفر من أسماء الأسد (الجندي الشجاع). الأبيض: السيف. الأسمر: الرمح.

(٧) قرّت عينه: سكنت، هدأت (كناية عن السرور). عينك (لعلّ الخطاب للمعتمد). الغفر ثلاثة نجوم صغار هي منزلة للقمر.

٤ - ★★ الحلّة السيراء ٢ : ٦٨ - ٧٠ ؛ نفح الطيب ٣ : ٦١٢ ، ٤ : ٩٤ - ٩٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ .

أبو الحسن بن جودي

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ سعيدِ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ جودي السَّعديُّ، أصلُ سَلَفِهِ من إلْبيرة (وقيل من سَرَقُسْطَةَ). نشأ في الْمَرِيَّةِ ثمّ تَنَقّلَ في بُلدانِ الأَنْدَلُسِ والمَغْرِب.

روى أبو الحسنِ بنُ جودي كثيراً من الحديث (حديثِ رسولِ الله) عن القاضي أبي عليٍّ حسينِ بنِ محمّدِ بنِ فِيرُّهْ بنِ حَيّونِ الصدَفِيِّ (ت ٥١٤ هـ). وكذلك كان من المُتّصلينَ بأبي العَلاءِ بنِ زُهْرٍ (ت ٥٢٥ هـ) ثمّ حَدَثَتْ بينَهما وَحْشةٌ لَعلّ سَبَبَها أنّ ابنَ جودي هذا قرأ على ابنِ باجّه (قبلَ سنة ٥١٢ هـ) شيئاً من علوم الفلسفة فاشتهرَ ذلك عنه واتُّهِمَ بالزندقة. يُضاف إلى ذلك أن أبا العَلاءِ بنَ زُهْرٍ كان كارهاً لابنِ باجّه وخصْماً له. واضُطرّ ابنُ جودي إلى أنْ يفارقَ أبا العلاءِ بنَ زُهرٍ. ثمّ طلب العامّةُ ابن جودي ليقتلوه فهربَ منهم وتشرّد عن بَلَدِهِ وصار من قُطّاعِ الطريقِ بينَ الجزيرةِ الخضراء وقلعةِ خُولانَ.

ثم نَسِيَ الناسُ أمرَ ابنِ جودي فعاد ابن جودي إلى غَرْناطةَ يُعاودُ قِراءَةَ الطِبِّ. في هذه الأثناء توفّي أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ خَلَفٍ الأنصاريّ الغَرْناطيُّ المعروفُ بابن الباذش، سنة ٥٢٨ هـ ، فرثاه ابنُ جودي. وتُوُفِّيَ ابنُ جودي في غَرْناطةَ بعدَ سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م). ولعلّ عُمُرَهُ كان يومَذاك نحوَ خمسينَ عاماً.

٢ - أبو الحسن عليُّ بنُ جودي أديبٌ شارَكَ في عددٍ من فُنونِ المعرفة: في الأدب والنحو والطِبّ والفلسفة وغيرها. وهو شاعرٌ مُجيدٌ على عَمودِ الشِعرِ المَشْرقيّ. وأكثرُ شعرِه النسيبُ والغزل والوصفُ. وهو كثيرُ التقليدِ للشعراءِ العُذْريّينَ المَشارقةِ، يكثُرُ في شعرِه الحنينُ إلى نجدٍ (كما كانوا هم يفعلون) ويذكُرُ ليلى العامريّةَ (محبوبةَ قيسِ بنِ المُلَوّح العامريِّ المعروفِ بمجنونِ ليلى) ويذكُرُ العامريَّ (مجنونَ ليلى) نفسَه أيضاً.

٣- مختارات من شعره:

- وقال أبو الحسنِ بنُ جودي في النسيب:

لقد هيّجَ النيرانَ، يا أمَّ مالكٍ، بتُدميرَ ذِكرَى ساعدَتْها المَدامعُ[١]،
عَشِيّةَ لا أرجو لِقاءَكِ عِنْدَها، ولا أنا، أن يدنو مَعَ الليلِ طامع[٢].

- وقال يصف مجيء الصبح في أحد أيام الشتاء:

نبّهتُه وعيونُ الزهر نائمةٌ والطَلُّ يبكي وثَغْرُ الكأسِ يبتسمُ.
والبرق يَرْقُمُ من بُرْدِ الدُجى عَلَماً والزهرُ عِقْدٌ بجِيدِ النهر منتَظم[٣].
حتّى بَدَتْ رايةُ الإصباح زاحفةً في كفّ ذي ظَفَرٍ والليلُ منهزم[٤]!

- وقال في النسيب يذكر نجداً وليلى العامرية يشبّه نفسه بمجنون ليلى (بالعامريّ):

خَليليَّ من نَجْدٍ، فإنّ بنَجْدِهم مَصيفاً لبيتِ العامريّ ومرْبعا[٥]،
ألَا رَجِّعا عنها الحديثَ فإنّني لأَغْبطُ من ليلى الحديثَ المُرجّعا[٦].
عزيزٌ علينا، يا ابنةَ القومِ، أنّنا غريبانِ شَتّى لا نُطيق التَجَمُّعا[٧]:
فريقُ هوًى مِنّا يَمانٍ، ومُشْئِمٌ يُحاولُ يأساً أو يُحاول مَطْمعا[٨].
كأنّا خُلِقْنا لِلنَّوى، وكأنّما حرامٌ عَلَى الأيامِ أنْ نَتَجَمّعا!

- وقال:

أحِنُّ إلى ريحِ الشَّمال فإنّها تُذَكِّرنا نجداً؛ وما ذِكْرُنا نجدا[٩]؟

---

(١) تُدمير، مقاطعة في الشرق الجنوبي من الأندلس. الطلّ: نقاط الندى التي تتساقط في آخر الليل على الأغصان فتتعلق عليها (وربّما جمدت بفعل البرد الليلي).

(٢) ولا أنا - أن يدنو مع الليل - طامع: وأنا لا أطمع أيضاً أن يدنو (يقترب) لقاؤك إذا جاء الليل (لا أطمع أيضاً أن أراك في منامي).

(٣) رقم الثوب يرقمه: وشّاه (زيّنه بالنقوش).

(٤) في كفّ ذي ظفر: في يد قائد منتصر.

(٥) المصيف (مكان الإقامة في الصيف) والمربع (مكان الإقامة في الربيع).

(٦) رجّع الصوت: ردّده في حنجرته. والشاعر يقصد «أعاد الحديث» مرّة بعد مرّة.

(٧) لا نطيق التجمّعا: لا نقدر على أن نجتمع (لبعد ما بيننا في السكنى).

(٨) يمان: يمني الدار (في أقصى الجنوب) ومشئم (من الشمال).

(٩) وما ذكرنا نجدا: ما ينفعنا أن نذكر نجد (ولا سبيل إلى الاجتماع بأهله: بالمحبوب).

خليليَّ، لا واللهِ، ما أحْمِلُ الهوى وان كنتُ في غيرِ الهوى رجلاً جَلْدا[1] !

٤ - ** المغرب ٢ : ١٠٩ - ١١٠ ؛ معجم الصدفي، رقم ٢٥٩ (ص ٢٧٨ - ٢٧٩)؛ نفح الطيب ٣ : ٣٣٤ ، ٧ : ٥٧ - ٦٠ ؛ المطمح.

ابن باجّه

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ يحيى الصائغِ المعروفُ بابنِ باجّه (بتشديدَ الجيم ثمّ هاء ساكنة)، والباجّه بلغة نصارى الأندلس «الفِضّة». وُلِدَ في سَرَقُسْطَةَ نحو سَنَةِ ٤٧٥ (١٠٨٢ م)، وفيها نشأ وقال الشِعْر ومَدَحَ أميرهَا أبا بكرِ بنَ إبراهيم بن تِيفَلْوِيتَ. ثمّ وَلِيَ ابنُ تيفلويتَ الثغرَ والشرق فاستوزرَ ابن باجّه. ولـمّاحاصرَ ألفونسو الأوّلُ مَلِكُ الأرغون مدينةَ سرقسطةَ غادرها ابنُ باجّه (٥١٢هـ=١١١٧م)، قبلَ أن يستولِيَ عليها ألفونسو، وانتقل إلى إشْبِيلِيَةَ وطَبَّبَ فيها. ثمّ إنّه انتقل إلى مَرّاكُشَ ونال حُظوةً عند المُرابطين. وقد حسدَهُ مُنافسوه، لبراعتهِ في الطِبّ ولتوفيقه في التَطْبيب فدسُّوا له السُمّ فماتَ، سَنَة ٥٣٣ (١١٣٨ م).

٢ - كان ابنُ باجّه أولَ فلاسفةِ الإسلام العَقْليّين على الحَصْر، وكان عالماً في الرياضيّات وفَلَكِيًّا راصداً قديراً يَحْسِبُ للخسوف والكسوف. وكان واسعَ العلم في الطبيعيّات. أمّا في الموسيقى فقال فيه المَقّريُّ (نفح الطيب ٧ : ٧ ، ٣ : ١٨٥): «الحكيمُ أبو بكرِ بنُ باجّه صاحبُ التلاحينِ المعروفةِ.... وإليه تُنْسَبُ الألحانُ المُطربةُ في الأندلس والتي عليها الاعتمادُ».

وأمّا في الأدب فكان شاعراً مُقَصِّداً ووَشّاحاً؛ وأكثرُ شِعرِه المدحُ والرثاءُ والهجاء والنسيب والغزل، ولكنّ الجانبَ المَعْنويَّ في شِعرِه أفضلُ من الجانب اللفظي الذي يبدو عليه شيءٌ من الجفاف. وله نَثْرٌ علميّ فيه شيءٌ من التعقيد.

---

(١) الجلد: القويّ الاحتمال.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن باجّه في الغزل:

أسكّـــانَ نَعمانِ الأراكِ، تَيقّنوا ... بأنكُمُ في رَبْـعِ قلـبيَ سُكّـانُ؛
ودوموا عـلى حِفظ الوِدادِ فطالما ... بُلينا بأقوامٍ إذا اسْتُحْفِظوا خانوا!
سلوا الليلَ عنّي، إذ تناءتْ دِيارُكم: ... هلِ اكْتَحلَتْ لي فيه بالنوم أجْفـانُ؟
وهـل جُرِّدتْ أسيافُ بَرْقِ سَمائِكم ... فكانـت لها إلّا جُفونِيَ أجْفانُ[1]!

- وقال يرثي أبا بكرِ بنَ إبراهيمَ بنِ تِيفَلْوِيتَ (ت ٥١٠ هـ)، وكان والياً على سَرَقُسْطَةَ من قِبَلِ المرابطين:

أيُّها المَلْكُ، قد لَعَمْري نَعَى المَجْـ ... ـدَ نَواعِيكَ يومَ قُمْنَ فَنُحْنا[2].
كم تقارعْـــتَ والخُطوبَ إلى أن ... غادرَتْكَ الخُطوبُ في التُرْبِ رهْنَا[3].
غـــيرَ أنّي إذا ذكرتُـك والدهـ ... ـرَ إخالُ اليقينَ في ذاك ظنّا[4].
وسألْنا: «متى اللقـــاءُ»؟ فقيلَ: «الحشرُ!» قلنا: «صبراً إليه وحُزنا!».

- وله في مديح «المُلَثّمين»:

قومٌ إذا انْتَقَبوا رأيـتَ أهِلّـةً، ... وإذا هُمُ سَفَروا رأيـتَ بُدورا[5].
لا يسألون عن النَوالِ عُفاتَهم ... شُكْراً، ولا يَحْمون منه نَقيرا[6].
لو أنّهم مَسَحوا عـلى جَدْبِ الرُبى ... بأكُفِّهِمْ نَبَـتَ الأقـاحُ نَضـيرا.

---

(١) الجفن (بفتح الجيم): قراب السيف. - حينما تبرق السماء من جهة بلادكم فلا يرى هذا البرق أحد غيري (لأني أكون وحدي ساهراً في حبّكم، وجميع الناس نيام!).

(٢) قمن ونحن (بضمّ أولها) فعلان ماضيان لجماعة الإناث من قام وناح.

(٣) قارع: نازع، غالب، قاتل. الخطوب جمع خطب (بفتح الخاء): المصيبة. رهناً = مرهوناً: باقياً.

(٤) اليقين الموت. - لم أصدق أنّك متّ.

(٥) إذا انتقبوا (وضعوا نقاباً أو غطاء على وجوههم) أشرق نور وجوههم من خلال النقاب اشراقاً قليلاً كما يبدو الهلال في أول الشهر. أمّا إذا أسفروا (كشفوا عن وجوههم) فهم بدور.

(٦) النوال: العطاء. العفاة جمع عاف: طالب العطاء. النقير: الذباب الأسود الصغير: هم يبيحون نوالهم لكل من يطلبه ولا يحمون (يمنعون) من هذا النوال أحداً، ولا الذباب الأسود.

– حَسَبَ ابنُ باجّه مرّةً خُسوفَ القمر ونَظَمَ في خطابِ القَمَرِ بيْتَيْن. ثمّ دعا نفراً من أصدقائهِ، قُبيلَ موعدِ الخُسوف، وجعَلَ يتغنّى أمامهم بذَيْنِكَ البيتين (نفح الطيب ٧: ٢٥ – ٢٦):

شَقيقُكَ غُيِّبَ في لَحْدِه؛ وتُشْرِقُ، يا بدرُ، من بَعْدِهِ؟
فهلّا كُسِفْتَ فكان الكُسوفُ حِداداً لَبِسْتَ على فَقْدِهِ!

وجعلَ يردّدُ البيتين. فلمّا خُسِفَ البدرُ عَظُمَ التعجُّبُ من الحاضرين.

– نصّ من كتاب «تدبير المتوحّد»:

.... وكل فعلٍ لا يستعملُ الإنسانُ فيه فِكرَهُ فهو (عملٌ) بَهيميٌّ لا شَرِكَةَ للإنسانيةِ فيه أكثَرَ من أن الموضوعَ (الفاعلَ) جسمٌ خِلْقَتُه إنسانيةٌ إلّا أنّه مُسْتَبْطِنٌ بَهيمةً. وقد يُوجَدُ في كثيرٍ من الحَيَوانِ أفعالٌ وانفعالاتٌ من أفعالِ الإنسانِ وانفعالاتهِ مثلَ العُجْبِ للطاوُوسِ والكرمِ للديك[١] والمَلَقِ للكلبِ والمَكْرِ للثعلبِ والحياءِ للأسدِ. غيرَ أنّ هذه الأخلاقَ إذا كانت للبهائم كانتْ طبيعيّةً للنوعِ ولم يختَصَّ بها شخصٌ (دونَ شخصٍ) من ذلك النَوْعِ. و (ليست) هذه الأخلاقُ فضائلَ للبهائم لأنّها تَسْتَعْمِلُها في كلِّ وقتٍ سواءٌ أكان ذلك ينبغي أو لا ينبغي.... وأمّا (الأفعالُ) الفكريةُ فَهِيَ أحوالٌ خاصّةٌ بالصُورة الروحانيةِ الإنسانيّةِ، كصورةِ الرأيِ والمَشورة......

٤ – تدبير المتوحّد (حرّره د.م. دنلوب – مجلّة الجمعية الملكية الأسيويّة – لندن)، نيسان (أبريل) ١٩٤٥ م؛ (حرّره ميغيل آسين بالاثيوس)، مدريد – غرناطة (المجلس الأعلى للبحوث العلمية، مؤسّسة ميغيل آسين – مدارس الدراسات العربية في مدريد وغرناطة) ١٩٤٦ م؛ (حرّره معن زيادة)، بيروت (دار الفكر الإسلامي – دار الفكر) ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.

– كتاب النفس (نشره محمّد صغير حسن المعصومي)

---

(١) العجب: الزهو (الفخر بالنفس). ذكر الجاحظ (ت ٢٥٥) في كتاب البخلاء أن من عادة الديكة (بكسر ففتح: جمع ديك) أن تأخذ الحبّ فتلقيه أمام الدجاج، ما عدا ديكة مرو (عاصمة خراسان في فارس) فإنّها تسلب الدجاج ما في مناقيرها!

- تلخيص كتاب النفس
- كتاب الكون والفساد (نشره محمّد صغير المعصومي)، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٦٧ م.
- شرح السماع الطبيعي لأرسطو (تحرير ماجد فخري)، بيروت (دار النهار) ١٩٧٣ م.
- شروحات السماع الطبيعي (تحقيق معن زيادة)، بيروت (دار الكندي - دار الفكر) ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.
- رسائل ابن باجّه الإلهية (حقّقها ماجد فخري)، بيروت (دار النهار للنشر) ١٩٦٨ م.
- رسالة الاتّصال (مضموم إلى كتاب «ابن باجّه» لأحمد فؤاد الأهواني).

★★ ابن باجّه والفلسفة المغربية، تأليف عمر فرّوخ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م ثمّ ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م.

- ابن باجه، تأليف تيسير شيخ الأرض، بيروت (دار الأنوار) ١٩٦٥ م.

قلائد العقيان ٣٤٦ - ٣٥٣؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٢٨٣ - ٢٨٦؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٠ - ٢٤٢؛ المغرب ٢ : ١١٩؛ وفيات الأعيان ٤ : ٤٢٩ - ٤٣١؛ نفح الطيب ٣ : ١٨٥، ٣٧٣ - ٣٧٤، ٤٣٣ - ٤٣٤، ٤٦٧، ٧ : ٧؛ شذرات الذهب ٤ : ١٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٣٧٨ - ٣٧٩؛ بروكلمن ١ : ٦٠١، الملحق ١ : ٨٣٠؛ نيكل ٢٥١ - ٢٥٤؛ مختارات نيكل ١٦٩ - ١٧٠؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٧ (٧ : ١٣٧).

ابن خفاجة

١ - هو أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ أبي الفَتْحِ عبدِ اللهِ بنِ خَفاجةَ الهَوّاريُّ الشُقْريُّ، وُلِدَ في جزيرةِ شُقْر★ - وَهِيَ بُلَيدةٌ بينَ شاطِبَةَ وبَلَنْسِيَةَ - سَنَةَ ٤٥٠ (وفيات الأعيان ١ : ٥٧) في أُسْرةٍ على جانبٍ من اليَسار وعلى قِسْطٍ من العِلم والأدب. بدأ عِلْمَه في بَلَدِه ثمّ تَردّدَ بين مُرْسِيَةَ وشاطبةَ فَسَمِعَ من القاضي أبي عليٍّ الصَدَفِيِّ (ت ٥١٤ هـ) والفقيهِ أبي عِمرانَ موسى بنِ تليدٍ الشاطبي (ت ٥١٧ هـ) وأبي بكرِ بنِ عتيقِ بنِ أسدٍ (٥٣٨ هـ).

لَها ابنُ خفاجةَ في مطلَعِ حياتِه ثمّ تَرَكَ اللَهْوَ والمُجونَ، وعاشَ صَرورةً (لم يتزوّجْ) وقَضى مُعْظَمَ حياتِه في ضَيْعةٍ له قُرْبَ بلدِهِ يَنْظِمُ الشعرَ في أغراضِ نفسِه ولم يَقْصِدْ أحداً من مُلوكِ الطوائف. ولكنْ بعدَ أن استولى المرابطون على مُعْظَمِ جزيرةِ

(★) شقر بالضم (وفيات الاعيان ١ : ٥٧)؛ وبالفتح (تاج العروس - الكويت ١٢ : ٢٢٢)

الأندلس وأزالوا مُعْظَمَ ملوكِ الطوائفِ، اتّصلَ ابنُ خَفاجةَ - وكان قد بَلَغَ أَشُدَّهُ وذاعتْ شُهْرتُه - بوُلاةِ المرابطين على الأندلس ومَدَحَهُم إعجاباً لا تَكسُّباً. وكانتْ له في أيامِهم حُظوةٌ. أمّا وفاتُه فكانتْ في ٢٦ من شوّالٍ مِنْ سَنَة ٥٣٣ (١١٣٩/٦/٢٥ م)، في بلدته.

٢ - يُحيطُ ابنُ خفاجةَ بعددٍ من فنونِ المعرفةِ: الحديثِ والفِقه واللُّغة والنَحْو وغيرِها، ولكنْ غَلَبَ عليه نَظْمُ الشعرِ. وهو شاعرٌ وُجْدانيّ مطبوعٌ، على شِعْرِهِ طَلاوةٌ وفيه سهولةٌ، وهو عَذْبُ الجَرْسِ تشيعُ فيه رَنّةٌ موسيقيةٌ قلَّ أن تَجِدَ مثلَها عندَ شاعرٍ آخَرَ. ثمّ هو على النَهْج المَشْرقيّ ما فارقَ عَمودَ الشِعرِ قطُّ. ورُبّما حاول في القصيدةِ بعدَ القصيدةِ أن يُلْقِيَ على أبْياته نَفْحَةً من فَخامةِ الشعر القديم. وفُنونُ شعرهِ المَدْح (إعجاباً بممدوحيه لا تكسُّباً منهم) والرثاءُ والغَزَلُ والنسيبُ والهجاء (وربّما أفْحَشَ فيه) والعتابُ والحِكمة والزُهد والإخوانيّات. أمّا الفنّ الذي بَرَعَ فيه فهو وصفُ الطبيعةِ والحَنينُ إلى الوطن. وهو بارعٌ جِدًّا في وصف الأشجارِ والأزهارِ والأنهارِ حتّى سُمِّيَ «الجَنّانَ» (لكَثْرةِ أوصافهِ للحدائق والجنائن ولبراعته في تلك الأوصاف).

ولابن خفاجةَ نثرٌ دون شِعْرِه مرتبةً يُصَرِّفه في بعضِ أغراض نفسِه في رسائلَ إخوانيةٍ أو في أغراضٍ تتعلّق بعددٍ من قصائِده. وقد جَمَعَ ابنُ خفاجةَ شعرَهُ ونثرَهُ في ديوانٍ قَدّمَ له بمقدّمةٍ أشارَ فيها إلى رأيِهِ في الشعر وفي شعرِه ونثرِه. وفي هذه المقدّمةِ خَطَراتٌ من النَقْد.

٣ - مختارات من آثاره:

- من المقطّعات القصار لابن خفاجة:

★★ إنّ لِلجَنّةِ بالأَنْدَلُسِ مُجْتَلى حُسْنٍ وريّا نَفَسِ[1]:

(١) ريّا: طيب الرائحة.

فَسَنـا ضَحْوتِهـا من شَنَـبٍ، ودُجـى ليلتِهـا من لَعَس[١].
فإذا ما هَبّتِ الريح صَباً[٢] صِحْـتُ: وَاشَوْقي إلى الأندلس!

★★ لله نهرٌ سال في بَطْحاءِ أشهى وُروداً من لَمَى الحسناءِ[٣].
مُتَعَطِّفٌ مِثلَ السوارِ كأنّه، والزَهْرُ يَكْنفُـه، مَجَرٌّ سماءِ[٤].
وغَدتْ تَحِفُّ به الغُصونُ كأنّها هُـدْبٌ يَحِفّ بمقلةٍ زرقاءِ[٥].
والماءُ أسرعَ جَرْيَـهُ مُتَحَدِّراً مُتَلَوِّيـاً كالحيةِ الرَقْطـاءِ[٦].
والريحُ تَعْبَثُ بالغصونِ، وقد جرى ذهبُ الأصيلِ على لُجَيْنِ الماء[٧].

★★ ومُرْتَبَعٍ حَطَطْتُ الرحْلَ فيه بحيثُ الظِلُّ والماء القَراحُ[٨].
تَخَرّمَ حُسْنَ منظرِه مَليـكٌ تخرّمَ مُلْكَـه القـدَرُ المُتـاح[٩].
فَجِرْيَـةُ مـاءِ جَدْولِـه بُكـاءٌ عليـه، وشَدْوُ طائرِه نُواح!

★★ ألا ساجِـلْ دُموعِيَ، يا غَمامُ. وطارِحْني بِشَجْوِكَ، يا حَمامُ[١٠].
فقـد وَفّيْتُهـا سِتّينَ حَوْلاً، ونادَتْـني ورائي: هَـلْ أمـام!
وكنـتُ ومن لُبانـاتي لُبينـى هنـاك، ومن مَراضِعِيَ المُدام[١١].
يُطالِعُنا الصباحُ ببطْنِ حُزوى فيُنْكِرُنـا، ويَعْرِفُنا الظلام[١٢].

---

(١) السنا: الضوء الساطع. الشنب: بياض الأسنان. اللعس: السمرة في الشفاه.
(٢) صبا: من الشرق (بليلة باردة).
(٣) البطحاء: الأرض المنبسطة. الورود: الذهاب إلى الماء للشرب. اللمى: السمرة في الشفاه (وهنا الريق).
(٤) يكنفه: يحيط به. الجرّ (لعلّها هنا جمع مجرّة) مجموع نجوم يعترض في السماء من الشمال إلى الجنوب.
(٥) الهدب: شعر جفون العينين.
(٦) الرقطاء: التي على جلدها نقط سود.
(٧) ذهب الأصيل (بين الظهر والمغرب): (نور الشمس الأحمر) على لجين (فضة) الماء (بياض الماء).
(٨) المرتبع: مكان ينزله الناس في الربيع. القراح: الصافي.
(٩) لعلّه وقف هنا على قبر أحد الملوك. المتاح: المرسل، الذي لا مفرّ منه.
(١٠) ساجله: باراه، سابقه (يقول إنّ دموعه أغزر من المطر). طارحه الحديث: تحادثا وناقش بعضهما بعضاً. الشجو: الحزن.
(١١) اللبانة الحاجة. المدام: الخمر.
(١٢) إذا طلع الصباح افترقنا فلا يعلم النهار أنّنا محبّان. وإذا جاء الظلام اجتمعنا فيعرف الليل أنّنا محبان

وكان لِيَ البَشامُ مَراحَ أُنْسٍ، فماذا بعدَنا فَعَلَ البشام[1]؟

★★ أي عَيْشٍ أو غِذاءٍ أو سِنَهْ لابنِ إحدى وثمانينَ سَنَهْ[2]؟
قَلّصَ الشيبُ بها ظِلّ امْرِئٍ طالما جرّ صِباه رَسَنَه[3].
تارةً تسطو به سيّئةٌ تُسْخِنُ العينَ، وأخرى حَسَنه[4]!

★★ عاثَتْ بساحتِكِ الظُبى، يا دارُ، ومَحا محاسِنَك البِلى والنارُ[5].
فإذا تردّدَ في جَنابِك ناظرٌ طالَ اعتبارٌ فيه واسْتعبار[6].
أرضٌ تقاذَفَتِ الخُطوبُ بأهلِها، وتَمَحّصتْ بخَرابِها الأقدار[7]؛
كتبتْ يدُ التاريخ في عَرَصاتِها (لا أنتِ أنتِ، ولا الديارُ ديار)[8].

★★ يا أهلَ أندلُسٍ، للهِ دَرُّكُمُ: ماءٌ وظِلٌ وأنهارٌ وأشجار.
ما جَنّةُ الخُلْدِ إلّا في دِيارِكُمُ. ولو تَخَيّرْتُ، هذا كُنتُ أختارُ.
لا تَحْسَبوا في غدٍ أن تدخُلوا سَقَراً. فليسَ تُدْخَلُ بعدَ الجَنّةِ النار[9]!

★★ يا لُؤلُؤاً يَسْبي العيونَ أنيقا★، ورَشاً بتَقْطيعِ القلوبِ رَفيقا[10]،
ما إنْ رأيتُ ولا سَمِعْتُ بمثلهِ: دُرًّا يعودُ من الحياءِ عقيقا[11].
وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وجههِ، ألْفَيْتَ وَجْهَكَ في سَناهُ غريقا[12].

---

(١) البشام: نوع من الشجر.
(٢) سنة (بكسر السين): النعاس، النوم.
(٣) قلّص الشي: صغّر مساحته (بكسر الميم). جرّ صباه رسنه (لجامه): كان قد جعله الشباب يندفع في ملذّاته بلا ضابط.
(٤) تسخن العين: تُبكي، تؤلم.
(٥) عاث: أفسد. الظبى جمع ظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. البلى: الفناء.
(٦) اعتبار: تأمّل في حوادث الأيام. استعبار: بكاء.
(٧) تمحّصت: انكشفت (ظهر أثرها).
(٨) العرصة (بفتح وسكون): ساحة الدار. «لا أنت أنت، ولا الديار ديار» مطلع قصيدة لأبي تمّام (كناية عن تبدّل الأشياء تبدّلا كاملا).
(٩) سقر من أسماء جهنّم.
★ تروي أيضاً لابن عبد ربه
(١٠) لؤلؤ (كناية عن الوجه الأبيض: الجميل). الأنيق: الذي يعجب العين. الرشأ: الغزال الصغير.
(١١) العقيق: حجر كريم أحمر اللون. (حينما يستحي يصبح وجهه الأبيض أحمر اللون).
(١٢) رأيت وجهك في وجهه (كأنّ وجهه مرآة).

يا مَنْ تَقطَّعَ خَصْرهُ من رِقّةٍ، ما بالُ قَلْبِكَ لا يكونُ رقيقا؟

★★ ومائسةٍ تُزهى وقد خَلعَ الحَيا عليها حُلَى حُمْراً وأَرْدِيَةً خُضْرا[١].

يذوبُ لها ريقُ الغمائمِ فِضّةً ويجمُدُ في أعطافِها ذَهَباً نَضْرا.

- وقال يُداعِبُ من بَقلَ عِذارُه:

أيُّهـا التائـهُ، مَهْلاً، ساءني أنْ تِهْتَ جهْلا[٢].

هَـل ترى- فيما ترى- إلّا شَباباً قد تولّـى؟

وغرامـاً قـد تَسرّى وفُؤاداً قـد تسلّـى[٣]؟

أينَ دَمْـعٌ فيـك يجري أين جَنْـبٌ يتقلّـى؟...

أمّا بعدُ: أيُّها النبيلُ النبيه، إنّه لا يجتمعُ العِذارُ والتِيه[٤]. قد كان ذلك وغُصْنُ الشبيبةِ رَطْبٌ، ومَنْهَلُ ذلك المُقبَّلِ عَذْبٌ[٥]. وأمّا والعِذارُ قد بَقلَ[٦] والزمانُ قدِ انتقلَ والصبُّ قد صَحا وعَقلَ، فقد رَكَدتْ رِياحُ[٧] الأشواقِ ورَقَدتْ عيونُ العُشّاق. فَدَعْ عنك مِنْ نظْرةِ التَجَنّي ومِشْيةِ التَثنّي، وغُضَّ من عِنانك[٨] وخُذْ في تَرَضّي إخوانِك. وهِشَّ عند اللِقاء هِشّةً أرْيَحيّة واقْنَعْ بالإيماء رَجْعَ تَحيّة[٩]. فكأنّي بفِنائك

(١) يصف زهرة بتلاتها بيض وجوفها أصفر. الحيا: المطر.

(٢) التائه: المعجب (بضمّ الميم وفتح الجيم) بنفسه والمتكبّر على غيره.

(٣) تسرّى: ذهب في السرّية (خرج إلى الحرب): ذهب عنك. وربّما تسرّى: تزوّج سريّة (أمة من النساء). تسلّى (عنك): نسيك لاشتغاله بغيرك.

(٤) العذار: الشعر الذي ينبت في الوجه.

(٥) المنهل: المشرب (مكان الشرب). المقبّل: الفم.

(٦) بقل: نبت.

(٧) ركد: هدأ.

(٨) التجنّي: نسبة الذنوب إلى الآخرين، ظلم الآخرين. التثنّي: التخلّع، التمايل بدلال. غضّ (اخفض) من عنانك (لجامك): اكبح نفسك، لا تحاول أن تستميل الناس بالتكبّر عليهم (ذلك تفعله النساء الجميلات الشابّات).

(٩) هشّ: تلقّ الناس بطلاقة وجه وبتواضع. الإيماء (الإشارة. لا تنتظر من الناس أن يحتفوا بك كما كانوا يفعلون من قبل).

مهجوراً وبزائرك مأجوراً[1]. والسلام.

- ومن مُقدّمة ديوانه (نثراً):

والشِعرُ - وإنِ اهْتُبِلَ به واعْتُمِلَ فيه[2] - ليس يخلو جَيِّدُه من سَقَطٍ وانقسام إلى طَرَفَيْنِ ووسطٍ.... فكلٌّ ما ينشأ من أجزاءٍ مُؤتَلِفةٍ فإنّما يتركّبُ من أشياءَ مختلفةٍ. والشِعْرُ يأتلفُ من مَعْنًى ولفظٍ وعَروضٍ وحَرْفِ رَوِيٍّ[3]، فقد يَتعاصى في بعضِ الأمكنةِ جزءٌ من هذه الأجزاء أو أكثرُ.... وإنّ من قَوْلنا[4] ما كنّا قدِ افْتَتَحْناه بمنثورٍ، ووَشّحناه بفِقَرٍ مُزدوجةٍ وشُذور[5]. وها نحن قد أوْرَدْناه كما كنّا سَرَدْناه، ونَقلناه بحَسْبِ ما قُلْناه، تَعَلّقاً بُحرٌّ من النثرِ يُساق خِلالَ النَظْمِ، ويَنْتقِلُ مُطالِعُه من قِسْمٍ من الكلام إلى قسم. ولَعلّ ذلك أبْسَطُ للنفسِ وأنْشَطُ، وأذهَبُ مَعَ الأُنسِ وأهْذَب[6]. ومنه ما كان انتظَمَ في عَصْرِ الشبيبةِ وبطريق الدُعابة والطِيبة؛ ولَمّا لم نُشِرْ في معناه إلى نُكْرٍ، ولم نُلِمَّ في ألفاظِهِ بهُجْرٍ، أثْبَتْناه في بابِ الفُكاهة والهَزْل. ولَعلّ لهما مَوْقعاً من نَفْسِ الفتى النَدْب[7] والسيّد الجَزْل[8].

- وله مقطوعة في اللَّهْوِ:

وليْلٍ تعاطَيْنا المُدام، وبَيْنَنا   حديثٌ كما هَبَّ النسيمُ على الوَرْدِ.

---

(١) الفناء: الباحة أمام البيت. فناؤك مهجور (لا يزورك أحد). مأجور: له أجر عند الله (بالأمس كانوا يزورونك لمعصية. واليوم يزورونك قياماً بواجب اجتماعيّ).

(٢) اهتبل: انتزع فجأة (أتى عفوا). اعتمل فيه: جهد الشاعر في نظمه.

(٣) العروض: وزن الشعر. الرويّ: الحرف الذي تبنى عليه قافية القصيدة.

(٤) قولنا: قول الشعر.

(٥) وشّح: زيّن. الفقرة (بالكسر): الجملة القصيرة. مزدوجة: جملتان متساويتان في الطول ومسجوعتان. الشذر (بفتح فسكون): قطع صغيرة من الذهب توضع بين حبّات اللؤلؤ في العقد (أتينا بين المزدوجات بجمل غير مسجوعة).

(٦) أبسط للنفس (أكثر سروراً) أذهب مع الأنس: أكثر موافقة للهو. أهذب: أشدّ أثراً في تهذيب النفس (؟).

(٧) النكر: الأمر المنكر (الذي لا يجوز فعله). الهجر: القول أو العمل القبيح.

(٨) الندب: الظريف. الجزل: العظيم، الكثير (الوقور).

نُعـاوِدُهُ والكأسُ تَعْبَقُ نَفحَةً؛ وأطيبُ منه ما نُعيدُ وما نُبْدي[1]،
ونُقلِي أقاحُ الثغرِ أو سَوْسَنُ الطُّلا ونَرْجَسَةُ الأجفانِ أو وَردةُ الخدّ[2]،
إلى أن سَرَتْ في جِسمهِ الكأسُ والكَرى وما لا بعِطْفَيْهِ فمالَ على عَضْدي.
فأقْبَلْتُ أستَهْدي لِما بينَ أضلُعي مِنَ الحَرِّ ما بينَ الثغورِ من البَرْدِ!
وعايَنْتُه قد سُلّ من وَشْيِ بُردِهِ: فعايَنْتُ فيه السيفَ سُلّ من الغِمْد:
لَيـانَ مَجَسٍّ واستقامـةَ قامـةٍ وهِزّةَ أعطافٍ ورَونَقَ إفرِنْدِ[3].
أُغازِلُ منه الغُصْنَ في مَغْرَسِ النَقا وأَلْثِمُ وجهَ الشمسِ في مطلَعِ السعد[4].
فـإنْ لم يَكُنْها أو تَكُنْه فإنّه أخوها كما قُدَّ الشِراكُ من الجِلْـد[5].
تسافرُ كِلْتـا راحتَيَّ بجِسْمـهِ، فطَوْراً إلى خَصْرٍ وطوراً إلى نَهْد:
فتَهْبِطُ من كَشْحَيْهِ كَفّي تِهامةً وتصعَدُ من نَهْديهِ أُخرى إلى نَجْـد[6]!

٤- ديوان ابن خفاجة، مصر (مطبعة جمعيّة المعارف) ١٢٨٦ هـ؛ (نشره كرم بستاني)، بيروت (دار صادر) ١٩٥١ م؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م؛ (تحقيق مصطفى غازي)، الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٦٠ م.

★★ ابن خفاجة، تأليف محمّد رضوان الداية، بيروت (المكتب الإسلامي) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.
قلائد العقيان ٢٦٦ - ٢٧٨؛ الصلة ١٠٠ وما بعدها؛ بغية الملتمس ٢٠٢ - ٢٠٣؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٤٧ - ١٦٣، ٥٤٨ - ٥٥٢؛

---

(١) ما نعيد وما نبدي (نبدأ) من الكلام أو من الأفعال.

(٢) النقل: ما يتفكّه به الناس من المكسّرات والفاكهة وما شابهها. أقاح وأقاحيّ جمع أقحوان بضمّ الهمزة والحاء (القاموس ٤: ٣٧٦) الثغر (الفم: الأسنان. سوسن: زنبق. الطلا جمع طلاة (بالضمّ): العنق..... يقصد أنّه على الشراب لا يتناول اللوز والفستق. الخ، بل يقبّل هذه الأعضاء من المحبوب.

(٣) اللّيان: اللين. الإفرند: السيف.

(٤) - قامته التي هي كالغصن. النقا: الرمل الأبيض (يقصد أن وسط المحبوب كبير كأنّه تلّة من النقا).

(٥) فإنْ لم يكنها: إذا لم يكن هذا المحبوب هو الشمس (بالنصب على أنّها خبر كان، والضمير « هو » لتوكيد اسم كان). قدّ: قطع. الشراك: سير من جلد.

(٦) الكشح: أوسط الجسم (عند الخصر). تهامة (ساحل الحجاز): المكان المنخفض. النجد: ما ارتفع من الأرض.

الخريدة (الأندلس) ٢ : ١ - ٦ ، ٦٢٥ - ٦٣٣ ؛ الوافي بالوفيات ٦ : ٨٣ - ٩٠ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٦ - ٥٧ ، ٣٩٥ ؛ المغرب ٢ : ٣٦٧ - ٣٧١ ؛ المطرب ١١١ - ١١٧ ؛ بغية الوعاة ١٨٤ ؛ نفح الطيب ١ : ١٦٩ - ١٧٠ ، ٢١٠ ، ٥٠٤ ، ٥٣٦ - ٥٣٩ ، ٦٧٧ - ٦٨٧ ، ٣ : ٢٠٠ - ٢٠٢ ، ٣١٨ - ٣٢٠ ، ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٤٠٥ ، ٤٦٠ ، ٤٨٨ - ٤٨٩ ، ٤ : ١٤ - ١٥ ، راجع ٥٤ ، ١٠٦ - ١٠٧ ، ٣٢٨ ، ٤٥٥ ، ٥ : ٥٩٨ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٢٢ - ٨٢٣ ؛ بروكلمن ١ : ٣٢١ ، الملحق ١ : ٤٨١ - ٤٨٢ ؛ مختارات نيكل ١٥٠ - ١٥٤ ؛ تاريخ الفكر الأندلسي ١٢٣ - ١٢٥ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٥١ (٥٧)؛ سركيس ٩٥ ؛ تاريخ النقد (عباس) ٤٩٧ - ٤٩٩ ؛ نيكل ٢٢٧ - ٢٣١ .

أبو الفضل بن شرف

١ - هو أبو الفضلِ جَعفرُ بنُ محمّدِ بنِ شرفٍ القيرواني ، وُلِدَ في بَرْجَةَ ، قرب المَرِيّةِ (الأندلس) في الغالبِ ، سَنَةَ ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) أو بعدَها بقليلٍ[١] . وكان أبو الفضلِ يتزيّا بزِيّ البدو . وجاء بهذا الزيّ من بَرْجَةَ إلى المَرِيّةِ لِيَمْدَحَ المعتصمَ بنَ صُمادِحٍ[٢] . ويبدو أنّ حالَه ارتقتْ بعدَ ذلك فكَثُرَ اتّصالُه بملوكِ الطوائف وتولّى عندهم عدداً من المناصب ثمّ تولّى مَنْصِبَ الوزارة[٣] . وكانتْ وفاةُ أبي الفضلِ جعفرُ بنُ شرفٍ سَنَةَ ٥٣٤ هـ (١١٤٠ م) .

٢ - أبو الفضلِ بنُ شرفٍ « هو الحكيمُ الفيلسوف » (نفح الطيب ٣ : ٣٩٥)، وهو

(١) في نفح الطيب (٣ : ٣٩٥) « ... ولد ببرجة ، وقيل إنّه دخل الأندلس مع أبيه وهو ابن سبع سنين » . ويبدو أن حسن حسني عبد الوهّاب قد قبل أن يكون مولد جعفر بن شرف في القيروان ودخوله إلى الأندلس في السابعة من عمره . وبما أن أبا عبد الله محمّد بن شرف (والد أبي الفضل جعفر) قد دخل إلى الأندلس في نحو سنة ٤٥٠ هـ ، فقد جعل ولادة جعفر سنة ٤٤٤ هـ (مجمل تاريخ الأدب الأندلسيّ ١٧٧) .

(٢) كان محمّد بن معن المعتصم بن صمادح من ملوك الطوائف في المريّة وما حولها . ويبدو أن جعفر بن شرف كان في مقتبل عمره لمّا جاء إلى المعتصم بن صمادح مادحا . ولعلّ ذلك كان قبل معركة الزّلّاقة (٤٧٩ هـ) ، فإنّ ملوك الطوائف اشتغلوا بعد تلك المعركة بمدافعة المرابطين عمّا كان بأيديهم من البلاد التي كان النصارى الإسبان يستولون عليها قليلاً قليلاً ، أي قبل أن يبلغ جعفر بن شرف الثلاثين من عمره .

(٣) مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٧٧ .

« فقيهٌ مشهورٌ » (بغية الملتمس ص ٢٣٩). ثمّ هو كاتبٌ شاعرٌ مليحُ المعاني عَذْبُ الكلام زادَ في رِقّةِ الشِعر على أبيهِ[١]. وتراه أحياناً يسمو بشِعرِه إلى المتانةِ والخُشونة حتّى يكادَ شعرُهُ يُصبحُ بَدْوِيًّا جاهليًّا، كما يسمو أحياناً أخرى إلى مُعارضة المتنبّي فيُقاربُه في الألفاظِ وبناء الأبيات، ورُبّما لَمَحَ لَمْحةً أدْنَتْهُ من معاني المتنبّي. وله أُرجوزةٌ[٢] في الزُهْد وذِكْر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والصحابةِ، ولعلّ له تصانيفَ.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي الفضل جعفر بن محمّد بن شرف حكم منها:

العالم مع العلم كالناظر إلى البحر يستعظم منه ما يرى، وما غاب عنه أكثر - الفاضل في الزمن السوء كالمصباح في البراح[٣]، قد كان يضيء لو تركته الرياح - التعليم فِلاحة الأذهان، وليست كلّ أرض منبتة - الحازم من شكّ فروّى وأيقن فبادر[٤] - ليس المحروم من سأل فلم يُعْطَ، وإنّما المحروم من أُعطي فلم يأخذ.

- وقال يمدَحُ محمّدَ بنَ مَعنِ المعتصمَ بنَ صُمادح صاحبَ المَرِيّةِ:

مَطَــلَ الليــلُ بوعــدِ الفَلَــقِ ... وتَشكّــى النَجمُ طولَ الأرقِ[٥].
ضربتْ ريحُ الصَّبا مِسْكَ الدُجى ... فأستفادَ الروضُ طِيبَ العَبَقِ[٦].
وألاحَ الفجرُ خــدًّا خَــجِلًا ... جال من رَشْح النَّدى في عَرَقِ[٧].

(١) خلط كثير من رواة الأدب والمؤرّخين في تاريخ الأدب بين أشعار أبي عبد الله محمّد بن شرف وبين أشعار ابنه أبي الفضل جعفر.

(٢) فهرسة ابن خير ٤٢٣.

(٣) البراح: المتّسع من الأرض لا زرع فيها ولا شجر.

(٤) البادرة: ما يسرع به الإنسان من قول أو عمل.

(٥) الفلق: انشقاق الفجر (طلوع الصبح). الأرق: السهر، قلّة النوم. - لم يفِ الليل بوعده في طلوع الصبح في حينه فسئمت النجوم من سهرها في هذا الليل الطويل.

(٦) ريح الصبا الشرقية (الباردة) اختلطت بلون الليل (الذي يشبه المسك الأسود) فنتجت (بالبناء للمجهول) منه رائحة طيّبة.

(٧) ألاح (أبدى، أظهر، أدار) الفجر خدًّا خَجِلًا: بدأ ظهور الفجر، فظهرت (في النور القليل) نقاط =

جـــاوزَ الليـــلَ إلى أنجُمِـــه فتساقَطْنَ سقوطَ الورقِ(١).
واستفـاضَ الصبحُ فيـهِ فَيْضةً أيْقَنَ النجمُ لهـــا بالغرقِ(٢).
فانْجَلى ذاك السَنا عن حلَكٍ، وامّحَى ذاك الدُجى عن شَفَقِ(٣).
بـأبي بعدَ الكَرى طَيْفٌ سَرَى طارقـاً عن سَكَنٍ لم يَطْرُقِ(٤)،
زارني والليـلُ نـاعٍ سِدْفَـه وهو مطلوبٌ ببعضِ الرَمَقِ(٥).
ودموعُ الطَـلِّ تَمْريهـا الصَبـا، وجفونُ الروض غَرْقى الحَدَقِ(٦)؛
فتأنّـــى في إزار ثابـــتٍ، وتَثنّـــى في وِشاحٍ قَلِـقِ(٧).
وتجلّــى وجهُـــه عن شَعْره فتجلّـــى فَلَـقٌ عن غسَقِ(٨).
نَهَـبَ الصبـحُ دُجـى لَيْلتـه فحَبـا الخدّ ببعض الشَفَقِ(٩).

= الندى (التي كانت قد نزلت في الليل البارد على الأشجار) كأنّها نقاط عرق (على خدّ جميل).

(١) - بعد أن بدأ الفجر يطردالليل وصل إلى النجوم فأخذت تختفي نجماً بعد نجم (كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف).

(٢) ثمّ جاءت دُفعة جديدة من نور الفجر فأيقنت النجوم أنّها ستختفي كلّها بعد ذلك.

(٣) فتبدّى السنا (النور) بعد الحلك (الظلام). وذهب الدجى (ظلام الليل) وبقي مكانه الشفق (حمرة الفجر).

(٤) أفدي بأبي = أبي فداء: ما أحسن هذا الطيف (الخيال الذي رأيته في المنام) والذي جاء في آخر الليل (بعد أن نمت). طارقاً: مفاجئاً (على غير انتظار). سكن: شيء تسكن إليه، تسرّ به. لم يطرق: لم يزر (قبلَ الآن).

(٥) ناعٍ سِدفَه (شدّة ظلامه): وقد أوشك أن ينتهي. وهو مطلوب: يطلبه (يلحق به) الصبح ليجهز عليه، ولا يزال فيه بعض الرمق (بقيّة يسيرة).

(٦) - وكانت نقاط الندى قد بدأت تمريها الصبا (قد بدأت ريح الصبا العليلة الخفيفة تهزّ الأغصان فتتساقط حبّات الندى). بينما بقي عدد من الأزهار تملأه نقاط الندى (وعيون الروض، أي الأزهار) غرقى (يملأها الندى). الحدق: العيون (هنا: قلب الزهر).

(٧) فتأنّى (المحبوب الذي جاءني في المنام): سار على مهل. بإزار ثابت (كان إزاره، أي الثوب الذي على القسم الأدنى من جسمه، ثابتاً لا يتحرّك، لأنّ أوسط جسمه مليء مكتنز) ويتثنّى (يتمايل بدلال) بوشاح (عِقد أو شيء تطرحه المرأة على أكتافها) قلق (كثير التحرّك، لأنّ القسم الأعلى من جسد المحبوب أهيف، رشيق، ناحل).

(٨) ولمّا أزاح شعره عن وجهه فكأنّه أزال الغسق (الظلام: شعره الأسود) عن الفلق (الصبح: وجهه الأبيض).

(٩) إنّ الليل قد أخذ لونه من سواد شعر المحبوب وعوّضه عن ذلك شيئاً من الحمرة في خدّه.

سَلَبَــتْ عينـــاه حَــدَّيْ سَيْفِــه   وتَحلّــى خَــدُّه بالرَوْنــقِ[١] .

وهَنا أربعةٌ وعشرونَ بيتاً تَصِفُ فرساً وفارسه وجَوَلانَهُا في معركةٍ خيالية يتّخذُها الشاعرُ وسيلةً إلى الإتيان بصُوَرٍ بلاغيةٍ بارعةٍ مَعَ عددٍ من الألفاظ الغريبة. وتنتهي القصيدةُ بأربعة أبياتٍ في المديح، هِيَ:

يـا بنـى مَعْنٍ لقد ظَلَّتْ بكم   شَجَرٌ لَوْلاكُمْ لم تُورقِ[٢] .
لو سقـــى حَسَّانَ إحسانُـــكُمُ   مـا بكـى نُدمانَه في جِلِّق[٣] .
أو دنــا الطـــائيُّ من حيّـــكُمُ   ما حدا البرقَ لربع الأَبرق[٤] .
أَبْدَعوا في الفضـل حتى كلَّفوا   كاهـلَ الأيام ما لم يُطِـق[٥] .

- وله من قصيدة في الحماسة والحكمة:

إنّي - وإنْ غرّني نَيلُ المُنى - لأَرَى   حِرْصَ الفتى خَلّةً زِيدَتْ إلى العَدَمِ[٦] .
تَقَلَّدَتْني الليـــالي وَهْيَ مُدْبِرَةٌ   كأنـي صـارمٌ في كفِّ مُنهْزِم[٧]!
ذَهَبْتُ بالنفسِ لا أَلْوي على نَشَبٍ،   وإنْ دُعِيتُ بِهِ اَبنَ المجدِ والكرم[٨].

---

(١) في عينيه وخدّه صفات السيف: حدّ السيف القاطع في عينيه، ولون السيف المجلوّ الأبيض في وجهه. الرونق: الجمال والبياض.
(٢) ظلّت = أظلّت: ظلّلت (الناس) بحكمكم الأمين العادل وبكرمكم.
(٣) لو أنّ كرمكم وصل إلى حسّان بن ثابت لنسي (لما ذكر حسّان) كرم ممدوحيه في جلّق (بصري عاصمة الغساسنة). كان حسّان قد قال:

لله درّ عصابــــــــــــــة نادمتهم   يومــــا بجلّـــق في الزمـــان الأوّل.

يمكن ضبط هذا البيت ببناء «سقى» للمجهول (سقي) وبرفع حسّان ونصب إحسانكم.
(٤) ولو أنّ حاتماً الطائي جاوركم مدّة لما اشتاق إلى ربع الأبرق.
(٥) لقد جاء الممدوحون (بنومعن) ببدع (أشياء لم تعرف من قبل) في الكرم، حتّى لو أنّ أحداً أراد تقليدهم لم يستطع.
(٦) الحرص: الجشع، الطمع في الحصول على كلّ شيء. الخَلّة (بفتح الخاء): الخصلة، الخاصّة، الصفة. العدم: الفقر.
(٧) تقلدتني الليالي: حملتني، تزيّنت بي. مدبرة: متقهقرة، (أيام فقر وهزيمة). صارم:سيف.- جئت في زمان لم أستطع أن أستفيد فيه من مواهبي.
(٨) ذهبت بالنفس (بنفسي): تكبّرت، فضّلت نفسي على كلّ شيء، ترفعت عن أمور الدنيا. لا ألوي (ألتفت) إلى نشب (مال، ثروة).

فللمصارع أطرافُ اليراعِ يدٌ بَنَتْ لي المجدَ بين السيفِ والقلم[1].

- وقال يشكو الدهر وأهله (نفح الطيب ٣: ٢٢٩):

لعمْرُكَ ما حَصَلْتُ على خطيرٍ من الدنيا ولا أَدْركتُ شيّا[2].
وها أنا خارجٌ منها سَليباً أُقلِّب نادماً كِلتا يديَّا.
وأَبكي ثم أَعْلَمُ أَنْ مبكايَ لا يُجدي فأمسحَ مقلتيَّا[3].
ولم أجزَعْ لهَوْل الموت لكنْ بَكَيْت لِقلَّةِ الباكي عليَّا،
وأَنّ الدهرَ لم يَعْلَمْ مَكاني ولا عَرَفَتْ بَنُوهُ ما لديَّا؛
زمانٌ سوف أُنْشَرُ فيه نَشراً إذا أَنا بالحِمامِ طُويت طيّا[4].
أُسَرُّ بأنّني سأعيشُ مَيْتاً به، ويسوءُني أنْ مِتُّ حيّا[5].

- وفد أبو الفضلِ بنُ شرفٍ مرّةً على المعتصم بن صُمادِح يشكو إليه عاملًا (جابيَ ضرائبَ) ناقَشَه في قريةٍ يحرُثُ فيها، ومدحه بقصيدةٍ مطلعها (نفح الطيب ٣: ٣٩٦):

قامَتْ تَجُرُّ ذُيولَ العَصْبِ والحِبَرِ ضعيفةُ الخَصْر والمِيثاقِ والنظر[6].
لم يَبْقَ للجَوْرِ في أيّامِكم أثَرٌ إلّا الذي في عُيونِ الغِيد من حَوَر[7].
من كلّ ماذيةٍ أُنْثَى، فيا عَجَبَا كيف استهانَتْ بوقع الصارمِ الذكَرِ[8].

- وقال في التملّق والمدارة:

إذا ما عدُوُّك يوماً سما إلى رُتْبَةٍ لم تَسْتَطعْ نَقْضَها،

---

(١) اليراعة: القصبة الجوفاء (القلم)- ولعلها الرماح (؟).
(٢) خطير: عظيم، مهمّ، ذو قيمة.
(٣) يجدي: ينفع.
(٤) أنشر: أبعث (اشتهر). الحمام: الموت.
(٥) عشت مَيْتاً (مغموراً، مجهولاً)، وسأعيش ميتاً: سأشتهر بعد موتي.
(٦) العصب: نوع من البرود (ثياب الحرير المقصّبة: المنسوجة بالذهب). الحبر: الثياب حرير سود.
(٧) الغيداء: المرأة الجميلة. الحور: شدّة ٱبيضاض بياض العين وشدّة ٱسوداد سوادها.
(٨) الماذيّة الدرع (والدرع التي تلبس في الحرب مؤنّثة). الصارم الذكر: السيف الذي سقي الذكرة (بضمّ الذال)، الفولاذ.

فقَبِّــــلْ- ولا تأْنَفَنْ- كَفَّـــه   إذا أنــتْ لم تستطــع عَضّهــا.

٤-★★ قلائد العقيان ٢٩٠ - ٣١٤؛ الصلة ١٣١؛ التكملة ٨٧٠؛ الذخيرة ٣: ٨٦٧ - ٨٨٦؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٧١ - ١٨١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٢٣ - ٣٩؛ المغرب ٢: ٢٣٠ - ٢٣٢؛ نفح الطيب ١: ١٥١، ٣: ٢٢٩، ٣٧١، ٣٩٣ - ٣٩٦، ٣٩٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٦ - ٩٣٧؛ نيكل ١٨٧ - ١٨٨؛ مختارات نيكل ١٢٩ - ١٣٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ١٢٤ (١٢٨).

أبو العبّاس بنُ العَريفِ

١ - هُوَ أبُو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ موسى بنِ عَطاءِ اللهِ الصِنْهاجي الأندلسيّ المَريّيّ، من قبيلة صِنْهاجةَ ومنسوباً إلى مدينةِ المَريّةِ في الأندلس (وفيات الأعيان ١: ٩٤).

وُلدَ أبو العبّاسِ بنُ العَريفِ في الثاني من جُمادى الأولى من سَنَة ٤٨١ (١٠٨٨/٨/٢٣ م). وقد كان من رجالِ التَصوُّفِ الصالحين. وكانت بَيْنَه وبينَ القاضي عِياضِ بنِ موسى اليَحْصُبيّ (ت ٥٤٤ هـ) مكاتباتٌ. ووَشَى به بعضُ أعدائهِ إلى سُلطانِ المُرابطين عليِّ بنِ يوسفَ بن تاشِفينَ فاَسْتَقْدَمَهُ عَلِيُّ بنُ يوسفَ إلى مَرّاكُشَ. وفي مَرّاكُشَ تُوُفِّيَ أبو العبّاس بن العريف، في ٢٢ من صَفَرَ من سنة ٥٣٦ (١١٤١/٩/٢٦ م).

٢ - كان أبو العباس بنُ العريفِ الصِنهاجيّ من كِبارِ الصالحين، وقد كانتْ له مُشارَكَةٌ في أشياءَ من العلومِ وعِنايةٌ بالقِراءاتِ كما كانت له كُتُبٌ منها «كتاب المجالس» (ممّا يتعلّق بطريقة الصوفية). وكذلك كان له نَظْمٌ حَسَنٌ على الطريقة الصوفيةِ.

٣ - **مختارات من شعره:**

- لأبي العبّاس بنِ العريفِ أبياتٌ رَقيقةٌ على مَذْهَب الصوفية (بغية الملتمس ١٥٥؛ وفيات الأعيان ١: ٩٤):

شَدّوا المَطِيَّ وقد نالوا المُنى بِمِنى، وكُلُّهُمْ بأَلِيمِ الشَّوْقِ قد باحا[1].
سارَتْ رَكائِبُهُم تَنْدى روائِحُها طِيباً بما طاب ذاك الوَفْدُ أشْباحا[2]:
نَسيمُ قَبْرِ النَبِيِّ المُصْطَفى لَهُمُ رَوْحٌ إذا شَربوا مِنْ ذِكْرِهِ راحا[3].
يا واصلينَ إلى المُخْتارِ من مُضَرٍ، زُرْتُمْ جُسوماً وزُرْنا نَحْنُ أرْواحا[4].
إنّا أقَمْنا على عُذْرٍ وعن قَدَرٍ؛ ومَنْ أقام على عُذْرٍ كَمَنْ راحا[5].

- وقال أبو العبّاس بن العريف (نفح الطيب ٥: ٥٩٨):

لستُ أدري أطالَ لَيْلِيَ أم لا؛ كيف يدري بذاك من يَتَقلّى[6]؟
لو تفرّغتُ لاستطالة ليلي ولِرَعْيِ النجوم كُنْتُ مُخِلّا[7].
إنّ للعاشقين عن قِصَرِ الليـ ـلِ وعن طولِهِ من الفِكْرِ شُغْلا[8].

- وقال (نفح الطيب ٤: ٣٣١):

إذا نزلتْ بساحتك الرزايا فلا تجزَعْ لها جَزَعَ الصَبِيِّ[9].
فإنَّ لكلِّ نازلةٍ عزاءً بما قد كان من فَقْدِ النبيِّ[10]

---

(١) أسرجوا مطاياهم (خيلهم وإبلهم) وسافروا عليها. مِنى منسك من مناسك الحجّ شرق مكّة.

(٢) مطاياهم كانت ذات رائحة طيبة وأجسامهم كانت ذات رائحة طيّبة.

(٣) الروح (بالفتح): الراحة، السرور. إذا ذكروا الرسول طربوا كما يطرب الذي يشرب الراح (الخمر).

(٤) المختار من أسماء الرسول. مضر: من عرب الشمال. - أجسامكم زارت الأجسام (الأبنية) في مكّة، ولكن أرواحنا التقت بذكر الرسول وبالشوق إلى تلك الأماكن (التي زرتموها أنتم بأجسامكم).

(٥) نحن أقمنا (في بلادنا: لم نذهب إلى الحجّ) عن عذر (لأنّنا غير مستطيعين أن نذهب إلى الحجّ) وعن قدر (والله تعالى لم يكتب لنا أن نذهب إلى الحجّ). ولكنّنا في الأجر سواء (أنتمّ رغبتم في الذهاب إلى الحجّ ويسّر الله لكم ذلك. ونحن رغبنا في الذهاب إلى الحجّ ولم ييسّر الله لنا ذلك).

(٦) تقلّى: جلس مضطرباً متململاً (كأنّه يتقلّب في المِقلى على النار).

(٧) لو كنت أفكّر في طول الليل وقصره (في أمور هذا العالم) لكنت مخلّا (مقصّراً): كنت متلهّياً عن ذكر الله بذكر أشياء لا قيمة لها.

(٨) إنّ العاشقين (المحبّين لله - من أهل التصوّف) يشغلهم (بفتح الياء والغين) ذكرهم لله عن كلّ شيء آخر.

(٩) الرزيّة: المصيبة الكبيرة. الجزع: الخوف مع الاضطراب.

(١٠) النازلة: المصيبة. عزاء: تسلية، نسيان. - إنّ الذين يدركون مصيبة المسلمين بوفاة الرسول تهون عندهم جميع المصائب الأخرى.

٤- محاسن المجالس (تحقيق آسين بالاثيوس)، باريس ١٩٣٣ م.

★★ بغية الملتمس ١٥٤ - ١٥٥؛ المقتضب ١٧؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٣٣ - ١٣٥؛ وفيات الأعيان ١: ٩٣ - ٩٤؛ المغرب ٢: ٢١١ - ٢١٢؛ المطرب ٩٠ - ٩١، شذرات الذهب ٤: ١١٢؛ نفح الطيب ٣: ٢٢٩ - ٢٣٠، ٤: ٣١٩، ٣٣١، ٥: ٥٩٧، ٥٩٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧١٢ - ٧١٣؛ بروكلمن ١: ٥٥٩، الملحق ١: ٧٧٦؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٨ - ٢٠٩ (٢١٥).

ابن برنجال

١- هو أبو بكرٍ أبو عليٍ محمّدُ بنُ الحسنِ بنِ يحيى بنِ خلفٍ الأُمويُّ الأندلسيّ ويعرف بابن بَرَنْجالَ. كان من أهلِ دانيَةَ (بشرقِ الأندلس)، سَمِعَ في بلدهِ من طاهرِ ابنِ هشامٍ وغيرِه. ثمّ رَحَلَ إلى المشرقِ وحجّ. وقد سَمِعَ في القُدْس (٤٦٥ هـ) من أبي الفتحِ نصرِ بنِ إبراهيمَ المَقْدسيّ (٣٧٧ - ٤٩٠ هـ) وفي عَسقلانَ (فِلَسْطين) وغيرِها. وكان (٤٦٩ هـ) في الإسكندرية يتصدّر للتدريس فأخذَ عنه الناسُ. ولكن نزلتْ به ضِيقةٌ ثمّ ٱنْفرجَتْ بأن تولّى القضاءَ في الصعيدِ (مِصرَ العليا) ثمّ في وادي إخميم.

وعاد ٱبنُ بَرَنْجالَ إلى الأندلُسِ وتصدّرَ في دانيةَ للتدريس (٤٧٢ هـ) وتولّى القضاءَ فيها أيضاً. وكانت وفاتُه في دانيةَ في الثالثِ والعِشرينَ من رَجَبَ من سَنَةِ ٥٣٦ (٢٠/٢/١١٤٢ م).

٢- كان ٱبنُ بَرَنْجالَ الأندلسيُّ فقيهاً مالكيًّا من أهلِ الدِّراية في الفِقه والحديث والنحو. وكان أيضاً أديباً شاعراً. وشِعرُه وُجْدانيٌّ سهلٌ يدُلّ على تَسامي نفسِه.

٣- مختارات من آثاره:

قال ابنُ بَرَنْجالَ عن نفسِه (وكان في مِصْر):

أمْلَقْتُ سَنَةً من السِنينَ، فقُلْتُ: أدْرَكَتْني حِرفةُ الأدب[1]، فَعَزَمْتُ على أن أقولَ

---

(١) أملق الرجل: افتقر. أدركتني (لحقتني) حرفة الأدب: قول شائع معناه أن العاملين في حقل الآداب والعلوم والدين لا تعظم ثرواتهم في الغالب، كما يقول ٱبن خلدون.

شِعراً في والي عَيْذابَ أمْتَدِحُه وأستحذيه[١]. أخرت نَفْسِيَ إلى السَحَر وأعددتُ دَواةً وقُرطاساً فلم يُساعِدْني القولُ فيه[٢] بشيء. وأجرى اللهُ القلمَ بأنْ كَتَبَ:

قالوا: تَعطّفْ قلوبَ الناس! قُلْتُ لهم: ... أدنى من الناسِ عَطْفاً خالقُ الناس.
ولو عَلِمتُ لِسَعْيِي أو لِمَسْأَلَتي ... جَدْوًى، أتَيْتُهُمُ سَعْياً على الراس[٣].
لكنّ مِثْلِيَ في ساحاتِ مِثْلِهِمُ ... كمَزْجَرِ الكلبِ يرعى غَفلةَ الخاسي[٤].
وكيف أبسُطُ كفّي للسؤالِ وقد ... قَبَضْتُها عن بني الدُنيا على الياس[٥].
تسليمُ أمْري إلى الرحمنِ أمْثَلُ بي ... مِنَ اسْتلامِيَ كفَّ البَرّ والقاسي[٦].

فقَنِعَتْ نفسي وأقبلَ أُنْسي وحَمِدتُ اللهَ جلَّ وعزَّ وشكرتُهُ على ما صَرَفَني عنه من اسْتِجْداءِ مخلوقٍ مِثْلي. فما لَبِثْتُ ثلاثةَ أيّامٍ حتّى جاءني كتابُ والي عَيْذابَ يُولّيني فيه بُخُطّةِ قضاءِ القُضاةِ[٧] بالصعيدِ ثمّ وادي إخميمَ.

٤-★★ المحمّدون ٣٠٥ - ٣٠٦؛ نفح الطيب ٢: ٥٠٨.

الإمام المازري

١ - هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عليِّ بنِ عُمَرَ بنِ محمّدٍ التميميُّ المشهورُ بالمازَريّ[٨] نسبةً

---

(١) عيذاب: مرفأ في جنوب مصر على البحر الأحمر. أستحذيه: أطلب منه حذاء أو عطاء.

(٢) السحر: آخر الليل قبل الفجر (يكون الإنسان في مثل هذا الوقت قد نال قسطاً كافياً من النوم وارتاح جسمه وعقله فيكون أكثر نشاطاً وأقدر على نظم الشعر وعلى غير نظم الشعر).

(٣) جدوى: فائدة.

(٤) في الأصل: ساحات مثلكم. والمعنى يقتضي: مثلهم. مزجر الكلب (الجلوس بعيداً) يرعى (يراقب) غفلة الخاسي (الخاسىء) والخاسي من الكلاب الكلب الذي لا يترك أن يدنو من الناس. والشاعر يقصد بالخاسىء الذي يطرد الكلب. فيقول الشاعر أراقب غفلة الذين يطردونني، فإذا غفلوا عني اقتربت من طعامهم.

(٥) قبضتها عن بني الدنيا على الياس: كنت قد مددتّ يدي إلى الناس مراراً فرجعت يدي فارغة ورجعت أنا يائساً من خيرهم.

(٦) أمثل: أليق. الاستلام: تقبل اليد ونحوها. البرّ: التقّي، الرفيق بالناس.

(٧) استجداء: طلب الجدوى (العطيّة). قاضي القضاة: منصب يتناول القضاء العام غير قاصر على بقعة معيّنة.

(٨) معظم هذه الترجمة مبنيّ على كتاب حسن حسني عبد الوهّاب (ت ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م).

إلى مازَرَ[1]، وَهِيَ بلدةٌ على الساحلِ الجَنوبيّ من جزيرةِ صِقِلّية (أو سِقِلّية). ويبدو أن مَوْلدَهُ كان في المَهْدِيّة (بالقُطر التونسيّ)، نحوَ سَنَةِ ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م)، وفيها نشأ وتلقّى علومَه على نَفَرٍ من علماءِ المهدية، مِنْهُمُ الفقيهُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدٍ الرَبَعِيّ اللَّخْميّ (ت ٤٧٨ هـ) وأبو محمّدٍ عبدِ الحميدِ بنُ محمّدٍ المعروفُ بابنِ الصائغ (ت ٤٨٦ هـ).

تصدّرَ المازَريُّ للتدريسِ في المَهديةِ وقَصدَه الطلّابُ من القُطر التونسي ومن خارِجه. وكانت وفاتُه في (يومِ الاثنينِ) ثامنَ عَشَرَ ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٥٣٦ (١١٤١/١٠/٢١ م). في المهديّة.

٢ - كان الإمامُ المازَريُّ مُحدِّثاً حافظاً وفقيهاً مُجتهداً، إلّا أنّ قَلَمَه (كتابتَه) أبلغُ من لِسانه (كلامِه)، وإنْ كان كثيرَ الاستشهاد بالأدبِ كثيرَ الإيرادِ للحكايات. وكان ناثراً يُشْبِهُ نَثْرُهُ نَثْرَ الفقهاءِ عامّةً، ولعلّه كان يَنْظِمُ أيضاً. وقد تعلّم المازَرِيُّ الطِبّ. ثمّ هو مصنّف للكتب مُكْثِرٌ، له: المُعْلِم بفوائد مُسْلِم (وهو مجموعُ ملاحظاتٍ أبداها المازَرِيُّ لمّا قُرِىء عليه صحيحُ مُسلم القشيريّ، في المهدية، في رَمَضانَ من سَنة ٤٩٩؛ ولا تبلُغُ تلك الملاحظاتُ إلى أن تكونَ شرحاً) - إيضاح المحصول من بُرهان الأصول (وهو شرحٌ على: البُرهان في أصول الفِقه لإمامِ الحَرَمَيْنِ أبي المعالي عبدِ الملك بنِ محمّدٍ الجُوينيّ؛ وكتاب البرهان مفقود) - المُعين على التلقين (شرحٌ كبيرٌ على كتاب «التلقين» لأبي محمّدٍ عبدِ الوهّاب بنِ عليٍّ الثعلبيّ المالكيّ، قاضي بَغْدادَ والمُتَوفّى سَنَةَ ٤٢٢ هـ) - نظْمُ الفرائدِ في علم العَقائد (صنّفه المازَريّ في المعتقدات وأصولها) - تعليق على «مدوّنةِ» سَحنونٍ (المُتَوفّى سنة ٢٤٠ هـ) - عددٌ من «الأمالي» على «رسائل إخوانِ الصفا» (في إيضاح عددٍ من مُشكلات هذه الرسائلِ في العلوم الرياضيّة والآراء الفلسفية) - «الواضح في قَطْعِ لِسان النابح» (في الردّ على مُسلمٍ كان في صقلّية ثم ارتدّ وجَعَلَ يطعَنُ على الإسلام) - كشفُ الغطا عن لمس الخطا - كتاب في الطب (؟) - تثقيفُ مقالةِ أُولي الفَتْوى وتعنيفُ أهل الجَهالة والدَعْوى.

(١) مازر (بفتح الزاي) - راجع تاج العروس (الكويت) ١٤ : ١٢٠.

مختارات من آثاره:

- قالَ الإمامُ أبو عبد الله محمّدُ بنُ عليّ المازَريُّ:

ما أفْتَيْتُ قطُّ بغيرِ المشهور، ولا أُفتي به (بغير المشهور).

- وقال الإمامُ المازَرِيُّ في الإفتاء قولاً على شيءٍ من التفصيل:

ولست أَحْمِلُ الناسَ على غيرِ المشهور من قولِ العلماءِ، لأنّ الوَرَعَ[1] قلّ، بل كاد يُعْدَمُ. والتحفّظ على الدياتِ كذلك[2]. و(قد) كَثُرَتِ الشَهَواتُ وكَثُرَ مَنْ يدّعي العِلَمَ والتجاسر[3] على الفَتْوى. ولو فُتِحَ لهؤلاءِ بابُ مُخالفةِ المشهور من المذهب لاتّسَعَ الخِرْقُ على الراقع[4] و(لَـ) ـهتكوا حِجابَ هَيْبة الدين. وهذا من المُفسدات التي لا خَفاءَ فيها.

- وسئل الإمامُ المازَرِيُّ عن الأحكام التي يُصْدِرُها القُضاةُ المُسلمون في صِقِلّيَةَ (وصقلّيةُ يومَذاك في حُكم دولةٍ غيرِ مُسلمةٍ)، كما سُئِلَ عن إقامةِ المسلمين فيها: أي آختياريّةٌ مِنْهُمْ أم اضطرارية؟ فقال:

القادحُ في هذا[5] على وَجْهَيْنِ: الأوّلُ في الكلام على القاضي من ناحية العَدالة (إذا) أقامَ ببلدِ الحربِ في قيادةِ أهلِ الكُفْر. وذلك لا يُباح. والثاني من ناحيةِ الوِلاية، إذ هو مَوَلّى[6] من قِبَلِ أهلِ الكفر. فالأوّل له قاعدةٌ يُعْتَمَدُ عليها (اقرأ: تعتمد) شرعاً - وهي تحسينُ الظنّ بالمسلمين ومُباعدةُ المَعاصي عنهم، فلا يُعْدَلُ[7] عن هذا الأصلِ لِظُنونٍ قد تكون كاذبةً. ومِثالُه حُكْمُنا بظاهرِ العَدالة. وقد يجوزُ (أن

---

(١) الورع: التقوى (الخوف من أن يقع الإنسان في الخطأ).

(٢) التحفّظ: العناية. الدية: الغرامة التي توضع على القاتل (لابدّ من نصب قاض لإقامة الحدود: القضايا الجنائية، على الأقل).

(٣) اقرأ: وكثر التجاسر.

(٤) «اتّسع الخرق (الشقّ) علىالراقع»، مثل. أي اصبح إصلاح الأمور صعبا.

(٥) الذي يذمّ (القاضي المسلم إذا عيّنه سلطانٌ غير مسلم في بلد غير مسلم).

(٦) مولّى: معيّن في منصب.

(٧) فلا تترك هذه القاعدة الأساسية.

يكون ذلك القاضي) في الخَفاء وفي نَفْسِ الأمرِ (قدِ) ارتكبَ كبيرةً؛ إلّا من قامَ الدليلُ على عِصمته. وهذا التجويزُ مطروحٌ[١]. والحكم للظاهر، إذ هو الأصل؛ إلّا أنْ يَظْهَرَ (على ذلك القاضي) من المخايلِ[٢] ما يخرُجُ عن الأصل. فيجبُ التوقُّفُ[٣] حينئذٍ حتّى يظهرَ ما يُوضح.

(ثمّ) هذا المقيمُ ببلدِ الحربِ، إنْ كان (يُقيم) ٱضطراراً، فلا شكّ في أنّ (ذلك) لا يقدحُ في عَدالته. وكذلك إن كان ٱختياراً (ولكنْ) جاهلًا بالحُكْم أو معتقداً للجواز، إذ لا يجب عليه أن يعلَمَ هذا الطَرَفَ من العلم وُجوباً يقدَحُ تَرْكُه في عَدالتِه[٤]. وكذلك إنْ كان مُتأوِّلًا - وتأويلُه كإقامتهِ بدارِ الحربِ لرجاءِ ٱفتكاكِها وإرجاعها إلى الإسلام، أو لِهدايةِ أهلِ الكفر، أو نَقْلِهِمْ عن ضَلالةٍ ما.......

وأمّا الوجهُ الثاني، وهو تَولِيَةُ (الحاكم) الكافر للقُضاة والعُدول والأمناء وغيرِهم، فحَجْزُ الناسِ بعضِهم عن بعضٍ واجبٌ حتّى ادّعى بعضُ أهلِ المذاهبِ أنّه جائزٌ عقلًا...... فتَوْلِيَةُ (الحاكم) الكافر لهذا القاضي العَدْلِ - إمّا لِضَرورةٍ إلى ذلك أو لطلبٍ من الرعيّةِ - لا يقدَحُ في حُكمه. (ثمّ) تُنَفَّذُ أحكامُه كما لو (كان قد) ولّاهُ سُلطانٌ مُسْلِمٌ. واللهُ الهادي إلى سَواءِ السبيل.

٤ - ★★ الإمام المازَريّ، تأليف حسن حسني عبد الوهّاب (منشورات لجنة البعث الثقافي الإفريقي - دار الكتب الشرقية)، تونس (الشركة التونسية لفنون الرسم) ١٩٥٥ م (تاريخ كلمة التصدير). - راجع نقد هذا الكتاب في «مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ٣١: ٣٠٤.
وفيات الأعيان ٤: ٢٨٥، الوافي بالوفيات ٤: ١٥١؛ العبر للذهبي ٤: ١٠٠ - ١٠١؛ الديباج المذهب ٢٧٩ - ٢٨١؛ شذرات الذهب ٤: ١١٤؛ نفح الطيب، راجع ١: ٥٥٦، ٢: ١٥٩، ٦٥٠، ٥: ٣٠٦؛ أزهار الرياض ٣: ١٦٥؛ بروكلمن، الملحق ١: ٦٦٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٦٤ (٦: ٢٧٧).

---

(١) مطروح: متروك، مهمل (يجب طرحه: تركه).
(٢) المخايل: العلامات.
(٣) التوقّف: ترك الحكم إثباتاً أو نفياً.
(٤) إنّ نفراً كثيرين من الناس ليسوا أهل علم بالحكم الشرعي في كلّ الأمور.

أبو الطاهر التميمي القرطبيّ

١ - هو أبو الطاهرِ محمدُ بنُ يوسفَ بن عبد الله بن يوسفَ بن عبدِ الله بنِ إبراهيمَ التميميُّ[١] المازِني القُرطُبيُّ السَّرَقُسْطيّ المعروف أيضاً بالأشتركوني أو الأشتركوبي (نسبةً إلى أشتركوي، وهي حِصْنٌ قُرْبَ تُطيلة في شَمالِيّ الأندلس، ويبدو أن أصل أهله منها). ولكنّ أبا الطاهرِ التميميَّ نفسَه وُلِدَ في سَرَقُسْطَةَ ثم كان مسكنهُ في قُرطُبَةَ.

تلقّى أبو الطاهرِ التميميّ القُرْطبيّ العلم على نَفَرٍ كثيرين، أخذ أكثر ما أخذَه عنِ الحافظ أبي عليٍّ الحُسينِ بنِ فِيرُه بنِ حيّونِ بنِ سُكَّرة الصَّدَفِيِّ السرَقُسْطيّ (ت ٥١٦ هـ) في مُرسِيَةَ. وروى ابنُ الأبّار (المعجم ١٤١) أنّ أبا الطاهرِ التميميَّ كان في مُرسيةَ سَنَةَ ٥٠٨ وسنة ٥٠٩ هـ (١١١٤ - ١١١٦ م) كما كان في سَبْتَةَ في سَنَةِ ٥٠٩ هـ أيضاً.

ورَحَلَ أبو طاهرٍ كثيراً في طَلَبِ العلمِ فأخذَ عن أبي محمّد بنِ السيدِ البَطَلْيَوْسِيِّ (ت ٥٢١ هـ) في بَلَنْسِيَةَ، وعن أبي عِمرانَ بنِ أبي تليدٍ وأبي محمّدِ بنِ ثابتٍ وأبي محمّدٍ الركليّ في شاطِبَةَ، وعن أبي محمّدٍ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدِ بنِ عتابٍ وأبي بحرٍ وأبي القاسمِ ابن أبي صوابٍ في قُرْطبَةَ. وكذلك راسلَ نفراً من العلماء في فنونٍ مختلفةٍ من العلم والأدب، من هؤلاءِ أبو بكرٍ غالبُ بنُ عَطِيّةَ وأبو الحسنِ بنُ الباذِشِ في غَرْناطةَ، وابنُ أختِ غانمٍ في مالَقَةَ، وابنُ الأخضر وابنُ العربي في إشبِيلِيَةَ؛ وقد لَقِيَ بعضَ هؤلاءِ أيضاً.

وأقرأ أبو الطاهرِ وَحَدّثَ في قُرْطُبَةَ مُدّةً[٢].

وفي سَنَةِ ٥٣٨ هـ لَحِقَتْ أبا الطاهرِ زَمانةٌ (عِلّةٌ مُقْعِدَةٌ) تُوُفِّيَ منها في ٢١ من جُمادى الأولى[٣] من سَنَةَ ٥٣٨ (٢/١٢/١١٤٣ م).

---

(١) يرد اسم صاحب هذه الترجمة في عدد من النسخ المخطوطة لكتاب « المسلسل » (راجع ص ٧ - ١٥ من النسخة المطبوعة): الشيخ أبو الطاهر محمّد بن يوسف بن عبد الله التميميّ.

(٢) لعلّ أبا الطاهر قد خدم بالكتابة في بعض أدوار حياته.

(٣) في نسختين مخطوطتين من كتاب « المسلسل » أنّ وفاة أبي طاهر الاشتركوبي كانت لثمان بقين من شهر ربيع الآخر (راجع المسلسل، ص ١٣ ، ١٥).

٢ - كان لأبي طاهرٍ التميميِ القُرطُبي إحاطةٌ باللُّغات (لهجات العرب) وبالآداب، وكان كاتباً ناثراً وشاعراً مُكثِراً وفقيهاً، ولكنْ غَلَبَ عليه العلمُ باللغةِ؛ وكانَ على شِعْرِه شيءٌ من الجَفاف والضَّعف وكثيرٌ من التكلّف. وله تصانيفُ منها كتاب المُسَلْسَل والمقامات اللزومية أو السَرَقُسْطية أو القُرْطُبية وغيرُها (فهرسة ابن خير ٤٥٠). وكتابُ المسلسل خمسونَ باباً لم يَجْعلْ أبو الطاهرِ لها عناوينَ. وهذا الكتاب في المُداخَل أو المُداخَلات، أي الألفاظِ التي يكونُ لكلٍّ معنى كَلِمةٍ منها معنًى آخرُ (راجع النماذج)« وقدْ تَعَمّدَ التَميميُّ أن يَفْتتحَ كلَّ بابٍ ويَخْتتِمَه بشاهدٍ شعريٍّ: يأخذُ من الشاهدِ الأوّلِ الكلمةَ الّتي يَجْعَلُها أساساً للتسلسل، ويكونُ الشاهدُ الأخيرُ استشهاداً على معنى الكَلِمَةِ الأخيرةِ فيالبابِ »(مقدّمة « المسلسل » ص ٥).

ولأبي الطاهرِ التميميّ مقامات[١] أرادَ أن يُعارِضَ بها الحريريَّ (ت ٥١٦) فجَعَلَ مقاماتِه خمسينَ كما جَعَلَها مَظْهراً للبراعةِ في غريبِ اللغة وأوْجُهِ البلاغة. وفي مقاماتِه شَخْصيّتان رئيستانِ السائبُ بنُ تمّام والشيخُ أبو حبيب. ثمّ هنالك ابنانِ للشيخِ أبي حبيبٍ هما حبيبٌ وغريبٌ وشخصٌ آخرُ هو المُنْذرُ بن حُمامٍ ينقُلُ أحداثَ المقامة عن السائبِ. وقد دعا الاشتركوييُّ « مقاماتِه » المقاماتِ اللُّزومية تقليداً للمَعَرّيّ[٢] والسَرَقُسْطية (نسبةً إلى بلدِ أصلِه) والقُرطبية (نسبةً إلى بلدِ سَكَنه) والتميمية (نسبةً إلى أصلِه العربي القديم). ومِنَ المقاماتِ المُفْرَدَةِ ما له أسماءٌ (مقامةُ الشعراءِ، المقامةُ الهمزية، المقامة البائية، مقامةُ النَظْم والنثر، الخ)، ومنها ما لا اسمَ له. ومَعَ أن المقاماتِ تنطوي على نقدٍ اجتماعيٍّ، فإنّ أكثَرَ أغراضِها مأخوذةٌ من المشرق. وفي هذه المقاماتِ اثنتانِ تنطويانِ على نقدٍ أدبيّ، إلّا أن هذا النقدَ لا ابتكارَ فيه، بل هو ترديدٌ لآراءِ النقادِ القدماء. قال في الفَرَزْدَقِ وجَريرٍ[٣] مثلًا: « كُرسُفٌ وحريرٌ،

(١) الخصائص التالية قد جمع أكثرها من « تاريخ النقد الأدبي في الأندلس » لمحمّد رضوان الداية ومن « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » لإحسان عبّاس.

(٢) للمعرّي ديوان اسمه « لزوم ما لا يلزم » فيه مقطوعات شعرية في الحكمة والنقد الاجتماعي مبنيّة على حرفي رويٍّ أو أكثر من حرفي رويٍّ.

(٣) الفرزدق (ت ١١٤). وجرير (توفّي بعده بمدة يسيرة) كان بينهما مهاجاة وكان الناس منقسمين في شأنهما.

وخِطامٌ وجَريرٌ[١]. فَرَسَا رهانٍ كلاهما غيرُ مُذالٍ[٢] ولا مُهانٍ. أمّا همّام فسيّدٌ هُمامٌ مُسْتَهِلُّ غَمامٍ وعارِضُ جمامٍ[٣]. بحرٌ لا يُخاض غِمارُه وجوادٌ لا يُتَعاطى مسارُه: يَنْحِت من صَخْرٍ[٤] ويَنْطِقُ عن فخرٍ. وأمّا جريرٌ فسابقٌ دَريرٌ: أَحْزَنَ صاحِبُهُ فأسْهَلَ[٥] (هو) وأعجلَ فأسهلَ، وصَعّبَ فذلّلَ، وأكْثَرَ وقلّلَ، وأعْوَصَ فلَيّنَ، وشَدّد فبيّنَ[٦]: يَغْرِفُ من بحرٍ، ويَنْطِقُ عن سِحْرٍ، يُباري برقّةِ النسيمِ ويَبْرُزُ من قولهِ الرائِقِ والوسيمِ[٧].

ونقده عاديّ ومقصور على الشعراء المشارقة ثم ليس فيه شيء من التحليل بل هو أقوال مجموعة من آراء النقاد السابقين.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي طاهر الأشتركوييّ مُقَطَّعاتٌ من الشعر منها:

★★ ومُنَعّمِ الأعطافِ معسولِ اللّمى ... ما شِئتَ من بِدَعِ المحاسن فيه[٨].
لمّا ظَفِرْتُ بلَيْلةٍ من وصلهِ، ... والصبُّ غيرُ الوصلِ لا يَشْفيه[٩]،

(١) كرسف: قطن. الخطام: اللجام (الجدول أو المصنوع على شكل معيّن). الجرير: قطعة من حبل (يقاد بها الحيوان) ليس فيها صنعة ولا عناية.

(٢) مذال: مبتذل ومهان (مستخدم في غير الوجه الذي قصد به: نحن نذيل الحصان الأصيل إذا حملنا عليه حجارة).

(٣) اسم الفرزدق: همّام بن غالب. الهمام: السيّد الشجاع السخيّ. مستهلّ غمام: مطر منهمر بكثرة. عارض جمام......(؟)

(٤) ينحت من صخر (كناية عن صلابة شعره).

(٥) سابق (حصان) درير (سريع. - في الجمل التالية مقابلات: أحزن (الفرزدق) فأسهل (جرير) الخ. أحزن: سار في الأرض الصعبة. أسهل: سار في السهل.

(٦) أعجل: (أتى بالشيء قبل أوانه!)...... أعوص: أتى بالكلام العويص(الغريب: القليل الدوران على الألسن).

(٧) يغرف من بحر (كناية عن سهولة شعره). الوسيم: الجميل. الرائق: الذي يروق للنظر أو للفكر (الذي يعجب الناس). يجوز في الرائق والوسيم «الرفع».

(٨) العطف (بالكسر) الجانب الأعلى من الجسم. اللمى: السمرة في الشفاه. البدعة (بالكسر): الشيء الجديد، المخالف للمألوف.

(٩) الصبّ: المحبّ المشتاق راجع، تحت، ص ٢٩٠.

أنْضَجْتُ وردةَ خدّهِ بتَنَفُّسي وظَلِلْتُ أشرَبُ ماءَها من فيه!

★★ هيهاتِ مِنْ ذَنْبِ المُسيءِ تأسُّفُ، وله على هَوْلِ الذنوبِ تَعَسُّفُ[١]!

قالوا: طليقٌ في البسيطة سارحٌ. أنّى؟ وفي قيدِ الغَوايةِ يرسُفُ[٢]!

يا مُذنباً لم يَدْرِ ما جَمْرُ الغَضا، شَوْكُ القَتادِ إلى عذابك كُرْسُف[٣].

عاوِدْ أساكَ، لَعلّ توبةَ راجعٍ! فلقد يُفيدُ تَنَدُّمٌ وتأسُّف[٤].

- وله من المقامة الخمسين[٥]:

.... قال حبيبٌ لغريبٍ[٦]: هذا النظمُ والنثرُ، كيفَ القُلّ منه والكُثْر[٧]؟ وأيٌّ النصل أو الأُثر؟ وأيُّها أعقبَ صاحبَه أُثْراً وأحرز دونه أُثْراً[٨]؟ وأيُّها في النفوس أوقعُ وأشفى لغُلّة الصادي وأنقَعُ[٩]؟ وأحظى عند السوقة والملوك وأمضى بالسفارة والأَلوك[١٠]؟.... فقال حبيبٌ: الشعر أصعب مُرتقًى وأعذبُ مُنتقى[١١]، وأبدعُ

---

(١) تعسّف الطريق: سار فيه على غير هدى. - لا ينفع المذنب أن يندم على فعله إذا هو استمرّ يرتكب الذنوب بلا مبالاة.

(٢) أنّى: كيف. - قالوا: هو يسير (في عمل الذنوب) على هواه حرّاً طليقاً. هذا خطأ: إنّه يمشي وهو يرسف (مقيّداً) بقيود الضلال.

(٣) الغضا: شجر كثيف المادّة وجمره شديد الحرارة (المقصود: نار جهنّم عقاباً على الذنوب). القتاد: نبت صلب له شوك كالإبر. الكرسف: القطن.

(٤) عاود أساك: اجعل الأسى (الحزن) عادة لك، فلعلّك تتوب توبةً ترجع بها (نهائياً) إلى الله. فحينئذ يكون ندمك وأسفك نافعين.

(٥) النصّ التالي مجموع من الشواهد التي أوردها محمّد رضوان الداية من المخطوطة.

(٦) حبيب وغريب ابنان للشيخ أبي حبيب (رجل محتال من عُمان - بضمّ العين وإهمال الميم) هو والسائب ابن تمّام الشخصان الرئيسان في مقامات أبي طاهر الأشتركوبي.

(٧) القلّ: الجانب القليل الأصغر من الشيء. والكثر: معظم الشيء.

(٨) الأثر: بريق السيف والأثر - العلامة - خلاصة السمن (الشيء الثمين).

(٩) أوقع: أشد أثراً. الغلّة: العطش. الصادي: العطشان. أنقع: أكثر قدرة على اطفاء العطش.

(١٠) السفارة: الذهاب في مهامّ رسمية إلى الملوك والرؤساء. الألوك: الرسالة (في هذين يستعمل النثر لا الشعر).

(١١) أعذب منتقى (إذا انتقيت، اخترت، بضعة أبيات من الشعر فإنّها تكفي عادة في الاستشهاد، بينما الاستشهاد بالنثر يحتاج إلى إطالة).

لفظاً وأسرع حِفْظاً، وأوسع مَجازاً وأنصع إيجازاً[١] .... وأقصرُ معانِيَ وأنجدُ مبانيَ، وأوْرى زنداً وأذْكى رَنْداً[٢] ، وأجرى على اللسان وأجرى بالإحسان[٣] ، وأبعثُ للطربِ وأذهب للكُرَب. وهل سَمِعْتُم بنثرٍ تُخلَعُ عليه اللُّحون؟.... (فقال أبوهما): كلٌّ- على حِيالِه- محمولٌ على الحَسَنِ معدودٌ من اللَّسَنِ[٤] . والشعر لحنٌ عقيم وسَفْر مُقيم، وبغضٌ مودود ومُعْذِرٌ مجدود[٥] .... وإن (هم) شابوه كَذِباً ومَيْناً فقد أغْضَوْا عليه عَيْناً[٦] . وإنّما حمدُه أوفرُ من ذمّهِ، وشُهدُه أكثرُ من سُمّه[٧] .... وأمّا النثرُ فإنّه أُنْثى وَلودٌ وزَنْد لا كابٍ ولا صَلُود[٨] . عين ثَرّةٌ وأمّ بَرّةٌ، له موضعٌ ومكانة، وعِزّة واستكانة. يَحْـلَـوْلـي ويمَرّ ويَحِلّ ويُمِرّ[٩]. يَلِجُ في كلّ نادٍ ويُقْدَحُ بكلّ زِناد. بادٍ حاضرٌ، وذابلٌ ناضرٌ[١٠].... وقد فضّلَتْهُ الأكابرُ والأعاظم، فلا تُفَضِّلا (أنتما) قائلًا

---

(١) مجازاً: ممرًّا، طريقاً. أنصع: أشدّ بياضاً (أوضح) - الإيجاز (الاختصار) أكثر إمكاناً في الشعر منه في النثر.

(٢) أنجد: أعلى. أورى زنداً: أشدّ إشعالاً للنار (الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجر). أذكى: أطيب رائحة. الرند: نبات طيّب الرائحة.

(٣) أجرى (أكثر دوراناً) أكثر استعمالاً. أجرى بالإحسان: أسهل (الذين يحسنون النثر أكثر من الذين يحسنون الشعر). - لعلها أحرى (بالحاء المهملة) بالإحسان: أجدر، ألصق.

(٤) على حياله: (بإزائه)، في موضعه. محمول على (الوجه) الحسن: يحسن في المناسبة التي تقتضيه. اللسن: الفصاحة.

(٥) لحن (نغم) عقيم (لا يلد): ليس له شبيه، وحيد في بابه. السفر: الجماعة يسافرون معاً. مقيم: دائم (في الشعر كأنّك مسافر أبداً بين أشياء جميلة). بغض (كره) لصعوبة نظمه وإجادته. مودود: محبوب (ومع ذلك فكثيرون يحاولون قول الشعر أو يحبّون سماعه). معذر (مقبول العذر) مجدود (محظوظ): الناس يعذرون الشاعر إذا لم يكن كلّ شعره جيداً.

(٦) شاب: خلط، مزج. المين: الكذب. أغضى الرجل جفنيه (أدنى، قرّب، بعضهما من بعض): أغضوا عليه (على الشاعر) عيناً: عذروه إذا لم يحسن مرّة.

(٧) الشهد: العسل.

(٨) أنثى ولود (تعالج في النثر أغراض أكثر من تلك التي تعالج في الشعر). الزند: حديدة تقدح بها النار. الكابي: الزند الذي أصبح أملس جدًّا لا يحكّ الحجر حكًّا صحيحاً. الصلود: (الزند) الذي لا يخرج ناراً من الحجر.

(٩) العزّة: القوة. الاستكانة: الضعف والذلّة. يحلولي: يحلو (يصبح حلو الطعم) كثيراً. يمرّ : يصبح مرّاً الطعم. يحلّ (يبقى، يستقرّ) ويمر(يمضي، يذهب): يصلح لجميع الأحوال.

(١٠) يلج: يدخل. ناد: مجتمع. باد: ساكن البادية. حاضر: ساكن الحضر (المدن). ذابل: جافّ. ناضر: أخضر.

على قائلٍ. والإحسان ضُروبٌ، والشمس طُلوعٌ وغُروب.... وخُذا في كلِّ الأحوالِ بالأعدلِ(١) الأقسْطِ(٢).....

- من مقدّمة كتاب «المُسَلْسَل»:

.... قد كان لعلمِ اللِسان العربيّ، في صدرِ هذه الأُمّة، مَطارٌ ونَفاق(٣)، وعلى تَقْديمه إجماعٌ وإصفاق(٤). فتجرّد لضَبْطها وتَقْييدها الخِيارُ الصُلحاء والخُلَّصُ الأفاضلُ الصُرَحاء(٥). وبذلوا فيها الاعتناءَ وقطعوا في جَمْعِها وضَبْطِها الأحيانَ والآناء(٦)، حتّى أحْرزوا منها غايةً(٧) ورفعوا لشأنها علماً ورايةً؛ حين رأَوْا أنّه لِسانُ العلوم الشرعية والهادي إلى المعاني الأصلية والفرعية: بها يُتَوَصَّلُ إلى حقيقةِ معانيها ويُتَسَنَّمُ دَرَجُ مبانيها. وعنها يَصْدُرُ التأويلُ وتَتَوَجّهُ الأقاويل(٨)؛ وأنّه لا يُوصَلُ إلى مَعرفةِ كتابِ الله تعالى ومعرفة حديثِ رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم، وصَحابتهِ والتابعينَ وأئِمّةِ الهُدى من أُمّتِه إلّا بحِفْظِ لُغات(٩) العربِ وأنحائها والأُنس بإطنابها وإيحائها، وإبلاغها وإيجازها، وتوسُّعِها ومَجازها(١٠)، إلى ما في مَعْرِفتها من العَوْنِ

(١) الأعدل: المعتدل (لا نقصان ولا زيادة).

(٢) الأقسط: الأعدل (الحكم بالعدل).

(٣) المطار: علوّ الشأن، انتشار بين الناس. النفاق: الرواج، كثرة الاستعمال.

(٤) الإصفاق: الإجماع والاتّفاق على رأيٍ واحد.

(٥) تجرّد للشيء: خصّه باهتمامه. لضبطها (كان يجب أن يقول: لضبطه، أي اللسان العربي. ولكنّه حمل اللسان على «اللغة» وأجرى الضمائر في الألفاظ التالية مجرى التأنيث). الصريح من الناس: الخالص النسب.

(٦) الحين والآن: الوقت.

(٧) أحرز الشيء: اكتسبه، امتلكه. غاية: منتهى (قدراً كبيراً جدًّا).

(٨) يتسنّم: يرتقي. التأويل: فهم المقاصد من الجمل (من آيات القرآن الكريم خاصّة). تتوجّه الأقاويل: تتشعّب الأقوال (يختلف التعبير عن الآراء).

(٩) اللغات (هنا): استعمال القبائل العربية المختلفة ألفاظاً مختلفة للشيء الواحد (كالسكّين والمدية).

(١٠) النحو: الوجه من الاستعمال. الإطناب: التفصيل في التعبير. الإيحاء: الإشارة السريعة. الإبلاغ: التفنّن في التعبير. الإيجاز: الاختصار في التعبير. المجاز: استعمال الكلمة لغير المعنى الذي وضع لها في القاموس (الشمس: المرأة الجميلة. البحر: الرجل العالم والكريم).

على البلاغة والنُطْق، والاستظهار على قَمْعِ الباطلِ وبَسْطِ الحقّ[١]، والتمكّن من أنحاء القول ومسالِك الكلام والتقلّب في مسارح الأخبار والأعلام[٢].

والآنَ فقد زَهِدَ الناس فيه زُهْدَهُمْ في الفضائل ورَغِبوا عنه رَغْبَتَهم عن الأواخر من العلمِ والأوائلِ[٣]. ولكلّ نَجْمٍ طُلوعٌ وأفول، ولكلّ حالة عُلُوٌّ وسُفول[٤].

وأنّه كان فيما سُمِعَ عليَّ كتابُ «المُداخَلِ في اللغة» لأبي عُمَرَ المُطَرِّزيِّ[٥] رَحِمَه اللهُ، فاستَنْزَرْتُه لِقَدْرِه و(لكن) لم أحْظَ بِهلالِه فيه ولا بدرِه. فرأيتُ أنّه رَأْيٌ لم يُسْتَوْفَ تَمامُه وغَرَضٌ لم تُقَرْطِسْهُ سِهامه[٦]. ولعلّه إنّما ارتجَلَهُ ارتجالاً وجَرَتْ[٧] رِكائبه فيه عجالاً، فلم يُدَمِّثْ حَزْنَهُ ولا أقام وَزْنَه[٨].

فحرّكني ذلك إلى صِلَةِ ما ابْتَدَأ وتمكينِ ما رَسَمَ منه وأنْشأ، واقْتَضَبْتُ[٩] في ذلك خمسينَ باباً ٱفْتَتَحْتُ كلَّ بابٍ منها بِشِعْرٍ عربيٍّ ثمّ خَتَمْتُ البابِ بمثْلِ ذلك، وأوْرَدتُّ ما أمْكَنَ من الشاهدِ على ألفاظِهِ هنالك. وعلى ذلك فما اعْتَمَدتُّ مُجاراةً ولا قَصَدتُّ

---

(١) الاستظهار: الاستعانة. قمع: قهر، إذلال. بسط الحقّ: إعلاء شأنه وتثبيت سلطانه، نشره.

(٢) التقلّب في مسارح الأخبار: التفهّم لأنواع الأخبار (التاريخ) والاستمتاع بها. الأعلام: مشاهير الناس.

(٣) رغب عن الشيء: فقد اللذة في الحصول عليه، تركه، مال عنه. فيه (في علم اللغة). الأواخر من العلم والأوائل (؟)، لعلّ هذه الجملة: رغبة الأواخر (المتأخرين في الزمن: المعاصرين للمؤلّف) عن علوم الأوائل (علوم الفلسفة القديمة، الفلسفة اليونانية). - يخبرنا ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) في مقدّمة «قصّة حيّ بن يقظان» أن علوم الفلسفة كانت قليلة الانتشار في الأندلس قبل أيامه.

(٤) الأفول: الغروب. السفول: الانخفاض.

(٥) محمّد بن عبد الواحد المطرّزي عالم لغوي (٢٦١ - ٣٤٥ هـ) له كتاب (المداخل - في غريب اللغة: الانتقال في اللفظة الواحدة من معنى إلى معنى؛ راجع النصّ التالي).

(٦) استنزرته (وجدتّ المذكور في كتابه قليلًا) لقدره (بالإضافة إلى مكانته العلمية وإلى ما كنت أنتظر منه أن يقول في كتابه). الغرض: الهدف (العلامة تنصب للتمرين على الإصابة بالسهام أو بالرصاص الخ). لم أحظ (لم أتمتّع) بهلاله ولا ببدره (لم أره وافياً كلّيًّا ولا جزئيًّا). غرض: هدف. قرطس: أصاب القرطاس (الهدف: علامة تنصب للتمرّن على الإصابة بالسهام أو بالرصاص، الخ).

(٧) ارتجل الخطيب خطبته (قالها وهو واقف على رجليه - بلا استعداد سابق). جرت: سارت، ركضت.

(٨) دمّث: ليّن، سهّل، سوّى (جعل سطح الشيء مستوياً). الحَزْن: الأرض القاسية، التي يصعب السير فيها.

(٩) اقتضب: قطع أشياء يسيرة من رؤوس القضبان (أتيت بأشياء مختصرة).

مُباراةً[1] . وإنّي لأرى فضلَ السابق وأبْخَعُ بُخُوعَ الآبِقِ، وأحْمَدُ منه ذلك البَدْءَ والعَوْدَ[2] .....

- مطلع كتاب المسلسل:

أنْشَدَ أبو عُبيدةَ لصِبْيانِ الأعرابِ، وتُرْوى لامرىءِ القَيْس بن حُجْرٍ[3]:

لمَنْ زُحلوقـــــــــــةٌ زُلٌّ بهـــا العَيْنـــان تَنْهَــلّ[4]؛
يُنـــــــادي الآخِرُ الأُلُّ: ألَا حُلّوا، ألا حُلّوا[5].

ويُروى: ألا خَلّوا، ألا خلّوا. ويروى: زحلوقة بالقاف والفاء والكاف[6].

الأُلّ الأوّل، وأوّل يوم الأحدُ، والأحدُ هو الوَحَدُ، والوَحَدُ الفرَدُ[7]، والفرَدُ الثَّوْر، والثور الظُّهور، والظهور الغلَبة، والغَلَبَةُ جمع غالبٍ، وغالبٌ أبو لُؤَيّ، ولُؤَيٌّ تصغيرُ اللأي[8]، واللأيُ الثور، والثور فَحْلُ البَقَر، والبقر الفرَق، والفرق تَباعُدُ ما بينَ الثنايا، والثنايا[9] العِقاب، والعِقاب المُوالاة.....

- من كتاب «المسلسل» (الباب الثالث والعشرون):

قال زهيرُ بنُ أبي سُلمى:

---

(١) ما اعتمدتّ مجاراة (لم أقصد أن أفعل مثله) ولا مباراة (ولا حاولت أن أصنع أفضل ممّا صنع).

(٢) بخع بالحقّ بخوعاً: أقرّ به. وأحمد له (أشكره على) ذلك البدء (التأليف في هذا الموضوع). والعود: الطريق (راجع القاموس ١: ٣١٨ س)، الطريقة التي اتّبعها في تأليف هذا الموضوع.

(٣) راجع ترجمة أبي عبيدة في الجزء الثاني من هذا الكتاب، وترجمة امرىء القيس في الجزء الأول.

(٤) الزحلوقة: لوح من خشب يرفع على محور بحيث يتوازن ثمّ يجلس على كلّ طرف من طرفيه صبيّ ويعملانه (بضمّ الياء) فيرتفع أحد الطرفين وينخفض الآخر، ويتوالى ذلك. زلّ: ينزلق الجالس عليها. انهلّت العينان: سقط دمعها بكثرة (القاموس ٣: ٢٤٠).

(٥) الأُلّ: الأوّل (الأولون، السابقون). حُلّوا: اتركوا أمكنتكم!

(٦) خلّوا: تخلّوا (فعل أمر، بفتح اللام المشدّدة). - يقال: زحلوقة وزحلوفة وزحلوكة.

(٧) الوحد والفرد: المنفرد (الذي يعيش أو يمكث في مكان وحده).

(٨) لؤيّ بن غالب جدّ بني قريش.

(٩) الثنيّة: السنّ (واحدة أسنان الإنسان). والثنية: الطريق في الجبل. العقاب (جمع عقبة): الطريق في الجبل. العقاب (مصدر): الموالاة (توالي الأمور واحداً بعد واحد).

فشَدّ- و لم يُفزِعْ بُيوتاً كثيرةً- لَدى حيثُ ألقَتْ رَحْلَها أُمُّ قَشْعَمِ [١].

أمّ قشعمٍ ههنا المَنِيّةُ أو الحربُ أو الداهية. والقشعَمُ النَسْرُ، قالَ عنترةُ:

إن يَفْعَلا فلقد تركتُ أباهما جَزَراً لخامِعَةٍ ونَسْرٍ قَشْعَمِ [٢].

والنَسْرُ النَتْفُ، والنتف الطَرْقُ، والطرق الضَرْبُ بالحَصا [٣]؛ والحصا العددُ الكثيرُ..... والكثيرُ الدِّبسُ، والدبس الصَقْر، والصقرُ عَسَلُ الرُطَبِ [٤]، الخ الخ.

٤- المسلسل في غريب اللغة (قدّم له محمّد عبد الجواد) مصر (وزارة الإرشاد القومي- الإدارة العامّة للثقافة) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م.

★★ الصلة ٥٢٩، ٥٣٠؛ التكملة ١٤٠ - ١٤١ (رقم ١٢٤)؛ فهرست ابن خير ٣٨٧، ٤٥٠؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٣٣؛ الوعاة ١٢٠؛ نفح الطيب، راجع ١: ٢٩١؛ التشوّف ٩٦؛ بروكلمن ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٢ (٧: ١٤٩)؛ بالنشيا ١٨١؛ تاريخ النقد الأدبي (لإحسان عبّاس) ٥٠٠ - ٥٠١؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لمحمد رضوان الداية) ٣٥٢ - ٣٦٣؛ مجلّة المقتبس (دمشق) ٢: ٤٦٦.

ابن الفخّار المالَقي

١- هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ الحسنِ بنِ كاملٍ المعروفُ بابنِ الفَخّار الحَضْرَميّ المالَقيّ- ويُعْرَف أيضاً بابنِ نِصْفِ الربَض- كانتْ وفاتُه في المَغْرِبِ سَنَةَ ٥٣٩ (١١٤٤ - ١١٤٥ م).

٢- كان ابن الفَخّارِ المالَقيُّ فقيهاً وكان أديباً يَسْلُكُ في الشِعر مَسْلَكاً قديماً ومسلكاً جديداً، وله شيءٌ من توشيحِ العَروض [٥] لم يبلُغْ إلى أن يكونَ توشيحاً. وفي

(١) شدّ: هجم. بيوتاً كثيرة: جماعات كثيرة أو أشخاصاً (لم يفزع أحداً)..... هجم على النار (على هلاكه).

(٢) جزراً: مجزوراً (مقطّعاً). الخامعة: الضبع. القشعم: النسر المسنّ.

(٣) النسر (مصدر): نتف ريش الطير. الطرق: ضرب الصوف أو القطن بالعصا للتفريق بين أقسامها. الطرق بالحصا: تقليب الحصا اعتقاداً بأن مركز بعض تلك الحصا من بعض يدلّ على الحوادث المقبلة.

(٤) الرطب: التمر.

(٥) العروض (بالفتح): آخر الشطر الأول من البيت. وتوشيح العروض: التزام نسق معين في ختام أواخر الشطور الأولى من الأبيات مع بقاء الأبيات نفسها مختومة بقواف على رويّ آخر (كما نرى في القصيد).- راجع القطعة الثانية في «مختارات» هذه الترجمة.

جانبٍ من ألفاظهِ وبعضِ تركيبهِ ضَعْفٌ. وفنون شِعرهِ الفخرُ والحماسة والمدح والعِتاب والوصف.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن الفخّار المالَقي في الشيب:

أمُسْتَنْكَرٌ شَيْبُ المفارقِ في الصِبا؟ وهلْ يُنْكَرُ النَّوْرُ المُفَتّح في الغُصْن(١)!
أظُنُّ طِلابَ المجدِ شَيَّبَ مَفْرِقي، وإنْ كُنْتُ في إحدَى وعِشرينَ من عُمْري.

- وقال يعاتبُ صديقاً قديماً له كُنْيَتُه أبو حسنٍ:

أقِـلَّ عِتابَـك، ليس الكريمُ يُجازي على حُبِّه بالقِلى(٢)؛
وخَلِّ آجتنابَك، إن الزمانَ يَمرّ بتَكْديره ما حَلا(٣).
وواصِلْ أخاك بعِلّاتِه، فقد يُلْبَسُ الثوبُ بعدَ البِلى.
وقُلْ كالذي قالَه شاعرٌ نبيلٌ- وحَقّك أن تَنْبُلا-:
«إذا ما صديقٌ أسا مرّةً، وقد كان في ما مَضى مُحْسِنا،
ذكرتُ المُقَدَّمَ من فِعلِهِ فلم يُفْسِدِ الآخِرُ الأوّلا!».
أبا حَسَنٍ، إنْ أتى حادثٌ يُجَرِّدُ لي سَيْفَكَ [المُقْصَلا](٤)،
أُوَلّي المَلامةَ، عنك، الزمانَ وأصْحبك الأكرم الأفضلا(٥).

---

(١) المفرق (بفتح فسكون فكسر): مكان افتراق الشعر في مقدم الرأس.

(٢) في الخريدة (الأندلس ٢: ٢٩٢): ليس الكريم يجازي (بالزاي أخت الراء وبالبناء للمعلوم)؛ وفي الخريدة (المغرب والأندلس ٢: ٣٣٨): يجاري (بالراء المهملة وبالبناء للمعلوم أيضاً). وكلا القراءتين مقبولة. أما في «قلائد العقيان» (ص ٣٣٩): إن الكريم يجازى (بالزاي أخت الراء وبلا نقطتين تحت الياء). وكذلك في نفح الطيب (٣: ٣٩٣): إن الكريم يجازي (بالزاي أخت الراء المشكولة بكسرة وبنقطتين تحت الياء). وقد اعتمدت أنا: ... ليس الكريم يجازي ... القلى: البغض والكراهة.

(٣) الاجتناب: الابتعاد، الهجر، الترك (والاخيرتان بالفتح). يمرّ: يصبح مرّ الطعم (؟).

(٤) في الخريدة (الأندلس ثم المغرب والأندلس): المنصل (بضم فسكون ثم بضم أو بفتح): السيف. و في قلائد العقيان: المصقلا (ولعلها: المقصل- بكسر فسكون ففتح: القاطع من السيوف).

(٥) أجعل الذنب على الزمان ثم أبقى مصاحباً لك معتقداً أنك أكرم الناس وأفضل الناس.

أقولُ- وأنــتَ لسانُ المقــالِ وعــينُ الكمالِ ورأس العُــلا-:

«لئن جــار فيـك عَلَيَّ الزمانُ فقـد كــان لي حَكَماً أعْـدلا[1]،

لَيالـيَ كنـتَ صحيـحَ الإخـاءِ صريــحَ الوفـاءِ بمـا أُمِّــلا.

تُدافِــعُ عنّي خُطوبَ الزمــانِ بضَرْبِ الرقـابِ وطعنِ الكُلى.

ولكنْ أطَعْــتَ غُواةَ الرجــال وبعْــتَ صديقَــك لا بالغَـلا.

سأصْبرُ للخَطْــبِ حتّى يزولَ وأدعو لـه رأيَك الأجْمـلا»[2].

ودونَكَهــا كالعروس الكَعابِ علَيْهــا من الحَلْيِ ما فُصِّلا[3].

- وقال يخاطب شاعراً (على سبيل العتاب) بمقطوعة موشّحة العَروض (مختومة بقوافٍ معيّنة في صدورها أيضاً):

رُوَيْـدَكَ، أيّها الرَجُـلُ المُعَنّـى، فـإنّ الرِفْـقَ أجْمَـلُ باللبيب[4].

ولا تعجَـلْ، فربَّ فتًـى تأنّـى فـأدْرَكَ غايةَ القَرْمِ النجيب[5].

فـكم عقـد سديـد قـد تسنّــى بـلا تعـب ولا طرب مريب[6].

★ ★ ★

فــإنّ الجيشَ ليس يُطيـق شَيئاً لغايتِـه بــلا قَـدَرٍ مُصيـبِ[7].

---

(١) إذا جار عليَّ الزمان (ظلمني الآن في صحبتك) فقد طالما كان لي منصفاً من قبل.

(٢) الخطب: الحادث النازل، المصيبة. وأطلب منك أن تحكم بيننا برأيك الجميل (الثاقب، العادل).

(٣) فإليك مني هذه القصيدة كالعروس الكعاب (الشابّة) عليها من الحلي ما فصلا (لؤلؤ فصل بين حبّاته بقطع صغيرة من الذهب).

(٤) المعنّى: الذي يشغَل (بفتح الغين) نفسه بالأمور ويكثر الاهتمام بكلّ شيء. الرفق: اللطف والتأني. اللبيب: العاقل.

(٥) القرم: الفحل من الإبِلِ لا يُركَب ولا يُحمل (بالبناء للمجهول) عليه، بل يكون مخصوصاً بالضراب (بالكسر) للنسل. السيد المعظم (من الناس). النجيب: الفاضل من أبناء جنسه.

(٦) العقد (بالفتح) مصدر من «عقد» الحبل ونحوه (والمقصود «عقدة» بالضم). سديد (محكم، شديد). تسنى: انحلّ، انفك رباطه. الطرب: هزة تدل على الفرح أو على الحزن، اضطراب وقلق. مريب (هنا): يحمل الرائي على الشك في أن هذا الطروب غير تام العقل. يدعو إلى التهمة وسوء الظن.

(٧) .....؟.

ولا يَقضي الحَيا للنبْتِ شَطْئاً   إذا لم يَقْضِ علّامُ الغُيوب[١].

* * *

أخوكَ محمّدٌ لمّا تغنّى   أصاخت نحوَهُ أُذُنِ الغريب[٢].
وقَضّاها بواحدةٍ فثَنّى   كَمِثْلِ الرُمْحِ قُوِّيَ بالقضيب.
فخُذْها غادةً خُضِبَتْ يرنّا   لها ثوبٌ تفدّم بالصبيب[٣].
إذا ما رامَها من قد تبنّى   تعرّض دونَها شبح الحروب[٤]؛
جَميع بيانها لَفْظاً ومعنى   كما جُمع الحبيبُ إلى الحبيب.

- وقال في الفخر والحماسة:

إلى كم يَجِدُّ المرءُ والدهرُ يلعَبُ،   ويبعُدُ عنه الأمنُ والخوفُ يقرُبُ؟
وهل نافِعي، إن كنتُ سيفاً مُصَمِّماً،   إذا لم يكن يُلْقى بِحَدِّيَّ مِضْرَب[٥]!
أُبَيِّتُهم والليلُ كالنِقْسِ أسودٌ،   وأهْجُمُهم والصبحُ كالطِرْسِ أشهَب[٦]؛
فلا أنا عمّا رُمْتُ من ذاك مُقْصِرٌ،   ولا خيلُ عزمي للمقادير تُغلب.
أبا حَسنٍ، سائِلْ لِمَنْ شَهِدَ الوغى   لئن كنتُ لم أُصْبِحْ أهَشُّ وأطرَبُ[٧]،
وأعْتَنِقُ الأبطالَ حتّى كأنّما   يُعانِقُني عنهم من البِيض رَبْرَبٌ[٨].

---

(١) الحيا: المطر. الشطء: بدء النبات بالظهور فوق الأرض. علّام الغيوب (الله).

(٢) أصاخ: استمع. أذن الغريب (الجاهل، البعيد، العدوّ)...

(٣) غادة: امرأة جميلة (قصيدة). خضبت: صبغت. يرنّا: الحناء (مادة تصبغ الأشياء بلون أحمر) - كناية عن الجمال. تفدّم (ليست في القاموس): اكتسب حمرة خفيفة. الصبيب (ما ينصبّ - بتشديد الباء): ما يسيل من الصباغ (بغير قصد) فيلوّن الأشياء تلويناً خفيفاً على غير نسق معين.

(٤) رام: قصد. تعرض دونه شبح الحروب.... (لم يستطع أن ينظم مثلها)...

(٥) المصمّم: (السيف) الذي يقطع العظام. يلقى (يلفى= يوجد). للحركات على كلمة «مضرب» راجع تاج العروس (الكويت) ٣ : ٢٤٧ . المعنى غامض (لعل المقصود: إذا لم يوجد رجل شجاع يضرب بالسيف) أو إذا لم يستخدم (في الحرب).

(٦) بيّت الرجل القوم (هاجمهم ليلا). النقس: صباغ أسود. أهجمهم: اقتحم (عليهم) مكانهم (أهجم عليهم وهم في بيوتهم). الطرس: الورق. أشهب: أبيض.

(٧) هش: داخله سرور، فرح. - الوغى: الحرب (لأنه يكون قد انتصر).

(٨) اعتناق الأبطال في المعركة كناية عن المبارزة بالجسم (المغالبة). البيض (النساء الجميلات). الربرب في =

- وقال يذمّ السُكنى في مدينة مَرّاكُش:

وأرضٍ سَكنّاها فيا بِئْسَ مسكَنٌ، بها العيشُ نُكْدٌ والجَناحُ مَهيضُ[1]:
نروحُ ونغـــدو ليس إلّا مُرَوِّعٌ: عقاربُ سودٌ أو أراقمُ بيضُ[2]!

٤ - ★★ قلائد العقيان ٣٣٧ - ٣٣٩؛ بغية الملتمس ٦٠، (رقم ٩٠)؛ المغرب ١ : ٤٣٢؛ المطرب ١٩٧؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ٣٣٤ - ٣٣٩؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٢٨٧ - ٢٩٦؛ المحمدون ٢٩٥؛ الوافي بالوفيات ١ : ٣٥٧؛ نفح الطيب ٣ : ٣٩٢ - ٣٩٣؛ الأعلام للزركلي (٦ : ٨٥).

أبو العلاء عبد الحقّ بن الجنّان

١ - هو أبو العلاءِ عبدُ الحقِّ بنُ خَلَفِ بن مُفرِّجِ المعروفُ بابنِ الجَنّان، وُلدَ نحوَ سَنَةِ ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م)، في شاطبةَ. ويبدو أنّه تولّى فيها الكِتابةَ لنَفرٍ من الأمراء الذين تولَّوْها. وقد صَحِبَ الشاعرَ المشهورَ ابنَ خفَاجةَ (ت ٥٣٣ هـ). وكانت وفاةُ ابنِ الجنّانِ هذا سَنَةَ ٥٣٩ هـ (١١٤٤ - ١١٤٥ م).

٢ - كان أبو العلاءِ عبدُ الحقِّ بنُ الجنّانِ الشاطبيُّ ذا بصرٍ باللغةِ وبالأدب، كما كان أديباً وكاتباً مترسِّلًا وشاعراً بارعاً. وكذلك كانتْ له معرفةٌ بالطبّ. وهو شاعرٌ وُجْدانِيّ سَهْلُ الأُسلوب قريبُ المعاني. وأبياتُه التي وَصَلَتْ إلينا كانتْ في الإخوانيّات والأدب (الحِكمة) والنسيب.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو العلاءِ عبدُ الحقّ بنُ الجنّان (المغرب ٢ : ٣٨٢) في النسيب:

= الأصل: قطيع الغزلان (المقصود: أغالب الأعداء في المعركة كما لو كنت ألهو مع حبيبي: بيسر وسهولة وانشراح).

(١) نكد (بالضم): قليل(سيِّئ).مهيض: مكسور.

(٢) نروح (في المساء) ونغدو (في الصباح): في كل وقت. مروّع: مخيف. الأرقم: الحية.

سرى بَعْـد الهُدُوءِ خَيـالُ ليـلي ولم تَـدْرِ الوُشاةُ أوانَ سارا[١].
وزارَ وأعـينُ الرُقبـاءِ تُذْكـى حِذاراً أنْ يَزور وأَنْ يُزارا[٢].
فـدونَ طُروقِ ذاك الحيّ سُمْرٌ تـدورُ بجانبَيْـهِ حيثُ دارا[٣].
سأشكُرُ للكرى خُلَساتِ وَصْـلٍ كما لَقَـطَ القَطا ثمّ استطارا[٤].

– وقال من رِسالة كَتَبَها إلى يحيى بنِ غانيةَ المُلَثّم[٥] (المغرب ٢ : ٣٨٢):

أطالَ اللهُ بقاء الرئيسِ الأجلِّ واضحَ آياتِ المساعي، مُجاباً في تأييدهِ دَعْوة الداعي، ولا زالَ مَعقودَةً بالظَفرِ ألْوِيَتُهُ معمورَةً بصالحِ الدُعاء ساحاتُه وأنْدِيَتُه. كتابي، وما خَطَطْتُ بحَرْفٍ إلّا رَمَقْتُ السماءَ بِطَرْفٍ أدعو وأتَوَسَّلُ إلى من يَسمَعُ الدعاء ويقْبَلُ، ويُسْني الحُظوظَ ويُجْزل[٦]، على ما أوْلى من قِسَم أتاحها اللهُ على يديه وألقى أزِمَّتَها إليه، حتّى انقادتْ له بعد شِماسٍ وتأتّتْ على ياس[٧]. وهل كانتْ إلاّ خَبيئةَ الدهرِ وبيضةَ العُقْر[٨]، صَعُبَتْ على مَنْ كان قبلُ من أولي السِياساتِ ومُدبِّري الرِياسات.

– وقال أبو العلاء عبد الحقّ بن الجنّان أيضاً (الخريدة – المغرب والأندلس، ٣ : ٥٦٨):

---

(١) الهدوء: سكون الناس في الليل ونومهم. أوان: وقت.

(٢) أعين الرقباء تذكى: ترسل (تشدّد المراقبة على الناس).

(٣) الطروق: الطلوع (المجيء) فجأة. الأسمر: الرمح.

(٤) الكرى: النوم. الخلسة (بالضمّ): الفرصة (القصيرة). كما لقط القطا (كما تناول طير القطاء الحبة من الأرض بمنقاره) ثمّ استطار. في القاموس (٢ : ٨٠) انتشر الخ. والشاعر يقصد «استطير» (بالبناء للمجهول): ذعر (بضمّ فكسر)، أي خاف وطار.

(٥) هو يحيى بن عليّ بن يوسف المسوفي (ت ٥٤٣ هـ)، وغانية أمّه وكانت قريبة ليوسف بن تاشفين. ويحيى ابن غانية هذا كان أول الذين تولّوا الأندلس من قبل (بكسر ففتح) الملثّمين (المرابطين).

(٦) يسني الحظوظ ويجزل: يعطي جوائز سنية (ثمينة) جزيلة (كثيرة وقيّمة).

(٧) الشماس: الإباء والامتناع. يأس: قنوط (فقدان الأمل).

(٨) «بيضة العقر» (تاج العروس – الكويت ١٣ : ١٠٩) تطلق على أشياء كثيرة والمقصود بها (هنا) «الشيء النادر».

وكُنّا وريبُ الدهر وَسْنانُ، والنَّوىٰ ... بعيدٌ مَداها لا تَروعُ لنا سِرْبا[1]؛
فَعُدْنا وقد صِرْنا بمَرْأًى ومَسْمَعٍ، ... فأبْصِرْ بهِ عَيْناً وأسْمِعْ به قُرْبا[2].
أبا حسنٍ، إنْ كنتُ أصبحتُ نازحاً ... أُراقبُ لَمْعَ البرقِ أو أسألُ الركْبا[3]،
فكم قد تجاذَبْنا الحديثَ ليالياً ... نقلّده أجيادَها لؤلؤاً رَطْبا[4].
وهل كنتَ إلّا الشمسَ لاحتْ لناظرٍ ... فآونةً شرقاً وآونةً غربا[5].

٤ - ** المغرب ٢ : ٣٨١ - ٣٨٢؛ التكملة ٦٤٧؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ : ٥٦٨؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٦٥٤؛ نفح الطيب ٣ : ٣١٠ - ٣١١.

أبو بكر بن الجنّان

١ - أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبد الحقّ بن الجنّان شاعرٌ مُجيدٌ لم أعثَرْ على تاريخ وفاتِه فألْحَقْتُ ترجمتَه بترجمةِ أبيه. وفي ظنّي أنّه لم يَعِشْ طويلًا لأنّه دخلَ السِّجْنَ وعُذِّبَ فيه وقُتِل على الأرجح.

٢ - هو شاعرٌ مطبوعٌ متينُ السبكِ حَسَنُ الصِّناعة يُجيدُ القصائدَ والمُقَطّعاتِ. وشِعْرُه مَدْحٌ وأدبٌ (حكمة) وغَزَلٌ. وقد مَدَحَ القاضِيَ أبا بكرِ بن أسدٍ الشاطبيَّ.

٣ - مختارات من شعره:

- جرتْ على أبي بكرٍ أحمدَ بنِ عبدِ الحقّ بن الجَنّان مِحنةٌ دخل على أثَرها إلى

(١) ريب (حادث، مصائب) الدهر وسنان (قد غلب عليه النعاس) والنوى (الفراق، البعاد) لا تروع (لا تخيف) لنا سرباً (جماعة).

(٢) صرنا بمرأى ومسمع (من الدهر) يصيبنا بأحداثه. فأبصر به الخ (والدهر قويّ البصر قويّ السمع فأصابنا بمصائب كثيرة).

(٣) نازح: بعيد، مغترب. الركب (الجماعة الراكبون: المسافرون معاً): أسأل عنك الناس وأحاول أن أعرف أخبارك في كلّ مناسبة. - راجع في خطاب «أبي حسن» ترجمة ابن الفخار المالقي (ت ٥٣٩ هـ).

(٤) كانت أحاديثك كالقلائد من اللؤلؤ الثمين لأجيادنا (لأعناقنا).

(٥) - كناية عن كثرة أسفاره.

السِّجْن ووُضِعَتِ الأكبالُ (القُيود) في يديه. ولمّا أيقَنَ بالموت كَتَبَ على حائط السجن بقطعة من الفَحْم (المغرب ٢ : ٣٨٢):

ألا دَرَى الصِّيدُ من قومي الصناديدُ ... أنّي أسيرٌ - بدار الهُون - مقصودُ .
لا أبسُطُ الخَطْوَ إلّا ظَلّ يَقْبضُه ... كَبْلٌ - كما التَفّتِ الحيّاتُ - معقودُ .
وقد تألّبَ أقوامٌ لسَفْكِ دَمي ... لا يَعْرِفُ الفضلُ مَغْناهم ولا الجود .

- وقال في غُلامٍ مرّ به يَقْفِزُ فارًّا (من نارٍ عَلِقَتْ به؟):

ووَسيمِ الخَلْق والخُلُق ... يَنْثَني كالغُصْن في الوَرَقِ ،
مرّ يَلْقى النارَ في ضَرَمٍ ... كفؤادِ الصَّبِّ مُحْترِق .
ومضى يَجْتابُ جاحِمَها★ ... كانصلاتِ النَّجْم في الأُفُقِ .

- قال ابنُ الجنّانِ المُرسيُّ يمدَحُ قاضياً اسمُه (أو كُنيته) أبو بكر بقصيدةٍ منها:

ألا طَرَقَتْنا في الدُجى رَبّةُ الخِدر ... وقد جَنَحَتْ في الأُفْقِ أجْنِحَةُ النسر[(١)]
ومالَتْ إلى الغَرْبِ الثُرَيّا كأنّها ... مطارُ حَمامٍ رامَ نَهْضاً إلى وكْر[(٢)] ؛
فهبّتْ مَعَ الفجرِ النَعامى فجرّرَتْ ... ذُيولاً على الغيطانِ عاطِرَةَ النَشْر[(٣)] .
فمَنْ مُبلغي - والدارُ بالقوم غُربةٌ ... شَطونٌ - وصِدْقُ القولِ أجدرُ بالحُرّ[(٤)] ،
عنِ الرَوْض بالرَوْحاء كيفَ نسيمُه ، ... وهل جادَهُ بعدي مُلِثٌّ من القَطْر[(٥)] ،
وهل حَلّ قَلْبي في معاهدِ زَيْنَبٍ ... بذاتِ النَقا أم راحَ في ذلك السَفْر[(٦)] .
وممّا شَجا نفسي تألُّقُ بارقٍ ... يقُدُّ جلابيبَ الدُجُنّةِ إذ يَسْري[(٧)] .

(١) طرق: طلع (جاء) فجأة. ربّة الخدر (المرأة المصونة). المقصود بالنسر هنا كوكبة (مجموعة نجوم). جنحت في الأفق: مالت إلى المغيب، كناية عن اقتراب نهاية الليل (راجع البيت الذي يلي التالي).
(٢) مطار جمع مطارة: مكان يكثر فيه الطير. نهض الطير: بسط جناحيه ليطير.
(٣) النعامى ريح الجنوب (وهي في شبه جزيرة العرب رطبة محبوبة).
(٤) الشطون (بالفتح): بعيدة.
★ الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال.
(٥) الروحاء (اسم مكان). الملثّ (المستمرّ). القطر: المطر.
(٦) السفر (بالفتح): الجماعة المسافرون معاً.
(٧) شجا: حزن (بفتح ففتح) وأحزن. تألّق: لمعان. يقدّ (يشقّ) جلابيب (جمع جلباب: ثوب) الدجنّة (الظلام) إذ (حينما) يسري (يسير ليلا).

مَليحٌ إذا ما ٱهتاجَ قُلتُ: صفيحةٌ من الهِندِ أو رَجْمٌ من الأنجُم الزُهْرِ[١]،
ينوء بــه مُسْتَمْطَرٌ ذو هيــادِبٍ كما نَهَضَتْ بُدْنُ الحجيج إلى النَحْرِ[٢].
إلى كَمْ أُطيــعُ القلــبَ في طلــبِ الصِبــا
وأُجْهِــدُ نفسي في هَوى البيــض والسُمْرِ[٣]؟
سأَثْني عِنانَ الشِعر عن سُبُلِ الهوى إلى مِدْحة القاضي الأجلِّ أبي بكرِ[٤]:
فتًى أنْهضَ الإسلامَ في سُبُل الهُدى وصَيّر طَيّ المَعْلُواتِ إلى النَشْرِ[٥]،
وشيّدَ أركانَ الدِيانةِ فاغْتَدَتْ تُزاحِمُ أشباحَ النَعائمِ والنَسْرِ[٦].
حفيظٌ على ذاتِ الالَهِ ودينِهِ، مَليءٌ بما يُرضيه في السِرّ والجهرِ[٧].
تحدّثَ عن آثاره فِتْيَــةُ السُرى كما حَدّثوا في المَحْلِ عن سُبُلِ القَطْرِ[٨].
وأصْفَرَ مصقولِ الأديمِ أجَلْتَــهُ فَريعَتْ متونُ البيضِ والذُبُلِ السُمْرِ[٩].
إذا اسْتَنطَقَتْ يُمناكَ منه مُفَوَّهاً أجابَ بما يَثْني بِهِ نُوَبَ الدهرِ[١٠].
وإنْ خَضّبتْ أعلاه مَجّةُ حِبْرِهِ قضى بالحُبورِ الجَمّ عن ذلك الحِبْرِ[١١].

---

(١) صفيحة من الهند (صفحة سيف من صنع الهند). رجم (شهاب مضيء ساقط إلى جوّ الأرض). الأزهر: الأبيض، اللامع.

(٢) مستمطر (قطع سحاب فيها مطر). الهيدب: ما يتدلّى من السحاب فيكون قريباً من الأرض (لكثرة الماء الذي فيه). البدنة (بفتح ففتح): حيوان (كالجمل والبقرة والخروف). الحجيج: الحجّاج. النحر: الذبح. ويستحسن في البدن (بالضمّ) التي يضحّي بها الحجّاج أن تكون سمينة.

(٣) الصبا: الشباب (أفعال الشباب). أجهد: أتعب. البيض والسمر (النساء الجميلات).

(٤) سأثني (أردّ) عنان (زمام) الشعر من الغزل (الهزل) إلى المدح (الجدّ - بكسر الجيم).

(٥) المعلاة: مقبرة مكّة. طيّ (ما في بطن) المعلوات (جمع معلاة): المقابر. - أحيا آمال الناس (؟).

(٦) تزاحم: تسابق (ترتفع، تعلو) أشباح (أجسام) النعائم والنسر (مجموعتا كواكب): جعل مكانة الدين سامية.

(٧) المليء: الكثير المال، والمضطلع بالأمور (القدير على تصريف الأمور).

(٨) السرى (السير ليلاً). المحل: الجدب، انقطاع المطر. القطر: المطر. - تحدّث الناس في أسمارهم عنه (باهتمام وسرور) كما يتحدّث الناس عادة عن سقوط المطر بعد زمن طويل من الجدب والقحط.

(٩) وأصفر (قلم) أجلته (على الورقة). ريعت (المجهول من راع: خاف) المتن: الحدّ. البيض (السيوف) والذبل السمر (الرماح).

(١٠) المفوّه: القدير على الكلام. يثني: يردّ، يدفع. النائبة: الحادث، المصيبة.

(١١) خضب: صبغ. أعلاه (أعلى القلم: الطرف المبرى الذي يكتب به). الحبور: السرور. الجمّ: الكثير.

إليكَ، أبا بكرٍ، بَعَثْتُ عقيلةً ... وما إنْ لها إلّا قَبولُك من مَهْر[1].
ولستُ كَمَنْ يَبْغي نَوالَ مُمَدَّحٍ ... ولو نَوَّلَتْني الشِعْرَيَيْنِ يَدُ الشِعر[2].
فَدُونَكَها غَرّاءَ أمّا نَسيمُها ... فكالرَوْضِ يَنْدى أو كَعَنْبَرةِ الشِحْر[3].
بَقيتَ مَكينَ العِزِّ مُقْتَبلَ العُلا ... فسيحَ المدَى سامي المراتب والذِكْر.

- وله في النسيب:

خَليلَيَّ من وادي اليَمامةِ، خَبِّرا ... هلِ البانُ في أرْجائِه يتأوَّدُ[4]؟
وهلْ سرحَةُ القاعِ المَريعِ جَنابُهُ ... تصيح إذا غَنّى الحَمامُ المُغَرِّدُ[5]؟
وما هِيَ إلّا لِلْوَداعِ مَواقِفٌ ... يُراقُ بها دَمْعٌ ويَفْنى تَجَلُّدُ.
فيا راكبَ الوَجْناءِ، هل أنتَ مُبْلغٌ ... دِيارَ سُلَيْمى ما أقولُ وأُنْشِدُ[6]:
متى يَلْتقي جِسْمٌ بِرامَةَ مُتْهِمٌ ... وجِسْمٌ بأكنافِ العَقيقَيْنِ مُنْجِدُ[7]؟

٤ - ★★ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ٢٥٣ - ٢٥٥ ؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ١٤٩ - ١٥٣ ؛ المغرب ٢ : ٣٨٢ - ٣٨٣ ؛ زاد المسافر ٧٣ (١١٥).

ابن مجبر الصقلّيّ

١ - هو مُجْبِرُ بنُ محمّدِ بن عبد العزيز بنِ عبد الرحمن بنِ الحبابِ الأمويُّ، المعروف بابن مجبرٍ وُلِدَ في صِقِلِّيَةَ، سَنَةَ ٤٦٤ هـ (١٠٧١ - ١٠٧٢ م). وقد هاجرَ إلى مِصْرَ في مطلعِ حياتِه، سَنَةَ ٤٨١ هـ. وكانتْ وفاتُه قبلَ سَنَةِ ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م).

(١) عقيلة: زوجة كريمة (قصيدة).
(٢) الشعريان: الشعرى العبور والشعرى الغميصاء نجمان من القدر الكبير.
(٣) غرّاء: بيضاء (كريمة). الشحر (شاطىء في جنوب شبه جزيرة العرب).
(٤) البان: شجر أغصانه طويلة رشيقة وسمراء ملساء (لعلّه كناية عن المحبوبة) يتأوّد: يتمايل (سروراً وسعادة).
(٥) السرحة: الشجرة الطويلة الكبيرة (لعلّها أيضاً كناية عن المحبوبة). المريع: المخصب. جنابه: جانبه. تصيح (تعبّر عن سرورها أو عن حزنها؟).
(٦) الوجناء: الناقة.
(٧) المتهم: المقيم في تهامة (بالكسر: عند شاطىء البحر) والمنجد (الساكن في نجد: المكان العالي).

٢ - كان ابنُ مجبرٍ الصقِلّيُّ رجلَ جدٌّ كريمَ الخُلُقِ، وكانَ شاعراً فَحْلًا مُكثِراً. وشعرُه فصيحُ الألفاظ متينُ التركيب مَعَ سهولةٍ واضحةٍ. وفنونُ شعرِه المديحُ والغَزَلُ والوصفُ والأدَب (الحكمة). ويبدو أنّه كان قد أخَذَ نفسَهُ بنَظْمِ مَلحمةٍ « السيرة المصرية ».

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ مُجبرٍ الصقلّيُّ قصيدةً في مدحِ رجلٍ كريمٍ، منها:

امْـلأْ كؤوسَكَ بالمُـدامِ وهاتِها. ... إنّ الهَوى للنفسِ من لَذّاتها[1].
اِصْرِفْ عنِ المُشتاقِ صِرْفَ مُدامةٍ ... رَشْفُ الرُضابِ ألذُّ من رَشَفاتها[2].
وأحَـلُّ أشْرِبَـتي وأحلاها التي ... أمسَتْ ثُغورُ البِيضِ من كاساتهـا[3].
ومريضةِ الأجفانِ سامتْ في الهوى ... قَتْـلي فَهانَ عليَّ في مَرْضاتها[4].
ما زِلْتُ أصفَحُ في الهوى عن جُرمِها ... وأغُـضُّ في الإعراض عن هَفَواتها،
حتّـى تَوَهّمتُ الصدودَ زِيادةً ... في حُسْنها عِنـدي وفي حَسَناتها.
مـا خِلْتُ أن النفسَ ينكَدُ عيشُها ... حتّـى يكونَ الموتُ من شَهَواتها.
أستَوْدِعُ اللهَ القِبـابَ وأوْجُهـاً ... فيهـنّ كالأقمارِ في هالاتهـا[5]،
والوردُ يحسُدُ نَرْجِساً وبَنَفْسَجـاً ... في شُهْـلِ أعْيُنِها ولُعْسِ لِثاتها[6].
تلـك الرياضُ اللاءِ ما بَرِحتْ يدي ... تَجْـني ثِمارَ الوصلِ من وَجَناتها[7].

---

(١) المدام: الخمر.

(٢) الصرف: الخالصة (غير الممزوجة بماء). الرضاب: الريق ما دام في الفم.

(٣) الثغر: الفم. البيضاء: المرأة (الجميلة).

(٤) سام السلعة: عرضها للبيع وطلب فيها ثمناً. هان: سهل.

(٥) القباب جمع قبّة (بالضمّ): خيمة صغيرة أعلاها مستدير (تكون عادة للمرأة). الهالة: دائرة ترى أحياناً محيطة بالقمر أو الشمس أو السراج (يشبّه المرأة في القبّة كالقمر في وسط الهالة).

(٦) الورد (النبات الطبيعي) يحسد النرجس الذي يشبه عينيها (أو عينيها اللتين تشبهان النرجس). الشهلة (بالضمّ): أن يخالط بؤبؤ العين حمرة (أو صفرة). اللعس: السمرة. اللثة (بكسر ففتح بلا تشديد): اللحم الذي تنبت فيه الأسنان.

(٧) اللاء: اللائي، اللواتي، التي.

وَلَرُبَّ قافيــــةٍ شَرودٍ شَرَّدتْ نَوْمي فبِتُّ أجولُ في أَبْياتِها[١]،
حتّـى ورَدتُّ من التأسُّفِ بعدَها نـاراً دموعي الحُمْرُ من جَمَراتِها.
مـا زِلْتُ أَنْظِمُ طِيبَ ذِكْرِكَ عنبراً أرِجـاً خِلالَ الدُرِّ مِنْ كَلِماتِها[٢]،
حتّـى إذا نَشَرَ الصباحُ رِداءه عن مِثْـلِ نَفْحِ المِسْكِ من نَفَحاتِها،
وتمثّلـتْ عِقْداً تَوَدّ كواكبُ الـ ـجوزاءِ عُقْدَتَـه عـلى لَبّاتِها[٣]،
أعْدَدتُّهـا لِلِقـاء مَدْحِك سُبْحَةً أدعو بهـا لأنـالَ من بَرَكاتِهـا.
ومدائـحُ الكُرمـاءِ خيرُ وسيلةٍ شُفِعت بها الآمـالُ في حاجاتِها.
وأحَقُّهـا بالنُجْـحِ مدحُك إنّـه للنفس عنـدَ الله من قُرُباتِهـا[٤].
فاليومَ أنْثُرُهــا جواهرَ حِكمـةٍ عَقُمَتْ بِحارُ الشعرِ عن أَخَواتِها.
قسَماً بِمَنْ قَسَمَ الحُظوظَ فنِلْتَ أفْـ ـضَلَها ونال الناسُ من فَضَلاتِها،
وبنـى العُلى رُتَباً فكُنْتَ بفَضْلِه أَوْلى مَن اَسْتَوْلى عـلى غاياتِها[٥]،
لولا وُجودُكَ في الزمانِ وجُودُك الـ ـمُحْيي المكارمَ بَعْدَ بُعْدِ وَفاتِها[٦]،
لم يُعْرَفِ المعروفُ في الدنيا ولَوْ طُفْنـا عليـه في جميع جِهاتِها.

٤ - ★★ الخريدة (مصر) ٢: ٨٢ - ٨٩.

ابن بقيّ الأندلسي

١ - هو أبو بكرٍ يحيى بنُ أحمدَ (أو محمّد) بن عبدِ الرحمنِ بنِ بقيٍّ★[٧] القَيْسيُّ، القُرطُبيُّ الطُليطُليُّ الأندلسيّ. ومن المستغرب أنّ المعروفَ من تفاصيلِ حياته نَزْرٌ

(١) القافية الشرود: السائرة في البلاد. يقصد قصيدة بارعة جعل قوافيها متخيّرة موافقة لأبياتها.
(٢) أرج: طيّب الرائحة.
(٣) اللبّة: أعلى الصدر.
(٤) القربة: ما يتقرّب به الإنسان إلى غيره (في الأصل: إلى الله).
(٥) استولى على الغاية: سبق المتبارين.
(٦) جودك (كرمك). بَعْد بُعْد وفاتها (موت المكارم منذ زمن بعيد).
(٧) ابن بقيّ من أهل وادي آش (جنوبيّ الأندلس) ووفاته في وادي آش (صلة الصلة ١٧٤).

قليلٌ برُغْمِ شُهرته وتَقدُّمِه في تاريخ الأدب.

كان مولدُ ابنِ بقيٍّ (في طليطلة؟) في أواخرِ القَرْنِ الهِجْريّ الخامس (الحادي عَشَرَ للميلاد) قضى حياتَه في التَطْواف في الأندلس نفسِها وفي المغرب من غيرِ أن ينالَ خيراً إلى أن قرَّبَهُ يحيى بنُ عليٍّ بنِ القاسمِ من بني العَشْرةِ القُضاةِ في سَلا (قُربَ الرِباط - في المغرب) فنال عنده حُظوةً يبدو أنّها لم تَطُلْ فعادَ من المغرب غاضباً يائساً. ثمّ كانت وفاتُه في سَنَةَ ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م)، في روايةِ ياقوتٍ (معجم الأدباء ٢٠ : ٢١) وروايةِ ابنِ خِلِّكانَ (وفيات الأعيان ٦ : ٢٠٥). وقيل سَنَةَ ٥٤٥ هـ.

٢ - أبو بكرِ بن بَقيٍّ ناثر[١] وشاعرٌ مُجيدٌ ووشّاحٌ بارع صاحبُ موشّحاتٍ وقصيدٍ في مقاطعَ وقصائدَ طوالٍ. كانتْ فنونه المديحَ، أكْثَرَ من مديحِ يحيى بنِ عليٍّ ابن القاسم، والشَكْوى والغَزَلَ الرقيقَ والنسيب. ويبدو أنّه قد نُسِبَتْ إليه موشّحاتٌ لم تكن له، ولكنّ شُهرتَه دفعتِ الرُواةَ إلى ذلك. ومعَ أنّ ابنَ بقيٍّ كان ذا مكانةٍ ساميةٍ في التوشيح، فإنّ الأعمى التُطيليَّ كان أكثرَ توفيقاً منه في بعض الأحيان (راجع مقدّمة ابن خلدون ٥٨٤/ ١١٣٩ - ١١٤٠). وكان في مُوشّحاتِه «خَرَجات» (والخَرْجة نِهايةُ الموشّحة) رومانسية، أي باللغة الأعجمية لغةِ نَصارى الأندلس (راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٢٩).

٣ - مختارات من شعره:

- موشحة ابن بقيّ:

غَلَبَ الشوقُ بقلبي فٱشتكى ... أَلَمَ الوَجْدِ فَلَبَّتْ أدْمُعي.

* * *

أيُّها الناسُ، فُؤادي شَغِفُ؛
وهو مِنْ بَغْيِ الهوى لا يُنْصَفُ؛

(١) وهو ناثر أيضاً (صلة الصلة ١٧٤).

كم أُداريـــــــه ودَمْعي يَكِـــــــفُ؟

أيُّهـــا الشادنُ مَنْ علَّمكـــا بسِهام اللحظِ قَتْلَ السَّبُعِ[1]؟

★ ★ ★

بـــــدرُ تِمٍّ تحتَ ليْـــــلِ أغْطَشِ،

طالـــــعٌ في غُصْنِ بـــــانٍ مُنْتَشِ،

أهيـــفُ القـــدِّ بخـــدِّ أَرْقش.

ساحرُ الطرفِ، وكم ذا فَتَكـــا بقلوبِ الأُسْد بـين الأَضْلـع[2]!

★ ★ ★

أيُّ ريمٍ رُمْتَـــــه فٱجْتَنبـــــا،

وٱنثنـــــى يهتزّ مِنْ سُكْرِ الصِّبـــا

كقضيـــــبٍ هزّه ريـــحُ الصَبَـــا.

قلتُ: هبْ لي، يا حبيبي، وَصْلَكا وٱطَّرِحْ أسبـابَ هجرٍ ودَعِ[3].

★ ★ ★

قـــال: خَـــدّي زهرةٌ مُـــذْ فُوِّفـــا

جرَّدتْ عَينـــايَ سيفـــاً مُرْهَفـــا

حَـــذَراً منـــه بـــألاّ يُقْطَفـــا.

---

(١) الوجد: ألم الحبّ. شَغِفٌ (ليست في القاموس). المقصود « مشغوف »: مجنون (من الحبّ). البغي: الظلم. يكف: يهطل، ينسكب. الشادن: الغزال الصغير.

(٢) أغطش: ضعيف البصر. والشاعر يقصد ليل غاطش (تاج العروس - الكويت ١٧ : ٢٩٢): مظلم. منتش: سكران (يتأوّد: يتمايل مثل السكران). أهيف القدّ: نحيل معتدل القامة. أرقش: (فيه ألوان): أحمر (؟).

(٣) ريم: غزال أبيض. رام: طلب. ريح الصَّبا: ريح الشرق. يجب أن يقول: هزّته.

إنْ مَنْ رام جَنـاه هلَكـا فـأزِلْ عنـك عـلالَ الطمع[١].

* * *

ذاب قلـبي في هوى ظـبيٍ غَريرْ،
وجهُـه في الدَجْنِ صُبْـحٌ مستنـير،
وفُؤادي بـينَ كَفّيـه أسير.

لم أجِـدْ للصبر عنـه مَسْلكـا فٱنتصاري بٱنْسكابِ الأَدْمع[٢].

- شكوى مريرة من الدهر والناس في الوطن والغربة:

إلى الله أشكوهـا نوًى أَجنبيَّـةً لها من أبيها الدهرِ شيمةُ ظالمِ[٣].
إذا جاش صدرُ الأرض بي كنتُ مُنْجِداً وان لم يَجِشْ بي كنتُ بين التهـائم[٤].
أكـلُّ بني الآدابِ مثليَ ضائعٌ فأجعلَ ظُلمي أُسوةً في المظالم.
ستبكي قوافي الشعرِ ملءَ جفونِها عـلى عَرَبيٍّ ضاع بينَ أعاجم.

- وقال في النسيب:

بـأبي غزالٌ غازلَتْـهُ مُقلـتي بين العُذيب وبين شَطَّيْ بارقِ[٥]؛
وسألتُ منه زيارةً تَشْفي الجوى فأجابني فيها بوَعْدٍ صادقِ[٦].
بِتْنا ونحنُ من الدُجى في لُجّة، ومن النُجومِ الزُهْرِ تحتَ سُرادقِ[٧].

---

(١) التفويف: التلوين (كثرة الألوان). مرهف: رقيق (حادّ، قاطع). جناه = اجتناؤه: قَطْفه (تقبيله). علال (ليست في القاموس بالمعنى المقصود). الشاعر يقصد علالة (بالضمّ: ما يتلهّى الإنسان به) أو التعلّل: التأميل، الأمل.

(٢) الغرير (الصغير، القليل الاختبار). الدجن: الغيم.

(٣) نوى: بعاد، فراق. الأجنبية: الغريبة (البعيدة، في بلاد أجنبية؟). شيمة: خصلة.

(٤) جاش: تحرّك، اضطرب. جاش بي صدر الأرض: سرت في الأرض كثيراً. المنجِد: المرتقي إلى النجد (المكان المرتفع). التهائم جمع تهامة (بالفتح أو بالكسر): الأرض المنخفضة.

(٥) العذيب وبارق من أسماء الأماكن (ولا يقصد بها هنا مكاناً بعينه).

(٦) الجوى: ألم الحبّ.

(٧) الدجى (الظلام). اللجة: معظم الماء (في ظلام شديد). الزهر جمع أزهر وزهراء (أبيض، لامع). السرادق: كلّ ما أحاط بك (خيمة كبيرة ممتدّة: كانت النجوم كثيرة؟). بات: قضى الليل.

عاطَيْتُه، والليلُ يسحَبُ ذَيْلَه، صَهباءَ كالمسكِ الفَتيق لِناشقِ[١]؛
وضَمَمْتُه ضَمَّ الكَميّ لِسَيْفِه وذُؤابتاهُ حَمائلٌ في عاتقي[٢].
حتّى إذا مالتْ به سِنَةُ الكَرى زحزحتُه شيئاً وكان معانقي[٣]:
باعَدتُّه عن أضلُعٍ تشتاقُه كيلا ينامَ على وِساد خافق[٤]!

- وقال يتغزّل:

يا أَقتَلَ النّاسِ أَلحاظاً وأَطيبَهم
ريقاً، متى كان فيك الصابُ والعَسَلُ[٥]؟
في صَحْنِ خدِّك، وهوَ الشمسُ طالعةٌ، وَرْدٌ يزيدُك فيه الراحُ والخجل[٦].
إيمانُ حبِّك في قلبي تُجدِّدُه مِن خدّك الكُتْبُ أو من لحظك الرُسُل.
إنْ كنتَ تجهلُ أنّي عبدُ مَمْلَكَةٍ مُرْني لِمَا شئتَ آتيه وأَمتثلُ[٧].
لِو آطّلَعْتَ على قلبي وجدتَّ به مِنْ فِعْلِ عَيْنَيكَ جُرحاً ليسَ يَندَمِل.

٤-★★ قلائد العقيان ٣٢٢ - ٣٢٦؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢٣٦ - ٢٤٦، ٣: ٥٧٩؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٣٠ - ١٤٣؛ المطرب ١٩٨؛ المغرب ٢: ١٩ - ٢١، ٢٥؛ وفيات الأعيان ٦: ٢٠٢ - ٢٠٥؛ معجم الأدباء ٢٠: ٢١ - ٢٥؛ البيان المغرب ٢: ١٩٢؛ التكملة؛ (رقم ٢٠٤٢) صلة الصلة ١٧٤؛ جيش التوشيح ٢ - ١٥، راجع ٢٢٧ - ٢٣٠؛ نفح الطيب ١: ٤٧١ - ٤٧٣، ٣:

---

(١) عاطيته: شربت وإيّاه. والليل يسحب ذيله (طول الليل؟). صهباء: خمر حمراء اللون. الفتيق= المفتوق (من إناء فتح لأوّل مرّة). الناشق (يقصد المتنشّق والمستنشق: الذي يقصد أن يشمّ رائحة ما).
(٢) الكميّ: الكامل السلاح. ضمّ الكميّ لسيفه (حبّاً له ومحافظة عليه). الذؤابة: الضفيرة. حمالة (ملقاة على). العاتق ما بين العنق والكتف.
(٣) السنة (بالكسر): النعاس. الكرى: النوم.
(٤) وساد: مخدّة. وساد خافق (يقصد قلبه).
(٥) الصاب: شجر مرّ.
(٦) لون الراح (الخمر- الحمرة) ولون الخجل (الحمرة) أو طعم الخمر (عند شمّ الخدّ وتقبيله) ولون الخجل.
(٧) حقُّ «آتيه وأمتثل» الجزمُ (في جواب الأمر). ويستقيم الإعراب إذا قلنا: مرني، فما شئت آتيه وأمتثل (أطيع).

٢٠٨ - ٢٠٩، ٣٤٧ - ٣٤٨، ٤٠٤، ٤٣٩ - ٤٤٠، ٤٤٨، ٤: ١٣، ١٥٥، ٢٣٦ - ٢٤٠، ٧: ٦ - ٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٢٩؛ نيكل ٢٤١ - ٢٤٤؛ مختارات نيكل ١٦٣ - ١٦٥؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٨٨ (٨: ١٥٨).

ابن أبي الخِصال الغافقيّ

١ - هو ذو الوَزارتَيْنِ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ مسعودِ بنِ طيّبِ بنِ فرجِ بنِ خَلَصَةَ الشَقوريُّ المَعْروفُ بابنِ أبي الخِصالِ الغافقيِّ (نفح الطيب ١: ٢٩٤)، وأوْليّتُه من فَرَغليطَ، قُرْبَ شَقورةَ، وفيها كان مولدُه، سَنَةَ ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م)، وكانتْ نشأتُه أيضاً. ثمّ إنّ ابنَ أبي الخصال انتقلَ إلى قُرْطُبَةَ وسكنها.

وتردّد ابنُ أبي الخصالِ على أبي الحسنِ ابنِ مالكٍ اليَعْمُرِيِّ قاضي أُبّذة (راجع نفح الطيب ٣: ٥١٩ - ٥٢٠). ثمّ عُنيَ بالحديث فقرأ على أبي عليٍّ الحسينِ بن محمّدِ بن سُكّرة الصَدَفيّ (ت ٥١٤ هـ) بالمَريَّةِ صحيحَ مُسلمٍ وجامعَ التِرْمِذيّ ومُصنَّفَ أبي داوودَ وأكثرَ صحيحِ البُخاريّ.

وترقّى في مراتبِ الدولة فأصبحَ رئيسَ كُتّابِ الأندلس. وقد كان كاتباً لوالي غَرْناطةَ عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشَفينَ (قبلَ أن يَلِيَ عليُّ بنُ يوسُفَ السَلْطَنَةَ، سَنَةَ ٥٠٠ هـ).

ولـمّا قام السُلطانُ عليُّ بنُ يوسفَ بحملتهِ على طَلَبِيرة (غربَ طُلَيطُلَةَ) رافقه ابنُ أبي الخِصال. وسَكَنَ ابنُ أبي الخِصالِ مُدّةً في فاس.

ولـمّا اسْتَوْلى المَصامِدةُ (المُوحِّدون) على الأندلس ظلّ يحيى بنُ غانيةَ (آخرُ وُلاة المُرابطين على الأندلس) يُقاوِمُ جيوشَهم. واتّفق يوماً أن كان مُحمّدُ بنُ أبي الخِصال في باب بيتهِ في قُرْطُبَةَ فرأى الجُنود المَصامدةَ يهاجمون الناسَ ويقتُلون نفراً منهم. فجَعَل (ثِقةً بمكانتهِ العِلمية وحُبًّا بدفاعهِ عن الخُلُق والحَقّ والدين) ينصَحُ الجنودَ بالكَفِّ عن قتلِ الناس. فجاء الجندُ إليه وقتلوه، في ثاني عَشَرَ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٥٤٠ (١١٤٦/٥/٢٧ م).

٢ - كان محمّدُ بنُ أبي الخِصال مُتَفَنّناً في العلوم مُستبحراً في الآدابِ واللُّغاتِ (لغات العرب: لَهجات العرب) بارعاً في البلاغة أديباً مُترسِّلاً حتّى اشتهرَ بأنّه رئيسُ كُتّاب الأندلس في أيامه، وإن كانتْ عنايتُه الأولى مُتّجهةً إلى الحديث. وكذلك كان عالماً بالأخبار (التاريخ). ثمّ إنّه كان شاعراً يُحسنُ الارتجال، وكانتْ أكثرُ براعته في الوصف. غيرَ أنّه كان قليلَ الابتكار كما كان على شِعرِه شيءٌ من الجَفاف. ونَثرُه مُثْقَلٌ بالصِناعة.

وكان مُصنّفاً أيضاً له كُتُبٌ منها: مجموعُ ترسُّلٍ وشعرٍ في خمسةِ مجلّدات (معجم ابن الأبّار ١٤٤) - ظِلُّ الغَمامة (في مناقبِ الصَّحابة) - مِنهاج المناقب - مِنهاج العَشْرة (المُبَشَّرين بالجنّة؟) وعَمَّيِ الرسولِ (حَمزةَ والعبّاس؟).

٣ - مختارات من آثاره:

- كان لأبي عبدِ الله ابنِ أبي الخِصال أقوالٌ في الحِكمة منها (المغرب ٢: ٦٦ - ٦٧):

لولا الظلامُ ما سَطَعَ السِّراجُ ولولا الصبرُ ما نَفَعَ الإفراج - حقّ الأديبِ على الأديب حقُّ الوابلِ[1] على المكانِ الجَديب - أَعْفِ صديقَك من ريحِ العِتاب وإن كانَ نسياً.

- وقال في مُغَنٍّ زارَه بعدَ أن كان قد أغَبّ (انقطع عنه مدّة):

وافى وقد عَظُمَتْ عليّ ذنوبُه ... في غَيْبةٍ قَبُحت بها آثارُهُ.
فمحا إساءتَه بها إحسانُه، ... واستَغْفرت لِذُنوبهِ أوتارُه[2].

- وكتب الفتحُ بنُ خاقانَ إلى أبي عبدِ الله بنِ أبي الخِصال يطلُبُ منه نُخبةً من شِعره فردّ ابنُ أبي الخِصال برِسالة يعتذرُ فيها مِنْ ذلك، منها (قلائد العقيان).

---

(١) الوابل: المطر الكثير.
(٢) الأوتار جمع وتر (كناية عن العزف على الآلة الموسيقية): غناني غِناءً عذباً فنسيت هجرانه لي من قبل.

الحَذِرُ - أعزَّكَ اللهُ - يُؤتى مِنَ الثِقَةِ[١]، والحبيبُ يُؤذَى مِنَ المِقَةِ[٢]. وقد كنت أرْضى من وُدِّكَ، وهو الصحيحُ، بلَمْحة؛ وأقنع من ثنائِك، وهو المِسكُ، بنَفْحة. فما زِلْتَ تُعَرِّضني للامتحان وتطالِبُني بالبُرْهان، وتأخُذُني بالبيان، وأنا بنفسي أعلَمُ وعلى مِقداري أحْوَط وأحزَمُ[٣]. والمُعَيْدِيّ يُسمَعُ به لا أنْ يُرى[٤]، وإنْ وَرَدَتْ أخبارُه تَتْرى[٥]، فشخصه مُقْتَحَمٌ مُزْدَرًى[٦]. ولا سيّما من لا يُجَلّي ناطقاً ولا يُبرِّزُ سابقاً[٧]. فتَرْكُهُ والظنونُ تَرْجُمُه، والقالُ والقِيلُ يَقْسِمه[٨].... أَوْلى به من كشفِ القناع والتخلُّفِ عن منزلة الإمتاع[٩]. وفي الوقتِ فُرسانُ هذا الشان[١٠].... وقُطّانُ هذه المناهلِ وهُداةُ تلك المجاهل[١١]... وأنا أُنَزِّهُ ديوانَه النزيه[١٢] وتَوْجيهه الوجيهَ عن سَقَطٍ من المَتاع[١٣] قليلِ الإمتاع.....

- وقال في الخمر والنسيب:

وليلـــةٍ عَنْبريّـــةِ الأُفُـــقِ   رَوَيْتُ فيها السرورَ من طُرُق[١٤]؛

---

(١) الذي يحذر من الأشياء التي يشك فيها يُخدع أحياناً بالشيء الذي يثق به.

(٢) المقة: المحبة.

(٣) أنا على مقداري احوط (أكثر حذراً) من أن تنزل مكانتي عندك.

(٤) تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه مثل يضرب لمن كانت حقيقته أقلّ من ظاهره.

(٥) تترى: متوالية.

(٦) مقتحم: تقتحمه العين (لا تكبره إذا رأته). مزدرى: محتقر.

(٧) جلى الفرس: سبق (إذا نطقت أنا لم أحسن الكلام مثل أصحابي). برّز الفرس: سبق. وبرّز الرجل: فاق أصحابه في الفضل.

(٨) إذا تركت صاحبك ورأي الناس فيه مختلف بين الإجادة والإساءة خير من أن تكشفه فتثبت إساءته.

(٩) امتع الشيء: سرّ.

(١٠) وفي (هذا) الوقت (الذي نحن فيه) فرسان (بارعون). هذا الشأن (الشعر).

(١١) القاطن الساكن. الهادي: الدليل. المجهل: الأرض لا معالم (علامات) فيها. - هنالك من هو أبرع مني في ذلك.

(١٢) أنزّهه: أجلّه أبعده عن العيب. ديوانه (كتاب القلائد للفتح بن خاقان). النزيه (الذي لا مطعن فيه).

(١٣) توجيهه: اتجاهه (خطة، طريقة). الوجيه: السيد في قومه (الصحيح الاتّجاه). سقط المتاع: الأشياء الرديئة.

(١٤) عنبريّة: سوداء (كثيرة الغيم). رويت فيها السرور من طرق: تمتّعت بأنواع مختلفة من اللهو.

وافـت بنـا عاطـلاً وقـد لَبِسَتْ غُلالـةً فُصِّلَـتْ من الحَـدَق[١] .
فاجا بها الدهرُ مِنْ بَنِيه دُجًى بِفِتْيـةٍ كالصَبـاح في نَسَق[٢] .
قامـتْ لنـا في المَقـام أوْجُهُهُمْ وراحُهُمْ بالنجوم والشفـق[٣] ؛
وأطْلَـعَ البَـدرَ من ذُرى غُصُنٍ تهفو عليـه القلوب كالوُرُق[٤] .
من عبدِ شمسٍ بدا سَناه، وهل ذا البـدرُ إلّا لذلك الأُفـق[٥] !
مَـدَّ بحمراءَ من مُدامَتِـهِ بيضاءَ كفٍ مِسْكيّةِ العَبَق[٦] .
يشرَبُ في الراحِ حين يشرَبُها ما غادرتْ مُقْلتاه من رَمَقي[٧] .

٤ - ★★ قلائد العقيان ١٩٩ - ٢٠٦ ؛ المعجم لابن الأبار ١٤٤ - ١٤٩ ؛ المغرب ٢ : ٦٦ - ٦٧ ؛ المطرب ١٨٧ ؛ بغية الملتمس ١٢١ (رقم ٢٨٢)؛ الخريدة (الاندلس) ٢ : ٤٥٩ - ٤٦٤ (راجع ٤٦٥ - ٤٧٧) الإحاطة (القاهرة) ٢ : ٢٦٤ - ٢٧٥ ؛ المعجب ١٢٤ - ١٢٧ ؛ بغية الوعاة ١٠٤ ؛ بروكلمن ١ : ٤٥٤ - ٤٥٥ ، الملحق ٦٢٩ ؛ نيكل ٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ مختارات نيكل ١٧٣ ، ١٧٩ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٣١٦ (٩٥ - ٩٦)؛ بالنثيا ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٧٠ .

رفيع الدولة الصُّمادحي

١ - هو الحاجبُ رفيعُ الدولةِ أبو زكريّا يحيى بنُ محمّدٍ المُعتصمِ (ت ٤٨٤ هـ) بنِ

---

(١) وافت بنا (وصلت تلك الليلة بنا) عاطلا (إلى امرأة جميلة لا تلبس حليًا لأنّ جمالها يغنيها عن لبس الحليّ). غلالة: ثوب رقيق. غلالة فُصّلت من الحدق (هي عارية، ولكنّ العيون تنظر إليها من كلّ جانب حتّى كأنّ تلك العيون ثوب لها).

(٢) فاجأ الدهر هذه المرأة الجميلة بفتيان كالصباح (شبّان لهم جمال) في نسق (متّفقين في الرأي الخ).

(٣) أوجههم كالنجوم (من جمالها) والراح (الخمر) كالشفق (حمراء اللون).

(٤) وهذا الدهر جاء لنا في تلك الليلة بغلام جميل من ذرى غصن (رشيق القوام كالغصن). تهفو...: تسقط الورقاء (الحمامة) على الغصن.

(٥) هو أمويّ من بني عبد شمس. ومثل هذا الغلام الجميل لا يكون إلّا من بني أميّة.

(٦) جعل هذا الغلام يسقينا الخمر، فيمدّ إلينا يده البيضاء بالخمر الحمراء.

(٧) الخمر ذهبت بأكثر نشاطي ووعيي ثمّ ذهبت عيناه الناظرتان إليّ ما بقي من ذلك.

مَعْنِ (ت ٤٤٣ هـ) بنِ صُمادِحٍ. يبدو أن مَوْلِدَه كان نحو ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م)، إذ كان أبوه المعتصمُ قد جعَله حاجباً له (رئيساً للوُزراء)، كما كان قد أصبحَ وله مكانةٌ سِياسيةٌ وآجتماعيةٌ وأدبية: كان صديقاً للشاعرِ يحيى بن مَطروحٍ، وكانت بينَه وبينَ الشاعر ابنِ اللبَّانةِ (ت ٥٠٧ هـ) مكاتبةٌ (نفح الطيب ٧: ٤٢). ومَدَحه آبنُ الفرّاءِ الأخفشُ بنُ مَيْمونٍ ومدحه أيضاً الشاعرُ المنْفَتِلُ (نفح الطيب ٣: ٣٨٧ - ٣٨٨).

ولـمّا آستَوْلى المرابطون على الأندلُسِ وخَلَعوا ملوكَ الطوائف (٤٨٤ هـ) كان رفيعُ الدولة لا يزالُ في عُنفُوانِ شبابه فوَصَل يدَه بيدِ المُرابطين. ثمّ لـمّا حاصرَ المُوحِّدون تِلمْسانَ (في الجزائر اليومَ)، سَنَةَ ٥٣٩، كان رفيعُ الدولة عالِيَ المكانةِ عند واليها المُرابِطيِّ أبي بكر ابن القائدِ مَزْدَلي بنِ سَلَنْكانَ. وكان لا يزالُ فيه يومَذاك بقيّةٌ من قوّةٍ وجَلَدٍ فجعله ابن مزدلي مُقدّماً على بُنيانِ سور الرَبَض (؟).

وكان برفيعِ الدولة عِلّةُ الحَصى (نفح ٣: ٣٧٠). وقد أَسَنَّ كثيراً (الحُلّة ٢: ٩٢) وعاش إلى آخرِ دولةِ المُرابطين (الحلّة ٢: ١٩٢) التي انتهتْ مُدَّتُها سَنَةَ ٥٤١ هـ (١١٤٦ م).

٢ - كان رفيعُ الدولةِ ناثراً وشاعراً وُجدانيًّا ذا بديهةٍ. وله نَظْمٌ رائق (نفح ٣: ٣٦٩). ولم يكن في بني صُمادِحٍ أشعرُ منه، إلّا أنّ الخمولَ أخْنى على مَحاسنِه، إذ كان مُنْهَمِكاً في ملاذِّ الدنيا من خمرٍ ولهو وما يتبعُها.

وكان رفيعُ الدولةِ فصيحَ الألفاظ سهلَ التراكيبِ ولكن رُبّما مرّ خطأٌ في أبياته (دِيارُهُمُ «التي» ذَكَّرْنَني). وأكثرُ شعرِه جارٍ على الجَزالة في اللفظ والمتانة في التركيب، ولكنّ المُبْتَكَر من المعاني عنده نادر. وشِعْرُه الذي وصلَ إلينا مُقَطَّعاتٌ قِصارٌ في النسيبِ والخمر والأدب. وربّما أطال.

٣ - مختارات من آثاره:

- قيلَ يوماً لرفيعِ الدولة: لا تَقْرَبْ هذا اللعينَ (آبنَ الفرّاءِ الأَخفشَ بنَ مَيْمونٍ) لأنّه مدَحَ الوزيرَ اليهوديَّ ابنَ النغريلَةِ ثمّ رثاه بعدَ موتهِ. فردّ رفيعُ الدولة على القائل بما يلي:

هذا، والله، هُوَ الحُرُّ الذي يجب أن يُصْطَنَعَ، فلولا وفاؤه ما بكى كافراً بعدَ موتِه. وقد وَجَدْنا في أصحابِنا من لا يَرْعى مُسْلِماً في حياتِه.

- لرفيع الدولة مقطّعاتٌ في أغراضٍ مختلفةٍ، منها:

سَطا ظَبْيُ الخَميلةِ يا لَقَوْمي!- على أسدِ العَرينةِ واستطالا[١].
فأوْتَرَ قَوْسَ حاجبِهِ آختيالاً، وفَوّقَ من لواحِظِهِ نِبالا[٢].

★ وأهيفَ لا يَلْوي على عَتْبِ عاتبٍ ويَقْضي علينا بالظُّنونِ الكواذبِ[٣].
يُحَكِّمُ فينا أمرَه فنُطيعُه ونَحْسُبُ منه الحكمَ ضربةَ لازبِ[٤].

★ ما لي وللبدرِ لم يَسْمَحْ بزَوْرتِهِ؛ لعلّه تَرَكَ الإجمالَ أو هَجَرا[٥].
إن كان ذاك لذنبٍ ما شَعَرتُ به، فأكْرَمُ الناسِ من يعفو إذا قَدَرا.

★ هذي دِيارُهُمُ التي ذَكَّرْنَني عهدَ الصِبا وحديثَه المَعْسولا.
ما كان أجملَ عهدَهُم وفِعالَهم، لو كان فِعْلُك، يا زمانُ، جميلا.

★ إذا ما الأمرُ أخْفَقَ فيه سَعْيٌ وضاقَ مَرامُه عن كلِّ بابٍ[٦]،
فلا تَقْنَطْ، فإنّ اللهَ يأتي بفَتْحٍ لم يكنْ لكَ في حِساب.

★ أبا العلاءِ، كؤوسُ الراحِ مُتْرَعَةٌ، وللنَدامى سُرورٌ في تَعاطيها.
وللغُصونِ تَثَنٍّ فَوْقَها طَرَباً، وللحَمائِمِ سَجْعٌ في أعاليها.
فاْشْرَبْ على النهرِ من صَهباءَ صافيةٍ كأنّما عُصِرَتْ من خَدِّ ساقيها[٧].

★ باكِرْ إلى القَصْفِ، أبا عامرٍ، فإنّما نُجْحُ الفَتى في البُكَرْ[٨]،

---

(١) سطا: اعتدى، قهر. الخميلة: الشجر المجتمع الكثير الملتفّ. العرينة (العرين: مأوى الأسد). استطال: اعتدى.
(٢) فوّق السهم: وضعه في الوتر (ليطلقه).
(٣) الأهيف: النحيل الخصر (الرشيق). ألوى: التفت(اهتمّ).
(٤) ضربة لازب: ضرورة (لا بدّ منه).
(٥) الإجمال: حسن الصنيع (ترك الإساءة، المداراة).
(٦) أخفق: خاب. المرام: الطلب (الوصول).
(٧) صهباء: خمر حمراء. صافية (رائقة لأنّها عتيقة).
(٨) القصف: اللهو.

من قبلِ أن يمسحَ كَفُّ الصَّبا دَمْعَ الغَوادي من خُدودِ الزَهَر[1].

- استأذَنَ رفيعُ الدولة يوماً على أحدِ وُجوهِ دولةِ المُرابطين فقال أحدُ جُلسائِه: «تِلْكَ أُمَّةٌ قد خَلَتْ» (٢ : سورة البقرة ١٣٤ ، ١٤١) استِحْقاراً له واستثقالاً للإذْنِ له (يَقْصِدُ أنّ مكانةَ بني صُمادِحٍ قد زالتْ مَعَ زوالِ دَوْلَتِهم). وبَلَغَ الخَبَرُ إلى رفيعِ الدولة فكَتَبَ إلى الوجيهِ المُرابطي بهذه الأبياتِ (وهي من النَمَط العالي):

خَلَتْ أُمّتي، لكنّ ذاتِيَ لم تَخْلُ. وفي الفَرْعِ ما يُغني إذا ذهب الأصلُ.
وما ضرَّكُمْ لو قُلْتُمُ قَوْلَ ماجدٍ يكونُ له، فيما يجيءُ به، الفضلُ.
وكُلُّ إناءٍ بالذي فيه راشحٌ، وهلْ يمنحُ الزُنبورُ ما مَجَّهُ النَحْلُ.
سأصْرِفُ وَجْهي عن جنابٍ تَحِلُّه، ولو لم تكُنْ إلّا إلى وَجْهِكَ السُبْلُ.
فما مَوْضِعٌ تحتلُّه بمُرَفَّعٍ، ولا يُرتضى فيه مَقالٌ ولا فِعْلُ[2].
وقد كُنتُ ذا عذلٍ لَعَلّكَ تَرْعوي، ولكنْ بأرباب العلا يجملُ العَذْلُ[3].

- وكتَبَ إلى الشاعرِ أبي زكريا يحيى بنِ مَطْروحٍ ، وكان يُنادِمُهُ، يَسْتَدْعِيه إلى مجلِسِ شرابٍ بالأبيات التالية:

يا أخي بلْ سَيّدي بل سَنَدي في مُهمّات الزمان الأنْكَدِ،
لُحْ بأُفْقٍ غاب عنه بدْرُه في اختفاءٍ من عُيونِ الحُسَّدِ[4].
وتَعَجَّلْ فحَبيبي حاضرٌ وفَمي ساقٍ وكأسي في يَدي[5]!

٤ - ★★ المغرب ٢ : ١٩٩ - ٢٠٠ ؛ الحلّة السيراء ٢ : ٩٢ - ٩٦ ، ١٩٢ ؛ نفح الطيب ٣ : ٣٦٩ - ٣٧٠ ، ٣٨٧ - ٣٨٨ ، ٧ : ٤٢ - ٤٣ ؛ نيكل ١٨٥ - ١٨٦ .

(١) قبل أن تجفّف ريح (النهار) الندى. الغادية (السحابة الآتية صباحاً).
(٢) المكانة التي تكون ساقطة لا يمكن أن يكون فيها عمل صالح ولا قول صالح.
(٣) كنت أودّ أن أعذلك (ألومك وأنصحك) لو ترعوي (لو كان بالإمكان أن ترجع عن غيّك). ولكن اللوم (والنصح) ينفع في خيار الناس فقط.
(٤) تعال إلينا بعد أن غبت عنّا، ولكن في ستر كيلا يراك الحاسدون لنا فيمنعوك من الوصول إلينا.
(٥) وفمي ساق (يسقي الخمر؟).

أبو محمّد بن عطيّة

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ الحقِّ بنُ غالبِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ غالبِ بنِ تمّام بنِ عبد الرؤوف بنِ تمّام بنِ عبد الله بنِ تمّام بنِ عطيّةَ بنِ خالدِ بنِ عطيّةَ المحاربيُّ، وُلِدَ في غَرناطةَ سَنَةَ ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م).

بدأ أبو محمّدِ بنِ عطيّةَ تَلقّي العِلم على أبيه غالبٍ (٤٤١ - ٥١٨ هـ)، وسَمِعَ من أبي عليٍّ الغسّاني، في غَرناطةَ، سَنَةَ ٤٩٥ هـ، أدباً وشعراً، ومن أبي عليّ الصدَفيّ (ت ٥١٤ هـ) في مُرْسِيَةَ ومن ابن عَتّابٍ وابنِ بحرٍ الأسديّ، وكان له اختصاصٌ بأبي الحسن بنِ الباذِشِ النحوي (ت ٥٢٨ هـ).

وكان أبو محمّدِ بنِ عطيّةَ يُكثِرُ الذهابَ إلى الغَزَوات مَعَ أُمراءِ المرابطين. وقد تولّى القضاءَ في المَرِيَّةِ، في المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٥٢٩ (خريف ١١٣٤ م). وفي آخرِ أيامه ذَهَبَ إلى مُرسيةَ لتولّي القضاءِ فيها فلم يَتَمكّنْ من دُخولها فرَجَعَ إلى لورقة. وهنالك تُوُفِّي في مُنْتَصَفِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٤١ (١١٤٧/٢/١٩ م) في الأغلب.

٢ - كان أبو محمّدِ بنُ عَطيّةَ عالماً في تفسيرِ القُرآن حافظاً للحديث وفقيهاً له المُحَرَّرُ الوجيزُ في تفسيرِ الكتاب العزيز (عشر مجلّدات) - برنامجٌ (فِهرِسَةٌ بأسماء شيوخِهِ). ثمّ هو شاعر مجيد.

٣ - **مختارات من شعره:**

- قال أبو محمّد بن عطيّة في قرطبة (نفح الطيب ١ : ٦١٦، راجع ١٥٣):

بأرْبَعٍ فاقتِ الأمصارَ قُرطبةٌ ... منهنّ قَنْطَرةُ الوادي وجامِعُها[1].
هاتـان ثِنْتـانِ، والزهراءُ ثالثةٌ. ... والعلمُ أعظمُ شيءٍ وهو رابعها[2].

- وقال في وداع أهل قرطبة (نفح الطيب ١ : ٦١٥ - ٦١٦):

---

(١) القنطرة: الجسر. الوادي: الوادي الكبير (نهر قرطبة).
(٢) الزهراء: مدينة بناها عبد الرحمن الناصر قرب قرطبة واتّخذها بلاطا.

أسْتَوْدِعُ اللهَ أهـــلَ قرطبـــةٍ حيثُ عَهِدتُّ الحياءَ والكَرَما؛
والجامـــعَ الأعظمَ العتيـــقَ ولا زالَ مَدى الدهرِ مأمناً حَرَما.

- وقال يَصِفُ النَرْجِسَ:

نرجسٌ باكرتُ منه رَوْضَةً لَـذّ قَطْعُ الدهرِ فيها وعَذُبْ،
حثّـتِ الريـحُ بهـا خَمْرَ حَياً رَقَـصَ النَبْتُ لها ثمّ شَرِب[1].
فغـــداً يُسْفِرُ عن وَجْنَتِـــهِ نَورُهُ الغَـضُّ ويَهْتزُّ طَرَبْ[2].
خِلْـتُ لَمْعَ الشمسِ في مَشْرِقه لَهَـبٌ يجمُـدُ منـه في لهب[3]،
وبيـــاضَ الطَـــلّ في صُفْرتـــه نُقَطَ الفِضّة في خَطّ الذهب[4].

- وقال يذمّ أهل الزمان:

داءُ الزمـــانِ وأهلـــهِ داءٌ يَعِزُّ لـــه العِـــلاجُ[5].
أطْلَعْـــتُ في ظَلْمائـــه وُدًّا كما سَطَـــعَ السِراجُ[6]
لِصَحابـــةٍ أعْيـــا ثِقـــا في من قَناتِهِمُ اعْوِجـــاجُ[7].
أخلاقُهم مـــاءٌ صفـــا مرأى، ومَطْعَمُهم أُجـــاجُ[8]:
كالـــدرّ مـــا لم تَخْتَبِرْ، فـإذا اختـبرتَ فهمُ زُجـاجُ!

---

(١) الحيا: المطر. يشبّه الشاعر المطر بالخمر، ولذلك جعل النبات بعد هذا المطر يرقص.

(٢) أسفر: كشف. أخذ النور (بفتح النون: الزهر) بعد هذا المطر يتفتّح (تنكشف أوراقه الخضر عن بتلاته الملوّنة).

(٣) خلت (ظننت) أن نور (بضمّ النون) الشمس لهب سائل يشرق على هذه الجنينة فيصبح فيها لهباً جامداً (زهرا).

(٤) ثمّ ظننت أن نقط الطلّ (ماء الندى) على تلك الأزهار نقط من الفضّة (البيضاء) فوق كلمات مكتوبة بالذهب.

(٥) يعزّ: يصعب.

(٦) - منحت أهل هذا الزمان المملوء بالعداوة ودًّا (صداقة ومحبّة) بيضاء كنور السراج.

(٧) الثقاف والتثقيف: التقويم. القناة: القصبة (السلوك والأخلاق). أعيا: أتعب. - استحال عليّ تقويم أهل هذا الزمان.

(٨) أجاج: شديد الملوحة حتّى أصبح مرًّا.

- وله من رسالةٍ يَصِفُ فيها نُزولَ الإفرنج حول سَرَقُسْطَةَ مُحاولين الاستيلاء عليها:

.... فإنّ الأميرَ الأجلَّ أبا عبدِ الله بنَ مَرْدَلى - أيّدهُ اللهُ - أضاقَ بضَبْطِ الطُرُقِ وقَطْعَ المتصرّفين ذَرْعَهُمْ[١] وعَجّز بنَصْبِ حبائلِ الحِيلِ لمن شَدّ أو فَرّ وُسْعَهم[٢]. فإنّه - دام أمرُه - أطلَّ إطلالَ الفَجْرِ على الظَلام وأخذ هنالك بضِبْعِ الإسلام[٣]، وأقام مرّةً كالحيّةِ النَضْناضِ وطَوْراً كالأسد القَضْقاض[٤]، يُسَرِّبُ إلى محلّتهم مَنْ يُضْرِمُ نارَ الحرب في أكْنافِها ويأتي أرضَهم يَنْقُصُها من أطرافها[٥]. ولولاه ما علا هنالك للإسلامِ اسمٌ ولا عادَ للمدافعة رسمٌ ولا لاح للمكافحة وسمٌ[٦] ولا عنّ لتلك العلل المُجْهِزَةِ على تلك الأقطار جسمٌ.......

٤- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تفسير ابن عطيّة (تحقيق الطاهر الفاسي وأحمد بن شقرون....)

★★ قلائد العقيان ٢٣٩ - ٢٤٧؛ بغية الملتمس ٣٧٦ - ٣٧٧ (رقم ١١٠٢)؛ معجم ابن الأبّار ٢٥٩ - ٢٦٢ (رقم ٣٤٠)؛ المغرب ٢: ١١٧ - ١١٨؛ المطرب ٩١ - ٩٢؛ قضاة الأندلس ١٠٩؛ الديباج المذهب ١٧٤ - ١٧٥؛ تحفة القادم ٣٠؛ وفيات ابن قنفذ ٢٧٩؛ بغية الوعاة ٢٩٥؛ نفح الطيب ١: ١٥٣، ٦١٥ - ٦١٦، ٦٧٩ - ٦٨٠، ٣: ١٧٩؛ بروكلمن ١: ٥٢٥، الملحق ١: ٧٣٢؛ نيكل ٢٦٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٥٣ (٣: ٢٨٢)؛ الخريدة (الاندلس) ٢: ٥٢٩ - ٥٤٠.

---

(١) ... أضاق (ضيّق) ذرع (قوّة، قدرة) لـمّا ضبط الطرق (سيطر عليها) وقطع المتصرّفين (المستبدّين) بها....

(٢) شدّ: هجم. فرّ: هرب. ونصب الحيل لهؤلاء حتّى عجز الموجودون عن الهرب وعجز الثائرون الجدد عن الهجوم. الوسع: القدرة.

(٣) الضبع: العضد، جانب الجسم. أخذ فلان بضبع فلان: ساعده وأنهضه.

(٤) النضناض: الحيّة تخرج لسانها وتحرّكه يميناً وشمالاً (احتيالاً للدغ). القضقاض: الأسد يأخذ الفريسة بفمه فيكسّر عظامها بين أضراسه.

(٥) يسرّب: يبعث جماعة بعد جماعة. الأكناف: الأطراف. ينقصها من أطرافها: يستولي على قطع منها من جوانبها البعيدة.

(٦) رسم: تنظيم، خطّة. وسم: علامة (ما كان يشعر أحد أن هنالك مكافحة، قتالا).

المخزومي الأعمى الغرناطيّ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدٌ الأعمى المَخزوميُّ الغَرْناطيّ، أصلُه من حُصْنِ المُدوّرِ (شَمالَ شَرقيّ قُرطبةَ) تَنَقّلَ في عددٍ من مدنِ الأندلس كقُرطبةَ وطُلَيْطُلة وغَرْناطةَ. وطال مُكْثه في غَرناطةَ حتّى لُقِّبَ «الغَرْناطيّ». وكان يَطوفُ يتكسّبُ بالشِعر. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٤١ (١١٤٦ - ١١٤٧ م).

٢ - كان المخزوميُّ الأعمى رجلًا ذكيًّا فَطِناً سريعَ الجوابِ وشاعراً مطبوعاً مشهوراً مُقْتَدِراً في النظم. ولقد غَلَبَ عليه الهِجاء فكان فيه مُقْذِعاً مُوجِعاً شديدَ القِحَة والشَرَهِ مُغيراً على الأعراض غيرَ مُراعٍ للحُرمات فكان الأشرافُ يُدارونه. وله مَدْحٌ ضَعيفٌ وغزَلٌ قليلٌ ضَعيفٌ. أمّا أسلوبُه فمتين السبكِ عالي النَفَسِ من نَجْرِ الشِعر القديم، ولكنّه يُصَرِّفُ ذلك الأسلوبَ الفَخْم في الهجاء:

ألا فاعْلَموا أنّي لكم غيرُ صابرٍ ... على لُؤمِكُمْ أُخرى الليالي الغوابرِ[1].
فعوجوا، بني اللَخْناء، نحوَ هِجائكم ... إلى لَعْنةٍ تُزْري بمَنْ في المقابرِ[2].
رأيْتُكُمُ لا تَتّقون مَذَمَّةً، ... ولا عِندَكم مِنْ هِزّةٍ نحوَ شاكرِ[3].
فأيْنَ الأُلى كانوا إذا جاء ناظمٌ ... تَلَقَّتْهُ منهم بالنَدى كَفُّ ناثرِ[4]!
سلامٌ عليهم كُلّما ارْتَحْتُ نَحْوَهم، ... فلا أثرٌ من بَعْدِهِمْ للمآثرِ.
أُعَيِّرُكم جُهْدي بكلِّ قَبيحةٍ، ... وما لَكُمُ من يَقْظَةٍ بالمعايرِ[5]!

٣ - مختارات من آثاره:

- قال المخزوميُّ الأعمى يمدَحُ عليَّ بنَ أَضحى قاضيَ غَرناطةَ ثمّ يَسْتَطْرِدُ إلى هِجاء

(١) أخرى الليالي (التي أصبحت كثيرة: لها أوائل وأواخر) الغابرة: الماضية.
(٢) عاج مال، اتّجه. (خذوا منّي هجاءً لكم). اللخناء: المرأة التي يكثر النتن في جسمها. تزري: تعيب من في المقابر (تصل إلى أجدادكم).
(٣) تتّقون: تخافون، تدفعون. الهزّة: نشاط، طرب (يهتزّ منه الجسم فرحاً).
(٤) الألى: الأوّلون، القدماء، الذين هلكوا. ناظم: شاعر. الندى: الكرم. ناثر (للمال).
(٥) المعاير (المعايب، نسبة المعاير إليكم) لا توقظكم (لا تؤثّر فيكم).

« فلانٍ »:

عَجَبــاً للزمــان يطلُــبُ ثــأري ومَلاذي منه عَليٌّ بنُ أضحى(.)
الأبيُّ الــذي يَمُــدُّ من البــأ سِ إباه إلى السِماكَيْنِ(١) رُمْحا.
جاره قد سما على النَطْحِ عِزّا: ليس يَخشى من طالب الثأر نَطْحا(٢).
فكأنّي عَلَوْتُ قَرْنَ فُــــلانٍ؛ أيُّ تَيْسٍ مُطَوَّلُ القَرْنِ ألْحى(٣)!

فقال له عليُّ بن أضحى: يا أبا بكر، هلّا اقْتَصَرْتَ على ما أنتَ بسبيلهِ؟ فكم تَقَعُ في الناس(٤)! فقال: أنَا أعمى، وهُمْ لا يَبْرَحونَ حَفْراً(٥)! فقال (ابنُ أضحى): واللهِ، لا كنتُ لكَ حُفْرةً أبداً. وجَعَلَ يُوالي يَدَهُ عليه (يُحْسِن إليه).

- وقال يهجو بني سعيد (مُؤلّفي كتاب « المُغْرب ») في حديثٍ طويلٍ:

★★ لا تَرْجُوَنَّ بــني سعيدٍ للنــدَى، فالظــلُّ أفْيَــدُ مِنْهُمُ للسائــلِ(٦).
فلقــد مَرَرْتُ عــلى مَنازِلِهِمْ فما أَبْصَرْتُ منها غيرَ بُعْدِ مَنازلِ(٧).
قوم مُصيبَتُهُمْ بطَلْعــةِ وافــدٍ، وسُرورُهم أبداً بخَيْبة راحل(٨).
★★ أبني سعيدٍ، قد شَقِيتُ بقُرْبِكُمْ فَلْتَتْرُكُنِّي حيــثُ شِئتُ أسيرُ(٩)

(.) الملاذ: الملجأ.

(١) الأبيّ: المترفّع عن الأفعال التي لا تليق. البأس: القوّة والشدّة. إباؤه يمدّ للسماكين رمحا. السماكان صورتان للنجوم: إحداهما السماك الرامح (يحمل رمحاً) والثانية منهما السماك الأعزل (بلا رمح).- الممدوح يغلب بإبائه السماكين.

(٢) جاره: ضيفه، المستجير به (الشاعر يقصد نفسه).- لاحظ أن الشاعر يستعمل كلمة « النطح » هنا لأنّه قد ألف ألفاظ الهجاء.

(٣) في هذا البيت استطراد (خروج من المعنى المقصود) إلى هجاء فلان (ولم يكن الهجاء من مقصد الشاعر). ألحى: ذو لحية.

(٤) ما أنت بسبيله (ما تقصده من المدح). وقع في الناس: قال فيهم قولاً قبيحاً.

(٥) لا يبرحون حفرا: مستمرّون في محاولة الإضرار بي.

(٦) - الظل يدفع أذى الحرّ عن اللاجىء إليه، على الأقلّ.

(٧) ... غير أنّ منازلهم بعيدة (يأتي إليهم الإنسان من مكان بعيد ثمّ لا يحصل منهم على شيء).

(٨) الوافد: القادم (طلباً للعطاء).

(٩) في الأصل: فلتتركوني (والأمر بنون التوكيد هنا أجرى مع متانة الأسلوب).

أُفني المدائحَ فِيكُمُ: لا وعدُكم يُقضى، وقلبي في المِطال أسيرُ[1].
أعْطَيْتُمُ نَزْراً على طُول المَدى، ويقولُ وَغْدٌ: إنّه لَكثيرُ[2].
ولشدَّ ما عَرَّضْتُموني للعَنا: فَرَسٌ عتيقٌ عاشَرَتْهُ حَميرُ[3].
فإذا صَهَلْتُ غدا النُّهاقُ مُجاوبي. يارَبِّ، أنتَ على الخَلاصِ قديرُ[4]!

– ومن هجائه المُقذِعِ (مِمّا سُتِرَتْ مَعانيه):

★★ زَنْجِيُّكُمْ بالفُسوق داري يُدلي من الحِرْص كالحمارِ
يخلو بنَجْلِ الوزيرِ سِرًّا فيُولِجُ الليلَ في النهار.
★★ ألا قُلْ لِنَزْهونَ[5]: ما لَها تَجُرُّ من التِيهِ أذْيالَها؟
ولو أبْصَرَتْ فَيْشَةً شَمّرتْ – كما عَوّدَتْني – سِرْبالَها!
★★ يا فارسَ الخيلِ، ولا فارسٌ إلّا على مَتْنِ جَوادِ الخِصى.
زِدتَّ على موسى وآياتِهِ: تُفَجِّرُ الماءَ وتُخْفي العَصا!

٤ – ★★ المغرب ١ : ٢٢٣ – ٢٢٧ ؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ١٥٤ – ١٥٥ ، ٦٦٨ ؛ الإحاطة ١ : ٤٣٢ – ٤٣٥ ؛ نفح الطيب ١ : ١٥٥ ، ١٩٠ – ١٩٣ ، ٢٩٠ ، ٣ : ٢٠٥ ؛ زاد المسافر ٧٥ (١١٧).

ابن بسّام الشنتريني

١ – هُوَ أبو الحسنِ عليُّ بنُ بسّامٍ الشَنْتريني، نِسْبَةً إلى شَنْتَرينَ على نهر تاجُه، قريباً من مَصبّهِ، في غَربيِّ الأندلس (البرتغال اليوم).

وُلِدَ ابنُ بسّامٍ في شنترين، في الأغلبِ، بُعَيْدَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) في أسرةٍ غنيّةٍ وجيهة. وفي سَنَة ٤٧٧ هـ انحدر إلى أشْبونَةَ (لشبونة) ثمّ إنّه انتقل إلى قُرطُبَةَ، سَنَة

(١) المطال: التلكؤ في الوفاء بالوعد.
(٢) النزر: القليل.
(٣) العناء: التعب. العتيق: الأصيل.
(٤) الصهيل: صوت الخيل. النهاق والنهيق: صوت الحمير.
(٥) نزهون شاعرة ماجنة كانت تهاجي المخزومي الأعمى، ولها ترجمة مفردة.

٤٩٤ هـ (١١٠٠ م) لِيَسْتَقِرَّ فيها. ومَعَ أنّه لم يَخْدِمْ أحداً من الملوك(الأمراء والولاة وأغنياء الناس) بكتابةٍ أو وزارةٍ أو بمديح، فإنّه ألّفَ كتابَه القيِّمَ «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» بِرَسْمِ أبي بكرِ بنِ إبراهيمَ والي غَرْناطة وصِهْرِ عليٍّ بنِ يوسفَ سُلطانِ المُرابطين.

وجاء ابن بسّامٍ إلى إشبيليةَ، سَنَة ٥٠٢ هـ، ولكنْ لم يَلْقَ فيها شيئاً من الإكرام بل عاشَ فيها مُدّةً مُعَرّضاً للإزعاج ولشَيْءٍ من الكُره والاحتقارِ. وكانتْ وَفاتُه سَنَة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م).

٢ - كان ابنُ بسّامٍ الشَنْتَرينيُّ أديباً ذَوّاقةً بارعاً في النَثْرِ غيرَ مُحْسِنٍ في الشعر. وأسلوبُه جَزْلٌ أنيقٌ كثيرُ الخيالِ والسَجْعِ والتّكلُّفِ.

لابن بسّامٍ عددٌ من الكتب منها: كتاب الاعتماد على ما صحّ من أشعار المعتمد بن عبّاد - كتاب الإكليل المشتمل على ذكر عبد الجليل (بن وهبون) - سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر (صاحب مرسية) - تحيّة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكرِ بن عمّار - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (عارض فيه «يتيمة الدهر» للثعالبي). وتقوم شُهرةُ ابن بسّامٍ على كتاب «الذخيرة» وفيه مختاراتٌ مُطَوّلَةٌ من الشعر والنثر لنَفَرٍ من المُعاصرين للمؤلّف ممّن عَرَفَهم المؤلّف شخصياً أو من طريق نفرٍ آخرين. والمؤلّف يُطْري الذين آختار من آثارِهم بأُسلوبٍ أنيقٍ مسجّع يدلّنا على حماسة المؤلّف في تقديم ما اختاره من آثارهم من غير أن يُفيدَنا فائدةً كبيرةً تتعلق بتاريخ حياتِهِمْ أو بخَصائِصِهِمُ الفنّيّةِ. أما الذين اختار لهم فقسمهم أربعةَ أقسامٍ:

أ) أهلَ حَضْرةِ قُرْطُبَةَ وما يُصاقِبُها من بِلادِ متوسّطةِ الأندلس (٣٣ شخصاً)؛

ب) أهلَ الجانبِ الغَربيّ من الأندلس، وذكر حَضْرَةَ إشبيليةَ وما اتّصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي (٤٦ شخصاً)؛

جـ) أهلَ الجانبِ الشرقي من الأندلس، ومن نَجَمَ من كواكب العصر في أفق ذلك الثغر الأعلى إلى مُنْتَهى كلمة الإسلام هنالك (٣٢ شخصاً)؛

د) مَنْ طرأ على الجزيرة في المدّة المؤرخة من أديبٍ وشاعرٍ..... (١٥ شخصاً).

أمّا غايةُ ابنِ بسّامٍ من تأليفِ «الذخيرة» ونَهْجُه فيها فثمّتَ طَرَفٌ منها في «المختارات من آثاره».

٣ - مختارات من آثاره:

- في «المغرب» (١: ٤١٨) أن الأبيات التالية من شعر ابن بسّام الشنتريني أعلى شعره مرتبة:

ألا بـادِرْ فـلا ثـانٍ سوى مـا عَهِدتَّ: الكأسُ والبدرُ التمامُ[١].
ولا تكسَلْ برؤيتـهِ ضَبابـاً تَغَـصُّ بـه الحديقةُ والمُدام[٢]؛
فـإنّ الروضَ مُلْتَثِمٌ إلى أن تُوافِيَـه فيَنْحَـطَّ اللثـام[٣]!

- من مقدّمة كتاب «الذخيرة»:

أمّا بعدَ حَمْدِ اللهِ وَلِيِّ حَمْدِه وأهله[٤]، والصلاةِ على سيِّدنا محمّدٍ خاتَمِ رُسْلِه، فإنّ ثَمَرَةَ هذا الأدبِ العالي الرُّتَبِ رِسالةٌ تُنْثَرُ وتُرْسَلُ وأبيات تُنْظَمُ وتُفْصَلُ[٥]: تَنثالُ تلكَ انْثِيالَ القِطارِ على صَفَحاتِ الأزْهار، وتَتّصل هذه اتّصالَ القلائدِ على نُحورِ الخَرائد[٦]. وما زالَ في أُفُقِنا هذا الأندلسيِّ القَصِيّ[٧] إلى وقْتِنا هذا من فُرْسان الفَنَّيْنِ وأئِمّةِ النَّوْعَيْن قومٌ هم ما هم طِيبَ مَكاسرَ وصفاءَ جواهِرَ وعذوبةَ مواردَ

---

(١) - أسرع في التملّي من الحياة، فليس يليها أو يقارنها في الأهميّة (واللذة) سوى الكأس (الخمر) والبدر التام (المحبوب الجميل).

(٢) ولا تكسل على المجيء إذا رأيت الضباب لا يزال يملأ الحديقة (في الصباح) ولا تطيب فيه الخمر.

(٣) إن الروض الآن مُغطٍّ وجهه (بهذا الضباب) انتظاراً لك حتّى تأتي...

(٤) وليّ الحمد (صاحب الحمد وحده) وأهله (أهل الحمد = مستحقّ الحمد وحده دون سواه).

(٥) تنثر: تكتب نثراً. ترسل = لا تقيّد (ليس فيها قافية ولا لها وزن معلوم). تفصل: تجعل لها فواصل (قواف) على نسق معلوم.

(٦) انثال: انصبّ، تتابع. القطار = القطر: المطر. القلائد جمع قلادة (بكسر القاف): عقد (بكسر العين). الخرائد جمع خريدة: الفتاة البكر (الصغيرة الجميلة). النحور جمع نحر: أعلى الصدر.

(٧) أفقنا: مكان سكننا. القصيّ: البعيد (عن المشرق): الأندلس.

ومصادِرَ[١]، لَعِبوا بأطرافِ الكلامِ المُشَقَّقِ لَعِبَ الدُّجى بجُفونِ المُؤَرَّقِ[٢]، وحَدَوْا بفنونِ السِحْرِ المُنَمَّقِ حُداءَ الأعْشى ببَناتِ المُحَلَّقِ[٣]. فصَبّوا على قوالِبِ النجومِ[٤] غَرائبَ المنثورِ والمنظومِ، وباهَوْا غُرَرَ الأصائلِ[٥] بعَجائبِ الأشعارِ والرسائلِ: نَثْرٌ لو رآه البديعُ لَنَسِيَ اسْمَهُ، أوِ اجْتَلاهُ ابنُ هِلالٍ لَوَلاّه حُكْمَه[٦]؛ ونَظْمٌ لو سَمِعَه كُثَيِّرٌ ما نَسَبَ ولا مَدَحَ، أو تَتَبَّعَهُ جَرْوَلٌ ما عَوَى ولا نَبَحَ[٧]. إلّا أنّ أهْلَ هذا الأُفُقِ أبَوْا إلّا مُتابعَةَ أهلِ الشَّرْقِ: يَرْجِعون إلى أخبارِهم المُعْتادَةِ رُجوعَ الحديثِ إلى قَتادةَ[٨]؛ حتّى لو نَعَقَ بتلك الآفاقِ غُرابٌ أو طَنّ بأقْصى الشام والعراق ذُبابٌ لَجَثَوْا على هذا صَنَماً وتَلَوْا ذلك كِتَاباً مُحْكَماً[٩]، وأخبارُهم الباهرةُ وأشعارُهم السائرةُ مَرْمى القَصِيّة ومُناخُ الرذيّة[١٠]. فغاظَنِي منهم ذلك وأنِفْتُ مِمّا هُنالك، وأخَذْتُ نفسي بجَمْعِ ما وَجَدْتُ من حَسَناتِ دهري وتَتَبُّعِ مَحاسِنِ أهل بَلَدي وعَصْري - غَيْرَةً لهذا الأُفُقِ

---

(١) قوم هم ما هم: ذوو قيمة ومكانة. طيب مكاسر: تظهر طبيعة نفوسهم بعد الاختبار (تشبيهاً بالجوز الذي يكسر فيلفى سلياً طيّباً لذيذاً). عذوبة موارد ومصادر (المقصود: طيب الأصل وحسن المعاملة).

(٢) الكلام المشقّق: الذي يلفظ لفظاً حسناً. الدجى: الليل. المؤرّق: الذي ذهب نومه (أدبهم حلوٌ يشغل الناس).

(٣) حدا: تغنّى، أنشد. السحر المنمّق: الأدب الغريب المزيّن المحسّن. الأعشى: الشاعر الجاهلي المشهور. المحلّق رجل كان له بنات لم يخطبهنّ أحد لفقره، فمدحه الأعشى (في حديث طويل) فتزوّجت بناته كلّهنّ وشيكاً.

(٤) على قوالب النجوم: (أدب جميل) مثل النجوم.

(٥) الغرّة: الشعر في مقدّم الرأس (أول كلّ شيء). الأصائل جمع أصيل وأصيلة: ميل الشمس إلى الغروب (أول الأصيل يكون جميلاً في البادية لأن الحرّ عندئذٍ يخفّ).

(٦) البديع = بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات. وابن هلال = ابن هلال الصابىء من مشاهير الناثرين في العصر العبّاسي. لَوَلاّه حكمه (لجعله حَكَماً في نثره هو = نثر ابن هلال الصابىء).

(٧) كثيّر = كثيّر عزّة: زعيم الغزل العُذري في العصر الأموي. نسب: تغزّل. جرول: الحطيئة. عوى (كالذئب) ونبح (كالكلب) كناية عن الهجاء. - لو قرأ كُثيّرُ والحُطيئة الشعر الأندلسي لما نظما شعراً في حياتهما.

(٨) قتادة بن دعامة تابعي مشهور كانت أحاديث الرسول التي تروى من طريقه صحيحة موثوقة.

(٩) الكتاب المحكم: الذي لا تفاوت ولا اختلاف فيه (القرآن الكريم).

(١٠) مرمى القصيّة (كالناقة الغريبة التي تطرد عن المرعى وعن الماء)، ومناخ الرذيّة: مبرك الرذيّة (الناقة المهزولة المريضة) لا يأتي أحد ليركبها أو يحمل حاجاته عليها (لا يهتمّون بأدبهم).

الغريب[١] أن تَعودَ بُدورُه أهِلّةً وتُصبِحَ بحارُه ثِماداً مُضمَحِلّةً[٢] مَعَ كَثْرةِ أُدَبائه ووُفُورِ عُلَمائهِ؛ وقديماً ضَيّعوا العِلْمَ وأهلَه[٣]، ويا رُبَّ مُحْسِنٍ مات إحسانُه قبلَهُ. ولَيْتَ شِعْري، مَنْ قَصرَ العِلْمَ على بعضِ الزمانِ وخَصّ أهْلَ المَشْرِقِ بالإحسان!

وقد كتبتُ لأربابِ هذا الشان[٤]، من أهلِ الوقتِ والزمان، مَحاسِنَ تَبْهَرُ[٥] الألبابَ وتَسْحَرُ الشعراءَ والكُتّابَ؛ ولم أعْرِضْ لشيءٍ من أشعارِ الدولةِ المَرْوانية ولا المدائحِ العامرية[٦]، إذ كان ابنُ فَرَجٍ الجَيّانيُّ قد رأى رأيي في النَّصَفَةِ وذَهَبَ مَذْهَبي في الأنَفَة[٧] فأمْلَى في مَحاسِنِ أهلِ زمانهِ كتابَ الحدائق مُعارِضاً لكتابِ الزَّهْرَة للأصفهانيِّ، فأضْرَبْتُ أنا عمّا ألّفَ ولم أعْرِضْ لشيءٍ مِمّا صَنّفَ، ولا تَعَدَّيْتُ أهلَ عَصْري مّمن شاهدتُه بعُمْري[٨] أو لَحِقَهُ بعضُ أهلِ دهري، إذ كلّ مُرَدَّدٍ ثَقيلٌ وكُلّ مُتَكَرِّرٍ مَمْلول. وقد مَجّتِ الأسماعُ «يا دارَ مَيّةَ بالعَلياءِ فالسَّنَدِ» ومَلّتِ الطِباعُ «لخَوْلَةَ أطلالٌ ببُرْقَةِ ثَهْمَدِ[٩]» ...... والإحسانُ غيرُ محصورٍ، وليسَ الفَضْلُ على زَمَنٍ بَمقْصورٍ. وعزيزٌ عليَّ الفضلُ أن يُنْكَرَ،[١٠] تَقَدّمَ بِهِ الزمانُ أو تأخّرَ؛ ولَحَى[١١] اللهُ

---

(١) الغريب: العجيب، الطريف، المستحسن.

(٢) تعود بدوره أهلّة: تنحطّ مكانته ويقلّ قدره. الثماد: الماء القليل المتبقّي من مطر أو غيره. اضمحلّ: انحلّ، ذهب، تلاشى.

(٣) الوفور: الكثرة. وقديماً ضيّعوا العلم وأهله: كان (الأندلسيّون) من قبل قد أهملوا علوم قومهم حتّى ضاعت تلك العلوم.

(٤) لأرباب (أصحاب) هذا الشأن (الأمر): المهتمّين بالأدب الأندلسيّ.

(٥) تبهر: (يغلب نورها) الألباب (العقول): (تجعل الناس يتعجّبون من جمالها).

(٦) دولة بني مروان بدأت بعبد الرحمن الداخل (سنة ١٣٨ هـ) وسقطت سنة ٤٢٢ هـ. ودولة المنصور بن أبي عامر (في الوزارة والاستبداد بالأمر دون الخليفة)، سنة ٣٦٦ ثمّ استمرّت في أولاده وأحفاده ومواليه إلى نحو ٤٧٠ هـ.

(٧) النصفة: الانتصاف (أن يسترد الإنسان حقّه المشروع أو يحصل عليه بداءة). الأنفة: الاستنكاف، إباء (رفض) الذل.

(٨) بعمري: في زماني، طول عمري.

(٩) «يا دار ميّة» مطلع معلّقة النابغة، و «لخولة أطلال» مطلع معلّقة طرفة (يقصد: ملّ الناس الأدب القديم).

(١٠) يعزّ (يصعب) عليّ أن ينكر إنسان فضل غيره.

(١١) لحى: لعن.

قولَهم: الفضلُ للْمُتَقدِّم! فكم دَفَنَ مِنْ إحسانٍ وأخْمَلَ من فُلانٍ[١]. ولوِ اقْتَصَرَ المُتَأخِّرونَ على كُتُبِ المُتَقدِّمينَ لضاعَ عِلْمٌ كثيرٌ وذَهَبَ أدبٌ غزيرٌ.

وقد أوْدَعْتُ هذا الديوانَ الذي سَمّيتُه بكِتابِ الذَخيرة في مَحاسن أهلِ الجَزيرة من عجائبِ عِلْمِهِمْ وغرائبِ نَظْمهم ونَثْرهم ما هو أحْلى من مُناجاةِ الأحِبَّة......

ولَعَلَّ بعضَ مَنْ يَتَصَفَّحُهُ سيقولُ إنّي أغْفَلْتُ كَثيراً وذَكَرْتُ خاملًا وتركتُ مَشْهوراً. وعلى رِسْلِه[٢]! فإنّي جَمَعْتُه، بَيْنَ صَعْبٍ قد ذَلّ وغَرْبٍ قد فُلّ ونَشاط قد قَلّ وشَبابٍ ودّعَ فاسْتَقَلّ[٣]، من تَفاريقَ كالقرونِ الخاليةِ وتعاليقَ كالأطْلال الباليةِ بخُطوطِ جُهّالٍ كخطوطِ الراحِ أو مَدارجِ النَّمْلِ بين مَهابِّ الرياح[٤]: ضَبْطُهُم تَصْحيف، ووَضْعُهم تَبْديلٌ وتَحْريف، أيأسُ الناسِ منها طالبُها وأشَدُّهُم اسْترابةً بها كاتِبُها[٥]. فَفَتَحتُ أنَا أقفالَها وفَضَضتُ قُيودَها وأغْلالَها فأَضْحَتْ غاياتِ تَبْيينٍ وبَيانٍ ووَضَحَتْ آياتِ حُسْنٍ وإحسانٍ[٦].

على أنّ عامّةَ مَنْ ذكرتُه في هذا الديوانِ لم أجِدْ له أخباراً مُوْضوعةً ولا أشعاراً مجموعةً تَفْسَحُ لي في طريقِ الاختيارِ منها؛ إنّما انْتَقَدتُ ما وَجَدتُّ وخالَسْتُ في ذلك الخمولَ[٧] ومارستُ هنالك البحثَ الطويلَ والزمانَ المُستحيلَ حتّى ضَمَّنْتُ كتابيَ

---

(١) فكم دفن... الخ: أضاع أدباً جيّداً كثيراً وأخمل ذكر أناس كثيرين.

(٢) على رسله: ليتمهّل قليلاً، ليخفّف من حميّة نقده.

(٣) الصعب: الجَمَل النشيط الذي لا يدع أحداً يركبه. ذلّ: ذلّل، رُوِّض (بالبناء للمجهول فيهما)= أصبح ذليلًا طائعاً. الغرب: حدّ السيف. فلّ: تثلّم، أصبح لا يقطع. استقل: ذهب (يقصد بعد أن كبر في السن وذهب معظم قوّته ونشاطه).

(٤) تفاريق (أشياء متفرّقة) كالقرون الخالية (متباعدة، منسيّة) وتعاليق (إضافات مكتوبة على الصفحات) كالأطلال (أثر الديار بعد رحيل ساكنيها عنها) البالية (المتهرّئة، المحوّة). كخطوط الراح (جمع راحة: باطن الكفّ= رموز لا تقرأ). مدارج: آثار المسير. (كلّ هذا كناية على أن الخطّ سقيم تصعب قراءته).

(٥) تصحيف: تبديل حروف الكلمة (جهلا). تحريف: تغيير الشيء (قصداً). آسترابة: شكّ. (حتّى الذي كتبها لا يستطيع قراءتها).

(٦) فضّ: كسر، شقّ، فتح. وضحت: ظهرت. آيات: عجائب، غرائب.

(٧) خالست الخمول: انتزعت أشخاصاً من طيّات الخمول وأبرزتهم.

هذا من أخبارِ أهلِ هذَا الأُفُقِ ما لعلّي سأُرْبي[١] بهِ على أهلِ المَشْرِقِ. وما قَصَدتُ بهِ - عَلِمَ اللهُ - الطَعْنَ على فاضلٍ، ولا التَعَصُّبَ لقائلٍ على قائلٍ......

وهذا الديوانُ إنّما هو لِسانُ منظومٍ ومنثورٍ لا مَيْدانُ بيانٍ وتَفْسير: أُوردُ الأخبارَ والأشعارَ لا أَفُكُّ مُعمّاها في شيءٍ من لَفْظِها ولا مَعْناها[٢]، ولكنْ رُبّما أَلْمَمْتُ بَبعْض القولِ بين ذكْرِ أُجْريهِ ووَجْهِ عَذْراءَ أُريه[٣] لا سيّما أنواع ★البديع ذي المَحاسنِ الذي هُوَ قَيِّمُ الأشعارِ وقِوامُها، وبهِ يُعْرَفُ تَفاضُلُها وتَبايُنُها[٤]، فلا بُدَّ (من) أنْ نُشيرَ إليه ونُنبِّهَ عليه......

ومَعَ أنّ الشِعْرَ لم أرْضَهُ مَرْكَباً ولا اتَّخَذْتُه مَكْسِباً ولا أَلِفْتُه مَثْوًى ولا مُنْقَلباً[٥]؛ إنّما زُرْتُه لِماماً ولَمَحْتُه تَهمُّماً لا اهْتِماماً[٦]، رَغْبَةً بِعزِّ نفسي عن ذُلّه وتَرَفُّعاً لمَوْطِئِ أَخْمصي عن مَحلِّه[٧]؛ فإذا (أنَا) شَعْشَعْتُ راحَهُ لم أُذُقْه إلّا شَمياً[٨] وما كُنْتُ إلّا على الحديثِ نَديماً[٩]. وما لي ولَهُ؛ وإنّما أكْثَرُهُ خُدْعَةُ مُحْتالٍ وخِلْعة مُخْتالٍ[١٠]: جِدُّه تَمْويهٌ وتَخْييل، وهَزْله تَدْليهٌ وتضليل[١١]؛ وحقائقُ العلومِ أوْلى بِنا من أباطيلِ

---

(١) أربى: زاد (على).

(٢) المعمّى: القول المصوغ في سياق يصعب على الفهم. (لم أفسّر معانيها).

(٣) وجه عذراء (جملة مبتكرة لم يقل أحد مثلها بعد أو لم تفسّر جملة مثلها بعد).

(★) يكون الاسم المستثنى بعد لا سيّما (اذا كان نكرة) مجرور أو مرفوعاً أو منصوباً. أمّا إذا كان معرفة، فالأولى جرّه، ويجوز رفعه، ولكن لا يجوز نصبه.

(٤) التفاضل أن يفضل شيء شيئاً آخر (يزيد عليه في المعنى أو الجمال الخ). التباين: أن يختلف شيء من شيء آخر.

(٥) المثوى: المسكن: المنقلب: المرجع، المعتمد.

(٦) لماما: غبًّا (بكسر الغين= مرّة بعد مرّة من غير استمرار). تهمّم الشيء: طلبه طلباً يسيراً في الحين بعد الحين. الاهتمام: أن تجعل الشيء همّك (موضع عنايتك الدائمة).

(٧) الأخمص: باطن القدم. المحلّ (بكسر الحاء): المكان الذي يحلّ (ينزل) فيه الإنسان أو الشيء.

(٨) شعشع: مزج (بالماء). الراح الخمر. شعشعت راح الشعر (مزجته بشيء من كلامي، قلت شيئاً قليلاً منه). الشميم: الشم. لم أذقه إلّا شمياً (لا أقول منه إلّا قليلاً).

(٩) ما كنت إلا على الحديث نديماً (رفيقاً، مؤانساً، محادثاً)= أسمع الحديث ولا أشترك فيه (أتذوّق الشعر ولا أنشده).

(١٠) الخلعة: الثوب. المختال: الذي يعرض نفسه على الناس مفتخراً متعاظماً.

(١١) التمويه: طلاء المعادن (الخسيسة) بالذهب. التخييل: الاحتيال لإظهار الأشياء على غير حقيقتها. =

المنظومِ والمنثور. وعلى ذلك فقد وَعَدتُ أنْ أُلمِعَ في هذا المجموع بِلُمَعٍ من ذِكْرِ البديع [١]، وأنْ أُمَهِّدَ جانباً من أسبابِهِ وأشرحَ جُمَلًا من أسمائه وألْقابه. وإذا ظَفِرْتُ بِمَعنًى حَسَنٍ أو وَقَفْتُ على مَعْنًى مُسْتَحسنٍ ذكرتُ مَنْ سَبَقَ إليه وأشَرْتُ إلى مَنْ نَقَصَ عنه أو زاد عليه؛ ولستُ أقولُ: أخَذَ هذا مِنْ هذا قَوْلًا مُطْلَقاً فقد تتواردُ الخواطِرُ ويَقَعُ الحافِرُ على الحافِر [٢]، إذِ الشِعْرُ مَيْدانٌ والشُعَراءُ فُرْسانٌ.........

٤ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (منشورات جامعة فؤاد الأوّل)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٢ م وما بعد (لم تطبع الأجزاء بالترتيب)؛ تحقيق إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م.

★★ بغية الملتمس ٣٧٦ - ٣٧٨ (رقم ١١٠٣)؛ معجم الأدباء ١٢ : ٢٧٥ (سطران)؛ المغرب ١ : ٤١٧ - ٤١٨؛ بغية الوعاة ٢٩٥؛ نفح الطيب ٣ : ٢٠٣ و ٤٥٨ (سبعة أبيات لابن بسّام) ثمّ أماكن كثيرة (راجع فهرس نفح الطيب) فيها إشارات إلى ابن بسّام أو نُقُول قصار أو طوال من كتابه «الذخيرة»؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٣٤؛ بروكلمن ١ : ٤١٤ - ٤١٥، الملحق ١ : ٥٧٩؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٧٢ (٤ : ٢٦٦)؛ مجلّة البحث العلمي (الرباط) ماي - غشت ١٩٦٦ م، ص ٧٩ - ١٦٦؛ العربي (الكويت) تموّز ١٩٦٦، ص ٦٣؛ تاريخ النقد (لإحسان عبّاس) ٥٠١ - ٥٠٧، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لمحمّد رضوان الداية) ٣٧١ - ٣٩٠؛ بالنثيا ٢٨٨ - ٢٩٦؛ تراجم اسلامية لعنان ٢٩٨.

أبو القاسم الكَلاعِيّ

١ - هو أبو القاسمِ محمّدُ بنُ عبدِ الغفورِ ★الكَلاعيُّ الإشبيليُّ، وُلِدَ في مطلَعِ القرنِ السادسِ للهِجْرة (الثاني عَشَرَ للميلاد) وتلقّى أشياءَ من العلم على أبي عبدِ الله بن أبي العافيةِ وأبي القاسمِ الزَّنجانيّ والحافظِ ابنِ إسماعيلَ. وتصدّرَ للتدريس في طَوْرٍ باكرٍ

= التدليه: الخيال الذي يذهب فيه العقل (الذي يقود إلى مثل الجنون). التضليل: الإيهام بغير الحق.

(١) اللمع جمع لمة (بضم اللام): البقعة (من جسم الإنسان، مثلاً) لا يصيبها ماء (الوضوء)، شيء قليل. البديع: ذكر ألفاظ تتّفق في اللفظ أو تتقارب مع اختلاف في المعنى.★ راجع ص ٢٨٣ (ح ٧).

(٢) الخاطرة: ما يخطر للإنسان (يمرّ في ذهنه أو خياله). تتوارد الخواطر: يأتي بعضها مع بعض متشابهاً. الحوافر (جمع حافر): منتهى قوائم الحيوان من ذوات الأظلاف (كالخيل). يقع الحافر على الحافر: يطأ حصان حيث كان قد وطىء حصان آخر (يقول إنسان ما قاله إنسان آخر تماماً).

من حياته ثمّ انتقل وشيكاً إلى الكِتابة في الدولة. وفي سَنَةِ ٥٣١ هـ (١١٣٦ - ١١٣٧ م) كان كاتباً لابن تاشَفين[١]. ثمّ إنّه أدرَكَ وفاةَ ابنِ بسّامٍ صاحبِ « الذخيرة »، سَنَةَ ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م)، وتُوُفِّيَ بعد ذلك مُعْتَبطاً[٢] قريباً من مُنْتَصَفِ القرنِ السادسِ للهِجرة.

٢ - كان أبو القاسم الكَلاعيُّ من بيتِ علمٍ وأدبٍ ومن الكُتّاب. وقد كان مشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة مُقَدّماً في الفِقه وفنونِ الأدب من البلاغة والنَقْد والشعر، كما كان كاتباً مُترسِّلًا وشاعراً. وكذلك كان مُصنّفاً، له إحكام صَنْعةِ الكلام (وهو الكتابُ الوحيدُ الذي نعلم أنّه وَصَلَ إلينا). ثمّ إنّ له عدداً من الكتب عارض فيها عدداً من مُؤلّفات المعرّيّ: الانتصار لأبي الطيّب (المتنبّي) - الساجعة والغربيب (عارض فيه « الصاهل والشاحج[٣] ») - كتاب (على مثال « السجع السلطاني ») - خطبة الإصلاح (معارضة لخطبة الفصيح) - ثمرة الأدب (معارضة لسَقْطِ الزَنْد[٤]: ديوان المعرّي).

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي القاسم الكَلاعيِّ مُقطّعاتٌ منها:

★★ تركتُ التَصابي للصواب وأهلِهِ، وبيضَ الطُّلا للبيضِ، والسُمْرَ للسُمْرِ[٥]

(١) يجب أن يكون أحد أعضاء البيت التاشفيني الذين تولّوا (بفتح اللام) الولاية على الأندلس. أمّا سلاطين المرابطين في مَرّاكُش، في مدّة حياة أبي القاسم الكلاعي فكانوا: عليّ بن يوسف (٥٠٠ - ٥٤٧ هـ) وتاشفين بن عليّ ثمّ إسحاق بن علي (٥٤٠ - ٥٤١ هـ).

(٢) اعتُبط (بالبناء للمجهول) مات عبطة (بالفتح): صحيحاً (بلا علّة) شابًّا.

(٣) الساجع والساجعة: الناقة أو الحمامة إذا ردَّدت صوتها. والغربيب: الشديد السواد (والمقصود هنا: الحمامة والغراب!). الصاهل: الفرس. الشاحج: البغل أو الحمار (شحج البغل أو الحمار: رفع صوته. والشاحج: الغراب إذا أسنّ وغلظ صوته).

(٤) الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجر. السقط: الشرارة التي تحدث من قدح الحجر بالحديدة.

(٥) التصابي: محاولة استمالة النساء. تركت التصابي وملت إلى العمل الصواب (اللائق بالإنسان الشريف). الطلا جمع طلاة (بالفتح): صفحة العنق (بيض الطلا كناية عن النساء الجميلات).. للبيض: للسيوف. السمر: النساء السمراوات. السمر: الرماح: فضلت القتال على الغزَل.

مُدامي مِدادي، والكُؤوسُ مَحابري ونَدْمايَ أقْلامي، ومنقلتي سِفْري[١]!

★★ رُوَيْـــدَكَ، يـــا بـــدرَ التَّمامِ، فإنّـــني
أرى العِيسَ حَسْرى والكواكـــبَ ظُلَّعـــا[٢].

كأنّ أديمَ الصُبح قَدْ قُدَّ أنْجُماً، وغُودِرَ دِرْعُ الليـل فيها مُرقّعا[٣].
وإنّي وإنْ كـان الشَبابُ مُحَبَّباً إليَّ وفي قلـبي أجـلَّ وأوْقَعـا،
لآنَـفُ من حُسْنِ بشِعْرِيَ مُفْتَرًى وآنَـفُ من حُسْنِ بشَعْرِيَ قُنِّعا[٤]!

- وله في الترجيح بين النثر والشعر (ص ٣٦):

إنّ الترجيحَ بينَ المنثورِ والمنظوم يَمٌّ قد خاض فيه الخائضون ومَيْدان قد رَكَضَ فيه الراكضون. ورأيي أنّ القريضَ قد تَزَيّنَ من الوزنِ والقافية بحُلّةٍ سابغةٍ ضافيةٍ[٥]، صارَ بها أبدعَ مَطالعَ وأصْنَعَ مَقاطِعَ وأبْهَرَ مَياسِمَ[٦] وأنْوَرَ مَباسِمَ وأبردَ أُصُلًا وأشْرَدَ مَثَلًا وأهزَّ لعِطْفِ الكريم وأفَلَّ لغَرْبِ[٧] اللئيم. (وإنّ) النثرَ أسلَمُ جانباً وأكرمُ حاملًا

---

(١) مدامي (خمري) ومدادي (حبري، كناية عن الاشتغال بالتأليف). المحبرة: إناء الحبر. المنقلة (بالفتح): المرحلة من السفر، و (بالكسر): أداة هندسية لضبط الخطوط والزوايا، وهو يقصد بالمنقلة (بالفتح!) وعاء يوضع فيه النقل (بالضمّ): ما يتفكّه به الناس بين وجبات الطعام أو على الشراب من لوز وجوز ومقليّات وأشباهها.

(٢) العيس (جمع عيساء أو أعيس): الإبل الكريمة. حسرى: كليلة (ضعيفة، حلّ بها التعب). الظالع: الذي به عرج.

(٣) أديم الصبح (البياض). قدّ (تقطع) أنجماً (قطعاً بيضاً) كناية عن تخلّل نور الصبح في ظلام الليل. الدرع: (هنا) الثوب (لون الليل الأسود مرقّع بقطع بيضاء من نور الصبح).

(٤) أكره أن أحسن شعري (بالكسر) بالافتراء (الكذب) أو أنّ أحسِّن شَعري (بالفتح) بقناع (بصباغ).

(٥) يمّ: بحر. الحلّة: ثوب فاخر. سابغ: يكسو الجسم كلّه. ضاف واسع طويل.

(٦) المطلع: البيت الأوّل في القصيدة. أصنع مقاطع (يسهل في الشعر صنع المقاطع - من أبيات أو بيتين أو بيت واحد - ممّا لا يمكن أحياناً كثيرة في النثر). أبهر: أكثر حسناً. الميسم (بالكسر): العلامة (أثر الجمال والحسن).

(٧) الأصيل: الوقت بين الظهر والمغرب. أبرد أصلا (كناية عن السرور عند قراءة الشعر). أشرد: (هنا): أندر وأحسن (للمثل في الشعر أثر أشد في النفس من المثل في النثر). العطف: الجانب الأعلى من الجسم (الشعر أكثر استمالة للمخاطب به من النثر). أفلّ: أشد تقطيعاً (كبحاً ومنعاً). الغرب: حدّ السيف.

وطالباً[1]......، لأنّ الشعرَ داعٍ لسوء الأدبِ وفسادِ المنقلب[2] لأنه - لضيقِه وصُعوبةِ طريقِه - يَحْمِلُ الشاعرَ على الغُلُوِّ في الدين حتّى يَؤولَ إلى فسادِ اليقين[3]، ويَحْمِلُه على الكَذِب؛ والكَذِبُ ليس من شِيَمِ المؤمنين..... ومن مَعايبِه أنّه قلّما يُجيده إلّا مُتَكَسِّبٌ به. والدليلُ على ذلك قولُهم: اللُّها تفتق اللَّها[4] ..... وأمّا الكِتابةُ فبعيدةٌ عن هذا كلِّهِ: سليمةٌ ممّا يدعو إلى المَهْجور أو يَتَشَبَّثُ بالمَحْجور[5].

(فصل): العاطلُ. وإنّما سَمّينا هذا النوعَ «العاطِلَ» لِقلّةِ تَحْليَتِهِ بالأَسْجاع والفواصلِ[6]، وهذا هو الأصلُ. والتجمُّلُ بِكَثْرة السجعِ فرعٌ طارئٌ عليه. ولم يَستعمِلْ ذلك إلّا المتقدّمون.... من أهلِ الفصاحة والبَيان. فكانوا إذا عَنّ لَهُمُ السجعُ ذكروه، وإذا أعْرَضَ عنهم لم يَسْتَجْلِبوه.....

٤ - إحكام صنعة الكلام (تحقيق محمّد رضوان الداية)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.

★★ المطمح ٢٩ - ٣٠؛ قلائد العقيان ١٨٢ - ١٨٦؛ الذخيرة ٢: ٣٢٣ - ٣٢٥، ٤: ٥٤٨؛ الوافي بالوفيات ٣: ٢٦٥ - ٢٦٦؛ المغرب ١: ٢٣٦؛ نفح الطيب ٣: ٥٥١ - ٥٥٣؛ تاريخ النقد لإحسان عبّاس ٥٠٩ - ٥١٢؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لمحمّد رضوان الداية) ٤٠١ - ٤١٣.

---

(١) أسلم جانباً (لأنّه لا يفرض على قائله نسقاً معيَّناً فيخالف المعنى في سبيل اللفظ). حاملاً وطالباً....

(٢) المنقلب: آخر الأمر، تبدل الحال الراهنة بحال مقبلة.

(٣) يؤول: يرجع، يؤدّي. اليقين: العلم الثابت. الاعتقاد.

(٤) اللها (بالضمّ) جمع لهوة (بالضمّ): العطية. اللها (بالفتح) جمع لهاة (بالفتح): اللحمة المشرفة على مدخل الحنجرة (المال يساعد الشاعر على قول الشعر).

(٥) المهجور: الألفاظ التي بطل استعمالها. يتشبّث: يتمسّك بشدّة. المحجور: الذي لا يستحسن استعماله من الألفاظ في النثر.

(٦) العاطل: المرأة الجميلة لا تحتاج إلى أن تتزيّن، والأحرف لا نقط عليها، والجمل ليس فيها صناعة (جناس أو طباق الخ). الفواصل: أواخر الجمل القصار.

(٧) في المغرب (١: ٢٣٦ - ٢٣٧): أبو القاسم محمّد بن عبد الغفور (المتوفّى في أيام المعتمد بن عبّاد (ت ٤٨٨ هـ) ثمّ ابنه أبو محمّد عبد الغفور ثمّ حفيده محمّد بن عبد الغفور (صاحب هذه الترجمة) وكلّهم كانوا أدباء. وهنالك مقطوعة مطلعها:

لا تنكروا أنّنا في مَهْمَهٍ أبداً نخبّ في نفنفٍ طوراً وفي هدف

نسبت في المغرب (١: ٢٣٦) إلى محمّد (الجدّ) ونسبت إلى محمّد (الحفيد) في نفح الطيب (٣: ٥٥٢).

أبو بكر بن العربي

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبد الله بن محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ أحمدَ المُعافريُّ الأندلسيّ الإشبيليّ، وُلِدَ في إشبيلية في الثامن والعشرين من شَعبانَ من سَنَةِ ٤٦٨ (١٠٧٦/٣/٣٠ م).

بدأ أبو بكرِ بنُ العربي تعلّمه في الأندلس على أبيه عبد الله (٤٣٥ - ٤٩٣ هـ) وعلى خاله أبي القاسم حسن بن عمرَ الهوزنيّ (ت ٥١٢ هـ) وعلى أبي عبد الله السرَقُسْطي.

وكان عبد الله من المتّصلين ببَلاط المعتمد بن عَبّادٍ. فلمّا استولى المرابطون على إشبيلية وحملوا المعتمدَ أسيراً (٤٨٤ هـ) كَرِهَ الإقامةَ في الأندلس فرَحَلَ عنها (في مُسْتَهَلّ ربيعٍ الأوّل ٤٨٥) وأخذَ ابنَه مَعَه. ويبدو أنه في أثناء هذه الرحلة أخذ أبو بكر بنُ العربيّ شيئاً من الحديث في بِجايَة من أبي عبد الله محمّد بن عمّارٍ الكلاعيّ (ت ٤٨٥) ثمّ انتقل إلى المَهْدية وأخذ عن أبي الحسن عليّ بن محمّد الخَوْلانيّ المعروف بالحَدّاد المَهْدويّ.

وفي مصر سمع ابن العربي من أبي الحسن عليّ بن الحسن الخُلَعي (ت ٤٩٢ هـ).

وفي[1] ذي الحِجّة من سَنَة ٤٨٩ (تشرين الثاني - نوفمبر ١٠٩٦ م) حجّ أبو بكر ابن العربي وسمع في مكّة من أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين الطَبَري (ت ٤٩٨ هـ). وسمع في دمشق من أبي الفتح نَصْرِ بن إبراهيمَ المَقْدسي (ت ٤٩٠ هـ).

وأمّ أبو بكر بنُ العربيّ بغداد وطال مُقامُه فيها، وكان يخرج منها ثمّ يعود إليها. وفي بغداد سمع من أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طَلْحَةَ (ت ٤٩٣ هـ) وقرأ الأدب على أبي زكريّا التِبْريزيّ (ت ٥٠٣ هـ). وقد لَقِيَ في بغداد أيضاً أبا بكرٍ محمدَ بنَ أحمدَ

---

(١) يمكن أن يكون تطوّف أبي بكر بن العربي في المشرق قد جرى على خلاف هذا الترتيب قليلاً أو كثيراً، فالمصادر لم تأبه كثيراً بضبط هذا الترتيب.

ابنِ الحسين الشاشيَّ (ت٥٠٧ هـ) وأبا حامدِ الغزّاليَّ إثْرَ رُجوعِ أبي حامدٍ من رحلتهِ[١].

غادر ابن العربي بغدادَ في سنة ٤٩١ مارًّا بدمشق ثمّ وصل إلى مصر فتوفّي أبوه (٤٩٣ هـ) في مدينة الإسكندرية، فعاد وَحْدَهُ إلى الأندلس ووصل إليها في السنة ٤٩٣ هـ نفسها[٢].

عاد أبو بكرٍ بنِ العربيّ إلى إشبيلية بعلمٍ كثيرٍ كان قد تلقّاه في المشرق. وفي سنة ٥٠٨ هـ. - بعد عودته بخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً - عُيّن قاضياً للقضاة (قاضي الجماعة) في كُورة إشبيلية كلّها. ولكن يبدو أنّه لم يَلْبَثْ في هذا المَنْصِب إلاّ مُدّة يسيرة، فقد عُزل عنه فانصرف إلى نشر العلم. ثمّ إنّه انتقل إلى قرطبة وحدّث فيها.

وسقطت دولةُ المرابطين في المغرب (٥٤٠ هـ) وقامت على أنقاضها دولة الموحّدين. وفي شَعْبانَ من سَنَة ٥٤١ (كانون الثاني- يناير ١١٤٧ م) استولى الموحّدون على إشبيلية. ويبدو أن أبا بكر بن العربي لم يكن راضياً عن الموحّدين - كما لم يكن هو وأبوه من قبلُ راضِيَيْنِ عن المرابطين - ومَعَ ذلك فقد ذهب في وفدٍ إلى مَرّاكُش، للتهنئة أو للإعراب عن الولاء، فسُجِنَ هنالك ومن مَعَه سَنَةً كاملة أو تَزيدُ. ولمّا أُطْلِقَ سَراحُ المسجونين اتّخذ ابن العربي طريقَه إلى الأندلس، ولكنّه تُوُفِّيَ في المغيلة (على مقربة من مدينة فاس)، في رَبيعٍ الآخِرِ من سَنَةِ ٥٤٣ (صيف عام ١١٤٨ م).

٢ - أبو بكر بن العربي عالمٌ مُحدِّث فقيه وأديب كاتب شاعر، إلاّ أنّ العلم بالحديث والفِقه أغلبُ عليه. أمّا شعره فمتينُ السبكِ في الأغلب على مذهب القدماء. وشعره الباقي لنا في الوصف والغزل وفي التشوّق أقربُ إلى أهل المشرق.

---

(١) يروى أن أبا بكر بن العربي لقي حجة الإسلام الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ) في بغداد (نفح الطيب ٦٤ - ٦٥، راجع ٧٦ - ٧٧)، ولكنّ هذا مستبعد، لأن ابن العربي غادر بغداد قبل أن يرجع إليها الغزّالي. ويستبعد أيضاً أن يكونا قد التقيا في أثناء طوافهما في المشرق.

(٢) الخريدة (الأندلس) ٢ : ٢٢٠.

ولأبي بكر بن العربيّ تصانيفُ كثيرةٌ منها: كتاب القَبَس في شرح موطّأ مالك بن أنَس - كتاب ترتيب المسالك في شرح موطّأ مالك - كتاب أحكام القرآن - كتاب عريضة الأحوذي في شرح الترْمِذي[١] - كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن - كتاب قانون التأويل - كتاب الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاتِه العليا - كتاب التوسُّط في صحة الاعتقاد والردّ على من خالف أهل السنّة من ذوي البدع والإلحاد - كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف (بين الفقهاء!) - كتاب المحصول في علم الأصول - كتاب ترتيب الرحلة (رحلة ابن العربيّ إلى المشرق).

٣ - مختارات من آثاره:

- رَكِبَ أبو بكرِ بن العربي يوماً مَعَ أحَدِ أمراء المرابطين - وكان هذا الأميرُ صغيراً - فهزّ عليه رمحاً كان في يده مُداعباً. فقال أبو بكر (المغرب ١ : ٢٥٠):

يَهُزُّ عليّ الرُّمْحَ ظَبْيٌ مهَفْهَفٌ ... لَعوبٌ بألبابِ الرَعِيّةِ عابثُ[٢].
ولو كانَ رُمْحاً واحداً لاتَّقَيْتُه؛ ... ولكنّه رمحٌ وثانٍ وثالثُ★.

- ودخل عليه غلام جميل في ثِيابٍ خَشِنَةٍ فقال (المغرب: (١ : ٢٥٠):

لَبِسَ الصوفَ لِكَيْ أُنْكِرَهُ ... وأتانا شاحباً قد عَبَسَا.
قُلْتُ: إيهٍ، قد عَرَفْناك؛ وذا ... جَلُّ سوءٍ لا يَعيبُ الفَرَسا[٣].

---

(١) راجع نفح الطيب ٢ : ٢٨، ٣٥ وبروكلمن (الملحق) ١ : ٨٠٠ (السطر ١٦ من أسفل)، راجع أيضاً ص ٢٦٨ و ٦٣٣، «الجواب المستقيم عمّا سأل عنه الترمذيّ الحكيم» أو عارضة (في بروكلمن: عريضة) الأحوذي في شرح الترمذيّ. والعارضة: القدرة على الكلام وقوّة الحجّة. والأحوذيّ (بفتح الهمزة): الخفيف الحاذق المشمّر في الأمور (المستعدّ لمعالجة الأمور). والترمذي، هو (في الأغلب) الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمّد بن عليّ المتوفّى نحو سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م)، راجع الأعلام للزركليّ ٧ : ١٥٦ (٦ : ٢٧٢). وللترمذيّ الحكيم هذا كتاب عنوانه: «الدرّ المكنون في أسئلة ما كان وما يكون» (بروكلمن ١ : ٣٥٦، السطر ١٧ من أسفل)، ولعلّ هذا الكتاب هو الذي ردّ عليه ابن العربي.

(٢) مهفهف: دقيق الخصر (رشيق).

(★) ولكنّه رمح (الرمح الذي يحمله في يده) وثان وثالث (في عينيه).

(٣) الجلّ (بالفتح) والجلال (بالكسر): سرج (غطاء يوضع على ظهر الدابّة). سوء (سيّىء، حقير المنظر).

كـلُّ شيءٍ أنـتَ فيـه حَسَنٌ؛ لا يُبـالي حَسَنٌ مـا لَبسا[1]!

– وقال قصيدة طويلة يتشوّق فيها إلى أيامه في بغدادَ وإلى إخوانه في بغدادَ (وعلى هذه القصيدة نفحة من قصيدة المتنبّي: أغالبُ فيك الشوقَ، والشوقُ أغلبُ). قال ابن العربي:

تقولُ ابنـةُ العَمْرِيِّ: ما لك مُوضِعاً وقـد راق مَلْهًى للسرور ومَلعبُ[2]!
أفي كـلّ عامٍ رائعُ القلبِ رَوْعةً من البَيْنِ لا تُخْطي ولا تَتَكـذّب[3]؟
فقلت: دَعيني – لا أبَالكِ – وانْظُري فقد يَخْسَرُ البادي ويَحْظى المُعَقِّب[4]؛
وكفّي من التأنيبِ شَيْئاً، فربّما تَبَيَّنَ أعْقـابَ الأمورِ المُؤنّـبُ.
ومـا أنا في الدار الخَلاءِ بواقفٍ أكفّ عدى الأجفان فيها وأنْدُب★★
وقد قيل: يَشْقَى الحاسدون بسَعْيِهِمْ؛ ألا إنّما المحسودُ أشقـى وأنْصَب[5].
يريـدُ بِيَ الأعـداءُ ما اللهُ دافعٌ وفَيْضُ المَعالي والجلالُ المُهَذَّب.
ألا لَيْتَ شِعْري، هل أبِيتَنَّ ليلةً – من الدهرِ لا أخْشى ولا أتَرَقّب –
بَمشْرَعةِ الكَرْخِ التي لم نَزَلْ بها يَلَذّ لنا شَرْخُ الشباب ويُعْجِبُ[6].
وكم شاربٍ للماء في غيرِ أرضهِ؛ ومُذْغِبْتُ عنه ماءَ عَيْنَيَّ أشْرب[7].
منـازلُ عزٍّ طـال فيهن مَفْخَرٌ، ومنظرُ حُسْنٍ حار فيه التَعَجُّب.

---

(١) يبدو أن اسم المحبوب كان حسناً (كي يكون جناساً مع «حسن» في صدر البيت).

(٢) ابنة العمريّ (نسبة إلى عمرو بن حريث وإلى عمرو بن عوف، وهذا بطن من الأوس – والشاعر يكني بذلك عن محبوبة ما). الموضع (الذي يسوق دابته بسرعة): الذي يريد السفر عاجلاً.

(٣) راع: أخاف. البين: البعاد، الفراق.

(٤) البادي = البادىء (الذي يبدأ أمراً فيعمله مرّة واحدة؟). حظي: نال حظوة (حبًّا، مكانة، هدفاً). المعقّب: الذي يطلب الأمر بجدّ مرّة بعد مرّة.

(★★) عدى (؟). أكفّ عدى الأجفان (المقصود: أمسح دموعي، لكثرة بكائي).

(٥) أنصب (أكثر تعباً).

(٦) المشرعة: شريعة الماء (المكان الذي يشرب منه الناس). الكرخ: الجانب الغربيّ من بغداد (غرب نهر دجلة).

(٧) ماء عينيّ: دمعي (أي أنا أبكي كثيرا).

قطعنــا بأيّــامِ القَطيعة دَهْرنـا نُوالي سَماعَ العِلم فيها ونكتب.
سلامٌ عـلى بَغدادَ في كلّ منزلٍ؛ وحُقَّ لهـا منّي السلامُ المُطَيَّـب.
فوالله، مـا فارقْتُها عن قِلًى لها؛ وكيف؟ ولي فيها مَجال ومَرْحـب[١]!
ولكنّهـا الأقـدارُ يوماً إلى الفتى بمـا ظلّ يَهْواه، ويوماً تُنَكِّب[٢].
فيـا برقُ، إنّ الكَرْخَ هَمّي وهِمّتي؛ وأنـتَ إليها اليومَ أدنى وأقرب.
عسى فيـك من ماء الصَراة صُبابةٌ تَبُـلُّ غليلًا غَلّ قلبي فيذهب[٣].

- وله يصف رحلته (الأولى) في البحر:

.... وقد سَبَقَ في علم اللهِ تعالى أن يَعْظُمَ البحرُ بزَوْلِهِ ويُغْرِقَنا في هَوْلِهِ[٤]. فخَرَجْنا من البحر خروج المَيْتِ من القبر. وانْتَهَيْنا، بعدِ خطبٍ[٥] طويل، إلى بيوت بني كعبِ بنِ سُليمٍ ونحن من السَغَب على عَطَبٍ[٦] ومن العُرْيِ في أقبحِ زِيٍّ - قد قَذَفَ البحرُ زِقاقَ زَيْتٍ مزّقَتِ الحجارةُ مَنيئَتَها[٧] ودَسّمتِ الأدهانُ وَبَرَها وجِلْدَتَها[٨]. فاحْتَزَمْناها إزاراً واشتملناها لِفافاً تَمَجّنا[٩] الأبصارُ وتَخْذِلُنا الأنصارُ......

٤ - ★★ المطمح ٦٢ - ٦٣؛ الصلة ٥٣٢؛ بغية الملتمس ٨٢ - ٨٣ (رقم ١٧٩)؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٣٠؛ وفيات الأعيان ٤: ٢٩٦ - ٢٩٧؛ الديباج ٢٨١؛ ابن قنفذ ٢٧٩؛ النباهي ١٠٥ - ١٠٧؛ شذرات الذهب ٤: ١٤١؛ نفح الطيب ٢: ٢٥ -

---

(١) قلى: بغض، كره. مجال (سعة من العيش). مرحب (قوم يرحّبون بي، يحبّونني).
(٢) ...يوماً (تأتي) للفتى بما يهواه (يحبّه) ويوماً تنكّب (تبعده، تبعد به عمّا يحبّ).
(٣) الصراة: قناة في بغداد تصل دجلة بالفرات. صبابة: بقيّة. الغليل: شدّة العطش. غلّ: دخل، تخلّل، توسّط (وصل إلى وسط قلبي).
(٤) الزول (؟). الهول: الفزع، الأمر الشديد.
(٥) الخطب: الأمر الشديد (يتخاطب - يتبادلون الرأي فيه - فلا يجدون منه مخرجاً).
(٦) السغب: الجوع. العطب: الهلاك.
(٧) الزقّ: وعاء من جلد. المنيئة: الجلد (أول عهده بالدبغ).
(٨) ودسّمت (جعلت فيها دسماً، دهناً).....
(٩) احتزمناها: ربطناها على أوساطنا مثل الحزام. الإزار: ما يلفّ على القسم الأدنى من الجسم. اشتمل الشيء: جعله شملة (حول جسمنا كلّه). تمجّنا: تلفظنا (تكره رؤيتنا) الأبصار.

٤٣، ٤ : ٤٧٦ - ٤٧٧؛ أزهار الرياض ٣ : ٦٢ - ٦٥، ٨٦ - ٩٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٠٧؛ بروكلمن، الملحق ١ : ٦٦٣؛ نيكل ٢٥٨؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٠٦ (٦ : ٢٣٠)؛ سركيس ١٧٤ - ١٧٥.

أبو بكر الخشني

هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ مسعودِ بن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ الخُشَنيّ المعروفُ بابنِ أبي رُكَبٍ (جمع رُكْبة) من أهلِ جَيّانَ، أخَذَ القراءاتِ عن ابنِ النحّاسِ وابن شفيعٍ وغيرِهما، وأخذ العربيةَ (النحو) والآدابَ عن أبي عبدِ الله بن أبي العافية وابنِ الأخضرِ وابنِ الأبرش كما أخذَ عن أبي الحُسين بن سِراجٍ وأبي عليٍّ الصَدَفيّ.

وفي أواخرِ عُمُرِهِ استوطنَ غَرْناطةَ وتصدّر فيها للإقراء وَوَلِيَ صلاةَ الفريضة والخُطْبة في جامِعها. وكانتْ وفاتُه في النصفِ الأوّلِ من شهر ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٥٤٤ (صيف ١١٤٩ م).

كان أبو بكرٍ الخُشَنيُّ من كِبارِ نُحاة المغربِ (القاموس ١ : ٧٦) ومن مفاخرِها في اللغة والنحو، له من الكُتُب: «شَرْحُ كتاب سِيبويه». وكانَ له شيءٌ من النَظْم.

★★ بغية الملتمس ١٢١ (رقم ٢٨٣)؛ التكملة ١٨٨؛ معجم الأدباء ١٩ : ٥٤ - ٥٥؛ معجم ابن الأبار ١٥٧ - ١٥٨؛ الوافي بالوفيات ٥ : ٢٢ - ٢٣؛ بغية الوعاة ١٠٥؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٣١٦ (٩٦).

ابن سلام المالَقي

١ - هو أبو الحسنِ سَلامُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ الباهليُّ الإشبيليّ المالَقيّ، وُلِدَ في إشبيليةَ سَنَةَ ٤٦٤ هـ (١٠٧٢ م) وكان أبوه من وُزراءِ المُعْتَمِدِ بنِ عبّادٍ.

وَسَكَنَ مالَقَةَ وكانتْ وفاتُه في شِلْبَ في نِصْفِ رَجَبَ من سَنَةِ ٥٤٤ (١١٤٩/١١/١٩ م).

٢ - كان ابنُ سَلامٍ المالَقِيُّ أديباً كاتباً وشاعراً رقيقاً وَصَلَ إلينا منه بضْعَةُ أبياتٍ

في الحِكمة والغَزَل والنَسيب وكتابُ « الذَخائر والأعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق ».

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابنُ سَلامٍ المالَقيُّ في الغَزَلِ:

لـمّا ظَفِرْتُ بليلــةٍ مِنْ وَصْلِـه - والصَّبُّ غيرُ الوصلِ لا يَشْفِيــهِ[١] -
أنْضَجْــتُ وَرْدَةَ خَــدّهِ بتَنَفُّسي وطَفِقْـتُ أرْشُفُ ماءها من فِيه[٢].

- وقال في النسيب:

كيــفَ لي بالسُلُوِّ عنــكم، وأنتم مَوْضِعُ السُؤلِ والمُنى والمُرادِ[٣].
باعِــدوني إنْ شِئْتُمُ واهجُروني يَسْتَبِنْ قَدْرُ ما لكم في فُؤادي[٤].

- وله في الحِكمة:

إذا تمّ عقلُ المرءِ تمّتْ فضائلُهْ، وقامتْ على الإحسان منه دَلائلُهْ:
فلا تُنْكِرُ الأبصارُ ما هو فاعلُهْ، ولا تنكر الأسماعُ ما هو قائلُهْ.

٤ - الذخائر والأعلاق، القاهرة (مطبعة مصطفى وهبي) ١٢٩٨ هـ.

** المغرب ١ : ٤٣٤؛ الذيل والتكملة ٤ : ٤٨ - ٥٥ (رقم ١٢٢)؛ نفح الطيب ٢ : ٣٣٣، ٤ : ٢٠٤ - ٢٠٥؛ بروكلمن، الملحق ١ : ٤٨١؛ نيكل ٢٤٠ - ٢٤١.

القاضي عياض

١ - هو أبو الفضلِ عياضُ بنُ موسى[٥] بنِ عياضٍ[٦] بن عَمْرونِ[٧] بن موسى بنِ

(١) الوصل: لقاء المحبوب. الصبّ: المحبّ. راجع، فوق، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.
(٢) ماء ورد خدّه (!).
(٣) السلوّ: النسيان، نسيان الحبّ. السؤل = السؤال: الطلب، المبتغى.
(٤) يستبين: يظهر (لكم). ما لكم في فؤادي (من الحبّ).
(٥) في سياقة هذا النسب شيء من الاختلاف.
(٦) ولد قبل ٣٩٧ هـ بمدة يسيرة (أزهار الرياض ١ : ٢٨).
(٧) في عدد من المصادر « عمرو ». ولكن الثابت عند المقري (أزهار الرياض ١ : ٢٣، راجع ٢٥): عمرون (توفي سنة ٣٩٧ هـ).

عياض بن عبد الله[1] بن محمد[2] بن عبد الله بن موسى بن عياض اليَحصبيّ[3]، أصل أهله من الأندلس ثم إنّهُمُ ٱنتقلوا إلى المغرب مُتنقِّلينَ. وأخيراً ٱستقرّوا في سبتةَ.

وُلِدَ عياضُ بنُ موسى اليَحْصبيُّ في سبتةَ، في منتصف شعبانَ من سَنَةِ ٤٧٦ (٢٨/ ١٢/ ١٠٨٣ م). وفي سَنَةِ ٥٠٧ هـ (١١١٣ - ١١١٤ م) دخل الأندلسَ طلباً للعلم ودرس في قرطبة على نفرٍ كثيرينَ من المحدّثين والفقهاء خاصّةً[4]. تولّى القضاءَ في سبتةَ مدّةً طويلةً، ثمّ انتقل إلى قَضاء غَرْناطةَ، سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م). بعدئذٍ عاد مدّة يسيرةً إلى قَضاءِ سبتةَ.

وكان عياضٌ قد دخل في طاعةِ المرابطين فأكرموه ورفعوا مَنْزِلَتَهُ. فلمّا اضْطَرَبَتْ أحوالُهم، سنة ٥٤٣ هـ، ساءت حالُه فخرج شريداً عن وطنه إلى مَرّاكُشَ حيثُ تُوُفِّيَ وشيكاً، في سابعِ جُمادى الثانية من سنة ٥٤٤ (١٣/ ١٠/ ١١٤٩ م).

٢ - كان عياضُ بن موسى اليحصبيّ مُحَدِّثاً وفقيهاً كما كان عالماً باللغةِ والنحوِ وبأيّامِ العرب وأنسابهم وأدبهم. وكذلك كان أديباً خطيباً مُتَرَسِّلًا بليغاً وشاعراً مُكْثِراً حَسَنَ الشعرِ رقيقاً. وهو مصنِّفٌ له تآليفُ كثيرةٌ منها: الشِفا في تعريف حقوق المُصْطفى (الرسول) - مشارق الأنوار إلى صحيح الآثار (في تفسير الألفاظ الغريبة في كتب الحديث الثلاثة: الموطّأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم، معَ التنبيه على موضع الأوهام والتصحيفات في أسماء الرجال الواردةِ أسماؤهم في تلك الكتب الثلاثة) - كتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدوّنة (في ضبط الألفاظ وتحرير المسائل) - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السَّماع - ترتيبُ المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مَذْهب مالك - بُغْية الرائدِ لِما تضمّنه حديث أمّ زَرْعٍ من الفوائد - الإعلام بحدود قواعد الإسلام - الغُنْية (في شيوخه من فقهاء المغرب والأندلس) - كتاب العيون الستّة في أخبار سبتة - غُنْية الكاتب وبُغْية الطالب في الصدور

---

(١) (٢) هنالك خلاف على وجود «محمد» في سلسلة هذا النسب وعلى وجود «عبد الله» بعد «محمد».

(٣) اليحصبي يجب أن تكون بكسر الصاد عند المقري (أزهار الرياض ٢٧). وفضّل بعضهم الضم. وأبعد الأقوال في ذلك «الفتح».

(٤) راجع أسماءهم في «الديباج»، ص ١٦٩، وأزهار الرياض ٣: ٦٦ - ٣٢٦.

والترسّل- سرّ السراة في أدب القضاة- ديوان خطبه، الخ.

٣- مختارات من آثار:

- للقاضي عياض من الوصف البارع:

انْظُرْ إلى الزرعِ وخاماتــــهِ   تَحْكي -وقدماستأمامَالرِياحْ[١]-
كَتيبــــةً خَضراءَ مهزومــــةً   شَقائِــقُ النُّعْمانِ فيهــا جِراحْ!

- وقال في التشوّقِ (من لزوم ما لا يلزم):

اللهُ يَعْلَمُ أنّي مُنْــــذُ لَمْ أركُمْ   كطائِرٍ خانَــه ريشُ الجَناحَيْنِ.
فلو قَدَرْتُ رَكِبْتُ البحرَ نَحْوَكُمُ   لأنّ بُعْدَكُمُ عنّي جَنى حَيْني[٢]!

- وقال في التشوّق (من لزوم ما لا يلزم أيضاً):

يا مَنْ تَحَمّل عنّي غيرَ مُكْتَرِثٍ،   لكِنّهُ لِلضَّنى والسُقْمِ أوْصى بي[٣].
تَركْتَني مُسْتَهامَ القلبِ ذا حُرَقٍ   أخا جَوًى وتباريحٍ وأوصابِ[٤].
أُراقِبُ النجمَ في جِنْحِ الدُّجي سَمَراً   كأنّني راصدٌ لِلنَّجْمِ أو صابي[٥]!

- وقال القاضي أبو الفضلِ عِياضٌ لمّا رَحَلَ عن قُرطُبَةَ (نفح الطيب ١ : ٥٤٤ - ٥٤٦):

---

(١) الخام من الزرع: أول ما ينبت منه، أو الضمّة منه. ماس: تمايل.

(٢) جنى: أثمر: سبّب. الحين (بفتح الحاء): الموت.

(٣) تحمّل: ارتحل، سافر. غير مكترث: مهتمّ، مبال. الضنى: المرض كلّما ظنّ المريض أنّه شفي منه انتكست حاله من جديد. السقم: المرض. للسقم أوصى بي: جعلني وديعة عند المرض (دام مرضي).

(٤) مستهام القلب: هائم القلب (كأنّه موسوس من شدّة الحبّ). الجوى: شدّة الحبّ حتّى كأنّ الحب فيه مرض. التبريح: التعذيب، شدّة الأذى. الوصب: الألم، الوجع.

(٥) جنح (جانب من) الليل= يقصد الشاعر: في ظلام الليل، طوال الليل. السمر (بفتح الميم): حديث الليل؛ والشاعر يقصد سمرا (بسكون الميم): بلا نوم (سمر سمرا: لم ينم). صابي= صابىء: عابد النجوم (الصابئة طائفة قديمة من عبدة النجوم، وهي غير الصابئين الوارد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة البقرة والمائدة والحجّ- ٢ : ٦٢، ٥ : ٧٢، ٢٢ : ١٧).

أقولُ وقد جدّ ٱرتحالي وغرّدتْ حُداتي، وزُمّتْ للفِراق ركائبي[1]،
وقد غَمِصَتْ من كَثْرةِ الدمعِ مُقْلتي، وصارتْ هواءً من فُؤادي تَرائبي[2]،
ولم يَبْقَ إلّا وقفةٌ يَسْتَحِثُّها وَداعِيَ للأحباب لا للحبائب[3]:
رَعى اللهُ جيراناً بِقُرْطُبَةِ العُلا وجادَ رُباها بالعِهادِ السَّواكب[4].
وَحَيّا زماناً بَيْنَهُم قد أَلِفْتُه طليقَ المُحيّا مُسْتَلانَ الجوانب[5].
أإخوانَنا، باللهِ، فيها تَذكّروا مَودّةَ جارٍ أو مودّةَ صاحب.
غَدَوْتُ بهم من بِرِّهِمْ وٱحْتفائِهم كأنِّيَ في أهْلي وبينَ أقاربي.

- كتبَ القاضي عِياضٌ إلى ٱثْنينِ من إخوانِه رِسالةً مُثْقَلَةً بالصِناعة وقد مَلأها بأسماءِ النجومِ (كلّ ٱسمٍ عَلَمٍ على نَجْمٍ أو مجموعِ نجومٍ أتْبَعْتُه بهذهِ العلامة: ★)- من «الخريدة» (المغرب والأندلس ٣: ٤١٣ - ٤١٥)- وقدِ ٱخْتَرْتُ ألّا أحُلَّ ألفاظَ هذه القِطعة لكَثْرةِ ما فيها مِنَ الاستعارات:

قد وَقَفْتُ- أعزّكُما اللهُ- على بَدائِعِكُما الغريبةِ ومَنازِعِكُما البعيدة، ورأيتُ تَرَقِّيَكُما من الزَّهْرِ إلى الزُّهْر، وتَنَقُّلَكُما إلى الدراري[6] بعدَ الدُّرِّ، فأبَحْتُما حِمى

---

(١) جدّ الرحيل: اجتهد الراحلون بالاستعداد له وأسرعوا. غرّد: غنّى. الحادي: الذي يسوق القافلة ويغنّي للمسافرين كيلا يملّوا من طول السفر ومشقّته. الركوبة: الدابّة المعدّة للركوب. زمّت (بالبناء للمجهول) ركائبي: أخذ (بالبناء للمجهول) بزمامها لتبدأ سيرها. ويجوز زمّت (للمعلوم) ركائبي: رفعت ركائبي رؤوسها لتبدأ السير.

(٢) غمصت (بالغين المعجمة والصاد المهملة): كثر فيها الغمص أو الرمص:(القذى). في نفح الطيب (١: ٤٤٦) وفي الخريدة (المغرب ٣: ٥٠٣) والخريدة (الأندلس ٢: ٥٥٣) غمضت بالغين والضاد المعجمتين. وقد أشارت الخريدة (المغرب ٣: ٥٠٣، الحاشية ٥) أنّ الكلمة في «قلائد العقيان» بالغين المعجمة والصاد المهملة. راجع «قلائد العقيان» (ص ٢٥٧). الترائب: العظام في أعلى الصدر. صارت هواء... (تبخّرت عظام صدري من شدّة حرارة قلبي؟).

(٣) لم يبق من الوقت لبدء السفر غير وقفة قصيرة يستحثّها (يستعجلها: يطلب تقصيرها)... الأحباب جمع حبيب، والحبائب جمع حبيبة.

(٤) العهاد: المطر المعهود (الذي يسقط متتالياً).

(٥) طليق (يقصد: طلق، بالفتح) المحيّا (الوجه): مسرور. استلان الرجل العيش: وجده ليّناً ناعماً، هنيئاً. مستلان (في القلائد: مستلين) (؟).

(٦) الزهر (بالضمّ) والدراري: النجوم.

النجومِ وقَذَفْتُماها من ثواقبِ أفهامِكُما بالرُّجوم، وتركْتُماها بعدَ الطَّلاقةِ ذاتَ وُجوم[١]. فَحَلَلْتُما بَسِيطَها غارةً شعواءَ[٢] لها عَوتْ أكْلُبُ العَوّاء ★. هُنالك ٱفْتُرِسَتِ الفوارسُ ولم تُغْنِ عن السِّماك ★ الداعس (؟) وغُودِرَتِ النَّثْرة ★ نِثاراً وأُغْشِيَ لألاؤها نَقْعاً[٣] مُثاراً كأنّ لكُما عِندَها ثاراً. وأُشْعِرَتِ الشِّعْرَيانِ ★ ذُعْراً وقَطَعَتْ إحداهُما أواصِرَ الأخرى. فأخذتْ بالحَزْمِ منها العَبورُ ★ وبَدَرَتْ خيلكما وسيلكما[٤] بالعُبور. وحَذِرَتِ اللِّحاقَ عن أن تَعوقَ عن مُنْحَنى العَيّوق★. فخلّفتْ أُختَها تندُبُ الوفاءَ وتَجْهَدُ جُهْدَها في الاختفاء. وكأنّ الثُّرَيّا ★ حين تُرْتُمْ بِقَطينها[٥] اتَّقَتْكُم بيمينها، فجَذَبْتم بَنانَها وبذلْتُمْ للخضيبِ ★ أمانَها[٦]. فعندَها ٱستسهلَ سُهيلٌ ★ الفِرار فأبعد بيمينه القَرار. ووَلّى الدَّبَران ★ إثْرَهُ مُدبراً.

– وللقاضي عِياضٍ أيضاً خُطبةٌ جمع فيها سوَرَ القُرآنِ الكريم – وسيكون ٱسْمُ كلُّ سورةٍ متبوعاً بنَجْمٍ ★ (نفح الطيب ٧: ٣٣٣ – ٣٣٤):

الحمدُ للهِ الذي افتتح بالحَمْدِ ★ كَلامَه وبيّن في سُورة البَقَرة ★ أحكامَهُ، ومَدّ في آلِ عِمرانَ ★ والنساءِ ★ مائدة ★ الأنعامِ ★ لَيُتِمَّ إنعامَهُ. وجَعَلَ في الأعراف ★ أنفالَ ★ تَوْبَةِ ★ يُونسَ ★ و «أَلَرَ كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُه»[٧]★ بمُجاورةِ يُوسُفَ ★ الصِدّيقِ في دار الكَرامة، وسبّح الرَّعْدُ ★ بحَمْدِهِ، وجعل النار بَرْداً وسلاماً على إبراهيمَ ★ ليُؤْمنَ أهْلُ الحجْر ★ أنّه إذا أتى أمرُ الله سُبحانَه فلا كَهْفَ ★ ولا ملجأَ

---

(١) الرجم (بضمّ فضمّ) والرجوم (حجارة تتساقط من السماء – تكون دائرة في أفلاك لها حول الكواكب ثمّ تفلت من مداراتها فتسقط إلى الأرض بسبب جذب الأرض لها). الوجوم: السكوت.

(٢) حلّ: نزل. البسيط: الأرض المستوية. الشعواء: المنتشرة. فحللتم بسيطها غارة...(؟): ملأتم الارض بالحرب

(٣) النقع: غبار الحرب.

(٤) بدرت خيلكما وسيلكما..... (؟): سبقت.الشعريان: أختان عبرت احداهما إلى الجانب الآخر من السماء، فبكت الثانية حتى عمصت.

(٥) القطين: الساكن معك في بيت واحد.

(٦) الكفّ الخضيب: نجم.

(٧) «ألَرَ، كتاب أحكمت آياته» بدء سورة هود (السورة الحادية عشرة في المصحف).

إلّا إليه لا يُظلمون قُلامة[1].

٤ - الشفا في تعريف حقوق المصطفى (الرسول)، استانبول ١٢٦٤ هـ الخ، الهند ١٢٧٦ هـ الخ، القاهرة ١٢٩٥ هـ الخ فاس ١٣٠٥ هـ الخ. هـ ١٣٢٩.
- مشارق الأنوار، فاس ١٣٢٨، ١٣٣٣ هـ، القاهرة ١٣٣٢ هـ.
- الألماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، الهند بلا تاريخ.
- المدارك (حققه أحمد بكير محمود).

★★ أزهار الرياض في أخبار عياض، تأليف شهاب الدين المقري التلمساني (ضبطه... مصطفى السقّا وابراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٨ - ١٣٦١ هـ= ١٩٣٩ - ١٩٤٢ م.

قلائد العقيان ٢٥٥ - ٢٥٨؛ بغية الملتمس ٤٢٥ (رقم ١٢٦٩)؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٤١٣ - ٤١٤، ٥٠١ - ٥٠٥؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥٥٠ - ٥٥٥؛ إنباه الرواة ٢: ٣٦٣ - ٣٦٤؛ معجم ابن الأبار ٢٩٤ - ٢٩٨؛ وفيات الأعيان ٣: ٤٨٣ - ٤٨٥؛ ابن قنفذ ٢٨٠؛ النباهي ١٠١؛ الديباج المذهب ١٦٨ - ١٧٣؛ شذرات الذهب ٤: ١٣٨ - ١٣٩؛ نفح الطيب ١: ٥٤٤ - ٥٤٥، ٥: ٤٠٨ - ٤٠٩، ٧: ٣٣٣ - ٣٣٤؛ تاج العروس (الكويت) ٢: ٢٨٧، ١٨: ٤٥٠ (تحقيق الاسم والنسبة)؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٢: ٥٦٦ - ٥٦٧،(الطبعة الثانية) ٤: ٢٨٩ - ٢٩٠؛ بروكلمن ١: ٤٥٥ - ٤٥٦، الملحق ١: ٦٣٠ - ٦٣٢؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٨٢ (٩٩)؛ بالنثيا ٢٨٣، ٣٩٧ - ٣٩٨، سركيس ١٣٩٧ - ١٣٩٨.

أبو بكر الأبيض

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ أحمدَ الابيضُ[2] أصلُه من قرية هَمْدانَ[3] وتأدّبَ في إشبيلِيةَ وقُرطبةَ (المغرب ٢: ١٢٧). وكان أبو بكرٍ الأبيضُ قد وَلِعَ بهجاءِ الزُبير بنِ عُمَرَ المُلَثَّمِ[4] أميرِ قُرطُبَةَ مِنْ قِبَلِ المُرابطين فقتله الزبيرُ سَنَةَ ٥٤٤ هـ (وفيات

(١) القلامة: ما يقطع عادة من الظفر (شيء قليل جدًّا).
(٢) وقيل: أحمد بن محمّد (زاد المسافر ١٠٨؛ نفح الطيب ٣: ٤٦١). وقيل أيضاً: ابن الأبيض (جيش التوشيح ٤٦).
(٣) لعلّها جنوب غرناطة (إذ هي من مملكة إلبيرة).
(٤) الملثّم من الملثّمين (المرابطين، الطوارق اليوم) لأنّ رجالهم كانوا يضعون لثاماً على وجوههم.

الأعيان ٤: ٤٣٧)، ١١٤٥ - ١١٤٦ م.

٢ - أبو بكرٍ الأبيضُ من الموشِّحينَ المطبوعين (مقدّمة ابن خلدون ١١٤٠)، وهو شاعرٌ مشهورٌ ووشّاحٌ حَسَنُ التَصرُّفِ هَجّاءٌ (المغرب ٢: ١٢٧) اخترعَ وولّدَ ونَظَمَ شعرَه وتوشيحَه في قالَبِ الإعجازِ مُتَصرِّفاً فيه بالحقيقةِ والمَجاز (جيش التوشيح، ص ٤٦).

وشعرُه القصيدُ على عمودِ الشعرِ متينٌ فخمٌ. أمّا موشّحاتُه ففيها لِينٌ - حتّى حينما تُقاسُ بأشباهِها من المُوشّحاتِ الأندلسية - ولعلّه لا يستحقُّ المكانةَ التي يحتلّها في أقوالِ النُقّاد إذا نحنُ حكَمْنا على مُوشّحاتِه التي وصلتْ إلينا[١].

وفنونُ أبي بكرٍ الأبيضِ - في قصيدِه وموشَّحِه - المدحُ والهِجاءُ والغزل والمُجون وشيءٌ من الوصْفِ. وهجاؤه كثيرٌ مُقْذِعٌ. وقد هاجى ابن صارة الشنتريني (ت ٥١٧ هـ).

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو بكرٍ الأبيضُ في الفقهاء المرائين[٢]:

أهــلَ الريــاء، لَبِستُمْ ناموسكم كالذئب يُدْلِجُ في الظلام العاتمِ[٣]؛
فَمَلَكْتُمُ الدنيـا بمذهـبِ مالكٍ، وقسمتُمُ الأموالَ بابنِ القاسمِ[٤]،

(١) نسب إليه ابن خلدون (المقدّمة ١١٤٠ - ١١٤١) الموشّحة المشهورة « ما لذ لي شرب راح » (هي ليست له في الأصحّ).

(٢) تروى أيضاً لابن البنّي (راجع نفح الطيب ٣: ٤٤٨، الحاشية ٢).

(٣) الناموس: القانون أو الشريعة (تظاهرتم باتّباع الشريعة في أموركم). والقرينة هنا تدلّ على أن الناموس ثوب أسود (؟).

(٤) الإمام مالك بن أنس فقيه أهل المدينة وصاحب المذهب المالكيّ الذي يعمل به جميع أهل الأندلس والمغرب (استغللتم الدين في سبيل جرّ منافع الدنيا إليكم). ابن القاسم هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد فقيه مالكيّ صحب مالك بن أنس عشرين سنة وجمع بين العلم والزهد (ت ١٩١ هـ، في مصر). وهو صاحب المدوّنة (كتاب الفقه المعتمَد في المغرب والأندلس) في رأي أتباع مالك، وعن ابن القاسم رواها سحنون (١٦٠ - ٢٤٠ هـ) وهو فقيه أهل المغرب. قسمتم الأموال: اقتسمتموها آحتزتموها لأنفسكم).

وركِبتمُ شُهْبَ البِغالِ بأشْهَبٍ، وبأصبغٍ صُبِغتْ لكم في العالم[1].

- وقال يتهكّم برجل زعم أنّه ينال الخلافة:

أميرَ المؤمنين، نداءُ شيخٍ أفادَكَ من نصائحه اللطيفه[2]،
تَحفَّظْ أن يكونَ الجِذعُ يوماً سريراً من أسِرَّتِكَ المُنيفه[3].
أُفكّرُ فيك مَطْوِيًّا فأبكي، وتُضْحِكُني أمانيك السخيفه[4].

- وقال يهجو الزبيرَ أميرَ قُرطُبَةَ:

عَكَفَ الزُبيرُ على الضلالةِ جاهِداً ووزيرُه المشهورُ كلبُ النارِ[5].
ما زال يأخذُ سجدةً في سجدةٍ[6] بينَ الكؤوس ونَغمةِ الأوتار.
فإذا آعتراه السَهْوُ سَبّحَ خلفَهُ صوتُ القِيانِ ورَنّة المزمار[7]!

- ومن أحسنِ شعرِه قولُه في مولود (المغرب ٢ : ١٢٧):

يا خيرَ مَعْنٍ وأوْلاها بعارِفَةٍ، للهِ نَعماءُ عنها الدهرُ قد نَعَسا[8]،

---

(١) ركبتم البغال الشهباء (البيضاء) كناية عن المكانة الاجتماعية الرفيعة وعن الثروة. أشهب بن عبد العزيز القيسي فقيه الديار المصرية على مذهب مالك (١٤٥ - ٢٠٤ هـ). أصبغ بن الفرج (ت ٢٢٥ هـ) من كبار الفقهاء المالكية في مصر. وكان أعلم الخلق برأي مالك (القاموس المحيط ٣ : ١٠٩). صبغت (شهرتكم، مكانتكم: حسنت) أو نلتم محاسن الدنيا.

(٢) أمير المؤمنين (نداء على التهكّم، لأنّ الرجل يدّعي أنّه سينال الخلافة). في نفح الطيب ٣ : ٤٩٠ «من أماليه».

(٣) تحفّظ: احترس، احذر. الجذع: جذع شجرة أو قطعة من خشب يعلّق عليها المصلوب. سرير: عرش أو مجلس وثير. منيف: عال. (في «عال» تورية بين العالي (المرتفع في الجوّ) والعالي (المرتفع في المكانة).

(٤) في نفح الطيب: وأذكر منك مصلوباً فأبكي.

(٥) هو الزبير بن عمر الملثّم (المرابطي) أمير قرطبة (راجع نفح الطيب ١ : ٤٧١، ٣ : ٤٨٩ - ٤٩٠).

(٦) يداخل بين السجدات (يخطىء في صلاته) لأنّه لا يفيق من السكر ولا يعي من كثرة الغناء والعَزف عنده.

(٧) إذا نسي الإمام في الصلاة حركة أو ركعة نبّهه المصلّون وراءه بقولهم: سبحان الله. أمّا الزبير هذا فإنّه يخطىء كثيراً، ولكن بدلاً من أن يقال له: «سبحان الله»، يسمع وراءه غناء المغنّيات وأصوات المزامير (ولذلك لا ينتبه إلى ما ينساه من صلاته).

(٨) معن: بنو معن (لعلّهم آل صُمادح - بضمّ الصاد - وهم أمراء المريّة في الأندلس). أولاها أولى قبيلة بني معن. العارفة: المعروف (فعل الخير). - أنتم في نعمة نعس (نام) عنها الدهر (نسيها) فدامت فيكم.

لِيُهْنِكَ الفارسُ المَيْمونُ طائرُهُ؛ لله أنتَ، لقد أذْكَيْتَه قَبَسا[1].
أصاختِ الخيلُ آذاناً لِصَرْختهِ، وارتاعَ كلُّ هِزَبْرٍ حينما عَطَسا[2].
تَعلّمَ الركْضَ أيامَ المَخاض به فما امتطى الخيلَ إلّا وهو قد فَرَسا[3].
تعشّقَ الدرعَ مُذْ شُدّتْ لفائفُهُ، وأنكرَ المهدَ لمّا أبصرَ الفَرَسا[4].
بَشِّرْ قبائلَ مَعْنٍ أنّ سيِّدَها قد أثْمَرَ الملكَ بالمجدِ الذي غَرَسا[5].

- لمّا وَلَعَ أبو بكرٍ الأبيضُ بهجاءِ الزُبير بن عُمَرَ أَمَرَ الزُبيرُ بإحضارِه فقرّعه وقال له: ما دَعاكَ إلى هذا؟ فقال له أبو بكرٍ الأبيضُ: (نفح الطيب ٣: ٤٩٠):

«إنّي لم أرَ أحقَّ بالهَجْو مِنكَ. ولو علمتَ ما أنتَ عليه من المَخازي لَهَجَوْتَ نفسَك إنصافاً ولم تَكِلْها إلى أحدٍ!»

فلمّا سَمِعَ الزُبيرُ ذلك منه قامتْ قيامتُهُ وأمَرَ بقَتْلِه.

- وقال في الخمر:

سَفَكَ المسيحُ سُلافَها واخْتارَها ودَعا لها حَوْلاً ببَيْتِ المَقْدِس[7].
فإذا بدا لألاؤها سجدوا له مُتَطَوِّفينَ بها ولَمّا تُلْمَسِ[8]،
يتوهّمونَ بأنّ عيسى كامِنٌ مُتَنَفِّسٌ في روحِها المتنفِّسِ.
مِنْ هذه فَلْتَسْقني، ودَعِ التي تَنغَلّ في جِلْبابِها المُتَدنِّس[9]!

---

(١) أذكيته قبساً: أوقدته فكان مشعلاً شديد الضوء.

(٢) أصاخ: مدّ أذنه ومال برأسه ليسمع جيّداً. لصرخته (لصرخته الأولى يوم ولد). ارتاع: خاف. الهزبر: الأسد. عطس (عطس عقب الولادة). - كان مهوباً (يخاف الناس منه) منذ ولادته.

(٣) الركض: السباق، الهجوم في الحرب. المخاض: آلام الولادة عند المرأة. - ما بلغ من السنّ ما يبدأ به الناس أن يركبوا الخيل حتّى كان قد فرس (أصبح من الفرسان الشجعان).

(٤) اللفائف: الأقمطة التي يلفّ بها الوليد. - حينما كان طفلاً في المهد أبصر حصاناً، فأصبح منذ ذلك الحين يكره البقاء في المهد رغبة في ركوب الخيل.

(٥) إنّ رئيس قبيلة معن قد غرس مجداً (الطفل الذي أنجبه) فكان ثمرة ذلك ملكاً (دائماً)!

(٦) لم تكلها (لم تعهد بها) إلى أحد.

(٧) السلاف: أفضل الخمر وأخلصها (أكثرها صفاء). دعا لها (صلّى عليها) حَوْلا (عاماً).

(٨) ولمّا تُلْمس: قبل أن يمسّها أحد (قبل أن يبدأوا بشربها).

(٩) انغلّ في الثوب: دخل فيه. الجلباب: الرداء الواسع. المدنّس: الملّوث.

- من موشّحات أبي بكر الأبيض (جيش التوشيح ٥٤) :

من سَقى عَيْنَيْكَ كأسَ المُدامْ؟ يــــا مُنـــى المُستَهـــامْ[1]!

★ ★ ★

رشأٌ أسْهَرَني وهو نائِمْ
رقَّ لي والموتُ بـــــينَ الحَيـــــازِمْ.
عَجَبـــــاً مِنْ دَمْعـــــهِ وهو باسِمْ
خَنِثٌ يَمْزُجُ تحتَ اللِثامْ عَبْـرةً بـابتِــسامْ[2].

★ ★ ★

قلـــب دنيــــاي تسقى رُوَيْـــــدْ
تحتَ إحسانِ الوزيرِ ابنِ زَيْــــــــدْ.
فأنــــا أربَـــعُ في خــــيرِ قَيْــــدْ!
بـــينَ بِرٍّ وعطايــــا جِسامْ أخَـواتِ الغَـمـــامْ[3].

★ ★ ★

بائنُ الغَوْرِ بعيـــدُ المسافـــــهْ.
قـــد كَفـــى قُرطُبَـــةً كـــلَّ آفـــهْ.
كم يــــدٍ أوْلَيْـــتَ دارَ الخِلافـــهْ.
طَوّقَـــتْ جيــدَكْ طَوْقَ الحَمامْ في حُـــــــلى الكِرامْ[4].

★ ★ ★

---

(١) المستهام: الهائم (الذي حيّره الحبّ).

(٢) الرشأ: الغزال الصغير. الحيزوم: الصدر أو وسطه. والموت بين الحيازم: قاربت الروح أن تخرج من الجسم. الخنث (هنا): الليّن الجسم، والذي يفعل فعل المخنّث من لين الكلام.

(٣) قلب دنياي تسقى (؟) رويد (على مهل). أربع: أرتع، أسرح في الربيع. في خير قيد (تقيّدي به (انقطاعي إليه وحده) خيرٌ كبير لي. أخوات الغمام (السحاب) كثيرة كريمة.

(٤) بائن (بعيد، عميق) الغور (القعر)...: لا يدرك أحد دهاءه ولا يستطيع أحد أن يصل إلى ما وصل =

بِــــكَ، يــــا مُشْرِفُ، صــــحّ اليقــــينْ
أنـــــتَ صبــــح الـمِشـــكاة المبــــينْ.
أيَّ نَصْــــــلٍ سلَّـــــــهُ مـــــا.....
مَلِـــــكٌ شرّفَـــــه في الأنـــــام   حَمْـــــــــــــلُ ذاك الحمامْ.

★ ★ ★

شُرِّفَ الملـــــكُ بـــــه حـــــين حاطَـــــهْ
فَشَدَتْ وجـــــداً بـــــه غَرْناطـــــهْ
إذ توخّـــــى بِسِواهـــــا ارتباطَـــــهْ.
كلَّ يومٍ أُقريكَ، يا حبيبُ، سلامْ؛   ونَسِيـــــتَ أنـــــتَ ذِمـــامْ[1].

٤ - ★★ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٢٥٨ - ٢٥٩، ٣: ٥٨٠ - ٥٨١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٦٠، ٦٧٠؛ وفيات الأعيان ٤: ٤٣٧؛ المغرب ٢: ١٢٧ - ١٢٨؛ المطرب ٧٦؛ زاد المسافر ١٠٨ - ١١٣؛ جيش التوشيح ٤٦ - ٥٨، راجع ٢٣٤ - ٢٤٠؛ مقدّمة ابن خلدون ٥٨٤ - ٥٨٥ (١١٤٠ - ١١٤١)؛ نفح الطيب ٣: ٢٨٧، ٤٠٤، ٤٤٨، ٤٦٠، ٤٨٩، ٧: ٧؛ نيكل ٢٤٥ - ٢٤٧؛ مختارات نيكل ٢١٩.

جعفر بن محمّد الشنتمري

١ - هو أبو الفضلِ جعفرُ بنُ محمّدِ بن يوسفَ بنِ سُليمانَ بن عيسى الشَنتمريُّ[2] من أهلِ شَنْتَ مَرِيّةَ الغَرْبِ (فارو، البرتغال اليومَ)، وُلِدَ فيها ونشأ وأَقرأَ النحوَ فيها منذ

= إليه هو. كم يد....: كم فضل لك على دار الخلافة (العاصمة) في حفظ الملك على أهله. لعدد من أنواع الحمام طوق (ريش مخالف لريش سائر الجسم يحيط بالعنق). الفضل ظاهر فيك ثابت (كثبات طوق الحمام). في (من) حلى الكرام: يدلّ على أصلك الكريم أو عملك الكريم.

(١) حاطه: (حماه من الأخطار) فشدت (تغنّت = افتخرت) وجداً به (حبًّاله). إذ توخّى (أراد) بسواها ارتباطه (الانتقال إلى بلد آخر) (؟). أقريك = أقرئك. الذمام: العهد (المحبّة التي بيننا).

(٢) هو حفيد الأعلم الشنتمري يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ).

صِباه الأوّلِ قبلَ أنْ يَلْتَحِيَ[١]. ويبدو أنّه تَطوّف بالأندلس قليلًا ومَدَحَ سُلطانَ المُرابطين عَليَّ بنَ يوسفَ بنِ تاشفينَ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). وقد تولّى القضاءَ في بَلدهِ شنت مريّة. ويبدو أنّه تولّى الوزارةَ أيضاً. وعاشَ جانباً كبيراً من حياته مُنْغَمِساً في مَلاذِّه من الخَمْر والنساء. ثمّ إنّه تاب وزَهِدَ. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٤٧ (١١٥٢ - ١١٥٣ م).

٢ - كان جعفرُ بنُ محمدٍ الشنتمريُّ فقيهاً وبارعاً في النحو، كما كان أديباً ناثراً وشاعراً. وفي نثرِه تكلُّفٌ ظاهرٌ للغَريب وللصِناعة. وفي بعضِ شعرِه إجادةٌ وإحسانٌ. ومن فنونهِ: الوصفُ والخمر والغَزَل والزُهد.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال جعفرُ بنُ محمدٍ الشنتمريُّ يَصِفُ فَرَساً وسَرْجاً:

انظُرْ إليه (إلى الفرس) سَليمَ الأديمِ كريمَ القديمِ كأنّما نشأ بين الغَبْراء واليَحْموم[٢]: نَجْمٌ إذا بدا ووَهْمٌ إذا عَدا[٣]، يَسْتقبلُ بغَزالٍ ويَسْتدبِرُ برالٍ ويتحلّى بشِياتِ تقسيماتِ الجَمالِ[٤].... (وفي السرج): بِزّةُ جِيادٍ ومركبُ أجوادٍ[٥]: جميلُ الظاهرِ رحيبُ ما بين القادمةِ والآخِرِ[٦]، كأنّما قُدّ من الخُدودِ أديمُه واختَصّ بإتْقان

---

(١) التحى الشابّ: ظهرت لحيته.

(٢) الغبراء فرس (مؤنّثة) لقيس بن زهير العبسيّ، وهي (أي الغبراء) خالة داحس (فرس مذكّر). وبسبب داحس والغبراء ثارت الحرب المشهورة باسمها في الجاهلية. واليحموم فرس مذكّر كان للنعمان بن المنذر وكان (أي اليحموم) من نسل الحرون (راجع القاموس ٤: ١٠١، ٢١٣ وتاج العروس - الكويت ١٣: ١٩١). كأنّما نشأ بين الخ: كأنّ أمّه الغبراء وأباه اليحموم.

(٣) وهم (خيال) إذا عدا (ركض): سريع جدّا.

(٤) يستقبل بغزال (أي: رأسه وعنقه كرأس الغزال وعنق الغزال). ويستدبر برال (أي: مؤخّرته تشبه الرال) الرأل: فرخ النعام. - والصورة لم تتضح (بكسر الضاد) لي. الشية: الصفة. تقسيمات (أقسام، أوجه؟).

(٥) بزّة (ثوب) جياد (جمع جواد: حصان أصيل) ومركب أجواد (جمع جواد: كريم، يعطي من ماله).

(٦) رحيب (واسع) القادمة (الجبهة، الرأس، الخ) والآخر (أي طويل الجسم): سرج واسع.

الحبك تقويمُه[1].

- وله في النسيب وفي الغزل:

★★ كَتَبْتُ ولاعجُ البُرَحاءِ يُمْلي، ونارُ الشوقِ تَسْتَمْري الدُموعا[2].
ولو نفسي أُطاوِعُها لَقَضّتْ إليكم، يا أحِبَّتِيَ، الضُلوعا[3]!

★★ قالتْ- وقد أقبلتُ أَلْثِمُها، والخِرْصُ لا يلوي على الدَهَش-[4]:
أفْضَحْتَ نفسَك. قلتُ: واحَرَبا! أأموتُ في غَرَقٍ من العَطَشِ[5]؟

- وقال لمّا تاب وزَهِدَ (وقد شارف الكُهولةَ):

أمّا أنا فقدِ ارْعَوَيْتُ عنِ الصِبا وَعَضَضْتُ من نَدَمٍ عليَّ بَناني[6].
قاطعتُ نُصّاحي، وربَّ نصيحةٍ جاءوا بها فلججتُ في العِصيان.
أيّامَ أسحَبُ مِنْ ذُيولِ شَبيبتي مَرَحاً، وأعثر في فُضولِ عِناني[7]؛
وأُجِلُّ كأسي أن تُرى مَوْضوعةً، فعلَى يَدي أو في يَدَيْ نَدْماني[8].
أيّامَ أحيا بالغَواني والغِنا وأموتُ بين الراحِ والرَيْحان،
في فِتْيَةٍ فَرَضوا اتّصالَ هواهُمُ، فمُناهُمُ دَنٌّ من الأدنان[9].

---

(١) كأنّما قُدّ (قطع) من الخدود أديمه (جلده): أي ناعم الجلد (كأن الجلد الذي صنع منه بشرة خدود لنعومته). الحبك (النسج، الجدل) تقويمه (مثاله): أي جميل الصورة.

(٢) البرحاء: الشدّة (شدة حرارة الحُمّى)- اللاعج: الهوى المحرق. استمرى: استحلب (جعل الحليب يجري من ضرع الناقة، الخ).

(٣) قضّ فلان الشيء: دقّه وكسّره.

(٤) الخرص (بالكسر): الحلقة (بفتح فسكون) توضع في الأذن. الدهش: الحيرة وتشتّت الفكر. يلوي من الدهش (يجوز هنا في «يلوي» أن تكون على صيغة فعل وعلى صيغة أفعل): الخرص (الذي هو جماد) لا يلوي (لا يميل، لا يتحرّك، لا يلتفت) من الدهش (لكثرة قبلاتنا وشدّتها).

(٥) أأموت في غرق من العطش (أأرى مجالاً واسعاً أمامي للتقبيل، ثمّ لا أقبّل حبيبي؟).

(٦) ارعويت (رجعت، تركت) عن الصبا (أفعال الشباب). عضضت الخ: ندمت.

(٧) حينا كنت أتمتّع بكلّ ما أستطيع بشبابي. وأعثر في فضول (ذيول، زيادة) عناني (رسني): كنت لا أبالي ما أفعل ثمّ أخطىء وأعاقب بنتائج خطأي.

(٨) أجلّ: أرفع قدر كأسي. الندمان (بالفتح) النديم، وقد تكون للجمع (القاموس ٤: ١٨٠).

(٩) الدنّ: الخابية (للخمر).

هَزّتْ عُلاهُمْ أرْيَحِيّـاتُ الصبـا ، فَهْيَ النسيمُ وهُمْ غُصونُ البـان ،
من كُـلِّ مخلوعِ الأعِنّـةِ لم يُبَـلْ في غَيّـهِ بَمصـارف الأزمـان[1] .

٤ - ★★ المغرب ١ : ٣٩٦ - ٣٩٧ ؛ خريدة القصر (الأندلس) ٢ : ٤٩٣ - ٤٩٨ ؛ نفح الطيب ٤ : ٣١ - ٣٥ ، ٧٣ - ٧٥ ، ٨٦ .

ابن ينّق الشاطبي

١ - هو أبو عامرٍ محمّدُ بنُ يحيى بنِ محمّدِ بن خليفةَ الشاطبيُّ المعروفُ بابن يَنَّقَ (من الإسبانية إنْبِيق من اللاتينية أنِّيقوس)★ ، وُلِدَ سَنَةَ ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م) .

أخذ ابنُ يَنَّقَ عن أبي عليّ الصدَفيّ ورَحَلَ إلى قُرطبةَ وسَمِعَ من أبي الحسينِ بن سِراجٍ . وكذلك لازمَ أبا العلاء زُهْرَ بنَ زُهرٍ في إشْبيلية وأخذ عنه شيئاً من الطِّبّ. وكانت وَفاتُه في آخِرِ سَنَةِ ٥٤٧ هـ (١١٥٣ م) .

٢ - كان ابنُ يَنّقَ الشاطبيُّ بارعاً في عددٍ من العلوم مؤرّخاً أديباً ناثراً وشاعراً . ثمّ هو مُصَنِّفٌ له: كتاب الحماسة (كبير) - ملوك الأندلس والأعيان والشعراء فيها - مجموعة خطب (عارض فيها ابن نُباتة) .

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن يَنّقَ الشاطبيُّ في الغزَلِ:

وما ظبيـةٌ أدمـاءُ تألـفُ وَجْرَةً تَرودُ ظِـلالَ الضالِ أو أَثَلاتِها[2]
بأحسنَ منهـا يومَ أوْمَتْ بلَحْظِها إلَيْنـا ولم تَنْطِقْ حَذارَ وُشاتِها[3]!

---

(١) مخلوع العنان: مستهتر. لم يبل (لم يبال): لم يهتمّ. مصارف الأزمان (تقلّب أحوال الزمان).
★ راجع نيكل ٢٤٥ .
(٢) أدماء : سمراء اللون. وجرة: اسم مكان مشهور بالظباء . ترود (تتجوّل). الضال والأثل: نوعان من الشجر.
(٣) أومت = أومأت: أشارت. حذار (خوف).

- وقال قصيدة في المديح مَطْلَعُها في الشكوى من الزمان ومُداراة الحياة:

حَسْبي من الدهرِ أنّ الدهرَ يُنْتِجُ لي بِكْرَ الخُطوبِ وأنّي عاثرُ الأَمَلِ[١].
دَعْني أُصادِ زماني في تَقَلُّبِه، فهل سمعتَ بظلٍّ غيرِ مُنْتَقِلِ[٢]؟
وكلّما راحَ جَهْماً رُحْتُ مبتسماً كالبدر يزدادُ إشراقاً مَعَ الطَفَلِ[٣]!
أَغَرُّ إنْ تَدْعُهُ يوماً لنائبةٍ جُلّى ،ولا يَكْشِفُ الجُلّى سِوى جَلَلِ[٤].
قد أوسعَ الأرضَ عدلاً والبلادَ نَدًى،
فالرَّوْضُ طَلْقُ الرُبى والشمسُ في الحمل[٥].
يرعى الممالكَ من قربٍ ومن بُعُدٍ ويأخذُ الأمر بينَ الرَّيْثِ والعَجَلِ[٦].
دَعْ عنك ما أحرزتْ يونانُ من حِكَمٍ وسارَ من حكماءِ الفُرْسِ من مَثَلِ
وانظُرْ إليها تَجِدْها أَحْرَزَتْ سَبَقاً في الجُهْدِ منها ،وحازَ السبقَ في مَهَلِ[٧]!

- وكتب إلى هند جاريةِ أبي محمّدٍ عبدِ اللهِ بنِ مَسْلَمَةَ الشاطبيّ يدعوها إلى جلسة غناء: (نفح الطيب ٤: ٢٩٣):

يا هندُ، هلْ لكِ في زيارةِ فِتْيَةٍ نَبَذوا المَحارم غيرَ شُرْبِ السَلْسَلِ[٨].
سَمِعوا البلابلَ قد شَدَت! فتذكّروا نَغَماتِ عُودِكِ في الثَقيلِ الأوّلِ[٩]!

---

(١) حسبي: يكفيني. ينتج: يلد. بكر الخطوب (المصائب): الخطوب التي لم يعرف أحد مثلها قبلي. العاثر (الذي يقع كثيراً في أثناء مسيره). عاثر الأمل: قليل الحظّ.

(٢) أصادي: أداري (؟).

(٣) الجهم: العابس. الطفل (بفتح ففتح): ضعف النور قبيل الغروب.

(٤) أغرّ: أبيض (من قوم مشهورين). النائبة: المصيبة. الجلّى: العظيمة (ولا يجوز نعت النكرة باسم التفضيل، كان يجب أن يقول: جليلة مكان جلّى). الجلّى: الأمر الشديد والخطب العظيم. الجلل: (الرجل) العظيم.

(٥) الندى: الكرم. طلق الربى (التلال): مبتسم التلال (بالأزهار). الشمس في(برج) الحمل: في البرج الذي يبدأ به، عند المنجّمين، فصل الربيع (وهو برج السعادة أيضاً).

(٦) الريث: البطء والتأنّي.

(٧) إليها (إلى اليونان والفرس)- حكماء اليونان والفرس نالوا الفوز والنجاح ببذل الجهد (بضمّ الجيم: الكدّ).

(٨) السلسل: ما يجري في الحلق بسهولة (لعلّ المقصود هنا: الخمر).

(٩) شدا: غنّى. الثقيل الأوّل من نقرات العود.

٤ - ★★ قلائد العقيان ٢١٢ - ٢١٣؛ المغرب ٢: ٣٨٨ - ٣٨٩؛ خريدة (الأندلس) ٢: ٤٨٤ - ٤٨٦؛ طبقات الأطبّاء ٢: ٦٥؛ التكملة ١٩٨؛ معجم ابن الأبّار ١٦٢ - ١٦٣؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٩٦؛ بغية الوعاة ١١٢ - ١١٣؛ نيكل ٢٤٥؛ مختارات نيكل ١٦٦؛ جيش التوشيح ١٨٢ - ١٩٦، راجع ٢٦٩ - ٢٧١؛ نفح الطيب ٣: ٥٩٦، ٤: ١٥ - ١٦، ٢٩٣ - ٢٩٤؛ الأعلام للزركلي ٨: ٧ (٧: ١٣٧).

ابن وكيل الأُقليشيّ

١ - هو أبو جعفرٍ (أو أبو العبّاس) أحمدُ بنُ مَعَدِّ بنِ عيسى بنِ وكيلٍ التُجيبيُّ الزاهدُ - أصلُ أبيه من أُقْليشَ، وهي بلدة قرب طليطلة - ولذلك يعرف بابن الأُقليشيّ. وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) في دانيةَ، وفيها نشأ وبدأ تعلُّمَه: سَمِعَ الحديثَ من أبيه ومن الفقيهِ أحمدَ بنِ طاهرِ بنِ عيسى (المتوفّى في دانيةَ ٥٣٢ هـ) وتتلمذَ له ثمّ رَحَلَ إلى بلنسيةَ فأخذ اللغةَ والنحو والأدب عن عبد الله بن محمّد البَطَلْيَوْسيّ (ت ٥٢١ هـ). ثمّ أخذ عن كثيرين، منهم صِهرُه طارقُ بنُ يعيشَ ومنهم أبو بكرِ بنُ العربيّ وعبدُ الحقِّ بنُ عَطيّةَ وأبو العبّاسِ أحمدُ بنُ العَريف (ت ٥٣٦ هـ).

وبدأ ابنُ وكيلٍ الأُقليشيُّ الإقراءَ والتحديثَ في الأندلس. وفي سَنَةِ ٥٤٢ رَحَلَ إلى المشرق وحَجّ (٥٤٦ هـ) وجاوَرَ في مكّةَ مُدّةً. وعَزَمَ - منذ سَنَةِ ٥٤٧ هـ - على العَوْدة إلى الأندلس، ولكنّه تُوفِّي في أثناء عَوْدته - في قوصَ، من صعيدِ مِصْرَ - في رابعِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٤٩ (١٣/ ١١/ ١١٥٤ م) أو في سَنَةِ ٥٥٠ هـ. وقيل كانت وفاتُه في مكة.

٢ - كان ابنُ وكيلٍ الأُقليشيُّ راويةً للحديثِ عارفاً بالعلوم الشرعيةِ وباللغةِ والنحو والأدب، وكان شاعراً أيضاً له أبياتٌ في الزُهد والحِكمة والوَصْف. ثمّ هو مُصنِّفٌ له كتبٌ منها: الكوكبُ الدُرّيُّ المُستَخْرج من كلام النبيّ العربيّ (مرتّب على حروف الهجاء) - النَجْمُ من كلام سيّد العُرْبِ والعُجْم[1] (عشرة أبواب عاشرها

(١) المفروض أن يكون بين «النجم» و«العجم» سجع وموازنة (فتح ففتح فيهما أو ضمّ وسكون فيهما...).

أدعية مأثورة عن الرسول) - الدُّرُّ المنظوم فيما يُزيل الغُموم والهموم - أنوار الأثر (أربعون حديثاً في الصلاة على النبيّ) - الأنباء في حقائق (أو شرح) الصفات والأسماء (أسماءِ الله الحُسنى) - شرح الباقيات الصالحات - أنوار الآثار (في أحاديثِ الرحمة) - ضياءُ الأولياء (في عدّة أجزاء) - محاسنُ المجالس (في التصوّف) - المُعشَّرات (مجموع من شعره في الزهد).

ولابن وكيلِ الأُقليشيِّ شعرٌ قليل منه المقطوعةُ الفائيةُ التي عارضَ بها المقطوعةَ الفائيةَ لابن الفَرَضيّ (ت ٤٠٣ هـ)، وقدِ استعارَ مطلَعَها.

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن وكيلِ الأُقليشيّ أبياتٌ في الوصف والأدب منها:

تَتَحـدّرُ العَبَراتُ من أحداقِـهِ فتَرَى لهـا في خـدِّه آثـارا.
ولَرُبّما امْتزجَـتْ دماً من قلبهِ حتّى كأنّ الدمعَ يطلُبُ ثارا!

★★ كـان حقّي ألّا أُذكِّرَ غـيري، وأنـا ما كُفِيتُ شَرّي وضَيْري[١].
غـيرَ أنّي برحمةِ الله ربّي أرتجي أن يُفيدني[٢] كلَّ خير.

- وله أبيات في الابتهال هي[٣]:

أسيرُ الخَطايا عند بابكِ واقفُ له في طريق الحقّ قلبٌ مُخالفُ[٤].
قديماً عصى عَمداً وجهلاً وغِرّةً ولم يَنْهَهُ قلبٌ من الله خائف[٥].
تزيـد سُنُوهُ وهْوَ يزدادُ ضِلّـةً فها هو في ليلِ الضَّلالة عاكف[٦].

---

(١) الضير: الضرر. - لا حقّ لي في أن أنصح غيري إذا كنت أنا لم أتخلّص ممّا يضرّ بي.

(٢) يفيدني (ربّي).

(٣) مطلع هذه المقطوعة كمطلع مقطوعة ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) في المعنى نفسه.

(٤) مخالف لطريق الحقّ.

(٥) الغرّة (بالكسر): الغفلة.

(٦) الضلّة: الضلال. العاكف: المقيم على الأمر المثابر عليه (المصرّ).

تَطَلَّعَ صبحَ الشيبِ والقلبُ مُظْلِمٌ ... فما طاف فيه من سَنا الحقّ طائف[1].
ثلاثون عاماً قد تولّتْ كأنّها ... حُلومٌ تقَضّتْ أو بروقٌ خواطف[2].
وجاء المشيبُ المُنذرُ المرءَ أنّه ... إذا رحلتْ عنه الشبيبةُ تالف.
فيا أحمدُ الخوّانُ، قد أدبَرَ الصِبا ... ونـاداك من سِنِّ الكُهولة هاتف[3].
فهل أرّقَ الطَرْفَ الزمانُ الذي مضى ... وأبكـاه ذنبٌ قد تقدّم سالف[4]؟
فجُدْ بالدموع الحُمْر حُزناً وحَسرةً، ... فدمعُك يُنبي أنّ قلبَك آسِف.

٤ - النجم من كلام سيّد العرب والعجم، (مطبعة الاعلام) مصر ١٣٠٢ هـ.
تكملة الصلة ٧٤ - ٧٦؛ إنباه الرواة ١: ١٣٦ - ١٣٨؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٨٣ - ١٨٤؛ أخبار وتراجم أندلسية ٢٤ - ٢٥؛ بغية الوعاة ١٧١؛ شذرات الذهب ٤: ١٥٤ - ١٥٥ (في وفيات ٥٥٠ هـ)؛ نفح الطيب ٢: ٥٩٨ - ٦٠٠؛ بروكلمن ١: ٤٥٦ - ٤٥٧، الملحق ١: ٦٦٣؛ نيكل ١٢١؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٤٣ (٢٥٩)؛ تاج العروس (الكويت) ١٧: ٢٣٩؛ سركيس ٦٢٨ - ٦٢٩.

ابن السرّاج الشنتريني

١ - هو الشيخُ الأديبُ الإمام الرئيس أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ الملكِ المعروفُ بابنِ السرّاج الشَنْتريني[5]، سَكَنَ إشْبِيلِيَةَ وأخذَ العربيةَ (النحو) عن أبي عبدِ الله محمّدِ بن خَيْرةَ ابن أبي العافيةِ المُقرىءِ النَحْويِّ الأُمَويِّ (ت ٤٨٧ هـ) وعن عليِّ بنِ عبدِ الرحمن بن الأخضر الإشبيليِّ (ت ٥٤٥ هـ) ورَوَى الحديثَ عن أبي القاسم النِّفْطيِّ ثمّ حدّث عن أبي القاسم بكتاب «المُوطّأ» (لمالكِ بن أنَسٍ).

---

(١) السنا: الضوء. (واستخدم الشاعر «تطلع» متعدية، خطأ).
(٢) الحلم (بالضمّ): المنام (ما يراه النائم). الخاطف (هنا): السريع.
(٣) يا أحمد (تجريد: مناداة الإنسان نفسه) الخوّان: المبالغ في الخيانة (لنفسه) والمصرّ على الخيانة. أدبر: تولّى، انقضى، ذهب. الهاتف: صوت يناديك ولا ترى صاحبه.
(٤) هل أرّقت (أسهرت) حوادث الزمان طرفك (عينك): هل أخذت تفكّر في أعمالك السيّئة؟
(٥) نسبة إلى شنترين: مدينة في غربي الأندلس على نهر تاجه شمال إشبونة (لشبونة اليوم، عاصمة البرتغال).

وفي سَنَةِ ٥١٥ هـ (١١٢١ م) رَحَلَ ابنُ السرّاج إلى المَشْرق فنَزَل في مِصْرَ وأَقْرأَ بها القُرآنَ والنحوَ وحدّث. ثمّ إنّه ذهبَ إلى اليَمَنِ فأقام فيها مُدّةً عاد بَعْدها إلى مِصْرَ حيثُ تُوُفّيَ في رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ ٥٤٩ هـ (خَريفِ ١١٥٤ م) في الأغلب.

٢ - كان ابنُ السرّاج الشَنْتريني بارعاً في القرآنِ والحديث والفِقْهِ وفي اللُّغة والنحو، أديباً ناقداً. وكان مؤلّفاً، له: المِعيار في أوزان (وزن) الأشعار - الكافي في علم القوافي - تنبيه الألباب على فضائل (فضل) الإعراب (أو تلقيح الألباب في عوامل الإعراب، كما ذكر السيوطي في بغية الوعاة) - اختصار كتاب العُمدة لابن رشيقٍ والتنبيه على أغلاطه (وقد أورده بروكلمن أيضاً باسم جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتّاب) - تقويم البيان لتحرير الأوزان.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابنُ السرّاج الشنتريني في مقدّمة كتاب «المِعْيار في أوزان الأشعار»:

..... إنّ الشِعْرَ لمّا كان ديوانَ العرب المُثَقِّفَ لأخبارِها والمُقيِّدَ لأوزانِ كلامِها والمُبَيِّنَ لمعاني ألفاظِها والمُنَبِّهَ على آدابِها ومكارمِ أخلاقِها، وكان حُجَّةً نَرْجعُ إليها في تفسيرِ ما أشْكَلَ من كتابِ الله تعالى ومَفْزَعاً يُلْجأُ إليه في بَيان ما اشْتَبَهَ[١] من حديثِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم - رأيتُ أنّ العناية بِمَعْرِفةِ أوزانه مُهِمَّةٌ في الدين، مُتَعَيِّنَة[٢] على كافّةِ من يقومُ بها من كافة[٣] المسلمين. (ذلك) لأنّ الجهلَ بالوزنِ يُؤدّي إلى تغيير اللفظ بتحريكِ ساكنٍ أو إسكانِ مُتَحَرِّكٍ أو تخفيف مشدّدٍ أو تشديد مُخفّفٍ، وذلك يُبْطِل الثِقَةَ بكلِماتِهِ ويمنعُ الاستشهادَ بلُغاته[٤] لِتَعَرُّضِها للاحْتمالِ عند من يجهَلُ الوزنَ. وما كانَ هذا سبيلَه[٥] فلا يجوزُ الاستدلالُ به إذْ ليس أحدٌ

(١) استبهم: كان معناه غامضاً.

(٢) متعيّن: واجب على شخص بعينه.

(٣) يقال: على المسلمين كافّة، لا «على كافّة المسلمين». متعيّنة على...: هذه الحجّة (البراعة في الشعر) واجبة على كلّ من يشتغل بتفسير القرآن الخ.

(٤) اللغات: الكلمات التي للمعنى الواحد فيها صيغ مختلفة.

(٥) ما كان هذا سبيله: ما كانت ألفاظه تحتمل أوجهاً مختلفة من الصيغ والتهجئة.

مُحْتَمَلاتِه بأوْلَى بِهِ من الآخَر...

٤ - المعيار في أوزان الأشعار (تحقيق محمّد رضوان الداية)، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م؛ بيروت (المكتب الإسلامي) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م (على الغلاف الخارجيّ: ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

- الكافي في علم القوافي (مطبوع مع الكتاب السابق).

★★ الوافي بالوفيات ٤ : ٤٦؛ بغية الوعاة ٦٨؛ البلغة في أئمّة اللغة ٢٣٢ - ٢٣٣؛ نفح الطيب ٢ : ٢٣٨؛ بروكلمن ١ : ٣٧٧، الملحق ١ : ٥٤٣؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٠ و١٢٨ (٦ : ٢٤٩)؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٠ : ٢٥٨.

يونس بن عيسى المرسي

١ - هو أبو الوليدِ يونُسُ بنُ عيسى[١] المُرسيُّ الخبّازُ، أصلُه من مُرْسِيَةَ لا نعلَمُ له مَشْيَخَةً، ولكن نَجِدُ في «المُطرب»[٢] أنّ محمّدَ بنَ أبي العافيةِ[٣] قدْ قرأ عليه. ولَعلّ وفاتَه كانتْ في أواسطِ القرنِ السادسِ (أواسطِ الثاني عَشَرَ للميلاد).

٢ - كان يونُسُ بنُ عيسى المرسيُّ أديباً عِصامِيًّا ثَقّفَ نفسَه وقال شِعراً جيّداً ومُوشّحاتٍ كِثاراً فيها براعةٌ. وربّما شَبّهوه بالخُبْزِ أرزِيّ[٤] أو بالخَبّازِ البَلَديّ[٥]. قال فيه لِسانُ الدين بنُ الخطيبِ: «عَذُبَ سَبْكُهُ وراق ترصيعُه وحَبْكُه، مَعَ طَبْعٍ في نَظْمِ الكلامِ سَيّالٍ وإلى الإحسان ميّالٍ.... وهو في الأندلس شِبهُ الخُبْزأرزيّ في المَشْرق..... والذي حَداه[٦] إلى الاختراع والتوليد وأقْدَمَه على الابتداع وتَرْكِ التقليد ذكاءٌ أرهَفَ فُؤادَه......».

(١) في المطرب (الخرطوم ٨٥): يونس بن أبي عيسى.

(٢) المطرب ٨٥.

(٣) انظر الكتندي (محمد بن عبد الرحمن الشاعر) تحت (ت ٥٨٣ هـ).

(٤) جيش التوشيح ١٣٥. والخبزأرزيّ هو أبو القاسم نصر بن أحمد البصري (ت ٣٢٧ هـ) انتقل إلى بغداد. وكان خبّازاً. وله شعر حسن. راجع الجزء الثاني ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٥) راجع تعليق في جيش التوشيح، ص ٢٥٧.

(٦) راجع هذا النصّ في جيش التوشيح ١٣٥. - الأصوب أن يقال حدا به: يقال عادة: حدا الجمل (ساقه) وحدا براكبه.

٣ - مختارات من شعره:

- قال يونُسُ بنُ عيسى من قصيدةٍ يمدَحُ بها فاضلًا من أهلِ مُرْسِيَةَ انتقل إلى المَرِيّةِ واسمُهُ ابنُ الأسود:

كم سامعٍ غزَلي يقولُ تَعجُّباً ... أتَجَدّدَتْ خُلُقُ الصبا في يونُسِ؟
لا، والذي خصّ ابنَ أسودَ بالعُلا، ... ما أصبحَتْ أثوابُها من مَلْبَسي.
لا غروَ أنْ تُضْحي المَرِيّةُ دارَه، ... وتفوزَ مُرْسِيَةٌ بحظٍّ أنفس (١):
فبِمَكّةٍ نشأ النَبيُّ محمّدٌ؛ ... واخْتُصَّ بالمِعْراجِ بَيْتُ المَقْدس (٢).
لولا الذي أحْرَزْتَهُ من هَيْبةٍ ... لاهتزَّ من طَرَبٍ جِدارُ المجلس!

- وقال في الرثاء:

كلُّ كَمالٍ إلى مُحاقِ ... وكلّ جَمْعٍ إلى افْتراق (٣).
سَجِيّةُ الدهرِ شَتُّ شَمْلٍ، ... وما سِواه فعَنْ وِفاق (٤).
أينَ ثوى آدمٌ ونوحٌ ... والمُصْطفى صاحبُ البُراق (٥)؟
إنْ قيل: إنّ السُمُوَّ يُجْدي! ... فلْيَدُمِ البَدْرُ في اتّساق (٦).
للهِ ما تَحْمِلُ المَطايا ... من نَعْيِكَ اليومَ في الرِفاق (٧)!

- وقال يزعُمُ أن إقبال الدنيا على الإنسان يُغْنيه عن الشَباب:

---

(١) بحظّ أنفس: أغلى (لأنّها مولده).

(٢) بيت المقدس: القدس. المعراج: انتقال الرسول بالإسراء من مكّة إلى القدس ثمّ بالمعراج (بالرقيّ) إلى السماء).

(٣) المحاق: امّحاء القمر في آخر الشهر (نقص، موت).

(٤) سجيّة: طبيعة. شتّ: تفريق. وما سواه (دوام الاجتماع) عن وفاق (اتّفاقاً، شذوذاً، نادراً أو «صدفة»).

(٥) ثوى: استقرّ، بقي (ثوى في قبره). المصطفى: محمّد رسول الله. البراق: دابّة أصغر من الحصان عظيمة السرعة ركبها الرسول في المعراج (راجع فوق).

(٦) السموّ: العلوّ. يجدي: ينفع (يحمي من النقص والموت). ليدم البدر (ليبق) في اتّساق (على حال واحدة من الكمال، كما يرى في وسط الشهر).

(٧) - خبر موتك كان شديداً على رفاقك.

إذا أيّـــامَ دَولتِـــك استمرت   عـــلى شيءٍ فَلا رجَع الشَّباب.
فَيُطْرِبُـــني الحَمامُ إذا تَغنّـــى،   ويُشْجِيـــني إذا نَعَـبَ الغُراب.

- وله من موشّحة:

مَنْ لي بَظبْيٍ رَبيبْ ★ يَسْطو بأُسْدِ الغِياضِ ★ لوى بِدَيْنِي لَمّا ★ أمَّلْتُهُ للتَقاضي[1].

★ ★ ★

جَعَلْــــتُ حَظِّيَ منـــــهُ   بـــــينَ الرجــــا والتَمنّي.
لم أُظْهِرِ اليـــــأسَ عنـــــه   لَمّــــا أطـــال التَجَنّي[2].
بـــل قُلْــتُ: يــا قلــبُ، صُنْــهُ   لَدَيْـــــكَ عن سوءِ ظَنّي[3].

وأنــتِ، يانفسُ، ذُوبي ★ ويامُطيلَ اعتراضِ ★ نَفِّذْ بماشِئْتَ حُكْماً ★ إنّي بحُكْمِــكَ راضِ.

★ ★ ★

مـــــا حـــالُ قلـــبٍ لديــكَ   لا تَنْقَضي حَسَراتُـــــــهْ،
يشكو جَواه إلَيْـــــــكَ   وليس تُجْـــدي شَكاتُـــهْ[4].
مَهْـــــلًا، ففي راحَتَيْـــكَ   حياتُـــــهُ ومَماتُـــــهْ.

يامُمْرِضي وطَبيبي ★ بِفيكَ بُرْءُ المِراضِ ★ ومنك قدذُبْتُ سُقْماً ★ فَلْتَقْضِ ما أنت قاضِ[5]

★ ★ ★

---

(١) الربيب: (في الأصل) المربّى عند غير أبويه (المدلَّل- إذ يجب أن يكون محبوباً جدًّا حتّى يربّيَه غيرُ والديه). يسطو: يبطش. الغيضة: مكان فيه شجر ملتفّ (كثيف). لوى الدين (بفتح الدال): مطله (حاول ألّا يفيه، أنكره). أمّلته للتقاضي: رجوت أن يحكم في أمري بالحقّ (أو بالعطف).

(٢) التجنّي: نسبة جناية (ذنب) إلى من لم يأتها. ★ الحمام: الشعر الابيض. الغراب: الشعر الأسود.

(٣) صان: حفظ. من سوء ظنّي (من أن يصدق سوء ظنّي فيه).

(٤) الجوى: شدّة العشق التي تحول بصاحب العشق إلى الحزن والمرض. تجدي: تنفع. الشكاة: الشكوى.

(٥) بفيك: في فمك (ريقك). برء: شفاء. المراض: المرضى (جمع مريض ومريضة). فلتقض.... (افعل ما تريد). في القرآن الكريم (٢٠ : ٧٢ طه): « قالوا: لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض، إنّما تقضي هذه الحياة الدنيا »- (لن نسمع منك ونترك ما جاءنا من الله من قول الحقّ. فاحكم بما تريد لأنّ حكمك لا ينفذ إلّا في هذه الدنيا الفانية. أمّا الحكم الثابت الدائم فهو في الآخرة ويكون لله وحده).

- وله أيضاً من موشّحة:

برّحَ بي الهَوى في اشتياقي ★ فكمْ أذوبْ ★ وهذه النفسُ في التَراقي ★ هلْ من طبيبْ[١]!

★ ★ ★

اللهُ! يـــا مَنْ بـــهِ أهـــيمْ،
فَعنْـــديَ المُقْعِـــدُ المُقـــيمْ[٢].
مَنْ رامَ يَسْلو فـــــلا أَريمْ[٣].

هـذا غرامي عَلَيْكَ باقِ ★ عَسى يَثوبْ ★ لا عَذّبَ اللهُ بالفِراقِ ★ غيرَ الرقيبْ[٤]

★ ★ ★

يـــا شَدَّ في الحُـــبِّ مـــا لَقيـــتُ[٥]:
دُهِيـــتُ فيـــه بمـــا دُهيـــتُ[٦].
إنْ قُلْـــتُ ألحاظُـــهُ تُميـــتُ،

ففي الطُّلا منهُ والتَراقي ★ مَحيا القلوبْ ★ لا شيءَ أشهى مِنَ العِناقِ ★ إلى الكئيـــبْ[٧].

★ ★ ★

هِنـــدُ- وإنْ شَفَّ حُـــبُّ هِنْـــدِ[٨]-

---

(١) برّح بي: آذاني اشتدّ عليّ. الترقوة: عظمة في أعلى الصدر (وهما ترقوتان). بلغت النفس التراقي: أشرف صاحبها على الموت.

(٢) المقعد المقيم: الهمّ العظيم (الذي يجعل الإنسان يقوم ويقعد: حائراً في ما يجب عليه أن يفعل).

(٣) رام: أراد. سلا يسلو: ينسى، يتسلّى (عن همومه). رام يريم: ترك، بارح.- أنا لا أريد أن يذهب عنّي عذاب الحبّ.

(٤) ثاب يثوب: رجع.- عسى أن يرجع إليّ حبيبي (يرجع إلى العطف عليّ!).

(٥) يا شدّ (ما أشدّ).

(٦) دهي بالشيء: أصيب به (بمصيبة).

(٧) الطلا جمع طلاة (بالضمّ): العنق، جانب العنق. الترقوة: عظم في أعلى الصدر.

(٨) شفّ: أنحل (أسقم، أمرض).

بَـــدْرُ غَرامي وسِرُّ وَجْـــدي[١]،
وإنْ عَـــدا حُبّهـــا ويُعْـــدي[٢].
عسى خِلالَ الذي أُلاقي ★ مِنَ الوَجيبْ ★ أنْ يسمَحَ الدهرُ بالتلاقي ★ عمّا قريـــبْ[٣].

★ ★ ★

من غـــابَ في العيـــدِ عن حَبيبِـــهْ
وجـــاء في ثوبـــهِ وطِيبـــهْ
فَشَدْوُهُ يُظْهِرُ الـــذي بِـــهْ[٤].
مـا العيدُ في حُلّةٍ وطاقِ ★ وشَمِّ طِيبْ ★ وإنّما العِيدُ في التَلاقي ★ مَعَ الحبيبْ[٥].

٤ - ★★ جيش التوشيح ١٣٥ - ١٤٦ (راجع ٢٥٧ - ٢٥٨).

الحجاري صاحب « المُسهِب ».

١ - هو جاحظُ المَغْرب (المغرب ٢ : ٣٥) وحافظ الأندلس (نفح الطيب ٢ : ٣٢٩) أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ بنِ أبي إسحاقَ إبراهيم[٦] بن وزمر[٧] الصِنهاجيُّ

---

(١) الوجد: شدّة العشق.

(٢) عدا حبّها (جاوز الحدّ في تعذيبي). يعدي: يصيب بالمرض. حبّها انتقل إليّ كأنّه مرض (لم أستطع أن أتجنّبه).

(٣) الوجيب: خفقان القلب (من الاضطراب).

(٤) إنّ المحبّ لو شدا (غنّى) لظهر ما به (من الحزن) في غنائه .

(٥) الحلّة: الثوب الجميل. الطاق: الطيلسان (ثوب ثمين من حرير).

(٦) سمّي والده باسم جدّه، لأنّ والده ولد بعد موت جدّه بقليل.

(٧) اسم والد جدّه ولقبه « وزمر » (بضمّ الميم، وربّما بتشديد الزاي) ممّا يدل على نسبه في البربر (راجع المغرب ٢ : ٣٣؛ نفح الطيب ٤ : ١٢٣).
وكان جدّه أبو اسحاق ابراهيم بن وزمر أديباً شاعراً (راجع المغرب ٢ : ٣٣ - ٣٤). وكذلك كان عمّه أبو محمّد عبد الله (وكنيته واسمه ككنية صاحب الترجمة واسمه) أديباً شاعراً أيضاً (المغرب ٢ : ٣٤).

الحِجاريُّ - نِسْبَةً إلى وادي الحجارة - وقد كانَ مولده في مدينة الفرج (أو وادي الحجارةِ نفسها: على نحوِ سِتّين كيلومتراً من مدريد شرقاً في شمال)، وذلك نحو سَنَة ٥٠٠ (١١٠٦ - ١١٠٧ م). ولقد نشأ الحِجاريُّ في أُسْرةٍ عُنِيَ أفراد منها بالأدب وٱشتهروا به.

سَكَن آلُ الحجاري في سَرَقُسْطَةَ ثم ٱضْطُرّوا إلى مغادرتها لمّا ٱستَوْلى عليها الإسبان، سَنَةَ ٥١٤ (١١١٩ م) فٱنتقلوا - فيما يبدو - إلى بَلَنْسِيةَ (راجع المغرب ٢ : ٣٠٨). ثم سَكَنَ الحِجاريُّ نفسُه في شِلْبَ (في الجنوب الغربي من الأندلس - جَنوبيِّ البُرتُغال اليومَ)، ولكنِ ٱنتقل مُدة إلى غَرْناطةَ فأَقرأَ فيها البلاغة.

في سَنَة ٥٣٠ (١١٣٦ م) وَفَدَ الحجاريُّ على القائد عبدِ الملك بن سعيد مادحاً - وكان عبد الملك صاحبَ قلعةِ يَحْصِبَ[١] - فحاولَ الحُجّابُ أن يحولوا بينه وبين الدخول على عبد الملك لِزِيّه البَدْوِيّ[٢]. ولكنه ٱستطاع الدخولَ على عبد الملك ونال عنده حُظْوةً. ورأى عبد الملك سَعَةَ معرفةِ الحِجاريّ بتاريخ الأندلس وبأدبها فَرَغِبَ إليه في أن يُصنِّفَ له كتاباً يضُمّ مختاراتٍ للبارعين من شُعراءِ الأندلس. فٱستقرّ الحجاريُّ عند عبد الملك نحو عامين (٥٣٠ - ٥٣٢ هـ) ألّف له في خِلالهما كتاب « المُسْهِب ».

وفي سَنَةِ ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) غادر الحِجاريُّ قلعةَ يَحْصِبَ - مَعَ أنّ عبدَ الملكِ ابنَ سعيدٍ كان قد بالغَ في إكرامه - مُتَعَلِّلًا بأنّ نفسه توّاقةٌ إلى التنقّل والرِحْلة، وقَدِمَ على المستنصر بن هود في رُوطةَ (قُرْبَ سَرَقُسْطة). واتّفق أنّ المستنصر كان في ذلك

---

(١) بنو سعيد أسرة يمنية الأصل جاء أوّلهم مع جيش الفتح (مع طارق بن زياد)، ونزلوا منذ ذلك الحين قرب غرناطة في قلعة تدعى قلعة أسطلير فعرفت باسم « قلعة يحصب » (نسبة إلى قبيلة بني سعيد اليمنيّة) ثمّ اشتهرت باسم « قلعة بني سعيد ». وفي الزمن الذي جاء فيه الحجاريّ إلى عبد الملك بن سعيد كان عبد الملك هو المتولّي للقلعة وكان يدين بالطاعة لعليّ بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). - راجع نفح الطيب (٢ : ٢٧٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠). القائد (هو الوالي على مقاطعة - ولا تزال هذه الكلمة تستعمل بهذا المعنى في المغرب إلى اليوم). ويحصب بفتح الياء وكسر الحاء.

(٢) راجع نفح الطيب ٤ : ١٣٢. - وكان الغالب على ما حول وادي الحجارة البداوة في طبيعة الأرض وفي عادات السكّان (راجع نفح الطيب ١ : ٣٤٣).

الحين خارجاً في غَزْوة إلى أرض نبرّه (على مَقْرُبة من حدودِ بلادِ الفَرَنجة على البحر) فرافقه الحِجاريّ. انهزمَ ابنُ هود في هذه الغزوة ووقع الحِجاريّ في الأسر. واستنجد الحِجاريّ بابن هود لِيَفْتَدِيَهُ فلم يفعلِ ابنُ هود ذلك. ثمّ استنجدَ بعبدِ الملك بن سعيد فافتداه، فكان بذلك « طليق آل سعيد ».

ويبدو أنه في تلك الفترة – بعدَ تأليف كتاب « المُسْهِب » ومغادرةِ قلعةِ يحصبَ كَثُرَ تطوافُ الحِجاريّ في عددٍ من المُدُنِ الأندلسية: كان في باغةَ من كورة إلبيرةَ (نفح الطيب ٢ : ١٥٥) ثم في أماكنَ أُخرى، كما نجد في كتاب « المغرب »: في لُوشة (٢ : ١٥٨) ولورَقة (٢ : ٢٧٥) وغَرْناطة (٢ : ١٦٠).

ولعلّ وفاةَ الحجارِيّ[١] صاحبِ « المُسهِبِ » كانتْ نحو سَنَةِ ٥٥٠ (١١٥٥ م) أو بَعدْ ذلك بقليلٍ.

٢ – كان الحِجاريُّ أديباً بليغاً وناظماً ناثراً ومن ذَوِي البراعة في التصنيف (راجع المغرب ٢ : ٣٥). وشِعرُه مدحٌ وخمرٌ وغَزَلٌ وَوَصْف. ولكنّ نثرَهُ وتَصْنيفَه أعلى مرتبةً من شعره. ثمّ إنّه كان ناقداً. ومَعَ أنّ النقدَ كان قدِ آرتقى، في ذلك الحينِ في الأندلس، فإنّ نقدَ الحِجاريِّ ظلّ بِدائياً يَقِفُ عند اللفظةِ أو عندَ البيتِ أو عندَ القصيدة. وأكثرُ أحكامِه تجري في جُمَلٍ لفظيّةٍ عاطفية مَعَ كثيرٍ من المبالغة. فَمِنْ وُجوهِ نَقْدِه:

★ قال عن يحيى بنِ سَهْلٍ اليكّي (المغرب ٢ : ٢٦٦): هو آبنُ روميٍّ عَصْرِنا وحُطَيئَة دَهرِنا، لا تُجيدُ قريحتُه إلّا في الهِجاء ولا تنشَطُ به في غيرِ ذلك من الأنحاء.

---

(١) في « تاريخ الفكر الأندلسيّ » (ص ٢٧٢) أنّ مولده كان سنة ٤٩٩ وأنّ وفاته كانت سنة ٥٤٩. وقال نيكل (ص٢٦٣) إنّ الحجاريَّ تُوُفِّي سنة ٥٥٠ (١١٥٥ م) قبل ابن قزمان (الأصفر) بخمس سنوات. وقد اخترت أن أعتمد قول نيكل لتدقيقه في مثل هذه الأمور ولأنّه أكّد قوله بمقارنة بين وفاة الحجاري ووفاة ابن قزمان. ونيكل هو الثقة في بحوث ابن قزمان. وذكر خير الدين الزركلي مثل ذلك (الأعلام ٤ : ١٨٧). وكذلك نسب الزركلي إلى الحجاري هذا كتاب « الحديقة في البديع » مع أنّ « الحديقة في البديع » (وهي كتاب في فنّ البديع من فنون البلاغة) لعمّه الأديب أبي محمّد عبد الله (المغرب ٢ : ٣٤؛ نفح الطيب ٥ : ٥٧٢، راجع ٥٧١).

★ وقال... (المغرب ٢ : ٣١٥): له نظمٌ أرقُّ من دَمْعة مَهْجورٍ تُدار عليكَ بهِ صافيةُ الخُمور.

★ وقال في ابن الزَقّاق (المغرب ٢ : ٣٢٣):... من فِتْيانِ عصرِنا الذين ٱشتهرَ ذِكْرُهم وطار شِعْرُهم. وهو جديرٌ بذلك، فَلِشِعْره تعشُّقٌ بالقلوب وتعلُّقٌ بالسَمْع[1]. وأعانه على ذلك مَعَ الطَبْعِ القابل كونُهُ ٱستمدّ من خالِه أبي إسحاقَ بنِ خَفاجةَ ونَزَعَ مَنْزِعَه[2].

★ وقال.... (المغرب ٢ : ٤٠٥): كاتبٌ بليغُ الكتابةِ كثيرُ الإصابة.

★ وأطنب الحجاريُّ في الثناء على ابنِ شَرَفٍ القيرواني، وعظّمه في الشعر بقولهِ في ٱبْنِ صُمادِحٍ:

لم يَبْــقَ للجَوْرِ في أيّامــكم أثرٌ   إلّا الذي في عُيونِ الغِيد من حَوَرِ[3].

★ ولما قالَ عبدُ الرحمنِ المُسْتَظْهِرُ من أبياتٍ له:

ونجومُ الليــــــل تَحْكي   ذَهَبــــــاً في لازَوَرْدِ[4].

قال الحِجاريُّ: لو قال «لُؤْلؤًا في لازوردِ» لكانَ أحسَنَ تشبيهاً (نفح الطيب ١ : ٤٣٦).

★ وقد قدّم الحِجاريُّ صاعداً اللُّغويَّ البَغْداديَّ بقوله: (نفح الطيب ٣ : ٩٦):

كأنّ إبريقَنــا والراحُ في فَمِـه   طــيرٌ تنــاول ياقوتــاً بِمنقــار.

ويُكْثِرُ الحِجاريُّ عند النقد من المبالغة من مِثْل قولِهِ (المغرب ٢ : ٤٠ و٣٦٧):

★ أبو تمّامٍ غالبُ بنُ رَباحٍ المعروفُ بالحَجّام «شاعرُ القَلْعة الذي نَوّهَ بِقَدْرِها ورفع من فَخْرِها، لا أُحاشي حديثاً ولا قديماً ولا أُخُصُّ لئيماً ولا كريماً».«... وأبو

---

(١) تعشّق: التصاق. تعلّق بالسمع (حفظ سهل دائم).
(٢) نزع منزعه (سار على طريقه).
(٣) الجور: الظلم. الحوَر: اشتداد بياض العين واشتداد سوادها.
(٤) لازورد: لون أزرق مائل إلى الحمرة (بنفسجيّ قاتم).

إسحاقَ إبراهيمُ بنُ خَفاجَةَ « هو اليومَ شاعرُ الجزيرةِ، لا أَعْرِفُ فيها شَرْقاً ولا غَرْباً نَظيرَه ».

٣ - مختارات من آثاره:

- قرطبة (نفح الطيب ١ :١٥٣) من « المسهب »:

كانت قُرطُبةُ في الدولة المَرْوانية[١] قُبّةَ الإسلام ومجتمعَ أعلامِ الأنام، بها آستقرّ سريرُ الخِلافة المروانية وفيها تَمَخّضتْ خُلاصة القبائل المَعَدّية واليمانية[٢]، وإليها كانتِ الرِحلةُ في الرِواية، إذ كانتْ مركزَ الكُرَماءِ ومَعْدِنَ العُلَماء[٣]. وهي من الأندلس بمَنْزِلة الرأسِ من الجسد. ونهرُها من أحسنِ الأنهار مُكْتَنَفٌ بدِيباجِ المُروجِ[٤] مُطرّزٌ بالأزهار، تصدَحُ في جَنَباتِهِ الأطيار وتنْعَرُ النواعيرُ ويَبْسِمُ النُّوّارُ[٥]. وقُرْطاها الزاهرةُ والزَهْراء حاضِرَتا المُلك وأُفُقا النَعْماء والسرّاء[٦]. وإنْ كان قد أخْنى عليها الزمانُ وغيّر بَهْجَةَ[٧] أوجُهِها الحِسانِ، فتلك عادتُه- وسَلِ الخَوَرْنَقَ والسديرَ وغُمْدانَ[٨] - وقد أعْذَرَ (الزمانُ) بإنذارِه إذ لم يَزَلْ يُنادي بصُروفِه[٩]: لا أمانَ، لا أمانَ. وقد قال الشاعر:

ومــــا زِلــتُ أسمَــعُ أنّ المُلو ... كَ تَبْني على قَدْرِ أخْطارِها[١٠].

---

(١) الدولة المروانية: دولة بني أمية في الأندلس.

(٢) تمخّضت: صَفَتْ (أصبحت صافية). المعدّية (من معدّ): عرب الشمال. اليمانية: عرب الجنوب.

(٣) في الرواية (أخذ العلم والأخبار). المعدن: الأصل. المصدر.

(٤) مكتنف: محاط. ديباج: (هنا): اللون الأخضر (النبات الكثير).

(٥) نعر: صاح، صوّت، غرّد، غنّى. النّوّار جمع نوّارة (بالضمّ): زهرة.

(٦) القرط (بالضمّ): حلية تعلّق في الأذن. الزاهرة (مدينة بناها المنصور بن أبي عامر لتكون مركزاً لدولته ومسكناً لرجالها). والزهراء (مدينة بناها عبد الرحمن الناصر...). النعماء (النعمة) والسرّاء (السرور).

(٧) أخنى عليها الزمان (طال عليها وأهلك أهلها). البهجة: الحسن وتلألؤه.

(٨) الخورنق والسدير (قصران في العراق) وغمدان (قصر في اليمن) وصفت كلها بالعظم والجمال.

(٩) أعذر: أصبح له عذر (لا لوم عليه- لأنّه كان صريحاً في تنبيهه الناس إلى عواقب الأمور). صرف (بالفتح) الزمان: الحادث، المصيبة.

(١٠) الخطر (بفتح ففتح): الشرف والمكانة.

- ابنُ بَسّامٍ الشَنْترينيُّ (المغرب ١ : ٤١٧ - ٤١٨) من «المُسْهب»:

العَجَبُ أنّه لم يكن في حِساب الآداب الأندلسية أنه سَيُبْعَثُ مِنْ شَنْترينَ قاصيةِ المَغْربِ ومَحَلِّ الطعنِ والضرب[١] مَنْ يَنْظِمُها قلائِدَ في جِيد الدهر ويُطْلِعُها ضرائرَ للأَنْجُمِ الزُهْر[٢] -. ولم ينشأْ بحَضْرةِ قُرطُبَةَ ولا بحضرةِ إشبيلِيَةَ ولا غيرِهما من الحواضرِ[٣] العِظامِ من يمتَعِضُ امْتَعاضَه لأعلامِ عصرِهِ ويَجْهَدُ في جَمْعِ حَسَناتِ نظمِهِ ونَثْره. وسَلِ «الذخيرةَ» فإنّها تُعَنْونُ عن محاسِنه الغَزيرة[٤].

- وقال في وَصْفِ بَلَنْسِيَةَ (المغرب ٢ : ٢٩٧):

مَطِيبُ الأندلُسِ ومَطْمَحُ الأعيُنِ والأنفُس. قد خَصّها الله بأحسنِ مكانٍ وحَفّها بالأنهار والجِنان. فلا ترى إلّا مِياهاً تتفرّعُ، ولا تَسْمع إلّا أطْياراً تَسْجَعُ، ولا تَسْتنشقُ إلّا أزهاراً تَنْفَح، وما أجَلْتَ لَحْظاً بها في شيءٍ إلّا قُلْتَ: هذا أمْلَحُ! ولها البُحيرةُ التي يزيدُ في ضياءِ بَلَنْسِيَةَ صَحْوُ الشمسِ عليها. ويُقال إنَّ ضوءَ بلنسيةَ يزيدُ على ضوء سائرِ بلادِ الأندلس؛ وجَوُّها صقيلٌ أبداً لا ترى فيه ما يُكَدِّرُ خاطِراً ولا بَصراً، لأنّ الجَنّاتِ أحْدَقَتْ بها فلم يَثُرْ بأرْجائها تُرابٌ من سَيْرِ الأرجُلِ وهبُوب الرياح فيُكَدِّرَ جَوَّها. وهَواؤها حَسَنٌ لتَمَكُّنها من الإقليم الرابع★ وأخْذِها من كلِّ حُسْنٍ بنصيب. ولها البحرُ على القُرْب والبرُّ المُتَّسِعُ. وحيثُ خرجتَ مِن جهاتِها لا تَلْقى إلّا مَنازهَ ومسارِحَ، ومن أبْدعِها وأشْهرِها الرُصافةُ ومُنْيَةُ ابنِ أبي عامرٍ. وهي

---

(١) محلّ الطعن (بالرماح) والضرب (بالسيوف): بلد الاضطراب والحرب.

(٢) ينظمها = ينظم الآداب. القلائد: العقد يلبس في العنق. الضرّة (بالفتح): الزوجة الثانية (المنافسة، المبارية). الزُّهْر: اللامعة.

(٣) الحاضرة: البلد الكبير، العاصمة.

(٤) امتعض: غضب، شقّ، (كره)؟؟ يقصد: اهتمّ، واعتنى. الذخيرة = «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» (كتاب ابن بسّام الشنتريني). عَنْوَنَ عن (كشف، دلّ على). الغزير: الكثير.

(★) كان القدماء يعتقدون أنّ القسم المسكون من الأرض إنّما هو نصفها الشماليّ (من خطّ الاستواء الى القطب الشمالي). وقد قسموا هذا النصف الشماليّ من الأرض سبعة أقاليم، فكان الاقليم الرابع الذي في وسط هذه الأقاليم «أعدل بقاع الأرض» عندهم. -لتمكّنها من الاقليم الرابع (لوجودها في وسط الاقليم الرابع).

مدينةٌ مُتَمَكِّنَةُ الحضارةِ جليلةُ القدر.

– مَقاطِعُ مِنْ آثارِ الحِجاريِّ صاحبِ «المُسهِب» (من كتاب «المغرب»):

★★ كانَ ألزمَ للكأسِ من الأطيارِ للأغصانِ، وأوْلَعَ بها من خَيالِ الواصلِ بالهِجران (١ : ٨٥).

★★ وقال في أبي بكرٍ محمّدٍ الأعمى المخزوميِّ[١] (١ : ٢٢٣): بشّارُ[٢] الأندلُسِ انطباعاً ولَسَناً وأذاةً[٣]. وَهُوَ الذي أحيا سِيرةَ الحُطَيْئَةِ[٤] بالأندلُسِ فَمُقِتَ[٥]. وكان لا يسلَمُ من هَجْوِهِ أحدٌ: ولا يزالُ يَخْبِطُ الآفاقَ بعصاهُ، ويَقَعُ في من أطاعَه وعَصاه[٦]. وأصلُه من المدوَّرِ، وفرّ إلى قُرْطُبَةَ. ثمّ جال على البُلدان وأكْثَرَ الإقامة في غرناطة وتعرّض لشاعرتها نَزهونَ وهَجاها......

★★ مُرْسِيَةُ أُختُ إشْبِيلِيَةَ: هذهِ بستانُ شرقِ الأندلُسِ، وهذه بستانُ غَرْبِها. قد قَسَمَ اللهُ بَيْنَهُما النهرَ الأعظمَ[٧] فأعْطى هذه الذِراعَ الشرقيَّ وأعطى هذه الذِراعَ الغربيَّ. ولمُرْسِيَةَ مَزِيّةُ تَيْسِيرِ السُّقْيا منه. وليستْ كذلك إشبيليةُ، لأنّ نَهرَ مُرسِيه يركَبُ أرْضها، وإشبيليةُ تركَبُ نَهْرَها[٨]. ولِمُرسِيَة فضلُ ما يُصْنَعُ فيها من أصنافِ الحُلل والديباج، وَهِيَ حاضرةٌ عظيمةٌ شريفةُ المَكانِ كثيرةُ الإمكان[٩] (٢ : ٢٤٥).

---

(١) كان شاعراً زكيًّا، ولكنه معروف بالهجاء، مقذع في القول توفّي بعد ٥٤٠.
(٢) كان بشّار بن برد شاعراً أكمه (أعمى منذ الولادة)، بارعاً في فنون الشعر وأنواعه، شديد الهجاء (ت١٦٧).
(٣) الانطباع (هنا): الطبع في قول الشعر. اللسن: الفصاحة.
(٤) الحطيئة: شاعر إسلامي شديد الهجاء (ت ٥٩).
(٥) مقت: كره.
(٦) يخبط (يضرب) الآفاق (أطراف البلاد): يتطوّف في الأرض. وقع فلان في فلان: قال فيه قولاً قبيحاً.
(٧) الوادي (النهر) الكبير: نهر قرطبة.
(٨) يركب أرضها: يجري إليها من أماكن أعلى منها. إشبيلية تركب نهرها: تقوم على أرض أعلى من مستواه.
(٩) حاضرة: بلد السلطان (عاصمة). كثيرة الإمكان: ذات مرافق (أوجه للمعيشة والإدارة) كثيرة.

- وَفَدَ الحِجاريُّ على عبدِ الملك بنِ سعيدٍ يمدحُه (٢ : ٣٥ - ٣٦ ؛ نفح الطيب ٤ : ١٢٤) فقال:

عَلَيْكَ أحالَني الذِكْرُ الجميلُ فَجِئْتُ ومِنْ ثَنائِكَ لي دليلُ.
(.................. فصحَّ العزمُ واقْتُضِيَ الرحيل[١])
ووَدّعتُ الحبيبَ بِغَيْرِ صبرٍ ولم أسمعْ لِما قال العَذول[٢].
وأسْبَلْتُ الظلامَ عليَّ سِتراً، ونَجْمُ الأُفْقِ ناظرُهُ كَليل[٣].
ولم أشْكُ الهجيرَ وقد دعاني إلى أفْيائِكَ الظِلُّ الظَليل[٤].
أتَيْتُ ولم أُقدِّمْ من رسولٍ، لأنّ القلبَ كان هو الرسول[٥].
أَجِلْ طَرْفاً لَدَيَّ، فإنّ عِنْدي مِنَ الآدابِ ما يَحْوي الخليل[٦]؛
ومَثِّلْني بِدَنٍّ فيه سِرٌّ يَخِفُّ به ومَنْظَرُه ثقيل[٧]!

- وقال (نفح الطيب ٤ : ٧٦ - ٧٧):

كَمْ بِتُّ من أَسْرِ السُهادِ بلَيْلةٍ نادَيْتُ فيها: هل لِجِنْحِكَ آخِرُ[٨]؟
إذ قام هذا الصُبْحُ يُظْهِرُ مَلّةً حَكَمَتْ بأنْ ذُبِحَ الظلامُ الكافرُ[٩].

---

(١) جاء البيت الأوّل في «المغرب» (٢ : ٣٥) كما أثبتّه. وجاء في نفح الطيب (٤ : ١٢٤) وعَجُزه (بفتح فضمّ) ما أثبتّه بعد النقط.

(٢) العذول: الذي يلوم المحبّين.

(٣) أسبل: مدّ. كليل: ضعيف. - جئت في ليلة شديدة السواد (لشدّة حاجتي).

(٤) الهجير (اشتداد الحرّ).

(٥) حقّ «الرسول» (في القافية) أن تكون منصوبة (لأنّها خبر كان). أمّا الضمير «هو» فهو توكيد لاسم كان.

(٦) أجِلْ طَرْفاً (نَظَراً، عيناً) لديَّ: انظر ما عندي. الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٤ هـ) من العلماء في صدر الدولة العبّاسية، سبق إلى تدوين علوم كثيرة: اللغة (في كتاب العين) والنحو ثمّ العروض (أوزان الشعر) وكان شاعراً.

(٧) الدنّ: خابية (وعاء كبير من فخّار) للخمر خاصّة: منظره الخارجي غير جميل، ولكنّ فيه خمراً تبعث في شاربها نشوة.

(٨) السهاد: السهر، وقلّة النوم. الجنح: الجانب من الليل.

(٩) الملّة، الملل، السأم. الكافر: الذي يغطّي الأشياء ويسترها. - بدأ الصبح يتململ من طول الليل =

- وقال الحجاريُّ (نفح الطيب ٣ : ٣٤٦) من « المسهب »:

كَتَبْتُ إلى القاضي أبي عبدِ الله محمّدٍ اللّوشيّ[١] أستدعي منه شِعرَه لأكْتُبَه في كِتابي، فتَوقّفَ عنّي. فكتبتُ إليه:

يا مانعاً شِعرَهُ عن سَمْعِ ذي أدبٍ نائي المَحَلّ بعيدِ الشَخْصِ مُغْتَرِبِ:
يسيرُ عنك به في كُلِ مُتَّجَهٍ كما يُمرّ نسيمُ الريحِ بالعَذَبِ[٢]،
إنّي وحَقِّك أهلٌ أنْ أفوزَ به؛ وأسْألْ - فَدَيْتُكَ - عن ذاتي وعن أدَبي.

فكان جوابه:

يا طالباً شِعرَ من لم يَسْمُ بالأدَبِ، ماذا تريدُ بِنَظْمٍ غيرِ مُنْتَخَبِ؟

. . . .

ثمّ كَتَبَ لي مِمّا أتْحَفَني به مِنْ نَظْمِه أبهى مِنَ الأقمار وأرقّ من نسيمِ الأسحار.

- قال الحجاريُّ يمدَحُ بني سَعيدٍ (نفح الطيب ٢ : ٣٣٠):

قومٌ لهم في فَخْرِهِم شَرَفُ الحديثِ مَعَ القديمِ،
وَرِثوا النَدى والبأسَ والـ ـعَلْيا كريماً عن كريمِ[٣]:
مِنْ كلِّ وضّاحٍ به يُجْلى دُجى الليلِ البهيمِ[٤].

- وقال في مدح بني عبد الملك بن سعيد:

مَلِكٌ طُفَيْليُّ السَما حِ على الأقارب والأباعدْ[٥].

= ويرسل أشعته الحمراء (الفجر الذي يشبه الدم في لونه)، فإنّ هذا يدلّ على انتهاء الليل (أيام شقائي). في الكافر (تورية) (كأن الليل قد ذبح).

(١) لم أعثر على أبي عبد الله محمّد اللوشي هذا. في نفح الطيب(٥ : ١٢، ٧ : ١٤٧، ١٦٦) أبو عبد الله اللوشي الخطيب البليغ من شيوخ ابن زمرك، وهو متأخّر جدًّا عن عصر الحجاري.

(٢) يسير عنك به... (ستشتهر إذا ورد ذكرك في كتابي) العذب جمع عذبة (بفتح ففتح فيها): طرف العمامة المتدلّي وغير العمامة.

(٣) البأس: الشدّة (القتال، الحرب).

(٤) وضّاح: أبيض. البهيم: الذي لا علامة فيه تميزه من غيره (الليل البهيم: الشديد السواد).

(٥) طفيليّ (؟) السماح (التساهل وسعة الصدر)، ولعلّ الشاعر يقصد السماحة (الكرم). - سماح طفيلي: معروف يصل الى الناس قبل أن يطلبه الناس.

مـــــا فُرِّجَـــتْ أبوابُـــه إلّا تَفرّجَـــتِ الشدائـــدْ[1].

★ وفي مدح بني سعيد أيضاً:

وَجَدْنا سعيداً مُنْجِباً خيرَ عُصْبَةٍ هُمُ في بـــني أزمانِهِمْ كالمواسمِ[2].

مُشَنَّفَةٌ أسماعُهم بفضائلٍ، مُسوّرَةٌ أيْمانُهُمْ بالصوارمِ[3].

فكم لَهُمُ في الحرب من فضلِ ناثرٍ، وكم لَهُمُ في السِلْم من فضل ناظم[4].

★ في الغزل والخمر:

زارَتْـــكَ في الليـــلِ البَهـيمْ كالغُصْنِ يَثْنيـــــهِ النسيمْ.

سَلَبَـــتْ ظــلامَ الليلِ مـــا أبْصَرْتَ في العِقْـد النظـيمْ[5].

فَلِذاك أمسى عاطلُ الآ فـــاقِ مُسْودَّ الأديمْ[6].

لولا المــدامُ لَما اَهْتَـــدى فيـــه إلى كـأسٍ نـديمْ[7].

وتقومُ شُهرةُ الحِجاريِّ على كتابهِ «المُسْهِب»[8]:

أ- ألَّفَ الحِجاريُّ كتابَ «المُسْهِبِ» وهُوَ مُقيمٌ عندَ عبدِ المَلِك بنِ سعيدٍ (المغرب ٢: ١٦٠). وكان- في أثناءِ التأليفِ- يكتُبُ إلى الشعراء يطلُبُ منهم أشياءَ من نِتاجِهِمْ (نفح الطيب: ٣: ٣٤٦) وربّما زارَهُمْ في بُلْدانهم من أجلِ ذلك (راجع نفح الطيب: ٢: ٣٨١). وكتاب «المُسهِب» هذا هو الذي وسّعه بنو سعيدٍ في جوانبَ ثمّ هذّبوه واختصروه في جوانبَ أُخرى حتّى أصبح الكتاب المعروف باسمِ «المُغْرِب

(١) إذا فتحت أبوابه تفرّجت (زالت) الشدائد (العسر في أسباب الحياة).

(٢) أنجب الرجل: رزق أبناء فاضلين. الموسم: العيد.

(٣) - أسماعهم (آذانهم) مشنّفة (معلّقة بها أقراط: تسمع دائماً) بالفضائل. أَيْمان جمع يمين (اليد اليمنى) مسوّرة (محمية) بالصوارم (بالسيوف) كناية عن شجاعتهم.

(٤) في الحرب ينثرون (يفرّقون، يقتلون) أعداءهم، وفي السلم ينظمون (يجمعون) أتباعهم.

(٥) ما أبصرت في العقد (اللؤلؤ الذي يشبه النجوم).

(٦) العاطل: المرأة الجميلة التي تستغني بجمالها الطبيعيّ عن الحليّ. الأديم: الجلد (صفحة السماء).

(٧) المدام الخمر. ضياء الخمر جمع الناس على المشاركة فيها. (شهرتكم بالكرم جعلت الناس يقصدونكم).

(٨) والمسهب (بكسر الهاء): المفصِّل. أمّا المسهب (بفتح الهاء) فما كان فيه تطويل بلا فائدة.

في حُلى المَغْرِب ». ويبدو أنَ كتابَ « المُسهب » قد بَقِيَ قائماً بنفسِه مُستقلًّا عن كتاب « المُغْرِب » إلى أيامِ المَقّريِّ (ت ١٠٤١ للهجرة) وقد وَصفه المَقّريُّ فقال (٢ : ٣٢٩):

« وقَصَــدَه، ★ سَنَــةَ ٥٣٠، حافظُ الأندلسِ أبو محمّدٍ عبدُالله بنُ إبراهيمَ بن الحِجـاريّ وصَنّف له كتاب « المُسْهِب في غرائبِ المَغْرِب »، في نحوِ سِتّةِ أسفارٍ[١]. وابتدأ فيه من فتحِ الأندلُسِ إلى التاريخِ الذي ابتدأه فيه، وَهُوَ سَنَةُ ثلاثينَ وخَمْسِمِائَةٍ[٢]... ».

وذكر المقّريُّ هذا الكتابَ مرّةً (نفح الطيب: ٣ : ١٨٣) باسمِ « المُسْهِب في فَضائلِ المَغْرِب » ومرّتين (١ : ٥٧٥، ٤ : ٧٦) باسم « المُسهِب في أخبارِ المَغْرِب ». فإذا كانتْ هذه الأسماءُ الثلاثةُ عُنواناً لِكتابٍ واحدٍ، فمعنى ذلك أن الحِجاريَّ كان قد تَوَسّعَ كثيراً في الجانبِ التاريخيّ حتّى قال المَقّرِيُّ نفسهُ (١ : ٥٧٥): « وهذا منقولٌ من كلامِ الحِجاريّ في « المُسْهِب في أخبارِ المَغْرِب » فإنّه أكثَرُ فائدةً (ممّا في كتب التاريخ الأخرى) ». وكذلك ينقُلُ المَقّريّ أحياناً صَفَحاتٍ مُتَواليةً تتعلّقُ بتاريخ الأندلُسِ، كما نَجدُ مثلًا في أخبار مُغيثٍ فاتحِ قُرطبةَ (١ : ١٢ - ١٤) وفي أخبارِ عبدِ الرحمنِ الداخل (راجع ٣ : ٣٩ - ٤٧).

ب- « ... وكتابُ أبي محمّدٍ عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمَ الحِجاريِّ المُسمّى « بالمُسْهِبِ في فضائلِ المَغرب »، صَنّفه بعدَ « الذخيرةِ » و « القلائد »[٣] من أوّلِ ما عُمِرَتِ[٤] الأندلسُ إلى عَصرِه. وخرجَ فيه عن مَقْصِدِ (هذين) الكتابين[٥] إلى ذِكْرِ البِلادِ وخواصِّها مِمّا يختَصُّ بعلمِ الجُغرافيا وخَلَطَهُ بالتاريخ وتفنّن الأدب[٦]... ولم يُصَنَّفْ في الأندلسِ مثلُه » (نفح الطيب ٣ : ١٨٣).

جـ- وفي كتاب المُسهب للحِجاريِّ في هذا الشأنِ[٧]- وفي تذييلِنا عليه - في

---

(١) السفر (بالكسر): الجزء، الجلد، الكتاب.

(٢) ١١٣٥ - ١١٣٦ للميلاد.

(٣) « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لابن بسّام الشنتريني ثمّ « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان.

(٤) عمر (بالبناء للمعلوم أو للمجهول) الدار (سكنها الناس).

(٥) أي « الذخيرة و « القلائد ».

(٦) تفنّن الأدب: تنوع (؟) أوجه الأدب.

(٧) في هذا الشأن: (هنا) في الجغرافيا.

هذا الكتابِ الجامع[1] ما جمَعَ زُبَدَ[2] الأوّلينَ والآخرين في ذلك (نفح الطيب ٣: ١٨٥).

٤ - ★★ المغرب ٢: ٣٥ - ٣٦ ثمّ راجع الفهرس الهجائي؛ ويعدّ كتاب «المغرب» كلّه إيجازاً من جانب، وتوسيعاً (في عدد التراجم) من جانب آخر، لكتاب «المسهب» - نفح الطيب (راجع الفهرس الهجائي)؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٨٧ (٦٣)؛ نيكل ٢٦٢، بالنثيا ٢٧٢ - ٢٧٣.

أبو جعفر بن عطيّة

١ - هو أبو جعفرِ أحمدُ بنُ أبي جعفرِ بنِ محمّدِ بنِ عَطيّةَ القُضاعيُّ، أصلُ أُسرتهِ من طُرطوشةَ ثمّ انتقلت إلى دانيةَ ثمّ إلى مرّاكُشَ. وكان مولدُ أبي جعفرٍ سَنَةِ ٥١٧[3] في مَرّاكُش، وفيها نشأ وتلقّى العلمَ على والِده وعلى نفرٍ كِثارٍ من عُلمائها.

دخلَ أبو جعفرٍ في خِدمةِ المُرابطينَ فكان كاتباً لدى عليٍّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفينَ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) ولدى ابْنَيْهِ تاشفينَ (٥٣٧ - ٥٤٠ هـ) وإسحاقَ (٥٤٠ - ٥٤١ هـ). ولمّا سَقَطَتْ دولةُ المرابطين، سَنَةَ ٥٤١ هـ (١١٤٦ - ١١٤٧ م) استترَ أبو جعفرِ بنُ عَطيّةَ وتزيّا بزِيٍّ الجُند. ثمّ تطوّعَ في جَيْشٍ للموحّدين لِمحاربةِ محمّدِ بنِ هودٍ الماسيّ الذي ثارَ في السوس (جَنوبِ المَغْرب)، سَنَة ٥٤١ هـ، انتصاراً للمرابطين. وبعدَ هذه المعركة التي انْهزَمَ فيها ابنُ هودٍ الماسيُّ وقُتل، كَتَبَ أبو جعفرِ بنُ عَطيّةَ (في خبرٍ طويلٍ) رسالةً بالفتح إلى الخليفةِ عبدِ المؤمن، فاتّخذه عبْدُ المؤمن كاتباً. ثمّ جعله وزيراً.

ولمّا هاجَمَ الإسبانُ مدينةَ المَرِيَّةِ استنجدَ واليها السيدُ أبو سعيدٍ بعبدِ المؤمنِ، فأرسَلَ عبدُ المؤمن حملةً بقيادةِ ابنهِ يوسفَ وجعَلَ معه الوزيرَ أبا جعفرِ بنَ عطيةَ.

---

(١) أي في «المغرب في حلى المغرب».

(٢) زبد جمع زبدة (بالضمّ): خلاصة.

(٣) الأدب المغربي (ص ١٧٤) وفي الإحاطة (١: ٢٧٩) ٥٢٧ وأظنه خطأً مطبعياً.

وبعدَ نجاحِ الحملةِ زارَ أبو جعفرٍ مدينةَ غرناطةَ (٥٥١ هـ) وإشبيلية.

وبينما كان أبو جعفرٍ في الأندلس نَقَلَ حُسّادهُ إلى عبد المؤمن وِشايةً صَدَّقها عبدُ المؤمن. فلمّا عادَ أبو جعفرٍ من الأندلسِ قُبِضَ عليه وأُلْقِيَ في السجن. وحَمَلَه عبد المؤمن مَعَه مُقيّداً لمّا ذهب إلى تِينمِلّ لزيارةِ قبرِ المَهْديِّ بنِ تومَرْتَ. وفي أثناءِ الرجوع إلى مَرّاكُشَ، أمرَ عبدُ المؤمنِ بقتلِه عندِ تاقمرت (نفح ٥: ١٨٤) - على مقرُبَة من مَرّاكُشَ - لِلَيْلةٍ بَقِيَتْ من صفَرَ من سَنَةِ ٥٥٣ (١١٥٨/٣/٢٧ م).

٢ - كان أبو جعفرٍ بنُ عطيةَ كاتباً مُترسِّلًا بليغاً سَهْلَ المأخذِ (قريبَ المعاني) سيّالَ الطَبْع. وكان له نَظْمٌ عاديّ.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو جعفرِ بنُ عطيّةَ يستعطفُ عبدَ المؤمن:

تاللهِ، لو أحاطتْ بي خطيئةٌ[١]، ولم تنفكَّ نفسي عن الخيرات بطيئةً حتّى سَخِرْتُ بمن في الوجودِ[٢] وأنِفْتُ لآدَمَ من السجودِ[٣].... وكتبتُ صحيفةَ القطيعة بدار النَدْوةِ[٤]، وظاهرتُ الأحزابَ بالقُصْوى من العُدْوة[٥].... وقلتُ إنّ بَيْعَةَ السقيفةِ لا توجب إمامةَ خليفةٍ[٦]، وشَحَذْتُ شَفْرَةَ غُلامِ المُغيرة بن شُعبة[٧].... ثمّ أتَيْت حَضْرةَ

---

(١) أحاطت به خطيئته (راجع القرآن الكريم ٢: ٨١، سورة البقرة): كثرت خطيئاته وثبتت بالأدلّة عليه.

(٢) من في الوجود (؟).

(٣) لم أرضَ أن أسجد لآدم كما أمر الله (وأن أفعل فعل إبليس الذي عصى أمر الله ولم يسجد لآدم).

(٤) في نحو السنة الثالثة قبل الهجرة كتب القرشيّون صحيفة أخذوا فيها على أنفسهم أن يحصروا محمّداً رسول الله ومن كان قد آمن معه في شعب (بكسر الشين: حيّ) أبي طالب، وأن يقاطعوهم فلا يبيعونهم ولا يشترون منهم شيئاً، ولا يزوّجهونهم ولا يتزوّجون منهم....

(٥) في السنة الثانية للهجرة كانت معركة بدر. وكان القرشيّون يعسكرون على جانب الوادي المقابل لمعسكر المسلمين (يقصد لو كان مع الكفّار يحارب رسول الله). إنّ كلمة «الأحزاب» توهم بأن الإشارة إلى معركة الخندق (سنة ٥ هـ). ولكن الكلام على العدوة القصوى (الجانب الآخر من الوادي) - راجع القرآن الكريم ٨: ٤٢، سورة الأنفال - تشير إلى معركة بدر (سنة ٢ هـ).

(٦) يوم سقيفة بني ساعدة: يوم بايع الناس أبا بكر بالخلافة (يعني لو فارق إجماع الأمّة).

(٧) غلام المغيرة هو أبو لؤلؤة الذي قتل عمر بن الخطّاب.

المعلوم لائذاً وبقبر المَهْديّ عائذاً[١]. لقد آنَ[٢] لمقالتي أن تُسْمَعَ، وتُغْفَرَ الخطيئاتُ لي أجمعَ، مَعَ أنّي مُقْترفٌ[٣] وبالذنب معترفٌ.

(وكتب مع هذه الرسالة):

عَطْفاً علينا، أميرَ المؤمنين، فقد ... بانَ العَزاءُ لفَرْطِ البَثِّ والحَزَنِ[٤].
قد أغرقَتْنا ذنوبٌ كلُّها لُجَجٌ؛ ... وعَطْفَةٌ منكمُ أنجى من السُفُنِ[٥].
من جاء عندكُمُ يسعى على ثِقَةٍ ... بنَصْره، لم يَخَفْ من بطشة الزمن.
فالثوبُ يطهُرُ بعدَ الغَسْلِ من دَرَنٍ، ... والطِرْفُ ينهَضُ بعدالركض في سَنَنِ[٦].

– ومن رسالةٍ له بعدَ مقتلِ ابنِ هودٍ الماسيّ:

.... هُزِمَ من كان له من الأحزاب وتساقطوا على وُجوهِهِم تساقُطَ الذُباب، وأعْطَوْا عن بَكْرة أبيهم صَفَحاتِ الرِقابِ ولم تَقْطُرْ كلومُهُمْ إلّا على الأعقاب[٧]. فامتلأَتْ تلك الجِهاتُ بأجسادِهم، وآذَنَتِ الآجالُ بانقراضِ آمادِهم[٨]. وأخذَهُمُ اللهُ تعالى بكُفْرهم وفسادِهم. فلم يُعايَنْ منهم إلّا من خَرّ صريعاً وسَقى الأرضَ نَجيعاً[٩].

٤ – ★★ إعتاب، الكتّاب ٢٢٥ – ٢٢٩؛ المعجب ١٩٨ – ٢٠٠؛ الإحاطة ١: ٢٧١ – ٢٧٩؛ نفح الطيب ٣: ٥٠٨، ٥: ١٨٣ – ١٨٨؛ النبوغ المغربي ١٦٧؛ الأدب المغربي ١٧٤ – ١٨٠.

---

(١) المعلوم (؟)، وفي الإحاطة (١: ٢٧٦): المعصوم. لاذ: التجأ. عاذ: احتمى.
(٢) آن: حان، قرب الوقت.
(٣) اقترف ذنبا: ارتكب ذنبا.
(٤) بان: ابتعد. فرط: شدّة. البثّ: الحزن الشديد.
(٥) اللّجة: معظم الماء، (وسط الماء). ذنوب لجج (كثيرة تغمر أصحابها).
(٦) الدرن: الوسخ. الطِرف (بالكسر): الحصان السابق. في الإحاطة (١: ٢٧٦): بعد الركض من وسن (نوم، نعاس)، وفي نفح الطيب (٥: ١٨٥): بعد الركض في سنن (نهج الطريق، اتّجاهه الصحيح، الشوط الذي يركض فيه الخيل). وأظنّ أن كلمة الركض خطأ في النسخ. وأرى أنّها «الكبو» (العثرة، السقوط).
(٧) عن بكرة أبيهم: جميعاً، كلّهم. كلوم جمع كلم (بفتح فسكون): جرح. قطرت جروحهم (دماً) على الأعقاب (مؤخّر الأرجل): قتلوا وهم فارّون.
(٨) آجالهم (مقادير حياتهم) آذنت (أعلمت، نادت) بانقراض آمادهم (بانتهاء مددهم في الحياة).
(٩) النجيع: الدم.

أبو محمّد بن الحاجّ

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ جَعْفَرٍ من أهلِ لُورِقَةَ سَكَنَ مُرْسِيَةَ وسمع، سَنَةَ ٥٠٣ وسنة ٥٠٤ هـ (١١٠٩ - ١١١١ م) من أبي عليٍّ الصدفي (ت ٥١٤ هـ) وقرأ عليه. وفي سَنَةِ ٥٢٨ هـ (١١٣٤ م) استُدْعِيَ إلى مَرّاكُشَ وتولّى الكِتابة فيها، ولكنّه استَعْفى بعدَ مُدّةٍ قصيرةٍ وعاد إلى مُرسيةَ زاهداً في المناصب وفي أمورِ الدنيا. ولمّا اختلّ أمرُ المرابطين خَلَعَ أهلُ مُرْسِيةَ طاعة المرابطين ووَلَّوْا على أنفسِهم أبا محمّدِ بنِ الحاجّ، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٣٩ (١١٤٥ م). ولكنّ أبا محمّدِ بنِ الحاجِّ تَرَكَ وِلايةَ مُرسيةَ بعدَ نحو شهرٍ وعادَ إلى زُهْده ونُسْكه. وكانتْ وفاتُه بعدَ سَنَةِ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م).

٢ - كان أبو محمّدِ ابنِ الحاجّ بارعاً في الآداب ناثراً وشاعراً على شِعرِه شيءٌ من الرَوْنق وفي نثرِه كثيرٍ من التكلّف. والغالبُ على شعره الوصفُ والنسيب.

٣ - **مختارات من آثاره:**

- قال أبو محمّدِ بنِ الحاجِّ في الوصف والنسيب:

سقاها الحَيا من مَغانٍ فِساحٍ، - فكم لي بها من مَعانٍ فِصاحٍ (١) -
وحلّى أكاليلَ تلك الرُبى ... ووَشّى معاطفَ تلك البِطاحِ (٢).
فما أنْسَ لا أنْسَ عَهْدي بها ... وجَرِّيَ فيها ذُيولَ المِراحِ (٣).
ونومي على حِبَراتِ الرياضِ ... يُجاذِبُ بُرْدَيَّ مَرُّ الرياحِ (٤)؛

---

(١) الحيا: المطر. المغاني جمع مغنى: المنزل أو المسكن وفيه أهله. وقد نظمت وصفها شعراً واضح المعاني.

(٢) الحيا (المطر) ملأ أكاليل (رؤوس) الربى (التلال) ووشّى (زيّن) معاطف (منحنيات) البطاح (الأرض المستوية) بالنبات والزهر.

(٣) المراح: نشاط الشباب. جرّ ذيل المراح: سار متبختراً معتزًّا بشبابه ونشاطه.

(٤) الحبرة (بكسر الحاء وفتح الباء): ثوب حرير من صنع اليمن (يقصد الأرض المغطّاة بالنبات والزهر المختلف الألوان). وتهبّ الريح فتكشف ثوبي عنّي مرة وتردّه إلى حاله الأولى مرة.

بحيثُ لم أُعْطِ النُهى طاعةً ولم أُصغِ سمعاً إلى لَحْيِ لاحْ[١].

وليبلِ كرجعةِ طَرْفِ المُريبِ لم أدْرِ لي شَفَقاً من صَباح[٢].

- كَتَبَ أبو محمّدٍ بنُ الحاجّ ردًّا على رِسالةٍ إليه من الفَتْح بن خاقانَ:

قد رَماني- على فَوْتِ بَياني بيانُك، وقد تولّى إحساني وارْجَحَنَّ إحسانُك[٣]- بعَيْنَيْنِ من النظم والنثر نَجْلاوينِ...... وفصلين من دُرٍّ وياقوتٍ، بل أصلينِ من سِحْرِ هاروتَ وماروت[٤]. إذا لَمحْتُ النثر قُلتُ: لو نُظِمَ هذا لَفَسَدَ، وإذا تصفّحتُ النظمَ قلت: لو نُثِرَ هذا لتَبَدَّدَ[٥].... وفي القُطْرِ الذي أنتَ فيه- أطالَ اللهُ بَسْطة ناصرِه وحاميه، ووَصَلَ عِزّةَ حاضرِه ونائية[٦]!- شرفٌ قديمٌ وسَلَفٌ كريمٌ وآداب وعلوم وألبْابٌ وحلوم وأوْديَةٌ يَجْتابُها الفضل والطَوْل عِذاب[٧] وأنْدِيَةٌ ينتابها القول والفعل رحاب[٨]. وعليكَ سلامُ اللهِ ما لاح شِهابٌ وَوَكَفَ سَحاب[٩].

٤- ★★ قلائد العقيان ١٦٤ - ١٦٨؛ معجم ابن الأبار ٢٣٣ - ٢٣٥؛ المغرب ٢: ٢٧٦.

ابنُ قُزْمانٍ الأصغرُ

١- هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عيسى بنِ عبدِ الملك بن عيسى بنِ قُزْمانَ الأصغرُ،

---

(١) النهى: العقل. اللحي: اللوم. اللاحي: اللائم.- لم أطع عقلي في (ترك محبّة المحبوب) ولا سمعت نصيحة الذي لامني على الانجراف في الحبّ.

(٢) كرجعة طرف المريب (المتّهم الخائف): قصير جدًّا. الشفق يكون في أول الليل. والصباح بعد انتهاء الليل (لم أدر متى بدأ الليل ولا متى انتهى لكثرة سروري في تلك الليلة).

(٣) البيان: المقدرة على التعبير بالكلام. الفوت: الذهاب، الانقضاء. تولّى: ذهب، انقضى. ارجحنّ: اهتزّ (من النشاط والنضارة).

(٤) رماني بيانك بعينين نجلاوين (واسعتين): أعجبني وجعلني أعشقه. هاروت وماروت ساحران قديران كانا في بابل.

(٥) لو جعل كلامك المنثور نظماً (شعراً) لذهب جماله. وكذلك لو نثر شعرك.

(٦) البسطة: اتّساع الملك والسيطرة. نائيه: بعيده (؟).

(٧) ألباب وحلوم: عقول. أودية: منازل، بلاد. يجتابها: يقطعها من طرف إلى طرف (يملأها). الفضل: الكرم. الطول: الفضل والقدرة والغنى. عِذاب: حلوة.

(٨) رحاب: واسعة.

(٩) شهاب: نجم. وكف (سال، أمطر).

تَميـيزاً له من عمّهِ أبي بكرٍ محمّدِ بن عبد الملك (ت ٥٠٨ هـ).

ولد أبو بكرٍ محمّدُ بنُ قَزمانَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٧٠ هـ (١٠٧٨ م) في قُرْطبة في بيتٍ جليل خرج منه أعلامٌ ونُبَهاءُ. وسلَكَ ابنُ قزمانَ الأصغرُ في حياتِه طريقَ اللهوِ والُمجون والاستهتار بالملذّات، وكان يُكْثِرُ التردُّدَ على إشبيلية للنُزهةِ واللهو (مقدمة ابن خلدون ١١٥٤).

ومدح ابنُ قزمانَ الصغيرُ يحيى بنَ غانيةَ آخرَ وُلاةِ المرابطين في الأندلس (ت ٥٤٣ هـ). وبعد سقوط دولة المرابطين (٥٤١ هـ) عاش في بُؤسٍ وذِلّة، ثمّ أصبحَ إمامَ مسجدٍ (بعد ذلك المجون والاستهتار) للحصول على الكَفاف من العيش.

وكانت وفاةُ ابن قزمانَ الصغير في قرطبة ٢٩ في رَمَضَانَ من سَنَةِ ٥٥٥ (١١٦٠/١٠/٢ م) في الأغلب.

٢ - اشتغل أبو بكرِ بنُ قُزمانَ الأصغرُ في أولِ أمرِه بالشعر الُمعْرَب (الفصيح) فلم ينتفعْ به كثيراً إذْ قصّر فيه عن أنداده ومُعاصريه كابنِ خَفاجةَ فانقلب إلى القول في الزَجَل (الشِعر العاميّ). وفي شعره جُرأةٌ وشيءٌ من النقدِ الاجتماعي. وله مديحٌ وخمريات وغزل مذكّر.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكرِ بنُ قزمان الأصغرُ في الموازنة بين الفارس والأديب:

يُمْسِكُ الفـــارسُ رُمحــاً بيــدٍ، وأنــا أُمسِك فيهــا قَصَبَــهْ[1].
فكلانـــا بـطـلٌ في حربـــه؛ إنَّ الاَقْـلامَ رِمــاحُ الكَتَبَــهْ.

- وله في الهَرَم بعد الشَباب:

وعَهْـدي بالشبــابِ وحسنِ قَدّي حكى أَلِفَ ابنِ مُقْلَةَ في الكتــابِ[2].

(١) قصبة: أنبوب قصير من قصب رفيع (غزّار).
(٢) أبو عليّ محمّد بن عليّ بن مقلة (ت ٣٢٨ هـ) خطّاط عبّاسي مشهور وبارع. أَلِفُ ابن مقلة (لعلّ ابن مقلة =

فصِرتُ اليومَ مُنْحَنِيــــاً كأَنّي أُفتِّشُ في التُّراب عــلى شبـابي.

– وكان ابنُ قزمان مليحَ المؤانسة فوجّه إليه الشاعرُ أبو عبد الله بنُ أبي الخِصال (ت ٥٤٠ هـ) غُلامَه يدعوه إلى ليلة أُنس. فأساء الغلام الإبلاغ. فردّه ابنُ قزمان. فكتب ابنُ أبي الخصال إلى ابنِ قزمانَ أبياتاً مطلَعُها: «إنّي أَهُزُّكَ هَزّ الصارم الخَذِمِ ★». فأجابه ابنُ قزمان بالأبيات التالية:

أَتـى من الجـدِ أمرٌ لا مردَّ لـه نمشي على الرأسِ فيه لا على قدَمِ.
رقزٌ ورقـصٌ وما أَحببتَ من مُلَحٍ عنـدي وأكثرُ ما تَدريه من شِيَمِ[1]،
حتى يكونَ كـلامُ الحاضرين بهـا عندَالصباحِ «وما بالعهدمن قدم»[2]
(يا ليلةَ السَفْح هلّا عُدتِّ ثانيةً؛ سَقى زمانَكِ هَطَّالٌ مِنَ الدِيَمِ)[3].

وجاء ابنُ قزمانَ إلى تلك الجلسة فأَمْتَعَ الحاضرينِ بكلامهِ. ثمّ اتّفق أن بَدَرَتْ منه حركةٌ انطفأ بها السِراجُ فقال:

يـا أيُّهـا السادةُ العــالي محلُّكُمُ ما مِلْتُ، لكنَّني مالَتْ بِيَ الراحُ[4].
فإنْ أكنْ مُطِفئـاً مِصباحَ بيتكُمُ فكلُّ مَنْ مِنكُمُ في البيتِ مِصباحُ[5].

٤ – (ديوان) ابن قزمان El Cancionero de Aben Guzman بالحرف اللاتيني (نشره نيكل Nykl) مدريد ١٩٣٣[6].

= كان يطيل الألف على استقامة واحدة) كناية عن انتصاب القامة والرشاقة. الكتاب: الكتابة (الخطّ). ★ الصارم (السيف) الخذم (القاطع).

(١) الرقز: الرقص. والراقز: الضارب (على الدفّ – بضمّ الدال) راجع تاج العروس – (الكويت) ١٥ : ١٥٨ . الشيمة: الخصلة الجميلة.

(٢) حتّى يكون كلام الحاضرين بها (تمنّي عودتها لأنّها كانت ليلة سرور – راجع البيت التالي). وما بالعهد من قدم (عمّا قريب؟).

(٣) هذا البيت للشاعر العبّاسي الشريف الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ). هطّال من الديم (مطر غزير)..

(٤) الراح: الخمر. مال: ترنّح (تمايل على غير نظام).

(٥) فكلّ من منكم (تعبير فاسد): كلّ واحد منكم.

(٦) إن ديوان ابن قزمان يجمع أزجاله. وليس من غاية كتابي أن يبحث في الكلام العامي. ولكن

★★ المغرب: ١: ١٠٠ - ١٠١؛ مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦٦) ص ١١٥٤، ١١٥٥؛ نفح الطيب ٤: ٢٣ - ٢٥، ٢٩٦ - ٢٩٧ (؟)، ٧: ١٥ - ١٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٤٩ - ٨٥٣؛ بروكلمن ١: ٣٢١ - ٣٢٢، الملحق ٤٨١ - ٤٨٢؛ نيكل ٢٢٦ - ٣٠١؛ مختارات نيكل ١٧٨ - ١٨٠؛ تاريخ النقد لإحسان عباس ٥٠٨ - ٥٠٩؛ بالنثيا ١٥٨ - ١٦٦[٢]؛ الخريدة (الاندلس)٢: ٤٨٧؛ سركيس ٢١٤ - ٢١٥[١].

ابن الإمام الشِلبيّ

١ - هو أبو عمرٍو عُثمانُ بنُ عليٍّ بنِ عُثمانَ، أصله من اسْتجةَ[٢] (نفح الطيب ٣: ١٨٤) ومولده في شِلْب من جَنوبِ غربيّ الأندلس. تلقّى جانباً من علومه في قُرطُبةَ وإشبيلية، وكان من شيوخه أبو بكرِ بن العربيّ (ت ٥٤٣ هـ). ولعلّ وفاة آبنِ الإمامِ الشِلْبيّ كانت نحو ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) أو بعد ذلك بوقت قليل.

٢ - كان ابن الإمام الشِّلبيّ شاعراً وناثراً ومؤرخاً. والأبيات الباقية لنا من شعره في الشكوى التي تخالطها الحكمة، وهي على المنهج المشرقي. وعُرِفَ ابن الإمامِ الشِلبي بأنه مؤلف كتاب «سِمْط الجُمانِ وسَقَط اللآلي وسِقْط المَرْجان» - وقد ضاعَ ولكنْ بَقِيَ لنا منه نَماذِجُ متفرقةٌ، وخصوصاً في كتاب «المغرب» لابن سعيد. وكان ابن الإمام مُعجَباً بنهج الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) وابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) فأراد أن يجمع كتاباً فيه ذكر للشعراء الذين كان ابن خاقان وابن بسّام قد تركاهم، وأن يُتِمَّ هذه السلسلة إلى إيامه. ولعلّه أراد أن يقف عند السنة ٥٥٠ للهجرة. ونَثرُ ابن الإمام أنيقٌ حسن الصناعة، مُسجّعٌ أحياناً ومُطلَقٌ أحياناً؛ وربّما جرى في نثرِه على السجيّة كما نرى في كلامِهِ على أيوبَ بنِ سليمانَ السُهيليّ (المغرب ١:

= المستشرق عبد الرحمن نيكل، وهو المختص بدراسة ابن قزمان، قد جعل لهذا الديوان مقدمة (باللغة الإسبانية) مفيدة جداً ★؟

(١) يخلط نفر كثيرون بين أبي بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان هذا (ت ٥٥٥ هـ) وعمه المتوفى سنة ٥٠٨ هـ (وكنيته واسمه ككنية ابن أخيه واسمه ونسبه: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان).

(٢) استجة (بفتح فسكون ففتح ففتح): بلد بالأندلس من أعمال قرطبة (تاج العروس - الكويت ٦: ٢٨). وفي حاشية هذه الصفحة نفسها: بكسر فسكون فكسر (عن معجم البلدان).

٦٠ - ٦٢)؛ قال ابن الإمام: «إنه من ولد سهيل بن عبد العزيز بن مروان ممّن خمَل ذِكْرُه في الفتنة[١]، كان يخدم آبنَ الحاجّ. فلما ثار آبنُ الحاجّ في مدّة الملثّمين (المرابطين) أنشده (أيوبُ) قصيدة منها:

إذا أنا لم أبلُغْ بكَ الأملَ الذي ... قطعتُ بهِ الأيامَ فالصبرُ ضائعُ.

فآعتذر له بالفتنة، فقال (له أيّوبُ): إنْ لم يكن ما أرتقبه فَلْيَكُنْ وعدٌ والتفاتٌ أتعلّلُ بهما وأعلَمُ مِنها أني في فكرِ الأمير. فالسُّكوتُ يَطْمِسُ أنوار الآمالِ ويُغلِقُ أبواب الرجاء ...».

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو عمرٍو عثمانُ بنُ عليٍّ بنِ الإمامِ الشِلبيّ (نفح الطيب ٣: ٤٨٧):

عذيري منَ الأيامِ، لا درَّ درُّها، ... لقد حمّلَتْني فوقَ ما كنت أرهَبُ[٢].
وقد كنتُ جَلْداً ما تُنَهنِهُني النَّوى، ... ولا يَسْتَبيني الحادثُ المتغلّب[٣].
يقاسي صروفَ الدهرِ منّي مَعَ الصِبا ... جُذَيْلُ حِكاكٍ أو عُذَيْقٌ مرَجَّبُ[٤].

(١) الفتنة (الاضطراب السياسي) التي كانت في آخر حكم المرابطين في الأندلس، لا الفتنة المشهورة في أواخر أيام الخلافة المروانية في قرطبة.

(٢) عذيري من الأيام (من ينصرني على فعل الأيام؟ - من يعذرني إذا رآني ألوم الأيام؟) لا درّ (جرى) درّها (لبنها): ليت لبنها يجفّ (ليتها تصاب بسوء). وكنت أخاف أن تصيبني مصيبة صغيرة فجاءتني بمصائب كبيرة كثيرة. أرهب: أخاف.

(٣) الجلد: القدرة على العمل الصعب والمستمرّ. نهنه فلان فلاناً عن أمر: كفّه (ردّه). النوى: (مؤنّثة): البعد (في الأصل ينهنهني النوى - وذلك خطأ). استباه = سباه، أسره. إنّ الحادث (الأمر النازل: المصيبة) المتغلّب (الشديد، القويّ) لا يقعدني، لا يقهرني.

(٤) صروف الدهر جمع صرف (بالفتح): النائبة، المصيبة. مع الصبا (برغم أنّي كنت شابًّا)، يقول: إنّ الدهر يقاسي منّي (وأنا لا أقاسي منه). جذيل حكاك الخ. قال الحباب (بالضمّ) بن المنذر (ت نحو ٢٠ هـ) يوم السقيفة (يوم بايع الناس لأبي بكر بالخلافة): «أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب». الجذل (بالكسر) أصل الشجرة، وعود ينصب للإبل الجربى لتحكّ به أجسامها (يقال هو جذل حكاك: أي يستشفى برأيه). العذق (بالفتح): النخلة بحملها حينما تكون عليها العذوق (جمع عذق بالكسر): الغصن الذي فيه التمر. المرجّب المدعوم، المسند. هذا المعنى اللغويّ. أمّا المقصود الاجتماعي فهو: أنا رجل كثير الاختبار يستفتيني الناس في شؤونهم، وأنا رجل له قبيلة كبيرة قويّة تعضدني وتنصرني.

وكنتُ إذا ما الخَطْبُ مدّ جَناحَه ... عليّ تراني تحته أتَقَلّبُ[١]،
فقد صِرْت خَفّاقَ الجَناح يَروعُني ... غرابٌ إذا أبْصَرْتُه وهو ينعَب[٢].
وأحسَبُ من ألْقى حبيباً مُودِّعاً، ... وأن بلادَ اللهِ طُرًّا مُحَصَّبُ[٣].

– وقال ابن الإمام الشِلبي في محمّدِ بنِ يحيى الشَلْطيشي المعروف بابن القابلة (المغرب ١ : ٣٥٢):

ذو المَنْزعِ اللطيف، والتلوّنِ الشريف، وسالكُ مَهْيَعِ ابنِ العَريف[٤]، ومُلْبِسُ سُوقةِ المعاني حُلَلَ اللفظِ الشريف. كلَّ حينٍ تَهْدِلُ غُصونُ آدابه وتَرْفِلُ أيامُ شَبابِهِ في ذيولِ آرابه. يَنْدَى مَجْلِسُه بقَطْرِ الأدبِ الغَضّ[٥]، ويَفْري الفَرِيَّ لسانُه وعيناه لا يَبْرَحُ مغرزها في الأرض[٦].

– وقال في عبدِ الله بن عبدِ الرحمنِ بنِ معاويةَ بنِ هشامٍ[٧] المَرْوانيّ (المغرب ٢ : ٢٤٦):

(١) كنت إذا أصابتني مصيبة أو دهاني أمر تقلّبت تحته (عالجته، تخلّصت منه).

(٢) الجناح: جانب الجسم (حيث القلب؟). خفّاق الجناح (مضطرب القلب من الخوف). يروعني (يخيفني) نعيب (صوت) الغراب (مع أن صوت الغراب مألوف عندنا لا يجوز أن يخيف أحداً).

(٣) وأحسب: أظنّ (بمعنى أوقن) أن كلّ من ألقاه من الناس واتّخذه صديقاً سأفارقه يوماً ما؛ وأن جميع البلاد «محصّب» (مكان في منى - بكسر الميم - شرق مكّة يذهب الحجّاج إليه لرمي الجمار - بكسر الجيم: سبع حصوات - ويبيت الحاجّ في منى عادة ثلاث ليال في الأكثر). كلّ بلد تحلّ فيه ستتركه يوماً ما.

(٤) المنزع: الخطّة، الطريقة، الاتّجاه. التلوّن (تنوّع أدب الممدوح؟). المهيع: الطريق الواضح. ابن العريف أحمد بن محمّد الصنهاجي (ت ٥٣٦ هـ) كان يسلك مسلك الصوفيّة. لم أجد صلة بين ابن العريف وابن القابلة (ت ٥٣٩ هـ) توضح هذه الجملة.

(٥) رفل: تبختر في سيره. آراب جمع إرب (بالكسر): الحاجة، الدهاء، العقل. هدل الغصن: تدلّى إلى أسفل. وتهدل غصون آدابه الخ (؟). الغضّ: الطريّ الناضر.

(٦) يفري (يقطع) الفريّ (الكلام الباطل، الكاذب). وعيناه مغرزها (اقرأ: مغرزهما). يفري الفريّ لسانه (يبطل قوله الأقاويل الباطلة) وعيناه مغرزهما في الأرض (من التواضع).

(٧) -(١٥) لطلب الأمر (الحكم، الإمارة). ناقض: خالف لمّا توفّي عبد الرحمن الداخل (أوّل أمراء بني أميّة المتوارثين في الأندلس)، سنة ١٧٢ هـ، أوصى بالإمارة بعده لابنه هشام (ولم يكن أكبر إخوته، بل كان قد ولد في الأندلس، فاعتقد عبد الرحمن الداخل أن أهل الأندلس يمكن أن يطيعوا أميراً وُلِدَ =

سَمَتْ نفسُه بعدَ أبيهِ لطلبِ الأمر[1] فناقَضَ أخاه هِشامَ بنَ عبدِ الرحمن سُلطانَ الأندلسِ، وشايَعَ أخاه الخارجَ عليه سُليمانَ بنَ عبدِ الرحمن[1]. ثمّ حاربَ ابنَ أخيه الحَكَمَ بنَ هشامٍ[2]، ثمّ حاربَ عبدَ الرحمنِ بنَ الحَكَم[3]. وفي مُدّةِ كلٍّ واحدٍ منهم (كان) يُهْزَمُ ويُقْصَى[4]، وبعد ذلك لا يَني عن طلبِ الأمرِ. وآلَ[5] أمرُه معَ عبدِ الرحمنِ إلى أن خَطَبَ في جامعِ مُرْسِيَةَ ودعا على الظالم بينَهما، فعاجَلَهُ اللهُ بالمَنِيّةِ دونَ بلوغِ الأمْنيّة.

٤ - ★★ التكملة ٦٦١ (رقم ١٨٣٣)؛ الحلّة السيراء ٢ : ٩٢ (في الحاشية خاصّة)؛ المغرب (نصوص مختلفة من كتابه) ١ : ٣٠٨، ٣٤٢، ٣٨٣، ٣٩٦، ٢ : ١٠، ٤٣، ٥٥، ١٤٣، ١٩٩، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٧٦، ٣١٥؛ نفح الطيب ٢ : ٢٦٢، ٣ : ٤٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٠٧.

أبو بكر الصيرفيّ

١ - هو أبو بكرٍ يحيى بنُ محمّدِ بنِ يوسفَ الأنصاريُّ الغرناطيُّ المعروفُ بابن الصَّيْرَفيّ، أخذَ عن الحسنِ بنِ مُغيثٍ وأبي بكرِ بنِ العربيّ (ت ٥٤٣ هـ) وأبي مروانَ ابنِ بونةَ.

كان ابنُ الصيرفيّ كاتباً للأميرِ محمّدِ بنِ تاشفينَ والي غَرْناطةَ. ثمّ كانتْ وفاتُه في أوريوله (من أعمال مرسية) في سَنَةِ ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) في قولٍ أو في سَنَةِ ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) في قولٍ آخرَ، وقد أسنّ كثيراً.

٢ - كان أبو بكرٍ الصيرفيُّ كاتباً مُترسِّلاً مُجيداً وشاعراً رقيقاً مُكثراً. فصيحَ

= بينهم أكثر من طاعتهم أميراً ولد في خارج الأندلس). ولكنّ سليمان وعبد الله (أخوي هشام) قاوما أخاهما هشاماً. واستطاع هشام أن يترضّى عبد الله أخاه بمبلغ من المال فاعتزل إلى المغرب. فلمّا توفّي هشام، وقد جعل الإمارة في ابنه الحكم، عاد سليمان وعبد الله إلى العصيان. واستطاع الحكم أيضاً أن يترضّى عمّه عبد الله بمبلغ آخر فاعتزل إلى بلنسية وعرف بالبلنسيّ. وأمّا سليمان فقتل (سنة ١٨٤ هـ) في حديث طويل.

(١) آل: رجع، انتهى إلى.

الألفاظِ سهلَ التراكيبِ واضحَ المعاني. وبعضُ شعرِه جزلٌ مَشْرقيّ النَفَس. وله موشّحاتٌ بارعةٌ. ثمّ إنّه كان مُشاركاً في عددٍ من فنونِ المعرفة: في الحديثِ واللغة والنحوِ والأدب والتاريخ، وله كتابُ «الأنوار الجَلية في أخبار الدولة المُرابطيّة».

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن الصيرفي موشّحة منها:

قد جَنَحَتْ خَيْـــلي إلى أبي بكرِ[١]
فلا إلى النيلِ ولا إلى مِصْرِ
أمـــا ترى لَيْـــلي حَيْرانَ لا يَسْري[٢]؟
كأنّما خَطّــــا ★ مـن ذَيْلـهِ مَجْرى ★ وكُلّما شَطّا ★ جرّ الدُجى جرّا[٣]!

★ ★ ★

لَهْفي عـــلى مَوْعِـدْ لم يَقْضِه الدهرُ
عَلّ الذي أرصُدْ قـد عاقَـهُ عُـذْرُ[٤]
لـــذاك مـــا أُنشِدْ إذ عَزّني الصبرُ[٥]
مَحبوبي قد أبطا ★ مَنْ غيّبَ البدرا ★ حتّى لقد أخطا ★ وأشغل السِرّا[٦]

- موشّحة لأبي بكر يحيى بنِ الصيرفي:

---

(١) جنح: مال (زار). أبو بكر لعلّه أبو بكر يحيى بن تاشفين والي فاس (؟)
(٢) سرى: سار ليلا.
(٣) عند بدء طلوع الفجر يبدو في السماء شبه عمود (من نور الشمس التي لا تزال تحت الأفق) يشبه المجرى (الممرّ) كأنّه أثر لذيل الليل (أواخره). وكلّما شطّ الليل (انحرف عن اتّجاه العمود): اتّسع النور في السماء مع اقتراب الشمس من الأفق، جرّ الدجى جرًّا (سحبه) أي أبطأ ظهور النور في السماء (بالإضافة إلى سرعة ظهور عمود الفجر).
(٤) أرصد: اترقّب، أنتظر.
(٥) عزّني (غلبني) الصبر: يئست من الانتظار.
(٦) أشغل (ليست في القاموس) يقصد «شغل»: صرف الإنسان عن عمله وألهاه. لعلّها «أشعل». السرّ: ما يخفيه الإنسان في نفسه. يقصد: إبطاء محبوبي في الزيارة جعلني مشتعل البال.

جَرِّرِ الذَيْــــــــلَ أيّما جَرِّ   وصِــلِ السُكْرَ مِنــك بالسكرِ

★ ★ ★

واخْضِبِ الزَّنْدَ منك باللَهَبْ   من لُجَيْنٍ تَحِــفُّ بالذهــبْ[1]
تحتَ سُلوكٍ من لُؤلؤِ الحَبَـــبْ   مَــعَ أحْوى أغَرَّ ذي شَنَـبْ[2]
أُودِعَــــتْ كَفُّـــه من الخمرِ   جامــدَ المــاءِ ذائـبَ الجَمْرِ[3]

★ ★ ★

ذاك ضوءُ الصبــاحِ قد لاحــا   ونسيمُ الريــاضِ قــد فاحــا
لا تَقِــدْ في الظــلامِ مِصباحـا   خَــلِّ عنــه وشَعْشِعِ الراحــا[4]
حــينَ تَنْهَــلُّ أدْمُــعُ القَطْرِ   وترى الروضَ باسمَ الزَهْرِ

★ ★ ★

نَظَمَــتْ جوهرَ العُــلا سِلْكــا   كَــفُّ مَلْــكٍ يُزَيِّنُ المُلْكــا
مــا برى الله مِثْلَــه مَلْكــا   لاح بَـدْراً وفـاح لي مِسْكــا[5]
كالحَيــــا، كالأمـــانِ، كالدَهْرِ،   كعَلِيٍّ في الحربِ أو عمرِو[6]

★ ★ ★

(١) خضب: صبغ. الزند: ما بين الكف والذراع. باللهب: بلون أحمر. من (من خلال) لجين (فضّة) يحفّ (يحيط) بالذهب (بالخمر - حينما يحمل الشارب كأس الخمر يمرّ لونها الأحمر من خلال كأسها الزجاجيّ الأبيض ويقع على اليد).

(٢) سلوك جمع سلك: الخيط الذي تنظم فيه اللآلي. يشبّه الحبب فقاقيع الهواء العائمة على وجه الخمر باللآلي، لجمالها وكثرتها). أحوى: ذو شفة سمراء. أغر: أبيض. الشنب: بياض الأسنان.

(٣) أودعت: وضعت. جامد الماء (زجاج أبيض) ذائب الجمر (خمر حمراء اللون).

(٤) لا تقد (من وقد يقد) بمعنى اشتعلت النار. والشاعر يجعل «وقد» فعلاً متعدّياً بمعنى أوقد. - اترك إضاءة المصابيح (في الليل) وشعشع الراح (امزج الخمر بالماء) واشربها، فالخمر تضيء لك الليل.

(٥) برى = برأ: خلق.

(٦) الحيا: المطر. علي (بن أبي طالب) وعمرو (بن العاص) أي جمع الشجاعة والدهاء.

أيُّ بحرٍ وأيّ ضِرْغــــامٍ ؟ أيُّ رُمــحٍ وأيُّ صَمصام [١]
طاعنُ الصـدرِ ضاربُ الهـامِ بـينَ كَرٍّ وبـين إقـدامِ
مُخَلِّـفُ البِيـضِ بالحُـلى الحُمْرِ ومُروّي القَنــاةِ في النَحْرِ [٢].

* * *

حيــنما لاحَ وهو مُبْتَسِمُ كهــلالٍ تَحُفُّـه الدِيَمُ [٣]
خافقــاً فوقَ رأسهِ عَلَمُ غَنّـتِ العُربُ فيـه والعَجَمُ
عَقَــدَ اللهُ رايــةَ النَصْرِ لأمــيرِ العُــلا أبي بكرِ.

– وله في النسيب:

أجْرَتْ دمي تحتَ اللثامِ لثامـا وسَقَتْ – ولم تَدْرِ – الكُؤوسَ مُداما [٤].
شمسٌ إذا سَرَقَتْ مَعاطِفَ بانةٍ في ثَوْبِها سَجَعَ الحُليُّ حَماما [٥].
وتنفّستْ في الصُبْحِ منها رَوْضَةٌ باتتْ تُنادِمُ بارقاً وغَماما [٦].
نَجْـدٌ بـه عَثَرَ النسيمُ بِمِسْكَةٍ في تربها فتفَرّقتْ أنساما [٧]!

٤ – ** المغرب ٢ : ١١٨ – ١١٩ ؛ التكملة ٢ : ٧٢٣ ؛ صلة الصلة ١٨٣ ؛ جيش التوشيح ١٢٠ – ١٣٤ (راجع ٢٥٢ – ٢٥٦)؛ بغية الوعاة ٤١٦ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٢٠٨ (٨ : ١٦٤ – ١٦٥).

---

(١) الضرغام: الأسد الشديد. الصمصام: السيف الذي يقطع العظم.
(٢) مخلّف (تارك، جاعل) البيض (السيوف) بالحلى الحمر (مصبوغة بدم الأعداء). مروّي (ساقي) القناة (الرمح) في النحر (في صدور الأعداء).
(٣) تحفّه: تحيط به. الديم جمع ديمة: غيمة فيها مطر.
(٤) تحت اللثام (ما تحت اللثام) وجهها. لثام: غطاء. – وجهها الشديد الحمرة أخذ حمرته من دمي (بإنحالي في حبّها). وريقها هو الذي ملأ الكؤوس مداماً (خمراً).
(٥) البانة: شجرة ذات أغصان طويلة مستقيمة سمراء. المعطف والعطاف: ثوبٍ واسع. سرقت معاطف بانة (ظهرت في ثيابها كأنّها غصن بان) وأحدث حليُّها نغماً جميلاً كهديل الحمام كناية عن أنها فتاة جميلة وليست قضيب بان إلّا على التشبيه.
(٦) الروضة في الصباح أخذت من أنفاس المحبوبة اللمعان (الجمال والبياض) والبرودة المستحبّة (التي يسبّبها الغيم).
(٧) الترب (ليست في القاموس بالمعنى الذي قصده الشاعر) المقصود تريبة مفرد ترائب (الصدر). – نسيم نجد وجد في صدر المحبوبة قطعة من مسك فعطّر بها جميع الرياح الطّيبة الرائحة.

أبو جعفر بن سعيد

١ - هُوَ أبو جَعْفَرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ سعيد بن سعيد بن خَلَفِ بن سعيدِ بنِ خلف بن محمّدِ بنِ عبد الله بن سعيد بن الحسنِ بن عُثمانَ بن محمّدِ بن عبد الله بن سعيدِ بن عَمّارِ بن ياسِرٍ العَنْسيّ الصحابيِّ المعروفِ. وجَدُّه سعيدٌ هُوَ الذي دَخَل الأندلسَ وحلّ في قلعة يَحْصِبَ[1]. ولمّا جازَ عبدُ الرحمنِ بنُ مُعاويةَ الداخلُ الأمويُّ إلى الأندلسِ، سَنَةَ ١٣٨ هـ (٧٥٥ م) طلب والي الأندلسِ يوسفُ بن عبدِ الرحمن الفِهْرِيُّ من سعيدٍ أن يقاومَ عبدَ الرحمنِ بنَ مُعاويةَ[2]. ويبدو أن سعيداً لم يستجبْ لذلك الطلبِ؛ فلمّا ظَفِرَ بهِ يوسفُ بنُ عبدِ الرحمن الفهريُّ ضرب عُنُقَهُ.

وفي أيامِ الفِتْنة وثَوْرة ملوكِ الطوائفِ (مطلع القرن الخامس الهجريِّ = مطلع القرن الحادي عَشَرَ الميلاديّ) استبدَّ خَلَفُ بنُ سعيدِ بنِ محمّدٍ بقلعة يَحْصِبَ. ثمّ لمّا مات خَلَفٌ تولّى القلعةَ بعدَه ابنُه سعيدٌ ثمّ تولاّها عبدُ الملك بنُ سعيدٍ.

ولمّا استولى الموحّدون على الأندلس قاوَمَهُمْ عبد الملكِ بن سعيدٍ ثمّ خَضَعَ لهم. ولكنّ عبْدَ المؤمنِ بنَ عليٍّ سلطانَ الموحّدين لم يَثِقْ بوَلائه فسجنه ثمّ عاد فأطلق سَراحه. ووَفَدَ أبو محمّدٍ عبدُ الله الحِجارِيُّ على عبد الملك بن سعيدٍ (ت ٥٦٠ هـ) في قلعة يحصب ومدحه بقصيدةٍ مطلُعها: «عليك أحالَني الذِكْرُ الجميلُ» ثمّ ألّفَ له كِتابَ المُسْهِب في غرائب المَغرب. وأُعْجِبَ عبدُ الملك بكتاب «المُسْهِب» فهذّبه وزاد عليه. فعلى هذا يكون عبد الملك بن سعيد هو الذي ابتدأ تأليف كتاب المغرب في حلى المغرب.

ومن مؤلفي كتاب المُغْرب أيضاً أبو جعفرٍ أحمدُ بن سعيدٍ صاحبُ هذه الترجمة.

★ ★ ★

---

(١) قلعة يحصب (بفتح الياء وكسر الصاد) أو قلعة يعقوب، وفي الإسبانية: القلعة الملكيّة (بفتح الميم واللام) إلى الشمال الغربي من غرناطة. وقد سمّيت قلعة بني سعيد.

(٢) راجع الجزء الرابع.

أدركَ أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ سعيدٍ فترةَ الشُغور بين المُرابطين والموحِّدين[1]. وإذا صحّ أنّه كان تلميذاً للشاعرين ابن الزقّاق (ت ٥٢٨ أو ٥٣٠ هـ) وابن خفاجة المشهور (ت ٥٣٠ هـ)، فيجب أن يكون مولده قبل سنة ٥١٥ هـ (١١٢٠ م).

وأرادَ عبدُ الملكِ بنُ سعيدٍ شيئاً من الحُظوة والجاه لابنه أبي جعفرٍ فأدخله على عبد المؤمن بن عليٍّ، فألقى أبو جعفرٍ بين يَدَيْ عبدِ المؤمن قصيدة، وذلك في أول سَنَةِ ٥٤٦ هـ (أول الربيع من عام ١١٥١ م) في الأغلبِ، حينما أذِنَ عبدُ المؤمن لأهل الأندلس بالوِفادة عليه في مدينة سَلا (شَمالَ مدينة الرِباط الحاضرة) في المغرب الأقصى.

ثم إنّ أبرزَ الأحداثِ في حياة أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ سَعيدٍ وأهمَّها كان حبَّه لِحَفْصَةَ الرُكونيةِ[2]، برُغْمِ الفارقِ في السِنّ بينهما. ونَعِمَ الحبيبانِ مدّةً بالزيارات والنُزَه ثمّ ألحّ عليهما الدهر بالشقاء.

في سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) استولى أبو سعيدٍ عُثْمانُ بن عبد المؤمن على غَرْناطةَ فكان أولَ وُلاةِ الدولة الموحِّديّة على تلك المدينة. واحتاج عثمان إلى كاتبٍ قديرٍ فسُمِّي له أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ سعيد. وتردّد أبو جعفر في قَبول المَنْصِبِ - لأنّه كان شخصاً يُحبّ الدَعَةَ ويَميل إلى الراحة؛ ولم يكن، فيما يبدو، بحاجةٍ إلى المناصب والمالِ - ثمّ قَبِلَ.

وكانت حَفْصَةُ تَتَردّدُ على بَلاطِ غَرْناطةَ فنشأتْ بينَها وبينَ عُثْمانَ بنِ عبدِ المؤمن ناشئةُ هوًى. ويبدو أن حفصةَ جعلت تُراوحُ بين المُحِبَّيْنِ فكان عثمانُ بنُ عبدِ المؤمنِ كثيرَ الغَيْرةِ من غريمه. أما أبو جعفرِ بنُ سعيدٍ فكان يلومُ حفصةَ على قِلّة وفائها - ويقال إنّه، في أثناء ذلك، جعل يُغيظها بالتَحَبُّب إلى جاريةٍ سوداءَ، أو أنه أحبّ تلك الجاريةَ فِعلاً.

ويبدو أن هذه الحالَ قد طالتْ وبلغتْ غَيْرَةُ عُثْمانَ ذِرْوَتَها ثمّ تجمّعَ عددٌ من

---

(١) نحو عشر سنين بين ٥٣٩ و٥٤٦ هـ (١١٤٤ - ١١٥١ م).

(٢) ستأتي ترجمتها (ت ٥٨٩ هـ). ويقال إنّه كان بين حفصة وأبي جعفر بن سعيد فارق واضح في السّن.

الأسباب يدعو إلى النقمة من أبي جعفر بن سعيد: منها أنّ أبا جعفر كان يُعَرِّضُ بعثمانَ شعراً ونثراً ويتهكّم عليه؛ قال مرّة لحفصة: « ما تُحبّين في هذا الأسود (وكان لونُ عثمانَ مائلًا إلى السواد)، وأنا أَقْدِرُ أن أشتريَ لكِ من سوق العبيد عَشْرَةً خيراً منه! ». ومنها أن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد (أخا أبي جعفر) فرّ إلى محمّد بن مردنيش الثائر في مُرْسِيَةَ وشَرقي الأندلس منذ سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م) - وكان قد سبق لوالد عبد الرحمن أنِ اتّصل بابن مردنيش - فخاف أبو جعفر أحمدُ بنُ سعيد أن يؤخذ بجَريرة أخيه ففرَّ إلى مالَقةَ وتخفّى فيها. غير أن رجال عُثمان بن عبد المؤمن عرفوا مكانه فألْقَوُا القبضَ عليه ووضعوه في سجن مالَقَةَ. واستشار عثمانُ أباه عبدَ المؤمن في قتل أبي جعفر بن سعيد على تُهْمة الاتّصال بابن مَرْدَنيشَ، فأذِنَ عبد المؤمن بذلك فقُتِلَ أبو جعفر في جُمادى الأولى من سنة ٥٥٩ (نيسان - أبريل ١١٦٤ م).

٢ - كان أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ سعيدٍ أديباً بارعاً في الشعر والنثر وناقداً بصيراً. وهُوَ في الأصل شاعرٌ وِجْدانيّ مُكثِرٌ، وشِعره أعلى مَرْتَبَةً من نثره. ولكنّ شِعرَه أيضاً مُتفاوِتٌ في الجَوْدة. وكان يقولُ رَوِيّةً وارتجالًا، وربّما أطالَ. غيرَ أنّ المقطّعاتِ المرويّةَ له كثيرةٌ وفنونهُ متعددةٌ، منها المدحُ والهجاءُ والفخر وأكثرُها الوَصْفُ والخمر والغزَل والمُجون، وله عددٌ من الإخوانيّات؛ وكان يقولُ في المُناسبات. وقد كان مُصَنِّفاً أيضاً، إذْ قام بِقِسْطٍ في تأليفِ كتابِ « المُغْرِبِ » (المغرب ٢ : ١٦٤، راجع نفح الطيب ٢ : ٤٢٩).

ويبدو أن أبا جعفرِ بنَ سعيدٍ كان حَسَنَ النَقْدِ للكلامِ، فقد قال عن حَمْدَةَ بنتِ زِيادِ المؤدِّبِ: « هي خنساءُ المغرب » (المغرب ٢ : ١٤٥)، كما كان يُثني على الشاعر أبي زكريّا يَحْيى بنِ مَطْروحٍ (المغرب ٢ : ١٥٥). ولمّا قالَ أخيلُ بنُ إدريسَ الرُّنْديّ في مديح عبدِ المؤمن بنِ عليٍّ قصيدةً مَطْلَعُها:

ما الفَخْرُ إلّا فخرُ عبدِ المُؤمنِ　　أَثْنَى عليهِ كُلُّ عبدٍ مؤمنٍ،

قال أبو جعفرِ بنُ سعيدٍ: « دَعاه (الإغراق في) التجنيس إلى الضَعْفِ والخروج عنِ

المقصود...... ولو قال: شادَ الخِلافةَ، وهو أوّلُ مُبْتَني (نفح الطيب ٤: ٢٠٢) لكانَ أوْلى وأحْسَنَ.

٣- مختارات من آثاره:

-لـمّا قُبِضَ على أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ سعيدٍ في مالَقَةَ ووُضِعَ في السجن مُقيّداً دخل عليه ابن عمٍّ له؛ فلمّا رآه على هذه الحالِ دَمِعَتْ عينهُ. فقال له أبو جعفرٍ:

أعَليّ تَبْكي بعْدَ ما بلغتُ من الدُنْيا أطايبَ لذّاتِها فأكلتُ صدورَ الدَجاجِ وشربتُ في الزُّجاج ولَبِسْتُ الديباجَ وتَمتّعتُ بالسَّراري والأزواج واستعملتُ من الشَمْع السِراجَ الوهّاجَ وركِبْتُ كلّ هِمْلاج[1]. وها أنا في يدِ الحجّاجِ مُنْتَظِرَ مِحْنَةَ الحلّاجِ[2] قادمٌ على غافرٍ لا يَحْتاجُ إلى اعتذارٍ ولا احتجاجٍ!

- من المُتَنَزَّهاتِ المشهورةِ في غَرْناطة حَوْرُ مُؤَمِّلٍ، وقد ذَكَرَهُ أبو جعفرٍ أحمدُ بن سعيدٍ في مُوَشّحته البديعة (المغرب ٢: ١٠٣ - ١٠٤):

ذهبَـــتْ شمسُ الأصيـــلْ فِضّـــــــــةَ النهْرِ.

* * *

أيُّ نَـــهْـــرٍ كالمُدامـــــــــهْ
صَيّر الظِـــــــلَّ فِدامَـــــــهْ
نَسجَتْـــــه الريْـــحُ لامَـــــهْ
وثَنَـــــــتْ للغصن لامَـــــــهْ
فهو كالعَضْـــبِ الصقيـــلْ حُـــفّ بالشَـــفْـــرِ[3].

* * *

---

(١) الهملاج: البرذون (بكسر الباء وفتح الذال): البغل الحسن السير والتبختر فيه.

(٢) الحجّاج بن يوسف الثقفي كان والي الأمويّين على العراق، وكان معروفاً بالشدّة (ينسبون إليه أشياء من الظلم لم تكن فيه). الحلّاج: ممخرق مشعوذ يدّعي التصوّف وقد كان متّهماً في دينه وفي ولائه للدولة، وقد قتل.

(٣) الأصيل: بين العصر ومغيب الشمس. فضّة النهر: البياض الحاصل من تقلّب المياه في مجرى النهر. =

مُضْحِكاً ثَغْرَ الكِمامْ
مُبْكِياً جَفْنَ الغَمامْ
مُنْطِقاً وُرْقَ الحَمامْ
داعياً إلى المُدام.
فبهذا لِلْقَبول خُطّ كالسَّطرِ[١].

★ ★ ★

حَبّذا بالغَوْرِ مَغْنى
هِيَ لفظٌ وَهْوَ مَعْنى
مُذْهِبُ الأشجانِ عنّا
كم دَرَيْنا كيف سِرْنا
ثمّ في وقت الأصيلْ لم نكن نَدْري[٢].

★ ★ ★

قلتُ والمَزْج استدارا
بذُرى الكأس سِوارا
سالباً منّا الوَقارا

= المدامة: الخمر (؟). الفدام: غطاء يوضع على فم الإبريق ونحوه، أو ما يصفّى فيه الشراب. اللامة: أداة الحرب كلّها من درع ورمح وسيف وبيضة (خوذة تلبس في الرأس). ثنى (حنى) اللام (حرف الهجاء (بين الكاف والميم). لام الغصن: اعتداله. العضب: السيف. الصقيل: المصقول (الحادّ، الماضي، القاطع). الشفر: (اسم جمع للشفرة (حدّ السيف).

(١) الكمامة: غطاء الزهر (الكأس: الأوراق الخضر التي تحيط بالزهرة قبل أن تتفتّح الزهرة). داعياً إلى (شرب) المدام (الخمر). فبهذا (؟) للقبول: (ريح الصبا (بالفتح: الشرق - وهي محبوبة في نجد). خطّ كالسطر (يبدو أن الضمير (في «خطّ») يرجع إلى «النهر» (في البيت: المقطع السابق).: رسمت الريح على صفحة النهر خطوطاً متعرّجة، أو اشارة إلى الاشجار على شاطىء النهر.

(٢) الغور: المكان المنخفض (ويكون فيه ماء ونبات). مغنى: مكان للسكنى، مسكون. هي، أي الخمر (؟)، وهو معنى (؟). الشجن (بفتح ففتح): الحزن. تذهب الأشجان: الخمر (؟). كم درينا.... ندري: كنّا في أولّ النهار نسير سيراً صحيحاً (لأنّنا كنّا صاحين) وعند الأصيل (لمّا تمكّن منا السكر) لم نكن ندري كيف نسير.

دائراً من حيـــــــــــــث دارا
صـــــادَ أطيـــارَ العقولْ شَبَـــــــــــــكُ الخمر[١].

★ ★ ★

وعـــــــــــد الحِـــــــبُّ فأخْلَـــــــفْ
واشتهـــــــــــــى المُطْـــــــــــلَ فسَوّفْ
ورســـولــــي قـــــــــــــــد تَـــعَـــرّفْ
منـــــــــــــه مـــــــــــــا أدري فحرّف.
بـــــاللهِ قُـــلْ: يـــــا رَسولي، لش يغــــب بـــــدري[٢].

- طلب أبو جعفرِ بنُ سعيدٍ من محبوبته حَفْصَةَ أن يجتمع بها فمَطَلَتْهُ شَهْرَيْنِ، فكتب إليها:

يـــــا مَن أُجانـــــبُ ذِكْرَ آســـ ـمـــــهِ، وحَسْبي علامَـــــهْ[٣].
مـــا إنْ أرى الوعـدَ يُقْضَـى، والعمرُ أَخشى انصرامَــــــــه.
اليومَ أرجوكَ، لا أنْ تكونَ لي في القيامــــــــــــه.
لو قــــــــد بَصُرْتِ بحـــــالي والليـــــلُ أَرخـــى ظلامــــه،
أنوحُ وَجْـــــــــداً وشَوْقــــــاً إذ تستريـــــح الحمامـــــــه[٤].
صــــــبٌّ أَطــــــالَ هواه عـــــلى الحبيـــب غرامـــه[٥]

---

(١) المزج: مزج الخمر بالماء. ذرى أو ذرا جمع ذروة (بالكسر أو بالضمّ): أعلى الشيء. شبك الخمر (الحباب (بالفتح) الذي يطفو على سطح الخمر بعد مزجها بالماء.

(٢) الحبّ (بالكسر): المحبوب. هذه الخرجة (القفلة الأخيرة في الموشّح باللغة العاميّة): لماذا يغيب عنّي بدري (حبيبي)؟

(٣) إنّ إضرابي عن ذكر اسمه دليل على أني أحبّه.

(٤) الوجد: ألم الحبّ. الحمامة معروفة بأنها لا تهدأ عن الهديل (عن الصوت الذي يشبه النواح). ومع ذلك، فإذا وقفت الحمامة عن النواح فأنا أظلّ أبكي.

(٥) الصبّ: المحبّ. غرامه: تعذيبه (شدّة حبّ المحبّ للمحبوب- والمحبوب لا يبالي- تزيد في عذاب المحبّ).

لِمنْ يَتيـــــهُ عليـــــه،   ولا يردّ سلامـــــــه.
إن لم تُنيـــــلي أَريحي،   فاليـــأسُ يَثْـني زِمامـــه[١].

- وقال يذكر اجتماعه بحفصةَ في حَوْر مُؤمّل.

رعـى اللهُ ليـلًا لم يَرُحْ بمُذمَّمٍ   عَشِيَّـةَ وارانـا بحَوْرِ مُؤَمِّـلِ[٢]
وقد خفقَتْ من نحوِ نجدٍ أريجةٌ   إذا نفحَتْ هبَّتْ بِريّا القَرَنْفُلِ[٣]،
وغرَّد قُمريٌّ على الدَوْح وٱنثنى   قضيبٌ من الرَيْحان من فوق جَـدْوَلِ.
يُرى الروضُ مسروراً بمـا قـد بـدا لـه: عِنـاقٌ وضَمٌّ وٱرتشافُ مُقَبَّـلِ.

- وقال يَصِفُ رِحلةَ لهوٍ وصيدٍ. والبيتانِ الأخيران تعْريض بأبي سعيدٍ عثمانَ بنِ عبد المؤمن والي غَرناطةَ، وهذان البيتان من الأسباب التي زادت في نقمة والي غرناطة عليه:

ويومَ تـجلَّى الأُفْـقُ فيـه بعنـبرٍ   من الغيم لُذْنا فيه باللهو والقَنَصْ[٤].
وقد بَقِيَتْ فينا مِن الأَمسِ فَضْلَةٌ   من السُكر تُغرينا بمنتَهَب الفُرَص.
رَكِبْنا لـه صُبحاً ولَيْلًا، وبعضُنا   أَصيلا، وكلٌّ إن شدا جُلْجُلٌ رَقَص[٥].
وشُهْـــبُ بُزاةٍ قـــد رجمنـــا بشُهبِهـا
طيوراً يُساغُ اللهوُ إنْ شكَتِ الغُصَص[٦]،
وعن شَفَقٍ تغري الصباحَ أَوِ الدجـــى   إذا أَوثقَتْ ما قد تحرّك أو قمـص[٧].

---

(١) إن لم ترضي (بفتح الضاد) بمواصلتي أعلني أنّك لا تحبّينني، فيأسي حينئذ من وصالك يمكن أن يردّني عن حبّك فأنساك وأستريح.

(٢) لم يرح بمذمّم: لم ينته بفعل ذميم (إذ جعلنا نلتقي).

(٣) خفق: تحرّك (سار). أريجة: ريا (رائحة طيّبة).

(٤) تجلّى: انكشف، بدا. العنبر لونه أسمر. لاذ: التجأ. القنص: المصيد (الطرائد التي صيدت): جعلنا نأكل من الطرائد التي كنا قد اصطدناها من قبل.

(٥) الجلجل: جرس صغير. إن شدا: غنّى (رنّ). كنا في حال انشراح نرقص (نطرب جدًّا مهما يكن السبب ضعيفاً).

(٦) ...... (؟).

(٧) قمص: عدا في نشاط (ذهب يقفز قفزاً) ...... (؟).

وملْنـا، وقد نِلْنا من الصيْد سُؤلَنا، على قَنَصِ اللّذّاتِ والبردُ قد قرَصْ[١]،
بخيمــةِ ناطورٍ تَوسّطَ عَذْبَنـــا جحيمٌ، به مَن كان عُذِّبَ قد خلص[٢].
أَدَرْنـــــا عليــــه مثلَــــه ذهبيَّـــــةً
دَعتْه إلى الكُبرى فلم يُجِب الرُخص[٣].
فقلْ لحريصٍ أن يراني مُقيَّداً بخدمته: لا يُجْعَلُ البازُ في القفص.
وما كنتُ إلّا طوعَ نفسي. فهل أُرى مطيعاً لِمَنْ عن شأوِ فخريَ قد نقص[٤]؟

- لأبي جعفرِ بنِ سعيدٍ العَنْسيِّ مقطّعاتٌ بارعةٌ، منها (نفح الطيب ٣: ٥١٥ - ٥١٧):

للهِ يومُ مَسرّةٍ أضوى وأقصرُ من ذُبالـــــهْ[٥].
لـمّـــا نَصَبْنـــا للمُنـــى فيـــه بأوتـــارٍ حِبالـــهْ[٦]،
طـــارَ النهـــارُ بـــهِ كَمُرْ تـــاعٍ، فأجفلـــتِ الغزالـــهْ[٧].
فكأنّنـــا من بَعْـــدِه بِعْنـــا الهدايـــةَ بالضّلالـــهْ.
★ اسْقِـني مثـلَ مـا أنـارَ لِعَيْني شَفَـقٌ ألْبَسَ الصبـاحَ جَمالـهْ[٨]،
قبـلَ أن تُبْصَرَ الغَزالـةُ تستـد رِجُ منـه علـى السماءِ غُلالـهْ[٩].

---

(١) انصرفنا (بعد أن كنا قد اكتفينا بما صدناه من قبل) إلى قنص (صيد) اللذات. قرص البرد الإنسان (اشتدّ عليه وآلمه).

(٢) عذبنا (ماؤنا الحلو؟) - جحيم..... (؟؟) - لعله يقصد «ناراً موقدة (حمراء) طلباً للدفء.

(٣) ذهبية (خمر حمراء اللون - بلا مزج بماء). الكبرى (الفاحشة) فلم يجب (لم يفعل). الرخصة (حال تجيز للمتعبّد أن يترك شيئاً من العبادة: كقصر الصلاة في السفر).

(٤) الشأو: الشوط، الأمد، الغاية. نقص عن شأوي (قصّر عن مجاراتي).

(٥) أضوى: أضعف، أرقّ، أدقّ. ذبالة: فتيلة السراج.

(٦) الحبالة (بالكسر): مصيدة، شرك (من حبال). الوتر (كناية عن العزف على العود).

(٧) طار (أسرع) النهار في الذهاب. مرتاع: خائف. أجفلت (مضت، أسرعت) الغزالة (الشمس): غابت باكراً.

(٨) مثل ما أنار لعيني شفق (خمر حمراء اللون - غير ممزوجة بماء).

(٩) قبل أن تستدرج الغزالة (الشمس) بحرارتها) منه (من الشفق: اللون الأحمر الذي يُرى على الأفق الغربي بعد غياب الشمس) غلالة (ستراً رقيقاً). - قبل أن تغيب الشمس.

وتأمّـــلْ لعَسْجـــدٍ سالَ نهراً كَرَعت فيه، أو تَقَضّى، غزالَهْ[1].

★ لو لم يكنْ شَدْوُ الحمائمِ فاضلًا شَدْوَ القِيانِ لَما استخفَّ الأغْصُنا[2].
طَرَبٌ ثَنى حتّى الجمادَ تَرَنُّحاً وأفاض من دَمْعِ السحائبِ أعيُنا.

★ في الرَّوْضِ منكَ مَشابهٌ من أجْلِها يَهْفو له طَرْفي وقَلْبي المُغْرَمُ[3]:
الغُصْنُ قَـدٌّ، والأزاهرُ حِلْيـةٌ، والوردُ خـدٌّ، والأقاحي مَبْسِمُ.

★ ولقـد قلـتُ للذي قـال: حُلّوا هـهنـا: سِرْ، فإنّنـا ما سَئِمْنا[4].
لا تُعَيِّنْ لنــا مكانــاً، ولكنْ حيثُما مالــتِ اللواحـظُ مِلْنـا.

★ ألا هاتِهـا، إنّ المَسرّةَ قُرْبُهـا. وما الحُزْنُ إلّا من توالي جَفائها[5]:
مُدامٌ بكى الإبريقُ عند فِراقِها فأضْحَكَ ثَغْرَ الكأسِ عندَ لِقائها[6].

– وله أيضاً في المُتَنَزَّهِ المعروفِ بحَوْرِ مُؤَمِّل (نفح الطيب ٣: ٥١٧):

عَرِّجْ عـــلى الحَوْرِ وخَيِّمْ بـــه حيثُ الأماني ضافياتُ الجَناحْ[7].
واسْبِقْ له قبلَ ارتحالِ النَّدى ولا تَزُرْهُ دونَ شادٍ وراحْ[8].
وكُنْ مُقيماً منـه حيثُ الصَّبا تمتارُ مِسْكاً من أريجِ البِطاحْ[9].

---

(١) ماء النهر كعسجد (ذهب) من نور الشمس الواقع عليه، أو الأشعّة الحمراء التي تملأ الجو. تقضّى: انقضى. غزالة: ظبية. – ...... (؟).

(٢) لو لم يكن شدو (غناء) الحمام أفضل (أعذب) من شدو القيان (النساء الجميلات المغنيات) لما استخفّ الغصون (جعل الغصون تطرب وتتمايل).

(٣) مشابه (أوجه شبه). هفا: حنّ، اشتاق.

(٤) حلّوا: انزلوا هنا.

(٥) هاتها (هات الخمر). – إنّ السرور أن نقرب نحن من الخمر، والحزن أن يتوالى (يتتابع، يستمرّ) جفاؤها (بعدها عنّا).

(٦) مدام (خمر). حينما يصبّون الخمر من الإبريق يمكن أن تقطر منه نقاط (فكأنّه يبكي). وحينما يتتابع صبّ الخمر في الكأس تحدث قرقرة (فكأنّ الكأس حينئذ تضحك).

(٧) ضافي الجناح: متّسع (كثير).

(٨) قبل ارتحال الندى: قبل أن تجفّف الشمس قطرات الندى (أي باكراً، قبل شروق الشمس). الشادي: المغنّي. الراح: الخمر.

(٩) الصبا: ريح الشرق. امتار جمع الميرة (الطعام). – كأن الريح الهابّة عليّ تجمع الرائحة الطيّبة من كلّ مكان.

والقُضْبُ مالَ البعضُ منها على بعضٍ كما يَثْني القدودَ ارتياح[1].
وشَقَّ جَيْبَ الصُّبْحِ نورٌ، كما شَقّتْ جُيوبَ الطَّلِّ منها الرِياح[2].

★ ألا حبّذا رَوْضٌ بَكَرْنا له ضُحًى وفي جَنَباتِ الروضِ للطَّلِّ أدْمُعُ.
وقد جَعَلَتْ بينَ الغصونِ نُسَيْمَةٌ تُمَزِّقُ ثَوْبَ الطَّلِّ منها وتَرْقعُ[3].
ونحن، إذا ما ظلّتِ القُضْبُ رُكَّعاً، نَظَلُّ لها من هِزّةِ السُكْر نركَعُ[4].

– وقال يَصِفُ غلاماً ساقياً أسودَ وقد لبس ثياباً بيضاً:

وغُصْنٍ منَ الآبِنوسِ ارْتَدى بعاجٍ، كَلَيْلٍ عَلاهُ فَلَقْ[5].
يُحاكي لنا الكأسُ في كفّه صَباحاً بجِنْح علاه شَفَقْ[6].

– وله في الحِكمة، وقد ترك قوماً فاعتذر إليهم بأنه فعل ذلك مضطرًّا لا عن رَغْبةٍ منه في ذلك:

تَركْتُكُمُ لا كارهاً في جَنابكم، ولكن أبى رَدّي إلى بابِكم دَهْري.
وطاحتْ بِيَ الأطماعُ في كلّ وِجْهَةٍ تُنَقّلني من كلّ سَهْلٍ إلى وَعْر[7].
وما باختيارٍ فارقَ الخُلْدَ آدمٌ؛ وما عَنْ مُرادٍ لاذَ أيّوبُ بالصبرِ.
ولكنّها الأيّامُ ليست مُقيمةً على ما اشتهاه مُشْتَهٍ أمَدَ العُمْرِ.
وإنّك إنْ فكّرتَ في ما أتَيْتُه تَيقّنْتَ أنَّ التَرْكَ لم يَكُ عن غَدْرِ؛

---

(١) القضب (جمع قضيب): الأغصان. الارتياح: النشاط والسرور.
(٢) .... (؟).
(٣) يسقط الطلّ (الندى) عن الأغصان على الأرض (فتبدو الأرض جافّة في مواضع ومبتلّة في مواضع- فكأن البقع المبتلّة رقع على الأرض).
(٤) القضب (الأغصان) تدنو من الأرض بفعل النسيم، ونحن في مشينا يدنو أعلى جسمنا من الأرض (بفعل الخمر).
(٥) الفلق: الصبح.
(٦) الجنح: الجانب من الليل (الشديد الظلام- السواد). الشفق: اللون الأحمر الذي يبدو على الأفق الغربي بعد غياب الشمس.
(٧) طاح: اضطرب، تاه، مضى.

ولكنْ لَجاجٌ في النفوس إذا انقضى   رَجَعْتُ، كما قد عادَ طيرٌ إلى وكْرِ[1].
وإنّي لَمَنْسوبٌ إلَيْكم وإنْ نأتْ   بيَ الدارُ عنكم، والغَديرُ إلى القَطْرِ[2].
وإنّي لَمُثْنٍ بالذي نِلْتُ مِنْكُمُ   مُقيمٌ على ما تَعلمونَ من البِرّ.
وإن خُنْتُكُمْ يوماً فخانَني المُنى،   وساء - لديكم، بَعْدَ إحمادِه - ذِكْري.
على أنّني أقرَرْتُ أنّي مُذْنِبٌ؛   وذو المَجْد من يُغْني المُقِرَّ عنِ العُذرِ.

- وقال يصف ناراً مُوقدةً في زمن الشتاء ليلًا:

نَظَرْتُ إلى نارٍ تَصولُ على الدُجى؛   إذا ما حَسِبْناها تناءت تُبَعِّدُ[3]
تُرَفِّعُها أيدي الرياحِ، وتارةً   تُخَفِّضُها فِعْلَ المُكَبِّر يَسْجُدُ[4]،
وإلّا فَمَنْ لا يَمْلِكُ الصبرَ قَلْبُهُ   يقومُ به غَيْظٌ هناك ويَقْعُدُ[5].
لَها أَلْسُنٌ تشكو بِها ما أصابَها   وقد جَعَلَتْ من شِدّة البرد تُرْعَدُ[6]!

- وقال يصف قَوّادة (أُوردُ هذه الأبياتَ لأنّها لا فِسْقَ فيها، ما عدا إشارتين بعيدتين في البيت الرابع والبيت التاسع):

قَوّادةٌ تَفْخُرُ بالعارِ   أقودُ من لَيْلٍ على سارِ[7].
ولّاجةٌ في كلّ دارٍ، وما   يَدْري بها من حِذْقها دار[8].
ظَريفةٌ مَقْبولةُ المُلْتقى   خفيفةُ الوَطْءِ على الجار[9].

---

(١) اللجاج: التمادي (في العناد)، الاستعجال في معرفة النتائج.
(٢) الغدير: مجرى من الماء يغادر النهر. القطر: المطر.
(٣) تصول: تسطو، تقهر (تتغلّب على) الدجى (الليل): نار كبيرة قويّة تضيء الليل.... كلّما اقتربنا منها نراها تبعد عنّا (رغبتنا في سرعة الوصول إليها توهمنا أنّها تبتعد عنّا).
(٤) الرياح الشديدة تتلاعب بها علوًّا وهبوطاً (كما يفعل المصلّي بيديه كلّما قام بركن من الصلاة كبّر ورفع يديه إلى أذنيه ثمّ خفضها).
(٥) .... أو كالغضبان لا يستقرّ على حال (يقوم ويقعد لا يدري ما يفعل).
(٦) ألسنة اللهيب تتلاعب بها الريح الشديدة (فكأنّ تلك النار ترتعد مثلنا من شدّة البرد).
(٧) الساري (السائر في الليل) يستره الليل عن عيون الناظرين.
(٨) الولّاج: الكثير الدخول (والخروج): كثير الحركة. الداري (اسم فاعل من درى): العالم بالأمر.
(٩) خفيفة الوطء (الدعس: صوت الأقدام): على الجار (لا يشعر أحد بما تعمل).

لحافُهـــــا لا يَنْطوي دائماً أقْلَـــقُ من رايـــة بيطـــار[١].
قـد رُبِّيَـتْ - مذ عَرّفَتْ نَفْعَها - مـا بـين فُتّـاك وشُطّار[٢].
جاهِلــةٌ حيـث ثَوى مَسْجِـدٌ عارفـــةٌ حانـــةَ خَمّـــار.
بَسّامـــةٌ مُكْثِرةٌ برّهــــا ذاتُ فُكاهـــاتٍ وأخْبـــار.
عِلْمُ الـريـاضـات حَوَتْـــهُ وسا سَتْـــهُ بتقويم وأسحـــار[٣].
مُبْتاعـــةٌ للنعْـــل من كِيسهـــا موسرةٌ في حـــال إعسار[٤].
تَكـــاد من لُطْـفِ أحاديثهـــا تجمـــعُ بـــين المـاء والنـــار!

★ ولّما رأيتُ السَّعْدَ في صَفْحِ وَجْهِهِ مُنيراً، دعاني ما رأيتُ إلى الشُّكْر[٥].
وأقْبَـلَ يُبدي لي غَرائبَ نُطْقِهِ، وما كنتُ أدري قبلَهُ مَنْزِعَ السِّحْر[٦]،
فأصْغَيْتُ إصغاءَ الجَديبِ إلى الحَيا وكـان ثَنائي كالرِياض على القَطْرِ.

- ولّما أمَرَ عبدُ المُؤمنِ بنُ عليٍّ بِسَجْنِ عبدِ الملكِ بنِ سعيدٍ (والدِ أبي جعفرِ هذا)، قال أبو جعفرٍ (وكأنّه يُخاطب أباه) من رسالة مُلَمَّعَةٍ بالشعر والنثر:

مولايَ، غيرُك يُعَزَّى بما لم يَزَلْ يَجْري على الكِرامِ، ويُذَكّرُ تأنيساً له في الوَحْشَةِ بما يطرأُ من الخُسوف والكُسوف على الشمس المُنيرة والبَدْرِ التَّمام....... ماذا تُفيدُكَ من العِلْمِ[٧] وصدرُكَ يَنْبوعُه، وبِخاطِرِكَ لا يزالُ غُروبُه وطُلوعهُ. وإنّما هي

---

(١) .... أقلق من راية بيطار (؟).

(٢) مذ عرّفت نفعها: منذ أقنعت (طلّاب اللهو) بقدرتها. الفاتك: الجريء على المعاصي. الشاطر: الخبيث الفاجر.

(٣) الرياضة (هنا): ترويض الإنسان الصعب (الإقناع بالخداع والحيلة). تقويم: إصلاح (بأسلوب خيّر) وأسحار (جمع سحر): السيطرة النفسية (الشرّ).

(٤) النعل: الزوجة. من كيسها الخ: تهيّىء اللهو للمعسر (المقلّ: الذي لا مال حاضراً معه) وتنتظر أن يفيها هذا الدين في المستقبل.
صفح (جانب) وجهه.

(٦) المنزع: الانتهاء إلى هدف (غاية، طريقة).

(٧) العلم (بمعاني أبيات ذكرها أبو جعفر بن سعيد فيها حكم ونصائح).

عادةٌ تَبِعْناها أَدَباً، وقَضَيْنا بها ما في النفس من الإعلام بالتَّوَجُّعِ والتَّفَجُّع أَرَباً[1]. ولعلّ اللهَ يُتْبِعُ هذه التَّسْلِيَةَ بِتَهْنِئَةٍ، ويُعْقِبُ بالنِّعمةِ هذه المَرْزِئَةَ[2].

٤ - ★★ المغرب ٢ : ١٦٤ - ١٦٨ (وأماكن أخرى مفيدة - راجع الفهرس)؛ الإحاطة ١ : ٢٢٢ - ٢٢٧ ؛ نفح الطيب ١ : ٤٧٥ ، ٢ : ٣٢٩ ، ٤ : ١٧٩ - ٢٠٢ ، ٢٠٤ - ٢٠٥ (وأماكن أخرى فيها إشارات مفيدة)؛ نيكل ٣١٧ - ٣٢٢ ؛ بالنثيا ١٢٧ - ١٢٨ .

نزهون بنت القلاعي الغرناطية

١ - هي نزهونُ القِلاعية (بنتُ القِلاعي، وقيل القُليعيّ - ولعلّه: أبو بكرٍ محمّدُ ابنُ أحمدَ بنِ خَلَفِ بنِ عبدِ الملكِ بن غالبِ الغَسّانيُّ). قرأَتْ على أبي بكرٍ المخزوميّ الأعمى فكانت تلميذةً له برُغْمِ ما كان بَيْنَهما من المُعارضة والمُهاجاة. وكذلك كان بينَها وبينَ الوزيرِ أبي بكرِ بنِ سعيدٍ (صاحبِ أعمالِ غَرناطةَ في أيامِ المرابطين) مُحاضرةٌ ومذاكرةٌ ومراسلة بالإضافة إلى ما كان بينَهما من الحبّ واللقاء. ثمّ كان بينَها وبينَ ابنِ قُزمانَ (نحو ٤٨٠ - ٥٥٥ هـ) منافرةٌ. ولعلّ وفاتَها كانت سَنَةَ ٥٦٠ (١١٦٥ م)[3].

٢ - كانت نزهونُ ذاتَ جَمالٍ فائقٍ خفيفةَ الروحِ حُلوة اللفظِ سَريعةَ البديهةِ كثيرةَ النوادرِ بارعةً في الأدب حافظةً للأشعار مَعَ المعرفةِ بضَرْبِ الأمثالِ نابغةً في قولِ الشعر، إلّا أنّها كانتْ ماجنةً بلا احتشامٍ ولا عِفّةٍ. وشِعْرُها وُجْدانيّ أكثرُه الغَزَلُ والهجاء.

---

(١) الأرب: الحاجة.

(٢) المرزئة: المصيبة (الكبيرة).

(٣) نقل المَقّري (نفح الطيب ٤ : ٢٩٥) عن الحجاري أنّ نزهون كانت «من أهل المائة الخامسة» (٤٠٠ - ٤٩٩ هـ). ولكنّ نزهون كانت تلميذة للمخزومي الأعمى، وقد كان حيًّا بعد ٥٤٠ هـ (نفح الطيب ١ : ١٩٣) ثم كانت معاصرة لابن قزمان (٤٨٠ - ٥٥٥ هـ). وعلى هذا قبلت أن تكون وفاتها سنة ٥٦٠ أو بعدها بقليل.

٣ - مختارات من آثارها:

- لمّا تَعَجّبَ الأعمى المخزوميُّ من مجلسِ أبي بكرِ بن سعيدٍ وممّا كان فيه من النعيم - وكانتْ نزهونُ حاضرة - قالتْ له:

وَتَراكَ، يا أستاذُ، قديم النعمةِ بمَجْمَرِ نَدٍّ وغِناءٍ وشَرابٍ، فَتَعْجَبَ من تأتّيهِ وتُشَبِّهَهُ بنعيمِ الجَنّةِ وتقولَ: ما كانَ يُعْلَمُ إلاّ بالسَماعِ ولا يُبْلَغُ إليه بالعِيان! ولكنْ من يجيءُ من حُصْنِ المُدَوَّرِ وينشأ بينَ تيوسٍ وبَقَرٍ، من أينَ له معرفةٌ بمجالسِ النعيمِ؟

فلمّا اسْتَوفَتْ نزهونُ كلامَها تَنَحْنحَ المخزوميُّ الأعمى، فقالت نزهونُ: ذُبْحَةً!

- إنّ نزهونَ شاهدت ابنَ قُزمانَ الأصغرَ يلبَسْ غِفارةً (خُرْقَةً تُلْبَسُ تحت القلنسوة!) فقالتْ له:

أصبحتَ كبَقَرَةِ بني إسرائيلَ، ولكنْ لا تَسُرُّ الناظرين.

- دخل الشاعرُ الكُتَنْديُّ على المخزوميِّ الأعمى، ونزهونُ عند المخزوميّ تقرأ عليه. فقال الكُتندي للمخزوميّ: أجزْ: «لو كنتَ تُبْصِرُ من تُكَلِّمُه»! فأُفْحِمَ المخزوميُّ ولم يَحِرْ جواباً، فقالتْ نزهونُ:

.... لَغَدَوْتَ أخْرَسَ من خَلاخِلِه[١].
البدرُ يطلُعُ من أزرَّتِهِ، والغُصنُ يمرَحُ في غلائِلِه[٢].

- قالتْ تُخاطبُ الأعمى المخزوميَّ بهجاءٍ فيه إقذاعٌ[٣]:

قُلْ للوضيعِ مقالاً يُتلى إلى يومِ يُحْشَرْ:
مِنَ المُدوّرِ أُنْشِئتَ، والخَرا مِنْكَ أعْطَرْ،

---

(١) الخلخال (بالفتح): حلية (بالكسر) كالسوار تلبسها النساء في الأرجل. أخرس من خلاخله: كثير الصمت. (إذا كانت المرأة سمينة فإنّ الأساور والخلاخيل في يدي المرأة ورجليها لا تتحرّك فلا تحدث صوتاً).

(٢) الزرّ: مدخل الثوب في العنق. الغلالة (بالكسر): ثوب رقيق يلبس (مباشرة على البدن). البدر (الوجه الجميل) والغصن (القامة المشوقة).

(٣) في هذه المقطوعة كلام قبيح وصور قبيحة لا حاجة إلى تفسيرها.

حيـــثُ البـــداوةُ أمْسَتْ   في مَشْيِهـــــا تَتَبَخْتَرْ.
لـــذاك أمْسَيْــتَ صبًّـــا   بكُــــلّ شيءٍ مُـــدوَّرْ:
خُلْقْـــتَ أعْمَـــى، ولكنْ   تَهــــيمُ في كـــلّ أعْوَرْ!
جازيـــــتُ شِعْراً بشِعْرٍ،   فقُـــلْ، لَعَمْري: مَن اشعر؟
إنْ كنـــتُ في الخَلْـقِ أُنْثـى،   فـــــإنّ شِعري مُذَكَّرْ!

- وقالتْ تَنْسِبُ بأبي بكرِ بنِ سعيدٍ:

حلَلْتَ، أبـا بكرٍ، مَحلًّا مَنَعْتُه   سِواكَ. وهلْ غيرُ الحبيبِ له صَدْري؟
وإنْ كانَ لي كَمْ من حبيبٍ فإنّما   يُقَدِّمُ أهلُ الحَقِّ حُبَّ أبي بكر[1]!

- ولها في النسيبِ الصريح:

للهِ درُّ الليـــالي مـــا أُحَيْسَنَهـــا،   ومـا أُحَيْسَنَ منها ليلةَ الأحدِ !
لو كنـتَ حاضِرَنا فيها وقد غَفَلَتْ   عيـنُ الرقيبِ فلم تَنْظُرْ إلى أحَدِ،
أبْصَرْتَ شمسَ الضُحى في ساعِدَيْ قَمَرٍ،   بـل ريمَ خازمةٍ في ساعِدَيْ أسدِ[2]!

٤ - ** بغية الملتمس ٥٣٠ (رقم ١٥٨٨)؛ المغرب ٢: ١٢١، راجع ١: ٢٢٣؛ المقتضب ١٦٤ - ١٦٥؛ راجع الإحاطة ١: ٤٣٢ - ٤٣٥؛ نفح الطيب ١: ١٩٢ - ١٩٣، ٣: ٢١٨، ٤: ٢٩٥ - ٢٩٦، ٢٩٧ - ٢٩٨، راجع ١: ١٩٠ وما بعد؛ نيكل ٣٠٢ - ٣٠٨، مختارات نيكل ١٨٠ - ١٨١؛ الأعلام للزركلي ٨: ٣٣٢ (١٧)؛ بالنثيا، راجع ١٢٥ و١٦٥.

أبو العبّاس الجراوي المالَقيّ

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ حسنِ بنِ سيدٍ الجراوِي المالقي[3] أخذ النحو عن

(١) يقدّم أبو بكر (عشير نزهون) على جميع محبّيها، كما قدّم أبو بكر الصديق في الخلافة على جميع المسلمين. - كم من حبيب (محبّون كثيرون).

(٢) شمس الضحى (المرأة الجميلة) والقمر (الرجل الجميل). الريم: الغزال الأبيض (المرأة الجميلة) الأسد (كناية عن الرجل القويّ).

(٣) هو غير أحمد بن عليّ بن سيد الإشبيلي المعروف باللصّ المتوفّى سنة ٥٧٦ هـ. وغير ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ).

سليمانَ بنِ محمّدٍ المالقي المعروفِ بابن الطراوة (ت ٥٢٨ هـ) وأخذ اللُغةَ عن محمّدِ بنِ مَعْمرٍ المعروفِ بابنِ أُختِ غانمٍ (ت بعيد ٥٢٤ هـ).

وقد وقعت وحشة بينَ أبي العبّاس الجراوي والقاضي ابن الوحيديّ[١] فاضطُرّ إلى الانتقال من مالَقَةَ فذهبَ إلى قُرطبة. ثمّ إنّ الجراويَّ استمال ابنَ الوحيدي فَلَانَ ابنُ الوحيدي له فعاد إلى مالَقَة بَعْدَ غيابِ أربعةِ أعوامٍ. ثمّ تولّى القضاءَ أبو الحكمِ ابنُ حسّونٍ فقرّبَ أبا العبّاس الجراويَّ. ويبدو أن ابنَ حَسّونٍ هذا قُتِلَ (٥٤٧ هـ)[٢] فانتقل الجراويُّ إلى مَرَّاكُشَ وأدّب أبناءَ أميرِ المُسلمينَ عبدِ المؤمن بنِ عليٍّ[٣] فسما قدرُهُ وعَظُمَ صِيتُه.

وكانت وفاةُ أبي العبّاس الجِراويّ بُعيدَ سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م).

٢ - كان أبو العبّاس الجراويُّ من كِبارِ النُحاة والأدباء في الأندلس، وكان كاتباً بليغاً وشِعرُهُ متينُ السبك. والأبيات القليلةُ المَرْوِيّةُ له هي في الأدب (الحكمة).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو العبّاسِ الجِراويّ المالَقي:

---

(١) هو أبو محمّد عبد الله بن عمر الوحيدي، ولي القضاء في مدينة ريّة (٥٢١ - ٥٣٩ هـ) فسار بالعدل وأدخل على إدارة الأحباس (الوقف) إصلاحاً كبيراً. ثمّ لمّا شاخ اعتزل القضاء واستغنى عن أخذ المرتّب الذي يعطى لأمثاله. وكانت وفاته سنة ٥٤٢ هـ. كتب إليه الخطيب ابن أبي العيش يوصيه بأحد المتخاصمين لديه فكتب إليه ابن الوحيدي:
«وهبك الله وإيّاي من نِعَمِهِ السوابغ الضوافي، وأوردك من نسمه العذاب الصوافي. ولا زلت بصيراً بمكائد الناس... فإنّك كما تدريهم يريشهم الباطل ويبريهم (يغتنون من طريق الباطل ويفتقرون من طريق الباطل). والعاقل يعظهم ولا يغريهم (لا يستطيع استمالتهم إلى سماع الوعظ). ومثلك من الإخوان من علم تلوّن الزمان، وعرف سير العجم والعرب، ولم يغب عنه الفرق بين السمع (؟ - لعلّ المقصود هنا «الشمع»، وهو ما يعسله النحل بيوتا مسدّسة ثمّ يخزن فيها العسل). والضرب (بفتح ففتح: العسل). لا سيّما والدنيا قد صارت مكشوفة وأخلاق أهلها معروفة. فهناك يجب أن يعذر المرء أخاه..... والوليّ تكفيه الإشارة، وإن قصّرت عن الغرض المطلوب العبارة.....» (راجع المرقبة العليا ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) راجع المرقبة العليا ١٠٤، السطر الثالث وما بعده.

(٣) دخل عبد المؤمن بن عليّ مدينة مراكش وانتزعها من يد المرابطين سنة ٥٤١ هـ.

★ وبـــينَ ضُلوعي للصَبابــةِ لَوْعَــةٌ بحُكْمِ الهوى تَقْضي عليّ ولا أقْضي[1].
جنى ناظري منها على القلبِ ما جنى فيا من رأى بعضاً يُعين على بعــض[2].
★ لمّــا رأيتُــكَ عــينَ الزمــانِ وأنّ إليــك تُحَــثُّ الخُطـا[3]،
بَكَرْتُ إليـــك بُكورَ الغُرابِ ورُحْتُ عليك رَواحَ القَطـا[4].

★ ورأى أبو العبّاس الجراويُّ جريحاً أُصِيبَ بسَهْمٍ فقال:

حَسَدَتْكَ نُشّابُ القِسِيِّ لأَنْ رأتْ عَيْنَيْكَ أمضى في الإصابة مَقصِدا[5].
فجَنَتْ عليك. ويا لها مِمّا جَنَتْ. لَهْفي عليكَ، فكم خَشِيتُ الحُسّدا!

- وللجراوي (؟) في الغزل (المغرب ٢: ٢٦٩):

يوسف، يـــا بغيـــتي وأنسي، صيّرني مُغـرَمـــاً هـواكـــــا.
حويـــت قلـــبي، وأنـــت فيـــه. كيـــف حويـت الـــذي حواكـا؟

٤ - ★★ زاد المسافر ٣٤ (٤٩ - ٥١)؛ الوافي بالوفيات ٦: ٣٠٧ - ٣٠٨؛ تحفة القادم ٤٤؛ المطرب ٢٠٠؛ تكملة التكملة ٨٥؛ بغية الوعاة ١٣٠.

أخيل الرُّنْديّ

١ - هو أبو القاسم أخيلُ بنُ إدريسَ، كان في أوّلِ أمرِهِ كاتباً للمرابطين ثمّ اتّخذه حَمْدينُ بنُ محمّدٍ كاتباً، وكان حمدينُ مُستبدًّا بقُرطبة. فلمّا استَوْلى ابنُ غانية على قُرطبةَ رَجَعَ أخيلُ إلى بلدهِ رُنْدةَ واستطاع أن يستبدَّ بها مُدّةً يسيرةً. غيرَ أنّ ابنَ غرّون (وكان من رجال ابنِ حَمدينٍ) استَوْلى على رُنْدةَ فنجا أخيلُ بنفسهِ إلى مالَقَةَ

(١) الصبابة: الحبّ. لوعة: حرقة..... - يحكم المحبوب عليّ فأقبل حكمه وأنا لا أستطيع أن أحكم عليه.
(٢) عيني رأته فأحبّته فأصبحت معذّباً فيه. ومن العجيب أن بعضي (عيني) جنت على بعضي (قلبي).
(٣) عين الزمان: خير الناس. (ورأيت) أن جميع الناس تسرع إليك (تطلب فضلك).
(٤) القطا طائر سريع الطيران.
(٥) النشّاب جمع نشّابة (بضمّ النون فيها): النبل (بفتح النون): السهام. القسيّ جمع قوس. السهام حسدتك لأنّها رأت أنّ عينيك (سهام عينيك) أشدّ إصابة للهدف منها.

لاجئًا إلى صاحبها (؟) ابنِ حسّونٍ.

ثمّ إنّ أخيلَ ذَهَبَ إلى مَرّاكُشَ واتّصلَ بالوزيرِ أبي جعفرِ بنِ عَطيّةَ (قتل ٥٥٣ هـ) فعَطَفَ عليه أبو جعفرٍ وردّ إليه ما كان قد نُهِبَ من أمواله. واستَوْطن أخيلُ مَرّاكُشَ مدّةً ثمّ وقعتْ بينَه وبينَ السُلطان عبدِ المؤمنِ وَحْشةٌ - لوشايةٍ نُقلَتْ إلى عبدِ المؤمنِ زَعَموا فيها أنّ أخيل قال عن عبد المؤمن: كيفَ تَصِحُّ له الخِلافةُ وليس بقُرَشِيٍّ! - فعاد إلى الأندلس. وقد تولّى أخيلُ قضاءَ قُرطبةَ ثمّ قضاء إشْبيلية. وكانتْ وفاتُه في إشْبيلية سَنَةَ ٥٦٠ أو ٥٦١ هـ (١١٦٤ - ١١٦٥ م).

٢ - كان أخيلُ الرُنديُّ فقيهاً وشاعراً وناثراً مُترسِّلًا (لأنّه كان يكتُبُ في الدواوين) وتَغْلبُ السهولةُ على شعرهِ ونثرهِ معاً. ولكنْ ربّما تطلّبَ التجنيسَ فلم يُحْسِنْهُ، كما قالَ في مدح السُلطان عبد المؤمن بن عليّ:

ما الفخرُ إلّا فخرُ عبدِ المؤمن. أثْنى عليهِ كلُّ عبدٍ مؤمن.

ولا رَيْبَ في أن التجنيسَ هنا باردٌ. ولكنْ لمّا عرّض أخيلُ بمحمّدِ بنِ سعدٍ المعروفِ بابنِ مَرْدنيشَ والثائرِ على المُوحِّدين في الأندلس فقال:

أمّا ابنُ سعدٍ فَهْوَ أولُ مارِقٍ. يا لَيْتَه بأبيهِ سعدٍ يَكْتني[1].
ما قدرُ مُرْسِيَةٍ وحُكمُكَ نافذٌ إنْ شِئتَ من عَدَنٍ لأرضِ المَعْدِنِ[2].

سُرّ عبدُ المؤمن وقال له: أجَدتَّ. فقال أخيلُ مُرْتَجِلًا بيتينِ من البحر والقافية:

من لي، أميرَ المؤمنين، بمَوْقفي هذا؟ وقولُك لي: أجدتَّ ولم تَنِ[3]!
فلقد مدحتُكَ خائفاً ألّا يَفي لَسني بما يُعْيي جميعَ الألسُن[4].

---

(١) المارق: الخارج من الدين (الكافر). يا ليته..... هو لا يكتني بأبيه سعد لأنّه يعرف أن سعداً ليس والده.

(٢) أرض المعدن: انكلترة أو إسبانية (؟).

(٣) ونى يني: تعب (قصّر).

(٤) لسني (بفتح فسكون): كلامي، لغتي. الألسن جمع لسان: لغة. يعيي: يتعب، يجعل الإنسان عاجزاً.

٣ - مختارات من آثاره:

قال أخيلُ بنُ إدريسَ يُعاتبُ مَحْبوبَه:

شتّانَ ما بَيْني وبينَك في الهوى: أنا أبْتَغيكَ وأنتَ عنّي تَصْدِفُ[١].
وإذا عَتَبْتُكَ وارْعَوَيْتَ يَبينُ لي في الحينِ منك بأنّ ذاك تكلُّفُ[٢].
يا ليتَ شِعري، كيفَ يُقْضى وَصْلُنا؟ والعمرُ يَفنى والمواعدُ تُخْلَف!

- وقال في المديح:

إليك أخذتُ حِبالَ الذِمامِ وفيك تعلّمتُ نَظْمَ الكلام[٣]؛
فأرسلتُهُ جائلًا كالرماحِ، وصُلْتُ به ثائراً كالحسام[٤].
وما كُنتُ منه، ولكنّها أيادٍ تُفَجِّرُ صُمَّ السِلامِ[٥].
وتثْني الغصونَ على هِزّةٍ كأنّ بها سَكَراتِ المُدامِ[٦].
فتَى المكرُماتِ تَصدّى لها بحُكْمِ الكُهولِ وسِنِّ الغُلامِ.
وساق إلى المُسلمينَ التي أنارتْ لهم في اعتكارِ الظلامِ.

- وقيل لأخيلَ، وقد هَجَرَهُ عبدُ المؤمن، اكتُبْ إليه معتذراً وبَرْهِنْ على براءتِكَ، فقال:

«ما يكونُ أميرُ المؤمنين هَجَرني إلّا وقد صحّ[٧] عنده (ما نقل إليه عنّي). ولا (أُريد) أن أنْسِبَهُ في أمري للجَوْرِ[٨] وقِلّةِ التَثَبُّتِ. وإنّما أرغَبُ في عفوِه ورحمته».

- وله من رسالة (المغرب ٣٣٥):

(١) أبتغيك: أريدك، أطلبك (أحبّك). صدف: مال.
(٢) إذا عتبتك (لمتك) وارعويت (رجعت عن هجري) يبين (يظهر) لي في الحين (حالاً).
(٣) الذمام العهد. إليك الخ: جعلت كلّ مودّتي لك (؟).
(٤) صال: سطا، قهر (هجم، قاتل).
(٥) الأصمّ: الصلب (بالضمّ). السلام (بالكسر) جمع سلمة (بفتح فكسر): الحجر.
(٦) المدام: الخمر.
(٧) صحّ: (ثبت). يريد الشاعر أن يجعل نفسه مذنباً على أن يجعل ظنّ السلطان كاذباً.
(٨) الجور: الظلم.

قد تخيّلتُ أنّ الهوى لا يبلُغُ إلى هذا الحدّ، كما تخيّلتُ أنّك لا تنتهي في الجَفاء إلى هذا الإعراض والصدّ. فبِتُّ أرقُبُ الكواكبَ كأنّي مُنجِّمٌ حاسبٌ، مُنشِداً لأُفُقِ السماء - وقد تخيّلَ[1] أنّي عَلِقتُ بقَمَرِه وقاسيتُ منه أشدَّ العَناء[2]-:

لو بـــات عِنـــدي قَمَري   مـــا بِـــتّ أرْعـــى قَمرَكْ.

- ولأخيلَ الرُنديِّ في الخمر (المغرب ١ : ٣٣٥):

وَدِدتُّ أنّ المُـــدامَ حِـــلٌّ   فأصْرِفَ الهمَّ بالمُـــدام[3].
لكنّـــني خائـــفٌ عِقابـــاً   مُجانِـــبٌ لَـــذّةَ المَـــلام.
يـــا لَيْتَـــني قد خُلِقْت من قَبْـ   ـلِ حرّموهـــا بألـــفِ عـــام.

٤ - ★★ المغرب ١ : ٣٣٥ - ٣٣٦؛ الحلّة السيراء ٢ : ٢٤١ - ٢٤٥؛ نفح الطيب ٣ : ٢٤٩، ٤ : ٢٠٢ - ٢٠٣؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٦٥ (٢٧٨).

أبو بكر اليكّي

١ - هُوَ أبو بَكرٍ يَحيْى بنُ عبد الجليلِ بنِ سَهْلٍ اليَكّيُّ نِسْبَةً إلى يَكّةَ (بالياء) وهي حِصْنٌ شَمالَ مُرْسِيَةَ. أفرطَ اليكّيُّ في هِجاء أهلِ فاسَ فلُفِّقَتْ عليه دَعْوَى بدينٍ، فيما قِيل، وسُجِنَ بها. وكانتْ وفاتُه بُعَيْدَ سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م).

٢ - كانَ اليكّيُّ شاعراً له إجادةٌ. ومُعْظَمُ شِعرِهِ في الهجاء، وفي هجاءِ أهلِ فاسَ خاصّةً، بألفاظٍ مُقْذِعَةٍ. ويبدو أن شُهرتَه كانتْ لِوُقوعه في أعراضِ الناسِ أكثَرَ منها لجَوْدةِ هِجائهِ من ناحيةِ اللَفَتاتِ والصُوَرِ الشِعرية.

٣ - **مختارات من شعره:**

- قال اليكّيُّ يمدَحُ المُرابطين (وهم من بني لَمْتونَةَ البربرِ)، ويُقال لهم المُلَثَّمون

(١) تخيّل أفق السماء.
(٢) العناء: التعب.
(٣) المدام: الخمر. حلّ: حلال.

لأنّ رجالَهم يَضَعون على أوْجُهِهِمْ لِثاماً:

قومٌ لهم شَرَفُ العُلا في حِمْيَرٍ، وإذا انْتَمَوْا لَمْتُونَـةً فهُمُ هُمُ!!
لّما حَوَوْا إحرازَ كلِّ فَضيلةٍ غَلَبَ الحياءُ عَلَيْهِمُ فَتَلَثّموا!

- ومن هِجائه الذي يُمْكِنُ أن يُسْتَشْهَدَ به:

إنّ المُرابِطَ[1] باخلٌ بنَوالِهِ لكنّهُ بعِيالِهِ يَتَكرّمُ[2].
الوجهُ منه مُخَلَّقٌ بقَبيحِ ما يأتيهِ فهو مِنَ اَجْلِهِ يَتَلَثّمُ[3].

★ قَصَدتُ جِلّةَ فاسٍ أسْتَرْزِقُ اللهَ فِيهِمْ[4].
فما تَيَسّرَ مِنْهُمْ دَفَعْتُهُ لِبَنيهِمْ.

- وقال له فتًى اسمُه أيْمَنُ: هَجَوْتَني. فقال:

أيْمَنُ، لم أهْجُكَ. لا، والذي يَعْلَمُ ما أُخفي وما أُظْهِرُ.
إن كُنْتُ في ما قُلْتُهُ كاذباً، كَفَرْتُ باللهِ كما تَكْفُرُ؛
وحلّ بي داؤك- ذاك الذي إنْ ذُكِرَ الأدواءُ لا يُذْكَرُ.

٤- ★ ★ المغرب ٢: ٢٦٦ - ٢٧٠؛ زاد المسافر ١١٩ - ١٢٣؛ بغية الملتمس ٤٨٨ - ٤٨٩ (رقم ١٤٧٩)؛ المطرب ١٣٢ - ١٣٣؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٦٩؛ صلة الصلة ١٧٧ - ١٧٨؛ نفح الطيب ٣: ٢٠٥ - ٢٠٦، ٣٢٤؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٨٧ (٨: ١٥٢).

---

(١) هنالك اعتقاد سائد بأن أصل البربر من حِمير (أهل اليمن). - هؤلاء عظماء سواء أكان أصلهم من حمير أو إذا اكتفوا بالانتساب إلى قبيلتهم لمتونة.
(٢) المرابط: المدافع عن حدود البلاد الإسلامية (وهنا: واحد المرابطين، البربر من لمتونة).
(٣) مخلّق: مشكّل على هيئة معيّنة.
(٤) الجلّة: كبار القوم.

عصر الموحّدين

(نحو ٥٢٤ هـ إلى ٦٧٤ هـ)

لـمّا ضعُفَ أمرُ المرابطين قام رجلٌ يُدعى أمغارَ بنَ تومرتَ الهَرْغيَّ من قبيلةِ مصمودةَ من أهل السوس - ويسمّيه أتباعُه أبا عبدِ الله محمّدَ بنَ عبدِ الله بنِ تومرتَ، ويذكُرون أنّه من نسلِ الحَسَنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ - بدعوةٍ للإصلاحِ في مدينةِ تِينَمَلّ (في جبال الأطلس). وكان ابنُ تومرتَ هذا قد تطوّفَ في البلاد ووصلَ إلى بَغْدادَ. ويذكُرون أنّه لَقِيَ الغزّاليَّ. ولكنّ الراجحَ أن ابنَ تومرتَ يَجبُ أن يكونَ قد وَصَلَ إلى بغدادَ في سَنَةَ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) أو قبلَ ذلك بمُدّة يسيرةٍ (ولم يكنِ الغزّالي، في ذلك الحينِ، في بغدادَ - بل كان قد اعتزل في طوسَ بفارسَ). ولكنّ لا شكّ أبداً في أنّه اتّصل بِنَفَرٍ من أتباعِ الغزّاليّ وأنصارِه، غيرَ أنّ تأثّرَه بآراء الغزّاليّ لم يكنْ فاصلًا. وعِنْدي أنّ الذين رتّبوا هذه الرواية إنّما أرادوا أن يُسْبِغوا على حركةِ ابنِ تومرتَ شيئاً من الوجاهة، لأنّ كلَّ دعوةٍ جديدةٍ مُحتاجةٌ إلى صِلَةٍ بحَركة كانت معروفةً من قبلُ وعلى شيءٍ من الثبات في نُفوس الناس.

ولـمّاعادَ ابن تومرتَ من رِحلتهِ في المشرق وقامَ بحَركته ثمّ كَثُرَ أتباعُه سمّاهُمُ «المُوَحِّدينَ» وتَسمّى هو «المَهْدِيَّ بنَ تومرتَ». بعدَئذٍ أرسلَ، سَنَةَ ٥١٧ هـ (١١٢٣ م)، جيشاً بقيادةِ أحدِ أتباعهِ المُخلصينَ الأشدّاءِ - عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ الكُوميِّ - لقِتال المُرابطين.

ثمّ تُوُفِّيَ المَهْدِيُّ بنُ تومرتَ فجأةً - وقبلَ أن يبلغَ الخمسين من العُمُر، في الغالب - فكتم أتباعُه خبرَ موتهِ حتّى اتّفقوا على خَلَفٍ له. ولا ريبَ في أن خِلافَهُم كان حادًّا بينَ رؤساءِ القبائلِ الكبيرةِ، تلك القبائلِ التي لم يَرْضَ بعضُها أن يُقِرَّ

لبعضٍ بالتقدُّم والسِيادة، فاتّفقوا على ما يَجْري مِثْلُه، في مثل تلك الأحوال، على رجلٍ من قبيلةٍ غيرِ قويّةٍ هو عبدُ المؤمنِ بنُ عليّ. ولقد كان من الأسبابِ التي ساعدتْ على اختيار عبدِ المؤمن أنّه كان من الْمُقرّبين إلى المَهْدِيِّ بنِ تومرتَ وأنّه كان ذا سابقةٍ في الجِهاد في سبيلِ قيامِ الدولةِ التي دعا المَهْدِيُّ بنُ تومرتَ إلى قيامِها.

أخضعَ عبدُ المؤمن قبائلَ المغرب وطهّر سواحلَ إفريقية من النورمان ثمّ جاز إلى الأندلس واستولى على مُدُنها من أيدي بقايا الْمُرابطينَ ومن أيدي الإسبانِ أيضاً. ولمّا توفّي عبد المؤمن (٥٥٨ هـ = ١١٦٣ م) كان حُكْمُ الموحّدين قد تَوَطّد في المغرب وفي الأندلس. وكان أعظمَ سلاطينِ الْمُوحّدينَ أبو يعقوبَ يوسفُ حفيدُ عبدِ المؤمن والمعروفُ بِلَقَبِ المنصور الْمُوَحّدي، وكان مُعاصراً للسُلطانِ صلاحِ الدين الأيوبي.

وفي أيامِ المنصورِ الموحّدي وصَل بنو هِلالٍ وبنو سُليمٍ إلى المغرب. وٱسْتَنْجَدَ صلاحُ الدين بالمنصور الموحِّدي فلم يَسْتَطِعِ المنصورُ إنجادَه لأنّ يَدَيْهِ كانتا مَغْلُولَتَيْنِ بالجِهادِ في الأندلس.

وفي سنة ٥٩١ هـ = ١١٩٤ كانت حشودٌ عظيمةٌ من الصليبيّين آتيةً إلى المشرق فنَزَلَتْ على سواحل الأندلس واشْتَرَكَتْ مَعَ ألفونسَ الثامِن ملكِ قَشْتالةَ في قتالِ مُسْلِمي الأندلس وأكْثروا القتل والتدمير. فجاز المنصورُ الموحّدي إلى الأندلس، في تلك السَنَةِ نفسِها، وقاتل الإسبان والفِرنجَةَ في معركة الأرَك وانتصر نصراً مُبيناً كالنصرِ الذي حازهُ يوسفُ بنُ تاشفين في مَعْركة الزلاّقة.

ولـمّا توفّي المنصورُ الموحِّديُّ (٥٩٥ هـ=١١٩٩م) خَلَفَه ابنُه محمّدٌ الناصر. ثمّ اشتد أذى الإسبان على الْمُسلمين في الأندلس فجاز الناصرُ، سَنَةَ ٦٠٢ هـ، وقاتل الإسبانَ في معركة العُقاب في مَوْضعٍ يُعْرَف بحُصْن العِقبان، ولكنّ المسلمين انهزموا. ثمّ جاء بعدَ الناصرِ ابنُه يوسفُ الْمُنْتَصر (٦١٠ هـ = ١٢١٣ م). ولـمّا ألحّ الإسبانُ على الْمُسلمين في الأندلسِ أمرَ المنتصرُ الولاةَ الموحِّدين على الأندلس بمُحاربةِ الإسبانِ فوقعتِ المَعْرَكة في قَصْر أبي دانسٍ وانْهَزَم المسلمون فيها هزيمةً كالهزيمةِ في معركة العُقاب. وقدْ دَلّتْ هذه المعركةُ على ذَهابِ قوّة الموحِّدين وعلى ضَعْفِ أمرِ المسلمين في الأندلس.

الحفصيّون والمرينيّون وبنو عبد الواد

كانَ عبدُ الواحدِ الحَفصيّ والياً للموحّدين على تُونسَ، فلمّا تُوُفّيَ، سَنَةَ ٦١٨ هـ (١٢٢١ م)، خَلَفَه ابنُه عبدُ الرحمن ثمّ ابنُه الآخرُ عبدُ الله (سنة ٦٢٠ هـ). ثمّ جاء أبو زكريّا يحيى بن عبد الواحد وأَمْرُ الموحّدين في إدبار فأعلن استقلالَه ونازع الموحّدين، ثمّ نازع بني مَرينٍ حتّى امتدّ مُلْكُه من طَنْجَةَ في الشَّمال إلى سِجِلْماسةَ في الجَنوب. وأغزى أبو زكريا الحفصي جيشاً إلى الأندلس، ولكنْ لم يَنَلْ مَراماً. وقدْ كان أبو زكريا الحفصي أعظمَ الحَفْصِيّين، وهُوَ الذي بنى، في تونِسَ، جامعَ القَصَبَة وصَوْمَعَتَه الجميلةَ وبنى سوق العَطّارينَ وكثيراً من المساجدِ والمدارسِ. ولمّا تُوُفّيَ (٦٤٧ هـ = ١٢٤٩ م) كانتْ أمورُ بني حَفْصٍ قد تلاشت.

أما بنو مَرينٍ فكانوا يَنْزِلون في بلادِ القِبْلة ما بينَ الزاب وسِجِلْماسةَ (في المغرب الأقصى). فلمّا ضَعُفَ الموحّدون، بعدَ وقعة العُقاب انتشرَ بنو مَرينٍ في المغرب بقيادة رئيسِهِمْ عبد الحقّ بن محيو، لكنّه قُتِلَ في حَرْبِ زِناتة (٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م). وكان أعظمَ ملوكِ بني مَرينٍ يعقوبُ المنصورُ المَريني فقدِ اتّسعَ مُلْكُه من فاس إلى سلا قُربَ الرِباط وسِجِلْماسة ثمّ إلى وادي أمِّ الربيع جَنوباً. وقد جاز المنصورُ المرينيُّ إلى الأندلس أربع مراتٍ سيأتي الكلامُ عليها في الكلامِ على بني الأحمر. وفي سَنَةِ ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) استولى الإسبان على مَرْفأ سَلا فأخرجَهُمُ المنصورُ منه ثمّ حَصّنه.

وأمّا بنو عبدِ الوادِ فكانوا وُلاةً للموحّدين على المغرب الأوسط. فلمّا ضَعُفَ الموحّدون أسّس جابرُ بنُ يوسفَ دولةَ بني عبد الواد، سَنَةَ ٦٢٧ هـ (١٢٣٠ م). وفي سَنَةِ ٦٣٣ هـ استقلّ يَغَمْراسَنُ بن زَيّانَ بالمغرب الأوسط واتّخذ تِلِمْسَانَ عاصمةً، ولكنّ الحربَ ظلّت سِجالاً بينه وبين الحفصيّين أصحاب تونسَ وبين المَرينيّين أصحابِ المغرب الأقصى. وفي سَنَةِ ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) استَوْلى بنو مَرينٍ على تِلِمْسانَ وزالتْ دولةُ بني عبد الواد.

وعظُمتْ شُهرةُ المنتصر بالله الحَفْصيِّ الأولِ، وهو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ أبي زكريّا (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) في المغربِ كُلّهِ وفي الأندلس أيضاً، واستبحرتْ في أيامه الحضارةُ وكَثُرَ العُمرانُ.

ولـمّا تتابعتِ المعاركُ على الإفرنج الصليبيّين في المَشْرقِ أرادَ البابا وملوكُ أوروبّة أنْ يُحرزوا شيئاً من النصر في المغرب فأقنعوا لويسَ التاسعَ مَلِكَ فرنسةَ بأنْ يقودَ حملةً صليبيّةً على تُونسَ فجاء على رأسِ أربعينَ ألفَ جُنديٍّ ونزل على الشاطىء التونسيّ فتصدّى له أهلُ تُونِسَ، وسارعتْ إلى نَجْدةِ التونسيّين قبائلُ من المغرب الأوسط (القطر الجزائري). وبعد حربٍ اتّصلتْ سِتّةَ أشهُرٍ هلَكَ لويسُ التاسعُ، في العاشرِ من المُحَرَّم من سَنَةِ ٦٦٩ (١٢٧٠/٨/٢٩ م) وهلك معه مُعظَمُ جيشهِ.

ظلّ الموحّدونَ في نزاعٍ وقِتال حتّى زالتْ سُلْطَتُهم عنِ الأندلس. ثمّ قَوِيَ أمرُ بني مَرينٍ فقاتلوا الموحّدين وساروا على مَرّاكُشَ. وقد تَصدّى لَهُمُ المَلِكُ أبو العلاءِ إدريسُ المَرينيُّ المعروفُ بِلَقَبِ أبي دبّوسٍ ولكنّه قُتِلَ في المَعْركة (٦٦٨ هـ = ١٢٦٧) ودخل المرينيّون مَرّاكُش. وانسحبَ الموحّدون إلى تِينَمَلّ وبايعوا فيها إسحاق بنَ أبي إبراهيمَ. وفي سنة ٦٧٤ هـ قَبَضَ السلطانُ يعقوبُ بنُ عبدِ الحقِّ المرينيُّ على إسحاقَ ابن أبي إبراهيمَ وقتله فانقرضتْ بمَقْتَله دولةُ الموحّدين.

ولـمّا بدأ أمرُ بني حفصٍ يضعُفُ بتنازُعِ أمراءِ البيت المالك قاد أبو الحسنِ المَريني جيشاً كبيراً، سَنَةَ ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) وانتزع قُسَنْطينَةَ من يدِ الحفصيّين ثمّ استولى على عاصِمَتِهِمْ تُونِسَ. غيرَ أنّ أبا الحسنِ المَرينيَّ أساءَ السيرةَ فثارت عليه فِتنةٌ شديدةٌ فاضْطُرَّ إلى الرجوعِ عمّا كان قدِ استولى عليه (٧٥٠ هـ).

أما أعظمُ سلاطينِ الدولةِ الحَفْصيةِ فكان أبا فارسٍ عزّوزاً (عبدَ العزيز) فإنّه وسّع مُلكَه ووطّدَ الأمنَ فيه وسالَمَهُ بنو مرينٍ وبايعه أهلُ الأندلسِ وأطاعه أهلُ المَغرب كُلُّهُمْ. وبعد وفاة أبي فارسٍ عزّوزٍ الحفصيِّ (٨٣٧ هـ = ١٤٣٤ م) بدأت أمور الدولة الحفصية بالفساد.

الحياة الاجتماعية في عصر الموحّدين...

اتّخذَ الموحّدون اسْمَهُمْ من الرَغْبة في « التوحيد » بالاقتصار في أمورِ الدين على ما جاء في القرآنِ الكريم والحديثِ الشريف، فهُمْ في ذلك سَلَفِيّون لا يَنْتَمون إلى مذهبٍ من المذاهب التي كانتْ قد نشأتْ من قبلُ. وقد نَهى يعقوبُ المنصورُ (٥٨٠ -

٥٩٥ هـ) عن الإفتاء إلّا بالكتاب والسُنّة، وأَباحَ الاجتهاد لِمَنِ ٱجتمعتْ فيه شرُوط الاجتهاد (من العِلم والعَدالة والمعرفةِ بالأصول التي تُسْتَخْرَجُ بها الأحكام). كما نَهى عن التقليدِ وعن الأخذِ بالأمور الخِلافية (اختلاف الفقهاءِ في فُروع الفِقه والجِدال في تقديمِ وَجْهٍ على وجهٍ منها).

وكان الناسُ في أيامِ الموحّدين - مُنْذُ بدءِ حَرَكتِهم على يدِ المَهْديِّ بنِ تومرتَ - ثلاثَ طبقاتٍ هي: السابقون الأوّلون (الّذينَ كانوا أنصارَ المَهْديِّ بنِ تومرتَ في حركته وفي أيامِه) ثمّ الأتباعُ (الذين جاءوا بعدَ ابنِ تومرتَ أو لم يكونوا قدِ اتّصلوا به) ثمّ العامّةُ (وهُمْ جُمهورُ الناس). وخَصَّ أعضاءُ الأسرةِ المالكةِ من أبناءِ عبدِ المؤمن ابن عليٍّ - أولِ سلاطينِ الموحّدين - أنْفُسَهُمْ بلقب «السيّد».

واتّسعتْ مرافقُ الدولة في أيام الموحّدين وخصوصاً في القضاء والوزارة وفي نظامِ الجيش والأُسطول. بَلَغَ جيشُ الموحّدين نحوَ نصفِ مِليونِ جُندِيٍّ تامّي العُدّة والشارات (بالإضافة إلى زمنه) وكان يجري عَرْضُه (استعراضه) مرّةً بعدَ مرّةٍ، كما بلغ العددُ في مراكبِ الأسطولِ إلى أربَعمِائَةِ مركبٍ.

غير أن عصرَ الموحّدين لم يَخْلُ من مُنَغِّصاتٍ كانتشارِ البدوِ في أقطارِ المغرب. ومَعَ أنّ البَدْوَ (من عَرَبِ بني هِلالٍ وبني سُليمٍ وغيرِهم) كانوا قد جاءوا إلى المغرب مُنْذُ أواسطِ القرنِ الخامس للهجرة (أواسطِ القرن الحادي عَشَرَ للميلاد) فإنّهم ظلّوا إلى ذلك الحين رُحَّلًا (ينتقلون من مكانٍ إلى مكانٍ). ثم بدأوا في أيام الموحّدين يستقرّون في الأرض. وكان نفرٌ من الثائرين أو الناقمين على الدولة يستخدمون أولئك البَدْوَ في العِصيان على سُلطة الموحّدين. ومُنْذُ السَنَةِ الأُولى لِحُكم السُلطان يعقوبَ المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ثارَ يحيى بنُ إسحاقَ بنِ غانيةَ - وهُوَ من بني غانيَةَ ومن أقارب سَلاطينِ المُرابطين - في إفريقِيَةَ (القُطر التونسيّ) وفي طرابُلُسَ (الجانبِ الغربيّ من ليبيا اليومَ) ودعا للخليفةِ العبّاسيِّ أحمدَ الناصرِ لدينِ الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ).

وقدِ اتّسعَ العُمرانُ في أيامِ الموحّدينَ، وخصوصاً في أيام يعقوبَ المنصورِ، فإنّه بنى المساجدَ والقلاعَ والمُستشفيات (للمَرْضى وللمجانينِ) وبنى القناطرَ (الجُسورَ)

والأقنية لِجَرّ المياه وحَفَرَ الآبارَ وأجرى على الفُقهاءِ وطَلَبةِ العلم مُرتّباتٍ. ومن آثارِ يعقوبَ المنصورِ الجامعُ الأعظمُ في مَرّاكُشَ والمِئذنةُ المعروفةُ باسم «الكُتُبيّة». ثمّ إنّه أنشأ مدينة الرِباط (أو رِباطِ الفتح) لِتكونَ مركزاً لتجمّع الجنودِ إذا أراد الموحّدون الجَوازَ إلى الأندلس للدِفاع عنها في وَجْهِ الإسبان. وبنى يعقوبُ المنصورُ في مدينةِ سَلا، على مسافةٍ يسيرةٍ من الرِباط الجامعَ الأعظَمَ والمدرسةَ التابعةَ للجامع، كما بنى في ظاهرِ مدينةِ الرِباط جامعَ حَسّانٍ ومِئْذَنَتَهُ الجميلةَ. وهذا الجامعُ اليومَ بقايا من الأعمدةِ ما عدا الصَوْمَعَةَ (المِئذنة) التي لا تزالُ قائمةً إلّا شيئاً يسيراً من أعلاها. وقد أتمّ يعقوبُ المنصورُ جامعَ إشبيلية (الأندلس) ومِئذنتَه التي هي طِرازٌ رائعٌ من العَظَمة والزُخْرُفِ، وارتفاعُها خمسةٌ وتِسْعونَ متراً.

... وفي أيام المرينيّين

(٥٩٢ هـ = ١١٩٦ م وما بعد).

كان بنو مرينٍ فخذاً من زِناتةَ (تصحيف «جانا»: وهو جَدُّهُمُ الأعلى)، وكانتْ حياتُهم بَدْوِيّةً ومساكنهم، في الأكثَر خِياماً، وكانوا يَرْحَلون من مكانٍ إلى آخرَ ويعتنون بتربيةِ الإبِلِ والخيل. من أجل ذلك يبدو أن أثارَهم الحضاريّة لم تكنْ كثيرةً برُغْمِ الثروة العظيمةِ التي كانت في أيدْيهم، وهذا، كما يقولُ عبدُ الرحمن بنُ محمّدٍ الجيلاليّ (تاريخ الجزائر العامّ ٢ : ٨٩) صعبُ التعليل. ومع هذا كُلّهِ فنحنَ نَجِدُ في المغربِ وفي الجزائر أيضاً عدداً من المنشآت التي ترجعُ إلى أيامِ بني مَرينٍ وتتّصفُ بجمالِها وقيمتها الأثَرية. من ذلك مثلًا المدينةُ البيضاءُ (فاسُ الجديدةُ) التي يَرْجعُ زمنُ بنائها إلى أيام يعقوبَ بنِ عبدِ الحقّ (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ) خامسِ سَلاطينِ بني مرينٍ، إلى جانبِ عددٍ من المدارس والمساجد والأبراج. وفي «تاريخ الجزائر العامّ» (٢ : ٨٧ - ٩٥) تفاصيل لأوجُهٍ من الحضارة والثقافة تَنْطِقُ بشيءٍ من الرقيّ ولكنّها لا تبلُغُ إلى أنْ تكون وافية باتّساعِ مُلْكِ بني مرينٍ وبِعِظَمِ الثروة التي اجتمعت في خزائنهم.

... وفي أيام الدولة الحفصيّة

(٦٢٥ هـ = ١٢٢٨ م وما بعد).

بدأ الحفصيّون، وهم أحفادُ أبي حفصٍ عمرَ بنِ يحيى الهِنتاتيِّ الحفصيّ أحدِ أنصارِ عبد المؤمن بن عليّ الموحِّديّ، ولاةً للموحِّدين على تُونسَ، قامَ بذلك منهم ثلاثةٌ هم الشيخُ عبدُ الواحدِ (٦٠٣ - ٦١٨ هـ) ثمّ ابناهُ من بعدهِ عبدُ الرحمن ثمّ عبدُ الله عَبّو (٦٢٠ - ٦٢٥ هـ). ولمّا جاء ثالثُ أبناء الشيخِ عبدِ الواحد - وهو أبو زَكَريّا يحيى - إلى ولايةِ تُونسَ، سَنَةَ ٦٢٥ هـ، في حديثٍ طويلٍ، كان أمرُ الموحّدين في تراجعٍ، فأعلَنَ استقلالَه عنِ الموحّدين، وهو - في الحقيقة - مؤسّسُ الدولةِ الحفصية.

وتمتّعتِ الدولةُ الحفصيةُ، في تُونسَ بعزٍّ وقُوّةٍ، ثمّ اتّسعَ مُلْكُها اتّساعاً كبيراً، ولكنْ غَلَبَ على رِجالِها وعلى تَمدُّنها الاتّجاهُ البربريُّ في الحياة (البَدْويّة)، كما غَلَبَ عليها سوء الإدارة. غيرَ أن الحفصيّين عادوا فساروا في طريقِ الحضارة والثقافة شوطاً بعيداً. فمنذ أيامِ وِلايَتِهِمْ قرّبوا الشعراء. ثمّ إنّ أبا زكريا يحيى أنشأ المساجدَ والمدارسَ والمكتباتِ وقَصَدَهُ الشعراءُ، كما كان هو نفسُه أيضاً كاتباً شاعراً. وهو الذي بنى جامع القصبة (القلعة) وصَوْمَعَتَه الجميلة. ولمّا انتهى بناءُ هذا الجامع (غُرّةَ رَمَضانَ ٦٣٠: ١٢٣٣/٦/١١ م) أذّن فيه السلطانُ أبو زكريّا بنفسِه.

وجاء بعد أبي زكريا يحيى ابنُه محمّدٌ المُستنصرُ باللهِ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) - وكانتِ الخلافةُ العبّاسيّة في بَغْدادَ قد سقطتْ (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) على يدِ هولاكو المغوليّ، فأرسلَ أميرُ مكّةَ أبو نُمَيّ محمّدُ بن عليٍّ (٦٥٢ - ٧٠١ هـ) إلى المستنصر الحفصي بمبايعةِ أهلِ مكّةَ والمدينة، سَنَةَ ٦٥٧ هـ، فسُرّ المستنصرُ بذلك سُروراً بالغاً واحتفل بذلك اليوم احتفالاً عظيماً وتلقّبَ بلقبِ أميرِ المؤمنين، إذْ كانتِ الخلافة العبّاسية قد سقطت ثمّ كان هو أكبرَ سلاطينِ المسلمين في زَمَنهِ. وكذلك هاداه ملك برنو (وبرنو سلطنةٌ في أواسطِ السودان أهلُها مسلمون).

وعاشَ بنو حفصٍ في المُلكِ مدّةً طويلةً بعدَ المستنصر، ولكنّ تلك المُدّة تخرُجُ من نِطاق هذا الفصلِ الذي خُصّتْ به دولةُ الموحّدين.

العلوم الدينية عامة

كثُرَ التأليفُ في علوم القرآن والحديث والفِقهِ لِمَيْلِ الموحّدين إلى التوسّع في هذه العلوم. فمن علماءِ هذه الحِقبة أبو القاسم محمدُ بن فِيرُّه الشاطبيّ (٥٣٨ - ٥٩٠ هـ) وكان عالماً بكتاب الله تعالى قراءةً وتفسيراً وبحديثِ رسولِ الله، اشتهر بمنظومته «الشاطبية» أو «حِرْز الأماني ووجه التهاني» (وهي ألف ومِائة وثلاثة وسبعون بيتاً) نظم فيها الشاطبيّ القواعدَ التي وردت في كتاب «التيسير» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٣٧٠ - ٤٤٤ هـ) في القراءات. وكذلك نظم الشاطبي قصيدة دالية في خمسِمِائَةِ بيتٍ لخّص فيها كتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البرّ (ت ٤٦٣ هـ). وكتاب «التمهيد» هذا يقع في سبعين جزءاً رَتّبَ فيها ابنُ عبدِ البرّ أسماءَ شيوخ مالكٍ على حروف المُعجم. وللشاطبي أيضاً تفسيرٌ للقرآن - ناظمة الأزهار في عدد آيات القرآن - عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، الخ (وللشاطبي في هذا الجزء ترجمة مفردة).

ومن المُفسّرين في هذا العصر أبو عبد الله عليُّ بنُ أحمدَ الحراليّ المَرّاكُشيّ (ت في حماة ٦٣٧ هـ) وابنُ خليلِ العشّابُ الإفريقيّ (ت ٦٣٧ هـ) وأبو إسحاقَ ابراهيمُ بنُ محمدٍ الإشبيليّ (ت ٦٥١ هـ) له كتاب في تجويد القرآن ومخارج الحروف.

ولابن فَرْحٍ الإشبيليّ - شهابُ الدين أبو العباس أحمد بن فَرْحٍ بنُ محمدٍ - مولدُه في إشبيلية، سَنَةَ ٦٢١ هـ (وقيل ٦٢٥) ووفاته في تاسع شعبان من سَنَةِ ٦٧١ (٢٩/٤/١٢٧٣ م) - وقيل ٦٩٩ - له: «جامعُ أحكام القرآن» و«قصيدة غَزَلٍ في ألقاب الحديث» (دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٣؛ بروكلمن ١: ٥٢٩، الملحق ١: ٧٣٧).

الحديث خاصة

أما في الحديث فهنالك أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عليٍّ الجيّانيّ (ت ٥٦٣ هـ) له كتاب الأربعين من رواية المحمدين ثم هنالك أبو إسحاق إبراهيم بن قُرقولٍ أو ابن قُرقُلٍ (ت ٥٦٩ هـ) وكان من المتحقّقين بعلوم الحديث؛ وأبو حفصٍ محمدُ بنُ عبد الحميد

الميانشي (ت ٥٧٩ هـ) له كتاب« ما لا يسَعُ المحدِّثين جهلُه »؛ ثم عبدُ الحق بنُ عبدِ الرحمن بنِ الخرّاط الإشبيلي (ت ٥٨١ هـ) كان حافظاً للحديث عالماً بعِلَلِه ورجالِه وفقيهاً، له: الجمع بين الصحيحين (صحيح مُسلمٍ وصحيح البخاري)- الأحكام الكبرى- الأحكام الوسطي- الأحكام الصغرى- كتاب الجمع بين المصنّفات الستة- كتاب المعتلّ من الحديث- كتاب الرقائق.

وفي هذا الباب أيضاً محمدُ بنُ عبد الله القرطبيُّ (ت ٦٢٩ هـ) له موجز كتاب « التمهيد » لابن عبد البَرّ؛ وأبو الربيعِ الكِلاعيِّ (ت ٦٣٤ هـ) وأبو المكارم محمد بن محمدِ بن مُسدي الغَرْناطي (ت ٦٦٣ هـ) له كتابٌ عُنوانه « الأربعون المختارة في فضل الحج والزيارةِ » (الأعلام للزركلي ٨: ٢٤ و٧: ١٥٠).

الفقه

وفي أيام المنصور الموحِّدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) تُركت دِراسةُ فروعِ الفقه (لما كان فيها من الآراء المختلفة في مُفردات العبادات وأوجه المعاملات) فقد أمر المنصور بإحراق كتب المذهب (المالكي) بعدَ أن يجرَّد ما فيها من الآيات والأحاديث. قال عبد الواحد المرّاكُشيّ (في المعجب): « فأُحرِقَ منها جُملةٌ في سائر البلاد، كمُدوَّنة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابنِ أبي زيد ومختصَرِه وكتاب التهذيب للبراذعي وواضحةِ ابن حبيبٍ وما جانس هذه الكتبَ ونحا نحوَها..... وتقدّم (المنصور) إلى الناس في تَرْكِ الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه وتوعّد على ذلك بالعُقوبة الشديدة. وأمر جماعة ممّن كان عنده من العلماء المحدِّثين بجمع أحاديثَ من المصنّفات العَشْرة في الصلاة وما يتعلّق بها- على نحوِ الأحاديث التي جمعها محمدُ بنُ تومرت في الطهارة. فأجابوه إلى ذلك وجمعوا ما أمرهم بجمعه فكان يُمليه بنفسه على الناس ويأمُرُهم بحفظه. وانتشرَ هذا المجموعُ في جميع المغرب وحَفِظه الناسُ من العوامِّ والخاصة..... وكان قصْدُه في الجملة مَحْوَ مذهبِ مالكٍ وإزالَتَه من المغرب مرةً واحدة وحَمْلَ الناسِ على الظاهر من القُرآن والحديث. وهذا المقصِد بعَيْنِهِ كان مَقْصِدَ أبيه وجَدّه، إلّا أنها لم يُظهراه وأظهرَه يعقوبُ هذا..... قال الحافظ أبو بكرِ

ابن الجدِّ... «لما دخلتُ على أمير المؤمنين أبي يعقوب* - أول دخلةٍ دخلْتُها عليه - وجدتُّ بينَ يديه كتابَ ابنِ يونُسَ. فقال لي: يا أبا بكرٍ، أنا أنظُرُ في هذه الآراءِ المتشعِّبَة التي أُحدِثَتْ في دين الله! أرأيتَ، يا أبا بكرٍ، المسألة فيها أربعةُ أقوالٍ أو خمسةُ أقوالٍ أو أكثرُ من هذا؟ فأيُّ هذه الأقوال هو الحقّ؟ وأيُّها يجب أن يأخُذَ به المقلّدُ؟ فافتتحتُ أُبيِّنُ له ما أشكل عليه من ذلك. فقال لي - وقطع كلامي - يا أبا بكرٍ، ليس إلّا هذا (وأشارَ إلى المصحف) أو هذا (وأشار إلى سُنَنِ أبي داوود، وكان عن يمينه) أو السيفُ!» (ص ٢٠١ - ٢٠٣).

ومن فقهاء هذا العصرِ أحمدُ بن محمدِ بن خَلَفٍ الحَوْفي القَلَعي الإشبيلي (ت ٥٨٨ هـ)، له كتاب في الفرائض (تقسيم الإرث)، وأبو الوليد هشامُ بنُ عبد الله بنِ هشامٍ (ت ٦٠٦ هـ) له كتاب «مفيد الحكام»، وأبو عبد الله بن عيسى بن أصبغ القرطبي (ت ٦٢٠ هـ) وعبدُ السلام بنُ غالبٍ المِسْراتي (بكسر فسكون) الليبيّ المعروفُ بابنِ غلّابٍ (ت ٦٤٨ هـ)، له كتاب «الوجيز» (في الفقهِ المالكيّ)، وأبو العبّاس أحمدُ بنُ عُمَرَ القُرطُبيُّ (ت ٦٥٦ هـ)، له «كشف القناع عن حكم الوَجْد والسَّماع» (في التصوّف؟) وشرحُ صحيحِ مُسْلمٍ. ولأبي البقاءِ صالحِ بنِ شريفٍ الرُّنْديّ الشاعر (ت ٦٨٤ هـ) أرجوزةٌ في الفرائض.

وهنالك أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ أبي بكرٍ التِلِمْسانيّ (ت ٦٩٠ هـ) له المنظومةُ التِلمسانيةُ (في الفرائض: الإرث؟) - وقد شَرَحَها كثيرون، وله أيضاً نتائجُ الخِيَرِ ومُزيلةُ الغِيَرِ في نَظْم المَغازي والسِيَر (بروكلمن الملحق ١ : ٦٦٦). وكذلك نجدُ في القرن السابع أيضاً أبا عبدِ اللهِ محمّدَ بنَ موسى بنِ النُّعمانِ الفاسيَّ المَراكُشيَّ المُزاليَّ، له كتاب النور الواضح.

ونذكُرُ من فقهاءِ الإباضيّة، في عصرِ الموحّدين، أبا زكريا يَحيْى بنَ الخَيْر الجنوونيّ من أهل جبل نفّوسةَ (بروكلمن، الملحق ١ : ٦٩١)، له كتاب «الوَضْع» (في فروع الفقه) ثمّ كتاب النِكاح والطّلاق. وهنالك أيضاً من هؤلاء أبو يعقوبَ يوسفُ ابنُ إبراهيمَ بنِ ميّادٍ السِدْراتيّ الوَرْغلانيّ (ت ٥٧٠ هـ)، له: الدليلُ لأهلِ العقول (و؟)

* كذا في الاصل. اقرأ: يعقوب.

لباغي السبيل بما (هو؟) الدليل لتحقيق مذهب الحقّ بالبرهان والصدق ثمّ له أيضاً ترتيبُ مُسنَدِ الربيعِ بنِ حبيبِ بنِ عمرٍو الفراهيديّ البصريّ (بروكلمن، الملحق ١ : ٦٩٢).

الفلسفة والتصوف

وبلغتِ الفلسفةُ والصوفيةُ في العصر الموحدي ذِروتَيْها.

أما في الفلسفةِ فيكفي أن نُشيرَ هنا إلى آبنِ طُفيل (ت ٥٨١ هـ) وإلى ابنِ رُشدٍ (ت ٥٩٥ هـ) ولهما تَرْجمتان مُفْردتان. ثم جاء بعدَهما ابنُ طُملوسَ (ت ٦٢٠ هـ) وكانت له شروحٌ على عددٍ من كتب أرسطو في المنطق. وقد بَقِيَ منها «المُدخِلُ إلى صناعة المنطق» نشره آسين بالاثيوس (مدريد ١٩١٦ م). ولقد تأثّر آبنُ طملوسَ بآبنِ رشدٍ خاصةً، إذْ كانَ تلميذاً له (آخذاً عنه)، كما تأثر بكُتُبِ الفارابيّ وبكتب الغزّالي على الأخص. وآستعرض آبنُ طملوس حالَ الفلسفة معَ الناس عامةً ومَعَ الفُقهاء خاصةً ثم قال:

«.... ولمّا آمتدّتِ الأيامُ وصَلَ إلى هذه الجزيرة (الأندلس) كُتُبُ أبي حامدٍ الغزّالي مُتفنّنة. فقرعتْ أسماعَهم بأشياءَ لم يألَفوها ولا عَرَفوها، وبكلام خرج بهم عن مُعتادِهم من مسائلِ الصوفية.... فبَعُدَتْ عن قَبوله أذهانُهم ونفرت منه نفوسُهم، وقالوا: إن كان في الدنيا كُفْرٌ وزندقةٌ فهذا الذي في كتب الغزّالي. وأجمعوا على ذلك وآجتمعوا للأمير إذ ذاك وحملوه على أن يأمر بحرق هذه الكتب المنسوبة إلى الضلال بزعمهم، فأُحرقت كتب الغزّالي وهم لا يَعْرِفون ما فيها.... ثم لم تكن تمتدّ الأيامُ إلّا قليلًا حتى جاء اللهُ بالإمام المهدي، رَضِيَ الله عنه، فبان للناس ما كانوا قد تحيّروا فيه. ونَدَبَ الناسَ إلى قراءة كتب الغزّالي، رحمه الله، وعُرِف من مذهبه أنه يُوافِقُه. فأخذ الناس في قراءتها وأُعجِبوا بها وبما رأَوْا فيها من جودةِ النِّظام والترتيب (مِمّا) لم يَرَوْا مِثْلَه في تأليفٍ (آخَرَ). ولم يَبْقَ في هذه الجهات مَنْ لم يَغْلِبْ عليه حُبُّ كُتُبِ الغزّالي إلّا مَنْ غَلَبَ عليه إفراطُ الجُمود من غُلاةِ المُقلّدين، فصارتْ قراءتُها شرعاً وديناً بعدَ أنْ كانت كُفْراً وزندقة. فلما رأيتُ هذا الذي ذكرتُه – وما جرى عليه أمرُ الناس في القديم والحديث، مِنْ إنكارهم أولاً ما آستحسنوه آخِراً – قلتُ في نفسي:

ولعلّ صِناعةَ المنطق هكذا يكون حُكْمُها: تُنكَرُ أولاً وتُستعمل آخِراً.... تشوّقتُ إلى معرفتها..... » (بالنثيا ٣٦٢ - ٣٦٦).

وكان السلطانُ يعقوبُ المنصورُ شديدَ الرَّغبة في علومِ الفلسفة. فلما أرادَ الجَوازَ إلى الأندلس لِقِتال الإسبان الذين كانوا يُلِحّون بالاستيلاء على المدن الأندلسيّة من أيدي المسلمين، ٱنبرى الفقهاءُ له ثمّ جعلوا يُثبّطون الناسَ عنِ الانضمام إلى جيشِ سُلطانٍ يقرّبُ إليه الفلاسفةَ ويشتغل بعلومِهمُ المخالفةِ للدين. فٱضْطُرّ المنصورُ إلى ترضّي الفقهاءِ فأظهر التبرُّؤَ من الفلسفة وأهلها ونفى الفيلسوفَ ٱبنَ رُشدٍ إلى أليسانة (وكان مُعظمُ أهلها من اليهود)، ثم تقدّم إلى الناس بترك هذه العلوم جُملةً واحدةً. ثم إنه أمر «بإحراق كتب الفلسفة، إلّا ما كان من الطِبّ والحساب وما يُتوصَّل به من علم النجوم إلى معرفة أوقات الليل والنهار وأخْذِ سَمْتِ القِبلة. فٱنتشرتْ هذه الكتبُ في سائر (جميع) البلاد وعُمل بمقتضاها» (المعجب ٢٥٥).

وعبّأ المنصورُ جيشاً عظيماً وجاز إلى الأندلس وواقع الإسبانَ في معركة الأرَك (سَنَةَ ٥٩١؛ نفح ١: ٤٤٣) وٱنتصر ٱنتصاراً باهراً. «ثم لمّا رَجَع إلى مَرّاكُش نزع عن ذلك كُلّه وجَنح إلى تعلُّم الفلسفة وأرسل يستدعي أبا الوليد (ٱبنَ رُشْدٍ) من الأندلس إلى مَرّاكُشَ للإحسان إليه والعفو عنه فحضَر أبو الوليد - رحمه الله - إلى مَرّاكُش.... » (المعجب ٢٢٥).

ومن المتصوّفةِ في هذا العصر أبو مَدْيَنٍ شُعيبُ بنُ الحسينِ الأندلسيُّ[1] (٥٢٠ - ٥٩٤ هـ)، أصلُه من قطنيانة (قُربَ إشبيليةَ) بدأ حياتَه حائكاً ثمّ مالتْ نفسُه إلى العلم. ٱنتقل إلى المَغْرب وسكن فاسَ وأخذ التصوّفَ عن أبي يَعَزّى (يعزّة) الحرميزي وعنْ عليِّ بن حَرْزهم وعنِ الدقّاق الذي ألبسه الخِرقةَ (أجازه بسلوك طريق التصوّف مُنفرداً). ورَحَلَ أبو مَدْيَنٍ وحجّ ولعلّه اجتمع في مكّةَ بعبدِ القادرِ الجيلانيّ وبنَفَرٍ من أتباع الغزّالي فرَجَعَ متأثّراً جدًّا بآراء الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ) والجيلاني (ت ٥٦١ هـ)

---

(١) راجع: عنوان الدراية ٥٥ - ٦٥؛ نيل الابتهاج ١٢٧ - ١٢٩؛ العربي ١٢/٦٩ ص١٠٦؛ الأصالة ٤: ٢٦ ص ٢٨٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٧ - ١٣٨؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٤٤ (١٦٦).

الصوفِيَّيْن. ولمّا عادَ أبو مَدْيَنٍ إلى المَغْربِ آستقرّ في بِجايَةَ. ثمّ إنّ المنصورَ المُوحّديَّ دعاه إلى مَرّاكُش فَلبّى الدعوةَ، ولكنّه مَرِضَ في أثناء الطريق وتُوُفّيَ قُرْبَ تِلمْسانَ، سَنَةَ ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م)، وله إلى اليومِ مقامٌ ومسجدٌ في إحدى ضواحي تِلمْسانَ.

ومن أقوالِ أبي مَدْيَنٍ: لا يصلُحُ سمَاعُ هذا العِلْمِ (علمِ التصوّف) إلّا لِمَنْ جُمِعَتْ له أربعةٌ: الزُهدُ والعِلم والتوكّل واليقين- مَنْ تعلّق بدَعْوى الأماني لم يُفارِقِ التواني- من لم يَجِدْ في قلبه زاجراً فَهُوَ (قلبه) خرابٌ- من عَرَفَ نفسَه لم يغترَّ بثناءِ الناسِ عليه- علامةُ الإخلاص أن يَغيبَ عنك الخَلْقُ في مُشاهدةِ الحقّ.

ومن المتصوفين في هذا العصر الموحّدي: أبو القاسم عبدُ الرحمن بنُ يوسُفَ البجائي (ت ٥٧٧ هـ) وابن طُفيلٍ الذي نحا في التصوف منحًى عقليًّا ثم أبو الفضل عبدُ المؤمن بنُ عُمَرَ (ت ٦٠٢ هـ)، له: آداب السلوك (في الطريقة الصوفية) - ديوان الحِكَم ومِيدان الكَلِم - ديوان المادح - ديوان الديباج (وفيه قصائد في مدح صلاح الدين الأيوبي قالَها عبد المؤمن فيه حينما آستقر عبد المؤمن مدة في القدس). ثم هناك عبد السلام بن مَشيشٍ (ت ٦٢٥ هـ) وأبو العباس أحمد بن محمد الشريشيّ السلويّ (ت ٦٤١ هـ) وكبيرُ المتصوفة في الإسلام آبنُ عربي (ت ٦٣٨ هـ) وأبو الحسن الشُّشْتري (ت ٦٦٨ هـ) وابن سَبعينَ المُرسيّ (ت ٦٦٩ هـ) تلميذُ آبنِ عَرَبيّ والناقمُ عليه فيما يبدو، مع أنه سلك في أقواله مسلَكَ ابنِ عربيّ في المزج بين التصوف وأشياءَ من فلسفَتَيْ أفلاطونَ وأرسطو. غيرَ أنه ظلّ- بخِلافِ آبنِ عربيّ- حريصاً على الاعتقاد بخلق العالم وبقاء النفس بعد الموت. ولابنِ سَبْعينَ كُتُبٌ منها: بُدّ[1] المعارف وعقيدة المحقّق المقرّب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف- الدَرَج - الدُرّة المُضية والخافية الشمسية (في علم الجفر)- رسائلُ متنوعةٌ (إحداها وَصاةٌ إلى تلاميذه لَعَنَ فيها نفراً من معاصريه من الذين يُنكرون البعثَ والجنة والنار).

---

(١) بروكلمن، الملحق ١: ٨٤٤. اقرأ: بدو أو بدء (؟).

في هذا العصر اتسعَ التأليفُ في التاريخ على اختلافِ أنواعه: التاريخ العامّ وتاريخ العُصورِ وتاريخِ المُدُنِ وكتب الفهارس (لأسماءِ المشايخ الذين تخرَّجَ بهم نَفَرٌ من العلماء). ولكنْ يبدو أنّ عدداً كبيراً من الكتب التي أُلِّفتْ في هذا العصر قد ضـاع. ثم إنّنا لا نجدُ مُصَنَّفاً تاريخيًّا ذا قيمةٍ راجحةٍ إلّا في أواخرِ هذا العصر.

فمن المؤرخين أبو بكر بن محمد بن عبدِ الله بنِ سيدالّة التجيبيّ (ت ٥٥٨ هـ)، له كتـاب «مجموع من رجـال الأندلس»؛ ثم أحمدُ بن عبـد الرحمن بن الصقر (ت ٥٥٩ هـ)، له كتاب «أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار». ثم هناك يوسفُ بن أبي زيد اللِّرّيّ (ت ٥٧٥ هـ) ألف كتاباً في طَبَقاتِ الفُقهاء في القرنين الخامس والسادس؛ ثم أبو بكرٍ محمد بن خيرٍ الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) له فهرستٌ مفيدٌ في أسماء شُيوخه.

ومن كبار المؤرخين أبو القاسم خَلَفُ بنُ عبد الملك المعروف بابن بَشْكُوال (٤٩٤ - ٥٧٨ هـ) ألّف عدداً كبيراً من كتب التاريخ أهمّها كتابُ «الصِلة» جعله استمراراً لتاريخ علماءِ الأندلس لابْنِ الفرضي (ت ٤٠٣ هـ).

ومن المؤرخين أبو القاسم عبدُ الرحمن بنُ محمدِ بنِ حُبيشٍ (ت ٥٨٤ هـ)، له كتاب «الغَزَوات الضامنة الكافلة والفتوح الجامعة الحافلة»؛ ثم محمدُ بنُ أبي بكر بن عفيونٍ الشاطبيّ (ت ٥٨٤ هـ)، له كتاب في أخبار الزُّهّاد والعُبّاد. ثم يأتي أبو جعفرٍ الضبّيّ (ت ٥٩٩ هـ) وقد ٱشتهرَ بكتابةِ «بُغيةِ المُلتمِس في تاريخ رجال الأندلُس» وهو استمرارٌ لكتابِ «جُذوة المقتبس» للحُميدي (ت ٤٨٨ هـ). ثمّ هنالك أحمد بن هارون بن عات النقريّ الشاطبي (ت ٦٠٩ هـ) له كتاب في قضاة بلده و(كتاب آخر؟) في قضاة الأندلس؛ ثم محمد بن عبد الرحمن التُجيبيّ (ت ٦٠٩ هـ) ألّف كتاباً في أسماء شُيوخه. هذا الكتاب قد ضاع، ولكنّ ابْنَ الأبّارِ نقلَ منه كثيراً إلى كتابه «التَكْمِلة لكتاب الصِلة». ثم هنالك أبو عمرٍو محمدُ بن عيشونٍ (ت ٦١٤ هـ) ألّف كتاباً في «تاريخ الكتّاب الأندلسيّين»، ثمّ أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن حمّادٍ

(ت ٦٤٢ هـ)، ألّف (نحو سنة ٦١٧ هـ) كتاب « النُّبَذ المحتاجة في أخبار صِنهاجةَ » (الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة، ٦ : ٢٨٠).

ويأتي في هذا الباب أبو العباس أحمدُ بنُ سعيدِ بنِ سُليمانَ بنِ عليّ بن إيخلاف (أو إخلاف) الدرجيني (بلغ أَشُدَّه نحو ٦٢٦ هـ)، وهو فقيه ومؤرخ وشاعر إباضي من تيمجار في جبل نفّوسة ومن أسرة كان لها نشاط في نشر المذهب الإباضي. وقدِ اشتهر بكتابه « طبقات المشايخ ».

ومن كبار المؤلفين في التاريخ أبو الخطّاب بن دِحْيَةَ (ت ٦٣٣ هـ)، له كتاب « النِّبراس في خلفاء بني العباس - الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صِفّين - المُطرب من أشعار أهل المغرب (وفيه لمحات تاريخية مُهمة ومفيدة).

ومنهم أبو العباس محمدُ بنُ أحمدَ العَزَفي السَّبْتيّ ألّف (نحو ٦٣٣ هـ) « الدرّ المنظّم في مولد النبيّ المعظّم » (ثم أتمّه آبنُه). ومن كِبارِهم آبنُ الأبّار القُضاعيُّ المتوفَّى سَنَةَ ٦٣٥ هـ (راجع ترجمته). ولأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عليٍ المالَقيّ (ت ٦٣٦ هـ) « تاريخ مالَقةَ ». ثم إن هنالك أبا القاسم الطيلسانَ (ت نحو ٦٤٢ هـ)، له: زَهْر البساتين ونَفَحات الرياحين - غرائبُ أخبار المُسندين ومناقبُ آثار المهتدين - تاريخ صلحاءِ الأندلس - أخبار القُرطُبيّين والتّبيين عن مناقب من عُرِفَ بقُرطبة من التابعين والعلماء الصالحين. ثم هنالك أبو عبدِ الله محمدُ بنُ سعيدٍ الطرّاز الغَرْناطيّ (ت ٦٤٥ هـ) وله فهرسةٌ مُشتمِلةٌ على أسماء شُيوخه. ثم هنالك عبدُ الواحدِ المَرّاكُشيّ (ت ٦٤٧ هـ) - وله في هذا الجزء ترجمة مفردة؛ ثم جمالُ الدين أبو الحجّاج يوسفُ بنُ محمدٍ البيّاسيّ (ت ٦٥٣ هـ) صاحب « الحماسة المَغربيّة » له في التاريخ كتاب « الإعلام في الحروب والوقائع في صدر الإسلام » (من مقتل عُمَرَ بنِ الخطّاب إلى أيام هرونَ الرشيد). ثم إنّ لأبي المطرِّف أحمدَ بنِ عبدِ الله بن عُميرةَ المخزوميّ (ت ٦٥٨ هـ) كتاباً في فضائل ميورقة وتاريخها وكتاباً آخر في « كائنة ميورقة وتغلُّب العدُوّ عليها ». ثم هنالك محمدُ بنُ الحسنِ الحسنيُّ المِصْري ألّف (نحو ٦٥٩ هـ) كتاباً في أنساب القبائل، ألّفه برسمْ السلطان أبي عبدِ الله محمدِ بنِ زكريا الحفصي صاحبِ تُونِسَ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). ولبني سعيدٍ في هذا الجزء ذِكْرٌ خاص؛ ويأتي الكلام على كِتابهم « المُغرب »

في ترجمة أبي عليٍّ الحسن بن موسى (ت ٦٨٥ هـ).

الجغرافية

أما المُصنَّفاتُ في الجُغرافية - في هذا العصر - فقليلةٌ جدًّا. ولا بأسَ في أن نُشيرَ هنا إلى أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي (٤٩٣ - ٥٦٠ هـ) من أهل سبتة سَكَنَ الأندلسَ مدة ثم ٱنتقل إلى جزيرة صِقلّية وٱتصل بملكها رُجّار الثاني (٥٦٢ - ٥٨٥ هـ) وألّف له كتاب «نُزهة المُشتاقِ في ٱختراق الآفاق»، ويُعْرَفُ أيضاً باسم الكتاب الرُّجّاري. وقيمةُ هذا الكتاب إنما هي في شمُوله وفي الخُرُط الكثيرة الدقيقة التي تُوضِحُ جانباً من مواقعِ الأماكن الواردة فيه. وقد صنع الإدريسيُّ خارطةً للعالم تُعَدُّ قريبةً من الواقع. وكان هنالك كُرَةٌ من فِضَة للعالم صُنعت بإشراف الإدريسيّ، ولكن لم تصلْ إلينا.

وهنالك الرحالةُ أبو حامدٍ الغَرناطيّ (ت ٥٦٥ هـ) وله في هذا الكتاب ترجمة خاصة. كما تحسُنُ الإشارة إلى ٱبن طُفيلٍ (ت ٥٨١ هـ) وله أيضاً ترجمة مفردة. وكذلك لابن عَفْيونِ الشاطبيّ (ت ٥٨٤ هـ) في الجغرافية كتاب في عجائب البحر. ثم هنالك ٱبن جُبيرٍ (ت ٦١٤) الرحالةُ المشهور وله ترجمة خاصة.

العلوم الرياضية والطبيعية

كان للعلم الرياضيّ وللعلم الطبيعيّ نهضةٌ في عصر الموحّدين. فمن الكتب العامة ذات الدلالة: بَرْنامَجُ أبي بكرٍ محمدِ بنِ خيرِ بن عُمَرَ بنِ خليفةَ الإشبيليّ (ت ٥٧٥ هـ) فهو مُعجمُ شُيوخهِ أو «فِهرست مَا رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في ضُروب العلم وأنواع المعارف»[١]. أما أبو جعفر أحمدُ بنُ محمدٍ الحشّاء التونسي فقد بلغ أشُدَّه في أيام السلطانِ أبي زكريا يحيى الحفصيّ (ت ٦٤٧ هـ) وكتب كتاباً هو «مُفيد العلوم ومُبيد الهموم» أو تفسيرُ الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوريّ[٢].

---

(١) تحرير كوديرا وريبيرا، سرقسطة ١٨٩٣ م.

(٢) المنصوري: كتاب في الطبّ لأبي بكر محمّد بن زكريّا الرازي (ت ٣٢١ هـ = ٩٢٤ م).

وكان في القرن السادس أبو عبد الله محمدُ بنُ عمرَ البَلَنْسيّ صاحبُ كتاب «اختيار الجبر» ثم أبو محمد بن مُعاذ الجِيّاني صاحبُ الشرح على كتب (فصول أقليدس الخمسة (في الهندسة).

وآزدهرَ عِلما الجغرافية والفلك في هذا العصر، فإنّ ابنَ طُفيلٍ خالفَ مُعاصريه والسابقين على زمانه وأعلن أن خطّ الاستواء أعدلُ بِقاعِ الأرض بقلّة الاختلاف فيه بين دَرَجَتَيِ الحرارة في الليل والنهار. وألّف أبو عليٍ الحسنُ المَراكُشي (ت ٦٦٠ هـ) «جامع المبادىء والغايات في علم الميقات». وله خارطة للمغرب ظهرت عليها لأول مرة خطوط الطول وخطوط العرض (الدالّة على الساعات في أقطار الأرض)، كما أنه وضعَ جدولًا يضمّ مائتين وأربعين نجماً رَصَدها (وعيّن مواقعَها) بنفسه.

وكان الفيلسوف آبنُ رُشْدٍ أولَ من رأى الكَلَفَ(١) على وجهِ الشمس. ثم عَرَفَ بوساطة الحساب الفلكيّ عُبورَ كوكبِ عُطاردَ على وجه الشمس.

ولابن طُفيلٍ ولتلميذه أبي إسحاق نور الدين البِطروجي جهودٌ مختلفة في الفلك ومحاولةٌ لإصلاح نظام بَطْلَيْموسَ(٢) في تفسير حركات الكواكب المتحيرة(٣). وقد «ابتدع البِطروجيّ نظرية جديدة في حركات النجوم..... نقض (بها) نظرية بطليموس من أساسها..... وقال بالحركة البيضاوية للكواكب ودورانها حول الشمس.....»(٤).

---

(١) الكلف: بقع غير مضيئة على وجه الشمس.

(٢) بطليموس القلوذي (كلوذيوس بطولومايوس) عالم رياضيّ وفلكي ولد في صعيد مصر وقضى حياته في الاسكندرية وتوفّي فيها نحو عام ١٧٠ م. وبطليموس هذا لا صلة له بالبطالسة حكّام مصر اليونانيّين. والأغلب أن بطليموس لم يكن يونانيًّا.

(٣) الكواكب المتحيّرة هي الكواكب التي ترى مرّة تسبق الشمس والقمر ثمّ ترى مرّة أخرى تتأخّر عن الشمس والقمر (في رأي العين). وجاءت هذه التسمية «متحيّرة» من ان بطليموس كان يعتقد أن الأرض ثابتة والشمس متحركة. ولو أنّه عرف أن الشمس والنجوم ثابتة (بالإضافة إلى الأرض) وأن الأرض هي المتحرّكة (حول نفسها وحول الشمس) لاستطاع تعليل هذه الظاهرة تعليلًا صحيحاً.

(٤) كان الاعتقاد القديم أن مدارات الكواكب حول الأرض (والصحيح: حول الشمس) مستديرة. وقد =

وتحسُنُ الإشارةُ هنا إلى ابن شكر (أو يشكر) وهو يحيى بن محمد المَغْربي الأندلسي (ت ٦٨٠ هـ أو بعدها بقليل)، وقد كان من علماء الرياضيات والفلك كثير التأليف فيها (بروكلمن ١ : ٦٢٦، الملحق ١ : ٨٦٨ - ٨٦٩).

وفي أواخر القرنِ السادس كان أبو عليٍ الحسينُ بنُ أحمدُ «أمينَ الأوقات» (الموقِّتَ أو الميقاتيَّ) في قُرطبةَ. وقد وضع رسالةً في الأوقات ووضع الصفيحة الجامعة لجميع عُروض الأرض.

ونجد ابنَ أرفع رأسه - وهو أبو الحسن عليُّ بنُ موسى (ت ٥٩٣ هـ) - من المهتمين بالصَنعة (الكيمياء القديمة) ألّف عدداً من الكتب، منها: شَذَرات الذهب في فنّ السلامات (؟) وهو مجموعُ أشعارٍ في حجر الفلاسفة - الطِّبّ الروحاني بالقرآن الرحماني - الجهات في علم التوجيهات في شرح قصيدة ثابت بن سليمان - رسالة في الكيمياء.

وكان أبو العباس أحمدُ بن يوسفَ التيفاشي (ت ٦٥١ هـ) مؤلفاً لعددٍ من الكتب الطريفة والجريئة فمن كتبه العلمية «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» (في الحجارة الكريمة) ثم «مطالعُ البدور في منازل السرور» (في المعادن). ثم له أيضاً: «نُزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب» (قصص وأشعار في النكاح) - رُجوعُ الشيخ إلى صِباه في القوة على الباه (وقدِ اشتهر باسم «الباه في رجوع الشيخ إلى صِباه». وربما أُشيرَ إليه باسم «رُجوع الشيخْ» - رسالة فيما يحتاج إليه الرجال مَعَ النساء في استعمال الباه ممّا يضُرُّ وينفع.

وبرع ابنُ طُفيلٍ في التشريح وفي التطبيب، كما برع ابنُ رشْدٍ في التأليف في الطب، ممّا نرى في كتابه «الكُلّيّات»، فقد تكلم فيه على التشريح ووظائفِ الأعضاء وعلى الأمراض وأعراضها وعلى الأغذية وحفظ الصِّحّة والعِلاج.

غير أنّ الذين ملأوا عصرَ الموحّدين بالزهْو في التطبيب كانوا بني زُهْرٍ، وكان

= ذكر البطروجّي أنها إهليليجية، أي بيضاويّة. وقد كان ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) قد طلب من تلميذه البطروجّي إصلاح نظام بطليموس القائل بالكواكب المتحيّرة (راجع أيضا بالنثيا ٤٥٦).

أشهرَهم أبو مروانَ عبدُ الملك (ت ٥٥٧ هـ) وٱبنُه أبو بكر محمد (ت ٥٩٥ هـ) الذي كان شاعراً ووشّاحاً أيضاً.

ويأتي في هذا الباب أبو محمدٍ محمدُ بن عليّ الإلبيريُّ له كتاب «النتائج العقلية في الوصول إلى المناهج الفلسفية والقوانين الطبية».

والصيدلة لاحقةٌ بالطِّب ومتصلةٌ بعلم النبات. ونحن نجد أبا العباس أحمدَ بنَ محمدِ ابنِ الرومية الإشبيلي (ولد سنة ٥٦٠) يَدْرُسُ النباتَ على أنه علمٌ ولم يقتصرْ على درس منافعه الطبية فقط. أما أشهر علماءِ النبات فكان ٱبنَ البيطار المالَقيّ (ت ٦٤٦ هـ). وضع كتاب «الجامع لمفردات الأغذية والأدوية» (على ترتيب المعجم). قال ٱبنُ البيطار يوجز طريقته في التأليف:

«جمعتُ هذا الكتابَ في القول في الأدوية المُفْرَدَةِ والأغذية المستَعْمَلة على الدوام والٱستمرار عندَ الٱحتياج إليها في ليلٍ كان (ذلك) أو نهارٍ..... وأذكر ما ينتفع به الناس من شِعار (ثوب يُلبَسُ مما يلي البدن) ودِثار (ثوب يلبس فوق الشعار). وٱستوعبتُ فيه جميعَ ما في الخمسِ مقالاتٍ من كتاب الأفضل ديسقوريدس بنصّه. وكذلك فعلت أيضاً بجميع ما أورده الفاضل جالينوسُ في الستِ مقالاتٍ بنصّه. ثم ألحقتُ بقولهما من أقوالِ المُحْدَثين في الأدوية النباتية والمعدِنية ما لم يذكراه، ووصفتُ عن ثِقاتِ المُحدَثين وعلماءِ النباتيّين ما لم يَصِفاه. وأسندتُّ - في جميع ذاك -(تلك) الأقوالَ إلى قائِلها وعرّفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها.

واختصصتُ بما تمّ لي به الٱستبداد* وتوضّح لي القول ووضح عندي الاعتماد.... وسمّيته «بالجامع» لكونه جمع بين الدواء والغِذاء واحتوى على الغرض المقصود مع الإنجاز (الإيجاز؟) والاستقصاء.......»

اللغة والنحو

برزَ في هذا العصر نفرٌ من مشاهير اللغويين والنُحاة نَعُدُّ منهم السُّهيليَّ (ت ٥٨١ هـ) وأبا الحجاج البَلَويَّ (ت ٦٠٤ هـ) وابنَ يَلّبخت (ت ٦٠٧ هـ) وشرفَ الدين أبا عبد الله محمدَ بنَ عبدِ الله المُرسيَّ (ت ٦٥٥ هـ) اللُّغويَّ النَحْويَّ وأبا المطرِّفِ

أحمدَ بنَ عبد الله المخزوميَّ (ت ٦٥٨ هـ) وابنَ عُصفورٍ (ت ٦٦٩ هـ) صاحبَ المقرِّب في النحو وأبا الحسينِ عبدَ الله بنَ أحمدَ بنِ أبي الربيع القُرَشيّ (ت ٦٨٨ هـ). ولمعظم هؤلاء تراجِمُ في هذا الجزء.

في الأدب وتاريخه

في عهد الموحِّدين ٱزدهرَ الشِعر وكثُرَ الشعراء لاحتفالِ الموحّدين - خِلافاً للمرابطين - بشعر المديح وبالإجازة عليه، وخصوصاً في أيام السلطان يعقوبَ المنصورِ (ت ٥٩٥ هـ)، فليس غريباً إذَنْ أن تكثُرَ مجاميعُ الشِعر التي صُنعت في هذا العصر، ثم وصَلَ إلينا كثيرٌ منها. من هذه المجاميع: رَوْح الشعر ودَوْح الشجر لأبي عبد الله بن محمد بن الجلّاب الفِهْري المعاصر للمنصور الموحّدي - زادُ المسافر لأبي بحرٍ صَفوانَ بنِ إدريسَ (ت ٥٩٨ هـ) - المُطرِبُ لابن دِحْيَةَ الكلْبيّ (ت ٦٣٣ هـ) - الحماسة المَغْربية لأبي الحجاج البيّاسي (ت ٦٥٣ هـ) - ثم الحُلَةُ السِّيَرَاءُ - تحفة القادم - إعتاب الكتاب (والثلاثةُ الأخيرةُ لابن الأبّار المتوفى سَنَةَ ٦٥٨ هـ). - المُغْرب لابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ).

ومن هذا العصر وصل إلينا مُوشّحاتٌ بارعةٌ لأبي بكرِ بنِ زُهرٍ (ت ٥٩٦ هـ): « أيها الساقي، إليك المشتكى » ثم « ما للمُوَلَّه مِنْ سُكرهِ لا يُفيق؟ » ثم موشحةُ ابن سهلٍ الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ): « هل درى ظبيُ الحِمى أنْ قد حمى »، وهي الموشحةُ التي نَظمَ نَفَرٌ كثيرون على مِثالها منهم لسانُ الدين بنُ الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في قوله: « جادَكَ الغيثُ إذا الغيثُ همى ».

وبما أن المُدنَ الأندلسية أخَذَتْ تسقُطُ في أيدي الإسبان في أواخر هذا العصر، فإنّ قصائدَ « رثاء المدن » كثُرَتْ، نذْكُرُ منها: « أدْرِكْ بخَيْلِكَ خيلِ اللهِ أندلسا » لابن الأبّار القُضاعي و « لكلّ شيءٍ إذا ما تمَّ نُقصانُ » لأبي البقاءِ الرُنديّ (ت ٦٨٥ هـ).

وكذلك برزَتِ العِناية بالمقامات، فمن الذين وضعوا مقاماتٍ تقليداً للحريري (ت ٥١٦ هـ): أبو الطاهر الأشتركوبي أو الأشترقوني (ت ٥٣٨ هـ) ثمّ أبو محمد عبد الله الأزْديّ (ت ٥٧٥ هـ). وشَرَحَ مقاماتِ الحريري نفرٌ كثيرون أيضاً منهم: أبو طالبٍ

عقيـلُ بن عطيـةَ القُضاعي المَرّاكُشي (ت ٦٠٨ هـ) ثم الشَريشي أبو العبـاس (ت ٦١٨ هـ).

في النقد

وفي النقد في هذا العصر نبدأ بابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) مبتدع القصة الفلسفية (سياقة الحقائق العلمية والآراء الفلسفية في أسلوب أدبي). ولمّا وصل إلى وصف ما يراه أصحاب المشاهدة والأذواق والحضور في طور الوِلاية (أي وصف الملأ الأعلى: عالم الألوهية كما يتخيله رجال التصوّف). جعل يتكلم « رمزاً » ثم قال: « إذ لا نجد في الألفاظ الجُمهورية (الدائرة في الاستعمال بين جمهور الناس) ولا في الاصطلاحات الخاصة (الألفاظ الفنيّة التي وضعها العلماءُ والفَلاسفة) أسماءً تدلّ على الشيء الذي يُشاهَدُ به هذا النوع من المشاهدة ».

وانتقدَ ابنُ طفيل طريق الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ) في التأليف فقال عنه إنه قد بنى كتبه على عقلية عوامِّ الناسِ ثم هو « يَرْبِطُ في مكانٍ ويَحُلّ في آخَرَ، ويكفّر بأشياءَ ثم ينتحلها. فمن جُملة ما كفّر به الفلاسفة مثلًا إنكارُهم لحشر الأجساد وإثباتهم الثوابَ والعقابَ للنفوس خاصةً. ولكنه عاد فقال في أوّل كتاب « الميزان » إن هذا الاعتقادَ هو اعتقادُ الصوفية على القطع. بعدَئذٍ أعلن في « المنقذ من الضلال » أنّ اعتقادَهُ كاعتقاد الصوفية. »

وقال ابنُ طفيل عن ابن باجّه (ت ٥٣٣ هـ): ولم يكن في زمن ابنِ باجّه في الأندلس مَنْ هو أثقبُ ذِهْناً وأصحُّ روِيّةً منه، ولكنه مات قبلَ أن يقولَ كلَّ ما عرفه. وأكثرُ كتبِهِ ناقصةٌ أو وجيزةُ العِبارة أو معقّدةُ التركيب. ولقد كان وقتُه يضيقُ عن ترتيبِ عبارته على وَجْهِها الأكمل.

وممن يُنْظَمُ في هذا السلِك أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ يحيى الحِمْيَري المؤدب (٥١٤ - ٦١٠ هـ) « آخِرُ مَنِ انتهى إليه علم الآداب بالأندلس » لم يكن فيها، في أيامه، أحدٌ « أرْوى لشعرٍ قديمٍ أو حديثٍ، ولا أذكَرُ بحكاية تتعلّق بأدبٍ أو مثلٍ سائرٍ أو بيتٍ نادر أو سجعةٍ مستَحْسَنَةٍ منه. قال عبد الواحد المَرّاكُشيّ - وكان أبو

جعفرِ الحِميري شيخَه -: أنشدتّه يوماً (من أيام سنة ٦٠٦)، وكان من عادته أن يَسْتَنْشِدَني أشياءَ من شِعري، بَيْتَيْن ارتجلتُها في شابٍّ كان يقرأ معنا شديدِ العِفة - رحمه اللهُ - مَعَ حُسْنٍ رائع وظَرْف ناصعٍ، وكان اسمه فَتْحاً، وهما:

يا مَنْ له عن كِناسٍ من المُتَيَّم قلبُهْ،
ما أنتَ كاسِمِكَ فتحٌ؛ وإنما أنت قَلْبُه!

فَطَرِب والْتفتَ إلى ٱبنه وقال له: هذا - واللهِ - الشِعرُ، لا ما تُصدِّعُني به طولَ نهارِكَ. إن كنت تقولُ مثلَ هذا (فَقُلْ) أو فاسكُتْ.

« فلمّا كان من الغَدِ قال لي:.... لم يَزَلْ (عصام) أمس يُعمِلُ فكرته، فبعدَ الجُهدِ الشديد أخذَ معنى بَيْتِكَ فسلبه روحَه وأعدمه رَوْنَقَه ومَسَخَه جملة فقال:

سَبى فؤادِيَ خَشْفٌ فقوتي اليومَ ضَعْفُ.
سَمَّوْهُ فتحاً مجازاً وفي الحقيقة حتفُ.

ما زاد فيه أكثر من المجاز والحقيقة. فقلت أنا: هذا - واللهِ - أحسن من شعري. فتغيّر لي وقال: يا بُنَيَّ، دَعْ عنك هذه العادة، فإنّ أسوأ ما تخلّق به الإنسانُ المَلَقُ وتزيينُ الباطل، (ولا) سيّما إذا أضاف إلى ذلك الحَلَفَ الكاذبَ. واللهِ، إنك لتعلمُ إنّ هذا ليس بشيءٍ، وإلا فقدِ ٱختلّ مَيْزُك وساء ٱختيارك. وما أظُنّ هذا هكذا » (المعجب ٢١٩ - ٢٢٢).

وكان لعنايةِ ابن رُشدٍ (ت ٥٩٥ هـ) بكتب أرسطو أن أبدى عدداً من آرائه في النقد في أثناء شرحه لكتاب أرسطو « في الشعر ». إلّا أن آراءَ ابن رشد كانت أكثر صلة بالبلاغة عامة منها بالنقد الأدبي خاصة (راجع ترجمة ابن رشد).

واتفق أن حرّش أميرُ سبْتَةَ أبو يحيى بنُ أبي زكريا بين أبي الوليد الشُقُنْديّ (ت ٦٢٩ هـ) وأبي يحيى بن المعلم الطنجي (ت ؟ هـ) ودعاهما إلى أنْ يؤلف كلُّ واحدٍ منهما رسالة في تفضيل عُدوته. فكتب الشقنديُّ رسالة في تفضيل عُدوة الأندلس، وافتخر فيها بكل شيءٍ في الأندلس: بملوكها وعلمائها ومؤرخيها وشعرائها وبمدنها أيضاً. أمّا القسم المتعلق بكبار شعراء الأندلس فقد نحا الشُّقنديّ فيه نحوَ

الفخر والدفاع، ولا يمكن أن يسمى هذا نقداً إلّا على المجاز. من ذلك قوله مثلاً (نفح الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد):

« .... وإنّك إنْ تعرّضتَ للمفاضلة بالعلماء فأخْبِرْني: هل لكم في الفِقه مثلُ عبدِ الملك بن حبيبٍ[١] الذي يُعْمَلُ بأقوالهِ إلى الآنِ، ومثلُ أبي الوليدِ الباجيّ، ومثلُ أبي بكرِ بنِ العربيّ، ومثلُ أبي الوليدِ بنِ رُشْدٍ الأكبرِ، ومثلُ أبي الوليدِ بنِ رشدٍ الأصغر[٢] - وهو ابنُ ابنِ الأكبر -: نجومِ الإسلام ومِصباح شريعةِ محمّدٍ عليه السلام؟ وهل لكم في الحِفْظ[٣] مثلُ أبي محمّدِ بنِ حزمٍ الذي زَهِدَ في الوزارةِ والمالِ ومالَ إلى رُتْبةِ العلم ورآها فوق كلّ رُتبةٍ، وقال وقد أُحْرِقَتْ كُتُبُهُ: «دَعُوني من إحراقِ رَقٍّ وكاغدٍ» (راجع ترجمته، ت ٤٥٦ هـ) ومثلُ أبي عُمَرَ بنِ عبدِ البرِّ صاحبِ كتاب «الاستذكار» و«التمهيد» ومثلُ أبي بكرِ بنِ الجَدّ حافظِ[٤] الأندلس في هذه الدولة؟ وهل لكم في حُفّاظ اللُّغةِ كابنِ سِيده صاحبِ كتاب «المُحْكَم» وكتاب «السماء والعالم» (وهو) الذي إنْ أعمى اللهُ بَصَرَهُ فما أعمى بَصيرَته؟ وهلْ لكم في النَحْو مثلُ أبي محمّدِ بنِ السِيد وتصانيفهِ ومثلُ ابن الطراوَةِ ومثلُ أبي عليٍّ الشَلوبينِ الذي بينَ أظْهُرِنا الآنَ، وقد سار في المشارقِ والمغارب ذِكْرُه؟ وهلْ لكم في علومِ اللُّحون[٥] والفلسفة كابن باجّه؟ وهل لكم في عِلم النجوم والفلسفةِ والهندسة مَلِكٌ كالمقتدرِ بنِ هودٍ صاحبِ سَرَقُسْطَةَ فإنّه كان في ذلك آيةً؟ وهل لكم في الطِبِّ مثلُ ابنِ طُفيلٍ صاحبِ رسالةِ «حيّ بن يَقْظانَ» المُقَدَّم في علم الفلسفة ومثلُ بني زُهْرٍ: أبي العلاءِ ثمّ ابنهِ عبدِ الملك ثمّ ابنهِ أبي بكرٍ: ثلاثةٌ في نَسَقٍ؟ وهل لكم في علم التاريخ كابن حَيّانَ صاحبِ «المَتين» و«المُقْتَبَسِ»؟ وهل عندكم في رُؤساء علم الأدبِ مثل أبي عُمَرَ بن عبدِ ربّهِ صاحبِ (كِتاب) «العِقد»؟ وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثرِ فُضلاءِ إقليمه

(١) إن الكثرة من الأعلام الذين ترد أسماؤهم في هذا النصّ، يجد القارىء لكل واحد منهم ترجمة مفردة في هذا الجزء أو في الجزء الذي سبقه.

(٢) أبو الوليد محمد بن احمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠ هـ كان فقيهاً؛ وهو جدّ أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ت ٥٩٥ هـ) الفيلسوف المشهور والذي كان أيضاً فقيهاً.

(٣)و(٤)في حفظ أحاديث رسول الله. وحافظ الأندلس (أشهر حفّاظ الحديث في الأندلس).

(٥) الموسيقى.

والاجتهاد في حَشْدِ محاسنهم مثلُ ابن بسّامٍ صاحبِ «الذخيرة»؟ وهَبْ أنّه كان يكونُ لكم مثلُه، فما تصنَعُ الكَيِّسة في البيت الفارغ[1]؟ وهل لكم في بلاغةِ النثر كالفَتْح بنِ عُبيدِ الله الذي إنْ مَدَحَ رَفَعَ وإن ذمّ وَضَع؟ وقد ظَهَرَ له من ذلك في كتاب «القلائد» ما هو أعدلُ شاهدٍ. و(هل لكم) مثلُ ابن أبي الخِصالِ في ترسيلِهِ ومثلُ أبي الحَسَنِ سَهْلِ بنِ مالكٍ[2] الذي بينَ أظهُرِنا الآنَ في خُطَبِه؟ وهل لكم في الشِعر مَلِكٌ مثلُ المُعْتَمدِ بنِ عبّادٍ..... ومثل ابنهِ الراضي؟.... وهل لكم مَلِكٌ ألّفَ في فنونِ الآدابِ كتاباً في نحوِ مِائَةِ مُجلّدةٍ مثلُ المُظَفَّرِ بن الأفطسِ صاحبِ بَطَلْيَوْسَ، ولم تَشْغَلْهُ الحروبُ ولا المَمْلكةُ عن هِمّة الأدب؟

«وهل لكم في الوُزراءِ مثلُ ابنِ عمّارٍ في قصيدته التي سارتْ أشْرَدَ من مَثَل وأحبَّ إلى الأسماع من لِقاءِ حبيبٍ وصل[3]؟ (تلك التي) منها:

أثْمَرْتَ رُمْحَكَ من رُؤوسِ مُلوكهم … لمّا رأيتَ الغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرا؛
وصَبَغْتَ دِرْعَك من دِماءِ كُماتِهم … لمّا رأيتَ الحُسْنَ يُلْبَسُ أحمرا[4].

و(هل لكم) مثلُ ابنِ زَيْدونٍ في قصيدته التي لم يُقَلْ مَعَ طولِها في النسيبِ أرَقَّ منها؟ وهي التي يقول فيها:

كأنّنا لم نَبِتْ والوصلُ ثالثُنا، … والسعدُ قد غَضّ من أجْفانِ واشِينا[5]:
سِرّانِ في خاطرِ الظَلْماءِ يَكْتِمُنا … حتّى يكادَ لِسانُ الصبح يُفشينا.

وهل لكم في الشُعراءِ مثلُ ابن وَهْبونٍ في بديهتهِ بينَ يَدَي المُعْتَمِدِ.... وهل لكم مثلُ شاعرِ الأندلس ابنِ درّاجٍ الذي قال فيه الثعالبي[6]: هو بالصِقْعِ الأندلسيّ

---

(١) المقصود: يمكن أن يكون في المغرب (شمالي إفريقية) نفر من المؤرخين، ولكن ليس في المغرب أدباء كبار يستحقون أن يؤرخ لهم مثل أدباء الأندلس. - الكيّس (بتشديد الياء): العاقل، البارع.

(٢) أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي فقيه وخطيب بليغ وشاعر أندلسي (ت ٦٣٩ هـ).

(٣) المثل الشرود: البارع المشهور. من حبيب وصل (اتصل بمُحِبِّه).

(٤) الكميّ: الشجاع والتامّ السلاح.

(٥) غض (كفّ، صرف) من أجفان (عيون) واشينا (عدوّنا): خيبّ ظن الذين يريدون سوءاً بِنا.

(٦) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) صاحب «يتيمة الدهر» من مشاهير أدباء المشرق.

كالمتنبّي بصِقْع الشام، والذي إن مَدَحَ الملوكَ قال مِثْلَ قوله:.......

وأنـا أُقْسِمُ بما حازَتْه هذه الأبياتُ من غَرائب الآياتِ لو سَمِعَ هذا المديحَ سَيِّدُ بني حَمْدانَ لَسَلا به عن مدح شاعِره[1] الذي ساد كلَّ شاعرٍ، ورأى أن هذه الطريقةَ أوْلى بمدح المُلوكِ من كلّ ما تَفَنّنَ فيهِ كلُّ ناظمٍ وناثر........»

ولابن دِحيةَ الكلبيّ (ت ٦٣٣ هـ) أحكامٌ عارضة في النقد منثورة في كتابه «المطرب» على غير قاعدة. إنه اختار أشعارَ «المطرب» اعتماداً على «ذوقه الشخصي»، وإلّا فما الحُجّةُ مثلًا لاختيار الرمادي (ت ٤٠٣ هـ - راجع ترجمته) في شعراءِ المطرب ببيتين - هما سهلان عذبان ولكنهما لا يمثلان الرماديَّ؟ وباعتماد ذوقه الشخصيّ أيضاً جاء بأحكامه في النقد.

وابن دِحيةَ يورد أحكامه في النقد في جُمَلٍ عامّة مسجوعة قلّ أن تفيد «حكماً» كقوله مثلًا: «له مُقَطّعاتُ غزَلٍ أحسن من الرياض وأغزل من العيون المراض - .... مَنْ نُسج على منواله وضُرب في بديع المعاني والألفاظ على مِثاله».

وقد أكثر الشعراء من تشبيه عيون النساء الجميلات بالنرجِس، فقال ابنُ دحية في نقد ذلك: «هو تشبيه غير وثيق إذا حُكَّ بمِحَكّ التحقيق، لأن بينَ نَرْجس الحدائق والأحداق الموصوفة بالدَعَج وتكحيل الآماق[2] من التباين ما بين الأضداد. وليس يحسن أن تَحِلَّ الصفرة في موضع السواد. فتشبيهه بعيون الهرر أولى من تشبيهه بعيون الناس في حكم القياس. ولكنه حَسُنَ تشبيهه بذلك لموضع إحاطة البياض بالصُفرة كإحاطة بياض العين بسوادها». ولكنّ مثلَ هذا التحليل قليل عند ابن دحية.

ويقف ابن دِحية في نقده موقف الدفاع عن شعراء الأندلس ويُسوِّغ قِلة سَيْرورة

---

(١) سيد بني حمدان (سيف الدولة أمير حلب). سلا: تسلى (عن)، نسي، أهمل. شاعره (شاعر سيف الدولة: أبو الطيب المتنبي).

(٢) الدعج: سَعة العين معَ الحوَر (شدة اسوداد البؤبؤ وشدة البياض حوله). تكحيل (سواد). المؤق: طرف العين (المقصود: أطراف الجفون).

شعر الأندلسيين على الألسنةِ بالإضافة إلى سيرورة شعر المشارقة بشُهرة المشارقة ومَيْل أهل الأندلس إليهم.

واختار ابنُ دِحية ليحيى بن حَكَمٍ الغَزالِ (ت ٢٥٠ هـ) مقطوعته في تود المجوسية (راجع ترجمته): « كُلِّفتَ، يا قلبي، هوىً مُتعِباً » ثم علّق عليها بقوله: « وهذا الشعر لو رُوي لِعُمَرَ بنِ أبي ربيعةَ أو لبشارِ بن بُرْدٍ أو للعباس بن الأحنف[١] ومَنْ سلك هذا المسلك من الشعراء المحسنين لاسْتُغْرِبَ له؛ وإنّ ما أوجبَ أن يكون ذكْرُه مَنْسِيًّا أنْ كان أندلسيًّا. وإلّا فما له أُخمِلَ؟ وما حقّ مثله أن يُهْمَلَ!.... « يا لأَهلِ المشرق »، قَوْلَةَ غاصٍّ بها شَرِقٍ[٢]! ألَا نظروا إلى الإحسان بعين الاستحسان، وأقصروا عن استهجان الكريم الهجان[٣]، ولم يُخرجْهُمُ الإزراءُ بالمكان عن حَدّ الإمكانَ... »[٤].

وعبدُ الواحد المَراكُشي (ت نحو ٦٤٧ هـ) مؤرخ في الدرجة الأولى، إلّا أنه كان أديباً بارعاً في عَرْض الخصائص واستعراض الشعر والنثر - وقد أكثر من نماذجها في كتابه « المُعجب في تلخيص أخبار المَغْرب ». وكان له نثرٌ رشيق مَعَ سهولته، ولكنّ شعرَه كان عاديًّا - ولقد قال هو نفسُه على قصيدة من قصائده (ص ٣٠٩): « مع ركاكتها وقِلّة انطباعها وظهور تكلّفها ».

ولعبد الواحد المراكشي أحكامٌ في النقد متفاوتة بعضُها إنشائي فقد قال في قصيدة ابن عبدون (ت ٥٢٩ هـ) الرائية: « الدهر يفجَعُ بعد العين بالأثر »: « ....

---

(١) راجع في هؤلاء الجزأين الأول والثاني.

(٢) « يا لأهل المشرق » قولةَ.... (يقول: أنا أفضل أدباء المشرق على أدباء الأندلس، وأنا كاره لذلك: برغمي).

(٣) أقصر: كفّ، اعتدل، استهجان: تقبيح الهجان: الكريم الأصل، الجيّد من كل شيء.

(٤) الإزراء (أن يعيب الإنسان إنساناً آخر ويحتقره). عن حدّ الإمكان (البقاء في نطاق الأحكام الممكنة: المعقولة، المنصفة، العادلة).

قصيدته الغراء، لا بل عقيلته العذراء[1] التي أَزْرَتْ على الشعر[2] وزادت على السِّحرْ وفعلتْ في الألباب فعلَ الخمرِ، فجلّت عن أنْ تُسامي وأَنِفَتْ من أن تُضاهى[3]. فقلّ لها النظيرُ وكَثُرَ إليها المُشيرُ وتساوي في تفصيلها وتقديمها باقلٌ وجرير[4].... (ص ٧٥ - ٧٦).

غير أن له أيضاً أحكاماً دقيقةً صحيحةً، كقوله عن عبد الجليل بن وهبون (ص ١٠٢): «كان حسنَ الشعر لطيفَ المأخذِ حسنَ التوصّل إلى دقيق المعاني». أو كقوله في الرصافي الرفّاء (ص ٢٢١): «هو من مُجيدي شعراء عصره، ولا سيّما في المقاطع، كالخمسة الأبياتِ فما دونها... وقد رأيتُ أنْ أُوردَ من (شعره) ها هنا نُبذةً يسيرةً تَدُلّ على ما وصفناه به. فمن ذلك قوله يصف نهرَ إشبيلية الأعظمَ....».

ونستطيعُ أن نَنْسِبَ جميعَ أحكام النقد الواردة في كتاب «المُغرب» إلى أبي الحسن عليّ بن موسى بن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) لأنه آخرُ مُصَنِّفي الكتاب. والمفروض أنّه قد تقبل هذه الأحكام كلَّها، سواءٌ أكانت للحِجاريّ (ت نحو ٥٥٠ هـ) الذي كان قد بدأ تحرير هذا الكتاب باسم «المُسهِب» أو كانت لآله الذين سبقوه في العمل على تتميم «المغرب».

ومعَ أنّ ٱبنَ سعيدٍ ينحو أيضاً نحوَ الدفاع عن الشعراءِ الأندلسيين، فإنه لا يدفع المشارقة عن الإحسان والإبداع، فالفريقان لا يقتصران على قُطر دون قطر. ونحن نستطيع أن نرى ٱتجاهَ ٱبنَ سعيد في تطبيق الشعر (جعلهِ طبقاتٍ) من العناوين التي

---

(١) الغرّاء: البيضاء (البارعة، الجيّدة). عقيلته: حليلته، زوجته. العذراء (التي لم يتزوّجها أحد غيره): لم ينظم مثلها شاعر سواه.

(٢) أزرت على الشعر: عابت جميع الشعر (كانت أفضل القصائد، فظهرت جميع القصائد الأخرى بجانبها قليلة القيمة).

(٣) جلّت (عظمت، ارتفعت عن أن) تُسامى (ترتفع قصيدة أخرى إلى مستواها) وأنفت (كرهت، ترفّعت عن أن) تُضاهى (تُماثل: يكون لها مثيل أو شبيه).

(٤) النظير: المثيل. باقل: رجل كان عييًّا (لا يحسن اللفظ ولا التلفّظ بالكلام). جرير: الشاعر الأموي المشهور (كان فصيحاً عذب الكلام سهل التعبير، بخلاف معاصره ومهاجيه الفرزدق الذي كان في شعره فخامة مع شيء من التعقيد).

توّج بها كتبه في اختياراته من الشعراء، فله: المُغرب في حُلى المَغْرب - رايات المُبرّزين وشارات المُميّزين - عُنوان المُرقصات المطربات - المُشرق في حُلى المَشرق - القِدْح المُعلّى في التاريخ المُجلّى - المُقْتَطَف من أزاهر الطُرَف.

والمختارات في هذه «الجاميع» ليست متحيِّزة (لكلٍ منها حيِّزه الخاص به) بل هي متداخلة (تجد بعضَ ما في مجموعٍ مُثبتاً في مجموعٍ آخر). والذي يَغْلِبُ على هذه الجاميع (كما غَلَبَ على «المُطرب» لابن دِحية، وكما غلب على الحِجاري) «النكتة الطريفة». إن هذه الجاميعَ كلَّها لا تُثبت للشاعر مختاراتٍ تمثل آتّجاهَه أو تُنصِفُ عبقريتَه أو ما يَدُلّ على قيمةٍ ذاتيةٍ في القطعة المختارة، بل تثبت ما فيه نُكتةٌ أو لَفْتةٌ أُعْجِبَ بها الجامعُ المختار. وربما خصّ آبنُ سعيد (كما فعل ابن دِحية من قبلِه والفتحُ ابن خاقان من قبلهما) شاعراً بفصل من كتابه ثم اختار له بيتين أو ثلاثة أبياتٍ فقط.

ابن خِيَرَةَ[1] المواعيني

١ - هو أبو القاسمِ محمّدُ بنُ إبراهيمَ القرطبيُّ الإشبيليُّ - من أهلِ قُرطبةَ ثمّ سكن إشبيليةَ وأصبحَ من أعيانها - تَلقّى العِلْم على أبي بكرِ بنِ العربيّ (ت ٥٤٣ هـ) وابن أبي الخصالِ (؟ محمد بن مسعود المُتَوفّى سنة ٥٤٠). ويبدو أنّه بدأ حياتَه العامّةَ بالدُخولِ في خِدمةِ المُوحّدين، فقد كان كاتباً لوالي غَرناطةَ أبي سعيدِ بنِ عبدِ المؤمن ثمّ لأخيه أبي حَفْصِ عُمَرَ بنِ عبدِ المؤمن والي إشبيليةَ. ولمّا جاء أبو يعقوبَ يوسفُ إلى عرش الموحّدين، سَنَةَ ٥٥٨، أصبحَ ابنُ خيرةَ كاتباً له وانتقل إلى مَرّاكُشَ ثمّ تُوُفِّيَ فيها سَنَةَ ٥٦٤ (١١٦٨ - ١١٦٩ م).

٢ - كان ابنُ خِيَرَةَ المواعينيُّ أديباً ناثراً ومُتَرَسِّلًا وشاعراً وناقداً. ولَعلّ النقدَ أبرزُ فُنونهِ. له كتابُ «رَيْحان الألباب ورَيعان الشباب في مراتب الآداب» (في

(١) خيرة (بالفتح أو بالكسر) من أسماء البنات، ولعلّ الفتح أشهر وأكثر (راجع تاج العروس - الكويت ١١ : ٢٤٧ وما بعد).

النقد الأدبي) جَعَله سَبْعَ مراتبَ (في أبوابٍ متنوّعةٍ) هي: مرتبةُ تدريج النُمُوّ والارتقاء إلى مراقي السُمُوّ والاعتلاء - مرتبةُ لُمَعٍ من قانونِ العربية ونُبَذٍ من الألفاظ اللغوية - مرتبة الإبهام بالمعاريض والكلام المُحتملِ التعريض - مرتبة الفصاحة في البلاغة وجامعٌ في لوازمِ إنشاء الصناعة - مرتبة نظام القريض والتزام ميزانِ العَروض - مرتبة اقتضاب شَجَرة النَسَب ومنتهاه من وَلَد آدمَ ونوحَ إلى جِذْم العرب - مرتبة اختيار الأشعارِ والأخبار وما يتعلّق بها من مأثور الحديثِ والآثار.... وفيه تاريخُ بني أُميّةَ وبني العبّاس وفتحُ الأندلس وذِكرُ وُلاتِها إلى سَنَة ٥٥٩.

والمواعيني يعتمدُ في آرائهِ كُتُبَ المشارقة، وخصوصاً كتابَ البيان والتبيين للجاحظِ. وتَجِدُ في «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» لإحسان عبّاس عَرْضاً وافياً لآراء المواعيني في النقد. ولعلّ من آراء المواعيني البارزةِ أنّه كان يُحاولُ أن يرى الصواب في جَوْدة الشعر اجتماعَ الجَزالة (العربية القديمة) والرِقّة (الأندلسية الحديثة) في القصائدِ كَيْ يُوَفِّقَ بينَ آراء النقّاد في الأندلس.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو محمّدِ بنُ خيرةَ الإشبيليُّ من قصيدةٍ يمدَحُ بها أبا حفص بن عبدِ المؤمن:

كأنّما الأُفْـقُ صَرْحٌ والنجومُ بـه ... كواعـبٌ وظلامُ الليلِ حاجبُهُ[١].
وللهــلالِ اعــتراضٌ في مَطالِعِـهِ ... كأنّـه أسْوَدٌ قد شاب حاجبُه[٢].
وأقْبَـلَ الصُبحُ فاسْتَحْيَتْ مَشارقُهْ، ... وأدْبَرَ الليلُ فاسْتَخْفَتْ كواكِبُه[٣]،

---

(١) الصرح: القصر (البناء العظيم). الكاعب: المرأة في أول شبابها. الحاجب: الحارس (الذي يمنع العامة من الدخول على السلطان).

(٢) وقد بدأ طلوع الهلال (في الشرق) في أواخر الشهر القمري. الأسود (العبد الأسود). الحاجب (الشعر النابت فوق العين).

(٣) استحيت مشارقه (ظهر عليها الفجر بلونه الأحمر).

كالسيّدِ الماجدِ الأعلى الهُمام أبي ... حَفْصٍ لرحْلتِه ضُمّتْ مضاربُه[١].

- وقال في الكلام الحَسَن مكتوباً بخطٍّ جميلٍ:

يا مَنْ له مَنْطِقٌ كالدُّرِّ في نَسَقٍ ... يُزهى به الحِبْرُ في وَشْيٍ من الحَبَر[٢]،
ويُشْرِقُ الطِرْسُ مَمشوقاً بأسْطُرِه ... كأنّما هُوَ مُشْتَــقٌّ من الحَوَر[٣]!

- وقال يمدَحُ الزُبيرَ بنَ عُمَرَ:

بَرقَـتْ ثُغورُهُمُ وسالتْ أدمُعي، ... فانْظُرْ إلى برقٍ وصَوب عِهاد[٤].
طولوا وصولوا فالمناسِبُ حِمْيَرٌ: ... أهـلُ المفاخر والنَّدَى والنادي[٥].
للقوم في كــلِّ البــلادِ رئاسةٌ ... تَحْكي بني العبّاس في بغداد.
أضْحَتْ مجالِسُهُمْ سُروجَ جِيادِهِمْ؛ ... إنّ السروجَ مجالسُ الأمجــاد[٦]!

- وقال في صِفات أمير (من رسالة):

أطالَ اللهُ بقاءَ الأميرِ محفوفاً بالراياتِ الخافِقةِ، موصوفاً بالآراء المُتوافقةِ. ولا زالتْ أمْصارُه تُنير ومضاؤه يُبير[٧]. يا له - أيّده اللهُ - من مضاءٍ[٨] لا يبيت له جارٌ على وَجَلٍ، ورَدًى يَسْتَوهِبُ من كُماتِه كُلَّ أجَل!

---

(١) اختفاء النجوم مع قدوم الصبح يشبه انطفاء المصابيح في مضارب (خيام، قصور الممدوح) لكثرتها (؟).

(٢) يُزهى (يعجب بنفسه، يفتخر) الحِبر (المداد الأسود الذي يكتب به: كناية عن تدوين كلامه). وشي: تطريز (زخرف). الحبر (بفتح ففتح أو بكسر ففتح): ملاءة (ثوب واسع) من حرير.

(٣) المشق: نوع من الخطوط تكون الحروف فيه طويلة. الحور: شدة سواد العين مع شدة بياضها.

(٤) الثغر: الفم. الصوب: الدفعة من المطر الغزير. العهاد: المطر (المتوالي).

(٥) طولوا: افتخروا. صولوا (تسلطوا). حمير: عرب الجنوب. الندى: الجود والكرم. النادي: المكان الذى يجتمع فيه رؤساء القوم وكذلك أسرة الرجل. أنت واهل بيتك أشراف البلاد وحكامها.

(٦) الأمجاد جمع ماجد (؟): الشريف الكريم. السروج مجالس الأمجاد (كناية عن ركوب الخيل للحرب)، دلالة على القوة.

(٧) المصر: البلد الكبير. المضاء: النفوذ في الأمور. ومضاء (بالكسر): السيف. أبار: أهلك، أفنى.

(٨) مضاء بتشديد الضاد (شديد العزم؟). الوجل: الخوف. ردى: موت. الكميّ: الشجاع الذي يتقلد سلاحه الكامل. رجاله (جنوده)، إذا هم لم يحاربوا أحداً عاش ذلك الشخص طويلا.

- شروط الفصاحة في اللفظة:

..... أن تَجدَ لتأليفِ اللفظةِ في السَمْعِ حُسْناً ومَزيّةً على غيرِها، وإنْ تَساوَيا في التأليفِ من الحروف المُتباعدةِ، كما أنّك تَجدُ لبَعْضِ النغَمِ والألوان حُسْناً يُتصوَّرُ في النفس ويُدْرَكُ بالبصرِ والسَمْعِ والحِسّ. مِثالُ ذلك من الحروف ع ذ ب، فإنْ قُدِّمَتْ بعضُ هذه الحروفِ على بعضٍ ذَهَبتْ حَلاوةُ الكَلِمَةِ ولم تَجِدْ حُسنها على الصِفة. فإنْ قالوا: فأْتونا بكَلامٍ يَتَبَيّنُ مَوْقِعُ حُسنهِ بلفظٍ يَشِفُّ رَوْنَقُه عن غيرِه، فمِثالُ ذلك مِمّا يُخْتارُ قولُ أبي القاسمِ المَغرِبِيّ[1] من رِسالةٍ: فَرَعَوْا جَميماً قد تأَنّفتْ رَوْضَتُه[2] ورادوا مَسْرحاً مَسَحوا عن أعطافِ نَباتِه قَطْرَ نَداه[3] ونَشَروا مِن لَبّاتِه عِقْدَ طَلِّه. فتأنّفتْ كَلِمَةٌ لا خفاءَ بِمَوْقِعِها وحُسْنِ مَوْضِعِها....

..... ولمّا لم تَجِدِ الصوفيةُ كلاماً أهَزَّ للنفوسِ وأبْعَثَ لإطرابها من أشعارِ النسيبِ ووَصْفِ المحبوبِ تناشَدَتْها وتفانَتْ على أعراضِها[4]! وهامتْ بظواهرِ ألفاظِها، ولكنّهم يَعْنونَ المحبوبَ[5] الذي لا يُوجَدُ منه الاضطرابُ ولا الصدودُ إذا صَدّ الأحبابُ.....

٤ - ★★ المغرب ١: ٢٤٢؛ الوافي بالوفيات ١: ٣٥١؛ نفح الطيب ٣: ٤٢٦؛ بروكلمن ١: ٣٧٧ - ٣٧٨، الملحق ١: ٥٤٣؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٨٦ (٥: ٢٩٦)؛ تاريخ النقد لعبّاس ٥١٣ - ٥٢١؛ تاريخ الفكر الأندلسي ١٧٨.

---

(١) لعلّه الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين، (ت ٤١٨ هـ)، كان وزيراً من العلماء والأدباء (من أهل مصر) وكان أيضاً مصنّفاً له عدد من الكتب (راجع الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٦ - ٢٦٧ (٢٤٥).

(٢) رعى الجميم (العشب الكثير النامي). تأنفت روضته (لم يرع أحد فيها).

(٣) راد: قصد. المسرح: المرعى. العطف (بالكسر): الجانب. مسحوا الخ (هم أول من رعى أنعامه في هذا المكان).

(٤) تفانت على أعراضها (؟).

(٥) الله تعالى.

أبو حامد الغرناطي

١ - هو أبو حامدٍ (أو أبو عبدِ الله) محمّدُ بنُ عبدِ الرحيمِ (أو عبد الرحمن) بنِ سُليمانَ بنِ الربيعِ بنِ تميمِ بنِ محمّدِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الصمد المازنيُّ القَيْروانيُّ القَيْسي[١] الغَرْناطي الأندلُسِيُّ المَغْرِبي، وُلِدَ سَنَةَ ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م) وسَكَنَ أُقْليشَ[٢].

تَرَكَ أبو حامدٍ الأندلسَ ووَصَلَ إلى الإسكندريةِ في سَنَةِ ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م) فَسمِعَ فيها (الحديثَ) من أبي محمّدٍ الرازيّ وسَمِعَ في مِصْرَ (القديمة) من أبي صادقِ مُرْشِدِ بنِ يَحْيى المَدينيّ ومن أبي الحَسن الفرّاءِ ومن أبي عبدِ الله بنِ بَركاتِ بنِ هلالِ النَحْويِّ (٤٢٠ - ٥٢٠ هـ) وغيرِهم. ثمّ عادَ إلى الأندلس.

وأصابتْ أبا حامد ضائقةٌ ماليةٌ فرَحلَ، سَنَةَ ٥١١ هـ (١١١٧ م) إلى المشرقِ فمرّ بجزيرةِ ساردانيةَ وجزيرة صِقِلِّيَةَ ثمّ نَزَلَ في الإسكندريةِ وانتقل منها وشيكاً إلى القاهرة. ثمّ غادرَ القاهرةَ إلى دِمَشْقَ (بعد ٥١٢ هـ) وتصدّرَ فيها للتدريس، وفي الوقتِ نفسهِ كان يسمَعُ من أبي العزّ أحمدَ بنِ عبيدِ الله بن كادش.

وفي سَنَةِ ٥١٦ هـ انتقلَ إلى بغدادَ ومَكَثَ فيها أربعَ سَنَواتٍ فنال حُظوةً لدى الوزيرِ عونِ الله يحيى بنِ هُبيرةَ بنِ محمّدِ بنِ هُبيرة (٤٩٩ - ٥٦٠ هـ)، وكان فقيهاً أديباً شاعراً مَدَحَهُ الشعراءُ فأكثروا. وقد كان يُحَدِّثُهُ بعجائبِ ما رأى في أقطارِ المَشْرق والمَغرب فرَغِبَ إليه آبنُ هُبيرةَ أن يُؤلّفَ في ذلك كلّهِ كتاباً فألّفَ له «المُعْرِبَ في عَجائب المَشْرِق والمَغْرب».

ومِنْ بَغْدادَ بدأ أبو حامدٍ رِحلةً إلى شَرقيّ آسيةَ وشرقيّ أوروبّة: كان في أبهر (٥٢٤ هـ) وفي سَخْسين[٣] (٥٢٥ هـ) ثمّ انحدرَ إلى بلادِ البُلغار (٥٣٠ هـ) عند نهر

(١) المازني (مازن قبيلة عربية). القيرواني (أصله من القيروان). القيسي (نسبة إلى قيس، إحدى القبائل الكبرى من عرب الشمال - بفتح الشين). أو نسبة إلى آل قسي الإسبان. وذكر حسين مؤنس (هنا لندن، آب ١٩٦٨، ص ٥) أنّ أبا حامد الغرناطي ولد في قرية صغيرة تسمّى قيس قرب غرناطة (وسط العمود الثاني).

(٢) شرق طليطلة.

(٣) سخسين أو سقسين أو سخستين ولعلّها سخستي (عند مصبّ نهر الفولغا في شمال بحر قزوين).

الفولغا[١]. وقد رأيناه، سَنَةَ ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) يعودُ من بلاد المَجَر[٢] إلى بَغْدادَ لِيَسْتأنفَ منها رِحلةً إلى خُراسان حيث بَقِيَ مُدّةً يتطوّفُ في بُلدِانها قبلَ أن يذهبَ إلى الحجّ.

وعادَ إلى بَغْدادَ، سَنَةَ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) ثمّ جاء في ٥٥٦ هـ إلى المَوْصِلِ ونال فيها حُظوةً لدى مُعينِ الدين أبي جَعْفرٍ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ محمّدِ بنِ خَضِرِ الأرْدَبيليّ المَلّاءِ وألّفَ له «تُحْفة الألْباب». ثمّ رَجَعَ إلى الشام وأقامَ في حَلَبَ سَنَتَيْن. وبَعدَها عاد إلى دِمَشْقَ حيثُ تُوفّي في صفر من سَنَةِ ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م).

٢ - كان أبو حامدِ الغَرناطيُّ شيخاً فاضلًا حافظاً للحديثِ عالماً به، كما كانَ أديباً يَنْظِمُ الشعرَ. واشتهرَ أبو حامدٍ بالرِحلة في المَغْرب والمشرق وفي شَرقيّ أوروبّة: طاف المغربَ كلَّه وعَرَفَ قبائلَ كثيرةً في السودانِ الغَرْبي ووَصَفَ لنا أحوالَها. ولم يكُنْ أبو حامدٍ الغَرناطيُّ جُغرافيًّا ولا فَلَكيًّا ولا نَسّابةً، ولكنّه كان رَحّالةً يُدوِّنُ ما يرى وما يسمَعُ، مَعَ مَيْلٍ ظاهرٍ إلى الاهتمام بالأشياءِ الغَريبة والمُسْتَغْربة وإلى المبالغة في وصفِها وحِكايةِ الأخبارِ المُتَعَلّقةِ بها. ومَعَ أنّه كان يُحْسِنُ التحديثَ فإنّ لُغَتَه تَنُوءُ بشيءٍ من الضَعْفِ في اختيارِ الألفاظِ وفي بِناء التراكيب. ولرِحلةِ أبي حامدٍ الغَرناطيِّ قيمةٌ ظاهرةٌ هي أنّه وَصَفَ لنا فيها معالمَ في مِصْرَ قد زالتْ فيما بعدُ، كما وَصَفَ كثيراً من أحوال البلادِ في شَرقيّ أوروبّةَ ومن أحوالِ التجارة في جَنوبيّ الرُوسية.

٣ - مختارات من آثاره:

- من تحفة الألباب (الديباجة):

.... ولمّا وَصَلْتُ إلى المَوْصل سَنَةَ سَبْعٍ وخمسينَ وخَمْسِمِائَةٍ (نَزَلْتُ بها) في جَنابِ

(١) البلغار كانوا لا يزالون، في أيام أبي حامد الغرناطي، قبائل رحّلًا بين نهر الفولغا ونهر الطونة (الدانوب) قبل استقرارهم في منازلهم الحالية شمال بلاد اليونان.

(٢) المجر ويسمّيهم أيضاً باش كيرد وباش كورد (بلاد هنغارية).

الشيخ الإمامِ الزاهدِ مُعين الدين... أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ محمّدٍ مُحيي سُنَنِ سيّد المُرسلين بتأليف «وَسيلةِ المُتَعَبّدين»[1] مُتَوخِّياً بتأليفها رِضا اللهِ تعالى وشفاعةَ نَبيِّهِ المُصطفى....

جَمَـعَ الوَسيلَـةَ مُشْبِـهُ الفاروقِ ... وسَمِيُّـه فَسَا عـلى العَيّوق[2].
باهى بها فَلَكَ البُروجِ فأصبحتْ ... كالشمسِ لا تخفى بكـلِّ طريق[3].
خُتِمَتْ تواليـفُ العلومِ بها كما ... خَتَمَ النُبُوّةَ أحمدُ الصدّيـق[4] (؟).

فَشَهِدتُّ من كَرَمِهِ وإكرامِهِ وتواضُعه وإنعامِهِ، لجميعِ المسلمين، وإطعامه للقاصدين منهم والقاطنين، وتقشّفِهِ في لِباسه على زِيّ الصَحابة والتابعين، والاقتداء بالأئِمّة الصالحين العالمين العاملين، كأنّه مَلِكٌ في زِيٍّ مسكينٍ، فهو في هذا العصر مَعدومُ القرين..... ولم يَزَلْ - أيّدَهُ اللهُ وأبقاهُ، ومن المكارهِ وَقاهُ، يَحُثُّني كُلّما كنتُ ألقاه على أن[5] أجْمَعَ ما رأيتُه في الأسفار من عجائبِ البُلدانِ والبحار وما صحّ عِندي من نَقَلَةِ الأخبار والثِقاتِ الأخيار. وأجَبْتُه إلى ذلك وإنْ لم أكُنْ هنالك، لِعُزوبِ الفِطَنِ وضيق العَطَن[6] وبُعد الأهل والوطن، وتَشَتُّتِ الأحوالِ وركوبِ الأهوال وطولِ الاغتراب والبُعد عن الأحْباب ومُساوَرَةِ العَذاب[7].... ورأيتُ أنْ

(١) معين الدين الأردبيلي له كتاب وسيلة المتعبّدين (راجع بروكلمان، الملحق ١ : ٧٨٣ - ٧٨٤) في عدة أجزاء.

(٢) الفاروق: عمر بن الخطّاب... معين الدين الأردبيلي يشبه عمر بن الخطّاب في أعماله وباسمه أيضاً (لأنّ اسمه عمر).

(٣) باهى فلان فلاناً: غلبه في البهاء (زاد عليه في الجمال). الفلك: الخط الوهمي الذي يسير فيه الكوكب (واستعمال الكلمة هنا بمعنى «الكوكب» خطأ). البروج جمع برج: (هنا) منازل تمرّ بها الشمس في أثناء العام (بحسب رأي القدماء).

(٤) كتاب معين الدين الأردبيلي (وسيلة المتعبّدين) آخر كتب العلماء وأفضل كتبهم كما أنّ أحمد (محمّد صلّى الله عليه وسلم) آخر الأنبياء وأفضلهم. الصدّيق حقّها الجرّ وهي هنا مرفوعة.

(٥) وقاه: حفظه. حثّ: حضّ، شجّع على عمل شيء.

(٦) لم أكن هنالك: لست من أهل هذا الميدان (التأليف). العزوب: البعد. الفطنة: الذكاء (الذكاء بعيد عنّي). ضيق العطن: قلّة الصبر (على العمل المجهد).

(٧) مساورة العذاب: إحاطة العذاب (بي من كلّ جانب).

أُسَمِّيَ هذا المجموعَ «تُحْفَةَ الألبابِ» وأُرَتِّبَه على مُقدّمةٍ وأربعةِ أبوابٍ. فالمقدّمةُ للبيانِ والتمهيد، والأبوابُ لتَتِمّة المقصود: البابُ الأوّلُ في صِفةِ الدنيا وسُكّانها من إنْسها وجانّها. - البابُ الثاني في صِفةِ عجائبِ البلدانِ وغرائبِ البُنْيان. - البابُ الثالثُ في صِفة البحار وعجائبِ حَيَواناتها وما يخرُجُ منها من العَنْبر والقار وما في جزائرِها من أنواع النِفْط والنار[١]. - الباب الرابع في صِفات الحفائرِ والقبور وما تضمّنتْ من العِظام إلى يوم النشور[٢] ليكونَ ذلك سَبَباً إلى الاعتبار وداعياً إلى الفِرارِ من دار البَوار إلى دار القَرار[٣]......

- من المقدّمة:

إنّ اللهَ تعالى فرّق بينَ العالمين في العقولِ ومَنَحهم منه ما شاء من كثيرٍ وقليلٍ كما فَضّل الناسَ بعضَهم على بعضٍ في الرِزْق وسَعَة المال، كذلك فضّل بعضَهم على بعض في العقل.... وبقَدْرِ هذا التفاوُتِ يَقَعُ الإنكارُ لأكثرِ الحقائق من أكثرِ الناس لنُقصان العقل لأنّ الذي يَعْرِفُ الجائزَ والمستحيلَ يعلَمُ أنّ كلَّ مقدورٍ بالإضافة إلى قُدرة الله تعالى قليلٌ. فالعاقلُ إذا سَمِعَ عَجَباً جائزاً استحسَنَهُ ولم يُكَذِّبْ قائلَه ولا هَجّنه[٤]. والجاهلُ إذا سَمِعَ ما لم يشاهِدْ قطعَ بتكذيب (قائله) وتزييف ناقله لقلّة عقله وضيق باع فضله[٥]....

- من متن الكتاب: بلاد السودان الغربي (ص ٤١ -).

.... لأنواعِ السودانِ، وبلادُهم مِمّا يَلي المغربَ الأعلى المتّصلَ بطَنْجَةَ[٦]. وقد

---

(١) العنبر: المادّة التي توجد في الحوت المسمّى بهذا الاسم، وهي مادّة ثمينة مرغوب فيها سمراء اللون طيّبة الرائحة. القار: الزفت. النفط (بفتح النون أو كسرها): البترول (المادّة السائلة القابلة للاشتعال). النار (نار البراكين التي تخرج من عدد من جزائر البحار).

(٢) الحفائر جمع حفير وحفيرة: القبر، البئر الواسعة (كلّ حفرة كبيرة تنكشف عن أثر أو ثروة). النشور: البعث (يوم القيامة).

(٣) دار البوار (الهلاك)الدنيا . دار القرار (الهدوء والاستقرار والدوام): الآخرة.

(٤) هجّنه: عابه وقبّحه.

(٥) التزييف: الغشّ. (زيّف ناقله: نسب إلى ناقله الجهل والزيادة في الكلام).

(٦) طنجة بلد على ساحل المغرب الشمالي على البحر المحيط.

أسلَمَ من مُلوكهم فيما يُقال خمسُ قبائلَ أقربَهُم غانَةُ[١] يَنْبتُ في رمالِهُمُ الذهبُ التِبْرُ الغايةُ[٢]، وهو كثيرٌ عندَهم يَحْمِلُ التّجارُ إليْهم حِجارةَ المِلْح[٣] على الجمال من المِلْحِ المَعْدِنيّ فيخرُجونَ من بلدةٍ يقال لها سِجِلْماسَةَ آخر بلادِ المغربِ الأعلى[٤] فيمشونَ في رمالٍ كالبحار ويكون مَعَهُم الأدلّاءُ يهتدون بالنُّجوم وبالجبال في القِفار يحملون مَعَهُمُ الزادَ لِستّةِ شُهورٍ. فإذا صاروا إلى غانةَ باعوا المِلْح وَزْناً بوزنِ الذهبِ، وربّما باعوه وزناً بوَزْنَيْنِ أو أكثرَ على قَدْرِ كَثْرةِ التُجّار وقِلّتهم. وأهلُ غانةَ أحسنُ السودانِ سيرةً وأجملُهم صورةً سُبْط الشعور[٥] لهم عقولٌ وفَهْمٌ ويَحِجّون إلى مَكّةَ. وأمّا فاوَه وقوقو وملّي وتَكْرور وغُدامِسُ فَقَوْمٌ لهم بأسٌ[٦] وليس في أرضهم بَرَكَةٌ، ولا خيرَ في أرْضِهم، ولا دينٌ لهم ولا عقولُ. وشَرُّهم قوقو قِصارُ الأعناقِ فُطْسُ الأنوفِ[٧] حُمْرُ العيونِ كأن شعورَهم حَبُّ الفِلْفِلِ وروائحُهم كريهةٌ كالقرون المُحْرَقَةِ يَرْمُونَ بنَبْلٍ مسمومةٍ بدماءِ[٨] حيّاتٍ صُفرٍ لا تلبثُ ساعةً واحدةً حتّى يَسْقُطَ لحمُ من أصابه ذلك السهمُ عن عظمهِ، ولو كان فيلًا أو غيرَه من الحَيَوانات. والأفاعي عِنْدَهُمْ كالسَمَكِ يأكلُونها لا يُبالون بسموم الأفاعي ولا الثعابينِ إلّا بالحَيّةِ الصفراء التي في بِلادِهم فإنّهم يَتّقونها[٩] ويأخُذون دَمَها لسِهامهم. وقِسِيُّهُمْ[١٠] صِغارٌ قِصارٌ رأيْتُهم في بلادِ المَغْرب ونَبْلَهُم[١١]. ورأيتُ قِسِيَّهم. وأوتارُهم من لِحاءِ[١٢] الشجرِ الذي في بِلادهم، ونَبْلُهم

(١) «غانة» لقب ملوك البلد الذي عاصمته كومبي. وتطلق على البلد أيضاً.

(٢) الذهب التبر الغاية: الذهب الصافي تماماً.

(٣) حجارة الملح = الملح المعدني (الذي يستخرج من مناجم في الأرض لا المستخرج من ماء البحر).

(٤) سجلماسة: مدينة كانت في المغرب الأعلى (جنوبيّ المغرب) على حدود الصحراء.

(٥) الشعر السبط (بفتح السين ثمّ بسكون الباء أو فتحها أو كسرها): المسترسل غير الجعْد.

(٦) بأس: قوّة، شدّة (في القتال).

(٧) الأنف الأفطس: العريض غير البارز.

(٨) يعتقد أبو حامد الغرناطيّ أنّ سمّ الأفعى إنّما يكون في دمها (والسمّ موجود في كيسين في رأس الأفعى يتّصلان بالنابين).

(٩) يتّقونها: يخافونها، يتجنّبون الاقتراب منها.

(١٠) القسيّ جمع قوس. والسهام جمع سهم. المقصود منها أن تصيب الأعداء.

(١١) النبل جمع نبلة: السهم.

(١٢) الوتر (بفتح ففتح): الخيط الذي يربط بين طرفي القوس ثمّ يستخدم في إطلاق السهم. لحاء: قشر الشجر (وتعمل منه الأوتار إذا كان ليفاً أو يشبه الخيوط).

قِصار كلّ سَهْمٍ شِبْرٌ. ونصالُهم[١] شوكُ شجرٍ كالحديد في القوّة قد شدّوه في نَبْلِهمْ بلحاءِ شجرٍ يُصيبون الحَدَقَ[٢]. وهم شَرُّ نوعٍ في السودان. وسائرُ السودان يُنْتَفَعُ بهم في الخِدمة والعَمَل إلّا قوقو فلا خيرَ فيهم إلّا في الحرب. ولهم ألواحٌ صِغارٌ مُثَقّبةٌ يُصَفِّرون في تلك الثُقْب[٣] فتُصَوِّتُ بأصواتٍ عجيبةٍ فتخرُجُ إلى ذلك الصوتِ جميعُ أنواعِ الحيّات والأفاعي والثعابينِ فيأخذونها ويأكلُونها. وفيهم من يَشُدُّها على وَسَطِهِ كما يُشَدُّ الحِزام. ومنهم من يَتَعَمَّم بالثُّعبانِ الطويل ويدخُلُ السوقَ على غَفْلةٍ فيَكْشِفُ ثوبَه ويرمي على الناس أنواعَ الثعابينِ والحيّاتِ فيُعْطونه شيئاً حتّى يخرُجَ، وإنْ لم يُعْطوه ألْقى في دكاكِينِهِمْ من تلك الحيّات. ويَجيءُ من بِلاد السودان أنواعٌ من جلودِ الماعِزِ مدبوغةٌ دِباغةً عجيبة، الجِلْدُ الواحدُ يكونُ غليظاً كبيراً لَيِّناً مُحَبَّباً في لون البَنَفْسَج إلى السواد[٤] يكونُ الجلدُ الواحدُ عِشرينَ مَنَّاً يُتَّخَذُ منه الخفافُ[٥] للملوكِ ولا يُبَلُّ بالماء ولا يَبْلى ولا يَفْنى مَعَ لِينهِ ونُعومتِه وطِيب رائحتِه يُباع الجِلْدُ الواحدُ بعَشْرَةِ دنانيرَ تَبْلى خُيوطُ الخُفّ ولا يَبْلى هو ولا يَتَقطّعُ فيَغْسِلونه في الحَمّام بالماء الحارّ فيعودُ كأنّه جديدٌ يتوارثه الحفيدُ من أبيهِ عن جَدّهِ، وهو من عجائبِ الدنيا.

- في بلاد سخسين (ص ١١٦):

ولمّا دخلتُ سخسينَ، سَنَةَ خَمْسٍ وعِشرين وخَمْسِمِائَةٍ، اجتمعَ إليَّ الناسُ من أهل العلم وغيرِهم وفي جُمْلَتِهِم شيخٌ ضعيفٌ له ثيابٌ خَلقة[٦] فألْقى عِندي سِوارَ ذهبٍ وزنُه أربعونَ مِثقالاً وقال: «ما أَصنَعُ بهذا السِوارِ»؟ فقلت: «لا أدري ما تصنَعُ به، لستُ صائغاً حتّى أعلَمَ ما تصنع به». فقال: «اشتَرَيْتُ سَمَكَةً بطسّوجٍ[٧] فوجدتُّ هذا

(١) النصل (بفتح فسكون) حديدة السيف أو الحديدة التي تكون في رأس الرمح أو السهم.
(٢) الحدقة (بفتح ففتح): بؤبؤ العين (الجزء الملوّن منها).
(٣) الثقب جمع ثقبة (بالضمّ): الخرق (بالفتح) النافذ.
(٤) محبّباً: غير أملس، سطحه مغطّى بما يشبه الحبوب. إلى السواد: ضارب (مائل) إلى السواد.
(٥) الخفاف جمع خفّ (بالضمّ): حذاء خفيف من جلد.
(٦) خلقة ليست في القاموس بالمعنى المراد هنا. يقال: ثوب خلق (بفتح ففتح): المتهرّىء، والجمع خلقان (بالضمّ) وأخلاق.
(٧) طسّوج: ربع الدانق، والدانق سدس الدرهم (الدرهم جزء من الدينار يكون عشره أو أقل إلى جزء من عشرين).

السِوارَ في بطنِها ». فقُلْتُ: « عَرِّفه »[١]؟! فقال: « قد عرّفتُه ثلاثَ سنينَ أشُدّه على عكّازي وأطوفُ به في المساجد والأسواق والبيوت والطُرُقات وفي دور الأمراء فلا أَجدُ له من يَدّعيهِ ». فقلت: « خُذْهُ أنتَ! فإنّه مالٌ حَلالٌ وأنْفِقه على نفسِك ». فَغَضِبَ من كلامي وقال: « واللهِ، لا تراني آكُلُه! ». فقلت: « لماذا تقولُ هذا الكلامَ؟ » قال: « لأنّي رَجُلٌ صانعٌ، أعمَلُ الخِفافَ وآخُذُ ما يَكفيني ». فقلت: « افْدِ به الأسارى من أيدي التُرْك ». فَفرِحَ وقال: « بارَكَ اللهُ عليك، فَرَّجْتَ عنّي كُرْبَةً »[٢]. فقلت: « أَوَلَيْسَ ها هُنا من أهلِ العِلمِ مَنْ يأمُرُكَ بِمِثْلِ هذا؟ » فقال: « ها هنا من أهلِ العِلْمِ مَنْ يقول أعْطِنا إيّاه ونحنُ نَعْرِفُ ما نصنَعُ به. وإنما يريدون أكْلَه ».

- في بلاد البُلغار: (ص ١١٧ -):

وسَمِعْتُ ببُلغارَ، وهي مدينة في آخرِ بِلادِ الإسلامِ في الشَمال، هي فوق سَقْسينَ بأربعينَ يوماً، يكونُ النهارُ في الصيفِ عِشرينَ ساعةً والليلُ أربعَ ساعاتٍ.... ويشتدُّ البردُ فيها حتّى إذا مات لأحدٍ مَيْتٌ لا يَقْدِرُ أن يَدْفِنَهُ سِتّةَ شُهورٍ، لأنّ الأرضَ تصيرُ كالحديدِ ولا يُمْكِنُ أن يُحْفَرَ فيها قبرٌ. ولقد مات لي بها وَلَدٌ، وكان في آخرِ الشتاء فلم أقْدِرْ على دَفْنهِ فبَقِيَ في البيت ثلاثةَ أشهُرٍ حتّى أمكن دَفْنُه. ويبقى المَيْتُ كالحجر. ويخرُجُ التُّجّارُ من بُلغارَ إلى وِلايةٍ من الكُفّار يُقال لهم ويسوا (ويسو) منه[٣] يجيء القندر[٤] الجيّدُ، ويحملون إلَيهِمُ السيوفَ التي تُتّخَذُ في آذربَيْجانَ نِصالاً غيرَ محليةٍ[٥] تُشترى في آذربَيْجانَ أربعةَ سيوفٍ بدينار ويسقونَها[٦] سَقْياً كثيراً حتّى إذا علّقوا

---

(١) عرّفه: ناد في الناس به (أعلن أنّك وجدته).

(٢) كربة: حزن وغمّ.

(٣) اقرأ: منها (من ولاية الشعب ويسو).

(٤) القندر (لم أعثر عليها في القاموس). في تاج العروس (١٣ : ٤٨٠): القندورة من ملابس النساء. ولعلّه القندس (بضمّ فسكون فضمّ): حيوان يتّخذ منه الفراء.

(٥) محلية (؟).

(٦) يسقونها: (لعلّ المقصود: يضعونها في النار حتّى تحمّر من الحرارة ثمّ يغمسونها في الماء فتصبح شديدة الصلابة).

النَصْلَ بخَيْطٍ ونُقرَ طَنّ[١] كثيراً. فذلك الذي يصلُحُ لهم فيشترونَ به القندرَ. ويذهب أهلُ ويسوا بتلك السيوفِ إلى ولاية قريبة من الظُلُمات[٢] مُشْرِفةٍ على البحر الأسود فيبيعون تلك السيوفَ منهم بجلودِ السَمّور ويأخُذون تلك النُصولَ[٣] فيُلقونها في البحر الأسود فيُخرِجُ اللهُ تعالى لهم سَمَكَةً كالجَبَل تَتْبَعها سَمَكَةٌ أكبرُ منها أضعافاً تريدُ أكلَها فتُلقي نفسَها قريباً من البرّ بحَيْثُ لا يُمكِنُها الرجوعُ فيدخُلون إليها بالسفن ويقطَعون من لَحْمِها شهوراً حتّى يملأُوا بيوتَهم ويَدّخِرون ويُقَدِّدون[٤] ما لا نهايةَ له من لحمها ودُهْنها. وربّما يكبُرُ البحرُ[٥] فترَجْع تلك السَمَكَةُ إلى البحر وقد ملأتْ مِائَةَ ألفِ بيتٍ أو أكثرَ من لَحْمِها. وإذا كانتِ السمكةُ صغيرةً يخافون أن تصيح إذا وَصَلوا إلى موضع القطع من لَحْمِها إلى عِظامها يُخرجونَ أولادَهم ونساءهم إلى موضع بعيدٍ من البحر حتّى لا يسمَعوا صوتَها.

ولقد حدّثني بعضُ التّجار أنّها خرجتْ إليهم سَنَةً من السنينَ سمكةٌ عظيمةٌ فثقَبوا أُذُنَها وجعلوا فيها الحِبالَ وجرّوها فانفتحتْ أُذُنُها وخرجَ من أُذُنها جاريةٌ حسناءُ جميلةٌ بيضاءُ سوداءُ الشعرِ حمراءُ الخَدّينِ عَجْزاءُ[٦] من أحسنِ ما يكون من النساء، ومن سُرّتِها إلى نِصْفِ ساقِها جِلْدٌ أبيضُ كالثّوْبِ خلقةً[٧] يتّصلُ بجَسَدِها يستُرُ حيَّها وجَسَدَها ودُبُرَها[٨] كالإزارِ دائراً عليها. فأخذَها الرجالُ إلى البرّ وَهِيَ تلطُمُ وَجْهَها وتَنْتِفُ شَعْرَها وتَعَضُّ ذِراعَها وثَدْيَها وتَصيحُ وتفعَلُ ما تفعل النساءُ في الدنيا حتّى ماتتْ في أيديهم.

٤- تحفة الألباب ونخبة الأعجاب (حرّره غبريال فرّان)، باريس (غونتر) ١٩٢٥ م (منشورة

(١) نقر: ضرب عليه بعود أو بالأصبع. طنّ: أحدث صوتاً.
(٢) الظلمات: البلاد التي يطول فيها الليل في الشتاء (؟).
(٣) السمّور: حيوان يتّخذ منه الفراء. النصول جمع نصل (بالفتح): حديدة عريضة قاطعة.
(٤) يقدّدون: يجفّفون.
(٥) يكبر البحر: يهيج. يعلو (يحدث فيه مد بعد الجزر؟)
(٦) العجزاء: الكبيرة العجز (بفتح فضمّ) أي مؤخّرة الجسم.
(٧) خلقة: مخلوقاً (طبيعي غير صناعي).
(٨) الحيّ والحياء: فرج المرأة. الدبر: الجانب الخلفي.

في جورنال آزياتيك، باريس ١٩٢٥ م).
- المعرب عن بعض عجائب البلدان (قسم شرقي أوروبة)(تحرير ضبلر)، مدريد؟ ١٩٥٣ م.
- وصف رومية (عن تحفة الألباب - حرّره كرسبو مونكادا)، بالرمو ١٩٠٠ م.

★★ الوافي بالوفيات ٣: ٢٤٥؛ نفح الطيب ٢: ٢٣٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢٢؛ بروكلمن ١: ٦٢٨ - ٦٢٩؛ نيكل ٢٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٧١ (٦: ١٩٩ - ٢٠٠)؛ بالنثيا ٣١٢؛ المكتبة العربية الصقلية ٧٤ - ٧٥؛ سركيس ٢٩٩.

ابنُ ظَفَرٍ الصِقِلّيّ

١ - هو حُجّةُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ (أبي) محمّدِ بنِ محمّدِ بن ظَفَرٍ، وُلِدَ في صِقِلِّيَةَ سَنَةَ ٤٩٧ هـ (١١٠٣ - ١١٠٤ م) ونشأ في مكّةَ. وقد تنقّلَ في البلاد كثيراً: رَحَلَ إلى مِصْرَ وإفْريقِيَةَ (تُونس) فأقام في المَهْدِيّة مُدّةً وشَهِدَ فيها الحربَ بينَ المُسلمينَ والنورمانِ حُكّامِ صقلّية واستيلاءَ الإفرنجِ النورمانِ عليها، في ثاني عَشَرَ صَفَرَ من سَنَةِ ٥٤٣ (١/ ٧/ ١١٤٨ م). ثمّ انتقل إلى صِقلّيةَ ثمّ عاد إلى مِصْرَ ورَحَلَ منها إلى حَلَبَ فأقامَ في مدرسةِ ابنِ أبي عَصْرونَ. ولمّا وَقَعَتِ الفتنةُ بين الشِيعة وأهلِ السُنّة نُهِبَتْ كُتُبُهُ فيما نُهِبَ فانتقل إلى حَماةَ فلَقِيَ فيها شيئاً من الرزْقِ ومِنَ الاطمئنان، ولكنَّ رِزْقَه ظلّ قليلًا دونَ الكَفاف. وقد زوّج ابْنَتَه - وهُوَ في حماةَ - بغيرِ كُفُؤٍ، من الحاجةِ والضرورة، فخرج الزوجُ بها من حماةَ وباعها في بعض البلاد.

وكانتْ وفاةُ ابنِ ظَفَرٍ الصقلّيِّ في حَماةَ سَنَةَ ٥٦٥ هـ (١١٧٠ م) أو بعدَ ذلك بقليلٍ.

٢ - كان ابنُ ظَفَرٍ الصِقلّيُّ أَحَدَ الأُدباءِ الفُضلاء عارفاً باللغة والنحو وكان ناثراً وشاعراً. أمّا شِعرُه فشعرٌ عاديٌّ كثيرُ المعاني قليلُ الرونقِ، ومُعظَمُهُ في الحِكمة. وحِكَمُهُ في نَثرِه أحسنُ من حِكَمِهِ في شِعره، وإن كان قدِ ٱستقى كثيراً من هذهِ الحِكَمِ من أقوالِ الأوائل، وخُصوصاً من عبدِ الله بن المُقفّع. غيرَ أنّه يُحْسِنُ سَبْكَ ما يأخُذه عن الآخرين. وقد كان مُصَنِّفاً مُكثِراً مُجيداً. من كتبه: اليَنْبوع أو ينبوع الحياة في تفسير القرآن الحكيم (اثنا عَشَرَ جُزءاً) - التفسير الكبير[1] - إكسيرُ كيمياء

(١) الينبوع والتفسير الكبير كتابان مستقلّان (راجع معجم الأدباء ١٩: ٤٨).

التفسير- أساليب الغاية في أحكام آية- خيرُ البُشَرِ بخير البَشَرِ (ذكر الإرهاصات الـتي كانتْ بين يَدَيْ ظُهور[١] النبي صلّى اللهُ عليه وسلّم)- البشحين[٢] في أصول الدين- كتاب المَعادات[٣] (بفتح الميم: في الاعتقاد)- الجُنّة[٤] (بضمّ الجيم) من فِرَقِ أهل السُنّة (في الاعتقاد)- مُعاتبة الجريء على مُعاقبة البريء- مالك[٥] الأذْكار في مسالك الأفكار- الخُوَذُ الواقية والعُوَذُ[٦] الراقية (في الوعظ)- نصائحُ الذِكرى- أُرجوزة في الفرائض (تقسيم الإرث)[٧]- كشف الكسف في نَقْضِ الكتاب المسمّى بالكسف- الإنباء عن الكتاب المسمّى بالإحياء[٨]- سُلوان المُطاع وعُدوان الأتْباع[٩] (فيه خمسُ سُلواناتٍ: في التفويض ونتائجه، في التآسي وفوائده، في الصبر وعوائده، في الرِضا وميامنه، في الزُهد. وقد صَنَعَ المؤلّفُ من هذا الكتابِ عدداً من النُسَخِ كَتَبَ إحداها في صِقِلِّيَة، سَنَةَ ٥٥٤ هـ برَسْمِ القائدِ أبي عبدِ اللهِ محمّدِ بن أبي القاسمِ القُرَشيّ. والكتابُ مشتمل، كما قال العِمادُ الأصفهانيّ الكاتبُ، على حُسْنِ مَعْنًى ولفظٍ وذِكرِ تنبيه ووَعْظ)- الاشتراك اللغوي- مُلَحُ اللغة (وهُوَ فيما اتّفق لفظُه واختلف معناه) على حروف المعجم- كتاب الاستنباط المَعْنويّ- الإشارة إلى علم العِبارة- القواعد والبيان (في النحو)- مختصر في النحو. وله على كُتب الحريريّ مُصنّفاتٌ منها: شرح المقامات (كبير)- شرح المقامات (صغير)- التنقيب على ما في المقامات من الغريب- حاشيةٌ على دُرّة الغَوّاص (رَدّ فيها على الحريري). ثمّ له أيضاً: أنباءُ نُجباءِ الأبناء (ويُلفى أيضاً بعُنوان الغُرَرُ والدُرَرُ في نجباء الأولاد).

---

(١) البشر (بضمّ ففتح) جمع بشرى (بالضمّ): الخبر المفرح. الإرهاص: الأمر الخارق يظهر للنبيّ قبيل بعثته، بين يدي ظهور النبي: قبيل ظهوره.

(٢) راجع الوافي بالوفيات ثم إنباه الرواة ٣: ٧٦، الحاشية ٣.

(٣) المعاد (بالفتح): البعث يوم القيامة.

(٤) الجنّة (بالضمّ): الوقاية، الترس.

(٥) الموازاة تقضي أن تكون كلمة «مالك» على وزن مفاعل (مثل مسالك).

(٦) الخوذة (بالضمّ) بيضة من معدن يلبسها المحارب في رأسه. العوذة (بالضمّ): حرز يقال إنّه يمنع الأذى عن حامله.

(٧) هنالك كتاب لابن ظفر اسمه «أرجوزة في الفرائض والولاء» (والأغلب أنّه الأرجوزة نفسها).

(٨) المقصود: كتاب إحياء علوم الدين للغزّالي (ت ٥٠٥ هـ).

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابنُ ظَفَرٍ الصِقِلّيُّ (في مقدّمة « سُلوان المُطاع »):

الحمدُ للهِ جاعلِ الصبرِ للنجاحِ ضَميناً والمحبوبِ في المكروه كميناً(١)، الذي ضرب دونَ أسرارِ الأقدار حِجاباً مستوراً، وقضى أن الخيرَ على الفَطِنِ لا يزالُ حِجْراً محجوراً(٢)...... (ثمّ يلتفت إلى القائدِ الذي صنع نسخة من الكتاب برسمه فيخاطبه قائلًا):

بارك اللهُ له فيما أَلْهَمَهُ كَسْبَهُ، وكان وَلِيَّهُ وحَسْبَه(٣). فلقد أنزلَ الدنيا بِدَرَكِ مَنزلتها وكُوشِفَ بِشَرَكِ مَزَلَّتِها(٤) فعَمِلَ للبقاءِ لا للفناء وجمع للجُود لا للاقْتِناء، وجادَ للهِ لا للثناء، وآخى المتعاوُنِ على البِرّ والتقوى لا للتَهافُتِ في هُوى الهَوى(٥). وزانَ الرئاسةَ بنَفْسٍ لا تَضيقُ بنازلةٍ ذَرْعاً ولا تُصْغي إلى الوشاةِ سمعاً(٦)، ولا تُدَنِّسُ بطَبَعٍ طَبْعاً(٧)، وبحِلْمٍ لا يرفعُ الغضبُ لَدَيْهِ رأساً وحَزْمٍ لا تخافُ الإيالة مَعَه بأساً(٨). فالحمدُ لله الذي أباحَني من إخائه حِمًى مَنيعاً وحَرَماً أميناً ومرتَعاً مَريعاً ومَوْرداً مَعيناً(٩):

---

(١) ضمين: ضامن. والمحبوب في المكروه كمين (قد يكون ظاهر الأمر مكروهاً أو ضارًا ويكون باطنه محبوباً أو نافعاً).

(٢) الذي ضرب دون.... (إنّ الله أخفى الغيب عن الناس). وقضى أن الخير... الخ (الذكيّ لا يعظم رزقه).

(٣) ما ألهمه كسبه: ما قدّر (الله) له أن يكسبه. الوليّ: الصاحب (المعتني بغيره). حسبه: كافيه، ما كان وحده كافياً.

(٤) أنزل الدنيا بدرك (أدنى المكان): عرف المنزلة الحقيقية للدنيا. كوشف (كشف الله له) بشرك (عن شرك: فخّ) مزلّتها (المزلّة: ما تنزلق الرجل عليه. والهاء ضمير راجع إلى الدنيا).

(٥) التهافت: التفرّق، السقوط. الهوى (بالضمّ) جمع هُوّة: المكان العميق.

(٦) الذرع: القياس بالذراع، سعة الصدر، الاحتمال. تصغي: تميل (بالضمّ).

(٧) الطبع (بفتح ففتح): الفساد.

(٨) الإيالة: المنطقة، المقاطعة، البلد المجموع تحت حكم حاكم.

(٩) المرتع: المكان الذي يكثر فيه العشب فترعاه الماشية. مريع: خصيب. مورد: مكان الشرب. معين (بفتح الميم): قريب من سطح الأرض (لا يحتاج أحد إلى أن يستعين على جلب الماء منه بحبل).

فنحنُ بقُرْبِهِ فيما اشْتَهَيْنا ... وأحْبَبْنا وما اخْتَرْنا وشِينا[١].
يقيناً ما نخافُ، وإنْ ظَنَنّا ... به خيراً رأيْناه يَقينا.
نَميلُ على جوانِبِه كأنّا ... إذا مِلْنا نَميلُ على أبينا!

وأُقْسِمُ لولا أنّ الشُكْرَ عقدٌ شرعيّ وحقّ مَرْعيّ لأَقْرَرْتُ عَيْنَه بطَيٍّ ما نَشَرْتُ والتَوْرِيَةِ عمّا إليه أشَرْتُ، إذ كان- وقاني اللهُ بُعْدَهُ ولا أبقاني بَعْدَه- يرى أن الشُكْرَ في وُجوهِ آلائهِ نُدوبٌ[٢] والمدحَ من خَواصٍّ أوْلِيائِه ذنوبٌ.

- وله مُقَطّعاتٌ حِكْمِيّة كثيرةٌ منها:

أيّها المُسْتَجيشُ من ألْسُنِ الوُ ... عاظ، قد أسْهبوا وما أيْقَظوكا[٣].
هاك بَيْتاً يُغنيكَ عن كلِّ سَجْعٍ ... وقريضٍ كانوا به وَعَظوكا:
لا تَشاغَلْ بالناسِ عن مَلِكِ النـ ... ـاسِ، فلولا نُعْماه ما لَحَظوكا[٤]!

★ حَمَلْتُكَ في قلبي، فهل أنتَ عالمٌ ... بأنّك مَحمولٌ وأنتَ مُقيمُ؟
أَلا إنّ شَخْصاً في فؤادي مَحِلُّهُ ... وأشتاقُه شخصٌ عليَّ كريمُ!

★ مَرْحَباً بالكَفافِ عَيْشاً هَنيئاً، ... ثمّ لا مرحباً بحِرْصٍ وكدٍّ[٥].
ما عَلِمنا- وقد رأينا كثيراً ... وسَمِعنا- مَنْ حازَ جَدًّا بجِدّ[٦].
لا يزالُ الحريصُ يَسْتامُه الحِرْ ... صُ بنُصْبٍ من الشقا وبِكَدّ[٧]،

---

(١) شينا: شئنا: أردنا.
(٢) آلاء جمع أَلَى (بفتح الهمزة أو كسرها): النعمة. ندوب جمع ندب (بفتح ففتح): أثر الجرح بعد شفائه (عيب).
(٣) المستجيش من ألسن الوعّاظ: الحريص على أن يسمع كثيراً من الواعظين. الإسهاب: الكلام الكثير الذي يعبّر عن معان قليلة.
(٤) ملك الناس هو الله (راجع السورة ١١٤): قل: أعوذ بربّ الناس ملك الناس إلّه الناس...
(٥) الحرص: الرغبة الشديدة في جمع الأشياء والاحتفاظ بها. الكدّ: بذل الجهد والتعب.
(٦) الجدّ (بالفتح): الحظّ. الجدّ (بالكسر) بذل الجهد (بالضمّ).
(٧) يستامه الحرص: يطلب شراءه (الحريص يبيع حياته بجمع الأشياء الماديّة من غير أن ينتفع بها). النصب (بالضمّ): الشرّ والبلاء. وبكدّ (كذا في الأصل المطبوع. وفي بعض المخطوطات بجهد: بضمّ الجيم أي بتعب). الحرص يملّك الإنسان أشياء ماديّة ثمّ يسلبه راحته وسعادته.

ثمّ لا يستطيـــعُ أن يَتَعـــدّى   قَـدَراً مـا لِحُكْمِه من مَردٍّ[١]!

- وله أقوال حِكْمِيّةٌ منثورةٌ:

مُعارَضَةُ العَليلِ طبيبَه تُوجبُ تَعْذيبَه - المالُ كالماء، فَمَنِ اسْتَكْثَرَ منه ولم يجعَلْ له مَسْرَباً، يَنْسَرِبُ به ما زادَ على قدرِ الحاجة، غَرِقَ به[٢] - المُؤاساةُ في المالِ والجاه عُوذَةُ بقائِها - المَوْثُوقُ مَوْموقٌ، والأمينُ بالمَودّة قَمينٌ[٣] - كُنْ من عَيْنِكَ على حَذَرٍ: فرُبَّ جُنوحِ حَيْنٍ جَناه جُموحُ عينٍ[٤] - السآمةُ من أخلاقِ العامّة - من لَزِمَ الرقادَ حُرِم المُرادَ - الغريبُ ميّتُ الأحياء - العاقل يُقَدِّمُ التجريبَ على التقريب، والاختبارَ على الاختيار، والثِقَةَ على المِقَةِ - الرأيُ سيفُ العقل - رُبّ حيلةٍ أنفعُ من قبيلةٍ.

٤ - سلوان المطاع في عدوان الاتّباع (أماري)، فلورنسا ١٨٥١ م، ١٨٨٢ م (؟)؛ مصر (طبع حجر) ١٢٧٨ هـ؛ (بتصحيح عليّ بن عليّ العزّي المحلّلاتي)، تونس ١٢٧٩ هـ؛ استانبول ١٢٨٥ هـ؛ بيروت ١٣٠٠ هـ.

- خير البشر في خير البشر، مصر (طبع حجر) ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م).

- أنباء نجباء الأبناء (نشره مصطفى بن محمّد القبّاني)، القاهرة (مطبعة التقدّم) بلا تاريخ.

★★ الخريدة (الشام) ٣: ٤٩ - ٦٠؛ معجم الأدباء ١٩: ٤٨ - ٤٩؛ الوافي بالوفيات ١: ١٤١ - ١٤٢؛ إنباه الرواة ٣: ٧٤ - ٧٦؛ وفيات الأعيان ٤: ٣٩٥ - ٣٩٧؛ وفيات ابن قنفذ ٢٨٥؛ بغية الوعاة ٥٩ - ٦٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٠؛ بروكلمن ١: ٤٣١ - ٤٣٢، الملحق ٥٩٥ - ٥٩٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠٧ (٦: ٢٣٠ - ٢٣١)؛ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٥: ١٤٩؛ سركيس ١: ١٤٩؛ المكتبة العربية الصقلية ٦٨١ - ٦٩٦.

---

(١) لا يستطيع الإنسان، مهما يكن حريصاً، أن يتخطى ما قدّره الله عليه.

(٢) إذا لم يكن للماء في مكانه منفذ يخرج منه ما يزيد على ما يستوعبه ذلك المكان فاض الماء من المكان وأغرق صاحبه.

(٣) مومق: محبوب. قمين: أهل، مستحقّ.

(٤) جنوح: ميل (بالفتح)، مجيء، هجوم. حين (بالفتح): موت. جموح عين: تطلّع الإنسان إلى ما لا يجوز له التطلّع إليه.

ابن المنخّل الشِلبيّ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الله بنِ المُنَخَّل المَهْريّ[١] الشِلْبي، نِسْبَةً إلى شِلْبِ (جَنوبيّ غربيّ الأندلس)، انتقل إلى إفريقية واتّصل بالمُوحِّدين منذ قيام دولتهم. وكانت وفاتُه في عَشْرِ الستين وخَمْسِمِائَةٍ للهجرة[٢]؛ وقد أسَنَّ كثيراً.

٢ - كان ابنُ المنخّل الشِلبي أديباً ومن الشُعراء المُجوِّدين وذوي النَفَسِ العالي على عَمود الشعر القديم، بارعاً في الوصف والحماسةِ، كما كان مُشاركاً في علم الكلام[٣].

٣ - **مختارات من شعره:**

- في شهرِ ذي القَعْدة، من سَنَةِ ٥٥٥ (تشرينَ الثاني - نوفمبر ١١٦٠ م) أجازَ عبدُ المؤمن بنُ عليٍّ أوّلُ سلاطينِ الموحِّدين البَحْرَ من سَبْتَةَ إلى جبلِ طارقٍ، بعد أنْ جَمَعَ كلَّ بلادِ إفريقية في حُكْمه وانتقل إلى الأندلسِ لِيُدافع عن المُدُنِ الإسلاميةِ التي كان الإسبانُ يُهدِّدونها بالاستيلاء عليها. فقام بينَ يَدَيْهِ الخطباءُ والشعراء (في معسكر جبل طارق) يمدَحونه. فقال أبو بكرِ بنُ المُنَخَّل قصيدةً فَخْمةً يُعارِضُ بها القصيدةَ التي كان المتنبّي قد مَدَحَ بها سيفَ الدولة، سَنَةَ ٣٤١ هـ ومَطْلَعُها:

فَدَيْناكَ من رَبْعٍ، وإن زِدتَّنا كَرْبَا؛ فإنّكَ كنتَ الشرقَ للشمسِ والغَرْبا[٤]

والحقُّ أنّ قصيدةَ ابن المنخّل الشِلْبيّ كانتْ بارعةً. فمِمّا جاء فيها:

---

(١) الوافي بالوفيات ٢: ٧؛ في تعليق لعبد الهادي التازي (المنّ بالإمامة، ١٥١، الحاشية الأولى) « الفهري ».

(٢) في عشر الستين وخمسمائة: ٥٦١ - ٥٦٩ (والذين يجهلون التعبير العربي يقولون: الستينات، (نقلاً للتعبير الانكليزيّ). وذلك بالتاريخ الميلادي ١١٦٥ - ١١٧٣ م . ويبدو أن مولده كان نحو ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م).

(٣) علم الكلام: الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلّة العقلية وتفسيرها بالعقل.

(٤) الربع: المسكن (الذي كان فيه المحبوب). الكرب: الحزن والغم. زدتّنا كرباً لأنّك تذكّرنا بالمحبوب الذي ارتحل عنك، بينما كنت له كالشرق والغرب: (يخرج منك صباحاً ثمّ يعود إليك مساء :(كان ساكناً فيك).

فَتَحْتُمْ بِلادَ الشَرْق، فاعتمدوا الغَرْبا؛ فإنّ نَسيمَ النَصْرِ بالفَتْح قد هبّا[١].
أصَرْتُمْ إليه الخيلَ وهي أجادِلٌ فسالتْ بِكُمْ بحراً وطارتْ بكم رَكْبا[٢].
ودُسْتُمْ بها هاماتِ كلِّ مُضَلِّلِ ولم تتركوا عُجْماً هناك ولا عُرْبا[٣].
رَمَيْتُم بها مِثلَ السِهام فأصبحتْ كُماتُهُمُ صَرْعى وأموالهم نُهْبى[٤].
[أتَوْكُمْ يَجرّونَ الحديدَ] سَوابِغاً كأنَّهُمُ البحرُ الغطامط إذْ عَبّا[٥].
وظَنّوا - وفي الظنّ الجَهالةُ - أنّهم يَفُلّونَ من أجنادِكَ الصارمَ العَضْبا[٦].
فلمّا تلاقَيْتُمْ وَبَيَّنَتِ الوغى تَوَلَّوْا وقد طارتْ قلوبُهُمُ رُعْبا[٧].
أظَلَّتْهُمُ البيضُ الصوارمُ والقَنا[٨] فكانتْ لهم رَفْعاً وكانوا لها نُصْبا[٩].
وقادَتْهُمُ تلكَ السيوفُ إلى الرَدى وما غادرت سَهْلَ القيادِ ولا صعبا.
وراموا فِراراً والرماحُ تَنوشُهم، فما قَطَعوا فَجّاً ولا سَلَكوا شِعبا[١٠].

---

(١) بلاد الشرق (هنا: بلاد افريقية). اعتمد: قصد. الغرب (بلاد الأندلس).

(٢) أصار: (بعث، أرسل، نقل). الأجدل: الصقر (تشبّه به الخيل لشدّة جسمه وسرعة طيرانه). فسالت بكم بحراً (كالبحر) لكثرتها. تطير بكم ركباً: تسرع بكم جداً وأنتم على ظهورها.

(٣) الهامة: الرأس. المضلّل: الداعي إلى ضلالة (الثائر). العجم (عجم الأندلس: الذين لم يعتنقوا الإسلام ولا تعلّموا العربية) العرب (البدو) القبائل العربية التي سرّحها الفاطميّون من مصر لإزعاج البربر في افريقية (وهم بنو هلال وبنو سليم - بضمّ السين).

(٤) بها = بالخيل. مثل السهام (سريعة ومصيبة!). الكميّ: البطل، الشجاع. الصريع: القتيل. النهبى: الشيء المنهوب.

(٥) «أتوكم...» من قول المتنبيّ:

أتوك يجرّون الحديد، كأنما سروا بجياد ما لهنّ قوائم!

سروا (بفتح الراء). السابغة: الدرع. الغطامط.... عبّ: عظم عبابه (بضمّ العين: الموج) هاج وعظم موجه.

(٦) فلّ: قطع (هزم). الصارم: السيف. العضب: القاطع.

(٧) بيّنت الوغى (الحرب) برهنت على قوتك. تولّى: فرّ، هرب.

(٨) البيض الصوارم: السيوف القاطعة. القناة: الرمح. أظلّتهم: ارتفعت فوق رؤوسهم بكثرة. في الأصل: أضلّتهم (بالضاد المنقوطة - وهو هفوة من أهل المناطق التي يلفظ أهلها الضاد ظاء).

(٩) كانت لهم رفعاً (ترفع عليها رؤوسهم!). النصب (بالضمّ): المنصوب (الهدف المرفوع الذي يصاب بسهولة).

(١٠) ناشه بالرمح: أصابه. الرماح تنوشهم: تتناولهم من كلّ جانب. الفجّ: الطريق الواسع. الشعب: (بالكسر) الطريق (الفرعي، الضيّق). لم يستطيعوا أن يهربوا.

وخرّوا جميعـــاً هامـــدينَ كأنَّهم   نَدامى تساقَوْا بينَهم أكْؤُسَ الصهْبا
لقد حَكّمتْ فيهم ظُبا الهندِ رأيَها   تُقَتِّلُهم ضرباً وتؤسرهم سِرْبا[1] .
وكانوا لَكُمْ جُنداً فصاروا غَنيمةً ،   كذلك من يُزهى بآرائه عُجْبا[2] .
قَرَوْكُم عِتاقــاً شُزَّبــاً وعَواتِقــاً   بما قد قَراهُمْ جَيْشُكَ الطَعْنَ والضربا[3]
أقيموا ،إلى ابنِ الريق بَعدُ ،صُدورَها ؛   وليس عليكمْ أن تُرى ضُمَّراً قُبّــا[4] .
رَعَتْها الفيافي فاسْتَدَقَّتْ جُسومُها   بما قد رَعَتْ فيها الكَلا يابساً رَطْبا[5] .
عليهــا رجــالٌ كالقِــداح ، وإنّما   يكونون في الهَيْجاءِ هِنْديّةً قُضْبا[6] .
فإن تبدأوا بالغَرْبِ فالفَتْحُ واضِحٌ ؛   وإنّ نجومَ الدين طالعةٌ غَرْباً[7] .
تَعاف نَميرَ الماء صَفْواً ، فإنْ جرى   بهِ مِنْ دَمِ الأعداء أفْنَيْنَهُ شُرْبــا[8] !
يَلوذون في الهيجا بأَرْوَعَ ماجدٍ   إذا دارتِ الهَيْجاءُ كان لها قُطْبا[9] .
وإنْ عَصَفَتْ ريحُ الوغى أحْدقوا به ،   فكانوا لـه جِسماً وكان لهم قَلْبا[10] .

---

(١) الظبا جمع ظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. ضرباً (بالسيوف). تؤسرهم (كذا في الأصل)= تأسرهم. سرباً (جماعات، بالجملة).

(٢) في هذا البيت يتكلّم على بدو إفريقية من العرب الذين ثاروا على الموحّدين. يزهى: يظهر الإعجاب برأيه.

(٣) قروكم: قدّموا لكم (في الضيافة) عتاقهم (خيلهم الأصيلة) وعواتقهم (العاتق: المنكب، ما بين العنق والكتف) أي أنفسهم (أبيدوا هم وخيلهم).

(٤) ابن الريق (ويقال: ابن الرنك) هو ألفونسوا أنريكويز صاحب البرتغال. بعد (بعد ذلك). أقيموا صدورها (صدور الخيل): سيروا إلى حربه. - لا تهتمّوا إذا كنتم ترون خيولكم ضمّراً (ضامرة، نحيلة) قبًّا (جمع قبّاء: ضامرة البطن)، فإنّ ذلك ليس من مرض أو عيب، بل من صفاتها الحميدة.

(٥) مناخ البادية (الفيافي) ورعيها الكلأ (العشب) في البادية، وكثرة سيرها في الفيافي (الصحارى) جعل أجسامها دقيقة (نحيلة).

(٦) القدح (بالكسر): السهم. القضيب: السيف. هندية (من صنع الهند: جيّدة).

(٧) طالعة: مشرقة (تتّجه من الشرق إلى الغرب).

(٨) خيولكم تعاف (تكره) نمير الماء (الماء الصافي). أفنينه شربا (شربنه كلّه). في الأصل: أفنيته (بتاء المخاطب) والصواب (كما أثبتّه) بنون النسوة.

(٩) - في هذا البيت يتكلّم الشاعر على جنود الموحّدين. يلوذون: يلجأون، يحتمون (يتبعون). الأروع: الشجاع. القطب: المحور الذي تدور حوله الأشياء (قطب الحرب: الذي يحمل العبء الأكبر من القتال).

(١٠) أحدق: أحاط.

مليكٌ كأنّ الأرضَ قبضةُ كفِّهِ، فلا بُعْدَ - فيما يَنْتَحيه - ولا قُربا[١].
لِكَفَّيْـهِ فضلٌ بانَ عن كلِّ فاضلٍ، إذا شَدّ عَقْدَ السِلمِ أو بَعثَ الحَرْبا[٢].
إذا أجْدَبتْ أرضٌ نَحاها بجُودِه، فما أغْزرَ السُقيا وما أكثَرَ الخِصبا!
وقد كان هذا الدينُ وَلّى شَبابُه، فلمّا تولّى الدينَ لم يَعْدُ أن شَبّا[٣].
إذا ما ذَكَرْناه، وقد ضاقَ أمرُنا، تفرّجَ حتّى صارَ مُتّسِعاً رَحْبا.
نَسِينا بهِ أبْناءَنا ودِيارَنا، فها نحن لا نرتاحُ إنْ ذَكَروا شِلْبا[٤].
بِلادٌ قضى فيها الشبابُ مآربي وأبْقى لِنفسي ما بَقِيتُ بها إرْبا[٥].
فقُلْ لابنِ رَيْمُونْدٍ: تأهّبْ لغَزوةٍ يَسُدُّ عليكم جيشُها الأفيحَ السَهْبا[٦].
إذا جُرّدتْ فيه السيوفُ حَسِبْتَها جَداوِلَ رَوْضٍ والرماحَ بها قُضْبا[٧]!
وإنْ عَثَرَتْ أعلامُه لِمُحاربٍ جرى دَمُه من تحتِها وابلاً سَكْبا[٨].
ويَسْتَنْشِدُ البطريقُ في عَرَصاتِكم: [فَدَيْناكَ من رَبْعٍ وإنْ زِدتَّنا كَرْبا][٩]

---

(١) انتحى: قصد.

(٢) بان: اختلف (هو مختلف - أفضل - من كلّ أحد، في وقت السلم وفي وقت الحرب).

(٣) ولّى: ذهب (ولّى شبابه: ضعفت سلطته السياسية). فلمّا تولّى (عبد المؤمن بن عليّ الخلافة - الحكم السياسي في الإسلام) - لم يعد أن شبّا (عاد إلى الإسلام شبابه). في الأصل: فلمّا تولّى الدين (مرفوعة بضمّة). عدا يعدو: تخطّى، تجاوز

(٤) شلب بلدة الشاعر (في الطرف الجنوبي الغربي من الأندلس). به: بالعيش معه (مع عبد المؤمن بن عليّ).

(٥) الإرب: الحاجة. - معأنّي تمتّعت بلهوي كلّه فيها، ولا أزال - كلّما كنت فيها - أتمتّع ببقية من ذلك اللهو!

(٦) ريموند الرابع (١١١٥ - ١١٦٢ م) ابن ريموند الثالث (١٠٩٦ م) وخليفته: قومس برشلونة (١١٣١ - ١١٦٢ م) وأمير أرغونة (١١٣٧ - ١١٦٢ م)، وكان قد ساعد ملك قشطالة في الاستيلاء على طرطوشة ولاردة (١١٤٨ - ١١٤٩ م). والقصيدة مقولة في ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). الأفيح (الواسع) السهب (المتّسع البعيد المكان). سيكون جيشنا كبيراً بحيث يملأ الأرض بيننا وبينكم. في الأصل: الأفتح (بتاء بنقطتين من فوقها)، ومرفوعة على أنّها نعت لجيش. والصواب ما أثبتّه.

(٧) القضب (جمع قضيب) أغصان الأشجار. - ستظنّون أن سيوف جيشنا ورماحه أنهاراً وأغصاناً (لكثرتها).

(٨) عثرت أعلامه (أعلام عبد المؤمن بن علي). لمحارب (؟)، اقرأ: بمحارب (إذا لقيت مقاتلاً عدوًّا، ولو اتّفاقاً) جرى دم هذا العدوّ تحت تلك السيوف والرماح وابلاً (كالمطر) سكباً (منهمراً بكثرة).

(٩) سيطلب ريموند، وهو أسير لديكم (العرصة بفتح فسكون: باحة مكشوفة) أن ينشده أحد قصيدة المتنبّي =

أَمُرْسِلَها شُعْثَ النواصي سَواهِماً ... ومُصْدِرَها شُقراً، وقد وَرَدَتْ شُهْبا[١]
تَرَفَّقْ عليها إنّها خيرُ مكسبٍ. ... وأفضلُ مالِ المرءِ أفضلُه كَسْبا[٢].
فلو لم تُجِزْها السُّفْنُ نحوَ عَدُوِّها، ... لَجازَتْ إليه البحرَ تَقْطَعُه وَثْبا.
فما أعْطَتِ العُرْبُ القيادَ طَواعةً ... ولا أسْمَحَتْ وُدّاً ولا أذْعَنَتْ حُبّا[٣]،
ولكنْ رأتْ شُهْبَ الهُدى مُستنيرةً ... فخافتْ نجوماً من أسِنَّتِهِ شُهْبا[٤].
رأوْا بكَ دينَ اللهِ كيفَ اعتزازُه، ... وأنتم له حِزبٌ فكانوا له حِزبا[٥]!

٤ - ★★ المغرب ١: ٣٨٧؛ الوافي بالوفيات ٢: ٧ - ٨؛ المنّ بالإمامة ١٥٠ - ١٥١، ٢٤٣ - ٢٤٥، راجع ٤٥٧ ح، ٤٦١؛ بغية الوعاة ٨٦؛ نفح الطيب ٤: ١١٧، راجع ٣: ٥٢٠ - ٥٢١، ٤: ٧٣؛ زاد المسافر ٤٨٧ (١٢٩ - ١٣٠).

ابن الصقر الخزرجيّ

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الصَّقْرِ الأنصاريُّ الخزرجيُّ، أصلُ أهلِه من سَرَقُسطةَ: خَرَجَ منها جَدُّه لأبيه لِحدوثِ بعضِ الفِتَنِ فيها وجاء إلى بَلَنْسِيَةَ. وفي بلنسيةَ وُلِدَ عبدُ الرحمن (والدُ صاحبِ هذهِ التَّرْجَمة). ثمّ ٱنْتَقَلَتِ الأُسرةُ إلى ٱلْمَرِيّةِ، وفي ٱلْمَرِيّةِ وُلِدَ أحمدُ في آخِرِ شَهْرِ ربيعٍ

= في سيف الدولة « فديناك ... » حتّى يعلم ماذا فعل الدمستق (بضمّ فضمّ فسكون فضمّ) البطريق (قائد جيش الروم) حينما سار سيف الدولة لحربه (كان يجب على ريموند هذا أن يهرب من حرب عبد المؤمن ابن عليّ كما هرب الدمستق من حرب سيف الدولة).

(١) أمرسلَها: يا مرسل الخيل، شعث (مغبّرة) النواصي (شعر مقدّم الرأس) لكثرة أسفارها: حروبها، ومُصدِرَها (راجعاً بها من الحرب) شقراً (حمراً، من دم الأعداء) وقد وردت (ذهبت إلى مكان المعركة) شُهباً (بيضاء، لا دم عليها).

(٢) خير مكسب: أفضل ما يجمع الإنسان من ثروة.

(٣) العرب (البدو): طواعة (يقصد: طواعية): طاعة، عن رضا. أذعن: انقاد، أقر للآخرين بحقّ لهم.

(٤) شهب (نجوم) الهدى (الإسلام): حقائق الإسلام وبراهينه. نجوم من أسنّته شهباً (بيضاً): رؤوس رماحه المسنونة.

(٥) في الأصل: حرب (مرّتين) مكان « حزب ».

الأوّلِ مِن سَنَةِ ٤٩٢ (١٠٩٩/٢/٢٤ م).

وفي نحو سَنَةِ ٤٩٩ للهجرة (١١٠٥ - ١١٠٦ م) ٱنْتقلتْ أُسرةُ بني الصقر إلى سَبْتَةَ (في العُدوة المَغْربية) فَسَكَنَتْها مُدّةً، ثمّ إلى فاسَ وبَقيَتْ فيها مُدّةً أقصرَ، ثمّ إلى مدينة مَرّاكُشَ. ورحَلَ أبو العبّاس أحمدَ إلى الاندلس رحْلة قصيرةً ثمّ عاد إلى مدينة مَرّاكُشَ وٱسْتَوْطَنَها.

ولأبي العبّاس أحمدَ بنِ الصّقْر عددٌ كبيرٌ من الشُّيوخ ملأوا ثلاثَ صَفَحاتٍ كاملةً من كتابِ الذّيل والتَّكْملة (١: ٢٢٤ - ٢٢٦).

تولّى أبو العبّاسِ بنُ الصقر القضاء والإمامة في مرّاكش منذْ أيام المُرابطين، ثمّ في بَلَنْسِيةَ. ثمّ تولّى القضاءَ في غَرْناطة. ولكن تَوَلِّيَهُ القضاءَ كان مُدّةً يسيرة - وقد خَبَرَ الناسُ منه في القضاء سِيرةً حميدةً ونَزاهةً - لأنّ اتّجاهَه في الحياة نحوَ الزُّهْدِ صَرَفَه عن مناصبِ الدولة (راجع الذيل والتكملة ١: ٢٢٧).

وكانتْ وفاتُه في مَرّاكُش في ثامنِ جُمادى الأولى من سَنَة ٥٦٩ (١١٧٣/١٢/١٥ م). ورثاهُ جارُه وصديقُه ٱبنُ طُفيلٍ (ت ٥٨١ هـ) فقال (الذيل والتكملة ١: ٢٣١ - ٢٣٢):

لأمرٍ مــا تَغيّرتِ الدُّهورُ، وأظْلَمَتِ الكواكبُ والبُدور(١)....
أبا العبّاسِ، جادَتْك الغوادي، ولاقَتْكَ الكرامةُ والحُبور(٢).
لقد فَقَدَ الأيامى واليتامى مكانَك والمَحافل والصُّدور(٣).
وعُطِّلَتِ المدارسُ مِنْ مُفيضٍ علومَ الوَحْي ليسَ له نَظير....

٢ - كان أبو العبّاس بنُ الصَّقر مُقْرِئاً مُجَوِّداً ومُحَدِّثاً مُكْثِراً ثِقَةً وفقيهاً متقدّماً في علم الكلام وزاهداً، كما كان شاعراً مُحْسِناً سَهْلَ التراكيبِ واضحَ المعاني. يُضاف

---

(١) لأمر (عظيم): موت ابن الصقر الخزرجي.
(٢) الغادية: السحابة (الممطرة) المقبلة في الصباح. ولاقتك الكرامة والحبور (السرور) في الجنة.
(٣) الأيّم والأيّمة: التي مات عنها زوجها. المحفل: مكان اجتماع الناس. الصدور صدور المجالس: لأنّ ابن الصقر كان، لمكانته ولعلمه، دائماً في صدر كل مجلس.

إلى ذلك كُلِّهِ نَفْسٌ أبيَّةٌ وسيرةٌ محمودةٌ في الناس وخدمةٌ ٱجتماعيةٌ. ثمّ هو مُصَنِّفٌ، ولكنّ كُتُبَهَ في مَكْتَبَته وكتُبَه مِن تَصْنيفه قد فُقِدَتْ، سَنَةَ ٥٤١ للهجرة (١١٤٦ م)، لمّا دخل الموحّدون مَرّاكُشَ وٱنتزعوها من يد المُرابطين. له كتاب «أنوار الأفكار فيمن دَخَل جزيرةَ الأندلُس من الزهّاد والأبرار». ٱبتدأه ثمّ لم يُتمّه فكَمّلَه ٱبنُه عبدُ الله.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الصَّقْرِ الخَزْرجيُّ (الوافي بالوفيات ٧: ٤٨؛ نفح الطيب ٣: ٣٣٣) في الحفاظ على الإخوان مهما تكن حالهم:

لله إخوانٌ تنـــاءتْ دارُهُمْ، حَفظوا الودادَ على النّوى أو خانوا(١).
يُهدي لنا طِيبَ الثناءِ ودادُهم كالنَّدِّ يُهْدي الطيبَ وهْوَ دُخان(٢).

- وقال في مصانعة الأعداء (الوافي بالوفيات ٧: ٤٨؛ الإحاطة ١: ١٩٢؛ الذيل والتكملة ١: ٢٣٠؛ نفح الطيب ٤: ٣١٩):

أَرْضِ العدُوَّ بظاهرٍ متصنِّعٍ، إنْ كُنْتَ مُضْطَرًّا إلى ٱسترضائِهِ(٣).
كم من فتًى ألقى بوَجْهٍ باسمٍ، وجوانِحي تَنْقَدُّ مِنْ بَغْضائه(٤).

- وقال في الزهد (الإحاطة ١: ١٩١؛ الديباج ٥٠):

إلَهي، لكَ المُلْكُ العظيمُ حقيقةً؛ وما للوَرى- مهما نَعَتُّ- نقيرُ(٥).
تجافى بنو الدنيا مكاني فسرّني. وما قَدْرُ مخلوقٍ جَداه حقيرُ(٦).
وقالوا: فقيرٌ- وهو عِنْدي جَلالةٌ. نعم، صَدَقوا. إنّي إلَيْه فقيرُ(٧).

---

(١) تناءى: ابتعد. النوى: البعاد.
(٢) إنّ الثناء القليل من خصمك (أو عدوّك) يدلّ على عظم هيبتك في نفسه.
(٣) أرض: فعل أمر من أرضى.
(٤) كم من فتى ألقى (ألقاه أنا). تنقدّ: تتقطّع (بغضا له).
(٥) الورى: الناس. مهما نعتّ (مهما أصِفْهم بالغنى) نقير: شيء قليل. ليس ما يملكه الناس، إذا قيس بملك الله، شيئاً.
(٦) تجافى (فعل لازم) تباعد. يقصد الشاعر: تجافى بنو الدنيا عن مكاني (عنّي). الجدا: الكرم.
(٧) اليه: إلى الله.

- في الذيل والتكملة (١ : ٢٣٠ - ٢٣١): «وقولُه في وَداعِ القبر المُكرَّم، قبرِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم»، مع أنّنا لا نَعْرِفُ له رِحلةً إلى المَشْرق:

حَسْبُ المُحِبِّ من الحبيبِ سَلامُ ... يُقْضى بـه يومَ الوَداع ذِمـامُ[1].
رُحْنـا ورَوْعُ البَيْنِ يُخْرِسُ أَلْسُناً، ... ومِنَ الدموعِ إشارةٌ وكـلام[2].
يـا أرضَ يَثْربَ، لا عَداكَ غَمامُ. ... أنتِ المُنـى لو تُسْعِفُ الأيّام[3].
للقلب في تلك العراصِ عَرامةٌ ... مَضمونُـه كَلَـفٌ بهـا وغَرامُ[4].
قـبـرٌ تضمَّنَ أعظُماً تَعْظِيمُهـا ... عنـهُ يَصِـحُّ الـدينُ والإسلام
وَرَدَتْ بهـا نَفْسُ المشوق مناهِـلاً ... كُـلُّ المناهـلِ بعدَهُنّ حَرام.

٤ - ★ ★ تحفة القادم ٤٩؛ الذيل والتكملة ١ : ٢٢٣ - ٢٣٢؛ الإحاطة ١ : ١٨٩ - ١٩٣؛ نفح الطيب ٣ : ٣٣٣، ٣١٩.

ابن ميمون القرطبي

١ - هو، في الأغلَبِ، أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ مَيْمونِ بنِ إدريسَ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الله العَبْدَريُّ القُرطبيُّ المعروفُ بلقب مركوش (أو مُرْقُس، لأنّه من أصلٍ غيرِ عربي)، وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٤٩٨ هـ (١١٠٣ - ١١٠٤ م) في قُرطبةَ.

روى ابنُ ميمونٍ القُرطبيُّ عن أبي بكر بنِ العربي وشُريح وأبي الحسن الباذِشِ ولازمَ أبا الوليدِ بْنَ رُشْدٍ عَشْرَ سَنَواتٍ. ثمّ إنّه خَرَجَ إلى المَغْرب واستوطنَ مدينة

---

(١) الذمام: العهد، الحق، الحرمة (بالضم: ما يجب المحافظة عليه).
(٢) رحنا (رجعنا مساء)، غادرنا المكان. روع (الخوف من) البين (الفراق، البعاد).
(٣) يثرب: المدينة المنورة. لا عداك (لا تخطاك)، غمام (أدعو الله أن تمطر كل سحابة تبك- أن تكون الرحمة دائمة فيك). تسعف: (تساعد) الأيام (على اللقاء).

مَرّاكُشَ وتصدَّرَ فيها لإقراءِ النَحْوِ خاصّةً. وكان يحضُرُ مَجْلِسَ السلطان عبدِ المُؤمن ابن عليٍّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ) مَعَ العُلماءِ، فاتّفق يوماً أنْ أنْشَدَ أبياتاً فيها زَنْدَقةٌ (راجع المختاراتِ) فهَجَرَهُ عبدُ المؤمن ومَنَعَهُ من الحضور في مَجْلسه وصَرَفَ بَنيه عن القراءة عليه واقتدى كثيرون بعبدِ المؤمن.

وكانتْ وفَاةُ ابنِ ميمونِ القُرطبيِّ في ثامن عَشَرَ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٥٦٧ (١٧/ ١/ ١١٧٢ م).

٢ - كان ابنُ ميمونِ القُرطبيُّ حَسَنَ العُشْرَةِ فَكِهَ الحديثِ وفيه شيءٌ من الدُعابة. وكان عالماً بالقِراءاتِ والتفسيرِ والفِقْه واللُغة والأدب مُبَرِّزاً في النَحْو، كما كان كاتباً وشاعراً. ثمّ هو مُصنِّفٌ، ألّفَ عدداً من الكتب، منها: شرحُ (أبيات) الإيضاح - شرح مقامات الحريريّ - مَشاحِذُ الأفكار في ما أُخِذَ على النُظّار (علماء الكلام وأصحابِ النظر العقلي).

٣ - مختارات من آثاره:

- من رِسالة لابنِ ميمونِ القُرطبيِّ إلى محبوبٍ له:

.... فبالله إلّا ما لَقِيتَ الرسولَ بوجهٍ يَدُلُّ على القَبول، وتَفَضّلْتَ بأنْ تَصِلَ قبلَ رُجوعِهِ إلَيْنا وتُخالفَهُ من طريقٍ مُخْتَصَرٍ حتّى تَطْلُعَ قبلَه علينا[1]. هنالك كُنّا نَخرُّ للفضائلِ سُجَّداً، ولا نَزال نُوالي شُكْرَكَ وذِكْرَكَ أبداً[2].

- أنشد ابنُ ميمونِ القُرطبيُّ مرّةً في مجلسِ عبدِ المؤمن بن عليٍّ أبياتاً كانَ قد نَظَمَها في أبي القاسمِ عبدِ المُنْعِمِ بنِ محمّدِ بنِ تيسيتَ:

---

(١) تخالفه: تأتي من طريق غير الطريق التي سيأتي منها (وأقصر). تطلع علينا (مثل البدر).

(٢) فإذا فعلت ذلك فإنّنا نشكر نعمة الدهر علينا ونوالي (نستمرّ) في شكره.

أبـــا قاسمٍ، والهوى جِنّـــةٌ - وها أنا من مَسِّها لم أُفِقْ[1] -
تَقَحَّمْـــتَ جاحمَ نـــارِ الضلوعِ كما خُضْتَ بحرَ دُموعِ الحَدَق[2].
أكنتَ الخليلَ، أكنتَ الكليمَ: أمِنْتَ الحريقَ، أمِنْتَ الغرَقْ[3]!

- وقال في النسيب والعِتاب:

طَرْفي، وحَقِّـــك، يرعـــى النْـ ـنُجوم نَجْماً فنجمَـــــــــا[4]
مُرَدِّداً: فكأنّي أَفُـــكّ منهـــا مُعَمّـــى[5]!

- وقال في غُلامٍ قَصّ شيئاً من شَعْرِه:

تَبَسّمَ عن مِثْـــلِ نَوْرِ الأقاحي وأقْصَدَنـــا بِمِراضٍ صِحـــاحِ[6].
ومرّ يَميسُ كما مـــاس غُصْنٌ تُلاعِبُ عِطْفَيْهِ هُوجُ الرِياحِ[7].
وقصّرَ من ليلـــهِ ساعـــةً فأعْقَبَ ذلك ضوءُ الصَباحِ[8].

---

(١) الجنّة (بكسر الجيم): الجنون. المسّ: الإصابة بالجنون. لم أفق: لم أبرأ (لم أشف).
(٢) تقحّمت: هجمت، رميت بنفسك. جاحم: شديد الحرارة. الحدق: العيون.
(٣) أكنت مثل الخليل (إبراهيم الذي أُلقي في النار فلم يحترق) ومثل الكليم (موسى الذي خاض البحر الأحمر فلم يغرق). وقد غضب السلطان الموحّدي عبد المؤمن بن عليّ على ابن ميمون لأنّه شبه ممدوحه بإبراهيم وموسى.
(٤) طرفي = ناظري: عيني. يرعى: يراقب، يتأمّل.
(٥) مردّداً: مكرِّراً، معيداً. المعمّى: اللغز.
(٦) تبسّم (فظهرت أسنانه جميلة منتظمة) مثل نَوْر (بفتح النون: زهر) الأقاح. وأقصدنا: قتلنا (بعيون) مراض (مريضة بمعنى ناعسة) صحاح (سليمة).
(٧) يميس: يتمايل. العطف (بكسر العين): جانب الجسم (يشبّه الغصن بإنسان). هوج الرياح: الرياح الشديدة.
(٨) قصرّ من ليله...: قصّ من ليله (من شعره الأسود) ساعة (جزءاً يسيراً). فأعقب (تلا، تبع) ذلك (تقصير شعره) ضوء الصباح (ظهور جزء أكبر من وجهه).

وانّي - وإنْ زَعَمَ العاذلو ن - من خَمْر أجفانِه غيرُ صاح[١].

٤ - ★★ جذوة المقتبس ٨٦؛ بغية الملتمس ١٢١ (رقم ٢٨٤)؛ المغرب ١ : ١١١ - ١١٢؛ معجم الأدباء ١٩ : ٦٣ - ٦٤؛ الوافي بالوفيات ٥ : ١٠٤؛ إنباه الرواة ٣ : ٢١٨؛ المطرب ١٩٨ - ١٩٩؛ المنُّ بالإمامة ٢٢٦ - ٢٢٨؛ بغية الوعاة ٦١ - ٦٢، ١٠٩؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٠٧ (٦ : ٢٣١).

أبو الحسن بن عيّاش

١ - هو أبو الحسنِ عبدُ الملكِ بنُ عيّاشِ بنِ فرجِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ هرونَ الأزديُّ القُرطبيّ، أصلُه من مدينةِ يابُرةَ (في غربيّ الأندلس: البرتغال اليومَ، شرقَ أُشبونة أو لشبونة). صَحِبَ بني حَمْدينَ بقُرطبةَ - وكانوا أُسرةً نَبَغَ فيها نَفَرٌ من القُضاة - ثمّ استخدمَه المُوحّدونَ في الكِتابة. وكانتْ وفاتهُ في إشبيليةَ في غُرّةِ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٥٦٨ (١٨/ ١/ ١١٧٣ م).

٢ - كان أبو الحسن ابنُ عيّاشِ كاتباً مُتَرَسِّلًا واسعَ المعرفةِ بالعربيةِ وبفُنون الأدبِ يُكْثِرُ التضمينَ والاقتباسَ من كتابِ اللهِ. وكان له نَظْمٌ أدْنى مرتبةً من نَثْرِه.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو الحسنِ بنُ عيّاشِ القُرطبيُّ يَحُثُّ قبائلَ العَرَبِ (البَدْو) من بَني هِلالِ على الجهاد:

أقيموا إلى العَلياءِ عُوجَ الرواحل وقودوا إلى الهَيْجاءِ جُرْداً الصواهل[٢].
وقوموا لنَصْرِ الدين قَوْمَةَ ثائرٍ وشُدُّوا على الأعداء شَدّةَ صائلِ[٣].

---

(١) سأظلّ سكران من خمر عينيه ولو قال العاذلون (اللائمون، المبغضون) أنّي سأصحو منها.

(٢) أقام: رفع (أنهض الدابّة من مربضها استعداداً للسير، للسفر). الراحلة: الدابّة التي تستخدم في الرحلة (السفر والانتقال). العوج جمع عوجاء: الضامرة البطن (تسرع في سيرها). الصاهل: الحصان. الأجرد: الحصان القصير الشعر (وذلك من صفات الخيل الجياد).

(٣) شدّ: هجم. الصائل: المهاجم الذي يبغي قهر خصمه.

فما العِزُّ إلّا ظهرُ أجردَ سابحٍ تموتُ الصَّبا في شَدّهِ المُتواصل[١]،
وأبيضُ مأثورٌ كأنّ فِرِنْدَه على الماءِ محبوكٌ وليس بسائل[٢]
بني العَمِّ من عُليا هِلالِ بنِ عامرٍ وما جَمَعَتْ من باسلٍ وابنِ باسلِ[٣]،
تَعالَوْا فقد شُدّتْ إلى الغَزْوِ نِيّةٌ عواقبُها مقرونةٌ بالأوائل[٤].

– ولمّا تغلّبَ المُوحّدونَ على ابنِ مردَنيشَ[٥] في الأندلس، كَتَبَ أبو الحسنِ بنُ عيّاشٍ كِتابَ البُشرى بالنَصرِ إلى مَرّاكُش. فمِمّا جاء في هذا الكتاب:

.....فلمّا كان يومُ السابعِ مِنْ ذي الحِجّة في حينِ الزَوالِ استخارَ اللهَ الموحّدون[٦] على أنْ يأخذوا بَيْنَه وبينَ الثَنايا التي تحولُ بينَه وبينَ مُرْسِيَةَ[٧]. فتَمَيّزوا شُعوباً وقبائلَ وصَدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليه من إخلاصِ التَوْبةِ وإمحاض النيّةِ[٨]. فرأى الأعداءُ ما هالَهم وأحالَ حالَهم[٩]. هذا على احتدادِ شَوْكَتِهم[١٠] وكَثْرة عِدّتهم. وتَرَدَّدوا بسَفْحِ الجبلِ زُهاءَ ثمانيةِ آلافِ فارسٍ أكثَرُهم أرْغونُ[١١]

---

(١) السابح: الحصان (السريع). تموت الصبا الخ: تقصّر الريح عنه في السرعة (؟).

(٢) أبيض: سيف. مأثور: متوارث (جيّد الجنس، مختبر). الفرند: البياض في حدّ السيف. (هذا السيف كأنّه منسوج من سطح الماء، ولكنّه جامد غير جار).

(٣) هلال بن عامر: قبائل عربية (بدوية) كان الفاطميّون (بعد انتقالهم من القيروان إلى القاهرة وبعد ترك البربر للمذهب الفاطمي) قد سرّحوها إلى المغرب لتحدث فيه قلاقل. الباسل: الأسد (الشديد في الحرب).

(٤) عواقبها (نتائجها) مقرونة (مرتبطة، معتمدة على) الأوائل (الأسباب، المقدّمات، الاستعداد).

(٥) هو محمّد بن سعد (٥١٨ – ٥٦٧ هـ) ثار على الموحّدين في شرقيّ الأندلس ووصل يده بيد الإسبان. طمع في الاستيلاء على اشبيلية وقرطبة. قاتله المُوحِّدون وحاصروه في مرسية فمات في أثناء الحصار.

(٦) من سنة ٥٦٠ هـ (١٤/ ١٠/ ١١٦٥ م). الزوال (زوال الشمس عن خط كبد السماء): وقت الظهر. استخار اللهَ الموحّدون= الموحِّدون استخاروا الله (طلبوا من الله أن يختار لهم ما هو أصلح لهم).

(٧) بينه (بين ابن مردنيش) وبين الثنايا (الطرق في الجبال).

(٨) تميّزوا (افترقوا) شعوباً وقبائل (بحسب أقسامهم القبلية). «من المؤمنين رجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه...» (٣٣: ٢٣، سورة الأحزاب). المحض: الخالص (الصافي، الصادق).

(٩) هالهم: أفزعهم. أحال: بدّل.

(١٠) احتداد: اشتداد. الشوكة: القوة.

(١١) أرغون: نصارى أرغونة (شمال شرقيّ إسبانية).

وَقَفوا يتشاورون ويتنازعون. ولم يَجِدوا مَحيداً عنِ الطريق التي ضَمّتْهم، ولا مَنْفَذاً إلّا في المسافات التي حَفّتْ مُحيطةً بِهِمْ وعَمّتهم..... وصافَّهم جُنودُ اللهِ من ضُحى النهار إلى أن نُودِيَ للصلاةِ مِنْ يوم الجُمُعة[١]، في أيام يُقْبَلُ فيها التَوْبُ[٢] ويُغْفَرُ فيها الذَنْبُ ويخشَعُ القلبُ ويُعبدُ الرب. فلمّا كان وقتُ الصلاةِ اختار اللهُ للموحّدين أنْ ناشَبوهم القتالَ، وقد كَثُرَ الذِكرُ والإهلال[٣]. وزَحَفَتِ العساكرُ إلَيْهم حتّى دنا السَوادُ من السوادِ، وتَشَوَّفَهُ بالكَلِمِ والطِراد[٤]. وحَمَلتِ الرومُ[٥] حَمْلَتَهُمُ المعلومةَ المَعهودةَ[٦].... والْتَفّتْ عليهم قبائلُ الموحّدين، واحْتَدَمَتِ الحربُ وحَمِيَ الوطيسُ[٧].... وثَبّتَ اللهُ أقدامَ المُوحّدينَ وزَلزلَ أقدامَ المُلْحدين. وثَبَتَتِ الساقةُ التي فيها الأعلامُ كأنّها الجبالُ الراسياتُ والأعلامُ[٨]. وانبَرى المُوحّدون الأُوَلُ من أهلِ تِيْنَمَلّلَ وهَنْتاتَةَ[٩] فصَبَروا صَبْرَ أمثالِهِمْ وخَوّلَهُم إقبالاً في استِقْبالِهِمْ[١٠]. وأجْفَلَ الكَفَرةُ مُنْهزمين ووَلَّوُا الأدبارَ مُدبرينَ[١١]، والسيفُ يأخذُ منهم فوقَ ما يدَعُ، وحِزبُ

---

(١) صافّهم: أقام صفوف القتال في مواجهتهم. الضحى: الوقت الذي ترتفع فيه الشمس فوق الأفق قليلا. «إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة» (٦٢: ٩، سورة الجمعة): وقت انتصاف النهار.

(٢) التوب: التوبة.

(٣) ناشبه القتال: نابذه (طالبه بالقتال، استفزّه للقتال). الذكر: ذكر الله تعالى. الإهلال: قول: «لا إلّه إلّا الله».

(٤) دنا السواد (الجسم) من السواد (أصبح الفريقان يرى بعضهما بعضاً). تشوّف: رأى عن بعد. الكلم: الكلام (المناداة). الطراد: معالجة الخصم بالهجوم.

(٥) الروم: (في الأندلس) النصارى، الفرنجة (من أي جنس كانوا).

(٦) الحملة: الهجمة. المعلومة المعهودة: (فيها غدر ووحشية!).

(٧) الوطيس: حفرة صغيرة يخبز فيها ويشوى (تنّور)، كناية عن اشتداد القتال.

(٨) الساقة: مؤخّرة الجيش (ويكون فيها الطعام والصنّاع لإصلاح ما يتكسّر من السيوف والدروع الخ). العلم (بفتح ففتح): الراية والجبل.

(٩) تينملّل أو تينملّ: البلدة (في جبال الأطلس) التي ظهرت منها دولة الموحّدين. هنتاتة: قبيلة كبيرة كانت مناصرة للموحّدين.

(١٠) الأمثال (المقصود: الأمائل): خيار القوم وشجعانهم - صدق الجميع في الحرب كأنّهم كلّهم من خيار القوم. خوّلهم (أعطاهم) إقبالاً (سعادة، حظّاً، نصراً) في استقبالهم (في مقاتلة العدوّ وجهاً لوجه).

(١١) أجفل: مضى مسرعاً. ولّى (أعطى، أدار) الدبر (بضمّ فضم): القفا (كناية عن الهرب). مدبر: راجع، منصرف إلى الخلف. هارب.

اللهِ يتقدّمُ غالباً فيصرَعُ ويصدَعُ[1]. وقُتِلَ رجال الشَقِيّ ومشاهيرُه[2]، والرومُ أكثرُ القتلى فيهم. فخرّوا كأنّهم أعْجازُ نَخْلٍ خاويةٍ[3]..... ولاذَ الشَقِيُّ.... للفرار، وقد خَبَرَ من حَدِّ السيوف وأنْبائها ما أغناهُ عن الأخبار.

٤ - ★★ المنّ بالإمامة ٨٣، راجع ١٦٠ ح، ٢٥٢، ٢٧٦ - ٢٨٢، ٣٠٢ - ٣٠٧، ٣٠٩ - ٣٢٣، ٣٧٦ - ٣٨٠، ٤١٥ - ٤١٧؛ التكملة ٢ : ٦١٨ (رقم ١٧٢١)؛ الذيل والتكملة ٥ : ٢٦ - ٣٠؛ زاد المسافر ٩٣ (١٣٥)؛ نفح الطيب ٣ : ٤٤٦ - ٤٤٧، ٣٢٧ - ٣٢٨.

أبو عامر بن الحمارة

١ - هو أبو عامرٍ محمّدُ[4] بنُ الحِمارةِ الغَرْناطيُّ - من المَهْدِيَّةِ في القُطْرِ التونسيّ - وُلِدَ سَنَةَ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ - ١١٠٧ م)، ويُقْرَنُ آسْمُه بلَقَبِ «الوزير». تَتَلْمَذَ على ابنِ باجّه (ت ٥٣٣ هـ) في صِناعة الغِناء وفي الفلسفة. وكانتْ وَفاةُ أبي عامرِ بنِ الحِمارةِ، سَنَةَ ٥٧٠ هـ (١١٧٤ - ١١٧٥ م).

٢ - كان أبو عامرِ بنِ الحِمارةِ، فيما قيلَ، من فلاسفةِ الأندلُس. ولكنّنا لا نَعْرِفُ من حياتهِ كُلِّها سِوى إشاراتٍ جُزئيةٍ. وقيل فيه: كان عارفاً بِصناعة الألحان: يصنَعُ العودَ بنفسِهِ ثمّ يَنْظِمُ الشِعْر ويُلَحِّنُه ويُغنّيه فيُطْرِبُ سامِعِيهِ. وقد وَصَلَ إلينا أبياتٌ يسيرةٌ من شِعْرِهِ تدُلُّ على براعةٍ وعليها طَلاوةٌ، وكان يرتجلُ أيضاً. وفنونُه المَدْحُ والرِثاء والهجاء (وهجاؤه خبيثٌ) والغَزَل والوصف.

---

(١) ودع يدع: ترك. صرع: ألقى (خصمه) أرضا، قتل. صدع: شقّ، كسر.

(٢) الشقيّ: ابن مردنيش. مشاهيره: أبطاله وخاصّة أنصاره.

(٣) أعجاز النخل: أصولها (جذوعها). خاوية: فارغة؛ نخرة. «كأنّهم أعجاز نخل خاوية» (٦٩ : ٧، سورة الحاقة).

(٤) هنالك قصّة واحدة (راجع نفح الطيب ٤ : ١٣ و ١٤٠) تروى مرّة عن أبي عامر محمّد بن الحمارة ومرّة عن أبي الحسين عليّ بن الحمارة.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي عامرٍ محمّدِ بن الحِمارةِ هذا البيتُ الذي آقْتَنَصَ فيه صُورةَ الحُلْمِ (المنام) الذي يَنْفِرُ عن النائم (المغرب (٢: ١٢٠):

إذا ظنّ وكْراً مُقْلَتِي طائرُ الكَرى ... رأى هُدْبَها فارْتاعَ خَوْفَ الحبائلِ (١).

- وله في رثاء زَوْجتِهِ (المغرب ٢: ١٢٠):

ولمّا أنْ حَلَلْتِ التُّرْبَ قُلْنا: ... لقد ضلّتْ مَواقِعَها النجومُ.

ألا يا زَهْرةً ذَبَلَتْ سريعاً، ... أَضَنَّ المُزْنُ أم ركَدَ النَسيمُ (٢)؟

- ولمّا بنى أبو العبّاسِ بنُ القاسمِ بنِ العَشْرةِ قَصْرَهُ في مدينةِ سَلا (٣)، وَصَفَ الشعراءُ ذلك القصر. واتّفق أنْ كان أبو عامرِ بن الحِمارةِ حينَئِذٍ في سَلا - ولم يكُنْ قد أعدَّ شيئاً من الشِعر لتلك المُناسبةِ - ففكّر قليلًا وقالَ (نفح الطيب ٤: ١٣ و ١٤٠):

يا واحدَ الناسِ، قد شَيّدتَ واحدةً ... فحُلَّ فيها مَحَلَّ الشمسِ في الحَمَلِ (٤).

فما كدارِكَ في الدنيا لِذي أملٍ، ... ولا كدارِكَ في الأُخرى لذي عَمَلِ (٥).

- وقال في مُداراة الأصدقاء (نفح الطيب ٣: ٥٩٧):

ولي صاحبٌ أحنو عليه، وإنّه ... لَيُوجِعُني حيناً فلا أتَوَجّعُ.

---

(١) شبّه الحلم (بضمّ فسكون) بطائر ثمّ قال: إنّ ذلك الطائر قد ظنّ أن مقلتي (عيني) وكر يمكن أن يلجأ إليه، ثم أبصر أهداب عيني (الشعر في جفنيها) فارتاع (خاف) إذ ظنّ أهدابي حبالة (بكسر الحاء: مصيدة، شركا) لكثرة ما كان قد رأى الطيور في الحبائل.

(٢) يشبّه زوجته التي ماتت بزهرة ذبلت (جفّت وذوت) لانقطاع المزن (المطر) أو لركود (هدوء) الهواء (إذ حلّ محلّ النسيم المنعش ريح حارّة تقتل النبات).

(٣) سلا: مدينة قرب الرباط (في المغرب).

(٤) واحد الناس (أعظم الناس، لا مثيل له). واحدة (داراً هي أعظم الدور). حُلَّ فيها (انزل فيها، اسكنها) كما تنزل الشمس في برج الحمل (إيذاناً بحلول فصل الربيع).

(٥) دارك هذه أجمل من جميع الدور في هذه الدنيا، وأفضل من منازل غيرك في الجنّة في الآخرة.

أُقيمُ مَكاني ما جَفاني، ورُبّما ... يُسائِلني الرُّجْعى فلا أتَمَنّعُ(١).
كأنّيَ في كَفّيْهِ غُصْنُ أراكةٍ ... تَميل على حُكْم النسيمِ وتَرْجِعُ(٢).

– لأبي عامرِ بن الحِمارة مقاطعُ حسانٌ منها:

★★ للهِ يومٌ كان فيه مُنادمي ... وجهُ الحبيب وزهرةُ البستان،
صَرَعَتْنِيَ اللّذّاتُ فيهِ مَصْرعاً ... ما شِئتَ من رَوْحٍ ومن رَيْحان(٣).
يا صاحبيّ، تمتّعا من ساعةٍ ... شُغِلَ الزمانُ بها عن الحَدَثان(٤)

★★ لو كنتُ آمل أن ألقاكَ في الحُلُمِ ... لَمَا قرعتُ عليك السِنّ من نَدَم(٥).
يحمي وصالَكَ أعداءٌ لهم رَصَدٌ ... ويَصْرِفُ الطيفَ أنّي بتُّ لم أنَم(٦).
يا مرسلًا سهمَ عينيه ليقتُلَني، ... من ذَا أباحَ لذاك اللحظِ سفكَ دمي؟

★★ أتانا فَتيتُ المِسكِ يَعْبَقُ عَرْفُه ... ويُثني على ذاك النَّدى والتكرُّم(٧)؛
فأشعَرَني رَيّا حبيبٍ أُعيرُه، ... على رِقبةٍ، لحظَ المَشوق المُتيَّم(٨).
فواللهِ، لولا أنْ تقولَ ليَ المُنى: ... رُوَيْدَكَ، لا تُقْدِمْ على غير مُقْدَم(٩)،
لَحَدَّثْتُ نفسي عندَ ذلك أنّني ... أشُمُّ الذي ما بينَ عَيْنَيْكِ والفم!

---

(١) إذا جفاني (صديقي): ابتعد عنّي (كره لقائي) أقمت مكاني (لا أزوره). وإذا سألني أن أعود إلى صداقته فلا أرفض.
(٢) الأراكة: شجرة (لينة الأغصان؟).
(٣) صرع الرجل خصمه: ألقاه أرضاً (على الأرض، قتله). الروح: الراحة، النسيم المنعش. الريحان: نبات ذو رائحة طيّبة. – انغمست (ذلك اليوم) في اللذات حتّى فقدت وعيي.
(٤) .... نسي فيها الزمان أن يجيء إلينا بمصائب.
(٥) قرع السنّ ندماً (ندم ندماً كثيراً).
(٦) رصد: مراقبة. الطيف: الخيال (الطارق في النوم). بتّ (قضيت الليل). أنا لا أرى خيالك في النوم (لأني سهران في حبّك ولا أنام).
(٧) فتيت المسك (إذا فت المسك: طحن) يزيد انتشار الرائحة منه. عبق (بفتح فكسر): ضاع (مضارعه: يضوع): فاح، انتشر. العرف: الرائحة الطيّبة. الندى: الكرم.
(٨) الريّا: الرائحة الطيّبة. رقبة (مراقبة وحذر). المتيّم: الذي ذلّله الحبّ. إنّ الرائحة الطيّبة دلّتني على وجود حبيبي فجعلت أعيره لحظي (أنظر إليه بحذر).
(٩) المنى جمع أمنية. رويدك: مهلًا. مقدم (أمر يقدم الناس عادة عليه).

- وقال أبو عامرِ بنُ الحِمارة يَرْثي أُستاذَه ابنَ باجّه (الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٢):

يا صاحبَ القبرِ القريبِ - ودُونَه ... هَمٌّ تَبيتُ له الكواكبُ تسهَرُ -:
قمْ،إنْأطَقْتَ،وهاتِعنصُوَرِالرَّدى ... خبراً، فقد عايَنْتَ كيف تُصَوَّرُ[1].
أخْبِرْ عنِ الملكوتِ كيفَ رأيْتَه: ... إنّ الغريبَ عن الغرائبِ يُخْبِرُ.

٤ - ★★ بغية الملتمس ٥١٧ (رقم ١٥٥١)؛ ١٠٥٥)؛ المطرب (الخرطوم) ١٠٧ - ١٠٨؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٢ (الأسطر ١١ - ١٤)؛ المغرب ٢ : ١٢٠؛ نفح الطيب ١ : ٢٠٥، ٣ : ٥٩٧، ٤ : ١٣، ١٤٠.

الأصمّ المرواني

١ - هو الشريفُ الأَصمُّ المروانيُّ القرطبيُّ[2]، كان من نسل الطليق المرواني (ت نحو ٤٠٠ هـ) من جِهةِ أُمّه[3]، وكان في مَطْلَعِ دولةِ المُوحِّدين في أيامِ عبدِ المؤمنِ ابن عليٍّ. ويُمْكِنُ أن تكونَ وفاتُه بالتَخْمينِ بينَ ٥٧٠ و ٥٧٥ هـ (١١٧٥ - ١١٨٠ م).

٢ - الأَصَمُّ المروانيُّ شاعرٌ جَزلُ الألفاظِ متينُ الأُسلوبِ مشرقيّ الدِيباجةِ بَرَعَ في المَديح والوَصْف. وقدِ اشتهر بقَصيدته البائية التي قالها، في أواخر سَنَةِ ٥٥٥ للهجرة (أوّل ١١٦٠ م) في مديحِ عبدِ المؤمن بن عليّ (راجع المختارات) يَعارِضُ فيها قصيدةَ أبي تمّامٍ: «السيفُ أصْدقَ إنباءً من الكُتُبِ».

٣ - مختارات من شعره:

- لمّا جاز عبدُ المؤمن بن عليّ، أولُ خُلفاءِ المُوحّدينَ، بَحْرَ الزُقاقِ (مضيقَ جَبَلِ

(١) قم (انهض من قبرك). أطاق: قدر، استطاع. كيف تصوّر (كيف تكون صور الأمور في الآخرة).

(٢) بعد سقوط الدولة المروانية (الأموية) في الأندلس (٤٢٨ هـ) ثمّ مجيء المرابطين (٤٨٤ هـ = ١٠٩١) ثمّ الموحّدين، تفرّق الأمويّون في البلاد واستخفوا (بفتح الفاء) واستغنى أكثرهم عن التمدّح بأسمائهم الشخصية. ولكن ظلّوا يعرفون باسم الشرفاء. من هؤلاء كان الطليق المرواني (ت نحو ٤٠٠ هـ) والأصمّ المرواني صاحب هذه الترجمة والشريف الغرناطي (٦٩٧ - ٧٦١ هـ).

(٣) المعجب ١٥٣ (٢١٥ - ٢١٦).

طارقِ) مِنَ المَغْرِبِ إلى الأَنَدلُسِ ، وافاه الشُعراءُ فألْقَوْا بينَ يَدَيْهِ القصائدَ. في هذه المُناسبة ألْقى الأصمُّ المروانيُّ قصيدتَه البائية. ومّما جاء فيها:

ما للعِدا جُنَّةٌ أوْقى من الهَرَبِ. كيفَ المَفرُّ، وخَيْلُ اللهِ في الطَلَبِ [(١)].
وأين يذهَبُ مَنْ في رأسِ شاهقةٍ إذا رَمَتْهُ سماءُ الله بالشُهُبِ [(٢)].
حَدِّثْ عن الرومِ في أقطارِ أنْدَلُسٍ والبحرُ قد ملأ العَبْرَيْنِ بالعَرَبِ [(٣)]،
وطَوْدُ طارقَ قد حلّ الإمامُ به كالطُورِ كان لموسى أيْمَنَ الرُتَبِ [(٤)].
لو يَعْرِفُ الطَوْدُ ما غَشّاه من كَرَمٍ لم يَبْسُطِ الغَوْرُ فيه الكَفّ للسُحُبِ.
مِنْهُ يُعاوِدُ هذا الفتحُ ثانيةً أضعافَ ما حَدّثوا في سالِفِ الحِقَبِ [(٥)]،
ويلْبَسُ الدينُ غَضًّا ثَوْبَ عِزّتِهِ كأنّ أيامَ بدرٍ عنه لم تَغِبِ [(٦)].
تدبيرُ مَنْ قارَعَ الأيامَ واختلطتْ آراؤه في الوَغى بالسُمْرِ والقُضُبِ [(٧)].
إنْ آبَ مِنْ غزوةٍ أفْنَتْ أعادِيَهُ كانَ الإيابُ لأُخرى أعْظَمَ النَسَبِ [(٨)].

---

(١) الجنّة (بضمّ الجيم): الوقاية (ما يحجب الإنسان عن الخطر).

(٢) في رأس شاهقة (جبل عال): مكشوف معرّض للأخطار. الشهب جمع شهاب: حجر يفلت من مداره حول كوكب من الكواكب فيدخل جوّ الأرض ويشتعل وهو ساقط (إذا كان الله يريد إهلاكهم).

(٣) الروم كانت تُطلَقُ على جميع النصارى في الأندلس سواء أكانوا روماً أو قوطاً. حدّث عن الروم..... كانت الجيوش التي تجمّعت في الأندلس من الروم لمحاربة المسلمين كثيرة، وكذلك كان جيوش العرب كثيرة جدًّا تملأ العبرين (الجانب الإفريقي والجانب الأندلسي).

(٤) طود طارق: جبل طارق (الطرف الجنوبي من الأندلس). الإمام: عبد المؤمن بن عليّ. الطور: الجبل الذي وقف عليه موسى. أيمن: أكثر يمناً (بضمّ الياء: بركة). إنّ جبل الطُور كان أبركَ المواقف في حياة موسى. ونزول عبد المؤمن بن علي في جبل طارق (للدفاع عن المسلمين في الأندلس) كان برتبة وقوف موسى على جبل الطور.

(٥) سالف: ماضي. الحقبة (بكسر الحاء): المدّة من الزمن. - من جبل طارق سيعاد فتح الأندلس مرّة ثانية كما كان طارق بن زياد قد فتح الأندلس في المرّة الأولى من هذا المكان.

(٦) الغضّ: الطري، الجديد. بدر أول معارك الإسلام (سنة ٢ هـ = ٦٢٤ م).

(٧) قارع الأيام: قاومها (اختبرها) الوغى: الحرب. السمر جمع أسمر: الرمح. القضب جمع قضيب: السيف. - اختلطت آراؤه الخ: آراؤه في خوض الحروب مهمّة وفعّالة مثل السيوف والرماح.

(٨) آب: رجع. - إذا انتصر في غزوة انتصاراً عظيماً (كاد يفني أعاديه) كان ذلك سبباً مهمًّا ليعود إلى خوض غزوة ثانية.

مَلْكٌ إذا ما دَعَتْهُ الحربُ من بُعُدٍ طار السَّفينُ أمامَ الجَحْفَلِ اللَّجِبِ(١)،
ما بَيْنَ مُخْضَرَّةِ الأقطارِ نازِحةٍ وأخضرٍ في غِمارِ الريحِ مُضْطَرِبِ(٢).
حتّى أناخَ بأمِّ الشِرْكِ مُرْضِعَةً أولادَها حَلَباً جَمًّا على حَلَبِ(٣)؛
منيعةً من ذُرى سُورٍ تَكَنَّفَها وزاخرٍ مُزْبِدِ الأمواجِ مِنْ غَضَبِ(٤).
تَغَلْغَلَتْ في خِناقِ الجوِّ صاعدةً حتّى حَسِبنا مَدارَ النجمِ في صَبَبِ(٥).
وحين غادَرَها طولُ الحِصار لها كأنّها مركَبٌ أشْفى على العَطَبِ(٦)
ألْقَتْ إليكَ بأيْدي الذُّلِّ طائعةً ومَكَّنَتْكَ من المَسْلوب والسَلَبِ.
سارَ العُلوج وفي أعناقِهِمْ مِنَنٌ من عَفْوِ مُقْتَدِرٍ للغَزْوِ مُنْتَدَبِ(٧).
مَدّوا الأكُفَّ لِلَمْسِ الشمسِ من فَرَحٍ، وشَمّروا لِوثوبِ البحرِ من طَرَبِ(٨).
إنّ الجزيرةَ من طولِ انتظارِكُمُ لها بكُلّ طريقٍ لَحْظُ مُرْتَقِبِ(٩).

---

(١) من بعد: من مكان بعيد (مهما يكن مكان المعركة بعيداً). السفين: جمع سفينة. الجحفل: الجيش الكبير. اللجب: الكثير الأصوات (لكثرة ما فيه من الجنود ومن السلاح). طار السفين.... سبقت سفن البحر جيوش البرّ (شوقاً إلى الجهاد).

(٢) مخضرّة (كتيبة، قسم من جيش): مسودة (لكثرة ما فيها من السلاح). نازحة: بعيد ما بين أطرافها (واسعة، كبيرة). أخضر (أسطول): أسود (لكثرة سفنه - وتكون السفن عادة مطليّة بالقار الأسود). غمار: وسط. مضطرب: كثير الحركة (شوقاً إلى الجهاد).

(٣) أمّ الشرك: عاصمة الإسبان التي هاجمها عبد المؤمن آنذاك. مرضعة أولادها: مربّية أهلها ومهيّئة لهم (لخوض الحرب). الحلب: الحليب (اللبن). جمًّا: كثيراً - المقصود: أعدّتهم إعداداً جيّداً وافياً. حلباً جمًّا على حلب: مرّة بعد مرّة.

(٤) ذرى سور تكنّفها: سور عالٍ يحيط بها. زاخر: (بحر) مملوء بالماء. مزبد الأمواج: شديد الهياج (ممّا يجعل الوصول إلى المدينة صعباً).

(٥) صبب: انحدار. هذه المدينة عالية حتّى ليخيّل إلى الناظر أن النجوم أدنى (أقرب إلى الأرض) منها.

(٦) أشفى: قرب. العطب: الهلاك.

(٧) العلج: القويّ، الشديد (هنا: غير العربي). في أعناقهم منن (جمع منّة: فضل) لأنّك عفوت عنهم. منتدب: انتدبه الله للجهاد.

(٨) فرحوا كثيراً (لمّا عفوت عنهم) حتّى أصبحوا لخفتهم ونشاطهم كأنّهم يستطيعون الوصول إلى الشمس أو الوثوب من فوق البحر.

(٩) الجزيرة: الأندلس. لها بكل طريق...: كانت تنتظر مجيئك من كل مكان.

يا وافداً عَلِقَتْ مِنْ يُمْنِ مَقْدَمِهِ أيْدي الأماني بحَبْلٍ غيرِ مُنْقَضِبِ[1]
ما بَيْنَ راحَتِه الطُولى وخاطِرِه يَفيضُ بحرُ النَّدى بالعِلْمِ والأدبِ[2] ؛
ألْقت عِصِيَّ النَّوى أشْياخُ قُرطُبَةٍ في مَنْبِتِ العِزِّ والحاجاتِ والطلبِ[3] .
أتَتْكَ تَشْكُرُ ما أوْلَيْتَ من نعَمٍ ، وإنّما أرَجُ النَّوّارِ للسُحُـــبِ[4] .
تزدادُ نوراً إذا اسْوَدَّ الزمـانُ بها كأنّهـا سُرُجٌ في حالِكِ النُوبِ[5] .
والصَبْرُ في كلِّ خَطْبٍ طعْمُهُ صَبِرٌ ، لكنْ عواقِبُهُ أحلى من الضَرَبِ[6] !

٤ - ★★ زاد المسافر ١٢٦ - ١٢٧ ؛ المعجب ٢١٥ - ٢١٧ ؛ نفح الطيب ١ : ٤٧٥ ، ٣ : ٥٩٢ - ٥٩٣ ؛ المنّ بالإمامة ١٥٩ - ١٦٤ (وفي تعليف محقّق « المنّ بالإمامة » عبد الهادي التازي - ص ١٥٩ - ما يوهم أن الأصمّ المرواني هو الطليق المرواني، مع أن هذا حفيد ذاك).

ابن حبّوس

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ الله بنِ حبّوسٍ ، أصلُه من فاس ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) أو قُبيل ذلك في إشبيلية وفيها نشأ .

---

(١) الوافد: القادم (عبد المؤمن بن عليّ). اليمن: البركة. منقضب: منقطع. علقت أيدي الأماني بحبل...: وثقت واطمأنّت.

(٢) الطولى (بالضمّ): مؤنّث الأطول (من الطول بالضمّ بمعنى القياس والطول بالفتح بمعنى الفضل والنعمة). الندى: الكرم.

(٣) الأشياخ: كبار القوم وأعيانهم. العصيّ جمع عصا. ألقت عصا النوى: استقرّت واطمأنّت ثقة بك (من قول الشاعر: فألقت عصاها واستقرّ بها النوى).

(٤) أرج (رائحة طيّبة) النوّار (الأزهار) للسحب (من فضل الغيم الذي يسقط فيسقي الأرض فتنبت الأرض نباتها وأزهارها).

(٥) السرج جمع سراج: المصباح، القنديل. الحالك: المظلم. النوب جمع نوبة (بفتح النون): النازلة (المصيبة).

(٦) الخطب: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب (المصيبة). صبر (بفتح فكسر): ذو الطعم المرّ. الضرب (بفتح ففتح): العسل.

قرأ ابنُ حبّوسٍ القرآنَ الكريم على ابنِ عَيْشونِ المُقْرىء (ت ٥٣١ هـ) وعلى القاضي أبي الحسنِ شُريحِ بنِ محمّدِ بنِ شريحٍ (ت ٥٥٧ هـ) ودرس النحو على ابنِ الرمّاكِ (ت ٥٤١ هـ) وقرأ الأدبَ على الأديبِ البليغِ أبي محمّدِ بنِ عبدِ الغفورِ (ت ٥٤٢ هـ). ثمّ تَصَدّرَ للإقراء في إشبيلية.

وتكسّب ابنُ حبّوسٍ بالشعرِ فمَدَحَ الأمراء وكَثُرَ اتّصالُه بسلطانِ المُوحّدين عبدِ المؤمنِ بن عليّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ). وكانتْ وفاتُه في إشبيلية سَنَةَ ٥٧٠ هـ (١١٧٤ - ١١٧٥ م)، في الأغلب.

٢ - عُرِفَ ابنُ حبّوسٍ بأنّه شاعرُ الدولةِ المَهْديّة (نسبةً إلى المَهْديِّ بن تُومرتَ مؤسّس دولةِ الموحّدين). وهُوَ شاعرٌ كبيرٌ بلا ريبٍ واسعُ القول فخمُ الكلامِ متينُ الأسلوبِ غزيرُ المعاني بارعٌ في الصناعة متنوّعُ الأغراض. ولكنّه متطرّفٌ في عددٍ من آرائهِ حتّى لَتَظُنُّ حيناً أنّه فاطميّ. قال في مديحِ رجالِ دولة الموحّدين:

بَلَغَ الزمانُ بِهَدْيِكُمْ ما أمّلا، وتعلّمتْ أيامُه أن تَعْدِلا[1].
فَلأَنْتُمُ الحقُّ الذي لا يُمترى فيه، وليس بجائزٍ أن يُجْهلا[2].
ولأَنْتُمُ سِرّ الإلَـٰـهِ، وأمرُكم ملأ العوالمَ مُجْمَلًا ومُفَصَّلا.
عُزِلَتْ وُلاةُ الحِسِّ عن إدراكه، فَهْو المُنَزَّهُ حَسْبُه أن يُعْقَلا[3].

٣ - مختارات من شعره:

- حاصرَ عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ مدينةَ بَجايةَ فلجأ الناسُ إلى قَصْرِ صاحِبها يحيى ابنِ العزيزِ بنِ حَمّادٍ يستنجدون به ويسألونه أن يخوضَ بِهِمُ المَعْرَكَةَ. ولكنّه تَسلّلَ إلى زَوْرَقٍ كان قد أعدّه وهَرَبَ. فأنشدَ ابنُ حَبّوسٍ في تلك الساعةِ، بين يَدَيْ عبدِ المؤمنِ ابنِ عليٍّ، قصيدةً - قيل ارتجالًا - منها:

(١) الهدي (بفتح فسكون) كالهدى (بضمّ ففتح).
(٢) لا يمترى فيه: لا يشكّ أحد فيه.
(٣) إنّ سرّ الإلّه الذي هو فيكم (راجع البيت السابق) لا يدرك بالحسّ. هو منزّه (أعلى، أسمى) من اختبار البشر، ويكفي البشر أن يدركوه بعقولهم.

مَنِ القومُ في الغَرْبِ تُصْغي إلى حَدِيثِهِمُ أُذُنُ المَشْرِقِ!
جَرَوْا والمنايا إلى غايةٍ فلم يَسْبِقوها ولم تَسْبِقِ،
بأيْدِيهِمُ النارُ مشبوبةً؛ فمهما تُصِبْ باطلًا تُحْرِقِ.
يقودُهُمْ مَلِكٌ أرْوَعٌ تفرّدَ بالسُّؤددِ المُطْلَقِ[١]،
تَخَيَّره اللهُ من آدمٍ فما زالَ مُنْحدِراً يرتقي[٢].
إلى الناصريةِ سِرْنا مَعاً، ولَمّا تَفُتْنا ولم تُلْحَقِ[٣]:
إلى بَرْزةٍ في ذُرى أرْعَنٍ تَجِلُّ عن السورِ والخَنْدقِ[٤].
فلاذوا بقَصْرٍ لِمَوْلاهُمُ ومولاهُمُ لاذَ بالزَوْرَقِ[٥].
وفارَقَهُ أحمراً أبيضاً ولَجَّجَ في أخضرٍ أزرقِ[٦]،
وأوْرَثَهُ خَوْفُكم خِفّةً، فلو خاض في البحرِ لم يَغْرَقِ.

- ولابنِ حبّوسٍ قصيدةٌ في مدح الوزيرِ أبي جعفرِ بنِ عَطِيّةَ منها:

ألا زارَ من أمِّ الخُشيفِ خَيالُها ومِنْ دُونِها البَيْداءُ يَخْفِقُ آلُها[٧].
لقد أوْقَدَتْ في القلبِ مِنِّيَ جَمْرةً بدا في سَوادِ العارضَيْنِ ٱشْتِعالُها[٨].
ثَكِلْتُ الليالي: عندَ غَيْرِيَ سِلْمُها ورَوْقَةُ دُنْياها، وعِندي قِتالُها؛

---

(١) أروع: شجاع. السؤدد (بضمّ السين وفتح الدال الأولى أو ضمّها): المجد.
(٢) - ما زال ينحدر منذ أيام آدم في أصلاب آبائه ولكنّه يكتسب رفعةً كلّما اقترب مولده.
(٣) الناصرية: بجاية. لم تفتنا: لم تنج منا. لم تلحق: لم تصل إليها نجدة قبل ٱستيلائنا عليها.
(٤) البرزة: البارزة، المرأة الشريفة الواثقة من نفسها تبرز للرجال، قلعة حصينة بعيدة المنال. أرعن: (هنا) له فضول (أي: جبل تحيط به مرتفعات ومنخفضات تجعل الوصول إليه صعباً). تجلّ (تكبر، لا تحتاج) عن السور والخندق (لأنّها حصينة بطبيعتها).
(٥) لاذ: التجأ.
(٦) فارقه (فارق القصر) أحمر (من الغضب أو الخجل) أبيض (من الخوف لذهاب لونه من وجهه). لجّج: خاض في لجّة (معظم الماء) البحر (على غير هدى). أخضر (أسود). الأخضر الأزرق: البحر البعيد عن الشاطىء العميق القعر.
(٧) الخشيف تصغير الخشف (بسكون الشين، وفتح الخاء أو كسرها أو ضمّها) ولد الظبية ساعة يولد. يخفق (يضطرب) آلها (سرابها) لشدّة الحرّ عند انتصاف النهار.
(٨) العارضان: جانبا الوجه. بدا في سواد العارضين اشتعالها: بدا الشيب في شعري من جانبي الوجه.

أتَحْسُدُني في أنْ أعيشَ، كأنّما إذا فَسَدَتْ حالي ستَصْلُحُ حالُها.
أمـا تَتّقي أن يَشْرَئِبَّ لِنُصْرَتي قَويٌّ إذا رامَ السماء يَنالُهـا[١].
وزيرَ العُـلا، عِندي من القولِ فَضْلَةٌ: رَويَّتُهـا في مَدْحِـكم وآرتجالُها[٢].
وما كُنْتُ أخشى مُدّةَ الدهرِ أن أُرى تَميـدُ بيَ الدُنيـا وأنتم جِبالُهـا!

– وله قصيدةٌ يشكو فيها الناس ويُبدي رأياً سيِّئاً في مُعامَلَتِهِمْ، منها:

وعامِـــلْ بالخديعــةِ من لَقيــتَ وبــادِرِ الفُرصـا.
وهُزَّ لِمَعْشَرٍ سَيْفـــــاً. وهُزَّ لآخَرينَ عَصا.
وسُؤْ ظَنًّـــا بكـــلِّ أخٍ يُقاسِمُكَ الثَنـا حُصَصـا[٣].
ولا تَحْرِصْ، فرُبَّ فَتًـــى مُضــاعٌ عندمـا حـرَصـا؛
وحِرْصُ الطائرِ الواقـ ـعِ صَيَّرَ جَوَّه قَفَصـــا[٤].
وقـد ذَهَـبَ الوفـاءُ، فـلا يقولُ مُغالطٌ: نَقَصا!
ومن شَهِـدَ الخطوبَ وعـا ش مِثْلي يَشْرَحُ القصَصا.

٤ – ★★ المحمّدون من الشعراء ٢٦٣ – ٢٦٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ١٦ – ١٧؛ التكملة (رقم ١٠٥٥)؛ زاد المسافر ٤٣ – ٤٨؛ المطرب ١٩٩ – ٢٠٢؛ المعجب ١٥١ – ١٥٣؛ النبوغ المغربي ١٦٧ وما بعد، ٦٨٠، ٨٥٢ – ٨٥٤، ٩٠٨ – ٩٠٩؛ الأدب المغربي ١٦٩ – ١٧٣؛ تاريخ الجزائر العامّ ١: ٣٦٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٣٣ (١٠١).

أحمد بن مالك السرقسطيّ

١ – هو أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الوزيرِ أبي الوليدِ محمّدِ بنِ مالكٍ الأنصاريُّ أصلُه من سَرَقُسْطة، انتقلَ أبوه منها وسَكَنَ بَلَنْسِيَةَ. ويبدو أنّه هو أيضاً قد تولّى الكِتابة

(١) تتّقي: تخاف. اشرأب: تطاول، نهض.
(٢) ...– وقفت جميع شعري (الذي أقوله ارتجالاً والذي أقوله بعد رويّة وتفكير) على مدحكم وحدكم.
(٣) يقاسمك الثنا حصصاً: يثني عليك كلّما أثنيت أنت عليه (يعاملك معاملة حسابية).
(٤) – طمع الطائر في أن يلتقط كلّ حبّة (حتّى تلك القريبة من الفخّ) هو الذي يوقعه في يد الصائد.

والوِزارة. وقيل إنّه ذهب إلى مَرّاكُش. وقد كانت له رِحْلةٌ إلى مِصْرَ واشتَهَرَ هنالك. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٥٧١ (١١٧٥ - ١١٧٦ م).

٢ - كان أحمدُ بنُ مالك السَرَقُسْطيُّ أديباً شاعراً مُقصِّداً ووشّاحاً. وكانتْ له مشاركةٌ في الفلسفة.

٣ - مختارات من شعره:

- موشّحةٌ لأحمدَ بنِ مالكٍ السَرَقُسْطِيِّ فيها مَدْحٌ وغزلٌ وخَمْرٌ:

حُـثَّ كـأسَ الطَـلا عـلى الزَهْرِ   وأدِرْهــا كالأنْجُمِ الزُهْرِ[1].

* * *

أنسيمٌ يفوحُ أم عِطْرُ
وغُصونٌ أمالَهــا القَطْرُ
تَنْثَـني ومــا بِهــا سُكْرُ؟
وطيورٌ نَطَقْنَ بالسِحْرِ حــينَ هـبّ النسيمُ في السحرِ[2]

* * *

اطردِ الهَمَّ بابنـــةِ العِنَـــب،
وامزُجِ الراحَ من لَمًـى شَنِـب.
إنّما طيـــبُ عيشِ ذي أدَب
قَطْـــعُ أيـــامِ دهرِهِ الغُرِّ بسُلافٍ وشادِنٍ غِرِّ[3].

* * *

(١) الطلا: الخمر. الأنجم الزهر (البيضاء، اللامعة).

(٢) القطر: المطر (؟). السحر (بفتح ففتح أو بفتح وسكون أو بضمّ فسكون): آخر الليل قبيل مجيء الصباح.

(٣) اللمى: سمرة الشفاه. الشنب (الريق) البارد. الغرّ (بالضمّ جمع أغرّ وغرّاء): البيض. السلاف: الخمر. الشادن: الغزال الصغير. الغرّ (بالكسر): الذي لا اختبار له (محبوب لطيف طيّب القلب).

بمَعـــالي أبي عـــليٍّ أهـــيمْ
رقّ طَبْعـــاً كالمـــاء أو كالنَسيمْ
ذي جَـبينٍ طَلْقٍ ووَجْـهٍ وَسيمْ
ويمـــينٍ تَنْهَـــلُّ بالتِبْرِ وسيوفٍ هـامَ العِـدا تَبْري[1].

★ ★ ★

ذو جـــلالٍ سامٍ وعِزٍّ أثـــيرْ
طالـــبٌ حافـــظٌ ذَكيٌّ وزيرْ
زادَ مِنّـــا قُرْبـــاً بقُرْبِ الأمـــيرْ
وَهْوَ فوقَ السِماكِ والنَسْرِ إن دَجـــا ليلُنـــا بـــه نَسْري[2]

★ ★ ★

صِـلْ ثَنـاءً عـلى ابنِ أبي زَيْدِ
بَطَـــلٌ في الحروبِ ذو كَيْـــدِ
وعـــلى المارقـــينَ ذو أيْـــدِ
لم يَهِمْ بالحِسان والسُمْرِ إنّما هـــامَ بالقَنـــا السُمْرِ[3]

★ ★ ★

رُبَّ هَيْفـــاءَ شَفّهـــا بُعْـــدا
عَـــفَّ عنهـــا فـــلم تَجِـدْ بُـدّا

---

(١) طلق: بشوش. وسيم: جميل. التبر: الذهب (العطايا). تنهلّ (تمطر) بالتبر:كريم؛ كثيرة العطايا. هام: رؤوس. برى: قص، قطع.

(٢) أثير: مكين، ثابت. السماك والنسر: نجمان (كناية عن العلوّ والرفعة). دجا: أظلم. نسري: نسير ليلاً (إذا اضطربت الأمور اهتدينا به).

(٣) المارق: الخارج على إرادة جماعته. الأيد: القوة. هام: اشتدّ حبّه. القنا (الرماح) السمر (جمع أسمر: رمح ذابل: دقيق قويّ).

مِنْ هواهُ فأنْشَدَتْ وَجْـــــدا:

رَبِّ، قَوِّ في ذا الهوى صَـــبري   إنّ هَجْرَ الحبيـــبِ كالصــبرِ[1]

٤ - ★★ التكملة ١ : ٧٧ (رقم ٢٠٥). المغرب ٢ : ٤٤٦؛ جيش التوشيح ٢١٣ - ٢٢٤ (راجِع ٢٧٧)؛ أخبار وتراجم أندلسية ١٦.

ابن سعد الخير البلنسيّ

١ - هو الأستاذ أبو الحسنِ عليُّ بنُ إبراهيمَ بن محمدِ بنِ عيسى بنِ سعدِ الخير الأنصاريُّ البلنسيُّ، قشتيليُّ الأصلِ، وُلِدَ في بَلَنْسِيَةَ نحو سَنَةِ ٥١٠ (١١١٦ م) وسَكَنَها. وتلقّى ابنُ سعدِ الخيرِ العِلْمَ على نفرٍ منهم أبو الحسنِ بنُ النِعمة ولازمه وتأدّب به، ومنهم أبو محمدِ بنِ السيّدِ واختُصّ به. وكان منهم أبو الوليد محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بن خِيَرةَ وأبو الوليدِ بنُ الدبّاغ. وقد تصدَّرَ للتدريس في بلنسيةَ طولَ عُمُرِهِ. وكانت وفاتُه في ربيعٍ الآخرِ من سَنَةِ ٥٧١[2] (خريف ١١٧٥ م) في إشبيلية.

٢ - كان ابنُ سعدِ الخيرِ بارعاً في علومِ اللسانِ (اللغةِ والنحوِ والأدب)، وكان كاتباً بليغاً وشاعراً مُجيداً جيّدَ الوصفِ. وكذلك كان مُصنّفاً له رسائلُ بديعةٌ وكتبٌ منها: الحُلَل في شَرْح الجُمَل[3] (للزجّاجي المُتوفّى ٣٣٧) والقُرْط المُذَيَّل على الكامل (للمبرِّد المُتوفّى سنة ٢٨٦) وله جذوةُ البيان وفريدة العُقْيان.

٣ - **مختارات من شعره:**

- قال أبو الحسن الأنصاريّ البلنسيُّ يَصِفُ سَحابةً يَظْهَرُ البرقُ من خِلالِها:

---

(١) الهيفاء: المشوقة القوام. شَفَّها: أنحلها (من الهمّ أو من المرض). الوجد: الحبّ. الشوق. الصبر (بفتح فكسر): الطعم المرّ (والشاعر استعمل الكلمة بسكون الباء).

(٢) في فوات الوفيات (٢ : ٤٩): سنة «إحدى وسبعين وستّمائة» (بالأحرف)- وهو خطأ.

(٣) شرح الأبيات التي في كتاب الجمل (في النحو) للزجّاجيّ.

وساريـــــةٍ سَحَبَـــتْ ذَيْلَهـــا وهَزّتْ على الأُفْق أعْطافَها[١]؛
تسلُّ البُروقَ بأرْجائِهـــــا كما سَلّـتِ الزَّنْجُ أسيافَهـا[٢].

- وقال يصف طلوعَ البدر في لَيْلةٍ داكنة[٣]:

بَـدا البـدرُ في أُفْقِـه لابِساً ثِيابـــاً من الشَفَـــقِ الأحْمرِ.
فشَبَّهْتُـــه - والدُجـى حائِـلٌ عَروساً تُزَفُّ إلى أسْمَر!

- وقال يصف ناعورةً يدورُ دولابُها:

للّـــهِ دولابٌ يَفيـــضُ بِسَلْسَلٍ في رَوْضةٍ قد أيْنَعَتْ أفْنانا[٤].
قد طارَحَتْهُ بها الحمامُ بِشَجْوِها فيُجيبُهـا ويُرَجِّـعُ الألحانـا[٥].
فكأنّـه دَنِـفٌ يـدورُ بِمَعْهَـدٍ يَبْكي ويَسألُ فيه عَمّنْ بانـا[٦].
ضاقتْ مَجاري جَفْنِه من دَمْعِه فتَفَتَّحَـتْ أضْلاعُـه أجْفانـا[٧]!

٤ - ** زاد المسافر ١٤٥ - ١٤٧ (رقم ٥٥)؛ التكملة ٢ : ٦٧١ (رقم ١٨٦٨)؛ تحفة القادم ٥١ - ٥٣؛ المغرب ٢ : ٢١٣ - ٢١٤؛ الذيل والتكملة ٥ : ١٨٧ - ١٩١؛ فوات الوفيات ٢ : ٤٩ - ٥٠؛ صلة الصلة ٩١؛ نفح الطيب ٣ : ٣٣٠؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٥٣ (٤ : ٢٥١).

---

(١) السارية: الغيمة الآتية في المساء. سحبت ذيلها (كناية عن قربها من الأرض: تكون ثقيلة كثيرة الماء). العطف (بكسر العين): جانب الجسم (تتحرّك كثيراً لاشتداد الريح).

(٢) تظهر أقسام البرق من خلال فجواتها كأنّ تلك الأقسام من البرق سيوف. سلت الزّنْجُ أسيافها (شبّه السحابة السوداء التي تَسُلُّ بروقها بالزّنج الذين يَسلُّون أسيافهم).

(٣) الداكن (المائل إلى السواد). الحائل (في البيت الثاني): متغيّر (الليل قليل السواد - لكثرة البرق!).

(٤) السلسل: (الماء) العذب الذي ينحدر في الحنجرة بسهولة. الأفنان: الأغصان. أينعت (الأغصان): نضج الثمر الذي عليها.

(٥) طارحه: بادله، تداول الحديث معه. الشجو: الحزن. رجّع: أعاد (الصوت) وكرّره.

(٦) الدنف: المريض المقبل على الموت (من الحبّ). المعهد: المكان الذي كان مسكوناً. بان: ابتعد، هجر (المكان).

(٧) في دولاب الناعورة قواديس (علب صغيرة) ترفع الماء من النهر أو البئر ثمّ إذا علت ألقته في مجرى أو حوض (فكأنّ تلك القواديس عيون). ولكنّ أصابع الدولاب ترفع أيضاً ماء (فكأنّ الماء يخرج من ضلوع الدولاب).

الرصافيّ الرفّاء البلنسي

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ غالبِ الرفّاءُ الأندلسيُّ الرُصافيّ البَلَنْسيُّ، نسبةً إلى رُصافةِ بَلَنْسِيَةَ.

وُلِدَ الرُّصافِيُّ الرفّاءُ الأندلسيُّ في رُصافةِ بَلَنْسِيَةَ، في سَنَةٍ نَجْهَلها. وخرجَ به أهلُه من الرصافةِ إلى مالَقَةَ - طَلَباً للرِزْقِ - وله من العُمُرِ نحوُ عَشْرِ سِنِينَ. وفي مالَقَةَ بدأ الرصافيُّ يَتَلَقّى شيئاً من فنونِ العِلْمِ والأدبِ لا نَعْرِفُ شيئاً من تفاصيلها. غير أنّ الذي نَعْرِفُهُ أنّ الرصافيَّ عاش في مالَقَةَ عيشةَ لهوٍ ومَجانةٍ، وأن مواهِبَهُ الشِعرية تفتَّحتْ باكراً.

في سَنَةِ ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). جاءَ سُلطانُ المُوحِّدِينَ عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ إلى الأندلسِ ونَزَلَ بجبلِ الفَتْحِ (جبلِ طارقٍ) ثمّ اسْتَدْعى الشُعراءَ فوفَدوا عليه، وألقى الرصافيُّ بينَ يديهِ قَصيدةً - فيها ثلاثةٌ وستّونَ بيتاً - صحيحةَ البِناء تفيضُ بالروح الدينيّ وتَكْثُرُ فيها الإشاراتُ التاريخيةُ. ولقدْ بَشّرتْ هذه القصيدةُ الرصافيَّ الذي لم يَكن بعدُ قد جازَ العِشْرين بمستقبلٍ زاهرٍ في الشعر.

ثمّ إنّ الرُّصافِي انْتَقَلَ إلى غَرْناطةَ واسْتَوْطَنها - ووَاليها يومَذاكَ محمّدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ سعيدٍ - من غيرِ أن يَتْرُكَ التردّدَ، في الحينِ بعد الحينِ، على مالَقَةَ. غيرَ أنّه في هذه الأثناءِ زَهِدَ في الدنيا فانصرفَ إلى التكسُّبِ بالرَّفْوِ أَنَفَةً من التكسّب بالشعر. ومَعَ ذلك فقد كانت عطايا الأُمراءِ والأعيانِ تَصِلُ إليه. وقضى الرُّصافيّ عُمُرَهُ عَزَباً.

وفي ١١ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٧٢ هـ (١١٧٧/٢/١٣ م) تُوُفِّيَ الرُّصافيُّ البَلَنْسِيُّ في مالَقَةَ.

٢ - كان الرُصافيُّ الأندلسيُّ شاعراً كبيراً مشهوراً في عصرِهِ. وكان يُطيلُ أحْياناً ويُجيدُ في المُقَطّعاتِ وفي القصائدِ. ومَعَ أنّه كانَ من الذين يُنَقِّحون شِعْرَهم ويُجَوِّدونه ويتكلّفون فيه أحياناً، فقد كان في شِعْرِهِ رِقّةٌ وعُذوبة. وفي شعره أيضاً تقليدٌ ظاهرٌ للمشارقة: كان يُشَبَّهُ بابنِ الروميّ في الغَوْصِ عن المعاني وفي تَوْليد بعضِها من بعضٍ، كما كان يُقلّد ابنَ خَفاجةَ الأندلسيَّ، إلّا انّه كان أميل إلى الخيال. وللرُّصافي مدح

قليلٌ ورثاء بارعٌ فيه من التصوير أكثر ممّا فيه من التفجّع؛ ثمّ له وصف جيّد للطبيعة يُكْثِرُ فيه من وصف الطبيعة في وطنه؛ كما تكْثُرُ في شعره أوصاف الحياة الدنيا (كوصف النجّار والصفّار - صانع الأدوات من الصُفْر أو الشَبَه، أي من النُحاس الأصفر). وفي شعره وصفٌ للخمر وغزل مؤنّث وغزل مذكّر ومُجون. ويَغْلِبُ على شعره النسيبُ والشكوى والحَنين إلى الوطن وإلى الماضي.

٣ - **مختارات من شعره:**

- قال الرُّصافيُّ البلنسيُّ يمدح أبا جعفرِ الوَقَّشِيَّ وزيرَ ابن هَمُشْكَ بقصيدةٍ منها:

يا سعدُ، قد طاب الحديثُ فزِدْ ... منه أخا نَجْواك، يا سعدُ[(١)].
فلقد تَجَدّدَ لي الغرام، وإنْ ... بَلِيَ الهَوى وتقادَم العَهْد.
ذِكَرٌ تَمُرُّ على الفؤادِ كما ... يُوحي إلَيْك بِسَقْطِه الزَّنْدُ[(٢)].
وإذا خَلَوْتُ بها تَمَثَّلَ لي ... ذاك الزمانُ وعَيْشُه الرَغْد[(٣)].
ولِقاءُ جيرتِنا، غَداتَئذٍ، ... مُتَيَسِّرٌ ومَرامُهم قَصْدُ[(٤)].
من كلِّ أرْوَعَ حَشْوَ مِغْفَره ... وَجْهٌ أغرُّ وفاحِمٌ جَعْد[(٥)].
ذُكِرَ الوزيرُ الوَقَّشِيُّ لهم ... فأثارَهم لِلقائِه الوُدّ.
قد رَنّحَتْهم من شَمائِلِه ... ذِكَرٌ كما يَتَضوّعُ النَّدّ[(٦)]
نِعْمَ الحديثُ الحلوُ تَمْلكُه الـ ... ـرُكْبان حيثُ رمى بها الوَخْد[(٧)].

---

(١) النجوى: التسارّ (التخاطب بصوت منخفض جدًّا). أخو النجوى: الصديق الحميم.

(٢) الزند: حديدة تقدح بها النار من الصوّانة. السقط: الشرر المتساقط من قدح الصوّانة بالزند. ذكر.... (يجب أن تكون بعيدة غائمة في النفس).

(٣) إذا خلوت بها (أستعيد ذكراها) تمثّل لي (وضح في ذهني). الرغد (خصب، كثير، ناعم).

(٤) مرامهم (هدفهم) قصد (معتدل): لا يطلبون أموراً يصعب تحقيقها.

(٥) أروع: شجاع. المغفر: غطاء للرأس. حشو مغفره (أي رأسه). وجه أغرّ (أبيض): كريم الأصل والأعمال. وفاحم (شعر أسود) جعد: كناية عن الشباب والقوّة.

(٦) رنّحت الريح القوم: أمالتهم، حرّكتهم، هزّتهم، (سرّتهم). الشمائل: الصفات الحميدة. تضوّع النّد (نوع من الطيب): انتشرت رائحته.

(٧) الركبان: المسافرون. الوخد: السير، السفر (البعيد الشاقّ).

رَجُـلٌ إذا عَرَضَ الرِجـالُ لـه   كَثُرَ العديـدُ وأعْوَزَ النِّـدّ[1]
سَتَرى الوزيرَ ومَجْـدَه فـترى   جَبَـلًا يُـلاذُ بـه ويُعْتَـدّ[2]؛
وترى مآثِرَ لا نَفـادَ لهـا   بالعَـدّ حتّـى يَنْفَـدَ العَـدّ[3]!
ولقـد أراني بالبِـلادِ وآ   مـالُ البـلادِ ببابـهِ وَفْـدُ[4]؛
وهِباتُـه تَصِـفُ النَّـدى بيـدٍ   عَليـاءَ أقْـدَمُ وَفْرِهـا المَجْدُ[5]
وكَفـى بِـأنْ وَسَمَ النَـدى سِمَةً   لم تَمْحُهـا الأيّـامُ من بَعْـدُ[6]
بِعَوارفٍ عَمَرَ البـلادَ بِهـا   فاخْضَرّ مِنْها الغَوْرُ والنَّجْد[7].
هَيْهـاتِ يَذْهَـبُ عنـك مَوْضِعُه   هَطَـلَ الغمامُ وجَلْجَـلَ الرَّعد[8].
أعْرَبْـتُ عن مَكْنونِ سُؤْدُدِه   مـا تُعْجِمُ الوَرْقـاءُ إذْ تَشْدو[9]:
سُوَراً مِنَ الأمْـداحِ مُحْكَمَـةً   من آيِهِنَّ الشُكْر والحَمْـدُ[10].
ولَعَـلّ مـا يَخْفـى وراءَ فَمي   من وُدّهِ أضْعـافُ مـا يَبْـدو.

– وقال يصف جماعة مسافرين قد نهكهم السفر فأخذوا يترنّحون على العِيسِ

(١) كثر العديد (كثر عدد الناس العاديّين). وأعوز النّد: استحال وجود شبيه له.
(٢) يلاذ به: يلجأ الناس إليه، يحتمون به. يعتدّ: يتّخذ عدّة (ذخيرة، وسيلة للدفاع) في المستقبل.
(٣) المآثر: المحامد: لانفاد له بالعد....: مهما تطل في العدّ لا تستطع عد مآثره.
(٤) آمال البلاد ببابه وفد: آمال الناس كلّهم تتّجه إليه.
(٥) هباته: عطاياه. تصف الندى (الكرم): هي التعريف الصحيح للكرم (لأنّ عطايا الناس صغيرة لا تدلّ على كرم، بينما عطاياه هو كبيرة جدًّا). أقدم وفرها (غناها) المجد: تعوّدت ذلك منذ القدم.
(٦) وسم الندى سمة: وضع على الندى (الكرم) علامة (خاصّة به). لم تمحها الأيّام من بعد: لم يأت بعده أحد أكرم منه حتّى ينسى الناس كرمه هو.
(٧) العوارف (جمع عارفة): المعروف (الصنيع الحسن). الغور: المكان المنخفض. النجد: المكان المرتفع.
(٨) هيهات يذهب عنك موضعه: إنّك لا تضلّ الطريق في الوصول إليه. جلجل: أحدث صوتاً قويًّا. (إنّك تبصر المطر وتسمع الرعد من نحو أرضه) – عطاياه دائمة لا تنقطع، وكثيرة لا تخفى.
(٩) أعربت: أوضحت، بيّنت. مكنون: مستتر، خفي. السؤدد: المجد. أعجم الشيء: ستره، الورقاء: الحمامة. تشدو: تغنّي. – الحمام يذكر كرم هذا الممدوح ولكنّ الناس لا يفهمون كلام الحمام فجئت أنا بشعري أشرح كلام الحمام هذا وأبيّنه......
(١٠) .... سُوَراً من الأمداح: الحمائم تتلو على الناس سوراً في مديحه. من آيهنّ: من آيات تلك السور. – أنّ الحمد والشكر اللذين تغنّى بهما الحمام هما ما يستوجب هذا الممدوح على بعض أعماله.

(النياق) من النعاس كأنّهم سكارى:

ومُجِــدّينَ لِلسُّرَى قــد تَعاطَوْا غَفَواتِ الكَرى بغير كُؤوسِ[١].
جَنحوا وانْثَنَوْا على العِيسِ حتّى خِلْتَهم يَلْثِمون أيْدي العِيسِ[٢].
نَبذوا الغَمْضَ، وَهْوَ حُلوٌ، إلى أنْ وَجَدوه سُلافَـةً في الرؤوسِ[٣]!

- كان الرصافي بظاهرِ مالَقَةَ مَعَ طائفة من أصحابه على أُنْس، فَصَعِدَ غلامٌ أسودُ لأحدِهم شَجَرَةَ لَوْزٍ مُنَوِّرةً ثمّ قطع منها غُصْناً وجاءهم به. فسأل الجماعةُ الرُّصافيَّ أن يَصِفَ ذلك لهم، فقال بَديهة:

وزَنْجِيٍّ أَلَمَّ بنَوْرِ لَوْزٍ، وفي كاساتنـا بِنْتُ الكُرومِ[٤].
فقـالَ فتًـى من الفِتْيانِ صِفْهُ فقلتُ: اللَّيْلُ أقْبَلَ بالنُّجوم[٥]!

- وقال يصف حائكاً (صغير السنّ جميلاً):

قالوا وقدْ أكْثروا في حُبِّه عَذَلي: لو لم تَهِمْ بُمذالِ القَدْرِ مُبْتَذَلِ[٦]!
فقلتُ: لو كان أَمْري في الصَبابـةِ لي لاَخترْتُ ذاك؛ ولكن ليس ذاك لي.
عُلِّقْتُـه حَبَبِيَّ الثَغرِ عاطِرَهُ، حُلوَ اللَّمَى ساحِرَ الأجفانِ والمُقَلِ[٧].
غُزَيِّـل لم تزل في الغَزْل جائلةً بنانُـه، جَوَلانَ الفكر في الغزَلِ[٨].

---

(١) السرى: السير ليلا. - يشبّه النوم كأنّه خمر يشربها الإنسان.

(٢) جنحوا: مالوا. انثنوا: انحنوا (بفتح النون). - كان أحدهم ينحني على ظهر ناقته كثيراً (وهو بلا وعي من عمق نومه) حتّى يكاد رأسه يصل إلى الأرض.

(٣) لم يريدوا أن يناموا فقهرهم النوم كأنّه خمر يغيب شاربها عن وعيه.

(٤) ألمّ: أصاب، قطف. النور (بفتح النون): الزهر الأبيض. بنت الكروم: الخمر.

(٥) الليل = الغلام الزنجي. النجوم = زهر اللوز الأبيض.

(٦) العذل: اللوم. هام: ضلّ، جرى على غير هدى (أحبّ حبًّا بلا وعي). مذال القدر: مهان، قليل القيمة. مبتذل: معروض ومبذول لكلّ طالب.

(٧) علّقته: تعلّق قلبي به، أحببته. الحببيّ: نسبة إلى الحبب = فقاقيع الهواء التي تطفو على سطح الخمر في الكأس. حببيّ الثغر (الفم): طعم ريقه كالخمر (!). اللمى (بفتح اللام أو كسرها أو ضمّها): السمرة في الشفاه. حلو اللمى: حلو الريق، عذب التقبيل. المقلة: العين.

(٨) غزيّل = مصغّر غازل. الغزل: خيوط القطن والصوف الخ. البنان جمع بنانة: طرف الإصبع =

جَـذْلانُ تلعَـبُ بالحواك أَنْمُلـه   عـلى السَّدى لَعِبَ الأَيَّام بالأَمل[1].
ضمًّا بكفَّيـه أو فَحْصاً بأَخْمَصه   تخبُّطَ الظبْي في أَشراك مُحْتَبِـل[2].

- وقال يتشوّق إلى بلنسية (وكان قد نشأ فيها):

خَليـليَّ، ما للبِيد قد عَبَقَتْ نَشْرا،   وما لرُؤوس الرَّكْب قد رُنِّحَتْ سُكْرا[3]
هـلِ المِسْكُ مَفْتوقاً بِمَدْرَجَةِ الصَّبا   أَم القومُ أَجْرَوْا من بَلَنْسِيَةٍ ذِكْرا[4]!؟
بِلادي الـتي رِيشَتْ قُوَيْدِمَتي بها   فُرَيْخاً، وآوَتني قَرارتُها وَكْرا[5].
مَبـادىءُ لينِ العيشِ في رَيِّقِ الصِّبا   أَبى اللهُ أَنْ أَنْسى لها أَبداً ذِكْرا[6].
أكُـــلُّ مكان راحَ في الأرض مَسْقَطـاً
لرأسِ الفَـتى يَهْواه - مـا عـاش - مُضْطَرًّا؟
بَلَنْسِيَـةٌ تلكَ الزَّبَرْجَـدةُ الّتي   تَسيـلُ عليها كلُّ لُؤْلُؤَةٍ نَهْرا[7].
كـأَنّ عَروساً أَبْدَعَ اللهُ حُسْنَهـا   فَصيّر من شَرْخِ الشّبابِ لها عُمْرا.

= (الإصبع). - تتفنّن أصابعه في نسج الثياب (بطرق وأنواع كثيرة) كما يذهب الفكر مذاهب كثيرة في تأمّل جماله.

(١) جذلان: فرحان. الحواك ليست في القاموس، والشاعر يقصد «الوشيعة»، والعامّة تقول: المكّوك (وقد أقر مجمع اللغة العربية كلّمة «المكّوك»): بكرة تلفّ عليها خيوط ثمّ تقذف فوق السّدى (الخيوط المنصوبة طولاً على المنوال) يميناً ويساراً لتؤلّف اللحمة (بضمّ اللام: الخيوط العرضية في النسج) فينشأ النسيج.

(٢) قذفاً بالوشيعة بيده اليمنى إلى اليسار، وبيده اليسرى إلى اليمين - بسرعة عظيمة حتّى يبدو وكأنّه يضم يديه. فحصاً بأخمصه (باطن قدمه): تحريكاً برجليه (على خشبتين تفصلان السدى طبقتين حتّى تمر بينهما الوشيعة). المحتبل: الذي يصيد الحيوانات بالحبالة (بضم الحاء): شرك من حبال.

(٣) البيد (جمع بيداء: الأرض الواسعة). عبقت نشرت: انتشرت (في البيد) رائحة طيّبة. الركب: المسافرون. رنّحت: ترنّحت، تمايلت.

(٤) المسك المفتوق: المسك حينما يفتح وعاؤه للمرّة الأولى. مدرجة: مكان تدرج فيه الريح (تهبّ وتستمر). الصَّبا: ريح الشرق.

(٥) القويدمة = مصغّر قادمة: الريشة الكبيرة في جناح الطائر. - بلادي (بلنسية) شببت فيها وكانت سكناً (وطناً) لي.

(٦) ريّق (أول) الصِّبا (الشباب). - عرفت أول حياتي الناعمة الهنيَّة في بلنسية.

(٧) الزبرجد: حجر كريم أخضر. - بلنسية كثيرة الجنائن كثيرة الأنهار.

- وقال من قصيدة يرثي بها:

وقد وَدّعْتُ قَبْلَكَ كلَّ سَفْرٍ، ولكنْ غابَ حيناً ثمّ آبا[١].
وأهْيَجُ ما أكونُ لك ادّكاراً إذا ما النّجم صَوَّبَ ثُمَّ غابا[٢].
أرى فَقْدَ الحبيبِ من المنايا إلى يأسٍ كَمَنْ فَقَدَ الشبابا.
وما معنى الحياةِ بِلا شَبابٍ؟ سواءٌ مات في المعنى وشابا.
وليلِ أسىً كصُبْحِ الشَّيْبِ قُبْحاً أكابِدُه سُهاداً وانْتِحابا[٤]
تزيدُ بهِ جَوانِحِيَ اتِّقاداً إذا زادتْ مَدامِعِيَ انسكابا.
أيا عبدَ الإلَهِ، نداءُ يأسٍ؛ وهلْ أرجو لَدى رَمْسٍ جَوابا!
أصِخْ لي كيفَ شِئْتَ، فإنَّ أُنْساً لِنَفْسي أن تُبَلِّغَكَ الخِطابا[٥].
سَقاك - ولا أخُصُّ - رَبابُ مُزنٍ؛ لَعَلّ ثَراكَ قد سَئِمَ الربابا[٦].
ولكنْ ما يَسوغُ على التكافي لِقَبْرِكَ أن يكونَ لَه شَرابا[٧]
فإنّي رُبّما اسْتَسْقَيْتُ يوماً لَكَ الجَوْنَيْنِ: جَفْنِيَ والسَحابا[٨]
فتَخْجَلُ من مُلوحَتِها دُموعي إذا ذَكَرَتْ شَمائِلَكَ العِذابا[٩]!

---

(١) السَّفر: المسافر، المسافرون. آب: رجع. عاد.
(٢) ادّكار: اذدكار: تذكّر. صوّب: انحدر، مال إلى المغيب.
(٤) وليل أسى: الليل الأسود من الأسى (الحزن) يشبه صبح الشيب (بياض الشعر). السهاد: السهر. الانتحاب: البكاء بصوت مرتفع.
(٥) أصاخ: ألقى بسمعه. سمع.
(٦) الرباب (بفتح الراء): جمع ربابة: السحابة البيضاء. - لا أطلب لقبرك أن تسقيه السحب، فإنّي أرى أن قبرك قد سقته سحب كثيرة (لأنّك أنت تستحق رحمة الله على ما كان منك من أعمال صالحة في الدنيا). حتى سئم قبرك المطر من السحاب.
(٧) ساغ: سهل مجرى الشراب في الحلق. ساغ له الأمر: جاز له أن يفعله. التكافي: المماثلة. - إنّ مطر السحاب وحده ليس أهلاً أن يكون الماء النازل على قبرك.
(٨) الجون: الأسود، السحاب الأسود (الممطر). - كنت أحياناً أستسقي لك (أطلب لك السقيا) من دموعي أيضاً.......
(٩) .... ولكن كنت أخجل من طلبي هذا حينما أذكر أن دمعي مالح وأن شمائلك (خصالك) عذبة (حلوة، رقيقة).

٤ - ديوان الرصافي البلنسي (جمعه وقدّم له إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة ١٩٦٠ م).

★★ بغية الملتمس ١٠٩ - ١١٠ (رقم ٢٥١)؛ المغرب ٢: ٣٤٢ - ٣٤٤؛ الوافي بالوفيات ٤: ٣٠٩ - ٣١٢، ٥: ٢٥٣؛ تحفة القادم ٥٦ - ٥٧؛ وفيات الأعيان ٤: ٤٣٢ - ٤٣٤؛ المعجب ١٥٤ - ١٥٩؛ أعمال الأعلام ٢٦٦ - ٢٦٨؛ شذرات الذهب ٤: ٢٤٢؛ نفح الطيب ١: ١٨١، ٢: ٣٣٥ - ٣٣٦، ٣: ٢٠٣، ٤٠١، ٤٨٦، ٥١٣ - ٥١٥، ٤: ١٥٩ - ١٦١؛ نيكل ٣٢٧؛ مختارات نيكل ١٩٢ - ١٩٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١٧ (٦: ٣٢٤).

ابن هردوس

١ - هو أبو الحكم أحمدُ بنُ عليٍّ بن هردوسٍ، من أهلِ حِصن مَرشانةَ ★ سكنَ مالقةَ (مِنطقة المريّة)، كان كاتباً للسيّد عُثمانَ بنِ عبدِ المؤمن بنِ عليّ والي غَرنَاطة. كانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٧٢ أو ٥٧٣ هـ (١١٧٦ م) في مَرّاكُش.

٢ - كان ابن هردوسٍ كاتباً مترسّلًا وشاعراً ووشّاحاً.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحكم بنُ هردوسٍ في الأرضِ تَضيقُ عليكَ فترحَلُ إلى غيرِها:

إذا ضاقتْ عليـك فَولِّ عنهـا وسِرْ في الأرضِ واختبرِ العِبـادا .
ولا تُمْسِكْ رِحَالَـكَ في بـلادٍ غَدَوْتَ بأهلِها خبراً مُعادا[1].

- وله مُوشّحةٌ في مديحِ عُثمانَ بنِ عبدِ المؤمن، منها:

يـا ليلـةَ الوصـالِ والسعودِ، بـــــاللهِ، عودي.

★ ★ ★

كم بـــتُّ في ليلـــةِ التَمنّي

---

(١) خبر معاد: يتحدّثون عنك كثيراً (لطول إقامتك بينهم). ★ قرب إشبيلية.

لا أَعرفُ الهَجْرَ والتَجَنّي
أَلْثِمُ ثَغْرَ المُنى وأَجْني،
من فوقِ رُمّانَتَيْ نُهودٍ، زَهْرَ الخُدودِ.

★ ★ ★

مَدْحُ الأميرِ الأجلِّ أَوْلى
السيّدِ الماجدِ المُعَلّى
تاجِ المُلوكِ السَنِيِّ الأعلى
أفضلِ مَنْ سارَ بالجُنودِ تحتَ البُنود

★ ★ ★

أَكْرِمْ بعَلْياهُ من هُمامِ
إمامِ هُدًى وابنِ الإمامِ
مُبَدِّدِ الرومِ بالحُسامِ
يَعْقِدُ في هامةِ الأسود بيضَ الهنود[1].

٤ - ★★ المغرب ٢: ٢١٠ - ٢١١؛ التكملة (طبع الجزائر) ١٨٧؛ الوافي بالوفيات ٦: ٥٧؛ المقتضب من تحفة القادم ٥٤؛ صلة الصلة ٩٢؛ نفح الطيب ٤: ٢٠١ - ٢٠٢.

أبو الحسن بن نزار

١ - هو الأميرُ أبو الحسنِ بنُ نِزارٍ حسيبُ وادي آشَ ومن أعيانها وحُكّامها. لمّا سقطت دولة المُرابطين (٥٤١ هـ = ١١٤٦ م) خَلَعه أهلُ بلدِه وبايعوا لمحمّدِ بنِ مردانيشَ صاحبِ مُرْسِيَةَ (توفي ابن مردنيش ٥٦٧ هـ) ثمّ وَشَوْا به إلى ابنِ مردانيش. فحمله ابنُ مردانيشَ إلى مُرسيةَ وسَجَنه فيها ثمّ أطلقَ سَراحَه وردّه إلى

(١) بيض (سيوف) الهنود (جمع هندي: سيف من صنع الهند).

حُكم وادي آشَ في حديثٍ طويل. عاش أبو الحسن بنُ نزارٍ في النِصف الثاني من القرن السادس للهجْرة (النصف الثاني من القرن الثاني عَشَرَ للميلاد).

٢ - أبو الحسن بنُ نزارٍ شاعرٌ ومُتَرَسِّلٌ. وشعرُه كثيرٌ جيّدٌ رقيقٌ. وله قصيدٌ ومُوشَّح.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحسنِ بنُ نزارٍ في الفَخْر (بعد أن خَسِرَ مُلكه في الأغلب):

الآنَ أَعرِفُ قدرَ النفعِ والضَرَرِ، وَكَيفَ أُصْدِرُ ما للمُلْك من صَدَرِ[1]،
وكيف أطْلُعُ في أُفْقِ العُلا قمراً ويستهلُّ بكفّي واكِفُ الدُرَرِ[2]،
وكيف أملأ صدرَ الدهرِ من رُعُبٍ وأستقلُّ بحملِ الحادثِ النُكُرِ[3]،
وأستعدُّ لما ترمي الخُطوبُ بهِ وأستطيلُ على الأيام بالفِكَرِ[4].
لكنّني رُبّما بادرتُ مُنْتَهِزاً لفرصةٍ مَرَقَتْ كاللَمْحِ بالبصر.
في أمِّ راسيَ ما يَعيا الزمانُ به شَرْحاً، فسَلْ بعدَه الأيامَ عن خَبَري!

- في المغرب (٢ : ١٤٧)، موشّحة لابن نزار، وتروى لابن حزمون، منها:

اشْرَبْ على نَغمةِ المَثاني ثانِ،
ولا تكنْ في هوى الغواني وانِ،
وقُلْ لِمَنْ رام في معان: عانِ
ماذا من الحُسْن في بُرودِ رُودِ[5].

★ ★ ★

(١) كيف أصدر ما للملك من صدر: كيف أدبّر أمور الملك.
(٢) وكيف يستهلّ بكفّي واكف (منهمر) الدرر (اللؤلؤ، المال): كيف أصبح غنيًّا.
(٣) وأستقلّ بحمل الحادث النكر (المنكر، الفظيع): احتمل الحوادث وحدي.
(٤) وأستطيل على الأيام بالفكر: أغلب أحداث الدهر بالرأي الصائب.
(٥) المثاني جمع مثنى وتر في العود. المثاني: آلات الغناء. ثان= ثانياً: مرّة ثانية أو ثانياً من عِطفك =

يهيـــجُ وَجْـــدي إذا الأنـــامُ ناموا.
قومٌ إذا عَسْعَسَ الظـــــلامُ لاموا،
ومـــا بـــه هـــامَ مُستهـــامُ هاموا.
فقـــل لعَيْنٍ بـــلا هُجودِ: جودي(١)!

★ ★ ★

أفْنَيْـــتُ في الرّوْنَـــقِ الصقيـــل قِيلي.
يـــا ربّـــةَ المَنْظَرِ الجميـــلِ ميلي؛
فإنّما أنتِ، والرسولِ، سُولي.
رأيـــتُ في وجهـــكِ السعيـــدِ عِيدي(٢).

★ ★ ★

٤ - ★★ المغرب ٢: ١٤٧؛ نفح الطيب ٣: ٤٩٢ - ٤٩٨.

أبو جعفر الوقّشي

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أحمدَ الوَقَّشِيُّ مِنْ وَقّشَ بنواحي طَلَبيرَةَ، سَكَنَ مالَقَةَ ثمّ وَزَرَ للأميرِ إبراهيمَ بنِ هَمُشْكَ المُستبدِّ بمدينة جَيّانَ. ولمّا انهزمَ ابنُ همشكَ في وقعةِ السبيكةِ قُربَ غَرْناطةَ، سَنَةَ ٥٥٧ هـ، أمامَ جيش المُوحِّدينَ سلّم

= (مفتخراً، معجَباً بنفسك). وان= وانياً: ضعيفاً، تعِباً. رام: قصد، أراد. في معان (تعبير عامّيّ): معونة، عون، مساعدة (أو مثل معانيّ، مثل المعاني التي آتي أنا بها في الشعر). عانِ (فعل أمر من عانى: قاسى، جرّب). برود جمع برد (بضمّ الباء) ثوب من حرير. الرود: الفتاة اللّينة المنعّمة

(١) الأنام: البشر، الناس. عسعس الليل: أقبل ظلامه. وما به هام مستهام هاموا: إذا أحبّ أحد حبًّا شديداً هاموا هم: أحبّوا أن يكثروا التحدّث في شأنه. الهجود: النوم. جودي: ابكي كثيراً.

(٢) الرونق: الجمال. الصقيل: المصقول الناعم (دلالة على أول الشباب). قيلي: قَولي. - كان جميع شعري في وصف الجمال. والرسولِ= أقسم بالرسول (محمّد صلّى الله عليه وسلّم). سولي= سؤلي: سؤالي، مطلـــبي - كـــل قافيـــة رديـــف جزء من القافيـــة الأصيلـــة: السعيـــدي= عيـــدي

مدينةَ جيّانَ إلى وزيره أبي جعفرِ الوقّشي فحماها الوقّشي. ثمّ إن ابنَ همشكَ أرسلَ أبا جعفرِ الوقّشيَّ إلى مَراكُشَ، سنة ٥٦٤ هـ، في بعض شؤونه. ويبدو أن الوقّشيَّ مال إلى الموحّدين ومَدَحَ السُلطانَ يوسفَ بنَ عبدِ المؤمن، سَنَةَ ٥٦٦ هـ، بقصيدةٍ يَصِفُ فيها حالَ المسلمين في الأندلس ويدعو الناس إلى الجهاد.

ورَجَعَ الوقّشيُّ من مَرّاكُشَ إلى الأندلسِ فَلَمّا وصل إلى مالَقَةَ تُوُفِّيَ فيها، سَنَةَ ٥٧٤ هـ (١١٧٨ - ١١٧٩ م).

٢ - كان أبو جعفرِ الوَقَّشيُّ من الوزراء الدُهاة المقتدرين، وكان أديباً شاعراً بَرَعَ في الوصف والمدح والأدب (الحكمة).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو جعفرِ الوقّشيُّ في كِتْمان السِر:

ومُسْتَوْدِعٍ عِندي حديثاً يَخاف من ... إذاعته في السِرّ إنْ يَنْفَدِ العُمْرُ(؟).
فقلتُ له: لا تَخْشَ مِنّي فضيحةً ... لسرٌّ غدا مَيْتاً وصدري له قبر.
على أنّ مَنْ في القبرِ يُرجى نُشورُه؛ ... وسِرُّكَ ما يُرجى له أبداً نَشْرُ!

- وقال يمدَحُ أبا يعقوبَ يوسفَ سُلطانَ الموحّدينَ بقصيدةٍ مطلَعُها: «أبتْ غيرَ ماءٍ بالنخَيلِ وُروداً» جاء فيها:

ألا ليتَ شِعري، هْل يُمَدُّ ليَ المَدى ... فأُبصِرَ شَمْلَ المُشركينَ طريدا[1].
ويغزو أبو يعقوبَ في شَنْتِ ياقِبٍ ... يُعيدُ عَميدَ الكافرين عَميدا[2]،
ويُلقي على إفرِنْجِهِم عِبءَ كَلْكَلٍ ... فيترُكَهم فوقَ الصعيد هُجودا[3]،
ويَفْتَكُّ من أيْدي الطُغاة نواعِماً ... تَبَدّلْنَ من نَظْم الحُجول قيودا[4]،

---

(١) أن يمدّ لي المدى: هل يطول عمري.

(٢) شنت ياقب: بلدة في أقصى الشمال الغربي من جزيرة ايبيرية (إسبانية) كانت معقل الإفرنج الإسبان. يعيد = فيعيد. عميد: رئيس. عميد = معمود: مضروب بالعمود (قتيل).

(٣) عبء (ثقل) كلكل (صدر): شدة الحرب. الصعيد: التراب (الأرض). هجوداً: نائمين (قتلى).

(٤) افتكّ = فكّ: أطلق سراح (الأسرى). نواعم: نساء شابّات الحجل (بفتح الحاء أو كسرها): الخلخال.

وأقْبَلْن في خُشْنِ المُسوحِ؛ وطالَمَا سَحَبْنَ من الوَشْيِ الرقيقِ بُرودا[١].
وغبّرَ منهنّ الـــترابُ ترائبـــاً، وخدّدَ منهنّ الهَجير خدودا[٢].
حَمَلْتُ إليه من نظامي قِـلادةً يُلَقِّبُها أهلُ الكلام قصيدا[٣].
غَدَتْ يومَ إنشادِ القريض وحيدةً، كما قَصَدَتْ في المعلُوات وحيدا[٤]!

- وحضر يوماً قتل أسدٍ (مصارعة أسد) فقال:

جَهْمُ المُحيّـــا إنْ تبسّمَ هِبْتَـــه؛ ومن العجائب هيبةُ المُتَبسّم[٥].
وكأنّما هو ناظرٌ عن زِئْبَــــقٍ، وكأنّما هو كاشرٌ عن مِخْــذَم[٦].
وكـــأنّ لِبْدتَـــه بقيّـــةُ فَرْوةٍ قَصُرَتْ على طول الزمان الأقدم[٧].
لّمــا تمرّدَ في العَرينـــةِ فُتِّحَــتْ أبوابُها فانسابَ مِثْلَ الأرقم[٨].
وعــلا زئــيرٌ منه حتّى خِلْتُه كالفحـلِ يَهْدُرُ عند شُول هيّم[٩]،
وظَنَنْتُ أنّ الرعدَ من حيثُ الحيا، حتّى سمعتُ اليومَ رعداً من فَم[١٠].

---

(١) المسح (بكسر الميم): ثوب أسود من جلد (أو من نسيج خشن). البرد (بضمّ الباء): ثوب من حرير. الوشي: الزخرف في النسيج. سحبن برودا: سرن مختالات فخورات.

(٢) الترائب: جوانب الصدر. خدّد: شقّق. الهجير: وقت اشتداد الحرّ.

(٣) من نظامي: من نظمي، من شعري (من صنعي). قلادة: عقد يلبس في العنق (قصيدة، صنعاً جميلًا).

(٤) القريض: الشعر. المعلوات جمع معلاة: الشرف، والمعلاة مقبرة في مكة.

(٥) جهم: عابس. المحيّا: الوجه. هاب: خاف.

(٦) ناظر عن زئبق: تتحرّك عيناه بسرعة يميناً ويساراً (من الغضب أو الحذر). كاشر: فاتح فمه مظهراً أسنانه. مخذم: سيف.

(٧) اللبدة: شعر حول رقبة الأسد (الذكر). الفروة: ثوب صوف سابغ سميك. بقيّة فروة (يشبه الشاعر لبدة الأسد بالفروة التي قصرت بعد مرور زمن عليها).

(٨) العرين والعرينة: مأوى الأسد (والمقصود هنا: القفص الذي كان فيه ذلك الأسد). تمرّد في العرينة: اشتدّت حركته يريد الخروج (للصراع). الأرقم: الحيّة.

(٩) الزئير: صوت الأسد. خال: ظنّ. الفحل: الذكر التامّ الخلقة والقوي (من الحيوان والإنسان). هدر الفحل: صوّت (من الهياج أو الغضب). الشول جمع شائلة: الناقة ترفع ذنبها في موسم اللقاح. الهيّم يقصد الهيّام (بضمّ الهاء): العشّاق، العطاش (الراغبات في اللقاح).

(١٠) الحيا: المطر. - كنت أظنّ أن الرعد يصدر عن السحاب فقط، وقد سمعت الآن رعداً من فم (الأسد).

وتناولــتْ زُرْقُ الأسِنّــةِ زرْقَــه	حتّى بدا في شكله كالشَّيْهم[1] .

٤ - ★★ الحلّة السيراء ٢ : ٢٥٧ - ٢٦٧ ؛ الذيل والتكملة ١ : ١٩٧ - ٢٠١ ؛ نفح الطيب ٤ : ٤٧٧ - ٤٧٨ ؛ نيكل ٣٢٦ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٤٢ .

أبو بكر بن خير الإشبيليّ

هو أبو بكرِ محمّدُ بنُ خيرِ بنِ عُمَرَ بنِ خليفةَ، وُلِدَ في إشبيلية سَنَةَ ٥٠٢ هـ (١١٠٨ - ١١٠٩ م) وبدأ تلقِّيَ العِلمِ فيها. ثمّ إنّه قضى حياتَه بالتطوّفِ في بُلدانِ الأندلس في طَلَبِ العلم: غادر إشبيليةَ (٥٢٧ هـ) فكان في قُرطبةَ (٥٢٩ هـ) والمَرِيَّةِ وطَريفَ (٥٤٠ هـ) وشِلْبَ (٥٤٩ هـ) ومورور (٥٦٣ - ٥٦٤ هـ). ويبدو أنّه كان في أثناء ذلك يعودُ مرّة بعدَ مرّةٍ إلى إشبيليةَ (٥٣٥ هـ، مثلًا).

وفي سَنَةِ ٥٧٢ هـ تَولّى أبو بكرِ بنِ خيرٍ - وكان قد ضَعُفَ جِسْمه بتقدّمهِ في السِنّ - الإمامةَ في جامعِ قُرطبةَ. وكانت وفاتُه في قُرطبةَ في رابعِ ربيعٍ الأولِ من سَنَةِ ٥٧٥ هـ (١١٧٩/٨/٩ م) ثمّ نُقِلَ رُفاتُه إلى إشبيلية.

قضى أبو بكرِ بنُ خيرٍ حياتَه كلَّها في طَلَبِ العِلمِ، فلا غروَ إن عَزّ نظيرهُ في هذا الباب. وقد صنّف ابنُ خيرٍ فِهرِسْتاً للكتبِ التي قرأها على شيوخِ العلمِ والأدبِ في بلدانِ الأندلس. هذا الفهرستُ اليومَ ذخيرةٌ ثمينةٌ بما فيه من تراجمِ أولئك الشيوخِ ومن وَصْفِ كُتُبِهِمُ التي بلغت في هذا الفِهرستِ ألفاً وخَمْسَةً وأربعين كتاباً. ولا ريبَ أن ثـمّتَ كتباً لم يَصِفْها ابنُ خيرٍ في « فهرسته » لأنّها غابتْ عنه أو لأنه لم يجدْها خليقةً بالوَصْفِ إلى جانب الكتبِ التي وَصَفَها.

- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة....... أبو بكر محمّد بن خير.....

---

(١) زرق الأسنّة: الأسنّة (رؤوس الرماح والسهام): الأسنّة الصافية اللامعة لمضائها وقوّتها على الطعن والقطع الخ. زرقه (ليس في القاموس معنى يوافق هذه الكلمة في موضعها هنا. في القاموس: « زرقه » بالنصل: رماه به. فيكون « زرقه » هنا - بفتح الزاي - مسافة جسم الأسد التي يمكن أن تصاب بالنبال). الشيهم: القنفذ الذكر (أصبح جسم الأسد مملوءاً بالنبال كجسم الشيهم المغطّى بالشوك).

الإشبيلي (تحرير قداره ورباره وطرّاغو)، سرقسطة (مطبع قومس) ١٨٩٣ م؛ طبعة ثانية (بإشراف زهير فتح الله)، بيروت، بغداد، القاهرة (المكتب التجاري، مكتبة المثنّى، مؤسّسة الخانجي) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م.

★★ الوافي بالوفيات (رقم ٢٣٩)؛ التكملة ١ : ٢٤٠؛ المنّ بالإمامة ٣٠١ - ٣٠٢؛ وفيات ابن قنفذ ٢٨٧؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٥٢؛ تاج العروس (الكويت) ١١ : ٢٤٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٣٧؛ بروكلمن ١ : ٦٥٨؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٥٤ (١١٩)؛ بغية الوعاة ٤١؛ سركيس ٤٥٠.

اليَسَعُ بنُ عيسى

١ - هو أبو يحيى اليَسَعُ بنُ عيسى بنِ حَزْمِ بن عبدِ الله بنِ اليَسَعِ بنِ عبدِ الله الغافقيُّ، وُلِدَ في جيّانَ؛ وانتقل أبوه من جيّانَ إلى المَرِيّة، ثمّ سَكَنَ في بَلَنْسِيَةَ وبَعْدَها في مالَقَةَ.

كان اليَسَعُ بنُ عيسى قد أخذَ القراءاتِ عن أبيهِ وعن أبي العبّاسِ القَصَبي وسِواهما، كما سَمِعَ (الحَديث) من أبي عبدِ الله بن زُغيبةَ، سَمِعَ منه صَحيحَ البُخاريّ وصحيحَ مُسْلِمٍ. ثمّ أخذَ عن نَفَرٍ كثيرين. وقدِ اتّخذَه بعضُ الأمراء في شَرْقِيِّ الأندلُسِ كاتباً.

وفي سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٤ - ١١٦٥ م) رَحَلَ اليَسَعُ بن عيسى إلى مِصْرَ فسَكَنَ الإسكندريةَ ثمّ انتقَل إلى القاهرة. ولمّا قَضى صَلاحُ الدين الأيّوبيُّ على الخِلافةِ الفاطمية، كان اليَسَعُ بن عيسى أوّلَ مَنْ خَطَبَ على منابرِ مِصْرَ بالدعوةِ العبّاسية، في المُحَرّمِ مِنْ سَنَةِ ٥٦٧ (أيلول - سبتمبر ١١٧١ م) ولم يَجْسُرْ أحدٌ قبله على ذلك. من أجلِ ذلك عَلَتْ مكانَتُهُ عندَ صلاح الدين.

وكانتْ وفاةُ اليَسَعِ بنِ عيسى في القاهرة، في ١٩ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ ٥٧٥ (١١٧٩/١٢/٢٠ م).

٢ - كان اليَسَعُ بنُ عيسى مُقرئاً ومُحَدِّثاً وفقيهاً ومؤرّخاً وشاعراً وخطيباً. ولكنّ

كتاب المُغْرب يقولُ فيه (٢ : ٨٨): «نثرُه كَزٌّ ثقيلٌ، ونَظْمُه مَغْسولٌ[١] ليس عليه طَلاوةٌ، وكأنّه أرادَ مُعارضة كِتاب القلائد[٢]». وهو مُصَنِّفٌ له كِتابُ «المُغْرب في آداب المغرب»[٣] صَنّفه بِمِصْرَ لصلاح الدين الأيّوبي.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال صدرُ الدينِ أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ محمّدٍ الأصْفهانيُّ السِّلَفيّ المتوفّى سَنَةَ ٥٧٦ هـ (أخبار وتراجم أندلسية ١٤٩): أنْشَدَني أبو يحيى اليسعُ بنُ عيسى بديار مِصْرَ لنفسهِ:

قــلْ لمن تـاهَ بدُنْيـاً ساعَدَتْـهُ   وتَرقــىّ فوقَ أفـلاكِ المعـالي:
ذاك قُطْبٌ يَقْلبُ العاليَ سُفْلاً،   ويَرُدّ السُفْل في الأغلبِ عـالي.
لو توسّطـــتَ سَماه كنــتَ نَجْماً   آمِنـاً من صَرْفِهِ في كـلّ حال.

- وقال اليسعُ بنُ عيسى في كتابِ المُغْرب عند ذكر مدينةِ شَنْتَرَةَ[٤] (نفح الطيب ١ : ١٦٤):

إنّ مِنْ خَواصِّها أنّ القَمْحَ والشعيرَ يُزْرعان فيها ويُحْصدان عند مُضِيِّ أربعينَ يوماً، وأنّ التُفّاحَ فيها دَوْرُ كلٍّ واحدةٍ ثلاثةُ أشبارٍ وأكثرُ. قال لي أبو عبدِ الله الباكوريُّ، وكان ثِقَةً: أبصرتُ عند المُعْتَمدِ بنِ عبّادٍ رجلًا من أهلِ شنترةَ أهدى إليه أربعاً من التفّاح ما يُقِلُّ الحاملُ على رأسهِ غيرَها[٥]، دَوْرُ كلٍّ واحدةٍ خمسةُ أشبارٍ. وذَكَرَ الرجلُ أنّ المعتادَ عِنْدَهم أقلُّ من هذا. فإذا أرادوا أن يجيءَ (التفّاح) بهذا العِظَمِ قطعوا أصلَها[٦] وأبقَوْا منه عَشْراً أو أقلَّ وجعلوا تَحْتَها دِعامات من الخشب.

---

(١) نظمه (شعره) مغسول: ليس فيه شيء من أوجه البلاغة (لا جناس ولا استعارة ولا غيرهما).
(٢) معارضة (محاكاة، تقليد) القلائد (كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان).
(٣) المغرب ٢ : ٨٨. ولعنوان هذا الكتاب قراءات أخرى.
(٤) شنترة: بلدة في غربيّ الأندلس (البرتغال اليوم).
(٥) ما يقلّ (يستطيع أن يحمل) الحامل على رأسه غيرها.
(٦) أصلها (كذا في المصادر). اقرأ: أُكُلَها (بضمّ الهمزة والكاف): ثمرها.

٤ -★★ التكملة (رقم ٢١١٢)؛ أخبار وتراجم أندلسية ١٤٩؛ المغرب ٢: ٨٨؛ معجم الصدفيّ ٣٢٢ - ٣٢٣ (رقم ٣١٥)؛ شذرات الذهب ٤: ٢٥٠؛ نفح الطيب ١: ١٦٤، ٢: ٣٧٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢٤٨ - ٢٤٩ (٨: ١٩١).

الوهرانيّ صاحب المنامات

١ - هو الشيخُ رُكْنُ الدينِ (أو جمال الدين)[١] أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ مُحْرِزِ بنِ محمّدٍ الوهرانيُّ (نِسبةً إلى وَهرانَ، في الجزائر) المَغْربيّ. رَحَلَ إلى المشرق، نحو ٥٥٠ هـ: خرج من وهرانَ ومرّ بجزيرة صِقِلِّيَةَ ثمّ انتقل إلى الشام وطاف بعددٍ من بلدانها واستقرّ في دِمَشْقَ، وذلك في أيام نور الدين محمودِ بنِ زَنْكي (٥٤١ - ٥٦٩ هـ). وفي سَنَةِ ٥٥٥ هـ ذهب إلى بَغْدادَ طلباً للتكسُّبِ بشعرِه فيما يبدو، لأنّ بَغْدادَ دارُ الخلافة. ولكنّه لم يوفّقْ في الأغلب فعاد إلى دِمَشْقَ في ٥٥٦ هـ وبعدَ رجوعِه من بَغْدادَ تولّى الخَطابةَ في داريّا (وهي قريةٌ في الغوطة على مقرُبَةٍ من دِمَشْقَ).

وزار الوهرانيُّ مصر مرّتين على الأقلّ. يبدو أنّه زارَها في المرّة الأولى للتكسّبِ بالشعرِ وللدخول في ديوانِ الإنشاء، وذلك في أيام السُلطانِ صلاحِ الدين الأيوبيِّ (٥٦٤ - ٥٨٩ هـ). فلمّا رأى فيها القاضيَ الفاضلَ (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ) والعِمادَ الكاتبَ الأصفهانيَّ (٥١٩ - ٥٩٧ هـ) وتلك الحَلْبة من أمثالِها في مَيْدان الإنشاء عادَ إلى دِمَشْقَ. ثمّ إنّه زار مصر مرّة أخرى أو أكثر من مرّة وتطوّف فيها وعمل في التجارة، ولكنّ حظَّه من التكسّب بالتجارة لم يكن أوْفَرَ من حظِّه في التكسُّب بالشعر.

وكانت وفاةُ الوهرانيّ في داريّا، سَنَةَ ٥٧٥، في الأغلب - وقد وَصَلَ خبرُ وفاتِهِ إلى القاهرة في سابعَ عَشَرَ رَجَبَ (١٨/ ١٢/ ١١٧٩ م) - أو في سَنَةِ ٥٧٤. ولعلّه لم يُعَمَّرْ طويلاً.

٢ - الوهرانيّ أديبٌ متعدِّدُ نواحي الشخصيةِ، له مشاركةٌ في الأدب والفِقه والعلمِ والفلسفة، وله معرفةٌ بألفاظِ الفِرَقِ الإسلامية الظاهرية والباطنية، ويبدو أنّ له

(١) لعله اتخذ هذا اللقب لما استقرَّ في المشرق.

اطّلاعاً على علم الفَلَك. وهُوَ يُصرّفُ كلَّ ذلك في آثاره الكتابية. ثمّ هو مُنشىءٌ ظريفٌ بارعٌ في وجوه الصِناعة اللفظيّة خاصّةً، غيرَ أنه يَتّكىءُ على تعابيرِ بديع الزمان الهَمَذانيّ (ت ٣٩٨ هـ) كثيراً وعلى تعابيرِ الحريريّ (ت ٥١٦ هـ) قليلًا. ولا ريبَ في أنّه أدنى في الإنشاء طَبَقَةً من الهمَذاني والحَريريّ والقاضي الفاضلِ والعِماد الأصفهاني. ومَعَ أنّه عَدَلَ عن طريقةِ هؤلاء وأمثالِهم في الجدّ إلى الهَزْلِ والسُخْرِيَةِ، فإنّه انحدرَ إلى الإسفاف والإحماض المكشوفَيْنِ النابِيَيْنِ، ولم يستطعْ أنْ يسوقَ الهزلَ والإحماض في الكِنايات البريئةِ كما فَعَلَ بديعُ الزمان والحريريُّ مَثَلًا.

ويبدو أنَّ الوهْرانيَّ قد تَرك الكُدْيَةَ أو الاستجداءَ في مقاماته. أما مقاماتُه الوهرانيّةُ فتنوء بترديد مملّ.

وللوهراني نظمٌ عاديٌّ. وعلى آثارِه كُلِّها شيءٌ من الضَّعف.

وكان الوهرانيّ مُتَكَسِّباً قليلَ الاحتفالِ بالمبادىءِ السامية. ومَعَ كَثْرةِ إيرادِ الأقوالِ الدينية في آثاره، فإنّنا لا نستطيعُ أن ندفَعَ عنه أشياءَ من قِلةِ الوَرَعِ تقتربُ من أنْ تكونَ شواهدَ على زَنْدَقته.

وللوهرانيِّ من الكتب « جليسُ كلّ ظريفٍ » فيه عددٌ من رسائله وفصولهِ الهزلية. وله « المنامات » وفيه مقاماتُه ورسائله. ولا يتّضح من تحقيق إبراهيم شعلان ومحمّدِ نغش ولا من تصدير عبد العزيز الأهوانيّ إذا كان « الجليس » و « المنامات » كتابين مستقلَّيْنِ أو إذا كانا يَجْمَعان نُصوصاً مُتداخلةً. (وسلَكَ الوهرانيُّ في « المنامات »مسلَكَ أبي العَلاءِ المَعَرّيّ في « رسالة الغُفران ».- وقد مدَحَ ابنُ خلكانَ هذا الكتَاب).

---

٣ - **مختارات من آثاره:**

- من المقامة الفاسيّة:

دَخَلْتُ مدينةَ فاسَ في أيامِ أبي العبّاس، فرأيتُها تُجاوِزُ الأوصافَ على طريق الإنصاف. فعَشِقَها شَيْطاني فأقَمْتُها مَقام أوطاني. فحضَرْتُ يوماً في بَعْضِ بساتينها مَعَ

قومٍ من أهلِ دينها[١]،وفيهم أبو الوليدِ القُرطيُّ[٢] سُلطانُ الكلامِ يأْمُرُهُ فَيُوالِفُه ويَنْهاه فلا يُخالفه. وجَرَى بَيْنَهم حديثُ أهلِ البلادِ ومن فيها من الأعيان والنِقاد[٣]، فقالوا: يا أبا الوليد، أنتَ حَجَرُ مِحَكِّنا وبُودَقَةُ سَبْكِنا[٤]. وها نحنُ سائلوك ففصِّل من يَسْتَحقّ وعَيِّبْ، لِيُمَيِّزَ الخبيثُ من الطيِّب.

فقال: أنا أُوضِحُ إشكالَكُمْ فاسألوا عمّا بدا لكم. فقُلنا: ما تقول في القاضي أبي القاسم[٥]؟ فقال: عَلَمٌ من الأعلام وشيخ الإسلام ومُنجزُ الأحكام وحاكمُ الحكّام. غيرَ أنّه - رَحِمَهُ الله - يتَنَاعس للخَصْمَيْنِ فلا يُوقِظُه إلّا صَلْصَلَةُ الكَفَّينِ، ولو قَبَضْتَ على أنفِه بالكُلبتين......

قُلنا: فما تقول في ابنِ الأبّارِ[٦]؟ فقال: رَجُلٌ عطّار وبائع أبزار. فإنْ تناولَ غيرَ هذا فهو بَيْطار؛ يتعلّم حِجامة الحَجّامِ في أقْفِيَة الأيتام. قلنا: فما تقولُ في ابنهِ أبي بكرٍ[٧]؟ فردّ وَجْهه وقَطَّبَ، وقام على أن يَذْهَبَ؛ وقال: أبا بَخْرٍ[٨] انقلب!

قال الراوي لهذه الحِكاية: فعَنَّفْتُه لهذهِ الغِواية. فقال: إنّي في كلِ هذا معذورٌ، وما هِيَ إلّا نَفْثَةُ مصدور. وأنشد:

إذا أنـا لم أشْكُرْ على الخيرِ أَهلَه ... ولم أذْمُمِ الحَيْسنَ[٩] اللئيمَ المُذَمّمَا،
ففيمَ عرفتُ الخيرَ والشرَّ باسمِه ... وشَقّ لِيَ اللهُ المسامـــعَ والفَمَا!

قال: فودّعناه وسارَ القومُ، وخَرَجْنا من المدينة في ذلك اليوم.

- من مطلع مقامته التي يصف فيها بغداد:

---

(١) الدين: العادة. أهل دينها (الذين يتّبعون طريقتهم في المعيشة).
(٢) يبدو أن أبا الوليد القرطي بطل مقامات الوهراني.
(٣) النقاد (بكسر النون وتخفيف القاف): نوع من الغنم الرديئة.
(٤) حجر المحكّ تختبر به المعادن. البودقة: وعاء تصهر فيه المعادن.
(٥ و٦ و٧) أسماء مرتجلة (لا تدلّ على أشخاص بأعيانهم).
(٨) البخر: الرائحة الكريهة في الفم. فردَ - لعلّها: أربدّ: تغيّر لونه.
(٩) الحيس: الأمر الرديء.

قال الوهرانيُّ: لمّا تعذّرتْ مآربي واضْطَربتْ مغاربي، ألقَيْتُ حبلي على غاربي[1] وجعلتُ مُذْهَباتِ الشعر بِضاعتي ومن أخْلاف الأدب رِضاعتي[2]. فما مررتُ بأميرٍ إلّا حَلَلْتُ ساحتَهُ واستَمْطَرْتُ راحتَه، ولا وزير إلّا قرعتُ بابَه وطلبت ثَوابَهُ[3]، ولا بقاضٍ إلَّا أخذتُ سَيْبَهُ وأفرغتُ جَيْبَه[4]. فتقلَّبَتْ بي الأعصار وتقاذَفَتْ بي الأمصار، حتّى قَرُبْتُ من العِراقِ وسَئِمْتُ من الفِراق. فقصدتُّ مدينةَ السلامِ لأَقْضِيَ حَجَّةَ الإسلام[5]. فدخلتُها بعدَ مقاساةِ الضُرِّ ومُكابدة العَيْشِ المُرّ. فلمّا قَرّ بها قَراري وانجلى فيها سِراري[6]، طُفْتُها طَوافَ المُفْتَقِدِ وتأمَّلْتُها تأمُّلَ المُنْتَقِد، فرأيتُ بحراً لا يُعْبَرُ زاخِرُهُ ولا يُبْصَرُ آخِرُهُ، وجَنّةً أبدعَ جَنّانُها وفاز باللّذّة سُكّانُها....... وتاقتْ نفسي إلى مُحادثة العُقلاء واشتاقتْ إلى معاشرةِ الفُضلاءِ، فدَلَّني بعضُ السادة المَوالي إلى دُكّانِ الشيخ أبي المعالي[7]، وقال: هُوَ بُستانُ الأدب وديوانُ العرب، يَرْجعُ إلى رأيٍ مُصيبٍ ويَضْرِبُ من كلِّ علمٍ بنصيب. فقصدتُّ قَصْدَهُ وجلستُ عِنْدَه. وسألني عن حالي وعن طريقِ انْتِحالي[8]. فقلتُ: إنِّي رَجُلٌ غريبٌ وعَهْدي بالسَفَر قريب. فقال: من أيِّ البلادِ خرجتَ وعن أيِّها دَرَجْتَ[9]؟ فقلتُ له: من المَغْرب الأقصى والأمدِ الذي لا يُحصى[10]، ومن البلدِ الذي لا تَصِلُ

---

(١) تعذّرت مآربي: استحال عليَّ الحصول على ما أريده (في بلدي). اضطربت مغاربي: تعدّدت أسفاري بين بلد وبلد. ألقيت حبلي على غاربي (على كتفي): سرت في البلاد على غير خطّة مرسومة.

(٢) مذهبات الشعر: القصائد الجياد (تشبيهاً لها بالمعلّقات التي قيل إنّها كانت تكتب بالذهب). الأخلاف جمع خلف (بكسر الخاء: ضرع الناقة).- جعلت أتكسّب بالشعر والأدب.

(٣) استمطرت راحته (كفّه): طلبت منه عطاء (مالا).

(٤) السيب: العطاء. الجيب (في الأصل) مكان العنق من الثوب (وهنا): شبه كيس في ظاهر الثوب أو باطنه توضع فيه الأشياء.

(٥) مدينة السلام: بغداد. حجّة الإسلام: وجوب زيارة بغداد (عاصمة الإسلام السياسية).

(٦) السرار: آخر الشهر القمري (حينما لا يظهر الهلال في المساء). انجلى (انكشف) سراري: بدأ هلالي يبدو في السماء (بدأت حالي تتحسّن).

(٧) الدكّة والدكّان: مرتبة عالية يُجلس عليها. أبو المعالي: (في منامات الوهراني، ص ٢، ح ١): هو غالباً أبو المعالي الكتبي المتوفّى سنة ٥٦٨ هـ.

(٨) انتحالي: نحلتي (بكسر النون) من المعاش: طريقة تحصيل معاشي.

(٩) درج: بدأ سيره (خرج من طفولته إلى شبابه).

(١٠) الأمد: الغاية والنهاية: وهنا: المسافة. الأمد الذي لا يحصى: لا يعرف قياسه (البعيد).

إليه الشمسُ حتّى تَكِلَّ أفلاكُها وتَضِجَّ أملاكُها[١] ....

قال: كيفَ مَعرِفَتُكَ بدَهْرِكَ ومَنْ تركتَه وراء ظَهْرك؟ قلتُ له: أَمَّا البلادُ فقد قلَّبْتُ جُنوبَها وكشّفت عُيُوبَها[٢] . وأمّا الملوكُ فقد لَقِيتُ كِبارَها وحَفِظتُ أخبارَها. فأيَّ الدُّوَلِ تجهَلُ وعن أيِّها تسأل؟...

قال: فما تقولُ في عبدِ المؤمنِ وأولادِه وسِيرتِهِ في بِلادِه[٣]؟ فقلتُ: مُؤَيَّدٌ مِنَ السماء خوَّاضٌ للدِماء مُسَلَّطٌ من فوقِ الماء[٤]. حَكّمَ سيفَه في القِمَمِ وأَعْمَلَه في رِقابِ الأُمم[٥]، حتّى خَضَعَتْ له التِيجانُ ودانتْ له الإِنسُ والجانّ. فأَغْمَدَ الحِلْمُ شِفارَه وقَلّمَ العِلْمُ أظْفارَه[٦]، فلانَ مَسُّه وهدأ حسّه[٧]. ولو أنّ للعلمِ لساناً وللوَرَقَةِ إنساناً لتألّمتْ وتظلّمتْ[٨] ولأَنْشَدَتْكَ في المَلا قولَ الشيخ أبي العَلا[٩]:

---

(١) تكلّ: تتعب. أفلاك جمع فلك (المدار الذي يسير فيه الكوكب). والكلمة هنا مستعملة في غير محلّها. ضجّ: صاح صياحاً يدلُّ على مشقّة أو فزع الخ. أملاك جمع ملك (بفتح الميم: واحد الملائكة). - كان الاعتقاد الوثني اليوناني أن الشمس تسير في مركبة يسوقها ويدفعها أشخاص سماوية.

(٢) الجنوب جمع جنب: طرف، جانب قلّبت جُنوبها الخ: أكثرت من زيارة مناطقها وعرفت كثيراً من أحوالها.

(٣) عبد المؤمن بن عليّ، أمير المسلمين، وأوّل سلاطين دولة الموحّدين (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ)، كان له ستّة عشر ولداً من الذكور، منهم أبو يعقوب يوسف، خلفه في الملك (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ)- ولم يدرك الوهراني أحداً من سلاطين الموحّدين بعده. ثمّ كان من أبناء عبد المؤمن نفر تولّوا (بفتح اللام) عدداً من المدن في المغرب وفي الأندلس ويظهر أن الوهراني لم يكن ميّالاً إلى دولة الموحّدين لأنّه لم ينل حظوة عند أهلها.

(٤) خواض للدماء: كثير المعارك أو كثير القتل للناس. مسلّط من فوق الماء (؟) السماء (سلطة الله على الناس.

(٥) حكّم سيفه في القمم (قتل كثيراً من رؤساء الناس) وأعمله في رقاب الأمم (ظلم الناس والشعوب وأبادهم).

(٦) الحلم (بكسر الحاء): العقل، سعة الصدر، ضبط النفس. الشفار جمع شفرة (بفتح فسكون): حديدة عريضة مسنونة (سيف). قلّم أظفاره: جعله عاجزاً عن الظلم أو القتل أو الاعتداء.

(٧) لان مسّه: أصبح ظاهره بريئاً لا يدلّ على خطر أو ضرر. راجع قول عنترة:

إنّ الأفاعي وإن لانت ملامسها ... عند التقلّب في أنيابها العطب.

هدأ (قلّ، بطل) حسّه (بكسر الحاء): الشعور، ولا معنى لها هنا. وحسّه (بفتح الحاء) القتل.

(٨) ... لساناً (يتكلم)... إنساناً (بؤبؤاً للعين) يرى.

(٩) الملا = الملأ: أشراف القوم وجمهرتهم. أبو العلاء المعرّي الشاعر الحكيم والناثر النقّادة (ت ٤٤٩ هـ).

جَلَوْا صارمـــــاً وتَلَوْا باطلًا   وقالوا: صَدَقْنـا. فقُلنـا: نَعَمْ[١]!

ولكنّ السكوتَ عن هذا أرْجَحُ ومُسالمةُ الأفاعي أنجحُ. وعند الله تَجْتَمِعُ الخُصومُ[٢].

- للوهراني جوابٌ طويلٌ على رسالةٍ وردتْ إليه. سَلَكَ الوهرانيُّ في هذا الجواب مَسْلَكَ الترسُّلِ حيناً ومسلكَ المقامةِ أحياناً، ثمّ طواه على مَنامٍ زَعَمَ أنّه رآه. وهذا الجوابُ الرسالةُ المقامةُ طويلٌ يبلُغُ نحوَ سَبْعٍ وعِشرينَ صفحةً (٥٣٠ سطراً) قلّد في بعضِه رسالة الغُفران للمعرِّيّ: الشاعر الحكيم والناثر النقادة (ت ٤٤٩ هـ)).

- من هذا الجواب:

.... ثمّ ترتفعُ الضوضاءُ، وإذا بَموْكِبٍ عظيمٍ قد أقبلَ من المَقامِ المحمودِ[٣] كأنّهمُ الشموسُ والأقمار، رُكبانٌ على نَجائبَ من نورٍ يَؤُمّونَ المَشْرعةَ العُظمى من الحَوْض المورود[٤]. فسألْنا عنهم فقيل لنا: هذا سيّدُ المُرسلين، محمّدُ بنُ عبدِ الله، صلّى الله عليه وسلّم، في أصحابِهِ وأهلِ بَيْتِه. فنَجْري خَلْفَه ونُجْهِدُ أنْفُسَنا في طلبهِ. فلم نَصِلْ إليه من شِدّة الزِحام. فطَلَعْنا على تَلٍّ مُشرفٍ من جِبَال الأعْرافِ[٥] نَرْقُبُه حتّى عَبَرَ علينا - عن يَمينه أبو بكرٍ وعن يسارِه عُمَرُ، وبينَ يدَيْهِ أولادُه الصِغارُ مَعَ الحَسَنِ والحُسينِ وعُثمانَ يَقْدُمُهُمْ[٦]. ومِنْ ورائهِ حَمْزةُ والعَبّاسُ وجَعْفَرٌ وعَقيلٌ[٧]، وبَقيّةُ

(١) جلا: أظهر، أبرز، شهر. الصارم (السيف). وتلا (قرأ) باطلاً (أحاديث غير صحيحة). وقالوا صدقنا: (ادّعَوْا الصواب في أعمالهم) فقلنا نعم (اضطررنا إلى الطاعة).

(٢) أرجح: أثقل (أقرب إلى العقل) الأفاعي: الحيّات. و «عند الله تجتمع (يوم القيامة) الخصوم» عجز (بفتح فضمّ) بيت صدره «إلى ديّان يوم الحقّ نمضي» ديّان يوم الحق (يوم القيامة): الله تعالى.

(٣) المقام المحمود: الجنّة. في القرآن (١٧: ٧٩، سورة الإسراء) في خطاب الرسول: «عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً» (مقام الشفاعة يوم القيامة).

(٤) نجائب جمع نجيبة (الناقة الكريمة الأصيلة). الحوض المورود (الذي يشرب منه المؤمنون يوم القيامة). المشرعة العظمى (المكان الأرفع في ذلك الحوض).

(٥) الأعراف مكان بين الجنّة والنار

(٦) أبو بكر الخليفة الأوّل ثمّ عمر بن الخطّاب الخليفة الثاني الحسن والحسين ابنا عليّ بن أبي طالب. ثمّ عثمان بن عفّان الخليفة الثالث يقدمهم = يتقدّمهم (يسير أمامهم قائداً لهم) الضمير المستتر في «يقدمهم» يمكن أن يرجع إلى «عثمان».

(٧) حمزة والعبّاس ابنا عبد المطّلب (عمّا الرسول). جعفر الطيّار وعقيل ابنا أبي طالب وأخوَا عليّ

أصحابِه يَمشونَ في رِكابِهِ مَعَ المهاجرين والأنصار[١] - وهو يُصغي أحياناً إلى حديثِ عليٍّ عليه السلامُ وتارةً إلى عُثمانَ، وهما فيما بَيْنَهُ وبينَ أولادِه الصِغار. والناسُ يَضِجّونَ بالبكاء ويُشيرون إليه بالأيدي ويَسْتَغيثون عليه من كلِّ مكانٍ[٢].

٤ - منامات الوهراني ومقاماته ورسائله (تحقيق ابراهيم شعلان ومحمّد نغش)، مصر (الجمهورية العربية المتّحدة- وزارة الثقافة: المكتبة العربية: التراث)؛ الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، فرع مصر ١٩٦٨ م.

★★ وفيات الأعيان ٤: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ الوافي بالوفيات ٤: ٣٨٦ - ٣٨٩؛ شذرات الذهب ٤: ٢٥٢؛ بروكلمان ١: ٣٢٩، الملحق ١: ٤٨٩؛ أعلام الجزائر ١٧٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٤١؛ البحث العلمي ٢: ٦ (سبتمبر ١٩٦٥) ص ١٩٥؛ تعريف الخلف ٤٨٧ - ٤٨٨.

يونس بن محمّد القسطلّيّ

١ - هو أبو الوليدِ يُونُسُ بنُ محمّدٍ القَسْطَلِّيّ من أهلِ الجزيرة الخَضْراء (على الساحل الجَنوبيّ للأندلس)، كان كاتباً لبعض الولاة. وقد رَحَلَ إلى المشرق. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٥٧٦ هـ (١١٨٠ - ١١٨١ م).

٢ - أبو الوليدِ القَسطلّيُّ مِن خِيار البُلغاء وشاعرٌ مُكْثِرٌ من فُحول الشعراء كان يُقلِّدُ شُعراءَ المشرق. وله مقطّعاتٌ وقصائدُ طوالٌ وأراجيزُ؛ وأكثرُ شعره المديحُ.

٣ - مختارات من شعره:

- قال يونُسُ القسطليُّ يَمدحُ ابنَ عبدِ المؤمن بنِ سعيدٍ (الموحِّدي)، وقد جاء إلى البلد (خريدة المغرب ١: ٣٤٨):

---

(١) المهاجرون أهل مكّة من الذين هاجروا مع الرسول من مكّة إلى المدينة الأنصار أهل المدينة الذين استقبلوا الرسول وأصحابه المهاجرين وحموه (بفتح الميم) وحاربوا معه

(٢) يستغيثون عليه (؟) يستغيشون عليه (يسترونه من كثرة ازدحامهم حوله). في القرآن الكريم (٧١: ٧، سورة نوح): «واستغشَوْا ثيابهم»: غطَّوْا بها رؤوسهم.

أهلًا بمَرْآكَ السعيدِ ومرحبا، اليومَ رَقّ لنا الزمانُ وأعْتبا[1].
بكُمُ تَحلّى الدهرُ أحسنَ حِليةٍ فغدتْ لياليه صباحاً أشْهبا[2]،
وأنارتِ الدنيا بهَدْيكُمُ الذي أحيا مَشارِقَها وخصّ المَغْربا[3].
وله شمائلُ كالخمائل جادَها صَوْبُ السحائبِ عَطّرَتْ نَوْرَ الرُبى[4]؛
ويَشوبُ ذاك مرارةٌ لِمَنِ اعتدى. للهِ دَرُّكَ ما أمرَّ وأعْذبا!
يَهْتَزُّ للمعروف يفعَلُه كما يهتزّ عِطْفُ البان تحتَ يدِ الصَبا[5]؛
ويَهِشُّ نحو المَكْرُماتِ سَجيّةً، ويمُدّ للمجدِ الذِراع الأرحبا[6].

– وقال يصف غديراً يصبّ في بركة كبيرة:

وفوقَ الدَوْحةِ الغَنّا غديرٌ تلألأ صفحةً وسَجا قرارا[7].
إذا ما انصبّ أزْرَقَ مُستقيماً تَدوّرَ في البُحيرة فاستدارا[8].
يُجَرِّدُه فَمُ الأُنْبوبِ صَلْتاً حُساماً ثمّ يَفْتِلُه سِوارا[9]!

٤ – ★★ التكملة ٤٧١؛ زاد المسافر ٥٧ – ٦١؛ خريدة المغرب ١ : ٣٤٨ – ٣٥٠؛ المغرب ١ : ٣٢٨؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٤٨ (٨ : ٢٦٣).

---

(١) أعتبنا الزمان: أرضانا (صفا لنا).
(٢) أشهب: أبيض.
(٣) الهدي (بفتح الهاء): الهدى (بضمّ الهاء).
(٤) الخميلة: جانب من الروضة فيه أشجار كثيفة كثيرة الزهر. جادها صوب الحيا: هطل عليها مطر كثير. النور (بفتح النون): الزهر.
(٥) العطف: الجانب (هنا: الغصن). البان: شجر أغصانه طوال مستقيمة. الصبا: ريح الشرق.
(٦) يهشّ: يرتاح ويسرّ. سجيّة: طبيعة. الأرحب: الأوسع (هنا: الأطول)، يمدّ للمجد الخ: ينال من المجد ما لا يستطيع غيره أن يصل إليه.
(٧) فوق الدوحة (الشجرة الكبيرة): بعيداً عنها. الغنّاء: الناضرة المملوءة بالورق. غدير: ماء يغادر النهر (بخلاف الرافد: ماء يصبّ في النهر). سجا: سكن، هدأ. قرار: قعر. الملموح هنا أن الماء آت من النهر بأنبوب ضخم.
(٨) أزرق: صاف (غير ممتزج بالهواء حتّى يبدو أبيض).
(٩) الصلت: الواضح، الأملس.

ابن سيد اللصّ الإشبيليّ

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ علي بنِ عبدِ الملكِ بن سليمانَ الكِنانيُّ المعروفُ بابن سِيدِ اللص [١] الإشبيليِّ، وُلدَ سنة ٥٠٧ هـ (١١١٤ م).

قرأ ابنُ سِيدِ الإشبيليُّ القرآنَ على ابن عَيْشونِ (ت ٥٣١ هـ) وعلى أبي الحسن شُريحِ بن محمّدٍ (ت ٥٥٧ هـ) وقرأ كتابَ سِيبَوَيْهِ (في النحو) على ابن الرمّاك (ت ٥٤١ هـ) مرّتين وقرأ الأدبَ على أبي محمّدِ بنِ عبدِ الغفور (ت ٥٤٢ هـ). ثمّ تصدَّرَ لإقراء اللُّغة والنحو والأدب. وعشق حفصة شاعرة الأندلس.

ولمّا جاء أوّلُ سلاطينِ الموَحِّدين عبدُ المؤمن بنُ عليٍّ إلى الأندلسِ وذَهَبَ إليه الشعراء في جَبَلِ الفَتْح (جبل طارق) يمدحونه كان ابنُ سيدِ الأشبيليُّ مَعَهم. وكانت وفاتُه في إشبِيلِيَةَ سَنَةَ ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) أو في السنة التالية.

٢ - كان ابنُ سيدِ الإشبيليُّ مُقْرِئاً مُحَدِّثاً ومن علماء اللغة والنحو المُبرّزين، كما كان من أهل البلاغة والأدب، ناثراً قديراً وشاعراً بارعاً. وهُوَ من مشهوري شعراءِ الأندلس. وكان حسوداً متوثّباً بالهجاء على الناس، مُحبًّا لحَوْك المكائد. وهنالك في آثاره عددٌ من الكلماتِ لا يَجْري على المنهج اللغوي القويم.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن السِّيد الإشبيليُّ في النسيب:

كِلْـــــني إلى أدْمُـــــعٍ تَسْحو تكتُـــبُ شَرْحَ الهوى وتَمْحو [٢].
أفْدي التي لو بَغَتْ فساداً مـا كـان بـين الأنـام صُلْحُ [٣].
صاحيـــــــةٌ والجفونُ سَكْرى: من أسْكَرَتْـــــه فليس يصحو.

---

(١) لقّب بذلك لأنه كان في حداثته يغير على أشعار الشعراء (الوافي بالوفيات ٧: ٢١٨).
(٢) كِلْني (فعل أمر من «وكل - يَكِلُ»: عهد به إلى، تركه. سحا: (انهمر المطر بشدة).
(٣) بغى (أراد).

جـــارَ عليـــكِ الأنـــامُ ظُلْماً سَمَّوْكِ لَيـــلى وأنـــتِ صُبْـــحُ!

– ومن قصيدة له يمدَحُ بها أبا بكرِ بنِ مزدلي:

نَـداكَ الغَيْـثُ إنْ مَحْـلٌ تَوالى، وأنتَ اللَّيْثُ إن شَهِدوا القِتــالا[1].
غَصَبْـــتَ الليـــثَ شِدّةَ ساعِدَيْـهِ – نَعَمْ– وَسَلَبْتَ عَيْنَيْهِ الغزالا.
ومــا أفنـى السُّؤالُ لـكم نَوالًا، ولكنْ جودُكم أفنـــى السؤالا!
نوالٌ طَبّـــقَ الآفـــاقَ حتّـــى جرَى مَثَلًا بهــا وغـدا مِثالا.

– وكان مُغْرًى بهجاء آل فَنْدَلَةَ ظُلْماً فقال فيهم:

الموتُ لا يُبْقي عـــلى مُهْجــةٍ: لا أسداً يُبْقي ولا نَعْثَلَـــهْ[2]،
ولا شريفـــاً من بـــني هاشمٍ، ولا وضيعـــاً لبـــني فَنْدَلَـــهْ.

– وكتب ابنُ سيدٍ الإشبيليُّ إلى أبي جعفرِ بنِ سعيدٍ[3] يعتذرُ من وِشايةٍ كانت حُمِلَتْ إليه عنه:

سلامٌ كتَسْنيمٍ[4] على ذلك المقامِ الكريم، ورحمةُ الله تعالى وبركاته، وإن كانَ مَوْلايَ لم يُفاتِحْني بالسلام ولا رآني أهْلًا لمُقاوَمَةِ الكِرام، لكنْ حَطّ قَدْريَ عندَه ما نُسِبَ لي من الذَنْبِ المُخْتَلَق. ولا، واللهِ، ما نَطَقْتُ بلسانٍ ولا كُنْتُ مِمّن رَمَق[5]؛ بلِ الذي زَوّرَ لِسَيّدي في هذه الوِشايةِ كان المُعينَ عليها والمُلِمَّ إليها. فبادرَ إلَيْكُمْ قبلَ أن أَسْبِقَهُ فاتَّسَمَ بأسْقَطِ خِلّتَيْنِ: النذالةِ الأُولى والوِشايةِ الأُخرى. لولا أنّ المَجالسَ بالأماناتِ وأنّ الخلاعةَ بِساطٌ يُطوى على ما كان فيه، لَكُنْتُ أَسْبَقَ منه ولكنّي يأبى ذلك خُلُقي وما تأدّبتُ به......

ولولا ما أخْشَى من التَثْقيل وما أتوقّعُ من الخَجَل إذا الْتَقَى الوَجْهان لأَتَيْتُ

---

(١) المحل (بالفتح): الجدب وانقطاع المطر.

(٢) النعثل: الذكر من الضباع. والنعثلة: الحمق (والشاعر يقصد: الثعلب؟).

(٣) أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي (قتل ٥٥٩ هـ).

(٤) التسنيم: عين في الجنّة.

(٥) رمق: تابع الأشياء ببصره (؟).

حتّى أبْلَغْتُ في الاعتذار بالْمُشافَهَةِ ما لا يَسَعُ القُرْطاسُ. لكنّي مُتّكِلٌ على حِلْم سَيِّدي وإغضائِه مُتَوَسِّلٌ إليه في الغُفْران بعَلائه......

٤ - ★★ زاد المسافر ٩٤ - ٩٥؛ الوافي بالوفيات ٧: ٢١٨؛ المغرب ١: ٢٥٢؛ المطرب ٢٠٠ - ٢٠٢؛ المنّ بالإمامة ١٥٥ - ١٥٦، ١٦٨ - ١٧٠، ٤٥٣ - ٤٥٧؛ المعجب ٢١٧؛ بغية الوعاة ١٤٩ - ١٥٠؛ نفح الطيب ٤: ١٩٣، ١٩٦ - ٢٠٤؛ الأعلام للزركلي (١: ١٧٤).

أبو الطيّب المسيليّ

١ - هو أبو الطيّبِ أحمدُ بنُ الحسين بنِ محمّدٍ المَهْدَويُّ (نِسبةً إلى مدينة المَهْديّة، وتسمّى المحمّدية) المَسيليُّ، نِسبةً إلى المسيلةِ في المَغْرب الأوسطِ (الجزائر). وُلِدَ سَنَةَ ٥١٢ هـ (١١١٨ - ١١١٩ م) وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٧٨ هـ (١١٨٢ - ١١٨٣ م).

٢ - كان أبو الطيّب المَسيليُّ من أعيانِ شُعراءِ المغرب الراسخين في الأدب، له مُقَطّعاتٌ حِسانٌ في الغزل وله مديحٌ ونسيبٌ وخمر.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الطيّب المسيليُّ في النسيب:

خَطَرْتُ على وادي العُذيب بأدمعي، ... فما جُزْتُه إلّا وأكثرُهُ دَمُ[1].
وقد شَرِبَتْ منه كِرامُ جِيادِنا ... فكادت بأسْرار الهوى تتكلّمُ[2].
رَحَلْتُم، فهذا الليلُ فيكم فلم يَعُدْ ... إليّ سواهُ فيكُمُ إذ رَحَلْتُمُ[3].

---

(١) خطرت (مررت عرضاً، اتّفاقاً) على وادي العذيب (نهر العذيب) وأنا أبكي. فما جزته (قطعته) إلّا وقد أصبح أكثر مائه دماً من أدمعي.

(٢) حتّى جيادنا: خيلنا (وهي بهائم) لمّا شربت من وادي العذيب (بعد أن سال دمعي فيه!) أصبحت تتكلّم في الهوى والحبّ.

(٣) منذ ذلك الليل الذي رحلتم فيه لم أنم (ولذلك لا أذكر أنّه جاء ليل آخر بعده).

ومـا أنـا صَبٌّ بالنُجوم، وإنّما ... تُخَيِّـلُ لي الآفـاقُ أنّكُمُ هُمُ[1]!

– وله في النسيب أيضاً:

سَلّمَ إذ مرّ؛ ولي همّـــــةٌ ... تَسْتَنْزِلُ الأقمارَ والأنْجُما[2].

تَظْمأ ولا تَرْوى، ولو أنّني ... أَلْثَمْتُهـا وَجْنَتَــه والفَما[3].

هذا كثيرٌ؛ فاشْكُري واحْمدي. ... فكيـف لو مرّ ومـا سَلّما[4].

٤ – ★ ★ المطرب ٤١ – ٤٧.

ابن بشكوال

١ – هو أبو القاسم خَلَفُ بنُ عبدِ الملكِ بن مسعودِ بنِ بَشكُوالِ..... الخَزْرجيُّ الأنصاريُّ القرطبيُّ، أصلُه من شُرَّبُنَ من قرى إشبيلية.

وُلِدَ ابنُ بشكوال في قُرْطبةَ في الثالث من ذي الحِجّة من سَنَةِ ٤٩٤ (١١٠١/٩/٢٩ م) وسَمِعَ كثيراً من الحديثِ والتاريخ في قُرطبةَ وإشبيليةَ على نفرٍ من العلماء منهم أبو محمّدِ بنُ عتّابٍ وأبو الوليدِ بنُ رشدٍ والقاضي أبو بكرِ بنُ العربي.

وناب ابنُ بَشْكُوال عن القاضي أبي بكرِ بنِ العربيّ في بعضِ جِهاتِ إشبيلية ثمّ تولّى عَقْد الشُّروط ببلده. غيرَ أنّه فضّل أخيراً أن يقتصرَ على إسماعِ العلم.

وكانت وفاةُ ابنِ بشكوال في الثامن من رَمَضان ٥٧٨ (١١٨٣/١/٦ م).

٢ – كان ابنُ بشكوال من علماء الأندلس، وقد كان له نحوُ خمسين مُصَنَّفاً ضاع

---

(١) أنا لا أحبّ نجوم السماء، ولكنّي أسهر كلّ ليلة أتطلّع إليها، لأنّ كل شيء يوهمني أنّها تشبهكم، فأنا أتطلّع إلى ما يشبهكم. أنكم أنتم تلك النجوم لأنكم بعيدون عني مثلها.

(٢ – ٤) في هذه الأبيات حديث بين الشاعر وبين نفسه: تقول نفسه: إنّ المحبوب مَرّ وسلّم فقط (وكان المنتظر أن ينزل ويحادثني). وأنا لا أصبر على مثل هذه المعاملة. فقال الشاعر لنفسه: هذا كثير من المحبوب (مرّ بكِ ثمّ سلّم عليكِ)، فاحمدي الله على ذلك. لقد كان بالإمكان أن يمرّ ولا يسلّم أو ألا يمر أيضاً!

مُعْظَمُها فمن كتبه: الصِلَةُ في أخبار أئِمّة الأندلس (وهو استمرار لكتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفَرَضي) - تاريخ صغير في أحوال الأندلس - أخبار قضاة قرطبة - كتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة (وهو مختصر لكتاب المنتخب من تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطُليطلة لأبي جعفرِ بن مُطَاهر) - كتاب الغوامض والمُبهمات (في أسماء نفر من رجال الحديث) - جزء صغير ذكر فيه الذين رَوَوْا كتاب الموطّأ عن الإمام مالك نفسه - كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمّات والحاجات الخ - أصحاب الأندلس (نفح الطيب ٣ : ١٨١) - التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين (نفح الطيب ٣ : ٦٤، راجع ١٠ و ٦٠).

٣ - من مقدمة « الصلة » لابن بشكوال:

.... أَمَّا بعدُ، فإنّ أصحابَنا - وَصَلَ الله توفيقَهم ونَهجَ إلى كُلِّ صالحةٍ من الأعمال طريقَهم - سألوني أن أصِلَ لهم كتاب القاضي الناقدِ أبي الوليدِ عبدِ الله بنِ محمدِ بنِ يوسفَ الأزديِّ، الحافظِ المعروفِ بابن الفَرَضيّ رَحِمَهُ اللهُ[١].... وأنْ أَبتدىءَ من حيثُ انتهى كتابُه وأين وَصَلَ تأليفُه مُتّصلًا إلى وقْتِنا.

وكنتُ قد قيدتُّ كثيراً من أخبارِهم[٢] وآثارهم وسِيَرِهِمْ وبُلْدانهم وأنسابهم وموالِدهم وَوَفَياتِهم، وعَمّنْ أَخذوا مِنَ العُلماء ومَنْ رَوَى عنهم من أعلامِ الرُواة وكِبارِ الفقهاء. فسارَعْتُ إلى ما سألوا وشَرَعْتُ في ابتدائه على ما أحبّوا، ورتّبتُه على حروفِ المُعْجَم ككتابِ ابن الفَرَضيّ وعلى رَسْمِه وطريقته. وقَصَدتُّ إلى ترتيب الرِّجالِ - في كُلِّ بابٍ - على تقادُمِ وَفَياتِهم، كالذي صَنَعَ هو رحمه الله. ونسبْتُ كثيراً من ذلك إلى قائلهِ، واختصرتُ ذلك جُهْدي. وقدّمتُ هنا ذِكْرَ الأسانيدِ إليهم مَخافةَ تَكْرارِها في مواضِعها[٣]..... وكثيراً من ذلك ما سألتُ عنه شُيوخَنا وثِقاتِ

---

(١) ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ).

(٢) .... من أخبار الأشخاص الذين أريد جمع أخبارهم في كتابي المقترح.

(٣) ذكر ابن بشكوال الرواة الأساسيّين الذين أخذ عنهم في مقدّمة كتابه كيلا يضطرّ إلى تكرار ذكرهم مع كلّ شخص أخذ عنهم خبراً من أخباره.

أصحابِنا وأهل العِناية بهذا الشأن ومَنْ شُهِرَ منهم بالحِفْظ والإتقان وقد نَسَبْتُ ذلك إلى من قالَه لي منهم، إلّا ما لَحِقْتُه بِسِنّي[1] وشاهدتُّه بنفسي وقيّدتُّه بخطّي، فلَسْتُ أُسْنِدُه إلى أحدٍ وأقْتَصِرُ في ذلك على ما عَلِمْتُه وتحقَّقْتُهِ

٤ - كتاب الصلة في تاريخ أئمّة الأندلس (كوديرا)، مدريد ١٨٨٢ - ١٨٨٣ م؛ (عزّة العطّار)، القاهرة وبغداد (مكتبة الخانجي ومكتبة المثنّى) ١٩٥٥ م راجع نقد الكتاب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢ : ٢٨٨ .

** الصلة ٦٥٠؛ التكملة لكتاب الصلة ١ : ٥٤ (رقم ١٧٩؛ معجم ابن الأبار ٨٢ - ٨٥؛ المغرب ٢ : ٢٩٨ - ٢٩٩، ٣٤٢ - ٣٥٣؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٠؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٤٠ - ٢٤١؛ الديباج المذهب ١١٤؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٦١؛ نفح الطيب ١ : ٢٣٠ - ٢٣١، ٤٦٣ - ٤٦٦؛ ٥٤٦ - ٥٤٧، ٥٥٠ وما بعد، ٥٥٥ - ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٦٢ - ٥٦٣، ٢ : ٥٣ - ٥٤، ١٢٩، ٣: ١٠، ٦٠، ٦٤، ١٨١ (نقول وإشارات مفيدة)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣٣ - ٧٣٤؛ بروكلمن ١ : ٤١٥، الملحق ١ : ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٣٥٩ (٣١١)؛ بالنثيا ٢٧٣ - ٢٧٧؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٨٧ - ٥٧٩؛ سركيس ٤٦ - ٤٧ .

الخزرجيّ الصقلّيّ[2]

١ - هو أبو عُمَرَ عُثمانُ بنُ عليِّ بنِ عُمرَ الخزرجيُّ الأنصاريُّ السرقوسيُّ الصِقلّيُّ النحويُّ المُقْرِئُ، أصلُه من الخَزْرج الأنصارِ أهل المدينة ومَوْلدُه أو مسكنه في سَرَقوسةَ عاصمةِ صِقلّيةَ. ويجب أن يكونَ الخزرجيُّ الصقلّيّ قد عاش طويلًا حتّى أمكنَ أنْ يتّصل بالذين اتّصلَ بهم على تباعُدِ أزمانهم.

قرأ الخزرجيُّ الصقلّي القرآنَ الكريمَ على الحسنِ بنِ خَلَفِ بنِ بَلِّيمَةَ القيروانيِّ (ت ٥١٤ هـ) وابن الفحّام الصِقلّي (٤٢٢ - ٥١٦ هـ) وغيرِهما. ثمّ إنّه غادرَ صِقلّيةَ

(١) لحقته بسنّي (عمري): أدركته وهو حيّ.
(٢) للخزرجي الصقلّي ترجمتان في معجم الأدباء (١٢ : ١٣٠ وما بعد)، رقمها ٣٨ و ٣٩.

فمرّ بالقيروان واتّصل بالمُرتضى يحيى بنِ تميمِ ابنِ باديسَ الصِنهاجيّ ملكِ القَيْروان (٤٥٣ - ٥٠١ هـ). ثمّ انتقل إلى مِصْرَ ولازمَ الحافِظَ أبا طاهرِ أحمدَ بنَ محمّدِ السِلَفي (٤٧٨ - ٥٧٦ هـ) في أثناء إقامة السِلَفيّ في مِصْرَ (معجم الأدباء ١٢ : ١٣١) فقرأ على السِلفي وعلى من كان السِلفي قد قرأ عليهم كمحمّدِ بن بَركاتٍ المِصري اللُّغوي (٤٢٠ - ٥٢٠ هـ) وأبي صادقِ مُرشدِ بنِ يحيى المَدَني المِصْريّ الذي درس عليه في مِصْرَ ابنُ سعدونِ القُرْطُبيّ[1] (ت ٥٦٧ هـ) وكالفرّاءِ المَوْصِليّ أبي الحُسينِ عليّ بن الحسين بن عمر (وفيات الأعيان ٦ : ٦٧ ؛ ٧ : ٣٣٢) في مصر. ثمّ صارت له حَلْقةٌ في جامع عَمْرٍو (في مصر القديمة) فروى عنه، سنة ٥١٧ هـ، أبو طاهرٍ أحمد بن محمّد السلفّي[2] (الذي سبق أن قرأ عليه الخزرجيُّ الصقلّي نفسُه) وابن برّيّ النحوي (٤٩٩ - ٥٨٢ هـ). وكان السلفي في مصر فبنى له الأمير العادل وزير الظافرِ العُبيديّ مدرسةً في الإسكندرية سَنَةَ ٥٤٦ هـ. وقال القِفْطيّ (إنباء الرواة ٢ : ٣٤٢ - ٣٤٣): «وكان (الخزرجيّ الصقليّ) قريباً من زمانِنا في المِائَةِ السادسة للهجرة». مِنْ كُلِّ ما تقدّمَ هنا نَميل إلى القولِ بأن الخزرجيَّ الصقلّي قد عاش بين سَنَةِ ٤٩٠ و ٥٨٠ هـ (١٠٩٧ - ١١٨٥ م).

٢ - كان الخزرجيُّ الصِقلّي عالماً باللغة والنحو مُقرئاً للقرآن. وله شعرٌ على النَهْج المَشْرقيِّ بينَ التقليدِ والجَوْدة. وله نثرٌ خيرٌ من شعره. أمّا نقدُه فجيّدٌ (راجع المختارات). ثمّ هو مُصَنِّف، له: حاشيةٌ على كِتاب الإيضاح[3] أو شرح الإيضاح وهي غاية في الجودة - مخارجُ الحروف (مختصر) - مختصر في القوافي (وهو الذي رواه السلفي عن الخزرجيّ الصِقلّي) - مختصرُ عُمدةِ ابنِ رشيقٍ (وقد زادَ فيه أشياءَ كان ابنُ رشيقٍ قد أخلّ بها) - كتابٌ فيه نثر ونظم (له).

٣ - مختارات من آثاره:

- كَتَبَ أحمدُ بنُ سِلَفَةَ (السلفي) إلى الخزرجيّ الصِقلّي كِتاباً فيه شيءٌ من النظم

---

(١) ابن سعدون القرطبي (ت ٥٦٧ هـ) درس على أبي صادق المدني (وفيات الأعيان ٦ : ٧٦ و ١٧١).

(٢) روى السلفي عن الخزرجي كتاباً مختصراً في القوافي (معجم الأدباء ١٢ : ١٣٧).

(٣) الكتب المسمّاة «الإيضاح» كثيرة جدًّا، ذكر بروكلمان منها (راجع فهرست بروكلمان، الملحق ٣ : ٩٠٧ - ٩٠٨) نحو خمسة وعشرين (معرفة باللام، غير المضافة إلى ما بعدها).

منه «ما وَقَعَتْ عيني على مِثْلِهِ». فأجابَ الخزرجيُّ الصقلّي بقولِ منه:

وَقَفْتُ على ما تَفَضَّلَتْ بهِ حَضْرتُهُ وانْتَهتْ إليه من الآداب هِمّتُه. فمِنْ نثرٍ رأيتُ العِلْمَ مضمونَه، والدُرَّ مكنونَه، والحِكمة قرينَه[1]؛ ومِنْ نظمٍ كانتِ الفصاحةُ يمينَه وفصلُ الخطابِ عِرْنينه[2]. ووَدَّ فصيحُ الكلام أن يكونَه، وأحيا القلوبَ وكشف المحجوبَ

توّجني مَوْلايَ مِنْ قَوْلِهِ تاجاً علا التيجانَ من قَبْله[3]
لأنّها تَبْلى، وهذا إذا مرّتْ به الأيّامُ لم تُبْلِهِ[4].
فعِلْمُه يُشْتَقُّ من لَفظِهِ، ولفظُه يُشتقّ من فَضلِه.
تكاملتْ أوْصافُه كلُّها، ومثلُهُ مَنْ كان مِنْ مثلِهِ[5].

– وله من الشعرِ مَعَ شيءٍ من النَقدِ. قال:

يهونُ عليها أن أبيتَ مُتَيَّما وأُصبحَ محزوناً وأُضْحِيَ مُغْرَما.
صِلي مُدْنَفاً أو واعِديه وأَخْلفي فقدْ يَتَرجّى الآلَ من شَفّه الظما[6].
ضَمانٌ على عَيْنَيْكِ قَتْلي، وإنّما ضَمانٌ على عَيْنيّ أن تَبْكِيا دَما[7].

ثمّ قرأتُ بعدُ ديوانَ البُحتري فوجدتُ مُعْظَمَ هذه الألفاظِ مُبَدّدَةً فيه. فإذا كانتْ أكثرُ المعاني يشتركُ فيها الناسُ حتّى قَطَعَ ابنُ قُتَيْبَةَ[8] أنّ قولَه تعالى «يُريدُ أن

---

(١) مضمونه (ما كان ضمنه، فيه) ومكنونه (ما كنّ، اختبأ فيه) وقرينه (المربوط معه، المساوي له).
(٢) يمينه (أحسن قسميه وأقواهما، في مقابلة شماله بكسر الشين). فصل الخطاب: القول أو الرأي الصحيح الباتّ الجازم. العرنين: أعلى الأنف (عرنين الشيء: أفضله).
(٣) كان أسمى وأثمن من جميع التيجان السابقة (تيجان الملوك).
(٤) بلي (بكسر اللام) يبلى (بفتح اللام) الشيء: تهرّأ.
(٥) ليس في البشر رجل كامل الأوصاف إلّا إذا كان مثل هذا الممدوح.
(٦) صلي (بكسر الصاد واللام) واصلي، أنعمي بالوصل أو اللقاء على المحبوب. المدنف: الذي مرض من الحبّ وأشرف على الهلاك. واعديه: اقطعي له وعداً أو عهداً. اخلفي: انكثي في وعدك. الآل: السراب. شفّه: أنحله (جعل جسمه ناحلاً أو نحيلا: ضعيفاً). الظمأ: العطش.
(٧) ضمان (هنا) عزم وتأكيد.
(٨) ابن قتيبة ناقد مشرقي (ت ٢٧٦ هـ) له كتاب الشعر والشعراء.

يَنْقَضَّ »[1] لا يُعَبَّرُ عنه إلّا بهذه العِبارةِ ونَحْوِها فغيرُ مُسْتَنْكَرٍ أنْ يشتركوا[2] أو تتّفق ألفاظهم في العبارة عنها. ولكن أبى المُوَلَّدونَ إلّا أنّها سرقة[3].

- وله في الغزل:

رحلتْ فعلّمتِ الفؤادَ رحيلا ... وبكتْ فصيّرتِ الأسيلَ مسيلا[4].

وإذا المحبُّ أراد قتلَ حبيبهِ ... جعلَ الفراقَ إلى المات سبيلا!

٤ - ★ ★ معجم الأدباء ١٢ : ١٣٠ - ١٣٥ ثمّ ١٣٥ - ١٤١ (ترجمة مكرّرة)؛ إنباه الرواة ٢ : ٣٤٢ - ٣٤٣؛ البلغة ١٣٩؛ بغية الوعاة ٣٢٣؛ المكتبة العربية الصقلية ٦٧٦.

ابنُ الفَرّاءِ الضريرُ

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ (بنِ محمّدٍ) الأُستاذ الأديبُ الخطيب المُقْرِئُ النَحْويُّ، كان يُقْرِئُ القرآنَ والشِعْرَ والنحوَ واللُّغة في المَرِيَّةِ في القرنِ السادس للهِجْرة (الثاني عشر للميلاد). ويبدو أن وفاتَه كانت في أواخِرِ القرنِ السادس[5] لأنّ جَدّه أبا عبدِ اللهِ (نفح ٣ : ٣٨٦ - ٣٨٧) كتب رِسالةً إلى يوسفَ بنِ تاشفينَ (ت ٥٠٠ هـ) يُعاتبه فيها لأنّه طلب مَعونةً ماليةً من أهلِ المَرِيَّةِ. ولَعَلَّ أبا عبدِ الله هذا (جدَّ صاحبِ الترجمة) هُو الذي اسْتُشْهِدَ في مَعْرِكَةِ قَتَنْدَةَ (نفح الطيب ٤ : ٤٦٠ - ٤٦١)، سَنَةَ ٥١٤ هـ.

---

(١) في القرآن الكريم (١٨ : ٧٧): « فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ » (على وشك أن يتهدّم) وقد نسبت الإرادة إلى الجدار هنا على سبيل الاستعارة.

(٢) اقرأ: فغير مستنكر على الشعراء أن يشتركوا...

(٣) المولّدون (في المشرق) الذين كان أحد أبويهم عربيًّا والآخر غير عربي. اقرأ: إلّا أن يسمّوا الآراء المتقاربة في الأشعار سرقة (قد سرقها بعض الشعراء من بعض).

(٤) لمّا فارقتني المحبوبة رحل قلبي معها (فقدت الصبر والتفكير). ولمّا بكت هي أصبح الأسيل (أي خدّي أنا) مسيلاً (مجرىً دائماً للدموع).

(٥) يروي المقرّي في نفح الطيب (٤ : ٢٨٦ - ٢٨٧) « أنّ ابن صمادح أرسل جارية إلى الأستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها، وكان (ابن الفرّاء) كفيفاً.... » ويصعب أن تكون هذه الرواية موثوقة لأنّ ابن صمادح قد توفّي سنة ٤٨٤ هـ.

٢ - كان ابنُ الفرّاءِ الضريرُ إماماً في اللغةِ والنحو كما كان شاعراً مُجيداً مُحسناً. وفنونُه العِتاب والغَزَلُ المؤنَّثُ والغزل المذكّر.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ الفرّاءِ الضريرُ:

إذا كـــان وَرْدُكَ لا يُقْطَـــفُ　　وثَغْرُ ثَنايـــاك لا يُرْشَفُ[١]،
فأيُّ اضطرارٍ بنا أن نقولَ:　　«ألَا بـأبي شادِنٌ أوْطَـفُ!»[٢]

- وقال:

قِيـــل لي: قـــد تَبَـدّلا؛　　فاسْلُ عنـــه كما سَلا[٣].
لـــك سَمْـــعٌ وناظِرٌ　　وفُؤادٌ! فقلــــتُ: لا.
قيـــل: غـــالٍ وِصالُـــه؛　　قلـــت: لّمـــا غَـلا حَـلا.
أيُّهـــا العـــاذلُ الـــذي　　بِعـــذابي تَوَكّـــلا[٤]،
عُـــدْ صحيحـــاً مُسَلَّماً؛　　لا تُعَيِّرْ فتُبْتَـــلى[٥]!

٤ - ★★ نفح الطيب ٣: ٣٨٢ - ٣٨٣، ٤: ٢٨٧؛ نيكل ٢٥٦ - ٢٥٨؛ مختارات نيكل ١٧١ - ١٧٢.

عبد الحقّ الإشبيلي البجائي

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ الحقِّ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الله بنِ الحسينِ بنِ سعيدٍ الأزْديُّ الإشبيليُّ الأندلسيُّ البِجائيُّ، ويُعْرَفُ بابن الخرّاط؛ وُلِدَ في ربيعٍ الأوّلِ من

---

(١) وردك (= ورد خدك) لا يقطف: إذا كنّا لا نستطيع تقبيلك.
(٢) الشادن: الغزال الصغير. الأوطف: طويل أهداب العينين.
(٣) تبدّل: تغير عن عهدك (ترك حبّك). سلا: نسي، أهمل.
(٤) العاذل: اللائم (الذي يلوم العشّاق خاصّة). توكّل بالشيء: جعله همّه وعمله.
(٥) عد: ارجع، اذهب عنّي. صحيحاً مسلّماً: غير مريض بالحبّ وغير محبّ. لا تعيِّرني (لا تلمني ولا تعب عليّ حبّي) فتصبح مثلي مريضاً بالحبّ.

سَنَةَ ٥١٠ (تمّوز - يوليو ١١١٦ م).

رَوَى عبدُ الحقِّ الإشبيليُّ عن نفرٍ من العلماء منهم الحَسَن بن شُريح وعبدُ السلام ابن عبدِ الرحمن بن بَرْجانٍ (ت ٥٣٦ هـ) وعُمَرُ بن أيّوبَ وطارقُ بنُ موسى بن يعيش (إشبيلية ٤٩٨ - حلب ٥٤٩ هـ) وطاهرُ بن عَطيّةَ وأبو الإصبع عبدُ العزيزِ بن عليّ ابن الطحّان (ت ٥٥٩ هـ). وقد كَتَبَ إليه مُحَدِّثُ الشام ابنُ عساكرَ (ت ٥٧١ هـ) وأجاز له روايةَ (ما كَتَبَ إليه به).

ولّما اضطربَ أمرُ المُرابطين في الأندلس ونَشِبَتِ الفِتْنةُ آثرَ عبدُ الحقِّ الإشبيلي أن يُغادِرَ إشبيليةَ فانتقل إلى بِجايَةَ (في العُدْوة الإفريقية)، قُبيل ٥٤٧ هـ.

انصرفَ عبدُ الحقّ في بِجايةَ إلى التدريس والتأليف. وقد كانت الخُطبة (يوم الجمعة). والصلاةُ في الجامع الأعظم في بِجاية له، كما كان يَجْلِسُ للتوثيقِ والشهادة[1]. ووَلِيَ أيضاً القضاءَ في بِجاية مُدّةً يسيرةً في أيام استيلاءِ عليٍّ بنِ اسحاقَ بنِ غانيةَ على بجاية[2] من أيدي المُوحّدين. وكان من الطبيعي أن يَطْلُبَ ابنُ غانيةَ من عبدِ الحقِّ ألّا يذكُرَ المُوحّدينَ في الخُطبة، وأنْ يَدْعُوَ في الخُطبة لبني العبّاس[3] في بغدادَ (لا للموحّدين في مَرّاكُش). غير أنّ الموحّدين استطاعوا استردادَ بِجايةَ بعدَ قليلٍ[4]، فكان المنصور المُوحّديُّ (أبو يوسفَ يعقوبُ) يتوعّدُ عبدَ الحقّ بالقتل. ولكنّ عبدَ الحقّ نجا من الموت على يدِ الموحّدين لِيَموتَ حَتْفَ أنفِهِ على فراشِهِ وشيكاً بعدَ دخولِ جيش الموحِّدين إلى بِجايةَ، فقد مات في ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٥٨١ (تموزّ - يوليو ١١٨٥ م) في الأغلب.

٢ - كان عبدُ الحقِّ ابنُ الخرّاط الإشبيليُّ فقيهاً كبيراً وحافظاً للحديث ذا معرفةٍ بعلَله وبرِجالهِ، كما كان موصوفاً بحبّ الخير وبالوَرَعِ والزُهْد. ثمّ إنّه كان مشاركاً في

---

(١) التوثيق: كتابة الوثائق (الصكوك والاتّفاقات بين المتبايعين وأمثالهم) والشهادة (تحرير الشهادات أمام الحاكم!).

(٢) في سادس شعبان ٥٨٠ (١٢/ ١١/ ١١٨٤ م).

(٣) إذ كانت العادة أن يكون الدعاء في خطبة الجمعة للخليفة.

(٤) في صفر ٥٨١ (أيار - مايو ١١٨٥ م).

عدد من فنون الأدب ويقولُ الشِعرَ. وقدِ اشتهرَ بالتأليف، وخصوصاً في الجَمْعِ بين كُتُبِ الحديث[1]، له كتابُ «الجمع بين الصحيحين» (صحيح مسلم وصحيح البخاري - وقد أضافَ إلى ما فيها أحاديثَ لم تكُنْ فيها من كُتُبٍ أخرى) ثمّ له كتابُ «الجامع الكبير في الحديث» (-وكان مقصودُه فيه الجمعَ بينَ الكتب الستّة: صحيح البُخاري (ت ٢٥٦ هـ) وصحيح مُسلمٍ (ت ٢٦١ هـ) وسُنَنِ ابنِ ماجةَ (ت ٢٧٣ هـ) والسُنن لأبي داوودَ (ت ٢٧٥ هـ) والجامع الكبير (أو الصحيح) للترْمذيّ (ت ٢٧٩) والسنن الصُغرى للنّسائي (ت ٣٠٣)-. ثمّ أضافَ إليها أحاديثَ ليستْ فيها كلِّها من كتابَيِ البزّازِ (ت ٢٩٢ هـ) وهُما المُسْنَدُ الكبيرُ (أو البحرُ الزاخر) والمسندُ الصغير. وكذلك صَنّفَ كتاب الأحكام وصَنَعَ منه ثلاثَ نُسَخٍ: النُسخة الكبرى (مفصّلة) والنسخة الصُغرى (موجزة) والنسخة الوسطى. وله الرقائقُ والأنيسُ في الأمثال والمواعظِ والحِكمِ والآداب من كلامِ رسولِ الله والصالحين. ثمّ له أيضاً: مُعجزاتُ الرسولِ - مقالةٌ في الفقر والغنى - تلقينُ الوليد (كتابٌ صغيرٌ في الحديثِ لِيُثَقَّفَ به الصِغارُ) - الواعي (في اللُّغة) ضاهى (أحبَّ أن يزيدَ فيه على) كتاب الغريبَيْن للهَرَويّ[2] - مختصر كتاب الرشاطي في الأنساب[3] - كتاب الأحكام (نفح الطيب ٣ : ١٨٠ و ٤ : ٣٢٩) - الأحكام الصغرى[4] (نفح الطيب ٥ : ٣٨٩)، وقد شرحه الخطيب أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن مرزوق المتوفّى سنة ٧٨١ (راجع نفح الطيب ٥ : ٤١٨) - العاقبة (نفح الطيب ٤ : ٣٢٨)، وغيرها من كتب الحديث والفقه خاه

---

(١) الجمع في كتب الحديث: سياقة الأحاديث التي فيها سياقة واحدة (وحذف المكرّر).

(٢) هو أبو عبيد (بالضمّ) أحمد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرحمن الهرويّ الباشاني (٤٠١ هـ = ١٠١١ م) له كتاب عنوانه «كتاب الغريبين في القرآن والحديث» أو «كتاب غريبي القرآن والحديث» أو «كتاب الغريبين في لغة كلام الله وحديث رسوله» أو «كتاب غريبي القرآن والسنّة وتفسيرها» (تفسير الألفاظ الغريبة فيها) راجع بروكلمان ١ : ١٣٧، الملحق ١ : ٢٠٠.

(٣) هو عبد الله بن عليّ الرشاطيّ (بضمّ الراء) الأندلسي (٤٦٦ - ٥٤٢ هـ) له كتاب «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» (الأنوار جمع نور بضمّ النون، والأزهار لعلّها جمع أزهر أي الأبيض النبيل من الرجال. والآثار جمع أثر أحاديث الرسول).

(٤) يذكر نفح الطيب كتاب «الأحكام» وكتاب «الأحكام الصغرى» على أنها، فيما يبدو، كتابان مستقلّان (راجع نفح الطيب ٣ : ١٨٠ و ٤ : ٣٢٨ ثم ٢ : ١٦٤ و ٥ : ٣٨٩، ٤١٨).

٣ - مختارات من آثاره:

- قال عبدُ الحقّ الإشبيليُّ في الموت:

★ إنّ في الموتِ والمَعـــادِ لشُغلًا   وادّكاراً لذي النُهى وبَلاغا[١].

فاغْتَنِمْ خُطّتَيْنِ قبلَ المنايا: صِحّةَ الجسمِ، يا أخي، والفَراغا[٢].

★ قالوا: صِفِ الموتَ، يا هذا، وشِدّتَه.   فقلتُ - وامتَدَّ منّي عندَها الصوتُ -:

يَكْفيكُمُ منه أن الناسَ إن وَصَفوا   أمراً يَروعُهم، قالوا: هُوَ الموت[٣]!

- في نفح الطيب (٥: ٣٢٧):

رقيقةٌ - ألْفَيْتُ لعبدِ الحقِّ الإشبيليّ بيتاً هو عِندي أفضلُ من قصيدة:

قد يُساق المُرادُ وهو بعيدٌ،   ويريدُ المريدُ وهو قريبُ[٤].

٤ - ★★ بغية الملتمس ٣٧٨ - ٣٧٩ (رقم ١١٠٤)؛ التكملة (رقم ١٨٠٧)؛ فوات الوفيات ١: ٣١٦؛ وفيات ابن قنفذ ٢٦٣؛ الديباج المذهب ١٧٥ - ١٧٧؛ صلة الصلة ٤ - ٧؛ شذرات الذهب ٤: ٢٧١؛ نفح الطيب ٢: ٦٣٤، ٣: ١٨٠، ٤: ١١٧، ٣١٥، ٣٢٨ - ٣٢٩، ٥: ٣٢٧، ٣٨٩، ٤١٨ (إشارات مفيدة)؛ بروكلمن ١: ٤٥٧، الملحق ١: ٦٦٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٥٢ (٣: ٢٨١)؛ الأصالة (الجزائر) ٤: ١٩ (ص ٢٥٩)؛ عنوان الدراية ٧٣ - ٧٦.

أبو القاسم السهيليّ

١ - هو أبو القاسم (أبو زيد، أبو الحسن) عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ

(١) المعاد: البعث يوم القيامة. شغل: ما يشغل (بفتح الغين) الإنسان ويقلقه. الأدّكار: الذكر والتفكير في العواقب. النهى: العقل. بلاغ: تنبيه، تحذير.

(٢) المنايا جمع منية: الموت. الفراغ: اتّساع الوقت للعمل المنتج.

(٣) يروعهم يدهشهم ويخيفهم معاً.

(٤) المقصود في هذا البيت غير واضح. ربّما: يصل الشيء المراد إلى الإنسان بينما ذلك الإنسان يظنّ أن ذلك الشيء بعيد المنال. ويتضح المعني إذا نحن قرأنا: ويُراد المُراد (يذهب الناس في طلبه إلى مكان بعيد).

أحمدَ بنِ أصبغَ بنِ حُسينِ بنِ سَعدونِ بنِ رِضوانَ بنِ فتّوحٍ الخَثْعَميُّ السُهيليُّ- نِسبةً إلى سُهيلَ، وَهِيَ قريةٌ قُربَ مالَقَةَ- المالقي. وجَدُّه فتّوحٌ هُوَ الذي دَخَلَ الأندلسَ.

وُلِدَ أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ السُّهَيْليُّ في سُهَيْلَ، سَنَةَ ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م) وتلقّى العلمَ في غَرْناطة وإشبيلية، وروى عن الحافظ أبي بكرِ بنِ العربي (ت ٥٤٣ هـ). ثمّ إنّه انتقلَ إلى مالَقَةَ وجَعَلَ يُحَدِّث فيها (يدرّس الحديث).

وفي نحو سَنَة ٥٧٧ هـ بَعَثَ المنصورُ المَوحِّديُّ دَعْوَةً إلى السهيليّ فذهب السُّهيلي إلى مَرّاكُشَ ونالَ حُظْوةً عند المنصور، ولكنّه لم يُمَتّع بها طويلًا، فقد عَمِيَ وشيكاً ثمّ توفّي، في ٢٦ شَعْبانَ ٥٨١ (٢٢/ ١١/ ١١٨٥ م)، في مَرّاكُشَ[١].

٢ - كان السُّهَيْليُّ مُحَدِّثاً ولُغَوِّياً نَحْويًّا وأديباً شاعراً ومُؤلّفاً. ومَعَ أنّه شاعرٌ مُقِلٌّ فإنّ له أبياتاً مَشْهورةً في الرثاء وفي المُناجاة والاسْتغاثةِ بالله. غير أن شُهْرَةَ السُهيليّ قائمةٌ على كتابه «الرَّوْضُ الأُنُفُ» (وهو شَرْحٌ للأحاديث الواردة في سِيرة ابن هشام في حياةِ الرسول). وله كُتُبٌ أخرى منها: التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام[٢]. - نتائج الفكر (في النحو)- مسألة رُؤية الله تعالى في المنام ورؤية النبيّ صلى الله عليه وسلم- الأمالي (أمالي السُهيلي في اللغة والنحو والحديث والفقه)- المشروع الروَى[٣] فيما اشتمل عليه حديث السيرة والمحتوى.

٣ - مختارات من آثاره:

- القصيدة العَيْنِيَّة في الابتهالِ إلى الله (المُناجاة والاستغاثة بالله):

يا مَنْ يَرى ما في الضَميرِ ويَسْمَعُ، أنتَ المُعَدُّ لكلِّ ما يُتَوَقّعُ.
يا مَنْ يُرَجّى للشَدائدِ كلِّها، يا من إليه المُشْتكى والمَفْزَع،

---

(١) في نفح الطيب (٣: ٤٠١): كانت وفاته ٥٨٣.

(٢) أي التعريف بالذين أشير إليهم في القرآن الكريم من غير أن تذكر أسماؤهم، نحو «صاحبه» (٩: ٤١ التوبة) فإنّه أبو بكر الصدّيق، في قوله تعالى: «إذ يقول لصاحبه: لا تحزن».

(٣) الروى: الرواء (الكثير، العذب).

يا من خزائنُ رِزْقهِ في قولِ: «كُن»! ... امْنُنْ، فإنَّ الخَيْرَ عندك أجْمع[١].
ما لي سوى فَقْري إلَيْك وَسيلةٌ، ... فَبالافْتِقار إليك فَقْري أَدْفَع[٢].
ما لي سوى قَرْعي لِبابِكَ حيلةٌ، ... فَلَئِنْ رَدَدتَّ فأيَّ بابٍ أقْرَعُ!
ومَنِ الذي أدْعو وأهْتِفُ باسْمِهِ، ... إنْ كان فَضْلُك عن فَقيرك يُمْنَع.
حاشا لِجودِكَ أن يُقَنِّطَ عاصِياً. ... الفَضْلُ أجْزل والمواهِبُ أوْسَع.

– أغار الإفرنج على سُهَيْلَ وخرّبوها فقتل نفرٌ من أهل السُهيلي وأقاربِهِ، وكان هو غائباً عن القرية، فجاء إليها ووَقَفَ على دُور أهلِهِ وأنشد:

يا دارُ، أينَ البِيضُ والآرامُ، ... أم أينَ جيرانٌ عليَّ كِرامُ[٣]؟
رابَ المحبَّ من المنازِلِ أنّه ... حَيّا فلم يَرْجِعْ إلَيْه سلام.
لمّا أجابَنِيَ الصَدى عنهم- ولم ... يَلِجِ المسامعَ للحبيب كلامُ[٤]-
طارحتُ وُرْقَ حَمامِها مُتَرَنِّماً ... بِمَقالِ صَبٍّ، والدموع سِجام[٥]:
(يا دارُ، ما فعلتْ بِكِ الأيّامُ؟ ... ضامَتْكِ، والأيّامُ ليس تُضام)[٦].

– وقال في العتاب:

جَعَلْتُ طريقي على بابه ... وما لي على بابه من طريقْ.
وعاديتُ مِن أَجلِه جيرتي ... وآخيتُ مَن لم يكُن لي صديق.
فإنْ كان قتلي حَلالاً لكم ... فسيروا بروحيَ سيراً رفيقْ.

– من مقدّمة كتاب «الروض الأنف»:

(١) في قول: كُنْ (بالإرادة والسرعة) من قوله تعالى (٣٦: ٨٢ يس): «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون!».
(٢) فقري (مفعول به مقدّم) أدفع (فعل مضارع).
(٣) الرئم: الغزال الأبيض. البيض والآرام (النساء الجميلات).
(٤) ولج: دخل (لم أسمع جواباً من المحبوب).
(٥) الورق جمع ورقاء: الحمامة. سجام: منهمرة بكثرة.
(٦) هذا البيت لأبي نواس. ضامه: ظلمه وأذلّه.

وبعدُ، فإنّي قدِ انتحَيْتُ هذا الإملاءَ[١]، بعدَ ٱستخارةِ ذي الطَّوْلِ والاستعانةِ بِمَنْ له القُدْرَةُ والحَوْلُ[٢]، إلى إيضاح ما وَقَعَ في سِيرة رسولِ الله - صلّى اللهُ عليه وسلّم - (تلك) التي سَبَقَ إلى تأليفها أبو بكرٍ محمّدُ بنُ إسحاقَ المُطّلبيّ[٣] ولَخّصها عبدُ الملكِ بنُ هِشامٍ المُعافِريُّ المِصْريّ النسّابةُ النَّحْويّ[٤] ممّا بَلَغني عِلْمُه ويُسِّرَ لي فَهْمُه: من لفظٍ غريب أو إعراب غامضٍ أو كلامٍ مُسْتَغْلِقٍ أو نَسَبٍ عويصٍ أو موضعٍ فِقْهٍ يَنْبغي التنبيهُ عليه أو خبرٍ ناقصٍ يُوجَدُ السبيلُ إلى تَتْميمه، مَعَ الاعتراف بكُلول الحَدّ عن مَبْلغِ ذلك الحدّ[٥]. فليس الغَرَضَ المُعْتَمَدَ أنْ أستوليَ على ذلك الأمدِ[٦].

إنّ هذا الكتابَ سَيَرِدُ الحَضْرَةَ العَليّة المُقدّسة الإمامية، وإنّ الإمامةَ[٧] ستَلْحَظُه بعينِ القَبول، وإنّه سيُكْتَتَبُ للخِزانةِ[٨] المباركة - عَمّرها الله - بحِفْظه وكَلاءته[٩] وأمَدَّ أميرَ المؤمنين بتأييدِه ورِعايته... فتَبَجّسَتْ لي - بِمَنِّ[١٠] اللهِ تعالى - من المعاني الغريبة عُيونُها، وانثالتْ عَلي من الفوائد اللطيفةِ أبكارُها وعُونُها[١١].... فأعْرَضْتُ

---

(١) يبدو أنّ السهيليّ قد أملى هذا الكتاب على سامعين له (طلّاب أو مستجيزين - طالبي شهادة) ولم يدوّنه بنفسه (أو دوّنه في زمن متقدّم ثمّ أملاه في التاريخ الذي ذكره في آخر المقدّمة - إذ ليس من المعقول أن يتمّ شرح سيرة ابن هشام على الوجه الذي ترد فيه في « الروض الأنف » في مدى خمسة أشهر.

(٢) الطول: الغنى والفضل (التفضّل على الآخرين). الحول القوّة. ذي الطول....: الله تعالى. استخارة الله: الطلب من الله أن يخير لنا (أن يوفّقنا إلى الخير فيما نعمل).

(٣) محمّد بن اسحاق من أهل المدينة (توفّي في بغداد، سنة ١٥١ هـ = ٧٦٨ م) أقدم الذين كتبوا في سيرة رسول الله. وسيرته هذه مفقودة. ولكن نجد جانباً كبيراً منها في « سيرة ابن هشام » (راجع الحاشية التالية) وبعضها في كتاب « الرسل والملوك لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ = ٩٢٣ م). وقيل إنّ شيئاً منها محفوظ مستقلّاً.

(٤) محمّد بن هشام من أهل البصرة (توفّي في مصر، سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م).

(٥) الكلول والكلال: الضعف. الحدّ (الأولى): غرار السيف (الجانب الذي يقطع). كلال السيف (ذهاب حدّته وقدرته على القطع). الحد (الثانية): المدى، الفاصل، الغاية.

(٦) استولى (الحصان) على الأمد (الغاية، النهاية): سبق جميع الخيل.

(٧) كتاب « الروض الأنف » جعل برسم الخليفة عبد المؤمن بن عليّ (أول سلاطين الموحّدين).

(٨) الخزانة (خزانة الكتب): المكتبة.

(٩) كلأ الله فلاناً: حفظه ورعاه.

(١٠) تبجّست: تفجّرت. المنّ: النعمة.

(١١) عيون الشيء: خياره (أحسن ما فيه). انثال: انصبّ، هطل، سقط بكثرة. الفكرة البكر (التي لم تخطر لأحد من قبل). الفكرة العوان (بالفتح: التي سبق أن خطرت للناس).

عن بَعْضها إيثاراً للإيجاز ودَفَعْتُ في صدور[١] أكثرِها خَشْيَةَ الإطالةِ والإملال. ولكنْ تحصّلَ في هذا الكتابِ من فوائدِ العلوم والآداب، وأسماءِ الرجال والأنساب، ومِنَ الفِقْهِ الباطِنِ اللُّباب[٢] وتعليلِ النحوِ وصنعةِ الإعراب ما هو مُسْتَخْرَجٌ من نَيِّفٍ[٣] على مِائَةٍ وعِشرينَ ديواناً، سِوى ما أنتجه صدري ونَفَحَه فِكري ونَتَجَه نَظَري[٤] ولَقِنْتُه عن مَشْيختي[٥] من نُكَتٍ[٦] عِلمية لم أُسْبَقْ إليها ولم أُزْحَمْ عليها[٧]. كلُّ ذلك بِيُمْنِ اللهِ وبَرَكَةِ هذا الأثر[٨] المُحْيي لِخواطرِ الطالبين والمُوقظ لِهِمَم المُسْتَرشدين.

وكان إملائي هذا الكتابَ في شَهْرِ المُحَرّمِ من سَنَة تسعٍ وسِتّين وخَمْسِمِائَةٍ[٩]. وكان الفراغُ منه في جُمادى الأُولى من ذلك العام[١٠].

٤ - القصيدة العينية في المناجاة أو الاستغاثة، القاهرة (في مجموع) ١٣١١ هـ.
- الروض الأنف (عبد السلام شقرون)، (مصر المطبعة الجمالية) ١٣٣١ هـ؛ القاهرة (دار الكتب الحديثة) بلا تاريخ؛ (طبعة جديدة مضبوطة ومنقّحة - عبد الرؤوف سعد)، القاهرة (مكتبة الكلّيات الأزهريّة) ١٩٧١ - ١٩٧٣ م.
- أمالي السهيليّ (تحقيق محمّد ابراهيم البنّا)، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٧٠ م.

★★ تخميس القصيدة العينية (لابراهيم السنوسي)، القاهرة (؟) طبع حجر، بلا تاريخ.
بغية الملتمس ٣٥٤ - ٣٥٥؛ زاد المسافر ١٣٨ - ١٤٠؛ التكملة ٥٧٠ (رقم ١٦١٣)؛ المغرب ١ : ٤٨٨؛ المطرب ٢٣٠ وما بعد؛ إنباه الرواة ٢ : ١٦٢ - ١٦٤؛ نكت الهميان ١٨٧ - ١٨٨؛ وفيات الأعيان ٣ : ١٤٣ - ١٤٤، راجع ١٧٧، ٤٣٦ - ٤٣٧، ٦ : ٩٨،

---

(١) دفع فلان في صدر فلان: ردّه، أخّره (تركه).
(٢) الباطن اللباب صفتان للفقه (؟): المقصود من الفقه وخلاصته.
(٣) نيّف: أكثر.
(٤) ما نفحه (نشره) فكري ونتجه (ولّده) نظري (بحثي في الأمور).
(٥) ما لقنته (فهمته) عن مشيختي (أساتذتي).
(٦) النكتة (بالضمّ): المسألة الدقيقة (من مسائل العلم أو الأدب)، اللمحة اللطيفة الرائقة.
(٧) لم أزحم عليه: لم يسابقني أحد إليه.
(٨) الأثر (هنا) سيرة رسول الله.
(٩) آب (أغسطوس) - أيلول (سبتمبر) من عام ١١٧٣ م.
(١٠) كانون الأوّل (ديسمبر) من ذلك العام.

٧ : ٢٣٩ ؛ الديباج المذهب ١٥٠ - ١٥١ ؛ ابن قنفذ ٢٩٢ ؛ بغية الوعاة ٢٩٨ - ٢٩٩ ؛ نفح الطيب ٢ : ١٠٢ - ١٠٣ ، ٣٣٥ ، ٣ : ٤٠٠ - ٤٠١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٧١ - ٢٧٢ ؛ بروكلمن ١ : ٥٢٥ - ٥٢٦ ، الملحق ١ : ٧٣٣ - ٧٣٤ ؛ الاستقصا ١ : ١٨٧ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٨٦ (٣ : ٣١٣)؛ نيكل ٣٢٩ ؛ مختارات نيكل ١٩٠ ؛ سركيس ١٠٦١ - ١٠٦٢ .

ابن طفيل

١ - هو أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ طُفيلٍ القيسيُّ، وُلِدَ نحوَ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) في وادي آشَ قُربَ غَرناطةَ. وبعدَ أن درَّس وطبَّب مدةً في غَرناطة تَوَلى الحِجابة (الوزارة) فيها.

واتصل ابنُ طُفيلٍ (٥٤٩ هـ) ببَلاط الموحِّدين في إفريقية وأصبحَ كاتماً لأسرارِ أبي سعيدِ بنِ عبدِ المؤمن والي سَبْتَةَ وطَنْجة. ولما جاء أبو يعقوبَ يوسفُ إلى عرشِ الموحِّدين (٥٥٨ هـ) أصبحَ ابنُ طُفيلٍ طبيبَهُ الخاصَّ. ثم اعتزل هذا المَنْصِبَ (٥٧٨ هـ) ولكنه ظل يتمتعُ بالحُظْوة في بلاط الموحّدين إلى حينِ وفاته، سَنَةَ ٥٨١ (١١٨٥ م) في مَرّاكُشَ.

٢ - لم يصل إلينا من كتب ابنِ طُفيلٍ سِوى رسالةٍ واحدة، هي « قِصة حَيِّ بنِ يَقْظانَ »، وغايتُها أن تدُلَّ على نُشوء الإنسان الأولِ من باطن الأرض بلا أبٍ ولا أُمٍّ، ثم على مقدرة الإنسان ذي الفِطرةِ الفائقة على أن يَعْرِفَ كلَّ شيءٍ من مظاهر العالم الماديّ ومن العالَم الإلَهيِّ مِنْ تِلقاءِ نَفسِه من غيرِ حاجةٍ إلى معلِّم[١]. وتدُلُّ هذه القِصّةُ على براعةِ ابن طفيل في عددٍ كبيرٍ من العلوم إلى جانبِ أُسلوبٍ أدَبي بارعٍ. وابنُ طُفيلٍ أوّلُ من ساق الآراءَ الفلسفيّةَ والعلميّةَ سِياقاً قَصَصيًّا[٢].

(١) إن هذه القصة تمثل تطور الإنسانية وارتقاءها في المدنيَّة لا تطور إنسان واحد. وإن كان بعض آراء ابن طفيل ينطبق على الفرد الفائق الفطرة (الكثير الذكاء).

(٢) لقد قلّد هذه القصة كتّاب كثيرون، أشهرهم وأقربهم إليه السياسي القصصي الأدبي دانيال ده فوه (ت ١٧٣١ م) في قصته « روبنسون كروزه ». (راجع ابن طفيل وقصة حي بن يقظان (للمؤلف)، ط ٢ ، ٩٣ - ٩٧).

٣ - مختارات من آثاره:

- قالَ ابنُ طُفيلٍ في الغَزَل الصوفي (بالعِزّة الإلَهية):

أَلَمّتْ وقد نامَ المُشيحُ وهَوَّما، وأسْرَتْ إلى وادي العَقيقِ مِنَ الحمى[١]

وجرّتْ على تُربِ المُحَصَّبِ ذَيْلَها، فما زال ذاك التُرْبُ نَهْباً مُقَسَّما[٢].

ولّما رأتْ أن لا ظَلامَ يَجُنُّها، وأنْ سُراها فيه لن يَتَكَتَّما[٣]،

نَضَتْ عَذَباتِ الرَيْطِ عن حُرِّ وجهها فأبْدَتْ مُحَيَّا يُدْهِشُ المُتَوَسِّما[٤].

فكانَ تَجَلّيها حِجابَ جمالها كشمس الضُحى يَعْشى بها الطَرْفُ كلّما[٥]...

ولّما الْتَقَيْنا بعدَ طول تهاجُرٍ وقد كادَ حبلُ الوُدِّ أن يَتَصرّما

جَلَتْ عن ثَناياها وأوْمَض بارقٌ، فلم أدْرِ مَنْ شَقَّ الدُجُنَّةَ منهما[٦].

وقالت، وقد رَقّ الحديثُ وأبصرتْ قرائِنَ أحوالِ أَذَعْنَ المُكَتّما[٧]:

نَشَدتُّكَ، لا يذهَبْ بكَ الشَوْقُ مَذْهَباً يُهوِّنُ صَعْباً أو يُرَخِّصُ مأثَما[٨].

---

(١) ألـمّت (العزّة الإلَهية): زارت عرضاً، اقتربت. المشيح: المعرض بوجهه، الذي أدار وجهه (غفلةً عمّا يتبدّى له). هوّم: نام نوماً خفيفاً، جعل رأسه يتمايل من النعاس. أسرى: سار ليلاً. وادي الحمى... أسماء الأمكنة في الشعر الصوفي كناية عن «المحبوب» ولا قيمة جغرافية لها.

(٢) نهباً مقسّماً: يتنازعه الناس حرصاً على الحصول عليه (لأنّ مرورها بذلك المكان جعل له رائحة طيّبة).

(٣) يجنّها: يسترها.

(٤) نضا، رفع، كشف. العذبة: طرف من العمامة يتدلّى إلى جانب الرأس. الريط: الحرير. المتوسّم: المتطلّع: الناظر المتأمل (الذي يرجو الخير من ناحية أو يعجب بجمال المنظور).

(٥) التجلّي: الظهور. حجاب: غطاء، ستر. الضحى: أول النهار. يعشى: يضعف. الطرف: البصر. (إذا كان نور الشمس ضعيفاً، فإنّ الإنسان يستطيع أن يرى جسمها، استدارتها. أمّا إذا قوي نورها جدًّا فإنّ الإنسان يعجز - بكسر الجيم - عن ذلك).

(٦) جلت: كشفت - الثنايا: الأسنان. أوْمض: لمع. الدُجُنّة: الظلام.

(٧) قرائن (دلائل) أحوال (وجوه من السلوك الإنساني) أذعن (كشفن، أظهرن) المكتّم (السرّ: الحبّ).

(٨) نشدتّك: طلبتك (استحلفتك). يهوّن صعباً (يوهمك أنّك تستطيع الاتّصال بالعزّة الإلَهية) أو يرخّص (يجيزه خلافاً للقاعدة). المأثم: الذنب. (تعتقد أن الحبّ في شأن الله كالحبّ في شأن البشر).

فأمْسَكْتُ، لا مُسْتَغْنِياً عن نَوالِها ولكنْ رأيتُ الصبرَ أوفى وأكْتَما[١].

- من مطلع قِصة حيّ بن يقظان:

ذَكَرَ سَلَفُنا أنّ جزيرةً من جزائرِ الهِنْدِ التي تحتَ خطٍّ الاستواء يَتولَّدُ بها الإنسانُ من غيرِ أمٍّ ولا أبٍ.... لأنَّ تلك الجزيرةَ أعدَلُ بِقاع الأرض هواءً[٢].... وهذا القولُ يحتاجُ إلى بَيانٍ... لا يليقُ بما نحنُ بسبيلِهِ. وإنّما نَبّهناكَ عليه لأنّه من الأُمورِ التي تشهَدُ بصِحّة ما ذُكِرَ من تَجْويزِ تَولُّدِ الإنسانِ بتلك البُقْعة من غيرِ أمٍّ ولا أبٍ. فمِنَ (العلماء) مَنْ بتَّ الحُكْمَ وجزَمَ القَضيّةَ بأنّ حَيَّ بنَ يَقْظانَ من جُملة من تَكّون في تلك البُقعة من غيرِ أمٍّ ولا أبٍّ، ومنهم من أنْكَرَ ذلك ورَوَى من أمرِ (حيٍّ ابن يقظانَ) خبراً نَقُصُّه عليكَ فقال: إنّه كان بإزاءِ تلك الجزيرةِ جزيرةٌ عظيمةٌ مُتّسعةُ الأكنافِ كثيرةُ الفوائدِ عامرةٌ بالناس يَمْلكُها رجلٌ منهم شديدُ الأنَفَةِ والغَيْرة[٣]. وكانتْ له أُخْتٌ فعَضَلَها[٤] إذ لم يَجِدْ لها كُفُؤاً. وكان له قريبٌ يُسمّى يَقْظانَ فتزوّجَها سِرًّا على وَجْهٍ جائزٍ مشهورٍ في زَمَنِهم. ثمّ إنّها حَمَلَتْ منه ووَضَعَتْ طِفْلًا. فلمّا خافتْ أن يفتضحَ أمرُها وينكشفَ سِرُّها، وَضَعَتْه في تابوتٍ[٥] أحْكَمَتْ زَمَّه بعدَ أن أرْوَتْه من الرَضاع. وخَرَجَتْ به في أوّلِ الليلِ في جُملةٍ من خَدَمِها وثِقاتِها إلى ساحلِ البحر - وقَلْبُها يحترقُ صبابةً وخوفاً عليه - ثمّ إنّها ودّعتْه وقالتْ:

اللَّهُمَّ، إنّكَ خلقْتَ هذا الطِفْلَ، ولم يكُنْ شيئاً مذكوراً، ورزَقْتَه في ظُلُماتِ الأحشاءِ وتكفّلْتَ به حتّى تَمّ واسْتوى. وأنا قد سلّمْتُه إلى لُطْفِكَ ورَجَوْتُ له فضلَكَ خوفاً من هذا الملكِ الغَشوم الجبّار العَنيد. فكُنْ له ولا تُسْلِمْه، يا أرحَمَ الراحمين!

ثمّ قَذَفَتْ به في اليَمّ. فصادفَ جَرْيُ الماءِ بقُوّةٍ فاحتَمَلَهُ من ليلتهِ إلى ساحل الجزيرةِ المُتَقدّمِ ذِكْرُها.

(١) النوال: العطاء (الوصال، نيل المأرب من المحبوب).
(٢) المقصود باعتدال المناخ على خطّ الاستواء: قلّة الفرق بين درجتي الحرارة في النهار والليل.
(٣) الأنفة: الاستكبار والرفض. الغيرة: الخوف من أن يحصل على الأمر من لا يليق أو من لا يستحقّ.
(٤) عضل الرجل المرأة: منعها أن تتزوّج.
(٥) تابوت: صندوق.

٤ - حيّ بن يقظان (نشرها بوكوك)، أكسفورد ١٦٧١ م ثمّ ١٧٠٠ م؛ القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٩٩ هـ؛ الاسكندرية (المطبعة المصريّة) ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ)؛ القاهرة (مطبعة مصر) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٧ هـ؛ (نشرها ليون غوتييه)، الجزائر ١٩٠٠ م ثمّ ١٩٣٦ م؛ القاهرة (مطبعة النيل) ١٩٠٥ م (١٣٢٣ هـ)؛ (نشرها جميل صليبا وكامل عيّاد - مع دراسة وافية)، دمشق (مكتب النشر العربي ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م ثمّ ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م ثمّ.... ثمّ ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م..... (؟).

- حيّ بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي (تحقيق أحمد أمين)، مصر (دار المعارف؟) ١٩٥٢ م (ذخائر العرب - رقم ٨).

★★ ابن طفيل وقصّة حيّ بن يقظان، تأليف عمر فرّوخ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م ثمّ ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م.

- ابن طفيل (مختارات)، تأليف يوحنّا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٨ م.

- ابن طفيل، تأليف تيسير شيخ الأرض، بيروت (دار الشروق الجديد) ١٩٦١ م.

- نظرات في طبّ ابن الطفيل (كذا) الأندلسي، تأليف شوكت الشطي. دمشق (جامعة دمشق) ١٩٦٢ م.

الوافي بالوفيات ٤: ٣٧؛ وفيات الأعيان ٧: ١٣٤ - ١٣٥؛ المغرب ٢: ٨٥ - ٨٦؛ المعجب ٢٣٩ - ٢٤٢؛ المنّ بالإمامة ٤١١ - ٤١٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٥٧؛ بروكلمن ١: ٦٠٢ - ٦٠٣، الملحق ١: ٨٣١ - ٨٣٢؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٢٨ (٦: ٢٤٩)؛ بالنثيا ٣٤٨ - ٣٥٣؛ سركيس ١٤٦؛ تراجم إسلامية لعبد الله عنان ٣١٥ - ٣٢٧.

ابن غلنده الإشبيليّ

١ - هو أبو الحَكَم عُبيدُ الله بنُ عليٍّ بنِ عبيدِ اللهِ بن غَلَنْدُهْ (أو غلندو) الإفْرنجيُّ الأصلِ الأُمويُّ بالوَلاءِ، وُلدَ في سَرَقُسْطَةَ، سَنَةَ ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). ولمّا استولى الإسبانُ على سَرَقُسْطَةَ، سَنَةَ ٥١٢ (خريف ١١١٨ م) غادرَها آلُ غَلَنْدُهْ إلى قُرْطُبَةَ ثمّ انتقلوا إلى إشْبِيلِيَةَ.

اشتغل أبو الحكم بن غَلَنْدُهْ بالطِبِّ في إشبيلية. ولمّا استولى عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ - أوّلُ سلاطين الموحّدين - على الأندلُسِ، سَنَةَ ٥٥٦ هـ (١١٦١ م)، اتصّلَ بهِ أبو الحكم ثمّ انتقل معه، إلى مدينة مَرّاكُشَ وَبَقِيَ فيها حتّى تُوُفِّيَ سَنَةَ ٥٨١ هـ (١١٨٥ م).

٢ - كان أبو الحكم بنُ غَلَنْدُهْ طبيباً بارعاً كما كان أديباً مُتَفَنِّناً وشاعراً مُجيداً. ثم إنّه كان حَسَنَ الخطِّ يكتبُ الخَطّينِ الأندلسيَّ (المَغربيَّ) والمَشْرقي. والأبياتُ القليلةُ التي وصلتْ إلينا من شِعر ابن غَلَنْدُهْ أبياتٌ وُجْدانيةٌ في الوصف والغَزَل والنسيب والحِكمة.

٣ - **مختارات من شعره:**

- قال أبو الحكم بن غَلَنْدُهْ في الغَزَل والوصف:

ماسَتْ فأَزْرَتْ بالغُصون المُيَّسِ، وأتَتْـكَ تخطُرُ في غِلالةِ سُنْدُس [١].

وتَبرَّجَـتْ جُنْـحَ الظَـلامِ كأنّها شَمْسٌ تجلّتْ في دياجي الحِنْدِس [٢].

تختــال بــينَ لداتِهـا فتخالُهـا بـدراً بدا بين الجواري الكُنَّس [٣].

أرجَتْ بريّاها الصَبا فتَضَوّعتْ أنفاسُها، والصبحُ لم يتَنَفّس [٤].

- وقال في النسيب:

لَئِنْ غِبْتَ عن عيني وشَطَّتْ بكَ النَوى، فأنـتَ بقلـبي حاضرٌ وقريـبُ.

خَيالُك في وَهْمي وذِكْرُكَ في فَمي ومَثْواكَ في قلبي، فأينَ تَغيب!

- في نَفْح الطِيب (٣: ٥٩٧ - ٥٩٨): ومَرِضَ أبو الحَكَم بنُ غَلَنْدُهْ فعاده جماعةٌ

---

(١) ماست: تمايلت. أزرى الشيء بالشيء: عابه وأظهر نقصه. خطر: مرّ وهو يتبختر (معجباً بنفسه). الغلالة (بكسر الغين): ثوب رقيق يلبس قريباً من البدن. السندس: ثوب رقيق من الديباج (الحرير).

(٢) تبرّجت المرأة: تزيّنت، أظهرت زينتها. الجنح: قطعة من الليل يشتدّ فيها الظلام. تجلّت: ظهرت، زال عنها الغطاء. الدياجي: الظلمات. الحندس (بكسر الحاء والدال): الظلمة الشديدة (ثلاث ليال في آخر الشهر القمري لا يرى فيها القمر).

(٣) اختال: مشى وهو يتايل. اللدة (الفتاة المقاربة لأخرى في العمر). الجواري الكُنَّس: النجوم التي تغيب وراء الأفق (في ليلة البدر يبقى البدر ظاهراً في السماء إلى الصباح. أمّا النجوم فتكنس (بكسر النون): تغيب في أوقات مختلفة في أثناء الليل)- يستر البدر نورها.

(٤) أرج الطيب: فاحت رائحته. الريّا: الرائحة الطيّبة. الصبا: ريح الشرق. تضوّع المسك: انتشرت رائحته.- ريح الصبا اكتسبت رائحة طيّبة من هذه الفتاة فأخذت ريح الصبا تنشر الرائحة العطرة من قبل أن يقترب الصبح ويبدأ تحرّك النسيم (الذي يحمل الرائحة وينشرها).

من أصحابهِ فيهم فَتًى صغيرُ السِنّ، فوفّاه (ابن غَلَنْدُهْ) مِنْ بِرّهِ ما أَوْجَبَ تغيّرَهم (استغرابَهم ونُفْرَتَهم). ففَطِنَ (ابنُ غَلَنْدُه) لذلك وأنشدَ ارتجالاً.

تَكَثَّرْ مِنَ الإخوان للدهر عُدّةً؛ فكَثْرَةُ دُرِّ العقدِ مِنْ شَرَفِ العِقْدِ.
وعَظِّمْ صغيرَ القومِ وابدأ بحَقّهِ، فمن خُنْصُرَيْ كَفَّيْكَ تبدأ بالعَقْـدِ[1].

ثمّ نَظَرَ إليهم وأَنْشَدَهم ارتجالاً قولَه:

مُغيثُ أيوبَ والكافي لذي النونِ يُحِلُّني فَرَجاً بالكافِ والنونِ[2].
كم كَرْبَةٍ من كُروبِ الدهرِ فَرَّجها عنّي، ولم يَنْكَشِفْ وَجْهي لِمَنْ دُوني[3]!

٤ - معجم الأدباء ١٠: ٢٤٥ - ٢٤٦؛ تكملة الصلة ٢: ٥٣٩؛ نفح الطيب ٣: ٥٩٧ - ٥٩٨؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٥١ (١٩٥).

أبو الحسن بن لَبّال

١ - هو أبو الحَسَنِ عليُّ بنُ أحمدَ بن عليٍّ بنِ لَبّالٍ (ولبّالٌ اسمُه فَتْحٌ) بنِ أميّةَ بن إسحاق القُرشيُّ الأُمويّ الأندلسيّ، وُلِدَ في شَريشَ شَذونةَ (بجَنوب الأندلس) سَنَةَ ٥٠٩ هـ (١١١٦ م). وروى ابن لَبّالٍ عن جماعةٍ، منهم ابنُ العربي وشُريح وأبو بكر ابن طاهرٍ وأبو الحجّاج الأُنديّ وأبو الفضل بن الأعلم وابن فَنْدله.

احتاج أهلُ شَريشَ إلى قاضٍ فأجمعوا على أن يكون قاضِيَهم ابنُ لبّالٍ فأبى ولكنّهم أصرّوا فَوَلِيَ القضاءَ مُكْرِها. ثمّ عُزِلَ عنه.

وكانت وفاةُ ابن لبّالٍ في ثالثِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٥٨٣ هـ (١١٨٨/٢/٤ م).

---

(١) حينما يبدأ الإنسان بالعدّ على أصابعه يعقد (بكسر القاف)، أي يطوي خنصره (إصبعه الصغيرة) للدلالة على «الواحد» ثمّ البنصر للدلالة على «الاثنين» الخ.

(٢) النبي أيّوب مرض مرضاً شديداً طويلاً ثم أغاثه (شفاه) الله. وذو النون سقط في البحر وابتلعه الحوت فأنجاه الله. وإنّ الله سيحلّني (ينزلني فرجاً ويكشف عنّي الضيق) بين الكاف والنون (بسرعة) - في القرآن الكريم (٣٦: ٨٢ يس): «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون».

(٣) لم ينكشف وجهي (لم أشك، لم أتذلّل) لمن دوني (لمن هو أقلّ مني: لأحد من الناس).

٢ - كان أبو الحسنِ بنُ لبّالٍ رجلًا صالحاً وَرِعاً زاهداً، وكان مُحَدّثاً وفقيهاً وأديباً ناثراً شاعراً، له شعرٌ في الرسولِ صلّى اللهُ عليه وسلّم، وفي الحِجاز وفي عددٍ من الأغراضِ الوُجْدانية ثم في المدح والرثاء والوصف والألغاز. وَصنّفَ شرحاً لمقاماتِ الحريريّ.

٣- مختارات من شعره:

- لمّا وَلِيَ أبو الحسن بنُ لَبّالِ القضاءَ كارهاً قال:

كنتُ، منذُ كُنْتُ، كارهاً أن ألي خُطّةَ القضا.
لم أُردْها، وإنّما ساقني نحوها القضا(١)!

- ثمّ قال حينَ زالَ عن القضاء:

حُمِلْتُ على القضاء ولم أُرِدْهُ، وكان عليّ أثقلَ من ثَبير(٢).
فلمّا أن عُزِلْتُ جَعَلْت أشْدو: لقد أُنْقِذْتُ من شَرٍّ كبير.

- وقال لمّا تقدّمتْ به السِنُّ:

لمّا تَقوّسَ منّي الجسْمُ عن كِبَرِ فابيضَّ ما كان مُسْوَدًّا من الشَعَر،
جعلتُ أَمْشي كأنّي نصفُ دائرةٍ تمشي على الأرض أو قوسٌ بلا وَتَر!

- وقال في مثل ذلك:

قَوّسَ ظَهْري المَشيبُ والكِبَرُ. والدهرُ، يا عمرُو، كلُّه غِيَرُ(٣).
كأنني، والعصا تَدِبُّ معي، قوسٌ لها؛ وَهْيَ في يَدي وَتَر.

- وقال في الجَلَمَيْن (المِقَصّ):

ومُعْتَنقَيْن ما اتُّهما بعِشْقٍ، وإن وُصِفَا بضَمٍّ واعتناق.

(١) ألي: أتولّى. خطّة (منصب) القضاء.
(٢) ثبير: اسم جبل.
(٣) الغير= غير الدهر: أحداثه التي تتغيّر بالناس وتنزل بهم المصائب.

لَعَمْرُ أبيكَ، ما اجْتَمعا لمَعْنًى   سوى معنـى القطيعةِ والفِراق.

٤ - ★★ المغرب ١: ٣٠٣ - ٣٠٤؛ المطرب ٩٧ - ٩٩؛ تحفة القادم ٧٤؛ التكملة رقم ٦٧٣ (رقم ١٨٧٤)؛ الذيل والتكملة ٥: ١٦٩ - ١٧١؛ صلة الصلة ١٠٨ - ١٠٩؛ نفح الطيب ٣: ٤٤٢، ٤: ٢٣١ - ٢٣٤؛ الأعلام للزركلي ٥: ٦١ (٤: ٢٥٦).

ابن غالب الغرناطي

١ - هو الحافظُ محمّدُ بنُ أيوبَ بن غالبِ الغَرناطيُّ الأندلسيُّ، ولا نعلَمُ من أخباره سوى أنه عاصَرَ أبا سعيدٍ عُثمانَ بنَ عبدِ المؤمن واتّصلَ به حينما كان أبو سعيدٍ والياً على غَرناطةَ (٥٥٥ - ٥٧١ هـ). وهنالك إشارة في نفح الطيب (٢: ١٨١ - ١٨٢) أكثرُ دِقّةً، هي: ذَكَرَ ابنُ غالبٍ أنّ الفقيهَ أبا جعفرِ بنَ عبدِ الحقّ الخَزْرَجيَّ القُرطُبيَّ له كتابٌ كبيرٌ بدأ فيه من بدْءِ الخليقةِ إلى أن آنتهى، في أخبارِ الأندلسِ، إلى دولةِ عبدِ المؤمنِ (بن عليٍّ). قال (آبنُ غالبٍ):« وفارَقْتُه سَنَةَ ٥٦٥ ». وبما أنّ الأدباءَ والعلماء لا يتّصلون عادةً بالحُكّام والأغنياء إلّا في مطالعِ حياتِهم أو عندَ بلوغِ أشُدِّهم، فمن المُمْكِنِ أن يكونَ ابنُ غالبٍ قد عاشَ إلى أواخرِ القرنِ السادس للهجرة (أواخرِ القرن الثاني عشر للميلاد).

٢ - عُرِفَ لابنِ غالبٍ كتابٌ يُشارُ إليه عادةً باسم « فرحة الأنفُس ». أمّا عُنوانُه الكاملُ فَيَرِدُ في المصادر القليلةِ التي عُنِيَتْ بابنِ غالبٍ على صُوَرٍ مختلفةٍ: فرحةُ الأنفسِ في تاريخ الأندلس - فرحة الأنفس في أخبار الأندلس - فرحة الأنفس للآثارِ الأوّليّة التي في الأندلس - فرحة الأنفس في فضلاءِ العصر في الأندلس (... في فضلاء العصر من أهل الأندلس).

ويبدو - ممّا ذَكَرَه لُطفي عبدُ البديع (راجع رقم ٤) أن كتابَ فرحة الأنفس كان كبيراً وأنّه قِسمانِ أوّلُهما القِسم المُسمّى « فرحةَ الأنفس للآثار الأوليّة التي في الأندلس » (وهُوَ قسم جُغرافيٌّ واسعٌ) ثمّ ثانيهما القِسمُ المُسمّى « فرحة الأندلس في أخبار أهل الأندلس، - أو في فضلاءِ العصر من أهل الأندلس - » (وهُوَ قسمٌ تاريخيٌّ أدبيٌّ).

والظاهرُ أيضاً أنّ ابنَ غالبِ كان يريدُ بكتابهِ هذا أن يُعَدِّدَ مآثرَ الأندلسيّين وأن يُبَيِّنَ فضلَهم على غيرهم ويذكُرَ جمالَ بلادِهم ومكانَتَها.

٣ - **مختارات من آثاره:**

- أهل الأندلس (نفح الطيب ٣: ١٥٠ - ١٥١) عن «فرحة الأنفس»:

وأهلُ الأندلسِ عربٌ في الأنساب والعِزّة والأنَفة[١] وعُلُوِّ الهِمَمَ وفصاحة الألسُن وطيب النفوس وإباء الضَيْم وقلّة ٱحتمال الذُلّ والسَماحة[٢] بما في أيديهم والنزاهة عن الخُضوع وإتيان الدَنِيّة. (وهم) هِنديّون في إفراط عِنايتهم بالعلوم وحُبّهم لها وضَبْطِهم لها ورِوايتهم، بَغْداديّون في ظَرْفهم ونظافتهم ورِقّة أخلاقهم ونَباهتهم وذَكائهم وحسن نظرهم وجَوْدة قرائحهم ولَطافة أذهانهم وحِدّة أفكارهم ونُفوذ خواطرهم، يونانيّون في ٱسْتنباطهم للميـــاه ومُعاناتهم لِضُروب الغِراسات[٣] واختيارهم لأصناف الفواكهِ وتدبيرهم لتركيب الشَجَر[٤] وتَحْسينهم للبساتين بأنواع الخُضَر وصُنوف الزهر. فَهُمْ أحكَمُ الناسِ لأسباب الفِلاحة. ومنهم ابنُ بَصالٍ صاحبُ «كتاب الفِلاحة» الذي شَهِدَتْ له التَجْربة بفضله. وهم أصبرُ الناس على مُطاولة التعب في تجويد الأعمال ومُقاساة النَصَب[٥] في تحسين الصنائع، أحذَقُ الناسِ بالفُروسيّة وأبْصَرُهم بالطَعْن والضرب.

- عبد الرحمن الناصر والعلّيّة[٦] الصُغرى في قصره (قطعة من كتاب فرحة الأنفس ٣٣ - ٣٤):

وكان (عبدُ الرحمنِ الناصرُ) قدِ ٱتّخذَ، لِسُقُفِ العلّية الصُغرى التي كانت مَائلةً

---

(١) العزّة: القوّة (المادّية والمعنوية). الأنفة: الحميّة (الترفّع عن الأعمال التي لا تليق).
(٢) السماحة: الكرم.
(٣) ضروب: أنواع. الغرس: نصب الأشجار (الزرع لما له ساق ليّنة، والغرس لما له ساق قاسية خشبية).
(٤) تركيب الشجر: نصبه والعناية به، (تطعيمه= مزج نوع من فصيلة بنوع آخر منها؟).
(٥) النصب: التعب.
(٦) العلّيّة: غرفة (مفردة) في أعلى البناء.

على الصَرْح الممدود، قراميدَ[١] ذَهَب وفِضّة، وأنفق عليها مالاً جزيلًا وجعَلَ سُقُفَها صفراءَ فاقعةً إلى البياض[٢]، بيضاءَ ناصعةً تسلُبُ الأبصارَ بمَطارح أنوارها المُشَعْشِعَة[٣]. وجلَسَ فيها، إثْرَ تَمامها، لأهل مملكتِه، فقال لِقَرابَتِه ومَنْ حَضَرَهُ من الوزراء وأهل الخِدمة مُفْتَخِراً عليهم بما صنعه من تلك البدائع: هل رأيْتُمْ أو سَمِعتم مَلكاً قَبْلي فعل مثلَ فِعلي أو قَدَرَ عليه؟ قالوا: لا، واللهِ، يا أميرَ المؤمنين. وانّك لأَوْحَدُ في شأنك كلّهِ، وما سَبَقَكَ في مُبْتَدَعاتِكَ هذه مَلِكٌ، وما بَناه، ولا ٱنْتَهى إلينا خَبَرُهُ. فأبْهَجَهُ قَوْلُهم وسَرّه ثَناؤهم. وبَيْنا هو كذلك سادِراً ضاحكاً[٤] دخلَ عليه القاضي مُنْذِرُ بنُ سعيدِ البَلّوطيُّ واجِماً ناكِساً رأسَه[٥]. فلمّا استقرّ في المجلس قال له (عبدُ الرحمنِ الناصرُ) كالذي (كان قد) قالَ لوزرائه مِنْ ذِكْرِ السُّقُفِ وٱقتداره. فأقبلتْ دموعُ القاضي تَنْحَدِرُ على لِحْيَتِه، وقال: واللهِ، يا أميرَ المؤمنين، ما ظَنَنْتُ أن الشَيْطانَ - أخزاهُ اللهُ - يبلُغُ منك هذا المَبْلَغَ، ولا أنْ تُمَكِّنَه من قِيادِكَ هذا التمكينَ، مَعَ ما آتاك اللهُ وفَضّلَك على العالمين، حتّى أنزلَكَ منازلَ الكافرين. قال: فٱقشعرّ[٦] عبدُ الرحمن من قَوْلِهِ، وقال: انْظُرْ ما تقولُ. كيف أنْزَلَني (اللهُ) منازلَ الكافرين؟ قال (مُنْذِرٌ): نَعَمْ. أليسَ اللهُ تعالى يقولُ[٧]: «ولولا أن يكونَ الناسُ أُمّةً واحدةً[٨] لَجَعَلْنا لِمَنْ يكفُرُ بالرحمنِ لِبُيوتِهِمْ سُقُفاً من فِضّةٍ ومعارجَ عليها يظْهَرون»[٩]؟ قال فَوَجَمَ عبدُ الرحمنِ ونَكَسَ رأسَه مَليًّا[١٠]، ودُموعُه على لِحْيَتِهِ تجري

(١) القرميد: الآجرّ (طين مطبوخ على شكل حجارة البناء).

(٢) الفاقع: اللون الصافي الناصع. لعلّ الجملة.... صفراء فاقعة (مائلة) إلى البياض (أو) بيضاء ناصعة.

(٣) مطارح الأنوار: الأماكن التي يقع عليها الضوء حول الجسم المنير.

(٤) السادر: المتحيّر البصر.

(٥) واجما (ساكتاً) ناكساً (خافضاً) رأسه.

(٦) اقشعرّ (جلد الإنسان): رجف (من هول أو خوف مفاجىء).

(٧) القرآن الكريم ٤٣: ٣٣، (سورة الزخرف).

(٨) تفسير الآية: إنّ الناس كلّهم (قبل الإسلام) كافرون لا فرق بينهم. ولولا ذلك لجعلنا للذي يكفر (وهو واحد من جمع مؤمنين) كلّ أسباب الترف (في هذه الحياة الدنيا وحدها) ثمّ لا ينال شيئاً في الآخرة سوى العذاب.

(٩) المعراج (بالكسر) والمعرج (بالفتح أو بالكسر) جمعها معارج. المصعد (أو المكان العالي يبرز عليه الناس من مكان يطلّ على مشهد ما).

=

خُشوعاً لله تعالى. ثمّ أقبلَ على مُنْذِرٍ وقال: جَزاكَ اللهُ خيراً عنّي وعن جميعِ المسلمين، وكَثّرَ في المسلمين أمثالَكَ، فالذي قُلْتَ، واللهِ، الحقُّ. وقام مِنْ مَجْلسهِ وهو يستغفرُ اللهَ. وأمرَ بِنَقْضِ[1] سُقُفِ القُبّة وأعادَ قراميدَها تُراباً.

٤- نص أندلسي جديد: قطعة من كتاب «فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس» (تحقيق لطفي عبد البديع)، مصر (مطبعة مصر) ١٩٥٦ م.

★★ المغرب ١: ١٧٧ - ١٧٨، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢: ٢٥٠ - ٢٥١، ٢٢٧؛ نفح الطيب ١: ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢ - ٢٠٣، ٢٩٠ - ٢٩١، ٢٩٥، ٤٥٩، ٣: ١٥٠-١٥٢، ٣٨٦، ٤٠٥ - ٤٠٧ (؟) سوى إشارات في أماكن أخرى.

الكتنديّ

١- هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ العزيز بنِ خليفةَ بنِ أبي العافيةِ الكُتُنْديُّ أوِ القُتُنديُّ[2] الأزْديُّ الغَرْناطيُّ الإلْبيريُّ الأصلِ، وُلِدَ (بغية الوعاة ٦٥) سَنَةَ ٥٠٦ هـ (١١١٢ - ١١١٣ م). بدأ تَعلُّمه في مُرْسِيَةَ ثمّ ٱنتقلَ إلى غَرناطةَ فسكَنَها مُدّةً ثمّ سكن مالَقَةَ.

سَمِعَ الكتنديُّ من أبي بكرِ بنِ العَرَبيّ (ت ٥٤٣ هـ) ومن أبي الوليدِ بن الدبّاغ (ت ٥٤٦ هـ) وأبي بكرِ بنِ مسعودٍ الخُشَني. وقد لَقِيَ الشاعرَ ابنَ خفاجةٍ (ت ٥٣٣ هـ) وابنَ دِحْيَةَ صاحبَ «المُطْرب» (ت ٦٣٣ هـ). وكانت وفاة الكتنديٍّ في غَرناطةَ سَنَةَ ٥٨٣ أو ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م).

٢- كان الكُتُنديُّ لُغَويًّا وأديباً وشاعراً مُكثراً مُجيداً، حَسَنَ الغَزَلِ والرثاء.

= (١٠) مليًّا: طويلاً.

(١) نقض: هدم.

(٢) كتندة قرب سرقسطة. القتندي (راجع المطرب، ص ٨١، السطر العاشر، والحاشية ١).

٣ - مختارات من شعره:

- قال الكُتُنديُّ في النسيب يُخاطب سَرْحَةَ، ممّا يُذكِّرنا بحُمَيدِ بن ثَوْرٍ[١]:

يــا سَرحــةَ الحيِّ يــا مَطُولُ، شَرْحُ الــذي بَيْنَنــا يَطولُ[٢].
عِنْـدي مَقــالٌ، فهــل مُقــامٌ تُصغــينَ فيــه لِما أقولُ[٣]؟
ولي ديـونٌ عليْــكِ حَلّــتْ لو أنّــه ينفَــعُ الحُلول[٤]
مــاضٍ من العَيْش كــان فيـه منزلَنــا ظِلُّــكِ الظليــل[٥]!
زالَ. ومــا عليــه، مــاذا، يا سَرْحَ، لو لم يكُنْ يَزولُ[٦]؟
حَيّــا عنِ المُدْنَــفِ المُعنّــى مَنْبِتَــك القَطْرُ والقَبولُ[٧]!

- وفي المغرب (٢ : ٢٦٤) مطلعٌ بارعٌ رقيقٌ في رثاءِ السيدِ عثمانَ بنِ عبدِ المؤمن المُوحِّديِّ:

يذهَبُ المُلْكُ، ويبقى الأثرُ. هــذه الهالــةُ، أينَ القمرُ؟

- وله في النسيبِ (ذِكرى نهر شَنيلَ في غَرناطةَ):

هـذا لسانُ الدمع يُملي الغرامْ في صفحةٍ أثّرَ فيها السَقامْ[٨].

---

(١) لمّا أعلن عمر بن الخطّاب أنّ الذي يشبّب بامرأة يعاقب بالجلد، احتال حميد بن ثور (ت نحو ٤٠ هـ = ٦٦٠ م) بأن خاطب سرحة (شجرة) فقال: «أبى الله إلّا أن سرحة مالك.... تروق».

(٢) المطول: (المرأة) التي تخلف مواعيدها.

(٣) مقام (بضمّ الميم): إقامة، وقوف.

(٤) الحلول: حلول وقت الوعد (أنت تقولين: ألقاك في اليوم الفلاني. ثمّ يحلّ اليوم الفلانيّ فلا تجيئين إلى الموعد).

(٥) كان ظلّك منزلنا (كنّا نلتقي دائماً ولا نفترق).

(٦) يا سرح (منادى مرخّم: حذف آخره - يا سرحة)، فالفتحة على الحاء هي فتحة الحاء الأصلية وليست علامة للإعراب.

(٧) المدنف: المريض (المحبّ) الذي اقترب من الموت (الهلاك والعذاب في الحبّ. المعنّى: المشغول، المهموم، المعذّب. القطر: المطر. القبول: ريح الصبا (الشرق) أحسن الرياح في نجد تهبّ باردة بليلة (لأنّها تأتي من جبال فارس مارّة فوق خليج البصرة). - حيّا القطر (نزلْ فيك المطر) والقبول (طاب مناخك) في منبتك (بيتك).

(٨) في صفحة: في وجه. السقام: المرض والنحول.

عهـدٌ لِهِنْـدٍ لم يكُنْ بالـذي ... تقـدَحُ فيـه نَفَثـاتُ المَـلامْ(١).
يـا نهرَ إشْنيـلَ، ألا عَودَةٌ ... لذلـك العهـدِ ولو في المنـامْ؟
مـا كـان إلّا بارِقـاً خاطفـاً ... ما زِلْتُ مُذْ فارقَني في ظلامْ.
للهِ يومٌ منـه لم أنْسَهُ، ... وذكرُ مـا أولاه أولى ذِمـامْ(٢)،
إذ هِنْـدُ غُصْنٌ بَيْنَ أغصانِهـا ... كالدَوْحِ يَثْنِيـهِ هَديلُ الحَمام(٣).

٤ - ★★ زاد المسافر ٩٥؛ منهاج الرعيني ٦٦؛ المغرب ٢: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ المطرب ٨١ - ٨٢؛ الوافي بالوفيات ٣: ٢٣٢؛ بغية الوعاة ٦٥؛ نفح الطيب ٣: ٤٩٧ - ٤٩٨، ٥١٣ وما بعد، ٤: ٢٩٧ - ٢٩٨؛ الذيل والتكملة ٦: ٣٤٩ - ٣٥٠ (رقم ٩٣٥).

ابن زرقون

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ سعيدِ بنِ أحمدَ بنِ سعيدِ بنِ عبدِ البَرّ بنِ مُجاهدٍ الأنصاريُّ، أصلُ أهلِه من بَطَلْيَوْسَ، وكانَ مَوْلدُه هو في شَريشَ في مُنتَصف ربيعٍ الأولِ من سَنَة ٥٠١ (١١٠٧/١١/٢ م). تلقّى العلمَ على نَفَرٍ منهم أحمدُ بنُ محمّدٍ الخَوْلانيُّ (ت ٥٣٥ هـ) وعبدُ الرحمنِ بنُ محمّدِ بنِ عتّابٍ (ت ٥٢٠ هـ). ونقلَه أبوه إلى مَرّاكُش فَلَقِيَ فيها أبا عِمرانَ موسى بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ تليدٍ الشاطبيَّ (ت ٥١٧ هـ).

ثمّ عاد ابنُ زرقونٍ إلى الأندلس وتجوّلَ فيها وصَحِبَ الفقيهَ الكاتبَ ابنَ عَبْدونٍ (ت ٥٢٩ هـ). ولازمَ أيضاً القاضِيَ عِياضَ بنَ موسى (ت ٥٤٤ هـ) مُدّةً طويلة.

وقد تولّى ابنُ زرقونِ القضاءَ في سَبْتَةَ (من المَغْرب) وشِلْبَ (في جَنوبِ غربيِّ الأندلس). وكانتْ وفاةُ ابنِ زرقونٍ في إشبيليةَ في مُنتَصف رَجَبَ من سَنَة ٥٨٦ (١١٩٠/٨/١٦ م).

(١) تقدح فيه: تشقه، تعيبه، تؤثّر فيه. النفثة: النفخة (كانت الساحرات إذا أردن الإضرار بشخص قرأن اسمه على خيط مراراً، وكلّما قرأن الاسم مرّة عقدن في الخيط عقدة ثمّ نفثن عليها).

(٢) وذكر ما أولاه (ما صنعه بنا من المعروف) أولى (أحق أجدر) ذمام (عهد): احق العهود بالحفظ (الحب).

(٣) الدوحة: الشجرة العظيمة. يثنيه: يميله، يميل به. الهديل: صوت الحمام.

٢ - كان ابنُ زرقونِ عارفاً بالحديثِ وبالفقه، وكان قاضياً قديراً نزيهاً. ولكنْ يبدو أنّه كان ظريفاً فنَظَمَ أشياءَ من الشِعر كان يَتَمَلّحُ بها ولم يكنْ يُواقِعُ ما ذَكَره فيها من المَزْح أوِ المُجون. وفي شِعره شيءٌ من السُهولة والعُذوبة وشيءٌ من الجَفاف. وكان له نثرٌ جيّد.

وابن زرقونِ مؤلّفٌ له: الأنوارُ في الجمع بين المُنتقى والاستذكار (والثاني منها لابنِ عبدِ البَرِّ على القَطْع) - وكذلك جَمَعَ بين «الجامعِ الكبير» للترْمِذيِّ و «سُنَنِ» أبي داوودَ (في الحديثِ).

- **مختارات من آثاره:**

- قال أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ زرقون في النسيب والمُجون والزُهْد (نفح الطيب ٣: ٤٧٤ - ٤٧٥):

ذَكَرَ العَهْدَ والديارَ غريبٌ ... فجرى دمعُه ولَجّ النحيبُ[١].
ذكر العهدَ والنَّوى من حبيبٍ؛ ... حبّذا العهدُ والنَّوى والحبيبُ[٢]،
إذ صفاءُ الوِدادِ غيرُ مَشوبٍ ... بتَجَنٍّ، ووُدُّنا مَشبوب[٣]؛
وإذا الدهرُ دَهْرُنا، وإذا الدا ... رُ قريبٌ؛وإذْ يقولُ المُريب[٤]:....
وقيانُ الأوتار تُسْعِدُها الأطـ ... ـيارُ، والروضُ زاهرٌ مَخْضوب[٥].
ووشاحي مَعاصمٌ لَوَتِ الشو ... قَ علينا وظاهَرَتْها القلوب[٦].

---

(١) العهد (المدّة السعيدة التي كان قد قضاها، أو كان يتخيّل أنّه قضاها). لجّ: تمادى، استمرّ، ازداد قوّة. النحيب: ارتفاع الصوت بالبكاء.

(٢) النوى: البعاد، الفراق.

(٣) مشوب (ممزوج بشيء أقلّ قيمة منه). التجنّي: اتّهام شخص شخصاً آخر بذنب ظلماً. مشبوب: متوقّد (قويّ، فائر، عظيم).

(٤) الدهر دهرنا: مؤات لنا (موافق لهوانا). المريب: السيّىء الظنّ بالناس (وهو على غير الحقّ).

(٥) القينة: المرأة المغنّية الجميلة. قيان الأوتار (العازفات على الآلات الموسيقية). تسعدها: تساعدها، (تجاريها بالغناء). مخضوب: (ذو ألوان عديدة).

(٦) الوشاح (ثوب مزركش يوضع على القسم الأعلى من الجسم) معاصم (المقصود: أيد). لوى: عوج. كلّ =

وفِراشي بطنٌ وصَــدْرٌ ونَهْــدٌ، وعليهـا مِنِي رَفيـقٌ طبيـب[1].
واللمى والرُّضــابُ كأسي وخمري، حبّـذا الكأسُ، حبّذا المشروب[2].
وحِمى الأُزْرِ لي مُباحٌ، وحُكمي نافذٌ فيـه. والفِعالُ ضُروب[3].
وإذا مـا الحِمـى أغـار عليـه حـاذقُ الطعنِ، فالحمى منهوب.
أسألُ الله عَفْوَهُ، فلئن سا ءَ مقــالي لقـد تَعَـفّ القلوب.
قد ينـالُ الفتى الصغائرَ ظَرْفاً لا سِواهـا، وللذُّنوب ذَنوب[4].
وأخو الشعر لا جُنـاحَ عليـه؛ وسَواءٌ صَدوقُــه والكَـذوب[5].

٤ - ** التكملة ٢٥٦ - ٢٥٧ (رقم ٨٢٤)؛ بغية الملتمس ٧٠ (رقم ١٣٨)؛ الوافي بالوفيات ٣: ١٠٢؛ المطرب ٢١٩ - ٢٢٢؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٥؛ نفح الطيب ٢: ١١٥ ثمّ ١٦٢، ١٦٤، ٥٩٧، ٦٠٣ (لعلّها لابن زرقون هذا، مع أنّها وضعت في الفهرس لا ن زرقون آخر) ثمّ ١٠٣ و ١٠٤ (ولا يظهر اسم «ابن زرقون» في الصفحتين المشار إليها)، ٣: ١٣٥، ١٣٧، ٤٤٦، ٤٤٧ (بيت شعر)، ٤٧٤ - ٤٧٥ (سبعة أبيات من الشعر)، ٥٢٠، ٤: ٣٢٣ - ٣٢٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠ - ١١ (١٦: ١٣٩)؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٠٣ - ٢٠٨ (رقم ٥٩٧).

أبو بكر بن مغاور

١ - هو أبو بكرٍ عبدُ الرحمن بنُ محمّدِ بنِ مُغاورِ بنِ حَكَمِ بنِ مُغاوِرِ السُلَميُّ من أهل شاطبةَ وُلِدَ فيها سَنَةَ ٥٠٢ هـ (١١٠٨ - ١١٠٩ م). واتّخذَهُ أبو الربيعِ بنُ عبدِ الله بن عبد المُؤمنِ كاتباً. وكانتْ وفاتُه في شاطبةَ سَنَةَ ٥٨٧ هـ (١١٩١ م).

= واحد مّنا كان يحيط الآخر بذراعيه. وظاهرتها (نصرتها، وافقتها): حبّنا كان حقيقيًّا (من القلب إلى القلب).

(١) مني (بكسر فكسر): منّي (بكسر فتشديد). رفيق: متأنّ، لطيف. طبيب: عارف، عالم.

(٢) اللمى: السمرة في الشفاه. الرضاب: الريق ما دام في الفم.

(٣) الإزار (بالكسر) ثوب يلفّ به القسم الأدنى من الجسم. حمى الإزار: ما يغطّيه (ما يستره الإزار). الفعال (بالكسر): الأفعال، الأعمال. ضروب: أنواع (كناية عن البراعة في أعمال عديدة).

(٤) الصغائر (الذنوب الصغيرة). ظرفاً: تسلية وتملُّحاً. ذنوب (بالفتح): حظّ (قسم) من العقاب.

(٥) الجناح: الذنب. الصدوق: (الشعر) الصادق (في الجدّ). الكذوب (الشعر) الكاذب (في المزح).

٢ - كان أبو بكرٍ بنِ مُغاورٍ من جِلّةِ الأدباء والكُتّاب ومِنَ الفُقهاء أيضاً. له نثرٌ وشعرٌ. في شعرِه مَتانةٌ وشيءٌ من المَرَحِ وهجاءٌ كثير. وقد جَمَعَ ابنُ مُغاورٍ شيئاً من نثرِه وشِعرِه في كتابٍ سمّاه «نَوْرَ الكمائم وسَجْعِ الحمائم».

٣ - مختارات من شعره:

- عَلِقَ أخو أبي بكرِ بنِ مُغاورٍ امرأةً من بني يَنّقَ فقال أبو بكر:

بَني يَنّقٍ، كُفّوا عيونَ ظِبائكم؛ فما بَيْنَنا ثأرٌ ولا بَيْنَنا ذَحْلُ[١].
أَسَوَّغتُمُ الشَهْدَ المَشورُ لطاعِمٍ وقلتُم: حرامٌ أن يُلِمَّ به النَحْلُ[٢]؟
إذا ما تَصدّتْ بالطريقِ طَروقةٌ فغيرُ نكيرٍ أن يَهيجَ لها الفَحْلُ[٣]!

- وقال أبو بكر بن مُغاورٍ يهجو قاضياً يرتشي فينقُضُ في المساء ما كان قد حكم به في الصباح:

لا تظنّوا ابن بيّش في قضاياه يرتشي.
إنّما الشيخ هُلْهُلٌ؛ فهو يصحو وينتشي[٤]
فترى الحُكْمَ غُدوةً وترى النقْضَ بالعشي[٥]!

- كان ابنُ مغاورٍ في شيخوختهِ يَحْمِلَ عصاً، فرآه شخصٌ وقال له - كأنّه يهزأ به -: أنتَ صحيحُ الجسم! فقال ابنُ مغاورٍ:

قال لي - يهزأ - مَنْ لم يتوقَّعْ! من مَلامَهْ[٦]،
إذ رأى كَفِّيَ دأباً بعَصاها مُستهامَهْ[٧]:

---

(١) ظباؤكم: نساؤكم. الذحل: العداوة والحقد. طلب مكافأة عن جريمة.
(٢) الشهد: العسل. المشور: المقطوف حديثاً. - معنى البيت غامض، ويجب أن يكون فيه تعريض بشرف بني ينّق (كما يبدو من البيت التالي).
(٣) الطروقة: الناقة بلغت من العمر إلى أن يطرقها الفحل (وكذا المرأة).
(٤) في رواية: بيبش.
(٥) الهلهل (بضمّ الهائين): الثوب السخيف (الرقيق النسج).
(٦) يتوقّع (كذا في الأصل): ينتظر (؟).
(٧) دأباً: على التوالي، باستمرار. مستهام: محب، متعلّق بالأمر إلى حدّ الجنون.

انـــــتَ، واللهِ، صحيــــحٌ؛ سوف تَبْقـــى للقيامـــــه[1].
قلـــت: دعـــني من مُحـــال؛ قـــد شكـــا الشيـــخُ السآمـــه.
كيـــف يُرجْـــى لي بقـــاءٌ وجـــــداري بدِعامــــــه[2]!

٤-★★ زاد المسافر ٧٩ - ٨٢؛ التكملة ٥٧٨ (رقم ١٦٢٢)؛ معجم ابن الأبّار ٢٤٣ - ٢٤٥؛ المغرب ٢: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ المطرب ٨٠ - ٨١؛ شذرات الذهب ٤: ٢٨٩؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٠٤ (٣: ٣٢٨).

ابن مُجْبَر

١ - هو أبو بكرٍ يحيى بنُ عبدِ الجليلِ بنِ عبد الرحمن بنِ مُجْبَرِ الفِهريّ، من أهل بلّش مالَقةَ (صخرة مالَقة)، وُلِدَ نحو سَنَةِ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) في بلدةِ شَقُورَةَ. وتعلّم ابنُ مُجْبَرٍ في مُرْسِيَة وسَكَنَ إشبيلية ثمّ أخَذَ يَفِدُ على بَلاطِ مَرّاكُشَ عاماً بعدَ عامٍ من قَبْلِ أن يَلِيَ يعقوبُ بنُ يوسفَ المُلْكَ على المُوحّدين بأسم المنصور (سَنَةَ ٥٨٠ هـ). ثمّ سَكَنَ مَرّاكُش. وكانتْ وفاتُه في مَرّاكُشَ، لَيلةَ الأضحى (تاسعَ ذي الحِجّة) من سَنَة ٥٨٨ (١٦/١٢/١١٩٢ م).

٢ - كان أبو بكرٍ يحيى بنُ مُجْبَرٍ شاعرَ المَغْربِ في وقته، وقال فيه المَقّريّ في نفح الطيب: الشاعرُ الكبيرُ الشهيرُ (٤: ٣٣٥) وأديبُ الأندلس (٤: ٣٨٠)، وهو شاعرٌ مُكْثِرٌ كان له ديوانٌ في مُجلّدينِ كبيرين يَضُمّانِ أكثرَ من تِسعةِ آلاف وأربَعِمِائَةِ بيتٍ أكثرها في مديح المنصور المُوحّديّ (أميراً وخليفةً). وهو يقولُ القصائدَ الطِوالَ والمُقطّعاتِ القصارَ ويرتجلُ أيضاً. وفنونُ شِعرِه المديحُ والرثاء والهِجاء والوصف والأدبُ (الحِكمة)، وهو مقتدرٌ في الهجاء.

---

(١) للقيامة = إلى يوم القيامة: ستعيش طويلا.
(٢) جداري: جانبي (جانب من جسمي). بدعامة: مستند إلى عصا (إذا ذهبت العصا يقع).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكرٍ يحيى بنُ مُجْبَرٍ يمدَحُ المنصورَ المُوَحِّديَّ (وفيات الأعيان ٧ : ١٣ - ١٤):

أتَراهُ يــــــتركُ الغزَلا ... وعليـــه شَبّ واكْتَهـــلا؟
كَلِــفٌ بالغِيــد مـا عَقَلَــتْ ... نفسُه السُّلوانَ مُـذْ عقَـلا[١].
أيُّهـــا اللُّوّامُ، وَيْحَكُمو؛ ... إنّ لي عن لَوْمِـكم شُغُـلا.
ثـقـلـــتْ عن لَوْمِكُم أُذُني ... لم يَجِـدْ فيهـا الهوى ثِقَـلا[٢].
نظرتْ عيـــني - لِشَقْوتِهـا - ... نَظَراتٍ وافقـــتْ أجَـلا[٣]:
غـــادة لما مَثَلْـــتُ لهـا ... تَركَتْـني في الهوى مَثَـلا[٤].
يـــا سَراةَ الحيِّ، مِثْلُكُمُ ... يتلافـى الحـادِثَ الجَلَـلا[٥]،
قـــد نَزَلْنـــا في جوارِكُمُ ... فشكرنـــا ذلــك النُّزُلا[٦].
ثمّ واجَهْنـــا ظِباءكُمُ ... فَلَقِينـــا الهَوْلَ والوَهَـلا[٧].
أضَمِنْتُم أمْنَ جيرَتِكم ... ثمّ مـــا أمَّنْتُمُ السُّبُـلا[٨]؟

---

(١) الكلف: شديد الحبّ والولع بالأشياء. الأغيد (والغيداء) - والجمع فيهما: غيد: الناعم، المتثنّي، و(هنا): النساء الجميلات.

(٢) عقلت (كذا في الأصل): أدرك، ميّز الأمور، لجأ، انقبض، ثنى (طوى) ساعده (بين المرفق والكفّ) على عضده (بين المرفق والكتف)... الخ. وليس في هذه المعاني معنى يوافق المقصود من البيت. لعلّها علقت (نحو «علق فلان فلاناً وعلق به»: أحبّه، أمسك به. السلوان: النسيان، التسلّي (عن الحبّ). عقل: أدرك، بلغ الرشد.

(٣) ثقلت أذني (قلّ سمعها). لم يجد فيها الهوى ثقلا (صمما عن سماع كلماته).

(٤) وافقت أجلا (نهاية العمر): سبّبت موتي.

(٥) السريّ: الوجيه في قومه. يتلافى: يستطيع أن يتجنّب أمراً مكروهاً أو أن يجنّب غيره ذلك الأمر المكروه. الحادث: النازلة (المصيبة). الجلل: العظيم.

(٦) النزل (بضمّ فضم): المنزل، ما يهيّأ للضيف من مكان ينزل فيه ويأكل وينام.

(٧) ظباؤكم (النساء الجميلات في بلادكم). الهول: الأمر المخيف. الوهل (بفتح فسكون أو بفتح ففتح): الفزع.

(٨) السبيل: الطريق. الجيرة: الجيران.

وأردتُّمْ غَصْـــــب أنفُسِهم فَبَثَثْتُمْ بَيْنَهــــا المُقَـــلا[١].
لَيْتَنـــا خُضْنـــا السيوفَ ولم نَلْـقَ تلـك الأعْيُنَ النُّجُـلا[٢].
عَطّلَتْــني الغِيــدُ من جَلَــدي وأنـــا حَلَّيْتُهـــا الغزَلا[٣].
حَمَلــــت نفسي عــــلى فِتَنٍ سُمْتُهـا صـبراً فما أحْتُملا[٤].
ثمّ قالـــتْ: سوف نَتْرُكُهـــا سَلَبـــاً للحـبّ أو نَفَـلا[٥].
قُلـتُ: أمّـا وَهْيَ قـد عَلقَـتْ بأمـــير المؤمنـــينَ، فـــلا.
مـــا عـــدا تأميلُهـــا مَلكـاً من رآه أدْرَكَ الأمَـــــلا[٦].
أوْدَعَ الإحسانُ صَفْحَتَـــــــه مـــاءَ بشْرٍ ينقَـعُ الغُلَــلا[٧].
فـــإذا مـــا الجودُ حرّكَـــه فـاضَ من يُمنـاه فأنهملا[٨].

– وقال أيضاً يمدَحُ المنصورَ المُوحِّديَّ (نفح الطيب ٣: ٢٤٠ – ٢٤١):

مَلِــكٌ تُرْوِيــكَ منــه شِيمــةٌ أنْسَتِ الظمآنَ زُرْقَ النُّطَــف[٩]،
جُمِعَــتْ من كـلّ مجدٍ فحَكَـتْ لفظةً قد جُمِّعتْ من أحْرُف[١٠].
يعجَبُ السامعُ من وَصْفي لها؛ ووَراءَ العَجْزِ مـا لم أصِفِ[١١].

---

(١) بثّ: نشر، فرّق الأشياء في مكان ما. المقلة: العين (كناية عن المرأة الجميلة).
(٢) النجلاء: الواسعة (= المرأة الجميلة).
(٣) عطّلتني (سلبنني) الغيد (النساء الجميلات) جلدي (احتمالي للأمور القاسية: صبري عن حبّ النساء). وأنا حلّيتها (ألبستها حلى) من غزلي (من شعري في الغزل).
(٤) على فتن: افتتان: (إعجاب بالجمال) سمتها (طلبت منها) احتملا (بالبناء للمجهول) لم يكن بالإمكان احتماله (لم أقدر عليه).
(٥) نفل: غنيمة.
(٦) عدا: تجاوز.
(٧) صفحته (وجهه). البشر: انطلاق الوجه وظهور السرور عليه. نقع الماء الغلّة (بالضمّ): أذهب الماء العطش.
(٨) يمناه: يده اليمنى. انهمل: انسكب بكثرة.
(٩) أروى: أذهب العطش (ملأ، كفى). شيمة (خصلة جميلة). النطفة: الماء القليل. زرق النطف (الماء الصافي الذي يروي العطشان).
(١٠) حكى: شابه.
(١١) – صفات أخرى جميلة عجزت أنا عن وصفها.

لو أعارَ السهْمَ ما في رأيِهِ،   من سَدادٍ وهُدًى، لم يَصِفِ[1].
حِلمُه الراجحُ ميزانُ الهُدى   يَزِنُ الأشياءَ وَزْنَ المُنْصِفِ.

- حَضَرَ ٱبْنُ مُجْبَرٍ في مَجْلِسٍ، وكان في المجلسِ زُجاجةٌ سوداءُ فيها خمرٌ، فقيل له: قُلْ في هذا شيئاً، فقالَ ٱرتِجالاً (نفح الطيب ٣ : ٢٠٦):

سأشكو إلى النُّدمانِ أمرَ زُجاجةٍ   تردّتْ بثوبٍ حالكِ اللونِ أسحم[2].
نَصُبُّ بها شَمْسَ المُدامةِ بَيْنَنا   فتَغْرُبُ في جُنْحٍ من الليلِ مُظلم[3].
وتجحَدُ أنوارَ الحُمَيّا بلَوْنِها   كَقلبِ حَسودٍ جاحدٍ يدَ مُنْعِم[4].

- ولمّا صُلب الثائر ابو عبد الله محمد بن عبد الله الجزيريُّ ★ ومنْ أُخِذَ من أصحابه في إشبيلية، وعايَنَهُمُ ٱبنُ مُجبرٍ قد رُفعوا في خَشَبِهم أنشد (بغية الملتمس ٩٤):

رَكْبٌ إلى نارِ الجحيمِ مَسيرُهم   ورِكابُهم لا تستطيعُ مَسيرا[5].
الحَيُّ منهم لا يُرى مُسْتَوْطِناً،   والمَيْتُ منهم لا يُرى مقبورا[6].
مِمّا يزيدُ الأرضَ طِيباً أنّها   لَفَظَتْ عُداتَك أبْطُناً وظُهورا[7].

---

(١) السداد (بالفتح): صحّة الرأي والاستقامة. صاف السهم يصيف: مال، انحرف عن هدفه.

(٢) الندمان (بالضم) جمع نديم: الرفيق الذي يشرب الخمر مع اخرين- الملموح أن الزجاجة هنا كأس أو قدح.

(٣) نصبّ بها (فيها) شمس المدامة (الخمر). يشبّه الخمر (الحمراء المنيرة) بشمس تغرب في (زجاجة أو وعاء أسود). الجنح (بالضمّ): جانب من الليل.

(٤) حينما تنزل الخمر في الزجاجة السوداء، فإنّ تلك الزجاجة السوداء (تجحد: تنكر، أي تستر) لون الخمر (الأحمر الجميل).

★ راجع المغرب ١ : ٣٢٣ - ٣٢٤ ونفح الطيب ٤ : ٦٥ - ٦٦. وكان الجزيري هذا شاعرا أيضا.

(٥) الركب: الجماعة يركبون الإبل أو الخيل معاً (في السفر). الركاب (هنا): الإبل المركوبة (يشبّه الشاعر الخشب الذي صلب عليه أولئك الأشخاص بالإبل التي يسافر الناس عليها.

(٦) مستوطن: ساكن في بلد. الحيّ... (الذي لا يزال حيًّا على الخشبة التي صلب عليها).

(٧) في الأصل غداتك (بالغين المعجمة). عداتك (بالضمّ) أعداؤك. لفظت الأرض عداتك (لم تقبل أن تحويهم) أبطنا (جمع بطن) أن يدفنوا في جوفها؛ وظهوراً (جمع ظهر) أن يطرحوا على سطحها. فازدادت الأرض بذلك طيباً (رائحة طيّبة وطهارة).

٤ - ★ ★ زاد المسافر ٥١ - ٥٧ ؛ بغية الملتمّس ٤٩٣ - ٤٩٤ (رقم ١٤٩٣)؛ وفيات الأعيان ٧ : ١٣ - ١٤ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٩٥ ؛ نفح الطيب ٣ : ٢٠٦ ، ٢٣٧ - ٢٤١ ، ٤ : ٣٣٥ - ٣٣٧ ؛ نيكل ١٨٧ - ١٨٨ ؛ مختارات نيكل ١٩٧ - ١٩٩ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ١٧٨ - ١٨٨ (١٥٢).

حَفْصةُ بنتُ الحاجِّ الرُكونيّةُ

١ - هِيَ حَفْصةُ بنتُ الحاجِّ، كان مَوْلدُها في غَرْناطةَ بُعَيْدَ سَنَةِ ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م) في أُسْرةٍ ذاتِ شرفٍ وجاهٍ وغِنًى. وشَبّتْ حَفصةُ فكانتْ فتاةً جميلةً ذكيّةً متأدّبةً مُثَقّفةً.

لا نَعْرفُ من الأحداثِ الأولى في حياة حفصةَ بنتِ الحاجِّ إلّا حبَّها لأبي جعفرِ أحمدَ بن سعيدٍ العنسيِّ، وقد تَبادلا الرسائلَ نثراً ونظماً ونَعِما بالحبِّ مُدّةً ثمّ حالت حياتُها مأساةً حينما وَلعَ بها أبو سعيدٍ عثمانُ بنُ عبدِ المؤمن والي غَرناطةَ ووَلِعَتْ هِيَ بهِ أيضاً، فيما يبدو.

في سَنَةِ ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) جازَ عبدُ المؤمن بنُ عليٍّ إلى الأنْدَلُس للجهادِ، فبَعَثَ أبو سعيدٍ عثمانُ حفصةَ بنتَ الحاجِّ وافدةً على أبيهِ عبدِ المؤمن، فأكْرَمها عبدُ المؤمنِ ووَهَبَها قريةً قُرْبَ غَرناطةَ تُدْعى الركونةَ (بفتح الراء أو بضمها). ومنذُ ذلك الحينِ أصبحْت تدعى « الركونية » (فهِيَ حفصةُ بنتُ الحاجِّ الركونيةُ لا حفصةُ بنتُ الحاجِّ الركونيِّ).

ولمّا قُتِلَ أبو جعفر بن سعيدٍ، سَنَةَ ٥٥٩ هـ، حَزِنَتْ حَفْصةُ عليهِ ولَبِسَتِ السَوادَ ومالت إلى الزُهْدِ وتركتْ قولَ الشِعْر. ويبدو أن حَفصةَ انْتَقَلَتْ، فيما بعدُ وشيكاً إلى مَرّاكُشَ ثمّ دَخَلَتْ بلاطَ المُوحِّدين لتعليمِ الأميراتِ وتَهْذيبِهِنّ. وأُرَجِّحُ أنْ يكونَ ذلكَ في أيامِ أبي يعقوبَ يوسفَ بن عبدِ المؤمنِ ثاني سَلاطين الموحّدين (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). ثمّ استمرّت تفعلُ ذلك في أيام المنصور. ويُسْتَبْعَدُ أن تكونَ بَدأتِ التعليمَ لبناتِ أبي يوسفَ يعقوبَ المنصورِ الذي وُلِدَ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وجاء إلى العَرْشِ سَنَةَ ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م).

وكانتْ وَفاةُ حَفصةَ الرُّكونيّةُ، سَنَةَ ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) في الأغلبِ، وفي مدينةِ مَرّاكُشَ. ووَفاتُها في معجم الأدباء (١٠ : ٢٢٧ ، بالأحرف) سَنَةَ ٥٨٦ هـ.

٢ - كانت حفصةُ بنتُ الحاجِّ الركونيةُ أستاذةً قديرةً وأديبةً بارعة وشاعرةً كبيرة؛ وهي بلا ريبٍ أشهرُ شاعراتِ الأندلس ،ولعلّها أكبرُهُنّ. كانت سريعةَ الخاطر رقيقةَ الشعر تميلُ إلى شيءٍ من الصِّناعة؛ وفي شعرِها كثيرٌ من الصِدْق وشيءٌ من التَهَكُّم والفُكاهة. وتدورُ فنونِ شعرِها على المدحِ والعِتاب والغَزَل في الأكثرِ؛ ومُعْظَمُ شِعْرِها في المُناسبات التي رَبطَتْها بأبي جعفرِ أحمدَ بنِ سعيدٍ وبالمناسبات التي جمعتها به. ويَرى نيكل (ص٣١٧) أنّ قِصّةَ حفصةَ وابنِ سعيدٍ تشبهُ قِصّةَ ولّادةَ وابنِ زيدونِ، إلّا أنّها أقربُ إلى النفس وإنْ كانت أقلّ تلويناً وعُنْفا.

٣٠ - مختارات من شعرها:

- من مقطّعات حفصة في صلتها بأبي جعفر بن سعيد:

★★ يـــــا مدّعي في الحُسْنِ والغرام الإمامَـــــــهْ[1]،
أتـــى قريضُــك، لكن لم أَرضَ منـــه نظامَـــهْ.
أَمدّعي الحـــبّ يَثْـــني يـــأسُ الحبيـــبِ زِمامَـــهْ؟
ضَلَلْـــتَ كـــلَّ ضـــلال، ولم تُفِـــدْك الزَعامَـــه.
مـــا زِلـــتَ تصحَـــبُ مـــذ كنـــتَ في السِّبـــاق السلامَـــه،
حـــتى عَثَرْتَ وأُخجِلْـــتَ بٱفتضـــاح السآمَـــه[2]
بـــالله، في كـــلّ وقـــتٍ يُبـــدي السّحـــابُ ٱنسجامَـــه[3]؛

(١) في هوى الحسن و (في) الغرام الإمامة.
(٢) - لم تكن تغامر (وتعلن حبّك لي)... ثمّ سئمت (مللت) هذا الكتمان فبحت بالحبّ (في أبيات أرسلتها إليّ) فافتضحت!
(٣) كذا في الأصل. والتخريج المعقول: بالله (للقسم). في كلّ وقت (ليس في كلّ وقت) لأنّ حرف النفي يحذف بعد القسم - في القرآن الكريم (١٢ : ٨٥ ، يوسف): قالوا: تالله، تفتأ تذكر يوسف (= تالله، لا تفتأ تذكر يوسف). وقال السري الرفاء (ت ٣٦٢ هـ): =

والزهرُ في كــــلّ حــــين يَشُقُّ عنــــه كمامَــــه[1].
لو كنــتَ تعــلم عُــذري كففْــتَ غربَ المَلامَــه[2].

★★ أزورُكَ أم تَزورُ! فـإنّ قلـبي إلى ما تشتهي أبداً يَميلُ[3].
وقد أُمِّنْتَ أن تظما وتَضحى إذا وافى إليّ بك القَبول[4]:
فثَغْري مَوْرِدٌ عَــذْبٌ زُلالٌ، وفَرْع ذوائبي ظِلٌّ ظَليلُ[5].
فعَجِّــل بالجوابِ؛ فما جميــلٌ إباؤك عن بُثَيْنَةَ، يا جميلُ[6]!

★★ ثَنــائي عـلى تلـك الثَنايا لِأنّني أقولُ على عِلمٍ وأنْطِقُ عَنْ خُبْر[7]،
وأُنْصُفُها - لا أكذبُ الله - إنّني رَشَفْتُ بها ريقاً أرقَّ من الخمر!

★★ سلُوا البارقَ الخفّاقَ والليلُ ساكنٌ: أظَلَّ بأَحبابي يذكِّرني وَهْنا[8]؟
لَعَمْري لقد أَهدى لقلبي خَفْقَهُ وأَمْطر عن مُنْهَلِّ عارضِهِ الجَفْنا[9].

★★ أغارُ عليك مِن عَيْنَيْ رقيبي ومنك ومن زمانك والمكان.
ولو أنّي خَبَأْتُــكَ في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني.

★★ لَعَمْرُكَ ما سُرَّ الرياضُ بوصلنا ولكنَّه أَبدى لنا الغِلَّ والحَسَدْ؛

= تـــالله، أغـــدر في الهوى مـــا دمـــت مسودّ الغدائر.
أي: لا أغدر في الهوى.

(١) الكمامة: كأس الزهرة قبل أن تتفتّح (الأوراق الخضر التي تغلّف الزهرة). والكمامة هنا جنّة (جنينة) لابن جعفر بن سعيد. وذكر الكمامة هنا إشارة فهمها ابن سعيد على أنّها كانت دعوة من حفصة إلى الاجتماع به في ذلك المكان (راجع نفح الطيب ٤ : ١٧٤).
(٢) الغرب: الحدّ (حدّ السيف). غرب الملامة: اللوم القاسي.
(٣) في معجم الأدباء (١٠ : ٢٢٥): وكتبت حفصة إلى بعض أصحابها: «أزورك... الخ».
(٤) تظمأ: تعطش. تضحى: تبرد.
(٥) الفرع: الشعر (بفتح الشين).
(٦) بثينة حبيبة جميل بن معمر (من المحبّين العذريّين في العصر الأموي).
(٧) الثنايا: الأسنان.
(٨) وهنا: بعد منتصف الليل.
(٩) المنهلّ: الساقط بكثرة. الجفن: جفن العين- جعلني هذا البرق (لمّا تذكّرتك به) أبكي بدموع أكثر غزارة من المطر.

ولا صَفّقَ النهر ٱرتياحاً لقُربنا ولا صَدح القُمْريُّ إلا لـما وجد[١].
فـلا تُحسِنِ الظنَّ الذي أنْت أهلُه، فما هو في كلِّ المَواطِنِ بالرَشَد[٢].
فما خلِـتُ هذا الأُفْقَ أَبدى نجومَه لِأمرِ سِوى كيما تكونُ لنا رصد[٣].

٤ - ★★ معجم الأدباء ١٠ : ٢١٩ - ٢٢٧ ؛ المغرب ٢ : ١٣٨ - ١٣٩ ؛ المطرب ١٠ ؛ تحفة القادم ١٦٧ ؛ الإحاطة ١ : ٤٩٩ - ٥٠٢ ؛ نفح الطيب ١ : ١٧٦ ، ٣ : ٢١٨ ، ٤ : ١٧١ - ١٨١ ؛ نيكل ٣١٧ (راجع ٣١٧ - ٣٢٤)؛ بروكلمان؛ ملحق ١ : ٤٨٢ ؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٩٢ (٢٧٤)؛ بالنثيا ١٢٧ - ١٢٨ .

الإمام الشاطبي

١ - هو أبو محمّدٍ القاسمُ بنُ فِيرُّه بن خَلَفِ بنِ أحمد الشاطبيُّ الرُّعَيْنيُّ، نسْبةً إلى ذي رُعَيْنٍ أحدِ أقيالِ (ملوك) اليمن.

وُلدَ الشاطبيُّ في آخر سَنَةِ ٥٣٨ هـ (مطلع صيف ١١٤٤ م) في مدينة شاطبة. وقرأ الشاطبي القراءاتِ على أبي عليٍّ بن محمد بن علي النَّفْزيّ. ثمّ إنّه انتقل إلى بَلَنْسِيَةَ وقرأ كتاب التسهيل على أبي الحسن محمّد بن عليّ بن هُذيل (ت ٥٦٤ هـ) وسَمِعَ من أبي عبدِ الله محمدِ بنِ عبد الرحيم (ت ٥٦٧ هـ). وكذلك سمع من أبي الحسن عليّ بن عبد الله ابن النعمة (ت ٥٦٧ هـ) ومن ابن سعادة[٤].

ورَحَلَ الشاطبي إلى مِصْرَ واستوطن القاهرةَ وحَضَرَ مُدّةً مجالس الحافظ أبي طاهرٍ أحمدَ بن مُحمدٍ السلفي (ت ٥٧٦ هـ). ولمّا أنشأ القاضي الفاضلُ مدرستَه « الفاضلية » (٥٨٠ هـ) عيّن فيها الشاطبيَّ لإقراء القراءاتِ واللغة والنحو.

---

(١) صدح: غنّى. وجد يجد موجدة: أبغض.

(٢) الظنّ الذي أنت أهله (يليق بك): أن تظنّ ظنًّا حسناً في كلّ شيء.

(٣) الرصد = الراصد: من يرصد النجوم (هنا: الرقيب، المنتظر الذي يريد إيقاع الشر بالآخرين).

(٤) هنالك اثنان يعرفان بابن سعادة: أبو عبد الله محمّد بن يوسف (توفي في شاطبة سنة ٥٦٦ هـ) ثمّ أبو عبد الله محمّد بن عبد العزيز (ت ٦١٤ هـ) من أهل شاطبة.

ويبدو أن الشاطبي عَمِيَ، وهو في مصر[1]. وكانت وفاتُه في القاهرة في ٢٨ جُمادى الآخرة ٥٩٠ (١١٩٤/٧/١٤ م).

٢ - كان الشاطبي مُقْرِئاً فقيهاً حافظاً للحديث بصيراً باللغة والنحو واسعَ العلم. وكان له شعرٌ فيه شيء من التعقيد. غير أن شُهرتَه تقوم على مؤلّفاته، وأهمُّ هذه المؤلّفات وأشهرُها حِرزُ الأماني ووجه التهاني، وَهِيَ قصيدةٌ في القراءات (قراءات القرآن) فيها ١١٧٣ بيتاً وتُعْرَفُ باسم القصيدة الشاطبية أو بالشاطبية فحسب. ثمّ له عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد (خمسمائة بيت على رويّ الدال، في الرسم - أي الهجاء في المصاحف - من قرأها أحاط بكتاب التمهيد لابن عبد البرّ). وللشاطبي كتب أخرى منها: كتاب الوُقوف (المواضع التي يجب الوقوف عليها في القرآن الكريم أو يَحْرُمُ أو يجوز أو يُسْتحْسَن الخ). - تفسير القرآن - رسالة في طبقات المفسّرين - رسالة في إعجاز القرآن - طبقات القرّاء - نظيمة الزهر في عدد آيات القرآن الشريف واختلاف أهل الأمصار فيها - الخ.

٣ - **مختارات من شعره:**

- في نفح الطيب (٢ : ٢٣): بعث الأميرُ عِزُّ الدين بنُ موسك[2] إلى الشيخ الشاطبيّ يدعوه إلى الحضور عندَه، فأمرَ الشيخُ بعضَ أصحابِهِ أن يكتُبَ إلى عزِّ الدين هذا:

قـــلْ للأمـــيرِ مقالـــةً   من ناصـــحٍ فَطِنٍ نَبيـــهِ:
إنّ الفقيـــهَ إذا أتـــى   أبوابَـــكم لا خـــيرَ فيـــه.

- ومن نظمهِ (نفح الطيب ٢ : ٢٣):

خالصتُ أبناءَ الزمانِ فلم أجدْ   من لم أَرُمْ منه ٱرتيادِيَ مَخْلَصي[3].

---

(١) راجع معجم الأدباء ١٦ : ٢٩٥ و٥٩٦.
(٢) موسك (تصغير موسى)، وهو ابن خال صلاح الدين الأيوبي.
(٣) خالصت...: عاشرت الناس باخلاص فلم أجد أحداً منهم لم أتمنّ أن أتخلّص من شرّه.

ردُّ الشبـاب، وقد مضى لسبيلهِ، أهيـا وأمكنُ من صديقٍ مُخلص[١].

- من الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني):

هذه الأرجوزةُ تجمع القراءاتِ في القرآن الكريم معَ نسبة كلّ قراءة إلى قارئها. ولكنّ هذا الموضوعَ لا يَلينُ للشعر ولا يُطيع الوزنَ والقافية إلّا معَ التكلّف الشديد. من أجل ذلك جاءت هذه الأُرجوزةُ (بخِلاف ما يُقال فيها) غامضةً مُعقّدةً، وفيها كثيرٌ من الجوازات في النظم وفي القوافي وفي اللغة أيضاً. وقلَّ أنْ ينتفعَ بها إلّا من كان يَعْرفُ القراءات معرفةً واسعةً (والغايةُ من هذه الأُرجوزة أن تُذَكِّرَ مثلَ هذا الرجل بما يحفَظُ).

ولقدِ ٱخترتُ من هذه الأرجوزةِ عدداً من أبياتها وحاولتُ شرحَ تلك الأبياتِ بقَدْر الحاجة إلى فَهْم الأبياتِ وبقَدْر طاقتي.

- من الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني):

(أ) المقدّمة:

بـدأتُ ببسْم اللهِ في النظم أوّلا. تبـاركَ رحمانـاً رحيـماً ومَوْئلا[٢].
وثنّيـتُ صلّى الله ربّي على الرضا محمّـدٍ المَهْدِي إلى الناس مُرسَلا،
وعِترتــهِ ثمّ الصَّحابــةِ ثمّ مَنْ تلاهُمْ على الإحسان بالخير وُبّلا[٣].
وثلّثــتُ أنّ الحمــدَ للهِ دائماً؛ وما ليس مَبْدوءاً به أجْذَمُ العَـلا[٤].
وبعــدُ، فحَبْـلُ الله فينـا كتابُـه فجاهِـدْ به حبلَ العِدا مُتحبِّلا[٥].

---

(١) أهيأ: أسهل في الوصول إليه. أمكن: أكثر ثباتاً ودواماً.
(٢) موئل: ملجأ، التجاء (إلى الله واتّكال عليه).
(٣) العترة: الأقارب. الصحابة: أصحاب رسول الله. تلاهم: تبعهم (من تلاهم: التابعون، الذين لم يعرفوا رسول الله، ولكن عرفوا أصحابه). وبّل- المقصود جمع وابل: مطر كثير.
(٤) أجذم: مقطوع. العلا: الرأس.
(٥) الحبل (هنا): ما يتمسّك الناس به (كيلا يهلكوا أو يضلّوا). تحبّل الرجل الصيد: أخذه بشرك من الحبال (نصب الحبائل لمكائد أعداء الدين).

وأخْلِقْ به، إذ ليس يَخْلُق جِدّةً، جديداً مُواليه على الجدّ مُقْبلا[١].
وقارئُـــه المَرْضِيّ قَرّ مِثالُـــه كالأتْرُج حاليـه مُريحاً ومُؤكِلا[٢].
هو المُرْتضى أمّا إذا كان أُمّةً ويَمّمَـه ظِـلُّ الرزانـة قَنْقَـلا[٣].
هو الحرّ، إن كان الحَرِيّ حواريا لــه بَتحَرّيه إلى أنْ تَنَبّــلا[٤].
وإنّ كتــابَ الله أوثــقُ شافــعٍ وأغنـى غَنـاءً واهباً مُتفضّلا[٥]؛
وخيرُ جليسٍ لا يُمَـلّ حديثُـه، وتَرْدادُه يزدادُ فيـــه تَجمُّــلا.
وحيثُ الفتى يرتـاعُ في ظُلُماته من القَبْر يلقاه سَنـاً مُتهلّلا[٦].
هنالـك بهْنيـه مَقيـلًا وروضةً، ومن أجله في ذِروة العِزّ يُجتلى[٧].
يُناشِدُ في إرضائـــه لحبيبـــه، وأجْدِرْ به سُؤلًا إليه مُوصِّلا[٨].
فيــا أيّها القاري بـهِ متمسكـاً مُجِلًّا له في كـلّ حـالٍ مُبَجِّلا،
هنيئــاً مريئــاً، والــداك عليهما ملابِسُ أنوارٍ من التاج والحُلى[٩].

---

(١) أخلق به (ما أحقّه، ما أحسنه، أي القرآن). لا يخلق (لا يبلى، لا يصبح قديماً). جدّة: (سيظل جديداً مهما يقرأه الناس ولا تنتهي عجائبه). مواليه (هنا) مصافيه (المقبل على قراءته باخلاص).

(٢) قرّ مثاله: صحّ تشبيهه. كالأترجّ (اجعل الهمزة همزة وصل ليستقيم الوزن): نوع من الليمون طيّب الرائحة. حاليه (حالاه؟) مريحاً وموكلا (للشم وللأكل: طيّب في الحالين).

(٣) إذا كان أمّة: إذا كان الفرد الواحد يقوم في الحياة والاصلاح مقام جماعة. يمّمه: قصده. ظلّ الرزانة (الوقار): هو لمكانته تنسب الرزانة اليه. القنقل: المكيال الضخم، وتاج لكسرى (اكتسبت الرزانة من صفاته؟).

(٤) الحريّ: الجدير (بالعلم). حواريا (بتخفيف الياء، وحقّها التشديد): تابعا (ناصراً للحق والعلم). التحرّي: البحث عن الحقيقة والصواب. تنبّل: مات.

(٥) أغنى غناء: أحق الكتب بأن تستغني به عن كلّ ما سواه.

(٦) – وإذا دفن الإنسان في قبره، فإنّ حفظه الماضي للقرآن يصبح له نوراً (في قبره). السنا: الضوء. متهلّل: فرح. يرتاع: يخاف.

(٧) يكون القبر له مقيلًا (مسكن) وروضة (متنزّه). يجتلى: يرى.

(٨) – ومن حفظ القرآن طلب القرآن له المغفرة بإلحاح من حبيبه (الله تعالى). وإذا شفع القرآن لأحد فإنّ الله تعالى يقبل هذه الشفاعة.

(٩) وأجر حفظ القرآن ينال والدي الحافظ أيضاً.

فما ظنُّكم بالنجل عند جَزائه؟ أولئك أهلُ الله والصَفْوة المَلا[1] :

أُولي البرّوالإحسان والصبروالتُّقى، حُلاهُمْ بها جاء القُرانُ مُفصَّلا[2] .

عليكَ بها ما عِشتَ فيها مُنافساً، وبعْ نفَسك الدنيا بأنفاسِها العُلا[3] .

جزى اللهُ بالخيراتِ عنّا أئِمّةً لنا نَقلوا القرآنَ عَذباً وسَلْسَلا[4].

فمِنهم بُدورٌ سبعةٌ قد توسّطتْ سماءَ العُلى والعدلِ زُهْرا وكُمّلا[5].

لها شُهُبٌ عنها آستنارتْ فنوّرتْ سوادَ الدُّجى حتّى تفرّق وآنجلى[6] .

وسوف تراهم واحداً بعدَ واحدٍ مَعَ اثنينِ من أصحابِهِ مُتَمثِّلا[7]

تخيّرَهم نُقّادُهم كلَّ بارعٍ، وليس على قُرآنه متأكِّلا[8].

فأمّا الكريمُ السِرّ في الطِيب نافعٌ، فذاك الذي اختار المدينةَ منزلا[9].

وقالونُ عيسى ثمّ عُثمانُ وَرْشُهم بُصحبته المجدُ الرفيعَ تأثّلا[10].

ومكّةُ- عبدُ الله فيها مُقامُه هو ابنُ كَثيرٍ كاثرُ القومِ مُعتَلا[11]

روى أحمدُ البَزِّي له ومحمّدٌ على سَنَدٍ، وهو المُلقّب قُنْبُلا[12].

---

(١) النجل: الابن. الملأ: الأشراف. - إذا كان ذلك (البيت السابق) أجر الوالدين من ابنهما، فما قولك بأجر الابن نفسه؟.

(٢) حلاهم: صفاتهم.

(٣) الدنيا (الدنيّة). - تبدّل بالنفس الواحدة الدنية (في هذه الحياة) نفوساً كثيرة سامية (في الآخرة).

(٤) السلسل: السهل الجريان في الحلق.

(٥) الأزهر: الأبيض، اللامع (المشهور). الكمّل (يقصد الكملة. بفتح ففتح): الكاملون.

(٦) الشهاب (هنا): النجم اللامع الظاهر. انجلى الدجى (الظلام): زال، تفرّق. ستأتي أسماؤهم.

(٧) سيذكر الشاطي كلّ قارىء (حافظ للقرآن) ويذكر اثنين من أتباع كلّ واحد منهم.

(٨) النقّاد (العارفون بقراءة القرآن) هم الذين اختاروا هؤلاء القرّاء الحفّاظ (للقرآن) وممن ليسوا من المتأكّلين (المتكسّبين، المرتزقين) بقراءة القرآن.

(٩) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ = ٧٨٥ م)، من أهل اصفهان ومنزله (مسكنه) في المدينة.

(١٠) قالون هو أبو موسى عيسى بن مينا (ت ٢٠٥ هـ) ثمّ أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري، ولقبه ورش (ت ١٩٧ هـ). تأثّل: تشبّه. المجد الرفيع يتأثل (يتخلّق بأخلاق) قالون.

(١١) أبو معبد عبد الله بن كثير المكّيّ (ت ١٢٠ هـ). كاثر القوم: زاد عليهم (بالعلم). معتلى: قد علا فوق أنداده (؟).

(١٢) أبو الحسن أحمد بن محمّد بن أبي بزّة من أهل مكّة (ت ٢٤٣ هـ). البزّي بالفتح (؟). ثمّ أبو عمر محمّد بن عبد الرحمن، ولقبه قنبل (ت ٢٩١ هـ).

وأمّـــا الإمــامُ المــازنيُّ صريحُهم | أبو عمْرِو البَصْريُّ والدُه العَلا[١] .
أفـاضَ على يحيى اليزيديِّ سَيْبَه | فأصبحَ بالعَذْب الفُرات مُعَلَّلا[٢] .
أبو عُمَرَ الدّوري وصالِحُهم أبو | شُعَيْبٍ هو السوسيُّ منه تَقبّلا[٣] .
وأمّا دِمَشْقُ الشام دارُ ابنِ عامرٍ ، | فتلك بعبدِ الله طابتْ مُحَلَّلا[٤] :
هشام وعبــدُ الله كــان انتسابُه | لِذَكوانَ بالإسنـادِ عنـه تَنَقَّلا[٥] .
وبالكوفـــةِ الغرّاءِ منهم ثلاثـــةٌ | أذاعوا ، فقد ضاعت شَذاً وقَرَنفُلا[٦] .
فأمّــا أبو بكرٍ ، وعاصمٌ اسْمُـه ، | فشُعْبةُ راويهِ المُـبرِّزُ أفْضلا[٧] .
وذاك ابنُ عيّاشٍ أبو بكرٍ الرِضَا | وحفصٌ وبالإتقان كان مُفضَّلا[٨] .
وحمزةُ مــا أزكــاهُ من مُتورِّعٍ | إماماً صبوراً للقُران مرتِّلا[٩] .

---

(١) المازني هو أبو عمرو بن العلاء البصريّ (ت ١٥٤ هـ). صريحهم (كان عربيّاً خالص النسب، وكانوا هم موالي: غير عرب). وفي نسب المازني خلاف.

(٢) يحيى بن المبارك اليزيديّ (ت ٢٠٢ هـ) من أهل البصرة. السيب: العطاء (من العلم). الفرات: الحلو (المازني أفاض علمه على اليزيديّ). المعلّل: الذي يُسقى الماء شيئاً فشيئاً.

(٣) وقد قرأ على اليزيديّ اثنان: أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوريّ الكوفيّ (ت ١٩٤ هـ) ثمّ أبو شعيب صالح بن زياد السوسي (ت ٢٦١ هـ).

(٤) المحلّل: المكان الذي ينزل فيه الناس (يسكنونه). أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي (ت ١١٨ هـ) ولد في قرية رحاب من البلقاء (شرق نهر الأردن) ثمّ انتقل إلى دمشق وسكنها.

(٥) أبو الوليد هشام بن عمّار الدمشقي (ت ٢٤٥ هـ) ثمّ أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان (ت ٢٤٢ هـ)، بالإسناد عنه (عن عبد الله بن عامر) تنقّلا (نقلا عنه غير مباشرة، بل بوساطة آخرين بينهما وبين ابن عامر).

(٦) الغرّاء: البيضاء (المشهورة). أذاعوا: نشروا (القراءة للقرآن). ضاعت الرائحة: انتشرت. الشذا: الرائحة (الطيّبة) القويّة.

(٧) أبو بكر عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧ هـ) أخذ عنه شعبة، وهو في الأغلب أبو بسطام شعبة بن الحجّاج البصري (ت ١٦٠ هـ). أفضل: زاد في الفضل على غيره.

(٨) أبو بكر بن عيّاش بن سالم الكوفي أخذ عن عاصم بن أبي النجود (راجع وفيات الأعيان ٣ : ٩). الرضا: العدل. ثمّ أبو عمرو حفص بن سليمان الكوفي (ت ١٨٠ هـ)، بالاتقان كان مفضّلا (على أبي بكر ابن عيّاش).

(٩) حمزة بن حبيب الزيّات الكوفي (ت ١٥٤ أو ١٥٨ هـ) كان متورّعاً (لا يأخذ أجراً على تعليم القرآن) صبوراً (على العبادة) قليل النوم بالليل. مرتّل (كان يرى دائماً وهو يرتّل القرآن).

روى خَلَفٌ عنه وخلّادٌ الذي رواه سُلَيمٌ مُتقَناً ومُحصَّلا[١] .
وأمّا عليٌّ فالكسائيّ نَعْتُه لما كان بالإحرام فيه تَسَرْبلا[٢] .
روى لَيْثُهم عنه أبو الحارثِ الرضا
وحفصٌ هو الدّوريّ، في الذِكْر قد خَلا[٣]
أبو عَمْرِهم واليَحْصُبيُّ ابنُ عامرِ صريحٌ، وباقيهم أحاطَ به الوَلا[٤] .
لهم طُرُقٌ يُهدى بها كلُّ طارقٍ، ولا طارقٌ يُخْشى بها مُتمحّلا[٥] .
وهنّ اللّواتي للمُواتي نَصَبْتُها مناصبَ فانْصَبْ في نِصابك مُفْضِلا[٦] .
وها أنذا أسْعى لَعلّ حُروفَهم يَطوعُ بها نظمُ القوافي مُسَهَّلا[٧] .
جعلتُ أباجادٍ على كلّ قارئٍ دليلاً على المنظوم أوّلَ أوّلا[٨] .
ومن بعدِ ذِكري الحرفَ أُسْمي رجالَه؛ متى تنقضي آتيكَ بالواو فَيْصلا[٩]

(١) أبو محمّد خلف بن هشام البزّار الأسدي (ت ٢٢٩ هـ) كان من بلدة قرب واسط ثمّ انتقل إلى بغداد . ثمّ أبو عيسى خلّاد بن خالد الكوفي (ت ٢٢٠ هـ) . ثمّ سليم بن عيسى بن الكوفي (وفيات ٧ : ٢٥٠ ، المتن والحاشية ٤ ، راجع ٢ : ٢٤١ ، ٢٤٢) .- خلف وخلّاد قرأا على سليم، وسليم قرأ على حمزة (راجع الحاشية السابقة). متقن (محكم ومحفوظ). محصّل (مجموع).

(٢) أبو الحسن عليّ بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ) ، سمّي الكسائي لأنّه أحرم (في الحجّ) في كساء له.

(٣) أبو الحارث الليث بن خالد أخذ القراءة عن الكسائي. وحفص الدوري في الذكر قد خلا: قد تقدّم ذكره (راجع الحاشية ٣ ص ٤٩٨).

(٤) أبو عمرو المازني (الحاشية ١ ، ص ٤٩٨) وعبد الله بن عامر اليحصبي (الحاشية ١٣ ، ص) عربيّان، وسائر القرّاء مَوالٍ (أكثرهم من الفرس).

(٥) الطرق (هنا): طريقة أخذ كلّ قارىء عمّن سبقه. يهدى (بالبناء للمعلوم في الأغلب). الطارق: النجم المضيء (كناية عن العالم). المتمحّل: الذي يطلب للأمور تفسيراً له وجه له.

(٦) هنّ اللواتي (أي القراءات). للمواتي (المؤاتي): الموافق (الذي يوافقني في قراءة هذه الألفية (الشاطبية، ويتقن رموزها). نصبتها (رفعتها) مناصب (أعلاماً، إشارات ظاهرة). فانصب (اتعب، أجهد نفسك في فهمها). في نصابك (أصلك): في نيّتك ومقصدك (نيّتك الحسنة في إرادة الفهم)، مفضلاً (فتصبح في تحصيل هذا العلم ذا فضل).

(٧) حروفهم (اختلاف القرّاء في رواية عدد من ألفاظ القرآن الكريم). طاعه يطوعه: لان له وانقاد. وربّما قصد بقوله « حروفهم »: الحروف التي رمز بها إلى القرّاء (راجع الحاشية التالية).

(٨) أباجاد: حروف أبجد هوّز حطّي الخ (راجع مقدّمة دراسة الشاطبية، رقم ٢).

(٩) الحرف (هنا) ما وقع من الاختلاف بين القرّاء في رواية لفظة من ألفاظ القرآن الكريم. لم يجعل =

سوى أحرُفٍ لا ريبةٌ في اتّصالها، وباللفظ أسْتغني عن القَيْد إن جَلا[1].
وربّ مكانٍ كُرِّر الحرفُ قبلَها لِما عارضٍ والأمرُ ليس مُهوِّلا[2]
ومنهن للكوفيّ ثاءُ مثلَّثٌ وستّتُهم بالخاء ليس بأغْفلا[3].
عَنَيْتُ الأُلى أثْبَتُّهم بعدَ نافعٍ وكوفٍ وشامٍ ،ذا لهم ليس مُغْفَلا[4].
وكوفٌ معَ المَكّيّ بالظاء مُعْجَماً وكوفٌ وبَصْرٌ غَيْنُهم ليس مُهْمَلا[5].
وذو النَّقْطِ شينٌ لِلكسائي وحمزةٍ، وقُلْ فيهما مَعْ شُعبةٍ صَحبةٌ تلا[6].
صِحابٌ هما معْ حَفْصِهم عَمَّ نافعٌ وشامٌ سما في نافع وفتى العَلا[7].
ومكٍّ وحقٍّ فيه وابن العَلاءِ قُلْ. وقلْ فيهما واليَحْصُبيّ نفر حلا[8].

= الشاطبي حرف الواو رمزاً لأحد (لحاجته إليه كثيراً في عطف الألفاظ وعطف الجمل). من أجل ذلك جعل الواو فيصلا (فاصلاً) بين مجموع من القراءات للفظة ما وللفظة أخرى.

(١) إذا كان الفرق بين القرّاء واضحاً (معروفاً) فربّما أستغني عن الاتيان بواو العطف. جلا: ظهر، بان.

(٢) القاعدة أن يذكر الناظم الحرف الذي يرمز إلى القارىء بعد الواو (التي هي حرف عطف). ولكنّه قد يضطّر (لإقامة الوزن) أن يأتي بحرف الرمز قبل هذه الواو. لما عارض (ما زائدة): لأمر عارض. مهوّل: يخيف، مفزع (لأنّ مخالفة القاعدة هنا لا تجعل المقصود غامضاً).

(٣) منهنّ (من حروف الأبجدية). ثاء (منقوطة بثلاث نقط) تدلّ على عاصم بن أبي النجود وحمزة الزيّات والكسائي (وهم الكوفيّون) إذا اجتمعوا كلّهم على قراءة واحدة. أمّا إذا اجتمع الستّة القرّاء (نافع ابن عبد الرحمن وابن كثير والمازني وابن عامر وعاصم بن أبي النجود وحمزة والكسائي، أي البصريون والكوفيون معاً) فإنّ الناظم يرمز إليهم بالحرف «خاء» (بنقطة من فوقه)، وهو حرف ليس بأغفل (غير منقوط) بل هو منقوط.

(٤) الذال (هنا) من كلمة «ذا» للرمز. ليس مغفلا (ليس متروكاً بلا نقطة) بل هو منقوط بنقطة. هذا الرمز «ذ» جعله الناظم للدلالة على الكوفيّين وابن عامر (وهو من الشام: سورية).

(٥) معجم: منقوط. مهمل: غير منقوط. وإذا اجتمع عاصم وحمزة والكسائي (وهم كوفيون) مع ابن كثير (وهو مكّيّ) على قراءة واحدة رمز إليهم بالحرف «ظ» (بنقطة).

(٦) والشين (المنقوطة) رمز على حمزة والكسائي معاً. أمّا إذا وافقهم شعبة بن الحجّاج البصري فإنّ الناظم يرمز إليهم جميعاً معاً بالكلمة «صحبة». تلا: قرأ.

(٧) كلمة «صحاب» رمز لما اتّفق على قراءته حفص وحمزة الزيّات والكسائي. وكلمة «عمّ» جعلها الناظم دالّة على اتّفاق لنافع وابن عامر معاً. أمّا كلمة «سما» فهي رمز لنافع وأبي عمرو وابن كثير. وكذلك

(٨) الكلمة «مك» (وحقّ؟) جعلها (جعلها؟) رمزاً لابن كثير وابن عمرو (بن العلاء). ثمّ إنّ الكلمة «نفر» كانت رمزاً على ما اتّفق في قراءته ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو.

وحِرْمِيّ المكَيّ فيــــه ونافــــعٌ وحِصنٌ عن الكُوفِي ونافِعُهم عــلا[١].
ومها أتــــتْ من قبـــلُ أو بعـــــدُ كِلْمــــةٌ فكُنْ عند شَرْطي واقْضِ بالواوِ فَيْصلا[٢].
وما كان ذا ضِدّ فإنّي بضِدّهِ غنـيٌّ،فزاحمْ بالذكـاء لِتَفْضُلا[٣].
كَمَـدٌّ وإثبـاتٍ وفتـحٍ ومُدْغَمٍ وهَمْزٍ ونَقْلٍ واختلاسٍ تَحَصّلا[٤].

---

(١) الكلمة « حرمي » تدلّ على ابن كثير ونافع. وكلمة « حصن » جعلها دالّة على نافع وعلى الكوفيّين (وهم: عاصم وحمزة والكسائي).

(٢) هذه الرموز يمكن أن يأتي كلّ رمز منها قبل كلمة أخرى - فتكون كلمة « صحاب »، مثلا (وهي رمز) مضافة إلى غيرها، نحو: صحابهم - وتأتي أيضاً بعد كلمة أخرى، فتكون الكلمة (التي هي رمز) حينئذ مجرّدة مفردة مستقلّة (غير مضافة). فكن عند شرطي (أي: خذ بالرموز التي شرحتها لك مفردة، ولا يدخل عليك تردّد، إذا أنت رأيت رمزاً من هذه الرموز قبل كلمة أخرى أو بعدها (مضافة أو غير مضافة). فيصل: فاصل (إنّ واو العطف هي الدليل على انتقال الناظم من قارىء إلى قارىء (من قرّاء القرآن الكريم) ومن مجموعة من القرّاء إلى مجموعة غيرها.

(٣) إذا كان في قراءة خلاف على التضادّ (قارىء يبدأ بالبسملة وقارىء غيره يترك البسملة)، فالناظم يذكر أحد الوجهين فقط، وأمّا الوجه الآخر (الذي هو الضدّ فيكون مستدركاً معروفاً بنفسه. زاحم بالذكاء (نافس غيرك باستخدام ما عندك من الذكاء) لتفضل (لتكون أفضل من غيرك في هذا المجال).

(٤) المدّ: اعطاء حرف العلّة (الألف بعد حرف مفتوح، والواو بعد حرف مضموم، والياء بعد حرف مكسور)، نحو: قام يقوم نريد (فحقّ الألف والواو والياء هنا أن تمدّ كلّها حركتين: بمقدار ما يعدّ الإنسان على أصابعه « اثنين »). فإذا جاء بعد أحرف العلّة همزة، نحو جاء، يسوء، البريء، طال حرف العلّة أربع حركات. أمّا إذا كان حرف العلة في آخر كلمة ثمّ تلا الكلمة أولها همزة، نحو « ما أنزلنا » (فإنّ حرف العلّة هنا يطول بمقدار ستّ حركات).

- الإثبات: قراءة الآية على ما هي مدوّنة في المصاحف، نحو: « جنّات تجري من تحتها الأنهار ». وفي عدد من الآيات ورد شيء من الحذف، نحو: « جنّات تجري تحتها الأنهار » (بحذف « من »).
- الفتح: لفظ الألف المقلوبة عن ياء (أو عن واو) بفتحة ظاهرة، نحو: رأى، تلا، مجراها، ضحاها. ويفهم الفتح إذا قلنا إن ضدّه « الإمالة » (أي لفظ الألف المقصورة هنا أو الألف الطويلة محيّرة بين الفتح والكسر).
- الإدغام ضدّه (هنا) الإظهار. ففي الإظهار نقول مثلاً: قد جعل (بلفظ الدال والجيم مستقلّتين)، وفي الادغام يقول بعضهم: فجّعل (بقلب الدال جيماً وادخالها في جيم « جعل ». ومثل ذلك: إذ دخل (ادّخل) وقل ربّ (قرّب)، وإن يأتوكم (وايّأتوكم) ومن يعرض (وميّعرض)، الخ.
- الهمز هو لفظ واضح للهمزة: يؤمنون، الذئب، هزؤا. وضدّ الهمز: ترك لفظ الهمزة (يومنون، الذيب، هزوا).

=

وتَثْبـــــتُ في الحالـــــين دُرًّا لوامِعـــــاً

وقـــل قـــالَ موسى واَحـــذِفِ الواوَ دخلـــلا[1]:

وجَزْمٌ وتذكـــيرٌ وغيـــبٌ وخِفّـــةٌ وجَمعٌ وتنوينٌ وتحريكٌ اَعمَلا[2].

وحيث جرى التحريكُ غيرَ مُقيّدٍ هوالفتـحُ،والإسكانُ آخاه منزلا[3].

وآخيـتُ بينَ النونِ واليا، وفتحِهم وكسرٍ،وبـينالنصبِوالخفضِمُنْزِلا[4].

وحيث أقول الضمُّ والرفعُ ساكتاً فغيرُهمُ بالفتـحِ والنصبِ أقبلا[5].

وفي الرفعِ والتذكيرِ والغَيْبِ جُمْلَةٌ على لفظِهاأطلقتُمَنْ قَيّدَالعُـــلا[6].

النقل: اسكان الحرف وتقديم حركته إلى الحرف الذي قبله: إنّ الأرض (بلام التعريف الساكنة وفتح الهمزة)، فبالنقل يقال: إنّ الارض (بنقل فتحة الهمزة إلى لام وترك لفظ الهمزة): «إنّ لرض».

– الاختلاس: خطف الحركة (تسكين الحرف المتحرّك)، نحو «سرق» (بضمّ السين وكسر الراء وفتح القاف – مثلاً)، قرأها بعضهم: «سرق» (بضمّ السين وسكون الراء).

(١) الدخلل (بضمّ الدال ثمّ فتح اللام الأولى أو ضمّها): من يداخل غيره في الأمور. لعلّ المقصود أن نفراً من القرّاء يقرأون اللفظ الواحد على وجهين أو أكثر.

(٢) من الخلاف بين القرّاء: بالجزم (جزم الفعل للمضارع أو نصبه مثلا)، والتذكير (أو التأنيث) والغيب: جعل الفعل بصيغة الغائب، نحو: «ويسبّحوه (هم)– فمنهم من يقرأ: «وتسبّحوه» (أنتم). وخفّة (ضدّ الثقل)، نحو تساءلون (بفتح التاء والسين): يسأل بعضكم بعضاً، في مقابل: «تسّاءلون (بتشديد السين؟). والجمع (ضدّه الافراد: يقرأ بالجمع أو بالمفرد) إذا كانت الصيغة الواحدة يمكن باختلاف الحركات أن تقرأ مفرداً أو جمعاً، نحو: جدر (بفتح ففتح للمفرد) وجدر (بضمّ فضمّ للجمع). والتنوين أو اهمال التنوين. ففي قراءة: اهبطوا مصرا (أي مدينة كبيرة) وفي قراءة ثانية: اهبطوا مصر (القطر المصري). والتحريك (توالي حركتين)، فهنالك قراءة: لقد جئت شيئاً نكراً (بضمّ فسكون) ثمّ قراءة ثانية (لقد جئت شيئاً نكراً (بضمّ فضمّ).

(٣) إذا قال: هذه الكلمة بالتحريك فهي بفتح ففتح، نحو: نهر (بفتح النون والهاء) وأمّا إذا قال بالتسكين فهي «نهر» (بفتح النون وسكون الهاء).

(٤) إذا قال: إنّ فلاناً قرأ فعلاً بالياء (للغائب): «يكفّر عنكم سيئاتكم (مثلاً) يكون غيره يقرأها بالنون (لجمع المتكلّم): «نكفّر عنكم سيئاتكم» (مثلاً). وآخى أيضاً بين النصب والفتح (قرن بينهما، جعلهما دالين على شيء واحد (مع أنهما أمران مختلفان. إنّ الضمّ والفتح والكسر من الحركات الأصلية في الكلمة. أما الرفع والنصب والجرّ فهي علامات للاعراب. نقول: جاء زيد ورأيت زيداً. إنّ الضمّتين على الدال (من زيد) والفتحتين (من زيدا) هما علامة رفع وعلامة نصب. أمّا الفتحة والسكون والضّمة الراء والهمزة والتاء (في رأيت) فهي من بناء الكلمة (لا تتغيّر باختلاف الإعراب).

(٥ و ٦) في هذين البيتين يكرّر الناظم التأكيد: إذا ذكر قراءة أحد القرّاء بوجه فتكون قراءة القارىء (الذي لم يذكره) بالوجه الآخر.

وَقبلَ وبعدَ الحرفِ آتي بكُلّ ما — رمزتُ بهِ في الجَمْعِ إذ ليس مُشْكِلا[١].
وسوف أُسمّي حيثُ يسمَحُ نظمُه — به مُوضِحاً جِيداً مُعِمًّا ومُخْوِلا[٢].
ومن كان ذا بابٍ له فيه مذهبٌ — فلا بُدَّ أن يُسْمى فيُدْرى ويُعْقَلا[٣].
أهلّتْ فلَبّتْها المعاني لُبابُها — وصُغتُ بها ما ساغَ عذباً مُسَلْسَلا[٤]
وفي يُسْرِها «التَيْسيرُ» رُمْتُ اختصارَه — فأجْنَتْ بعونِ الله منه مُؤمَّلا[٥].
وألفافُها زادتْ بنَشْرِ فوائدٍ — فلَفّتْ حَياءً وجهَها أن تَفَضّلا[٦].
وسَمّيْتُها «حِرزَ الأماني» تَيَمُّناً — «ووَجْهَ التّهاني» فاْهنِهِ مُتَقَبِّلا[٧].
وناديتُ: أللّهمّ يا خيرَ سامعٍ، — أعِذْني من التَسْميع قولاً ومَفْعَلا[٨].
إليكَ يدي، منكَ الأيادي تَمُدُّها، — أجرني فلا أجْري بجَوْرٍ فأخطَلا[٩].

---

(١) الحرف: القراءة من القرآن الكريم (نهر - بفتح فسكون أو بفتح ففتح - حرفان في اصطلاح قراءة القرآن الكريم). الرمز (هنا) هو الحرف من الحروف الهجائية التي جعلها الناظم علامة على كلّ قارىء. هذا الحرف الذي هو «رمز» يمكن أن يأتي في أبيات هذه الأرجوزة «قبل» الحرف الذي هو وجه من أوجه القراءة.

(٢) ولكن ربّما ذكر الناظم اسم القارىء صراحة (قالون، نافع، الخ) إذا أمكن ذلك في الوزن. موضحاً: مبيّناً. جيد: عنق. معمّ (فيه شبه من عمّه). مخول: (فيه شبه من خاله). «بجيد معمّ في العشيرة مخول» (شطر لامرىء القيس)، كناية عن صحّة النسب وكرم الأصل.

(٣) إذا كان لقارىء قراءة خاصّة به لا يقرأ بها أحد غيره فإنّ الناظم يذكر اسم ذلك القارىء صراحة ولا يرمز إليه بحرف من حروف الهجاء.

(٤) أهلّت: طلعت (بدت) كالهلال (منيرة). وأهل أيضاً: رفع الرجل صوته (كناية عن الوضوح). لبّتها المعاني (استجابت لها المعاني): استطعت أن أجمع فيها كلّ القراءات. لبابها (بدل من المعاني): الخالص من كلّ شيء (الصحيح، الأصيل). ساغ الشراب (جرى في الحلق بسهولة).

(٥) اختصر الناظم في هذه الأرجوزة كتاب «التيسير» (في القراءات) لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ - راجع ترجمته في الجزء الرابع).

(٦) يقول الناظم: ومع أنّ في هذه الأرجوزة أحكاماً أكثر عدداً من تلك الموجودة في كتاب «التيسير»، فإنّي لم أشر إليها كيلا يظنّ نفر من الناس أنّني أريد أن أفتخر على صاحب كتاب «التيسير».

(٧) فاهنه (اهنأ به- فعل أمر) متقبّلا: قابلا، راضياً بما فيها، ومقبلا عليها كي تستفيد ممّا فيها.

(٨) التسميع: طلب السمعة (الشهرة عند الناس).

(٩) الجور: الظلم، والحيد (بفتح فسكون عن الطريق السويّ. الخطل (بفتح ففتح). الكلام المضطرب الفاسد.

أمِـينَ وأمْنـاً للأمِـينِ بسِرِّهـا، وإنْ عثَرتْ فهو الأمونُ تحمُّلا[1] .
أقولُ لحُرٍّ والمُروءَةُ مَرْؤُهـا لإخوتـهِ المرآةُ في النُّورِ مِكْحَلا[2] .
أخي - أيّها المجتازُ نَظْمي ببابهِ - يُنادي عليه كاسدُ السوقِ: أجْمِـلا[3]
وظُنَّ بهـا خيراً وسامحْ نَسِيجَـه بِٱلْإغضاءِ والحُسْنى وإنْ كان هَلْهَلا[4]
وسَلِّمْ لإحـدى الحُسَنَيَيْنِ إصابـة
وٱلْأخرى اجتهـاد رام صَوْبـا فـأمْحَـلا[5] .
وإن كـانَ خَرْقٌ فادّرِكْـهُ بفَضْلَةٍ من الحِلم، وليُصْلِحْهُ من جاد مِقْولا[6]
وقُـلْ صادقـاً لولا الوِئامُ وروحُه لطاحَ الأنامُ الكلُّ في الخُلفِ والقِلى[7]
وعِشْ سالماً صَدْراً، وعن غَيْبةٍ فَغِبْ تُحَضَّرْ حِظارَ القُدْسِ أنقى مُغَسَّلا[8]

---

(١) أمين: (آمين): اسم فعل بمعنى «استجب» (يا ربّ). أمنا (منصوبة بفعل محذوف): هب لي (يا ربّ) أمنا. الأمين (الرجل المؤتمن على ما في هذه الأرجوزة من الأحكام). وإن عثرت (وإذا كان فيها عثرة: خطأ) فهو (أي القارىء لهذه الأرجوزة) الأمون (الناقة القويّة) كناية عن يستطيع بسعة صدره أن يغضي عمّا يمكن أن يكون فيها من الخطأ.

(٢) الإنسان الحرّ يكون مرآة لإخوانه (يدلّهم على عيوبهم من غير أن يقرّعهم أو يفتخر عليهم).

(٣) «كاسد السوق» إشارة إلى ناظم الأرجوزة، فهو ينادي (يقول لقارئها): أجمل (قل فيها قولا جميلاً - وإن كانت لا تستحقّه).

(٤) بالإغضاء (بغضّ البصر عن العيوب). الهلهل: الثوب الضعيف النسج (القول الركيك القليل المعنى).

(٥) في الأصل: اصابة واجتهاد (بالرفع بضمّتين). ولعل الأصوب نصبها على أنّها مفعول به من «سلّم». إحدى الحسنيين (إشارة إلى الحديث الشريف: من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد): إذا كان في هذه الأرجوزة صواب فانسبه إلى اجتهادي الذي وافق الحقّ. وإن كان فيها خطأ فانسبه إلى حسن ظنّي ومدى معرفتي (القليلة). الصوب: سقوط الدفعة (بالضمّ) من المطر. أمحل المكان (أجدب) لم يسقط فيه مطر (لقد قصدتُ أن أصيب فلم يتيسّر ذلكُ لي).

(٦) الخرق: الخطأ الواضح الفاضح. وليصلحه (يصحّحه) من جاد (الذي يحسن) مقولا (القول): من عرف وجه الصواب فيا أخطأت أنا فيه فليتفضّل بأن يدلّ الناس عليه.

(٧) طاح: هلك، اضطرب، تاه، ضلّ. الأنام الكلّ: كلّ الأنام (الناس). الخلف: الاختلاف. القلى: البغضاء.

(٨) وعن غيبة (ذكر أخيك بما يكره) فغب (اهجر): لا تقل شيئاً رديئاً عن أحد. فإذا فعلت ذلك تحضّر (يدخلك الله) حظار (حظيرة: مكان فيه شجر تقي من الحرّ) القدس (الطهر، المكان الطاهر، النقيّ): الجنّة. انقى مغسّلا (نظيفاً عارياً من كلّ درن: وسخ، ذنوب).

وهـذا زمانُ الصبرِ، مَنْ لكَ بالتي | كَقَبْضٍ على جَمْرٍ فتَنْجو من البَـلا[١]
ولو أنّ عينـا ساعـدت لتوكّفـتْ | سحائبُهـا بالدمـعِ دِيماً وهُطَّلا[٢]
ولكنّهـا عن قَسْوةِ القلبِ قَحْطُها؛ | فيـا ضيعةَ الأعمارِ تَمْشي سَبَهْلَلا[٣]
بِنفسي مَنِ استَهْدى إلى اللهِ وحدَه | وكـان له القُرآنُ شِرباً ومُغْسَلا[٤]
وطابـتْ عليـه أرضُه فتَفَتّقَـتْ | بكـلِّ عبيرٍ حينَ أصبحَ مُخْضَلا[٥]
فطُوبى لـه والشوقُ يبعَـثُ هَمَّهُ | وزَنْدُ الأسى يهتاجُ في القلبِ مُشعِلا[٦]
هو المُجْتَبَى يغدو على الناسِ كُلِّهِمْ | قريبـاً غريبـاً مُسْتَمالاً مُؤَمَّلا[٧]؛
يعُدّ جميـعَ النـاسِ مولَـى لأنّهم | علـى ما قضاهُ اللهُ يُجْرونَ أَفعُلا[٨].

---

(١) هذا الزمن الذي نعيش فيه زمن محنة ومصائب وفتن (قتال وعداوات) كقبض على جمر (نار)، لصعوبة الحياة فيه (إشارة إلى الحديث الشريف: يأتي على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر).

(٢) لو أنّ الناس يشعرون بما يحيط بهم من المصائب ويطلّ عليهم من التهديد لتوكّفت (قطرت، بكت) عيونهم. ديما (جمع ديمة: مطرة دائمة) وهطّلا: مع هاطل: مطر كثير.

(٣) السبهلل: الفارغ، المفرد (بنفسه لا شيء معه). - ولكن عيون هؤلاء الناس لا تبكي لقسوة قلوبهم. الأعمار تمشي: تمرّ، تنقضي. تمشي سبهللا (يسير المرء بفرح وتكبّر مع أن عمره خال من الأعمال الصالحة).

(٤) - أفدي بنفسي كلّ إنسان يستهدي (يطلب الهداية) من الله وحده ثمّ يتّخذ القرآن (بالاستمرار في قراءته) شربا (حظّا، نصيباً) ومغسلا (وسيلة إلى الاغتسال من الذنوب) لأنّ قراءة القرآن تزيد في حسنات قارئه.

(٥) فإذا أكثر المسلم من قراءة القرآن «طابت عليه أرضه» (صلحت حاله بالطاعة) و «تفتّقت» (تشقّقت: انتشر منها) بكلّ عبير (رائحة طيّبة): شعر بالسرور والسعادة حين أصبح مخضلا (مبتلاً بالماء): حين تعظم حسناته فيعظم سروره (لكثرة ما ينال من الخيرات من عند الله).

(٦) فطوبى له: ما أسعده (في هذه المدّة التي يقرأ فيها القرآن ويقوم بطاعة الله). وزند (حديدة تقدح بها النار من الحجر) الأسى (الحزن) يهتاج في القلب مشعلاً (ندماً على الزمن الذي مرّ في أوّل حياته ولم يكن فيه يقرأ القرآن أو يقوم بفروض الدين).

(٧) هو المجتبى (الذي يقرّبه الله إليه)، ثمّ يصبح هذا الإنسان قريباً من الناس (محبوباً عندهم)، ولكن غريباً (لأن أمثاله قليلون) مستمالا (يحبّ الناس أن يقرّبوه إلى أنفسهم- أو يتقرّبون منه) مؤمّلا (يرجو الناس المعونة منه عند الشدائد).

(٨) مولى (خليقاً بالرعاية). في الأصل «أفعل» (بفتح العين)، ولعلّ الأصوب أن تكون «أفعل» (بضمّ العين (جمع قلّة قياسيًّا مثل أجبل وأنهر وأبحر). يحسن بالعاقل أن يعذر الناس لأنّ الأعمال السيئة التي يقومون بها (مثل أعمالهم الحسنة أيضاً) قد كتبها الله عليهم.

يرى نفسَه بالـــذمّ أولى لأنّهـــا | على المجد لم تلعَقْ من الصبْر والألا[1].
وقد قيل كُنْ كالكلب يُقصِيه أهلُه | وما يأتلي في نُصْحِهم مُتَبذِّلا[2].
لعلّ آلَهَ العرشِ ، يا إخوتي ، يَقي | جَماعتَنـا كـلَّ المكارهِ هُوَّلا[3]،
ويجعلُنـــا مِمّنْ يكونُ كِتابُـــه | شفيعاً له إذ ما نَسُوه فيَمْحَلا[4].
وبــالله حَوْلي واعتصامي وقُوّتي ، | ومــا لِيَ إلّا سترُهُ مُتَجلِّـلا[5]
فيـا ربِّ ، أنتَ اللهُ حسْبي وعُدّتي ، | عليكَ اعتمادي ضارعاً مُتوكِّلا[6].

(ب) من المتن: « أحكام البسملة (شرح ابن القاصح على الشاطبية ، ص ٣٠) ».

وبَسْمَـلَ بَـينَ السورتَـين بسُنّـةٍ | رجـالٌ نَمَوْها دِرْيَةً وتحمُّلا[7].
ووَصْلُكَ بـين السورتين فَصاحةٌ ، | وَصِلْ واسْكُتَن كل جَلاياهُ حصّلا[8].

---

(١) الصبر (بفتح الصاد وكسر الباء - أو بسكون الباء مع كسر الصاد أو فتحها): عصارة شجر مرّ. والألا: شجر مرّ الطعم. - انّ من يلوم غيره (وهو لم يختبر ما اختبروه ، أو لم يلق شيئاً من المشاقّ في الوصول إلى مكانته - أو لم يكلّف نفسه الثبات على طاعة الله) أحق من كلّ الناس بالذمّ.

(٢) إنّ الكلب أكثر وفاء للإنسان من الإنسان للإنسان. - ربّما طرد نفر من الناس كلباً كان عندهم (لسبب ما) ، ولكن هذا الكلب يظلّ (برغم ذلك) يبذل جهده في نصح أولئك الناس (والدفاع عنهم).

(٣) يقي: يحمي. هوّل (المقصود أن تكون جمع هائل: مخيف).

(٤) الكتاب: الصحيفة التي تكون فيها أعمال الإنسان ثمّ تعرض عليه يوم القيامة. فإذا كانت حسنات الإنسان في صحيفته أكثر من سيّئاته شفعت له فدخل الجنّة. - وربّما كان « الكتاب » (هنا): القرآن. فمن حفظه وتلاه (وآمن بما فيه) كان القرآن شفيعاً له يوم القيامة. محل يمحل فهو ماحل (خصم). من هجر القرآن في الدنيا كان القرآن خصمه يوم القيامة. وفي الحديث: القرآن شافع مشفّع وماحل مصدّق. من شفع له القرآن يوم القيامة نجا ، ومن محل به (كاده أو سعى به إلى السلطان) كبّه الله في النار على وجهه ».

(٥) الحول: القوّة. الاعتصام: التمسّك.

(٦) حسبي: كفايتي (إذا اعتمدّت عليه فلا أحتاج إلى أحد بعد ذلك). وعدّتي (للمستقبل). الضارع: الذليل الخاضع.

(٧) إذا قرأ المسلم سورة ثمّ استمرّ إلى الثانية ، فلا ضرورة للبسملة (قراءة: بسم الله الرحمن الرحيم) بينهما. ولكن من السنّة (من عادة رسول الله أنّه كان يفعل ذلك). وهنالك رجال (قرّاء) نموا ذلك: رفعوه (رووه عن الرسول) درية (أو دراية: بعلم يقين) وتحمّلا (حملا: رواية عن رجال آخرين - من الصحابة - كانوا يفعلون ذلك).

(٨) ويجوز أيضاً أن تصل بين السورتين (بنفس واحد) فتنتهي من سورة وتبدأ سورة من غير أن تبسمل بينهما. وكلّ جلاياه حصّلا: وجميع القرّاء يعرفون ذلك. ولكن إذا انتهى القارىء من سورة الناس =

ولا نصَّ كَلاّ حُبَّ وجهٌ ذكرتُه وفيه اختلافٌ جِيدُه واضحُ الطُّلا[1].
وسَكْتُهُمُ المُختـارُ دونَ تنَفُّسٍ، وبعضُهُم في الأربعِ الزُهْرِ بَسْمَلا[2].
لهم دون نصٍّ وهو فيهنّ ساكتٌ لِحَمْزَةَ فافْهَمْه وليس مُخَذَّلا[3].
ومهما تَصِلْهـا أو بـدأتَ براءةً لِتنزيلِها بالسيفِ لستَ مُبَسْمِلا[4].
ولا بُدَّ منها في ابتدائك سُورةً سِواها، وفي الأجزاء خُيِّرَ مَنْ تلا[5].
ومهما تَصِلْهـا معْ أواخرِ سُورةٍ، فلا تَقِفَنّ - الدهرَ - فيها فتثقُلا[6].

- أحكام تفخيم الراء وترقيقها (شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص ١١٩ - ١٢٢):

ورقّــقَ وَرْشٌ كـلَّ راءٍ وقبلَهـا مُسكّنـةً ياءٌ أو الكسرُ مُوصَلا[7].

= (رقم ١١٤ آخر المصحف) ثمّ أراد أن يصلها بالفاتحة (السورة الأولى أول المصحف) فيجب عليه أن يبسمل.

(١) ولا نصّ على أحد الوجهين (البسملة أو ترك البسملة) إذا انتهى القارىء من سورة ثمّ بدأ السورة التي تليها بنفس واحد. ولكنّ كلّ قارىء قد اجتهد واختار بحسب اجتهاده. الجيد: العنق. الطلا جمع طلاة (بالضمّ): العنق أو صفحة العنق. واضح الطلا: أمر ظاهر.

(٢ و٣)(هنالك سور يستحسن السكت عليها - بلا تنفّس - أو البسملة عند الانتقال من احداها إلى التي تليها، لا ضرورة هنا لتفصيل ما يتعلّق بها).

(٤) وعند قراءة سورة «براءة» أو «التوبة» (السورة التاسعة في المصحف) لا يبسمل القارىء لها، لأن هذه السورة نزلت في الحرب وفي تهديد المشركين.

(٥) أمّا إذا ابتدأ القارىء قراءة سورة (غير براءة) فلا بدّ من البسملة. أمّا إذا أراد أن يقرأ جزءاً من سورة (فيبتدىء من ربعها أو وسطها الخ) فله أن يبسمل أو أن يترك البسملة.

(٦) يجوز عند الانتقال بالقراءة من سورة إلى سورة تليها: قراءة آخر السورة والبسملة وأول السورة التالية وصلا بنفس واحد - الوقف عند آخر السورة الأولى، والوقف على البسملة ثمّ الابتداء بقراءة أول السورة التالية - الوقف عند آخر السورة الأولى ثمّ قراءة البسملة وأول السورة التالية بنفس واحد. ولكن لا يجوز قراءة آخر السورة الأولى مع البسملة بنفس واحد ثمّ البدء بالسورة التالية بنفس جديد.

(٧) إنّ ورشا قد قرأ كلّ راء (مها يكن الحرف الذي يسبقها أو الحركة التي تسبقها): لفظها نحيفة غير غليظة.

ولم يَرَ فَصْلًا ساكنـــــــاً بعـــــــدَ كسرةٍ
سوى حرفِ ٱلِاَستعــلا سوى الخــا فيكمُـلا[1] .

وفخّمَهــا في الأعجميّ وفي إرَمْ وتكريرِها حتّى يُرى مُتَعدّلا[2] .

وتفخيمُـــه ذِكراً وسِتراً وبابَــه لَدى جِلّةِ الأصحاب أعْمَرُ أرحُلا[3]

وفي شرَرٍ عنـــه يرقِّــقُ كُلُّهم ، و« حيرانَ » بالتفخيم بعضٌ تَقَبَّلا[4] .

وفي الراءِ عن وَرْشٍ سوى ماذكرتُــه مذاهبُ شَذّتْ في الأداء تَوَقُّلا[5] .

ولا بـدَّ من ترقيقِهـا بعدَ كَسرةٍ إذا سَكَنَتْ ، ياصاحِ ، للسبعةِ المَلا[6] .

ومـا حرفُ ٱلِاَستعلاءِ بعدُ ، فرَاؤه لِكُلِّهِمُ التفخيـمُ فيهـا تَذَلَّلا[7] .

ويَجْمَعُها قظْ خُصَّ ضَغْطٍ ، وخُلْفُهم بفَرْقٍ جرى بينَ المشايخ سَلْسَلا[8] .

---

(١) ولكن ورشا يفخّم الراء إذا جاءت بعد حرف استعلاء (فخم بنفسه: خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق) نحو: فطرة، إصرا. ولكنّه يرقّق الراء بعد الخاء (شرح ابن القاصح ١١٩).

(٢) ثمّ إنّ ورشا فخّم الراء في الألفاظ الأعجمية: ابراهيم، عمران (بكسر العين)، إرم (بكسر الهمزة وفتح الراء)، وفي الكلمات التي تتكرّر فيها الراء، نحو: ضرارا - حتّى يرى (اللفظ) متعدّلا: فإنّ الراء الثانية مفخّمة ثمّ فخّمت الراء الأولى إلحاقاً.

(٣) جلّة الأصحاب: كبار صحابة رسول الله. أعمر الرحل (بفتح الراء: منزل الإنسان): جعله أكثر عمراناً (بضمّ العين). وفخّم ورش كلمات منها: سترا، وزرا، صهرا (بالكسر فيها كلّها) ولكن يجوز تفخيمها. غير أن ورشا يرقّق كلمة سرًّا، مثلا.

(٤) وجميع القرّاء الذين رووا عن ورش يرقّقون ألفاظاً مثل « بشرر (بترقيق الراء الأولى أيضاً، لأنّ ما بعدها مكسور، وإن كانت هي وما قبلها مفتوحين). ولكّن ورشا نفسه كان إذا وقف على كلمة « بشرر » فخّم الراءين معاً. وأمّا غير ورش فإنّهم يفخّمون الراء الأولى في « بشرر ». وأمّا الراء الثانية فلها عند هؤلاء وجهان: التفخيم (إذا سكّنوها) والترقيق (إذا هم عاملوها بالروم - بفتح الراء -، أي باختلاس الحركة حتّى تدلّ شفتا القارىء على حركتها من غير أن يسمع القريب منه لفظها. وكذلك روى ناس عن ورش تفخيم الراء في كلمة « حيران ».

(٥) الأداء: طريقة لفظ الكلمات. توقّل: صعّد في الجبل. وهنالك روايات عن ورش في تفخيم الراء في عدد من الألفاظ مختلفة الأحوال وشاذّة عن القواعد فيحسن ترك التوسّع فيها (في الأرجوزة).

(٦) وجميع القرّاء يرقّقون الراء إذا جاءت بعد كسرة (في وسط الكلمة)، نحو: فرعون، شرعة (أو في آخر الكلمة)، نحو: فاصبر، سحر مستمرّ.

(٧ و ٨) وجميع القرّاء قد فخّموا الراء بعد أحد حروف الاستعلاء السبعة، وهي: الخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف (مجموعة في: قظّ خصّ ضغط). ثمّ إنّهم يختلفون في ذلك اختلافاً يسيراً (رأينا قبلا أن ورشا يرقّق الراء إذا وقعت بعد هذه الأحرف إلّا الخاء، فإنّه يفخّم الراء بعد الخاء).

وما بعدَ كسرٍ عارضٍ أو مُفصَّلِ ففَخِّمْ، فهذا حُكمُه مُتبَذِّلا(١)

وما بعدَه كسرٌ أو اليا، فما لَهُمْ بترقيقِهِ نصٌّ وثيقٌ فيَمْثُلا(٢)

وما لقياسٍ في القراءةِ مَدخَلٌ، فدونكَ ما فيه الرِضا مُتَكَفِّلا(٣):

وترقيقُها مكسورةً عند وَصْلِهم وتفخيمُها في الوقْفِ أجمَعُ أشمُلا(٤)؛

ولكنّها في وَقْفِهم مَعَ غيرِها تُرَقَّقُ بعدَ الكسرِ أو ما تَمَيَّلا(٥)،

أوِ الياءُ تأتي بالسكونِ، ورَوْمُهم كما وَصْلِهم فابْلُ الذكاءَ مُصَقَّلا(٦).

---

(١) وجميع القراء (وورش فيهم أيضاً) يفخّمون الراء إذا جاءت بعد كسر عارض (ليس من أصل الكلمة)، نحو: ارجعوا (فعل أمر لجماعة المخاطبين) وارتابوا، الخ ثمّ في امرأة، امرؤ، امرؤ... (لأن الراء هنا مسبوقة بسكون). وأمّا الكسرة في أول « ارتابوا » فإنّها أيضاً ساكنة (لأنها همزة وصل) ثمّ نحن أجزنا كسرها لنتمكّن من لفظها إذا نحن بدأنا لفظها غير موصولة بكلمة قبلها. إذا قرأنا: لكلّ امرىء الفظنا ذلك بكسر اللام الثانية (في لكلّ) وبتسكين الهمزة والميم معاً في « امرىء » (فتخفى حينئذ الهمزة وتبقى الميم ساكنة قبل الراء). أو مفصّل (مفصول بينه وبين الراء، نحو « امرىء »، فإنّه قد فصل بين الراء والهمزة المكسورة في اللفظ بالميم الساكنة). حكمه متبذّلا (مبذول، مشهور).

(٢) إذا وقع بعد الراء كسر أو حرف الياء، فلا نصّ حينئذ على ترقيق الراء فتكون الراء حينئذ مفخّمة. فيمثل (بالبناء للمعلوم، في الأصل): يكون أمثل ذا وجه صحيح. ويجوز بناء « يمثل » للمجهول فيكون معناها: تتّبع على أنّها قاعدة.

(٣) والأداء (قواعد القراءة في القرآن الكريم) رواية عن الصحابة عن رسول الله، فليس فيه قياس بعض ألفاظه على بعض. من أجل ذلك يحسن أن يكتفي المطالع بهذه الوصايا العامّة في تفخيم الراء أو ترقيقها.

(٤) إذا كانت الراء مكسورة: في أوّل الكلمات (نحو: رجال، رضوان) أو في وسط الكلمات (نحو: فرحين، الشاكرين) وجب ترقيقها. وأمّا إذا جاءت الراء المكسورة في آخر الكلمة، فإنّ لها حينئذ وجهين: إذا نحن وصلنا القراءة، نحو: إنّ المتّقين في جنّات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر. إنّ الراء في « نهر » (بفتح ففتح فجرّ) فالراء في « نهر » تكون مرققة. وأمّا إذا قرأنا: « إن المتّقين في جنات ونهر » (ووقفنا)، فإنّ الراء تكون حينئذ مفخّمة.

(٥) عند الوقف على الراء المكسورة (إذا كان ما قبلها مفتوحاً: « كلمح بالبصر »، أو مضموماً: « إلى أرذل العمر »، أو كانت مسبوقة بألف: « وقنا عذاب النار » أو بحرف ساكن سكوناً صحيحاً: « إنّ مع العسر يسرا »، أو بواو: (في عتوّ ونفور فإنّه يجب تفخيمها. وأما إذا جاءت الراء المكسورة (عند الوقف عليها) بعد حرف مكسور: « عند مليك مقتدر »، فإنّها ترقّق. تميّل من الأمالة (الحرف يحرك بين الفتح والكسر).

(٦) وإذا جاء قبل الراء (المفتوحة أو المضمومة) بعد الياء: نحو: « فافعلوا الخير - إنّ الله على كلّ شيء =

وفيما عدا هذا الذي قد وَصَفْتُه ... على الأصلِ بالتفخيمِ كُنْ مُتَعَمِّلا[١].

(جـ) الخاتمة:

وقد وَفّقَ اللهُ الكريمُ بِمَنِّهِ ... لإكمالِها حسناءَ مَيْمونةَ الجلا[٢].
وأبياتُها ألفٌ تزيدُ ثلاثةً ... ومَعْ مائةٍ سَبْعينَ زُهْراً وكُمَّلا[٣].
وقدْ كُسِيَتْ منها المعاني عِنايةً ... كما عَرِيَتْ عنْ كلِّ عَوْراءَ مِفصَلا[٤].
وتَمّتْ بحمدِ اللهِ في الخَلْقِ سهلةً ... مُنزّهةً عن مَنْطِقِ الهُجْرِ مِقْوَلا[٥].
ولكنّها تَبْغي من الناسِ كُفْؤَها ... أخا ثِقَةٍ يعفو ويُغْضي تجَمُّلا[٦].
وليس لها إلّا ذُنوبُ وَليِّها؛ ... فيا طيّبَ الأنفاسِ، أحْسِنْ تأوُّلا[٧].
وقل: رَحِمَ الرحمنُ حَيًّا ومَيِّتاً ... فتىً كان للإنصافِ والحِلْمِ مَعْقِلا[٨].
عَسى اللهُ يُدني سَعْيَه بجَوازِه، ... وإن كان زَيْفاً غيرَ خافٍ مُزَلَّلا[٩].

= قدير »، فإنّها أيضاً ترقّق. – فابل (اختبر) الذكاء (ذكاءك) مصقّلا (مصقولاً مهذّبا، مثقّفا): استعمل ذكاءك ومعرفتك في التفريق بين تفخيم الراء وترقيقها.

(١) أمّا في جميع الأحوال التي لم تذكر (في الأبيات الثلاثة السابقة) فيجب تفخيم الراء.

(٢) المَن: النعمة والإحسان والكرم. ميمونة: مباركة. الجلاء: العرض (على الناس).

(٣) زهر جمع أزهر (أبيض) وزهراء (بيضاء). كمّل جمع كامل.

(٤) عريت: خلت. العوراء: الكلمة القبيحة. مفصل: في القافية أو في وزن الشعر (يقول: ليس فيها عيب في نظمها من حيث وزنها ومن حيث قافيتها). والمفصل: اللسان (.... وليس فيها عيب في اللغة).

(٥) في الخلق (في البناء، في النظم). الهجر: الكلام الفاحش. المقول: اللسان (لم يلفظ لساني فيها بكلمة فاحشة).

(٦) تبغي: تطلب. الكفؤ: المثيل (هنا): العالم المنصف. أخو ثقة (في علمه) يعفو عن الخطأ (إذا كان هذا الخطأ غير مقصود) ويغضي (يغمض عينه عن تتبّع مواضع الخطأ: لا يقصد البحث عن أخطاء غيره). التجمّل: تكلّف الاتّصاف بالجمال أو بالفعل الجميل (يحسن بالقارىء إذا وقع على خطأ في هذه الأرجوزة أن يلتمس لناظمها عذراً في ذلك).

(٧) ليس في هذه الأرجوزة عيب إلّا ذنوب وليّها (ناظمها): ذنوبه في الدين (لا في نظم الشعر). التأويل (هنا) البحث عن وجه حسن لما تجده فيها من العيب (لأنّ ناظمها لم يقصد أن يخطىء).

(٨) فتى (يقصد بذلك نفسه): يسأل قارىء هذه الأرجوزة أن يطلب الرحمة لناظمها. الحلم: سعة الصدر ومسامحة الآخرين إذا أخطأوا. المعقل: الحصن (المأوى، المكان).

(٩) يدني: يقرّب. سعيه: عمله (هذه الأرجوزة). بجوازه (بانتفاع الطلّاب بهذه الأرجوزة – أو بجوازه: يسير ناظمها يوم القيامة على الصراط ودخل الجنّة). الزيف: الغش (خلط الشيء بما ليس من جنسه أو بما هو دون). المزلّل: الكثير الزلل والخطأ.

فيا خيرَ غفّارٍ ويا خيرَ راحمٍ، ويا خيرَ مأمولٍ جَداً وتفضُّلا[1]،
أقِلْ عَثْرتي وانْفَعْ بها وبقَصْدِها؛ حَنانَيْكَ - يا اللهُ - يا رافعَ العُلا[2].
وآخِرُ دَعْوانا بتوفيقِ ربِّنا أنِ الحمدُ للهِ الذي وَحْدَه عَلا.
وبعدُ صلاةُ الله ثمّ سَلامُه على سيّدِ الخَلْق الرِضا مُتنخّلا[3]:
مُحمّدٍ المختارِ للمجدِ كَعْبةً صلاةً تُباري الريحَ مِسكاً ومَنْدَلا[4]؛
وتُبدي على أصحابِه نَفَحاتِها بغيرِ تَناهٍ زَرْنَباً وقَرَنْفُلا[5].

٤- حرز الأماني ووجه التهاني (في القراءات السبع)، مصر (طبع حجر: بمطبعة حسن التتري؟) ١٢٨٦ هـ؛ نشرت في «مجموع لطيف»، مصر (حسن الطوخي) ١٣٠٢ هـ (؟)؛ بعنوان «متن الشاطبية» (شعبان محمّد إسماعيل)، مصر (مكتبة جمهورية مصر، بلا تاريخ.
- عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، القاهرة ١٢٨٢ هـ؛ في «مجموع لطيف»، مصر (حسن الطوخي) ١٣٠٢ هـ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠٨ هـ.

★★ من الشروح عليها:
- كنز المعاني... لمحمّد بن الحسن الفاسي (ت ٦٥٦ هـ)، بشاور[6] (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ.
- إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ)، مصر (مصطفى البابي الحلبي) لشعلة الموصلي الحنبلي (ت ٦٥٦ هـ)، القاهرة (على نفقة الاتحاد العام لجماعة القرّاء).
- سراج القارىء المبتدي وتذكار المقرىء المنتهي لعلاء الدين عليّ بن عثمان بن محمّد المعروف بابن القاصح العُذري البغداديّ (ت ٨٠١ هـ)، القاهرة ١٣٩٤، ١٣٠٤[7]، ١٣١٧، ١٣٣٠، ١٣٤١، ١٣٤٦.

---

(١) الجداء: العطاء.
(٢) أقال فلان عثرة فلان: أقاله (رفعه، أنهضه) من عثرته (وقوعه أرضاً، أو في الخطأ).
(٣) سيد الخلق: محمّد رسول الله. المتنخّل: المختار من الناس (من خيار الناس وأفضلهم).
(٤) تباري (تنافس) الريح (في الكثرة والقوّة والسرعة) مسكا ومندل (المندل: العود - نوع من البخور - الطيّب الرائحة).
(٥) ... وأن يظهر أثر هذه الصلاة (الدعاء لله على محمّد رسول الله) على أصحابه. النفحة: حركة الريح، وانتشار الرائحة الطيّبة. الزرنب والقرنفل: نبتان طيّبا الرائحة.
(٦) بشاور مدينة في الشمال الغربي من القارة الهندية، كانت (في أيام الاستعمار البريطاني) من الهند (واليوم هي في باكستان).
(٧) مصر (المطبعة العثمانية).

- ارشاد المريد إلى مقصود القصيد للشيخ علي محمّد الضباع، مصر (مطبعة محمّد علي صبيح) ١٣٤٧ هـ.
- الوافي في شرح الشاطبية، تأليف عبد الفتّاح القاضي، مصر (مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمّد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية)، بلا تاريخ.
- ..... لأحمد يوسف نجاتي.

معجم الأدباء ١٦: ٢٩٣ - ٢٩٦؛ نكت الهميان ٢٢٨ - ٢٢٩؛ وفيات الأعيان ٤: ٧١ - ٧٣؛ التكملة (رقم ١٩٧٣)؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٤٨ - ٥٥٧ (رقم ١٠٨٨)؛ العبر (للذهبي) ٤: ٢٧٣ - ٢٧٤؛ الديباج المذهب ٢٢٤ - ٢٢٥؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٦؛ المنّ بالإمامة ٢٦٦ - ٢٦٨؛ بغية الوعاة ٣٧٩ - ٣٨٠؛ شذرات الذهب ٤: ٣٠١ - ٣٠٣؛ نفح الطيب ٢: ٢٢ - ٢٤؛ شجرة النور الزكية ١٥٩؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٣٣٧ - ٣٣٨؛ بروكلمن ١: ٥٢٠ - ٥٢٢، الملحق ١: ٧٢٥ - ٧٢٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٤ (٥: ١٨٠)؛ تاج العروس (الكويت) ٣: ١٣١ - ١٣٢؛ سركيس ١٠٩١ - ١٠٩٢.

ابنُ مَضاءٍ

١ - هو أبو العباس (أو أبو جعفر أو أبو القاسم) أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدِ بنِ سعدِ بنِ حارثِ بنِ عاصمٍ اللخميُّ والقرطبيُّ؛ ولد سَنَةَ ٥١٣ (١١١٨ - ١١١٩ م) في بيتِ شرفٍ وجاهٍ. دَرَسَ ابنُ مَضاءٍ النحوَ في إشبيلية على ابن الرمّاك وعلى ابنِ بَشْكُوالَ وابن سحنونٍ، كما درس الحديثَ في سَبْتَةَ على القاضي عِياض.

تولى ابنُ مضاءٍ القضاءَ في فاسَ وبِجايةَ ثم عيَّنَهُ السلطانُ يوسفُ بنُ عبدِ المؤمنِ قاضياً للجماعة. وبَقِيَ في هذا المنصبِ في أَيّامِ يعقوبَ المنصورِ. وقد كانتْ وفاتُه في السابع والعشرينَ من جُمادى الأولى من سَنَةِ ٥٩٢ (٢٩/ ٣/ ١١٩٦ م)، وقِيل قَبْلَ ذلك بأُسبوعٍ.

٢ - كان ابن مضاءٍ مشاركاً في عددٍ من العلوم: في الحديثِ والفِقْه واللغة والنحو والحِساب والهندسة والطِّبّ، كما كان أديباً شاعراً. ولكنه خَصّ نفسَه بالنحو. ولقد بَقِيَ لنا من كتبه كتاب «الردّ على النحاة» ألّفه في أواخِرِ حياتِه وحمل فيه على

الذين يعملون بكَثْرة تَمَحُّلِهم (تطلُّبهم للأوجه المتعددة الممكنة من القاعدة الواحدة) على تعقيد البحث في النحو وعلى أن تغمُضَ مناهجه وطُرُقُه، ثم دعا إلى تسهيل عَرْضِ النحو (في التآليف) وتعليمه.

وكان لابنِ مَضاءٍ من الكُتُبِ أيضاً: المشرق في النحو - تنزيه القُرآنِ عمّا لا يَليقُ بالبيان.

٣ - مختارات من آثاره:

- من كتاب «الردّ على النحاة» لابن مضاء:

★ ★ (من المقدّمة):

أمّا بعدُ، فإنّه حملني على هذا المكتوبِ قولُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحةُ.... »، وعلى الناظر في هذا الكتابِ من أهل هذا الشأن - إنْ كان مِمَّنْ يحتاط لدينه ويجعَلُ العلم مِزلَفاً له من ربه - أنْ ينظُرَ، فإنْ تبيَّن له ما نُبَيِّنُه رجَعَ إليه وشكر الله عليه، وإنْ لم يَتَبيّنْ له فليتوقَّفْ توقُّفَ الوَرِع عند الإشكال. وإنْ ظهر له خِلافُه فَلْيُبَيِّنْ ما ظهر له بقولٍ أو كتابة.

وإنّي رأيتُ النَحْوِيِّين - رحمةُ اللهِ عليهم - قد وضعوا صِناعة النحو لِحفظِ كلامِ العرب من اللَحْن وَصِيانتِهِ عَنِ التَغْيير فبلغوا من ذلك الغايةَ التي أمَّوا، وانتهَوْا إلى المَطلوبِ الذي ابْتَغَوْا؛ إلّا أنَّهُمُ التزموا ما لا يلزَمُهم وتجاوزوا فيها القَدْرَ الكافي فيما أرادوه منها فتوعَّرتْ مسالكُها ووهَنَتْ مبانيها وانحطَّت عن رُتبة الإقناع حججها...

على أنَّها إذا أُخِذتِ المأخذَ المُبرَّأَ مِنَ الفُضول المُجرَّد عن المحاكاة والتخييل كانت من أوضحِ العُلوم بُرهاناً وأرجَحِ المعارفِ عند الامتحانِ ميزاناً، ولم تشتمل إلّا على يقين أو ما قاربه من الظنون.

وكذلك من أخذ من علم النحو ما يُوصِلُه إلى الغاية المطلوبةِ منه، واستعاضَ من تلك الظُنون - التي ليست كظنون الفِقْهِ التي نصبها الشارعُ صلى الله عليه وسلم أمارةً للأحكام، ولا كظنونِ الطب التي جُرِّبتْ وهي في الغالب نافعةٌ في الأمراض

★ مرقاةً، مقرّبا.

والآلام - العلومَ الدينية السَمعية منها والنظرية - التي هي الجُنّة والهادية إلى الجَنّة - فقد نفعه اللهُ بالتعليم وهداه إلى صِراطٍ مستقيم. وأما مَنِ اقتصرَ كُلَّ الاقتصارِ على المعارفِ التي لا تدعو إلى جَنة ولا تزجُرُ عن نار - كاللغات والأشعار ودقائق عِلَلِ النحوِ ومُسَلِّيات الأخبار فقد أساءَ الاختيار...

★★ من المتن (ص ٨٥):

قصدي في هذا الكتاب أنْ أَحْذِفَ من النَّحوِ ما يستغني عنه النَحْويُّ وأنبِّهَ على ما أجمعوا على الخطأ فيه. فمِنْ ذلك ادِّعاؤهم أنّ النصبَ والخفض والجزم لا يكون إلا بعاملٍ لفظيّ، وأنَّ الرفعَ منها يكونُ بعامل لفظيّ وبعامل معنوي. وعبّروا عن ذلك بعبارات تُوهِم في قولنا: «ضربَ زَيْدٌ عَمْراً» أنَّ الرفعَ الذي في «زيد» والنصبَ الذي في «عمرو» إنّما أحدثه (العامل: الفعل) «ضرب».... وأما في الحقيقة ومحصولِ الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجرّ والجزم إنما هو للمتكلّم نفسهِ لا لشيْءٍ غيرِه...

فإنْ قيل: أنت قد أبْطَلْتَ أن يكونَ في الكلام عاملٌ ومعمول، فأرِنا كيف يتأتّى ذلك مَعَ الوُصول إلى غايةِ النحو؟ (ص ١٠٧)...

وممّا قالوا فيه ما لمْ يُفهَمْ وأضمروا فيه ما يُخالفُ مَقْصِدَ القائل أبوابُ نصبِ الفعل. وقد تكلّمتُ منها على باب الفاء والواو لِيُسْتَدَلَّ بها على غيرها ولِيُعْلَمَ أن ما أضمروه لا يُحتاجُ إليه في إعطاء القوانين التي يُحفَظُ بها كلامُ العرب.... الفاء (إذا كانت للسببية) ينتصب بعدها الفعل إذا كانت (تَرْبِطُ) جواباً لأحدِ ثمانيةِ أشياءَ: الأمرِ والنهي والاستفهامِ والنفيِ والعَرْضِ والتمني والتحضيض والدعاءِ.... قال الله تعالى (في حال النَهْيِ): «ولا تَطْغَوْا فيه فيَحِلَّ عليكم غضبي (ص ١٤٢ - ١٤٣)....

وممّا يجبُ أن يسقُطَ من النحو العِلَلُ الثواني والثوالث، وذلك مثل سؤال السائل عن «زيد» في قولنا: «قامَ زيدٌ»! لِمَ رُفِعَ؟ فيُقال لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع. فيقول: «ولِمَ رُفِعَ الفاعل»؟ فالصواب أن يُقالَ لَهُ: «كذا نطقت به العرب: ثبت

ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر. ولا فرقَ بينَ ذلك وبين مَنْ عَرَف أنَّ شيئاً ما حرامٌ بالنصّ- ولا يُحتاج فيه إلى استنباط عِلَّةٍ لِيُنْقَلَ حُكمُه إلى غيره، فسأل لِمَ حُرِّم؟ فإنّ الجواب على ذلك غيرُ واجب على الفقيه (ص ١٥١)...

وكما أنَّا لا نسألُ عن عَينِ عِظلم وجيم جَعفر وباء بُرثن لِمَ فُتحتْ هذه وضُمت هذه وكُسرتْ هذه، فكذلك أيضاً لا نُسأَلُ عَنْ رَفْعِ «زيد» (ص ١٦٠)...

وممّا يجب أن يسقُطَ من النَّحوِ الاختلافُ فيما لا يُفيد نُطقاً كاختلافهم في عِلّة رفع الفاعل ونصب المفعول وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الثواني وغيرها مِمّا لا يُفيدُ نُطقاً.

٤- كتاب الردّ على النحاة (نشره شوقي ضيف)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٣٦٦ هـ= ١٩٤٧ م.

★★ جذوة المقتبس ٧٦ (؟)؛ بغية الملتمس ١٩٣ (رقم ٤٦٥)؛ التكملة ١٠٩ - ١١٠ (رقم ٢٣٤)؛ جذوة الاقتباس ١٧؛ بغية الوعاة ١٣٩؛ الديباج المذهب ٤٧ - ٤٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٥٥ - ٨٥٦؛ الأعلام للزركلي ١: ١٤٢ (١٤٦ - ١٤٧).

أبو الحسن الجيّانيّ

١- هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ موسى بنِ محمّدِ بنِ موسى بنِ محمّدِ بنِ خلفٍ الأنصاريُّ الجيَّاني الأندلسيّ، سكن مدينةَ فاسَ (المغرب) وتولّى الخَطابةِ في جامعها. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٩٣ هـ (١١٩٦ - ١١٩٧ م).

٢- كان أبو الحَسنِ الجَيّانيُّ من المشتغلين بالصَنْعة أو الكيمياء القديمة، أي مُحاولةِ قَلْبِ المعادنِ الخَسيسةِ (كالرَصاص والنُحاس) معادنَ شريفةً (كالفِضّة والذهب). وكان إلى جانب ذلك أديباً شاعراً حتّى سَمَّوْهُ «شاعرَ الحُكماءِ وحكيمَ الشعراء». وله شعرٌ في الكيمياء عليه شيءٌ من الطلاوة. وقد قيل فيه: إنْ لم يُعَلِّمْكَ صِناعةَ الذهب علّمك صِناعة الأدب. ويُنْسَبُ إليه كتاب «شُذورِ الذهب» (وهو ديوانُ شعرٍ في الكلام على الكيمياء مرتّب على الحروف).

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي الحسن الجيّانيّ قصيدةٌ على الطاء ذاتُ ثلاثةِ مظاهرَ: ظاهرُها غزَلٌ، وهي مسوقة في ألفاظٍ مأخوذةٍ من حياة موسى عليه السلام ورسالته، ومن التصوف. أمّا باطنُها فكلامٌ على الكيمياء. منها:

بزيتونةِ الذّهْبِ المُباركةِ الوُسْطى غَنِينا فلم نُبْدِلْ بها الأثْلَ والخَمْطا[١].
صَفَوْنا فآنَسْنا من الطُّورِ نارَها تُشَبُّ لنا وَهْناً ونحن بذي الأرطى[٢].
فلمّا أتَيْناها وقَرّبَ صَبْرُنا
على السيرِ، مِنْ بُعدِ المسافة، ما أبطا -[٣]
نُحاوِلُ منها جَذْوَةً ما يَنالُها
من الناس من لا يَعْرفُ القَبْضَ والبَسْطا -[٤]
هَبَطْنا من الوادي المُقدّس شاطئاً
إلى الجانبِ الغربيّ نَمْتَثِلُ الشَّرْطا...[٥].
وليّنةِ الأعطافِ قاسيةِ الحَشا إذا نَفَثَتْ في الصخرِ تَصْدَعُهُ هَبْطا[٦]،
كأنّ عليها من زَخارفِ جِلدِها رداءً من الوَشْيِ المُفَوّفِ أو مِرْطا[٧].

---

(١) زيتونة الخ: كناية عن مصدر المعرفة (أو الكيمياء). غنينا: استغنينا، أصبحنا أغنياء. الأثل والخمط: نوعان من الشجر (المقصود: لا نقبل شيئاً آخر بديلاً من الزيتونة).

(٢) وَهْناً: نصف الليل. ذات الأرطى: اسم مكان. الأرطى جمع أرطاة (شجرة، نوع من الشجر). أرطة: حصن في الأندلس. الطور: جبل في سيناء صعد عليه موسى بعد أن رأى قربه ناراً (المقصود: لمّا صفت نفوسنا وأخلصنا للعلم، للكيمياء، عرفنا كلّ شيء من مصدره ونحن مقيمون في مكاننا).

(٣) لمّا صبرنا على الجد والتعب (مع طول الزمان الذي نحتاج إليه)...

(٤) نريد أن نحصل على جذوة (قطعة جمر)، أي شيء من المعرفة. لا ينالها: لا يحصل عليها. البسط والقبض من ألفاظ الصوفيّة (من أحوال القرب من الله).

(٥) الوادي المقدّس: مكان كان فيه موسى. نمتثل الشرط: نعمل بما اشترط الله علينا (خلعنا النعلين لأنّنا في مكان مقدّس): تركنا جميع أمور الدنيا وراءنا. (راجع في القرآن الكريم ٢٠: ١٢ سورة طه (« إني أنا ربّك فاخلع نعليك إنك بالوادِ المقدس طوى »).

(٦) العطف (بكسر العين) جانب الجسم. الحشا: القلب. صَدَعَ: شقّق. الهبط: التشقّق (ظاهر الكلام على فتاة، والمقصود السائل الكيماوي الذي تعالج به المعادن).

(٧) الزخرف: الزينة. الوشي: التزيين النافر. المفوّف: الكثير الألوان. المرط: الثوب من الحرير.

توصّـلَ إبليسٌ بهـا في هُبوطـه إلى الأرض من عَدْنِ ففارقها سُخْطا[1].
أَمَتُّ بها حَيًّا وسوّدتُ أبْيَضاً، وأسرفتُ في قَلْعِ السواد فما أبطـا[2].
وأحْيَيْــتُ تلــك الأرضَ من بعــدِ مَوتِهــا
بِرِيٍّ، وكانــت تشتكي الجَــدْبَ والقَحْطا[3].
كــأنّ العيونَ الثابتــاتِ بخَصْرِهــا
عَقَــدْنَ نِطاقــاً أو عــلى جيدهــا سِمطـا[4].
كأنّ من البدرِ المُنـير مَشابِهـاً، ومن أنْجُمِ الجَوزاءِ في أُذْنِها قُرْطا[5]
ظَفِرتُ بهـا بالنفسِ من جِسْمِ أُمِّها كما ظَفِرَتْ بالقلب في صَدْرِهِ لَقْطـا[6].
وأرضَعْتُهـا بالــدَرّ من ثَــدْيِ بِنْتِهــا
فعاشتْ، وكانــت قبــلُ ماتــتْ بــه غَبْطـا[7].
فحلّتْ بهِ روحُ الحياة كأنّما مَزَجْتُ لها في ذلك الدُّرّ إسْفَنْطا[8].
وصَيّرتُها بِنْتاً، وصَيّرتُ بِنْتَها لها مُرْضِعاً. فاْعجَبْ لمُرْضِعَةٍ شمطا[9]!
فحالَتْ هناك البِنْتُ والأمُّ فِضّةً فتًى لم يزاحِمْهُ العِذارُ ولا خطّا[10].

---

(١) عدن: الجنّة. هذه اللّيّنة الأعطاف (الكيمياء، راجع البيتين السابقين) تستطيع فعل كلّ شيء. استخدمها إبليس حتّى نزل من الجنّة إلى الأرض ثمّ أبغضها (لأنّه استخدمها في غير وجهها وأراد أن ينفع نفسه فأضرّ بنفسه).

(٢) أنا أيضاً فعلت بها أشياء: أحييت ميّتاً (جعلت الرصاص الميّت: الرخيص الخسيس الذي لا قدر له) فضّة حيّة (ثمينة شريفة)، وجعلت الأشياء السُّود بيضاً والأشياء البيض سوداً (كلّ شيء).

(٣) تلك الأرض: المعدن الخسيس (كالرصاص والنحاس). الرِّي: الإسقاء (المعالجة بالماء).

(٤) إنّ عيون المعجبين (بضمّ الميم وفتح الجيم) ثبتت (في النظر إلى خصرها النحيل) حتّى كأنّ تلك العيون قد أصبحت سمطاً (خيطاً فيه حبّات من اللؤلؤ: كناية عن العيون) أو حول جيدها (مكان العقد من عنقها).

(٥) السائل الكيماوي (الذي يقلب المعادن الخسيسة فيجعلها شريفة): جميلة فيها أشياء تشبه البدر...

(٦ - ١٠) يصف الشاعر هنا طريقة العمل بالكيمياء: يأخذ المعدن (الشريف) فيستخرج روحه منه (يستخرج أكسير الذهب من الذهب، فكأنّ الذهب أمٌّ وأكسير الذهب بنت ولدت منه). والذهب إذا أخذنا منه الأكسير لا يبقى ذهباً بل يصبح معدناً خسيساً. أعود حينئذ إلى ذلك المعدن الذي مات (وإلى أمثاله من المعادن كالرصاص والنحاس والخارصين والجبس) فأرضعه (أسقيه) من هذا الأكسير فيصبح حيًّا (ذهباً).

لـه منظرٌ كالشمس يُعطي ضِياؤه؛ وليس كمثلِ البدرِ يأخذُ ما أعطى[١] .

فهذا الذي أعيا الأنامَ فأضْمَروا لِمَنْ وَضَعَ الأرمازَ في علمهِ سخطا[٢] .

وهذا هو الكَنْزُ الذي وَضَعوا له بَرابِيَ أخميمٍ وخَصّوا بها قِفْطا[٣] .

وتخليصُــه سهــلٌ بغـيرِ مَشَقّـةٍ لمن عَرَفَ التطهيرَ والعَقْدَ والخلطا[٤] .

أبـا جعفرٍ، خُذْهـا إليـك يتيمةً تَورّعَ لوقـا أن يُوَرِّثَها قُسْطا[٥] .

ولكنّــني لَمّــا رأيـتُكَ أهلَهــا سَمَحْتُ بها لفظاً وأثْبَتُّها خطّا .

٤ - ★★ فوات الوفيات ٢ : ١١٤ - ١١٦ ؛ نفح الطيب ٣ : ٦٠٥ - ٦٠٦ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٧٨ (٢٦).

أبو مدين

١ - هو شيخُ الشيوخِ الغَوْثُ أبو مَدْيَنٍ شُعيبُ بنُ الحسنِ الأنصاريُّ الأندلسيُّ المَغْربيّ التِلِمْسانيُّ، أصلُه من الأندلس من حُصْنِ مَنتوجةَ قُرْبَ إشبيلية.

وُلِدَ أبو مَدْيَنٍ نحوَ سَنَةِ ٥١٥ هـ (١١٢١ - ١١٢٢ م). ويبدو أنّه غادَرَ الأندلسَ باكراً إلى المَغْرب ونَزَلَ في فاس فأخَذَ العِلْمَ فيها عن أبي يَعْزّى وعن أبي الحسنِ بن

(١) الشمس في اصطلاح علماء الكيمياء : الذهب. البدر: الفضّة. - يقصد أن الفضّة أسرع إلى أن تصبح ذهباً من جميع المعادن الأخرى. ويجوز في الشرح اللغوي يقصد أن له - لمعدن الذهب - ضياءه الذي ينبع منه؛ وهو ليس كالفضة، التي تشبه البدر الذي يكون نوره من الضياء الذي استمده من غيره.

(٢) الأرماز، يقصد الرموز جمع رمز. أعيا: أتعب. - علماء الكيمياء تكلّموا على صنعتهم بالرموز فلم يفهمها الناس العاديّون فكرهوا أولئك العلماء.

(٣) هذا الكنز (الكيمياء) وضعوا (بَنَوْا) له برابي (أهرام) إخميم (بكسر الهمزة) بلد في مصر أو هي مصر. قفط: بلد في صعيد مصر.

(٤) تخليصه: تخليص الأكسير من المعدن. التطهير (التصفية، التنقية) العقد (التجميد) الخلط (المزج بمقادير صحيحة) من ألفاظ الكيمياء.

(٥) أبا جعفر: يا أبا جعفر (ينادي رجلًا لعلّه صديقه الذي كتب إليه بهذه القصيدة). تورّع: خاف، تردّد. قسطا بن لوقا: رجل كان في الدولة العبّاسية ينقل الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية. تورّع لوقا أنْ يورّثها قسطا: خاف لوقا أن يكشف سرّ الكيمياء لابنه (يضنّ بها كلّ إنسان على غيره حتّى على ابنه).

حِرْزِهم وأبي الحسنِ بن غالبٍ، ثمّ أخذَ في تِلِمْسانَ عن نفرٍ كثيرين من العلماء. وذَهَبَ أبو مدينٍ إلى الحجّ فَلَقِيَ في مكّةَ عبدَ القادرِ الجيلانيَّ (٤٧١ - ٥٦١ هـ) وأخذ عنه طريقتَهُ فألْبَسَهُ عبدُ القادر الجيلانيُّ الخِرْقَةَ (دَلالةً على أنّه أصبحَ شَيْخاً من شيوخ الصوفية).

عادَ أبو مدينٍ إلى المغرب واستَوْطَنَ بِجايةَ وكانَ يُدرِّسُ في زاوية الفقيه أبي زكريا الزَواويِّ. فكَثُرَ أتباعه كَثْرَةً أخافَت المنصورَ الموحِّديَّ فاستدعاه إلى مَرّاكُش (كي يُبْعِدَه عن مركز نشاطهِ ويجعَلَه في نِطاقِ رَقابته). وقد تُوُفِّيَ أبو مدينٍ في أثناء رِحلته إلى مَرّاكُش عند وادي يُسْرٍ، فَحُمِلَ إلى تِلِمْسانَ ودُفِنَ في جبَلِ العُبّاد على مقربة منها، سَنَةَ ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م).

٢ - كان أبو مدينٍ من المتصوّفة الذين جَمَعوا بينَ الشريعةِ والحقيقة، ومن حُفّاظ الحديثِ ومن المُعْجَبين بكتاب «إحياء علوم الدين» للغزّالي (ت ٥٠٥ هـ). وكان فقيهاً يُفتي على مذهبِ مالكٍ. ولكنْ كان فيه تطرّفٌ: اعتقدَ في نفسه أنّه رأسُ السَبْعةِ الأبدالِ (بعدَ الأربعةِ الأقطاب) ثمّ تَخَيّلَ أنّه وَقَفَ بين يَدَيِ اللهِ وخاطبه. وله شعرٌ ونثرٌ في الحِكَم. وله، ممّا يصحّ أن يسمّى كُتباً: بِدايةُ المُريدينَ - أُنْس الوحيدِ ونُزهة المُريد.

٣ - مختارات من آثاره:

- من أقوال أبي مَدْين (عنوان الدراية ٦٢ وما بعد):

من رأيْتَهُ يدّعي حالًا لا يكونُ على ظاهرِهِ منه[١] شاهدٌ فاحْذَرْهُ - لا يصلُحُ سَماعُ هذا العلمِ[٢] إلّا لِمَنْ جُمِعَتْ له أربعةٌ: الزُهدُ والعلمُ والتوكُّلُ واليقين[٣] - من تعلّق

(١) ظاهره (ظاهر المدّعي: الإنسان المتصوّف) - منه (من الحال). والحال (مؤنّثة) هي جوّ نفساني يحيط بالصوفي وهو ينتقل في المقامات (للاقتراب من الله).

(٢) العلم: علم التصوّف. (علم حقائق الأمور).

(٣) العلم: العلم الديني (أو الكوني أيضاً). اليقين (الثقة بالله وحده).

بدَعْوى الأماني لم يفارقِ التَّواني[1]- جعَلَ اللهُ قلوبَ أهل الدنيا مَحَلًّا للغَفْلة والوَسْواس وقلوبَ العارفين محلًّا للذِكْرِ والاستئناس[2]- الفَتْرة هي الاشتغالُ بالخَلْق عن الخالق[3]- من أهْمَلَ الفرائض فقد ضيّع نفْسَه- من عَرَفَ نفسه لم يَغْتَرَّ بثناءِ الناس عليه- احْذَرِ المُبْتدعين فهو أبقى على دينِك، واحذرْ مَحبّةَ النساء فهو أبقى على قَلْبك.

- ومن نفح الطيب (٧: ١٣٩ وما بعد):

مَقامي العُبوديّةُ، وعلومي الأُلوهيّة، وصِفاتي مُستَمدّةٌ من الصِفات الربّانية: مَلأَتْ علومُه سِرّيَ وجَهْرِيَ وأضاء بنورِه برّيَ وبَحْري. فالمُقرَّب مَنْ كان بهِ عليماً، ولا يَسْمو إلّا مَنْ أُوتِيَ قلباً سليماً... يَسْلَمُ ممّا سِواه، ولا يكونُ (فيه) إلّا ما جعَلَهُ مولاه[4].

- وله نظم كثيرٌ مشهورٌ بأيدي الناس. وممّا يُنْسَبُ إليه قولُه (نفح الطيب ٧: ١٤٣ - ١٤٤) يذكُرُ مظاهرَ الطَبيعةِ بألفاظِها المألوفة ثمّ يذكُرُ ما يدلّ عليه باطِنُها:

بكتِ السَحابُ فأضْحَكَتْ لِبُكائها ... زَهْرَ الرِياضِ وفاضتِ الأنهارُ.
وأتى الربيعُ بخَيْلِه وجُنودِهِ ... فتَمَتَّعَتْ في حُسْنِه الأبصار.
والوردُ نادى بالوُرود إلى الجَنى ... فتَسابقَ الأطيارُ والأشجار[5].
والكأسُ ترقُصُ والعُقارُ تَشَعْشَعَتْ ... والجوُّ يضحَكُ والحبيب يُزار[6].
والعودُ للغِيدِ الحِسانِ مُجاوِبٌ، ... والطار أخْفى صوتَه المِزْمار[7].

---

(١) التواني: الكسل، فتور الهمّة.

(٢) الوسواس: اختلاط الأفكار وتوهّم المحاذير. العارف: الصوفي الذي بلغ درجة القرب من الله. الذِكْر (جمعها: أذكار): ترديد جمل فيها تعبير عن قدرة الله (في التصوّف: استحضار الله في القلب). الاستئناس: الاطمئنان إلى الحضور مع الله.

(٣) الفترة: انقطاع المتصوّف عن الذكر. الخلق: المخلوق، مجموع المخلوقات. الخالق: الله.

(٤) ... لا يكون في القلب إلّا ما وضعه الله فيه.

(٥) الورود (مصدر): المجيء إلى الماء. الجنى: قطف الثمر.

(٦) العقار: الخمر. تشعشعت: مزجت بالماء (هنا: ظهر بريقها).

(٧) الطار: نوع من الدفّ (بضمّ الدال أو فتحها) يكون له وجه واحد (بخلاف الطبل الذي له وجهان).

لا تحسَبوا الزَمْرَ الحَرامَ مُرادَنا؛ مِزْمارُنـا التسبيـحُ والأذْكـارُ.
وشَرابُنـا مِنْ لُطْفِـه، وغِناؤنا، نِعْمَ الحبيـبُ الواحـدُ القهّـارُ.
والعُود عـاداتُ الجميـلِ، وكأْسُنا كـأسُ الكِياسةِ، والعُقار وَقـارُ.

٤ - ★★ أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد (شرحها شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الملقّب باعشن في كتاب له سمّاه: البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد، مصر ١٢٩٧، ١٣٠٠، ١٣٠٦ هـ).
تعريف الخلف ٢: ١٧٢ - ١٧٨؛ عنوان الدراية ٥٥ - ٦٥؛ نيل الابتهاج ١٢٧ - ١٢٩؛ نفح الطيب ٥: ٣١٧، ٧: ١٣٦ - ١٤٤؛ شذرات الذهب ٤: ٣٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٧ - ١٣٨؛ بروكلمان ١: ٥٦٧ - ٥٦٨، الملحق ١: ٧٨٤ - ٧٨٥؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٤٤ (١٦٦)؛ ابن قنفذ ٢٩٧ - ٣٩٧؛ سركيس ٣٤٥.

ابن صاحب الصلاة

١ - هو أبو مروانَ (وأبو محمّدٍ) عبدُ الملكِ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ إبراهيمَ الباجيُّ المعروفُ بابنِ صاحبِ الصَلاة، ولعلَّ مَوْلِدَه كان في سَنَةِ ٥٣٧ هـ (١١٤٢ - ١١٤٣ م) في باجة[١].

تَقَلَّبَ ابنُ صاحبِ الصَلاةِ بينَ المَغْرِبِ والأندلسِ كثيراً؛ كان في قَرَمونةَ، في مطلعِ سَنَةِ ٥٥٧ هـ (آخر ١١٦١ م). ثمّ قوِيَتْ صِلَتُه بالموحِّدين فرأيناه في السَنَةِ نفسِها في قُرْطُبَةَ، ثمّ انتقلَ إلى المَغْرِب فزارَ سبتةَ وفاسَ ثمّ كان في مرّاكُش في غُرّةِ رَجَبَ من سَنَةِ ٥٦٠ (١٤/ ٥/ ١١٦٥ م). وأقام في مرّاكُش مدّةً.

ثمّ إنّه عادَ إلى الأنْدَلُسِ سَنَةَ ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) وسكن إشْبِيلِيَةَ، ولذلك أصبحَ يُعْرَفُ بالإشبيليّ أيضاً. وبعدَ عامينِ رَجَعَ إلى مَرّاكُش ولكنَّه عاد وَشيكاً إلى

(١) باجة قرب إشبيلية في الأندلس. وصاحب الصلاة منصب حدث في المغرب والأندلس في القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) - ومعناه الإمام الذي يؤمّ الناس في صلاتهم.

الأندلس. ولعلّ وفاتَه كانت بُعيد سَنَةِ ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م) وفي إشْبيليةَ في الأغلب.

٢ - لابنِ صاحبِ الصَلاةِ كتابانِ: « ثورةُ المُريدين »[١] و « المَنُّ بالإمامة »[٢]. ولا يُعْرَفُ اليومَ إلّا الجزءُ الثاني من « المَنِّ بالإمامة ». وعُرِفَتْ له أيضاً قِطعتانِ من الشِعر.

كتابُ « المنّ بالإمامة » يتناولُ تاريخَ الدولة الموحِّدية، وفيه جوانبُ سياسيةٌ وجوانبُ إدارية (وصفٌ لعدد من وُجوهِ الإدارة) وجوانبُ اجتماعيةٌ (دينية واقتصادية) وأدبيةٌ لكَثْرة ما فيه من الرسائل الديوانية[٣] ومن الشِعر خاصّة. ويَغْلبُ على ابنِ صاحبِ الصَلاةِ في كتابهِ هذا التَقَرُّبُ إلى الموحِّدين. وأُسْلوبُ المؤلّفِ يتنقّل بينَ السَرْدِ العاديّ ومحاولةِ التأنّق (باللُجوء إلى المُوازنة والسَجْع) من غيرِ بَراعةٍ خاصّة.

٣ - مختارات من آثاره:

- ذِكْرُ عُبورِ محمّدِ بنِ عبدِ المؤمنِ البحرَ من سَبْتَةَ إلى جبل طارق[٤] (ص ١٤٧):

قال المؤلّفُ: ولمّا أنارتِ الآفاق بالعُدوة[٥] والأندلس بالبشائرِ الواصلة بقُرْبِ

---

(١) كان أبو العبّاس أحمد بن قسي من المولّدين (في الأندلس: المسلمين من الأسبان). ويبدو أنّه كان يُبطن عداءً للإسلام (كعمر بن حفصون وغيره) فجمع حوله طائفة من الناس يتظاهر أمامهم بشيء من التعبّد والتصوّف فكانوا له أتباعاً (مريدين: بلغة أهل التصوّف) ثمّ دفعهم إلى إثارة الفتنة وقتال الدولة المسلمة.

(٢) الاسم الكامل لهذا الكتاب: « تاريخ المَنِّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمّة وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحِّدين على الملثّمين وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين » (ظهور: انتصار. المهدي: هو المهدي بن تومرت صاحب دعوة الموحّدين. الملثّمون: المرابطون، أصحاب الدولة الذين كانوا قبل الموحِّدين. المقصود بأمير المؤمنين هنا: عبد المؤمن بن عليّ أول سلاطين الموحّدين. آخر الخلفاء الراشدين: الذي سلك مسلك الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ في التقوى والعدل).

(٣) الرسائل الديوانية: الرسمية (وكان له أسلوب خاص أنيق من استخدام أوجه البلاغة).

(٤) سبتة في إفريقية وجبل طارق في أوروبة وبينهما بحر الزقاق (مضيق جبل طارق). =

الخليفة في الإياب من المسير، على أوفى الظفر والتيسير، أنفذَ السيّدُ الأجلّ الأعلى أبو يعقوبَ[١] عزمَه الأوّلَ بالإسراعِ والوَخْدِ والزَميل[٢] لبركة اللقاء والاجتماع، واستناب بإشبيلية من طَلبةِ[٣] الموحّدين - أعانهم الله - من يَنوب مَنابَه في مُحاربة أهلِ قَرمونةَ الأشقياءِ أصحابِ ابن هَمُشْك[٤]....

- وُصولُ خبرِ الانتصار على ابنِ مردانيشَ[٥] إلى مَرّاكُش (ص ٢٧٥):

ومن عجائبِ الفال قال المؤلّف: كُنتُ صبيحةَ يوم الأحدِ الذي وَصَلَتْ فيه هذه البُشرى الفاتحةُ قد بَكّرتُ على العادة، إلى مُنْتيقمّي[٦] دارِ الخليفةِ رَضِيَ اللهُ عنه، جالساً مَعَ طلبةِ الحَضْر[٧] وأشياخِ أهلِ الأندلس نتطلّعُ إلى الأخبار وقد بَعُدَ زمانُها وتوقّف الواصلين[٨] بها، إذ رأيتُ قِطًّا على سقف دارِ الخليفةِ يمشي وفي فَمِهِ فَرْخُ حمامٍ قدِ افترسه، فقلتُ لمن كان معي مِنْ أشياخِ أهل الأندلس: اللهُ أكْبَرُ؟ هُزِمَ، واللهِ، ابنُ مَرْدانيشَ! فقالوا لي: بِمَ تقولُ هذا؟ فقلتُ لهم: هذا القِطُّ شِبْهُ الأسد، والأسد عُدْويّ[٩] والحمام عَجَميّ. فقد غَلَبَتِ الموحِّدون العَجَمَ وافترسوهم كافتراسِ هذا القطِّ الفَرْخَ!

= (٥) العدوة (بضمّ العين وكسرها): جانب الوادي. وهنا: الشاطىء الإفريقي من المغرب.

(١) أبو يعقوب: يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ كان والياً على إشبيلية (ثمّ أصبح سلطان الموحِّدين بعد وفاة أبيه).

(٢) الوخد والزميل: الإسراع في المشي، الركض.

(٣) طلبة الموحّدين: أتباع الموحدين (؟).

(٤) هو إبراهيم بن أحمد، صهر ابن مردانيش (انظر، فوق، ص ٤٣٩) من المولّدين أيضاً ثار على الموحِّدين، ثمّ تغلّب الموحِّدون عليه وأسروه ونقلوه إلى المغرب فمات سنة ٥٧٢ هـ(١١٧٦ م) في مكناسة (في الجزائر اليوم).

(٥) ابن مردانيش (مردنيش) هو محمّد بن سعد من المولّدين، كما يدلّ عليه اسمه، استعان بالاسبان وثار على الموحِّدين. حاصره الموحِّدون في مُرْسية (الأندلس) فمات في أثناء الحصار، سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١) في أيام يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ.

(٦) منتيقمّي كلمة بربرية تطلق على «سقيفة» تكون في أعلى القصر (من خصائص العمارة المغربية).

(٧) طلبة الحضر:

(٨) كذا في الأصل. وتوقّف الواصلون بها: انقطعت (الأخبار) مدّة.

(٩) العدويّ (نسبة إلى العدوة): الجانب (الآخر: كناية عن الجانب الافريقي - موطن الموحّدين). - الأسد من وحوش افريقية وليس من أرض الأندلس.

فما كان (إلّا) مِقدارُ ما أكْمَلْنا الكلامَ في هذا الفال، (حتى) دخل الفُرسانُ القادمون بالبُشرى في الحينِ بخَيْلِهم في مُنْتِيقِمّي - وبأيدِيهم علاماتُ ابنِ مردانيشَ مستورةً - على غير عِلْمٍ ولا مُقَدَّمَةٍ من وُصولِهم. فَفَزِعَ الناسُ أوّلاً لدُخولهم بغيرِ مقدّمةٍ ولا إذْنٍ. ثمّ عَلِموا من صحيح صِياحِهم أنّها بُشْرى بالفَتح. فقام التكبيرُ والتهليل وضُرِبتِ الطُبول واتّصلَ السرور...

٤ - تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين.... (استخرجه عبد الهادي التازي)، بيروت (دار الأندلس) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.

★★ التكملة ٦٢٠ (رقم ١٧٢٦)؛ الحلّة السيراء (ذُكِر ذكراً عارِضاً ٢ : ١٥٤ الخ) المقتضب ٦٨ - ٦٩؛ نفح الطيب (ذُكِرَ عَرَضاً ٢ : ٥٣٣)؛ بروكلمان، الملحق ١ : ٥٥٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٢٤ - ٩٢٥؛ الأعلام للزركلي (٤ : ١٦٤)؛ بالنثيا ٢٤٢.

ابن رشد

١ - هو أبو الوليدِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بن أحمدَ بن رُشْدٍ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٢٠ (١١٢٦ م) في بيتِ علمٍ وجاهٍ. واتصل ابنُ رُشْدٍ بِبَلاطِ الموحِّدين ونالَ حُظوةً فيه. وفي سَنَةِ ٥٦٥ أصبحَ قاضيَ قُرْطُبَةَ. ولَمّا أرادَ ابنُ طفيلٍ أن يعتزلَ التطبيبَ في بَلاطِ الموحِّدين (٥٧٨ هـ) خلَفه فيه ابنُ رشدٍ بتَوْصِيَةٍ من ابنِ طفيلٍ نفسِه.

ولَقِيَ ابنُ رُشْدٍ من عوامِّ الناسِ اَضطهاداً شديداً بسبب آرائه الفلسفية، فاضطُرَّ إلى أن يعيش مُدّةً في عُزلة عن الناس. وكانتْ وفاتُه في مَرّاكُش، في تاسعِ صَفَرَ من سَنَةِ ٥٩٥ (١١ - ١٢ - ١١٩٢ م).

٢ - ابنُ رُشْدٍ أكبرُ فلاسفةِ الإسلامِ وأكبرُ الفلاسفةِ كُلِّهِمْ في العصورِ الوُسْطى وأعظَمُهم أثراً في التفكير الأوروبي الوسيط. وكانتْ عبقريةُ ابنِ رُشدٍ تتجلّى في أنه نَظَرَ إلى الدين مِنْ جانبِهِ الغَيْبيِّ ومن جانبِهِ الاجتماعيِّ معاً، وفي أنه أرادَ أنْ يُثَبِّطَ العامةَ عن التوسُّع في الجانب الأولِ (وهو جانبٌ نظريٌّ في الأكثر) للاهتمام بالجانب الثاني (وَهُوَ الجانبُ العَمَلي في الحياة الإنسانية).

ولابن رُشْدٍ شيءٌ من النقد الأدبي وشيءٌ من النظم.

كان لمعرفةِ ابنِ رشدٍ بكتابِ السِياسة لأفلاطونَ (وَهُوَ الكتابُ المعروفُ عندَ نَفَرٍ من المتأدّبين بجمهورية أفلاطون) وبكتابِ الشِعر لأرسطو أثرٌ في اتجاهِ ابنِ رشدٍ في النَقْد الأدبيّ. ومَعَ أنّ مِعيارَ النقدِ اليوناني مختلفٌ من مِعيار النقد العربيّ (لاختلافِ فنونِ الشعر وموضوعاتِهِ بين اللغتين قليلًا أو كثيراً، ولاختلاف الثقافة والمُثُلِ العُليا لدى العرب واليونان)، فإن ابنَ رُشْدٍ أرادَ أن يستفيدَ من آراء الفيلسوفينِ اليونانيين العَظيمين في الحُكمِ على الشِعر العربيّ. وابنُ رشدٍ لم يتقيدْ بتفاصيلِ آراءِ الفيلسوفين العَظيمين، وذلك راجعٌ إلى خِطة ابنِ رشدٍ في شَرْحِ كتبِ أرسطو (إذ كان يتّخذُ الشرحَ لتلك الكتبِ - في بعضِ الأحيانِ - وسيلةً إلى إبداءِ رأيه هو). في هذا المُنْحنى فَصّلَ الكلامَ على التشبيه والكِناية كما أَلِفَها العرب.

وابنُ رُشْدٍ يَنَهى عن تأديبِ الوُلْدانِ بأشعارِ الغَزَل ثمّ يحضّ على تأديبهم بالأشعارِ التي تَحُثُّ على الشجاعةِ والكرم (وهذا مُوافق لرأيِ ابنِ سينا في تربيةِ الولدان).

٣ - مختارات من آثاره:

- من مَطْلَعِ كِتاب «فَصْلِ المَقال وتقريرِ ما بينَ الشريعة والحِكمة[١] من الاتّصال»:

.... إنّ الغَرَضَ من هذا القَوْلِ أنْ نفحَصَ - على جِهةِ النَظَرِ الشرعيّ - هل النَظَرُ في الفلسفةِ وعلومِ المَنْطِقِ مُباحٌ في الشرعِ، أمْ مَحْظورٌ، أم مأمورٌ بهِ، إمّا على جِهَةِ النَدْبِ وإمّا على جهة الوُجوب[٢]؟ فنقولُ: إنّ فعلَ الفَلسَفة ليسَ شيئاً أكثرَ من النَظَرِ في الموجوداتِ واعتبارِها من جِهَةِ دَلالَتها على الصانع، - أَعْني مِنْ جِهَةِ ما هي مصنوعاتٌ - فإنّ الموجوداتِ إنّما تَدُلُّ على الصانع لمعرفةِ صُنْعها[٣]. وإنّه كُلّما كانتِ المعرفةُ بصَنْعَتِها أتَمَّ، كانتِ المعرفةُ بالصانعِ أتَمَّ.

---

(١) الحكمة: الفلسفة، التفكير بالعقل.

(٢) الوجوب: الفرض، الإلزام.

(٣) إذا كان الإنسان نجارًا مثلاً فإنه يستطيع أن يحكم حكماً أكثر عدلاً في اتقان أثاث المنزل وقيمته.

فأمّا أنّ الشرعَ دَعا إلى اعتبارِ الموجوداتِ بالعَقْلِ وتطلُّبِ معرفتها به، فذلك بَيِّنٌ في غيرِ ما آيةٍ من كتابِ اللهِ تباركَ وتعالى، مِثْلَ قولهِ: «فاعْتَبِروا، يا أُولي الأبصارِ»[1]. وهذا نَصٌّ على وُجوبِ استعمالِ القِياس العقلي، أو العقليِّ والشرعيِّ معاً...

– من كتاب «تهافت التهافت»:

والقديمُ أيضاً يُقالُ على ما هُوَ قديمٌ بذاتِه و(على) ما هو قديمٌ بغيرِه[2]. وكذلك الفاعلُ أيضاً: منه ما يفعَلُ بإرادتِه، ومنه ما يفعل بطَبيعته[3] (ص ١٦)..... والقومُ (الفلاسفةُ) لمّا أدّاهُمُ البرهانُ إلى أنَّ ههنا مُحَرِّكاً أزَلِيًّا لَيْسَ لوجودِه ابتداءٌ ولا انتهاءٌ – وأنَّ فعله يَجِبُ أنْ يكونَ غيرَ مُتَراخٍ عن وُجودِه[4] – لَزِمَ ألّا يكونَ لفعله مبدأ كالحالِ في وُجوده، وإلّا لكانَ فِعلُهُ مُمْكِناً لا ضَروريًّا[5]. فيجب أن تكونَ أفعالُ الفاعلِ الذي لا مبدأ لوجودِه ليسَ لها مبدأٌ كالحالِ في وُجوده (ص ٢٠).....

– وقال ابن رُشْدٍ في العِشق والأدبِ الوقورِ (المغرب ١: ١٠٤ – ١٠٥):

ما العشقُ شأني، ولكنْ لستُ أُنْكِرُهُ. كم حَلّ عُقدةَ سُلواني تَذَكُّرُهُ[6]!
مَنْ لي بغَضِّ جُفوني عن مُخَبِّرَةِ الـ ـأجفانِ قدأظْهَرَتْ مالستُأُضْمِره[7].

---

(١) القرآن الكريم.... (٥٩: ٢، سورة الحشر).

(٢) القديم بذاته (ما ليس لوجوده سبب): الله. القديم بغيره (ما كان الله سبباً لوجوده): مجموع العالم.

(٣) ما يفعل بإرادته: الإنسان (يريد أحياناً أن يفعل شيئاً ولا يريد أحياناً أخرى أن يفعله). ما يفعل بطبيعته: العوامل الطبيعية كالنار والماء والسكين فإنها تحرق الاشياء القابلة للاحتراق أو تبلّل الأشياء القابلة للبلل أو تقطع الأشياء بلا شذوذ ولا توقف.

(٤) غير متراخٍ عن وجوده: ليس ثمّة زمن فاصل بين وجوده هو وفعله (إن العالم فعلٌ لله – من خلق الله – والله سبب وجود العالم. فالعالم بهذا النظر غير متأخِّر في الوجود عن وجود الله نفسه).

(٥) الفعل الممكن (ما يفعله صاحبه إذا شاء ويتركه إذا شاء: أفعال البشر عامّة). الضروري: ما ليس للكائن خيار في فعله: كإحراق النار لشيء من الخشب مثلاً يُلقى فيها أو كشعور الإنسان بالحر أو البرد في مكان كثير البرد أو كثير الحر.

(٦) ذكرى الحب (منذ أيام الشباب) تلحّ عليّ فلا أستطيع أن أنسى أنني إنسان يشعر ويحبّ.

(٧) لو كتم الإنسان حبه (بالسكوت أو بقلة التظاهر) فإن عيونه (ونظراته) تدلّ على ميله إلى الجمال.

لولا النُهى لأطْعَتُ اللحظَ ثانيةً فيمَنْ يَرُدُّ سَنا الألحاظِ مَنْظَره[١].
ما لابنِ ستّينَ قادَتْهُ لغايتهِ عَشْرِيَّةٌ فنأى عنه تَصَبُّره[٢].
قد كان رَضْوى وَقاراً، فَهْوَ سافيةٌ: الحسنُ يُورِدُه والهُونُ يُصْدِرُه[٣].

- من آخر «تهافت التهافت: (٥٨٤ - ٥٨٨):

.... إنّ الحكماء[٤] بأجمعِهم يرَوْنَ في الشرائع هذا الرأيَ، أعني: أن يُتَقَلَّدَ (من الأنبياء والواضعين مبادىءَ العملِ والسُنَنَ* المشروعة في مِلّةٍ مِلّة. والممدوحُ عندَهم مِنْ هذه الأعمالِ الضروريّةِ هو ما كان منها أحثَّ للجُمهورِ على الأعمال الفاضلة حتّى يكونَ الناشئون عليها أتَمَّ فضيلةً من الناشئين على غيرِها، مِثْلَ الصَلَواتِ عِندَنا[٥]، فإنّه لا يُشَكُّ في (أنّها) تَنْهَى عن الفحشاءِ والمُنكَر، كما قال تعالى[٦]. وإنّ الصلاةَ الموضوعةَ في هذه الشريعة فيها هذا الفعلُ أتَمُّ منه في سائرِ الصَلَوات الموضوعة في سائرِ الشرائع، وذلك بما شُرِطَ في عددِها وأوقاتها وأذْكارها وسائرِ ما شُرِطَ فيها من الطهارة ومن التُروك - أعني: تَرْكَ الأعمالِ المُفْسدةِ لها.

وكذلك الأمرُ فيما قيل في المَعادِ[٧] فيها هو أحثُّ على الأعمال الفاضلة مِمّا قيل في غيرها. ولذلك كان تمثيلُ المَعاد لهم[٨] بالأمور الجسمانية أفضلَ من تمثيلهِ بالأمورِ الروحانية، كما قال سُبحانَه[٩]: «مَثَلُ الجَنّة التي وُعِدَ المتّقون تجري من تحتها

(١) النهى: العقل. - قد تميل عيني إلى وجهٍ جميل ولكنّ عقلي ينهاني عن تكرار النظر، خوفاً من الوقوع فعلاً فيما لا يجوز (لابن ستين سنة).
(٢) عشرية: فتاة عمرها بضع وعشر سنين.
(٣) قد كنت وقوراً (كجبل رضوى) لا أميل إلى اللهو، والآن أصبحت خفيفاً مثل التراب الذي تسفيه (تنثره) الرّياح (في الجو): الجمال يجعلني أميل إلى صاحبه و(خوف) الهون (الذل واحتقار الناس) يصدرني (يردُّني، يرجعني - بفتح الياء وكسر الجيم) عن ذلك.
(٤) الحكماء: فلاسفة اليونان القدماء. (*) السنن معطوفة على مبادىء.
(٥) عندنا (في الإسلام).
(٦) «.... وأقم الصلاة، إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر....» (٢٩: ٤٥، العنكبوت).
(٧) المعاد: الحشر (البعث-يوم القيامة).
(٨) لهم (للناس).
(٩) ١٣: ٣٥، الرعد.

الأنهار ». وقال النبيّ عليه السلام: « فيها ما لا عينٌ رأتْ ولا أذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ قطّ ». وقال ابن عبّاس[1]: « ليس في الآخرةِ من الدنيا إلّا الأسماءُ ». فدلّـ (ت هذه الأقوال) على أن ذلك الوجودَ (الآتي) نشأةٌ أُخرى أعلى من هذا الوجودِ وطَوْرٌ آخرُ أفضلُ من هذا الطور...

وقد رأيتُ أن أقطعَ ههُنا القولَ في هذه الأشياءِ والاستغفارَ[2] من التكلّم فيها. ولولا ضَرورةُ طلبِ الحقّ مَعَ أهلِه... وهو، كما يقول جالينوسُ[3]: « رجلٌ واحدٌ من ألفٍ »- والتصدّي إلى أن يقولَ فيه من ليس من أهله[4] ما تكلّمتُ، عَلِمَ اللهُ بحَرْفٍ.

٤- تهافت التهافت، مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٩ هـ؛ مصر (البابي الحلبي) ١٣٢١ هـ؛ (موريس بويج)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٠ م.
- فلسفة ابن رشد (عنوان مجموع يضمّ ثلاث رسائل: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتّصال- الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيّفة والعقائد المضلّة- ذيل لفصل المقال... الخ) (نشرها مللر) مونيخ (فرانز) ١٨٥٩ م؛ مصر (المطبعة العلمية) ١٣١٣ هـ؛ مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٢٨ هـ؛ مصر (محمود علي صبيح- المكتبة المحمودية) بلا تاريخ. ثمّ « فصل المقال.... » (ليون غوتيه)، الجزائر (كاربوغيل) ١٩٤٨ م؛ (تحرير فضلو حوراني)، ليدن (بريل) ١٩٥٩ م؛ (نشرها ألبير نادر)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٦١ م.- مناهج الأدلّة.... (تقديم وتحقيق محمود قاسم)، القاهرة (مكتبة الانكلو المصرية) الطبعة الثانية ١٩٦٤ م.
- رسالة التوحيد والفلسفة (مولّلر)، مونيخ ١٨٧٥ م.

---

(١) عبد الله بن عبّاس (٣ قبل الهجرة- ٦٨ هـ) ابن عمّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم لازم (على صغر سنّه) الرسول وروى عنه الأحاديث الصحيحة، قيل فيه: ترجمان القرآن (لقدرته على تفسير القرآن)- وحبر (عالم) هذه الأمة (الإسلام).

(٢) وقد رأيت أن أقطع... والاستغفار...

(٣) جالينوس (نحو ١٣٠ - ٢٠٠ م) أشهر أطبّاء اليونان عند العرب برع في التشريح وكان قديراً في علاج المرضى، وله في الطبّ كتب كثيرة نقل جانب كبير منها إلى اللغة العربية.

(٤) ... ولولا ضرورة طلب الحقّ مع أهله (ولولا الخوف) من أن يتصدّى للكلام في ذلك من ليس من أهله.

- رسائل ابن رشد، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٧ م.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد (في الفقه)، فاس ١٣٢٧ هـ؛ الآستانة ١٣٣٣ هـ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٣٤ هـ؛ مصر (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٣٩ هـ.
- الكلّيات (في الطبّ) (تحرير ألفريد البستاني)، العرائش- المغرب (منشورات معهد فرانكو) (مطبعة الفنون) ١٩٣٩ م.
- رسائل ابن رشد (السماع الطبيعي- السماء والعالم- الكون والفساد- الآثار العلوية- كتاب النفس- ما بعد الطبيعة)، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٧ م.
- تلخيص كتاب النفس، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٠ م.
- تلخيص المقالة الأولى من كتاب الخطابة لأرسطو: في الشعر (لازينيو) فلورنسة ١٨٧٥ - ١٨٧٨ م.
- تفسير ما بعد الطبيعة لأرسطو (تحرير موريس بويج)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٨ م؛ الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.
- فنّ الشعر (لأرسطو) مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد (ترجمه عن اليونانية عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٣ م.
- تلخيص الخطابة لأرسطو (تحقيق محمّد سليم سالم)، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) ١٩٦٧ م.
- تلخيص السقسطة لأرسطو (تحقيق محمّد سليم سالم)، القاهرة (دار الكتاب والوثائق القومية- مركز تحقيق التراث) ١٩٧٢ م.
- كتاب النفس: الآراء الطبيعية المنسوبة إلى فلوطرخس- الحاسّ والمحسوس لابن رشد- النبات المنسوب إلى أرسطو (راجعها على أصولها اليونانية وشرحها وحقّقها عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٤ م.

★★- ابن رشد وفلسفته، تأليف فرح أنطون، الاسكندرية ١٩٠٣ م؛ بيروت ١٩٨١ م.
- ابن رشد الفيلسوف، تأليف محمّد يوسف موسى، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٥ م.
- ابن رشد (دراسة ومختارات)، تأليف يوحنّا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٩ م.
- ابن رشد، تأليف عبّاس محمود العقّاد، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٣ م.
- ابن رشد والرشديّة بقلم أرنست رينان (نقله إلى العربية عادل زعيتر)، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٥٧ م.
- ابن رشد فيلسوف العرب، تأليف عبده الحلو، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م.
- ابن رشد وفلسفته....، تأليف محمود قاسم، القاهرة (مكتبة الأنكلو المصرية) ١٩٦٩ م.
- في فلسفة ابن رشد: الوجود والخلود، تأليف محمّد عبد الرحمن بيصار، بيروت (دار

الكتاب اللبناني)، الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م.

بغية الملتمس ٤٤ (رقم ٣٩)؛ التكملة ١ : ٢٦٩؛ الذيل والتكملة ٦ : ٢١ - ٣١ (رقم ١٢٩)؛ المغرب ١ : ١٠٤ - ١٠٥؛ طبقات الأطباء ٢ : ٧٥؛ قضاة الأندلس للنباهي ١١١؛ المعجب ١٧٤ - ١٧٥، ٢٢٤ - ٢٢٥؛ الديباج المذهب ٢٨٤ - ٢٨٥؛ مقدّمة ابن خلدون (دار الكتاب اللبناني) ٢٣٦ - ٢٣٧؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٨ - ٢٩٩؛ شذرات الذهب ٤ : ٣٢٠؛ نفح الطيب ١ : ١٥٥، ٤٦٣، ٣ : ١٨٥ - ١٨٦، ١٩٢، راجع ١٨٠ - ١٨١، ٧ : ٨٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٠٩ - ٩٢٠؛ بروكلمن ١ : ٤٧٩ - ٤٨٠، الملحق ١ : ٦٦٢ (وفيه خلط بين أبي الوليد بن رشد الحفيد هذا وبين وجده أبي الوليد أحمد بن محمّد)، سركيس ١٠٨ - ١٠٩؛ بالنثيا ٣٥٣ - ٣٦٩، ٤٢٧، ٤٦٩ - ٤٧١.

أبو القاسم بن البرّاق

١ - هو أبو القاسم محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ محمّدِ بنِ ابراهيمَ بنِ محمّدٍ الهَمْدانيُّ الوادي آشيُّ المعروفُ بآبن البرّاقِ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م).

روى أبو القاسم بنُ البرّاق عن جماعةٍ كبيرةٍ من الشيوخ (راجعْ تحقيقاً بالغاً لأسمائهم وأزمانهم ولِصِلة آبنِ البرّاق بهم ولِما قرأ عليهم أوْ رَوى عنهم في «الذيل والتكملة» ٦ : ٤٥٨ - ٤٦٧). ولعله بلغ إلى منصب الوزارة (راجع المطرب ٢٤٢ ع).

ولا نكاد نَعْرِفُ شيئاً من تفاصيلِ حياته، سوى ما قيل من أنْ الأميرَ ابنَ سعدٍ (؟) كان قد غَضِبَ عليه ثمّ غرّبه عن بلدهِ وألْزَمَه السُّكنى في مُرْسِيَةَ ثمّ في بَلَنْسِيَةَ. ولمّا مات آبنُ سعدٍ (سنة ٥٧١ هـ) عاد آبنُ البرّاقِ إلى وطنه. وكانت وفاةُ أبي القاسمِ بنِ البرّاق في مَطْلَع رَمَضَانَ (ودُفِنَ في الثاني منه) من سَنَة ٥٩٦ (١٧/ ٦/ ١٢٠٠ م).

٢ - يبدو أن أبا القاسم بنَ البرّاق كان في أول حياتهِ مُتصوِّفاً مُتنسِّكاً ثم بدّل قليلًا (راجع المطرب ٢٤١ - ٢٤٢).

وكان أبو القاسمِ بنُ البرّاق مُحدِّثاً حافظاً راويةً مُكْثِراً وضابطاً (لروايته) ثِقَةً

وفقيهاً. وكان له أيضاً نظرٌ واسعٌ في الطِبّ، كما كان له كتابٌ في الفَلَك (بروكلمن ١ : ٦٥٩). وكذلك كان أديباً بارعاً وكاتباً بليغاً مُجيداً مُكْثِراً سريعَ البديهة في النظمِ والنثر. والأدب أغلبُ عليه (الذيل والتكملة ٦ : ٤٦٧ س). وكان وشّاحاً مُكْثِراً نظم نحوَ أربعِمِائَةِ مُوشَّحةٍ. ثمّ كانت له بديعيّاتٌ (في مدح محمّدٍ رسولِ الله). وفي نفح الطيب (٤ : ٢٨٧ - ٢٨٨) ما يدلّ على أنّه كان ناقداً أيضاً، فقد دَخَلَ في الخِلاف في نِسْبة المُقطّعةِ:

وَقانـــا لَفْحــةَ الرَمْضــاءِ وادٍ سَقاهُ مُضاعَفُ الغيثِ العَميمِ،

وقال: أنشدَتْنا حَمْدةُ (أو حمدونةُ) بنتُ زِيادٍ العَوْفيةُ (ت نحو ٦٠٠ - راجع ترجمتها) لِنَفْسِها.

وشِعْرُ أبي القاسمِ بن البرّاق متينُ السبك، لكنّ في بَعْضه شيئاً من الجَفاف (راجع، مثلًا الأبياتَ الواردةَ له في «زاد المسافر»، ص ١٥١ - ١٥٢).

وأبو القاسم بنُ البرّاق مُصَنِّفٌ بارعٌ مُكْثِرٌ، وأكثرُ تصانيفهِ في الأدب. فمن هذه التصانيف (الذيل والتكملة ٦ : ٤٦٨): بهجة الأفكار وفُرجة التّذكار في مختار الأشعار - مباشرة ليلة السَّفْح[١] من خبرِ أبي الأصبغِ عبدِ العزيز بن أبي الفتح[٢] مَعَ الأعلام الجِلّة: أبي إسحاق الخَفاجي[٣] وأبي الفضل بن شَرَفٍ[٤] وأبي الحسن بن الزقّاق[٥] - مقالةٌ في الإخوان (خرّجها من شواهدِ الحِكَم ومُصَنّفٍ في أخبار معاوية)[٦] - الدُّرّ المنظَّمُ في الاختيار المُعَظَّم (وهو مُقَسَّمٌ على تأليفين: أحدُهما مُلَحُ

---

(١) السفح: أصل الجبل أو التلّة (عند اتّصالها بالسهل). ليلة السفح (كناية عن الاجتماع للسرور واللهو). يقول الشريف الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ): «يا ليلة السفح، هـلّا عدتِّ ثانية.... الديم».

(٢) في المغرب (١ : ١٠٢): أبو الأصبغ عبد العزيز بن فاتح القرطبي، كان من عمّال (متولّين جمع المال) في قرطبة في مدّة (أيام حكم) لمتونة (المرابطين) واختصّ بأميرها الزبير بن عمر الملثّم (ت ٥٣٧ هـ) ونادمه. وكان أبو الأصبغ هذا شاعراً وعارفاً بالغناء.

(٣) الجلّة: الكبار المشهورين في قومهم. أبو اسحاق الخفاجي (ت ٥٣٣ هـ، راجع ترجمته).

(٤) أبو الفضل بن شرف (ت ٥٣٤ هـ، راجع ترجمته).

(٥) أبو الحسن بن الزقّاق (ت ٥٢٨، راجع ترجمته).

(٦) معاوية بن أبي سفيان أوّل خلفاء بني أميّة.

الخواطر ولُمَحَ الدفاتر - والثاني مجموعٌ في أَلغاز) - روضةُ الحدائق في تأليف الكلام الرائق (وهو مجموعُ نظمِه ونثره، وفيه فصول منها: مُلْتقى السبيل في فضل رَمَضانَ، قصيدة في ذِكْرِ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّم و(ذكر) أصحابهِ رَضِيَ الله عنهم، وقد سمّاها « القَرارة اليَثْربيّة المخصوصة بشَرَف الأحْناء القُدْسيّة »[١] - خَطَرات الواجد في رثاء الماجد[٢] - رجوع الإنذار بهجوم العِذار[٣] - تصريح الاعتذار عن تقبيح العِذار - قِطَعٌ من شعره (زُهْديّة ووَعْظيّة مَعَ فصولٍ أُخرى) - مجموعُ مُوشّحاتِه (وقد صَدّره بمقالةٍ سمّاها: « الإفصاح والتصريح عن حقيقة الشعر والتوشيح »). ثمّ له عددٌ من المُصنّفات شرع فيها ولم يُتِمَّها.

٣ - مختارات من شعره:

- لابنِ البرّاقِ أبي القاسمِ في الغَزَلِ المُورّى[٤]:

يـا سَرحـةَ الحيّ يـا مَطُولُ، شرحُ الـذي بينَنـا يطَولُ[٥].
ولي ديونٌ عليـك حَلّـتْ لو أنّـه ينفَـعُ الحُلولُ[٦].

- وقعَدَ أبو القاسم بن البرّاق مَعَ أحدِ الأعيانِ[٧] على ضفافِ نهرٍ طَلَباً للراحة فقال يُخاطب ذلك العينَ (المغرب ٢: ١٥٠؛ راجع نفح الطيب ٣: ٥٠٦):

---

(١) هذه القصيدة قد سمّطها (أو خمّسها) أبو الكرم جودى - كان من أخصّ تلاميذه به - ولعلّه جودى بن جودى (المغرب ٢: ١١٠ - ١١١)، وكان معاصراً لموسى بن محمّد بن عبد الملك بن سعيد (٥٧٣ - ٦٤٠ هـ). وتخميس هذه القصيدة موجود في « الذيل والتكملة » (٦: ٤٦٩ - ٤٧٢).

(٢) الواجد: الحزين. الماجد: الشريف في قومه.

(٣) العذار: الشعر النابت في الوجه.

(٤) المورّى: المرموز عنه (كالكناية عن المرأة بالسرحة: الشجرة الطويلة - راجع هذه الكناية نفسها في قول حميد بن ثور: أبى الله إلّا أن سرحة مالك - في الجزء الأول). البيتان في نفح الطيب ٣: ٥٠٦ - راجع، فوق، الكتندي (ت ٥٨٤ هـ): هذان البيتان مع تتمة لهما مرويان له في زاد المسافر (ص ٩٥).

(٥) السرحة: الشجرة الطويلة، العالية. المطول: المرأة التي تعد ولا تفي.

(٦) الحلول: حلول وقت استحقاق وفاء الدين، وصول.

(٧) العين: الرجل المنظور إليه في قومه.

انظُرْ إلى الوادي الذي مُذْ غرّدتْ أطيارُه شقّ النسيمُ ثيابَهُ[١].
أتراه أطْرَبَهُ الهديلُ، وزادَه
طرباً - وحقِّكَ - أنْ حَلَلْتَ جَنابَه[٢]؟

- وله في غلامٍ آستقرّ على شَفَتَيْهِ شيءٌ من المِدادِ (الحِبر الأسود) من أثرِ وضع القلم على الفم لتبليلهِ بشيءٍ من الريق لِيُصْبِحَ الحبرُ بذلك أكثرَ مَيْعاً وسَيَلاناً وجَرْياً:

يا عَجَباً للمِداد أضْحى على فَمٍ ضُمِّنَ الزُلالا[٣]،
كالقارِ أضحى على الحُمَيّا والليلُ قد لامسَ الهِلالا[٤].

- واتّفق أن حضَرَ أبو القاسم بنُ البرّاق مجلسَ بعضِ الملوك الأكابر[٥] فأمر ذلك الملكُ أنْ يُقدِّمَ الساقي له كاساً من الخمر مُشاركةً للحاضرين، فآنقبضَ آبنُ البرّاق عندَ ذلك وآشمأزّ. واتّفق في تلك اللحظةِ أنِ آنشقّتْ صُراحية (إناءٌ للخمر) وسال ما فيها. فتشاءم الملكُ من ذلك وحَزِنَ، فأنشدَ ابنُ البرّاق من فَوْره على البديهة:

ومجلسٍ بالسرورِ مُشْتَمَلٍ لم يَخْلُ فيه الزُجاجُ عن أَرَب[٦].
سَرَى بأعْطافه ترنُّحُنا فشقّ أثوابَه من الطرب[٧].

فسُرّ الملك وزال ما به.

- من «القَرارة اليَثْربيّة بشرف الأحناء القُدسيّة» (في مدح رسول الله وصَحابته) لأبي القاسم بنِ البرّاق الهَمْدانيِّ الوادياشيِّ:

---

(١) الوادي: النهر.
(٢) الهديل: صوت الحمام. حللت جنابه: نزلت (سكنت) في أحد أطرافه.
(٣) الزلال: الماء الصافي العذب.
(٤) القار: الزفت. الحميّا: الخمر. العادة أن تختم آنية الخمر بالزفت.
(٥) الملوك الأكابر يمكن أن يكونوا الرجال الأغنياء من ذوي المكانة في قومهم.
(٦) مشتمل (محاط). الأرب: الحاجة، البغية، الأمنية.
(٧) سرى (هنا): انتشر. العطف (بالكسر): الجانب الأعلى من البدن. الترنّح: التمايل (من السكر أو الضعف). شقّ الثوب كناية عن شدّة السرور والانفعال.

بالهَضْب هَضْبِ زَرُودَ أو تَلَعاتِها | شاقَتْك هاتفةٌ على نَغَماتِها[1]؟
مصدورةٌ تَفْتَنُّ في تَرْجيعِها | فيَبِينُ نفْثُ السحرِ في نَفَثاتِها[2].
إنْ راقَها رأْدُ الضُّحى أو راعَها | جُنْحُ الدُّجى سِيّانِ في ذِكَراتِها[3]:
هذا يُمتِّعُها، وذاك يَشُوقُها؛ | فالموتُ في يَقَظاتِها وسِناتِها[4].
لا دَرَّ دَرُّ القَطْرِ إن لم يُرْوِها | من دَرِّه ويَلُفَّ من شَجَراتِها[5]،
حتّى تُطارِحَني بأبْهَرَ شَجْوَها | وأفوقَها في بَثِّها حَسَراتِها[6].
سَجَعَتْ عليك، أخا الذُّنوبِ، بسَحْرةٍ | فغُرِيتَ بالفتّانِ من سَجَعاتِها[7].
أَمُرِنَّةٌ تَهْديكَ للشكوى فلا | تمتازُ إلّا بادِّعاءِ صِفاتِها[8]؟
هلّا اقتَدَتْ بك، يا مُتيَّمُ، في الهوى، | إذ ما وُسِمْتَ به يَبُذُّ سِماتِها[9]؟

---

(١) الهضب جمع هضبة (بفتح فسكون فيها): الأرض المرتفعة. زرود (اسم رمل)، ووزوده هنا إشارة إلى الحجاز. التلعة (بفتح فسكون): ما ارتفع من الأرض، المكان العالي يسيل منه الماء. هاتفة: (حمامة) تهدل (تصوّت، تغنّي).

(٢) مصدورة: في صدرها مرض أو همّ. تفتنّ (تتفنّن): تأتي بفنون مختلفة. الترجيع: ترديد الصوت في الحلق (عند الغناء). فيبين (يظهر) نفث السحر (النفخ على أداة السحر من شيء مكتوب أو خيط معقود، كناية عن قدرة الساحر). نفثة (هنا): النفس الضعيف (من همّ أو مرض).

(٣) رأد الضحى: أول الصبح. جنح (طرف) الدجى (جمع دجية وهي الظلمة بالضمّ فيها)ذكراتها...

(٤) هذا (أي جنح الدجى) يمتّعه (يطول عليه، يدوم)، وذاك (رأد الضحى) يشوقه: يهيجه (خوفاً من أن ينقضي). فالموت (الشقاء له) في يقظاته جمع يقظة (بفتح ففتح) عند الصبح وفي سناتها جمع سنة (بكسر ففتح): نوم.

(٥) لا درّ (سال) درّ (لبن) القطر: المطر (دعاء على المطر أن ينقطع) إذا لم يروها (إذا لم يسق الهضب - راجع البيت الأوّل - ويشبعها) ويلفّ من شجراتها (يحيط بشجرها: يكفي جميع أشجارها).

(٦) تطارحني: تحاورني وتبادلني (أي الهاتفة: الحمامة) بأبهر: في أبهر (جبل في الحجاز) شجوها (حزنها) وأفوقها (أزيد عليها) في بثّها (التعبير عن) حسراتها. إنّ حزني وحسرتي أكبر من حزنها وحسرتها (أنا حزين لأنّني بعيد عن الحجاز - الأرض المقدّسة - وهي لا مسوّغ لها أن تحزن لأنّها موجودة في أبهر: أحد جبال الحجاز).

(٧) سجعت (غنّت) عليك (على سمعك فسمعتها) يا أخا الذنوب (يا كثير الذنوب). بسحرة (في أول الفجر) فغريت: أغريت (بالبناء للمجهول): أحببت الازدياد من سماع غنائها.

(٨) المرنّة المرأة التي تنوح تهديك للشكوى (تدلّك على الشكوى، تعلّمك الشكوى) فلا تستطيع أنت أن تفعل أكثر من القول إنّك تشكو.

(٩) كان من الواجب أن تحاول تلك الحمامة أن تقتدي بك في إظهار الحزن لأنك أنت متيّم في الهوى (قد =

أوَلَيْسَ حُبُّكَ للنبيِّ مُحمّدٍ أضعافَ ما بَثّتْه من لَوْعاتها؟
يا كعبةَ الإسلام يا كهفَ الهُدى، يا صارفَ الأيامِ عن عاداتها،
يا من تبَلَّجَ نورُه عن صادعٍ بالواضحات الغُرّ من آياتها[١]،
يا شارعاً في أُمّةٍ جُعِلَتْ به وَسَطاً فنالتْ مُستَدامَ حياتها[٢]،
في دارِ خُلْدٍ لا يَشيبُ وَليدُها حيثُ الشبابُ يَرِفُّ في جَنَباتها[٣].
يا خاضِداً للشِّركِ شوكَةَ حِزْبِهِ، يا نابغاً للعُرْبِ في جَمَراتها[٤]،
في الصِيدِ من أذْوائها والقَلْبِ من صُرَحائها والشُّمِّ من أبْياتها[٥].
يا ناصباً عَلَمَ الدِيانةِ جاهِداً، يا ذُخْرَها لحياتِها ومَماتِها،
يا آخِرَ النُبّاءِ في إرْسالِها، يا أوّلَ الأَرسالِ في قُرُباتها[٦]،
يا مَنْ إذا جَلَتِ الغَزالةُ نورَها فلِوَجْهِها يُعزى جميلُ إياتِها[٧]،

= أمرضه الحبّ وذلّله). ذلك لأنّ ما وسمت أنت به (ما وصفت أنت به من الحبّ لرسول الله يبذّ، أي يغلب ما تتّصف هي به في شكواها.

(١) تبلّج: ظهر وأضاء. الصادع: الذي يشق (الظلام). والصادع بالشيء: الجاهر به والداعي إليه. بالواضحات (بالآيات الظاهرات البيّنات) الغرّ (البيض، الساميات).

(٢) الشارع: واضع القوانين. أمّة جعلت وسطاً (أفضل الأمم). راجع القول الفلسفي: الفضيلة توسّط بين نقيصتين، ثمّ المثل: خير الأمور الوسط، ثم ارْجعْ إلى القرآن الكريم (٢: ١٤٣ سورة البقرة): «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...»

(٣) رفّ: تلألأ، اهتزّ (من النشاط). دار الخلد: الجنّة.

(٤) خضد: كسر، قطّع. شوكة: قوّة، سلاح. الجمرة من الناس: أهل المنعة (بفتح ففتح: الدفاع عن النفس) والقوّة والاتّحاد. النابغ: الذي يبرز ويفوق أنداده.

(٥) الصيد جمع أصيد: صاحب القوّة والسلطان. الأذواء (ذو يزن وذو نواس) من ملوك اليمن. الصريح: ذوو النسب النقيّ الواضح. القلب من صرحائها (أوضح الناس وأنقاهم نسباً). الأشمّ: العالي. البيت: الشرف، المنزلة الكريمة.

(٦) النبّاء: الأنبياء (جمع نبيّ). محمّد صلّى الله عليه وسلّم آخر الأنبياء الذين جاءوا إلى الإنسانية. الرسل (بفتح ففتح): الجماعة من الناس (والجمع أرسال). محمّد آخر الأنبياء، ولكنّه أوّل البشر (في المقدّمة منهم: في الشرف والجاه والمكانة والشجاعة، الخ).

(٧) الغزالة: الشمس. جلت:أظهرت. يعزى: ينسب. إياة (بكسر الهمزة): نور الشمس.

من لي بحُسْنِكَ كلّما ٱعْتَكَرَ الأسى   في النفس فٱشْتملتْ على كُرَباتِها[١].
أنتَ الذي أنقَذْتَها من غُمّةٍ   فرّجتَ فيها الصعبَ من أزَماتها،
وحَبَوْتَها بِجَوامع الكَلِمِ التي   بلَغتْ بلاغَتُها مَدى مِيقاتها[٢].
لولاك ما عُرِفَ السبيلُ إلى النُّهى   ولَضَلّتِ الألبابُ عن مَنْجاتها[٣].
فعليكَ فضلُ خُشوعِها وخُضوعها،   وإليك أجرُ صِيامِها وصَلاتها.
قَسّمْتَ أورادَ العُلا بشريعةٍ   بَرزَتْ وُجوهُ الفضل مِنْ قَسَماتها[٤].
وحَسَمْتَ من طُرُقِ الضلالِ مآخِذاً   غَرِقَتْ نفوسُ الخَلق في زلّاتها[٥].
ما زِلْتَ تَجْهَدُ في ٱنتقاص شُرودِها   وتُعَوِّضُ الأنوارَ من ظُلُماتها[٦]،
حتى أضاء الحقُّ في مِنْهاجِهِ   وتَرَقّتِ البُشرى على دَرَجاتها.
يا مَنْ تَوَضَّحَ جَمْرُه في زُمْرةٍ   رَقِيَتْ بسُنّتهِ يَفاعَ نَجاتها[٧].
أقمارُ مِلّتِنا وشُهْبُ سمائها   وذَوُو الخِلالِ الغُرِّ من سَرَواتها[٨].
فَسَرِيُّها صِدّيقُه، وسَنِيُّها   فاروقُها الوضّاحُ عن عَزَماتها[٩].

---

(١) الكرْبة: شدّة الحزن والغمّ. اعتكر: أظلم، اشتدّ. الأسى: الحزن. من لي (كيف لي) بحسنك (باحسانك، يا رسول الله، منقذاً).؟

(٢) حبا: منح، أعطى. جوامع الكلم: الحكم البالغة. مدى ميقاتها (وصلت جوامع كلمك والآيات التي نزلت عليك والإسلام الذي جئت به إلى أقصى الأرض).

(٣) في الأصل ما عرف (بالبناء للمعلوم) السبيل (بالنصب، على أنّه مفعول به)، والأصوب بالبناء للمجهول. اللّب (بالضمّ) العقل. المنجاة: النجاة وطريق النجاة أيضاً.

(٤) أوراد جمع ورد (بالكسر): القسم النصيب، أو الشرب من الماء. القسمة (بفتح ففتح ففتح أو بفتح فكسر ففتح): ملامح الوجه، والجمال.

(٥) حسم: قطع.

(٦) في انتقاص شرودها: في الإقلال من ضلالها.

(٧) توضّح: ظهر. جمره (؟) لعلّ المقصود: كفاحه وهداه. زمرة: جماعة. اليفاع: المكان العالي.

(٨) الملّة: الدين. الشهب: النجوم. الخلال: الخصال. الغرّ: البيضاء (الحميدة). السروات: رؤساء الناس وكرامهم.

(٩) السريّ: الشريف من القوم. الصديق (أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة – بالضمّ). السنيّ: العالي، ذو المكانة السامية. الفاروق هو عمر بن الخطّاب. الوضّاح الذي يبيّن الأمور. وقد سمّي عمر بن الخطاب «الفاروق» لأنّه فرق بين الحق والباطل. العزمات (جمع عزمة): الحقوق.

وأثيرُهـا عُـثمانُ تـالي وَحْيِهـا ... ومُزَحْزِحُ الأزَماتِ عن ساداتها[١] .
وعليُّهـا في المَكْرُمـاتِ عَليُّهـا ... ربُّ ٱختراطِ النصْرِ في غَزَواتهـا[٢] ؛
بـابُ العلوم وخيرُ من جالتْ به ... هِمّاتُـه في مُرْتَقى صَهَواتها[٣] .
مَنْ حُـفَّ بالسِبطـينِ ذِروةُ عِزّهِ ... فتقهقرَ التغيـيرُ عن هَضَباتها[٤] .
لأبي عُبيـدةَ في الجَـلال مَنـازعٌ ... يَفْتَرُّ ثَغْرُ الروضِ عن نَفَحاتها[٥] .
وحَرِيُّها العِفُّ ٱبنُ عَوْفٍ بالحِجى ... ورَفيعُهـا في حِلمـه وأناتها[٦] .
وأخو حِراستِها بمُحْتَضَرِ الوغـى ... سَعْدٌ مُبيدُ الذُّعْرِ دُون حُماتِها[٧] .
فِئَةٌ تواصَتْ بالسنـاءِ فأشْرقَتْ ... شمسُ النُبُوَّةِ في سَنـا جَبَهاتِها[٨] .
فالبِشْر حَشْوُ ضُلوعِهـا ، والفضل طَيْـ ... ـيُ بُرودِها ، والمجد حَلْيُ طُلاتها[٩] .
شَهِدتْ لها بالجنّة الذاتُ التي ... وَطِئَتْ بأخْمصِها ذُرى غُرُفاتها[١٠] .

---

(١) الأثير: الموثوق المفضّل. عثمان (بن عفّان). تالي وحيها (لاشتهار عثمان بن عفّان بتلاوة القرآن، فقد قتل وهو يتلو القرآن). الأزمة: الشدّة. كان عثمان يتبرّع بمبالغ كبيرة من المال لتجهيز الجيوش إلى الجهاد أو لتنفيس الكرب عن الناس.

(٢) عليّها الأولى: عليّ بن أبي طالب. وعليّها الثانية: أعلاها. ربّ: صاحب. اخترط السيف سلّه من غمده. النصر (؟). لعلّه يقصد أن عليّا كرم الله وجهه كان يحرز النصر في الغزوات للمسلمين بالسهولة التي كان يشهر (بفتح الياء والهاء) سيفه من غمده.

(٣) باب العلوم: العالم، فقد جاء في الحديث: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها». الصهوة من كلّ شيء أعلاه.

(٤) السبط: ابن بنت الرجل (ابن ابن الرجل: حفيد). السبطان: الحسن والحسين (سبطا الرسول من ابنته فاطمة): ابنا الإمام عليّ. الذروة: أعلى الشيء. تقهقر: تراجع. التغيير (؟).

(٥) أبو عبيدة عامر بن الجرّاح من كبار الصحابة وكبار المجاهدين وقوّاد الجيش الإسلامي. منازع: جمع منزع: قوّة، همّة، غاية. الجلال: الأعمال العظيمة. النفح والنفحة: انتشار الرائحة الطيّبة.

(٦) الحري بالحجى (بالعقل، بالتصرف الحكيم): الخليق به، من هو أهل لذلك. العف: العفيف. ابن عوف: عبد الرحمن بن عوف من كبار الصحابة. الرفيع: العالي المكانة. الحلم: سعة الصدر، العقل. الأناة: التأنّي.

(٧) الوغى: الحرب. سعد بن أبي وقّاص. الذعر: الخوف من الاضطراب. دون حماتها (مجاهدوها الأبطال). دون (أكثر من، دفاعاً عن؟).

(٨) السناء: الرفعة والعلوّ. السنا: النور.

(٩) البشر: طلاقة الوجه (ظهور السرور على الوجه عند لقاء الناس). البرد (بضمّ الباء): الثوب. الطلاة: العنق أو صفحة العنق.

(١٠) شهدت لهم (لهؤلاء النفر ولغيرهم ورد ذكرهم في أبيات ليست في هذه المختارات) بالجنّة (بدخول الجنّة) =

هِيَ صَفوةُ المُختارِ، فَٱقْتَفِ سُبْلَها، وتَوخَّ أنْ تَسْتَنَّ في مَرْقاتِها[١].

فَمَساكَ أنْ تَمتارَ من بَركاتِها رِفْداً به تَعْتَدُّ من طَبَقاتِها[٢].

يـا طَيِّباً ضمّنْهُ مِسْكَةُ طَيبةٍ فَتَضَوَّعَتْ دارينُ عن جدراتِها[٣]،

شَوقي لِتُرْبَتِكَ المُقدّسةِ ٱقتضى دَنَفي وصدّ النفسِ عن خَطَراتِها[٤].

فَٱرْحَمْ بُكاءَ مُغَرَّقٍ في أبْحُرٍ من دَمْعه يختالُ في غَمَراتِها[٥].

وٱشْفَعْ لـه في تَوْبَةٍ يصفو بها نَفْساً، فتُقْلِعَ عن قبيحِ سِناتِها[٦].

كيما يكونُ إلى المَعادِ مُشَمِّراً ويَكُفُّ للأهوالِ من عَثَراتِها[٧].

ثمّ السلامُ عليك، يا شخصَ الرِّضا، ما دُمْتَ أصلَ رَشادِها لِغُواتِها[٨]،

= الذات (الشخصية الكريمة: أي محمّد رسول الله). الأخمص: باطن القدم. الغرفات جمع غرفة: أعلى الأمكنة في الجنّة. المقصود: إن الرسول أعلى مكاناً من هؤلاء في الجنّة. أمّا المبشّرون بالجنّة فهم عشرة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ والزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجرّاح وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد.

(١) صفوة المختار (رسول الله): الذين اصطفاهم (اختارهم الرسول) وبشّرهم بالجنّة. استنّ: سار بجدّ، ركض.

(٢) امتار: تزوّد. الرفد: العطاء. اعتدّ: صار معدوداً (في جماعة). ويجوز «تُعتدّ» (بالبناء للمجهول).

(٣) يا طيّبا (يا رسول الله) ضمّته (ضمّت جسده) طيبة (المدينة المنوّرة). المسكة: القطعة من المسك (مادّة طيّبة الرائحة). مسكة طيبة (تراب المدينة المنوّرة الطيّب الطاهر). تضوّع: انتشر طيب الرائحة. دارين: (مكان في الشام ومكان آخر في البحرين ذوا شهرة بوجود المسك. الجدرة (بفتح ففتح): حظيرة الغنم (وتكون عادة غير طيّبة الرائحة).

(٤) الدنف: المرض الذي يشرف بصاحبه على الموت. الخطرة: ما يخطر في بال الإنسان (من عمل غير حميد). يجوز: وصدّ (فعل ماض) النفس (مفعول به).

(٥) الغمرة: لجّة البحر، المكان الذي يكثر فيه الماء. يختال: يسير بفخر وازدهاء. مع أن الناظم غريق في دموعه (خوفاً من الذنوب التي اقترفها في حياته) فإنّه مسرور بهذا الدمع لأنه دليل على ندمه. وندمه هذا مدعاة إلى مغفرة ذنوبه.

(٦) أقلع الرجل عن فعل ما: ترك ذلك الفعل. سناتها جمع سنة (بالكسر): النوم، ولا وجه له هنا. (إلّا أن يكون المقصود: نومها عن الأعمال الصالحة).

(٧) المعاد: يوم القيامة. مشمّراً: مسرعاً (إلى دخول الجنّة) ويكف: يردّ. الأهوال: (يوم القيامة، ممّا يجعله يعثر فيقع في جهنّم).

(٨) يا شخص الرضا (محمّد رسول الله). الغواة جمع غاو: ضالّ. أصل رشادها (سبب رشادها وسبيله).

وَوَهَبْتَهـا المأمولَ من طَلَباتِهـا   ووَقَيْتَهـا المحذورَ من آفاتِهـا،
وخَصَصْتَهـا عنـدَ الإلَـهِ بِحُظْوَةٍ   أقْطَعْتَهـا فيهـا جزيلَ هِباتِها.

٤ - زاد المسافر ١٥١ - ١٥٢؛ التكملة ٢٧١ (رقم ٥٥٦)؛ الذيل والتكملة ٦: ٤٥٧ - ٤٨٣ (رقم ١٢٣١)؛ المغرب ٢: ١٤٩ - ١٥٠؛ المطرب ٢٤١ - ٢٤٢؛ نفح الطيب ٣: ٥٠٦، ٤: ٢٧٨ - ٢٨٨؛ بروكلمن ١: ٦٥٨، الملحق ١: ٩١٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٦٨ (٦: ٢٨٠).

أبو بكر بن زُهْر

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ أبي مَروانَ عبدِ الملكِ بنِ أبي العَلاءِ زُهْرِ بنِ أبي مَروانَ عبدِ الملكِ (ت ٥٥٧) بنِ أبي بكرٍ محمّدِ بنِ مَروانَ بنِ زهرٍ الإياديُّ الأندلسيُّ الإشبيليُّ.

وُلِدَ أبو بكرِ بنِ زُهْرٍ سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) - وقيل سنة ٥٠٤ هـ - في إشبيليةَ ونشأ فيها فَحفِظَ القُرآنَ وسَمِعَ الحديثَ ثمّ أقبلَ على اللغةِ والأدبِ والفِقْهِ. ولازَمَ عبدَ الملكِ الباجيَّ سبْعَ سَنَواتٍ وقَرأ عليه المُدوَّنَةَ.

وأخذ أبو بكرِ بنُ زُهْرٍ صِناعةَ الطِبِّ عن أبيه عبدِ الملكِ (ت ٥٥٧ هـ) وباشرَ أعمالَها ففاقَ أهلَ زمانهِ وخَدَم بها المُلَثَّمينَ (سَلاطين المُرابطين) في آخرِ عَهْدِهِمْ ثمّ خدم بها سلاطينَ المُوحِّدين. وقدِ اسْتدعاهُ سُلطانُ الموحّدين أبو يوسفَ يعقوبُ المنصورُ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) إلى مَرّاكُش وأكْرمه إكراماً كثيراً.

وكانتْ وَفاةُ أبي بكرِ بنِ زُهُرٍ قُبَيْل خِتامِ سَنَةِ ٥٩٥ أو في ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) في مَرّاكُش - قيل مسموماً.

٢ - أبو بكرِ بنُ زُهْرٍ طبيبٌ بارعٌ في المعالجة وشاعرٌ مُكثِرٌ من القَصيد والمُوشَّح. ولقد بلغتْ موشّحاتُه درجةً من الكمال أصبحتْ معَها نماذجَ للتوشيح البارع. وشعره جيّد يدور على الخمر والحِكَمِ والزُهْد.

٣ - **مختارات من شعره:**

- الموشّحة التالية لابنِ زهرٍ، وإن كانت أحياناً تُروى لغيره:

أيُّهـا الساقي، إليـكَ المُشتكى!   قـد دَعَونـاك وإنْ لم تسمـعِ .

★ ★ ★

ونـــــديمٍ هِمْـــــتُ في غُرّتـــــهِ
وبشُرْب الرَّاح من راحتـــــــــه.
كلما آستيقـــــــظ من سكرتـــــه
جــذب الزِقَّ إليــه وآتّكــى،   وسقــاني أرْبعــاً في أربــعِ .

★ ★ ★

مـــا لعيـــــني عَشِيَـــــتْ بالنظرِ:
أنكرَتْ بعـــــــــــدَك ضوءَ القمر.
فـــإذا مـــا شِئـــتَ فـآسمـعْ خَبَري:
عَشِيَتْ عَيْنايَ من طول البُكا؛   وبكى بعضي على بعضي معي[1]!

★ ★ ★

غُصْنُ بـــانٍ مـــال من حيـــثُ آلتوى؛
بـــــــات من يهواه من فرط الجوى
خَفِـــــــــقَ الأحشاءِ موهونَ القُوى.
كلّما فكَّر في البَيْنِ بكـــــى!   ويحـه، يبكي لـمَا لم يقـعِ[2].

★ ★ ★

ليس لي صـــــبرٌ ولا لي جَلَـــــدُ.

---

(١) عشي البصر يعشى: ساء البصر وضعف (في الليل وفي النهار).

(٢) البان شجر أغصانه سمراء ملساء مستقيمة. الجوى: الحزن الباطن وحرقة الحب. فرط الجوى: زيادته فوْق ما يحتمل الإنسان. البين: الفراق والبعاد.

يــــــا لَقَوْمي، عَذَلوا واْجتهـــــدوا،
أنكروا دَعْوايَ ممـــــــا أجِـــــدُ.

مثلُ حـالي حقُّها أَن تُشتكى: كمـدُ اليـأس وذلُّ الطمـعِ[1].

★ ★ ★

كَبِــــدٌ حَرَّى ودمــــعٌ يَكِــــفُ
يــــذْرِفُ الدمـــعَ ولا ينــــذرفُ.
أيهـــا المعرِضُ عمَّـــا أصِــفُ،

قـد نمـا حـبي بقلـبي وزكـا. لا تَخَلْ في الحب أني مُدّعي[2].

- لمّا كان أبو بكر بنُ زهرٍ في مَرّاكُشَ، وطالتْ غيبته عن إشبيلية، قال يتشوّق إلى بيته وأهله وإلى طفلٍ له صغيرٍ خاصّة:

ولي واحـدٌ مثـلُ فَرْخِ القَطـاةِ صغـيرٌ تخلَّـفَ قلـبي لَدَيْـهْ؛
وأُفرِدتُ عنـــه؛ فيـــا وحشتي لِـذاك الشُّخَيْصِ وذاك الوُجَيْه.
تَشَوَّقَـــني وتشوقتُـــــه، فيَبكي عــليَّ وأبكي عليـــه.
وقـد تَعِـبَ الشوقُ مـا بيننـا: فمِنْـــه إليَّ ومِنّي إليــــه.

- وله في النسيب:

يـا مَن يُذكِّرني بعهـدِ أَحِبَّتي، طـابَ الحديثُ بذكرهم ويَطيبُ.
أَعِدِ الحديثَ عليَّ من جَنَباته؛ إنَّ الحديـثَ عن الحبيب حبيبُ.
مـلأَ الضلوعَ وفاض عن أجنابها قلـبٌ إذا ذُكر الحبيبُ يذوبُ.
مـا زال يخفِقُ ضارباً بجَناحـه؛ يـا ليتَ شعري، هل تطيرُ قلوب؟

---

(١) عذلوا: لاموا، عتبوا. اجتهدوا: أكثروا، بالغوا.

(٢) وكف السقف: سال منه ماء المطر. وكف الدمع: زاد سقوطه. يذرف الدمع ولا ينذرف: لا ينتهي الدمع، لا يكفُّ الدمع عن السيلان؛ أو لا ينذرف الدمع (جفّ دمعه لطول البكاء). نما: زاد (بعد أن كان قليلاً - نما الزرع: كبر وهاج بعد أن كان قليلاً صغيراً). زكا: طَهُرَ (كان بريئاً طاهراً عفيفاً).

- وله في الغزل والنسيب:

رَمَتْ كَبِدي أُختُ السماء فأَقْصدَتْ، ... أَلَا بأَبي رامٍ يُصِيبُ ولا يُخْطي[١].
قريبةٌ ما بين الخلاخيل إنْ مَشتْ، ... بعيدةُ ما بين القلادَة والقُرْط[٢].
نعِمْتُ بها حتى أُتيحَتْ لنا النَّوىَ؛ ... كذا شِيَمُ الأَيام: تأخذ ما تُعطي[٣].

- وقال يذْكُر أيّام شبابه:

إنّي نظرتُ إلى المرآة قد جُلِيَتْ ... فأنكَرَتْ مقلتايَ كلَّ ما رأَتا.
رأَيْتُ فيها شُيَيْخاً لستُ أعْرِفُه، ... وكُنْتُ أعهدُه من قبلِ ذاك فتى.
فقُلْتُ: « أين الذي بالأَمس كان هُنا؟ ... متى ترحَّل من هذا المكان، متى؟ »[٤]
فأستضحكَتْ ثمّ قالَتْ وهْيَ مُعْجَبَةٌ: ... « إنَّ الذي أنكرَتْهُ مُقلتاك أَتى »[٥].
كانَتْ سُلَيْمى تنادي: « يا أُخيَّ »، وقد ... صارَتْ سليمى تنادي اليوم: « يا أبتا! »

- ونظم أبياتاً لتُكتب على قبره وجعل فيها إشارة إلى معالجة المرضى، وأنه قد آل إلى ما كان يعالج الناسَ خوفاً منه:

تأمَّلْ بفضِلكَ، يا واقفاً، ... ولاحِظْ مكاناً دُفِعْنا إليهِ.
تُرابُ الضريحِ على صَفْحتي ... كأَنّيَ لم أَمْشِ يوماً عليهِ[٦].
أُداوي الأنامَ حَذارَ المنونِ، ... فها أنا قد صِرْتُ رهْناً لديهِ[٧].

---

(١) أخت (شبيهة) السماء (قمر السماء أو شمس السماء: فتاة بارعة الجمال). أقصدت: أصابت مقتلاً منّي (هنا: جعلتني ميتاً في حبّها).
(٢) تسير بخطى قصيرة، وعنقها طويل، وهذان من أوصاف الجمال عند العرب.
(٣) نعمت بها (تنعّمت بحبّها) حتّى (إلى أنْ، ثمّ). تاح الشيء: عرض، ظهر (بعد أن كان خافياً). النوى: البعد والبعاد والفراق.
(٤) الذي كان بالأمس: الشباب - الوجه الأملس والشعر الأسود، الخ.
(٥) الذي أنكرته مقلتاك (عيناك): الشيخوخة والهرم: الوجه المغضّن والشعر الأبيض، الخ.
(٦) صفحتي: صفحة وجهي، وجهي.
(٧) الأنام: جميع الناس. حذارَ: خوفاً مِنْ. المنون: الدهر، الموت. - شفيت كلّ الناس من المرض الذي قد يؤدّي إلى الموت ثمّ لم أستطع دفع الموت عن نفسي.

- موشّحة:

مـــا للمُولَّـــهْ من سُكرهِ لا يُفِيـقْ؟ يا له سكرانْ
من غـــير خمرِ! ما للكئيبِ المَشوقْ يندب الأوطـانْ؟[١]

★ ★ ★

هــل تُستعـادْ أيامُنـــا بالخليـــجْ وليالينـــــا؟
أو يُستفــــادْ من النسيم الأريجْ مِسكُ داريـنـــا؟
وإذْ يكـــادْ حسنُ المكان البهيجْ أن يحيينـــــا.
نهرٌ أظلَّـــــهْ دَوْحٌ عليه أنيق مُورقٌ فَيْنـــانْ.
والمــاءُ يجري وعــائـمٌ وغـريـقْ من جَنى الرَّيْحان[٢].

★ ★ ★

أو هــلْ أديـبْ يُحــيي لنــا بالغُروسْ مــا كــان أحــلى،
مــعَ الحبيـــبْ وصافياتِ الكؤوسْ فاْسقـــني واْمْـــلا.
عيشٌ يطيـــبْ ومَنْزَهٌ كالعروسْ عندمـــا تُجــلى.
عيشٌ لعلَّـــــهْ يعود منه فريقْ كالــذي قــد كــانْ:
أضـغـاثُ فِكْرِ تَحْدو به وتسوقْ هــذه الألحــانْ[٣].

★ ★ ★

(١) المولّه (الذي فرّق الدهر بينه وبين ولده)، والذي حَزَنَهُ (أو أحزنه) الأمر وحيرّه، وأذهب عقله.

(٢) كلمة يستفاد (بالبناء للمجهول، هنا) قلقة. نقول: استفاد الرجل مالاً: (اكتسبه). الأريج: الرائحة الطيّبة. دارين مكان (في الشام، وفي البحرين) مشهور بالمسك. يجوز أن نقرأ البيت: أو يستفاد (بالبناء للمجهول) من النسيم الأريج (بالرفع: نائب فاعل) مسك (بالرفع: بدل من الأريج). أما التركيب الصحيح فيجب أن يكون: أو يستفيد مسك (فاعل) دارين أريجاً (مفعول به) من النسيم (الهواء الذي لا رائحة طيّبة له، بل هو يستفيد الرائحة من النبات ذي الرائحة الطيّبة؟). فينان: طويل الشعر، (وهنا) الواسع، المنبسط). الريحان: نبات ذو رائحة طيّبة.

(٣) الغرس (بالفتح) الشجر المغروس وجمعه غراس (بالكسر) وأغراس (راجع القاموس ٢: ٢٣٤).

يـــا صاحِبَيَّـــا إلى مـــتى تَعْـــذُلاني؟ أقْصِرا شيَّـــــا،
قـــد مِـتُّ حيَّـا والمُبتـــــلى بالغواني ميّـــــتٌ حـــيَّـا.
جَنـــى عَلَيَّـــا عَـذْبُ اللَّمـى والمعـاني، عاطِرٌ ريّـــــا.
هِـــلالُ كِلَّـــهْ، غزالُ أُنْسٍ يفوقْ سائرَ الغِزلانْ.
يا لَيْتَ شِعري، هل لي إليهِ طريقْ أو إلى السُلوانْ؟[1]

٤ - ★★ معجم الأدباء ٨ : ٢١٦ - ٢٢٥ ؛ الوافي بالوفيات ٤ : ٣٩ - ٤٣ ؛ الذيل والتكملة ٦ : ٣٩٨ - ٤٠٣ (رقم ١٠٧٦)؛ المطرب ٢٠٣ - ٢٠٧ ؛ المعجب ٦١ - ٦٣ ؛ وفيات الأعيان ٤ : ٤٣٤ - ٤٣٧ ؛ المغرب ١ : ٢٦٦ - ٢٧٨ ؛ طبقات الأطبّاء ٢ : ٦٧ - ٧٤ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٣٢٠ ؛ نفح الطيب ٢ : ٢٤٧ - ٢٥٣ ، ٣ : ٢١١ ، ٤٣٤ ، ٤٦٨ ، ٧ : ٩ ، ١١٥١١٣ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٧٨ ؛ بروكلمن ١ : ٦٤٤ ، الملحق ١ : ٨٩٣ ؛ نيكل ٢٤٨ - ٢٥١ ؛ مختارات نيكل ١٦٨ - ١٦٩ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٢٩ (٦ : ٢٥٠)؛ بالنثيا ١٢٩ ، ١٥٧ ، راجع ٤٧١ .

عبد المنعم بن الفرس

١ - هو أبو محمدٍ عبدُ المنُعمِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحيمِ بنِ محمدِ بنِ فرجٍ بنِ خلفِ بنِ سعيدِ بن هشامٍ الخَزرجيُّ، ويُعْرَفُ بابنِ الفَرَسِ الغَرناطيّ. وَلِدَ سَنَةَ ٥٢٤ أو ٥٢٥ (١١٣٠ - ١١٣١ م) في غَرْناطةَ. تَلقّى العِلم على أبيهِ وجَدِّه وعلى نفرٍ كثيرين من العُلماء (راجع صلة الصلة ١٧ - ١٨).

= والشاعر جمعها على « غروس » وعنى بها « مكاناً ذا شجر يذهب الناس إليه للنزهة ». المنزه (بفتح فسكون ففتح): المكان البعيد. والشاعر عنى به « المتنزّه » (مكان النزهة). حدا السائق بالراكب (غنّى له في أثناء السفر): ساق. هذه الألحان (الأبيات من الشعر).

(١) عذل: لام. أقصرا شيّا: خفّفا من لومكما شيئاً (قليلاً). اللمى: السمرة في الشفاه. « عاطر » (هنا) قلقة. يجب أن نقول: العاطر الريّا (فتختلف القافية حينئذ وتقبح الإضافة اللفظية). وربّما قلنا: عاطراً (حال) ريّا (تمييز)، وفي ذلك تمحُّل. - غير أن هذا الصعب (مع جمال اللفظ فيه) من خصائص الموشّح. الكِلّة: الستر. هلال (فتاة جميلة) كلّة (محجوبة عن أنظار الناس). السلوان: النسيان، التسلّي عمّا يحبّه الإنسان.

وَلِيَ عبدُ المُنعمِ بنُ الفرسِ القضاءَ بجزيرةِ شُقْرِ ثُمّ في وادي آشَ ثمّ في جيّانَ ثمّ في غَرناطةَ. وعُزِلَ عن قضاءِ غَرناطةَ ثمّ ردّه المنصورُ المُوحِّدي إلى قضائها مُكَرَّماً وأضافَ إليه النَظَرَ في الشُرطة والحِسْبة وغير ذلك.

وفي سَنَةَ ٥٥٣ و٥٦٦ (١١٧١ م) وَجَدْناه في مُرْسِيَةَ. ويبدو أنّه اشتهرَ بالعلم بُعيدَ ذلك فقصدَهُ الناسُ من كلّ مكانٍ فتَصدّرَ للتعليم فَرَوَى عنه خلقٌ كثيرٌ. وفي سَنَةِ ٥٩٥ حَدَثَ له اضطرابٌ جَسَدي وعقليّ وكَثُرَ تَشتُّتُ فِكرهِ وغلب عليهِ النسيانُ ثمّ ظلّ على هذه الحالِ حتّى تُوُفِّيَ في رابعِ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٥٩٨ (١٢٠٢/٣/٢ م).

٢ - كان عبدُ المُنعمِ ابنُ الفَرَسِ من بيتِ علمٍ مُسْتَبْحِراً في عددٍ من فنونِ المعرفة: من القِراءاتِ والتفسيرِ والحديثِ وأُصولِ الفِقه والفِقه وعِلمِ الكلامِ واللغة والنحو والأدب. وكان له عدد من التآليف: أحكامُ القرآن (وَهُوَ أجلُّ الكتبِ في موضوعه حَسَنٌ مفيدٌ جَمَعَهُ في إبّانِ نَشاطه ومُقْتَبَلِ حياتهِ وفَرَغَ من تأليفهِ في مُرسية سَنَةَ ٥٥٣) - كتاب في الأبْنِيَةِ (الصرف) - كتاب في المسائل التي ٱختلف فيها النحويّون من أهلِ الكوفة وأهل البصرة - كتاب في صناعة الجَدَل - ردٌّ على رسالة ٱبنِ غرسِيَةَ (راجع ٤ : ٦٨٣ وما بعد) في تفضيل العجم على العرب. ثمّ إنّه ٱختصرَ عدداً من الكتب: الأحكام السلطانية (للماوردي؟) - ناسخ القرآن ومنسوخه لابن شاهين (صلة الصلة، ص ١٩) - كتاب المحتسب لابن الجنّي (صلة الصلة، ص ١٩). وكان له نثرٌ ونظمٌ.

٣ - **مختارات من آثاره:**

- قال في العتاب بالاتّكاء على إشارة فقهية:

مـــا بالُنـــا مُتَّهَماً وُدُّنـــا ... ونحن في وُدِّكم نقتتـــــلْ
كأنّـــكم مِثـــلُ فقيـــهٍ رأى ... أنْ يـــترُكَ الظاهرَ للمُحْتَمَـــلْ!

٤ - ★★ التكملة ٦٥١؛ الذيل والتكملة ٥ : ٥٨ - ٦٣ (رقم ١٢٩)؛صلة الصلة، ص ١٧ -

٢٠؛ البلغة ١٣١ - ١٣٢؛ المرقبة العليا (قضاة الأندلس) ١١٠؛ بغية الوعاة ٣١٥؛ الديباج المذهب ٢١٨ - ٢١٩؛ بروكلمن، الملحق ١: ٧٣٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٧ - ٣١٨ (١٦٨).

ابن محشرة

١ - هو أبو الفضلِ محمّدُ بنُ عليٍّ[١] بنِ طاهرِ بنِ تميمٍ القيسيُّ، وُلِدَ في بِجايةَ سَنَةَ ٥٤٠ (١١٤٥ م) أو قبلَها بمدّةٍ يسيرةٍ. رَوى عن أبي القاسم القالمي وأبي محمّدٍ عبدِ الحقِّ ابنِ عبدِ الرحمن.

كان أبو القاسمِ القالِميُّ كاتباً للسِرّ للخليفة أبي يعقوبَ يوسفَ (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). فلمّا تُوُفِّيَ القالميُّ أرسلَ الخليفة إلى ابنِ مَحْشَرَةَ يَسْتَقْدِمُهُ. فانتقلَ ابنُ محشرةَ من بِجاية إلى مَرّاكُشَ وكَتَبَ لأبي يعقوبَ يوسفَ ثمّ لابنهِ يعقوبَ المنصورِ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانت وفاةُ ابنُ محشرةَ سَنَةَ ٥٩٨ (١٢٠١ - ١٢٠٢ م).

٢ - كان ابنُ محشرةَ أكبرَ المترسّلين الذين ظهروا في الجزائر إلى جانبِ مُشاركةٍ في عددٍ كبيرٍ من فُنونِ المعرفة كالفِقه وسواه. وقد كان مُتَمَكِّناً من التَصرُّف في وجوهِ البلاغة.

٣ - مختارات من آثاره:

- كان من عادةِ ابن محشرةَ أن يُبطِئ في مجيئه، إذا دعاه أميرُ المسلمين يوسفُ ابنُ عبد المؤمن. ولمّا عاتَبه أميرُ المسلمين في ذلك قال له:

يا أميرَ المؤمنين، أنتَ إمام المسلمين. وما أظُنُّ أن محلَّ الإقامةِ[٢] إلّا كمحلّ الصلاة. وكما آتي إلى الصلاةِ آتي إلى هذا المحلّ. وقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه

---

(١) وقيل في سياقة نسبه: أبو الفضل وأبو العليّ جعفر بن أحمد. وقيل أيضاً: أبو الفضل بن محمّد بن عليّ ابن طاهر بن تميم- وقيل ابن محشوّة (بالواو) مكان ابن محشرة (بالراء).

(٢) محلّ الإقامة (محلّ الإمام الذي يقيم الصلاة: يدعو الناس إلى الصلاة).....

وسلّم: « إذا أُقيمتِ الصلاةُ فلا تأتوها وأنتم تسعَوْنَ، وأْتوها (وأنتم) تمشُون وعليكمُ السكينةُ. فما أدْركْتُمْ فصلّوا، وما فاتَكم فأَتِمّوا ».

- (لم أستطعِ الحصول على نُسخة من رسائلِ ابنِ محشرةَ - راجع رقم ٤).

٤ - رسائل ابن محشرة (ليفي بروفنسال)....

★★ راجع المعجب ١٧٦، ١٩٠؛ عنوان الدراية ٨٣ - ٨٥؛ معجم أعلام الجزائر ١٦٥.

عبد الوهّاب القيسيّ المَنْشيّ

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ الوهّاب بنُ عليٍّ بنِ محمّدِ القيسيُّ المَنْشيُّ (نسبة إلى المَنْشأة - وهي حِصْنٌ بغربيّ مالَقةَ) المالقيُّ المعروفُ بابن الأصمّ. وُلِدَ سَنَةَ ٥٢١ هـ (١١٢٧ م).

روى عبدُ الوهّابِ القيسيُّ عن أبي العبّاسِ بن سيدٍ وأبي عبدِ الله الحِجاريّ وأبي عبد الله ابنِ الطَراوة وأبي محمّدٍ القاسمِ بنِ دحمانَ وأبي مروانَ عبدِ الملك بن مُجْبَر. وقد آثرَ سُكنى الباديةِ فلم تَتِمَّ له شُهرةٌ. ويبدو أنّه انتقل فيما بعدُ إلى سُكنى الحَضَرِ فنَزَلَ مالقةَ لِيَقْصِدَ نفراً من الولاة.

ولمّا تُوفّي خطيبُ جامعِ مالقةَ، أبو عبد الله الإستِجيُّ تولّى عبدُ الوهّابِ القيسيُّ الإمامةَ والخَطابة مكانَه ثمّ استمرَّ فيها إلى وفاتِه في رابعَ عَشَرَ شوّالٍ من سَنَةِ ٥٩٨ (١٢٠٢/٨/٥ م).

٢ - كان عبدُ الوهّابِ القيسيُّ فقيهاً ماهراً في عقد الشروط، كما كان عارفاً باللغة والنحو. وكان أديباً مُحسناً مُجيداً في النثر والنظم، له رسائلُ وخطبٌ ومقاماتٌ وأشعارٌ حُلْوَةُ الأغراضِ طريفةُ الدُعابةِ. وكان ناقداً بصيراً. وله بيتانِ طريفانِ هُما:

بإحـدى هـذه الخَيْماتِ جـارهْ ... تَرى هَجْري وتَغْذيـبي تِجـارهْ.
وكم ناديتُ: يا هذي، ارْحَمينا، ... فلَسْنـا بالحديـدِ ولا الحِجـاره★!

★ في القرآن الكريم (١٧ : ٥٠، سورة الاسراء): « قل: كونوا حجارة أو حديداً.... »

ولقد طَرِبَ لها أدباءُ كثيرون وذَيّلوها (زادوا عليها مِثْلَها) ولكنْ لم يبلُغْ أحدٌ إلى حُسنِ بنائِها ولا إلى خِفّة روحِها. ولقدِ اتّفقَ لعبدِ الوهّاب القيسيِّ أن يأتِيَ بيتاه من لُزوم ما لا يلزَمُ بأربعةِ أحرفٍ (جاره) ثمّ في مِصْراعَيِ البيتِ الأوّل بخمسةِ أحرفٍ (ت جاره- تجاره). ويكثُرُ لزومُ ما لا يلزم في قوافيهِ واسجاعه.

٣- **مختارات من آثاره:**

- قال عبدُ الوهّابِ القيسيُّ في الموت:

الموتُ حَصّادٌ بلا مِنْجَلِ ... يسطو على القاطنِ والمُنْجلي[١].
لا يقبَلُ العُذْرَ على حالةٍ: ... ما كان مِنْ مشكل أوْ مِنْ جَلي[٢]!

- وكتب إليه أبو الحجّاجِ بنُ الشيخِ في شأنِ بَيْتيه «بإحدى هذه الخيام جارهْ»، فردّ عبدُ الوهّابِ عليه برسالةٍ منها:

إنّ خليلًا لي من قُضاعهْ ... ذَكّرني أيّامِيَ المُضاعهْ،
إذِ الهوى واللَّهْو لي بِضاعه. ... مهلًا! فذاك الدرّ قد أضاعهْ
خِلُّك لم يَسْتَدِم ارتضاعهْ[٣].

أيّها الفاضلُ الحسيبُ، إلى متى هذا التغزُّلُ والنسيبُ؟ ألَمْ تنفَدْ أيّامُ الجهل؟ ألم يَعُدِ الفتى كالكَهْل؟ أما، واللهِ، لقد أحاطتْ بالرقابِ السلاسلُ، وآن أنْ يَخافَ من العِقابِ المُتغزّلُ المراسِلُ[٤].... ثمّ ما أنت وعهدَ ساكناتِ الخيام وان كانتْ مِنْ

---

(١) القاطن: المستقرّ في بلده. المنجلي (النازح عن وطنه).

(٢) كلمة «أو» زائدة في الوزن (ويستقيم الوزن إذا حذفنا التنوين من «مشكل»). المشكل: الغامض. الجلي: الواضح.

(٣) الدرّ (بالفتح): حليب الأمّ. إذا توقّف الطفل عن الرضاع من أمّه فإنّ حليب الأمّ ينقطع.

(٤) أحاطت....:أصبح الإنسان مكرهاً على السلوك الحسن. وأصبح الغزل الصريح (ذكر المحبوبة في الشعر ممنوعاً، يعاقب عليه المخالف. وكان عمر بن الخطّاب قد منع التغزّل الصريح. وقد نثر صاحب الترجمة ذلك من بيتين لأبي خراش الهذلي (توفي في خلافة عمر بن الخطّاب، ١٣ - ٢٣ هـ). أمّا بيتا أبي خراش فهما (حاشية للدكتور احسان عبّاس، في الذيل والتكملة ٥: ١٧١، ص ٨٤):

وليس كعهد الدار، يا أمّ مالك؛ ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل.
وعاد الفتى كالكهل: ليس بقائل ... سوى العدل شيئاً، واستراح العواذل.

مباركات الأيّام؟ كم تسألُ عن أنباءِ سعادَ سَعْداً! هلّا قُلتَ قولَ الألبّا: سُحْقاً للهوى وبُعداً!.... تعالَ، فَلْنَخلَعْ تلكَ اللَّيِّنات من الملابسِ، وَلْنَرْجِعْ عن التُّرَّهات البَسابس[1]. وَلْنَذَرِ الديارَ وساكناتِها وَلْنُقِرَّ الأطيارَ على وُكُناتِها[2] وَلْنَذْهَبْ في مِنهاجٍ من صالحِ العملِ وَلْنَتأهّبْ لانزعاجٍ ليس يسعى به الجملُ[3]. هذا، واللهِ، هو الرأيُ السديدُ عند ذوي الرأي الحديدِ.... وقد ذَكَرْتَ أنّ قوماً من الشعراء ذَيّلوا بيتاً كان عندي مَنْبوذاً بالعَراءِ وأردتَّ أنْ أَقِفَ على أبياتِهم وأَعْرِفَ كيفَ تفاوُتُهم في غاياتِهم. وزعمتَ أن لي بَصَراً بالتفريق بينَ مَنْ سار قصداً أو مَنْ حادَ عنِ الطريق. فسأَقفُ عليها وإن كان الباعُ قصيراً ولم يكُنِ الناقدُ بصيراً.... وحَبّذا القائلُ (منهم):

شريفُ الحبِّ ليسَ يُريدُ وَصْلًا سوى لَثْمٍ، فَصِلْ فيهِ نِجارَهْ[4].

هذا رجُلٌ يَرْجعُ إلى عَفافٍ ويقنع بكَفاف. سَلَكَ في هواه أحمدَ طريقهِ وقَنعَ مِمّنْ يَهَواه بمَجّة ريقهِ. ليس كالعسلِ الطالبِ للنَسْلِ[5]. وإذا تمادتِ العِلّة واشتدّت الغُلّة[6]، فلا شافٍ كارتشافٍ ولا مُطفىءُ حريقٍ كرَشْفة ريقٍ.....

أعزّكَ اللهُ. ربّما كان في كِلامي بعضُ دُعابَة لم أذهَبْ بها إلى مَعابة[7]. فَلَكَ الفضلُ في بَسْطِ العُذْرِ لَدَيْهِمْ وإيصالِ التَحيّة إلَيْهم. ثمّ السلامُ الأتمُّ الأعمّ الأكرم على أخي وَوَلِيّي في اللهِ، الفقيهِ الأجلِّ أبي الحجّاجِ، ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

٤ - ★★ التكملة (رقم ١٧٧٧)؛ صلة الصلة ٢٨ - ٣٠؛ الذيل والتكملة رقم ١٧١، (٥: ٧٥ - ٩٤)؛ نفح الطيب، راجع ٣: ٤٠٣، ٤: ٣٢٨.

---

(١) الترّهات البسابس: الأباطيل (المعجم الوسيط ٥٥).

(٢) الوكنة (بضمّ فسكون): عشّ الطائر.

(٣) الانزعاج الانتقال. ليس يسعى (يقدر عليه) الجمل (للبعد والمشقّة)، يقصد: الموت.

(٤) «صِلْ» (فعل أمر من «وصل»): اجعل ذلك متعلّقاً. النجار (بكسر النون): الأصل (النبيل).

(٥) عسل المرأة عسلا (بفتح فسكون): نكحها.

(٦) الغلّة: العطش.

(٧) المعابة: العيب.

صفوان بن إدريس

١ - هو أبو بحرٍ صَفْوانُ بنُ إدريسَ بنِ إبراهيمَ بن عبدِ الرحمن بنِ عيسى بنِ إدريسَ التُجيبيُّ المُرْسيّ، وُلِدَ في مُرْسِيَةَ سَنَةَ ٥٦١ هـ (١١٦٤ م). وتلقّى صفوانُ العِلمَ على نفرٍ كثيرين من أهلِهِ ومِنَ العُلماءِ؛ مِنْ هَؤلاءِ أبو بكرِ بنِ مُغاورِ، وأبو رجالِ ابنُ غلبون،وأبو العبّاسِ بنُ مَضاء (سَمِعَ مِنه صحيحَ مُسْلِمٍ)، وابن بَشْكُوالَ، وأبو الوليدِ بنُ رشدٍ الفيلسوفُ. وكانت وفاةُ صفوان في سادسَ عَشَرَ شَوّالٍ من سَنَةِ ٥٩٨ (١٠/ ٧/ ١٢٠٢ م) في مُرْسِيَةَ.

٢ - صَفوانُ بنُ إدريسَ أديبٌ مشهور (نفح الطيب ٤: ٤٧٥) فهو كاتبٌ مُتَرَسِّلٌ بليغٌ وشاعرٌ وُجدانيّ مُحْسِن، حُلوُ الألفاظِ رقيقُ المعاني سهلُ التراكيبِ رائقُ الدِيباجة، ثمّ هُوَ مَعَ ذلك كلّهِ سريعُ الخاطر. وشعرُه قصائدُ ومُقَطَّعاتٌ، وفنونُه البديعيّاتُ (في مدح الرسول). وله رثاءٌ أكثرُهُ في آلِ البيت وفي الحُسين خاصّةً. وكذلك له غزلٌ بديعٌ وأوصافٌ أنيقة. وصَفوانُ بنُ إدريسَ مُصَنِّفٌ، له: زادُ المسافر وغُرّة مُحيّا الأدب السافر (تكملة لقلائد العُقيان للفتح بن خاقان)- العُجالة (تتضمّن طَرَفاً من نثرِه وشعره)- كتاب الرحلة- ديوان شعر. وفي شعره تفنُّنٌ في القوافي احياناً.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال صفوانُ بنُ إدريسَ من بَدِيعِيَّةٍ (في مدح الرسول):

تحيّــــةُ اللهِ وطيـــــبُ السلامْ عـلى رسولِ اللهِ خـيرِ الأنـامْ؛
عـلى الـذي فتَّح بابَ الهُدى وقال للناس: ادْخُلوها بسلامْ[١].
بـدرُ الهُدى، سُحْبُ النَّدى والجَدا؛ وما عسى أن يَتَناهى الكلام[٢].

(١) «ادخلوها بسلام» (كذا في الأصل)، وهي تضمين من القرآن الكريم. ويستقيم الوزن إذا قلنا: ادخلوها، سلام.

(٢) الندى: الكرم. الجدا: العطاء.

تحيّـــــةٌ تهزأُ أنفاسُهـــــا بالمِسْك، لا أرضى بِمِسْكِ الختام*.
تَخُصّـــــهُ مِنّي ولا تَنْثَنـــــي عن آلهِ الصيدِ السَراةِ الكِرام[1].
وقَدْرُهُمْ أرفـــــعُ؛ لكنّـــــني لم أُلْفِ أعلى لَفْظةً من كِرام!

– وقال في الاعتماد على شفاعة رسول الله:

يقولونَ لي، لمّا ركِبْتُ بَطالتي ركوبَ فتىً جَمِّ الغَوايةِ مُعْتَدِ:
«أعِنْدَكَ ما ترجوا الخَلاصَ بهِ غداً؟» فقلت: «نعمْ، عندي شَفاعةُ أحْمدِ»[2].

– وقال يصف أغصان الأشجار (في روضة) تحركها الريح تحريكاً خفيفاً فيتساقط شيء من أزهارها:

وكأنّما أغْصانُهـــــا أجْيادُهـــــا قد قُلِّدَتْ بلآلِىءِ الأنوار[3].
ما جاءها نَفَس الصَبا مُسْتَجْدِياً إلّا رَمَتْ بدَراهِمِ الأزْهار[4].

وقال يصف شجرة تهزّها الريح وغيمة تلقي بشيء من حبّات المطر على أطراف البستان:

والسَّرْحَةُ الغَنّاءُ قد قَبَضَتْ بها كفُّ النَّسيمِ على لِواءٍ أخضرِ[5].
وكأنّ شكلَ الغيمِ مُنْخَلُ فِضّةٍ يرمي على الآفاقِ رَطْبَ الجَوْهَر.

– وقال في الغزل مع بعض المُجون والعَفاف:

يا حُسْنَهُ، والحسنُ بعضُ صِفاتهِ؛ والسحرُ مقصورٌ على حَرَكاتـهِ.

---

(١) الصيد جمع أصيد (بسكون الصاد وفتح الياء): مائل العنق (من الاعتزاز بالقوّة والجد). السراة جمع سَرِيّ: أحد كبار القوم وأعيانهم.
(٢) غدا (يقصد يوم القيامة).
(٣) الأجياد جمع جيد (بكسر الجيم): العنق. الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهرة.
(٤) إذا هبّت عليها ريح الصَّبا (الشرقيّة) تستجدي (تطلب منها شيئاً من الرائحة الزكية) رمت إليها (أعطتها) زهراً أبيض مستديراً (كالدراهم).
(٥) السرحة: الشجرة الكبيرة. الغنّاء: الناضرة (الكثيرة الورق). – تهزّها الريح كأنّ الريح تحمل في يدها راية خضراء وتحرّكها بعنف.
(٦) الجوهر (هنا) حبّات المطر.

بدرٌ، لو ٱنّ البدرَ قيل له: ٱقترحْ أمَلًا! لقـال: أكونُ من هالاتـهِ.
والخـالُ يَنْقُـط في صَحيفة خدّهِ ما خطّ حِبْرُ الصدغ من نوناته(١).
وإذا هـلالُ الأُفْقِ قابـلَ وَجْهَه أبصرتَــه كالشكْـلِ في مِرْآتــه.
عَبَثَـتْ بقلـبِ مُحِبِّـهِ لَحَظاتُـه؛ يـا ربِّ، لا تَعْبَثْ على لحظاته(٢).
ركِبَ المآثِمَ في ٱنْتهابِ نُفوسنا؛ فــاللهُ يَجْعَلُهُنَّ من حَسَناتــه(٣).
مـا زِلتُ أخْطُبُ للزمانِ وصالَه حتّـى دنا- والبُعْدُ من عاداته.
فغَفَرْتُ ذنبَ الدهرِ مِنـهُ بلَيْلَةٍ غَطّت علـى ما كان من زَلّاتهِ.
غَفَـلَ الرقيبُ فنِلْتُ منهُ نَظْرةً؛ يـا ليتَه(٤) لو دام في غَفَلاته(٤).
ضاجَعْتُه، والليلُ يُذْكي تَحْتَنا نارَيْنِ من نَفَسي ومن وَجَناته(٥).
بِتْنـا نُشَعْشِعُ، والعفافُ نَديمُنا، خَمْرَيْنِ من غزَلي ومن كَلِماتـه(٦).
حتّى إذا وَلِعَ الكَرى بجُفونهِ، وٱمْتَـدّ في عَضُدَيَّ طَوْعَ سِناته(٧)
أوْسَقْتُــهُ في ساعِــدَيَّ لأنّـــه ظَبْيٌ خَشِيتُ عليه من فَلَتاته(٨).
فضممتــه ضمّ البخيــل لمالـــه يحنو عليـه من جميـع جهاتـه.
عَزَمَ الغرامُ عـــليَّ في تَقْبيلـــهِ فنَفَضْتُ أيدي الطَوْعِ مِنْ عَزَماته.
وأبى عَفــافي أن أُقَبِّــلَ ثَغْرَهُ؛ والقلـبُ مَطْوِيٌّ عــلى جَمَراتـه.

---

(١) النون (هنا) خصلة الشعر المعكوفة على الصدغ (الجانب الأعلى من الخدّ). الخال ينقطه في صحيفة خدّه «نقطة سوداء» تشبه لون شعره.

(٢) لا تعبث (!)، لعلّها: لا تعتب (؟).

(٣) ارتكب اثماً (ذنباً) لمّا انتهب نفوسنا (سلبنا نفوسنا، قتلنا بحبّه).- نرجو الله أن يجعل ذنوبه هذه حسناتٍ له (لكثرة حبّنا إياه).

(٤) يا ليته لو دام (ليت الرقيب دام في غفلته عنّا...).

(٥) أذكى: أشعل.

(٦) شعشع: مزج (أمزج كلامه بشعري، أو شعري بكلماته).

(٧) ولع الكرى (النوم) بجفونه: استغرق في نومه. العضد (الجزء الأعلى من الذراع). السنة (بكسر السين): النعاس (أول النوم).

(٨) أوسقته: جمعته (ضممته). الساعد: الجزء الأدنى من الذراع.- من عادة الظبي (الغزال) أن ينفر من الناس).

فاعْجَبْ لُمْلْتَهِبِ الجوانحِ غُلّةً يَشْكو الظَما والماءُ في لَهَواته(١)!

- ولصفوان بن إدريس قصيدة في رثاء الحسين مطلعها:

أوْمِضْ بِبَرْقِ الأضْلُعِ ، وآسكُبْ غَمامَ الأدمُعِ ،
واحزَنْ طويلًا واجْزَعِ فَهُوَ مكانُ الجَزَعِ .
وانْثُرْ دِماءَ المُقْلَتينْ تألُّماً على الحُسينْ
وآبْكِ بدَمْعٍ دونَ عينْ إنْ قلّ فَيْضُ الأدمُعِ !

- وكتب صفوان بن إدريس إلى صديق له يعاتبه:

أدامَ اللهُ سُبحانَه مُدّةَ الأخِ الذي أسْتديمُ إخاءه؛وإن واجَهَتْني زَعازِعُه أرْتَقِبُ رُخاءه. وتجاوَزْتُ عن يومِهِ لأمسِهِ وأغْضَيْتُ عن ظلامِهِ لشمسه، إناءً واعتناءً، وإنذاراً وإعذاراً. ورَحِمَ اللهُ مَنِ اعتمدَ على الأفهامِ وعصى أوامرَ الأوهام، ورأى الخليفةَ في المعقولِ لا في المُخْتَلَقِ المنقول. وبعدُ، فإنّه وَصَلَ كلامُكَ بل مَلامُك، وكتابُك بل عِتابك، ورِسالتك بل بَسالتك. أسْمَعْتَني بألفاظِكَ العِذابِ سوء العَذابِ وأرَيْتَني لَمَعانَ الحُسامِ من فِقَرِكَ الوِسام....

٤ - زاد المسافر، بيروت ١٩٣٩ م؛ (أعدّه وعلّق عليه عبد القادر محداد)، بيروت (دار الرائد العربي) (١٩٧٠ م).

★★ معجم الأدباء ١٢ : ١٠ - ١٤؛ فوات الوفيات ١ : ٢٤٥ - ٢٤٨؛ الذيل والتكملة ٤ : ١٤٠ - ١٤٣ (رقم ٢٦٤)؛ المغرب ٢ : ٢٦٠ - ٢٦١؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٢٨٢ (في ترجمة محمّد بن ثعلبة)؛ تحفة القادم ٨٢ - ٨٦؛ نفح الطيب ١ : ١٧٠ - ١٧٥، ٤ : ٨٧ - ٨٨، ٥ : ٥٧ - ٧٤، ٦ : ٢٥٣ - ٢٥٥؛ بروكلمان ١ : ٣٢٢، الملحق ١ : ٤٨٢؛ الأعلام للزركلي ٣ : ٢٩٥ (٢٠٥).

ابن عميرة الضبّيّ

١ - هو أبو جعفرٍ (وأبو العبّاس) أحمدُ بنُ يحيى بنِ أحمدَ بنِ عُميرةَ الضَبّيُّ

(١) الغلّة: حرارة العطش. الظمأ: العطش. لهوات جمع لهاة (بفتح اللام): أقصى الفم.

القُرْطُبي، وُلِدَ في بلدةِ بَلِّش في الأغلب، وفي نحو سَنَةِ ٥٥٥ هـ (١١٦٠م). وبدأ تَلَقِّي العِلمِ في لُورقةَ القريبةِ من مسقطِ رأسِهِ (قيل: قَبْلَ أَنْ يبلُغَ العاشرةَ). ثمّ إنّه تَطوّفَ كثيراً في الأندلس والمَغرب، ولكنّ سَكَنه كان في مُرْسِيَةَ وقُرطبةَ. ورَحَلَ ٱبنُ عُميرة إلى المَشْرقِ حاجًّا ولَقِيَ في أثناء رِحلتهِ هذه نفراً كثيرين من أهلِ العلم. ثم كانتْ وَفاتُه في مُرْسِيَةَ، في الخامسِ والعِشرينَ من ربيعٍ الآخِرِ من سَنَةِ ٥٩٩ (١٢٠٣/١/١٠م).

٢ - كان ابنُ عُميرةَ الضبّيّ مُحَدِّثاً كثيرَ الرِوايةِ صحيحَ النقل ثِقةً صَدوقاً. وكذلك كان مؤرّخاً بارعاً حَسَنَ الضَّبْطِ لما ينقُلُ. له من الكُتب «مَطلَعُ الأنوارِ لِصحيح الآثار» - أحاديث رسولِ اللهِ - وقد جَمَعَ فيه بينَ (الأحاديثِ الواردةِ في صحيح) البُخاري و (صحيح) مُسْلِمٍ (ممّا كانا قدِ ٱتّفقا في رِوايته؟). غيرَ أنّ ٱبنَ عُميرةَ الضّبّيَّ اشتهرَ بكتابه: «بُغْيَةِ المُلْتَمِسِ في تاريخ رجالِ أهلِ الأندلُسِ: عُلمائِها وأُمرائها وشُعرائها وذَوي النَّباهة فيها مِمّن دَخَلَ إليها أَوْ خَرَجَ عنها مِمّا وشّى به رياض الحُميديّ[1] ونمنم وألْحَمَ سَداه[2] وتَمّمَ أحمدُ بنُ يحيى بنِ أحمدَ بن عُميرةَ الضّبّيُّ وفّقَهُ اللهُ». وكتابُ «بغية الملتمس» تتمّةٌ لكتاب «جُذوةِ المُقْتَبِسِ» للحُميدي وتنبيه على عددٍ من أخطائه. وفي «بُغيةِ الملتمس» كلامٌ وجيزٌ على فتح الأندلس وعلى مُلوكها (ص ٦ - ٣٥) ثمّ تَراجِمُ مُوجَزَةٌ - أو موجزةٌ جدًّا، في أحيانٍ كثيرة. ومُعْظَمُ هذه التراجمِ لرجالِ العلمِ (الحديثِ والفِقه) وقليلٌ منها لرجالِ اللُّغة والأدب.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدّمة «بغية الملتمس»:

... لمّا كان الناظرُ في الحديثِ وعلومهِ مُفتقراً إلى معرفة أسماء رجالهِ ووَفَياتِهِمْ

---

(١) محمّد بن فتّوح الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) صاحب كتاب «جذوة المقتبس». - هذه الجملة غير مستقيمة في السجع والموازنة. وأظنّ أن الجملة قد تستقيم إذا قرأنا «رياضه».

(٢) نمنم المؤلّف كتابه: نقشه (لوّنه) وزخرفه (زيّنه). السدى (بالفتح) الخيوط التي تمدّ (عند نسج الثوب أو حياكته طولاً) واللحمة (بالضمّ): الخيوط التي تمدّ عرضاً.

وبُلْدانهم، ٱسْتَخَرْتُ اللهَ تعالى على أنْ (أضَعَ كتاباً في) رُواةِ الحديث بالأندلس وأهلِ الفِقه والأدب وذوي النباهة والشِعر ومَنْ له ذِكْرٌ مِمّن دَخَلَ إليهم أو خرج عنهم في ما يتعلّق بالعلم والفضل والرئاسة والحرب وأجعل (ذلك) من وقتِ ٱفتتاحها والذي تولّى فَتْحها ومَنْ دَخَلَها منهم من التابعين رَضِيَ اللهُ عنهم مُرَتِّباً ذلك على حروف المعجم.

ولم أجِدْ في كتب من تَقَدَّمَ كتاباً أقبل[1] من كتاب أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ أبي نصرٍ الحُميديّ؛ إلاّ أنّه ٱنتهى إلى حُدود الخمسينَ وأربعِ مِائَةٍ، فاعتمدتُّ على أكثرِ ما ذكره وزِدتُّ ما أغْفَلَه وغادَرَهُ وتّممتُ من حيثُ وَقَفَ. وجعلتُ ما اعتمدتّه من ذلك تَذْكِرَةً لنفسي ومُطالِعاً لأُنسي لم ألْتَمِسْ عليه من مخلوقٍ عِوَضاً ولا طلبتُ به من أعراضِ الدنيا عَرَضا[2]، جارياً في ذلك على سبيل الاختصار[3] تاركاً للتطويلِ والإكثار.

٤ - بغية الملتمس (تحرير كوديره)، مجريط (مطبعة روخس) ١٨٨٤م؛ القاهرة (دار الكاتب العربيّ) ١٩٦٧م.

★★ التكملة لكتاب الصلة ١: ١١٤ - ١١٥ (رقم ٢٤٢)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٤ - ٧٠٥؛ بروكلمن ١: ٤١٥ - ٤١٦، الملحق ١: ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٥٤ (٢٦٨)؛ سركيس ١٩٣؛ بالنثيا ٢٧٦ - ٢٧٧.

حمدة بنت زياد

١ - هي حَمدةُ (أو حَمدونةُ) بنتُ زيادِ بنِ بَقِيٍّ العَوْفِيّ المُؤدِّب (أو المُكَتِّبِ) من ساكني وادي الحِمّةِ بقريةِ بادي قُرْبَ وادي آشَ، كانتْ تلميذةً للبرّاقِ (أو ابن

(١) اقرأ: أمثل (أحسن).

(٢) في الأصل: من أعواض الدنيا عرفاً.

(٣) بياض في الأصل. والكلمة منّي.

البرّاق)[1] كما حَدّثتْ عن أبي الكَرَمِ جودي بنِ عبدِ الرحمنِ الأديب[1]. وَهِيَ مُعاصرةٌ لنَزْهون. ولعلّ وفاتَها كانتْ في سَنَةِ ٦٠٠ (١٢٠٤ م).

٢ - حمدةُ بِنْتُ زيادٍ نبيلةٌ من أهلِ الجَمالِ والمالِ والمعارفِ، وكانتْ بَرْزَةً (تحضُرُ مجالسَ الرجالِ) مَعَ صَوْنٍ وعَفافٍ ونَزاهةٍ. وَهِيَ أديبةٌ بارعةٌ مشهورةٌ وشاعرةُ جَميعِ الأندلسِ وخنساءُ المَغْربِ، مِنَ المُتَصرِّفات في فنونِ الشعر والمُتغزِّلاتِ المُتَعفّفاتِ ومن طَبَقةِ العَرَبياتِ (أولئك اللواتي يُحافِظْنَ على المعاني العربية في الحياةِ الخاصّة والعامّة). وشِعرُها وُجْداني أكْثَرُه الغزلُ والوَصْفُ. ويَنْسِبُ الأندلسيون إليها الأبياتَ الحِسانَ:

وَقانــا لَفحــةَ الرَمْضــاءِ وادٍ سَقــاهُ مُضاعَفُ الغَيْـثِ العميمُ!

ولكنّ هذه الأبياتَ للمَنازي[2] المَشْرقيّ الذي عاش قبل حَمْدة بقرنٍ ونَصف قرنٍ. ولعلَّ الذي حَمَلَ الأندلسيّين على حُبِّ هذه الأبياتِ أنّها وَصْفٌ عليه نفحةٌ أندلسيّة!

٣ - مختارات من شعرها:

- لِحَمدةَ بنتِ زِيادٍ مُقطّعتانِ مشهورتان تَجْمَعان إلى النسيب إعجاباً بجَمالِها:

★★ أبــاحَ الدهرُ أسراري بِوادي لــه في الحُسنِ آثــارٌ بَوادي[3].
فمن نَهْرٍ يَطوفُ بكـلِّ رَوْضٍ، ومن رَوْضٍ يطوفُ بكلِّ وادي[4].
ومِنْ بَيْنِ الظِبــاءِ مَهاةُ إنسٍ سَبَـتْ لُبّي وقد مَلَكتْ فُؤادي[5].

---

(١) هو الأديب أبو القاسم (أبو عبد الله) محمد بن علي الهمذاني الوادي آشي (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ).

(٢) راجع معجم الأدباء (١٠ : ٢٧٤، في الحاشية). ثمّ انظر الاحاطة (١ : ٣٧٦ س). وفي بغية الوعاة (ص ٢١٣): جودى بن عبد الرحمن بن جودى بن موسى...... أبو الكرم أستاذ في العربية (النحو) والأدب، شاعر مجيد، مات سنة ٦٣٣.

(٣) أحمد بن يوسف المنازي (ت ٤٣٧ هـ) راجع تاريخ الأدب العربي ٣ : ١١٨ هو صاحب هذه الأبيات. راجع مناقشة نسبة هذه الأبيات سلباً وإيجاباً في معجم الأدباء ١٠ : ٢٧٦ - ٢٧٧ ونفح الطيب ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩. (٤) الوادى: النهر.

(١) بوادي: في بادي (القرية التي ولدت حمدة فيها). بوادي= بَواد (جمع باد: ظاهر).

(٣) المهاة: بقرة الوحش (نوع من الظباء كبيرة العيون).

لهـا لَحْـظٌ تُرَقِّـدُه لأمرٍ، وذاك الأمرُ يمنعُـني رُقادي[1].
إذا سَدَلَـتْ ذَوائِبَهـا عليهـا رأيتَ البَدْرَ في أُفُقِ الدَآد[2].
كأنّ الصُبْحَ مات له شقيقٌ، فمن حُزْنٍ تَسَرْبَـلَ بالسَواد!

★★ ولّما أبى الواشونَ إلاّ فِراقَنا وما لَهُمُ عِندي وعندَكَ من ثار،
وشَنُّوا على أسْاعِنا كلَّ غارةٍ، وقلّ حُماتي عند ذاك وأنصاري،
غَزَوْتَهُمُ من مُقْلَتَيْـكَ وأدْمُعي ومن نَفَسي بالسَيْفِ والماءِ والنار!

٤- ★★ التكملة ٧٤٦ (رقم ٢١٢٠)؛ المغرب ٢ : ١٤٥؛ معجم الأدباء ١٠ : ٢٧٤ - ٢٧٨؛ تحفة القادم ١٦٢ - ١٦٣؛ المطرب ١١؛ الإحاطة ١ : ٤٩٧ - ٤٩٨؛ فوات الوفيات ١ : ١٨٨؛ نفح الطيب ٤ : ٢٨٧ - ٢٩٠؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٣٠٥ (٢٧٤).

ابن الفرس (أو المهر) الغرناطيّ

١ - هو أبو القاسمِ عبدُ الرحيم[3] بنُ إبراهيم بْنِ محمّدٍ الخَزْرجيُّ الغَرْناطيُّ المعروفُ بابن الفَرَس أو بالمُهْرِ بنِ الفرس، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٥ هـ (١١٦٩ - ١١٧٠ م) وأخذَ العِلمَ عن صِهْرِه أبي محمدٍ عبدِ المُنْعم بنِ عبدِ الرحيم بنِ الفرس (ت ٥٩٨ هـ) وغيره[4]. حَضَرَ ابنُ الفرسِ يوماً في مَجْلِسِ المنصورِ المُوحِّديّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) فتكلّمَ بكلامٍ يُفْهَمُ منه أنّه يَغُضّ من خِلافةِ المُوحِّدينَ ويَكْشِفُ عن طُموحه هو إلى الإمامة. ثمّ خافَ عاقبةَ أمرِهِ فتَخَفّى مُدّةً. فلمّا ماتَ المنصورُ المُوحِّديُّ ظَهَر ابن

(١) ترقّده: تنيمه (تجعل لحظها فاتراً ناعساً، وهذا يؤثّر في العاشقين). وهذا الفعل يجعلني ازداد حبًّا لها وسهراً في التفكير فيها.
(٢) سدل وأسدل: أرخى الستر. الدآد (الليالي الثلاث الأخيرة من الشهر) تكون مظلمة جدًّا. رأيت (وجهها) في الدآد (بالنسبة إلى النساء الأخريات).
(٣) في بغية الوعاة (ص ٣٠٥): عبد الرحيم بن عبد الرحيم. وفي الاستقصا (١ : ١٩٠): عبد الرحيم بن عبد الرحمن.
(٤) وكذلك تلا (القرآن؟) على ابن عروس (؟) وأخذ النحو عن ابن مسعدة (؟)- راجع بغية الوعاة ٣٠٥.

الفرس ودعا إلى نفسه في قبائل البربر جَنوبَ مدينة مَرّاكش، إذِ ادّعى أنّه المَهْديُّ المُنْتظَر أو أنّه القَحْطاني (الذي ذُكِرَ في الحديث أنّه سيُبْعَثُ قبل أن تقومَ الساعة). فحاربه الناصرُ الموحِّديُّ (٥٩٥ - ٦١١ هـ) ثمّ غَدَرَ به جَماعةٌ وقَتلوه وحَملوا رأسه إلى مَرّاكُشَ، سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م).

٢ - جاء في «بُغية الوُعاة» (ص ٣٠٥): كان ابنُ الفرس «فقيهاً جليلَ القَدْرِ رفيعَ الذِكْر عارفاً بالنحو واللّغة والأدب، باهرَ الكِتابة رائقَ الشِّعْر، سريعَ البَديهة، تَفقّهَ ومَهَرَ في العَقْليّات والعلومِ القديمة». وكذلك كان شاعراً مطبوعاً ووَشّاحاً.

٣ - مختارات من شعره:

- مُوشَّحةٌ مشهورةٌ لعبدِ الرحيمِ بن الفَرَسِ الغَرْناطي (المغرب ٢: ١٢٢):

يـــا مَنْ أُغالِبُـــهُ والشوقُ أغلـــبْ
وأرتجي وَصْلَـــــــه والنجمُ أقربْ،
سَدَدتَّ بـــابَ الرضـــا عنْ كـــلِّ مَطْلَـبْ.
زُرْني ولو في المنـــام وجُـــدْ ولو بالسلام
فأقَـــلُّ القليـــلْ يُبقي ذَمـاءَ المُسْتهـام[1].

★ ★ ★

كم ذا أُداري الهوى وكم أُعانيـــــهِ!
ولو شَرَحْـــتُ القليـــلَ مِنْ معانيـــهِ
أمْلَلْـــتُ أسْماعَكُم مِمّـــا أُرانيـــهِ.
هَيْهـــاتِ، بـــاعُ الكـــلام مـــا إنْ يَفي بِغَرامِ[2].

---

(١) الذماء: بقيّة الحياة في البدن. المستهام: الذي اضطرب عقله وتحيّر ثمّ هام (سار على غير هدى) على وجهه (من الحبّ).

(٢) الباع: مسافة ما بين أصابع اليد اليمنى وأصابع اليد اليسرى إذا مدّ الإنسان ذراعيه في خطّ مستقيم. باع الكلام (مجال الكلام).

أينَ قـــالٌ وقيـــلْ عن زَفْرتي وهُيامي[1]؟

★ ★ ★

أمّـــــا هواكُمْ ففي قلـــــبي مَصونْ
لَيْسَت مُرَجَّمَـــــةً فيـــــه الظنونْ.
إنْ لم أصُنْـــــهُ أنـــــا فمن يَكونْ★؟
نَزّهـــتُ فيـــه مَقامي عن خَوْضِ أهـلِ المَلام .
أين منّي جميــــــلْ وعُروةُ بنُ حزامِ[2]؟

– تخيّـلَ عبدُ الرحيم بن الفَرَس نفسَه المَهْدِيَّ صاحبَ الوقتِ (الذي يَجيءُ في آخرِ الزمان ليملأ الدُنيا عَدْلًا) فقال يُخاطبُ أبناءَ عبدِ المؤمن بن عليّ (مؤسسِ دولةِ الموحّدين):

قولوا لأبنـاءِ عبدِ المُؤمنِ بنِ عَلي : تأهّبوا لوقوع الحـادثِ الجَلَل[3].
أتاكُمْ خـيرُ قَحْطـانِ وعالِمُهـا وصاحِبُ الوقتِ والغَلّاب للدُوَل[4].
والنـاسُ طوعُ عَصاهُ وهو قائِدُهُمْ، والأمرُ والنَهْيُ نحو العِلْم والعَمَـل.
فبـــادِروا أمرَه، واللهُ ناصِرُه: واللهُ خـاذِلُ أهلِ الزَيْغ والزَلَل.

– وقال (وعلى قوله نفحةٌ دينيّة):

عسى عَطفةٌ من جانبِ القُدْسِ تَسْمَحُ وبارقةٌ من جانب اللُطف تُلْمَحُ.
عسى اللهُ يُدنيـني إلى ساحةِ الرِضا فأقرعَ أبوابَ الغُيوب فتُفْتَحُ★★ .
ومـا زالَ فضلُ اللهِ يغمُرُ ساحتي ويَظْهَرُ لي من حيثُ ما أتَلَمّحُ.

---

(١) الزفرة: النفس الحارّ (من الحزن...). الهيام (بالضمّ) – راجع الحاشية قبل السابقة.
(٢) جميل بن معمر (بفتح فسكون ففتح) أو جميل بثينة ثمّ عروة بن حزام (بالكسر) من الشعراء العشّاق في العصر الأموي. ★ لعل: فمن يصون.
(٣) أبناء عبد المؤمن بن عليّ: سلاطين الموحِّدين. الجلل: العظيم.
(٤) صاحب الوقت: المتغلّب على أهل زمنه (بحقّه في الخلافة) ★★ تفتح (حقها النصب).

إلى الملأ الأعلى سَمَوْتُ بِهِمَّتي ... كذلك شأنُ الشَكْلِ للشكلِ يَجْنَحُ[1].

- ومن معانيه الجميلة في موشّحة له ذَكر فيها الخمر فقال (المغرب ١ : ٢٧٧):

نَفُضَّ مِسْكَ الخِتامْ ... عن عَسْجَديِّ المُدامْ!
ورِداءُ* الأصيلْ ... تَطْويه كَفُّ الظلام.

٤ - * * المغرب ١ : ٢٧٧، ٢ : ١١١، ١٢٢؛ الحلّة السيراء ٢ : ٢٧٠ - ٢٧٢؛ بغية الوعاة ٣٠٥؛ نفح الطيب ٤ : ٨، راجع ٣ : ٢٠٤؛ الاستقصا ١ : ١٩٠ - ١٩١؛ نيل الابتهاج ١٧٧.

أبو جعفر الذهبي

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عتيقِ بنِ الحسنِ بن زيادِ بنِ جُرْجَ الذَهبيُّ البلنسيّ، من أهلِ قُرطبةَ، وكان أحدُ أجدادِه قدِ اشتغلَ بتذهيبِ الكتب فجاءتْ هذه النِسبةُ إلى أُسْرته.

وُلِدَ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وتلقّى العِلمَ على ابنِ مَضاءٍ وأبي عبد الله بن حميدٍ وأبي الطاهرِ بن عَوْفٍ ثم دخل في خِدمةِ السيدِ أبي الحسنِ عليٍّ بنِ أبي حفصٍ بنِ عبدِ المؤمن والي غَرناطةَ . وكان صديقاً للفيلسوف ابنِ رُشْدٍ (ت ٥٩٥ هـ) فلمّا ثارَ العامّةُ على ابنِ رشدٍ وأرادَ المنصورُ الموحِّدي أن يترضّاهم فنفى ابنَ رُشْدٍ، استترَ أبو جعفرٍ خوفاً من الطلب. ثمّ رَضِيَ المنصور على ابنِ رُشْدٍ وقرّبَ أبا جعفرٍ. ويبدو أنّ أبا جعفرٍ قد قضى مُدّة في مَرّاكُشَ طبيباً في بلاط المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) وفي بلاط خَلَفِهِ محمّدٍ الناصر. وكانَ مرّةً مَعَ الناصر في الأندلس فتُوُفِّيَ، سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م) وهما راجعانِ إلى مَرّاكُش.

٢ - كان أبو جعفرٍ الذهبيُّ مُتَفَنِّناً في العلوم ومُحيطاً بكثيرٍ من علوم الفلسفة، كما كان طبيباً ماهراً ومشاركاً في عددٍ من علومِ الشريعة. ثمّ إنّه كان شاعراً مُقِلّاً

(١) يجنح: يميل. * لعلها: وذا رداء الأصيل.

مُحْسِناً، ولكنّ الفلسفةَ غلبتْ عليه، وكان يقول: «عالَمُ النقصِ لا تكونُ فيه الكمالاتُ».

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي جعفرٍ الذهبيِّ مُقطّعاتٌ منها:

★★ أيُّها الفاضلُ الذي قد هَداني ... نحوَ مَنْ قد حَمِدتُّه بٱختياري،
شكرَ اللهُ ما أتيتَ وجازا ... كَ، ولا زِلْتَ أيَّ نجمٍ سارِ[١]،
أيَّ برقٍ أفادَ أيَّ غَمامٍ، ... وصباحٍ أدّى لِضوءِ نهارِ[٢].
وإذا ما غدا النسيمُ دليلي ... لم يُحِلْني إلّا على الأزهارِ[٣]!

★★ أنتَ عينُ الزمانِ لا تُنْكِرِ السُقْـ ... ـمَ، فما ذاك مُنْكَرٌ في العيونِ[٤].

★★ نُسَرُّ بالأعيادِ، يا وَيْحَنا! ... وكلُّ عيدٍ قد تولّى بعامْ[٥].
والعُمْرُ دُرٌّ في نِظامٍ، وهل ... نفرَحُ أنْ يَنْقُصَ دُرُّ النِظامْ[٦]؟
ما في البرايا عاقلٌ؛ كُلُّهم ... يَرْدى ولم يعمَلْ حسابَ الفِطامْ[٧].
والحَمْدُ للهِ على ما قضى، ... فهذه حِكمتُه في الأنامْ.

---

(١) أيّ نجم: نجم عظيم. الساري: السائر في الليل. النجم الساري (الذي ينتقل في السماء فيستدلّ الناس بحركته على الزمان - بخلاف النجم الثابت في رأي العين).

(٢) أي برق (عظيم تبعه رعد شديد) أفاد أيّ غمام (أيّ: مفعول به من «أفاد») جعل الغيم يسقط مطراً (كثيراً).

(٣) أحال الرجل صديقه على الشيء: أقبل، جاء به، دلّه على.

(٤) في هذا البيت كنايات وتوريات متداخلة: (أنت عين الزمان: أنت من الزمان بمكان العين، أنفس شيء فيه - وعين الزمان: من كبار القوم والمشهورين). لا تنكر السقم (فعل طلب وأمر) - كان المخاطب مريضاً، وكان الشاعر يعوده (يزوره في مرضه) - فما السقم في العيون (الطبيعية، أي النعس) منكر (غير مألوف) بل هو مستحبّ.

(٥) ... بعام = بمضيّ عام من عمر الإنسان.

(٦) درّ: لؤلؤ. النظام: الخيط الذي يجمع الدرّ عِقداً.

(٧) يردى (!) يهلك (بكسر اللام).

★★ كنـــــتُ في رُكْنٍ من الأر ض عـــلى مِقـــدارِ فَهْمي[1]،
مُفْرداً فيـــــه مُخَلَّـــــى فارغـــاً من كـــلّ خصمٍ[2].
فدَعَوْا بي ثمّ قالوا: عَلَمٌ في كـــــلِّ عـــــلم.
عرّضوني للبلايـــــــا أتلقّـــــى كـــلّ سَهْمٍ.
يـــــا لَقَوْمي، أتْعبوا في قَصْدِهم روحي وجِسمي.

٤ - ★★ الغصون اليانعة ٣٦ - ٤١؛ نفح الطيب ٣: ٢٠٦ - ٢٠٧، ٤١١؛ طبقات الأطبّاء ٢: ٨١؛ المغرب ٢: ٣٢١؛ بغية الوعاة ١٤٤؛ راجع الأعلام للزركلي ١: ١٦٠ (١٦٧).

أبو العبّاس السبتي

١ - هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ جعفرٍ الخَزْرجيُّ السَبْتي، وُلِدَ في سَبتة، سَنَةَ ٥٢٥ هـ (١١٣١ م). ونَزَلَ مرّاكُشَ وسَكَنها وفيها تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م).

٢ - كان أبو العبّاس السبتيُّ رجلًا صالحاً عالماً من أهلِ التصوّف، وكانت له بَسْطةٌ في اللسان وقُدرةٌ على الكلام قويَّ الحُجّةِ في المناظرة ذا تأثيرٍ في الناس عامّةً وفي عوامٍّ الناس خاصّةً. وقد رُوِيَتْ له كراماتٌ هي من باب الأعاجيب. هذه تُقْسَمُ في الحقيقة قِسمينِ: قسماً يعودُ إلى ثباتِ نفسِه وقُوةِ تأثيرِه في الناس، ثمّ قسماً هو من باب الروايات التي لا تثبُتُ على مِحكّ المنطق والواقع. ولكنّ الرّجل يتمتّعُ بشُهرة وتأثيرٍ كبيرين.

---

(١) على مقدار فهمي (الحقيقي للحياة وأن لا ربح في معاشرة عوامّ الناس).
(٢) مفرد (بعيد عن الناس) مخلّى (من التبعات وتكاليف الحياة الاجتماعية).

٣ - مختارات من آثاره:

- إنّما سُمّي هذا اليومُ يومَ عَرَفَةَ[١] لانتشار الرحمة فيه لِمَنْ تعرّفَ إليه[٢] بالطاعات.

- ما آمُرُ الناس إلّا بما ينتفعون به. وإنّي لمّا قرأتُ القُرآنَ وقَعدتُّ بين يَدَي الشيخِ أبي عبدِ الله الفخّار، تلميذِ القاضي عياضٍ، ونظرتُ في كُتُبِ الأحكام وبلغتُ من السِنّ عِشرينَ سَنَةً، وَجَدتُّ قولَه تعالى «إنّ اللهَ يأمُرُ بالعدل والإحسان» فتدبَّرْتُ (معنى ذلك) وقلتُ: أنا مطلوبٌ به (بهذا الأمرِ بالعدل والإحسان). فلم أزلْ أبحثُ عنه حتّى وَقَفْتُ على أنّها (أنّ هذه الآية) نَزَلَتْ حينَ آخى النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلّم بينَ المُهاجرين والأنصار، وأنّهم سألوا النَبيّ صلّى الله عليه وسلّم أَنْ يُعلِّمَهم حُكْمَ المؤاخاة فأمرهم بالمُشاطرة[٣]. ففهمت أن العدلَ المأمورَ به في الآية هو المشاطرة...... فعقدتُّ مَعَ اللهِ تعالى نيّةً أن لا يأتِيَني شيءٌ إلّا شاطرتُ فيه الفقراء. فعَمِلْتُ عليه عِشرين سَنَةً، فأثمر لي الحُكْمَ بالخاطر فلا أحكُمُ على خاطري بشيء إلّا صَدَقَ. فلمّا أكملتُ أربعين سَنَةً راجعتُ تَدَبُّرَ الآيةِ فوَجَدتُّ الشطرَ هو العدلَ. والإحسانُ ما زادَ عليه. فعَقدتُّ مَعَ الله نِيّةً (أن) لا يأتِيَني قليلٌ ولا كثيرٌ إلّا أمسكتُ ثُلُثَه وصرفتُ الثُلُثَيْنِ لله تعالى. فعَمِلْتُ عليه عِشرينَ سنة فأثْمَرَ لِيَ الحُكْمَ في الخَلْق[٤] بالوِلاية والعَزْل فأُولّي مَنْ شِئْتُ وأعْزِلُ من شِئْتُ........

- أَصْلُ الخيرِ في الدنيا والآخرةِ الإحسانُ، وأصلُ الشَرِّ فيها البُخْلُ.

٤ - ★★ تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العبّاس، تأليف ابن الموقّت، فاس ١٩١٨ م.

---

(١) يوم عرفة (التاسع من ذي الحجّة): يوم الحجّ.

(٢) إليه (إلى الله).

(٣) لمّا هاجر المسلمون الأوّلون من مكّة إلى المدينة، أمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم أن يشاطر الأغنياء من أهل المدينة إخوانهم الفقراء من أهل مكّة أموالهم (أن يعطي كلّ غنيٍّ مدنيّ) أخاه المكّي الفقير نصف ماله.

(٤) في الخلق: في الناس (أصبحت لي سلطة على التأثير في أحوال البشر بإذن الله).

نفح الطيب ٣: ٩٩ - ١٠٠، ٧: ٢٦٦ - ٢٧٩؛ نيل الابتهاج ٥٩ - ٦٣؛ النبوغ المغربي ١٥٠ - ١٥١؛ الأعلام للزركلي (١: ١٠٧) مع الإشارة إلى أنّ ترجمة السبتيّ هذا تقع في كتاب «الإعلام بمن حلّ مرّاكش وأغمات من الأعلام» تبلغ مائة صفحة (١: ٢٣٩ - ٣٣٨).

الحكيم الجلياني

١ - هو أبو الفضلِ عبدُ المُنعمِ - وقيل: محمّدُ عبد المنعم (نفح الطيب ٢: ٦٣٥، راجع ٦٣٦، السطر الثالث من أسفل) - بنُ عُمَرَ بن عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ خَضِرِ بنِ مالكِ بنِ حسّانِ الغَسّانيُّ المالقي الجِلْيانيّ الوادي آشيّ الأندلسيّ، وُلِدَ في سابعِ المُحرَّمِ من سَنَةِ ٥٣١ (٥/١٠/١١٣٦م) في قريةِ جِليانةَ من أعمالِ وادي آشٍ (قُرْبَ غَرناطةَ).

جاءَ الحكيمُ الجِليانيُّ إلى المغرب ثمّ رَحَلَ إلى المَشْرقِ وأقام في دِمَشْقَ مدّةً طويلةً واتّصلَ بصلاحِ الدين الأيوبيّ ومَدَحه بعددٍ من القصائد؛ مدحه سَنَةَ ٥٨٦ هـ بقصيدةٍ وأرسلها إليه فوصلت في صَفَرَ من سَنَةِ ٥٨٧ (آذار - مارس ١١٩١م) وهو مُحاصِرٌ الفِرنجة في عكّا. ويبدو أنّ الجلْيانيَّ قد تطوّفَ كثيراً في الشام وصار طبيب المارستان (المستشفى) السلطاني. ثمّ دَخَلَ بغدادَ، سَنَةَ ٦٠١ هـ. وكانت وفاتُه في دِمَشْقَ سَنَةَ ٦٠٣ هـ في الأغلب (١٢٠٦ - ١٢٠٧م).

٢ - كان الحكيمُ الجليانيّ بارعاً في الطبّ وفي التكحيل (طبّ العيون) خاصّةً، مُلمًّا بالرياضيّات والفلسفة، وكان يُعاني صِناعةَ الكيمياء. وكذلك كان له كلامٌ في التصوّف، وقد عُرِفَ بلقب «حَكيمِ الزمان». ثمّ إنّه كان أديباً ناثراً شاعراً. ولم يكن شعرُهُ كثيرَ الرَوْنق، ولكنّه كان يجيدُ المُقطَّعات وخصوصاً ما يتناول منها الأغراض الحِكْميّة. وكان يطيلُ قصائدَ المديح غير أن مدائحَه عاديّة.

وللحكيم الجِلياني عددٌ من الكتب منها عَشْرة كتب هي (طبقات الأطبّاء ١٦١٢): «ديوان الحِكَم وميدان الكَلِم» يشتمل على الإشارة إلى كلّ غامض

المدرك من العلم وإلى كلّ صادق المنسَك من العمل وإلى كلّ واضح المسلَك من الفضيلة(وهـو نظم)- ديوان المُشَوِّقات إلى الملأ الأعلى (نظم)- ديوان أدب السلوك، وهو كلام مُطْلَق يشتمل على مشارع كلمات الحكمة المُبْصِرات- نوادرُ الوحي، وهو يشتمل على كلام حكمة مطلق في غريب معانٍ من القرآن العظيم ومن حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم- تحرير النظر، وهو يشتمل على كلمات حِكْمةٍ مفرداتٍ في البسائط والمركّبات والقُوى والحركات- سرّ البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب- ديوان المبشّرات والقدسيّات (وهو نظم وتدبيج وكلام مطلق يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين...)[1]- ديوان الغزل والتشبيب والموشّحات والدوبيت وما يتّصل بها منظوماً- ديوان تشبيهات وألغاز ورموز وأوصاف وزجريات (!) وأغراض شتّى منظوماً- ديوان ترسُّل ومخاطبات في معانٍ كثيرة وأصناف من الخطب والصدور والأدعية. ثمّ له: منادح الممادح- وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر صلاح الدين (ألَّفه سنة ٥٦٩ هـ)- تعاليق في الطبّ- صفات أدوية مركّبة- جامع أنماط السائل[2] في العَروض والخطب والرسائل- نهج الوضاعة لأهل الخلاعة.

٣- مختارات من شعره:

- قال الحكيمُ الجليانيُّ في أمر الدنيا والناس:

ألا إنّما الدُنيا بحارٌ تلاطمتْ؛ فما أكثرَ الغرقى على الجَنَباتِ.
وأكثرُ من لاقيتُ يُغْرِقُ إلْفَه، وقلّ فتًى يُنْجي من الغَمَرات[3].

- وقال في مِثلِ ذلك:

فأبخسُ شيءٍ حِكمةٌ عند جاهلٍ؛ وأهونُ شخصٍ فاضلٌ عند ظالمِ.

(١) لعلّه كتاب «المدبّجات» (في مدائح صلاح الدين).
(٢) كذا في نفح الطيب (٢: ٦١٤). لعلّها: المسائل.
(٣) الإلف (بكسر الهمزة): الأليف، العشير، الرفيق. الغمرة: معظم الماء من البحر. - كلّ إنسان يحاول أن يهلك الآخرين، ويندر أن يحاول إنسان إنقاذ غيره من مصائبه.

فلو زُفَّتِ الحسناءُ للذئبِ لم يكن يُرى قُرْبَها إلّا لأكلِ المعاصم[1]!

- وله قصيدة طويلة يمدَحُ بها صلاحَ الدين منها:

فأنتَ الذي أيْقَظْتَ حِزبَ مُحمّدٍ جِهاداً وهم في غفلةِ المُتناوِم.
فحاربتَ للإيمانِ لا لضغائنٍ، ورابطتَ للرِضْوان لا للمغانم[2].
فدارُكَ، والأبطالُ ثارتْ حِيالَها، مَقرٌّ سرورٍ في مَقرٍّ مـــآتم[3].
فهجّرتَ حتّى قيلَ ليس بقائلٍ، وبَيَّتَّ حتّى قيل ليس بنائم[4]؛
وأرْجَفْتَ روما إذ خَرَقْتَ فِرنجةً فكانوا غُثاء في سُيولِ الهزائم[5].
أفاتحَ بيتِ القُدْسِ، سيفُكَ مِفْتَحٌ لقُفْلِ الهُدى مِغلاقُ باب المآتم[6]
فأَطْلَقْتَ تُرْكاً في ظهورِ سوابحٍ، وأغربتَ شِرْكاً في بُطون القشاعم[7]؛
غداةَ قَدَحْتَ البِيض في آلِ أصْفرِ فلم يَبْقَ زَنْدٌ منهُمُ في معاصم[8].

---

(١) - لو زوّجنا الذئب امرأة حسناء لما وجد فيها فائدة إلّا أن يأكل منها.

(٣) رابط: أقام على حدود البلاد الإسلامية مدافعاً عنها. الرضوان: رضا الله.

(٤) دارك: منزلك (البلاد التي تحكمها). حيالها: إزاءها، بجانبها (حولها، فيها). مقرّ سرور (لقومك) في قلب مقرّ للمآتم (للإفرنج الصليبيّين الذين كانوا يحاربون في فلسطين).

(٥) هجّر: سار (عمل، حارب) في الهجير (وقت الحرّ، ظهراً). قائل: من قال يقيل (نام بعد الظهر، ارتاح). بيّت القائد جيش أعدائه (أعدّ خطّة في الليل للهجوم في الصباح). - إنّه لا يرتاح ليلاً ولا نهاراً. بيّت أيضاً: حارب في الليل.

(٦) خرقت فرنجة: مزّقت (هزمت) جموع الفرنجة فأرجفت (أخفت) روما (البابويّة) لأنّ انهزام الإفرنج الصليبيّين انهزامٌ لها وخطرٌ عليها. الغثاء: الزبد والأوساخ التي تطفو على سطح السيول.

(٧) مفتح: مفتاح. تبدو كلمة «المآتم» هنا قريبة من كلمة «مآتم»، وهذا في الأصل عيب في القافية. لعلها: المآثم (بثاء بثلاث نقط).

(٨) - الترك (الأتراك!) جنودك كانوا كثيرين على ظهور السوابح (الخيل). وأغربت شركاً في بطون القشاعم (النسور): قتلت أعداءك المشركين بالله وجعلتهم طعاماً للنسور.

(٩) قدح: طعن. لجأ الشاعر هنا إلى استعارة: جعل السيف حديدة بمقام الزناد (الذي تقدح به النار من حجر الصوّان). البيض: السيوف. آل أصفر: الروم (الإفرنج عموماً). لم يبق زند الخ: قطعت أيديهم (قتلتهم).

وإذْ دَرَجوا كالنمـل أعْجَزَ عَدُّهُ إلى تـلٍّ عكّـا كالدُبا المتراكم[١].
كـأنّ لهم في تـلّ عكّـا مَصادةً يُحاشُ لها أسرابُ وحشٍ سوائم[٢]:
فسِرْبٌ كسيرٌ مُوبَـقٌ في حفائرٍ، وسِربٌ حسير مُرهَقٌ في مَقاحم[٣].
ومـا زِلتُ أجْلو من حُلاه عرائساً يَظَـلُّ بها أهلُ النُهى في ولائم[٤]:
معـانٍ كبَهْرِ السحرِ في عِقدِ ناظرٍ، ولفظٌ كشَذْرِ التِبْر في عقدِ ناظم[٥].
ستُنْسى بذِكراه أقاويـلُ مَنْ مضى ويَنْبَثُّ نوراً شائعاً في الأقـالم.

- وله في النسيب:

أبـاحَ لـه نَجْواهُ بعـضُ شقائِـه فبـاح بما أخْفـاه من بُرَحائِهِ[٦]:
مـتى لَمَحَتْ عينُ العليلِ طبيبَه فـلا بدّ أن يُومي إليه بدائه[٧].
فكم في الهوى من مُكْتَسٍ بُرْدَ وجْدِه ومُلْتَحِـفٍ من دائـهِ بردائـه[٨].
سبـاه حبيبٌ غاب في فَيْضِ حُسنهِ فأعْشى عيونـاً أُولِعَت ببهائه[٩].
وليس لـه ثـانٍ يُـلاذ بـه، فمَنْ حواه هواه لم يزل في حوائـه[١٠]!

---

(١) درج: مشى. الدبا: الجراد الصغير.

(٢) مصادة - يقصد الشاعر «مصادا» (بالفتح: مكان الصيد) أو مصيدا أو مصيدة (بالفتح فيهما: أداة يُصاد بها أو شرك). حاش الناس الصيد: جاءوا من حواليه ليدفعوه إلى الحبالة (بالضم) أو الشرك. السوائم: الأنعام (الحيوانات الأليفة) المهملة التي لا راعي لها.

(٣) السرب: الجماعة من البهائم. كسير: مكسّر الأعضاء. موبق من وبق: هلك. الحفيرة: الحفرة. حسير: ضعيف النظر والحيلة. مرهق: مدرك، محاصر. المقحم في القاموس بضمّ الميم وفتح الحاء: الضعيف. والشاعر يقصد: المأزق الذي لا مخرج منه.

(٤) و (٥) بيتان يفتحر فيهما الشاعر بشعره في المديح. النهى: العقل. البهر في القاموس الإضاءة، النور. وهنا: الجمال القدرة التي تدعو إلى العجب). في عقد ناطم.... التبر: الذهب. الشذر: قطع صغيرة من الذهب توضع بين اللؤلؤة واللؤلؤة في العقد.

(٦) باح (سمح له) بعض شقائه (ألمه من المرض، أو الحب) نجواه (سرّه): ألمه جعله يبوح بما كان يحرص على كتمانه. البرحاء: الأذى الشديد (من المرض، الحبّ).

(٧) يومي = يومىء: يشير.

(٨) البرد: ثوب من حرير. مكتس: لابس. ملتحف: مغطّى. - بعض الناس يعلن حبّه للناس، وبعضهم يكتمه عنهم.

(٩) سباه يسبيه: أسره. غاب في فيض حسنه: (كثير الجمال). أعشى النور البصر: أتعبه ومنعه الرؤية.

(١٠) هذا المحبوب ليس له شبيه حتّى يميل المحبّ إلى ذلك الشبيه، فهو أبداً أسير حبّ محبوبه الأوّل.

٤ - ★★ المقتضب من تحفة القادم ٩٠؛ الغصون اليانعة ١٠٤ - ١٠٨؛ التكملة، رقم ١٨١٥؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٧ - ٥٨؛ طبقات الأطبّاء ٢: ١٥٧ - ١٦١؛ فوات الوفيات ٢: ٢١ - ٢٢؛ صلة الصلة ١٥ - ١٦؛ نفح الطيب ٢: ٦١٤، ٦٣٥ - ٦٣٧؛ نيكل ٣٢٦؛ مختارات نيكل ١٩١ - ١٩٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٧ (١٦٧).

أبو ذرّ الخشني

١ - هو أبو ذَرٍّ مُصْعَبُ بنُ أبي بَكرِ محمّدِ (ت ٥٤٤ هـ) بن مسعودٍ الخُشَنيّ المعروفُ كأبيه باسمِ ابنِ أبي الرُكَب، من أهلِ جيّانَ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ - ١١٤٠ م) رَوَى عن ابن قوقل وابنِ بَشكُوال وعبدِ الحقِّ الإشبيليِّ ثمّ تصدّر للقِراءة في بَلَده وفي غيرِها. وقد تولّىٰ الخطابة بإشبيلية ثم القضاء في جيّانَ في أيامِ المنصورِ المُوحِّدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). ثمّ إنّه انتقل إلى المَغْرِب وسكن فاسَ وتُوفّي فيها سَنَةَ ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م).

٢ - كان أبو ذرٍّ الخُشَنيُّ مُتَقدّماً في إقراء القُرآن الكريم ومن علماءِ الحديث والفقه، بارعاً في معرفةِ السِيرة (تاريخ الرسول صلّى الله عليه وسلّم) وفي معرفة أخبارِ العرب وأيّامها ولُغاتها وأشعارها، ونحويًّا ناقداً للشعر، كما كان له نظمٌ. وكذلك كان مُصَنِّفاً، له من الكتب: شرح السيرة النبويّة (الإملاء على سيرة ابن إسحاق)- شرحُ الإيضاح - شرح الجُمَل.

٣ - **مختارات من آثاره:**

- من مقدمة شرح السيرة النبوية لأبي ذَرٍّ الخُشَني:

.... الحمدُ لله باعِثِ الرُسُلِ وناهجِ السُبُل[١]، الذي هدانا للإسلامِ وشرَّفَنَا بِمِلَّةِ مُحمدٍ عليه أفضلُ الصلاة والسلام. تَخَيَّرَهُ مِنْ أَكْرَمِ نَسَبٍ وجعله سَيِّدَ العَرَبِ

---

(١) نهج (وضّح) السبل (الطرق: مناهج الحياة).

والعَجَم. ثم بَعَثه بآياته الظاهرةِ وأيَّدَهُ بُمعجزاتِه الباهرة[1]، وأمَرَه بِجهادِ مَنْ صدَّ عن سَبيلِه ولم يُجِبْ داعِيَ اللهِ ورسولِه[2]....

وبعدُ، فهذا إملاءٌ أمْلَيْتُه من حِفظي بلَفْظي على كتابِ سِيرةِ رسولِ الله صَلّى اللهُ علَيْهِ وسَلَّم، التي تَقدَّم محمدُ بنُ إسحاق[3] إلى جَمْعها وتلخيصِها، أوان سُمِعَ هذا الكتابُ مِنّي وقُيِّدتْ رِواياتُه بطُرُقِها[4] عني. قَصَدتُّ فيه شرْحَ ما آسْتَبْهَمَ من غَريبِه[5] ومَعانيه وإيضاح ما الْتَبَسَ تَقْييدُه على حامِلِه وراويه، مَعَ اختصارٍ لا يُخِلّ وإيجازٍ يَتِمّ به البَيانُ ويَستقلّ، لم يُقصَد فيه قَصْدَ التأليفِ فتُمَدَّ أطْنابه[6]، ولا ينحو نحو التصنيف فتُمَهّدَ فصولُه وأبوابه[7]. وإنّما هي عُجالةُ الخاطر وغُنْية الناظر[8]. ثم عُرِضَ عليَّ هذا الإملاءُ بعدَ كمالِه فتَصَفَّحْتُه، ورُغِبَ في حَمْلِه عنّي، فبعدَ لأْيٍ ما أذِنْتُ بذلك وأبَحْتُه[9]....

٤- شرح السيرة النبوية (بولس بورله) القاهرة (ويمر) ١٩٢٩ م.

★★ التكملة ٣٨٥؛ المغرب ٢: ٥٥؛ زاد المسافر ١٤٧ - ١٤٨؛ بغية الوعاة ٣٩٢؛ شذرات الذهب ٥: ١٤؛ نفح الطيب، راجع ٤: ٩٠، ١٦٢؛ الأعلام للزركلي ٨: ١٥١ (٧: ٢٤٩)؛ معجم المؤلفين ١٢: ٢٩٢؛ سركيس ٣١١.

---

(١) الآية: العلامة (الدالّة على عظمة الله). أيّده: ساعده وسنده وجعله قويًّا. المعجزة: العمل الخارق للعادة. الباهر: المدهش، المحيّر.

(٢) صدّ: ردّ، منع. لم يجب... (لم يؤمن).

(٣) محمّد بن اسحاق المدني (ت بغداد ١٥١ هـ) مؤلّف «سيرة رسول الله».

(٤) أوان: زمان (في وقت سماع هذه السيرة مني). بطرقها (باختلاف سلاسل رواتها).

(٥) استبهم: غمض. غريبه (غريب ألفاظه: الألفاظ القليلة التداول).

(٦) الأطناب (جمع طنب بضمّ فضمّ): حبال تشدّ بها الخيمة من جوانبها المختلفة إلى أوتاد مغروسة في الأرض حولها لتثبت جيّداً في مكانها.

(٧) تمهّد: تسوّى (توسّع).

(٨) ... شيء وضع على عجل فيه (غنية: كفاية) للناظر (القارىء).

(٩) اللأي: الشدّة والمشقّة (بعد التمنّع).

أبو عمران المارتلّيّ

١ - هو أبو عِمرانَ موسى(★) بنُ عِمرانَ المارتلّيُّ، نسبةً إلى مارتلّة أو ميرتلّة وهي بلدةٌ فيها حُصْنٌ على نهرِ آنةَ، في الجَنوب الغربيّ من الأندلس (في البُرتغال اليومَ)، وُلِدَ سَنَةَ ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م).

سَكَنَ أبو عِمرانَ المارتلّي إشبيليةَ وانصرف فيها إلى الزهد وخِدمةِ الناس. وكان يعمَلُ الخُوصَ (السِلال والقُفَف إلخ) ويَبيعُه حتّى يأكلَ من عمل يدهِ حلالاً ويتصدَّقُ على المحتاجين. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م) في إشبيليةَ.

- كان أبو عِمرانَ المارتلّيّ فقيهاً زاهداً؛ وكان له نثرٌ ونظمٌ يدوران على الزهد والحكم.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي عِمرانَ المارتلّيّ فِقَراتٌ من الحِكمة منها:

كلّ ما يَفْنى ما له مَعْنى - من خَفَّ لسانُه وقَدَمُه كَثُرَ نَدَمُه - التغافلُ عن الجواب من فِعل ذوي الألباب - من أعطاكَ رِفْده[1] فقد مَنَحَك وُدَّه - مَلَكَ فؤادَك من أفادَك.

- وقال في عِتاب نفسهِ:

إلى كم أقولُ ولا أفعـــلُ، وكم ذا أحومُ ولا أنْزِلُ[2].
وأزْجُرُ عَيْـني فـلا تَرْعوي، وأنصـحُ نفسي فـلا تقْبَـلُ[3].

★ أبو عمران موسى بن حسين بن موسى... المارتولي، الميرتولي، المارتلي.

(١) الرفد: العطاء.

(٢) حام حول الشيء: دار (أحوم ولا أنزل: أنوي ولا أنفّذ).

(٣) أزجر: أمنع، أنهى. ترعوي: ترجع عن الغيّ والجهل والذنب.

وكم ذا تُعَلِّلُ لي - وَيْحَها - بعلَّ وسوفَ؛ وكم تمطُلُ[1]!
وكم ذا أُؤَمِّلُ طولَ البقاءِ وأغفُلُ، والموتُ لا يغفُلُ.
وفي كلِّ يومٍ يُنادي بنا مُنادي الرحيلِ: ألا فارْحَلوا.
أمِنْ بعدِ سبعينَ أرجو البقاءَ وسبعٍ أتَتْ بعدَها تعجَلُ؟
كأنْ بي وشيكاً إلى مَصْرعي يُساق بنَعْشي ولا أُمْهَلُ[2].
فيا ليتَ شِعريَ بعدَ السؤالِ وطولِ المُقامِ لِما أُنْقَلُ[3]؟

٤ - ** المغرب ١: ٤٠٦ - ٤٠٧؛ التكملة ٦٨٧؛ الغصون اليانعة ١٣٥ - ١٣٧؛ تحفة القادم ٩٢؛ نفح الطيب ٣: ٢٩٦ - ٢٩٧؛ نيكل ٣٢٥؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٧١ (٣٢٢)- راجع الحاشية.

السيّد أبو الربيع الموحِّديّ

١ - هو الأميرُ أبو الربيعِ سُليمانُ بنُ عبدِ الله بن عبدِ المؤمن بنِ عليٍّ الكوميُّ المُوحِّديُّ، نشأ في البَلاط المُوحِّدي (في مدينةِ مَرّاكُش) ولكنْ على شيء من الجَفْوة، لِما كان بينَ أبيهِ وعمِّهِ يعقوبَ المنصور من المنافسةِ الخَفِيَّة على المُلك.

تَتَلمذَ أبو الربيع سليمانُ على أبي بكر بنِ زُهْرٍ (ت ٥٩٥) حينما كان ابنُ زُهْرٍ في مَرّاكُشَ. ولمّا تولّى يعقوبُ المنصورُ المُلْكَ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). ولّى أبا الربيعِ على بجايةَ، ولكنَّ عليَّ بنَ يحيى بن غانيةَ ٱستولى على بجايةَ، في صَفَرَ من سَنَةِ ٥٨١ (ربيع

(١) تعلل: تطلب لى العلل والأعذار لتسويف التوبة أو العمل الصالح: تأخيرها) علّ= لعلّ (رجاء المستقبل). سوف (حرف استقبال)- تقول لي نفسي: لعلّي أتوب، سوف أتوب. تمطل: لا تفي بقولها.
(٢) - ربما كان مصرعي (مقتلي، موتي) وشيكاً (قريباً).
(٣) فيا ليت شعري (لا أدري، ليتني أعلم) بعد السؤال (سؤال منكر ونكير لي في أوّل نزولي في قبري) وطول المقام (في القبر انتظاراً ليوم القيامة) لما (إلى أي مكان) أنقل (إلى جهنّم أو إلى الجنّة).

١١٨٥ م) فنَقَلَ المنصورُ ابنَ أخيه أبا الربيعِ إلى ولاية سِجِلْماسةَ. وكان أبو الربيعِ قدِ اتّخذ كاتباً له هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ ربّهِ المالقيُّ.

وكانت وفاةُ أبي الربيعِ سليمانَ الموحّدي سَنَةَ ٦٠٤ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م).

٢ - السيّدُ أبو الربيعِ المُوحِّديُّ أديبٌ ناثرٌ شاعرٌ، وديوانُه قيل إنّه أقدمُ ديوانِ شعرٍ لشاعرٍ مَغْربيّ وَصَلَ إلينا. وشِعْرُه مُتفاوتٌ، قيل في سَبَبِ ذلك أنّ كاتبَه ابنَ عبدِ ربّهِ المالَقيَّ كان يَنْظِمُ أشياءَ من الشعر على لِسانه. وفنونُ شعرِه المديحُ والرثاء والغَزَلُ والزهد والألغاز. وله مُصَنّفٌ هو «مختصر كتابِ الأغاني».

٣ - مختارات من آثاره:

- من الغزل المشهورِ لأبي الربيعِ سليمانَ الموحِّدي:

أقولُ لِركْبٍ أَدْلجوا بِسُحَيْرةٍ: قِفوا ساعةً حتّى أزورَ ركابَها[١]
وأمْلأَ عَيْني من مَحاسنِ وَجْهِها وأشكو إليها أنْ أطالتْ عِتابَها.
فإن هِيَ جادتْ بالوصال وأنْعمَتْ، وإلّا فحَسْبي أنْ رأيتُ قِبابَها[٢].

- وَفَدَ على مَرّاكُشَ وفدٌ من الشام فعَيّنَ يعقوبُ المنصورُ لهم موعداً في غَداةِ اليومِ التالي. ويبدو أنّ أبا الربيع كان ينتظرُ موعداً له مِنْ مُدّةٍ، فكَتَبَ إلى المنصورِ:

يا كَعبةَ الجُودِ التي حَجّتْ لها عَرَبُ الشآمِ وغُزُّها والدَيْلَمُ[٣]،
طوبى لِمَنْ أمسى يَلوذُ بها غداً ويَطوفُ بالبَيْتِ العتيقِ ويُحْرِمُ[٤].
ومِنَ العجائبِ أن يفوزَ بنَظْرةٍ مَنْ بالشآم، ومَنْ بمكّةَ يُحْرَمُ!

- وقال يمدحُ المنصورَ ويُشيرُ إلى هَرَب العَدُوِّ منه:

---

(١) الرَّكْب: السَّفْر (بفتح فسكون) الجماعة يسافرون معاً. أدلجوا: ساروا ليلاً. سحيرة: قبيل الفجر
(٢) القبّة: الخيمة الكبيرة من جلد (المسكن).
(٣) الغزّ: قبائل من الترك. الديلم: جماعة من الفرس.
(٤) طوبى: الحسنى والخير. يلوذ: يلجأ. البيت العتيق: الكعبة. أحرم: استعدّ للقيام بمناسك الحجّ.

هبّتْ بِنَصْرِكُمُ الرياحُ الأربعُ، وجَرَتْ بسَعْدِكُمُ النجوم الطُلَّـعُ.
وأمَـدّكَ الرحمنُ بالفَتْـح الـذي مَـلأَ البسيطـة نورُهُ المُتَشَعْشِعُ.
للهِ جيشُكَ والصوارمُ تُنْتَضى والخيـلُ تجري والأسِنّةُ تلمعُ[1].
إن ظَنَّ أنّ فِرارَه مُنْـجٍ له، فَبِجَهْلِـه قد ظنّ ما لا ينفع.
أين المَفرُّ؟ ولا فِرارَ لهـاربٍ، والأرضُ تُنْشَرُ في يَدَيْهِ وتُجْمَعُ[2].
إن قيـلَ: مَنْ خيرُ الخلائقِ كُلِّها؟ فإلَيْكَ، يا يعقوبُ، تومي الإصبَعُ[3].
إنْ كنـتَ تَتْلو السابقـينَ فإنّما أنـتَ المُقـدَّمُ والخلائـقُ تُبَّـعُ!

- لمّا كان أبو الربيع والياً على سِجِلْماسةَ عَلِمَ أنَّ مَلِكَ السودان (في غانَةَ) يُضيّقُ على التُجارِ المَغاربةِ في بلادِه فكَتَبَ إليه من رِسالةٍ:

نحن نتجاوَرُ بالإحسانِ وإنْ تخالَفْنا في الأديان. ونتّفقُ على السِيرة المَرْضِيّة ونتألّفُ على الرِفق بالرعيّة. ومَعلومٌ أنّ العدلَ من لوازمِ الملوكِ في حكم السياسة الفاضلة، و(أنّ) الجَوْر[4] لا تعانيه إلّا النفوسُ الشرّيرةُ الجاهلة. وقد بَلَغَنا احتباسُ مساكينِ التجّارِ ومَنْعُهم مِنَ التصرّف فيما هم بِصَدَدِهِ[5]. وتَردّدُ الجَلّابةِ[6] إلى البلاد مُفيدٌ لسُكّانها ومُعين على التَمكُّن مِنَ اسْتيطانِها. ولو شِئْنا لاحْتَبَسْنا مَنْ في جِهاتِنا من أهل تلك الناحيةِ، لكنّا لا نَسْتَصْوِبُ فِعله. ولا يَنْبغي أن نَنْهى عن خُلُقٍ ونأتِيَ مِثْلَه[7]. والسلام.

---

(١) الصارم: السيف. انتضى المحارب السيف: أخرجه من الغمد وشهره (رفعه). السنان: الحديدة في رأس الرمح.

(٢) تنشر في يديه وتجمع. (حكمه يحيط بالأرض كلها - كأن جميع البشر في قبضة كفه).

(٣) أومأ يومىء: أشار، دلّ على (شيء).

(٤) الجور: الظلم.

(٥) فيما هم بصدده: فيما يقومون به (يتاجرون).

(٦) الجلّاب: التاجر الذي ينقل البضائع من بلد إلى آخر.

(٧) من قول أبي العتاهية.

لا تنـه عن خلـق وتـأتي مثلـه؛ عـار عليـك إذا فعلـت عظـيم.

٤ - ديوان أبي الربيع سليمان الموحِّد[١] (تحقيق محمّد القبّاج ومحمّد بن تاويت التطواني ومحمّد بن تاويت الطنجي وسعيد أعراب)، الرباط (جامعة محمّد الخامس - كليّة الآداب والعلوم الإنسانية).

- الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحّدي: عصره وحياته وشعره، تأليف عباس الجراري، الدار البيضاء (دار الثقافة) ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.

★★ المغرب ٢: ٣١٦ - ٣١٧؛ تحفة القادم ١٠٥ - ١٠٦؛ الغصون اليانعة ١٣١ - ١٣٤؛ نفح الطيب ٢: ٩٨، ٣: ١٠٥ - ١٠٩؛ النبوغ المغربي ١٦٨، ٣٥٠، ٧١٨ - ٧٢١، ٨٥٨، ٩١١؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٩٠. (١٢٨).

أبو الحجّاج البلويّ

١ - هو أبو الحجّاجِ يوسفُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يحيى بنِ غالبٍ البَلَويُّ[٢] المالقيّ الأنْدلسيُّ، ويُقالُ له ابنُ الشيخِ، وُلِدَ في مالَقَةَ سَنَةَ ٥٢٦ (١١٣٢ م) وقيل سنة ٥٢٩.

تَلَقّى أبو الحجّاجِ البَلَويُّ العلمَ على نفرٍ كثيرين منهم (في مُدُنٍ مختلفةٍ): أبو محمّدٍ عبدُ الوهّاب (ألف با ٢: ٣٩٢) والأستاذُ الفقيهُ أبو عبد الله بن سورةَ (ألف با ١: ١٣) وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ يوسفَ بنُ قرقولَ (٥٠٥ - ٥٦٩ هـ) وأبو زيدٍ السُهيلي (٥٠٨ - ٥٨١ هـ) وأبو محمدٍ عبدُ الحقِّ بنُ الخرّاطِ الإشبيليُّ (٥١٠ - ٥٨١ هـ). ثمّ إنّه تولّى الخَطابةَ في بلدهِ مالَقَةَ وتصدَّرَ أيضاً للتدريس، كما كان بَنّاءً يعمَلُ في الإشراف على البناءِ وعلى البناء بيدِه أيضاً.

وفي سَنَةِ ٥٦١ (١١٦٦ م) رَحَلَ أبو الحجّاجِ البلويُّ فمَرّ على الإسكندريةِ فسَمِعَ من المُحَدِّثِ الحافظِ أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ محمّدِ السلفيِّ (ت ٥٧٦ هـ) وتولّى الخَطابةَ مدّةً في الإسكندرية. ثمّ حَجّ وعاد إلى الإسكندرية. ويبدو أنّه زارَ الشامَ في هذه الأثناءِ وحاربَ الإفرنجَ الصليبيّين في جيشِ صلاحِ الدين.

---

(١) لم أستطع الاطّلاع على الديوان. والعنوان «الموحِّد» من النشرة التي وزّعها الناشر.

(٢) في العرب قبيلة بليّ (مثل غنيّ)، والنسبة إليها: بلويّ.

وعاد أبو الحجّاج البلويُّ إلى الأندلس وقام بكثيرٍ من أعمال الخير وبالمُرابطة: شاركَ في بناءِ عددٍ كبيرٍ من المساجدِ وفي حَفْرِ عددٍ من الآبار (بمالِهِ وبعِلمِهِ وبعملِ يده)، كما غزا مَعَ المنصور الموحِّدي (٥٨٠ – ٥٩٥ هـ) إلى جانب ما كان يقومُ به من التدريسِ في مالَقةَ.

وكان البلويّ هذا مِزواجاً ولكن لم يُرْزَقْ من نسائه أولاداً ولا كان سعيداً في حياته مَعَهنّ. فتزوّج أخيراً فتاةً صغيرةً سوداءَ ليسعَدَ مَعَها. وقد رُزِقَ منها على كِبَرِ غُلاماً سمّاه عبدَ الرحيم.

وكانتْ وفاةُ البلويِّ في مالقةَ سَنَةَ ٦٠٤ (١٢٠٧ م).

٢ – كان أبو الحجّاج البلويُّ مُشاركاً في عددٍ كبيرٍ من فنونِ المعرفة: في الفِقه والأُصول واللغة والنحو والأدب والحِساب والمِساحة (الهندسة) ومائلًا إلى التصوّف. ولكنْ غلبَ عليه الأدبُ. وكذلك كان شاعراً مُكْثِراً، ولكنَّ شِعْرَه نَظْمٌ عاديٌّ كثيرُ التكلّفِ قليلُ الرَوْنق. أمّا نثرُه فمَتينٌ وإنْ كانَ كثيرَ التكلّفِ جدًّا.

وكان للبَلَويّ كتبٌ كثيرةٌ منها فِهْرسته (بأسماء شُيوخه: أساتذته) (ألف با ١: ١٦٦) وكتابُ «تَكْميل الأبيات وتتميم الحكايات» مِمّا اختصرته للألبّا في كتاب ألف با (ألف با ١: ١٧)، ثمّ كتاب «ألف با» وهو مجموعٌ مُوسِعِيٌّ ضَمّنه البلويُّ وُجوهاً من المعرفة استفادها من القُرآنِ والحديثِ والشِعر والتاريخ واللغة والصَرْف والنَحْو، وسمّاه «ألف با» لأنّه بناه على عددٍ من الألفاظ التي تبدأ بالألفِ وعلى عدد يسيرٍ تبدأ ألفاظه بالباء وعلى غيرها.

هذا الكتابُ يتألّفُ من مقدِّمةٍ (١: ٢ – ٧٣) ومن فَصْلٍ طويلٍ يزيدُ على ألفِ صَفْحةٍ، وهُوَ في الحقيقة قاموسٌ طريفٌ (وإن كان قليلَ الفائدة) لعددٍ من الألفاظ الثُلاثية التي يُمْكِنُ أن يتركّبَ من حروفِها ألفاظٌ كثيرةٌ. يتناولُ البلويُّ الكَلِمَةَ مِنْ مِثْل «باب» أو «أبّ» ويُقَلِّبها في صُوَرِها المُختلفة (من حيثُ التصحيفُ): أب، آب، أتّ، أثّ، باب، تاب، ثاب، بات، الخ. وربّما استطردَ إلى كَلِماتٍ لا صِلةَ لها بالألف والباء إلّا مَعَ التصحيف، نحو «زيد» (١: ٩٩) فإنّه يقال فيها: زيد، زند،

زبد، ندر، دنر، دثر، بدر، درن، نرد، الخ.

وفي أثناء هذه الأحاجي اللفظية يستطرد إلى أمورٍ كثيرةٍ: يخرُجُ من لُغةٍ إلى قصّةٍ، ومن قصّة إلى شعرٍ، ثمّ يذكّره شاعرٌ بشاعرٍ، وشاعرٌ بحكايةٍ، وحكايةٌ بقصيدةٍ الخ. وقد قَصَدَ بهذه الكتاب أن يُثقّفَ ابنَه الذي كان عندَ تأليفِ الكتابِ صغيراً.

وأمّا كتاب «التكميل» فقد ضمَّنه كثيراً ممّا جرى بينَه وبين شيخهِ وصديقه الأديب الزاهدِ أبي محمّدٍ عبدِ الوهّابِ القيسيِّ (ت ٥٩٨ هـ) مِنَ الكلام في الأدب والشعر والتاريخ وغيرِها.

وكان البَلَوِيُّ قد جَمَعَ الألفاظ التي عالجها تلك المُعالجةَ في قصيدةٍ من نَظْمِه أثْبَتَها في المُقدّمة (ويَحْسُنُ أَنْ نُشير إلى أنّ البلويَّ كان قد أثْبَتَ الكلماتِ مُهْمَلَةً لا نُقَطَ فيها ولا شَكْلٌ- ولكنّ ناشري الكتابِ تَوَلَّوْا التنقيطَ والتشكيلَ اجتهاداً من عندِ أنْفُسِهم). مَطْلَعُ هذه القصيدة:

أخيّ أجيء بقيـــل ثقيـــل مَهيـب مُهيب بطَـلٌ بَطَـلْ.

ومنها:

يُفيـــد بِقنْـــدٍ بعودٍ يَعود يُعيــدِ بعِيــدِ المُحِــلّ المُـجلّ

وبــابَ وثــابَ ونـابَ وتـابَ وثــاب وبــات ويَــلّ ويــلّ

والمقصود بهذه القصيدةِ أن تجمعَ الألفاظ المتماثلة في الرسم من غيرِ اهتمامٍ كبيرٍ بالمعني (ولا بالرونق الشعري).

أمّا في سائرِ الكتابِ فإنّ البَلويَّ يعمِدُ إلى تفسير هذه الكلمات وأمثالها في أشكالها المختلفة كما ترى في «المختارات من آثاره». وفي أثناء هذا الشرح اللغويّ كان البلويُّ يستطرد إلى ذِكْرِ أشعارٍ وقِصَصٍ وتاريخٍ وحِكَمٍ وحسابٍ وأشياءَ تتعلّق بالإنسان والحَيَوان والنبات، وإلى أمورٍ من الأديان والمذاهب، ونوادرَ من علمِ الصرف والنحو. ومَعَ أنّ هذه المعارفَ عاديّةٌ في الأكثرِ فإنّها منثورةٌ أيضاً على غير نظام. وقد أرادَ البلويُّ أن يكون هذا الكِتاب وسيلةً إلى تثقيفِ ابنه، ولكنّ هذا الكتابَ يُدْخِلُ على العقول تشويشاً. ولا نعلَمُ ما الذي استفادَهُ عبدُ الرحيم بن البلويّ من هذا الكتاب.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدّمة «كتاب ألف با»:

..... أمّا بعدُ - دام لنا ولكُمُ السعدُ - فإنّي عزمتُ، بعدَ استخارةِ ذي الطَوْل ومن بيَدهِ القوّة والحَوْل ورَغْبتي إليه في السَداد[١] في العمل والقَوْل، على أن أجمع في هذه الأوراق كلَّ معنًى رقّ أو راقَ مّما هو عِنْدي مستحسَنٌ لا مستخشَنٌ، ومُسْتَمْلَح لا مستقبح، وأُثْبِتَ فيه من الفوائد ما يُزْري بالفرائد[٢]، ومن بدائع العلوم والفهوم ما يرتقي من التخوم[٣] إلى النجوم. وجعلتُ ما أُؤَلِّفُ فيه وأبْني[٤] لعبد الرحيمِ ابني ليقرأه بعدَ موتي وينظُرَ إليّ منه بعدَ فَوْتي[٥]، إذ لم يلحَقْ بعدُ - لصِغَرِهِ - دَرَجةَ النبلاء ولم يبلُغْ مرتبةَ العقلاء. وأرجو أن يجعَلَه الله منهم ولا يقطَعَ به عنهم، فيكونَ - إن شاء الله - بقراءة هذا الكتاب في الزيادة إلى أن يلحَقَ بالسادة:

إنّ الهــلالَ إذا رأيــتَ نُمُوَّهُ أيْقَنْتَ أن سيَصيرُ بدراً كاملا[٦]!

وسمّيتُ ما جمعتُ لهذا الطِفلِ المُربّا[٧]: كتاب ألف با....

- من متن «كتاب ألف با» (١ : ٢٨٠):

والعَرَقُ: الطيرُ تصطفّ في السماء، واحدته عَرَقَةٌ. والعَرَقُ السطرُ من الخيل..... ومقلوبه قَعْرُ كلِّ شيءٍ أقصاه. وبئر قعيرة. وتقعّرَ الرجلُ إذا تَشَدَّقَ الرجل وتكلّم بأقصى قَعْرِ فِيه... ومقلوبه أيضاً رَعَقَ يرعَقُ رُعاقاً، وهو صوت يسمع من قتب[٨]

---

(١) الطول (بفتح الطاء): البقاء، القدرة، الغنى. ذو الطول: صاحب الطول (الله). الحول: القوّة. السداد: الصواب في القول والعمل.

(٢) الفرائد جمع فريد: الشذر (قطع من ذهب) تفصل بين اللؤلؤ في العقد. الفريد والفريدة: الجوهرة (اللؤلؤة) النفيسة أزرى: عاب، جعل (الشيء) محتقراً.

(٣) التخوم جمع تخم (بالفتح أو الضمّ): الفاصل بين أرض وأرض (المقصود: الأرض).

(٤) أبني (أنا) - من بنى يبني بناء (يؤلّف).

(٥) بعد فوتي (موتي): بعد أن أمضي ويصبح عاجزاً عن اللحاق بي (عن الاستفادة منّي).

(٦) البيت لأبي تمّام.

(٧) المربّى - يقصد: المربّى (المهذّب، المثقّف).

(٨) في القاموس: الرعيق صوت يسمع من بطن الدابّة. ورعق كمنع، أي مفتوح عين الفعل في الماضي والمضارع (رعق يرعق بفتح العين فيهما). قتب: سرج صغير.

الدابّة.... ومقلوبه أيضاً رَقَع الثوبَ رَقْعاً ورقعتُه. والرقيعُ الأحمق... ومقلوبه أيضاً عَقَرَ العقر، والعُقر مصدر العاقر من النساء. وقد عُقِرَت المرأة، وعَقَرت تَعْقِر فهي عاقرٌ وعقير. وفي التنزيل[1]: «وامرأتي عاقرٌ». والعاقرُ من الرمل ما لا يُنْبِتُ....

– وصفُ «كتاب ألفَ با» (١: ٦٤):

وهذا الكتابُ ألّفْتُه – كما ذكرتُ – لولدي أو لِمَنْ يكون كَمِثْلِهِ مِنْ مُبتدي. فرُبّما جمعتُ فيه من الكلام بينَ الغثِّ والسَمينِ والرخيصِ والثمينِ، والجِدِّ والهَزْل والضعيفِ والجَزْل[2]، كما تقدّمَ فيه القولُ من قبلُ، وجلبتُ ما حَضَرَ من يابسٍ وأخضرَ. وعقولُ الناس مُدوّنَةٌ في أطرافِ أقلامِهِمْ، بها يُسْتَدَلُّ على مَعْرِفتهم وأفْهامهم. وبتآليفِهِمْ وأوضاعهم يُعْرَفُ الطُولُ والقِصَرُ في باعِهِمْ[3] ويُدرى اختلافُ طِباعِهم...

– ومن نظمه:

★★ وظننتُ القويَّ يبقى على ما ... كان من قبلِ أن يُلاقِي الرجالا.
فإذا القلبُ في الحقيقةِ قلبٌ ... حارَ عمّا عَهِدتُّ فيه وحالا[4].
والذي قالَ قبلُ: «إنّي وإنّي» ... من صِفات الرجالِ كان مُحالا[5].
فتذكّرتُ قَوْلَةَ المتنبّي، ... حين قلبي عن البَسالةِ زالا[6]:
(وإذا ما خلا الجَبانُ بأرضٍ ... طَلَبَ الطَعْنَ وحدَهُ والنِزالا).
★★ ظنّ قومٌ بأنّ حُبّي إلَهي ... مثلُ ما يُحْبَبُ الأنيسُ أنيسَهْ.

(١) في التنزيل (الوحي): القرآن الكريم (٣: ٤٠، آل عمران): «وقال: ربّ، أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر؟».

(٢) الغثّ: النحيف (الغثّ والسمين كناية عن الرديء والجيّد). الجزل: الكثير العظيم. والكلام الجزل: الفصيح الألفاظ المتين التركيب الجامع للمعاني الشريفة.

(٣) الباع: المسافة بين الكفّين عند بسط الذراعين يميناً وشمالاً. طول الباع كناية على القدرة والبراعة، وقصر الباع بخلاف ذلك.

(٤) قلب (الثانية) انقلاب، خلاف في الاتّجاه. حال: تحوّل، تبدّل.

(٥) من قال عن نفسه متبجحاً: «إنّي وإنّي».... كان خالياً من صفات الرجال، أي أنا لي كثير من صفات الرجال. محال (بالضمّ) ما لا يمكن وجوده أحياناً: صفات ليست ممّا يجتمع في الناس عادة).

(٦) البسالة: الشجاعة.

غَلطوا في القياس، ما مِثلُه يُشْـ ـبـهُ شيئـاً فيَقْتضي أنْ تَقيسَهْ.
وكـذا حُبُّه يَجـلُّ عن الوَصْـ ـفِ، تعالى عن الصِفات الخسيسهْ.
إنّما حُبُّـــه لمَنْ كـــان أهلاً للمعـــالي وللمعـــاني النفيسه.
كـــلُّ من كـــان للمحبّـــةِ أهلاً حُبُّـــه يلزَمُ النفوسَ الرئيسه.

٤ - كتاب ألف با (بتصحيح مصطفى وهبي)، القاهرة (نشرته جمعية المعارف بمصر - المطبعة الوهبية) ١٢٨٧ هـ.

★★ التكملة، ٧٣٧ (رقم ٢٠٨٩)؛ صلة الصلة ٤١٧ - ٤٢٠ (رقم ٤١)؛ بروكلمن ١ : ٣٧٨، الملحق ١ : ٥٤٣ - ٥٤٤؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٢٧ (٨ : ٢٤٧ - ٢٤٨)؛ سركيس ٣٠٠.

ابن شَكِيلٍ الصَدَفيّ

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ يَعيشَ بن شَكِيلٍ (بفتح الشين) الصَدَفيُّ الشَريشيُّ الأندلسيُّ، تُوُفيّ سَنَةَ ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ - ١٢٠٩ م) مُغْتَبطاً (في شَبابه بلا علّةٍ).

٢ - كان ابنُ شَكِيلٍ الصدفيُّ شاعراً مُجيداً سَهْلَ القَوْل. ويبدو أنّه لم يكُنْ يتكسّبُ بشعره. بَرَعَ في الوَصْفِ والتَخيُّل، له مُقّطعات في وصفِ الحَمّام وفي الأزهار. وقال، في أبي قَصَبةَ الجُزولي الذي ثار على المُوحِّدين سَنَةَ ٥٩٨ هـ ثمّ قُتِل وشيكاً، قصيدةً منها:

اللهُ أطفـأ مـا أذْكـى أبو قَصَبَهْ من حَرْبـهِ، وأزالَ السِحرَ بالغَلَبـهْ[1].
فمن أرادَ سُؤالاً عن قَضِيّتـــه فجُملـةُ القول: إنّ الحقَّ قد غَلَبَهْ.
لقـد شَفى النفسَ أنْ وافى بهامتِه صدرُ القناةِ مكانَ الصدرِ والرَقبـه[2].

(١) أذكى: أشعل، أوقد (النار).
(٢) جاءوا برأسه مرفوعاً على رمح.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ شَكِيلٍ يَصِفُ حَمّاماً:

تُلْهي العيونَ رُقومُــه فكأنّهــا ... قـد أُلْبِسَتْ ساحاتُه دِيباجا[١]،
مجموعــةً أضـدادُه فـترى بهــا ... نـارَ الغَضـا والوابلَ الثّجاجا[٢].
حرّانُ مُنْسَكِــبُ الدموعِ كأنّما ... يَحْكي، بـذاك، العاشقَ المهتاجا.
دُحِيَتْ بسيطةُ أرضِهِ من مَرْمرٍ ... فجرى الزُجاج به وثارَ عَجاجا[٣].
وجَلَـــتْ سماوَتُـــهُ السماءَ، وإنّما ... جُعِلَتْ مكانَ النيِّراتِ زُجاجا[٤].
قامتْ علـى عَمَدٍ جُلِينَ عرائساً ... فـترى لها السَمْكَ المُكَلَّلَ تاجا[٥]!

- وقال في زَنْبقةٍ (بيضاء) أُودِعَتْ شَقيقةً (حمراءَ):

سَوْسَنَــةٌ بيضـاءُ قـد أُودِعَـتْ ... شقيقــــةً قانِيَــــةَ البُرْدِ[٦]
أبْيَضُهـــــا يَنْشقُّ عن أحمرٍ ... كالبُرْقُــعِ انشقّ عنِ الخَــدّ.

٤ -★★ الوافي بالوفيات ٨: ٢٧٧ - ٢٧٨؛ المقتضب من تحفة القادم ٩٧؛ الأعلام للزركلي (١: ٢٧١).

---

(١) أرضه مبلّطة برخام عليه أشكال مختلفة. الديباج: نسيج من حرير.

(٢) الغضا: شجر له نار شديدة. الوابل: المطر. الثجّاج: الشديد الانصباب (في الحمّام حرّ شديد وماء كثير).

(٣) دحيت: بسطت، مهّدت. جرى الزجاج به (فيه) وثار عجاجاً (غباراً): الماء الحارّ يتحوّل فيه بخاراً لشدّة الحرارة (كالغبار) ثمّ يتجمّع قسم منه عند الزجاج فيسيل رطوبة. (شطرا البيت لا يأتلفان في المعنى).

(٤) جلت سماوته (سقوفه) السماء: سقف الحمّام يشبه السماء بنجومها - كان سقف الحمّام مزوّداً بأكر زجاجية (تسمح للنور بالمرور) ولا تسرّب الحرارة (لأنّ الهواء في هذه الأكر عازل للحرارة).

(٥) قامت (سقوف) هذا الحمّام: رفعت. عمد جمع عمود. جليت العروس: عرضت على زوجها في أبهى زينتها (كناية عن جمال تلك الأعمدة بما عليها من النقش والزخرف). السمك: أعلى الشيء (السقف). المكلّل (بتشديد اللام الأولى وفتحها: ببنائها للمجهول)، كانت السقوف أيضاً مزخرفة، فكأنّها كانت أكاليل (من الأزهار) على رؤوس تلك الأعمدة.

(٦) السوسنة: الزنبقة. الشقيقة (واحدة الشقائق: شقائق النعمان): زهرة بريّة حمراء البتلات وفي وسط كلّ بتلة بقعة صغيرة سوداء. قانية (لونها قان: شديد الحمرة - من الفارسية، قان: دم).

أبو عبد الله بن يربوع

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أحمدَ بن يَرْبوعٍ ، أصلُه من جيّانَ. كان مولدُه نحوَ سَنَةِ ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م). سَكَنَ مُدّةً في بلِّش من أعمالِ لُورقَةَ.

روى أبو عبدِ اللهِ بنُ يَرْبوعٍ عن نَفَرٍ كثيرينَ ، ولكنّ أكثرَ روايته عن أبي عبدِ الله ابن العربيّ وأبي القاسمِ السُّهيليّ وأبي محمّدٍ القاسمِ بنِ دحمانَ[١]. ثمّ إنّه أقرأ فنوناً كثيرةً ، منها: قراءةُ القُرآنِ والحديثُ والعربيةُ (النحو) والأدبُ. وكان يتردّدُ في سبيلِ ذلك على جيّانَ وقيطاجةَ وأُبَّذَةَ. وقدِ ٱستوطنَ قيطاجةَ ثمّ أُبَّذَةَ.

وكان وفاةُ أبي عبدِ اللهِ بنِ يربوعٍ في سَنَةِ ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ - ١٢١٠ م).

٢ - كان أبو عبد اللهِ بنُ يربوعٍ مُقرئاً ضابطاً ووافرَ البضاعة من رواية الحديث ، وقد كان بارعاً فيما ينقُلُه. وكذلك كان بارعاً في علم العربية وعارفاً بالأدب ، وبصيراً بالحساب. ثمّ كان كاتباً وشاعراً ، ويبدو أنّ أكثرَ مَيلِه كان إلى الهجاء مَعَ شيءٍ من البراعةِ والمَرَح. وقد ألّف مجموعاً من الأشعار سمّاه « حديقةَ الأزهار »، وهو كتابٌ حسنٌ ، وتَجدُ منه بضعَ مُقطّعاتٍ في كتاب نفح الطيب (٥: ٦٠١ - ٦٠٢).

٣ - مختارات من شعره:

- لمّا جاء ٱبنُ يربوعٍ إلى قيطاجةَ كتب إلى ماجدٍ (؟) أن يُنزله (في مسكنٍ أو دارٍ)[٢] فأجابه ماجدٌ: « في كلّ جُحْرٍ ضَبّةٌ »[٣]. فردّ عليه ٱبنُ يربوعٍ بهذه الأبيات:

يا ماجداً إنْ جاد كان وَضيعا ، أو قال قولاً كان فيه بديعا.
قيطاجةٌ قد ضَيّقت أجْحارها ، وأرى لكم ما بينهنّ وُقوعا[٤].

---

(١) أبو عبد الله بن العربي وأبو محمّد القاسم بن دحمان (؟؟). ولعلّ أبا القاسم السهيلي هو صاحب الروض الأنف والمتوفّى سنة ٥٨١ هـ.

(٢) لعلّ ماجداً هذا كان يتولّى شيئاً من الأحباس (الأوقاف) وتحت يده دور يمكن أن يسكن فيها الطارئون على قيطاجة من أولئك الذين لا يجدون مسكناً أو لا يستطيعون ذلك.

(٣) الجحر: ثقب في الأرض تسكنه الحشرات. والضبّة حيوان صحراوي يشبه الحرذون.

(٤) وأرى لكم ما بينهنّ وقوعاً (أعتقد أنّك، يا ماجد، من أولئك الذين يسكنون أحد تلك الأجحار).

وزعَمْتَ أن لكلّ جُحْرٍ ضبّةً، فاسْتَبْدِلَنَّ مكانَـــه يربوعــا[١].

– وقال يهجو مدينة لورقة:

أخْسِسْ بلُرْقَةَ، لا تَنْزِلْ بساحتها، فـإنّ ساكنهـا في الوَيْلِ مدفونُ.
أرضٌ أبى الله أن تُنْشي أخا كرمٍ: فإنّهـا سَقَرٌ والمـاء غِسْلِـينُ[٢].

– وقال أيضاً يهجو ٱبنَ أحْلى كبيرَ مدينةِ لورقة:

قصـدتُ ٱبنَ أحْـلى فألْفَيْتُـه أشدَّ مُراراً من العَلْقَمِ[٣].
عـلى المـاء في داره زَحْمَـةٌ، وفيهـا على الخبز سفك الدم[٤].

٤ – ★★ التكملة ٥٩٢؛ الذيل والتكملة ٦: ٧٦ – ٧٧ (رقم ١٦٩).

ابن بدرون

١ – هو أبو مروانَ أو أبو القاسم[٥] عبدُ الملكِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ بدرانَ أو بدرون[٦] الحَضْرَميُّ الشِلْبيُّ، من أهلِ شِلْبَ؛ روى عن طائفةٍ من علماءِ بلدِه. ولَعلّه عاش مدّةً طويلةً في إشبيلية، في أيّام السُلطان يوسفَ بنِ عبدِ المؤمن (٥٥٨ – ٥٨٠ هـ). وكانتْ وفاتُه في شِلْبَ سَنَةَ ٦٠٨ (١٢١٢ م) أو بعدها بقليل.

(١) .... لا بأس أن تنزلي مكان ضبّ أو ضبّة من الضباب. اليربوع حيوان صحراوي يشبه الفأر ولكنّ قائمتيه الأماميّتين قصيرتان جدًا وقائمتيه الخلفيّتين طويلتان جدًا هناك ثورية بين «يربوع» (الحيوان الصحراوي) وابن «يربوع».
(٢) تنشي=تنشىء سقر: مكان في قعر جهنم (شديد الحرّ). الغسلين: الوسخ الذي يسيل من الثوب عند غسله، ومادة تسيل من جلود أهل جهنّم.
(٣) المرار (بالضمّ): بقل بريّ مرّ. العلقم شجر الحنظل (مرّ). لا وجه للقول (في التركيب النحوي): «أشد مرار من العلقم»، وأصوب أن يقال: «أمرّ مذاقاً من العلقم».
(٤) زحمة: ازدحام (لقلّة الماء فيها؟).
(٥) بروكلمان ١: ٤١٥، الملحق ١: ٥٧٩.
(٦) نفح الطيب ١: ١٨٥. – المشهور بدرون (بفتح الباء) كذا ضبطها إحسان عبّاس في نفح الطيب (١: ١٨٥) ووفيات الأعيان (١: ٣٣٤). ثمّ ضبطها بضمّ الباء (وفيات الأعيان ٣: ٤٧٠، السطر التاسع ثمّ ٧: ٢١٧، السطر الثالث عشر).

٢ - هو الأديبُ (نفح الطيب ٧ : ٢١٧) ابنُ بَدْرونٍ، كان مُلمًّا بكثيرٍ من أوجهِ الثقافة وبالأحداثِ التاريخية خاصّةً. وكان معروفاً بين أنداده وفي بَلَدِهِ باتّساع المعرفةِ حتّى أمكنَ أنْ يطلبوا منه شَرْحَ قصيدةِ ابنِ عبدونٍ (ت ٥٢٩ هـ). وشُهْرةُ ابنِ بدرونٍ تَرْجعُ في الحقيقة إلى شرحه على تلك القصيدة: «الدهرُ يفجعُ بعدَ العينِ بالأثَرِ» (كِمامة الزَّهَر وصَدَفَة الدُّرَر: شرح البَشَامة[1] بأطواق الحَمامة). ولولا تلك الشروحُ التاريخيّةُ التي عَلّقها ابنُ بدرونٍ على أبياتِ تلك القصيدةِ لظلَّ كثيرٌ من هذه الأبياتِ مُسْتَغْلقاً على القارىء العاديّ.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدّمة شرح البشامة (لابن عبدونٍ):

... جمَعَني يوماً من الأيّام، مَعَ جماعةٍ من فرسانِ النُّثّار والنظام، نَديٌّ[2] أدبٍ ومجلسٌ دعا إلى الإفاضةِ في هذا الشأنِ ونَدَبَ. فأفَضْنا قِداحَ المذاكرةِ في الأدب وجَمالِه، وأفَضْنا أقْداحَ[3] راحِ الحَديث في الشِعر ورِجاله، (الشعر) الذي هو ديوانُ العرب... وذَكَرْنا من دَرَجَ من الأُمم، وفَرَجَ[4] في الشِعر أبواباً لم يَفْرجْها غيرُه ممّن كان له قَدَمُ القِدم، وما أبْدَعَ فيه من أنواعِ البديع.... كالتسميط والإشارة والمُقابلة والاستعارة والتوشيح والتجنيس[5].... ثمّ جُلْنا في ذِكْر ذكر (؟) الإحالاتِ

---

(١) نيكل ١٧٨؛ وفي عدد من المراجع: البسّامة!

(٢) النثار (بالضمّ): ما تناثر من الشيء. والمقصود هنا النثر (خلاف النظم: الشعر). النديّ والنادي محلّ اجتماع القوم للتداول.

(٣) القداح جمع قدح (بالكسر): قطعة من خشب (أو غيره) تستخدم في الاستقسام (الميسر، القمار وغيره). الأقداح جمع قدح (بفتح ففتح): الكأس. الراح: الخمر.

(٤) درج: ذهب، مات، انقضى زمنه. فرج: فتح (أوجد أبواباً: أنواعاً جديدة).

(٥) البديع: تحسين اللفظ. التسميط: نوع من التوشيح (تعدد القوافي في المقطوعة الواحدة). الإشارة: اللمحة اليسيرة الدالّة على المعاني الكثيرة أو البعيدة. والإشارة أنواع (راجع العمدة لابن رشيق، نشرها محمّد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، ١: ٢٧١ - ٢٨٢). المقابلة تقال على الطباق (تضادّ المعاني: أبيض وأسود، صغير وكبير). وتقال على الموازنة (تقابل صيغ الألفاظ في الجملة الواحدة: (ما جرى جار في النهار وما سرى سار في الليل). الاستعارة: نسبة فعل إلى الذي لا يفعله =

ورَفَضْنا ما سواها. وذَكَرْنا ما انْطَبَع فيها ومن رَمِدٍ حين شَواها[١]. فأنْشَدَ أحدُ الحاضرين قصيدةَ الوزيرِ الكاتبِ أبي محمدٍ عبدِ المجيدِ بنِ عبدونٍ... فإنَّهُ ذَكَرَ فيها كَثيراً من المُلوك ممّن دَبّتْ إليهم الأيّامُ أيَّ دبيبٍ، وألْحقَتْ شَمْسهم عند الظَهيرة بالمَغيب، ومَشَتْ إليهم الضرّاء[٢]... فأكْثَرُهُمْ لم يَعْرف كُنْهَ[٣] حالاتِ تلك الإحالاتِ حتّى كانَ فِيهمْ مَنْ قَالَ: ما هذه القصيدةُ إلّا كالمُعمّى[٤]. فكانَ في القوم مَنْ أشار نحوي وقال: لو شاء فلانٌ لافْتَتَحَ رتاجَها المُبْهَمَ، وأنْجَدَ في قَصِّ أخبارِها وأَتْهَمَ[٥].

- مثال من الشرح:

«وليتَها إذْ فَدَتْ عَمْراً بخارجةٍ فَدَتْ عَلِيًّا بمن شاءتْ من البشر».

هذا الذي ذُكِرَ هو عمروُ بنُ العاص.... وخارجةُ رجلٌ من سَهْم بنِ عمروِ بنِ هُصَيْصٍ رهطِ عمروِ بنِ العاص. وكان من خَبَرِه أنّه لمّا اجْتمعتِ الخوارجُ على قَتْلِ عليٍّ، رَضِيَ اللهُ عنه، ومُعاويةَ وعمروٍ- كما قَدّمنا ذِكْرَه- مَشى زادَوَيْهِ مولى بني العَنْبر إلى عمروٍ على وَعْدِهِ مَعَ صاحبيهِ[٦]، في تلك الليلةِ، وأرْصَدَ لِعَمْروٍ[٧]. وشكا

= عادة: ابتسم البرق- (فالبرق لا يبتسم، ولكنّه شبّه بالإنسان ثمّ نسب إليه فعل من أفعال الإنسان). التوشيح: بناء القطعة الشعرية على أشطر معيّنة في العدد والأوزان مختومة بقوافٍ مختلفة ولكن على نسق معلوم. التجنيس: المجيء في الجملة الواحدة بكلمات تتفق في اللفظ وتختلف في المعاني الصحائف: الأوراق والرسائل إلى جانب الصفائح أي السيوف).

(١) ذكر ذكر (كذا في الأصل)... الإحالات. الإحالة (نسبة الشيء إلى العالم به!). الرمد (بفتح فكسر) الكدر، الماء الآجن (المتغيّر، الفاسد). شوى الرجل الرجل: أصاب منه مقتلاً.

(٢) دبّت إليهم الأيّام: عدت عليهم وقست. أصابتهم بالزوال، الضرّاء: الشدّة، الحال المضرّة.

(٣) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته وغايته (وسرّه).

(٤) المعمّى: الأحجية (المعنى المضمر الغامض).

(٥) الرتاج: الباب. أنجد: جاء نجداً (المكان العالي) وأتهم: جاء تهامة (المكان المنخفض)- قدر على كلّ شيء.

(٦) مع صاحبيه: عبد الرحمن بن ملجم (بضمّ فسكون ففتح) الذي أراد قتل عليّ بن أبي طالب ثمّ الحجّاج ابن عبد الله المعروف بالبرك (بضمٍّ ففتح) التميمي الذي أراد قتل معاوية.

(٧) تخفّى ليقتل عمراً (كان عمرو بن العاص يمرّ من قصره إلى المسجد في كلّ يوم لصلاة الفجر... في ممرٍّ معروف).

عمروٌ في تلك الليلةِ من بطنهِ فلم يخرُجْ للصلاة. فخَرَجَ خارجةُ[١] ليُصلِّيَ بالناس عِوَضَ عمروٍ. فظنّه زادَوَيْهِ عمْراً[٢] فضربه وقتله. وأُخِذَ (زادويه) ودُخِلَ به على عمروٍ فسَمِعَهم يخاطبونه بالإمارة، فقال: أو مَا قتلتُ عمْراً؟ قيل له: لا، إنّما قتلتَ خارجةَ. فقال: أردتُّ عمراً واللهُ أرادَ خارجةَ. فذلك قولُه: وليْتَها. والهاءُ عائدةٌ على الليالي...

– ولابن بدرونٍ في الغزل (نفح الطيب ١ : ١٨٥):

العشقُ لَذّتــه التَعنيــقُ والقُبَـلُ، كما مُنَغِّصُهُ التَثْريبُ والعذلُ[٣].
يا ليتَ شِعريَ، هل يُقضى وِصالُكُمُ؟ لولا المُنـى لم يكنْ ذا العمرُ يَتّصلُ!

٤ – شرح قصيدة ابن عبدون (نشرها دوزي)، ليدن ١٨٤٦ – ١٨٤٨ م؛ كمامة الزهر وصدفة الدرر (شرح البسّامة)، مصر ١٣٤٠ هـ؛ في «مجموعة....» (نشرها محيي الدين صبري)، القاهرة ١٣٤٠ هـ (؟).

★★ الصلة رقم ٨٣١؛ التكملة (رقم ١٧٢٧) الذيل والتكملة ٥ : ٢١؛ نفح الطيب ١ : ١٨٥، ٥٢٩، ٤ : ٣٥٣؛ راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٨٠ (في ترجمة ابن عبدون)؛ بروكلمن ١ : ٤١٥، الملحق ١ : ٥٧٩ – ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٣٠٦ (١٦١)؛ نيكل، راجع ١٧٦ (البَشَامة لا البسّامة)؛ تاريخ النقد الأدبي لداية ٢١١ – ٢١٥؛ سركيس ٤٥.

الكانِميّ الأسود

١ – هو أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن يعقوبَ[٤] الكانِميُّ، نِسبةً إلى كانَمَ[٥] من قريةٍ

---

(١) خارجة بن حذافة رئيس الشرطة لعمرو بن العاص.

(٢) زادويه أو داذويه مولى بني العنبر.

(٣) التعنيق: أخذ أحد الشخصين بعنق الآخر. التثريب والعذل: اللوم.

(٤) في المقتضب: أبو اسحاق ابراهيم بن محمد. وفي تاج العروس أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن.

(٥) في تاج العروس: كانم جنس من السودان وهم بنو عمّ تكرور ثمّ بلدة بنواحي غانة، وهي دار ملك السودان الذي بجنوب الغرب (المغرب) وكذا تكرور اسم للأرض. وتقع كانم إلى الشرق والشرق الشمالي من بحيرة شاد سكنها أولاد سليمان والشوا (وهم من عنصر عربي). ويبدو أن بعضهم جاء من =

اسمُها بَلْمَةُ. ويبدو أنّه كان مِنَ العرب الذين انتقلوا إلى كانم من ليبيا، ومن أجل ذلك يُزاد في نَسَبه «الذكوانيّ السُلَميّ»[١]. وقدِ اكتسبَ لونَه الأسودَ ولَقَبَه أيضاً من سُكناه في السودان (الغربيّ).

وجاء الكانميُّ، قبلَ سَنَةِ ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م)، إلى مَرّاكُشَ وأَقْرأَ فيها الآدابَ ثمّ دَخَلَ الأندلُسَ ومدح أكابرَ الدولة. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٦٠٨ (١٢١١ - ١٢١٢ م) أو ٦٠٩.

٢ - الكانمي الأسودُ أديبٌ شاعرٌ مشهورٌ[٢] ولم يُعْرَفْ في أرضه شاعرٌ سِواه[٣]. كانَتِ العُجمةُ غالبةً عليه، ولكنّه كان شاعراً مُحسناً جيّدَ النظم رُوِيَتْ له أبياتٌ في الحِكمة والفخر مَعَ شيءٍ من التصنيع. وكان عارفاً بالنحو.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الكانميُّ الأسودُ يفتخرُ بِنفسِه ويَعْتَذِرُ للَوْنِهِ الأسودِ:

إنّي وإنْ أَلْبَسَتْني العُجْمُ حُلَّتَها ... فقد نَماني إلى ذَكوانِها مُضَرُ[٤].
فلا يَسُؤْكَ من الأغمادِ حالكُها ... إن كان باطنَها الصمصامةُ الذَكَرُ[٥]!

= ليبيا بعد أن كانوا قد انتقلوا إليها وإلى تونس من صعيد مصر في منتصف القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) وكانم في جمهورية تشاد اليوم..

(١) الذكواني السلمي نسبة إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة (بضمّ الباء) بن سليم (بضم السين وفتح اللام) (راجع عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب لأبي بكر محمّد بن أبي عثمان الحازمي الهمداني، الطبعة الثانية - مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م، ص ٦٢).

(٢) القاموس ٤ : ١٧٣.

(٣) الوافي بالوفيات ٦ : ١٧٠.

(٤) العجم: غير العرب (والمقصود هنا: الزنج). نماني: رفعني، رفع نسبي، وصل نسبي. مضر جدٌّ لعرب الشمال.

(٥) الغمد: قراب (بيت) السيف. الحالك: الأسود اللون. الصمصامة: السيف الذي يقطع في العظام. الذكر: الذي سقي الذكرة (بضمّ الذال المعجمة): الفولاذ فأصبح ليّناً من غير أن ينكسر، ثم اصبح مصقولاً أبيض.

– وقال في الموت وفي غَفْلة الناسِ في حياتِهم:

أفي الموتِ شكٌّ، يا أُخَيَّ، وبُرهانُ! ... فَفِيمَ هجوعُ الخَلْقِ والموتُ يَقظانُ[١]!
أتْسلو سُلُوَّ الطير تَلْقُطُ حَبَّها، ... وفي الأرض أشْراكٌ وفي الجَو عُقْبانْ[٢]؟

– وقال يُعَبِّرُ عن كُرْهِهِ للهجاء:

كم سائلٍ: لِمَ لا تهجو؟ فقُلْتُ له: ... لأنّي لا أرى مَنْ خافَ « مِنْ هاجي ».
لا يكرَهُ الذمَّ إلّا كلُّ ذي أَنَفٍ، ... وليس لُؤْمُ لِئام الخَلْق « مِنْهاجي »[٣]!

– ودخلَ الأديبُ أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ يعقوبَ الكانميُّ على المنصورِ الموحِّديِّ فأنشده (الاستقصا ١ : ١٨١):

أزالَ حِجابَــه عنّي، وعَيْـــني ... تراه من المَهابــة في حِجــاب.
وقــرَّبـنــي تفضُّلُـــه، ولكنْ ... بَعُــدتُ مَهابــةً عنــد اقــترابي.

٤ – ★★ الوافي بالوفيات ٦: ١٧٠ – ١٧١؛ المقتضب ١٠٩ – ١١٠؛ نفح الطيب ٤: ٣٨٠؛ الاستقصا ١: ١٨١؛ تاج العروس ٩: ٥١.

محمّد بن سيدراي

١ – هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ سيدراي[٤] بن عبدِ الوهّاب بن وزير[٥] القيسيُّ من أمراء المَغْرب، كما كان أبوه من قبلهِ وابنُه عبدُ الله من بعدِه[٦]. وظلّ أبو بكر بن

(١) وبرهان (أي هل يحتاج إلى برهان؟). الهجوع: النوم.
(٢) أتنسى، أيها الإنسان، نفسك وأنت تتمتّع بالحياة، كما تنسى الطير نفسها وهي تلتقط طعامها من الأرض، وقد يكون حولها أشراك وفوقها في الجو عقبان (طيور كاسرة)؟
(٣) الأَنَف: الاستكبار (ترك الأمور التي لا تليق بالرجل النبيل). لؤم (كذا في الأصل بالهمزة) والأصوب أن تكون « لوم » بالواو (هجاء).
(٤) في « نفح الطيب »: سدراي. (راجع ٤ : ٣٦٥، الحاشية: سيدراي). وفي « المغرب » سرّراي.
(٥) كذا في نسق نسبه (الحُلّة السيراء ٢ : ٢٧١). وفي المغرب ونفح الطيب: كان كاتباً ووزيراً.
(٦) راجع مناقشة طويلة مفيدة في تحقيق حول ولاية آل سيدراي في الأندلس (لحسين مؤنس، الحلّة السيراء ٢ : ٢٧٢).

سيدراي والياً على قَصْرِ الفتح حتّى مقتلهِ في وَقْعة العِقاب[1]، نصف صفر من سنة ٦٠٩ (١٧/ ٧/ ١٢١٢ م).

٢ - كان محمّدُ بنُ سيدراي، كأبيه من قبلهِ، من رجالاتِ الأندلس في العقلِ والشجاعة وقائداً كبيراً. وكان شاعراً مُحسناً من فنونه الحماسةُ والغَزَلُ والطردُ (فله وصفٌ في الكلب وشعرٌ في حمَامة).

٣ - مختارات من شعره:

- قال محمّد بن سيدراي في الحماسة، في معركة انتصر فيها على الأسبان[2]:

ولمّا تلاقَيْنا جَرَى الطعنُ بَيْنَنا   فمِنّا ومنهم طائحون عديدُ[3]:
رجالٌ غِرارُ الهندِ فينا وفيهمُ   فمنّا ومنهم قائمٌ وحَصيد[4].
فلا صدرَ إلّا فيه صدرُ مُثَقَّفٍ،   كِلانا على حَرّ الطِعان جَليد[5].
ولكنْ شَدَدْنا شَدّةً فتَبَلّدوا،   ومن يَتَبلّدْ لا يزال يَحيد[6].
فولّوْا وللبيض الرِقاق بهامِهِمْ   صليلٌ وللسُمْرِ الطِوالِ وُرود[7]!

---

(١) كانت وقعة العقاب (بكسر العين) قرب جيّان، جنوبيّ الأندلس، وقد انهزم الموحِّدون فيها وباد معظم جيشهم.

(٢) لعلّه قال هذه الأبيات بعد المعركة (التي استردّ الموحِّدون فيها قصر الفتح من البرتغاليين ٥٨٧ هـ (١١٩١ م).

(٣) طاح يطوح ويطيح: هلك.

(٤) الغرار: حدّ السيف. غرار الهند (نسبة إلى السيوف التي كانت تصنع في الهند وتعرف عند عرب الجاهلية بجودتها). الحصيد: المحصود (كناية عن القتلى).

(٥) - فلا صدر (إنسان) إلّا فيه صدر مثقف (صدر الرمح: القسم الأعلى من الرمح) كناية عن أن القتال كان مواجهة (لم يهرب أحد من الفريقين فيطعن في ظهره في أثناء هربه).

(٦) شددنا: هجمنا. تبلّدوا (كسلوا عن القتال، ملّوا). حاد: مال عن الطريق. ولا معنى واضحاً لها هنا. «لا يزال» حقّها أن تجزم (لا يزل) لأنّها جواب الشرط. وقد جزم الشاعر فعل الشرط «يتبلّد».

(٧) ولوا: هربوا. البيض: السيوف. هامهم: رؤوسهم. صليل: صوت. السمر: الرماح. ورود: شرب. الرماح كانت ترد (أي تشرب دماءهم). في نفح الطيب (٤: ٣٨١، ٤٦٥):.... بهامهم ★ ركوع وللبيض الرقاق سجود.

- وقال في النسيب:

ومُرَنَّحِ الأعطافِ تحسَبُ أنّه ... مُتَعَلِّلٌ أبداً بِصِرْفِ مُدامِهِ[١].

خَنِثُ المحاجرِ والجُفونِ كأنّما ... يَسْري فتورُ جُفونِهِ لكَلامِهِ[٢].

فَضَحَ الهلالَ بوَجْهِهِ، ولربّما ... فَضَحَ القضيبَ بلِينه وقَوامِه[٣].

وغدا شقيقَ سَميّهِ في حسنِهِ ... وغدا العَنا وقْفاً على لُوّامه[٤].

٤ - ★★ الحلّة السيراء ٢: ٢٧١ - ٢٧٥، ٢٩٧؛ المغرب ٢: ٤٣٠؛ نفح الطيب ٣: ٤٠٧ - ٤٠٨، ٤: ٣٨١، ٤٦٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٥ (٦: ١٥٤).

أبو العبّاس الجراويّ

١ - هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ السلامِ الجَراويُّ[٥]، نِسبةً إلى قبيلةِ جَراوةَ (وكانت مساكِنها بينَ قُسَنْطينةَ وقلعةِ بني حمّادٍ، بالجزائرِ اليومَ) وأصلُه من تادِلَة (قُربَ فاس، بالمغرب الأقصى)، ونَسَبُهُ في بني غَفْجومِ البربر. وقد كان مولدُه سَنَةَ ٥٣٠ (١١٣٥ م) قُربَ فاس (؟).

سَكَنَ أبو العبّاسِ الجَراويُّ مَرّاكُشَ ودَخَلَ الأندلسَ مِراراً. وكان الجَراويُّ قدِ اتّصلَ بالمُوحِّدين مُنذُ أيامِ أوَّلِهِمْ عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ)، ثمّ استمرّتْ

---

(١) مرنّح العطف (بكسر العين: الجانب الأعلى من البدن): متمايل الجسم (من الدلال أو السكر). المقصود أنّه «يفعل الشيء الواحد مرّة بعد مرّة». صرف الراح: الراح الصرف (الخمر غير الممزوجة بماء) التي تحدث في شاربها سكراً شديداً.

(٢) مسترخي المحاجر (العيون) من الدلال لا من المرض. يسري (يسير ليلا): يمرّ، ينتقل. فتور: هدوء.

(٣) ولربّما (كذا في الأصل)، ولو كانت: «ولطالما» لكانت أصحّ وأبلغ. القضيب: الغصن.

(٤) سميّه: الذي له مثل اسمه (القمر؟). العناء: التعب (أصبح التعب على الذين يلومونه - أي يلومونني على حبّه - لأنّني لن أسمع منهم).

(٥) يقال فيه أيضاً: الكورائي والكورايي والكراوي. وقيل جراوة مكناسة اسم موضع. وقيل جراوة أو كراوة أو كورايا قبيلة من البربر منازلهم بضواحي فاس. وقيل كوراية برابر يعيبهم أهل المغرب - راجع في كلّ ذلك (وفيات الأعيان ٧: ١٧٦؛ الغصون اليانعة ٩٨، ١٥٨).

صِلَتُه بهم وثيقةً وخصوصاً في أيام يعقوبَ المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانتْ وفاتُه في إشْبيليةَ، سَنَةَ ٦٠٩ (١٢١٢ م) في الأغلب.

٢ - أبو العبّاسِ الجَراويُّ شاعرٌ مشهورٌ، ولكنَّ شعرَه الذي وَصَلَ إلينا لا يُبرِّرُ شُهرته. وقد كانَ كثيرَ التَكبُّرِ مُعْتَدًّا بنفسِه شديدَ الحَسَد للشُعراء، لا يُقرُّ لأحدٍ منهم بالتقدّم عليه. وشِعرُه متينٌ مشرقيُّ الدِيباجةِ سهلُ التراكيب يدورُ في مُعظمه على المدحِ والهِجاء والحِكمة والغَزَل والوصف. وهو يُكْثِرُ الاتّكاءَ في وصفِ المعارك على أبي تمّامٍ والمتنبّي. وأُولع بالهجاء حتّى هجا قومَه. وله هِجاء للمُدُن وللناس، ورُبّما أقذعَ في هِجائه. وكان الجراويُّ حافظاً لكثيرٍ من شِعر القُدامى والمُحْدَثين جَمَعَ منه كِتاباً عُنوانُـه: «صفوةُ الأدب ونُخبة كلام العرب» (ويُعرَفُ باسم «الحَماسة المَغْربية») صَنَعَه على مِثال حَماسة أبي تَمّامٍ.

٣ - مختارات من شعره:

- في سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) جاز المنصورُ الموحِّديُّ إلى الأندلس وقاتل الإسبانَ في معركة الأرَكِ وانتصر انتصاراً مُبيناً زاد في وَجاهة الموحِّدين وشدَّد عزائم المسلمين وردَّ الخَطَرَ عن الأندلُسِ مدّةً من الزمن. فقال أبو العبّاسِ الجراويُّ يمدَحُ المنصورَ الموحِّديَّ:

هو الفتحُ أعيا وصفُه النَظْمَ والنَثْرا … وعَمّتْ جميعَ المُسلمين به البُشرى،
وأنْجَدَ في الدُنيا وغارَ حَديثُه … فراقتْ به حُسناً وطابت به نَشْراً[1].
لقد أوردَ الأذْفونْشُ شِيعتَه الردَى … وساقَهُمُ جَهْلًا إلى البَطْشة الكبرى[2].
أطارَتْهُ شَدَّاتٌ تولّى أمامَها … شريداً وأَنْسَتْهُ التعاظُمَ والكُفْرا[3].

---

(١) أنجد: جاء إلى البلاد العالية. غار (يقصد أغار): جاء إلى البلاد المنخفضة. النشر: الرائحة الطيّبة.

(٢) الاذفونش والفونش من أسماء ملوك إسبانية (يبدو في المصادر العربية أنّه لقب للملوك الإسبان). وقد انتصر المنصور الموحّدي في معركة الأرك هذه على ألفونس الثامن، سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م). البطشة الكبرى: الهزيمة في معركة الأرك.

(٣) الشدَّة: الهجمة.

رأى الموتَ للأبطال حولَيْهِ يَنْتَقي فطارَ إلى أقْصى مَصارِعه ذُعْرا[١].
وقد أوْرَدَتْهُ الموتَ طَعْنَةُ ثائرٍ وإن لم يُفارِقْ من شَقاوتهِ العُمرا[٢]
ولم يَبْقَ من أفْنى الزمانُ حُماتَه وجرّعَه من فَقْدِ أنصارِه صبرا[٣]؛
ودارتْ رَحى الهَيْجا عليهم فأصبحوا هشيماً طحيناً في مَهَبِّ الصَبا مُذْرى[٤]،
يطيرُ بأشلاءٍ لهم كلُّ قَشْعَمٍ. فما شئْتَ من نَسْرٍ غدا بطنُه قَفْرا[٥]!
فكيفَ رأى المُغترُّ عُقبى اغترارِه؟ وكيفَ رأى الغدّار في غيّهِ الغَدْرا؟
وكان يرى أقطارَ أندلُسٍ له متى يَرْمِ لم يُخْطِئْ بأسهُمِهِ قُطْرا.
فسلّاه يومُ الأربعاءِ عن المُنى فما يرتجي مِمّا تَملَّكَهُ شِبْرا.

– وقال يُهنّىء المنصورَ الموحِّديَّ بالعيد:

شُمِلَتْ ببقائِكُمُ الأُمَمُ وسَمَتْ برجائِكُمُ الهِمَمُ.
وهمتْ دِيَمٌ من راحَتِكم هيهاتِ تُساجلُها الدِيَمُ[٦]!
وعَنَتْ لعزائِمِكُمْ عَرَبٌ تَشقى بصوارِمها العَجَمُ[٧].
أُسُدٌ تنقادُ الأُسْدُ لَها، بُهَمٌ تنقادُ لها البُهَمُ[٨].
حُمِدَتْ شِيَمُ الأيامِ بِكُمْ، ولَكَمْ ذُمَّتْ منها الشِيَمُ!
أعيا البُلغاءَ مَقامُكُمُ ولَوَ اَنّ مَقالَهُمُ حِكَمُ[٩].

---

(١) فطار إلى أقصى... (؟).

(٢) الثائر: (هنا) المنصور الموحِّدي. يقول الشاعر إن ملك الإسبان مات في المعركة في مقتبل العمر، مع أنّ ألفونس الثامن عاش نحو ستين سنة وتوفّي عام ١٢١٤ م (٦١١ هـ).

(٣) الصبر (يجب تسكين الباء فيها حتّى تستقيم في الوزن). الشاعر يقصد الصبر (بفتح فكسر): عصير شجر مرّ.

(٤) الرحى: الطاحون. الصبا: ريح الشرق (هنا: الريح). مُذرى (مفرّق).

(٥) الشلو (بالكسر) العضو، بقية الجسم بعد تقطيعه. – غداً بطنه قفراً (؟): قبراً.

(٦) همى، سحّ، انسكب المطر. الديمة: الغيمة المملوءة بالماء. تساجلها: تباريها، تعادلها، تساويها، تشبهها.

(٧) عنى: خضع. الصارم: السيف. العجم (في الأندلس) النصارى الذين لم يتعلّموا العربية (والنصارى الذين تكلّموا العربية كان اسمهم المستعربين).

(٨) البهم جمع بهمة (بضمّ الباء): الصخرة، الرجل الشجاع.

(٩) – البلغاء عجزوا (بفتح الجيم) عن توفية حقّكم من المديح...

العيـــدُ أحـــقُّ بتَهْنِئَـــةٍ فلـــــــه بِكُمُ فخرٌ عَمَمُ.

– وقال يهجو مدينة تادلا وأهلَها من بني غَفْجومٍ ثمّ يستطردُ إلى هجاء قومه بني الملجوم:

يا ابنَ السبيلِ، إذا نَزَلْتَ بتادِلا لا تَنْزِلَنَّ عـلى بني غَفْجوم[١]:
أرضٌ أغـارَ بها العدُوُّ فلن ترى إلّا مُجاوبَـةَ الصَّـدى للبوم.
قَوْمٌ طَوَوْا ذِكْرَ السَاحـةِ بينَهم لكنّهم نَشروا لِواءَ اللُّوم[٢].
لا حَـــظَّ في أموالِهِمْ ونَوالِهِم للسائـلِ العـافي ولا المحروم[٣].
لا يَمْلِكون، إذا اسْتُبِيحَ حَريمُهم، إلّا الصُراخَ بدعوةِ المظلوم[٤].
يا لَيْتَني من غيرِهم، وَلو أنّني من أهـلِ فاسٍ من بني الملجوم.

– وقال في هجاء أهل فاس:

مشى اللؤمُ في الدُنيا طريداً مُشرّداً يجوبُ بـلادَ الله شرقاً ومَغْربـا.
فلمّـا أتـى فاساً تَلقّـاهُ أهلُهـا وقالوا لـه: أهلًا وسهلًا ومرحبا!

– كان أبو العبّاس الجراويُّ في تُونِسَ، فتناول فتًى – كان الجراويُّ يميلُ إليه – سوسنةً صفراءَ وأدناها من خَدّه، فقال الجراويُّ ارتجالًا:

وعُلْوِيُّ الجَمالِ إذا تَبَـــدّى أراكَ جَبينُـه بـدراً ونـارا[٥]؛
أشار بسَوْسَنٍ يَحْكيـه عَرْفـاً ويَحْكي لَوْنَ عاشقه اصفرارا[٦].

---

(١) ابن السبيل: المسافر الذي انقطع (فقد ماله ووسائل العودة إلى بلاده).
(٢) السماحة: الجود، الكرم. اللوم = اللؤم.
(٣) النوال: العطاء. العافي: طالب المعروف (العطاء)، المحتاج.
(٤) الصراخ بدعوة المظلوم: الاستنجاد، القول بأنهم مظلومون.
(٥) علويّ نسبة إلى علو (بضمّ فسكون): أعلى كلّ شيء. علويّ الجمال: ذو جمال فوق طور البشر (كجمال الملائكة، في خيال الناس). أراك جبينه بدراً (طلعة بيضاء مضيئة) وناراً (احمراراً يزيد البياض جمالاً؟).
(٦) أشار بسوسن (بخدّ يشبه السوسن: الزنبق الأبيض) يحكيه (يشبه السوسن أيضاً) عرفاً (رائحة طيّبة (؟). ثمّ إنّ البياض في الخدّ، إذا خالطه شيء من الصفرة كان أكثر جمالاً. ولكنّ الصفرة الكثيرة في =

٤ - ★★ زاد المسافر ٤٩ - ٥١؛ الوافي بالوفيات ٨: ٦١؛ وفيات الأعيان ٧: ١٣٦ - ١٣٧؛ برنامج الرعيني ٢٠٤؛ الغصون اليانعة ٩٨ - ١٠٣؛ نفح الطيب ٢: ٥٠٢، ٣: ٢٠٩ - ٢١٠، ٢٣٨، ٤: ٨٧ - ٨٨؛ النبوغ المغربي ١٦٩، ٥٩٨ - ٥٩٩، ٦٨٠ - ٦٨١، ٨٥٤ - ٨٥٨، ٩٠٩، ٩١٠؛ الأدب المغربي؛ الأعلام للزركلي ١: ١٤٥ (١٥٠)؛ الأدب المغربي ١٩٣ - ١٩٨.

الجزوليّ النحويّ

هو أبو موسى عيسى بنُ عبدِ العزيز بن يَلَلْبَخْتَ بن عيسى بن يُوما ريليّ الجُزوليّ اليَزْدكْتَنيّ، وُلدَ نحوَ ٥٤٠ هـ (١١٤٥ - ١١٤٦ م).

رَحَلَ الجُزوليُّ هذا إلى المشرق وحَجّ ثمّ نَزَلَ مِصْرَ فقرأ النحو على ابنِ بَرّيّ (ت ٥٨٢ هـ): قرأ عليه كتابَ «الجُمَل» للزَجّاجي. وكذلك قرأ مذهبَ مالكٍ وأُصولَ الفِقه على الفقيه أبي منصورِ ظافرِ بنِ الحُسين (ت ٥٩٧ هـ). وعاشَ في مِصْر فقيراً يعمَلُ ليعيشَ ولم يدخُلْ مدرسةً[1].

وعاد الجُزوليُّ إلى المَغْرب ونَزَل في المَرِيَّةِ (الأندلس) ونالَ حُظْوةً عند الموحِّدين. ثمّ إنّه انتقل إلى بِجايَةَ (في المغرب الأوسط) وأقامَ فيها مُدّة للإقراء والتدريس، ثمّ انتقل إلى مَرّاكُشَ وتولّى الخَطابةَ في جامِعها.

وكانت وفاةُ الجُزوليِّ النَّحْويِّ في آزمورَ (وقيل في هَسْكورة)، قُرْبَ مدينةِ مَرّاكُشَ، سَنَةَ ٦٠٧ هـ (١٢١٠ - ١٢١١ م)، وقيل قُبيلَ ذلك أو بُعيدَ ذلك ولكنْ قبلَ سَنَةِ ٦١٠ هـ. واختار ابنُ قُنفُذٍ (كتاب الوفيات، ص ٦٠٧): سَنَةَ ٦١٦ هـ.

كان أبو موسى الجُزوليُّ مِزواراً (في البربريّة: مُقدَّماً في قومه)، وكان تَقيًّا فاضلًا، وقد عَيّنَه الموحِّدون للكَشْف على القُضاة والوُلاة (مفتِّشاً) ثِقَةً منهم بعَدالته

= الوجه (من المرض، مثلاً) عبب. ولون وجه العاشق يكتسب صفرة من العشق الذي يصبح في صاحبه مرضاً.

(١) المدرسة (في الإسلام): مؤسّسة تنشئها الدولة أو ينشئها الأفراد للتعليم، ولكنّ خاصّتها أن يكون المبيت فيها والطعام مجّاناً.

وأمانته ونَزاهته. وكان الجُزوليُّ إماماً في النحو، له «المُقدّمة» (وتُعْرَفُ أيضاً باسم الكَرّاسة والقانون والاعتماد)، ألَّفها في مِصْرَ، وقد نُتِجَتْ له من الأسئلةِ التي كان هو يُلْقيها على ابن بَرّي في أثناء قِراءة كتاب «الجُمَل» ومن الأسئلة التي كان يُلْقيها غيرهُ من الطلّاب. و«المُقدّمةِ» هذه شديدةُ الإيجاز مُجرّدةٌ من الأمثلةِ والشواهد. من أجل ذلك كانتْ غامضةً عسيرة الفَهْمِ فشَرَحَها جَماعةٌ، ولكنْ ظلّت قليلةَ الفائدةِ العملية. ومعَ ذلك فالناس كثيرو الاهتمام بها.

وللجُزوليّ أيضاً: أمالٍ (في النحو)- مُختصر الفَسْرِ لابنِ جنّي (في شرح ديوان المتنبّي)*- شرح أصولِ ابن السرّاج- شرح بانتْ سُعادُ

- شرح قصيدة «بانت سعاد.....»

** انباه الرواة ٢: ٣٧٨ - ٣٨٠؛ الوافي بالوفيات ٥: ٦٣٣؛ التكملة ٦٩٠ (رقم ١٩٣٢)؛ وفيات الأعيان ٣: ٤٨٨ - ٤٩١؛ صلة الصلة ٥٣ - ٥٤ (رقم ٩٥)؛ ابن قنفذ ٣٠٧ - ٣٠٨؛ بغية الوعاة ٣٦٩ - ٣٧٠؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٢: ؛ بروكلمن ١: ٣٧٦، الملحق ١: ٥٤١ - ٥٤٢؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٨٨ (١٠٤)؛ النبوغ المغربي ١٥٢ - ١٥٣.

أبو جعفرٍ الحِمْيري المؤدِّب

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمّدِ بن يحيى الحِمْيَريُّ الوزغي، وُلِدَ سَنَةَ ٥١٤ هـ (١١٢٠ - ١١٢١ م) من أهل قُرْطُبَةَ؛ أدْرَكَ جماعةً من كِبارِ العُلماء في الأندلس فأخَذَ عنهُمُ القُرآنَ والحديثَ والآداب. ثمّ إنّه جَلَسَ للتأديب والإقراء يقرأ على الطالبين ديوانَ الحماسة وديوانَ المتنبيّ من حِفْظِهِ. وكانت وفاتُه في صَفَرَ من سَنَةِ ٦١٠ (صيف ١٢١٣ م).

٢ - كان أبو جعفرٍ الحِمْيَريُّ المؤدِّبُ مُحِبًّا للعلم واسعَ الرِوايةِ للأدبِ من شعرٍ ونثرٍ وأمثالٍ وما يَتَعَلّقُ بها من أخبارٍ وأسبابٍ وأحوالٍ، حَسَنَ التحديث. وكان خطيب جامع قرطبة.

٣ - مختارات من آثاره:

- كان عبدُ الواحدِ المَرَّاكُشيُّ يدرُسُ على أبي جعفرِ الحِمْيريِّ، فأنشدَ المَراكُشيُّ شيئاً من شِعْرِه أمامَ أبي جعفرٍ - وكان عِصامُ بن أبي جعفرِ حاضراً - فالْتَفَتَ أبو جعفرِ إلى ابنهِ وقالَ له:

هذا - واللهِ - الشعرُ، لا ما كنُتَ تُصَدِّعُني به طولَ نهارِكَ. إن كُنْتَ تقولُ مِثلَ هذا (الذي قالَه عبدُ الواحدِ المَراكُشي) وإلّا فاسْكُتْ.

فلمّا كانَ من الغَدِ قال (أبو جعفرِ لعبدِ الواحد): أعَلِمْتَ ما صَنَعَ عصامٌ أمْسِ .... كان كما قالوا في المَثَل: «سَكَتَ أَلْفاً ...»، لم يَزَلْ أمْسِ يُعْمِلُ فِكْرتَهُ، فبَعْدَ الجُهْدِ الشديدِ أخذَ مَعْنَى بَيْتَيْكَ فَسَلَبَهُ رُوحَه وأعدَمَهُ رَوْنَقَهُ ومَسَخَه جُمْلَةً فقال.... ما زاد فيهِ أكثرَ من المَجاز والحقيقة.

فقُلْتُ أنا (أي عبدُ الواحد): هذا، واللهِ، أحسَنُ من شِعري. فتَغَيّر لي وقال: يا بُنَيَّ، دَعْ عنك هذهِ العادةَ، فإنّ أسوأَ ما تَخَلّقَ به الإنسانُ المَلَقُ وتَزْيينُ الباطل، سِيّما إذا أضافَ إلى ذلك الحَلَفَ الكاذبَ. واللهِ، إنّك لَتَعْلَمُ أنَّ هذا ليسَ بشيءٍ، وإلّا فقدِ اخْتَلَّ مَيْزُكَ وساء اختيارُكَ. وما أظُنُّ هذا هكذا.

- كان أبو جعفرِ أحمدُ بنُ يحيى يُحِبّ أنْ يتملّحَ في الشعر. قرأ عليه غُلامٌ اسمُه عيسى ثمّ اتّفقَ أنْ قرأ عليه غُلامٌ آخَرُ اسمُه مُحمّدٌ، فقال:

تَبَدّلْتُ مِنْ عيسى بحُبِّ مُحمّدٍ: هُديتُ. ولولا اللهُ ما كُنتُ أهْتدي.
وما عَنْ مَلالٍ كانَ ذاك، وإنّما شريعـةُ عيسى عُطِّلَتْ بمُحمّدِ.

٤ - ★★ المغرب ١: ٢١٥؛ المعجب ٢١٩ - ٢٢٣؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٩ (٢١٧).

ابن أبي البقاء البلنسي

١ - هو الأستاذُ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ سليمانَ البلنسيُّ المعروفُ بابن أبي البقاء من أهل سَرَقُسْطَةَ، تعلّمَ العربيةَ (النحو) ثمّ تصدّر للتعليم فيها. وكانت وفاتُه

سَنَةَ ٦١٠ (١٢١٣ - ١٢١٤ م).

٢- كان ابنُ أبي البقاء البلنسيُّ بارعاً في العربية وقد اعتنى بتَقْييدِ الآثارِ (الحديث!)، كما كان شاعراً مُجَوِّداً مُحسناً في الوصفِ والغَزَل والرثاء.

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ أبي البقاء البلنسيُّ يَصِفُ السَيْفَ:

وذي رَوْنَقٍ كالبرق، لكنَّ وَعْدَه صَدوقٌ.ووعْدُالبرقِكِذْبٌ،ورُبّما[١].
عَقدتُ نِجادَيْهِ لِحَلِّ تَمائمي، وقُلتُ له: كُنْ للمَكارم سُلَّما[٢]!
وساءَ الأعادي إذ بَكَتْ شَفَراتُه، وسَرَّ وُلاةَ الوُدِّ حين تَبَسّما[٣].

- وقال في الغزل:

غيرُ خافٍ على بصيرِ الغرامِ أنّ يومَ الفِراقِ يومُ حِمامِ[٤]:
عَبَراتٌ تَصُدُّ عن نَظَراتٍ، ونَشيجٌ يَحولُ دونَ الكلامِ[٥]؛
ودِماءٌ تُراقُ باسمِ دُموعٍ، ونُفوسٌ تُؤدى[٦] برسم سَلام.
شَرِبَتْ بَعدَكَ الليالي حياتي غيرَ أوْشالِ لَوْعَتي وسَقامي[٧].

---

(١) الرونق: الحُسْن والجمال، و(في السيف) صفاؤه ولونه. وعده صدوق: إذا هزّ (بضمّ الهاء) ولمع قبل أن يضرب به حامله كان صدوقاً (قاتلاً، مصيباً). أمّا برق السماء فقد يلمع ولكن يكذب (لا يعقبه مطر). - . وربّما أعقبه مطر أحياناً.

(٢) النجاد: حمالة (بكسر الحاء) السيف. لحلّ (عند فكّ أو خلع) تمائمي (التميمة حرز يعلّق في عنق الصبيّ الصغير): منذ طفولتي تمرّنت على القتال بالسيف.

(٣) حينما يبكي حدّ سيفي (يسيل عليه الدم) يكون قد قتل به عدوّ لقومي. تبسّم السيف: لمع (وهو يهتزّ في يد المحارب). يسرّ به الولاة (الأصدقاء - لأنه سينصرهم على خصومهم).

(٤) بصير الغرام: العارف بأمور الحبّ. الحمام (بكسر الحاء): الموت.

(٥) عبرات (دموع) تصدّ (تمنع، تحول دون) نظرات (الرؤية). النشيج: البكاء بصوت خافت في الصدر.

(٦) كذا في الأصل. ولعلّها «تودي» بلا همز (تهلك).

(٧) الوشل (بفتح ففتح): بقية الماء في الحوض ونحوه.

-. وله مَرْثِيَةٌ منها:

قد علّمَتْني الليالي أنّ ريقتَها صابٌ، وإنْ قال قومٌ إنّها عَسَلُ[1].
إنّ الذي كانتِ الآمالُ مُشْرقَةً به وعَيْشُ الأماني بَرْدُها خَضِلُ[2]
أصاب صَرْفُ الليالي منه قُطْبَ حِجًى يا مَنْ رأى الشُّهْبَ قد أعْيَتْ بها السُّبُلُ[3]
وهَدَّ للحِلْمِ طَوْداً شامِخاً عَلَماً. يا لَلّياليَ تشكو صَرْفَها الحِيَلُ[4]!
وضاقَ وجهُ الدُجى عن نورِ بَهْجَته، فكيف توسعها إشراقها الأصُلُ[5]؟

٤ - ★★ الوافي بالوفيات ١: ٢١٥.

ابن خروف

١ - تُشير المصادرُ، في هذه الحِقبة، إلى اثنين بآسم «ابنِ خَروفٍ»: (أبي الحسنِ عليٍّ بن محمّدِ بن عليٍّ، ثمّ أبي الحسن عليِّ بن محمّدِ بن يوسُفَ). وكِلاهُما قال شعراً وألّف في النحو. وكِلاهما رَحَلَ إلى المشرق وحجّ وزارَ مِصْرَ وسكن حَلَبَ (في شَماليّ الشام: سورية) مدّة. ولكنّ هنالك خِلافاً يسيراً في تاريخ وَفاتَيْهما (بين ٦٠٥ و ٦٢٠ للهِجرة وما بينَهما) وفي مكانِ موتِهما وصورة موتِهما - أحَدُهما مات في إشبيلية (الأندلس)، والآخَرُ مات في حَلَبَ، أو ماتَ في حَلَبَ مُتَردِّياً (ساقطاً) في بئْرٍ.

---

(١) صاب: شجر مرّ.

(٢) بردها، في الأصل بفتح الباء: (ضدّ الحرّ)، ولعلّها بضمّ الباء: الثوب الجميل من الحرير. الخضل: المبتلّ (الليّن، الجديد).

(٣) القطب: المحور الذي تدور عليه الأرض، الطاحون الخ (الرجل الركن في قومه). الحجى: العقل. الشهاب: النجم. (مع أنّ للنجوم مداراً معروفاً معيَّناً محدَّداً، فإنّ النجوم أصبحت - بعد موت المرثيّ - لا تهتدي في سيرها). صرف الليالي: الخطب، المصيبة.

(٤) الحلم: سعة الصدر والأناة (التفكير بهدوء)، العقل. الطود: الجبل. الشامخ: العالي. العلم: المشهور الظاهر من مكان بعيد. الشطر الثاني ورد هكذا. ربّما الجبل (بالجيم) مكان «الحيل» (بالحاء والياء).

(٥) كان الليل الدامس لا يستطيع أن يحجب نور وجه فلان المرثيّ، فكيف أظلم الأصيل (ما بين العصر والمغرب: غروب الشمس) عند موته (أو دفنه)؟

وفي تَرْجَمَتَيِ ٱبْنَيْ خَروفٍ هذين، في المصادر (معجم الأدباء - وفيات الأعيان - صلة الصلة - نفح الطيب وغيرها) تداخلٌ شديد. نبّه عليه إحسانُ عبّاس (وفيات الأعيان ٣ : ٣٣٥ ثمّ في نفح الطيب ٢ : ٦٤٠) في حاشِيَتَيْن على شيءٍ من التفصيل، ولكنّ تَيْنكَ الحاشيتين ٱكْتَفتا بالإشارة الدالّة الواضحةِ ولكنْ لم تَفْصلا في الأمر. ومن الغريب أن قصّةً واحدةً وأبياتَ شعرٍ واحدةً ورسالةً واحدةً تأتي كُلُّها مَنْسوبةً إلى الاسمين في وَفَيات الأعيان (٧ : ٩٤ - ٩٥، من القسم المرقّم بالأرقام الهندية) وفي نفح الطيب (٢ : ٦٤٠ - ٦٤٢).

والمفروض أنّ ابنَ خَروفٍ المترجم هنا هو نظامُ الدين أبو الحسن عليُّ بنُ محمّدِ بن عليٍّ الأندلسيُّ النَّحْويُّ (بغية الوعاة ٣٥٤) والذي هو ضِياء الدين أو نظام الدين.... القَيْسيُّ القُرطبيُّ القبذاقي[1] الشاعرُ، عند المَقّري (نفح الطيب ٢ : ٦٤٠ - ٦٤٢)، بدليلِ عددٍ من النماذجِ المنسوبة إليه بأعيانها في المَصْدرين. ولعلَّ شيئاً من التَداخُل قد وَقَعَ أيضاً في الترجمةِ المُثْبَتَةِ على هذه الصفَحات. وكان مَوْلدُ ابن خَروفٍ هذا نحوَ سَنَةِ ٥٢٥ للهجرة (١١٣١ م).

تَخرّجَ ابنُ خروفٍ في النحوِ على أبي الحسن بن طاهر الأندلسي المعروفِ بالخِدَبّ[2]. وقد كانَ في أثناءِ ذلك كلّه رَجُلًا رقيقَ الحاشيةِ يَعْمَلُ خيّاطاً. ثمّ إنّه جعَلَ يَتَعرّض بالمدحِ للأمراء والأعيان: مَدَحَ إدريسَ بنَ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمن في سَبْتَةَ، ومدح الوزيرَ أبا سعيدِ بنَ جامعٍ في مرّاكُشَ، ولكن يبدو أنّه لم يَنَلْ حُظوةً عند الممدوحين. ثم مَدَحَ أبا عبدِ الله محمّدَ بنَ عيّاشٍ - وكانَ كاتباً ليعقوبَ المنصورِ الموحِّديّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ولابنِهِ الناصرِ (٥٩٥ - ٦١١ هـ) فلم يُسَرَّ منه قَطُّ فعزم

---

(١) القيذافي (نفح الطيب ٢ : ٦٤٠). وفي الغصون اليانعة (ص ١٣٨): القيذاف حصن بين غرناطة وقرطبة وهو القبذاق (اعمال الأعلام ٣٣٤، السطر التابع، ٣٦٥، اسماء الأماكن؛ الاحاطة ٥٦٩).

(٢) الخدبّ (بكسر ففتح فتشديد) هو أبو بكر محمّد بن أحمد بن طاهر الأنصاري (ت ٥٨٠ هـ) مقرىء للقرآن وحافظ للحديث ونحويّ مشهور (راجع الوافي بالوفيات ٢ : ١١٣ - ١١٤؛ بغية الوعاة ١٢). والخدبّ هو الرجل الطويل (بغية الوعاة ١٢). والخدبّ في تاج العروس (الكويت ٢ : ٣٣٧): الشيخ العظيم الجافي الضخم.

على ترك المَغْرب فرَحَلَ إلى مِصْرَ ثمّ إلى حَلَبَ وأقام فيها مُدّةً. ثمّ إنه عاد إلى الأندلس وتُوُفِّيَ في إشبيلية، سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) في الأغلب[١].

٢ - كان ابنُ خروفٍ نَحْويًّا مُحيطاً بعلومِ العربية له مُصَنّفاتٌ بارعةٌ: شَرَحَ كتابَ سِيبويهِ شَرْحاً جَيّداً وشرح كتاب الجُمَل للزّجاجيّ. وهو شاعرٌ مُحْسِنٌ أيضاً في شعره لَفَتاتٌ قائمة على التأنُّقِ البلاغي.

٣ - مختارات من آثاره:

- كتبَ ابنُ خروفٍ النحويُّ إلى قاضي القُضاة مُحْيِي الدين بن الزكي يَسْتَقيله من مُشارَفَةِ مارِسْتانِ نورِ الدينِ، وكانَ بوّابُ المارستانِ يُسمّى السِيد (بكسر السين: الذئب):

مولايَ مولايَ، أجِرْني فَقَـــدْ أصْبَحْتُ في دارِ الأسى والحُتوفْ[٢]:
وليس لي صـــبرٌ عـــلى مَنْزِلٍ بوّابُـه السِيـد وجَـدّي خَروفْ!

- وكتب إلى القاضي بهاء الدين بن شَدّادٍ يطلُبُ منه فَروةَ خَروفٍ:

بَهـــاءَ الـــدينِ والدُنْيـــا وبَحْرَ الحَمْـــدِ والحَسَبِ[٣]،
طلبتُ مَخافةَ الأنوا ءِ من جَـدْواكَ جِلْـدَ أبي[٤].
وفَضْلُـــــكُ عالِمٌ أنّي خَروفٌ بـــــارِعُ الأدب:
حَلَبْـــــتُ الدهرَ أشْطُرَهُ؛ وفي حَلَـبٍ صفـا حَلَـبي[٥]!

- وقال في نهر النيل وفيضانه:

---

(١) في الذيل والتكملة (٥: ٣٩٩): توفي بحلب متردياً في بئر في «نحو» العشرين وستمائة.
(٢) الأسى: الحزن. الحتف: الهلاك.
(٣) الحسب: الأصل الكريم، الفعل الكريم.
(٤) النوء: حال الجوّ (وتطلق في كلام الناس عادة على هبوب الريح وزيادة البرد).
(٥) حلب أشطر الدهر (كان ذا اختبار واسع). وكان ابن خروف قد أقام في حلب (مدينة في شماليّ الشام: سورية) مدّة.

ما أعجبَ النيلَ، ما أحْلى شَمائِلَه في ضِفَّتَيـهِ من الأشجـار أرْواحُ[1].
مِنْ جَنَّةِ الخُلْد فَيّاضٌ على تُرَعٍ تَهُبُّ فيها هُبوبَ الريح أرواح[2].
ليستْ زِيادَتُه ماءً، كما زَعموا؛ وإنّما هِيَ أرزاق وأرواح[3].

– وقال في صَبيٍّ مليحٍ حبسه القاضي (لأنّه سرق مالاً):

أقاضي المسلمينَ، حكمتَ حُكْماً أتـى وجهُ الزمانِ به عَبوسا:
حَبَسْتَ علـى الدراهمِ ذا جَمالٍ، ولم تَحْبِسْهُ إذ سَلَـبَ النُفوسا!

– وكان ابن خَروفٍ يُكْثِرُ من هجاءِ نَجْمِ الدين بنِ اللّهيبِ؛ من ذلك قولُه:

لابن اللَهيـبِ مَذْهَـبٌ في كـلّ غَيٍّ قـدْ ذَهَـبْ[4]؛
يَتْلو لِمَنْ يُبْصِرُه: «تَبّـتْ يَـدا أبي لَهَـبْ!»[5].

– وقال أبياتاً فيها شيء من الغزل الصريح:

ومُنَوَّعِ الحركـاتِ يلعبُ بالنُهى لَبِسَ المحاسنَ عند خَلْعِ لِباسهِ[6].
مُتـأوِّدٌ كالغُصْنِ بـين رِياضـهِ، مُتلفِّتٌ كالظَبْيِ عِنْدَ كِناسهِ[7].
بالعقـلِ يلعبُ مُقْبِلًا أو مُدبراً، كالدهرِ يلعبُ كيف شاء بناسهِ!

– ولابنِ خَروفٍ رسالةٌ (وفيات الأعيا ٧:٩٤ – ٩٥؛ نفح الطيب ٢: ٦٤١ – ٦٤٢) يقولُ فيها بعد الأبيات «بهاءَ الدينِ والدنيا» (راجع فوق في المختارات):

---

(١) الشمائل: الصفات الحميدة. الأرواح جمع ريح.
(٢) أرواح (هنا) جمع روح (بالفتح): رحمة.
(٣) أرواح جمع روح (بالضمّ): نفس (بفتح فسكون)، حياة.
(٤) الغيّ: الضلال.
(٥) «تبّت يدا أبي لهب» تضمين من القرآن الكريم (١١١ : ١). أبو لهب هو عبد العزّى بن عبد المطّلب (عمّ الرسول) وكان يؤذي الرسول. (التضمين كناية عن العذاب: من رأى ابن اللهيب فكأنّه (لقبح ابن اللهيب وجفائه) يعاني عذاب جهنّم.
(٦) النهى: العقل.
(٧) متأوّد: متمايل. الكناس: المكان الذي يأوي إليه الظبي (الغزال).

ذو الحَسَبِ الباهر والنسب الزاهر[١] يسحَبُ ذُيولَ سِيراءِ السَّرّاءِ[٢] ويُحِبُّ النُّحاة من أجل الفَرّاء[٣]، ويَمُنُّ[٤] على الخَروفِ النبيهِ بجِلْدِ أبيه: قاني الصباغ قريبَ عهدٍ بالدِباغ[٥]، ما ضلّ طالبُ قَرَظِهِ ولا ضاعَ، بل ذاعَ ثناءُ صانِعه وضاع[٦]. أثيثُ خمائلِ الصوف، يهزأ من الرياح بكلّ هَوْجاءَ عَصوفٍ[٧]. إذا طَهُرَ إهابه يخافه البَرْدُ ويَهابه[٨]. ما في الثياب له ضريبٌ إذا نَزَلَ الجَليدُ والضريبُ[٩]، ولا في اللباس له نظيرٌ إذا عَرِيَ من وَرَقِه الغُصْنُ النَّضير؛ لا كَطَيْلَسانِ ابنِ حَرْبٍ[١٠]، ولا جِلدِ عمروٍ الممزّقِ بالضَّرْب[١١]...

٤ - ★★ زاد المسافر ٦٢ - ٦٤؛ المغرب ١: ١٣٦ - ١٣٩؛ الغصون اليانعة ١٣٨ - ١٤٤؛ معجم الأدباء ١٥: ٧٥ - ٧٦؛ برنامج الرعيني ٨١ - ٨٢؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٣٥؛ فوات الوفيات ٢: ١٠٠ - ١٠١؛ التكملة، رقم ١٨٨٤؛ الذيل والتكملة ٥: ٣١٩ - ٣٢٣؛ صلة الصلة ١١٤ - ١١٥ (رقم ٢٣٢)، راجع ١٢٢ - ١٢٣ (رقم ٢٤٥)؛ وفيات ابن قنفذ ٣٠٤؛ بغية الوعاة ٣٥٤؛ نفح الطيب، راجع ٢:

---

(١) الحسب: العمل الحميد. الزاهر: اللامع، (المشهور).

(٢) يسحب ذيول (طويل يحسن أن يسير لابسه متبختراً مفتخراً). السيراء: ثوب حرير فيه خيوط صفر. السرّاء: النعمة والمسّرة (؟).

(٣) الفرّاء هو يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) إمام علماء النحو الكوفيّين وأكثرهم معرفة بالنحو.

(٤) منّ عليه: أنعم عليه وأكرمه بعطاء جزيل (كثير، ثمين) بلا مقابل.

(٥) قان: دم (أحمر). قريب عهد بالصباغ (جديد).

(٦) القرظ: شجر عظام يؤخذ منها مادّة يصبغ بها. القارظ: الذي يجمع القرظ. ضاع (الأولى): ضلّ طريقه، فُقد (بالبناء للمجهول)، هلك. وفي المثل: حتّى يؤوب (يرجع) القارظان (كناية عن الذي يذهب في طلب شيء ثمّ تضيع آثاره) - . ضاع (الثانية): انتشر (اشتهر).

(٧) الأثيث: الكثيف. الخميلة: الشجر الكثير الملتفّ (هو يريد هذا الجلد كثير الصوف).

(٨) الإهاب: الجلد. هاب: خاف. طَهُرَ (كذا: مشكولة - وفيات الأعيان ٧: ٩٥) وطهر (بلا شكل - نفح الطيب ٢: ٦٤١). ولعلها ظهر: انكشف (للبرد).

(٩) ضريب (الأولى): نظير، شبيه، مثيل. ضريب (الثانية): الصقيع (الجليد المتجمّد على الأرض) كناية عن شدّة البرد.

(١٠) إشارة إلى قول ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ): «يا ابن حرب، كسوتني طيلساناً»، وكان هذا الطيلسان (ثوب سابغ من الحرير) قديماً متهرّئاً.

(١١) إشارة إلى المثل المألوف في الكتب القديمة في النحو (على الفاعل والمفعول به): ضرب زيدٌ عمراً.

١٦٦ ، ٦٤٠ - ٦٤٢ ، ٣ : ١٨٤ ، ٢٠٤ ، ٤٦٣ ، ٤ : ٨٩؛ بروكلمن ٣ : ٦٢٠ ، يشار إلى أن اسمه يرد في ١ : ١٠٢ و ١١٠ من الطبعة الأولى (أي ١٠٠ - ١٠١ و ١٠٠ - ١١١ من الطبعة الثانية، ولكن لم أعثر على اسمه في هذه الصفحات)؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٥٠ - ١٥١ (٤ : ٣٢٠).

أبو محمّد بن الحسن القرطبي

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ عبدِ الله الأنصاريُّ المالَقيُّ القرطبيُّ أصلُ أهلِهِ من قُرطبةَ، وأبوه هو الذي انتقلَ منها إلى مالَقَةَ.

وُلِدَ أبو محمّدِ بنِ الحَسَنِ القرطبيُّ في مالَقَةَ في ٢١ من ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٥٥٦ (١١٦١/١١/١١ م). دَرَسَ في مالَقَةَ على أبيهِ وعلى نَفَرٍ، منهم أبو زيد السُهيليّ والقاسمُ بنُ دحمانَ وأبو عبدِ اللهِ بنُ الفَخّار وأبو إسحاقَ بنُ قرقولٍ؛ ثمّ تصدّرَ للتدريسِ قبلَ أن يُجاوزَ العشرين. وتَجوّلَ في الأندلُسِ لِلقاءِ المشايخِ وزارَ إشبيلية فلقِيَ أبا بكرِ بنِ الجَدِّ وأبا بكرِ بنِ صافٍ وجعفرَ بنَ مَضاءٍ، كما زارَ غَرناطةَ ومُرسية ورَحَلَ إلى سَبْتَةَ. وخَطَبَ مُدّةً بجامعِ مالَقَةَ ثمّ قُطِعَ عن الخُطْبة. وقد كان له، في جامعِ مالَقَةَ الأعظمِ، مَجْلِسٌ عامٌّ للحديثِ غيرُ مَجلِسِ تدريسِهِ. وكانت وفاتُه في سابعِ ربيعِ الثاني من سَنَةِ ٦١١ (١٢١٤/٨/١٦ م).

٢ - كان أبو محمّدِ بنِ الحسنِ القرطبيُّ صَدْراً في المُقرئين في زَمَنِهِ، وقد غَلَبَ عليه علم الحديث. وكان أديباً ناثراً ناظماً. وشعرُه صحيحٌ ولكنّه قليلُ الطَلاوة. غيرَ أنّ أهمَّ ما له في النَظْم أبياتٌ جَعَلَها موازينَ للشعر نَظَمَها في بحور الشعر وأدْخَلَ في أوّلِ العَجُزِ من كلّ بيتٍ اسمَ البحر الذي نَظَمَ ذلك البيتَ عليه (كي يحفَظَ هذه الأبياتَ من لا يستطيعُ معرفةَ بحور الشعر من تِلقاءِ نفسِه، فيستعينَ بهذه الأبياتِ على الاستدلال على ما يُريد من بُحور القصائد). وكان لَه مُصنّفاتٌ منها: مجموعٌ في قِراءةِ نافعٍ - تلخيص أسانيد المُوطّأ - مختصر في علم العَروض.

٣ - **مختارات من شعره:**

- قال أبو محمّد بن الحسن القرطبي في التجنيس:

لَعَمْرُكَ، ما الدنيا بسُرعةِ سَيْرِها ... بسُكّانِها إلّا طريقُ مَجازِ(١).
حَقيقتُها أنّ المُقامَ بغيرِها، ... ولكنّهم قد أُولِعوا بمَجازِ(٢)!

** سَهِرَتْ أعْيُنٌ ونامَتْ عُيونُ ... في أمورٍ تكونُ أو لا تكونُ.
فاطْرُدِ الهَمَّ ما اسْتَطَعْتَ عَنِ النْـ ... ـنَفْسِ، فحِمْلانُك الهُمومَ جُنونُ.
إنّ ربًّا كَفاكَ بالأمسِ ما كا ... نَ سيَكْفيكَ في غَدٍ ما يكون.

** وهل نافعي أنْ أخطأ الشَّيْبُ مَفْرِقي ... وقَدْ شاب أترابي وشابَ لِداتي(٣).
لَئِنْ كان خَطْبُ الشيب يُوجَدُ عَيْنُه ... بتِرْبي فمَعْناه يقومُ بذاتي(٤).

- وله من الأبياتِ التي جعَلَها موازينَ للشعر:

** فَدُمْ دائِباً تُسني وتُدني أمانياً ... (طويلَ) الأيادي ما تُسامي مَعاليكا.
** نَبا نَبَأٌ أشادَ به رسولٌ ... (بوافر) نعْمةٍ شَمِلَ الجَميعا.
** أخي راعى أماديحي ... و(تهزيجي) وراعاكا.

٤ - ** برنامج الرعيني ١٤١؛ الذيل والتكملة ٤: ١٩١ - ٢١٧ (رقم ٣٦٣)؛ بغية الوعاة ٢٨٠؛ نفح الطيب ٣: ٢٢٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٠٧ (٧٨).

عبد البر بن فرسان

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ البَرِّ بنُ فَرْسان بن إبراهيم بن عبدِ الرحمن الغَسّاني من أهل

---

(١) المجاز: العبور، المرور من جانب إلى جانب (في الطريق، في النهر، في البحر، الخ).
(٢) المقام (الدائم) بغيرها (في الآخرة). المجاز: ضدّ الحقيقة.
(٣) الترب (بكسر التاء) واللدة (بكسر اللام وفتح الدال): من ولد معك في وقت واحد.
(٤) إذا كان خطب الشيب (الضعف والدنوّ من الموت) يوجد عينه (أي ظاهره: اللون الأبيض) فمعناه (ففعله) يقوم بذاتي (أشعرأنا به في نفسي).

وادي آشَ، لعلّ مَوْلِدَه كان نحو ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م). اتّصل بعَليٍّ بنِ إسحاقَ بن غانيَةَ الثائر على الموحِّدينِ في الجزائر الشرقية وشَرقيِّ الأندلُس. وقد أرْسَلَهُ عليٌّ سَفيراً له في بعضِ الأمورِ إلى بغدادَ لأنّ عليًّا كان يريدُ الاستعانةَ بالعبّاسيّين على المُوحِّدين لتَثْبيتِ حُكمِهِ هو. ولمّا ماتَ عليٌّ (٥٨٥ هـ ١١٦٠ م) خَلَفَهُ أخوه يَحْيى فأسْنَدَ جميعَ أمورِه إلى عبدِ البَرّ بنِ فرسان.

وفي سَنةِ ٥٩٩ خَسِرَ يحيى سُلطته على جزيرةِ مَيورقةَ فنَقَلَ نشاطَه إلى إفريقيَةَ واستولى على كثيرٍ من بلادِها (فيما يُعْرَفُ اليومَ بالجزائر خاصّة)، وذلك سَنةَ ٦٠١. وقدِ انتقلَ عبدُ البَرّ بنُ فرسان إلى إفريقية واستمرّ في تَوَلّي الكِتابَة ليحيى بن اسحاق.

وكان عبدُ البَرِّ من الرجال الأقوياء الشجعان والبارعين في أمور الحرب، فكان يخوض المعارك مع يحيى. ثمّ لمّا تقدَّمت به السنّ كثيراً ملّ ذلك. وكانت وفاته سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م) وقد عُمِّر طويلا.

٢ - كان عبدُ البَرّ بنُ فَرسان من جلّةِ الأدباء وفحول الشُعراء ومن الكُتّاب البارعين. وهُوَ متينُ الأُسلوب عالي النَفَس في نثرِه وشعره، إلاّ أنّه في نثرِه أَمْيَلُ إلى التكلّف. وفي شعرِه وصفٌ وفخر وعِتاب.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال عبدُ البَرِّ بنُ فَرسان الغسّانيّ بعدَ معركةٍ انتصرَ فيها مَخْدومُه:

ولمّا تلاقَيْنا مَعَ القوم الذين دعاهُمْ شيطانُ الفِتنة إلى أن يسجدوا للشِفار ويَحْمِلَهم سَيْلُ المِحنةِ إلى دارِ البوار[١]، أقْبَلْنا إقبالَ «الريح العَقيمِ ما تَذَرُ من شيءٍ أتتْ عليه إلاّ جَعَلَتْهُ كالرميم»[٢]. فانْجَلَتِ الحربُ عن تمزيق الأعداءِ كلَّ مُمَزَّقٍ،

---

(١) الشفار جمع شفرة: نصل السيف والسكّين، الخ. المحنة: الابتلاء، البليّة، المصيبة. دار البوار (الهلاك): جهنّم.

(٢) الريح العقيم: الحارة التي تقضي على أسباب الحياة. تذر: تترك، تبقي. الرميم: الهالك، المتهرّيء. في =

وأبصرناهم كَصَرْعى السُكارى من مُدام السيوف. وخَفَقَتْ بنودُنا. وسَعْيُهُمْ أخْفَقَ.

- ولمّا طَعَنَ في السِنّ وضَعُفَ عن مُتابعة القِتال أرادَ اعتزالَ الحياةِ السياسية والذَهابَ إلى الحَجّ فكَتَبَ إلى يحيى بنِ إسحاق بن غانِيةَ:

امْنُنْ بتسريـــحٍ عـــليَّ فَعَلَّـــهُ ... سببُ الزيارةِ للحطيمِ ويَثْرِبِ[1].

ولَئِنْ تَقوّلَ كاشحٌ أنَّ الهوى ... دَرَسَتْ معالمُهُ وأنكَر مذهبي[2]،

فمقالــتي: مــا إن مَلِلْتُ، وإنّما ... عُمري أبي حملَ النجاد بِمَنْكبي[3]؛

وعَجَزْتُ عن أن أسْتَثيرَ كَمينَها ... وأشُقَّ بالصَمصامِ صدرَ المَوْكِبِ[4]!

- وسمع طائراً (حمامة) تسجَعُ على غُصْنٍ فقال:

نَـدًى مُخْضِلًا ذاك الجَناحِ المُنَمْنَما ... وسَقْياً وإنْ لم تَشْكُ، يا ساجعاً، ظَما[5]!

أعِدْهُنّ ألحاناً على سمعِ مُعْرِبٍ ... يُطارِحُ مُرتاحاً على القُضْبِ مُعْجِما[6].

وطِرْ غيرَ مقصوصِ الجَناحِ مُرَفَّهاً ... مُسَوَّغَ أشتــاتِ الحُبوب مُنَعَّما[7]،

مُخَلًّــى وأفراخاً بوكْرِكَ نُوّمــاً، ... ألا ليتَ أفراخي مَعي كُنَّ نُوَّما[8]!

- في القطعة التالية أسلوبٌ طبيعيّ لعبدِ البَرّ بنِ فَرسان مختلفٌ مِنْ أُسلوبه المُنمّق. جاء في نفح الطيب (٢: ٦١٣ - ٦١٤):

= القرآن الكريم (٥١: ٤١ - ٤٢، الذاريات): «وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلّا جعلته كالرميم».

(١) الحطيم (في مكّة)، أي الحجّ. يثرب: المدينة.

(٢) تقوّل: قال قولاً كاذباً. الكاشح: المبغض.

(٣) النجاد: سير من جلد يحمل به السيف. المنكب: الكتف.

(٤) الكمين: العدوّ المتربّص في مكان مغطّى.

(٥) ندى مخضلًا (بالنصب) أسأل الله لك ندى (بلل الليل - كناية عن النوم الهادىء الآمن) أخضل: بلّ. الساجع: المترنّم (حمامة). الظمأ: العطش.

(٦) المعرب (العربي: المبيّن في كلامه): الإنسان. يطارح: يبادل. مرتاح: مسرور. المعجم (العجمي: الذي لا يبين في كلامه): طائر، حيوان.

(٧) مرفّه: عائش في رفاهية وخصب. مسوّغ: معطى، مرزوقاً.

(٨) مخلّى: متروكاً في أمن.

- تشاجرَ له (لعبدِ البرّ بنِ فَرْسان) ولدٌ صغيرٌ مَعَ تِرْبٍ له من أولادِ أميرِه أبي زكريّا (يحيى بن اسحاق). فنالَ منه ولدُ الأمير وقال: «وما قَدْرُ أبيك؟» فلمّا بَلَغَ ذلك أباه (أي عبدَ البرّ بنَ فرسان) خَرَجَ مُغْضَباً[1] لحينِه ولَقِيَ ولدَ الأميرِ المُخاطِبَ لولدِهِ وقال: «حَفِظَكَ اللهُ تعالى. لَسْتُ أَشُكُّ في أنّي خَديمُ[2] أبيك، ولكنّي أُحِبُّ أن أُعَرِّفَكَ بنفسي ومِقْداري و (بـ) ـمِقْدارِ أبيك. اعْلَمْ أنّ أباك وَجّهني رسولاً إلى دارِ الخِلافة بِبَغْداد بكتابٍ عن نفسِه. فلمّا بَلَغْتُ بَغْدادَ أُنْزِلْتُ في دارٍ اكْتُرِيَتْ لي بسبعةِ دراهمَ في الشهر، وأُجْرِيَ عليّ سبعةُ دراهمَ في اليوم. وطُولِعَ بكِتابي، وقيل: مَنِ المَيُرْقِيُّ الذي وَجَّهَهُ[3]؟ فقال بعضُ الحاضرين: هو رَجُلٌ مَغْرِبيٌّ ثائرٌ على أُستاذه. فأَقَمْتُ شهراً، ثمّ اسْتُدْعِيتُ. فلمّا دخلتُ دارَ الخِلافة وتكلّمتُ مَعَ مَنْ بها مِنَ الفُضلاء وأربابِ المعارفِ والآدابِ اعتذروا إليّ وقالوا للخليفة: هذا رجلٌ جُهِلَ مِقدارُه. فأُعِدتُّ إلى مَحَلٍّ اكْتُرِيَ لي بسبعينَ دِرهماً، وأُجْرِيَ عليَّ مِثْلُها في اليوم. ثمّ اسْتُدعِيتُ فودّعتُ الخليفةَ واقْتَضَيْتُ ما تَيسّرَ[4] من حوائجِهِ وصَدَرَ لي شيءٌ له حظٌّ من صِلَتِه[5]. وَانْصرفتُ إلى أبيك. فالمُعاملةُ الأولى كانت على قَدْرِ أبيك عندَ مَنْ يَعْرِفُ الأقدارَ. والثانيةُ كانت على قَدْري!».

٤ - ★★ المغرب ٢: ١٤٢ - ١٤٣؛ المقتضب من تحفة القادم ١١٥؛ نفح الطيب ٢: ٦١١ - ٦١٤، ٣: ٤٩٩، ٥٦٣؛ الأعلام للزركلي ٤: ٤٧ (٣: ٢٧٣).

ابن حوط الله الحارثي

هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ سُليمانَ بنِ داوودَ بنِ عبدِ الرحمن بنِ سُليمانَ بنِ عُمَرَ بنِ

(١) المغضب (بضمّ فسكون ففتح): الذي أغضبه من آخرين مجانبة الحقّ فغضب للاعتداء على حقوق الله (لا لنفسه ولا لشيء ماديّ).

(٢) الخديم (ليست في القاموس): الخادم.

(٣) يحيى بن اسحاق بن محمّد بن عليّ المسوفي المعروف بابن غانية (ت ٦٣٣ هـ) كان لأسرته الحكم على جزيرة ميورقة.

(٤) اقتضيت ما تيسّر (نَفّذْتُ ما قدرت عليه ممّا طُلب منّي؟).

(٥) صدر لي (أمر الأمير لي) شيء (بشيء؟). حظ: نصيب. صلته: عطائه.

حَوْطِ[1] الله الحارثيّ الأنصاريّ الأُنْدِيّ الأندلسيّ، وُلدَ في أُنْدَةَ (قُربَ بَلَنْسِيَةَ)، في رَجَبَ من سَنَةِ ٥٤٩ (مطلع الخريف من عام ١١٥٤ م).

إنّ الحياة لم تَمْنحْ أبا محمّدِ بنَ حَوْطٍ آستقراراً، فقد قضى حياتَه في التَّطْوافِ في الأندلس وفي المَغْرب - وكان في أثناء ذلك يسمَعُ من العُلماء - سَمِعَ من أبي جعفرٍ أحمدَ بن عبدِ الملكِ بن عُمَيْرَةَ[2] الضَبّيّ (نحو ٤٨٠ - ٥٧٧ هـ) وغيره. ثمّ إنّه وَليَ القضاء في إشْبيلِيَةَ وقُرطُبَةَ ومُرْسِيَةَ وجزيرةِ مَيورقَةَ (في الأندلس) وفي سَلا وسَبْتَةَ (المغرب) وكان - في أثناء ذلك كلّهِ يتصدّرُ للتدريس، فقد كان يُدرِّسُ الحديثَ (في المغرب)، سَنَةَ ٥٩٧ للهجرة (نفح الطيب ٣ : ٩٨)، كما كان يدرّسُ المُوطّأ (نفح الطيب ٢ : ٦٠٤).

وكانتْ وفاةُ ابن حَوْط الله في غَرْناطةَ، في ثاني ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٦١٢ (١٢١٥/٧/١ م).

كان ابنُ حوطِ اللهِ الحارثيُّ حافظاً للحديث عارفاً بالفِقه والأُصول (على مذهب أهل الظاهر)، ونَحْويًّا وأديباً كاتباً وشاعراً. وكانتْ له تصانيفُ ضاعتْ في أثناء أسفاره المُضْطَربة. فمن تصانيفه هذه كتابُ تَسْمِيَةِ شيوخِ البُخاريّ ومُسْلِمٍ وأبي داوودَ والنَّسائيّ والتِرْمِذيّ[3] (ولم يُتِمَّه).

- ★★ التكملة ٥٠٦؛ بغية الوعة ٢٨٣؛ شذرات الذهب ٥ : ٥٠؛ نفح الطيب ٤ : ٣٣٤ - ٣٣٥؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٢٤ (٩١)؛ بالنثيا ٣٩٩ - ٤٠٠، راجع ٢٣٨.

---

(١) أصله حوطلّه، مصغر حوت (بضمّ الحاء : سمكة) مؤنّث على لغة شرقيّ الأندلس، فإنّهم يفتحون أوّل الكلمة من نحو الحوت والسعود (وهما في الأصل بالضمّ) وينطقون بالتاء طاء ثمّ يلحقون آخر المصغّر لاما مشدّدة مفتوحة في المؤنث مضمومة في المذكر وهاء ساكنة، فيقولون: حوطَلّة وحوطِلّه. ويأبي هذا كتابة الأفاضل إيّاه سلفاً عن خلف (كذا في بغية الوعاة ٢٨٣). وهذه اللام المسَدّدة في آخر الاسم هي علامة التصغير في اللغة الاسبانية.

(٢) نفح الطيب ٢ : ٦٠١.

(٣) هؤلاء من كبار المؤلّفين في الحديث لهم مجاميع معتمدة: صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داوود وسنن النسائي والجامع الصحيح للترمذي.

ابن جبير

١ - هو أبو الحَسين محمّدُ بنُ أحمدَ بن جُبير بن سعيدِ بن جُبير بن محمّد بن عبدِ السلام الكِنانيُّ دخل جدّه عبدُ السلام إلى الأندلس في وِلاية بَلْجِ بنِ بِشْرِ القُشيريّ، سنة ١٢٣ هـ ونَزَل في شَذونةَ. ثمّ إنّ أهلَه انتقلوا فيما بعدُ إلى شاطِبَةَ ثمّ سكنوا بَلَنْسِيَةَ.

وُلِدَ ابن جُبيرٍ في العاشر من ربيعِ الأول من سَنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥/٩/١ م) في مدينةِ بلنسيةَ ودرس الحديثَ والفِقهَ على أبيه وتلقّى علومَ الأدب والشعر في شاطبة. ومن شيوخهِ، غيرَ والده: أبو عبد الله الأصيليُّ، وأبو الحسن عليُّ بن محمّدِ بنِ أبي العيشِ (ت ٥٦٠ هـ)؛ وقد سَمِعَ في دِمَشْقَ من أبي الطاهرِ بركاتِ بنِ إبراهيمَ الخشوعيّ (ت ٥٩٨ هـ)، ومن فقيهِ الشامِ قاضي القضاة أبي محمّد بنأبي عَصْرونَ المَوْصِليّ (٤٩٢ - ٥٨٥ هـ) والحافظ أبي محمّدِ القاسمِ بن عساكرَ (ت ٦٠٠ هـ).

وكان ابن جُبير قد سَكَنَ غَرْناطة وكَتَبَ فيها لواليها السيدِ أبي سعيدِ بنِ عبدِ المؤمن الموحِّدي.

ورَحَلَ ابنُ جُبيرٍ إلى المشرق مرّتين أو ثلاثاً: بدأ رحْلَتَه الأولى في الثامنِ من شوّالٍ من سَنة ٥٧٨ (١١٨٣/٢/٣ م) من جَزيرة طريفٍ إلى سبتةَ فالمدينةِ فمكّةَ ثمّ زارَ العراقَ والشام. بعدئذٍ أبْحر من عكّاءَ إلى جزيرةِ صِقِلّيَةَ فإلى قَرْطاجَنّةِ الخُلفاءِ من الساحل الجَنوبيّ الشرقيّ من الأندلس (جَنوبَ مُرْسِيَة) وحلّ في غَرْناطة في أوائلِ ٥٨١ هـ (نَيْسان - أبريل ١١٨٥). ثمّ إنّه عاد إلى المَشْرق في مَطْلَع سنة ٥٨٥ هـ (أوائل آذار - مارس ١١٨٩ م) وحَضَر استردادَ القدسِ من الإفرنجِ الصليبيّين على يَدِ صلاحِ الدينِ الأيّوبي (٢٧ رجب من سنة ٥٨٣). ويبدو أنّه رَحَل رِحْلة ثالثة بقصدِ الحجّ، سنة ٦١٣ هـ فتُوُفِّيَ في أثناء رُجوعه، في الأسكندرية، في التاسعِ من شَعبانَ ٦١٤ (١٢١٧/١١/١٣ م) في الأغلب.

٢ - بَرَعَ ابنُ جُبيرٍ في صِناعة القَريض والكِتابة، وكان شاعراً مُكْثِراً، على شعرِه نَفْحةٌ من زُهْدٍ وتصوّفٍ، وكان له أيضاً مَدْحٌ في صلاحِ الدين الأيّوبي. على أن شُهْرته

إنّما هِيَ في رِحْلته المعروفة برحلة ابن جبير. وأسلوبُه في رحلته نثرٌ رصينٌ جَزْلُ الألفاظِ سَهْلُ التركيب بارعُ السبكِ مُوجَزٌ بليغٌ يَصْدُرُ عن شعورٍ بما يرى ويتأثّر به، والجانبُ القَصَصيّ في رِحلته بارعٌ جدًّا كما أن أوصافَه طريفةٌ ناطقةٌ بما تُعَبِّرُ عنه.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابنُ جبيرٍ في النسيب:

طولُ اغـــترابِ وبَرْحُ شوقِ، لا صبرَ- واللهِ- لي عليْـهِ[١].
إليـــك أشكو الـــذي أُلاقي يـا خيرَ من يُشتكَى إليْـهِ[٢].
ولي بغَرناطـــةٍ حبيـــبٌ قد غَلِق الرهنُ في يَدَيْـهِ[٣].

- لمّا كان ابن جُبيرٍ في بَغدادَ اتّفق له أن قَطَعَ غُصْناً نضيراً من أحدِ بساتينها فذَوَى الغصنُ (جَفّ ويَبِسَ) في يدِه وشيكاً، فقال يُوازِنُ بينَ الغصنِ المقطوع من شجرتهِ وبين المُغْترب عن وطنهِ:

لا تَغْتَرِبْ عن وطنٍ واذْكُرْ تصاريفَ النَّوى[٤]؛
أمـــا تَرى الغُصْنَ إذا مـا فـارقَ الأصلَ ذَوى!

- وقال في تذكّر الأوطان:

غريـــبٌ تذكّرَ أوطانَـــه فهَيَّـــج بالذِكْرِ أشجانَـــهُ[٥]؛
يَحُـــلُّ عُرى صَبْرِهِ بالأسى ويَعْقِـــدُ بالنجمِ أجْفانَـــه[٦]!

---

(١) البرح: العذاب.
(٢) يا خير من يُشتكى إليه (الله).
(٣) غلق الرهن: ضاع (إذا لم يستطع أن يؤدّي الراهن دينه إلى الدائن في مقابل شيء مرتهن، سقط حقّ الراهن في الشيء المرتهن).
(٤) التصاريف: تقلّب الأحوال وسيرها. النوى: البعاد.
(٥) الأشجان جمع شجن (بفتح ففتح): الحزن.
(٦) العرى جمع عروة (بضمّ العين): ما تمسك به الدلو (والعروة أخت الزر تمسك مع الزر جانبين من الثوب). الأسى: الحزن. يعقد بالنجم أجفانه: يديم التطلّع إلى النجم (يديم السهر، لا ينام).

- وقال في تنزيه نفسه ولسانه عن العَوْراء (الكلمة القبيحة):

تَنَزَّهْ عنِ العوراءِ مهما سَمِعْتَهـا صِيانَةَ نفسٍ، فَهْوَ بالحُرِّ أشْبَهُ[١].
إذا أنتَ جاوبتَ السفيهَ مُشاتِماً؛ فمَنْ يَتَلَقّى الشتمَ بالشتمِ أسْفَهُ!

- وقال في طبائع الناس:

الناسُ مِثْلُ ظُروفٍ حَشْوُها صَبِرٌ، وفوقَ أفواهِها شيءٌ من العَسَلِ[٢].
تَغُرُّ ذائِقَها حتّى إذا كُشِفَتْ له تَبَيَّنَ ما تَحْويهِ من دَخَلِ[٣].

- وابن جبير مُغْرَمٌ بالبديعِ في شِعره وخصوصاً في لزوم ما لا يلزمُ (في القافية)، من ذلك قوله:

إذا بَلَغَ العبدُ أرضَ الحِجازِ فقد نالَ أفضلَ ما أمَّلَهْ[٤].
فإن زارَ قبرَ نبيِّ الهُدى فقد أكْمَلَ اللهُ ما أمَّلَه!

- ومن شعرِ ابن جبيرٍ ذي النَفْحة الدينيةِ يَتَشَوَّقُ فيه إلى مناسِكِ الحَجِّ في الحجاز:

يا وفودَ اللهِ، فُزْتُمْ بالمُنى؛ فهَنيئاً لَكُمُ، أهلَ مِنى[٥]!
قَدْ عَرَفْنا عَرَفاتٍ بعدَكم، فلهذا بَرَّحَ الشَّوْقُ بنا[٦].
نَحْنُ في الغَرْب، ويَجْري ذِكْرُكم بغُروبِ الدمْعِ تَجري هُتَّنا[٧].

(١) مهما سمعتها (مهما كثر سماعك لها). فهو... (فذلك).

(٢) الظرف (بفتح الظاء): الوعاء. الصبر (بفتح فكسر): عصارةُ (بضمّ العين) شجر مرّ.

(٣) كشفت له: ظهرت له حقيقتها. الدخل: الفساد، العيب.

(٤) أمّ له: قصد إليه. أمّله: تمنّاه.

(٥) وفود الله: الحجّاج إلى بيت الله (الكعبة في مكّة). المُنى جمع منية: المبتغى، الشيء المراد. منى (بكسر الميم وبلا تنوين): منسك من مناسك الحجّ (مكان يبيت فيه الحجّاج بعد نزولهم من عرفات). هنيئاً لكم يا أهل منى لأنّكم في حجّ دائم.

(٦) عرفة أو عرفات: هضبة يجتمع عليها الحجّاج، والاجتماع في عرفات هو المنسك الأساسي في الحجّ لا يصحّ الحجّ إلا بالوقوف في عرفة. - نحن عرفنا عرفات بعدكم (مدّة يسيرة) ولذلك يكثر شوقنا إليه.

(٧) في الغرب: في الأندلس. غروب الدمع: أطراف العينين التي يسيل منها الدمع. هتنا (جمع هاتن: وهو الذي يسيل بكثرة).

سِرْ بِنَا، يا حادِيَ الرَّكْب، عسى أن نُلاقي يوم جَمْعٍ سِرْبَنا[١].
شِمْ لنا البرقَ إذا لاح وَقُلْ: جَمَعَ الله بجَمْعٍ شَمْلَنا[٢]؛
عَلّنا نَلْقى خيالاً مِنْكُمُ بلَذيذِ الذِكْرِ وَهْناً، عَلّنا[٣].
لَوْ حَنا الدهرُ علينا لَقضى باجْتِماعٍ بِكُمُ بالمِنْحَنى[٤].
لاحَ بَرْقٌ مَوْهِناً من نَحْوكُمْ؛ فَلَعَمْري ما هَنا العيشِ هُنا[٥]!
أنْتُمُ الأحبابُ نشكو بُعْدَكم؛ هل شَكَوْتُم بَعدَنا مِنْ بُعْدِنا؟

- من رِحلة ابن جبير: حال الفرنجة الصليبيّينَ بين المسلمين.

ثم عُدْنا إلى عَكَّةَ في البحر وحَلَلْناها صبيحةَ يوم الاثنينِ الثالثِ والعشرين من جُمادى المذكورة[٦] وأولَ يومٍ من شهرِ أُكتوبر. واكْتَرَيْنا في مركبٍ كبيرٍ[٧] نُريد الإقلاع إلى مَسّينةَ من بلاد جزيرةِ صِقِلِّيَةَ[٨]....

ومنهم ★ من استهواه حُبُّ الوطن فدَعاه إلى الرجوع والسُكنى بينَهم ★ ★، بعدَ أمانٍ كُتِبَ[٩] لهم في ذلك بشُروط اشْترطوها. واللهُ غالبٌ على أمرِه - سُبحانَه جَلّتْ قُدرتُه ونَفَذت في البَرِيّة مشيئتُه - وليستْ له عندَ الله مَعْذرةٌ في حُلولِ بلدةٍ من بلاد الكُفر إلّا مجتازاً وهو يَجِدُ مندوحةً في بلاد المسلمين[١٠] لمَشقّاتٍ وأهوالٍ يُعانيها في بلادهم

(١) حادي (سائق) الركب (القافلة التي يسافر الجماعة فيها. الركب: الجماعة يسافرون معاً). جمع = يوم جمع: يوم الوقوف في عرفة. سِربَنا: قطيعَنا (جماعتنا).
(٢) شام يشيم البرق: نظر إليه. جمع (راجع الحاشية السابقة).
(٣) وهناً: بعد منتصف الليل.
(٤) المنحنى: القطعة المستديرة من الرمل (مكان في الحجاز تغزّل به الشعراء).
(٥) الموهن: الوقت بعد منتصف الليل. ما هنا (هناءة: لذّة) العيش هنا (عندنا، في غير مكّة).
(٦) جمادى الثانية.
(٧) واكترينا «مكاناً» في مركب كبير.
(٨) الإقلاع: السفر في البحر. مسّينة: مدينة في أقصى الشمال الشرقي من جزيرة صقلّية (جزيرة كبيرة في جنوب شبه جزيرة إيطالية).
(٩) بينهم (بين النصارى، بين الإفرنج الصليبيّين).... معاهدة أمان...
(١٠) ... لا يجوز لمسلم أن يسكن في بلاد أهلها من الكفّار إذا كان يستطيع السكنى في بلد إسلامي (إلّا إذا كان مسافراً ومرّ في ذلك البلد ثمّ بقي فيه وقتاً ما حتّى يتيسّر له متابعة السفر).

منها المذلّةُ والمَسْكنة الذِمّية[1]، ومنها سَماعُ ما يُفْجعُ الأفئدةَ من ذِكْرِ من قَدَّسَ اللهُ ذِكْرَهُ[2] وأعلى خطره لا سيما من أراذلهم وأسافلهم؛ ومنها عدمُ الطهارة والتصرف بين الخنازير وجميعُ المحرَّماتِ إلى غير ذلك مما لا ينحصر ذكره ولا تَعداده.

- من الحياة الاجتماعية في أثناء الحروب الصليبية:

ومِنَ العَجَب أنّ النصارى المُجاورين لجبلِ لُبنانَ إذا رأَوْا به أحدَ المُنْقَطعين من المسلمين جَلَبوا لهمُ[3] القُوتَ وأحْسنوا إليهم، ويقولون: هؤلاء مِمّن آنقطعَ إلى اللهِ عز وجلّ فتجب مُشاركَتُهم. وهذا الجبلُ من أخصبِ جِبالِ الدنيا فيه أنواعُ الفواكهِ وفيه المياهُ المُطَّردةُ والظِّلالُ الوارفة[4]. وقلّما يخلو مِنَ التبتُّل والزَهادة[5]. وإذا كانت هذه مُعاملةَ النصارى لِضِدِّ مِلّتِهم هذه المعاملةَ، فما ظنُّكَ بالمسلمين بعضِهِم مَعَ بعضٍ. ومنْ أعجبِ ما يُحدَّثُ به أنّ نيرانَ الفِتنة تشتعلُ بينَ الفئتين مُسلمين ونصارى. وربما يَلْتقي الجَمْعانِ ويَقَعُ بينَهُمُ المَصافُّ[6] ورِفاقُ المسلمين والنصارى تَخْتَلفُ بينَهم[7] دون اعتراض، شاهَدْنا في هذا الوقت - الذي هو شهر جُمادى الأولى[8] - مِنْ ذلك خُروجَ صلاحِ الدين بجميعِ عسكرِ المُسلمين لِمُنازلةِ حِصْنِ الكَرَكِ، وهو أعظمُ حصونِ النصارى، وهو المُعْتَرِضُ في طريق الحِجاز والمانعُ لِسَبيلِ المسلمين على البَرّ - بينَه وبينَ القُدْسِ مَسيرةُ يومٍ أو أشفَّ قليلاً[9].... فنازَلَهُ هذا السلطانُ وضيّق عليه

(١) يعانيها: يقاسيها، يخضع لها. المسكنة الذمّيّة (الخضوع لغير المسلمين).

(٢) يفجع (يؤلم) الأفئدة: (القلوب) من ذكر من قدّس الله ذكره (الرسول).

(٣) النصارى الذين كانوا (في مطلع القرن السابع للهجرة = الثالث عشر للميلاد) يسكنون جوانب من الساحل.

(٤) المطّردة: (الأنهار) التي يتتابع جريان مائها. الوارف: المتسّع.

(٥) التبتّل: ترك الزواج، الانقطاع إلى عبادة الله. الزهادة (بالفتح): الزهد (بالضمّ: ترك الرغبة في أمور الدنيا).

(٦) الجمعان: الفريقان المتعاديان. المصاف: الوقوف في موقف المستعدّ للقتال.

(٧) ورفاق المسلمين والنصارى (من الذين لا يتقاتلون) تختلف (يختلفون: يتنقّلون) بينهم (بين الذين يتقاتلون) من مكان إلى آخر.

(٨) من سنة ٥٨٠ هـ (صيف ١١٨٤ م).

(٩) صلاح الدين الأيوبي.... الكرك (بلدة عند الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت). أشفّ! (أقلّ؟).

وطالَ حِصارُه، واختلافُ القوافلِ من مِصْرَ إلى دِمَشْقَ على بلاد الإفْرنج غيرُ مُنْقَطع. واختلافُ المسلمين من دِمَشْقَ إلى عكّة كذلك. وتُجّارُ النصارى أيضاً لا يُمْنَعُ أحدٌ منهم ولا يُعْتَرَض. وللنصارى على المسلمين ضريبةٌ يُؤَدّونها في بلادِهم[1]، وَهيَ من الأمنة على غايةٍ. وتُجّار النصارى أيضاً يُؤَدّون في بلاد المسلمين على سِلَعِهم[2]. والاتفاقُ بَيْنَهم والاعتدالُ في جميع الأحوال. وأهْلُ الحرب مُشتغلون بحَرْبِهم، والناسُ في عافِية. والدنيا لمن غَلَب.

٤- رحلة ابن جبير (رايت)، ليدن (بريل) ١٨٥٢ م، الطبعة الثانية (ده خويه)، ليدن (بريل) ١٩٠٧ م؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م)؛ (تحقيق حسين نصّار، القاهرة (مكتبة مصر) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٩ م؛ القاهرة (دار التحرير والنشر) ١٩٦٨ م.

★★ زاد المسافر ١١٤ - ١١٥؛ المغرب ٢: ٣٨٤ - ٣٨٥؛ التكملة رقم ٥٩٨؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٩٥ وما بعد؛ الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢: ١٦٨ - ١٧٤؛ شذرات الذهب ٤: ٦٠؛ نفح الطيب ٢: ٣٨٠ - ٣٨٩، ٤٨٥ - ٤٩٧؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٧٥٥؛ بروكلمن ١: ٦٢٩، الملحق ١: ٨٧٩؛ نيكل ١٩٣ - ١٩٤؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٤ (٥: ٣١٩ - ٣٢٠)؛ سركيس ٦١ - ٦٢؛ بالنثيا ٣١٦ - ٦١٨؛ المكتبة العربية الصقلية ٧٦ - ١٠٤؛ تراجم اسلامية ٣٢٨ - ٣٣٧.

ابن حزمون المرسيّ

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ الرحمنِ بن حزمون كان مُتّصلاً بالمُوحِّدين وله مدائحُ جليلةٌ في المنصور الموحِّديّ. ويبدو أنّه كان يُرافقه في عددٍ من الغَزَوات. وفي سَنَة ٦١٤ هـ (١٢١٧ - ١٢١٨ م) كان في مُرْسِيَةَ فَلَقِيَ فيها عبدَ الواحدِ المَرّاكُشيّ (ت نحو ٦٤٧ هـ) ولعلّ ابنَ حزمون تُوُفِّيَ في تلك السَنَة (أي ٦١٤ هـ) أو بعدَها بقليل.

---

(١) في بلادهم (بلاد النصارى: البلاد التي استولى عليها الإفرنج الصليبيّون).

(٢) السلعة: الحاجة المعروضة للبيع.

٢ – كان أبو الحَسَن بنُ حزمونٍ متّسعَ القولِ في أنواعِ الشعر يقول القَصيدَ ويَغْلِبُ عليه القولُ في الموشّح. وفُنونُه المديحُ والهِجاء والغَزَل. وكان كثيرَ المَيْلِ إلى الهجاء يُقْذِعُ فيه جِدًّا. ثم هو لم يترُكْ مُوَشَّحَةً سارتْ على ألسُنِ الناس إلّا عارضَها فقَلَبَها هِجاءً مُقْذِعاً. وكان ابنُ حزمونٍ ناقداً بصيراً. قال: ما الموشّحُ بموشّحٍ حتّى يكون عارياً من التكلُّفِ. فقيل له: على مِثْلِ ماذا؟ فقال: على مثلِ قولي:

يا هاجري، هلْ إلى الوصالْ مِنْكَ سبيلْ؟
أو هلْ يُرى عن هواكَ سالْ* قلبُ العليلْ؟

٣ – مختارات من شعره:

– لمّا رَجَعَ المنصورُ الموحّديُّ من غَزْوة الأرَك، سَنَةَ ٥٩١ للهِجرة (وقد انتصرَ فيها نصراً عظيماً) قال ابنُ حزمونٍ يمدحُه:

حَيَّتْـــــكَ مُعَطَّرَةَ النَفَسِ ... نَفَحــاتُ الفتــحِ بأنْدَلُسِ؛
فَـــذَرِ الكُفّـــارَ ومأتَمهم؛ ... إنّ الإسلامَ لَفي عُرُسِ.
أإمــامَ الحـــقِّ وناصرَه، ... طَهّرْتَ الأرضَ من الدنَسِ،
ومــلأتَ قلوبَ النــاسِ هُــدًى ... فَدَنــا التوفيــقُ لُملتمسِ.
ورفعــتَ مَنــارَ الــدينِ عــلى ... عَمَــدٍ شُمٍّ وعــلى أُسُسِ[١].
وصَدَعْـــتَ رِداءَ الكُفرِ كما ... صَـدَعَ الديجورَ سنــا قبسٍ[٢].
جــاءوك تضيــقُ الأرضُ بِهِمْ ... عــدداً لم يُحْـصَ ولم يُقَسِ.
خرجوا بَطَراً ورِئـــاءَ النـــا ... سِ لِيَخْتلسوا مَــعَ مُخْتلس[٣]

(*) السالي: الناسي

(١) عمد جمع عمود: أسطوانة.. شمٌّ جمع أشمّ: عال.

(٢) صدع: شقّ. الديجور: الظلام (مفعول به مقدّم). سنا: نور (فاعل «صدع» الثانية).

(٣) «خرجوا بطرا ورئاء الناس» اقتباس من قوله تعالى «ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس» (٨: ٤٦، سورة الأنفال)، إشارة إلى قريش الذين جاءوا، في سنة ٥ للهجرة (٦٢٧ م) بجيوش كبيرة لحصار المدينة (في غزة الخندق أو الأحزاب).

ومَضَيْـــتَ لأمرِ اللهِ عـــلى ثِقَـــةٍ بـــالله ولم تَخِس[1].

ثمّ يصف الخيلَ وهزيمةَ الأذفنش (لقب لملوك الإسبان) ثم يخاطبُ الأندلسَ:

مــلأ التوحيــدُ أعِنَّتَهــا وأغــارَ بهــا روحُ القُــدُس[2].
جاستْ جَنَبــاتِ الكُفْرِ فــلم تَتْرُكْ لَهُمُ مــا لم يُجَس[3]
لم يَبْــقَ بهــا مَثْوى رَجُــلِ إلّا وعليــه شَذا فَرَس[4]
لَحِقوا بقُرون الشُمِّ فــلا سُقيَــا لطُلولِهمو الــدُرُس[5].
إن كــان نجــا أذْفُنْشُهُمو فــإلى عيشِ نَكِــدٍ تَعِس
فمضى لم يُلْوِ عــلى أحــدٍ، ورمــى بالــدِرْعِ وبالتُرُس
لصَليــلِ الهنــدِ بمَفْرِقــه لا يَسمَــعُ صَلْصلــةَ الجَرَس[6].
أجزيرةَ أندلُسَ، اعْتَصِمي بإمــامِ الأُمّــةِ واحْتَرسي.
أرْعــاكِ حِراسَتَــه مَلِــكٌ جبريــلُ لــه أحَــدُ الحَرَس.

- وله من موشّحة[7] وَهِي تُروى لأبي الحسن بن نزارِ (ت قبل ٥٧٥ هـ) راجع فوق.

اشرَبْ عــلى نَغمــةِ المَثــاني ثــانِ[8]

---

(١) خاس يخيس: ذلّ، نقض العهد، خان.

(٢) ملأ التوحيد (الإسلام) أعنَّة الخيل (خرجت للجهاد في سبيل الله). وأغار: هجم. روح القدس: جبريل. - ما أنت الذي قادها إلى النصر، بل جبريل قادها إلى النصر بإذن الله.

(٣) جاست (دارت وتردّدت) الخيل في جوانب بلادهم (بالحرب). ما لم يجس (بالبناء للمجهول): بقعة لم تصل إليها بالحرب.

(٤) مثوى (مقام) رجل (بقعة بمقدار يكفي لمقعد رجل واحد). الشذا: الرائحة الطّيبة (؟).

(٥) لحقوا بقرون الشمّ: وصلوا، هربوا (من الخوف) إلى الجبال العالية. فلا سقيا (لا سقى الله، لا بارك الله) في طلولهم (بقايا بيوتهم التي تهدّمت بالحرب) الدُرُس (جمع دارس: الذي محيت آثاره).

(٦) إنّ صوت وقع السيوف في مفارقهم (مقدّم رؤوسهم) كان شديداً حتّى لو أنّهم - لو قرعت الأجراس على مقربة منهم لما سمعوها.

(٧) لاحظ أن القافية في كلّ شطر هي الجزء الأخير من القافية الأولى.

(٨) المثنى: وتر من أوتار العود (المثاني هنا: الآلات الموسيقية). ثان (ثانياً) مرّة ثانية!

ولا تكُنْ في هَوى الغواني وانِ[١]
وقُـــلْ لِمَنْ لامَ في مُعـــانِ: عانِ[٢]
مـــاذا من الحُسْن في بُرودِ رودِ[٣].

★ ★ ★

يَهيـــجُ وَجْـدى إذا الأنـــامُ ناموا[٤]
قومٌ إذا عَسْعَسَ الظـــــلامُ لاموا[٥]
ومـــا بـــه هـــامَ مُستهـــامُ هاموا[٦]
فقُـــلْ لِعَيْنٍ بـــلا هُجوْدِ: جودي[٧]

- وقال يهجو نفسَهُ ثمّ يَسْتَطْرِدُ إلى هِجاء شخص يسميه مُحمّدَ بنَ عيسى:

تأمّلـتُ في المِرآةِ وجهي فخِلْتُه كَوَجْه عجوزٍ قد أشارتْ إلى اللَّهْوِ[٨].
فلو كُنتُ مِمّا تُنْبِتُ الأرضُ لم أكُنْ من الرائقِ الباهي ولا الطيّبِ الحُلْوِ.
وأقبـحُ من مِرْآيَ بَطْني، فإنّـه يُقَرْقِرُ مثـلَ الرعدِ قرقرَ في الجَوّ،
وإلّا كقَلْـبِ بـينَ جَنْبَيْ محمّـدٍ سليلِ ابنِ عيسى حينَ فَرّ ولم يُلْوِ[٩].
يَوَدُّ بأنْ لو كـان في بَطْنِ أُمّـهِ جَنيناً ولم يسمَعْ حديثاً عن الغَزْوِ.

---

(١) الغانية: المرأة التي تستغني بجمالها عن التزيّن بالحلى. وان (وانياً) تعب.
(٢) المعاني (بضمّ الميم): الذي عرف الحبّ ولقي فيه عذاباً. عانِ (فعل أمر): قبل أن تلومه على حبّه أحْبِبْ أوّلا مثله. («عان» تحتاج إلى مفعول به هو «ماذا» في الشطر التالي).
(٣) ... ما تنطوي عليه برود (ثياب حرير) رود (امرأة بضّة الجسم ناعمة).
(٤) الوجد: الحبّ.
(٥) عسعس الليل: أتى بظلامه.
(٦) هام: تحيّر، أحبّ حبًّا شديداً. هاموا: أحبوا.
(٧) هجود: نوم. جودي بالبكاء: ابكي كثيراً.
(٨) أشارت إلى اللهو: أرادت اللهو والغزل (وهذا قبيح من العجائز).
(٩) ألوى: التفت، مال. - فر ولم يلو: هرب ثمّ لم يلتفت إلى ورائه (من الخوف).

ثقيـلٌ ولكنْ عقلُـهُ مثـلُ ريشةٍ   تطيرُ بها الأرواح في مَهْمَهٍ دَوّ[١] .
تَميـلُ بِشِدْقَيْهِ إلى الأرضِ لِحْيَةٌ   تُظَنُّ بهـــا مـــاءٌ يُفرَّغُ من دَلْوِ!

٤★★ زاد المسافر ١٠٦ - ١٠٨؛ المغرب ٢: ١٤٧، ٢١٤ - ٢١٥، ٢١٦ - ٢١٨؛ المعجب ٢١٣ - ٢١٦؛ الذيل والتكملة ٥: ٢٤٠ - ٢٤٦؛ نفح الطيب ٣: ٤٦٥ - ٤٦٦، ٧: ٩ - ١٠؛ نيكل ٣٤٢؛ الأعلام للزركلي ٥: ٧٨ - ٧٩ (٤: ٢٧١).

ابن المُرخَى المَغربيّ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عليٍّ بن محمّدِ بنِ عبدِ الملك بن عبد العزيز اللَّخْميّ[٢] تَلَقّى العلمَ على أبيه أبي الحَكَم عليٍّ، وقد أجازَ له أبوه في شَوّالٍ من سَنَةِ ٥٧٩، كما تلقّى أشياءَ من العِلمِ أيضاً على اللصّ (أحمدَ بنِ عليٍّ بن سيدٍ الكِناني المُتوفّى ٥٧٧ هـ) ومن غيرِه. وكانتْ وفاةُ ابنِ المُرْخَى المَغْربي سَنَةَ ٦١٦ (١٢١٩ - ١٢٢٠ م).

٢ - كان ابنُ المُرْخَى المَغْربي من بيتِ علمٍ وأدب ووَجاهة وروايةٍ وكِتابة: كان أبوه أبو الحكمِ عليٌّ كاتباً، وكان جَدّه أبو بكرٍ محمّدٌ من أهلِ البَيان والبلاغة. وابن المُرخى صاحبُ هذه التَرْجمة لُغويّ وأديبٌ كاتبٌ بارعٌ وشاعرٌ مُحْسن. ثمّ هو مُصنِّف: اختصر كتاب «الغريب المصنّف» (لأبي عُبيدِ بن سلّام الهَرويّ المتوفّى نحو ٢٢٣ هـ) وسمّاه «حِليةَ الأديب». وله أيضاً من المصنّفات «ذِروة المُلْتَقط في خُلُق الخيل» وغيرُ ذلك.

٣ - مختارات من شعره:

- كتب ابنُ المُرخَى المَغْربيّ إلى أُستاذه ابنِ سيدٍ اللص يُخاطبه بالأبيات التالية:

(١) المهمه (الصحراء الواسعة) الدوّ (الفلاة الواسعة). الأرواح جمع ريح.

(٢) راجع صلة الصلة ص ١٠٦. في الوافي بالوفيات (٤: ١٥٧): محمّد بن علي بن محمّد بن عبد العزيز. وفي بغية الوعاة (ص ٧٥): محمد بن علي بن أبي بكر بن عبد الملك بن عبد العزيز. راجع أيضاً حاشية مفيدة في الأعلام للزركلي (٧: ١٦٨) فيها أن مصدراً ذكره باسم ابن المرجيّ (بالجيم) وأن مصدراً آخر لم يذكره لا باسم ابن المرجي (بالجيم)، لا ابن المرخى (بالخاء).

سأهجُرُ العِلمَ لا بُغضاً ولا كَسلا ، حتّى يُقالَ ارعوى عن حُبِّهِ وسَلا[1] ؛
ولا أمُرُّ ببيتٍ فيه مَسْكَنُه كيلا يُمَثَّلَ شوقي حيثُما مَثَلا[2] .
إذا ظَمِئْتُ ، وكان العَذْبُ مُمْتَنِعاً ، فلستُ عن غيرِ ذاكَ العَذْبِ معتزِلا[3] .
إذا طُرِدتُّ قَصِيًّا عن حِياضِكُمُ فإنّ نَفْسِيَ مِمّا تكرَهُ النَهَلا[4] .
قد كان عِنْدي زعيمَ القومِ عالِمُهُمْ ، فاليومَ عِندي زعيمُ القوم مَنْ جَهِلا .
ما إنْ رأيتُ الذي يَزدادُ مَعْرِفةً إلّا يزيدُ انتقاصاً كُلّما كَمَلا .
وآيةُ الصِدقِ في قولي وتَجْرِبتي أنّ الجوادَ على العلّاتِ ما وألا[5] !

٤ - ★★ المطرب ، راجع ٢٠٨ - ٢٠٩ ؛ الوافي بالوفيات ٤ : ١٥٧ ؛ راجع صلة الصلة ١٠٦ (رقم ٢١٦) ؛ بغية الوعاة ٧٥ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٦٨ (٦ : ٢٨٠) .

أبو القاسم بن سعيد

١ - هو أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ سعيدٍ العَنْسيُّ من أُسرةِ مُصنّفي كتاب « المُغرب » . كان شابًّا قَلِقاً طَموحاً . ولمّا استولى الموحِّدون على الأندلس كان الوالِيَ منهم على غَرناطةَ السيّدُ أبو سعيدِ بنُ عبدِ المؤمن فاتّخذ أبا جعفرٍ أحمدَ بنَ عبدِ الملك بنِ سعيدٍ كاتباً له . وكان أبو القاسم عبدُ الرحمنِ بنُ سعيدٍ مَعَه . وحدثتْ نُفرةٌ بين أبي سعيدِ بنِ عبدِ المؤمنِ وأبي جعفرِ بنِ سعيدٍ . ثمّ كان أنْ فرَّ

(١) ارعوى ... عن حبّه للعلم : رجع . سلا : نسي وتعزّى .
(٢) ... مسكن العلم . مثل (بفتح ففتح أو بفتح فضمّ) : قام منتصباً (وُجِدَ) . كيلا يمثّل شوقي حيثما مثل : كيلا أشعر باحترام لذلك المكان فأقف (أو أبقى) فيه على مقدار حبّي (الأوّل) للعلم .
(٣) الواضح : إذا لم أنل نصيبي في الحياة من العلم أحاول أن أناله عن غير طريق العلم . ولكن الملموح وبالمقارنة بالبيت التالي يقتضي حذف كلمة « غير » فيصبح المعنى : إذا لم أجد ماء عذباً (خلواً ، أي عِلماً صحيحاً) ، فإنّني لا أرضى شيئاً دون (أدنى من) ذلك .
(٤) قصيّا : بعيداً . الحوض : مجمع الماء . النهل : الشرب الأوّل (المقدار اليسير من حاجة العطشان) .
(٥) آية : علامة . الجواد : الحصان . العَلّة : الشربة الأولى . - أنّ الحصان إذا بدأ يشرب فإنّه لا يئل (يرجع) عن الشرب حتّى يستوفي حاجته من الماء (وأنا - مع كلّ ما أصابني على يد الجهّال - إذا رأيت مجلس علم فلا أغادر مكانه حتّى أستوفي حظّي منه) .

عبدُ الرحمنِ إلى محمّدِ ابنِ مَرْدنيشَ مَلكِ شرقيِّ الأندلسِ (٥٤٢ - ٥٦٦ هـ) فساءَ ظنُّ أبي سعيدِ بنِ عبدِ المؤمن فيهما فقتَلَ أبا جعفرٍ.

رَحَلَ عبدُ الرحمنِ عنِ الأندلسِ إلى المَغْرب ثمّ تابَعَ الرِحْلة شرقاً إلى مِصْرَ فالشامِ فالحجازِ فالعراق فبلادِ العَجَم إلى ما وراءِ النهرِ وسَكَنَ في بُخارى. وقُتِلَ عبدُ الرحمن في بُخارى يومَ دَخَلَها التتارُ وقتلوا أهلَها بعدَ أن كانوا قد أمّنوهم، وذلك في المُحرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٦١٧ (آذار - مارس ١٢٢٠ م) (راجع نفح الطيب ٢ : ٣٧٣ ثمّ ابن الأثير ١٢ : ٣٨٩، شذرات الذهب ٥ : ٧٢).

٢ - كان أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ سعيدٍ أديباً مفطوراً سَلِسَ النَثْرِ عَذْبَ الشِعر ينكشفُ نثرُه خاصّةً عن إلمامِهِ بعددٍ من العلوم، ويبدو أنّه أكثرَ القراءةَ في الجُغرافية والتاريخ. في نثرِهِ سجعٌ قليلٌ وصِناعة خفيفة سائغة. وشعرُه وُجْدانيّ تَغْلبُ عليه الشكوى. وهو حَسَنُ السَرْدِ.

٣ - مختارات من آثاره:

- كتب أبو القاسم عبدُ الرَحْمنِ بنُ سعيدٍ من سَمَرْقَنْدَ[١] إلى أهلِه بالأندلُسِ يَصِفُ شقاءه في أسفاره ويُبدي يأساً مِنَ الإياب (العودة) إلى الأندلُسِ:

مَنْ لصَبٍّ يرعى النجومَ صَبابَهْ ... ضيّعَ السيرُ في الهُمومِ شَبابَهْ[٢]؟
زِدْتُّ بُعْداً فزِدتُّ فيه اقتراباً ... بِودادي، كذلك حُكْمُ القَرابه[٣].
منزلي الآنَ سَمَرْقَنْدُ، وبالقَلْـ ... ـعَةِ رَبْعٌ وَطِئْتُ طِفلاً تُرابه[٤].
شَدَّ ما أبْعَدَ الفِراقُ انتزاحي! ... هكذا اللَيْثُ ليس يَدْري اغترابه[٥].

---

(١) سمرقند من أمّهات مدن ما وراء النهر (التركستان).

(٢) الصبّ: المحبّ. والصبابة: شوق، رقّة الشوق أو حرارته. رعى النجوم: راقبها (قضى الليل ساهرا).

(٣) حكم (قانون، عادة) القرابة أن الإنسان إذا اغترب زاد اشتياقه إلى أهله.

(٤) قلعة بني سعيد أو قلعة يحصب (نفح الطيب ٢ : ٣٣٠) من عمل إلبيرة (المغرب ٢ : ١٥٩) من نواحي غرناطة.

(٥) شدّ ما: ما أشد! ما أكثر. الانتزاح: الابتعاد. والليث: الاسد (الرجل المقدام ليس يدري اغترابه: لا يشعر أنه يقطع المسافات.

لا ولا أرتجي الإيـــــابَ لأمرٍ إنْ يكنْ يرتجي غريبٌ إيابَه .

– وكتب إلى أهله من بُخارى:

إذا هبّتْ رِياحُ الغَرْبِ طارتْ إليهـا مُهْجـتي نحوَ التلاقي[١] .
وأحْسَبُ مَنْ تَركْـتُ بـه يُلاقي ، إذا هَبّتْ صباحاً، ما أُلاقي[٢] .
فيـا لَيْـتَ التفرُّقَ كـان عَدْلًا فحُمِّـلَ ما يُطيقُ مِنَ اشتياقي[٣]
وليـتَ العُمْرَ لم يـبرَحْ وِصـالاً ولم يُخْتَمْ علينـــــا بالفِراق .

إذا كانَ الشوقُ فوقَ كلّ صِفة فكيفَ تُعَبِّرُ عنه الشَفَة؟ ولكنّ العُنوانَ دَلالةٌ على بعضِ ما في الصَحيفة. والحاجبُ قد ينوب في بعضِ الأمور مَنابَ الخليفة[٤]. وما ظنُّكم بمَشُوقٍ طريحٍ في يدِ الأشواق طليحٍ[٥] ؟ يقطَعُ مِساحات الأرض ذاتِ الطول والعرض، ويَجُوبُ أهْوِيَةَ الأقاليم السَبْع[٦] ، خارجاً بما أدخله فيه اللّجوج عنِ الشرع[٧] . فكانَ خليفةَ الإسْكندر[٨] ، لكنّ ما يَجيشُ من هموم الغُربة بِفكري قائمةٌ مقامَ الجيشِ والعسكر[٩] . جُزْتُ إلى برِّ العُدوة من الغَرْبِ الأقصى[١٠] ،

---

(١) رياح الغرب (من جهة الغرب) المهجة: دم القلب (القلب).
(٢) الصبا: ريح الشرق. – أظنّ أن أهلي يحبّون ريح الشرق كما أحبّ أنا ريح الغرب.
(٣) ... لعل الشاعر يلوم أهله لأنّهم كانوا هم سبب الابتعاد عنهم ثمّ يدعو الله أن يحملوا من ألم الفراق مثل ما يحمله هو.
(٤) الحاجب (في الأندلس): رئيس الوزراء (الكناية غامضة، إلّا إذا كان المقصود أن العنوان أحياناً يمكن أن يدلّ على كلّ ما في الصحِيفة).
(٥) الطليح: الذي بلغ منه الهزال (بالضمّ: النحول) والإعياء (بالكسر: التعب) مبلغاً عظيماً.
(٦) يجوب: يقطع (يطوف). أهوية جمع هواء (مناخ، بالضمّ). الأقاليم السبعة (كان القدماء قد جعلوا القسم المسكون من الأرض – شمال خطّ الاستواء – سبعة أقاليم، أي سبع درجات من المناخ). – يريد أن يقول: إنّه قاسى الحياة في جميع الأحوال.
(٧) اللجوج (بفتح اللام؟): الشديد الخصومة. خارجاً بما.... الشرع (؟): القانون المألوف.
(٨) خليفة الاسكندر (ذو القرنين) الذي قطع البلاد من جانب إلى جانب حتّى وصل إلى منقطع الأرض (إلى مكان ليس وراءه بشر في ظنه).
(٩) – لكن الاسكندر المقدوني كان معه جيوش يستأنس بها ويعتمد عليها في دفع الأعداء، أمّا أنا فلم يكن معي سوى هموم الغربة (كنت وحدي تساورني المخاوف). قائمة (؟)، لعلّها: «كان قائماً. ماثلاً، حاضراً».

=

فطَمِحَتْ نفسي إلى مُشاهدة الغربِ الأوسط فلاقيت فيا بينها من المسافه من المساق ما لا يُحْصَرُ. ثمّ تشوّقتُ إلى إفْرِيقِيَةَ دَرْبِ بلادِ الشرق[١]، فاستشعرتُ من هنالك ما بينَها وبينَ بلادي من الفرق. واخْتُطِفَتْ من عيني تلك الطِلاوةُ[٢] وانْتُزِعَتْ من قلبي تلك الحلاوة...... ثمّ نازعَتْني نفسي التَوّاقةُ إلى الدِيار المِصريّة.... وجُزْتُ بحرَ جُدَّةَ وذُقتُ تباريحَهُ[٣]. وقَضَيْت الحجَّ والزيارةَ[٤]، ومِلْتُ إلى الشام دِمَشْقَ والنفسُ بالسوء أمّارة[٥]. فهنالك بِعْتُ الزِيارة بالأوزار[٦]، وآلَتْ تلك التِجارة إلى ما حَكَمَتْ به الأقدار[٧].... فللّهِ ما تضمّنَ داخلُها من الحُورِ والوُلدان[٨] وما زُيِّنَ به خارجُها[٩] من الأنهار والجِنان..... ولم أزلْ أسمَعُ عن حلَبَ أنّها دار الكَرَم والأدب، فأردتُّ أن يَحْظى[١٠] بَصَري بما حَظِيَ به سَمْعي. ورَحَلْتُ إليها وأقمتُ فيها جابراً بالْمُذاكرة والْمُطايبة صَدْعي[١١]. ثمّ رَحَلْتُ إلى المَوْصِلِ فألفَيْتها مدينةً عليها رونقُ الأندلسِ،

(١٠) جزت (قطعت بحر الزقاق، بين الأندلس وقارّة افريقية) إلى برّ العدوة (الجانب الجنوبي من بحر الزقاق: شماليّ افريقية).

(١) الغرب (المغرب) الأوسط: القطر الجزائري. إفريقية: (هنا) القطر التونسي. درب بلاد الشرق (الطريق التي تصل بالمسافر من الأندلس إلى الشرق: مصر والشام والحجاز وما وراءها شرقاً).

(٢) استشعر: أضمر (الخوف)، والمقصود (هنا): شعر، أحسّ. الطلاوة (بالفتح وبالكسر وبالضمّ) الحسن والرونق (ما يسرّ العين).

(٣) جدّة: مرفأ مكّة (على البحر). بحر جدّة: البحر الأحمر. التباريح: الشدائد.

(٤) الحجّ: القيام بمناسك الحجّ في الموسم (من الثامن إلى العاشر من شهر ذي الحجّة: الشهر الثاني عشر من السنة الهجرية). الزيارة: زيارة قبر الرسول صلّى الله عليه وسلم في المدينة.

(٥) بالسوء (بالعمل القبيح). «إنّ النفس لأمّارة بالسوء» (١٢: ٥٣، سورة يوسف).

(٦) الوزر (بالكسر): الإثم، الذنب. بعت الزيارة بالأوزار: ارتكبت (في دمشق) ذنوباً ذهبت بالحسنات التي كنت قد نلتها من زيارة المدينة المنوّرة.

(٧) آل: صار، رجع. التجارة (هنا): القيام بأعمال قبيحة بعدما قمت بمناسك الحجّ وبزيارة المدينة (ما ربحته من الحسنات في الحجّ والزيارة خسرته في ارتكاب الذنوب في دمشق الشام). ما حكمت عليّ به الأقدار (ما كان مكتوباً عليّ أن أعمله من الذنوب).

(٨) الحور جمع حوراء (المرأة الجميلة).

(٩) خارجها (خارج دمشق): ضواحيها (الغوطة ودمّر والهامة، الخ).

(١٠) أردتّ أن يحظى بصري (ينال بصري حظّاً) بما حظي به سمعي: أردتّ أن أشاهد ما كنت قد سمعت به (عن حلب).

(١١) جابرا صدعي (شقّي، كسري): مصلحاً ما فسد من أمري. المذاكرة (ليست في القاموس): مراجعة =

وفيها لَطافةٌ وفي مبانيها طِلاوةٌ ترتاح إليها الأنفُسُ. ثمّ دخلتُ إلى مَقرّ الخِلافة ببَغْداد فعايَنْتُ من العِظَم والضخامة ما لا يَفي به الكَتْبُ ولو أنّ البحرَ مِداد[1] . ثمّ تَغَلْغلتُ في بلادِ العَجَم بَلَداً بلداً، غيرَ مُقْتَنعٍ بغايةٍ ولا قاصِداً أمَداً[2] ، إلى أن حَلَلْتُ ببُخارى قُبّةِ الإسلامِ ومجمَعِ الأنام. فألْقَيْتُ عصا التِسيار[3] وعكَفتُ على طلب العلمِ واصلًا في اجتهادِه سوادَ الليلِ وبَياضَ النهار.

٤ - ★★ المغرب ٢ : ١٧٢؛ نفح الطيب ٢ : ٣٧٠ - ٣٧٤، ٤ : ١٨١.

ابن طلحة الإشبيلي

١ - هو أبو بكرٍ محمدُ بنُ طلحةَ بن محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بن خَلَفِ بنِ أحمدَ بنِ الأسعدِ ابن حزمٍ الأُمويُّ الإشبيليّ، وُلِدَ في يابُرَةَ في ذي الحِجّة[4] من سَنَةِ ٥٤٥ (ربيعِ ١١٥١ م). أخذَ القراءاتِ السبعَ عن أبي بكرِ بنِ صافٍ، وأخذ النحوَ عن أبي إسحاق ابن ملكونٍ وأبي الوليد جابرِ بنِ محمدِ بنِ نامٍ. وقد تصدّرَ باكراً للتدريس وبَقِيَ أستاذَ

أشياء من الجدّ (بالكسر) كأنواع العلوم والأخبار التاريخية مع نفر من الناس. المطايبة: الخوض مع نفر من الناس في شيء من المزح والقصص الخفيف (ممّا تسرّ به النفس من غير فائدة عملية).

(١) مداد: حبر (سائل أسود يستخدم في الكتابة). لو كان عندي حبر بمقدار ما في البحر من الماء ثمّ كتبت في أحوال بغداد لفرغ(بفتح ففتح فكسر) البحر من مائه قبل أن أفرغ (بضمّ الراء) أنا من تدوين وصف بغداد على الورق. راجع القرآن الكريم (١٨ : ١٠٩، سورة الكهف): «قل: لو كان البحر مداداً (بالكسر) لكلمات (بفتح الكاف وكسر اللام) ربّي، لنفد (بفتح ففتح فكسر) البحر قبل أن تنفد (بفتح الفاء) كلمات ربّي.....». فرغ (بكسر الراء) يفرغ (بفتح الراء): خلا، أصبح (الإناء) فارغا، خاليا. ثم فرع (بفتح الراء) يفرغ (بضم الراء): انتهى (الرجل من عمله).

(٢) بلاد العجم (الذين لا يتكلّمون اللغة العربية): البلاد الواقعة وراء العراق شرقاً. ولا قاصداً أمدا (غاية): لم أقصد أن أسير في بلاد العجم مسافة معيّنة.

(٣) بخارى: عاصمة بلاد ما وراء النهر (جيحون) في أواسط قارّة آسية. ألقيت عصا التسيار (المسير): استقررت، سكنت.

(٤) في بغية الوعاة (ص ٥٠): ولد في منتصف صفر سنة ٥٤٥ ومات بإشبيلية في منتصف صفر سنة ٦١٨.

إشبيليةَ أكثرَ من خمسينَ سَنَةً. وكانتْ وفاتُه في مُنْتَصَفِ صَفَرَ من سَنَةِ ٦١٨ (٨/ ٤/ ١٢٢١ م).

٢ - كان ابنُ طلحةَ الإشبيليُّ يُقرىء اللغةَ والنحوَ والأدب. وكان يقرىء كُتُباً منها (برنامج الرعيني ٧٩): الأشعارُ السِتّة (المعلّقات)- كتاب سِيبَوَيْهِ (ت ١٨٠ هـ)- شعرُ حبيبِ (أبي تمّامٍ، ت ٢٣٢ هـ)- كتاب الحماسة (لأبي تمّام)- إصلاح المنطق (لابن السكّيت، ت ٢٤٤ هـ)- الأمثال (كتاب الأمثال لابن السكّيت؟)- الكامل (للمبرِّد، ت ٢٧٦ هـ)- فصيحُ ثعلبٍ (ت ٢٨٦ هـ)- الجُمل (للزجّاجي، ت ٣٤٠ هـ)- الإيضاح (في علل النحو للزجّاجي؟)- أدب الكُتّاب (للصولي، ت ٣٣٥ هـ)- النوادر لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ)- المقامات (؟ للحريريّ، ت ٥١٦ هـ)، وكان يُقرىء «على طريقةِ التَفَقُّه والتعلّم» (برنامج الرعيني ٧٩). ولابنِ طلحةَ شِعْرٌ رقيقٌ خارجٌ عن شعرِ النُّحاة (نفح الطيب ٣: ٤٧٦).

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ طلحةَ الإشبيليُّ في غُلامٍ كان له شَعْرٌ وافرٌ ثمّ قَصّ شيئاً منه:

بدا الهِلالُ، فلمّا بدا نَقَصْتُ وتَمّا[1].
كأن جِسْمِيَ «فِعْلٌ» وسِحْرُ عَيْنَيْهِ «لَمّا»[2].

- وله في الوصف:

إلى أيِّ يومٍ بعدَه يُرْفَعُ الخَمْرُ؟ وللوُرْقِ تغريدٌ وقد خَفَقَ النَهْرُ[3].

---

(١) يشبّه وجه الغلام بالهلال (حينما كان شعره وافراً ولا يرى إلّا جانب صغير من وجهه). فلمّا قصّ الغلام شيئاً من شعره بدا جانب أكبر من وجهه (فكأنّه أصبح بدراً). نقصت (نقصت قوّتي بتقدّم السن عن التمتّع بثمرات الجمال).

(٢) فعل: فعل مضارع معتلّ، و«لمّا» (من أحرف الجزم) ينقص بها الفعل المعتلّ (يقول، ينمو: لم يقل، لم ينم!).

(٣) - إلى متى يؤجّل شرب الخمر؟ الورقاء: الحمامة. خفق النهر: زاد ماؤه (يكون ذلك في الربيع).

وقد صَقَلَتْ كَفُّ الغزالةِ أُفْقَها ، وفوقَ مُتونِ الروض أرديةٌ خُضْر[1].
وكَمْ قدْ بَكَتْ عينُ السماء بدَمْعِها عليها! ولولا ذاك ما ابْتَسم الزَهْر.

٤ - ★★ برنامج الرعيني ٧٩ - ٨٠ ؛ المغرب ١ : ٢٥٣ ؛ بغية الوعاة ٤٩ - ٥٠ ؛ نفح الطيب ٣ : ٤٧٦ - ٤٧٧ .

الشريشيّ

١ - هو كمالُ الدين أبو العبّاس أحمدُ بنُ عبدِ المؤمنِ بنِ موسى بنِ عيسى بنِ عبدِ المؤمنِ القيسيُّ الشَريشيُّ، وُلِدَ في شَريشَ سَنَةَ ٥٥٧ (١١٦٢ م).

تطوّفَ أبو العباسِ الشريشيُّ بالأندلسِ وتلقّى العلمَ على نَفَرٍ، منهم: القاضي أبو الحسنِ عليُّ بنُ لَبّالٍ الشريشيُّ (ت ٥٨٣ هـ) والفقيهُ محمدُ بنُ سعيدِ بنِ زرقونٍ الشريشيُّ (٥٠٢ - ٥٨٦ هـ) وأبو بكرِ بنُ زُهْرٍ (ت ٥٩٦ هـ) والقاضي مُصْعَبُ بنُ أبي رَكْبٍ الخُشَني الجَيّانيُّ (ت ٦٠٤ هـ) وعليُّ بنُ محمدِ بنِ خَروفٍ النحويُّ (٥٢٤ - ٦٠٤ هـ) وغيرُهم. ورَحَلَ الشريشيُّ فزارَ مِصْرَ والشامَ.

وتصدّرَ الشريشيُّ للتدريسِ في شريشَ وبَلَنْسِيَةَ لإقراءِ اللُغة والنحوِ والعَروض والأدب، كما كان الأدباءُ يقرأون عليه « شَرْحَه » لمقاماتِ الحريريِّ. وقد كانتْ وفاتُه في شَريشَ في ذي الحِجّة من سَنَةِ ٦١٩ (أوائل ١٢٢٣ م).

٢ - كان أبو العبّاسِ الشريشيُّ واسعَ المعرفةِ بعلومِ اللغة عارفاً باللغات (لهجات العرب) وبفنون النحو والشعر والأدب. وكان مُصَنِّفاً بارعاً له: مُختصر نوادرِ القالي (ت ٣٥٦ هـ)- شرح الجُمَل للزجّاجي (ت ٣٣٩ هـ)- شرح الإيضاح لأبي عليّ الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)- شرح عَروض الشعر- عِلَل القوافي- وغيرها. غير أنّ شُهرتَه تقومُ على شرح « المقامات » للحريري (٥١٦ هـ) صنع منه ثلاثَ نُسَخٍ : شرحاً كبيراً وشرحاً وسيطاً وشرحاً صغيراً . وذاع شرح الشريشيّ للمقاماتِ في أيامهِ ذُيوعاً

(١) صقلت كفّ الغزالة (الشمس) أفقها (أزالت منه الغيوم). يرفع (اقرأ: ترفع) فالخمر مؤنثة.

عظيماً، قيل إنّه أجاز سَبْعمِائَةِ نُسخةٍ منه، وقد أقبلَ عليه النصارى واليهودُ ونقلوه إلى عددٍ من لهجاتهم. ذلك لأنّ مقاماتِ الحريريّ نفسَها كانت قد وصلتْ إلى الأندلس ولَقِيَتْ رَواجاً كبيراً ونَسَجَ على مِنوالِها نفرٌ كثيرون. والشريشيُّ قد جَمَعَ شرحَه للمقامات من عددٍ من الشروح عليها وأضافَ إليها أشياءَ كثيرةً من معرفته الواسعة بفنون العلم.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال الشريشيُّ في مُقدّمة «شرح المقامات الحريرية»[★]:

الحمدُ للهِ الذي ٱختصّ هذه الأُمّةَ بأفصحِ الألسنةِ وأفسح الأذهان وشرّف عُلماءها بالافتنانِ في أفانين[١] البلاغةِ والبَيان....

أما بعدُ: فإنّ العلمَ أَربحُ المكاسبِ وأرجحُ المناصبِ وأرفعُ المراتبِ وأنْصعُ المناقب[٢]، وحِرفةُ أهلِ الهِمَمِ من الأُمَم، ونِحْلةُ أهلِ الشرفِ من السلف[٣]، لم يَتَقَلَّدْ سِلْكَهُ إلّا جِيدُ ماجدٍ[٤]، ولم يَتَوَشَّحْ بُرْدَهُ إلّا عِطْفُ جادٍّ في طلبِ الكمالِ جاهدٍ[٥]، ولم يَسْتَحِقَّ ٱسْمَهُ إلّا الواحدُ الفذُّ[٦] بعدَ الواحد. وهُوَ وإنْ تَشَعَّبَتْ أفانينُه وتَنَوَّعَتْ دواوينُه[٧] فَعِلْمُ الأدبِ عَلَمُهُ والأُسُّ الذي يُبنى عليه كَلِمُه، والرُوحُ الذي يَخِبُّ في

(★) راجع ٣: ٢٣٨.

(١) افتنّ افتناناً: تفنّن (أكثر أوجه الصناعة، نوّع البحث). أفانين جمع أفنان (جمع فنن - بفتح ففتح: غصن): أنواع.

(٢) الراجح: الثقيل، الرزين، الوقور، الكامل العقل. الناصع: الصافي، الواضح. المنقبة: الفعل الكريم، المفخرة.

(٣) النحلة: العمل الذي يكسب الإنسان به معاشه.

(٤) تقلّد الشيء: علّقه في عنقه. السلك: الخيط الذي تنظم فيه حبّات العقد. الجيد: العنق. الماجد: الذي له مجد (نبل وشرف).

(٥) توشّح بالشيء: لفّه على أعلى جسده. البُرد: الثوب من حرير. العطف (بكسر العين): الجانب الأعلى من الجسم. الجاهد: الذي يبذل أقصى ما في وسعه.

(٦) الفذّ: الفرد، المتفرّد (الذي لا يدانيه أحد في صفاته الحميدة).

(٧) الأفنون (بضمّ الهمزة): الغصن. الديوان: المجموع من فنّ من النشاط الإنساني (الميدان).

ميدان الطِرْسِ قَلَمُه[١] . ولذلك كان أوْلَى ما تَقْترحُه القرائحُ وأعلى ما تجنَحُ إليه الجوانحُ[٢]..... ولم يَزَلْ في كلّ عَصرٍ من حمَلَتِه بدرٌ طالعٌ، وزَهْرُ غُصْنٍ يانعٌ، وعَلَمٌ ترنو إليه أبصارٌ وتُوميءُ إليه أصابعُ[٣]؛ وصِناعةُ البراعةِ بَيْنَهم تَتمكَّنُ وتَتأصّلُ وتنويعُ البديعِ يَنْضَبطُ ويتحصّل، والآخرُ[٤] يَكِدُّ ذِهْنَهُ في تَتْمِيم ما غادَرَهُ الأوّلُ، إلى أنِ آعتدلَتْ كِفّتاه وامْتلأتْ ضِفّتاه وراق مُجْتَلاه ومُجْتَناه وتَناهى[٥] في الحُسْن والإحسانِ لَفْظه ومعناه. وكان آخِرَ البُلغاءِ وخاتمةَ الأدباء أوّلُهُمْ بالاستحقاقِ وأوْلاهُمْ بِسِمَةِ السِباق[٦] ..... أبو مُحمّدٍ القاسمُ بنُ عليٍّ الحريريُّ.... فَبَسَطَ لِسانَ الإحسان ومدّ أفنان الافْتِنان[٧] ، ومَهّدَ جادّةَ الإجادةِ وقوّى مادّةَ الإفادة، ولم يُبْقِ في البلاغة مُتَعَقَّباً ولا للزيادةِ مُتَرَقَّباً[٨] ، لا سِيّما في المقاماتِ التي ابْتَدَعَها والحِكاياتِ التي نَوَّعَها وفرّعها[٩] والمُلَحِ التي وَشَّحَها بِدُرَرِ الفِقَرِ ورَصّعَها[١٠] ، فإنّه بَرَزَ فيها سابقاً وبَزّ البُلغاءَ فائقاً[١١] ..... ولمّا كانتْ من البراعةِ بهذا المَحَلِّ الشهيرِ وسارَتْ مَسيرَ النَيِّرَيْنِ بينَ مَشاهيرِ الجَماهير[١٢]، جعلتُ الاعتناءَ بها سَهْمَ فَهْمي، والعُكوفَ عليها حَزْمَ عَزْمي[١٣] والدُؤُوبَ في ضَبْطِ لُغاتِها وفَكِّ مُخَبَّآتِها أُمَّ هَمّي[١٤]..... فكان أوّلَ

(١) خبّ الفرس: عدا، ركض (أسرع). الطرس: الورقة.

(٢) جنح: مال. الجانحة: الضلع (القلب).

(٣) اليانع: الناضج؛ ذو اللون الزاهي الجميل. رنا: تطلّع. أومأ: أشار.

(٤) الآخر (الذي يأتي فيما بعد).

(٥) الكفّة (بكسر الكاف): وعاء في كلّ جانب من جانبي الميزان. الضفّة (بكسر الضاد): جانب النهر. راق: حسن. المجتلى: المنظر. المجتنى: القطاف، الثمر. تناهى: بلغ النهاية.

(٦) السمة: العلامة.

(٧) الفنن: الغصن. الافتنان: التفنّن، المجيء بالشيء على أشكال مختلفة.

(٨) تعقّب الرجل الشيء: تتبّعه ليبصر ما فيه من نقص. ترقّب: انتظر.

(٩) – الحريري لم يبتدع (يخترع) فنّ المقامات، وإنْ كان قد توسّع في موضوعاتها.

(١٠) الملحة: الكلمة (أو اللفتة) البارعة الحلوة. الدرّة: الجوهرة، اللؤلؤة. الفقرة (بكسر الفاء): العظمة في العمود الفقري (بكسر ففتح)، الجملة أو جزء منها. رصّع: زيّن.

(١١) برّ: غلب. الفائق: المتفوّق، الذي يزيد في الإحسان على الآخرين.

(١٢) النيّران: الشمس والقمر. مشاهير الجماهير: المشاهير عند الجماهير (؟).

(١٣) سهم فهمي (أوجّه إليها كلّ تفكيري). العكوف على الشيء: الإقبال عليه والنظر فيه. حزم عزمي (تأكيد قوّتي = الإصرار بجميع مقدرتي).

(١٤) الدؤوب: المثابرة. اللغات: الكلمات المختلفة التي تتقارب في المعاني. أمّ همّي: أصل اهتمامي ورغبتي.

مَنْ أخذتُ عنه روايتَها وتَلَقَّيْتُ منه درايَتَها بِبَلدي الفقيهُ المُقْري أبو بكرِ بنُ أزهرَ الحِجْريُّ(١) .... ثم لم أدَعْ كِتاباً أُلِّفَ في شَرْحِ ألفاظِها وإيضاحِ أغراضِها... إلّا أوْعَيْتُهُ نظراً وتَحَقَّقْتُه مُعْتَبِراً ومُخْتَبِراً(٢) .... ولم أترُكْ في كتابٍ منها فائدةً إلّا استخرجتُها ولا فريدةً إلّا استدرجتُها ولا غريبةً إلّا استَلْحَقْتها(٣)..... فاجتمع من ذلك حِفْظاً وخَطًّا أعلاقٌ جمّةٌ(٤) وفوائدُ لم تَهْتَمَّ بها قبلي هِمّةٌ. ثمّ لم أقنعْ بتَبْيِين الدواوين ولا اقتصرتُ على توقيفِ التصانيف حتّى لَقِيتُ بها صُدورَ الأمصار(٥) وعُلماءَ هذه الأعْصار، فباحثتُ وناقشتُ وتأوّلتُ وتداولتُ.... وأنا في خِلال ذلك ألْتَمِسُ مَزيداً ولا أسأمُ بحثاً ولا تَقْييداً، إلى أن عَثَرْتُ على شَرْحِ الفَنْجَدِيهيّ للمقاماتِ والفنجديهيُّ هو الشيخ الحافظُ أبو سعدٍ محمّدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ المَسْعوديُّ(٦) من قريةِ فَنْجَديهَ من أعمالِ خُراسانَ. فرأيتُ في شرحِه الغايةَ المطلوبةَ والبُغْية المرغوبة.... فاستأنفتُ النظَرَ ثانياً، وشَمّرتُ عن ساعدِ الجدّ لا متكاسلًا ولا مُتوانياً(٧)، وعاينتُ نورَ المَعْنى في نورِ اللفظ فأصبحتُ مُجْتَلِياً جانياً فاستَوْعَبْتُهُ أيضاً أبْلغَ استيعابٍ(٨) وقيّدتُ من فوائِده ما لم أجِدْ قبلَه في كتاب.... فاستَخَرْتُ اللهَ في ضَمّ ما انتشرَ من فوائدِها ونَظْمِ ما انْتَثَرَ من فَرائدها والاعتناءِ بتأليفٍ في المقامات يُغني عن كلِّ شرحٍ تقدَّمَ فيها ولا يُحْوِجُ إلى سواه في لَفْظٍ من ألْفاظِها ولا

---

(١) المقري: الذي يقرىء القرآن. في نفح الطيب (٢ : ١١٥): الشريشي أخذ عن أبي بكر بن أزهر.

(٢) أوعيته (حفظته) نظراً (جعلت فيه كلّ نظري ودرسي). الاعتبار: التأمّل في الشيء.

(٣) الفريدة (في الأصل): اللؤلؤة، فكرة جميلة. استدرجتها: احتلت حتّى جعلتها تأتي إليّ.

(٤) حفظاً (ما كنت قد تلقّيته من أفواه الرجال) وخطًّا (ما هو مدوّن في الكتب). العلق (بكسر العين): الشيء النفيس الثمين.

(٥) صدور (كبار العلماء). الأمصار: جمع مصر (بكسر الميم): المدن الكبيرة في المقاطعات (بغداد قاعدة أو عاصمة. الكوفة مصر، والبصرة مصر، الخ).

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود.... البندهي (أو البنجديهي: نسبة إلى قرية بنج ده) من أهل الفضل والأدب والفقه (٥٢٢ - ٥٨٤ هـ)، شَرَحَ مقامات الحريري (راجع بغية الوعاة ٦٦ - ٦٧).

(٧) التواني: التماهل والتكاسل.

(٨) مجتلياً جانياً (راجع، فوق، ص ٦٢٦ ، الحاشية ٥). استوعب فلان الشيء: أدخله كله في شيء آخر.

مَعنًى من معانيها. فتَمَّ من ذلك مجموعٌ جامعٌ وموضوع بارع واودعتها من اللغات[١] أصَحَّها وأوضَحَها.

وكلُّ ذلك بلُطفِ اللهِ تعالى وبِسَعْدِ من شَرّفْتُ كِتابي بخِدمتهِ وبَنَيْتُ تأليفي على أداءِ شُكرِ نعِمته.... عِمادُ الأنامِ والظلُّ الممدودُ على المُسلمين والإسلام.... سيّدُنا الخليفةُ الإمامُ أميرُ المؤمنين أبو عبدِ اللهِ ابنُ إمامِ الأئمّةِ الراشدين ووَليُّ عهدِه سيدُنا الأميرُ الأجلُّ أبو يعقوبَ[٢].

- مطلَعُ المَقامة الأُولى (الصَنْعانية) للحريريّ:

حَدّثَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال: لمّا ٱقْتَعَدتُ غارِبَ الاغترابِ، وأنْأَتْني المَتْرَبَةُ عن الأترابِ، طَوّحَتْ بي طوائحُ الزمنِ إلى صَنعاءِ اليمن، فدَخَلْتُها خاوِيَ الوِفاضِ باديَ الأنْفاضِ، لا أمْلِكُ بلُغَةً ولا أجِدُ في جِرابي مُضْغَة.

★★★ من شرح الشريشيّ:

إن قيل: لِأيٍّ معنىً ٱخْتارَ الحريريُّ حارثاً وهَمّاماً وأبا زيدٍ دونَ غيرِهم من الأسماء؟ فالجوابُ أنه إنّما قَصَدَ ذلك لأنّهم أصْدَقُ الأسماء، قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم في الحديثِ المرفوع: «تَسَمَّوْا بأسماء الأنبياء. وأَحَبُّ الأسماء إلى الله عبدُ الله وعبدُ الرحمن، وأصْدَقُها الحارثُ وهَمّامٌ، وأقْبَحُها حَرْبٌ ومُرّةُ»[٣]. وصِدْقُهُا أنّه ليس أحدٌ إلّا وهُوَ يَحْرُثُ، أي يُحاولُ الكسبَ أو يَهُمّ بحاجته. وأمّا أبو زيدٍ، فإنْ صَدَقَ أنّه إنسانٌ بعَيْنه[٤]- كما تَقدَّمَ في الصدر[٥]- وَقَعَ الاكتفاءُ به[٦]، وإن لم يَصْدُقْ فَقَدْ حكَى أهلُ اللغة أنّه كُنْيةُ الكِبَرِ.... وقال ابنُ الأعرابيّ: يُقال للشيخ الكبيرِ أبو زيدٍ وأبو سعيدٍ! والسَّروجيُّ في الغالب إنّما يَصِفُهُ بالكِبَرِ والهَرَمِ. وإنّما

---

(١) اللغات: الألفاظ (المختلفة والمستعملة في القبائل المختلفة أو الاماكن المختلفة).

(٢) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ثاني سلاطين الموحّدين (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ).

(٣) أبو مرة كنية ابليس.

(٤) إذا كان الاسم «أبو زيد» يدلّ على رجل معيّن...

(٥) الصدر: التصدير (شبه مقدّمة للكتاب). بدأ الشريشي شرح «الصدر» على الصفحة السادسة.

(٦) - لم نحتج إلى أن نتلمّس مقصد الحريري من اختياره.

عَنى بالحارثِ بنِ هَمّامٍ نفسَه[١] لأنّه مِمّن يَحْرُثُ ويَهُمّ. ولذلك نَسَبَهُ إلى البصْرة وَهِيَ بَلَدُ الحريريّ. وإنّما وَضعَ أبا زيدٍ كُنْيَةً للدهر لأنّ (الحريريَّ) يَصِفُه بأشياءَ لا تَليق إلّا بالدهر.

قوله (اقتعدتُّ) أيْ رَكِبْتُ، وأصله اتّخذْتُ قُعْدة أو قَعوداً وهما اسْمان للبَعير يَقْعُدُ عليه صاحِبُه. و(الغاربُ) مُقَدَّمُ سِنامِ البعير. و(الاغتراب) والغُربة التجوّل في البُلدان والبُعدُ عن الأوطان.... وأرادَ: لمّا اتّخذتُ ظهرَ الغُربة قَعوداً. (أنأتني) أبْعَدَتْني. (المَتْربة) الفقر. (الأتراب) الأصحاب على سِنٍّ واحدةٍ. (طوّحت) رَمَتْ. و(طوائحُ) نوائبُ. وتقول: طوّحتُ بالرجُلِ إذا رَمَيْتَ به إلى الهَلاك. وقياسُ الطوائحِ المطاوحُ...

– قال أبو العبّاسِ الشريشيُّ (وهُوَ فيِمصْرَ) يتشوّقُ إلى الشام:

يا جيرةَ الشامِ، هلْ مِنْ نَحْوِكُمْ خبَرٌ؟ ... فإنّ قَلْبِي بنارِ الشوق يَسْتَعِرُ[٢].
بَعُدتُّ عنكم. فَلا، واللهِ، بَعْدَكُمُ، ... ما لَذّ للعينِ لا نومٌ ولا سَهَرُ.
كأنّني لم أكُنْ بالنَّيْرَبَيْن ضُحًى ... والغيمُ يبكي، ومنه يضحَكُ الزَهَرُ[٣]؛
والوُرْقُ تُنْشِدُ، والأغصانُ راقصةٌ؛ ... والدَوْحُ يطرَبُ بالتصفيق والنَهَرُ[٤].
والسفْحُ، أينَ عَشِيّاتي التي ذَهَبَتْ ... لي فيه؟ فَهْيَ، لَعَمْري، عِنْدِيَ العُمُرُ!

– وكَتَبَ، وهو في الشامِ (في حَلَبَ؟) إلى بدرِ الدينِ بن الدقّاق ناظرِ أوقافِ حلب (وفي البيتينِ جِناسٌ بينَ «كمال الدين» لَقَبِ الشريشي و«البدر عِندَ الكمال» – التَّوْرية في «عند الكمال»):

---

(١) الحارث بن همّام إشارة إلى الحريري نفسه.

(٢) استعر: توقّد (اشتدّ اشتعاله وكثرت حرارته).

(٣) النيرب: قرية قرب دمشق على نصف فرسخ منها بين البساتين، وهي أنزه المواضع في دمشق (تاج العروس– الكويت ٤: ٢٥٩). وترد في الشعر مثنّاة «النيربين». ويقال اليوم: باب النيرب. والنيرب أيضاً قرية قرب حلب أو ناحية بها. ضحى: أول النهار (بعد ارتفاع الشمس قليلًا).

(٤) الورقاء: الحمامة. الدوحة (بالفتح): الشجرة الكبيرة.

مولايَ بدرَ الدينِ، صِلْ مُدْنَفاً صَيّره حُبّكَ مِثلَ الخِلال[١].
لا تَخْشَ من عارٍ إذا زُرْتَني. فما يُعابُ البدرُ عند الكَمال[٢]

٤ - شرح مقامات الحريري (المقامات الحريريّة، المقامات الأدبية، بولاق ١٢٨٤ هـ؛ القاهرة ١٣٠٠؛ القاهرة (المطبعة الخيريّة) ١٣٠٦ هـ؛ مصر ١٣١٢، ١٣١٤ هـ.

★★ فوات الوفيات ١ : ٧٦؛ الوافي بالوفيات ٧ : ١٥٨؛ برنامج الرعيني ٩٠ - ٩١؛ التكملة ١٣٧ - ١٣٨، (رقم ٢٨١)؛ الذيل والتكملة ١ : ٢٦٨ - ٢٧٠؛ بغية الوعاة ١٤٣؛ نفح الطيبْ ٢ : ١١٥ - ١١٦، ٣٩٢، ٣ : ٤٤٦ - ٤٤٧؛ المنهل الصافي ١ : ٣٥٤؛ بروكلمن (في ترجمة الحريري) ١ : ٣٢٧، الملحق ١ : ٤٨٧، ٥٤٤؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ٣٣١؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٥٨ (١٦٤)؛ الداية ٢١٧ - ٢٣٠؛ سركيس ١٢٢١ - ١٢٢٢.

ابن عبْد ربِّه المالَقيّ

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ ربّهِ المالَقيُّ من أهلِ الجزيرةِ الخضراء، له رِحْلةٌ إلى مِصْرَ لَقِيَ فيها ابنَ سَناءِ المُلْك (ت ٦٥٨). وقد كان كاتباً لأبي الربيعِ سُليمانَ بنِ عبدِ المؤمنِ (ت ٦٠٤)، كما كان صديقاً لعبدِ الواحدِ المَرّاكُشيّ[٣].

ويبدو أنّ شُهرتَه بالشِعْر كانتْ سَنَةَ ٥٩١. أمّا وفاتُه فلَعلّها كانت قريباً من[٤] ٦٢٠ (١٢٢٣ م).

٢ - كان ابنُ عبدِ ربّهِ المالَقيُّ أديباً ناثراً مُترسّلًا وشاعراً مُحْسِناً مُجيداً له مَدْحٌ

---

(١) المدنف: الشديد المرض والذي قرب من الموت. الخلال (بالكسر) وجمعها أخلّة (بفتح الهمزة وكسر الخاء وتشديد اللام): عود رفيع يتخلّل به الناس (يخرجون به بقايا الطعام من بين أسنانهم).

(٢) البدر (قمر السماء - بدر الدين الدقّاق). الكمال (كمال القمر: امتلاؤه - وكمال الدين الشريشي).

(٣) قال عبد الواحد المراكشيّ: «فقال في ذلك صديق لي من الكتّاب اسمه محمّد بن عبد ربّه (المعجب ٢٩٧، السطر ٨، راجع أيضاً ٢٩٨ - ٣٠٠).

(٤) قال سعيد العريان (١٣٢٣ - ١٣٨٤ هـ): عبد الواحد المَرّاكشيّ ألّف كتاب «المعجب» في نحو الأربعين من عمره.... وكان مولده سنة ٥٨١ (فكان تأليف المعجب اذن نحو سنة ٦٢١). وعبد الواحد المرّاكشيّ نفسه يقول (المعجب ٢٩٨): «وأنشدنّه - رحمه الله - يوماً.....»

ورِثاء، ووَصْفه بارعٌ جِدًّا، وله مقامَةٌ. وكان مُشاركاً في أشياءَ من علومِ التعاليم (الرياضيّات) والمَنْطِق والفلسفة. ثمّ إنّه كان مُصنِّفاً جَمَعَ ديوانَ أبي الربيعِ سُليمانَ بنِ عبدِ المؤمن، وله رِسالةٌ في صِقِلِّيَةَ ذكرَ فيها ما جَرى عليه في مِصْرَ وحَذّرَ من الأسفارِ لِما كان قد قاسى في أثْنائها. ويبدو أنّه لم يُرْوَ له شِعرٌ كثيرٌ. قال عبدُ الواحدِ المَرّاكشيُّ (المعجب ص ٢٩٩ - ٣٠٠): «ولأبي عبدِ اللهِ هذا اتّساعٌ في صِناعةِ الشعر. إلّا أنّه نَحَلَ كثيراً من شِعرِه السيّدَ الأجلَّ أبا الربيعِ سُليمانَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المؤمن، أيامَ كِتابتهِ له. ولم يَدَعْ بعدَ ذلك في شيءٍ مّما نَحَلَهُ إياه من شِعرِه، ولا ذَكَرَ أنّه له. فكان أكثرُ شِعرِهِ يُنْشَدُ لأبي الربيعِ وتَرْويهِ الرُواةُ له (لأبي الربيع). عَرَفْتُ ذلك بعدَ مُفارقتهِ إياه[١]، لأنّي فَقَدتُّ شِعرَ السيّدِ أبي الربيعِ واختلفَ عليّ كلامُه. ورأيتُ بخَطِّهِ أشعاراً نازلةً عن رُتْبةِ الشِعرِ جِدًّا. فعَلِمْتُ أنّ ذلك الأوّلَ ليس من نَسْجِه».

٣ - مختارات من شعره:

- لابنِ عبدِ ربّهِ المالَقيِّ مُقطّعاتٌ منها:

★★ وفي جَنَباتِ الرَوْضِ نهرٌ ودَوْحَةٌ ... يَروقُك منها سُنْدُسٌ ونُضارُ[٢].
تقول - وضوءُ البدرِ فيه مُغَرِّبٌ -: ... ذِراعُ فَتاةٍ دارَ فيه سِوارُ!

★★ ما كُلُّ إنسانٍ أخٌ مُنْصِفٌ ... ولا الليالي أبداً تُسْعِفُ.
فلا تُضِعْ إنْ أمْكَنَتْ فرصةٌ ... واصحبْ منَ الإخوانِ من يُنْصِفُ[٣].
وانْتِفْ من الدهرِ ولو ريشةً؛ ... فإنّما حَظُّك ما تَنْتِفُ.

★★ بينَ الرياضِ وبينَ الجوِّ مُعْتَرَكٌ: ... بيضٌ من البرقِ أو سُمْرٌ من السُمُرِ[٤].

---

(١) كذا في الأصل، والملموح: مفارقته ابن عبد ربّه لأبي الربيع سليمان. ولعلّ الأصوب «مفارقتي إياه» (مفارقة المراكشي لابن عبد ربّه).

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة. يروقك: يعجبك. سندس: أخضر (ورق). نضار: ذهب (زهر، ثمر). والملموح أن ضوء البدر جعل منها جانباً أحمر (فكيف يمكن، إذن أن يرى اللون الأخضر ليلاً؟).

(٣) يمكن أن نقرأ: فلا تضع - أن أمكنت، فرصة (بالنصب على أنّها مفعول به من «تضع»).

(٤) راجع الأبيات كلّها في ترجمة أبي الربيع سليمان الموحّدي (ت ٦٠٤). هذه الأبيات موجودة في ديوان =

★★ لمّا رأتْهُ الشمسُ يفعَلُ فِعْلَها في العالَـــينَ مُقاسِماً ومُساهِما[1]،
خافتْ تَوالِي الجودِ يُنْفِدُ مالَه نَثَرَتْ عليــــه دَنانِراً ودراهِما[2].

٤ - ★★ تحفة القادم ٩٤ (رقم ٦٠)؛ المعجب ٢٩٧ - ٣٠٠؛ الوافي بالوفيات ٣: ٢٠٣ - ٢٠٥؛ المغرب ١: ٤٢٧؛ نفح الطيب ٢: ٩٧ - ٩٩، ١١٨ - ١١٩، ٦: ٢٥١ - ٢٥٦.

أبو عبد الله محمّد بن أصبغ (ابن المُناصف)

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عيسى بنِ محمّدِ بنِ أصبغَ الأزديُّ القُرطُبيّ المعروفُ بابن المناصف. كان أهلُه من ساكني الأندلس، ولكنّ والدَه عيسى غادرَ الأندلسَ في أثناء الفِتنة التي تَلَتِ انقضاءَ عهدِ المرابطين (٥٤٣ هـ). ولعلّ هذه الفِتنةَ قد دامتْ إلى سَنَةَ ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) حينَما ٱستطاعَ السُّلطانُ عبدُ المؤمن بنُ عليٍّ مِنَ ٱستخلاصِ غَرْناطةَ.

وٱنتقلَ عيسى إلى إفريقِيَةَ (القُطر التونسيّ) وسكنَ مدينةَ المَهْديّةَ، وفيها وُلِدَ ٱبْنُهُ محمّدٌ (صاحبُ هذه الترجمةِ)، في رَجَبَ (في سَنَةَ ٥٦٣ هـ) ونشأ.

ووَلِيَ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عيسى في الأندلس قضاءَ مدينةِ بَلَنْسِيَةَ ثمّ قضاءَ مدينةِ مُرسية. بعدَئذٍ صُرِفَ عن القضاء فسكَنَ حيناً في قرطبةَ. ثمّ بدا له أن يرحَلَ عنِ الأندلسِ فٱنتقلَ إلى مِصْرَ وسكنَها مُدّةً يسيرةً عاد بعدَها (في الأغلب) إلى قُرطبة. وأخيراً ٱنتقلَ إلى المَغْرب ونزَلَ في مدينةِ مَرّاكُشَ إلى أنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م).

= أبي الربيع (راجع نفح الطيب ٢: ٩٨، الحاشية ٣ - في الوقت الحاضر ٤/ ٥/ ١٩٧٦ لم أستطع الحصول على الديوان للأحوال الحاضرة). ولكنّها في نفح الطيب والمعجب تروى لابن عبد ربه المالقي.

(١) يعمّ الناس كلّهم بجوده كما تعمّ الشمس جميع الأرض بنورها.

(٢) دنانر (جمع دينار على مفاعل. والمشهور جمعه على مفاعيل: دنانير). نثرت (الشمس) عليه دنانر ودراهم: وقع عليه نورها أبيض وأصفر (كالدراهم والدنانير).

٢ - كان أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أصبغَ فقيهاً متينَ العِلم فيما يتعلّقُ بالأُصول والفُروع، كما كان لغوياً وأديباً وشاعراً. ولكنْ يبدو - من الأبيات القليلة التي وصلتْ إلينا من شِعرِه - أن شعرَه عاديٌّ. ثمّ إنّه كان مُصنِّفاً له: السيرة النبوية - تنبيه الحُكّام في الأحكام (تنبيه الحكّام في سيرة القُضاة وقَبول الشهادات وتنفيذ الأحكام والحِسبة ؟) - مُذْهَبَة في نظم الصفات من الحُلى والشِيات (أُرجوزة، نحوَ ألفِ بيتٍ، في اللغة) - مُعَقِّبة (تعقيب أو مُلحق للمُذهبة) - أصول الدين.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو عبدِ اللهِ بنُ المُناصف (نفح الطيب ٤ : ٣٠٥):

ألْزمـــتُ نَفْسِي خُمولاً عن رُتبـــةِ الأَعْـــلامِ[١]؛
لا يُخْسَفُ البـــدرُ إلّا ظُهورَه في تَمامِ[٢].

- وقال (المغرب ١ : ١٠٦):

تَغِيـــب عنّي وقلـــبي لَدَيْـــكَ رَهْنٌ مُعـــذَّبْ[٣]؛
فَرُدَّهُ لي وبِنْ حَيْـــثَ مـــا تشا وتَغَيَّـــبْ[٤].
اللهُ يـعـلَـمُ أنـــي طُولَ الدُّجـــى أتقَلّـــبْ[٥].
فَجُـــدْ عَلَيَّ بطَيْـــفٍ، إنْ كُنـتَ في الوصـلِ ترغَـبْ.
إنْ لم تَلُـــحْ ليَ بـــدراً، فَلُـــحْ - فَدَيْتُـكَ - كوكـبْ[٦].

---

(١) الأعلام جمع علم (بفتح ففتح): الرجل البارز في قومه المشهور.

(٢) خسوف القمر لا يكون إلّا إذا صار القمر بدراً (عند تمامه).

(٣) رهن: مرهون (محبوس).

(٤) بن (فعل أمر من «بان»: ابتعد).

(٥) طول الدجى = طول الليل.

(٦) تلوح: تظهر (تأتي لزيارتي). تلوح بدراً (كناية عن امتلاء القمر وتمامه): كثيراً. لح لي كوكباً (قليلا). - كان القدماء يعتقدون أن القمر أكبر من النجوم (ولم يعرفوا أن النجوم تظهر صغيرة لبعدها - ثمّ عرفوا هذه الحقيقة. ولكنّ الأدباء ظلوا يأخذون بالنظرية القديمة لموافقتها للخيال والشعر).

٤ - ** التكملة ٣٢٥ - ٣٢٦؛ المغرب ١: ١٠٥ - ١٠٦؛ الوافي بالوفيات نيل الابتهاج ٢٢٨ - ٢٢٩؛ نفح الطيب ٤: ٣٠٥؛ بروكلمن ١: ٤٨٠ - ٤٨١؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١٤ - ٢١٥ (٦: ٣٢٢ - ٣٢٣)؛ معجم المؤلّفين ١١: ١٠٧ - ١٠٨.

ابن سالم المالقيّ

١ - هو أبو عمروٍ سالمُ بنُ صالحِ بنِ عليٍّ بنِ صالحِ بنِ سالمٍ الهَمْدانيُّ المالَقِيُّ، وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٥٥٧ للهجرة (١١٧٠ م) وتلقّى العلمَ على أبيه وعلى جماعةٍ كبيرة. ويبدو أنّه لم يَرْحَلْ ولكنّه راسلَ نفراً من عُلماءِ المشرق في مِصْرَ والحِجاز فكتبوا إليه بإجازتِهِمْ له. وكانتْ وفاتُه في ثامِنَ عَشَرَ رَمَضانَ من سَنَة ٦٢٠ (١٤/ ٩/ ١٢٢٣ م).

٢ - كان ٱبنُ سالمٍ المالَقِيُّ طيّبَ النفس سليمَ الصدرِ جميلَ الصُحْبَة متواضعاً مائلًا إلى الزُّهد. وكان متّسعَ الرواية (في الحديث) مُعْتَنِياً بالتقييد (بتدوين الروايات) جيّدَ الضبطِ لِمَا يُدَوِّنُ. ثمّ كانَ أديباً حافلًا حاشداً (يكثُرُ الناسُ في مجالسه) حَسَنَ الحديثِ كثيرَ الإمتاع ناظماً ناثراً يُنْسَبُ إليه شعرٌ قليلٌ جيّد.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ٱبْنُ سالمٍ المالَقِيُّ (راجع الذيل والتكملة ٤: ٥)(١):

عزَّ مَنْ لا يموتُ، يا مَنْ يموتُ، وتَعالى فلم تَنَلْهُ النُّعوتُ(٢).
إنّ دنياكَ هذه غرّةٌ، ما لِثَباتِ الأنامِ فيها ثبوتُ(٣).

(١) قال مؤلف «الذيل والتكملة» محمّد بن محمّد بن عبد الملك المراكشي (٦٣٤ - ٧٠٣ هـ): «ومن شعره (شعر ابن سالم المالقي) ما أنشدته على شيخنا أبي الحسن الرعيني (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ)». ويقول الرعيني نفسه في برنامج شيوخه (ص ١٠٧): «وجدت منسوباً لشيخنا أبي عمرو (ابن سالم المالقيّ) المذكور (يقصد الأبيات: عز من لا يموت)، ولا أحقّقها له».

(٢) من لا يموت: الله تعالى. من يموت = الإنسان. النعت: الوصف (إنّ الله لا يمكن أن يوصف بصفة يعرفها البشر). تعالى: ارتفع عن مشابهة المخلوقين وتنزّه عن صفاتهم (عن أن يشبه أحداً من خلقه أو يشبهه أحد من خلقه).

(٣) غرّة - يقصد: غرور (بفتح وضمّ بلا شدّة - أو غرّارة (بالتشديد): خدّاعة (تخدع الإنسان الغافل =

فَاتْرُكَنْهـــــا فإنّهــــا أمُّ دَفْرٍ لِبَنِيهــــــا غرّارةٌ خَلَبوتُ[1].

٤ - ★★ برنامج الرعيني ١٠٥ - ١٠٧؛ الذيل والتكملة ٤ : ٢ - ٦.

أبو الحسن بن حريق

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ سَلَمَةَ بنِ حريقٍ المخزوميُّ البَلَنْسِيُّ، وُلِدَ في بَلَنْسِيَةَ سَنَةَ ٥٥١ هـ (١١٥٣ م).

تَكَسَّبَ أبو الحسنِ بنُ حريقٍ بالشِعْر، رأيناه بُعيدَ ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) في جيّانَ يمدَحُ إبراهيمَ بنَ محمّدِ بنِ صنانيدَ - وكان أبوه والياً على جيّان. ثمّ ذهب إلى سَبْتَةَ في أيامِ المُسْتَنْصِرِ المُوحِّدِي (٦١١ - ٦٢٠ هـ) لِيمدَحَ والِيَها ابنَ عبدِ الصمد.

وكانتْ وفاةُ أبي الحسنِ بنِ حريقٍ في بَلَنْسِيَةَ سَنَةَ ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م).

٢ - كان أبو الحسنِ بنُ حريقٍ مُتَبَحِّراً في اللغة والأدب، حافظاً لأشعارِ العرب وأيّامِهم. وكان شاعراً ذا بَدِيهة، متصرّفاً في المدح والوصفِ والنسيب، وله هجاءٌ لطيفٌ ومُوَشّحاتٌ. وقد ألّفَ عدداً من كُتُبِ الأدب.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحسنِ بنُ حريقٍ يُفَضِّلُ سُكنى بلنسيةَ مع ما كان يَنْزِلُ فيها من مصائبِ الجوعِ والخوفِ على أيْدي الإسبان في أواخرِ أيّامِها:

بَلَنْسِيَــــةٌ قَرارةُ كـــلِّ حُسْنٍ حديــثٌ صحّ في شَرْقٍ وغَرْبِ.

= القليل التجربة). ثبوت: دوام (لثبات الأنام فيها ثبوت - لا وجه لاستعمال ثبات وثبوت في تركيب واحد). ولكن إذا نحن أخذنا صيغة «ثبيت» (العاقل) من المصدر «ثبات»، وضح المعنى قليلاً: «ثبات الأنام (الناس)، أي صحّة عقولهم (ممّا يدلّ عليه سلوكهم في الدنيا) لا ثبوت له (لا يقوم عليه عندنا دليل».

(١) أمّ دفر: الداهية، المصيبة الكبيرة - وبها سمّيت الدنيا: أمّ دفر (لكثرة المصائب فيها)، راجع تاج العروس - الكويت ١١ : ٣٠٤. وفيه أيضاً (٢ : ٣٧٨) رجل خلبوت: خدّاع، كذّاب.

فإنْ قالوا: مَحَلُّ غلاءِ سِعْرٍ ومسقَطُ دِيمَتَيْ طَعْنٍ وضرب؛
فقُلْ: هِيَ جَنّةٌ حُفّتْ رُباها بمكروهَيْنِ من جوعٍ وحرب.

- قال في الوقوفِ على أطْلال الأحِبَّةِ:

يا صاحِبَيَّ - وما البخيلُ بِصاحبي - هذي الديارُ، فأينَ تلك الأدْمُعُ[1]؟
أتَمُرُّ بالعَرَصاتِ لا تبكي بها، وَهْيَ المَعاهِدُ مِنْهُمُ والأرْبُع[2].
هَيْهاتِ! لا ريحُ اللّواعج بَعْدَهُمْ رَهْوٌ، ولا طَيْر الصَّبابَةِ وُقَّع[3].
يا سَعْدُ، ما هذا المُقامُ وقدْ مضَوْا؟ أتُقيمُ من بَعْدِ القُلوبِ الأضْلُع[4]!
جاروا على قلبي بسِحْرِ جُفونِهِمْ؛ لا زالَ يَشْعَبُه الأسى ويُصَدِّع[5].
وأبى الهَوى إلّا الحلولَ بِلَعْلَعٍ. ويحَ المَطايا، أينَ منها لَعْلَعُ[6]!
لم يَدْرِ أينَ ثَوَوْا فلم يَسألْ بِهِمْ ريحاً تَهُبُّ ولا بُرَيْقاً يَلْمَع[7].
وكأنَّهُمْ في كلّ مَدْرَجِ ناسمٍ؛ فعَلَيْهِ مِنْهُمْ رِقّةٌ تَتَضَوَّعُ[8]
فإذا مَنَحْتُهُمُ السلامَ تَبادَرَتْ تَبْليغَه عَنّي الرِياحُ الأرْبَعُ!

- وقال في فَناء اللذّاتِ إلّا قليلاً منها:

وما بَقِيَتْ من اللّذّات إلاّ مُحادَثَةُ الرجالِ على الشَراب،
ولَثْمُكَ وَجْنَتَيْ قَمَرٍ مُنيرٍ يجولُ بِخَدِّهِ ماءُ الشَباب.

---

(١) هذه ديار الأحبة (ومن عادة الزائر أن يبكي إذا لم يجد أحبابه في ديارهم)، فأين الأدمع (أدمعي أنا: لماذا لا أبكي).

(٢) العرصة: الفسحة أمام الدار. المعهد والربع: المكان المعدّ للسكن.

(٣) اللاعج: النار المتوقّدة (نار الحبّ في القلب). رهو: ساكن، هادىء. الصبابة: الحبّ. وُقَّع جمع واقع: موجود على غصن أو في وكره. - سيكون حزني بعد فراقهم شديداً، ولن أتمتّع بحبي.

(٤) يا سعد (الشاعر يخاطب رفيق سفره)، لماذا نظلّ واقفين وأهل الدار قد رحلوا؟

(٥) شعب وصدع: شقّ. الأسى: الحزن.

(٦) الهوى: الحبّ، المحبوب. لعلع اسم مكان (يكني به الشاعر عن البعد).

(٧) ثوى: استقرّ، أقام، سكن.

(٨) مدرج ناسم: المكان الذي تهبّ عليه الريح فتترك عليه علامات من هبوبها. - كأنّهم يسكنون في كلّ مكان، ففي كلّ مكان تجد رائحتهم الطيّبة رقة (كذا في المغرب ٢: ٣١٩).

٤ - ★★ زاد المسافر ٦٤ - ٦٩ (رقم ٧)؛ المغرب ٢: ٣١٨ - ٣٢٠، ٣٣٩ - ٣٤١ (موشّحة)؛ فوات الوفيات ٢: ٨٨ - ٨٩؛ التكملة، ٦٧٩ (رقم ١٨٩٥)؛ الذيل والتكملة رقم ٥٥٣ (١: ٢٧٥ - ٢٧٧)؛ صلة الصلة ١٢٩؛ بغية الوعاة ٣٤٦؛ نفح الطيب ٢: ١١٦، ٣: ٤٠٩ - ٤١١؛ نيكل ٣٣١؛ مختارات نيكل ١٨٩ - ١٩٠؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٥٢ (٤: ٣٣١).

ابن الفكّون

١ - هو أبو عليٍّ حسنُ بنُ عليِّ بنِ عُمَرَ القُسنطيني[١]، ويُعْرَفُ بابنِ الفكّونِ، من أهل قسنطينة. اتّصلَ ابنُ الفكّونِ بوُلاةِ بني عبدِ المؤمن (الموحِّدين) في بِجايةَ ومَدَحَهم. وفي سَنَةِ ٦٠٢ هـ جاء الخليفةُ الموحِّديُّ مُحمّدُ الناصرُ إلى قُسنطينَة فمَدَحَهُ أيضاً. ثمّ كانتْ لابنِ الفكّونِ رِحلةٌ إلى مدينةِ مَرّاكُشَ (لَعلّها متأخّرة). وكانتْ وفاتُه في أوائلِ القرنِ السابعِ للهجرة (أوائل القرن الثالث عشر للميلاد)★.

٢ - ابنُ الفكّون فقيهٌ وأديبٌ وشاعرٌ. كانتْ شُهرتُه في الشِعر، إذ كان شاعراً مُكثِراً بارعاً في التوشيح. «وهو من الأدباء الذينَ تُسْتَطْرَفُ أخبارُهم وتَروقُ أشعارُهم»[٢]، ولكنّ عليه مآخذَ كثيرةً في شعرِه، فإنّ عدداً من أبياتِ شعرِه مختلُّ الوَزْنِ وفي عددٍ منها لَحْنٌ[٣] (أخطاء في النحو). ولمّا رَحلَ ابن الفكّون إلى مَرّاكُشَ نَظَمَ قَصيدةً ذَكَرَ فيها البُلدان التي مرّ بها بين قُسنطينةَ ومَرّاكشَ. والأوصافُ التي جَعَلَها ابنُ الفكّون للمدنِ التي مرّ بها أوصافٌ عامّةٌ، وفي أكثر الأحيانِ غيرُ مناسبةٍ للموضوعِ لأنّ تلكَ الأوصافَ تدورُ على أغراضِ من الغَزَل (وفي هذه القصيدة مآخذُ كثيرة من اللغة والنحو والعَروض).

---

(١) في نفح الطيب (٢: ٤٨٣، السطر الأوّل): القسمطيني (بالميم مكان النون الأولى).

(★) سنة ٦١٩ (؟).

(٢) «عنوان الدراية»: ٢٨٠.

(٣) راجع «عنوان الدراية»: ٢٨٤ - ٢٨٦.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو عليٍّ حسنُ بنُ الفكّون يَصِفُ قَصْرَ الربيع[١]:

عَشَوْنـا إلى نـارِ الربيـعِ ، وإنّما ... عَشَوْنا إلى نارِ النَدى والمُحَلَّق[٢].
رَكِبنـا بواديـهِ جِيـادَ زوارقٍ ... نَزَلْنا إليها عن ضوامِرَ سُبّقِ[٣].
وخُضنـا حَشاه والأصيـلُ كأنّـه ... بصَفْحته تبدي مروق زنبق[٤].
وسيّدُنـا قـد سار فيـه لأنّـه ... بزَوْرقـهِ إنسانُ مُقْلَـةِ أزرق[٥].
فقلت وَطَرْفي يَجْتلي كلَّ عِبْرةٍ ... وزورقُـه يَهوي بنـا ثمّ يرتقي:
أيـا عَجَبـاً للبحرِ عَـبّ عُبابُه ... تَجمّعَ حتّى صارَ في بَطْن زَوْرقِ[٦]
ولّما نَزَلْنـا ساحةَ القصرِ راعَنـا ... بكـلِّ جَمالٍ مُبْهِجِ الطَرْفِ مرتق
فما شِئـتَ من ظلٍّ وريف وجَدْولٍ ... وروضٍ متى تُلْمِمْ به الريحُ يعبَـقِ[٧]
وشادٍ معـاني!! الحُسْنِ في نَغَماتـهِ ... يُطارِحُـه هَـدْرُ الحَمام المُطَوَّق[٨].

---

(١) في عنوان الدراية (ص ٢٨١ ، الحاشية الأولى): الأنسب أن يقال: قصر الرفيع، والرفيع قصر بناه الموحّدون في بجاية، ووصفه الشاعر لّما زار بجاية ومدح واليها من سادات بني عبد المؤمن (الموحّدين).

(٢) عشي الرجل النار يعشوها: رآها من بعيد فقصدها. الندى: الكرم. المحلّق: والمحلّق بن حنتم كان رجلاً مئناثاً (نسله كلّه بنات)، وكان من عوامّ الناس. جاء مرّة إلى الشاعر الأعشى في الجاهلية (ومنحه شيئاً يسيراً) وطلب منه أن ينوّه ببناته. فأنشد الأعشى فيه، في عكاظ أبياتاً منها:

لعمري ،لقـد لاحـت عيون كثـيرة ... إلى ضوء نـار باليفـاع تحرّق ،
تشبّ لمقرورين يصطليانهـا ، ... وبـات عـلى النـار النـدى والمحلّـق.

فتزوّجت بنات المحلّق كلّهن.

(٣) يشبّه الزوارق بالجياد (الخيل). الضامر: الحصان الخفيف البطن (ويكون سريعاً). السُّبَّق جمع سابق.

(٤) إذا سكّنّا الباء في « تبدي » وشدّدنا الواو في « مروّق » يستقيم الوزن، ولكن يظلّ المعنى غامضاً.

(٥) فيه (في البحر أو النهر). إنسان مقلة أزرق (بؤبو العين: أكرم الناس). أزرق (البحر!).

(٦) عبّ عبابه: تعاظم موجه. تجمّع حتّى صار...: اجتمع البحر كلّه (العلم والكرم) في الخليفة محمّد الناصر وهو راكب زورقاً. فالبحر (محمّد الناصر) يركب في زورق يسبح في بحر (مجتمع من الماء).

(٧) وريف (مصدر «ورف »): اتّسع. ويجوز وصف الاسم بالمصدر. تلمم: تمرُّ به مرًّا خفيفاً. يعبق: تنتشر منه رائحة طيّبة.

(٨) في الأصول: وشادي مغاني. هدر الحمام: ردّد صوته، غنّى. المطوّق: الحمام ذوات الطوق (ريش مغاير للّون العام في الحمامة يكون حول عنقها كالطوق أو كالعقد).

فيا حسنَ ذاك القصرِ لا زالَ آهلًا، ويا طيبَ ريّا نَشْرِهِ المُتَنَشّق.
رَتَعْنا به في رَوْضَةِ الأُنس بعدَما هَصَرنا به غُصْنَ المَسرّةِ مورق[١]!
ويُضْحِكُنا طولُ الوِصال، وربّما يَمرُّ على الأوهام ذِكْرُ التَفرّقِ،
فتُضْحي مَصوناتُ الدموع مُذالةً ونحن على طِرْفٍ من الدهرأبلق[٢].
لِمثْلِها من مَنْزَهٍ ونَزاهــــةٍ يُجَرِّر ذَيْلَ الدَّلِّ كلُّ مُوَفّق[٣].
فللّــهِ ساعــاتٌ مَضَيْنَ صوالــحٌ عليهنّ من زقّ الصِبا أيّ رَوْنق[٤].
خَلَعْنا عليها النُسْكَ إلّا اقلَّه، وإن عاوَدَتْ نَخْلَعْ عليها الذي بَقي.

- وله، نثراً، ممّا ألْحَقَهُ بقصيدته القافيّة:

ولمّا نَضَبَ ماءُ الأصيلِ ورقّ نسيمُه العليلُ، وهَمّ العَشِيُّ بانْصِرامٍ وودّعَ النهارُ بسلامٍ، وأرخى الليلُ فَوْقَنا سُدولَه وجَرّرَ على الأُفُق ذُيولَه، عُدْنا إلى زَوْرَقِنا ذلك ومُحَيّا الجَوِّ غيرُ مُحتجبٍ ووجهُ الأُفقِ غير مُتَلَفِّعٍ بثَوْبِ الغَمام ولا مُنْتَقِبٍ.

- من قصيدته في السفر إلى مَرّاكُش:

وجِئْـتُ بِجايـةَ فَجَلَـتْ بُدوراً يَضيـقُ بوصفِها حَرْفُ الرَوِيّ[٥].
وفي أرضِ الجزائرِ هـامَ قلـبي بمَعْسول المراشف كوثريّ.
وفي مِليانــةٍ قــد ذُبْـتُ شَوْقـاً بلِين العِطف والقلبِ القَسِيّ[٦].

(١) هصر الغصن: شدّ به ليقطف ما عليه من الثمر. مورق (حقّها النصب على أنّها « حال »). ولكن يجوز أن تكون: هصرنا بغصن للمسرّة مورق فتستقيم القافية والوزن أيضاً.

(٢) مذالة: مهانة (مرسلة بكثرة). في الأصل « هدالة » (ولا معنى لها، لعلّها خطأ مطبعي). الطرف (بالكسر): الكريم من الناس ومن الخيل (وأكثر ورودها متّصلة بالخيل). الأبلق: ما كان فيه سواد وبياض. « ونحن على طرف من الدهر أبلق » (فيه بياض وسواد: في حياتنا سرور وحزن؟).

(٣) الدلّ: الدلال، أو الإدلال (جرأة المحبوب على المحبّ في المطالب وفي المعاملة)، وحسن الحديث (مع الإعجاب بالنفس ومع الثقة بإعجاب الآخرين).

(٤) الرونق: الحسن، الجمال الذي يعجب العين. أيّ رونق: رونق كثير.

(٥) حرف الرويّ: الحرف الأصيل في القافية (وهي الياء المشدّدة، في هذه المقطوعة). لا يفي الشعر بوصفها.

(٦) العطف: الجانب الأعلى من الجسد. القسيّ: القاسي.

وأبــدتْ لي تِلِمْسانٌ قُــدوداً جَلَبْنَ الشَوْقَ للقلــبِ الخَلِيِّ(١).
وأطلَـعَ قُطْرُ فـاسٍ لي شُموسا مَغارِبُهُنّ في قلــبي الشَجيِّ(٢).
وفي مَرّاكُشٍ، يـا ويحَ قلبي، أتـى الوادي فطَمّ على القَريِّ(٣):
بـدورٌ بـل شُموسٌ بل صباح بَهِيٌّ في بَهِيٍّ في بَهِيِّ(٤).
فها أنا قد تَخِذْتُ الغَرْبَ داراً وأُدْعـــــى اليوم بالمَرّاكُشيِّ.
فلي قلبٌ بأرضِ الشرقِ عانٍ، وجسمٌ حـلّ بالغَرْبِ القصيّ(٥).

٤ - ★★ عنوان الدراية ٢٨٠ - ٢٨٦؛ نفح الطيب ٢: ٤٨٣ - ٤٨٤؛ معجم أعلام الجزائر ٦٦ - ٦٧؛ الطهار ٧٧ - ٨٠؛ الأصالة ٤: ١٩ (ص ١٠٦).

أبو القاسم بن هشام القرطبي

١ - كان لأبي الوليدِ هِشامٍ الأزديّ القُرطبيّ ابنان: عامرٌ (ت ٦٢٣) وكُنْيَتُه أبو القاسم ثمّ أبو بكر (٦٣٥) وكُنيته أبو يحيى. وكانا كِلاهُما شاعرين. ورُبّما اخْتَلَطَتْ حقائقُ حياتِهِما ومُفَرداتُ آثارِهما في عددٍ من المصادر.

وصاحبُ هذه التَرْجَمةِ هو أبو القاسمِ عامرُ بنُ هشامٍ القُرطبيُّ كان مشهوراً بالبَطالة والمُنادمة مُغْرَماً بشُرب الخمر مُستهتراً بأنواع اللهو ثمّ صَلَحَتْ حالُه بعد ذلك وأقبلَ على النُسْك. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٦٢٣ (١٢٢٦ م).

٢ - كان أبو القاسمِ بنُ هِشامٍ القُرطبيُّ أديباً مُحسناً في النثر والشعر، في القصائد والمُقطّعات. وأغراضُ شعرِه الخمر واللهو والمُجون. وكان إذا أراد الجِدّ أتى

(١) الخليّ: الذي لم يعرف الحبّ بعد.
(٢) الشجيّ: الذي اجتمع عليه الهمّ والحزن.
(٣) طمّ الوادي على القريّ، مثل. الوادي: النهر، السيل. القريّ: مسيل ماء - يقصد: مرّاكش تفوق كلّ البلدان في الجمال.
(٤) هذا البيت ضعيف جدًّا.
(٥) عانٍ: أسير. الغرب القصيّ (البعيد بالإضافة إلى القطر الجزائري والقطر التونسي).

بالشعر الجَزْلِ المتين (كما نرى في المقطوعة الضاديّة). ويبرُزُ في شِعره الأدبُ (الحكمة) والعُنْصُر الشخصيُّ (كما نرى في قصيدته النونية الطويلة). وقيل: كانتْ له موشّحاتٌ.

٣ - مختارات من آثاره:

- رقّتْ حالُ أبي القاسمِ بنِ هِشامٍ القُرطبيِّ فنَصَحَه بعضُ إخوانه بأنْ يذهَبَ إلى بَلاط المُوحِّدين في مَرّاكُشَ (للتكسّب) فأبى وقال قصيدةً يذكُرُ فيها ذلك ويتغزّلُ بقُرطبةَ. من هذه القصيدة:

يا هَبّةً باكَرَتْ من نحوِ دارينِ، وَافَتْ إليّ على بُعْدٍ تُحيّيني[١]،
سَرَتْ على صَفَحاتِ النهرِ ناشرةً جَناحَها بين خَيْرِيٍّ ونسرينِ[٢].
ردّتْ إلى جَسَدي روحَ الحياةِ، وما خِلْتُ النَسيمَ إذا ما مِتُّ يُحْيِيني.
أهْدَتْ إليّ أريجاً من شَمائِلِكُمْ فقُلْتُ: قَرَّبَني مَنْ كان يُقْصيني[٤]!
يا مَنْ يُزَيِّنُ لي التَرْحالَ عن بلدي، كم ذا تُحاولُ نَسْلًا عندَ عِنّينِ[٥]!
واينَ يَعْدِلُ عن أرجاءِ قُرطُبةٍ مَنْ شاء يَظْفَرُ بالدُنيا وبالدينِ[٦]:
قُطْرٌ فسيحٌ، ونهرٌ ما بهِ كَدَرٌ حَفّتْ بشَطّيْهِ ألفافُ البساتينِ[٧].
يا ليتَ لي عُمْرَ نوحٍ في إقامَتِها، وأَنّ ماليَ فيها كَنْزُ قارونِ[٨]:
كِلاهُما كُنتُ أُفنيهِ على نَشَوا تِ الراحِ نَهْباًووَصْلِ الخُرَّدِالعِينِ[٩].
وإنّما أسَفي أنّي أهيمُ بها وأنّ حَظّيَ منها حظٌّ مَغْبون.
أرى بِعَيْنَيّ ما لا تَستطيلُ يدي منه، وقد حازَه مَنْ قَدْرُه دوني[١٠].

---

(١) دارين بلد في البحرين وفي الشام مشهور بالطيب (المسك).
(٢) الخيريّ: نبت له زهر طيّب الرائحة. النسرين: ورد أبيض اللون (له رائحة طيّبة).
(٤) الأريج: الرائحة الطيّبة. الشمائل (جمع شمال بالفتح): الصفات. أقصاه: أبعده.
(٥) العنّين: الذي لا يقوى على الجماع.
(٦) يعدل: يميل (يهجر).
(٧) الألفاف جمع لفيف: مجموع من الشجر يقرب بعضها من بعض.
(٨) قارون: رجل كان غنيًّا جدًّا.
(٩) الراح: الخمر. الخريدة (الجميلة) العين (جمع عيناء: واسعة العينين).
(١٠) استطال مستعملة في غير المعنى القاموسي (يقصد: نال، وصل إلى).

وأنكدُ الناسِ عَيْشاً من تكونُ له	نفسُ الملوكِ وحالاتُ المساكين.
لا تُجْتَنى راحةٌ إلّا على تعبٍ،	ولا تُنال العلا إلّا من الهُون.
وصاحبُ العقلِ في الدنيا أخو كَدَرٍ؛	وإنّما الصفْوُ فيها للمجانين.
يا آمِري أنْ أحُثَّ العِيسَ عن وطني	لَمّا رأى الرزقَ فيه ليس يَكْفيني[1]،
نَصَحْتَ؛ لكنّ لي قلباً يُنازعُني.	فلو ترحّلتُ عنه حَلّهُ دوني[2].
لأَلْزَمَنْ وطني - طَوْراً تُطاوِعُني	قُودُ الأماني، وطوراً فيه تَعْصيني[3] -
مُدَلَّلًا بين عِرفاني، وأُضْرِبُ عن	سَيْرٍ لأرضٍ بها من ليس يَدْريني[4]؛
هذا يقولُ: غريبٌ ساقَهُ طَمَعٌ؛	وذاك حينَ أُريهِ البِرّ يَجْفوني[5].
لأَصْبِرَنَّ على ما كانَ من كَدَرٍ	لِمَنْ عَطاياهُ بين الكافِ والنون[6]!

- وله مُقَطَّعاتٌ منها:

★★ ومّما زادَ في شَجْوي وأبكى	صغيرُ السِنّ مُقْتَبِلُ الشبابِ[7]،
تَعوّضَ بالحِجارة عن حُجورٍ،	وصار عن الترائبِ للتُراب[8].
★★ الفقيهُ ابنُ نُصيرٍ	خطُّه خطٌّ نبيلُ:

---

(١) العيس جمع عيساء: الناقة.
(٢) لو رحلت عن وطني لابتعدتّ عنه بجسمي وبقي قلبي فيه.
(٣) القوداء: (الفرس) الطويلة العنق والظهر، دليل أصالتها وقدرتها على السير وسرعتها.
(٤) العرفان: (مصدر) المعرفة. والشاعر يستعملها بمعنى المعارف (المعروفين) الذين يعرفونك وتعرفهم (الأصدقاء). أضرب عن الأمر. أعرض عنه، التفت عنه، أهمله، رفضه.
(٥) البِرّ: الطاعة للقبيل (لأهل الرجل). جفاه: عاداه وابتعد عنه.
(٦) من عطاياه...: الله. الكاف والنون (فعل أمر): كنْ. اقتباس من قوله تعالى (٣: ٤٧، آل عمران): «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون!».
(٧) يبدو أن هذين البيتين في طفل له مات. الشجو: الحزن. مقتبل الشباب: مرجوّ له شباب مقبل.
(٨) الحجر: الحضن الترائب جمع تريبة (هنا): جانب الصدر يقابل الشاعر بين ما حدث لطفله - إذْ مات - وما كان سيحدث له - لو عاش -: - مات فردم تحت الحجارة (القبر) - ولو عاش لوضع في الحجور: حجر أمه وأبيه ومحبيه - مات فصار للتراب - ولو عاش لصار بين الترائب - يقصد الأتراب - اللِّدات.

ألفـــــاتٌ كَرِمـــــاحٍ بينَهـــا المَغْنـــى قتيـــل[1].

★★ وأبي المُدامةِ، ما أريدُ بشُربِها صَلَفَ الرقيع ولا انهاكَ اللاهي[2].
لم يَبْـقَ من عهدِ الشبابِ وطِيبهِ شيءٌ، كعهدي لم يَحُلْ، إلّا هي[3].
إن كنـتُ أشْرَبُها لِغيرِ وَفائِها فتَركْتُهـا للنـاسِ لا للهِ[4]!

– وسَكِرَ في ليلةٍ مُمطرةٍ ثمّ أحبَّ أن يرقُد في عُرض الشارع. فرآه بعضُ الحُرّاس وعَرَفَه فرفَعَهُ وجَرَّده من ثِيابه المُبلَّلةِ وألبسه شيئاً من مَلابسه هو ثمّ حمله إلى مَنْزِله. فلمّا أفاق وعَرَفَ صُورةَ الحالِ قال:

أقـولُ وقـد أوْردتُّ نَـفْسِـيَ مَـوْرِداً
أبَحْـتُ بـه مـا شاءه السُكْرُ من عِرضي[5]،
وقـد صِـرتُ سَدًّا بالطريـق لسائـلِ
من القَطْر، إذ لا بُسْطَ تحتي سوى الأرض[6]؛

---

(١) – خطّه حسن ومعانيه سقيمة.

(٢) المدامة: الخمر. وأبي المدامة (يقسم بالخمر لمحبّته لها). الصلف: التكبّر. الرقيع: الأحمق. انهاك (انغماس، إسراف) اللاهي (طالب اللهو، الذي همّه في الحياة اللهو). – ويجوز: وأبي، المدامة ما أريد بشربها (يقسم بأبيه)، وتكون «المدامة» مرفوعة على الابتداء. والأول أبلغ. ويبدو أن هذه الأبيات متنازعة بين نفر من الشعراء. في الوافي بالوفيات (٨: ٥١) عن ابن الأبار: «وهذه الأبيات قد أنشدنيها بعض الأعلام لأبي القاسم عامر بن هشام، وانّما هي لأبي جعفر (أحمد بن عبد الرحمن اللخمي الكاتب) من أهل قرطبة ويعرف بالربضي لسكناه الربض الشرقي منها. كتب أبو جعفر هذا للولاة حيناً، وكانت وفاته في أول شوال من سنة ٦١٦ (١٠/ ١٢/ ١٢١٩ م). ورويت أيضاً لأبي سليمان داوود بن أحمد الطبيب المالقي.

(٣) حال: تغيّر وتبدّل (أشياء كثيرة اختلفت فيّ اليوم عمّا كانت في أيام شبابي – ما عدا الخمر، فإنّني ما زلت أجد فيها ما كنت أجده من قبل).

(٤) أشرب الخمر في أيام مشيبي لأنّها وفيّة لي منذ أيام شبابي. فلو أنّي تركتها الآن لكان تركي لها رياء للناس....

(٥) العرض: شرف الأسرة. – العمل الذي عملته الآن (ولو كان في السكر) لا يليق بي!

(٦) السائل (الجاري على وجه الأرض). من القطر (المطر). البسط: ما يبسط على الأرض (وطاء، بكسر الطاء): الحصير (ما يقال له: سجّادة).

وقـــد هَــزّنــي في آخِــرِ الليـــلِ مرسَلٌ
من اللهِ أحْيـــاني وألْحَـــقَ بي غَمْضي[1]:

سأُثني عليك الدهرَ في كلِّ مَحْفِلٍ؛ وما كلّ من أوليتَه نِعْمةً يقضي[2].
(ولم أدْرِ من ألْقى عليه رِداءه خلا أنّه قد سُلّ عن ماجدٍ مَحْض)[3].

- ومن قوله في مُخاطبةِ أحدِ الرؤساءِ:

... وإنّي لَكالأرضِ الكريمة إنْ نُظِرَ منها[4] وسُقِيَتْ أنْبتَتْ وأزْهرَتْ وأوْدعَتْ لِسانَ النسيمِ ما يُعَبِّرُ به في الآفاقِ عن شُكرِ الخيرِ الجسيم. وإنْ أُهْمِلَتْ صَوّحَتْ[5] وأوْدَعَتِ السوافيَ ما يُعْمي العَيْنَ ويُرْغِمُ الأنفَ[6]. وإنّ لِسَيِّدي كبيرَ حقٍّ، ولِمُعَظِّمِه[7] صغيرَ حقّ. ورَعْيُ أحدِهما مَنوطٌ بالآخَرِ[8].

٤ - ★★ . زاد المسافر ١٠٤ - ١٠٥ (رقم ٢٨)؛ المغرب ١ : ٧٥ - ٧٦؛ الذيل والتكملة رقم ٢٠٢ (٥ : ١٠٦ - ١١٠)[9]؛ نفح الطيب ١ : ٤٧٣، ٥٤٢ - ٥٤٤، راجع ٣:

---

(١) هزّني (ردّني إلى نفسي). ألحق به غمضي (جعلني أنام نوماً طبيعيًّا).

(٢) هذا من قول بشّار بن برد (ت ١٦٧) يمدح خالد بن برمك (٩٠ - ١٦٣ هـ):
لعمري، لقد أجدى عليّ ابن برمك، وما كلّ من كان الغنى عنده يجدي.
أجدى على: أعطى.

(٣) هذا البيت لأبي خراش الهذلي (ت في أيام عمر بن الخطّاب، بين ١٣ و٢٣ هـ) قاله من مقطوعة لمّا وجد أخاه عروة مقتولاً وقد ألقي عليه رداء. سلّ: نزع. المحض: الخالص.

(٤) نظر فيها!

(٥) صوّح: يبس.

(٦) السافية: الريح التي تحمل التراب. يرغم الأنف: يجعل في الأنف رغاماً (بضمّ الراء: تراباً)، أو ألصقه بالتراب.

(٧) معظّمه: يقصد الكاتب (أبو القاسم بن هشام) نفسه.

(٨) منوط: متعلّق، مرتبط.

(٩) في حاشية الذيل والتكملة (٥: ١٠٦): ترجمته في صلة الصلة ١٥٣، والتكملة رقم ٢٤٣٩. وبالرجوع إلى صلة الصلة (ص ١٥٣، رقم ٣٠٢) نجد ترجمة أبي الحسن عامر بن محمد (ت ٥٤٠)، أي قبل ثمانين سنة من أبي القاسم عامر بن هشام. وليست التكملة بين يدي الآن.

٢٢٨، ٤ : ٨٩ قطعتان منسوبتان في « القدح المعلّى » (أسفل ص ٩١ وأعلى ص ٩٢) لأخيه أبي يحيى؛ راجع برنامج الرعيني ٧٥؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٥ (٣ : ٢٥٥).

عبد السلام بن مشيش

١ - هو الشيخُ العارفُ الكاملُ أبو محمدٍ (أو أبو عبد الله) عبدُ السلام بن مَشيشٍ (أبو بشيش) بن أبي بكرِ بنِ عليٍّ بنِ حُرْمَةَ بنِ عيسى بن سلّامِ بنِ المِزْوار بن حيدرةَ ابن محمدِ بنِ إدريسَ بنِ إدريسِ بنِ عبدِ اللهِ الكاملِ بنِ الحسنِ المثنّى بنِ الحسنِ السِبْطِ ابن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ (راجع النبوغ المغربي ١٥١). كان مولدُه في بني العَروس في جَبَل العلم (قرب تَطوانَ - شَمالِيّ المَغْرب)، رَحَل (إلى الشرق) ثمّ عادَ وتَتَلمذَ على أبي مدينٍ في بِجايةَ. بعدئذٍ رَجَعَ إلى موطنِه. وهُوَ أستاذُ أبي الحسنِ الشاذليّ.

وقُتِلَ ابن مَشيش شهيداً في رِباطِ جَبَلِ العَلَم، نَحْوَ سَنَةِ ٦٢٥ (١٢٢٨ م)، في مُقاومة ٱبنِ أبي الطواجين الكُتاميّ الساحرِ، ودُفن في قنّة جبل العلم.

٢ - كان عبدُ السلامِ بن مَشيشٍ من رجال التصوّف المعتدل القائمِ على حُسنِ العمل لا على الكلام في المُغيّبات. وقد كانَ متشدّداً في القِيام بفروضِ الإسلام وفي الأمرِ بالمعروفِ والنَهْيِ عن المُنْكَرِ. ومكانتُه في المغرب كمكانةِ الشافعيّ في المَشرق. ويُعَدُّ ابنُ مَشيشٍ أحدَ الأقطابِ الأربعة في المَغْرب.

ولـه: كتابُ إعانةِ الراغبين في الصلاة والسَلام على أفضلِ المرسلين (ويُعرفُ اختصاراً بصَلَواتِ ابن مشيشٍ). وعلى هذه « الصلواتِ » عددٌ من الشُروحِ منها (راجع بروكلمان، الملحق ١ : ٧٨٨): كتاب الصلاة على النبي لمحمّد بن علي الخرّوبي المتوفَى سَنَةَ ٩٦٣ - اللَمَحات الرافعات - التدهيش عن معاني صلاة ابن مشيشِ لمصطفى بن كمال الدين البكريّ المتوفّى سَنَةَ ١١٦٢ - النَفَحاتُ القدسية لعبد السلام ابن حَمدونِ البنّاني - الروضة العرشية في الكلام على الصلوات المشيشيّة، وغيرُها.

٣ - مختارات من آثاره:

- الصلاة المشيشيّة (دعاء لأبن مشيش):

اللّهُمَّ، صَلِّ على مَنْ مِنْهُ انْشَقّتِ الأسرارُ وانفَلَقَتِ الأنوارُ، وفيه ارتقتِ الحقائقُ وتنزّلتْ علومُ آدمَ فأعجز[١] الخلائق؛ وله تضاءلتِ الفهومُ فلم يُدْرِكْهُ مِنّا سابقٌ ولا لاحق.... اللّهُمَّ، إنّه سِرّكَ الجامعُ الدالُّ عليك وحِجابُك الأعظمُ القائم لك بينَ يَدَيْك. اللّهُمَّ، ألْحِقْني بِنَسَبِه وحَقِّقْني بِحَسَبِه[٢]، وعَرِّفْني به معرفةً أَسْلَمُ بها من مَوارِدِ الجهلِ وأكرَعُ بها من موارد الفَضْلِ[٣] واحْمِلْني على سَبيله إلى حَضْرتِك حَمْلًا محفوفاً بِنُصْرتِك...

(ثمّ يقول، وفي قوله تطرُّفٌ مخالفٌ لما ذُكِرَ عنه من الاعتدال):

.... زُجَّ بي في بحار الأحَديّة وانْشِلْني من أوْحال التوحيد وأغْرِقْني في عَيْنِ بحرِ الوَحْدةِ[٤] حتّى لا أرى ولا أستمعَ ولا أجِدَ ولا أُحِسّ إلّا بها[٥]، واجعَلِ الحِجابَ الأعظمَ حياةَ روحي، ورُوحَه سِرّ حقيقتي، وحقيقَتَه جامعَ عوالمي بتَحْقيق الحقِّ الأوّل...

- قال عبد السلام بن مشيش:

انظُرْ ببَصَرِ الإيمانِ تَجِدِ الله في كلِّ شيءٍ وعندَ كلِّ شيءٍ ومَعَ كلِّ شيءٍ، وقبلَ كلِّ شيء وبعدَ كلّ شيء، وفوقَ كلّ شيء وتحتَ كلّ شيء، وقريباً من كلّ شيء

---

(١) أعجز يجوز فيها البناء للمجهول حتى تكون الخلائق مرفوعة لمناسبة السجع مع «الحقائق». ويجوز أن تكون مبنية للمعلوم وفاعلها عائد على «من» (أي محمّد رسول الله). ويجوز أن تكون «أعجزت» والضمير فيها راجع إلى «العلوم».

(٢) النسب: القرابة. والحسب: العمل النبيل الجيد.

(٣) الموارد (الأولى) من «ورد» (أشرف على، وصل إلى). والمورد (الثانية) من «ورد» (ذهب إلى الماء).

(٤) الأحدية: الاعتقاد بأنّ الله واحد. التوحيد: الاعتقاد بأن الله غير العالم (وهذا في التصوّف المتطرّف غير مقبول، لأنّه يجعل العالم غير الله فيخرج العالم من الوجود الإلهي). الوحدة: الاتّحاد (الاعتقاد بأن المتصوّف يمر في حال يصبح فيها مع الله «واحداً» بالعدد).

(٥) بها = بالوحدة (أي لا أرى الخ إلّا أنّ وجودي قد فني في وجود الله: فنيت أنا عن الوجود، وبقي الله الموجود الوحيد).

ومُحيطاً بكلّ شيء: بقُربٍ هو وَصْفُه وبحَيْطةٍ هي نعْتُه. وعَدِّ عنِ النظرِ فيه والحَدِّ وعنِ الأماكنِ، وعنِ الصُحبة والقُرْبِ والمَسافات وعن الدَوْرِ بالمخلوقات. وامْحُ الكلَّ بوَصْفِهِ الأوّلِ والآخِرِ والظاهرِ والباطن. وهُوَ: هُوَ هُوَ. كانَ اللهُ ولا شيءَ مَعَهُ، وهُوَ الآنَ على ما كان.

- وقال ابن مشيش:

أفضلُ الأعمالِ أربعةٌ بعدَ أربعةٍ: المحبّةُ للهِ، والرِضا بقضاء الله والزُهد في الدنيا والتوكُّل على الله. هذهِ أربعةٌ. وأمّا الأربعةُ الأخرى فالقِيامُ بفرائضِ الله والاجتنابُ لِمَحارمِ الله والصَبْرُ على ما لا يَعْني والوَرَعُ من كلِّ شيءٍ يُلْهي.

٤ - إعانة الراغبين (مع شرح لها)، استانبول ١٢٥٦ هـ.
- اللمحات الرافعات، فاس (طبع حجر) بلا تاريخ.
- النفحات القدسيّة، بومباي (طبع حجر) ١٣١١ هـ.
- (مطبوع في) « بغية المشتاق لأصول الديانة والمعارف والأذواق، الخ » لعبد القادر بن عبد الكريم الورديغي، بولاق ١٢٩٨ هـ (ص ١٤٦ - ١٥٩).

★★ النبوغ المغربي ١٥١ - ١٥٢، ٣٥٦ - ٣٥٧ (١٢ و١٣ قبل ٣٥٨ من النقلة الأولى)؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩١؛ بروكلمان ١: ٥٦٩، الملحق ١: ٧٨٧ - ٧٨٨؛ الطبقات الكبرى للشعراني (القاهرة ١٣٢٩) ٢: ٦؛ الاستقصا ١: ٢١؛ الأعلام للزركلي (٤: ٩).

أبو اسحاق بن أصبغ القرطبي

١ - هو الإمامُ أبو إسحاقَ ابراهيمُ بنُ عيسى بنِ محمّدِ بنِ أصبغَ الأزديُّ من أهل قُرطُبَةَ ومن بيوتاتِها الأصيلة، وكان أهلُهُ يُعرفون ببني المناصف.

وَلِيَ أبو إسحاقَ بنُ أصبغَ قضاءَ دانيةَ ثمّ صُرِفَ عنها، سَنَةَ ٦٢١ هـ. وفي هذه السَّنةِ نفسِها - وفي صدرِ الفِتنة المُنبعثة فيها - كان أبو أسحاقَ يُملي في دانيةَ. وكان قد سَكَنَ بَلَنْسِيَةَ أشْهُراً ثمّ آنتقلَ عنها. ثمّ إنّه تولّي القضاءَ في سِجِلْماسَةَ (في المغرب الأقصى) إلى حينِ وفاتهِ في سَنَةِ ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م) في الأغلب.

٢ - يَرِدُ ذِكْرُ أبي إسحاقَ هذا بِنَسَبِهِ الكامل في« بُغية الوُعاة » على أنّه نَحْويّ. وأمّا الصَّفَديُّ فيذكُرُ أنّه من كبارِ الفُقهاء المالكية ثمّ يُورِدُ له بِضْعَةَ أبياتٍ تدُلّ على أنّه شاعرٌ رقيقٌ أيضاً. ويبدو أنّ بَراعته الأولى قد كانتْ في النحو فكان شيخَ العَرَبية (النحو) وواحدَ زمانهِ فيها، أمْلى في قول سِيبوَيْهِ « هذا عِلْمُ ما الكَلِمُ من العربية » عِشرينَ كرّاساً بَسَطَ القولَ فيها في مِائَةٍ وثلاثينَ وجْهاً (نفح الطيب ٤ : ١٤١).

٣ - **مختارات من آثاره:**

- قال ابن المُناصفِ النَحْويُّ في الخَيال:

وزائرٍ زارَني وَهْنـاً فقُلـتُ لـه: أنّى اهْتديتَ وسَجفُ الليلِ مسدولُ(١)
فقـالَ: آنستُ ناراً من جوانِحِكُمْ أضاء منها لدى السارين قِنديلُ(٢).
فقلـت: نار الهوى مَعنًى، وليس لها نورٌ يَبِـينُ. فما ذا منك مقبولُ.
فقـال: نِسبتُنا من ذاك واحدةٌ: أنـا الخيـال ونارُ الحُب تَخْيِيل!

٤ - ★★ الوافي بالوفيات ٦ : ٧٦ - ٧٧ ؛ بغية الوعاة ١٨٤ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٥٠ (٥٦)؛ تحفة القادم ١٣٢.

أبو الحسن بن الفضل المُعافري

١ - هو أبو الحسنِ محمّدُ بنُ الفَضْلِ المُعافريُّ أصلهُ من أوريولَةَ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٣ هـ (١١٦٧ - ١١٦٨ م). لَزِمَ أبو الحسنِ بنُ الفضلِ سُكنى إشبيليةَ فصارَ معدوداً في أعيانِها، وقد سَكَنَ غَرناطةَ مُدّةً ثمّ خَرَجَ عنها لأنّ سُكنى إشبيليةَ كان أحبَّ إليه. وكانتْ بينَه وبينَ صَفوانَ بنِ إدريسَ (ت ٥٩٨ هـ) صداقةٌ ومُكاتباتٌ ومُساجلاتٌ، ولَعلّه كان يمدَحُه تكسُّباً. وقد تكسّبَ بالشعر: سارَ إلى مَرّاكُشَ ومدح المُسْتَنْصِرَ

(١) وهنا: بعد نصف الليل. السجف (بالفتح أو بالكسر): السجاف (بالكسر: الستر، الستار، الستارة). مسدول: مرخي. آنس: أحسّ (علم، رأى).

(٢) الجوانح جمع جانحة: عظم بجانب الصدر (يقصد: من قلبكم المشتعل بالحبّ). الساري: السائر في الليل.

المُوَحِّدِيّ (٦١١ - ٦٢٠ هـ) وطَلَبَ أن يتولّى في إشبيليةَ خُطّةَ الزكاةِ والمواريثِ فظَفِرَ بذلك. ومدح مُحمّدَ بنَ يوسفَ بنِ هودٍ صاحبَ مُرْسيةَ (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).

وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م).

٢ - أبو الحسنِ بنُ الفضلِ ناثرٌ شاعر وشّاحٌ فصيحُ الألفاظِ سهلُ التراكيب عذبُ الأُسلوب صحيحُ السبكِ يُجيد القصائدَ والمقطّعاتِ وينكشف شِعرُه عن تسلسُلٍ مَنطِقيّ. وأغراضُه الوُجدانيةُ يمتزجُ فيها الجِدّ والهَزْل، ورُبّما مال في عددٍ منها إلى المُجون. وهو بارعٌ في المدح والوصف والغزَل.

٣ - مختارات من آثاره:

- اجتمع مرّةً في أحَدِ مُتَنَزَّهاتِ إشبيليةَ جماعةٌ فيهم أبو بحرٍ صَفوانُ بنُ إدريسَ (ت ٥٩٨ هـ) وأبو الحسنِ بنُ الفَضْلِ ورجلٌ يَدّعي أنّه يُحْسِنُ الرَمْيَ بالقَوْس وهُوَ لا يُحْسِنُه. وأرادَ الجماعةُ أن يَتَندّروا بهذا المُدّعي فطلبوا منه أن يُصيب طائراً كان واقفاً على غُصُنِ شجرةٍ قريبةٍ. فرَماهُ بسَهْمٍ فلم يفعَلْ شيئاً. فقال صَفوانُ في ذلك قصيدةً مطلَعُها:

أعِدْ على سَمْعي أحاديثَ المُنى؛ فما قبيحٌ أن تُعيد الحَسَنا.

فأجابَه أبو الحسنِ بنُ الفَضْل المُعافريُّ بقوله من قصيدةٍ طويلةٍ:

أفْضَلُ ما حاز الفتى قَناعةٌ وعِفّةٌ تَثْنيهِ عن سُبْلِ الخَنا[1].
انظر إلى أجْداثِهِمْ مُعْتَبِراً، هلْ ثَمّ فرقٌ بينَ فَقْرٍ وغِنى[2]؟
وليس للإنسانِ إلّا ما سَعى، وأنّ خَيْرَ السَعْيِ تخليدُ الثَنا[3].
لولا ابنُ إدريسَ وفَضْلُ خُلْقِهِ لَما بدا من مَدْحه ما بَطَنا:

---

(١) تثنيه: تردّه. الخنا: القول أو العمل القبيح.
(٢) الجدث (بفتح ففتح) القبر.
(٣) في القرآن الكريم: «وأنْ ليس للإنسان إلّا ما سعى، وأنَّ سعيه سوف يرى، ثمّ يُجزاه الجزاء الأوفى» (٥٣: ٣٩ - ٤١، سورة النجم).

شقيــقُ نفسي تُرْبَــةً وغُربــةً وأدبــاً ومذهبــاً وسَنَنــا[1].
تلوّنَ الدهرُ عــلى عاداتــهِ، وَهْوَ كما أدْريــهِ مــا تَلَوّنــا.
مُهــذَّبُ الفِكرةِ مصقولُ النُهــى مُسْتَعْذَبُ الخبرة معسولُ الجَنى[2].
أشهرُ من نُور الصباحِ المُجتلى، أنضرُ من نَوْرِ الأقاح المُجتنى[3].
إيـهِ أبـا بَحْرٍ، وعِنـدي مِقْوَلٌ يُحْسِنُ أن يشكُرَ تلك المِنَنا[4]،
ألستَ من سَيَّرَهَــا غرائبــاً تُتَوِّجُ الشامَ وتكسو اليَمَنــا[5]!
أصْغَتْ لها بَغدانُ حتّى اسْتصْغرتْ حبيبَهــا ومُسْلِماً والحَسَنــا[6].
أتذكُرُ العهــدَ الــذي مرّ بنــا بِذي النَقا حيثُ ظباءُ المُنْحنى[7]؟
أيّــامَ ظَـلّ الدهرُ عنّـا غافلاً حتّى جَنَيْنا العيشَ غضّاً لَيِّنا.
ولا كيومٍ شَرِبَــتْ أرواحُنــا راحَ الهوى فيه بكاساتِ المُنى،
في فِتْيــةٍ - أو فِتْنــة - تَنَظّموا سِمْطاً. أأبصرتَ النجومَ مَوْهِنا؟
كنــتُ أذُمُّ زَمَــني من قَبْلِهِمْ، فيومَ صافَوْني حَمِــدتُّ الزمنــا!

. . . .

وصاحــبٍ حُلوِ المُزاحِ مُمْتِــعٍ يُصفي السرورَ ويَقُدُّ الشَجَنا[8]،
خادَعَنــا لّمــا مشى مــا بَيْنَنــا مُحْتَجِنــاً لقوسِهِ مُضْطبنــا[9].

---

(١) تربة: في الوطن. السنن: الطريقة، المنهج.
(٢) النهى: العقل. الجنى: الثمر (الحديث، الكلام). الخبرة (المخبر: ما تعرفه من الإنسان بعد اختباره).
(٣) المجتلى: المنظور (الذي يحبّ الناس أن ينظروا إليه). النور (بالفتح) الزهر الأبيض. الأقاح جمع أقحوان. المجتنى: المقطوف حديثاً.
(٤) المقول: اللسان. المنّة: المعروف (العطيّة).
(٥) سيّرها: سيّر القصائد (جعلها مشهورة). تتوّج الشام (مع أن الشام كانت مصدر الملوك!). وتكسو اليمنا (مع أن اليمن مشهورة بصناعة النسيج).
(٦) أصغى: استمع. بغدان = بغداد. حبيب بن أوس أبو تمّام ومسلم بن الوليد صريع الغواني والحسن بن هاني أبو نواس.
(٧) النقا: الرمل الأبيض. المنحنى: تلّة من الرمل مستديرة.
(٨) الشجن: الهمّ والحزن. قدّ: شقّ (؟). في المغرب (٢: ٢٨٧): «يحيي السرور ويميت الحزنا».
(٩) احتجن الشيء: ضمّه إلى نفسه (يحمل قوسه ولا يستخدمها). اضطبن الشيء: حمله بجانبه.

يحكي لنـــا مـــا شاءه تَظَرُّفـاً ... ويَزْدَهي بَرمْيِـــهِ تَمَجُّنَـــا[١].
ويدّعي التصمـيمَ في أغْراضـهِ. ... ولو رمى بَغدانَ أصْمى عَدَنا[٢].
حتّـــى تَدلّــى طائرٌ من أيْكـةٍ ... لم يبـقَ إلّا أن يقولَ: ها أنا!
قُلنا له: قد أكْثَبَ الصيْدُ، فقُمْ ... فأرِنـا من بعضِ ما حَدّثْتَنا[٣].
فقـــام كَسلانَ يمُطُّ حاجبـاً ... ويَتَمَطّــى بـينَ أينٍ ووَنــى[٤].
وبَيْـــنا أوْتَرَهـــا، وبينَما ... كانـتْ تَشَظّى في يَدَيْهِ إحَنا[٥]؛
وعندَمــــا رمــــى حَمامَ فَنَنٍ ... أخطـأه وما أصابَ الفَنَنـا[٦].
أستغفرُ اللهَ لـــه. إن لم يكُنْ ... أطْعَمَنـا الصيدَ فقد أضحكنـا.
لو أنّ رَضْوى مَثُلَتْ من كَثَبٍ ... لِسَهْمِهِ لصافَ عنها وانَثنى[٧].
والمرءُ مغرورٌ بِبـــادي رأيـهِ. ... ويظهَرُ الحقُّ إذا ما آمْتُحِنا[٨]!

- ولأبي الحسنِ بنِ الفَضْلِ من موشّحةٍ (المغرب ٢ : ٢٩١):

في طَرْفِ من أهواهْ سيــــــفُ المَنونْ[٩].

---

(١) يزدهي: يفتخر. الرميّ: اطلاق النبل عن القوس. التماجن: خلط الجدّ بالمزح.
(٢) التصميم: إصابة الشيء مباشرة وفي وسطه. الغرض: الهدف. بغدان= بغداد. أصمى أصاب المقتل (ولكن في عدن: بعيداً جدًّا عن بغداد، عن الهدف الذي أراد أن يصيبه).
(٣) أكثب: اقترب.
(٤) الأين: التعب. الونى: فتور الهمّة والضعف.
(٥) أوتر الرجل القوس: وضع السهم في وترها ليطلقه. تتشظّى: تتشعّث (ينفصل منها قطع). الإحنة (بكسر الهمزة): الحقد. - تشظّى في يديه (يتمزّق بين يديه لأنّه لا يعرف أن يمسك بها فضلًا عن أن يعرف الرمي بها).
(٦) الفنن: الغصن.
(٧) رضوى: جبل في بلاد العرب (يؤثر عن الشعراء القدماء بأنّه كبير). مَثُلَ: انتصب، وقف منتصباً. من كثب: من قرب. صاف السهم: حاد عن الهدف.
(٨) بادي الرأي: الرأي الذي يخطر للإنسان لأوّل مرّة فيقبله من غير تفكير. وهو تضمين (راجع ١١ : ٢٧، سورة هود).
(٩) الطرف: النظر، العين. المنون: الموت.

والقلـــــــبُ في بَلواهْ مِـــمّـــنْ يَـخــون[1]
يا قدَّ غُصْنِ البانْ إذا ٱنثنـــى[2]،
الراحُ والرَّيْحـــان بـــلِ المُنـــى[3]
في ذلــك الوَسْنـــانْ إذا رنـــا[4].
يـــا ربِّ، مـــا أقساهْ! تُرى يَـهــون[5]؟
والصـــبُّ مـــا أرْجـــاهْ مـــــــا لا يكونْ[6]!

- وله من مطلع موشّحة:

ألا هـلْ إلى ما تَقضّى سبيـلْ فيُشْفى الغليلُ وتوسى الكُلومْ[7]؟

★ ★ ★

رعـى اللهُ أهـلَ اللّوى واللّوى ولا راعَ بالبَيْنِ أهـلَ الهوى[8].
فواللهِ، مـــا الموتُ إلّا النَوى؛ عَرَفْتُ النوى بتَوالي الجَوى[9]،
ومِمّـــا تخلّــلَ جِسمي النحيـلْ لقد كِدتُ أنْكُرُ حَشْرَ الجُسومْ[10].

★ ★ ★

(١) - قلبي في بلوى (مصيبة، شقاء) ممّن يخون (من المحبوب الخائن الذي يعد ولا يفي أو الذي يحبّك مدّة، فإذا تعلّقت به تركك وانصرف إلى غيرك).

(٢) قوامه كغصن البان (وللبان أغصان طوال مستقيمة رشيقة). انثنى (تمايل في مشيه).

(٣) الراح: الخمر. الريحان: نبات طيّب الرائحة. المنى جمع منية (بالضمّ): أمل، غاية. الوسنان: الناعس، الفاتر (صفة للعين). رنا تطلّع. - النظر إلى هذا المحبوب كشرب الخمر (يسكر) وكشمّ الريحان (ينعش).

(٤) ترى يهون: هل يصبح الوصول إليه عليّ أهون (؟).

(٥) الصبّ: الشديد الحبّ. ما أرجاه ما لا يكون: ما أشدّ رجاءه (أمله، تعلّقه) بما لا يكون (بالمستحيل).

(٦) الغليل: العطش. توسى: تؤسى (!) تداوى. الكلم (بالفتح): الجرح.

(٧) اللوى الرمل المستدير (جانب التلّة): كناية عن مساكن العرب. البين: البعاد والفراق.

(٨) النوى: البعد. الجوى: ألم الحبّ.

(٩) دخل في جسمي أمراض كثيرة فأفسدته إلى حدّ أنّه يصعب إحياؤه.

فواحسرتــــا لِزمـــانِ مضى عَشيّـــةَ بـــانَ الهوى وانْقضى
وأُفْردتُّ بالرُغْمِ لا بالرضـــا وبتّ على جَمَراتِ الغَضا[١]
أعانـــقُ بالفِكر تلـــك الطُلولْ وأَلْثِمُ بالوَهْمِ تلك الرُسومْ.

– كَتَبَ أبو الحسنِ بنُ الفَضْلِ من مدينةِ مَرّاكُشَ إلى موسى بنِ محمّدِ بنِ سعيدٍ[٢] رِسالةً فيها شيءٌ من أدبِ الرِحلةِ وشيءٌ من المُجون:

.... وأمّا ما نَشأ من عجائبِ هذه السَفْرةِ التي أطْربتْ نوادرُها وأضْحكتْ مَوارِدُها ومصادرُها[٣]: حِكايةُ شيخِنا القلطي[٤] مَعَ خديمِهِ المُراهقِ الأسمرِ الفائقِ ذي الطَرْفِ الكَحيل والخدّ الأسيل[٥] والرِدْف الثقيلِ والخَصْر النحيل:

ذاك الذي مِتُّ من وَجْدٍ به، وغَدَتْ فيـه أحاديثُ جُلّاسي وسُمّاري[٦].
نَشوانُ من خَمْرةِ الـدَلِّ التي شَغَلَتْ مَنْ ظَـلَّ يعشَقُه عن كلِّ خمّار[٧].

يا لها أُعجوبةً طريفةً أطرفَ من فِقه أبي حَنيفةَ:

أُعجوبـــةٌ مـــا سَمِعنـــا بأُخْتِهـــــا في أوان[٨].
قـــد صـــار شيخُـــك منها أُضحوكـــةً في الزمـــان.

وذلك أنّا لمّا خَرَجْنا من عين القدح قاصدين قَصْرَ كُتامة[٩]، ظَهَرَ من هذا الشيخ

(١) الغضا شجر جزل (كثيف المادّة) تكون ناره شديدة.
(٢) زار أبو الحسن بن الفضل مَرّاكُش مراراً. وموسى بن محمّد سار إلى الحجّ سنة ٦٣٩ هـ وتوفّي وشيكاً في الإسكندرية، سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ – ١٢٤٣ م).
(٣) الموارد والمصادر (الذهاب إلى الماء والرجوع عنه): الأسباب والنتائج، الأحوال المختلفة.
(٤) القلطي، إذا لم تكن علماً أو نسبة، فهي (بفتح ففتح): القصير، الخبيث.
(٥) الأسيل: الأملس.
(٦) الوجد: الحبّ، الشوق، الميل. السامر: الذي يحادثك في الليالي. – هذا المحبوب أصبح حديث الناس (لجماله).
(٧) النشوان: السكران. الدَلّ: الثقة بالنفس والطمع بالناس الذين يعجبون بصاحب هذا الدَلّ. الخمّار: بائع الخمر. – اكتفى الناس من السكر بالنظر إليه فاستغنوا (بفتح النون) عن شرب الخمر.
(٨) الأوان: الزمان.
(٩) قصر كتامة (في معجم البلدان): مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الاندلس (جنوبيّ الاندلس). ولعلّ المقصود (هنا) مكان في المغرب.

في هذا الأسمرِ ما لم يظهَرْ من الذي تَمنّى أن يكونَ هامةً[١]. وصار يَغارُ عليه من الألحاظ ولا يَبرَحُ متى كُلِّمَ أو نُظِرَ يغتاظُ، إلى أن وَصَلْنا إلى وادي المخازن، والسَّيْلُ قد ضاقت[٢] بطلائعهِ صدرُهُ، وهو أبداً يَزيدُ مَدُّه ولا يُلِمُّ به جَزْرُه[٣]. ولم يسع الوقتُ جوازَ الشيخِ والغلامِ، بل بادَرَ بتَجويزه[٤] وقد أقبلتْ كتائبُ الظلام. فلمّا أن دَخَلَ الشيخ في ذلك الجانب، بعد اللُّتَيا والتي[٥] من خَوْض ذلك العُباب مَنَع الوادي نفسَه بُمزاحمة المياه[٦]. وبَقِيَ الشيخُ في أعظمِ مُصابٍ. وكنتُ، يا أخي، في مَنْ ظَفِرَ بالمجاز وحصلت له الحقيقة بعد المَجاز[٧]:

فبـــاتَ الشيـــخُ في هَمٍّ وغَمٍّ ضجيعَ الفِكرِ والحُزْنِ الطويـلِ.
وبِـــتُّ ضجيـــعَ أسْمرِهِ أُنـادي بحَيَّ عـلى التواصلِ والوُصول[٨].
فلا تسألْ - فديتُكَ - عن مَبيتي هناكَ؛ وسَلْ صِحابَكَ عن مَقيـلي[٩].

ثمّ إنّه لمّا وَضَحَ النهارُ وأصبحَ الشيخُ كالمُوَلَّهِ لِفَقْدِ الجِوار[١٠]، اكْتَرى الشيخُ مَنْ سَبَحَ به إلينا، وأرْسَلَ الله منه نِقْمَةً علينا. وجُملةُ الأمرِ: أنّا ظَفِرنا ليلةً برَبٍّ هواهُ، وصَفَعْنا نهارَه جَميع قَفاهُ!

(١) أن يكون هامة: أن يموت (؟).
(٢) كذا في الأصل. والصواب: ضاق بطلائعه (أوائله) صدره وادي المخازن مكان قرب القصر الكبير (شمال شرقيّ الرباط وجنوب شرقيّ العرائش) في المغرب.
(٣) الجزر: تراجع مياه البحر. والمدّ علوّ ماء البحر عند الشطّ. لا يلمّ به جزره: لا يحدث انخفاض في مائه.
(٤) الجواز: الانتقال عبر الماء من جانب إلى جانب. التجويز: جعل الآخرين يجوزون.
(٥) بعد مصاعب كثيرة.
(٦) العباب: الموج. منع الوادي (النهر) نفسه (منع الناس من الجواز عبره).
(٧) الحقيقة: دلالة الكلمة على المعنى الذي وضع لها في القاموس (الشمس: الجسم المشتعل الذي يضيء الأرض). والمجاز: دلالة الكلمة على غير المعنى الوضعي لها (الشمس: المرأة الجميلة) حصلت له الحقيقة بعد المجاز: ظفر بالمحبوب بعد أن كان يتمنّى الظفر به (؟).
(٨) التواصل والوصل: نيل الرغبة من المحبوب.
(٩) لا تسأل عن مبيتي (نومي) في تلك الليلة (لأنّني لم أنم فيها) اسأل عن مقيلي: النوم في النهار (لأنّني كنت في الليل ساهراً مع المحبوب).
(١٠) المولّه: الذي اشتدّ حزنه حتّى كاد عقله يذهب. لفقد الجوار (جوار محبوبه).

٤ - ★★ زاد المسافر ١٠٦ (رقم ٣١)؛ المغرب ٢ : ٢٨٦ - ٢٩١ ؛ القدح المعلّى ١٠٨ - ١١١ ؛ الذيل والتكملة رقم ٦٥١ (؟: ٣٧٦ - ٣٨٧)؛ ازهار الرياض ٢ : ٢١١ .

أبو زيد الفازازيّ

١ - هو أبو زيدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ يَخْلَفْتَنَ بن أحمدَ اليَجَنْشيّ، وُلدَ بُعيد سَنَةِ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) في قُرطبةَ ونشأ فيها. ثمّ إنّه سكن تِلمْسانَ وغيرَها.

سَمِعَ أبو زيدٍ الفازازيُّ من جماعةٍ فيهم الحافظُ عبدُ الرحمن السُهيليّ (٥٨١ هـ)، فيما قيل، والحافظُ أبو الوليدِ يزيدُ بنُ عبدِ الرحمن بن بَقيٍّ القاضي وأبو الحسن جابرُ ابنُ أحمدَ القُرَشِيُّ التاريخيُّ وأبو عبد الله بن الفَخّارِ التُجيبيّ.

وقد كَتَبَ أبو زيدٍ الفازازيُّ دهراً طويلًا في الأندلُسِ لِوُلاةِ المُوحّدين. وفي سَنَةِ ٦٢٦ للهجرة - في مَطْلَعِ حُكْمِ السُّلطانِ المُوحّديّ المأمونِ أبي العَلاءِ إدريسَ (٦٢٦ - آخر ٦٢٩ هـ) - نالَتْهُ جَفْوةٌ على يَدَيِ الوالي في قُرطبةَ وإشبيليةَ (؟)، فألْزَمَهُ السلطانُ دارَه ثمّ نفاه عَن الأندلس فانتقلَ إلى العُدْوة. وفي شَعْبانَ من سَنَةِ ٦٢٧ (أيلول - سبتمبر ١٢٣٠ م) زار أبو زيدٍ الفازازيُّ مَرّاكُشَ وترضّى السلطانَ المأمونَ، فَرَضِيَ السلطانُ عنه. ولكنّ أبا زيدٍ لم يَعِشْ بعدَ ذلك طويلًا فكانت وفاتُه في مَرّاكُشَ في ذي القَعْدة من سَنَةِ ٦٢٧ نفسِها (أيلول - تشرين ١٢٣٠ م).

٢ - كان أبو زيدٍ الفازازيُّ مُشارِكاً في عددٍ من فنونِ العلم من الفِقه والتاريخ وعلم الكلام (وكانتْ بضاعتُه من الحديثِ قليلةً)، وكان أديباً ناثراً مُترسّلًا وشاعراً يَغلبُ على شِعره مدحُ الرسول وأشياءُ من الزهد والتصوّف والحِكمة، وربّما جاء في شعرِه بُلزوم ما لا يلزَمُ.

ثمّ إنّه مُصنِّفٌ له: سفينةُ السعادةِ لأهل الضَّعْفِ والنِجادة (مجموع قصائد) - ديوان الوسائل المُتقبَّلة - القصائد العِشرينيّات (وهي قصائدُ تتألّفُ كلّ قصيدةٍ منها من عِشرينَ بيتاً) في مدحِ رسول الله محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم. وهذه القصائدُ شائعةٌ جدًّا ومُحَبَّبَةٌ إلى النفس، وخصوصاً في السودان الغربي (غربيّ إفريقية). وربّما أوردَ

نَفَرٌ من المؤلفين أسماءَ هذه المجموعةِ بعَناوينَ مختلفةٍ: المُعَشّراتُ في مدح النبيّ - القصائدُ العشريّات (العشرينيّات في النصائحِ الدينية والحِكَم الزُّهدية - المنظومات المعشّرات الزهدية والمعشّرات الحُبّيّة والنَفَحات القلبية التي كلٌّ قصيدةٍ (منها) عِشرونُ بيتاً في المدائح النبويّة.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو زيدٍ الفازازيّ في مديحِ الرسولِ:

كَمَلَتْ بنَعْتِ محمّدٍ خيرِ الورى ... غُرَرُ القصائدِ كلُّها وحجولها[١]،
وٱخْتُصَّ دونَ الأنبياء بدعوةٍ ... وَسِعَ العِبادَ عُمومُها وشُمولُها.
فاضَتْ على الثَقَلَيْنِ منه أشِعّةٌ ... طَلَعَتْ وما عَقَبَ الطلوعَ أفولُها[٢].
فالإنسُ تعلَمُ أنّه مقصودُها، ... والجِنّ تُوقِنُ أنّه مأمولُها.

- وقال في الرسول أيضاً (وهو من لُزومِ ما لا يلزَمُ):

أتى والوَرى أسْرى، فكان غِياثُهم ... بنورِ سماءٍ ينقلوه عن الإسرا[٣]
وعَفّى رسومَ الكافرين وأهلَها، ... فلا قيصرٌ من بعد ذاك ولا كِسرى[٤].

---

(١) القصائد الغرر جمع غرة (بالضمّ فيهما): البياض في جبهة الفرس، أوّل كلّ شيء وأكرمه. كلّها، لعلّه يقصد كللها جمع كلّة (بالكسر فيهما): ستر رقيق ينصب على خدر المرأة ونحو ذلك. والحجول جمع حجل (بالكسر) الخلخال (بالفتح). - يريد أن يقول إنّ هذه القصائد أصبحت خير القصائد لأنّ فيها مدحا لمحمّد رسول الله.

(٢) الثقلان: عالم الإنس وعالم الجنّ (بالكسر فيهما). عقب وأعقب فلان فلاناً: خلفه وجاء بعده. الأفول: الغياب.

(٣) أتى (محمّد رسول الله). الورى (جميع الناس). الغياث (نزول المطر، كناية عن إنقاذ الناس من الضلال والبلاء والقحط، الخ). ينقلوه (كذا في الأصل. ويجب أن تكون «ينقلونه»). الاسراء: انتقال محمّد رسول الله من مكّة إلى القدس فإلى السماء ثمّ رجوعه إلى مكّة (ليلا). وكان ذلك في آخر الدور المكّي، قبل الهجرة من مكّة إلى المدينة. واختلفت الرواة في هذا الإسراء: أكان بالروح فقط أم بالروح والجسم معاً؟.

(٤) عفّى: محا. الرسوم جمع رسم: النظام المألوف في المعاملات، الطريقة (هنا: الشرائع). قيصر (لقب ملوك الروم: اليونان) وكسرى (لقب ملوك الفرس).

تقدّمَ كلَّ العالمين إلى مَدًى تظَلُّ به الأوهامُ ظالعةً حَسْرى[1]

فسُبحانَ مَنْ أسرى إليه بعَبْدِه، وبُورِكَ في الساري وبُورِكَ في المَسْرى[2].

٤ - سفينة السعادة لأهل الضعف والنجادة، القاهرة ١٣٢٠ هـ.

- الوسائل المتقبّلة (مع سابقات الجياد ليوسف بن اسماعيل النبهاني)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٢ هـ.

- القصائد العشرينيّات[3] في مدح سيدنا محمد، القاهرة (دار الكتب الكبرى) ١٣٣٤ هـ.

★★ التكملة ٢: ٥٨٥ - ٥٨٦؛ بغية الوعاة ٣٠٤؛ نيل الابتهاج ١٦٣؛ نفح الطيب ٢: ١١٩، ٤: ١٢٢، ٤٦٨ - ٤٦٩، ٧: ٥٠٧ - ٥١٢؛ بروكلمن ١: ٣٢٢، الملحق ١: ٤٨٢ - ٤٨٣؛ الأعلام للزركلي ٤: ١١٨ (٣: ٣٤٢)؛ معجم المؤلفين ٥: ١٩١؛ سركيس ١٤٢٧ - ١٤٢٨؛ تحفة القادم ١٣٣ - ١٣٤.

أبو الحجّاج التادليّ ٱبن الزّيّات

١ - هو أبوالحجّاج أبو يعقوبَ يُوسُفُ بنُ يحيى بنِ عيسى بنِ عبدِ الرحمنِ التادِليُّ (نسبةً إلى تادلة في المَغْرب، بين مدينة مَرّاكُشَ ومدينة فاسَ)، ويُعْرَفُ بابنِ الزّيّات. وقد كانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٢٧ أو ٦٢٨ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م).

٢ - كان أبو الحجّاج التادليُّ من أئِمّةِ اللغة والنحوِ والأدب، ويبدو أنّه اتّجه اتّجاهاً قويًّا إلى التصوّف في أواخرِ حياتهِ وأصبح شديدَ الإيمان بالكَرامات الخارقةِ

---

(١) إلى مدى (مسافة بعيدة). الظالع: الذي يعرج (بفتح الراء) في مشيه، لا يستطيع الجري بيسرعة أو بيسر (بضمّ الياء). حسرى جمع حسير (للمؤنث والمذكّر): الكليل، الخائر القوى، الضعيف، العاجز (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ١٢ - ١٣).

(٢) «سبحان الذي أسرى بعبده ليلامن المسجد الحرام (مكّة) إلى المسجد الأقصى (القدس)» آية من القرآن الكريم (١٧: ١، سورة الإسراء). الساري: محمّد رسول الله. المسرى: الانتقال (برسول الله) من مكّة إلى بيت المقدس.

(٣) راجع عناوين لها مختلفة (في خصائص الفازازي، رقم ٢)؛ وعليها شرح لمحمّد الزهري الغمراوي.

للعادةِ وللطبيعة من المَشْيِ على الماء (التشوّف، ص ٩٨، ١٩٢، ٣٢٥، ٣٦٥) والطَيَرانِ في الهواء (ص ٢٥٢) وبجعل ماء البحر عَذْباً حُلواً (ص ٢٨٠) وتكليم الموتى في قبورهم (ص ٢٨٧، وغيره). ثمّ هو مُصنِّفٌ، له: نِهاية المقامات في دراية المقامات (شرح لمقامات الحريري المتوفّى ٥١٦ هـ)- مناقبُ أحمدَ السَبتيِّ دفينِ مرّاكُشَ- التشوّف إلى رجال التصوّف (بدأ بتأليفه ٦١٧ هـ). في هذا الكتاب تراجمُ للذين سبقوا عصرَه، إذْ لم يترجم للأحياء. والكتابُ مملوءٌ بأفعالٍ منسوبة إلى المتصوّفين أشبهَ شيءٍ بالخرافات. وفي الكتاب شعرٌ كثيرٌ، يبدو أن قليلَه لأصحابِ التراجمِ التي يَرِدُ ذلك الشعرُ في أثنائها، ويبدو أن أكثرَه غيرُ ذلك[1]. وهو يُورِدُ ذلك الشعرَ مقطوعاً مُغْفَلًا لا يَنْسِبهُ إلى أصحابِ التراجمِ ولا إلى غيرِهم، إلّا في النادرِ الشاذّ.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدّمة كتاب «التشوّف إلى رجال التصوّف»:

.... لم يَخْلُ زمانٌ من وَليٍّ من أولياءِ اللهِ تعالى يَحْفَظُ اللهُ به البلادَ والعِباد. وكانت طائفةٌ منهم عظيمةٌ بأقصى المغرب أُهْمِلَتْ أخبارُهم وجُهِلَتْ آثارُهم حتّى ظَنّ مَنْ لا علمَ له بهم أنّه لم يكنْ منهم بأقصى المغرب أحدٌ.... وما زال كثيرٌ من الصالحين يَكْرهون الإقامةَ في قواعدِ البلادِ خِيفةً من الفِتَن[2]، ومنهم من كان مُقيماً بها على وجهِ الاضطرار...... ولمّا خَفِيَ عن كثيرٍ علمُ مَنْ كان بحضرةِ مَرّاكُشَ[3] من الصالحين ومَنْ قَدِمَها من أكابرِ الفضلاء رأيتُ أن أَفْرُغَ لذلك وقتاً[4] أجمعُ فيه طائفةً

(١) هو يورد مثلاً أبيات القاضي الجرجاني (٣٩٢ هـ):
يقولون لي: فيـــك انقبـــاض! وإنّما رأوا رجـــلًا عن موقـف الـذل أحجما.
في ترجمة أبي الربيع سليمان الصنهاجي التلمساني (ت ٥٧٩ هـ). راجع ص ٢٧٣.

(٢) خيفة من الفتن: خوفاً من أن يشتهروا فيكثر الناس من احترامهم والتبرّك بهم فيدخل على نفوسهم شيء من الغرور يفسد تصوّفهم.

(٣) حضرة مرّاكش: المدينة التي هي العاصمة (يحضر فيها الملك).

(٤) أفرغ: اتخلّى عن كلّ شيء وأهتمّ بشيء واحد. وقتاً (مدّة من الزمن)- وهي هنا ظرف مفعول فيه منصوب.

أُدَوِّنُ أخبارَهم.... وتَحَرّيْتُ في نقلِ ذلك عن أهل الثِقَةِ والأمانة والخَبَرِ والصلاح والمستورين[1] ما استطعتُ.... وسَمّيتُ هذا الكتابَ بالتشوّف إلى رجال التصوّف، وإن كان مُشتملًا على أضرابٍ من أفاضلِ العلماء والفُقهاء والعبّاد والزُّهّاد والوَرِعين... فإنّ اسمَ الصوفيّ يَصْدُقُ على جميعِهم..... والذي يُعَوَّلُ عليه أَنَّ الصوفيَّ هو المنقطعُ بهمّتِهِ الى الله تعالى، المتصرّفُ في طاعته......

وجَرّدتُ هذا الكتابَ من علومِ التصوف واقْتَصَرْتُ على إيراد أخبارِ الرجالِ، فإنّ «إحياءَ علومِ الدين»......... للغزّالي.... هو المُنْتَهى في ذلك.......

٤ - التشوّف إلى رجال التصوّف (اعتنى بنشره وتصحيحه أدولف فور) الرباط (مطبوعات افريقية الشمالية الفنّيّة) ١٩٥٨ . (مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية ١٢).

★★ نيل الابتهاج (بهامش الديباج المذهب) ٣٥٢؛ بغية الوعاة ٤٢٥؛ البلغة ٢٩٤؛ بروكلمن، الملحق ١: ٥٥٨ - ٥٥٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٣٩ - ٣٤٠ (٨: ٢٥٧).

أبو عبد الله محمّد بن حماد الصنهاجي

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ حَمَادٍ (أو حَمَادو أو حَمَادةَ) - وكلُّها بتخفيف الميم: بلا شدّة عليها - من أهلِ قلعة بني حماد[2]. وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) في قريةِ بُرج حمزةَ من حَوْز قلعةِ بني حماد (البويرة - دائرة البيبان)، شرقَ مدينة الجزائر، وفيها نشأ.

بدأ ابنُ حَمادٍ الصِّنْهاجيُّ تلقّيَ العلمِ في بلده قلعة بني حماد (وكانت حاضرةً من حواضرِ العلم) ثمّ في بجاية، ثمّ في عددٍ من مُدن المغرب، وفي الأندلُس أيضاً. وقد كان من شُيوخه الفقيهُ أبو عليٍّ حسنُ بنُ عليٍّ المَسيليُّ (ت نحو ٥٨٠ هـ) من أهلِ بِجايةَ،

(١) المستورون: الذين لا يتظاهرون بالتصوّف ولا يريدون أن يُعرف عنهم أنّهم متصوّفون.

(٢) المشهور في قلعة بني حمّاد وفي بني حمّاد من الأسر الحاكمة في المغرب أنها بتشديد الميم. وفي تاج العروس (الكويت): حمادة، كحمامة (بلا شدّة على الميم) ناحية باليمامة (٨: ٤١). ولقد سمّى العرب حمّاداً بتشديد الميم (٨: ٤٠، راجع ٤٥).

وكان يُلقَّبُ «أبا حامدٍ الصغيرَ» تشبيهاً له بأبي حامدٍ الغزّاليّ (ت ٥٠٥ هـ) ثمّ المحدّثُ عبدُ الحقّ بنُ عبدِ الرحمن الأشبيليُّ المعروفُ بابن الخرّاط الأزديّ الإشبيلي (ت ٥٨١ هـ) ثمّ أبو تميمٍ مَيْمونُ بنُ جُبارةَ بنِ خَلْفونِ الفِردادي (ت ٥٨٤ هـ) من أهل بِجايةَ (القُطر الجزائري) ثمّ الصوفيّ المشهورُ أبو مَدْيَنٍ شُعيبُ بنُ الحسن (ت ٥٩٤ هـ) ثمّ أبو العبّاس بن مبشّر (؟). ولقد تلقّى ٱبنُ حَمَادٍ الصِّنهاجيُّ العِلمَ على هؤلاء وعلى غيرِهم أيضاً في عددٍ من مُدُنِ القُطر الجزائري والقطرِ المَغْربي وفي الأندلُس.

وتولّى ٱبْنُ حَمَادٍ القضاءَ في الجزيرة الخضراء (جَنوبيَّ الأندلُس) إلى سَنَة ٦١٣ هـ. ثمّ نُقِلَ إلى مدينة سَلا (قرب الرباط - المغرب) فتولّى فيها القضاء إلى أن تُوُفِّيَ فيها، سَنَةَ ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ - ١٢٣١ م).

٢ - يُعَدُّ ٱبْنُ حَمَادٍ الصِّنهاجيُّ من أئِمّة العِلمِ في زَمَنه فَهُوَ أديبٌ شاعرٌ ومؤرّخٌ وفقيهٌ وراويةٌ للحديث. وشِعرُه الباقي لنا، وهو قليلٌ، أكثرُه في الوصف، ثمّ هو على شيءٍ من العُذوبة والطَّلاوة. وٱبْنُ حَمَادٍ مُصَنِّفٌ، له: بَرْنامجٌ (لشيوخه: فيه أسماؤهم وما أخَذ عنهم من فنونِ العِلم وما قرأ عليهم من الكتب) - ديوان شعر - شرح مقصورة ابن دُريد (ت ٣٢١ هـ) - عُجالة المودِّع وعُلالة المُشيّع (في الأدب والشعر) - شرح الأربعين حديثاً (للنووي؟) - شرح كتاب الإعلام بفوائد الأحكام لعبد الحقّ الإشبيلي (بن الخرّاط؟) - أخبارُ ملوكِ بني عُبيد (الفاطميّين) - الدِيباجة أو النُبَذُ المُحتاجة(١) في أخبار صِنهاجةَ بإفريقِيَةَ وبِجاية - نُبْذَةٌ في أخبارِ البربر - تلخيص كتاب ابن جريرٍ الطبري.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو عبدِ الله بنُ حمادٍ الصِنهاجيّ (رحلة التجاني ١١٧):

عـلى عـين السلام سَلامُ صبٍّ غـذاه ماؤها العَذْبُ النَّميرُ(٢).

(١) المقصود: المحتاج إليها (ولكن حينئذ يبطل السجع).

(٢) المنار (المنارة: بناء مرتفع يوقد في أعلاه نار لهداية المسافرين في البحر وفي غير ذلك). وعين سلام عين بالوادي المعروف بوادي جراوة، والعروسان مبنى بناه الناصر بن علناس (من حكّام بني حماد في قلعة =

تـأوّدَ أيْكُهـا وجَرَتْ صَباهـا ... وشمْألُـها كما فُتِـقَ العَبـيرُ[١].
وأبردُ مـا يكونُ المـاءُ فيهـا ... وأنْدى حينَ يحتدمُ الهَجير[٢].
ومــا أدري: أيَجْري فوقَ دُرٍّ ... أمِ آبتسمـتْ بمَنْبَعِها الثُّغور؟
وقـد قـام المَنـار على ذُراها ... كما قـام العَروسُ أوِ الأمـير[٣].
بنـــاءٌ يُزْدَرى إيوانُ كِسرى، ... لَدَيْـهِ، والخَوَرْنَـقُ والسَّدير[٤].

– وقال أيضاً في الوصف (رحلة التجاني ١١٦):

ألا ليتَ شِعري هلْ أبيتَنَّ ليلةً ... بوادي الجَوى ما بينَ تلك الجَـداول؟
وهـل أسْمَعَنْ تلك الطيورَ غُدَيَّةً ... تَجاوَبُ في تلك الغُصون الموائـل[٥]؟
وهلْ أرِدَنْ عينَ السلامِ على الصَّـدى ... فأُبْرِدَ من حرِّ الضُّلوع النَّواهل[٦]،
وأنظرُ طِيـقانَ المَنـارِ مُطِلَّــةً ... على الوَجَنات الزاهراتِ الخمائـل[٧]؟
كـأنّ القبـابَ المُشْرفاتِ بأُفْقِه ... نجومٌ تبَدّتْ في سُعودِ المَنازل[٨].

= بني حماد، من سنة ٤٥٤ إلى سنة ٤٨١ هـ). وكلّ هذه الأماكن مبان في قلعة بني حماد (رحلة التجاني ١١٥ – ١١٦). النمير: الطيّب الذي يروي (يمنع العطش).

(١) تأوّد: تمايل. الأيكة: مكان فيه شجر كثيف (الصورة البلاغية غير صحيحة، فإنّ الأشياء لا تتمايل: تتحرّك يميناً وشمالاً في مجال واسع إلّا إذا كانت متباعدة). الصبا: ريح الشرق. الشمْأل= الشمال (ريح الشمال). العبير= الرائحة الطيّبة. كما فتق العبير (كما فتق أو شقّ أو فتح إناء العبير للمرّة الأولى فتنبعث منه رائحة قويّة).

(٢) وأندى (ما تكون الريح): أكثر بللا. الهجير: اشتداد الحرّ في نصف النهار.

(٣) الذرى أو الذرا (بالضمّ فيهما) جمع ذروة (بالكسر أو بالضمّ): أعلى الشيء. العروس أو الأمير بناء في قلعة بني حماد (راجع الحاشية التي قبل حاشيتين هنا).

(٤) إيوان كسرى: بناء ضخم عال شرق بغداد (بناه الفرس). الخورنق والسدير بناءان في العراق (عربيّان). ازدرى فلان شيئاً: احتقره. يقصد بناء العروس أو الأمير أعظم من إيوان كسرى ومن قصر الخورنق وقصر السدير.

(٥) غديّة: في الصباح. تجاوب= تتجاوب (يجيب بعضها بعضاً): كأنّها تغنّي على اشتراك فيما بينها.

(٦) ورد الماء: ذهب إليه ليشرب منه. الصدى: العطش. الناهلة: (الدابّة) الذاهبة إلى المنهل (المشرب) لأنّها عطشى.

(٧) الطيقان جمع طاق: فتحة في الجدار شبه الشبّاك يشرف منها الإنسان على ما تحتها. الخميلة: بقعة فيها زهر كثير يخمل بعضه بعضاً. الوجنات (؟).

(٨) المشرف: العالي المطلّ على غيره. الأفق: الناحية من الأرض (في اصطلاح المغاربة). – في علم الفلك =

فإنْ ثَنَتِ الأيّامُ عنها أعِنّتي وأنزَلْنَني في غيرِ تلك المنازل،
فصبرٌ جميلٌ، غيرَ أنّ صَبابتي ستبقى بقاءَ الطالعاتِ الأوافل[١] .

- من كتاب « نبذة المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة » (المكتبة العربية الصقلّية، ص ٣٦٧):

(من الفصل الأوّل)... والمِظلّةُ التي آختُصّوا بها[٢] من دون سائرِ الملوك شِبهُ دَرَقةٍ في رأسِ رُمحٍ[٣] مُحكمةُ الصَّنعة رائقة المنظرة صُرف فيها من[٤] الصِّناعة في الصِّياغة ونَظْمِ الأحجار العالية الغالية ما يَروقُ[٥] مرآهُ ويُدْهِشُ مَنْ رآه، يُمْسِكُها فارسٌ من الفُرسان يُعْرَفُ بها - فيقال: صاحِبُ المِظلّة -. وكانتْ عندَهم خُطّةً يَتداولُها من يؤهّل[٦] فيُحاذي بها المَلِكَ من حيثُ كانت الشمسُ يَقيه حرّها بظِلِّها[٧]. وفيه يقول محمّدُ بنُ هاني[٨] من قصيدةٍ يمدحُ بها مَعدًّا المُعِزَّ الذي يأتي ذكره[٩].

ولا يُعْلَمُ أحدٌ من الموك آتّخذَ هذه المِظلّةَ إلّا بنو عُبيدٍ ثمّ مَلِكُ الرومّ

= القديم أن الشمس والقمر ينزلان (في أثناء جريهما) بمنازل (بمواقع في السماء) منها ما يدلّ على السعد ومنها ما يدلّ على النحس.

(١) الصبابة: الشوق أو الشوق الشديد. الطالعات الأوافل (الغاربات): النجوم. ستبقى بقاء الطالعات الأوافل: ستدوم.

(٢) كانت مخصوصة (أو خاصّة) ببني عبيد الله المهدي (ملوك الفاطميّين). بها (بهذه المظلّة).

(٣) درقة: ترس من جلد. في رأس رمح (محمولة على رمح).

(٤) المنظر والمنظرة: ما نظرت إليه فأعجبك (تاج العروس - الكويت ١٤ : ٢٤٦). صرف (بالبناء للمجهول: بضمّ الصاد وكسر الراء - مشدّدة أو غير مشدّدة) فيها (غير موجودة في الأصل).

(٥) الأحجار أي الحجارة الكريمة كالزمرّد والماس (ولا تقل الألماس، فإنّه من لحن العامة، راجع تاج العروس - الكويت، ١٦ : ٥٢٦). يروق: يسرّ.

(٦) الخطّة (بالضمّ): المنصب (الوظيفة). يؤهّل (في الأصل: يزهل): يعدّ لها، يكون لها أهلا (مستحقًّا).

(٧) يقيه: يحفظه، يحميه. حرّها (حرّ الشمس). ظلّها (ظلّ المظلّة). حاذى - حازاه: وازاه، قاربه.

(٨) محمّد بن هاني الأندلسي الشاعر (ت ٣٦٢، راجع ترجمته في الجزء الرابع).

(٩) المعزّ لدين الله الفاطمي معدّ بن اسماعيل (رابع الأئمّة الفاطميّين ٣٤١ - ٣٦٥ هـ)، وفي أيامه استولى الفاطميّون على مصر. « يأتي ذكره » (سيذكره ابن حماد في كتابه).

باصقيلية[١]. وأحسبُ[٢] أنهم أهْدَوْها إليه في بعض هداياهم. وكأنّي سَمِعتُ هذا.

٤- أخبار ملوك بني عبيد (فان در هايدن)، الجزائر (منشورات جامعة الجزائر - السلسلة الثالثة، رقم ١٢) ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م).

★★ التكملة (رقم ١٦٣٧)؛ رحلة التجاني ١١٦ - ١١٧؛ عنوان الدراية (نشره عادل نويهض) ١٢٨ - ١٢٩، (نشره رابح بونار) ١٩٢؛ ابن قنفذ ٣١١؛ راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٢؛ تاريخ الجزائر العامّ ١: ٣٩٨ - ٣٩٩؛ الطمّار ٧٥ - ٧٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٦٩ (٢٨٠)؛ المكتبة العربية الصقلية ٣١٧ - ٣١٨.

ابنُ مُعْطٍ الزَواويُّ

١- هُوَ زَيْنُ الدين أبو زَكَرِيّا يحيى بنُ عبدِ المُعْطي بنِ عبدِ النور الزَواويُّ الجُزوليُّ النحويّ الحَنَفيّ المعروف بابن مُعْطٍ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ١١٦٩ م)، ودرس في الجزائر على أبي موسى الجُزوليّ (ت ٦٠٧ هـ). ثمّ إنّه رَحَلَ إلى مِصْرَ ثمّ ٱنتقل إلى دِمَشْقَ وسكن فيها مُدّةً طويلةً ودَرَسَ على الحافِظِ ابنِ عساكرَ.

وعَمِلَ ابنُ مُعْطٍ في أولِ الأمرِ، في دِمَشْقَ، «شاهداً» لِيَكْسِبَ قُوتَه. ثمّ ظهرتْ مكانتُه وعَظُمتْ شُهرتُه فولّاه الملكُ المُعَظّم (٦١٥ - ٦٢٤ هـ) مَصالحَ المساجدِ (في دمشق). ثمّ إنّ المَلِكَ الكاملَ (٦١٥ - ٦٣٥ هـ) سُلطانَ مِصْرَ رَغّبَهُ في الٱنتقال إلى مصر فسافرَ إليها وتَصَدّرَ لتدريس الأدب في الجامع العتيق (جامع عمروٍ بالفُسطاط: مصر القديمة) وجعل له راتباً جارياً. واستمرَّ على ذلك إلى أن تُوُفِّيَ في ٣٠ من ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٦٢٨ (٢٩/ ٩/ ١٢٣١ م).

٢- ابن مُعْطٍ الزَواويُّ أحدُ أئمّةِ اللغة والنحو في عصره: ماهرٌ في العربية (النحو) مبرّزٌ في علمِ الأدب قادرٌ في النظم والنثر. وهو مؤلّف، له: قصيدة في

---

(١) باصقيلية= بصقلّية (في صقلّية). وهذه المظلّة لا تزال إلى الآن مستخدمة في المغرب: يركب ملك المغرب حصاناً ثمّ يسير بجانبه رجل يحمل مظلّة (من نسيج) يدفع بها حرّ الشمس عن الملك.

(٢) في الأصل: حسب.

القراءات السبع - نَظْمُ الجوهرة لابن دُريدٍ - الأرجوزة الألْفية (ولَعلّها أوّلُ ألْفِيَّةٍ في النحو) - الفصول الخمسون (في النحو) - البديع في صِناعة الشعر - ديوان شعر - ديوان خُطَب - حواشي على أصول ابن السرّاج - نظم الصحاح للجوهري (لم يُكمّلْه) - المثلث في اللغة (وهي قصيدة في العروض؛ راجع معجم الأدباء ٢٠ : ٣٥).

والعُنوانُ الكاملُ لألفيّةِ ابنِ مُعطٍ هو: « الدرّة الألفيّة في عِلم العربية »، وهي - في الحقيقة - ألفٌ وواحدٌ وعشرونَ بيتاً من مشطور بَحْر الرَجَزِ (راجع البيت الثالثَ عَشَرَ منها):

لِعلْمِهِمْ بـــأنّ حِفْـــظَ النَّظْمِ ... وَفْـقُ الذَّكيِّ والبعيـدِ الفَهْمِ[1]،
لا سيّما مشطورُ بحرِ الرَجَزِ ... إذا بُني عـلى ازدواجِ مُوجَزِ[2].

وألفيّةُ ابنِ مُعْطٍ جافّةٌ شديدةُ الإيجازِ لا تُفْهَمُ إلّا بشرحٍ طويل. ولعلّها مفيدةٌ لِمَنْ يُتْقِنُ النحو والصرف. أمّا الذي يبتدىءُ تعلُّمَ النحوِ بِحِفْظِها فلا يستطيعُ أنْ يستفيدَ منها (ولا مِنْ أمثالها) شيئاً. وفي هذه الأرجوزة جَوازاتٌ شاذّة (لا أعلَمُ إذا كانتْ من صاحبها أو من النسّاخ).

٣ - مختارات من آثاره:

- من الدرّة الألفية في علم العربية(★):

★ من مبدأ الألفيّة:

يقولُ راجي ربّــــــهِ الغَفورِ ... يَحْيى بنُ مُعْطٍ ابنُ عبدِ النورِ:

---

(١) راجع تفسير هذا البيت في « المختارات ».

(٢) في تاج العروس (الكويت): والمشطور من الرجز والسريع ما ذهب شطره (نصفه) وذلك إذا نقص ثلاثة أجزاء من ستّته (١٢ : ١٧٢). وهذا التعريف لا ينطبق هنا على ألفيّة ابن معط، فإنّه قد التزم فيها الازدواج (مستفعلن ستّ مرّات). والازدواج (في البيت المشار إليه يعني ازدواج القافية (مجيء كلّ شطرين على رويّ واحدٍ مستقلّ، بدلاً من أن تكون جميع أشطر الأرجوزة على رويّ واحد).

(★) لن أتناول الأبيات بشرح مفصَّل لأن ذلك سيكون استعراضاً لقواعد النحو وشواذه أيضاً.

الحمــــدُ للهِ الـــذي هَدانـــا بأحمدٍ دينـــاً لـــه ٱرتضانـــا[1].
فــلم يَزَلْ ينمــى بــه الإسلامُ حتّى اسْتبانَتْ للهُدى أعلامُ؛
مُؤَيَّــداً منــه بِخــيرِ الكُتُــبِ وَحْيـــاً إليـــه بِلِسانٍ عَرَبِي،
لِكَوْنــهِ أشرفَ مــا بــهِ نُطِقْ، كما الرسولُ خــيرُ مخلوقٍ خُلِقْ.
صلّـــى عليـــهِ اللهُ ثمَّ سَلَّما وآلـــهِ وصَحْبِـــه وكَرّمـــا.
وبعــدُ، فالعِلْمُ جليــلُ القَــدْرِ وفي قليلـــهِ نَفـــادُ العُمْرِ.
فابْـــدَأْ بمـــا هُو الأهَمُّ فالأهمّ، فالحـــازمُ البادئُ فيما يُسْتَتَمّ[2].
فـــإنَّ مَنْ يُتْقِنُ بعـــضَ الفنِّ يُضْطَرُّ للباقي ولا يَسْتغـــني.
وذا حدَا إخوانَ صِدْقٍ لي على أنِ ٱقتضَوْا منّي لهم أنْ أجعَلا[3]
أُرجوزةً وجـــيزةً في النَّحْوِ عِدَّتُهـا أَلْـفٌ خَلَتْ من حَشْوِ؛
لِعِلْمِهِم بـــأنّ حِفـــظَ النَّظْمِ وَفْــقُ الذَّكيّ والبعيــدِ الفَهْمِ[4].
فقلـــتُ غـــيرَ آمنٍ مِنْ حاسدِ أو جاهــلٍ أو عــالمٍ مُعانــدِ[5]:

★ القَوْلُ في الإعراب والبِناءِ، الأصـــلُ في الإعرابِ للأسماءِ:
وحَـــــدُّه تَغَيُّرٌ في الآخِرِ بعامـــلٍ مقـــدَّرٍ أو ظاهرِ[6]:
بالرفــعِ أو بالنصــبِ أو بالجرِّ كـ «ـمَرّ زيــدٌ راكبـاً بعَمْرِو».
والجزْمُ من ألقابـه، كـ «ـلَمْ يَرِمْ». وليس في الأسماءِ شيءٌ ينجزمْ[7].

---

(١) أحمد من أسماء محمد رسول الله.
(٢) إن العاقل يبدأ بالقيام بالأمور التي يستطيع أن يتِمَّها.
(٣) حدا: دفع. اقتضى فلان فلاناً حقًّا: طلبه منه.
(٤) النظم (الشعر) أهون في الحفظ على الذكي وعلى بعيد (قليل) الفهم. وفق: قدر (أي يوافق ويساوي).
(٥) ... وأنا أخشى أن ينهض لي رجل جاهل أو رجل عالم ولكنه محب للعناد (الجدال) يحسدني على ما أفعله فينتقدني ويخطّئني ظلماً في عدد من الأمور.
(٦) العامل (السبب في الإعراب). جاء زيد (زيد فاعل مرفوع بالفعل« جاء »- عامل ظاهر). زيد غائب (زيد مبتدأ مرفوع بالابتداء - عامل مُقَدَّر).
(٧) من ألقابه (من خصائص الفعل). رام الرجل مكانه يريمه: برحه (غادره، تركه). - الجزم خاصّ بالأفعال وليس من خصائص الأسماء.

وليس في الأفعالِ ما يَنْجَرُّ فَعُوِّضَتْ جزْماً بها يُقَرُّ[1].
والحرفُ مَبْنِيٌّ بكلِّ حالِ، والأصلُ في البِناء للأفعالْ.
فالمُعْرَبُ الاسمُ الذي تَمَكَّنَا ثمّ مضارعٌ سيأتي بيِّنا[2].
★القول في إعرابِ الاسْمِ الواحدِ: كلُّ صحيحٍ بانصرافٍ واردِ[3].
فَرَفْعُهُ بضمّةٍ تَبينُ ويَتْبَعُ الحَرَكَةَ التنوينُ.
والنصبُ فيه بانفتاحِ الآخِرِ، والجرّ فيه بانكسارٍ ظاهرِ.
وإن يكُنْ آخِرُه مُعْتَلّا بألفٍ، نحو: الفَتى وحُبْلى
سُمِّيَ مقصوراً بهِ تُقَدَّرُ: الحَرَكاتُ كُلُّها لا تَظْهَرُ.
وإن يكن ياءً وكسرٌ قبلَهُ سُمِّيَ منقوصاً لِنَقْصِ حَلّه[4]؛
نحوَ: الشَّجِيْ. والنصبُ فيه يظهَرُ؛ والرفعُ كالجرّ به يُقَدَّرُ.
والواوُ والياء إذا ما كانا في اسمٍ حَوَى قَبْلَها إسْكانا،
أو كان مهموزاً كمِثْلِ الشاءِ والظَبْيِ والآيِ والكِساءِ
والعَدْوِ والعَدُوِّ والكُرسِيِّ جئتَ بإعرابٍ لها جَلِيّ.
وسِتّةٌ بالواوِ رفعاً إنْ تُضِف والياءُ في الجرِّ، وفي النصب الألِفْ:
أخٌ أبٌ حَمٌ هَنٌ وفُوهُ؛ ذو المالِ قُلْ، ولا يَجوزُ ذُوهُ.
وكلُّ ما لم يَنْصَرِفْ تفتَحُهُ جرًّا - كإسحاقَ - ويأتي شَرْحُهُ.

---

(١) الفعل لا يجرّ (لا تظهر على آخره كسرة، إلّا في مثل قولنا: لم يُشدّ - إذ يتعذر ظهور السكون على الشدّة فيصبح الحرف الواحد عليه سكونان، ذلك لأن الشدة في الحقيقة تمثل حرفين متماثلين أولهما ساكن وثانيهما متحرك. فإذا نحن سكّنّا آخر الكلمة أصبح على آخرها سكونان، وهذا متعذر في اللفظ) لم يشدّ (يجوز أن تظهر على آخرها الضمة أو الفتحة أو الكسرة).

(٢) الاسم المتمكن: المنتهي بحرف صحيح كالجيم والنون مثلاً، لا بحرف علة، أي بألف طويلة (مثل العصا) أو ألف مقصورة (مثل الفتى) أو ياء معلولة (مثل القاضي). أما الواو والياء في مثل العدوّ والسعي فتعامل في الإعراب معاملة الحرف الصحيح.

(٣) كل اسم صحيح الآخر يرد (يأتي) مصروفاً (تظهر عليه الحركات الثلاث). وغير المنصرف أو غير المصروف. تكون الفتحة علامة جره.

(٤) الاسم المنقوص ما ختم بياء قبلها كسرة، نحو: القاضي - لأن الياء تنقص منه إذا نكّرناه (تركنا تعريفه باللام): قاض ...

- وروى ياقوت الحَمَويُّ لابن عبد المعطي مقطوعتين هما (معجم الأدباء ٢٠ : ٣٦):

★ قالوا: تلقّبَ «زينَ الدين»، فهْوَ لهُ … نعتٌ جميلٌ به أضحى آسمُه حَسَنا.
فقُلْتُ: لا تَغْبطوه. إنّه لقبٌ … وقْفٌ على كُلِّ نَحْسٍ. والدليلُ أنا.

★ وإذا طلبتَ العِلْمَ، فاعْلَمْ أنّه … عِبْءٌ لتَنْظُرَ أيَّ عِبْءٍ تَحْمِلُ.
وإذا عَلِمْتَ بأنّه مُتفاضِلٌ … فاشْغَلْ فؤادَك بالذي هُوَ أفضلُ[1].

٤ - الفصول الخمسون (سيوغرن)، ليبسيك ١٨٩٩ م.
- الأرجوزة الألفية في علم العربية (تسترشتاين)، ليبسيج ١٩٠٠ م★.

★★ معجم الأدباء ٢٠ : ٣٥ - ٣٦؛ تعريف الخلف ٢ : ٥٨٧ - ٥٨٨؛ وفيات الأعيان ٦ : ١٩٧؛ العبر للذهبي ٥ : ١١٢؛ بغية الوعاة ٤١٦؛ شذرات الذهب ٥ : ١٢٩؛ نفح الطيب، راجع ٢ : ٢٣٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٩٣؛ بروكلمن ١ : ٣٦٦ - ٣٦٧، الملحق ١ : ٥٣٠ - ٥٣١؛ الأعلام للزركلي ٩ : ١٩٢ - ١٩٣ (٨ : ١٥٥)؛ أعلام الجزائر ٢٠١ - ٢٠٢؛ تاريخ الجزائر العامّ ٢ : ٥٥ - ٥٦؛ سركيس ٢٤٥ - ٢٤٦؛ الطمّار ٩١ - ٩٢؛ سركيس ٢٤٥ - ٢٤٦.

أبو الوليد الشقنديّ

١ - هو أبو الوليدِ اسماعيلُ بنُ محمّدٍ الشُقُنْديُّ، وُلِدَ في شُقُنْدَةَ[2]. تَطَوّفَ حِيناً في المَغْرِب، وكانتْ صِلته بالموحِّدين وثيقةً. جالسَ أبا يوسفَ يعقوبَ المنصورَ (٥٨١ - ٥٩٥ هـ)؛ وولّاه المنصورُ القضاءَ في الأندلس: في بيّاسةَ ثمّ في لُورقة وفي أُبَّذَةَ من

---

(١) متفاضل: بعضه أفضل من بعض.

(★) لا شكّ في أنّ هذه «الألفيّة قد طبعت في عدد من البلاد العربية مرارا، ولكن لم أقع، بالوسائل التي بين يدّي، على مثل هذه الطبعات.

(٢) شُقُنْدة قرية من قرى قرطبة إلى الغرب من الرَّبَض (الضاحية الجنوبية من قرطبة) جنوب الضفّة الجنوبية لنهر الوادي الكبير.

أعمال جَيّان. ورأيناهُ مرّةً في المَغْرب عندَ أبي يحيى بن أبي زكريا والي سَبْتَةَ[1]. وكانتْ وفاتُه في إشْبِيلِيَةَ، سَنَة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ - ١٢٣٢ م).

٢ - كان أبو الوليدِ الشُقُنديُّ جامعاً لفنونٍ كثيرةٍ من العلوم الحديثة والعلوم القديمة[2] (نفح الطيب ٣ : ٢٢٣) حافظاً للحديث أديباً وناثراً بارعاً. وكان شِعْرُه عاديًّا، وفي شِعرِه شيءٌ من المُجون (نفح الطيب ٣ : ٢٢٤). وله من الكتب: الطرف (نفح الطيب ١ : ٣٩٩، ٢ : ٢٧، ٣ : ٣٦٩) أو طرف الظرفاء (بروكلمان، الملحق ١ : ٤٨٣).

٣ - مختارات من آثاره:

- من رسالة الشُّقُنْديّ (نفح الطيب ٣ : ١٨٦ وما بعد):

كان الشُقُنديُّ عند أبي يحيى بنِ أبي زكريا والي سَبْتَةَ، فجَرَى بينَه وبين أبي يحيى ابن المُعَلّمِ الطَنْجيِّ[3] نزاعٌ في التفضيل بين البَرّيْنِ (بين الأندلُسِ والمَغْرب). ولمّا طال النزاعُ قال والي سبتةَ: الرأيُ عندي أن يعمَلَ كلُّ واحدٍ منكما رسالةً في تفضيلِ برّه (راجع نفحَ الطيب ٣ : ١٨٦ وما بعد). فعمِلَ الشُقُنديُّ رسالةً في فضل الأندلس جاءت قطعةً بارعةً من النَثْرِ الأصيلِ السَهْلِ المتينِ المُمْتِعِ برُوحِ الفُكاهةِ خاصّةً. وهي تنكشف عن علمٍ كثيرٍ، كما تدلّ على ذَوْقِ الشُقُنديّ في اختيار نماذجِ الشعرِ التي جاء بها في ثنايا تلك الرسالة:

- ص ١٨٧ :

الحمدُ للهِ الذي جعل لمَنْ يَفْخَرُ بجزيرة الأندلس أنْ يتكلّمَ مِلْءَ فيه، ويُطْنبَ ما شاء فلا يجد من يَثْنيه[4]؛ إذ لا يُقال للنهار: يا مُظْلِمُ، ولا لوجهِ النعيم: يا قبيحُ!....

(١) كان أبو يحيى صهر الناصر الموحّدي (٥٩٥ - ٦١١).

(٢) العلوم القديمة (العلوم الدخيلة): الفلسفة والفلك الخ. العلوم الحديثة علوم الدين والعربية (؟).

(٣) أبو يحيى بن المعلم الطنجي (لم أهتد إلى صاحب هذا الاسم إلا في هذا النص. ولم يرد هذا الاسم في مكان من الفهرس الهجائي لنفح الطيب).

(٤) أطنب: بالغ، أكثر الكلام في موضوع ما. ثناه يثنيه: ردّه، منعه.

أمّا بعد، فإنّه حرّك[١] منّي ساكناً وملأ منّي فارغاً - فخرجتُ عن سَجيّتي في الإغضاء مُكْرَهاً إلى الحَميّة والإباء[٢] - مُنازعٌ (فاعل حرّك) في فضل الأندلُس أراد أن يَخْرقَ الإجماعَ ويأتيَ بما لا تَقْبَلُه النواظرُ والأسماع..... رامَ أنْ يفضّلَ بَرّ العُدوةِ على برِّ الأندلس فرامَ أن يفضّلَ على اليمين اليَسارَ، ويقولَ: الليلُ أضوأُ من النهار...

- ص ١٨٨:

.... اقْنِ حياءَك أيُّها المُغرِّدُ بالنحيب[٣]، المتزيّنُ بالخَلَقِ المتحبّبُ إلى الغواني بالمَشيب الخَضيب[٤].... أبلغت العصبيّةُ مِنْ قلبِكَ أن تَطْمِسَ على نُورَيْ بَصَرِكَ ولُبِّك[٥]؟ أمّا قولُك: «الملوكُ منّا»؛ فقد كان الملوكُ منّا أيضاً[٦]. وما نحن إلّا كما قال الشاعر:

فيومٌ علينـــــا ويومٌ لنـــــا، ويوم نُساءُ ويومٌ نُسَرّ.

إن كان كرسيُّ جميعِ بلادِ المَغْرب[٧] عندكم بخلافةِ بني عبد المؤمن - أدامَها اللهُ تعالى - فقد كانت عندنا بخِلافة المَشْرقيّين الذين يقول مَشْرِقيُّهم[٨]:

وإنّيَ من قومٍ كِرامٍ أعِزّةٍ لأَقدامِهم صِيغتْ رؤوسُ المنابرِ.

---

(١) فاعل (حرّك) «منازع» (في السطر التالي).

(٢) السجية: الطبيعة. الإغضاء: غض البصر، السكوت عن أمر من الأمور. الحمية: الحماسة، شدة المدافعة عن أمرٍ ما (حقاً أو باطلاً). الإباء: الرفض، الامتناع عن عمل ما.

(٣) المغرِّد (المغنّي) بالنحيب (رفع الصوت بالبكاء).

(٤) المتزين بالخَلَق (بفتح ففتح): المتهرىء من الثياب. الغانية: المرأة المستغنية بجمالها عن الحلي. بالمشيب الخضيب (المخضوب: المصبوغ باللون الأسود) - في هذه المتناقضات التي تقال هنا هزلاً وهزواً قاعدة أساسية من قواعد الشعر الحديث (وإن كان الشعر الحديث لا يأتي بمثل هذا الوضوح والتهكم العاقل).

(٥) اللبّ: العقل.

(٦) ان مدينة مرّاكش الآن (في أيام الشُّقُندي) كانت عاصمة المغرب الإسلامي (في إفريقية والأندلس). وقد كانت قرطبة من قبل (في أيام بني مروان في الأندلس) عاصمة للبلاد.

(٧) هذا الشعر للعتبي (بالضمّ) وهو أبو عبد الرحمن بن محمّد، وينتهي نسبه إلى عتبة بن أبي سفيان بن حرب. وأبو سفيان كان في الجاهلية رأس البيت الأموي. وكانت وفاة العتبي سنة ٢٢٨ هـ (راجع وفيات الأعيان ٤: ٣٩٩).

خلائفُ في الإسلام، في الشِركِ قـادةٌ. بهم وإليهم فخرُ كـــلِّ مُفاخر.

ويقول مَغْرِبِيُّهم[١]:

أَلَسْنا بـني مروانَ كيفَ تَبَدّلتْ بنـا الحالُ أو دارتْ علينا الدوائرُ.
إذا وُلِـدَ المولودُ منّـا تَهَلّـلتْ لـه الأرضُ واهتزّتْ إليه المنابر.

– ص ١٩٢:

.... وإنّك إذْ تَعَرّضتَ للمفاضلةِ بالعلماء فأخْبِرْني: هل لكم في الفِقْه[٢] مثلُ عبدِ الملك بن حبيبٍ الذي يُعمَلُ بأقوالهِ إلى الآنِ، ومثلُ أبي الوليدِ الباجيّ، ومثلُ أبي بكرِ بن العرَبي، ومثلُ أبي الوليدِ بن رشدٍ الأكبرِ، ومثلُ أبي الوليد بنِ رُشْدٍ الأصغرِ – ابنِ ابنِ رُشْدٍ الاكبر – نجومُ الإسلامِ ومصابيحُ شريعةِ محمّدٍ عليه السلامُ. وهل لكم في الحِفْظ[٣] مثل أبي محمّدِ بنِ حزمٍ الذي زَهِدَ في الوزارة والمال ومالَ إلى رُتْبةِ العلم ورآها فوقَ كلِّ رُتْبةٍ ثمّ قال وقد أُحْرِقَتْ كُتُبُهُ:

دَعونيَ من إحراقِ رَقٍّ وكاغِـدٍ وقولوا بعِلْم، كي يَرى الناسُ مَنْ يَدْري.
فإنْ تُحْرِقوا القُرطاسَ لا تُحرقوا الذي تَضَمّنَه القرطاسُ؛ إذ هو في صـدري!

– ص ١٩٣:

... وهلْ لكم في عِلْمِ اللُّحونِ والفلسفة كابنِ باجّه، وهلْ لكم في علمِ النجوم والفلسفة والهندسة مَلِكٌ كالمقتدر بنِ هودٍ صاحبِ سَرَقُسْطَة، فإنّه كان في ذلك آيةً[٤]؟ وهل لكم في الطِبّ مثلُ ابنِ طُفيلٍ صاحبِ رِسالةِ حيّ بنِ يقظانَ المُقَدّمِ في علمِ الفلسفة، ومثلُ بني زُهْرٍ أبي العَلاءِ ثمّ ابنهِ عبدِ الملكِ ثمّ (ابن) ابنهِ أبي بكرٍ[٥]: ثلاثةٍ في نَسَقٍ؟

---

(١) البيتان التاليان للأمير محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر في أواخر أيام المروانيين في قرطبة (راجع الحلة السيراء ١: ٢٠٨ – ٢١٠؛ وراجع نفح الطيب ٣: ١٨٨، الحاشية الرابعة).

(٢) فيما يلي أسماء علماء وأدباء يحسن أن ترجع إلى شيء من أخبارهم وأحوالهم في الصفحات السابقة من هذا الجزء أو في الجزء السابق.

(٣) في حفظ الحديث.

(٤) كان في ذلك آية (عظيم البراعة).

(٥) أبو بكر بن زهر (ت ٥٩٥ هـ) والذي كان أيضاً وشّاحاً.

... وهل لكم في بَلاغة النَثْر كالفتح بن عُبيدِ الله[١] الذي إنْ مَدَحَ رَفَعَ وان ذمّ وَضَعَ[٢]. وقد ظَهَرَ له من ذلك في كتاب «القلائد» ما هو أعدلُ شاهدٍ، ومثلُ ابن أبي الخِصال في تَرْسِيله[٣] ومثلُ أبي الحسن سهل بنِ مالكٍ الذي (هو) بينَ أَظْهُرِنا الآنَ في خُطَبِهِ؟ وهلْ لكم في الشعر مثلُ المُعْتَمِدِ بن عبّادٍ في قوله:

وليــلٍ بسُدِّ النهرِ أُنساً قطَعْتُـه ... بذاتِ سِوار مِثلِ مُنْعَطِفِ النَهْرِ[٤].
نَضَتْ بُرْدَها عن غُصْنِ بانٍ مُنَعَّمٍ، ... فيا حُسْنَ ما انشقّ الكِمامُ عن الزَهْرِ[٥]!

..... ومثلُ ابنهِ الراضي في قولهِ:

مرّوا بنـا أُصُلا من غيرِ ميعاد ... فأوْقَـدوا نارَ قلبي أَيّ إيقادِ[٦].
لا غَرْوَ إنْ زادَ في وَجْدي مُرورُهم، ... فرُؤيَـةُ الماءِ تُذكي غُلّة الصادي[٧]!

..... وهل لكم مَلِكٌ أَلّفَ في فنونِ الآدابِ كتاباً في نحو مائة مجلّدةٍ مثلُ المُظَفَّرِ بنِ الأفْطَسِ مَلكِ بَطَلْيَوْسَ ولم تَشْغَلْهُ الحروبُ ولا المملكةُ عن هِمّة الأدب؟ وهل لكم من الوزراء مثلُ ابنِ عمّارٍ في قصيدته التي سارت أشردَ من مَثَلٍ وأحبّ إلى الأسماع من لقاء حبيبٍ وَصَلَ، وهي التي يقول فيها -

- ص ١٩٤:

أثْمَرْتَ رُمْحَكَ من رؤوسِ ملوكِهِمْ ... لمّا رأيتَ الغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرا.
وصَبَغْتَ دِرْعك من دماءِ كُماتِهِمْ ... لمّا رأيتَ الحُسْنَ يُلْبَسُ أحمرا[٨]!

---

(١) هو الفتح بن خاقان.
(٢) وضع فلان مكانة فلان: خفضها، أنزلها (أذله).
(٣) الترسيل: كتابة الرسائل.
(٤) ذات سوار: المرأة (وفي المثل: لو غير ذات سوار لطمتني!).
(٥) نضت (خلعت) بردها (ثوبها الحرير) عن غصن بان (قامه طويلة رشيقة) منعّم (لينة، جميلة). الكِمامة (بالكسر): الأوراق الخضر التي تحتوي الأوراق الملونة في الزهرة.
(٦) الأصيل: ما بين العصر وغروب الشمس.
(٧) الغلة: العطش. الصادي: العطشان.
(٨) الكمي: الفارس (الشجاع) الكامل السلاح.

– ص ١٩٩ :

..... وهل منكم شاعرٌ رأى الناسَ قد ضجّوا من سَماعِ تشبيهِ الثَغْر بالأقاح[١]، وتشبيهِ الزَهْرِ بالنجوم، وتشبيهِ الخُدود بالشَقائق[٢]؛ فتلّطفَ لذلك في أن يأتيَ به في منْزعٍ يُصيِّرُ خَلَقَهُ[٣] في الأسماعِ جديداً، وكَليله في الأفكارِ حَديداً[٤]، فأغْرَبَ أحْسَنَ إغرابٍ وأعْرَبَ[٥] عن فَهْمِه بحُسْنِ تَخَيُّلِه أنبلَ إعرابٍ، وهو ابنُ الزَقّاقِ:

– ص ٢٠٠ :

وأغيدٍ طافَ بالكؤوسِ ضُحًى ... وحَثَّها والصباحُ قد وَضَحا[٦]،
والروضُ أهْدى لنا شَقائِقَه، ... وآسُهُ العَنْبريُّ قد نَفَحا،
قُلْنا: واينَ الأقاحُ؟ قال لنا: ... أوْدَعْتُه ثَغْر من سَقَى القدحا[٧].
فظلّ ساقي المُدامِ يَجْحَدُ ما ... قال، فلمّا تَبَسَّمَ افتضحا[٨]!

وقال:

ورياضٍ من الشقائقِ أضْحَتْ ... يَتهادى بها نَسيمُ الرِياحِ[٩]،

---

(١) تشبيه الثغر (الفم): يقصد الأسنان. الأقحوان (بضم الهمزة والحاء وفتح الواو) وجمعه أقاحٍ وأقاحيّ: زهر بتلاته بيض ووسطه أصفر.

(٢) شقائق النعمان (حمراء اللون).

(٣) منزع تأتي في القاموس بفتح فسكون ففتح أو بكسر فسكون ففتح (ولا توافق المقصود من الجملة) – المقصود من الجملة «الاتجاه، الطريقة». الخَلَق (بفتح ففتح): البالي، المتهرّىء.

(٤) الكليل: الضعيف (السيف الذي لا يقطع). حديد: حادّ، قوي، قاطع.

(٥) أغرب: أتى بالغريب (البعيد، النادر، المستغرب، الجميل). أعرب: أوضح، بيّن.

(٦) الأغيد: الناعم، المتثنّي (الجميل). حثّ الرجل رفيقه: استعجله، سأله موالاة العمل بسرعة.

(٧) الأقاح (يقصد بتلات الأقحوان، وتكون شبيهة بالأسنان الأمامية (إذا كانت تلك الأسنان سليمة نظيفة). في البيت السابق يذكر الشاعر شقائق النعمان (الأحمر) والآس (الأخضر). فيسأله سائل عن الأقحوان (ذي البتلات البيض والوسط الأصفر)، فيقول الشاعر إنّ الروض قد خصّ ثغر (فم) الساقي (ساقي الخمر، النديم الجميل) بالأقحوان، إذ منحه الأقحوان أسناناً.

(٨) وسئل الساقي عن ذلك فجحده (أنكره). ولكن لـمّا اتّفق أن ابتسم الساقي وبانت أسنانه، ظهرت أسنانه كبتلات الأقاحي.

(٩) شقائق النعمان (زهر أحمر اللون). تهادى: سار وهو يتمايل.

زُرْتُهـا والغَمامُ يَجْلِـدُ منهـا   زَهَراتٍ تروقُ لَوْنَ الراحِ[1].
قُلْتُ: ما ذنبُها؟ فقال مُجيباً:   سَرَقَـتْ حُمْرَةَ الخُـدودِ المِلاح!

فانظُرْ كيفَ زاحمَ بهذا الاختيالِ المُخترِعينَ وكيف سابق بهذا اللفظ المُبْتدعين...

- ص ٢٠٩:

... وقد أطَلْتُ عِنانَ[2] النَظْم، على أنّني اكْتَفَيْتُ مِنَ الاستدلال على النهارِ بالصَباح. فباللهِ، إلّا ما أخْبَرْتَني: مَنْ شاعِرُكم الذي تقابلون به شاعراً ممّن ذكرتُ؟ لا أعْرِفُ لكم أشهَرَ ذِكراً وأضخمَ شِعراً من أبي العَبّاس الجراويّ. وأولى لكمْ[3] أن تَجْحَدوا فَخْره وتَنْسَوْا ذِكْرَه. فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم في قولهِ من قصيدةٍ يمدحُ بها خليفةً:

إذا كـان أملاكُ الزمانِ أراقماً،   فإنّكَ فيهم - دائمَ الدهر - ثُعبـانُ[4]!

فما أقبحَ ما وَقَعَ ثعبانُ، وما أضعفَ ما جاء دائم الدهر! ولقد أنشدتُ أحدَ ظُرفاءِ الأندلسِ هذا البيتَ فقال: لا يُنْكَرُ هذا على مِثْلِ الجِراوي. فسُبْحانَ من جَعَلَ نَسَبَه ورُوحَه وشِعرَه تتناسَبُ في الثقالة...

وأمّا غَرْناطةُ فإنّها دِمَشْقُ بلادِ الأندلُسِ مَسْرَحُ الأبصار ومَطْمحُ الأنفس، لها القَصَبَةُ المَنيعةُ ذاتُ الأسوارِ الشامخة[5] والمباني الرفيعة.... وزانَها اللهُ تعالى بأنْ جعَلَها مُرَتَّبَةً على بَسيطِها[6] المُمْتَدِّ الذي تَفرّعتْ فيه سبائكُ الأنهار بين زَبَرْجَدِ[7] الأشجار...

---

(١) جلد: ضرب. يجلد زهرات (يجعلها تتايل). راق: أعجب. وفي القاموس (٣: ٢٣٨ س) راق عليه: زاد عليه فضلاً. لون الراح (الخمر): الحمرة.

(٢) العنان: الرسن. أطلت عنان النظم (تكلمت كثيراً في الشعر والشعراء).

(٣) أولى لك: أليق بك، خير لك.

(٤) الأرقم: حية خبيثة. الثعبان: حية ضخمة. دائم الدهر: دائماً، طوال (بفتح الطاء) الدهر.

(٥) القصبة: المدينة (الرئيسة) المنيعة (المحصنة) التي يمتنع على العدوّ اقتحامها. الشامخة: العالية.

(٦) البسيط: السهل، الأرض المستوية.

(٧) سبيكة: قطعة مسبوكة. سبكاً على شكل مستطيل (من الفضة: كناية عن النهر بمائه الأبيض). الزبرجد: حجر كريم أخضر اللون.

- قال أبو الوليد الشُقُنديُّ في النسيب:

عَـلّلانـي بذِكْرِ من هِمْـتُ فيـه، وعِـداني عنـه بمـا أرْتَجيـهِ[1].
وإذا مـــا طربْتُما لارْتِياحي فاجْعَـلا خَمْرتي مُدامَـةَ فيـهِ[2].
ليـتَ شِعْري - وكم أُطيل الأماني - أيَّ يومٍ في خَلوةٍ ألْتَقيــهِ؟.
وإذا مـا ظَهَرْتُ يوماً بشَكْوًى قـال لي: أينَ كـلُّ ما تَدّعيـه؟
لا دموعٌ ولا سَقـــام، فماذا شاهـدٌ عنـك بالـذي تُخفيـه؟.
قلت: دعـني أمت بـدائي فإنّي لو براني الغرام لا أبديــه[3].

٤ - رسالة المفاضلة بين الأندلس وبر العدوة (تحقيق إحسان عبّاس)، بيروت ١٩٦٨؛ (تحقيق صلاح الدين المنجّد) بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م.

★★ المغرب ١: ٢١٣ - ٢١٤؛ اختصار القدح المعلى ١٣٨ - ١٣٩؛ الغصون اليانعة ٣٦ - ٣٧؛ نفح الطيب ١: ١٤٧ - ١٤٨، ١٥٦ - ١٥٧، ١٧٦، ٣: ١٨٦ وما بعد، ٢٢٢ - ٢٢٤؛ بروكلمن، الملحق ١: ٣٨٤؛ نيكل ٣٣٠ - ٣٣١؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٣ (٣٢٣ - ٣٢٤).

أبو الروح عيسى بن عبد الله النفزي

١ - هو أبو الرَوْح عيسى بنُ عبدِ الله بنِ محمّدِ بنِ موسى بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الله بنِ إبراهيمَ بن خليلٍ النَّفْزيُّ الحِمْيَريُّ التاكُرونِّيُّ، وُلِدَ في تاكُرونّا، على مقربَةٍ من قُرطُبَة، سَنَةَ ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م). تركَ عيسى بنُ عبدِ الله النَفْزِيُّ الأندلُسَ باكراً فمرَّ بمِصْرَ ولَقِيَ عُمَرَ بنَ الفارض[4] ثمّ إنّه تابَعَ رِحْلتَه إلى الشام والعراقِ فوَصَلَ إلى

(١) علّ الساقي شخصاً (وعلّله): سقاه (الماء شيئاً بعد شيء. وعلّله (أيضاً): داواه من علّة فيه. هام فلان بفلانة: أحبها حبًّا شديداً. عد (بكسر فسكون) فعل أمر من «وعد».
(٢) الارتياح: السرور والاطمئنان والنشوة. المدامة: الخمر (ولا تقل: خمرة). فيه (فمه).
(٣) برى يبري: نحت (أنحل، أمرض). أبدى: أظهر.
(٤) الشاعر الصوفي (ت ٦٣٢ هـ) راجع ٣: ٥٢٠.

إرْبِلَ (جنوبَ شرقِ المَوْصل)، سَنَةَ ٦٢٧ هـ. ثمّ وصَلَ إلى آمِدَ، ومن آمِدَ عاد إلى أرزُنَ من دِيارِ بكْرٍ (جنوبَ شرقِيّ تُرْكِيَةَ اليومَ) فتُوُفِّيَ فيها سَنَةَ ٦٢٩ هـ (١٢٣١ - ١٢٣٢ م).

٢ - كان عيسى بن عبدِ اللهِ شابًّا مُتأدِّبًا فاضلًا يقولُ الشعر تَبْيِيتاً وارْتِجالاً وله شِعْرٌ حَسَنٌ. وشِعره وُجْدانيٌّ فيه وصفٌ وغزَل.

٣ - مختارات من شعره:

- مقطعات لعيسى بنِ عبدِ الله النَفْزيّ:

★★ يا قلبُ، ما لك لا تُفيقُ من الهوى ... أوَما يَقرُّ بـك، الزمـانَ، قرارُ[١]؟
أَلِـكُلِّ ذي وجهٍ جميـلٍ حَنّـةٌ ... ولكلِّ عهدٍ سالفٍ تَذْكار[٢]؟

★★ إنْ أودعَ الطِرْسَ مـا وشّاهُ خاطِرُهُ ... أبدى لِعَيْنَيْكَ أزهاراً وأشجارا[٣].
وإن تهـدَدّ فيه، أو يَعِدْ كَرَماً: ... بَثّ البَرِيّةَ آجالاً وأعمارا[٤].

★★ أوْصَيْتُ قَلْبِيَ أَنْ يَفِرَّ عن الصبا ... ظنًّا بأنّي قد دعوتُ سَميعا.
فأجابَني: لا تَخْشَ منّي بعدَما ... أفْلَتُّ من شَرَكِ الغرامِ وقوعا[٥].
حتّى إذا نادى الحبيبُ رأيتَه ... آوَى إليهِ مُلَبياً ومطيعا[٦]،
كذُبالـةٍ أخمدتَّهـا، فـإذا دنـا ... منها الضِرامُ تَعَلّقَتْه سريعا[٧].

٤ - ★★ نفح الطيب ٢: ٦٠٦ - ٦٠٨.

---

(١) الزمانَ (منصوبة لأنّها ظرف مفعول فيه): طول الزمان، طول حياتي.
(٢) حنّة: حنين (شوق). سالف: ماض.
(٣) وشّاه: طرّزه. الطرس: الورق (إن كتب ناثراً أو ناظماً).
(٤) البريّة: الخلق كلّهم. آجالا (انتهاء الأعمار: قتل الناس). أعماراً (امتداد الحياة: وهب الناس أعماراً جديدة).
(٥) في نفح الطيب (٢: ٦٠٨) افلتَّ (بفتح التاء).
(٦) آوى: لجأ (ذهب إليه).
(٧) الذبالة: فتيلة السراج. الضرام: النار المشتعلة بلهب. تعلّقته: جعلت (النار) تتعلّق بها (اشتعلت).

المأمون الموحِّديّ

١ - هو أميرُ المؤمنينَ المأمونُ إدريسُ بنُ يعقوبَ (المنصورِ) بن يوسفَ بن عبد المؤمن أولِ سلاطينِ المُوحِّدين. كان المأمونُ المُوَحِّديُّ في أولِ أمرِه والياً في الأندلس على مالَقَةَ ثمّ على قُرْطُبَةَ ثمّ على إشبيلية. في ذلك الحينِ كان أمرُ المُسلمين في الأندلس قد أصبحَ ضعيفاً جدًّا، استبدّ بنو هودٍ بما كان قد بَقِيَ للمسلمين في الجانب الشَرقي الجَنوبيّ في الأندلس، وكان يُنازِعُهم بنو نَصْرٍ الذين استبدّوا فيما بعد بغرناطة وما حولَها. وكانت سُلطةُ الموحِّدين لا تزالُ مبسوطةً على عدد من المُدن كقُرطبة وإشبيلية ومالَقه، فكان المأمونُ المُوحِّديُّ بشجاعتهِ وبمقدرته في القتالِ يَحولُ بينَ الإسبان والمُدُنِ الأندلسية ما أمكنَ، كما كان يَحولُ بينَ الثائرين المسلمين (من أمثالِ بني هود) وتقليصِ سُلطةِ الموحِّدين في الأندلس.

وكذلك كان أمرُ المَغرِب مُضطرباً بتنازع رجالِ الموحِّدين على الحُكم. لمّا تُوُفِّيَ السُلطانُ أبو محمّدٍ عبدُ الله العادلُ (٦٢٤ هـ) أُخِذَتِ البَيْعةُ للمأمونِ في مَرّاكُش وفي الأندلس. ثمّ رأى جماعةٌ من أهل المَغرب أن يَعْدِلوا عن بَيْعةِ المأمون إلى بَيْعة ابن أخيه يحيى بنِ العادلِ - وكان صغيرَ السنّ، ورَجا الناكثون للبَيْعة أن يستبدُّوا بالأمرِ في أيامِه - . نَسِيَ المأمون الموحِّديُّ (مَعَ الأسف) كلّ شيءٍ إلّا حقَّه الشخصيَّ في المُلْك فقضى مُدّةً جَمَعَ في أثنائها جيشاً كبيراً ضمّ إليه اثْنَيْ عَشَرَ ألْفاً من فُرسانِ الإسبان (النصارى) وجاء بذلك الجيشِ إلى المَغْرب. وانتصر المأمونُ على ابن أخيه يحيى وأبادَ الجانبَ الأكبر من جَيْشه ثمّ تَتَبَّعَ الناكثين لبَيْعته بالقتل. وكان المأمونُ المُوحِّديُّ بعملِه هذا قد زادَ أمر المغرب والموحِّدين اضطراباً، كما كان قد تَرَكَ الجوّ في الأندلس خالياً للإسبان يُخْرجون منها المُسلمين شيئاً فشيئاً.

وكانتْ وفاةُ إدريسَ بنِ يعقوبَ المأمونِ الموحِّديِّ في ذي الحِجّة من سَنَة ٦٢٩ (خريف ١٢٣٢ م) بعيداً عن مَرّاكش.

٢ - كان المأمونُ المُوحِّديُّ رَجُلًا ذَكِيًّا عاقلًا وشُجاعاً حازماً وجَواداً كريماً. وكان أيضاً مُغرَماً بالبِناء عارفاً بُوجوهِه حتّى أنّ عُرَفاءَ البّنائين كانوا لا يتصرّفون إلّا

بنَظَره (برأيه وإرشاده). وكذلك كانتْ له مشاركةٌ في عددٍ من فنونِ المعرفةِ. وفي رسائلِهِ وأشعارِه ما يدُلُّ على معرفةٍ بالقُرآن والحديث والفِقه. ثمّ إنّه كان أديباً وكاتباً فصيحاً وناظماً للشعر.

٣- مختارات من آثاره:

- رسالة للمأمون الموحِّدي بإبطالِ دعوى المَهْدِيّ (ابن تومرت) وعصمته[١]:

.... للحقِّ لسانٌ ساطعٌ وحُكْم قاطعٌ، وقضاءٌ لا يُرَدُّ وباب لا يُسدّ، وظِلالٌ على الآفاق تمحو النِفاق. والذي نوصيكُمْ به تَقْوَى اللهِ والاسْتعانةُ به والتوكّلُ عليه، ولِتَعْلموا أنّنا نَبَذْنا الباطلَ وأظْهَرْنا الحقّ، وأنْ لا مَهْديَّ إلّا عِيسى بنُ مريمَ[٢] الناطقُ بالصِدق. وتلك[٣] بدْعَةٌ قد أزَلْناها، واللهُ يُعينُنا على القلادة التي تَقَلّدناها[٤]؛ كما أزَلْنا لفظَ العِصمة[٥] عمّن لا تثبُتُ له، وأسْقَطْنا عنه وَصفَهُ ورسمَهُ. وقد كان سيّدُنا المنصورُ[٦]، رَضِيَ اللهُ عنه، هَمّ أن يصدَعَ بما به الآن قد صَدَعْنا[٧]، وأن يرقَعَ للأمّة الخَرْقَ الذي رَقَعْنا. فلم يُساعِدْهُ لذلك أمَلُهُ، ولا أجّلَهُ إليه أجَلُهُ[٨]. فَقَدِمَ على ربّهِ بصِدْقِ نيّةٍ وخالصِ طَوِيّةٍ[٩]. وإذا كانتِ العِصْمَةُ لم تثبُتْ عند العُلماءِ للصَّحابة[١٠]، فما الظنُّ بمَنْ لا يَدْري بأيّ يدٍ يأخذُ كِتابه[١١]. أفٍّ لهم، قد ضَلّوا

---

(١) النبوغ المغربي ٣٤٧ (الترقيم الثاني: يصل الكتاب إلى ص ٤٤٠، ثمّ يبدأ ٣٤١ الخ- راجع في باب المصادر والمراجع: النبوغ المغربي).

(٢) حينما ينزل في آخر الزمان.

(٣) أي دعوى المهدي بن تومرت.

(٤) القلادة: سلسلة توضع في العنق (هنا: التبعة التي تقلّدناها أي أخذنا أنفسنا بحملها).

(٥) العصمة: التنزّه عن الذنب والخطأ (وبهذا المعنى ليست في الإسلام إلّا لله).

(٦) أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ثالث سلاطين الموحِّدين ووالد المأمون (لكنّ المأمون تأخّر في المجيء إلى العرش).

(٧) صدع بالأمر: أعلنه.

(٨) أجّله (أخّره) إليه (إلى إعلان الإبطال لدعوى المهدي بن تومرت) أجَلُه (انتهاء عمره).

(٩) - توفّي وقصده أن يفعل ذلك (راجع الحاشية السابقة).

(١٠) الصحابة: الذين عاشوا في عصر الرسول واتّصلوا به وصحبوه.

(١١) لا يعلم إذا كان يوم القيامة سيأخذ كتابه بيمينه (يستحقّ الجنّة بأعماله الصالحة) أو بشماله- بكسر الشين- (يستحقّ النار بأفعاله السيّئة).

وأضلّوا، وسقطوا في ذلك وزلّوا. اللّهمَّ، اشْهَدْ أننا تَبرّأْنا منهم تبرُّءَ أهلِ الجنةِ من أهلِ النار. ونَعوذُ بِكَ من أمْرِهِمُ الرّثيثِ[1] وفِعْلِهِمُ الخبيثِ، لأنّهم في المُعْتَقَدِ كفّارٌ. والسلامُ على مَنِ اتّبعَ الهُدى واستقام.

- وقال المأمونُ المُوحّديّ لمّا قَتَلَ جُندُهُ ابنَ أُختٍ له:

ما ٱبنُ أُختي مِمّن يَعِزّ على رو ... حي، وإنْ كان قومُه أعدائي[2].
لا تُشلَّ اليدُ التي جرّعته ... حَتْفَه! فهو زائدٌ في الداء[3]!

- ولمّا بلغه قولُ الناس عنه إنّه حجّاجُ المَغْربِ لكَثْرة قَتْلِهِ، قال:

أنا الحجّاجُ؛ لكنّي صبورٌ ... مُقِرٌّ بالحساب وبالعِقاب[4].
وأعلَمُ أنّ لي بفَناءِ قومٍ ... عَمُوا عن رُشْدِهِم - ذُخْرَ الثواب[5]!

٤ - ★★ الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٠ - ٣٢٣؛ الإحاطة ١: ٤١٧ - ٤٢٦؛ شذرات الذهب ٥: ١٣٥؛ الاستقصا ١: ١٩٧ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٣: ٢٢٣ - ٢٢٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٩ - ٢٧٠ (٢٨١ - ٢٨٢)؛ النبوغ المغربي ٣٤٧ - ٣٥٠.

ابن إدريس التُّجيبيّ

١ - هو أبو عمرو إبراهيمُ بنُ إدريسَ التُجيبيُّ من أهلِ مُرْسِيَةَ، تولّى قضاءَ

---

(١) الرثيث: الجريح الذي لا يزال به رمق: بقيّة من حياة (وهو يقصد: الرّث: رديء المتاع، والنسيج المتهرّىء!).

(٢) لا أفضّل ابن أختي على نفسي.....

(٣) الحتف: الهلاك. فهو زائد في الداء (كان ابن أختي في حياته سبباً من أسباب شقائي).

(٤) الحجّاج بن يوسف الثقفي والي الأمويّين على العراق من سنة ٧٥ إلى سنة ٩٥ للهجرة (سنة وفاته). واتّهم الحجّاج بالظلم وبإكثار القتل في الناس. لقد كان الحجّاج بن يوسف حازماً شديداً وعنيفاً أيضاً (والمظالم التي تنسب إليه مبالغ فيها كثيراً). والحجّاج هو الذي أقرّ الأمن في العراق وأقرّ الملك لبني أمية في المشرق. الحساب والعقاب (يوم القيامة).

(٥) بفناء (هلاك) قوم (من أعداء المأمون الموحّدي). عموا عن رشدهم (لم يعرفوا الصواب). الذخر: ما يهيّأ للإنسان في المستقبل. الثواب (يوم القيامة).

مُرْسِيَةَ والخُطبةَ في جامِعِها. وكانت وفاتُه في أوّل سَنَةِ ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م).

٢ - كان ابنُ إدريسَ التُجيبيُّ شاعراً فَحْلًا متينَ التركيبِ سَهْلَ التعبيرِ، من فُنونِهِ المدحُ ووصفُ الحربِ والطبيعة.

٣ - **مختارات من شعره:**

- قال ابنُ إدريسَ التُجيبيُّ يمدَحُ مَلِكاً (لعلّه محمّدُ بنُ يوسفَ بنِ هودٍ) غزا الرومَ (الإسبان):

شِيَمُ الصَوارمِ أنْ تُقرِّبَ ما نَأى ... لكنْ على مَنْ عزمُه كَظُباتِها[1].
أخْلَصْتَ للرحمنِ نِيّةَ عالمٍ ... أنّ النفوسَ له على نِيّاتِها[2].
أوْطأتَ أرضَ المُشركين كَتائباً ... كادتْ تُميدُ الأرضَ من وَطآتِها،
كالبحرِ يطفَحُ مَوْجُه جَرْياً إذا ... هبّتْ رِياحُ النصرِ في راياتِها.
ظَنّوكَ لا تَستطيعُ دَفْعَ كُماتِها ... إذْ لم تُطِقْ بالجُود رَدَّ عُفاتِها[3].

٤ - ★★ تحفة القادم ١٣٨؛ الوافي بالوفيات ٥: ٣١٧ - ٣١٨؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٤. (٣١).

أبو القاسم البلويّ الإشبيلي

١ - هو أبو القاسمِ أحمدُ بنُ محمّدٍ البَلَويُّ الإشْبيليّ، من أهلِ إشْبيلِيَةَ، كان في أوّلِ أمرِهِ يكتُبُ لِنَفَرٍ من وُلاةِ المُوحِّدين في الأندلس. ثمّ لَحِقَه ما جَعَلَ الناسَ يتشاءمون بصُحبته وبُرؤيته «لا يَتعرّضُ لرئيسٍ فيَسْتَكْتِبَه (يجعَلُه كاتباً في الدولة)

(١) شيم (صفات) الصوارم (السيوف). نأى (ابتعد). الظبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدُّ السيف.
(٢) «أنّ» بفتح الهمزة - لأنّ الجملة المأوّلة من «أن وما بعدها» في محلّ نصب مفعول به من «عالم». - أنّ النفوس تلاقي من الخير بقدر ما تكون ناوية أن تفعل من الخير.
(٣) الكميّ: الفارس (الشجاع) الكامل السلاح. ظنّوك لا تستطيع ردّ (هزم) أعدائك لأنّك لم تستطع من قبل أن تردّ عفاتك (طالبي معروفك) خائبين (بلا عطاء).

ولا يأخُذُ (يحاول) في صُحبة نبيلٍ فيَصْحَبَه » (؟- إلّا حدَث لهذا النبيل أو لذلك الرئيسِ حادثٌ مُؤلمٌ أو أمرٌ مُؤذٍ). فانقطعَ رزْقُهُ وسُدّت أبوابُ الرزْق في وجههِ وعاش مُعتزلاً في مَنزِله يشكو غَدْرَ الزمانِ وخِيانةَ الإخوانِ حتّى قال عليُّ بنُ موسى بنُ سعيدٍ (٦١٠ - ٦٨٥ هـ)، صاحبُ كتاب « القِدْح المُعَلّى »: صِرْتُ أتراوغُ (أتحاشى) عن لِقائهِ وأدعو الله ألّا يُعَذِّبَه بطولِ بقائِه (كان يرجو له ألّا تطولَ حياتُه). وكانتْ وفاتُه في سَنَةِ ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ - ١٢٣٥ م) بعدَما أصابَه وسَواسٌ شديدٌ كاد يذهَبُ بعقلِه كلِّه.

٢ - كان أبو القاسمِ البلويُّ أديباً شاعراً ناثراً مشهوراً بصِناعة الكِتابة مُكْثِراً من النثر والشعر. وأوسع فنونه - فيما يبدو - الأدبُ. ولمّا جَلَسَ أبو العلاء إدريس المُوحِّدي الوالي على إشبيليةَ للهناء بمَقْتَلِ السيدِ أبي محمّدٍ البيّاسي الثائرِ عليه (والبيّاسي من الموحِّدين أيضاً)، وذلك سَنَةَ ٦٢٣ هـ، قال أبو القاسمِ البلويُّ قصيدةً مطلَعُها: « يا قُبّةَ السعدِ هُزّي قبّة الوادي » كان لها سَيْرورةٌ على الألْسِنَةِ واسعةٌ حتّى قال ابنُ سعيدٍ أبو الحسن عليُّ بنُ موسى (ت ٦٨٥ هـ): « لم ألْقَ بإشبيليةَ من الأدباء والشعراء إلّا من يحفَظُها ويلهَجُ بذِكْرها، ثمّ لا يحفظون ما بَعْدها » (القِدح المعلّى ١٢٠).

وكذلك كان أبو القاسمِ البَلَويَّ مُصَنِّفاً، صَنّفَ كتاباً في رسائلِ كُتّابِ عصره.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو القاسمِ البَلَويُّ الإشبيليُّ، لمّا انزوى في بيتِه بعدَ أن هجَرَهُ الناسُ (نفح الطيب ٣: ٣٢٥):

لِمَنْ أشكُو مُصـابي في البَرايـا ... ولا ألْقـى سِوى رَجُلٍ مُصاب!
أمورٌ لو تَدَبَّرَهـا حكـيمٌ ... لعاشَ مَدى الزمانِ أخا اكْتئاب.
أمـا في الدهرِ من أُفْضي إليـه ... بأسْراري فيُونُسَ بالجواب
يَئِسْتُ من الأنـام فما جليسٌ ... سرى عنّي الهمومَ سِوى كِتـابي[1].

(١) سرى (فعل متعدّي) عنّي الهموم (سار بها، أذهبها). يقال سرى فلان ثوبه: نزعه عنه.

- ويبدو أنّ أبا القاسم البَلَويّ الإشبيليّ كان في أثناء مِحْنته القاسيةِ يكتُبُ إلى نَفَرٍ من إخوانه يسألُهم ما يَستعينُ به على شَقاءِ الحياة. من ذلك:

★ وما كتبتُ إليك، يا أخي المُشْفِقَ الحدب[1]، هذا الكتابَ إلاّ وأنا مُولَّهُ العقلِ ممّا حلّ بي مِنَ اعتداءِ الزمانِ وخذلانِ الأصحاب. وأشدُّ من ذلك اختلالُ أحوالِ ربّةِ الدار وكونُها جارَتْ في أفعالها وأقوالها وجَرَتْ على غيرِ الاختيار:

عِندي من الحُزْنِ ما لو أنّ أيْسَرَه ... يُلقى على الفَلَكِ الدوّارِ لم يَدُرِ.

وكيف يهْنأ العيشُ مَعَ سوء الحالِ باطناً وظاهراً وواردا وصادراً. أحْياني اللهُ بالحِمام وحَيّاني بحُلول دارِ السلام[2].

★ لا مُشْتَكَى، يا أخي، إلاّ إلَيْكَ - وإن كنتُ أُوردُ من ذلك ما يَشُقُّ عليك. لكنّي أعلَمُ حُسْنَ مُشاركَتِكَ في السرّاء والضرّاء[3] ومُحافظَتِك على شروطِ الوِداد والإخاء.

- وكتب في وَصْفِ الفِتنة التي كانت في أيامِه (حينما كان الإسبانُ يستَوْلون على المُدُنِ الأندلسية):

ولو شاهدتَّ ما نحن فيه مِنَ اشتعالِ الفِتنةِ واشتغال أصناف الناسِ بأنواعِ المِحْنة، لَذَهِلْتَ عن تلفيقِ كَلِمَتَيْنِ، وحَمِدتَّ اللهَ فيما[4] حَماك به عن هذا المَوْطىء المَسْخوط عليه من البَيْن[5]: سَيفٌ مجرّدٌ وخَيْفٌ محدّدٌ، وحِقدٌ لا يقتصرُ على النفوس، وغِلّ[6] لا يُشفى إلاّ بقطف الرؤوس.

٤ - ★★ القِدح المعلّى ١٢٠ - ١٢٢؛ نفح الطيب ٣: ٣٢٥.

---

(١) الحدب: الرجل والمرأة إذا حدبا (عطفا على ولديهما). المولّه: الذي ولّهه الحب أو الحزن (ذهب بعقله).

(٢) الحِمام: الموت. أحياني الله بالحِمام (أنقذني الله من شقاء حياتي في الدنيا بالموت). وحيّاني (استقبلني رضوان: خازن الجنّة) بحلول (عند حلول: دخول) دار السلام (الجنّة).

(٣) السراء: النعمة والرخاء. الضرّاء: الشدّة، المرض الدائم.

(٤) كذا في الأصل. اقرأ: على ما.

(٥) الموطىء: المكان الذي يطأ (يدعس، يمشي) الناس فيه (المكان الذي يكثر فيه الناس). المسخوط: المكروه. البين: الفراق، البعاد.

(٦) الغلّ: الحقد.

ابن طلحة الأنصاري

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ طلحةَ الأنصاريُّ من أهلِ جزيرةِ شُقْرَ من أعمالِ بَلَنْسِيَةَ، كان يكتُبُ عند وُلاة المُوحِّدين في الأندلس. فلمّا ثارَ محمّدُ بنُ يوسفَ بنِ هودٍ بالصُخيرات (من عمل مُرْسية)، سَنَةَ ٦٢٥ للهجرة، واستقلّ عن المُوحِّدين اتّخذَ ابنَ طلحةَ كاتباً. وأصبح لابنِ طلحةَ في دولةِ بني هودٍ مكانةٌ حتّى إنّه كان ينوبُ عنِ الوزيرِ إذا غاب. ثمّ غَضِبَ ابنُ هودٍ على ابنِ طلحةَ (لزندقة ابنِ طلحةَ واستهتارِه وتعرُّضِهِ بالهِجاء لرجالِ الدولة) ففرّ ابنُ طلحةَ إلى سَبْتَةَ (ساحل المغرب). فأحسنَ إليه أبو العبّاسِ السبتيُّ (القائمُ بأمر سبتة). ولكنّ ابنَ طَلْحَةَ أوغرَ صَدْرَ أبي العبّاس (في حديثٍ طويلٍ) فدبّر أبو العبّاس مقتله في رَمَضَان(وقيل في ثامن شوّالٍ) من سَنَةِ ٦٣٢ (ربيع عام ١٢٣٥ م).

٢ - كانَ أبو جعفرٍ بنُ طلحةَ فاسقاً مُتَهَتِّكاً مُستهتراً بالخمرِ والغزلِ مُتَوثّباً على الناسِ وكان كثيرَ الإعجابِ بنفسِه وبشعرِه يحُطّ من قَدْرِ جميعِ الشعراء، وشعراءِ المشرقِ خاصّةً حتّى أبو تمّامٍ والبحتريُّ والمتنبّي. وأكثرُ شِعْرِه الوَصْفُ للطبيعة وله فيه جَوْدَةٌ. وله هجاءٌ وغزلٌ ومُجونٌ.

٣ - مختارات من شعره:

- من أوصافه في الطبيعة والخمر:

★ يا هلْ ترى أظرَفَ من يَوْمِنا ... قَلّدَ جِيدَ الأُفْقِ طَوْقَ العَقيقْ(١).

وأنطَـــقَ الوُرْقَ بعِيدانِهـــا ... مُرْقِصَةً كـلَّ قضيـبٍ وَريـقْ(٢).

والشمسُ لا تشرَبُ خَمْرَ النَّـدى ... في الرَّوْضِ إلّا بُكؤوسِ الشَّقيـقِ(٣)!

(١) قلّد: جعل قلادة (عقداً - بالكسر) جيد (عنق). العقيق: حجر كريم أحمر - كناية عن احمرار الأفق الشرقي بالفجر (قبل طلوع الشمس).

(٢) الورق جمع ورقاء: حمامة. العيدان جمع عود (الآلة التي يعزف عليها) كناية عن هديل (غناء) الحمام. قضيب: غصن. وريق (عليه ورق أخضر).

(٣) الشقيق (أزهار شقائق النعمان: بتلاتها حمراء) الشمس لا تشرب خمر الندى (لا تبخّر الندى الذي يسقط في الليل على الأغصان والأوراق والأزهار.....)

★ أدِرْهــا فالسماءُ بَـدَتْ عروساً ‏ مُضمَّخَــــةَ الملابسِ بالغَوالي[١]،
وخَـدُّ الروضِ خَفّرَهُ أصيـلٌ، ‏ وجَفْنُ النّهرِ كُحِّـلَ بالظِـلال[٢].
وجيــدُ الغُصْنِ يُشرِفُ في لآلٍ ‏ تُضيءُ بهنّ أكنـافُ الليــالي[٣].

★ هـاتِ المُدامَ إذا رأيتَ شَبيهَها ‏ في الأُفـقِ، يا فرداً بغيرِ شبيهِ[٤]!
فالصُبْحُ قد ذَبَحَ الظلامَ بنَصْلِهِ ‏ فغَـدَتْ تُخاصمُـه الحمائمُ فيـه[٥].

★ ألِفْـتُ الحربَ حتّـى عَلّمتـني ‏ مُقارعَــةَ الحوادثِ والخُطوب[٦].
ولم أكُ عالمـاً، وأبيـكَ، حربـاً ‏ بغـيرِ لواحـظِ الرَشأ الربيبِ[٧].
فهـا أنـا بـينَ تلك وبينَ هذي ‏ مُصـابٌ من عَـدُوٍّ أو حبيـبِ.

★★-٤ المغرب ٢: ٣٦٤ - ٣٦٥؛ المقتضب ١٥٧؛ القدح المعلّى ١١٤ - ١١٧؛ ٨: ٤٦ - ٤٧ الوافي بالوفيات ٨: ٤٦ - ٤٧؛ الإحاطة ١: ٢٤٣ - ٢٤٧.

---

(١) أدرها (طف علينا بها: بالخمر). مضمّخة الملابس (في ملابسها أشياء من الطيب). الغوالي جمع غالية: نوع من الطيب يعمل من أخلاط طيّبة الرائحة.

(٢) خفّره (جعله يخجل فيحمرّ). الأصيل: بعد العصر وحينما تبدأ الشمس بالانحدار إلى المغيب (فيبدأ الأفق الغربي بالاحمرار). وجفن النهر (جانبه، ساحله) كحّل بالظلال: ظهر على جانبه (شاطئه) لون أسود لأنّ الأشجار على ضفّتيه (بالكسر) تمنع عنه نور الشمس.

(٣) جيد: عنق. اللآل: جمع لؤلؤة. الكنف (بفتح ففتح): الناحية، الطرف. - الصورة بعيدة. إذا قصد الشاعر باللآلي «الندى»، فإنّ الندى لا يسقط على الأغصان إلّا بعد نصف الليل. يشرف (؟).

(٤) المدام: الخمر التي أديم طبخها بالنار. شبيهه الخمر في الأفق (اللون الأحمر على الأفق الشرقي قبل طلوع الشمس - راجع البيت التالي). يا فردا: أيّها الساقي الجميل (الذي لا يشبهه أحد في جماله).

(٥) بنصله (بطرف الأفق - لأنّ الليل ينكشف أولاً عند الأفق ثمّ يعلو الضوء في الصباح شيئاً فشيئاً). وعلامة ذبح الظلام اللون الاحمر (الفجر) على طرفه (على الأفق). تخاصمه الحمائم = الحمائم تخاصم الصبح في ذبح الظلام (الليل) لأنّها كلّها تتغنّى بأصوات كثيرة مختلط بعضها ببعض.

(٦) المقارعة: ضرب الأبطال بعضهم بعضاً في الحرب بالسيوف. الخطوب جمع خطب (بفتح فسكون): المصيبة).

(٧) لم أكن عالماً حرباً (لم أكن أعرف من أمور الحرب شيئاً). الرشأ: ابن الغزال (الغلام الجميل). الربيب (الصغير الذي لا يزال يحتاج إلى عناية أمّه).

ابن دِحْية الكلبيّ

١ - هو الحافظُ مجدُ الدينِ أبو الخطّابِ عمرُ بنُ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ الجُميِّل ابن فَرَح بنِ خَلفِ بن قومِس بن مَزلالَ بنِ مَلالَ[١] بنِ بدرِ بنِ أحمدَ بنِ دِحيةَ بنِ خليفةَ ابن فروةَ الكلبيُّ - المعروفُ بذي النَسَبين[٢] - الأندلسيُّ البَلَنْسيُّ. قال ابنُ خلِّكانَ (٣ : ٤٤٨): « نَقَلْتُ نَسَبَهُ على هذهِ الصورةِ من خَطِّه، وكان قد قَيّدَهُ وضَبَطه كما هُو هُنا ».

وُلِدَ ابنُ دِحيةَ الكلبيُّ في سَبْتَةَ، في الأغلبِ، في مُسْتَهَلّ ذي القَعْدةِ من سَنَة ٥٤٤[٣] (آذارِ - مارس ١١٥٠ م). وقدِ اشتغل بطَلَبِ الحديثِ في أكثرِ المدنِ الأندلسيّة فسَمِعَ من ابنِ بشكُوالَ (ت ٥٧٨ هـ) وابن زَرْقونٍ (ت ٦٣١ هـ). ويبدو أنّه سكن بلنسيةَ طويلاً حتّى عُرفَ أيضاً بالبلنسيّ.

وتولّى ابنُ دِحيةَ القضاءَ مرّتينِ في مدينةِ دانِيَةَ ثمّ صُرِفَ عنه لسِيرةٍ نُعِيَتْ[٤] عليه، فَرَحَلَ إلى برِّ العُدْوةِ وتَطوّفَ في المَغْرِبِ وإفريقِيَةَ فزارَ مدينة مَرّاكُشَ وبِجايَةَ ثمّ جاء إلى تُونِسَ، سَنَةَ ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) أو قُبيلَ ذلك، ودرس الحديثَ.

بعدَئِذٍ رَحَلَ إلى المشرقِ فمرَّ بمِصْرَ في طريقِهِ إلى الحجّ، وتطوَّف في الشام والعِراق وفارسَ ومازَنْدرانَ فسَمِعَ من العلماءِ والمُحدِّثين فيها. ويذكر المَقّريّ (نفح الطيب ٦ : ٢٧٣ - ٢٧٥) أنَّ ابنَ دِحيةَ سمع في بغدادَ من الحافظ أبي الفرج بن الجَوْزيّ (ت ٥٩٧ هـ)، وفي أصْفهانَ من أبي جعفرٍ الصَيْدلانيّ (ت ٦٠٣ هـ)، وفي نَيْسابورَ من أبي سعيدِ بنِ الصفّارِ (ت ٦٠٠ هـ) ومنصور بن الفراويّ (ت ٦٠٨ هـ) والمؤيَّدِ

---

(١) قومس أو القومس (بفتح القاف أو بضمّها) لقب فرنجي، حاكم. وبنو ملال بلدة بين مدينة مَراكُش ومدينة فاس (؟؟).

(٢) ذو النسبين أو ذو النسبتين لأنّ جدّه لأبيه دحية كان من أصحاب رسول الله ولأنّ أمّه أمة الرحمن كانت من نسل الحسين بن عليّ. وينكر بعض النسّابين على ابن دحية صحّة هذا النسب وينسبونه حيناً إلى جدٍّ من البربر وحيناً آخر إلى جدٍّ من الموالي. (راجع الحاشية السابقة).

(٣) وروي أنّه ولد في سنة ٥٤٦، ٥٤٧ أو ٥٤٨ هـ.

(٤) لمسلك معيب عرف عنه.

الطُوسيّ (ت ٦١٧ هـ). فإذا نحن تأمّلْنا تاريخَ وَفَياتِ هؤلاء، ثمّ عَلِمنا أنّ ابنَ دِحية كان في تُونسَ سَنَةَ ٥٩٥ هـ، اسْتَبْعَدْنا أن يكونَ قد جاء من تُونسَ إلى مِصْرَ فَمكَثَ فيها مُدّةً ثمّ ذَهَبَ إلى الحَجِّ، وبعدَ ذلك أدْرَك ابنَ الجوزي وابنَ الصفّار والصيدلانيَّ.

وفي أوائل سَنَةَ ٦٠٤ هـ (صيف ١٢٠٧ م) كان ابنُ دحيةَ في إرْبل مُتَوَجهاً إلى خُراسانَ (وفيات الأعيان ٣: ٤٤٩)، وكان أميرُها الملكُ المعظّمُ كوكبوري يستعدُّ للاحتفالِ بمَوْلدِ الرسول فَعَمِلَ له ابنُ دِحيةَ كتاباً سمّاه «التنوير في مولدِ السِراجِ المنير» وقرأه عليه بنفسِه فأعطاه الملكُ المعظّمُ ألْفَ دِينارٍ.

ثمّ رَجَعَ ابنُ دِحيةَ إلى مِصْرَ فعَهِدَ إليه الملكُ العادلُ (الأوّلُ) بتأديبِ وَلَدِه محمّدٍ. فلمّا رَقِيَ محمّدٌ هذا العرشَ باسم «الملكِ الكامل» (سَنَة ٦١٥ هـ) أكرمَ ابنَ دِحيةَ وبنى له المدرسةَ الكاملِيةَ لعلوم الحديث. ثمّ تَغيّر قلبُ الملكِ الكاملِ عليه فَعزَلَهُ عن المدرسة.

وكانتْ وفاةُ ابنِ دِحيةَ في القاهرةِ، في رابع عَشَرَ ربيعِ الأوّلِ من سنة ٦٣٣ (١٢٣٥/١٠/٣٠ م).

٢ - كان ابنُ دِحيةَ الكلبيُّ على المذهب الظاهريّ[١]، وكان مُحَدِّثاً ثِقَةً (وإنْ كان نفرٌ من العلماء يُجَرِّحونه) عارفاً باللغةِ فصيحِها وحُوشِيِّها[٢] وبالنحو وبأيامِ العرب وأشعارِها. وقد نَشَرَ كثيراً من علم الأندلس في المشرق. غير أنّ شُهْرته الصحيحة كانتْ في روايةِ الحديث وعلومه.

ولابنِ دحية شيءٌ من الشِعرِ ومن النثر في قصائدَ ورسائلَ ومخاطباتٍ، ولكنّ هذه كلَّها ليستْ من الطبَقة العالية. ثمّ هو مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ، فمن مُصنّفاتِه: الابتهاجُ في المِعراج - استيفاء المطلوب في تدبير الحروب - أنوارُ المَشْرِقَيْن في تنقيح

---

(١) المذهب الظاهري مذهب بائد (بطل العمل به). يقوم على الأخذ بظاهر ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف، وضعه داوود بن عليّ بن خلف الأصفهاني (ت ٢٧٠ هـ)، وكان أكبر أنصاره في الأندلس أبو محمّد علي بن حزم (ت ٤٥٦ هـ).

(٢) الحوشيّ والوحشي من الألفاظ الغريب القبيح اللفظ القليل الاستعمال.

الصحيحين[1] المُشَرَّفَيْنِ - تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم - سلسلة الذهب في نسب سيّد العجم والعرب - التحقيقُ في مناقب أبي بكرٍ الصّديق - التنوير على (في) مولد السِراج المنير - عِصْمة الأنبياء - العَلَمُ المشهور في فضائلِ الأيام والشهور - مَرْجُ البَحرَيْنِ في فضائلِ المَشْرقين والمَغْربين - المُسْتَوْفى من أسماء المُصْطفى - النـبراس في خلفاء بني العبّاس - نهاية السُول في خصائص الرسول - الجَمْر في تحريم الخمر - المُطْرب من أشعار أهلِ المغرب - كتاب الاعتبار.

ومن خصائص ابن دحية في كتابه « المطرب » أنه يُحشّي التراجم فيُوردُ في كل ترجمة ما يعجبه فلا تكون تلك الترجمة خاصة بصاحبها، بل يكون فيها أجزاء من عدد من التراجم ومن المختارات المختلفة.

ثم هو يعتمد في محاولاته النقدية الذوقَ ولا يلجأ إلى أسسٍ أو قواعدَ. وتجد في ترجمته نماذج من هذه المحاولات. أما محاولة دفاعه عن شعراء الأندلس فتراه في مثل النموذج التالي (المطرب ١٤٥):

« وهذا الشعر[2] لَوْ رُوي لعمرَ بن أبي ربيعة أو لبشّار بن بُردٍ أو لعباس بن الأحنف[3] ومَنْ سلك هذا المسلَك من الشعراء المحسنين لاستُغْرِبَ له. وإنّ ما أوجب أن يكون ذكره مَنْسِيًّا أن كان أندلسيًّا، وإلّا فما له أُخمِلَ وما حق مثله أن يُهمل. وهل وَصْفُه إلّا الدرُّ المنتظم[4]؟ وهل نحن إلاّ (أن) نُظلَم في حقّنا ونُهتَضَم؟ يا لله لأهل المشرق قولة غاصٍّ بها شرق[5]: ألا نظروا إلى الإحسان بعين الاستحسان وأقصروا عن استهجان الكريم الهِجان[6]، لم يُخرجْهُمُ الإزراءُ بالمكان عن حَدّ الإمكان ».

---

(١) الصحيحين: صحيح البخاري وصحيح مسلم (وهما مجموعان من أحاديث رسول الله).

(٢) وهذا الشعر الرقيق الجيّد).

(٣) بشار بن برد والعبّاس بن الأحنف من الشعراء المحدثين (المجدّدين). ومثلهما عمر بن أبي ربيعة (وان كان من العصر الأمويّ، فانّ كثيراً من خصائص شعره تشبه خصائص الشعر العبّاسيّ المحدث).

(٤) الدرّ (اللؤلؤ) المنتظم (المنظوم في عقد: على نسق معيّن جميل).

(٥) الغصّة: ما يعترض في الحلق ويمنع الطعام أو الشراب من المرور. الشرق: الذي يغصّ (بفتح الغين) بريقه.

(٦) الاستهجان: عدّ الأشياء قبيحة. الهجان (هنا): الجيّد، الكريم الأصل.

ولابنِ دِحيةَ الكلبي أحكام تنحو نحوَ النقد يُريد أن يدافع بها في الأكثر عن شعراءِ الأندلس ويلتمسَ العُذْر في قلّة شُهرتهم بالإضافة إلى شعراءِ المشرق. وربّما ساق أحكامه هذه مَساقَ الفتح بن خاقان[1] في جُمَلٍ عامّةٍ لا «تُوجبُ حُكماً صحيحاً» (راجع المطرب ١٦٤ و١٧٢):

«في قصائده التي ضربتْ في الإبداع بسَهْم، وطلعت في كل خاطر ووَهم، ونَزَعتْ مَنزِعاً قصّر عنه حبيبٌ وٱبنُ الجَهْم[2] – وهذه القصيدةُ من غُرر القصائدِ ودُرَرِ القلائد، وكل بيتٍ منها بيتُ قصيدٍ وواسطةُ سلْكِ فريد[3]».

وربما ٱتكأ في نقده على النحو وأبدى في ذلك براعةً (المطرب ٢٣٤ – ٢٣٥):

– قال أبو القاسم السُّهيليُّ (ت ٥٨١ هـ) أبياتاً في الٱبتهال منها:

يـــــا مَنْ خزائنُ رزقـــــهِ في قول: «كُنْ»،
أُمْنُنْ، فـــــإنّ الخــــيرَ عنـــــدَكَ أجمَعُ[4].

فعلّق ٱبنُ دِحيةَ على هذا البيتِ بقولهِ (المطرب ٢٣٤ – ٢٣٥):

أمّا رفعُ «أجمع» في هذا البيت فيجوز أن يكونَ توكيداً لمكان «إنّ» الٱبتدائيةِ، إذ موضعُها الٱبتداءُ. وَهِيَ مُؤكِّدةٌ للجُملة لم تُغَيِّرْ معناها وإنْ غيّرتْ لفظَها. ألا تراهُمْ قد عطفوا على ٱسمِها بالرفعْ – وهو إذا ٱستَوْفَتْ خبرَها، نحو: إنّ زيداً قائمٌ وعمرٌو[5]. وإذا لم تستَوْفِ خبرَها، فلا يُجيز البصريّون ذلك. وذلك أنّك إذا قلت: انّك وزيدٌ قائمانِ، وجبَ أن يكون «زيدٌ» مرفوعاً بالٱبتداء، ويكونَ

---

(١) الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) صاحب كتاب «قلائد العقيان» (راجع ترجمته).

(٢) حبيب هو أبو تمّام الشاعر العبّاسي (ت ٢٣٢ هـ). وعليّ بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ) شاعر عباسي.

(٣) بيت القصيد أو بيت قصيد هو أبرع الأبيات في القصيدة (والمقصود من قولها). الفريد (جمع فريدة: لؤلؤة). السلك: الخيط الذي ينظم فيه عقد اللؤلؤ. الواسطة (أكبر حبّات العقد، وتكون في وسطه – ولذلك سمّيت الواسطة).

(٤) الأصل أن تكون «أجمع» (مبنية على الفتح في محلّ نصب حال: مجموعا معاً).

(٥) «إنّ» تنصب (بكسر الصاد) الاسم وترفع الخبر. وقد استوفت هنا اسمها وخبرها (إنّ زيداً قائم)؛ بقيت «عمرو» فتخريج إعرابها هنا: إنّ زيداً قائم، وعمرو قائم.

عاملًا في خبرِ زيدٍ وإنّ عاملهُ في خبرِ الكاف[١]. ولا يجوزُ اجتماعُ عاملينِ على معمولٍ واحدٍ[٢]. وأمّا الكوفيون فاختلفوا، فذهب الكِسائي إلى جوازِ ذلك مُطلقاً، سواءٌ تبيّنَ عملُ «إنّ» أو لم يتبيّنْ[٣]، نحو: إنّ زيداً وعمرًا قائمانِ، وإنّه وبكرٌ مُنطلقان. واستدلّ بقولهِ جلّ وعلا: «إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون[٤]»، فعَطَفَ ورفَعَ[٥]. وذهب الفرّاءُ إلى أنّه لا يجوزُ العطفُ إلّا على ما يَبِينُ فيه العملُ، نحو: إنّك وزيد ذاهبان، لأنّه بعدَم التأثير ضَعُفَتْ، فجاز العطفُ كما لو كان على المبتدأ. وإذا كان (ذلك) كذلك، جازَ أيضاً توكيدُ الموضعِ بالرفعِ. واللهُ أعلمُ.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدّمة «المُطرِبِ من أشعارِ أهلِ المغرب»:

..... أمّا بعدُ، فإنَّ مَوْلانا سلطانَ العربِ والعجمِ، عِزَّ الملوكِ العصريةِ ومالكَ فَضيلَتَي السيف والقلمِ، وملِكَ اليمنِ والشامِ والديارِ المِصْرِيَة: أبا المعالي أبا المُظَفَّرِ محمّداً الكاملَ الكاملَ الأوصافِ - لا بَرِحَتْ بِبَقائهِ المهالكُ مُهْتَزّةَ الأعطافِ مُعْتَزَّةَ الأطرافِ[٦] - تقدّمَ إليَّ أمرُه المُطاعُ، الواجبُ له عليّ من الجُهْدِ غايةُ ما يُسْتطاعُ، أنْ أجْمَعَ له ما اجتمعَ عِندي من الأناشيدِ التي رَوَيْتُها عن شعراءِ الأندلسِ وسائرِ

---

(١) في خبر «الكاف» من «انّك» (الكاف في محلّ نصب اسم «انّ»). أمّا «زيد» (هنا) فيجوز أن يقال فيها: انّك وزيدا (معطوفة على الكاف) قائمان. ويجوز أن يقال: انّك وزيد (بالرفع في خبر الكاف)، أي تقول (في الأصل): أنت قائم وهو (أي زيد) قائم، فلمّا أدخلت «إنّ» على الجملة، عملت (أثّرت) «إنّ» في الكاف ولم تؤثّر في «زيد» (إذ فصلت الكاف بين «إنّ» وزيد).

(٢) المقصود اجتماع عاملين يعملان عملين مختلفين......

(٣) سواء أتبيّن عمل «إنّه» أم لم يتبيّن.

(٤) القرآن الكريم (٥: ٦٩، سورة المائدة).

(٥) «الذين هادوا» (اليهود) معطوفة على «الذين آمنوا» وفي محلّ نصب. أمّا «الصابئون» فليست (هنا) معطوفة بل مبتدأ بها (هي مبتدأ على الاستئناف).

(٦) لا برحت: بقيت، دامت. العطف (بكسر العين) الجانب الأعلى من الجسم. مهتزّة الأعطاف: فرحة مزهوّة (مفتخرة). الأطراف: المناطق البعيدة عن العاصمة. معتزّة الأطراف: قويّة وثيقة الاتّصال بالعاصمة أو بأهل الملك (والعادة أن البلاد البعيدة عن العاصمة تكون مهملة معرّضة لهجمات العدوّ وقليلة الولاء للعاصمة في أحيان كثيرة).

المَغْربِ بأقربِ الأسانيد[1]. فجَمَعْتُ منها لخِدْمَةِ مَقامهِ العالي ما يُؤْكَلُ بالضمير ويُشْرَبُ، ويُهْتَزُّ عند سَماعه ويُطْرَب، في الغَزَلِ والنسيب والوصف والتَشْبيبِ، إلى غير ذلك من مُسْتَطْرَفاتِ التَشْبيهات المُسْتَعْذَبَةِ ومُبْتَكرات بَدائعِ بَدائه[2] الخواطِرِ المُسْتَغْرَبَةِ، ولُمَحِ سِيَرِ ملوكِ المَغْرب ومُلَحِ أخبارِ أُدبائه، ورَقيقِ معاني كُتّابه، وجَزْلِ أَلْفاظِ خُطبائه.

وبالجملة، فقد نَثَلْتُ في هذا المجموع كِنانة محفوظاتي في المعارف الأدبية، ولم أُخْلِهِ[3] من أخايرِ ذخائرِ ما الْتَقَطْتُهُ من أفواهِ مشايخي من مُشْكِلِ عِلْمَيِ الغريبِ والعَرَبية[4]. إلَّا أنّي لم أقْصِدْ جمعَ ذلك على الترتيب، ولا سَلَكْتُ فيه مَسْلَكي المعهودَ في التبويبِ والتهذيب، بلِ استَرْسَلْتُ فيه مَعَ الخاطر على ما يجودُ به ويسمَحُ ويَعِنُّ له ويسنَحُ[5]. فالناظرُ فيه يسرَحُ في بساتينَ ويمرَحُ في ميادينَ ويخرُجُ من فَنٍّ إلى فنونٍ، والحديثُ ذو شُجونٍ[6].

- وقال (المطرب، ص ٢٤) في استيلاءِ الإسبان على بعض بلادِ الأندلس:

قال ذو النسبين[7]: وقدْ أخَذَ الآنَ هذه البلادَ ابنُ ألريق[8] اللعينُ، وحانَ لها يومُ شرٍّ ما كان أحدٌ يظُنُّ أنه يَحينُ. فتُمُلِّكَتْ شَنْترينُ والأشبونةُ[9] لمّا خاف أهلُها من

(١) الإسناد: رواية الخبر عن رجل رجل. الخبر القريب الإسناد هو القريب من زمننا يرويه رجل أو رجلان أو ثلاثة، بينما الخبر البعيد الإسناد يرويه نفر كثيرون حتّى يصلوا به إلى قائله الأوّل.

(٢) البدائه ما قيل من الشعر على البديهة (بلا استعداد سابق).

(٣) نثل: استخرج، سحب من وعاء، الخ. الكنانة: وعاء مستطيل توضع فيه السهام. أخلى فلان قلبه من الهمّ: أفرغه. لم أخله: لم أجعله خالياً.

(٤) العربية: النحو.

(٥) عنّ: ظهر، بان. سنح: مرّ في الخاطر.

(٦) الشجن (بفتح ففتح)الغصن المتشعّب. الحديث ذو شجون: يبدأ الحديث على نسق واحد ثمّ يتشعّب (يتناول أشياء كثيرة).

(٧) قال ذو النسبين: ابن دحية الكلبي (هو يقول ذلك عن نفسه).

(٨) ابن ألريق: أنريك، هانريك. وهو هنا بيدرو الثاني ملك أرغون بن ألفونسو أنريكيز (وقد فقدت اللغة الإسبانية صوت الهاء فهم يقولون في هنركو أنريكو).

(٩) شنترين والأشبونة (لشبونة اليوم) ثغران على الشاطىء الغربي (في البرتغال اليوم).

القتل، ورأَوْا أنّ الأَسْرَ دونه(١)، لكَثْرَةِ من جاءهم في البرِّ والبحرِ و(لـ) ـقُعود المُسلمينَ عن الحِماية لهم والنصر، حتّى مَلَكَ الكُفّارُ معاقلَهُمُ المُمْتَنِعةَ وحُصونَهُمُ المرتَفِعَة.

– وله من مُقدِّمةِ قصيدةٍ يمدَحُ بها الملكَ الكاملَ (وفيها معانٍ صوفية):

أمنازلَ الأحبابِ، أينَ أحِبّتي؟ فهُمُ إذا جَنّ الظلامُ الأنْجمُ(٢).
ولقد وَقَفْتُ برَبْعِ عَزّةَ مُنْشِداً: يا ربعُ، أينَ تَرى الأحبّةَ يَمَّموا(٣)؟
نادَيْتُهم، وهُمُ المُنى بمِنى وقدْ ضربوا بها حُمْرَ القِبابِ وخيّموا(٤).
هُمْ في السَوادِ، وفي السُويدا خَيّموا: ما أعْرقوا، ما أيْمنوا، ما أشْأموا(٥)!
وهُمُ الذين إذا سُئِلْتُ: مَن الذي تهواهُمُ؟ قُلتُ: الذين هُمُ هُمُ(٦)!
أحبابَنا، طالَ المِطالُ بوَعْدِكُمْ لي بالوِصالِ، وطال لَيْلي فيكم(٧).
حَكّمْتُكُمْ في مُهْجَتي فحَكَمْتُمُ فيها بما شاء الغرامُ وشئْتُمُ(٨).

(١) رأوا أنّ الأسر دونه: دون (أهون من) القتل.

(٢) جنّ الظلام: غطّى (كلّ شيء)، اشتدّ. هُمُ الأنجم: هم الذين أستأنس بهم وأهتدي بهم في أيام الشدّة.

(٣) الربع: المكان المسكون. العزّة: بنت الظبية. وعزّة محبوبة كثيِّر (بضمّ الكاف وكسر الياء المشدّدة) بن عبد الرحمن العُذري الأموي (ويكنّى بعزّة عن كلّ محبوبة). يمّم: قصد، ذهب.

(٤) المنى (بضمّ الميم) جمع منية (بضمّ فسكون): مراد، غاية. منى (بكسر الميم) منسك في مكّة يبيت فيه الحجّاج (ويكنى بها عن التقرّب إلى العزّة – بكسر العين – الإلّهية). ضربوا (نصبوا) حمر الخيام: الخيام الحمر الكبيرة المصنوعة من جلد، (وتكون عادة خيام الملوك). وخيّموا: نزلوا، سكنوا.

(٥) هم في السواد (سواد عيني): هم قريبون منّي جدًّا. وفي السويدا (السويداء: سويداء القلب)، وفي الكلمة تورية (لأنّ السويداء أيضاً اسم لعدد من البلدان أحدها قرب المدينة بالحجاز، وأحدها في حوران بالشام وثالثة في أعلى العراق ورابعة في شمالي الشاطىء السوري) في السويداء خيّموا (هم في قلبي – كناية عن العزّة الالّهية)، ما أعرقوا (ما ذهبوا إلى العراق) ما أيمنوا (ما ذهبوا إلى اليمن) ما أشأموا (ما ذهبوا إلى الشام: سورية).

(٦) مَن الذي (يقصد الذين، وهو خطأ استعمله الشاعر لضرورة الوزن). الذين هم هم: المقصودون المعروفون لدى جميع الناس (الله).

(٧) المطال (بكسر الميم) المماطلة، تأخير الوفاء بالوعد، الإخلاف بالوعد. الوصال: اللقاء. وقد تكون المطال (بفتح الميم) من الطول: طول المدّة (أي وعدتّم وعداً بعيد الأجل جدًّا). طال ليلي فيكم (طال سهري وعذابي في انتظار لقائكم). طاوله: ماطله (القاموس ٤ : ٩).

(٨) المهجة: دم القلب. – جعلتكم حكماً في قلبي (أعزّ شيء عندي، نفسي، حبّي) فحكمتم عليّ بقسوة (ببعدكم عنّي).

ورَحَلْتُمُ بالقلـــبِ يومَ رَحَلْتُمُ،   وظَعَنْتُمُ بالصـــبر يوم ظعنتم.

٤ - النبراس في خلفاء بني العبّاس (حقّقه عبّاس العزّاوي)، بغداد ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م.
- المطرب من أشعار أهل المغرب (بتحقيق إبراهيم الإبياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي،- بإشراف وزارة التربية والتعليم، الإدارة العامّة: إدارة نشر التراث القديم)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٤ م؛ (تحرير مصطفى عوض الكريم)، الخرطوم ١٩٥٤.

★★ التكملة (رقم ١٨٣٢)؛ وفيات الأعيان ٣: ٤٤٨ - ٤٥٠؛ صلة الصلة ٧٣ - ٧٤؛ العبر (للذهبي) ٥: ١٣٤ - ١٣٥؛ عنوان الدراية ٢٢٨ - ٢٣٨؛ بغية الوعاة ٣٦٠؛ شذرات الذهب ٥: ١٦٠؛ نفح الطيب ٢: ٩٩ - ١٠٤، ٣: ١٣٦ - ١٣٨؛ (الاختلاف في أمره)، ٥: ١١٥ - ١١٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٤٧؛ بروكلمن ١: ٣٧٨ - ٣٨٠، الملحق ١: ٥٤٤ - ٥٤٥؛ نيكل ٣٢٥؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٠١ - ٢٠٢ (٤٤).

مَرجُ الكُحْل

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ إدريسَ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ اللهِ الجَزيريُّ الأندلسيّ المعروفُ بمَرْجِ الكُحْل أو ابنِ مرجِ الكحل نِسْبَةً إلى مَرْجِ الكحل على مقرُبَةٍ من بلدةِ جزيرة شُقْر قُرْبَ بلنسية.

وُلِدَ مَرجُ الكُحل سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) في مَرْجِ الكُحل (وفيات الأعيان ١: ٣٧٨) ونَشأَ يَتعَيَّشُ ببَيْعِ السَمَكِ يُنادي على بِضاعته في الأسواق، وقِيل كان أُمِّيًّا. وكذلك كان يَتزيّا بزِيّ أهلِ البادية. وكانتْ وفَاتُه في جزيرةِ شُقْر ثانِيَ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٦٣٤ (٣/١١/١٢٣٦ م).

٢ - كان مَرْجُ الكُحل أديباً بارعاً في النثر والنَظْم، وهُوَ شاعرٌ وُجْدانيٌّ رقيقٌ حسَنُ التوليدِ، وأكثرُ شِعره الوصفُ والنسيبُ والعِتاب.

٣ - **مختارات من شعره:**

- قال مرجُ الكُحل في طَلَبِ الرزق:

مَثَــلُ الرزْقِ الـــذي تَطْلُبُـــهُ   مثَـلُ الظـلِّ الـذي يمشي مَعَـكْ.
أنــتَ لا تُدْرِكُـــهُ مُتَّبِعـــاً،   وإذا وَلَّيْـــتَ عنـــه تَبِعَـــكْ!

- وقال في الغَزَل والنسيب على النَهْجِ القديم :

وعِنـدي من مراشِفِها حديثٌ ... يُخَبِّرُ أن ريقَتَهـا مُـدامُ[1].
وفي أجفانهـا السَكْرى دَليـلٌ؛ ... ومـا ذُقْنـا، ولا زَعَمَ الهُمام[2].
تعـالى اللهُ، مـا أجرى دُموعي ... إذا عَنّـتْ لُمُقْلَتِيَ الخِيـام[3]،
وأشْجـاني إذا لاحـت بُروقٌ ... وأطرَبَـني إذا غنّـتْ حَمام.

- وله قصيدة طويلة في وصف الطبيعة منها:

نَهرٌ يَهـيمُ بحُسْنِـه من لم يَهِمْ ... ويُجيدُ فيه الشعرَ مَنْ لم يَشْعُر[4].
ما اصْفرَّ وَجْهُ الشمسِ عندَ غُروبها ... إلا لفُرقـةِ حُسْنِ ذاك المنظر.
أرأتْ جُفونُك مِثْلَه من مَنْظرِ: ... ظـلٌّ وشمسٌ فوقَ خدٍّ مُعْذِرِ[5]؟
وجـداولٌ كأراقمٍ حَصْباؤهـا ... كبُطونهـا وحَبابُهـا كالأظهر[6].
أمَـلٌ بَلَغْنـاه بهَضْبِ حَديقـةٍ ... قـد طَرَّزَتْـه يدُ الغمامِ المُمْطر،
فكأنّه - والزهرُ تاجٌ فوقَه - ... مَلِـكٌ تجلّـى في بساطٍ أخضر.

٤ - ★★ زاد المسافر ٦٩ - ٧١؛ المحمّدون من الشعراء ١٤٦ - ١٤٧؛ المغرب ٢: ٣٧٣ - ٣٧٤؛ وفيات الأعيان ٢: ٣٩٦ - ٣٩٧؛ الوافي بالوفيات ٢: ١٨١؛ برنامج الرعيني ٢٠٨ - ٢١١؛ التكملة ٣٤٤ (رقم ١٠٠٥)؛ الذيل والتكملة ٦: ١١٠ - ١١٧ (رقم ٢٩٧)؛ الإحاطة (القاهرة) ٢: ٢٥٢ - ٢٥٦؛ أعمال الأعلام ٢٧٨ (أبيات)؛ نفح الطيب ٥: ٥٠ - ٦٢ (متقطّعاً)؛ أزهار الرياض ٢: ٣١٥ - ٣١٦؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٥١ (٢٧).

---

(١) مدام: خمر.

(٢) في هذا البيت اقتباس من قول النابغة الذبيانيّ عن أبي قابوس النعمان بن المنذر في القصيدة زعم الهمام ولم أذقه، انّه...

(٣) ما أجرى دموعي: ما أكثر بكائي. إذا عنّت لمقلتي الخيام: إذا رأيت مسكن المحبوب..

(٤) هام به: أحبّه إلى درجة الجنون.

(٥) خدّ مُعذِر: بدأ نبات الشعر فيه.

(٦) الجدول: النهر الصغير. الأرقم: الحيّة. في قاع الجدول حصباء (حصى صغار) بيضاء تجعل القاع مستويًا كبطن الحيّة. أمّا الحباب (الفقاقيع على وجه الجدول) فتشبه ما على ظهر الحيّة.

أبو الربيع بن سالم الكِلاعي الأندلسي

١ - هوأبوالربيع سُليمانُ[1] بنُ موسى بن سالمِ بنِ حَسّانِ بن سالم (وقيل: سُليمانُ) ابن أحمدَ بنِ عبدِ السلام الحِميريُّ الكَلاعيّ (نسبة إلى ذي الكَلاع أحدِ ملوك اليمن القدماء) الأندلسيُّ، وُلِدَ في خارجِ مدينة بَلَنْسِيَةَ (وقيل: مُرْسِيَةُ) - في مُسْتَهَلِّ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٦٥ هـ (١٨/ ٥/ ١١٧٠ م) - ثمّ حُمِلَ إلى بَلَنْسيةَ وعُمُرُه سَنَتانِ فنشأ فيها.

سَمِعَ أبو الربيعِ بنُ سالمٍ الحديثَ في بلده من أبي العطاء بنِ نذير وأبي عبد الله ابنِ نوحٍ وأبي الخطّابِ بن واجبٍ. ثمّ إنّه تجوَّل في الأندلس وفي المَغْرِب وتلقى أشياءَ من العلم على جَماعةٍ منهم: أبو عبدِ الله بن الفَخّار وعبدُ المُنْعِمِ بنُ الفَرَس وأبو الوليدِ ابنُ رُشْدٍ وأبو القاسم بن حُبيشٍ وأبو بكر بنِ الجَدّ وأبو عبد الله بن زَرْقونٍ.

وتولّى أبو الربيعِ الخُطْبَةَ بالمسجدِ الجامع في بَلَنْسِيَةَ في أوقاتٍ مُتفرّقةٍ وتولّى القضاءَ أيضاً. ولقد كان في أثناءِ ذلك كُلِّه يذهَبُ في الغَزَواتِ ويُباشِرُ القتالَ بنفسِه ويُبْلي فيهِ البَلاءَ الحَسَنَ.

ولمّا شدّد الإسبانُ الحصارَ على بَلَنْسيَةَ خرج أبو الربيع على رأس جيش من المسلمين مُجاهداً وخاض معركة أنيجة، وكان يَصيح إذا رأى تراخِياً خَلفه: «أمن الجَنّةِ تَفِرّون!» حتّى سَقَط شهيداً، في ١٨ من ذي الحِجّة من سَنَةِ ٦٣٤ (١٢/ ٨/ ١٢٣٧ م).

٢ - كان أبو الربيع سليمانُ الكَلاعيُّ حافظاً للحديث، مُحدّثاً وفَقيهاً مُحيطاً بعلومِ اللغة والأدب، يُحبّ العلمَ والأدب ويَجْمَعُ حولَه العلماءَ والأدباء حيثُما كان في ولايته. وكذلك كان ناثراً ناظماً. وهو شاعرٌ مُكْثِرٌ ضاع مُعْظَمُ شِعْره. وشعرُه الباقي لنا يدلّ على أنه قديرٌ في النظم مَيّال إلى تَكَلُّفِ البديع؛ ونحنُ نَجدُ على شعره نفحةً دينيةً صوفيةً شديدةً. وفي شِعْرِه اعتذارٌ وغَزَلٌ ونَسيبٌ.

---

(١) هو غير أبي الربيع سليان بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٠٤ (راجع الديباج المذهب ١٢٢ - ١٢٣).

وكانتْ لأبي الربيعِ بنِ سالمٍ الكَلاعيِّ تصانيفُ في الحديث والتاريخ والأدب منها: تُحْفة الرُوّاد ونَجْعة الوُرّاد (وقيل: تحيّة الروّاد وتحفة الورّاد) في العَوالي البَدَليّة[1] الإسناد - الاكتفاءُ في مَغازي رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ومغازي الثلاثةِ الخُلفاءِ - الإعلامُ بأخبارِ البُخاريِّ الإمام - المُعْجَمُ في مَشْيَخَةِ أبي القاسمِ بنِ حُبيشٍ. وله في الأدب: جَنيُّ الرُطَبِ في سَنِيِّ الخُطَبِ (ثمانون من خُطَبِهِ في أيامِ الجُمَع والأعياد وغيرِها) - نُكْتَةُ الأمثال ونَفْثَة السِحر الحلال (بنى فيه الكلامَ على التوشيح بما تَضَمّنه كتاب أبي عُبيد من أمثالِ العَرَب واضطرارِ العرَبِ من الخطباء والأدباء) إليها (إلى الاستشهاد بها) - جُهْدُ النَصيح وحَظّ المُنيح في مُعارضة المَعرّيّ في خُطْبَة الفصيح - الامتثالُ لِمِثال المُبْهِجِ في ابتداع الحِكَمِ واختراعِ الأمثال - مُفاوضةُ القلبِ العَليل ومُنابذة الأمَل الطويل بطريقةِ المَعرّيّ في مَلْقى السبيل - مِائةُ مسألة مُلْغَزَة - نَتيجةُ الحُبّ الصميم وزكاةُ المنثورِ والمنظومِ (؟ النثير والنظيم) في مِثال النَعْلِ النَبويّةِ على لابِسِها الصلاةُ والسلام (؟ أفضل الصلاة والتسليم) - الصُحُفُ المُنَشَّرة في القِطَعِ المُعَشّرة - ديوانُ رسائِله - ديوانُ شِعرٍ.

٣ - مختارات من آثاره:

غَضِبَ والي بلنسيةَ على أبي الربيعِ فأقصاهُ (سنة ٥٨٧ هـ ؟)، فكَتَبَ إليه أبو الربيعِ يعتذرُ إليه ويَسْتَعْطِفه (إعتاب الكتّاب ٢٤٩ - ٢٥١):

وبعدُ فكَتَبَ الذي قَصّرَ ثمّ عايَنَ قَصْدَهُ وأبْصرَ، واقْتَرَفَ فَٱعتَرَفَ[2] وٱجْتَرَحَ فلَمْ يرَ أجْدَى منْ أن قرَعَ بابَ المَغْفِرَةِ واسْتَفْتَحَ[3]. وفي عِلْمِ المَوْلى أنّ العبيدَ أهلُ الخَطَأ ومَظَنّةُ السَعْيِ المُسْتَبْطأ[4].... ومَتى نُوقشوا الحسابَ على كلِّ زَلّةٍ وعُوقبوا في

---

(١) راجع «الاكتفاء» لأبي الربيع بن سالم، الصفحة: ي.

(٢) عاين قصده: رأى بعينيه الغاية المقصودة. اقترف: اكتسب ذنباً.

(٣) أجدى: أنفع. استفتح: طلب أن يفتح له (باب المغفرة).

(٤) المولى: السيد المتفضّل المسيطر. مظنّة: مكان. المستبطأ: الذي يجيء بطيئاً (فيصل بعد فوات الأوان). مظنّة السعي المستبطأ (من عادتهم أن يتأخّروا في إصلاح الخطأ).

كلِّ ضَلّةٍ أفْناهُمُ العِقابُ سريعاً وأهْلَكَهُمُ التأديبُ جَميعاً. وإنّما بَقاؤهم في أنْ يُسْبِلَ المَوالي على هَفَواتِهِمْ سِتْرَ الإغْضاء ويُقَرِّبوا عَلَيْهِمْ مَدارِكَ الإرضاء(١) ......

- كتب أبو الربيع بن سالم الكَلاعي إلى بحرِ بن صفوانَ بنِ إدريسَ (سَنَةَ ٥٨٧ هـ) عَقبَ انفصالِهِ (خروجه) من بَلَنْسِيَةَ:

أَحِنُّ إلى نَجدٍ ومن حلّ في نَجدٍ؛ وماذا الذي يُغْني حَنيني أو يُجدي(٢)؟
وقد أوْطَنوها وادعين، وخلّفوا مُحِبَّهُمُ رَهْنَ الصَبابةِ والوَجْد(٣).
تَبَيّنَ بالبَيْن اشتياقي إلَيْهِمُ ووَجْدي، فساوَى ما أَجُنُّ الذي أُبدي(٤).
وضاقتْ عليّ الأرضُ حتّى كأنّها وِشاحٌ بِخَصْرٍ أو سِوارٌ على زَنْد.
إلى الله أشكو ما أُلاقي من الجَوى؛ وبعْضُ الذي لاقَيْتُه مِرْدي(٥)
فيا ليتَ شِعْري، هل تَعودُ لنا المُنى وعيشٌ كما نَمْنَمْتَ حاشِيَتَيْ بُرْدِ(٦).

- قال أبو الربيع الكِلاعي لمّا بدأ شبابُه يُفارِقُهُ والشَيْبُ يَخُطُّ شَعْرَه:

تَوَلَّتْ لَيالٍ لِلْغَوايةِ جُونُ ووافى صَباحٌ للرَّشادِ مُبينُ(٧):
رِكابُ شَبابٍ أزْمَعَتْ عنكَ رِحْلَةً، وجيشُ مَشيبٍ جَهّزَتْه مَنونُ(٨).
ولا أكْذِبُ الرحمنَ في ما أُجُنُّهُ؛ وكَيْفَ؟ ولا يَخْفى عليه جَنينُ(٩).

---

(١) يسبل: يسدل، يغطّي. الهفوة: الغلطة الصغيرة (غير المقصودة). الإغضاء: إغماض العين عن تقصير الآخرين. المدارك: أسباب الوصول إلى.
(٢) أغنى، كفى، نفع. أجدى: نفع.
(٣) وادع: ساكن، هادىء، مطمئن. الصبابة: الشوق. الوجد: الحزن.
(٤) البين: الفراق، البعاد. جنّ: كتم. أبدى: أظهر.
(٥) الجوى: اشتداد المرض من عشق أو حزن. أردى: أهلك.
(٦) البرد: الثوب من حرير. نمنم: طرز الثوب تطريزاً ناعماً (صغير الزركشة).
(٧) تولّت: راحت، ذهبت، انقضت. الغواية (بفتح الغين): البطالة، الضلال. جون: سود. وافى: وصل، حلّ. صباح: (شيب، هرم). مبين: واضح، ظاهر، أبيض (شيب أبيض).
(٨) الركاب: المطايا، ما يركب للسفر أو للحرب. أزمع: نوى، قصد. المنون: الموت.
(٩) أجُنّه: أكتمه، أخفيه. الجنين: المكتوم، المخفيّ.

ومَنْ لم يَخَلْ أنّ الرياءَ يَشِينُه، فمِنْ مَذْهَبي أنّ الرِياءَ يَشين[١].
لَقَدْ رِيعَ قلبي لِلشّبابِ وفَقْدِهِ، كما رِيع بالعِلْق الفَقيدِ ضَنين[٢]؛
وآلَمَني وَخطُ المَشيبِ بِلمَّتي فخُطَّتْ بقلبي لِلشُّجونِ فُنون[٣].
ولَيْلُ شَبابي كانَ أنْضرَ مَنْظراً وآنَقَ مَهْما لاحَظَتْه عُيون[٤].
فآهاً على عَيْشٍ تكدّرَ صَفْوُهُ وأُنْسٍ خَلا مِنْه صَفاً وحَجون[٥].
ويا وَيْحَ فَوْدي أو فُؤادِيَ كُلَّما تَزَيَّدَ شَيْبي، كَيْفَ بعدُ يكون[٦]؟
حَرامٌ على قَلْبي سكونٌ بِغُرّةٍ؛ وكَيْفَ مَعَ الشَّيْبِ المُمِضِّ سُكون[٧]!
وقالوا: شَبابُ المَرْءِ شُعْبة جِنّةٍ؛ فما لي عَراني لِلْمَشيبِ جُنون[٨]!
وقالوا: شَجاكَ الشَّيْبُ حدثانَ ماأتى، ولم يَعْلَموا أن الحديثَ شُجون[٩].

---

(١) خال: ظنّ: يشين: يعيب، يَصِمُ الإنسان بالنقص والعيب.

(٢) ريع (المجهول من راع): أخيف، خاف، جزع. العِلق: الشيء النفيس الذي يحرص الإنسان على الاحتفاظ به. الفقيد: المفقود، الذي فقده صاحبه. الضنين: البخيل.

(٣) وخطه الشيب: اختلط الشيب بسواد شعره (قليلاً أو كثيراً). اللّمّة: الشعر في مقدّم الرأس. خطّت: كُتبت (بالبناء للمجهول). الشجون: الأحزان. ثم فنون: أنواع، أصناف.

(٤) كان ليل الشباب (سواد الشعر) أنضر (أحسن، ألين، أزهى). آنق: أجمل. مهما لاحظته عيون: مهما يكُنْ عدد الذين يرونه (يقصد: جميع الناس يقولون ذلك).

(٥) الأنس: السرور. خلا منه صفاً (مكان بسفح جبل أبي قبيس بمكّة) وحجون (جبل فوق مكّة)، يقصد: إذا نزل الشيب بالإنسان انتفى السرور حتّى في الأماكن التي يكثر فيها السرور، وهو يشير بذلك إلى البيت القديم:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامر!

(٦) الفود: الشعر على جانبي الرأس.

(٧) لا يجوز لقلبي أن يطمئنّ. بغرّة: في غفلة (عن نتيجة تزايد الشيب في الرأس). الممضّ: المؤلم (لأنّه يذكّر بقرب انتهاء الحياة).

(٨) شعبة جنّة: نوع من الجنون. عراني: أصابني. (في الشباب يكون جنون الإنسان - إتيانه بما لا يُعقل - من الفرح. أمّا في الشيخوخة فيكون جنونه من الحزن).

(٩) شجاك الشيب حدثان ما أتى (الإعراب والمعنى غامضان): شجاك (حزنك أو أحزنك) الشيب (فاعل) حدثان (بدل: الأحداث التي جاءت مع الشيب هي التي حزنتك أو أحزنتك). والحدثان (بالكسر) جمع حادث (النائبة، المصيبة). و «الحديث ذو شجون» (فنون، أنواع) مثل.

– وله من شعره ذي لنَفْحة الدِينية:

أمَوْلى المَوالي، لَيْس غيرُك لي مَوْلى؛ وما أحَدٌ، يارَبُّ، مِنْكَ بِذا أوْلى[1].
تَبارَكَ وَجْهٌ وُجِّهَتْ نَحْوَهُ المُنى فأوْزَعَها شُكْراً وأوْسَعَها طَوْلا[2].
وما هُوَ إلّا وَجْهُكَ الدائِمُ الذي أقَلُّ حُلَى عَلْيائه يُخرِسُ القَوْلا[3].
تَبَرَّأتُ من حَوْلي إلَيكَ وقُوَّتي، فكُنْ قُوَّتي في مَطْلَبي وكُنِ الحَوْلا[4]؛
وهَبْ لي رِضاً – مالي سِوَى ذاكَ مُبْتَغًى ولَوْ لَقِيَتْ نفسي على نَيْلِهِ الهَوْلا!

– من مقدّمة كتاب «الاكتفاء»:

.... هذا كتابٌ ذهبتُ فيه إلى إيقاع الإقناع وإمتاع النفوس والأسماع، باتّساق الخبر عن سيرةِ رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم وذِكْرِ نَسَبِهِ ومَوْلدِهِ وصِفته ومَبْعَثِه وكثيرٍ من خصائصِهِ وأعلامِ نُبُوّته[5] وأيّامه، من لَدُنْ مَوْلدِهِ إلى أنِ استأثرَ اللهُ به وقَبَضَ رُوحَه الطيّبَةَ إليهِ، صَلَواتُ اللهِ وسَلامُه وبَرَكاتُه عليه؛ مُقَدِّماً لذلك ما يَجِبُ تقديمُه، ومُتمِّماً – من ذِكْرِ أوّليَّتهِ المباركةِ بلداً ومَحْتِداً[6] – بما يحسُنُ عِلمُه وتعليمه، مُلَخِّصاً جميعَه من كُتُبِ أئمّةِ هذا الشأنِ، (أولئك) الذين صَرَفوا إليه اعتناءَهم واستَنْفَدوا[7] فيه آناءَهم[8].... ولكنّ عِظَمَ المُعَوَّلِ كانَ، بحُكْمِ الخاطر الأوّل، على كتاب (محمّدِ) بنِ إسحاقَ[9]: إياهُ أردتُّ، وتجريدَه من اللُّغاتِ وكثيرٍ من الأنساب

(١) مولى الموالي: سيّد الأسياد (الله). أولى: أحقّ.
(٢) المنى: الأمانيّ: الرغبات. أوزعها شكراً: أعانها على أن تشكر (المنعم عليها). أوسعها طَولاً (القوة، القدرة): جعلها أقدر على بلوغ أمانيِّها.
(٣) الحلى جمع حلية (بكسر الحاء): الزينة، الجمال.
(٤) الحول: القوّة، القدرة على التصرّف، نفوذ البصر في الأمور. تبرّأت إليك من حولي وقوّتي (استسلمت إليك واعتمدتّ عليك).
(٥) الاعلام: الدلائل، العلامات.
(٦) المحتد: الأصل الكريم.
(٧) استنفدوا (في الأصل: بالذال أخت الدال). اقرأ: استنفدوا (بالدال المهملة).
(٨) الآناء جمع أني (بفتح فسكون أو بكسر فسكون): الساعة، الجزء من الوقت. استنفدوا آناءهم: أنفقوا جميع أوقاتهم.
(٩) محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ) صاحب «السيرة النبويّة» (وهي مفقودة)، ولكن نجد معظمها في «السيرة» (لابن هشام) وفي تاريخ الطبري.

والأشعار قصدتُ[1]، وعلى ترتيبهِ غالباً جَرَيْتُ، ومَنْزَعه[2] في أكثرِ ما يَخُصُّ المَغازيَ تحرّيتُ..... ثمّ بَدا لي أنْ أَزيدَ على هذا المِقدارِ ما يحسُنُ في هذا المِضْمار، و(أن) أُعَوِّضَ ما حذفتُ منه من اللُّغاتِ والأنساب والأشعار، بما يكون- إن شاءَ اللهُ- مَزِيَّةَ الاختيارِ ويَرُوقُ عليه رَوْنقُ الإيثار[3] مُنْتَقِياً ذلك من الدواوينِ التي طارَ لها في الناس طائرُ الاشتهار، ومُتَخَيِّراً له من الأماكن التي لا يَسْتَقِلُّ بحصْرِ فوائدها وانتقاء فرائِدِها[4] كلُّ مُختار...... ثمّ القصدُ الثاني مُتَوَفِّرٌ على إيناسِ الناسِ بأخبارِ نَبِيِّهِمْ، صلّى اللهُ عليه وسلّم، وعمارة خواطِرِهم بما يكونُ لهم في العاجلِ والآجلِ[5] أنْفَعَ وأسْلَم. وقد عَمَّ عليهِ الصلاةُ والسلام بِبَرَكَةِ دُعائه سامِعَ حديثِهِ ومُبَلِّغَه. وقال صلّى الله عليه وسلّم: « ما أفادَ المُسلمُ أخاه المُسلمَ أفضلَ من حديثٍ حَسَنٍ بَلَغهُ فَبَلَّغَهُ ».

٤ - الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (تحقيق مصطفى عبد الواحد)، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م؛ بيروت (مكتبة الهلال) ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م.

★★ تحفة القادم ١٣٩ - ١٤٢؛ التكملة ٧٠٨ (رقم ١٩٩١)؛ اعتاب الكتّاب ٢٤٩ - ٢٥٣؛ برنامج الرعيني ٦٦ - ٧٢؛ المغرب ٢: ٣١٦ - ٣١٧؛ فوات الوفيات ١: ٢٣٠؛ الذيل والتكملة ٤: ٨٣ - ٩٥ (رقم ٢٠٣)؛ المرقبة العليا ١١٩ - ١٢٢؛ الديباج المذهب ١٢٢ - ١٢٣؛ شذرات الذهب ٥: ١٦٤؛ نفح الطيب ٤: ٤٧٣ - ٤٧٦ ثمّ اشارات مختلفة (راجع الفهرس- والرقم ٤: ٣٢٢ في الفهرس خطأ وصوابه ٣٣٢ - ٣٣٣)؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٩٩ (١٣٦).

---

(١) تجريده من اللغات (ذكر الأوجه المختلفة من اللفظة الواحدة) وكثير من الأنساب والأشعار (باختصارها).

(٢) المنزع: الغاية، الاتّجاه، المقصد.

(٣) راق: حسن، صار حسناً. الرونق: الجمال المعجب للعين. الإيثار: التفضيل.

(٤) الفريدة: اللؤلؤة النفيسة (الثمينة، الغالية).

(٥) (الزمن) العاجل (الدنيا) والآجل المتأخّر (الآخرة).

أبو يحيى بن هشام القرطبي

١ - هو أبو يحيى (كُنْيَتُه) أبو بكرِ (اسْمُه) بنُ هِشامٍ القُرطبيُّ (أخو أبي القاسمِ المُتوفّى سَنَةَ ٦٣٢ - انظر ترجمته) قال فيه عليُّ بنُ موسى بنِ سعيدٍ المَغربي (المغرب ١ : ٧٤ - ٧٥):

هُوَ مِمّنْ قرأتُ عليه، وأدْرَكْتُه يكتُبُ عن الباجي مَلِكِ إشبيليةَ[١]. وكتب عن المأمون[٢] أيامَ ولايتهِ على قُرطبةَ. ثمّ لَحِقَ بالبيّاسيّ الثائر[٣] وكتب عنه. ثمّ قُتِلَ البيّاسيُّ فاستخفى (أبو يحيى) حِيناً ثمّ لَحِقَ بإشبيلية. بعدئذٍ حاول أن يَترضّى المأمونَ فدَخَلَ عليه مُعتذراً وأنشدَهُ قصيدةً مَطْلَعُها:

مولايَ، إنّ بَليّـتي مَـعَ خِدْمـتي   خَصْمانِ؛ فاحْكُمْ للـتي هِيَ أقْدَمُ.

ولكن المأمونَ لم يَرْضَ عنه.

وكانت وفاة أبي يحيى أبي بكر بالجزيرة الخضراء، سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ - ١٢٣٨ م).

٢ - أبو يحيى أبو بكرِ بنِ هِشامٍ أديبٌ شاعرٌ ناثرٌ مُتَرسِّلٌ. وشِعرُه مُقطَّعاتٌ وُجدانيةٌ في الخمر والغزل والوصف، وفي عددٍ منها لَفَتاتٌ بارعة. وهو شيخُ كُتّابِ الأندلس (في وقته)، وكان سهلَ الطريقة.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي يحيى أبي بكر بن هشام مقطّعات منها:

★★ لاموا عـلى حبّ الصِبا والكاس   لمّـا بدا وَضَحُ المشيب براسي[٤].

---

(١) الباجي (ولم أقع على اسمه كاملا في نفح الطيب) ثائر انتزع إشبيلية من ابن هود، ثمّ قتله ابن الأحمر (نفح الطيب ١ : ٢١٦).

(٢) يبدو أنّه إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، كان يلي قرطبة قبل أن يتولّى الملك (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ).

(٣) لعله السيد أبو محمّد من أمراء الموحّدين، ثار بالأندلس، سنة ٦٢٢ أو ٦٢٣ ووصل يده بيد الإسبان. وفي تعليق إبراهيم الإبياري على « القدْح المُعَلّى » (ص ٨٩): هو أبو العلاء إدريس بن منصور.

(٤) وضح: بياض.

والغُصنُ أحوجُ ما يكونُ لِسَقْيِهِ ... أيّانَ يبدو بالأزاهرِ كاسي[١].

★★ أمسى الفَراشُ يطوفُ حولَ كُؤوسِنا ... إذْ خالَها تحتَ الدجى قِنديلا[٢].
ما زال يَخْفِقُ حولَها بجَناحِهِ ... حتّى رَمَتْه على الفِراشِ قتيلا[٣]!

★★ وأغْيَدَ وافى يَعْطِفُ السِكْرُ قَدَّهُ؛ ... وأيُّ قَضيبٍ يَنْثني مِثْلَ قَدّهِ[٤]؟
... ـطلّع للأبصارِ في نَرْجِسيّةٍ ... كَلَوْنِ الذي يشكو مَرارةَ صَدّهِ[٥]؛
وفي يَدِهِ اليُمنى شَبيهُ عِذارِهِ، ... وفي يَدِهِ اليُسرى شَبيهةُ خَدّهِ[٦]!

– وله من جوابٍ على كتابٍ جاءه من صديقٍ طَلَبَ إليه أن يقوم بإسداء صنيعة في سبيل صاحِبِ حاجةٍ:

وإلى هذا فإنّا كَتَبْنا إليكم – كَتَبَ اللهُ لكم من النَعْماءِ ما يَهْطِلُ غَمامُه، ومن العِزّة القَعْساءِ ما تتفتّحُ عن زَهْرِ المَسرّة أكْمامُه[٧]، من قُرطبةَ حرسَها اللهُ، والخيراتُ تزدَحِمُ علينا، والمسرّاتُ تتسابقُ إلينا. والذي بَيْنَنا لا يحتاجُ إلى وَساطةِ الأقلام، ولا يُخافُ عليه تَغيُّرُ الليالي والأيام. ولمّا وصل بكتابِكُمُ المَرْعِيِّ المحفوظِ المقبولِ الملحوظ الفقيهُ أبو فلانٍ وجدَ منه فيما الْتُمِسَ ضِدَّ ما وَجَدَ المُتَلَمِّسُ. وعادَ من قضاءِ

(١) هذا مخالف لما يعرفه الفلاحون: إنّ الأشجار والنباتات التي تنعقد أزهارها ثمراً تعطّش في زمن إزهارها.

(٢) خالها: ظنّها.

(٣) خفق الطائر: طار. خفق (الفراش): اضطرب وتحرّك.

(٤) الأغيد: الجميل. وافى: أتى (إلينا). قدّه: قامته (جاء يتمايل من كثرة سكره). القضيب: الغصن. وأيُّ قضيب ينثني مثل قدّه؟: أيُّ الأغصان يكون تمايلها محبّباً إلى النفس مثل تمايله!

(٥) الحرف الأوّل من الكلمة الأولى ساقط. لعلّ الكلمة: « تطلّع » (طلع، طلع علينا: جاء إلينا). نرجسيّة (يبدو أنّها نوع من الثياب، أو ثياب بلون قلب النرجس، أي صفراء). الصدّ: الإعراض والهجر. كلون......: أصفر اللون.

(٦) العذار: الشعر النابت في الوجه. – لو قال: « وفي كفّه (مرّتين) لتلافى الزحاف (بفتح الزاي، بلا تشديد للحاء) « خطف المدّ » (حذف السكون). – كان يحمل في يده اليمنى قضيب آس وفي يده اليسرى وردة.

(٧) القعساء: العالية (المنيعة). الكمّ: الكأس (الأوراق الخضر التي تضمّ الزهرة قبل تفتّحها).

غَرَضِهِ عَوْدَ المباكر المُغَلِّس[1] . وهو لَعَمْرَ اللهِ أهلٌ لأنْ تتحقّقَ أغراضُه ولا تَتَصوّحَ[2] بالإهمالِ رِياضه. ومِثْلُه من تُشُفِّعَ فيه وتُطُلِّبَ له ما يكفيه.

٤ - ★★ المغرب ١ : ٧٤ - ٧٥ ؛ تحفة القادم ١٥٩ ؛ القدح المعلَّي ٨٩ - ٩٣ ؛ نفح الطيب ٤ : ٢٠ - ٢١ (٨٩، قطعتان ترويان لابن القاسم بن هشام، وهما مرويّتان في القدح المُعلَّى لصاحب هذه الترجمة).

أبو بكر بن الصابونيّ الإشبيلي

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ الفقيه أبي العبّاس أحمد بن محمّد الصابوني الصدفي الإشبيليّ، وكان أبو بكرِ بنُ الصابونيِّ يُلَقَّبُ بالحمار، لقّبه به أبو عليٍّ بنُ الشلوبينِ فَلَزِمَه هذا اللقبُ؛ وكان هو يقلَقُ منه ويكرهُه (الذيل والتكملة ٦ : ٥٩ ؛ نفح الطيب ٣ : ٥١٩ ؛ القدح المعلى ٧٠).

وأبو بكرِ بنِ الصابونيِّ من أهل إشبيليةَ، رَوى عن أبي الحَسَن الدبّاج وأبي الحُسين ابن زَرْقونِ وأبي عليٍّ بنِ الشلوبين (الذيل والتذكرة ٦ : ٥٩). أمّا أبو الحسن عليُّ بنُ جابرٍ الدبّاجُ فقد وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٦ للهجرة وتُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٤٦ (صلة الصلة، ص ١٣٧). وأمّا أبو عليٍّ عمرُ بنُ محمّدٍ المعروفُ بالشلوبينِ (صلة الصلة، ص ٧٠) أو بآبن الشلوبين فقد وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٢ للهجرة وتُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٤٥. وأمّا أبو الحُسينِ بنُ زَرْقونٍ (الذيل والتكملة ٦ : ٥٩) فلم أهْتَدِ إلى شيءٍ من تفاصيلِ حياتِه، ولكنّ القرينةَ تدلُّ على أنّه كان مُعاصراً للشلوبينِ وللدبّاجِ. ومن الغريبِ أنْ يكونَ أبو بكرِ بنِ الصابونيِّ قد رَوَى عن جماعة تُوُفُّوا بعدَه بِبِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، إلّا أنْ يكونَ هو أصغرَ سِنًّا ولكنِ

(١) المتلمّس: شاعر جاهلي (خال طرفة بن العبد) كتب له عمرو بن هند (أحد المناذرة من حكّام الحيرة) صحيفة (رسالة) إلى عامله على البحرين. وكان عمرو بن هند قد أوهم المتلمّس أن في الصحيفة أمراً إلى العامل بعطيّة له، مع أنّه كان قد أمر العامل فيها بقتل المتلمّس. المغلّس: (ظلام آخر الليل): باكراً جدًّا.

(٢) صوّح وتصوّح: يبس.

ٱعْتُبِطَ - مات شابًّا - قبلَهم، وأنا أُرَجِّحُ ذلك لِما ستراه في قِسمِ خصائصِه (رقم ٢، من هذه الترجمة).

واتّصلَ أبو بكرِ بنِ الصابونيِّ برجالِ الدولتين المُوحّدية والحَفْصيّة: تقدّمتْ مكانَتُه عند أبي العَلاءِ إدريسَ بنِ يعقوبَ المُلَقّبِ بالمأمون المُوحِّدي، تاسعِ سلاطينِ الموحّدينَ (٦٢٦ إلى آخرِ ٦٢٩ هـ). ثمّ رأى أنْ يَقْصِدَ سُلطانَ إفريقِيَةَ (القُطرِ التونسيّ) أبا زكريّا يَحْيى الأوّلَ مُؤسِّسَ الدولةِ الحَفْصية وأوّلَ سلاطِينها (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) فَلَقِيَه في مِليانَةَ (القُطر الجزائري) ومدحَه بقَصيدة مطلَعُها (المغرب ١: ٢٦٣):

اللهُ جـارُك في حِلٍّ ومُرْتَحَـلِ، يا مُعْلِياً مِلّةَ الإسلامِ في المِلَلِ.

ويبـدو أنّه لم يَنَلْ ما يُؤمِّلُه فعزَمَ على الرِحْلة إلى المشرق. فلمّا وَصَل إلى مِصْرَ لم يَجِدْ مَنْ قَدَرَهُ قَدْرَهُ(١)، و «عاجَلَتْهُ مَنِيَّتُه» فمات في الإسكندرية قبلَ سَنَةِ ٦٣٨ للهجرة (المغرب ١: ٢٦٣). أو في طريقِهِ بينَ القاهرةِ والإسكندرية (يُريدُ مُغادرةَ مِصْرَ، سَنَـةَ ٦٠٤ (أربعٍ وستِّمِائَةٍ)، كما وَرَدَ في فَواتِ الوَفَيات (٢: ٢٠٩) وفي «اختصار القدح المعلى» (ص ٧٠) وفي الوافي بالوَفَيات (٢: ٩٩). أمّا سَنَةُ ٦٠٤، فلا رَيْبَ في أنّها خطأٌ مَطْبَعيّ، مِمّا نرى من ٱتّصاله بالمأمون المُوحِّدي (جاء إلى الحُكم سَنَةَ ٦٢٦) وبيحيى الحَفْصي (جاء إلى الحُكم سَنَةَ ٦٢٥). وفي «المُغرب» أنّه تُوُفِّيَ قبلَ ٦٣٨ (ثَمانٍ وثلاثينَ وستِّمِائَةٍ). ولعلَّ التاريخَ الذي ٱقترحَهُ خيرُ الدينِ الزِرِكليّ (الأعلام ٦: ٢١٥، الطبعة الرابعة ٥: ٣٢٠) قريبٌ من الصواب، أي ٦٣٤ هـ (١٢٣٧ م). وقَبِلَ إحسانُ عبّاسٍ (نفح الطيب ٣: ٥١٨، الحاشية الأولى) سَنَةَ ٦٣٦ للهجرة.

٢ - يبدو أنّ أبا بكر بن الصابونيِّ لم يكُنْ سليمَ الأعصاب، بلْ كانَ مَريضَها. فقد كان ضيِّقَ الصدر شديدَ الٱنحرافِ عن المَسْلَكِ الاجتماعيّ السَوِيّ، سيِّءَ التصرّف. والأغلبُ أن أُستاذَه أبا عليٍّ الشلوبينيَّ قد لَقَّبَه بٱسم «الحِمار» من أجْلِ ذلك كُلِّه. وفي نفح

(١) قدر الإنسان الشيء قدراً: بيّن مقداره، عرف مكانته وقيمته.

الطيب (٣: ٥١٨) حِكايةٌ تَشْرَحُ شيئاً من هذا:

كان ٱبنُ الصابونيِّ في مجلسِ أحدِ الفُضلاءِ في إشبيليَةَ فقُدِّمَ - فيما قُدِّمَ (في ذلك المجلس) - خِيارٌ. فجعَلَ أحدُ الأدباءِ يُقشّر (واحدةً منها) بسِكّينٍ. فخطِفَ ٱبنُ الصابونيِّ السِكّينَ من يدهِ. فألَحّ عليه (ذلك الأديبُ) في (ردِّها إليه). فقال له ابنُ الصابوني: «كُفَّ عنّي وإلّا جَرَحْتُك بها». فقال صاحبُ المنزل (لذلك الأديبِ): «ٱكْفُفْ عنه لِئلّا يَجْرَحَك ويكونَ جُرْحُك جُباراً، تعريضاً بقولِ النبيِّ (إشارة إلى قولِ النبيِّ) صلى اللهُ عليه وسلم: «جُرْحُ العجماءِ جُبارٌ»[1]. فٱغتاظَ ٱبنُ الصابونيّ، وخَرَجَ مِنَ الٱعتدالِ، وأخْطأَ بلسانهِ. وما كَفَّ إلّا بعدَ الرَّغْبة والتضَرُّع.

أمّا في الشعر فكان جيّدَ المعاني متينَ السبك جَزْلَ القول. وفنونُه المدحُ والهِجاء والرثاءُ والحماسةُ (وصف الحرب) والوصف والغَزَل والحكمة. وله موشّحاتٌ أيضاً ثمّ هو شاعرٌ مجيدٌ مشهورٌ، ولكنّ تطرُّفَه في الإعجاب بنفسه (وقد وَرِثَ ذلك عن أبيه) قد كَسَبَه عداواتٍ كثيرةً وألقى ستاراً على شُهرتهِ.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي بكرِ بنِ الصابونيّ الإشبيليِّ شعرٌ كثيرٌ في الحَماسة (وصف الحرب)، راجع «الوافي بالوفيات» (٢: ٩٩)، منها:

أَلْقَتْ إلى الهرب الأعداءُ أنفسَها ... وما عَبَيْتَ لها جيشاً سِوى الرَهَبِ[2].

(١) جبار (بالضمّ): هدر (بفتح فسكون)، لا قصاص فيه ولا ضمان لما تتلفه العجماء (أي الدابّة، الحيوان). وهذا الحديث قد أصبح المادة الرابعة والتسعين من الموادّ الكليّة في مجلّة الأحكام العدلية. غير أن هذه المادّة ليست مطلقة، ولكنّها مشروطة بشروط وأحوال. إذا جنت العجماء جناية من عند نفسها (كأن خطف ثعلب دجاجة أو أكل ذئب خروفاً أو كانت دابة ترعى في مرعى عامّ ثمّ اتفق أن دعست طفلاً) فجنايتها تلك لا تعاقب هي عليها (لأنّ العقاب أو القصاص لا يكون إلّا مع التكليف، والتكليف لا يكون إلّا للإنسان العاقل الراشد المميّز). ولكن إذاكان رجل يركب دابّة في السوق أو في مكان يجتمع فيه الناس ثمّ دعست تلك الدابة طفلاً فراكب تلك الدابة(أو صاحبها إذا كان راكبها قاصراً، وكان يركبها بإذنه أو بغفلة وتقصير منه) ضامن للضرر الحاصل منها ومعاقب عليه.

(٢) كذا في الأصل: عبيت. والصواب: عبأ الأمير الجيش يعبأه (بفتح الباء) أو عباه يعبوه أو عبّاه (بالتشديد): حشده وجهّزه. الرهَب: الخوف.

خيرُ الكتائبِ ما لم يُغْنِ غائِبُه؛ وأفضلُ الفتحِ ما وافى بلا تَعَب[1].
★والبِيضُ تُسْكِنُ أوصالَ الكُماة، وقد شَحا له الضربُ كالأفواهِ للجَدَل[2].
إذا المَقاتِلُ عن قَصْدِ الردى كَهِمتْ سَوّى لها الطعنُ مثلَ الأعينِ النُّجُل[3].
وللشِفارِ شُروعٌ في الدّروعِ كما تواتَرَ الطيرُ في الغُدرانِ للنهَل[4].

– ولأبي بكرِ بنِ الصابونيِّ في الغزَلِ أيضاً أشياءُ كثيرةٌ (فوات الوفيات ٢ : ٢١٠ ؛ الوافي بالوفيات ١٠٠ ؛ ٣ : ٥١٨ ، ٤ : ١٦٠):

أَمَا وعِذارٍ فوقَ خَدِّكَ، إنّه لَأَنْكأُ فِعْلَيْ مُقْلَتَيْكِ لَفاعِلُ[5].
وما خَيَّلَتْ نفسي إليَّ بأنّه ستَفْعَلُ أفعالَ السيوفِ الحمائلُ[6].

---

(١) الكتيبة: الجيش. ما لم يغن غائبه (ما لم تكن محتاجاً معه إلى نجدة). – خير الجيوش ذلك الجيش الذي معك وهو قادر وحده على إحراز النصر.

(٢) البيض جمع أبيض: سيف. تسكن (كذا في الأصل)، اقرأ: تمكن (تساعد، تعين). أوصال جمع وصل (بالكسر أو بالضمّ): عظم مستقل في الجسم، عضو (يد، ذراع). الكميّ: الشجاع الكامل عدّة الحرب من السلاح. شحا القتال يشحو (اتّسع مجال القتال فيه – بعدت فيه المسافة بين المتقابلين)، من أجل ذلك يستطيع المقاتل أن يجعل السيف صلة لذراعه ثمّ يمدها فيصل بالسيف إلى خصمه. الضرب: القتال بالسيف. كالأفواه للجدل (للجدال والخصومة)..... التشبيه «كالأفواه للجدل» غامض (إلّا أن يكون المقصود: عند اشتداد القتال). هذه الأبيات من قصيدة في مدح أبي زكريا يحيى الأول الحفصي.

(٣) المقتل: المكان في الجسم إذا أصيب مات صاحبه (كالعنق والقلب). الردى: الموت. كهم: أبطأ. العين النجلاء (الواسعة).– يقول: إذا كانت الجراح بالسيوف والتي تصيب المقاتل (من الخصوم) لم تكن كافية لتميت الخصم الذي أصيب في مقتله، فإنّ الطعن (بالرماح) حينئذ يصل إلى جسم الخصم (لأنّ الرمح أطول من السيف) ويحدث فيه جراحاً واسعة (كبيرة) تميته.

(٤) الشفرة: السيف. شروع: بدء. تواتر: توالى وتتابع بسرعة. الغدير: فرع يخرج من النهر. النهل: الشرب.– يقول: تبدأ السيوف أوّلاً فتقطّع دروع الخصوم في أماكن مختلفة يستطيع الرمح أن ينفذ (بضمّ الفاء) منها إلى جسم الخصم.

(٥ و٦) وعذار (الواو للقسم. العذار: الشعر النابت على جانبي الخدّين والذي يؤلّف فيا بعد اللحية). نكأ الرجل خصمه: جرحه وقتله. المقلة العين. يشبّه الشاعر عيني المحبوب بالسيف، ويشبّه عذاره (بالمثنّى) بحمالة (بكسر الحاء): علاقة (بكسر العين) السيف. ثمّ يقول: المألوف أن السيف (هنا عيني المحبوب) هو الذي يقتل، ولكن أرى الآن أن حمالة السيف (الشعر على خدّي المحبوب) هو الذي يقتلني (يجعلني متيّماً بحب صاحبها). فعلا مقلتيك (عينيك): إيقاع الناظر في حبّك ثمّ قتل الناظر إليك.

★ رأيـــتُ في خـــدِّه عـــذاراً خَلَعْتُ في حُبِّه عِذاري[1].
قدْ كَتَبَ الحُسْنُ فيه سَطْراً: (ويُولجُ اللَّيْلَ في النّهار)[2].

★ أقبــــلَ في حُلَّـــــة مُورَّدَةٍ كالبدر في حُلّةٍ من الشَّفَق[3].
تحسَبُـــــــــه كُلَّما أراقَ دمي يمسَحُ في ثَوْبهِ ظُبى الحَدَق[4].

★ بعثـــتُ بمِرْآةٍ إليـــكَ بديعــةٍ فأَطْلِع بسامي أُفْقها قمَرَ السعْدِ[5]،
لتنظُرَ فيهـا حُسنَ وجهكَ منصفاً وتعذُرني فيما أكُنّ من الوجد[6].
فأَرْسِلْ بذاك الخَدِّ لَحْظَكَ بُرهةً لتجْني منـه ما جناه من الورد[7].
مثالُكَ فيها منك أقربُ مَلْمَساً وأكـثرُ إحساناً وأبقى على العَهْد[8].

– كانَ أحدُ الفُقهاءِ قد سأل أبا بكر الصابونيَّ الإشبيليَّ أنْ يَنْظِمَ له شيئاً يتعلّقُ بما يجوزُ مِنَ البيع وبما يُعَدّ من البيع رباً[9]. فقال أبو بكر الصابونيُّ (الذيل والتكملة ٦ : ٦٠):

---

(١) عذار (راجع الحاشية السابقة). خلع فلان العذار (الرسن): اندفع في طلب الشهوات جهراً بلا حياء.
(٢) في القرآن الكريم (١٢ : ٦١، سورة الحج): «ذلك بأنّ الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير». يولج: يدخل أحدهما في الآخر كلّما زاد ضوء النهار نقص ظلام الليل، وكلّما زاد ظلام الليل نقص ضوء النهار. يشبّه الشاعر وجه المحبوب بالنهار لبياضه، ويشبّه عذار المحبوب بالليل لشدّة سواده.
(٣) حلّة: ثوب. مورّدة (ذات لون أحمر). الشفق: اللون الأحمر على الأفق الغربي بعد غياب الشمس.
(٤) أراق: سفك، أسال، أجرى – كلّما جرحني المحبوب وهو ينظر إليّ. الظبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف. الحدقة: العين. – انّ اللون الأحمر في ثوبه من كثرة ما مسح أجفانه بثوبه بعد تكرار النظر إلى المحبّين وجرحهم بسيوف عينيه.
(٥) فأطلع بسامي أفقها (في الجزء الأعلى من المرآة) قمر السعد (وجهك).
(٦) كن الرجل الشيء وأكنّه: ستره. الوجد: الحزن (وألم الحبّ).
(٧) برهة: مدّة. لتجني: تقطف (تتمتّع). منه (من خدّك). ما جناه: ما أجرم فيه (ارتكب جناية) من اكتسائه بدماء العاشقين.
(٨) فيها (في المرآة). أقرب ملمساً (أكثر ثباتاً، لا يتغير) وأكثر إحساناً (إلى الناس لأنّ خيالك في المرآة لا يستطيع أن يؤذي أحداً، إذ لا يراه أحد غيرك). وأبقى على العهد (؟).
(٩) الربا: استبدال عرض (سلعة) بعرض مثله (مال بمال، حنطة بحنطة، تمر بتمر، الخ) بنسيئة (بتأخير في ردّ الدين) وبزيادة في المقدار (مائة دينار مكان سبعين ديناراً أو ستّة أرطال تمر مكان خمسة أرطال تمر).

إمّـــا أردتَّ صحيـــحَ البيـــع تعلَمُـــهُ

من جنسِ فاسدهِ فٱسْتَفْتِني وسَل[1]

إنْ وافـقَ الثمنُ المثمون فٱجتمعا

في الجنس كانـــا عـــلى قسمـــين في العمـــل[2]:

فـــإنْ يكُنْ رَبَوِيّـــا لم يَجُزْ أبـــداً

- إذا تفاضـــلَ مَنْسِيّـــا إلى أجـــل[3]-،

وإنْ يكُنْ ضِـــدّ هـــذا، فَلْتَكُنْ أبـــداً

مِنْ أن يُبـــاعَ بتأخـــيرِ عـــلى وَجَـــل[4].

وبعْـــهُ نَقْـــداً بفَضْـــلِ أوْ مُماثلـــةٍ،

وٱسْلُـــكْ سبيـــلي؛ فهـــذا أوضـــحُ السُّبُـــل[5].

وإنْ هما ٱفترقـــا في الجنس وٱختلفـــا

لم يَخْلُوا أنْ يكونـــا ساعـــةَ البَـــدَل[6]

إمّـــا طَعامَيْنِ أو عَيْنَيْنِ قـــد حَضَرا

أو غـــيرَ ذلـــك، هـــذا الرأيُ لم يَفِـــل[7].

فـــإنْ يكن ذاك عَيْنـــاً لم يكُنْ أبـــداً

فيـــه النساء بوجـــهٍ فاعتقـــل همـــل[8]

---

(١) البيع الصحيح: الجاري على قواعد الشرع الإسلامي (تفصيل ذلك في الأبيات التالية).

(٢) إذا وقع الاتّفاق على ثمن بضاعة وكان الثمن والبضاعة من جنس واحد (أي بيع نوع من التمر بنوع آخر من التمر) فلذلك وجهان.

(٣) البيع الربويّ (راجع الحاشية بمقدّمة هذه المقطوعة). تفاضل الشيئان: زاد أحدهما على الآخر. المنسيّ (اقرأ: المنسوء: المؤجّل، المؤخّر). لا يجوز بيع بضاعة بسعر أغلى من سعرها الحاضر احتجاجاً بأن ثمنها سيقبض بعد مدّة.

(٤) وإذا لم يكن المقصود من البيع ربا (ديناً لعجز المشتري عن دفع الثمن فوراً) فاحرص على ألّا تقبل بذلك (التأجيل في الدفع).

(٥) بع البضاعة نقداً بفضل (بزيادة في الثمن: ربحاً صافياً) أو مماثلة (بمثل ثمنها).

(٦) وإذا كانت البضاعة مختلفة (في النوع من الثمن...... (راجع البيت التالي).

(٧ و٨)إمّا أن يكون الثمن والبضاعة طعامين (قمحاً وتمراً أو جوزاً ولحماً، الخ) أوعينين(معدنين من معادن =

ومِثْلُـــهُ كُـــلُّ مطعومٍ سَمِعـــتَ بـــه،
فَلْتَسْرِ في أثري تأْمَنْ من الزَّلَـــــــل[١] .

ومـــا عـــدا ذَيْنِ كـــان البيـــعُ أجمَعُـــه
فيـــه يجوزُ، فـــلا تركَنْ إلى العِلَـــل[٢] .

إلّا إذا كـــان مـــا تُعطي إلى أجـــلِ
من جنس ما بِعْـــتَ، فَٱحْذَرْ ذاك وٱمْتَثِـــل[٣] .

أو كـــان أكْـــلًا، ولم يَقْبِضْـــهُ منـــك فـــلا
تَزِدْهُ أكْلًا نَسِيئاً. خُـــذْ بـــذا وقُـــل[٤] .

وإنْ يكُنْ ذاك مطعومـــاً ويَقْبِضُـــه
فـــلا تَرُدَّ طعامـــاً مُنْسَئـــاً تُحِـــل[٥] .

وإن يكُنْ رَبَويّـــاً في الطعـــامِ فـــلا
تَزِدْهُ من جنسه، حُيِّيـــتَ من رجُـــل[٦] .

= النقد أو العملة: ذهباً وفضّة) فيجوز تبادلها (بزيادة أحدهما على الآخر؟) ولكن بلا تأجيل في الاستيفاء. فاعتقل همل (؟). اقرأ: اعتقد هملي (تركي للوجه الآخر: بيع فضّة بذهب مع فضل - زيادة مقدار أحدهما على الآخر - نقداً وفوراً جائز (؟). فال الرأي يفيل: أخطأ.

(١) ومن باب الاحتياط كل مطعوم (مادّة للطعام) تعامل معاملة القمح والتمر (راجع الحاشية السابقة). يرى نفر من الفقهاء أن كلّ طعام بيع بطعام آخر مع فضل أو بزيادة أحدهما على الآخر في المقدار فهو ربا. ويرى آخرون أن الربا خاصّ بالموّاد الأساسية (لا تدخل فيها الفاكهة مثلًا).

(٢) ما عدا ذين (هذين): الطعام والنقد أو العملة فالبيع فيه جائز (مثلًا وفضلًا: بثمن المثل أو بربح أكبر، ونقداً أو ديناً). لا تركن (تطمئن، تلجأ) إلى العلل (تخريج الأسباب).

(٣) إلّا إذا كان الثمن المؤجّل من جنس البضاعة مع زيادة في مقدار أحدهما (فهذا ربا): اربعة أرطال قمح بخمسة ارطال قمح بعد مدة.

(٤) وكذلك إذا كانت البضاعة ممّا يؤكل، ولم يقبض ثمنه فوراً، فلا يجوز أن تزيد في مقدار البدل (إذا كان ذلك البدل من جنس تلك البضاعة المأكولة ثمّ كان ذلك البدل أيضاً موجّلًا إلى زمن لاحق).

(٥) وإذا كانت البضاعة طعاماً وقبضتّه فوراً، فلا تردّ بدله طعاماً مثله منسئاً (مؤجّلًا) تحل (يكن ذلك منك حيلة؟)، فهذا أيضاً ربا.

(٦) وإذا استدان رجل طعاماً على أن يؤدي فيما بعد بدله طعاماً مثله فلا يجوز أن يكون في البدل زيادة في المقدار.

وفي المزيـــدِ عـــلى المُبتـــاعِ تَقْبِضُـــه
عـــلى الإقالـــةِ أصْـــلٌ غـــيرُ ذي دَخَـــل[١].

- ولأبي بكرِ بنِ الصابونيِّ مُوشّحةٌ حَسَنَةٌ مَطْلَعُها والبيتُ الأوّل منها (نفح الطيب ٧ : ١٠):

قسَماً بالهوى لِـــــذي حِجْرِ   مـــا لِلَيْـلِ المَشوقِ من فَجْر[٢].

★ ★ ★

خَمَدَ الصُّبْحُ ليس يُطْرَدْ.
مـا للَيـْلي فـيما أظُنُّ غدْ.
صَحّ، يا ليلُ، أنّك الأبدْ.

أو تقضّـــــــتْ قوادِمُ النَّسْر   فنُجومُ السماءِ لا تَسْري[٣].

- وله موشّحة غيرُ هذهِ منها (نفح الطيب ٧ : ١١):

مـا حالُ صبٍّ ذي ضَنًى وٱكْتئابْ   أمرَضَهُ، يـا وَيلتاهُ، الطبيبْ[٤]
عامَلَـــهُ محبوبُـــه بٱجتنـــاب   ثمّ ٱقتدى فيه الكَرى بالحبيبْ[٥]

★ ★ ★

(١) الإقالة: الرجوع عن البيع (أو الشراء). الدخل: الفساد، والعيب والريبة.- إذا اتّفق بائع ومشتر على ثمن بضاعة ثمّ رأى أحدهما أن يرجع عمّا كانا قد اتّفقا عليه، فلا مانع من أن يدفع الناكل (الراجع عن الاتّفاق) مبلغاً هو تعويض أو غرامة.

(٢) الحجر (بالكسر): العقل. في القرآن الكريم (٨٩: ٥، الفجر): «هل في ذلك قسم لذي حجر».

(٣) خمد: سكن، هدأ (لم يتحرّك). تقضّت: انقطعت. القوادم: الريش الكبار في جناح الطائر. النسر: مجموعتان من النجوم (النسر الطائر والنسر الواقع). تسري (هنا): تجري. يقول الشاعر: لعلّ الريش الكبار في جناح النسر (الذي في السماء) قد قصّت فهو لا يتحرّك (ولا تتحرك النجوم معه)، ولذلك استمر الليل نازلا لا يطلع صباحه.

(٤) الصبّ: المحبّ (الذي صبا: مال إلى المحبوب). الضنى: المرض الذي يخشى معه الهلاك. أمرضه الطبيب (أي الحبيب الذي يملك شفاءه، إذا عطف حبيبه عليه).

(٥) الاجتناب: الهجران. الكرى: النوم. اقتدى الكرى بالحبيب (النوم هجر المحبّ العاشق كما هجره المحبوب).

جفـــا جُفوني النومُ لكنّـــني   لم أبكِـهِ إلّا لِفَقْـدِ الخَيـالْ[1].
وذو الوِصالِ اليومَ قد غرّني   منه كما شاء وشاء الوِصالْ[2].
فلستُ بالـــلائمِ مَنْ صَـــدّني   بصورةِ الحقّ ولا بالمُحـــالْ[3].

٤ - ★★ المغرب ١ : ٢٦٣ ؛ تحفة القادم ١٦١ ؛ القدح المعلّى ٦٩ - ٧٢ ؛ الذيل والتكملة ٦ : ٥٩ - ٦٠ (رقم ١٢٩)؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٠٩ - ٢١٠ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٩٩ - ١٠٠ ؛ نفح الطيب ٣ : ٥١٨ - ٥١٩ ، ٤ : ١٥٩ - ١٦٠ ، ٧ : ١٠ - ١١ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢١٥ (٥ : ٣٢٠).

ابن نعيم الحضرمي

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ نعيمٍ الحَضْرمي القُرطبي، وُلِدَ بُعيدَ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) في تونسَ. وفيها نشأ وتَصدّرَ للتدريس. كان مُشرفاً في بجايةَ أيامَ واليها السيدِ ابن عِمرانَ المُوحّديّ. ثمّ إن يحيى بْنَ عانيَةَ[4] استوْلى على بجاية (٥٨٠ هـ). وفي شهرِ صَفَرَ من العام التالي (أيار - مايو ١١٨٥ م) استردَّ المنصورُ الموحّديُّ بجايةَ وأخذَ من أنصارِ ابن غانيةَ أسْرى كانَ فِيهِمُ السيدُ ٱبنُ عِمرانَ والشاعرُ ٱبنُ نعيمِ الحَضْرمي. وقدِ ٱتَّفَقَ لابنِ نعيمٍ - وهو أسيرٌ في سِجْنه - أن يُخمّسَ القصيدةَ المنفرجة[5]. فيُقالُ إنّ المنصورَ المُوحّديَّ[6] رأى في مَنامه الرسولَ يطلُبُ

---

(١) الخيال: المنام، الرؤيا. لم أحزن لأنّ النوم جفاني (فارقني)، ولكن حزنت لأنّ مفارقة النوم لي منعتني من أن أرى حبيبي في منامي.
(٢) ذو الوصال (المحبوب الذي يملك أن يعطف عليّ) قد غرّني (تظاهر بأنّه يعطف عليّ).
(٣) لا ألوم الذي صدّني (ردّني عن وصال الحبيب)...... (؟).
(٤) يحيى بن عليّ بن يوسف المسوفي المعروف بابن غانية (ت ٥٤٣ هـ). وغانية أمّه، وكانت إحدى قريبات يوسف ابن تاشفين أوّل سلاطين المرابطين. ولّاه المرابطون، في أيام دولتهم على عدد من المدن في المغرب وفي الأندلس. ولمّا سقطت دولة المرابطين وجاءت دولة الموحّدين ظلّ على ولائه للمرابطين وقاوم الموحّدين.
(٥) القصيدة المنفرجة لابن التوزري النحوي (٤٥٣ - ٥٤٣ هـ؛ راجع ترجمته).
(٦) المنصور الموحّدي أبو يوسف يعقوب ثالث سلاطين الموحّدين (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

منه إطلاقَ سَراحِ آبنِ نعيمٍ. وآستيقظَ المنصورُ من منامهِ في جوفِ الليلِ وأمرَ بإطلاق آبنِ نعيمٍ مُكرَّماً.

وكانت وفاةُ آبنِ نعيمٍ الحضرميِّ في قُسَنْطِينَةَ في سَنَةِ ٦٣٦ هـ (١٢٣٨-١٢٣٩ م).

٢- كان آبنُ نعيمٍ الحطرميُّ أديباً ناثراً وناظماً، كما كانَ من الفقهاء. وقدِ اشتهرَ بتَخْميسِ القصيدةِ المنفرجة. ومَعَ أن التَخْميس أقلُّ طلاوةً من القصيدةِ الأصليةِ، فإنَّ الروحَ الدينيَّ والسهولةَ في التعبيرِ ظاهرانِ عَلَيه.

٣- **مختارات من شعره:**

- من تخميس المنفرجة:

لا بُدَّ لِضيقٍ من فَرَجِ والصبرُ مَطِيّةُ كلِّ شَجِ[١]
وبدعوةِ أحمدَ فأبتهجِ (آشتدّي، أزمةَ، تَنْفَرِجي[٢]
قدْ آذَنَ لَيْلُكِ بالبَلَجِ)[٣].

يا نفسُ، رُوَيْدَكِ: لا حَرَجُ وثِقي باللهِ. عسى فَرَجُ[٤].
وكذا ما ضاق له فُرَجُ، (وظلامُ الليلِ له سُرُجُ
حتّى يَغشاهُ أبو السُرُجِ)[٥].

فلكلِّ مُحاولةٍ قَدَرُ وقَضاً لا يدفَعُهُ حَذَرُ؛

---

(١) مطيّة: دابّة للركوب (وسيلة). الشجي (بلا تشديد أو بتشديد): الحزين والذي أثقله الهمّ.

(٢) أحمد = محمّد رسول الله. ابتهج: فرح. أزمة: شدّة. وحقّ «أزمة» (هنا) البناء على الضمّ (لأنّها منادى مقصود بالنداء)، والرواية بالنصب.

(٣) البلج (بفتح ففتح) مصدر من بلج (بفتح فكسر) وجهه: أشرق سروراً. والشاعر يقصد ظهور النور في الصباح (بعد انقضاء الليل)، وهذا هو البلوج من الفعل بلج (بفتح فكسر).

(٤) رويدك: مهلا. الحرج: الضيق.

(٥) السرج (جمع سراج)، هنا: كناية عن النجوم. أبو السرج: الشمس.- يظلّ في الليل (في أيام الشدّة) نجوم (أمل بالنور وبالفرج) حتّى يطلع أبو السرج أو الشمس (الفرج الكامل).

ورُجوعُـــكَ عن هـــذا غَرَرُ. (وسَحـــابُ الخـــير لـــه مَطَرُ
فإذا جاء الإبّانُ يَجي)[1].
تَفويضُـــكَ للرحمنِ رَجـــا. كم جـاءَ صباحٌ بعدَ دُجى[2]!
ويكون الصـــبرُ لـــه دَرَجَـا. (ورضـاً بقضـاءِ اللهِ حِجـى[3]
فعَلى مرْكوزَتِهِ فعُج)[4]
فَتحَرَّ بمـــا تَلْقـــى رَشَدا لا يَمضي عمْرُكُ عنك سُدى[5]،
واقطَـــعْ أيامَـــكَ مُجتهـــدا (وإذا انْفتحـت أبوابُ هُـدى
فأَعْجَلْ لِخَزائِنِها ولُجِ)[6].

٤ - ** عنوان الدراية ٢٧١ - ٢٧٨.

أبو الحجّاج الإشبيلي الطبيب

١ - هو أبو الحجّاجِ يوسفُ بنُ عُتبةَ الإشبيليُّ، من أهل إشْبيليَةَ، رَحَلَ إلى مِصْرَ، لمّا اضْطربتِ الأندلُسُ بثورةِ ابنِ هودٍ، سَنَةَ ٦٢٥ هـ، ولكنّه لم يَلْقَ نَجاحاً. عَطَفَ عليه جمالُ الدين موسى بنُ يغمورَ بن جلدَكَ[7] المَغربيّ فجعله مُشاركاً مَعَ أطبّاءِ المارستانِ (المستشفى). كانتْ وفاتُه في القاهرةِ سَنَةَ ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ - ١٢٣٩ م).

٢ - كان أبو الحجّاجِ الإشبيليُّ طبيباً. ويبدو أنّ آهتمامَه بالأدبِ كانَ أكثرَ مِنَ آهتمامِهِ بالطِبّ. كانت له قصائدُ ومُوشّحاتٌ. وكان شِعرُه سهلًا واضحَ المعاني عليه

(١) الإبّان: الزمن، الوقت (كلّ شيء يأتي في وقته).
(٢) الرحمن: الله تعالى. الدجى جمع دجية (بالضمّ): الظلمة (بالضمّ).
(٣) درج: تدرّج (وسيلة إلى الارتقاء أو إلى الوصول). الحجى (والأصوب الحجا): العقل.
(٤) المركوزة (الثابت من الاعتماد على قضاء الله). عاج على المكان: عطف، مال إليه (التجأ).
(٥) تحرّى في الأمور: قصد أفضلها ودقّق فيها.
(٦) الخزائن (هنا): الثروات (بفتح ففتح) الروحية. ولج: دخل.
(٧) جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية (نفح الطيب ٢: ٣٦٨) وهو الأمير جمال الدين أبو الفتح موسى بن يغمور بن جلدك (نفح الطيب ٢: ١١٢).

مسحةٌ من المَرَح. وكان مُصنّفاً لعددٍ من الكتب.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحَجاج الإشبيليُّ في الغزل الصريح:

أنْجَزَتْ وَعــدي عــلى غَرَرٍ ... فقَطَعنــا الليــلَ بالسَهَرِ[١]

في حديــثٍ لا يُكــدِّرُه ... مَرُّ وَسْواسٍ من الفِكَرِ[٢].

وكأنّي إذ أُضاجِعُهــا ... بِتُّ في روض النَّدى العَطِرِ[٣]،

في خِتــامٍ من تَعانُقِهــا ... خِلْتُــه مِنْ نَسمــةِ السحر[٤].

فدَعَتْــني للودَاع فــلم ... تُبْــقِ من نفسي ولم تَــذَرِ[٥].

قُلــتُ: مــاذا السيرُ في عَجَــلٍ ... وغرابُ الليــلِ لم يَطِرِ[٦]؟

فانْثَنــتْ كالغُصْنِ مُشتَمِــلاً ... بفنونِ النَّوْرِ والزَهَرِ[٧].

ثمّ قالــتْ قولَ ذي غَنَــجٍ ... ودَلالٍ غــيرِ مُعْتَــذِرِ[٨]:

قُمْ فَودِّعْ غــيرَ مُنْتَقَــدٍ ... قبــلَ شَوْبِ الصَفْوِ بالكَــدَرِ[٩].

فتعــانَقْنــا لفُرقَتِنــا ... ثمّ لا تسألْ عنِ الخَــبرِ!

- وقال في مِصرَ (يأسف لقلّة نجاحه فيها):

---

(١) الغرر: التعرّض للهلاك (والخطر).

(٢) الوسواس: الفكرة (التي تنذر بوقوع السوء: الخوف من مجهول).

(٣) بات: قضى الليل. الندى: البلل، الغضّ، الطري.

(٤) ؟

(٥) يذر (بفتح ففتح): يترك (ولا يقال من هذا الفعل وذر ولا يقال واذر). - أتلفت نفسي لمّا طلبت منّي فراقها (أن أذهب كيلا تحدث فضيحة).

(٦) غراب الليل (سواد الليل) لم يطر (لم يذهب)- لا يزال الليل مظلماً والصبح بعيداً.

(٧) انثنت: التفتت، مالت (إليّ). النور (بالفتح): الزهر الأبيض.

(٨) قول ذي غنج غير معتذر (ممتنع عمّا طلبت منها).

(٩) قم فودّع (قبل ذهابك.... مرّة ثانية). قبل شوب (خلط) الصفو بالكدر (قبل أن يراك أحد فيحدث ما لا تحمد عقباه لي ولك).

أصبحتُ في مصرَ مُستضاماً أرقُصُ في دولةِ القرود[١].
واضَيْعَةَ العُمرِ في أخير معَ النصارى أو اليهود[٢]!
بالجَدّ رِزْقُ الأنام فيهم لا بذواتٍ ولا جُدود[٣].
لا تُبْصِرُ الدهرَ من يُراعي معنًى قصيدٍ ولا قُصود[٤].
أوَدُّ من لُؤمِهِمْ رُجوعاً للغَرْب في دولةِ ابنِ هود[٥].

- وله من موشّحة:

فقُمْ نُباكِرْها للاصطباحْ[٦]
والشُهْبُ تُنْثَرُ من خَيْطِ الصباحْ[٧]

---

(١) استضام فلان فلاناً: ضامه (ظلمه ونقصه شيئاً من حقّه). أرقص في دولة القرود (أخدم أناساً أقلّ منّي قيمة ومكانة).

(٢) في أخير (في آخر العمر). مع النصارى أو اليهود (كان النصارى واليهود كثيرين في المارستانات (المستشفيات حيث كان الشاعر يعمل).

(٣) الجدّ (بالفتح): الحظّ. الذوات جمع ذات (شخص الإنسان): قيمة الفرد بالنظر إلى الفرد نفسه. الجدود جمع جدّ (بالفتح) أبو الأب (أي بالنسب الشريف).

(٤) لا يراعي معنى قصيد (لا يفهم شعراً) ولا قصود (؟): جمع مقصد (بكسر الصاد) وقصد (بالفتح): المعنى، الغاية (ولا يفهم معنى الكلام العاديّ).

(٥) للغرب (إلى الأندلس) في دولة ابن هود - المتوكّل محمّد بن يوسف بن هود المستبدّ بأمر مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ) ثمّ استولى على عدد كبير من المدن الأندلسية ووقعت في أيامه حروب كثيرة مع الموحّدين ومع عددٍ من الأمراء المستبدّين. وجاء في « نفح الطيب » (١ : ٢١٥):
« .... إلى أن ثار ابن هود وتلقّب بالمتوكّل، ووجد قلوباً منحرفة عن دولة برّ العدوة (بضمّ العين أو بكسرها : المغرب، دولة الموحّدين) مهيّأة للاستبداد فملكها بأيسر محاولة، مع الجهل المفرط وضعف الرأي. وكان مع العامّة كأنّه صاحب شعوذة: يمشي في الأسواق ويضحك في وجوههم ويبادرهم بالسؤال. وجاء للناس منه ما لم يعتادوه (اقرأ: يتعوّدوه) من سلطان. فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامّتهم العمياء ..... فآل ذلك إلى تلف القواعد (المدن) العظيمة... وخروجها من يد الإسلام ».
وفي نفح الطيب أيضاً (٤: ٤٦٥ - ٤٦٦): « ودخل العدوّ كورة ماردة (وقد أخذها) من يد محمّد بن هود سنة ستّ وعشرين وستّمائة، وكانت مفتتح المصائب على يده.... »

(٦) نباكرها (نباكر الخمر) نشربها باكراً. الاصطباح: شرب الخمر في الصباح.

(٧) الشهب (والشاعر يقصد النجوم) تنثر من خيط الصباح (يشبّه الشاعر الصباح بسلك أو شبكة تجمع فيها النجوم ثمّ تغيب نجماً فنجماً مع انتشار الضوء بعد طلوع الفجر - ولكن الصورة الطبيعية غير صحيحة. كان يجب أن يقول: « والشهب يخفيها ضياء الصباح ».

والقُضْبُ ترقُصُ في أيدي الرياحْ[1]

عــــلى غنـــاءِ الحَمامْ   والكأسُ ذاتُ ابتسامْ

والظـــــلامُ قتيــــلْ   والصبحُ دامي الحسام[2].

٤ - ★★ المغرب ١ : ٢٥٨ - ٢٥٩ ، ٢٧٦ - ٢٧٧ ؛ القدح المعلّى ١٦١ - ١٦٤ ؛ نفح الطيب ٢ : ١١١ - ١١٢ ، ٦٦٣ - ٦٦٤ ؛ الأعلام للزركلي (٨ : ٢٤١).

ابن خبّازة الخطّابي

١ - هو أبو عمرٍو مَيمُونُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ الخالقِ الخَطّابي المعروفُ بابنِ خَبّازةَ ، أصلُه من قبائلِ صِنْهاجة. كان مَوْلِدُهُ في فاسَ، نَحْوَ ٥٧٠ هـ (١١٧٥ م). وقد تَولّى ، في أواخرِ أيامِهِ، حِسْبَةَ الطَعامِ في مدينةِ مَرّاكُشَ. وكانتْ وفاتُه في الرِباط ، سَنَة ٦٣٧ هـ (١٢٣٢ - ١٢٣٣ م).

٢ - كان ابنُ خَبّازةَ الخطّابيُّ شاعراً مُكثراً مُطيلاً سَهلَ القولِ متينَ التعبيرِ سريعَ البديهةِ في النَظْمِ والنَثْر. وأبرزُ فنونهِ المدائحُ النَبويةُ. فبديعِيّتُه اليائيةُ « حقيقٌ علينا أن نُجيبَ المَعاليا » مِائَةٌ وثمانيةٌ وأربعونَ بيتاً تَمّ بيتٌ مُضَمّنٌ. وله شيءٌ من الرِثاء والتصوّف والوَعْظ ، وله ترسُّلٌ أيضاً.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ميمونُ ابنُ خَبّازةَ الخَطّابيُّ في مديح الرسول:

حَقيـقٌ علينـا أن نُجيب المعاليا   لِنُفْنِيَ في مــدحِ الحبيب المعانيا.

فألْسُنُ أربـــاب البيـــانِ صَوارمٌ   مَضارِبُها تُنْسي السيوفَ المَواضيا[3].

---

(١) القضب (جمع قضيب): أغصان الأشجار.

(٢) الحسام (السيف). يقول الشاعر: إنّ الصبح قتل الليل فظهر دم الليل (الفجر) على حسام الصبح (الأفق الشرقيّ).

(٣) أرباب (أصحاب) البيان (المقدرة على قول الشعر والنثر الواضحين البليغين). الصارم: السيف. مضرب السيف. السيوف المواضيا (هنا) سيوف الأبطال الماضين (؟).

لِنُطْلِـعَ من أمْـداحِ أحمد أنجُماً تلوحُ فتَجْلو من سَناه الدَياجيا[١].
فــلا مدحَ إلّا للــذي بمديحِـهِ تُطيعُ إذا ما كُنتَ بالمدحِ عاصيـاً[٢].
رسولٌ بَراهُ اللهُ من صَفْوِ نورهِ وألْبَسَهُ بُرْداً من النور صافيـا[٣].
ومـا زال ذاك النورُ من عَهدِ آدمٍ يُنـير بهِ اللهُ العصورَ الخواليا[٤].
وآياتُـه جَلّـتْ عن العَـدِّ كَثرةً فما تبلُـغُ الأقوالُ منها تَناهيا.
وأعظمُها الوحيُ الذي خصّه به فبلّـغَ عنـه آمراً فيه ناهيا[٥].
تَحَدّى بـه أهـلَ البيانِ بأسْرِهم فكُلُّهُم ألفـاهُ بالعَجْز وانيــا[٦]
وجاء بـه وَحْياً صريحاً يَزيدُهُ مرورُ الليــالي جِـدّة وتَعاليـا.
تَضمّنَ أحكـامَ الوُجودِ بأسْرِهـا وعمّ القضايا مُثْبِتاً فيه نافيا[٧].
وأخبَرَ عمّا كـان أو هو كائنٌ: يُرى ماضيـاً أو ما يُرى بعدُ آتيا:
ووافــق أخبـارَ النبيّــين كلِّهم وتَمّمَ بالغايــاتِ منــه المَباديـا.
ومـا كتبـتْ يُمنـاهُ يوماً صحيفةً ولا رِيءَ يومـاً للصحائفِ تاليا[٨].

٤-★★ أزهار الرياض ٢: ٢٧٩ - ٢٩٢؛الأدب المغربي ١٩٩ وما بعد؛ النبوغ المغربي ١٧٠، ٤٠٦ - ٤١٢ (التعداد الثاني) وما بعد، ٨٥٨ - ٨٦٨، ٩١٢، ٩٢٩ - ٩٣٣؛ الأعلام للزركلي ٨: ٣٠٠. (٧: ٣٤١).

---

(١) أحمد = محمّد رسول الله. السنى: النور. الدياجي: الظلمات.

(٢) لا مدح ذو قيمة إلّا مديح تطيع الله به (تكون به صادقاً = مدح رسول الله)، إذا أنت كنت يوماً عاصياً بمديح نفر من الناس (وكذبت في مديحهم).

(٣) براه الله (خلقه). البرد: الثوب.

(٤) في الخبر أن النور كان قد قسم بين آدم وحواء ثمّ افترق في أجيال البشر. بعدئذ وصل الجانب الذي كان في آدم من النور إلى عبد الله بن عبد المطلّب، ووصل الجانب الآخر الذي كان في حوّاء إلى آمنة بنت وهب. فلمّا تزوّج عبد الله بن عبد المطّلب آمنة بنت وهب ثمّ كانت ولادة محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) من هذا الزواج اجتمع ذلك النور في محمّد.

(٥) الوحي الذي خصّ الله محمّداً به (القرآن الكريم). عنه (عن الله).

(٦) ألفى: وجد. الواني: الضعيف، التعب (بفتح فكسر).

(٧) مثبتاً (آمراً بالقيام بما يجب عمله) ونافياً (ناهياً عن فعل ما لا يجوز فعله).

(٨) الصحيفة: الورقة المكتوبة (الكتاب). ريء (رئي: «رأى» مبنيّة للمجهول). التالي: القارىء.

محيي الدين بن عربي

١ - لمحيي الدين بنِ عربيٍّ تَرْجَمَةٌ مُفصّلةٌ في الجزء الثالث من هذه السِلسلةِ، وأحبَبْتُ أن آتِيَ له بترجمة ثانيـةِ هنا لأنّه ابن الأندلُس برُغْمِ رِحلته وآستقرارِه في المشرق[١].

هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الله الحاتَميُّ من نسلِ عبدِ الله بن حاتَمٍ أخي أحمدَ بنِ حاتمٍ البصريِّ (ت ٢٣١ هـ) راويةِ الأصمعيّ.

وُلدَ في مُرْسِيَةَ في سابعَ عشَرَ رَمَضانَ من سَنَةَ ٥٦٠ (١١٦٥/٧/٢٧ م) في الأغلب. وكان يُعرَفُ بآسم «آبن العربي» (بلام التعريف) وبآسم آبنِ سُراقةَ (عنوان الدراية ٥٦).

وآنتقلَ آبنُ العربيّ من مُرسِيَةَ، سَنَةَ ٥٦٨ ونزَل في إشبيليةَ وبَقِيَ فيها إلى سَنَةَ ٥٩٨ للهجرة. ولا شكَّ في أنّه كان في تلك الأثناء يزورُ البُلدانَ التي حولَه، فقد سَمِعَ في قُرطُبَةَ من أبي القاسم بن بَشْكُوالَ (ت ٥٧٨ هـ) وغيرِه. ودخل بِجايةَ (في القطر الجزائري) في رَمَضان من سَنَة ٥٩٧.

ويبدو أنّه بدأ حياتَه بالاتّصال برِجالِ الدولة، فقد كَتَبَ في الأندلس لبعضِ الأمراء ثمّ إنّه «تزوّج مريمَ بنتَ محمّدِ بن عبدونِ بن عبدِ الرحمن الباجي»[٢]. وعند ذلك بدأ مجرى حياتِه يتغيّرُ، وكان سببَ هذا التغيّر ما كان يسمَعُه من مواعظِ زَوْجه[٣] التي ضربتْ له المثلَ الصالح في الورع. وكذلك ألَحّتْ عليه أمّه بالإقلاع عمّا

(١) لقد اقتضى هذا النظر أن يكون لأبي عليّ القالي (ت ٣٥٦ هـ) ترجمة منفردة في الجزء الثاني من هذه السلسلة ثمّ ذكر على شيء من التفصيل في الجزء الرابع منها.

(٢) هذا المقطع مأخوذ برمّته (بضمّ الراء) من «تاريخ الفكر الأندلسي»، تأليف آنخل خنثالث بالنثيا (نقله إلى العربية حسين مؤنس). وكان الناقل قد أهمل (في الطبعة الأولى) جميع الحواشي التي تذكر المصادر، بعد أن كان قد وضع لتلك الحواشي أرقاماً في المتن. وقد رأيت الناقل من عهد قريب وقال لي إنّه أعد طبعة ثانية وأنّه قد أثبت الحواشي كلّها، وأن الطبعة الثانية ستظهر قريباً جدًّا. ولكنّي لم أر هذه الطبعة الثانية.

(٣) الزوج تقال للرجل وللمرأة.

هو فيه. ثمّ أصابه مرضٌ فلَزِمَ الفِراشَ مدّةً تراءتْ له في أثنائها مناماتٌ تمثّلَ له فيها عذاب جهنّم[١]. وتُوُفّيَ أبوه- عليُّ بنُ العربي- في أعقاب ذلك، وكان (هو) قد أخبر أباه بيوم وَفاتِه قبلَ حُلول أجلِه بخَمْسَةَ عَشَرَ يوماً. وتجمّعت هذه العواملُ كلها ودفعَتْ بمُحْيِي الدين بنِ عربيّ في طريق الزُّهد والتصوّف. (من أجل ذلك كلّه) نراه، قبلَ سَنَةِ ٥٧٩ للهجرة (١١٨٤ م)- أي قبلَ وفاةِ أبيه- قد سَلَكَ الطريقَ (طريق التصوّف)[٢].

ومُنْذُ ذلك الحينِ تَرَكَ ٱبنُ عربيٍّ مناصبَ الدولة والإقبالَ على زَهْرة الحياةِ كُرْهاً بهذا المسلَكِ في الحياة وزُهْداً في الدنيا (راجع الذيل والتكملة ٦: ٤٩٤).

وفي سَنَة ٥٩٨ للهجرة بدأ رِحلته إلى المشرق (ولا نعلَمُ إذا كان قد عادَ من بِجايةَ إلى إشبيليةَ أو أنّه ٱستأنَفَ الرحلة من بجاية). ودخل، في أثناء طريقه، مِصْرَ ثمّ تابعَ سَيْرَه إلى الحِجاز لأداء فريضةِ الحجّ. ومكثَ في مكّةَ سَنَتَيْنِ. وفي سَنَةِ ٦٠٠ للهجرة (١٢٠٤ م) لَقِيَ نفراً من حُجّاجِ الأناضولِ (آسية الصغرى) الأتراكِ فرافَقَهُمْ إلى بلادهم، بطريق بَغْدادَ والمَوْصِل، فوَصَلَ إلى مَلَطِيَةَ في ذي القَعْدة من سَنَةِ ٦٠١ (تموّز- يوليو ١٢٠٥ م).

وتردّد ٱبنُ عربيٍّ في المشرق: حجّ (٦٠٢ هـ = ١٢٠٦ م) ثمّ وجَدْناه في قونيةَ في الجَنوبِ الغربيّ من آسيةَ الصُغرى (سَنَة ٦٠٦) ثمّ في بَغْدادَ بعدَ سنتين (نفح الطيب ٢: ١٦٣) ثمّ في حَلَبَ (سَنَةَ ٦٠٩) ثمّ في الأناضولِ أيضاً (سنة ٦١٢)، في بَلدَةِ آق سَراي، من أواسطِ آسيةَ الصغرى، شَرْقَ بحيرةِ طوز، وفي سِيواس، على نحوِ أربعِمائَةِ كيلو مترٍ شرقَ أنقرةَ (سنة ٦١٢). ثمّ سكن مَلَطِيَةَ (في الجَنوبِ الشرقيّ من آسِية الصغرى)، وفيها وُلِدَ ٱبْنُه سعدُ الدينِ محمّدٌ، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٦١٨ (نفح الطيب ٢: ١٧٠) ولعلّ إقامتَه في مَلَطِيَةَ لم تطُلْ، فلقدِ ٱنْتَقَلَ إلى دِمَشْقَ (سَنَة ٦٢٠، في الأغلب)؛ إلّا أنّه، على كلّ حالٍ، كان مُستقرًّا فيها سَنَة ٦٢٧.

---

(١) تجد أشياء من هذه المنامات، ومن منامات أخرى، في « الفتوحات » ٤: ٥٥٢ وفي « عنوان الدراية » ١٥٨؛ وفي « نفح الطيب » (٢: ١٧٣ - ١٧٤، ١٨٠).

(٢) بالنثيا ٣٧١ - ٣٧٢.

ولم تكُنْ إقامة مُحْيِي الدينِ بنِ عربيٍّ في دِمَشْقَ هادئةً مُطمئنّةً، فإنّ أهلَ دِمَشْقَ كانوا على سِيرة السَّلَف، بينما هو كان صوفيًّا متطرّفاً مُجانِبًا لِسِيرةِ السلف في تفكيرِه وفي كثيرٍ من جوانبِ حياته الشخصية.

وفي دِمَشْقَ عُرِف ٱبنُ عربيّ (نفح الطيب ٢ : ١٥٧) بلقب «سيدي مُحيي الدين» وبنِسبته «ٱبن عربي»، بإسقاط لام التعريف، تمييزاً له من أبي بكرِ بنِ العربي الفقيه (ت ٥٤٣ هـ).

ثمّ بدا على حياتِه شيءٌ من الهُدوء وٱلْتَفَّ حولَه نَفَرٌ من الناس. وكانتْ وفاتُه ليلةَ الجُمُعة (يومَ الخَميسِ مساءً) في الثامنِ والعشرين من ربيعٍ الآخِرِ من سَنَة ٦٣٨ (١٥/١١/١٢٤٠م) ودُفِنَ في سَفْح جبل قاسِيونَ (في الغرب الشّماليّ من المدينة). وقبرهُ قائمٌ هنالك إلى اليوم في مَقام يُزار. ولا يزالُ الحيّ حولَه يُعْرَفُ باسم «سيدي مُحيي الدين».

٢ - ٱختلفَ الناسُ في مُحيي الدين بنِ عَربيّ: مِنْهم من عدّه في الأتقياء والأولياء، ومنهم من جعله في المُلحدين المارقين. وإذا نحن رَجَعْنا إلى ما قاله هو في نثره وفي شعره رأينا في نثره وفي شعره «شَطْحاً» كثيراً. والشطحُ قولٌ يدُلّ ظاهرُه على الانحراف عنِ الشريعة ولا يسلَمُ باطنُه مَعَ التأويل. من ذلك مثلًا قولُه: إنّ إيمانَ فِرعَوْنَ كان إيماناً صحيحاً، ذلك لأنّ فِرْعونَ قد آمَنَ لمّا أيقَنَ بالهلاك وبدا له وجهُ الحقّ. وقيل إنّ ابن عربي كان يَرْمِزُ بكلمةِ فرعونَ إلى «النفس»، إلى نفسِه، ثمّ يستشهدون على ذلك بقولِه (نفح الطيب ٢ : ١٦٩)، وهو مِمّا نَسَبَه إليه غيرُ واحدٍ (أي أكثرُ من واحد):

قلبي قُطْبي وقالَبي أجْفاني، سِرّي خِضْري، وعَيْنُه عِرفاني[1].

(١) الخضر (بفتح فكسر) أو بكسر فسكون - وقيل بفتح وسكون. والعامّة يقولون: «خضر» (بضمّ فضمّ): قيل فيه رجل صالح عاصر موسى عليه السلام، وأنكر آخرون وجوده (راجع تاج العروس - الكويت ١١ : ١٨٣ - ١٨٥). ومن الأسلم ألاّ نفسّر هذين البيتين.

روحي هرونُ، وكَليمي موسى، نَفْسي فِرْعَوْنُ، والهوى هاماني[1].

ففي هذينِ البيتينِ يُمْكِنُ أن يَتأتّى الدفاعُ عن جميعِ التعابيرِ إلّا عنِ تعبيرٍ واحدٍ: « كَليمي موسى ». إنّ موسى كليمُ الله، ولا يجوزُ لأحدٍ أن يَدّعِيَ مثلَ هذا التعبير، مهما يَنْتَحِلْ لنفسِه من الأعذار البلاغية والرمزيّة.

ولا ريبَ في أن مُحيي الدينِ بْنِ عربيّ كان من الذين لا يأمنون على أنفُسِهم في الدولة الإسلامية التي تُقيم شرائعَ الإسلام وحُدودَه، وكان آبْنُ عربيّ أشدَّ خوفاً على نفسِه من جميع هؤلاء. من أجلِ ذلك لم تكُنْ رِحلةُ آبنِ عربيّ إلى المشرق حبًّا بالرحلة فقط، بلْ خوفاً على النفس أيضاً. أوردَ آ بْنُ خَلِّكانَ (ت ٦٨١ هـ) في كتابه « وَفَيات الأعيان » (٧: ١١) هذا المقطعَ:

« وكانَ الأميرُ أبو يوسفَ يعقوبُ المذكورُ[2] يُشَدِّدُ في إلزامِ الرعيّةِ بإقامةِ الصَلَوات الخَمْس؛ وقَتَلَ في بعض الأحيانِ[3] على شُربِ الخمر، وقَتَلَ العُمّالَ[4] الذين تَشْكو الرعايا منهم. وأمَرَ برَفْضِ فروعِ الفِقه[5] وبأنّ العُلماءَ لا يُفْتونَ إلّا بالكِتاب والسُّنّة ولا يُقلّدون أحداً من الأئمّة المُجتهدين المتقدّمين، بل تكونُ أحكامُهم مِمّا يُؤدّي إليه آجتهادُهم مِنَ آستنباطِهِمُ القضايا من الكِتاب والحديث والإجماع والقياس[6]. ولقد أدْركْنا جماعةً من مشايخ المَغْرب[7] وصلوا إلينا، إلى

(١) هرون أخو موسى بن عمران. وهامان: وزير فرعون.

(٢) هو يعقوب المنصور ثالث سلاطين الموحِّدين (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

(٣) في بعض الأحيان (يقصد في عدد من المرّات).

(٤) العامل، في الأصل، هو المكلّف بجمع الزكاة (وبجمع أموال الضرائب).

(٥) في هذه الجملة « وأمر برفض فروع الفقه » نقص أدّى إلى غموض (إذ فروع الفقه: الصلاة والصوم، الخ). وهذا الغموض تبيِّنه الجملة التالية: « وأن العلماء لا يفتون إلّا بالكتاب (القرآن الكريم) والسنّة (أقوال رسول الله وأعماله) ولا يقلّدون أحداً من الأئمّة المجتهدين المتقدّمين ». فمعنى ذلك: الرجوع في فروع الفقه (العبادات والمعاملات) إلى القرآن والحديث فقط من غير تقيّد في ذلك بما قاله أصحاب المذاهب (أبو حنيفة ومالك الخ) ممّا هو آراء لهم.

(٦) مصادر التشريع في الإسلام أربعة: الكتاب (القرآن الكريم) والسنّة (أقوال رسول الله وأعماله) والإجماع (اتّفاق أهل الحلّ والعقد على أمر لم يرد في القرآن والحديث خلافه). القياس: النظر بالعقل والمنطق من مسلم كفء في أمر (لم يرد فيه حكم في الكتاب والسنة ثم لم يتّم فيه اجماع) بالتنظير بين ذلك =

البلاد، وهُمَ على ذلك الطريق[1]: مثلَ أبي الخَطّابِ بنِ دِحْيَةَ وأخيه أبي عُمَرَ[2] ومُحْيِي الدينِ بنِ عربيٍّ نزيلِ دِمَشْقَ وغيرِهم. و (كذلك) كانَ (أبو يوسفَ يعقوبُ) يُعاقِبُ على تَرْكِ الصلاة ويأمُرُ بالنداء في الأسواق بالمُبادرة إليها، فمَنْ غَفَل عنها أوِ آشْتَغَلَ (في وَقْتِها) بِمَعيشتِهِ عزّرَه تَعْزيراً شديداً»[3].

ولا شكَّ في أنّ آبنَ خَلِّكانَ قد عَنَى بقولِهِ: «وهم على ذلك الطريقِ» (ولم يقُلْ على هذا الطريق)، الطريقَ المُخالف للطريقِ الذي آتَّبَعه الأميرُ أبو يوسف يعقوبُ.

والشَّطْحُ في آثارِ آبْنِ عربيّ كثيرٌ جِدًّا، كقولِهِ مثلًا: الوَلِيُّ خيرٌ من النَبيّ. أو كقولِهِ أيضاً: «من قال: «لا إلَهَ إلّا اللهُ فقَدْ كَفَرَ» (وكانَ الواجبَ أنْ يقولَ: «لا موجودَ إلّا اللهُ»). وكُلّ هذا الشطح مُخالِفٌ للإسلامِ ومخالفٌ للعقل والمنطقِ ومُفْسِدٌ للوازع الاجتماعي (مُقْلِقٌ لاطمئنانِ الجماعات).

وكان آبن عربيٍّ مُصنِّفاً مُكْثِراً، قيل بلَغتْ تصانيفُه نَيّفاً وأرْبَعمِائَةٍ (نفح الطيب ٢: ١٧٧) أَوْرَدَ آبنُ عبدِ المَلِك المراكشيُّ (ت٧٠٣ هـ) عدداً كبيراً منها (الذيل والتكملة ٦: ٤٩٤ - ٤٩٦). وأكثرُ عناوينِ هذهِ الكُتُبِ تَجْري مجرى الرمْزِ، منها: مِفتاح السعادة في المدخل إلى طريق الإرادة- الجَلا في آستنزالِ رُوحانيّاتِ الملأ الأعلى- كشف المُعَمّى عن سِرّ الأسماء الحُسنى- إنزال الغيوب على مراتب القلوب- مُشاهداتُ الأسرار القدسيّة- مِفتاح أقفال الإلهام الوحيد- الفُتوحاتُ

= الأمر وأمر آخر يشبهه أو يقربه وورد فيه حكم في الكتاب أو في السنّة (هنالك شروط لهذه كلّها، راجع موجزاً لها في كتاب «فلسفة التشريع في الإسلام» للدكتور صبحي المحمصاني، بيروت- دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة مثلاً ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١م، ص ١٤٤ - ١٨١).

(١) من المشتغلين بالأمور الشرعية.

(٢) على الاهتمام بآراء أصحاب المذاهب والأخذ بأحكامهم ومراعاة خلافاتهم.

(٣) ابن دحية: أبو الخطّاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي (ت٦٣٣ هـ) محدّث فقيه ومؤرّخ وأديب كان كثير البحث في الخلاف الفقهي بين الأئمّة. وهو صاحب كتاب «المطرب» (راجع ترجمته في هذا الجزء). ثمّ يأتي أخوه أبو عمر عثمان بن الحسن بن دحية (ت٦٣٤ هـ)- وكان أسنّ من أخيه أبي الخطّاب (راجع وفيات الأعيان ٣: ٤٥٠).

(٤) عزّره: أدّبه، وبّخه وعاقبه عقاباً أقلّ من الحدّ الشرعي (أقلّ من القتل أو الجلد).

المكّية - القَسَمُ الإلٓهيّ بالاسم الربّاني - الجداول والدوائر - تِسعةٌ وتِسعون(١) - ٱلْهُوَ (هُوَ مُحلّاةٌ بلامِ التعريف) - القديمُ - القدَم - الرقيم - العَيْن - الرمز - كُنْ(٢) - الثواني - الخزائن - النمـل - المُؤمن والمُسلم والمُحسن - الأنفاس والروائـح - الأرواح - زيـادة الكبـد - العرش - الهبـاء - التِسْعَـةَ عَشَرَ(٣) - الإنسان الكامل......

ويبدو بوضوحٍ أنّ مُحْيِيَ الدينِ بنَ عَرَبِيٍّ كانَ أكثرَ المتصوّفةِ المسلمينَ ٱطّلاعاً على أشياءَ من الفلسفةِ القديمةِ (اليونانيةِ خاصّةً). من أجل ذلك، فيما يبدو أيضاً، عُرِفَ بألقابٍ منها: الشيخُ الأكبر والكبريت الأحمر(٤) وابن أفلاطونَ. غير أنّ الذي في آراء ٱبنِ عربي من الفلسفة القديمة إنما هو لفَتاتٌ على غيرِ مِنهاجٍ، فليس من المألوف في المتصوّفِ أن يخُطَّ نهجاً واضحاً ثابتاً في شيءٍ من أمور الحياة.

وإذا كانت أشياءُ من فلسفةِ أفلاطونَ(٥) قد أعْجَبَتِ ٱبنَ عربيٍّ فإنّ اتّجاهَه كان أكثَرَ تأثّراً بآراءِ أفلوطينَ(٦). ومِنَ المنتَظرِ أن يكونَ قد مالَ إلى شيء من فلسفةِ

---

(١) تسعة وتسعون (أسماء الله الحسنى).

(٢) في القرآن الكريم: «إنّما أمره (أمر الله تعالى) إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون» (٣٦: ٨٢، يس؛ راجع ١٦: ٤٠، النحل؛ ١٩: ٣٥، مريم؛ ٦: ٧٣، الأنعام).

(٣) في القرآن الكريم: «وما أدراك ما سقر (جهنّم)؟ لا تبقي ولا تذر. لوّاحة للبشر، عليها تسعة عشر. وما جعلنا أصحاب النار (الموكّلين بجهنّم) إلّا ملائكة، وما جعلنا عدّتهم إلّا فتنة للذين كفروا (٧٤: ٢٧ - ٣١، المدّثّر).

(٤) الكبريت الأحمر معدن نادر (يقصدون: كان أمثال ابن عربيّ قليلين).

(٥) أفلاطون فيلسوف يونانيّ (ت ٣٤٧ ق.م.) كانت فلسفته مثالية نظريّة خيالية، وكان هو قديراً في الجدل المتسّق الذي لم يكن قد أصبح علماً هو المنطق. واعتقد أفلاطون أن جميع الأشياء الموجودة في عالمنا موجودة صورها (أو مثالاتها) في الملأ الأعلى (العالم الإلٓهي) وأن صورة الشيء يمكن أن تكون موجودة قائمة بنفسها غير متّصلة بمادة. واعتقد أن النفوس كلّها موجودة في الملأ الأعلى تتأمل في الله. فإذا غفلت نفس عن ذلك سقطت واتّصلت بجسد في الأرض حتّى تعاقب على خطيئتها في الملأ الأعلى. وأشهر كتب أفلاطون كتاب «السياسة» (بولوتيا) والناس يسمّونه «الجمهوريّة» (وذلك نقل لفظيّ خاطىء للكلمة اللاتينية: رس بوبليكا (الشؤون العامّة).

(٦) أفلوطين (ت ٢٦٩ للميلاد) من أهل أسيوط (في مصر) تعلّم في الاسكندرية تلقّى مذهبه عن فيلون اليهوديّ (ت ٥٠ م.). وقد حرص فيلون على التوفيق بين التوراة والفلسفة اليونانية بأن فسّر قصص =

أرسطوطاليس[1] أيضاً، ولكنّ الغالبَ عليه أنّه كان يُلَفِّقُ بينَ الآراء: يأخُذُ ما يظُنُّ أنّه ينصرُ رأيَه هو ويُساعده على «أنْ يجعَلَ مِنَ الإنسانِ كائناً قريباً من الملأ الأعلى»[2]، وهذا يَجِدُهُ ابنُ عَرَبيٍّ عندَ فلوطنَ (أو أفلوطينَ) أكثرَ مِمّا يَجِدُه عند أفلاطونَ، ثمّ هو لا يَجِدُ شيئاً منه عند أرسطو.

ومعَ كلِّ هذا التشويهِ الذي يُمْكِنُ أنْ يلحَقَ بالنُّظُمِ الفلسفيةِ حينما تَمُرُّ تلك النظُمُ - أوْ يمرُّ عددٌ من أوْجُهها وآرائها في الخَيَال الصوفيّ - فإن هذا الاتّجاه المُشَوَّهَ قد لَقِيَ شيئاً من القَبولِ عند نَفَرٍ من المتصوّفة في الإسلام وعندَ نَفَرٍ من المفكرين في أوروبّةَ النَّصرانيةِ في العصورِ الوسطى ومَطْلَعِ العصورِ الحديثة[3].

٣ - مختارات من آثاره:

- مقاطعُ لُمحيي الدين بنِ عربيٍّ سليمةُ الظاهرِ والباطن: (نفح الطيب ٢ : ١٨٤):

يـا حبّـذا المسجـدُ من مسجـدٍ وحبّـذا الروضـةُ من مشهَـدِ[4].

= التوراة وآراء التوراة تفسيراً رمزيّاً (حوّاء كناية عن الحسّ المادّي، والحيّة كناية عن اللذّة). وأفلوطين فعل في النصرانية ما كان فيلون قد فعله في اليهوديّة. وقال أفلوطين (توسيعاً لقول أفلاطون) إنّ العالم فاض من الله، ثم جعل المادّة تفيض من الله الذي هو روح حتّى يسوّغ القول بمجيء عيسى المسيح من الله (على مذهب النصارى في ذلك). وتكلّم أفلوطين على «الإشراق» (وصول المعرفة إلى الإنسان من الملأ الأعلى من غير حاجة إلى توسّط الحواس أو توسّط العقل الإنساني).

(١) أرسطوطاليس أو أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م.) تلميذ أفلاطون ومخالف له في اتّجاهه الفلسفي. إنّ فلسفة أرسطو واقعية عملية مادّيّة. وأرسطو منظّم علم المنطق ومفرّع فنون المعرفة الانسانية (علم الحيوان - علم النفس - السياسة - الاخلاق، الخ). ثمّ هو يبحث في العالم الواقع لأنّ العقل الإنساني لا سلطة له على ما وراء الحسّ. وكلّ كائن مادّي في الحياة له سبب مادّيّ، ولا يفهم الوجود بغير ذلك. والمادّة عند أرسطو سابقة على كلّ شيء ..... والسياسة عنده واقعيّة: الغاية من الدولة أن يكون حكم الوالي على الرعيّة حكماً صالحاً جميلا، وبعدئذ فليسمّ الوالي حكمه ما شاء من الأسماء: ملكاً، جمهورية، استبداداً، سلطاناً عسكرياً).

(٢) الملأ الأعلى: العالم الإلهي.

(٣) راجع «تاريخ الفكر الأندلسي» (بالنثيا) ص ٣٧٩ - ٣٨٦.

(٤) المسجد = المسجد الحرام في مكّة المكرّمة. الروضة = المكان الذي فيه قبر رسول الله في المدينة. المشهد: المكان الذي يشهده (يحضر فيه) عدد كبير من الناس.

وحبّـــذا طيبـــةُ من بلـــدةٍ فيها ضريحُ المُصطفى أحمدِ[1].
صلّـــى عليـــه اللهُ من سيِّـــدٍ لولاه لم نُفلِـــحْ ولم نهتَـــدِ.
قـــد قَرَنَ اللهُ بـــه ذِكرَهُ في كُـــلِّ يومٍ فٱعْتَبِرْ تَرْشَدِ[2]
عَشْرٌ خَفِيّـــاتٌ، وعَشْرٌ إذا أُعْلِنَّ بالتـــأذينِ في المسجـــدِ[3].
فهـــذه عِشرونَ مَقْرونـــةٌ بأفضـــلِ الذِكْرِ إلى المَوْعِـــدِ[4].

★ قال الشيخُ سيدي محيي الدينِ بن عَربيّ، رَضِيَ اللهُ تعالى عنه: رأيتُ بعضَ الفقهاء في النوم – في رُؤياً طويلةٍ – فسألني: كيف حالُك مَعَ أهْلِكَ؟ فقُلْتُ (نفح الطيب ٢ : ١٦٧):

إذا رأتْ أهـلُ بيتي الكيسَ مُمْتَلِئاً تبسّمتْ ودَنَتْ منّي تُمازحني[5].
وإنْ رأتْـه خَلِيًّا من دراهِمِـهِ، تجهّمتْ وٱنْثَنَتْ عنّي تُقابحني[6].

فقال لي: صدقت! كلّنا ذلك الرجل.

★ إذا حـــلّ ذِكْرُكُمُ خاطري فَرَشْتُ خدودي مكانَ التُّراب[7].
وأقعَـــدَني الـــذُّلّ عـــلى بابكم قُعودَ الأسارى لضَرْبِ الرِّقـاب[8].

---

(١) طيبة = المدينة المنوّرة. أحمد = محمّد رسول الله.
(٢) به (بالله)، ذكره (ذكر محمّد رسول الله). في كلّ يوم (في الآذان وفي إقامة الصلاة). اعتبر الرجل بأمر (وجد فيه عبرة، حكمة، مغزى). واعتبر (هنا): فكّر في الأمر. رشد (بفتح فكسر) يرشد (بفتح فسكون ففتح): بلغ الرشد وكان ناضج الحكم. قرن الله به ذكره (قد جمع في الآذان وإقامة الصلاة بين اسم الله تعالى واسم محمّد رسول الله: أشهد أن لا آله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله).
(٣) عشر (لأنّ كلّ واحدة تقال خمس مرّات في اليوم – في النهار والليل – وتكرّر في كلّ مرّة دفعتين).
• خفيّات (في إقامة الصلاة لأنّها تقال في قلب المسجد أو في بيت الرجل المصلّي) وعشر معلنة (لأنّها تقال من رؤوس المآذن ليسمعها جميع الناس).
(٤) أفضل الذكر (ذكر الله تعالى). إلى الموعد (إلى يوم القيامة).
(٥) الأهل: الزوج (المرأة – لأنّ الزوج تقال على الرجل والمرأة)، ولذلك قال الشاعر إذا «رأت» أهل بيتي. الكيس (كيس المال).
(٦) تجهّم وجه الرجل: عبس، أظهر التكرّه. انثنت: مالت عنّي، ابتعدت. قابح فلان فلاناً: شاتمه (سابّه: قابله بالشتم والسبّ ونسب إليه أحوالاً ساقطة).
(٧) ذكركم (ذكر الله). فرشت خدودي مكان التراب (تذلّلا لله). قعود الأسارى.... (بخضوع وذلّة) – في هذين البيتين معنى صوفي في التوجّه إلى الله تعالى.

★ ليتَ شِعري هل دَرَوْا أيَّ قَلْبِ ملَكوا؛
وفُؤادي لو دَرَى أيَّ شِعْبِ سلكوا[1]؟
أتَراهُم سَلِموا أمْ تَراهُمْ هلَكوا؟
حارَ أربابُ الهوى في الهوى وارْتَبَكوا.

- من كتاب «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» (١: ٥ - ٦):

أمّا بعدُ، فإنّي أودعتُ في هذا الكتابِ الذي سَمّيته «مُحاضرةَ الأبرار ومُسامرةَ الأخيار» ضُروباً من الآداب وفُنوناً من المواعظِ والأمثال والحِكاياتِ النادرةِ والأخبارِ السائرة وسِيَرِ[2] الأوّلينِ من الأنبياء - صَلَواتُ اللهِ وسَلامُه عليهم - والأممِ وأخبارِ ملوكِ العربِ والعَجَمِ ومكارمِ الأخلاق وعجائبِ الاتّفاق وما رَوَيْناه من الأحاديثِ النَبَويّةِ في ٱبتداءِ الأمر وإنشاء العالم[3] وما أوْدَعَ اللهُ من عجائبِ الصُّنع وبدائعِ الحِكمة وحكاياتٍ مُضحكةٍ مُسلّيةٍ - ما لم تكُنْ مُفسدةً - مِمّا تستريحُ النفوسُ إليها عند إيرادها مِمّا لا أجرَ فيه ولا وِزْرَ[4].

ونزّهتُ كتابي هذا عن كلّ هجاءٍ ومَثْلَبَةٍ، وضَمّنتُه كلَّ ثناءٍ ومَنْقَبَة[5]. وإذا كانتِ الحكاياتُ المُضحكة في رجلٍ مُعْتَبَرٍ مشهورٍ من أهلِ الدين أوِ العلم لِهَفْوَةٍ صَدَرَتْ منه ضَحِكَ لها الحاضرون، أو فِعلةٍ بدت منهم[6] من غير قصد منه إليها فأذْكُرُها لِمَا فيها من الراحةِ للنفس ولا أُسَمّي الشخصَ الذي ظهرَ عليه ذلك حتى تتَوَفَّرَ حُرمتُه ولا تزدري لقدره[7] من بعدِ شُهرتِهِ وتعظيمه.

---

(١) الشعب (بالكسر): الفرع من الطريق.

(٢) السيرة: تاريخ لحياة شخص واحد.

(٣) ابتداء الأمر (أمر الله بوجود العالم) وإنشاء العالم (خلقه).

(٤) ..... مّما تسرّ به النفس من الأعمال المباحة التي لا أجر (ثواب في الآخرة عليها) ولا وزر (ذنب يقتضي عقاباً في الآخرة) فيه.

(٥) المثلبة: العيب. المنقبة: الفعل الكريم، المفخرة.

(٦) «منهم» لا حاجة إليها.

(٧) ولا تزدري (تحتقر) لقدره اقرأ: ولا يزدرى (بالبناء للمجهول) قدره.... أو: لا تزدري أنت قدره

- ومن كتاب «محاضرة الأبرار» (٥: ١١ - ١٤):

وكلُّ ما سطّرتُه في كتابي هذا، فمنه ما شاهَدتُّه أوْ حَدَّثني به مَنْ شاهدَهُ، ومنه ما نقلتُه من كُتُبٍ مشهورةٍ رَوَيْتُها سَماعاً أو مُداولةً أو كِتابةً[١]، مثلَ: كتابِ «الإمتاع والمؤانسة» للفاضلِ الأديبِ النِحرير أبي حيّانَ التَّوْحيديِّ[٢]، رَحِمَهُ الله......، وجعلتُهُ مجالسَ[٣]

وقد قدّمتُ في صدرِ هذا الكتابِ أسانيدَ[٤] إلى الذين أقولُ عنهم، ورَوَيْنا من حديثِ فلان متّصلا[٥]. وقد أسوقُ إسنادَ ذلك المذكورِ إلى الخَبَر، وقد لا أسوقُه، على حَسْبِ ما يتّفق. وأوْدَعْتُهُ أيضاً ممّا لنا من منظومٍ في فنونٍ مختلفة من أدبٍ ونَسِيبٍ ومَعْرِفَة وحِكمة ومُفاخرةٍ بِحَسَبٍ[٦] وحماسةٍ[٧]، وغير ذلك، ممّا تَقِفُ عليه - إنْ شاء الله تعالى - واللهُ أعلمُ وبهِ نستعين.

..... وإذا قُلتُ: رَوَيْنا من حديثِ ٱبنِ هِشامٍ[٨]، فَهُوَ ما حدّثَنا به عبدُ الواحدِ ابنُ إسماعيلَ عن أبي حفصٍ عُمَرَ بن عبدِ الحميدِ بنِ عمرَ بنِ الحُسينِ بنِ عُمَرَ بنِ أحمدَ القُرَشِيّ الدّارميُّ ثمّ الرِياشيّ إجازة[٩]، قال: حَدّثَنا أبو محمدٍ عبدُ المُعطي بنُ المسافرِ

---

(١) سماعاً: اصغاء إلى متكلّم. مداولة: مبادلة للحديث ومناقشة. كتابة: استملاء (تدوين النصوص والآراء المسموعة).

(٢) أبو حيّان عليّ بن محمّد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ) أديب واسع المعرفة ومفكّر. والباقي لنا من كتبه يدّل على مقدرة في الفلسفة والعلم والأدب وفي فنون التحديث في المجالس.

(٣) المجالس (هنا) جمع مجلس: مقدار من الزمن يجتمع فيه الناس لتداول أمر من الأمور.

(٤) الاسناد: السلسلة من الأشخاص المتوالين في الزمن والذين نقلوا لنا الخبر عن قائله الأوّل.

(٥) الحديث المتّصل: ما كان اسناده متّصلاً لا فرق كبيراً في الزمن بين ناقل وناقل عنه (يجب أن يكون كلّ ناقل قد اتّصل بالذي نقل عنه).

(٦) الحسب: العمل الشريف.

(٧) الحماسة: الشجاعة والحرب.

(٨) ابن هشام هو الذي سيأتي في آخر هذا الحديث. وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (بكسر الحاء وسكون الميم) المعافري (ت ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م) كان عالماً بالأنساب واللغة وبأخبار العرب، ولد في البصرة ونشأ فيها ثمّ سكن مصر وتوفّي فيها.

(٩) إجازة (إفادة، شهادة): السماح لطالب العلم أن يروي ما تلقّاه عن شيخه (استاذه).

بالإسكندرية قال: ثنا[1] أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الحبّالُ، أنبا[2] أبو محمّدٍ عبدُ الرحمن بنُ عُمَرَ النحّاسُ، أنبا عبدُ الله بنُ جعفرِ بنِ الورديِّ عنْ أبي مُحمّدٍ عبدِ الرحيم بنِ عبد الله البَرْقيّ[3] عنْ أبي محمّدٍ عبدِ الملكِ بن هِشامٍ .....

– قِصّةٌ اتّفقت لابنِ عربيٍّ نفسِه (محاضرة الأبرار ١ : ٣٠٨ – ٣٠٩):

... اتّفق في بَلَدنا، بإشبيلية (أنْ) كان عِندَنا رجلٌ من سَفَلَةِ الناس يقال[4] له جُمعةُ يَبيعُ الخُبز. وكان يتحاكَمُ إليه أطرافُ الناس[5]..... اختصم إليه مرّةً، في إشبيليةَ، رجلٌ طباخٌ يطلُبُ حَقّ إدامِه[6] من رجلٍ آخرَ. فقال (جمعة للطباخ) فكيف تُرتِّبُ لي[7] ما تدّعيه على هذا الرجل؟ فقال: إنّي رجُلٌ طبّاخٌ أبيعُ في الدُّكّان ما أطبُخه. فجاء هذا الرجل وبيده قُرصةٌ[8] من خُبز ، فجعل يأخُذ اللُّقمةَ ويَعْرِضها على بُخار القِدْر الصاعدِ ويأكلُ حتّى فَرِغَتْ[9] . فطلبتُ منه حَقَّ بُخارِ القدر. فقال جُمعةُ (للرجل الآخَر): وَجَبَ عليك (الثمنُ)، يا هذا. أعِنْدَكَ قطعةُ فِضّةٍ[10]؟ قال: نعمْ (ثمّ) أخرج المُدَّعَى عليه قِطعةَ فضّةٍ. فقال جُمعةُ للطبّاخ: أَصْغِ بأُذُنِك. ورمى القطعةَ على الحَجَر[11] فَسُمِعَ لها طنينٌ. فقال: يا طبّاخُ، خُذْ هذا الطنينَ في حقّ بُخارِك، ورُدَّ القطعةَ الفِضّةَ لِخَصْمِك[12]. فقال الطبّاخُ: ما نَقَصَهُ شيءٌ. فقال جُمعةُ: ولا (هو) أخَذَ من قِدْرِكَ شيئاً.

---

(١) ثنا = حدّثنا (هكذا تكتب اختصاراً).

(٢) أنبا = أنبأنا، أخبرنا (هكذا تكتبان اختصاراً).

(٣) البرقي (برقة بلدة في فارس). وهنالك أيضاً مقاطعة « برقة » (شرقيّ ليبيا اليوم).

(٤) سفلة الناس = أراذلهم من الذين لا يريدون أن يحملوا تبعة في الحياة.

(٥) أطراف الناس (يبدو أن لكلمة « أطراف » معنيين »: الأشراف من الآباء والأمهات ثمّ البعيدين عن مجتمع القوم، أولئك الذين لا قيمة لهم في المجتمع الذي يعيشون فيه).

(٦) الادام (بالكسر): ما يأتدم بـه: يغمس به الآكل قطعة الخبز).

(٧) كيف ترتّب لي ذلك = كيف تعرض أمرك عليّ وتفهمني إياه.

(٨) القرصة (الرغيف).

(٩) فرغ (بفتح ففتح): انتهى، تلاشى. فرغ (بفتح فكسر): خلا من الأشياء التي كانت فيه .

(١٠) قطعة فضّة: قطعة من العملة الفضّيّة.

(١١) على الحجر (على الأرض القاسية، أو على صخر، الخ).

(١٢) تناول القطعة من الأرض ثم ردّها إلى الزبون الذي تنازعه.

٤ - التعريفات[١] (فلوغل)، ليبزج (فوغل) ١٨٤٥ م.
- فصوص الحكم، الاستانة ١٢٥٣؛ مصر (مطبعة الترجمان والمطبعة الشرفية) ١٣٠٤ هـ؛ ١٣٢٣ هـ.
- ديوان (ابن عربي)، القاهرة (دار الطباعة الباهرة) ١٢٧١ هـ؛ نسخة مصورة بالأوفست (بلا مكان طبع ولا تاريخ).
- ردّ معاني الآيات المتشابهة إلى معاني الآيات المحكمة، بيروت (نادي الكتب العربية) ١٩١١ م.
- شجرة الكون، بولاق ١٢٩٢ هـ.
- ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق (في مجموعة: التحفةالبهيّة)، الآستانة (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م.
- الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل الطريق من الشروط (في مجموعة التحفة البهيّة)، الاستانة (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م.
- قصيدة المعشّرة (وشرحها: مأوى الرغائب في مجد النصائح للشيخ عثمان عبد المنّان)، الاستانة ١٣٠٦ هـ.
- مجموع الرسائل الآلهية، مصر، مصر ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ م.
- مجموع رسائل: الرسالة الآلهية - القدسية - الاتحادية - السريانية - المشهدية - الفردوسية - العذريّة - الوجوديّة، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ.
- تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في إيضاح المعاني الآلهية المودعة في المعاني الروحية (في مجموع)، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ.
- الأخلاق، القاهرة (مطبعة التقدّم) بلا تاريخ.
- الدور الأعلى (في مجموع الهي؟) القاهرة ١٢٨٢ هـ.
- الوصايا، بيروت (مؤسسّة الأعلمي للمطبوعات) بلا تاريخ.
- رسائل محيي الدين بن عربي، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٨ م.
- العقيدة النظامية (محمّد زاهد الكوثري)، القاهرة (مطبعة الأنوار) ١٩٤٨ م.
- مجموعة ساعة الخبر[٢] (عليّ محمد الضباع)، القاهرة (مصطفى البابي الحلبي) ١٩٤٩ م.
- العواصم من القواصم (محبّ الدين الخطيب)، القاهرة (لجنة الشباب المسلم) ١٣٧١ هـ.
- أحكام القرآن (عليّ محمّد البجاوي)، القاهرة (البابي) ١٩٥٧ - ١٩٥٨.

---

(١) الكتب الواردة هنا لم ترد في ترجمة ابن عربي في الجزء الثالث.

(٢) في التنجيم.

- ترجمان الأشواق (حرّره نكلسن)، لندن ١٩١١ م؛ بيروت (دار صادر) ١٩٦١ م ثم ١٩٦٦ م.
- تفسير القرآن الكريم، القاهرة (بولاق) ١٢٨٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٧ هـ؛ بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٨ م.
- محاضرات الأبرار، بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٨ م.
- رسالة القدس أو روح القدس (عزّة حصرية)، دمشق (مطبعة العلم)، ١٩٦٤ و١٩٧٠ م.
- الفتوحات المكيّة (عثمان يحيى)، القاهرة (الهيئة العامّة المصرية للكتاب) ١٩٧٢ - ١٩٧٨.

★ ★ - الفتح المبين في ردّ اعتراض المعترض على محيي الدين، تأليف عمر العطّار الدمشقي، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ.
- تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي: تحذير العباد من أهل العناد، تأليف برهان الدين البقاعي[١].
- شروح رسالة الشيخ أرسلان في علوم التوحيد والتصوّف، تأليف وتحقيق[٢] عزّة حصريّة، دمشق (مطبعة العلم) ١٩٦٥.
- ابن عربي: حياته ومذهبه، تأليف ميغيل آسين بلاثيوس (ترجمة عبد الرحمن بدويّ)، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٦٥ م.
- فهرست مؤلفات محيي الدين بن عربي، عُني بجمعه كوركيس عوّاد[٣].

التكملة (رقم ٦٥٢)؛ الذيل والتكملة ٦: ٤٩٣ - ٤٩٨؛ عنوان الدراية ١٥٨ - ١٦٠؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣: ٧٠٧ - ٧١١؛ الأعلام للزركلي (٦: ٢٨١ - ٢٨٢)؛ سركيس ١٧٥ - ١٧٩؛ بالنثيا ٣٧١ - ٣٨٦، ثمّ في أماكن أخرى (راجع الفهرس الهجائي) فيها أشياء مفيدة؛ نيكل ٣٥١ - ٣٥٢؛ مختارات نيكل ١٧٢ - ١٧٣؛ سركيس ١٧٥ - ١٨٠.

سهل بن محمّد الأزدي الغرناطي

١ - هو أبو الحسنِ سَهْلُ بنُ (الحاجِّ أبي عبدِ اللهِ) محمّدِ بنِ سَهْلِ بنِ مالكِ الأزديُّ

(١) تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل (راجع نقده في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣١: ١٣٠).
(٢) كذا على غلاف الكتاب. ويبدو أن الكتاب رسالة جامعية (؟) يمتزج فيها التأليف بالنصوص.
(٣) راجع مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٠: ٥١.

الغَرْناطيُّ[1]، وُلِدَ بغَرناطةَ سَنَةَ ٥٥٩ للهجرة (١١٦٣ - ١١٦٤ م) وتَلقّى العِلمَ على نفرٍ كثيرين[2] منهم في (غَرناطة): خالُه أبو عبد اللهِ بنُ عروسٍ وأبو محمّدٍ عبدُ المُنْعم ابن الفَرَس (٥٢٤ - ٥٩٩ هـ) و (في مالَقَة) أبو القاسم السُهيلي (ت ٥٨١ هـ) وعليُّ بنُ ابراهيمَ بنِ الفَخّار (ت ٦٤١ هـ) وأبو القاسم بن حُبيش و (في إشبيلية) أبو بكر بن الجَدِّ وأبو عبدِ الله بن زَرْقونٍ (ت ٥٨٦ هـ). ثمّ إنّه تصدّر للإقراء في غَرناطة وإشبيليةَ ثمّ في مُرسيةَ أيّامَ مَنفاهُ فيها[3]. وكانتْ وفاتُه في مُنتَصف ذي القَعْدة من سَنَةِ ٦٣٩ (١٢٤٢/٥/١٧ م).

٢ - كان سهلُ بنُ محمّدٍ الأزديُّ الغَرناطيُّ بارعاً في عددٍ من فنونِ المعرفة: القِراءاتِ والحديثِ والفِقْهِ واللُّغة والنحو والأدب، وكان له نظمٌ ونثرٌ وترسُّلٌ وخُطب. وكان مُصَنِّفاً، له كتابٌ في العربية (النحو) مُرتّبٌ على نَسَقِ كتاب سِيبَوَيْهِ[4] (ولكن لم يُتِمَّه) ثمّ له تعاليقُ على كتاب المُستصفى في أُصول الفِقه (للغزّاليّ المتوفّى سنة ٥٠٥ هـ).

٣ - مختارات من شعره:

- قال سهل بن محمّد الأزدي الغرناطي في أخلاق الناس:

نهارَك في بحرِ السفاهةِ تسبَحُ، وليلَك عن نَوْم الرفاهةِ يصبح[5].

---

(١) هذا النسب مأخوذ من برنامج الرعيني (ص ٥٩) لأنّ الرعيني تلميذه. وفي التكملة والذيل (٤: ١٠١): سهل بن أحمد بن سهل بن أحمد بن مالك...

(٢) راجع أسماء شيوخ الرعيني والمعارف التي كانوا يقرئونها في برنامج شيوخ الرعيني وفي الذيل والتكملة.

(٣) نفي من غرناطة إلى مرسية، في أيام المتوكّل بن هود المستبد بجنوب الأندلس (٦٢١ - ٦٣٥ هـ) قبل بني الأحمر.

(٤) هو سيبويه عمرو بن عثمان (نحو ١٤٠ - ١٨٠ هـ) إمام النحاة المصريين، له كتاب في النحو جامع مشهور جيّد يعرف بكتاب سيبويه أو بالكتاب فقط.

(٥) نهارك (بالنصب) ظرف مفعول فيه، أي «تبقى طول نهارك». وليلك مثلها. يصبح: يدخل في الصباح - إذا ذهب الليل وطلع الصبح كنت قد نمت نوماً هادئاً هانئاً.

وفي لَفْظِك الدعْوَى، وليسَ إزاءها	من العَمَل الزاكي دليلٌ مُصَحَّحُ[١].
إذا لم تُوافق قَوْلةً منك فَعلةٌ،	ففي كلّ جُزْءٍ من حديثِك تُفْضَحُ.
تَنَحّ عن الغاياتِ، لست بأهلِها.	طريقُ الهُوينا في سُلوكِك أَوْضَحُ[٢].
إذا كُنتَ في سِنِّ النُهى[٣] غيرَ صالحٍ،	ففي أيِ سنٍّ بعدَ ذلك تصلُحُ؟

- وقال في الاضطراب والاطمئنان:

مُنَغَّصُ العيشِ لا يأوي إلى دَعَةٍ	من كان ذا بلدٍ أو كان ذا وَلَدِ[٤].
والساكِنُ النفسِ من لم تَرْضَ هِمّتُه	سُكنى مكانٍ ولم يركَنْ إلى أحدِ[٥]!

- وله في الحماسة (وصف صلابة نفسه): من «برنامج الرعيني»:

أُدافعُ هَمّي عنْ جوانبِ هِمّتي،	وتأبى همومُ العارفينَ على الدفع[٦].
وأَلْتَمِسُ العُتْبى وحيداً، وعاتِبي	وصَرفُ الليالي والحوادثُ في جَمْع[٧].
وإنّيَ - من عَزْمي وحَزْمي وهِمّتي	وما رُزِقَتْهُ النفسُ من كَرَمِ الطبع -
لَفي مَنْصِبٍ تعلو السماءَ سِماتُه	فتَثْبُتُ نوراً في كواكِبها السَبْع[٨].

---

(١) الدعوى: الادّعاء (ادّعاء المرء ما ليس فيه). إزاءها: إلى جانبها، معها. الزاكي: الطاهر، الصالح. مصحّح: صحيح (مؤيّد بأفعالك الصالحة الدالّة على كلامك وادّعائك).

(٢) تنحّ: ابتعد، اترك. الغاية: علامة منصوبة يستبق الناس (يسابق الناس بعضهم بعضاً في الوصول) إليها. بأهلها = بأهل لها (لا تليق بك لأنّك غير قادر عليها). الهوينا: التأنّي والبطء. - إنّ الذي يراقبك يدرك أنّك تفضّل الحياة التي لا كفاح فيها.

(٣) النهى: العقل.

(٤) - (اجعل الشطر الثاني في اجتلاء المعنى قبل الشطر الأوّل). من كان ذا بلد (صاحب دار أو بيت) البلد: الدار (لفظة يمانية، تاج العروس، الكويت ٧: ٤٤٤). وسهل بن محمّد أزديّ (أصله من أزد اليمن). - من كان ذا بلد وذا ولد (يحمل تبعة).

(٥) - من أراد أن يعيش هادئاً فلا يسكن في مكان لا يثق بأحد من أهله.

(٦) - أحاول أن أبعد الهموم عنّي، ولكن علمي العميق بحقائق الحياة لا يمكّنني من نسيان تلك الهموم.

(٧) العتبى: الرضا، وإرضاء العاتب (اللائم، المنتقد). - المصائب والأحداث تسوّغ أن يظلّ العاتب عاتباً.

(٨) سماته (؟) لعلّها جمع سمة (بكسر ففتح): علامة (صفة، فضيلة). - فضلي يخلع نوراً على النجوم.

غـلا صَرْفُ دهري إذ علا، فإذا به تُرابٌ لِنعلي أو غبارٌ على شَسْعي[1].
تدرّعتُ بالصبر الجميل - وأجْلَبَـتْ صُروفُ الليالي كَيْ تُمَزِّقَ من دِرْعي -
فما مَـلأتْ قلبي ولا قَبَضَتْ يدي ولا نَحَتَتْ أصْلي ولاهَصَرَتْ فَرْعي[2].
فـإن عَرَضَتْ لي لا يَفوهُ بها فَمي، وإن رَجَعَتْ لي لا يَضيقُ بها ذَرْعي[3].

- وقال يصف شمعة:

ولا مِثْـلَ يومٍ قد نَعِمنا بحُسنِه، مُذَهّـبِ أثناءِ المُروجِ صَقيلِ[4]،
إلى أن بَـدَتْ شمسُ النهار تَرُوعُنا بسيرٍ صحيحٍ واصفرارِ عليلِ[5].
ولـمّـا توارتْ شمسُه بحِجابِهـا، وآذَنَ باقي نورِهـا برَحيـلِ[6]،
وغابـتْ فكان الأُفْقُ عند مَغيبها كَقَلْبِيَ مُسْوَدًّا لفَقْـدِ خليـلي،
أتانـا بهـا صفراءَ يسطَعُ نورُها فمَزّقَ سِربالَ الدُجى بفَتيلِ[7].
فرَدّتْ علينـا شَمْسَنـا وأصيلَنا بِشْبهِ شمسٍ في شَبيهِ أصيلِ[8]!

---

(١) - لمّا عظمت مصائب دهري عليّ غلت (أفرطت، بالغت في محاولة إذلالي فلم تنل منّي غايتها). الشسع: سير تربط به النعل.

(٢) ملأت قلبي: أخافتني. قبضت يدي: منعتني التصرّف العاقل في الأمور. نحتت أصلي: عابتني، نقصت من شرفي. هصرت (خفضت) فرعي (غصني): لم تذلّني، لم تخضعني لعلّها: نحتت أثلي (الأثل نوع من الشجر). وفي القاموس (٣: ٣٢٧): وهو ينحت في أثلتنا (يطعن في حسبنا).

(٣) - لا أشكو منها ولا يضيق ذرعي (صدري): أغضب.

(٤) - لم نسرّ بحسن يوم من قبل كما سررنا بيومنا هذا. أثناء المروج: صفوف النبات فيها (؟). مذهّبة (بالزهر أو بنور الشمس!).

(٥) راعه: أعجبه مع شيء من الهيبة والخوف. - تسير في الفلك كالرجل الصحيح (مستقيمة السير دائبة) ولكن كالرجل العليل (صفراء اللون) - لعلّ ذلك كان في أوائل الربيع!

(٦) توارت بالحجاب: غابت، اقتباس من «حتّى توارت بالحجاب» (٣٨: ٣٢ سورة ص). آذن به: أعلم (أوشك، اقترب). باقي نورها: الغسق (اللون الباقي على الأفق الغربي بعد غياب الشمس).

(٧) بها (بشمعة). سربال: ثوب. فتيل: خيط مفتول يكون في الشمعة وتضاء بوساطته.

(٨) ردّت شمسنا: أضاءت لنا (في الليل). أصيلنا (الوقت بين الظهر والمغرب)، أي جعلت النور في الليل مثله قرب الغروب لا عند الظهر (كان ضوؤها قليلاً). في شبيه أصيل: لون الشمعة كان أصفر مثل لون الجوّ عند الأصيل.

- وله أيضاً (نفح الطيب ٣: ٦٠٠ - ٦٠١):

وربَّ يومٍ وَرَدْنا فيه كلَّ مُنًى، وقَلّ في مِثْلِ ذاك اليومِ أن نَرِدا[٣]،
في رَوْضَتَيْنِ بِشَطَّيْ سَلْسَلٍ شَبِمٍ كما اجْتَلَبْتَ مِنَ المحبوبِ مُفْتَقَدا[٤].
يُبَدِّدُ القَطْرُ في أثْنائِهِ حَلَقاً فتَنْظِمُ الريحُ منها فوقَه زَرَدا[٥].

- ويُروى له (المغرب ٢: ١٠٥):

كُلُّ وَجْدٍ سَمِعْتُمُ دُونَ وَجْدي لأصيلٍ يَفوتُ طَرْفي بِنَجْدِ[٦]،
حيثُ جَرّرْتُ ذَيْلَ كلِّ مُجونٍ بَيْنَ حُورٍ تَميسُ فيه ورَنْد[٧]،
وسَواقٍ كأنّهنّ سُيوفٌ جُرِّدَتْ في الرِياض من كُلِّ غِمْد.

- (من نفح الطيب ٧: ٩ - ١٠)[٨]:

قال ابنُ سعيدٍ[٩]: سَمِعْتُ أبا الحَسَنِ سهلَ بنَ مالكٍ يقولُ: إنّه دَخَلَ على ابنِ زُهْرٍ[١٠]، وقد أسنَّ (ابنُ زهر) وعليه زِيُّ البادية - إذ كان يسكُنُ بحُصْنِ سَبْتَةَ - فَجَلَسَ حيثُ انتهى به المَجْلِسُ. وجَرَّتِ المُحاضرةُ أن أنشَدَ (أبو الحسن سهلُ بن مالك) مُوشحةً وَقَعَ فيها:

---

(٣) المنية: المشتهى، الغاية. ورد: شرب (تمتّع).

(٤) السلسل: الماء العذب (الخفيف) الذي يمرّ في الحلق بسهولة. شبم: بارد. - كما لو رجع إليك محبوبك الذي كان قد هجرك.

(٥) القطر: المطر. في أثنائه: في أثناء النهر. - يجري النهر فيندفع ماؤه في شبه حلقات متفرّقة، فإذا هبّت الريح على النهر قرّبت بعض تلك الحلقات من بعض فتبدو كأنّها زرد درع.

(٦) وجد: حبّ، شوق. دون: تحت (أقلّ) لأصيل.... إلخ (؟).

(٧) تمتّعت بكلّ لهو. الحور جمع حوراء: بيضاء (امرأة جميلة). الرند شجر طيّب الرائحة. ماس: تمايل. ويجوز: الحور (بالفتح): نوع من الشجر الكبير العالي.

(٨) يبدو المقطع التالي وكأنّه غريب عن حياة صاحب الترجمة، ولكنّه يوافق أحداث حياة صاحب الترجمة في المكان والزمان والاسم. فيحسن التفطّن إلى ذلك.

(٩) ابن سعيد = علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) أحد مؤلّفي كتاب « المغرب في حلى المغرب ».

(١٠) ابن زهر = أبو بكر محمّد بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٩٥ هـ) طبيب موفّق وشاعر مجيد ووشّاح بارع.

كُحْلُ الدُجى يجري من مُقْلَةِ النَهْرِ على الصباحْ،
ومِعْصَمُ النهر في حُلَلٍ خُضْرِ من البِطاحْ.

فتحرّكَ ابنُ زُهرٍ وقال: أنتَ تقولُ هذا؟ قال: اخْتَبِرْ. قال (ابن زهر): ومَنْ تكونُ؟ فأخْبَرَهُ فقال (ابن زهر): ارْتَفِعْ، فواللهِ، ما عَرَفْتُك......

(ومِمّن اشتهرِ بالتوشيح) أبو الحسن سَهْلُ بنُ مالكٍ بغَرْناطةَ. قال ابنُ سعيدٍ: كان والدِي يُعْجَبُ بقولِه:

إنّ سَيْلَ الصَباحِ في الشَرْقِ عادَ بَحْراً في أجْمَعِ الأُفُقِ[١]
فتداعَتْ نوادِبُ الوُرْقِ[٢] أتَراها خافَتْ مِنَ الغَرَقِ
فبَكَتْ سَحْرَةً على الوَرَقِ[٣]!

٤ - ★★ زاد المسافر ٩٦ - ٩٧ (رقم ٢٣): برنامج الرعيني ٥٩ - ٦٣؛ المغرب ٢: ١٠٥؛ الذيل والتكملة ٤: ٢٢٩ (ص ١٠١ - ١٢٤)؛ الديباج المذهب ١٢٥؛ بغية الوعاة ٢٦٤ - ٢٦٥؛ نفح الطيب ٢: ١١٢، ٣: ١٩٣، ٣٧٢، ٦٠٠ - ٦٠١، ٤: ٨، ٣١١، ٧: ٩ - ١٠، الأعلام للزركلي (٣: ١٤٣).

أبو بكر بن قسُّوم

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بن إبراهيمَ بنِ عبدِ اللهِ بن قسُّوم[١] بنِ أصبغَ بنِ مهني

---

(١) سيل الصباح: عمود النور الذي يرى فوق الأفق الشرقي بعد الفجر. عاد بحراً: انتشر.
(٢) تداعت: دعا بعضها بعضاً. النوادب جمع نادبة (اشتهر صوت الحمام بأنّه يوحي بالفرح والحزن في وقت واحد). الوُرْقُ جمع ورقاء: الحمامة.
(٣) سحرةً: في الصباح الباكر. على الوَرَق: على الأغصان (المكتسية بالورق).
(١) لعلّ «قسّوم» تصغير «قاسم». «مهني» ضبطت بفتح فسكون ثمّ كسرة من غير شدّة على الياء (برنامج الرعيني ٩٢). وضبطت في الذيل والتكملة (٦: ٢٤٣) «بضمّ الميم وبفتحة حائرة بين الهاء والنون وبألف مقصورة: ياء بلا نقطتين). وفي تاج العروس (الكويت ١: ٥١٤): المهنّأ (بضمّ ففتح ففتح على نون مشدّدة ثمّ همزة) اسم رجل.

الأندلسيّ اللخميُّ الإشبيليّ، وُلدَ لثلاثَ عَشْرَةَ ليلةً خلَتْ من رَجَبَ سَنَة ٥٦٣[١] (١١٦٨/٤/٢٥ م).

روى أبو بكرِ بنُ قسومٍ عن نفرٍ من العُلماء منهم آبْنُ عِمرانَ المارتّلي (ت ٦٠٤ هـ؛ راجع ترجمته)، لازَمَهُ مُدةً طويلةً وأخذَ عنه طريقةَ التصوّف. ثمّ كان منهم: أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمّدِ بنِ ملكونٍ الحَضْرَميّ الإشبيلي النَّحْويّ (ت ٥٨١ هـ) والحافظُ أبو بكرِ بنُ الجَدّ، وقد أجاز له؛ ومنهم أيضاً أبو العبّاس بن سيد، وكان كثيرَ الرِواية عنه ثمّ أبو إسحاقَ بنُ أحمدَ بنِ سيّدٍ أبيه[٢].

ودخل أبو بكرِ بنُ قسُّومٍ - في أوّل أمرِهِ - في خِدمةِ أحدِ أمراءِ وقتِهِ ونال مَعَه دنياً واسعةً وجاهاً عريضاً. ثمّ إنّه زَهِدَ وترك ذلك كلَّه وآشتغلَ مُدّةً بإقراء القُرآنِ ونَسْخِ المصاحف. ثمّ كُـفَّ بصرُه في آخرِ عُمُرِه. وكانتْ وفاتُه في رابعِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٦٣٩ (١٢٤٢/٦/٦ م).

٢ - كان أبو بكرِ بنُ قسّومٍ وَرِعاً زاهداً، وقدِ آشتهرَ بذلك. وكذلك كان يقضي كثيراً من أيّامه صائماً معَ الإقلال من الطعام. وهُوَ أديبٌ بارع وناظمٌ وناثر، سهلُ اللغةِ واضحُ المعاني قليلُ التكلّف، ولكنّ أكثرَ معانيهِ مأخوذٌ من الأمثال ومن الأشعار.

من ذلك مثلًا »:

قد قُلتُ قولًا للخليفةِ ناصحاً ... قولَ المُحقِّقِ والنصيحِ المُشْفِقِ:
لا تَصْحَبَنْ، ما عِشتَ، قارىءَ مَنْطِقٍ؛ ... « إنّ البلاءَ مَوَكَّلٌ بالمنطقِ ».

وكذلك قولُه :

---

(١) في برنامج الرعيني (ص ٩٣): ثلاثة (!) وخمسون وخمسمائة.

(٢) أبو العبّاس بن سيد لم يرد في فهرس برنامج الرعيني (ولم أهتد أنا إلى شيء عنه). ابن سيّد أبيه هو (برنامج الرعيني ١٢٠) إبراهيم بن أحمد بن محمّد الزهري من أهل إشبيلية ومن القرّاء (للقرآن) والحفّاظ (للحديث).

★ أصبحتُ لا أنا في الزُّهّاد مُنْقَطِعٌ حقًّا، ولا كاسبٌ أغدو إلى السوق[١]:
مثلُ النَّعامةِ لا طيرٌ فتُلْحِقَها مَعَ الطيورِ ولا تُحْدَى مَعَ النُّوق[٢].
★ دَفَعْتُ إلى الزمانِ غُراب بَيْنٍ فعوّضني الزمانُ بهِ حَماما[٣].
فإنْ يَكُنِ الغُرابُ جَنى اغترابا، فقد جَلَبَ الحَمامُ لنا حِماما[٤].

ضَحِكْنا، وكان الضِّحْكُ منّا سَفاهةً. وحُقّ لنا، أهلَ البسيطةِ، أن نَبْكي،
ألم ترَ أنّ الموتَ حقٌّ وأنّنا سنَحْيا لمُلك أو سنحيا إلى هُلْكِ[٥]؟
هلِ المرءُ إلّا كالزُّجاجةِ كُلَّما تَخَلَّلها صَدْعٌ أُعِيدتْ إلى السَّبْكِ[٦]؟

أمّا فنونُه فَهِيَ الزُّهدُ والحِكمة والرِّثاء. ويبدو أنّه كان مُكْثِراً من النظم والنثر والترسُّل (في أيامِ خِدْمته في ديوان أحدِ الأمراء) ولكنّه أتْلَفَ ما كان قد أنشأ من الرسائل ونظم من الشعر. ومَع ذلك فقد حُفِظَ من شعره جانبٌ غيرُ قليل.

وكذلك كان أبو بكرِ بنُ قسّوم مُصنِّفاً في الزهدِ والتصوّف ورجالِها، له: محاسنُ الأبرار في مُعاملة الجبّار[٧] - النُّبذةُ المشتمِلةُ على شُذورِ المنظوم والمنثور (لعلّ هذه النبذةِ هِيَ التي كان ابنُ قسّومٍ قد أتلفها).

---

(١) منقطع (لا يعمل عملًا آخر). الكاسب: الذي يسعى لكسب رزقه. غدا: ذهب في الصباح.

(٢) تلحقها (أنت): تنسبها إلى الطير، تعدّها في الطيور. تحدى (تساق). النوق جمع ناقة.

(٣) غراب بين (فراق): شعر أسود كالغراب من المعروف أنّه سيبين (سيبتعد): سيصبح بعد سواده أبيض. حمام (كناية عن الشعر الأبيض).

(٤) إذا كان الشعر الأسود لمّا جاء إلى رأسي جاء ومعه التهديد بالاغتراب (بالهجر، بالذهاب)، فإنّ الحمام (بفتح الحاء: اللون الأبيض في الشعر) جاء ومعه نذير بالحمام (بكسر الحاء: الموت).

(٥) البيتان الأوّل والثالث تزييف لبيتي أبي العلاء المعرّي:

ضحكنا وكان الضحك منّا سفاهة وحقّ لسكّان البريّة أن يبكوا.
يحطّمنا ريب الزمان كأنّنا زجاج ولكن لا يعاد له سبك.
★ وللسبك عاد كسير الزجاج ولا يسبك الدرّ إذ ينكسر، الخ.

(٦) الهلك: الهلاك. سنحيا لملك (؟).

(٧) الصدع: الشق (بالفتح).

(٨) الأبرار جمع بارّ: الرجل العابد الزاهد (والكثير الطاعة لله والرحيم بأهله). الجبّار (من أسماء الله الحسنى). راجع تاج العروس (الكويت ١٠: ١٥٤).

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي بكرٍ بنُ قسومٍ مَثانٍ:

تجَنّبْ ما ٱستطعتَ إخاءَ قومٍ حديثُهُمُ، إذا اعتُبِروا، عُجابُ[١]:
فظاهِرُهُمْ، إذا نُظِروا، ثِيابٌ؛ وباطِنُهمْ، إذا خُبِروا، ذِئاب.

★ عِلْمُ الشريعةِ قد عفَتْ آثارُهُ، فالكُلُّ يَخْبِطُ منه في عَمْياءِ[٢].
ومضى الحَلالُ، فما بَقِي منه سِوى خَبَرٍ كما وَصَفوا عنِ العَنْقاء[٣].

★ أقولُ، وحُكْمُ اللهِ ينفُذُ في الورى، وقد عَلِمَ الرحمنُ صِدْقَ مُرادي:
ألا ليتَ عيني أذهَبَ الدَّمْعُ نورَها، ويا ليتَ خَوْفَ النار فَتَّ فُؤادي.

★ لا ذنبَ لي عند الغواني، إنْ بدا مِنّي المَشيبُ فَعِفْنَ ما قد عِفْتُهُ[٤].
كَرِهَ الغواني من بَياضِ مَفارقي ما لَوْ بدا بِرُؤوسِهِنّ كَرِهْتُهُ[٥].

★ إذا كنتَ ذا مالٍ فكُنْ ذا مَحامدٍ، فما خيرُ مالٍ لا يُؤَثَّلُ بالحَمْدِ[٦]؟
هلِ المالُ إلّا عارةٌ مُسْتَرَدَّةٌ؟ فجُدْ كَرَماً؛ إنّ العوارِيَ للرَّدِّ[٧].

★ إذا شِئْتَ يوماً أنْ تَخِفَّ على الورى وتُحْرِزَ من أهلِ المودّاتِ وُدَّهُمْ،
فأعْطِهِمُ ما كان عندَك وافراً، ووَفِّرْ علَيْهِمْ كُلَّ ما كان عِنْدَهُمْ.

---

(١) العجاب «(بالضّم)»: ما يدعو إلى العجب الشديد.

(٢) عفا أثره (امّحى، زال). خبط: سار على غير هدى. العمياء (أرض عمياء لا يرى السائر فيها علامة تدلّه على الطريق).

(٣) الحلال (الكسب من وجوه مشروعة). كما وصفوا (كذا في الأصل)، لعلّها: كما ذكروا (وهذا أصحّ في المعنى). العنقاء: طائر خرافي.

(٤) عاف: كره، هجر، ترك.

(٥) انّ الغواني (جمع غانية: المرأة الجميلة والمستغنية بجمالها الطبيعي عن التزيّن بالحلى) تكره الشيب في رأس الرجل كما يكره الرجل الشيب في رأس المرأة.

(٦) أثّل الحمد: نمّاه (زاد في قيمته).

(٧) العارة والعارية: ما تعطيه لغيرك على شرط أن يردّه إليك (أو يردّ إليك مثله) فيما بعد. والعواريّ (بتشديد الياء جمع عارية). وجمع عارة عوار. وهذان البيتان اتّكاء على قول بشّار بن برد في مديح خالد بن برمك. والبيت الأخير من مدحة بشّار:

فأطعم وكل من عارة مستردّة ولا تبقهـــــا، إنَّ العواري للردّ.

- وقال أبو بكرِ بنُ قَسومٍ يرثي ابناً له تُوُفِّيَ وله مِنَ العُمُرِ ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً (ويبدو أنّه كان آبناً وحيداً):

يُمَرُّ الحبيبُ بقبرِ الحبيبْ ... فلا ذا يُنادي، ولا ذا يُجيبْ.
وكيفَ يُجيبُ رَهينُ الثَّرى ... رَماه الحِمام بسَهْمٍ مُصيبْ[1]؟
تُنُوسِيَ لمّا نأى عَهْدُهُ، ... وأقْفَرَ منه اللِّوَى والكَثيبْ[2].
إذا أُودِعَ المَيْتُ في لَحْدِه، ... فليس له- وَيْحَه، من حبيبْ.

★ شطّتْ بِمَنْ تَهْواه عنكَ الدارُ، ... وقَضَتْ عليك بحُكْمِها الأقدارُ[3].
بَرِّدْ لَهيبَ الشَّوْقِ منك بعَبْرةٍ ... تنقَعْ ضُلوعَك، إنّها لَحِرارُ[4].
رحَلَ الحبيبُ عن الحبيب، فدَمْعُه ... عندَ التذكُّر واكِفٌ مِدرار[5].
في الجَفْنِ منه عَبرةٌ سَيّالةٌ ... تَسْقي الخُدودَ، وفي حَشاه النار.
يا حُرقةً، يا فجعةً، يا لَوْعةً ... سَكَنَتْ فُؤادي ما لها مِقْدار[6].
يا ظاعِناً حَطّ الرِّكابَ بمَعْشَرٍ ... عَمِيَتْ علينا مِنْهُمُ الأخبار[7]،
للهِ منك هِلالُ عَشْرٍ قُورِنَتْ ... بثلاثةٍ لو يكمُلُ الإبدارُ[8]!
أنسَتْ بزَوْرَتِك القبورُ، وأصبحتْ ... منك الديارُ كأنّهُنَّ قِفار[9].

---

(١) الرهين: المرهون (المحبوس). الحِمام (بالكسر): الموت. الثرى: التراب.

(٢) نأى: ابتعد. نأى عهده (طال الزمان بعد انقضاء حياته). اللوى (الرمل المستدير) والكثيب (الرمل المستطيل المحدودب) كناية عن الأماكن التي يسكنها البدو (أو يسكنها الناس عامة).

(٣) شطّ: أصبح بعيداً.

(٤) العبرة: الدمعة (البكاء). نقع الماء غلّتي (حرارة جوفي): أذهبها. والأصل: نقع الماء العطش (أذهبه). حرار جمع حرّى: شديدة العطش أو الحزن (أو الحرارة).

(٥) دمعه (الهاء ضمير يرجع إلى «الحبيب» الثاني). واكف: سائل. مدرار: كثيرالسقوط (كالمطر).

(٦) الفجعة: فقد عزيز (كموت قريب أو حبيب أو نسيب) أو خسارة ثمين (كالمال). واللوعة: الحرقة والألم من حبّ أو حزن. مال ها مقدار (ما لها مقدار معروف = عظيمة جدًّا).

(٧) الظاعن: الراحل. حطّ الرحال (جمع رحل بالفتح): السرج على الجمل أو الفرس (كناية عن السكنى الدائمة).

(٨) عشر = عشر ليال. بثلاثة (كذا في الأصل. والصواب بثلاث = مع ثلاث ليال). لم يكمل الابدار (بلوغ القمر تمامه حتّى يصبح بدراً (ليلة أربع عشرة). - يقول فقد ابنه، وعمر ابنه ثلاث عشرة سنة (ولم يبلغ بعد أربع عشرة سنة) يشبيهاً بالبدر الذي يبلغ تمامه في الليلة الرابعة عشرة.

(٩) القفار (بالكسر) جمع قفر (بالفتح): أرض خالية.

ولقدْ أرَدتُّكَ أن تعيشَ لكَبْرتي وزَمانتي، فأرادَك الجبّار[1].
ولقد تَراكَضْنا الحياةَ لِغايةٍ: فسبَقْتَ أنتَ، وخانَني المِضْمار[2].
ما إنْ وجدتُّ على مُصابك ناصراً إلّا الدُّموعَ، فإنّها أنْصارُ[3].

– وقال أبو بكرٍ بنُ قسّومٍ يذُمّ الذين يشتغلون بالمَنْطِق وعلوم الأقدمين (الفلاسفة) ثمّ هم يُهمِلون علومَ الشريعة:

ألَا قبَّحَ الرحمنُ شرَّ عِصابةٍ تَدينُ بأقوالِ الغُواةِ، وتَقْتدي[4].
تُصَدِّقُ ما قال آبنُ سيناءَ ضِلّةً، وتُكْذِبُ قولَ الهاشميِّ مُحَمَّدِ[5].
أقاويلُ إفْكٍ ما لها من حقيقةٍ تُفيد سِوى الكُفْرِ الصريح المُجرّد[6].
ألَا غَضْبَةٌ للهِ في نَصْرِ دِينِهِ تقُدُّ طُلاهُمْ بالحُسام المُهَنّدِ[7]؟
★ عذيرِي، عذيرِيَ مِنْ فُرقةٍ غَدَتْ للشريعة أعْدى العِدى[8]
تَدينُ بما قالَهُ فاسقٌ تَزَنْدَقَ في قولِه وٱعتدى[9]:
تُصَدِّقُ قولَ آبنِ سينائِها وتُكْذِبُ قولَ نَبِيِّ الهُدى[10].

(١) الكبرة التقدّم في السنّ كثيراً (حتّى يعجز الإنسان عن قضاء حاجاته) والزمانة: المرض الدائم المقعد. أرادك (فضلّ أن يأخذك منّي) الجبّار (الله).

(٢) تراكضنا: ركضنا معاً (تسابقنا). يقال تراكضنا خيلنا (بنصب خيل على أنّها مفعول به) جعناها تركض في السباق. تراكضنا الحياة (بالنصب): جرت حياتي وحياتك في سباق (وكان المنتظر أن أسبقك أنا إلى الموت لأنني أبوك وأكبر منك سنًّا. فسبقت أنت (متّ قبلي. وخانني أنا المضمار، أي الحلبة – بفتح ففتح – التي تتسابق فيها الخيل. أنا عجزت عن أن أسرع في السباق).

(٣) لم أجد ناصراً (من الناس) يخفّف من حزني. فكانت الدموع وحدها أنصاري. (تعينني على تحمّل المصيبة). ولعلّه يقصد أن يقول: أنصار جمعا لنصر (بالفتح) ونصرة (بالضمّ) بمعنى المطر (تاج العروس – الكويت ١٤ : ٢٢٤ و٢٣٤) وحسن المعونة (ص ٢٢٥).

(٤) الغواة جمع غاو: الممعن (المبالغ) في الضلال (في الحيد عن الصواب).

(٥) ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) طبيب عالم بارع وفيلسوف. ضلّة (بالكسر): اتّباع غير الرشاد وغير الصواب.

(٦) الأفك: الكذب.

(٧) ألا غضبة لله (من حاكم قادر). تقدّ: تقطع. الطلا جمع طلاة (بالضمّ فيها): الرقبة، العنق. الحسام: السيف الذي يحسم (يقطع اللحم والعظم) المهنّد (صنع الهند) ويكون جيدّ الحديد جيّد الصنع.

(٨) العذير: العاذر والناصر والمساعد. عذيري من فلان: من يعيني على (قتال) فلان؟

(٩) دان: خضع وذلّ. اعتقد، عمل بقاعدة ما. الفاسق: الذي خرج عن طاعة الله، المجاهر بالمعصية.

(١٠) ابن سينا (راجع حاشية تابعة للمقطوعة السابقة). نبي الهدى: محمّد رسول الله.

مـــتى يـــأذَنِ اللهُ في حَسْمِهـــا بضَرْبِ الحُسامِ وحَزِّ المُـدى؟[1]

٤ - ★★ التكملة ٢ : ٧٥٤ (رقم ٢١٢٧)؛ الذيل والتكملة ٦ : ٢٤٢ - ٢٥٢ (رقم ٧٠٥)؛ برنامج الرعيني ٩٢ - ٩٥؛ الأعلام للزركلي (٦ : ٢٣٢).

(١) حسمها: قطعها (إبادته تلك الفرقة الفاسقة). الحسام: السيف القاطع. المدية (بالضمّ): السكّين.

فهرس أعلام الأشخاص

★ وفيه عدد يسير من المدارك العامّة.
★ ثم يَرِدُ في المقدّمة عدد من الأعلام أخذتُها من كتب أُخرى أمثلة فلم أُدْخِلْها في هذا الفهرس، وكذلك الأسماء الواردة في قائمة المصادر والمراجع.
ح = في الحاشية؛ م = مكرّر.
★ والنِّسبة «ابن فلان» مقدمة على الكُنية «أبو فلان»، إلا إذا كانتِ الكنية مشهورةً جِدًّا او إذا كانتِ النِّسبة مجهولة.
★ واللقب: الصدفي، الصيرفي، الحجاري مقدّمة على الكُنية عموماً.

آ - أ

★ في الأصل: ابن سعد الخير البلنسي (ولد نحو سنة ٥١٠ هـ) وتلقّى العلم على ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١) واختصّ به (وهذا موضع نظر - الاّ اذا كان مولد أبي الخير البلنسي أسبق في التاريخ).

---

* راجع الصفحة ٢٨٣ (الحاشية السابعة).

ح

ذ

ر

ز

س

ش

غ

ك

ن

فهرس بأسماء الكتب

يدخل في هذا الفهرس تلك الكتب التي عرّفت في هذا الجزء أو وصفت أو ذكرت في تراجم أصحابها (وكانت مطبوعة) ثمّ الكتب التي أخذ منها نصوص:

ب

ت

ث

ج

ح خ

د

ق

ك

ل

م

ن

و

ثاني ذي القعدة ١٤٠١
٣١/ ٨/ ١٩٨١ .

تاريخ الأدب العربي

الجزء السادس

الأدب في المغرب والأندلس

من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة

(أوائل القرن الثالث عشر إلى أواسط القرن السادس عشر للميلاد)

تأليف

عمر فروخ

عضو مجمع اللغة العربية في دمشق

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة

عضو جمعيّة البحوث الإسلامية في بومباي

عضو المجمع العلمي العراقي في بغداد

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب ١٠٨٥ - تلفون: ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩
برقياً: ملايين - تلكس: ٢٣١٦٦ ملايين

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

حزيران (يونيو) ١٩٨٣

تاريخ الأدب العربي

٦

الكلمة الأولى

سيكون الفصلُ الأوّلُ من هذا الجزءِ السادِس طويلًا جِدًّا، ذلك لأنّه سيَعرِضُ صورةَ العصر في الأندلس أيامِ بني نَصْرٍ أو بني الأحمر (٦٢٩ - ٨٩٧ هـ) ثمّ في المَغرِب كُلِّه: في أيّام بني مَرينٍ في فاسَ (٥٩٢ - ٩٥٧ هـ) وبني زَيّانَ في تِلِمْسان (٦٣٣ - ٩٦٢ هـ) والدولةِ الوطّاسيّة في باديةِ الجزائر (٦٣٣ - ٩٦١ هـ) والدولةِ الحَفْصيّة في تُونِسَ (٦٢٥ - ٩٨٢ هـ)؛ وتلك حِقبةٌ تمتدُّ أربعةَ قرونٍ كواملَ.

ولِطولِ هذا العصر سببانِ رئيسان: طولُ ذلك العصر نفسِهِ من حيثُ الزمنُ ثمّ الحاجةُ إلى شيءٍ من التوَسُّعِ في السَّعْيِ لِردِّ التُّهمة عن ذلك العصر بأنّه عصرُ ٱنحطاطٍ، مَعَ العلم بأنّ الحياةَ العُمرانيةَ والحياةَ الثقافيّة ثمّ الحياة السياسيّة نفسَها - في المغربِ خاصّةً - كانتْ كلُّها مُزدَهِرةً.

إنّ الضَّعْفَ السياسيَّ في الأندَلُس (في سلطنةِ غَرناطةِ الضيّقةِ الرُّقْعةِ والخاضعةِ للنُّفوذِ النَّصرانيّ) قد أدّى - كما يُنْتَظَرُ في مِثلِ هذه الحال - إلى ضَعْفٍ في الأدب عامّةً وفي الثقافة أيضاً. غيرَ أنّ هذه القاعدةَ العامّةَ قد خرَقَها في الأندَلُس، وفي ذلك الحينِ، نهضةٌ عُمرانيّة من البِناء ومن الزُّخرف لم يَسْبِقْها نهضةٌ مِثلُها ولا لَحِقَها نهضةٌ مِثلُها. إنّ قصورَ الحمراءِ في غَرناطةَ مَعالِمُ من فنّ البِناء وَفنّ الزُّخرف وعُنوانٌ لِحَضارة لم تَرْقَ إليها حضارةٌ أخرى. ولهذه الآثارِ العَربية في الأندلس (إسبانيةَ اليومَ) قيمةٌ ٱقتصاديّةٌ تقوم عليها حياةُ الإسبان، أولئك الإسبانِ الذين كانت صدورُ كُبَرائِهم قد ضاقتْ بالإسلام وبالمُسلمين، فقاتلوا المُسلمين - بِقيادةِ البابويّة - ثمّ أخْرجوهم من دِيارِهم بوَحْشيّة لم يَعْرِفها إلّا عصرُنا الحاضرُ في فِلَسْطين وفي غيرِ فِلَسطينَ أيضاً، بالأمسِ القريب.

لَيْسَ من المعقولِ، ولا من المألوف، أنْ نَصِفَ بالآنحطاطِ الفِكريّ أوِ الآنحطاط

الأدبي عصراً كان فيه القُرطبيّ المُفسّرُ (ت ٦٧١ هـ) ثمّ ٱبنُ ٱبنُ عُصفورِ الإشبيليُّ (ت ٦٦٩ هـ) وٱبنُ مالكٍ (ت ٦٧٢ هـ) النَّحْويّانِ الكبيران ثمّ ٱبنُ البَنّاء العَدَديُّ (ت ٧٢١ هـ) والقَلَصاديُّ (ت ٨٩١ هـ) الرِّياضيّانِ ثمّ تلك الكَوْكَبَةُ من عُلماءِ التاريخ والجُغرافية والآجتماع المُوسعِيِّين (وبعضُهم يقول: المَوْسوعيّون): عبدُ الواحدِ المَرّاكُشيّ (ت ٦٤٥ هـ) وأبو المُطَرِّفِ بنُ عَمِيرةَ (ت ٦٥٨ هـ) وحازمٌ القَرْطاجَنّيُّ (ت ٦٨٤ هـ) وٱبنُ الأبّارِ القُضاعيُّ (ت ٦٨٥ هـ) وبنو سعيدٍ العَنْسيِّ الذين ملأوا القرنَ السابع ثمّ ٱبنُ عبدِ المَلِكِ المَرّاكُشيّ (ت ٧٠٢ هـ) وٱبن منظورٍ (ت ٧١١ هـ) صاحبُ قاموسِ «لِسانِ العَرَبِ» ثمّ ٱبنُ خاتمةَ (ت ٧٧٠ هـ) وابن أبي حَجَلَةَ (ت ٧٧٦ هـ) ولِسانُ الدين بنُ الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) وٱبنُ بطّوطةَ الرحّالةُ (ت ٧٧٩ هـ) ويحيى بنُ خَلْدونٍ (ت ٧٨٠ هـ) وأبو حَمّو الثاني (ت ٧٩١ هـ) وآلُ مرزوقٍ الذين ملأوا القرنَ الثامن بالفِقه والأدب ثمّ الكوكبُ الوضّاءُ عبدُ الرحمن بنُ خَلْدونٍ (ت ٨٠٨ هـ) مُؤسّسُ علمِ التاريخ ومُوجِدُ علم الآجتماع في العالم كُلّهِ ثمّ الوَنْشَريسيّ (ت ٩١٤ هـ) صاحب كتاب «المِعيار»، وقد جمَعَ فيه آراءً طيّبة في الإدارة وفي التربية والتعليم.

وإذا نحنُ نَسِينا في هذه الصورة الزاهيةِ - مِنَ الحُكّامِ - بني نصرٍ أو بني الأحمر ملوك غَرناطةَ - مَعَ أنّهم تركوا لنا في الحضارة العُمرانية أثراً لا يُنسى - فلا يجوزُ لنا أن نَنْسى المَنصورَ المَرينيَّ يعقوبَ بنَ عبدِ الحقّ (٦٥٦ - ٦٨٦ هـ) ويحيى بنَ عبد الواحدِ الحَفْصِيَّ (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) وأبا حَمّو موسى الثانِيَ (٧٦٠ - ٧٩١ هـ).

الأمَم كُلُّها تَمُرُّ في أدوارٍ من الرُّقِيِّ ومن الآنحطاط مَرّةً بعدَ مرّةٍ. وأرى أنَ المسلمين لم يَمرّوا في ماضِيهم في مِثْلِ هذا الآنحطاطِ الذي يَمُرّونَ بِهِ في عصرِهِمُ الحاضِرِ، لأنّهم يَفْقِدون في عَصْرِهم الحاضِرِ هذا رجالَ دولةٍ من أمثال الذين عَدَدْناهم في الأسطر السالفة. فعَسَى أن يبعثَ اللهَ فينا من يَرُدُّ لنا تلك المَكانةَ التي كانتْ لنا من قبلُ. إنّه على كُلِّ شَيءٍ قدير.

الأحد في ٢٠ من صفر ١٤٠٣ = ١٩٨٢/١٢/٥.

عمر فروخ

* إنّ التراجم مرتّبة في هذا الكتاب كلّه على سنوات الوفيات. ولكنّ اتّفق هنا ،حيث وضع على رقم الصفحة نجم صغير « (*)»، أن تأخّرت ترجمة مرتبة واحدة، وكان حقّها أن تتقدّم (أو تقدّمت وكان حقّها أن تتأخّر). وهذا ينطبق على التراجم السّت المثبتة على هذه الصفحة وعلى الصفحة التالية.

مقدمة

هذا الجُزءُ يَصِلُ بنا إلى الفتح العثماني في المَغرِب (أي إلى نحو سنة ٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م). غير أن نَفَراً من الذين أدْرَكَهُم الفتحُ العثمانيُّ قد بَقُوا مُدّةً بَعْدَ ذلك الفتح، فدخل نفرٌ منهم في نِطاق هذا الجزء.

وبهذا الجُزءِ السادسِ الحاضرِ تنتهي السلسلة التي عَمِلْتُ في وَضْعِها جيلاً كاملاً من الدهر (١٣٧٠ - ١٤٠٣ هـ = ١٩٥١ - ١٩٨٣ م)(*) . وقد كنت جمعت في تلك الأثناء ألوفاً من البطاقات. فربّما كان الأديبُ مُقِلّاً أوْ ربّما كانت معرفتُنا بأخبارِه ضئيلة جدًّا، فيكونُ له بطاقةٌ واحدةٌ من هذه البطاقات. وربّما كانتْ مصادرُ أخبارِه ومراجُعها كثيرةً، وعددُ مُصنّفاتِه كبيراً، فيكون له عشرُ بطاقاتٍ أو عِشرونَ أو أكثر.

ولم يكن بالإمكان أن يدخُلَ كلُّ آسمٍ على بطاقةٍ (أو على عددٍ من البطاقات) في مَتْنِ هذا الكتاب. لقد كان لي طريقةٌ في قَبولِ الأديب أو الشاعر أو العالم في سِلْكِ تراجمِ هذا الكتاب. هذه الطريقة تقوم على ثلاثةِ أُسُسٍ: (أ) أن يكونَ للشخص المُختارِ نصوصٌ على مُستوًى ما من الجودة، و(ب) أن يكونَ له تاريخُ وفاةٍ دقيقٌ أو قريبٌ من الدِّقّة، و(جـ) أن يكونَ له أثرٌ ثقافيٌّ أو لفتةٌ بارعة.

وقد كان آختيارُ التراجم مُضْنياً. كنتُ أرْجِعُ إلى كلِّ بطاقةٍ ثم أعودُ إلى المصادر والمراجع التي على تلك البطاقات صفحةً صفحةً. فإذا لم أجدْ نصًّا صالحاً لأن تبنى عليه ترجمة مستقلّة، وضعت البطاقة المتعلّقة به جانباً. ثمّ أرجع إلى تلك البطاقات التي وُضِعَتْ جانباً فأنظُرُ فيها مرّةً ثانية، فقد أجِدُها تصلُحُ لِتكونَ إضافةً إلى صورة العصر الذي أُعالجه. فإذا لم تصلُحْ لذلك أيضاً أهملتُها مرّةً واحدة. ولا شكّ في أن هذا العملَ يقتضي وقتاً طويلاً. ومَعَ هذا كلِّهِ، فأنا لا أستطيعُ أنْ أزعُمَ أنّ كلُّ ترجمةٍ تستحقُّ الدخولَ في هذا الكتاب قد دخلت فيه، كما لا أستطيعُ أن أقولَ أيضاً إنّ كلّ

(*) الجيل ثلث قرن (نحو ثلاثة وثلاثين عاماً).

ترجمة قَبلْتُها هي أفضلُ من كلّ ما أهملته من التراجم. إنّ للجُهْدِ الإنسانيّ حدوداً من المكان وقُيوداً من الزمان، ولا يُمْكِنُ عند النظر في كلِّ ترجمةٍ أنْ أعودَ إلى كلّ جملةٍ تتعلَّقُ بتلك الترجمة في كلّ كتابٍ بينَ يَدَيَّ أو في متناول يَدِي من قُرْبٍ أو من بُعْدٍ.

وأُريدُ أن أعودَ مرّةً أُخرى إلى نَفَرٍ من الذين يُحقّقون الكُتُبَ.

في هذا الجزء ترجمةٌ صاحبُها آبنُ شعيب الكرياني. لهذا الشاعر ترجمةٌ في «الإحاطة في أخبار غَرناطة» للسان الدين بن الخطيب. وقد جاء لهذا الشاعر مقطوعة منها البيت التالي (مصر - شركة طبع الكتب العربية - ١٣١٩ هـ، الجزء الأوّل، ص ١٤٣):

كـان اللقـاء فكان حظّي ناظري وسطا الفراق فصار حظّي مسمعي.

وفي عام ١٩٥٥ للميلاد (بعد الطبعة الأولى (بستّةٍ وعِشرينَ عاماً أو تزيدُ) أصدرت دارُ المعارف في مصر طبعةٍ جديدة من «الإحاطة» على صفحةِ الغِلاف منها: «حَقّقه وقدّم له محمّدُ عبد الله عِنَان». وقد جاء فيها هذا البيت (١ : ٢٨٥) على الشكل التالي:

كـان (اللّقا) فكان حظّي ناظري (وسْطَ) الفراق فصار حظّي (مَسمع).

ولم ينس محقّق طبعة دار المعارف أن يَضَعَ سكوناً على السين وفتحة على الطاء في كلمة «وسط». وكذلك حذف الهمزة من كلمة اللقاء (ويختلّ وزن البيت بذلك) ثمّ حذف أيضاً الياءَ من القافية «مسمعي» (والياء هنا ضمير)، فأصبح حقّ «مسمع» أن تصبح «مسمعا» (والمعنى يجيز ذلك، ولكن القافية لا تجيزه).

فأين التحقيق؟

ورجعة جديدة إلى «نفح الطيب» في موضع واحد من مواضع كثيرة. في قصيدة ابن الأبار المتعلّقة بالآستنجاد بسلاطين المغرب لإنقاذ الأندلس هذا البيت (٤ : ٤٥٧ هـ) وقد جاء على هذا الشكل:

يا للجزيرة أضحى أهلها جَزَراً للحادثـاتِ وأمسى جَدُّهـا تَعِسا.

وقد ضبط المحقّق كلمة «تعسا» بفتح التاء وكسر السين فصار المعنى أن الجَدّ

(بفتح الجيم: الحظّ، السعد) أصبح تاعساً. وهذا غير مقبولٍ في المنطق، فنحن لا نقول: إنّ الخير أصبح شرًّا. بل نقولُ: إنّ الحالَ آنقلبتْ من الخير إلى الشر. وكذلك الأندلسُ (في بيت آبن الأبّار) قد تبدّلت بِجدِّها (بحظّها) تَعَساً (بفتح التاء والسين).

إنّ الذي ضَبَطَ كَلِمَةَ «تَعِس» في هذا البيتِ يجب أن يكونَ قريباً في مُناقلةِ الحديثِ من عَوَّامِّ الناس. إنّ العامّة هُمُ الذين يقولون: «فلانٌ حظُّه تعيس» فيُخْطِئون مرّتَيْنِ: مرّةً حين يَتَوَهّمون أن «الحَظّ» ذاتَه يُصبح تَعِساً، وأنّ الخيرَ نفسَه يُصبحُ شرًّا، وأنّ الغِنى يُصبح فَقْراً. ثمّ هم يُخْطِئون مرّةً ثانيةً حينما يقولون: «تعيس» على وزنِ فعيلٍ، مكانَ تَعِسٍ أو تاعِسٍ.

نحن نقرأ في الكتاب المُنزل (٢: ١٠٨، سورة البقرة): «.... ومَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بالإيمانِ فَقَدْ ضَلّ سَواءَ السَّبيل».

غير أنّنا نَستطيعُ في بابِ البلاغة أنْ نقول: «أضحى غِناه فَقْراً» (لأنّ فُلاناً أساء آستعمالَ المالَ فَوَضَعَهُ في غيرِ مَواضعِه فأضاعه ولم ينتَفِعْ به). وكذلك نستطيعُ أن نقولَ: «أصبحَ خيرُه شرًّا» (لأنّه أتْبَعَ الخيرَ الذي صَنَعَهُ إلى بعضِ الناس مَنًّا أو أذًى). ونستطيعُ أنْ نقولَ (في باب البلاغة) أيضاً:«إنّ جَدّه قد أمسى تَعَسا» (لأنّه أضاعَ الفُرصةَ السانحةَ للقيام بعمله في الوقت المناسب). وكُلُّ هذا ليس من بابِ قولِ آبنِ الأبار في شيء.

وفي «نفح الطيب» أيضاً حاشيةٌ مؤلمةٌ (٥: ١٩)، فقد ذَكَرَ المحققُ أنّ أبا بكر بن عاصمٍ قد تولّى القضاءَ سَنَةَ ٨٨٨ (ثمانٍ وثمانينَ وثمانِمِائَة)، مَعَ أن أبا بكرٍ هذا قد تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسعةٍ وعشرين وثمانمائة (راجع تقويم ذلك في ترجمة أبي يحيى بن عاصم: ابن أبي بكر بن عاصم) المتوفّى سنة ٨٦٠ للهجرة في الأغلب. ولقد تنبّه خير الدين الزركلي إلى أن هذا التاريخ ٨٨٨» خطأ مطبعيّ (راجع الأعلام الطبعة الرابعة، ٧: ٤٨ في حاشية العمود الأوّل).

ومرةً أُخرى إلى «أزهار الرياض». لهذا الكتاب- وهو مطبوعٌ في ثلاثة أجزاءٍ- فهارسُ مستقلةٌ بكلِّ جُزء (وهذا غيرُ مقبولٍ- إلّا إذا كان المُحققون الكبارُ،

وهم ثلاثة، قد دُفِعَتْ لهم أجورُ التحقيق على أساسِ العملُ منفردينَ، فتناولَ كلُّ واحدٍ منهم جزءاً). ولقدِ آهتمّ المُحقّقون الثلاثة بالفهارسِ، ولكنْ على دَرَجاتٍ مختلفة: ففي الجزء الأوّل من الفهارس هذه التي تَلي، وعلى الترتيب التالي أيضاً: فهرس الأعلام - فهرس الشعراء - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكُتُب - فهرس القوافي - فهرس الموضوعات. وفي الجزء الثاني تفصيلٌ أكثرُ للفهارسِ: فهرس الشعراء (قبلَ فهرس الأعلام) - فهرس الأعلام - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس الأيام (المعارك) - فهرس الأمثال - فهرس القوافي - فهرس الموشّحات والأزجال - فهرس أنصافِ الأبيات - فهرس الموضوعات. وأمّا الجزء الثالث ففيه: فهرس الأعلام - فهرس الشعراء - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس القوافي - فهرس الموضوعات.

ولا أُريدُ الآنَ أن أشْغَلَك بترتيب الأَسماءِ في كلّ فهرس وفي كلّ جزء، فإنّ ذلك يطول. ولَقَدْ أحْبَبْتُ أن أُشيرَ إلى ذلك هنا لِيُعْلَمَ. مقدارُ ذلك التَّعَبَ الذي يُعانيه المؤلّفُ الجادُّ في الآستفادة من كثيرٍ من الكتب. إنّ ذلك المؤلّفَ الذي أَعنيه مُضطرٌّ إلى أنْ يكون مُحَقِّقاً لعددٍ كبيرٍ من الكتب التي يُوضَع على غِلافِها أنّها بتَحقيق فلانٍ أو بتحقيق فلانٍ وفلانٍ أو بتحقيق فلانٍ وفلانٍ وفلان.

ثم إنّي لا أدفعُ نفراً من المؤلّفين عن حقّهم بالآهتمام بأقطارِهِمُ المُختلفةِ في التاريخ وفي الأدب. إنّ هذا المَنْحى قديمٌ جِدًّا، وأكثرُ ما يلجأ إليه المؤلّفون في هذا الباب تفصيلُ أخبارِ أقطارهم. غيرَ أنّي أعتقدُ أن هذا العملَ، وإن كانتْ له فائدةُ التفصيلِ، فإنّه لا يصوّرُ الحقيقةَ. لقدِ آضْطُرِرْتُ في تأليفي المدرسيّ - في التاريخ وفي الأدب وفي الجغرافية أيضاً - إلى أن آخُصَّ «لُبنانَ» بكتبٍ خاصّةٍ في ذلك. ولكن الذي يُطالعُ هذه الكتبَ المدرسيةَ التي آلّفتُها أو شاركتُ في تأليفها يرى أنّي كنتُ دائماً أرْسِمُ إطاراً للثقافة العربية في إطارٍ من الثقافة الإنسانية حولَ الموضوع اللُّبنانيّ الذي أُعالِجُه بِحَسْبِ المَنْهج اللبناني للتعليم. إنّ التاريخَ - كما ذكرتُ في كتابي «تجديد التاريخ»، مثلاً - لا يجري في مجارٍ مُنْفصلةٍ. ومثلُ ذلك الأدبُ في كلّ أمّةٍ، فإنّه لا يُمْكِنُ أنْ يخلُصَ من آثار الآداب الأخرى، فلا بدَّ في تاريخ الأدب العربي الحديثِ من

إشارات واضحةٍ إلى الآداب الأجنبية شرقيةً وغربيةً. لا الأدبُ العربيُّ خَلَصَ، في تاريخه الحديث، من آثارٍ فرنسيةٍ وإنكليزية أو ألمانيةٍ أو هنديةٍ، أو إفريقيةٍ أو أميركيّة؛ ولا هذه الآدابُ كلُّها قد خَلَصَتْ، في تاريخها الحديث وفي تاريخِها الوسيط أيضاً، من الآثارِ العربية. ولكنّ هذا موضوعٌ ليسَ هنا مكانُ تفصيلِه.

قد يستغرب نفرٌ من القُرّاءِ إذا رأَوْا أنّني ضَمَمْتُ إلى كتابٍ في تاريخ الأدب تراجِمَ لِفُقهاءَ ولِعُلَماءَ في السياسة والتاريخ والرِّياضيات. إنّ أولئك النَّفَرَ يجبُ ألّا يستغربوا ذلك، ذلك لأنّ التعبيرَ البارع عن الفِكْر الفِقهيّ والفكر الفلسفيّ والفكر السياسيّ والفكر الرياضيّ أوجهٌ من وُجوه الأدب. أضِفْ إلى ذلكَ كُلِّه أن الأديبَ الحقَّ هو الذي يُشارك في عدد من فنون المعرفةِ الإنسانية. ثمّ يجب أن نَحْمِلَ قولَ ٱبنِ خَلدونٍ (المقدّمة، بيروت - دار الكتاب اللبناني - ١٩٦١ م، ص ١١٠٧): «ولهذا كان شُيوخُنا، رَحِمَهُمُ اللهُ، يَعيبون... المتنبّيَ والمَعَرِّيَّ بِعَدَمِ النَّسج على الأساليب العربية.. فكانَ شِعرُهُما كلاماً منظوماً نازلاً عن طَبَقَة الشعر. والحاكمُ في ذلك هو الذَّوْق»، على مَحْمَلِ التَشدُّدِ في التعريف - وإلّا فَمَنْ يستطيعُ أن يُنْكِرَ على المَعرِّيِّ «طَبَقَتَه السامية في الشعر» حينما يَقْنِصُ مِثْلَ هذا المعنى ثمّ يُجريهِ في هذا اللفظِ السهل والتَّشبيه البارع فيأتي بهذا الوصفِ المُبتكَر للبَرْقِ في اللَّيْلةِ الظَّلماء (الديوان، مصر - مطبعة هندية - ١٣١٩ هـ، ص ٢١):

إذا ما ٱهتاجَ أحْمَرَ مُستَطيراً   حَسِبْتَ اللَّيْلَ زَنجيًّا جَريحا.

إنّ هذا وَصْفٌ يَعْجِزُ عن مِثلهِ المُبصرون.

المصادر والمراجع

في كلّ ترجمةٍ في هذا الكتاب مقطعٌ يَسْبِقُه الرقمُ « ٤ ». المقصودُ أن يأتيَ بعدَ هذا الرقم ما لصاحب الترجمة من الكُتُب أو ما كُتُبٍ عنه من الكتب أو في الكتب.

كان المفروضَ أنْ استخدمَ طبعةً واحدة من « الديباج المُذْهَب » مثلاً. ولكنْ، برُغْمِ حَجْمٍ مكتبتي الخاصّة، فإنّ هنالك كُتُباً لا أمْلِكُها، فأنا أستعيرُها من مكتبةِ الجامعة الأميركيةأو من مكتبة الجامعة العربيّة (في بيروت). وفي عدد من الأحيان لا يكون كتاب من هذه الكتب معي فأُضْطَرّ إلى استخدام طبعةٍ أحصُلُ عليها (وفي أحيان كثيرة أُشيرُ إلى ذلك). وربّما يكونُ الكتابُ معي، فتحتاج إليه المكتبةُ العامّة فأردُّهُ إليها (نِهائيّاً أو مُوَقَّتاً) فيغيبُ هذا الكتاب من قائمةِ المراجع (بعدَ الرقم « ٤ ») أحياناً.

ولا أستطيع أن أقولَ إنّ كلَّ كِتابٍ أُثْبِتهُ قد رأيتُهُ بعَيْنَيْ رأسي، وإلّا فما الفائدةُ من عملِ أولئك الذين يعْمَلون في « تأليف قوائمِ المطبوعات »؟

ثمّ إنّ هذا المقطع الرابعَ- ذا الرقم « ٤ »- دليلٌ للقارىء إذا هو أحبَّ أن يتوسّعَ في آثارِ صاحب الترجمة المُعيّنة. وفي كثير من المراجعِ دليلٌ آخرُ إلى مصادرَ ومراجعَ ليست مذكورةً في كتابي. أنا لم أذكرُ المقالاتِ التي كُتبت في أبي العَلاء المَعرّي أو في عبدِ الرحمن بنِ خَلْدونٍ، ولكنّني أثْبَتُّ في ترجمةِ أبي العَلاء « مَرْجعاً من تأليف يوسفَ أسعَدَ داغرٍ » فيه مُعْظَمُ المقالاتِ التي نُشِرَتْ في المجلّات وكانت تتناول حياةَ أبي العلاء المَعرّي أو خصائصَه وآثارَه، كما ذكرتُ- في ترجمة عبد الرحمن بنِ خَلدونٍ- كتاباً لعبدِ الرحمن بدوي فيه مثل ذلك عن عبدِ الرحمن ابن خَلْدونٍ.

فهرس هذا الجزء

لقد كان ترتيبُ هذا الفهرس في هذا الجزء السادس عملاً شاقاً لعدد من الأسباب أوّلها أنّ الأسماء في هذا الجزء كثيرةٌ جدًّا (راجع ص ٧١٢ وما بعدها)؛ ثمّ إنّ التداخلَ في أنساب الرجال في هذا الجزء خاصّةً كان كثيراً (كما نلاحظ مثلاً في سلاسلِ النسب لبني الأحمر أو لآل مرزوقٍ)، فحينما يكونُ في نَسَبِ أبي يحيى بن عاصمٍ (ص ٦٤١) خمسةٌ أسماؤهم «محمّدٌ» في نَسَقٍ واحدٍ مُتتابعٍ يصبح من الصعب الكلامُ على الأبِ وعلى الأخِ وعلى الابنِ بوضوحٍ (راجع مثلاً ترتيب أسماء «ابن الأحمر» وترتيب أسماء «ابن مرزوق».

لقد رتّبتُ أسماءَ بني الأحمر على النَّسَب ثمّ جعلتُ بين أهلّةٍ كبارٍ أرقاماً. إنّ كلَّ رقمٍ يدلّ على مرتبةِ صاحبه في تولّي عرضِ غرناطة. أمّا بنو مرزوقٍ فاتّبعتُ في سرد أسمائهم ترتيباً أقربُ إلى التاريخ.

وكان منشأ الصعوبة، هنا وفي الأجزاء الباقية، حُبُّ الرواةِ للاختصار: فربّما اكتفى الراوي للأخبار أو المؤلّفُ للكتب بقولهِ: وكان ابنُ الأحمر، قالَ ابن مرزوقٍ، وأخذ فلانٌ العلمَ على ابنِ مرزوقٍ وما يقرُبُ من ذلك.

ولقد حاولتُ أن أتغلّبَ على هذه الصعوبة في أثناء التأليفِ فكنتُ أحاولُ أنْ أُكْثِرَ، مَعَ كلِّ اسم غامضِ الدّلالةِ أو كثيرِ الوُرودِ، من القرائنِ الدالّةِ عليه (اسمه، كنيتهِ، لَقَبِهِ، تاريخِ وفاته، صلته بأستاذه أو بتلميذه، إلخ). ولعلّ القارئ يعجَبُ حينما يراني أُثبتُ تاريخَ الوفاة لرجلٍ مرّتين أو ثلاثاً في الصفحة الواحدة. غير أنني لم أنقُلْ كلَّ هذه التفاصيل في الفهرس، ولكنّني كنتُ أستنيرُ بها في أثناءِ ترتيبِ هذا الفهرس.

ومَعَ هذا كلّهِ فإنّني لا أُحِيلُ أنْ يكونَ قد بَقِيَ في هذا الفهرس شيءٌ من الخطأ أو التداخل أوِ السهو. من أجل ذلك وضعتُ أحياناً إلى جانبِ عدد من الأسماء وإلى جانبِ عددٍ من أرقام الصَّفَحات علامةَ استفهامٍ أو كلمةَ «راجعْ» كي يكونَ القارئ مُتَنَبِّهاً عند مُحاولةِ الاستدلالِ برقمِ الصفحةِ على الاسمِ المطلوب.

هذه السلسلة

بهذه الجزء السادسِ من تاريخ الأدب العربي «تنتهي هذه السلسلةُ بحَسْبِ المنهج الذي كنت قد وضعتُه لها حينما بدأتُ جمعَ الموادِّ لتأليفها، مُنذُ آثنينِ وثلاثينَ عاماً. لم أكن في ذلك الحين أفكّر في المُضِيّ بها الى أبعدَ مِنَ الفتح العثمانيّ. ذلك لأنّي كنت أُدْرِكُ أن التأليفَ المُنَظَّمَ يحتاجُ إلى وقت طويل. ولو أنّي أحْبَبْتُ الآنَ أن أبدأ مُلْحَقاً لتاريخِ الأدب العربي في العصر الحديث (على المِنهاج الذي سِرْتُ عليه في الاجزاء الستّة الماضية) لآحْتَجْتُ إلى رُبْعِ قرنٍ جديد. وهذا أمرٌ مستحيلٌ عليَّ ووراءَ المستحيل أيضاً.

في هذه السلسلة منهَجٌ مُتّبَعٌ لم يختلف في ترجمة من التراجم إلاّ على مَنْهَجٍ آخرَ، وذلك في التراجم التي ليس فيها «مختارات». وبما أنّ هذه السلسلة وُضِعَتْ على «النسق التاريخيّ»، فقد كان من الصعب أنْ أتقدّم إلى ترجمة (عند الطبع خاصّةً) إلاّ بعدَ آستيفاء الكلام الضَّروريّ في التراجم السابقة. لقد وَقَعَ في يديّ كُتُبٌ في تاريخ الأدب (وفي غير تاريخ الادب أيضاً)، ولم يكن فيها منهجٌ: كانتْ كُتُباً من عمل الخواطر (مقالاتٍ مفردةً تُسمّى آستبداداً «تاريخَ الأدب»: يأتي فيها المتأخّر قبلَ المتقدّمِ، ويأتي آخر الموضوعِ قبلَ أوّله، ويَنْسى المؤلّفُ جانباً من البحث بعدَ أن يكونَ قدِ آنتقل إلى عددٍ من البحوث الأُخرى فيَرْجعُ إلى ما كان فيه، أو مِنْ عَمَلِ التعليق) يبدأ المؤلّفَ بقطعةٍ من الإنشاء الكلاميّ البليغ ثمّ يُورِدُ مرة بعد مرة عدداً من الأبيات أو من الأسطر - وأكثر التأليف الذي أَقْصِدُه هنا بهذه الكلمة يكون في الشعر عادة - ثمّ إنّك لا ترى «الشكل» الكافي (أو الضروريّ) أحياناً، ولا الشرحَ المفيد (مُقيَّداً بالتاريخ أو بالمصدر أو بالقاموس على الأقل). لقد كنت أنا أَرْجعُ إلى القاموس وإلى القواميس (عند محاولة شرح كَلِمةٍ كنتُ أعْرِفُها من قبلُ) وربّما كنتُ أرْجعُ إلى الكلمةِ الواحدة التي وَرَدَتْ مرتيْنِ في صَفْحةٍ واحدة إلى القاموس مرّتينِ أو أكثرَ من

مرّتين (ذلك لأنّني كنت أُريدُ أن أرى ما يَقْصِدُه الشاعرُ أو الكاتبُ منها لا ما شاعَ من معناها أو ما كنتُ أنا قد عَرَفتُه من معناها). وكثيراً ما يُلاحظُ القارئُ (في جميع أجزاء هذه السلسلة) أنّني أقولُ أحياناً « لَيْسَتْ هذه الكلمةُ في القاموس » - وأعني بالقاموس هنا « القاموس المحيط » للفيروزابادي - أو ليستْ هذه الكلمة في القاموس بالمعنى الملموح هنا، أو أنّني كنت لا أضع التفسيرَ وراءَ قاطعة (:)، بل في أهِلّة كِبار (......)، كلّ ذلك كي أترُكَ للقارىء أيضاً إمكانَ النظر في المعاني المقصودة أو المقبولة أو القريبة من الصِّحّة.

ولهذا الجزء السادسِ من هذه السلسلة قِصّةٌ أُخرى:

بدأتُ بإعداد هذا الجزء (بعدَ الانتهاء من تأليفه) للطبع (بِعَدَدٍ من الإصلاحات هُنا وهُنالك) في أوائلِ عام ١٩٨٢ (اثنين وثمانين) وقدّمتُ نِصْفَه الأوّل للمَطْبعة. ثمّ بدأ الطبعُ والتصحيح. ولمّا بدأ الاجتياحُ الإسرائيلي (وعانتْ مدينةُ بيروتَ ذلك القَصْفَ المُرَوِّعَ من الأرض والبحرِ والجوّ) كان نصفُ الكتاب في المَطْبعة والنصفُ الآخَرُ معي في البيت. أمّا النِّصف الذي كان في المَطبعة فقد سلّمتُ فيه أمرِيَ إلى الله (ولم يَنفعني في ذلك إلاّ ذلك). وأمّا النصفُ الثاني الذي كان معي فقد كنتُ - بعد اتّكالي على الله وتسليمِ الأمر في كل شيءٍ إليه وحْدَه من قبلُ ومن بعدُ - أحْرِصُ عليه أكثرَ من حِرصي على كلِّ شيءٍ آخَرَ: تَركْتُ بَيْتي ثلاثةَ أشهُرٍ، فكانتْ « بقيّةُ ذلك الجزءِ » معي. وكنتُ إذا نَزَلتُ (في أثناءِ القَصْف إلى الملجأ - أو ما كان يُسمّى ملجأً) أخذتُ هذه البقيةَ معي (لا أريدُ أنّ أقولَ أنا لك سَبَبَ ذلك، ولعلّك تُدْرِكُ سببَ ذلك.

وغادرتُ بيروتَ إلى الجبل فكانت بقيةُ هذا الجزءِ معي في السيّارة إلى جانبي (بينما كان هنالك أغراضٌ كثيرةٌ في صُندوقِ السيّارة). - ولم يَحْفَظْني ويحفَظْ هذه البقيّةَ إلاّ الله.

كنتُ دائماً أقولُ في نفسي: لو تَلِفَتْ هذه البقيّةُ من الجزءِ السادسِ، فماذا يكونُ مصيرُ السِّلسلةِ - وَهِيَ مبتورةٌ من آخِرِها؟ - . ولكنّ اللهَ سَلَّمَ.

وفي خِتام هذه الكلمةِ أحمَدُ الله على أنْ تفضّلَ عليّ - إلى جانبِ أفضالهِ الكثيرة - بإتمامِ هذه السِّلسلةِ على هذا الوجهِ، وأرجو أن أكونَ قد أدَّيْتُ بها رِسالةً أحْبَبْتُ أنْ أُؤَدِّيَها: آستخراجَ صورةٍ وافيةٍ للأدبِ العربيّ، قدر الأمكان، مجموعةٍ في كِتابٍ واحد.

«ولا تَقولَنَّ لشَيْءٍ: إنّي فاعِلٌ ذلك غَداً، إلاّ أنْ يَشاءَ اللهُ»(*).

والحمدُ للهِ أوّلاً وآخِراً وبينَ ذلك كثيراً.

بيروت، الاربعاء

في الرابع من جمادى الأولى ١٤٠٣،

١٩٨٣/٢/١٦م.

ع.ف

(*) القرآن الكريم ١٨ (سورة الكهف) ٢٣.

* إنّني الآن أحاول أن أضع تتمّة لهذه السلسلة في جزء واحد، أو أكثر من جزء واحد في الأغلب، بعنوان «معالم الأدب العربي في العصر الحديث» ولكنّي سأترك الحواشي الكثيرة التعقيد ثمّ استيفاء المصادر والمراجع (والحواشي الكثيرة التعقيد واستيفاء المصادر والمراجع كانا محتاجين إلى الجانب الأوفر من اعداد كلّ ترجمة) فعسى أن يعين الله على ذلك.

صورة العصر في المغرب والأندلس

- في أيام بني الأحمر -

سيكون هذا الفصل التمهيديُّ طويلًا جدًّا لطولِ المُدّة التي يحاول وصفَها في تلك البقاع الواسعةِ المترامية التي يجري فيها تاريخ هذه المدّة: من بَرْقَةَ شَرقاً إلى شِنْقيطَ (موريتانيا: بلادِ البِيضان) على البحر الأخضر أو بحرِ الظُّلُمات (المحيط الأطلسي) ثمّ من جبال البرانس (الفاصلة بين فرنسةَ وإسبانية) في الشَّمال إلى خطّ الاستواء (من قارّةِ إفريقيَة) جَنوباً[١].

دولة بني الأحمر (أو بني نصر)

في مَطْلعِ القرنِ السابع للهجْرة (الثالثَ عَشَرَ للميلادِ) كان لا يزَال في الأندلس - إلى جانب الحُكْمِ المُوَحِّديّ - ظلٌّ من الحكم المَحَلّي لبني غانيةَ في الجزائرِ

---

(١) كان تحقيق الأسماء (أسماء الأشخاص وأسماء القبائل والبلاد - وخصوصاً فيما يتعلّق بالمغرب ثمّ ببلاد السودان الغربي على الأخص) صعباً جدًّا: كنت أوَدّ أن أصل إلى اللفظ المحليّ معَ إثبات اللفظ المعرّب أيضاً. لقد اعتمدت «تاريخ السودان» (السودان الغربي) لعبد الرحمن بن عبد الله السعدي (أنجي ١٨٩٨ م) وتاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس لمحمود كعت بن الحاج المتوكل كعت التنبكتي (باريس ١٩٦٤ م).
ولقد كنت اجتهدت في تحقيق هذه الأسماء بالرجوع إلى عدد من المراجع العربية والأجنبية (كدائرة المعارف الإسلامية) ثمّ اتّفق أن لقِيت نفراً من الأصدقاء فصحّحوا لي عدداً من الأسماء. ولقد أحببت ألا أذكرَ أسماءهم كيلا يُنسبَ ما بقي من الأسماء بلا تحقيق إلى تساهلهم. وبعد، فإنّني قد اعتمدت في ذلك كلّه اجتهادي، راجياً ألا يكون الخطأ في ذلك كثيراً. وسأكون شاكراً لكلّ من يتفضّل فينبّهني إلى تصحيح ما بقي من خطأ، في هذا الباب وفي غيره أيضاً.

الشرقية (جزائر البِليار: مَيورقة ومِنورقة ويابسة) ولبني مَرْدانيشَ في شرقيّ الأندلس.

ولمّا ضَعُفَ الموّحدون في المَغرِب جعل وُلاتُهم في الأندلس يَتنازعون، فثارَ عليهم مُحمّدُ بنُ يوسفَ بنِ هودٍ (من أعقابِ بني هود ملوكِ الطوائف في سَرَقُسْطَةَ) ودخل مدينَة مُرْسِيَةَ (٦٢٥ هـ = ١٢٢٧ م) ثمّ ٱمتدّ سُلطانُه، في جَنوبيّ الأندلس، على شاطبةَ وقُرْطُبَةَ وإشبيليةَ وجبلِ طارقٍ ثمّ على مرفأ سَبْتَةَ في المغرب.

وتَصَدّى لُمنافسة مُحمّدِ بنِ يوسُفَ بنِ هودٍ على حُكْمِ بقايا الأندلس رجلٌ من قُرْطُبَةَ ٱسمُهُ محمّدُ بنُ يوسفَ بنِ نَصْرٍ (بنِ الأحمر) بعدَ أنِ ٱسْتَبدّ بحُكْمِ غَرْناطَة (٦٢٩ هـ = ١٢٣٢ م). ثمّ ٱشتدّتِ المُنافسةُ بينَ الرجلين وجعل كلّ واحدٍ منهما يَسْتَنْجِدُ بالطاغيةِ (فرديناند الثالث ملك قشتالة) ويَبْذُلُ له الحصونَ والمُدُنَ الإسلامية حتّى يُعينَه على خصمه. وفي كلّ مرّة كانتْ أرضُ المسلمين في الأندلس تتقلّص من غيرِ أنْ يستفيدَ المتنافسانِ شيئاً. ولجأ ٱبنُ الأحمر مرّةً إلى فرديناندَ الثالثِ لِيُعينَه على ثائرٍ صغيرٍ في إشبيليةَ، ثمّ سار ٱبنُ الأحمر وفرديناندُ لِحصارِ إشبيلية. وبعدَ عامين سقطتْ إشبيليةُ ولكنْ في يدِ فرديناندَ لا في يدِ ٱبنِ الأحمر (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م).

وجازَ يعقوبُ المنصورُ المرينيُّ إلى الأندلس مراراً وحارب الإسبانَ وٱنتصرَ عليهم، وكان في كلّ مرّة يتركُ الغنائمَ والأسلابَ لبني الأحمر ليَقْوَوْا بها على أعدائهم. ولكنّ بني الأحمر كانوا قليلي الوفاءِ لبني مَرينٍ قصيري النظر في ما يتعلّق بالصالح لهم، فكانوا مرّة يتآمرون مَعَ الطاغيةِ على بني مَرين ومرّة يُحَرّضون الدُويلاتِ البربرية في المغرب ويساعدونها على قتال بني مرين. ومَعَ ذلك فقدِ ٱنتصر يعقوبُ المنصور المرينيّ على الإسبانِ في مُعْظَمِ المعاركِ التي خاضها في الأندلس. وبلغتْ مَهابةُ يَعقوبَ المنصورِ المرينيّ في قلوبِ الإسبانِ إلى (أنْ طَلَبَ شانجُه الرابعُ ملكُ قشتالةَ من المنصور عَقْدَ معاهدةٍ للصُلْح. فعُقِدَتِ المعاهدةُ على ما أملاهُ المنصورُ المرينيّ. وبعدَ عقدِ الصُلح حضَرَ شانجه الرابعُ بنفسه وقابل المنصور المريني على مَقْرُبَةٍ من وادي لَكُّه (في جَنوبيّ الأندلس) وأراد أنْ يقدّم إلى المنصور هديّةً، فطلب المنصور منه «كُتُبَ الإسلامِ التي

كان الإسبانُ يَسْتَوْلونَ عليها عند آستيلائِهم على المُدُنِ الإسلامية. فَبَعَثَ شانجُه إلى المنصور قَدْراً عظيماً من تلك الكتبِ وعَدَداً مُهِمّاً من المَصاحف الكريمة. فنَقَلَ المنصورَ هذه الكتبَ والمصاحفَ إلى مدينةِ فاس ووَقَفَها على طَلَبَةِ العلم».

وبرُغْمِ العداوةِ التي كان بنو الأحمر يُضْمِرونها ويُظْهِرونها لبني مرينٍ، فإنّ بني مرينٍ لم ينقطعوا عن الجواز إلى الأندلُس والدفاع عن المسلمين. وفي سَنَةِ ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) جاز أبو الحَسَن المريني إلى الأندلس، ولكنّ القشتاليّين والبرتغاليّين آجتمعوا على حربِ المسلمين في مَعْركةٍ قُرْبَ مَصَبِّ نهر سالادو على المُحيط الأطلسي وهزموهم. وبعدَ أن آستولى ألفونسُ الحادي عَشَرَ ملكُ قشتالةَ على عددٍ من المدن الإسلامية مَنَحَ أبا الحجّاجِ يوسُفَ المؤيَّدَ بالله مَلِكَ غَرْناطةَ هُدْنةً مَداها عَشْرُ سَنَواتٍ.

كلُّ هذا وبنو الأحمر في غَرناطَة يتنازعون فيما بينَهم ويُعادون بني مَرينٍ ويُوالون الإسبان حيناً بعدَ حينٍ. ولم يستطعِ الإسبانُ أنْ يَسْتَوْلوا على ما بَقِيَ في يد المسلمين من الأندلس لأنّهم هم أيضاً كانوا في هذهِ الحِقْبة مُختلفينَ فيما بينهم، فقد كانتْ أُسرةُ أرغونَ تُحاربُ أُسرةَ قشتالة. ولكنْ في عام ١٤٦٩ م (٨٧٣ - ٨٧٤ هـ) تزوّجَ فردينانْدُ الخامسُ ملكُ أرغونَ إيسابلَ أُختَ هنري الرابعِ ملكِ قشتالة. وتوفّيَ هنري الرابع (١٤٧٤ م) وخَلّف آبنةً قاصرةً فنُصِبَتْ إيسابل على العرش فآتّحد بذلك عَرشُ أرغونَ وعرشُ قشتالة.

زالَ الخِلافُ الذي كان بين أُسْرةِ أرغونَ وأُسرة قشتالة فسارت إيسابلُ على رأسِ جيشٍ وحاصرتْ غَرْناطةَ بنَفسِها - وكان ملوكُ غَرْناطَة لا يزالونَ متخاصمين يَكيدُ بعضُهم لبعضٍ. وجاء شتاءٌ قاسٍ، وضيّق الإسبان الحِصار على غَرْناطة - ولم يكنْ قد بَقِيَ للمسلمين من جميعِ مُلْكِ الأندلسِ سِواها - فآضْطُرّ أهلُها إلى الآسْتِسْلامِ (٨٩٧ هـ = ١٤٩١ م) على أنْ يَبْقى من أهل غَرْناطة في غَرْناطة مَنْ شاءَ وأن يَخْرُجَ منها من شاء. وكان في معاهدةِ الآستسلامِ سبعةٌ وستّونَ شرطاً لم يَفِ الإسبانُ للمسلمين بشَرْطٍ منها.

***للمقارنة بالأُسَر الحاكمة في المشرق القريب

- في بلاد الروم (آسية الصغرى: في أماكن مختلفة منها):

السلاجقة التُّرك ٤٦٤ - ٨٨٨هـ (١٠٧٢ - ١٤٨٣ م).

- في مصر:

بقايا من الأيوبيّين ٥٦٤ - ٦٥٠ هـ (١١٦٨ - ١٢٥٢ م)

المماليك البحرية ٦٤٨ - ٧٩٢ هـ (١٢٥٠ - ١٣٩٠)

المماليك البُرجيّة ٧٨٤ - ٩٢٢ هـ (١٣٨٢ - ١٥١٦ م)

- في الشام (سورية):

الباطنّيون (الإسماعيلية- جبال النُصيرية: في الغرب)

٥٥٧ - ٦٧١ هـ (١١٦٢ - ١٢٧٢ م)

بقايا من الأيوبيّين في مدن مختلفة (في الشّمال خاصّة)

٥٧٤ - ٩٣٠ هـ (١١٧٨ - ١٥٢٤ م)

- في اليمن (في أماكن مختلفة من جَنوبيّ شبه جزيرة العرب):

٥٩٣ - ٩٢٣ هـ (١١٩٧ - ١٥١٧ م)

بنو عُثمانَ (الأتراك العثمانيّون)

في بلاد الروم (آسية الصغرى) ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) وما بعد.

فتح القُسطنطينية ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)

الفتح العثماني في المشرق ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م)

الحكم العثماني في الجزائر ٩٣١ هـ (١٥٢٤ م).

الصورة السياسيّة في أيام بني نصر (بني الأحمر) في غرناطة:

بنو مرين (من زناتة) في فاس	٥٩٢ - ٩٥٧ هـ (١١٩٦ - ١٥٥٠ م)
بنو هود في مرسية	٦٢٠ - ٦٦٨ هـ (١٢٢٣ - ١٢٧٠ م)
بنو حفص في تونس	٦٢٥ - ٩٨١ هـ (١٢٢٨ - ١٥٧٣ م)
بنو نصر في غرناطة	٦٢٩ - ٨٩٧ هـ (١٢٣١ - ١٤٩٢ م)
بنو زيّان بن عبد الواحد بتلمسان	٦٣٣ - ٩٥٧ هـ (١٢٣٥ - ١٥٥٠ م)
بنو مزني في بسكرة (الجزائر)	٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) وما بعد.

الحفصيّون في تونس

كان الحفصيّون فرعاً من الموحدين، وهم يَنتسِبون إلى أبي حفصٍ يحيى بنِ عُمَرَ الهِنتاتيّ. وكان أبو حفصٍ هذا من الأنصارِ الأقوياء الذين ثبّتوا حُكْمَ الموّحدين في المغرب. ثمّ إنّ الناصرَ المُوحّدي نَصَبَ أبا محمّدٍ عبدَ الواحدِ الحَفَصيّ، سَنَةَ ٦٠٣ (١٢٠٧ م) نائباً عنه في مدينة تُونِسَ. وكانتْ هذه النِيابة وِراثيةً في الحفصيّين.

ولّما جاء إلى نِيابةِ تُونِسَ، سَنَةَ (١٢٢٧ م) ،٦٢٦ هـ ،أبو زكريّا يحيى بنُ عبد الواحدِ ، كان الموحّدون في مَرّاكُشَ قد ضَعُفوا ونشأ إلى جانبهم بنو مَرينٍ الذين جعلوا ينافسونهم على حُكمِ المغرب. فٱنتهزَ أبو زكريا يحيى بنُ عبد الواحدِ الفُرصَة وأعلنَ

ٱستقلالَه بالقُطر التُونسي. واستطاعَ أبو زكريا أن يَمُدَّ مُلكَه إلى القُطر الجزائريّ (حتّى مدينَتَي الجزائرِ وتِلِمْسانَ) وإلى القُطر المغربي (حتّى سِجِلْماسَةَ ومِكْناسَةَ وسَبْتَةَ وطَنْجة). وكذلك كان أبو زكريا حاكماً عُمرانيًّا بنى القَصْرَ في القَصَبة (المدينة الداخلية: القلعة) وبنى سوقَ العطّارين (مركزَ الحياةِ الٱقتصادية في مدينةِ تُونسَ) وبنى المساجدَ فٱزدهرَ القُطر التونسيّ في أيامِه ٱقتصادياً وعُمرانياً وثقافياً. وبنى أبو زكريا هذا مكتبةً ضمّت، فيما قِيلَ، سِتّةً وثلاثينَ ألفَ كتابٍ.

وجاءَ بعدَ أبي زكريا ٱبنُه محمّدٌ المُستنصرُ بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ)، وعُمُرُهُ نحوَ عِشرينَ سَنَةً، فنازعه العَرشَ ٱبنُ عمّهِ اللحْيانيُّ ثمّ خَلَصَ العَرْشُ للمستنصر. ولكن في آخرِ سَنَةِ ٦٦٨ (١١٧٠ م) هَاجم مَلِكُ فرنسةَ لويسُ التاسعُ - الملقَّب: القدّيسَ لويسَ - شَمالِيَّ تُونسَ بأربعينَ ألفَ جُنديٍّ فطالتِ الحربُ بين المَلِكين سِجالاً نحوَ سِتّةِ أشْهُر. ثمّ فشا الطاعونُ في تُونسَ وٱمتدّ إلى الجيشِ الفرنسيّ فَهَلَكَ فيه خلقٌ عظيمٌ فِيهِمُ المَلِكُ لويسُ نفسهُ. فٱضطُرَّتْ فرنسةُ إلى سَحْبِ جيوشِها وعَقْدِ الصُلح ودَفْعِ غَرامةٍ كبيرةٍ لتونسَ. وزادتِ الحضارةُ في أيام المستنصرِ بالله هذا حتّى بلغتْ إلى التَرَفِ، فكان هذا الترفُ إيذاناً بالسقوط في التقهقر.

غَرِقَتْ تُونسُ في النزاعِ على العَرْش وفي الفِتَنِ زَمَناً طويلًا، من سَنَةِ ٦٧٦ إلى سَنَةِ ٧٩٦ (١٢٧٧ - ١٣٩٣ م). ثمّ جاء إلى عرشِ الحَفْصيّين في تونسَ أبو فارسٍ عزّوزُ (عبدُ العزيز) بنُ أحمدَ (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) فٱستردّتْ تونسُ هدوءها ومكانَتَها وقُوّتَها وٱزدهارَها. ولكنّ المرينيّين أصحابَ مَرّاكُشَ ناجزوه القتال فٱستطاعَ أنْ يَتَغلَّبَ عليهم ويتوغّلَ في المغرب حتّى وَصَل إلى مدينةِ فاس، فجَنَح المرينيّون إلى الصلح. وكان لعزّوزٍ هيبةٌ وسُلطةٌ فعَظُمتْ مكانَتُه في أقطارِ المَغْرِب وفي الأندلس أيضاً. وكان عزّوزٌ عمرانيًّا فمكّنَتْه ثروةُ تونسَ يومَذاك من إقامة القِلاعِ والمُسْتشفياتِ والمكتبات. غيرَ أنّ الدولةَ الحفصيّة كانت قد هَرِمَتْ بالنِزاعِ الداخليّ وبالترفِ وبالزمَنِ أيضاً وزادَ طَمَعُ الإسبانِ فيها فهيّأ اللهُ لها مجاهدَيْنِ هما خيرُ الدين وأخوه عَروجٌ العثمانيّان فدفَعوا عنها خَطَرَ القَراصنة الأوروبيّين(١).

(١) القراصنة: لصوص البحر. والقرصنة قديمة جدّا عُرفت في أيام الفينيقيين (أو الكنعانيّين) الذين =

ثم زاد هذا الخطرُ كثيراً فآستنجد أهل الشَّمال الإفريقيّ بالدولة العثمانية.

بنو مرين:

إنّ الحفصيّين خَلَفوا الموحّدين في تونسَ بالسِلْم، أما المرينيّون فقدِ انتزعوا الحُكم من الموحّدين بالحرب. بدأتْ دولةُ بني مرينٍ بالاستيلاء على مدينةِ فاس ثمّ على مدينة مرّاكُشَ في آخرِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٦٦٧ (١٢٦٩/٨/٣٠ م). ولكن القتالَ لم يهدأْ في المغرب، فإنّ دولةَ الموحّدين لم تَنْقَرِضْ إلّا في سَنَةِ ٦٧٤ (١٢٧٥ م) ثمّ إنّ القتالَ ظلّ دائراً بين المرينيّين وخصومِهم من الطامعين بالُملك في أقطارِ المغرب المختلفة.

يَرْجعُ الفضلُ في نشأة دولةِ بني مَرينٍ إلى السُلطان يعقوبَ بنِ عبدِ الحقّ (٦٥٦ – ٦٨٥ هـ) وكان قديراً حازماً لم تقتصرْ جُهوده على توحيدِ المغرب، بلِ آمتدّتْ جهودُه إلى مساعدةِ أهلِ الأندلسِ أيضاً، فقد جاز إلى الأندلس أربعَ مرّاتٍ في نحوِ عَشْرِ سَنَواتِ (٦٧٤ – ٦٨٤ هـ) وآستطاع أن يَهْزُمَ الإسبانَ ويدفَعَ عن مُسلمي الأندلس شرًّا كثيراً. ولم يكنِ النصارى الإسبان وحدَهم أعداءً للسُلطان المَريني، بل كان بنو الأحمرِ المُسلمينَ يخافون على مُلْكِهمُ الصغيرِ من المرينيّين فكانوا في أكثرِ الأحيانِ يُمالئون المَلِكَ النَصْرانيَّ على السُلطان المُسلم. ولكنّ الإسبانَ آضطرّوا بعدَ هزائِمِهمُ المُتواليةِ إلى طلَب الصلح فعقد المنصورُ المَريني مَعَهم صُلْحاً وأخذ فيما أخذَه في مُقابلِ هذا الصلح أحمالاً من كتب العلمِ التي كان نصارى الأندلس قد سلبوها من

= كانت لهم سفن تطوف في البحار. وعرفها الإغريق (قدماء اليونان – وقد ورد ذكرها في الأوذيسة، وهي ملحمة منسوبة مع أختها الإلياذة إلى هوميروس من أحياء القرن التاسع قبل الميلاد). وقد بقيت هذه «اللصوصية» إلى العصر الحديث.

كان القراصنة جماعة من المغامرين يسطون على السفن وعلى الشواطىء للسلب والنهب. وربّما قتلوا، وربّما دمّروا أيضاً. ومعَ أن نفراً من هؤلاء كانوا يقومون بمثل هذا العمل بدافع شخصيّ، فإنّ عدداً من الدول الأوروبيّة في العصر الحديث (إنكلترة وفرنسة وهولندة وإسبانية والبرتقال وإيطالية) كان يستخدم هؤلاء في مهاجمة سفن المسلمين وفي الاعتداء على الشواطىء الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط (وخصوصاً في الحوض الغربي منه) وعلى الشواطىء الشرقية من المحيط الأطلسيّ (سواحل المغرب). وكانت حركة عروج وأخيه خير الدين بربروسّا ردًّا على القرصنة الأوروبيّة للدفاع عن مراكب المسلمين وعن البلاد الإسلامية.

المدن الإسلامية. وكان عهدُ المنصور المَرينيّ عهدَ قوّةٍ وٱزدهارٍ ٱقتصاديٍّ وثقافيّ أيضاً.

وتُوفي المنصورُ المَريــني في الثــاني والعِشرين من المُحرّم من سَنَــةِ ٦٨٥ (١٢٨٦/٣/٢٠ م). فخلَفه ٱبنُه يوسُفُ الملقّب بالناصر. فعاد الإسبان وبنو الأحمرِ إلى المُقاومة. ولكنّ الناصرَ ٱستطاعَ أن ينتصر على الإسبان، سَنَةَ ٦٩١ (١٢٩٢ م) في مَعْركَةٍ بحريةٍ ٱنتصاراً باهراً. وكذلك ثار على الناصرِ نفرٌ من الناقمين في المغرب نفسِه وٱستعانوا باليهود الساكنين في المغرب، فتغلّبَ الناصر على هؤلاءِ جميعاً. ولكنّ الناصرَ لم يَنْجُ من المؤامراتِ فقدِ ٱغتالَه أحدُ خِصيانِه، سَنَةَ ٧٠٦ (١٣٠٦ م).

وٱمتدّ بعدَ الناصرِ عصرٌ من الضَّعف طويلٌ. ومَعَ أن السُلطانَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ عُثمانَ (٧٣١ - ٧٥٢ هـ) يُعَدّ في السلاطين الأقوياء الحازمين، فإنّ أيامَ حكمِهِ الطويلةَ كانتْ مملوءةً بالقلاقل الداخلية والخارجية. ولم يَعْرِفِ المغربُ آنذاك عِزّةً صحيحةً وٱزدهاراً مُستقراً إلّا في أيام أبي عِنانٍ فارسٍ.

أبو عنان

أشهر سلاطينِ بني مرينِ المتأخرين أبو عِنانٍ فارسُ بنُ الحسنِ (٧٥٢ - ٧٥٩ هـ)، فإنّه لمّا ٱستتبّ له الأمرُ ٱستردّ تِلمْسانَ (٧٥٣ هـ) من يدِ سُلطانِها أبي سعيدٍ الزّيّانيّ أحدِ بني عبدِ الواد[1] الذين كانوا قد نازعوا بني مرينٍ على جانبٍ من المَغْرب، ثمّ قتله. وصمد[2] أبو ثابتٍ الزعيمُ بنُ عبدِ الرحمن، بعدَ أبي سعيدٍ الزناتيّ، لبني مرينٍ ولكنّ أبا عِنانٍ هزمه فتمّتْ سيادةُ بني مرينٍ على المغرب الأوسط (القُطر الجزائري).

وكذلك ٱستولى أبو عنانٍ على جانبٍ من إفريقيَة (المَغْرب الأدنى - القطر التونسي). ثمّ إنّ عهدَ أبي عنانٍ في المُلك كان عهداً ٱستبحرتْ فيه الحَضارةُ وٱتّسعَ

(١) في إحدى زوراتي للجزائر لحضور عدد من ملتقيات الفكر الإسلامي سألت عن هذا الاسم «عبد الواد». وقد قال لي مرّة الشيخ سليمان داوود بن يوسف - وهو من أفاضل المؤرّخين ومن علماء الأباضية - أن المفروض أن يكون أصل هذا الاسم «عبد الواحد». غير أنّه لم يشأ أن يقطع في ذلك.

(٢) صمد: قصد، هاجم (والعامّة يستعملون هذا الفعل بمعنى «ثبت»).

العــلمُ وعمّ العُمرانُ وآرتقتِ الثقافــة، فَقَــدْ بنــى أبو عنــانٍ المــدارسَ والزوايا - وآشتهرتِ المدرسة البوعنانية في فاسَ بما كان فيها من آثارِ العُمران والزُخْرُف وبما ضمّتْ من الطلّاب ومن مجاميع الكتب. ويكفيه فخراً أن العلّامَة عبدَ الرحمنِ بنَ خَلْدونٍ آختار أنْ يَنْزِلَ عنده لمّا بارح بلدَهُ تونسَ. ثمّ كتب « مقدّمته » الشهيرةَ وقدّمها إليه.

غيرَ أنّ كلَّ هذا الإحسانِ لم يُنْقِذْ أبا عِنانٍ من يدِ الطُغيان فقد قتله وزيرُه الحسنُ بنُ عُمَرَ الفودوديُّ (٧٥٩ هـ = ١٣٥٨ م).

بنو وطّاس

في ذلك الحينِ لم تكُنِ الحدود ثابتةً بين القُطر الجزائريّ والقُطر المَغْربي (المغرب الأقصى). وكذلك لم يخلُصِ الحُكم في المغرب لبني مَرينٍ، فقدِ آستبدّ بنو عبدِ الواد (عبدِ الواحدِ؟)[1] - وهم فَرْعٌ من بني زَيّان - بالحُكم في تِلِمْسانَ (٦٣٣ - ٧١٨ هـ) ثمّ عاد الحُكم في تلمسان إلى المَرينيّين مُدّةً. ثمّ عاد فرعٌ آخرُ من بني زَيّان إلى الحكم، سَنَةَ ٧٦٠ (١٣٥٩ م).

ولمّا انقرضتْ دولة بني مرين عاد الأمر كلُّه إلى فرعٍ من بني مرينٍ يعرفون ببني وطّاس. ولم يكن في أيام بني وطّاسٍ سِوى النزاع الداخلي الذي فَسَحَ المجالَ أمامَ البرتغاليّين للاستيلاء على مُعْظَمِ شواطىءِ المغرب. لقد بلغ المغرب في أيام الدولة الوطّاسية دَرْكَ النِزاع والفساد. وفي سَنة ٨٩٧ (١٤٩٢ م) سقطتْ غَرْناطةُ آخِرُ بلادِ المُسلمين في الأندلس، فانتقلَ جماعاتٌ من المسلمين من الأندلس إلى المغرب.

وعاشت الدولة الوطّاسية - مَعَ كلّ ما كان فيها من القلاقل والفِتَنِ - إلى سَنَةِ ٩٦١ (١٥٥٤ م) لما انبسط الحكم العُثماني على الجزائر.

القطر الجزائري

كلُّ بلادٍ تؤلّفُ دولةً تَتْبَعُ في آسمها وفي إدارتها كُرسِيَّ (العاصمة) فيها. وبما أن

(١) راجع، فوق، الصفحة السابقة، الحاشية الأولى.

الأقطار المَغْربية كان فيها كُرْسِيّان للحكم (عاصمتان) إحداهما مدينةُ تُونِسَ في المغرب الأدنى (القُطر التونسي) والثانيةُ منها مَرّاكُشُ في المغرب الأقصى، فإنّ القُطرَ الجزائري كان، في الواقع، مقسوماً بين تَيْنِكَ العاصمتين، ولم يكنْ في القطر الجزائريّ دولةٌ عامّة - برُغْمِ ما نشأ فيه، بينَ الحينِ والحين، من الدُويلاتِ الخاصّة - مرّةً تزيدُ حُصّةُ تونس منه ومرّة تزيدُ حصّة مَرّاكُشَ.

من أجل ذلك كانت أقسامٌ مختلفةٌ من القطر الجزائريّ تتْبَعُ مرّةً حكم الحَفْصيّين في تونسَ ومرّةً حُكمَ المَرينيّين في مَرّاكُش.

ومَعَ أنّ اعتداءَ الإفرِنْجِ (من الإيطاليّين والفرنسيّين والإنكليز وغيرِهم) كان كثيراً على طولِ الشواطىء المغربية، فإن شواطىءَ القُطر الجزائري نالَها من ذلك الاعتداء نصيبٌ أكبرُ لوقوعِ القُطر الجزائريّ في وَسَطِ تلك الشواطىء.

ولقد شاركَ أبناءُ القُطر الجزائريّ في هزيمةِ الحَمْلة الصليبية التي قادَها القدّيسُ لويسُ على قَرْطاجَة (شماليَّ مدينةِ تونس) مُشاركةً فعّالة، سَنَةَ ٦٦٩ (١٢٧٠ م).

وعانتْ شواطىءُ القُطر الجزائري من القَرْصنة الأُوروبيّة شرًّا كثيراً. وكان القراصنة الأوروبيّون يُغيرون على الشواطىء ويَخْطَفون الذين يتّفق وجودُهم هناك. كان القَراصنةُ يَحْمِلون أولئك المخطوفين إلى أقطارِ أوروبَة ويبيعونهم رقيقاً مُستَعْبَدين. ولم يكنِ في القَرْصنة عُنصرٌ ٱقتصاديٌّ تِجاريّ فحَسْبُ، بل كان فيه عنصرٌ دينيٌ صليبيّ أيضاً. ولما طالَ شرُّ القرصنة على الشواطىء من القُطر التونسي خاصةً، نشأتْ هنالك حركةٌ إسلاميةٌ للجِهاد تولاها المجاهدان العُثمانيان خيرُ الدينِ وأخوه عَروجُ. والقرصنة الأوروبية لم تكن مشاريعَ فرديةً شعبيةً، بل كانتْ حَرَكَةً دوليةً جَماعيةً ولكن يتولاها في الظاهر أفرادٌ. إن الدُوَلَ الأوروبية (إيطالية وإسبانية والبرتغال خاصة) كانتْ بينَ الحينِ والحين، حينما تستطيعُ، تحتلُّ عدداً من المدن الساحلية في القُطر التونسي أو القُطر المغربي أوِ القطر الجزائري. وفي سَنَةِ ٩١٠ (١٥٠٤ م) احتلَّ الإسبانُ المَرْسى الكبيرَ في وَهْرانَ. ولم يَبْقَ الجِهادُ الفرديُّ قادراً على أنْ يدفَعَ الاعتداءَ الدوليَّ، فاستَنْجَدَ أهلُ الجزائرِ بالعُثمانيين فجاء العثمانيون

لِنَجْدَتِهِمْ وبدأوا في المَغْرب حُكْماً إدارياً امتدّ فيما بعدُ إلى تُونِسَ ولكنْ لم يَصِلْ إلى المَغْربِ الأقصى.

أما على الصعيدِ الداخليّ فإنّ زَيّانَ بنَ أبي حَمّو الثاني تَوَلّى تِلِمْسانَ سَنَةَ ٧٩٦ (١٣٩٣ م) وقطَع دعوةَ المَرينيين. من ذلك الحينِ يمكنُ أن يُقال إن جانباً من الجزائر قد أصبحَ له شكلٌ دوليٌّ خاصٌّ. هذا الشكلُ الدوليُّ الخاصّ الذي نشأ في تِلِمْسانَ، بعيداً عن الساحل، استمرَ مدةً إلى ما بعدَ الحُكمِ العُثماني.

ليبيا

كان تاريخُ ليبيا، في هذه الحِقبة، منذ ٧٢٤ هـ = ١٣٢٤ م، يدور حول طرابُلُس الغرب في الأكثر. ولقد تولّى طرابلسَ بنو ثابتِ بنِ عمّارٍ غيرَ مستقلّين بها لأنّ الحَفصيّين والمَرينيّين والإفرنجَ كانوا يتنازعونها ويتداوَلون الحُكمَ عليها. ولم يكن في مقدورِ وُلاتِها من بني عَمّارٍ أكثرَ من أن يَرْضَوْا بالدولة التي تسيطر عليهم أو أن يستظهروا بالعرب (البدو) على مقاومة الدول مقاومةً محدودة.

وفي سَنَةِ ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) استولى تُجّارُ جَنَوةَ الإيطاليّون على طرابلسِ الغربِ فتكاتف على افتدائها نفرٌ من السلاطين والأمراء والناس منهم أبو عِنانٍ المَرينيُّ المشهور، ومنهم أبو العبّاس أحمدُ بنُ مكّيٍ صاحبُ قابسَ (وقابس مدينةٌ ساحليةٌ في جَنوبيّ القُطر التونُسي) وبعضُ أهل الحامَةِ والجَريد (في جَنوبيّ القطر التونُسي أيضاً).

ومَعَ أنّ آلَ ثابتِ بنِ عمّارٍ كانوا في أواخرِ أيامهم خاضعين للدولة الحفصية في تُونِسَ، فقد أدركَ أبو فارسٍ عَزّوزٌ (عبدُ العزيز الحفصي) أنّ آلَ عمّارٍ ليسوا قادرين على حِمايةِ طرابلسَ من الإفرِنْجِ فسار إليها واستولى عليها فانقرضتْ بذلك وِلايةُ بني عمّارِ بنِ ثابتٍ (٨٠٣ هـ = ١٤٠١ م).

ولّما بدأ الضّعْفُ يَدِبّ في الدولة الحفصيّة عادتِ القلاقلُ إلى طرابُلُسَ فَطَمِعَ الإسبانيّون بها وٱستولَوْا عليها (٩١٦ هـ = ١٥١٠ م). وٱضطربت الأمورُ في ليبيا حتى أنقذها الحكمُ العثمانيُّ، سَنَةَ ٩٥٨ = ١٥٥١ م، من ذلك الاضطراب.

السودان الغربي (أو المغربي)(*)

السُّودانُ هو المِنْطَقة المُمتدّة في قارّة إفريقية (جَنوبَ مِصْرَ وليبيا والقُطْرِ الجزائريّ والقطر المَغْربي) من البحرِ الأحمرِ شرقاً إلى بحر الظُّلُمات (المحيط الأطلسي: الأطلنطيقي) غرباً. وهذه المِنطقة تقعُ، عِنْدَ الجُغْرافيّينَ العربِ، شَمالَ خطِّ ٱلآستواء، ذلك لأنّ قُدماءَ الجغرافيين مُنْذُ أيام اليونان قد ظنّوا أنّ ما وراءَ (جَنوبَ) خطّ الآستواء بِحارٌ أو قِفارٌ أو غاباتٌ كثيفةٌ تَمْلأُها الوُحوشُ الضاريةُ والهوامُّ المُهْلكة، وأنّها لا تَصْلُحُ لسُكْنى البَشَر.

ولمّا قَسَمَ القُدَماءُ «الرُّبْعَ المَعمورَ» (الجانبَ المَسْكونَ) من الأرض (ما بينَ خطّ الآستواء والقُطْبِ الشَّماليّ) جَعَلوه سبعةَ أقاليمَ (أوْ مُناخاتٍ) وجَعَلوا السودانَ في الأقليمين الأوّلِ والثاني وعدُّوهما «مُنْحَرِفَيْنِ عنِ ٱلآعتدال» لِشدّةِ الحَرِّ فيهما، ثم لِقِلّة مُوافَقَتِهما للسُّكنى ولِنَشْأة الحضارة.

وهذا السودانُ قِسمانِ شرقيٌّ وغربيٌّ. والقِسمُ الشرقيُّ منه يُعْرَفُ اليومَ بٱسمِ السودانِ المِصريّ (بحُكم الجِوار) - وهُوَ جُمهوريّةُ السودانِ - وفي السودانِ الشرقيِّ كينيا (جنوبَ جمهوريّة السودان) وأوغندة وجانبٌ من حَوْضِ نهر الكونغو (وإن كانَ حَوْضُ نهرِ الكونغو أحقُّ أن يُنْسَبَ إلى أواسط إفريقية. ولا صلةَ كبيرةً له الآنَ ببحثِنا لأنّ الإسلامَ دَخَلَ إلى حوض الكونغو في زمنٍ متأخّرٍ عن العصرِ الذي نعالجه).

وأمّا القِسمُ الغَرْبيّ من السودانِ فيَمْتدُّ من الحدودِ الغربيةِ لجُمهوريّة السودان اليومَ إلى الشواطىءِ الواقعةِ على المُحيط الأطلسي من الغَرْبِ ومن الجَنوب. ويدخُلُ فيه (في السودانِ الغربي: غربيِّ إفريقية) شادُ وبلادُ النكّار (النيجرِ) ومالي والسّنغالُ وبلادُ غانَةَ وساحلُ العاج وما يُجاوِرُ هذه كلّها من الأقسام السياسية الحديثة.

بدأ دخولُ الإسلامِ إلى السودانِ الغَرْبِي مُنْذُ القرنِ الرابعِ للهِجْرة (العاشر

(*) راجع الحاشية على الصفحة ٢٥ والمتعلّقة بضبط الأعلام الجغرافية وأسماء الأشخاص والقبائل في هذا الفصل، وخصوصاً فيما يتعلّق بالسودان الغربي.

للميلاد) من طريقِ التجّار المُتردّدين على المناطق المُختلفة. ثمّ زادَ ٱنتشارُ الإسلام مَعَ قيامِ حَرَكةِ المُرابطينَ في القرن التالي. ولقد كان لدولةِ المرابطين (٤٤٨ - ٥٤١ هـ) خاصّةً ثمّ لدولة المُوحّدين (٥٢٤ - ٦٦٧ هـ) أثرٌ كبيرٌ في ٱزدياد ٱنتشارِ الإسلام.

والبحث في جُغرافيّة السودانِ الغربيّ وتاريخِه مُعَقّدٌ جدًّا لأسبابٍ منها أسماء الأمكنةِ التي تَرِدُ على صُوَرٍ مختلفةٍ بٱختلافِ لَهجات السُكّانِ الكثيرةِ. ثمّ إنّ هذه الأسماءَ قد تكونُ أحياناً أسماءَ قبائلَ. أضِفْ إلى ذلك كُلّهِ أن هذه الأسماءَ نفسَها لا تُطْلَقُ عادةً على أماكنَ مُتَحَيِّزَةٍ، ذلك لأنّ مساكنَ القبائلِ تَتَداخَلُ ثمّ تَتّسعُ وتضيقُ بحَسْبِ ٱمتدادِ سُلطةِ رُؤَساءِ القبائلِ أو تقلُّصِ تلك السُّلطةِ.

وبعدَ ذلك تأتي الرِواياتُ التاريخيّةُ المُتضاربةُ والمُختلطةُ بالخُرافاتِ وما تَنْساهُ الذاكرةُ الإنسانيةُ من الأحداثِ ثمّ ما تُضيفُه من الأحداثِ إلى ذلك القَصَصِ الشّعبيّ القائمِ على النَّقْلِ الشَّفَويّ من جيلٍ إلى جيلٍ.

ثمّ إنّ معالجةَ الحياةِ السياسية في السودانِ الغربيّ لا يُمكِنُ أن تكون على أساس الوَحَدات السياسية (الدُّوَل) التي نَعْهَدها في أيامنا، بل على أنها مِساحاتٌ من الأرض تضيقُ أو تَتّسِعُ بحَسْبِ قوّةِ المُتَغَلّبين عليها من أرباب الأُسَر ورؤساء القبائل.

حوض التّكّار وحوض السنغال

يبدأ نهرُ النيلِ الغربيُّ (التّكّار)، تمييزاً له من نهرِ النيلِ الشرقيّ أو نيلِ مِصْرَ[١] من غربيّ إفريقيَةَ، مُتّجِهاً نحوَ الشَّمال الشرقيّ حتّى يَصِلَ إلى نُقطةٍ عند طَرَف الغابات الآستوائية على الحدود الجَنوبية من الصحراء الكبرى، ثمّ يَعْطِفُ نحوَ الجَنوب ويَسْتَمِرُّ على سَمْتِهِ (في ٱتجاهه) إلى أن يَصُبَّ على مقرُبَةٍ من خليج فرنانـدوبو اليومَ.

وأما نهرُ السَّنَغال فيقعُ في الطَرَفِ الجَنوبيّ الغربيّ من السودان المغربي: يبدأُ في مِنطقةِ فوتا جالون (بلاد فَوْتَ) ثمّ يَتَّجِهُ شَمالاً. وبعدَ ٱنحناءٍ شديدٍ يتّجهه غرباً لِيصُبَّ

(١) في مقدّمة ابن خلدون (٥٤/٩٢): « .... ويسمّى نيل السودان، ويذهب إلى البحر المحيط فيصبّ فيه عند جزيرة أوليك (؟). وعلى هذا النيل مدينة سلا (قرب الرباط، في المغرب) وتكرور وغانة - وكلّها لهذا العهد في مملكة ملك مالي.

في بحر الظُلُمات (المحيطِ الأطلسي) شَمالَ العاصمةِ دكَارَ، عندَ بلدةٍ جديدةٍ هي سان لويس. ومَعَ أنّ كَلِمةَ تكرور تُطلَقَ، عِنْدَ المسلمين، على مُعْظَمِ السودان الغربي، فإنّها أكثرُ آنطباقاً على ذلك الجزءِ الغربيّ الذي يُسمّى بعضُه (على بحرِ الظلمات) « السنغال ».

الإسلام في السودان الغربي

إنّ آنتشارَ الإسلامِ في السودان يَرْجِعُ إلى جُهود جماعة من البربر يحسن الكلام على نفر منهم هنا.

البربر أوِ السكّان الذين كانوا في المغرب عند الفتح الإسلامي قِسمانِ رئيسان: البرانس والبُتْر. ومن البرانس: صِنهاجةُ وكُتامَةُ. « وتحت صِنهاجَة قبائلُ كثيرةٌ تنتهي إلى السبعين منهم لَمْتونةُ وكَدّالةُ (بكاف معقودة) ومَسوفة..... وتحت هذه القبائل بطونٌ وأفخاذٌ تَفوتُ الحصرَ...... ومن صِنهاجَة « المُلَثّمون »..... ومَوْطِنُ هؤلاءِ المُلَثّمين أرضُ الصحراءِ والرِّمالُ الجَنوبيّةُ فيما بينَ بلادِ البربر وبلادِ السودان.... وكان دينُ صِنهاجَة أهلِ اللِّثامِ المجوسيّةَ فدخلوا في الإسلام بعدَ فتحِ الأندلس (٩٢ للهجرة = ٧١١ م). وكانتِ الرِّئاسةُ فيهم لِلَمْتونةَ. وثَبَتَ مُلْكُ لمتونة وطال فجاهدوا أُمَمَ السودان ودَعَوْها إلى الإسلام، فدانَ بالإسلام كثيرٌ من أهل السودان.

ثمّ آفترقَ أمرُ لَمْتونةَ بعدَ ذلك وأصبحَ مُلْكُهم طوائفَ وأصبحتْ رئاستُهم شِيَعاً، مُدّةً من الزمن - نحوَ مِائَةٍ وعِشرين سَنَةً - إلى أن قام فِيهِمُ الأميرُ أبو عبد الله محمّدُ بنُ تِيفاوُتَ المُعروفُ بتاسَرْتَ اللَّمتونيُّ فآجتمعوا عليه وبايعوه.

ولمّا تُوُفِّيَ محمّدُ بنُ تيفاوُتَ قامَ بأمرِ صِنهاجة يحيى بنُ إبراهيمَ الكَدّاليّ، وكان بنو صِنهاجة يسكُنون الصحراءَ التي تَليها من الجَنوب غاباتُ بلادِ السودان ويَليها من الغَرْب البحرُ المحيط. وكان آبْنُ تيفاوُتَ يُتابعُ الجِهادَ في بلادِ السودان للدفاعِ عن قبيلتهِ صِنهاجةَ ولِنَشْرِ الإسلام.

وفي سَنَةِ ٤٢٧ للهجرة (١٠٣٥ م) ذهب يحيى بنُ إبراهيم إلى الحجّ. ولَمّا رَجَع مرّ

بالقَيْروان فَلَقِيَ فيها أبا عِمرانَ موسى بنَ عيسى الغَفْجوميّ الفاسيّ. وخاطبه في أمر البربر الذين يَعيشون في جَنوبيّ المَغْرب وأنّهم لَيْسوا على علمٍ كافٍ بأمورِ الإسلام. فكَتَبَ أبو عِمرانَ رِسالةً إلى أحدِ أتباعهِ واجاجَ بنِ زَلُو[1] اللَّمطيّ (وكان يسكُنُ في بلدةِ نَفيسٍ، على مَقْرُبَةٍ من سِجِلْماسةَ - جَنوبَ جبالِ الأطلس عندَ الحُدود الشّمالية للصحراء) وأعطاها لِيَحْيى بنِ إبراهيم. فأشار واجاجُ على أحدِ طُلّابه عبدِ الله بنِ ياسينَ الجَزوليِّ[2] بأنْ يُرافِقَ يحيى بنَ إبراهيم. وكان ذلك في رَجَبَ من سَنَةِ ٤٣٠ (ربيع عام ١٠٣٩ م)[3].

ورأى عبدُ الله بنُ ياسينَ أنّ أفضلَ الوسائلِ لِتَنْشِئَةِ جيلٍ يقومُ بالجِهاد ويَحْمِلُ الدَّعوةَ إلى الإسلام إقامةُ رِباطٍ (أو رباطةٍ) في نَهْرِ النيل الغربيّ (النِيجَر) يربّي فيه أتباعَه تربيةً خالصةً مقطوعةً من مشاكلِ البيئة الآجتماعية العامّة.

في هذه الأثناء تُوُفِّيَ يحيى بنُ إبراهيمَ الكدّاليُّ فآختارَ عبدُ الله بنُ ياسينَ من قبيلةِ لَمْتونَة أميراً على فروعِ قبيلةِ صِنهاجَة هو يحيى بنُ عُمَرَ اللَّمتونيُّ، وظلّ عبدُ الله بنُ ياسينَ صاحبَ دَعوةِ المرابطين (نِسبةً إلى الرِباطة التي كان عبدُ الله بنُ ياسينَ قد أقامها في نهر النيل الغربي). غيرَ أنّ عبدَ الله بنَ ياسينَ كان في الحقيقة الحاكمَ الفِعْليَّ من وراءِ يَحْيى بنِ عُمَرَ.

وعبدُ الله بن ياسينَ لم يَكْتَفِ بالدعوة بالكَلِمَةِ الحَسَنة، بل جَعَلَ يُجاهِدُ قبائلَ البربرِ في جَنوبيّ المَغْربِ حتّى حملها جميعاً على الطاعة ونشّأها على الدين الخالص (السلوك الخالي من شوائب الوثنيّة) وجعلها قوّة سياسيّة مرهوبة الجانب.

ثمّ تُوُفِّيَ يحيى بنُ عُمَر اللَّمْتوني، سَنَةَ ٤٤٧ للهِجرة فقدّمَ عبدُ اللهِ بنُ ياسينَ لِرئاسةِ صِنهاجَة أخاً ليحيى بنِ عُمَرَ هو أبو بكرِ بنُ عُمَرَ، في المُحَرّمِ من سَنَةِ ٤٤٨ (أولِ أيامِ الربيع من عام ١٠٥٦ للميلاد).

---

(١) زلْو (بزاي ساكنة).

(٢) قبيلة كزولة (بكاف معقودة ساكنة، تلفظ كما يلفظ أهل القاهرة الجيم: جزولة). أما حركة هذه الجيم فتكون بالفتح (وهو أشهر) وتكون بالضم.

(٣) كانت وفاة أبي عمران الفاسيّ سنة ٤٣٠ هـ.

وفي سنة ٤٥١ للهجرة (١٠٥٩ م) تُوُفِّيَ عبدُ الله بنُ ياسينَ، ورأى أبو بكرِ بنِ عُمَرَ أنّ العِبءَ أثقلُ من أن يَحْمِلَه رجلٌ واحدٌ فعَهِدَ إلى ٱبنِ عمٍّ له هو يوسفُ بنُ تاشفينَ بنِ إبراهيمَ اللَّمْتونيُّ وفوّضَ إليه جانباً من الأمر السياسيّ ومِنَ الجِهاد في قبائلِ البربرِ القريبةِ من شَمالِيِّ المَغْرب وبَقِيَ هو يُجاهِدَ في الجَنوبِ قريباً من بلادِ السودان. ولكن في ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٤٥٣ (مطلع عام ١٠٦١ م). نظّم يوسفُ بنُ تاشفينَ الجيشَ الذي كان بإمْرَتِهِ، وكان - كما بدا فيما بعد - يُريدُ الٱستقلالَ بالحُكم. ولقد كانتْ رَغبةُ أبي بكرِ بنِ عُمَرَ في الجِهاد والدعوةِ في بلادِ السودان أكبرَ عندَه من الرَّغبة في الحُكْم السياسيّ، فلم يُقاوِمْ عَمَلَ يوسُفَ بنِ تاشفين.

وظلّ أبو بكرِ بنُ عُمَرَ يُجاهِدُ في الجَنوب ويدعو حتّى أدْرَكَتْهُ الوَفاةُ، سَنَةَ ٤٨٠ للهجرة (١٠٨٧ م). في ذلك الحينِ كانَ الإسلامُ قدِ ٱتّسعَ ٱنتشارُه في بلادِ السودان وبدأتْ تَنْهَض في السودانِ دُوَلٌ مُسلمةٌ.

مالّي أو مالي[١]:

على ضِفاف نهرِ النيل الغربيّ هذا مُدُنٌ مُهِمّة (زال عددٌ منها منذُ زمنٍ). من هذه المُدُنِ كلِّها (ٱبتداءً من منابعِ النيجر): جارِبُ، كانكابا، برمكو[٢]، نياني (مالي القديمة)، جنّة، دِيا، ثمّ (قبلَ ٱنعطافه جَنوباً) بامبا. وعلى مسافةٍ قليلةٍ من هذا المُنعطَفِ (إلى الشَّمال الغَرْبي) تقومُ مدينةُ تنبكت (تمبكتو)، ثمّ بعدَ ٱنعطافه مدينة كاو. (كاغو).

والمدينةُ التي تُعْرَفُ اليومَ بٱسْمِ مالي بُنِيَتْ على هَضَبة تكثُرُ فيها الزراعةُ، بناها أحدُ شيوخِ جماعاتِ مَندةَ في زَمَنٍ لا نُحَقِّقُه، ولكنْ - على كلِّ حالٍ - قبلَ القرنِ الرابعِ للهجرة (العاشرِ للميلاد). والعاصمة الأولى لهذه المملكة كانت جارب في أعلى

(١) بلاد مالي (اليوم) كانت تعرف عند المسلمين باسم بلاد التكرون (بالنون في آخرها) ويقال لها اليوم « التكرور » (بالراء). وكان هذا الاسم يطلق أيضاً على معظم بلاد السوادن الغربي (غربيّ أفريقية).

(٢) برمكو (في المصادر الأجنبية وفي المصادر العربية الحديثة): باماكو.

نهرِ النكّار (النيجر قريباً من منابعه) في مِنْطقة كانشابا. ودَخَلَ الإسلام إلى كانشابا وعَمَّها مُنْذُ القرن الرابعِ للهِجرة (الحادي عَشَرَ للميلاد).

ومالي دَخَلَها الإسلامُ من طريقِ التُجّارِ، في نحو ٤٠٠ للهجرة (١٠١٠ م)، وفي سَنَةِ ٤٤٢ للهجرة (١٠٥٠ م) ٱعتنَقَ مَلِكُها باراماندانا[١] الإسلامَ. وأدّى هذا الملك فَريضةَ الحجّ، فكان بذلك قُدوةً لجميعِ ملوكِ مالي الذين جاءوا بعدَه.

ومرّ من الزمن قرنانِ كان - في أثنائها - تاريخُ مالي القائمُ على الرواياتِ الشعبيّة (مثلَ غيرِه من تاريخ بلاد السودان) كثيرَ الغُموض. في هذه الحِقبة، ونحوَ سَنَةِ ٤٩٥ للهجرة (١١٠٠ م)، كان المَلِكُ موسى كَتَع - والمُلقّب: عَلّا كُيْ (كُيْ بِضمّ فسكون: الرئيس) - قد أدّى فريضةَ الحجّ أربعَ مرّاتٍ، فيما قيل. غيرَ أنّ التاريخَ السياسيَّ الواضحَ لِمَمْلكةِ مالي يبدأ بمجيءِ ملكٍ ٱسمه سُنْ دياتا.

إلى الشَّمالِ الغربي من مِنطقة مالي كانتْ تقوم بلدةُ صوصو (وربّما كانتْ « صوصو » ★ٱسماً لِمقاطعةٍ ولِلُغَةٍ أيضاً). ففي سَنَةِ ٦٢١ للهجرة (١٢٢٤ م)، أو بعدَ ذلك بقليلٍ، ٱستَوْلى سومان غورو سيّدُ صوصو على ماندِنْغ[٢] (ٱسم مالي القديم) وأخذَ أبناءَ مَلِكِها الٱثْنَيْ عَشَرَ وقَتَلَهُمْ إلّا واحداً كان كسيحاً (مُقْعَداً) يُدعى سُنْ دياتا (السيّد الأسد).

ٱستطاع سُنْ دياتا، برُغْمِ عاهتِه، أن يهرُبَ من أسْر سومان غورو وأن يجمَعَ حولَه أنصاراً ويقاتلَ بهم ثمّ يستعيدَ ماندنغ من يَدِ سومان غورو، سَنَةَ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م). وأحَبَّ سومان غورو أنْ يستردَّ ما فَقَدَهُ في حربِ سُنْ دياتا، فَنَشِبَتْ بينَ المَلِكَيْنِ معركَةٌ في كيريني، عند مدينة كوليكورو (شَمالَ برمكو)[٣] فٱنهزم سومان غورو وسَقَطَ في المعركةِ قتيلًا. وتابعَ سُنْ دياتا فُتوحَه حتّى ٱستطاعَ أن يُلْحِقَ إمبراطوريّة صوصو كلّها بِمَمْلكتهِ. ونحوَ سَنَةِ ٦٣٨ للهجرة (١٢٤٠ م) ٱسْتَوْلى على غانَة وخرَّبَها.

---

(١) برما (أو باراما) ثم ندنا (أو ندانا) بإدغام النون في الدال. ولعل له صيغاً أخرى.

(٢) ماندنغا (اسم قبيلة). ★ أو « كوكو » أيضاً.

(٣) في الكتب الحديثة: باماكو.

ولمّا آتّسعتْ مملكةُ سُنْ دياتا أصبحتْ عاصمتَهُ جارِبُ (في مقاطعة كانغابا) في أعالي حوضِ النيجرِ متطرّفةً جدًّا: مُوغلةً في الغابات الآستوائية وبعيدةً عن طريق القوافل، فبنى مدينةً - على نَحْوِ مِائَتَيْنِ وثَلاثينَ كيلومتراً شَمَالَ جارِبَ - سمّاها، على الأرْجَحِ، نيامي. أمّا قبائلُ الفولاني[1] (في الغرب) فيقولون فيها: مالي وميلي (بإمالة الياءين)، والبربرُ يقولون: ميل ومِيليت (بإمالة الياءين الأولَيين). والعربُ يقولون: ماليل ومِيليل (بإمالة الياءاتِ الثلاثِ). أمّا الهَوْسا (وهم جماعاتٌ لغويّةٌ لا عِرقيةٌ) فيقولون: وَنْكَرْ.

وبعدَ سَنَةِ ٦٣٨ للهجرة لم يَقُمْ سُنْ دياتا بحَمَلاتٍ جديدة، ولكنَّ قُوادَه آستطاعوا أن يُوسعوا رُقعةَ الإمبراطوريّة. وفي النِّصف الثاني من القرنِ السابع للهجرة (والنصف الثاني من القرن الثالثَ عَشَرَ للميلاد) بَلَغَتْ إمبرطوريّة مالي أقصى آتّساعِها وذِروةَ عَظَمَتِها.

وفي مَدى جيلٍ من الدهر (٦٧٠ - ٧٠٧ للهجرة) بعدَ سُنْ دياتا، تَوالَى على عرشِ مالي خمسةُ مُلوكٍ أو يَزيدون لم يكنْ فيهم مَنْ يَسْتَحِقُّ لَقَبَ مَلِكٍ سوى مَوْلًى (عبدٌ رقيقٌ أعتقه سيِّدُه) يُدعى سَبَكورا أو سكورا (٦٨٤ - ٧٠٠ هـ) آغتصب العرشَ ولكنْ ردَّ إلى مالي شيئاً من عَظَمَتِها.

ثمّ جاء أشهرُ ملوكِ مالي في صَفَحات التاريخ: مَنْسا موسى أوِ المَلِكُ موسى (٧١٢ - ٧٣٨ هـ) فزادَ في آتّساعِ رُقْعة الإمبراطوريّة. وآشْتَهَرَ منسا موسى بقِيامِه بِالحَجّ سَنَةَ ٧٢٤ للهجرة (١٣٢٤ م)، فإنّه حَمَلَ مَعَه مالاً كثيراً وآصْطَحَبَ حاشيةً وفيرةً وتَصَدَّقَ بأموالٍ كثيرة.

ولمّا عاد مَنْسا موسى إلى السودان آصْطحبَ نفراً من العُلماءِ والأدباءِ، يحسُنُ أنْ نذكُرَ منهم هنا الشاعرَ الغَرْناطيّ إبراهيمَ بن محمّدٍ الساحليِّ المشهورَ بالطُوَيْجِنِ[2]، وكان مُهَنْدِساً أيضاً أدخَلَ البناءَ بالطابوق أو القِرميد (الطين

(١) فلّاتا (بالفاء وشدّة على اللام ثمّ تاء مثنّاة من فوقها) إسم قبيلة. والفلّاتي (بفتح الفاء وتشديد اللام وتاء قبل الياء الأخيرة) والفلّاني (بضمّ الفاء وتشديد اللام ثمّ نون قبل الياء).

(٢) في الإحاطة (١: ٣٣٧ وما بعد): دخل إلى بلد السودان فاتّصل بملكها واستوطنها زماناً طويلاً. كانت وفاته ٧٤٧ هـ (راجع ترجمته في هذا الجزء).

المطبوخ) وبنى عدداً من المساجد في تُنْبُكْتُ وكاغو، على الطريقةِ الهَرَمِيَة (بسطوح عالية مَخْروطة تنتهي بنقطة) ممّا يساعد على تخفيف الحرّ عن المصلّين.

وبعدَ منسا موسى هذا بدأ آنحدارُ إمبراطوريّة مالي.

غانة

غانةُ، في الأصلِ، لَقَبٌ للملوكِ الذين حكموا تلك البلادَ التي عُرِفَتْ فيما بعدُ بآسمِ غانة. ثمّ أُطْلِقَ هذا الآسمُ «غانةُ» على عاصمةِ المملكةِ وعلى البلادِ الداخلةِ في حُكْمِ تلك المملكة. ويبدو أنّ عاصمةَ إمبراطوريّة غانَة كانت في وعكري أو في قُنبَ (قُنْبَ صالحٍ، وَهِيَ الآنَ خرائبُ على نحوِ مِائَتَيْ ميلٍ - ثلاثِمِائَةِ كيلومترٍ شَمالَ برمكو)[1].

وقيمةُ غانةَ في التاريخ تَرْجِعُ إلى مَعْدِنِ الذهب الكثيرِ في أرضها. ثمّ هي مملكةٌ قديمةٌ عَرَفَها التاريخُ منذُ القرن الثاني قبلَ الميلاد. وقد كانتْ أكبرَ ممالِك السودانِ في غربيّ إفريقية.

في أواسطِ القرنِ الثاني للهجرة (نحو ٧٧٠م) كانت تحكم غانةَ أسرةٌ سودانيةٌ من السُنْغي[2]، وكان النزاعُ بينَ هذه الأسرةِ وبينَ قبائلِ البربر في الشَّمال شديداً. وفي سَنَةِ ٣٨٠ للهجرة (٩٩٠م) آحتَلّتْ قبيلةُ لَمتونَة مدينةَ أُوداغَشّتَ (أو أوداغُسْتَ)، وجعلَتْها مركزاً تجاريًّا كبيراً. هذه المدينةُ قد زالتِ الآنَ، ولا نَعْرِفُ مَوْقِعَها بالتدقيق. غيرَ أنّ ذلك لم يَمْنَعِ الأُسرةَ السُنغيّةَ من البقاء في الحكم ومن مَدّ حُدودِها ما بين تُنْبُكْتَ والبحرِ المُحيط (الأطلسي) ما بين نهر النيل الغربي (النيجر) ونهر السنغال. وذلك في القرن الخامس للهجرة (الحادي عَشَرَ للميلاد).

---

(١) راجع، فوق، ص ٤٠، الحاشية الثانية.

(٢) تلفظ «صغاي» (بصاد مضمومة ثمّ غين كأنّها قاف ثمّ نون خفيفة كأنّها مضمرة: مدغمة في الياء). ولعل معناها: السنّي، نسبة إلى سنّة رسول الله (؟).

في سَنَةِ ٤٦٩ للهجرة (١٠٧٦ م) آستَوْلى أبو بكر بْنُ عُمَرَ على مدينة قُنْب عاصمةِ غانةَ ودَخَلَ جانبٌ كبيرٌ من أهلِ البلاد في الإسلام. غيرَ أنّ جهادَ أبي بكرِ بْنِ عُمَرَ في قبائلِ البربر لم يُمَكِّنْهُ مِنَ الآحتفاظ بعاصمةِ غانةَ طويلًا، إذِ آضطُرَّ إلى الآنسحاب منها ثمّ قُتِلَ في ادرارَ (جبالِ الأطلس)، سَنَةَ ٤٨٠ للهجرة (١٠٨٧ م) وهُوَ يُقاتلُ البربر.

وبعدَ سَنَةِ ٤٨٠ للهجرة أخذَتْ قوّةُ ملوك غانةَ السُنْغي في التراجُعِ حتى آقتَصَرَتْ مملكَتُهم على بُقعةٍ إلى غرب نهرِ النكار فيها بَسسّيكونو على مَقْرُبَةٍ من النهر ثمّ وَعُكْري المُوغلةُ غرباً. أمّا المناطق الأخرى التي كانتْ خاضعةً لمملكةِ غانةَ فقد أصبحتْ مَمالكَ مُستقلّةً.

وفي سَنَةِ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م) آستَوْلَتْ مالي على مدينة غانةَ. وبعدَ خَمْسِ سَنَواتٍ دُمِّرَتْ مدينةُ غانة.

ولقد كان لغانةَ أثرٌ كبيرٌ في آنتشارِ الإسلام في السودانِ الغَرْبي، فإنّ الأُسَرَ التي كانتْ تحكُمُ فيها والقبائلَ التي كانتْ تسكُنُها وتعمَلُ في الرَّعْيِ - وفي الزِّراعةِ أيضاً - وَهِيَ في الأغلبِ قبائلُ سُنْغي (صغاي)، ثمّ هِيَ مُختلفةُ الأُصولِ مختلفةُ المساكن. وبما أن هذهِ القبائل كانتْ كثيرةَ العَدَدِ مُتفرّقةً في المناطِقِ فقدِ آتّسعَ آنتشارُ الإسلامِ على يَدَيْها حتّى وَصَلَ إلى أطرافِ الغاباتِ الآستوائيةِ - جَنوبَ الصحراءِ الكُبرى.

ليس لنا عِلْمٌ بالتاريخ الذي بدأ فيه آنتشارُ الإسلامِ في السودان المَغْربي. وليسَ ثمّت ما يمنَعُ من أن يكونَ انتشاره قد بدأ منذ مجيء العرب إلى المغرب، منذُ القرنِ الأولِ للهجرة، من طريق التجارة ومن طريق دُعاةٍ مُتطوّعينَ. ويذكُرُ لويسُ ماسينيون في تَقْويمِه «العالم الإسلامي» (بالفرنسية، طبعة ١٩٥٤ باريس) أنّه كان في كانمَ[١] (شادَ اليومَ) شِبهُ دولةٍ يسكُنُها مُسلمونَ منذُ القرنِ التاسعِ للميلاد (الثالثِ للهجرة) في الأغلب (ص ٣٥٩).

---

(١) كانم (بفتح النون وبضمّها أيضاً) وتشاد أو «شاد» (بلا تاء في أوّلها).

غيرَ أنّ مِنَ الثابتِ أنّ الإسلامَ بدأ انتشاراً واسعاً في مُعْظَمِ أراضي إفريقِيَةَ الغربية (السودانِ المَغربي) منذُ مَطْلَعِ القرنِ الخامس للهِجرة (الحادي عَشَرَ للميلاد). ولكنْ إذا نحن آستَعْرضنا «الديباج المذهب» لآبنِ فرحَونٍ اليَعْمُريِّ (ت ٧٩٩ هـ) - وهو مَغْربيُّ الأصلِ - ثمّ كتابَ «نَيْلِ الآبتهاج بتطريزِ الديباج لأحمدَ بنِ أحمدَ بنِ أقيتٍ المعروفِ بلقب بابا التُّنْبُكْتي (ت ١٠٣٦ هـ) - وهو من تنبكت (تمبكتو) المركزِ الأكبرِ للثقافة في السودان الغَرْبي (أو المَغْربيّ) - لم نَرَهُما ذكَرا أحداً من الأدباء أو العُلماء أو الفُقَهاء قبلَ القرنِ التاسع للهِجرة، ممّا يدُلّ على أنّه لم ينشأْ في تلك البلادِ أحدٌ من ذَوِي التقدُّمِ والشُهْرةِ في هذه الفنون قبل ذلك التاريخ.

كانم - برنو[1]

من المؤرّخين مَنْ يُعالجُ تاريخَ كانمَ مستقلًا عن تاريخ بُرنو، ومِنهم مَنْ يَسوقُ تاريخَهُما في سَرْدٍ واحدٍ. وأظنّ أنّ المنهجَ الثاني أدْعى إلى الآختصار.

وكانمُ - في الأصل - آسْمُ مدينةٍ ثُمّ أُطْلِقَ هذا الآسمُ على دولة. وكانمُ هذه كانت تقَعُ إلى الشرق الشّمالي من بحيرة شاد، وهِيَ اليومَ مقاطعةٌ في جمهوريّة تشاد. أمّا برنو فهي مقاطعةٌ إلى غَرْبِ بُحيرةِ شاد. وكان سكّانُ المُقاطعتين - كانمَ وبُرنو - أخلاطاً من القبائل.

يبدو أنّ تأسيسَ هذه الدولة كان على يدِ قبيلةِ زُواغةَ البربريّة، وَهِيَ قبيلةٌ بَدْوية كانت تسكُنُ إلى الشّمال من كانمَ، وكان آنتشارُها في تلك الأصقاع واسعاً. وقد بدأ دخولُ الإسلام إلى كانم منذُ القرنِ الرابعِ للهِجرة (العاشر للميلاد) على يد التجّار الذين كانوا يأتون إليها من ليبيا ومِصْرَ، أو يمرّون بها. ولمّا بدأ القرنُ السادسُ للهِجرة (٥٠١ هـ = ١١٠٨ م) كان الإسلام قدِ اتّسع آنتشاره ثم آستقرّ. ولكن يبدو أيضاً أن الحُكْم كان، إلى ذلك الحين، «مَشْيَخةً بَدْويّةً» ثمّ آنتقل إلى دَوْلةٍ مَلَكيّة، فيما بعدُ.

---

(١) برنو (الأصل في الباء أن تكون ساكنة، وهي هنا شبه مفتوحة، مع ميل إلى ضمّها).

وفي الرواية أنّ أوّلَ الملوكِ المسلمين في هذه الدولة حومى أو أومى (٤٧٨ - ٤٩٢ هـ)، ثمّ يضطرب سياق الملوك لأنّ اسم حومي (محمّد؟) يكثُرُ فيهم. ولمّا جاء دونما بنُ حومي (نحو ٤٩٠ - ٥٤٥ هـ = ١٠٩٧ - ١١٥٠ م) ٱستطاع، في أثناء رئاستهِ الطويلةِ الأمَدِ أن يُؤَيِّدَ سلطة قبيلتهِ في كانم. وقد حجّ مرَّتينِ ثمّ غَرِقَ، في المرّةِ الثالثة، في البحر الأحمر.

ويأتي في هذه السلسلة حومي آخرُ أو محمّد بنُ عبد الجليل الملقّب سَلْمى (سالم؟)، وقد حكم من سَنَةِ ٥٩٠ إلى سَنَةِ ٦١٨ للهجرة (١١٩٤ - ١٢٢١ م) فوسّع المملكةَ وسيطر على قبيلةِ زغاوة (التي كانت هِيَ مسيطرةً على كانمَ وما حولها). وفي أيامهِ أيضاً بدأ زَوالُ الوثنيّة. ثمّ أصبحتْ جيمي (نجمينا)[1] عاصمةً للدولة.

وبعدَ السلطان محمّد بن عبد الجليل جاء ٱبنُهُ دونَما (ت ٦٤٩ هـ = ١٢٥١ م) فكان عهدُه مَمْلوءًا بالحروب. ولكنّه حَرَصَ على إقامة صِلاتٍ بالحفصيّين أصحاب تُونِسَ فأرْسَلَ إلى السلطان الحَفْصيّ المُسْتنصر (أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ يحيى) هدايا نفسيةً كان فيها زُرافةٌ (وكان دونَما يدعى في ذلك الحينِ سُلطان بُرْنُو، وكانتْ عاصمتَه مدينةُ كوكه أو جاجا أو كاكا - بكاف عربية أو بكاف معقودة). ويبدو أن برنو كانتْ مُنفردةً بحُكْمِ نفسِها ولكنّها كانت تابعةً لِمملكةِ كانَم. ثمّ يمُرّ قرنٌ أو يزيدُ قليلًا فنرى كانَم نَفسها تابعةً لسُلطان بُرنو؛ ويُرْسِلُ سلطانُها أبو عمروٍ عُثمانُ بنُ إدريسَ، سَنَةَ ٧٩٤ للهجرة (١٣٩١ م) رسولًا إلى الظاهر بَرْقوقٍ سُلطانِ مِصْرَ يشكو إليه غاراتٍ على أرضه ذَهَبَ فيها أخوه وسَلَفه في الحُكم عمرٌو (أو عُمَرُ) بنُ إدريسَ بنِ إبراهيمَ،، إلى جانب عددٍ كبيرٍ من الرعايا سقطوا قَتْلى أو أَسْرى في يَدِ المُغيرين.

وبعدَ جيلٍ من الدهر (نحو ٨٤٣ هـ = ١٤٤٠ م) أصبحتْ مملكة بُرْنو على

---

(١) هذه اللفظة «نجمينا» تشويه من الاسم الذي يرجع في أصله إلى العربية: إن جمنا (استرحنا) والعامّة يقولون جمّينا (إن جمّينا تكتب كلمة واحدة: انجمّينا).

جانبٍ من القوّة فأخذَ جيرانُها يُدارونها، وربّما دَفَعوا لها الجزى. ثمّ بعدَ جيلٍ آخرَ جاء إلى عرش بُرنو الغازي علي بن دونَما (٨٨١-٩٠٩ هـ) فقضى على المُنازعات على العرش ونظّم مَرافِقَ الدولة ثمّ بني، إلى الغرب من بُحيرة شادَ، سَنَةَ ٨٨٩ للهجرة (١٤٨٤ م)،عاصمةً جديدةً سمّاها «غسْرَغّمو» (قصرَغمو أو بَرْنُنْ بُرْنو[١]: حصن بُرْنو) وبسَطَ سُلطتَه على مَنْ كان يجاوره شَرْقاً وغرباً.

وجاء بعدَ عليّ هذا سُلطانٌ هو إدريسُ كَتَع كُرْمُبي (؟) فحكم من سَنَةِ ٩٠٩ إلى سَنَةِ ٩٣٢ للهِجرة (١٥٠٣-١٥٢٦ م)، فعادتْ كانمُ إلى الخضوع لمملكة بُرْنو وبَقِيَتْ قبائلُ بولالا شبهَ مُستقلّةٍ (تَعيشُ في تلك المملكة ولكن تدفع جزِية).

امبراطوريّة الصوصو (صو) في كَياكَ (كانياغا)

جاءت جماعاتٌ من التّكْرور (حوض نهر السنغال)، في القرن السادس للهِجرة (الثاني عَشَرَ للميلاد) وآستبدّتْ بالسيطرة على كَياكَ: كانياغا (إلى الغرب من أواسط نهر النيجر). وفي سَنَة ٥٧٦ للهِجرة (١١٨٠ م) نَهَضَ جُنديٌّ وَعَكريّ (سلنكي: نسبة إلى مدينة سيلّا من مدن السنغال) يدعى ديارا كنتي (؟)-وكان هذا الآسمُ يُطْلَقُ أيضاً على الأسرة الحاكمة وعلى البلد. وقد كانتْ تلك الأُسرةُ الحاكمةُ وثنيّةً.

وجاء[٢] بعدَ ديارا كنتي آبنُه صوماغورو (صوماهورو) كنتي (نحو ١٢٠٠-١٢٣٥ م: ٥٩٨-٦٣٣ هـ) وآحتلّ ماندنغ (في أعالي حوض النيجر)، فشجّعه ذلك على أنِ يحتلَّ جارِبَ (كانغابا) في الجَنوب ثمّ غانةَ في الشّمال.

غيرَ أنّ هذا النصرَ كان خاوياً فإنّ النهبَ والقتل اللذين سادا بعد هذا الاحتلال حملا التُّجّارَ المسلمين (في غانةَ خاصّة) على الهِجرة إلى ولاتن (إلى

(١) برنن برنو أصلها برنو (مدينة، حصن) برنو (مضاف ومضاف إليه: برنو برنو- وفي لغتهم تدخل النون بين المضاف والمضاف إليه فيصبح التركيب الإضافي: برنن برنو.

(٢) راجع، فوق، ص ٤٠ «تاريخ مالي».

الشَّمال الشرقي من بلدة غانة، على الحدود بينَ مِنْطقة الغابات ومنطقة الصحراء) وعلى إنشاء محطّةٍ تجارية في ولاتن أخذتْ، على طريقِ القوافِل، مكانَ غانَة، وذلك نَحْوَ سَنَةِ ٦٢١ للهِجرة (١٢٢٤ م).

ويقال إنّ صوماغورو لمّا آحتلّ ماندنغ قتل أحدَ عَشَرَ آبناً لملك ماندنغ. غيرَ أن واحداً من هؤلاء الأبناء - وآسْمُهُ: صندياتا[1]، وكان كَسيحاً - نجا من القتل. ثمّ إنّه جمع أنصاراً له، وفي سَنَةِ ٦٣٣ للهِجرة قاتل صوماغورو، فآنهزمَ صوماغورو وقُتل، فعادتْ فُلولُ أتباعِهِ إلى التكرور؛ وعادت ماندنغ إلى حكم صندياتا.

امبرطوريّة سنغي (صُغاي)

تطلق كلمة سنغي على قبائل من أصول مختلفة كانت تسكن في الحوض الأدنى للنكار (في منتصف الطريق بين آنحنائه في الشَّمال ومَصبّه في الجَنوب). وفي نحو ٢٦٠ للهِجرة (٨٧٢ م) كانت مملكتهم كوكو★ (بضمّ الكافين أو بفتحهما) أكبر ممالك السودان. في ذلك الحين كان يسكُنُها جماعاتٌ من البربر. ففيها وُلِدَ أبو يزيدَ مَخْلَدُ بنُ كَيْدادٍ الزَّناتيّ النكّاري (نسبة إلى النيجر؟) الإباضي الذي ثار على الفاطميّين (أصحاب تونس).

وفي نحو سَنَةِ ٣٧٠ للهِجرة (٩٨٠ م) كان حكّام كوكو مسلمين. وبعدَ قرنٍ من الزمنِ آعتنقتْ أسرة «زا» (جا، ديا: الجاءون: الذين جاءوا من اليمن) الإسلامَ. ولكنْ يبدو أن السكّان الأصليّين (من السودان) ظلّوا على الوثنيّة زماناً طويلًا.

ثمّ دخلتْ مملكة سُنْغَيْ، سَنَةَ ٦٤٨ للهِجرة (١٢٥٠ م) في حكم مالي. وفي سَنَةِ ٦٧٥ للهِجرة (١٢٧٥ م) أسّس علي كولون أسرةَ سي أو شي، أو شيا (الجُباة، الخلفاء: خلفاء جا؟). وفي نحو ذلك الزمنِ آنتقلتْ عاصمة سُنْغي إلى مدينة كوكو.

ويبدو أن حُكّام مالي كانوا، بينَ حينٍ وآخرَ، يَبْسُطون سُلطتَهم على بلادِ

---

(١) راجع، فوق، ص ٤١.

★ صوصو

سُنْغَيْ هذه. وبين سَنَةِ ٧٢٦ وسَنَةِ ٧٣٧ (١٣٢٥ - ١٣٣٥ م) كانت كوكو وما يَتْبَعُها داخلةً في سلطان مالي. وقد زار موسى صاحب مالي، سَنَةَ ٧٢٦ (مدينةَ) كوكو.

ثمّ إنّ أُسرةَ الجائينَ ٱستعادتِ ٱستقلالَها. وفي سَنَةِ ٨٧٠ للهجرة (١٤٦٤ م) أقام عليٌّ الكبيرُ إمبراطوريّة سُنْغي. ومن ذلك الحين عُرِفَتْ هذه الأُسرةُ بٱسْم صُنّي. وجاء صُنّي عليٌّ إلى العرش (نحو ٨٧٠ - ٨٩٩ هـ) فٱسْتطاعَ ٱستردادَ تنبكت، سَنَةَ ٨٧٤ للهجرة (١٤٦٩ م)، بعدَ أن كان الطوارقُ قدِ ٱسْتَوْلَوْا عليها، سَنَةَ ٨٣٧.

ويُقَال إنّ صُنّي عليًّا هذا كان يهتمُّ بأغراضِهِ الشخصيّة أكثرَ مِنَ ٱهتمامِه بما سوى ذلك. ولم يكن حُكمه في تنبكتَ صالحاً فهجَرها الزُّعماءُ من أهلِها وهجرها تُجّارُها إلى وَلاتُنْ. وفي سنة ٨٩٨ للهجرة (١٤٩٢ م) ماتَ صنّي عليٌّ فجاء بعدَه بارو (أبو بكر داؤ). ولكن في العام التالي ٱستطاعَ أحدُ القُوّادِ من الوصول إلى الحكم، وكان مُسْلِماً مُخْلصاً، فٱرتقى العرشَ بٱسْمِ أسْكِيا محمّدٍ الأوّلِ فنَظَّمَ الإدارةَ وأنشأ جيشاً نِظاميًّا وأقرّ الأمنَ فعادتْ تنبكتُ مركزاً للثقافة الإسلامية. ثمّ إنّه أسّس أُسرةً حكمتْ قرناً كاملًا من الزمن. من سَنَةِ ٩٠٠ إلى سَنَةِ ١٠٠٠ للهجرة (١٤٩٣ - ١٥٩١ م).

وفي سَنَةِ ٩٣٥ للهجرة (١٥٢٨ م) كُفَّ بَصَرُ محمّدٍ وأُصيبَ بالعجز فٱسْتبدّ بالمُلْك مكانَه ٱبنُهُ موسى. ولكنْ وَقَعَ التنافسُ على الحُكم بينَ نفرٍ مِنَ القُوّادِ ونفرٍ من المُغامرين وٱضْطربَ الأمرُ حتّى جاء أسكيا إسحاقُ، سَنَةَ ٩٤٦ للهجرة (١٥٣٩ م) فتغلّب على خُصومه وقَتَلهم. وجاء بعدَ أسكيا إسحاقَ أخوه داوُودُ (سَنَةَ ٩٥٦ هـ). ولقدْ تابعَ إسحاقُ وأخوه داوودُ سِياسَةَ أبيهما أسكيا محمّدٍ الأوّلِ في نَشْرِ الإسلام(١).

---

(١) هذه الأحداث والتي تليها وقعت بعد الحقبة التي يعالجها هذا الجزء، ولكنّ الاستمرار قليلًا في سردها يجعل الصورة التاريخية لتلك البلاد التي يغيب عنّا كثير من تاريخها أكثر وضوحاً ثمّ يدل على اتّصال مجرى الثقافة الإسلامية في ذلك الجانب من الأرض.

ولمّا مات داوودُ، سَنَةَ ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) عادَ الآضطرابُ إلى البلاد، ولم يَسْتَطِعِ ابنه محمّدٌ الثالثُ أن يُدارِيَ الأحداثَ التي كانتْ في أيامه.

في ذلكَ الحينِ كان على عَرْشِ المغربِ سُلطانٌ قويٌّ قديرٌ هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدٍ المعروفُ بالمنصور الذهبي، وقد حَكَمَ من سَنَةِ ٩٨٦ إلى سَنَةِ ١٠١٢ للهجرة (١٥٧٨ - ١٦٠٣ م). ولا رَيْبَ في أن المنصورَ لمّا نَظَرَ إلى قُوَّته وإلى ضَعْفِ الممالك السودانية كان قدْ داخَلَهُ الطَّمَعُ في الآستيلاءِ على مناجمِ المِلْح ومناجم الذهب في بلاد السودان. وكان بينَ المنصور سُلطانِ المغرب وإسحاقَ الثاني مَلِكَ كاغو مُفاوضاتٍ سياسية لم تُثْمِرْ، فأرْسَلَ المنصورُ إلى السودانِ جيشاً كبيراً بقيادةِ قائدٍ آسْمُهُ جُؤذر. ومعَ أن الجيش المغربيّ لم يَصِلْ مِنْـهُ إلى أرضِ السودانِ إلّا أقلُّه - لِطولِ الطريـق ومَشقّـةِ التحرُّكِ في الصحراء - فإنّ الجيشَ المَغْربي قد تغلّب، بما كان لديه من المدافع، على جيش القبائل السودانية (التي زادتْ على مِائَةِ ألفٍ من الرجال) لأنّها كانت تُحارب بأدَواتٍ بِدائية من النِّبال والرِّماح. كان ذلك في أواخِرِ سَنَةِ ٩٩٩ للهجرة (١٥٩١ م). وقد فرَّ أسكيا[١] إسحاقُ الثاني (غرباً) عبرَ نَهْرِ النكّار (النيجر). ويبدو أنّ شَيْئاً من المُقاومة للمَغاربة قدِ آستمرّ في أرضِ السودان، ولكنّ تلكَ المُقاومَة آنتهتْ في العام التالي وآنقرضتْ بآنتهائها إمبراطوريّةُ سُنْغي.

ودّاي

وَدّايُ مِنطقــة تتّصــلُ بهــا باجرمــةُ ودارفورُ، غَرْب بُحـيرةِ شاد (بحيرة لامي)، وَهِيَ أحقُّ أن تكونَ من أواسطِ السودان أكثرَ مِنها من غَرْبِه.

وقد تأخّرَ دُخولُ الإسلام إلى ودّاي حتّى القرنِ العاشرِ للهِجرة (السادسَ عَشَرَ للميلاد). قِيلَ دَخلَها الإسلامُ على يَدِ رَجُلٍ آسْمُه صالحٌ. من أجلِ ذلك

---

(١) أسكيا: الشيخ (؟). - «اسكيا»: الذي ليس هو، الآخر (غير الذي كان من قبل). هذه ملاحظة أبداها الزميل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة الدكتور عبد الله الطيّب (الخرطوم).

تُعْرَفُ «ودّايُ» بٱسْمِ دارِ صالحٍ أو دارِ صُليحٍ أيضاً. أمّا الآسْمُ «ودّايُ» فيُقال فيه إنّه آتٍ من «وَداعَةَ». وأهلُ المِنطقة يفضّلون على ٱسْمِ «ودّايَ» ٱسْمَ بُركو (بضمّ الباء).

أمّا الأحداثُ التي دارتْ في ودّايَ فمتأخّرةٌ عن العصر الذي نُقُصّ تاريخَه في هذا الكتاب.

الحياة الثقافية
- في أيام بني الأحمر -

سألجأُ في تصويرِ هذا العصرِ إلى إيرادِ عددٍ وافٍ جدًّا من الكتب في فنون العلم المختلفة. ومَعَ أنّ عدداً كبيراً جدًّا من هذه الكُتُبِ لا يُعَدُّ في نِطاقِ الأدب، فإنّه يدُلُّ على رُقِيِّ الحياة الثقافية بلا ريب. ثمّ إنّنا نرى في هذه الكتبِ مَيْلاً كبيراً إلى الموضوعاتِ الدينيّة، مِمّا يتّفقُ عموماً حينما تضعُفُ القوّةُ السياسية في الأُمّة، فالدينُ مَلاذٌ وملجأٌ في أيامِ المِحَنِ والضَّعْف.

وسببُ الإطالةِ في هذا الفصلِ لصورةِ هذا العصرِ حِرْصٌ مِنّا على أن نُوقِنَ أن هـذا العصرَ الذي لم يكن وَضّاءً في السياسة، قد كان وضّاءً جدًّا في الثقافة. وسيرى القارئُ أن عدداً كبيراً مِنَ الأسماء - مِنْ أسماء الكتب ومن أسماء مُؤلّفي الكتب - يدفَعُ عن هذا العصر «تُهمةَ الانحطاط» التي أرادَ نفرٌ من الأغيارِ ومنّا أيضاً أن يُلْصِقوها به.

العلوم الدينية:

من أوائلِ الذين يُشارُ إليهم في هذا الباب، وفي العلومِ الدينية، محمّدُ بنُ عبدِ الله المُرسيُّ (٥٧٠ - ٦٥٥ هـ) له: رِيُّ الظَمْآنِ أو التفسيرُ الكبير (في أكثَرَ من عِشرينَ جُزءاً) - التفسيرُ الأوسط (في عَشْرةِ أجزاءٍ) - التفسير الأصغرُ (ثلاثةُ أجزاءٍ). ومنهم المُقرئُ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ حسنٍ الفاسيّ (٥٨٩ - ٦٥٦ في الأغلب) له اللآلىء الفريدةِ في شَرْحِ القصيدة الشاطبية. ثمّ منهم ابنُ عَبُدونٍ المِكناسيّ (ت ٦٥٩ هـ)(★★). ومنهم المفسّرُ الكبير أبو بكرٍ القُرطبيُّ (ت ٦٧١ هـ)(★★).

(★★) لأصحاب الأسماء من الذين أشير إليهم بنجمين تراجم مستقلّة في هذه السلسلة (يهتدى إليها بسنوات وفياتهم).

ومنهم أيضاً أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ خَضرٍ الشاطبيُّ (ت ٦٧٤ هـ) له: قواعدُ الخطّ - كتابانِ في قراءة وَرْشٍ [١]. وكذلك منهم عبدُ السلامِ بنُ عليٍّ الزَواويُّ وَلِيَ قضاءَ المالكية في دِمَشْقَ وآنتهتْ إليه رئاسةُ الإقراء فيها له: عددُ الآيِ - التنبيهاتُ على معرفةِ ما يَخْفى من الوقوفات (في القراءات). ثمّ يأتي هنا الشاعرُ مالكُ بنُ المُرحَّل (ت ٦٩٩ هـ)[★★]. ثمّ أبو جَعْفَرِ بنِ الزبيرِ الغَرناطيُّ (ت ٧٠٣ هـ)[★★] صنّف: البُرهانَ في ترتيبِ سُوَرِ القرآنِ - مِلاكُ التأويلِ تتمّةٌ لكتابِ «دُرّة التنزيل وغُرّة التأويل» لفخرِ الدين الرازيّ (ت ٦٠٦ هـ)[٢] أو ردٌّ عليه.

ويأتي هنا أيضاً عبدُ الواحدِ بنِ محمّدٍ المالقيّ (ت ٧٠٥ هـ) له: الدُرُّ النَثيرُ والعَذْبُ النَميرُ في شرح كتابِ التَيْسير لأبي عمروٍ الدانيّ المتوفى سنة ٤٤٤ للهجرة[★★]. ثمّ هنالك ميمونُ الفَخّارُ (ت ٧١٦ هـ) له: التُحفةُ في القِراءات - الدُرّة - المَوْرد. وكان لأبي عبدِ الله محمّدِ بن محمّدٍ الخَرّازُ الشَريشيُّ (ت ٧١٨ هـ) إمامُ القُرّاء في فاسَ: أرجوزةُ موردِ الظمآن في رسمِ القرآن - عُمدةُ البَيانِ في رسم القرآن - الحُصْريةُ في القِراءات - شرح العَقيلةِ[٢] في القِراءات - شرح ابن برّي[٣] - الدُّرَر اللوامع في أصل مقرأ نافع. وذكر عبد الله كنّون (النبوغ المغربي ٢١٦)[٤] كتباً في علوم القرآن لابن البناء العدديّ (ت ٧٢١ هـ) منها: تفسير الباء في البَسْملة - تفسيرُ الاسمِ (باسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم) في البسملة - تفسير سُورة الكَوْثر - تفسير سورة العَصْر - حاشيةٌ على الكشّاف - الدليلُ في مرسوم خطّ التنزيل - المُتشابهُ اللفظِ في القرآن - تسميةُ الحروف وخاصّيةُ وجودِها في أوائلِ السُوَر.

ولابن آجرّوم[★★] (ت ٧٢٣ هـ): البارعُ في قِراءة نافعٍ - شرح حِرزِ الأماني (في القراءات) للشاطبي. وهنالك «الأجوبة» (في التفسير) لابن البقّال (ت ٧٢٥ هـ). ثمّ هنالك أحمدُ بن الحسن بن الزيات الكَلاعي له: لَذّة السَمْع في القراءات السَبْع - قصيدةٌ

(١) عثمان بن سعيد (لقبه ورش) من القرّاء المشهورين، مولده ووفاته في مصر (١١٠ - ١٩٧ هـ).

(٢) للفخر الرازي ترجمة في الجزء الثالث من هذه السلسلة.

(٣) عقيلة أتراب القصائد؟ (للشاطبي).

(٤) ابن برّي: عليّ بن محمّد بن الحسين الرباطي (ت ٧٣١ هـ) عالم بالقراءات.

(★★) له ترجمة في هذا الجزء.

على نَمَط الشاطبية (حِرزِ الأماني). ثمّ هنالك لأبي الحسنِ عليِّ بنِ محمّدٍ آبنِ برّيّ الرباطيّ (ت ٧٢٥ هـ) وكان من أهلِ تازةَ ورئيسَ ديوانِ الإنشاء فيها: أرجوزةٌ في مَخارج الحروف- أرجوزة مشهورة هي « الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع »، مطبوعة (الأعـلام للزركلي ٥: ١٥٦) وعليها شُروحٌ ولها مختصراتٌ منها: المختار من الجوامع في مُحاذاةِ الدُرَر اللوامع لأبي زيدٍ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدِ بن مخلوفٍ الثَعالبي الجزائري (ت ٨٧٥ هـ) صنّفه سَنَةَ ٧٤٢ (الجزائر ١٣٢٤ هـ).

وكان أحمدُ بنُ محمّدٍ العشّابُ القُرطبيُّ وزيراً في تُونِسَ، له تفسيرٌ (للقرآن) مختصرٌ. ولابنِ القَوْبعِ التُونسي (ت ٧٣٨ هـ)(★★) تفسيرُ سُورةِ ق. ولابنِ جُزَيٍّ مرتّبُ رِحْلَةِ ابنِ بطّوطةَ (ت ٧٤١ هـ)(★★): البارعُ في قراءةِ نافعٍ - التسهيلُ لعلوم التنزيل (مطبوع، راجع الأعلام للزركلي ٦: ٢٢١). وكذلك لإبراهيمَ بنِ محمّدٍ الصفاقسي (٦٩٧ - ٧٤٢ هـ) « المُجيد في إعرابِ القرآنِ المَجيد » (ألّفه مَعَ أخيه محمّد). ولمحمّدِ آبنِ عليٍّ البَلَنْسيّ العَنْسيُّ (ت ٧٤٦ هـ) « صِلة الجمعِ وعوائد التذييل لمَوْصول كِتابَيِ الإعلامِ والتكميل لمُبْهَماتِ القرآن ».

ولمحمّدِ بنِ عليٍّ بنِ عابدٍ الفاسيُّ (ت ٧٦٢ هـ) اختصارُ الكشّاف (للزمَخشريّ) أزال عنه صِبغةَ الاعتزال. وكذلك لأبي القاسمِ السَلوليّ (من أحياء القرن التاسع) تفسيرٌ للقرآن. وللجادَريِّ أو الجادِيريّ (ت ٨١٨ هـ): النافعُ في أُصول حَرْفِ نافعٍ[١]- شرح ضَبْط القيسيِّ- شرح ابنِ برّي[٢]. ولمحمّدِ بنِ يحيى بن جابرٍ الغسّاني المكناسيّ (ت ٨٢٧ هـ) كتابٌ في رسمِ القرآن. ولأحمدَ بن محمّدٍ المَسيلي (ت ٨٣٠ هـ) تفسيرٌ للقرآن.

---

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (بالتصغير) المدني المتوفّى في المدينة، سنة ١٥٩ هـ (٧٧٥ م) على الأصح (وفيات الأعيان ٥: ٣٦٨ - ٣٦٩)، وفي الأعلام للزركلي (الطبعة الرابعة ٨: ٥) سنة ١٦٩ هـ، وهو أحد القرّاء السبعة.

(٢) ابن برّي النحوي أبو محمّد عبد الله بن برّي المتوفّى ٥٨٢ هـ (له ترجمة في الجزء الثالث من هذه السلسلة). ولعلّ المقصود بابن برّي هنا: أبو الحسن عليّ بن محمّد التازي (ت ٧٣١ هـ) من الماهرين في العلوم العربية والقراءات (النبوغ المغربي ٢٠٩).

ومن المُكْثرين في التأليفِ أبو زيدٍ عبدُ الرحمن بنُ محمّدٍ الثعالبيُّ[1] الجزائريّ (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ) له: الجواهرُ الحِسانُ في تفسيرِ القرآن (الجزائر ١٣٢٧ هـ) - المُختار من الجوامع في مُحاذاة الدُرَر اللوامع في أصل مقرأ الإمامِ نافعٍ (الجزائر ١٣٢٤ هـ، راجع سركيس ٦٦١؛ بروكلمان، الملحق ٢: ٣٥٠، السطر العشرين). - نفائسُ المَرْجان في قِصَصِ القرآن. وكذلك لأبي عبدِ الله الحسنِ (أو الحسين) بنِ عليٍّ الشوشاوي السِمْلاليّ (ت ٩٠٠ أو ٨٩٩ هـ): إعانة المُبتدئين (في القِراءات) - الفوائدُ الجميلةُ على الآياتِ الجليلة - شرحُ موردِ الظمآنِ في رسم القرآن. ويأتي هنا محمّدُ بنُ عبدِ الكريم المَغيلي التِلمساني (ت ٩٠٩ هـ) له البدرُ المنير في علومِ التفسير. ثمّ هنالك لابن غازٍ المِكناسيِّ (ت ٩١٩ هـ)(★★) نَظْم قراءة نافع.

..... علوم الحديث

يحسُن البدءُ هنا بعليٍّ بنِ إبراهيمَ الأُميّيّ الشَريشي (٥٦١ - ٦٤٢ هـ) كان عليه مَدارُ الفُتْيا في وقتهِ، وله تآليفُ في الحديثِ والفِقه. ومن المؤلّفين في الحديثِ القاسمُ أبنُ محمّدِ بنِ الطَيْلسانِ القُرطبي (٥٧٥ - ٦٤٢ هـ) له: الجواهر المفصّلات في المُسَلْسلات - غرائبُ أخبارِ المُسْنَدين[2] - ما وَرَدَ من الأمرِ في شُرْبِ الخمر - بيانُ المِنَن على قارىء الكِتاب والسُنن[3]. ثمّ هنالك محمّدُ بن عَتيقٍ اللاردي (٥٦٣ - ٦٣٧ هـ) له: أنوارُ الصباح في الجمع بين الكُتب السِتّةِ الصِّحاح[4] - مطالعُ الأنوار في شمائلِ المُختار (رسول الله). ثمّ هنالك أيضاً محمّد بن يوسُفَ بن مسدي (بفتح الميم أو بضمّها) الغَرْناطي (ت ٦٦٣ هـ)، له: المُسْنَدُ الغَريب (جمع فيه مذاهبَ علماءِ

---

(١) راجع، في الثعالبي هذا، تاريخ الجزائر العامّ ٢: ٢٦٢ - ٢٦٤؛ سركيس (معجم المطبوعات العربية) ٦٦١.

(٢) المسند (بضمّ فسكون ففتح - والتي تجمع جمع مذكر سالماً): الحافظ لحديث رسول الله والموثوق في روايته.

(٣) الكتاب (القرآن الكريم) والسنن (المقصود: أحاديث رسول الله عامّة).

(٤) والصحاح: صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ) - صحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ) ثمّ كتب السنن: لابن ماجة (ت ٢٧٣ هـ) - وأبي داوود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) - والترمذي (ت ٢٧٩ هـ) - والنسائي (ت ٣٠٢ هـ).

الحديث) - المُسَلْسلات - الأربعون (حديثاً) المختارة في فضل الحجّ والزيارة (زيارة المدينة) - مُعْجَمٌ (ترجم فيه لشيوخه). وهنالك أيضاً محمّدُ بنُ أحمدَ العزَفي (بفتح ففتح) السَبْتي (٦٠٧ - ٦٧٧ هـ) أكملَ نظم « الدرّ المُنَظَّم في مولدِ النبّي المُعظّم » (من تأليف والدِه أحمدَ). ومن المؤلّفين في الحديثِ عبدُ الله بن سعدِ بنِ أبي جَمْرَةَ الأندلسيّ (ت ٦٩٩ هـ في الأغلب) له جمعُ النِهاية (اختصر فيه صحيحَ البُخاري) - بهجةُ النفوس (شرح جمع النِهاية)، والكتابان مطبوعان.

وهنالك محمّدُ بنُ إبراهيمَ اليَقوريُّ الأندلسيّ (ت ٧٠٧ هـ) له إكمال الإكمال (للقاضي عِياضٍ على صَحيحِ مسلم). وكان ابنُ رُشَيْدٍ السَبَتي (ت ٧٢١ هـ)(**) صاحبُ الرِحلة من كِبارِ علماءِ الحديث، له: تَرْجُمانُ التراجمِ (في وَجهِ مناسبة تراجِمِ البخاري) - إفادة النَصيح بأسنادِ الجامعِ الصحيح - السَّنَنُ الأبْيَنُ والموردُ الأمْعن في المحاكمة بين الإمامينِ (البُخاري ومُسلمٍ في الحديث المُعَنْعَن[1]. ولابن الشاطِّ القاسمِ ابنِ عبدِ الله الإشبيلي (ت ٧٢٥ هـ) كتابُ التعريف برجال البخاري - حاشيةٌ على صحيح مسلم. ولأبي القاسم التجيبي السبتي (ت ٧٣٠ هـ) « أربعون حديثاً في الجهاد ».

ومن أكابرِ العلماء في الحديثِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ سيدِ الناس اليَعْمُريُّ (٦٧١ - ٧٣٤ هـ) أصلُه من إشْبِيلِيَةَ ولكنه ولد ثمّ توفي في القاهرة. له: عُيون الأثر في غَزَوات سيّدِ ربيعةَ ومُضَر[2] وفي شمائله إذ هي أشرف شمائل البشر (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِيَر) (القاهرة ١٣٥٦ هـ، دمشق ١٣٥٨ هـ) - بُشرى اللبيب بذِكرى الحبيب (مجموع قصائد في مدح الرسول مرتّبة على الشعراء) مطبوع (سترالند في شماليّ شرقيّ ألمانية ١٨١٥ م) - المقامات العليّة في الكَرامات الجَليّة (مدائح في الرسول) - النَفْحُ الشَّذِيّ شرحُ جامعِ التِرْمِذيّ - عُدّةُ المَعاد في عَروضِ « بانتْ سُعادُ » (لكعبِ بنِ زهيرٍ في مدح الرسول) - مِنَحُ المِدَح (قصائدُ للصحابة

---

(١) الحديث المعنعن: المسند إسناداً متّصلاً: حدّثنا فلان عن فلان عن فلان الخ (حتّى يصل إلى رسول الله).

(٢) ربيعة ومضر (قبيلتان كبيرتان قويّتان ومعظم عرب الشمال). والمقصود بسيّد ربيعة ومضر هنا « محمّد رسول الله ». الأثر (هنا: أحاديث رسول الله).

رجالاً ونساءٍ) - تحصيلُ الإصابة في تفضيلِ الصَحابة.

وهنالك عَلَمُ الدين القاسمُ بنُ محمّدِ البِرزاليُّ (٦٦٥ - ٧٣٩ هـ) الإشبيليّ، نسبة إلى برزالةَ (قبيلةٍ من البربر، كان أصلُ أهلِه من إشبيلية، وكان مولده في دِمَشْقَ، له: ثُلاثيّات مُسنَدِ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ - العَوالي المُسندة - تأليفٌ في طبقات المُحَدّثين - مُعْجَمَ شيوخه. ثمّ هنالك عائشةُ بنتُ عليٍّ الصَنهاجيّةُ كانتْ عالمةً بالحديث.

ولابن جُزَيٍّ (ت ٧٤١ هـ)(**) مرتّبُ رِحْلة ابنِ بطّوطةَ: وسيلةُ المُسلم في تهذيبِ صحيحِ مُسلمٍ.

وصنّفَ أبو بكرٍ الكَتّانيُّ، سنة ٧٤٣، الإلمامَ لِذَوِي النُهى والأحلام. ولعيسى بنِ مسعودٍ الزَواوّي (٦٦٤ - ٧٤٣ هـ) إكمال الإكمال. وهنالك كذلك عبدُ المهيمن الحَضْرميُّ (ت ٧٤٩ هـ)(**) السبتيُّ، كان له تَقدُّمٌ في علم الحديث وضَبْطِ رجاله. صنّفَ مَشْيخةً (ثَبَتاً بأسماء شُيوخه احتوتْ على ألفِ شيخٍ). وكان محمّدُ بنُ جابرٍ الوادي آشيُّ (٦٧٣ - ٧٤٩ هـ) واسعَ المعرفة بالحديث قليلَ البِضاعة في الفِقه نَعَتَهُ ٱبنُ خَلْدونٍ بإمامِ المُحدّثين في تُونسَ، له «أربعون حديثاً» (تدُلُّ بِرِوايتِها عنْ رجالٍ مُتباعدينَ في الأوطانِ على اتّساع رِحْلته). وله تعاليقُ وأسانيدُ في الفِقه.

ويذكُرُ عبدُ الله كَنّونُ (ص ٢١٦، ٢١٧) أبا عبدِ الله الكرسبوطيَّ الفاسيَّ المولودَ سَنَةَ ٦٩٠ ثمّ يذكُر الكرسوطيَّ الفاسيّ (لعلّهما واحدٌ، وٱختلافُ التهجئة من خطأ الطبع) ويُورد مَعَ ذكرِهما عدداً من كتب الحديث والفِقه. كما يذكر كنّون أيضاً (ص٢١٦) أبا القاسم بنَ عِمرانَ الحَضْرَميّ السَّبْتي ويُورد له «الشافي في اختصار التيسير والكافي» في فضل علوم القرآن والحديث. وهنالك عبدُ الله بن محمّد بن فرْحونٍ (٦٩٣ - ٧٦٩ هـ)، أصلُه من تونِسَ ومولده ومنشؤه ووفاتُه في المدينة (لم يخرُجْ منها إلّا إلى مكّةَ)، له: الدرّ المُخَلّص من التقصّي والمُلَخَّص (جمع فيه أحاديث الكتابين) - كشف المُغطّى في شرح مختصر المُوطّا (شرح للكتاب السابق كما في الديباج ١٤٥، الأسطر ٦ - ٨).

ولمحمّدِ بنِ محمّدٍ النَدْروميِّ التِلمسانيّ (ت بعد ٧٧٧ هـ) ثَبَتٌ (ذَكَرَ فيه ما أخذه عن مُعاصريه من عُلماءِ الحديث). وكان أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ سعيدٍ الرُعينيّ الأندلسيّ

الفاسيّ (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) فقيهاً مُحدّثاً (نفح الطيب ٢ : ٥٦٠) له تُحفة الناظرِ في غرائب الحديث. ولعلّ كُتَبه: تَنبيهَ الغافلِ وتعليم الجاهل - الجامعَ المفيد - الاعتمادَ في الجهاد، قد كانت في الحديث.

ولابنِ مرزوقٍ (ت ٧٨١ هـ)(**) شرحُ عُمدة الأحكام عن سيّد الأنام - المُسند الصحيح الحَسَن في مآثر مولانا أبي الحسن (!).

وكان في هذه الحِقبة سِراجُ الدين عمرُ بنُ نورِ الدين الأنصاريُّ الأندلسيُّ (٧٢٣ - ٨٠٣ هـ)، جَلسَ للإقراء في دِمَشْقَ والقاهرةِ، له: أسماءُ رجالِ الكتب الستّة - طبقاتُ الأولياء (تاريخ الفكر الأندلسيّ ٤٠٠). ومن كِبار عُلماءِ الحديثِ سِراجُ الدين عُمَرُ بنُ عليٍّ المعروفُ بابنِ المُلقّن (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) أصلُه من وادي آشَ ومولدُه ووفاتُه بالقاهرة له كتبٌ كثيرة جِدًّا منها: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال - التذكرةُ في علوم الحديث - إيضاح الارتياب في معرفة ما يَشْتَبِهُ ويَتَصحّفُ من الأسماء والأنساب - الإعلام بفوائدِ عُمدة الأحكام - التوضيحُ لشرح الجامعِ الصحيح (للبخاري) - المقنع في علم الحديث - خصائص أفضل المخلوقين - غاية السُول (السَؤول) في خصائص الرسول - شرح عمدة الحكّام - النُكَتُ اللطافُ في بَيان الأحاديثِ الضِعاف المُخَرَّجة في مُستَدْرَكِ الحافظِ أبي عبد الله الحاكمِ النَسْابوري - البدرُ المنير في تخريج أحاديثِ الشرح الكبير - « خُلاصة البدر المنير » (في تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعي!) - طَبقات المُحدّثين - شرح زوائدِ مسلمٍ على البُخاريّ - شرح الجامع الصغير - مختصر شُعَبِ الإيمان - ثلاثةُ شروحٍ على المِنهاج (وهو شَرْحٌ على صحيحِ مسلمٍ للنَّوويّ).

ثمّ هنالك يحيى بنُ أحمدَ النَّفزيُّ السرّاجُ الرُنديُّ الفاسيّ (ت ٨٠٥ هـ) الذي انتهتْ إليه رئاسةُ الحديث في بلدِه ووقتِه، له تقييد أو « مشيخة ». ولأبي القاسمِ قاسمُ بنُ عليٍّ التِينَمَلّيّ الفاسيّ المالقّي (٧٤٣ - ٨١١ هـ) « بَرْنامجٌ » في مَنْ أخذ عنهم، خرّج له الصلاح الأقفهسيّ جُزءاً من مَرْويّاته سماه « تُحفةَ القادمِ من فوائد الشيخ أبي القاسم ». وهنالك محمّدُ بنُ عبدِ الملك المِنْتوريُّ (ت ٨٣٤ هـ) الغَرْناطيُّ الأصلِ المَغربيُّ الدارِ له: فِهرِسْتٌ (يشتملُ على مَرويّاته) - الأمالي في الأحاديث العوالي.

ولمحمّدِ بنِ أحمدَ بنِ مرزوقٍ العَجيسي التِلمساني المعروف بالحفيد(**) (٧٦٦ - ٨٤٢ هـ): أنواعُ الزَراري في مُكرّرات البخاري - المَتْجر الربيح في شرح الصحيح (للبخاري) رَجَزٌ في علم الحديث - روضة الإعلامِ بأنواع الحديث السامِ (السامي). ولأبي القاسم السَّلويّ من أحياءِ القرنِ التاسع: شرحُ صحيحِ مسلمٍ. ولأبي زيدٍ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدٍ الثعالبيّ الجزائريّ (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ): الأنوار (في المُعجزات النبويّة). وفي نحو سَنَةِ ٨٧٥ صنّفَ أحمدُ بنُ زكريّا المَغْربي «مُعلّم الطُّلّاب بما للحديث من الألقاب» (طَبَقات الحديث: صحيح، حَسَن، مرفوع، مُرْسل....، ضعيف الخ).

وكان محمّدُ بن يوسفَ السَّنوسي (٨٣٢ - ٨٩٥ هـ) متعدّدَ نواحي الشخصيةِ كثيرَ التأليف له في الحديث: مكمّلُ إكمال الإكمال - شرحُ مُشكلات البخاري - مختصرُ الزركشي على البخاري - مختصر الرَوْض الأُنُف (للسُهيلي) - مختصر الأبي[1] على (صحيح) مسلم. ومن الأسماء المشهورة في هذا الباب أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ القاسم التلمساني المعروفُ بابنِ الرصّاع (ت ٨٩٤ هـ)، كان قاضياً وإماماً في جامعِ الزيتونة في تُونسَ الحاضرةِ، له: تُحفة الأخيار في الصلاة على النبيّ المُختار - تذكرة المُحبّين في أسماء سيّد المُرسلين - الهداية الكافية. ومن علماء الحديث في هذه الحِقبة أحمدُ بنُ زَرّوقٍ (ت ٨٩٩)(**)، له كتبٌ في الحديث والفِقه والتصوّف. ولابنِ غازٍ المِكناسيّ (ت ٩١٩ هـ)(**): إرشاد اللبيبِ إلى مقاصدِ حديثِ الحبيب - الفِهْرِسةُ المُباركة (فِهرس لمحدّثي فاس ولآثارهم).

..... علوم الفِقه:

وكانتِ الرَّغبةُ في الفِقه دائماً شديدة. فمن فُقهاءِ هذه الحِقبة عبدُ السلام بنُ غالبٍ المَسْراتيّ المعروفُ بابنِ غلّابٍ (ت في القيروان ٦٤٨ هـ) له: الوجيز في الفِقه. ومنهم راشدُ بنُ الوليدِ الفاسيُّ (ت ٦٧٥ هـ) له: كتابُ «الحلال والحرام» - حاشيةٌ على المُدوّنة. ومنهم عبدُ الله بنُ سعدِ بن أبي جَمْرةَ (حمزة) الأندلسيّ (ت ٦٩٩ هـ في

---

(١) الأبّي (بالضمّ) هو محمّد بن خلفة (بالكسر) بن عمر من بلدة أُبّة (بينها وبين القيروان ثلاثة أيام) من علماء الحديث ومن الفقهاء، توفيّ سنة ٨٣٧ هـ (١٤٢٤ م).

الأغلب) له: المُقنع في الأحكام.

ومن فُقهاء هذه الحِقبة أيضاً الزَّناتي (ت ٧٠٢ هـ) له: شرحٌ على الموطّأ - شرح المدوّنة (ص ٢١٦، ٢١٧). ومنهم أيضاً محمّدُ بنُ عبدِ الملك المَرّاكُشِي(**) له: الجمعُ بين كتابَيْ ابنِ القطّان الفاسي وابن الموّاقِ الغرناطيّ على «كتاب الأحكام» لعبد الحقّ الإشبيليّ (ص ٢١٧).

ومن كِبارِ الفقهاء ابنُ الحسنِ الصغيّرُ (بالتصغير في الأغلب) عليُّ بنُ عبدِ الحقّ الزَرْويليّ (ت ٧١٩ هـ) قاضي فاسَ له: الدرّ النَثير في النوازل والأحكام - تَقْيِيدٌ على المُدوّنة (في عدّة مجلّدات) - فَتاوى - تقييد على الرسالة (لابن أبي زيد) - تقييد على التهذيب.

ولابن الفَخّار الجُذامي المالِقي (ت ٧٢٣ هـ)(**) شرح الرسالة - تحريم الشِطْرنج - شرح المختصر (؟). ولابن الشّاطّ القاسم بن عبيد الله الإشبيلي (ت ٧٢٥ هـ): غُنيةُ الرائض في علم الفرائض. ولمحمّدِ بنِ عبد الله بن راشدٍ القَفْصي (ت بعد ٧٣١ هـ): لُباب اللباب فيما تضمّنه الكتاب من الأركان والشروط والموانع والأسباب (في فروع الفقه، تونس ١٣٤٦ هـ) - الشِهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب (في الفروع) - المُذْهَبُ في ضَبْطِ قواعدِ المذهب - الفائقُ في معرفة الأحكام والوثائق - النَّظْم البديعُ في آختصارِ التفريع - تُحفة اللبيب في آختصار كتاب آبنِ الخطيب (؟). ثمّ هنالك لمحمّدِ بنِ أحمدَ بنِ جُزَيٍّ (٦٩٣ - ٧٤١ هـ): القوانينُ الفِقهية: قوانينُ الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفِقهية (تونس ١٣٤١ - ١٣٤٤ هـ) - الأنوار السنيّة في الألفاظ السنّية (؟). ولعبدِ الله بنِ عليٍّ بنِ سَلَمونَ الكِنانيّ الغَرْناطيّ (٦٦٩ - ٧٤١ هـ) الشافي في تحريرُ ما وقع من الخِلافِ بين التبصرة والكافي - وثائق. ثمّ هنالك لعيسى بنِ مسعودٍ الزَواويّ (٦٦٤ - ٧٤٣ هـ): شرحُ جامع الأُمّهات - مناقبُ مالكٍ (بهامش تزيين المالك للسيوطي، القاهرة ١٣٢٥ هـ). وكذلك لعزِّ الدين محمّدِ بنِ عبدِ السلام الهوّاريّ المُنَسْتيريّ (٦٧٦ - ٧٤٩ هـ) قاضي الجماعة في تُونسَ: شرح جامع الأمّهات (لآبن الحاجب) - شرح مختصر آبنِ الحاجب - تقاييدُ على مختصر آبن الحاجب (؟). ديوان

فَتاوَى. وهنالك عبدُ الرحمن الجَزوليّ (ت ٧٤١ هـ) له تقييدٌ على الرِسالة (لآبن أبي زيدِ القيرواني!).

وهنالك أيضاً آبنُ أبي يَحيى التَّسوليّ (ت ٧٤٩ هـ) له: تقييدٌ على المُدوّنة - شرح الرِسالة - شرح التهذيب - شرح الأجوبة (ص ٢١٧). ثمّ يأتي السطّيّ (ت ٧٥٠ هـ) له: تعليقٌ على المُدوّنة - تعليقٌ على مختصر آبنِ شاسٍ (عبدِ اللهِ بنِ محمّدٍ المِصري المالكيّ المُتوفّى ٦١٦ هـ؟) - شرحُ الحَوْفيّة (عليّ بنِ إبراهيمَ الحَوْفيّ المِصري المتوفّى ٤٣٠ هـ) (ص ٢١٨).

ويحسُنُ قطعُ الكلامِ هنا للتأكيد على قيمة «التَوْثيق» في الفِقه.

اهتّم المغاربةُ والأندلسيّون بالوثائقِ (العُقود التي تُنظَّم بين المتعاملين لدى الكاتبِ العَدْلِ) وألّفوا فيها. من هؤلاء جميعاً عبدُ الله بنُ عليٍّ بنِ سَلمونَ الغَرناطيّ (ت ٧٤١ هـ) وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بن يحيى الغَرْناطي (ت ٧٥١ هـ) وأبو القاسمِ بنُ سَلمونَ بنِ عليٍّ البيّاسيّ الغَرناطي (ت ٧٦٧ هـ) له: العِقْد المُنظّم للحُكّام فيما يجري بينَ أيْديهم من الوثائق والأحكام. وألّف فيها محمّدُ بنُ أحمدَ الفِشتاليّ (ت ٧٧٧ هـ). ثمّ هنالك القاضي أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الملكِ بن شُعيبٍ الفاسي (ت ٧٧٧ أو ٧٧٩ هـ) له الفائقُ في (علم التأليف بـ) الوثائق. ولأبي عِمرانَ موسى بنِ عيسى المَغيليّ (ت ٧٩١ هـ) المُهَذَّبُ الرائقُ في تدبيرِ الناشىء من القُضاة وأهلِ الوثائق - قِلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود.

ثمّ استمر الاهتمام بذلك طويلاً، فلأحمدَ بنِ يحيى الوَنشريسيٍّ التلمساني (ت ٩١٤ هـ): الفائق في الأحكام والوثائق.

ونعودُ إلى المجرى الرئيسِ العامِّ في فروعِ الفِقه.

كان من كبار الفقهاء والقضاة، في العلم والإقراء والقضاء، الشريف الغرناطيّ (ت ٧٦٠ هـ)(★★) له: حصر مثارات (؟) القضاة بالأدلّة.

وليوسفَ بنِ عُمَرَ الأنفاسيْ (٦٦١ - ٧٦١ هـ) إمامِ جامعِ القَرَوِيّين بفاسَ تقييدٌ على رسالة ابن أبي زيدٍ تداوله الناسُ في أيامه. ولمحمّدِ بنِ محمّدٍ الربعي التونسي (٦٨١ - ٧٦٣ هـ) «مشَيخةٌ» خُرِّجتْ له. ولمحمّدِ بن الحسن المالِقي (ت ٧٧١) شرحُ

مُختصرِ ابن الحاجب. ثمّ لأبي عِمرانَ العَبْدوسيّ (ت ٧٧٦ هـ): تقييدُ على المُدوّنة - تقييد على الرسالة - تقييد على التهذيب (ص ٢١٧).

ومن كِبار الفُقهاء الإمامُ الحافظ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ قاسمٍ الفاسيّ المعروفُ بالقَبّاب (ت ٧٧٩ هـ) له: اختصار أحكامِ ابنِ القطّان - شرحُ قواعد القاضي عِياضٍ - بيوعُ ابن جَماعةَ - فَتاوى (ص ٢٠٥، ٢١٨). ومن الفقهاء محمّدُ بنُ أحمدَ الشريشيّ (٦٩٤ - ٧٧٩ هـ) له: شرحُ المِنهاج (للنوويّ، أربعة أجزاء) - زوائدُ الحاوي الصغير على المنهاج - اختصار الروضة.

وهنالك أبو عبدِ الله محمد بن سعيد الرعيني الأندلسي الفاسي (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) الفقيه المحدّث (نفح الطيب ٢ : ٥٦٠) له: اختصار المقدّمات (لابن رشد) - الأسئلة والأجوبة - القواعدُ الخمسُ - المُقدّمات (؟) - شرحُ المقدّمات - الجامعُ المُفيد - تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الروضة البهية في البسملة والتصلية - المهاد في الجهاد (ص ٢١٧).

ومن كبارِ الفقهاء محمّدُ بنُ أحمدَ بن مرزوقٍ التلمساني (٧١٠ - ٧٨١ هـ)(**) له تآليفُ عديدةٌ في فنونٍ كثيرة (راجع الديباج، القاهر، ص ٣٠٥ - ٣٠٩). أمّا الإمامُ الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)(**) فشُهرته بالأصولِ أكبرُ من شُهرته في الفروع.

ومن كبار الفقهاء ومشهوريهم الإمام الشاطبيّ(**) المشهور أبو اسحاق إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠ هـ). كان مُفسّراً ومحدّثاً وفقيهاً وأصوليًّا نظّاراً[1] ولُغويًّا ونحويًّا وبيانيًّا له آستنتاجاتٌ جليلة وبحوث مُحَرَّرة[2] وقواعدُ محقّقةٌ وكان حريصاً على آتباع السنّة مُجانباً للبِدَع وأهلِها. وكان شاعراً ناثراً، قال لمّا آبْتُلِيَ بأهلِ البِدَع:

بُليتُ، يا قومُ، والبلوى مُنوَّعة ... بمن أُداريهِ حتّى كاد يُرْديني[3].

دفعُ المَضرّة لا جلْبٌ لمصلحةٍ[4]: ... فحَسْبِيَ اللهُ في عقلي وفي ديني!

(١) النظّار: المُناظر (الذي يحاول نصر رأيه بالبراهين) وخصوصاً في العقائد الدينية.

(٢) محرّرة (مصحّحة، مضبوطة).

(٣) أردى فلان فلاناً: أهلكه، أماته.

(٤) غايتي دفع الضرر لا الاستفادة الماديّة. في قواعد الفقه أنّ دفع الضرر عن الناس مقدّم على جلب المصلحة لهم.

ومن أقواله: «أمّا من تعسّفَ وطلَبَ المُحْتملات والغَلَبَةَ بالمُشكلات وأعرضَ عن الواضحاتِ فيُخاف عليه التشبّه بمن ذمّه (ذمّهم) الله في قولهِ: ﴿فأمّا الذين في قلوبهم زَيْغ فيَتّبعون ما تَشابَهَ[1] منه ٱبتغاءَ الفِتنة وٱبتغاءَ تأويلهِ[2]. وما يعلَمُ تأويلَه إلّا اللهُ. والراسخون في العلم يقولون: آمنّا به، كلّ من عند ربّنا. وما يذّكّر إلّا أولو الألباب﴾ [3].

وكان لا ينظر في كتب المتأخّرين (القريبين من عصره) قال في مقدّمة «الموافقات»:

... وأمّا ما ذكرتم من عدم ٱعتمادي على[4] التآليف المتأخّرة فليس ذلك منّي محضَ رأيٍ، ولكنٍ ٱعتمدْتُه بحسب الخِبرة عند النظر في كتب المتقدّمين معَ المتأخّرين. وأعني بالمتأخّرين (نفراً) كابنِ بشيرٍ وابن شاسٍ وابن الحاجبِ[5] ومَنْ بَعْدَهم، ولأنّ بعض مَنْ لَقيتُه من العلماني بالفِقه أوصاني بالتحامي[6] عن كتب المتأخّرين....

ومن كتب الإمام الشاطبي: الموافقات أو عنوان التعريف بأصول التكليف (في أصول الفِقه يتوسّط فيه بين مالكٍ وأبي حنيفة) - المجالس (شرح فيه كتابَ البيوع من صحيح البخاري) - ٱلاعتصام (في التوحيد، وقد تكلّم فيه على البدع وتعريفها ومآخذها وأحكامها) - البِدَع والحوادث[7] - أصول النحو - عُنوان الاتّفاق في علم

---

(١) الزيغ: الميل (بالفتح) والانحراف عن الحقّ والهدى. تشابه الأمران: أشبه كلّ واحد منهما الآخر (الأمر المتشابه: الذي يحتمل معنيين أو أكثر).

(٢) التأويل: الخروج (في التفسير) عن ظاهر الكلام.

(٣) اللبّ (بالضم): العقل. هذه الآية في المتن من سورة آل عمران (٣: ٦ أو سبعة، بحسب التعداد في المصحف).

(٤) «على» زائدة (راجع السطر التالي).

(٥) لم أهتد إلى ابن بشير هذا إلّا في مقدّمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦١، ص ٨٠٧، ١٠٢١) وهو من الشرّاح المتأخّرين على «المدوّنة» (في الفقه المالكي) - ابن شاس هو عبد الله بن محمّد (ت ٦١٦ هـ) شيخ الفقهاء المالكية في عصره في مصر. - وابن الحاجب هو عثمان بن عمر (ت ٦٤٦ هـ) من كبار علماء العربية (النحو)، وله كتب في الفقه أيضاً. ولد في مصر، وسكن الشام مدّة، وتوفّي في الإسكندرية.

(٦) العلماني (؟): الكثير العلم. التحامي عن الشيء: اجتنابه، تركه.

(٧) البدعة (الجديد في الدين ممّا لم يفعله السلف). الحوادث (جمع حادثة): ما أحدثه الناس ممّا لا يقرّه الدين.

الأشتقاق - شرحٌ على الخلاصة[1] (في النحو) - الإفادات والإنشادات (فيه طُرَفٌ ومُلَح أدبيّات وإنشادات، أي مقاطعُ من الشعر).

ومن الذين شَهِدوا القرنين الثامنَ والتاسعَ محمّدُ بنُ عبدِ الرحمن الغماريّ المَرّاكُشيُّ، صنّف سَنَةَ ٨٠١ كتاب «إسماع الصُّمِّ في إثبات الشرف من قِبَلِ الأُمّ»[2]. ومنهمُ ٱبنُ عَرَفَةَ الوَرْغَميُّ التونِسيّ (ت ٨٠٣ هـ) شيخُ الإسلام في المغرب، له: المُخْتَصر في الفقه - الطرق الناصحة في عمل المناصحة[3] - المبسوط في الفقه - مختصر الفرائض[4] - شرح الفرائض الحَوْفية[5] - الحدودُ الفِقهية. وكذلك منهم ٱبنُ المُلَقِّن (ت ٨٠٤ هـ)، وإن كان أكثرُ كُتُبِهِ شروحاً ومُختصراتٍ، له: الإعلامُ بفوائدِ عُمدة الحُكّام - خُلاصةُ الفتاوي في تسهيلِ أسرارِ الحاوي[6] - تصحيح الحاوي - شرح الحاوي الصغير - عُجالة المُحتاج على المِنهاج (للنووي) - شرحُ منهاج النووي (في فروع الفِقه الشافعي) - العِقدُ المُذْهَبُ في طَبَقات حَمَلَةِ المَذْهَب (؟ = العِقد المذهب في طبقات الشافعيّة) نُزْهة النُّظّار في قُضاة الأمصار - كلامٌ على سُنّة الجُمُعة القَبْليّة والبَعْديّة[7] (الهند ١٣١٤ هـ، في مجموعة) - شرح تَنْبِيه الشيرازي (بروكلمان ٢ : ١١٣، الملحق ٢ : ١٠٩؛ الزركلي ٥ : ٢١٨؛ سركيس ٢٥٢).

ولسعيدِ بنِ محمّدٍ التُّجيبيّ العَقباني التِلِمْسانيّ (٧٢٠ - ٨١١ هـ) شرح الحَوْفية (في

---

(١) الخلاصة: ألفية ابن مالك.

(٢) المفروض أن يكون النسب المعتمد من جانب الأب. فعند العرب قول خاطىء هو أن الأمّ وعاء (أي لا يرث الطفل شيئاً من خصائصها، وهذا طبعاً خطأ). ويبدو أن هذا الكتاب محاولة لنقض هذا الرأي الخاطىء.

(٣) تناصح الرجلان: نصح كلّ واحد منهما الآخر. وناصح فلان نفسه في التوبة: كان مخلصاً فيها وصادقاً.

(٤) الفرائض (هنا) تقسيم الإرث.

(٥) أبو القاسم أحمد بن محمّد بن خلف الحوفي القلاعي الإشبيلي (ت ٥٨٨ هـ) أصله من حوف مصر، كان قاضياً في إشبيلية ومن البارعين في الفرائض (تقسيم الإرث) له فيها «تصانيف كبير ومتوسّط ومختصر، وكلّ ذلك مّما بلغ في إجادته الغاية» (ابن فرحون ٥٣ - ٥٤؛ بروكلمن ١ : ٤٨٠، الملحق ١ : ٦٦٣ - ٦٦٤).

(٦) الحاوي (؟).

(٧) في صلاة السنّة قبل صلاة الجمعة وبعد صلاة الجمعة أقوال للفقهاء.

الفرائض)- شرح الجمل للخونجي (محمّد بن نامارو المتوفّى ٦٤٦ هـ). وهنالك عبد الرحمن بن يحيى الأصنوني المغيلي صنّف، سنة ٨١٦، شرح التلمسانية.

وكان محمّدُ بنُ أحمدَ الوانّوغي التونِسيّ (٧٥٩ - ٨١٩ هـ) متعدّدَ نواحي الشخصية واسعَ الإلمامِ بكثيرٍ من فنون المعرفة الدينية والطبيعيّة حتّى قال هو عن نفسه: «أعْرِفُ ثلاثينَ عِلْماً لا يَعْرِفُ أهلُ عصري أسماءَها»! وتآليفُه كثيرةٌ، وربّما كرّر التأليفَ في الموضوع الواحد مِراراً (راجع شذرات الذهب ٧: ١٣٨ - ١٤١؛ بغية الوعاة ١٣).

وهنالك الفقيه المشهور أبو بكر بن عاصم (ت ٨٢٩ هـ)(**) الغرناطي، له: تحفة الحكّام في نُكَتِ العقود والأحكام (أرجوزة في قواعد القضاء)، ويُقال لها العاصمية وتحفة عاصم أيضاً (الجزائر ١٨٨٣، باريس ١٨٨٣ (؟)، الجزائر ١٨٩٢ - ١٨٩٣ م؛ الجزائر ١٢٨١ - ١٢٨٣ هـ، فاس ١٢٨٩ هـ) ؛ عليها شروح: لأبي عبد الله محمّد آبن أحمد ميّارة (ت ١٠٧٢ هـ) (القاهرة ١٣١٤ هـ)؛ لعليّ بن عبد السلام التسولي (بولاق ١٢٥٦، القاهرة).

ومن الفقهاء أبو موسى الجَنَاتيّ (ت ٨٣٠ هـ) له تقييدٌ على المُدوّنة. (ص ٢١٧).

والغالبُ على تصانيفِ تقيّ الدينِ محمدِ بنِ أحمدَ الفاسيِّ (٧٧٥ - ٨٣٢ هـ) التاريخُ، ولكن له: إرشادَ الناسكِ إلى معرفةِ المناسك (في الحجّ). ولقاسمِ بنِ عيسى القيروانيّ (ت ٨٣٧ هـ): شرح المُدوّنَة - شرحُ رسالة ابن أبي زيدٍ القيروانيّ (مصر ١٣٣٠ هـ) - خُلاصةٌ من غاية التحصيل وترك التعليل والتزويل (التأويل!) للبرذعيّ (راجع نهاية التحصيل...، بروكلمان ٢: ٣١١، سطر ١٩، الملحق ٢: ٣٣٧، السطر ٤ من أسفل). - شرح التهذيب (مختصر من المدوّنة) لِآبنِ البراذعيّ المتوفّى سنة ٣٧٢ هـ (!).

وهنالك يوسفُ بنُ إبراهيمَ الوانّوغيُّ (ت بعد ٨٣٨ هـ) له: كِفاية الناسك في علم المناسك.

ومن الفقهاء البارعين في الأدب أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ إبراهيمَ بن الشرّانِ الغَرناطيّ، كان لا يزالُ حيًّا في سَنَةِ ٨٣٧، له تصانيفُ منها: الأرجوزة المنظومة في

الفرائض (تقسيم الإرث). وقد شرحها الحاسب المشهور القَلصادي المتوفّى سنة ٨٩١. جاء في مقدّمة هذه الأرجوزة (نيل الابتهاج ٣١١-٣١٢):

دوامُ حـــالٍ من المحـــالْ والللطف موجود على كلّ حالْ[١].
وعـــادة الأيـــام معهودة: حرب وسلم والليـالي سِجـالْ[٢].
مَنْ لليـــالي بآئتـــلاف؟ وكم مِنَ آعتبارٍ في آختلاف الليالْ[٣]!
والشمس بعـدَ الغيم تُجْلى، كما للغيـث من بعـد القُنوط آنهالْ.
والنصر بالصـبر مُحلّـى الظُّبـا، والجَـدّ بالجِدّ مَريشُ النِّبـالْ[٤].
ومـا عـلى الدهر آنتقـادٌ عـلى حـالٍ، فإنّ الحالَ ذاتُ آنتقالْ.
والسيـف قـد يصـدَأُ في غِمـدِه، ثمّ يُجَلّي صَفْحتَيْـــهِ الصّقـــالْ.
والفَرَجَ الموهوبُ تجري بـــــه لطائـــفٌ لم تَجْرِ يومـــاً ببـــالْ.
فصابرِ الدهرَ بحالَيْـــــــهِ من حُلْوٍ ومُرّ وآعتــدا وآعتـدالْ[٥].
فما لـه[٦] صـــبرٌ عـــلَى حالـــةٍ. وإنّما الصـــبرُ حُلِيُّ الرجـــالْ.
ولا يَضِـقْ صـدرُك من أزْمـةٍ ضاقتْ، فصُنْع الله رحْبُ المَجالْ.

والواضح أنّ هذه الأبيات من مقدّمة الأرجوزة قبل الوصول إلى معالجة تقسيم الإرث.

وآبنُ مرزوقٍ الحفيدُ محمّدُ بنُ أحمدَ (ت ٨٤٢ هـ)(**) من المشاهير، له: آغتنام الفرصة في محادثة عالم قَفْصةَ (ابن يحيى بن عقيبة، في التفسير والفِقه) - شرح مختصر خليل - الأمـل في شرح الجمـل (للخونجيّ). وهنالـك أحمد بن محمّد البرزليّ

---

(١) اللطف (لطف الله بعباده): رعاية الله للبشر بدفع المكروه عنهم.
(٢) معهودة (جرت العادة بأنها سيئة). سجال: متداول (مرّة يكون النصر لهؤلاء ومرّة لأولئك).
(٣) اعتبار = عبرة (درس ذو مغزى). اختلاف الليالي (تنقّلها خيراً وشرًّا).
(٤) الظبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف (لا ينفع الضرب بالسيف إلّا مَعَ الصبر والثبات في القتال). مريش النبال (يوضع للسهم ريش في مؤخرته حتّى يستقيم سيره في الهواء): يصيب هدفه.
(٥) صابر الخصم خصمه: باراه في الصبر (في طول الصبر) وغلبه (صبر أكثر منه).
(٦) للدهر

(٧٤١ – ٨٤٤ هـ)، وقد طال عمره كثيراً، وكان إمام جامع الزيتونة في تونس، له: جامع مسائل الأحكام فيما نزل من القضايا بالمُفتين والحكّام. وهنالك محمّد بن محمّد الغرناطي (٧٨٢ – ٨٥٣ هـ) له: ٱنتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك. ولقاسم ٱبن سعيد العقباني التلمساني (ت ٨٥٤ هـ) تعليق على ابن الحاجب (في الفقه! راجع الزركلي ٦ : ١٠). ثمّ هنالك لإبراهيم بن فائد الزواويّ الجزائري (٧٩٦ – ٨٥٧ هـ): تسهيل السبيل لمقتطف أزهار خليل – فيض النيل في شرح مختصر خليل – تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق.

وفي سَنَةِ ٨٦٤ صنّف محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ منصورٍ القيسي الأندلسيّ فتوًى في حقوق المرأة المطلّقة.

وذكر خيرُ الدين الزِرِكليّ ٱثنينِ بٱسمِ محمّدٍ العقباني أثبَتَ مَوْتَهما سَنَةَ ٨٧١: أحدُهما محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ قاسمِ بنِ سعيدٍ من أهل تِلِمْسانَ له « تُحفةُ الناظر وغُنية الذاكر في حِفظ الشعائر وتغيير المناكر » (٦ : ٢٣١)؛ وثانيهما محمّدُ بنُ العبّاسِ بنِ محمّدِ بنِ عيسى التلمساني النحويُّ أوردَ له « فتاوَى » وعدداً من كتبِ النحو (٧ : ٥٣). وقد ذَكَرَ بروكلمنُ الأوّلَ منهما (الملحق ٢ : ٣٤٦). وذكر بروكلمن « العقبانيَّ » مجرّداً وأوردَ له حاشيةً على كتابِ ابنِ الحاجب: مُنتهى السؤال (السؤلِ) والأملِ في عِلْمَيِ الأصولِ والجَدَل (الملحق ١ : ٥٣٨، السطر ١١).

وهنالك القوري (ت ٨٧٢ هـ) له: شرح مختصر خليل (في ثمانية مجلّدات) – المنهلُ المورود شرح المَقْصِدِ المحمود لابن الجنّان (من أحياء القرن الثامن) – شرح وثائق الغَرْناطيّ (ص٢١٦، ٢١٧). ولأبي زيدٍ عبدِ الرحمنِ بنِ مخلوفٍ الجزائريِّ (٧٨٦ – ٨٧٥ هـ): جامع الأُمّهات في أحكام العبادات – الإرشادُ إلى مصالحِ العباد – شرحٌ على مُختصر خليلِ بنِ إسحاقَ – شرحٌ على مُختصر ٱبن الحاجب (في فروع الفِقه، جمع فيه نُخَبَ كلامِ ابنِ رشدٍ وابنِ عبدِ السلام وابنِ هارونَ وخليلِ بنِ إسحاقَ وٱبْنِ عرَفةَ).

ونَسَبَ بروكلمنُ (٢ : ٣١٩ مرتين، الملحق ٢ : ٣٤٧، ٣٤٨) « الدُّرَرَ المكنونةَ في نوازل المازونة » إلى أبي عمرانَ موسى بنِ عيسى المغيلي المازوني (ت ٧٩١ هـ) وإلى

آبنـهِ أبي يحيى زكريا (ت٨٨٣ هـ)، مع أنّ الفرقَ بينَ سَنَتَيْ وفاتَيْهما تُحيل أن يكونَ الثاني آبناً للأولِ (ولعل المازونة هذه رسالةٌ أوْ أُرجوزة. ومازونةُ في الأصل فَرَعٌ من قَبيلةِ مغيلة).

وهنالك عبدُ العزيز بنُ عبدِ العزيزِ اللَّمْطيُّ المِكْناسيُّ (ت ٨٨٠ هـ) من أهلِ فاسَ له تقاييدُ على مُختصر خليلٍ (ص ٢٢٠). ثمّ هنالك محمّدُ بنُ محمّدٍ المشدّالي (ت ٨٦٦ هـ) له: تكملةُ حاشيةِ أبي مهدي الوانّوغي على المدوّنة - مختصر البيانِ لابن رشد (رتّبه على نَسَقِ مسائل آبنِ الحاجب وجَعَله شرحاً له وردَّ كلّ مسألةٍ إلى موضعها من الإحالات، فجاءت في غايةِ الاتقان والتيْسير؛ وترك من مسائله ما لا تعلّقَ له أصلاً بكلام آبنِ الحاجب ولا يَقْرُبُ إليه بوجه) - آختصارُ أبحاث آبنِ عَرَفَةَ (في مختصر ابنِ عَرَفَةَ لتلك المسائل المتعلّقة بكلامِ آبنِ شاسٍ وابن الحاجب. ثمّ شرح هذه مَعَ زيادةِ شيء يسيرٍ ممّا لم يطلّع عليه آبنُ عَرَفَةَ). ثم هنالك أبو زكريّا يحيى بنُ عبدِ السلام العلمي القُسنطيـني (ت ٨٨٨ هـ) لـه: تقاييـد عـلى المدوّنة - مُختصر خليلٍ - الرسالة. ومن مشاهيرِ الفقهاء والمؤلّفين الإمام محمّدُ بنُ يوسفَ السنوسيُّ (ت ٨٩٥ هـ) له كُتُبٌ منها: شرح مختصر آبنِ عَرَفَةَ - مكمّل إكمال الإكمال - نُصرة الفقير في الردّ عـــلى أبي الحسن الصغير (بالتصغير!) - شرح الوغليسية - نظم في الفرائض - تعليقٌ على (مختصر!) آبنِ الحاجب - شرحٌ على الحَوْفية (في الفرائض). ولمحمّدِ بنِ عليٍّ بنِ الأزرقِ (ت ٨٩٦ هـ)(**) شفاءُ الغليل في شرح مُختصر خليل. وهنالك أحمدُ بن زِكري التلمساني (ت ٨٩٩ هـ) له مسائلُ القضاء والفُتيا.

وهنالك أيضاً محمّدُ بنُ أحمدَ السقطي المالَقيّ، كان في أواخرِ القرن التاسع، له كتابٌ في الحِسْبة. ومن فقهاء هذه الحِقبة محمّدُ بن (محمّد بن) يوسفَ الموّاق (ت ٨٩٧ هـ)، عالم غَرْناطةَ في وقته، له: شرحُ مختصرِ خليل. ثمّ يأتي هنا أحمدُ بنُ أحمدَ المعروفُ بزَرّوق (ت ٨٩٩ هـ) له: شرح على رِسالة آبن أبي زيدِ (مصر ١٣٣٢ هـ). وقد أورد له عبد الله كنّون (ص ٢١٨) عدداً من الكُتُبِ في الفِقه وأصول الفِقه والتصوّف لم يُميّزْ بعضَها من بعضٍ (راجع أيضاً شذرات الذهب ٧: ٣٦٣).

ولأبي سالمٍ إبراهيمَ بنِ هلالٍ (ت ٩٠٣ هـ) شيخِ سِجلْماسةَ ومُفتيها: كتابُ

المناسك (فاس ١٣١٨ هـ) - فتاوى (ص ٢١٧ ثمّ بروكلمن، الملحق ٢ : ٣٤٨).

وكان محمّدُ بن عبدِ الكريم المغيليّ (ت ٩٠٩ هـ) من القائمين بنشر الإسلام وبالأمرِ بالمعروف والنَهْي عن المُنْكَر في المغرب نفسِه ثمّ في بلادِ السودان فدَخَلَ بلادَ أهر وبلادَ كنّو وكشن ثمّ رحل إلى بلادِ التكرور فوَصَلَ إلى بلدةِ كاغو وآجتمع بسُلطانها ساسكي محمّدِ الحاج؛ له تصَانيفُ منها: مُغْني النبيلِ شرحُ مختصرِ خليلٍ - إكليلُ المُغني (حاشيةٌ على مختصر خليل) - أحكام أهل الذّمة. وكان له شعرٌ يسيرٌ عادي عليه جفافُ لُغةِ العلماء (راجع في ذلك كلّه نيل الابتهاج ص ٣٣٠ - ٣٣٢). من هذا الشعر في إنكار صِحّة المنطق والاكتفاء بقولِ الشرع (وقد كَتَبَ بذلك إلى الإمام جلالِ الدين السُّيوطيّ المُتوفّى سنة ٩١١):

سَمِعْتُ بأمرٍ ما سمعتُ بِمْثلِهِ؛ وكلُّ حديثٍ حُكْمُه حُكْمُ أصلهِ[(١)].
أيمكِنُ أنّ المرءَ في العلم حُجّة ويَنْهَى عن الفُرقان في بعض قوله[(٢)]؟
هلِ المنطقُ المَعْنِيُّ الاّ عِبارةٌ عن الحقِّ أو تحقيقِه حين جَهْلِه[(٣)].
مَعانيهِ في كلِّ الكلامِ؛ وهل ترى دليلاً صحيحاً لا يُرَدُّ لشكله[(٤)]؟
خذِ الحقّ حتى من كَفورٍ، ولا تُقِمْ دليلاً على شخصٍ بمذهبِ مثلِه[(٥)].
عَرَفْناهم بالحقِّ، لا العكسُ، فآستَبِنْ به لا بِهِمْ، إذ هم هُداةٌ لأجلِه[(٦)].

وفي سَنَةِ ٩٠٩ هـ صنّفَ يوسف دليلي البرغماويُّ بنُ محمّدٍ العجيزيّ الحنفي كتاب

---

(١) الحديث (القول المروي عن رسول الله) أو كلّ قول آخر. حكمه حكم أصله (تكون مرتبته في الصحة كمنزلة راويه (أو قائله) من الصدق والثقة.

(٢) الفرقان: القرآن الكريم. ينهى عن الفرقان في بعض قوله (يجعل أقوال الرسول - في بعض الأمور - فوق قول القرآن، كالذين يقولون إنّ السنّة أو أقوال الرسول وأفعاله، تنسخ بعض ما جاء في القرآن).

(٣) المنطق «طريق» للوصول إلى الحقّ أو لاستخراج المجهول من المعلوم.

(٤) معاني المنطق (أحكامه) مأخوذة من الكلام المألوف (ولكن مرتّبة على منهج مخصوص). والدليل الصحيح (على صحّة حكم) يقاس بدليل آخر قام على صحّة حكم آخر.

(٥) لا تحكم على إنسان بمسلك شخص آخر (ولو كانا رفيقين أو جارين أو من أتباع دين واحد).

(٦) نحن نعرف مكانة كلّ إنسان بما في قوله من الصواب، ولا نعرف صواب القول من منزلة قائله عندنا. لأجله = لأجل الحقّ.

المُهِمّات في العِبادات (في الفِقه الحَنَفي). ولأبي الحَسَنِ عليِّ بنِ القاسم التُّجيبي الزقّاقِ (ت ٩١٢ هـ): المنهجُ المُنتخَبُ إلى أصول المذهبِ - لاميّةٌ (في واجباتِ القاضي). وعلى هذينِ المُصنّفين شروحٌ كثيرةٌ مُعظمها مطبوع (بروكلمان ٢: ٣٤١ - ٣٤٢، الملحق ٢: ٣٧٦؛ الزركلي ٥: ١٣٧ = ٤: ٣٢٠).

ومن مشاهيرِ الفقهاءِ أحمدُ بن يحيى التِلمساني الونشريسيّ (ت ٩١٤ هـ) له: إيضاحُ المسالك إلى قواعدِ الإمام أبي عبدِ الله مالك - المنهج الفائق والمنهل الرائق في أحكام الوثائق (في آداب المُوثِّق - طبع فاس ١٢٩٨ هـ؛ في نشرة المراسلات الافريقية بالفرنسية ١٨٨٤ م) - المِعيارُ المُعْرِب عن فتاوَى علماءِ إفريقيةَ والأندلسِ والمَغْرب (فاس ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ؛ الوثائق المراكشية بالفرنسية، باريس ١٩٠٨ م) - أسنى المتاجر في بيانِ أحكامِ من غَلَبَ على وطنه النصارى ولم يُهاجِرْ وما يترتّبُ عليه من العقوبة والزواجر (منشن بألمانية ١٨٦٦ م) - كتاب الأقضية (نشره مركز الدراسات العُليا في المغرب، المجلّد الثامن، ١٩٣٧ م).

وفي هذه الحِقبة يأتي محمّدُ بنُ عبدِ الله اليَفَرْنيُّ المِكناسي (ت ٩١٧ هـ) قاضي فاس، له المجالس (في الفِقه) - التنبيه والإعلام فيما قضى به القُضاة وأفتى به الحُكّام من الأوهام (ص ٢١٨). ولابنِ ميمونٍ الادريسيِّ (٩١٧ هـ) رسالةُ الإخوان من أهل الفِقه وحملة القرآن (ص ٢١٧). ومن الفُقهاء والمكثرين في التأليف محمّدُ بن أحمدَ بن غازٍ الفاسيُّ المِكناسيُّ (٨٤١ - ٩١٩ هـ)(**)، له في الفِقه: تحرير المقالة في نظائر الرِسالة (رسالة ٱبْنِ أبي زيدٍ القيرواني) وهي منظومة - الكُليّات الفِقهية. ولإبراهيمَ الفجيجيّ (ت ٩٢٠ هـ)(**) المفيد في الفِقه. وفي هذه الحِقبة أيضاً مِمّن لا نَعْرِفُ زَمَنَهم بالدِقّة أبو منصورٍ المغراوي السِجِلْماسيّ، له المسائلُ الفِقهية المَنُوطة بالأحكام الشرعية. ثمّ هنالك عبدُ النور العِمرانيّ، له تقييدٌ على المُدوّنة - فتاوى. وربّما دَخَلَ في هذه الحِقبة القاضي محمودُ كعت بن المتوكّلِ كعتٍ الكرمنيُّ داراً التُنْبُكْتِيّ مسكناً الوعكري الصِنهاجي (٨٦٥ - ٩٥٥ هـ)، ولعلّه قد بَلَغَ أشُدَّه في سَنَة ٩٢٥ هـ، له تقييدٌ على مُختصر خليل. وربّما دخل فيها أيضاً محمّدُ بن محمّدٍ الرُّعَيْنيّ الحطّاب

(**) له ترجمة في هذا الجزء.

الصغير (٩٠٢ - ٩٥٤ هـ)، أصلُه من المَغْرب ومولِدُه ومنشؤُهُ في مَكّةَ ووفاتُه في طرابُلُسَ (ليبيا)، وهو فقيه مالكيّ من علماءِ المتصوّفين، له: مواهبُ الجليل في شرحِ مُختصر خليل - إرشاد السالكِ المحتاج إلى بيانِ المُعْتَمِرِ والحاجّ - هدايةُ السالك المُحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاجّ (أوردَ بركلمان ٢ : ٥٢٦ ، هذين العُنوانين على أنها كتابان مستقلّان) - تحريرُ الكلام في مسائلِ الالتزام (فاس ١٣٠٥ هـ) - شرحُ نظائرِ رسالةِ ابنِ أبي زيدٍ (لابن غز) - مواهب الجليلِ في شرح مُختصر أبي الضياء سيدي خليل (مصر: مطبعة السعادة ١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ؛ المطبعة الميمنية ١٣٣١ هـ).

ومن فقهاء الإباضيّة أبو طاهرٍ إسماعيلُ بنُ موسى الجيطاليّ، من جيطالَ في جبَلِ نفّوسةَ (جنوبَ غربيّ ليبيا اليومَ) له قناطرُ الخيرات (يصف فيه مرورَ المؤمنين على مقاماتٍ سبعَ عَشْرَةَ من قناطرِ الصِراط حتّى يَصِلوا إلى الجنان؛ (القاهرة ١٣٠٧ هـ) - قواعدُ الإسلام (القاهرة، بلا تاريخ) معَ شرحٍ لعبدِ الله بن محمد الكسبي. ثمّ هنالك أبو الفضل أبو القاسم بنُ إبراهيمُ البرّاديّ الدمّاريّ تلميذُ أبي سكن عامرٍ الشمّاخيّ. صنّف البرّاديُّ، سَنَةَ ٨١٠ هـ؛ «الجواهرَ المُنتقاةَ من إتمام ما أخلى (أخلّ) الدارجيني به (في) كتاب طبقات المشايخ (راجع ترجمة الدارجيني، ت ٦٧٠). ثمّ يأتي أشهرُ مصنّفي الإباضيّةِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ سعيدِ بنِ عبدِ الواحد الشمّاخيّ اليفرنيّ العامري (ت ٩٢٨ هـ)، له: كتاب السِّيَر (مختصرٌ ثمّ تكملةٌ لكتابِ السِّيَر(*) لأبي زكريّا يحيى بن أبي بكر الورجلاني الإباضي المتوفّى سنة ٤٧١ هـ ومن كتاب طبقات المشايخ للدرجيني المتوفى سنة ٦٧٠ ومن كتاب الجواهر المنتقاة للبرّادي) - سرد الحُجّة على أهل الغَفْلة. وهنالك مصنّف إباضيّ آخَرُ، لعلّه من هذه الحِقبة، هو سالمُ بنُ سعيدٍ الصائغي (أو الضائغي؟) له: «لُبابُ الآثار الواردة عن مشايخِ (المشايخ؟) المتأخّرين الاخيار (في الأديان).

أصول الدين وعلم الكلام

وفي الفقهاء من يَغْلِبُ عليه عِلمُ الكلام (في تخريج الأدلّة أو في سِياقة الجدال، وفي

الدفاع عن الرأي المُعْتَقَدِ أو الردِّ على آراء المُخالفين في الاعتقاد) أو يَغْلِبُ عليهم التصوّفُ (من إقامة الأحوال الروحية مكانَ الأسباب المادّيّة). من هؤلاء جميعاً عبدُ الحكيمِ بن برّاجان الأندلسي له «شرحُ الأسماء الحسنى». ومنهم محمّدُ بنُ خليلٍ التونسيّ السكوني (ت ٧١٦ هـ) له «لحن العوامّ فيما يتعلّق بعلم الكلام». ومنهم المتصوّف عليُّ بنُ محمّدِ بن فَرْحونٍ (ت ٧٤٦ هـ) له: الزاهر (ديوان شعره) - التصدير والتعجيز (أو التذييل) : وكذلك منهم أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمّدٍ المُرسيّ الأندلسي (ت ٧٥١ هـ) له «زهرُ الكِمام في قِصّة يوسفَ عليه السلام» (وهي مَقاماتٌ فيها شواهدُ من القُرآن الكريم والحديث ومن التأمّلِ والأخلاق وأشياءُ من القَصَص، شِعراً ونثراً مسجوعاً). وقد كان لهذه القِصّة شهرةٌ (طُبعت في بودابست سنة ١٨٨١ م؛ القاهرة سنة ١٢٢٧، ١٣٠٦، ١٣٤١ هـ).

ويبدو أنّ كُتُبَ الأصولِ (أصول الدين وأصول الفِقه) كانت في هذه الحِقبة قليلةً. ففي هذا الباب يدخل محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ عليِّ بنِ البقّال (ت ٧٢٥ هـ) من أهلِ تازة ثمّ سكن فاس. وكان مُلِمًّا بعددٍ من فنون العلم ولكنّه اشتهر بالأصول، له «الأَجْوبة في التفسير والأصول». وهنالك مُعاصره ابنُ الشاطّ الإشبيليّ (ت ٧٢٥ هـ) له «أنوارُ البروق في تعقّب القواعد والفُروق». وفي هذه الحِقبة أيضاً محمّدُ بنُ سعيدِ بنِ محمّدِ بنِ عُثمانَ الرُّعَيْنِيُّ (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) الأندلسيُّ الأصلِ الفاسيُّ الدارِ مولداً ووفاةً، له: اختصار المُقدّماتِ المُمهّدات (لابنِ رشدٍ) - اختصارُ حدود الشيرازي - الأسئلة والأجوبة - تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الجامع المفيد - الاعتماد في الجهاد. وكذلك لعبدِ الرحمنِ بنِ أحمدَ الوغليسيّ (ت ٧٨٦ هـ): المقدّمةُ (أو العقيدةُ) الوغليسية - رسالةٌ في الإيمان والإسلام.

وقد مرّ الكلامُ على الإمام المشهور أبي إسحاقَ الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) عندَ الكلامِ على الفِقه.

وتبرُزُ الإشارة هنا إلى أنسلمو تورميدا الذي وُلِدَ في جزيرة مَيورقَة وتعلّم في لاردة (إسبانية) وبولونيا (إيطالية) وأصبحَ راهباً فرنسيسكانيّا. وكان قد صنّف مُناظرة باللغة الكاتالانية (لهجة شَماليّ شرقيّ إسبانية) اسمُها «الجِدالُ بين الحِمار

والفرنسيسكاني أنسلمو تورميدا ». وقد نَصَحَهُ الأُسقُفُ نقولا مارتلّ بأن يعتنقَ الإسلام - وكان الاسقُف مارتلّ نفسُه مسلماً في قلبه. فانتقلَ انسلمو إلى تُونِسَ سَنَةَ ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) - قبلَ خروجِ العرب من الأندلُسِ باثنينِ وسبعين عاماً - واعتنق هنالك الإسلامَ وتسمّى عبدَ الله بن عبدِ الله، وعُرف بالتَرْجُمانِ المَيورقيّ[١]، ثمّ صنّف رسالةً عُنوانها: تُحْفة الأريب (أو اللبيب) في الردّ على أهل الصليب.

وهناك أيضاً يحيى بنُ إبراهيمَ بنِ عُمَرَ الرقيليّ من أحياء القرن التاسع له: تجريد المِلّة (في الردّ على اليهود) - كتاب المُجادلة مع اليهود والنصارى.

ومن علماء الكلام في القرن التاسع أبو حفصٍ عُمَرُ بنُ جامعة الإباضيّ له كتاب في العقيدة عليه عددٌ من الشروح. ثمّ هنالك عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ العزيز اللَّمْطي المِكناسي (ت نحو ٨٨٠ هـ) له نظمٌ في المَنْطِق وفي الأصول وفي الفِقه. وله تقاييد على « مختصر خليل » (في الفقه).

ولأحمدَ بنِ عبدِ الله الجزائري الزواويّ (٨٠٠ - ٨٨٤ هـ) قصيدةٌ في التوحيد (علم الكلام) تُلْفى بعناوينَ مُختلفةٍ: المنظومةُ الجزائرية - القصيدُ - كِفايةُ المريد (وهي نَيِّفٌ وأربعُمِائَةِ بيتٍ شَرَحها كثيرون). ومن المُكثرين في التأليفِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ عيسى البرنسي الفاسيّ المعروفُ بزَرّوق (٨٤٦ - ٨٩٩ هـ) من أهلِ فاسَ، ولكنّه توفّي في تكرين بجوار طرابُلُسَ (ليبيا)، له كُتُبٌ منها: شرحُ مختصر خليل - شرح رسالة أبي زيدِ القيروانيّ - الجُنّة للمعتصم من البِدَع بالسُّنّة[٢] - شرح العقيدة القدسيّة، الخ. ولأبي العبّاس أحمد بن محمّد الفاسيّ (؟)

---

(١) يذكر عبد الله بن عبد الله الترجمان الميورقي في هذه الرسالة بلده ومنشأه ثمّ رحلته ودخوله في الإسلام في أيام الأمير الحفصي (في تونس) أبي العبّاس أحمد (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ) وأيام ابنه أبي فارس عزّوز (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) وبيّن مقصود الرسالة في تسعة أبواب (ستّ وثمانين صفحة): وقد طبعت هذه الرسالة في لندن بلا تاريخ. وطبعت في تونس ١٢٩٠ هـ وفي مصر ١٨٩٥ م و١٩٠٤ م (راجع بروكلمان ٢: ٣٢٢ - ٣٢٣، الملحق ٢: ٣٥٢؛ معجم المطبوعات العربية ٦٣٠ عن كشف الظنون).

(٢) الجنّة (بالضمّ): الوقاية. البدعة: الأمر الحدث في الدين ممّا لا يتّفق مع المرويّ في الدين (وإن كان هنالك بدعة حسنة لا ضرر منها ثمّ بدعة سيّئة). السنّة: قول رسول الله وعمله.

أُرجوزةٌ « في أنّ اللغة فضيلة الإنسان » (في المنطق!) صنّفها سَنَةَ ٩٠٠ هـ. ثمّ هنالك أحمد بن محمّد بن زِكْري التِلِمْسانيّ (ت ٩٠٦ هـ) أو قبلَ ذلك بقليل (راجع الأعلام للزركلي، ط ٤ ، ١ :٢٣١ والحاشية التي معه). ولابن زِكري هذا: مُوصل المقاصد (أُرجوزة) - بُغية الطالب - المسائل العشر المسمّاة ببغية المقاصد وخلاصة المراصد (بروكلمن، الملحق ٢ : ٢٥٧).

التصوف

وحينما تضعُفُ السُّلطة السياسيةُ أو تختلّ الحياةُ الاجتماعية تتّسعُ الأحوالُ الصوفية، لأنّ الذين يَعْجِزون حينئذٍ عن القيام بالإصلاح الاجتماعي أو يقصّرون في دفع عجلة القوّة المادّية يعتزلون الحياةَ العامّةَ ويستُرون عَجْزَهم بالتظاهر بحياةِ التقوى والتوكُّل.

ففي أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن كان ابنُ الرقّامِ شمسُ الدين أبو الفضل القاسمُ بنُ سعدٍ السبتي التونسي (ت ٧٠٥ هـ)؛ له: اصطلاحُ الصوفية والتنبيه على مقاصدهم الجُزئيّة والكُلّيّة - تكملةُ الأنوار من علوم المُجرّبين الأبرار. وكذلك كان محمّدُ بنُ أبي القاسم الحِمْيريّ (بروكلمن ٢ : ٣٢٧) المعروفُ بابنِ الصبّاغ، له دُرّة الأسرار وتُحفة الأبرار في مناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي (تونس ١٣٠٤ هـ).

وفي هذه الحِقبة ابنُ الحاجِّ الفاسيّ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ محمّدِ العَبْدَريّ القَيْرواني التِلِمْسانيّ (ت القاهرة ٧٣٧ هـ) له: شموس الأنوار وكُنوز الأسرار (الكبرى: سحر وطلاسم) طبع في مصر ١٢٩٧ هـ ثمّ ١٣٢٩ هـ. - المُدخل أو مَدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة، كشف فيه عن معائبَ وبِدَعٍ يفعلُها الناسُ ويتساهلون فيها أكثرُها ممّا يُنْكَرُ وبعضها ممّا يُحتمل (طبع في الاسكندرية ١٢٩٧ هـ والقاهرة ١٣٢٠ هـ) - بلوغ القَصْد والمُنى في خواصّ أسماء الله الحسنى.

ونَجِدُ في القرن الثامن أبا عبدِ الله محمّدَ بنَ سعيدٍ الصِنهاجي، عاشَ في النصف الأوّل من القرن الثامن، له: كنز الأسرار ولَواقح الأفكار - التُحفة الظريفة في الأسرار الشريفة. وكذلك نَجِدُ لعليِّ بنِ عُمَرَ الهوّاريِّ التونسيِّ « مناقبَ الصالح عيّاد

الزيّات ». ونجدُ أيضاً عُمَرَ الجزائريَّ الرشيديَّ، جاء إلى تُونِسَ سَنَةَ ٧٥٧ هـ، وصنّف ابتسام العروس ووَشْيَ الطُّروس في مناقبِ أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ عروس (تونس ١٣٠٣ هـ) - قَمْعُ النفوس من كلامِ آبنِ عروس - ديوان (القاهرة ١٨٨٠ م).

وفي هذه الحِقبة كان جمالُ الدين أبو المحاسن يوسفُ بنُ عليّ الندروميّ (من ندرومة قرب وهران بالجزائر اليوم) له قَبَسُ الأنوار وجَمْع الأسرار (في معاني الحروف في أسماء النبات والحيوان) صنّفه سنة ٧٨٦. وفيها الفقيهُ الخطيبُ العارفُ المحقّق أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبّادٍ(**) النَّفْزيُّ الرُّنديُّ (٧٣٣ - ٧٩٢ هـ).

وكان فيها أيضاً أبو العبّاس أحمدُ بنُ يوسفَ التُّجيبيّ بن البنّاء السَرَقُسطيّ الفاسيّ (توفيّ في فاس قُبيل مبدأ القرن التاسع) نظم في التصوّف، له: المباحث الأصلية عن جملة الصوفية. وفيها أحمدُ التادليّ المتوفّى في تُونِس بُعيدَ القرن الثامن، له: مناقبُ الصالحة عائشة بنت عِمران المنوبيّ. ثمّ هنالك محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ يعقوبَ الكوميّ التُونِسي، صنّف بُعيدَ ٨١٠ هـ « تيسير المطالب ورَغْبة الطالب ».

ومن المتصوّفةِ المشهورين المُكثرين من التأليف شهابُ الدين أبو العبّاس أبو الفضل أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ عيسى بن زَرّوقٍ الحضّار البرنسي الفاسي (ت ٨٩٩ هـ)، له: الكِناش (أصول الحقيقة والطريقة، مطبوعاً معَ شرحٍ بقلمِ محمّدِ بن أحمدَ الخرّوبيّ وبعنوانِ: قواعد التصوّف، القاهرة ١٣١٨ هـ) - النصيحة الكافية لمن خصّه الله بالعافية (القاهرة ١٢٨١ هـ) - المَقْصِدُ الأسمى فيما يتعلّق بمقاصد الأسما (الأسماء الحسنى) - المَقْصِد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى - الوظيفة[1] الزرّوقيّة - وظيفة - دعاء - دعاء الصباح ودعاء المساء - نصائحُ - مفاتيح العزّ والنصر في التنبيه على بعض ما يتعلّق بحزب البحر[2]: سفينة النجا (النجاة) فيمن إلى الله التجا (التجأ) - شرح حزب البحر - عمدة (عدّة) المُريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر خواصّ الوقت - شرح القصيدة النونية[3] - شرح عقيدة

(١) الوظيفة: أدعية دينية معيّنة يقرأها صاحبها في أوقات راتبة (بآستمرار في أوقات معلومة).

(٢) « حزب البحر » لأبي الحسن عليّ بن عبد الله الشاذلي (ت ٦٥٦ هـ).

(٣) يذكر بروكلمن « شرح القصيدة النونية » هذه، الملحق ٢ :٢٦٢ ثمّ يُحيل (للقصيدة النونية) على ١ : =

الغزّاليّ - أُرجوزة في عيوب النفس - تمهيد (تأسيس) عقائد التصوّف وأصوله (أعاد صوغه وحرّره عليُّ بنُ حسام الدين المتقي الهنديّ بعنوان: قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة) - مكاتبة إلى كافّة الفقراء (في الشروط الخمسة للقبول في الطريقة) - الذِكْر (الحقيقي) - الـدُّرَر المنتخبة في الأدوية (الأدعية؟) المُجرّبة - الجامع لجُمَلٍ من الفوائد والمنافع - المواهب السنيّة - المباحث السنيّة في خواصِّ منظومة نور الدين الدِّمياطيّ (نظم أسماء الله الحُسنى) - الكشف - شرح الحكم العطائية[1] - شرح المقدّمة الوغليسية[2].

وفي سنة ٨٣٠ هـ صنّف محمّدُ المفضّلُ بنُ الهادي بنِ أحمدَ بنِ عزّوزٍ «كشف الرانِ[3] عن فؤادِ مانع الزيارة ومدّعي تفضيل الوظيفة على القرآن والدليل (على ذلك) والبرهان. وفي سَنَةِ ٨٦٠ هـ صنّف عليُّ بنُ عيسى بنِ سلامةَ البَسْكريّ «اللوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار».

وفي هذه الحِقبة أيضاً إبراهيمُ التازيّ الوهراني (ت ٨٦٦ هـ) له: النُّصح التامّ للخاصّ والعامّ (قصيدة في المواعظ والحكم) - المراديّة (؟). وله في هذا الجزء ترجمة مفردة. ومن المتصوّفة المشهورين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ سُليمانَ الجزولي (ت ٨٧٠ هـ) صاحب «دلائلِ الخيرات» (بروكلمن ٢: ٣٢٧) له ترجمة مفردة.

وهنالك محمّدُ بنُ محمّدِ بن يعقوب الكومي التونسي (ت بعد ٨٨٠ هـ) له: تيسير المطالب ورغبة الطالب (في أسرار الحروف) - الإيماء إلى علم الأسماء (بروكلمن ٢:

= ٤٨٤ (الترقيم للطبعة الأولى) أو ١: ٦٣٧ - ٦٣٨ (الترقيم للطبعة الثانية). ثمّ وقعتُ في بروكلمن، الملحق ١: ٤٨٤ على «القصيدة النونية» لأبي الحسن عليّ بن عبد الله الشُشتري المتصوّف (ت ٦٦٨ هـ). وفي نفح الطيب (٢: ١٨٦ - ١٨٧): وقال (الششتري)، وهي من أشهر ما قال: «أرى طالباً منّا الزيادة لا الحسنى......»، وهي طويلة مشهورة في الشرق والغرب، وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا (كذا ثلاث مرّات) العارف بالله تعالى سيدي أحمد زرّوق.

(١) الحكم العطائية لأحمد بن محمّد بن عطاء الله الاسكندري (ت ٧٠٩ هـ) المتصوّف.

(٢) المقدّمة الوغليسية (في الأصول: أصول الدين) لأبيّ زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (ت ٧٨٦ هـ).

(٣) الران: الغطاء والحجاب الكثيف. الزيارة (لقبر الرسول في المدينة). الوظيفة (راجع الحاشية على الصفحة السابقة). على القرآن (على قراءة القرآن).

٣٢٨)؛ وفي سنة ٨٩١ هـ صنّف أبو النجم ركن الدين الخطيب المغربي «عقائق الحقائق».

ومن أكابر رجالِ التصوّف الإمام أبو عبد الله محمّدُ بن يوسف بن عمر بن شُعيب السنوسيّ (نسبة إلى قبيلةٍ من المغرب) التِلمساني الحَسَني (٨٣٢ – ٨٩٥ هـ) كان متعدّدَ نواحي الشخصية مُلِمًّا بعددٍ كبيرٍ من علوم الدين ومن علوم الدنيا حتّى أيْساغوجي (المُدخل إلى المنطق) والفلسفة والطِبّ وعِلم الجبر والمَقابَلة وعلم الأسطرلاب (الفلك). ولكنّه ٱنفرد بعِلم الباطن (التصوّف) وفاقَ به أهلَ بلدهِ وزمنه. ومن أقواله:

«من الغرائبِ في زمانِنا هذا أن يُوجد عالمٌ جُمع له علم الظاهر (الفِقه) والباطن (التصوّف) على أكملِ وجه بحيث يُنْتَفَعُ به في العِلمين. فوجود مثلهِ في غاية النُّدور. فمَنْ وجَدَه فقد وجد كَنْزاً عظيماً دُنْيا وأُخرَى فَلْيَشُدَّ عليه يدَه لئلاّ يضيعَ عن قريبٍ فلا يَجدَ مثلَه شرقاً وغرباً أبداً – الوليُّ الحقيقيّ من لو كُشِفَتْ له الجنّةُ وحُورُها ما ٱلْتفَتَ إليها ولا ركَنَ لغيرِه تعالى. فهذه حقيقة العارف.– حقيقة العبودية امتثالُ الأمرِ وٱجتنابُ النَّهْيِ مَعَ كمالِ الذِّلّة والخُضوع».

وللإمام السنوسي من الكتب: شرح الفاتحة – شرح صحيح البخاريّ – مكمّل إكمال الإكمال (شرح على صحيح مسلم) – شرح الفرائض الحَوْفيّة – المقرّب المستوفي في شرح فرائض الحَوْفي – شرح كَلِمتَيْ الشهادة – الدليل على أن الشهادتين تجمعان جميع صفات الله ورسوله – شرح أسماء الله الحُسنى – العقيدة الكبرى = عقيدة أهل التوحيد والتسديد المُخرِجة من ظلمات الجهل ورِبْقة (رِبقات) التقليد المُرغمة أنفَ كلِّ مُبتدعٍ عنيد، القاهرة ١٣٠٦ – شَرْحُها للسنوسيّ نفسِهِ (أعمدة أهل التوفيق والتسديد في عقيدة أهل التوحيد) مصر ١٣١٧ هـ. – العِقْد الفريد (المنهاج السديد)؟ – العقيدة الوسطى (السنوسية الوسطى = الجمل = المرشدة) مَعَ شَرْحٍ لها للسنوسي – حاشية عليها لمحمود المَقْدسي، تونس ١٣٢١ هـ. – العقيدة الصغرى = عقيدة أهل التوحيد الصغرى = أمّ البراهين في العقائد (مختصر محتو على عقائد التوحيد)، ليبسك ١٨٤٨ م، الجزائر ١٨٩٦ م، فاس (مراراً)، فاس (في مجموعة) ١٣١٧ هـ، جاوى ١٣١٨ هـ، مصر ١٢٧١، ١٢٧٣، ١٢٨٨، ١٢٩٧،

١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٦ ، ١٣٢٣ هـ - شَرْحٌ عليها للسنوسي: توحيد أهل العِرفان ومعرفة الله ورسوله والبرهان (بالبرهان)، تراني (قرب باري في إيطالية ١٩١٤ م؛- مع شرح لها باللغة الملاوية لزين العابدين محمّد بتّاني، بنانع ١٣١٠ هـ - شرح (بالأردو)؟ لمحمّد زين بن جلال الدين (   ) بومباي ١٣١٠ هـ - (نشره غابرييلي)، تراني (قرب باري في ايطالية ١٩١٤ م - (نشرها هورتن في «نصوص قديمة» رقم ٣٩) بونّ (ألمانية ١٩١٦ م - (نشرها لوشياني في المجلّة الافريقية وعلّق عليها باللغة الفرنسية) الجزائر ١٨٩٦ م (راجع معجم المطبوعات العربية ١٠٥٨ ، قارنه ببروكلمن، الملحق ٢ : ٣٥٣ : المجلة الإفريقية، رقم ٤٢ ، عام ١٨٩٨ م)- حاشية لمحمّد بن أحمد الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ)، بولاق ١٢٨١ ، ١٢٩٧ ؛ القاهرة ١٢٩٠ ، ١٢٩٥ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣٣١ الخ - حاشية لإبراهيم الباجوري (١١٩٨ - ١٢٧٧ هـ)، بولاق ١٢٧٢ ، ١٢٧٧ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٨ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣١٠ ، ١٣٣٠ (مع شرح أحمد الأجهوري على الهامش) ثمّ (طبع حجر) القاهرة ١٢٧٩ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٨ ، ١٣٠٧ ، ١٣١٠ ، ١٣١٨ هـ - حاشية لعبد الله بن حجازي الشرقاوي (ت ١٢٢٧ هـ)، القاهرة ١٢٩٢ هـ - حاشية لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي العريف (ت ١٠٩٦ هـ) في مجموعة، فاس ١٣٠٦ - ١٣٠٨ هـ - حاشية: ذريعة اليقين إلى أمّ البراهين لمحمّد بن عمر النوويّ الجاويّ، القاهرة ١٣١٣ هـ، مكّة ١٣١٧ هـ - حاشية لمحمّد زين، الاستانة ١٣٠٢ هـ - حاشية: سراج الهدى لمحمّد زين السمباوي (باللغة المالاوية)، مكّة ١٣٠٣ هـ.

وللإمام السنوسي أيضاً: المقدّمة (في الفلسفة: الإلّهيات والتوحيد، نشرها لوشيانو) الجزائر ١٩٠٨ م - شرح المقدّمة (شرحها السنوسي) - مختصر المقدّمة (المواهب الربانية، شرحها إبراهيم بن الحسن البنّاني السرقسطي) مطبوعة على هامش «العقيدة الصغرى»، القاهرة ١٣٠٤ ، ١٣٢٢ هـ. - نصرة الفقير = نصرة أهل الدين وأهل اليقين على من تعرّض في التطريق (؟) (في الردّ على أبي الحسن الصغير،

بالتصغير؟، المكناسي) - عمدة ذوي الألباب - كتاب الحدائق - جواب عمّن (؟) سأله عن وزن الأعمال - صلوات - رسالة (بلا عنوان) - جواب عن سؤال عن أبيات لبعض الصوفية - ترجمة (؟) المقامة النبوية - جواب على سؤال أُلْقِيَ على بعض الأخيار في النوم - المُجرَّبات (المحلّي بالمجرّبات)، بولاق ١٢٧٩ هـ، مصر ١٢٩٦، ١٣١٦ هـ؛ (بهامش مجرّبات الديربي) القاهرة ١٣١٨ هـ. - شرح كتاب ايساغوجي (شرح الايساغوجي) - مختصر علم المنطق (مع حاشية الباجوري على شرح السنوسي على مختصر السنوسي في علم المنطق)، ضمن مجموعة، مصر ١٢٩٢ هـ. - مختصر المنطق مع شرحه للسنوسي نفسه، حاشية على الشرح لمحمّد بن الحسن البنّاني السرقسطي (ت ١١٩٤ هـ)، فاس ١٣٠٢ هـ - حاشية على مختصر المنطق للباجوري، القاهرة ١٢٩١، ١٣٢١ هـ - الطبّ النبوي = تفسير ما تضمّنته كلمة (!) خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبّيّة - شرح على حديث «المعدة بيت الداء».

ومن المؤلّفين في التصوّف، في هذه الحِقبة بركاتُ بن أحمدَ بن محمّد العروسي النجّار القسنطينيّ، كان في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر، له: وسيلة المتوسّلين في الصلاة على سيّد المرسلين - تذكرة الغافل وتبصرة الجاهل.

ومن الذين ألّفوا في التصوّف أبو عبد الله محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ السكّاكِ المِكْناسيُّ (ت قبيل ٩١٤ هـ) له استنزال اللطائف الرِضْوانيّة - نُصْح ملوك الإسلام بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام - أُسلوبٌ من الكلام على «لا حولَ ولا قُوّةَ إلاّ بالله». ويأتي في هذه الحِقبة أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ محمّدِ الصبّاغُ قاضي القضاة في القَلْعة (في القُطر الجزائريّ) كان في أوائل القرن العاشر، وقد صنّف بُستان الأزهار في مناقب زمزمِ الأخيار ومَعْدِنِ الأنوار سيدي أحمدَ بنِ يوسفَ الرشيدي (دفين مِليانة بالقطر الجزائري نحوَ سَنَةَ ٩٢٠) - شفاء الغليل - شرح على الذِكْر - وله أقوالٌ نشرها رينيه باسّه، باريس ١٨٩٠ م.

ثمّ هنالك الفقيهُ الصوفي محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ صَعْدِ التلمساني[١] (ت مصر ٩٠١ هـ)

---

(١) راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٢، وفيه بن سعد (خطأ في الطبع)، ثم الأعلام للزركلي ٦:٢٣١ (٥: ٣٣٥).

تلميذ السنوسيّ، له: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب - روضةُ النِّسرين في مناقب الأربعة المتأخّرين (الهوّاريّ، وإبراهيم التازي والحسن أبركان وأحمد بن الحسن الغماري) - مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبيّ عليه السلام.

وعاش في النصف الأوّل من القرن العاشر برهانِ الدين إبراهيمُ بنُ محمودٍ الشاذليُّ (ت نحو ٩٠٦ هـ) له: أصولُ مقدّماتِ الوصول - حزب المغرب - التفريد بضوابط قواعد التوحيد.

التاريخ والجغرافية

يَلِي ٱتّساعَ التأليفِ في العلوم الدينية، في عصرِ بني نَصْرٍ، ٱتّساعُ التأليفِ في التاريخ لأنّ التاريخَ من الفُنون التي يتأسّى بها الناس في أيام ضَعْفِهِم. فمِنْ أوائلِ الذين ٱشتغلوا بِكتابة التاريخ في هذا العصر يوسُفُ بنُ محمّدٍ البيّاسيُّ (ت ٦٥٤ هـ)، له الإعلامُ بالحروب في صَدْر الإسلام. وفي أيّامِه كان أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عبدِ الله بن الأبارِ القُضاعي(★★) (ت ٦٥٨ هـ) الذي كَثُرَتْ تصانيفه في التاريخ السياسيّ والتراجم وفي تاريخ الأدب. ثمّ يأتي أبو الحسنِ عليُّ ٱبنُ موسى بنِ سعيدٍ العَنْسيّ(★★) (ت ٦٨٥ هـ) آخِرُ الذين عَمِلوا في تأليف كتاب «المُغْرِبِ في حُلى المَغْرب»، له «كتابُ الجُغرافيةَ» (بيروت - المكتب التجاري ١٩٧٠ م). ولعبدِ العزيز بنِ محمّدٍ المَلْزوزيّ(★★) (ت ٦٨٥ هـ) كتابٌ في تاريخ المغرب لا نَعْرِفُ له عُنواناً خاصًّا. ثمّ يأتي أبو محمّدٍ العَبْدريُّ البَلَنْسيّ(★★) صاحب «الرِحلةِ المَغْربية» التي بدأ القيامَ بها سَنَةَ ٦٨٨ للهجرة.

فإذا ٱنتقَلْنا إلى القرن الثامنِ وَجَدْنا أبا العبّاس الغِبريني(★★) (ت ٧١٤ هـ) صاحبَ «عُنوانِ الدِراية فيمن عُرِفَ من العلماء في المِائَةِ السابعةِ بِبِجاية» (في القطر الجزائري اليوم)، وهُوَ كتابُ تراجمَ؛ ثمّ وَجَدْنا ٱبنَ عِذاري(★★) (ت ٧٢٥ للهجرة، في الأغلب)، وله «البَيانُ المُغْرِبِ في أخبار إفريقيةَ والمَغْرب»، سَرَدَ فيه أولاً تاريخَ المَغْرِبِ ثمّ تاريخَ الأندَلُس. وهنالك أبو الحسن عليُّ بنُ عبدِ الله (أو ٱبنِ محمّدٍ) الفاسيُّ(★★) (ت ٧٢٦ هـ) له «الأنيس المُطرِبُ برَوْضِ القِرْطاس في أخبارِ ملوك

المَغرب وتاريخِ مدينة فاس ». وهنالك قاضي غَرْناطةَ أبو عبد اللهِ محمّدُ بنُ يحيى بن أبي بكرٍ (قُتِلَ شهيداً في وَقْعةِ طَريفٍ، ٧٤١ هـ) له « التمهيدُ والبَيانُ في فضلِ الشهيدِ عُثمانَ بنِ عفّان » - وكأنّه نظَرَ عند تأليفِ هذا الكتابِ إلى مَوْته هو شهيداً. ولأبي البقاءِ خالدِ بنِ عيسى البَلَويّ(★★) رِحلة (٧٣٦ - ٧٤٠ هـ) سَمّاها « تاجَ المَفرِق بتَحْلِيَةِ عُلماءِ المَشْرق »، وقد مَلأها بالسَّجْع. ويأتي هنا أيضاً أبو الحسنِ عليٌّ الجزنائي(★★) (ت ٧٤٩ هـ) له « زهرُ الآس » (في بناء مدينة فاس). وفي هذا العصر المؤرِّخ المُوسِعي لسانُ الدين بنُ الخطيب(★★) (ت ٧٧٦ هـ) والرّحالةُ ٱبْنُ بَطّوطةَ(★★) (ت ٧٧٩ هـ)، وشُهْرتُهما في فُنونِهما واسعة. ولأبي زكريّا يحيى بنِ محمّدِ بنِ خَلْدونٍ(★★) (قُتِلَ بتِلْمسانَ، سَنَةَ ٧٨٠ هـ)، له « بُغْيةُ الرُّوّاد في ذِكرِ الملوك من بني عبدِ الواد ». ثمّ هنالك لعبدِ اللهِ بنِ إبراهيمَ الأَصيليّ (ت ٧٩٢ هـ) « عُمدةُ الطالب في نَسَبِ آلِ أبي طالبٍ ».

ومن كبارِ المؤرّخين مؤسّسُ عِلمِ التاريخ ومُوجِدُ علمِ الآجتماع عبدُ الرحمنِ ٱبنُ خَلْدونٍ(★★) (ت ٨٠٨ هـ). ويأتي هنا أبو الفضلِ أبو القاسمِ إبراهيمُ البَرّاديُّ تلميذُ الشيخِ عامرٍ الشمّاخي (ت ٧٩٢ هـ). وقد صنّف البَرّاديُّ، سَنَةَ ٨١٠ هـ، كتابَ الجواهرِ المُنْتَقاةِ في إتمام ما أخَلَّ به كتابُ الطَبَقات » (القاهرة ١٣٠٢ هـ). وكتابُ الطَبَقاتِ المُشار إليه هنا، هو « طَبَقاتُ المشايخ » (في حياةِ الرسولِ والصَّحابةِ والأئِمّةِ الرُسْتُميّين وعلماءِ الإباضيّة) لأبي العباسِ أحمدَ بنِ سعيدِ الدَّرْجِينيّ، ألّفه الدَّرجينيُّ بُعيدَ سَنَةَ ٦٢٦ للهِجرة.

ومن أُسرةِ بني نَصْرٍ (أو بني الأحمرِ) في غَرْناطةَ أبو الوليدِ إسماعيلُ بْنُ يوسُفَ بنِ مُحمّدٍ(★★) (ت ٨١٠ هـ، في الأغلب) له عددٌ من كُتُبِ التاريخ: نَثْرُ الجُمانِ في شِعْرِ مَنْ نَظَمَني وإياهُ الزمانُ - نَثيرُ إفراد (؟) الجُمان في نَظْمِ فُحولِ الزمان (من أحياء المِائَةِ الثامنة) - مشاهيرُ بيوتاتِ فاس - حديقةُ النِّسْرين في أخبارِ بني مَرينٍ. ولأبي العبّاسِ أحمدَ بنِ الحُسينِ (أو الحسن) بنِ علِيٍّ بن قُنْفُذٍ (ت ٨١٠ هـ) « كتاب الوَفَياتِ » مُرتَّباً على السِّنين، وهو على غايةٍ من الإيجاز. ثمّ يأتي القاسمُ بنُ عيسى بنِ الناجي القَيْروانيّ (ت ٨٣٧ هـ) القاضي، وخطيبُ جامعِ الزيتونةِ، له « معالمُ

الإيمان » (في أقسام): وصفِ المساجدِ القديمة ، تاريخِ بناءِ القَيْروان ، وتَراجمَ نَفَرٍ من المشاهير). وبعد أمَدٍ نَجِدُ مُحمّدَ بنَ عليٍّ الشاطبيَّ المَغْربيَّ الذي صنّف ، في تازةَ (في المَغْرب الأقصى) ، سَنَةَ ٨٧٠ للهِجرة ، « عُقودَ الجُمان في (مختصر) أخبارِ الزمان » . ثمّ هنالك محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ الجليل التَنَسِيّ (ت ٨٩٩ هـ) ، له « نَظْمُ الدُّرَرِ والعِقْيانِ في بَيانِ شَرَفِ بني زَيّان » .

ويأتي أخيراً أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ غازٍ(**) (ت ٩١٩ هـ) ، له « الرَّوْضُ الهَتون في أخبار مِكناسةِ الزيتون » . ثمّ يأتي في أعقابِ هذا العصرِ أبو العبّاس أحمدُ ٱبنُ أبي عثمانَ سعيدِ بنِ عبدِ الواحد الشَّمّاخيُّ اليَفرَنيُّ العامريُّ المُتوفّى في جبَل نَفوسةَ (جَنوبَ غربيّ ليبيا اليومَ) في جُمادى الأولى من سَنَةِ ٩٢٨ (نَيْسانَ - إبريل ١٥٢٢ م) ، له كتابُ « السِّيَر » ٱختصَرهُ من كتابِ أبي زكريّا يحيى بنِ أبي بكرٍ الوَرْجَلانيّ (ت ٤٣١ هـ) وعنوانه: « السِّيَرُ وأخبارُ الأئمّة » (تاريخ أئمةِ الإباضيّة في مَزابَ بجَنوبيِّ الجزائر) ومن كتاب الطَبَقات للدرجيني ومن الجواهرِ المُنتقاةِ للبرّاديّ (راجع في الدرجينيّ والبرّاديّ، فوق ، ص ٨١) ثمّ زادَ على هذه الكتب تَراجِمَ (إلى قريبٍ من زَمَنِه).

والسياسةُ العامّة شديدةُ الصِلة بالتاريخ . ولقد مرّ بنا شيءٌ من ذلك في الكلام على أبي بكرٍ محمّدِ بنِ الوليدِ الطُّرطوشيّ(**) (ت ٥٢٠ هـ) ويحسُنُ هنا مدُّ الكلامِ قليلاً في أبي حَمّو موسى (الثاني) بنِ أبي يعقوبَ يوسُفَ بنِ أبي زكريّا يَحْيى بن أبي يحيى يَغَمْراسَنَ بن زَيّانَ . ويَغَمْراسَنُ بنُ زَيّانَ (٦٠٣ - ٦٨١ هـ) هذا ٱستَقلّ بمدينة تِلِمْسانَ (القُطر الجزائري) بعدَ ضَعْفِ دولة المُوَحِّدينَ وأنشأ سلطنةَ فَرْعِ زيّانَ من بني عبدِ الواد .

وُلِدَ أبو حَمّو موسى بنُ يوسُفَ ، سَنَةَ ٧٢٣ للهِجرة (١٣٢٣ م) ، في غَرْناطة (الأندلُس) حيثُ كان أبوه مُبْعَداً . وفي أواخرِ سَنَةِ ٧٣٦ للهِجرة (أواسطِ ١٣٣٦ م) ٱستولى المَرينيّون على تِلِمْسانَ وأزالوا مُلْكَ بني زَيّان . ثمّ إنّ أبا حَمّو موسى بنُ يوسُفَ ٱستطاع بعدَ أمدٍ ، في صَفَرَ من سَنَةِ ٧٦٠ (كانون الثاني - يناير ١٣٥٩ م) ، وفي حديثٍ طويل ، أن يدخُلَ تِلِمْسانَ ويُعيدَ مُلْكَ بني زَيّان . وجعلَ أبو حَمّو موسى

(الثاني) هذا لدولةِ بني زيّانَ قوّةً وأُبَّهَةً. غير أنّ الدهرَ لَمْ يَصْفُ لأبي حَمّو فنازَعَهُ أولادُهُ ثمّ قُتِلَ هُوَ في مَعْرَكَةِ الغيران (على نِصف يومٍ من تلمسان - في محاربة آبنهِ عبدِ الرحمنِ - في رابعِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٧٩١ (٢٣/ ١١/ ١٣٨٩ م).

وكان أبو حمّو موسى بنُ يوسُفَ حازماً حكيماً وإداريًّا عُمرانيًّا ومُثقّفاً مُصَنِّفاً وَصَلَ إلينا منه كتابٌ قَيّمٌ في السِياسة العامّة آسمه[1] «واسطةُ السُّلوك في سِياسة المُلوك»، ألّفَهُ بينَ ٧٧١ و٧٧٧ للهجرة (١٣٣٩ - ١٣٧٥ م) وجعَلَهُ أربعةَ أقسامٍ: في قواعدِ المُلك والوصايا والآداب والحِكَمِ المُرشِدة إلى طُرُق الصواب (في الحُكْم) - في قواعدِ المُلْكِ وأركانهِ وما يَحتاجُ إليه المَلِكُ في قِوامِ سُلطانه - في الأوصاف التي هي نِظام المُلْك وكَماله وبَهْجَتُه وجَماله - في الفِراسة (معرفة خفايا الناس من النظرِ إلى وُجوهِهم ومن كلامهم وسُلوكِهم) وهي خاتمة السياسة.

ولا شكَّ في أن أبا حمّو قدِ آعتمد عدداً من المصادر آستقى منها أحكامَه وأمْثِلَتَه أبرزُها أثراً في كِتابه: سراجُ الملوك للطُّرطوشيّ (ت ٥٢٠ هـ) - كتاب العِقْد لابن عبدِ ربّه (ت ٣٢٨ هـ) - المنهج المسلوك في سياسة الملوك لعبد الله آبن عبد الرحمن[2] - سُلْوانُ المُطاع في عُدوانِ الاتّباع لمحمّدِ بن عبدِ الله بن ظَفَرِ المالكيّ (ت ٥٦٥ هـ).

---

(١) الأسطر التالية المتعلّقة بأبي حمّو موسى (الثاني) الزيّاني مستقاة من البحث التالي: النظرية السياسية للسلطان أبي حمّو الزيّاني الثاني لوداد القاضي - في مجلة «الأبحاث» (مجلة يصدرها مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط: كلية الآداب والعلوم - الجامعة الأميركية، رئيس التحرير: إحسان عبّاس - الجامعة الأميركية في بيروت) السنة ٢٧ (١٩٧٨ - ١٩٧٩ م).

(٢) هو جلال الدين أبو النجيب أبو الفضائل عبد الرحمن بن نصر (الله) بن عبد الله بن نصر بن عبد الله الشيزري (نسبة إلى شيزر - قرب حماة في شماليّ الشام: سورية) التبريزي العدوي النبراوي (بفتح ففتح فيهما)، عاش مدّة طويلة في حلب وكان كاتباً عند صلاح الدين الأيوبي، وتولّى القضاء في طبريّة. ثمّ كانت وفاته سنة ٥٨٩ للهجرة (١١٩٣ م). وكان عبد الرحمن بن نصر هذا مصنّفاً له: النهج المسلوك (أو نهج السلوك) في سياسة الملوك (ألّفه لصلاح الدين الأيوبي) ثمّ خلاصة الكلام في تأويل الأحلام (راجع بروكلمن ١: ٦٠٣، الملحق ١: ٨٢٢ - ٨٢٣). وقد اضطرب يوسف اليان سركيس في فهرسته الجامع «معجم المطبوعات العربية والمعرّبة» فأورد اسمه في أمكنة مختلفة، قال: أبو الفرج عبد الرحمن نصر بن عبد الله الشيرازي نبغ في حلب (سنة) ٥٦٥، له خلاصة الكلام في تأويل الأحلام، باريس ١٨٦٤ (ص ١١٧٥)؛ وقال: الشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، توفّي ٥٨٩، له «المنهج =

وتحاول ودادُ[1] القاضي صُنعَ نظريّةٍ سِياسيةٍ لأبي حمّو تُقيمها على الأُسُس التالية: خُلُقُ المَلِك: القاعدةُ الرُّباعية (الفضائل الأربعة: العقل والشجاعة والعدل ثمّ الكرم والحِلم والعَفْو كأنّها شيءٌ واحدٌ، حتى يُصْبِحَ العددُ هنا أربعةً). وأما الأساس الثاني فهو رعيّةُ الملك (وتُسمّيها صاحبةُ المقال: القاعدةَ البيروقراطية)، أي مرافقُ الدولة أو خُطَطُها أو مناصبها والموظفون مِنَ الذين يقومون بالعمل في هذه المناصب. والأساس الثالث: مال المَلِك (القاعدة الآقتصادية) أوِ الجِباية وإنفاقُ مالِ الدولة وحُسنُ القِيام على هذا المال في جِبايتهِ وفي إنفاقه. والأساس الرابع: جيشُ المَلِك (القاعدة العسكرية) حُسنُ معاملةِ الجُند والتفطُّنُ لمقاصِدِ العَدُوّ ولحركاته. والأساس الخامس: فَراسة المَلِك (القاعدة السيكولوجيّة). ولقد أولى أبو حمّو هذا الأساس آهتماماً كبيراً فيما يتعلّق برجاله وأعوانه وبما يتعلّق بخُصومِه وأعدائه.

ولا ريب في أن هذا الكتاب - واسطة السلوك في سياسة الملوك (كما يظهر من مقال وداد القاضي) - نصائح شخصيّة جمعها أبو حمّو من طريق حياته (من قراءته في الكتب ومن اختباره في الإدارة والحرب). ويبدو أن أبا حمّو قد حاول أن يبوّبها تبويباً عاقلاً نافعاً.

ولا يغيب عن المطالع في مقال وداد القاضي أن أبا حمّو قدِ آستفاد من كتاب «كليلة ودمنة»، كما استفاد من المأثورات عن أفلاطون والواردة في الكتب العربية. إنّ ما سمّته وداد القاضي: خُلُقُ المَلِك أو القاعدةَ الرُّباعية - وهي العقل والشجاعة والعدل... والحِلم... - إنّما هي الفضائل الأربع عند أفلاطون (ت ٩٧٠ قبل الهِجرة = ٣٤٧ ق. م.)، وإن كان أبو حمّو قد جمع في كتابه كلَّ الأقوال التي

= المسلوك في سياسة الملوك، بولاق ١٨٤١ م (١٢٥٧ هـ)؛ مصر ١٣٠٦ و ١٣٢٦ هـ (ص ١٢٧٧). وبعد سطرين ذكر عبد الرحمن بن نصر الشيرازيّ وأحال على الشيرازي. راجع أيضاً الأعلام للزركلي (الطبعة الرابعة) ٣: ٣٤٠. وقد قبلت وداد القاضي عنواناً للكتاب «المنهج المسلوك...» (ص ٧٩). وهنالك أيضاً «المنهج المسلوك في سياسة الملوك» ليوسف بن أيوب بن يحيى (بروكلمن الملحق ٢: ١٠١٧).

(١) هي (الآنسة الدكتور) وداد بنت عفيف بن حسن بن محيي الدين القاضي من أسر بيروت الكريمة المعروفة (ولدت في بيروت ٢٢/ ١١/ ١٩٤٣ م).

توافق مَقْصِدَه من غيرِ أن يوزّعها بين مصادرها. ولقد أشارتْ ودادُ القاضي إلى مثل ذلك.

وفي هذا الباب من السياسة العامّة يأتي شمسُ الدين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عليِّ بنِ محمّدٍ الأصبحي المعروفُ بٱبنِ الأزرق الأندلسيّ، تولّى القضاءَ في غَرناطةَ ثمّ غادر الأندلس إلى تِلِمْسانَ (في العُدْوة المَغْربية)[1] - لمّا استولى الإسبانُ على غَرناطةَ - ويبدو أن وفاتَه كانت بُعيد ذلك (قُبيل ٱنتهاء القرن الهِجريّ التاسعِ والقرن الميلادي الخامسَ عشَرَ). وأحبّ ٱبنُ الأزرقِ هذا أن يسلُكَ سبيلَ ٱبنِ خَلْدونٍ (ت ٨٠٨ هـ) في فَهْمِ التاريخ فهماً ٱجتماعيًّا، فوصل إلينا من كُتُبِهِ: الإبريزُ المسبوكُ في كيفيّةِ آدابِ الملوك (صنّفه سَنَةَ ٨٨٣ هـ) - تحبيرُ الرياسة وتحذيرُ السياسة - بدائعُ السِّلك في طبائع المُلْكِ، قال فيه أحمدُ بنُ أحمدَ بابا التُّنْبُكْتيُّ (ت ١٠٣٦ هـ) (نيل الابتهاج ٣٢٤): « ... بدائعُ السلك في السياسة السُّلطانية، كتابٌ حَسَنٌ مُفيدٌ في مَوضوعه، لَخّص فيه (ٱبنُ الأزرق) كلامَ ٱبنِ خَلْدونٍ في مُقدّمةِ تاريخِه وغيرَه معَ زَوائِدَ لا يُستغنى بوجهٍ عنها» (لا يستغنى عنها بوجه).

ومن المتأخّرين في هذا الدورِ محمّدُ بنُ عبدِ الكريم المَغيلي التِلِمْساني[2]، له «تعريفٌ فيما يَجِبُ على الملوك»، وقد طُبِع بعنوان «تاجِ الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين» (بيروت ١٩٣٢ م) - «أحكام أهل الذمة».

ومن السياسة الخاصّيّةِ (سياسةِ الإنسانِ نفسَه) النِّكاحُ. وقد وَصَل إلينا من

---

(١) في نيل الابتهاج (ص ٣٢٤): الغرناطي وقاضي الجماعة في غرناطة... كان حيًّا في حدود التسعين وثمانمائة، ارتحل لتلمسان لمّا استولى العدوّ على بلده ثمّ للشرق. ولم أقف على وفاته. - راجع أيضاً بروكلمن ٢: ٣٤٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٨١ (٦: ٢٨٩، مع الحاشية الطويلة المفيدة). وقد قدّر الزركلي تاريخ وفاة ابن الأزرق فكانت عنده ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م). ومن الصواب أن تؤخّر بضع سنوات أخرى.

(٢) هو محمّد بن عبد الكريم بن محمّد المغيلي - نسبة إلى مغيل (بفتح فكسر) بلد قرب فاس (القاموس ٤: ٥١) - التلمساني مفسّر وفقيه ونحويّ ومنطقي ومن العارفين بالاجتماع والسياسة (راجع نيل الابتهاج ٣٣٠ - ٣٣٢؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٣؛ الأعلام للزركلي (ط ٤، ٦: ٢١٦). وكانت وفاته ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م).

تصنيفِ أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ أحمدَ التّجانِيّ(**) صاحبِ الرّحْلة والمُتوفّي نحوَ سنة ٧١٧ للهجرة (١٣١٧ م) « تُحفة العَروس[١] ونُزهة النفوس » . وكذلك وَصَل إلينا من تصنيف أبي عبدِ الله عُمَرَ بنِ محمّدٍ النّفْزاويّ[٢] كتاب الرَّوْضِ العاطرِ في نُزهة الخاطر = المطبوعُ بعُنوانِ « تنويرِ البِطاح في معرفة كَيْفية النِّكاح » (القاهرة : بلا تاريخ ؛ فاس ١٣١٠ هـ ؛ تونس ١٩٢٨ م . ثمّ هو منقول ومطبوع في اللغات الفرنسية والإنكليزية والألمانية) .

علوم التعاليم

علومُ التعاليمِ هي العلوم التي تجري في الأعداد كثيراً أو قليلاً ، أو هي العلومُ الرياضية والطبيعية في تصنيف المعارف الإنسانية عندنا اليومَ . وهنا موضعُ ملاحظةٍ يحسُنُ أنْ تتكررَ مرّةً بعدَ مرة : إن « العلم » ليس فقط مُفرداتِ المعارف القائمةَ على القواعد الدقيقة كالحساب والفلك والموسيقي ، ولكنّ « نعتَ » العلم ينطبقُ أيضاً على كل فنٍّ من فنون المعرفة الإنسانية كالفلسفة والأدب والتاريخ إذا نحن سِرْنا فيه على منهجٍ معيّن .

وعصرُ بني نصرٍ في الأندلس كعصر بني مَرينٍ في المغرب لم يَخْلُ من علوم التعاليم . أما قِلّةُ هذه العلوم في الأندلس فلأنّ العربَ لم يكن لهم في الأندلس ، في تلك الحِقبة ، سوى مدينة غَرْناطةَ وما حولَها ، فلا يُنتظرُ أن يكونَ فيها « علم » كثيرٌ وإن كثرتْ فيها الفُنون الأدبية واللُّغوية والدينية ، لأنّ هذه الفنونَ أقربُ إلى العاطفة - والعاطفةُ تَقْوَى في أيامِ الضَّعْف السياسيّ . أما قِلّةُ علومِ التعاليمِ في المغرب في ذلك الحينِ فتَرْجِعُ في رأي عبدِ الله كنونٍ (النبوغ المغربي ، ص ١٩٨ ، راجع ١٩٩) إلى أنّ سلاطينَ المَرينيينَ لم يشجّعوا هذه العلومَ كما شجّعها الموحدونَ في

---

(١) العروس تقال للرجل وللمرأة.

(٢) كتب النفزاوي هذا لأبي عوانة الزواوي وزير السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز الذي تولّى من سنة ٧٩٦ إلى سنة ٨٣٧ للهجرة (١٣٩٤ - ١٤٣٣ م). ويبدو أن الزواوي كان في أوّل هذه المدّة (راجع بروكلمن ٢ : ٣٣٤ ، الملحق ٢ : ٣٦٨ - ٣٦٩).

بعضِ أدوارهم، وخصوصاً في أيام يعقوبَ المنصورِ المُوحّدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

★ ★ ★

يبرُزُ في هذا العصرِ ثلاثةٌ من علماءِ الرياضيّات أوّلُهم في تاريخ الوفاةِ محمّدُ آبنُ إبراهيمَ بنِ الرقّامِ المُرْسيُّ الأندلسيُّ (ت ٢١ صفر ٧١٥) وكان مشاركاً في الرياضيّات والفيزياء وعلمِ النبات وفي الطبّ، له كتابٌ في علم الظِّلال (فيزياء: بصريّات؟) وفي المِساحة (الهندسة المستوية) في كتاب له عُنوانُه «التكسير»، أوّلُه: «التكسيرُ صِناعةٌ يُنْظَرُ فيها في مِساحة الأشكال» (راجع الأعلام للزركلي، ط ٤، ٥: ٢٩٧؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧٨).

وأمّا الشمسُ المُشرقةُ في الرياضيّات، في هذا العصر، فكان أبا العبّاسِ أحمدَ بنَ محمّدِ بن عُثمانَ الأَزْديّ المَرّاكُشي المعروفُ بابنِ البنّاءِ العَدَدِيِّ (٦٤٩ - ٧٢١ هـ)، صنّف كُتُباً كثيرةً في الحساب والجبر والهندسة والفلك والتنجيم والجُغرافية والنبات. وتقومُ شُهرتُه على كتابه المعروف بعُنوانِ «تلخيص أعمالِ الحساب»[(١)]. ويبدو أن آهتمامَ آبنِ البنّاء - بالإضافة إلى إحاطته بفُروعِ هذا العلمِ - كان مُنْصَبًّا على تَيْسيرِ الحُسبانِ على الناس[(٢)].

ثمّ يأتي يَعيشُ بنُ إبراهيمَ بنِ يوسُفَ بن سَمّاكٍ (ت نحو ٧٧٣ هـ) له: مراسمُ الآنتساب في علم الحساب - رفعُ الإشكال في مِساحة الأشكال (في الهندسة المُستوية) - علم القبّان (فيزياء - علم الحِيَل: ميكانيك) وغيرُها في موضوعاتٍ أُخرى[(٣)].

---

(١) حقّقه وترجمه (نقله إلى الفرنسية) وعلّق ليه الدكتور محمّد السويسي، تونس (منشورات الجامعة التونسية) ١٩٦٩ م.

(٢) راجع تمهيد محمّد السويسي لكتاب «تلخيص أعمال الحساب» (الحاشية السابقة)؛ تراث العرب العلمي لقدري طوقان، الطبعة الثالثة، ٤٢٩ - ٤٣٢؛ بروكلمن ٢: ٣٣٠ - ٣٣١، الملحق ٢: ٣٦٣ - ٣٦٤؛ النبوغ المغربي ٢٢٠ - ٢٢١؛ الأعلام للزركلي ١: ٢١٣ - ٢١٤ (٢٢٢).

(٣) راجع الأعلام للزركلي ٩: ٢٧١ (٨: ٢٠٥ - ٢٠٦)؛ ووفاته في بروكلمن (٢: ٣٤٤) قبل سنة ٧٧٤ هـ. ثمّ يذكره بروكلمن (الملحق ٢: ٣٧٩) باسمه وينسب إليه الكتب التي ذكرها له من قبل ولكن يجعل وفاته سنة ٨٩٥ هـ = ١٤٨٩ م.

ولعلّ من علماء هذا العصرِ (وفي القرنِ الثامنِ للهجرة؟) أبا عبدِ اللهِ بنِ هلالٍ، قال فيه عبدُ الله كنون (النبوغ المغربي ١٩٨): إمامُ التعاليم وأنّه شَرَحَ كتاب المِجَسْطي لِبَطْلَيْمُوسَ القَلوذيّ.

ويبدو أنّ علم الفلك والحُسبانَ الفلكيّ كانا على مستوًى صالحٍ من الرقيّ، فإنّ أبا عليٍّ الحسنَ بنَ عُمَرَ المرّاكُشيَّ (ت نحو ٦٦٠) كان له كتابُ «جامعِ المبادىء والغايات في علم المِيقات» (بروكلمن ١: ٦٢٥، الملحق ١: ٨٦٦).

ومن البارعين في علم الفلك في هذا العصر مُحيِي الدين أبو الفتحِ يحيى بنُ محمّدِ آبنِ أبي الشُّكر (أو شُكر) المعروفُ بالحكيم المَغْربيّ (ت بين ٦٨٠ و ٦٩٠ هـ)، كان من أهل قُرطُبةَ ثمّ رَحَلَ إلى المشرق وعَمِلَ مَعَ نصيرِ الدين الطوسيّ في مرصد مَراغَةَ[1]. ولابن أبي الشُّكر كُتُبٌ كثيرةٌ في الرياضيّات والفلك منها (في الهندسة والمُثَلّثات): تحرير أُقليدسَ في أشكال الهندسة - كتاب المَخْروطات (تحرير المخروطات لأبولونيوس) - إصلاح كتاب منالاوُس في الأشكال الكُرِيّة - تهذيب كتاب ثُيودوسيوس في الأُكَرِ - رسالة في آستخراج الجُيوب الواقعة في الدائرة - رسالةٌ فيما تفرّعَ عن الشكّل القَطّاع من النِّسَبِ على سبيل الإيجاز. ثمّ له (في الفلك والحُسبان الفَلَكيّ): الحُكم على قَرائن (قِران)[2] الكواكب في البروج الاثْنَيْ عَشَرَ - مقالات تتعلّق بحركات الكواكب - مقالة في آستخراج تعديل النهار وساعات المشرق (شروق الشمس)، والدائر من الفلك بطريق الهندسة - مُلَخّص المِجِسْطيّ (؟ من نقل أبي الفرج غريغوريوس المَلَطيّ المتوفّى ٦٨٥ للميلاد) - زِيجٌ (جدولٌ وتفسيرٌ لهذا الجدول) لتقويم الكواكب يشتمل على مِائَتَيْنِ وواحدٍ وأربعينَ فَنًّا من الحساب - تسطيح الأُسطرلاب - أربعُ مقالات في النجوم - رسالة الخطا والإيغور[3]. وكذلك

(١) مراغة في آذربيجان الفارسية (في منطقة جبلية في أقصى الشمال - جنوب تبريز). وكان فيها مرصد من أكبر المراصد القديمة. اجتمع في هذا المرصد نفر كثيرون من علماء الفلك المسلمين.

(٢) القران (بالكسر): وجود نجمين على ممر واحد من خطّ البصر.

(٣) الخطا: (بخاء معجمة مفتوحة وطاء مهمله مفتوحة وألف): كاتاي - قبائل من الترك كانوا يعيشون شمال نهر جيحون، في أواسط آسية وكانوا على الوثنية، ومساكنهم كانت في مناطق تابعة للصين (راجع في تحقيق ذلك تاريخ ابن الآثير ٩: ٢٩٧، ١١: ٨١، ٨٣، ٨٤ ع، ٨٥ ثمّ راجع فهرس الأعلام (في تاريخ =

له كتب في التنجيم[1].

ويأتي هنا شمسُ الدين أبو العبَّاسِ محمّدُ (أحمدُ) بنُ مسعودٍ الخزرجيّ السَبْتي (من أهل سَبتةَ) المغربي (ت ٦٩٨ هـ)، قيل فيه إنّه مخترعُ علمِ الزايرجة[2].

ثمّ يأتي أبو مَقْرَعٍ (بفتح فسكون ففتح : النبوغ المغربي ٢٢١ مرّتين) أو أبو مقرعة (نفح الطيب ٢ : ٦٩٣، السطر السادس من أسفل) البطّوي[3] له رجز في التقويم والتنجيم[4].

ولشمسِ الدين محمّدٌ الجَزوليُّ (ت نحو ٧٤٥ هـ) : كتاب العمل بالأسطرلاب - رسالة في العمل بالجَيْب الغائب (؟) - رسالة في رُبْع المساترة (؟) - رسالة في ثُمْن الدائرة (بروكلمن ٢ : ٣٣١ - ٣٣٢، الملحق ٢ : ٣٦٤ ابن الجزولي).

ومن عُلماءِ الفلك أبو زيد اللَّجائيّ الفاسيّ (ت ٧٧٣ هـ) اخترع اسطُرلاباً مُلصقاً بالجدار والماء يدير شبكته (؟) على الصفحة، فيأتي الناظر فينظر إلى ارتفاع الشمس كم هو وكم مضى من النهار، أو ينظر ارتفاع الكواكب في الليل .

ثمّ نَجِدُ للزُّبيرِ بنِ أحمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الزبير (ت ٧٩٠ هـ) تذكرة ذَوِي الألباب في استيفاء العمل بالأُسطرلاب (بروكلمن ٢ : ٣٤٤). ثمّ يأتي في هذا النَّسَقَ أبو الحسن عليُّ بنُ موسى بنِ عبدِ الله بن محمّدِ بن حَيْدورٍ[5]، له : الآعتباراتُ النظريّة في الأحكام

= ابن الآثير) لاتمام التحقيق. والايغور أيضاً من الترك. - طريقة الحسبان الفلكيّ عند هاتين الأمتين.

(١) راجع في الحكيم المغربي: الأعلام للزركلي ٩: ٢١٠ (٨: ١٦٦)؛ بروكلمن ١: ٦٢٦، الملحق ١: ٨٦٨ - ٨٦٩؛ تراث العرب العلمي لقدري طوقان ٤٢٤.

(٢) في تاج العروس (الكويت ٦: ٢٥): الزايجة صورة مربّعة أو مدوّرة تعمل لموضع (مواضع) الكواكب في الفلك لينظر (فيها) في حكم المولد (مولد الشخص من حيث السعد والنحس) في عبارة المنجمين. - راجع في ابن مسعود السبتي بروكلمن ١: ٦٥٥، الملحق ١: ٩٠٩ - ٩١٠.

(٣) يمكن أن يكون اسمه الكامل: أبو محمد عبد الحقّ بن عليّ البَطُّويّ (نسبة إلى بطّوية في الريف، شمال المغرب) الورزيزيّ الجمولّي المرجوشيّ السوسيّ، له رجز في التقويم والتنجيم (لعلّه: «بروج القمر عند العرب» الذي حرّره موتيلنسكي وطبعه (الجزائر ١٨٩٩ م) - راجع النبوغ المغربي ٢٢١؛ بروكلمن ٢: ٣٣١، الملحق ١: ٣٦٤).

(٤) راجع في اللجائي النبوغ المغربي ٢١٤ - ٢١٥؛ تراث العرب العلمي ٤٣٧.

(٥) في النبوغ المغربي، ص ٢٢١، السطر الخامس: هيدور (بالهاء). راجع أيضاً بروكلمن الملحق ١: ٣٦٥ - (بالحاء).

النجومية – شرح تلخيص أعمال الحساب لأبن البناء العَدَديّ.

ثمّ يأتي الجاديريّ (بالياء بعدَ الدال، النبوغ المغربي ١٩٩، ٢٢١) أو الجادريّ (بكسر الدال وبفتح الدال: راجع بروكلمن، الملحق ٢ : ٢١٧) وهو أبو زيدٍ عبدُ الرحمنِ المُؤقّتُ في مسجد القَرَوِيّين في فاس (ت ٨١٦ هـ)، له روضة الأزهار في علم الليل والنهار.

ثمّ يأتي محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ يَحْيى بن الحَبّاكِ (ت ٨٦٧ م)، له: بُغيةُ الطُّلاّب في علم الأُسطرلاب – شَرْحُ روضةِ الأزهار في علم الليل والنهار (للجاديري) – تُحْفَةُ الطُّلاّبِ في عددِ السنينَ والحسابِ (راجع بروكلمن ٢ : ٣٣٢، الملحق ٢ : ٣٦٥؛ نيل الابتهاج ٣٣٣ فاس).

ومن الفنونِ التي تأخُذُ من الرياضيّات ومن الفيزياء الموسيقى. في نحو سَنَةِ ٧٠٠ للهجرة صنّف محمّدُ بنُ إبراهيمَ الصَّلاحيُّ للناصرِ لدين الله المَرينيّ (٦٨٥ – ٧٠٦ هـ) أبي يعقوبَ يوسُفَ بنِ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقّ[١] كتاباً في آلاتِ الموسيقى أثبتَ بروكلمنُ (٢ : ٣٣٣) عنواناً له: «الإمتاع والأنتفاع»[٢].

وفي العلم الطبيعيّ على الحَصْر (الفيزياء) يأتي شِهاب الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ يوسُفَ التيفاشيّ(**) التونسيّ (ت ٦٥١ هـ)، له: أزهارُ الأفكار في جواهر الأحجار – مطالعُ البدور ومنازلُ السرورُ (في المعادن) – فصلُ الخِطاب في مداركِ الحواسِّ الخَمْسِ لأُولي الألباب – الأحجار التي توجَدُ في خزائنِ الملوك وذَخائِرُ الرؤساء وغيرُها. ثمّ هنالك أبو الحسن بنُ يوسُفَ المديونيُّ الحكيمُ (في نحوِ هذا العصر) له الدَوْحةُ المُشْتَبِكَة في ضوابطِ دارِ السِكّة (النبوغ المغربي ٢٢١) لِسَكِّ العِملة، وفي هذا العَمَلِ جانبٌ من الفيزياء.

ومَعَ أن الصَنْعة (الكيمياء القديمَة) قد عاشتْ في المشرقِ والمَغْرب مُدّةً طويلةً ثمّ

---

(١) يورد بروكلمن عادة أسماء الأعلام مختصرة. وقد وردت جملة بروكلمن كما يلي: للمرينيّ أبي يعقوب بن يحيى بن عبد الحقّ.

(٢) لعلّ العنوان الكامل: الامتاع والانتفاع بآلات السَّماع.

إنّها ٱستمرّتْ في أوروبّة إلى نصفِ القرنِ الماضي ، فإنّ العصرَ الذي نبحَثُ في أعلامه الآنَ لم يَجْمَعْ من علماءِ الكيمياء من كان ذا أثرٍ بارز . هنالك مثلاً أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عُمَرَ الزواويُّ النجّارُ البِجائِي (من أحياء القرن التاسع في القطر الجزائري) له فصلٌ في الكيمياء ثمّ تُحْفَةُ الناظر ونُزهة المَناظر (بفتح الميم - بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٦٧) ، وعُنوانُه لا يَدُلُّ على موضوعه .

كان حظُّ العصرِ المَريني من الطِبّ أوْفَرَ من حظِّهِ من الكيمياء . كان فيه (النبوغ المغربي ٢٠٠) أبو الحسنِ عليُّ بنُ الشيخِ الطبيبِ بن أبي الحسنِ عليٍّ العَنْسِيُّ المَرّاكُشِيُّ (وفي ٱسمِه شيءٌ من الخِلاف) ، وقد كانَ مُشارِكاً في عددٍ من العلوم الكونية ، له في الطِبّ : الأمراضُ السِرّيّةُ وعِلاجُها - الأذكمة (؟؟) وصِفاتُها وما يُطْلَبُ أن يُتَجَنَّب فيها . ثمّ له : النساءُ وما يُحْمَدُ أو يُذَمُّ مِنهنّ ، وَضَعَهُ بِرَسْمِ السُّلطانِ أبي الحسن المَرينيّ (٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) .

ويبدو أنّ من البارعين في الطِبّ في ذلك العصرِ أحمدَ بنَ شُعيبٍ الجزنائيّ(★★) (ت ٧٤٩) ، وكانَ كاتباً وشاعراً وطبيباً جعَلَه السُّلطانُ أبو سعيدٍ المَريني (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) في جُملة الكُتّاب ، ولكنْ أجرى عليه رِزْقَ (مُرَتَّبَ) الأطبّاءِ لِتَقَدُّمِهِ في الطِبّ ، فكان كاتِبَهُ وطَبِيبَهُ . وكذلك فَعَلَ السُّلطانُ أبو الحسنِ المَرينيّ (٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) بعدَ ذلك (النبوغ المغربي ٢٠٠) .

ومن المُؤلّفين في الطِّبّ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عليٍّ اللَّخْميّ الشُّقُوريُّ (نِسبة إلى بلدة شَقورةَ ، من نواحي جَيّانَ) الأندلسيُّ ، صنّفَ سَنَةَ ٧٤٩ للهجرة : تحقيق النبأ عن أمر الوَبأ (في طاعونِ سَنَةِ ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) أو الموت الأسود (الطاعون الكبير) الذي ٱنتشَرَ في أوروبّة سَنَةَ ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) وٱستمرّ إلى سَنَةَ ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ثمّ عاد إلى أوروبّة ١٣٦١ - ١٣٦٢ و ١٣٦٩ للميلاد (٧٦٢ و ٧٧١ - ٧٧٢ للهجرة) . وله أيضاً مُجَرَّبات في الطِبّ (راجع بروكلمن ٣ : ١٢٧٩ ، السطر ٢٨ وما بعد ؛ الأعلام للزركلي ، ط ٤ ، ٦ : ٢٨٥) .

ومن البارزِينَ في التطبيب وفي التأليفِ في الطِّبّ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عليٍّ ٱبنِ عبدِ اللهِ القِرِبِلْيانِيّ (نسبة إلى قِرِبِلْيانَةَ أو كَرَابِلْيانْتِه على مقرُبة من أُورْيُولَةَ ، شَرْقَ

مُرْسِيَةَ ، في الجَنوبِ الشرقيّ من الأندلُس) . كان عالماً بالأعشاب وطبيباً جرّاحاً سَكَنَ مرّاكُش مُدّةً ثمّ عادَ إلى الأندلُسِ فَتُوُفّيَ في غَرْناطةَ (سَنَةَ ٧٦١ هـ) . وللقرْبِلْيانيِّ هذا كتابٌ في الأعشاب (النباتات المُستَخْدَمَةِ في تركيبِ الأدوية) ثمّ كتابُ « الآستقصاءِ والإبرامِ في عِلاج الجِراحاتِ والأورامِ » ألّفهُ للسّلطانِ أبي الجُيوشِ نَصْرِ بن محمّدٍ النَّصْريِّ الذي جاء إلى الحُكْم سَنَةَ ٧١١ للهجرة ثمّ خُلعَ سَنَةَ ٧١٣ . وكانتْ وفاتُه في وادي آشَ (قربَ غَرناطةَ) سَنَةَ ٧٢٢ هـ (راجع بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٦٦ ؛ الأعلام للزركلي ، ط ٤ ، ٦ : ٢٨٥) .

وفي أيامِ المَرينيّينَ (ورُبّما في النصف الثاني من القرن الهِجري الثامن) كانتْ عائشةُ بنتُ الشيخِ الكاتبِ الوجيهِ أبي عبدِ الله بنِ الجيّارِ المُحْتَسِبِ[1] في مدينةِ سَبْتَةَ في شَماليِّ المَغْرب . زادتْ سِنُّها على السبعينَ ، وكانت عارفةً بالطّبّ وبالعقاقير ، بصيرةً بالماء (النَظَرِ إلى بول المريض) وبِعلاماتِه (راجع النبوغ المغربي ٢١٥) .

ومن المذكورين في هذه الحِقبةِ الشريفُ الصِقِلّيُّ أحمدُ بنُ عبدِ السلام التُونِسيُّ ، كانَ في أيامِ أبي فارس عبد العزيز الحفصي (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) وصَنّفَ له كتابَ الأطبّاء (أو كتابِ حِفْظِ الصِّحّة) المعروفَ بالطِبّ الشريف . وله شرحٌ على ألفية ابنِ سينا (بروكلمن ٢ : ٣٣٣ ، الملحق ٢ : ٣٦٧) .

وفي سَنَةِ ٨٩٧ للهجرة صنّفَ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الملكِ الحَسَني المَصْموديُّ من أهلِ تِلِمْسانَ كُتُباً جعَلَها بروكلمن (٢ : ٣٣٤ ، الملحق ٢ : ٣٦٧) في فصلِ الكيمياء وعلومِ الجَفْرِ ، هي : تُحفةُ مَنْ صَبَرَ على تَطْهير الحَجَر (وهُوَ عُنوانٌ شديدُ اللُّصوقِ بالكيمياء ، فالمقصودُ بالحَجَرِ هنا حَجَرُ الفلاسفة الذي تُحَكُّ بهِ المَعادنُ الخسيسةُ فَتُصْبِحُ ذهباً ، في ظنّهم) - الوافي في تدبير الكافي - المحنة المنكية (؟) لمبتدىء القراءة المكّية .

ويأتي في أواخرِ هذه السلسلةِ عبدُ القاهرِ بنُ محمّدِ التُونِسيُّ ، صنّفَ سَنَةَ ٨٩٩

---

(١) المحتسب هو الذي يتولّى الحسبة (في الدولة الإسلامية): مراقبة السوق (مراقبة الأسعار والأخلاق العامّة والبضائع والأطعمة).

للهجرة كتابَ الطِّبّ في تدبير المُسافرين ومَرْضى الطاعونِ (بروكلمن، الملحق ٢ : ٣٦٧).

رثاء البلدان:

الدُّنيا دُوَلٌ - والدَّولةُ: ٱنتقالُ الأمرِ من جماعةٍ إلى جماعةٍ، مرّةً يكونُ لهؤلاءِ ومرّةً يكونُ لأُولئكَ؛ وربّما كان لقومٍ ثمّ لم يَعُدْ إلَيْهِمْ - والقاعدةُ أنّ كلَّ دولةٍ (بمَعْنى مُلْكِ أسرةٍ أو فردٍ جماعةً ★ من الناس أو رُقْعةً من الأرض وبمعنى حِيازةِ الإنسان ثروةً أو تمتّعِ فردٍ بجاهٍ) لا تعيشُ إلى الأبد، بل لا بُدَّ لها من عُمُرٍ طبيعيٍّ تَحْيا في مداهُ ثمّ تسقُطُ ليقومَ غيرُها مكانَها، كما يقولُ ٱبنُ خلدونٍ. ولقد كان من الطبيعيّ جِدًّا أنْ يحزَنَ أهلُ كلِّ دولةٍ على زَوالِ دَوْلَتِهِمْ أوْ خوفاً من أن تَزولَ دولتُهم حينما يبدأُ ٱنحدارُها نحوَ الزوالِ الأكيد.

ولقد أرادَ الإسلامُ مِنَ الناسِ أن يكونَ لهم في زَوالِ الدُّوَلِ والأُمَمِ عِبرةٌ فلا يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بعضاً ولا يأتوا بما يُعَجِّلُ زَوالَهم أو يجعَلُ زَوالَهم شديدَ الألمِ لهم - ما دامَ ذلك الزوالُ أمراً لا مفرَّ منه - أو سَيِّءَ العواقبِ عليهم وقومهم. ويَكْفينا هُنا قولُ اللهِ تعالى: ﴿وما أرْسَلْنا من قَبْلِكَ إلّا رِجالاً نُوحي إِلَيْهِمْ من أهلِ القُرى. أَفَلَمْ يَسيروا في الأرض فينظُروا كيف كان عاقبةُ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ؟ ولَدارُ الآخرةِ خيرٌ للّذينَ ٱتّقَوْا. أفلا تَعْقِلونَ؟﴾ (١٢ : ١٠٩، سورة يوسف). وقال اللهُ تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسيروا في الأرض فتَكونَ لهم قُلوبٌ يَعْقِلون بها أوْ آذانٌ يسْمَعون بها؟ فإنّها لا تَعْمى الأبصارُ، ولكنْ تَعْمى القلوبُ التي في الصُّدور﴾ (٢٢ : ٤٦، سورة الحجّ).

ومن أوائل الذين يحسُنُ الٱسْتِشْهادُ بِهم مِنَ الشُعراءِ في هذا الموضوع عُبيدُ اللهِ بنُ قَيْسِ الرُّقَيّاتِ (ت ٧٥ هـ) الأُمَويُّ قال في قصيدتهِ الهَمْزيّةِ المشهورة (راجع الجزء الأوّل من هذه السلسلة) يخافُ على دَوْلةِ بني أُمَيَّةَ القُرَشية أنْ تزولَ بالنِّزاع الذي كان بينَ الطامِعِينَ في الحُكْم (وقد سَقَطَتِ الدولةُ الأُمويّة، سَنَةَ ١٣٢ للهِجرة - عام ٧٤٩ للميلاد):

★ «جماعة» (بالنصب): مفعول به من المصدر «ملك» مضافاً إلى فاعله (أسرة أو فرد).

حبّـذا العَيشُ حينَ قومي جميعاً — لم تُفرّقْ أمورَهـــا الأهواءُ؛
قبـلَ أنْ تطمَعَ القبائلُ في مُلْـ — ـكِ قُرَيْشٍ وتشمَـتَ الأعـداءُ.
أيُّهـا المُشتهي فَنـاءَ قُرَيْشٍ؛ — بيَـدِ اللهِ عُمْرُهـا والفَنـاءُ.
إنْ تُودِّعْ مِنْ البِـلادِ قُرَيْشٌ — لا يَكُنْ بعدَهُمْ لِحَيٍّ بَقـاءُ.

كانَ عُبيدُ اللهِ بنُ قيسِ الرُّقيّاتِ يَخْشى على مُستقبل الدولةِ الأُمويّةِ. أمّا البُحْتُرِيُّ، في العصرِ العبّاسيّ، فقـد جـاءَ إلى العِراق بعـدَ وفـاةِ أبي تمّامٍ (٢٣٢ هـ = ٨٤٦ م) لِيُجرِّبَ حَظَّهُ في التَكسُّبِ بالشعر. لم يَلْقَ البُحتريُّ الناشئُ بعدَ ذلك الشاعرِ الراسخِ المكانةِ تَوْفيقاً، فذَهَبَ في يومٍ من الأيامِ إلى المدائن – وَهِيَ مَشْهَدٌ لِمَدينةٍ قديمةٍ، على نحوِ عشرينَ ميلاً شَرْقَ بَغْدادَ – ووَقَفَ عِندَ إيوانِ كِسرى يُعَزِّي نفسَه (الخائبةَ في التَكَسُّبِ بالشعر) بزَوالِ تلك الدولةِ العظيمة التي كانت قد بَنَتْ ذلك الإيوانَ (المَقرَّ المَلَكِيَّ) ثمّ زالتْ، فقال (راجع الجزء الثاني من هذه السلسلة) قَصيدتَهُ السِّينيةَ: «صُنْتُ نفسي عَمّا يُدنِّسُ نفسي». فمن هذه القصيدة:

حَضَرَتْ رَحْلِيَ الهُمومُ فَوَجَّهْـ — ـتُ إلى أبيضِ المدائنِ عَنْسي[1]،
أتَسَلّـــى عنِ الهُمومِ وآسَى — لِمَحَـلٍّ من آلِ ساسانَ دَرْسِ[2].
ذَكّرَتْنِيهِمُ الخُطُوبُ التَّوالي، — ولَقَـدْ تُذْكِرُ الخطوبُ وتُنسي[3].
فكـأنَّ الجِرمـازَ من عَـدَمِ الأنْـ — ـسِ وإخلالِـه بَنِيّـةُ رَمْسِ[4].
لو تراه عَلِمْـتَ أنّ اللّيـالي — جَعَلَـتْ فيـه مأتماً بعـدَ عُرْسِ.

(١) الرحل: البيت، المسكن؛ نزلت عليّ الهموم في بلدي فسافرت وجئت إلى العراق. العنس: الناقة القويّة. أبيض المدائن: المدائن (بلدة على نحو عشرين ميلاً شرق بغداد).

(٢) أسي (بفتح فكسر ففتح) فلان على فلان: حزن عليه وأشفق. آل ساسان: ملوك الفرس. درس: دارس، ممحوّ المعالم.

(٣) الخطب (بالفتح): المصيبة.

(٤) الجرماز: بناء عظيم كان عند أبيض المدائن، وقد عفى(امّحى) أثره (تاج العروس – الكويت ١٥ : ٥٩). من عدم (فقدان) الإنس (بالكسر): الناس، السكّان، وإخلاله (ترك الناس له). البنيّة (بالفتح): كلّ ما يبنى. رمس: قبر.

وكانتِ الدواعي لِرِثاءِ المُدُنِ في الأندلس كثيرةً، بعدَ أنْ بدأ الإسبانُ النّصارى يستَوْلون على المُدُنِ الإسلامية في تلك الحربِ الصليبيةِ التي سَبَقَتِ الحربَ الصليبيةَ في المَشْرق.

في نَفْحِ الطِيب (٤: ٣٥٢، راجع ٣٥٤، ٣٥٥؛ راجع وفيات الأعيان ٥: ٢٧): أنّ مِنْ أوّلِ المدنِ العظيمةِ التي آستولى عليها الإسبانُ مدينةُ طُلَيْطُلَةَ، أخذها ألفونسو السادسُ، سَنَةَ ٤٧٨ للهجرة، من يدِ القادرِ يحيى بنِ إسماعيلَ بنِ ذي النون. فقال بعضُ الشعراء يَرْثيها (نفح الطيب ٤: ٤٨٣ - ٤٨٦) بقصيدةٍ ليستْ من عيونِ الشعر، ولكنَّ فيها عاطفةً قويّةً مِنَ التعبير وكَشْفاً عن أسبابِ ضَعْفِ الأُمَمِ. من هذه القصيدةِ الطويلةِ:

طُلَيْطُلَةٌ أباحَ الكُفْرُ منها ... حِماها. إنّ ذا نَبأ كبيرُ.
فليس مِثالَها إيوانُ كِسرى، ... ولا مِنها الخَوَرْنَقُ والسَّديرُ[1].
ألم تَكُ مَعْقِلاً للدين صَعْباً ... فذلّله كما شاءَ القديرُ[2]؟
وكانتْ دارَ إيمانٍ وعِلمٍ ... مَعالِمُها التي طُمِسَتْ تُنيرُ[3]،
فعادتْ دارَ كُفْرٍ مُصطفاةً ... قدِ آضطربتْ بأهْليها الأمورُ[4]:
مساجدُها كَنائِسُ، أيُّ قلبٍ ... على هذا يَقرُّ ولا يَطيرُ؟
أنأمَنُ أن يَحِلَّ بنا آنتقامٌ ... وفينا الفِسْقُ أجمع والفُجورُ★؟
وأكلٌ للحرامِ، ولا آضطرارٌ ... إليه؟ فيسهُلُ الأمرُ العسيرُ.
يَزولُ السِّتْر عن قومٍ إذا ما ... على العِصيانِ أُرْخِيَتِ السُّتورُ.
خُذوا ثأرَ الدِّيانة وآنْصُروها، ... فقد حامتْ على القَتْلى النُّسورُ.

---

(١) إيوان كسرى لا يشبهها. ولا منها (وليس من نوعها أو مكانتها) الخورنق والسدير (قصران في جنوبيّ العراق من أيام المناذرة).

(٢) القدير: الله تعالى.

(٣) معالمها (مدارسها ومساجدها الخ التي طمست أو محيت الآن كانت من قبل تنير).

(٤) مصطفاة (مختارة): اختار الإسبان أخذها (الآن) دون غيرها. مصطفاة (أيضاً): مأخوذة.- اصطفى فلان مال فلان: أخذه كلّه (القاموس ٤: ٣٥٢، السطر التاسع من أسفل).

(★) أجمع (بالضمّ) توكيد للفسق (فينا جميع أنواع الفسق). ثمّ «أجمع (بالفتح) حال من «فينا» (فينا جميعاً فسق).

ولا تَهِنوا، وسُلّوا كُلَّ عَضْبٍ تَهابُ مَضارباً منه النُّحورُ[1].
لقد صُمَّ السَميعُ، فلم يُعَوِّلْ على نبأٍ، كما عَمِيَ البصيرُ[2].
تُجاذِبُنا الأعادي بِٱصْطِناعٍ فيَنْجَذِبُ المُخَوَّلُ والفقيرُ[3]:
فباقٍ في الدِّيانةِ تحتَ خِزْيٍ تُثَبِّطُه الشُّوَيْهَةُ والبَعيرُ[4]،
وآخرُ مارِقٌ هانَتْ عليه مَصائِبُ دينِه، فلَهُ السَّعيرُ[5].
كَفَى حَزَناً بأنّ الناسَ قالوا: إلى أينَ التحَوُّلُ والمَسيرُ؟
أنَتْرُكُ دُورَنا ونَفِرُّ عنها وليسَ لنا وَراءَ البحرِ دُورُ؟
لقد ذَهَبَ اليقينُ فلا يقينٌ، وغَرَّ القومَ باللهِ الغَرورُ[6].
فلا دينٌ ولا دُنْياً، ولكنْ غُرورٌ بالمعيشةِ ما غُرورُ[7].

وكَثُرَ رِثاءُ المُدُنِ والدُّوَلِ في الأندلُس. ومِنْ أشْهَرِ ما قيلَ في ذلك قصيدةُ ٱبْنِ عَبْدونٍ (ت ٥٢٩ هـ، راجع ترجمته في الجزء الخامس): «الدَّهْرُ يفجَعُ بعدَ العَيْنِ بالأَثَرِ».

وجرتْ بينَ ملوك المغرب وملوكِ الأندلس مكاتباتٌ، فكانتْ رسائلُهم في ذلك - في البكاء على أحوال المسلمين في الأندلس وفي ٱستنهاضِ بعضِ أولئك الملوكِ هِمَمَ بَعْضِهِمُ الآخرِ - مثلَ تلك القصائدِ.

---

(١) لا تهنوا: لا تضعفوا. العضب: السيف. تهاب (تخاف). النحر (أعلى الصدر: المكان الذي ينحر أو يذبح منه البعير).

(٢) كانت الأخبار تأتي بالخطر على طليطلة فلم يلق الأمراء بالاً إلى ذلك.

(٣) الاصطناع: تقريب الناس إليك بشيء من المغانم المادّيّة. المخوّل: الذي خوّله الله (أعطاه) ملكاً أو خيراً كثيراً.

(٤) تثبّطه (تعوقه عن الحرب أو الهجرة) الشويهة (الشاة الصغيرة) أو البعير (الحيوان الكبير): يخاف أن يحارب أو يهاجر فيخسر شيئاً (صغيراً أو كبيراً) يملكه.

(٥) السعير: نار جهنّم (في الآخرة). مارق: خارج من الإسلام (كافر).

(٦) اليقين: الإيمان الثابت. الغرور (بالفتح): إبليس. راجع القرآن الكريم (٣١: ٣٣، سورة لقمان): ﴿.... فلا تغرّنّكمُ الحياة الدنيا، ولا يغرّنّكم بالله الغَرور﴾.

(٧) ليس لهؤلاء دين، ولا هم يفهمون ما الدنيا (الحياة الكريمة)، ولكنّهم مغرورون (مفتونون، متعلّقون) بالمعيشة العاديّة. غرور ما غرور (اهتمام بشيء قليل جدًّا من أسباب الحياة).

إنّ أسبابَ الخوف على مُستقبل المسلمين في الأندلس كانتْ كثيرةً مُنْذُ أيامِ ملوك الطوائف حينَما بدأَ تنازعُ ملوكِ الطوائف ثمّ آستيلاءُ الإسبانِ النصارى على البُلدان وعلى الحُصون من أيدي الحُكّام المسلمين. ففي سَنَةِ ٤٨٨ للهجرة - لمّا آستَوْلى السيّدُ القُمْبِياطور على بَلَنْسِيَةَ قال آبنُ خَفاجة (٤٥٠ - ٥٣٣ هـ) يأسى لِحالِها (نفح الطيب ٤ : ٤٥٥):

عاثَتْ بساحَتِـكِ الظُّبا، يا دارُ، ومَحا محاسِنَـك البِـلى والنّارُ[١]؛
فـإذا تردّدَ في جَنابِــك ناظرٌ طـالَ آعتبارٌ فيك وآستعبارُ[٢].
أرضٌ تقاذَفَتِ الخُطوبُ بأهْلِها، وتَمَخّضَـتْ بخَرابِهـا الأقـدارُ[٣].
كَتَبَتْ يَدُ الحَدَثان في عَرَصاتِها: (لا أنتِ أنتِ ولا الدِّيارُ ديار)[٤].

وقال القاضي أبو بكرِ بنُ العَرَبِيّ لمّا جرت معركةُ ٥٢٧ للهجرة (١١٣٣ م) - عندَ إشبيليةَ (؟) - حينما جاءَ إلى تفسير قولهِ تعالى: ﴿آنْفروا خِفافاً وثِقالاً﴾، الآيةِ (٩ : ٤١، سورة التوبة) ما يلي (نفح الطيب ٤ : ٤٧٦ - ٤٧٧):

ولقد نَزَل بنا العدوُّ - قَصَمَهُ اللهُ تعالى - سَنَةَ سبعٍ وعِشرين وخَمْسِمِائَةٍ فجاسَ ديارَنا[٥] وأسَرَ جيرَتنا وتوسّطَ بِلادَنا..... فقلتُ للوالي والمُوَلَّى عليه[٦]: هذا عدوُّ اللهِ قد حَصَلَ في الشَّرَكِ والشَّبَكة[٧]، فَلْتَكُنْ عِندَكم بَرَكَةٌ، ولْتَكُنْ منكم إلى نُصْرَةِ

---

(١) عاث: أفسد، أتلف، أهلك. الظبا (بالضم) جمع ظبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف. وفي نفح الطيب: ظبا (بالكسر) يقصد ظباء جمع ظبية (غزال)، وهو خطأ. البلى: القدم (بكسر ففتح): تقادم الزمن والتهرّؤ والهلاك.

(٢) فإذا تردّد (نقل البصر من مكان إلى مكان) في جنابك (أطرافك، أقسامك) ناظر (عين). الاعتبار: الاتّعاظ بالمصائب. استعبار: بكاء (حزن).

(٣) الخطب (بالفتح): المصيبة. تقاذفت الخطوب بأهلها (شرّدت المصائب أهلها من مكان إلى مكان). تمخّضت (تحرّكت ثمّ انجلت) الأقدار (جمع قدر - بفتح ففتح: وقوع ما كان الله تعالى قد قضاه أو حكم به في سابق علمه) عن خرابها.

(٤) الحدثان (مفرد): كناية عن الليل والنهار. والحدثان أيضاً: المصائب. «لا أنت أنت ولا الديار ديار» مطلع قصيدة لأبي تمّام يمدح بها القائد العبّاسيّ أبا سعيد محمّد بن يوسف الثغري.

(٥) جاس بلادنا: وطئها، جاء إليها.

(٦) للوالي على البلد (إشبيلية؟) وللمولّى عليه: لأهل البلد (للناس كلهم).

(٧) في الشرك والشبكة (أصبح بين أيديكم بعيداً عن مراكز تموينه ومحاطاً برعيّتكم).

الدين المُتَعَيِّنَة عليكم[1] حَرَكَةٌ: فَلْيَخرُجْ إليه جميعُ الناس حتّى لا يَبْقى منهم أحدٌ في جميعِ الأقطار (إلاّ خَرَجَ إليه) فيُحاطَ به[2]، فإنّه هالكٌ لا مَحالةَ إنّ يسّرَكُمُ اللهُ له. فَغَلَبَتِ الذّنوبُ ورَجَفَتْ بالمعاصي القُلوبُ، وصارَ كُلُّ أحدٍ من الناس ثَعْلَباً يأوي إلى وِجارِه[3]، وإنْ رأى المَكيدةَ بِجارِه★★. فإنّا للهِ وإنّا إليه راجعونَ، وحسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيلُ.

– وفي رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٦٤ نَظَمَ الشاعرُ أبو جعْفَرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الكِنانيُّ الوَقَّشيُّ قصيدةً في مَدْحَ السُّلطانِ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمن (ثاني سَلاطينِ الموحّدين) وقال فيها يَصِفُ حالَ الأندَلُسِ ويَحُثُّ على الجِهاد (الذيل والتكملة ١ : ١٩٧ – ١٩٩):

ألا ليْتَ شِعري، هل يُمَدُّ لِيَ المَدى ... فأُبْصِرَ حَفْلَ المُشركين طريدا[4]؟
وهل ،بَعْدُ ،يُقْضى في النَّصارى بنُصرَةٍ ... تُغادِرُهم للمُرْهَفاتِ حَصيدا[5]؟
ويغزو أبو يعقوبَ في شانتِ ياقبٍ ... يُعيدُ عَميدَ الكافرين عَميدا[6]؟
ويفْتَكُّ من أيدي الطُّغاة نواعِماً ... تَبَدَّلْنَ من نَظْمِ الحُجول قُيودا[7]
وعَفّرَ منهُنّ التُّرابُ ترائِبـاً ... وخدّدَ منهنّ الهَجيرُ خُدودا[8]؟

---

(١) المتعيّنة على الوالي وعلى الناس: الواجبة عليهم.
(٢) يحاط به: يصبح محصوراً من كلّ جانب.
(٣) الوجار شقّ في الأرض يدخله الحيوانات كالثعالب والأرانب.
(★★) .... مع أنه يرى استيلاء العدو على أرض جاره أو يرى أن العدو يقتل جاره.
(٤) يمدّ لي المدى (المسافة): يطول عمري. الحفل: الاجتاع. طريد: مطرود، مشرّد.
(٥) المرهف: السيف. حصيد: محصود (مقتول).
(٦) أبو يعقوب: السلطان يوسف بن عبد المؤمن. شانت ياقب (سانت ياغو، اليوم) بلد في أقصى الشمال الغربي من جزيرة الأندلس. عميد الكافرين: رئيس الإسبان. عميد: معمود (مضروب على رأسه بالعمود) مقتول (ويزول ملكه).
(٧) الطغاة جمع طاغية (وكان العرب يطلقون كلمة طاغية على كلّ ملك من ملوك الإسبان). نواعم جمع ناعمة (فتاة شابّة، امرأة فتيّة). الحجل (بالكسر): الخلخال (بالفتح). بدلاً من أن يتأنّقن في لبس الخلاخيل في أرجلهنّ للزينة أصبحت القيود توضع في أيديهنّ وأرجلهنّ في الأسر والسجن.
(٨) عفّر فلان الشيء: مرّغه في الغبار أو أدخله في التراب. التريبة: الجانب الأعلى من الصدر. خدّد: شقّق. الهجير: حرّ نصف النهار (كناية عن العمل وقت الظهر) حينا يستريح الناس عادة بالقيلولة (بالنوم بعد الظهر).

ولمّا عظُمَ خطَرُ الإسبانِ على بَلَنْسِيَةَ قبلَ سُقوطِها[1] جاء من أهلِها وفْدٌ إلى السُّلطانِ أبي زكريّا الحَفصيِّ صاحبِ تُونسَ، في رَجَبَ من سَنَةِ ٦٣٦ . وكان في الوفدِ ابنُ الأبّارِ القُضاعيُّ[2] فأنشدَ قصيدتَه السينيّةَ «أدْرِكْ بِخَيلِكَ خَيْلِ اللهِ أندَلُسا» بين يَدَيِ السُّلطانِ الحَفصِيِّ.

وفي هذا الوقتِ نفسِه، قُبيلَ سقوطِ بَلَنْسِيةَ، وجّهَ بعضُ الشُّعراءِ إلى السْلطانِ الحفصيّ أبي زكريّا نفسِه قصيدةً مطلَعُها «نادَتْكَ أندَلُسٌ فَلَبِّ نِداءها»[3] جاء فيها (نفح الطيب ٤ : ٤٧٩ - ٤٨٣):

تِلْكَ الجزيرةُ لا بَقاءَ لها، إذا لم يَضْمَنِ الفتحُ القريبُ بقاءَها[4].
أشْفى على طَرَفِ الحياةِ ذَماؤُها، فٱسْتَبْقِ للدِينِ الحَنيفِ ذَماءَها[5].
حاشاك أنْ تَفْنى حَشاشَتُها، وقد قَصَرَتْ عليك نِداءها ورَجاءها.
إيهٍ، بَلَنْسِيَةٌ، وفي ذِكراكِ ما يَمْري الشُّؤونَ دِماءَها لا ماءَها[6].
كيف السبيلُ إلى ٱحتلال معاهدٍ شَبَّ الأعاجمُ دونَها هَيْجاءها[7].
بأبي مدارسُ كالطُّلول دوارسٌ نَسَخَتْ نواقيسُ الصليبِ نِداءها[8].

وأشهرُ القصائدِ في هذا البابِ قصيدةُ أبي البقاء صالحِ بنِ يزيد الرُّنْديِّ (ت ٦٨٤ هـ): «لِكُلِّ شيءٍ إذا ما تَمَّ نُقصانُ» (راجع ترجمة الرندي هذا في هذا الجزء). ومعَ أنّ هذه القصيدةَ قد عُرِفَتْ بٱسْمِ «رِثاء الأندلُس»، فإنّها قد نُظِمَتْ

(١) استولى الإسبان عليها ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م).
(٢) ابن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨ هـ؛ راجع ترجمته في هذا الجزء).
(٣) لبّى: أجاب.
(٤) إذا لم تنقذها أنت قريباً، فإن الإسبان سيستولون عليها.
(٥) أشفى: قرب، اقترب. الذماء: بقيّة الحياة. الدين الحنيف: الإسلام.
(٦) مرى يمري (مسح): يمري الحالبُ ضِرعَ (بالكسر) النعجة ليسيل اللبن منه. الشأن (بالفتح، وجمعه شؤون): مجرى الدمع من العين. يمري الشؤون: يجعلنا نبكي حزناً.
(٧) احتلال: سكنى. المعهد (المنزل الذي ألفه الإنسان). شبّ: أوقد. الأعاجم (هنا): نصارى الإسبان الذين لا يتكلّمون العربية. دونها (دون رجوعنا أو وصولنا إليها). الهيجاء: الحرب.
(٨) مدارس (هنا) مآذن، مساجد (لأنّ المسجد في الإسلام مكان الدراسة والعلم). الطلل: بقايا البناء بعد تهدّمه (الأصح: المكان الذي زال منه البناء). دوارس (جمع دارس: ممحوّ).

قبلَ سُقوطِ الأندلس بقَرْنَيْنِ كاملين.

وكان بينَ أبي المُطرِّفِ أحمدَ بنِ عبدِ الله بنِ عُمَيْرَةَ (٥٨٢ - ٦٥٨ هـ) وأبي عبدِ الله محمّدِ بنِ عبدِ الله بنِ الأبّارِ القُضاعيِّ (٥٩٥ - ٦٥٨ هـ) صَداقةٌ ومُكاتباتٌ. فلمّا سقطتْ بَلَنْسِيةُ وَرَدَ على ٱبنِ عُميرةَ رِسالةٌ مِنَ ٱبنِ الأبار (في شأنِ بَلَنْسِيَةَ، فيما يبدو، وبعدَ ٱنقطاعِ المكاتبةِ بينَهما زَمناً)، فَرَدَّ عليها ٱبنُ عُميرةَ برسالةٍ طويلةٍ من النثر والنظم جاء فيها (نفح الطيب ٤: ٤٩٠ - ٤٩٦):

..... وأعودُ من حيثُ بدأَ الأخُ الذي أَبُثُّه شَوْقي وأَتطَعَّمُ حلاوةَ عِشرتهِ باقيةً في حاسّةِ ذَوْقي، طارَحَني حديثَ مَوْرِدٍ جفَّ وقَطينٍ خَفَّ[1]. فيا -للهِ- لِأترابٍ دَرَجوا[2] وأصحابٍ عنِ الأوطان خرَجوا. قُصَّتِ الأجنحةُ وقيل: طِيروا، وإنّما هو القتلُ أوِ الأسرُ أو تَسيروا. فتَفرّقوا أيْديَ سبا وٱنتشَروا مِلْءَ الوِهادِ والرُّبى[3]. ففي كلّ جانبٍ عَويلٌ وزَفْرةٌ، وبكلِّ صَدْرٍ غَليلٌ وحَسْرةٌ[4]. ولكلّ عينٍ عِبْرةٌ لا تَرْقأُ من أجْلِها عَبْرة[5]. داءٌ خامَرَ بِلادَنا حينَ أتاها، وما زال بها حتّى سَجّى[6] على مَوْتاها، وشجَا[7] لِيَوْمِها الأطولِ كَهْلَها وفَتاها. وأنْذَرَ بها في القوم بُحرانُ أنيجة[8] يومَ أثاروا أُسْدَها المَهيجَة، فكانت تلك الحُطَمَةُ طَلَّ الشُّؤبوبِ[9] وباكورةَ البَلاء

---

(١) طارح فلان فلاناً حديثاً: حاوره بحديث. المورد: مكان شرب الماء. القطين: الساكن. خفّ: ارتحل.

(٢) الترب (بالكسر) - تربك من كانت سنّه مثل سنّك. درج: ذهب (مات). النداء (هنا): الأذان (النداء إلى الصلاة).

(٣) تفرّقوا أيدي سبأ (في كلّ مكان)، كما تفرّق أهل اليمن بعد انفجار سدّ مأرب. الوهدة (بالفتح): ما انخفض من الأرض.

(٤) الغليل: شدّة العطش وحرارته (والحزن).

(٥) عبرة (بالكسر): عظة، درس، مغزى، (وبالفتح): دمعة، بكاء. رقأ: جفّ (الدمع) وانقطع.

(٦) سجّى الميت (بفتح فسكون): غطّاه.

(٧) شجا الأمر فلاناً (جعله يحزن).

(٨) كان قد سبق سقوط بلنسية معركة أنيجة (أو أنيشة) التي دلّت على ضعف المسلمين هنالك. البحران: شدّة الحرّ (ودخول المريض في الهذيان من شدّة الحمّى). الحطمة (بضمّ ففتح): النار الشديدة. الناقة التي تضرب الأرض بخفّها ضرباً شديداً، الحادث العنيف. الطلّ: أول المطر، المطر الخفيف.

(٩) الشؤبوب: الدفعة (بالضمّ): الكبيرة من المطر. سقوط أنيجة (وهي بلدة صغيرة) كان البدء لسقوط المدن الكبيرة (مثل بلنسية).

المَصْبوب. أثْكَلَنا إخواناً[١] أبكانا نَعِيُّهم.....

في نفح الطيب (٤ : ٣٨٥ وما بعد):

ولم يَزَلْ بنو مَرينٍ يُعينون أهلَ الأندلُسِ بالمالِ والرجال، وتركوا منهم حُصَّةً مُعْتَبرةً[٢] من أقاربِ السلطان بالأندلس غزاةً. فكانتْ لهم وقائعُ في العدُوِّ مذكورةٌ ومواقفُ مشهورةٌ. وكان عندَ آبنِ الأحمرِ[٣] منهم جماعةٌ بغَرْناطةَ وعليهم رئيسٌ من بيتِ مُلْكِ بني مَرينٍ يُسمّونه «شيخَ الغُزاة». ولمّا أفضى المُلْكُ إلى السُّلطانِ الكبيرِ الشهيرِ أبي الحسنِ المَرينيّ، وخَلَصَ له المَغْربُ وبعضُ بلادِ الأندلُسِ، أمر بإنشاء الأساطيلِ الكثيرة برَسْمِ الجِهاد بالأندلس وآهتّم بذلك غايةَ الآهتمام.

فقَضَى الله تعالى أنِ آسْتَولى الإفرنْجُ على كثيرٍ من تلك المراكب بعدَ أخْذِهِمُ الجزيرةَ الخضراء، وكانَ الإفرنْجُ قد جَمَعوا جُموعاً كثيرةً برَسْمِ الآستيلاء على ما بَقِيَ للمُسلمين بالأندلس. فآسْتَنْفَرَ[٤] أهلُ الأندلسِ السُّلطانَ أبا الحسنِ المذكورَ، فجاء بنفسِه إلى سَبْتَةَ - فُرضةِ المَجاز[٥] ومحلِّ أساطيلِ المسلمين - فإذا بالإفرنْج جاءوا بالسُّفُنِ آلتي لا تُحصى ومَنَعوه من العُبور وإغاثة أهلِ الأندلُسِ حتّى آسْتَوْلَوْا على الجزيرةِ الخضراءِ[٦] وأنْكَوْهُ في مَراكبِهِ أعظمَ نكايةٍ[٧]، ولله الأمرُ.

وقدْ أفصحَ عن ذلك كتابٌ صَدَرَ من السُّلطانِ أبي الحسنِ المذكور إلى سُلْطانِ مِصْرَ والشامِ والحِجاز المَلِكِ الصالحِ بنِ المَلِكِ الناصرِ مُحمّدِ بنِ الملكِ المنصورِ قلاوُونَ الصالحيِّ الألْفِيِّ[٨].....

---

(١) أثكلتنا (أفقدتنا بالموت). النعيّ (بتشديد الياء): الذي يعلن خبر الموت.

(٢) حصّة (قسم) معتبرة (وافية، كثيرة): جماعة من جنود بني مرين.

(٣) ابن الأحمر لقب لكلّ سلطان من سلاطين بني نصر في غرناطة.

(٤) استنفر الرجل قومه: دعاهم (وأوجب عليهم) أن يسيروا للحرب.

(٥) الفرضة: الخليج (على النهر أو البحر) ترسو فيه السفن. المجاز (بحر المجاز) الذي يجوز (ينتقل) فيه الناس بين برّ المغرب وبرّ الأندلس.

(٦) الجزيرة الخضراء: الطرف الأقصى من جنوبي جزيرة الأندلس، ومدينة هناك أيضاً.

(٧) أنكوه (في القاموس: نكوه - بفتح ففتح فسكون): غلبوه، قهروه..... أغرقوا كثيراً من مراكبه.

(٨) الملك المنصور قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ) الصالحي (لأنّ الملك الصالح نجم الدين أيوب قد أعتقه سنة ٦٤٧ للهجرة) (الألفي، لأنّ سيّده كان قد اشتراه بألف دينار).

وبَعْدَ خَمْسِ صَفَحاتٍ من دِيباجةٍ في التَمَدُّحِ والمديح وبثِّ الأشواق وذِكْرِ المفاخر تبدأُ رِسالةُ أبي الحسنِ المَرينيِّ إلى المَلِكِ الصالح (٤: ٣٩١ وما بعد):

.... لمّا وَصَلَنا مِنَ الأندلُسِ الصريخُ[١]، ونادى مُنادٍ للجهاد عَزْماً لِمِثْلِ نِدائهِ يُصيخ[٢]، أنبأنا أنّ الكُفّارَ قد جمَعوا أحزابَهم من كلِّ صَوْبٍ[٣]، وحَتَمَ عليهم باباهُمُ اللعينُ التناصُرَ من كُلِّ أوْبٍ[٤]، وأنْ تَقْصِدَ طوائِفُهُمُ البلادَ الأندلسيّةَ بإيجافِها وتَنْقُصَ بالمُنازلةِ أرضَها من أطرافِها[٥] لِيَمْحوا كَلِمَةَ الإسلامِ منها ويُقَلِّصوا ظِلَّ الإسلامِ عنها. فقدّمْنا مَنْ يَشْتَغِلُ بالأساطيل مِنَ القُوّاد، وسِرْنا على أثَرِهِمْ إلى سَبْتَةَ مُنْتَهى المَغْربِ الأقصى وبابِ الجهاد. فما وَصَلْناها إلّا وقد أخذَ أخْذَهُ العدوُّ الكافرُ، وسَدَّتْ أجفانُ الطواغيتِ[٦] على التعاونِ مَجازَ العُبور.... لكنّنا - مَعَ انسدادِ تلكَ السبيلِ...... - حاوَلْنا إمدادَ تِلْكُمُ البلادِ بِحَسْبِ الجُهْدِ، وأصْرَخْناهُم[٧] بِمَنْ أمكَنَ مِنَ الجُنْد..... وأمَرْنا لصاحبِ الأندلس مِنَ المال بما يُجَهِّزُ به حَرَكَتَه لِمُداناة مَحَلِّ حِزْبِ الضلال[٨]...... وقد كان من لُطْفِ اللهِ حين قضى بأخْذِ هذا الثَّغْرِ[٩]، أنْ قَدَّرَ لنا فَتْحَ جبلِ طارقٍ[١٠] من أيدي الكُفْرِ وهُوَ المُطِلُّ

---

(١) الصريخ: الاستغاثة.

(٢) عزما (مفعول به من نادى). يصيخ: يميل (بسمعه). - كان عزمنا في الاستجابة لندائه أكيداً مخلصاً مثل استغاثته بنا.

(٣) لمّا وصل من الأندلس الصريخ.... أنبأنا (أخبرنا). صوب: جهة.

(٤) حتم: أوجب، فرض. لمّا كُتبت هذه الرسالة، سنة ٧٤٥ للهجرة (١٣٤٥ م) كان البابا في رومية كليمنت السادس (١٣٤٢ - ١٣٥٢ م). الأوب: الجهة والناحية.

(٥) الإيجاف: السرعة (الاستيلاء على الأراضي بلا حرب). تنقص (فعل متعدّ) طوائف الإسبان (فاعل) بالمنازلة (القتال، المبارزة في القتال) الأرض (مفعول به) من أطرافها (جوانبها). راجع القرآن الكريم: ﴿أولم يرَوا أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ (١٣: ٤١، سورة الرعد).

(٦) الأجفان جمع جفن (بالفتح): مركب حربي (؟). الطواغيت (جمع طاغوت: الشيطان) كناية عن الإسبان.

(٧) أصرخ: أغاث، ساعد.

(٨) لمداناة محلّ حزب الضلال (للاقتراب من الإسبان المهاجمين بجيش: للحيلولة بينهم وبين احتلال المدن).

(٩) الثغر: المكان الذي يخشى مجيء العدوّ منه (برّاً أو بحراً).

(١٠) جبل طارق: رأس صخري مشرف على البحر عند طرف جزيرة الأندلس جنوباً.

على هذه المدَرَةِ[١]، والفُرصةُ منها - إنْ شاء اللهُ - مُتَيسِّرَةٌ[٢].... وعُدْنا لِحَضْرتِنا[٣] فاسَ لِتَستريحَ الجُيوشُ من وَعْثاءِ السفرِ[٤] وتُرْتَبَطَ الجِيادُ وتُنْتَخَبَ العُدَدُ[٥] لوقتِ الظهورِ المُنْتَظَر وتكونَ على أُهبةِ[٦] الجِهاد.....

وعِندَ عَوْدِنا من تلك المُحاولة، تَيَسَّرَ الرَّكْبُ الحِجازيّ[٧] مُوَجِّهاً إلى هُنالِكُمْ رَواحِلَه[٨]، فأصْدَرْنا إليكم هذا الخِطابَ.... وآعتقادُنا فيكم في ذاتِ اللهِ لا يُخْشى جَديدُه من البلاء[٩]. وما لكم من غَرضٍ بهذه الأنحاءِ فَمُوَفًّى قَصْدُه على أكملِ الأهواء[١٠]... والبِلادُ بآتّحادِ الوُدِّ مُتّحدةٌ، والقلوبُ على ما فيه مَرْضاةُ الله - عزَّ وجلَّ - مُنْعَقِدةٌ. جعَلَ الله ذلكُمْ خالصاً لربِّ العِباد مَدْخوراً ليوم التَّنادِ[١١] مَسْطوراً في الأعمالِ الصالحةِ يومَ المَعاد[١٢]..... والسلامُ الأتَمُّ يَخُصُّكُمْ كثيراً أثيراً[١٣] ورَحْمَةُ اللهِ وبَركاتُه. وكُتِبَ يومَ الخميس السادسَ والعِشرين من صَفَرَ المُباركِ من عامِ خمسةٍ

---

(١) المدرة: القرية (المدينة) المبنيّة بالطين (أي مدينة الجزيرة الخضراء التي بنيت هنالك لتكون مكاناً لتجمّع الجيوش).

(٢) ... متيسّرة (سهلة) لمهاجة الإسبان.

(٣) الحضرة: العاصمة.

(٤) وعثاء السفر (شدّته والتعب الذي يقاسيه المسافر).

(٥) ارتباط الجياد (الخيل): إعدادها للحرب. العدّة (بالضمّ): آلة الحرب.

(٦) الأهبة: العدّة (بالضمّ) الوسيلة، الاستعداد.

(٧) الركب الحجازي: القافلة المتوجّهة إلى الحجاز للحجّ.

(٨) الراحلة: الحيوان (البعير، الحصان، الخ) الذي يسافر الناس عليه.

(٩) نحن نعتقد أنكم إذا دُعيتم إلى مثل هذه المساعدة في الدفاع عن المسلمين في الأندلس، «لا يخشى جديده من البلاء» (الاختبار): أنتم معروفون أن أعمالكم الماضية كانت للدفاع عن الإسلام والمسلمين (وهذا ملموح في ثنايا الرسالة)، فلن يكون موقفكم الجديد إلّا كمواقفكم القديمة.

(١٠) وما لكم (ما ترغبون فيه) من غرض (حاجة أو رغبة) بهذه الأنحاء (في بلادنا: المغرب) فموفّى (نقوم لكم به) على أكمل الأهواء (على أحسن ما ترغبون).

(١١) مذخوراً: مدّخراً، محفوظاً. التناد = التنادي (يوم القيامة)، إذ يكثر فيه تنادي الناس: ينادي أصحاب النار أصحاب الجنّة (يستغيثون بهم لشيء من الماء مثلاً) وينادي أصحاب الجنّة أصحاب النار (ليذكّروهم بأن أعمالهم - أعمال أصحاب النار - في الدنيا لم تكن صالحة).

(١٢) يوم المعاد: يوم القيامة (عودة البشر كلّهم إلى ربّهم للحساب).

(١٣) الأثير: الفاضل، الكريم.

وأربعينَ وسَبْعِمائَةٍ (١).

وفي سَنَةِ ٧٥٠ للهجرة (١٣٥٠ م)، أو بعدَها بقليلٍ كَتَبَ لِسانُ الدينِ بنُ الخطيب على لِسانِ سُلطانِ غَرناطةَ أبي الحجّاجِ يوسفَ النيّار بنِ إسماعيلَ (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) «رسالةً إعلاميّةً» (من الدعاية الرسمية) يُشَدِّدُ فيها عزائمَ الرعيّة على شيءٍ من الصبر على الضيق النازل بغَرناطةَ ويُمَنِّيهِمْ(٢) بِفَرَجٍ أوسَعَ مَدًى. في هذه الرسالة (نفح الطيب ٤ : ٤٤٢ - ٤٤٤):

.... فقد عَلِمْتُم، ما كانتِ الحالُ آلتْ(٣) إليه من ضِيقةِ البلادِ والعِباد بهذا الطاغيةِ(٤) الذي جرى في مَيْدانِ الأملِ جَرْيَ الجَموحِ(٥)، ودارتْ عليه خَمْرةُ النَّخْوةِ والخُيَلاءِ مَعَ الغَبوق والصَّبوح(٦)، حتّى طَمِحَ بسُكْرِ آعتزازِه. و (قد) مُحِّصَ(٧) المُسلمون على يدهِ بالوقائع التي تُجاوزُ مُنتهى مِقْدارِه(٨)، وتَوَجَّهَتْ إلى آسْتِئْصال الكَلِمَةِ(٩) مَطامِعُ أفكاره، ووَثِقَ بأنّه يُطْفِئُ نورَ الله بنارِه. ونازَلَ جَبَلَ الفَتْحِ فشَدَّ مُخَنَّقُ حِصاره(١٠).... وساءتِ الظُّنونُ في هذا القُطر الوحيد(١١) المُنْقطع بين الأُمّة الكافرة والبُحور الزاخرة والمَرام البعيد. وإنّنا صابَرْنا بالله(١٢) تعالى تَيّارَ سَيْلِهِ واستضأنا بنورِ التوكُّل عليه في جُنْحِ هذا الخَطْب ودُجُنّةِ لَيْلِه(١٣)، ولجأنا إلى

---

(١) يوافقه في التقويم الميلادي ١٣٤٤/٧/٩.

(٢) يجعل لهم أمنية: أملاً مقبلاً.

(٣) آلت: رجعت، صارت (وصلت).

(٤) كان المسلمون في الأندلس يطلقون على ملوك إسبانية لقب «الطاغية» (الظالم المتجبّر).

(٥) الجموح: الحصان النشيط النافر الذي لا يكاد يمكّن أحداً من ركوبه.

(٦) خمرة (الصواب: خمر). الخيلاء: التكبّر. الحماسة، التعاظم، التكبّر. الغبوق: شرب الخمر مساء. الصبوح: شرب الخمر صباحاً.

(٧) محّص: طهّر، اختبر، نفى الكدر والشوائب من المعادن. محّص (القتال) الناس: نفى منهم من لا يصلح (أهلك أكثرهم).

(٨) قتل من المسلمين أكثر ممّا كان هو قادراً على قتله (لضعف المسلمين وتخاذلهم).

(٩) استئصال: اقتلاع. الكلمة (كلمة التوحيد).

(١٠) جبل الفتح: جبل طارق.... اشتدّ عليه الحصار.

(١١) الوحيد (هنا) المنفرد بنفسه والمنقطع عن إخوانه المسلمين.

(١٢) صابرنا بالله (استعنّا بالله ليكون صبرنا على القتال أكثر من صبر عدوّنا).

(١٣) الجنح: الجانب من الليل. الدجنّة: الظلام.

مَنْ بيده نواصي الخلائق (١).... وفَسَحْنا مَجالَ الأمل في ذلك المَيْدانِ المُتَضايِق.... ولم نُقَصِّرْ - مَعَ ذلك - في إبرامِ العَزْمِ وٱسْتِشْعار (٢) الحَزْمِ وإمدادِ الثُّغورِ بأقصى الإمكان وبَعْثِ الجيوش إلى ما يَلينا على الأحيان (٣). فَرَحِمَ اللهُ انْقِطاعَنا إلى كَرَمِه وٱلْتِجاءَنا إلى حَرَمِه (٤)، فجَلّى (٥) بفَضْلِه، سُبحانَه، ظُلَمَ الشِّدَّةِ ومَدّ على الحريم والأطفال ظِلالَ رَحْمتِه المُمْتَدَّةِ.....

وبَيْنَما شَفَقَتُنا على جبلِ الفتح تُقيمُ وتُقْعِدُ، وكَلَبُ (٦) الأعداء عليه يُبْرِقُ ويُرْعِدُ، والرجاءُ واليأسُ خَصْمانِ: هذا يُقَرِّبُ وهذا يُبَعِّدُ، إذ طَلَعَ علينا البشيرُ بٱنفراجِ الأزمة وحَلِّ تلك العَزْمة ومَوْتِ شاهِ تلك الرُّقعةِ (٧) وإبقاءِ الله تعالى على تلك البُقعةِ (٨)، وأنَّه، سُبحانَه - أَخَذَ الطاغيةَ (٩) أَكْمَلَ ما كان ٱغْتراراً وأعظَمَ أنصاراً.... وأنّ مَنْ بيده الأمرُ طَرَقَهُ بِحَتْفِه (١٠) وأَهْلَكَهُ بِرُغْمِ أَنْفِه، وأنّ مَحَلَّتَه عاجلَها التَّبابُ والتَّبارُ (١١)، وعاثَتْ في منازِلِها النارُ (١٢)..... وأنّ حُماتَها (١٣) يَخْرُبون

---

(١) إلى من بيده.. (إلى الله). الناصية: مقدّم الرأس أو شعر مقدّم الرأس.

(٢) استشعار (لبس) الحزم (البّت في الأمور): تظاهرنا بذلك.

(٣) الثغر: المكان الذي يخشى مجيء العدوّ منه. يلينا: يكون إلى جانبنا، على مقربة منّا. على الأحيان: حيناً بعد حين (؟).

(٤) الحرم: المكان الذي يحميه صاحبه. حرم الله: المكان الذي لا يجوز فيه القتال.

(٥) جلّى: كشف.

(٦) الكلب (بفتح ففتح): شدّة الأذى.

(٧) الأزمة: الشدّة. العزمة: الإرادة. شاه (ملك) الرقعة: رقعة الشطرنج (بالكسر): كناية عن ملك الإسبان ألفونسو الحادي عشر الذي توفّي في أثناء حصار جبل طارق، عام ١٣٥٠ للميلاد (٧٥١ هـ). - التعبير «شاه تلك الرقعة» مأخوذ من المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ).

(٨) تلك البقعة (التي كانت قد بقيت للمسلمين في الأندلس).

(٩) أخذ الطاغية: أماته.

(١٠) طرقه (أتاه بغتة) بحتفه (بهلاكه).

(١١) التباب والتبار: الهلاك.

(١٢) عاث: أفسد.

(١٣) الحماة: الجنود (المدافعون، الأبطال).

بيوتَهم بأيديهم وينادي بِشَتاتِ[1] الشَّمْل مُناديهم. وتلاحَقَ الفُرسانُ[2] مِنْ جَبَلِ الفَتْح (ذلك) المَعْقِلِ[3] الذي عليه من عِنايةِ الله تعالى رواقٌ مضروب، والرِّباطِ[4] الذي مَنْ حارَبَه فَهُوَ المحروب[5]. فأخْبَرَتْ بانفراجِ الضِّيق وٱرْتفاع العائق لها عنِ الطريق.... وأنّ النصارى - دَمَّرَها الله تعالى - جَدّتْ في ٱرتحالها[6] وأسرعتْ بجيفةِ طاغِيَتها[7] إلى سوءِ مآلِها[8] وحالِها، وسَمَحَتْ للنار والنَّهب بأسلابها وأموالها[9]. فبهَرَنا هذا الصُّنْعُ الآلَهيّ الذي مهد الأقطارَ بعدَ رَجَفانها[10] وأنامَ العُيونَ بعد سُهادِ أجْفانها.... ورأينا سِرَّ اللطائفِ الخَفيّةِ كيف سَرَيانُه في الوجودِ وشاهَدْنا بالعِيانِ أنوارَ اللطائفِ الإلَهيّة والجود. وقُلْنا: إنّما هو الفَتْح الأوّلُ شُفِعَ بِثانٍ، وقواعدُ الدين الحَنيفِ أُيِّدَتْ من صُنْعِ الله ببُنْيانٍ[11]. اللّهُمَّ، لك الحمدُ على نِعَمِكَ الباطنةِ والظاهرة ومِنَنِك[12] الوافرة. إنّك وَلِيُّنا[13] في الدُّنيا والآخِرة.

وهنالك رسائلُ أخرى بهذا المعنى لا تخرُج عن هذا الإطار - من ضَعْف المسلمين حيناً وتخاذُلِ أُمرائهم حيناً آخرَ، ومن تناصُرِ الدُّول النَّصرانية في أُوروبّة على إخراجِ المسلمين من الأندلُس. وكانتِ البابويّةُ تَتَزَعّمُ هذه الحَرَكةَ - مِمّا لا حاجةَ إلى الاستشهاد بها. إنّ ما ذَكَرْتُه يُجْزِئ عمّا لم أذْكُرْهُ. وفي هذه الصَّفَحات الكِثارِ التي

---

(1) الشتات: التفرّق.

(2) تلاحق الفرسان: لحق بعضهم بعضاً (فرّوا، هربوا، انهزموا).

(3) المعقل: الحصن (بالكسر).

(4) الرباط: المكان الذي يكون فيه مدافعون على حدود الدولة الإسلامية.

(5) المحروب: المسلوب (الخاسر).

(6) جدّت في ارتحالها: أسرعت في سفرها (رجوعها إلى بلادها).

(7) جيفة (جثّة) طاغيتها (ملكها: ألفونس الحادي عشر).

(8) إلى سوء مآلها: مرجعها، مصيرها (مرجع الملك بعد الموت إلى جهنم).

(9) سمحت للنار والنهب بأسلابها وأموالها (؟).

(10) مهد (بلا تشديد وبتشديد): عمل على تسهيل الأمر وتهيئته (تسكينه).

(11) الفتح الأوّل (موت الطاغية ألفونسو الحادي عشر؟). الفتح الثاني (انسحاب الإسبان وتركهم محاصرة المسلمين؟). قواعد (أسس) الدين الحنيف (الإسلام) أُيدّت (قويت، زاد، رسوخها) ببنيان (بدعائم، بكمال).

(12) المنن جمع منّة (بالكسر): نعمة.

(13) الوليّ: الذي يتولّى أمر الناس (الصاحب، النصير، الحليف، الكفيل، الخ).

مرّتْ نوعٌ من الأدب (أدبِ التفجّع) ونماذجُ وافيةٌ لأُسلوبِ لِسانِ الدينِ بنِ الخطيب.

– ومن رسالةٍ للِسانِ الدين بنِ الخطيب، بعدَ أن وَرَدَ خبرٌ بأن بني مرينٍ كانوا قد عَزَموا على إنجاد غَرْناطةَ ثمّ جاء خبرٌ ثانٍ بأنّهم عَدَلوا عن ذلك (نفح الطيب ٤: ٤١١ - ٤١٥):

.... ونَحْنُ مهما شُدَّ المُخَنَّقُ بكم نَسْتَنْصِرُ، أو تَراخى ففي وُدِّكم نَسْتَبْصِرُ، أو فَتَحَ اللهُ تعالى فأبوابكم نُهَنِّىءُ ونُبَشِّرُ. وقَرَّرْنا عندَكم أن العَدُوَّ في هذه الأيام توقّف عن بلادِ المُسلمين فَلَمْ تَصِلْ منه إليها سَرِيّةٌ[١]، ولا بطشتْ له (فيها) يدٌ جَرِيّةٌ[٢]... ولا نَدري أَلَمكيدةٍ تُدَبَّرُ.... أو لشاغلٍ في الباطن لا يظهَرُ[٣]؟ وبعدَ ذلك، وَرَدَتْ على بابِنا من بعضِ كِبارِهم وزُعماءِ أقْطارِهم مُخاطباتٌ يَنْدُبون فيها إلى جُنوحها لِلسِّلْمِ في سبيلِ النُّصْح[٤]... فلم يَخْفَ عنّا أنّه أمرٌ دُبِّرَ بِلَيْلٍ[٥]... فوَجّهنا إليه... لِنَعْتَبِرَ ما لَدَيْهِ[٦]... فتأتّى ذلك وجَرّ مُفاوضةً أعدنا (في الحاشية: أعددنا) لأجلها الرسالةَ[٧] واسْتَشْعَرْنا البَسالة[٨].... ونحن نرتقبُ ما يَخْلُقُ اللهُ تعالى من مُهادنةٍ تحصُلُ بها الأقواتُ المُهيّأة لِلاْنْتِساف[٩]، وتسكّن (في الحاشية: تسكين) ما ساء البلادَ المسلمةَ من هذا الإرجاف[١٠].... أو حربٍ يبلُغُ الآستبصار فيها غايتَه[١١].... ولم

---

(١) السريّة (في الأصل): جيش يذهب للجهاد ولا يكون فيه محمد رسول الله. وهنا: حملة عسكرية فقط.

(٢) جريّة = جريئة (وحذفت الهمزة للموافقة في السجع مع «سريّة»).

(٣) ....لشاغل في الباطن: لمشاكل داخلية (في بلاد الإسبان).

(٤) .. يطلبون منا أن نجنح (نميل) إلى السلم (الصلح) في سبيل النصح (اقرأ: على سبيل النصح): حبًّا بفائدتنا نحن (المسلمين).

(٥) أمر دبّر بليل (مكيدة، خداع).

(٦) تظاهرنا أننا قبلنا اقتراح الإسبان فأرسلنا إليهم مفاوضين.

(٧) الرسالة (هذه الرسالة).

(٨) استشعر الرجل: لبس الشعار (ثوب يلبس ملاصقاً للبدن). استشعرنا البسالة (الشجاعة): تظاهرنا بالقوة (بينما كنا نكتب إليكم هذه الرسالة لنستغيث بكم).

(٩) فعلنا ذلك (قبلنا الهدنة) خوفاً على المواسم التي قرب حصادها ونخشى إذا جاء الإسبان بحملة عليها أن ينتسفوها (يقتلعوها): يتلفوها.

(١٠) الإرجاف: نشر الأخبار السيئة (التهديد بالحرب).

(١١) حرب يبلغ الاستبصار (حسن النظر) فيها غايته (تمامه): حرب ليست لصالحنا.

نَجْعَلْ سَبَبَ الآعتِزازِ فيما أرَدْنا وشموخَ الأنْف فيما أصْدَرْنا إلاّ ما أشَعْنا من عَزْمِكُمْ (١) على نُصْرَةِ الإسلام وآرتقابِ خُفوقِ الأعلام (٢).... ثمّ آتّصل بنا الخبرُ الكارثُ (٣) بما كان من حَوْرِ العزائمِ المؤمنة بعدَ كَوْرِها (٤)، وتسويفِ مواعيدِ النُّصرةِ بعدَ فَوْرِها (٤) وأنّ الحَرَكَةَ مُعْمَلَةٌ إلى مَرّاكُشَ (٥) الجهةِ التي في يَدَيْكُمْ زِمامُها..... فسُقِطَ في الأيْدي المَمْدودةُ (٦)... وخَسِئَتِ الأبصارُ المُرْتَقِبةُ (٧) وساءت الظُّنونُ وذَرَفَتِ العُيونُ. وأكْذَبَ الفُضلاءُ الخبرَ ونَفَوْا أنْ يُعْتَبَرَ. وقالوا: هذا لا يُمْكِنُ حيثُ الدينُ الحَنيفُ والمُلْكُ المُنيف (٨) والعُلَماءُ الذين أخذَ الله تعالى مِيثاقَهم وحَمَّلَ النصيحةَ أعناقَهم (٩). وهذا المُفْتَرَضُ (١٠) يأباهُ اللهُ تعالى والإسلامُ، وتأباه العُلَماءُ والأعلامُ، وتأباه المآذنُ والمنابرُ، وتأباه الهِمَمُ الأكابرُ. فبادَرْنا نَسْتَطْلِعُ طَلْعَ هذا النبأ الذي إن كان باطلاً فهو الظَّنُّ، ولله المَنُّ (١١). وإن كان خِلافَه لِرأيٍ تَرَجَّحَ.... فنحن نُوفِدُ كلَّ من يقدم إلى الله تعالى بهذا القُطْرِ في شفاعةٍ ويمدّ إليه كفَّ ضَراعةٍ ومن يُوسَمُ (١٢) بصلاحٍ وعِبادة.... يَتطارَحون عليكم في نَقْضِ ما أُبْرِمَ ونَسْخِ

---

(١) أشعنا: أذعنا، أعلنّا.

(٢) ارتقاب (انتظار) خفوق (تموّج) الأعلام (الرايات): مجيئكم لمساعدتنا.

(٣) الكارث: الشديد الوقع على النفس (المنذر بكارثة).

(٤) الحور: الرجوع (عن العزم)، نقض ما كان الإنسان قد عزم عليه. الكور: لفّ الشيء على الجسم (إحكام الرباط، تأكيد الأمر). الفور (الإسراع في العمل).

(٥) إن الجيوش التي كانت متّجهة من مراكش (عاصمة المغرب) إلى الأندلس لقتال الإسبان، هي الآن معملة (مسرعة) نحو مراكش (بسبب النزاع بين السلطان أبي الحسن المريني علي بن عثمان وأبي عنان فارس، سنة ٧٥١ للهجرة، على العرش - راجع الاستقصا ٢: ٨٥).

(٦) سقط في الأيدي الممدودة (الطالبة للمعونة): تحيّرت واضطربت.

(٧) خسئت: ضعفت (فقدت القدرة على معرفة الأمور). المرتقبة: المنتظرة.

(٨) الدين الحنيف: الإسلام. المنيف: العالي (الثابت القوي).

(٩) العلماء مسؤولون عما يصيب أمتهم.

(١٠) المفترض = المفروض (رجوع بني مرين عن وعدهم بنصرة الأندلس ومحاربة الإسبان).

(١١) نستطلع طلع النبأ: نبحث عن صحة الخبر. المنّ: النعمة، الإنعام على الناس.

(١٢) يقدم (؟). الضراعة: السؤال (من الله) بتذلّل وخضوع. وسم (بالبناء للمجهول): صار له علامة. - ... نرسل إليكم أفراداً تقبل شفاعتهم عندكم (؟) ويتضرّع إلى الله كي تقبلوا منه (؟).

ما أُحْكِمَ[١]، فإنّكم[٢] تَجْنونَ به على مَنِ ٱسْتَنْصَرَكُمْ عَكْسَ ما قَصَدَ.... وهَبِ العُذْرَ يُقْبَلُ في عَدَمِ الإعانةِ وضَرورةِ الآستعانةِ والآستكانة، أي عُذْر يُقْبَلُ في الآطّراح والإعراضِ الصُّراح[٣]. كأنّ الدينَ غيرُ واحدٍ[٤]، كأن هذا القُطْرَ لِكَلِمَةِ الإسلامِ جاحدٌ، كأنّ ذِمامَ[٥] الإسلامِ غيرُ جامعٍ.... فنحنُ نسألُكُم باللهِ الذي تَساءَلونَ به والأرحامِ[٦]، ونأنَفُ لكم من هذا الإحْجام. ونَتَطارَحُ عليكم أنْ تَتْرُكوا حَظَّكُم في أهلِ تلك الجِهةِ[٧] حتّى يحكُمَ اللهُ بَيْنَنا وبينَ العَدُوِّ الذي يَتَكالَبُ عَلَيْنا بإدْبارِكم بعدَما تضاءلَ لِآسْتِنْفارِكم[٨].... وما ذَهَبْتُمْ إليه لا يَفوتُ[٩]..... إنّما الفائتُ ما وَراءَكم من حيثُ تأنف من سَماعِه أوِدّاؤُكم[١٠] ودينٌ يَشْمَتُ به أعْداؤُكم[١١]. فأسْعِفوا بالشَّفاعةِ فيمن بِتِلْكَ الجِهة المَرّاكُشيّةِ قَصْدَنا[١٢]، وحاشا إحسانَكم أنْ يَرْضى فيه رَدَّنا.....

---

(١) يتطارحون: يتبادلون الآراء في أمر ما (هنا: يلقون بأنفسهم بين أيديكم بذلّة). في نقض ما أبرم (في إبطال ما كنتم أقررتموه) وفي نسخ ما أحكم (تبديل ما كان قد جُعل فرضاً واجباً).

(٢) فإنكم (إقرأ: وإلّا فإنكم - فإن لم تفعلوا فإنكم).

(٣) اطّراح الأمر: تركه جلة وإهماله. الإعراض (الالتفات عن الأمر، ترك الاهتمام بالشيء) الصراح (الواضح الذي لا تردّد في تفسيره).

(٤) كأنّ ديننا غير دينكم.

(٥) الذمام: العهد، الحقّ، الحرمة (وجوب الدفاع عمّا يتّصل بالإنسان).

(٦) في القرآن الكريم: ﴿فاتّقوا الله الذي تَساءلون به والأرحام﴾ (٤: ١، سورة النساء): خافوا الله. تساءلون = تتساءلون به بينكم (حينما يقول أحدكم للآخر: أسألك بالله - بأنّني وإيّاك نعبد ربًّا واحداً) واتّقوا (خافوا على) الأرحام (القرابة التي بيننا في الدين، وفي النسب أيضاً) أن تقطعوها وتتركوا نصرنا فيستولي علينا العدوّ الكافر.

(٧) اتركوا الآن الخلاف الذي بينكم في تلك الجهة (مرّاكش - من الخلاف على تولّي العرش) إلى أن تنقذونا من العدوّ (الإسبان) الذي يتكالب (يعلن العداوة لنا ثمّ يثب علينا من كلّ جانب) بإدباركم (إذا رأى أنّكم تتخلّفون عن نصرتنا).

(٨) استنفاركم: الاستغاثة بكم.

(٩) ما ذهبتم إليه (حلّ مشكلة الخلاف على العرش) لا يفوت (لا يمضي زمنه، يمكن أن تعالجوه بعد مدّة). إنّما الفائت (الذي تخسرونه ثمّ لاتنقذونه) ما وراءكم (ما تركتموه وراءكم: لا تهتمّون به، أي ضياع بلاد الأندلس).

(١٠) الوادّ: المحبّ.

(١١) ودين (أي الإسلام) يشمت به أعداؤكم - إذا زال عن الأندلس.

(١٢) ابعثوا إلى مساعدتنا أولئك الجنود الذين رددتموهم إلى مدينة مرّاكش.

أدب المولد (*)

المَوْلدُ، هنا، ذِكرى ميلادِ محمّدٍ رسولِ الله - في ثاني عَشَرَ ربيعٍ الأوّلِ من العام ٥٢ قبلَ الهِجرة (٥٧٠ م) - والآحتفالُ بهذه الذِكرى بِدْعةٌ (شيءٌ لم يكنْ في أيامِ رسولِ الله ولا في أيامِ الصَّحابة). غيرَ أنّ هذه البِدعةَ إذا آتّصلتْ بالتقوى (من صلاةٍ وذكرٍ للهِ) وبالأعمال الصالحة (من خِدمة المجتمع: بالصَّدَقة والوَعْظ والتحدُّث بمآثرِ الإسلام وزيارةِ بعضِ المسلمينَ بعضاً تأكيداً للمودّةِ بينَهم) فإنّها تُصْبِحُ حينئذٍ بِدعةً حَسَنةً محمودة. أمّا هذا الذي يفعَلُه اليومَ جَماعاتٌ من المسلمين عادةً (من إقامة الزينة من الوَرَقِ المُلوّن وإطلاق الرصاص والركْضِ في الشوارع وآستغلالِ المُناسبة الكريمةِ في سبيلِ أغراضٍ دُنْيَوِيّةٍ مُختلفةٍ - سِياسيّةٍ أو غير سياسيّة) فإنّما هُوَ جاهليّةٌ ووَثَنيّةٌ أيضاً. وعلى هذا قال الإمام شَيْخُ الإسلام آبنُ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨ هـ).

« .... وأمّا آتّخاذُ مَوْسمٍ غيرِ المواسمِ الشرعيّة[١] كبَعْضِ ليالي شهر رَبيعٍ الأوّلِ التي يُقالُ إنّها ليلةُ المولدِ[٢]، أو بعضِ ليالي رَجَبَ[٣] أو ثامِنَ عَشَرَ ذي الحِجّة[٤] أوْ

(*) للدكتور محسن جمال الدين كتاب في ثمان وأربعين صفحة، على صفحته الأولى: في رياض الأندلس: احتفال الموالد النبويّة في الأشعار الأندلسيّة والمغربية والمهجرية، الطبعة الأولى، بغداد (مطبعة دار البصري) ١٩٦٧ م. - ومع أن هذا الكتاب يتناول أشياء كثيرة لا صلة لها بالمولد: دخول الإسلام إلى المغرب والأندلس (ص ٨ - ١٤) ثمّ اهتمام العلماء والأمراء والخلفاء في ميلاد الرسول الأعظم (ص ١٤ - ١٩)، وهو فصل في نفر من علماء المغرب والأندلس ليس فيه ذكر للمولد. ثمّ يأتي فصل: الشخصيّات الأندلسية والمغربية التي زارت المشرق أو دخلت الأماكن المقدّسة (ص ١٩ - ٢٠). وابتداء من الصفحة العشرين (أو الحادية والعشرين على الأصحّ) يأتي الكلام على الاحتفال للمولد النبويّ. ولا شكّ في أن الصديق محسن جمال الدين قد نبّه الأفكار بكتابه الموجز إلى موضوع يستحقّ عناية وافية.

(١) في الإسلام موسمان شرعيّان: أوّل شوّال (عيد الفطر: لخروج المسلم من صيام رمضان على طاعة) ثمّ العاشر من ذي الحجّة (عيد الأضحى: لقيام المسلم المستطيع بفريضة الحجّ).

(٢) لا خلاف في أن محمّداً رسول الله قد ولد في شهر ربيع الأوّل؛ ولكنّ هنالك خلافاً في اليوم الذي ولد فيه من شهر ربيع الأوّل.

(٣) لعلّ في ذلك إشارة إلى ليلة الإسراء. إنّ الحادث التاريخي: إسراء الرسول صلّى الله عليه وسلم (في السابع والعشرين من رجب) ثابت. ولكنّ الاحتفال بهذه الليلة من كلّ عام لم يكن معروفاً في أيام الصحابة.

(٤) في الثامن عشر من شهر ذي الحجّة (من السنة العاشرة للهجرة) كان الرسول راجعاً من حجّة الوداع. فلمّا =

أوّلِ جُمُعةٍ من رَجَبَ أو ثامِنِ شَوّالٍ الذي يُسمّيهِ الجُهّالُ عيدَ الأبرار، فإنّها مِنَ البِدَعِ التي لم يَسْتَحِبَّها السَّلَفُ ولم يفعَلوها[1] ».

أمّا الاَحتفالُ بذِكرى المولدِ وبذكرى أيامٍ وليالٍ مُختلفاتٍ فبدأ في أيامِ الفاطميّين (في القرن الرابع للهجرة = العاشر للميلاد)، فقد أرادَ الفاطميّون أن يجعلوا لِحُكْمِهِمُ السياسيّ وَجاهةً فاتّخذوا عدداً من المُناسباتِ المشهورة وتألّفوا بها عَوامَّ الناسِ بإقامة المآدِبِ العامّة وبإقامة مَعالِم الزينة بالأنوار وبِقراءة السيرة (النَّبَويّةِ أو غيرِها من السِّيَرِ). وأحبَّ العامّةُ ذلك. ولم يكُنْ في مثلِ هذه الاحتفالات ضَرَرٌ (إذا كانتْ للتقوى ولفائدةِ الناس)، ولكنّها - على كُلِّ حالٍ - ليستْ فَرْضاً على الناس.

وأحبّ نَفَرٌ من العلماءِ أيضاً وَضْعَ سِيرةٍ للرسول صلى الله عليه وسلم وقراءةَ تلك السيرةِ على الناس في عددٍ من المُناسبات العامّة أوِ الخاصّة (شُكْراً للهِ على شفاءِ مريضٍ أو نجاحِ مشروعٍ أو ما يُشْبِهُ ذلك).

وبينما كان عوامُّ الناس ونفَرٌ من الزُّعماءِ السياسيّين يَحْرِصون على الاَحتفال بذكر المَوْلد، كان هنالك مقاومةٌ لهذا الاَحتفال على أنّه بِدعة. أمّا صلاحُ الدين الأيوبي فقد كان يُشَجِّعُ هذه الاَحتفالاتِ لأغراض دِفاعيّة. كان الإفرِنجُ الصليبيّون يجتمعون في المواسم النَّصرانية، فإذارأَوْا غُرّةً من المسلمين هاجموهم. فدعا صلاحُ الدين إلى إقامة مواسمَ إسلاميةٍ في أيامِ المواسمِ النصرانية باسماءٍ مختلفةٍ واَخْتَرَعَ عدداً من مثل تلك المواسم أيضاً ثمّ جَعَل للموسمِ الواحدِ (في يومٍ ما من الأيام) أسماءً مختلفةً في الأماكن المختلفة[2].

= وصل إلى غدير خمّ نزل (ليستريح)، لأنّ السفر القديم كان مراحل. ففي ذلك المكان آخى الرسول صلّى الله عليه وسلّم علي بن أبي طالب. الحدث تاريخيّ فيما يبدو. ولكنّ الاحتفال بذكرى هذه الحادثة بدعة يمكن أن تكون بدعة حسنة، ولكنّها ليست عيدا شرعيًّا.

(١) فتاوى ابن تيمية (القاهرة ١٣٢٦ هـ) ١ : ٣١٢.

(٢) كانت هذه المواسم (الأعياد الشعبية) تحمل معنى دينيًّا وغاية سياسيّة حربية. من هذه موسم النبي موسى في القدس وموسم النبيّ روبين في يافا (في يوم واحد؟......؟) وأربعاء أيوب في بيروت، وخميس المشايخ (خميس الدعسة) في حمص، الخ. وقد كادت هذه المواسم تنسى الآن.

وكانتْ غايةَ صلاحِ الدين من ذلك أنْ يكونَ من المسلمين جَماعاتٌ مجتمعةٌ مُتأهّبةٌ في أيامِ ٱجتماع النصارى في أعيادهم لئلّا يُهاجِمَ الإفرنْجُ الصليبيّون بلدةً مُسلمةً والمسلمونَ فيها أو حولَها غافلون عن ذلك. وٱنتشرتْ هذه المواسم في الشامِ ومِصْرَ والعراقِ ثمّ عاشَ عددٌ منها بعدَ ذلك زماناً طويلاً.

يُخْبِرُنا ٱبنُ جُبيرٍ في «رِحلتِه» أنّه شَهِدَ ٱحتفالاً بذكرى مَوْلِدِ الرسولِ في مَكّةَ، في أواخرِ القرنِ السادس للهِجرة (أواخر القرن الثالثَ عَشَرَ للميلاد).

وفي مطلع القرن السابعِ للهِجرة كان مُظفّرُ الدين كوكْبوري صِهْرُ صلاح الدين الأيوبي (زوجُ أُختِه) يُقيم ٱحتفالاتٍ لذكرى المولد في وِلايته، في إرْبِلَ، بالعراق. وقد نَظَمَ ٱبنُ دِحْيَةَ الكلبيُّ المُتَوفّى سَنَةَ ٦٣٣ للهِجرة (١٢٣٥ م) لكوكبوري «مولداً» (سيرةً لرسولِ الله: التنويرَ في مولدِ السِّراج المنير).

ومن الشام ومِصْرَ ٱنتقل هذا الاحتفالُ بذكرى مَوْلِدِ الرسول إلى المَغْرب والأندلس، ثمّ إلى الهِنـد أيضاً. قال السَّخاويُّ (ت ٩٠٢هـ=١٤٩٧م) في كتابه «التِبْرِ المسبوكِ في نصيحة الملوك» (ص١٣ - ١٤): «ولا (يزال) أهلُ الإسلامِ يَحْتَفلون بشَهْرِ مولدِه، صلّى اللهُ عليه وسلّم: يَعْمَلون الولائمَ لذلك ويتصدّقون في لَياليهِ بأنواعِ الصَّدَقات ويُظْهِرون السرورَ ويَزيدون في المَبرّاتِ ويَتَغَنَّوْنَ بِقراءة مَوْلِدِه الكريم... وأكثرهم بذلك عِنايةً أهلُ مِصْرَ والشام. وللسُّلطانِ في تلك اللَّيالي مَقامٌ يقومُ فيه... فلقد حَضَرْتُ ليلةَ مَوْلِدٍ مِن سَنَةِ ٧٨٥(*) عندَ الظاهرِ برقوق».

والبديعيّاتُ (مدحُ رسولِ الله) فنٌّ قديمٌ جدًّا بدأه كَعْبُ بنُ زُهيرِ بنِ أبي سُلمى (ت ٢٦ هـ = ٦٤٥ م) في أيام الرسولِ (راجعِ الجزء الأوّل من هذه السلسلة). ثمّ ٱتّسعَ القَوْلُ في ذلك. وخَرَجَ هذا الفنُّ من المدح المألوفِ إلى التَغنّي به في المُناسبات، وفي ذِكرى مولدِ رسولِ اللهِ، صلّى اللهُ عليه وسلّم، من كُلِّ عام. فَمِنَ الذين وَضَعوا

(*) ليلة المولد (بالحسبان العربي): العرب يحسبون اليوم من غروب الشمس إلى غروبها في اليوم التالي، فالليلة عندهم قبل النهار. فليلة المولد، إذن، هي الثاني عشر من شهر ربيعِ الأول (من سنة ٧٨٥ للهجرة: ١٦/ ٥/ ١٣٨٣ م). أمّا في حسباننا اليوم (في الرزنامة) فليلة المولد في تلك السنة كانت (عندنا اليوم) أول ليل الحادي عشر من ربيعِ الأول ٧٨٥ هـ (١٥/ ٥/ ١٣٨٣ م).

« مَوالدَ » لِتُتلى أو لِتُنْشَدَ في هذهِ المناسبةِ الكريمة من كلِّ عام (في المشرق): ٱبنُ المَغْربيّ أبو القاسمِ بنُ الحسين بن علي (ت ٤١٨ هـ) له قصيدة في مدح الرسول (نفح الطيب ٧: ٤٨٨ - ٤٨٩) ثم أبو الفرجِ بنُ الجَوْزي (٥٩٧ هـ) وعبدُ الرحيم البُرَعيّ اليَمَنيّ (ت ٨٠٣ هـ) والسَّخاوي صاحبُ الضوءِ اللامع (ت ٩٠٢ هـ) وعائشةُ الباعونية (ت ٩٢٢ هـ) وابنُ الدَّيْبَع الشَّيْبانيّ (ت ٩٤٤ هـ) وٱبْنُ حَجَرٍ الهَيْتمي (٩٧٤ هـ).

وقال أهلُ المغرب وأهل الأندلس كثيراً في مدح رسولِ الله وأنشدوا المدائحَ فيه في المناسبات (وفي ذِكرى المولد خاصّةً). وفي هذا الفصلِ الطويلِ لَمَحاتٌ من ذلك. وسيرى القارئُ أنني لو أردتُ ٱسْتعراضَ كُلِّ ما قيل في هذا الموضوعِ هنا لَبَلَغَ هذا الفصلُ نِصْفَ هذا الجُزءِ.

فَمِنَ الذين نَظَموا في « مولِد رسولِ الله » خاصّةً أبو العباسِ بنُ العريفِ الصوفيُّ (ت ٥٣٦ هـ)، له عددٌ من المدائح في الرسول (نفح الطيب ٧: ٤٩٧ - ٤٩٩). من ذلك مثلاً:

وحقِّكَ، يا محمّدُ، إنّ قلبي ... بِحُبِّكَ قُربةٌ نحوَ الإلَـهِ.[1]
جَرَتْ أمواهُ حُبِّكَ في فُؤادي ... فهام القلبُ في طيب المِياه.
فَصِرْتُ أرى الأُمور بعَيْنِ حقٍّ، ... وكنتُ أرى الأُمورَ بعينِ لاهي.[2]
إذا شُغِفَ الفُؤادُ به وِداداً، ... فهل يَنْهاه عن ذِكْراه ناهي؟[3]

وَلِٱبْنِ العريفِ أيضاً « صلاةٌ على النَبِيّ » تُشْبِهُ « دلائلَ الخَيْرات » (أي إيرادَ المعاني المُخْتلفةِ في جُمَلٍ مُتقاربةٍ في اللّفظ). مِنْ ذلك (نفح الطيب ٧: ٤٩٨ - ٤٩٩):

صَلّى الإلَـهُ على النبيّ الهادي ... ما لاذتِ الأرواحُ بالأجسادِ[4].
صلّى عليه اللهُ ما ٱسْوَدَّ الدُّجى ... فَكَسا مُحَيّا الأُفْقِ ثَوْبَ حِدادِ.

---

(١) قربة: تقرّباً. وسيلة للقرب. - أنا أحبّك ليقرّبني حبّي لك من الله.
(٢) اللاهي: الذي يسهو، يغفل عن الأمور.
(٣) ذكراه: ذكرى الرسول.
(٤) لاذ: التجأ - وهو يقصد ما دام في الأجساد أرواح (ما دامت هذه الدنيا).

صلّى على خيرِ الأنامِ مُحمّدٍ مَنْ خَصّهُ بالنورِ والإرشادِ.
صلّى الإلّهُ على رسولٍ فاتحٍ فَتَحَ الظلامَ بنوره الوَقّادِ.
صلّى عليه مَنْ أراه جَلالَهُ وأنالَهُ من ذاك كُلَّ مُرادِ[1].

وهذه القصيدةُ في نفح الطيب واحدٌ وثلاثون بَيْتاً على هذا النَّوْعِ مِنَ السَّرْد.

فإذا نحن ٱنتقَلْنا إلى الأندلس وجَدْنا بعضهم يَنْسِبُ بديعيّةً إلى القاضي عِياضِ ٱبنِ موسى بنِ عِياضٍ (ت ٥٤٤ هـ). ولكنّ المَقّريّ يقول (نفح الطيب ٧: ٣٢٣ - ٣٢٤):

هنالك قصيدةٌ «في التَوْرية بسُوَرِ القُرآن و (في) مدح النبي صلّى الله عليه وسلّم[2] ... وَهِيَ من غُرَرِ القصائدِ. وكثيرٌ من الناس يَنْسِبُها للقاضي الشهير عالمِ المَغْرب أبي الفضلِ عِياضٍ. وكنتُ أنا في أوّلِ الٱشتغال مِمّنْ يعتقدُ صِحّة هذه النِّسبةِ حتى وَقَفْتُ على البديعيّة المَوْصوفة لرفيقه أبي جعفرٍ[3]، فإذا هي منسوبة للناظم ابن جابر»[4].

غيرَ أنّ القولَ في «البديعيات» عامةً وفي «المَوْلديّاتِ» خاصةً قدِ ٱتّسعَ في زمَنٍ لاحقٍ وكَثُرَ حتى أصبح يَعْيا على الحصر.

أما الرحّالة ٱبنُ جُبيرٍ (ت ٦١٤ هـ) فقد وَصَفَ طَرَفاً من الٱحتفال بالمولد النّبويّ

---

(١) جلاله: عظمته (عظمة الله) - لعلّ في هذا البيت إشارة إلى المعراج (حينما وصل رسول الله إلى قرب عرش الرحمن).

(٢) في كل «فاتحة» للقول معتبره حقّ الثناء على المبعوث بـ«البقرة».
الفاتحة هي السورة الأولى في المصحف، والبقرة هي السورة الثانية.

(٣) أبو جعفر الغرناطي أو الإلبيري (ت ٧٧٩ هـ) رفيق ابن جابر الضرير (ت ٧٨٠ هـ) - راجع ترجمتيهما في هذا الجزء. في هذا النصّ من «نفح الطيب» انقطاع في السرد أو نقص في الكلام. أن أبا جعفر الغرناطي هذا (ت ٧٧٩ هـ) لا يمكن أن يكون رفيقاً للقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ). ولعلّ الكلام يستقيم اذا قلنا: ... حتّى وقعت على هذه البديعيّة الموصوفة (في كلام يتناول ابن جابر الاندلسي الهوّاري) لرفيقه أبي جعفر، فإذا هي منسوبة للناظم ابن جابر.

(٤) راجع الحاشية السابقة.

في مكة. وصل ابنُ جُبير إلى مكة في ثانيَ عشَرَ ربيعٍ الآخِر (يوم ذكرى المولد ★) فنظم قصيدة منها (نفح الطيب ٢ : ٤٩٢ - ٤٩٤):

بلغتَ المُنى وحللْتَ الحرَمْ … فعادَ شبابُكَ بعدَ الهرمْ.[١]
فأهْلًا بمكّةَ، أهْلًا بها، … وشُكراً لِمَنْ شُكرُه يُلتزَمْ...[٢]
نبيٌّ شفاعتُه عِصمةٌ، … فيومَ التّنادي به يُعتَصمْ،[٣]
ويَرْعى لزُوّاره في غَدٍ … ذِماماً، فما زال يرعى الذِّمِمْ[٤].
عليه السلامُ، وطوبى لمَنْ … ألمّ بتُربته فاستَلمْ[٥]

ثُمّ إنّ لابنِ جُبيرٍ أشعاراً كثيرةً في الحجاز وفي مدح الرسول. فَمِنْ هذهِ الأشعارِ مّما يقرُبُ من أدبِ المَوْلدِ قولُه (نفح الطيب ٢ : ٤٩٣):

أُحِبُّ النَّبيَّ المُصْطفى وابْنَ عَمِّه … عَلِيًّا وسِبْطَيْهِ وفاطِمَةَ الزَّهْرا.[٦]
هُمُ أهلُ بَيْتٍ أُذْهِبَ الرِّجْسُ عَنْهُمُ؛ … وأطْلَعَهُمْ أُفْقُ الهُدى أنْجُماً زُهْرا.[٧]
مُوالاتُهم فرضٌ على كلِّ مُسْلِمٍ، … وحُبُّهُمُ أسْنى الذَّخائرِ لِلأُخْرى[٨].

(★) وصل ابن جبير إلى مكّة يوم الخميس الثالث عشر لربيع الأول ٥٧٩، وهو الرابع من شهر آب - أغسطوس، عام ١١٨٣م (راجع «رحلة ابن جبير» بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م، ص ٥٨، راجع ص ٤٤ و٤٩).

(١) الحرم: الحرم المكّيّ (المساحة المحيطة بالكعبة).

(٢) .... شكراً (لله).

(٣) يوم التنادي: يوم القيامة.

(٤) في غد (يوم القيامة). الذمّة والذمام: العهد، الأمن، الكفالة.

(٥) تربته (قبر الرسول). استلم: قبّل.

(٦) المصطفى (المختار من جميع الناس). علي: عليّ بن أبي طالب. سبطاه = سبطا رسول الله (الحسن والحسين ابنا عليّ بن أبي طالب). فاطمة الزهراء (البيضاء) ابنة الرسول وزوج الإمام عليّ.

(٧) أهل البيت هنا (رسول الله وفاطمة وعليّ والحسن والحسين). وأهل البيت في القرآن الكريم (٣٣ : ٣٣، سورة الأحزاب): نساء النبيّ: ﴿وقَرْنَ في بيوتكنّ ولا تَبرّجْنَ تبرّج الجاهلية الأولى وأقِمْنَ الصلاة وآتينَ الزكاة وأطِعْن الله ورسوله، إنما يريد الله لِيُذهبَ عنكُمُ الرجسَ، أهلَ البيت، ويطهّركم تطهيرا﴾. أطلعهم (جعلهم). زهرا = بيضاً (لامعة). - أفق فاعل «أطلع».

(٨) الذخيرة: ما يخبئه الإنسان ويعدّه (ليستعين به في المستقبل). الأخرى: يوم القيامة.

وما أنا لِلصَّحْبِ الكِرامِ بِمُبْغِضٍ ، فإنّي أرى البَغضاءَ في حَقِّهم كُفْرا .[١]
هُمُ جاهدوا في الله حَقَّ جِهادِهِ : وَهُمْ نَصَروا دِينَ الهُدى بالظُّبا نَصْرا .[٢]
عَلَيْهِمْ سَلامُ اللهِ ما دامَ ذِكْرُهم لدى المَلإِ الأعلى ، وأكْرِمْ بِهِ ذِكْرا[٣] .

ويبرُز هنا أبو العباس محمدُ بنُ أحمدَ العزَفي السَّبْتيّ المَغْربي ، فقد ألف (نحو سنة ٦٣٣ هـ) « الدرَّ المُنتَظَمَ في مَدْحِ النّبيّ المُعظَّمِ » (راجع نفح الطيب ٢ : ٣٦):

أهلُ الحديثِ عِصابةُ الحقّ فازوا بدَعْوةِ سيّدِ الخَلْقِ .[٤]
فَوُجوهُهُمْ زُهْرٌ مُنَضَّرَةٌ لألاؤها كتألُّقِ البرقِ .[٥]
يا لَيْتَني مَعَهم فَيُدْرِكَني ما أدركوه بها من السبقِ[٦] .

ولأبي زيدٍ الفازازيُّ (ت ٦٣٧ هـ) عددٌ من القصائد في مدحِ الرسول (نفح الطيب ٧ : ٥٠٧ - ٥١٢)، منها (٧ : ٥٠٨):

أيُّ نورٍ كَشَفَ اللهُ بِهِ سُدَفَ الباطلِ عنّا أجمعينْ .[٧]
خَتَمَ اللهُ بِهِ أنوارَه عِندَما أكْمَلَ سِنَّ الأربعينْ .[٨]
وأتانا بدليلٍ بَيِّنٍ عَجَزَتْ عنهُ دواعي المُدّعينْ[٩]
فأَعِدْ أنباءه فَهْيَ[١] مُنَى أنفسِ القائلِ والمُستمعينْ .[١٠]

وهنا يأتي أيضاً ابنُ عربيٍّ (ت ٦٣٨ هـ)، ولَعَلَّ في « الصلاة الأكْبريّة »[١١] له ما

---

(١) الصحب: اصحاب رسول الله .
(٢) الظبا جمع ظبة (بضم ففتح): حد السيف .
(٣) الملأ الأعلى: العالم العلوي (الإلهي) مع الملائكة .
(٤) أهل الحديث: الذين يشتغلون برواية أحاديث رسول الله . عصابة: جماعة على رأي واحد . سيد الخلق: محمد رسول الله . فازوا (نجحوا) لمّا استجابوا لدعوة رسول الله والاهتمام بأقواله وأفعاله .
(٥) زهر جمع أزهر: أبيض ، لامع ، طاهر ، نقيّ . النضرة: الجمال والانشراح (في الوجه) التألّق اللمعان .
(٦) من السبق إلى الخير والأجر .
(٧) السدفة (بالضمّ): الظلمة .
(٨) لمّا بلغ محمّد عليه الصلاة والسلام سنّ الأربعين بعثه الله رسولاً وجعله خاتم (آخر) الأنبياء .
(٩) في الأصل كذا: دواعي . لعلّها: دعاوى .
(١٠) انباؤه: أخبار (رسول الله) .
(١١) راجع سركيس ١٧٨ .

يقرُب إلى «أدَبِ المَوْلِدِ». ومَعَ إدريسَ بنِ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ موسى الأنصاريِّ القُرْطُبيّ (ت آخِرَ سَنَةِ ٦٤٧ هـ) نقترِبُ في مُخمَّسَتِه من «أدبِ المولد» (نفح الطيب (٧: ٤٤١ - ٤٤٤):

أهْلًا بِكم، يا أهلَ هذا النادي، أهلَ ٱعتقادِ الوَعْدِ والميعادِ[١]،
أهْدُوا الصلاةَ إلى النبيِّ الهادي وصِلُوا السلامَ لَه مَعَ الآبادِ[٢]
يَنْدَى نسيماً مُذْكِراً تَسْنيما.[٣]

أوْصافُه من كلّ حُسْنٍ أبهَجُ: العَرْفُ ينفَحُ والسَّنا يتبلَّجُ[٤]،
فتَأرَّجُ الأرجاءُ منه وتَبهَجُ. فاقَ الزواهرَ نورُها يتوهّجُ[٥]
والزَّهْرَ نَفّاحَ النسيمِ وَسيما[٦]

وفي مُوَشَّحَةٍ لآبنِ سَهْلٍ الإشبيليّ (ت ٦٤٩ هـ) نَفَسٌ قريبٌ جدًّا من «التوشيح» الذي يُقرأ عادةً في الموالد مَعَ عُذوبةٍ وطَلاوةٍ عُرِفَ ٱبْنُ سَهْلٍ بها ونَفقدُ جانباً كبيراً منها في شِعر غيرِه. وفي ترجمة ٱبنِ سَهْلٍ جانبٌ وافٍ من المُوشّحةِ المذكورة.

وآبنُ الجَنّانِ الأنصاريُّ (ت بُعيد ٦٥٢ هـ) عالمٌ وأديبٌ مترسّل وشاعرٌ ومِنَ الذين أكْثروا القولَ تبرُّكاً بمديح رسولِ الله. وله في هذا الجزء ترجَمةٌ مستقلّة. ثم له موشّحةٌ بارعةٌ في مولدِ الرسول مطلَعُها (نفح الطيب ٧: ٤٣٢):

اللهُ زادَ مُحمّداً تكريما
وحَباهُ فضلًا من لَدُنْهُ عظيما[٧]

---

(١) .... الذين يؤمنون بالوعد (النشر من القبور) والميعاد (اجتماع الناس في الآخرة للحساب).

(٢) الآباد جمع أبد: دهر (مدّة لا تنتهي).

(٣) يندى (يصدر منه هواء رطب بارد) يذكّر الناس بوصف التسنيم (والتسنيم عين ماء في الجنّة).

(٤) أبهج: أكثر نضارة (حسناً وتألّقاً). العَرف: الرائحة الطيّبة. نفح الطيب (المسك، مثلاً): انتشرت رائحته. السنا: الضوء. تبلّج الصبح: ظهر وأنار.

(٥) تتأرّج الأرجاء (نواحي البلاد): تكتسب رائحة (طيّبة). الزواهر: الزهر (بالضم) جمع أزهر: نجم مضيء. توهّج: زاد اتّقادا أو اشتعالاً (نوراً).

(٦) نفح النسيم: تحرّك. نفح الطيب: انتشرت رائحته.

(٧) إن كلمة «لدُنْهُ» مشكولة (نفح الطيب ٧: ٤٣٢، السطر ١١) بكسرة على الهاء. ولا يمكن أن يكون =

واَختصّه في المُرسلين كريما

ذا رأفـةٍ بالمُؤمنـين رحـيما[1]   صَلّوا عليـه وسلِّموا تسلـيما.

وفي ترجمة اَبن الجنان جانب من هذه الموشحة.

ولابنِ الجنان أيضاً عددٌ من القصائد في مدح الرسول. وله أيضاً «رَمَضانيّةٌ» (الإحاطة ٢: ٢٥٧ - ٢٥٨)، وهي تدخُلُ في هذا الباب مادامَ الجامعُ بينَ الرَّمَضانية والمِيلادية مديحُ رسولِ الله. ومطلَعُ هذه الرَّمضانية:

مضي رَمَضانٌ أو كأنّي بهِ مضى   وغابَ سَناهُ بعد أنْ كان أَوْمضا.[2]

فيا عهدَه قد كانَ أكرَمَ مَعْهَدٍ؛   ويا عَصْرَه أعْزِزْ علي أنِ اَنقضى[3]

أَلَمَّ بنا كالضيفِ في الطَّيفِ زائراً   فخيّمَ فينا ساعةً ثمّ قَوَّضا[4].

فيا ليتَ شِعري، إذ نوَى غُربةَ النَّوى،   أبِالسُّخطِ عنّا قد توَلّى أم الرِّضا.[5]

ثمّ قال مشيراً إلى ليلةِ القَدْرِ[6]:

= هذا من عمل محقّق الكتاب، بل من مساعد أو من متبرّع. إن هذه الكلمة «لدنه» ترد في القرآن الكريم مرّتين (٤: ٤٠، سورة النساء): ﴿.... ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ ثمّ (١٨: ٢، سورة الكهف): ﴿لينذر بأساً شديداً من لَدُنه﴾. والنون في «لدن» مبنية على السكون، فإذا أضيفت «لدن» إلى الهاء (ضمير الغائب) كانت الهاء مضمومة. فهي شبيهة «عن»، فنحن نقول: عنه (بضم الهاء لا بكسرها)، وكذلك نقول: «لدنه» بسكون النون وضمّ الهاء.

(١) في القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة): ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم: عزيز عليه ما عَنِتُّم (يعزّ عليه: يؤلمه أن تلقَوا مشقّة أو مكروها)، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾.

(٢) كأنّي به مضى (مضى منذ زمن يسير جدًّا. سناه: نوره. أومض: لمع لمعاناً خفيفاً (رأى الشاعر أن رمضان لم يطل كثيراً = إن تقوى الشاعر وحبّه للصيام جعلاه يشعر أن هذا الشهر كان قصيراً).

(٣) أعزز عليّ أن انقضى: قد شقّ عليّ أن ينقضي (لم أكن مسروراً بانتهائه).

(٤) ألمّ: زار زيارة خفيفة. الطيف: الحلم (بالضمّ)، المنام. خيّم: نزل، حلّ، سكن. قوّض: رفع الخيمة، رحل، سافر.

(٥) اذ (لمّا) نوى (قصد رمضان) غربة النوى (الفراق - ليعود الينا بعد أحد عشر شهراً). تولّى: ذهب.

(٦) ليلة القدر تكون في ليلة وترٍ من العشر الليالي الأخيرة من رمضان: ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧ أو ٢٩. - من أحيا هذه الليلة (سهر فيها إلى الصبح ثمّ اتّفق أن دعا دعاء صالحاً، فإن الله يستجيب هذا الدعاء).

وإن قُضِيَتْ قبلَ التفرُّقِ وَقْفَةٌ ... فمَقْضِيُّها من ليلةِ القَدْرِ ما قضى(١).
فيا حُسْنَها من ليلةٍ جَلّ قَدْرُها، ... وحَضّ عليها الهاشميُّ وحَرّضا(٢).
وقال: اطلُبوها تَسْعَدوا بِطِلابها ... فحرّكَ أربابَ القلوب وأنْغضا(٣).
جَزاهُ إلَهُ العرشِ خيرَ جزائه ... وأكْرَمَنا بالعَفْوِ منه وبالرِّضا؛
وصلّى عليهِ مِنْ نَبِيٍّ مُبارَكٍ ... رَؤوفٍ رحيمٍ للرِّسالة مُرتضى.
عليه سلامُ اللهِ ما انْهَلّ ساكبٌ ... وذهَّبَ مَوْشِيَّ الرِّياضِ وفَضّضا(٤).

ولأبي الحجّاجِ يوسُفِ بن موسى المُنْتَشاقِرِّي (القرنَ الثامنَ(٥)) في أدبِ المَوْلِدِ شِعرٌ منه مُسدَّسَةٌ(٦) ثمّ منه قصيدةٌ طويلةٌ (٦٥ بيتاً) جاء فيها (نفح

---

(١) يبدو أن الشاعر قد طلب ليلة القدر (سهر أملاً في أن يراها، فلم يرها).

(٢) الهاشميّ: محمّد رسول الله. حضّ عليها وحرّضا: حثّ المسلمين على السهر في الليالي العشر الأواخر من رمضان في التقوى والعبادة.

(٣) أرباب (اصحاب) القلوب: الذين يذهبون في العبادات مذهباً روحيًّا (يدركون الجانب الظاهر والمعنى الخفي من العبادة). أنغض: أخذ الأمر بالجدّ (بالكسر) وجهد في تنفيذه؛ حرّك، دفع.

(٤) انهلّ ساكب (هطل مطر كثير). وذهّب موشيّ الرياض وفضّضا: أنبت في الأرض نباتاً مذهباً (بضمّ الميم وفتح الهاء: بلون الذهب) وفضّضا.... (بلون الفضّة).

(٥) من نفح الطيب: كان المنتشاقري هذا فقيهاً (٧: ٥١٢) قاضياً في رندة ومن شيوخ (أساتذة) لسان الدين بن الخطيب (٥: ٦٠٥)، ولكن لسان الدين نفسه يذكر أنّه لقي المنتشاقري مدّة قصيرة جدًّا (٦: ١٣٩). وكانت بينهما مراسلة (راجع ٦: ١٣٥ – ١٣٨). وتآليف المنتشاقري كثيرة (٦: ١٤٥). ولمّا انتهى لسان الدين بن الخطيب من تأليف كتاب «الإحاطة بأخبار غرناطة»، سنة ٧٧١ للهجرة (راجع الإحاطة ١: ٦٨، مقدّمة عبد الله عنّان) كان المنتشاقري لا يزال حيًّا (٦: ١٤٥).

(٦) وصف المقّري المسدّسة (القصيدة المسمّطة: ذات الاختلاف في قوافيها) والتي يتألف كلّ بيت (كلّ مجموع من ستّة أشطر) من أربعة أشطر بقافية مستقلّة ثمّ شطرين هما قفلة لكلّ بيت بقافية ثابتة (هي الميم في شطري القفلة). وقد قال المقري في وصفها (٧: ٥١٢ – ٥١٣): «وترتيبها على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب، فيما عدا الرويّ (يقصد الحرف الأساسي في قافية القفلة) فإنه على حرف الميم. وكذا آخر الشطر الذي قبله فإنه ميم أيضاً». وهذا نصّه (نص التسديس: المسدّسة) بحروفه، ما عدا حرف الواو فإني لم أجده وكملته على منواله.

وترتيب الأبجدية عند أهل المغرب، كما يبدو في هذا التسديس: من الألف إلى الزاي (أخت الراء) كترتيب المشارقة. ثمّ تستمرّ الأحرف على النسق التالي: ط، ظ، ك، ل، م (والميم غائبة من الأبيات لأنها في قافية القفلة)، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هاء، واو، ى (ألف مقصورة: ى بلا نقط)، ي (بنقطتين تحتها).

الطيب ٦ : ١٤٠ - ١٤١):

حُبّي ومَدْحي أحمدَ الهادي ٱلذي فوزُ الأنامِ يَصِحُّ في تصديقِهِ[١].
أسْمَى الوَرى في مَنْصِبٍ وبِمَنْسِبٍ من هاشمٍ زاكي النِّجار عَريقِهِ[٢].
الحقُّ أظهرَهُ عَقيبَ خَفائِه، والدينُ نظّمه لَدى تفريقِهِ[٣].
ونفى هُداه ضَلالةً من جائرٍ مُسْتَوْثِقٍ بِيَغوثِهِ ويَعوقِهِ[٤].
سُبحانَ مُرْسِلِهِ إلَيْنا رَحمةً يَهْدي؛ ويُهْدى الفضلُ من توفيقِهِ[٥].
والمُعجزاتُ بَدَتْ بصِدق رَسولِهِ وحقيقِهِ بالمأثُرات خليقِهِ[٦]:
كالظَّبْيِ في تَكْليمِه، والجِذْع في تَحْنينِه والبَدْر في تَشْقيقِهِ[٧]؛
والنارِ إذْ خَمَدتْ بنُور وِلادةٍ، وأُجاجِ ماءٍ قد حَلا من ريقِهِ[٨].

---

(١) أحمد الهادي: محمد رسول الله. - فوز الإنسان (في الآخرة بدخول الجنّة يمكن إذا صدّق الإنسان برسول الله) وعمل بما جاء به رسول الله.

(٢) المنصب (هنا): المقام (مقام الرسالة). المنسب: النسب. زاكي: طاهر. النجار: الأصل. العريق: الكريم الأصل.

(٣) محمّد رسول الله أظهر الحقّ بعد أن كان الحق خافياً (بين الناس)، ثمّ نظم الدين بعد أن كان الدين (بين الناس) فوضى.

(٤) هُداه (هدى الرسول). الضلال والضلالة: السير في طريق الباطل. الجائر: الظالم، الحائد عن الطريق المستقيم. مستوثق: معتقد، متمسك. يغوث ويعوق من الأصنام التي عبدتها جماعات من عرب الجاهلية.

(٥) هو يهدي (بالبناء للمعلوم) الناس. ويُهدى (بالبناء للمجهول) الفضل (نائب فاعل مرفوع):(زيادة الخير عمّا عند الآخرين) من توفيقه (من موافقة الناس لما جاء الرسول به؟). - ويجوز «يهدي» (بالبناء للمعلوم) الفضل (مفعول به زيادة الخير فيه عمّا عند غيره)..... المعنى، على كل حال، غامض لضعف التركيب .

(٦) دلت معجزات رسول الله على صدق رسول الله. المأثُرة: العمل الكريم. وحقيقه بالمأثرات خليقه (؟ وبحقيقه: بما عرف عنه من الأعمال الكريمة) خليقه (لا وجه لإعرابها بالجرّ): إنّ صدق الرسول المعروف والمشهور جعله خليقاً: مستحقًّا، قادراً وأهلاً للمعجزات التالية؟)

(٧) كلّمه الظبي وحنّ الجذع لفقده (راجع موشّحة ابن سهل الإشبيلي، ت ٦٤٩ هـ). وأشار مرّة إلى البدر فانشقّ البدر قسمين.

(٨) يوم مولد رسول الله انطفأت النار في فارس (وكانت تلك النار في الهيكل في ذلك الحين مشتعلة منذ ألف سنة بلا انقطاع). في التاريخ: إن النار انطفأت (في نحو ذلك الزمن). الأُجاج: الماء الشديد الملوحة.

والزادُ قَلّ، فزادَ من بَركاتِهِ فكفى الجُيوشَ بتَمْره وسَوِيقِه [1].

غيرَ أنّ «مُسَدَّسَةَ المُنْتَشاقْريّ» (نفح الطيب ٧: ٥١٢ - ٥١٧) أعْلى نَفَساً وأحسَنُ مَعانِيَ وأقربُ إلى الجوّ الروحي للنُّبُوَّة. قال المنتشاقريُّ:

حَلَّ في طَيْبَةٍ رسولٌ كريمٌ فعليه الصلاةُ والتسليمُ [2].

★ ★ ★

صَفْوَةُ الخَلْقِ خاتَمُ الأنبياءِ، مُرشِدُ الناس للطريق السَّواءِ،
والعِماد المَلاذُ في اللأواء وشفيعُ العُصاة يومَ الجزاء [3]:
يومَ يبدو لَدَيْهِ جاهٌ عظيمُ فعليه الصلاة والتسليم.

★ ★ ★

أذهَبَ الغَيَّ نورُه والغياهِبْ فأضاءتْ مَشارقٌ ومغارِبْ [4]،
وغدا الحقُّ غالباً للأكاذِبْ وبدَتْ منه للأنامِ عجائبْ
صِدْقُ أقوالِهِ بها معلومُ فعليه الصلاة والتسليم.

★ ★ ★

كُلُّ دينٍ بِدينِهِ مَنْسوخُ [5]؛ فَسِوَى ما قَضى بِهِ مَفْسوخُ.
لِهُداهُ بكلِّ قلبٍ رُسوخُ، فالورى مادح له ومُصيخُ [6].
كُلُّهُمْ في هَوى النبيِّ يَهيمُ، فعليه الصلاة والتسليم.

★ ★ ★

(١) السويق: نقيع الشعير.

(٢) طيبة: المدينة المنوّرة.

(٣) العِماد (الذي يُعتمد ويُعتمد عليه). الملاذ: الملجأ. اللأواء: ضيق المعيشة وشدّة المرض. يوم الجزاء: يوم القيامة.

(٤) الغيّ: الضلال. الغيهب: الظلام.

(٥) منسوخ: ملغى. الدين لا يلغى، وإنما الذي نسخ (بالبناء للمجهول) هو الشريعة (نظام المعاملات). الإسلام لم يلغ الدين كما أنزل على موسى وعيسى. ولكن الناس نسوا (بضم السين) هذين الدينين. ثمّ جاء الإسلام بحقيقة الدين وأبطل شريعة الدينين السابقين لأنّ الأحكام تتغيّر بتغيّر الأزمان.

(٦) مصيخ: مائل بسمعه.

فـــاقَ بالمَوْلــدِ السعيــدِ رَبيــعُ أنّ فيــه بــدا الجَـلالُ الرفيـعُ:
مَنْ هُوَ الذُّخْرُ والعِماد المَنيــع، فَمَـــلاذٌ للمُذْنِبـــينَ شفيـــعُ
ورَؤوفٌ بالمُؤمنـــين رحـــيمُ[1] فعليــــه الصـــلاةُ والتسلـــيم.

★ ★ ★

قـــد سَما قـــدرُه بغـــيرِ تَناهي[2] وعـــلا جاهُـــهُ عـــلى كـلّ جـاهِ:
آمِرٌ بالتُّقـــى، عنِ الشرِّ نـــاهِ؛ مَنْ يُطِعْـــهُ يَنَـــلْ ثَوابَ الإلَـــهِ،
ولـــه عِنـــدَه النَّعيـــمُ المُقـــيم[3]. فعليــــه الصـــلاة والتسلـــيم.

وفي هذا السِّلك يأتي الإمامُ مالكُ بنُ المُرَحَّل المالَقيّ السَّبْتيّ (الأندلُسيّ المَغْربيّ) والمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٩٩ للهجرة فيزيدُ على ٱبنِ سَهْلٍ الإشبيليّ في الصِّناعة (راجع ترجمة الشاعرين) ولم يُقَصِّرْ عنه في الطَّلاوة. غيرَ أنّ ٱبْنَ المُرَحَّلِ يفضُلُ ٱبْنَ سَهْلٍ في أنّه جَلا الكلامَ على الرسولِ، صلّى اللهُ عليه وسلّم، في جَوّهِ الروحيّ، بينما ٱبنُ سَهْلٍ قد مدّ القولَ في تَشابيهَ مادّيّةٍ تنطوي على تَجْسيم (راجع نفح الطيب ٧: ٤٤٥ - ٤٤٩، مُوَشَّحةَ ابنِ سهل ثمّ ٤٥٣ - ٤٥٩، موشّحة ابن المرحّل).

ولأبي عبدِ اللهِ مُحمّدٍ التَّنَسِيِّ (من أحياءِ القرن الثامن للهجرة) كتابانِ في تاريخ ٱلمَغْرب: «راحُ الأرواح فيما قالَه المَوْلى أبو حَمّو من الشعر وقيلَ فيه من الأمداح وما يُوافِقُ ذلك على حَسْبِ الاقتراح» ثمّ «نَظْمُ الدُّرِّ والعِقْيانِ في شَرَفِ بني زَيّانٍ ومُلوكِهِمُ الأعيانِ» عَرَضَ فيهما لأدبِ المَوْلدِ ولٱحتفالِ المَغاربة بليلةِ المَوْلِد. جاء في نفح الطيب (٦: ٥١٣ - ٥١٥):

وكان السُّلْطانُ أبو حَمّو المَمْدوحُ بهذهِ القصيدة[4] يَحتفلُ لِلَيلةِ مَوْلِدِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم غايةَ الاحتفال، كما كان مُلوكُ المَغْرب والأندلُس، في ذلك العصر

(١) راجع القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة).
(٢) التناهي: بلوغ الشيء إلى نهاية يقف عندها.
(٣) نعيم مقيم: دائم.
(٤) «ما على الصبّ في الهوى من جناح»، ليحيى بن خلدون.

وما قَبْلَه، (يفعَلون). ومِنَ احتفالهِ له[١] ما حكاه شيخُ شُيوخِ شيوخِنا الحافظُ سيدي أبو عبد اللهِ التَّنَسِيُّ ثمّ التِلِمْسانيُّ في كتابه «راحِ الأرواح....»، ونصُّه:

إنه[٢] كان يُقيمُ لَيْلَةَ المِيلاد النَّبَويِّ - على صاحبِهِ الصلاةُ والسلام - بمشورة[٣] من تِلِمْسانَ المحروسة مدعاة حُفَيلة يُحْشَرُ فيها الناسُ خاصّةً وعامّةً، فما شِئْتَ من نمارقَ مصفوفةٍ وزَرابِيَّ مَبْثوثةٍ[٤] وبُسُطٍ مُوشّاةٍ ووَسائِدَ بالذهَبِ مُغَشّاة[٥]، وشَمْعٍ كالأُسْطُوانات وموائِدَ كالهالات، ومَباخِرَ منصوبةٍ كالقِبابِ يَخالُها المُبْصِرُ تبراً مُذاب[٦]. ويُفاضُ على الجميع أنواعُ الأطعِمَةِ كأنّها أزهارُ الربيع المُنَمْنَمَةُ[٧] تَشْتَهيها الأنفُسُ وتَسْتَلِذها النواظرُ. ويُخالِطُ حُسْنُ ريّاها الأرواحَ ويُخامِرُ[٨]. رُتِّبَ الناسُ فيها على مَراتِبهم ترتيبَ احتفالٍ، وقد عَلَتِ الجميعَ أُبَّهَةُ الوَقارِ والإجلال.

وَبعُقْبِ ذلك يَحْتَفِلُ المُسْمِعونَ[٩] بأمداحِ المُصْطفى عليه الصلاةُ والسلام، ومُكَفِّراتٍ تُرَغِّبُ في الإقلاع عن الآثام[١٠]، يَخْرُجون فيها من فنٍّ إلى فنٍّ ومن أُسلوبٍ إلى أُسلوب ويأتون من ذلك بما تَطْرَبُ له النُّفوسُ وترتاحُ إلى سَماعه القلوب. وبالقُرْب من السُّلْطان - رضْوانُ اللهِ تعالى عليه - خِزانةُ المِنجانةِ[١١] قد زُخرِفَتْ

(١) الاحتفال: الاجتماع للقيام بتكريم إنسان أو حادثة.

(٢) أبو حمّو.

(٣) مشورة (هنا) يبدو أنّها مكان أو بناء خاصّ أو جانب من بناء.

(٤) في القرآن الكريم (٨٨: ١٥ - ١٦، سورة الغاشية): ﴿..... ونمارق مصفوفة وزرابيّ مبثوثة﴾. النمرق والنمرقة (بضمّ النون فيها): الوسادة (المخدّة) الصغيرة يتكّئ الجالس عليها. الزربيّة (بالفتح): بساط كثيف أو حصير (والعامّة يقولون: «سجّادة»). مبثوثة: متفرّقة في أماكن مختلفة.

(٥) الوشي: النقش في النسيج بأشكال مختلفة وألوان مختلفة (التزيين). مغشّاة: مستورة (عليها تزيين كثير بخيوط الذهب).

(٦) حقّ «مذاب» النصب: مذاباً. في التجويد (قراءة القرآن) يمكن الوقوف على المرفوع والمجرور بالسكون، ولكنّ المنصوب يجب الوقوف عليه بالفتحة. ولكنّ الكاتب هنا أراد أن يناسب بين «مذاب» و«كالقباب» في السجع. وهذا خطأ.

(٧) المنمنم: (هنا) المزخرف (المزيّن) المرقّش (بألوان مختلفة).

(٨) الريّا: الرائحة الطيّبة. خامر: خالط.

(٩) المسمع: المغنّي. المصطفى: المختار (رسول الله).

(١٠) يبدو أن المكفّرات (هنا) قصائد دينية تحثّ على الإقلاع (ترك) عن الآثام (الذنوب).

(١١) المنجانة (بجيم فارسية): ساعة تدلّ على الوقت.

كأنّها حُلّةٌ يَمانيّةٌ لها أبوابٌ موجفة[١] على عَدَدِ ساعاتِ اللَّيْل الزمانية. فمهما مضت ساعةٌ وَقَعَ النَّقْرُ بقَدْرِ حِسابها، وفُتِحَ عِندَ ذلك بابٌ من أبوابها وبَرَزَتْ منه جاريةٌ صُوِّرتْ في أحسنِ صورةٍ في يَدِها اليُمنى رُقْعةٌ مُشتمِلةٌ على نَظْمٍ في تلك الساعةِ بٱسْمِها مسطورةٌ فَتَضَعُها بينَ يَدَيِ السُّلْطانِ بِلَطافةٍ، ويُسْراها على فَمِها كالمُؤَدِّيَةِ بالمُبايَعَةِ حقَّ الخِلافة. هكذا حالُهم إلى ٱنْبِلاجِ عَمودِ الصباحِ ونِداء المُنادي: حيَّ على الفلاح[٢].

وينقُلُ المقّريُّ قِطعةً ثانيةً في هذا الموضوعِ نفسِه من كتاب التَّنَسيّ: نظم الدُّرِّ والعِقيانِ «.... »، (نفح الطيب ٦:٥١٤ - ٥١٧). ومَعاني هذهِ القِطعة الثانية هي معاني القِطعة الأُولى مَعَ شيء مِنَ الاختلاف في التعبير ومَعَ ٱختصارٍ يسيرٍ هنا وتفصيلٍ يسيرٍ هناك. ويكثُرُ التفصيلُ في وَصْفِ المِنجانة مَعَ ذكرِ الأشعار التي تُقال عند كلِّ ساعةٍ من ساعاتِ الليل.

ويبدو أنه كان لِلسانِ الدين بنِ الخطيبِ (ت ٧٧٦ هـ) ميلاديّاتٌ (قصائدُ طِوالٌ قِيلَتْ في ذِكرى المولدِ النَّبَوِيِّ الكريم). من ذلك مثَلاً قولهُ من قصيدةٍ (نفح الطيب ٦: ٤٥١ - ٤٥٥):

تألّــقَ نَجْدِيّــا فأذْكَرَني نَجْــدا   وهاجَ بي الشَّوْقَ المُبرِّحَ والوَجْدا[٣].

ثمّ يقول:

إذا أنـتَ شافَهْـتَ الديارَ بِطَيْبَةٍ   وجِئْتَ بها القبرَ المُقدَّسَ واللَّحْدا[٤]،

وآنَسْتَ نوراً من جنـابِ مُحمَّـدٍ   يُجَلّي القُلوبَ الغُلْفَ والأعيُنَ الرُّمْدا[٥]،

---

(١) موجفة: مغلقة (أوجف الباب: أغلقه).

(٢) نداء المنادي: أذان المؤذّن. حيّ على الفلاح (الأذان لصلاة الصبح: بين ظهور الفجر وطلوع الشمس).

(٣) تألّق (البرق): لمع. نجديّاً: من جهة نجد (شماليّ شبه جزيرة العرب). المبرّح: المتعب، المعذّب. الوجد: الحبّ.

(٤) شافه الرجل المكان: اقترب منه. طيبة: المدينة المنوّرة. القبر: قبر رسول الله.

(٥) الأغلف: الذي عليه غطاء طبيعي (قلب أغلف: لا تصل إليه النصيحة أو الحقيقة). العين الرمداء (التي أصيبت بمرض الرمَد فحال ذلك دون رؤيتها الأشياء بوضوح).

فَنُبْ عن بعيدِ الدارِ في ذلك الحِمى ... وأذْرِ بـه دمْعاً وعفِّرْ به خدّا[1]؛
وقـل: يا رسولَ الله، عبدٌ تقاصَرَتْ ... خُطاه، وأضحى من أحِبَّتهِ فَرْدا[2].
ولم يَستطِعْ، مِنْ بَعْدِ ما بَعُدَ المَدى، ... سوى لَوْعةٍ تَعتادُ أو مِدْحَةٍ تُهدى[3].
تَداركْـهُ، يا غَوْثَ العِبادِ، برحمةٍ؛ ... فجودُكَ ما أجْدى وكفُّكَ ما أنْدى[4]!
أجـارَ بِكَ اللهُ العِبادَ من الرَّدى ... وبَوَّأهُم ظِـلاًّ من الأمن مُمْتَدّا[5].
حَمَى دِينُكَ الدُّنيا وأقْطَعَكَ الرِّضا ... وتوّجَـكَ العَلْيـا وألْبَسَكَ الحمدا.
تقدَّمْتَ مُختـاراً تأخَّرتَ مَبْعَثاً؛ ... فقد شَمِلَتْ عَلْياؤكَ القَبْلَ والبَعْدا[6].
وعِلّـةُ هذا الكونِ أنتَ؛ وكلُّ ما ... أعادَ فأنتَ القَصْدُ منه وما أبْدا[7].
فماذا عسى يُثْـني عليـك مُقصِّرٌ، ... ولم يألُ فيك الذِّكرُ مدْحاً ولا حمدا[8].
عليك صلاةُ اللهِ، يا كاشِفَ العَمى، ... ومُذْهِبَ لَيْلِ الرَّوعِ وَهْوَ قدِ ٱرْبَدّا[9].
تقضّى زماني في «لَعَلَّ» وفي «عَسَى» ... فلا عزمةٌ تَمْضي ولا لَوْعَةٌ تَهْدا[10]
إلى أنْ أَحُطَّ الرَّحْلَ في تُرْبِكَ الـذي ... تَضَوَّعَ نَـدًّا ما رأيْنا له نِدّا[11].
لِمَوْلِـدِكَ ٱهْتزَّ الوجودُ فأشْرَقَـتْ ... قُصورٌ بِبُصْرى ضـاءتِ الهَضْـبَ والوهْـدا[12]

(١) ناب فلان عن فلان: قام مقامه وفعل ما يجب عن الآخر. أذرى فلان الدمع: نثره (بكى). عفّر (مرّغ بالتراب)
(٢) أضحى من أحبته فرداً: لم يبق له محبّ (؟).
(٣) تعتاد (بالبناء للمعلوم)= تعتاده (تعود إليه مرة بعد مرة).
(٤) أجدى: أنفع. ما أجدى: ما أنفعه. ما أندى كفك: ما أكثر نداها (كرمها).
(٥) بوّأ الله العبد مكاناً: أنزله فيه وأسكنه.
(٦) اختارك الله للرسالة قبل جميع الأنبياء، ولكن جعلك آخرهم في الزمن.
(٧) والله خلق هذا العالم من أجل أن تكون أنت رسولاً إليه. وكل شيء خلقه الله بعد ذلك كان أيضاً من أجلك. أبدأ: فعل الشيء ابتداء (للمرّة الأولى). أعاد العمل: عمله ثانية وثالثة الخ.
(٨) ألاَ يألو ألْواً: قصّر. الذكر (القرآن الكريم).
(٩) الروع: الخوف. ٱربدّ: تغيّر لونه (أظلم، اشتدّ).
(١٠) اللوعة: حرقة الحبّ أو الحزن.
(١١) الندّ: (بالفتح): الرائحة الطيّبة، (بالكسر): المثيل، الكفؤ.
(١٢) اهتز الإنسان (طرب، فرح). لمّا ولد الرسول: أضاءت السماء وظهرت أقطار العالم واضحة، حتى إن المباني التي في بصرى (في الشام) رؤيت من مكّة. الهضب: المكان العالي. الوهد: المكان المنخفض.

ومن رُعْبِهِ الأوْثانُ خرّتْ مَهابةً، ومن هَوْلِهِ إيوانُ كِسْرى قدِ انْهدّا[١].
وغاضَ لـه الوادي، وصبّحَ عِزُّه بُيوتاً لنارِ الفُرس أعدمها الوَقْدا[٢].
رَعَى اللهُ منها ليلةً أطلَعَ الهُدى على الأرض من آفاقِها القمرَ السَّعْدا.

ولِلِسانِ الدينِ بنِ الخطيب «ميلاديّة» بارعةٌ رقيقةٌ لم يَحْفَظِ المَقّريُّ منها سوى الأبياتِ التاليةِ (نفح الطيب ٦: ٥٠٩ - ٥١٠):

ما على القلبِ بَعْدَكم من جُناحِ أنْ يُرى طائراً بغيرِ جَناح[٣]،
وعلى الشوق أنْ يَشِبّ إذا هَبْـ ـبَ بأنفاسِكِمْ نسيمُ الصباح[٤].
جِيرةَ الحيِّ، والحديثُ شُجونٌ والليالي تَلينُ بعدَ الجِماح[٥]،
أتَرَوْنَ السُّلُوَّ خامَرَ قلبي بعدَكم؟ لا، وفالِقِ الإصباح[٦]!
ولَوَ انّي أُعطى اقتراحي على الـ ـأيّامِ ما كان بُعْدُكم باقتراحي.
ضايقَتْني فيكم صُروفُ اللّيالي واستدارتْ عليَّ دَوْرَ الوِشاح[٧]؛
وسَقَتْني كأسَ الفِراقِ دِهاقاً في اغتباقٍ مُواصَلٍ واصطباح[٨].
واستباحتْ من جِدّتي وفَتائي حَرَماً لم أخَلْهُ بالمُستباح[٩].
يا تُرى - والنفوسُ أسرى الأماني ما لَها مِنْ وَثاقِها مِنْ سَراح؟
هل يُباحُ الوُرودُ بعدَ ذِيادٍ أو يُتاحُ اللِّقاء بعدَ انتزاح[١٠]؟

---

(١) خر: سقط. إيوان كسرى: قصر شرق بغداد كان لملوك الفرس. وقد انشقّ جانبه ليلة مولد الرسول وسقط عدد من شرفاته (وفي التاريخ ما يدلّ على حدوث ذلك في نحو ذلك الوقت).

(٢) غاض الوادي (النهر): غار ماؤه وجفّ (في ذلك الحين غار الماء في بحيرة ساوة في فارس). العزّ: القوة والجد. صبحنا الحادث: جاءنا صباحاً. - في ذلك الحين انطفأت النار في الهيكل الكبير بعد أن ظلّت مشتعلة ألف عام بلا انقطاع.

(٣) جناح (بالضم): لوم، ذنب.

(٤) شبّ الشوق (المحبة): اشتعل، زاد. هبّ: جرى، قَوِيَ.

(٥) الشجن (بفتح ففتح): الغصن. الحديث شجون (أنواع مختلفة ومتشعبة). الجماح: الشدة والعصيان.

(٦) السلوّ: النسيان. خامر: خالط. فالق الإصباح (الله تعالى)، والواو للقسم.

(٧) صروف الليالي: الأحداث والمصائب. واستدارت عليّ دور الوشاح (أحاطت بي من كل مكان).

(٨) دهاقاً: مملوءاً. الاغتباق والاصطباح: شرب الخمر مساء وصباحاً.

(٩) الجدة: الزهو والقوة. الفتاء: الشباب.

(١٠) الورود: شرب الماء. ذياد: طرْد، منع. الانتزاح: البُعاد.

وإذا أعوزَ الجُسومَ التلاقي، نـابَ عنـهُ تعـارُفُ الأرواح.

ويرى المَقّريُّ، بحَقٍّ، أنّ أبا زكريّا يَحيْى بن خَلْدونٍ (ت ٧٨٠ هـ) قد حاكى هذه القصيدةَ لِلسانِ الدين لمّا مَدحَ السُّلطانَ أبا حمّو في مَوْلدِ سَنَةِ ثمانيةٍ وسَبْعينَ وسَبْعِمِائَةٍ (في صيف عام ١٣٧٦ م) فقال (نفح الطيب ٦: ٥١٠ - ٥١٣):

مـا على الصَّبِّ في الهَوى من جُناح أنْ يُرى حِلْفَ عَبْرةٍ وٱفتضاح[١].

(وفي ترجمة يحيى بنِ خلدونٍ مختاراتٌ من هذه القصيدة).

ولابن زَمْرَكَ المُتَوَفّـى سَنَـةَ ٧٩٥ - أو بعدَهـا بقليـلٍ (نفـح الطيب ٧: ١٧١ - ١٩٥) بَديعيّاتٌ تجري في قصائدَ ومُوشّحاتٍ. من هذه البديعيّاتِ قصيدتُه التي أنْشَدَها في مَوْلدِ سَنَةَ ٧٦٧ للهجرة (نفح الطيب ٧: ١٧٩ - ١٨٣):

زارَ الخَيـالُ بأيْمَنِ الزَّوْراءِ فجلا سَناهُ غياهبَ الظَّلْماءِ[٢].

قال فيها:

يا ليتَ شِعْري، هل أُرى أطْوي إلى قـبرِ الرسولِ صحائـفَ البَيْـداءِ
فَتَطِيـبَ في تلك الرُّبوعِ مدائحي ويَطولَ في ذاك المَقام ثَوائي[٣]؟
حيـثُ النُبُوّةُ نورُهـا مُتألِّـقٌ كالشمس تُزْهى في سَناً وسَناء[٤]؛
حيـثُ الرِّسالـةُ في ثَنيّـةِ قُدْسِها رَفَعَتْ لِهَدْيِ الخَلْقِ خيرَ لِواء[٥]؛
حيثُ الضريحُ، ضريحُ أكْرَمِ مُرْسَلٍ، فَخْرِ الوُجودِ وشافـعِ الشُّفَعاءِ:
المُصْطفـى والمُرْتضى والمُجْتبـى والمُنْتقى مِنْ عُنْصُرِ العَلْيـاء[٦].

---

(١) الجناح (بالضم): اللوم، الذنب. العبرة: الدمعة (البكاء).

(٢) الزوراء: المكان الذي في الطريق إليه انحناء. والزوراء علم على مدينة بغداد لأن نهر دجلة ينعطف قبل الوصول إليها. السنا: النور. الغيهب: الظلمة. الظلماء: الليل.

(٣) الثواء: المكث (بالضم): الإقامة.

(٤) متألّق: لامع. تزهى (كذا في الأصل): تفتخر تتكبّر. لعلّها «تزهو»: تضيء، تنير. السنا: النور. السناء (بالهمزة): العلو، الارتفاع.

(٥) ثنيّة (؟) قدسها (الطهارة، البركة، السمّو والرفعة): قدسها الخالص التامّ الكامل.

(٦) المصطفى: المختار. المجتبي: المقرّب.

وَبلَيْلَـةِ المِيـلادِ كَمْ مِنْ رَحْمَـةٍ - نَشَرَ الإلَـهُ بها - ومِنْ نَعْماء.
قـد بَشَّرَ الرُّسْلُ الكِرامُ بِبَعْثِـه، وتقَـدَّمَ الكُهّـانُ بالأنبـاء.
أكْرِمْ بها بُشْرَى على قَدَمٍ سَرَتْ في الكَوْنِ كالأرواح في الأعضاء
أمْسى بهـا الإسلامُ يُشْرِقُ نورُه، والكُفْرُ أصْبـح فاحِمَ الأرجاء.
هُوَ آيَـةُ اللهِ الـتي أنوارُهـا تَجْلو ظَـلامَ الشكِّ أيَّ جَـلاء.
والشّمسُ لا تَخْفى مَزِيَّةُ فَضْلِها إلاّ عَـلى ذي المُقْلـة العَمْيـاء.
يـا مُصْطَفًى - والكَوْنُ لم تَعْلَقْ به، من بعدُ، أيْدي الخَلْقِ والإنشاء[١]،
يـا مُظْهِرَ الحقِّ الجَلِيِّ ومُطْلَعَ النـ ـنُورِ السَّنِيِّ الساطـعِ الأضواء،
يـا مَلْجَـأَ الخَلْقِ المُشَفَّعَ فِيهِمُ، يـا رحمةَ الأمواتِ والأحيـاء،
يـا آسِيَ المَرْضى ومُنْتَجَعَ الرِّضا ومُواسِيَ الأيتـام والضُعَفـاء[٢]
أشكو إليـك، وأنتَ خيرُ مُؤَمَّلٍ، داءَ الذُّنوبِ. وفي يَدَيْـكَ دَوائي.
إنْ كُنْـتُ لم أخْلُصْ إليكَ، فإنّما خَلَصَتْ إليك مَحبّتي ونِدائي[٣].

ثمّ يستطردُ ٱبنُ زَمْرَكَ إلى مدح محمّدٍ الخامسِ الغَنِيِّ بالله مَلِكِ غَرناطةَ[٤]، مَعَ الإشارة إلى الٱحتفال بالمَوْلِد:

وَبِسَعْـدِ مَوْلايَ الإمامِ مُحَمَّـدٍ تَعِـدُ الأمـاني أنْ يُتـاح لِقائي.
يـا ٱبْنَ الخلائفِ مِنْ بني نَصْرٍ ومَنْ حاطوا ذِمـارَ المِلّـة السَّمْحاءِ[٥]
مِنْ كُـلِّ مَنْ تَقِـفُ المُلوكُ بِبابهِ يَستَمْطرونَ سَحائـبَ النَّعْماء.

(١) الكون (هنا) العالم، الوجود. الإنشاء: الإيجاد من العدم. - ٱختارك الله (يا محمّد) قبل أن يبدأ الله خلق هذا العالم.
(٢) الآسي: الطبيب، المداوي. منتجع الرضا (الذي يطلب الناس رضاه). المواسي: الذي يساوي الآخرين بنفسه - الذي يواسي أو يحاول تخفيف آلام الآخرين.
(٣) خلص فلان إلى المكان: استطاع أن يصل إليه مخترقاً ٱزدحام الناس.
(٤) محمّد (الغنيّ بالله) بن يوسف ثامن سلاطين بني نصر في غرناطة (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) وخامس من كان اسمه محمّداً منهم.
(٥) الذمار: الكيان والحرمة (ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه). الملّة السمحاء: الدين الليّن السهل (لا تعقيد ولا تشدّد فيه)، الإسلام.

قَوْمٌ إذا قادوا الجُيوشَ إلى الوَغى   فالرُّعبُ رائدُهم إلى الأعداء؛
والعِزُّ مَجْلوبٌ بكلِّ كَتيبةٍ،   والنصرُ معقودٌ بكلّ لِواء.
يا فخرَ أندَلُسٍ وعِصْمَةَ أهْلِها،   يَجْزيكَ عنها اللهُ خيرَ جَزاء،
كم خُضْتَ طَوْعَ صَلاحِها مِنْ مَهْمَهٍ   لا تَهْتدي فيه القَطا للماء[1].
عَظَّمْتَ ميلادَ النبيِّ مُحمَّدٍ   وشَفَعْتَه باللَّيْلةِ الغرّاء[2].
أَحْيَيْتَ لَيْلَكَ ساهراً فأفَدْتَنا   قُوتَ القُلوبِ بذلك الإحْياء[3].

ولاْبنِ زَمْرَكَ مُوَشّحةٌ في ذِكْرِ المَوْلِدِ (نفح الطيب ٧: ٢٨٠ - ٢٨١) مطلعها:

لَوْ تَرجِعُ الأيامُ بعدَ الذَّهابْ،   لم تَقْدَحِ الأيامُ ذِكْرى حَبيبْ[4].
وكُلُّ مَنْ نامَ بِلَيْلِ الشبابْ   يُوقِظُه الدهرُ بِصُبْحِ المَشيبْ[5].

★ ★ ★

والبيتان الأخيرانِ فيها[6]:

(هل يُحْمَلُ الزادُ لِدارِ الكريمْ)   المُصْطفى الهادي شَفيعٌ مطاعْ[7].
فجاهُه ذُخْرُ الفقيرِ العديمْ   وحُبّه زادي، ونِعْمَ المَتاعْ

---

(١) المهمه: الأرض المقفرة (الخالية). القطا: طير قويّ الحاسّة للماء.

(٢) الغرّاء: البيضاء (المباركة). الليلة الغرّاء (؟). لعلّها ليلة عاشوراء (راجع، تحت، ص ١٣٠ - ١٣١).

(٣) قوت القلوب: غذاء الروح. الإحياء: سهر الليل في العبادة. في الحاشية (نفح الطيب ٧: ١٨٣): ان الشاعر يورّي هنا (يشير) إلى كتاب «قوت القلوب» (لأبي طالب المكيّ) وكتاب «إحياء علوم الدين» (لأبي حامد الغزاليّ). هذا التعليل بعيد.

(٤) قدحت الأيّام في الشيء: أتلفت جانباً منه. لم تقدح الأيام ذكرى حبيب (لم تنسني حبيبي). - مهما يَنْقَضِ على المحبّ من الزمن لا ينس أحباءه (لقد شاخ الشاعر، ولكنّه ما يزال يرجو الذهاب إلى الحج؟).

(٥) إذا غفل الإنسان في أيام شبابه (عن بعض العبادة)، فإنه يعود (إلى ذلك الجانب من العبادة) حينما تتقدّم به السن.

(٦) البيت في الموشّح (وفي المسمّط) عدد من الأشطر يجمع بينها ترتيب معيّن في قوافيها.

(٧) «هل يحمل الزاد لدار الكريم» شطر للفقيه الزاهد أبي عبد الله أبي الحجّاج يوسف المنصفي (نسبة إلى المنصف، وهي قرية قرب بلنسية). وكان للمنصفي رحلة إلى المشرق. وسكن سبتة وهو من أحياء النصف الأول من القرن السابع للهجرة (راجع المغرب ٣: ٣٥٤؛ نفح الطيب ١: ١٨١، ٣: ٥٩٥، ٤: ٣٣٦).

والله سمّاه الرؤوفَ الرحيمْ، فجارُهُ المكفولُ ما إنْ يُضاعْ[١].
عسى شفيعُ الناسِ يومَ الحِسابْ وملجأُ الخَلْقِ لِرَفْعِ الكُروبْ[٢]
يَلْحَقَني منه قَبولٌ مُجابْ يَشْفَعُ لي في مُوبِقاتِ الذُّنوبْ[٣].

★ ★ ★

يا مُصطفًى، والخَلْقُ رَهْنُ العَدَمْ، والكَوْنُ لم يَفْتُقْ كِمامَ الوُجودْ[٤]:
مَزِيّةٌ أُعْطِيتَها في القِدَمْ بها على كُلِّ نَبيٍّ تَسودْ،
مَوْلِدُكَ المرقومُ لمّا نَجَمْ أنْجَزَ لِلأُمّةِ وَعْدَ السُّعودْ.
نادَيْتُ لو يُسْمَحُ لي بالجوابْ شَهْرَ ربيعٍ، يا رَبيعَ القُلوبْ،
أطْلَعْتَ لِلْهَدْيِ بغيرِ آحتجابْ شَمْساً، ولكنْ ما لها مِنْ غُروبْ.

ويبدو أنّ من المُناسباتِ التي كان أهلُ الأندلُس (والمَغْرب) يَحْتَفِلونَ لها ذِكْرَى عاشوراءَ (العاشرِ من المُحَرّم: الشهرِ الأوّلِ من السَّنَة الهِجريّة - وفي العاشر من المُحَرّم مِنْ سَنَةِ ٦١ = ١٠/١٠/٦٨٠ م) كانت مأساةُ عاشوراء ومقتلُ الحسين بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنه. ولآبْنِ زَمْرَكَ (نفح الطيب ٧ : ٢٢١) مِنْ قصيدةٍ في مدحِ مُحمّدٍ الغَنيِّ بالله النَّصْريِّ يذكُرُ فيها عاشوراءَ:

يا أيُّها المَوْلى الذي بَرَكاتُهُ رَفَعَتْ لِواءً للنَّدى مَنْشورا[٥]،
لكَ راحةٌ تُزْجي الغَمامَ بأنْمُلٍ فَجَّرتَ منها بالنَّوالِ بُحورا[٦].

---

(١) راجع القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة). ما أن يضاع: لا يضاع («أن» زائدة).
(٢) يوم الحساب: يوم القيامة. الكرب: الحزن الشديد.
(٣) الذنب الموبق (المهلك، العظيم).
(٤) المصطفى: المختار للرسالة (محمد رسول الله). والخلق (الواو للحال: حينما كان البشر لا يزالون) رهن العدم (قبل وجودهم في هذا العالم). الكون (هنا): هذا العالم. الفتق: الشقّ. الكمام: الكأس (الأوراق الخضر التي تغلّف الزهرة قبل أن تتفتّح الزهرة). - أن الله قضى أن يكون محمّد رسولاً إلى هذا العالم قبل أن يخلق الله هذا العالم.
(٥) المولى: السيّد (محمّد رسول الله). الندى: الكرم.
(٦) تزجي: ترسل، تسيّر. الأنملة: طرف الإصبع (كناية عن سهولة تسيير الأمور). النوال: العطاء (الخير، الفائدة).

والْيَوْمَ مَوْسِمُ قُرْبَـــةٍ وعِبـــادَةٍ   وغداً - ظَفِرْتَ بأجْرِه - عاشورا[(١)].
راعَيْـــتَ فيـــه سُنَّـــةً نَبَويّـــةً   تَرْوي الثِّقاتُ حديثَه المشهورا.
لا زِلْـتَ، عامَكَ كُلَّه، في غِبْطةٍ   لُقِّيتَ منهـا نَضْرةً وسُرورا[(٢)].

ولِٱبْنِ زَمْرَكَ أيضاً قصيدةٌ يبدو أنّه مَدَحَ بها الغنيَّ بالله النَّصريَّ وَوَرَدَ فيها ذِكْرُ عاشوراءَ (نفح الطيب ٧: ١٧٦ - ١٧٧). من هذه القصيدة:

مولايَ، يا ٱبْنَ السابقينَ إلى العُلا   والرافعيـــنَ لِواءَهـــا المنشورا،
أبناءُ أنصـارِ النَـبيِّ وصَحْـبُـهُ   في الذِّكْرِ أصْبَحَ فَخْرُهُمْ مذكورا[(٣)]؛
والمُؤثِرون - ورَبِّنـا أثنـى بهـا؛   في الحَشْرِ خُلِّدَ وَصْفُهم مسطورا[(٤)]،
فاضـتْ علينـا من يَدَيْـكَ غمائِمٌ   وتَفَجّرَتْ من راحَتَيْـكَ بُحورا،
في مَوْسِمٍ للـــدينِ قـد جَـدَّدْتَـه   وأقَمْـتَ فينـا عِيـدَهُ المشهورا.
أضعـافَ مـا أهْدَيْتَنـا من مِنّـةٍ   تُهْـدِي إلَيْـكَ ثَوابَهـا عاشورا[(٥)].

أمّا في السودان الغَرْبيِّ خاصّةً فيبدو أنّ الٱهتمامَ كان بالفِقه وما يتّصل به؛ وأمّا النِّتاجُ الأدبيُّ والتأليفُ في العلوم العقلية والاجتماعية فكان في زَمَنٍ متأخّرٍ جدًّا. ثمّ إنّ هذا النتاجَ كُلَّه لم يظهَرْ بالطبع إلاّ قليلاً جدًّا، كما أنّ وُصولَنا إلى هذا النتاج - مخطوطاً ومطبوعاً - كان أيضاً صعْباً.

وعلى كلِّ حالٍ، فإنّ هنالك بضعةَ نَفَرٍ وَرَدَ ذِكْرُهم في «نَيْلِ الٱبتهاج»، منهم عبدُ العزيز التَكْروريُّ الذي رَحَلَ إلى المشرق في منتصَفِ القرن التاسع (ص ١٨٢).

---

(١) القربة: العمل الذي يسرّ الآخرين ويقرّبك منهم.

(٢) الغبطة: النعمة، حسن الحال، السرور. في القرآن الكريم (٧٦: ١١، سورة الدهر): ﴿فوقاهم (صرف عنهم) الله شرّ ذلك اليوم (يوم الحساب، يوم القيامة) ولقّاهم (أعطاهم) نضرة (حسناً وإضاءة في وجوههم) وسروراً﴾.

(٣) في الذكر (في القرآن الكريم).

(٤) المؤثرون: الذين يفضّلون الآخرين (بفتح الخاء) على أنفسهم. الحشر (سورة الحشر). في القرآن الكريم (٥٩: ٩، سورة الحشر): ﴿ويؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة﴾ حاجة إلى ذلك الشيء الذي يعطونه لغيرهم.

(٥) المنّة: الإحسان، الإنعام.

ومنهم محمّدُ بنُ أحمدَ ابنِ أبي مُحمّدٍ التازختي (نحو ٨٧٠ - نحو ٩٣٦ م) والمشهورُ بِلَقَبِ أَيْدَ[١] أحمدَ رَحَلَ إلى تكدةَ فَلَقِيَ فيها المَغِيليَّ (ت ٩٠٩ هـ) وحضَرَ دُروسَه. ثمّ رَحَلَ إلى المشرق وأخَذَ عن نَفَرٍ من العلماء في مِصْرَ ومكّةَ. واجتهدَ (في تخريج مسائلِ الفِقه) وصار من مُحصِّلي العُلماءِ مُحَدِّثاً ومُحَقِّقاً ومُتَفَنِّناً في عددٍ من العلوم. ثمّ قَفَلَ إلى السودانِ ونَزَلَ في بلدةِ كشنَ فأكرمه صاحبها غايةَ الإكرام وولّاه قضاءها (ص ٣٣٥).

وأخَذَ الفقيهُ الحافظ مخلوفُ بنُ عليٍّ بنِ صالحِ البلبالي (تُوُفِّيَ بعدَ ٩٤٠ هـ) العِلَمَ (وكانتْ قد تقدّمتْ به السِنُّ) عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ محمّدِ أقيتَ في بلادِ ولاتن ثمّ سافَرَ للغَرْب (للمغرب) فأخذ عن ابن غازي (ت ٩١٩ هـ). بعدَئذٍ دَخَلَ بلادَ السودان، مثلَ بَلَدِ كند وبَلَدِ كشن وغيرِها وأقرأ أهلَها وجرى بينَه وبينَ العاقبِ الأنصمني خِلافٌ. ثمّ إنّه دخل تَنبُكْتَ ودرّس فيها. وعاد حيناً إلى مَرّاكُشَ ثمّ رَجَعَ إلى بلادِه (ص ٣٤٤).

وهنالك أيضاً عبدُ الرحمن بنُ عليٍّ بنِ أحمدَ القصريُّ الفاسيُّ السُّفيانيّ المعروفُ بلقَبِ سقين أبي محمّدٍ (نحو ٨٧٠ - نحو ٩٥٦ هـ) أخذَ عن زَرّوقٍ (ت ٨٩٩ هـ) وعن ابن غازي (ت ٩١٩ هـ). ثمّ إنّه رَحَلَ إلى الشرق (سَنَةَ ٩٠٩ هـ). ثمّ رَجَعَ إلى بلاد السودانِ ودَخَلَ كانو وغيرَها وبَقِيَ هنالك مُدّةً عادَ بعدَها إلى فاس، سَنَةَ ٩٢٤ للهِجرة وتولى الخَطابةَ فيها في جامعِ الأندلس[٢]. وبعدَ وفاةِ محمّد بنِ محمّدِ بنِ الإمامِ القوري (ت هـ) تولّى الفُتْيا فيها أيضاً، مُدّةً وجيزةً، فيما يبدو. فلمّا عُزِلَ عن الفُتْيا أكبَّ على روايةِ الحديث وإقرائِه إلى أن أدْرَكَتْهُ الوفاةُ (ص ١٧٦ - ١٧٧).

ثمّ يأتي محمّدُ بنُ محمودِ بنِ عمرَ بنِ محمّدِ أقيتَ بنِ عُمَرَ بن يحيى الصِّنْهاجيّ (٩٠٩ - ٩٧٣ هـ). ولمّا تُوُفِّيَ والدُه (سَنَةَ ٩٥٥ للهِجرة - راجع ترجمته) قاضي

---

(١) أيد، أيت: ابن.

(٢) في جامع عُدْوة الأندلسيين - الجانب الذي سكنه المهاجرون من الأندلس في مدينة فاس.

تَنْبُكْتَ تولّى هو القضاءَ بعده. وكانت له معرفةٌ بالبلاغة والمَنْطِقِ، وله تعليق على رَجَزِ المغيلي في المنطق (ص ٣٤٠).

ولا بدّ من الإشارة، قبلَ آنتهاء القرنِ العاشر للهجرة، إلى أبي بكرِ بنِ أحمدَ بنِ عُمَرَ بنِ محمّدِ أقيتَ التنبُكْتيّ (٩٣٢-٩٩١ هـ)، كانتْ له معرفةٌ باللُّغةِ والفِقه، كما كانت له «تآليفُ صِغارٌ في التصوُّفِ» وغيرِه، منها «مُعينُ الضُعفاء في القناعة» (ص ١٠٢). وكذلك تحسُنُ الإشارة إلى العاقبِ بنِ محمّدِ بنِ عُمَرَ بنِ محمّدِ أقيتَ بنِ عُمَرَ بن عليٍّ بنِ يحيى التنبكتيّ (٩١٣-٩٩١ هـ)، كان قويّ القلب صُلْباً في الحقّ مِقْداماً ومُسَدَّداً في أحكامِه ثمّ جَسوراً على السُّلطان وعلى من دُونَه. وله مَعَ جميعِ هؤلاءِ وقائعُ كانوا يَخْضَعون له فيها. أمّا إذا لم يفعلوا ذلك فكان يَعْزِلُ نفسَه من القضاء ويَلْزَمُ بيتَه، فيُلاطفونه حتّى يَرْجِعَ إلى مَنْصِبه. وقد فَعَلَ ذلك مِراراً. وكان العاقبُ بنُ محمّدٍ هذا قد رَحَلَ إلى المشرق وأدّى فريضةَ الحجِّ واتّصلَ بنَفَرٍ من العلماء فأخَذَ عنهم وأجازوه (ص ٢١٨-٢١٩).

ومن الفُقهاء العاقبُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصمنيّ المَسوفيّ (تُوُفِّيَ بعدَ ٩٥٠ هـ) من أهل أكدسَ - وهي بلدةٌ قريبة من بلادِ السودان - أخَذَ عنِ الإمامِ محمّدِ بنِ عبدِ الكريم المَغيلِي التِلِمْساني (ت ٩٠٩ هـ)، وكان المَغيلي قد رَحَلَ إلى بلادِ السودان وبلادِ التَكْرورِ. ثمّ رَحَلَ العاقبُ بنُ عبدِ الله إلى المَشْرق وأخَذَ عن جلالِ الدين السيوطيّ (ت ٩١١ هـ) في مِصْرَ وغيرِه، في أثناءِ طريقِه إلى الحجّ. وللعاقبِ تصانيفُ منها تعليقةٌ على قولِ خليلٍ[١] - جُزْءٌ في وُجوبِ صلاةِ الجُمُعَةِ في قرية أصمن - الجوابُ المحدود على أسئلةِ القاضي محمّدِ بنِ محمودٍ - أجْوِبَةُ الفقيرِ عن أسئلة الأمير، أجابَ فيها السلطانَ أسكي الحاجّ محمّد (ص ٢١٧-٢١٨، راجع ٣٤٤).

(١) خليل بن إسحاق الجندي (لأنّه كان يلبس ثياب الجند): فقيه ملكي (ت ٧٧٦ هـ)، له كتاب في الفقه مشهور بعنوان «مختصر خليل».

ابن أبي البقاء البلنسيّ

١ - هو الأستاذُ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ سُليمانَ الأنصاريُّ المعروفُ بآبنِ أبي البقاءِ، أصلُه من سَرَقُسْطَةَ (ومسكنُه في بَلَنْسِيَة). كانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦١٦ للهجرة (١٢١٩ - ١٢٢٠ م).

٢ - كان آبنُ أبي البقاءِ البَلَنسيُّ بارعاً في العربية (النَّحْو) واسعَ العلمِ بها، وقد تَصدَّرَ لتَعْليمِها، وكانتْ له عِنايةٌ بتقييدِ الآثار (الحديث؟). ثمّ هو شاعرٌ مجوِّدٌ، له رثاءٌ وله وصفٌ جيدٌ وغزلٌ.

٣ - مختارات من شعره

قال آبنُ أبي البقاءِ البلنسيُّ من قصيدةٍ له في الرثاء:

قد علّمَتْني الليالي أنّ ريقَتَها ... صابٌ، وإنْ قال قومٌ إنّها عَسَلُ(١).
إنّ الذي كانتِ الآمالُ مُشْرِقَةً ... بهِ وعيش الأماني بُرْدُها خَضِلُ(٢)،
أصاب صَرْفُ الليالي منه قُطْبَ حِجًى.
يا مَنْ رأى الشُّهْبَ أعيَتْ دونَها السُّبُلُ(٣).

- وقال يَصِفُ السَّيْفَ:

وذي رَوْنقٍ كالبَرْقِ، لكنَّ وَعْدَهُ ... صَدوقٌ؛ ووَعْدُ البرقِ كِذْبٌ. ورُبّما(٤)....

(١) الريقة: الريق (اللعاب - بالضم - القليل): كناية عن السرور القليل الذي تحاول الدنيا أن تهبه للناس. الصاب: شجر له عصارة (بالضمّ) مرّة.

(٢) بردها (بالضمّ) ثوبها (وفي الأصل، ضبطت الكلمة بفتح الباء من البرد، ضدّ الحرّ، ولا معنى له). الخضل: المبتلّ، الناعم.

(٣) الحجى: العقل. قطب حجى (مركز العقل): المستند الذي يدور عليه العقل. صرف الليالي: المصائب. يا من رأى الشهب أعيت دونها السبل (كانت المصيبة بموت هذا الرجل عظيمة إلى حدّ أن النجوم وقفت عن الدوران) لقد اضطرب كلّ شيء بعد موته.

(٤) الرونق: الحسن (بالضمّ)، اللمعان. يبرق السيف إذا هزّه صاحبه ليضرب به. السيف يبرق وهو على وشك أن يصيب فيقتل. أمّا البرق (الذي في الغيم) فقد يظهر فيتبعه مطر أو لا يتبعه مطر. وربّما (فيها اكتفاء): وربّما أمطر (الغيم بعد البرق).

عَـقَـدْتُ نِجادَيْـــهِ لِحَـــلِّ تمائمي   وقلـتُ له: كُنْ للمكارم سُلَّما[1].
وساءَ الأعـادي إذ بكَتْ شَفَراتُه،   وسرَّ ولاةَ الوُدِّ لَمّـــــا تَبَسّما[2].

- وله في الغزل:

غَـيرُ خافٍ عـلى بصيرِ الغرامِ   أنّ يومَ الفِراقِ يومُ حِمامِ[3]:
عَبَراتٌ تصُــــــدُّ عن نَظَراتٍ،   ونشيـجٌ يَحولُ دونَ الكـلامِ[4]،
ودِمـــــاءٌ تُراقُ بآسْمِ دُموعٍ،   ونُفوسٌ تودي برَسْمِ سَلام
شَرِبَتْ، بَعْدَكَ، الليـالي حيـاتي   غـيرَ أَوْشالِ لَوْعَـتي وسَقامي[5].

٤ - ** الذيل والتكملة ١: ٢١٥ (رقم ١٤٣).

ابن غيّاث الشريشيّ

١ - هو أبو عمرٍو محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ غيَّاثٍ الجُذاميُّ الشَّريشيّ، كان مولدُه سَنَةَ ٥٣٦ للهِجرة (١١٤١-١١٤٢ م). كَتَبَ في شَبيبَتِه عنِ الأميرِ إسماعيلَ بنِ عبدِ المؤمن (من وُلاةِ الموحّدين في الأندلس؟). ثمّ إنّه زارَ مَرّاكُشَ ومَدَحَ أُمَراءَها. وكانتْ وفاتُه في المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٢٠ (شباط - فبراير ١٢٢٣ م) في الأغلب: أو ٦١٩ (الوافي ٤: ١٠).

---

(١) النجاد (بالكسر) ما يحمل به السيف فيعلّق في العنق. التميمة: حجاب يعلّق على الصبي لمنع إصابته بالعين (من خرافات العامّة). عقدت نجاديه لحلّ تمائمي: بدأت بحمل السيف (بالقتال والحرب) لمّا حلّت عنّي تمائمي (لما جاوزت سنّ الطفولة): باكراً - وقلت..... كن (في يدي: سأقاتل بك) في سبيل الوصول إلى معالي الأمور.

(٢) الشفرة: حديدة السيف التي تقطع. بكت شفرة السيف (سال عليها الدم من قتال الأعادي). تبسّم السيف: كثر بريقه (لكثرة تحريكه للضرب به).

(٣) الحِمام (بالكسر): الموت.

(٤) تكثر العبرات (الدموع) في العين حتّى تعجز العين عن النظر. النشيج: إرتفاع الصوت بالبكاء.

(٥) بعدك (بعد فراقك). شربت الليالي حياتي (ذهبت من الحياة: بطلت بعدك قيمة الحياة). الوشل (بفتح ففتح): الماء القليل (بقيّة الشيء). اللوعة: حرقة يجدها الإنسان في نفسه من أثر حبّ أو ألم أو حزن. السقام: الضعف، المرض.

٢ - كان أبو عمرو بنِ غياثٍ ذا مكانةٍ في قومهِ، كما كان أديباً وكاتباً مُحسناً اتّصلتْ المكاتباتُ بينَه وبينَ نفرٍ من أُدباءِ زَمانه منهم مَثَلًا ابنُ مَرْجِ الكُحْل[١]، وكانت تلك المكاتباتُ تجري في نَثْرٍ وفي شعرٍ. وشعرُه كثيرٌ رقيقٌ جيّدٌ. ويبدو أن مُعْظَمَ شعرِه كان في مدحِ الملوكِ والرؤساء.

٣ - مختارات من آثاره

- لأبي عمرِو بنِ غيّاثٍ أبياتٌ في العِتاب والنَّسيب، هي (نفح الطيب: ٢: ٦٠٨):

أوْدِعْ فؤادِي حَسْرةً أوْ دَعِ؛ نَفْسَكَ تُؤذي. أنتَ في أضْلُعي[٢].
أمْسِكْ سِهامَ اللَّحظِ أوْ فارْمِها: أنتَ بما ترمي مُصابٌ معي[٣].
مَوْقِعُها القلبُ، وأنتْ الذي مَسْكَنُه في ذلك المَوْضِعِ.

- قالَ أبو الحسنِ الرُّعينيّ[٤]: لَقيتُ (ابنَ غياثٍ) سَنَةَ خمسَ عَشْرَةَ (وستِّمائةٍ) وأخذتُ عنه ثمّ اسْتَجَزْتُه[٥] سَنَةَ ستَّ عَشْرَةَ فكَتَبَ إليّ مُجيزاً:

..... قسَماً بما يكونُ به القَسَمُ[٦]، لقدِ اسْتَفْتَحْتَ باباً وإنّه لَمُغْلَقٌ مُبْهَمٌ[٧]؛ واسْتَنْطَقْتَ أعْجَمِيًّا، ومِنْ أيْنَ له أنْ يُفْصِحَ الأعجمُ. ونَفَخْتَ حيثُ لا ضَرَمَ[٨]:

---

(١) ابن مرج الكحل (راجع الجزء الخامس، ص ٦٩١).
(٢) أودع (أجعل في) فؤادي حسرة أو دع (اترك وضعها). إنّك إن فعلت (ووضعت حسرة في قلبي) فإنّك تؤذي نفسك أيضاً لأنّك محبوبي الذي أجعله أنا بين أضلعي (في قلبي).
(٣) إرم سهام اللحظ: أطلقها عليّ.
(٤) هو أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ الرعينيّ (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ).
(٥) طلبت منه إجازة (شهادة) بما أخذته عنه من العلم والسماح لي بأن أعلّم الناس ما تعلّمته منه.
(٦) بما به يكون القسم (الحلف باليمين): بالله تعالى.
(٧) استفتحت باباً (طلبت فتح باب): طلبت منّي شيئاً (إجازة). وانّه (أنّ هذا الباب): إعطائي إجازات. وانّه لمغلق (ليس لي عادة بإعطاء إجازات). المبهم: الشيء الساذج (الذي لا علامات فيه)....
(٨) ونفخت حيث لا ضرم: لا مادّة قابلة للاشتعال بالترويح (بنفح الريح) عليها.

أُعيذُهـا نَظَراتٍ منـكَ صادقةً أنْ تحسَبَ الشحمَ فيمن شحمُه وَرَمُ[1].

.....[2] ولقد تركتُ مِنْ الأشياخِ [3] مَنْ لا يَنْبغي أنْ يُترَكَ ويَجِبُ أن يُتَيمَّنَ بهِ ويُتَبَرَّكَ. غيرَ أنّ القِدمَ والهَرَمَ والألَمَ[4] صرَفَتْني عنِ الإسهابِ والتطويل [5]. وما يُطيل شيخٌ له بعدَ نَوْماتِ العُيونِ بالليل نَظْرةُ تَخبيلٍ[6]؛ وكُتُبُه تَخْييلٌ وعَيْشه تنكيل[7]. وقدِ اتّضحَ له من السبعين إلى الثمانين السبيلُ [8].

- وله أبياتٌ في الصِّبا والشَّيْب:

صَبَوْتُ، وهل عارٌ على الحُرّ إنْ صَبا وقِيدَ بُعَيْدَ الأربعينَ إلى الصِّبا [9]؟
يرى أن حُـبَّ الحُسْن في اللهِ قُرْبَةً لِمَنْ شاء بالأعمال أنْ يَتَقرَّبـا.
وقالوا: مَشيبٌ. قلتُ: واعَجَبًا لكم، أيُنْكَرُ نُورٌ قـد تَخَلَّلَ غَيْهَبا [10]؟
وليس مَشيبـاً مـا تَرَوْنَ، وإنّما كُمَيْتُ الصِّبا مِمّا جرى عاد أشْهبا [11].

٤ - ★★ المغرب ١ : ٣٥ ؛ برنامج الرعيني ٩٩ (رقم ٣٧)؛ الذيل والتكملة ٦ : ٢٩٥ - ٢٩٦ (رقم ٧٨٠)؛ تحفة القادم ١٢٩ ؛ الوافي بالوفيات ٤ : ١١ ؛ نفح الطيب ٢ : ٦٠٨ .

---

(١) البيت للمتنبّي. الشحم: مادّة يصبح بها الجسم سميناً. الورم: انتفاخ من مرض.
(٢) كان ابن غياث يريد أن يذكر نفراً من شيوخه (أساتذته). وهم غير مذكورين في الأصل.
(٣) الأشياخ: الشيوخ (الأساتذة).
(٤) القدم (طول الزمن) يدعو إلى النسيان. الهرم (طول العمر) يدعو إلى الضعف. الألم (ذهاب الصحّة) يدعو إلى قلّة الصبر وقلّة الاحتمال.
(٥) الإسهاب: إكثار التعابير للمعنى الواحد. التطويل: الإتيان بمعان كثيرة.
(٦) بعد نومات العيون (بعد أن ينام الناس في الليل). نظرة تخبيل: تدلّ على الخبل (بفتح ففتح): الجنون أو فساد التفكير.
(٧) كتبه (كذا في الأصل). والكتب جمع كتاب بمعنى الحكم أيضاً. يقول: إنّ أحكامه من عمل الخيال لا صواب فيها. التنكيل: العقاب الشديد الذي يراد به ردع الآخرين عن أعمال السوء.
(٨) اتّضح (بان، ظهر).... السبيل (النهاية، الموت).
(٩) صبا: مال (إلى المحبوب). قاد: جرّ. الصبا: العشق (الجهل في أيام الشباب)..
(١٠) الغيهب: الظلام (هنا: سواد الشعر). في الوافي: «بدر» مكان «نور».
(١١) الكميت (الحصان الأحمر اللون). كميت الصبا (نشاط الشباب). أشهب (أبيض اللون).

الرقّاء المُرسيّ

١ - هو الأستاذُ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ موسى بن عبدِ الرحمن الكِنانيُّ المُرْسِيُّ، من أهلِ مُرْسِيَةَ. أخذَ القِراءاتِ عن أبي جعفر (بن)[1] الحصّار. وماتَ الرقّاءُ في بلدهِ مُرْسِيَةَ سَنَةَ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ - ١٢٣٦ م) في الأغلب.

٢ - كان الرقّاءُ المُرسيُّ مُقْرِئاً ونَحْوِياً، وكان أديباً شاعراً مطبوعاً صاحبَ مُقَطَّعاتٍ، وفي شعرِه تكلُّفُ لُزومِ ما لا يلزَمُ. ويبدو أنّه كان يُكْثِرُ من وَصْفِ المآكل.

٣ - مختارات من شعره

- قال الرقّاءُ المُرسيُّ في المُجَبّنات (نوعٍ من الحَلْوى: عَجينٍ مَحْشُوٌّ بالجُبْن يُقلى بالسَّمْنِ ويُغْمَسُ في القَطْر، كالقطائف)[2]:

شُغِفْتُ بحُبِّ أبكارٍ حَبالى، ... وَوِدّي لو بَنَيْتُ بها عَروسا[3].
إذا لاحتْ بُدوراً في المقالي ... تراءتْ للعيون بها شُموساً[4].

- وله في النسيب (من لزومِ ما لا يلزَمُ بِكَلِمَتَيْنِ أوْ أكثرَ):

أتى فأَسَى كُلَّما كَلّما، ... وبانَ الأسى كُلَّما كَلّما[5].

(١) في بغية الوعاة (ص ٢٢٣): أبو جعفر بن الحصّار. وفي نفح الطيب (٢: ٥٠) أبو جعفر الحصار.
(٢) يمكن أن تقلى بالسيرج (بالسين المهملة المكسورة) أو الشيرج (بالشين المعجمة المفتوحة): دهن السمسم.
(٣) شغف الرجل (بالبناء للمجهول): أصيب شغاف (بالضمّ) قلبه (غلاف قلبه) من الحبّ. أبكار جمع بكر (بالكسر) كناية عن القطيفة (وجمعها قطائف) التي تكون مثنيّة ومختومة الطرفين أو تكون من قطعتين أطبقت إحداهما على الأخرى وختمت دائرتها. حبالى (كناية عن انتفاخ القطائف لكثرة ما في جوفها من الجبن). بنى الرجل بالمرأة (اتّخذها زوجاً له) لأنّه يبني بيتاً (خيمة) تضمّهما معاً. ودّ (بالضم أو بالكسر أو بالفتح): الحب، الرغبة (بالفتح).
(٤) لاحت بدوراً (تكون بيضاء حينما تكون عجيناً). المقالي (هنا) جمع مقلاة (صفحة تقلى فيها الأطعمة). تراءت شموساً (حينما تقلى تصبح صفراء أو حمراء).
(٥) أسى: داوى. كلّما (بالضمّ): في كلّ مرّة. كلّم (بالفتح): جرح. بان: ابتعد، ذهب. الأسى: الحزن. كلّم (في القافية): خاطب. - إذا نظر المحبوب بعينيه إلى المحبّ، شعر المحبّ بأنّه قد جرح (قلبه). فإذا عاد المحبوب فخاطب المحب شعر المحبّ بأنّه قد شفي من جروح قلبه.

ورَوَّى الغَليلَ، ومِنْ بَعْدِما ... شفي الصبَّ ماءُ اللَّمى آلَما[1]
وثلّمَ ما شاء من قربةٍ ... وزاد فقد ثَلَّ ما ثلّما[2].
وسَلّ عليه حُسامَ النَّوى، ... ومَنْ يأسُ ما سَلَّ ما سَلّما[3].
وضَرّمَ نارَ الجَوى في حَشاه ... فألْحَفَه ضُرَّ ما ضَرّما[4].
وعَدّمَه الصبر من بعدِه ... يرى فرصةً عدَّ ما عدّما[5].
أعَيْنَيْه، كُفّا؛ فأصْلُ البلا ... - إذا ما آعْترى وآنْتَمى - أنْتُما[6].
ويا صاحِبَيْهِ، ألا عُذْتُما، ... وهلّا إذا عُذتما عُدتما[7]؟
وقد قُلْتُما أنْ سَيَقْضي أسىً؛ ... ومِنْ قَبْلِهِ قُلْتُ ما قُلْتُما[8].

٤- ** تحفة القادم ١٥٨؛ الوافي بالوفيات ١٢: ٦٦-٦٧؛ بغية الوعاة ٢٢٣.

---

(١) روّى الغليل (حرّ العطش، العطش الشديد): أطفأ العطش. الصبّ: المحبّ. ماء اللمى (سمرة الشفاه) ريق (المحبوب). آلم (أدخل الألم على النفس)، لأن المحبوب حجب ريقه (بعدئذ) عن المحبّ.

(٢) البيت غامض. ثلّم: قطّع، شقّق. (قرابة نسب؟) - في الأصل «قربه» مضبوطة بضمّة فسكون فكسرة. زاد (؟). ثلّ: هدم.

(٣) النوى: الفراق، البعاد. يأسو: يداوي. ما سلّ: أثر الحسام (السيف). سلّم (؟): ألقى السلام، نجّى، أنقذ...... (؟).

(٤) الجوى: ألم الحبّ. الحشا: الباطن، القلب. ألحفه: غطّاه (باللحاف). ضرّ: أذى، مرض. ضرّم: أشعل النار.

(٥) عدّمه: أعدمه، أفقده. الصبر (مفعول به). من بعده (بالضمّ؟): فراقه، بعاده. - يرى فرصة (مفعول به ثان مقدّم). عدّ (مفعول به أوّل مؤخّر). عدّم (بالبناء للمجهول): في هذه الفرصة التي لا يرى المحب في أثنائها محبوبه يستطيع المحبّ أن يعرف الأشياء التي عدمها (فقدها لما ابتعد محبوبُه).

(٦) كفّا: توقّفا (عن الدمع، البكاء). اعترى: أصاب. انتمى (انتسب): إنّ ابتلاء المحبّ بالمصائب راجع إلى أن عينيه تريان المحبوب اعترى= انتمى (؟).

(٧) ويا صاحبيه (رفيقيه). عذتما: التجأتما (احتميتما من أن يصيبكما الحبّ بالمصائب). وإذا كنتما أنتما قد عذتما (ونجوتما) من الحبّ، فلماذا ما عدتما (رجعتما) إليه (وأنقذتماه ممّا هو فيه). عدتما (في الأصل) بالدال المهملة. وقاعدة لزوم ما لا يلزم في هذه الأبيات أن تكون «عذتما» (بالذال المعجمة). عذتما (الثانية) لعلّها مستعملة فعلًا متعدّياً (وليست في القاموس بهذا المعنى) - يقصد أنجيتماه، أنقذتماه.

(٨) قضى: مات. الأسى: الحزن. - وأنا قبلكما قلت عن هذا المحبّ أنّه سيموت من الحب (ومع ذلك فهو لا يزال حيًّا).

أبو عبد الله بن عسكر

١ - هو القاضي أبو عبدِ اللهِ بنُ عسكرٍ (المرقبة العليا ١٢٣) أو أبو عبدِ الله مُحمّدُ ٱبنُ عسكر (نفح الطيب ٢ : ٣٥١): مُحمّدُ بنُ عليٍّ بنِ عُبيدِ اللهِ بنِ الخَضِرِ بنِ هارونَ الغسّانيُّ المالَقيّ (الذيل والتكملة ٦ : ٤٤٩)، أصلُه من إحدى قُرى مالَقَةَ، وكان مولدُه نحوَ سَنَةِ ٥٨٤ للهجرة (١١٨٨ - ١١٨٩ م).

تلقّى أبو عبدِ الله بنُ عسكرٍ العلمَ على نَفَرٍ كثيرين في الأندلس وفي العُدْوة (المَغْربية) وفي المَشْرق. وقد وَلِيَ قضاءَ مالَقَةَ نِيابةً عنِ القاضي أبي عبدِ اللهِ محمّدِ بنِ الحسنِ بنِ محمّد بن الحسنِ النُّباهيّ[١] - عندَ ٱنتقالِ الحُكْمِ في الأندلس من بني هودٍ إلى بني الأحمرِ - (نحوَ ٦٣٠ هـ) ثمّ تولّى قضاءها مُستبِدًّا (مُستقِلًّا) إلى آخرِ حياتهِ في رابعِ جُمادَى الآخِرَةِ من سَنَةِ ٦٣٦ (١٢٣٩/١/١٢ م).

٢ - كان أبو عبدِ اللهِ بنُ عسكرٍ مُستقيمَ السيرةِ ماضيَ العزيمةِ عادلًا. وكان مُتَوَقِّدَ الذِّهنِ واسعَ المعرفة بالقِراءة (للقُرآن الكريم) وبالحديث والفِقْه والنَّحْو والتاريخ. وكان مُؤَلِّفاً صَنّفَ عدداً من الكُتُب منها: مَقامةٌ سَمّاها «رسالةَ ٱدّخارِ الصبر وٱفتخارِ القصر والقبر»، وَهِيَ غريبةٌ في بابها - المَشْرَعُ الرَّوِيُّ في الزيادةِ على غَرِيبَيِ الهَرَوِيّ[٢] - أربعون حديثاً (ٱلتزم فيها ٱسمَ شيخهِ ٱسْمَ الصَّحابيّ)[٣] - نُزْهَةُ الناظر في مناقبِ عمّارِ بنِ ياسرٍ[٤] - الجزء المُخْتَصَرُ في السُّلُوِّ عن ذَهاب البصر[٥] - الإكمالُ

---

(١) تولّى القضاء بمالقة من سنة ٦٢٦ إلى سنة ٦٣٠ هـ في أيام الأمير محمّد بن يوسف بن هود الذي كان مستبدًّا بما كان قد بقي للعرب في الأندلس قبل مجيء بني نصر أو بني الأحمر.

(٢) أحمد بن محمّد الهرويّ (ت ٤٠١ هـ) له كتاب غريب القرآن (الألفاظ القليلة الاستعمال في اللغة) وغريب الحديث.

(٣) اشترط أن يكون كلّ حديث من الأربعين حديثاً قد رواه صحابي اسمه كاسم أحد شيوخ أبي عبد الله ٱبن عسكر أو أن تكون الأربعون حديثاً رواها صحابة أسماؤهم كلّهم كاسم شيخ واحد من شيوخ ابن عسكر (؟).

(٤) عمّار بن ياسر (ت ٣٧ هـ) من الصحابة وأحد السابقين إلى الدخول في الإسلام، ومن الولاة والقادة الشجعان.

(٥) ألّفه لأبي محمّد بن أبي خرص (بضمّ الخاء) الضرير الواعظ.

والإتمام في صِلة الإعلام بمحاسنِ الأعلام من أهلِ مالَقَةَ الكِرام[١].

ولأبي عبدِ اللهِ بن عسكرٍ نظمٌ جيّدٌ يأتي فيه أحياناً بلُزومِ ما لا يلزَمُ. وهو أديبٌ مُحْسِنٌ في النثر والنظم مَعَ المقدرة على وُجوهِ البلاغة.

٣ - مختارات من آثاره

- لَمّا كان أبو عِمرانَ موسى بنُ سعيدٍ[٢] بالجزيرة الخضراء مُقَدَّماً على أعمالِها من قِبَلِ ابنِ هودٍ[٣] وَصَلَ (إليه) كتابٌ مِنَ الفقيه القاضي أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ عسكرٍ قاضي مالَقَةَ، مَعَ أحدِ الأدباء، منه (نفح الطيب ٢ : ٣٥١ - ٣٥٢):

أُفاتِــحُ مَن قلــبي بعَلْياه واثقٌ، وإنْ كانتِ الأبصارُ لم تنسَخِ الوُدّا[٤].
وَثِقْتُ بما لي من ذِمامِ تَشَيُّعي بآلِ سعيدٍ فٱبْتَغَيْتُ به السَّعْدا[٥].
وبالحبّ يدنو كُلُّ مَنْ أقْصَتِ النَّوى برُغْمِ حِجابٍ للنَّوى بَيْنَنا مُدّا[٦].

يا سَيِّدي الذي حَمّلني ما أمالَ أسماعي من الثناء عليه أنْ أهجُمَ على مُفاتحتهِ شافعاً في مُوصِلِها إليه، واثقاً بالفَرْع لعلم الأصل[٧]، مُؤمِّلًا للإفضال بتحقيق الفضل[٨]. إنْ لم تَقْضِ بٱجتماعٍ بَيْنَنا الأيامُ فلا[٩] تُجزِئُ من المُشافهة بَيْنَنا ألْسُنُ الأقلام ويُوحي بعضُنا إلى بعضٍ بسُوَرِ الوِداد[١٠]. والحمدُ للهِ الذي أطْلَعَكَ في ذلك

---

(١) لهذا الكتاب اسم آخر، هو: مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من العلماء والرؤساء والأخيار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار. وأبو عبد الله بن عسكر مات قبل أن يكمل هذا الكتاب، فتولّى كماله (إكماله) ابن أخته أبو بكر بن محمّد بن خميس.

(٢) من آل سعيد العنسيّ (راجع الجزء الخامس، ص ٣٣٨).

(٣) محمّد بن يوسف بن هود المستبدّ بجنوبي الأندلس باسم المتوكّل (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).

(٤) أفاتح: أبدأ بمخاطبة...- الأبصار لم تنسخ الودّ (؟).

(٥) الذمام: العهد، الحرمة، الحق. التشيّع: الانتماء إلى قوم أو رأي.

(٦) أقصى: أبعد (فعل ماض). النوى: البعاد، الفرقة، الفراق.

(٧) لعلم الأصل (لمعرفتي بمكانة ال سعيد وفضلهم).

(٨) الإفضال: الإحسان إلى الآخرين. تحقيق الفضل: الثقة بأن يحدث الإحسان الجديد (قياساً على ما عرف عن آل سعيد من الفضل السابق).

(٩) كذا في الأصل (المعنى يقتضي أن يقال: فلا أقلّ من أن تجزىء....).

(١٠) الوداد: المحبّة. سور الوداد (بالمحبّة الكاملة، المحبة السامية).

الأُفُقِ بدْراً [١]، وأدْناك من هذه الدارِ فَصِرْنا لِقُرْبِ مَنْ يَرِدُ عنك لا نَعدَمُ لك ذِكْراً [٢]. فكُلٌّ يُثني بالذي عَلِمَتْ سعْدٌ [٣] ويَصِفُ من خِلالِكَ ما يَقْضي (به) ذلك المجْدُ [٤]. ولمّا كان إحسانُك يُبَشِّرُ به الصادِرُ والواردُ ويُحَرّض عليه الغائبُ والشاهد [٥]، مَدَّ أملَه نحوَك مُوصِلُ هذه المُفاتحةِ، وليسَ له وسيلةٌ ولا بِضاعة إلّا الأدبُ [٦]، وَهِيَ - عندَ بَيْتِك الكريمِ - رابحة. وهو من شَتَّتَ خُطوبُ هذا الزمانِ شَمْلَه وأبانتْ نوائبُه صبرَه وفضلَه [٧]. وما طَمَحَ بِبَصرِه إلّا إلى أُفُقِكَ [٨]، ولا وَجَّه رجاءه إلّا نحو طَرَفِك [٩]. والرجاءُ من فَضْلِكَ أن يعودَ وقد أثْنَتْ حَقائِبُه [١٠] وأعْنَقَتْ مِنَ الحمْدِ ركائِبُه [١١]. ودُمْتَ غُرّةً في الزمنِ البَهيمِ [١٢] مخصوصاً بأفضَلِ التَحِيَّة والتَّسْليم.

- ومن شعره في النسيب، وفيه عاطفةٌ فِطرية من الطُّفولة العَذْبة (نفح الطيب ٢ : ٣٥٢):

---

(١) .... بدراً (معروفاً مشهوراً نافعاً).

(٢) .... ذكرك عندنا لا ينقطع.

(٣) إشارة إلى قول الشاعر: «وما قلت إلّا بالذي علمت سعد» (أي بما هو معروف ومشهور).

(٤) الخلال: الصفات، الخصال الحميدة. ذلك المجد (القديم الذي لقومك).

(٥) الصادر (الذاهب من عندنا) والوارد (القادم علينا) والغائب (الذي ليس معنا الآن) والشاهد (الحاضر بيننا): جميع الناس.

(٦) .... لا يجمع بينك وبينه إلّا المعرفة بالأدب (بالشعر) مثلاً، وإلّا فإنّه ليس قريناً لك في الغنى أو الجاه أو المكانة.

(٧) أبانت: أبعدت، قطعت. نوائبه (نوائب الزمان: المصائب).

(٨) أفقك: بلدك (المكان الذي أنت فيه).

(٩) طرفك (الجانب من البلاد حيث أنت).

(١٠) إشارة إلى قول الشاعر الأمويّ نصيب (بالتصغير) بن رباح (ت بين ١٠٥ و١١٠ هـ):

فعاجوا فأثنَوْا بالذي أنت أهله، ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب.

(راجع الجزء الأوّل، ص ٦٢٣): ما كان في حقائبهم من الهدايا والعطايا.

(١١) الرَكوبة: المطيّة يسافر الناس عليها. أعنقت: مدّت أعناقها وهي تسير (مسرعة). من الحمد (يحمدونك سروراً بما نالوا منك).

(١٢) البهيم: الساذج، الغفل (بضمّ فسكون): الذي لا معالم فيه أو إشارات تهدي السائرين.

أهواكَ، يا بَدْرُ، وأهوى الذي   يَعْذِلُني فيك، وأهوى الرقيبْ[1]؛
والجارَ والدارَ ومَنْ حَلَّها   وكُلَّ مَنْ مرّ بها مِنْ قريبْ؛
وكُلَّ مُبْدٍ شَبَهاً مِنْكُمُ،   وكُلَّ من يَلْفِظُ بٱسْمِ الحبيبْ.

- وقال يصف رجُلًا أحدبَ ويقارنه بشكلٍ هندسيٍّ مثلَّث (الإحاطة ٢ : ١٢٥):

وأحدبٍ تحسَبُ في ظهرِهِ   سفينةً في نَهرٍ عائمهْ.
مُثلّثُ الخِلقةِ، لكنّه   في ظهرِهِ زاويةٌ قائمهْ.

- وصف البُلغة (والبلغة حِذاء خفيف مألوف في الشَّمال الإفريقيّ وفي الأندلس، وهي، في الأصل، تُتَّخَذُ من الحَلْفاء[2]. والبُلغة لا تزال معروفةً في المغرب إلى اليوم، وتُصنَعُ من جِلْدٍ عاديٍّ ذي لون أبيضَ أو أصفرَ في الأكثر). وهذه الأبيات من قصيدة قالَها الشاعرُ في مدح السلطان المأمون أبي العَلاء بنِ المَنْصورِ المُوَحِّديِّ (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ):

رَكِبْتُ إلى لُقْيَاكَ كُلَّ مَطِيَّةٍ   مُبَرَّأَةٍ أنْ تَعرِفَ الأبَ والنَّسْلا[3].
إذا نَسَبوها فالتَّنوفةُ أُمُّها،   ووالِدُها ماءُ الغَمَام إذا ٱنْهَلّا[4].
وما عَلِمَتْ يوماً غِذاءً، وإنّما   أعارَ لها الأعضاءَ صانِعُها فَتْلا[5].
وقد ضَمُرَتْ حتّى ٱغتدتْ من نُسوعها
فلو عُرِّضَتْ للشمسِ ما أسْقَطَت ظِلّا[6].

(١) البدر: المحبوب الجميل الذي يشبه البدر. يعذل: يلوم. الرقيب: الذي يتابع أعمال المحبّين لينغّص عليهم حياتهم (يمنعهم من الالتقاء، يشي بهم، إلخ).
(٢) الحلفاء: نبات ينبت على أطراف الماء له أوراق ليفيّة تشبه سعف النخيل تصنع منه حبال، ويشتعل أيضاً بسرعة وشدّة.
(٣) يشبّه البلغة بالمطيّة (الدابة التي يسافر الناس عليها)، سوى أنّها لا أبوان لها ولا نسل (أولاد) لها.
(٤) التنوفة: الفلاة (الأرض الواسعة لا ماء فيها). أنهلّ: انهمر (هطل: سقط بكثرة).
(٥) أعضاؤها (أقسامها) لم تأت من النموّ بالغذاء، ولكن الذي صنع البلغة كان قد فتل أوراق الحلفاء على أشكال مختلفة.
(٦) ضمرت: أصبحت نحيلة أو هزيلة. اغتدت (كذا في الأصل بالدال المهملة): أصبحت. النسع (بالكسر) سير عريض من جلد. اغتدت من نسوعها(؟).

وما في قَراها قدرُ مَقْعَد راكبٍ، ولكنّها ساوَتْ مِساحتُها الرِّجْلا[1].
لِتَبْليغِها المُضْطَرَّ تُدعى ببُلغةٍ، وإنْ قِسْتَ بالتَّشْبيهِ شَبَّهْتَها نَعْلا[2].
سأشكُرُها جُهدي وأُثني بفضْلِها؛ فقد بَلّغَتْني خيرَ مَنْ وَطِئَ الرَّمْلا[3]:
مَليكاً كأنّ الشمسَ فوقَ جَبينِه وليثَ الشَّرى في دِرْعِه حامياً شِبْلا[4].
إذا رامَ أمراً لم يكُنْ فيه مِنْ «عَسَى»؛ وإنْ قالَ: كُنْ، لم يَخْشَ في غَرَضٍ مَوْلى[5].
ومـــا ذاك إلّا أنّ في الله هَمَّـــهُ
فيُجْري لـــه، في ذلـــك، القولَ والفِعْـلا[6].

٤ - ★★ الذيل والتكملة ٦: ٤٤٩ - ٤٥٢ (رقم ١٢١٨)؛ المرقبة العليا ١٢٣، راجع ١١٢؛ الإحاطة ٢: ١٢٢ - ١٢٥؛ نفح الطيب ٢: ٣٥١ - ٣٥٢، ٣: ٣١١، ٤: ٣١١ - ٣١٢، ٥: ١٣٠.

محمّد بن أحمد الاستجيّ

١ - هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الله بنِ أحمدَ الإستِجيُّ، كان أسلافه من سُكّانِ إستِجةَ ثمّ آنتقلوا إلى مالَقةَ.

وُلِدَ أبو عبدِ الله الإستِجيُّ في مالَقَةَ وتلَقّى العِلمَ على نفرٍ منهم أبو جَعفرٍ أحمدُ بنُ يحيى بنِ إبراهيمَ الحِمْيَريُّ القُرطُبيّ وأبو محمدِ بنُ حَوْطِ الله وأبو عليٍّ عُمَرُ بنُ عبدِ

(١) القرى (بالفتح): الظهر.
(٢) لتبليغها المضطرّ: للوصول بالمحتاج إلى السفر تسمّى بلغة (تبلّغه مقصده). - في عملها (خدمتها لصاحبها تشبه المطيّة) أمّا شكلها فيشبه النعل.
(٣) جهدي: بأقصى طاقتي. أثني بفضلها: أشكرها على فضلها.
(٤) الشري: الجبل. ليث (أسد) الشرى يكون شديداً ضارياً. هم أسد الشرى (شجعان أقوياء). - .... في درعه حامياً شبلاً (؟).
(٥) لم يكن فيه من «عسى»: لم يكن فيه تردّد. المولى: السيد. لم يخش (يخف) في غرض (في أمر من أموره) مولى (سيّداً فوقه يمنعه ممّا يريد).
(٦) .... كلّ همّه أن يرضي الله بأعماله. من أجل ذلك يجري له الله ذلك (يساعده الله على تنفيذ كلّ ما يريده من قول أو فعل).

المجيد الأزديُّ وأبو عليٍّ بنِ سيري[1]. ثم إنه أقرأ في بلده مالَقَةَ وهو بَعْدُ في العِشرين من العُمُر.

ويبدو أنّ الاستجيَّ هذا قد جاء إلى غَرْناطَةَ[2] في آخرِ عُمُرِه - سَنَةَ ٦٣٩ للهِجرة - ومَرِضَ فيها ثم تُوُفِّيَ في أواخرِ سنَةِ ٦٣٩ هـ (١٢٤٢ م) في الأغلب.

٢ - كان محمّدُ بنُ أحمدَ الإَستجيُّ من حَمَلَةِ العِلم والمُشتغلين بالحَديث، ولكنّ الأدبَ غَلَبَ عليه. وله نثرٌ وشِعر لَيْسا في الغاية من الإجادة. ثمّ هو مُصَنِّفٌ له: ظهورُ الإعجاز بينَ الصُّدور والأعجاز[3] (شرحٌ لديوان المتنبّي) - شمس البيان في لَمْس البَنان - الزَهرة الفائحـــةُ في الزهرة اللائحة (؟) - نَفْـح الكِمامــات[4] في شَرْح المقامات - اقتراح المتعلّمين في اصطلاح المُتكلّمين - التصوّر والتصديق في التَّوْطِئة لعلم التحقيق (في المنطق؟) - رَقْمُ الحُلَلِ في نَظْمِ الدُّوَل - مِفتاح الإحسان في اصطلاح الإحسان[5]، هذا بالإضافة إلى ما له من شِعرٍ ونَثْر وخُطَب ورسائلَ. وهذه الكُتُبُ الدالّةُ على اتّساعِ نِطاق معرفتهِ لم يَصِلْ إلينا منها شيءٌ.

وفي شعرِ أبي عبدِ الله الإستِجيّ شيءٌ من العُذوبة - برُغْمِ ما يبدو عليه من التقليد - فقد ذَكَرَ لِسانُ الدين بنُ الخطيب للاستجيّ مطلعَ قصيدةٍ هو: « ما لِلنَّسيم لدى الأصيل عَليلا[6]؟ » ثمّ أوْرَدَ منها بيتاً واحداً هو:

حتّـــى النسيمُ إذا ألَمَّ بأرضِهِمْ ... خَلَعوا عليـــه رِقّـــةً ونُحولا[7].

٣ - مختارات من آثاره

- قال محمّدُ بنُ أحمدَ الاستِجِيُّ على طريقةِ أهلِ التصوّف في ذِكْرِ الأماكن المُقدّسة:

---

(١) ......

(٢) يبدو أنه انتقل من مالقة إلى غرناطة لمحنة كانت قد وقعت عليه في مالقة.

(٣) الإعجاز (بالكسر): عجز بعض الناس عن فعل ما يقدر عليه بعضهم الآخر. الأعجاز (بالفتح) جمع عجز (بفتح فضمّ): الشطر الثاني من بيت الشعر. الصدور جمع صدر: الشطر الأول من بيت الشعر.

(٤) نفح: انتشار الرائحة، الكمامة: الأوراق الخضر التي تضم الزهرة قبل أن تتفتح الزهرة.

(٥) الإحسان.... الإحسان (؟).

(٦) الأصيل: منتصف الوقت بين الظهر والمغرب. العليل: الضعيف (القليل الحرّ).

(٧) ألمّ: مرّ (بأرضهم) أو نزل نزولاً خفيفاً (قليلًا).

قِفوا في رُبى نَجْـدٍ، ففي القلبِ مَرْساهُ؛ وغَنّوا إذا أبْصرتُمُ ثَمَّ مَغْنـاهُ[1].
أمـا هذه نَجدٌ؟ أما ذا هُوَ الحِمى؟ فهل عَمِيَتْ عَيْناه أمْ صُمَّ أُذْناه[2]؟
دَعُوهُ يُوَفِّي ذِكْرُه بِلِسانِــــــهِ دُيونَ هَواهُ قبلَ أنْ يَتَوَفّـاه[3].
ويـــا سائقـــاً عِيسَ الغَرام بلَوْمِـــهِ
- وكُـــلٌّ إذا يَغْشاه في الحُـــبّ يَخشاه[4] -
أَرِحْها، فقدذابتْ منالوَجْدِوالسُّرى، ولم يَبْـقَ إلّا عظمُها وبَقاياه[5].
ويا صاحِبي، عُجْ بي على الخَيْفِ مِن مِنَى؛ ويا ذا التُّقى، مَنْ لي بأنِّيَ أَلْقاه[6]؟
وعَرِّجْ عـلى وادي العَقيقِ فإنّني أُسائلُ عمَّنْ كان بالأمسِ سُكْناه[7].
وقُــلْ لِلَيــالٍ قــد سَلَفْنَ بعَيْشِهِ وعُمْرٍ على رُغْمِ العَذولِ قَطَعْناه[8]،
هَلِ العَوْدُ أرجُوهُ أمِ العُمْرُ يَنْقَضي فأقْضِي ولا يُقْضى الذي أتَمَنّاه[9]؟.

- وله من بَرْنامج مَشْيَخَته (وفيه تكلُّفٌ كثيرٌ وتَوْرياتٌ وإشارات مُختلفةٌ إلى الأدب والنحو والتاريخ):

ما هذه الأنوارُ اللائحة والأنوارُ الفائحة[10]. إنّي لأَجِدُ رِيحَ الحِكْمة ولا أُفَنَّدُ،

(١) المرسى: النزول، البقاء، السكنى. المغنى: المكان المعمور (الذي يسكنه الناس).
(٢) الحمى: المسكن الذي يجب علينا حمايته.
(٣) قبل أن يتوفّاه الله (قبل أن يموت).
(٤) العيس جمع عَيْساء: الناقة. - يا أيّها الذي يسوق النياق إلى نجد (مكان المحبوب) وهو ينشد لوم المحبّ. - وكلّ إنسان يرى هذا المحبّ يخاف منه (لتبدّل جسمه بالنحول من أثر الحب)؟ -.
(٥) أرحها: اترك العيس مدّة بلا سير (بلا سفر) فلعلها تستريح قليلاً (لكثرة أسفار هذا المحب عليها ولبعد أسفاره). الوجد: شدّة الحبّ أو ألم الحبّ. السرى: السير في الليل.
(٦) عاج: مال (إلى مكان لينزل فيه). الخيف ومنى في الحجاز (من مناسك الحجّ) يكنى بها عن مكان المحبوب.
(٧) ... عن المحبوب الذي كان يسكنه.
(٨) العذول: اللائم. سلفن (مضين - بفتح الضاد) بعيشه (بالعيش فيه؟).
(٩) العود: الرجوع إلى ذلك المكان. فأقضي (أموت). لا يقضي الذي أتمنّاه (لا يتاح لي ما أتمنّى: زيارة المحبوب).
(١٠) الأنوار (الأولى) جمع نُور (بالضمّ): الضوء، الضياء. الأنوار (الثانية) جمع نَور (بالفتح): الزهرة. اللائحة: البادية للنظر. الفائحة: التى تنتشر منها الرائحة الطيبة.

وأَرِدُ مَوْرِدَ النِّعْمة ولا أُكَنِّدُ (١). أمِسْكُ دارينَ يُنْهَبُ أم الصَّنْدَلُ في الضِّرامِ المُلْهَب (٢)؟ أمْ تفتّحتْ أبوابُ الجنّةِ ففاح نَسيمُها، وتوضّحتْ أسبابُ المِنّة فلاحَ وَسيمُها (٣)؟

(وقال في صُلْبِ هذا البَرْنامَج في ذِكْرِ نَفَرٍ من شُيوخه):

ومِنْهُمُ الفقيهُ الأَجَلُّ العالِمُ العَدْلُ المُحَدِّثُ (٤). الأكملُ المتفنّنُ الخطيب القاضي أبو محمّدِ بنِ حَوْطِ الله (٥)، سَمِعْتُ عليه كُتُباً كثيرةً بمالَقَةَ بِقراءةِ الفقيه أبي العباسِ آبنِ غالبٍ (٦)، ولَقِيتُه بقُرْطُبَةَ - وهُوَ قاضيها - وحَدّثني عن جَدّي وعن جُملةِ شُيوخٍ. وله بَرْنامَجٌ كبيرٌ. وأَخوه القاضي الفاضل أبو سُليمانَ منهم.

ومنهمُ الفقيهُ الأَجلُّ العالِمُ العَلَمُ الأوحَدُ النَّحْوِيُّ الأديب المُتَفَنِّنُ أبو عليٍ عُمَرُ آبنُ عبدِ المجيد الأزدي(٧)، قرأت عليه القُرآنَ العزيزَ مُفْرَداً(٨)، وكتابَ الجُمَل والإيضاح وسِيبَوَيْه(٩) تَفَقُّهاً (١٠). وما زِلْتُ مُواطِناً له إلى أنْ تُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) أفنّد (يُنسب إليّ الفند) بفتح ففتح - : ضعف الرأي (الجنون). أكنّد (ينسب إليّ الكنود: كفران النعمة أو نكرانها). وفي ذلك اقتباس من القرآن الكريم (١٢ : ٩٤، يوسف): ﴿إنّي لأجد ريح يوسف لولا أنْ تُفنّدون﴾ ثمّ (١٠٠ : ٦، العاديات): ﴿إنّ الإنسان لربّه لَكَنود﴾.

(٢) دارين اسم لمكانين (في البحرين وفي الشام: سورية) مشهورين بالمسك. نُهب: أُتيح لجميع الناس. الصندل: مادّة طيّبة الرائحة تلقى في النار فتفوح رائحتها.

(٣) لاح: ظهر. وسيمها (شبحها الجميل).

(٤) العدل: الذي تقبل شهادته أمام القاضي (تقال للمذكّر وللمؤنّث وللواحد وللجمع). المحدّث: المشتغل بالحديث (حديث رسول الله).

(٥) القاضي أبو محمّد عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصاري المالقي (ت ٦١٢ هـ) تولّى القضاء في بلدان عديدة في الأندلس وافريقية. كان فقيهاً أديباً، وله شعر (المرقبة العليا ١١٢). وحوط الله تحريف (فيما يبدو) من حوتللو (حوت: سمكة، و «أللو» علامة التصغير في الإسبانية).

(٦) لعلّه الفقيه القاضي محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن غالب الأنصاري (ت نحو ٦٤٠ هـ أو قبيل ذلك). وتولّى قضاء غرناطة، في الأغلب (المرقبة العيا ١٢٤).

(٧) ....

(٨) مفرداً: برواية (في القراءات) واحدة (بقراءة نافع وحدَها أو بقراءة ورش وحدها إلخ - راجع ذلك في ترجمة القرطبي المتوفّى سنة ٥٩٠، في الجزء الخامس).

(٩) كتاب الجمل (للزجّاجي) وكتاب الإيضاح (لأبي عليّ الفارسي) ثمّ سيبويه = الكتاب.

(١٠) تفقهاً: فهماً ومناقشة ونقداً (كان يعرف الكتاب من قبل. وهو الآن يريد أن يزداد معرفة به).

وكان فريدَ عصرهِ في الذكاء، ولم يكن في طَلَبَةِ الأُستاذِ أبي زيدٍ السُّهيليّ أنجبُ منه[١] .....

ومِنهمُ الفقيهُ الأجلّ العالمُ المُحَدِّثُ السيِّدُ أبو محمدٍ القُرطُبيّ[٢]، قرأتُ عليه القُرآنَ بالرِواياتِ مُفْرداتٍ[٣]، وتَفَقَّهْتُ عليه في الجُمَلِ[٤] والأشعار. وأجازَني جميعَ ما رَواه[٥]. وكذلك فَعَلَ كُلُّ واحدٍ مِمّنْ تَقَدَّم.

٤ - ★★ الإحاطة ٢: ٢٤١ - ٢٥٠.

موسى بن سعيد العنسي

١ - هو أبو عِمرانَ موسى بنُ محمّدِ (٥١٤ - ٥٨٩ هـ) بن عبدِ المَلِك (٤٢٦ - ٥٦٢ هـ) بنِ سعيدٍ العَنْسيُّ، وُلِدَ في (قلعة يحصُبَ)★ في خامس رَجَبَ من سَنَةِ ٥٧٣ للهِجرة (٢٨/ ١٢/ ١١٧٧ م). ثمّ إنّ موسى أدْركَ الفيلسوفَ ٱبنَ رُشْدٍ (ت ٥٩٥ هـ) وتلَقّى عليه شيئاً من العِلمِ (المغرب ١: ١٠٤).

بدأ موسى بنُ سعيدٍ حياتَهُ السياسيةَ بأن تولّى الكِتابةَ لعبدِ الواحدِ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمن (أخي المنصورِ المُوحِّديّ)، حينَما كان عبدُ الواحدِ هذا والياً على الأندلُس (إشبيلية؟). ويبدو أنَّ منافسةً شديدةً كانتْ بينَ عبدِ الواحد والمُسْتنصرِ أبي يعقوبَ يوسفَ الثاني (حفيدِ يعقوبَ الأوّل المنصور) وسُلطانِ المَغْرب (٦١١ - ٦٢٠ هـ). وأرادَ المُستنصرُ أنْ يستميلَ موسى بنَ سعيدٍ فعَرَضَ عليه الوِزارةَ في مَراكُشَ، فلم يقبَلْ موسى (نفح الطيب ١: ١٨٢ - ١٨٣).

---

(١) أبو زيد (أبو عبد الرحمن) السّهيلي (ت ٥٨١ هـ) صاحب كتاب «الروض الأنف (بضم فضمّ).
(٢) ....
(٣) كل ختمة من القرآن (قراءة كاملة) برواية واحدة في القراءات (راجع الحاشية الثانية على هذه الصفحة).
(٤) الجمل = كتاب الجمل (للزجاجي)
(٥) سمح لي بأنّ أروي عنه (ما تعلمته منه): أعلمه لغيري.
★ يحصب (بضم الصاد أو بكسرها).

وآستطاعَ عبدُ الواحدِ أنْ يتولّى المُلكَ في مَراكُش (٦٢٠ - ٦٢١ هـ) عاماً واحداً ثُمّ خُلِعَ وقُتل (نفح الطيب ٤ : ٣٨٤). ومعَ أنّ موسى بنَ سعيدٍ لم يكنْ في مَرّاكُشَ يومَ تولّى عبدُ الواحدِ المُلْكَ، بلْ كَتَبَ إليه من إشبيلية يُهنِّئُه (نفح الطيب ٢ : ٣٦٢)، فإنّه ذَهَبَ إلى مَرّاكُشَ (المغرب ٢ : ٥٣) بعدَ ذلك.

ثمّ ثارَ أبو عبدِ الله مُحمّدُ بنُ يوسفَ بنِ هود، سَنَةَ ٦٢٥ للهجرة (١٢٢٨ م) على المُوحّدين وآسْتبدّ بالصُخيراتِ (قُربَ مُرْسِيَةَ) وآتّسعَ مُلْكُه في جَنوبيِّ الأندلُس، فمالَ محمّدُ بنُ سعيدٍ العَنْسيّ وآبنُه موسى (صاحبُ هذه الترجَمةِ) مَعَهُ إلى آبنِ هودٍ ونقَضا وَلاءَهُما للمُوحّدين (كما كانا قد نقضا من قبلُ ولاءهما للمرابطين).

وأرادَ آبنُ هودٍ أنْ يُكافىءَ بني سعيدٍ على نُصرتِهم له فولّى موسى على الجزيرة الخضراء.

وآتّصلَ آستبدادُ آبْنِ هودٍ بجَنوبيِّ الأندلُس عَشْرَ سِنينَ ثم قَتَلَهُ أحَدُ وُلاتِه، سَنَةَ ٦٣٥ للهِجرة (في أوّلِ شهورِ عام ١٢٣٨ م).

ويبدو أنّ موسى بنَ سعيدٍ قد تَنَقّلَ بعدَ ذلك مُدّةً في مُدُنِ الأندلُس ثمّ رأى أن مُقامَه في الأندلُس أصبح كثيرَ الآضطراب فعزَمَ على الرِّحلةِ إلى المشرق بِنيَّة الحَجّ، غيرَ أنّه تُوُفِيَّ بعدَ وُصولِه إلى الإسكندريّة، وذلك في ثامنِ شوّالٍ من سَنَة ٦٤٠ (٣٠/ ٤/ ١٢٤٣ م).

٢- كان أبو عِمرانَ موسى بنُ سعيدٍ رَجُلَ سياسةٍ، ودولةٍ مثلَ أهله. وكان كاتباً مُتَرَسِّلًا وشاعراً، إلاّ أنّه أبرعُ في نَثْره منه في شِعره. والذي يبدو أن مَيْزتَه كانتْ في آتّساعِ مَعْرفتهِ بالتاريخ وبالأدب، وهُوَ أحدُ الذين شاركوا في تأليفِ كتابِ «المُغْرِبِ في حُلى المَغْرب».

٣- مختارات من آثاره

- قالَ أبو عِمرانَ موسى بنُ محمّدِ بن عبدِ الملك بنِ سعيدٍ في المُظفّر عبدِ المَلكِ

العامري[1] (المغرب ٢ : ٣٠٢) إملاءً (آرتجالاً):

مَلِكٌ لم يَرِثِ الإمارةَ عن كَلالةٍ وبَدْرٌ لم يطلُعْ بغيرِ هالةٍ[2]، إذ كان قد تقدّمَتْ ببَلَنْسِيَةَ رئاسةُ جدّهِ أبي بكرِ بنِ عبدِ العزيز[3]، وأوَى مِنه أهلُها - في تلك الخُطوب - إلى حِرْزٍ حريز[4]. فظنّ الناسُ أن التَيْتَلَ في المَخْبَرِ[5] مثلُ الأسد، فقلّدوه تلك القلائدَ فذَبَّ عن نِظامها وآجتهد[6]. فهَزَمَ المُلَثَّمين وأخرجَ عن بلادِهِ أميرَهُمْ عبدَ الله بنَ غانيةَ. وطلَعَ على تلك الظُّلَمِ كالصُّبْحِ المُبين[7]، إلّا أنّه صادَفَ في شرقِ الأندلُس الأميرَ أبا محمدِ بنَ عِياضٍ أسدَ الحروب وقُطْبَ الخُطوب[8]، رَجُلَ الثَّغْرِ[9] شُهرةً وشجاعة، وقد ألقى جميعُ تلك البلاد له بالسمع والطاعة. فهَوَتْ قلوبُ أهلِ بَلَنْسِيَةَ إليه[10]. ورامَ آبنُ عبدِ العزيز صَرْفَهُمْ عن ذلك فثاروا عليه. فخَضَعَتْ أقلامُه للسيوف[11]، ودارتْ عليه من الفِتَنِ صُروفٌ[12]. فلم يرَ إلّا الفِرارَ، قائلاً ليس

---

(١) من نسل المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) المستبدّ بأمر الخلافة المروانية في أيام هشام بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر.

(٢) الكلالة: الرجل يموت لا أولاد له ولا زوجة (ان المظفّر لم يصبح ملكاً لأنّه لم يكن هنالك ملوك، بل انتزع الملك من أصحابه). الهالة دائرة (مظلمة أو ملوّنة) ترى حول الجرم المضيء بنفسه كالشمس والقنديل (وهي في الحقيقة ترى حول عين الرائي - أو بين الجسم المضيء وعين الرائي حينما يكون الهواء مشبعاً بالرطوبة على درجة معيّنة). وكانوا من قبل يعتقدون أن الهالة تدلّ على شيء من القداسة.

(٣) هو حفيد المنصور بن أبي عامر.

(٤) الخطب: المصيبة، الحادث المؤذي. أوى: التجأ.

(٥) في القاموس (٣ : ٣٤١): الثيتل (بالثاء المثلّثة) الوعل المسنّ، نوع من بقر الوحش (الغزلان). المخبر: الاختبار (حقيقة الأمر).

(٦) قلّدوه تلك القلائد (ولّوه - بفتح اللام - الحكم). ذبّ: دفع (دافع، حامى عن البلد).

(٧) المبين: الظاهر، الواضح.

(٨) صادف (يقصد: وافق، حدث). آبن عياض: ملك (مستبد) بشرق الأندلس (راجع نفح الطيب ٤ : ٤٥٦). قطب الخطوب (سبب تلك الأحداث الكبار؟).

(٩) الثغر: المكان (برّاً أو بحراً) يخشى مجيء العدوّ منه يحكم منطقة قرية من بلاد الاسبان.

(١٠) هوت إليه القلوب (مالت).

(١١) انهزم أدبه (ورجال بلاطه الأدباء) أمام القوّة.

(١٢) الصروف: المصائب.

علىٰ زأرِ الأسدِ قرارٌ [١]. فجاءتْ به المقاديرُ إلى أن حصّلته في يَدِ عَدُوِّه عبدِ الله بنِ غانيةَ، فسَجَنَه في جزيرةِ مَيورقةَ إلى أنْ يسَّر اللهُ سَراحَه على يدِ المُوحِّدين. فحلَّ بمرّاكُشَ تحتَ نِعمةٍ ضافيةٍ ملحوظاً بعينِ الرِّعاية مُتَفَقَّداً من الأمر العزيز بأجزَلِ جِرايةٍ [٢].

- قال موسى بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الملك بنِ سعيدٍ في نهرِ أنْدَرَشَ (المغرب ٢ : ٢٣٥):

خَلِّــــني في نَهْرِ أنْــــدَرَشِ   كَيْ أُرَوّي عِنـــــدَه عَطَشي.
مُــــدّ مِنْـــــه مِعْصَمٌ نَضِرٌ   في بسيــطٍ بالرِّيــاض وُشِي [٣].
عنــدَ مـــا أبْصَرْتُ بَهْجَتَـــه   حِرْتُ من فِكْرٍ ومن دَهَشِ [٤].

- وقال يُرُد على من عاتبه [٥] بكَثْرَةِ المُطالعة والصبرِ عليها (المغرب ٢ : ١٧٠ = نفح الطيب ٢ : ٣٣٤):

يا مُفْنياً عُمْرَه في الكأسِ [٦] والوترِ   وراعياً في الدُّجى للأنْجُمِ الزُّهُرِ [٧]
يبكي حَبيباً جَفاهُ أوْ يُنادِمُ مَنْ   يهفو لَدَيْهِ كَغُصْنٍ باسِمِ الزَّهَرِ [٨]،
مُنَعَّماً بَــينَ لَــذّاتٍ يُمَحِّقُهــا   ولا يُخَلِّــدُ من فخرٍ ولا سِيَرِ [٩]،

---

(١) يقول النابغة الذبياني:
أُنبئــت أنّ أبـــا قابوس أوعَــدني،   ولا قرار عـــــلى زأر من الأسد.
لا يستطيع أحد أن يطمئنّ إذا كان يسمع صوت أسد (إذا كان إلى جانبه ما يهدّده).

(٢) المتفقّد الذي يعتني به أناس كثيرون. من الأمر العزيز (أمر الملك). أجزل (أكبر، أثمن) جراية: مرتّب جار على الموظّف أو المقرّب باستمرار.

(٣) نضر، ناضر: ريّان، برّاق. وشي (المقصود: الفعل المجهول من وشّى - بتشديد الشين - زيّن).

(٤) الدهش (بفتح أو بفتح ففتح): التحير، ذهاب العقل.

(٥) هو يردّ بهذه الأبيات على ابنه عليّ (ت ٦٨٥ هـ) والمؤلّف الأخير لكتاب المغرب (راجع نفح الطيب ٢ : ٣٣٣ - ٣٣٤).

(٦) الكأس (شرب الخمر) والوتر (سماع الغناء): اللهو.

(٧) الزهر جمع أزهر: لامع، مشرق. راعياً للأنجم الزهر: ساهراً بلا عمل منتج.

(٨) جفاه: هجره. هفا إليه: مال، اشتاق. كغصن (حبيب معتدل القامة كالغصن).

(٩) يمحقها (يضيعها سدى). السيرة: السمعة الحسنة أو التاريخ المكتوب.

وعـــاذلٍ لِيَ فـــيما ظِلْـــتُ أكتُبُـــه:
يُبْـــدي التعجُّـــب من صـــبري ومن فِكَري [1]؛

يقولُ: ما لك؟ قد أفْنَيْتَ عُمْرَكَ في حِبْرٍ وطِرْسٍ عن الأغصانِ والحِبَرِ [2]
وظِلْتَ تسهرُ طولَ الليلِ في تعبٍ ولا تَرى أبدَ الأيامِ من ضجر [3].
أَقْصِرْ، فإنّيَ أدْرى بالذي طمَحتْ لِأُفْقِهِ هِمّتي، وأسألْ عنِ الخَبرِ [4]،
وأسْمعْ لقولِ الذي تُتلى مَحاسنُه، من بعدِ ما صار مِثْلَ التُّرْب، كالسُّوَرِ [5]
(جمالُ ذي الأرضِ كانوا في الحياةِ وهم، بعدَ المَماتِ، جمالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ) [6].

٤ - ★★ المغرب (٢: ١٧٠ - ١٧١) ثم راجع ١: ٩٨ - ٩٩، ١٠٤، ١٠٥ - ١٠٧، ١١٠، ١٤٢، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٥٨، ٣٢٠، ٣٣٤، ٤٢٣ - ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٧، ٢: ٣٥، ٥٣، ٦٣، ٧٣، ٨١ - ٨٢، ٨٥، ١٠٣، ١١٠ - ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٤٥، ١٤٨ - ١٥١، ١٥٣، ١٦٤، ١٨٠، ١٨٥، ٢٠٦، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٨، ٣٠١، ٣٠٨، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٦٢، ٣٧٨، ٣٨٤، ٤٠٦؛ نفح الطيب (٢: ٣٣٣ - ٣٣٥) ثم ١: ١٥٤ - ١٥٥، ١٧٨ - ١٧٩، ١٨٢ - ١٨٣، ٢: ٣٣٧، ٣: ١٨٣، ٣٥١، ٣٦٤ - ٣٦٦، ٤: ١٣٨ - ١٤٠.

الأعلم البطليوسي

١ - هو أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ قاسمِ بن إسحاقَ الأعلمُ البَطَلْيَوْسيُّ [7] النَحْويُّ،

---

(١) العاذل: اللائم. ظلت (بالكسر) = ظللت (بكسر اللام الأولى وسكون الثانية).

(٢) في حبر (مداد أسود يكتب به) وطرس (ورق): في الكتابة والتأليف. الأغصان والحبر (الثوب الجميل من الحرير الأسود) لعلّه يقصد النساء الجميلات (اللواتي قاماتهنّ معتدلة كالأغصان وأبشارهن أو ظاهر جلدهنّ ناعم كالحرير).

(٣) إنّ كلمة ظلت (في هذا البيت وفي البيت الرابع من هذه القطعة أيضاً) مضبوطة (في نفح الطيب ٢: ٣٣٣) بفتح الظاء). أبد الأيام: كلّ الأيام (التي لا تنتهي).

(٤) أقصر (اترك هذا الاعتراض).

(٥) من بعد ما صار مثل الترب (بعد ما مات). تتلى محاسنه كالسور (محاسنه كريمة كالسور في القرآن الكريم - هذه مبالغة غير مستحبّة).

(٦) الواضح أن البيت مضمّن. السيرة (تاريخ رجل عظيم).

(٧) هو غير الأعلم الشنتمري يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ). وفي سنة وفاة الأعلم البطليوسي شيء من الخلاف.

وُلِدَ في بَطَلْيَوْسَ وأخذَ النحوَ عنِ الأستاذِ هُذيلٍ[1] من علماء النحو. ثمّ إنّه تصدّرَ للإقراء في إشبيليـةَ، في عـددٍ من الفنون. وكانـت وفاتُـه في سَنَـةِ ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ - ١٢٤٥ م) في الأغلب.

٢ - كان الأعلمُ البَطَلْيَوْسِيُّ رَجُلًا ضيّقَ الصدرِ بكلِّ شيءٍ كثيرَ الشكوى من الزمن ومن الناس، وهجا حِمْصَ (إشبيلية) ولم يتّفقْ أنْ هجاها أحدٌ قبلَه. وكان بارعاً في النحوِ خاصّةً. وله تصانيفُ منها: تاريخُ بَطَلْيَوْسَ - الجمعُ بين الصِحاح للجوهريّ والغريب المصنّف (راجع بغية الوعاة ١٨٥). وقد بلغتْ تصانيفُه خمسينَ عَدًّا (نفح الطيب ٣: ٤٥١).

وكذلك كان الأعلم البَطَلْيَوْسيُّ أديباً شاعراً. وكان ناقداً أيضاً (راجع نفح الطيب ٣: ٤٥١ - ٤٥٢، ٥٩٦، ٧: ٦ و ٧).

٣ - مختارات من آثاره

- للأعلمِ البَطَلْيَوْسي في الشكوى من الدهر والناس:

** دعِ الأيـامَ تُنْصِفُ من أُناسٍ ... إذا صارتْ لهم حَقَروا الكِراما.[2]
ولا تدمَـعْ جُفونُـك إن تفانَوْا ... ولا تقرأْ عـلى أحـدٍ سلامـا.
ونَكِّـبْ عن مَصارِعِهِمْ جَزاءً، ... ولا تحفَـظْ لمذمومٍ ذِمامـا.[3]
وفكِّرْ في صَنيعِهِمُ - وُلاةً - ... لِتَشْكُرَ في تَسَرُّعِـهِ الحِمامـا!
صَحِبْتُ الناسَ جيلاً بعد جيلٍ ... فـلم أرَ من أوَدُّ لـه المُقامـا.

** يـا حِمـصُ، لا زِلْـتِ داراً، ... لكـلِّ بؤسٍ، وساحـهْ.

(١) الأستاذ هذيل (كذا غير منسوب) ذكره السيوطي في «بغية الوعاة» (ص ٤٠٨) نقلاً عن المغرب (١: ٢٦٥)، وسمّاه المقّري في «نفح الطيب» (٤: ١٢٧): «الأديب النحوي هذيل الإشبيلي». راجع أيضاً في «المغرب» (١: ٢٦٥، الحاشية الأخيرة). وفي الغصون اليانعة (ص ٦٩ - ٧١) شيء من أخباره ومن شعره.

(٢) إذا صارت لهم: إذا أصبح لهم نفوذ.

(٣) نكّب: تجنّب، ابتعد. المصرع: المقتل، الهلاك. جزاء: عقاباً (لا تعاقب الذين يقتلهم الدهر).

ما فيكِ موضعُ راحةْ   إلّا وما فيه راحةْ[1]!

– ومن أقوالِه في النقد (من نفح الطيب): لِيَكُنْ مَحْفوظُك من النظمِ مثلَ قولِ ٱبن القَبْطُرْنُه[2]: «دَعاكَ خليلُكَ واليومُ طلّ» (٣: ٥٩٦) – وقال إنّه سَمِعَ أبا بكرِ ٱبْن زُهْرٍ يقولُ: «كلُّ الوشّاحين عِيالٌ على عُبادةَ القزّازِ فيما ٱتّفق له من قوله: «بَدْرُ تِمّ...»....وما حَسَدتُ قطُّ وشّاحاً على قولٍ إلاّ ٱبنَ بَقِيٍّ حينَ وَقَعَ له: «أما ترى أحمَدْ.... لا يُلْحَقْ» (٧:٧).

٤ – ★★ المغرب ١: ٣٦٩؛ القدح المعلّى ١٥٧؛ بغية الوعاة ١٨٥؛ نفح الطيب (راجع المتن)؛ أزهار الرياض ٣: ١٠٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٦٠ (٦٢).

طلحة بن حزم الأمويّ

١ – هو أبو محمّدٍ طلحةُ بنُ أبي بكرٍ محمّدِ (ت ٦١٩ هـ) بنِ طلحةَ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ المَلِكِ بنِ أحمدَ بنِ خَلَفِ بنِ الأسعدِ بنِ حزمٍ الأُمويُّ اليابُريُّ الإشبيليّ، أصلُ أهلِه من يأبُرَةَ[3] ثمّ ٱنتقلوا إلى إشبيليةَ.

وُلِدَ طلحةُ بنُ حزمٍ الأُمويُّ، في أواخرِ جُمادى الأولى من سَنَةِ ٦٠١ (مطلع كانونَ الثاني – ينايرَ من عام ١٢٠٥ م).

وروى طلحةُ بنُ حزمٍ الأُمويُّ عن أبيه أبي بكرٍ وعمّهِ أبي العبّاس ثمّ عن نَفَرٍ كثيرين منهم أبو بكرِ بنِ قَسّومٍ الزاهدُ (ت ٦٣٩ هـ) وأبو عليٍّ بنِ الشَّلوبين (ت ٦٤٥ هـ) وغيرُهم. ولم يأخُذْ عن أبيه كثيراً لأنّه كان قد عانى مرضاً شديداً في مطلع شبابه، ثمّ إنّ أباه تُوُفّيَ باكراً (سَنَةَ ٦١٩ هـ). غيرَ أنّ هذا كلَّه لم يَمْنَعْهُ من أن يَسْتَدْرِكَ كثيراً من العلم في وقتٍ قصير، فقد تصدَّرَ لتدريسِ النحو وغيرِهِ باكراً ثمّ أجازَ لِنَفَرٍ من الذين درسوا عليه قبلَ أنْ يُجاوِزَ هو العشرينَ من عُمُرِه.

---

(١) موضع راحة (بقدر راحة اليد).

(٢) أبناء القبطرنة ثلاثة أدباء شعراء (راجع تراجمهم في الجزء الخامس).

(٣) يابرة في البرتغال اليوم (شرق لشبونة العاصمة).

وكانتْ وفاةُ طَلحَةَ بنِ حزمٍ في إشبيليةَ سَنَةَ ٦٤٣ للهِجرة (١٢٤٥ م) في الأغلب.

٢ - كان طلحةُ بنُ حزمٍ الأُمويُّ مُقرِئاً للقُرآن قديراً في صِناعة التجويد، كما كان عارفاً بالحديث ونَحْوِيًّا ماهراً ومُتَبحِّراً في التاريخ. ثمّ كانتْ له عِناية بالأدب، ورُبّما نَظَم الشِّعرَ. وشِعرُه عاديٌّ يَميلُ إلى شيءٍ من الضَّعف.

ثمّ هو مُصَنِّفٌ له مُعْجَمُ شُيوخِهِ سمّاه «مُلحةَ الراوي وخِتامَ عَيْبةِ الحاوي»[١] (ألّفه سَنَةَ ٦٢٠ هـ) ثمّ وَسَّعَ هذا المُعجمَ (سَنَةَ ٦٣٥ هـ) في بَرْنامجٍ سمّاه «نُغْبةُ الوارد ونُخبة مُستفادِ الوافد»[٢] (وهو مشتملٌ على أسماءِ مِئاتٍ من الرجال والنساء). ثمّ إنّه عمل فَهارِسَ (لأسماءِ الكتب؟) لِنفَرٍ من أشياخهِ كأبي أُميّةَ وأبي الوليدِ بنِ الحاجِّ وغيرِهما؛ وقد ظَهَرَ في ذلك كلِّه جَوْدَةُ ٱختيارِه وحسنُ ترتيبه وفضلُ ٱقتداره. وكذلك كان قد بدأ يَزيدُ في «كِتاب الصِّلة» لأبي القاسمِ بنِ بَشْكُوالَ، ولكنْ لم يَسْتَطِعْ إتمامَ ما بدأ به.

٣- مختارات من آثاره

- قال طلحةُ بنُ حزمٍ الأُمويُّ: كان أبو زكريا يحيى بنُ عائدٍ يُنْشِدُنا في أواخرِ مجالسِ السَّماع (تدريس الحديث):

مجالسُ أصحابِ الحديثِ حدائِقٌ   تَنَزَّهُ[٣] فيهـــا أعيُنٌ وقلوبُ.

ثمّ قال (طلحة بن حزم): وسألني صاحبُنا وشيخُنا أبو محمّدِ بنِ قاسمٍ الحريريُّ تَذْييلَ هذا البيتِ.... فقلتُ:

---

(١) الملحة: ما يستحسن من الأحاديث. الراوي: راوي الحديث. العيبة: وعاء من خوص (جريد النخل). الحاوي: الذي يرقى الأفاعي ويقبض عليها ويلاعبها. والحاوي (الشيء يشتمل على أشياء كثيرة).

(٢) النغبة: الجرعة (بالضمّ) أو ملء الفم من الماء. الوارد: الآتي إلى الماء ليستقي (يشرب أو يملأ وعاء). الوافد: الآتي من مكان بعيد.

(٣) تنزّه = تتنزّه: تسير في البساتين طالبة التفريج عن النفس (وهذا المعنى المقصود هنا خطأ شائع. والتنزّه، في القاموس، الترفّع عن الأمور التي لا تليق).

(مجالسُ أصحابِ الحديثِ حدائِقٌ تَنزَّهُ فيهـــا أعْيُنٌ وقلوبُ).
تَفجّرَ يَنْبوعُ الشريعـــةِ وسْطَهـا فأيْنَعَ غُصْنُ العلمِ فَهْوَ رطيبُ[1]؛
وأطلعـتِ الأفنـانُ زَهْرَ فُنونـهِ فريحُ الصَّبا من نَشْرِهِنّ تَطيبُ[2]؛
وأثمرتِ الأزهـــارُ زُهْرَ فوائـدٍ يَلَـذُّ جَنَى مَعْنًى لَهُنّ غَريبُ[3].
كَسَتْ شَمْسُ دينِ المُصطفى كلَّ ما بهـا فللنَّوْرِ في الأوراقِ روق عجيبُ[4].
نَرى طالـبي الآثارِ في رَغْدِ عَيْشِهم جنابٌ رحيبٌ والمَحَلُّ خَصيبُ[5]:
فللفِكْرِ قَطْـفٌ ثمّ للنفس نَعْشةٌ، وللعين من حُسْنِ الجميعِ نصيبُ[6].

– ومن نظم أبي محمّد طلحةَ بنِ حزمٍ:

من كـان في كَسْبٍ لـه مُسْتَسْهِلاً، ذاك الذي لا ريب في تَنْقيصهِ[7].
من لا يَريبُـك أمرُه في دِرْهَمٍ فهو الذي لا شَوْبَ في تَخْليصه[8].
حَكَمٌ لــه في حُكْمِـهِ عـدلٌ فما يرتابُ في الإنصاف في تخصيصهِ[9].
فكأنّ ما حَكَموا به من حُكْمه عنـهُ ٱستفادوه ومن تَمْحيصهِ[10].

٤ – ** الذيل والتكملة ٤: ١٦١ – ١٧٠ (رقم ٣٠٣)؛ بغية الوعاة ٢٧٣.

---

(١) أينع الثمر: نضج (واستعماله للغصن خطأ).

(٢) الفنن (بفتح ففتح): الغصن. الفنون (هنا) الأنواع. الصبا: ريح الشرق. النشر: الرائحة الطيّبة.

(٣) زهر، لعلّها «زهر» (بالضمّ): نجوم (فوائد بارعة مشهورة). جنى يجني: قطف الأثمار. جنى معنى: معان مختارة.

(٤) دين المصطفى (محمّد رسول الله): الإسلام. النور (بالفتح): الزهر الأبيض. روق (حسن منظر؟) لا يستقيم بها الوزن هنا.

(٥) الآثار (هنا) الأحاديث (أحاديث رسول الله). رغد العيش: سعته ونعومته. والجملة: «جناب رحيب والمحلّ خصيب» في محلّ نصب حال (؟).

(٦) للفكر قطف (طالبو الآثار، أي دارسو الحديث، يقطفون من رواية الأحاديث أثماراً شهيّة مفيدة). النعشة (هنا): اغتناء الإنسان بعد فقر أو إنهاضه بعد عثرة، سرور.

(٧) – من كان متساهلاً في انفاق ما يكسبه، فذلك الذي يكسب ماله من وجه غير شرعي (بسهولة).

(٨) – والذي لا تشكّ في أمره عند إنفاق ماله، فذلك لا شوب (لا خلط، لا سوء) في إخلاصه في جمع ماله.

(٩) الحكم (هنا) الله. لا نرتاب في تخصيصه (في إعطاء بعض الناس أكثر من بعضهم الآخر).

(١٠) فإذا وافق حكم الناس على فلان من الناس ما حكم به الله عليه، فأنّهم يكونون قد استفادوا هذا الحكم الصحيح من نعمة الله عليهم، ومن التمحيص: البحث الدقيق في الأمور (؟؟؟).

عنان بن جابر

١ - هو عِنانُ بنُ جابرِ بنِ جامعٍ زعيمُ قبيلةِ بني مِرْداسِ بنِ سُلَيْمٍ - وكان بنو مِرداسٍ هؤلاء قد جاءوا معَ القبائل التي سَرَّحَها الفاطميون من صَعيد مِصْرَ إلى إفريقِيَةَ (القُطر التونسيِّ) ٱنتقاماً من الذين كانوا قد تَخَلَّوْا عنِ الدعوة الفاطمية (راجع الجزء الربع). وقد كان ملوكُ بني حَفْصٍ يُقرّبون رجالاتٍ من بني مِرداسٍ ويُغْدِقون عَلَيْهِمُ العطايا لِيَسْتعينوا بهم عِند الحاجة إليهم في مقاومةِ خُصوم الحَفْصيّين.

وفي أيامِ أبي زكريا يَحْيى بنِ عبدِ الواحد الحفصيِّ (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) حَدَثَ خِلافٌ بين بني مِرداسٍ ويحيى الحفصي، فألقى يحيى الحفصيُّ شيئاً من العداوة بين قَبيلةِ بني مِرداسٍ وقبيلة بني علاق. فاستاءَ عِنانُ بنُ جابرٍ (شيخُ بني مرداس) وٱرتحل معَ قومه إلى المغرب الأوسط (القُطر الجزائري).

وكانت وفاة عِنانِ بنِ جابرٍ نحوَ سَنَةَ ٦٤٥ للهجرة (١٢٤٧ م).

٢ - عِنانُ بنُ جابرٍ شيخٌ بَدْوِيٌّ مُستقيمُ السِيرة أبِيُّ النفسِ شُجاعٌ. وشِعْره بَدْوِيٌّ الخصائصِ وعليه نفحةٌ جاهليةٌ، وفيه حَماسة (وصف للقتال) وفخرٌ بالنفس. وشعره متينُ السَّبْكِ ولكنْ يتخلّلُه صِيَغٌ غريبة: ساليٌ (سالٍ)، تخاير، ضرائر[١].

٣ - مختارات من شعره

- قال عنانُ بنُ جابرٍ يفتخر ويذكر سببَ ٱنتقالهِ من إفريقية (تونسَ) إلى المغرب الأوسط (القُطر الجزائري):

ولـمّا رأيتُ الوُدَّ قد بانَ وٱنقضى   دَعَوْتُ،ونارُ الشَّوْقِ تغزو ضمائري[٢]:

---

(١) سالي (بضمتين على الياء) مكان سالٍ (منقوص): الذي يسلو (ينسى)؛ التخاير (التنافس في الخير)، وهو يقصد بها الاختيار؛ الضرائر (جمع ضَرة: ثاني زوجتي الرجل أو جمع ضرورة: ما يضطرّ الإنسان إلى فعله، الحاجة)، وهو يستعملها بمعنى الضرر.

(٢) بان: ابتعد.

أ لا أيُّها الغادي على مَتْنِ ضامرٍ سليمِ القَرى عَبْلِ الذِّراعَيْن فاطر [1]
عليه غُلامٌ لا يَمَلُّ من السُّرى عليمٌ خبيرٌ بالصُّوى والمخاطرِ [2]،
تحمّل إلى ترشيشَ عنّي تحيّةً كما سلّمَ الأحبابُ عِنْدَ التَّزاوُرِ [3].
بِلادٌ بِها نِيطَتْ عَليَّ تَمائمي، وفيها نما عقلي ولُبّي وخاطري [4].
وبلِّغْ لِنَدْبٍ أرْيَحِيٍّ سَمَيْدعٍ سلاماً يُؤدّي عن عِنانِ بْنِ جابرِ [5]
بَعَثْتَ، أبا عبدِ الإله، بدائعاً مُحبّرةً منظومةً كالجواهرِ [6]،
تُذكِّرني الوُدَّ الذي كان بَيْنَنا وتزعُمُ أني سالٍ غيرُ ذاكرِ [7].
لَيالٍ وأيّامٌ نَعِمْنا بوَصْلِها على كرَمٍ مِنّا وحفظِ سرائرِ [8].
وكُنا إذا ما الجَيْشُ صُفَّت جُنودُه تَرانا على خيلٍ عِتاقٍ ضوامرِ [9].
فلمّا بدا لي بعضُ ما كنتُ أتّقي وحانتْ أمورٌ ضيِّقاتُ المصادرِ [10]،
وعادتْ عليَّ الأرضُ حَلْقةَ خاتَمٍ بلا ذلَّةٍ مِنّي سِوى طَوْعِ آمرِ،
رأيتُ رِجالاً من رِياحٍ ومالكٍ وعَوْفٍ ودبّابٍ وزغبٍ وماجرِ [11]

---

(١) الغادي: الذاهب باكراً. متن (ظهر) ضامر: حصان نحيل البطن (قادر على الجري السريع طويلاً). القرى: الظهر. عبل: سمين. فاطر: الذي فطر (شقّ)، أي شقّت سنّه لحم اللثة وبرزت (في السنة الثانية من عمره؟): أصبح قويًّا.

(٢) السرى: السفر في الليل. الصُّوّة (بضم الصاد وتشديد الواو): علامة توضع على جانب الطريق لمعرفة الاتجاه أو لقياس المسافات. المخاطر (يقصد الأماكن التي فيها خوف).

(٣) ترشيش: تونس. التزاور (تبادل الزيارات أو زيارة بعض الناس بعضاً).

(٤) ناط: علق. التميمة: حرز (بالكسر): قطعة ورق تطوى طيًّا يجعلها مثلثاً متساوي الساقين وتعلق على الصبي الصغير لدفع أذى العين والحسد (يقصد أنه ولد في تونس).

(٥) الندب: الظريف والنجيب (الذكي، الفاضل) الأريحي: النشيط، الحليم (الواسع الخُلق)، الكريم. السميدع: السيّد، الكريم، الشجاع.

(٦) بدائع محبّرة (مزينة): أي قصيدة ذات معان جميلة.

(٧) سالي: (أوساليّ) يقصد «سال» (بكسرتين على اللام): الذي ينسى.

(٨) سرائر جمع سريرة: ما يكتمه الإنسان أو يسرّه (يضمره) في نفسه.

(٩) الحصان العتيق: الكريم (المعروف النسب)، القادر على الركض. الضامر (النحيل البطن)، السريع.

(١٠) اتّقي: أخشى، أخاف (من العداوة). حان: اقترب. أمر ضيّق المصدر (لا خيار فيه؟) سيّىء العاقبة.

(١١) رياح ومالك وعوف أسماء قبائل، ثمّ دبّاب وزغب (بالضمّ) اسمان. ويبدو أن ماجر أيضاً اسم بطن من قوم الشاعر.

لَهُمْ مَرْقَبٌ دوني وقد كنتُ فوقَهم بسَيفي ورُمحي والوَغى وعشائري[١]،
تبيَّنْتُ حالاً لا أُطيقُ آحتمالَها فحُدتُ بنفسي عن عدوٍّ وجائرِ.
وسلّمتُ أرضَ الشرقِ لا عن مذلّةٍ، ويمّمْتُ أرضَ الغرب لا عن تخاير[٢]
إلى بلَدٍ لا يَعرِفُ الذُّلَّ أهلُه كِرامَ العَشايا من هِلالِ بْنِ عامرِ[٣].

٤ - ★★ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٠٢ - ٢٠٥؛ عنوان الأريب ٢٠٢ - ٢٠٥.

ابن سَفَر المَرِيّيّ

١ - هُوَ أبو عبدِ الله محمّدُ (بن عبد الله) بن سَفَرٍ المَرِيّيّ[٤] - منسوباً إلى جَدّه - أصلُه من ناحيّة المَريّةَ ولكنّه عاش في إشبيلية. لا نعلَمُ زَمَنَه بالتحديد، ولكن يُنْتَظَرُ أن يكونَ - آستناداً إلى وُرودِ ترجمته في «تُحفة القادم» لابن الأبار المُتوفّى في مطلع سَنَةِ ٦٥٨ - من أحياءِ النصفِ الأوّلِ من القرنِ السابعِ (الثالثَ عشَرَ للميلاد).

٢ - آبنُ سفرٍ المَرِيّيُّ أديبٌ بارعٌ وشاعر رقيقٌ محسنٌ كان شاعرَ المَرِيّةِ في عَصْرِه، أحْسَنُ شِعرِه الوصفُ، ووَصْفُهُ من أبدعِ الأوصافِ في جَمال الأندلس.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن سفر المرِيّيُّ في وصفِ الأندلس (نفح الطيب ١: ٢٠٩ - ٢١٠):

في أرضِ أندلسٍ تُلْتَـــدُّ نَعْماءُ ولا يُفـارِقُ فيها القلبَ سَرّاءُ[٥].

---

(١) - كان لهم مكانة دوني (تحتي)...
(٢) يمّم: قصد. تخاير (يقصد اختيار).
(٣) كريم العشيّة: يحافظ على عفافه (؟). هلال بن عامر: جدّ قبيلة.
(٤) في المغرب: أبو الحسين. وفي نفح الطيب (١: ٢٠٩) المريني (وهو تصحيف). وفي الوافي بالوفيات: المغربي. ويدعى أحياناً: ابن صفر (بالصاد).
(٥) النعماء: الخفض والدعة (العيش في أمن واطمئنان). السرّاء: النعمة والرخاء (سعة العيش) والمسرّة.

وليس في غيرِها بالعيش مُنْتَفَعٌ، ولا تقومُ بحقِّ الأُنسِ صَهباء[١].
وأينَ يُعدَلُ عن أرضٍ تَحُضُّ بها على المُدامة أمواهٌ وأفياء[٢]؟
وكيفَ لا يُبْهِجُ الأبصارَ رؤيتُها وكلُّ رَوْضٍ بها في الوَشْيِ صَنعاء[٣]!
أنهارُها فِضّةٌ، والمِسْكُ تُربتُها، والخزّ رَوْضتُها، والدُرّ حَصْباء[٤]
وللهواء بها لُطفٌ يَرِقُّ به مَنْ لا يَرِقّ، وتبدو منه أهْواء[٥].
ليسَ النسيمَ الذي يهفو بها سَحَراً، ولا انتشارَ لآلي الطَلِّ أنداءُ[٦]؛
وإنّما أرَجُ النَدِّ استَثارَ بها في ماءِ وردٍ فطابتْ منه أرْجاء[٧].
وأينَ يبلُغُ منها ما أُصَنِّفه، وكيف يَحْوي الذي حازَتْه إحصاء؟
قد مُيِّزَتْ من جِهاتِ الأرضِ حين بدتْ فريدةً، وتولّى مَيْزَها الماء:
دارتْ عليها نِطاقاً أبحُرٌ خَفَقَتْ وَجْداً بها إذ تبدّتْ وَهْيَ حسناء[٨].
لذاك يَبْسِمُ فيها الزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ؛ والطيرُ يشدو، وللأغصانِ إصغاء.
فيها خَلَعْتُ عِذاري ما به عِوَضٌ؛ فَهْيَ الرِّياضُ وكُلُّ الأرضِ صَحْراء[٩]!

---

(١) الصهباء: الخمر. - حتّى الخمر (إذا شربت في غير الأندلس) لا تحدث للإنسان أُنساً (انشراحاً). والأُنس في الأصل: حديث النساء.

(٢) وأين يعدل عنها: إلى أين ينتقل الإنسان.

(٣) الوشي: التزيين. صنعاء: عاصمة اليمن (مشهورة بالنسيج الجيّد الجميل).

(٤) الخزّ: الحرير. الدرّ: اللؤلؤ. الحصباء: الحصا، صغار الحجارة.

(٥) يرقّ به من لا يرقّ: إنَّ الجافي الطبع يصبح (بعد تنشقّ هوائها) رقيقاً لطيفاً. الأهواء جمع هوى: ميل النفس إلى العشق وما يتبعه.

(٦ و ٧) هفت الريح: هبّت وحرّكت الأغصان. السحر: آخر الليل قبيل الفجر. في نفح الطيب (١: ٢١٠) «النسيم» (بالرفع: بضمّة على آخره) وهذا لا يستقيم في الإعراب («فالذي» لا تعرب في المشهور خبراً) معَ الاسم الظاهر في النواسخ. وكذلك المعنى بذلك لا يستقيم. المقصود: ليس الذي يهبّ في الأندلس (في آخر الليل) نسيماً (من الهواء)، ولا قطرات الماء المنتثرة (المتفرّقة) في الغصون من الطلّ (الندى) ماء متجمّعاً، ولكنّ ذلك كلّه مزيج من الأرجِ (الرائحة الطيّبة) ومن ماء الورد.

(٨) يحيط بالأندلس (كالنطاق: الزنّار، من كلّ جانب) أبحُر (بحار وأنهار). وجداً بها: عشقاً لها. تبدّت وهي (أي الأندلس).

(٩) خلعت عِذاري: انغمست في اللهو. والأصح: قضيت كلّ شبابي (في التمتّع باللهو أيضاً). ولا أجد عوضاً (بدلاً) من شبابي.

- وقال في النسيب:

وواعَدتُّها والشمسُ تجنَحُ للدُّجى، بزَوْرَتِها شمساً وبدرُ الدُّجى يَسْري[1].
فجاءتْ كما يمشي سَنا الصُّبْحِ في الدُّجى، وطوراً كما مرّ النسيمُ على النهر[2]؛
فعَطّرتِ الآفاقَ حَولي فأشعَرَتْ بمَقْدَمِها، والعَرْفُ يُشْعِرُ بالزّهْر[3].
فتابعتُ بالتقبيلِ آثارَ سَعْيِها كما يَتَقصّى قارئٌ أحرُفَ السطر[4].
فبِتُّ بها، والليلُ قد نام، والهوى تَنَبّهَ بين الغُصْنِ والحِقْفِ والبَدْر[5].
أُعانِقُها طوراً وأُلْثِمُ تارةً إلى أن دَعَتْنا للنّوى رايةُ الفَجْر،
فَفَضّتْ عُقوداً للتعانُقِ بَيْنَنا. فيا ليلةَ القَدْرِ، اتْرُكي ساعةَ النّفْرِ[6]!

٤ - ** الوافي بالوفيات ٣: ١١٤؛ المغرب ٢: ٢١٢ - ٢١٣؛ نفح الطيب ١: ١٥٧، ٢٠٩ - ٢١٠، ٢٢٧، ٣: ١٩٨ - ١٩٩، ٢١٢؛ بالنثيا ١٢٩ - ١٣٠.

أبو عليّ الشلَوْبينُ

١ - هو أبو عليٍّ عُمَرُ بنُ محمّدِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الله الأزديُّ الإشبيليُّ المعروفُ بالشَّلَوْبينِ وبالشَّلَوْبينيّ[7]، وُلِدَ في إشبيليةَ سَنَةَ ٥٦٢ للهجرة (١١٦٦ - ١١٦٧ م).

---

(١) الشمس (الحقيقية) تجنح (تميل) للدجى (لليل، للغروب). شمساً (فتاة جميلة) تزورني في الليل معَ أنّ البدر ظاهر في سماء الليل.

(٢) كما يمشي سناً (ضوء)....: على مهل.

(٣) العَرف: الرائحة الطيّبة.

(٤) سعيها (إليّ): مجيئها، سيرها. كما يتقصّى.....: خطوة خطوة.

(٥) بتّ بها (معها). نام الليل: غفَل (طال). الغصن (قوامها) والحقف: ما اعوجّ من الرمل (وسط جسمها) والبدر: وجهها (أعانقها.... وأقبّلها).

(٦) ففضّت.....: أنهت لقاءنا. ليلة القَدْر (الليلة السابعة والعشرون من رَمَضان - وهي مباركة وخير من ألف شهر). ساعة النفر: الوقت الذي ينحدر فيه الحجّاج من عرفات (وهو المنسك الأساسي في الحجّ). - يا ليلتنا السعيدة لا تنتهي! (هنا) ليلة القدر (كناية عن الليلة التي قضاها مع محبوبته)، وليلة النفر (كناية عن الصباح الذي اضطرّ فيه إلى مغادرة مكان محبوبته).

(٧) هنالك نحويّ يعرف بالشلوبين الصغير (نحو ٦٢٠ - ٦٦٠ هـ) هو أبو عبد الله محمّد بن علي بن محمّد بن =

أخذ أبو عليّ الشلوبينُ عن جماعةٍ وفيرةِ العددِ من العلماء (راجعْ أسماءهم في « الذيل والتكملة » ٥: ٤٦١ – ٤٦٢). ثمّ تصدّرَ للإقراء نحوَ سَنَةِ ٥٨٠ هـ وآستمرَّ في ذلك ستّين عاماً. في هذه الأثناءِ كان مُنقطعاً إلى آلِ زُهْرٍ. ثمّ إنّه زارَ مَرّاكُش في أيامِ المنصور المُوحّديّ (٥٨٠ – ٥٩٥ هـ). وكانتْ وفاتُه (نفح الطيب ٤: ٤٧٢) في إشبيليةَ في منتصفِ صَفَرَ من سَنَةِ ٦٤٥ (١٢٤٧/٦/٢١ م).

٢ – قال أبو جَعْفرٍ أحمدُ بنُ الزُبير (ت ٧٠٨ هـ = ١٣٠٨ م) في « صلةِ الصّلة » (٧٠ – ٧١): « وكان الأستاذُ أبو عليٍّ (الشلوبين) رَحِمهُ اللهُ إماماً في العربيةِ غيرَ مُدافَعٍ، وهو آخِرُ أئمَّةِ ذلك الشأنِ بالمَشْرق والمَغْرب.... أقرأ نحواً من ستّينَ سَنَةً وعلا صِيتُهُ واشتهرَ ذِكْرُه. وكان ذا معرفةٍ بنَقْدِ الشِّعر وغيرِه بارعاً في التعليم ناصحاً (وبه أبقى اللهُ ما بأيدي أهلِ المَغْرب من علم العربية. وقلّ متأدّبٌ بالأندلسِ من أهلِ وَقْتِنا لم يَقْرَأْ عليه أو نَحْويٌّ لا يَسْتَنِدُ – ولو بواسطة – إليه).

ومن « نفح الطيب »: كان أبو عليّ الشلوبينُ من أعلام إشبيليةَ (٢: ٢٧١) سارَ في المشارق والمغارب ذِكْرُه (٣: ١٩٢) وهو إمامُ النُّحاة (٣: ٤٩٠). ولقد كان له نظْمٌ على منهجِ نظم العلماء مملوءٌ بالإشارات اللغوية والنحوية، متخلّف (رديء).

وكانتْ له مُصنَّفاتٌ منها: كتاب القوانين (في علم العربية: النحو) – كتاب

= إبراهيم الأنصاري المالقي، أخذ العربية (النحو) والقراءات عن عبد الله بن أبي صالح ولازم ابن عصفور مدّة إقامة ابن عصفور في مالقة. وأقرأ الشلوبين الصغير القرآن والعربية في بلده (مالقة) مجّاناً، يقرىء الذين يحبّون التزوّد بالعلم للعلم غير قاصدين التكسّب بما يتعلّمون. وكان يعيش من أملاك له. له شيء من التصنيف: شرح أبيات سيبويه شرحاً مفيداً وكمّل شرح شيخه ابن عصفور على الجزولية (بغية الوعاة ٧٩ – ٨٠). والشلوبيني، في الغالب، نسبة إلى الشلوبينية (سالوبرينيا – وهي بلدة صغيرة في منتصف الساحل الجنوبي على البحر الأبيض. وهي تقع جنوب غرناطة تماماً، ولكن على شاطىء البحر). وهي قرية من قرى إشبيلية (إنباه الرواة ٢: ٣٣٢). وفي القاموس (٤: ٢٤٠): شلوبين أو شلوبينة (بفتح ففتح فيهما) بلد بالمغرب منه أبو عليّ الشلوبيني النحوي. وفي نفح الطيب أيضاً (٣: ٤٩١) « .... وهو منسوب إلى حصن شلوبينة » (في نسخة: شلوبينية). ولكنّ نفرًا من المؤلّفين في الموضوع يذكرون أن الشلوبين هو الأبيض أو الأشقر. وابن خلكان يقول (٣: ٤٥٢): « ... هذه النسبة إلى الشلوبين، وهو بلغة الأندلس (نصارى الأندلس): الأبيض أو الأشقر. هكذا ذكروا. والله أعلم ». ثمّ راجع الحاشية الثالثة، تعليقاً على قول ابن خلكان.

التوطئة على الجزولية، وهو مشهور (نفح الطيب ٣: ١٨٤). والجزولية أرجوزة في النحو لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجَزولي (ت ٦٠٧ هـ). وهذه «التوطئة» مختصر لكتاب القوانين. - شرح المقدّمة الجزوليّة (شرحها شرحين: شرحاً كبيراً وشرحاً صغيراً) - تعليق على كتاب سيبويه.

٣ - مختارات من شعره

- وصَل إلَيْنا من أبي عليٍّ الشَّلَوْبينيِّ أبياتٌ من الشعر (المغرب ٢: ١٣٠، نفح الطيب ٣: ٤٩١) يتغزّل فيها بغُلامٍ ٱسمُه قاسمٌ كان يَهْواه، وهي:

وممّا شَجا قلبي وفَضّ مَدامِعي ... هوًى قَدَّ قلبي إذْ كَلفْتُ بقاسم [١].
تعشَّقْتَــه جُهــدي، فكان - لِشَقْوَتي ... وطولِ عَنائي - قاسياً غيرَ راحم★.
وكنــتُ أظنُّ الميمَ أصلاً، فلم تكُنْ. ... وكانتْ كميمٍ أُلْحِقَتْ بالزَلاقِمِ [٢].

- ولأبي عليٍّ الشلوبينِ أيضاً (القدح المعلّى ١٥٣):

لو لم تكُنْ لِيَ أعراقٌ لها كَرَمٌ، ... ولم يكُنْ في رجال الأزدِ لي سَلَفُ [٣]،
لكان في سِيبَوَيْهِ الفخرُ لي، وكفى ... بذاك فخراً. فكيف العلمُ والشرف [٤]
فالحمد لله حمداً لا ٱنصرامَ له. ... فكلُّ ذي حسدٍ في مِثْلِ ذا يَقِفُ [٥]

---

(١) شجا: حزن، أحزن. فضّ مدامعي: نثر دموعي (جعلها تتساقط بكثرة). قدّ: قطّع. كلفت بالشيء: أحببته وتعلّقت نفسي به.

(★) العناء (بالفتح): التعب.

(٢) .... الميم أصلاً (كنت أحسب أنّ اسمه، حقيقةً، قاسمٌ: يقسم بين نفسه ومحبّه قسمة حقّ). ولكنّ.... الميم في اسمه زائدة (فهو قاس). الزلاقم: الحيّاتُ الزرق (من المغرب ونفح الطيب).

(٣) أعراق جمع عرق (بالكسر): أصل (من النسب). الأزد (قبائل من عرب الجنوب).

(٤) سيبويه: عمرو بن عثمان الحارثي (ت ١٨٠ هـ) من أهل البصرة، فارسيّ الأصل، كان إمام النحاة. فكيف العلم والشرف: فكيف إذا أُضيف إلى أصلي الكريم وإلى نسبتي في قبائل الأزد ما بلغت إليه أنا من العلم ومن الشرف (المكانة الاجتماعية)؟

(٥) ٱنصرام: ٱنقطاع، ٱنتهاء. فكلّ ذي حسد في مثل ذا يقف: لا أحد يحسدني في هذه الأمور لأنّه يعلم أنّه لا يستطيع أن يبلغ فيها إلى مثل ما بلغت أنا فيها.

٤ - ** التكملة ٦٥٨ (رقم ١٨٢٩)؛ الذيل والتكملة ٥: ٤٦٠ - ٤٦٤؛ صلة الصلة ٧٠ - ٧١ (رقم ١٢٨)؛ المغرب ٢: ١٢٩ - ١٣٠؛ القدح المعلّي ١٥٢ - ١٥٤؛ وفيات الأعيان ٣: ٤٥١ - ٤٥٢؛ الديباج المذهب ١٨٥ - ١٨٦؛ ابن قنفذ ٣١٧؛ بغية الوعاة ٣٦٤؛ نفح الطيب (راجع المتن)؛ شذرات الذهب ٥: ٢٣٢ - ٢٣٣؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٢٤ (٦٢).

عبد الواحد المرّاكشي

هو مُحْيِي الدينِ أبو محمّدٍ عبدُ الواحدِ بنِ عليٍّ التميميُّ المرّاكُشيُّ، وُلِدَ في السابع من ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٥٨١ (١٠/٧/١١٨٥ م) في مدينة مَرّاكُشَ في أسرةٍ كانت، فيما يبدو، غنيّةً وجيهةً مُتّصِلةً بالبيتِ المالك اتّصالاً وثيقاً لا يَبْعُدُ أن يكونَ من جِهَةِ القَرابة.

لَقِيَ عبد الواحدِ المراكشيُّ الطبيبَ الشاعرَ أبا بكرِ بنَ زُهْرٍ، قيل في مَرّاكُشَ وقيل في فاس، ولا نَعْلَمُ ما مَبْلَغُ العلمِ الذي أخذَهُ عنه إذ كانَ مَوْلدُ عبدِ الواحدِ سَنَةَ ٥٨١ وكانتْ وفاةُ ابنِ زهرٍ في سنة ٥٩٥.

وتنقّل عبدُ الواحد المراكشي كثيراً في المغربِ وفي الأندلس وبينهما، وكان وثيقَ الاتّصال بالأميرِ أبي اسحقَ بنِ أبي يوسفَ يعقوبَ المنصورِ الموحّديِّ - وكان حاكماً لإشبيلية في أيام أخيه محمّدٍ الناصر (٥٩٥ - ٦١١ هـ) - . وفي آخرِ يومٍ من سَنَةِ ٦١٣ هـ (٩/ ٤/ ١٢١٧ م) غادرَ عبدُ الواحد الأندلسَ إلى مِصْر ثمّ حجّ (آخِرَ سَنَةِ ٦٢٠ هـ = مطلعَ ١٢٢٤ م) وعادَ بعد ذلك إلى مصر. ولعلّه زارَ في أثناء تلك المدّة الشام والعراق.

ويبدو أنّ عبدَ الواحد المَرّاكُشيّ لم يَرْجِعْ إلى المغرب. ومعَ أنّنا لم نسمعْ من أخباره شيئاً بعدَ تأليفِ كتابه «المعجب»، سَنَةَ ٦٢١ للهجرة، فإنّ وفاتَه كانتْ سَنَةَ ٦٤٥ (١٢٤٧ م) أو بعدَ ذلك بعامٍ أو عامين.

٢ - شُهِرَ عبدُ الواحد المرّاكشيُّ بكتابهِ المُعْجِب في تَلْخيص أخْبارِ المَغْرب، ألّفه

في المَشْرِقِ بطَلَبٍ من وزيرٍ عبّاسيٍّ كان قد «أصفاه وُدَّه وأغْدق عليه إحسانَه» وفَرَغَ من إملائه في رَمَضانَ من سنة ٦٢١ (أيلول - سبتمبر ١٢٢٤ م). ولَعَلَّ ذلك الوزيرَ كان مُؤيِّدَ الدين محمّدَ بنَ محمّدِ بن عبد الكريم بن بَرْزِ القُمّي الذي تولّى الوزارةَ للعبّاسيين في بَغدادَ من أواخرِ سَنَةِ ٥٩٥ إلى سنة ٦٢٣ هـ (١١٩٨ - ١٢٢٦ م). ثم إنّنا لم نَسْمَع شيئاً عنْ عبدِ الواحدِ المراكشيِّ بعدَ الفراغِ من إملاء كتابهِ المعجب.

و«المعجب» كتابٌ طريفٌ فيه تاريخٌ وفيه جُغرافيةٌ وفيه أدبٌ واجتماعٌ، وخصوصاً من تلك المُدّةِ التي شَهِدها المؤلّفُ من عهد الدولةِ الموحّدية فأثبتَ عدداً من الحوادث التي شَهِدَها بنفسِه أو رَواها عَمّنْ شَهِدها.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدمّة كتاب «المعجب»:

.... وبعدُ، أيُّها السيّدُ الذي توالتْ عليّ نِعَمُهُ وأخذَ بِضِبْعي من حَضيضي الفَقْرِ والخُمول اعْتناؤه وكَرَمُه.... فإنّك سألتني - بوّأك اللهُ أعلى الرُّتَب، كما عَمَرَ بكَ أَنْدِيةَ الأدب... - إملاءَ أوراقٍ تشتملُ على بَعْضِ أخبارِ المَغْرِبِ وهَيْئَتِهِ وحُدودِ أقْطارِهِ وعلى شيءٍ من سِيَرِ مُلوكهِ، وخصوصاً ملوكَ المَصامِدَةِ من بني عبدِ المؤمن، من لَدُنِ ٱبتداءِ دَوْلَتِهِمْ إلى وَقْتِنا هذا - وهُوَ سَنَةُ ٦٢١ - وأن يَنْضافَ إلى ذلك نُبْذَةٌ من ذِكْرِ من لَقِيتُه أو لَقِيتُ من لَقِيَهُ أو رَوَيْتُ عنه بوجهٍ ما من وجوه الرِّواية من الشعراء والعُلماء وأنواعِ أهلِ الفضل.

- شيء من سيرته (المعجب ٢٦٢ - ٢٦٣):

....فمَرّاكُشُ آخِرُ المُدُنِ في المَغْرِب(١)..... وبهذه المدينةِ، أعني مرّاكُشَ، مَسْقَطُ رأسي. وَهِيَ أوّلُ أرْضٍ مَسَّ جِلْدي تُرابَها(٢). وكان مَوْلدي بها لسَبْعٍ خَلَوْنَ من ربيعٍ الآخِرِ سَنَةَ ٥٨١، في أوّلِ أيام أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمن

(١) في أبعد نقطة من المغرب إلى الجنوب.

(٢) «وأول أرض مسّ جلدي ترابها» شطر من الشعر (راجع نفح الطيب ١: ١٧٣) من شعر بعض الأعراب (راجع حاشية ٦، نفح الطيب ١: ١٧٢). وهو بيت مشهور (وفيات الأعيان ٤: ٢٥٤).

ٱبنِ عليٍّ[1]. ثمّ فَصَلْتُ[2] منها وأنا ٱبنُ تِسعةِ أعوامٍ إلى مدينةِ فاسَ، فلم أزَلْ بها إلى أنْ قرأتُ القُرآنَ وجوّدتُه ورَوَيْتُه[3] عن جماعةٍ كانوا هنالك مُبرِّزين في علمِ القرآنِ والنحو. ثمّ عُدتُّ إلى مَرّاكُشَ فلم أزَلْ مُتَردِّداً بين هاتينِ المَدينتَيْنِ[4]. ثمّ عَبَرْتُ إلى جزيرةِ الأندلس سَنَةَ ٦٠٣ فأدْركتُ بها جماعةً من الفُضَلاء من أهلِ كلِّ شأنٍ[5] فلم أُحصِّلْ - بحمدِ اللهِ - من ذلك كلّهِ إلاّ مَعْرِفةَ أسمائهم ومَوالدِهِمْ ووَفَياتِهم وعُلومِهم، وٱنفردوا دوني بكلِّ فضيلةٍ. ولا مانعَ لِمَا أعطى اللهُ ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، يَخْتَصُّ برَحْمتهِ مَنْ يشاء، وهُوَ ذو الفضلِ العظيم[6].

- إشْبِيلِيَةُ (المعجب ٢٧١):

....وإشبيليةُ هذهِ هِيَ حاضرةُ الأندلُسِ في وَقْتِنا هذا[7]. وَهِيَ التي تُسمّى عِندَهم في قديمِ الزمانِ حِمْصَ، سُمِّيَتْ بذلك لِنُزولِ أجنادِ حِمْصَ إيّاها حينَ ٱفْتَتَحَ المسلمون الأندلُسَ[8]. وقد زادَ أمرُ هذه المدينةِ على صِفَةِ كلِّ واصفٍ وأتى فوقَ نَعْتِ كلِّ ناعتٍ. وَهِيَ على شاطىء نهرٍ عظيمٍ يَنْصَبُّ من جِبالِ شُقورةَ، وتَنْصبُّ إليه أنهارٌ كثيرة، فلا يَصِلُ إلى إشبيليةَ إلاّ وهو خِضَمٌّ[9] تَصْعَد فيه السُّفُنُ الكِبارُ من البحرِ الأعظمِ[10] سبعينَ مِيلاً - وذلك مَرْحَلتانِ[11] -. وهذه المدينةُ كانت

(١) هو المنصور الموحّدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

(٢) فصل الرجل من البلد: غادرها، سافر منها.

(٣) رويته (رويت قراءاته وأحكام قراءته والناسخ والمنسوخ فيه، الخ).

(٤) متردّداً بين هاتين المدينتين (هنا: اتنقّل بينهما).

(٥) كلّ شأن (كلّ فرع من فروع المعرفة).

(٦) ﴿يختصّ برحمته.....﴾ (القرآن الكريم ٣: ٧٤، آل عمران، راجع ٢: ١٠٥، البقرة).

(٧) الحاضرة: العاصمة. في وقتنا هذا (زمن المؤلّف: عبد الواحد المراكشي): القرن السابع للهجرة (الرابع عشر للميلاد).

(٨) إشبيلية سمّيت حمص لشبهها بمدينة حمص بالشام (سوريا). أمّا الأجناد (المحاربون الذين نزلوا فيها فهم الذين جاءوا في عصر الولاة مع بَلْج بن بِشْر (راجع ذلك في الجزء الرابع - اطلب بلج بن بشر في الفهرس).

(٩) الخضمّ: البحر الواسع.

(١٠) البحر الأعظم: المحيط الأطلسي (الاطلانطيكي).

(١١) المرحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في يوم (نحو ٣٠ كيلومتراً؟). والكاتب يجعل المرحلة خمسة وثلاثين ميلاً (رومانيّا) أو اثنين وخمسين كيلومتراً.

قاعدةَ [١] مُلْكِ بني عَبّادٍ، حَسْبَ ما تَقدّمَ، ثمّ صيّرها المصامدةُ [٢] مَنْزِلاً لهم أيامَ كَوْنِهم بالأندلُس، منها ينفذُ أمرُهم وفيها يَسْتَقِرُّ مُلْكُهم. وبَنَوْا بها قُصوراً عظيمة وأجْرَوْا فيها المِياهَ وغَرَسوا البساتينَ فزادَ ذلك في حُسْنِ هذه المدينة.

٤ - المعجب... (دوزي)، ليدن ١٨٤٧ م ثمّ ١٨٨١ م؛ (محمّد هاشم الكتبي)، دمشق ١٣٢٤ هـ؛ مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٤ هـ؛ مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٣٢ هـ؛ (محمّد الفاسي)، فاس ١٩٣٨؛ (صححه.... محمّد سعيد العريان ومحمّد العربي العلمي)، القاهرة (مطبعة الاستقامة) ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م.

★★ صلة الصلة ٧٠ - ٧١؛ التكملة (رقم ١٨٢٩)؛ الديباج المذهب ١٩٠؛ مقدّمة المعجب (في طبعة دوزي وفي طبعة العريان)؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٤؛ بروكلمن ١: ٣٩٢ - ٣٩٣، الملحق ١: ٥٥٥؛ المكتبة العربية الصقلية ٣١٨ - ٨٢١؛ النبوغ المغربي ١٥٤ - ١٥٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٢٦ (١٧٦)؛ سركيس ١٧٢٤ - ١٧٢٥؛ بالنثيا ١١٨ - ١١٩، ٢٤٨ - ٢٥٠؛ الأدب المغربي ٣٩٠ - ٣٩٤.

أبو بكر بن البنّاء الإشبيلي

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الرحمنِ العبيديُّ الإشبيليُّ المعروفُ بابنِ البنّاء، فقد كان أبوه بنّاءً في إشبيليَةَ، ويبدو أنّه قد تأثّرَ بصَنْعةِ أبيه فنشأ على كثيرٍ من الجِدّ والهِمّة والمُثابرة. كان مولدُه في إشبيليةَ سَنَةَ ٥٨١ للهجرة (١١٨٥ - ١١٨٦ م).

تلقّى أبو بكرٍ بنِ البنّاء العِلمَ على نفَرٍ منهم أبو الحسنِ بنُ عَطِيَّة (ت هـ) وأبو بكرِ بنِ طَلْحةَ (ت ٦١٨ هـ) وأبو الحسنِ بنُ جابرِ بنِ الدبّاج (ت ٦٤٥ هـ) وأبو عليٍّ ابنُ الشَّلوبينِ (ت ٦٤٥ هـ).

وعَمِلَ أبو بكرِ بنِ البنّاء الإشبيليّ كاتباً لِنفَرٍ من الوُلاةِ على الأندلس ثمّ خصّ نفسَه بوُلاةِ المُوحّدين على إشبيلية. وفي آخرِ مُدّةِ المُسلمين في إشبيليةَ استبدّ بحُكْمِها

---

(١) قاعدة (عاصمة): مدينة مهمّة.

(٢) مصمودة قبيلة بربريّة ينتمي إليها سلاطين دولة الموحّدين.

حيناً. ثمّ لَمّا ٱستولى عليها الإسبان (رَمَضَانَ ٦٤٦) ٱنتقل منها إلى سَبْتَةَ (في العُدوة المَغْربيــة)، وفيهــا تُوُفِّيَ وشيكــاً في السادسِ من شوّالٍ من سَنَــةِ ٦٤٦ (١٢٤٩/١/٢٢ م).

٢ - كان ابنُ البنّاء الاشبيليُّ أديباً كاتباً ومُتَرَسِّلاً مُكْثِراً وشاعراً. وقد ذَكَرَ المؤرّخون لحياته أن تَرَسُّلَه كان عاديًّا وأن شِعرَه كان قليلَ الرونق. ولكنّه يبدو واسعَ الثقافة، فقد كان مُولَعاً بٱقتناءِ نفائسِ الكتب كما كان مُولَعاً أيضاً بنسخ الكُتُبِ النفيسةِ وبتَقْييد الأقوالِ والنُّكَتِ البارعة، حتّى قيل إنّه لمّا غادرَ إشبيليةَ حَمَلَ مَعَهُ خَمْسَمِائَةِ كتابٍ بخَطٍّ يَدِهِ.

وكان ابنُ البنّاء الإشبيليُّ على شيءٍ من التناقض في طبعه: كان يظهرُ مُتَدَيِّناً بينما كان جريئاً على سَفْكِ دِماء خُصومه. وكان يبدو متواضعاً وهو يرى نفسَه فوق الناسِ جميعاً. وكان رفيقاً في معاملة الوُلاة: كان يَخْدِمُهم مدّةً ثمّ إذا أرادَ الانفصالَ عنهم فَعَلَ ذلك بيُسْرٍ من غيرِ أنْ يَجِدَ أولئك الوُلاةُ طريقاً إلى لَوْمِهِ.

٣ - مختارات من شعره

- كان السيّدُ أبو عبدِ الله بنُ أبي حَفْصِ بنِ عبدِ المؤمن المُوحِّدِيُّ والياً على بَلَنْسِيَةَ (في شَرقيّ الأندلس) ثمّ أصبح والياً على إشبيلِيَة (في غربيّ الأندلس). فماتَ في إشبيليةَ، فقال أبو بكرِ بنِ البنّاءِ يَرْثِيه (المغرب ١ : ١٤٩؛ راجع اختصار القدح المعلّى ١١٩):

كأنّكَ من جِنْسِ الكواكبِ كُنتَ، لم ... تُفارِقْ طُلوعاً حالَها وتَوارِيا[1].
تَحَلّيــتَ من شرقٍ يَروقُ تلألُؤاً، ... فلمّا ٱنْتَحَيْتَ الغربَ أصبحتَ هاويا[2]

---

(١) كأنّك من جنس الكواكب (مثل الكواكب: مضيء، منير) لم تفارق حالها (الإضاءة، النور). التواري: الاختفاء، الغروب. أنت مثل الكوكب مضيء دائماً (سواء أكنت ظاهراً في السماء أم غائباً عن السماء) ولكن الناس لا يرونك.

(٢) تحلّى الرجل: اتّخذ أو لبس حِلية أو زينة. يروق (يحسن في النظر). انتحى: اتّجه إلى ناحية. الهاوي: الساقط وراء الأفق الغربي (ليغيب كالشمس).

- كان « الباجي » رجلاً ثائراً ٱستبدّ بإشبيليةَ حيناً وٱنتزعها من ابنِ هودٍ (في أوائلِ عَشْرِ الثلاثين من القرنِ الهجريّ الرابع). وقد مَدَحه أبو بكرِ بنُ البناء ومدَحَ مَعَهُ نفَراً من أهلهِ وأنصارِه فقال فيهم جميعاً - والأبيات التالية من الشِّعْر الجيّد (اختصار القدح المعلّى ١١٩):

أنْتُمْ وُلاةُ الأمرِ رُغْماً على ... آنافِ أعداءٍ وحُسّادِ[١].
في ضِئْضِىءِ المجدِ ٱشتركْتُمْ وفي ... بُحْبوحةِ الرأيِ لدى النادي[٢].
ثلاثةٌ مثلُ الأثافي على الرأ ... يِ الذي يعدو على العادي[٣].
هُزّوا بما أُعْطِيتُمُو قُبّةَ الـ ... ـقصر وهُزّوا قُبّةَ الوادي[٤].

- في الذيل والتكملة (٥: ٦٨١) أن بعضَ خواصٍّ ابنِ البنّاء جَمَعَ له جانباً من رسائله في أربعةِ مُجلَّداتٍ ضخمةٍ. قيل: فلمّا ٱطّلَعَ ٱبنُ البنّاءِ عليها كَتَبَ بخطِّهِ على أوَّلها بيْتَيْنِ من الشعر من نظمهِ هما:

إنّي تأمَّلْتُ فلم أَسْتَجِدْ ... أكثَرَ ما فيه ولم أرْضَهُ[٥].
ورُمْتَ بالإحسانِ فَوْزاً فلا ... سَماءه نِلْتُ ولا أرْضَهُ[٦].

وهذانِ أيضاً بَيْتانِ جَيّدانِ من لُزوم ما لا يلزَمُ (بأربعةِ أحرفٍ).

٤ - ** الذيل والتكملة ٥: ٦٨١ - ٦٨٢ (رقم ١٢٨٣)؛ اختصار القدح المعلّى ١١٨ - ١١٩؛ المغرب ١: ٢٤٩.

---

(١) آناف = أنوف (جمع أنف).

(٢) الضئضىء: الأصل. البحبوحه: وسط الدار (المكان الواسع). النادي: مجلس كبار القوم ذوي المكانة والنفوذ.

(٣) الأثفية (بالضم) إحدى حجارة ثلاث ينصب عليها القدر فوق النار. إنَّ الشكل ذا الزوايا الثلاث يكون أثبت من كلّ شكل آخر ذي أربع زوايا أو خمس أو ستّ، الخ. العادي: المعتدي، الهاجم، العدوّ. أنتم على رأي واحد لا يتزعزع.

(٤) بما أعطيتمو (من القوّة ومن حسن الرأي) قبّة القصر.... قبة الوادي....- أنتم بقوّتكم تخيفون قصر الموحدين في مراكش وقصر الوادي (النهر الكبير الذي عليه مدينة اشبيلية مقرّ الوالي على الأندلس من طرف الموحدين).

(٥) استجاد الشيء: وجده جيّداً. أرضه (من الرضا).

(٦) رام يروم: قصد. فلا سماءه نلت ولا أرضه (لم أنل منه شيئاً لا كبيراً ولا صغيراً).

أبو الحسن الدبّاج الإشبيلي

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ جابرِ بنِ عليٍّ بنِ عليٍّ بنِ يحيى اللَّخْمِيُّ الاشبيليُّ المعروفُ بابن الدبّاجِ أو ابنِ الدبّيج (بغية الوعاة ٣٣١)، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٦ هـ (١١٧٠ - ١١٧١ م).

أخَذَ ابنُ الدبّاجِ عن أبي بكرِ بنِ طَلْحةَ وأبي الحسنِ بن خَروفٍ وأبي ذَرٍّ الخُشَني وغيرِهم. ثمّ تصدّرَ لإقراء القُرآنِ بالقراءاتِ السَّبْع ولتدريسِ النحو (من كتاب سيبَوَيْهِ) والأدبِ (في الكامل للمبرِّدِ ونوادرِ القالي وغيرِها) نحوَ خمسينَ سَنَةً. وكانتْ وفاتُه في ٢١ مِنْ شَعبانَ من سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٨/١٢/٩ م).

٢ - كان أبو الحسنِ الدبّاجُ رجُلاً عالماً صالحاً زاهداً من أعلامِ القُرّاء والنحْويّين والأُدباء في زمانهِ، وكان شديدَ الذكاء ظريفَ الدُّعابة. وله مقطّعاتٌ من الشِعر الرصينِ الصحيح وموشّحاتٌ (القدح المعلّى ١٥٦).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحسنِ الدّبّاجُ الإشبيليُّ في الغزل:

لمّـا تَبـدّتْ وشَمْسُ الأُفْقِ باديـةٌ أبصرتُ شمسَيْنِ من قُرْبٍ ومن بُعُدِ.
من عادةِ الشمسِ تُعشي عينَ ناظرِها، وهـذه نورُها يَشْفي من الرمَدِ[١].

- وقال يَصِفُ مُجبَّناتٍ (قطائفَ مَحْشُوَّةً بالجُبن ومَقْلُوّة بالسمن، تُغْمَس في القَطْر)[٢]:

أحْـلى مواقِعِهـا إذا قَرَّبْتَهـا وبُخارهـا فوقَ الموائـدِ سامي.
إن أحرقَـتْ لَمْساً فإنّ أُوارَها في داخـلِ الأحشاءِ بَرْدُ سلامِ[٣]!

- وقال في ظاهر الأمور وباطنها:

(١) تُعشي: تُضعف البصر (وخصوصاً في الليل).
(٢) القطر: سكّر محلول بقليل من الماء يغلى على النار حتّى يكتسب كثافة معيّنة. ويضاف إليه قليل من الحمض (المادّة الحامضة كيلا يتبلور).
(٣) الأوار: حرّ الشمس والنار.

مـــا جـــاء عَفْواً فخُـــذْهُ   ومـــا أبـــى فتَجَنّـــبْ.
ولا تَرُدْ كـــلَّ مرعـــىً   ولا تَرِدْ كـــلَّ مشرب(١).
فرُبّما لـــــذَّ طعْمٌ   وفيـــــه سمّ مُقَشَّب(٢).

- وقال في القناعة بالعيش:

رَضِيـــتُ كَفـــافي رُتبـــةً ومَعيشةً   فلَسْتُ أُسامي مُوسِراً وَوَجيها(★).
ومَنْ جرّ أثوابَ الزمـانِ طويلـةً   فلا بُدّ يوماً أن سَيَعْثِرُ فيها!

- وقال في مرِّ الأيام بسُرعة:

مـــا لي أرى أيّامَنـــا   تَمرُّ مُرًّا مُسْرِعـــا؟
إذ حَسَبْـــتُ أشْهُراً   حَسِبْتُهُنّ جُمَعـــا(٣).
ولم نَكُنْ نُعنـــى بـــأن   تُبْطِـــىءَ أو أن تُسرعـــا(٤)،
لو لم تكُنْ أعمارُنـــا   وهُنّ يَذْهَبْنَ معـــا!

٤ - ★★ برنامج الرعيني ٨٨ - ٨٩؛ التكملة ٦٨٣ (رقم ١٩١٠)؛ الذيل والتكملة ٥: ١٩٨ - ٢٠١؛ صلة الصلة ١٣٧؛ المغرب ١: ٢٥٥ - ٢٥٦؛ القدح المعلّى ١٥٥ - ١٥٦؛ بغية الوعاة ٣٣١؛ شذرات الذهب ٥: ٢٣٥ - ٢٣٦؛ نفح الطيب ٢: ٩٥، ٣: ٤٦١، ٤٧٨ - ٤٧٩.

يحيى بن عبد الواحد الحفصي

١ - هو أبو زكَريّا يحيى بنُ عبدِ الواحـدِ بنِ أبي حفـصٍ، وُلِدَ سَنَةَ

---

(١) راد يرود: طلب، بحث عن. ورد يرد: ذهب إلى الماء ليشرب.
(٢) وفيه سمّ مقشّب (ممزوج به)- صواب التركيب: طعام مقشّب (ممزوج بسمّ أو بما يفسده).
(★) الكفاف: ما كان مقدار الحاجة بلا زيادة ولا نقصان. رتبة: في المكانة الاجتماعية (من الناحية المعنويّة). معيشة: فيما يتعلّق بالطعام والشراب واللباس (من الناحية المادّيّة). سامى فلان فلانا: نافسه للبلوغ حتّى يبلغ إلى مثل مكانته (العلمية أو الاجتماعية....). الموسر: الغنيّ.
(٣) حسب يحسب (بفتح السين في الماضي وضمّها في المضارع): عدّ. وحسب يحسب (بكسر السين في الماضي وفتحها في المضارع): ظنّ. جمعة: أسبوع.
(٤) نُعنى: نهتمّ، نشغل (بفتح الغين) بالنا.

٥٥٩ هـ (١١٦٣ - ١١٦٤ م). كان الحكّامُ الذين سبقوه في حاضرةِ تونسَ وُلاةً للموحّدين. فلمّا آلَتْ الوِلايةُ إلى أبي زكريّا هذا (٦٢٦ هـ) كانُ الموحّدون قد ضَعُفوا جدًّا فأعلنَ استقلالَه عنهم. ثمّ اصْطَدَمَ بيحيى بنِ غانيةَ الميورقيّ (وكان بنو غانيةَ لا يزالون أنصاراً للمُرابطين الذين خَلَفَهُمُ الموحّدون في المَغرب) فقاتله يحيى وتغلّبَ عليه وقَتَلَه (٦٣١ هـ). ثمّ تغلّبَ أيضاً على قبيلةِ هوّارةَ التي ثارت عليه.

وعَمِلَ أبو زكريا على توسيع رُقْعةِ مُلكهِ فانتزع من الموحّدين عدداً من المدن (تِلِمْسانَ وسِجِلْماسةَ في الجزائرِ اليومَ إلى جانبِ سَبتةَ وطَنجة ومِكناسةَ في المَغْرب اليوم).

وكانتْ وَفاةُ يحيى بنِ عبدِ الواحدِ الحفصي في بونةَ (أرضِ الجزائرِ اليومَ)، في جُمادى الآخرةِ من سَنَةِ ٦٤٧ (مطلع الخريف من عام ١٢٤٩ م).

٢ - يُعَدُّ يحيى بنُ عبدِ الواحدِ المؤسّسَ للدولة الحَفَصية في تُونسَ. وقد كان عظيمَ الهيبة سديدَ الرأي، كما كان تقيًّا عادلاً متواضعاً ومُحبًّا للرعية. وكان مَلِكاً عُمرانيًّا أنشأ جامعَ القَصَبة (القلعة القديمة) وصَوَمعته (مئذنته) البديعة العجيبة (ولمّا اكتمل بناؤها في غُرّةِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٣٠ بدأ الأذان فيها هو نفسُه). وبنى سوقَ العطّارين (ولا تزال سوق العطّارين إلى اليومِ تحمل الطابعَ التونسيّ القديم) وعدداً من المدارس وأنشأ مكتبةً كبيرة. وكذلك كان أديباً ناثراً وناظماً.

٣ - مختارات من آثاره

- من وصيّةِ يحيى بنِ عبدِ الواحد الحفصيّ لآبنهِ ووليِّ عهدِه أبي عبدِ الله محمّدٍ المُنتصر:

اعلَمْ - سَدّدَك اللهُ وأرشَدَكَ، وهَداكَ لِما يُرضيك وأسْعَدَكَ، وجعلكَ محمودَ السيرةِ مأمونَ السريرة[1] - أنّ أوّلَ ما يَجبُ على مَنِ آسْترعاهُ اللهُ في خَلْقهِ وجعله مسؤولاً عن رعيّته، في جُلِّ أمرِهم ودِقّه[2]، أن يُقدِّمَ رِضا الله في كلِّ أمرٍ يُحاولُه، ويكونَ عملُه

(١) سدّدك الله (جعل سيرك مستقيماً). السريرة: الطويّة، الباطن (مايكتمه الإنسان في نفسه).

(٢) الجلّ الكبير، العظيم (العامّ المجمل). الدقّ: الدقيق، الصغير (المفصّل).

وسعيُه وذَبُّهُ[١] عن المسلمين بعدَ التوكّلِ عليه. ومتى فاجأك أمرٌ مُقْلِقٌ أو وردَ عليك هَمٌّ مُرْهِقٌ فريّضْ لُبَّكَ وسكّنْ جأشَكَ[٢].... ولا تُقْدِمْ إقدامَ الجاهل، ولا تُحْجِم إحجامَ الأخرَقِ[٣] المُتكاسلِ. واعلَمْ أنّ الأمرَ إذا ضاقَ مَجالُه وقَصّرَ عن مُقاومتهِ رِجالُه، فمِفتاحُه الصبرُ والحَزامةُ[٤] وأخذُ الرأيِ من عُقلاءِ الدولة ورؤسائها وذوي التجارِب من نُبهائها[٥]، ثمّ الإقدامُ عليه بعدَ التوكّل على اللهِ فيما لَدَيْهِ..... وعليكَ بتَفَقُّدِ أحوالِ الرعيّةِ: فلا تَنَمْ عن مَصالحهم ولا تُسامحْ أحداً فيهم.... واتّخذْ ثِقاتٍ صادقينَ مُصدَّقينَ لهم في جانبِ اللهِ أوفَرُنصيبٍ ،وفي رفعِ مسائلِ خَلْقهِ إليكأسرعُ مُجيب.

- وقال يَصِفُ روضةً أنشأها قُرْبَ تونِسَ العاصمةِ:

وسالَ نَميرُ الماءِ بينَ اَخضرارِها   فجاء كَمثْلِ الفَرْقِ بينَ الذوائب[٦]،
وإلّا كما شَقّ الكَنَهْوَرَ بــارقٌ،   وإلّا كمثلِ الصُّبحِ بينِ الغياهبِ[٧].
قدِ اَطّردَتْ فيـه المذانـبُ دائماً،   ولم تَرَ حُسناً كاطّرادِ المذانبِ[٨].
وللياسَـمينِ الغَضِّ في خُضْرِ بُسْطِها   نثائرُ دُرٍّ أو سبائـكُ ساكبِ[٩].
مُعطَّرةُ الأردانِ يُنْعِمُ نَفْحَهـــا
يُحيّيــكَ عَرْفُ الطِيــبِ من كُــلِّ جانــبِ[١٠].

---

(١) ذبّ عن شيء: دافع عنه.

(٢) اللبّ: العقل. الجأش: النفس، القلب.

(٣) أحجم: تأخّر (خاف مباشرة العمل). الأخرق: الأحمق والمتحيّر الذي لا يدري ما يجب أن يفعل.

(٤) الحزامة: الفصل في الأمور.

(٥) النبهاء: الأشراف ثمّ ذوو الفطنة (جودة الفهم).

(٦) النمير: الطيّب النافع في الريّ (سقي المزروعات). الفرق (فصل شعر الرأس جانبين). الذُّؤابة (بالضمّ): ضفيرة الشعر. - سال نمير الماء (يقصد: النهر) بين اخضرارها (نبات الأرض الأخضر) كأنّه فرق: خطّ أبيض (لأنّ الفرق في الشعر يكشف عن جلد الرأس) بين الذوائب (الضفائر السود - والعرب تقول للأسود أخضر).

(٧) الكنهور: قطع السحاب العظيمة (والملموح هنا أنّها السوداء - فإنّ الغيوم إذا كثف فيها بخار الماء بدت سوداء). الغيهب: الظلمة (بالضمّ)، الليل الشديد السواد.

(٨) اطّردت الأشياء (كانت متتابعة). المذنب (بالكسر): مسيل الماء (الماء المجرور من نهر أو من حوض).

(٩) الغضّ: الطريّ الناضر (الذي فيه لين ولمعان وجمال). الدرّ: اللؤلؤ. السبيكة: قطعة المعدن (بكسر الدال) التي أُذيبت (فأصبحت صافية خالية من الموادّ الغريبة) ثمّ أعيد سَبْكها.

(١٠) الردن (بالضمّ): طرف الثوب. نفحها: ما ترسله من رائحة طيّبة. أنعمت الريح: هبت هيّنة.

٤ ** أزهار الرياض ٣: ٢٠٨؛ فوات الوفيات ٢: ٤٠٠ - ٤٠١؛ المجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٨٦ - ١٩٠؛ خلاصة تاريخ تونس ١٠٧ - ١٠٨؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٩٣ - ١٩٤ (٨: ١٥٥).

ابن سهل الإشبيليّ

١ - هو أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سَهْلٍ، وُلِدَ في إشبيليةَ، نحو سَنَةَ ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م)، على اليهوديّة فكان يُعْرَفُ بابنِ سهلٍ اليهوديّ أو الإسرائيليّ. ثمّ لمّا اهْتدى إلى الإسلام، بعدَ أن بلغَ مَبْلَغَ الشبابِ، أصبحَ يُدْعى ابنَ سَهْلٍ الإشبيليَّ والإسلاميَّ. غيرَ أنّ نَفَراً مِنْ مؤرّخي الأدب كانوا يشُكّون في صِحّة إسلامه (راجع نفح الطيب ٣: ٥٢٣ - ٥٢٤).

يبدو أن ٱبنَ سهْلٍ بدأ تَلَقّيَ العلمِ وقراءةَ القُرآنِ قبلَ أن يدخُلَ في الإسلام. وقد درَس على أبي عليّ الشَّلَوْبينيّ (ت ٦٤٥ هـ) وعلى أبي الحسن الدبّاج (ت ٦٤٦ هـ).

وتطوّفَ ٱبنُ سهْلٍ بشعرِه بين بَلاطاتِ الأمراء، فلقد كان في قُرطُبةَ (وله وصفٌ في نهرها: الوادي الكبير)، كما مدَحَ صاحبَ مُرسِيَةَ محمّدَ بنَ يوسفَ بنِ هودٍ (٦٢١ - ٦٣٥ هـ). ثمّ ٱنتَقلَ إلى إشبيلية، مَسْقَطِ رأسه، وسَكَنَها إلى أنِ ٱستولى الإسبانُ عليها، سَنَةَ ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م). فٱنتقلَ إلى العُدوةِ الإفريقية (المغرب). وسكن سَبْتَةَ وأصبحَ كاتباً لِواليها أبي عليٍّ بنِ خلاصٍ. وكانا مرّةً في البحر معاً، في عُرْضِ سَبْتَةَ، فغرِقا، سَنَةَ ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) في الأغلب.

٢ - ٱبْنُ سهْلٍ الإشبيليُّ شاعرٌ مُقِلٌّ مُحسن له قصيدٌ وموشّحاتٌ منوّعةٌ أكثرُها في الغزَل، وأكثرُ غزله في غُلامٍ يهوديّ ٱسمُه موسى. وغزلُه رقيقٌ جدًّا، قيل لأنّه «ٱجتمعَ فيه ذُلّانِ: ذلُّ العِشق وذلّ اليهودية». وكذلك له وصفٌ بارعٌ. وأما موشّحاتُه فَهِيَ منوّعةٌ. وجميعُ شِعره سَلِسٌ عَذْبٌ. وله بديعيّةٌ (في مدحِ الرسول)، قيل نَظَمها قبلَ أن يُسْلِمَ.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ سهلٍ الإشبيليُّ في النسيب، وهو من شِعْره الرقيق المشهور:

سَلْ في الظلام أخاكَ البَدْرَ عن سَهَري ؛ تَدْري النجومُ، كما يَدْري الوَرى ، خَبَري .
أبيتُ أهْتِفُ بالشكْوَى وأشربُ مِنْ دمعي وأنْشَقُ رَيّا ذِكْرِكَ العَطِرِ[١] ؛
حَتّى أُخَيَّلَ أني شاربٌ ثَمِلٌ بينَ الرِياض وبينَ الكأسِ والوَتَر[٢] .

- وقال يصف نَهْراً يخترق مرجاً:

الأرضُ قد لَبِسَتْ رِداءً أخْضرا ، والطَّلُّ يَنْثُرُ في رُباها جَوْهرا[٣] .
هاجتْ فَخِلْتُ الزَّهْرَ كافوراً بِها ؛ وحَسِبْتُ فيها التُّرْبَ مِسْكاً أذْفرا[٤] .
وكأنّ سَوْسَنَها يُصافِحُ وَرْدَها ثَغْراً يُقَبِّلُ منه خَدّاً أحْمرا[٥] .
والنهرُ ما بينَ الرِّياض تَخالُه سَيْفاً تَعَلَّقَ في نِجادٍ أخْضرا[٦] .

- ومن بَدِيعِيّة لَهُ يمدحُ فيها الرَّسولَ، وَهِيَ طَويلةٌ:

ورَكْبٍ دَعَتْهُمْ نَحْوَ طَيْبَةَ نِيّةٌ فما وَجَدَتْ إلّا مُطيعاً وسامِعا[٧] .
تُضيءُ من التَّقْوى خَبايا صُدورِهِم وقد لَبِسوا اللَّيْلَ البهيمَ مَدارِعا[٨] .
تكادُ مُناجاةُ النَّبِيِّ مُحَمّدٍ تَنُمُّ بهم مِسْكاً على الشمّ ذائِعا[٩] .

---

(١) هتف فلان: صاح وهو يمدّ صوته. نشق (بفتح فكسر): شمّ. الريّا: الريح الطيّبة.
(٢) أخيّل: أبدو (للناظرين إليّ). الثمل: الذي أثّرت فيه الخمر.
(٣) الطلّ: نقاط الماء المتجمّعة من برد الليل على الأغصان. الجوهر: اللؤلؤ.
(٤) الكافور: طيب أبيض اللون. المسك: طيب أسود اللون. الأذفر: الشديد الرائحة (طيّبةً تلك الرائحة كانت أو كريهة - والمقصود هنا: الرائحة الطيّبة).
(٥) السوسن: الزنبق الأبيض. يشبّه الفم (الأسنان) بالزنبق الأبيض، والخد (لاحمراره: دليل صحّته وجماله) بالورد.
(٦) النجاد: حمالة (بالكسر): سيران من جلد أو نسيج يعلّق بها السيف إلى العنق.
(٧) الركب: الجماعة على الإبل (بكسر فكسر) يسافرون معاً. طيبة (بالفتح): المدينة المنورة.
(٨) البهيم: الذي لا علامة ظاهرة فيه (شديد السواد). المدرع (بكسر فسكون ففتح): الدرّاعة (بالضمّ وتشديد الراء): ثوب من صوف. - لبسوا الليل مدارع: استعانوا على برد الليل بثياب من صوف ثمّ تابعوا سيرهم.
(٩) المناجاة: المخاطبة سرًّا من قرب (أو في الضمير). نمّ: انتشر. ذائع: منتشر.

تَلاقى علـى وِرْدِ اليَقيـنِ قُلوبُهُمْ خَوافِقَ يُذْكِرْنَ القَطا والمَشارعا[١]:
قلوبٌ عَرَفْنَ الحـقَّ فَهْيَ قدِ انْطَوَتْ عليها جُنوبٌ ما عَرَفْنَ المَضاجعا[٢].

- ولابنِ سَهْلٍ هذه الموشّحةُ المَشْهورة التي كَثُرَ تقليدُها في المَغْرب والمَشْرِق:

هَـلْ دَرَى ظَبْيُ الحِمى أنْ قد حَمى قلـبَ صبٍّ حَلَّهُ من مَكْنَس[٣].
فَهْوَ في حرٍّ وخَفْـــــقٍ مِثْلَما لَعِبَـتْ ريـحُ الصَّبا بالقَبَسِ[٤].

★ ★ ★

يـا بُـدوراً أشْرَقَتْ يومَ النَّوى غُرَراً تسْلُـكُ بي نَهْـجَ الغَرَرْ[٥].
مـا لِنَفْسي في الهوى ذنبٌ سِوى منكُمُ الحُسْنـى ومن عيني النظر[٦].
أجْتَـــني اللّـذّاتِ مَكْلومَ الجِوا؛ والتَّـداني من حبيـبي بالفِكَرْ[٧].
كُلَّما أشْكوه وَجْـــــدي بَسَما كالرُّبـى بالعـارِضِ المُنْبَجِسِ[٨]،

---

(١) الورد (بالكسر): مكان الماء (ذهاب الناس إلى الماء للشرب). تلاقى- تتلاقى. القطا جمع قطاة (طائر سريع الطيران). المشرعة: الشريعة (مكان شرب الماء). - يجتمع المسلمون الذاهبون إلى طيبة (المدينة المنوّرة، لزيارة قبر الرسول) بيقين (بإيمان ثابت) خوافق (قلوبهم تخفق من فرحة اللقاء أو الوصول إلى المدينة). يذكرن (يذكّرن - بالضمّ والكاف المشدّدة المكسورة) الناس (بالنصب) بالقطا والمشارع (بطيور القطا وهي مسرعة في طيرانها إلى أماكن الماء).

(٢) قلوبهم موجودة بين جُنوب (جمع جنب) ما عرفن المضاجع: الاستلقاء في الفراش (النوم).

(٣) الحمى: ما يجب على الإنسان حمايته. ظبي الحمى (أجمل أهل الحيّ والذي يحميه أهله من أن تمتدّ إليه عين المحبّ). حمى: منع. الصبّ: المحبّ المشتاق إلى المحبوب. قلب صبّ حلّه (المحبوب الذي حلّ: نزل، ملأ) قلب المحبّ. المكنس (بفتح فسكون ففتح): الكناس (بالكسر): المكان تأوي إليه الظباء (هنا: النساء الجميلات) وغيرها من الوحوش.

(٤) الصبا: ريح الشرق. القبس: النار القليلة المحمولة (ولها لهيب) في عود دقيق.

(٥) النوى: البعاد (بالضمّ)، الفراق. الغرّة (بالضمّ): مقدّم الجبين (كناية عن البياض والجمال). - كلّ محبوب من هؤلاء المحبوبين غرّة (كلّ شيء فيه جميل). نهج: طريق. الغرر (بفتح ففتح): الضلال.

(٦) منكم الحسنى (مؤنّث أحسن): فيكم أحسن (أجمل) ما في جميع الناس.

(٧) أجتني: أجنى: أقطف، أنال (القليل من اللذّات). مكلوم: مجروح. الجوا (يقصد: الجواء جمع جوّ: داخل الشيء): القلب. التداني: القرب. - لذّتي الوحيدة أنّني أفكّر في حبيبي (لأنّني لا أستطيع لقاءه).

(٨) الوجد: الحزن (من الابتعاد عن المحبوب). بسم: ابتسم (انفرجت شفتاه فظهرت أسنانه الجميلة - من غير أن يحدث صوتاً). الربوة: الرابية (الأرض المرتفعة قليلاً تسقى بماء وافر وتتعرّض للريح وللشمس =

إذْ يُقيمُ القَطرُ فيها مأتماً، وهْيَ مِنْ بَهْجَتِها في عُرُسِ [١].

* * *

غالِبٌ لي غالِبٌ بالتُّؤَدهْ؛ بأبي أفْديهِ من جافٍ رَقيقْ [٢].
ما عَلِمْنا مثلَ ثغرٍ نَضَّدهْ أُقْحُواناً عُصِرَتْ منه رَحيقْ [٣].
أخذتْ عَيْناهُ منه العَرْبدهْ؛ وفؤادي سِكْرُه ما إنْ يُفيقْ [٤]
فاحِمُ اللِّمَّةِ معسولُ اللَّمى ساحِرُ الغُنْجِ شَهيّ اللَّعَس [٥].
وَجْهُهُ يتلو «الضُّحى» مُبْتسما، وَهْو مِنْ إعراضِه في «عَبَس» [٦]

* * *

أيُّها السائلُ عن جُرمي لَدَيْهْ، لي جزاءُ الذنبِ وَهْوَ المذنبُ.
أخذتْ شمسُ الضُّحى من وَجْنَتَيْهْ مَشْرِقاً للشمسِ فيه مَغْرِبُ [٧].

= فيكثر نباتها وزهرها). العارض: الغيم المقبل (المملوء بالمطر). المنبجس: المنفجر (المتدفّق) بالماء. - شكواي إليه تجعله يبتسم وتظهر أسنانه فيزداد جمالاً، كما أن المطر يُنبت في الربوة أنواع النبات والأزهار فتزداد بذلك جمالاً.

(١) نزول القطر (المطر) كأنّه دموع المأتم (اجتماع النساء عند الميت - بفتح فسكون). وهي (أي الربى) من بهجتها (من جمالها وفرحها - بما فيها من أنواع الزهر .....).

(٢) التوءدة: التأنّي (أنا شديد الحبّ له ولسرعة لقائه، وهو يضرب لي المواعيد البعيدة أو يتغاضى عن رغبتي). الجافي: الغليظ القاسي.

(٣) نضَّد: رتّب، نسّق. الأقحوان زهر له بتلات بيض (تشبّه بها الأسنان السليمة الجميلة) وقلبه أصفر. الرحيق (السائل الحلو في الزهر تشربه النحل ثمّ تمجّه من فيها فيكون منه العسل). والشاعر يقصد بالرحيق «الخمر».

(٤) عينا المحبوب سكرت من رحيق فمه (راجع الحاشية السابقة). العربدة: السكر الذي يؤذي به السكران من حوله. وفؤادي سكره ما إنْ (إنْ هنا زائدة) يُفيق (وفؤادي لا يفيق من سكره - من نظري إلى جمال فمه ومعرفتي بما في فمه - من غير أن أكون قد ذقته).

(٥) فاحم: أسود. اللمّة (بالكسر): الشعر المجاور للأذن (سواد الشعر كناية عن الشباب). اللمى: سمرة في الشفة (كنية عن الشفاه، وعن الريق). الغنج الدلال، جمال العينين. اللعس: سواد قليل في باطن الشفة (كناية أيضاً عن الريق).

(٦) مطلع السورة الثالثة والتسعين في المصحف: ﴿والضحى (أوّل ارتفاع النهار وامتداد الضياء) والليل إذا سجى (هبط بهدوء وسكن)، ما ودّعك ربُّك (تركك، يا محمّد) وما قلى﴾ (أبغض، أبغضك). ومطلع السورة الثمانين: ﴿عبس وتولّى أن جاءه الأعمى﴾.

(٧) مشرق للشمس (كناية عن بياض وجهه) فيه (في وجههه) مغرب للشمس (كناية عن حمرة خدوده، كالحمرة التي تتركها الشمس على الأفق الغربي إذا هي غربت).

ذهبَ الدمعُ بأشواقي إليْه؛ ولـه خدٌّ بلَحْظي مُذْهَبُ[1]:
يَنْبُتُ الوردُ بلَحظي كُلَّما لاحظْته مُقلتي في الخُلَسِ[2].
ليتَ شِعْري، أيُّ شيءٍ حرّما ذلك الوردَ على المُغترس[3]؟

★ ★ ★

كُلّما أشْكو إليه حُرَقي غادرَتْني مقلتاهُ دَنِفا[4].
تَركتْ ألحاظُه من رَمَقي أثَرَ النَّمْلِ على صُمِّ الصَّفا[5].
وأنا أشْكُرُهُ في ما بَقي، لستُ ألحاه على ما أتْلفا[6].
فَهْوَ عِندي عادلٌ إن ظَلَما؛ وعَذُولي نُطْقُه كالخرسِ[7].
ليسَ لي في الأمرِ حُكْمٌ بعدَما حَلَّ من نَفْسي محلَّ النَّفَس.

★ ★ ★

أضْرمَ النارَ بأحشائي ضِرامْ تتلظّى كُلَّ حينٍ ما تشا.
هِيَ في خَدَّيْهِ بَرْدٌ وسَلام، وَهْيَ ضُرٌّ وحَريقٌ في الحَشا[8].
أتّقي منه على حُكْمِ الغَرام أسَداً وَرْداً وأهْواه رَشا[9]

---

(١) فني دمعي وجفّ من كثرة بكائي (لأنّ حبّي له شديد وهو معرض عنّي). خدّه مذهب (في احمرار من خجله كلّما نظرت إليه).

(٢) يحمرّ خدّه (من الخجل) كلّما نظرت إليه في الخلس (جمع خلسة بالضمّ) مرّة بعد مرّة في غفلة من الذين حولنا.

(٣) أنا الذي أزرع الورد في خدوده (أجعلها تحمرّ من نظري إليها) ثمّ هي حرام عليّ (لا أستطيع أن أقطف منها ما زرعته فيها: أن أقبّلها).

(٤) الدنف: المريض القريب من الهلاك (التلف، الموت).

(٥) الرمق: بقيّة الروح (في الجسد). الصفا جمع صفاة: الصخرة الملساء الصلبة. الصمّ جمع أصمّ وصمّاء. الشيء الأصمّ: الصلب المصمّت (المملوء جوفه). - إنّ مسير النملة على الصخر لا يترك أثراً.

(٦) أشكره في (على) ما بقي (فيّ) من حياة وقوّة. ألحاه (من لحى، يلحى: ذمّ، لعن).

(٧) العذول: الذي يلوم المحبّ على حبّه. كلام عذولي وسكوته سيّان (أنا لن أسمع لوماً في محبوبي من أحد).

(٨) هذه الحمرة التي تشبه النار هي برد وسلام في خدّيه (لا تضرّه)، وهذا اقتباس من القرآن الكريم (٢١ : ٦٩، سورة الأنبياء): ﴿قلنا: يا نارُ، كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾. الحشا: القلب (قلبي).

(٩) أتّقي: أخاف، أجانب. الورد: الأحمر (الأسد الورد: الشديد الضراوة والافتراس). رشأ: غزال

قلتُ، لمّا أنْ تبدّى[1] مُعْلَما، وَهْوَ من ألحاظه في حَرَس[2]:
أيُّها الآخِذُ قلْبي مَغْنما اجْعَلِ الوَصْلَ مكانَ الخُمُسِ[3]!

– من نفح الطيب (٧: ٤٤٥ وما بعد): «من ذلك قولُ أبي اسحاقَ إبراهيمَ بنِ سهلٍ الإسرائيليِّ الإشبيليّ (موشّحةً، ولكنّ) بعضاً ذكَر أنّها من قولِه لمّا أظْهَرَ الإسلامَ، وَهِيَ لا تقتضي رَفْعَ الرّيبة عنه والاتّهام[4]:

جعَل المُهَيْمِنُ حُبَّ أحمدَ شِيمةً[5]
وأتى به في المُرسلين كريمةً[6]،
فغدا هواهُ على القلوب تَميمةً[7]؛

= صغير. – أنا أحبّه كأنّه غزال جميل بريءٌ ثمّ أخافه (أخاف نتائج هجرانه) كأنّه أسد كريه المنظر شديد الضراوة.

(١) تبدّي: ظهر لي (لمّا رأيته). المُعْلَم: الفارس الشجاع القويّ الذي لا يتلثّم في أثناء المعارك (ولا في غير المعارك) لأنّه لا يخاف من خصومه، بل هم يخافونه. ألحاظه الفتاكة (كالسيوف والرماح) تحرسه.

(٢) أنت أخذت كلّ قلبي (سلبتني القدرة على أن أحب محبوباً آخر)، تصدّق علي بوصلك (بالاقتراب منك). مكان الخمس (في الجهاد توزّع أربعة أخماس الغنائم المنقولة بين الأحياء من الذين اشتركوا في المعركة)، ويبقى الخمس الخامس فيكون لآل بيت الرسول (إذ لا يجوز لهم أن يأكلوا من الزكاة والصدقات) وللمحتاجين من سائر المسلمين. وهنا إشارة إلى آية من القرآن الكريم (٨: ٤١، سورة الأنفال): ﴿واعلموا أنّما غَنِمْتم من شيء (في الحرب) فإنّ لله خُمُسَه (للتصدّق على المحتاجين) وللرسول(لنفقة الرسول ونفقة أهل بيته) ولذي القُربى (لأقارب الرسول) واليتامى والمساكين (الذين يكسبون مالاً لا يكفيهم لحياتهم) وابنِ السبيل﴾ (المنقطع عن وطنه لا يملك ما يتابع به طريقه).

(٣) لم يكن المقّري صاحب نفح الطيب على حقّ في إعلان الارتياب بصحّة إسلام ابن سهل، ذلك لأنّ الإيمانَ شيء بين الإنسان وخالقه، ولا يجوز لنا إذا قال إنسان إنّه مسلم أن نردّ قوله، ما لم يكن لنا دليل على أنّ عملاً من أعماله مخالف للإسلام جِهاراً. ولا شكّ في أن الإيمان في الناس على مراتب، فهنالك أفراد إيمانهم أعلى من إيمان أفراد آخرين. غير أن الحكم في ذلك لله وحدَه. ولقد كان في أيام الرسول، صلى الله عليه وسلم، جماعة صحّ الارتياب بإيمانهم فسمّاهم الله «منافقين»، ولم يقل إنّهم كفّار أو غير مسلمين.

(٤) قال إحسان عبّاس في (نفح الطيب ٧: ٤٤٥، الحاشية ٢): لم أجد هذه المخمّسة (الموشّحة) منسوبة لابن سهل الإسرائيلي إلّا في النفح، ولم ترد في ديوانه (طبع صادر ١٩٦٧).

(٥) المهيمن (من أسماء الله الحسنى). أحمد (محمّد رسول الله). شيمة: خلق (بضمّ فضمّ)، العادة (الجميلة).

(٦) كريمة: جوهرة (لؤلؤة) نفيسة (ثمينة، غالية)، فهو خير المرسلين وآخر المرسلين.

(٧) التميمة: الحجاب (ما يعلّق على الأطفال لردّ العين عنهم ومنع الأذى).

وغـــدا هُــداهُ لِهَدْيِهِمْ تَتْمــيما.   صلّوا عليــهِ وسَلّموا تسلــيما[١].

★ ★ ★

أبــــدى جَبـــينُ أبيـــه شاهــدَ نورهِ[٢]،
سَجَعَــتْ بــه الكُهّــانُ قبــل ظُهورهِ[٣]
كالطــــيرِ غرّدَ مُغْرِبــــاً بصفــيرهِ
عن وجـهِ إصباحٍ يُطِلُّ نسيما.   صلّوا عليــه وسلّموا تسلــيما.[٤]

★ ★ ★

اللهُ أوضَــحَ فَضلَــــه فتوضّحــــا،
واللهُ بيّنَ حُبّــــه في «والضُّحــــى»[٥]،
والجِــذْعُ حنَّ لــــه هوًى فتَرَنّحــا[٦]،
والمــاءُ فــاضَ بِكَفِّــهِ تَسْنــيما[٧].   صَلّوا عليــهِ وسَلِّموا تسليمــا.

★ ★ ★

(١) الهُدى (بالضمّ) كالهَدي (بالفتح). في القرآن الكريم (٣٣: ٥٦، سورة الأحزاب): ﴿إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ. يا أيّها الذين آمنوا، صلّوا عليه وسلّموا تسليما﴾.

(٢) في الأخبار أن عبد الله بن عبد المطلّب (والدَ محمّد رسول الله) كان في جبينه نور يتلألأ (وصل إليه من النور الذي وضعه الله في آدم). ثم إنّ امرأة (في الجاهلية) كانت تريد عبد الله، وكان هو يأبى ذلك (وكان في ذلك الحين زوج آمنة والدة محمّد رسول الله). ويقولون (وهذا من الإسرائيليّات الظاهرة أو الخفية) إنّه بعد مدّة (وكانت آمنة قد حبلت بمحمّد) مرّ عبد الله بتلك المرأة فرأت أن النور الذي كان يتلألأ في جبينه قد اختفى (انتقل إلى الجنين في بطن آمنة) فلم ترغب فيه.

(٣) سجع: غنّى، أكثر الكلام (في الشيء).

(٤) «نسيماً» (كذا في الأصل) ولا معنى لها هنا. يجب أن تكون «وسيماً» (جميلاً). ثم إن هذه القافية (نسيماً) تأتي في آخر مخمس من هذه الموشحة.

(٥) حبّه (حبّ الرسول). الضحى (السورة الثالثة والتسعون في المصحف) وهي: ﴿والضحى (أول النهار. والواو للقسم) والليلِ إذا سَجى (نزل، خيّم). ما ودّعك ربّك (تركك، يا محمد). وما قلى (أبغضك). ولَلآخرة خير لك من الأولى (من هذه الدنيا). ألم يجدْك يتيماً فآوى؟....﴾ الخ.

(٦) الجذع جزء من ساق شجرة كان محمد رسول الله يقف عليه ليخطب. فجعل جماعات من الناس يقولون إنهم يسمعون هذا الجذع يحن (يئن حزناً على رسول الله). فقطع عمر بن الخطاب هذا الجذع.

(٧) وفي الاثر أن الجيش عطش مرة ولم يجد ماء ففاض من بين أصابع الرسول ماء شرب منه الجيش حتى =

احْتَـــثَّ في السَّبْـــعِ الطِّبـــاقِ بُراقَـــهُ،
والأرضُ واجفـــةٌ تخـــافُ فِراقَـــه[١].
سُبحـــانَ مَنْ أدْنـــى سُراهُ فَساقَـــه
شخصاً على مَلِكِ المُلوك كريما[٢]. صلّوا عليـــه وسلّموا تسلـــيما.

★ ★ ★

فأُشِمَّ رَيْحـــانَ القُلوبِ الطَّيِّبـــا،
ودنـــا فأُسْمِـــعَ: «يا مُحمّـــدُ، مَرْحبـــا[٣].
إنّي جَعَلْتُـــكَ جـــارَ عرشي الأقربـــا،
إن كُنتُ قَبْلَكَ قد جعَلْتُ كَليما[٤]». صلّوا عليـــه وسلّموا تسلـــيما.

★ ★ ★

يـــا ليلـــةً يَجْري الزمـــانُ فتَسْبِـــقُ،
الحُجْـــبُ فيهـــا والأرائـــج تُفْتَـــقُ[٥].
مـــا كـــانَ مِسْكُ الليـــل قَبْلَـــكَ يعبَـــقُ.

= أرتوى. تسنيم: عين في الجنة (ماء عذب).

(١) احتثّ الدابة: حثّها (حضّها على الإسراع). السبع الطباق (السموات السبع). البراق: دابّة أكبر من الحمار وأصغر من الحصان عظيمة السرعة، إذ تجعل، في كلّ خطوة، حافرها حيث ينتهي بصرها. وعلى البراق كان الإسراء بالرسول من بيت المقدس. الواجف: الخائف المضطرب.

(٢) ملك الملوك: الله سبحانه وتعالى.

(٣) أشمّ (بالبناء للمجهول) أدني منه (جعله الله) يشمّ (بضمّ الشين) ريحاناً (نباتاً ذا رائحة طيّبة). ريحان القلوب (ينعش القلب؟). دنا (اقترب من عرش الرحمن). فأسمع (بالبناء للمجهول: جعله الله يسمع).

(٤) ...إذا كنتُ من قبل قد جعلت موسى يكلّمني (وهو لا يراني)، فقد جعلتك الآن جاراً قريباً جدًّا لعرشي (تسمع وترى).

(٥) الحجب جمع حجاب (دون عرش الرحمن) تفتق (تشقّ ليبصر الرائي من خلال فتوقها: شقوقها). الأرائج جمع أريج وأريجة (رائحة طيّبة). تفتق: يفتح وعاؤها أوّل مرّة (شمّ الرسول في الإسراء رائحة لا عهد للإنسان بها).

بُشرَى، محمّدٌ آستفادَ نسيما[1]. صلّوا عليــــه وسلّموا تسلــــيما.

★ ★ ★

حتّــــــى إذا آقْتَعَــــــدَ البُراقَ لِيَنْزِلا،
نادَتْــــــهُ أسرارُ السَّمَوات العُــــــلا[2]:
«يــا راحِــــلاً وَدّعْتُــــه لا عن قِلَـــى،
ما كان عهدُك بالغُيوبِ ذميما[3]». صلّوا عليــــه وسلّموا تسلــــيما.

٤ - ديوان ابن سهل..... القاهرة ١٢٧٩، ١٢٨٩، ١٢٩٢، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٢٨ هـ؛ فاس (طبع حجر) ١٣٢٤ هـ؛ (أبو حسين القرني)، القاهرة ١٣٤٤ هـ=١٩٦٦ م؛ بيروت ١٨٨٥ م (١٣٠٢ - ١٣٠٣ هـ)؛ القاهرة (المكتبة العربية) ١٩٢٦ م. (قدّم له احسان عبّاس)، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٣ ثمّ ١٩٦٧ م.

- مختارات من ابن سهل، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥٣.

★★ المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل، تأليف محمّد الإفراني المغربي، فاس ١٣٢٤ هـ=١٩٠٩ م.

- ابن سهل الأندلسيّ، تأليف عارف تامر.

المغرب ١: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ فوات الوفيات ١: ٢٩ - ٣٥؛ الوافي بالوفيات ٦: ٥ - ١١؛ القدح المعلّى ١٤٠ - ١٤١؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ نفح الطيب ٢: ٣٠٧ - ٣٠٨، ٣: ٥٢٢ - ٥٢٧، ثمّ هنالك موشّحات لابن سهل ومعارضاتها ٧: ١١،

---

(١) عبق (بفتح فكسر): ظهرت رائحته. مسك الليل (ظلام الليل كلّه، لأنّ المسك أسود): كان الليل كلّه يفوح برائحة طيّبة.... آستفاد نسيماً (أصبح له هو أيضاً رائحة طيّبة تفوح في العالم).

(٢) آقتعد فلان الدابة: ركبها. اقتعد الرسول البراق (لينزل إلى الأرض). أسرار السماوات (كائنات في السماء لا يعرفها الناس). القلى: البغض.

(٣) ما كان عهدك بالغيوب (جمع غيب: وجودك في عالم الغيب، في طبقات السماء) ذميما (مذموماً): لقد كنت في عالم الغيب كأنّك في الأصل من أهله. أو: لقد أسرى بك إلى السماء لأنّك مبرّأ من كل عيب (سلوكك بالغيب، في السرّ، كسلوكك الظاهر في العلن). - راجع القرآن الكريم: ﴿آرجِعوا إلى أبيكم فقولوا: يا أبانا، إنّ آبنك سرق. وما شَهِدنا إلّا بما علمنا، وما كنا للغيب حافظين﴾ (١٢: ٨١، سورة يوسف)، ثمّ ﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله به بعضَهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم. فالصالحات (من النساء) قانتات (مطيعات لأوامر الله ولأزواجهنّ) حافظات للغيب (محافظات على سلوكهن في أثناء غيبة أزواجهنّ) بما حفظ الله﴾ (بما كان الله قد وصّى)..... ثمّ ﴿ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ (١٢: ٥٢، سورة يوسف).

٦١ – ٦٥، ٦٩، ٢٤٦ وما بعد، ٤٤٥ – ٤٧٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٥ – ٩٢٦؛ بروكلمن ١: ٣٢٢ – ٣٢٣، الملحق ١: ٤٨٣؛ نيكل ٣٤٤ – ٣٤٥؛ مختارات نيكل ٢٠٩ – ٢١٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٦ (٤٢)؛ سركيس ١٢٣.

التِيفاشيّ القَفْصيّ

١ – هو شرفُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ يوسُفَ بنِ أحمدَ بنِ أبي بكرِ بنِ حمدونَ ابنِ حجّاجٍ [١] القَيْسيُّ التيفاشي، نِسبةً إلى تيفاش[٢]. وُلِدَ في مدينةِ قَفْصةَ (في غربيِّ القُطرِ التونسيّ)، سَنَةَ ٥٨٠ (١١٨٤ م) وبدأ تعلُّمَه فيها على أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ أبي بكرِ بنِ جعفرٍ المَقْدسي. ثمّ انتقلَ إلى تُونِسَ الحاضرةِ وتابعَ دراستَه في جامع الزيتونة. بعدَئذٍ رَحَلَ إلى مِصْرَ وقرأ على عبدِ اللطيفِ البَغْداديُّ (ت ٦٢٩) ثمّ انتقلَ إلى دِمَشْقَ وقرأ فيها على تاجِ الدين الكِنديّ.

وعادَ التيفاشيُّ إلى تونسَ فولّاه أبو زكريّا يحيى الحَفْصيُّ (٦٢٦ – ٦٤٧ هـ) القضاءَ في قفصةَ. ولكنّه ارتحلَ ثانيةً إلى المشرق. وفي رِحلتِه الثانيةِ ماتتِ امرأتُهُ. ثمّ انكسرَ به المركبُ مرّةً (بعدَ موتِ زوجته) فَغَرِقَ أبناؤه الثلاثةُ وضاعَ ما كان مَعَه من المال.

وتجوّل التيفاشيُّ في المشرق: زارَ العِراقَ وفارسَ ثمّ جاء إلى القاهرة نحوَ سَنَةِ ٦٣٠ (١٢٣٢ – ١٢٣٣ م) وَعَرَفَ نفراً من كِبارِها منهم مُحْيِي الدين محمّدُ بن نادي[٣] وأبو الحسنِ عليُّ بنُ سعيدٍ العَنْسيُّ (وقد أجازَ له روايةَ كتابِ «المُغْرِبِ في محاسنِ المَغْرب») ومُكَرَّم بنُ منظورٍ (ت ٦٥٤) والدُ صاحبِ «لسان العرب» وكانتْ وفاةُ التيفاشي القَفْصي في القاهرة، سَنَةَ ٦٥١ (١٢٥٣ – ١٣٥٤ م).

٢ – كان التيفاشيُّ القفصيّ واسعَ الإحاطة بفنونٍ من الأدبِ والعلمِ وشَاعراً

(١) في «الديباج المذهب» سلسلة نسب أطول. في بروكلمن ١: ٦٥٢، الملحق ١: ٩٠٤ شهاب الدين.

(٢) تيفاش قرية من قرى قفصة (الديباج المذهب ٧٥). وذكر حسن حسني عبد الوّهاب أن تيفاش (الورقات ١: ٤٤٨) في شماليّ عمالة (مقاطعة) قسنطينة في شمالي القطر الجزائري.

(٣) وفي «الورقات» (ص ٤٥٠، ٤٥٥) «ابن ندى».

يَنْهَجُ مَنْهَجَ أدباءِ عصرِه في تكلُّف أوجهِ البلاغة؛ غير أن شِعْرَه نازل على المرتبة المَقْبولة. أما شُهْرَتُه ومكانته فتقومان على مُؤلّفاتِه العديدةِ، وإن كانَ أكثرُها وَثِيقَ الصِّلَةِ جدًّا بالناحيةِ الجنسية الصريحة. وللتيفاشيّ كتبٌ منها: فصل الخطاب في مدارك الحواسّ الخمس لأُولي الألباب[1] - الدرّة الفائقة في محاسن الأفارقة (التونسيّين) - أزهار الأفكار في جواهر الأحجار (لعلّه الأحجار الملوكية، ولعلّه في الأصل من كتاب فصل الخطاب) - سجع الهديل في أخبار النيل - الديباج الخُسْرواني في شرح شعر ابن هاني - درّة اللآلي من عيون الأخبار ومستحسن الأشعار - نزهة الألباب في ما لا يوجد في كتاب (نوادر وأشعار تتعلّق بالجنس) - مطالع البدور في منازل السرور - قادمةُ الجَناح (في معاشرة النساء) - رجوع الشيخ إلى صباه في القوّة على الباه - رسالة في ما يحتاج إليه الرجال والنساء في استعمال الباه ممّا يضرّ وينفع.

٣ - مختارات من آثاره

- من تاريخ الموسيقى في المغرب:

.... كان غِناءُ أهلِ الأندلسِ في القديمِ إمّا بطريقةِ النصارى★ وإمّا بطريقةِ حُداةِ العرب[2]. ولم يكُنْ عندهم قانونٌ يعتمدون عليه إلى أن قامتِ الدولةُ الأموية، وكانتْ مُدّةُ الحَكَمِ الرَبَضِيّ[3]، فوفد عليه من المشرق ومن إفريقِيَةَ التونسية من يُحْسِن صَنْعَةَ التلاحين المدنية[4] وأخذ الناس عنهم، إلى أن وفد الإمام المُقدَّمُ في

---

(١) هذا الكتاب يقع في أربعين جزءاً (نحو ثمانية آلاف صفحة)، وهو مُوسِعة (موسوعة: دائرة معارف) مبنية على الأنواع التي تتناول المعارف الإنسانية المختلفة من مظاهر الطبيعة (الجماد والحيوان) ومن المدارك العلْمية والعمَلية كالطبّ والموسيقى ومن الأحوال الاجتماعية والفكرية كتاريخ الأمم وعلومهم كالفلك وعلم الحجارة الكريمة. وقد اختصر هذا الكتابَ ابنُ منظور مصنّف «لسان العرب». ويمكن أن نعدّ هذا الكتاب سلسلة متوالية في التأليف لأن التيفاشي جعل لكلّ جزء عنواناً مستقلّاً (راجع أيضاً «الورقات»، ص ٤٥٥ - ٤٥٧).

(٢) الحادي: الذي يسوق قوافل الإبل، يقصد بطريقة الحداة «الغناء البدوي».

(٣) الدولة الأموية: الدولة المروانية في الأندلس. الحكم الربضي هو الحكم الأوّل (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) بن هشام بن عبد الرحمن الداخل.

(٤) المُدُنية (بضمّ فضمّ؟): خلاف البدوية. ★ نصارى الأندلس (الأسباك).

هذا الشأن عليٌّ بنُ نافعٍ الملقّبُ بزِرْيابَ غُلامُ إسحاقَ المَوْصِلّي على الأميرِ عبدِ الرحمن الأوسط[١] فجاء بما لم تَعْهَدْهُ الأسماعُ واتّخذ السلطانُ[٢] طريقتَه ونُسِيَ غيرُها إلى أن جاء ابنُ باجّهِ الإمامُ الأعظمُ فاعتكف مُدّةَ سِنينَ مَعَ جَوارٍ مُحْسنات فهَذّب الاسْتِهْلال[٣] والعَمَل ومزج غِناءَ النصارى بغناء المشرق واخترع طريقة الأجدالا(؟)[٤] بالأندلس. وقد مال إليها طبعُ أهلِها ورفضوا ما سواها. ثمّ جاء بعده ابنُ جودي وابن الحمّارة وغيرُهما فزادوا ألحانَه[٥] تهذيباً واخترعوا ما قَدَروا عليه من الألحان المُطربة. وكان خاتمةَ هذه الصِّناعةِ أبو الحسنِ بنُ الحاسرِ المُرْسِيُّ[٦] فإنّه أدْرك فيها عِلْماً وعَمَلًا ما لم يُدْرِكْه أحدٌ. وله في الموسيقى كتاب كبيرٌ في جُملةِ أسفارٍ. وكلُّ تلحينٍ سُمِعَ بالأندلس والمَغْرب في شعرٍ متأخّرٍ فَهُوَ من صَنْعَته.....

– يوم نعيم بين ليلين غيرِ ذلك:

ويومٍ سَرَقْناهُ من الدهر خِلسةً؛ بلِ الدهرُ أهداه لنا مُتَفَضِّلا.
أُشَبِّهُــهُ بــينَ الظَلامــين غُرّةً لحسناءَ لاحَتْ بين فَرْعَيْنِ أُرْسِلا[٧]!

– ذهاب الليل ومجيء الفجر:

---

(١) زرياب (راجع، فوق، ص ٨ في الجزء الرابع). تلميذ إسحاق الموصلي. عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ).

(٢) السلطان: صاحب السلطة (الخليفة، الدولة) - يقصد الغناء الرسمي، في البلاط.

(٣) ابن باجّه (راجع، فوق، ص ٢١٥ في الجزء الخامس). الاستهلال: مطلع الغناء. العمل: منهج الغناء والسير فيه (؟).

(٤) الأجدالا (غير معروفة - وعلامة الاستفهام من الأصل المنقول عنه).

(٥) ابن جودي (؟). ابن الحمارة (ضبطها حسن حسني عبد الوهّاب (الورقات ١ : ٤٥٤) بتشديد الميم. وتركها شوقي ضيف (المغرب ٢ : ١٢٠) مهملة. وكذلك فعل إحسان عبّاس (نفح الطيب ١ : ٢٠٥، ٣ : ٥٩٧، ٤ : ١٣، ١٤٠)، وديدرينغ (الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٢). وابن الحمارة الغرناطي تلميذ ابن باجّه، برع في الألحان وفي نظم الشعر. ويرد هذا الاسم في نفح الطيب مرّة بكنية واسم هما أبو الحسن عليّ وثلاث مرّات أبو عامر محمّد. ولعلّ الاثنين واحد.... في ألحانه (في ألحان ابن باجّه).

(٦) أبو الحسن بن الحاسر المرسي (؟).

(٧) الفرع: الشَّعر. لاحت بين فرعين: ظهر وجهها بين شيء من شعرها في كلّ جانب.

نَبِّهْ نديمَك، إنّ الديكَ قد صَخَبا والليلُ قَوّضَ من تَخييمِه الطُنُبا[1].
والفجر في كَبِدِ الليلِ السّقيمِ حكى سِرَّ المُتَيَّمِ عن أجْفانه غَلَبا[2].
كأنّه، بظلام الليل مُمْتَزِجاً، سَمراءُ تَفْتَرّ أبْدَتْ مَنْسَماً شَنَبا[3].
كأنّما الفجرُ زَنْدٌ قادِحٌ شَرَراً في فَحمةِ الليلِ لاقى الفَحْمَ فالْتَهبا[4].
كأنّ أوّلَ فجرٍ فارسٌ حُمِلَتْ راياتُه البيضُ في آثارِه فكَبا[5].
كأنّ ثانيَ فجرٍ غُرّةٌ وَضَحَتْ تَسيلُ في وجهِ طِرْفٍ أدْهَمٍ وَثَبا[6].

- وصف الزلزال:

أما ترى الأرضَ في زِلزالِها عَجَبا تدعو إلى طاعةِ الرحمنِ كُلَّ تَقي.
أضحَتْ كوالدةٍ خرقاءَ مُرْضِعَةٍ أولادَها دَرَّ ثَدْيٍ حافلٍ غَدَقِ[7].
قد مَهّدَتْهُمْ مِهاداً غيرَ مُضطربٍ وأفْرَشَتْهم فِراشاً غيرَ ما قَلِقِ.
حتّى إذا أبصرَتْ بعضَ الذي كَرِهَتْ مِمّا يَشُقُّ، من الأولادِ، من خُلُقِ[8]،
هزّتْ بهم مَهْدَهُمْ تشا تُنَهْنِهُهُمْ ثمّ استشاطتْ وآلَ الطبعُ للخرَقِ[9]
فصَكّتِ المهدَ غَضبي فَهْيَ لافظةٌ بَعْضاً على بَعْضِهِم من شِدّةِ الحَنَقِ[10].

---

(١) صخب: علا صوته واختلط بغيره (يقصد: صاح). الطنب: خشبات حول الخيمة تشدّ أطراف الخيمة إليها. قوّض: هدم، قلع.

(٢) المتيّم: الذي أمرضه الحبّ. غلبا (كذا في الأصل)، لعلّها «حجبا».

(٣) افترّ: ابتسم فظهرت أسنانه. المنسم: الرائحة الطيّبة (كذا يقصد الشاعر). الشنب: البارد! والشنب (بفتح ففتح): الجميل، الصافي.

(٤) الزند: قطعة من الحديد تقدح (تستخرج) بها النار من الحجر. فحمة الليل: اشتداد سواده.

(٥) أول فجر: الفجر الكاذب (أول ظهور نور الصباح من وراء الأفق) ويكون ضعيفاً. كبا: عثر. - كأنّ الفجر فارس (على حصان أسود؟) تتالت وراءه الرايات البيض حتّى غلبته وغطّت عليه!.

(٦) الفجر الثاني: الفجر الصادق (حينما يعمّ النور وجه الأفق الشرقي ولكن قبل أن تستنير الأرض. الغرّة: مقدّمة الوجه أو الرأس (وتكون بيضاء). تسيل: تمتدّ (تظهر ثابتة). الطِّرف: الحصان. الأدهم: الأسود.

(٧) الخرقاء الحمقاء. الدرّ: اللبن. حافل: مملوء. غدق: كثير.

(٨) شقّ: صعب (بضمّ العين)، أتعب.

(٩) تشا تنهنههم: تشاء أن تكفّهم (تردعهم، تمنعهم) عن السلوك السيّء. آل: رجع. الخرق: الحمق. - ...... غضبت وعاد طبعها إلى الاضطراب (بعد الهدوء).

(١٠) صكّ: ضرب.

- مَنامٌ مُنْذِرٌ بِمُصيبة:

وجرى لي في المَنامِ أمرٌ عجيبٌ في السِّراجِ. وذلك أني رأيتُ[1] كأنّي جالسٌ وبينَ يَدَيَّ ثلاثةُ سُرُجٍ موقودةٌ[2]، وإلى جَنْبي زوجتي وهي تنفُخُ على أحدِ السُّرُجِ لِتُطْفِئَه. فأدْرَكني عليها غَيْظٌ شديد ونَهَيْتُها عن ذلك، فألَحّتْ في النَّفْخ عليه. فاضْطربتُ وقُلتُ لها: إنْ أطْفأتِهِ فأنتِ طالقٌ! فقامتْ فَنَفَخَتْ في السرجِ الثلاثةِ وأطفأتْها. ولم أكُنْ قبلَ ذلك (قد) جرى على لِساني للطلاقِ ذِكْرٌ البَتّةَ[3]، ولا حدّثتُ نفسي بطَلاقِها قَطُّ. وكان لي منها ثلاثةُ بَنينَ. واتّفقَ بعدَ هذه الرؤيا بأيامٍ أنْ مَرِضَتْ فماتتْ. ورَكِبْتُ أنا وأوْلادي الثلاثةُ البحرَ ومَعِيَ مالٌ طائلٌ. فعُطِبَتِ السفينةُ في البحر وغَرِقَ البنونَ الثلاثةُ والمالُ جميعُه. ونَجَوْتُ على لوحٍ مسلوباً[4] من الأهلِ والمال.

٤- أزهار الأفكار في جواهر الأحجار (بيشيا)، فلورانسا ١٨١٨ م؛ حققه يوسف حسن ومحمود بسيوني (المطبعة العامة للكتّاب ١٩٧٧ م).

- نثار الأزهار في الليل والنهار (جزء من «أزهار الأفكار»-اختصره ابن منظور)، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ.

- كتاب الباه في رجوع الشيخ إلى صباه (رجوع الشيخ إلى صباه من القوّة على الباه)، بولاق ١٣٠٩؛ القاهرة ١٣١٦.

- الأحجاز التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء (راجع الأعلام للزركلي).

- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس (هذبه ابن منظور - حققه إحسان عباس)، بيروت (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ١٩٨٠ م.

★★ الوافي بالوفيات ٨: ٢٨٨ - ٢٩١؛ الديباج المذهب ٧٤ - ٧٥؛ الورقات لحسن حسني عبد الوهّاب، ص ٤٤٨ - ٤٦٠ (راجع له أيضاً: مجلّة الفكر - جوان ١٩٥٩ م - ص ٤ - ١٠؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٠٥ - ٢٠٨؛ مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٩: ١٢ (لعبد القادر زمامة)؛ المجلّة الأسيوية ١٨٢٨ م، ص ٥ وما بعد؛ بروكلمن ١: ٦٥٢،

---

(١) أي رأيت فيما يرى النائم.

(٢) كذا في الأصل. والصواب: موقدة (من أوقد): مشتعلة.

(٣) البتّة: أبداً، قط، مطلقاً.

(٤) مسلوباً: مجرّداً ممّا أملك.

الملحق ١ : ٩٠٤؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٥٩ (٢٧٣، راجع الحاشية، ص ٢٧٤)؛ سركيس ١ : ٦٥١ - ٦٥٢.

حُميدٌ الأنصاريُّ

١ - هو أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ عبدِ الله الأنصاريُّ القُرطُبيّ المالَقيّ، أصلُ أهلِه من قُرطُبَةَ وقدِ آنتقلَ جَدُّه لأبيه - الحسنُ بنُ أحمدَ - إلى مالَقَـة. ووُلِـدَ حُميـدٌ الأنصـاريُّ في مالَقَـةَ سَنَـةَ ٦٠٧ للهجرة (١٢١٠ - ١٢١١ م).

سَمِعَ حُميدٌ الأنصاريُّ من أبي الحسنِ بن محمّدٍ الشاريّ[١]. وسمع من كثيرينَ غيرِه في الأندلُسِ والمَغرب والمَشْرق. وكان قبلَ رِحْلتهِ (نحو ٦٤٩ هـ) قد تصدّرَ في بَلَده مالَقَةَ للتدريس فأقْرأَ القُرآنَ وحدّثَ ودرّسَ الفِقه والعربيةَ (النحو).

ورَحَلَ حُميدٌ الأنصاريُّ إلى المشرق بِنيّةِ الحجّ. ويبدو أنّه وَصَلَ أوّلاً إلى الشام (سورية) ثمّ آنتقل إلى مِصْرَ، ولكنّه مَرِضَ في مصر ثمّ تُوُفِّيَ في الثاني والعشرين من ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٦٥٢ (١١/٥/١٢٥٤ م).

٢ - كان حُميدٌ الأنصاريُّ وَرِعاً زاهداً مُتَقَشِّفاً. وقد كان مُقْرئاً للقُرآن مجوِّداً ومُحدِّثاً حافظاً وفقيهاً وماهراً في علم العربية (النحو). ثمّ هو كاتبٌ وشاعر، وشِعرُه كثيرٌ عاديٌّ قاصرٌ على الزُّهد والحِكَم.

٣ - مختارات من شعره

- قال حُميدٌ الأنصاريُّ في الناسِ وأحوالِهم:

مَطالِبُ الناس في دُنْيَاكَ أجناسُ   فآقْصِدْ فلا مَطْلَبٌ يبقى ولا ناسُ[٢].

---

(١) توفّي في رمضان من سنة ٦٤٩. وفي الديباج المذهب (ص ٤٦): أبو الحسن بن محمّد الشارقي (وتكرار «الشاريّ» في الذيل والتذكرة يمكن أن يدلّ على أنّ الشاري أصحّ).

(٢) اقصد: اعتدل.

وآرْضَ القناعةَ مالاً والتُّقى حَسَباً، فما على ذي تُقًى من دهرِه باس[1].
وإنْ عَلَتْكَ رؤوسٌ وآزْدَرَتْكَ، ففي بَطْنِ الثّرى يَتَساوى الرِّجْلُ والراس.

- وقال في الدنيا وأحوالِها:

ولّما رأيتُ الشَّيْبَ بَيّنَ صُبْحُه وليلَ شَبابي قد مَضى لِسبيلِه[2]،
أقَمْتُ على نفسي فناء دليلها، فَصِرتُ بوجهٍ مُعْرِضٍ عن دليلِه[3].
وقالتْ: «تَمَتَّعْ من زَمانك ساعةً، ولا تَبْكِيَنَّ الهَوْلَ قبلَ نُزوله[4]؛
وبادِرْ إلى لَذّاتِ ذاتِك وآغْتَنِمْ طُلوعَ مُحَيَّا البَدْرِ قبلَ أُفولِهِ[5]».
وغَرّتْ وما بَرّتْ، ولكنْ أجَبْتُها: «وكم ناصحٍ لي ما أصَخْتُ لِقِيلةِ[6]»!.

٤ - ** الذيل والتكملة ١: ١٣٨ - ١٤٣ (رقم ٢١٤)؛ الديباج المذهب ٤٦؛ بغية الوعاة ١٣٥؛ نفح الطيب ٢: ٣٧٨ - ٣٧٩.

أبو الخطّاب السكوني

١ - هو أبو الخطّاب محمّدُ[7] بنُ أحمدَ بنِ خليلِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ المَلِك بنِ خلفِ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الله السُّكونيُّ، أصلُ أهلِه من لَبْلَةَ (في جَنوبيّ البُرتغال اليومَ - غربَ إشبيلية). وكان مسكنُه في إشبيليةَ، ثمّ غادَرَها لمّا آستولى عليها

(١) بأس: مشقّة، ضرر.
(٢) بيّن: ظهر. ليل شبابي (شعري الأسود، شبابي).
(٣) .... فناء دليلها (؟).
(٤) الهول: المصيبة المخيفة (الموت؟).
(٥) البدر (المحبوب). الأفول: المغيب.
(٦) غرّت (أي الدنيا أو النفس): خدعت. برّت: وفت بما وعدت، صدقت بما قالت. أصخت: أملت سمعي إليه، سمعت منه. القيل: القول.
(٧) جاء في الذيل والتكملة ذكر ثلاثة إخوة لأبي الخطّاب السكوني اسم كلّ واحد منهم «محمّد» أيضاً. هم أبو الحكم (٥: ٦٣٠، رقم ١١٩٩) وأبو عمر (٥: ٦٣٥، رقم ١٢٠١) وأبو الفضل (٥: ٦٣٦، رقم ١٢٠٢).

النصارى (٦٤٦ هـ). روى أبو الخطّابِ السُّكونيُّ فُنوناً من العِلمِ عن نفرٍ من أهلهِ ثمّ عن نفرٍ آخرينَ منهم: أبو عبدِ الله بنُ زَرْقونٍ (ت٥٨٦ هـ) وأبو جعفرِ بنِ مَضاءٍ (ت٥٩٢ هـ) وأبو عِمرانَ المارتلّيُّ الزاهدُ (ت٦٠٤ هـ) وعبدُ المَلِكِ بن بَدْرونٍ (ت٦٠٨ هـ) وأبو عُمَرَ بنِ عـــاتٍ (٥٤٢ - ٦٠٩ هـ) وأبو الحسن بنُ خَروفٍ (ت٦١٠ هـ) وأبو محمّدِ بنُ حَوْطِ الله (ت٦١٢ هـ) وأبو بكرِ بنُ طَلْحةَ الإشبيليُّ (ت٦١٨ هـ).

وكَتَبَ أبو الخطّابِ السُّكونيُّ، في أيامِ شبابه لِبَعْضِ الأمراء ثمّ تَرَكَ ذلك. وكانتْ وفاتُه عن سِنٍّ عاليةٍ، في العَشْرِ الأواخرِ من شَعْبانَ من سَنَةِ ٦٥٢ (النصف الثاني من آبَ - أغسطس من عام ١٢٥٤ م).

٢ - كان أبو الخطّابِ السكونيُّ حافظاً للحديثِ وفقيهاً وعارفاً بالتاريخ، كما كان مُبرِّزاً في علوم اللُّغة. وكان فصيحاً بليغاً يخطُبُ رَوِيَّةً وآرتجالاً بينَ يَدَي الملوكِ وفي المحافلِ الجُمهوريّة. وله شِعرٌ. غيرَ أنّ شِعرَهُ الواصلَ إلينا عاديٌّ ويَنُوءُ بأشياءَ من الضَّعف.

وكان أيضاً مُصَنِّفاً صَنَعَ بَرنامجاً سَمّاه «التَّذكِرةَ» ضَمّنه التعريفَ بشيُوخه وبمدارِكِهِمُ العِلميةِ وبأحْوالهم وبطُرُقِ أخذهِ عنهم، وقد عَدّ منهم نَيِّفاً وتِسعينَ شيخاً. وكان هذا البرنامجُ ضَخْماً ولكنّه ضاع لمّا غادرَ أبو الخطّابِ إشبيلية.

ولـه أيضاً قصيدةٌ سمّاها «ناظمةَ الفرائض»[1] في عَقْدِ العقائد - الحججُ الإقناعية في المحجورِ إذا استعمل في الخطط الشرعية - النَّفحة الداريّة واللَّمحة البُرهانية في العقيدة السُّنّية والحقيقة الإيمانية. وقد جُمِعَتْ جُملةٌ من رَسائله الإخوانية خاصّةً ومن أشعارِه في كتابِ عُنوانُه «الغُرَرُ والدُّرَر» (جَمَعَه أبو بكرِ بنِ أخيهِ أبي عُمَرَ).

---

(١) في حاشية الصفحة ٦٣٢ (الذيل والتكملة، السفر الخامس): كذا في الأصل. ولعلّها «الفرائد» (إذ الملموح أن هذه القصيدة في العقائد الإيمانية من علم الكلام، بينما «الفرائض»: في المواريث. والفريدة: اللؤلؤة الثمينة النادرة).

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو الخطّابِ محمّدُ بنُ أحمدَ السُّكونيُّ صاحب هذه الترجمةِ في السأَمِ من الأسفار ومن أحوال الزمن وأحوال البشر:

أشكو إلى الله ما لاقَيْتُ من زَمَنٍ ... في غُربةٍ عارضَتْ في مألفِ الوطن[١].
إذا تنكّرَ لي حالا (؟) تنكّرَ لي ... أبنــاؤه وأثـاروا ثائرَ الإحَنِ[٢].
أستغفرُ اللهَ، كم للهِ مِنْ مِنَنٍ! ... لُمْتُ الزمانَ، ولا لَوْمٌ على الزمنِ[٣].
فالأمرُ لله في الحالاتِ أجْمَعِها، ... والكلُّ لولاه لم يُوجَدْ ولم يكُن.
هو الذي خَلَقَ الأشياءَ مُخْتَرِعاً ... فألْمَحْ بلامِحَةِ الألبابِ والفِطَنِ[٤].
وكُنْ مَعَ اللهِ في عِلْمٍ وفي أدبٍ ... مُسْتَوْضِحاً سَنَنَ القُرآن والسُّنَنِ[٥].

- وله في شيءٍ من الجَدَلِ الكلامي (علم الكلام):

بِمَدْرَكِ العقل كلُّ الخلقِ مطلوبُ ... كسباً، ولكنْ لِربِّ الخلق مَنْسوبُ[٦].

مشيئةُ الحقّ في الأكوانِ كائنةٌ ... عِلْماً قديماً، وسِرُّ الغَيْبِ محجوب[٧].
وكلُّ شيءٍ فمَقْدورٌ بقُدْرتِهِ، ... وهو المُسبِّبُ، ما للغيرِ تَسْبيبُ[٨].

---

(١) عارضت في مألف الوطن: حالت دون استقراري في وطني.

(٢) حالا (كذا في الأصل). لعلّ المقصود: إذا تنكّر لي وطني (في حال من أحواله) تنكّر لي (أيضاً) أبناء وطني. الصواب أن يقال: حال. ولعلّ «حالا» خطأ من النسخ (في الأصل المخطوط) أو في أثناء التصحيح (عند الطبع) أو من الإهمال.

(٣) المنّة: المعروف، الفضل (بلا مقابل).

(٤) .... مخترعاً (على غير مثال سابق ومن غير مادّة موجودة من قبل)..... فاعرف ذلك بعقلك.

(٥) السنن (بفتح ففتح): الطريقة، المثال. السنن جمع سنّة (بالضمّ فيهما): عمل رسول الله.

(٦) كلّ الناس مطالبون بأن يعملوا أعمالهم بعد تفكير (وإرادة)، مع العلم بأن الله تعالى هو الذي يجعل الإنسان قادراً على أعماله (هذا الرأي يرجع في علم الكلام إلى أن أعمال الإنسان مكتوبة عليه منذ الأزل، ومع ذلك فهو يباشرها بإرادته (أو على الأقل يكون راضياً بها).

(٧) - كلّ ما يحدث الآن وبعد الآن في العالم هو بإرادة الله القديمة......

(٨) إنّ الله وحده قادر على كلّ شيء، وهو مسبّب (موجد) الأشياء كلّها. ولا يستطيع أحد غيره أن يوجد شيئاً.

فَسَلِّمِ الأمرَ للأحكامِ وَٱرْضَ بها ، فكلُّ حُكْمٍ بصَفحِ اللَّوْحِ مكتوب[١].

٤ - ** الذيل والتكملة ٥: ٦٣٠ - ٦٣٥ (رقم ١٢٠٠).

أبو الحجّاج البيّاسيّ

١ - هو جمال الدين أبو الحجّاجِ يوسفُ بنُ محمّدِ بنِ إبراهيمَ الأنصاريُّ البَيَّاسِيُّ، وُلِـدَ في بَيّاسةَ من كورة جَيّـانَ في ١٤ من ربيـعِ الأولِ من سَنَـة ٥٧٣ (١١٧٧/٩/١٠ م). وقد تَنَقّلَ في البلاد: زارَ إشبيليةَ والجزيرةَ الخضراءَ وغيرَهما ثمّ انتقل إلى تُونسَ ولَزِمَ بَلاطَ أبي زكريّا يحيى الحَفْصيّ (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) ونال عنده حُظْوةً فأجرى أبو زكريّا له راتباً شهْريًّا. وألّفَ البياسيُّ لأبي زكريا كتابَ الإعلام بالحروب الواقعةِ في صدرِ الإسلام. وكانت وفاتُه في الرابعِ من ذي القَعْدة من سَنَة ٦٥٣ (١٢٥٥/١٢/٥ م) في مدينة تونس.

٢ - كان أبو الحجّاجِ البيّاسيُّ أديباً بارعاً مُطَّلِعاً على أقسام الكلام من النظم والنثر، عارفاً بأيّام العربِ وأشعارِها في الجاهليةِ والإسلامِ كثيرَ الحِفْظِ والرواية يحفَظُ النوادرَ والفُكاهاتِ المرويّةَ عن الأندلسيّين ممّا جعله نديماً للملوك. وكان أيضاً عالماً في اللغة. ثمّ هو من أشْياخِ المؤرّخين ومؤرّخُ الأندلس (المغرب ١: ٢٠٥، ٤٢٧، ٢: ٧٣). وهو مصنّف له كتاب الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام (من مقتلِ عُمَرَ بنِ الخطّاب إلى ثورة الوليد بن طَرِيفٍ الخارجي على هرونَ الرشيدِ ببلاد الجزيرة الفراتية). - ذيل على تاريخ ابن حيّان - الحماسة المغربية (انتهى من تأليفها في مدينةِ تُونسَ، في آخرِ شوّالٍ من سَنَةِ ٦٤٦). وله ذيلٌ على كتاب «المتين» (في التاريخ)، لأبي مَرْوانَ حيّانَ بنِ خلفِ بنِ حيّانَ (ت ٤٦٩ هـ)، وكان ٱبن حيّانُ قد ألّف هذا الكتابَ في عشرةِ أجزاءٍ وجعَلَه قاصراً على أحداثِ عصره (نفح الطيب ٣: ١٨١).

(١) كن راضياً بالأحكام (بما يحكم عليك الله به في هذه الدنيا)، إذ لا فائدة من الاعتراض عليها فإنّها مكتوبة (عليك) في صفحة اللوح المحفوظ (في السماء، منذ خلق الله السماء والأرض).

٣ - المختار من آثاره

- من مقدّمة كتاب الحماسة المغربية:

..... أما بعدُ، فإنّي قد كُنتُ في أوانِ حَداثتي وزمانِ شَبيبتي ذا وُلوعٍ بالأدب ومحبّةٍ في كلامِ العرب. ولم أزلْ مُتَتَبّعاً لِمعانيهِ ومُفتّشاً عن قواعده ومَبانيه إلى أن حَصَلَتْ لي جُملةٌ منه لا يَسَعُ الطالبَ المُجْتَهِدَ جَهْلُها، ولا يَصْلُحُ بالناظرِ في مِثْلِ هذا العلمِ إلّا أنْ يكونَ عنده مِثْلُها. وحَمَلَتْني المحبّةُ في ذلك العلم والوُلوعُ به على أن جَمَعْتُ ممّا آخْتَرْتُهُ وآسْتَحْسَنْتُهُ من أشعار العرب جاهِلِيّها ومُخَضرَمِها وإسْلامِيِّها ومُوَلَّدِها(١) ومن أشعار المُحْدَثين من أهْلِ المشرق والأندلس وغيرِهم ما تَحْسُنُ به المُحاضرة وتَجْمُلُ عليه المناظرة(٢).

ثمّ إنّي رأيتُ أنّ بَقاءَها دونَ أنْ تَدْخُلَ تحتَ قانونٍ يَجْمَعُها وديوانٍ يُؤَلِّفُها مُؤذِنٌ بذَهابِها ومُؤدٍّ إلى فَسادها. فرأيتُ أن أضُمَّ مُختارَها وأجمَعَ مستحسنَها تحتَ أبوابٍ تُقَيِّدُ نافرَها وتَضُمُّ نادرَها. فنظرتُ في ذلك فَلَمْ أَجِدْ أقربَ تبويباً ولا أحسن ترتيباً ممّا بَوّبه ورَتّبه أبو تمّامٍ حَبيبُ بنُ أوسٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى في كتابهِ المعروف بكتاب الحَماسة ولا أحسنَ منَ الاقْتداء به والتَوَخّي لمذهبه لِتَقَدُّمِه في هذهِ الصِّناعة وآنفرادِه منها بأوفرِ حظٍّ وأنْفَسِ بِضاعةٍ. فَآتَّبَعْتُ في ذلك مَذْهَبَهُ ونَزَعْتُ مَنْزِعَه، وقَرَنْتُ الشِّعر بما يُجانِسه ووَصَلْتُه بما يُناسبه. ونَقّحْتُ ذلك وآخْتَرْتُه على قَدْرِ آستطاعتي وبلوغِ طاقتي وجُهدي....

- وله هجاءٌ فيه مُجونٌ في غُلامٍ يُحبّه كان يقرأُ عليه ثمّ شبّ، قاله يخاطب آخَرَ:

قَدْ سَلَوْنا عن الذي تَدْريهِ وجَفَوْناه إذ جَفا بالتِّيهِ؛

---

(١) الشعر المخضرم هو الذي نظمه شاعر عاش في الجاهلية والإسلام. والشعر المولّد هو الشعر العبّاسيّ لأنّ عدداً كبيراً من الشعراء العبّاسيّين كانوا مولودين بين أب عربي وأم غير عربيّة، أو لأنّ معانيه كانت مولّدة (مبتكرة أو منظوراً فيها إلى المعاني التي كانت عند غير العرب).

(٢) المحاضرة كلام القوم الذين يحضرون مجلساً واحداً ويتناول الحاضرون فيه كلاماً وأخباراً ممّا يحضُرُهم ومن مُتناول أيديهم وذاكرتهم. والمناظرة: المباحثة في أمر بالمحاجّة (بإقامة الحُجج) ومحاولة كلّ مناظر أن يتغلّب بالحُجّة على مناظره.

وتَرَكْنـــــاهُ صاغِراً لأُنــــاسٍ خَدَعوه بالزُّورِ والتَّمْـويه:
لِمُضِـــلٍّ يَهْديـــهِ نَحوَ مُضِــلٍ وسفيـــــهٍ يَقُودُه لِسَفيـــــهِ!

٤-★★ المغرب ٢: ٧٣؛ القدح المعلّى ٩٤-٩٥؛ وفيات الأعيان ١: ٢٣٣، ٧: ٢٣٨-٢٤٤ (وفيها مختارات كثيرة من كتاب الحماسة المغربية)؛ نفح الطيب ٣: ١٨١، ٣١٦-٣١٧؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦٢؛ بروكلمن ١: ٤٢٤، الملحق ١: ٥٨٨-٥٨٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٩-٣٣٠ (٨: ٢٤٩).

محمّد بن عبد الله المرسيّ

١ - هو شرفُ الدينِ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ أبي الفضلِ السُّلَمي المُرسيّ، وُلِدَ في مُرْسِيَةَ في أوّلِ سَنَةِ ٥٧٠ (صيفِ ١١٧٤) أو آخرِ ٥٦٩. قرأ القرآنَ على أبي الحسينِ محمّدِ بنِ غَلْبونِ المُرسيّ، وسَمِعَ النحو من أبي الحسنِ عليِ بنِ يوسفَ بنِ شريكٍ الدانيّ والطيّبِ بنِ محمّدِ بنِ الطيّبِ والشَلوبينِ وتاجِ الدين الكِنْدي، وسَمِعَ الموطّأ في المَغْرب من الحافظ أبي محمّدٍ عبدِ الله بنِ محمدِ بن عبيد الله الحِجْري.

وبعدَ أن تطوّفَ في الأندلسِ والمَغْربِ في طَلَبِ العلم رَحَلَ، سَنَةَ ٦٠٧ وحَجّ وتطوّفَ في الحِجاز والشامِ والعِراق ومِصْرَ وخُراسانَ يَزدادُ عِلماً أو يتصدّرُ للتدريس[1]. وفي سَنَةِ ٦٢٤ انتقلَ إلى مِصْرَ. وقد كانتْ وفاتُه في عَريشِ مِصْرَ، وَهُوَ مُتوّجهٌ إلى دِمَشْقَ، في خامسَ عَشَرَ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٦٥٥ (١/٤/١٢٥٧ م)[2].

٢ - كان مُحمّدُ بن عبدِ اللهِ المُرسيّ مُفَسِّراً ومُحَدِّثاً وفقيهاً، كما كانت له مُشاركةٌ في شيءٍ من الهَنْدسةِ المُستوية[3] وفي عِلْمِ الكلام. وكذلك كان أديباً ناثراً وناظماً

---

(١) راجع معجم الأدباء ١٨: ٢١٠، ٢١١؛ بغية الوعاة ٦١.

(٢) في بروكلمن (الملحق ١: ٥٤٦): في ٣/ ٤/ ١٢٥٧ م.

(٣) في معجم الأدباء (١٨: ٢١١، راجع بغية الوعاة ٦١): «وكان نبيلاً ضريراً يحلّ بعض مشكلات أقليدس». وهذا مستغرب لأنّ الأعمى لا يستطيع معالجة المسائل القائمة على الأشكال (إلاّ إذا كانت كلمة «ضرير» خطأً في النسخ). ومع أن الصفدي قد ترجم له في الوافي بالوفيات (٣: ٣٥٤ - ٣٥٥) فإنّه لم يذكره في نكت الهميان في نكت العميان.

وعالماً بالنحو. وكانتْ له تصانيفُ كثيرةٌ وَرَدَ له منها: ريّ الظّمآن في تفسيرِ القرآن (كبير جدًّا في عشرين جزءاً، قَصَدَ منه أن يَرْبِطَ عند التفسير بين الآيات) - التفسيرُ الأوسط (عشرةُ أجزاء) - التفسيرُ الصغير (ثلاثة أجزاء) - مختصرُ صحيحِ مُسْلم - كتابٌ في أُصول الفِقه والدين - كتاب في البديع والبلاغة - الإملاء على المُفَصَّل (للزَمَخْشري) - الضوابطُ النحوية في علم العربية - الكافي في النحو - تعليقٌ على المُوطّأ. وله عددٌ من التعاليق أيضاً في فنون مختلفة.

٣ - مختارات من شعره

- قال محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ المُرسيّ في الثّقَةِ بعَفْوِ الله:

قالوا: محمّدُ، قد كَبِرْتَ - وقد أتى ... داعي المَنونِ - وما اهْتَمَمْتَ بزادِ(١)!
قلتُ: الكريمُ - مِنَ القبيحِ لضَيْفه ... عندَ القُدومِ مَجيئُه بالزاد.

- وقال في الغزل:

قالوا: فلانٌ قد أزال بهاءَهُ ... ذاك العِذارُ، وكان بَدْرَ تَمامِ(٢).
فأجَبْتُهُم: بل زادَ نورُ بهائِه، ... ولذا تَضاعَفَ فيه فَرْطُ غَرامي.
واستَقْصَرَتْ ألحاظُهُ فَتَكاتِها ... فأتى العِذارُ يُمِدُّها بسِهام(٣).

- وقال في أنّ النَجاة (يومَ القيامة) تكون باتّباع كتابِ الله وسُنّةِ رَسولهِ:

من كان يرغَبُ في النجاة فما له ... غيرُ اتّباعِ المُصطفى فيما أتى(٤).
ذاك السبيلُ المُستقيمُ، وغيرُه ... سُبْلُ الغَوايةِ والضلالة والرَّدى(٥).

(١) محمّد (منادى: يا محمد). المنون: الموت. الزاد (هنا): التقوى والأعمال الصالحة التي تنفع الإنسان في الآخرة. في القرآن الكريم (٢: ١٩٧، البقرة): ﴿وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى﴾.

(٢) بهاؤه: جماله. العِذار: الشعر النابت في الوجه. كان بدر تمام: كان وجهه قبل أن ينبت شعر وجهه أبيض كلّه (يشبه البدر)...

(٣) - مع تقدّمه في الشباب خفّ السّحر في عينيه فعُوِّضَ من ذلك الشَّعرَ الذي يبدأ فينبت في وجهه (وكانوا يَرَوْنَ أنّ بدء نبات الشعر في الوجه يزيد في الجمال).

(٤) المصطفى: محمّد رسول الله. فيما أتى به محمّد رسول الله.

(٥) الردى: الموت، الهلاك.

فاتْبَــعْ كِتــابَ اللهِ والسُّنَنَ الـتي صحّتْ فذاك إذا اتَّبعتَ هُوَ الهُدى[1]

ودَعِ السؤالَ بكَمْ وكيفَ؟ فإنّه بـابٌ يَجُرُّ ذوي البَصيرة للعمى[2].

الــدينُ مـا قـالَ النـبيُّ وصَحْبُــهُ والتابعون ومَنْ مَناهِجَهم قَفـا[3].

٤ - ★★ معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٩ - ٢١٣ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣٥٤ - ٣٥٥ ؛ بغية الوعاة ٦٠ - ٦١ ؛ نفح الطيب ٢ : ٢٤١ - ٢٤٢ ؛ بروكلمن ، الملحق ١ : ٥٤٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١١٠ (٦ : ٢٣٢).

ابن الجنّان الأنصاري

١ - هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ القيسيُّ المعروفُ بابنِ الجنّان[4] الأنصاريٌّ من أهلِ المَرِيّة. أخذَ آبْنُ الجنّان الأنصاريُّ العلمَ عن نَفَرٍ منهم: أبو الحسن سهلُ بنُ مالكٍ وأبو بكرٍ عزيزُ بنُ عبدِ الملك القيسيُّ المُرسيّ (ت ٦٣٦ هـ) والمعروفُ بآبْنِ خطّابِ النَّحْوي (نفح الطيب ١ : ٢٢٢) ثمّ عبدُ الله بن عبدِ الحقّ بنِ قطرالٍ المُتوفّى أيضاً سَنَةَ ٦٣٦ للهجرة (راجع نفح الطيب ٥ : ٢٥٦ و٧ : ٤١٦) ثمّ أبو الربيع بنُ سالمٍ وأبو عيسى بنُ السدّادِ ثمّ أبو عليٍّ الشَّلَوْبينيُّ (ت ٦٤٥ هـ).

واتّصل آبنُ الجَنّانِ الأنصاريُّ بالمتوكّلِ محمدِ بنِ يوسفَ بنِ هودٍ صاحبِ مُرسيةَ (٦٢١ - ٦٣٥ هـ). فلمّا استولى الإسبانُ على مرسيةَ (٦٤٠ هـ) انتقلَ إلى أوريولة. ثمّ جاءته دعوةٌ من ابن خلاص صاحبِ سَبْتَة (المغرب) فآنتقل إلى سبتة. ثمّ انتقل إلى

---

(١) كتاب الله: القرآن الكريم. السنن (جمع سنّة): العمل الذي كان الرسول يقوم به، والأحاديث التي كان يقولها.

(٢) في الحياة أمور مغيّبة (وراء الحسّ الإنساني) لا فائدة من محاولة معرفتها؛ والبحث عن أسبابها وكيفيّاتها يزيد في غموضها وفي حيرة الباحث.

(٣) الصحب والصحاب: الذين عاشوا في زمن الرسول وعرفوه وصحبوه. التابعون: الذين لم يَرَوُا الرسول، ولكن رأوْا صَحبه. قفا يقفو: تبع.

(٤) اختار خير الدين الزركلي أن يسمّي ابن الجنّان هذا (الأعلام ٧ : ٢٥٦ = ٧ : ٢٩) ابن الجيّان بالياء بنقطتين تحتها. راجع تعليقه.

بِجاية. وفي بِجاية مَرِضَ ثمّ تُوُفِّيَ نحو ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م).

٢- كان ابنُ الجنّانِ الأنصاريُّ من العلماء بالحديثِ والفِقه، كما كان أديباً وخطيباً بارعاً وكاتباً مترسّلاً وشاعراً مُحسناً. وفنونُ شعرِه الزُّهد والمواعظ والبَديعيّات (القصائدُ في مدحِ الرسول) والألغازُ. والسهولةُ والعذوبةُ تَغْلبانِ على شِعره. ونثرُه متينٌ حَسَنُ الصِّناعة. وله موشّحاتٌ.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ الجنّانِ الأنصاريُّ (في مرضِه الذي تُوُفّي فيه) يرجو رحمةَ الله:

جَهِلَ الطبيبُ شِكايتي؛ وشِكايتي ... أنّ الطبيبَ هو الذي هو مُمْرِضي[1].
فإنِ ٱرتضي بُرْئي تَدارك فَضلُه، ... وإنِ ٱرتضي سَقَمي رَضيت بما رَضِي.
ما لي اعتراضٌ بالذي يَقْضي به، ... لكنْ لِرَحْمتِه جعَلْت تَعرُّضي[2].

- وقال في الشفاعة برسولِ الله:

أيَذْهَبُ يومٌ لم أكُفِّرْ ذنوبَه ... بذِكْرِ شفيعٍ في الذنوب مُشَفَّعِ[3].
ولم أقْضِ في حَقّ الصلاةِ فريضةً ... على ذي مَقامٍ في الحِساب مُرفَّعِ[4].
أَرَجّي لَدَيْهِ النفْعَ في صِدقِ حُبِّه، ... ومن يَرْتَجِ الُمختارَ لا شكّ يُنْفَعِ[5].
وأهدي إلى مثواه منّي تحيّةً ... إذا قصدت باب الرضا لم تُدَفَّعِ.

---

(١) الطبيب (في الشطر الأوّل): الحكيم الذي يداوي الناس. الشكاية: المرض. الطبيب (في الشطر الثاني): الله.

(٢) - مع أنّ الإنسان المؤمن لا يجوز له أن يعترض على أحكام الله، فإنّ ذلك لا يمنع من أن يتعرّض (يتصدّى، يتوجّه) الإنسان في طلب الخير من الله.

(٣) الشفيع المشفّع يوم القيامة محمّد رسول الله (ولكنّه يشفع بعد إذن الله له بذلك). ففي القرآن الكريم (٣٢: ٤، سورة السجدة): ﴿ما لكم من دونه (من دون الله) من وليّ ولا شفيع﴾ ثمّ (٢: ٢٥٥، سورة البقرة): ﴿من ذا الذي يشفع عنده (عند الله) إلاّ بإذنه؟﴾.

(٤) ذو مقام في الحساب (يوم القيامة) مرفع (عالي المقام): محمّد رسول الله.

(٥) المختار (محمّد رسول الله).

- الموشّحة المشهورة.

هذه الموشَّحةُ بديعيّةٌ في مدحِ الرسول وذكر فضائلهِ ومُعْجزاتهِ. وهي مشهورةٌ جِدًّا لا تزالُ إلى اليوم تُسْمَعُ في المُناسبات الدينية. ولقد كانتْ شُهرتُها مُنذُ أيامهِ هو واسعةً جِدًّا عارضَها أو قلّدها شُعراءُ كثيرون[١]. من هذه الموشّحة.

اللهُ زادَ مُحمّـــــــــــداً تكريـــــــــا
وحبـــــاهُ فضـــــلاً من لَدُنْـــــهُ عظـــيما[٢]
واختَصّـــــــهُ في المرسلـــــينَ كريـــــا
ذا رأفـــةٍ بالمُؤمنـــين رحيمـــا. صَلّوا عليـــه وسلّموا تسليـــما[٣].

★ ★ ★

حـــــــازَ المحامـــــــدَ والمَادِحَ أحمدُ[٤]،
وزكَـــــتْ مَناسِبُهَ وطـــــابَ المَحْتِـــدُ[٥].
وتأثّلـــــــت عَليـــــــاؤه والسُّؤدَدُ[٦]
مجـــداً صمـــياً حادثـــاً وقديما. صلّوا عليـــه وسلّموا تسلـــيما[٧].

★ ★ ★

فخرٌ لآدمَ قـــــــد تقـــــــادمَ عصرُهُ
من قبـــــلِ أن يُـــــدْرَى ويَجْرِيَ ذِكْرُهُ.
سِرٌّ طواه الطِّـــــــــــــــــينُ فَهُمَ نشرُهُ

---

(١) راجع نفح الطيب ٧: ٤٣٢ - ٥١٩ (في أماكن كثيرة متتالية ومتفرّقة).

(٢) حباه: أعطاه. من لدنه: من عنده (لا تقال إلاّ في الله).

(٣) راجع التعليق في ترجمة ابن سهل الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ) على «صلّوا عليه وسلّموا تسليما».

(٤) أحمد (محمّد رسول الله).

(٥) زكا: طاب، طهر. المنسب (القرابة. والمناسب: أصول الفرد وآباؤه). المحتد: الأصل (الكريم) والطبع (السليم).

(٦) تأثّل: ثبت، عظم. السؤدد (والسودد، أيضاً): السيادة.

(٧) الصميم: وسط الشيء، الخالص النقيّ من كلّ شيء (خيراً أو شرًّا).

معنــى السجودِ لآدمٍ تفهيما[1]. صلّوا عليــه وسلّموا تسليمـا.

★ ★ ★

آياتُـــهُ بَهَرَتْ سنـــاً وسنــاءَ[2]

وأفـــادَتِ القَمَرينِ منــه ضِيــاء[3]

وعَلَـــتْ بأعـــلامِ الظُّهورِ لِواءَ[4]

فَهَـدى بـِهِ اللهُ الصِّراطَ قويما. صلّوا عليــه وسلّموا تسليمـا.

★ ★ ★

دَنَـــتِ النُّجومُ الزُّهْرُ يومَ وِلادتِـــهْ،

ورأتْ حليمــةُ آيـــةً لسِيادتِـــهْ.

وتحدّثـــتْ سَعْـــدٌ بذِكْرِ سَعادتِـــهْ

فتَفاءلوا، نِعْمَ اليتـيمُ يتـيما[5]. صلّوا عليــه وسلّموا تسليمـا.

★ ★ ★

مـــا زال بُرهـــانُ النبِيّ يلوحُ:

يغـــدو بـــه الإعجـــازُ ثمّ يروحُ،

(١) في الأخبار المرويّة أنّ «محمّداً» (صلّى الله عليه وسلّم) كان موجوداً قبل آدم أبي البشر. وفي هذه المخمّسة أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم (راجع القرآن الكريم، مثلاً، ٢: ٣٤، سورة البقرة) لأنّ «النطفة» التي نشأ منها «محمّد» كانت موجودة في آدم منذ ذلك الحين (وهذه أقوال مخالفة لما ورد في القرآن الكريم، في أماكن كثيرة).

(٢) الآية: العلامة، المعجزة التي يختصّ الله بها بعض خلقه دون بعض (انقلاب العصا حيّة كان آية لموسى). بهر: أدهش، حيّر، غلب، ستر (الأشياء المماثلة). السنا: ضوء البرق. السناء: العلوّ، الرفعة.

(٣) القمران: الشمس والقمر.

(٤) العلم: الجبل. الظهور جمع ظَهر: رأس الجبل. اللواء: الراية (يسير بها الرجل فيتبعه الناس). وعلت....: فاق (محمّد) برسالته جميع الذين جاءوا قبله.

(٥) دنا: اقترب. الزهر: اللامعة. حليمة السعديّة: مرضعة رسول الله. سعد (بنو سعد: قبيلة حليمة السعدية) - في هذه الأشطر علامات ينسبها الشاعر (كما نسب نفر كثيرون مثلها) إلى ولادة الرسول (وليست من الأخبار الصحاح - وقد قال الرسول: أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد: اللحم المجفّف).

حتّـــى أتـــاه بعـــدَ ذاك الروحُ[1]
يُوحي لـه وَحْيَ الآلـهِ حكيما.   صلّوا عليـــه وسلّموا تسلـيما.

★ ★ ★

بَرَكاتُـــهُ أرْبَـــتْ عــلى التَّعْــدادِ [2]
كم أطْعَمَـــتْ من حاضِرينَ وبــادِ
من قَصْعَـــةٍ أو حَثْيَـــةٍ من زادِ
رِزْقـاً كريماً للجيوشِ عَميما[8]!   صلّوا عليـــه وسلّموا تسلـيما.

★ ★ ★

والجِـــذعُ حنَّ لـــه حَنـــينَ الوالــهِ[3]،
يُبـدي الـذي يُخفيـه من بِلْبالـهِ[4].
أفـــلا يَحِنّ مُتَيَّمٌ بجَمالـــهِ[5]
يشتـاقُ وجهـاً للنـبيّ وَسيما[6]؟   صلّوا عليـــه وسلّموا تسلـيما.

★ ★ ★

ذاك الشفيـــعُ مَقامُـــه محمودُ،

---

(١) برهان النبيّ...: ما عهده معاصروه من صدقه وأمانته واهتمامه بخير قومه. الروح: جبريل.
(٢) أربى: زاد. الحاضر: الساكن في المدينة. البادي: الساكن في البادية. القصعة: وعاء صغير يوضع فيه الطعام. الحثية (ليست في القاموس). الحثي: ما يؤخذ (من الأشياء) باليد: مقدار كفّ (شيء قليل).
(٣) العميم: الجمع الكثير.
(٤) كان في صدر مسجد الرسول في المدينة جذع (قطعة من ساق شجرة ضخمة) كان الرسول يقف عليه ليخطب في المسجد. فبعد وفاة الرسول أخذ نفر من الناس يأتون إلى هذا الجذع للتبرّك به ثمّ يقولون إنّهم يسمعون منه حنيناً (صوتاً يدلّ على الشوق والحزن) كحنين الواله (الشديد الحزن، المتحيّر). فقطع عمر بن الخطاب هذا الجذع لأنّه قدّر أن سلوك نفر من الناس عند هذا الجذع يدلّ على الوثنية.
(٥) البلبال: اضطراب العقل وتحييره بأفكار مختلفة تخطر له.
(٦) المتيّم: الذي أمرضه الحبّ.
(٧) الوسيم: الجميل.

ولِواؤه بِيَـــــــدِ العُــــــــلا معقودُ.
فـــــإذا توافـــــتْ للحِساب وفُودُ[1]،
قالوا: تقـدّمْ بالأنـــام زَعيما. صلّوا عليـــه وسلّموا تسلـــيما.

★ ★ ★

فيقومُ بالبـــــابِ العَليِّ ويسجُـــــدُ،
ويقولُ: يـــــا مَوْلايَ، آنَ المَوْعِـــــدُ[2].
فيُجـــابُ: قُــلْ يُسْمَــعْ إليــكَ، مُحَمّـــدُ!
ونُريــكَ مِنّــا نَضْرةً ونَعيـما[3]. صلّوا عليـــه وسلّموا تسلـــيما.

★ ★ ★

أعْظِمْ بِعِزِّ مُحمّـــــدٍ وبجاهِـــــــهِ.
أكْرِمْ بـــــه مُتَوَسِّلا لإلَهـــــــهِ[4].
شَرِبَـــتْ كِرامُ الرُّسْلِ فَضْــلَ مِياهِـــه[5]
فغَــدَتْ تُعَظِّمُ حَقَّــه تعظـيما. صلّوا عليـــه وسلّموا تسلـــيما.

★ ★ ★

يــــــا سامِعي أخبـــــارِه ومَفاخِرهْ
ومُطالـــعي آثـــارِه ومـــآثِرهْ[6]
ومُؤمّـــــــــلي وافي الثوابِ ووافِرهْ،
إنْ شِئتُمُ فَوْزاً بــذاك عظـيما، صلّوا عليـــه وسلّموا تسلـــيما.

---

(١) للحساب: ليوم الحساب (يوم القيامة) وفود الأمم المختلفة (من أتباع الأنبياء).

(٢) فيقوم (يقف) بالباب العليّ (بين يَدَيِ الله). آن: قرب، حلّ. الموعد: الوعد (وعد الله بتفضيل أمّة محمّد على غيرها من الأمم، ففي القرآن الكريم: ﴿كنتم خير أمّة أُخرجت - بالبناء للمجهول - للناس »).

(٣) النضرة (هنا) تلألؤ الوجه من نشاط أو سرور.

(٤) توسّل الرجل: طلب شيئاً (ممّن هو فوقه) مع الرجاء.

(٥) شربت الرسل فضل مياهه (إنائه): كانت رسالاتهم جزءًا من رسالته

(٦) المأثرة (بضمّ الثاء المثلّثة): المكرمة (العمل الكريم) المتوارثة.

- من وصيّةٍ كتبها ابنُ الجنّان الأنصاريُّ على لسانِ ابنِ هودٍ[١] إلى أوْلادِه وعُمّاله الموظّفين في دولته).

.... إنّا - واللهُ المُرشدُ - لَنَعْلَمُ أنّ الأمرَ الذي قَلّدَنا اللهُ تعالى منه ما قلّدَه، وأسْنَدَهُ إلينا مِن أُمورِ خلقهِ ما أسْنَدَهُ، قد ألْزَمَنا من حُقوقهِ الواجبةِ وفُروضهِ الراتبةِ ما لا يُستَطاعُ إلاّ بمعونتهِ أداؤُه[٢]، ولا يَسْتَتِبُّ إلاّ بتوفيقِ اللهِ تعالى انتهاؤه وابتداؤه. فَهُوَ المشكورُ عَزَّ وجَلَّ على نِعمتهِ والمُستَعانُ على ما يُدني من رِضاه ويُقرِّبُ من رَحمته. وإنّ كلَّ امرِئٍ بشأنهِ مشغولٌ، وعن خُوَيصِيّةِ[٣] نفسهِ مسؤول. ونحنُ بما اسْترعانا اللهُ تعالى مشغولون، وعن الكبير والصغير مسؤولون. وعلينا النصيحةُ للهِ في عبادِه وبلادِه، والنظرُ لهم بمُنتهى جِدّ المُجتهد واجتهادِه. ولا قوّةَ إلاّ باللهِ عليه توكّلْنا، وبهِ إليه توسّلْنا[٤]. فعَيْنُنا تسهَرُ لِتنامَ للرعيّةِ عُيونُهم، وتَحرُّكُنا يتّصلُ لِيَحْصُلَ لهم سُكونُهم. وأمَلُنا ألاّ نُقرَّ فيهم بحولِ اللهِ تعالى ظُلماً ولا هَضْماً[٥]، ولا نَخْرِمُ لهم في إقامةِ حقوق الله ما ٱستَطَعْنا نَظْماً. وأنّى[٦] يَنْصَرِفُ، عن هذا القَصْدِ بعملهِ ونِيّتِه، مَنْ يَعْرِفُ أنّ الله جلَّ جلالُه لا يُجَوِّزُ ظُلْمَ ظالمٍ في بَرِيَّتِه[٧]. ولَعَلَّ اللهَ الذي حمّلَنا ما حمّلَنا، واستَعْمَلَنا بمشيئتهِ فيما استعمَلَنا، أنْ يَهَبَ لنا توفيقَه ويَسْلُكَ بنا إلى هُداه طريقَه.

- ذَمّ الدنيا (من خُطبة لابنِ الجنّانِ الأنصاريّ):

.... فَبِئْسَتِ الدارُ داراً لا تُداري، ولا تُقيلُ لعاثرِها عِثاراً[٨]، ولا تَقْبَلُ

---

(١) المتوكّل بن هود صاحب مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).

(٢) الراتب: المتكرّر على نسق واحد. أداؤه: القيام به.

(٣) الخويصيّة تصغير الخاصّية التي هي نسبة إلى الخاصّة (ما يخصّ نفسك دون غيرك).

(٤) نستعين بالله في طلبنا شيئاً من الله.

(٥) الهضم: أن يكون لأحد عندك حقّ فتعطيه جزءًا منه فقط (والظلم أن تسلبه كلّ حقّه).

(٦) أنّى: كيف؟

(٧) البريّة: الخلق (بالفتح) جميع الناس.

(٨) الدار: هذه الدنيا. لا تقيل لعاثر عثاراً (لا ترفع ساقطاً من سقطته): لا تغفر ذنباً (جاء به أحد خطأ).

لِمُعتذرٍ ٱعتذاراً، ولا تَقي من جَوْرِها(١) حليفاً ولا جاراً. وليسَ لها من عهدٍ ولا ذِمام: كم فَتَكَتْ بقومٍ غافلين عنها نِيام، كم نازلتْ بنوازِلها من قِبابٍ وخِيامٍ(٢)، كم بدّلتْ من سلامةٍ بِداءٍ ومن صِحةٍ بِسَقام.. كم أبادت طوارق حوادِثِها من شيخٍ وكَهْلٍ وغُلام. لا تُبقي على أحدٍ، ولا تَرْثي لوالدٍ ولا ولَدٍ، ولا تُخْلِدُ سروراً في خَلَدٍ(٣)، ولا يَمتدُّ فيها لآملٍ أمَدٌ. بَيْنا يُقالُ قَدْ وُجِدَ، يُقالُ قد فُقِدَ! بُعداً لها قد طُبِعَتْ على نَكَدٍ وكَمَدٍ، فالفَرَحُ فيها تَرَحٌ، والحبرة عَبرة(٤)، والضَّحِكُ والآبتسام بُكاءٌ وأدمُعٌ سِجامٌ(٥). تُفَرِّقُ الأحِبّةَ بعدَ اجتماعِهم، وتُسْكِنُ الوَحْشَةَ مُؤْنِسَ رِباعِهم(٦)، وتُبيحُ بالحِمام(٧) حِمى الأعزّةِ فلا سبيل إلى امتناعِهم، وتَسْتَحِثُّ ركائبَ الخلائقِ على اختلافِ أنواعِهم إلى الله عزَّ وجلَّ وارتجاعِهم(٨)، فيسيرونَ طَوْعَ الزِّمام(٩)، ويُلْقونَ مَقادةَ التذلُّلِ والاستِسْلام، حتّى يَلجأوا بالرُّغام ويَنْزِلوا بُطونَ الرِّجام ويَحِلّوا الوَهْد بعد المَقام السام(١٠). فلا ناجٍ من خَطْبها العظيم ولا سليمٌ(١١): يتساوى في حُكمِ المَنِيّةِ الأغرُّ والبهيمُ

---

(١) وقى، يقي: حمى، دافع عن. الجور: الظلم، الحيد عن طريق الحق.

(٢) نازلت: حاربت، اعتدت. النازلة: المصيبة. قباب (أهل القباب). القبّة: خيمة كبيرة من جلد يسكنها الرؤساء والأغنياء. والخيمة تكون (في العادة صغيرة من شعر أو صوف أو نسيج آخر ويسكنها عامّة الناس). الدنيا عدوّ لجميع الناس.

(٣) لا ترثي لفلان: لا ترحمه. لا تخلد: لا تبقي، لا تديم. ثمّ اقرأ: ولا تخلد سروراً ولا في خلد (في بال): لا يخطر ببال أحد أن الدنيا تدوم لأحد.

(٤) ترح: حزن. الحبرة: السرور. عبرة: دمعة (حزن، أسف).

(٥) السجام مصدر سجم: سال (كثيراً أو قليلاً). وابن الجنّان (هنا) يصف الدموع بالمصدر «سجام» والمصدر (إذا جعلناه صفة) يلزم الإفراد أكان الموصوف مفرداً أو جمعاً.

(٦) الرباع جمع ربع (بالفتح): المكان المسكون.

(٧) الحِمام (بالكسر): الموت.

(٨) تحتثّ: تحرّض وتحثّ على السرعة (تسوق بعنف). الركائب جمع ركوبة: دابّة تركب في السفر. إلى الله (أي بالموت). ارتجاع (الخلق إلى الله: ردّ الناس إلى الله (يوم القيامة) لحسابهم.

(٩) الزمام: لجام الدابة، رسنها.

(١٠) الرغام: التراب. الرجام جمع رجمة (بالفتح): حجر ينصب على القبر. الوهد: الأرض المنخفضة، الحفرة. السام (حقّها أن تكون: السامي): العالي (لأنّ المنقوص تلزمه الياء في التعريف والإضافة: هو سام، ولكنّه سامي المقام والسامي في المقام.

(١١) الخطب: المصيبة. الخطب العظيم: الموت. سليم معطوفة على ناج.

والأعزُّ والمَضيم[1]....

٤ - ★★ عنوان الدراية ٣٠٢ - ٣٠٦؛ الإحاطة (١٣١٩ هـ) ٢: ٢٥٦ - ٢٦٤؛ نفح الطيب ٧: ٤٠٦ - ٤٣٨، ٤٤٠ - ٤٤١، ٥٠١ - ٥٠٢، ٥٠٦ - ٥٠٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٥٦ (٢٩).

أبو الحسن الشاذليّ

١ - هو نور الدين أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بن عبدِ الجبّارِ الشريفُ[2] الزَرْويليّ الشاذِليّ، وُلِدَ في قرية غُمارةَ قرب سَبْتَةَ[3]، سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٦ م) ونشأ فيها وتلقّى علومَه الأولى.

تاقت نفسُ أبي الحسن إلى التصوّفِ منذ مَطْلَعِ شبابهِ فانتقل إلى زَرْوِيلةَ[4]. ثمّ إنّه جاء إلى فاسَ فَلقيَ نفراً من أتباع الصوفيّ المشهورِ أبي القاسمِ الجُنيد البَغْداديّ (ت ٢٩٧ هـ) ومن أتباع أبي مدين، أشهرُهم عبدُ السلامِ بن مَشيشٍ (ت ٦٢٥ هـ) وأبو عبد الله محمّد بن حِرْزِهِمْ المعروفُ بابنِ حَرازِمٍ وبأبي حِرْزَمٍ (ت ٦٣٣ م) وأخذَ عنهم مُعْظَمَ معارفهِ وطريقةَ سلوكهِ في التصوّف.

---

(١) المنيّة: الموت. الأغرّ: الأبيض (الكريم الأصل). البهيم: الأسود (المجهول الأصل). ويقال للشيء إذا لم يكن واضحاً في جودته أو في رداءته: لا أغرّ ولا بهيم. المضيم (بالفتح): الذليل.

(٢) أبو الحسن الشاذلي من البربر أهل المغرب الأقصى كما يدلّ على ذلك مولده في قرية غمارة وتقلّبه في المغرب في مطلع حياته - في زرويلة وفاس. ولكنّ أتباعه المتأخّرين رفعوا نسبه إلى العلويين عامّة مرّة، وإلى الأدارسة مرّة ثانية خاصّة - ومن هنا أطلقوا عليه لقب الشريف. ويحسن أن نلاحظ أيضاً أن هؤلاء المؤرخّين لحياته جعلوه يلقى من مشاهير الصوفيّين والعلماء نفراً لم يجمع بينه وبينهم مكان ولا زمان - جرياً على عادة نفر من المؤرخين الذين لا يحكّمون قوانين المنطق وطبيعة العمران ومجاري العادة عند التأريخ. - ومعظم الذين أرّخوا لأبي الحسن الشاذلي شغلوا أنفسهم بالكرامات (شبه المعجزات) وبالروايات الخيالية والمنامات أكثر ممّا رجَعوا إلى التاريخ وإلى ضبط أحداث حياة الشاذليّ بالتواريخ.

(٣) سبته مرفأ المغرب الأقصى على البحر الأبيض المتوسّط.

(٤) زرويلة بلدة كانت عند شفشاون، قريبة من تطوان (في الجانب الشمالي من المغرب الأقصى).

بعدَئذٍ ٱنتقلَ إلى تونسَ وتلقّى على نَفَرٍ من علمائها التفسيرَ والحديثَ والفِقْهَ والنحوَ والأدبَ ولَقِيَ فيها المتصوّفَ أبا سعيدٍ الباجيَّ (ت ٦٢٨ هـ).

ولعلَّ عبدَ السلام بنَ مشيشٍ كان قد أشار على أبي الحسن الشاذلي بالتوجّه إلى تُونسَ توسيعاً لطريقةِ التصوّف فٱنتقل أبو الحسن إلى تونسَ وٱتّخذَ رباطاً[1] في جبل زَغْوانَ وأخذَ ينشُرُ دعوتَه في بلدةِ شاذِلَةَ قريباً من رِباطِه. وكَثُرَ أتباعُ أبي الحسن في تونسَ وعَظُم نفوذُه فسَعَى به أبو القاسمِ بنُ البراء قاضي الجَماعة بتونسَ إلى السلطان أبي زكريّا الحَفصيّ (٦٢٦ – ٦٤٧ هـ) فتعرّض أبو الحسن لشيءٍ من الاضطهاد ثمّ نُفِيَ عن تونسَ فجاء إلى مِصْرَ، ولعلّه في هذهِ الفترةِ ذهب إلى العِراق ولقي في بغدادَ أبا الفتحِ الواسطيَّ (ت ٦٣٢ هـ).

وعاد أبو الحسن الشاذليُّ إلى تونسَ سَنَةَ ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م)، ولكنّه أُزْعِجَ عنها من جديدٍ فرَجَعَ إلى مِصْرَ (٦٤٢ هـ) ومَعَهُ نَفَرٌ من خاصّةِ أتباعهِ أشهرُهم أبو العبّاسِ المُرسيُّ[2]. واستقرّ الشاذليُّ وأتباعُه في الاسكندرية واتّسعت دعوتُه هناك فتعرّض لشيء من الاضطهاد. ثمّ كُفَّ بَصَرُهُ – أو ضَعُف كثيراً – سَنَةَ ٦٤٦ هـ. ويُقال إنّه ٱشترك في تلك السنةِ نفسِها في مَعْرَكةِ المنصورة التي نَشِبَتْ بين المسلمين وبينَ الحملةِ الصليبيةِ السادسةِ التي كان يقودُها لويسُ التاسعُ ملكُ فرنسةَ والتي أُسِرَ فيها لويسُ نفسُه.

وسار أبو الحسنِ الشاذليُّ في نَفَرٍ من أتباعه إلى الحجّ – بعدَ أن كان قد حجّ مراراً من قبلُ – فأصابته وَعْكةٌ في قرية حُميثرةَ[3] بصحراء عَيْذابَ من صعيدِ مِصْرَ، فتوفّي في شهر شوّالٍ من سَنَةِ ٦٥٦ (تشرينَ الأوّلَ – أكتوبر ١٢٥٨ م) فتولّى أبو العبّاس المرسيّ دَفْنَهُ.

---

(١) الرباط: محلّ ربط الخيل، وهو مكان تنزل فيه جماعات من المجاهدين لصدّ العدوّ عن تخوم البلاد الإسلامية. ثمّ أصبح الرباط دالّاً على بناء صغير ذي قبّة يقيم فيه رجل أو نفر من الرجال للزهد والتصوّف، أو للعبادة.

(٢) أبو العبّاس المرسي: هو شهاب الدين أحمد بن عمر (ت ٦٨٦ هـ).

(٣) حميثرة (بالتصغير) وبثاء (ثالث حروف الهجاء منقوطة بنقطتين من فوقها) علم (بفتح ففتح) في صحراء عيذاب، من صعيد مصر (راجع القاموس ٢ : ١٤ ثم تاج العروس – الكويت ١١ : ٩٤).

٢ - أبو الحسنِ الشاذليُّ من كِبارِ أصحابِ الطُّرُقِ(١) الصوفية ومن أشهرِهم. وكان الشاذليُّ قد تأثّرَ بعَدَدٍ من كُتُبِ التصوّف المشهورة منها: المواقف والمُخاطبات لمحمّدِ بن عبد الجبّار النِفَّريّ (ت ٣٥٤ هـ) - قوت القلوب لأبي طالبٍ المَكّيّ (ت ٣٨٧ هـ) - الرسالة البَيانية لأبي القاسم القُشيريّ (٤٦٥ هـ) - إحياء علوم الدين للغزّالي (ت ٥٠٥). ومَعَ أنّ الشاذليَّ من أصحابِ التصوّف المعتدل في التفكير والسلوك، فإنّ الجانب السلبيّ بارزٌ في حياتهِ جدًّا: إنّ تصوُّفه يقومُ على أربعِ دعائمَ: الذِكْر وبساطة العمل الصالح، التفكير وبساطة الصبر، الفقر وبساطة الشُّكر، الحبّ وبساطة بُغض الدنيا وأهلِها، وثمرةُ ذلك محاولةُ الاتّصال بالمحبوب (الله). ويبدو أنّ الشاذليَّ كان في أولِ حياتهِ أكثرَ مَيْلاً إلى الكِفاح والجِهاد والعمل الاجتماعي، ولكنْ لم يُحْرِزْ نَجاحاً في كِفاحه في المغرب الأقصى وتونسَ ومِصْرَ ثمّ نالَه من محاولةِ العملِ الإيجابيّ اضطهادٌ مستمرٌّ، فآثر الإخْلادَ إلى الوجه السلبيّ من التصوّف.

وكان للشاذليّ نظم.

والشاذليُّ مُصَنِّفٌ له: عُمدة السالك على مذهب الإمام مالكٍ في العِبادات وغير ذلك - المقدّمة العِزّية للجماعة الأزهرية (مختصر الكتاب السابق) - كتاب الإخْوة - الرسالة الحَوْذية - التسلّي والتصوّر على ما قضاه اللهُ من أحكام أهل التجبُّر والتكبّر - تخميس رائية أبي مَدْيَنٍ - ديوانٌ - مجموعُ أشعارٍ(٢) - رسالة الأمين - الاختصاص من الفوائد القرآنية والخواصّ (السرّ الجليل في خواصّ حسبنا الله ونعم الوكيل). وللشاذليّ أحزابٌ(٣) كثيرةٌ منها: حزب البَرّ (أو الحزب الكبير) - حزب البحر - حزب الإخفاء - حزب النصر - حزب الطَمْس على عيون الأعداء - حزب اللُّطف - حزب الفَتْح (أو حزب الأنوار) - حزب الضُّحى - حزب

---

(١) الطرق جمع طريقة: أسلوب للحياة الصوفية يقوم على الاقتداء بشيخ صوفي معيّن مع اتّخاذ مسلك معيّن وقراءة أحزاب معيّنة (الحزب: راجع حاشية تالية).

(٢) لعلّ هذا المجموع هو الديوان.

(٣) الحزب: الورد (بكسر الواو): ترتيب لآيات وأقوال على وجه مخصوص يقرأها المتصوّف (أو المتعبّد عامّة) في أوقات معيّنة (راجع نموذج من ذلك في المختارات من آثار الشاذلي).

صلاة الفتح والمَغْرب - حزب الحمد - حزب التفريج - الحزب الأوّل - الحزب الثاني - دعاء.

٣ - مختارات من آثاره

- من حزب البرّ المعروف بالحزب الكبير:

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرّجيم[١]. بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم [٢]: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتِنا فقُلْ: سلامٌ عليكم. كَتَبَ ربُّكم على نفسِه الرحمةَ: إنّه من عَمِلَ منكم سوءاً بجَهالةٍ ثمّ تابَ من بَعدِه وأصلحَ؛ فإنّه غفورٌ رحيم﴾[٣]. ﴿بديعُ السمواتِ والأرض؛ أنّى يكونُ له ولَدٌ ولم تكن له صاحبةٌ؛ وخلَقَ كلَّ شيءٍ. وَهُوَ بكلِّ شيءٍ عليم﴾[٤].....

اللهمَّ، إنّك تعلَمُ أنّي بالجَهالةِ معروفٌ. وأنتْ بالعلمِ موصوف، وقد وَسِعْتَ كلَّ شيءٍ من جهالتي بعِلْمِكَ فَسَعْ ذلك برحمتِكَ كما وَسِعْتَه بعِلْمِك. واغفِرْ لي، إنّك على كلِّ شيءٍ قدير......

يا اللهُ، يا عظيمُ، يا عليُّ، يا كبيرُ: نسأَلُكَ الفقرَ مِمّا سِواكَ[٥] والغِنى بكَ حتّى لا نشهَدَ إلّا إيّاكَ[٦]. والْطُفْ بنا فيها لُطفاً عَلِمْتَه يَصْلُحُ لِمَنْ والاكَ، واكْسُنا جلابيبَ العِصْمَة في الأنفاسِ واللَّحَظات، واجعَلْنا عبيداً لك في جميعِ الحالاتِ، وعَلِّمْنا من

---

(١) القرآن الكريم (١٦ : ٩٢، سورة النحل): ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾.

(٢) في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة تبدأ مائة وثلاث عشرة سورة منها بالآية: «بسم الله الرحمن الرحيم». أمّا السورة التاسعة (سورة التوبة) فلا تبدأ بهذه الآية لأنّها نزلت في الحرب وفي «براءة» الله ورسوله من المشركين الذين كانوا لا يزالون إلى ذلك الحين على الوثنية. ومطلع السورة التاسعة: ﴿براءة من الله ورسوله.....﴾. ولذلك تعرف أيضاً بسورة «براءة». ثمّ إنّ الآية «بسم الله الرحمن الرحيم» ترد في سياق سورة النمل (٢٧ : ٣٠) فيكون عدد مرّات البسملة في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة بعدد السور.

(٣) القرآن الكريم ٦ : ٥٤ (سورة الأنعام).

(٤) القرآن الكريم ٦ : ١١١ (سورة الأنعام).

(٥) هذه الجملة يجب أن تعني ما يلي: نسألك أن تجعلنا أغنياء عن كلّ أحد سواك، فقراء (محتاجين) إليك وحدك وأن نغنى (نصبح أغنياء بك: بعطائك أنت).

(٦) حتّى لا يكون أمام أبصارنا وبصائرنا غيرك.

لَدُنْكَ عِلْماً نَصيرُ به كاملين في المَحْيا والمَمات.......

اللهمَّ، نسألُكَ إيماناً دائماً، ونسألك قلباً خاشعاً، ونسألك علماً نافعاً، ونسألك يقيناً صادقاً، ونسألك ديناً قِيَماً. ونسألك العافِيَةَ من كلّ بَلِيَّةٍ، ونسألك تَمامَ العافيةِ[1]، ونسألك الشُّكْرَ على العافية. ونسألك الغِنى عن الناس.......

- من مقدّمة المقدّمة العِزّيّة ومن خاتمتها:

.... هذه مقدّمةٌ في مسائلِ العباداتِ وغيرِ ذلك على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنَسٍ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى، لِيَنْتَفِعَ بها الوِلْدانُ ونَحْوُهُم - إن شاءَ اللهُ تعالى - لَخّصْتُها من كتابي المُسمّى بـ «عُمْدةِ السالك على مذهبِ الإمامِ مالكٍ في العباداتِ وغير ذلك». وَسمّيتُها بـ «المُقدّمة العِزّية للجماعة الأزهرية» مشتملةً على أحَدَ عَشَرَ باباً.....

يَنْبغي للإنسانِ ألّا يُرى إلّا مُحَصِّلاً حَسَنَةً لَمعادِه أو دِرْهَماً لَمعاشِهِ، ويَتْرُكُ[2] ما لا يَعْنيه ويَحْتَرِسُ من نفسِه ويَقِفُ عند ما أشْكَلَ ويُنْصِفُ جليسَه ويُلينُ له جانبَه ويَصْفَحُ عن زَلّتِه ويَلْزَمُ الصبرَ. وإنْ نَظَرَ عالِماً نَظَرَ إليه بعينِ الإجلال، ويُنْصِتُ له عند المَقال. وإن راجَعَه راجَعَه تَفَهُّماً ولا يَعارِضُه في جوابِ سؤال سأله . ومَنَ ناظَرَ في عِلْمٍ فَبِسَكينةٍ ووَقارٍ وتَرْكِ الاستيلاءِ وبِحُسْنِ التّأنّي وجميل الأدب، فإنّهما مُعينانِ على طلب العلم.......

٤ - الشرح (أو الأُنس أو السرّ) الجليل في خواصّ «حسبنا الله ونعم الوكيل»[3]، القاهرة (طبع حجر) بلا تاريخ؛ القاهرة ١٢٩٧ هـ.

- حزب البحر (في مجموع لطيف)، القاهرة (طبع حجر) ١٨٦٥ م (١٢٨٢ هـ)؛ قازان ١٨٩٧ م (١٣١٤ - ١٣١٥ هـ)؛ مع أحزاب أخرى وأشعار وترجمة فارسية تتخلّل السطور في مجموع عنوانه «لوح محفوظ»، لمحمّد محفوظ الحقّ، أرّا (؟) ١٣٠٩ هـ؛ مع أحزاب أخرى بمقدّمة هندستانية وترجمة تتخلّل السطور، لمحمّد عبد القيّم، كاونبور

---

(١) العافية من كلّ بليّة: الإعفاء (الحماية) من كلّ مصيبة. تمام العافية: تمام الصحّة.

(٢) السياق النحوي يقتضي أن يكون الفعل «يترك» والأفعال التي بعده معطوفة عليه «منصوبة»، ولكن المعنى حينئذ يضطرب ويصبح «وألّا يترك ما لا يعنيه: أي يهتّم بما لا يعنيه».

(٣) في القرآن الكريم (٣: ١٧٣، سورة آل عمران): ﴿حسبنا الله (إنّ الله يكفينا مكائد أعدائنا ويدفع تلك المكائد عنّا) ونعم الوكيل﴾ (وهو الذي نفوّض إليه أمرنا في كلّ شيء).

١٨٩٦ م؛ مع ترجمة إلى لغة التاميل (في جنوب الهند) في مجموع «نفحة الأنبار (؟)»، لنوح عليّ القادري، بومباي ١٣٢٠ هـ.

- المقدّمة العزّيّة للجماعة الأزهرية، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاه) بعد ١٣٣٢ هـ.
- مجموع الأحزاب، القاهرة ١٣١٧ هـ.

★★ شرح حزب البحر:

- شرح.... لأحمد بن أحمد زرّوق[١] (على هامش دلائل الخيرات)، مدراس ١٩٠٨ م.
- اللطيفة المرضية، لابن ماهلا (؟)، القاهرة ١٩٣٥ م.
- فيض الرحمن (حاشية) لحسن العدوي، القاهرة ١٢٨١ هـ.
- خلاصة الزهر.... لمحمّد خليل القاوقجي[٢]، القاهرة ١٣٠٤ هـ.

شرح حزب البرّ (أو الحزب الكبير):

- تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير، للمرتضى الزبيدي[٣]، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٣٣ هـ.
- شرح حزب البرّ أو الحزب الكبير، تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن محمّد الفاسي[٤] (مع «تنبيه العارف»)؛ القاهرة (مكتبة الكلّيات الأزهرية) ١٩٦٩ م.
- الجواهر المضيّة (؟) في شرح العزّية، لصالح بن عبد السميع الآبي الأزهري، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٣٢ هـ.
- درّة الأسرار وتحفة الأبرار، تأليف محمّد بن أبي القاسم الصبّاغ الحميري، تونس ١٣٠٤ هـ.
- مجموعة آراء سنيّة للسادة الشاذلية (تحرير محمّد الطيّب الجزائري)، دمشق ١٣٠١ هـ.
- ابن عطا الله ونشأة الطريقة الشاذلية: تحقيق «الحكم العطائية» - لبولس نونا)،
- المفاخر العليّة في المآثر الشاذلية، تأليف محمّد بن محمّد عيّاد......
- أبو الحسن الشاذلي، بقلم علي سالم عمّار، الجزء الأول، مصر، (مطبعة دار التأليف) ١٩٥١ م.
- أبو الحسن الشاذلي الصوفي والعارف بالله، بقلم الدكتور عبد الحليم محمود (أعلام العرب، رقم ٧٢)، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والنشر) ١٩٦٧ م.

---

(١) أحمد بن أحمد بن زرّوق (ت ٨٩٩ هـ)، له ترجمة في هذا الجزء.

(٢) محمّد بن خليل المشيشي القاوقجي الطرابلسي (ت ١٣٠٥ هـ)، راجع بروكلمن، الملحق ١: ٧٧٦.

(٣) محمّد بن محمّد المرتضي الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) صاحب القاموس العظيم «تاج العروس».

(٤) عبد الرحمن الفاسي (ت ١٠٣٦ هـ).

نكت الهميان ٢١٣ ؛ ابن قنفذ ٣٢٣ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٢٧٨ - ٢٧٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ٢٤٦ - ٢٤٩ ؛ بروكلمن ١ : ٥٨٣ - ٥٨٤ ، الملحق ١ : ٨٠٤ - ٨٠٦ ؛ النبوغ المغربي ٣٥٧ - ٣٦٥ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٢٠ (٤ : ٣٠٥)؛ مجلة العربي ٦/ ١٩٦٤ و٧/ ١٩٦٤ ؛ سركيس ١٠٨٨ - ١٠٨٩ .

ابن الأبّار القضاعيّ

١ - هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عبد الله (ت ٦١٩ هـ) بن أبي بكرِ بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بنِ أحمدَ بن أبي بكرِ بنِ الأبّارِ القُضاعيُّ البَلَنْسِيُّ ، وُلِدَ في بَلَنْسِيَةَ في أحد الربيعينِ من سنة ٥٩٥ (أوائل ١١٩٩ م) ونشأ فيها .

بدأ ٱبْنُ الأبّار تلَقِّيَ العلمِ على والدِه ثمّ سَمِعَ من نفَرٍ كثيرين منهم: عبد الله بن أيّوبَ بنِ نوحٍ الغافقي السَّرَقُسْطي (ت ٦٠٨ هـ) ومحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبد العزيز الأنصاري (ت ٦١٠) وقد أخذ عنه النحو والأدب . ومن شيوخه أبو سليمانَ داوودُ بنُ سُليمانَ بن حَوْطِ الله (نفح الطيب ٤ : ٣٣٥) المُتوفّى سَنَةَ ٦٢١ للهِجرة - وكان من المشتغلين بالتاريخ ؛ ومنهم أبو الخطّاب أحمدُ بنُ محمدِ بنِ واجبٍ القيسيُّ (ت ٦١٤ هـ) أخذ عنه التاريخ . ومن أكبر شيوخه أبو الربيعِ سُليمانُ بن موسى بن سالمِ بن حسانَ الكَلاعيُّ (ت ٦٢٤ هـ) وكان بارعاً في الحديث والتاريخ معَ العلم بالبلاغة والأدب كما كان له عددٌ من الكُتُبِ . وقد لازمه ٱبنُ الأبّارِ عِشرين سَنةً وتخرّج على يَدَيْهِ وتعلّم منه صِناعة الكِتابة ومن شيوخه أيضاً أبو جعفر بن الحصار ، وكان عارفاً بالقراءات (نفح الطيب ٢ : ٥٠).

وفي سنة ٦٢٥ هـ دخل ابن الأبّار في خِدمة الدولة فكتب لأبي عبد الله محمّد بن حفص الموحِّديّ والي بَلَنْسِيَة ثمّ لابنهِ السيدِ أبي زيدٍ ثمّ لزيَّانٍ بن مردانيشَ ، في السنة التالية . ولمّا حاصرَ دون جاقمةُ صاحبُ بَرْجَلونة (برشلونة) مدينة بلنسية (رَمَضانَ ٦٣٥) ذَهَبَ ابن الابّار في وَفْدٍ إلى سُلْطان تُونسَ أبي زكريا يحيى للاستنجادِ به على الفِرنْجة . وأنشد ابن الابّار يومذاك مِدْحته في أبي زكريا « أدرِكْ بخَيْلِكَ خيلِ اللهِ أندلُسا » . وأرسلَ أبو زكريا أسْطولاً لِنَجْدةِ بَلَنْسِيَة ، ولكنَّ الأُسطولَ وَصَلَ بعدَ فواتِ

الأوان. ولمّا استولى الفرنجةُ على بلنسية (صفر ٦٣٦) خرجَ ابنُ الابّارِ منها بأُسْرتهِ مَعَ الجالينَ عن المدينة. وانتقل إلى تونس واستقرّ فيها. وتقلّبتِ الأحوالُ بابنِ الابّارِ في تونسَ فكتب للسلطان أبي زكريا (٦٣٦ هـ) ثمّ وَزَرَ للمستنصرِ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ)، كما غَضِبَ المستنصرُ عليه مراراً ورَضِيَ مراراً. وفي العشرينَ من المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٥٨ (٦/٦/١٢٦٠ م)، في الأغلب، أمر المستنصرُ بقتلهِ، بعد أن بَلَغَ خصومُه في الدسِّ عليه الغايةَ.

٢ - كان ابنُ الابّارِ القُضاعيَّ عارفاً بالتاريخ بَصيراً بطَبَقات الرِجال مُلمًّا بفنونٍ كثيرةٍ من العلمِ والأدب، أديباً ناثراً مترسّلاً وشاعراً مُجْسِناً. وكان من فنونهِ المدحُ والاعتذارُ والوصفُ والغزل والنسيب والمُجون. وله ترسُّلٌ كثيرُ التكلُّف.

وكذلك كان ابن الابّار مُصَنِّفاً له من الكتب: كتابُ تَكْمِلَة الصِّلة (وهو تكملة لكتاب الصلة لابن بشكُوال، وقد حَثّه على وضع هذا الكتاب شيخه أبو الربيع بن سالم) - تحفة القادم (تراجم شعراء)[1] - إعتابُ الكُتّاب (تراجم لنفر عديدين من الكتاب المشارقة والمغاربة) - الحُلّة السِّيَراء في أشعارِ الأمراء - المُعْجَم في أصْحاب القاضي الإمام أبي عليّ الصَّدَفي - درر السِّمْط في خبر السِّبْط (الحسين بن عليّ!) - إيماض البرق في أدباء الشرق - إفادة الوفادة (في ذكر الوافدين على الأندلس) كتاب التاريخ - قطع الرياض (في أشعار مختارة) - معادن اللُّجين في مراثي الحسين - هداية المعترف في المؤتلف والمختلف.

٣ - المختار من آثاره:

- قال ابن الابّار القضاعي يمدح أبا زكريّا يحيى الحفصي سلطان تونس

---

(١) كتاب «تحفة القادم» مفقود. ولكنّ أبا إسحاق البلفيقي كان قد صنع منه «المقتضب من كتاب تحفة القادم» (بتحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٥٧ م). والبلفيقي هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن أبي إسحاق (إبراهيم؟) بن الحاجّ. أصل البلفيقي من مرّاكش ولكنّ مولده ومنشأه في الأندلس وهو ينتسب إلى بلفيق (بفتح الباء، وتروى أيضاً بفتح الفاء مع كسر اللام المشدّدة) وهي حصن قرب المريّة. ولعلّ وفاة أبي إسحاق البلفيقي كانت في مرّاكش في أواخر القرن الثامن للهجرة.

ويستنصره على الإفرنج لإنقاذ بلنسية (نفح الطيب، ٤: ٤٥٧ - ٤٦٠):

أدرِكْ بخَيْلِكَ خيلِ اللهِ أنْدَلُسا؛ إنّ السبيلَ إلى مَنْجاتِها دَرَسا[١].
وهَبْ لها مِنْ عزيزِ النصرِ ما الْتَمَسَتْ؛ فلم يَزَلْ منك عِزُّ النصرِ مُلْتَمسا.
يا لَلْجزيرةِ! أضْحى أهلُها جَزَراً لِلْحادثاتِ، وأمْسى جَدُّها تَعَسا[٢].
في كلِّ شارقةٍ إلمامُ بارقةٍ يعودُ مأتَمُها عند العِدا عُرُسا[٣].
تَقاسَمَ الرومُ لا نالتْ مُقاسِمَهم إلاّ عقائلها المَحْجوبة الأُنُسا[٤].
وفي بَلَنْسِيَةٍ منها وشاطِبَةٍ ما يَنْسِفُ النَّفْسَ أو ما يَنْزِفُ النَّفَسا[٥].
مدائنٌ حَلّها الإشْراكُ مُبْتَسِماً جَذْلانَ، وارْتَحَلَ الإيمانُ مُبْتَئِسا.
فَمِنْ دَساكِرَ كانتْ دُونَها حَرَساً، ومن كَنائِسَ كانت قَبْلَها كُنُسا[٦].
يا لَلْمَساجد عادَتْ للعِدا بِيَعاً، وللنِّداء غدا أثْناءَها جَرَسا[٧].

---

(١) - أسرع بإنقاذ الأندلس. درس: امّحى (فقد الأمل بنجاتها).

(٢) يا للجزيرة: كان الله في عون جزيرة الأندلس وأنقذها من بليّتها! جزراً: ذبائح. الجدّ (بفتح الجيم): الحظ. التعس: البؤس والشقاء.

(٣) في كلّ شارقة = عند طلوع كلّ شمس: كلّ يوم. البارقة: السيوف (القاموس ٣: ٢١١، السطر ١٩). الإلمام: النزول، الإصابة، الزيارة. إلمام بارقة: قتل بالسيوف. العدى: الإسبان الإفرنج. وفي طبعة بيروت (٤: ٤٥٧): بائقة (داهية).

(٤) البيت غامض. - الروم: نصارى الأندلس. تقاسم الروم: توزّعوا الغنائم بينهم. العقائل جمع عقيلة: المرأة المصونة الكريمة. المحجوبة: المخبّأة عن عيون الأجانب. الأنس جمع أنوس: (اللطيف العشرة، المؤانس). - الملموح في معنى البيت: يتقاسم الإسبان (بعد كلّ هجمة على العرب) الغنائم إلّا النساء (فإنّهن يقتلن....) فلا نال (تهنّأ) مقاسم (بضم الميم: صاحب السهم أو النصيب في القسمة) شيء من تلك الغنائم!

(٥) ما ينسف (يدكّ، يهدم، يقتلع الشيء من أصله) أو ما ينزف (ينزح، يلاشي، يفرّغ) النفس = ما يقتل، ما يهلك.

(٦) الدسكرة: المزرعة. كانت تلك الدساكر حماية لتلك المدن التي سقطت في يد الإسبان (فذهبت المدن والدساكر معها). الكنس جمع كناس (بكسر الكاف): بيت الظبي (مساكن للنساء الجميلات).

(٧) البيعة (بكسر الباء): الكنيسة، معبد النصارى. النداء: الأذان، دعوة المسلمين إلى الصلاة من المآذن.

كانـتْ حدائـقَ للأحْـداقِ مُونِقَةً … فَصَوَّحَ النصرُ من أدْواحِها وعسا[١]

فأينَ عَيْشٌ جَنَيْنـاهُ بها خَضِراً؟ … وأينَ عَصْرٌ جَلَيْنـاه بها سَلِسا[٢]؟

مَحـا مَحاسِنَهـا طـاغٍ أُتِيـحَ لها، … ما نام عن هَضْمِها حِيناً ولا نَعَسا[٣].

صِلْ حَبْلَها، أيُّها المَوْلى الرحيمُ، فما … أبْقى المِراسُ لها حَبْلا ولا مَرَسا[٤]

وأحْيِ ما طَمَسَتْ منها العُداةُ كما … أحْيَيْتَ مِنْ دعوةِ المَهْديِّ ما طُمِسا[٥]،

أيّامَ صِرتَ لِنَصْرِ الحـقِّ مُسْتَبِقاً … وبِتَّ من نور ذاكَ الهُدْيِ مُقْتَبِسا؛

وقُمْـتَ فيهـا بأمرِ اللهِ مُنْتَصِراً … كالصارِمِ آهْتَزَّأوكالعارِضِ انْبَجَسا[٦]

هـذي رَسائِلُها تدعوكَ مِنْ كَثَبٍ، … وأنـتَ أفْضَـلُ مَرْجُوٍّ لِمَنْ يَئِسا

تَؤُمُّ يَحيى بنَ عبدِ الواحدِ بنِ أبي … حَفْصٍ مُقَبِّلَةً من تُرْبِهِ القُدُسا؛

مَلْـكٌ تَقَلَّـدَتِ الأمْـلاكُ طاعَتَـهُ … دِيناً ودُنْيا فغَشّاها ا الرِّضا لِبَسـا

من كـلِّ غادٍ على يُمناهُ مُسْتَلِماً، … وكـلِّ صادٍ إلى نُعْماهُ مُلْتَمِسا[٧].

مُؤَيَّـدٌ لو رمـى نَجْماً لأثْبَتَـه، … ولو دعا أُفُقاً لَبّى وما احْتَبَسا[٨].

ماضي العَزِيمةِ والايّامُ قد نَكَلَتْ، … طَلْقُ المُحَيّا ووَجْهُ الدهرِ قد عَبَسا[٩].

---

(١) للأحداق (للعيون) مونقة (جميلة): تسرّ الناظرين. صوّح = يبس. النضر: الأخضر الريّان. الدوح والأدواح جمع دوحة: الشجرة الكبيرة. عسا، يعسو: يبس.

(٢) جليناه (جلوناه!): أبرزناه، جعلناه. سلساً: ليّناً، رائقاً، مطاوعاً لنا.

(٣) الطاغي: الظالم. وكان مؤرّخو العرب يسمّون كلّ ملك من ملوك الإسبان «طاغية». الهضم: انتزاع جزء من الحقّ من صاحبه. نعس: مال إلى النوم (غفل).

(٤) صل حبلها: اجعلها من أهلك وادافع عنها. المراس: شدّة (العدوّ عليها)؛ كثرة حروبها. ما أبقى المراس لها حبلًا (صلة، قرابة بأحد = تخلّى جميع الناس عنها) ولا مرساة (قوّة على القتال).

(٥) طمس: محا. المهديّ بن تومرت (ت ٥٢٤ هـ) مصلح عظيم، وهو صاحب دعوة المؤحدين ومؤسّس دولتهم (راجع ص ٣٥٩ من الجزء الخامس).

(٦) الصارم: السيف. اهتزّ: تحرّك، تمايل نصله(استعداداً للضرب به أو في أثناء الضرب به). العارض: الغيم المقبل يحمل مطراً. انبجس: تخرّق، هطل منه المطر.

(٧) يمناه مستلماً = مقبّلًا يده اليمنى. صاد: عطشان.

(٨) - لو رمى بسهمه النجم لأصابه ولو دعا الغيم في السماء إلى أن يمطر لأمطر.

(٩) نكل عن الأمر: جبن عنه وتأخّر.

كأنّـه البـدرُ- والعَلْيـاءُ هالَتُـهُ - تَحفُّ من حَوْلِهِ شُهْبُ القَنا حَرَسا [١].

تدبـيرُه وَسِع الدُّنيا وما وَسِعَتْ، وعَرْفُ معروفه وَاسىالورىوأسا [٢].

قامتْ على العدلِ والإحسانِ دولَتُه وأنْشَرَتْ من وُجود الجودِ ما رُمِسا [٣].

مُبـارَكٌ هَدْيُـهُ، بـادٍ سَكينتُـه؛ ما قامَ، إلاّ إلى حُسْنَى، وما جَلَسا.

قـد نوّرَ اللهُ بالتقْوى بصيرتَـه، فما يُبالي طُروقَ الخَطْب مُلْتَبِسا [٤].

وربَّ أصْيَـدَ لا تُلْفي بهِ صَيَداً، ورُبَّ أشْوَسَ لا تَلْقى له شَوَسا [٥].

إلى المَلائـكِ يُنْهى والمُلوكِ مَعاً في نَبْعَةٍ أثْمَرَت للمجد ما غرسا [٦].

يا أيُّها المَلِكُ المَنْصورُ، أنتَ لها علياءُ تُوسِعُ أعْداءَ الهُدى تَعَسا.

وقـد تَواتَرَتِ الأنباءُ أنّـكَ مَنْ يُحيي بِقَتْلِ مُلوكِ الصُّفْرِ أندلسا [٧].

طَهِّرْ بِلادَكَ منهم، إنّهم نَجَسٌ، ولا طَهارةَ حتّى تَغْسِلَ النَّجَسا.

واضْرِبْ لهـا مَوْعِداً بالفَتْحِ تَرْقُبُه. لَعلّ يومَ الأعادي قد أتى وعَسى [٨].

- ومن نثره ما كتبه في ترجمة أستاذه أبي الربيع بنِ سالم [٩] في كتاب إعتاب

---

(١) الهالة: ضياء يحيط (في رأي العين) بالقمر عادة. تحفّ: تحيط. القنا جمع قناة: القصبة، الرمح. شهب القنا: النصال المركّبة في رؤوس الرماح (كناية عن كثرة الأسلحة ومضائها).

(٢) تدبيره: حكمه. عرف (رائحة) معروفه (خيره): القليل من معروفه وعطائه. وسع الدنيا وما وسعت: أدرا، نظّم الدنيا وكلّ ما فيها (كل ما وسعته الدنيا). واسى: عزّى، أحسن إلي. الورى: جميع الناس. أسا: طيّب، شفي.

(٣) أنشرت: بعثت من الموت. «وجود» في الأصل، ولعلّها «وجوه»: أنواع. رمس: قبر.

(٤) - لا يبالي إذا نزلت المصيبة فجأة (لأنّه مستعد لجميع المفاجآت).

(٥) الأصيد: المائل العنق تجبّراً (لأنّه ملك عظيم). الأشوس: الذي ينظر بمؤخرة عينه من التكبّر والغيظ (طلباً للانتقام). - قد يتظاهر بعض الناس بالقدرة والشجاعة وليس له شيء منهما.

(٦) - هو في سلوكه وأخلاقه مثل الملائكة، وفي نسبه من الملوك. النبعة: عدد كبير من سبلات القمح أو من القصب أو النخل تنبت من أصل واحد (كناية عن الأسرة العظيمة النبيلة). ما غرسا (بالبناء للمجهول أو للمعلوم!).

(٧) - الشائع بين جميع الناس أنّك وحدك الذي تستطيع أن تتغلّب على ملوك الصفر (الروم، الإسبان الإفرنج) وتنقذ الأندلس.

(٨) ترقبه: تنتظره (الأندلس).

(٩) راجع ٥: ٦٩٣.

الكُتّاب (ص ٢٤٩):

شَيْخي الذي أورثني هذه الصِّناعَة ورَضِيَ اتّخاذَها لي بِضاعةً، وضَمِنَ أنْ لا إضاقةَ (في امتهانها) ولا إضاعة؛ جاعلاً قولَ ابن أبي الخصالِ[١] شاهداً في الاعتلاق بها والاتّصال: «من جمَعَ بَلاغةً وخَطّاً لم يَخْشَ في دَوْلة الأفاضل حَطّاً». فاسْتَرْجَحْتُ حَصاته[٢] وأقبلتُ عليها قابلاً وَصاته غيرَ مُسْتَبْدِلٍ به خُطّة ولا مُتَبَوِّىءٍ دُونَها خِطّةً لِكَيْلاً أنْقُضَ ما أبْرَمَ وأرْتَبِطَ خلافَ ما اسْتَكْرَمَ[٣]. وكان هُوَ – قدّسَ اللهُ أشلاءَه وأجزلَ من النعيم المُقيم جزاءَهُ –[٤] قد عُنِيَ بي في شَبيبتهِ، فعَتَبَ عليه والي بَلنسيةَ حِينَئِذٍ وحَجَبَه رائحاً عليه وغادياً وألْزَمَهُ مكاناً قاصياً كان به قاضياً[٥]. فخاطَبَهُ مُسْتَعْطِفاً برسالةٍ منها:

وبعدُ، فكَتَبَ الذي قَصَر، ثم عاينَ قَصْدَهُ وأبصرَ[٦]؛ وآقترفَ فآعترفَ، وآجترحَ[٨] فلم يَجِدْ أجْدى مِنْ أنْ قَرَعَ بابَ المغفرةِ واسْتَفْتَحَ. وفي عِلْمِ المَوْلى أنّ العبيدَ أهلُ الخطأ ومَظَنّةُ السَّعْي المُسْتَبْطَإِ[٨]. إنْ اعْرقوا النَّزْعَ عن قوسِ الآجتهاد[٩]

---

(١) شيخي: أستاذي ومعلّمي. إضاقة: ضيق ذات اليد، فقر. ابن أبي الخصال: أديب شاعر (راجع ص ٢٦١ من الجزء الخامس).

(٢) الخطّ: حسن الخطّ، الكتابة الحسنة لصور الأحرف. الحطّ: الإنحطاط، النزول عن الرتبة العالية. استرجحت حصاته (عقله): وجدتها راجحة (صحيحة، مصيبة).

(٣) الوصاة: الوصيّة، النصيحة. الخطّة (بضمّ الخاء): الطريقة في العمل، المنهاج. الخطّة (بكسر الخاء) القطعة من الأرض. تبوّأ: نزل (في مكان)، سكن. نقض: حلّ، أبطل. أبرم: أحكم، قرّر. ارتبط (الخيل) اقتنى (خيلا) استكرم (الخيل، المرأة، إلخ): وجدها كريمة الأصل فاتّخذها لنفسه (لم أر أن أفعل إلّا ما كان هو يفعل).

(٤) قدّس: بارك. أشلاءه: القطع من جسده (لأنّه كان قد مات شهيداً في المعركة). أجزل: أكثر. النعيم المقيم (الدائم): الخلود في الجنّة. جزاؤه: ثوابه.

(٥) عني بي: اهتمّ بي وسهر على تأديبي. حجبه: منعه من الدخول إلى بلاطه. رائحاً عليه وغادياً...(!) ألزمه مكاناً قاصياً (بعيداً) أجبره على السكنى في مكان بعيد. كان به قاضياً: هو، أي الوالي، اختاره هنالك للقضاء (؟)

(٦) الذي قصّر..... (أي ابن الأبّار).

(٧) اقترف (الذنب): أتاه (أذنب).

(٨) اجترح: اكتسب ذنباً، سبّ، شتم.

(٩) المولى: السيّد. المظنّة: موضع، مكان. مظنّة السعي المستبطأ (المتأخّر) العبيد يسرعون في ارتكاب الخطأ

وأصابوا شاكلةَ المُراد[١]، فكالسِّهام في قرطه مَراميها[٢]. وإنْ تَنكّبوا[٣] مُرْتَضَى السَّعْي الحميدِ وتجنّبوا مُقْتَضى الرأيِ السديد، فغيرُ نُكرٍ (أنّ ذلك) من شِيَم العبيد. ومَتى نُوقشوا الحساب على كُلّ زَلّة وعُوقوا على كلّ ضِلّة[٤]، أفناهُمُ العِقابُ سريعاً وأهْلَكَهُمُ التأديبُ[٥] جميعاً...

٤- التكملة لكتاب الصلة (تحرير فرنثيسكو كوديرا)، مدريد ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م.

- التكملة لكتاب الصلة (تحرير فنزالس بالنسيه)، مجريط ١٩١٥ م.
- كتاب التكملة لكتاب الصلة (القسم الأوّل المفقود من طبعة الشيخ قداره في مجريط عام ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م ومن طبعةغونثالث وبالنثيا، عام ١٩١٥ م)- (عُني بطبعه وتعليق حواشيه ألفرد بل ومحمّد بن أبي شنب)، الجزائر (المطبعة الشرقية) ١٣٣٧ هـ/ ١٩١٩ م؛ (نشره عزّة العطّار)، القاهرة ١٩٣٥ م؛ القاهرة (مكتبة الخانجي) وبغداد (مكتبة المثنّى) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- فهارس تكملة الصلة، من عمل الاركون وبالنسيا، مدريد ١٩١٥ م.
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي (فرنثيسكو كوديرا إي زيدين)، مدريد (روخس)، ١٨٨٤ - ١٨٨٦ م؛ القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧؛
- الحلّة السيراء (قطع متفرّقة نشرها دوزي)، ليدن ١٨٤٧ - ١٨٥١ م؛ ثمّ باريس ١٨٦٤، ثمّ ١٨٨٣ م؛ قطع أخرى (نشرها موللر) ١٨٨١ م؛ (حقّقه وعلّق حواشيه حسين مؤنس)، القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م.
- إعتاب الكتّاب (حقّقه صالح الأشتر)، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.
- المقتضب من كتاب تحفة القادم: اختيار وتقييد أبي اسحاق ابراهيم بن محمّد بن إبراهيم البلفيقيّ (بتحقيق إبراهيم الإبياري)، القاهرة (المطبعة الأميريّة) ١٩٥٧ م؛ (نشره ألفرد البستاني).....

ثم يتأخّرون في التوبة وإصلاح أخطائهم. أعرقوا: بالغوا (؟). النزع: مدّ القوس (وصع سِيَة القوس - مؤخّرته - في وتر القوس ثمّ جذب الوتر لإطلاق السهم).

(١) الشاكلة: الخاصرة. أصاب الشاكلة (قتل المصاب). أصاب شاكلة الأمر: أحسن العمل وأتقنه...

(٢) في قرطه مراميها (؟).

(٣) تنكّب (الطريق): ابتعد عنه.

(٤) الضلّة (بالكسر): الضلال، ضدّ الهدى، الحيرة، الغفلة عن الصواب.

(٥) التأديب: القصاص، الضرب (في سبيل الإصلاح).

- معارضة « ملقى السبيل » لأبي العلاء المعريّ (مطبوع مع « فتوى في القيام والألقاب » لابن تيمية)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٣ م.
- ديوان ابن الأبار (تحقيق عبد السلام الهرّاس)....
★★-الحلّة السيراء (رسالة لعبد الله الطبّاع)، بيروت (دار النشر للجامعيّين).
- ابن الأبار: حياته وكتبه، تطوان (معهد مولاي الحسن)

المغرب ٢: ٣٠٩-٣١٢؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٥٥-٣٥٨؛ فوات الوفيات ٢: ٢٨٣-٢٨٤؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٥٣-٢٧٥ (رقم ٧٠)؛ القدح المعلّى ١٩١-١٩٧؛ عنوان الدراية ٢٥٧-٢٦٢؛ ابن قنفذ ٣٢٤؛ شذرات الذهب ٥: ٢٩٥؛ نفح الطيب ١: ٣١٥، ٢: ١١٦، ٥٨٩-٥٩٤، ٥٩٧-٥٩٨، ٣: ١٣٩، ١٤٤-١٤٥، ٤٦٧، ٦٠٣-٦٠٤ (؟)، ٤: ٥٨-٥٩، ١١٩-١٢١، ٣١٩-٣٢٠، ٣٢٣-٣٢٤، ٤٥٧-٤٦٠، ٤٧٢-٤٧٣، ٤٩٠-٥٠٧؛ أزهار الرياض ٢: ٢٠٤-٢٢٧؛ المكتبة العربية الصقلية ٣٢٧-٣٣٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٣؛ بروكلمن ١: ٤١٦، الملحق ١: ٥٨٠-٥٨١؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٠ (٦: ٢٣٢)؛ تراجم إسلامية ٣٤٢-٣٥٣؛ نيكل ٣٣٢-٣٣٣؛ مختارات نيكل ١٩١.

أبو المطرِّف بن عميرة

١ - هو أبو المُطرِّفِ أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ الحسنِ بنِ عَمِيرةَ المخزوميُّ(١)، أصلُه من جزيرةِ شُقْرٍ (قُربَ بلنسية)(٢).

وُلِدَ أبو المُطَرِّفِ في بلنسيةَ، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٨٠ (كانون الأوّل - ديسمبر ١١٨٤ م) أو قبلَ ذلك بسنتَيْنِ★. بدأ تلقِّيَ العلمِ في الأندلس ثمّ رَحَل (في الأندلس والمغرب؟) فدرس الحديثَ والفِقه وعِلمِ الكلامِ والأدبَ، ولكنّ مَيْلَهُ كان إلى اللغة:

---

(١) هو غير أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة (بفتح العين أيضاً) الضبّي اللورقي القارىء المحدّث المتوفّى ٥٧٧ هـ (نفح الطيب ٢: ٦٠١). وغير أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة الضبّي (ت ٥٩٩) صاحب بغية الملتمس (راجع ترجمته). ★ في الاحاطة (١: ١٨٥): ٥٨٢ هـ.

(٢) جزيرة شقر بليدة جنوب بلنسية وليست جزيرة. وإنّما قيل لها جزيرة لأنّ الماء (نهر شقر) يحيط بها (وفيات الأعيان، بيروت، ١: ٥٧). راجع تحت (ص ٢١٩) قول أبي المطرّف بن عميرة: هل النهر عقد للجزيرة مثلما عهدنا....؟ وشقر (بالفتح): جزيرة شرقيها (تاج العروس- الكويت ١٢: ٢٢٢). وهي في وفيات الأعيان (١: ٥٧) بالضم: شُقر.

أخذَ عن أحمدَ بنِ هرونَ بنِ عاتٍ (٥٤٢ - ٦٠٩ هـ) وأبي الربيعِ بنِ سالمٍ وابن حَوْطِ الله وأبي الخطّاب أحمد بن واجبٍ (ت ٦١٤ هـ) وعن الشلوبينِ (ت ٦٤٥ هـ).

وعاد أبو المطرِّفِ فاستقرّ في بلنسيةَ مدّةً ثمّ تولّى القضاءَ في شاطبةَ ثمّ في جزيرةِ مَيُورِقَةَ (٦٢٧ هـ)، وكان فيها لمّا استولى عليها الإسبانُ (آخرَ رجبَ ٦٢٨ = ٢/٦/١٢٣١ م). ثم إنّه عاد إلى بلنسية وشَهِدَ سقوطَها[1] أيضاً (٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م).

عندئذٍ جازَ إلى المَغربِ فاسْتَوْطن بِجايةَ مدّةً وأقرأ بها. ثمّ إنّ الرشيدَ المُوحّديَّ (٦٢٠ - ٦٤٠) اسْتَوْزَره. وتولّى القضاءَ بعد ذلك في سَلا ثمّ في مكناسَ ثمّ في سَبْتَةَ. ولمّا استولى المَرينيّون على سبتةَ غادرها إلى تُونِسَ ودخل في خدمة الحفصيّين فاتّخَذَه المُسْتَنْصِرُ باللهِ الحفصيّ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) مُستشاراً.

وكانتْ وفاةُ أبي المطرّف بن عَميرةَ في تُونِسَ ليلةَ الجُمُعة رابعَ ذي الحِجّة من سَنةِ ٦٥٨ (١١/١١/١٢٦٠ م) في الأغلب.

٢ - كان أبو المُطَرِّفِ بنُ عَميرةَ ناثراً وناظماً ومؤرّخاً مؤلّفاً صَنّفَ كتاباً عن «كائنةِ ميورقةَ» (سقوط جزيرةِ ميورقةَ في أيدي الاسبان)، والكتاب مفقود. ويبدو أنّ له كتاباً آخرَ «التّبيان في علم الكلام». ويأتي شعره مُطوّلاتٍ ومُقطّعاتٍ، وبعضُ مطوّلاتِه أفضلُ من مقطعاتهِ في البيتين والثلاثة ممّا قاله في عدد من الأغراض العارضة وبناها على تَوْرِيّات قليلة التوفيق. وفنون شعرِه المدحُ والغزل والشكوى والإخوانيّات (قصائدُ يتبادلها الشعراءُ كما يتبادل سائرُ الناسِ رسائِلَهم). ونثره نوعان: نوعٌ شديدُ التكلّفِ كثير الإشارات حتّى يغمُضَ على القارىء، ولو كان مثقفاً، ثمّ نوعٌ عاديٌّ سهلٌ مُرْسَلٌ ومطلق من الصِّناعة.

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو المُطَرِّفِ بنُ عَميرةَ يتشوّق إلى بَلَنْسِيَةَ بعدَ سُقوطِها ورحيلهِ عنها:

---

(١) نفح الطيب: ٤: ٤٦٠.

ويندُبُ عهداً بالْمُشَقَّر فاللّوى. وأينَ اللوى منه وأينَ المشقّرُ[١]!
تغيّرَ ذاك العهدُ بعدْي وأهلُه. ومَنْ ذا على الأيامِ لا يتغيّر؟
وأقْفَرَ رسْمُ الدارِ إلاّ بَقيّةً لسائِلِها عنْ مِثلْ حالي تُخَبِّرُ.
فلم تَبْقَ إلاّ زَفرةٌ إثْرَ زفرةٍ؛ ضُلوعي لها تنقَدُّ أو تَتَفطّر[٢]؛
وإلاّ اشْتياقٌ لا يزالُ يَهُزّني، فلا غايةٌ تدنو ولا هو يفتُرُ.
أقول لساري البرق في جُنْحِ ليلةٍ كِلانا بها قد بات يبكي ويسهَرُ[٣]،
تعرّضَ مُجتازاً فكان مُذَكِّراً بعهدِ اللِّوى؛ والشيءُ بالشيء يُذكَر.
ألا ليتَ شِعْري، والأمانيُّ ضِلّةٌ؛ وقولي: «ألا يا ليت شِعري» تَحَيُّرُ.
هلِ النهرُ عِقْدٌ للجزيرةِ مِثْلما عَهِدنا؟وهل حَصْباؤه (بعدُ) جوهر[٤]؟
وهل للصَّبا ذيلٌ عليه تجُرُّه فيَزْوَرَّ عنه موجُه المُتكّسر[٥].
وتلك المغاني، هل عليها طَلاوةٌ بما راقَ منها أو بما رَقَّ تسحَرُ؟
ملاعبُ أفراسِ الصَّبابة والصِّبا تروحُ إليها تارة وتُبَكِّرُ[٦].
وقِبْليَّ ذاك النهرِ كانتْ معاهدٌ بها العيش مطلولُ الخميلةِ أخضر[٧]،
بحيث بياضُ الصُّبحِ أزرارُ جَيْبهِ تَطيبُ وأردانُ النسيم تُعطّرُ[٨].

---

(١) اللوى: ما استدار من الرمل: المشقّر: حصن في شرقيّ بلاد العرب (والشاعر يكني بها عن وطنه جزيرة شقر).

(٢) تنقدّ: تنقطع. تتفطّر: تتشقّق.

(٣) الساري: السائر في الليل. الجنح: الجزء من الليل. ساري البرق (البرق الذي يلمع ليلاً). كلانا بها (في تلك الليلة) يبكي (أنا أبكي بدموعي، والبرق يسقط في أثره المطر).

(٤) الجزيرة: جزيرة شقر. هل النهر عقد للجزيرة (يحيط بها). الحصباء: الحصى.

(٥) الصبا: ريح لطيفة تهبّ على شبه جزيرة العرب من جبال فارس مارّة فوق مياه خليج البصرة (والعرب يحبّونها). والشعراء يذكرون الصبا ويعنون بها كلّ ريح محبوبة. ازورّ: مال.

(٦) الصبابة: الحبّ. الصبا: الشباب. تروح (في المساء) وتبكّر (في الصباح): دائماً تهبّ عليها هذه الريح.

(٧) القبلة: الجهة. وتستعمل عادة للجهة الجنوبية لأنّ اتّجاه المسلمين في صلاتهم انتقل في عهد الرسول من القدس (شمال المدينة) إلى الكعبة في مكّة (جنوب المدينة).

(٨) الجيب: مدخل القميص في العنق (أعلى الثوب)، والأردان أطراف الثوب (أدنى الثوب). الريح الطيّبة تعطّر أجواء جزيرة شقر.

ليـالٍ بماء الورد ينضَحُ ثوبُها ... وطيـبُ هواءٍ فيـه مِسْكٌ وعنبر.
جَنـابٌ بأعـلاه بَهـارٌ ونَرْجِس: ... فأبيـضُ مفترُّ الثنايا وأصفر [١].
كذاك إلى أن صاحَ بالقوم صائحٌ ... وأنْـذَر بالبَيْنِ المُشَتِّتِ مُنْذِر [٢].
وفَرّقَهم أيْـدي سَبـا وأصابَهم ... علـى غِرّةٍ منهم قَضاءٌ مُقَدَّر [٣].

– وقال أبو المطرِّف يمدح الأميرَ أبا زكريّا يحيى بن عبدِ الواحدِ الحفصيَّ سلطان تُونِسَ (٦٢٦ – ٦٤٧ هـ) قبلَ أن ينتقل أبو المطرِّف إلى تونس (وفي الأبيات التالية كثير من الجِناس والطِّباق):

شاقَـهُ غِـبَّ الخيـالِ الواردِ ... بـارقٌ هـاجَ غرامَ الهاجـدِ[٤].
لم يكن بعـدَ السُّرى مُسْتَمْتَـعٌ ... فيـه للرائي ولا للرائـد[٥]
مَلِـكٌ لولا حُـلاه الغُرُّ لم ... يَجْرِ بالحمـدِ لسانُ الحامـد.
فضلُه مثلُ سَنا الشمسِ، وهلْ ... لِسَنـا الشمسِ يُرى من جاحد؟
قَهَرَ البَغْيَ بجِـدّ صـادِعٍ ... مـا تعـدّاه وجَـدّ صاعـد[٦].
إنّما آلُ أبي حَفْـصٍ هُـدًى ... للوَرى مِنْ غائـبٍ أو شاهـد..
قَعَـدوا فوقَ النجومِ الزُّهْرِ عن ... هِمَمٍ نَبَّهْنَ عزمَ القاصـد.
وعنِ الإسلامِ ذادوا عندمـا ... فَـلّ طولُ العَهْدِ غَرْبَ الذائد[٧].
أيُّ فخرٍ عُمَرِيُّ المُنْتمى ... وَرِثوه ماجِـداً عن ماجـد[٨]!
مـا الفتوحُ الغُرُّ إلاّ لَهُمُ ... بـين مـاضٍ بادئٍ أو عائـد.

---

(١) جناب: جانب من الأرض. أعلاه (تلاله!). البهار: زهر الربيع (ويطلق عادة على الزهر الأصفر).
(٢) صاح بالقوم صائح (يدعوهم إلى التفرّق أو الهلاك). البين: الفراق.
(٣) أيدي سبأ: في كلّ جهة. غرّة: غفلة. قضاء (حكم) مقدّر (محسوب، مكتوب على الناس).
(٤) غبّ: بعد. الخيال الوارد: الحلم (المنام). الهاجد: النائم؛ الذي يصلّي بالليل.
(٥) السرى: السير في الليل.....
(٦) الجدّ: الجهد (بضمّ الجيم). لعلّها الحدّ (بالحاء المهملة). الصادع: الذي يصدع (يشقّ، يكسر). وصدع بالأمر: أعلنه. الجدّ (بالفتح): الحظّ.
(٧) ذاد: دافع. الغرب: الحدّ (حد السيف). فلّ: ثلم، شقّق، كسّر.
(٨) عمريّ المنتمى: يرجع إلى عمر (بن الخطّاب).

في مُحيّا لاحقٍ من سابقٍ؛ وعلى المولودِ سِيما الوالد.

– كان بينَ أبي المُطرِّفُ بن عَميرةَ وأبي عبدِ الله محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ الجَنّان (توفي بعيد ٦٥٠ هـ) وأبي الحسنِ عليّ بن محمّدِ الرُّعَيْنيّ بنِ الفَخّار (٥٩٢ – ٦٦٦ هـ) مراسلاتٌ. وكانوا جميعاً كثيري التكلّفِ للصِّناعة في رسائلهم مَعَ حَشْدِ الإشارات المُختلفةِ من أدبيةٍ وتاريخية وجغرافية. وبما أنّ حرفَ النونِ موجودٌ في اسْمَيْ أبي الحسنِ الرُعيني وابنِ الجَنّان، فقد كتب أبو المطرّفِ رسالةً التزم في كلِّ كلمةٍ منها حرفَ النون نثراً ونظماً. من هذه الرسالة (الذيل والتكملة ٥: ٣٤٨ – ٣٤٩):

محاسنُ دُنيانا تبينُ لناظرٍ يُنَقِّبُ عنها مُسْتَبِينا لعَيْنِها[١]
نَجيبُ الرُعَيْنِيِّينَ مارنُ أنفِها، ونَدْبُ بني الجَنّان إنسانُ عَيْنها[٢].

البيانُ أنواعٌ. وإنْ ظُنَّ أنّ يمينَه صَناعٌ، فَلِنَسْجِه ناسٌ نَعْرِفهم نقلاً وعَيْناً[٣]، ونَعُدّهم زماناً زماناً. فنَجِدُ مناقِلَهم نابِيَةً ونسَبَهُم مُتدانية ومَنازِعَهم عنِ الإحسان وانيةً[٤]: معانٍ عُونٌ وغِيطانٌ وحُزونٌ، ونُكَتٌ تندرُ ونُبَذٌ عُيونِ النَقْدِ نحوَها تنظر[٥]. وإنّما الصِّناعة لناظِمَيْ جُمانِها ومُتناوِلَيْ عِنانها[٦] اللذينِ يُنَوِّعانِ الإنشاء ويَضَعان أمْكِنَةَ النُّقَبِ الهِناءَ[٧]...... إنْ نَظَمَا أنْسَيا فِنْدَ زِمّانَ ونابغةَ بني ذُبيانَ وابنَ الحسينِ عندَ بني حَمدانَ وحُنْدُجانَ ونَسيبَه بالحِسان، وابنَ القَيْن ونصيبَه من

(١) – محاسن الدنيا لا تبين (لا تظهر) إلّا للناظر المتأمّل الذي ينقّب (يبالغ في البحث). عينها (هنا): حقيقتها، وجودها المادّيّ.

(٢) النجيب: الفاضل على مثله. الرعينيون: بنو رعين (أفضل بني رعين). المارن: أعلى الأنف (كناية عن الرفعة والشرف). الندب: النجيب. إنسان العين: البؤبؤ (كناية عن أفضل الأشياء).

(٣) الصناع: الماهر، البارع. نقلًا (سماعاً عنهم) وعينا (مشاهدة لهم).

(٤) المنقل (بالفتح): الطريق المختصر. المنقلة (بالفتح): أرض ذات حجارة. نابية (من نبأ أو من نبو): مرتفعة أو غير مستوية. مناقلهم نابية (؟). وانية: ضعيفة، مقصّرة.

(٥) عون (جمع عوان): (هنا) مكرورة، معادة. الغوط والغيط (بالفتح فيهما): أرض واسعة منخفضة ليّنة. الحزن (بالفتح): أرض صلبة يصعب فيها السير. النكتة: الفكرة الطريفة اللطيفة. النبذة (بالضمّ أو بالفتح): القطعة (المنبوذة: القليلة القيمة!).

(٦) الجمانة (بالضمّ): اللؤلؤة الكبيرة. العنان: رسن الدابّة.

(٧) النقبة (بالضمّ): الجرح أو النقرة (بالضمّ) من أثر الجرب. الهناء: القطران (يضعان الأمور مواضعها).

الإحسان (١). وإن نَثْراً فَمَنْ ساكنُ أرّجانَ ونائب ديوان الإنشاء ببَغْدانَ (٢) وأصنافٌ كان من شأنهم وكان؟ يميناً بالرحمنِ والمَثاني والقُرآنِ وبالنور والسكينة والنبيّ ومكانهِ من المدينة (٣)، إنّهما لَلَبِنَتَا بناءِ البيانِ وأنْجَبُ أبناء الزمان (٤): نزَلاَ منزلَ الفرْقَدْينِ وتناولا أنواعَ المناقبِ باليَدَيْنِ (٥). فمن نزاهةٍ تُناطح كِيوانَ ونَوالٍ يُنسي مَعْنَ بني شَيبانَ (٦).

- لمّا استولى الإسبان على بلنسيةَ عَظُمَ الرُّزْءُ على المسلمين، فكتب أبو المُطرِّفِ إلى الشيخ أبي جعفرِ بنِ أُميّةَ (نفح الطيب ١: ٣٠٥ - ٣٠٨):

ألا أيّها القلبُ المُصرِّحُ بالوَجْدِ، أما لكَ من بادي الصَّبابة من بُدِّ (٧)؟
وهـلْ مِنْ سُلُوٍّ يُرتجـى لِمُتَيَّمٍ له لَوْعةُ الصادي ورَوْعة ذي الصَّدِّ (٨)؟
يَحِنُّ إلى نجـد. وهيهات! حرَّمت صروفُ الليالي أن يعود إلى نجد (٩).
أمن بعدِ رُزءٍ في بَلَنْسِيَةٍ ثَوى بأحْنائنا كالنارِ مُضْمَرَةَ الوَقْد (١٠)،
يُرَجّي أُنـاسٌ جُنّـةً من مصائبٍ تُطاعِنُ فيهم بالمُثَقّفةِ المُلْد (١١)؟

---

(١) الفند الزمانيّ والنابغة الذبياني والخندجان (خندج: امرؤ القيس) شعراء جاهليون. ابن الحسين (المتنبّي). بنو حمدان (قوم سيف الدولة). ابن القين (الحدّاد) يقصد به الفرزدق، لأنّ جريراً كان يعير الفرزدق بأنّه من قوم حدّادين (أي مدنيّين).

(٢) بغدان = بغداد. ساكن أرّجان ونائب ديوان بغداد (؟؟).

(٣) المثاني: الآيات (تثنّى: تقرأ ثانية وثالثة، إلخ، تكرّر)، النور والسكينة معروفان والمقصود منهما (هنا) غامض.

(٤) اللبنة: قطعة من الطين المطبوخ أو من الحجر تجعل في بناء الجدران.

(٥) الفرقدان: النجم القطبي (وهو نجم مزدوج). المنقبة: الفعل الكريم والمفخرة.

(٦) كيوان: كوكب زحل. معن بني شيبان هو معن بن زائدة (ت ١٥١ هـ) من الفصحاء والشجعان والكرماء.

(٧) الوجد والصبابة: الحبّ.

(٨) المتيّم الذي تيّمه (أمرضه) الحبّ. اللوعة: التألّم. الصادي: العطشان (المشتاق إلى المحبوب) الروعة: الهيبة. ذو الصدّ: المائل عمّن يريده (المحبوب).

(٩) نجد (الأرض المرتفعة): مقاطعة في شماليّ شبه جزيرة العرب (كناية عن جزيرة شقر).

(١٠) أحناؤنا: ضلوعنا (في قلوبنا).

(١١) جنّة (بالضمّ): حماية، ستر. المثقّف: الرمح. الأملد: الناعم الليّن من الغصون (يقصد الرمح المستقيم الذي ينحني ولا ينكسر).

وهلْ أذنَبَ الأبناءُ ذنبَ أبيهِمُ فصاروا إلى الإخراج من جَنّة الخُلْد[١]؟

مَرْحباً بالسحاءة[٢] وما أعارتْ أُفُقي من الوَضاءةِ، ووَرَدَتْ تسحَرُ النُّهى وتسحَبُ ذَيْلاً على السُّهى[٣]..... بلاغةٌ تَفْتِنُ كلَّ لبيب وتَرْعى رَوْضَ كلّ أديب وتَغِضّ على رُغْمِ العدوّ مِنْ حبيبٍ[٤]..... وأجْرَيْتَ خَبَرَ الحادثةِ التي مَحَقَتْ بدرَ التَّمام وذهبت بنَضارة الأيام. فيا مَنْ حَضَرَ يومَ البَطْشةِ وعُزِّيَ في أُنسه بعد تلك الوحشة، أحقًّا أنّه دُكَّتِ الأرضُ ونَزَفَ المَعينُ والبَرْضُ وصَوّحَ[٥] رَوْضُ المُنى وصرّحَ الخَطْبُ وما كَنى؟ أبِنْ لي كيف فُقِدَتْ رَجاحةُ الأحلام وعُقِدَتْ مَناحةُ الإسلام..... أحُلْمٌ ما نرى؟ بل ما رأى ذاك حالمٌ: طوفانٌ يُقال عنده: لا عاصمَ[٦]! مَنَ يُنْصِفُنا من الزمان الظالم؟ اللهُ بما يَلْقى الفؤادُ عالم.

– وقال في تاريخ جزيرة ميورقة: ٱستيلاء الإسبان عليها (نفح الطيب ٤: ٤٦٩ – ٤٧٠) – وقوله هنا من النثر المُرسَل.

إنّ سَبَبَ أخْذِها من المسلمين أنّ أميرَها في ذلك الوقت محمّدَ بنَ عليٍّ بنِ موسى كان في الدولة الماضيةِ أحدَ أعوانِها، وَوَلِيَها سَنَةَ سِتٍّ وستِّمِائَةٍ، واحتاج إلى الخشب المجلوبِ من يابِسَةَ[٧]. فأنفذَ طريدةً بحريةً وقِطعةً حربيةً[٨]. فعَلِمَ به والي طُرطوشَة فجَهّزَ إليها من أخذها. فعَظُمَ ذلك على الوالي وحدّثَ نفسَه بالغَزْوِ لبلاد الروم[٩]،

---

(١) ذنب أبيهم (آدم).

(٢) السحاءة: الغيمة، السحابة (!). تسحب ذيلًا (تفتخر).

(٣) السها والسهى: نجم خفيّ (لبعده وعلوه).

(٤) غضّ منه: حطّ من قدره. حبيب (أبو تمام الشاعر).

(٥) أجريت خبر الحادثة (ذكرت سقوط بلنسية). محقت بدر التمام (ذهبت بنوره، أعادته مظلماً). دكّت الأرض دكًّا: تهدّمت، سقط كلّ ما عليها. نزف: فني، نفد. المعين: الماء الكثير الجاري. البرض: البئر القليلة الماء. صوّح: يبس.

(٦) لا عاصم: لا مانع، لا حام. (ليس ثمّة شيء يمنع المصيبة).

(٧) يابسة: جزيرة صغيرة في أرخبيل البليار (شرق الأندلس).

(٨) طريدة (يبدو أنّها قطعة بحرية).

(٩) طرطوشة: في شمال شرقيّ جزيرة الأندلس (في منتصف المسافة بين بلنسية وبرشلونة). والي طرطوشة الإسباني. بلاد الروم (إسبانية التي كان يحكمها النصارى – والعرب كانوا، في الأندلس، يطلقون اسم الروم على كلّ طوائف النصارى).

وكان ذلك رأياً مشؤوماً. ووَقَع بينَه وبينَ الروم ★. وفي آخرِ ذي الحِجّة سَنَةَ ثلاثٍ وعِشرين وستِّمِائَةٍ بلغَه أنّ مُسطّحاً من برشلونَة[1] ظهر على يابِسَةَ و (أنّ) مركباً آخَرَ من طرطوشةَ انضمّ إليه. فبعث وَلَدَهُ في عِدّةِ قِطَعٍ إليه حتّى نزل مَرْسى يابِسَةَ. ووجد فيه لأهلِ جَنوةَ[2] مركباً كبيراً، فأخذه وسار حتّى أشْرَفَ على المُسطَّحِ فقاتله وأخذه. وظنّ أنّه غالبُ الملوكِ، وغابَ عنه أنّه أشأمُ من عاقرِ الناقة[3]. وإنّ الرومَ، لمّا بَلَغَهُمُ الخَبَرُ، قالوا لِمَلِكِهِمْ وهو من ذُرّية أذْفونْشَ[4]: كيف يَرْضى المَلِكُ بهذا الأمرِ ونحن نقاتلُ بنفوسِنا وأموالنا؟[5]....

٤ - ★★ أبو المطرّف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، تأليف محمّد بن شريفة، الرباط (جامعة محمّد الخامس) ١٩٦٥ م.

المغرب ٢: ٣٦٣ - ٣٦٤؛ الوافي بالوفيات ٧: ١٣٣ - ١٣٥؛ القدح المعلّى ٤٢ - ٥٢؛ تحفة القادم ١٤٥ - ١٥٠؛ الذيل والتكملة ١: ١٥٠ - ١٨٠ (رقم ٢٣١)؛ أعمال الأعلام ٢٧٣ - ٢٧٤؛ الإحاطة ١: ١٧٩ - ١٨٦؛ الديباج المذهب ٤٦ - ٤٧؛ جذوة الاقتباس ٧٢؛ عنوان الدراية ٢٥٠ - ٢٥٣؛ بغية الوعاة ١٣٧ - ١٣٨؛ نفح الطيب ١: ٣٠٥ - ٣١٧، ٣: ١٤٥ - ١٤٧، ٤٨٧ - ٤٨٨، ٤: ٤٦٩ - ٤٧١، ٤٩٠ - ٤٩٦، ٥٠٦ - ٥٠٧، ٦: ٢٤٦ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٤ - ٧٠٨؛ بروكلمن ١: ٣٨١، الملحق ١: ٥٤٦؛ الأعلام للزركلي ١: ١٥٢ - ١٥٣ (١٥٩)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٠ - ١٩٤.

ابن عربيّة[6]

١ - هو أبو عمروٍ عُثمانُ بنُ عتيقِ بنِ عثمانَ القيسيُّ المعروفُ بآبنِ عَرَبيّةَ وُلِدَ في

(١) مسطّح: يبدو أنّه نوع من المراكب. برشلونة: مرفأ كبير مهم في شمالي شرقي جزيرة الأندلس.

(٢) جنوة. مرفأ في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة إيطالية. ★..... (كذا).

(٣) قالوا اسمه: قدار (بالضمّ)، عقر (ذبح) الناقة التي أرسلها الله اختباراً لقبيلة ثمود قوم النبي صالح، فغضب الله على ثمود وهدم بلادهم.

(٤) الأذفونش في الأصل اسم علم على شخص (كان في إسبانية عدد من الملوك يحملون هذا الاسم). ثمّ أصبح هذا الاسم كاللقب لملوك إسبانية النصارى، كما كان كسرى لقباً لملوك الفرس وقيصر لقباً لملوك الروم والرومان.

(٥) وهده الرساله تتمة تصف تشتّت آراء المسلمين وتخاذلهم في القرن الأخير من حياتهم في الأندلس.

(٦) يرد هذا الاسم: عربية (بفتح ففتح) عُرَيْبَة (بتقديم الياء وبالتصغير). وقد اخترت القراءة الأولى.

المهْديّة، سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ - ١٢٠٤ م)، ونشأ بها. ثمّ إنّه انتقلَ إلى تُونِسَ الحاضرةِ واتّصلَ بأبي زكريا يحيى بنِ عبدِ الواحدِ (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) فولاّه القضاءَ في تبرسقَ. وكانتْ وفاتُه في تبرسقَ، ٢٨ المحرم ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م).

٢ - كان ابنُ عَرَبيّةَ عالماً بالحديثِ وبالفِقه وبعددٍ من فنونِ الأدبِ، غيرَ أنّ شُهرتَه كانتْ في الشعرِ. وهو شاعرٌ مُجيد يُقلّد المَشارقةَ مِن الإسلاميّين والمُحْدَثين (الأُمويّين والعبّاسيّين). وأغراضُه وُجدانيّةٌ في النسيبِ والعِتاب والوصف. وربّما تكلّفَ استعمالَ الغريب من الألفاظ. وهُوَ مِنَ الذين خَمّسوا القصيدةَ الشقراطيسية لعبد اللهِ بنِ يحيى الشُّقراطيسيّ (ت ٤٦٦ هـ) في مدح الرسول. ثمّ هو مُصنِّف، له: جوامعُ الكَلِمِ النَّبويّة - آثارُ السَّحابة في شُعراءِ الصَّحابة - قصائدُ المِدَحِ ومصائِدُ المِنَح (وهي ديوانه). ثمّ له عدد من الكتب في الحديث والفِقه.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن عربية في النسيب والعِتاب:

أَلا، فَرَعَى اللهُ الحِمى ونَسيمَه، ... وإن جلَّ ما أَلْقاه من ساكني الحِمى[١]،

وتَيَّمكم، يا أهلَ نَجدٍ. فإنّني ... أراكم تَلومون المَشوقَ المُتَيَّما[٢].

هَجَعْتُم. ومَنَ لي بالهُجوعِ؟ فرُبّما ... أَلَمَّ بـه مِنْكم خَيـالٌ فسلّما[٣].

أيطرُقُ جَفْناً باتَ مِنّيَ ساهراً ... ويتْرُكُ أجْفاناً لكم بِتْنَ نُوّما[٤]؟

ولمّا استطارَ البرقُ قُلْتُ لصاحبي: ... أقلبي هَفا أَمْ ثَغرُه قد تبسّما[٥]؟

أعارَ وميضَ البرقِ حُسْنَ ابتسامهِ ... وماذا عليه لو أعارَ له اللَّمى[٦]؟

---

(١) جلّ: عظم، كثر، اشتدّ. ما ألقاه (من العذاب في البعد عن محبوبي في الحمى).

(٢) تيّم الحبّ الرجل: اشتدّ عليه فأمرضه.

(٣) ألمّ (مرّ، زار) به (فيه: في الهجوع،: الإغفاء، النوم). في الأصل «مسلماً» (ولا وجه لها). اقرأ: فسلّما.

(٤) طرق: زار ليلاً. - أنا سهران لا أرى حبيبي في نومي (ولا في اليقظة - بفتح ففتح). وأنتم تنامون ملء جفونكم، ولكن لا ترونه في منامكم (لأنكم لا تفكّرون به ولا تعرفون مكانته ولا تدركون جماله).

(٥) استطار: انتشر. أقرب المعاني للفعل «هفا» هنا: حنّ، اشتاق.

(٦) اللمى: السمرة في الشفاه.

أوِ البَرَدَ العَذْبَ الذي لن تُذيبَه حرارةُ أنفاسِ امرِئٍ قَبّلَ الفَما[1]؟
تعلّم منه خُلَّبُ البرقِ خُلْفَه؛ فمِنْ أيّما بَرْق تراه تعلّما[2]؟

- وقال في الحنينِ إلى الوطنِ (وقد تكلّف فيه الغريبَ من الألفاظ):

أقولُ لركْبٍ قافلٍ من مُعَرَّسٍ بجَمّة، تَردي بالحُمول مَشاحِجُهْ[3]:
لكَ اللهُ، أمْتِعْنا عنِ البلدِ الذي أكابرُه أسْلافُنا وأبالِجُهْ[4]؛
وعن وطنٍ، لولا العُلى وطِلابُها لَعَزَّ على مَثوايَ أنّيَ خارجه[5]
وعن رسمِ إيوانٍ تداعتْ عِراصُه ودُكّتْ حَناياه وخَرّتْ معارجُه[6]؛
وما صَنَعَ القصرُ العُبيديُّ والحِمى وسورُ المُصلّى والكَثيبُ وعالِجُهْ[7]؟

---

(١) البرد: قطرات الماء التي تجمد بعد سقوطها من السحاب (كناية عن أسنان المحبوب).

(٢) البرق الخلّب (الذي يبرق ويرعد ثم ينقشع غيمه من غير أن يمطر). الخلف (بالضم): إخلاف الوعد. - هذا المحبوب تعلم قلة الوفاء بالوعد من هذا البرق الذي نراه في سمائنا، فمن أي برق أخذ لون أسنانه البيض وعذوبة ريقه؟

(٣) الركب جماعة (على إبل) في سفر. قافل: راجع. المعرس: المكان الذي ينزل فيه المسافرون في أثناء سفرهم ثم يتابعون السفر بعد ذلك. الجمّة: مكان يجتمع فيه ماء كثير. وجمّة (هنا) بلد (في تونس؟). تردي الخيل: تضرب الأرض بحوافرها ضرباً من سرعة جريها. الحمول جمع حمل (بالفتح): الهودج على الجمل (شبه بيت تركب فيه النساء). مشاحج (؟). المشحج (بالكسر): الغراب. - لعله يقصد البغال التي تحمل النساء والأحمال.

(٤) أمتعنا: حدّثنا حديثاً ممتعاً (يسرنا). الأبالج (؟) - الأبلج: الأبيض، الجميل، الكريم الأصل، الجواد، وجمعها بلج (بالضم).

(٥) خارجه: خارج منه (بعيد عنه). - خارج: خبر «إن» وليست «ظرفاً متعلقاً بالخبر المحذوف (؟).

(٦) الرسم: أثر البناء بعد زواله. الإيوان: البناء العظيم لمجلس الملك. تداعى: تهدّم. العرصة (بالفتح): المكان الواسع بين البيوت لا بناء فيه (والاستعمال هنا خطأ).
دك (بالبناء للمجهول) القصر: هدم كله. الحنيّة: القنطرة المعقودة. خرّ: سقط. المعراج (بالكسر): المصعد (بالفتح): الطريق يصعد فيها السائر. والشاعر يقصد بالمعارج السلالم جمع سلم (بضم ثم لام مشدّدة مفتوحة).

(٧) القصر العبيدي: (القصر الذي كان ينزل فيه أئمة العبيديين (الفاطميين) في المهدية (في القطر التونسي). الحمى (المكان المحروس: مسكن النساء، والقلعة). الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب. عالج: الرمل المتداخل المتراكب. لعل الشاعر يقصد بالكثيب وعالج مكانين للنزهة (راجع البيت التالي).

وشاطِئُـهُ أنّـى تنوّعَ حُسْنُـه، وخِضْرِمُـه أنّى تَدَفّعَ مائجه[١]؟
سلام عـلى المَهْدِيّتَيْنِ ففيهما أبٌ بِنْتُ عنه قاصرُ الخَطْوِ هادِجُه[٢].

٤ - ★★ رحلة التجاني ٣٧٥ - ٣٨٠؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٧ - ١٩٩؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٧١ (٢٠٩).

أحمد اللّبْلياني

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ إبراهيمَ اللّلياني - نسبةً إلى لَلْيانة قُرب المَهْديّة، في القُطر التونسيّ - انتقلَ به أبوه إلى تُونِسَ الحاضرة (العاصمة)، وفيها لازمَ الإمامَ أبا زكريّا البَرقيّ.

تولّى أحمدُ اللّليانيُّ عدداً من أعمال الدولة في أيام المُسْتنصرِ الأوّلِ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). وكانتْ له في الوقتِ نفسهِ صِلاتٌ تجاريّة بِفَرنسةَ وإيطاليةَ فجَمَعَ من ذلك ثَرْوةً كبيرةً كانتْ سبباً لَحسَدِه عليها ثمّ مُصادرتِها. ولم يَشْفِ ذلك غِلَّ السُّلطان له فقتَله بعدَ ذلك في المُحرَّم من سَنَة ٦٥٩ (في آخرِ شهور ١٢٦٠ م).

٢ - كان أحمدُ اللّليانيُّ فقيهاً وشاعراً مَشْرقيَّ الدِيباجةِ مَشرقيَّ الأغراضِ متينَ السَبْكِ صحيحَ التعبير. وفنون شعرهِ الغزلُ والعِتاب. وداليّتُه التي تأتي في «مُختاراتٍ من شعرهِ» تُذكّرنا باليتيمةِ: «هلْ بالطُلولِ لسائلٍ ردُّ؟» (راجع ٢: ١٩٧).

٣ - مختارات من شعره

- كان أحمدُ اللّليانيُّ بعيدَ الطموحِ يُحَدِّثُ نفسَه بأمورٍ كثيرة (بالوصول إلى السُّلطة مثلاً). وفي مثل ذلك يقول:

---

(١) أنّى: كيف. الخضرم: البحر العظيم.
(٢) المهديّتين: ... (؟). المهديّة: بلد في منتصف الساحل الشرقي من القطر التونسي. بنت عنه: ابتعدْتُ (من بان يبين). قاصر الخطو (ضعيف عاجز عن المشي). الهادج: الذي يمشي بصعوبة أو بارتعاش.

في أُمِّ رأسي حديثٌ لسامعٍ ليس يُبْصِرْ[1].
فإنْ تطاولَ عُمري وساعَدَ الجَدُّ يَظْهَرْ[2].
أرى جُموعاً صِحاحاً، ومذهبي أنْ تُكَسَّرْ[3].

- وله في الغزل:

شادنٌ في القلب مرتعُهُ خَصَّه بالحُسْن مُبْدِعُهُ[4].
لامني فيه أخو سَفَهٍ بكلامٍ لست أسْمَعُه[5].
رُدَّ لي قلبي لِتَعْذُلَه، فهْوَ في كَفَّيْهِ أجمعُهُ[6].
هل يُرى دهرٌ يجودُ به بعدَ ما قد كان يمنَعُه.
وشقيقِ النفس يُتْحِفُني بحديثٍ جَلَّ مَوْقِعُه[7]،
لفظُهُ دُرٌّ يُساقِطُهُ، وبَناني السمعُ يجمَعُه[8].

- وقال أحمدُ اللْليانيُّ في العتاب:

هذي العُذَيْبُ، وهذهِ نَجْدُ! أينَ الذي يَقضي بهِ الوَجْدُ[9]؟

---

(١) أمّ الرأس: الدماغ. لسامع ليس يبصر (يسمع كلامي ولكن لا يتبيّن معناه ولا يدرك ما يخبّئه له المستقبل).
(٢) الجَدّ (بالفتح): الحظّ.
(٣) في البيت توريتان. الجمع الصحيح (جمع الأسماء جمعاً مذكّراً سالماً أو مؤنّثاً سالماً ثمّ، جماعات من الناس: أهل الدولة مثلاً). تكسير الجمع من الكلام جمعه على غير نسق معلوم: جمع ثائر ثائرون (جمعاً سالماً) وثُوّار (جمع تكسيرٍ). وتكسير الجمع (من الناس) تفريقه.
(٤) الشادن: الغزال الصغير (المحبوب). في الأصل: خصّه في الحسن أبدعه. المبدع: الخالق (الله).
(٥) السفه: النقص في العقل.
(٦) عذل: لام. - إذا أردت أن أسمع لَوْمَك في حبيبي حتّى أهجره فاعملْ أوّلاً على أن تردّ إليّ قلبي الذي هو أسير في يدي محبوبي.
(٧) شقيق النفس: الذي هو عندك بمنزلة نفسك (روحك، حياتك). المحبوب. جلّ موقعه: عظم وقعه (تأثيره في نفسي).
(٨) - كلام محبوبي درّ (جوهر، لؤلؤ) يلقي به وهو يتكلّم، وأنا أصغي إليه بانتباه كأنّي ألتقط اللؤلؤ ببناني (أطراف أصابعي) من الأرض.
(٩) العذيب: نبع ماء (وماؤه قليل ولكن حلو) قرب ينبع (ثغر المدينة المنوّرة). هذي العذيب...... هاهي قريبة منّي. الوجد: الحبّ. الذي يقضي به الوجد أن يزور المحبّ أرض حبيبه.

مـا هكـذا حـالُ المُحِـبِّ إذا ... أعـلامُ رَبْـعِ حبيبـهِ تبـدو[١].
سَرِّحْ دُموعَ العـــينِ مُبْتَـــدِراً ... وبذِكْرِ ماضي عَهْدِهِمْ فَاْشْدُ[٢].
واْلْثِمْ عـــلى شَغَـــفٍ مواطِئَهُمُ، ... إنْ عـاقَ عن مَقصودِكَ البُعْـد.
لم أنسَ يومَ وَداعِهِمْ سَحَراً، ... والدمـــعُ أسْلَم دُرَّهُ العِقْـدُ[٣].
فعَسَى اللِقـــاءُ يكونُ مُقْتَرِنـــاً ... إنْ أنجَدَتْ كَلَفاً بـه نَجْـدُ[٤].
ولعـــلّ مـــا نرجو تَجودُ بـــه ... كـفُّ الزمانِ ويُسْعِدُ الجَدّ[٥].

٤- ★★ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٥ - ١٩٧؛ عنوان الأريب ١: ٧٣ - ٧٤.

أبو بكر بن سيّد الناس

١- هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ الفقيه أبي العبّاسِ أحمدَ (٥٦١ - ٦١٨ هـ) بنِ عبدِ الله (٥١١ - ٥٩١ هـ) بنِ محمّدِ بنِ يحيى بنِ محمّدِ[٦] بن سيّدِ الناس اليَعْمُريُّ الإشبيليُّ، أصلُ أهلهِ من مَنْبجَ قُرْبَ حَلَبَ (في الشام)، وأصلُ أهلهِ الأقربين من أُبّذَةَ من عَمَلِ جيّانَ.

يذكُرُ أبو بكرِ بنِ سيّدِ الناس عن نفسِه أنّه وُلِدَ لعَشْرِ لَيالٍ بَقِيَتْ من شهر أكتوبرَ الأعجميِّ في صدر سَنَةِ سَبْعٍ وتسعين[٧]. فعلى هذا يكونُ مولدُه في عاشرِ المُحَرَّم من سَنَة ٥٩٧ (٢١/١٠/١٢٠٠ م)، في الحُجيرة من قُرى إشبيلية، وبدأ تلقّي العلمَ على

(١) الأعلام: الجبال، الأماكن العالية البارزة. الربع: المسكن. - لا يفعل أحد مثل فعلي: يرى أرض حبيبه ثمّ لا يذهب إليها.

(٢) ابتدرت العين: سال دمعها. المبتدر (الذي يبكي كثيراً؟). شدا: غنّى - كان ماضي عهدي معهم سعيداً.

(٣) أسلم دره العقد: انقطع سلكه وتفرّقت حبّات لؤلؤه (كناية عن كثرة بكائه).

(٤) أجدت: ساعدت (نجد على إتاحة الفرصة لزيارتها).... مقتربا (!).

(٥) الجدّ (بالفتح): الحظّ.

(٦) ساق الرواة نسب أبي بكر بن سيّد الناس سياقة أطول، مع شيء من الاختلاف (راجع «عنوان الدراية» و «الذيل والتكملة»).

(٧) سنة سبع وتسعين وخمسائة. أكتوبر العجمي (تشرين الأوّل) والشهر العاشر من السنة الشمسيّة في الحسبان الحديث.

أبيه ولازَمَهُ خمسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وعلى جدّتهِ لأبيه أمِّ العَفافِ نُزهةَ بنتِ سُليمانَ اللَّخميِّ ولازَمَها ستَّ سَنَواتٍ ونِصفَ سَنةٍ. ثمّ يذكُرُ نفراً كثيرين من الذين قالَ إنّه تلقّى العلمَ عليهم، منهم: أبو حفصٍ عُمَرُ بنُ عبدِ الله بنِ عُمَرَ السُّلَمِيُّ (ت ٦٠٣ هـ) وأبو ذَرٍّ مُصْعَبُ بنُ محمّدٍ الخُشَنيّ (ت ٦٠٤ هـ) وأبو الحسن بن خَروفٍ النَّحْويُّ (ت ٦٠٩ هـ) وابنُ جُبيرٍ الرحّالةُ (ت ٦١٤ هـ) وأبو القاسمِ محمّدُ بنُ عبدِ الواحد الملاحيّ (ت ٦١٩ هـ) وغيرُهم كثيرون، حتى قال ابنُ عبدِ المَلِكِ المَرّاكُشيُّ (الذيل والتكملة: ٥ : ٦٥٧): «وشُيوخُه كثيرون يتعذَّر إحصاؤهم ويدعو إلى السَّأَم ٱسْتقصاؤهم»، مَعَ أنّه قد سَرَدَ من أسمائهم ما ملأ أربعَ صَفَحاتٍ (٥ : ٦٥٤ - ٦٥٨). ويبدو أن ٱبنَ سيد الناس كان مُبالِغاً في عددِ الذين تلقّى عَلَيْهِمُ العِلمَ وفي العلمِ الذي تلقّاه أيضاً، حتّى (الذيل والتكملة ٥ : ٦٥٨) «أنكرَ كثيرٌ من الناس عليه ذلك ونَسَبوه إلى ٱدّعائه ما لم يَرْوِهِ (من العلم) ولقاءِ مَنْ لم يَلْقَهُ (من الشيوخ) على الوجه الذي زَعَمَهُ.

وأكْتَبَ أبو بكرٍ بن سيّدِ الناسِ (أيْ جعَلَ الناسُ يكتبون عنه ما يُلقي من فُروع العلم) بِحُصْنِ القَصْرِ (قربَ إشبيلية) مدّةً - وفي الإكتابِ أذهَبَ مُعْظَمَ عُمُرِهِ في الأندلس - ثمّ فَصَلَ عنها وأكتبَ القُرآنَ في قريةٍ خاملة من قُرى شَريشَ (من أقصى الجَنوب الغربيّ من الأندلس) تدعى بُونِينَهْ. ثمّ فصَل (نَزَحَ) من بُونِينَهْ، بعدَ سَنَةِ ٦٤٠ للهِجرة، إلى سَبْتَةَ (في أقصى الشَّمال من المَغْرب، على البحر المتوسّط)، بعدَئِذٍ ٱنتقلَ إلى بِجايةَ (في القُطر الجزائريّ اليومَ) فتولّى الإمامة والخَطابة بجامِعها.

وفي حُدودِ سَنَةِ ٦٥٤ للهجرة (١٢٥٦ م)، دعاه المُسْتَنْصِرُ[١] الحَفْصيُّ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) إلى تُونسَ الحاضرةِ وولّاه الإمامة والخُطْبة بجامعهِ.

وقد كانت وفاتُه بحاضِرَةِ تُونِسَ، في جُمادى الأخيرة[٢] من سَنَةِ ٦٥٩ للهِجرة

---

(١) في عنوان الدراية المستنصر (ص ٢٤٧) مرّتين. وفي الحاشية: تخطئة لنيل الابتهاج لأنّه قال المنتصر (راجع نيل الابتهاج ٢٢٩). وفي «خلاصة تاريخ تونس» لحسن حسني عبد الوهّاب «المستنصر (ص ١٠٨ - ١٠٩) أربع مرّات، وفي الصفحة ١٢٥ «المنتصر». وفي زامباوّر (ص ١١٥): «المنتصر» وفي الحاشية المستنصر.

(٢) في «عنوان الدراية (ص ٢٤٩): وكانت وفاته يوم الثلاثاء، الثالث والعشرين جمادى الآخرة، سنة تسع =

(١٢٦١ للميلاد). ولَحِقه قُبيَل موته مَرَضٌ في عَيْنَيْهِ (راجع نفح الطيب ٤ : ١١٠).

٢ - كان أبو بكرِ بنُ سَيِّدِ الناس بارعاً في القِراءات حافظاً للحديث عارفاً برجالِهِ وبأسمائهم وبتاريخِ وَفَياتِهم ومَبْلَغِ أعمارهم. وكان يقومُ على البُخاري[١] قِياماً حَسَناً. وكان إذا قرأ الحديثَ يُسْنِدُهُ (إلى رُواته) حتّى يَنْتهِيَ إلى النَّبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّم. ثمّ إذا آنتهى الإسنادُ (رُجوعاً إلى الرسول) عادَ إلى ذِكْرِ رِجالِهِ من الصَّحابة والتابعينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ واحداً واحداً يُعَرِّفُهم نَسَباً وآسماً وصِفةً (حتّى يَنْتهِيَ نُزولاً) إلى شيخه..... ثمّ يذكُرُ لُغةَ الحديث وفِقْهَه والخِلافَ العالي[٢] ودقائقَه ورقائقَه والمُستفادَ منه (راجع عنوان الدراية ٢٤٦ - ٢٤٧ ونيل الابتهاج ٢٢٩).

ثمّ هو خطيبٌ ولُغَويٌّ وتاريخِيٌّ وشاعرٌ.

وقيل في أبي بكرِ بنِ سيّدِ الناس (الذيل والتكملة ٥ : ٦٥٨ - ٦٥٩): « وتصدّى لإسماع الحديث وغيره مُتظاهراً بِسَعة الرِّواية والإكثار عن[٣] الشيوخ... فأنكر كثيرٌ من الناس عليه ذلك.... وعلى الجُملة، فقد كان قاصراً عمّا تعاطاه من ذلك شديدَ التجاسُرِ عليه، مُتأَيِّداً بما ناله من الجاه والحُظوة عند الأمير بِتُونِسَ ».

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو بكرِ بنُ سَيّدِ الناس يَتَشوّقُ إلى زيارةِ البيتِ الحرامِ (الكعبةِ المُشرّفةِ في مكّةَ):

أيا سائراً نحو الحِجازِ، وقَصْدُهُ إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ، بَلاغُ[٤].
ومِنــهُ إلى قَبْرِ النبيِّ مُحمّــدٍ يكونُ لــه بالرَوْضتَيْنِ مَراغُ[٥].

= وخمسين وستّمائة. وفي « الذيل والتكملة » ٨ أو ٧ جمادى الثانية، وفي « نيل الابتهاج »: ثالث عشر جمادى الأخيرة ٦٥٧. توفي بتونس في رجب (شذرات الذهب (٥: ٢٩٩).

(١) كتاب « الجامع الصحيح » (في أحاديث رسول الله) لمحمّد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦ هـ).

(٢) الخلاف العالي = الخلاف في الأحاديث العوالي التي يرويها أفراد معاصرون للرسول (؟).

(٣) مُدَّعيًا أنّه تَلقّى العلمَ على شيوخٍ كثيرين.

(٤) قصده (نيّته) بلاغ (تبلّغه مرامه وتوجب له الأجر وإن لم يصل) (؟). أو أرجو أن تبلّغ سلامي.

(٥) الروضة الشريفة (مكان قبر الرسول). المراغ والمراغة: المكان الذي يتمرّغ فيه الشخص (يتقلّب على التراب ليحكّ جسمه بالأرض أو للتذلّل أو لليأس، الخ).

فيا أَسَفًا، كم قد تَمَنَّيْتُ قَصْدَهُ فأُدْفعَ عن قَصْدي له وأُراغ[١].
وقصّر بي جَدّي، إذِ الأمرُ في يدي جميعٌ، وعِندي ثروةٌ وفَراغ[٢].
(وذا) الآنَ قد خَطّ المَشيبُ بِمَفْرِقي، وكَلّلَ رأسي من حُلاه صباغ[٣]،
أُعَلّلُ نفسي بالمُنى، وتصُدّني ذنوبٌ لها عند الفِراق مَصاغُ[٤](؟).
عسى توبةٌ قبلَ المَماتِ وزَوْرةٌ فيُنْضَحَ من شَيْنِ الذُّنوبِ رِداغ[٥]،
وألقى شُيوخاً يُؤنِسُ المَرْءَ مِنْهُمُ أحاديثُ صِدْقٍ تُجْتَلَى وتُصاغ[٦].

– ومن رسالة بخطّ أبي بكر بن سيد الناس يقول فيها (الذيل والتكملة ٥: ٦٥٩ – ٦٦١):

أمّا أصلُنا فَمِنْ مَنْبِجِ الشامِ. وخرج سَلَفُنا غُزاةً في طالعةِ بَلْجٍ[٧] واستوطنوا أُبّذةَ جَيّانَ – ويقال إنّها شبيهةٌ ببلدِهم في خِصْبِها وآتساع خيرِها – كذا رأيتُهم وسمعتُهم يتلفّظون بها، بالذال المُعجَمة. وفي أخبارها ما يدُلُّ على أنّ العرب، إذ ذاك، تكلّموا فيها بالدال المُهمَلة. ... ومولُد جَدّي الفقيهِ أبي محمّدٍ بأُبّذةَ سَنَةَ إحدى عَشْرَةَ وخَمسِمائةٍ. وتُوُفِّيَ في إشبيليةَ عامَ (معركة) الأرْك سَنَةَ إحدى وتسعين[٨]. ومولدُ أبي بإشبيليةَ في

---

(١) «ادفع» حقّها النصب بأن مضمرة بعد فاء السببيّة (بعد فعل التمنّي). ولكن يجب حينئذ نصب «أراغ» فيحدث إقواء (عيب: نصب بدل الرفع في القافية). أراغ: أبعد (عن الطريق السويّ).

(٢) الجدّ (بالفتح): الحظّ. في الأصل «إذا» (الصواب إذ). – انا مستطيع أن أذهب إلى الحجّ، ولكنّ حظّي سيء فلم تتح لي فرصة بعد للذهاب.

(٣) خطّ: كتب (بدأ الشيب في رأسي). كلّل رأسي: أحاط برأسي صباغ (لون أبيض: شيب) من حلاه: زينته. – كان لون مشيبه جميلاً.

(٤) ذنوب لها عند الفراق مصاغ (؟): تنحرف بي عن قصدي.

(٥) زورة (للمدينة، لقبر الرسول). الشين: العيب. نضح: غسل بالماء. الرداغ: الوحل. أرجو إذا زرت مكّة والمدينة أن تغسل تلك الزورة (مع التوبة) ما عليّ من عيب الذنوب.

(٦) شيوخ (أساتذة). أحاديث صدق: أحاديث صادقة (ثابتة، صحيحة). تجتلى: يطلب الإنسان اجتلاءها (النظر إليها). وتصاغ (تجعل زينة لما يحفظه الإنسان من فنون العلم).

(٧) بلج بن بشر القشيري (ت ١٢٤ هـ) قائد جيش جاء من الشام لإخضاع الثائرين في إفريقية (تونس) ثمّ دخل الأندلس وشارك في القتال. راجع أخباره مفصّلة في الجزء الرابع من هذه السلسلة (ص ٤٣ وما بعد).

(٨) سنة ٥٩١ هـ. ومعركة الأرك انتصر فيها الموحّدون على الإسبان في الأندلس وخففوا وطأة الإسبان عن المسلمين هناك. راجع في هذه السلسلة الجزء الخامس (ص ٣٦٠).

جُمادى الآخِرَةِ سَنَةَ إحدى وتسعين (وخمسمائة)، وتُوُفِّيَ بها في مُنتَصَف جُمادى الأُولى سَنَةَ ثَماني عَشْرَةَ وستِّمائة. ومولدي بقريةٍ من قُرى إشبيلية تُسمّى الحُجيرةَ، خرج أبوايَ لها في غَلّةِ الزيتون لِضَمِّ فائدِ[1] أملاكِهم - وكانا مُتحابّينِ لا يَصْبِرُ أحدُهما عن الآخَر، فخرجا جميعاً إليها - فكانتْ وِلادتي بها لِعَشْرِ لَيالٍ بَقِيَتْ من شَهْرِ أُكتوبرَ[2] العَجَميّ، ولا أدري ما وافَقَ من الأشهُرِ العربيّة لِتَلَفِ تَقْييداتي وتقييداتِ سَلَفي في ضَيْعة[3] كُتُبي. إلّا أنّ والدتي كانتْ تقولُ: كنت ليلة موسم ينير من أربعين ليلة[4]، وإلّا ما تحقّقته بآخرة[5] من وجوهٍ (من) أنّ ذلك كان في صدر سَنَةِ سبعٍ وتسعينَ، قبلَ السَّيلِ الكبير بأشهُرٍ.

٤ - ★★ الذيل والتكملة ٥: ٦٥٣ - ٦٦٢ (رقم ١٢٤٥)؛ عنوان الدراية ٢٤٦ - ٢٤٩؛ نيل الابتهاج ٢٢٩ - ٢٣٠؛ شذرات الذهب ٥: ٢٩٨ - ٢٩٩.

ابن عبدون المكناسي

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عَبدونِ بنِ قاسمٍ الخَزْرَجيُّ المِكْناسيّ، من أهلِ مِكناسَ، كانت وفاتُه في العَشْرِ الأُوَلِ من ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٦٥٩ (خريفِ ١٢٦١ م) في الأغلب.

٢ - ابنُ عبدونٍ المِكناسيُّ شاعرٌ متينُ السَّبْكِ جَزْلُ المَعاني على شِعرِه نفحةٌ مَشرقيةٌ بارِزةٌ. وفنونُه الغَزَلُ والعِتابُ ووَصْفُ الطبيعةِ ينحو فيها المَنْحى الوُجْدانيَّ. ويبدو أنّه كانتْ له مشاركةٌ في القِراءات والفِقْه.

---

(١) غلّة الزيتون = موسم الزيتون (في الخريف). الفائد = الفائدة (؟): محصول أراضيهم.

(٢) أكتوبر (راجع مطلع ترجمة أبي بكر بن سيّد الناس).

(٣) ضيعة = ضياع (بالفتح: فقدان).

(٤) ..... (؟).

(٥) الفيضان العظيم.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ عبدونٍ المِكناسي في الشَّيْب:

لَّما تراءتْ لِلْمَشيبِ بِمَفْرِقي شُهْبٌ أغَرْنَ على شَبابي الأدْهَمِ(١)،
أبْدى التَّجَهُّمَ مَنْ أُحِبُّ. أما دَرَى أنّ الدَياجِيَ حُسْنُها بالأنْجُمِ(٢)؟

- وقال في فاس ومكناس:

إنْ تَفْتَخِرْ فاسٌ بما في طَيِّها وبأنّها في زِيّها حَسْناءُ(٣)،
يَكْفيكَ من مِكناسةٍ أرجاؤها والأطْيبانِ: هواؤها والماءُ(٤)!

- وقال في العتاب:

يا جِيرتي ومَنِ ٱسْتَجَرْتُ بِهِمْ مِنْ جَوْرِ عِزِّهِمُ على ذُلّي(٥)،
عَلّقتُ حبلَ مَحبّتي بِكُمُ. بِحَياتِكُمْ، لا تَقْطعوا حَبْلي.
ما كان أنْدى ظِلَّ عِيشَتِنا إذ كان مُنْتَظِماً بِكُمْ شَمْلي؛
إذْ نَجْتَني ثَمَرَ الْمُنى ذُلُلاً في رَوْضِ أُنس وافرِ الظِّلّ(٦).
عودوا إلى عاداتِ وَصْلِكُمُ: لا تَحْرِموني لَذّةَ الوَصْلِ.
حاشاكُمُ، والفضلُ شِيمَتُكم، أَنْ تُعْقِبوا الإخصابَ بالَمحْلِ(٧).
وإذا أبَيْتُمْ غَيْرَ جَوْرِكُمُ، فالجَوْرُ مِنْكم غايةُ العَدْلِ.
إن شِئْتُمُ قتلي، فها أنَا ذا. لا تَحذَروا من طالبِ ذَحْلي(٨)!

---

(١) المفرق المكان الذي يفصل فيه الإنسان بين شعره. شهب: نجوم (شعرات بيض). أغرن = هجمن - الأدهم: الأسود. - كثر الشعر الأبيض في شعري الذي كان شديد السواد.
(٢) تجهّم فلان فلانا: استقبله بوجه عابس كريه.
(٣) بما في طيّها: داخلها (ماضيها من الآثار الجليلة والمكانة الرفيعة).
(٤) الأرجاء جمع رجا: الناحية.
(٥) الجور: الظلم (الاستبداد).
(٦) ذلل جمع ذلول: سهل. يسهل الوصول إليه.
(٧) الشيمة: العادة (الجميلة). المحل (بالفتح): القحط. - (أُعيذكم من أن تقطعوني بعد أن كنتم تحسنون إليّ.
(٨) الذحل: الثأر.

٤ - ★★ نفح الطيب ٦ : ٢١٢ ؛ النبوغ المغربي ١٧٠ - ١٧١ ، ٧٢٤ - ٧٢٥ ، ٧٦٣ - ٧٦٤ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٣٦ (٦ : ٥٦).

ابن سُراقة الشاطبيّ

١ - هو أبو عبدِ الله (ويُكْنى أيضا : أبا بكرٍ وأبا القاسم) محمّدُ بنُ أحمدَ[1] بنِ محمّدِ ابنِ إبراهيمَ بنِ الحسين الأنصاريُّ الشاطبيُّ المعروفُ بآبنِ سُراقةَ. وُلِدَ في شاطبةَ في رَجَبَ من سَنَةِ ٥٩٢ (حزيران- يونيو ١١٩٦ م). وقد سَمِعَ من قاضي الجماعة بقُرطُبةَ أبي القاسم (أحمدَ بنِ يزيدَ بنِ بَقِيٍّ (ت ٦٢٥ هـ).

ورحَلَ آبنُ سُراقةَ في طلَبِ الحديث إلى العِراق، ويَجِبُ أنْ تكونَ رِحْلتُه في زمنٍ باكرٍ جِدًّا حتّى يستطيعَ أن يسمَعَ من أبي المحاسن بنِ شدّادٍ (ت ٦٣٢ هـ)، في بغدادَ أو في أثناء رِحلةِ آبن شدّادٍ إلى حَلَبَ. وكذلك سَمِعَ في العراق من أبي حفصٍ عُمَرَ السُّهرَوَرْديّ (ت ٦٤٣ هـ) وأبي عليٍّ بنِ الجواليقي وأبي حَفْصٍ الدينوريّ وآخَرينَ.

وتولّى آبنُ سُراقةَ دارَ الحديث البهائيةَ في حَلَبَ (مُدّةً يسيرةً، فيما يبدو)، إذ أنّه آنتقلَ إلى القاهرة وتولّى بها دارَ الحديثِ الكامليةَ، من سَنَةِ ٦٤٢ للهِجرة إلى حينِ وفاتهِ سَنَةَ ٦٦٢ (١١٦٣ - ١١٦٤ م).

٢ - كان آبنُ سُراقةَ الشاطبيُّ أحدَ الأئمّةِ المشهورين بالعِلم وأحدَ الشيوخ المعروفين بالتصوُّف؛ وهُوَ في الأصل من بيتِ عِلمٍ، وقد تولّى نفرٌ من أهلهِ القضاءَ. ثمّ هو شاعرٌ على مذهبِ القوم (المتصوّفين). وشِعرُه سهلٌ واضحٌ، ولكنّه يغمُضُ على القارىءِ العاديِّ أحياناً بِمَعانيهِ الصوفية أحياناً. وقد ذكَروا أنّه ألّفَ كُتُباً في التصوّف.

٣ - مختارات من شعره

- قال آبنُ سُراقةَ الشاطبيُّ أبياتاً فيها معانٍ صوفيّةٌ، فمِمّا وَصَلَ إلينا منها:

(١) في نسق نسبه خلاف. راجع حاشية في الأعلام للزركلي.

نَصِبْتُ ، ومِثْلي للمكارمِ ينصَبُ ، ورُمتُ شروقَ الشمس وهي تُغرِّبُ[1] .
وحاولتُ إحياءَ النُّفوسِ بأسْرِها وقد غرْغَرَتْ . يا بُعْدَ ما أنا أطلُبُ[2] .
وأتعبُ إنْ لم تَمنحِ الخلقَ راحةً ، وغيريَ إنْ لم يتعبِ الخلقُ يتعَبُ[3] .
مُرادِيَ شيءٌ ، والمقاديرُ غيرُه . ومن عاندَ الأقدارَ لا شكَّ يُغْلَبُ[4] .

★ إلى كم أُمَنّي النفسَ ما لا تنالُه فيذهَبَ عُمْري والأمانيُّ لا تُقْضى .
وقد مرّ لي خمسٌ وعِشرون حِجّةً ولم أرضَ فيها عِيشتي ، فمتى أرْضى ؟
وأعلَمُ أنّي - والثلاثونَ مُدّتي - حَرٍ بمَغاني اللهوِ أُوسِعُها رَفْضا[5] .
فماذا عسى في هذه الخَمْسِ أرتجي ووَجْدي إلى أوْبٍ من العَشْرِ قد أفضى ؟[6]

- وقال في الصديق المُخْلص:

وصاحبٍ كالزُّلالِ يمحو صَفاؤه الشكَّ باليقينِ .
لم يُحْصِ إلّا الجميلَ منّي ، كأنّه كاتبُ اليمينِ[7] .

---

(١) نَصِب ينصَب (بكسر الصاد في الماضي وفتحها في المضارع): جدّ وسعى وصمَد (اتّجه إلى الشيء). ومثلي للمكارم ينصب (يَقصِد أن يرقى إلى المكارم). رام: أراد. غرّب (بتشديد الراء): اتجه نحو الغرب، أمعن في سفره (بالغ في عمله). ورمت شروق الشمس وهي تغرّب: أردْتُ أن تظلّ الشمس مشرقة، بينما هي من عادتها أن تشرق وتغرب (أردت خلاف ما تعوّده البشر).

(٢) وحاولت إحياء النفوس (بالعلم) بأسرها (كلّها)، وقد غرغرت (تردّدتِ الروح عند الموت في الحلق= وقد أوشكت نفوس البشر أن تموت من الجهل لمعرفة الحقيقة).

(٣) .... إن لم تمنح (يا ربّ العالمين؟)..... وغيري إنْ لم يتعب الخلق يتعب (؟).

(٤) المراد: البغية (بالضمّ)، المطلوب. المقادير (ما قضاه الله على عباده وأرادهم أن يفعلوه أو ما كتب عليهم من الحوادث).

(٥) كان الشاعر يظنّ أنّه سيعيش ثلاثين سنة فقط. وكان لمّا قال هذه المقطوعة في الخامسة والعشرين من العمر (راجع البيت السابق)- في هذه السنّ (بين الخامسة والعشرين والثلاثين) يكون الإنسان ميّالاً إلى الذهاب إلى مغاني (أماكن) اللهو، ومع ذلك فأنا أرفض اللهو (في هذه السنّ) رفضاً باتّاً. حر (بفتح الحاء وبلا شدّة على الراء): خليق، أهل، يستحق.

(٦) في هذه الخمس (في السنوات الخمس الباقية من عمري). وجدي: حبّي، شوقي (ميل نفسي إلى اللهو) إلى أوب (رجوع) من العشر (عشر سنوات). أفضى: أدّى، وصل.- أنا الآن أشعر بالميل إلى اللهو كأنّي لا أزال ابن عشر سنين (؟).

(٧) ... لا يذكر إلّا أفعالي الجميلة الحسنة الصالحة.- على كَتِفَيْ كلّ فرد من الناس ملَكان (بفتح ففتح:

٤ - ★★ فوات الوفيات ٢ : ١٨٥ - ١٨٦ ؛ الوافي بالوفيات ١ : ٢٠٨ - ٢٠٩ ، شذرات الذهب ٥ : ٣١٠ - ٣١١ ؛ نفح الطيب ٢ : ٦٣ - ٦٥ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢١٧ (٥ : ٣٢٢).

أبو الحسن بن محمّد الجيّاني

١ - هو أبو الحسنِ عليٌّ بنُ محمّدِ بنِ حسنٍ الأنصاريُّ الإشبيليّ الجَيّانيّ ، أخَذَ النحْوَ عن أبي الحسنِ بنِ الدبّاجِ وأبي عليٍّ بنِ الشَّلوبينِ. ثمّ إنّه تصدّرَ للتدريسِ وتولّى القضاءَ مُدّةً بحُصْن القصر (قُرْب إشبيلية). بعدئذ نَزَلَ في مَرّاكُشَ ، وقدِ ٱسْتَكْتَبَه الرشيدُ المُوّحديّ (٦٣٠ - ٦٤٠ هـ) حيناً. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٦٣ هـ (١١٦٤ هـ = ١١٦٥ م).

٢ - يبدو أنّ أبا الحسنِ بنَ محمّدٍ الجيّانيَّ قد وَقَفَ جميعَ آثارِه على مَدْحِ الرسولِ. ومَعَ أنّ آثارَه هذه عاديّةٌ في مَعانيها وفي المُعجزات التي سردَها من تلك الخارقةِ للعادة والخارقة للطبيعة ، فإنّا نَلْمَحُ فيها عاطفةً دينيةً مَشْبوبةً ورَغبةً مُلِحّةً في زِيارة قبرِ الرسولِ خاصّةً. ويبدو أن هذه الفُرْصَةَ لم تُتَحْ له قطُّ. من أجلِ ذلك كَتَبَ رسالةً طويلةً بهذا المعنى وأرسَلَها لتُوضَعَ على قبرِ الرسولِ. وبعضُ شعرِه أكثرُ عُذوبةٍ من نَثْرِه.

٣ - **مختارات من آثاره:**

- من بديعيّاته (في مديح الرسول)[١]:

كيفَ لا أندُبُ عهداً بالحِمى ... عن جفوني طارقَ النومِ حَمى[٢]؟
نَزَعَتْ شوقاً إلَيْهِ مُهْجَةٌ ... لم يَدَعْ منها الهوى غيرَ ذَما[٣].

اثنان من الملائكة) يُحصي الذي على الكتف اليمنى منهما الأعمال الصالحة التي يأتي بها ذلك الفرد ، ويحصي الآخر أعمال الفرد السيئة.

(١) أسماء الأماكن في هذه القصيدة ليست أعلاماً جغرافية معيّنة. بل رموز للمكان الذي يتشوّق إليه المتصوّف أو المتغزّل.

(٢) الطارق: الآتي ليلاً. طارق النوم: النوم الطبيعي.

(٣) نزعت: مالت ، تشوّقت. مهجة: دم القلب (القلب). الذماء (بالفتح): بقيّة الروح في الجسم.

يـا ليالينـا بـذي الغَوْر، أمـا — يتسلّـى القلـبُ عنكنّ أما؛
وعهوداً باللِّوى قـد سَلَفَـتْ — لم أزلْ أبكي عليهنّ دمـا.
يـا حُداةَ العِيس، رِفْقاً! إنّها — شَكَـتِ الجَهْدَ وبُعْدَ المُرْتمى[1].
أوْهَنَ الوَخْـدُ قُواهنّ، فـإنْ — لاح نَجْدٌ خِلْتَ فيها لَمَما[2].
مَـدّتِ الأعنـاقَ لّمـا رمَلت — بنَقا الرملِ وأكْنافِ الحِمى[3]،
هاديـاتٍ بالهوادي، كُلّما — ضَـلّ حـادٍ جاذَبَتْه الخُطُما[4].
جَنِّبوهـا مَوْرِدَ المـاء، فقـد — حرّمَتْـه أو تزورَ الحَرَمـا[5].
وعِداهـا بعِداهـا ظَفَراً — وسروراً يوم تـأتي المَوْسِما[6].
إنّهـا قـد حمَلَتْ شُعْثاً، إذا — مـا بَكَوْا قُلتَ غَمامٌ سَجَما[7].
شَرِبوا الدمْـعَ حَمِيّاً وآرْتَوَوْا، — ولـذا عافوا الزُّلالَ الشَّبِما[8].
مَنْ عَذيري من زمانٍ قد مضى — أقْرَعُ السِّنَّ عليـه نَدَمـا.
حَسْرتـا إن لم أُبَلَّـغْ أمـلي — قَبلَ أنْ يأتي الرَّدى مُخْتَرِما[9].
إنّ حَسْبي في غـدٍ أنْ أغْتـدي — لائِـذاً بالمُصطفى مُحْتَرِمـا[10]:
النـبيِّ الأبْطَحيِّ المُجْتَبـى — سيّدِ الخلقِ الكريمِ المُنْتَمى[11]،

---

(١) يا حداة (سائقي) العيس (النياق). الجهد: التعب. المرتمى: الطليعة (الذي يسير في مقدّمة القوم)– والشاعر يقصد المراد (المكان الذي يودّ الذهاب إليه).

(٢) أوهن: أضعف. الوخد: السير (السريع المتوالي)، ومع ذلك فلمّا اقتربنا من نجد (من المكان الذي نشتاق إليه) ظن أن بها لَمَماً (جنوناً) لكثرة ما أسرعت من جديد.

(٣) «رمل» يقصد بها هنا: غرقت قوائمُها في الرمل وعجَزت عن السير (وهذا معنًى ليس في القاموس)، مدّت أعناقها لتصبح أقرب إلى المكان المقصود ببضعة أصابع، هرول.

(٤) الهادية: الناقة التي تسير في مطلع القافلة (لأنها تعرف الطريق). الخطام (بالكسر): اللجام.– شوقها يجعلها تعرف الطريق الصحيح أكثر من الحادي (السائق).

(٥) لا تحاولوا أن تسقوها ماء في أثناء الطريق، لأنّها عزمت على ألّا تشرب ماء قبل وصولها إلى مكة.

(٦) عداها (فعل أمر للمثنّى من «وعد») العدا: الأعداء. الموسم: اجتماع الناس في الحجّ.

(٧) الأشعث: الذي اَغبرّ وجهه وتشتّت شعره من طول السفر وغبار الطريق. سجم: سال بكثرة.

(٨) الحميم: الحار. الزلال: الماء الصافي. الشم: البارد.

(٩) اخترم الموت الرجل: أخذه (قبل أوانه).

(١٠) حسبي: كفاية لي. لائذ: ملتجىء. المصطفى: رسول الله. محترما = متحرّما: لا ينالني أحد بسوء.

(١١) الأبطحي: من بطحاء مكّة (أشرف بقاعها وأعزها). المجتبي (المختار المقرّب). المنتمي: الأصل.

الرسولِ الساطــعِ النورِ الــذي   قــد جــلا نورُ هُــداه الظُّلَما.

- وله من رسالةٍ طويلة كَتَبَ بها لتُؤْخَذَ إلى قبرِ رسولِ الله:

إلى سيّدِ المُرسلينَ ورسولِ ربٍّ العالمين، الذي جُعِلَتِ له الأرضُ مَسْجِداً وطَهُوراً(١)، وكان ولم يَزَلْ مُتَنَقِّلاً من صُلْبِ آدَمَ نوراً(٢). من يَلْجأُ إليه يومَ الفَزَعِ الأكبرِ النَبيّون(٣)، ويرجو مَذْخورَ شَفاعَتِه في غدٍ المُسيئونَ. ذُؤابةُ بني هاشمٍ المُتَجشّمُ في ذاتِ اللهِ سُبْحانَه أصعبَ المجاشم(٤).... الميمونُ النقيبة والطليعةِ(٥)، المُشيرُ إلى الأصنامِ فَخَرّتْ صريعةً(٦). حبيبُ اللهِ وخليلُه ومن أُنْزِلَ عليه تحريمُه وتحليلُه، وقام على صِدْقهِ بُرهانُ الحقِّ الواضحُ ودليلُه. الذي أعْجَزَ البُلغاءَ وهُمْ أوفَرُ الناسِ في وقتهِ عَدَداً(٧)، ولوِ اتّخذوا البحرَ مِداداً والأشجار مَدَداً(٨) فَضَحَهُمْ بِباهِرِ آياتِهِ ومحا فَجْرَهُمُ الكاذبَ سُطوعُ آياتهِ(٩)، الذي جُمِعَتْ له شتّى الفضائلِ وضُروبُها....

٤- ★★   الذيل والتكملة ٥: ٢٨٧ - ٣٠١ (رقم ٥٧٩)؛ الأعلام للزركلي (٤: ٣٣٣).

---

(١) في الحديث «جعلت لي الأرض مسجداً وطَهوراً» (في الإسلام تجوز الصلاة في كلّ مكان من غير ضرورة إلى بناء مخصوص أو لباس معيّن).

(٢) انتقل النور من آدم إلى أبنائه واحداً بعد واحد، في نسب متّصل مستقيم، حتّى وصل إلى محمّد رسول الله.

(٣) يوم الفزع الأكبر: يوم القيامة. مذخور الشفاعة: الشفاعة المدخرة لتكون يوم القيامة من حقّ محمّد رسول الله.

(٤) الذؤابة: أعلى القوم. المتجشّم....: الذي لاقى في سبيل الدعوة إلى الله أشد المصاعب.

(٥) الميمون: المبارك. النقيبة: الطبيعة. الطليعة (طلائع الجيوش التي قامت بالجهاد!).

(٦) لمّا كان فتح مكّة، سنة ٨ (٦٣٠ م) صعد الرسول إلى ظهر الكعبة وبيده قضيب كان يدفع به الأصنام ويلقيها أرضاً وهو يتلو: ﴿قل: جاء الحقّ وزهق (بفتح الهاء: زال) الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً﴾ (١٧: ٨١، سورة الإسراء). خرّت: سقطت. صريعة: ملقاة أرضاً (لا فرق بينها وبين سائر الحجارة في الأرض).

(٧) بلاغة الرسول (وكان أميّاً لا يخطّ ولا يقرأ الخطّ) كانت معجزة ظاهرة في زمن اشتهر أهله بالبلاغة.

(٨) المداد: الحبر. المدد: النجدة (لو جعلت جميع الأشجار تصلح لتكون أقلاماً).

(٩) أول نور الفجر يكون ضعيفاً فيسمّى الفجر الكاذب (لا تحين به صلاة الصبح) ثمّ ينتشر النور من وراء الأفق واضحاً فيسمّى الفجر الصادق. السطوع: الضياء القويّ. الآيات: العلامات، الدلائل. الضروب: الأنواع.

ابن الفَخّار الرعيني

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدِ بن عليِّ بنِ محمدِ بن عبد الرحمن بن هَيْصمٍ الرُّعينيُّ المعروفُ بٱبنِ الفَخّار، وُلد في إشبيليةَ في شَعبانَ من سَنَةِ ٥٩٢ (صيف ١١٩٦ م) وفيها نشأ وأخذَ عن شيوخِ عصره - وقد عَدَّ منهم في «بَرْنامَجِهِ» مِائَةً وٱثْنَيْ عَشَرَ - منهم: أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ خَروفٍ النحويُّ (ت ٦٠٩ هـ) ومحمدُ بنُ عبدِ النورِ السبتيّ المُقرىء (ت ٦١٤ هـ) وأبو الحسين محمد بنُ محمدِ بنِ زرقونٍ الفقيهُ المحدّث (٥٣٩ - ٦٢١ هـ) وأبو القاسم عامرُ بنُ هشامٍ الأزديُّ القُرطبي الشاعرُ (٥٥٣ - ٦٢٣ هـ) وأبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّد البَلَويُّ الفقيهُ (٥٥٤ - ٦٢٣ هـ) وأبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إدريسَ بنِ مرجٍ الكُحْل (ت ٦٣٤ هـ).

جلس ٱبن الفَخّار الرُّعينيُّ للتدريس والإفادة مُنذُ سَنَةِ ٦١٤ للهجرة. وكان كثيرَ التنقُّلِ في الأندلس والمغرب: في سنة ٦١٥ للهجرة كان قاضياً في مَوْرور (من جَنوب الأندلس بين شريشَ وقَرمونة وإشبيلية). ثم رأيناه في مالقة (٦١٥ هـ) وإشبيلية وفي قرطبة (٦٢٥ هـ). وفي سبته بالمغرب (٦٢٩ هـ)، ثم في غرناطة (٦٣٦ هـ)، وتِلِمْسانَ بالمغرب (٦٤٦ هـ). في هذه الأثناء كتبَ (في ديوان الإنشاء) لنفرٍ من ملوك الأندلس وملوك العُدْوة الإفريقية. وفي آخرِ عُمُرِه استقرّ في مَرّاكُشَ حيثُ تُوُفِّيَ في الرابعِ والعشرينَ من رمضان سَنَةِ ٦٦٦ (٧/ ٦/ ١٢٦٨ م).

٢ - ابنُ الفَخّارِ الرُّعيني فقيهٌ ومُحدّثٌ وأديبٌ ناثرٌ مُتَرَسِّلٌ وناظمٌ، وكِتابته تَتّصف بخصائص عصرِه من المَيلِ الشديدِ إلى السجْع وإلى أنواع البديع، فقد يُنشئُ رِسالةً أو يَنْظِمُ قصيدةً في كلِّ كلمةٍ من كَلِماتِها حرفُ العينِ أو حرفُ السينِ، مثلاً (راجع «مختارات من آثاره»). وله شيءٌ من الشعرِ الوُجداني ذي النَفْحةِ الدينية. ثمّ هو مُصنّف له: كتاب الإيراد لِنُبذةِ المستفاد من الرِّواية والإسناد بلقاء حَمَلَة العلم في البلاد على طريق الاقتصار والاقتصاد (وهو بَرْنامج شيوخه: برنامج شيوخ الرعيني) - اقتفاء السَّنَن في انتقاء أربعين من السُّنَن (في الحديث) - شرح الكافي لابن شُريح[1] - جَنَى

(١) كتاب الكافي (في القراءات....) لمحمّد بن شريح بن أحمد الرعيني الإشبيلي المقرّي (٣٩٢ - ٤٧٦ هـ). =

الأزاهرِ النضيرةِ وسنا الزواهرِ المُنيرة في صِلة المَطْمع والذَخيرة ممّا وَلّدتهُ الخَواطر مِنَ المحاسن في هذه المدّة الأخيرة (فيه المُخاطبات التي جرت بينَه وبينَ الكتّاب والشعراء).

٣- مختارت من آثاره

- قال ابن الفخّار الرُّعينيّ (مَعَ شرط التزام العينِ في كلّ كلمة)[١]

عُلَاكَ عَلَتْ عُلُوَّ الشِّعْرَيَيْنِ   مُصاعِدةً لأعلى المَطْلَعَيْنِ[٢]
أعادَ على العُلا عَصْرَيْ سُعودٍ   بِرَيْعانِ المعارف مُمْرِعَيْنِ[٣].
عُنِيتَ بِمَنْزِعَيْ عَمَلٍ وعِلْمٍ   عِنايةَ مُولَعٍ بالمَنْزِعَيْن.
وتعتمدُ العقولَ بمُعْجِزاتٍ   أشِعّتُها تَروع الساطِعَين[٤]

علاؤكَ مَشْعَرُ إعظامي ومَفْزَعُ اعتصامي[٥] وعُمْدَةُ اعتمالي وعِزوة اَعتمادي وعُروة اَعتدادي[٦] ومهيَعُ إشراعي ومربَعُ نِزاعي[٧]..... بِعنايتك أُعالي الرِّعانَ وأتعاطى الإمعان[٨] وادّعي الإفراع وأُعنّي اليراع[٩] وأدفع العِيَّ وأُضارع الألْمَعيّ[١٠]....

= طِبع كتاب الكافي بهامش كتاب «المكرّر فيما تواتر من القراءات وتحرّر» لأبي حفص عمر بن القاسم بن محمّد النشار الأنصاري، مكّة ١٣٠٦هـ؛ القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٣٢٦ هـ (راجع بروكلمن، الملحق ١: ٧٢٢؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٨؛ معجم المطبوعاتِ العربية ١٧٧٦، ١٨٥٦).

(١) سيكون الشرح للقطعة التالية موجزاً يكاد يقتصر على الألفاظ. إنّ المقصود من القطعة إبراز الجهد اللفظي، والمعاني كانت تبعاً لذلك.

(٢) الشعرى اليمانية (الشعرى الغميضاء من النجوم المشهورة المهمّة).

(٣) ريعان كلّ شيء: أوّله وأفضله. الممرع: الخصيب.

(٤) تروع: تعجب الناظر (مع الشعور بشيء من الخوف). الساطعان: الشمس والقمر.

(٥) المشعر: المنسك (مكان العبادة). المفزع: الملجأ.

(٦) العزوة: الانتساب، القرابة. العروة: كلّ ما يستمسك به ويعتمد عليه أو يربط شيئاً بشيء.

(٧) المهيع: الطريق الواضح. المربع: المسكن. النزاع: النزوع (الميل والاشتياق).

(٨) عالى: بارى في العلو. الرعن (بفتح فسكون): أنف الجبل وطرفه الشاخص (العالي). أتعاطى الإمعان: أحاول التوغّل في الأمور.

(٩) الإفراع: علو الشرف في القوم. أعنّي: أتعب. اليراع: القلم (!).

(١٠) أدافع العي: أبعد عن نفسي العجز عن الكلام. أضارع: أشابه. الألمعيّ: الخفيف الظريف. اليلمعيّ: الذكيّ.

- وقال (من غير اشتراط معيّن) يُجيب أبا المطرِّف بن عَميرةَ:

وافى الكتابُ وقد تقلّدَ جيدُهُ ... ما أنتَ مُحْسِنُ نَظْمِهِ ومُجيدُهُ[1].

أأبا المُطرِّفِ، دعوةً من خالصٍ ... لِعُلاكَ غائبُ وُدِّه وشَهيدُهُ[2].

أنتَ الوحيدُ بلاغةً وبراعةً ... ولكَ البيانُ طَريفُه[3] وتليده:

فالنثرُ أنتَ بديعُه وعِمادُه، ... والنظمُ أنتَ حبيبُه وَوَليده[4].

إيهِ، أيُّها السيّدُ الذي جَلّتْ سِيادَتُه وحَلّتْ صَميمَ الفُؤادِ وَدادتُه[5]، دامتْ سعادته وهامت بما ينفعُ الناسَ عادتُه. أُلْقِيَ إليَّ كتابٌ كريمٌ خَطّتْه تلك اليُمني التي اليُمْنُ[6] فيها تَخُطُّه ونُسِقَتْ جواهرُ بَيانهِ التي راقَ بها سِمْطُه[7]. فلا تسألوا عنِ ابتهاجي لأعاجيبه وانتهاجي لأساليبهِ وشِدّة كَلَفي بٱلْتِمَاح وَسيمه وجِدَّةِ شَغَفي باسْتِرواح نسيمه[8].

أما أَنَّ القلبَ لو فَهِمَ حقيقةَ البَيْنِ قبلَ وُقوعهِ وعَلِمَ قدرَ ما نُفِثَ من الرَّوْعِ في رُوعِهِ[9]، لبالَغَ في اجتنابهِ واعتَقَدَ المَعْفِيَّ عنه من قَبيلِ المعتني به[10]. ولَحا[11] اللهُ الأطماعَ فإنّها تستدرجُ المَرْءَ وتَسْتَجرُّه وتستخرجُ حينَ تُعرّيهِ، ما يَسرّه[12]، ما زالتْ تَفْتِلُ

---

(١) الجيد: العنق.

(٢) أبو المطرّف (راجع، فوق، ص... ٢١٧ .....). الشهيد: الشاهد (الحاضر).

(٣) الطريف والتليد: الجديد والقديم.

(٤) بديعه وعماده وحبيبه ووليده: بديع الزمان الهمذاني وعماد الدين الأصفهاني وأبو تمّام والبحتري.

(٥) الودادة (بالفتح): المودّة.

(٦) أُلقي إليّ: وصل إليّ من شخص عالي المرتبة. في القرآن الكريم (٢٧: ٣٠، النمل): ﴿إنّي أُلقي إليّ كتاب كريم: إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم﴾. اليمنى: اليد اليمنى. اليمن: البركة.

(٧) السمط: الخيط الذي تنظم فيه اللالىء ليكون منها عقد.

(٨) الكلف: شدّة الحبّ. الوسيم: (الوجه) الجميل. الشغف: الحبّ الذي يصل إلى الشغاف (بفتح الشين: غلاف القلب).

(٩) البين: البعاد والفراق. نفث: نفخ. الروع (بالفتح): الخوف. الروع (بالضمّ): النفس.

(١٠) المعفيّ عنه (في الفقه والعبادة): الذنب اليسير (النَّجس القليل الذي لا يبطل وضوءاً). من قبيل المعتني به: الواجب معالجته (لأنّه وإن كان يسيراً فإنّه يؤدّي إلى نتائج خطيرة).

(١١) لحا: لعن.

(١٢) تستخرج (تنزع منه) حين تعرّيه (من النعم) ما (كان) يسرّه. - أي تسلبه النعم.

في الذُّروة والذروة وتَخْتِلُ[1] بالترغيب في الجاه والثَرْوة حتّى أنأتْ عنِ الأحبابِ الحبائبَ ورَمَتْ بالغريبِ أقصى المغاربِ[2] .....

- وقال يَحِنُّ إلى الذهاب إلى الحِجاز للحَجّ:

حَنيني إلى البيتِ العَتيقِ شديدٌ، وشَوْقي إلى وادي العقيق يَزيدُ[3]
فيا لَيْتَ شِعري، هل يُباح إلَيْهِما وُصولٌ فيَحْظى بالوِصالِ عَميدُ[4]؟
ومَنْ لِيَ أنْ أُدْعى إلى حَرَمَيْ هُدًى؟ وهل لي على تلك البِقاع وفودُ؟
وهل نَاقعٌ لي ماءُ زَمْزَمَ غُلّةً لها بين أحناءِ الضُّلوع وُقود[5]؟
وهل أنْثَني نحو الرسولِ لِطَيْبَةٍ فَيَدْنو لقلبي مِنْ مُناه بعيد[6]
وأُلْصِقَ خدّي- مِنْ ضَريحِ محمدٍ- بحيثُ تلاقَتْ في ثَراهُ خُدود؟
فما لِيَ لا أسعى إلَيْهِما مُبادِراً بَقيّةَ عُمْرٍ تنقضي وتَبيد[7]؟
تَحُثُّ رِكابي نحوَها عَزْمةُ امْرِئٍ بِمَحْياهُ في ذاتِ الإلَهِ يَجود[8]!
يَهُمُّ فيُلقي بينَ عَيْنَيْهِ عزمةً ويمضي مَضاءَ السهم حيث يُريد[9].
فأقضي ذَماءَ النفس في عَرَصاتِها غريباً لَدَيْها، والغريبُ شهيد[10]؟

---

(١) في القاموس (٤ : ٢٨): ما زال (فلان) يفتل من فلان في الذروة والغارب: يدور من وراء خديعته (أي يحاول أن يمكر به ويغشّه وهو يتظاهر بمحاولة نفعه). ختل زيد عمراً: خدعه (بعد أن وجد منه غفلة) فالختّال هو الذي يخدع من يثق به.

(٢) أنأى: أبعد. الأحباب جمع حبّ (بكسر الحاء): المحبّ أو المحبوب. الحبائب جمع حبيبة. رمت به أقصى المغترب: نبذته، طرحته أبعدته إلى آخر المعمور من الأرض.

(٣) البيت العتيق: الكعبة. وادي العقيق في المدينة.

(٤) العميد أو المعمود هو الذي ضرب على رأسه بالعمود (المحبّ الذي كاد يهلكه الحبّ).

(٥) زمزم: بئر في مكّة (في الحرم). الغلّة: العطش. نقع الظمآن (العطشان) من الماء أو بالماء: روي وزال عطشه.

(٦) وهل أنثني: أرجع (بعد الحجّ إلى مكّة) لطيبة (للمدينة)....

(٧) إليها (إلى المدينة) مبادراً (مسرعاً). بقيّة عُمر (في آخر عمري) بينما هذه البقية تنقضي (أوشكت أن تنتهي) وتبيد (تتلاشى، تهلك).

(٨) الركاب: الإبل المعدّة للركوب. المحيا: الحياة. في ذات الآله: في سبيل الله.

(٩) يهمّ: يعزم (على أمر). بين عينيه (أمامه!).

(١٠) الذماء: بقيّة الروح في الجسد. فأقضي ذماء النفس: أموت. العرصة (بفتح فسكون): فسحة أمام الدار لا بناء فيها.

وإنّ ٱمْرَأً يَقْضي فريضـةَ حَجّـهِ   وزَوْرَةَ قـبرِ المُصطفى لَسعيـد[1]!

– من مقدّمة برنامج شيوخ الرعيني لأبي الحسن الرعيني:

أمّا بعدُ: فإنّ بعضَ الأصحابِ العِلْية الجِلّةِ المَعْدودين[2] – لٱعتنائهم بروايةِ العلمِ ونقلِهِ في عُدولِ المِلّةِ[3] – سألني أنْ أُقيِّدَ له ما عَلِقَ بالخاطر من أسماءِ مَنْ لَقيتهُ ورَوَيْتُ عنه. فتوقّفتُ في إسْعافِهِ وٱسْتَهْدَفْتُ لِسهامِ المَلامة في خِلافه[4] سَتْراً (لهذا) النَّزْرِ الذي أُوتيتُه من ذلك وٱتّقاءً من مِثْلي أن يَطورَ تلك المسالكَ[5]، إلى أنْ غَيَّبَ أُفْقُ الثَّرى شَبابَهُ ونَهَبَتْ يدُ البِلى إهابه. وٱدَّكَرْتُ بعد أُمّةٍ[6] وحَذِرْتُ أن أُرْهَقَ[7] فيه بِمَذمّةٍ، فآثَرْتُ أن أَسْتَدْرِكَ[8] ما فاتَ منه لِمَنْ طَلَبُهُ مِثْلُ طَلَبِه، وأنْ أُوردَ مَنْ هو مِنَ المَشْيَخة وما عندي من السَّماعِ بحَسبه[9]. فأثْبَتُّ ما لم يُفْلِتْه ذِكري، وأوْرَدْتُ ما لم يَرْتَبْ فيه[10] فِكري من أسماءِ الأشياخِ الذين لَقيتُهم وأخذتُ عنهم والإفصاح ببعضِ ما ٱستَفَدْتُه منهم، وإنْ كان قد أتى على كثيرٍ من ذلك ما مُنِيَ به الإنسانُ مِنَ النِسيانِ وذَهَبَ

---

(١) المصطفى من أسماء الرسول.

(٢) العلية (بالكسر) جمع «عليّ» (ذو المكانة الرفيعة في قومه). الجلّة (بالكسر) جمع جليل (العظيم، ذو المكانة السامية). المعدود (المذكور بين كبار القوم).

(٣) العدول (بالضمّ) جمع عدل (بالفتح): العادل الأمين الذي يرضي الناس بحكمه. الملّة: الدين (الأمّة الإسلامية).

(٤) توقّف: أحجم، تردّد. في إسعافه (في إجابته إلى ما طلب). استهدف: تعرّض (أصبح ظاهراً مكشوفاً للذي يريد مهاجمته).

(٥) النزر: القليل. اتّقاء: شفقة، خوف. يطور: يحوم حول الشيء (يسير في) تلك المسالك: الطرق (الصعبة، المتعبة).

(٦) الثرى: التراب. البلي الهلاك. الإهاب: الجلد. إلى أن غيّب إلخ: إلى أن مات. ادّكرت (تذكّرت) بعد أمّة (زمن طويل). – راجع القرآن الكريم (١٢: ٤٥، سورة يوسف): ﴿وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمّة.....﴾.

(٧) حذر: خاف، تجنّب. أرهق (بالبناء للمجهول) بمذمّة: اتّهم (بالبناء للمجهول) بأمر لا استحقّ التهمة به (لأنّي تركت عملاً أستطيع عمله).

(٨) آثر: فضّل. استدرك الرجل ما فاته: قام بعمل كان يجب عليه أن يعمله من قبل.

(٩) المشيخة: كبار الأساتذة. السماع: تلقّي العلم من أفواه الرجال. بحسبه (بنسبة كلّ شيء تعلّمته إلى الشيخ الذي تعلّمت ذلك الشيء منه).

(١٠) ارتاب: شكّ.

مُعْظَمُ المُقَيَّدِ والمُسْتفادِ بالتَرَدُّدِ [١] في الأسفار والتحوُّلِ عن الأوطان....

- وله، في حديثٍ طويلٍ، رسالةٌ من (شعر ونثر) ٱلتزمَ فيها حرفَ العينِ في كلِّ كَلِمةٍ من كَلِماتها: وفيما يلي شيءٌ منها:

أعِـدِ التَعهُّـدَ للعميـدِ بعَطْفـةٍ　　تُعنى برَجْعة عهـدِكَ المتباعدِ [٢].

أعَهِدْتَ عقدَ العزمِ عنديَ عارياً　　عن رَعْيِ عهـدِ مُعاهِدٍ ومُواعدِ [٣]؟

يا عَلَمِيَ المُتَّبَعَ وعارِضِيَ المُنْتجعَ [٤] ومُعْتَمَدِيَ المُطاعَ المُمْتَنِعَ [٥]، تَعَهَّدَتْكَ لِلنِّعَمِ هُمَّعُ عِهادِها [٦]، ورَعَتْكَ للعصم شُرَّعُ صِعادها [٧]، وٱعْتلى السعْدُ بإعلائك وٱعتنى العلم بٱعتنائك، ورُفِعَتِ الأعينُ لِزَعامة إبداعِك.....

٤- برنامج شيوخ الرعيني (حقّقه إبراهيم شبّوح)- دمشق (وزارة الثقافة والإرشاد القومي: مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، رقم ٤)، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م.

★★ الذيل والتكملة ٥: ٣٢٣- ٣٦٩ (رقم ٦٣٦)- وفيها نصوص لغيره؛ صلة الصلة ١٤٠- ١٤١ (رقم ٢٨٣)؛ القدح المعلّى ١٧٣؛ نفح الطيب ٥: ٥٢- ٥٣، راجع ١: ٣١١؛ الأعلام للزركلي (٤: ٣٣٣).

---

(١) المقيّد (في دفاتري من مفردات المعلومات) والمستفاد (الذي تثقّف به عقلي من الاختبار ممّا يصعب تدوينه في وقته، بل يتذكّره الإنسان بعد مدّة). مني: أصيب. التردّد: كثرة الذهاب والمجيء.

(٢) التعهّد: الاعتناء، حسن المعاملة. العميد (المضروب بالعمود): المحبّ. تعني (تتعلّق) برجعة (عودة) عهدك (زمن إخائك، صداقتك، حبّك) المتباعد (الذي مرّ عليه زمن طويل).

(٣) هل تذكر أنّي عزمت مرّة على عمل لم يكن فيه وفاء لك (.... عن الوفاء بكلّ ما ٱنتظره منّي صديقي أو ما وعدتُ به أحداً).

(٤) العلم: المكان العالي (الجبل)، الشارة الظاهرة. المتّبع (الذي أقتدي به). العارض: السحاب الممطر. المنتجع: المكان الذي يذهب إليه الناس بعد أن يسقط عليه المطر (للشرب منه ولرعي أنعامهم).

(٥) المعتمد المطاع الممتنع (الذي اعتمد عليه وأطيعه ثمّ هو لا يجيبني إلى ما أطلبه منه).

(٦) تعهّدتك (فعل طلب للدعاء) للنعم (حتّى تنال النعم) همّع (فاعل تعهّدتك؛ والهمّع جمع هامعة: سحابة ممطرة). العهاد: المطر المتتابع (والضمير «ها» في «عهادها» راجع إلى «النعم»).

(٧) رعتك (حمتك، دافعت عنك) للعصم (؟): لحمايتك. الصعدة (وجمعها: صعاد- بالكسر-): القصبة المستوية المستقيمة، الرمح. الشرّع جمع شارعة (قناة- أي رمح- شارعة: مسدّدة، موجّهة نحو العدّو).

أبو الحسن الشُشْتريّ

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ الله النُمَيْريُّ الفاسيُّ الوادي آشيّ، أصْلُه من شُشْتَرَ من عَمَل (مِنطقةِ) وادي آشَ (قُربَ غَرْناطة).

وُلِدَ الشُّشْتَريّ نحوَ سَنَةِ ٦٠٢ هـ (١٢٠٥ - ١٢٠٦ م) وتَتَلْمَذَ للقاضي مُحْيي الدين محمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ سُراقةَ الأنصاريّ الشاطبيّ (ت ٦٦٢ هـ)؛ ثمّ ذهب إلى المَغْرِبِ ولَقِيَ المُتَصوِّفَ المشهورَ عبدَ الحقِّ بنَ سبعين (٦١٤ - ٦٦٨ هـ) فأخذ عنه واقْتدى بهِ (مَعَ أنّ ابنَ سَبْعين أصغرُ سِنًّا). ثمّ إنّه رَحَلَ إلى المَشْرِقِ وتَطوّف بهِ كثيراً وحجّ مراراً.

وكانتْ وفاةُ الشُشْتري في دمياطَ (مِصْرَ)، في ١٧ من صَفَرَ سَنَةَ ٦٦٨ (١٦/١٠/١٢٦٩ م).

٢ - كان أبو الحسنِ الشُشْتِريُّ مُجوِّداً للقُرآنِ عارِفاً بمعانيه، وكان له عِلْمٌ بالحِكمة وبِطَريقِ الصوفية. وقد آثرَ التجرّد (الزُّهد) والعِبادَة. ولَه شِعرٌ منه قَصيدٌ ومنه مُوَشَّحاتٌ. وشِعْرُه على طريقةِ أهل الحقيقة (المتصوفة). ولكنْ يَظْهَرُ على شِعرِهِ شيءٌ من الضَعْف.

وللشُشتريّ كتبٌ كثيرة منها: العُرْوة الوُثْقى (في بيان السُّنَنِ وإحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمَلَه ويعتقدَه إلى حين وفاته) - المقاليد الوجوديّة في أسرار الصوفية - الرسالة القدسية في توحيد العامّة والخاصة والمراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية - ديوان شعر.

٣ - المختار من شعره

- لأبي الحسن الشُشتري مقاطعُ على طريقةِ أهلِ الحقيقة (المتصوّفين) منها[١]:

---

(١) معاني هذه القطعة صوفية لا تفهم فهماً دقيقاً إلّا بالتأويل الذي ينفرد به المتصوّفون. إن الألفاظ: التجرّد، الفقر، الخلق، الأمر، الطيّ، النشر، إلخ ألفاظ صوفية معانيها عند المتصوّفة غير معانيها المألوفة في القواميس.

لقدْ تِهْتُ عُجْباً بالتجرُّد والفَقْرِ ... فلم أَندرِجْ تحتَ الزمانِ ولا الدهرِ.
وجاءَت لِقلبي نفحةٌ قُدُسيَّة ... فغِبتُ بها عن عالَم الخَلْق والأمر.
طوَيْتُ بِساطَ الكَوْنِ، والطّيُّ نَشْرُهُ، ... وما القصدُ إلّا التَّرْكُ للطيِّ والنشر.
وغمَّضْتُ عينَ القلب غيرَ مطلّقٍ ... فألفيتني ذاك المُلَقَّبَ بالغَيْرِ.
وَصَلْتُ لِمَن لم تنفصلْ★ عنه لحظةً ... ونزَّهْتُ مَن أَغنى عن الوصل والهجر.
وما الوصفُ إلّا دونَه، غيرَ أَنني ... أُريدُ به التشبيبَ عن بعض ما أَدري.
وذلك مثلُ الصوت أيقظ نائمًا ... فأبْصرَ أمراً جلّ عن ضابط الحصر.
فقلْتُ له: الأَسماءُ تبغي بيانَه؛ ... وكانت له الألفاظ سِتراً على ستر.

- أرى طالباً منَّا الزيادةَ لا الحسنى ... بفكرٍ رمى سهماً تَعَدّى به عَدْنا[1].
وطالِبنا مطلوبُنا من وجودنا ... نَغيبُ به عنَّا لدى الصَّعْق إن عَنَّا[2].

- مَن لامني، لو أنه قد أبصرا ... ما ذُقْتُه أَضحى به متحَيِّرا؛
وغدا يقول لصَحْبه: إن أَنتُم ... أَنكرتُمُ ما بي أَتيتم مُنْكَرا.
شَذَّتْ أُمورُ القوم[3] عن عاداتهم، ... فَلأَجْلِ ذاك يُقال: سِحرٌ مُفترى!

٤- ديوان أبي الحسن الششتري (تحقيق علي سامي النشّار)، الاسكندرية، ١٩٦٠ م.

★★ عنوان الدراية ٢١٠ - ٢١٣؛ نيل الابتهاج ٢٠٢ - ٢٠٣؛ نفح الطيب ٢: ١٨٥ - ١٨٧، ٢٠٥ - ٢٠٧؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٣٩٣؛ بروكلمن ١: ٣٢٣ الملحق ١: ٤٨٣ - ٤٨٤؛ نيكل ٣٥٢ - ٣٥٣؛ مختارات نيكل ١٩٤ - ١٩٦؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٢٠ - ١٢١ (٤: ٣٠٥).

(★) لم تنفصل عينُ القلب.

(١) عدن: الجنة.

(٢) الصعق: الغياب عن الحس. عنَّ: ظهر - أن مطلوبنا من حياتنا أن نصل إلى الله، فإن تجلى لنا غبنا عن الحس.

(٣) القوم = المتصوفون.

ابن عصفور الإشبيليّ

١ - هو الأستاذ (وفيات ابن قنفذ ٣٣١) العلّامة (فوات الوفيات ٢ : ١١٦) أبو الحسنِ عليُّ بنُ مؤمنِ بنِ محمد بنِ علي بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عمرَ بن عبدِ الله بن عُصفورٍ الحَضْرميُّ الإشبيليّ، وُلِدَ في إشبيليَةَ سَنَةَ ٥٩٧ هـ (١٢٠٠-١٢٠١ م).

تَلقّى ابنُ عُصفورٍ العلمَ على نفرٍ منهم أبو الحسن الدبّاج (٥٦٦-٦٤٦ هـ) وأبو علي الشّلَوْبينِ (٥٦٢ - ٦٤٥ هـ)، وقد لازَمَ الشّلَوْبينَ عشْرَ سِنينَ وقرأ عليه كتاب سِيبويهِ. ثمّ جلس للإقراءِ في إشبيليةَ نفسِها إلى أن حَدَثَتْ بينَه وبينَ الشلوبينِ مُنافرةٌ أدّتْ إلى وَحْشةٍ فمُقاطعةٍ (صلة الصلة ١٤٢) لِتَنافُسٍ في إعراب كَلِمَةٍ (راجع نفح الطيب ٢ : ٢٠٩-٢١١). وكان الشلوبينُ أوسعَ وجاهةً فاضْطُرَّ ابنُ عُصفورٍ إلى مُغادرة إشبيليةِ فتَنَقَّلَ بينَ شَريشَ وشَذونةَ ومالَقَة ولُورِقَة ومُرْسِيَة يَدْرُسُ على نفرٍ من علمائها. ثمّ إنّه جلس للتدريس أشهراً في كلِّ بلدةٍ يُمْلي فيها تقايِيدَه (تعليقاتِه) على كتابِ الجُمَلِ للزّجّاجي وكتابِ الإيضاح لأبي عليٍّ الفارسي وعلى الكرّاسةِ المنسوبة للجَزولي وعلى كتاب سيبويهِ. وكان يُملي هذه الكتبَ كلَّها من حِفظه.

ثمّ إنّ ابنَ عُصفورٍ غادَرَ الأندلس إلى تُونِسَ وتصدّرَ فيها للتدريس مدّة يسيرة ثمّ انتقلَ إلى بِجايَةَ (في الجزائر اليوم) بانتقالِ مخدومه (المُحْسِنِ إليه) الأميرِ أبي عبدِ الله محمدٍ المستنصرِ الحَفْصيّ (قبلَ سَنَةِ ٦٤٧ هـ، في الأغلب، قبل أن يَلِيَ المستنصرُ الملك). بعدئذٍ عاد ابنُ عصفورٍ إلى لورقةَ (جَنوبَ شرقِيّ الأندلس). ثمّ انتقل إلى غربيّ الأندلس.

ولم تَطُلْ إقامةُ ابنِ عصفورٍ في الأندلس فَرَجَعَ إلى المَغْرب ونَزَلَ في بلدة سَلا (قرب الرِّباط). في هذه الأثناء، فيما يبدو، كان المستنصرُ الحفصي قد جاء إلى العرش، سَنَةَ ٦٤٧ هـ فاستدعى ابنَ عصفورٍ فعاد ابنُ عصفورٍ إلى تُونِسَ الحاضرةِ واستقرّ فيها. وكانت وفاتُه في تونس غريقاً في ذي الحِجّة من سنة ٦٦٩ في الأغلب (مطلع الصيف من عام ١٢٧١ م)،

٢ - كان ابنُ عصفورٍ الإشبيليُّ بارعاً في العربية (النحو) كثُرَ طُلّابُه وأقبلوا عليه من المغرب والمشرق، إذ «كان بقيَّةَ الحاملين للواءِ العربية في المغرب»، ثمّ أصبحتْ

عليه الإحالة (الرجوعُ إلى رأيه) من المشرق والمغرب (نفح الطيب ٣: ١٨٤).

وابنُ عُصفورٍ يَتْبَعُ مذهبَ البصريّين (في النحو) عُموماً ويُقَدِّمُ سيبويهِ (أشهرَ البصريّين) خاصّةً على كلِّ نَحْويّ. ثمّ هو يتخيّرُ أحياناً أشياءَ من آراءِ الكُوفّيين والبَغْداديّين.

ولابنِ عُصفورٍ أشياءُ في تفسيرِ القرآنِ، ولكنّ ذلك لم يكنْ مِنَ اختصاصه (راجع نفح الطيب ٥: ٣٨٤).

وابنُ عُصفورٍ مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ له: المُقَرِّبُ (في النحو)، ويقال إنّ حدودَه (تعريفاتِه) كلَّها مأخوذة من الجَزولية (فوات الوفيات ٢: ١١٦) تأليف عيسى بن عبدِ العزيز الجَزولي المَغْربي (ت٦٠٧ هـ). وقد انتقدَ كثيرون مِنَ الأندلسيّين وغيرِهم ابنَ عصفورٍ على هذا الكتاب (راجع نفح الطيب ٤: ١٤٨). ولكنّ لهذا الكتاب قيمةً يَدُلُّ عليها كَثرةُ الذين شَرَحوه واختصروه[1].

وله أيضاً: المُمْتِعُ في التصريف (وأبوابه: الحروف الزوائدُ، أبْنِيَةُ الأسماء، أبنية الأفعال، أي الصِّيَغُ التي تأتي عليها الأسماء والأفعال، نحو فَعْل، فُعال، فَعّل، استفعل إلخ ؛ الإبدال، القلب والحذف والنقل، الإدغام، مسائل التمرين). والمقرّب كتابٌ يدلُّ على سَعَة مطالعاتِ ابنِ عصفورٍ في كتب علماء النحو. ثم إنه عاد فألف «شرح المقرّب».

وكذلك له شُروح على عدد من كتب النحو: شَرْح كتابِ سيبويه (ت ١٨٠ هـ)- شرح كتاب الجُمَل للزّجاجّي (ت ٣٣٧ هـ) شرَحه ثلاثةَ شُروحٍ كبيراً ووَسَطاً وصغيراً- إنارة الدياجي[2]- الأزهارُ- الهلال أو الهلالية (البلغة ١٧٠)- السلك والعنوان ومرام اللؤلؤ والمَرجان (بروكلمن، الملحق ١: ٥٤٧)- المفتاح- شرح الإيضاح[3]-

---

(١) راجع أسماء هؤلاء الشرّاح والمختصرين في «ابن عصفور والتصريف» (ص ٥٣- ٥٥).

(٢) يقول فخر الدين قباوي (ابن عصفور والتصريف ٨٩، الحاشية ٤)، لعّل (إنارة الدياجي) أحد شروح جمل الزّجاجيّ.

(٣) يرى بروكلمن (١: ٣٥٢، السطر ٢٨) أن «الإيضاح» هو «إيضاح المشكل» للمطرّزي (ت ٦١٠ هـ)؛ وفي دائرة المعارف الإسلامية (٣: ٩٦٢) أنّ الإيضاح هو لأبي عليّ الفارسي (ت٣٧٧ هـ)؛ وفي بروكلمن =

مختصر المحتسب (في النحو لابن بابشاذ المِصري المتوفّى ٤٦٩ هـ)- البديع (شرح لمقدّمة « الجزولية » في النحو للجزولي المتوفّى ٦٠٧ هـ)- المقنع- مختصر الغرّة- منظومة في النحو. ثمّ له كتب ألصقُ باللغة والأدب: شرحُ الأشعار السِتّة (دواوين امرِئ القيس، النابغة، زهير،علقمةَ الفحلِ، طَرَفَةَ، عنتَرَة) ولكنْ لم يتمّه- شرح الحماسة (ديوان الحماسة لأبي تمّام) ولكن لم يتمّه- شرح ديوان المتنبّي- مفاخرة السالف والعِذار[١]- الضرائر (الضرورات التي تحمل الشاعر على مخالفة قواعدَ في اللغة أو في النظم)- سَرِقات الشعراء.

وكانَ لابنِ عصفورٍ شيءٌ من الشِعر وشيءٌ من الكتابة الأنيقة.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن عصفورٍ في وصف التَجمُّلِ بعدَ الجَهْلِ:

لمّا تَدَنّسْتُ بالتفريطِ في كِبَري ... وصِرتُ مُغرًى بشُربِ الراحِ واللَّعَسِ[٢]
رأيتُ أن خِضابَ الشيْبِ أسترُ لي؛ ... إنّ البياضَ قليلُ الحَمْلِ للدَّنَسِ[٣]!

- من مقدّمة كتاب المقرّب:

.... فلمّا كان علمُ العربيّةِ (النحو) من أجَلِّ العلوم قَدراً وأعظمِها خَطَراً، إذ بهِ تقومُ للإنسانِ ديانتُه فتَتِمُّ صلاتُه وتَصِحّ قِراءتُه؛ وكانتْ أكثرُ المَوْضوعاتِ فيه لا تُبْرِدُ غليلاً[٤] ولا تُحَصِّلُ لطالِبِهِ مأمولاً، وأنّها بين مُطَوَّلَةٍ قد أُسْرِفَ فيها غايةَ الإسراف

= أيضاً (١: ٣٥٤، السطر الثاني) أن الإيضاح للسكّاكي (ت٦٢٦ هـ) وأنّ « شرح الإيضاح » للسكّاكي نفسه. وفي « ابن عصفور والتصريف » أن « الايضاح » (ص ٤٩) غير « شرح الإيضاح » (ص ٥١) وأنّ الإيضاح لأبي عليّ الفارسيّ.

(١) السالف للمرأة، والعذار للرجل.

(٢) الراح: الخمر. اللعس: سواد مستحسن في باطن الشفة (المقصود: التقبيل)، الغزل- في « فوات الوفيات » (٢: ١١٦ س): التخليط في كبرى.... برشف الراح واللعس.

(٣) - أنّ أقل قدر من الوسخ يمكن أن يبدو على نسيج أبيض. إنّه صبغ شعره حتّى إذا ظهرت منه هفوة لم يلمه الناس بحجّة أنّه متقدّم في السن لا يجوز منه مثل ذلك العمل!

(٤) الخطر: (أهميّة قيمة). الغليل: شدّة العطش وحرارته.- لا تبرد غليلاً (لا تمنح الإنسان ما يطلبه).

ومُختصرةٍ أُحْجِفَ فيها غايةَ الإجحاف أشارَ مَنِ النُّجْحِ معقودٌ بنواصي آرائِهِ واليُمْنُ مُعتادٌ في مذاهبِهِ وأنحائه - مالكُ عِنانِ العلوم وفارسُ مَيْدانها ومُحْرِزُ قَصَبِ السَّبْقِ في حَلْبةِ رِهانِها وتاريخُ الفضائلِ وعُنوانُها وحَدَقَتُها وإنْسانها - الأميرُ الأجَلُّ الأوحَدُ المُؤَيَّدُ الأسعَدُ أبو زكريّا ابنُ الشيخِ المُقَدِّسِ [1] المُجاهدِ أبي محمّدِ بنِ الشيخ المجاهدِ المقدّس أبي حَفْصٍ [2] أدامَ اللهُ علاءَهم وأنار بنُجومِ السعْد سَماءهم - إلى وَضْعِ تأليفٍ مُنَزَّهٍ عن الإطناب المُمِلِّ والاختصارِ المُخِلِّ، مُحْتوٍ على كُلِّياتِه مُشْتَمِلٍ على فُصوله وغاياته، عارٍ عن إيراد الخِلاف[3] والدليل، مُجرّدٍ أكثَرُهُ عن ذِكْرِ التَوْجيهِ والتَعْليل، لِيُشْرِفَ الناظرُ فيه على جُملةِ العِلْمِ في أقربِ زمانٍ ويُحيط بمسائلِهِ في أقْصَرِ أوانٍ. فَوَضَعْتُ في ذلك كتاباً صغيرَ الحَجْمِ مُقرِّباً للفَهْمِ، وَرَفَعْتُ فيه من عِلْم النحوِ شرائِعَهُ[4] ومَلّكتُهُ عَصِيَّهُ وطائِعَهُ وذَلَّلْتُه للفهم بحَسَبِ الترتيب وكَثْرةِ التهذيبِ لألفاظِهِ والتقريب، حتّى صار مَعناه إلى القلب أسرعَ من لفظِهِ إلى السمْعِ. فلمّا أتَيْتُ بهِ على القدْحِ تَمَنُّعاً على القَدْحِ [5] مُشْبِهاً للعِقْدِ في الْتِئام وُصُوله وانتظامِ فُصوله، سَمَّيْتُه «بالمُقَرِّبِ» ليكونَ اَسْمُهُ وُفْقَ مَعناه ومُتَرْجِماً عن فَحْواه...

٤ - الممتع (نشره فخر الدين قباوي)، حلب ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م.

- المقرّب (نشره أحمد عبد الستّار الجواري وعبد الله الجبوري)، بغداد (رئاسة ديوان الأوقاف في الجمهوريّة العراقية - في سلسلة «إحياء التراث الإسلامي»)، الجزء الأوّل، بغداد (مطبعة العاني) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

★★ ابن عصفور والتصريف، تأليف فخر الدين قباوي، حلب (دار الأصمعي) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

صلة الصلة ١٤٢ - ١٤٣ (رقم ٢٨٥)؛ فوات الوفيات ٢: ١١٦؛ الذيل والتكملة ٥: ٤١٣ - ٤١٤؛ وفيات ابن قنفذ ٣٣١؛ البلغة ١٦٩؛ عنوان الدراية ٢٦٦ - ٢٦٨؛ بغية الوعاة ٣٥٧؛ نفح الطيب ٢: ٢٠٩ - ٢١١، ٣: ١٨٤، راجع ٢: ٢٧١ - ٢٧٢، ٧٠١،

---

(١) المقدّس (بكسر الدال: الذي يكثير من تقديس الله وتسبيحه).

(٢) هو أبو زكريّا يحيى بن عبد الواحد الهنتاتي (٥٩٩ - ٦٤٧ هـ) جدّ الخلفاء الحفصيّين.

(٣) الخلاف: اختلاف النحاة في تخريج الإعراب، إلخ.

(٤) الشرائع، المفروض أنّها جمع شريعة (طريقة!)؛ أو: شِراعه: قلع (بالكسر) السفينة.

(٥) القدح (بفتح القاف): العيب. (وكسر القاف) الحقّ (قلت فيه الحقّ كيلا يستطيع أحد أن يعيبه!).

٤ : ١٤٨ ، ٥ : ٣٨٢ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٣٣٠ ؛ بروكلمن ١ : ٣٨١ ، الملحق ١ : ٥٤٦ - ٥٤٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٦٢ الأعلام للزركلي ٥ : ١٧٩ - ١٨٠ (٢٧)؛ معجم المؤلّفين ٧ : ٢٥١ .

الدَّرْجيني

١ - هو أبو العباس أحمدُ بنُ سعيدِ بنِ سليمانَ بنِ عليٍّ بنِ إنجلافَ من تميجارَ في جبل نفّوسةَ ومن أُسرة كان لها نشاطٌ إباضيّ وعلم وفِقه.

يبدو أن مولد الدَّرْجينيّ كان في السَّنوات الأخيرة من القرن السادس. ودرس في مطلع شبابه في وَرْجَلَةَ (٦١٦ - ٦١٨ هـ) ثم رأيناه يتابع تلقّي العلم (سنة ٦٣٣) في تَوْزَرَ بجَنوبيّ تُونِسَ. وبعدَ ذلك عاشَ مُدَّة في جزيرة جَرْبَةَ. ولعلَّ وفاتَه كانت نحوَ ٦٧٠ (١٢٧٠ م).

٢ - كان الدرجينيّ فقيهاً إباضياً ومؤرخاً وشاعراً. ويبدو أن نشاطه الأدبي بدأ سَنَةَ ٦٢٦ (١٢٢٨ م). آشتهر بكتابه « طبقات المشايخ ». وهذا الكتابُ قِسمانِ واضحانِ أوّلُهما (يبدو وكأنه منسوخٌ من « كتاب السيرة وأخبار الأئمّة لأبي زكريا يحيى بن أبي بكرٍ الوَرْجَلانيّ)، آستعرض فيه آنتشارَ المذهب الإباضيّ في شَماليّ إفريقيةَ وتأسيس الدولة الرُّسْتَمِيّة ثم ألحق به تراجم لنفر من فقهاء الإباضية المتقدمين من المغاربة. وأمّا ثاني القسمين فهو مجموعُ تراجمَ لمشاهير الإباضية من فُقهاءَ وغيرِ فقهاء. ويتألف هذا القسم الثاني من آثْنَتَيْ عَشْرَةَ طبقة تتناول كلُّ طبقة خمسين سَنَةً. وقد خُصتِ الطبقاتُ الأربع الأولى (في القرنين الأولين من الهجرة) بالفُقهاءِ الإباضية من المشارقة، والطبقات الثماني الباقية بالفقهاء الإباضية من المغاربة.

- طبقات المشايخ، القاهرة ١٣٠٢ هـ.

★★ دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ١٤٠ - ١٤١ ؛ بروكلمن ١ ؛ ٤١٠ ، الملحق ١ : ٥٧٥ .

ابن أبي الحسين

١ - هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ الحسينِ بنُ أبي الحسينِ[1] سعيدِ بنِ الحسينِ بنِ سعيدِ بنِ خَلَفٍ العَنْسيُّ، من أهلِ القَيْروانِ، كان هو وأهلُه من أبناء الدولة (المُقرَّبين من السُّلطان). ويبدو من شِعرِه أنّ أهلَه كانوا من البَدْوِ الذين قدّمَهُمُ الحفصيّون على قوم عِنانِ بنِ جابرٍ (راجع، فوق، ص). وقد تولّى محمّدُ بنُ أبي الحسينِ الحِجابةَ (الوِزارة) في أيام أبي زكريّا يحيى (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) ثمّ في أيام ٱبنهِ محمّدٍ المستنصرِ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ)، فزادَ ذلك في نُفورِ عِنانِ بنِ جابرٍ وقومِهِ فرَحلوا عن تونس[2].

وكانت وفاةُ محمّدِ بن أبي الحسينِ، سَنَةَ ٦٧١ للهجرة (١٢٧٢ - ١٢٧٣ م)، في تُونِسَ.

٢ - كان محمد بن أبي الحسينِ رجلًا بعيدَ الهِمّة ذا عَزْمٍ وحَزْمٍ في الأمور. وقد وَصَفَهُ حَسنُ حُسْني عبدُ الوهّاب بإتقانِ العلوم وبالمَعرفة باللُّغة وبِرِقّة الشِّعر والبراعة في الترسُّل. وفي شِعرِه مَتانةٌ، وفيه وصفٌ وفخرٌ وشيءٌ من الحِكمة. ثمّ هو مُصَنِّفٌ عُنِيَ بكتاب «المُحْكَم» لابن سِيدَهْ (ت ٤٥٨ هـ) رَتّبه على أواخرِ الكَلِمات وسمّاه «ترتيبَ المُحكَم» ثمّ ٱختصره وجعل ٱسْمَ مُخْتَصَرِه «خُلاصَة المُحكَم».

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو عبدِ اللهِ بنُ أبي الحسينِ بنِ سعدٍ قصيدةً يَحُثُّ فيها عِنانَ بنَ جابرٍ على العَوْدَةِ إلى تونس:

---

(١) هذا النسب الطويل من الأعلام (للزركلي). وقد اقتصر حسن حسني عبد الوهّاب على «محمّد بن أبي الحسين بن سعد (مكان: سعيد)، أبو عبد الله».

(٢) راجع البيت الرابع عشر من المختارات من شعر عنان بن جابر. يذكر حسن حسني عبد الوهّاب أنّ محمّد ابن أبي الحسين قد تولّى الحجابة للمستنصر الحفصي. وفي بني حفص سلاطين تونس بضعة نفر تلقّبوا بالمستنصر، ولكنّهم كلّهم جاءوا بعد وفاة محمّد بن أبي الحسين. والصواب أن يقال إنّ ٱبن أبي الحسين تولّى الحجابة للمنتصر الحفصي (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) وهو أبو عبد الله محمّد بن عبد الواحد وأخو أبي زكريا يحيى مؤسّس الدولة الحفصية (راجع زامباوّر، ص ١١٥ و١١٧).

سَلوا دِمْنةً بين الغَضا والسواجرِ هلِ ٱسْتنّ فيها واكفاتُ المواطرِ[1]؟

ودونَكُمُ، يـا لَلْرجـالِ، تحيّـةً يُخَصُّ بها عنّي عِنانُ بن جابر[2].

فتًـى مـا دَعَتْـهُ زَلَّةٌ فأجابها، فكيف طوى كَشْحاً على نفسٍ غادر[3]؟

وقـد كان بَيْني، يا عِنانُ، وبينكم بَواطِنُ صُنّاها بحفْظِ الظواهر[4].

وفي كلِّ عامٍ كان للجيش وقعةٌ نَجُرُّ بهـا أذيالَنـا جَرَّ سادر[5]

فتختـالُ أعطافٌ وتصِلُ سُمْرُنا، ونهتزّ كالسُّمر ٱبتغـاءَ المفاخر[6]

نَشاوَى عـلى خَيْلٍ نَشاوى كأنّنا وأسْيافَنـا لم نستَفِقْ من تساكر[7].

عزيزٌ علينا، يا عِنـانُ، ضَلالـةٌ حَدَتْ بكَ لا تلوي على زجْرِ زاجر[8].

تَبَصَّرْ ولا تَحمِلْ على النفس غيَّها؛ أُعيذُكَ من كرّاتِ دهرٍ جواسر[9]

فَدَيْتُـكَ، لا تَشْرِ الضلالةَ بالهُدى؛ فَدَيْتُكَ، لا تَشْرِ العَمى بالبصائر[10].

---

(١) الدمنة: آثار الدار (المكان الذي كان فيه دار مسكونة). الغضا: نوع من الشجر. السواجر لعلّها جمع سوجر - بالفتح -: نوع من الشجر (تاج العروس - الكويت ١١: ٥٠٧). استّن: هطل (فيها المطر دفعة - بالضمّ - واحدة وتتابع). الواكف: (المطر) السائل، الهاطل. المواطر جمع ماطرة (؟): غيمة ممطرة.

(٢) دونكم: خذوا (اعلموا). يا للرجال (ما أحسنه من رجل).

(٣) الكشح: الجانب (من جسم الإنسان). طوى كشحاً: أسرّ (حقداً).

(٤) صنّاها من صان: حفظ، حمى.

(٥) جرّ فلان ذيله: مشى متبختراً (معجباً بنفسه). السادر (الذي لا يبالي بالعواقب، المنطلق في هواه لا يفكّر في شيء آخر).

(٦) العطف (بالكسر) الجانب الأعلى من الجسم. تصل: تهتزّ. السمر جمع أسمر: الرمح. اهتزاز الرمح (في الذهاب إلى الحرب) كناية عن الثقة بالظفر.

(٧) النشوان: السكران (المسرور بما يملك). تساكر (تظاهر المرء بالسكر وهو ليس سكران).

(٨) عزيز علينا (أمر صعب علينا، ثقيل على نفوسنا، مسيء لنا). حدت بك: ساقتك، دفعتك. لا تلوي: لا تلتفت (لا تسمع زجر زاجر: من يريد أن يردّك عن الضلال).

(٩) الغيّ: الضلال. كرّة الدهر (هجمته بالأذى على الإنسان). جواسر (يريد بها جمع جاسرة: جريئة، شجاعة).

(١٠) شرى: اشترى. البصائر جمع بصيرة: الفطنة وحسن الإدراك للأمور (ولعلّه يقصد العين الباصرة، من مقارنة البصائر بالعمى).

وما العرَبُ العَرْباءُ إلَّا بعَدِّها، فمَنْ كان أوْفى كان أوَّلَ فاخِرِ[1].
فكَمْ حَفِظت من ذِمةٍ قَوْسُ حاجبٍ، وكم مثَلٍ أبقى السَّمَوْأَلُ سائرِ[2].
كذلك كان الناسُ يُوفونَ، فاتْبعوا سبيلَ الوفاءِ كابِراً إثْرَ كابر[3].
ومَنْ تنفَعُ الذِّكرى تلافَى تَلافَه وكشّف عن وجْهٍ من الرُّشْد سافر[4].
هَدَتْك الهوادي، يا عِنانُ، وأمطرتْ ذُراكَ الغوادي بينَ بادٍ وحاضرِ[5].

٤ - ★★ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٩ - ٢٠١؛ الاعلام للزركلي ٦: ٣٣٤ (١٠١ - ١٠٢).

القرطبي صاحب التفسير

١ - هو الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمدُ بن أحمدَ بنِ أبي بكر بن فَرْحٍ الخزرجي الأنصاري من أهل قرطبة، ولد سنة ٥٧٨ للهجرة (١١٧٣ م). سمع من أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ) وأخذ عن أبي عليٍّ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ محمدٍ البكريّ وعن أبي الحسنِ عليٍّ بنِ محمدِ بن علي بن حفصٍ اليَحْصُبيّ.

---

(١) العرباء: الصريحة النسب. بعدّها: بعددها (بكثرة عددها). أوفى: أكثر عدداً. أكثر وفاء بالعهد.

(٢) حاجب بن زرارة (بالضمّ) سيّد بني تميم في الجاهلية (ت سنة ٣ هـ) كان قومه قدِ اعتدَوا على بقعة من المراعي على ضفاف نهر الفرات لم تكن لهم. فغضب كسرى وأراد أن يمنع بني تميم من الرعي في جميع مناطق الفرات. فجاء حاجب إلى كسرى ووعده بألّا يعود بنو تميم إلى الرعي في مناطق ليست لهم وجعل قوسه رهناً للوفاء بوعده. ووفى بنو تميم بالوعد. والسموأل بن عاديا، يقال فيه إنّه كان وفياً بوعده. فكم حفظت من ذمّة قوس حاجب (هذه القوس القليلة الثمن كانت ثمينة جدًّا لأنّها حملت بني تميم على الوفاء بوعدهم ثمّ علّمتهم الوفاء بالوعد في غير موقفهم مع كسرى).

(٣) كابرا إثر (بعد) كابر: إرثا من سلف عظيم إلى خلف عظيم بعده.

(٤) - والذي ينفعه تذكر ماضيه يتلافى (يتجنّب) تلافه (هلاكه) ثمّ يكشف (يعرف، يختبر) وجهاً من أوجه الرشد (الصواب). سافر: واضح، ظاهر. ليس في «من» (هنا) معنى الشرط.

(٥) الهادية: الدليل المتقدم في السير، الهادي الناصح. الذروة (بالكسر أو بالضمّ): المكان العالي (بيتك الرفيع، الشريف). الغادية: الغيمة الممطرة القادمة في الصباح. بين باد وحاضر: إذا كنت في البادية أو في الحضر (المدينة).

رَحَلَ القُرطبيُّ إلى المشرقِ واستقرّ في مُنْيةِ بني خَصيبٍ، شمالَ أسيوطَ بصعيدِ مِصْرَ. وكانتْ وفاته هناك في تاسع شوّالِ من سَنة ٦٧١ (١٢٧٣/٣/٣١ م).

٢ - كان القرطبي صاحبُ التفسير رجلاً صالحاً متعبّداً زاهداً ومن العلماءِ العارفين متبحراً في عددٍ من العلوم، وفي التفسير والحديث خاصةً، كما كان مليحَ النظمِ.

وهو مصنِّفٌ له: الجامعُ لأحكام القرآنِ المُبين لما تضمنه (القرآن) من السُّنّة وآي الفُرقان (أسقط منه القِصَصَ والتواريخ وأثبت عوضاً عنها أحكام القرآن واستنباط الأدِلّة وذكرَ القِراءاتِ والإعراب والناسخ والمنسوخ) - الأسنى في شرح أسماء الله الحُسنى - التذكار في أفضل الأذكار - التذكرة بأحوال الموتى وأحوال (أمور) الآخرة (= التذكرة الفاخرة بأحوال الآخرة؟) - قمع الحِرص بالزهد والقناعة ورذل (ذل) السؤال بالكف (بالكتب) والشفاعة - شرح التقصي - أرجوزة (جمع فيها أسماءَ النبيّ صلى الله عليه وسلّم) - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسنِ دينِ الإسلام وإثبات نبوّة نَبِيِّنا محمّدٍ عليه الصلاة والسلام (ردٌّ على كتاب في الجَدَلِ لأحدِ نصارى طُليطلةَ) - كتاب العقيدة - المِصباح في الجمع بين الأفعال (لابن القطّاع) والصِّحاح (للجوهري) (مجرّداً من الشواهد).

والمقصودُ بكتابه «الجامع لأحكام القرآن» أن يكون تفسيراً لآيات القرآن. ولكن هذا الكتاب ليس تفسيراً بمعنى «توضيح معنى الآية بعد، الآية»، بل هو «عَرْضٌ لكل ما يتعلق بكل آية من وجوه المعرفة من تفسير الألفاظ وبيان إعرابها وذكر ما يتّصل بها من أوجه البلاغة ومن الشواهد الدالة على المقصود منها سواءً أكانت هذه الشواهد من أقوال الرجال أو منَ الأشعار أو من الأحاديث أو من الآيات حينما توافق الآيةُ الآيةَ المقصودة بالتفسير. ولا شك في أنّ «الجامع لأحكام القرآن» ينكشف عن سَعة المعرفة التي كان القرطبي يتمتّع بها وعن إصابة الرأي فيما يتناول من الموضوعات.

ثم إن هذا الكتابَ مفيدٌ جدًّا للباحث، إذ هو يجمع للقارىء معظمَ ما يتعلق بكلِّ آيةٍ في مكانٍ واحدٍ. ولكنّه يشوِّشُ الأمور على القارىء العادي حينما يحاول أنْ «يفسِّر القرآن بالقرآن» (أي يَدُلَّ على المقصود من آية ما بايراد ما يشبه تلك الآية مِمّا ورد

من آيات القرآن، فيختلط الأمر حينئذ على القارىء العاديّ بين الآية المقصودة بالتفسير في موضعها والآيات المستشهد بها. وهذه خُطّة تدعو إلى التطويل. لقد جاء تفسير الآية: ﴿أتأمُرون الناسَ بالبِرِّ وتَنْسَوْنَ أنفُسَكم، وأنتم تتلون الكتاب؟ أفلا تعقلون؟﴾ (٢: ٤٤، سورة البقرة) في سبع صفحاتٍ (١: ٣١١ - ٣١٦) في نحوِ مائةِ وعشرة أسطر (نحو ألف وثلاثمائة كلمة) منها ستّةَ عَشَرَ بيتاً من الشعر.

وهنالك مأخذٌ آخر على أسلوب القرطبي في التفسير حينما يَفْصلُ بينَ كلمات الآية الواحدة ثم يُورد في أثناء تفسير تلك الآية أقساماً من آيات توافق الآية المقصودة بالتفسير في المعنى وفي اللفظ. ففي تفسير الآية: ﴿وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنّا. وإذا خلَوْا إلى شياطينهم قالوا: إنّا معكم. إنّما نحن مستهزئون﴾ (٢:١٤)[1]. في أثناء شرح هذه الآية (١: ١٧٩ - ١٨١) يوردُ القرطبي أقساماً من آيات هي:

- وجزاءُ سيّئةٍ سيّئةٌ مثلها (٤٢: ٤٠، الشورى).
- فَمَنِ اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم به (٢: ١٩٤، البقرة).
- ومكَروا ومكَرَ اللهُ (٣: ٥٤، آل عمران).
- إنّهم يكيدون كيداً وأكيدُ كيداً (٨٦: ١٦، الطارق).
- يخادعون الله، وهو خادِعُهُم (٤: ١٤٢، النساء).
- فيسخرون منهم، سخر الله منهم (٩: ٧٩، التوبة).

إنّ القارىء العاديّ لا يستطيع أنْ يَعْرِفَ (بالتأكيد) أن هذه الآيات الستَّ مختلفةُ المواقعِ في المُصْحَفِ وأنّها ليست (في القراءة) من الآية المقصودةِ بالتفسير، والتي هي من سورة البَقَرة. ولكنّ هذه هَناتٌ (مآخذُ يسيرةٌ) في «أسلوب» التفسير، وليستْ تَمْنَعُ مِنْ أنْ نرى القُرطبي في تفسيرهِ هذا جيِّدَ الفَهْمِ للمَقصود حَسَنَ التخريج للأدِلّة.

٣- مختارات من آثاره

١- من مقدمة «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي المفسِّر (١: ٢ - ٣): وبعدُ، فلمّا

---

(١) راجع الجامع لأحكام القرآن ١: ٣١١ وما بعد.

كان كتابُ الله هو الكفيلَ بجميع عُلومِ الشَّرْعِ الذي استقلّ بالسُّنّة والفَرْض، ونزل به أمينُ السماءِ إلى أمينِ الأرض[١]، رأيت أنْ اشتغل به مدى عُمري وأستفرغ به مُنّتي[٢] بأنْ أكتبُ فيه تعليقاً وجيزاً يتضمّنُ نُكتاً[٣] من التفسير واللُّغات والإعراب والقراءات و(مِنَ) الرّدّ على أهلِ الزَّيغ والضَّلالات[٤] و(من) أحاديثَ كثيرةٍ شاهدةٍ لِمَا نذكُرُه من الأحكام ونزولِ الآيات[٥] جامعاً بين معانيها ومُبيِّناً ما أشكل[٦] منها (وذلك) بأقاويلِ السَّلفِ ومن تَبِعَهُمْ مِنَ الخَلَفِ.

وعَمِلْتُه تَذْكِرةً لنفسي وذخيرةً لِيوم رَمسي وعَمَلاً صالحاً بعدَ موتي. قال اللهُ تعالى: ﴿يُنبَأُ الإنسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قدّمَ وأخّرَ﴾؛ وقال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قدَّمتْ وأخرت﴾؛ وقال رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم: «إذا ماتَ الإنسانُ ٱنْقطَعَ عَمَلُه إلاّ من ثلاثٍ: صَدَقةٍ جارِيَةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بهِ أو وَلَدٍ صالحٍ يدعو له».

وشرطي في هذا الكتابِ إضافةُ الأقوالِ إلى قائليها والأحاديثِ إلى مُصنِّفيها[٧]، فإنّه يُقال: مِنْ بركةِ العِلم أن يُضاف القولُ إلى قائله.

وكثيراً ما يجيء الحديثُ في كُتُبِ الفِقْهِ مُبْهَماً لا يَعْرِف مَنْ أخْرَجَه[٨] إلّا مَنِ ٱطّلَعَ على كُتُبِ الحديثِ فيبقى مَنْ لا خِبرَةَ له حائراً لا يَعرِفُ الصحيحَ من السقيم[٩] - ومَعرِفة ذلك عِلْمٌ جسيم[١٠] - فلا يُقْبَلُ منه الاحتِجاجُ به ولا الاَستِدْلالُ حتى

---

(١) أمين السماء: جبريل. أمين الأرض: محمّد رسول الله.

(٢) المنّة (بالضمّ): القوّة.

(٣) النكتة: النقطة البارزة، المسألة الدقيقة أو النادرة.

(٤) الزيغ: الحيد أو الميل عن الطريق الصحيح. الضلالة: الباطل، مخالفة الطريق المستقيم.

(٥) نزول الآيات (أسباب نزولها، تاريخها).

(٦) أشكل الأمر: اشتبه، التبس (لم يمكن الجزم فيه برأي واضح).

(٧) مصنّف الأحاديث: مرتّب أحاديث رسول الله في أبوابها بحسب معانيها.

(٨) أخرج الحديث (بيّن طريق روايته).

(٩) الحديث الصحيح: الثابت في روايته عن رسول الله. السقيم من الحديث: ما كان في روايته عن رسول الله شك أو جَرْح في أمانة رجاله (فهو ضعيف) أو ما لم يكن من أحاديث رسول الله (فهو موضوع، مكذوب).

(١٠) جسيم: عظيم، (صعب).

يُضيفه إلى من خرّجه من الأئمّة الأعلام والثّقاتِ المشاهيرِ من عُلَماءِ الإسلامِ. ونحنُ نُشيرُ إلى جُمَلٍ من ذلك في هذا الكتابِ. والله الموفّق للصواب.

(ثم إنّني) أُضرِبُ[1] عن كثير من قصَص المُفسِّرين وأخبار المُؤرّخين، إلاّ ما لا بُدَّ منه ولا غَناءَ[2] عنه للتَّبْيين. وٱعْتَضْتُ من ذلك تبيينَ آيِ الأحكام بِمسائلَ تُسفِرُ عن معناها وتُرشِدُ الطالبَ إلى مُقتضاها[3]. فضمّنْتُ كُلّ آيةٍ تتضمّنُ حُكْماً أو حكمَيْنِ فما زادَ مسائلَ نُبَيِّنُ فيها ما تحتوي عليه من أسبابِ النُّزولِ والتفسيرِ والغريب والحُكْم[4]؛ فإنْ لم تتضمّنْ حُكْماً ذكَرْتُ ما فيها من التفسيرِ والتأويلِ[5]، هكذا إلى آخرِ الكتاب.

وسمّيْتُه «الجامع لأحكام القُرآنِ والمُبيِّنَ لما تضمّنَهُ من السُّنّة وآيِ الفُرقان[6]»، جَعَلَهُ اللهُ خالصاً لوجهِهِ، و(أرجو) أنْ ينفعَني بِهِ ووالِدَيّ بمَنّهِ[7]. إنه سميعُ الدُّعاء قريبٌ مُجيبٌ[8]. آمين.

٤- الجامع لأحكام القرآن، القاهرة (دار الكتب المصريّة) ١٩٣٣ - ١٩٥٠ م، الطبعة الثانية ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٣ م؛ القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧ م (نسخة مصوّرة).

- أقضية الرسول صلّى الله عليه وسلم، القاهرة (البابي) ١٣٤٦ هـ.
- التذكرة بأحوال الموتى وأحوال (أمور) الآخرة[9] (في مجموع، رقم ٤)، القاهرة (مكتبة الجمهوريّة العربية) بلا تاريخ؛ (صحّحه أحمد محمّد مرسي)، القاهرة (مطابع مدكور وأولاده) بلا تاريخ.

---

(١) أضرب عن الشيء: رفض الأخذ به، ترك العمل به.

(٢) الغناء (بالفتح): (هنا) الاستغناء. لا غناء عنه: ضروري.

(٣) مقتضاها: وجوبها، الحاجة إليها، وجه العمل بها.

(٤) الغريب (من الألفاظ): ما كان قليل الاستعمال. الحكم: الوجه الشرعي الذي يجب العمل به.

(٥) تأويل الكلام: العدول به عن الحقيقة إلى المجاز، ترك المعنى الظاهر وطلب المقصود الباطن.

(٦) الفرقان: القرآن الكريم (الذي يفرق بين الحق والباطل).

(٧) المنّ (بالفتح): النعمة، الفضل.

(٨) في القرآن الكريم (٢ : ١٨٦، البقرة): ﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان﴾ (دعاني).

(٩) في بروكلمن (الملحق ١ : ٧٣٧): بولاق ١٣٠٠؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٨، ١٣١٠ (لم يأتِ قبلها كلمة مطبوع).

- التّذكار في أفضل الأذكار: القرآن الكريم (خرّج أحاديثه... أحمد بن محمّد الغماري)، القاهرة (الخانجي) ١٣٥٥ هـ.
★★- شرح التذكرة القرطبية (لأحمد بن أحمد بن محمد، المتوفّى ٨٩٦ هـ)، بولاق ١٣٠٠ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٨، ١٣١٠ هـ.
- مختصر التذكرة بأحوال الموتى الخ، لعبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣ هـ)، بولاق ١٣٠٠ هـ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ، ١٣٠٤ هـ؛ مصر (مطبعة عبد الرزّاق) ١٣٠٣ هـ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ؛ مصر ١٣٢٠ هـ.
- مختار تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تصنيف توفيق الحكيم (؟)، القاهرة (الهيئة المصريّة العامّة للكتاب) ١٩٧٧ م.

الوافي بالوفيات ٢: ١٢٢ - ١٢٣؛ الديباج المذهب ٣١٧ - ٣١٨؛ شذرات الذهب ٥: ٣٣٥؛ نفح الطيب ٢: ٤٨ - ٤٩، ٣: ٢٣٥ - ٢٣٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٥: ٥١٢ وما بعد؛ بروكلمن ١: ٥٢٩، الملحق ١: ٧٣٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٧ - ٢١٨ (٥: ٣٢٢)؛ سركيس ١٥٠٤، راجع ١١٣٣ (رقم ١٧).

ابن مالك النحوي

١ - هو جمالُ الدين أبو عبد الله محمّدُ بنُ عبدِ الله بن مالكٍ الطائيُّ الجيّانيُّ. وُلِدَ آبنُ مالكٍ في جيّانَ، سَنَةَ ٥٩٨ هـ (١٢٠٢ م) في الأغلب، ودرس فيها على ثابتِ بن خيارٍ المُتوفّى سَنَةَ ٦٢٨ هـ (نفح الطيب ٧: ٢٨٧) وعلى أحمدَ بنِ نوارٍ وعلى أبي عبد الله محمّد آبن مالكٍ المَرْشانيّ وعلى أبي علي الشلوبيني الصغير (ت ٦٦٥ هـ).

ورَحَل آبنُ مالكٍ في مطلعِ حياته فدرس في مِصْرَ على أبي عمروٍ عُثمانَ بنِ الحاجب (٥٧٠ - ٦٤٦ هـ) وأبي صادقٍ بن الصباح (ت ٦٣٢ هـ). ثمّ جاء إلى دمشق فدرس على أبي الحسن بنِ السخاويِّ (ت ٦٤٣ هـ) وأبي الفضل مكرم بنِ محمّدٍ (ت ٦٣٥ هـ). وانتقلَ إلى حَلَبَ فأخذ من ابنِ يَعيشَ (ت ٦٤٣ هـ) ومن تلميذِه آبنِ عَمْرونٍ (ت ٦٤٣ هـ).

وتصدّر آبنُ مالكٍ للتدريس في دِمَشْقَ، وفي حماةَ مُدّةً، وفي حَلَبَ أيضاً.

وكانت وَفاةُ ابنِ مالكٍ في دِمَشْقَ في الثاني عَشَرَ من شَعْبانَ من سَنَةَ ٦٧٢ (١٢٧٤/٢/٢٢ م).

٢ - كان ابنُ مالكٍ إماماً في القِراءات وفي اللُّغةِ والنحو واسعَ الاّطّلاعِ على أشعار العرب التي يُسْتَشْهَدُ بها في اللغة والنَّحْو: كانَ يأتي بالشاهدِ من القُرآن الكريم، فإذا لم يَجِدْه في القُرآنِ أخذه من الحديث، فإذا لم يَجِدْهُ فيها أخذه من أشعار العرب.

ولابنِ مالكٍ النَّحْوِيِّ نظمٌ كثير يدورُ كُلُّه على جمع قواعدِ اللغة والنحو وعلى شوارِدِها. وهذا النوع من النظم يكون في العادة كثير التكلُّفِ قليل الرَّونقِ.

ولابن مالكٍ تصانيفُ كثيرةٌ منها: الفوائدُ (في النحو، وقد ضاع)- تسهيل الفوائد، (مختصر من الفوائد)- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (قيل: كتاب ضمّنه ابنُ مالكٍ كِتابَه «تسهيل الفوائد»)- شرحُ التسهيل - الموصَّل في نَظْم المُفصّل (في النحو. والمفصّل للزمخشري)- سبك المنظوم وفكّ المختوم (نَثْرُ الكتاب السابق)- الكافِيةُ الشافيةُ (وهي أُرجوزة في ثلاثة آلافِ بيتٍ مطلَعُها: قال آبنُ مالكٍ محمّدٌ وقد...)- الخُلاصة (مختصر الكافية، وتُعرفُ عادةً بآسم الألفيّة لأنّها تتألّفُ من نحوِ ألفِ بيتٍ، ومطلَعُها: قال محمّدٌ هو آبْنِ مالكٍ)- شرح الكافِيَة - إكمالُ الاعلام بمُثلّثات الكلام - لاميّةُ الأفعال - شرحُ لاميةِ الأفعال - فعل وأفعل - المقدّمة الأسدية (في النحو وضعها بآسْمِ وَلَدِهِ تقيِّ الدين الأسد - عُدّة اللافظِ وعُمْدة الحافظ - النظم الأوْجزُ في ما يُهْمَزُ - الاعتضاد في الظاء والضاد - تُحفة المودود في المقصور والممدود. وله أيضاً الداليّةُ المرموزة (وهي تحتوي على ما تَحْويه ألفية الشاطبيّ(*) في القِراءات السَّبْع، وهي المعروفةُ بآسْمِ «حِرزِ الأماني ووجه التّهاني» أو بآسمِ الشاطبية اختصاراً. وفي الداليةِ أكثرُ مِمّا في الشاطبية - اعراب مُشكِل البُخاري.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن مالك النحويّ في مطلع «الألفيّة»:

قـال محمَّـدٌ هُوَ آبن مالـكِ: أحمَدُ ربي اللهَ(١) خـيرَ مالـكِ،

(*) راجع ترجمة الشاطبي (ت ٥٩١ هـ)- في الجزء الخامس.

(١) لفظ الجلالة «الله»، هنا، مرقّق (بجعل الألف التي بعد اللام الثانية وقبل الهاء بين الفتح والكسر) لأنه جاء بعدكسرة (في «ربي»). وفي غير هذا الموضع (أي بعد الفتح أو الضم) يلفظ اسم الجلالة «الله» مفخماً، نحو: قالَ اللهُ... أو هذا خَلْقُ الله.

مُصلِّياً علـى الرسول المُصطفـى　　وآلـهِ المُستكمِليـنَ الشَّرَفـا[١].

وأستعـينُ اللهَ[٢] في ألفيّـهْ　　مقاصـدُ النحو بهـا مَحْوِيَّـهْ،

تُقرِّبُ الأقصى بلفـظٍ مُوجَزِ　　وتبسُط البـذْلَ بوعـدٍ مُنجزِ[٣]؛

وتقتضي رِضاً بغـير سُخـطِ　　فائقـةً ألفيّـةَ ابنِ مُعطي[٤].

وهو بِسَبْـقٍ حائزٌ تفضيـلاً　　مستوجِـبٌ ثنائِيَ الجَميـلا[٥].

والله يقضي بهبـاتٍ وافره　　لي ولـه في دَرَجـاتِ الآخِرهْ[٦]

- ومن مَتْنِ الألفيّة (هَمْزةُ « أنّ »- متى تُكْسَر ومتى تُفْتَحُ):

لِـ « إنّ، أنّ، لَيْـتَ، لكِنَّ، لَعَلْ،　　كأنَّ » عكسُ مالِـ « كـانَ » مِنْ عَمَلْ[٧]؛

« كـإنّ زيـداً عـالمٌ بأنّي　　كُفْءٌ »، و « لكنّ ابْنَهُ ذو » ضِغْنِ[٨].

وراعِ ذا الترتيبَ إلاّ في الذي　　كلَيْتَ فيها « أو... هُنا غير البذي »[٩]

وهَمْزَ إنّ افْتَحْ لِسَدِّ مَصْدَرِ　　مَسَدَّها، وفي سوى ذاكَ اكْسِرِ[١٠]:

(١) الشَّرَفا: مفعول به منصوب بالفتحة (لاسم الفاعل المحلى باللام - بلام التعريف).

(٢) لفظ الجلالة « الله » مفعول به.

(٣) تحاول (هذه الألفية) أن تجمع كل شيء من وجوه النحو. الأقصى: الأبعد (الشواذ) أي فيها أمثلة على القواعد وعلى ما يشذّ أيضاً عن تلك القواعد. ثمّ تبسط (تفصل) البذل (العطاء): كثرة وجوه الاعراب، ولكن بإيجاز.

(٤) تقتضي (تستحق، تطالب القارىء المتعلم) رضاً (سروراً بها منه). السخط: الكره والغضب. فائقة: فاضلة (تزيد في قيمتها وفي نفعها على ألفية ابن معط - ت ٦٢٨ هـ - راجع ترجمته في الجزء الخامس).

(٥) وهو (ابن معط) مستحقّ تفضيلاً عليّ لأنه سبق في نظم ألفية في هذا الموضوع.

(٦) الآخرة: يوم القيامة. درجات الآخرة (يكون المؤمنون المحسنون في الجنّة في مراتب يعلو بعضها على بعض بحسب أعمال كل واحد منهم في هذه الدنيا).

(٧) عمل الأحرف المشبّهة بالفعل: (إنّ، أنّ، لكنّ، ليت، لعلّ) تنصب الاسم وترفع الخبر: إن زيداً قائم. وعمل الفعل الناقص (كان وأخواتها: ظلّ، ما زال، الخ) ترفع الاسم وتنصب الخبر: كان زيد قائماً.

(٨) الضغن: الحقد. - في الأمثلة (راجع الحاشية السابقة).

(٩) « راعِ » (فعل أمر من راعى - يراعي) حافظ على ترتيب الألفاظ في الجملة: الحرف المشبّه بالفعل (أو الفعل الناقص) ثمّ اسمه ثم خبره: ليت زيداً قائم. - أمّا إذا اتّصل بالخبر (أو بما يقوم مقامه) حرف جرّ (أو ظرف)، فحينئذ يتقدّم الخبر على الاسم: ليت على هذه الشجرة ثمراً (« ثمراً » اسم « ليت » مؤخّر). كان في الدار رجل. ليت هنا غير البذيء. البذيء: الذي يتكلم كلاماً قبيحاً.

(١٠) تفتح همزة « أنّ » إذا كانت هي واسمها وخبرها يمكن تأولها كلّها بمصدر يكون معمولاً له محلّ من =

وٱكْسِرْ في ٱلٱبْتِدا، وفي بَدْءِ صِلَهْ، وحيثُ «إنّ» لِيَمينٍ مُكْمِلَهْ[1]،
أو حُكِيَتْ بالقولِ، أو حَلّتْ مَحَلْ حالٍ «كزُرْته وإنّي ذو أمَلْ»[2]؛
وكَسَروا من بَعْدِ فعلٍ عُلِّقا باللامِ «كأعْلَمْ إنّهُ لَذو تُقى»[3]؛
بعد إذا فُجاءَةٍ، أو قَسَمِ، لا لامَ بَعْدَها بِوَجْهَيْنِ نُمي[4]؛
مَعْ تِلْوِ «فا الجَزا»- وذا يَطَّرِدُ في نحوِ: «خيرُ القولُ إنّي أحْمَدُ»[5]؛
وبَعدَ ذاتِ الكَسْرِ تَصْحَبُ الخَبَرْ لامُ ابتدا، نحو «إنّي لَوَزَرْ»[6].
ولا يَلي ذي اللامَ ما قد نُفِيا ولا مِنَ الأفعالِ ما كـ«رَضِيا»[7]،

= الإعراب: علمت أن زيداً قادم (علمت قدوم زيد- قدوم مفعول به)- العدل أن تنصف الناس من نفسك: العدل إنصافك الناس من نفسك (إنصاف خبر) الخ. وفي سوى ذلك من الأماكن تكسر همزة «أن».

(١) الهمزة في «أن» (من الأحرف المشبهة بالفعل) تأتي أحياناً مكسورة وأحياناً مفتوحة. تكون مكسورة: إذا جاءت في أوّل الكلام (إنّ الله يحب المحسنين)- وفي بدء الجملة التي تكون صلة لاسم الموصول (جاء الذي إنّ حديثه يعجبني)- وبعد القسم (والله، إنّ العلم نافع).

(٢) حُكيت بالقول (جاءت بعد فعل القول): قال سعيد: إنّ الجوّ بارد («إن» الجوّ بارد» جملة مقولة القول، وهي تصلح لأن تكون بدء الكلام). «زرته وإنّي ذو أمل» «إنّي ذو أمل» جملة في محلّ نصب حال (بعد واو الحالية).

(٣) لو قلنا: اعلم أن العلم نافع (فهمزة «أن» تكون مفتوحة- لأنّ «أنّ وما بعدها» يتأول بمصدر يقع مفعولاً به للفعل «علم». فإذا قلنا: اعلم إنّ العلم لنافع، كسرنا همزة «أن»).

(٤) إذا جاءت «أن» بعد «إذا» الفجاءة (وليس بعدها لام التوكيد): «سمعت صوتاً مقلقاً، فالتفت فإذا أنه ذئب يعوي (هنا يجوز فتح همزة أن وكسرها). فإذا تلتها لام التوكيد «..... فإذا إنّه لذئب....» (تعين كسر همزة «أن»). وكذلك في القسم: «اقسم بالله أنه بريء (يجوز الوجهان في «أن»). فإذا قلنا: «أقسم بالله إنه لبريء» (كانت همزة «ان» مكسورة). نمى ينمي: رفع، نسب (صحّ عن المتقدّمين).

(٥) إذا جاءت «أن» مسبوقة بفاء الجزاء (في جملة شرطية أو شبيهة بالشرطية)، فهمزة «أن» تكون مكسورة: ومن يتبْ من ذنوبه، فإنّ الله غفور رحيم. يطرّد: يأتي بلا شواذّ.

(٦) إنّ لام التوكيد تدخل على الخبر جوازاً: إنّي واثق- إني لواثق (ولكن همزة «أن» تكون في الحالين مكسورة).

(٧) ولام التوكيد هذه تدخل على الفعل المضارع إذا كان مثبتاً. إنّ الإنسان ليرضى عن المحسن في كل حين، أو إذا كان اسم فعل (بمعنى الفعل المضارع): إنّ زيداً لنعم الرجل- ولنعم الرجل زيد. ولكنها لا تدخل على الفعل الماضي ولا على الفعل المضارع إذا جاء منفياً، فلا يقال: إن زيداً لرضي أو أن زيداً للا يرضى.

وقد يَليها مَعَ قَدْ، «كإنّ ذا لقد سما» على العِدا مُسْتَحْوِذا [1].

٤- كنت أودّ أن أنسُقَ تآليفَ ٱبنِ مالكٍ وشروحَها وحواشِيها نسْقاً منطقيًّا - كما كنت قد فعلت بتآليفِ ٱبن هشامٍ الأنصاريّ (٣: ٧٨٣ - ٧٨٧) - ولكنْ يبدو أن الشروحَ والحواشيَ على تآليفِ ابن مالكٍ أكثرُ تعقيداً منها على شروح ابنِ هشامٍ. ثمّ أدركني زمنُ الطِّباعة - وأنا في إعداد هذا الجزء للطبع (وإن كان وضعه بالتأليف والترتيب والنسخ قد تمّ منذ زمن بعيد). من أجل ذلك آثرتُ الطريقةَ التالية، وهي أهون عليّ. فعسى أن تُتاح فرصةٌ في الطَّبَعات المقبلة فأستدركَ هنالك ما فاتني هنا.

ويرى القارىءُ أنّ الطَّبَعاتِ الحديثة هنا قليلةٌ (ولا أعتقدُ أنها في الأصل قليلةٌ). غير أنّني قدِ اعتمدتُّ في جمع هذه الكتب مكتبةَ جامعةِ بيروتَ العربيةِ (وكتبُ ٱبنِ مالكٍ فيها قليلةٌ جدًّا لا تتجاوز أربعةً) ومكتبةِ يافثَ في الجامعة الاميركية في بيروتَ (وكانتْ كتب ٱبنِ مالكٍ فيها قليلة أيضاً) ثمّ معجمَ المطبوعات العربية ليوسفَ إليان سركيس (مصر ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م) و«تاريخَ الأدب العربيّ» لكارل بروكلمن (خمسة أجزاء، ليدن ١٩٣٧ - ١٩٤٩ م).

كتب ابن مالك:

★ ألفيّة ٱبنِ مالكٍ، وتُعرف أيضاً بٱسم «الخُلاصة»: - (شرح دى ساسي)، باريس ١٨٣٣ م (١٢٤٩ هـ).
- بولاق ١٢٥١، ١٢٥٣، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٢٩، ١٣٣٢ هـ. القاهرة (المكتبة التجارية) الطبعة الثالثة ١٩٣٢ م.
- (مع شرح لعبد الواحد)، كاونبور (الهند) ١٢٦٠ هـ.
- في مجموع «أمهات الفنون» (مصر؟) ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٩٥ هـ (١٨٦٣ - ١٨٧٨ م).

---

(١) وتدخل هذه اللام على «قد» التي تسبق الفعل الماضي لتوكده أو على الفعل المضارع لتكسبه تأكيداً: لقد جاء سعيد مسروراً - ولقد يكون الحسن محبوباً.

- القاهرة (طبع حجر - مطبعة المدارس)[1] ١٢٩٠ هـ.
- قسنطينة (الجزائر) ١٨٨٧ م (١٣٠٥ هـ).
- (نشرها غوغييه)[2]، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
- ؟ (مطبعة محمّد أبي زيد) ١٣٠٦، ١٣٠٧ هـ.
- مصر (المطبعة البارونية) ١٣٠٨ هـ.
- طهران (طبع حجر) ١٢٨٨ (نيروزية: فارسية)= ١٣١٠ هـ.
- ؟ (في مجموع) ١٣١٠، ١٣١٣ هـ.
- (حرّرها محمّد حسن علي)، لكنهو (طبع حجر) ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ).
- نشرها أنريكو فيتو[3]- مع ترجمة وشرح) بيروت ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ).
- لاهور (الهند) ١٩٠٢ م (١٣٢٠ هـ).
- فاس ١٣٢٣ هـ.
- مصر (المطبعة الحسينية) ١٣٢٥ هـ).
- مصر (المطبعة الميمنيّة)، مراراً ثمّ ١٣٣٠ هـ.

★ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (للبخاري)، الهند ١٣١٩؛ (تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي)، القاهرة (دار العروبة) ١٩٥٧ م.

★ أرجوزة في المثلّثات[4] (نشرها محمّد الأمين الشنقيطي)، القاهرة ١٣٢٩ هـ.

★ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (تحقيق محمّد كامل بركات)، القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧ م.

★ لاميّة الأفعال (المِفتاح في أبْنية الأفعال)، بطرسبورج ١٨٦٤ م (١٢٨١ هـ)؛ (مع الألفية)، بيروت ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).

★ تحفة المودود في المقصور والممدود (تحرير إبراهيم اليازجي)، القاهرة (مطبعة البيان) ١٨٩٧ م (١٣١٥ هـ)؛ (نشرها محمّد بن الأمين الشنقطيّ - مع أرجوزة المثلثات لابن مالك)؛ (مطبوع مع الاعلام)، مصر ١٣٢٩ هـ.

★ منظومة فيما ورد بالواو والياء (في مجموعة)، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ.

★★ شروح وحواش على كتب ابن مالك مباشرة:

---

(١) طبعة واحدة أو طبعتان (؟).

(٢) Goguyer.

(٣) E. Vitto.

(٤) يرد هذا الكتاب بعناوين مختلفة: الاعلام أو اكمال الاعلام بمثلث الكلام (سركيس ٢٣٣) وأرجوزة في المثلثات - بيان ما فيه لغات ثلاث فأكثر - المثلّث ذو المعنى الواحد (بروكلمن ١: ٣٦٣، الملحق ٥٢٦).

(أ) على ألفيّة ابن مالك:

- شرح على ألفية ابن مالك لأبي زيد عبد الرحمن بن عليّ المكودي (ت ٨٠١ هـ)، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ ثم ١٣١٥، ١٣٢٠؛ فاس ١٢٩٤، ١٣١٨ هـ، ثم بلا تاريخ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٣٥٤ هـ.
- الدرة المضية.......... لبدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٦٨٦ هـ)، بيروت ١٣٠٢؛ القاهرة ١٣٤٢ هـ؛
- منهج السالك في الكلام على ألفيّة ابن مالك، لأثير الدين أبي حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، (حرّره وقدّم له سدني غليزر)، نيوهافن (جمعيّة الاستشراق الاميركية) ١٩٤٧ م.
- شرح ألفية ابن مالك، لعبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، بولاق ١٢٥١، ١٢٥٣ هـ، ١٢٨١ هـ؛ القاهرة (دار الطباعة) ١٢٦٥ هـ؛ (نشرها ديتريشي)، ليبسك ١٨٥١ م (١٢٦٨ هـ)؛ برلين ١٨٥٢ م بيروت (المكتبة العمومية) بلا تاريخ ثم ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ)؛ القاهرة ١٣٠٦ هـ؛ القاهرة (المكتبة التجارية)، الطبعة الثالثة ١٩٣٢، ١٩٥٨ م.
- شرح خطبة (مقدّمة) ألفية ابن مالك، تأليف محمد الكردودي، فاس (بلا تاريخ).
- أوضح المسالك أو التوضيح لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦٢ هـ) (تحرير عبد الرحيم الصفيبوري)، كلكتا ١٢٤٨ هـ = ١٨٣٢ م، ١٢٣٧ هـ (١٢٥٣ هـ)؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣١٢، ١٣١٦ هـ؛ بولاق ١٣١٠ هـ؛ (في مجموعة) ١٣٢٦ هـ؛ القاهرة (مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده)، الطبعة الثالثة ١٩٦٤؛ القاهرة (المكتبة التجارية)، الطبعة الرابعة ١٩٥٦ م؛ بيروت (دار إحياء العلوم) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
- المقاصد النحويّة في شرح شواهد الألفية (ويعرف بعنوان: الشواهد الكبرى)، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، القاهرة ١٢٩٧ هـ؛ (على هامش «خزانة الأدب» للبغدادي)، القاهرة ١٢٩٩ هـ.
- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، لعلي بن محمد الأشمونيّ (ت نحو ٩٠٠ هـ)، (بهامش حاشية على شرح الأشموني)، بولاق ١٢٨٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣١٥ هـ؛ (حققه محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م.
- البهجة[1] المَرْضيّة (شرح الألفية) لجلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١ هـ)، لكنهو ١٨٣١ م

---

(١) ربّما قرئت «النهجة» بالنون راجع سركيس، ص ١٠٧٦؛ بروكلمن ١: ٣٦٢، الملحق ٢: ٥٢٤ (الكتاب رقم ١٥ فيها).

(١٢٤٧ هـ)، طهران (طبع حجر) ١٢٤٨، ١٢٦٨، ١٢٨٤ هـ؛ القاهرة ١٢٨٢ هـ؛ تبريز (طبع حجر) ١٢٨٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة المدارس) ١٢٩١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ؛ (بهامش الأزهار الزينية) بولاق ١٢٩٤ هـ (؟)؛ القاهرة ١٣١٩ هـ.

- تمرين الطلاّب في صناعة الاعراب (على القسم النحوي من الألفية) لخالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٥٢، ١٢٩٢ هـ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٤، ١٢٨٩، ١٢٩٣؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠٢؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥؛ القاهرة ١٣٠٨، ١٣١٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنيّة) ١٣١٢؛ القاهرة ١٣٣٥ هـ.
- موصل الطلاب إلى قواعد الاعراب لخالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ)، (بهامش «تمرين الطلاب)، سنة؟.
- الأزهار الزينية في شرح متن الألفية، تأليف أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)، بولاق ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٩ هـ.

(ب) شروح على لامية الأفعال:

- شرح بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ)، هلسنغفورس- فنلندة ١٨٥١ م (١٢٦٨ هـ)؛ (نشرها كلغرن)، هلسنغفورس ١٨٥٤ م (١٢٧١ هـ)؛ (نشرها كلغرن وفولك)، بطرسبورج ١٨٦٤ م (١٢٨١ هـ)؛ (نشرها فولك)، ليبسيغ ١٨٦٦ م (١٢٨٣ هـ)، بيروت ١٣١٢ هـ (سركيس ٢٣٥).
- الهند ١٢٦١ هـ؛ (في «مجموع من مهمّات الفنون»): القاهرة ١٢٧٣، ١٢٧٦، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٩٥، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٢٣ هـ؛ فـاس ١٣١٧ هـ؛ تونس ١٣٢٩ هـ.(؟).
- الشرح الكبير والشرح الصغير، لمحمد بن عمر بن بحرق اليمنيّ الحضرمي (ت ٩٣٠ هـ)، القاهرة ١٣٠٥ هـ؛ تونس ١٣٢٩ هـ.
- حاشية على «لامية الأفعال»: لأحمد الرفاعي المالكي الأزهري، القاهرة ١٢٩٧، ١٣٠٤، ١٣٠٦ هـ.
- حاشية على الشرح الكبير والشرح الصغير (لابن بحرق)، تأليف محمّد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي الفاسي، فاس ١٢١٥ هـ؛ القاهرة ١٣١٨ هـ.

(جـ) خلاصة ومعارضة:

- خلاصة الخلاصة (الألفية) لمؤلّف مجهول، لكنهو (بلا تاريخ).
- المعارضة على ألفية ابن مالك أو الاحمرار (؟ بروكلمن ١ : ٣٦٢، السطر ٢٢، الملحق ١ : ٥٢٣، رقم ٢٥، ٣ : ١٢١٥، السطر الخامس)، لعبد الودود بن عليّ بن أحمد بن المختار

الشنقيطي (ت بعد ١٣٠٠)، القاهرة ١٣٢٧ هـ.

** شروح وحواش على شروح وحواش (منسوقة بحسب وفيات مؤلفيها - والذين لم أعثر الآن على تواريخ وفياتهم ألحقوا بآخر هذه القائمة):

- حاشية على شرح ابن عقيل لعبد الرحمن بن صالح المكّودي (ت ٨٠١ هـ)، القاهرة ١٢٧٩، ١٣٠٥ هـ.
- التصريح بمضمون التوضيح على أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، لخالد الأزهري (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٨٦، ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٤٤ هـ؛ طهران ١٢٨٦ ثم ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) و ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).
- حاشية لابن زين الدين الحمصي (ت ١٠٦١ هـ) على شرح التوضيح لخالد الأزهري (بهامش «التصريح بمضمون التوضيح»)، مصر ١٣٠٥ هـ.
- حاشية (على البهجة المَرْضية للسيوطي)، تأليف ياسين بن زين الدين عليم الحمصي العليميّ (توفي في عاشر شعبان من سنة ١٠٦١ = ١٦٥٩/٧/٢٩ م)، فاس ١٣٢٧ هـ؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣١٣ ثمّ (بهامش التصريح على التوضيح، تأليف خالد بن عبد الله الأزهري)، طهران ١٨٨١ م (١٢٩٩ هـ) و ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
- حاشية على شواهد شرح ابن عقيل، لعبد المنعم الجرجاوي (ت ١١٩٥ هـ)، بولاق ١٢٦٤ هـ؛ القاهرة ١٢٨٠، ١٢٩٥، ١٣٠١، ١٣٠٨، ١٣١١، ١٣٢٥ هـ.
- حاشية الشيخ أبي العبّاس شهاب الدين أحمد بن عبد الفتاح المجيري الملوي (ت ١١٨١ هـ) على شرح المكودي على ألفية ابن مالك، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيريّة) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنيّة) ١٣٠٥ هـ. ثم (بهامش شرح المكودي)، القاهرة (؟) ١٣٠٥ هـ.
- شرح شواهد ابن عقيل، تأليف عبد المنعم الجرجاوي (ت ١١٩٥)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣١١ هـ.
- زواهر الكواكب لبواهر المواكب، تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن سعيد التونسي (ت ١١٩٩ هـ)، وهي حاشية على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تونس ١٢٩٣، ١٢٩٨ هـ.
- فتح الجليل على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك أو حاشية السجاعي، تأليف أحمد بن محمد السجاعي (ت ١١٩٧ هـ)، بولاق ١٢٧٠، ١٢٨٦، ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنيّة) ١٣٠٦ هـ؛ (مع تقرير الشيخ محمّد بن محمد الأنبابي المتوفّى سنة ١٣١٣ هـ)، بولاق ١٣٠٣ هـ.

- حاشية على أوضح المسالك، للطيّب بن عبد المجيد الكراني (؟) (المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ)، فاس ١٣١٥ هـ.
- حاشية لمحمد علي الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، بولاق ١٢٨٠، ١٢٨٥، ١٢٨٨؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣١٩، ١٣٢٣ هـ.
- نظم أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف أبي عبد الله محمّد بن حمدون بن الحاجّ السُّلمي (ت ١٢٤٧ هـ)، فاس ١٣١٨ هـ.
- شرح نظم أوضح المسالك.... تأليف ابن حمدون السلمي (مطبوع مع «نظم أوضح المسالك»).
- حاشية على شرح الأزهرية لخالد الأزهري، تأليف حسن بن محمّد العطار (ت ١٢٥٠ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ.
- حاشية حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٧٣ هـ) على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك، فاس ١٣١٥ هـ.
- كشف الخفاء والغطاء: حاشية على أوضح المسالك، للطالب بن حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٧٤ هـ)، فاس (؟) ١٣١٨ هـ.
- فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل، تأليف محمد بن عبد الرحمن الشهير بلقب قطّة العدوي (ت ١٢٨١ هـ)، بهامش حاشية الجُرجاوي، بولاق ١٢٦٤ هـ؛ ثم (مستقلة) بيروت ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ) راجع بروكلمن ١: ٣٦١ (السطر العاشر)، الملحق ١: ٥٢٤ (السطر الثالث)؛ القاهرة ١٣٠٥ هـ؛ بهامش شرح شواهد ابن عقيل، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣١١ هـ.
- حاشية على شرح ابن عقيل، تأليف محمد الخِضريّ الدمياطي (ت ١٢٨٨ هـ)، القاهرة ١٢٧٢، ١٢٨٣، ١٢٨٧، ١٢٩١، ١٣٠٣، ١٣٠٥، ١٣١٧، ١٣٢٢، ١٣٤٥ هـ.
- حاشية نصر الهوريني (ت ١٢٩١ هـ) على «منهاج السالك» للاشموني، بولاق ١٢٩٤ هـ.
- حاشية الشيخ أحمد الرفاعي الأزهري (ت بعد ١٣١٢ هـ) على شرح بحرق على لاميّة الأفعال لابن مالك، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٩٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤ هـ.
- تقرير العالم (حاشية على حاشية الصبان) لمحمد الأنبابي (ت ١٣١٣ هـ)، بولاق ١٢٨٨ هـ.
- حاشية محمد علي بن سعيد على منهاج السالك، فارس (طبع حجر) ١٢٦٨ هـ (؟). تونس ١٢٠٠ - ١٢٠٨، ١٢٩٢ - ١٢٩٣ هـ.
- تقريرات على حاشية السجاعي لمحمد بن محمد الأنبابي (ت ١٣١٣)، بولاق (؟) ١٢٩٦، ١٣٠٣ هـ.

- تقرير على حاشية الصبان (على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، تأليف اسماعيل الحامدي (ت ١٣١٦ هـ)، مصر ١٣٠٥ هـ.
- شرح محمد المهديّ بن محمد الوزاني (ت ١٣٤٢ هـ) على شرح المكودي على ألفية ابن مالك، فاس ١٣١٨ هـ.
- إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف عبد المجيد الشرنوبي (ت ١٣٤٨ هـ)، بولاق ١٣١٩ هـ.
- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة (الطبعة العاشرة)....الطبعة الحادية عشرة ١٩٦١ م.
- بغية السالك إلى أوضح المسالك، تأليف عبد المتعال الصعيدي (نحو ١٩٧٥ هـ ؟)....

شروحٌ وحواشٍ لم أستطع تحقيق مؤلّفيها فسردتها بحسب تواريخ طبعها:

- حاشية ميرزا أحمد طالب (على البهجة للسيوطي)، طهران ١٢٧٥ هـ.
- إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك، تأليف محمد بن مسعود الشرمباطي العثماني، فاس ١٣٠٥، ١٣١٥ هـ.
- حاشية المهدي بن مصطفى القرشي (النقرشي؟) على ألفية ابن مالك، فارس- إيران ١٣٠٩ هـ.
- حاشية على شرح المكّوديّ لأحمد بن محمّد بن حمدون بن الحاجّ، فاس (بلا تاريخ)؛ القاهرة (بهامش شرح المكودي)، ١٣١٥ هـ.
- حاشية....... على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك، فاس ١٣١٥ هـ، القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣١٨ هـ.
- حاشية على شرح المكّودي، تأليف المَهْدي بن سليمان الصدري، فاس (؟) ١٣١٨ هـ.
- التوضيح أو تهذيب أوضح المسالك: حاشية ألّفها محمّد سالم علي وأحمد مصطفى المراغي، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م).
- الكواكب الدرية (شرح الألفية)، تأليف صالح بن عبد الصنوع الآبيّ الأزهري، القاهرة ١٣٤٤ هـ.

القواعد الأساسية للغة الغربية حسب منهاج شرح الألفية، تأليف.... القاهرة ( ) ١٣٥٤ هـ.

فوات الوفيات ٢: ٢٨٤ - ٢٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٥٩ - ٣٦٤؛ ابن قنفذ ٣٣٢؛ بغية الوعاة ٥٣- ٥٧؛ شذرات الذهب ٥: ٣٣٩؛ نفح الطيب ٢: ٢٢٢ - ٢٣٣، ٦: ٢٤٦، ٧: ٣٧٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٦١- ٨٦٢؛ نيكل ٣٥٧- ٣٥٨؛ مختارات نيكل ٢٠٤؛ بروكلمن ١: ٣٥٩ - ٣٦٣، الملحق ١: ٥٢١- ٥٢٧؛ سركيس ٢٣٢ - ٢٣٤، راجع ١٧٨٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١١ (٦: ٢٣٣)؛ معجم المؤلّفين ١٠: ٢٣٤؛ العربي ٩/ ١٩٧٢.

محمّد بن الحسن القلعيّ

١- هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ مَيْمونٍ التميميُّ القَلْعيّ، نسبةً إلى قَلْعةِ بني حمّادٍ (فقد كانَ جدُّ أبيهِ ميمونٌ قاضياً فيها). نشأ في مدينةِ الجزائرِ وأخذَ فيها عن محمّدِ بنِ منداس. ثمّ إنّه انتقلَ إلى بجايةَ واستَوْطَنَها، وفيها بَرَعَ واشتهرَ. وقد تصدّرَ للتدريسِ في فنونِ العربيةِ - اللغةِ والنحوِ والأدب - . وتُوُفِّيَ في بِجايةَ، سَنَةَ ٦٧٣ هـ (١٢٧٤- ١٢٧٥ م).

٢- كان محمّدُ بنُ الحسنِ القَلْعي مُشارِكاً في عددٍ من فنونِ العِلمِ، في الفِقه والتاريخ واللغة والنحو والأدب، بارعاً في علمِ التصريف مُحبًّا للتعليلِ على طريقةِ ابنِ جِنّي[١]. كما كان شاعراً على شعرِهِ نفحةٌ دينيّةٌ ونفحةٌ صوفيّة. وكانَ مُصَنِّفاً له: المُوضح في علم النحو- حَدَقُ العيون في تنقيح القانون (نحو)- نَشْر الخفيِّ في مُشكلاتِ أبي عليٍّ (الفارسي في كِتابه: الإيضاح في النحو).

٣- مختارات من آثاره

- قال محمّدُ بن الحَسَنِ القَلْعيُّ في مدحِ الرسول:

أمِنْ أجْلِ أنْ بانوا فؤادُك مُغْرَمُ   وقلبُكَ خفّاق ودمعُك يَسجِمُ[٢]؟
وما ذاك إلّا أنّ جِسْمَكَ مُنْجِدٌ   وقلبُكَ مَعْ مَنْ سار في الرَّكْبِ مُتْهِمُ[٣].
ومِنْ قائلٍ في نَظْمِهِ مُتعجّباً:   أجِسْمٌ بلا قلبٍ، فكيفَ رأيتُمُ؟
ولا عجَبٌ أنْ فارَقَ الجسمَ قلبُهُ،   فحَيْثَ ثَوى المحبوبُ يَثْوِي المُتَيَّمُ[٤]!
عساهُمْ، كما أبْدَوْا صُدوداً وجفْوةً،   يَعودون للوَصْلِ الذي كنتُ أعلم.

---

(١) ابن جنّي: أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) من أئمّة النحو والأدب.

(٢) بانوا: ذهبوا، ابتعدوا. سجم الدمع: سال.

(٣) أنجد الرجل: جاء نجداً (المكان العالي). الركب: الجماعة المسافرون معاً. أتهم (بفتح فسكون) الرجل: نزل إلى تهامة (بالكسر): ساحل الحجاز (المكان المنخفض). - يريد أن يقول: حاجات جسمي مختلفة من حاجات قلبي (نفسي، عقلي).

(٤) ثوى: مكث. المتيّم: الذي تيّمه (ذلّله) الحب.

إليـك، رسولَ الله، أرفعُ حاجتي؛ فأنتَ شفيعُ الخلقِ، والخَلْقُ هُيَّم[١].
فقد سارتِ الرُّكبانُ واغتَنموا المُنـى، وإنِّيَ من دونِ الخلائـق مُحْرَمُ[٢].
وهَبْـني عَصَيْتُ اللهَ جهلاً وَصَبْوةً، فمَنْ يقبَلُ الشَّكوى ومن يَترَّحم[٣]؟
وقـد أثقلَتْ ظَهْري ذُنوبٌ عظيمةٌ، ولكنّ عفوَ الله أعـــلى وأعظم.

- وله من قصيدةٍ يبدو عليها أثرُ ابنِ عبدونٍ: «الدهر يفجَعُ بعدَ العينِ بالأثرِ»[٤]:

الخُبْرُ أصدقُ في المَرأى من الخَبَرِ. فمَهِّدِ العُذْرَ، ليسَ العينُ كالأثرِ[٥].
وخَـلِّ عن زَمنٍ تخشى عواقِبَه، إنّ الزمانَ إذا فكّرتَ ذو غِيَرِ[٦].
أين الأُلى جَنّبوا خَيْـلاً مُسَوَّمَـةً وشَيّـدوا إرَماً خوفاً من القَدَرِ[٧]؟
تنافَس الناسُ في الدنيا، وقد عَلِموا أنّ المُقـام بها كاللَّمْـحِ بالبَصَرِ.
أوْدى بـدارا وأوْدى بابنِ ذي يَزَنٍ وفَـلّ غَرْبَ هِرَقْلٍ؛ إنّه لَحَرِي[٨]!

---

(١) الهيّم جمع هائم: الذي اشتدّ عطشه، الذي اشتدّ حبّه، الذي سار على وجهه لا يدري إلى أين يذهب.

(٢) المنية: ما يتمنّاه (يرغب فيه) الإنسان. اغتنموا (ربحوا) المنى: وصلوا إلى مكّة والمدينة. محرم = محروم (من الذهاب إلى الحجّ).

(٣) الصبوة: الميل إلى النساء.

(٤) راجع الجزء الخامس، ص١٩٢.

(٥) مهّد العذر (اجعل طريق اعتذاري إليك ممهّداً: سهلاً في المسير): اقبل عذري. العين: الشخص الماثل (القائم أمام الرائي من كلّ شيء.

(٦) خلّ عن زمن: اترك التذكّر لزمن. غير (بكسر ففتح) الدهر: أحداثه وأحواله المتغيّرة. ويجوز أن تكون جمعاً لكلمة «غيرة» (بكسر ففتح ففتح) راجع تاريخ العروس (الكويت ٣ : ٢٨٧).

(٧) جنّب القوم خيلهم (جعلوها تسير مسرجة ملجمة إلى جنب إبلهم، استعداداً للقتال). المسوّمة: المعدّة (بضمّ ففتح فدال مشدّدة مفتوحة):، المهيأة. شيّد: بنى بالحجارة الضخمة. إرم (بكسر ففتح) مدينة قديمة، قيل كانت سقوفها من النحاس (وقد سفّه ابن خلدون، في مقدمته، هذا القول. وقال: هي ارم ذات العماد أو الأعمدة، أي البلدة التي يسكن أهلها في الخيام).

(٨) أودى الدهر بالرجل (أهلكه). دارا ملك فارسي. ابن ذي يزن (ملك من ملوك اليمن العرب). فلّ: ثلّم (قطّع). الغرب: حدّ السيف. هرقل: ملك من ملوك الروم. إنّه لحري: إنّه حريّ بذلك (جدير به، ينتظر منه ذلك: حريّ بالدهر أن يهلك كلّ الناس، وحريّ بهرقل أن يُهلِك كما يهلك جميع الناس).

وَلْتَفْتَكِرْ في ملوكِ العُرْبِ من يَمَنٍ، وَلْتَعْتَبِرْ بملوكِ الصينِ من مُضَرَ[1]:
أفناهُمُ الدهرُ أولاهُمْ وآخِرَهُمْ لم يبقَ منهم سوى الأسماءِ والسِّيَرِ.

٤ - ★★ تعريف الخلف ٢: ٣٥٩ - ٣٦٣؛ عنوان الدراية ٩٤ - ٩٩؛ تاريخ الجزائر العامّ ٢: ٦٠ - ٦٢؛ تاريخ أعلام الجزائر ١٤٨ - ١٤٩؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣١٧ (٨٦)؛ الطمّار ٩٥ - ٩٨؛ الأصالة ٤: ١٩ (ص ٢٨٢).

ابن الجنّان الشاطبي

١ - هو فخرُ الدين أبو الوليدِ محمّدُ بنُ (الشريف، المشرَّف) سعيدِ بنِ هشامِ بن الجنّان الشاطبيُّ الحنفيَّ، وُلِدَ في شاطبةَ سَنَةَ ٦١٥ للهجرة (١٢١٨ - ١٢١٩ م).

قَدِمَ ابنُ الجنّانِ الشاطبيُّ إلى الشامِ وسَكَنَ دِمَشْقَ وصَحِبَ فيه كمالَ الدين عُمَرَ بنَ أحمدَ بنِ العديمِ (٥٨٨ - ٦٦٠ هـ) وابنَه مَجْدَ الدين فانتقلَ في صُحْبَتِها من المذهبِ المالكيّ إلى المذهبِ الحَنَفي. وفي دِمَشْقَ درّسَ في المدرسةِ الإقباليّة. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٧٥ هـ (١٢٧٦ - ١٢٧٧ م).

٢ - كانَ ابنُ الجَنّانِ الشاطبيُّ أديباً فاضلاً وشاعرا مُحسناً على الطريقة الصوفية.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن الجَنّانِ الشاطبي في الأغراض الصوفية:

أفنانِيَ القَبْضُ عنّي حَتّى تلاشى وُجودي[2].
وجاءني البَسْطُ يُحيي روحي بِفَضْلِ وُجودي[3]

(١) ولتفتكر (فكّر أنت في ما صار إليه أمر ملوك العرب). مضر: عرب الشمال. وملوك الصين، في التاريخ، لا صلة لهم بمضر.

(٢) القبض: حال يكون الصوفيّ فيها مجذوباً إلى الله (لا وجودَ شخصيًّا له).

(٣) البسط ضدّ القبض. يظلّ الصوفيّ في هذه الحال قريباً من لطف الله، ولكنّ الله يُبقي له وجوده الشخصي رحمة بالناس كيلا يفزعهم أن الإنسان يمكن أن يصل إلى تلك المرتبة.

فقُلْـــتُ للنفسِ : شُكراً ، لـذاك بالنفسِ جودي(١) .
وقُمــتَ أشطَـح سُكْراً ، فغِبْتُ عن ذا الوجود(٢)!

– وقال ابنُ الجنّان، على الطريقة الصوفية (القدح المعلّى ٢٠٧):

خبَرٌ بأنفــاسِ الريــاحِ مُعَطَّرٌ وافَى شَذاهُ فظِلْتُ منه أسْكَرُ(٣).
للهِ مــا أحْــلى شمائلَــه الــتي جـاء النسيمُ بعَرْفِهـا يتَبَخْـتر(٤).
وافَى وما في القوم من يَدْري به إلّا فتًــى في حُبّــه مُتَنكِّرٌ(٥).
تُتْــلى أحاديــثُ الغرام بقلبــهِ، ولِسانــــهُ عمّـا به يَسْتَخْبِر(٦)،
حتّــى إذا غنّــى له الحادي بهم، وسَرَى لـه مِنْ نَشْرِ ليلى العَنْبرِ(٧)،
هزّ المعاطـــفَ ثمّ راحَ مُوَلَّهـــاً نَشوانَ في تلـك الصَّبابـةِ يعثُر(٨)
– مُتَهَتِّكـاً في العاشقين، كما ترى– يُبـدي الذي يُخفيه منه ويُضْمِر.

– ولابن الجنّان أيضاً مقطّعات في مثل ذلك(٩):

★ ذَكَرَ العُذيبَ فمالَ مِنْ سُكْرِ الهوى صبٌّ على صُحُفِ الغرامِ قدِ انْطَوى(١٠).

(١) إذا وصلت إلى مثل تلك الحال هان عليّ بذل نفسي (الاستغناء عن الحياة في هذه الدنيا).
(٢) الشطح: كلام على ظاهره رُعونة (خفّة وحمق وتصريح بما لا يجوز للعاقل أن يصرّح به). السكر: غيبة تحصل للصوفي إذا جاءه لطف من الله أخرجه من شعوره بما حوله.
(٣) الشذا: طيب الرائحة.
(٤) الشمائل جمع شمال (بالكسر): الخلق، السجيّة، الصفة.
(٥) وافى: جاء، وصل. فتى (يقصد الشاعر نفسه): الرجل الذي يعتمد عليه. في حبّه متنكّر: (يظنّ الناس أن حبّه مثل حبّهم– حبّهم ذلّ للمحبوب، وحبّه اعتزاز بالله).
(٦) مع أنّ حبّه في قلبه (قريب منه جدًّا)، فإنّه يتساءل عن هذا الحبّ (لأنّه مستغرب عند البشر).
(٧) الحادي: سائق القافلة يغنّي للمسافرين كيلا يَملّوا من طول الطريق. سرى: سافر ليلاً. النشر: الرائحة المنتشرة (الطيّبة). العنبر: مادّة طيّبة الرائحة. ليلى (كناية عن العزّة الإلهيّة).
(٨) المعطف (بالكسر): رداء واسع يلبس اتّقاء للبرد. والشاعر يقصد العطف (بالكسر: الجانب الأعلى من الجسم). هزّ عطفه: افتخر وأُعجِب بنفسه (لأنّ الله أنعم عليه بتقريبه– راجع البيت السابق). المولّه: الذي يكاد يُجَنّ من شدّة الحبّ. نشوان: سكران. الصبابة: المحبّة. يعثر من الصبابة: إنّ المحبّة (محبّة الله) قد شغلته عن كلّ شيء حتّى أصبح يعثر (يقع) إذا مشى (أي غافلاً عن كلّ شيء آخر).
(٩) المعاني في القطع التالية صوفية تحتمل تأويلات مختلفة (راجع القطعة السابقة).
(١٠) العذيب: نبع ماء قرب ينبُع (بضمّ الباء). وينبع مرفأ المدينة المنوّرة.

يبكي علـى وادي العَقيقِ بِمثْلِهِ ... ويميلُ من طَرَبٍ بمُنْعَطِفِ اللِّوى[١].
وبِمُهْجتي معبودُ حُسْنٍ مِنْهُمُ، ... فلذا على عَرْشِ القلوبِ قد ٱستوى[٢].
أوحى إلى قلبي الذي أوحى له. ... فعَجِبْتُ كيفَ نَطَقْتُ فيه عن الهوى[٣]!

★ يا رَعى اللهُ عَيْشَنا بينَ رَوْضٍ ... حيثُ مالَ السرورُ فيه نميلُ.
تحسَبُ النهرَ عنـدَه يَتَثَنّى ... وتخالُ الغُصونَ فيه تميلُ.

★ لي حبيبٌ عن حُبّهِ لا أحولُ. ... إنّ شرحَ الغرامِ فيه يَطولُ.
قالَ لي عاذِلي: تَناسَ هواهُ. ... قُلْتُ: أنسى، يا عاذِلي، ما تَقولُ؟
لو ضَلِلْنا في فَتْرةٍ من هواه ... لَهَدانا مِنْ مُقْلتَيْهِ رَسولُ[٤]!

٤ - ★★ الوافي بالوفيات ١: ١٧٥ - ١٧٧؛ فوات الوفيات ٢: ١٩٥ - ١٩٨؛ القدح المعلّى ٢٠٦ - ٢٠٩؛ المغرب ٢: ٣٨٣ - ٣٨٤؛ بغية الوعاة ٤٥ - ٤٦؛ نفح الطيب ٢: ١٢٠ - ١٢٣، ٣: ٣٥٣.

ابنُ الناظرِ القُرَشيُّ

١ - هو أبو عليٍّ الحُسينُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ العزيزِ بن أبي الأحوصِ القرشيُّ الفِهْريّ، أصلُه من بَلَنْسِيَةَ ومولدُه في جَيّانَ سَنَةَ ٦٠٣ (١٢٠٦ - ١٢٠٧ م)، طَلَبَ العِلْمَ في عددٍ من بُلدانِ الأندلس: أخَذَ في غَرناطةَ عن أبي محمّدِ الكوّابِ وفي إشبيلية عن عليِّ بنِ جابرٍ الدبّاج (ت ٦٤٦ هـ) ولازَمَ الشَلوبينَ (ت ٦٤٥ هـ) في الأدبِ

---

(١) وادي العقيق ومنعطف اللوى: مكانان (الأوّل منها قرب المدنية)، والثاني اسم عامّ.

(٢) معبود حسُن (يقصد الله). وفي البيت إشارة إلى آياتٍ كثيرة في القرآن الكريم، منها (٢٠: ٥ سورة طه): ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

(٣) أوحى (الله) إلى قلبي.... هنا أيضاً إشارة إلى قوله تعالى في سورة النجم (٥٣: ٣ - ٤): في حقّ محمّد رسول الله: ﴿وما يَنطِق عن الهوى، إنْ هو إلّا وحيٌ يوحي﴾.

(٤) الفترة: المدّة الفاصلة بين رسالتين. كان بين عيسى بن مريم ومحمّد رسول الله فترة (هدوء، مدّة لم يعرف البشر فيها ديناً منزلاً).

والنحو وأخذَ عنه أكثرَ كتاب سِيبَويْهِ. وفي بَلَنْسِيَةَ أخذ عن أبي الربيع بنِ سالمٍ وفي مُرْسِيَةَ عن أبي العبّاسِ بن عيّاشٍ وفي جزيرةِ شُقُرَ عن الخطيب أبي بكرِ بنِ وَضّاحٍ وفي مالَقَةَ عن الحاجّ أبي محمّدِ بنِ عَطِيّةَ وأبي القاسمِ بن الطَيْلَسانِ.

أقرأ ابنُ الناظرِ القُرَشيُّ القرآنَ والعَرَبيّةَ (النحو) والأدب في غَرناطةَ مُدّة ثمّ انتقل إلى مالَقَةَ وتصدّرَ فيها للإقراء والتحديث وخَطَبَ في جامِعها بِضعاً وعشرينَ سَنَةً. ثمّ إنّه غادر مالقةَ إلى غَرناطةَ فوُلّيَ القضاءَ في المَرِيّةِ وبَسْطةَ ومالَقَةَ (وهي تابعةٌ لغَرْناطةَ).

وكانت وفاةُ ابنِ الناظرِ القُرَشيُّ في الرابعَ عَشَرَ من جُمادى الأولى من سَنَةِ ٦٧٩[١] (١٣/٨/١٢٨٠ م).

٢ - كان ابنُ الناظرِ القُرشيُّ من أهلِ المَعْرفة والدِّراية (العِلمِ بالحديث) والرواية الواسعة (للحديث) ومن القُرّاء والفُقهاء، كما كان نَحْويًّا أديباً وشاعراً. والقِطعةُ الواردة له هنا من لُزومِ ما لا يلزَمُ، وفيها شيءٌ من الإحسان. ثمّ هو مُصنّفٌ له شرحُ المُسْتصفى (للإمام الغزّالي؟) وشرحُ الجُمَلِ (في النحو للزجّاجي؟)، إلى جانبِ مُصنّفاتٍ في القِراءات والحديث.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن الناظر القرشيّ في الدنيا والآخرة:

رَغِبْـتُ عن الدنيـا لِعِلْمِيَ أنّهـا ... مَحـلٌّ حياةِ المرءِ فيـه بَلاغُ[٢].
وقد لاح في فَوْدَيَّ شَيْبٌ على الرّدى ... دليلٌ، وفيه - ما أردْتُ - بلاغ[٣].
وأمّلْـتُ من مَوْلايَ نِظْرَةَ رحمةٍ ... يكون بهـا منّي إليـه بلاغ[٤]؛

---

(١) من بغية الوعاة (ص ٢٣٤) وهي مثبتة بالأحرف. وفي المرقبة العليا (ص ١٢٧): ٦٩٩ (ولكنّها مدوّنة بالأرقام).

(٢) رغبت عن الشيء: زهدت فيه وتركته. بلاغ كفاية (ما يتبلّغ به الإنسان كي يبقى حيًّا).

(٣) الفود: الشعر في جانب الرأس. الردى: الموت. بلاغ: بيان، انذار.

(٤) مولاي: ربّي (الله). بلاغ: وصول (إلى الجنّة).

فأحظى إذا الأبرارُ قيل لهم غداً: هَلُمّوا إلى دارِ النعيمِ فراغوا[١].
رأيتُ بَنيها ما رَمَتْهُمْ سِهامُها فطاشَتْ، ولا حُمّ الحِمامُ فراغوا[٢].
فعُجْتُ إلى دارِ البقاء بِهمّتي، فعِندي عنها راحةٌ وفَراغُ[٣].

٤- ** المرقبة العليا ١٢٧؛ بغية الوعاة ٢٣٤؛ نفح الطيب ٢: ٥٣٦، ٥٤٠، ٥٥٠، ٥٧٥؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٠ (٢٤١).

سعيد بن حكم القرشيّ

١- هو الأميرُ الرئيسُ أبو عُثمانَ سعيدُ بنُ حَكَمِ بنِ عُمَرَ بن أحمدَ بن حكمِ بنِ عبد العزيز بنِ حكمٍ المُعافريُّ القُرَشيّ الطَّبيريُّ، أصلُه من طَبيرةَ[٤]- من غربيِّ الأندلس- وبها مولدُه في سادسِ جُمادى الآخرةِ من سَنَة ٦٠١ (٢٩/١٩/١٢٠٥ م).

تطوّف سعيدُ بنُ حكمٍ في الأندلس مُدّةً ثمّ آستقرّ في مدينةِ إشبيليةَ وقرأ فيها الموطّأ على أبي الحُسين (أبي الحسن؟) بن زَرْقونٍ وعلى أبي عليٍّ الشلوبين (ت ٦٤٥ هـ). ولكن يبدو أنّه لم يكن على وِفاقٍ معَ والي إشبيلية من قِبَلِ الموحدين فآنتقل إلى العُدْوَةِ المَغْربية فجاء إلى سَبْتَةَ ثم جال في إفريقية (تُونِسَ) والمَغرب. بعدئذٍ آستقرّ مُدّةً في تونِسَ الحاضرةِ ثمّ جاء إلى جزيرة مَيورقةَ[٥]، وذلك قبلَ أن يتغلّبَ عليها الإسبانُ في مُنْتَصَف صَفَرَ من سَنَةِ ٦٢٧ (٢/١/١٢٣٤ م). وقد كان له شيءٌ من الإشراف في

(١) هلمّوا: تعالوا (بفتح اللام)، أسرعوا. دار النعيم: الجنّة. راغ يروغ: مال، جاء إلى.
(٢) بنوها (بنو الدنيا): الناس. طاش: حاد عن الهدف، أخطأ الهدف. سهامها (سهام الدنيا، سهام المنية أو الموت).- كانت سهامها دائماً مصيبة (لم ينج أحد من الموت). حمّ: قرب. الحمام: الموت. راغ: حاد (نجا).
(٣) عاج مال، قصد. دار البقاء: الآخرة (في مقابل دار الفناء: الدنيا). فراغ: خلاء البال.
(٤) يذكر حسين مؤنس (الحلّة السيراء ٢: ٣١٨، الحاشية) مدينتين باسم طبيرة، إحداهما على بعد كيلومترين من مصبّ نهر منديق في منتصف الساحل الغربي من البرتغال اليوم. والثانية قرب الساحل الجنوبيّ عند منتصفه. والذي يغلب على الظنّ أن هذه البلدة الثانية هي التي ولد فيها سعيد بن حكم.
(٥) إلى الجنوب الشرقي من الأندلس أرخبيل فيه ثلاث جزر ذوات أحجام ظاهرة: ميورقة (الكبيرة) ومنورقة (الصغيرة) ويابسة.

جزيرة مَيورقةَ. ثمّ إنّه جاء إلى جزيرة مَنورقةَ عاملاً (أميراً على جمع الضرائب). وفي أيام دولته في منورقةَ ٱشتغلَ بالحديث على المُحدِّثِ أبي الحُسين يوسفَ بنِ مُفَوِّزٍ.

ولمّا ٱختلّ أمرُ الموحدين وٱستولى الإسبان على ميورقةَ ٱستطاع سعيدُ بنُ حكمٍ أن يَحولَ بينَهم وبين الاَسْتيلاءِ على مَنورقةَ بشيءٍ من المُداراة وبدَفْعِ جزيةٍ سنويّةٍ. وكان النافذَ في مَنورقةَ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ هشامٍ، وكان أمرُ المُوحِّدين قد ضَعُفَ وٱفترقتِ الكَلِمة- فٱستبدَّ سعيدُ بنُ حَكَمٍ بأمرِ الجزيرة في ثاني شَوّالٍ من سَنَة ٦٣١ (١٢٣٤/٧/١ م) ثمّ ٱستمرّ في حُكْمِها حُكْماً عاقلاً صالحاً حتّى كانتْ وفاتُه[١] في السابعِ والعِشرينَ من رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٨٠ (١٢٧٢/١/٩ م).

٢- كان سعيدُ بنُ حكمٍ القُرَشيُّ حازماً في الإدارة شديدَ القَسوة في العُقوبة يقتُلُ على شُرب الخمرِ، عاتبَه في ذلك أستاذُه ٱبنُ مُفوّز، فردَّ عليه بقوله (أعمال الأعلام ٢٧٦): «يا فقيهُ! هذه الجزيرةُ كثيرةُ العِنَب. والناسُ يشربون الخمرَ بها ويسكرون فيُضيعون الاحتراسَ فيظهَرُ (يتغلّب) علينا العدوُّ». وكان مَعَ ذلك مُحْسناً إلى الأفراد وإلى الجماعات: يفُكُّ الأسرى ويتصدّقُ على المُحتاجين وينصُرُ المظلومين.

وَهُوَ من العُلماء والأُدباء وذو حظٍّ وافرٍ من رِواية الحديث. ثمّ هو أيضاً ناثرٌ شاعرٌ شديدُ الأخذِ بالصِّناعة في نثرِه خاصّةً كثيرُ المَيْل إلى الإلغاز في الأشياء المُختلفة نظْماً ونثراً. وفنونُ شِعرِه النسيبُ والحِكمة والمدحُ والوصف. وأبرز فنونِ نثرِه الترسُّلُ.

٣- مختارات من آثاره

- من رسالةٍ كتب بها سعيدُ بن حكم القرشي[٢]:

أمْتَعَ اللهُ بكَ، أيُّها الوَلِيُّ الكريمُ الوفيُّ الصميمُ الشريفُ أباً المنيفُ حَسَباً وصَنَع لك وبلّغكَ أَمَلَكَ. يَخُصُّكَ بالثناءِ- الطيّبِ كثَنائكَ، الصَيِّبِ كوفائك- مُجِلُّكَ

---

(١) من زامباوّر (ص٩٢)، وفي أعمال الأعلام (ص٢٧٦): في حدود ٦٨٠.

(٢) يبدو أن سعيد بن حكم كتب بهذه الرسالة إلى أحد أمراء الحفصيّين في تونس: أبي زكريّا يحيى (٦٢٦- ٦٤٧ هـ) أو ابنه أبي عبد الله محمّد (المستنصر) الأوّل (٦٤٧- ٦٧٥ هـ).

بالحقّ الواجب ومُحِلُّك مِنَ الوُدِّ بينَ الترائبِ[١] سعيدُ بنُ حَكَمٍ. ولا جديدُ إلّا عِنايةُ الله تعالى وكِفايتُه ووِقايتُه- سُبْحانَه- (والتي) هي خيرٌ من دِفاعِنا- وحمايتُه[٢].

وقد وَرَدَتِ الحَديقتانِ الأنيقتان والرَّوْضتان الغَضّتان تَعْبَقانِ إذ تُتَنَشّقانِ وتَروقان لمّا[٣] تَرْمُقان. والحُسْنُ من مَرْآهما يَسْفِرُ والدَّجْنُ ينجلي من سناهما إذا يُسْفِر[٤]. سبقتْ أُولاهما كالبُشْرى، ونُسِقَتْ بعدُ على أثَرِها الأُخرى.... وجاءتا خفيفتَيِ المحمَلِ لطيفتَيِ المُجْمَل... فللهِ مُهدِيهما ومُطْلِعُهما نيِّرَتَيْنِ[٥]. لقد أوجبَ بِبِرِّهما حقًّا كبيرا، وحمّلَ من شُكرِهما ما يثْقُلُ ثَبيرا[٦]. واللهُ يتولّاه ويحفَظُ عليه من الحَلْيِ ما أوْلاه[٧].......

- وقال مُلْغِزاً في شمعة:

ما جميلةُ المَرآةِ صقيلةٌ كالمِرآة مُنتصبةٌ كالقَناة[٨] مرتَقَبَةٌ من الأذان بالعِشاء للأداة[٩]. مَعَ الاستعمال قريبةُ الحياةِ، وعلى العُطْلة والإغفال بعيدةُ الوفاة[١٠]. مُنهلّةٌ وليستْ بغَمامة، مُستقلّةٌ ولكن بدِعامة[١١]. ومَعَ كَوْنِها تَهْمي بدُرَرٍ (فإنّها) ترمي

---

(١) محِلّك: محترمك. محلّك: منزلك (بالضمّ). الترائب: عظام أعلى الصدر (بين الترائب: في القلب).

(٢) حمايته معطوفة على وقايته.

(٣) هذه الرسالة شكر على هدية: حديقتان وروضتان (؟). أنيق: جميل. غضّ: طريّ. عبق (بفتح فكسر) الطيب:.... انتشرت رائحته. راق يروق: حسن في العين. رمق: نظر. لما (؟): حينما (؟).

(٤) يسفر: يظهر حسنه وجماله. الدجن: الغيم (النهار الذي يقل فيه النور لكثرة الغيم). السنا: الضوء الساطع. يسفر: يشرق. لعلّ الهديّة كانت شمعتين.

(٥) المجمل (بالجيم): الجسم أو الحجم. نيّرتين: مضيئتين.

(٦) برّهما: طاعتهما (الشكر عليهما). يثقل: يزيد في الثقل على ثبير (اسم جبل).

(٧) الحلى: النعم. ما أولاه: أسبغ عليه (أعطاه) من النعمة.

(٨) المرآة (بفتح الميم): المرأى، المنظر. (وبكسر الميم): صفحة مصقولة من معدن أو صفحة من زجاج مغشّى أحد وجهيها يرى الناظر فيها نفسه. القناة: القصبة، الرمح.

(٩) مرتقبة: منتظرة. من الأذان بالعشاء (قبل أذان العشاء!) للأداة (؟).

(١٠) إذا أضاءها الإنسان كثيراً ذابت بسرعة، وإن لم يضئها كثيراً طالت حياتها.

(١١) منهلّة: يتساقط منها نقاط كالدموع (من الشمع الذائب بحرارة نورها). مستقلّة: ناهضة، منتصبة. بدعامة (على دعامة: شمعدان).

بشَرَر [١].... وليستْ من بيتِ النُبُوَّةِ وإن كان قد أُوحِيَ إلى آبائها [٢].... تُرْضِعُ آبناً لم تَلِدْهُ ذا عُقوق، يُسْرِع إلى أذاتها غيرَ فَروق [٣]... تقومُ لَيْلَها تَهَجُّداً، وتُريكَ ابتساماً دائماً وتجلُّدا [٤].....

- وقال سعيدُ بنُ حَكَمٍ يَصِفُ عادتَه في الإحسان إلى الناس:

لا تَـمْنَـعِ المعروفَ يو ... ماً مُعْرِضاً ومُعَرِّضا [٥].
فكِلاهُما من حَقّــه ... فيـه لـه أن يُفْرَضا [٦]:
هـــذا تَنَزَّهَ فاسْتحقْـ ... قَ علـى نَزاهتهِ الرِّضا [٧]؛
والآخرُ اسْتَحْيا مِنَ التْـ ... ـتَصْريحِ فيـه فَعَرَّضا.
هـذا الـذي ما زِلْتُ أفـ ... ـعَـلُ أو أقولُ مُحَرِّضا.

- وله في الحقد:

الحقــدُ داءٌ في القلوبْ، ... والصَفْح منه هو الطبيبْ.
فاحلُمْ عنِ الجــاني فقــد ... يدعوه حِلْمُك أنْ يتوبْ.
وآنْسَ الذنوبَ، فإنّما ... ذِكْرُ الذُنوبِ من الذنوبْ.

- وقال في النسيب:

إنّي لأَكْلَـفُ باسْمِها كَلَفي بها. ... فانظُرْ، فهــذا للعَفاف شِعارُ [٨].

---

(١) تهمي بدرر (يسيل من أعلاها نقاط كاللؤلؤ، كأنها نقاط ماء من المطر). ترمي بشرر: يصدر منها نور (يراه ضعيف البصر خيوطاً متّجهة إلى كلّ جهة).

(٢) يصنع الشمع الفاخر من المادّة «الشمعية» التي تهيّئه النحل أقراصاً ذوات مسدّسات لتخزن فيها العسل. وفي القرآن الكريم: ﴿وأوحى ربّك إلى النحل﴾ (١٦ : ٦٨ سورة النحل).

(٣) ترضع ابناً (تمدّ أو تزوّد الفتيل الذي في وسطها بالمادّة التي تمكّنه من الإضاءة. ذو عقوق (عصيان) لأنّ إضاءته يذيب جسمها (من الشمع) فكأنّه يقتلها. فروق: خائف.

(٤) تقوم (تسهر) الليل تهجّداً (في العبادة). ابتساماً (من إشراق نورها) وتجلّدا على احتمال حرّ الاحتراق.

(٥) المعرض: الذي يبدي إباء لأخذ الصدقة. المعرّض (بتشديد الراء): الذي يشير من طرف خفيّ إلى طلب الصدقة.

(٦) أن يفرض له (نصيب من الزكاة).

(٧) تنزّه: ترفّع (عن طلب الصدقة).

(٨) كلف (بفتح فكسر) بالشيء (تعلّقت نفسه به).

وإذا أَمُرُّ بدارِهـــا فكأنّهـــا ... قـد دَرَّ فيها الوابِلُ المِدرار[1].
غابتْ فأبْكي بعدَها شَوْقاً لها، ... والشمسُ تهمُل بعدَها الأمطار[2].
تاللهِ، ما لَمَحَتْ جفوني - مُذ نأتْ - ... نُوراً. وهل بعدَ المَهاةِ نَهار[3]؟
بيضـاءُ تحسَبُ أنّهـا من فِضّة، ... في الخَدّ منها للحياءِ نُضار[4].
مالـتْ معاطِفُها ولانَ حَديثُها؛ ... أيكونُ عن خمرِ الجُفونِ خُمار[5]؟
لو لم تُحَلَّ، لَكان حَلْياً ثَغْرُها. ... إنّ الغصونَ حُلِيُّهـا النَّوّار[6].
تَخْشى البريّـةُ مُقْلَتَيْها غيرَها. ... أيهـابُ سَوْرَةَ نَبلِهِ الأُسْوار[7]؟

- وقال يصف شمعة:

وصَفْراءَ من غـيرِ مـا عِلّـةٍ ... لهــا أدْمُـعٌ أبـداً سائلـهْ.
تُطيـلُ الوقوفَ عـلى واحـدٍ ... مَـدى لَيْلِهـا فتُرى ناحِلـه.
تَزيـدُ عـلى الشمسِ في نورِها ... إذا ما غَدَتْ للدُّجى واصله[8].
تُحـارِبُ دأبـاً جيوشَ الظلامِ ... فتُبْصَرُ مقتولــةً قاتلـه.

---

(١) درّ: جرى. الوابل: المطر الشديد. المدرار: الكثير الماء.

(٢) تهمل (بفتح التاء ثمّ كسر الميم أو ضمّها) تسقط بكثرة. إذا احتجبت الشمس بالغيوم كان ذلك بشارة بسقوط المطر.

(٣) المهاة: البقرة الوحشية، الشمس (المعجم الوسيط ٨٩٧). وهل بعد المهاة (بعد غياب الشمس) يمكن أن يبقى النهار طالعاً (أو النور موجوداً).

(٤) خدّها أبيض كالفضّة ولكنّ حياءها (الذي أصبح عادة لها) يكسب وجهها حمرة كلون النضار (الذهب)، مع أن الذهب الخالص أصفر لا أحمر (ويجيء احمرار الذهب المألوف في العملة وفي الحليّ من مزجه بالنحاس).

(٥) العطف (بالكسر) والمعطف (بكسر الميم وفتح الطاء): الطرف الأعلى من الجسم. الخمار: السكر. - هل يمكن الإنسان أن يسكر من نظرات المرأة الجميلة؟

(٦) تحلّى: تتزّين بالحلى. لكان ثغرها (أسنانها التي تشبه اللؤلؤ)... النوّار: الزهر الأبيض. في الغصون تورية (فروع الشجرة، والقوام المعتدل).

(٧) البرية: مجموع البشر. غيرها: غير هذه المرأة (على الاستثناء). أيهاب (أيخاف) سورة (شدّة) نبله وسهامه الأسوار (الفارس).

(٨) يقصد: أن نور الشمعة يكون أقوى من نور الشمس إذا اقتربت الشمس من مغيبها.

- قال سعيدُ بنُ حكمٍ في الملوك الذين لا يحكُمون حُكْماً صحيحاً عادلاً:

إنّي لأَعْجَبُ من ملوكٍ أصبحوا ... وهُمُ موالٍ أعبدَ الشَّهَواتِ[١].
الأَطْيَبانِ مَرادُهم ومُرادُهم: ... أَرَبُ الفُروجِ وإِرْبَةُ اللَّهَوات[٢].
لو وُفِّقوا وَقَفوا اجتماعَهُمُ على ... نَفْيِ الهوى فَضْلاً عن الخَلَوات[٣]
مرّتْ سِنونَ وهُمْ مِلاكٌ للوَرى. ... يا لَيْتَهم مَرّوا مَعَ السنوات[٤]!

- ومرّت به في أيامِ صِباهُ امرأةٌ جميلةٌ، كان زَوْجُها شُرْطيًّا، فقال:

وجَنّةٍ خازِنُها مالكٌ، ... يا لَيْتَني كُنتُ لها مالِكا[٥]،
أَسْجُدُ في مِحرابِها سَجْدةً ... نُسْكاً، ومِثْلي لم يَزَلْ ناسكا[٦].
وكيف أرجو القُرْبَ منها وقد ... أضحى حُساماً لَحْظُها فاتكا[٧]!
إنّ أمانيَّ الفَتي ضِلّةٌ ... يُمْنى بها حتّى يُرى هالكا.
من لي بها شمسَ الضُحى أطْلَعَتْ ... جُنْحَ دُجًى من شَعْرِها حالكا[٨].
سَلَكْتُ سُبْلَ الغَيِّ في حُبِّها، ... ولم أكن قبلُ لها سالكا.

٤- ★★ المغرب ٢: ٤٦٩؛ القدح المعلّى ٢٨ - ٤١؛ الوافي بالوفيات ١٥: ٢١٢ - ٢١٣؛

---

(١) موال (جمع مولى): تابعون. أعبد جمع قلّة من «عبد».
(٢) الأطيبان: الطعام والنكاح. الأرب: الحاجة. الإربة: البُغية، المطلب. اللهوات جمع «لهاة» (بفتح اللام): الهنة التي في أول الحلق. المقصود: الفم.
(٣) لو كانوا ناجحين في الحكم لجعلوا همّهم ترك هوى نفسهم (أهواءهم الشخصية) وخصوصاً خلواتهم الصحيحة (كثرة الاهتمام بالنساء).
(٤) مرّ زمن طويل وهم ملاك (قوام، وهم كلّ شيء في حياة الورى: الناس). يا ليتهم مرّوا كما مرّت السنوات (ماتوا).
(٥) الجنّة خازنها (بوّابها) رضوان (بكسر الراء). ومالك خازن جهنّم. ولكنّ هذه المرأة الجميلة، وهي جنّة، لها خازن (زوج) هو مالك (لأنّه شرطيّ موكّل بعقاب الناس. يا ليتني كنت لها مالكاً (زوجاً شرعيًّا).
(٦) أسجد في محرابها.... (الكناية الملموحة واضحة، ولكن يمكن أن تكون قبيحة).
(٧) ولكنّ الذي يمنعني من قربها ليس زوجها الشرطيّ، ولكن عيونها.......
(٨) شمس يجوز فيها النصب (تمييزاً) والجرّ (بدلاً من «ها»)، والرفع (خبر لمبتدأ محذوف). الجنح: قسم، مدّة من الليل. الدجى: الظلام. الحالك: الشديد السواد. - هي شمس (بلونها الأبيض) تضيء النهار، ولكّن شعرها الأسود يجعل من النهار جانباً مظلماً.

الحلّة السيراء ٢ : ٣١٨ - ٣٢٠ ؛ الذيل والتكملة ٤ : ٢٨ - ٣٣ ؛ أعمال الأعلام ٢٧٥ - ٢٧٦ ؛ بغية الوعاة ٢٥٥ ؛ نفح الطيب ٤ : ٤٧١ - ٤٧٢ ؛ راجع أزهار الرياض ٣ : ٢١٥ - ٢١٨ ؛ الأعلام للزركلي (٣ : ٩٣).

ابن معمّر الهوّاري

١ - هو أبو عليٍّ الحسنُ بنُ موسى بنِ مُعَمَّرٍ الهَوّاريُّ الطرابُلُسيُّ وُلِدَ في طرابُلُسَ، سَنَةَ ٦٠٩ هـ (١٢١٢ - ١٢١٣ م). قرأ ابنُ مُعمَّرٍ مدّةً يسيرةً في طرابُلُسَ ثمّ رَحَلَ إلى المهديّةِ وقرأ على الفقيه أبي زكريّا يحيى البَرْقيّ (ت ٦٤٧ هـ). ثمّ إنّه انتقل إلى مدينةِ تُونِسَ في أيامِ المُستنصر بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). وقد تولّى القضاءَ في باجةَ وبِجايةَ وغيرِهما، كما تولّى خُطّةَ العَلامة الكُبرى والنَّظَرَ في خِزانة الكُتُبِ. ثمّ وقعت بَينَه وبينَ المُستنصر وحشةٌ فنفاه المستنصرُ إلى المهدِيّة (من أواخر ٦٦٧ إلى أخر ٦٦٨ هـ). عادَ بعدَ ذلك إلى تُونِسَ وإلى رِئاسَةِ خزانةِ الكتب. وكانت وفاتُه في تُونِسَ، في جمادى الآخرة (★)من سَنَةَ ٦٨٢ هـ (أيلول - سبتمبر ١٢٨٣ م).

٢ - كان ابنُ مُعمَّرٍ الهوّاريُّ فقيهاً وخطيباً ومُناظراً، كما كان شاعراً رقيقاً يتوفّرُ على الأغراضِ الوُجدانية. وشِعْرُه سهلٌ واضحٌ صحيحُ التركيب.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ مُعمَّرٍ الهوّاريُّ من قصيدةٍ له في النسيب:

لولا احورارُ جُفونٍ أُودِعَتْ سَقَما ... ما أمْطَرَتْ سُحْبُ أجفاني الدموعَ دَما[1]

ولا وَقَفْـتُ أُصَيْلانـاً برَبْعِكِمُ ... ولا سَقَيْتُ رُباه مِنْ دَمي دِيَما[2].

شَمْلُ السرورِ شَتيتٌ بعدَ بَيْنِكُمُ، ... وطالما كان قبلَ اليومِ مُلْتَئِما[3].

★ في نفحات النسرين والريحان (ص ٩٣): في التاسع من جمادى الأولى.

(١) الاحورار: شدّة سواد العين مع شدّة بياضها.

(٢) أصيلاناً = أصيلاً: قريباً من غروب الشمس. الديمة: الغمامة الممطرة.

(٣) البين: البعد، البعاد.

البَيْنُ يقطَعُ منه كلَّ مُتّصلٍ، والشَوْقُ يَنْثِرُ منه كلَّ ما انتظما.
يا مَنْ يلومُ على ما جَلَّ من أسَفي، هذا اليسيرُ من الأمرِ الذي كُتِما!
أُنْبيكُمُ أنّني من يومِ بَيْنِكُمُ ما زلْتُ لِلسُّهْدِ والتَّذكار مُلْتزما.
أرتاحُ إنْ هَبَّ ريحٌ من جَنابِكُمُ أو لاح برقٌ بذاك الأُفْقِ وابتسما.
أمَا ومَنْ قَدّرَ الأشياءَ مُقْتَدِراً وحُبِّكُمْ - وكفى بالحُبِّ لي قَسَما - [1]
ما رامَ قلبي اصطباراً بعدَ بُعْدِكُمُ ولا تأخّرَ بي مِنْ وَجْدِه قَدَما[2]!

- وكان ابنُ مُعمَّرٍ محبوساً مَعَ صديقه مُحمّدِ بنِ يحيى الفضيلي ثمّ أُطْلِقَ سراحُه قبلَ الفُضيلي، فكتب إلى الفضيلي ببيْتَيْنِ:

لَئِنْ سرّني فَكُّ الإسارِ مِنَ الحبسِ، لقد ساءني فَقْدي لِما فيه من أُنسي.
ولو أنّني خُيِّرْتُ فيما أُريده، لآثَرْتُ تقديمي سَراحَكَ عن نفسي.

٤ - ★★ عنوان الأريب ٧٠ - ٧٢؛ نفحات النسرين والريحان ٩٢ - ٩٦؛ رحلة التجاني ٢٧٤ - ٢٨٠؛ أعلام من طرابلس ٧٥ - ٨٤.

محمّد بن موسى المزاليّ

١ - هو الشيخُ شمسُ الدين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ أبي عِمرانَ موسى بنِ النُّعمانِ المُزاليُّ التِّلِمساني الفاسيّ المَرّاكُشي الهِنْتاتي الإشْبيليّ، وُلِدَ في تِلِمْسانَ، سَنَةَ ٦٠٦ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م) أو سنة ٦٠٧.

رَحَلَ المُزاليُّ إلى مِصْرَ فَسَمِعَ في الإسكندريةِ من أبي عبدِ الله الحَرّانيّ وأبي القاسمِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ المجيدِ الصُفراويّ (٥٤٤ - ٦٣٦ هـ) وسَمِعَ بِمِصْرَ (القديمة) من أبي

(١) ومن قدّر الأشياء (الواو: للقسم. من قدّر الأشياء: أي الله تعالى). حبّكم (مجرورة على أنّها قسم، أو على أنها معطوفة على قسم).

(٢) رام: طلب. من وجده (من كثرة حبّه لكم). قدما: مقدار قدم.

حسنٍ الصابونيّ وابن الطُفيل وابن المُقيِّر. وكانتْ وفاتُه في مِصْرَ، سَنَةَ ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ - ١٢٨٥ م).

٢ - كان محمّدُ بنُ موسى المُزاليُّ فقيهاً مالكيًّا وزاهداً عابداً عارفاً (صوفيًّا). وله شِعْرٌ على الطريقةِ الصوفيةِ سَهْلٌ حَسَنٌ. وكان مُصنِّفاً له كتاب «مِصباحُ الظلام في المُستغيثين بخير الأنام في اليَقَظة والمنام». (يبدو أنه ألّفه سَنَةَ ٦٣٩ هـ).

٣- مختارات من شعره:

- قال محمّد بن موسى المُزاليُّ في ليلى (العزّة الالٓهية):

أتَطْمَـعُ أن تَرى ليـلى بعـينٍ ... وقـد نَظَرَتْ إلى حَسَنٍ سِواها[1].
سِواهـا لا يَروقُ الطَّرْفَ حُسْناً. ... وأوْصـاف الجمال لهـا حِماها[2].
حِماهـا مَنْزِلُ الأحبـابِ قِدْمـاً، ... وإن كـان الجمالُ لها حَماها[3].
أتَنْظُرُهـا بعـينٍ بعـدِ عـينٍ، ... فتلـك العينُ تَمْنَعُها قَذاها[4].
قذاهَـا إنْ أردْتَ يَزولُ عنهـا، ... بعينِ الدَّهْرِ غيرَكَ لا تراها[5].

٤ - ★ ★ الوافي بالوفيات ٥: ٨٩؛ بروكلمن، الملحق ١: ٦٦٥.

---

(١) - لقد أعجبك في هذه الدنيا أشياء حسنة، ولذلك لن تستطيع أن ترى ليلى (العزّة الالٓهية).

(٢) - كل ما رأيته ليس جميلًا في الطرف (العين). وجمال ليلى العظيم (غير المألوف) حمى لها (مانع من رؤيتها).

(٣) حماها: منزلها هو منزل المحبوبين القدامى (الذين لا يجوز لأحد أن يحبّ أحداً بعدهم). وجمالها العظيم يحميها (يمنع أعين البشر) من رؤيتها.

(٤) أتنظرها (أي ليلى: العزّة الإلٓهية) بعين (مادّية، بعين جسمك) بعد عين (عين قلبك؟) فهذه العين الجسمية يجتمع فيها عادة قذى (وسخ) يمنعها أن ترى الألوهيّة).

(٥) - إذا أردتّ أن يزول القذى (الوسخ، العمش) من عينيك لتستطيع أن ترى ليلى، فحينئذ لا ترى أحداً غيرك (لا ترى إلّا نفسك).

أبو البقاء صالح بن شريف الرُّنديّ

١ - هو أبو البقاء (أو أبو الطيّب)[١] صالحُ بنُ يزيدَ بنِ صالحِ بنِ موسى بنِ أبي القاسمِ بنِ عليٍّ بن شريفٍ[٢] الرُّنديّ الأندلسيّ من أهل رُنْدَةَ (في الجزيرةِ الخضراء، بين مالَقَةَ وشَريشَ).

تلقّى أبو البقاءِ الرنديُّ العلمَ على أبيه وعلى نَفَرٍ منهم أبو الحسن الدبّاجِ وابنُ الفَخّارِ الشريشيُّ وابنُ قطرالَ وأبو الحسن بنُ زَرْقونٍ وأبو القاسم بنُ الجَدِّ التونسيّ. ويبدو أنّه كان مُنقطعاً إلى بني الأحمرِ كثيرَ التردّدِ على غرناطةَ، كما أنّه قد أقامَ حيناً في مالَقَةَ. ولعلّ وفاته كانتْ في سَنَةِ ٦٨٤ (١٢٨٥-١٢٨٦م).

٢ - كان أبو البقاءِ الرنديُّ حافظاً للحديثِ وفقيهاً وفَرَضِيًّا ومُشاركاً في الحساب ثمّ كان بارعاً في منظومِ الكلامِ ومنثوره مجيداً في المدح والغَزَلِ خاصّة والزُّهْدِ والوصفِ. ولكنّ شهرتَه تَرْجِعُ إلى قصيدته «لكلِّ شيءٍ إذا ما تمّ نُقصانُ» وقد نَظَمَها بعد ضَياعِ عددٍ من المُدنِ الأندلسية مِنها: بَلَنْسِيَة (٦٣٠ هـ) وقُرطبةُ (٦٣٦ هـ) وجيّان (٦٤٤ هـ) وشاطِبَـةَ (٦٤٥ هـ) وإشبيلية (٦٤٦ هـ) ومُرسِيَةَ (٦٦٨ هـ). هذه القصيدةُ تجمعُ بينَ العاطفةِ المكلومةِ والسُّهولة المتناهية والسَّرْدِ المَنْطِقي.

وكان أبو البقاء الرندي مُصَنِّفاً ألّفَ في الفرائضِ (تقسيم الإرث) نظماً ونثراً. وله أيضـاً مقامـاتٌ بديعـة. ومن كُتُبِـهِ: روحـةُ الأُنس ونُزهـة النفس - مختصر في الفرائض - الوافي في نظم القوافي (في البلاغة والنقد وطبقات الشعراء وعَمَلِ الشعر وفي فنون الشعر وخصائصها المُستحبّة. ولكنْ يبدو أن الكتابَ قليلُ الابتكارِ وأنّ غايةَ الرُّنديّ فيه كانت جمعَ الخصائص المشهورة من كتب النقد المختلفة. وكان اتّكاؤه على

---

(١) في الإحاطة (مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٩ هـ، ١: ٣٠٣، وفي طبعة محمد عبد الله عنان، مصر - دار المعارف، ١: ٤٨٤): الطيبب (بياءين).

(٢) في سياقة نسبه شيء من الخلاف. وقد جعله محمّد رضوان الداية (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس»، ص ٤٣٢): النفّري (بنون مكسورة وفاء مشدّدة مفتوحة) نسبة إلى مدينة نفّر في جنوبيّ العراق. والصواب النفزي (بنون مفتوحة وفاء ساكنة وزاي منقوطة: اسم قبيلة مغربيّة)، هذا إذا كان، الرندي منسوباً إلى تلك القبيلة.

ابنِ رشيقٍ واضحاً).

وكتاب «الوافي في نظم القوافي» يجمع بين[1] النقد والبلاغة وشيءٍ من الأخبار الأدبيّة الأندلسيّة وطائفةٍ من شِعر المؤلّف، وهو أربعةُ أجزاءٍ. الجزءُ الأوّل في فضل الشعر ومن تكلّم به وأثابَ عليه. ثمّ في الشعراء وطبَقاتهم، ثمّ في عَمَل الشعرِ وآدابِه ثمّ في أغراض الشعر من المديح والتهْنئة والرِّثاء والآعتذار والعِتاب والهِجاء والوصف. والجزء الثاني في محاسنِ الشعر وبديعه ومعانيه مِنَ الآبتداء والآنتهاء والآستطراد والمُطابقة وما يُناسِبها من المُقابلة ثمّ التشبيهِ والاستعارةِ والتجنيس والتضمين والمُبالغة والتَسْهيم (التقسيم والترتيب) والتسجيع والتسميط (الشبيهِ بالتوشيح). والجزء الثالث في عيوب الشعر من الإخلال أو سوء اللفظ وسوء التركيب والترتيب - عُيوبِ السَّرِقة - أكان الأخذُ من شاعرٍ آخَرَ قصداً أو عفواً - ثمَّ الضَّرورةِ (أو الرُّخَصِ في الشعز ممّا يَدُلُّ على ضَعْف الشاعر في صِناعة الشعر). والجزء الرابع في حدّ الشعر وفي العَروض والقوافي وفي بحور الشعر الأصلية (الخَمْسَةَ عشَرَ) والبحور المُهملة.

٣- مختارات من آثاره

- رثاء الأندلس. قال أبو البقاءِ الرُّنديُّ هذه القصيدةَ يستَنْصِرُ أهلَ العُدوة الإفريقيّة من بني مَرينٍ، لمّا جعل آبنُ الأحمر (محمّدٌ الغالبُ بنُ يوسفَ أوّلُ سلاطين غَرناطة) يتنازلُ للإسبانِ عن عددٍ من القِلاع والمُدن آسترضاءً لهم وأملًا في أن يبقى له حكمُه المُقَلْقَلُ على غَرْناطة:

لِكُـلِّ شَيْءٍ إذا مـا تَمّ نُقْصـانُ ... فلا يُغَرَّ بِطِيبِ العيشِ إنسانُ.
هِيَ الأمورُ كما شاهدْتَها دُوَلٌ[2]؛ ... مَنْ سَرّه زَمَنٌ ساءَتْـهُ أزْمـان.
وهٰذِهِ الدارُ[3] لا تُبْقي على أحَدٍ، ... ولا يـدومُ عـلى حـالٍ لهـا شان:

(١) من «تاريخ النقد الأدبي في الأندلس» لمحمّد رضوان الداية (ص ٤٣٥ وما بعد).
(٢) الدولة (بفتح الدال أو بضمّها): انقلاب الأمر مرّة بعد مرّة (مرّة لهؤلاء ومرة لأولئك).
(٣) هذه الدار: هذه الدنيا.

يُمَزِّقُ الدهرُ حَتْماً كُلَّ سابِغَةٍ إذا نَبَتْ مَشْرفِيّاتٌ وخرصان[١]؛

ويُنْتضَى كُلُّ سَيْفٍ للفناءِ، ولو كان ابنَ ذي يَزَنٍ والغِمْدُ غِمْدان[٢].

أينَ الملوكُ ذوو التيجانِ من يَمَنٍ، وأينَ منهم أكاليلٌ وتِيجان[٣]؟

وأينَ ما شادَهُ شَدّادُ في إرَمٍ؟ وأينَ ما ساسَهُ في الفُرْس ساسان[٤]؟

وأين ما حازه قارونُ من ذهبٍ؟ وأين عادٌ وشَدّادٌ وقَحْطان[٥]؟

أتي على الكلِّ أمرٌ لا مَرَدَّ له حتّى قَضَوْا فكأنّ القومَ ما كانوا[٦].

وصار ما كان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ كما حَكى عن خَيالِ الطَّيْف وَسْنان[٧]:

دارَ الزمانُ على دارا وقاتَله وأمّ كِسْرى فما آواهُ إيوان[٨]؛

---

(١) السابغة: الدرع. المشرفيّ: السيف (من صنع مشارف الشام، كناية عن جودة حديده وصنعه). الخرص (بالضمّ أو الكسر أو الفتح): الرمح. والجمع خرصان (بالضمّ أو الكسر) - إذا لم تتمزّق الدرع بالسيوف والرماح فإنّها تتهرّأ بمرور الزمن (من لم يقتل في الحرب مات بالدهر، بانقضاء أجله).

(٢) انتضى الفارس السيف: سحبه من غمده. كلّ مدّخر، مهما تحافظ عليه، يدركه البلى (بكسر الباء). سيف بن ذي يزن: ملك من عظماء ملوك اليمن. غمدان قصر في اليمن.

(٣) أين الملوك....؟- ذهبوا (ماتوا). الإكليل: التاج الصغير. وأين منهم أكاليل وتيجان: (هذه لم تدفع عنهم الموت).

(٤) شاد: بنى. شدّاد بن عاد: ملك يمني قديم فتح فتوحاً كثيرة بعيدة. إرم ذات العماد (الأعمدة): مدينة عظمة تقول الخرافة إن جدرانها وسقوفها من الذهب والنحاس وأعمدتها من الزبرجد والياقوت. ساسان: مؤسّس الدولة الساسانية (الفارسية المتأخّرة).

(٥) حازه: امتلكه. قارون: كان أغنى أغنياء العالم (كانت مفاتيح قصوره كثيرة إلى حدّ أنّ الرجل القوي لا يستطيع حملها كلها). عاد وشدّاد وقحطان من جدود العرب القدماء والأقوياء.

(٦) أمر لا مردّ له (الموت).

(٧) خيال الطيف: الحلم (بضمّ الحاء): المنام. الوسنان: الذي أخذه النعاس (أفاق من النوم ولم يزل نعسان).

(٨) دار الزمان: انقلب. دارا (داريوس) الأول فتح الهند وأخضع مقدونية (اليونان) ثمّ هُزم في ماراثون (باليونان). أمّ: قصد. كسرى: لقب ملوك الدولة الساسانية. والمقصود هنا كسرى أنوشروان العادل الواسع السلطان والغنى والوجاهة بين الأمم. الإيوان: قصر عظيم لكسرى في المدائن (على عشرين كيلومتراً شرق بغداد). آواه (حماه من الموت).

- اقرأ: وقاتله (فعل ماض) فذلك أحسن من حيث البيان. هذا مع العلم بأنّ دارا الثالث قد اغتاله بعض أتباعه، سنة ٣٣٠ ق.م. (بعد أن انهزم أمام الاسكندر المقدوني في معركة أربل، جنوب العراق). والملموح أنّ الرندي قد قصد المجانسة بين «دار» و«دارا»، ولم يلمح الفرق بين دارا الأول (ت ٤٩٠ ق.م.) ودارا الثالث!

كأنّما الصَّعْبُ لم يَسْهُلْ له سَبَبٌ، يوماً، ولم يَمْلِكِ الدُّنيا سُلَيْمان[١].
فَجائِـعُ الدهرِ أنواعٌ مُنَوَّعَـةٌ، ولِلزّمـانِ مَسَرّاتٌ وأحْزان؛
وللحَوادِثِ سُلْوانٌ يُهَوِّنُهـا؛ وما لِما حَلّ بالإسلام سُلْوان[٢]!
دَهَى الجزيرةَ أمرٌ لا عَزاءَ له هَوَى له أُحُدٌ وانْهَدّ ثَهْلان[٣].
أصابَها العينُ في الإسلامِ فارْتَزَأَتْ حتّى خَلَتْ منه أقطارٌ وبُلْدان[٤]:
فاسْأَلْ بَلَنْسِيَةً: ما شأن مُرْسِيَةٍ؟ وأين شاطبـةٌ أم أين جَيّـان؟
وأين قُرْطُبَـةٌ دارُ العلومِ فكم من عالِمٍ قد سما فيها له شان؟
وأينَ حِمْصٌ وما تَحْوِيهِ من نُزَهٍ ونَهْرُها العذبُ فيّاضٌ ومَلْآن؟
قواعِـدٌ كُنَّ أركـانَ البلادِ، فما عسى البقاءُ إذا لم تَبْقَ أركان[٥]؟
تَبْكي الحَنيفِيَّةُ البيضاءُ من أسَفٍ، كما بكى لِفِراقِ الإلْفِ هَيْمان[٦]،
على دِيارٍ من الإسلامِ خالِيَةٍ؛ قد أقْفَرَتْ ولها بالكُفْرِ عُمْران:
حيثُ المساجدُ قد صارَت كنائسَ ما فيهِنَّ إلّا نواقيسٌ وصُلْبـان؛
حيثُ المحاريبُ تبكي وَهْيَ جامدةٌ حيثُ المنابرُ تَرْثي وَهْيَ عِيدان[٧].
يا غافلًا، وله في الدهرِ مَوْعِظَةٌ، إن كُنْتَ في سِنَةٍ فالدهرُ يَقْظان[٨]؛
وماشِياً مرحاً يُلْهيهِ مَوْطِنُه، أبعدَ حِمْصٍ تَغُرُّ المرءَ أوْطان؟
تلكَ المُصيبةُ أنْسَتْ ما تَقَدَّمَها، وما لها مَعْ طَوالِ الدهرِ نِسْيان.

---

(١) .....
(٢) سلوان: شراب يجعل الناس ينسون (بفتح السين) مصائبهم.
(٣) دهى: أصاب بداهية (مصيبة). الجزيرة (الأندلس). أحد (جبل قرب المدينة) ثهلان: جبل في بلاد العرب.
(٤) أصابها (أصابتها) العين (من الحسد). ارتزأ (أصيب برزء: مصيبة كبيرة).
(٥) القاعدة: العاصمة (مركز الدولة).
(٦) الحنيفية: الإسلام. الهيمان: المحبّ الشديد الحبّ.
(٧) المحراب: تجويف في قبلة المسجد يقف فيه الإمام عند الصلاة (كناية عن المساجد). جامدة (من جماد، ومع ذلك فهي تحسّ بالمصيبة). العود: غصن الشجرة (الخشب).
(٨) سِنة (بكسر ففتح): النعاس.

يا أيّها المَلِكُ البيضاءُ رايَتُه، أدركْ بسَيفِكَ أهلَ الكُفْرِ، لا كانوا[1].

يا راكبينَ عِتاقَ الخيلِ ضامرةً كأنّها في مَجالِ السَّبْق عُقْبان[2]،

وحامِلينَ سيوفَ الهِنْدِ مُرْهَفَةً كأنّها في ظَلامٍ النَّقْعِ نيران[3]،

وراتعينَ وراءَ البحرِ في دَعَةٍ لَهُمُ بأوطانهم عِزٌ وسُلْطان[4]،

أعِنْدَكم نَبأٌ من أهلِ أنْدَلُس؟ فقدْ سَرى بحديثِ القومِ رُكْبان.

كم يستغيثُ بنو المُسْتَطْعَفين، وهُمْ أسْرى وقَتْلى، فما يَهْتَزّ إنسان!

ما ذا التقاطعُ في الإسلام بَيْنَكُمُ، وأنتُمُ - يا عبادَ الله - إخوان!

ألا نُفوسٌ أبِيّاتٌ لها هِمَمٌ! أما على الخيرِ أنْصارٌ وأعوان!

يا مَنْ لِذِلّةِ قَوْمٍ، بعد عِزَّتِهِمْ، أحالَ حالَهُمُ كُفْرٌ وطُغْيان.

بالأمسِ كانوا مُلوكاً في منازِلِهِمْ، واليَوم هُمْ في بِلادِ الكُفر عُبدان.

فَلَوْ تراهُمْ حَيارى لا دليلَ لهم عَلَيْهِمُ مِنْ ثِيابِ الذُّلِّ ألوان؛

ولو رأيتَ بُكاهم عند بَيْعِهِمُ لهالَكَ الأمرُ واسْتَهْوَتْكَ أحزان.

يا رُبَّ أمٍّ وطِفلٍ حِيلَ بَيْنَهما كما تُفَرَّقُ أرواحٌ وأبدان؛

وطِفْلَةٍ مثلَ حُسْنِ الشمسِ إذ بَرَزَتْ، كأنّما هِيَ ياقوتٌ ومَرْجان،

يَقُودُها العِلْجُ لِلمَكروهِ مُكْرَهَةً والعَيْنُ باكِيَةٌ والقَلْبُ حَيْران[5].

لِمِثْلِ هذا يَذُوب القلبُ من كَمَدٍ، إنْ كان في القلب إسلامٌ وإيمان!

- عمل الشعر

قال الرُّنْدي[6]: ينبغي لِمَنْ يَرومُ عمَلَ الشعر أن يَتَحرّى أوقاتَ الفَراغ وأمكنةَ

---

(١) البيضاء رايته (كناية عن الجد والقوّة والظفر!).

(٢) الفرس العتيق: الأصيل. الضامر (النحيل الخصر) ويكون عادة سريعاً. العقاب (بضمّ العين): طير من الكواسر (كالنسر) تشبّه به الخيل لقوّة بدنه وسرعة انقضاضه.

(٣) مرهف: رقيق الحدّ. النقع: غبار الحرب. - تلمع سيوفهم لشدّة جلائها وصفائها.

(٤) رتع: عاش في الخصب والنعيم كما يشاء. وراء البحر (في القارّة الإفريقية). الدعة: السعة في العيش مع الاطمئنان.

(٥) العلج: الكافر من غير العرب. المكروه: (الفعل القبيح).

(٦) من «تاريخ النقد الأدبي في الأندلس لمحمّد رضوان الداية» (ص ٤٤٠-٤٤١).

الخَلْوة و (ألّا) يعملَ شيئاً من الشعر حتى يَشْتَهِيَهُ، فإنّ الشهوةَ نِعْمَ المُعينُ. وإذا سَئِمَ فَلْيُرِحْ نفسَه ولا يُكْرِهْ طبعَه. و (يحسُنُ أن) يُطالعَ من أشعارِ الناس ما يَستجيدُه في المعنى، الذي يُريده، فإنّ من أمثالهم: الكلامُ من الكلامِ. وينبغي ألا يقبَلَ كلَّ ما يَبْعَثُه هاجِسُه وتنفُثُ به وساوِسُه[1]، بل ينقّحَ ويختارَ ولا يذهَبَ إلى الآستكثار. وإذا فَرَغَ من شِعرِه تثبّتَ في أمرِهِ فتأمّلَه مرّتينِ ورَجَعَ البَصَرَ فيه كَرّتين. فكثيراً ما سودت وجوه المبيضات (؟) بالتغيير، وأدّى العَجَل إلى الندم والتحيير. و (كذلك) ينبغي أن يَعرِضَ كلامَه على مَنْ يَثِق بمعرفتهِ ونَصيحته، فإنّ الإنسانَ لا يَرَى عَيْبَ نفسِه، والمرءُ - كما قيل - يُفْتَنُ[2] بآبْنِه وشِعره. وقد يَعْرِضُ للشاعر أن يُرْتَجَ عليه فيَكْهَمَ حَدُّه ويصلُدَ زَنْدُه[3] ولا يستطيع أن يَنْظِمَ شيئاً. وقد يتأتّى له (من) حُسْنِ البَديهة وجَوْدة القريحة ما يُعْجَبُ منه.

٤ - ★★ الذيل والتكملة ٤: ١٣٦ - ١٣٩ (رقم ٢٦٣)؛ نفح الطيب ٣: ٣٤٧، ٤: ٤٧، ٤٨٦ - ٤٩٠، أزهار الرياض ١: ٤٧ - ٤٩؛ بروكلمن، الملحق ١: ٨٦٠، ٢: ٩٢٥؛ نيكل ٣٣٧ - ٣٣٩؛ مختارات نيكل ٢٠٠ - ٢٠٢؛ الأعلام للزركلي (٣: ١٩٨)؛ تاريخ النقد الأدبي لمحمّد رضوان الداية ٤٣٢ - ٤٤٠؛ تاريخ النقد العباسي لإحسان عبّاس ٥٣٨ - ٥٣٩؛ مجلّة العربي (الكويت) ١٩٧٣/٧، ص ١٠٢؛ ١٩٧٤/٤ (لأكرم زعيتر) ص ٧.

حازم القرطاجنّي

١ - هو أبو الحسنِ حازمُ بنُ محمّدِ (سَرَقُسْطة ٥٥٤ - قَرْطاجنّة ٦٣٢ هـ) بنِ حسنِ بنِ

---

(١) الهاجس: الخاطر (ما يبدو في فكرك من غير أن تقصده). نفث: نفخ. الوسواس: ما يحدّث الإنسان به نفسه في أوقات فراغه (ممّا لا فائدة منه أو ممّا فيه خوف). والمقصود هنا حديث النفس عامّة.

(٢) يفتن (في الأصل بشدّة على النون): أي يتفنّن أو يكثر من الفنون (ولا معنى له هنا). والمقصود يُفْتَنُ (بالبناء للمجهول): أي يدخل عليه شيء من الزهو أو مجانبة الحقّ. وفي القرآن الكريم: ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ (٦٤: ١٥، سورة التغابن).

(٣) أُرْتِجَ (بالبناء للمجهول) على الشاعر: استغلق (استعصى) عليه الكلام. كهم السيف يكهم (بفتح الهاء فيهما): كلّ، ضعف (لم يقطع). صلد يصلد (بضمّ اللام فيهما): صلب (بضمّ اللام). الزند: حديدة تُقدح بها النار من الحجارة.

محمّد بن خلفِ بن حازمٍ الأَوْسي الأنصاري القَرْطاجنّي، نِسبةً إلى قَرطاجنّةَ التي بشرقيّ الأندلُس، وفيها وُلِدَ سَنَةَ ٦٠٨ (١٢١١ - ١٢١٢ م).

بدأ حازمٌ القرطاجنيُّ تلقِّيَ العلمِ في بلده على والده ثم لَقِيَ نفراً من شُيوخ عصره. وتنقّل في طلب العلم بين مُرسيةَ وإشبيلية وغَرْناطة، ولَقِيَ في إشبيليةَ أبا عليٍّ الشلوبين فنَصَحَ له أبو عليٍّ بدرسِ الفلسفة القديمة (اليونانية)، فاطّلع على أشياءَ منها.

ولّما بدأ الإسبانُ بالآستيلاءِ على شرقيّ الأندلس- على بيّاسة (٦٣٢ هـ) وبَلَنْسية (٦٣٦ هـ) وشاطِبة ودانية (٦٣٨ هـ)- آثرَ حازمٌ أن يرحلَ، فآنتقلَ إلى المغرب وقضى في مَرّاكُشَ العاصمةِ حيناً من الزمن مدح في أثنائه السلطانَ المُوحّديَّ أبا محمّدٍ عبدَ الواحدِ الرشيدَ (٦٣٠ - ٦٤٠ هـ). ثمّ إنّه آنتقلَ إلى تُونسَ الحاضرةِ وآتّخذها دارَ إقامةٍ ومدح مُلوكَها الحَفصيّين: أبا زكريّا الأولَ (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) والمُستنصِرَ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) والواثقَ (٦٧٥ - ٦٧٨ هـ).

وكانتْ وفاة حازمٍ القرطاجنيّ في تُونِسَ في ٢٤ رَمَضَانَ من سَنَة ٦٨٤ (١٢٨٥/١١/٢٤ م).

٢ - كان حازمٌ القرطاجنّي رجلًا واسعَ الدِّراية بأوجهٍ كثيرةٍ من فُنونِ المعرفةِ النظريّة: في اللغةِ والنحو والبلاغة والشِّعر والفلسفة، ولكنّه لم يتعرّضْ لإفادةِ الناسِ بما كان يَعْلَمُ. وكان أديباً ناثراً قديراً وشاعراً مُجيداً طويلَ النفس ينطوي شِعرُه على أغراضٍ كثيرةٍ. ويَغْلِبُ على شِعره آستجماعُ المعاني والتأنُّق البلاغي أيضاً. وكان ناقداً بارعاً. ثمّ هو مُصنِّفٌ له: سِراجُ البلغاء أو مِنْهاج البلغاء وسِراج الأدباء (في البلاغة وفي المناهج الأدبية في النقد ونظم الشعر). ويبدو أنّه قد تأثّر- في جانبٍ من هذا الكتاب- بالآراء اليونانية كما عَرَضها أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م.) وممّا عَرَفَهُ من كتاب الشفاء لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) من الجُملة الأولى(١): الفن الثامن (الخطابة) والفنّ التاسع (الشعر). ولحازمٍ القرطاجنّي ديوانُ شعر- المقصورةُ (عارض فيها آبن

(١) الجملة الأولى (المجموعة الأولى: المجلد الأول).

دريد) - العروض - القوافي - التجنيس - شدّ الزيار على جحفلة الحمار[١].

٣- مختارات من آثاره

- قال حازمٌ القرطاجنّي يمدح المستنصر الحفصي[٢]

أحُبِيتَ وحدَك بالجمالِ المُطْلَقِ؟ ... أم قِيل إذ قُسِمَ الجمالُ - لكَ: انْتَقِ[٣]!

فلقد جَرَيْتَ من الجَمال لغايةٍ ... أصبحتَ فيها سابقاً لم تُلْحَق.

ما عُذْرُ من لم يَسْلُ ممّا قد جَنَتْ ... عَيْناكَ؟ بل ما عذرُ مَنْ لم يَعشَقِ؟[٤]؟

أخذَ الهوى عَهداً عليَّ، فلم أُطِقْ ... نَقْضاً لِما أخذَ الهوى من مَوْثِقِ.

وبِمُهْجَتي منها التي - مُذْ مُلِّكَتْ ... رِقَّ القلوبِ لحاظُها - لم تُعْتِق.

عَقَدَ الجَمال وِشاحَه منها على ... خَصْرٍ بألحاظِ العيون مُنَطّق[٥].

وأجَلْتُ في إثرِ الشَّباب وإثرِها ... - لمّا نأتْ ونأى - لواحظَ مُشْفِق[٦].

وبَكَيْتُ أيامَ الشبابِ كما بكى ... حسّانُ أياماً حَسُنَّ بجِلّقِ[٧].

ورأيتُ أيامَ النعيمِ قدِ انقضتْ ... لمّا انقضى شَرْخُ الشَباب المُونق[٨].

---

(١) الزيار: شناق (بالكسر: حبل أو سير من جلد) يشدّ به البيطار جحفلة (شفة) الدابّة لتنقاد به وتذلّ إذا استعصت على راكبها أو قائدها (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ٤٨٣ ثمّ راجع ٤٦٤)

(٢) هو المستنصر بالله أبو عبد الله محمّد بن يحيى الحفصي سلطان تونس (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) كان عمرانيًّا مشهوراً أرسل إليه أهل الحجاز بَيعتهم بالخلافة فسرّ بذلك وتلقّب «أمير المؤمنين». وفي أيامه غزا لويس التاسع ملك فرنسة (القديس لويس) تونس، ولكنّه هزم وقتل (٦٦٩ هـ ١٢٧٠ م).

(٣) حبا: أعطى. انتق (من الانتقاء): فعل أمر (اختر، تخيّر).

(٤) سلا يسلو: نسي، تسلّى (عن مصيبة أو أذى سابق). جنى: أجرم، أذنب.

(٥) بألحاظ العيون منطّق (عليه نطاق: زنّار):العشّاق ينظرونَ إليه بكثرة حتّى كأنّ عيونهم قد أصبحت كالزنّار حول خصره.

(٦) نظرت إلى شبابي الماضي وجمالها الحاضر لمّا نأت (ابتعدت هي عنّي) ونأى (شبابي: مضت أيام شبابي). لواحظ مشفق (نظرات رجل حزين).

(٧) حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٥٤ هـ). حسنّ (كنّ حسانا). جلّق (عاصمة الغساسنة في حوران). ولعلّ الإشارة هنا إلى قول حسّان:

لله درّ عِصابةٍ نادمتهم ... يوم بجلّق في الزمان الأوّل!

(٨) شرخ الشباب: عنفوانه وقوّته وفورته. المونق: الذي يحسن مرآه في العين.

ثم ينتقل الشاعر إلى المديح:

بِنَــدى أمــيرِ المؤمنــين تبَجَّسَتْ   سُحُبُ المكارمِ والسَّماحِ المُغْدِقِ[١]:
كم فرّقــتْ من شَمْلِ مالٍ في الندى   منـه مكـارمُ كالسحاب الغَيْدَقِ[٢].
ولَكَمْ أثـارتْ خيلُـه من عارضٍ   صَخْبِ الرواعدِ للأعادي مُصْعِقِ[٣]؛
سَبَتِ العِدا حتّى غدَوْا أيْدي سَبا،   وتَمزّقوا في الأرض كلّ مُمزَّقِ[٤].
قـاد الكُماةَ إلى العُـداةِ، لَبُوسُهم   بِيْضٌ تَرَجْرَجُ فوقَهم كالزِّئْبَقِ[٥].
أخليفَةَ اللهِ الذي مُذْ حَقّقتْ   أموالُه آمالَنا لم تُخْفِقِ[٦]،
جَلَّيْتَ عنّا ليلَ كلّ ضَلالةٍ   بِهدايةٍ مثلِ الصباحِ المُشْرِقِ[٧].
أَجْرى أمورَ الخَلْقِ عَدْلُكُمُ على   شَرْعِ الصَّلاحِ الشاملِ المُسْتَوْسِقِ[٨]
أَذْكَيْتَ من طَرَفِ السِّنانِ لِرَعْيِهم   طَرْفاً به سِنَةُ الكَرى لم تَعْلَقِ[٩]
ما زالَ في حِفْظِ الرعيَّةِ ساهراً   وَمُؤَرَّقاً لِيُنِيمَ كلَّ مُؤَرَّقِ[١٠]

- ومن غزلة في مطلع قصيدة في المديح:

---

(١) الندى: الكرم. تبجّس: تفجّر (جرى بكثرة). المغدق: الكثير (السحاب المغدق: ذو الماء الكثير).

(٢) الغيدق: الواسع من العيش (المفروض أن يقول في هذا البيت: كالسحاب المغدق، وأن يقول في البيت الذي سبق: والسماح الغيدق!).

(٣) العارض: الغيم الكثير الذي يعترض (يسدّ) الأفق. صخب: شديد الصوت. مصعق: قاتل.

(٤) سبى: أسر. أيدي سبا: متفرّقين متباعدين في الأرض.

(٥) الكميّ: الشجاع، البطل. لبوسهم (لباسهم، على أبدانهم) بيض (دروع من حديد. بيض: جديدة) ترجرج (تترجرج، تتحرّك أجزاؤها بسهولة للينها، دلالة على جودتها).

(٦) حققت أمواله آمالنا (كانت عطاياه لنا كثيرة كثرة بلغنا بها كلّ ما نريد). أخفق: خاب.

(٧) جليّت عنا: كشفت عنّا.

(٨) المستوسق: المجتمع والمنتظم.

(٩) أذكى: أوقد. السنان: حديدة في رأس الرمح. السنة (بكسر السين): النعاس، النوم. الطرف: العين. الكرى: النوم. - أنت ترعاهم بطرف (بسكون الراء: بعين) شديدة اليقظة (بفتح القاف) مثل طرف (بفتح الراء) السنان. به سنة الكرى لم تعلق: لم ينم.

(١٠) المؤرّق (الذي هرب النوم عنه)- مؤرّقاً (بإرادته) ليجعل المؤرّق بحوادث الدهر) ينام (يزيل أسباب أرقه: يسدّ له حاجاته).

يـا ظَبْيَـةَ العفَرِ الحـالي مُؤالفـةً، من قلّـدَ الحَلْيَ آراماً وغِزلانا[١]؟
ويـا شقيقـةَ بدرِ التّمِّ، لو أمِنَتْ - كما أمِنْتِ- بدورُ التّمِّ نُقْصانا[٢]!
حاشا لِلَحْظِـكِ أن يُعْزى إلى رَشإٍ إذا تَلَفَّتَ نحوَ السِّربِ وَسْنانا[٣]،
ولِابْتِسامِكِ أن يُعْزى إلى زَهَرٍ إذا غدا بسَقيطِ الطَّلِّ ريّاناً[٤].
ما خِلْتُ قبلَكِ أن أرنو إلى قَمَرٍ مُقلَّداً أَنْجُماً زُهْراً وشُهباناً[٥]
سُلطانُ حُسْنِكِ مذ دانتْ بطاعتِه قلوبُ أهلِ الهوى لم تَنْوِ عِصْيانا!
يا عاذِلي في الهوى، أقصِرْ فلستُ أُرى مُقَصِّراً في الهوى عن شأوِ غَيْلانا[٦].
إنّا، بني الحُبِّ، لا نُصْغي إلى عَذَلٍ ولا نُميـل إلى العُذّال آذانا[٧].
وأعْلَمَتْـني بـأنّ الليلَ مَوْعِدُنـا، فظِلْـتُ مُرْتَقِبـاً مِيقـاتَ لُقْيانا؛
حتّى إذا الليلُ أخفى الشخصَ غَيْهَبُـه فلم يكن يُبْصِرُ الإنسانُ إنسانا[٨]،
وافَيْـتُ مَنْزِلَهـا والنجمُ يَرْمُقـني حتّى لَكِدْتُ أظنُّ النجمَ غَيْرانا[٩].
فبِـتُّ مُجْتَلِيـاً للبـدر مُجْتَنِيـاً من روضة الحُسْنِ تُفّاحاً ورُمّانا[١٠].
حتّـى إذا الصُّبحُ أنْبانا بطَلْعَتِه بَرْدُ السِّوارِ فأذكى القلبَ نِيرانا[١١].

---

(١) العفر: وجه الأرض، التراب. الحالي: المزيّن بالحلى (الجمال الطبيعي). الرئم: الغزال الأبيض.
(٢) بدر التّم: القمر ليلة أربع عشرة. هو ينقص بعد تمامه، وأنت أمنت النقصان (تظلّين جميلة كما أنت الآن).
(٣) يعزى: ينسب. رشأ: غزال صغير. السرب: قطيع الغزلان. أنت أجمل من جميع الغزلان.
(٤) الطّل الندى. سقيط الطّل (الندى الذي يسقط (في الليل). ريّان: نديّ، طريّ.
(٥) أرنو (أنظر) إلى قمر (فتاة جميلة). الزهر: اللامعات. الشهبان جمع شهاب: حجر يخرج من مداره حول القمر، فإذا مرّ في جوّ الأرض اشتعل وأضاء....
(٦) العاذل: اللائم. أقصر: انته، توقّف. مقصّر: متأخّر. شأو: الشوط، الغاية. غيلان ميّة ذو الرُّمّة (ت ١١٧ هـ) شاعر أمويّ محبّ، قيل إنّه طاف بالمكان الذي تسكن فيه حبيبته ميّة عاماً كاملاً ثمّ رأى جاريتها فعاد مسروراً لأنه رأى من رآها!
(٧) العذل: اللوم.
(٨) الغيهب: الظلمة.
(٩) وافى: جاء، وصل. رمق: نظر إلى.
(١٠) مجتلياً: ناظراً. مجتنياً = جانياً، قاطفاً. التفّاح كناية عن الخدود. الرمّان كناية عن الثديين.
(١١) - نشعر بأنّ الصبح طلع من شعورنا ببرد أجسامنا! أذكى: أشعل.

مالـتْ تُودِّعُـني والدمعُ يَغْلبُها   عـلى الكلامِ فلا تَسْطيع تِبْيانا.
أدْنى التعانـقُ شَخصَيْنا وضَمَّهُما   لَفَّ النواعمِ بالأغصانِ أغصانا[١].
فيا لها ليلةً ما كان أقْصرَها   وقتاً، وأفْسحَها في الحُسْن مَيْدانا.

– وقال حازم القرطجنّي يردُّ على أرسطو[٢] في زَعْمِه أنّ الأقاويلَ الشِعرية لا تكون إلّا كاذبةً:

وإنّما غَلطَ في هذا – فظنّ أنّ الأقاويلَ الشّعرية لا تكونُ إلّا كاذبةً – قومٌ من المُتَكلّمينَ[٣] لم يكُنْ لهم علمٌ بالشّعر، لا من جِهةِ مزاولتهِ ولا من جهة الطُّرُقِ المُوصلة إلى معرفته.

ولا مُعَرَّجَ على ما يقولُه في الشيء من لا يَعْرِفُه ولا التفاتٌ إلى رأيهِ فيه فإنّما يُطْلَبُ الشيءُ من أهلِه، وإنّما يُقبلُ رأيُ المرء في ما يَعْرِفه. وليس هذا جُرحةً للْمتكلّمين ولا قَدْحاً في صِناعتهم، فإنّ تَكلُّفَهُمْ أن يتعلّموا في طريقتهم ما ليسَ منها شَطَطٌ. والذي يُوَرِّطُهم[٤] في هذا أنّهم يحتاجون إلى الكلام في إعجاز القُرآن[٥] فيحتاجون إلى ماهيّةِ الفَصاحة والبلاغة من غيرِ أن يَتقدّم لهم علمٌ بذلك، فيَفْزَعون[٦] إلى مُطالعة ما تَيسَّرَ لهم من كُتُبِ هذه الصِّناعة. فإذا فَرَّقَ أحدُهم بين التَجْنيس والترديد، ومازَ الاستعارةَ من الأوصاف[٧]، ظنّ أنّه قد حَصَلَ على شيءٍ من هذا العلم فأخذ يتكلّمُ في الفَصاحة بما هو مَحْضُ الجهلِ......

---

(١) لفّ النواعم....: كما يلتفّ بعض الأغصان الناعمة ببعضها الآخر (بسهولة وانطباق تامّ).

(٢) أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م.) فيلسوف اليونان غير منازع وأكبر فلاسفة العالم بإطلاق، كان مثل أستاذه أفلاطون (٤٢٩ – ٣٤٧ ق.م.) يرى أنّ الشعر من حيّز الخيال والتقليد بعيداً عن الواقع.

(٣) المتكلمون: الذين يدافعون عن العقائد الإيمانية بالأدلّة العقلية (باستخدام الفلسفة).

(٤) الشطط: الجور (الظلم) في الحكم. يورّطهم: يحملهم على الدخول فيما لا يريدونه.

(٥) إعجاز القرآن: مجيء المادّة في القرآن الكريم والتعبير عنها بما يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

(٦) فزع إلى: لجأ.

(٧) التجنيس: الإتيان بكلمتين متّفقتين (أو متقاربتين) في اللفظ مختلفتين في المعنى، كقول أبي تمّام: بيض الصفائح (السيوف) لا سود الصحائف (الصفحات المكتوبة).... أمّا الترديد فهو المجيء بكلمة واحدة مستعملة في الجملة مرّتين في علاقتين مختلفتين، كقول زهير بن أبي سلمى:

ومن هـاب أسبـاب المنايـا ينلنـه،   وإن يرق أسبـاب السماء بسلّم. =

- المناسبة بين فنون الشعر وأوزان الشعر (من منهاج البلغاء، ص ٢٦٦):

..... ولمّا كانتْ أغراضُ الشعرِ شتّى، وكان منها ما يُقْصَدُ به الجِدُّ والرصانة وما يُقصَدُ به الهَزْلُ والرشاقة[١]، ومنها ما يقصد به البهاءُ والتفخيم وما يقصد به الصَّغار والتحقير، وَجَبَ أنْ تُحاكى تلك المقاصدُ بما يُناسِبُها من الأوزان ويُخيِّلُها للنفوس. فإذا قَصَدَ الشاعرُ الفخرَ حاكى غرضَهُ بالأوزانِ الفَخْمة الباهِيَة الرصينة، وإذا قصد في موضعٍ قَصْداً هزليًّا أو استخفافيًّا وقَصَدَ تحقيرَ شيءٍ أو العَبْثَ[٢] به حاكى ذلك بما يُناسِبُه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كلّ مَقْصِدٍ. وكانتْ شعراءُ اليونانييّن تلتزِمُ لكلِّ غرضٍ وزناً يليقُ به ولا تَتَعدّاهُ فيه إلى غيرِه[٣].

وهذا الذي ذَكَرْتُهُ في تَخْييل الأغراض بالأوزان قد نَبّه عليه ابنُ سينا في غيرِ موضعٍ من كُتُبِهِ، ومن ذلك قولُه في الشِّفاء[٤] في تعديدِ الأمور التي تجعلُ القولَ مُخيِّلاً: منها أُمورٌ تَتَعَلَّقُ بزمانِ القولِ وعَدَدِ زمانِه - وهُوَ الوَزْنُ - ومنها أمورٌ تتعلّق بالمَسْموع من القول، ومنها أمورٌ تتعلّق بالمفهوم من القول، ومنها أمورٌ تتردّد بين المسموع والمفهوم.

- مكانة الفكر في الشعر (منهاج البلغاء، ص ٣٤١، ٣٤٢):

اعْلَمْ أنَّ خيرَ الشعرِ ما صَدَرَ عن فِكْرٍ وَلِعَ بالفنّ والغَرَضِ الذي القولُ فيه مرتاحٌ

= الأسباب الأولى متعلّقة بالمنايا ومعناها (علل)، والأسباب الثانية متعلّقه بالسماء ومعناها (الحبال، السلالم). والفرق هنا بين الجناس والترديد أنّ الشاعر هو الذي أتى بالكلمة ثمّ استخدمها في وجهين (مع العلم بأن استعمال السبب في علاقته بالسماء قد جاء في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فليمدد بسبب إلى السماء ثمّ ليقطع فلينظر﴾ (١٥:٢٢، الحج). والاستعارة نسبة الفعل إلى غير صاحبه، نحو: وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ « فإنّ امرأ القيس استعار لليل سدولاً وجعل له أيدياً يرخي بها السدول ويرفعها كما يفعل البشر). والوصف (هنا) ما كان قريباً من التشبيه (لأنّ الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه) كقول ابن الرومي مثلاً « ورازقيّ مخطف (بضمّ فسكون ففتح) الخصور »، فهو يصف نوعاً من العنب مخصوراً من أوسطه. هذا الوصف قريب من التشبيه ومن الاستعارة ولكن أركان التشبيه والاستعارة فيه غير واضحة.

(١) يقصد بالرشاقة: التظرّف والتملّح (ذكر أشياء تسرّ النفس ولكن لا جِدّ فيها).

(٢) العبث: التلهي واللعب.

(٣) كان الشعراء اليونانيّون (أو شعراء اليونانيّين) يناسبون بين الغرض الذي يعالجونه والبحر الذي ينظمون أبيات ذلك الغرض عليه. وكذلك كان العرب أيضاً يفعلون.

(٤) الشفاء كتاب جامع لفلسفة ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م).

للجهة والمَنْحى الذي وَجَّهَ إليه كلامَه لإقبالهِ بكلّيّته على ما يقولُه وتَوْفيرِ نَشاطِ الخاطِرِ وحدّتِه بالانصباب مَعَهُ حيثُ مالَ به هواه[١]. ولهذا كان أفضلَ النَسيبِ ما صَدَرَ عَنْ نفسٍ شَجيّة وقَرِيحةٍ قَرِيحةٍ[٢]. وكذلك الإخوانيات[٣] والمراثي وما جرى هذا المَجْرى.

.... واعلَمْ أنّ المنحى الشِعريَّ، نَسِيباً كانَ أو مَدْحاً أو غيرَ ذلك، فإنّ نِسبةَ الكلامِ المَقُول فيه إليه نِسبةُ القِلادةِ إلى الجِيد[٤]. (ذلك) لأنّ الألفاظَ والمعانِيَ كاللآلي، والوزنُ كالسِّبْكِ، والمَنْحى الذي هو مَناطُ الكلامِ وبهِ اعتلاقُه كالجيدِ له. فكما أنّ الحُلِيّ[٥] يزدادُ حُسْنُه في الجِيد الحَسَنِ، فكذلك النظمُ إنّما يظهَرُ حُسنُه في المَنْحى الحسن. فلذلك وَجَبَ أن يكونَ مَنْ له قُوّةُ التَّشبّهِ[٦] المذكورةِ أكملَ في هذه الصِّناعة مِمّن ليستْ له تلك القوّة.

– من مقصورة حازم القرطاجني[٧]

هذه المقصورةُ ألفٌ وستّةُ أبياتٍ، أُورِدُ منها، بعد قليلٍ، مائةً وخمسةً وثلاثين بيتاً. والأصلُ في المقصورة أن تكون قوافيها صِيَغاً مُشتقّةً من أفعال ناقصةٍ (مُعتلّةِ الآخرِ بالواو أو بالياء). وكان ابنُ دريدٍ (ت ٣٢١ هـ)– صاحب المقصورة التي عارضَها حازمٌ القَرطاجنيُّ– قد لَزِمَ هذه القاعدة. وإذا كان ابنُ دريدٍ قد جاء[٨] في مقصورته بكلمة

---

(١) إلى حيث تميل به عاطفته.

(٢) ... ما صدر (خرج) عن نفس شجيّة (حزينة) وقريحة (فكر) قريحة (مقروحة، مجروحة، معذّبة).

(٣) الإخوانيّات: رسائل يتبادلها الأصدقاء خاصّة (نثراً أو شعراً).

(٤) القلادة: العقد. الجيد: العنق.

(٥) كذا منقوطة ومشكولة في الأصل. والمقصود الحلي (بفتح الحاء وسكون اللام وبالياء المنقوطة بنقطتين من تحتها): ما يزيّن به من مصوغات المعدنيّات والحجارة (القاموس ٤ : ٣١٩) وهي مفردة تناسب الضمائر المذكورة في النص. أمّا الحليّ (بضمّ فكسر فتشديد، (كما في الأصل) فهي جمع وتقتضي أن تكون الضمائر بعدها مؤنّثة.

(٦) التشبّه (كما في الأصل). المقصود التخيّل أو التشبيه.

(٧) حوليات كلية الآداب– جامعة ابراهيم (عين شمس) المجلد الثاني (١٩٥٣ م): مقصورة أبي الحسن حازم القرطاجني– تحقيق النصّ للدكتور مهدي علام، ص ١ – ١١٠.

(٨) شرح مقصورة ابن دريد، مصر (محمد علي صبيح) بلا تاريخ (راجع ص ١٠).

« سوى » (مكان « سواء »)، فإن له عذراً من جواز ذلك في اللغة (راجع القاموس ٤ : ٣٤٥ ، السطر ١١)، وإن كانتْ كَلِمةُ « سواءٍ » أفصحَ وأشهرَ. أمّا حازمٌ القَرطاجنيُّ فقد تساهل أحياناً فأهمل الهمزةَ في عددٍ من الألفاظ فقال، مثلاً، الظما، يُبتدا، السما، الدوا، ابن ذُكا، طيبُ الثنا، منشور اللوا، رقا (ص ٢٣ ، ٢٦ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ١٠٤)، مكان الظمأ، يُبتدأ، السماء، الدواء، ابن ذكاء، طيب الثناء، منشور اللواء، رقأ. وأبعد من ذلك كلّه في القافية المقصورة قوله « الهنا » (ص ٤٦) مكان « الهناءة ».- وليست هذه الألفاظُ التي نُشير إليها هنا من باب القوافي المقصورة.

نظم حازمٌ القَرْطاجني هذه المقصورةَ في مديح المُستنصرِ بالله (أبي عبدِ الله محمدِ بنِ أبي زكريا يحيى) خامس سلاطينِ الحَفْصيين في تونس (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). وذكر حازمٌ نفسُه أنـه طوى مقصورته هذه على عددٍ من الفنون والأغراض (ص ١٦) من مدحٍ وغزلٍ وحكمة ومَثَلٍ ومن وصفِ البُلدان والرِّياض والأزهار والأزمان والبِحار والصَّيْد والقَنَص والوعظ والقَصَص. ثمّ قال إنّها قصيدةٌ من الرَّجَز غيرُ مشطورةٍ (أي تفاعيلها تامّةٌ: مستفعلن مستفعلن مستفعلن)، عارضتُ بها قصيدةَ أبي بكرِ بنِ دُريدٍ المقصورةَ ».

ومدحَ حازمٌ القرطاجنيُّ بمقصورته هذه المستنصرَ بالله الحَفْصيَّ مدحاً كثيراً (ص ١٥ - ١٧ ، الخ). ولكنّ هذه المقصورةَ متفاوتةٌ في الجَوْدة: فيها أبياتٌ سائرةٌ وأبياتٌ كثيرةُ الغريبِ كثيرةُ التكلُّف. ثم إن فنونَها الكثيرةَ (مدحاً وغزلاً وخمراً ومجوناً وحكمةً وفخراً وشكوًى وتاريخاً ووصفاً) جعلتْ تنظيمَها مُضطرباً، فهو في كثيرٍ من الأحيان يأتي إلى التاريخ ثمّ يُغادِرُه إلى فنٍ آخرَ ثمّ يعودُ إلى التاريخ. ومثلُ ذلك (في الفنون الأخرى) كثيرٌ أيضاً.

ولا شكّ في أنّ لحازمٍ معرفةً بالغريب (الألفاظ القليلة الدوَران على الألسنة) ومعرفة باستعمالها. ثمّ إنّ إشارتهِ إلى الأحداث التاريخية كثيرةٌ. أما أبياتُه في الوصفِ والغَزَل والحِكمة ففيها سلاسةٌ وطَلاوة.

وفيما يلي نُخبةٌ من هذه المقصورة:

لله ما قد هِجْتَ، يا يومَ النَّوى، على فُؤادي من تباريحِ الجَوى[1]:
لقد جمعتَ الظُّلْمَ والإظلامَ، إذْ وارَيْتَ شمسَ الحُسنِ في وقتِ الضُّحى[2].
فإن يطُلْ ليلي، فكم قصَّرتُه بقاصراتِ الطَّرفِ بيضٍ كالدُّمى[3]؛
وكم تنعَّمتُ بوصلِ ناعمٍ وباقتناصِ باغمٍ مثلِ الطَّلا[4].
شفى فُؤادي رشفُهُ، من بعدِ ما أشفى بقلبي طَرْفُه على شَفا[5].
وعزّني وَجْدي بخَوْدٍ غرّني عِطْفٌ لها لانَ بقلبٍ قد قسا[6].
فلو تجود قَدْرَ ما ضنّتْ حكَتْ جُودَ أميرِ المؤمنين المُرتجى[7]
خليفةِ اللهِ المُسمّى المُكتَنى خيرَ الأسامي الساميات والكُنى[8]،
المُرتقي من نِسبةِ المجد التي تسمو إلى الفاروقِ أعلى مُرتقى[9].
من نَبعةٍ أصولُها ثابتةٌ وفَرْعُها إلى السماء قد سما[10].
ذاك أبو حفصٍ الذي إلى علا سَمِيِّهِ الهادي أبي حفصٍ نما[11].

---

(١) النوى: البعد، البعاد. يوم النوى: يوم الفراق. التباريح: الشدائد، المصائب. الجوى: ألم الحب.

(٢) واريت: أخفيت. - لعل في الشطر الثاني إشارة إلى أن محبوبة للشاعر أو قريبة له ماتت وهي في أول شبابها (؟).

(٣) قاصرات الطرف (البصر) عين (جمع عيناء - بالفتح - الواسعة العينين): النساء العفيفات اللواتي يقصرن (يحبسن) أبصارهن على أزواجهن ولا يمددن بصرهن إلى رجال آخرين. راجع القرآن الكريم (٣٧: ٤٨، الصافات): ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين﴾. الدمية: التمثال الصغير (المرأة الجميلة).

(٤) ناعم (فتاة ناعمة: فتية، صغيرة السن) الباغم: ذو الصوت الجميل (مثل صوت الغزال). الطلى (بالفتح والألف المقصورة): ولد الظبية.

(٥) رشفه (شرب الريق من فمه). أشفى بقلبي طرفه (نظره، عينه) على شفا: (كاد لحظه أن يتلف قلبي، أن يقتلني).

(٦) عزني (غلبني) وجدي (شدة حبي، ألم الحب) بخود (امرأة جميلة) غرني (خدعني). العطف: الجانب الأعلى من الجسم. - يتمايل عطفها للينه (فتائها، جمالها).

(٧) ضن: بخل. أمير المؤمنين (المستنصر الحفصي الممدوح بهذه المقصورة).

(٨) خير الأسامي = محمد. خير الكني = أبو القاسم (كنية الرسول).

(٩) يصل نسبه إلى الفاروق أبي حفص عمر بن الخطاب.

(١٠) راجع القرآن الكريم (١٤: ٢٤، ابراهيم): ﴿كشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾. النبعة: مجتمع جذور النبات (سَبَلة القمح تكون واحدة من مجموع كبير مجتمع).

(١١) أبو حفص (الأولى): الجدّ الأعلى للأسرة الحفصية الحاكمة في تونس. أبو حفص (الثانية): عمر بن الخطاب. نما: ارتفع، انتسب.

وزادَ عبدُ الواحدِ الهادي ابنُه　　معالمَ التوحيدِ والهَدْيِ عُلا [1].
ثمّ أتمّ اللهُ نورَ هَدْيِهِ　　بنَجْلِه يحيى الإمامِ المُرتضى.
ثمّ تجلّتْ آيةُ اللهِ التي　　بدا بها الحقُّ اليقينُ وجلا.
بنَجْلِهم، بل نَجمِهم، بل بَدْرِهم،　　بل شَمْسِهم ذاتِ السَّناء والسَّنا [2]:
محمّدِ سليلِ يحيى بنِ أبي　　مُحمّدِ نجلِ أبي حفصِ الرضا.
مُستَنْصِرٌ بالله منصورٌ به،　　مُؤيَّدٌ بعَوْنه على العِدا.
فرعٌ كريمٌ من أُصولٍ كَرُمَتْ　　قدِ اصطفاه مِنْهُمُ مَنِ اصطفى.
إنْ أمَرَ الدهرَ بنَفْعٍ يأتمرْ،　　وإن نَهى الدهرَ عنِ الضُّرِّ انتهى.
حَضْرَتُه أُمُّ البِلاد كُلِّها　　وقُطبُ ما منها دنا وما قصا [3].
كجنّةِ الخُلْدِ تَسُرُّ مَنْ رأى　　فيَزْدري الخُلْدَ وسرَّ مَنْ رأى [4].
حُسْنُ البلادِ كُلِّها مُجتمِعٌ　　لها، وكلُّ الصيدِ في جَوْفِ الفَرا [5].
أرْوَتْ، أميرَ المؤمنين، سُحُبٌ　　من جُودِكم رَوْضَ الأماني فارتوى.
طابتْ به الأيامُ لي حتى لقد　　ذَكَرْتُ - فيما قد خلا - عَيْشاً خلا.
فيا خليليَّ، اسْقِياني أكْؤُساً　　تُسْكِرُ من خمر الصِّبا مَنْ قد صحا.
بُلِّغْتَ آرابَ المُنى في دولةٍ　　أوْلَتْ يدي أسنى الأيادي واللُّها [6].
في بُقعةٍ كجنّة الخُلد التي　　يرى بها كُلُّ فؤادٍ ما اشتهى.
أُقسِّم الأيامَ بينَ منظرٍ　　ومَسْمَعٍ يَسْبي العقولَ والنُّهى،

---

(١) زاد (عبد الواحد) هذه المعالم علا (ارتفاعاً) فوق علاها.
(٢) السناء: الرفعة والمكانة العالية. السنا: الضوء، النور. اللمعان.
(٣) الحضرة: العاصمة. أم البلاد (أصل كلّ البلاد، أكبرها). قصا: ابتعد.
(٤) يزدري: يحتقر. الخلد: قصر الخلد في بغداد منذ أيام أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين. سرّ من رأي: مدينة على أربعين كيلومتراً شمال بغداد كانت عاصمة للخليفة المعتصم ثامن الخلفاء العباسيين.
(٥) الفرا: حمار الوحش. «كل الصيد في جوف الفَرا» مثل معناه أن صيد الفرا أفضل من جميع أنواع الصيد.
(٦) الأرب: الحاجة، الغاية. أسنى: أعلى، أثمن. اليد (وجمعها أيدي): العضو المعروف. اليد (وجمعها أيادي): النعمة، العطيّة. اللها جمع لهوة (بالضم فيها): العطيّة.

وَمَنْعَمٍ بمطعمٍ ومشربٍ   يُرضي العُيونَ والأُنوفَ واللَّها (١)،
ومركـــــبٍ لِأنَسٍ ومجلِسٍ   في مَدْرسٍ ومحضرٍ في مُنتدى،
ومَلْثَمٍ لِمَرْشَفٍ ومَهْصَرٍ   لِمِعْطَفٍ من أهيفٍ طاوي الحَشا (٢).
فالدهرُ عبـــدٌ والليـــالي عُرُسٌ،   والدهر أحلامٌ كأحلامِ الكَرى (٣).
منـــازلٌ للحُسن تُنسي جِلِّقـــاً،   ونهرُهـا السَّلسال يُنسي بَرَدى (٤).
ثُمّ تَنادَيْنـــا بقَصْـــدِ مَنزِلٍ   جمعنـا فيـه السرور ونَـدَى (٥)،
وأُتْرِعَـــتْ للشاربـــين أكْؤُسٌ   مِمّا حَلا مطعمُه وما حَذى (٦).
فاجتمـع الأُنس بجمـعِ فِتيـةٍ   علـى عجوزٍ وَسْمُها وَسْمُ الفتى (٧).
حاربـتِ الأشجـانَ عنهم وعَتَـتْ   - من طارق الهمّ - على مَنْ قد عتا (٨).
فلم تَـدَعْ همًّا عتـا، حتى لقـد   كـادتْ تُشِبُّ كلَّ همٍّ قد عتا (٩).
غَنِيـــتُ عنهـــا بكُؤوسِ أدبٍ   تُسقى فيُستشفى بها ويُشتفى (١٠).
وآثرتْ نفسي عليهـــا شَرْبـــةً   من ضَرَبٍ يُجنى ورِسْلٍ يُمترى (١١)

---

(١) اللها جمع لهوة (بالفتح فيهما): الحلق (أقصى الفم).

(٢) المرشف: الفم. ومهصر لمعطف (أي: ضم الرجل امرأة إلى صدره). الأهيف: النحيف الجسم. طاوي (ضامر، نحيل) الحشا (البطن).

(٣) ترد كلمة «الدهر» مرتين في هذا البيت. وأفضّل أنا أن أجعل «الدهر» الثانية «العمر».

(٤) منازل (في تونس) تنسي جلقاً (بلداً في حوران - بين سورية وفلسطين اليوم - ويطلقها الشعراء عادة على دمشق). ونهر تونس (نهر مجردة) السلسال: الماء العذب الصافي. بردى: نهر دمشق.

(٥) ندى المطر الأرض «بللها». ندا يندو (جاد، سخا): كثر فيه السرور. «ندى» معطوفة على «جمعنا».

(٦) أترعت: ملئت. حذا الشراب يحذو: قرص اللسان (بشدته أو مرارته).

(٧) عجوز: خمر. وسمها: صفتها.

(٨) الشجن (بفتح ففتح): الحزن (بالضم). عتا: ظلم، اشتد. الطارق: الآتي فجأة. يتوهم الشاعر أن شرب الخمر يذهب هموم شاربها.

(٩) ترد كلمة «عتا» في بيتين متواليين (ص ٥٢، السطران الأولان). عتا (في البيت الثاني): كبر، عظم. «كادت تشب كلّ همٍّ قد عتا» (كادت تجعل كل همٍّ عتي أو كبير همًّا شابًّا أو صغيراً جديداً - ؟).

(١٠) تركتُ شرب الخمر واستعضت بأحاديث الرجال. هذه الأحاديث يراد بها أيضاً نسيان الهموم، وهي تنسي الهموم أيضاً.

(١١) آثر: فضل. الضرب (بفتح ففتح): العسل. الرسل (بالكسر): اللبن الحليب. يمتري: يحلب (حديثا).

كم زُرتُ في تلك المغاني الغُرِّ مِن غانيــةٍ تنظُرُ من عَيْنَيْ رَشا[١].
لمّا غلا ما أرخصتْ من وَصْلِها، أرخَصْتُ من دُرِّ الدموعِ ما غلا[٢].
ما حكَمتْ عيني على قلبي لها حتّى أنالَتْها بعَيْنَيْها الرُّشى[٣]
في ذِمّةِ الله فؤادٌ ما رعى ذِمّتَه ظَبْيٌ بقلبي قد رَعا[٤].
إنْ تنحدرْ في وصفِهِ فإنّه بدرٌ على غُصنٍ على دِعْصِ نَقا[٥]،
وناظرٌ يمنَعُ كُلَّ ناظرٍ من وَرْدِ خدٍّ ناضرٍ أنْ يُجْتَنى[٦].
ومَبْسِمٌ يَزْدَحِمُ البَرقُ به إذا انبرى ما بين ظَلْمٍ ولَمى[٧].
وصحنُ صدرٍ مُنْبِتٌ رُمّانَتَيْ حُسنٍ، وبطنٌ مُنْطَوٍ طيَّ المُلا[٨].
وفَخِذانِ آخِذانِ فوقَ ما تَمَّ بهِ مِنَ النعيمِ المُغتذى[٩]
يكادُ يبدو خصرُه مُنْخَذِلاً من رِدفِهِ إذا تمشّى الخَيْزلى[١٠].
نَشوانُ من خمرِ الصِّبا يَحْسَبُه نشوانَ من خمرِ الدِّنانِ مَنْ نَجا[١١].
ظَبْيٌ أذالَ الليثَ إذْ أدّى له؛ يا مَنْ رأى ظبْياً لِلَيْثٍ قد أدى[١٢]

---

(١) المغنى: المكان المسكون. الغرّ جمع أغرّ وغراء (أبيض، بيضاء): عظيمة، وجيهة. الغانية: المرأة الجميلة (المستغنية بجمالها عن الحلي). الرشأ: ولد الظبية.

(٢) الدر: اللؤلؤ. لمّا بخلتْ عليّ بما جادت به على غيري بكيت كثيراً.

(٣) الرشى جمع رشوة.

(٤) أحببتها بكل قلبي فلم تحفظ لقلبي تضحيته، فمات قلبي.

(٥) وجهها كالبدر، وقامتها كالغصن، وأردافها كالدعص (القطعة المستديرة من الرمل، الجانب من التلة) من نقا: رمل (أبيض).

(٦) ألحاظها (القاسية) تمنع كل ناظر إليها (محبّ لها) أن يقطف ورد خدها (أن يقبلها).

(٧) المَبسم: الفم. البرق (كناية على الاسنان البيض). انبرى (بدا، ظهر). الظلم (بالفتح): بريق الأسنان وماؤها (نضارتها وحسن لونها). اللمى (بالفتح): السمرة في الشفتين.

(٨) الملاءة (بالضم): ثوب يلف به الجسم (وجمعها ملاء - بالضم).

(٩) النعيم المغتذى (من التغذي بالأطعمة الطيبة المفيدة).

(١٠) منخذل (ليست في القاموس)= مخذول: مقطوع، منقطع (نحافة خصره وعظم ردفه يخيلان إلى الرائي أن أحدهما سينفصل عن الآخر). الخيزلى: مشية (بالكسر) فيها تثاقل (بطء).

(١١) الدنّ (بالفتح) وعاء الخمر الكبير. - أن الذي يبصره يظنه سكران من الخمر (بينما هو سكران من نشاط الشباب).

(١٢) أذال (؟) لعلّها أدال (بالدال غير المنقوطة): نصر (شخصاً على آخر) غلب. أدى: ختل (خدع =

يـا ظبيـةً حـازتْ فُؤادي ففَـدا ... قلبيَ من جسمي بعيدَ المُنتوى (١)،
يـا ليتَ شِعري، مَنْ سلبتِ قلبَه ... هل يَرْجِـعُ السابي إليه ما سبى (٢)؟
لا تَظْلمي إنسانَ عيـني في الهوى، ... فليس للإنسان إلّا ما سَعى (٣).
ظنّتْ بأن اللّوْمَ يُنسي* خاطري ... عن صَبْوةٍ لسَلْوةٍ، فما آنثنى.
وآستَطْرَفَتْ جَرْيي بمَيْدانِ الصِّبا، ... لمّا رأتْ طِرْفَ الشبابِ قد كَبا (٤).
وبين جَنْبَيَّ فُؤادٌ لم يَرُعْ ... جَنابَه شيبٌ بفَوْدَيَّ بدا. (٥).
وآعتاض مِمّا قد أفاتَ دهرُه ... بما أفاد من يدٍ وما حَبا (٦).
ظلُّ أميرِ المؤمنين عندَه ... أنعمُ من ظِلِّ الشباب والصِّبا.
فإنْ ذوى رَوضُ الصِّبا، فجُودُه ... يُعيدُ غضًّا ناعماً ما قد ذَوى.
فلا تَظُنّي أنني آسَى لِما ... قد بزّني صَرْفُ الزمانِ وبَزا (٧).
قد مارستْ نفسِيَ حالَيْ دهرِها، ... فلم يدُمْ سُرورُها ولا الأسى (٨).
وقلّبتْ قلبي الليالي بينَ ما ... قد لانَ من خُطوبِها وما قسا.
فلم يَطِرْ لمُؤنسٍ مسرّةً، ... ولم يَطِشْ لمُوحِشٍ ولا نَزا (٩).
ولي فُؤادٌ مُنصِفٌ في حُكمه ... مُتَّصِفٌ بالعدل فيما قد قضى.

= الطريدة ليصطادها). - ظبي غلب أسداً (امرأة جميلة أسرت بحبها رجلاً قوياً). والعادة أن الأسد يتغلب على الظبي وأن القوي يخدع الضعيف.

(١) المنتوى: الشيء المقصود. حاز: استولى. - لا أستطيع أن أصل إلى قلبي (لا أستطيع أن أحكم عليه).

(٢) رجع (بفتح ففتح) يرجع (بفتح فسكون فكسر) فعل لازم ومتعدّ: يرجع (هنا) يردّ الشيء إلى صاحبه.

(٣) معنى الشطر الأول (؟). ﴿وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى﴾ (٥٣ :٣٧، سورة النجم).

(★) لعلها: «يثني» (يرد، ينهي) مكان «يُنسي».

(٤) الفود: الشعر النابت في جانب الرأس. - الشيب الذي بدا (ظهر) في شعري لم يرعني (لم يخفني)، فما زلت أحبّ.

(٥) الدهر فوّت عليه أشياء كثيرة (شبابه) فتعوض منها صحبة أمير المؤمنين (راجع البيت التالي)، بما ناله من

(٦) العطايا (من السلطان المستنصر). حبا: أعطى.

(٧) آسى: أحزن. بزّ: غلب، سلب. صرف الزمان: شدائده ومصائبه. بزا يبزو: قهر، بطش.

(٨) الأسى: الحزن.

(٩) طار (فرح). طاش السهم: انحرف. خفّ عقله واضطرب. نزا: وثب (اضطرب؟).

كم دَمّـثَ الخُلْـقَ لِمَنْ في خُلْقِـه ... دَماثَـــةٌ، وكم جَسا لِمَنْ جسا(١).
قــد وافقَتْـني أزْمُـني وخالفتْ، ... ولانَ لي عِطـفُ الليالي وعَسا(٢).
ولم تُقصِّرْ مُهْجـتي في الجِـدّ، بل ... قصّرَ بي جَـدٌّ إذا شِئتُ أبى(٣).
لم يَعْرِفِ الأيـامَ عِرفـاني بهـا ... مَنْ زَجَرَ الطـيرَ وعافَ وحَزى(٤)
مــا يَقَظــاتُ العيش إلاّ حُلُمٌ، ... ولا مَرائي الدهر إلّا كالرُّؤى(٥).
وكيــــف تصفو لآمرئٍ مَعيشةٌ، ... وموردُ الدنيـا مَشوبٌ بالقَـذى(٦)؟
وإنّما الآمــــالُ فيهــــا صُوَرٌ ... تُخلَـعُ أحيانـاً وحينـاً تُكْتسى
والعيشُ محبوبٌ إلى كُـلِّ آمْرِئٍ: ... لا فرقَ بـينَ الشيخ فيه والفتى.
وليس للإنسانِ في عيشــــتــــهِ ... نفعٌ إذا صِبْغُ الصِّبا عنه نَضا(٧).
وخيرُ عيشِ المرءِ مـا سُرَّ بـه. ... ومن يقُلْ قولاً سوى هذا هَذى(٨).
من أقنـعَ الحـظُّ القليـلُ نفسَه، ... أضحى عنِ الحظِّ الكثيرِ ذا غِنى.
وإنّ أغنـى الناسِ عندي عاقلٌ ... أبـدى آقتناعاً بالقليـلِ وآكتفى.
مَنِ آبتغـى من لم يُقَـدَّر كَوْنُـه ... لـه، فـإنّ مُستحيلاً مـا آبتغـى.
قـد يُدْرِكُ الحاجةَ مَنْ لم يَسْعَ في ... طِلابِهـا، وقـد تَفوتُ مَنْ سعـى.
من كـان سعدُ الجَدِّ من أعوانِهِ، ... أظفَرَهُ الله بأقصى مـا رَجـا(٩).
ومن يَخُنْـهُ الجَـدُّ لم ينهَضْ بـه ... جِـدٌّ ولم يظفرْ بأدنـى مـا نوى.

---

(١) دمّث: ليّن. جسا: قسا، يبس.

(٢) عطف الزمان: جانب الزمان (الزمان). عسا: غلظ، يبس.

(٣) الجدّ (بالكسر): السعي، الكد. الجد (بالفتح): الحظّ.

(٤) ... من استطلع الغيب: بزجر الطير (إذا رأى طيراً يطير من اليسار إلى اليمين تفاءل، وإذا رآه يطير من اليمين إلى اليسار تشاءم) وبالعيافة (التفاؤل أو التشاؤم بأسماء الطيور التي تمرّ بالإنسان أو بالأماكن التي تقع (تحط) عليها تلك الطيور). حزى: (تكهن (حاول معرفة الغيب).

(٥) المرأى: المظهر البادي للعين. الرؤى جمع رؤيا: المنام، الحلم.

(٦) مشوب: مخلوط، ممزوج.

(٧) صبغ (لون) الصبا (الشباب): سواد الشعر. نضا (فعل لازم ومتعد): نصل (ذهب لونه)، آبيضّ؛ خلع.

(٨) هذي يهذي: تكلّم بكلام غير مفهوم ولا معقول (من مرض أو جنون).

(٩) الجدّ (بالفتح): الحظ.

وخيرُ ما يدَّخِرُ المرءُ، وما | يُبقيه في أعقابِهِ، طيبُ الثنا.
والبُعد ممّا لا يُفيدُ قُربُه | فائدةٌ حقيقةٌ أنْ تُقتنى.
وأُلفةُ الناسِ يراها وَحشةً | مَنْ أَلِفَ الوِحْدَةَ عنهم وآنزوى.
من لم يكُنْ مُنْتَمِياً للخيرِ لم | يُكْرَمْ، وإن كان كريمَ المُنتمى[١].
من صاحبَ الإنسانَ في العُسْر كما | صاحبَهُ في يُسْرِه فقد وَفى.
من يُرْضِ مخلوقاً بما لا يَرْتضي | خالقُه، فإنه شَرُّ الوَرى.
إنّ ثَواءَ المرءِ في أوطانِهِ | عِزٌّ، وما الغُربةُ إلاّ كالتَّوى[٢].
لا تعتقدْ أنّ لخَلْقٍ قوّةً، | إلاّ إذا ما اللهُ أعطاه القُوى.
فأصغَرُ الأشياءِ قد أثر في | أعظمِها بالعَوْن من ربّ العُلا.
قد أهلكَ الأُحبوشَ طيرٌ قد رمى | جيوشَهم بمَكّةٍ بما رمى[٣].
وهدّ قِدْماً هُدْهُدٌ بنبأ | ما كان هَدْهادٌ لِبَلقيسَ آبتنى[٤].
وقد أعادَ الفأرُ سدَّ مأربٍ | دكًّا كأنْ لم يَبْنِه مَنْ قد بنى[٥].
وألْقَتِ النُّمرودَ من كُرسِيِّهِ | بعوضةٌ عَدَتْ عليه إذ عدا[٦].
وقلّما مُدّ المَدى لِمَنْ غدا | في الظُّلْم والعُدوانِ ممدودَ المَدى.
وكيف لا يخافُ عُقبى البَغْيِ من | رأى عِقابَ الله فيمن قد بَغى؟
قد حَفِظَ اللهُ نظامَ الخَلْق في | دُنياهُمُ ولم يَدَعْ شيئاً سُدى.

---

(١) منتم: تابع، منتسب. كريم المنتمى: شريف الأصل، معروف الأجداد.

(٢) الثواء: المكث، السكنى. التوى: الهلاك.

(٣) الأحبوش: الأحباش. الطير المذكورة في سورة الفيل (رقم ١٠٥ في المصحف). جاءت على جيش أبرهة الحبشي أبابيل (جماعات) من الطير وألقت حجارةً من سجيل (بالكسر: طين مطبوخ) فأبادت الجيش وما كان معه من الفيلة.

(٤) «بنبأ» لعلها: بسبأ (في اليمن). هدهاد بن شُرَحْبيل (أبو بلقيس). هد عرشها أو ملكها (؟). راجع القرآن الكريم (٢٧ : ٢٠ وما بعد، سورة النمل).

(٥) دكّ الرجل البناء: هده. في الأساطير أن فأراً نقر حجارة سد مأرب.

(٦) نمرود من الجبابرة (تاج العروس- الكويت ٩ : ٣٤٠)، كان ملكاً ظالماً. وفي الأساطير أن بعوضة دخلت في أنفه فوصلت إلى دماغه فكانت سبب موته. كرسيه (عرشه).

فليس يُخلي خَلْقَه من رافعٍ لِما هَوى أو راقعٍ لما وَهى[١]:
إمّا نبيٌّ مُرْسَلٍ بوحيهِ هادٍ وإمّا مَلِكٍ عَدْلٍ رِضا.
قد بدأ اللهُ الهُدى بآدمٍ وأظهر الخيرَ به حتّى بدا[٢].
وأرشدَ الخَلْقَ برُسْلٍ بعدَه هَدَوْا إلى سبيلهِ كما هَدى[٣].
وجمّع اللهُ جميعَ هَدْيِهم وفَضْلِهم في الهاشميِّ المُصطفى[٤].
وخَلَفَتْهُ في الهُدى خلائفٌ بهَدْيِهم بعدَ هُداه يُقْتدى[٥].
ثمّ آنتهى كُلُّ رشادٍ بعدَهُمْ إلى أميرِ المؤمنين المُجتبى[٦]:
خليفةٍ أحسنَ للناس فقد جزاه بالإحسان عنهم مَنْ جَزى.
نادى إلى طاعتهِ داعي هُدًى لصوتهِ في الشرق والغرب نَدى[٧]
عادَ به الدهرُ ربيعاً كُلُّه، وقامَ ميزانُ الزمان وآستوى
ساق الملوكَ بعصا سُلطانهِ، فكلُّهم صَيَّرَهم عبدَ العَصا.
فلو أرادَ سَوْقَ خاقانَ بها لآنقاد في طاعته وما عصى[٨].
ولو أراد سَوْقَ كِسرى فارسٍ، بها ثَناه وهو مكسورُ المَطا[٩].
ولو سما بها لِضَرْبِ قيصرٍ، لسَامَه قَسْراً بها ضربَ الجزى[١٠].
ولو بها أرادَ سَوْقَ تُبَّعٍ، لَجاءه مُتَّبِعاً وما أبى[١١]

---

(١) هوى: سقط. وهى: ضعف، استرخى، تشقّق.
(٢) حتّى (لعلّها: حين).
(٣) كما هدى الله رسله (؟).
(٤) إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم (بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم) المصطفى (المختار).
(٥) الخلائف: الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ.
(٦) المجتبى: المقرب من الله، المختار. المقصود هنا: المستنصر الحفصي.
(٧) نديّ الصوت (القاموس ٤ : ٣٩٤، السطر الأخير): الصوت القويّ الذي يكون له صدى (أثر) بعيد.
(٨) خاقان: لقب ملوك الترك.
(٩) المطا: الظهر. ثناه: ردّه (عمّا يريد) مكسور المطا: مرغم. بها (بعصاه).
(١٠) سامه قسراً: أذله، قهره (وأرغمه على الانقياد لأمره). ضرب الجزى (رتّب عليه جزية): أخضعه لحكمه.
(١١) تبّع: لقب ملوك اليمن.

قد فاض في الآفاق نورُ سَعْدِه، وألبسَ الأيامَ حُسناً وكَسا.
وجعَلَتْ جُدودُه تُربي على ما شيَّدتْ جُدودُه من البِنى [1]
من كلِّ منصورِ الجُنودِ ناشرٍ للعَدْلِ في الآفاق منشورِ اللِّوا
قادوا إلى أندلُسٍ كتائباً أمامَها النصرُ العزيزُ قد قَدى [2].
وصبّحوا الأرْكَ بجيشٍ غطّ في آذيِّهِ أذفُنشَ لمّا أن غطا [3].
ما زال يُمْلي المَلَوانِ نصرَه، وسيفُه يختَطُّ ما يُملي المَلا [4].
طاعتُه من طاعةِ الله، فمَنْ دعا إلى هذي، إلى تلك دعا [5].
ليس السعيدُ غيرَ مَنْ أسعدَهُ إلَهُهُ بالعفوِ عنه والرِّضا.
ولا السَّخِيُّ غيرَ مَنْ بذاته قد جاد في ذات الإلَهِ وسَخا [6].
يا أيُّها الإنسانُ، إني ناصحٌ فاستمِعِ النُّصحَ وكن ممّن وَعى.
لا تغترِرِ بالعُمر وأعلَمْ أنّ ما لم يَمْضِ من أيامهِ كما مضى.
وكُلُّ ما لا بُدَّ من إتيانهِ وكَوْنهِ فإنه كما أتى.
لا بُدَّ أن يَنتهِيَ المرءُ إلى ما قدَّرَ اللهُ عليهِ وقضى.
فالعُمرُ ما بين وُجودينِ، ومَنْ ظنّ الوُجودَ واحداً فقد سها [7].

---

(١) جدود جمع جدّ. الجدّ (بالكسر): الجهد والكدّ والعمل. والجد (بالفتح): الحظّ أو أبو الأب. البني جمع بنيّة (البناء القائم). لقد بنى بعمله هو وحده أكثر ممّا كان جميع جدوده قد بنوا (بفتح النون).

(٢) قدى: أسرع.

(٣) الارك: بلدة في الأندلس بنواحي بَطَلْيوس (عند منتصف الحدود بين اسبانية والبرتغال اليوم. حدثت عندها معركة (سنة ٥٩١ هـ) فهزم الموحدون الاسبان وردّوا عن المسلمين في الاندلس شيئاً من الأذى. ووجه المدح للحفصيين بالانتصار في هذه المعركة أن الموحدين أسلاف الحفصيين. الآذيّ: الموج. الاذفنش: لقب ملوك الاسبان. غطا يغطو: (الماء): ارتفع. غطّ: غمس.

(٤) الملوان: الليل والنهار. يملي (يتلو على الناس). يملي (الثانية): يفرض، يوجب. الملا: رؤساء القوم (إشارة إلى عمله بالشورى، فهو لا يستبد في الحكم).

(٥) من دعا إلى طاعة المستنصر فإنه يدعو إلى طاعة الله.

(٦) في ذات الإلّه: في سبيل الله. سخا: جاد، بذل المال أو النفس، الخ.

(٧) الوجودان الدنيا والآخرة.

ولا تَحِـدْ عن سَنَنِ السُّنَّـةِ في حـالٍ، وكُنْ ممّن بأهلِها اقتدى[١]
وخُـذْ من الآراءِ بالرأيِ الـذي وافـقَ قولَ اللهِ واترك ما عدا[٢].

نظمتُهـا فريـدةً في حُسنِهـا منظومةً نظمَ الفريـدِ المُنتقى[٣].
تخيَّرَ اللفـظَ الفصيـحَ خاطري لهـا، ولم يَحْفِل بحوشِيِّ اللُّغى[٤].
قلّدهـا من المعـاني حِليـةً وزفّهـا إلى المعـالي وهَـدى[٥].
نظمَهـا ٱبن حـازمٍ، وقـد نمى نِسبتَها إلى ٱبن حِزامٍ من نمى[٦].
وقـد عزا الإحسانَ في أمثالهـا لاَبن الحسينِ أحمدٍ مَنْ قد عزا[٧].
بدأتُهـا باسمِ الـذي ختَمتُهـا بحمـدِهِ، جـلّ الإلَـهُ وعـلا.
فالبـدءُ باسمِ الله أولى مـا بـه عِنـدَ افتتاحِ كُلِّ أمرٍ يُعتنـى.
والحمـدُ للهِ أجَـلُّ غايـةٍ يُبلَـغُ بالقولِ لهـا ويُنتهـى.

- قال حازمٌ القَرْطاجنيُّ يمدح رسول الله ببديعيّةٍ يُنَصِّفُ فيها مُعلّقَةَ ٱمْرِىءِ القيس (صُدورُ القصيدة من نظمِ حازمٍ وأعجازُها تضمينُ أعجازِ مُعلقة ٱمرِىءِ القيس).
فمن أبياتِ هذه البديعيّة:

لِعَينَيْكَ قُلْ، إنْ زُرْتَ أفضلَ مُرسَلِ: (قِفا نَبْكِ من ذِكْرى حبيب ومنزلِ)[٨].
وفي طَيْبَـةٍ فٱنْزِلْ، ولا تَغْشَ منزلاً (بِسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخول فحَوْمل)[٩].

---

(١) حاد: مال، انصرف، ابتعد عن الطريق السوي. السنن: الطريق. السنة: أعمال رسول الله.
(٢) .... ما عدا (ما عداه): غيره.
(٣) منظومة: مرتبه كأنها في سلك (خيط أو عقد). الفريد: اللؤلؤ الكبار.
(٤) الحوشي من الألفاظ: الوحشي (ما كان غريباً في المعنى وقبيحاً في اللفظ). اللغى جمع لغة.
(٥) زفّ الناس العروس (نقلوها إلى بيت زوجها).
(٦) ابن حزام شاعر جاهلي قديم، قبل امرىء القيس، قيل هو أول من وقف على الأطلال وبكى الديار. والناس رفعوا هذه الأرجوزة فقالوا هي من الشعر القديم (الجيد). نمى الحديث: رفعه، نسبه.
(٧) أمثالها: الحكم التي فيها. أحمد بن الحسين هو المتنبي. عزا: نسب.
(٨) أفضل مرسل: محمد رسول الله. المنزل: المكان الذي «تنزل» فيه قافلة مدة ثم تتابع سيرها. ويكون المنزل عادة عند الماء.
(٩) طيبة: المدينة المنوّرة. غشي الرجل المكان: أتاه، جاء إليه. سقط اللوى والدخول وحومل أسماء أمكنة.

وزُرْ روضةً قد طالما طاب نَشْرُها (لِما نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشَمْأل)[١].
فيا حادِيَ الآبالِ، سِرْ بي ولا تقُلْ: (عَقَرْتَ بعيري، ياآمْرَأُ القيس فَآنْزِلِ)[٢]
نَبيٌّ هُدًى قد قال للكُفر نُورُهُ: (ألا أيُّها الليلُ الطويلُ، ألَا آنْجَلِ)[٣].
لأمداحِ خيرِ الخَلْقِ قَلْبِيَ قد صَبا، (وليسَ فؤادي عن هَواها بِمُنْسَلِ)[٤].
يُنادي: إلَهي، إنّ ذَنْبِيَ قد غدا (علَيّ بأنواعِ الهُمومِ لِيَبْتَلي)[٥].
فكُنْ لي مُجيراً من شياطينِ شَهوةٍ (علَيّ حِراصٍ، لو يُسِرّونَ مقتلي)[٦].
أيا سامعي مدحِ الرسولِ، تَنَشّقوا (نسيمَ الصَّبا جاءتْ برَيّا القَرَنْفُلِ)[٧].
ويا من أبى الإصغاء، ما أنتَ مُهتدٍ، (وما إن، أرى عَنْكَ الغَوايةَ تَنْجَلي)[٨].

– وله أيضاً بديعيّة على مِثالِ البديعيّة السابقة (يُنصِّفُ فيها قصيدةً لامْرِئِ القيسِ أيضاً):

أقولُ لعزمي أو لصالحِ أعمالي: (ألا عِمْ صَباحاً، أيُّها الطَّلَلُ البالي)[٩].
أما واعظي شَيْبٌ سما فوقَ لِمّتي (سُمُوَّ حَبابِ الماء حالاً على حالِ)[١٠]؟

---

(١) الروضة: قبر رسول الله في المدينة المنوّرة. النشر: الرائحة (الطيبة). الجنوب (ريح الجنوب) والشمأل (ريح الشمال). نسجتها (هنا): جعلت فيها آثاراً (وهذا غير المعنى المقصود في المعلقة). المعنى هنا: إن الجنوب والشمال قد جاءتا إلى هذه الروضة برائحة طيبة.

(٢) الآبال جمع إبل (بكسر فكسر): الجمال (بالكسر). الحادي: سائق الابل يغني ليخفف عن المسافرين في القافلة الملل من طول الطريق. عقر السرج البعير: أحدث فيه جرحاً.

(٣) انجلى الليل أو الظلام: انجاب، انكشف.

(٤) صبا: مال، اتجه. انسلى (في شرح الزوزني): زال الحب من قلبه (رجع عن حبه).

(٥) غدا: جاء باكراً. ليبتلي: (ليختبرني).

(٦) مجير: منقذ. حراص جمع حريص: شديد الرغبة. لويسرون مقتلي (لو يستطيعون أن يكتموا خبر قتلي).

(٧) الصبا: ريح الشرق (وتكون في نجد رطبة باردة منعشة). الريّا: الرائحة (الطيبة).

(٨) إنْ (هنا) زائدة. الغواية = الغيّ: الضلال.

(٩) «عم صباحاً» (تحية الصباح): الطلل: المكان الذي كان فيه خيمة ثمّ أزيلت وبقي أثرها في الأرض.

(١٠) اللمة: الشعر الذي في جانب الرأس. حباب الماء: فقاقيع (أكر مملوءة هواء) تطفو (تعوم) على وجه الماء. حالاً على حال (مرة بعد مرة).

أنـارَ بـه ليـلُ الشبـابِ كأنّـه (مصابيـحُ رُهبـانٍ تُشَبُّ لقُفّـال)[١].
نَهانِي عن غَيٍّ وقـال مُنبِّهـاً: (ألستَ ترى السُّمّارَ والناسَ أحْوالي)[٢]؟
أُغالِـطُ دَهْري، وَهْوَ يعلَـمُ أنّني (كَبِرْتُ وأنْ لا يُحْسِنُ اللَّهْوَ أمثالي)[٣].
ومُؤنِسُ نـارِ الشَّيـبِ يقبُـحُ لَهوُهُ (بآنسةٍ كأنّهـا خـطُّ تِمْثـالِ)[٤].
أشيخـاً وتأتي فِعْلَ مَنْ كان عُمْرُهُ (ثلاثـينَ شهراً في ثلاثـةِ أحْوالِ)[٥].
إلا إنّها الدُّنيا، إذا ما ٱعْتَبَرْتَها (ديارٌ لِسَلْمى عافياتٌ بذي خال)[٦].
ألا ليتَ شِعري، هل تقولُ عزائمي (لِخَيْلِيَ: كُرّي كَرّةً بعدَ إجفال)[٧]؟
فأنْزِلَ داراً للرسولِ، نَزيلُهـا (قليلُ الهُمومِ ما يَبيتُ بأوْجال)[٨].
جِوارُ رسولِ اللهِ مجـدٌ مُؤَثَّـلٌ، (وقد يُدْرِكُ المجدَ المُؤَثَّلَ أمثالي)[٩].
لأحمدَ خيرِ المُرسلين ٱنْتَقَيْتُها (وُرِضْتُ، فذلّتْ صعبةً أيّ إذلال)[١٠].
وإنّ رجائي أنْ أُلاقِيَهُ غـداً (ولستُ بمَقْلِيٍّ الخِلالِ ولا قال)[١١]؛
فـأُدْرِكَ آمـالي، ومـا كُـلُّ آمِلٍ (بِمُدْرِكِ أطرافِ الخُطوب ولا آلِ)[١٢].

---

(١) تشب: توقد، تشعل. القفال (جمع قافل: راجع)، وهم المسافرون في القافلة سواء أكانوا ذاهبين إلى مكان أو راجعين إلى الوطن.

(٢) السمار جمع سامر: الساهر.

(٣) «أن» مصدرية «(وليست ناصبة)... كبرت ولا يحسن اللهو أمثالي.

(٤) مؤنس نار الشيب: الذي شاب شعره. آنس الرجل الشيب في رأسه: رآه. الآنسة (في العصر الجاهلي): المرأة التي يأنس الرجال بها. كأنها خط تمثال (جميلة فتية).

(٥) ثلاثون شهراً في ثلاثة أحوال (أعوام: ستّة وثلاثون شهراً؟). لم يمتّع بما أراد طويلاً (؟).

(٦) إذا ما اعتبرتها: نظرت في أحوالها، تأملتها. ديار عافية (ممحوة الأثر). ذو خال: مكان. الخال: المكان لا أنيس فيه (راجع القاموس ٣: ٣٧٢).

(٧) كرّ يكر: هجم. اجفال (الملموح هنا: الجبن، الخوف التباطؤ)- يريد أن يذهب إلى الحج وزيارة قبر الرسول بعد أن طال عليه الزمن ولم يفعل.

(٨) الوجل: الخوف.

(٩) مؤثّل: أصيل، قديم، شريف.

(١٠) أحمد من أسماء رسول الله. انتقيت هذه القصيدة. ورضتها: مارستها طويلاً فذل (سهل عليّ) نظمها.

(١١) القلى: البغض. القالي: المبغض. المقلي: المكروه. الخلال: الصفات.

(١٢) بمدرك (بالغ، واصل إلى)أطراف الخطوب (أحداث الدهر ومصائبه) ولا آلٍ (بمدّة على الألف وكسرتين على اللام: مقصّر، منته): لا يستطيع أن ينال ما يطلبه ولا هو يترك طلب الأمور البعيدة المنال.

٤- ديوان حازم القرطاجني (تحقيق عثمان الكعّاك)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء (تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة) تونس (دار الكتب الشرقية) ١٩٦٦ م.

★★ رفع الحجب المستورة عن المقصورة، تأليف محمّد بن أحمد الشريف السبتي، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٤٤ هـ.

القدح المعلّى ٢٠ - ٢١؛ الإحاطة ١: ٢٠٨؛ بغية الوعاة ٢١٤؛ شذرات الذهب ٥: ٣٨٧ - ٣٨٨؛ أزهار الرياض ٣: ١٧١ - ١٨٤؛ نفح الطيب ٢: ٢٠٨ - ٢٠٩، ٥٨٤ - ٥٨٩، ٣: ٦٠٤، ٤: ١٤٨، ٥: ١٨٩ - ١٩٠، راجع ١٩٨، ٤٨١، ٥١٩ - ٥٢٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٣٣٧ - ٣٣٨؛ بروكلمن ١: ٣١٧، الملحق ١: ٤٧٤؛ حوليات كليّة الآداب (القاهرة - عين شمس، جامعة ابراهيم): بحث وتحقيق للدكتور مهدي علام: «تاريخ أبي الحسن حازم القرطاجني الشاعر المنسيّ ونشأة فن المقصورة في الأدب العربي» (المجلّد الأول، مايو - أيار - نوّار ١٩٥١ م، ثمّ «مقصورة أبي الحسن حازم القرطاجني: تحقيق النص»، المجلّد الثاني، ص ١ - ١١٠)؛ الأعلام للزركلي ٢: ١٦٣ (١٥٩)؛ معجم المؤلفين ٣: ١٧٧؛ الداية (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس) ٤٧١ - ٥٣٦.

عليّ بن موسى بن سعيد

١ - هو نورُ الدين[١] أبو الحسن عليُّ بنُ موسى بنِ محمّدِ بنِ عبد الملك بن سعيد[٢] العَنْسي الغَرْناطي الاندلُسي المَغْربي، وُلِدَ في ٢٢ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦١٠ (٦/٢/١٢١٤ م) في الأغلب، في قلعة يَحْصِبَ.

انتقل عليُّ بن موسى إلى اشبيلية فدرس فيها على أبي عليّ الشَلوبيني وأبي الحسن الدبّاج وابن عصفورٍ وغيرهم. وفي سنةِ ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) رَحَلَ مَعَ أبيه فوصلا إلى الاسكندرية في العامِ التالي. وفي الثامن من شوّالٍ من سَنَةِ ٦٤٠ (٦٤٣ م) توفّي والده.

وبقي عليّ بن موسى بن سعيد في الاسكندرية والقاهرة مدّة. ثمّ اتّفق أن زار مصرَ كمالُ الدين بنُ العديمِ الحلبيُّ فتابعَ عليُّ بنُ موسى سفره مَعَ ابن العديم، سَنَةَ ٦٤٨ هـ،

---

(١) فوات الوفيات ٢: ١١٢؛ بروكلمن ١: ٤١٠.

(٢) راجع تتمة النسب وجهود بني سعيد، في تأليف كتاب «المغرب»، فوق، ص.

إلى حَلَبَ. ثمّ إنّه سافر إلى دِمَشْقَ فبغدادَ فالبصرةِ فإلى أرّجانَ يَدْرُسُ على شيوخِ الأدب والفِقه.

وعادَ عليٌّ بنُ موسى إلى المَغْرب، سَنَة ٦٥٢، وطال مُكثه في تُونسَ، إذْ دخل في خِدمة المُسْتَنْصِرِ الحفصيّ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). ولكنّ المستنصرَ غَضِبَ عليه. ثمّ إنّه سافر مرّةً ثانيةً إلى المشرق، سنة ٦٦٦ (١٢٦٧ - ١٢٦٨ م)، وزارَ هولاكو[١] في أرمينيةَ ونَزَل ضيفاً عليه مُدّةً من الزمن. بعدَئذٍ آستعدّ للعودة إلى المَغْرب، ولكنْ تُوُفّيَ في دِمَشْقَ في الأغلب، سَنَةَ ٦٨٥ للهجرة (١٢٨٦ م).

٢ - عليٌّ بن موسى بن سعيد جُغرافيٌّ ومؤرّخٌ وأديبٌ ناقدٌ ناثرٌ شاعرٍ. وشعرهُ وَسَط مَعَ أنّه يَتَّسِمُ بالخصائِصِ الاندلسية من التفنُّنِ في الوصف والتأنّق في التعبير. غيرَ أن شهرته راجعة إلى المصنّفات التي نَعرِف منها: الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد - الغرّة الطالعة في شعراء المائة السابعة[٢] - القِدْح المُعلّى في التاريخ المُحلّى - المرزمة - المُرقص المُطْرب - المُقْتَطَفُ من أزاهر الطُرَف - عُدّة المستنجز وعُقلة المستوفز - رايات المُبرزين وغايات المميّزين - ملوك الشعر - المُشْرق في أخبار المشرق - المُغْرب في أخبار المَغْرب؛ ولعلّه المغرب في حُلى المغرب.

أتمّ عليٌّ بنُ موسى بنِ سعيد تأليفَ كتاب المُغرِب في حُلى المغرب. ولكتاب المُغْرب منهاجٌ هو الإتيان بنَفَرٍ من الشعراء البارزين من بُلْدانِ المَغْرب (الأندلس ومِصْر والمغرب) من طبقات المجتمع المختلفة (الرؤساء والوزراء والعلماء: علماء الفلسفة والتنجيم والموسيقى والطِّب) والشعراء، إلاّ أن له في تصنيف الشعراء وترتيبهم طريقةً معقّدة جدًّا. ولكن الذي لا ريب فيه أن هذا الكتاب جمع تراجمَ نادرةً ونماذجَ من الشعر والموشّحات رائعةً طريفة.

٣ - المختار من آثاره

- قال عليٌّ بنُ موسى بن سعيدٍ في ترجمة «أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ عبدِ الملك بن سعيدٍ

(١) هولاكو سلطان التتار، وهو الذي دمّر بغداد وقضى على الخلافة العباسية، سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م).

(٢) هو كتاب «الغصون اليانعة» (راجع القدح المعلى، ص ١٨٧).

(المغرب ٢ : ١٦٤):

هُوَ عَمُّ والِدي وأحدُ مُصَنِّفي هذا الكتاب. كان والدي كثيرَ الإعجابِ بشعرِه مُقَدِّماً له على سائرِ أقاربِه. وآستوزَرَهُ عُثمانُ بنُ عبدِ المؤمنِ مَلِكُ (والي) غرناطةَ.... وآنضاف إلى ذلك آشتِراكُهُما في هَوى حَفْصَةَ الشاعرةِ، وكان عُثمانُ أسودَ اللونِ، فبلغه أنّه[1] قال لَها: ما تُحبّين في هذا الأسودِ وأنا أقدِرُ أن أشتريَ لكِ من السوق بعشرينَ ديناراً خيراً منه! ثمّ إن أخاه عبدَ الرحمن فرّ إلى ملكِ شرق الأندلس ابن مَرْدَنيشَ فوجدَ عثمانُ سَبباً إلى الإيقاع بأبي جعفرٍ فضَرَب عُنقَهُ.

– وقال في ترجمة موسى بنِ محمّدِ بنِ عبد الملك بن سعيدٍ (المغرب ٢ : ١٧٠): لولا أنّه والدي لأَطْنَبْتُ في ذِكْرِهِ ووَفَّيْتُهُ حقّ قدرِه. وله في هذا الكتابِ الحَظُّ الأوفرُ؛ وكان أشْغَفَهُمْ بالتاريخ وأعلَمَهم به. وجالَ كثيراً إلى أنِ انْتَهَى به العُمُرُ في الإسكندريةِ، وقد عاشَ سَبْعاً وسِتّينَ سَنَةً لم أرَهُ يوماً يُخلّى من مُطالعة كتابٍ أو كَتْبِ ما يَحْلو، حتّى في أيام الأعياد.

– ومن شعر عليٍّ بن موسى قولُه في النهر الذي يمرّ عليه النسيمُ وتَميل عليه الغُصون:

كأنّما النهرُ صَفحـــــةٌ كُتِبَـــتَ ... أسْطُرُهـــا والنسيمُ مُنْشِئُهـــا.
لمّـــا أبانـــت عن حُسْنِ مَنْظَرِهِ ... مالـتْ عليهـا الغصونُ تَقْرأهـا.

– وله قصيدةٌ يتشوّق فيها إلى المَغْرب، في مَطْلَعِها:

هـــذِهِ مصرُ، فأينَ المَغرِبُ؟ ... مـذُ نـأى عنّي دُموعي تَسْكُبُ.
فارَقَتْـــهُ النفسُ جَهْـــلاً؛ إنّما ... يُعْرَفُ الشيءُ إذا مـا يذهـب.
أين حِمْـصٌ: أين أيّامي بهـا؟ ... بعدَها لم ألْقَ شيئاً يُعْجِبُ[2].

– وقال آبنُ سعيدٍ في التَّخَلي (ترك الزَّواج):

أنـا شاعرٌ أهوى التخلّي دون ما ... زوجٍ لكـيما تخلُـصُ الأفكـارُ.

---

(١) فبلغ إلى سمع عثمان أن علي بن موسى قال.
(٢) حمص = اشبيلية.

لو كنتُ ذا زوج لَكنتُ منغَّصاً | في كـلّ حينٍ رِزْقَها أمتـار[1].
دعني أُرِحْ، طولَ التغرّب، خاطري | حتّـــى أعودَ ويستقرّ قَرار[2].
كم قائل لي: «ضاع شَرْخُ شبابه!» | مـا ضيَّعتْـهُ بَطالـةٌ وعُقـار[3].
إذ لم أزَلْ في العلم أجْهَدُ دائماً | حـتى تأتَّــتْ هـذه الأبكـار.
مهما أرُمْ من دون زوج لم أكُنْ | كَلًّا، ورزقي دائماً مِـــدرار[4].
وإذا خرجْـتُ لِفَرْجـة هُنِّئتُهـا؛ | لا صَنْعة ضاعتْ ولا تَذْكار[5].

- وقال في طلب اللهو بالطرب في الحدائق والجنائن:

باكرِ اللهوَ؛ ومن شاءَ عَتَــبْ. | لا يلَـــذُّ العيشُ إلّا بالطربْ.
مـا توانى من رأى الزهر زهـا | والصَّبا تمرَحُ في الروض خَبَبَ[6].

- وقال في مثل ذلك:

وعشيَّـةٍ بَلَغَتْ بنـا أيـدي النَّوى | منهـا محاسِنَ جامعاتٍ للنُّخَب[7]؛
فحدائـقٌ مـا بينهـا من جـدولٍ | وبلابـلٌ فوق الغصون لها طرب..
والنخـل أمثـالُ العرائس لُبْسُهـا | خَزٌّ وحِلْيَتُها قلائدُ من ذهب[8].

---

(١) امتار الرجل لأهله: جلب لهم القوت من مكان بعيد.

(٢) ما دمت مغترباً عن وطني فلا أريد أن أشغل (بفتح الغين) بالي بالاهتمام بامرأة وأولاد. فإذا أنا رجعت إلى الوطن واستقررت فيه، فلكل حادث حديث.

(٣) شرخ الشباب: عنفوانه وقوّته. العقار: الخمر.

(٤) رام يروم: أراد، طلب. الكَلّ: العاجز.

(٥) الفرجة: التخلص من الهمّ. والفرجة (في الاستعمال الحاضر): الذهاب «للنزهة» وترويح البال في الأماكن التي فيها جمال للطبيعة أو اجتماع للناس.

(٦) توانى: تكاسل، تأخّر. الصبا (بالفتح): ريح بليلة تهبّ على نجد (في بلاد العرب) من الشرق. خبب = خبباً: تسير بشيء من السرعة (كما تسير الخيل في أوّل ركضها). يقصد أن الهواء كان منعشاً.

(٧) النوى: البعاد، الفراق (المقصود: أن الشاعر زار أرضاً بعيدة؟). النخبة: الشيء، المختار أو المنتقى (أجود ما في الأشياء).

(٨) الخزّ: الحرير أو الثياب المنسوجة من حرير. القِلادة (بالكسر): حلية (بالكسر) تلبس في العنق.

٤- عنوان المطربات المرقصات، القاهرة (مطبعة جمعية المعارف) ١٢٨٦ هـ؛ (نشره عبد القادر محداد)، الجزائر (كاربونل) ١٩٤٩م.
- العيون الدعج في حلى بني طغج (القسم الخاصّ بالأخشيديين- في مصر- من كتاب «المغرب») (نشره تالوكيت)، ليدن ١٨٩٩م.
- المغرب (قسم صقلّية)، ليدن ١٨٩٨م، بالرمو ١٩١٠م.
- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة (القسم الخاصّ بالقاهرة من كتاب «المغرب»..... (تحقيق حسين نصّار)، القاهرة (دار الكتب) ١٩٧٠م.
- رايات المبرزين وغايات المميزين (نشره أميليو غارثيا غومذ)، مدريد ١٩٤٢م.
- المغرب في حلى المغرب (حققه شوقي ضيف)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣ - ١٩٥٥م.
- المغرب: قسم مصر (نشره زكي محمّد حسن وشوقي ضيف وسيّدة كاشف)، القاهرة (مطبعة فؤاد الأول) ١٩٥٣م.
- اختصار القدح المُعلى (تحقيق ابراهيم الابياري) ١٩٥٩م.
- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة (بتحقيق ابراهيم الابياري)، مصر (دار المعارف) ١٩٦٧م.
- كتاب الجغرافية (حقّقه اسماعيل العربي)، بيروت (منشورات المكتب التجاري) ١٩٧٠م.
- مختصر جغرافية ابن سعيد (نشره ج. فيرنيه)، تطوان ١٩٥٨م.

★★ -ابن سعيد المغربي، تأليف محمّد عبد الغني حسن .... عام ١٩٧٠م.
فوات الوفيات ٢: ١١٢ - ١١٤؛ الذيل والتكملة ٥: ٤١١ وما بعد؛ القدح المعلّى ١ - ١٢؛ الديباج المذهب ٢٠٨ - ٢٠٩؛ بغية الوعاة ٣٥٧؛ نفح الطيب ٢: ٢٦٢ - ٣٧٤ (يكثر المقرّي من الكلام على ابن سعيد هذا وعلى نفر من أهله وينقل من «المغرب» كثيراً - راجع فهرس نفح الطيب ٨: ٦٧)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٦؛ نيكل ٣٦١؛ مختارات نيكل ٢٠٥ - ٢٠٧؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٧٩ (٢٦ - ٢٧)؛ سركيس ١١٨ - ١١٩؛ بالنثيا ١٣٥ - ١٣٧؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس لمحمّد رضوان الداية ٣٩١ - ٣٩٨؛ تاريخ النقد العبّاسي لاحسان عبّاس ٥٣٢ - ٥٣٥؛ المكتبة العربية الصقلّية ١٣٤ - ١٣٧؛ مجلّة المجمع العربي بدمشق ٣٣: ٣٠٢ (عام ......)، راجع ٥٢٥.

ابن أبي الربيع القرشيّ

١ - هو الإمامُ أبو الحسينِ عُبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ عبيدِ الله بن أبي الربيعِ القرشيُّ

الأمويّ العثمانيّ الإشبيليّ، وُلِدَ (في إشبيلية) في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٩٩ (ربيع ١٢٠٣ م)، أخذَ القراءاتِ عن محمّدِ بنِ هارونَ التَيْميّ وسَمِعَ (الحديثَ) من القاسم بن بَقيٍّ وقرأ النحوَ على الشّلوبينِ (ت ٦٤٥ هـ) والدبّاج (٦٤٦ هـ)، وأذِنَ له الشلوبينُ بالتصدّرِ لإقراء النحو.

ولّما استولى الإسبانُ على إشبيلية، في أوَّل شَعبان من سَنَةَ ٦٤٦ (١٢٤٨/١١/١٩ م) انتقل ابنُ أبي الربيعِ إلى سَبْتَةَ وأقرأ بها النحوَ مُدّةً. ثمّ إنّه عاد إلى إشبيلية. وكانتْ وفاتُه فيها سَنَةَ ٦٨٨ (١٢٨٩ م).

٢ - كان ابنُ أبي الربيعِ إمامَ النحوِ في عصرِه ومن المؤلفين فيه، له: المُلخّصُ في النحو - القوانين النحوية - الإفصاح في شرح الإيضاح (للفارسي المتوفّى سَنَةَ ٣٧٧) - شرح الجُمل (؟ للزجّاجي المتوفّى نحوَ سَنَةِ ٣٣٩، في عَشْرِ مُجلّداتٍ) - شَرْح (كتاب؟) سِيبَوَيْهِ - بَرْنامجَ (شيوخه).

- ★★بغية الوعاة ٣١٩؛ بروكلمن ١: ٣٨٢، الملحق ١: ٥٤٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٤٤ (١٩١).

ابراهيم بن أبي بكر التلمساني

١ - هو أبو اسحاقَ ابراهيمُ بنُ أبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ موسى الأنصاريُّ التلمسانيّ، أصلُه من وَقَّشَ★ ومَوْلِدُه في تِلْمِسان، سَنَةَ ٦٠٩ (١٢١٢ - ١٢١٣ م). انتقل بِهِ أهلُه إلى الأندلس فسكَنوا غَرناطةَ ثلاثَ سَنَواتٍ ثمّ تحوّلوا إلى مالَقَةَ وطال سَكَنُهم بها؛ وفيها تلقّى ابراهيمُ مُعْظَمَ معارفهِ. ثمّ إنّه انتقل إلى سَبْتَةَ واستقرّ فيها بقيّةَ عُمُرهِ.

وقد تلقّى ابراهيمُ ابنُ أبي بكرٍ العِلمَ على كثيرين منهم (الديباج ٩٠): أبو بكرِ بنِ مُحْرِزٍ وأبو الحسنِ بن طاهرٍ الدبّاج (الإحاطة ١: ٣٣٥ الربّاج) وأبو عليٍ الشّلوبينِ (ت ٦٤٥ هـ) وأبو العبّاس عليُّ بنُ عصفورٍ الهوّاري وأبو المُطرِّفِ بنُ عَميرةَ (ت ٦٨٥ هـ) وأبو يعقوبَ يوسفُ بنُ موسى المحاسني القاري (الإحاطة: الحسّاني الغُماري).

(★) وقش (بتشديد القاف المفتوحة): مدينة بالاندلس (تاج العروس - الكويت ١٧: ٤٥٥).

وكانت وفاة إبراهيمَ بنِ أبي بكرٍ في سَبْتَةَ سَنَةَ ٦٩٠ (١٢٩١ م).

٢ - كان إبراهيمُ الأنصاريُّ التلمسانيُّ مُبرِّزاً في عِلم العَدَد (الحِساب) والفَرائض (تقسيم الإرث) وماهراً في كثيرٍ من العُلوم والأعمالِ التي يُحاوِلُها حاضِرَ الذِّهْنِ ذَكِيًّا. وكذلك كان لُغويًّا وأديباً وشاعراً مُكثِراً ومُطيلاً. وشعره في المدح (وفي البديعيّات: مدح الرسول) والأدب (الحِكمة)، كما كان له نظمٌ في عددٍ من فروع العلم. وقد كان مُصنِّفاً له: نتيجة الخِيَر ومُزيلة الضّرر في نظم المغازي والسِّيَر[١] - الأُرجوزة: المنظومة التِّلِمْسانية في الفرائض (تقسيم الإرث)، نَظَمها نحوَ سَنَةِ ٦٣٥ للهجرة، وقد شَرَحَها كثيرون[٢] - المُعَشَّرات على أوزان العرب - مقالات في علم عَروض الدوبيت.

٣ - مختارات من شعره

- بين يدينا من شِعرِ ابراهيمَ بنِ أبي بكرٍ التلمسانيَ:

★★ الغـدْر في الناس شِيمةٌ سَلَفَتْ … قـد طال بين الورى تَصَرُّفُها[٣].
مـا كلُّ من قـد سَرَتْ لـه نِعَمٌ … منـك يرى قَدْرَهـا ويَعْرِفُهـا.
بـل ربّما أعْقَـبَ الجزاءَ بهـا … مَضَرّةٌ عَزّ عنـك مَصْرِفُهـا[٤].
امـا ترى الشمسَ تَعطِـفُ بالـ … ـنور على البدرِ وهْو يَكْسِفها[٥]!
★★ أرأيتَ من رَحَلوا وزمّوا العِيسا … ألا يزول عـلى الطلول حَبيسا[٦]؟

---

(١) المغازي جمع مغزاة (بفتح الميم): الغزوة (حرب يسير إليها المسلمون في أيام الرسول). السيرة: حياة الرسول والصحابة.
(٢) راجع بروكلمن.
(٣) شيمة: خصلة، عادة. سلفت: مضت (هنا: قديمة في الناس). الورى: الناس. تصرّفها: تقلّبها بين الناس وأفعالها فيهم.
(٤) عزّ (صعب) مصرفها (دفعها عنك).
(٥) القمر يستمدّ نوره من الشمس. وفي بعض الأحيان يعترض القمر بين الشمس والأرض فتنكشف الشمس (يحتجب نورها عن الأرض).
(٦) زمّ العيس (النياق): جعل لها زماماً (لجاما)، أي أعدّها للرحيل. - يبدو أن الشطر الثاني تتمّة لبيت آخر. الملموح ان الذي يعدّ الرحلة للسفر، لا يبقى محبوساً (واقفاً على بقايا المنازل).

أحَسِبْتَ سوفَ يعودُ نَسْفُ تُرابِها .... بمـا يَشْفي لَدَيْـكَ نَسيسا[1].
هـل مؤنسٌ نـاراً بجانـبِ طُورِها لأنيسِهـا أم هل تُحِسُّ حَسيسا[2]؟

٤- ★★ الديباج المذهب ٩٠ - ٩١ ؛ الإحاطة ١ : ٣٣٤ - ٣٣٧ ؛ بروكلمن ١ : ٤٨٢ ، الملحق ١ : ٦٦٦ ؛ معجم أعلام الجزائر ٩ - ١٠ ؛ الطمّار ٨٣ - ٨٤ (نقلاً عن الإحاطة).

ابن السمّاط المهدويّ

١ - هو أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ الملكِ بنِ السمّاطِ البَكريّ المَهْدَوِيُّ، وُلِدَ في المَهْدِيّةِ (وهي مرفأ في منتصف الشاطىء الشرقي من القطر التونسي) سَنَةَ ٦١٣ هـ (١٢١٦ - ١٢١٧ م). ويبدو أنّه لَمّا تقدّمتْ به السِنُّ انتقلَ إلى الاستغراق في التقوى والعبادة واشتدّ الحنينُ به إلى الحَجِّ إلى مَكّةَ وإلى الزيارةِ إلى المدينة، ولكنْ لم يَتَيَسّرْ لـه ذلك. وكانت وفاتُه في العَشْرِ الأواسط من شَعبانَ من سَنَةِ ٦٩٠ (أوائل آب - أغسطس ١٢٩١ م).

٢ - كان ابنُ السمّاطِ المَهدويُّ فقيهاً وأديباً عارفاً باللغة، وكان شاعراً قَصَرَ شِعَره (لَمّا تقدّمتْ به السنّ) على البديعيّات. وشِعْرُه فصيحُ الألفاظ صحيحُ التركيب فيه شيءٌ يسيرٌ من الصِّناعة ولكنّه أحياناً قليلُ الرونق. والأفكارُ فيه كثيرةٌ والمعاني تَغْلِبُ فيه على الصِّياغة.

---

(١) النقط تمثّل نقصاً في الأصل. النسيس: بقيّة الروح (النفس). الملموح: هل تظنّ أن شمّ تراب المنازل ينعش الإنسان.

(٢) هل مؤنس ناراً: أهنالك من يؤنس (يرى) ناراً: الطور: الجبل. الأنيس: الساكن في المكان. - أتظنّ أنّك تنال مراداً من الوقوف في دار خالية أو هل تظنّ أن الدار الخالية تحسّ بأنّك واقف فيها؟ - في الأبيات معنى يقرب من أن يكون صوفيا. راجع في رؤية النار عند الطور سورة القصص (٢٨ : ٢٩): ﴿فلمّا قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً. قال لأهله: امكثوا، إنّي آنست ناراً، لعلّي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلّكم تصطلون﴾.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ السمّاطِ المَهَدويُّ من بديعيّة (في مدح الرسول):

لعـلّ نُسيماتِ الضُّحى والأصائـلِ تُؤدّي إلى مَغْنى الحبيبِ رسائلي[١]،
وتُهـدي، إذا مرّتْ سُحيراً بِربْعِهِ، سلامي إلى بَـدْرٍ بطَيْبَـةَ آفلِ[٢].
وكـلُّ الأمـاني في غُـدُوٍّ رواسمٍ إلى رَسْمه أو في رَواحِ رواحلِ[٣].
ومـا سَوْقُهـا بـل شَوْقُها يَستَحِثُّها حثيثَ أخي الإملاقِ يُدعى لنائلِ[٤].
وكم آيـةٍ دلّـتْ عـلى صِدقهِ، فما ألَـبَّ لها الإنكار في لُبِّ عاقلِ[٥].
رسولٌ أتـى والغَيُّ وارَتْ غيومُـه نجومَ الهُدى والرشدِ عن كلِّ غافلِ[٦].
ووافـى ودِينُ الكُفْرِ قامتْ دُعاتُه بإبطـال تحقيـقٍ وتحقيـقِ باطـلِ.
فلمّـا بـدتْ آياتُـه وهِباتُـه بدا النَّقْضُ فيما أبْرموا في المحافلِ[٧].
وفي كـلّ ما يَتْلو الرسولُ دَلالـةٌ على صدقهِ من واضحات الدلائلِ.
هو المُصْطفى من قبلِ تكوينِ آدمٍ على الخَلْق من آبائِهم والحلائلِ[٨].
لـه غابـةٌ من صَحْبـه هو لَيْثُها؛ لَدَيْهِمْ مريرُ الموت عَذْبُ المناهلِ[٩].

---

(١) الأصيل: الساعات الثلاث التي تسبق غروب الشمس. مغنى: مسكن. الحبيب (محمّد رسول الله).

(٢) بدر (كناية عن رسول الله). طيبة: المدينة المنورة. الآفل: الذي غرب وراء الأفق (غاب في قبره).

(٣) الرواسم (رسم بضمّتين جمع رسوم بالفتح: الناقة الشديدة الوطء على الأرض). الرسم (مكان السكنى الذي خلا من ساكنه). الراحلة: ما يرحل (يسافر عليه الإنسان). الغدوّ: السير في الصباح. الرواح: الرجوع في المساء.

(٤) الإملاق: الفقر. النائل: العطاء.

(٥) ألبّ: عرض، تعرّض. ألبّ له الإنكار في لبّ عاقل (لم يستطع إنسان عاقل أن يعرض لها بإنكار: أن ينكرها).

(٦) الغيّ: الضلال.

(٧) النقض: الهدم. أبرموا: اتفقوا عليه.

(٨) الحليلة: (الزوجة). يرى الصوفية أن محمداً (صلّى الله عليه وسلّم) هو المخلوق الأول (أي الذي خلق الله العالم من أجله).

(٩) غابة (عدد وفير). الليث: الأسد (في هذا إشارة إلى «أُسْد الغابة في معرفة الصحابة») وهو كتاب في تراجم أصحاب رسول الله لعز الدين بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ).

صدورٌ إذا حلّوا بنادٍ؛ وفي الوغى … صدورُهُمُ تَلْقى صدورَ العوامل[١].
أشِدّاءُ والهَيجاءُ حامٍ وطيسُها، … ذَوُو رحمةٍ بالبائسات الأرامـــل.
فكم من عديمٍ صار فيهم كمُتْرَفٍ؛ … وكم من غريبٍ صار فيهم كآهل!
كذا فَلْيَكُنْ حُسْنُ الثناء لِسادةٍ … متى أُمِّلوا لم يُخْلِفوا ظنّ آمل.
على من به سادوا الورى وعَلَيْهِمُ … سلامٌ كنَوْر الروض بَيْنَ الخمائل[٢].
فحتّـــى مـــتى أشْتاقُهم وتَغُرُّني … أمانٍ وإمهالٌ كتَسْويفِ باطل[٣].
ومـا المرءُ إلّا ظاعِنٌ مُتَرَحِّـــلٌ … مُعـــارٌ لأوقـــاتٍ تَمُرُّ قلائِـــلِ.
وإسفارُ صُبْحِ الشيب عن لَيْلِ لِمّتي … دليلٌ على ظِلّ من العُمْر زائل[٤].
ولّما تقضّتْ في التواني شبيبتي … وأصبحتُ من جرّائها في حبائل[٥]،
ولم يَبْقَ لي إلّا التفاني بأدمُعٍ، … على طول تفريطي، هوامٍ هوامل[٦].
وكلٌّ يرى أن المديحَ وسيلةٌ، … لكلّ كريمٍ، من أجلِّ الوسائل.
مدحتُ الشفيعَ المُصْطفى غيرَ قائمٍ … بمِعْشار ما يُحصى له من فضائل.
وما المدحُ فيمن يَحْسُنُ المدحُ باسمِهِ … وأوصافِهِ إلّا كتَحْصيل حاصل؛
ولكنّـــه جُهْــدُ المُقِـــلِّ لقاصرٍ … عن الفرضِ في تعظيمه والنوافل[٧].
ألم (يأتِ) قولُ اللهِ في رَفْعِ ذكرِهِ؟ … وهل بعدَ قولِ الله قولٌ لقائل[٨]!

---

(١) صدور (الأولى): وجهاء القوم. الوغى: الحرب. صدور (الثالثة): أعالي الرماح. العالية: النصل يكون في رأس الرمح (في الحرب يردّون بصدورهم رماح أعدائهم، دفاعاً عن الدين).

(٢) النور (بالفتح): الزهر الأبيض. الخميلة: الشجر الكثيف الملتف (المتشابك).

(٣) أمان جمع أمنية: ما يتمنّى الإنسان أن يحصل عليه. الإمهال: ترك الأمر مهلة (بالضمّ): مدّة، فترة. تسويف: تأخير. تسويف باطل (؟).

(٤) اللمّة: شعر الرأس المجاور لشحمة الأذن (وهو أوّل ما يشيب عادة من شعر الإنسان).

(٥) التواني: التكاسل (عن عمل الصالحات). في حبائل (من الذنوب).

(٦) التفاني بأدمع (ذهاب عمري شيئاً بعد شيء بالبكاء). الهامي والهامل (المنسكب بكثرة).

(٧) جهد المقلّ: الشيء القليل الذي يبذله الفقير أو العاجز. الفرض: ما يجب على الإنسان فعله. النافلة: ما يتطوّع الإنسان في فعله.

(٨) جاء في سورة الضحى (الثالثة والتسعين في المصحف): ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾.

- وقال من بديعيّة ثانية:

سَرَيْتُم وطَرَفي من كَرى العَزْم مــــا هَبّــــا،
وطِرْفُ انتهاضي في مَــدى الحَزْم مــا خَبّــا[1]

ومنها:

فحسبي رجائي أن يَمُنّوا بعَطْفِهِمْ. وأن يُعْقِبوا للبُعْدِ من وَصْلِهِمْ قُرْبَا.
ولا غَرْوَ أن يَلْقى الطُفَيْليَّ ماجدٌ بوجهٍ بهِ يَلْقى المعارفَ والصَّحْبا[2].
وإن هم جَفَوْني سوف أُهْدِي إلَيْهِمُ سلامي لَعلّي بالرضا منهُمُ أُحبى[3].
ومَنْ صَدّعنه الحِبُّ فَلْيُفْشِ مدحَـه، فإنّ امتداح الحِبِّ يستنزلُ الحُبّا[4].
وما القصدُ والمَعْنِيُّ بالرَّمْزِ والكُنى سوى مَنْ على كلّ النبيّينَ قد أرْبى[5]،
ومن شاهدتْ عيناهُ من مُلكِ ربّه وآياتِه ما يُعجِزُ الكُتبَ والكَتْبا[6].

أُحاشِيَــك، يــا كــلَّ المُنــى، أن تَــذودَني
عن الحَوْضِ يوم العَرْضِ أو أُمْنَـعَ الشُّربــا[7]
وربَّ كريمٍ غــضّ عن وِرْدِ واغــلٍ
حيــاءً إذا وافــاه إذْ يتبَــعُ السِّربــا[8]

---

(١) سرى: سار في الليل. الطرف (بالفتح): العين، البصر. الكرى: النوم. الطرف (بالكسر) الحصان. خبّ أسرع.

(٢) الطفيلي: الذي يذهب إلى الولائم من غير دعوة خاصّة به. - لا بدّ من أن يكون هنالك ماجد: شريف خيّر (بتشديد الياء) يستقبل الطفيلي كما يستقبل أصدقاءه الذين دعاهم إلى وليمته (كناية عن الرسول).

(٣) جفوني: ابتعدوا عنّي، كرهوا مجيئي). حبا: أعطى، منح.

(٤) الحبّ (بالكسر): المحبوب، فليفش: فلينشر. - إذا مدحت الذي لا يحبّك فيمكن أن تجعله محبًّا لك.

(٥) المعنيّ: المقصود. الكنى: الإشارة إلى الشيء بالتلميح لا بالتصريح. أربى: زاد.

(٦) الكتب (بالضمّ) جمع كتاب. الكتب (بالفتح): الكتابة. - ما تضيق عن استيعابه الكتب وما تقصّر الكتابة عن أن تحيط به.

(٧) أحاشيك (أقول: حاشاك): أجلّك عن فعل شيء ..... ذاد: دفع، طرد. الحوض: مجمع ماء يشرب منه المؤمنون يوم تقوم القيامة. يوم العرض: يوم الحشر، يوم القيامة.

(٨) قد يتفق أن يدعو رجل كريم قوماً ثمّ يرى واغلاً (طفيليًّا) يتبع سربهم (جمعهم) فيغضّ الطرف عنه (يسمح بحضوره الوليمة).

لئن قَصّرتْ خَطْوي إليـك خَطيئتي ... وذَبَّتْنِيَ الأوزارُ عن بابكم ذَبّا[1]،
فمن شِيمــةِ العبـدِ الفِرارُ لربِّـه؛ ... ومن شِيَمِ السادات أن يَغفِروا الذنبا!

٤- ★★ رحلة التجاني (تونس ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨)، ص ٣٨٠-٣٩٣؛ عنوان الأريب ٧٧ - ٧٩؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٣٠٨ - ٣١٠؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣١٩ (٨: ٢٤٢).

ابن عتيق المرسيّ

١- هو أبو عليٍّ الحسينُ بنُ عَتيقِ بنِ الحسينِ بنِ رشيقٍ التَغْلَبيُّ الأجدادِ المُرْسِيُّ الأصلِ السَبْتيّ الاستيطان. يبدو أنه انتقل باكراً من مُرْسِيَةَ إلى المغرب ونزل بسبتة فعَمِل فيها عَدْلاً من العُدول (عند أبواب الحاكم) ثمّ دخل في خِدمة أمير سبتةَ وأصبح كاتباً له.

وفي الإحاطة (١: ٤٨٠) أن ابنَ عتيقٍ السبتيَّ مُنْتَمٍ إلى صاحب الثوْرة على المعتمد (؟). ولعلّ المقصودَ «المعتضدُ» المُوحّدي (٦٤٠-٦٤٦ هـ)، وكان أنصارٌ للمرينيّين قد ثاروا عليه ثمّ قُتِلَ هو غَيْلَةً في أثناء محاربتهم.

وبدا لابن عتيقٍ السَّبتيّ أن يعودَ إلى الأندلس فانتقل إلى المَرِيّةِ فوقع عِيالُه في أَسْرِ القَراصِنَةِ (الإسبان أو البُرتغاليّين؟) فنظم قصيدةً في مديح والي المَرِيَّةِ من قِبَلِ سُلطان غَرْناطة الغالبِ بالله (٦٢٩ - ٦٧١ هـ) يتوسّلُ إليه أن يُساعده في اسْتنقاذِ عِياله. ولا شكّ في أنه أقام في غَرْناطة مُدّةً (ذَكَرَهُ ابنُ الخطيبِ في «الاحاطة»). وفي آخرِ عُمُرِه استدعاهُ السلطان المَرينيّ يوسفُ الناصرُ لدينِ الله (٦٨٥ -٧٠٦ هـ) واستكْتَبَهُ. ولعلّ وفاتَه كانتْ سَنَةَ ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) أو بعدَ ذلك بقليل.

٢- كان ابنُ عتيقٍ السبتيُّ مُشاركاً في عددٍ من الفنون: كاللغةِ والنحوِ والتاريخ والأدب والتعاليم (الحساب والهندسة والفلك الخ). وكان بارعاً في لَعِبِ الشِّطْرنج

---

(١) ذبّ: دفع، طرد. الوزر (بالكسر): الذنب.

اخترعَ سُفرةً (رُقْعة) مستديرةً بَدَلَ الرقعة المربّعة. وله تصانيفُ منها الكتاب الكبير (في التاريخ) وله التلخيصُ المسمّى «ميزانَ العمل». وكذلك كان شاعراً مقتدراً وصل إلينا من شِعره شيء من النسيب والمديح ثمّ قصيدةٌ طويلةٌ في الهجاءِ المُقْذع الفاحش في مالك بن المرحَّل - وكان بينَهما عداوةٌ ومهاجاة.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ عتيقٍ السبتيُّ يهجو مالكَ بنَ المُرَحَّلِ (ت ٦٩٩ هـ):

لِكِلابِ سَبْتَةَ في النُّباح مداركُ ... وأشدُّها دَرَكاً لذلك مالكُ[١].
شيخٌ تَفانى في البَطالة عُمْرُه، ... وأحال فَكّيْهِ الكلامُ الآفك[٢].
كلبٌ له في كلّ عِرْضٍ عَضّةٌ ... وبكلّ مُحْصَنَةٍ لِسانٌ فاتك[٣].
أحلى شَمائِلِهِ السُّبابُ المُفْترى، ... وأعَفُّ سِيرته الهِجاء الماعك[٤].
يَغْشى مَخاطِرَه اللئيمُ تَفَكُّهاً، ... ويَعافُ رُؤْيَتَه الحليمُ الناسك[٥].
في شِعرِهِ من جاهليّةِ طبعِهِ ... أثقالُ أرضٍ لم يَنَلْها فاتك[٦].
إنّ سام مَكْرُمَةً جَثا مُتثاقلاً ... يرغو كما يرغو البعيرُ البارك[٧]؛
ويَدِبُّ في جُنْحِ الظلام إلى الخَنا ... عَدْواً كما يعدو الظليم الراتك[٨].
والدهرُ باكٍ لانقلابِ صُروفِهِ ... ظهراً لِبَطْنٍ، وَهْوَ لاهٍ ضاحك.
واللُّسْنُ تنصَحُه بأفْصَحِ مَنْطِقٍ، ... لو كان ينجو بالنصيحةِ هالك.

---

(١) المدرك والدرك: الوصول (اعتداء على الناس). مالك (بن المرحّل).
(٢) البطالة: الهزل. وأحال (غيّر شكل) فكّيه الكلام الآفك (الكذب).
(٣) المحصنة: المرأة العفيفة (ذات الزوج).
(٤) الماعك! يقصد الشاعر «المعك» (بفتح فكسر): الأحمق، الشديد الخصومة.
(٥) الرجل اللئيم يدرك أن مجالسة ابن المرحّل خطر عليه ومع ذلك فهو يحضر مجالسه لأنّ فيها أسباباً للضحك (عليه: على ابن المرحّل).
(٦) فاتك (؟). الفاتك هو الكثير الجرأة على الأمور.
(٧) إن سام (لعلّها: إن سيم: إذا طُلب منه). جثا: ركع.
(٨) دبّ: مشى ببطء واستخفاء. الجنح: الجانب من الليل. الخنا: العمل القبيح. العدْو: الركض. الظليم: ذكر النعام. الراتك: الذي يركض بخطى متقاربة.

تُبْ، يا ٱبنَ تِسعين، فقد جُزْتَ المَدى وٱرتاحَ لِلُّقْيا بِسِنِّكَ مالكٌ[1].
يا ابنَ المُرَحَّل لو شَهِدت مُرَحَّلاً وقدِ ٱنحنى بالرَّحْلِ منه الحارك[2]،
لرأيتَ للعينِ اللئيمةِ لَمْحةً وعلا بصفع عَرْكَ أُذْنك عارك[3]،
وشُغِلْتَ عن ذمِّ الأنامِ بشاغلٍ، وثَناك خصمٌ من أبيك مُماحك.

– وله قصيدةٌ يمدح بها والي المَريّةِ وكان قريباً للسلطان الغالب بالله:

مُلقى النوى ملق لبعض نوالكا، فاشْفِ المُحِبّ ولو بَطيْف خَيالكا[4].
لا تَحْسَبَنّي من فُلانٍ أو فُلا، أنا من رجالِ اللهِ ثمّ رِجالكا[5].
نَصَبَ العَدُوُّ حبائلاً لِحَبائبي، وعَلِقْتُ في اسْتخلاصِها بحِبالكا[6].
وكفاكَ شرَّ العينِ عيبٌ واحدٌ، لا عيبَ فيه سوى فُلولِ نصالكا[7].

الإحاطة ١: ٤٨٠ – ٤٨٤؛ بغية الوعاة ٣٥٤؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٣ (٢٤٣).

ابن الغمّاز البلنسي

١ – هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ الحسنِ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ سعدِ بنِ سعيدِ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ مُكْنفٍ المعروفُ بابن الغمّاز الأنصاريِّ البَلَنْسِيِّ، من أهلِ

---

(١) سيسرّ مالك (خازن النار) بلقياك (في وقت قريب) لأنك الآن طاعن في السّنّ. تسعين (!).
(٢) المرحّل: الجدّ الذي ينتسب إليه مالك هذا. يقول له: المرحّل ليس اسم الجمل الذي كان يرحل عليه جدّك، بل هو اسم جدّك الذي كان يحمل عليه الناس أشياءهم فانحنى حاركة (أعلى كتفه) من أجل ذلك.
(٣) لكنت رأيت في جدّك لؤماً يبدو من عينيه ثم (جاء) من يعرك أذنك (يشدّها: احتقاراً لك) ويصفعك أيضاً (كرهاً لك).
(٤) ملقى النوى (الآتي من مكان بعيد!) ملق..... النوال: العطاء...
(٥) من فلان أو (فلان) في «فُلا» اكتفاء (ذكر أحرف تدلّ على الحرف المحذوف).
(٦) حبالة (بالضمّ): الشرك (بفتح ففتح). الحبائب جمع حبيبة. علقت بحبالك: أحببتك (المقصود: أصبحت أنا أسيراً لك).
(٧) النصل: حدّ السيف وغيره. الفلول: الشقوق التقطيع. عيبك الوحيد أن سيوفك مفلّلة من قتالك الأعداء (من قول النابغة: بهنّ فلول من قراع الكتائب).

بَلَنْسِيَةَ، وُلِدَ يومَ عاشوراءَ من سَنَةِ ٦٠٩[١] وتلقّى العلمَ على كثيرين يبلُغون مائةً عدًّا. وقدْ تنقَّلَ في عَدَدٍ من مُدُنِ الأندلسِ ومُدُنِ العُدْوةِ الإفريقيَة، وكان يعمَلُ في هذهِ البُلدان في العَدالةِ والتَوْثيق أو يتولّى فيها القضاءَ: تولّى القضاءَ في بِجايةَ مَعَ الصلاة في جامِعِها الأعظم؛ وتولّى القضاءَ مِراراً في تونس وأصبحَ فيها قاضيَ القُضَاة. ويبدو أنّه تخلّى في أواخرِ عُمُرِه عن العملِ للتكسّبِ وعَنِ المناصبِ ثم تَفَرَّغَ للروايةِ والإفادةِ (التدريس). وكانت وفاتُه في تُونسَ في يومِ عاشوراءَ أيضاً من سَنَةِ ٦٩٣ (١٢٩٣/١٢/١١ م).

٢- ابنُ الغمّازِ البلنسيُّ في الأصلِ من عُلماءِ الحديثِ ومن الفُقهاءِ. وكانَ شاعراً مُحْسِناً سهلَ القولِ واضحَ المعاني، وعلى شِعرِه نفحةٌ دينيةٌ ودلائلُ من الإخلاص.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ الغمّاز البَلَنْسِيُّ في رجاءِ عَفْوِ الله:

وقالوا: أما تَخْشى ذُنوباً أَتَيْتَها، ولم تَكُ ذا جهلٍ فتُعْذَرَ بالجهلِ؟
فقلتُ لهم: هَبْني[٢] كما قد ذَكَرْتُمُ: تجاوَزْتُ في قَوْلي وأسْرَفْتُ في فِعلي؛
أما في رِضا مَوْلى الموالي وصَفْحِه رجاءٌ ومَسْلاةٌ لِمُقْتَرِفٍ مِثْلي[٣]!

- وقال في محاسبة نفسه:

أما آنَ للنفسِ أن تخشَعا؟ أما آن للقلبِ أن يُقْلِعا[٤]؟
أليسَ الثمانونَ قدْ أقبَلَتْ فلم تُبْقِ في لَذّةٍ مطمَعا؟
تَقضّى الزمانُ ولا مطمَعٌ لِما قد مضى منه أن يَرْجِعا.
تقضى الزمانُ، فواحَسْرَتا لِما فاتَ منه وما ضُيِّعا.

(١) عاشوراء: اليوم العاشر من المحرّم (الشهر القمري الأوّل). هذا اليوم يقع (من سنة ٦٠٩ هـ) في ١٢١٢/٦/١٢ م.
(٢) هبني (على التجريد: مخاطبة النفس): لأفرض أنا أني...
(٣) مولى الموالي: الله. المسلاة: المسلي والسلّو (النسيان والتعزّي). المقترف: المرتكب (للذنوب الكبيرة).
(٤) آن: حان، اقترب (ألم يأت الوقت بعد). أقلع: رجع (عن العمل القبيح).

ويـــا وَيْلتـــاهُ لِـــذي شَيْبَـــةٍ يُطيـــع هوى النَّفْسِ فـيما دعـا؛
وبُعْـداً وسُحْقـاً لـه إذ غـدا يُسَمَّــعُ وَعْظـا ولن يَسْمَعـا[1]!

- وقال في التسليم لله في كلّ شيء:

يا صاحبَ الهَمّ، إنّ الهمَّ مُنْفَرِجٌ؛ كم من أمورٍ شِدادٍ فرّجَ اللهُ!
اليـأسُ يقطَعُ أحياناً بصاحِبِه. لا تيأسَنَّ فـإنّ الفاتـحَ الله.
اللهُ حسْبُكَ فيما عُـذْتَ منـه به، وأين يأمَنُهُم مَن حَسْبُـه الله[2].
إذا قضى اللهُ فاسْتَسْلِمْ لقُدرتِـه، مـا لآمرىءٍ حيلةٌ فيما قضى الله.
سَلِّمْ إلى اللهِ فيما شاء وٱرْضَ به، فالخَيْرُ أجمَعُ فـيما يصنَـعُ الله.

٤- ★★ عنوان الدراية ١٢٩ - ١٣٠؛ الديباج ٧٦ - ٧٩؛ نفح الطيب ٤: ٣٠٦ - ٣١٧، ٣٢١ - ٣٢٢، ٣٣٩ - ٣٤٠؛ وفيات ابن قنفذ ٣٣٤؛ درّة الحجال ١: ٧٩ - ٨٠؛ الأعلام للزركلي ١: ٢١٢ - ٢١٣ (٢٢١).

حافي رأسه

١- هو الشيخ مُحيِي الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ أبي محمّدٍ الزناتيّ الكملانيّ[3] (نِسبةً إلى قبيلةٍ من البربرِ) الإسكندرانيّ (نِسبةً إلى إسكندريةِ مِصْرَ) المُلقّب «حافي رأسه»[4].

---

(١) السحق: البعد الشديد. بعداً وسحقاً جملة تقال في الدعاء على المذنب.

(٢) حسبك: يكفيك، كافيك. عذت (التجأت) منه (من الذنب) به (بالله). يأمنهم (كذا في الأصل!).

(٣) الكملاني (من بغية الوعاة ٥٧).

(٤) في الوافي بالوفيات (٣: ٣٦٥): «لُقّب بحافي رأسه لحفرة كانت في دماغه (انخفاض في صدغه). وقيل: كان في رأسه شيء يشبه (حرف)ح. وقيل: لأنّه كان في أوّل أمره مكشوف الرأس، فرآه رئيس في الثغر (الإسكندرية) فأعطاه ثياباً جُدُداً. فقال له: هذا لبدني، ورأسي حاف. فأمر له بعمامة. فلزمه ذلك اللقب». من أجل ذلك يحسن أن يلفظ لقبه: حافِ (بكسرتين) رأسه (بالرفع: ضمّ السين) على أنّ «رأسه» «فاعل» «حاف».

وُلِدَ محمّدُ بنُ عبدِ الله حافي رأسه في تاهرتَ[1]، سَنَةَ ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ - ١٢١٠ م). ويبدو أنّه رَحَلَ مُنْذُ مَطلعِ شَبابهِ حتّى يكونَ قد أخَذَ فِعلًا عن عبدِ المنعمِ بن صالحٍ التميميّ (٥٤٧ - ٦٣٣ هـ) وعبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ المجيدِ الصُفراويّ (٥٤٤ - ٦٣٦ هـ)، وكِلاهُما حِجازيُّ الأصلِ إسكندرانيّ الدارِ. وقد أخَذَ أيضاً عن عبدِ العزيزِ بن مَخلوفٍ الإسكندريّ وغيرِه.

واستقرّ حافي رأسه في الإسكندريةِ (فعُرِفَ من أجلِ ذلك بالإسكندراني) وتصدّرَ للتدريس فيها. وكانتْ وفاتُه في رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٩٣ هـ[2] (صيف ١٢٩٤ م).

٢ - كان حافي رأسه من أئمّةِ العربيةِ (النحو)، قال الصفديّ[3]:

«هو أحدُ الثلاثةِ المُحمّدين - من كِبارِ النُّحاة - في عصرٍ واحدٍ: حافي رأسه في الإسكندرية، وبهاءُ الدين محمّدُ بنُ إبراهيمَ النّحاسُ (٦٢٧ - ٦٩٨ هـ) في مِصرَ (القديمة: مدينة عمرو بالفسطاط) وابنُ مالكٍ (ت ٦٧٢ هـ) في دِمَشْقَ. وكان لحافي رأسه شعرٌ.

٣ - مختارات من شعره

- قال حافي رأسه يشكُرُ المحبوبَ الذي علّمه الصبرَ على الهَجْرِ:

أمُعلِّمي الصبرَ الجميلَ بهجرِه ... فثَنى فؤاداً عنه لم يَكُ يَنْثَني.
لا بُدّ من أجرٍ لِكُلِّ مُعَلِّمٍ. ... وإلى السلوّ ثوابُ ما علّمْتَني[4].

- وقال يهجو مُتَكَبِّراً (ويُجري هذا الهجاءَ في تَوْرِيَةٍ نَحْوِيةٍ بينَ رُفعةِ القَدْرِ والرفعِ في النحو ثمّ بين جرّ طَرَفِ الثوب على وجهِ الأرض للتكبّر والخُيَلاء وبين الجرِّ

---

(١) في الوافي بالوفيات (٣: ٣٦٥، السطر الثاني): ولد بتلمسان... بظاهر. وفي بغية الوعاة (ص ٥٧، السطر الثالث من أسفل): ولد بتاهرت بظاهر تلمسان.

(٢) من بغية الوعاة: سنة ٦٩٣ أو ٣٩١ (عن أثير الدين أبي حيّان). وفي فوات الوفيات: سنة ٦٨٠.

(٣) الوافي بالوفيات ٣: ٣٦٥.

(٤) في الأصول: وإلى السلوّ (والمعنى غير مستقيم). اقرأ: ولي السلّو أو ولك السلّو (لك منّي السلّو: نسيان الحب) أجرا على تعليمك إيّاي الصبر.

في النحو. ثمّ هنالك طِباقٌ بينَ « الرفع » و « الجرّ »):

ومُعْتَقِـــدٍ أنّ الرِئاسةَ في الكِبْرِ،   فأصبحَ ممقوتاً بها وهو لا يَدْري:
يجُرُّ ذُيولَ الكِبْرِ طالـبَ رُفعةٍ.   ألا فاعْجبوا من طالبِ الرفعِ بالجرِّ!

– ويبدو أنّه افتقرَ فباع كُتُبَه فكَتَب إلى الأميرِ نورِ الدين عليِّ بنِ مسعودٍ الصوابي يطلُبُ منه عَوْناً. في البيتين توريتانِ: الصواب (الحقّ، الإصابة) والصوابي (لقب الأمير نور الدين) ثمّ « بلا كتاب » (بلا كتاب في مكتبتي – بلا كِتاب مُنْزَل):

شَكَوْتُ إليـك، نورَ الدين، حالي،   وحَسْبي أن أَرى وجهَ الصواب.
وكُتْـبي بِعْتُهـا ورهنــتُ، حتّى   بَقِيـتُ من المجوسِ بـلا كتـاب!

٤ – ** فوات الوفيات ٢: ٢٨٤ – ٢٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٦٤ – ٣٦٦؛ بغية الوعاة ٥٧ – ٥٨؛ معجم أعلام الجزائر ١٥٨ – ١٥٩.

عبد العزيز الملزوزي

١ – هو عبدُ العزيز بن عبدِ الوّهاب بنِ محمدٍ الملزوزيُّ النّجارُ المِكناسيُّ، كان شاعرَ البَلاط المَرينيّ أيامَ المنصورِ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقِّ (٦٦٧ – ٦٨٤ هـ) وابنهِ يوسفَ (٦٨٥ – ٧٠٦ هـ). وقد رافقَ يعقوبَ المنصورَ في مُعظم حَمَلاتهِ في العُدْوة الإفريقية وفي الأندلس. وكـان المنصورُ يُكرِمُه، أجازه على قصيدته « بحمدِ الله أفْتَتِـحُ الخِطابا » بعَشْرة آلافِ دينارٍ! وأجازَ مُنْشِدَها بينَ يَدَيْه أبا زيدٍ الغَرابلي بألفِ دينارٍ!

وكانتْ وفاةُ عبدِ العزيزِ الملزوزي سَنَةَ ٦٩٧ (١٢٩٧ – ١٢٩٨ م).

٢ – عبدُ العزيزِ الملزوزيُّ شاعرٌ مُكثِرٌ له قصائدُ طوالٌ ومُقطّعاتٌ قصارٌ في المدح والوصفِ والنسيب. وقد حاولَ نظمَ ملاحمَ تَوَفّرَ له فيها عُنْصُرا الإطالةِ والسَّرْدِ التاريخيِّ لسَيرِ الملوكِ، ولكن لم يتـوفّر له فيها عُنْصُرا الخَيال والقَصَص المُحْكَم. ثمّ هُوَ مُؤلّفٌ له كتابٌ في تاريخ المَغرِب (لم يجعَلْ له عُنواناً). وله أُرجوزةٌ « نظمُ السلوكِ في مَنْ نَزَلَ المَغْرِبَ من الملوك ».

٣- مختارات من شعره

- قال عبدُ العزيزِ الملزوزيّ:

لِمَرّاكُشٍ فضلٌ على كلِّ بلدةٍ، وما أبصرتْ عينٌ لها من مُشابهِ.
وما هِيَ إلّا جَنّةٌ قد تزخْرَفَتْ، ولكنّها حُفّتْ لنا بالمَكارِه(١).

- وقال في النسيب:

أعَلِمْتَ بعدَكَ زَفرتي وأنيني وصَبابتي يومَ النَّوى وشُجوني(٢)؟
مِنْ بَعْدِ بُعْدِك ما ركَنْتُ لِراحةٍ يوماً، ولا غاضتْ عليك شُؤوني(٣).
قد كنتُ أبكي الدمعَ أبيضَ ناصعاً، فاليومَ تبكي بالدِّماءِ جُفوني.
قُلْ للذين قدِ ادّعَوْا فَرْطَ الهَوى: إن شِئْتُمو عِلْمَ الهوى فَسَلوني.
إنّي أخَذْتُ كثيرَه عن عُرْوةٍ ورَوَيْتُ سائِرَه عنِ المَجْنون(٤).

- وقال يرفَعُ نَسَبَ بني مَرينٍ - وهم فَخِذٌ من زَناتَةَ - إلى قيسِ عَيْلانَ من عَرَبِ الشَّمال:

قد جاورتْ زنَاتةُ البرابرا فصيّروا كلامَهُمْ كما ترى(٥).
ما بَدَّلَ الدَهْرُ سِوى أقوالِهم ولم يُبَدِّلْ مُنتهى أحوالِهم(٦).
بل فِعْلُهُمْ أرْبى على فِعْلِ العَرَبْ في الحالِ والإيثارِ ثمّ في الأدب(٧).

---

(١) تزخرفت: تزيّنت. في الحديث الشريف: «حفّت الجنّة بالمكارة» (أي أن استحقاق الدخول إلى الجنّة يقتضي القيام بعدد من الأعمال - الواجبات وأوجه الإحسان - . وهذه ثقيلة في العادة على النفس الإنسانية).

(٢) الصبابة: الحب. النوى: البعاد (الفراق). الشجن (بفتح ففتح): الحزن.

(٣) الشأن: مجرى الدمع من العين.

(٤) عروة بن حزام (بكسر الحاء) ومجنون بني عامر (قيس بن الملّوح: بفتح الواو المشدّدة) من الشعراء المحبّين العُذريين في العصر الأموي.

(٥) - أصبح كلام بني زناتة الآن قريباً من البربريّة لا لأنهم بربر، بل لأنّهم جاوروا البربر!

(٦) - لغتهم أصبحت بربرية، ولكنّ أفعالهم لا تزال عربية!

(٧) أربى: زاد. الإيثار: تفضيل الآخرين على النفس. .... حتّى أنّ النتاج الأدبي في زناتة (في النثر والشعر) أحسن منه عند العرب الأقحاح.

فانظُرْ كلامَ العُرْبِ قد تَبدَّلا وحالُهم عن حالِه تحوّلا[1]؛
لا يَعْرِفون اليومَ ما الكلامُ، وما لهم نُطْقٌ ولا إفهام[2].
كذاك كانتْ قَبْلَهم مَرينُ كلامُهُمْ كالدُّرّ إذ يَبين[3].
فاتّخذوا سِواهُمُ خليلا فبَدّلوا كلامَهم تَبْديلا

٤ - ** الاستقصاء ٢ : ٣١؛ الأدب المغربي ٢٢٦ - ٢٣٠؛ النبوغ المغربي ٢٢٦ (ترجمته)، ٩١٢ إلخ.

بدر الدين بن هود

١ - هو بدرُ الدينِ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ يوسفَ بنِ هودٍ الجُذاميُّ المُرسيّ، قيل هُوَ أخو المُتوكِّلِ على اللهِ محمّدِ بنِ يوسفَ بنِ هودٍ المستبدِّ بِبَقيَّةِ الأندلُسِ في أيامهِ (٦٢١ - ٦٣٥ هـ)[4].

وُلِدَ بدرُ الدين بنُ هودٍ في مُرْسِيَةَ، سَنَة ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ - ١٢٣٦ م). وٱشْتغلَ حيناً بالطِّب والحِكمة ثمّ صَحِبَ المتصوّفَ ٱبنَ سبعينَ (ت ٦٦٩ هـ). ثمّ إنّه حَجّ ودخَلَ اليَمَنَ وقَدِمَ إلى الشام وٱستقرَّ في دِمَشْقَ حيثُ تُوُفِّيَ في ٢٦ شَعْبانَ من سَنَةِ ٦٩٩ (١٦/٦/١٣٠٠ م).

٢ - يبدو أن بدرَ الدينِ بنَ هودٍ كان ذا ٱضطرابٍ عَصَبِيٍّ فٱتّجهَ مُنْذُ مطلع حياتِه إلى سُلوكِ الأحوالِ الصوفيةِ عادةً أو دعوى ونشأ عندَه قِلّةُ مُبالاةٍ بالعُرْفِ الٱجتماعيِّ

(١) - حتّى العرب الطارئون على المغرب تبدّلت لهجتهم لأنّهم هم أيضاً جاوروا البربر.

(٢ - ٣) المعنى المقصود في هذه الأبيات ملموح من ٱستقراء الأبيات السابقة.

(٤) يسوق الصفدي (الوافي بالوفيات ١٢ : ١٥٦) نسب بدر الدين بن هود على الصورة التالية: الحسن بن عليّ أبو عليّ بن عضد الدولة أبي الحسن أخي المتوكّل على الله ملك الأندلس (٦٢١ - ٦٣٥) أبي عبد الله ٱبني يوسف بن هود. ويسوقه الصلاح الكتبي (فوات الوفيات ١ : ١٦٣): الحسن بن عضد الدولة أبي الحسن أخي المتوكّل على الله ملك الأندلس بن يوسف بن هود الجذامي. والنسبان غير واضحين. غير أن مراجعة تاريخ الوفاة لبدر الدين هذا وللملك الأندلس يمكن أن يدلّ على أنّ ابن هود ملك الأندلس عمّ بدر الدين صاحب هذه الترجمة (راجع - مثلاً - زامباوّر ٩٣).

والدينيّ. حَدَثَ له زُهْدٌ مُفْرِطٌ في أحوالِ الدُّنيا وصَحِبَ ذلك غَفْلَةٌ شديدةٌ فكان يُرى كأنّه غارقٌ في التفكير مُتّصلُ الحُزنِ كثيرُ الآنقباضِ عنِ الناس، وشَرِبَ مرّةً الخمرَ عَلَناً ولم يُبالِ بلَوْمِ الناسِ فكان يَرُدُّ عَلَيْهِم بقولِهِ: «وما جرى؟ آبنُ هودٍ شَرِبَ خمراً». وكَثُرَ الشَّطْحُ[1] في كلامه وفي أفعاله، فكان، مَثَلاً، إذا طَلَعتِ الشمسُ آستَقْبَلَها وصَلّبَ على وجههِ. فعدّ نفرٌ كثيرون ذلك منه خُروجاً عن الإسلام. فلم يُصَلِّ عليه القاضي بدرُ الدين محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ جَماعةَ (٦٣٩ - ٧٣٣ هـ).

وبدرُ الدين بن هودٍ شاعرٌ مُكْثِرٌ على طريقة أهل التصوّف، في بعض شعره تلميحٌ وفي بعضه تصريح. وبعضُ شعرِهِ متينٌ السبْك من الطبقة العالية. وكان يميلُ في تصوّفه إلى وَحدة الوجود أوِ الآتحاد،[2] وهو- في ذلك- كثير الشَّبَهِ بعمرَ بن الفارض.

٣- مختارات من شعره

- قال بدرُ الدين بن هودٍ المرسيّ على طريقة أهل التصوّف:

فؤادِيَ مِنْ محبوب قلبـيَ لا يَخلو، وسِرّي على فِكري مَحاسِنَه يَجْلو[3].
ألا يا حبيبَ القلبِ: يا مَنْ بِذِكْرِه على ظاهري من باطني شاهدٌ عَدْلُ[4]،
تَجلّيـتَ لي منّي عَلَيَّ فأصبحـتْ صِفاتي تُنادي: ما لِمَحْبوبنا مِثْل[5]!
أُوَرّي بذِكْرِ الجزْعِ عنّي وبانـه؛ ولا البانُ مطلوبي ولا قَصْدِيَ الرملُ[6].
وأذكُرُ سُعـدى في الحَديثِ مُغالِطاً وليلى؛ ولا ليلى مُرادي ولا جُمل.

---

(١) الشطح: كلام عليه رعونة (خفّة وحمق وخروج عن المألوف).

(٢) مذهب الوحدة (وحدة الوجود) أو الاتّحاد (في التصوّف): أن يفقد المتصوّف شخصيّته ثمّ تتحقّق ذاته في الله فيفقد الإنسان ويبقى الله.

(٣) .... سرّي يجلو (يظهر) محاسن محبوبي لفكري.

(٤) على ظاهري من باطني (راجع الحاشية السابقة): سلوكي الظاهر المخالف لاعتقاد الناس تسوّغه (تجيزه) معرفتي الباطنة.

(٥) تجلّيت (ظهرت حقيقتك لي). لي منّي عليّ (راجع الحاشيتين السابقتين): المتصوّف لا يستدلّ بالمنطق وبالبراهين الخارجية، بل بما يقع في قلبه (في نفسه) من الاقتناع الذاتي (أو الوهم).

(٦) ورّى: ذكر شيئاً وهو يريد غيره. الجزع: منعطف الرمل. البان: شجر أغصانه طوال مستقيمة سمراء.

ولم أرَ في العُشّاق مثـلي، لأنّني تَلَذُّ لِيَ البَلْوى ويحلو لِيَ العَذْلُ[١]،
سِوَى معشرٍ حلّوا النِّظامَ ومزّقوا الثـ ـيابَ؛ فلا فَرْضٌ عليهم ولا نَفْلُ[٢]:
مَجانـــينُ، إلّا أنّ ذُلّ جُنونهم عزيزٌ؛ على أعتابِهم يسجُدُ العقل[٣]!

- وله في مثل ذلك (في العزة الالّهية):

خُضْتُ الدُجُنَّةَ حتى لاحَ لي قَبَسٌ وبانَ بانُ الحِمى من ذلك القَبَسِ[٤].
فقلتُ للقومِ: هذا الرَّبْعُ رَبْعُهُمُ؛ وقلت للسمع: لا تَخْلو من الحَدَسِ[٥].
وقلتُ للعين: غُضّي عن محاسِنه؛ وقلت للنُطْق: هذا موضعُ الخَرَسِ!

- وقال بدر الدين بن هود أيضاً:

عِلْمُ قومي بيَ جَهْـــــلُ إنّ شأني لَأَجَـــــلُّ[٦].
أنَـــا عبـــدٌ، أنـــا ربٌّ؛ أنَـــا عِزٌّ، أنَـــا ذُلُّ(★)
أنـــا دُنْيـــا، أنـــا أُخْرَى، أنـــا بعـضٌ، أنـــا كُـلُّ.
أنـــا معشوقٌ لــذاتي، لستُ عنّي الدهرَ أسْلو.
فوقَ عَشْرٍ دونَ تِسْعٍ بـــينَ خَمْسٍ لي مَحَـــلُّ[٧].

٤ - ★★ الوافي بالوفيات ١٢: ١٥٦ - ١٥٩؛ فوات الوفيات ١: ١٦٢ - ١٦٣؛ العبر للذهبي ٥: ٣٩٧؛ شذرات الذهب ٥: ٤٤٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٢١ (٢٠٣).

---

(١) البلوى: المحنة (المصيبة الكبيرة). العذل: اللوم (بلا مسوّغ).
(٢) حلّوا النظام: تركوا التقيّد بالعرف السائد. مزّقوا الثياب: تركوا مظاهر الأمور وعملوا بحقائقها (في ظنّهم أو وهمهم). الفرض (الواجب في الدين). النفل (ما يقوم به الإنسان متطوّعاً): صوم رمضان فرض على المسلم البالغ العاقل الصحيح (غير المريض). أمّا صوم غيره من الأيام فهو نفل.
(٣) عزيز: قوي (نفيس، نادر، مرغوب فيه).
(٤) الدجنّة: الظلام. قبس: (شيء يؤخذ من النار) العزّة الإلّهية. بان: ظهر. البان: نبات أغصانه مستقيمة. الحمى: المكان الحصين. بان الحمى (مدرك الالوهية).
(٥) الربع: المسكن.. الحدس (بسكون الدال): الظنّ، التوهّم.
(٦) أجلّ: أرفع، أعلى قدراً. ★ كلمة «أنا» تُرسم «أنا» ولكن تُلفظ «أنَ» (بإسقاط «الألف»).
(٧) البيت غير واضح (لعلّ المقصود: لي وجود في كلّ مكان).

ابن فَرْحٍ[1] الإشبيليُّ

١ - هو شِهابُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ فَرْحِ بنِ أحمدَ بنِ محمّدِ بن فَرْحٍ اللَّخْميّ الإشبيليّ، وُلِدَ في إشبيليةَ سَنَةَ ٦٢٥ (١٢٢٨ م). وفي سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٨ م) استولى فردينانَدُ الثالثُ مَلِكُ قَشْطالة على إشبيليةَ فكان ابن فرحٍ في الذين وقعوا في الأسرْ (وَهُوَ في مطلع شبابه) فاستطاع الهرب. ثمّ إنّه رَحَلَ إلى مِصْرَ في أوائلِ عَشْرِ الخمسين (بُعيد ٦٥٠ هـ) وتَفَقَّهَ فيها على العِزّ (عِزّ الدين عبدِ العزيز) بنِ عبدِ السلام (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ) وسَمِعَ من شرف الدين الأنصاري الحَمَويِّ وأحمدَ بنِ زينِ الدين وإسماعيلَ بن عزّوزٍ والنجيبِ بن الصيقلِ وابن علّاق. ثمّ إنّه انتقل (بعدَ مُدّةٍ) إلى دِمَشْقَ فَسَمِعَ من ابنِ عبدِ الدائم (٥٧٥ - ٦٦٨ هـ). ثمّ كانتْ له في الجامع الأمويّ حَلْقةٌ مشهودة.

وكانت وفاةُ ابنِ فَرْحٍ الإشبيليِّ في دِمَشْقَ في تاسعِ جُمادى الثانية مِن سَنَةِ ٦٩٩ (٢/٣/١٣٠٠ م).

٢ - كان ابنُ فَرْحٍ الإشبيليّ من علماءِ الحديث ورُواتِهِ ومن الفقهاء. وهو ناظمٌ مقتدر، اشتهرَ بقصيدتِه (القصيدةِ الغرامية) وهي منظومةٌ غزلية (ظاهِرُها غزلٌ) في ألقاب الحديث. هذه القصيدة عِشْرون بيتاً جَمَعَ فيها ابنُ فَرْحٍ عدداً من أسْماء الحديث. وقد كان لها شهرةٌ، رواها عنه كثيرون وشَرَحها كثيرونَ آخَرون[2]. وله أيضاً: شرح الأربعين (حديثاً) للنّوَوِي.

٣ - مختارات من شعره

من قصيدةِ ابنِ فَرْحٍ الإشبيليّ في ألقابِ الحديث[3].

---

(١) فرح بسكون الراء، وقد نصّ المقري على ذلك (نفح الطيب ٢ : ٥٣١).

(٢) في نفح الطيب (٢ : ٥٣١): وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم. راجع ما طبع من هذه الشروح (بروكلمن، الملحق ١ : ٦٣٥).

(٣) جعلت كلّ لقب من ألقاب الحديث مطبوعاً بحرف غليظ. ولم أفسّر هذه الألقاب لأنّها ترد هنا في =

غرامي صحيحٌ والرجا فيك مُعْضِلُ[1]، وحُزْني ودمعي مُطْلَقٌ ومُسَلْسَلُ.
وصَبْرِيَ عنكم يشهَدُ العقلُ أنّه ضعيفٌ ومتروكٌ، وذُلّي أجْمَلُ.
ولا حَسَنٌ إلاّ سَماعُ حديثِكم مُشافَهَةً يُملى عليَّ فأنْقُلُ.
وأمْرِيَ موقوفٌ عليك، وليس لي على أحد إلّا عليك المُعوَّل.
ولو كان مرفوعاً إليكَ لَكُنْتَ لي - على رُغْمِ عُذّالي - تَرِقُّ وتَعْدِلُ.
وعَذْلُ عَذولي مُنْكَرٌ لا أُسيغُه وزُورٌ وتدليسٌ!! يُرَدُّ ويُهْمَلُ.
أُقَضّي زماني فيك مُتَّصِلَ الأسى ومنقطعاً عمّا به أتوصّل.
خُذ الوَجْدَ عنّي مُسْنَداً ومُعَنْعَناً فَغَيْرِيَ موضوعُ الهوى يَتَحيَّل.
غريبٌ يُقاسي البُعْدَ عنك، وما له وحقِّ الهوى عن داره مُتَحَوَّل.
فَرِفْقاً بمَقْطوعِ الوسائلِ ما له إليك سبيلٌ لا ولا عنك مَعْدِلُ.
أُوَرّي بسُعْدى والرَّبابِ وزَيْنَبٍ،[2] وأنتَ الذي تُعْنى وأنتَ المُؤَمَّلُ.

٤- ** الوافي بالوفيات ٢: ١٤٢؛ درّة الحجال ١: ٣٦-٣٧؛ نفح الطيب ٢: ٥٢٨-٥٣١؛ شذرات الذهب ٥: ٤٤٣-٤٤٤؛ بروكلمان ١: ٤٥٩، الملحق ١: ٦٣٥؛ الأعلام للزركلي ١: ١٨٦ (١٩٤-١٩٥)؛ نيكل ٣٦٠.

مالك بن المرحّل

١- هو أبو الحَكَم مالكُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الفَرَجِ المعروفُ بابنِ المُرَحِّلِ، وُلِدَ في مالَقَةَ سَنَةَ ٦٠٤ هـ (١٢٠٧-١٢٠٨ م). أخَذَ عن أبي عليٍّ الشَّلوبينيّ (ت ٦٤٥ هـ) وابنِ الدَّبّاج وقد تولّى القضاءَ في عددٍ من الأماكن بعضُها في نواحي غَرْناطَة. ثمّ إنّه انتقلَ إلى المَغْرِبِ وَسَكَنَ سَبْتَةَ وتعاطى فيها صِناعة التوثيق،

= «توريات» (المعنى اللفظي اللغوي في مقابل المعنى الفنّي). يطول شرحها، مع أن المقصود ليس غامضاً. أمّا ألقاب الحديث: صحيح مسلسل موقوف مرفوع ضعيف إلخ فهي موجودة في معظم القواميس.

(١) المعضل: المرض الذي عجز الأطباء عن مداواته.

(٢) أورّي (أوهم) بسعدي إلخ (إن تغزلي بهؤلاء النسوة....).

وقد أجازه في ذلك أبو القاسمِ بنُ بقيٍّ.

تقرّبَ مالكُ بنُ المُرحَّلِ من المنصورِ المَرِينيّ (٦٥٦- ٦٨٥ هـ) وخصّه بمدائِحِهِ. وكانتْ وفاةُ مالكِ بنِ المرحّلِ سَنَةَ ٦٩٩ هـ (١٢٩٩- ١٣٠٠ م) في سَبْتَةَ.

٢- كان مالكُ بنُ المرحَّلِ السبتيُّ مُشارِكاً في عددٍ من العلوم كالفِقْه واللُّغة والنَحْو، كما كان من مشاهير الأدباء (نفح الطيب ٢: ٥٥١) كاتباً ومُترسِّلاً وشاعراً. وفنونُ شعرهِ مديحٌ وبَديعيّاتٌ[1] ووصفٌ وتحليلٌ معَ شيءٍ من المَرَح أحياناً ومن التهكُّم في نثرِه وشِعره. وكانله عددٌ من الآثار: ديوان شِعْره- كتاب دوبيت[2]- أُرجوزة نَظَمَ بها «فصيح ثعلب»[3]- الواضحةُ (نظم في الفرائض: تقسيم الإرث)- أُرجوزة في النحو- المُوطَّأة- التَبْيِين والتبصير في نظم كتاب التيسير (عارض به الشاطبية)[4]- العَروض- الرَمْي بالحصا والضرب بالعصا- الوسيلةُ الكبرى المَرْجُوُّ نفعُها في الدنيا والأخرى (رتّبها على حروف المعجم والْتزَمَ افتتاحَ أبياتِها بحروف الرَوِيِّ)[5]- المُعَشّرات النبويّة (على نسق «الوسيلة الكبرى»، ولكنّ عددَ الأبياتِ في كلّ مقطوعة أقلُّ)- العشريات الزهدية (لآثار الثلاثة الأخيرة في مدح الرسول).

٣- مختارات من آثاره

- وَقَعَ في كلام ابنِ المُرَحَّلِ تعبيرٌ هو «كان ماذا» فخطّأه ابن أبي الربيع النحويُّ وقال: الصوابُ «ماذا كان». فجرَتْ بين الاثنينِ مُناظراتٌ لم يَصِلْ إلينا ممّا قاله فيها ابنُ أبي الربيعِ شيءٌ، ولكنْ وَصَلَ إلينا بعضُ ما قاله ابنُ المرحّل. من ذلك:

عابَ قومٌ «كان ماذا» ليتَ شِعْري لِمَ هذا.

---

(١) البديعيّة: قصيدة في مدح الرسول.

(٢) مثاني (مزدوجات: بيتان بيتان من الشعر) من الوزن الفارسي وعلى تقفية معينة.

(٣) هو أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ) من أئمّة اللغة والنحو ومن رواة الشعر.

(٤) أرجوزة في القراءات للقاسم بن فيرُّه الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ).

(٥) راجع موشّحته في «مختارات من آثاره». على حروف المعجم (على جميع أحرف الهجاء، من الألف إلى الياء. وكلّ بيت في الموشّحة- مجموع أشطر- يبدأ في مطلعه بحرف ثمّ يكون هذا الحرف قافية ذلك البيت في الموشّحة).

وإذا عابوه جهْلًا دونَ عِلْمٍ ، كـــان مـــاذا!

(ثمّ قال مالكُ بنُ المُرحّل يُخاطب آبنَ أبي الرّبيع):

لا بُدَّ لك أن تُصبحَ مِنْ تَحْتِ طَبَقٍ على طَبَقِ نيرانٍ[١]: كان ماذا؟ «ونادَوْا: يا مالكُ، لِيَقْضِ علينا ربُّك! قال: إنّكُمْ ماكِثون. لقد جِئْناكم بالحقّ، ولكنّ أكثركُمْ للحقّ كارهون»[٢].

إلى كَمْ تُقَيِّدُ في «كان ماذا» تَقْييداً بعدَ تقييدٍ؟ لقد حَصَلْتَ منها في أمرٍ شديد. إلى كم تُعيدُ فيها وتُبْدِىءُ وتَنْظِمُ وتُنْشِىء؟ غرَّك احتمالي لِقَدْحِكَ ومَزْحِك وصَبْري على ألَم جَرْحِك، حتّى قُلْتَ: «ما لِجُرحٍ بِميّتٍ إيلامُ»[٣].

انْتَهزْتَ الفُرصَةَ في إذايَةِ صَبورٍ، ودَلّاكَ حِلْمُهُ في غُرورٍ[٤] حتّى قُلْتَ:

كُــلُّ حِلمٍ أتــى بِغَيْرِ احــتمالٍ حُجّــةٌ لاجِــىءٌ إليها اللِئامُ[٥]!

تاللهِ، لو نُهيتِ الأولى لانْتَهَتِ الآخرة[٦] ولم تَكُنِ الفاقرةُ تَتْبَعُها الفاقرة[٧]. ولكن أغْضَيْتُ على القَذى وصَبَرْتُ على الأذى حتّى قيل: لو قَدَرَ لانْتَصَرَ! واتّصلَ الأمرُ فصار دَيْدناً[٨]، فلا جرَمَ أنّ أتعقّبَ كَلامَك وأُلْفِتَ عليك لامَكَ[٩] فأقولَ؛ وإنّما أُخاطِبُ من سَمِعَ خطابي ونظر في كتابي.

---

(١) الطبق (هنا): الحال. طبقاً عن طبق: حالاً بعد حال، أي إذا أنت مِتّ (بكسر الميم) فستدخل النار (راجع القرآن الكريم ٨٤: ١٩، سورة الإنشقاق).

(٢) مالك: خازن جهنّم (راجع القرآن الكريم ٤٣: ٧٧ - ٧٨ سورة الزخرف). ليقض علينا ربّك: يطلبون من الله أن يميتهم (حتّى يتخلّصوا من العذاب في جهنّم). ماكثون: باقون (إلى الأبد).

(٣) شطر للمتنبيّ.

(٤) دلّى الرجل شيئاً في مكان عميق (أنزله، أغرقه).

(٥) البيت للمتنبّي.والرواية: .... بغير اقتدار.

(٦) لو أنك وجدت من نَهاك (نصح لك) حينما أخطأت في المرّة الأولى لآنتهيت في الآخرة (لما أخطأت مرّة ثانية ولما عوقبت مرة بعد مرة).

(٧) الفاقرة (القرآن الكريم ٧٥: ٢٥ سورة القيامة): المصيبة الكبيرة التي تكسر فقار (جمع فقارة، بالفتح فيهما): عظام سلسلة الظهر.

(٨) الديدن: العادة.

(٩) اللام: الهول، الأمر الشديد (لا بُد من أن أتابع أقوالك وأردّ عليك الأذى [الذي تريد] أن تلحقه بي).

- لابنِ المَرحّلِ السَبْتيّ مُوَشَّحَةٌ بديعية (في مدح الرسول) « من غُرَرِ القصائدِ، وفيها لزومُ ما لا يلزمُ من تَرتيبها على حروف المعجم يجعَلُها (أي يجعل حروف المعجم) بَدْأً ورَوِيًّا على اصطلاحِ المغرب » (نفح الطيب ٧: ٤٥٣ وما بعد): من هذه البديعية:

ألِفٌ: أجَلُّ الأنبياءِ نَبِيءُ
بِضيائه شمسُ النهار تُضيءُ
وبهِ يُؤَمِّلُ مُحْسِنٌ ومُسيءُ
فضلًا من الله العظيمِ عظيماً. صلّوا عليه وسَلّموا تَسْليما
باءٌ: بَدا في أُفقِ مكّةَ كَوْكَبا،
ثمّ اعتلى فجَلَا سَناه الغَيْهَبا
حتّى أنارَ الدهرَ منه وأخْصبا،
إذ كان فَيْضُ الخيرِ منه عَمِيمًا. صلّوا عليه وسلّموا تسليما.
ثاءٌ: ثَوَى في الأرض منه حديثُ
في كلِّ أُفْقٍ طِيبُه مَبْثوث.
داعٍ بأنواعِ الهُدى مَبْعوث
يَتْلو نُجوماً أو يَهُزُّ نجوماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.
نونٌ: نَبِيٌّ جاءنا بِبَيانِ
وبِمُعْجِزاتٍ أُبْرِزَتْ لِعِيانِ.
وبِحَسْبِه أن جاء بالقُرآن
يَشْفي قُلوباً تَشْتَكي وجُسوما. صلّوا عليه وسلّموا تسليما.

- وقال يَصِفُ قِصَرَ الليلِ:

وعَشِيّةٍ سَبَقَ الصَّباحُ عِشاءها قِصَراً، فما أمْسَيْتُ حتّى أسْفرا[1].
مِسكيّةٌ لَبِسَتْ حُلَى ذهبيّةً، وجَلا تَبَسُّمُها نِقاباً أحْمرا[2]؛

(١) أسفر (الصبح): بدا، ظهر.
(٢) مسكيّة: كلون المسك (في السواد). لبست حلى ذهبية (تلمع من كثرة النجوم) وجلا تبسّمها (أول ظهور =

وكأنّ شُهْبَ الرَّجْمَ بعضُ حُليِّها   عَثَرَتْ بـهِ من سُرْعةٍ فَتَكَسّرا[1].

- وقال في الشُّعراءِ الذين يَفْتَتِحون قصائِدَهم بالغزل (مُسْتَحْسِناً طَريقتَهُمْ):

ضـلّ المُحبّون إلّا شاعراً غَزِلَاً   يُطارِحُ المَدْحَ بالتَشْبيب أوطارا[2]،

لا يَشْتكي الحُـبَّ إلّا في مدائحِه   -دَعوَى-لِيُصْغيَ أسماعاً وأبصارا[3].

كضاربِ العودِ وشّى فيه تَوْشِيَةً،   وبعـدَ ذلـك غَنّى فيه أشعارا[4]!

- وقال في النسيب (وقد جانَس بين عَيْنِ حُرٍّ وساقِ حرٍّ - وساقُ حرٍّ ذَكَرُ القَماري: الحَمام، وهو يُحْدِثُ صوتاً عَذْباً لا يُدرَى أبكاءٌ هو أمْ غناء):

رُبَّ رَبْـعٍ وَقَفْـتُ فيـه وعهـدِ   لم أُجـاوِزْهُ والركائـبُ تَسْري

أسْألُ الدارَ - وهي قَفْرٌ خـــلاءٌ -   عن حبيـبٍ قد حَلَّها مُنذُ دهر،

حيـثُ لا مُسْعِـدٌ على الوَجْدِ إلّا   عـينُ حرٍّ تجودُ أو ساقُ حرّ[5]!

٤ - ★★ بغية الوعاة ٣٨٤؛ نفح الطيب ٤: ١٤٥ (مسألة «كان ماذا») ثمّ ٧: ٤٥٣ - ٤٥٩؛ أزهار الرياض، راجع ١: ٣٢؛ الأدب المغربي لتاويت ٢٢١ - ٢٢٥؛ النبوغ المغربي لكنّون ٢٢٥ - ٢٢٦، ٣٩٩ - ٤١٥، ٧٢٥ - ٧٢٧، ٩١٢ - ٩١٧؛ بروكلمن ١: ٣٢٣ - ٣٢٤، الملحق ١: ٤٨٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٦: ١٣٨ (٥: ٢٦٣، ٧: ٢٠١ - ٢٠٢).

= الفجر) نقابا أحمر (اللون الأحمر على الأفق الشرقي قبل طلوع الشمس).

(١) شهب (نجوم الرجم): النيازك: (قطع من الحجارة تنفلت من مدارات الكواكب فتنجذب نحو الأرض، فإذا مرّت في جوّ الأرض اشتعلت من احتكاكها بالهواء).

(٢) التشبيب: الغزل. أوطار جمع وطر: غاية، مقصد (بكسر الصاد). - يطارح المدح (يجعل قبل المدح): يبدأ قصائده بالغزل.

(٣) - هو غير محبّ، ولكنّه يشكو الحبّ في شعره ليستميل الأسماع لسماع مديحه التالى.

(٤) من عادة العوّاد (ضارب العود) أن يبدأ بتقسيم (عزف يسير، قليل) قبل ان يبدأ هو بالغناء. الركائب جمع ركوبة (بالفتح): دابّة معدّة للركوب. تسري: تسير في الليل.

(٥) المسعد (المعين، المشارك). الوجد (ألم الحبّ). عين حرّ (رجل حرّ يبكي معك فيخفّف شيئاً من مصيبتك) أو ساق حرّ (طير يغنّي فينسيك غناؤه العذب بعض ألمك).

يحيى بن عليّ اليَفَرْنيّ

١- هو أبو زكريّا يحيى بنُ عليٍّ بنِ سُلطانِ اليَفَرْنيُّ، يبدو أنّ أصلَهُ من المَغْرب الأقصى[١]. وُلِدَ يحيى بنُ عليّ سَنَةَ ٦٤١ للهجرة (١٢٤٣ - ١٢٤٤ م). وكان يُقْرِئُ العربيةَ (النحو) في تُونِسَ فتَخَرَّجَ به نُخْبَةٌ من نُجَباءِ تونس حتّى أصْبح له فيها صِيتٌ عظيم. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ - ١٣٠١ م).

٢- كان يحيى بنُ عليٍّ اليَفَرْنيُّ عالماً بالقراءة والتفسير والفِقْه والنحو والأدب، ولكنّ براعتَهُ كانتْ في النحو وحدَهُ فكان يُلَقَّبُ في المشرق «جَبَلَ النحْوِ». واليفرنيُّ هذا يَعُدُّ نفسَه من المجتهدين في الفِقه فلا يُجيزُ مثلاً نِكاحَ الكتابيّاتِ[٢]. وَهُوَ أيضاً شاعر رقيقٌ مُحْسِنٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال يحيى بن عليّ اليفرنيُّ في الغَزَل:

ماذا على الغُصُنِ الميّاس لو عَطَفَا ... على صُبابةِ صَبٍّ حالفَ الدَّنَفا[٣]؟

يا رَحْمةً لفُؤادي مِنْ مُعَذِّبِهِ، ... كم ذا يُحمِّلُه أن يَحْمِلَ الكَلَفا[٤]!

ويا رعى الله داراً ظلّ يَجْمَعُنا ... في ظِلّ عيشٍ صفا مِنْ صَيْبه وضَفا[٥].

مودّةٌ بَيْنَنــا في الحُــبّ كاملــةٌ ... ونحن لا نَعْرِفُ الإعراضَ والصَّلَفا[٦].

٤- ** بغية الوعاة ٤١٢؛ نفح الطيب ٤: ١٤٦ - ١٤٧.

---

(١) يفرن، يفران، ايفران في المغرب الأقصى.

(٢) الكتابية: المرأة من أهل الكتاب كاليهود والنصارى: وهذا رأى الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، ولكّن معظم فقهاء المسلمين يجيزون ذلك.

(٣) الصبابة (بضمّ الصاد): بقية الحياة. الصبّ: المحبّ. الدنف: اشتداد المرض والإشراف منه على الموت.

(٤) الكلف: الولوع بالشيء، احتمال الأمر بمشقّة.

(٥) دار مؤنّثة، وقد تذكّر (القاموس ٢: ٣١). الصيب: ما يصيب الإنسان من سهم أو نحوه. صفا من صيبه (لم يكن فيه ما يسيء!) ضفا: فاض.

(٦) الصلف: التكبّر. وفي رواية: ضفا من طيبه وصفا (وهو أقرب إلى المعنى المراد).

ابن عبد النور المالقيّ

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبدِ النور بنِ أحمدَ بنِ راشدٍ المالَقِيُّ، وُلِدَ في مالَقَةَ في رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٣٠ (مطلعِ الصيفِ عامِ ١٢٣٣ م).

يبدو أن ابنَ عبدِ النور قدِ آستفادَ أكثرَ علومهِ من المُطالعة، إذْ لم يكنْ له آعتناءٌ بلِقاءِ الشيوخ، ولكنْ أخَذَ في بلدهِ القراءةَ عن الخطيبِ أبي الحسنِ الحجّاجِ بنِ أبي رَيْحانةَ المربلّيّ (ت ٦٧٢ هـ) وقرأ أشياءَ من الجُزولية في النحو[١] على محمّدِ بنِ يحيى بنِ مُفرِّجٍ المالَقِيّ (ت ٦٥٧ هـ).

ورَحَلَ آبنُ عبدِ النورِ المالَقِيُّ إلى المَغْرب ونَزَلَ في سَبْتَةَ حيناً. ثمّ إنّه عاد إلى الأندلُس وجَلَس لإقراءِ القُرآنِ الكريم في وادي آشَ والمَرِيَّةِ وبَرْجَةَ وغَرناطةَ. وقد تولّى القضاءَ حيناً آخرَ نِيابةً لا أصالةً.

وكانتْ وفاةُ ابنِ عبدِ النور المالَقِيُّ في ٢٧ من ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٧٠٢ (١٣٠٣/١٢/١٦ م) في المَرِيَّةِ.

٢ - كان آبنُ عبدِ النور المالَقِيُّ قَيِّماً على العربيةِ (النحو) - إذْ كانتِ العربيةُ جُلَّ بضاعتِه - كما كانتْ له مُشاركةٌ في المَنْطِق والعَروض وقَرْض الشعر وفي فُروع الفِقْه. وشِعْرُه وَسَطٌ، ولم يكُنْ يَقْصِدُ قولَ الشعر، بل كان يقولُ ما يخطُرُ في بالهِ حيناً بعدَ حينٍ.

وكان له تصانيفُ منها كتابُ رَصْف المعاني ثمّ كتاب البَسْمَلة (بسم الله الرحمن الرحيم) والتَّصْلية (الصلاة على الرسول). وله كتاب في شَرْحِ « الكوامل » لأبي موسى الجُزوليّ[٢]، وله كتاب شَرَحَ فيه « مُغْرِبَ » أبي عبد الله بن هشامٍ الفِهريِّ الشوّاشِ (لم يُتِمَّه). ثمّ له جزءٌ (كتاب صغير) في العَروض وجزء في شواذِّ العَروض. ثمّ شرحٌ على كتاب الجُمَل الكُبرى لأبي القاسمِ الزجّاجي (ت ٣٢٧ هـ) وإملاءٌ على كتاب المُقَرِّبِ

---

(١) راجع الحاشية التالية.

(٢) هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يلّلبخت الجزولي (ت ٦٠٧ هـ) من علماء العربية (راجع ٥: ٥٩٣ - ٥٩٤).

لآبنِ عُصْفورٍ، وسوى ذلك قليل.

وكتابُ «رصف المباني في حروف المعاني»، وهي (في هذا الكتاب) خمسةٌ وتسعونَ حرفاً منها ثلاثةَ عشَرَ مُفْردَةٌ (حرفٌ واحدٌ، نحو: الهمزة، الباء والتاء والكاف واللام والميم والسين والواو، الخ) ثمّ آثنانِ وثمانونَ مركبَةٌ (أكثرُ من حرفٍ واحد، نحو: كي، لا، لم، لمّا، ليس، كأنّ، لوما، منذ، معَ، نَعَمْ، على، في، هل، الخ). ثمّ إنّ هذه الأحرفَ - سواءٌ منها ما كان مُفْرَداً أو كان مركَّباً - تنقسمُ قِسمينِ: عاملةً (تؤثّرُ في الكلِماتِ التي تدخُلُ عليها فتجرُّها أو تَنصِبها إلخ) أو غيرَ عاملةٍ (لا تؤثّرُ فيما يَليها: لا تُبَدِّل إعرابَه).

٣- مختارات من آثاره

- من شعر ابنِ عبد النور أبياتٌ في الغزَل (لعلّ فيها اتّجاهاً صوفِيّاً):

محاسنُ مَنْ أهوى يَضيقُ لها الشرحُ، له الهِمّةُ العَلْياءُ والخُلُقُ السَّمْحُ.
له بهجةٌ يَغْشى البصائرَ نورُها، وتَعْشى بها الأبصارُ إنْ غلس الصُّبح[1].
إذا ما رَنا فاللَّحظُ سَهْمٌ مُفَوَّقٌ، وفي كلّ عُضْوٍ من إصابتهِ جُرْح[2].
إذا ما آنثنى زَهْواً وولّى تَبَخْتُراً يَغارُ لذاك القَدِّ من لِينه الرُّمح[3].
وإن نَفَحَتْ أزهارُه عند رَوْضةٍ فَيُخْجِلُ ريَّا زَهْرِها ذلك النَّفح[4].
هو الزمنُ المأمولُ عند آبتهاجِهِ: فَلِمّتُه ليلٌ وغُرّتُه صُبح[5].

(١) بهجة: حسن ونضارة. يغشى: يغطّي. البصائر جمع بصيرة: قوّة الادراك والفطنة. تعشى: تضعف، تعجز (بكسر الجيم) عن النظر. غلس (ليست في القاموس)، المقصود «غبس» (بفتح فكسر): أظلم.

(٢) رنا: أدام النظر. مفوّق: له فوق (بالضمّ): شبه زاوية حادّة في أسفله ليثبت في وتر القوس عند الرمي. والشاعر يقصد «سهماً مسدّداً» (يصيب الهدف).

(٣) الزهو: العجب (بالضمّ) بالنفس. التبختر: المشي بحال حسنة فيها هدوء واختيال (إعجاب بالنفس). - الرمح الجيّد يكون فيه لين (ينحني ولا ينكسر).

(٤) نفح الزهر: انتشرت رائحته.

(٥) عند ابتهاجه (عند ابتهاج الزمن): آزدهاره وأمنه وصفائه. اللمّة (بالكسر): شعر الرأس المجاور للأذن. لمّته ليل (شديدة السواد): كناية عن الشباب. وغرته (جبهته، أعلى وجهه) صبح (بيضاء): كناية عن الوجاهة في الناس.

لقد خامرَتْ نفسي مُدامةُ حُبّهِ، فقَلْبِيَ من سُكْرِ المُدامةِ لا يصْحو[١].
وقد هام قلبي في هواهُ، فبَرّحتْ بأسرارِه عينٌ لِمَدْمَعِها سحٌّ[٢].

- من مقدّمة كتاب «رصف المباني في حروف المعاني»:

الحمدُ للهِ مُدبِّرِ الأشياءِ ومُحْكِمِها ومقدّرِ المِنح ومُقَسِّمِها....[٣]، ومُعَلِّمِها، ومُخصِّصِ عَرَبِيّتها بأفضلِ الأُممِ وأكرمِها؛ الذي جَعَلَ الكلامَ خَصيصةَ البشرِ، وأظهرَ بها نظرَ الناظرِ وعِبرةَ المُعْتَبِرِ (ثمّ) ضَمّنَه من المعاني الجمّة وفضائلِ الحِكمة ما لا يَصِلُ إليه فَهْمُ أُمّةٍ ولا يُهْتَدَى إلى بعضه إلّا بعدَ أُمّة[٤].....

وبعدُ، فإنّ لسانَ العربِ لمّا كان أشرفَ الألْسنةِ وشَنْشَنةُ[٥] اتباع (؟) فَهْمه أحسنَ شنشنةٍ، إذ منه يُتوصَّلُ إلى مقاصدِ الشرع في أحكامه وأغراضِ قواعدِ العلم وأعلامهِ، وكان مُقَسَّماً إلى تقسيمهِ المعروف- من الأسماء والأفعال والحروف- وكانت الحروفُ أكثرَ دَوْراً، ومعاني مُعْظَمِها أشدَّ غَوْراً[٦]، وتركيبُ أكثرِ الكلام عليها ورُجوعه في قواعدِه إليها، ٱقْتَضَى ما خطَرَ من النظرِ أنْ أبحَثَ عن معانيها وأُطالعَ غَرَضَ الواضعين فيها. فوجدْتُ منهم مَنْ أغفَلَ بعضَها وأهمل، ومَنْ تسامح في الشرح وتسهَّلَ، ومَنِ ٱختصرَ منها (أو) أسهب، ومَنْ ركّب البسيطَ وبسّط المُركَّبَ، ومن شتّتَ ألفاظَها وعدّد، وأطال الكلام لغير فائدةٍ وردّد.

فدعاني الغَرَضُ الخاطرُ والرفيقُ العابرُ[٧] (إلى) أن أُؤلِّف فيها كِتاباً يشتملُ على

---

(١) خامر: خالط. المدامة: الخمر المطبوخة بالنار (وتكون شديدة الإسكار).
(٢) هام: سار على غير هدى. برح به الحب: آذاه وأضر به، وجعله عاجزاً (عن كتمان سره). السحّ: الكثير السيلان.
(٣) المحكم: المتقن. المنحة (بالكسر): العطية.
(٤) يصل إليه فهم أمّة (عدد كبير من الناس). بعد أمّة (بعد مدّة طويلة من الزمن).
(٥) الشنشنة: العادة الغالبة على الإنسان. اللهجة النازلة عن اللغة الفصحى (؟).
(٦) أكثر دوراً (دَوَراناً على الألسنة): أكثر ٱستعمالاً في الكلام. أشدّ (أبعد) غوراً (عمقاً): غير واضحة المعاني (في استعمال الناس).
(٧) الخاطر: الذي يبدو فجأة. العابر: المارّ اتّفاقاً (هو يقصد أن تأليف كتابه لم يكن عن قصد).

شرحها وإيضاح ما خَفِيَ من بَرْحِها[١] لِيَشْتَفِيَ صدرُ الناظر فيه على المأمول ويُفيدَه - إن شاءَ اللهُ - إنْ أخذَهُ بالقَبول.

وسَمَّيْتُه « رَصْفَ المباني في شرح حروف المعاني » لِيكونَ آسمُه وُفْقَ معناه ولفظُه مُتَرْجِماً عن فَحْواه. ونَظَمْتُه على ترتيبِ حروف المُعْجَم لِيَكونَ في التأليف أنبلَ وعلى تَفَهُّمِه أسهلَ. وذكرت..... منها على ما هو عليه في النُّطْق من حرفٍ واحدٍ وأزيدَ حتّى آنْتَهَيْتُ إلى آخرِ حرف فيه. وعلى الترتيبِ المذكور اتبعْتُ أوّلَ حرف منه - إذا كان مُركَّباً - ما يَليهِ من ذلك الترتيب. وما كان ناقصاً (من حروف المعجم وما كان) مركّباً.....[٢]

وبيّنتُ ذلك كلَّه مُجمَلاً ومُفصّلاً على ما.......[٣] الجُهْدُ وحمل على بسطهِ وتقصّي موارده الجِدّ. وأنهيت في ذلك.....[٤] لتكون للكتاب المزيّةُ على ما سواه. وإنّما الأعمال بالنيّات، ولكلّ آمرىء ما نواه[٥]. واللهَ عزّ وجلّ أَسترشدُ إلى ما يُرْشِدُ، وأَسْتَعْضِدُ فيما أَقْصِد. فما المَفْزَعُ[٦] إلّا إليه، وما التوكّل إلّا عليه: إليه أفزَعُ وعليه أتوكّل، هو حَسْبي ونِعْم الوكيلُ.

- من مَتْن كتاب « رصف المباني في شرح حروف المعاني (ص ٣١٠ - ٣١١):

آعلَمْ أن « ما »، في كلام العرب، لفظٌ مُشْتَرِكٌ يقَعُ تارةً آسماً وتارة حرفاً، وذلك بحَسْبِ عَوْدِ الضمير عليه وعدم عَوْده (بحَسْب) قرينة الكلام. وحظّنا من القسمين الحرفيةُ[٧] وهي التي يكون معناها في غيرها. ولها في الكلام ثلاثةُ مواضعَ:

الموضع الأول أن تكون حرفَ نَفْيٍ. وتنقسمُ لهذا المعنى قِسمين: قِسم[٨] يدخل

---

(١) البرح: التعب والأذى.

(٢ و ٣ و ٤) بياض في الأصل (اقرأ: وسعني - السعي، العمل (أي حاولت الوصول إلى نهايته وتمامه).

(٥) تضمين من حديث لرسول الله « إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكل امرىء ما نوى. فمن كانت هجرته لله ورسوله (في سبيل الله وطاعة لرسول الله)، فهجرته لله ورسوله... ».

(٦) المفزع: الملجأ.

(٧) وقصدنا من البحث في « ما » على أنه حرف (حرف نفي، حرف استفهام) لا على أنّها اسم موصول بمعنى الذي.

(٨) الأصح أن يقال « قسماً » (بدل من قسم).

على المبتدأ والخبر، وقسم لا يدخُلُ عليهما.

فالقسم الذي يدخل على المبتدأ والخبر للعربِ فيه مذهبان: مذهبُ أهل الحجاز ونجدٍ (وذلك) أن يُجْروها مجرى «ليس» فيرفعوا بها المبتدأ آسماً لها ويَنصِبوا خَبَرَهُ خبراً لها، فيقولوا: «ما زيدٌ قائماً، وما عبدُ الله راكباً». وذلك تشبيهاً لها بليس»، إذ «ليس» هي للنَّفْي مثلُها، وداخلةٌ على المبتدأ والخبر مثلَها ونَفْيِ الحال[1]. وزادَ بعضُهم: وتدخُلُ الباءُ في الخبر كما تدخل في خبر «ليس»، فتقولُ: «ما زيدٌ بقائمٍ» كما تقول: «ليس زيدٌ بقائم».

إلّا أنّهم لا يُعْمِلونها عَمَلَها إلّا بثلاثة شُروطٍ: الأوّل ألّا يدخُلَ على الخبر «إلّا» فيصيرَ مُوجِباً فيُنْقَضَ النفيُ من جهةِ النفيِ[2] إذا دخلتْ، فيرتفعَ ما بعدَها على المبتدأ والخبر. والثاني ألّا يتقدّمَ الخبرُ على الآسم، فإنّ تقدّمَ ارتفعَ ما بعدَها بالآبتداء والخبر لأنّها حرفٌ ضعيف لا يقوى قُوّة «ليس»، إذ هي فعلٌ على ما ذُكِرَ في بابها. وعَمَل «ما» بحقّ الشَّبَهِ، كما ذُكِرَ[3]. والثالث ألّا تدخُلَ عليها «إنْ» الزائدة لِشِبْهِها بالنافية[4]، فكأنّه دخل نفيٌ على نفيٍ فصارَ إيجاباً، فتقول: «ما زيدٌ إلّا قائمٌ، وما قائمٌ إلّا أنت، وما إنْ زيدٌ قائمٌ». قال الله تعالى: ﴿ما هذا بشراً﴾[5]، فهذا آجتمعتْ فيه الشروط. وقال تعالى: ﴿ما أنتم إلّا بشرٌ مثلَنا﴾[6]. وقال الشاعر:

فما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ، ولكنْ ... منايانا ودَوْلةُ آخَرينا[7].

---

(١) نفي الحال (إذا قلنا: ليس زيد مريضاً، فمعنى ذلك أنّه الآن ليس مريضاً).

(٢) ينتقض (يبطل) النفي من جهة النفي (إنّ النفي الثاني يبطل النفي الأوّل، فتصبح الجملة مثبتة).

(٣) يقال «ما» المشبهة بليس.

(٤) إنّ «إنْ» (بكسر فسكون): حرف نفي يشبه «ما» (إن أنت إلّا تلميذ = ما أنت إلّا تلميذ = أنت تلميذ).

(٥) القرآن الكريم (١٢: ٣١، سورة يوسف).

(٦) القرآن الكريم (٣٦: ١٥، سورة يس).

(٧) الشعر لفروة بن مسيك، وهو شاعر من الصحابة، توفّي ٣٠ هـ. والطبّ (بالكسر): الشأن، العادة المعروفة عنّا. يقول فروة هذا البيت من مقطوعة يعتذر فيها عن انهزام قومه في احدى المعارك (راجع تاج العروس- الكويت ٣: ٢٥٩؛ ابن الأثير ٢: ٢٩٥ - ٢٩٧).

٤- رصف المباني في شرح حروف المعاني (تحقيق أحمد محمّد الخرّاط)، دمشق (منشورات مجمع اللغة العربي بدمشق) ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م.

★★ الإحاطة ١: ٢٠٣ - ٢٠٩؛ بغية الوعاة ١٤٣ - ١٤٤.

ابن عبد الملك المرّاكشي

١- هو الشيخُ (نفح الطيب ٥: ٦٠٤) أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ سعيدِ (المرقبة العليا ١٣٠) بنِ عبدِ الملكِ الأوْسيُّ الأنصاريُّ المَرّاكُشيُّ، من أهلِ مَرّاكُش، وُلِدَ في رابعَ عَشَرَ ذي الحِجّة من سَنَةَ ٦٣٤ (٩/٧/١٢٣٧ م) في الأغلب.

روى عن أبي الحسنِ عليِ بنِ محمّدِ الرُّعينيِّ وأبي عبدِ الله محمّدِ بنِ عليٍّ بنِ هشامٍ وأبي الوليدِ بن عفير. وأجازَ له ابنُ الزُّبير (ت ٧٠٨ هـ) صاحبُ صِلة الصلة.

وكان في أيامِ شَبابِهِ قد أرادَ أن يرحَلَ إلى الأندلس فلمّا وَصَلَ إلى جَنوبِيِّها تجوّلَ فيه ثلاثةَ أيامٍ ثمّ عادَ إلى المغرب. وقد تولّى قضاءَ مَرّاكُشَ مُدّةً ثمّ أُخِّرَ عنه بوشايةٍ من رجلٍ كان ابنُ عبد الملك عنيفاً في مُعاملته. أمّا وفاتُه فكانتْ في أواخِرِ المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٧٠٣ (أواسطِ تمّوزَ- يوليو ١٣٠٣ م) في تِلِمْسانَ.

٢- كان ابنُ عبدِ الملكِ المَرّاكُشيّ عارفاً بعددٍ من فنونِ المعرفة: في الحديثِ والفقه والتاريخ واللغة والنحو والشعر، كما كان ناثراً وناظماً. وشِعرُه عاديٌّ جدًّا. ثمّ إنّه كان مُصَنِّفاً له: كتاب (في الأحكام)[1] جَمَعَ فيه بينَ كتابِ أبي الحسنِ عليٍّ بنِ محمّدِ بنِ القطّانِ الفاسيّ (ت ٦٢٨ هـ) وكتاب ابنِ المَوّاق المَرّاكُشي. أمّا شُهْرَتُه فتَرْجِعُ إلى كتابه «الذيلِ والتَّكْمِلة لكتابَيِ المَوْصول والصلة»[2]، وهو (أي الذيل والتكملة) قاموس عامّ لرجالات الأندلس منذ الفتح إلى آخر القرن السابع للهجرة (ولم يُتِمَّه لاتّساع نطاقه).

---

(١) لعبد الحقّ بن عبد الرحمن الإشبيليّ المعروف بابن الخرّاط (٥١٠ - ٥٨١ هـ) كتاب في «الأحكام» (الأحكام الشرعية المستقاة من الحديث) صنع منه ثلاث نسخ: كبرى ووسطى وصغرى. وقد ألف ابن القطّان في الرد على عبد الحقّ كتاباً عنوانه: كتاب الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام (لعبد الحقّ الإشبيلي).

(٢) الموصول في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ). والصلة لابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ).

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة « الذيل والتكملة »:

.... قال عبدُ الله[١] المُؤَمِّلُ رُحماه محمّدُ بنُ محمّدِ بن عبدِ الملك بنِ محمّدِ ابن سعيدٍ أمدّه اللهُ بتوفيقه وجعله من طائفة الحقّ وفريقهِ: الحمدُ للهِ الذي أعلى مَعالمَ العِلمِ بأعلامه، وأحلى مواردَ الفَهْمِ لأُولي أحلامهِ[٢]، ويسّرَ كُلًّا منهم بهِ لِما يسّرَ له من أقسامه، وألهَمَهُ إلى التمسّكِ بأسباب سعادته فسَعِدَ بإلهامه، وآتّسَمَ بما به ارتسَمَ مِنَ الآنتظام في سِلْك حِزبه فأفلَحَ بآتّسامهِ وآرتسامه وآنتظامه[٣]، وصَرَفَ إليه دواعيَ شَغَفِه به وغَرامه، ووَقَفَ عليه مُتَوالِيَ آهتباله وآهتمامه[٤]، فمنهم مَنِ آلْتَمَسَه بُمستقَرّهِ مُعْمِلاً صِدقَ جِدّه وتصميمِ آعتزامه[٥]......

أمّا بعدُ، فإنّي قصدْتُ في هذا الكتابِ إلى تذييلِ صِلَةٍ لراوية أبي القاسم بنِ بَشْكُوالَ تاريخَ الحافظ أبي الوليدِ بن الفَرَضيّ[٦]، رَحِمَهما الله، في علماءِ أهلِ الأندَلُس والطارئين[٧] عليها من غيرِهم، بذِكْرِ من أتى بعدَه منهم، وتكميلِها بمَنْ كان من حقّه أنْ يَذْكُراه فأغْفلاه. وقبلَ الشُّروع في إيرادِ ما قصدْتُ إليه من ذلك فلا بُدّ من ذكرِ مُقدِّمَة تُطلِعُ على وجه العمل الذي آعتمَدْتُه، وتُرْشِدُ إلى المسلَكِ الذي فيه سلكْتُه سائلاً من الله سُبحانَه (وتعالى التوفيق) والصوابَ في القول والعمل، وإنجاداً على ما يَعْصِمُ من مُواقعةِ الخطأ والخَطَل[٨] (فإنّه لا) مأمولَ إلّا خيرُه، فأقولَ:

---

(١) عبد الله، هنا، صفة وليس اسماً، إذ نقول: قال عبد الله محمّد بن مالك، أو هذا كتاب من عبد الله عبد الملك بن مروان...

(٢) المراكشي مولع هنا بالجناس: أعلى معالم العلم بأعلامه - أحلى موارد.... بأحلامه. المورد: المكان يشرب منه الناس. الأحلام جمع حلم (بالكسر): العقل والتروّي في الأمور.

(٣) الآتّسام (الاتّصاف) والآرتسام (العمل بمقتضى منهج معيّن) والآنتظام (الآنتساب إلى فريق معلوم يعمل بعملهم).

(٤) الشغف: شدّة الحبّ. متوالٍ: متتابع، مستمرّ. الآهتبال: آنتهاز الفرصة.

(٥) صمّم: عزم على الأمر ومضى فيه بثبات.

(٧) في آبن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) وآبن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) راجع ٥: ٤٥٦ و ٤: ٣٣٧).

(٧) الطارىء: الآتي إلى المكان من خارجه للزيارة أو الاستقرار.

(٨) أنجد فلان فلاناً: ساعده، أعانه. عصم: حمى (أبعد عنه الأخطاء). الخطل: فساد العقل وسوء الحكم على الأمور.

إنّ الحافظَ أبا الوليد، رَحِمَه الله رتّب أبوابَ كتابه على تَوالي حروفِ المُعْجَم المعروفِ ببلادِ المشرقِ، فِعْلَ أبي عبد الله البُخاري[١] .... (هنا أسماءُ مؤلّفين) وتَبِعه على ذلك الترتيب أبو القاسم بن بَشْكُوالَ في صِلَتِهِ تاريخَه، وقد فَرَغَ من كتابَيْهما حرفُ الظاء[٢]. وخالَفَهم في ترتيب الحروف أبو عبد الله بنُ الأبّار[٣]- وهو أنبَلُ تابعيهِ[٤]- وأبو العبّاس بن فرتونَ[٥] (الوافي ٧: ١٣٥ - وكتابه الذيل على الصلة لابن بشكوال مفقود) ومُصلِحُ كتابه ومُكمّلُه أبو جعفرِ بن الزُّبير[٦] فرتّبوا أبوابَ كُتُبِهم على نَسَق الحروف المعروفِ ببلادِ المغرب، وهُوَ مُتّفِقٌ (مع) الترتيب المشرقيّ إلى الزاي، وبعدَه عند أهل المغرب والأندلس ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي.

وجعل ابنُ الفَرَضيّ وآبنُ بشكُوالَ الأسماء في الأبواب على طبقاتِ المذكورين فيها فقدّما الأسبق في الوجود فالأسبق، وعقّبا كلَّ آسمٍ من أسماء الأندلسيّين بمن وجدوه من مُوافِقِهِ من الغرباء - وهم في مُصْطَلَحِها الطارئون على الأندلس من غيرها، سواءٌ أكان أصلُهم منها أو من غيرها - إن وَجَدا له في الغرباءِ سَمِيًّا، وجعلا الأسماءَ في كلّ بابٍ على حَسْبِ الأكثرِ والأشهرِ فالأشهر[٧]، وختَما كلّ حرفٍ بِذِكْرِ مفاريدِ (آخر ص ٩)

---

(١) البخاري (ت ٢٥٦ هـ) له «الجامع الصحيح» في أحاديث رسول الله، وله «التاريخ الصغير» في رجال الحديث ثمّ «الضعفاء الصغير» في رواة الحديث. ... فعل... البخاري (أي كما فعل البخاري في ترتيب أسماء الرجال في كتابيه الأخيرين).

(٢) فَرَغ من كتابيهما حرف الظاء (لم يرد في كتابيهما ذكر رجل يبدأ اسمه بالظاء المعجمة).

(٣) أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) له كتاب «التكملة لكتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ومشاهيرهم» لابن بشكوال.

(٤) أنبل: أبرز، أشهر (أفضل) تابعيه (الذين فعلوا في التأليف كما فعل ابن بشكوال في سرد تراجم الرجال).

(٥) أحمد بن يوسف بن فرتون (ت ٦٦٠ هـ) من المؤرّخين، له كتاب الذيل على الصلة (على كتاب الصلة لابن بشكوال).

(٦) أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ)، له صلة الصلة (... كتاب الصلة لابن بشكوال).

(٧) الأسبق فالأسبق والأشهر فالأشهر (... لا يجعلون ورود الأسماء في كتبهم على ترتيب حروف الهجاء، بل على مقدار الشهرة عند الناس. مثال ذلك: يأتي اسم «حسن ثمّ حسين» قبل اسم حاتم (بفتح التاء) أو حباب (بالضمّ)، وإن كانت الألف والباء تأتيان في حروف الهجاء قبل السين. ثمّ يأتي عندهم مَنْ اسمه =

الأسماء الموجودةِ فيه[١] بتقديمِ الأندلسيّين وتأخير الغرباءِ إنْ وَجَداهم. وكذلك فَعَلَ أبو عبد الله بن الأبّار وأبو جعفرِ بنِ الزُّبير- فيما وقفتُ عليه من تاريخِهما.

فآثرتُ ترتيبَ كتابي هذا بأنْ وَضَعْتُ أبوابَه على ترتيب حروف المعجم المَشْرقيّ لصِحّة آعتباره[٢].....

وبدأت في حرفِ الهمزة بِمَن آسمُهُ أحمدُ، وفي حرف الميم بِمَنِ آسْمُه محمّدٌ، تَبَرُّكاً بُموافقَةِ آسْمَيِ النبيّ صلى الله عليه وسلّم. وقد تقدّم البُخاريُّ إلى تصدير تاريخه بذِكرِ مَنِ آسمُه محمّدٌ، لمّا ذَكَرَ أوّلَه سيّدَ البشرِ نَبيِّنا المُصطفى صلَواتُ الله وسلامُه عليه إذ كان أشهرَ أسمائه. وجعل- بعدَ الفَراغِ من ذِكرِ مَنِ آسْمُه محمّدٌ- حرفَ الهمزة مُبْتَدِئاً فيه بِمَنِ آسمُه أحمدُ، فسَعِدَ بتوالي الاسْمَيْن المباركين في صدر كتابه من غيرِ فصلٍ بينهما، وجعلَ سائِرَ المُسَمَّيْنَ باسمٍ أوّلُه ميمٌ في حرف الميم.... وقدّمتُ في باب العين من آسْمُه عبد الله وعبدُ الرحمن لأنّهما أحبُّ الأسماء إلى الله. ووَسّطْتُ بينَهما مَنِ آسمُه عُبيدُ الله لشرف الإضافة[٣] (آخر ص ١٨) وأتْلَيْتُ[٤] مَنِ آسمُه عبدُ الرحمن مَنْ آسمُه عبدُ الرحيم لآشتراكِهما في الآشتقاق من الرحمة ولتَلازُمِهما في تَسْمِية التبرّك وآيٍ من كتاب الله العزيز[٥]... وأتْبَعْتُ ذلك سائرُ المُعَبَّدين مُعْتَبِراً[٦] في ترتيبهم حروفَ

= علي من الأندلسيين قبل الذي اسمه علي من الطارئين على الأندلس. يجب أن يقال: الأشهر فالأقلّ شهرة... (كلّما كان الاسم أشهر عند الناس قدّم في السرد على غيره).

(١) المفاريد: الأسماء المفردة النادرة (التي يكون منها في الرجال المذكورين في كتب هؤلاء الواحد أو الاثنان، فتأتي كلّها مجموعة بعد استيفاء أسماء المشهورين. فبعد الحسن والحسين... (في باب الحاء المهملة) يأتي حاطب وحجّاج وحبيش وحجر (بالكسر) مجموعة على غير ترتيب مخصوص.

(٢) لصحّة اعتباره.... لأنّ ترتيب اللفظ عند المشارقة: (زاي، سين، شين، صاد) أقرب إلى المنطق من ترتيب هذه الحروف عند المغاربة (زاي، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ع.... س، ش، هـ).

(٣) لشرف الإضافة إلى اسم الجلالة: عبد الله، عبد الرزّاق، عبد السميع، عبد الظاهر.....

(٤) أتليت: جعلته تالياً (بعد غيره).

(٥) لورود آسمَيِ الجلالة (الرحمن والرحيم) مقرونين في عدد من آيات القرآن الكريم، نحو: «بسم الله الرحمن الرحيم- الحمد لله....الرحمن الرحيم (١ : ١ - ٢، سورة الفاتحة)- وإلهكُم إلَه واحد لا إلَه إلا هو الرحمن الرحيم (٢ : ١٦٣، سورة البقرة)، الخ.

(٦) معتبراً: ناظراً، مقدّراً.

أوائلِ أسماء الله على حَسْبِ ما أُلْفِيه منها[١]. وما لم أُلفِه منها تخطّيتُه إلى أوّل ما أُلْفِيه بعدَه منها. وذكرتُ سائرَ الأسماء في سائر الأبواب والتراجم على ترتيب الحروف المذكورة....... ولكنّي لاحظتُ صورةَ الحرفِ في الهجاء لا أصله، كَمُؤَمِّلٍ أذكُره فيمن بعدَ الميمِ مَنِ آسمُه واوٌ، وإنْ كانتِ (آلواو) صورةً للهمزة[٢]..... ولا عِبرةَ بأداةِ التعريف[٣]. وهنا ذَكَرْتُ الكُنى التي هي أسماءٌ لها كُنى، وأضفتُ إليها الكُنى التي لعلّها أسماءٌ جُهِلَتْ كُناها[٤]، أو كُنًى جُهلت أسماؤها.... (ص ٢٣).

وجمعتُ هذا الكتابَ ممّا آفترق - فيما لا أُحصيه عدداً - من برامجِ رَواياتِ الشُّيوخ الجِلّـة[٥] أئِمّة هذا الشأن كلِّها وافيةً بالشروط المُعتبرة في توثيق النقْل منها، إذ مُعْظَمُها بخطِّ جامعيها، وسائرُها[٦] بخطوط المُعتَمَدِ عليهم من رجال هذا الفنّ ومُقابَلَتِهم وتصحيحِهم، إلى ما نقلْتُه من مُقَيَّداتِ ذوي العِناية بهذه الطريقة من موالدَ ووَفَيَاتٍ ورَفْعِ أنساب[٧] وتَبيينِ أحوالِ الرُّواة وشِبهِ ذلك من الفوائدِ، مع ما تلَقَّيْتُه مْن مشايخي الذين أخذتُ عنهم شِفاهاً، وما آلْتَقَطْتُه من طَبَقات القِراءات والأَسْمِعة[٨] على الشيوخ أو منهم والتواريخِ على تفاريق مقاصدها، وكل ذلك مّما آنسحبتْ عليه رِوايَتَيَّ بين سَماع

(١) ألفى: وجد.

(٢) يجعل، عند الترتيب، مَنْ آسمه شأس قبل مؤمّل (وإن كان لفظ الهمزتين بالفتح) لأنّ صورة الكتابة في الأولى ألف وفي الثانية واو.

(٣) ولا عبرة بأداة التعريف (لا تحسب أداة التعريف عند سرد الأسماء وترتيبها). من أجل ذلك يأتي اسم ثابت قبل اسم الحسن، لأنّ الثاء (المثلّثة) تأتي قبل الحاء (ولا قيمة في الترتيب للألف في أول اسم الحسن).

(٤) «أبو بكر» (في الأصل) كنية الخليفة الأوّل في الإسلام، وكان اسمه عبد الله. ثمّ إنّ نفراً من المسلمين جعلوا يسمّون أبناءهم «أبا بكر» (فأصبحت الكنية اسماً). ثمّ اتّخذ هؤلاء كُنًى فصاروا يقال فيهم: أبو عبد الله (كنيته) أبو بكر (اسمه) بن سعيد بن عليّ.....

(٥) الجِلّة (بالكسر): العظماء والسادة.

(٦) سائرها: باقيها (في البستان عشر شجرات، ثلاث منها شجرات تفّاح، وسائرها - أي السبع الباقية - من البرتقال).

(٧) رفع النسب: سرده إلى أقدم ما يمكن.

(٨) الأسمعة (يقصد بها هنا جمع سماع - بالفتح)، وهي المقالات التي يسمعها الطالب من شيوخه (أساتذته).

وقِراءةٍ ومُناولة وإجازة [١] وغيرِ ذلك من ضُروب التحمُّل [٢]. وقد جرى عمل الأشياخ على تقديم إسنادهم إلى من تقدّمَهم من المؤرّخين لِيَنْسِبوا إليهم ما ينقُلونه عنهم إلى كُتُبهم هذه، ثمّ يُعَقِّبون ذِكْرَ من يذكُرون من الرواة أو بَعْضِهم بِتَعْيين مَنْ ذَكَره. وذلك رأيٌ رشيد وعمل صالح سديد أجَلُّ مُثْمَراتِه تبرُّؤُ الناقل من عُهدة ما نَقَل والإحالةُ [٣] به على ذاكرِه الأوّل تَقْويةً [٤] للآحتجاج به وتصحيحاً للآستنادِ إليه. لكنّي وجدْتُهم لا يقومون بمُقتضى ذلك العملِ على التَّمام، فإنّهم يأتون بمَنْ يُريدون ذِكْرَه فيرفَعون في نسبه ويذكُرون كُتُبَه وشُهرتَه إن كانتا له، ويعزونَه [٥] إلى قبيلته وبلَدِهِ أو إليهما ويُعَرّفون من أمره ما يستحسنون إيرادَه، ثم يُعَقِّبون ذلك بقولهم: كان من أمرِه كَيْتَ وكَيْتَ. فكُلُّ ما بدأوا به ذِكْرَه إنّما هو مِنْ قِبَلِهم غيرُ مَعْزُوٍّ إلى أحد مِمَنْ قدّموا ذِكْره في صُدور كُتُبِهم [٦]. وهذا العمل منهم ليس في القليل ممّا يذكُرونه، ولا في النُّدرة، بل يكاد يكون مُعْظَمُ من يذكُرون على هذا الأُسلوب [٧]. فصارتِ العُهدة فيه عليهم فيما لم يَنْسِبوه إلى غيرهم [٨]. وأيضاً فإنّ الذي ينقُلونه عن غيرهم إنّما ينقُلونه عنِ الآختيار والآنتخاب لا على التَّوالي والآستِيعاب [٩]. فعَزَوْتُ تلك الأقوالَ،

(١) من طرق تلقّي العلم في الإسلام: السماع (سماع المحاضرات من الأساتذة) والقراءة (تلاوة النصوص بين يدي الأستاذ) والمناولة (نقل الرواية من الأستاذ إلى التلميذ؟) والإجازة (الشهادة: كتابة الأستاذ للطالب ورقة فيها أن الطالب أصبح قادراً ومأذوناً له بأن يعلّم الناس ما تعلّمه).

(٢) وغير ذلك من ضروب التحمّل: ما يحمله التلميذ من أستاذه (ما يأخذه التلميذ عن أستاذه).

(٣) الإحالة: أن يشير المؤلّف للقارىء إلى المكان الذي استقى المؤلّف منه أخباره. العهدة (بالضمّ): التبعة (بفتح فكسر).

(٤) تقوية للاحتجاج: تثبيتاً لصحّة النقل عن الآخرين.

(٥) عزوت هذا العمل إلى فلان: نسبته إليه.

(٦) يقول نفر من المؤلّفين إنّهم سيأخذون عن فلان وفلان أو من الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني. ولكنّهم كثيراً ما يذكرون أشياءَ من عند أنفسهم.

(٧) وأكثر ما يذكره أولئك المؤلّفين يقولونه هم (ويتوهّم القارىء أحياناً أنّه مرويّ عن العلماء السابقين).

(٨) .... فكلّ قول لا يذكرون أنه مأخوذ عن عالم ما، فإنّ تبعة ما فيه (من الصواب أو الخطأ) ملقى على عاتقهم هم.

(٩) هم يتخيّرون (يذكرون ما يريدون ذكره فقط)... لا على التوالي (لا يذكرون تسلسل الرواية) ولا على الاستيعاب (لا يذكرون كلّ شيء).

بعدَ ٱقتضائها، إلى قائِلِها مُستوفاةً مُسامَحةً[١]. ولو فَرَضْنا ٱستيفاء تلك الأقوالِ كما وَقَعَ في بعضها مِمّا ٱخْتُصِرَ - أو لا يمكنُ ٱختصارُه - لكانتْ عُهدةُ نَقْلِها عليهم. إذ لو رامَ أحدٌ من......[٢].

- قال ابنُ عبدِ الملك المرّاكشي في مدينة مَرّاكُش:

لله مَرّاكُشُ الغَرّاءُ مِنْ بَلَـــدٍ، وحبّذا أهلُها الساداتُ من سَكَنِ.

إنْ حَلّها نـازحُ الأوطان مُغتربٌ أسْلَوْهُ بالأُنس عن أهلٍ وعن وطنِ[٣].

- ومن كتاب التكملة والصِّلة (بقيّة السفر الرابع، رقم ١٢٢، ص ٤٩ وما بعد):

وقد تعاطى جماعةٌ من الشُعراء تَذْييلَ بَيْتَي الحريريّ[٤] المذكورينِ بما كان سُكوتُهم عنه أصْوَنَ ولافتضاحهم أسْتَر؛ وإخلادُهم إلى حَضيضِ العَجْزِ عن مُساماتِهِ في أوْجِ[٥] إجادتهِ أولى بهم وأجدرَ. فَمِنْ مُطيلٍ غيرِ مُطيبٍ ومُجيلٍ فِكْرَهُ في استدعاءِ ما ليس له بمُجيب، ومن مُقَصِّرٍ لو أبصرَ لأقصرَ، ولو أنصفَ لَما تكلّفَ. وقد أثْبَتُّ هنا من ذلك بعضَ ما وَقَعَ إليّ منه، وإن كان من حَقّهِ الإضرابُ عنه. واسْتَوْدَعْتُهُ هذا المَوْضِعَ تَقيّةً عليه من الضَّياع ورجاءَ إفادةِ مُسْتَشْرِفٍ[٦] للاستفادةِ به والانتفاع... وهذه

---

(١) مستوفاة: كاملة قدر الإمكان. مسامحة (مع شيء قليل من التجاوز؟).

(٢) هنا ينقطع الكلام في الأصل المطبوع (والمخطوط).

(٣) أسلوه: سلوه (بفتح السين وتشديد الدال) أنسوه.

(٤) تذييل: تكميل، زيادة (أبيات على بيتي الحريري). للحريري صاحب المقامات (ت ٥١٦ هـ) بيتان:

سم سمـــــة تحسن آثارهـــــا، واشكر لمن أعطـى ولو سمسمه.

والمكر مهما ٱسطعـت لا تأتـــه لتقتـــني السؤدد والمكرمـــه.

لاحظ أنّ أول كلّ بيت مثل آخره: سم سمة، سمسمة. وقد اعتقد الحريري أن الإتيان بأبيات على مثالها غير ممكن. وقد حاول نفر ذلك فجاءوا بعدد من الأبيات. وابن عبد الملك المراكشيّ يرى أبيات هؤلاء النفر نازلة عن بيتي الحريري.

(٥) الإخلاد: السكون والاطمئنان. الحضيض أدنى (أقرب) ما يصل إليه كوكب من الأرض، والأوج أبعد ما يصل إليه كوكب عن الأرض (وهما كناية على أسفل الأشياء وأعلاها). المساماة: محاولة السموّ (الارتفاع) إلى مستوى شيء آخر أو مكانة شخص آخر.

(٦) تقيّة: خوفاً. المستشرف: الذي يحاول رؤية الأشياء من بعيد.

القطْعةُ - كما ترى[١] - أسْبَكُ من غيرِها وأسلَسُ نَظْماً، وأبْيَنُ مَعانِيَ وأمْتَنُ مبانِيَ. غيرَ أنّها مُنْحَطّةٌ عن بَيْتَيِ الحريريّ.... فقد وَضَحَ بهذا كلّهِ أنّ الحريريَّ هو الذي دان له الاختراعُ للبدائع والإنشاءُ، وأن بَراعةَ مَعْلَمِهِ مُعْلَمَةٌ أنّ الفضلَ بيدِ اللهِ يُؤتيهِ من يشاءُ[٢]. ولله هُوَ! فلقد نَصَحَتْ إشارتُه وزَجَرَتْ مُناهضِيه، ونَصَعَتْ عِبارتُه فنَهَرَتْ - إذْ بَهرَتْ - مُعارِضيه[٣]....

٤ - كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (حقّقه إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م (عدد من أجزائه).

★★ المرقبة العليا ١٣٠ - ١٣٢؛ النبوغ المغربي ٢٠٦؛ الأدب المغربي ٢٦٢ - ٢٦٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦١ (٣٢)؛ دعوة الحق ٥٩/٣ ص ٢٤.

الغُبرينيّ صاحب الدراية

١ - هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ أحمدَ (وقيل محمّد) بنِ عبدِ الله بنِ محمّدٍ الغُبرينيُّ، أصله من قبيلة بني غبرين في بلاد القبائل (المنطقة الجبليـة)، وولد في الأغلب في مدينة بجاية (القطر الجزائري) سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦ - ١٢٤٧ م).

درسَ أبو العبّاسِ الغُبرينيُّ قسطاً صالحاً من علوم الدِراية (أصولِ الدينِ وأصولِ الفِقه والمنطق والتصوّف) وشيئاً كثيراً من علوم الرِّواية (التفسيرِ والحديث والفِقه والنحو) وسمع من نفرٍ كثيرين منهم: أحمدُ بنُ خالدٍ المالَقِي (ت نحو ٦٦٠ هـ) وعبدُ الله ابنُ محمّدِ بن عمر القلعيّ (ت ٦٦٩ هـ) وأحمد بن عُثمانَ بن عَجْلانَ القَيْسي (ت ٦٧٠ هـ)

---

(١) إشارة إلى أبيات على مثال بيتي الحريري.

(٢) المعلم: العلامة الظاهرة تنصب على الطرق السلطانية (الدولية) ليستدلّ بها الناس على البلدان والمسافات بين البلدان (كناية عن أن بيتي الحريري شيء بارز في بابه).
معلمة اسم فاعل من «أعلم»، والجملة بعدها في محلّ مفعول به. «إنّ الفضل الخ» تضمين (٣: ٧٣، سورة آل عمران).

(٣) المناهض: المقاوم. المعارض: المباري، الذي يحاول أن يجري معك أو أن يجاريك في عمل شيء. نهر: زجر. بهر: أدهش.

ومحمّد بن الحسني بن ميمونٍ التيميّ القلعي (ت ٦٧٣) ومحمّد بن أحمد بن محمّد بن مرسي الطبيب (ت ٦٧٤ هـ) وأبو العبّاس أحمد بن محمّدٍ الصدَفي الشاطبي (ت ٦٧٤ هـ) وعبد الحقّ بن ربيعٍ الأنصاري البجائي (ت ٦٧٥ هـ) وعبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدَفيّ الطرابلسيّ (ت ٦٨٠ هـ) وعبد المنعم بن محمّدٍ الغسّاني الجزائري (ت بعيد ٦٨٠ هـ) وأحمد بن عيسى الغُماريُّ (ت ٦٨٢ هـ) وعبد العزيز بنُ عمرَ بنِ مخلوفٍ (ت ٦٨٦ هـ) وأبو القاسمِ ابنُ أبي بكرٍ اليمنيّ بن زيتونٍ (ت ٦٩١ هـ) وعبيدُ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ عبد المجيد الأزْديّ (ت ٦٩١) وأحمدُ بنُ محمّد بن الغمّاز البلنسيّ (ت ٦٩٣ هـ) وغيرهم.

واشتغل أبو العبّاس الغُبرينيّ بالتدريس زمناً، درّس في جامعِ الزيتونة في تُونسَ ثمّ تولىّ القضاء في بُلدانٍ عديدةٍ كان آخرَها بجايةُ، من غيرِ أن ينقطعَ عن التدريس في تونس وبِجايةَ وغيرها. ثمّ ترقّى إلى مَنْصِبِ قاضي القضاة في بجايةَ وبَقِيَ في مَنصِبه حتّى وقعتْ وَحْشَةٌ بينه وبين أمير بجاية أبي البقاء خالدٍ الذي جاء إلى حُكم بجاية سَنَةَ ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ - ١٣٠١ م).

لمّا سار أبو البقاءِ لتأديبِ واليهِ على قُسَنْطينةَ (الجزائر) محمّدِ بنِ يوسفَ الهَمْدانيّ الأندلسي، سَنَةَ ٧٠٤ هـ اصطحَبَ أبا العبّاس الغُبريني. ثمّ إنّ أبا البقاء أرسل الغُبرينيَّ في سِفارة إلى صاحبِ تونسَ محمّدٍ الواثق أبي عصيدةَ. ووشى جماعةٌ إلى أبي البقاء بأنّ الغُبرينيَّ قد حرّض أبا عصيدةَ على الثورة فغَضِبَ أبو البقاء ثمّ ألْقى الغُبريني في السِّجن ثمّ أمر بقتله، سَنَةَ ٧٠٤ هـ (١٣٠٥ م).

٢ - كان أبو العبّاس الغُبرينيُّ رجلاً، قبل أن يلِيَ القضاء، يُحِبُّ الاختلاطَ بالناس فيُكْثِرُ من حضورِ الولائم ويدخُلُ إلى الحمامّات العامّة. فلمّا وَلِيَ القضاء ترك ذلك كلَّه ومال إلى الجِدّ فأصبح مَهيباً وَقوراً شديداً في أحكامه. وكان للمُتصوّفينَ المُعتدلينَ أثرٌ كبيرٌ في نفسه يؤمن بكراماتهم.

والغُبرينيُّ مؤلّفٌ له: «عُنوانُ الدِّراية فيمن عُرِفَ من العلماء في المِائَةِ السابعة ببِجايةَ» وقد ذكر له بروكلمن (الملحق ٢ : ٣٣٧) مصنّفاً هو «البرنامج» (فهرست بأسماءِ شيوخه).

وكتاب «عنوان الدراية» مجموعُ تراجمَ لعلماءَ وأدباءَ من القرنِ الهِجْري السابع، سواءٌ أكانوا من أهلِ بجاية أو من الوافدين عليها والزائرين لها (من أنحاء القُطْر الجزائريّ ومن الأندلس ومن المشرق). وترى شيئاً من غاية الكتاب ومَنْهَجِ تأليفه في النصّ المختار.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة عنوان «الدراية»:

.... إنّه لمّا كان طلبُ العِلمِ اللَدُنّيّ[١] فرضاً على الكِفاية حيناً ومُتَعَيِّناً في الحال[٢]، ولم يكُنْ بُدٌّ - في تحصيله - مِنْ تَلَقّيه عنِ الرجال... فلذلك اهْتَمّ العلماءُ بذِكْر الرجال واستعملوا في تَمْييز أحوالِهم الفِكْرَ والبالَ..... وقدِ اختلفَتْ في ذلك مَصادِرُهم ومواردِهُم[٣]، وإنِ اتّفقتْ في بعضِ الوجوه مَقاصِدُهم. فمنهم من ذَكَرَ التجريحَ والتعديلَ في المُحَدِّثين[٤]، ومنهم من ذكر من يُعْرَفُ بالحِفظ والإتْقان من المُتَقَدّمين، ومنهم مَنِ اقتصرَ على ذِكْرِ العلماءِ والمُجْتهدين.... (و) كلّ ذلك يُحَصِّلُ الإفادةَ ويُسَهِّلُ للطالبِ مُرادَه. وإنّما يَنْبغي أن يُعْرَضَ في هذا على[٥] سبيل المُكاثرةِ وطريقِ المُباهاة والمفاخرة، كما قَصَدَهُ بعضُ من قصّرتْ مَعْرِفتُه ولم تَرْقَ إلى درجةِ أُولي النُهى درجتَهُ، (بل) يكونُ القصدَ في هذا إنّما هو ما يتعلّقُ بالأمورِ الدينية ويُوصِلُ إلى

---

(١) العلم اللدنّيّ: العلم الذي هو من لدن (بفتح فضمّ فسكون: عند) الله، من قوله تعالى (١٨: ٦٥، سورة الكهف): ﴿وعلّمناه من لدّنا علماً﴾.

(٢) فرض الكفاية هو العمل الذي إذا قام به بعض المسلمين سقط عن بعضهم الآخر (كتشييع الجنازة وتولّي القضاء). متعيّن (فرض عين: واجب على كلّ مسلم يجد في نفسه القدرة على شيء، كالجهاد إذا خيف على الإيمان). في الحال: الآن (في زمن المؤلّف).

(٣) تلقّيه عن الرجال: بالرواية (بأن ينقل المتأخّر الخبر عن متقدّم عليه بالزمن). مصادرهم: الأمور التي اعتمدوها واستندوا إليها. مواردهم: غاياتهم والنتائج التي وصلوا إليها.

(٤) المحدّثين (رواة الحديث عن رسول الله). الجرح والتعديل: نقد رجال السند (الذين يروون الحديث مسلسلاً واحداً عن واحد) بالجرح (الكشف عن ضعفهم أو جهلهم أو كذبهم أو انقطاعهم بأن يكون بين أحدهم والذي سبقه في سلسلة السند زمن طويل، الخ) والتعديل (معرفة ما في الراوي من العدل أو العدالة: كالعلم والتقوى والأمانة والخلق الكريم، الخ).

(٥) كذا في الأصل (ولعلّ الصواب: ينبغي أن لا يعرض هذا على...».

السبيل المَرْضيّة، وذلك بحيثُ يَعْلَمُ طالبُ العِلْمِ (أولئك) الأيمَّةَ الذين بِهِمْ يُقتدى وبسلوك سَنَنِهِمُ السويّ يُهتدى.

وإنّي قد رأيتُ أن أذكُرَ في هذا التَقْييد مَنْ عُرِفَ من العلماء بِبجاية في هذه المِائَةِ السابعة[١].... أذكرُ منهم مَنِ اشتهرَ ذِكْرُهُ ونَبُلَ قدرُه وظهرتْ جلالتُه وعُرِفَتْ مرتبَتُه في العِلم ومكانتُه. وقد رأيتُ أن أصِلَ بذِكْر علماءِ هذه المِائَةِ ذِكْرَ الشيخِ أبي مَدْينٍ والشيخ أبي عليٍ المَسيليّ والفقيهِ أبي محمّدٍ عبدِ الحقّ الإشبيليّ، رَحِمَهُمُ اللهُ ورَضِيَ عنهم، لِقُرْبِ عَهْدِهم بهذه المِائَةِ - لأنّهم كانوا في أعقاب المِائَةِ السادسة - للتبرُّكِ بذِكْرِهم ولانتشارِ فخرهم. و (أنا) أبْدَأُ بهم، رَضِيَ الله عنهم، ثمّ أتْلُوهُمْ بذِكْرِ مَشْيَخَتي وأعلامِ إفادتي، ثمّ أتْلو[٢] (هؤلاء) بِمَنْ سواهمُ إلى أن يَقَعَ الإتيانُ على جَميعِهم، رحمهم الله. وسَمّيْتُ هذا المجموع: عُنْوانَ الدِرايةِ فيمن عُرِفَ مِنَ العُلماءِ في المِائَةِ السابعة بِبجاية.....

- وقال أبو العبّاس أحمد بن أحمد الغبريني (المرتبةالعليا ١٣٢):

لا تُنْكِحَنْ سِرَّكَ المكنونَ خاطِبَهُ ... وآجعلْ لِمَيِّتِه بينَ الحشا جَدَثا.
ولا تقُلْ: نَفثةُ المصدورِ راحتُه. ... كم نافثٍ روحَه من صَدْرِه نفثا.

٤- عنوان الدراية.... (عني بنشره محمد بن شنب، الجزائر ( ) ١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ (١٩١٠ م)؛ (نشره عادل نويهض)، بيروت ( ) ١٩٦٩ م؛ (تحقيق رابح بونار)، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٩٧٠ م.

★★ الديباج المذهب ٧٩ - ٨٠؛ نيل الابتهاج ٧٣ س؛ تعريف الخلف ١: ٢١ - ٢٧؛ وفيات ابن قنفذ ٣٣٨ - ٣٣٩؛ درّة الحجال ١: ١٠ - ١١؛ المرقبة العليا للنباهي ١٣٢؛ شجرة النور الزكيّة ٢١٥؛ بروكلمن ٢: ٣١٠ - ٣١١، الملحق ٢: ٣٣٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٨٧ (٩٠)؛ سركيس ١٤٠٧؛ أعلام الجزائر لنويهض ١٥.

---

(١) المائة السابعة: من ٦٠١ إلى ٧٠٠ للهجرة (يوافقها: ١٢٠٤ - ١٣٠٠ للميلاد).
(٢) أتلو: اتبع.

؛ أبو العبّاس العزفيّ

١ - هو أبو العبّاسِ أحمدُ بن أبي طالبٍ اللَّخْميّ العَزْفيّ، كان أهلُه ذَوِي رئاسةٍ في سَبْتَةَ، في أواخرِ أيامِ المُوّحدينِ (نحو ٦٢٥ - ٦٦٥ هـ)، فَنَقَلَهُمُ ابنُ الأحمرِ إلى غَرْناطَة.

سَمِعَ أبو العبّاسِ العَزْفيُّ من أبي عليٍّ بنِ خميسٍ. ثمّ كانتْ وفاتُه في ٢٨ من ذي الحِجّة ٧٠٧ (١٣٠٨/٦/١٨ م). وفي الأدب المغربي (ص ٢٣١) سنة ٧١٧ هـ.

٢ - أبو العبّاسِ العزفيُّ شاعرٌ حَسَنُ السَّبْكِ على شِعرِهِ شيءٌ من الرِّقة والطَّلاوة، وَهُوَ يُقلّدُ المشارقة. وفُنونُه وُجدانيّةٌ مِنَ الشَّكْوى والخمر والنسيب في الأكثرِ.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو العبّاسِ العَزْفيُّ في الخمر والنسيب:

هـذا الصبـاحُ، فغـادِني بصَبوحِ؛ وانْهَضْ براحِكَ فَهْيَ راحةُ روحي[1].
لا تَكْتَرِثْ بخطوبِ دَهْرِكَ واسْقِني كأساً تُحَسِّنُ منــه كُـلَّ قبيـح.
مـا لي وللأطـلالِ أسألُ صامتـاً منها وأُعْوِلُ في مَهامِهَ فيحِ[2]!
في الراحِ والرَّيْحـانِ شُغْلٌ شاغلٌ لي عن عِيافـةِ بارِحٍ وسَنيحِ[3].
وأهـيمُ في وَرْدِ الخـدودِ وآسِها، لا في عَرارٍ بالفَـلاة وشِيـح[4].
كَمْ عرّضوا لي بالمَلامِ وصرّحوا، فعَصَيْتُ في التعريض والتصريح.

---

(١) غادني (قدّمْ لي باكراً) بصبوح (بخمر في الصباح). الراح: الخمر.

(٢) الطلل: مكان بناء الخيمة (وهنا): الديار الخربة. أعول: رفع صوته بالبكاء. المهمه: الصحراء الواسعة. الأفيح: الواسع.

(٣) البارح: الطير إذا مرّ من يمين الرائي إلى يساره (وكان عند العرب دليل شؤم). والسانح أو السنيح ضدّ البارح. العيافة: الاستدلال بطيران الطيور على المستقبل.

(٤) الآس: نبات أوراقه خضر. آس الخدود (أوائل الشعر النابتة في الوجه). العرار والشيح من نبات البادية.

عَجَبــاً لهم يَلْقَوْنَــني بَملامِهِمْ   في حُبِّ مَنْ يَلْقَوْنَ بالتسبيح[1].
إنْ صوّحَ الرَوْضُ النَضيرُ، فخَدُّه   أزْهارُه أمِنَتْ من التَصْويح[2].
قلْــبي بِعَذْلِهِمُ يزيــدُ تَوَقُّــداً؛   لا غَرْوَ في نــارٍ تُشَبُّ بريــح.

- وله في النسيب والعتاب:

مُلِّكْتَ رِقّي بالجمالِ فأجْمِلِ،   وحَكَمْتَ قلبي باعتدالكَ فاعْدِلِ[3].
أنتَ المليكُ على المِلاحِ، (ومن يَجُرْ   في حُكْمِهِ، إلّا جُفونَكَ، يُعْزَلِ)[4].
إن قِيلَ: أنتَ البــدرُ، فالفَضْلُ الـذي   لـك بالكمالِ؛ ونَقْصُه لم يُجْهَل.
لولا الحظوظُ لكُنــتَ أنتَ مكانَه،   ولكانَ دونَك في الحضيض الأسفل!
مـا زِلتُ أُعْذَلُ في هَواكَ، ولم يَزَلْ   سَمْعي عن العُـذّالِ فيكَ بِمَعْزِل.
أصْبَحْتُ في شُغْلٍ بحُبِّكَ شاغلٍ   عن أنْ أُصيخَ إلى كلامِ العُذّل[5].
لَمْ أُهْمِـلِ الكِـتمانَ، لكن أدمُعي   هَمَلَتْ. ولو لم تَعْصِني لم تَهْمُلِ[6].
إن كُنْـتَ بعدي حُلْتَ عمّا لم أحُلْ   عنـه، وقد أهْمَلْتَ ما لم أُهْمِلِ،
أو حالـتِ الأحوالُ فاسْتَبْدَلْتَ بي؛   فأنــا بحُبّي فيــك لم أَسْتَبْـدِلِ.

٤ - ★★ نفح الطيب ٢: ٣٦؛ النبوغ المغربي ٢٢٦ - ٢٢٧، ٧٣٢ - ٧٣٥، ٧٦٤ - ٧٦٥؛ الأدب المغربي ٢٣١ - ٢٣٥.

أبو جعفر بن الزبير

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الزُّبيرِ بنِ محمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ

---

(١) .... إذا رأوه قالوا: «سبحان الله» (لجماله الخارق).
(٢) صوّح: يبس.
(٣) أجمل: عاملني بإحسان ولطف.
(٤) «ومن يجر.... يعزل» راجع موشحة عبادة بن ماء السماء (٤: ٤٤٩-٤٥٠ من هذه السلسلة،....
(٥) أصاخ: استمع.
(٦) - أنا كتمت حبّي، ولكنّ دموعي التي انهمرت بكثرة دلّت الناس على حبّي لك.

عاصمِ بنِ مسلمِ بنِ كَعْبِ الثقفيُّ الجَيّاني، وُلِدَ في ذي القَعدةِ من سَنَةِ ٦٢٧ (خريفَ عامِ ١٢٣٠ م) في أُسرةٍ غنيّةٍ معروفة في جيّانَ.

تلا أبو جعفرِ بن الزبيرِ القرآنَ بالقِراءاتِ السَّبْعِ على أبي الحسنِ الشاري وغيره. وخرج به أبوه من جيّان، سَنَةَ ٦٤٣ هـ، لمّا استولى عليها العدُوّ. وفي سَنَةِ ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) كان في فاسَ فَلَقِيَ أبا العبّاسِ أحمدَ بنَ يوسفَ بنِ فَرْتونٍ (ت ٦٦٠ هـ) مؤرّخَ أهلِ فاسَ وتَتَلْمَذَ عليه.

وتصدّرَ أبو جعفرِ بنِ الزُّبير لإقراءِ كتابِ اللهِ وإسماعِ الحديث وتدريس الفِقْه وتعليم العربية (النحو) في جيّانَ ثمّ في مالَقَةَ، فيما يبدو. وظَهَرَ في مالقةَ مُشَعْوِذٌ يُدعى إبراهيمَ الفَزاريَّ فقاومه ابنُ الزبير. ولكنّ ذلك المشعوذَ استعان عليه بالمُتَغَلِّبِ على تلك المدينة- أحدِ بني أشْقيلولة التُجيبيّين- فأُوذِيَ ثمّ اضطُرّ إلى مُبارحةِ مالقة فجاء إلى غَرْناطَة. واتّفق أن جاء إبراهيمُ الفَزاريُّ رسولاً من أميرِ مالقَة إلى غَرْنَاطَةَ فانتهز ابنُ الزبيرِ الفرصةَ وشَرَحَ للسُّلطانِ أمرَ هذا المشعوذ. وثَبَتَ على المُشعوذ شعوذَتُه وأنّه ادّعى النبوّةَ أيضاً فقُتِلَ.

وكانتْ وفاةُ أبي جعفرِ بنِ الزبيرِ في غَرناطَة، من ثامنِ ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٧٠٨ (١٣٠٨/٨/٢٦ م).

٢- كان أبو جعفرِ بنِ الزبيرِ مُصنّفاً له من الكُتُب: مِلاكُ التأويل في المتشابهِ اللفظِ في التنزيل (القرآن)- الإعلام بمن خُتِم به القُطر الأندلسيّ من الأعلام- صِلة الصلة (وصَل به صِلة ابن بشكوال)- معجم شيوخه- برنامج رواياته (؟).

وأسلوبه في الكتابة موجز واضح وربّما تأنّق في الكتابة حيناً (كما نرى في النّص- في «مختارات من آثاره»).

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو جعفر بنُ الزبير في الآنصراف عن أمورِ الدنيا (بغية الوعاة ١٢٧):

مـــــا لي وللتَسْآلِ؟ لا أُمَّ لي، إنْ سَلْتُ: مَنْ يُعزَلُ أو مَنْ يَلِي[1]؟
حَسْبي ذُنوبي أثْقَلَــتْ كاهِــلي؛ ما إنْ أرى غَمَّاءَها تَنجَلي[2].

- وقال (صلة الصلة، ص ٢٨ - ٣٠، رقم ٤١):

عبدُ الوهّاب بنُ عليٍّ بنِ محمّدٍ القَيْسِيُّ من أهل المَنْشاةِ من حُصونِ مالَقَةَ بغَرْبِيّها[3]، يُكنى أبا محمّدٍ..... كان وَرِعاً زاهداً أديباً حافلاً[4] بالغَ الأدبِ، لا يُشَقُّ غُبارُه إذا نَظَمَ أو كَتَبَ: رشاقةً جُبِلَ عليها، وحَلاوةَ أغْراضٍ جَرَتْ طِباعُه على عِنانه[5] إليها. وأمّا الوَرَعُ والزُّهْد فهما لِباسُه وشِعاره[6]، وإن أتْهَمَت أو أنْجَدَت فَبِحُكْم مأذونيّة الأدب ولوذعيّته مَقاماتُه وأشعارُه[7]. كان، رحمه الله، يرى تفضيلَ سُكنى البوادي على الأمصار[8]، وإن أساءَ لنَفسِه - كما قال بعضُهُمُ - الاختيارَ. (ولكنّه فعل ذلك) إيثاراً للخُمول ورجاءً لإعدادِ ذلك في عَمَلِه المَقْبول[9].... وقد قَيَّدْتُ من نظمهِ وشِعرهِ.... ما يَشهدُ بسَبْقِه في الآداب وإحرازه الغايةَ في ذلك الباب... وكان بينَه وبين الشيخِ الأديب الفاضِلِ الوَرعِ الجليل أبي الحجّاجِ بنِ الشيخ خُلَّةٌ[10] متأكّدةٌ، وكانا يتراسلانِ نظماً ونثراً بما يملأُ الأرجاءَ طيباً ونَشْراً[11]، إلى آنبساطٍ ودُعابةٍ ما شانَ مثله

---

(١) لا أمّ لي، لا أمّ لك تعبير يستعمل للذمّ والسبّ، وقد يستعمل في المدح على سبيل التعجّب. والأم، في الأصل، الوالدة، وهي أيضاً الشأن والأمر والقصد. لا أمّ لي (هنا): ثكلتني أمّي (يدعو على نفسه بالموت) أو لا شأن لي بمثل هذا الأمر (؟). سلت = سألت. من يعزل (عن الحكم) ومن يلي (يتولّى الحكم).

(٢) الكاهل: ما بين الكتفين. الغمّاء: الشدّة (المصيبة) التي تغمّ (تغطّي على ما سواها). تنجلي: تنكشف.

(٣) المنشأة: موضع النشأة (مكان فيه أشجار وأزهار)؟

(٤) حافل: كثير لبنه (القاموس ٣: ٣٥٨) - أديب حافل: أديب بارع في عدد من فنون الأدب (؟).

(٥) جرى على عنانه (رسنه، لجامه): سهل عليه الجري (البراعة في الأعمال).

(٦) الشعار: ثوب يلبس ممّا يلي البدن. هذا الأمر لباسي وشعاري (يستغرق كلّ اهتمامي وجميع أعمالي).

(٧) اللوذعي: الذكّي الفصيح. فبحكم مأذونيّة الأدب ولوذعيّته (؟). المقامة: فن من فنون الأدب.

(٨) البادية: المكان البادي (البعيد عن العمران). المصر (بالكسر): المدينة الكبيرة.

(٩) إيثاراً (تفضيلاً) للخمول (قلّة الشهرة). العمل المقبول: المسلك الديني الذي يؤدّي إلى رضا الله واستحقاق الجنّة.

(١٠) الخلّة (بالضّم): الصداقة.

(١١) النشر: الريح (أو الرائحة) الطيّبة.

أمثالُها، ولا عابَه. وكانا في الفضل والدين والأدب المتين كَفَرَسَيْ رِهانٍ [١]. وقد قلَّدَ بعضُ الجِلّة أخبارَها لِيَقْتَفِيَ من وفق آثارهما [٢]. وقد تُوُفِّيَ الشيخُ الفاضل أبو محمّدٍ عبد الوهّاب سَنَةَ ٥٩٨ ....

٤- صلة الصلة (تحقيق إتيان ليفي بروفنسال) الرباط ١٩٣٧ م؛ بيروت (مكتبة خياط - بالتصوير) بلا تاريخ (؟ ١٩٦ م).
الوافي بالوفيات ٦: ٢٢٢؛ الديباج المذهب ٤٢ (فاس ٥٧)؛ الدرر الكامنة (حيدر أباد) ١: ٨٤-٨٦؛ الإحاطة ١: ١٩٥-٢٠٠؛ البدر الطالع ١: ٣٣-٣٥؛ بغية الوعاة ١٢٦-١٢٧؛ شذرات الذهب ٦: ١٦؛ نفح الطيب ٢: ٢٩ - ٣٠، ٦١٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٦؛ نيكل ٣٦٢؛ الاعلام للزركلي ١: ٨٣-٨٤ (٨٦).

ابن خَميسٍ التِّلِمْسانيُّ

١ - هُوَ أبو عبدِ اللهِ محمّدِ بن عُمَرَ بن محمّدِ بنِ عُمَرَ بنِ محمّدِ بن عمرَ بنِ محمّدِ بن خميسٍ الحِمْيَرِيُّ الحِجْرِيُّ الرُّعَيْني التِّلِمْساني، نِسْبَةً إلى حِجْرٍ ذي رُعينٍ من حِمْيَرَ من مُلوكِ عَرَبِ اليمن.

وُلِدَ ابنُ خَميسٍ التلمسانيُّ سَنَةَ ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ م) أو قُبَيْلَ ذلك، ولا نكادَ نَعْرِفُ شيئاً عن حياتهِ الأولى سِوى أنّه آثَرَ الحياةَ في عُزْلةٍ عن الناس. وقد عاصر ابنُ خميسٍ جِلَّةً من العلماء في تِلِمْسانَ منهم إبراهيمُ بنُ يَخْلُفَ بنِ عبد السلام التَنَسِيّ (الجزائري) المَطْماطي التلمسانيُّ (ت ٦٧٠ هـ) وأبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ محمّدِ بن مرزوقٍ العُجَيْسِيّ التلمسانيّ (٦٢٠ - ٦٧١ هـ) والأديبُ الكاتبُ الشاعرُ محمّدُ بنُ عبدِ الله بن داوودَ بنِ خطّابٍ الغافقي (ت ٦٧٠ هـ)؛ ولكنّنا لا نَعْلَمُ إذا كان قد أخَذَ عن أحدٍ منهم شيئاً من فنونِ العلم والأدب.

(١) ما شان (عاب) مثله (رجلاً مثله) أمثالها (أمثال هذه الدعابة وذلك الانبساط). الانبساط: ترك النفس (أحياناً) على سجيّتها: ترك الجدّ (بالكسر) والتقيّد بالعرف القاسي. فرسا رهان (قادران على الجري، ولا يكاد أحدهما يسبق الآخر).
(٢) يقتفي (يتّبع) من وفق (؟). آثاره: خطواته (طريقته في الحياة).

في سَنَةِ ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م) الْتقى الرّحالةُ المَغربي أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ أحمدَ ٱبنِ مَسْعودٍ العَبْدَرِيُّ بابنِ خميسٍ في تلمسانَ، وكان ابن خميسٍ لا يزال يُحبّ العزلَة. ثمّ إنّه خرج من عُزْلته الطويلةِ وتولّى منصباً في ديوان الإنشاء للسلطانِ أبي سعيدٍ عُثمانَ بنِ يَغَمْراسَنَ بنِ زَيَّانٍ (٦٨١ - ٧٠٣ هـ) في النصف الثاني من مدّته. وفي سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) لَقِيَ جَفْوة في بَلاطِ تلمسانَ فخرج غاضباً وجاء إلى سَبْتَةَ ومَدَحَ أبا طالبٍ العَزْفِيّ المُسْتَبدَ بِمُلْكِ سَبتةَ يومذاك؛ ثمّ استقرّ في سبتة للإقراء. غير أن نفراً من الطلّاب أساءوا إليه فانتقلَ وَشيكاً إلى مَالَقَة ثمّ إلى غَرْناطة، قيل قبل أن تَنْتَهِيَ سنة ٧٠٣ هـ.

ولمّا قُتِلَ الوزيرُ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ الحكيم، في أوّلِ شوّالٍ من سنة ٧٠٨ (١٣٠٩/٣/١٣ م)، قُتِلَ ابنُ خميسٍ معه ظُلْماً.

٢ - كان لابنِ خميسٍ التِّلمسانيّ عنايةٌ بفنونٍ من العلم والأدب: بالْفِقهِ والمذاهب، وباللغة والعربية (النحو)، وبالتاريخ وأيامِ العرب وأحوالِهم، مُلِمًّا بشيءٍ من علوم الحِكمة كالمَنْطِقِ والطِّبّ؛ كما كان أديباً كاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً فَحْلاً على المَنْهج المَشْرقيّ. وكانت على شعرِه نفحةٌ قويّة من نَفَسِ المَعرّي. وابنُ خميسٍ شاعرٌ مُحْسِنٌ سريعُ الخاطرِ طويلُ النفس رائقُ المعاني واضحُ المقاصد يَغْلِبِ على شِعْره شيءٌ من القَصَص المَلْحَميّ من جاهليةِ العرب. وفي بعضِ شعرِه فُكاهة ودُعابة؛ وفي بعضِ شعره نفحةٌ دينية قريبة من التصوّف.

ومع أن ابن خميس التلمساني مَيّالٌ إلى اسْتجماع الغريبِ في شِعْره وإلى تَصيُّدِ وجوهِ البلاغةِ، والبديع منها خاصّةً، في التركيب المتينِ، فإنّ لشعرِهِ دِيباجةً رائقةً بالغةً في الوضوح والسَّلاسة والعُذوبة.

ومن فنونِ شعرِ ابنِ خميسٍ في القصائدِ الباقية لنا المدحُ والفخر والشكوى والحَنين والغَزَلُ والنَسيبُ والخمريات (وهو يفضّل الحَشيشة على الخمر).

ولابن خميسٍ شيء من التَرَسُّلِ لا يَلْحَقُ بشعرِهِ.

٣- المختار من شعره

- قال ابنُ خميسٍ التِّلِمْسانيّ يفتخرُ ويشكو الشَّيْخوخَة بعدَ انقضاءِ الشَّبابِ:

إنّ كنتَ تَجهَلُ أنّني لا أرقُدُ، فاسأَلْ يُخبِّرْكَ السُّها والفرْقَدُ[١].
وإنِ اتَّهَمْتَهُما لِبَعْضِ تَشابُهٍ بَيْني وبَيْنَهُما - فطَيْفُكَ يَشْهَدُ[٢].
ولقد أبِيتُ الليلَ لا أدري به سَهَراً، كما باتَ السليمُ الأَرْمَدُ[٣]،
أرعى كواكِبَهُ وأرْقُدُ صُبْحَه؛ والصُّبْحُ أنْأى مِنْ هَوايَ وأبعد[٤].
بان الخليطُ، وبان قَلْبي إثْرَهُ سَحَراً، كما زَعَمَ الغُرابُ الأَسْود؛
وتبايَنَتْ أغْراضُنا وجُسومُنا: فالجِسْمُ يُتْهِمُ والعَزِيمَةُ تُنْجِدُ[٥].
ونَهَضْتُ لو وافَى نُهوضِيَ قُوّةٌ مِنّي وساعَدَني الشبابُ المُسْعِدُ[٦].
لا تَعْجَبَنَّ لعَزْمَتي وتَثَبُّطي: فالشَّوْقُ يَنْهَضُ والزَّمانة تُقْعِدُ[٧].
أوْدي صِبايَ وغاضَ ماء مَعينهِ، وذَوَى قضيبُ قَوامِيَ المُتأوّد[٨]؛

(١) السها: نجم خفيّ في بنات نعش الصغرى. الفرقد أو الفرقدان: نجم القطب الشماليّ (لأنّه في الحقيقة نجم مزدوج).- السها والفرقد يشهدان أنّني لا أرقد (لا أنام) لأنّني أراقبها طول الليل (في تذكّرك). ثمّ إنّ السُّها والفرقد في كوكبة (أو عنقود نجوم) لا تغيب (فهل كان الشاعر يعرف ذلك ؟). راجع البيت التالي.

(٢) - وإذا لم تقبل شهادتها لأنّني شبهها (في السناء: الرفعة) فاسأل طيفك (خيالك) فهو يزورني طَوال الليل (لأنّني أحلم بك طوال الليل).

(٣) الأرمد: الذي به مرض في جفونه. السليم: العليل (سمّي سليماً تفاؤلاً بسلامته: شفائه).

(٤) - أساهر الكواكب ثمّ أقول سأنام اذا جاء الصبح. ولكنّ الصبح لا يأتي (فأظل يقظان ليلَ نهارَ).

(٥) تباينت اختلفت. أغراضنا: أهدافنا، غاياتنا، أمانينا. يُتْهِم: يأتي تهامة (وهي منخفضة). يُنجد: يأتي نجداً (الأرض المرتفعة).- أهدافنا سامية، ولكنّ أجسامنا لا تستطيع تحقيق تلك الأهداف.

(٦) - كنت أنهض (أسمو لتحقيق أهدافي) لو أن جسمي وهبني قوّة على ذلك ولو كان لا يزال فيّ بقيّة من شباب تساعد على ذلك.

(٧) - لا تعجب من رغبتي (في السموّ) وتثبّطي وتباطئي (عجزي عن السير إلى رغبتي). الزمانة: المرض الدائم. يقعد: يجعل الإنسان مقعداً (عاجزاً، لا يستطيع الحركة).

(٨) أودى: هلك، ذهب. غاض ماء مَعينه: جفّ نبع الماء، انقطع عن النبع. ذوى القضيب: يبس الغصن، جفّ ماؤه وذهبت نضارته. المتأوّد: المتعطّف، المتايل (لأنّه ليّن، نضير أخضر).

وأتـى المشيـبُ يزورُني مُتَفَقِّداً؛ والشيـبُ أبْغَضُ زائرٍ يَتَفَقَّدُ[1].
ولّى الشبابُ وشَرْخُه: لم يَبْقَ لي بَعْدَ الشبابِ وشَرْخِهِ ما أَفْقِدُ[2]!

- وقال في النسيب والشكوى والفخر بنفسه وبشعره:

عَجَباً لها! أيـذوقُ طَعْمَ وِصالِها من ليس يأمَـلُ أن يَمُرَّ بِبالِها؟
وأنَـا الفقـيرُ إلى تَعِلَّـةِ ساعـةٍ منها؛ وتَمْنَعُـني زكـاةَ جَمالِها[3].
يَعْتـادُني في اللّيْـلِ طَيْـفُ خَيالِها فَتُصيبُـني ألْحاظُهـا بِنِبالِهـا[4].
ومن العجائـبِ أنْ أُقـيمَ ببلـدَةٍ يومـاً، وأسْلَمَ مِنْ أذى جُهّالها.
شُغِلوا بدُنْياهُمْ! أمـا شَغَلَتْهُمُ عنّي؟ فكم ضَيَّعْتُ من أشْغالِها[5]!
حُجبوا بِجَهْلِهِمُ، فإنْ لاحتْ لهم شَمْسُ الهُدى عَبَثوا بضَوء ذُبالِها[6].
وإنِ انْتَسَبْـتُ فإنّني من دَوْحةٍ تَتَقَيّـلُ الأنسابُ بَرْدَ ظِلالِهـا[7]:
من حِمْيَرٍ من ذي رُعَيْنٍ من ذُرا حِجْرٍ من العُظَماءِ من أقْيالِها[8].
خُذْها، أبا الفضلِ بنَ يَحْيَى، تُحْفَةً جاءتْـكَ لم يُنْسَجْ عـلى مِنْوالِها:
ما جالَ في مِضْمارِها شِعْرٌ، ولا سَمَحَـتْ قَريحَـةُ شاعرٍ بِمِثالِهـا!

---

(١) تفقدّ الرجل الأمر: بحث عنه أو عن حاله.
(٢) الشرخ= شرخ الصبا: عنفوانه، ذروته.
(٣) تعلّة: ما يتعلّل (يلهو) به الإنسان. زكاة جمالها: ما تتصدّق به المرأة من المتعة بجمالها.
(٤) اعتاد المكان: جاء إليه مرّة بعد مرّة- حتّى في المنام تفتك بي لحظاتها.
(٥) شغلوا بدنياهم (دعوة عليهم بأن تشغلهم الدنيا عن مصالح أنفسهم).- فكم ضيّعت (مصالح كثيرة لي) من أشغالها (بسبب الأمور التي شغلتني بها).
(٦) حجبوا بجهلهم: حجبهم جهلهم عن معرفة حقائق الأمور. فإن لاحت لهم شمس الهدى (الحقّ، المعرفة الربّانية) عبثوا (لعبوا، التهوا) بضوء ذبالها (الذبال جمع ذُبالة: الفتيلة التي تضيء في السراج)= هم يلتهون بمظاهر الأشياء وبصغار الأشياء عن حقائقها (المعنى صوفيّ).
(٧) انتسبت: ذكرت نسبي. من دوحة (شجرة كبيرة): من أسرة عظيمة. تتقيّل: تنام بعد الظهر (تتنعّم). برد ظلالها: في ظلالها (في ظلّها العليل البارد)= تتمنّى الأنساب أن تكون مثل نسبي.
(٨) حمير (ابن سبأ بن يشجب- بضمّ الجيم): أبو قبيلة من عرب الجنوب. رعين: حصن في اليمن. ذو حجر رعين: أبو قبيلة في اليمن.- يقصد الشاعر أنّه من نسل ملوك اليمن.

٤- المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس (عمل عبد الوهّاب بن منصور)، فاس (مطبعة ابن خلدون) ١٣٦٥ هـ.

★★ تعريف الخلف ٢: ٣٦٦؛ ابن قنفذ ٣٤١؛ أعمال الأعلام ٢٥٤-٢٥٥؛ نفاضة الجراب ٢١؛ الكتيبة الكامنة ٣١؛ بغية الوعاة ٨٦؛ المرقبة العليا للنباهي ١١٤؛ نفح الطيب ٥: ٣٥٦-٣٧٨، ٧: ١٣١-١٣٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣٣-٨٣٤؛ الاعلام للزركلي ٧: ٢٠٤ (٦: ٣١٤)؛ معجم أعلام الجزائر لنويهض ١٧٠-١٧١؛ الطمّار ١٢٤-١٤٢؛ مجلّة الأصالة ١٩٧٥/٧، ص ١٢٨ وما بعد، راجع ١٤٩-١٥٠.

ابن الحكيم الرنديّ

١- هو ذو الوزارتَيْنِ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ إبراهيمَ بنِ يحيى الحكيمِ. وقد عُرِفَ يَحْيى بلقبِ «الحكيم» لطِبّة (لأنّه كان يعمل في الطبّ). كان أسلافُ ابنِ الحكيمِ من إشْبِيلِيَةَ ثمّ انتقلوا إلى رُنْدةَ في دولةِ بني عبّادٍ (القرن الخامس الهجري)، وفي رُندَة كانوا يُعْرفون ببني فتّوح.

وُلِدَ ابنُ الحكيمِ الرُنْديّ في رُندَة في ربيعٍ الأول ٦٦٠ وفيها نشأ وأخذَ قراءةَ القُرآن بالقراءاتِ السَّبْعَ وأخذَ العَرَبية عن أبي الحسنِ عليِّ بنِ يوسفَ العَبْدريّ السفّاحِ النَّحْويّ وأبي القاسم بنِ الأيسرِ وغيرِهما. ثمّ إنّه رَحَلَ، سَنَةَ ٦٨٣ هـ (١٢٨٤-١٢٨٥ م)- وكان لا يَزالُ ذا فَتاءٍ- إلى المشرِق فزارَ مِصْرَ ثمّ حَجّ، سَنَةَ ٦٨٤ هـ (١٢٨٦ م). وبعدَ انتهاء موسمِ الحجِّ جاء إلى الشام، وزار العراق (نفح الطيب ٢: ٦١٩).

وعادَ أبو عبدِ اللهِ بنُ الحكيمِ إلى رُنْدَةَ سَنَةَ ٦٨٦ هـ. وفي آخرِ السَّنَةِ التاليةِ انتقلَ إلى غَرْناطةَ واتّصل بثاني مُلوكِها أبي عبدِ اللهِ محمّدٍ (الثاني) الفقيه (٦٧١-٧٠١ هـ) فأثْبَتَهُ في خَواصّ دولتهِ ثمّ رقّاه إلى كِتابة الإنشاء. ولمّا جاء ثالثُ ملوكِ بني نصرٍ أبو عبدِ الله محمّدٍ (الثالث) المعروفُ بالمخلوع ارتَقَتْ منزلةُ ابنِ الحكيم الرنديّ فجُمِعَتْ له الكِتابةُ والوزارة ولُقِّبَ ذا الوزارتين. وقد كان ابنُ الحكيمِ مُمَدَّحاً مَدَحَهُ أبو محمّدٍ عبدُ المُهَيْمِنِ الحَضْرَميّ (٧٤٩ هـ) وأبو الحسن عليُّ بنُ محمّدِ بنِ الجَيّاب (ت ٧٤٩ هـ).

ولم يَصْفُ الدهرُ لابنِ الحكيم الرُّنْديُّ فقُتِلَ يَوْمَ خُلِعَ محمّدٌ الثالثُ النَصْريُّ، في أوّلِ شوّالٍ من سَنَةِ ٧٠٨ (١٣/٣/١٣٠٩ م) ومُثِّلَ بِه.

٢ – كان ابنُ الحكيمِ الرُّنديُّ رجلاً عاليَ الهِمّةِ كريمَ النفسِ جميلَ الأخلاق وكان عالماً ذا عنايةٍ بالروايةِ (للحديث) وأديباً خطيباً وكاتباً بليغاً وعالماً بنَقْدِ الشِّعرِ، وكان له نَظْمٌ كثير. ونثُره أعلى رُتبةً من شِعره (نفح الطيب ٢ : ٦٢٤). وفنونه المدح، وله شيء من الغزل الذي يميل إلى المُجون. وكان يكتب أنواعاً من الخطّ الجميل.

٣- مختارات من آثاره

– لابنِ الحكيمِ الرُّنديّ مُقَطّعاتٌ قِصارٌ منها:

إنّي لأُعْسِرُ أحيانــاً فيَلْحَقُــني ... يُسْرٌ من اللهِ؛ إنّ العُسْرَ قد زالا[1].

يقولُ خيرُ الورى في سُنّةٍ ثَبَتَتْ: ... «أنْفِقْ ولا تَخْشَ من العَرْشِ إقلالا»[2]

★ مـا أحْسَنَ العَقْـلَ وآثـارَه، ... لو لازمَ الإنسانُ إيثـارَه[3]:

يَصونُ بالعقـلِ الفـتى نفسَه ... كما يصونُ الحُرُّ أسرارَه،

لا سيّما إنْ كـان في غُرْبـةٍ ... يحتـاجُ أن يَعْرِفَ مِقْـدارَه!

★ ما زِلْت أسْمَعُ عن عَلْياك كُلَّ سَناً ... أبهى من الشمسِ أو أجْلى من القمرِ[4]،

حتّى رأى بَصَري فوقَ الذي سَمِعَتْ ... أُذْني، فُوفِّقَ بينَ السمْعِ والبصر!

– وقال في صِباه قصيدةً مَدَحَ بها السُلطانَ أبا عبدِ الله محمّداً (الثانيَ) الفقيهَ لمّا جاء السلطانُ إلى رُندةَ:

هـلْ إلى ردٍّ عَشيّـاتِ الوِصـالِ ... سَبَبٌ، أم ذاك من ضَرْبِ المُحالِ؟

ولَيـالٍ مـا تَبَقّـى بَعْدَهـا ... غـيرُ أشواقي إلى تلك الليالي.

---

(١) أعسر الرجل: افتقر. اليسر: الغنى.

(٢) خير الورى: محمّد رسول الله. في سنّة (في حديث عن رسول الله أو في عمل من أعماله).

(٣) إيثاره (تفضيل العقل في أعماله على العاطفة).

(٤) السنا (بالقصر، بلا مدّ): الضوء الصيت الحسن. أبهى: أجمل.

وغزالٍ قـــد بـــدا لي وَجْهُـــه فرأيتُ البدرَ في حالِ الكمال.
مَنْ تسلّـــى عن هواهُ فأنـــا بسِواهُ عن هواهُ غـــيرُ سالِ.
فَلَئِنْ أتْعَبَـــني حُبّي لـــه، فَلَكَمْ نِلْـتُ بـه أنْعَمَ حـال.
إذ لآلي جِيـــدِه من قِبَـــلي ووِشاحـــاهُ يَميـــني وشِمالي[1].
فتـــداوى بِلَماه ظَمَـــأي مَزْجَكَ الصهباءَ بالماءِ الزُّلال[2].
أيُّهـــا المولى الـــذي نَعْماؤه ....

– وله من رسالةٍ طويلةٍ كَتَبَها عن السُلطان:

..... وقد تقرّرَ عند الخاصّ والعامّ من أهلِ الإسلامِ، واشتهرَ في آفاقِ الأقطار اشتهارَ الصُبحِ في سوادِ الظلام، أنّا لم نَزَلْ نَبْذُلُ جُهْدَنا في أن تكون كَلِمَةُ الله هي العُليا ونسمَحُ في ذلك بالنفوس والأموال رَجاءَ ثوابِ الله لا لِعَرَضِ الدُّنيا[3].

وإنّا ما قصّرنا في الاسْتِنْفار والاسْتِنْصار[4]، ولا أقْصَرْنا عنِ الاعِتضادِ بكلِّ من أمَّلَنا مُعامَلَتَهُ والاستظهارَ[5]، ولا اكْتَفَيْنا بِمُطَوَّلاتِ الرسائلِ وبَناتِ الأفكارِ حتّى اقْتَحَمْنا بأنْفُسِنا لُجَجَ البحارِ فسَمَحْنا بالطارفِ مِنْ أموالنا والتِّلادِ[6] وأعْطَيْنا رجاءَ نُصْرَةِ الإسلامِ موفورَ الأموالِ والبِلاد، واشْتَرَيْنا بما أنْعَمَ اللهُ به علينا ما فَرَضَ الله على كافَّةِ أهلِ الإسلامِ من الجهاد.......

٤- ** الإحاطة ٢: ٢٧٨-٣٠٣؛ أزهار الرياض ٢: ٣٤٠-٣٤٧؛ نفح الطيب ٢:

---

(١) اللآلي (جمع لؤلؤة). الجيد (بالكسر): أعلى الصدر. من قبلي (بكسر ففتح): في اتجاهي. الوشاح: نسيج عريض تلف المرأة به أعلى جسمها. يميني وشمالي (يدي اليمنى ويدي اليسرى). يصف الشاعر هنا اعتناق الرجل والمرأة....

(٢) اللمى: السمرة في الشفتين (كناية عن التقبيل). الصهباء: الخمر. الزلال: الماء الصافي البارد.

(٣) العرض (بفتح ففتح): السلعة (بالكسر): البضائع المعروضة في السوق.

(٤) الاستنفار: أن يطلب الحاكم أو القائد من الناس أن ينفروا (بكسر الفاء) معه لمساعدته ونصرته. الاستنصار: طلب المعونة.

(٥) أقصر الرجل عن أمر: تأخر عنه وهو قادر عليه. الاعتضاد: الاستعانة (بآخرين) ليزداد هو قوّة. الاستظهار: الاستعانة.

(٦) الطارف والطريف: المال الذي يكتسبه المرء نفسه. التلاد (التالد والتليد): المال الذي يرثه الشخص عمّن كان قبله.

٦١٦ - ٦٢٦، ٥: ٤٩٧ - ٥٠٧؛ درّة الحجال ٢: ٩٣ - ٩٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٦٥ (٦: ١٩٢).

أبو عبد الله محمّد الغالب بالله

(ثالث ملوك بني نصر)

١ - هو أميرُ المسلمينَ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ يوسفَ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ ابنِ محمّدِ بنِ نصرِ بنِ قيسٍ الخَزْرجيّ، وُلِدَ في الثالث من شَعبانَ من سَنَةِ ٦٥٥ (١٩/٨/١٢٥٧ م) وجاء إلى الحكم سنة ٧٠١ هـ (١٣٠١ - ١٣٠٢ م).

استولى أبو عبد الله، في السَّنَةِ الأولى من حُكْمه، على مدينة المَنْظر (وكانت قربَ وادي آشَ أو قُرْبَ جيّانَ) وغَنِمَ منها غنائمَ كثيرةً وأَسَرَ صاحِبَتَها الإسبانية. وفي سنة ٧٠٣ هـ نَقِمَ على قريبِهِ الرئيسِ أبي الحجّاجِ بنِ نصرٍ الوالي بمدينة آشَ فعزَلَهَ؛ وكادَ هذا العزلُ يؤدّي إلى فِتنة وثورةٍ. ولكن أبا عبدِ اللهِ استطاعَ أنْ يَقْضِيَ على الفتنة في مَهْدِها وأن يدبّر اغتيالَ الوالي أبي الحجّاج. وفي شوّالٍ من سنة ٧٠٥ هـ غزا سبتةَ واستطاع أن يستوليَ عليها في المُحَرّم من سنة ٧٠٦ (صيف ١٣٠٦ م). ولقد أُثِرَ عنه في أحوالٍ كثيرةٍ كثيرٌ من القَسْوة والفَظاظةِ.

وفي عيدِ الفِطْر من سنة ٧٠٨ (١٣/٣/١٣٠٩ م) خُلِعَ أبو عبد الله، ولكن لم يَعِشْ بعد ذلك طويلاً فقد أُصيب بالسُّكْتة في أواخرِ جُمادى الثانية من سنة ٧١٠ (تشرين الثاني - نوفمبر ١٣١٠ م) ثمّ توفّي في أوائل شوّالٍ من تلك السنة (أواخر شباط - فبراير ١٣١١ م). وقيل بل قُتِلَ غِيلَةً.

٢ - كان أبو عبدِ اللهِ صاحبَ نادرةٍ ظريفةٍ وشاعراً رقيقاً فوقَ أنداده من الملوك. وكان له مجموعٌ من الشعر فيه قصائدُ مطوّلاتٌ ومقطّعاتٌ قِصارٌ. ويبدو أنه كان مُكْثِراً من الغَزَلِ والفَخْر.

٣ - المختار من شعره

- قال أبو عبد الله بن نصر ثالثُ ملوك بني الأحمر:

واعَـدَني وعْـداً وقـد أخلَفـا؛ أقَـلُّ شيءٍ في المَليحِ الوَفـا.
وحـالَ عن عَهْـدي ولم يَرْعَـه، مـا ضَرّهُ لو أنّـه أنْصفـا[1].
مـا بالُهـا لم تَتَعَطّـفْ عـلى صَبٍّ بهـا ما زال مُسْتَعْطِفا.
يستطلـعُ الأنبـاءَ من نَحْوِهـا ويَرْقُبُ البرقَ إذا ما هَفا[2].
مَلّكْتُـكِ القلـبَ، وإنّي امْرُؤٌ عليّ مُلْكُ الأرضِ قد وُقِّفا[3].
يُرْهَفُ سيفي في الوَغى مُصْلَتاً، ويُتّقـى عَزمي إذا أُرْهِفـا[4]؛
وتَرْتَجـى يُمنـايَ يومَ النَّـدَى: تخالُهـا السُّحْبَ غَدَتْ وُكَّفا[5].
يا ليتَ شِعْري، والمُنـى جمّـة، والدهرُ يوماً هل يُرى مُنْصِفا:
هـل يَرْتَجي العبـدُ تَدانِيكُمُ أو يُصْبِحُ الدهرُ لـه مُسْعفا[6]؟

٤- روضة النسرين (نشرها بوالي ومارسيه)، باريس ١٩١٧ م.
- نثر (نثير) الجمان في شعر من نظمني وايّاهم الزمان.

★★ الإحاطة ١: ٥٥٢-٥٦٤؛ اللمحة البدريّة ٤٧-٥٦؛ بروكلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤٠، راجع ٣٧٠؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٩ (٣٢٩-٣٣٠).

ابن منظور

١- هو جمالُ الدينِ أبو الفضلِ محمّدُ بنُ مُكرَّم بن عليٍّ (وقيل: رضوانَ) بن أحمدَ بنِ أبي القاسم.... الأنصاريّ الرُوَيْفِعيّ[7] الخَزْرجيّ الإفريقيّ المِصْريّ- المعروفُ بابنِ

(١) حال: تغيّر. لم يرعه: لم يحفظ (عهدي).
(٢) هفا: أسرع. هفا الطائر بجناحيه: حرّكها. هفا البرق (لمع).
(٣) قد وُقّف: جعل وقفاً عليّ (لا يجوز لأحد غيري ولا يليق به).
(٤) رهف وأرهف (السيف): شحذه ورقّقه. مصلت: مشهور (مسحوب من غمده).
(٥) الندى: الكرم. تخالها: تظنّها، تحسبها. وكّف: كثيرة الوكف (الهطول، غزيرة المياه).
(٦) مسعف: مساعد (على نيل الأماني).
(٧) الرويفعي: نسبة إلى رويفع بن ثابت الأنصاري، أمّره معاوية على طرابلس الغرب، سنة ٤٦ هـ (٦٦٦-٦٦٧ م)، فغزا إفريقية وتوفّي في برقة وهو أمير عليها. وقبره مشهور في الجبل الأخضر في برقة.

مكرّمٍ - وُلِدَ[1] في ٢٢ من المُحرَّمِ من سَنَةِ ٦٣٠ (١٢٣٢/١١/٨ م).

قيلِ إنّ ابنَ منظورٍ سَمِعَ من ابنِ المقيَّرِ (عليٍّ بنِ الحسينِ البغداديِّ) المُحدِّث بالديارِ المِصرية (ت٦٤٣ هـ) وروى عن جماعةٍ منهم: مُرتضى بن حاتمٍ وعبدُ الرحمنِ بنُ الطفيلِ ويوسفُ المخيليّ ثمّ حدّثَ هو في مِصرْ ودِمَشْقَ.

وخَدَمَ ابنُ مَنظورٍ في ديوان الإنشاء - قيل مُعْظَمَ حياتِهِ[2] - . ثمّ إنّه تولّى القضاء مُدّةً في طرابُلُسَ (ليبيا) ثمّ عادَ إلى مِصرْ وبَقِيَ فيها إلى أن تُوُفِّيَ، في شَعبانَ من سَنَةِ ٧١١ (كانون الأوّل - ديسمبر ١٣١١ م) بعدَ أن عَمِيَ.

٢ - كان ابنُ منظورٍ مُحدِّثاً تفرّد بالعوالي[3] ومترسلاً مليحَ الإنشاءِ وعارفاً باللغة والنحو والتاريخ، كما كان شاعراً مُقلّاً مُحْسِناً (يَنْظِمُ المقطّعاتِ). ثمّ كان مُغْرَماً باختصار الكُتُب له اختصاراتٌ للكتب التالية[4]: الحيوان للجاحظ - دُرّة الغوّاص للحريريّ - تاريخ بَغدادَ للخطيب البَغْدادي - ذَيْل ابنِ النّجارِ على تاريخ بغدادَ - تاريخ بغدادَ للسَّمْعانيّ - تاريخ مدينةِ دِمَشْقَ لابن عساكرٍ - الأغاني (ورتّبه على الحروف) - نِشوار المحاضرة لأبي عبد الله محمّد بن محمد التنوخي - فصل الخطاب في مدارك الحواسّ الخمس لأولي الألباب لأحمد بن يوسف التيفاشي - صفوة الصَفْوة لابن الجَوْزي

---

(١) ليس في المصادر التي بين يدي ذكر للبلد الذي ولد فيه ابن منظور. ولكن إذا كان ابن منظور قد ولد سنة ٦٣٠ هـ ثمّ سمع من ابن المقيّر الذي توفّي في ٦٤٣ هـ، فالمفروض أن يكون قد ولد في مصر. ولكن طاهر الزواوي يستنتج من نسبة «الطرابلسي» وهي ترد في المصادر أنّه وليد في طرابلس (أعلام ليبيا ٣٠١). ويرى علي الفقيه حسن (مجلّة مجمع اللغة الغربية بدمشق - راجع رقم ٤) أن ابن منظور ليبي بثلاثة أسباب: إنّ جدّه رويفعاً (راجع الحاشية ص ٣٦٩) مدفون في طرابلس، وأن ابن منظور نفسه كان قاضياً في طرابلس، وأنّ أسلافه وأعقابه (ويعرفون بآل ابن مكرّم) كانوا بطرابلس وبتاجوراء التابعة لها (ص ٣٦١).

(٢) لعلّ المقصود بمحمّد بن مكرّم الذي قضى حياته في ديوان الإنشاء في مصر شخص آخر كان من كتاب الإنشاء في أيام قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ) في القاهرة (راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٤٦٤ - في ترجمة ابن منظور صاحب لسان العرب). وهنالك عالم بالحساب هو أيضاً أبو منصور محمد بن مكرّم بن شعبان الكرمانيّ (بروكلمن، الملحق ٢: ١٠٢٣).

(٣) الأحاديث العوالي هي الأحاديث التي دوّنت في زمن متقدّم.

(٤) ذكرت فيا يلي الأسماء الأصلية للكتب المختصرة لا العناوين التي جعلها ابن منظور لها.

(ت ٥٩٧ هـ)- العِقْد لابن عبد ربّه - يتيمة الدهر للثعالبي - زهر الآداب للحُصْريّ- الذخيرة في محاسنِ أهل الجزيرة لابن بسّامٍ - جامع المفردات (الأدوية) لابن البَيْطار، الخ.

ومن تآليفهِ «لسانُ العربِ» (انتهى من وَضعه سنة ٨٦٩ هـ)، وهو قاموسٌ شاملٌ للألفاظِ اللغوية والأعلام الجغرافية والشخصية ولعددٍ من الحقائق التاريخية، بناه ابن منظور على خمسةِ كتب هي: «الجَمْهرة» لابن دُريد (ت ٣٢١ هـ) و «تهذيب اللغة» للأزهريّ (ت ٣٧٠ هـ) و «الصِّحاح»[١] للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) و «حواشي» عبد الله بن بَرّيّ (ت ٥٨٢ هـ) و «المُحْكَم» لابن سِيدَه (ت ٤٥٨ هـ) و «النهاية في غريب الحديث والاثر» لمجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ). وله أيضاً: نِثار الأزهار في الليل والنهار وأطايب أوقات الأصائل والأسحار وسائر ما يشتمل عليه من كواكب الفلك الدّوار- أخبار أبي نُواس.

٣- مختارات من آثاره

- من مقطّعات ابن منظور:

★ ضَعْ كتابي، إذا أتاكَ، إلى الأر ... ض ثمّ قَلِّبْه في يديك لِماما[٢]؛
فعلى خَتْمه وفي جانِبَيْه ... قُبَلٌ قد وَضَعْتُهنّ تُؤاما[٣].
كان قَصْدي بها مُباشرةَ الأر ... ض وكَفَّيْكَ بالْتِثامي، إذا ما[٤]...

★ الناسُ قد أثِموا فينا بظَنِّهِمُ ... وصدّقوا بالذي أدْري وتَدْرينا[٥].
ماذا يَضُرُّكِ في تصديقِ قَوْلِهِمُ ... بأن نُحَقِّقَ ما فينا يَظُنّونا[٦]؟

---

(١) العنوان الكامل هو: تاج اللغة وصحاح العربية. والحواشي عليه كثيرة (راجع بروكلمن ١: ١٣٣ - ١٣٤، الملحق ١: ١٩٦ - ١٩٧).
(٢) لماماً: قليلاً، ولكن مرّة بعد مرّة.
(٣) تؤاما: ثنتين ثنتين (قبلتين قبلتين).
(٤) إذا ما... (في البلاغة: اكتفاء، بمعنى أن الكلمات التي لم تذكر مفهومة: إذا ما وصل إليك كتابي).
(٥) أذنبوا لأنهم اتّهمونا بما ليس فينا.
(٦) ماذا يضرّنا أن نرتكب الذنب الذي يتّهموننا به الآن ظلماً؟

حَمْلي وحَمْلُكِ ذنباً واحداً، ثِقَةً   بالعَفْو، أجملُ من إثْمِ الورى فينا[١].
★ بـاللهِ، إن جُزْتَ بِوادي الأراكْ   وقَبَّلْتَ أغصانَـه الخُضْرُ فاكْ[٢]،
ابْعَثْ إلى المَمْلوكِ من بَعْضِـه؛   فإنّـني، واللهِ، مـا لي سواك[٣]!

- من مقدّمة «لسان العرب»:

.... أما بعدُ، فإن اللهَ سُبحانَه قد كرّمَ الإنسانَ وفضّله بالنُّطق على سائر الحَيَوان، وشرّف هذا اللسانَ العربيَّ بالبَيان على كلِّ إنسان، وكفاه شَرَفاً أنه به نَزَلَ القُرآنُ وأنه لُغَةُ أهلِ الجِنان[٤].... وإني لم أزَلْ مشغوفاً بمطالعاتِ كتبِ اللُّغاتِ والاطّلاع على تصانيفها وعِلَلِ تصاريفها. ورأيتُ عُلماءها بين رَجُلَيْنِ: أمّا من أحْسَنَ جَمْعَه فإنّه لم يُحسِنْ وَضعَهْ، وأما من أجادَ وضعَه فإنه لم يُجِدْ جَمْعَه، فلم يُفِدْ حُسْنُ الجمعِ مَعَ إساءةِ الوَضْع، ولا نَفَعَتْ إجادةُ الوضع مَعَ رَداءةِ الجَمْع. ولم أجِدْ في كتب اللغة أجملَ من تهذيبِ اللغة لأبي مَنْصورٍ محمدِ بنِ أحمدَ الأزهريِّ ولا أكملَ من المُحْكَمِ لأبي الحسن عَليِّ ابنِ إسماعيلَ بن سِيدَه الأندلسيّ رَحِمَهما اللهُ، وهما من أُمهاتِ كتب اللغة على التحقيق وما عداهما بالنسبة إليهما ثَنيّاتٌ للطريق[٥]. غير أن كلاًّ منهما مطلبٌ عَسِرُ المَهْلِكِ ومنهَلٌ وعِرُ المَسْلَكِ.... ووجدْتُ أبا نَصْرٍ إسماعيلَ بنِ حمّادٍ الجوهريَّ قد احْسَنَ ترتيبَ مُخْتَصَرِهِ وشَهَرَهُ بسهولة وَضْعه.... غير أنه في جَوِّ اللغة كالذّرة وفي بحرها كالقَطْرة وإن كان في نَحْرِها كالدُّرّة. وهو مَعَ ذلك قد صَحَّفَ وحرّف وجزّف فيما صرف[٦]. فأُتيح له

---

(١) لأن يكون لنا معاً ذنب واحد (فيكونوا هم صادقين بتهمتنا) خير (في النظرة الإنسانية) من أن نكون نحن (ونحن اثنان فقط) بريئين ويكون الناس كلّهم مذنبين.

(٢) إن جزت (قطعت، مررت به) وادي الأراك (مكان في الحجاز ينبت فيه شجر الأراك الذي تجعل منه المساويك (أداة لتنظيف الإنسان). قبّلت أغصانه فاك (فمك): مررت بالمسواك على أسنانك.

(٣) فأرسل إلى المملوك (العبد الرقيق، يكنّي الشاعر بذلك عن نفسه) شيئاً منها. فإنّني ما لي سواك (تورية: ليس عندي مساويك - ليس لي من أطلب منه هذا الطلب سواك (غيرك).

(٤) المرويّ أن اللغة العربية هي لغة أهل الجنّة.

(٥) ثنيات الطريق: الطرق الفرعية الضيّقة. الثنيّة (بفتح فكسر ثمّ ياء مشدّدة): الطريق في الجبل.

(٦) . صحّف: أبدل في الكلمة حرفاً بحرف (فرح تصبح: فرج، فرخ، قزح، قرح الخ). حرّف: صرف الكلام عن المعنى المقصود. قرأ الأب لويس شيخو جملة هي: وكانت الكعبة لا «سقف» عليها، فأثبتها في بعض كتبه: وكانت الكعبة «لأسقف»، عليها. وقرأ أحد تلاميذه جملة البلاذري: وفتح العرب =

الشيخ أبو محمدٍ بن بَرِّيٍّ فتَتَبَّع ما فيه وأمْلى عليه أماليه مُخرجاً لسَقَطاته مؤرخاً لغَلَطاته. فاستخرتُ الله سبحانَه وتعالى في جمعِ هذا الكتابِ المُبارك[١] الذي لا يُساهَمُ في سَعَةِ فضله ولا يُشارَكُ،ولم أخْرُجْ فيه عما في هذه الأصول. ورتبته ترتيبَ الصِّحاح في الأبواب والفصول[٢]. وقصدت توشيحه[٣] بجليلِ الأخبارِ وجميل الآثار مُضافاً إلى ما فيه من آياتِ القُرآنِ الكريمِ والكلام على مُعْجِزاتِ الذكْرِ الحكيم[٤] ليَتَحلّى بترصيعِ دُرَرِها عِقْدُه ويكونَ على مَدارِ الآياتِ والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حَلُّه وعَقْده. فرأيتُ أبا السعاداتِ المباركَ بنَ محمدِ بن الأثيرِ الجَزَرِيّ قد جاءَ في ذلك بالنِهاية[٥] وجاوَزَ في الجودة حدَّ الغاية. غيرَ أنه لم يَضَعِ الكَلِماتِ في مَحلِّها ولا راعى زائد حروفها من أصلها. فوضعتُ كُلَّاً منها بمكانه... فجاء هذا الكتاب بحمد الله واضحَ المنهج سهلَ السُلوك.... وليس لي في هذا الكتاب فضيلةٌ أَمُتُّ بها[٦] ولا وسيلةٌ أتَمسّك بسببها سوى أني جمعتُ ما تفرق في تلك الكتب من العُلوم وبسطت القَوْلَ فيها.... فَلْيَعْتَدَّ[٧] من ينقُلُ عن كتابي هذا أنه ينقُلُ عن هذه الأصولِ الخمسة... فإنني لم أقْصِدْ سوى حفظِ أُصول هذه اللغة النبوية وضَبْطِ فَضْلها إذ عليها مَدارُ أحكامِ الكتاب العزيز والسُنة النبوية.... وذلك لِما رأيتُه قد غَلَبَ في هذا الأوانِ مِنَ اختلافِ الألْسِنة والألوان. حتى لقد أصبحَ اللحْن في الكلام يُعَدُّ لَحْناً مردوداً[٨] وصار النُطق بالعربية من المعايبِ معدوداً. وتنافسَ الناسُ في تصانيفِ التَرْجُماتِ في اللغة الأعجمية وتفاصحوا في غير اللغة العربية. فجمعتُ هذا الكتاب في زمنٍ أهلُه بغيرِ

= الشام فتحاً يسيراً (أي سهلاً هيّناً) فجعلها « قليلاً ». جزّف (أكثر بلا قاعدة) فيما صرّف (ذكر للجذر صيغاً أكثر ممّا يحتمل!)

(١) أي كتابه: لسان العرب.

(٢) مثال ذلك: « علم » تبحث عنها في باب الميم فصل العين كأنّها « معل ».

(٣) تزيينه.

(٤) الذكر الحكيم: كلام الله تعالى، القرآن الكريم.

(٥) بالنهاية: بأقصى (بأوسع) ما يمكن. و« النهاية في غريب الحديث والأثر » كتاب لمجد الدين بن الأثير.

(٦) متّ: انتسب.

(٧) اعتدّ: حسب (أيقن).

(٨) اللحن (الأولى): الخطأ في القول. اللحن (الثانية): النغم. مردود (مكرّر، مألوف).

لُغته يَفخَرون.. وسَمَّيْتُهُ «لِسانَ العربِ»....

٤- نثار الأزهار......، الآستانة (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ.
- لسان العرب......، بولاق ١٢٩٩، ١٣٠٠-١٣٠٨، ١٣٤٨ هـ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٣٢ هـ = ١٩١٣ م.
- أخبار أبي نواس.....، القاهرة ١٩٢٤ م (١٣٤٣ هـ)؛ (نشره محمّد عبد الرسول وشكري محمود أحمد)، بغداد (المعارف).......
- مختار الأغاني في الأخبار والتهاني (تحقيق حسين نصّار)، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر) ١٣٤٥ هـ.

★★ تصحيح لسان العرب، تأليف أحمد تيمور، القاهرة ١٣٣٤، ١٣٤٣ هـ.

- فهارس لسان العرب (فهرست الشعراء، صنعه عبد القيّوم محمّد)، لاهور ١٩٣٨ م (١٣٥٧ هـ).
- فوات الوفيات: ٢: ٣٣١-٣٣٢؛ الوافي بالوفيات ٥: ٥٤-٥٧؛ درّة الحجال ٢: ٣١٥-٣١٦؛ نكت الهميان ٢٧٥-٢٧٦؛ بغية الوعاة ١٠٦-١٠٧؛ شذرات الذهب ٦: ٢٦-٢٧؛ بروكلمن ٢: ٢٥، الملحق ٢: ١٤-١٥؛ مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٢: ٣ (١٩٥٧/٧/١ م) ص ٤٦٦-٦٦٩ (تحقيق تاريخه، بقلم علي الفقيه حسن)؛ سركيس (معجم المطبوعات العربية) ٢٥٥-٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٢٩-٣٣٠ (١٠٨)؛ أعلام ليبيا ٢٩٩-٣٠٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٤٦٤؛ الدرر الكامنة: ٢٦٢-٢٦٤ (رقم ٧٢٥)؛ المنهل العذب ١: ١٥٧؛ نفحات النسرين والريحان ١٤٦-١٤٨.

أبو العبّاس المليانيّ

- هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ عليٍّ المِلْيانيُّ، ومن أهلِ مِليانةَ (جَنوبَ مدينةِ الجزائر). كان عَمّهُ أبو عليٍ أحمدُ قد ثارَ على الحَفْصيّين فلم ينجحْ ففرّ إلى المَغْرِبِ ولجأ إلى السُلطانِ يعقوبَ المَرينيِّ (٦٦٧-٦٨٤ هـ) فأقطعَهُ السُلطانُ يعقوبُ بلدةَ أغماتَ (قُربَ مدينةِ مَرّاكُش). وكان أبو العبّاسِ أحمدُ في صُحبةِ عَمّهِ.

أكملُ أبو العبّاسِ المِليانيُّ دِراسته في أغماتَ ومَرّاكُشَ. ولمّا جاء يوسفُ بنُ يعقوبَ إلى عرشِ المَرينيّين، سَنَةَ ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) جعَلَ أبا عليٍّ أحمدَ على جِبايةِ الأموالِ،

ثمّ بدا من أبي عليٍّ ما حَمَلَ السُّلطانَ يوسفَ على قتلهِ. ثمّ علَتْ منزلة أبي العبّاس فجعَلَه السُّلطانُ يوسفُ «كاتبَ العلامة» (صاحب التوقيع على المراسلات والمراسيم السلطانية). ثمّ استطاعَ أبو العبّاس أن يدبّرَ مَقْتَلَ الذين كانوا سببَ مقتلِ عمّهِ وأن يَفِرّ إلى تِلِمْسانَ (الجزائر اليوم). وفي سَنَةِ ٧٠٣ هـ غادرَ تلمسانَ إلى غَرناطةَ واستقرّ فيها إلى حينِ وفاتهِ، في تاسع ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٧١٥ (١٣/٧/١٣١٥ م).

٢- كان أبو العبّاس المِلْيانيُّ كاتباً وشاعراً، وكانتْ له مُشاركةٌ في الطِبّ. وفي المصادرِ والمراجع مقطوعةٌ واحدةٌ من شِعرهِ تُنْبِىء عن نَفَسٍ ومقدرةٍ في مُعارضةِ الشعرِ المَشْرقيّ، في الحماسة خاصّةً.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو العبّاس المِليانيُّ يفتخرُ بفِعْلته إلى أدّتْ إلى مقتلِ خُصوم عمّهِ وبغيرها:

العِزّ ما ضُرِبَتْ عليه قِبابي، والفضلُ ما اشْتَمَلت عليه ثِيابي[١].
والزَّهْرُ ما أهْداه غُصْنُ يَراعتي، والمِسْكُ ما أبْداه نَقْشُ كِتابي[٢].
والمجدُ يمنَعُ أن يُزاحَمَ مَوْرِدي، والعزُ يأبى أن يُسامَ جَنابي[٣].
فإذا بَلَوْتُ صَنيعةً جازَيْتُها بجميلِ شُكري أو جَزيلِ ثَوابي[٤].
وإذا عَقَدْتُ مودّةً أجْرَيْتُها مجرى طعامي في دَمي وشَرابي.
وإذا طلبتُ من الفراقدِ والسُهى ثأراً، فأُوشِكُ أن أنالَ طِلابي[٥]!

٤- ** الإحاطة ١: ٢٩٢ - ٢٩٤؛ نفح الطيب ٦: ٢٦٦ - ٢٦٨؛ الاستقصا ٢: ٣٧ - ٣٨؛ تاريخ الجزائر العامّ ٢: ١٩٤ - ١٩٥؛ معجم أعلام الجزائر ٣١؛ الطمّار ١٩٦ - ١٩٧؛ النبوغ المغربي ٦٩٧.

---

(١) القبّة: خيمة من جلد (تكون للملوك). - العزّ موجود في بيتي فقط، والفضل من صفاتي وحدي.
(٢) نقش: تلوين (النقش هنا: الحبر الذي أكتب به رسائلي) أنا وحدي أحسن الكتابة.
(٣) الناس يرهبون (لسموّ مكانتي) أن يقتربوا من حوض الماء الذي هو لي (وإذا لم يكن عليه أحد). - وعزمي (شجاعتي، قوتّي) تأبى (ترفض) أن يسام (ينزل ظلم) جانبي (في بيتي، بي).
(٤) إذا صنع أحد بي معروفاً أثبته بشكري الجميل أو بعطائي الكثير.
(٥) الفراقد والسهى: نجوم معروفة (ولكنّ الشعر يأتي بها هنا كناية عن البعد). أوشك: اقترب.

التجانيّ صاحب الرحلة

١ - ينتسبُ آلُ التِّجانيّ في تونسَ إلى قبيلةِ تِجانَ من قبائل المغرب (الأقصى)، ولعلّ أحدَهم أبا القاسم (ت نحو ٥٥٥ هـ) كان قد جاء في جيشِ السُّلطانِ المُوحّدي عبدِ المؤمنِ بن عليٍّ[١]، في أواسطِ القرنِ السادسِ للهجرة. ويبدو أن أبا القاسم هذا دَخَلَ في خِدمةِ الدولة ثمّ خَلَفَهُ فيها ابنُه محمّدٌ.

ولمّا استقلّ بنو أبي حفصٍ الهِنتاتيّ[٢] - وأبو حفص في الأصل من رجالِ عبدِ المؤمنِ المُوحّدي - دَخَلَ إبراهيمُ وأحمدُ[٣] ابنا محمّدِ بنِ أبي القاسم التِّجاني في خِدمة الدولة الحَفْصية الجديدة.

وقد نَبَغَ من أُسرة التِّجاني نَفَرٌ من العُلماء والأُدباء نَعُدُّ منهم عليَّ بنَ إبراهيمَ[٤] وأختَه زَيْنَبَ[٥] وأخاه عُمَرَ ثمّ مُحمّدَ بنَ عليٍّ[٦]. وكان منهم أيضاً محمّدُ بنُ أحمَد والدِ صاحب الرحلة.

وُلِدَ التِّجانيُّ صاحبُ الرِّحلةِ - واسمُه في الأغلب أبو محمّدٍ عبدُ الله بنُ محمّدٍ في تونسَ بينَ سَنَةِ ٦٧٠ و ٦٧٥ هـ (١٢٧٢ - ١٢٧٦ م) فبدأ تَلَقِّيَ القراءةِ والكِتابة على أبيه ثمّ أقبلَ على حُضور دروسِ الشيوخِ في التفسيرِ والحديثِ والفِقه والأدب والتاريخ وغيرِها. وقد كان من شيوخِهِ أبو بكرٍ عبدُ الكريم العوفي (ت ٦٩٨ هـ) قرأ عليه الفِقه

---

(١) عبد المؤمن بن عليّ (راجع، فوق، ص).

(٢) أبو حفص الهنتاتي (راجع، فوق، ص).

(٣) كان إبراهيم وأحمد هذان في بلاط أبي زكريّا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص مؤسّس الدولة الحفصية باستقلاله عن الموحّدين (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ). وكانا من أهل الأدب والبلاغة.

(٤) أبو الحسن عليّ بن إبراهيم التجاني (ت ٧٠٨ هـ) أخذ عن ابن الآبّار (ت ٦٥٨ هـ) والشاعر حازم القرطاجنّي (ت ٦٨٤ هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) والكلاعي (ت) وخاصّة عن قاضي تونس ومحدّثها الكبير أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن الغمّاز البلنسي الأندلسيّ (٦٠٩ - ٦٩٣ هـ)، وكان فقهياً شاعراً.

(٥) زينب بنت إبراهيم التجاني (التجانية) من شهيرات الأديبات التونسيّات في العصر الحفصي.

(٦) عمر بن إبراهيم التجاني كان من العلماء والكتاب والنحاة ممّن يقولون الشعر. أمّا أبو الفضل محمّد بن عليّ ابن إبراهيم التجاني (٧١٨ هـ) فهو من أعلام العلم والأدب في العصر الحفصي، خدم مدّة طويلة في ديوان الرسائل. وكان شاعراً ناثراً محسناً (راجع مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص ٢١٠).

(سَنَةَ ٦٩٣ أو ٦٩٤ هـ) وأبو القاسم بنُ عبدِ الوهّاب بنِ قائدٍ الكِلاعي (ت   )
وأبو عليٍّ عُمَرُ بنُ محمّدِ بنِ علوانَ التونسيّ (ت ٧١٠ هـ) أخذَ عنه سَنَةَ ٧٠٢ هـ. ثم إنه كان ينتهزُ الفُرَصَ في أثناء رحلتهِ لِلقاء الشيوخِ والأخذِ عنهم.

سَلَكَ التِّجانيُّ سبيلَ أسلافهِ في الدخول في خِدمة الدولة في ديوانِ الإنشاء، ويبدو أنّه دخل هذا الديوانَ في أيام أبي عَصيدةَ (٦٩٤ - ٧٠٩ هـ) محمّدِ بنِ يحيى الواثق.

في هذه الأثناءِ كان الاضطرابُ شديداً في السَلْطنةِ الحَفصيةِ الشَرْقية (المملكة التونسية) والنزاعُ بينَها وبينَ السلطنةِ الحفصية الغَرْبية (مملكة الجزائر) عنيفاً. وكان من شيوخ المُوحّدين وكبارِ رجالِ الدولة الحفصية في تُونسَ الأميرُ أبو يحيى زكَريّا بنُ محمّدٍ اللِّحْيانيّ طامعاً في الملك، فعزَم على مُغادرةِ تُونسَ لترتيبِ الأمور في خارِجها[1]، وكان قدِ اتّخذَ التجانيَّ كاتباً خاصًّا به. فلمّا غادرَ تونسَ (منتصفَ ٧٠٦ هـ = أواخرَ ١٣٠٦ م) اصطحَبَ التجانيَّ. ثمّ إنّ التجانيَّ عاد إلى تونسَ في صَفَرَ من سَنَةِ ٧٠٨ (صيفَ ١٣٠٨ م)، لأسبابٍ صِحّيّة.

واستطاعَ أبو يحيى زكريّا اللِّحيانيّ أن يزحَفَ على العاصمةِ (حاضرة تونس) وأن يأخُذَ البَيْعةَ[2] لنفسِه، سَنَةَ ٧١١ هـ، في حديثٍ طويل. ولم يَنْسَ أبو يحيى كاتِبَهُ القديمَ فجعلَه رئيساً لدواوينِ رسائله - صاحبَ خُطّةِ العَلامةِ الكُبرى   -. ولكّن أبا يحيى أدرَكَ وَشِيكاً - وقد تقدّمتْ به السِّنُّ - أنّه عاجزٌ عن الكفاح في سبيلِ استقرارِ الأمرِ له فتخلّى عن المُلك ثمّ انسحبَ، سَنَةَ ٧١٧ هـ إلى طرابُلُسَ. واجتمع أنصارُ أبي يحيى وَولَّوْا ابنَهُ محمّداً أبا ضَرْبَةَ مكانَهُ.

عندَ هذا التاريخ انقطعتْ أخبارُ التجانيِّ صاحب الرِّحلةِ، ولَعلّه قُتِلَ بُعيدَ ذلك في مَنْ قُتِلَ من أنصار أبيهِ، في النزاعِ بينَ أبي ضَرْبَةَ وأبي بكرٍ الحفصي صاحبِ قُسَنْطِينَةَ (الجزائر اليومَ)، سَنَةَ ٧١٨ هـ (١٣١٨ م).

٢ - اشتهر أبو محمّدٍ عبدُ الله التِّجانيُّ برِحلةٍ قام بها بصحبة الأميرِ أبي يحيى زكريا

---

(١) ليعدّ العدّة للاستيلاء على الملك.

(٢) أن يحمل الناس على اختياره حاكماً.

آبنِ محمّدٍ اللّحيانيّ. ولكنّ هذه الرِحلَة كانت قصيرةً (٧٠٦ – ٧٠٨ هـ) ولم يتجاوَزْ بها صاحبُها القُطْرَ التونسيَّ وجانباً من غربيّ ليبيا اليومَ. وإذا نحنُ نَظَرْنا إلى هذه الرحلة من حيثُ وصفُ المناطق التي مرّ بها التِّجانيّ حكَمْنا بأنّها رِحلةٌ قاصرةٌ جدًّا لم تَصِفْ من معالمِ تلك البلاد إلّا شيئاً قليلاً. غيرَ أنّ هذه الرِحلةَ غَنِيّةٌ بأوجهِ الاستطراد إلى التاريخ والأدب والعِلم وإلى إيراد المُراسلاتِ بين صاحبها ونفرٍ من رجالِ عصرِه، فَهُوَ يُورِدُ تلك المُراسلاتِ بشيءٍ كثيرٍ من التفصيل كما يُورِدُ نماذجَ كثيرةً من آثارِ الأدباء المُعاصرين له. ولكَنْ مِنْ غيرِ المألوفِ في « الرِّحْلات » أن يُكْثِرَ صاحبُ الرحلةِ مِنَ الاستشهادِ بكُتُبِ الجُغرافيةِ والتاريخ كما فَعَلَ التجانيّ. ولا شكّ في أن هذه الرِحلةَ تَصِفَ جانباً كبيراً من حياة تونسَ في مطلَعِ القرنِ الثامنِ للهجرة (وهُوَ جانبٌ غامضٌ في تاريخ تونس).

وأسلوبُ التجانيّ في رِحلته أسلوبٌ سليمٌ فيه شيءٌ من الصِّناعة. والرحلةُ تدُلّ على ثقافةٍ لُغَويةٍ وعِلْمية واسعةٍ. أمّا شِعْرُ التِّجانيّ فَهُوَ عادِيٌّ جدًّا.

٣ – مختارات من آثاره

– من مطلع الرحلة:

.... هذا تَقْييدٌ يشتملُ على وصفِ ما شاهدْتُه في هذه السَّفْرةِ المباركةِ من البلاد مُضَمَّنٌ ذِكْرَ(١) أحوالها وصِفاتِها وبيانِ طُرُقِها ومَسافاتِها، والإشارةِ إلى مُفْتَتِحيها وبُناتِها(٢)، وأحوالِ مَنِ اشتملتْ عليه من أصنافِ العوالمِ وما يَتميّزُ به كُلُّ بلدٍ من الآثارِ والمَعالم، وما يُتَشَوَّفُ إليه ويتشوّقُ(٣) إلى الاطّلاعِ عليه. وقد أُلْبِسَ ذلك مِنْ حُلّةِ النظْمِ والنثْرِ ممّا وَرَدَ في هذه السَّفرة إليّ أو صَدَرَ عنّي استفتاحَ خِطابٍ أو رَدَّ جوابٍ ممّا تحسُنُ المُحاضرةُ(٤) بهِ وتحصُلُ الإفادة...

---

(١) مضمّن نعت « تقييد » (تدوين). ذكر مفعول به من « مضمّن ».

(٢) مفتتحها: الذي استولى عليها بالقوّة. بناة جمع بان (الذي بنى البلدة).

(٣) تشوّف: تطلّع ليرى شيئاً عن بعد. تشوّق: مال برغبته إلى شيء ما.

(٤) صدر عنّي: أرسلته (أرسلت رسالة). استفتاح (مطلع، مقدّمة) خطاب (كتاب، رسالة). المحاضرة: (في =

فكان خُروجي من تونسَ المحروسةِ صُحبةَ الركاب العالي المَخْدومي الليمومي[1] أعلى الله مَقامَه وأطالَ في العِزّ دَوامَه، في آخرِ جُمادى الأُولى من عام سِتّةٍ وسَبْعِمِائَةٍ. وكان مُرادُه منها إنّما هو التوجّهُ لأَداءِ فريضةِ الحجّ التي لا يَسَعُ تركُها بعدَ الاستطاعةِ عليها أحداً من الأنام. بهذا تعلّقتْ آمالُه وعليه كان عن (دار) الخلافة انفصالُه. إلّا أنّ أمرَ الحجّ طُوِيَ عن الناسِ في هذه الحركةِ ذِكْرُهُ وأُخْفِيَ عنهم أمرُه. وسَبَبُ ذلك أنّه لِما عُلِمَ في تدبيرِ الرَّعيّةِ من حُسْنِ غَنائه[2] وما اجتمعتْ عليه قلوبُ الجُمهورِ واستتمّ من مَحبّته وثنائه، لو بيّنَ لهمُ انطلاقَه لأَبْدى كلٌّ منهم بِهِ اعتلاقَه فصَدّوه عن حَجّهِ وردّوه عمّا يَمَّمَ من نَهْجِه[3]. فرأى أنّ كَتْمَ الحجِّ أصلحُ، وأنّه الآكَدُ في طريقِ السياسةِ والأَرْجَحُ[4]. فجعَلَ أمرَ جَرْبَةَ سَبَباً إلى نَيْلِ ذلك المَرام ورجا مَعَ ذلك أن يكونَ على يدِه استرجاعُها إلى الإسلام.....

- جزيرة جربة (ص ١٢١):

وجَزيرةُ جَرْبَةَ من أعظمِ الجزائرِ خطَراً وأشهرُها في سالف الزمن عِمارةً وذكراً[5].... وَهِيَ أرضٌ كريمةُ المزارعِ عَذْبةُ المشارعِ[6]. وأكثرُ شَجَرِها النخيلُ والزيتونُ والعِنَبُ والتين. وبها أصنافٌ كثيرةٌ من سائر الفواكه، إلّا أن هذه أكثرُ ثَمَرِها وعليها مَدارُ غلّاتِها، وغيرُها من كرائمِ الأرضِينَ لا يُقارِبُها على الجُملة في ثِمارِها أو يُساوِيها. وتُفّاحُها لا يُوجَدَ في جميعِ بقاعِ الأرضِ له نَظيرٌ لِما يوجَدُ بها منه صفاءً وجفافاً وطيبَ مَذاقٍ وعطارةَ استنشاقٍ[7]، ورائحتُه توجَدُ من المسافةِ المديدة والأميال

= الأصل) المجالدة (القتال) والركض (السباق) ثمّ استعملت في تبادل الآراء في موضوع أو إلقاء فصول من العلم على جماعة.

(١) في رحلة التجاني (ص ٤) يقول حسن حسني عبد الوهّاب: «هكذا (وردت) في جميع النسخ التي بأيدينا.

(٢) الغناء (بفتح الغين): النفع والكفاية (حسن تصريف الأمور وحمل التبعة).

(٣) الاعتلاق: التعلّق، التمسّك. يمّم: قصد. النهج: الطريق، الخطّة.

(٤) آكد: أكثر تأكيداً وتثبيتاً. الأرجح: الأثقل (أقرب إلى العقل وأحسن حجّة).

(٥) الخطر (بفتح ففتح): الرفعة والشرف. سالف: ماضي. العمارة: العمران، اتّساع البناء. الذكر (بكسر فسكون): الصيت والشهرة (إنّ التجنيس لم يتمّ بين خطراً وذكراً).

(٦) كريمة المزارع (خصبة تنبت غلالاً كثيرة). عذبة: حلوة. المشارع جمع مشرع: مكان استقاء الماء.

(٧) جفافا (؟). عطارة ليست في القاموس (يقصد: طيب رائحة).

العديدة. وكان من شَجَرِه بهذه الجزيرةِ قبلَ ذلك كثيرٌ ثمّ قلّ الآنَ بِسَبَبِ أن النصارى يُتْحِفون به ملوكَهم وكِبارَهم دون تَعويضٍ لأرْبابِه[١] عنه. فرأى أهلُ الجزيرةِ أنّ غيرَه من الشجرِ أعودُ[٢] بالفائدة عليهم فقَطَعوا أكثَره.... وأكثرُ مساكنِ أهلِها أخصاصٌ[٣] من النخيلِ يَجْعَلُ كلُّ واحدٍ منهم في أرضِهِ واحداً أو اثْنَيْنِ أو أكثرَ من ذلك ثمّ يَسْكُنُه بعيالِه. وليس بها بِناءٌ قائمٌ إلّا دُورٌ قليلةٌ. وهم ينقسمونَ إلى فِرْقَتَيْن: فِرقةٍ تُعْرَفُ بالوَهْبية ورِئاستُهم في بني سمومن، وأرضُ هذه الفِرقةِ من الجزيرةِ الجِهَةُ الغَرْبية وما والاها من جهة الشَّمال؛ وفِرقةٍ تُعرفُ بالنكارة ورئاستُهم في بني عزون وأرضُهم الجهةُ الشَّرْقية فما والاها من جهة الجَنوب. وكانت مدينةُ جَرْبَةَ فاصلةً بينَ أرَضِيهم. وكِلا[٤] الطائفتين خوارجُ غُلاةٌ في مَذْهَبِهم مُكَفِّرون العُصاةَ على ما هو معروفٌ من مذهب الخوارجِ..... والمُتَصلّحون[٥] منهم لا يُماسحون بثيابِهم ثيابَ أحدٍ ممّن ليس على مَذْهَبِهِم ولا يُؤاكلونه في آنِيَتِهِ. وإن اسْتَسْقى عابرُ سبيلٍ ماءً من بعضِ أبْيارِهم استخرجوا ماءَ البئرِ كلَّه فماحوه[٦].

- توزر:

وتَوْزَرُ هي قاعدةُ بلادِ الجَريدِ[٧]، وليس في بلادِ الجريدِ غابةٌ أكبرُ منها ولا أكثرُ مِياهاً. وأصلُ مِياهِها من عُيونٍ تنبُعُ من الرملِ وتجتمعُ خارجَ البلد في وادٍ مُتّسِعٍ وتتشعّبُ منه جَداولُ كثيرةٌ. وتتفرّعُ عن كلّ جدولٍ مَذانبُ[٨] يَقْسِمونها بينَهم على أملاكٍ لهم مُقَرَّرَةٍ مقاسمَ من المياه معروفة. ولهم على قِسْمَتِها أُمناءُ من ذَوي الصَّلاح

(١) النصارى (الإسبان أو البرتغاليّون) الذين كانوا يحتلون جربة، كانوا يهدون من هذا التفّاح إلى ملوكهم ورؤسائهم. ولكنّهم كانوا يأخذون هذا التفاح من أصحابه بلا ثمن.

(٢) أعْود: أنفع. أعود فائدة: أكثر جلباً للفائدة (للربح).

(٣) بيت (كوخ) من غصون الشجر أو من القصب.

(٤) يجب أن يقال: وكلتا الطائفتين.

(٥) المتصلّحون (غير موجودة في القاموس): الصالحون (الذين يسيرون في الحياة على النهج القويم ويتشدّدون في السلوك).

(٦) الأبيار (يقصد الآبار جمع بئر). ماح البئر يميحها: نزح ماءها (أفرغها).

(٧) بلاد الجريد: جنوبيّ تونس حيث يكثر النخيل.

(٨) المذنب (بكسر الميم): مسيل الماء.

فيهم يَقْسِمونها على الساعات من النهار والليل بِحسابٍ لهم في ذلك معروفٍ وأمرٍ مُقَرَّرٍ مألوفٍ. وعلى ذلك الماء أرحاءٌ[1] كثيرةٌ منصوبةٌ. ومن العَجَبِ أن هذا الواديَ يحتملُ ما يحتملُ من غُثاءٍ[2] أو غيرِه، فإذا انتهى إلى المَقْسَم افترقَ هنالك أجزاءً بالسَوِيَّةِ على عدد المسارب[3] فمضى كلُّ قِسْمٍ منها إلى مَسْرَبٍ منها. وهذا مِمّا شاهدْتُه فيها عِياناً. وكثيرٌ من أهلها إنّما يسكُنون بغابَتِها، ولا مُناسبةَ بينَ مباني الغابةِ ومباني داخلِ البلد، فإنّ مبانِيَ الغابةِ أضخمُ وأحسنُ. وبداخلِ البلدِ جامعانِ للخُطْبة[4] وحمّامٌ واحدٌ. ومُتَفَرَّجُهم[5] بموضعٍ يَعْرِفونه بباب المنشر، وَهُوَ من أحسنِ المُتَفَرَّجاتِ لأنّ مجتمعَ الماءِ هنالك... ويجتمعُ به القصّارون فيَنْشُرون هنالك من الثِياب المُلّونة والأمْتِعة المَوْشِيّةِ[6] ما يَعُمُّه على كِبَرِهِ فيُخَيَّلُ للناظرِ أنّه رَوْضٌ تفتّحتْ أزهارُه واطّرَدَتْ أنهارُه[7]......

٤-★★ رحلة التجانيّ (قدّم لها حسن حسني عبد الوهّاب- نشرتها كتابة الدولة للتربية القوميّة والرياضة)، تونس (المطبعة الرسميّة) ١٣٧٨ هـ= ١٩٥٨ م؛ ونشر منها قطع مختلفة (راجع بروكلمن).

- تحفة العروس ونزهة النفوس، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠١ هـ؛ فاس (طبع حجر) ١٣١٧ هـ؛ الفصول الأول والسابع والثامن نشرها دوزي في باريس والجزائر ١٨٤٨ م (١٢٦٦ هـ).

نفح الطيب ٤: ١٢٠-١٢١، ٥: ١٨٢-١٨٣؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٧٤٥، بروكلمن ٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٨؛ المكتبة العربية الصقلّية ٣٧٥-٤٠٣؛ عنوان الأريب ٨٢-٨٤ (راجع ص ٨٠، السطر الأوّل)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٢-٢١٤؛ سركيس ٦٥٠.

---

(١) الرحا والرحى: الطاحون (حجران يدور أحدهما على الآخر).

(٢) الوادي: النهر. الغثاء: ما يحمله السيل من الوسخ وفتات (بضمّ الفاء) الأشياء.

(٣) المسرب: (مخرج الماء).

(٤) جامع الخطبة: مسجد الجمعة (الجامع الذي يصلّي فيه الإمام أو الحاكم).

(٥) المتفرّج: المتنزّه.

(٦) القصّار: الذي يبيّض الثياب. يكون الخام أسمر اللون فيقصرونه (بضمّ الصاد؟ بتشديدها أيضاً): يعالجونه بموادّ كياوية حتّى يبيضّ. الموشيّ: الملوّن أو ذو النقوش.

(٧) اطّرد النهر: تتابع جريان مائه.

ابن رُشيد السبتيّ

١ - هو محبّ الدين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عُمَرَ بن محمّدِ بن عمرَ بن محمدِ بن ادريسَ بنِ عبدِ الله بن سعيدِ بنِ مسعودِ بن حسن بن محمدٍ الفِهْريُّ، من أهل سَبتَةَ، ويُعْرَفُ بٱبن رُشَيدٍ (تصغيرَ «رُشْدٍ»).

وُلدَ ٱبنُ رُشيدٍ في سَبتةَ، وفي سَنَةِ ٦٥٧ للهجرة، في الأغلب. وجعَلَ المقّريُّ (أزهار الرياض ٢ : ٣٥٦) مولدَه في رَمَضانَ من سَنَة ٦٥٧ أو ٦٥٩ . وفي سبتة بدأ ٱبنُ رُشيدٍ دِراسَة الحديثِ والنحو، ثمّ ٱنتقل إلى فاسَ فتابعَ فيها الدِّراسةَ. ففي سَبْتَةَ قرأَ ٱبنُ رُشيدٍ القرآنَ العزيزَ بالقراءاتِ السَّبْع على أبي الحسنِ بن أبي الربيع وعلى أبي الحسن عليّ بنِ محمّدٍ الكتاميّ المعروفِ بٱبن الخضّار، كما دَرَسَ على ٱبْنِ أبي الربيع أيضاً أشياءَ من النحو ومن غير النحو.

وفي سَنَةِ ٦٨٣ للهجرة (١٢٨٤ م) عزمَ ٱبنُ رُشيدٍ على الحجّ. وٱتفق أنّ مركَبَهُ مرّ في طريقه إلى المشرق بثَغْر المَرِيَّةِ (في جَنوبيِّ الأندلُس)، فلَقيَ هنالك الوزيرَ أبا عبدِ الله ٱبنَ الحكيمِ الرُّنديَّ مُتوجّهاً إلى الحجّ أيضاً، فٱصْطَحبا. وٱنتهزَ الرفيقانِ فُرصةَ الرِّحلةِ إلى المشرق فَلَقيا نفراً من الشيوخ وأخذا عنهم عدداً من فنونِ المعرفة. وفي أثناء الطريق أخذَ ٱبنُ رُشيدٍ عن نَفَرٍ كثيرين من الشيوخ في المَريّةِ وفي بِجاية (في الجزائر اليومَ) وفي تُونسَ ثمّ في الإسكندريّة والقاهرة ودِمَشْقَ وفي مَكّة والمدينة (راجع أزهار الرياض ٢ : ٤٣٩). وكان ٱبنُ رُشيدٍ وٱبنُ الحكيم الرُّنديُّ يَتَدبّجان (يأخُذُ كُلُّ واحدٍ منهما عنِ الآخَرِ ما عنده من الأحاديث: أحاديث رسول الله).

وبعدَ ثلاثِ سَنَواتٍ من التَّطْواف في المشرق عاد ٱبنُ رُشيدٍ إلى سَبْتَةَ. ولكنّه عاش فيها بِضْعَ سَنَواتٍ في عُزلة أو في إهمال من الدولة ومن الناس. ولكنْ في سَنَةِ ٦٩٢ للهجرة (١٢٩٣ م) دَعاه صديقُه ورَفيقُه في الرِّحلة ذو الوزارتين ٱبنُ الحكيم الرُّنديُّ إلى الأندلُس، في أيام أبي عبدِ الله محمّدٍ الثاني، ثاني سَلاطينِ بني الأحمر في غَرناطة (٦٧١ - ٧٠١ هـ). وفي غَرناطَة تولّى ٱبنُ رُشيدٍ الخُطبةَ والإمامة (يومَ الجُمُعة) في الجامع الأعظم. ولقد أقامَ ابنُ رُشيدٍ في غَرناطةَ مُدّةً (٦٩٢ - ٧٠٨ هـ) يُقرِئُ فنوناً من

العلم، كما كان في أثناء هذه المُدّة كلِّها يُدرِّسُ كلَّ يوم صحيحَ البُخاري. ثمّ لَمّا تُوُفِّيَ أبو جعفرِ بنُ الزُّبير (في ربيعٍ الأوّلِ من سَنَة ٧٠٨ = مطلع الخريفِ من عام ١٣٠٨ م) - وكان على قضاء المَناكحِ (عُقود الزَّواج) - خَلَفَهُ آبنُ رشيد في هذا المَنْصِب.

وفي شَوّالٍ من سَنَة ٧٠٨ (آذار - مارس ١٣٠٩ م) خُلِعَ السُّلطانُ أبو عبدِ الله محمّدٌ الثالثُ بنُ محمّدٍ الثاني، ثالثُ سلاطينِ غَرناطةَ، وقُتِلَ الوزيرُ آبنُ الحكيم الرُّنْديُّ، فعادَ آبنُ رُشيدٍ إلى المغرب ونَزَلَ في فاس. وجعَلَ له السلطانُ المَرينيّ أبو الربيعِ سُليمانُ بنُ عامرٍ الخِيارَ في السُّكنى حيثُ شاء في المَغْرب، فآختارَ أنْ يَنتَقِلَ إلى مَرّاكُش - لأنّه كان قد سَكَنَها مرّةً واسْتَحْسَنَها - فولاه السلطانُ الصلاةَ والخُطْبة فيها في الجامع العتيق. وقد أقامَ في مَرّاكُشَ سنتين لا يَشْغَلُه سوى التدريسِ والتحقيقِ (الآنصرافِ إلى التوسُّع في فنون المعرفة).

ثمّ إنّ السلطانَ أبا سعيدٍ عثمانَ بنَ يعقوبَ المَرينيَّ (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) آستدعاه، فيما يبدو، إلى فاس (وكانتْ فاسُ في ذلك الحينِ عاصمةَ المغرب) فجاء آبنُ رشيدٍ إليها وآستقرّ فيها يُدَرِّسُ الحديثَ (نفح الطيب ٥ : ٣٨٩) في حَلْقةٍ له في جامع القَروِيِّينَ (نفح الطيب ٥ : ٢٧٠).

وبَقِيَ آبنُ رُشيدٍ في فاسَ إلى أن أدْرَكَتْه المَنونُ، في الثالثِ والعشرين من المُحرّم (في الأغلب) من سَنَةِ ٧٢١ (١٣٢١/٢/٢٢ م).

٢ - كان آبن رُشيدٍ السبتيُّ كريمَ النفسِ حَسَنَ العِشرة بَرًّا بأصدقائه. وكانت له معرفةٌ بالقِراءات، ولكنّ مُعْظَمَ عِنايته كان مُنصرفاً إلى علم الحديث، فلقد كان واسع المعرفة بالحديث: بصِحّة مَتْنِه وضبطِ أسانيده وعَدالة رِجاله (أي مراتب رُواته في الثقة بما يَرْوُونَ). وكان هو في كُلِّ ذلك ثِقَةً عَدْلاً. وكذلك كانت له معرفة باللغة والنحو (نفح الطيب ٥ : ٢٧٤) وبالأدب وتاريخ الأدب. ثم كان له علم بالنقد أيضاً (نفح الطيب ٤ : ١٢٤ و ٤٧٥ س). وكذلك كان هو أديباً وخطيباً بليغاً (نفح الطيب ٥ : ٣٣٧ و ٥١٤). وكان في شعره تكلُّف ومَيْل إلى التجنيس (أزهار الرياض ٢ : ٣٥٣ - ٣٥٤) مَعَ المعرفة بالعَروض والقوافي، ولكنّ نثره كان جيِّداً.

وكان ٱبنُ رُشيدٍ السبتيُّ مُصَنِّفاً. وأشهرُ ما له في هذا الباب «رِحلته»: مَلْءُ العَيبة[١] بطول الغيبة في الوِجْهتَيْنِ الكريمتين مكة وطَيْبة[٢] (ذكر فيها نفراً كثيرين من العلماء والأدباء الذين لَقِيَهُمْ، كما ذكر فيها أشياءَ من آرائهم ونماذِجَ من أشعارهم، بالإضافة إلى عدد من الملاحظات الجغرافية والتاريخية). وله أيضاً من الكتب[٣]: إفادة النصيح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح[٤]- السَّنَن الأبين والمورد الأمعن في السند المُعَنْعن[٥]- ترجمان التراجم (في أشياءَ تتعلق بتراجِمَ الرواةِ الواردةِ أسماؤهم في صحيح البخاري)- المقدِّمة المُعرِّفة لعلوّ المسافة والصفة[٦]- تقييد على كتاب سيبويه- إحكام التأسيس في أحكام التجنيس- الإضاءات والإنارات في البديع (وهو المسمى: المرتع المَريع لرائد التسجيع والترصيع)[٧]- وصل القوادم بالخوافي[٨] (شرح لكتاب القوافي لشيخه حازم القرطاجنّي)- جزء مختصر في العَروض.

مختارات من آثاره

- قال ابن رُشيد السبتي في الرِّحلة والآغتراب (النبوغ المغربي ٨٠٩):

---

(١) العيبة: زبيل (حقيبة أو كيس) من جلد توضع فيه الثياب.

(٢) في الوجهتين (ورد مكانها أيضاً: في الرحلة إلى). طيبة (بالفتح): المدينة المنوّرة.

(٣) راجع أزهار الرياض ٢: ٣٥٠.

(٤) الجامع الصحيح للبخارى.

(٥) السنن: الطريق. الأبين اسم تفضيل من بيّن (بتشديد الياء): واضح. المورد: مكان شرب الماء. الأمعن صيغة تفضيل من «المعن» (وهي صفة معناها: الكثير والقليل، والطويل والقصير. المورد الأمعن: المشرب الكثير الماء (؟). المعنعن: السند الطويل (روى فلان عن فلان عن فلان.... الخ).

(٦) علو المسافة والصلة.... (؟).

(٧) المرتع: المرعى. المريع: الخصيب (الكثير العشب والماء). الرائد: الطالب. التسجيع (السجع): تقفية الفواصل (أواخر الجمل) في النثر. الترصيع (من أنواع البديع): أن تكون الألفاظ في الجملة الواحدة متّفقه في الوزن وفي الأعجاز (بفتح الهمزة: الأواخر)، كقوله تعالى: ﴿إنّ إلينا إيابهم﴾ ﴿إنّ علينا حسابهم﴾ (المعجم الوسيط ٣٤٩)- لاحظ: إلينا وعلينا، إيابهم وحسابهم.

(٨) القادمة: الريشة الطويلة في مقدّمة جناح الطائر، والخافية: الريشة الصغيرة الناعمة في باطن جناح الطائر.

تَغَرَّبْ ولا تَحفِلْ لفُرقة موطنٍ تفُزْ بالمُنى من كُلِّ ما شِئتَ من حاجِ[1].
فلولا اغترابُ المِسكِ ما حلَّ مَفْرِقاً، ولولا اغترابُ الدُّرِّ لم يَحْظَ بالتاج[2].

– قام ابن رُشيد للخُطبة يوم الجُمُعةِ بعَد فراغ المؤذن الثاني وكان (ابن رشيد) قد ظنّه (الأذان) الثالث. فكثُرَ[3] لغَطُ الناس[4]. فقال ابنُ رُشيدٍ بديهة:

إنّ الواجبَ لا يُبطله المندوبُ[5]، وإنّ الأذانَ الذي بعدَ الأولِ غيرُ مشروع الوجوب. فتأهّبوا لطَلَب العِلمِ وانتبهوا. وتذكّروا قولَ الله تعالى: ﴿وما آتاكُمُ الرسولُ فخُذوه. وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[6]. وقد رَوَيْنا عنه، صلّى اللهُ عليه وسلّم، أنّه من قال لأخيه – والإمامُ يخطُبُ – : «أنْصِتْ»، فقد لَغا[7]. جعَلَني اللهُ وإيّاكُمْ مِمّنَ عَلِمَ فَعَمِلَ، وعَمِلَ فقُبِلَ، وأخلَص فتَخَلَّص[8].

– وقال ابن رُشيدٍ يصف سطح البحر وقدِ انبسطت عليه أشِعة البدر (أزهار الرياض ٢ : ٣٥٣):

انظُرْ إلى البدرِ قدْ مُدَّتْ أشِعَّتُهُ على خُضارةَ حتى ابيضَّ أزرقُهُ[9].
والريح قد صنعت دِرْعاً مسامِرُها حَبابَ ماءٍ يروق العينَ رونقُه[10].

---

(١) لا تحفل: لا تهتّم، لا تبال: الحاج (جمع حاجة).

(٢) المفرق: مكان فرق الشعر في الرأس (الرأس). الدرّة. اللؤلؤة. حظي بالأمر: ظفر (بفتح فكسر) به. – لم يحظ بالتاج (لم ترصّع به تيجان الملوك).

(٣) من عادة المؤذنين أن يؤذّنوا لصلاة الجمعة (صلاة الظهر يوم الجمعة) مرّتين أو ثلاثاً (واحدة منها، أو منها، بين يدي الخطيب، حينما يصعد المنبر). والمشروع في الدين أذان واحد.

(٤) لغط الناس: اختلاط أصواتهم فتصبح مبهمة (لا تفهم). – استغرب الناس أن يبدأ ابن رشيد بالخطبة يوم الجمعة قبل الأذان الثالث المألوف عندهم.

(٥) الواجب: الفرض. المندوب: ما يستحسن فعله في العبادة (ولكنّه ليس فرضاً).

(٦) القرآن الكريم (٥٩ : ٧، سورة الحشر).

(٧) لغا، يلغو: تكلّم (فعل فعلاً يبطل صلاته). – إذا صعد الخطيب المنبر يوم الجمعة، وجب على جميع المصلّين أن يستمعوا إلى أقوال الخطيب، ولا يجوز لأحد أن يتكلّم ولا أن يصلّي.

(٨) وعمل فقُبل (منه عمله). أخلص الرجل في عمله: ترك فيه الرياء (فَعَله من أجل الله أو من أجل المبدأ، لا ليراه الناس). تخلص: صفا (قلب الرجل: أصبحت جميع أعماله موضوعة مواضعها).

(٩) خضارة: اسم للبحر.

(١٠) مسامر: مسامير (جمع مسمار). الحباب: فقاقيع من الماء تكون مملوءة هواء. الرونق (الجمال، الحسن الذي =

- وقال ٱبنُ رُشيدٍ يرثي ٱبناً له (الأدب المغربي ٢٣٦ - ٢٣٧):

فإنْ ألتَفِتْ فالشخصُ للعين ماثلٌ، وإنْ أستَمِعْ فالصوتُ للأُذْنِ طارقُ[١].
وإنْ أدْعُ شخصاً بٱسمهِ لضَرورةٍ، فإنَّ ٱسمَه المحبوبَ للنُّطق سابق[٢].
وإنْ تَقْرَعِ الأبوابَ راحةُ قارعٍ، يَطِرْ عندها قلبٌ لذِكراه خافق[٣].
رأتْكَ المنايا سابقاً فأغرَتْها، فجُدَّ طِلاباً إنّهنّ لواحق[٤].
لئن سَلَبَتْ مِنّي نفيسَ ذَخائري، فإنّي بمذخورِ الأُجورِ لَواثق[٥].
وقد كان ظنّي أنّني لك سابقٌ، فقد صار عِلمي أنّني بك لاحِق[٦].
غَريبَيْنِ كُنّا، فرّقَ الدهرُ بيننا بأبرحِ ما يَلْقَى الغريبُ المُفارق[٧].

- من رحلة ابن رشيد: في رابغ (النبوغ المغربي ٦١٧ - ٦١٨):

.... ذكر غريبةٍ عنّت لنا في رابغٍ وما عنّتْ[٧]، بل أغنتْ في معنى الآية الكريمة وأقنت[٩]. وهي قوله تعالى[١٠]: ﴿يا أيها الذين آمنوا، لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بشيءٍ من الصَّيْد تنالُه أيديكم ورِماحُكم لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يخافه ورُسُلَه بالغَيْب﴾.

صَحِبَني في الطريق من المدينة- على ساكِنِها أفضلُ الصلاةِ والسلام- إلى البيت

= يسرّ العين). راق المنظر العين: وجدته العين حسناً. الصورة البلاغية هنا خطأ، فالريح لا تجعل على ماء البحر (أو ما النهر) حباباً بل تعاريج.

(١) كيفما التفتّ أتخيّل أنّه واقف أمام عينيّ. وكلّ صوت أسمعه يخيّل إليّ أنّه صوته.

(٢) وإذا أنا ٱحتجت إلى أن أنادي أحداً بٱسمه، يسبق إلى لساني ٱسم ابني الميت. اقرأ: في النطق.

(٣) طار القلب يطير (من الفرح أو من الخوف).

(٤) رآك الموت سابقاً (للناس في معالي الأمور). فٱركضْ ما شئتْ فإنّ الموت يلحق بك.

(٥) بمذخور الأجر (بالأجر المذخور- المخبّأ لي ليوم القيامة).

(٦) كنت أظنّ أنني سابق لك (سأموت قبلك، لأنّني أكبر منك سنّاً).

(٧) أبرح: أشد، أكثر شدّة، أكثر ألماً.- كل فراق بأمر من أمور الدنيا أهون على النفس من الفراق بالموت.

(٨) عنّت (من «عنّ»: ظهر). رابغ (هنا): وادٍ بين مكّة والمدينة قريب من البحر. عنّت (من «عنّى»: أتعب، أهمّ).

(٩) أقنى فلان فلاناً: أعطاه (مالاً أو شيئاً ثميناً).

(١٠) القرآن الكريم (٥: ٩٤، سورة المائدة). يخافه بالغيب: يتقيّد بأمر الله، ولو لم يكن أحد من أولي الأمر (رجال الدولة) يراقبه. يبلو: يختبر. تناله أيديكم ورماحكم: يسهل صيده.

الحرام[١] أحدُ الشيوخ من شُرفاءِ المدينة. فلمّا وافَيْنا[٢] رابغَ رأيتُ أمراً عَجَباً من تَخَلُّلِ الوحشِ (من) الغزال والأرنب، بينَ الجِمال والرِّحال[٣]، بحيث ينالُه الناس بأيديهم، والناسُ يُنادون: حَرامٌ، حَرام! والجوارحُ قد سُلسِلَتْ خِيفةَ تَعَدّي جاهلٍ يتعسّف المجاهل[٤]. فقال لي ذلك الشيخ الشريف: «تأمَّلْ تَرَ عَجَباً. هكذا جرتْ عادتنا في هذه الطريق؛ إذا مَرَرْنا به ونحن محرمون[٥] نَجِدُ به من الوحش ما ترى. فإذا عُدْنا مُحِلّين[٦]، لم نَجِدْ به شيئاً». فلما عُدْنا كان (الأمر) كما قال. فبان لي من معنى الآية ما لم يكن عِندي بالمُشاهدة[٧].

٤- رحلة ابن رشيد إلى الحرمين الشريفين (تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه)*.

** الوافي بالوفيات ٤: ٢٨٤ - ٢٨٦ (رقم ١٨٠٥)؛ أوصاف الناس ١٠٠ - ١٠٢؛ الديباج المذهب ٣١٠ - ٣١١؛ الدرر الكامنة حيدر آباد ٤: ١١١ - ١١٣ (رقم ٣٠٨)، مصر ٤: ٢٢٩ - ٢٣١ (رقم ٤١٧٢)؛ بغية الوعاة ٨٥ - ٨٦؛ درّة الحجال ٢: ٩٦ - ١٠٠؛ شذرات الذهب ٦: ٥٦؛ أزهار الرياض ٢: ٣٤٧ - ٣٥٦؛ نفح الطيب ١: ٦٠٦ - ٦١٥، ٢: ١٩٥ - ١٩٦، ٥٨٢ - ٥٨٣، ٥٨٩، ٦٢٣ - ٦٢٤، ٣: ٥٢٣، ٤: ١٢١، ١٢٢، ٣١١ - ٣١٣، ٤٩٦، ٥: ٢٧٤، ٤٨٠ - ٤٨١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٩؛ بروكلمن ٢: ٣١٧، الملحق ٢: ٣٤٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠٥ (٦: ٣١٤)؛ معجم المؤلّفين ١١: ٩٣ - ٩٤؛ الأدب المغربي ٢٣٦ - ٢٣٨؛ النبوغ المغربي ٢٠٦، ٣٨١ (في الترقيم الأوّل)، ٦١٧ - ٦١٨، ٨٠٩.

---

(١) البيت الحرام: الكعبة (مكّة).

(٢) وافينا: وصلنا إلى...

(٣) تخلّل الوحش بين الجمال والرحال: مرور الوحش (الحيوانات غير الأليفة) بين الجمال والرحال (الأحمال)- سواء أكان المسافرون سائرين (يتابعون سفرهم) أو كانوا نازلين (مستريحين، وقت التوقف عن متابعة السفر).

(٤) الجوارح: الطيور الكاسرة كالنسر وغيره. سلسلت: رُبطت بالسلاسل- كأن الجوارح قد ربطت فلا تنقضّ على أحد أو على شاة مع أحد لئلا يضطر محرم (حاجّ) إلى قتلها (إلى سفك دم لا يجوز سفكه في أثناء الإحرام بالحجّ). تعسّف: سلك الطريق على غير علم بها (هجم على أمر لا يعرف عواقبه). المجهل: الأرض لا علامات فيها (جبال أو أشجار الخ).

(٥) المحرم: الذي نوى الحجّ وجعل يقوم بالمناسك (بأعمال الحجّ).

(٦) المحلّ (بتشديد اللام): الذي انتهى من القيام بمناسك الحجّ ثمّ نوى الخروج من الإحرام.

(٧) بان: ظهر. بالمشاهدة (بالملاحظة الشخصية).

(*) راجع مجلة «قافلة الزيت» (جمادى الأولى من سنة ١٣٩٢).

ابن البنّاء العدديّ

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عُثمانَ الأزديُّ المعروفُ بابنِ البنّاء (لأنّ والِدَه كان بنّاءً) العَدَدِيُّ (لِبراعتهِ في علم العدد: العلم الرياضيّ) المَرّاكُشيّ.

وُلِدَ ٱبنُ البنّاءِ العَدَدِيُّ في مَرّاكُشَ، سَنَةَ ٦٤٧ للهجرة على الأصح (نيل الابتهاج ٦٧)، وتلقّى علومَه في مَرّاكُشَ وفي فاس. وقد كان له شيوخٌ (أساتذة) كثيرون (نيل الابتهاج ٦٦) مِنْهُمُ القاضي الشريفُ محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ يحيى قرأ عليه كثيراً من الكتب وذاكَرَهُ في كتاب «الأُصول» أوِ «الأركان» لأُقليدسَ (في الهندسة المستوية). ومنهمُ ٱبنُ حجلةَ الرياضيُّ قرأ عليه أشياءَ من الطِّبِ والفَلَكِ، كما قرأَ الفَلَكَ على أبي عبدِ الله ٱبنِ مخلوفٍ السِّلجماسِّي. ومن شيوخه أيضاً أبو عبد الله بن يسر قرأ عليه القرآن في مَراكُشَ. ومنهم قاضي الجَماعة أبو الحجّاجِ يوسفُ التُّجيبيُّ المِكناسيّ ثم أبو الوليدِ بنُ الحجّاجِ قرأ عليه كتاب المِعيار وكتاب المُستصفى (وكلاهما لأبي حامدٍ الغزّاليّ). ومن شيوخهِ أبو عِمرانَ موسى الزَّناتيُّ قرأ عليه شرحَه على كتابِ المُوطّأ (لمالكِ بنِ أنسٍ) وتَفَقّه عليه. وكذلك قرأ كتابَ سِيبَوَيْهِ (في النحو) على أبي إسحاقَ الصِّنهاجيِّ العطّار.

وتصدّرَ ٱبنُ البنّاء المَرّاكُشيّ في مرّاكشَ للتدريس، ويبدو أنّه كان يُدَرِّسُ مَوْضوعاتٍ مختلفةٍ كاختلاف الموضوعاتِ التي تَلَقّاها عنْ شُيوخه.

وكانتْ وفاةُ أبي العبّاسِ بنِ البنّاءِ في سادسِ رَجَبَ من سَنَةِ ٧٢١ (١٣٢٢/٨/٢ م) في مرّاكش.

٢ - كان أبو العبّاس بنُ البنّاء رجُلًا وقوراً فاضلًا حَسَنَ السيرةِ وافرَ العقلِ مُهَذَّباً حَسَنَ التحديث، ولكنْ قليلَ الكلام، لا يكادَ يتكلّم إلّا في العِلم الذي يُريدُ أن يُفيدَ به الطُّلّابَ. وكذلك كان إماماً مُعظَّماً عند الملوك، وبَلَغَ عندَهم مكانةً ٱجتماعيةً سامية. وكان له ميْل إلى التصوّف.

ومَعَ أنّ ٱبنَ البنّاء كان مشهوراً بالرياضّيات، فإنّه بَرَعَ أيضاً في فنونٍ كثيرة. فبالإضافة إلى الحساب والهندسة والفَلَك، وإلى جانبِ معرفتهِ بأشياءَ من التنجيم والسِّحر وما يتعلّقُ بها، فإنّه قد بَرَعَ في قِراءةِ القُرآنِ وبمعرفةِ الحديث والفِقه والنحو

والمنطق والأدب والبلاغة والشعر.

ولأبي العبّاسِ بنِ البنّاء تصانيفُ كثيرةُ العددِ مُتنوّعةُ الموضوعات، منها: تلخيصُ أعمال الحساب. هذا الكتاب موجزٌ جدًّا. من أجل ذلك شرحه علماءُ كثيرون. وفي كتاب «التلخيص» هذا أشياءُ من علم العَدد (خواصُّ الأعداد، من تقسيمها أفراداً وأزواجاً وجَعْلها متوالياتٍ حسابيةً وهندسيّة) ومن الحساب (الأرقام ثمّ تدوينِ الأعدادِ في مراتـبَ) ثمّ أشياءُ من الجبر ومن الأعمال الأربعة فيما يتعلّق بالأعدادِ الصحيحة والكُسور (راجع الحواشي على النّص المختار لابن البنّاء). ويقول قَدْري طُوقانُ (تراث العرب العلمي ٧٤ - ٧٥، ٤٣٠): بحثَ ابنُ البنّاء في «قاعدةِ الخَطَأَيْنِ لحلّ المُعادلاتِ ذاتِ الدَّرَجة الأولى... وأدخَلَ بعضَ التعديل على الطريقة المعروفة بطريق الخطأ الواحد، ووضع ذلك بشكل قانون....»

ولابنِ البَنّاء أيضاً كتابٌ اسمه «رَفْعُ الحِجاب عن وجوه أعمال الحساب» شَرَح فيه ابنُ البنّاء نفسُه كتابَه «تلخيصَ أعمال الحساب». يقول ابنُ خَلْدونٍ (المقدّمة - دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٨٩٧): وهو مُسْتَغْلَقٌ على المُبتدىء بما فيه من البراهين الوَثيقةِ المَباني. (ثمّ) هو كتابٌ جليلٌ أدرَكْنا المَشْيَخَةَ (كِبارَ الأساتذة) تُعَظِّمه».

وله أيضاً: مقالاتٌ في الحساب (فيه كلامٌ على الأعداد الصحيحة والكسور والجُذور والتناسُب) - كتاب الأصول والمُقدِّمات (في الجبر والمُقابلة) - تنبيهُ الألبابِ على مسائل الحساب - مسائلُ في العدد التامّ والناقص - جزء في العمل بالرومي (بتدوينِ مسائل الحساب بالأحرف لا بالأرقام) - التمهيدُ والتيسير في قواعدِ التكسير - رسالة في علم المِساحة (الهندسة المستوية) - مقدّمة في أُقليدِس والمقالات الأربع - مِنهاج الطالب في تعديل الكواكب - اليَسارة في تعديل الكواكب السيّارة - تسهيلُ العِبارة في تكميل ما نَقَصَ من اليَسارة (وهو مُلْحَقٌ مُتَمِّم للكتاب السابق) قانونٌ لترحيلِ الشمس والقمر في المنازل ومعرفة أوقاتِ الليل والنهار - كتابُ تحديدِ القِبلة[1] - رسالة في الأنواء

---

(١) يتّجه المسلمون في صلاتهم - حيث كانوا من الأرض - نحو الكعبة المشرّفة في مكّة المكرّمة. ومعرفة القبلة (الاتّجاه نحو الكعبة) يحتاج إلى دقّة في حسبان الجهات.

(أحوال الجوّ) – (رسالته) في المُناخ – كتاب في التنجيم والأنواء.

ولابن البنّاء كُتُبٌ في تفسير القرآن وفي الفِقه منها: عُنوان الدليل مرسوم خطّ التأويل – مَنْحى مَلاكِ التأويل – حاشيةٌ على الكشّاف (للزّمَخْشري؟) – جُزء صغير على سورة «إنّا أعطيناك»، و«العَصْر»[١] – تفسير الباء في البَسْملة[٢] – بِداية التعريف (في الاعتقاد) – الاقتضابُ والتقريب للطالب اللبيب في أصول الدين – مُنْتهى السُّول في علم الأُصول – رسالة الفَرْق بين الخوارق الثلاث: المُعجزة والكرَامة والسِّحر – مراسم الطريقة في علم (فنّ) الحقيقة (في التصوّف).

ثمّ له في الأدب: الرَّوْضُ المَريعُ في صِناعة البديع[٣] – قانون في معرفة الشعر – مقالة في عُيوب الشعر – قانون في الفَرْق بين الحِكمة والشعر. – شرح الأرجوزة (؟) – مُوَشَّح كافل للمطّلب (؟).

٣ – مختارات من آثاره:

– مختارات من «تلخيص أعمال الحساب» لابن البنّاء:

الغَرَضُ من هذا الكتابِ تلخيصُ أعمالِ الحساب وتقريبُ أبوابهِ ومَبانيه. وهُوَ يشتَمِلُ على جُزءين: الأول (منهما) في أعمالِ العَدَدِ المعلوم[٤] والثاني في القوانين التي يُمْكِنُ بها الوصولُ إلى معرفة «المجهولِ المطلوب» من «المعلومِ المفروضِ»، إذا كان بَيْنَهما صلةٌ تقتضي ذلك[٥]. ومِنَ اللهِ أسألُ العَوْنَ والتوفيقَ والإرشادَ إلى سَواءِ السبيل.

..... العَدَدُ ما تألّفَ مِنَ الآحادِ[٦]. وهو ينقَسِمُ بحَسْبِ مأخذِه قسمين: صحيحاً

---

(١) سورة الكوثر وسورة العصر (السورتان ١٠٨ ثمّ ١٠٣ في المصحف).

(٢) البسملة: بسم الله الرحمن الرحيم.

(٣) المريع: المخصب. البديع (الجناس والطباق) من المحسّنات اللفظية في البلاغة.

(٤) العدد المعلوم: المقدار المعروف (٥، ١٧، ٢٣، ١٠٨، إلخ) – إن كلّ عدد من هذه يدلّ على مقدار معيّن.

(٥) هذا تعريف علم الجبر، فإذا نحن قلنا في المتطابقة: س+ ٤ = ١١، قلنا: س (المجهول المطلوب) إذا جمع إلى ٤، يكون المجموع ١١. إذن ١١ – ٤ = ٧ (وهو المجهول المطلوب).

(٦) كلّ عدد يتألّف من آحاد، ٥ = ١ + ١ + ١ + ١ + ١، الخ.

وكَسْراً. والصحيحُ على ضربَيْنِ (نوعين): زوجٌ وفَرْدٌ[١]. والزوجُ على ثلاثةِ أنواع: زوجُ الزوجِ، وزوجُ الفَرْدِ، وزوجُ الزوجِ والفردِ[٢]. والفردُ على نوعين: أولٌ وفردُ الفردِ[٣]. ولمّا كان العَدَدُ يَتَزايَدُ إلى غيرِ نِهايةٍ[٤]، جُعِلَ له ثلاثُ مَراتِبَ[٥]، وتُسَمَّى أيضاً مَنازِلَ - وتَدُور عليها منازلُ العددِ - في كلِّ مرتبةٍ منها تِسعةُ أعدادٍ.

فالمرتبةُ الأُولى من واحدٍ إلى تِسعةٍ، وتُسمّى مرتبةَ الآحاد. والثانيةُ من عَشْرةٍ إلى تِسعينَ، وتُسمّى مرتبةَ العَشَرات. والثالثة من مائَةٍ إلى تِسْعِمائَةٍ، وتُسمّى مرتبةَ المِئين.

وللعددِ آثنا عَشَر آسماً بسيطاً يتركَّبُ منها جميع أسمائه. فالتِسعةَ الأولى منها هي الآحاد، والعاشرُ للعشَرَاتِ، والحادي عَشَر للمئيـن، والثاني عَشَر للآلافِ - وهي بمنزلة الآحاد[٥] - ومن هنا يعودُ الدور[٦].

الجبرُ هو الإصلاح[٧]. والمقابلة طَرْحُ كُلِّ نوعٍ من نظيرِه حتى لا يكونَ في الجِهتَيْنِ

---

(١) شفع ووتر، أو مجوز (٢، ٤، ٦، ٨، إلخ) ومُفْرَد (٣، ٥، ٧، ٩ إلخ).

(٢) زوج الزوج، زوج الفرد، زوج الزوج والفرد: آصطلاحات تطلق على المتوالية الهندسية (حينما يكون كلّ حد في المتوالية يساوي نصف الحد الذي يليه. فزوج الزوج هو المتوالية التي تبدأ بعدد شفع: ٢، ٤، ٨، ١٦، إلخ. وزوج الفرد هو المتوالية التي تبدأ بعدد فرد: ٣، ٦، ١٢، ٢٤، إلخ. وزوج الزوج والفرد يجب أن يكون «زوج زوج الفرد» أو هو تجريد الحدود المفردة، نحو ٣، ٥، ٧، ٩، ١١ (وهذه سلسلة حسابية: يزيد كلّ حد فيها على الحد الذي قبله بفرق معلوم، بعد أن تبدأ السلسلة بعدد مفرد). وإذا قبلنا التسمية «زوج الزوج والفرد»، فيكون معنى ذلك ٢ + ٣ = ٥، ثمّ نستمرّ في التضعيف: ٥، ١٠، ٢٠، ٤٠ إلخ.

(٣) فرد أوّل هو العدد الذي لا يقسم إلّا على نفسه (وعلى واحد): ١٣، ١٧، ٥٩ إلخ. وفرد الفرد......

(٤) الواضح هنا أن الأعداد لا تتناهى: لا تقف عند عدد معين.

(٥) الأعداد التسعة الأولى هي آحاد: العشرة تمثّل مرتبة العشرات (لأنّها في الترتيب تمثّل مرتبة زائدة إلى اليسار: «١٠»، والأحد عشر «١١٠» تمثل (في الترتيب) مرتبة ثالثة. والاثنا عشر (في الترتيب) تمثّل مرتبة ثالثة إلى اليسار «١١١٠» (يحسن إذا نحن أردنا أن ندرك هذا التنظيم أن نعلم أن الفيثاغوريّين لمّا تكلموا في علم العدد - أو خواصّ الأعداد - لم يكن عندهم أرقام، بل كانوا يعدّون بمجموعات من الحصى يرتّبون بعضها خلف بعض).

(٦) ومن هنا يعود الدور: بعد أن ننتهي من المراتب: آحاد، عشرات، مئون (مئات) نصل إلى الألوف (آحاد الألوف) ثمّ نستمرّ على النمط السابق فنقول: عشرات الألوف، مئات الألوف، ألوف الألوف. ثمّ نقول: آحاد ألوف الألوف، عشرات ألوف الألوف، مئات ألوف الألوف، ألوف ألوف الألوف، إلخ.

(٧) الجبر (بالمعنى اللغوي): الإصلاح (إذا كسر عظم في إنسان، فإنّه يُجبر). (والجبر هنا) جعل الكسور =

نوعانِ من جِنْسٍ واحدٍ. والمُعادلة هي آن يُجْبَرَ الناقصُ إلى الزائدِ ويُطْرَحَ الزائدُ من الزائد و(يطرح) الناقصُ من الناقصِ من الأشياءِ المتجانسة(١).

ومَدارُ (علم) الجبرِ على ثلاثةِ أنواعٍ: العددِ والأشياءِ والأموالِ. فالأشياءُ هي الجُذور، والمالُ ما يجتمِعُ من ضَرْبِ الجِذْرِ في نفسهِ. والعَدَدُ ما لم يُنْسَبْ إلى جِذرٍ ولا مال(١)...

واعلَمْ أنَّ أُسَّ الأشيـاء واحـدٌ(٢)، وأَسَّ الأموالِ آثنـانِ، وأُسَّ الكُعوبِ ثلاثةٌ(٣).... فإذا ضَرَبْتَ هذه الأنواعَ فآجْمَعْ (أُسَّ المضروب إلى) أُسِّ المضروبِ فيه فيكونَ مجموعُ الأُسَّيْن أُسًّا للخارج(٤). وإذا ضربَت عدداً في أحدِ هذه الأنواعِ، فالخارجُ ذلك النوعُ بعينه(٥).

– وقال ابن البنّاء العدديّ في الحكمة (النبوغ المغربي ٨٠٧):

قَصَدتُّ إلى الوَجازةِ في كلامي ... لِعلمي بالصواب في الآختصار(٦)
ولم أحْذَرْ فُهوماً دونَ فَهمي ... ولكن خِفْتُ إزراءَ الكِبار(٧).
فشأنُ فُحولةِ العُلماءِ شأني، ... وشأن البسط تعليمُ الصِّغار(٨).

= أعداداً صحيحة: $\frac{1}{4}$ ب+٣ح − س= ١٠٠ ، تجعل بالجبر: ب+١٢ح − ٤س= ٤٠٠ (بأن نضرب المعادلة كلّها بأربعة لنتخلّص من الربع، فيصبح حلّ المسألة أهون). المقابلة أن تجمع الحدود المتجانسة وأن تفرّق الحدود المختلفة في طرفي المعادلة: ٣س + ١٢ = س+ ٢٢ فتصبح ٣س − س= ٢٢ − ١٢، تساوي ٢س= ١٠، أو س= ٥.

(١) الشيء أو الجذر: س، ص، ب إلخ (عدد مجهول). المال: الشيء المضروب بنفسه: س×س= س^{٢}. العدد (الملفوظ، المعلوم) ١٨، ٥٢، ٢١٨ إلخ (ليس معه جذر ولا مال).

(٢) هنالك أساس وأُس. في ب^{٢} (ب= أساس، والعدد ٢ فوقها هو الأُس). ومعنى ذلك أن «ب» مضروبة بنفسها (ب×ب). وب^{٣} تَعْني أنّ «ب» مضروبة بنفسها مرّتين (ب×ب×ب) إلخ. وحينما يكون الأُس واحداً فنحن لا نُثبته: نحن لا نكتب ب^{١}، بل «ب» فقط.

(٣) س^{٢} تدعى مالاً (أو س تربيعاً)، س^{٣} تدعى كعباً (أو س مكعّبة).

(٤) حينما نضرب س^{٢} في س^{٣} يصبح لدينا س^{٥} (نجمع الإساس- بالكسر جمع أُس بالضم- فقط).

(٥) إذا ضربنا س في س في س^{٢}، يبقى الأساس كما هو (س، ثم نجمع الإساس (بالكسر: جمع أس).

(٦) الوجازة: الإيجاز، الاختصار.- الكلام الكثير المفصّل يكون أكثر مدعاة إلى الخطأ.

(٧) أزرى الجهل بالإنسان: عابه، جعله محتقراً.

(٨) الإيجاز شأن العلماء في مخاطبة بعضهم بعضاً. أمّا البسط (الشرح والتفصيل) فيكون في تعليم الصغار (الجهّال).

٤- منهاج الطلب في تعديل الكواكب (........)، .... (الطباعة المغربية) ١٩٥٢ م.
- تلخيص أعمال الحساب (حقَّقه محمود سويسي)، تونس (منشورات الجامعة التونسية) ١٩٦٩ م.

★★ نيل الابتهاج ٦٥ – ٦٨؛ البدر الطالع ١: ١٠٨؛ الإعلام بمن حلّ مرّاكش من الأعلام ١: ٣٧٥ – ٣٨٤؛ ابن قنفذ ٣٤٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣١؛ بروكلمن ٢: ٣٣٠ – ٣٣١، الملحق ٢: ٣٦٣ – ٣٦٤؛ تراث العرب العلمي لطوقان ٤٢٩ – ٤٣٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٢١٣ – ٢١٤ (٢٢٢)؛ النبوغ المغربي ٢١٣، ٨٠٧.

ابن آجرّوم

١ – هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ داوودَ الصنهاجيُّ المعرُوف بآبنِ آجرّومَ (ومعنى آجرّوم أو أكروم – بالكاف المعقودة، بلغة البربر – «الفقير الصوفي»). وُلِدَ في فاسَ، في سَنَةَ ٦٧٢ للهجرة (١٢٧٣ – ١٢٧٤).

تلقَّى أبو عبدِ الله بنُ آجرّومَ علومَه في فاسَ ثمّ ذهب إلى الحجّ – وقدِ آستَوْفى عِلمَه، فيما يبدو – فقد ألّف «مُقدّمتَه» الجَروميّة (أو «الأُجرومية») تِجاهَ الكعبة. و«المقدّمة» هذه هي أشهرُ كُتُبِ آبنِ آجرّومَ وأبعدُها أثراً. وجَلَسَ آبنُ آجرّومَ للتدريس في فاس يعلِّم النحوَ والقراءات.

وكانت وفاةُ آبنِ آجرّومَ في فاسَ في صَفَرَ من سَنَةَ ٧٢٣ (شباط – فبراير ١٣٢٣ م).

٢ – كان أبو عبدِ الله بنُ آجرّومَ بارعاً في النحو وفي القراءات وعارفاً بفنونٍ أُخرى من العلم كالفرائض والحساب والأدب. وكانت له أراجيزُ ومصنّفاتٌ، له: فرائدُ المَعاني في شَرْحِ حِرْزِ الأماني[1] – المقدّمة الأجرومية.

ومَعَ أن السُّيوطيُّ قد قال (بغية الوعاة ١٠٢، السطر ٤ من أسفل): وله معلوماتٌ

---

(١) للإمام الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) – راجع الجزء الخامس.

من فرائضَ (تقسيم الإرث) وحسابٍ وأدبٍ بارع »، فليس من الواضحِ أن البيتينِ اللذين نَسَبَهُما المقَّرَيُّ (نفح الطيب ٥: ٩٥-٩٦) إلى ابنِ آجرّومَ، وهما:

يا غائباً كان أُنسي رَهْنَ طلعتهِ، كيف آصطباري، وقد كابدْتُ بَيْنَهما
دعوايَ أنّك في قلبي يُعارضُها شَوْقي إليك، فكيف الجمعُ بينَهما؟

أنها لأبي عبدِ الله بنِ آجرومَ، كما تُوهِمُ الحاشية التي عَلّقها إحسانُ عبّاس (ص ٩٥)وقال فيها: « المشهورُ بهذا الآسم هو محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ داوودَ الصنهاجيُّ (ت ٧٢٣)، وهو نَحْوِيٌّ، وله في النحو مؤلَّف سُمِّيَ الأَجرومية ». ولعلَّ هذين البيتينِ لِمنديلِ بن آجرّوم ابنِ صاحبِ الأجرومية، فهُوَ شَاعِرٌ غَيْرُ مُقِلٍّ. ولقد رَوَى له المقّريُّ بيتينِ آخرينِ أكثَرَ طلاوةً (نفح الطيب ٥: ٤١٨) ثمّ أوردَ له أيضاً قصيدةً (نفح الطيب ٧: ١٢٣ - ١٢٥). ولمنديل هذا (ت ٧٧٣ هـ) ترجمة في هذا الجزء.

أمّا في النحو خاصّةً، فإنّ أبا عبدِ اللهِ محمّدَ بنَ آجرّومَ من أتباعِ المذهب الكُوفيّ، فقد قال السُّيوطيُّ (بغية الوعاة ١٠٢): « ...... إنّا آستفدْنا من مُقدِّمَتهِ أنه كان على مذهبِ الكُوفِيّينَ في النحو، لأنّه عبّرَ بالخَفْضِ[٢]- وهو عِبارتُهم. وقال الأَمرُ مجزومٌ[٣]، وهو ظاهر في أنّه مُعْرَبٌ[٤]، وهو رأيُهم. وذَكَر في الجوازمِ « كيفما »، والجَزْمُ بها رأيُهم: وأنكره البصريّون ».

وقد كان للأُجروميّة على إيجازها، شهرةٌ كبيرةٌ في المَشْرق والمَغْرِب، فقد صَنَعَ النحاةُ عليها نحوَ ستّينَ شَرْحاً، كما أنّها قد عُرِفَتَ في الغَرْب (في أُوروبا) منذ القرن العاشر للهجرة (السادسَ عَشَرَ للميلاد) ونُقِلَتْ إلى مُعْظم اللُّغات الأُوروبيّة، ولها في اللاتينية وحدَها ثلاثة نقول[٥].

---

(١) بينهما = مثنّى « بين » (فراق، بعاد). هما (في « بينهما ») ضمير يرجع إلى « طلعته » وإلى « اصطباري ».
(٢) عبّر بالخفض (كما يقول الكوفيّون) بدل الجرّ.
(٣) وقال في فعل الأمر إنّه مجزوم (وهو قول الكوفيّين)، بينما هو عند غيرهم « مبني على السكون ».
(٤) ... ولأنّ ابن آجرّوم قال في فعل الأمر إنّه « مجزوم »، فقد دلّ ذلك على أن ابن اجرّوم يقول في فعل الأمر إنّه معرب (كما يقول الكوفيّون).
(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٧، أعلى العمود الأيمن.

٣- مختارات من آثاره

- من متن الأجروميّة:

★ الكلام ★ الكلامُ هو اللفظُ المُركَّبُ المُفيد بالوَضْعِ[١]، وأقسامُه ثلاثةٌ: آسْمٌ وفِعلٌ وحرفٌ جاء لمعنًى[٢]. فالآسْمُ يُعْرَفُ بالخَفْضِ والتنوينِ ودُخولِ الألف واللام وحروفِ الخفض، وهي: مِنْ والى وعن وعلى وفي ورُبّ والباء والكاف واللام؛ وحروفِ القَسَمِ، وهي: الواو والباء والتاء. والفِعْلُ يُعْرَفُ بقَدْ والسين وسوف وتاء التأنيث الساكنة. والحرفُ ما لا يصلُحُ مَعَهُ دليل الآسمِ ولا دليلُ الفعل[٣].

★ الأعراب ★ هو تغييرُ أواخرِ الكَلِمِ لآختلافِ العواملِ الداخلة عليه لفظاً أو تَقْدِيراً[٤]. وأقسامُه أربعة: رفعٌ ونصبٌ وخَفْض وجَزْم. فللأسماءِ من ذلك الرفعُ والنَّصْبُ والخفض، ولا جَزْمَ فيها. وللأفعالِ من ذلك الرفعُ والنَّصْب والجزم، ولا خَفْضَ فيها.....

---

(١) اللفظ هو الصوت المشتمل على عدد من الحروف. المركّب (المؤلّف، المجموع إلى غيره) فلا يكون اللفظ كلاماً (جملة تامّة) إلّا إذا كان مؤلّفاً من كلمتين فأكثر (إلا إذا كان في الفعل ضمير مستتر وجوباً، نحو «قم»). ويجب أن يكون الكلام مفيداً (يؤدّي معنًى مألوفاً) بالوضع (بحسب ما تواضع - أي اتّفق - عليه العرب: يجب أن تكون الجملة التامّة مركّبة من ألفاظ معروفة في اللغة العربية).

(٢) ... وحرف جاء لمعنى. الاسم والفعل يدلّان على معانٍ في نفسيهما (بيت، شجرة، اجتماع)، والحرف يدلّ على معنى في غيره (لا يثبت معناه إلا إذا قُرِنَ بغيره: هذان سعيد وسليم - جاء سعيد والسماء تمطر - ما شأنك والآخرين: فالواو في الجملة الأولى للعطف، وفي الجملة الثانية للحال، وفي الجملة الثالثة للمعيّة).

(٣) قوله: «الاسم يعرف بالخفض والتنوين ودخول اللام... والفعل يعرف بقد... والحرف ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل» إشارات ظاهرة يدركها العربي. أمّا غير العربي فلا ينتفع بها. إنّ كلمة «أحمد» مثلاً هي - في الأصل فعل مضارع للمتكلّم المفرد -. من أجل ذلك تدخل عليها قد والسين وسوف. ثمّ نقلت كلمة «أحمد» إلى اسم العلم فأصبح يدخل عليها الخفض، وتقبل التنوين (في ضرورة الشعر)، إلخ.

(٤) - إذا قلنا: لن يذهب سعيد إلى المدرسة، فإنّ «يذهب» و«سعيد» و«المدرسة» معربة لفظاً بالفتحة والضمة والكسرة على التوالي. أمّا إذا قلنا: يرجى من القاضي أن ينهى عن الظلم، فإنّ الفعل «يرجى» والاسم «القاضي» والفعل «ينهى» معربة تقديراً بالضمّة المقدّرة على الألف في «يرجى» (منع من ظهورها التعذّر: لفظ فتحتين في وقت واحد). والاسم «القاضي» معرب بالضمّة تقديراً (منع من ظهورها الثِّقَل: لاستثقال لفظ الضمّة الطارئة على الياء المسبوقة بكسرة أصلية).

المُعْرَباتُ قِسمان: قِسمٌ يُعْرَبُ بالحَرَكات، وقسم يُعْرَبُ بالحُروف. فالذي يُعْرَبُ بالحَرَكات أربعة أنواعٍ: الاَسمُ المُفْرَدُ وجمعُ التكسير وجمعُ المؤنّثِ السالمُ والفعلُ المُضارعُ الذي لم يتّصل بآخرِهِ شيءٌ؛ وكلُّها تُرْفَعُ بالضمّة وتُنْصَبُ بالفتحة وتُخْفَضُ بالكسرة وتُجْزَمُ بالسكون. وخَرَجَ عن ذلك ثلاثةُ أشياءَ: جمعُ المؤنّثِ السالمُ يُنْصَبُ بالكسرة والاَسْمُ الذي لا يَنصَرِفُ يُخفَضُ بالفتحة، والفعل المُضارع المعتلُّ الآخِرِ يُجْزَمُ بِحَذْفِ آخرِهِ. والذي يُعْرَبُ بالحروف أربعةُ أنواعٍ: التَّثْنِيَةُ وجمعُ المذكّرِ السالمُ والأسماءُ الخَمْسة والأفعالُ الخَمْسة وَهِيَ يَفْعلانِ وتفعلانِ ويفعلونَ وتفعلونَ وتفعلينَ. فأمّا التَّثْنِيَةُ فتُرْفَعُ بالألف وتُنْصَبُ وتُخْفَضُ بالياء. وأمّا جمعُ المذكّرِ السالمُ فيُرْفَعُ بالواو ويُنْصَبُ ويُخْفَضُ بالياء. وأمّا الأسماءُ الخمسةُ فترفَعُ بالواو وتُنصَبُ بالألِفِ وتُخفَضُ بالياء. وأمّا الأفعالُ الخمسةُ فتُرفَعُ بالنّونِ وتُنصَبُ وتُجْزَمُ بِحَذْفِها.

★ باب لا ★ اعلم أنَّ «لا» تَنْصِبُ النَّكِراتِ بغيرِ تنوينٍ، إذا باشرتِ النَّكِرةَ ولم تَتَكَرَّرْ «لا»، نحوَ: «لا رَجُلَ في الدار»[١]. فإنْ لم تُباشِرْها، وَجَبَ الرَّفْعُ وَوَجَبَ تكرارُ «لا»، نحو: «لا في الدار رجلٌ ولا امرأةٌ». فإذا تكرّرتْ جاز إعمالُها وإلغاؤها. فإنْ شِئْتَ قُلتَ: «لا رجلَ في الدارِ ولا امرأةَ»، وإنْ شِئْتَ قُلتْ: «لا رجلَ في الدار ولا امرأةٌ»[٢].

٤- المقدّمة (الأجروميّة):
إنّ قِصرَ هذه الرسالة (المقدّمة الأجرومية) قد سهّل شرحَها وطبعها. فالطَّبَعات التالية هي أمثلة من الطَّبَعات الكثيرة المختلفةِ الأماكن والسنينَ:

---

(١) لا: نافية للجنس. رجلَ: اسم «لا النافية للجنس» مبني على ما يُنصب به (هنا، على الفتحة). ومعنى الجملة: لا يوجد في الدار رجلٌ ولا أكثر من رجلٍ (لكن يمكن أن يوجد فيها نساء أو أطفال أو حجارة). أمّا إذا قلنا: لا رجلٌ (بضمّتين) في الدار، تكون لا هنا نافية للوحدة، فيكون المعنى هنا، إذن: ليس في الدار رجلٌ واحدٌ، بل فيها رجلانِ أو ثلاثة رجال أو أكثر (و«لا»، هنا، تعمل عمل «ليس»: لا كاذبٌ محموداً عند الله ولا عند الناس).

(٢) في الجملة: «لا رجلَ في الدار ولا امرأةَ» (الواو: حرف عطف، امرأة: معطوفة على رجل، فهي أيضاً اسم للحرف «لا» النافية للجنس). أمّا إذا قلنا: «لا رجلَ في الدار ولا امرأةٌ (بضمتين على «امرأة»، كانت الواو حرف عطف، وكانت «لا» حرف نفي عاديّ، وكانت «امرأةٌ» مبتدأ، وكان خبر امرأة مقدّراً يفسّره ما قبله: لا رجل في الدار، ولا امرأةٌ في الدار).

- ليدن ١٦١٧ م (١٠٢٦ هـ)؛ روما ١٥٩٢ م (١١٠٢ هـ)، ١٦٣١ م؛ بولاق ١٢٣٩، ١٢٥٢، ١٢٩٣ هـ؛ كامبردج (بريطانية) ١٨٣٢ م (١٢٤٨ هـ)، ١٨٥٢ م؛ بيروت ١٨٤١ م (١٢٥٧ هـ)، ١٨٥٧، ١٨٧٤، ١٨٨٦ م؛ باريس ١٨٤٤ م (١٢٦٠ هـ)؛ الجزائر ١٨٤٦ م (١٢٦٤ هـ)، ١٨٦٠؛ الجزائر ١٢٨٣ هـ؛ القاهرة (حجر) مراراً؛ القاهرة ١٢٧٣، ١٢٩٣، ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة (في مجموع) ١٢٧٦، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦ هـ؛ جونية (لبنان) ١٨٦٦ م (١٢٨٣ هـ)؛ الهند ١٨٥٣ م (١٢٧٠ هـ)؛ منشن (ألمانية) ١٨٧٦ م (١٢٩٣ هـ)؛ القدس ١٨٧٦ م (١٢٩٣ هـ)؛ دمشق ١٣٠١ هـ؛ في مجموع: الرسائل العلمية التسع، دمشق (مطابع الفكر الإسلامي) ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م؛ مكة المكرّمة ١٣١٤ هـ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٣٣ هـ؛ فاس (طبع حجر) ١٣٤٥ هـ؛ مختارات برونو وفيشر (بألمانية) (ص ١٧١ - ١٨٣)؛ متن الأجروميّة في علم العربية، القاهرة (المكتبة التجارية) بلا تاريخ.

★★ شروح وحواش على متن الأجرومية:

- شرح الأجرومية، لشارح مجهول، بولاق ١٢٤٢ هـ.
- شرح المكّوديّ، أبو زيد عبد الرحمن بن صالح (ت ٨٠١ هـ)، تونس ١٢٩٢؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٤٥ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرازق) ١٣٠٩ هـ.
- شرح الأزهري، خالد بن عبد الله (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٥١، ١٢٥٩، ١٢٧٤، ١٢٨٠، ١٢٨٤، ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٢٦٢، ١٢٦٥، ١٢٨١ هـ؛ بهامش حاشية أبي النجا، ١٣٠٤ هـ؛ ثم ١٣١٢، ١٣١٩ هـ. فاس ١٣١٥ هـ.
- شرح الخطّاب الرعيني، جمال الدين محمّد بن محمّد بن عبد الرحمن (ت ٩٥٤ هـ)، بولاق ١٢٩٥ هـ؛ القاهرة ١٢٩٨، ١٣٠٢ هـ.
- شرح ابن جبريل، زين الدين (ت نحو ١٠٥٤ هـ)، (تحرير دلفين)، باريس ١٨٨٥ م (١٣٠٢ هـ)، الطبعة الثانية ١٨٨٦ م.
- شرح الكفراوي، حسن بن عليّ (ت ١٢٠٢ هـ)، بولاق ١٢٤٢، ١٢٤٨، ١٢٤٩ (؟)، ١٢٥٢، ١٢٥٧، ١٢٦٢، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (المطبعة الكاستيلية) ١٢٨٠، ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة المعارف المصرية) ١٢٨٦ هـ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٢٩٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيريّة) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥، ١٣١١ هـ؛ القاهرة ١٢٩٢، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٣٠٦، ١٣١٤ هـ.
- حاشية أبي النجا الطنتداعي، محمّد مجاهد (أُلِّفَتْ نحو ١٢٣٣ هـ)، القاهرة ١٢٨١، ١٢٨٤، ١٢٩٩، ١٣٠١، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٤٢، ١٢٤٤ هـ؛ تونس ١٢٨٤ هـ.
- شرح الباجي (البيجي) المسعودي، أبو عبد الله محمّد (ت ١٢٩٧ هـ)، راجع سركيس (معجم =

= المطبوعات العربية) ص ١٧٤٤.

- شرح أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٢٩٧، ١٣١١؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنيّة) ١٣٠٥، ١٣٠٦ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٤٤ هـ، مكة ١٣١٤ هـ.
- شرح العجيمي، عبد الله بن عثمان (أتمّها سنة ١٣٠٧ هـ)، مكّة ١٣١٣ هـ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ.
- عوائد الصلة الربّانيّة لعبد الرحيم السيوطيّ (ت ١٣٤٢ هـ)، القاهرة ١٣٣٥ هـ.
- شرح (متن) الأجرومية لهاشم بن الشحّات الشرقاوي، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٦ هـ.
- شرح العشماوي، عبد الله بن فاضل، بولاق ١٢٨٧ هـ؛ القاهرة ١٢٩١، ١٢٩٨، ١٣٠٢، ١٣٠٤؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٠؛ ١٣٤٤ هـ؛ راجع أيضاً سركيس (معجم المطبوعات العربية)، ص ١٣٢٩.
- شرح النووي: «كشف المروطيّة عن ستار الأجروميّة»، لمحمّد عمر النوويّ، القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة ١٣٢٦، ١٣٤٢ هـ.
- شرح القادر (؟) الفاسي علي مقدّمة الأجروميّة....

★★ شروحٌ وحواشٍ على شروحٍ وحواشٍ:

(أ) على شرح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ):

- حاشية أبي النجا محمّد الطنتداعي (فَرَغَ من تأليفها سنة ١٢٢٣ هـ)، بولاق ١٢٨٤ هـ؛ (تحرير كارلتي)، تونس ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣١٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٧ هـ؛ القاهرة ١٣٢٠هـ، ثمّ طبعات أخرى.
- حاشية حسن العطّار (ت ١٢٥٠ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ أيضاً؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ.

(ب) على شرح حسن بن عليّ الكفراوي (ت ١٢٠٢ هـ):

- حاشية إسماعيل بن موسى الحامدي (ت ١٣١٦ هـ)، بولاق ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الكاستيلية) ١٢٨٠، ١٢٨٣ (؟)، ١٢٩٨ هـ؛ مصر ١٣٠٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١١ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ.
- فوائد الطريف والتالد، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن الجرجاوي (ت ١٣٤٢ هـ)، القاهرة ١٣١٨ هـ.
- حاشية أحمد بن محمّد الحاجّ، فاس ١٣١٥ هـ (؟).
- منحة الكريم الوّهاب وفتح باب النحو للطلّاب = حاشية لأحمد بن أحمد النجاري الدمياطي (ت بعد ١٣٠٩ هـ)، بولاق (بهامش شرح الكفراوي) ١٢٤٨ هـ؛ ١٢٨٢، ١٢٩١، ١٢٩٢ هـ (؟).

(جـ) متفرّقات:

- الكواكب الدّريّة في شرح منمنمة الأجروميّة للخطّاب (؟)، تأليف محمّد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (ت ١٢٩٨ هـ)، بولاق ١٣١٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣١٢.
- حاشية على شرح النووي (؟) للأجروميّة، لمحمّد معصوم بن سليم السمراني، القاهرة ١٣٢٦، ١٣٤٢ هـ.
- شرح (متن) الأجروميّة، لهاشم بن الشّحات الشرقاوي، وعليه تقييدات وجيزة وشروح لما يجب التنبيه عليه عزيزة، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٦ هـ.
- حاشية على شرح أبي العبّاس أحمد بن محمّد السوداني على مقدّمة ابن آجرّوم، تأليف محمّد المَهْدي بن محمّد الوزّاني، فاس ١٢٩٨ هـ.
- تقريرات على حاشية أبي النجا على شرح الأزهري على الأجرومية، تأليف محمّد بن محمد الأنبابي (ت ١٣١٣ هـ)، القاهرة ١٢٨١، ١٣٠٢، ١٣١٩ هـ.
- الدّرّة البهيّة في نظم الأجروميّة ليحيى بن نور الدين العمريطي (ت بعد ٩٨٩ هـ)، لكنهو (الهند) ١٢٦٠ هـ؛ كاونبور (الهند، «في مجموع» طبع حجر) ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٢٨٧ هـ، ١٣٠٢، ١٣٠٩، ١٣٤٤ هـ؛ مع حاشية الباجوري ١٢٩٧ هـ.
- المنظومة السَّنّية لِمَا يُسمّى متن الأجرومية، لعلي بن عبد الله المسرّاتي الطرابلسي (الليبي)، مصر (مطبعة شرف - طبع حجر) ١٣٠٧ هـ.

بغية الوعاة ١٠٢ - ١٠٣؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٦؛ نفح الطيب ٧ : ١٢٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٩٧؛ بروكلمن ٢ : ٣٠٨ - ٣١٠، الملحق ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٥؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٦٣ (٣٢)؛ سركيس ٢٥ - ٢٦؛ النبوغ المغربي ٢١٠.

ابن الفخّار الجذامي النحوي

١ - هو أبو بكرٍ (أو أبو عبدِ الله) محمّدُ بنُ عليِّ بنِ محمّدٍ البيريّ (الإلبيريّ) النَّحْويّ الجُذاميّ المالَقيّ الشرَيشيّ، وُلِدَ في أَرْكُشَ (بُليدةٍ قُربَ شَريشَ على وادي لَكُّه)، نحو سَنَةِ ٦٣٠ (١٢٣٢ - ١٢٣٣ م) وفيها نشأ. وقد تَطَوّف في بُلدانٍ كثيرةٍ وتلقّى العلمَ عن رجالها(١): استولى الإسبانُ على أركُشَ سَنَةَ ٦٤٨ (١٢٥٠ م) فانتقل إلى شَريشَ.

(١) لم أذكر الأشخاص الذين أخذ عنهم ابن الفخّار لأنّ السيوطي (ت ٩١١) ذكر في بغية الوعاة أن من شيوخ ابن الفخّار (ت ٧٢٣) عليّ بن إبراهيم السكوني وأبا عبد الله بن خميس (٦٢٥ - ٧٠٨ هـ) وأبا الحسين بن أبي الربيع (ت ٦٨٨) والأبّذي وابن الصائغ (٧١٠ - ٧٦٦ هـ) وأبا عمر بن حوط الله أو حوطلّه (٥٤٣ - ٦١٢ هـ). وعدد من هؤلاء، كما يتّضح من تاريخ وفياتهم لا يمكن أن تتّسق حياتهم مع حياة ابن الفخّار.

واستولى الإسبان على شريشَ، سنة ٦٦٣ (١٢٦٤ م) فانتقل إلى الجزيرة الخضراء. وحُوصِرَتِ الجزيرةُ الخضراء، سَنَةَ ٦٧٧ (١٢٧٨م)، ولكنّ الأندلسيين وأحلافهم المَرينيّين استطاعوا إبادَةَ الأسطول الإسباني. وزارَ سَبْتَةَ في العُدْوةِ الإفريقية، ثُمّ استوطن مالَقَةَ وتصدّرَ فيها للإقراء، وظلّ يُقرىء فيها إلى وفاتِه، سَنَةَ ٧٢٣ (١٣٢٣ م).

٢ - كان ابنُ الفَخّارِ الجُذاميُّ عالماً بالقراءاتِ والتفسير وبالفِقهِ والحديث والأدب، وكان الآيةَ الكُبرى والإمامَ المُجْمَعَ على إمامته في فنّ العربية (النحو) المفتوحَ عليه من الله حِفْظاً واطّلاعاً ونَقْلاً وتَوْجيهاً بما لا مطمَعَ فيه لِسواه (نفح الطيب ٥: ٦٠٤، ٧: ١٦٥)، وكان شيخَ النَّحْويّين لعهدِه وسِيبويهِ زمانهِ (نفح الطيب ٥: ٧٥، ٣٨٣). وله شِعْرٌ عليه جفافُ شِعرِ العُلماء. وله من التآليف: تفسير (سورة) الفاتحة - شرح الرسالة (في الفقه المالكي) - شرح مشكلات سيبويه - الردّ على مَنْ نسب رفع الخبر بـ «لا» إلى سيبويه - تحريم الشِّطرنج، وغيرها.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن الفخّار الجذامي النحوي في الوصف:

انظُرْ إلى وَرْدِ الرِّياضِ كأنّه ... ديباجُ خدٍّ في بَنانِ زَبَرْجَدِ[١].
قد فَتّحتْه نَضارةٌ فبدا له ... في القلب رَوْنَقُ صُفْرةٍ كالعَسْجد.
حَكَتِ الجوانبُ خدَّ حِبٍّ ناعم، ... والقلبُ يَحْكي قلبَ صَبٍّ مُكْمَد[٢].

- ولابن الفخّار نص نحوي (نفح الطيب ٥: ٣٥٥-٣٥٦):

وَزْنُ «إجازة» في الأصل إجوازة فأُعِلّتْ بِنَقْلِ حركةِ الواو إلى الجيم حَمْلاً على الفعل الماضي آستثقالاً[٣]. فتحرّكتِ الواوُ في الأصل وانفتحَ ما في اللفظ فصارت

---

(١) البنان جمع بنانة: إصبع (او عقدة الإصبع). زبرجد: حجر كريم أخضر. بنان زبرجد: أطراف الكأس (في الزهرة) الغلاف الأخضر الذي يغلّف الزهرة قبل تفتّحها.

(٢) الحِبّ (بالكسر): المحبوب. الصبّ: المحبّ.

(٣) جذر هذا الفعل «جوز»، استثقل العرب لفظه فقالوا: جاز. وكذلك صيغة إفعالة يجب أن تكون: =

« إجازة – بألفين – فحُذِفَتِ الألفُ الثانية عندَ سيبوَيْهِ لأنّها زائدةٌ ، والزائدُ أولى بالحذف من الأصلي[1] . وحُذِفَتِ (الألف) الأولى عند الأخفش لأنّها تدُلُّ على مَعنًى ، وهو المَدّ . وقولُ سيبَوَيْهِ أوْلى لأنّه قد ثَبَتَ عِوَضُ التاء من المحذوف في نحوِ « زنادقة »[2]، وتَعْويضُ الزائدِ من الزائدِ أوْلى من تعويضِ الزائدِ من الأصليّ للتناسب. ووَزْنُها في اللفظِ عند سيبويهِ إفْعِلَة ، وعند الأخفش إفالة ، لأنّ العين محذوفة[3].

٤ - ★★ الكتيبة الكامنة ٧٠ - ٧١ ؛ بغية الوعاة ٨٠ ؛ درّة الحجال ٢ : ٨٣ - ٨٦ ؛ نفح الطيب ٥ : ٧٥ ، ٣٥٥ - ٣٥٦ ، ٣٧٨ - ٣٨١ ، ٦٠٤ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٧٥ (٦ : ٢٨٤).

العَبْدري صاحب الرحلة

١ - هو أبو محمّدٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ أحمدَ بن مسعود (أو سعود) البلنسيُّ الشهيرُ بابنِ المعلم ؛ لا نَعْرِفُ من أحداثِ حياته إلا ما أشار إليه هو في ثنايا « رحلته » التي كان قد بدأها من بلاد قبيلةِ حاحةَ (في المغرب) في الخامسِ والعشرينَ من ذي القَعْدةِ من سنة ٦٦٨ (١١/١٢/١٢٨٩ م). وقد سَمِعَ في أثناءِ رِحلته من نَفَرٍ من العلماء منهم في تُونسَ الحاضِرةِ عبدُ الله بن هرون الطائيُّ ، كما تسلّم فيها الخِرقة من الشيخ أبي محمدٍ عبدِ

= « إجوازة » ، وقد وجدها العرب ثقيلة على اللفظ أيضاً فعاملوها معاملة الفعل الماضي وقالوا « إجازة ».

(١) في فقه اللغة (فلسفة النحو): إجوازة تصبح بقلب الواو ألفاً (لمناسبة حركة الجيم في الفعل جوز): « إجازة (الألف الأولى مقلوبة عن واو إجوازة ، والألف الثانية من أصل الصيغة أفعالة). وكان سيبويه (ت ١٨٠ هـ) يرى أنّنا حذفنا الألف الأولى المقلوبة عن الواو (لأنّ هذه الألف زائدة: ليست من أصل الصيغة). أمّا الأخفش (الأصغر؟: أبو الحسن المتوفّى ٣١٥ هـ) فيرى أن الحذف يجب أن يتناول الألف الثانية (وإن كانت أصلية في بناء صيغة إفعالة) لا الألف الأولى (وإن كانت غير أصلية) ذلك لأنّ هذه الألف الأولى الزائدة ضرورية لأنّها تقرّر حركة الجيم.

(٢) زنديق تجمع على زناديق (مثل: تلميذ: تلاميذ ، وأستاذ: أساتيذ) وقد تحذف الياء الزائدة في المفرد « زنديق » ، ويُجعل مكانها تاء زائدة (في الجمع) فتصبح زنادقة مثل تلامذة وأساتذة ومقاتلة إلخ.

(٣) عين الفعل هي الحرف الثاني في جذر الفعل الثلاثي: فعل. ففي جاز (وأصلها جوز) تكون عين الفعل هي الواو.

اللهِ بن يوسُفَ الأندلسي. وسمع في القيروانِ من أبي زيدٍ عبدِ الرحمن بن .... الأشدي. ثم سمع (في مِصْرَ) من شرف الدين الدُمياطي وابن دقيق العيدِ وزين الدين بن المُنيِّر. ولا يَبْعُدُ أن تكون وفاته نحو سنة ٧٢٥ (١٣٢٥ م). ويبدو أنه قد قضى جانباً كبيراً من حياته في المغرب حتى عُرِفَ أيضاً باسم « الحيحى » (نسبة إلى حاحة) وحتى كان ميله إلى المرينيّين أصحاب المغرب الأقصى أكثر منه إلى بني عبد الواد أصحاب المغرب الأوسط.

٢ - للعبدريّ « رِحلةٌ » عُنوانُها « مَلْءُ العَيْبة فيما آجتمع بطول الغَيْبة في الرِّحلة الى مكّةَ وطَيْبة « أو » ما سما إليه الناظر المُطْرِق إلى بلاد المَشْرِق. وتُعرَف عادةً بآسم « الرِّحلة المَغربيّة ».

هذه « الرحلة » قليلة الابتكار قليلة الفوائد الجغرافية فقد أخذ العبدري كثيراً من أوصاف البلدان عن الجغرافيين المتقدمين، إلّا أنه يصف البلدان التي مرّ بها من النواحي العمرانية والاقتصادية والعلمية ثم يعرّف عدداً من علماء القرن السابع ومن أدبائه ويورد أشياءَ من نتاجهم مَعَ شيء من النقد. وكان جُلُّ اهتمامه بحال الثقافة والتدريس وخصوصاً في المغرب.

٣ - مختارات من آثاره

- من مطلع الرحلة:

..... وبعدُ: فإنّي قاصدٌ، بعدَ استخارَةِ اللهِ سُبحانَه، تَقْييدَ ما أمْكَنَ تَقْييدُه ورَسْمَ ما تَيَسَّرَ رسمُه وتسويدُه مِمَّا سَما إليه الناظرُ المُطْرِقُ في خبر (؟) الرِّحلةِ إلى بِلادِ المَشْرِق مِنْ ذِكْرِ بعضِ أوصافِ البُلدانِ وأحوالِ مَنْ بها مِنَ القُطَّان حَسْبَما أدركَه الحِسُّ والعِيانُ وقام عليه بالمُشاهدةِ شاهدُ البرهانِ مِنْ غيرِ تَوْرِيَةٍ ولا تَلْويحٍ، ولا تَقْبيحِ حَسَنٍ ولا تحسينِ قبيحٍ، بلَفْظٍ قاصدٍ لا يُحجِمُ مُفرداً ولا يَجْمَحُ فيتعدَّى المَدى، مُسَطِّراً لِما رأيْته بالعِيان ومُقرّراً له بأوضحِ بيانٍ حتّى يكونَ السامعُ لذلك كالمُبصرِ وتلحَقَ فيه السَّبّابةُ بالخِنْصَرِ فتَشْفى به نفسُ المُتطلّعِ المُتشوِّفِ ويَقِفَ منه على بُغْيَتِه السائلُ المُتعرّفُ. وأذْكُرُ مَعَ ذلك ما اسْتَفَدْتُه من خَبَرٍ وأُنْشِدْتُه من دُرَرٍ...... وأُثْبِتُ في خِلالِ ذلك من نَظْمي

ما يُغَلْغِلُ إليه الكلامُ..... وأُضيف إلى ذلك ما يَضْطَرُّ إليه التبيانُ فيما قصّرَ فيه العِيانُ مِنْ نُبَذٍ مذكورةٍ ونُتَفٍ مشهورةٍ ونُكَتٍ مرسومةٍ في الكُتُبِ مسطورةٍ تَتْميماً لغَرَضِ التَقْييدِ وتعميماً لأَرَبِ المُستفيدِ حتّى يكونَ التأليفُ في بابِهِ مُغْنِياً وعنِ الافتقار إلى غيرهِ مُستغنياً، مُثْبِتاً في كلّ رَسْمٍ بعضَ الأحاديثِ التي رَوَيْتُها والآثارِ التي وَعَيْتُها....

كانَ سَفَرُنا - تَقَبّلَهُ اللهُ - في الخامسِ والعشرينَ من ذي القَعْدَةِ عامَ ثمانيةٍ وثمانينَ وسِتِّمِائَةٍ، ومَبْدأُه من حاحةَ صانَها اللهُ....

- من طرابلس إلى تونس (ص ٦٩):

ثمّ وَصَلْنا إلى مدينة إطرابُلُسَ، وهي للجهل مأتَمٌ وما فيها للعلم غَرْس: أَقْفَرَتْ ظاهراً وباطناً وذَمّها الخبيرُ بها سائراً وقاطناً(١). تلمعُ لقاصِدِها لَمعانَ البرقِ الخُلَّبِ وتُريه ظاهراً مُشرقاً والباطنُ قد قَطَّبَ، اكْتَنَفَها البحرُ والقَفْر، واستَوْلى عليها - من عُرْبانِ(٢) البّرِ ونصارى البحر - النِّفاقُ والكُفْر..... لا ترى فيها شجراً ولا ثمراً، ولا تخوضُ في أرجائها حَوْضاً ولا نَهراً. ليس على ناشئٍ منهم فضلٌ لذي شَيْبةٍ ولا لذي الفَضْلِ بَيْنَهم هيبة: ترى أجساماً حاضرةً والعقلُ في عَقْلٍ(٣).. غَياباتِ الغَيْبة..... وأهلُ تُونسَ في طَرَفَيْ نقيضٍ: أُولئك في الأوْجِ وأُولاءِ في الحضيض. ولم أرَ بها ما يروقُ العيونَ وسَما عن أن يُقَوَّمَ بالدون، سوى جامِعِها ومدرستِها، فإنّ لهما من حُسْنِ الصورةِ نصيباً ومن إتقانِ الصَّنْعة سهماً مُصيباً. وما رأيت في الغَرْبِ مثلَ مدرستِها المذكورةِ لولا أنّ محاسِنَها مقصورةٌ على الصورة، فما يَشِبُّ بها للعلم طِفْلٌ ولا يَحِجُّ صَرورةٌ(٤)..... وقد حضَرْتُ بها تدريسَ الشيخِ المُسِنِّ القاضي الخطيبِ أبي محمّدِ بنِ عبدِ السيّد(٥) - وهو بيتُ قصيدِهم وكَبْشُ كَتيبتِهم(٦) وواسِطةُ قِلادَتِهمْ

(١) سائراً (مارّاً، مسافراً) وقاطناً (ساكناً في البلد).

(٢) العُربان: العُربون (ما يدفعه المشتري مقدّماً لحفظ حقّه في السلعة المطلوبة) - راجع تاج العروس (الكويت) ٣: ٣٢٧، العمود الثاني، السطر الثامن ثمّ ٣٥٠ في أسفل العمود الأوّل، ثمّ ٣٥١، العمود الأوّل، السطر ١٣. والناس يقولون: عُربان (بمعنى الأعراب، البدو).

(٣) العقل: القيد، الرباط. الغيابة (بالفتح): القعر.

(٤) الصرورة: الذي لم يتزوّج ولم يحجّ.

(٥) ابن عبد السيّد........

(٦) كبش الكتيبة الخ: أكبر الرجال في قومه وأشهرهم وأقواهم الخ.

وأنفُ سِيادتِهِمْ، ذو سَمْتٍ ووَقارٍ، وقد أثَّرَ الكِبَرُ في جِسمِه، كثيرُ المواظبةِ للمسجد والذِّكْر، خيّرٌ في دينه - وما كُنْتُ آتيهِ بعدَ ما رأيتُه إلّا بقصدِ الدُعاءِ لأنّه ضيّقُ الخُلُقِ لَيّنُ النظرِ وفي لِسانه حَبْسَةٌ لا يكادُ يُفْهَمُ معَها. وقدِ استَفْرَغْتُ جُهدي وقتَ إقرائهِ وفي تَفَهُّمِ ما يقول فما فَهِمْتُه إلّا بعدَ مُدّةٍ. وأظُنُّه لا رِوايةَ له. فإنّي سألْتُه عن ذلك فأبْهَمَ جوابَه وتَنَمّر. وحاولتُ مُداخلتَه فصدّني عن ذلك بشَكاسَتِه وجَهامةِ لِقائه....

٤- الرحلة المغربية (حققها محمد الفاسي)؛ الناشر: جامعة محمد الخامس (الرباط) ..... ١٩٦٤ م؛ (حققها ..... ابن جدّو .....)....

★★ جذوة الاقتباس (فاس) ١٩٩؛ درة الحجال ١ : ١٢٤؛ تاج العروس (الكويت) ٣ : ٣٧٩؛ نفح الطيب ٢ : ٤٨٣، ٥٨٩؛ العربي (أكتوبر ٦٩) ص ١٤٢؛ نيل الابتهاج ٦٨؛ بروكلمن ١ : ٦٣٤، الملحق ١ : ٨٨٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٩٦.

ابن عذاري المرّاكشيّ

١- هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عِذاري، أصلُه من الأندلسِ وسَكَنَ مَرّاكُشَ وكان قائدَ فاسَ (حاكَمها)، تُوُفّيَ نَحْوَ ٧٢٠ هـ (١٣٢٥ م).

٢- ابنُ عِذاري المَرّاكُشيّ مؤرّخٌ حكيمٌ دَقيقٌ مُحِبٌّ للإيجازِ والتنسيقِ المَنْطِقي مَعَ تَقْييدٍ كاملٍ للحوادثِ في كتابهِ بتواريخها. له البيانُ المُغْرِبُ في اختصارِ أخبارِ ملوكِ الأندلُس والمَغْرب[1]، كان لا يزال يعمَلُ فيه في سَنَةِ ٧١٢ هـ (١٣١٢ م). وله تاريخُ المَشْرق، ولكن لم يصل إلينا.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة «البيان المُغرب»:

..... وبعدُ - جعلَنا اللهُ ممّن نَظَرَ فاعتبر ووُعِظَ فازْدَجَرَ[2] - فإنّ خَيْرَ ما شُغِلَتْ

(١) هذا هو العنوان المذكور في مقدّمة الكتاب.

(٢) ازدجر: رجع عن اقتراف الذنب.

به الأذكارُ والأفكارُ وتحدّثتْ مَعَهَ بالليلِ والنهار[١] حِفْظُ ما أفادَ من العلوم والأخبار. وإنّ خيرَ ما رَيّضْنا[٢] به النفوسَ البشرية مُجالسةُ العلماء والأخيارِ ومذاكرةُ الأدباء ذَوِي الهِمَمِ وعُلُوِّ المِقدار، ففي مُجالستهم ومُذاكرتهم ما يَسْحَرُ الذِّهْنَ ويُنوّر الأفكار. فإن فُقِدَتْ مُجالستُهم فلا عِوَضَ منها غيرُ كتابٍ يتّخذه (الإنسان) جليسَه ويَجِدُه في كلِّ وقتٍ أنيسَه.... وطلب بعضُهم إليّ - ممّن يَجِبُ إكرامُه عليّ - أن أجمَعَ له كتاباً مُفرَداً في أخبار البلاد الغَرْبيّة[٣] على سبيل الإيجاز والاختصار... فلم يُمْكِنّي التوقّفُ في ذلك ولا الاعتذارُ... فجمعتُ له في هذا الكتاب نُبَذاً ولُمَعاً من عيونِ التواريخ والأخبار ممّا أجْرى اللهُ به تصاريفَ الأقدار فيما مرّ من الأزمنة والأعْصار، في بِلادِ المَغْرِبِ وما والاها من الأقطار: جمعتُ ذلك من الكتب الجليلة مُقْتَضباً من غير إسهاب ولا إكثار[٤]. فاقتطفتُ عيونَها واقْتَضَبْتُ فنونها. ووصلتُ الحديثَ بالقديمِ، والقديمَ بالحديثِ، لأنّه إذا اتّصلَ يُسْتَطْرَفُ ويُسْتَحلى، كما قال بعضُهم:

وسَئِمْتُ كلَّ مآربي ... فكأنّ أطْيَبَها خبيثُ،
إلّا الحديثَ فإنّه ... عندَ اسمِه أبداً حديثُ[٥]

.... ولمّا كَمُلَ ما قَيّدْتُه وجرّدته جَزّيْتُه على ثلاثةِ أجزاءٍ، كلُّ جزءٍ منها قائمٌ بنفسه ليكونَ لمطالعِهِ أوْضَحَ بيانٍ وأسهلَ مَرامٍ لدى العِيان. وسمّيته بالبيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب. أمّا الجزءُ الأوّلُ فاختصرتُ فيه أخبارَ إفْريقيَةَ من حينِ الفتحِ الأوّلِ إلى خِلافة أميرِ المؤمنينِ عُثمانَ بن عَفّانَ ثمّ أخبارَ أمرائها من وُلاةِ الخلفاء الأُمويّين ومَن دَخَلَ الغَرْبَ منهم ومن قام بإفْريقيَةَ.... إلى حينِ ابتداء الدولة اللّمْتونية المُرابطية[٦]. والجزءُ الثاني اختصرتُ فيه أخبارَ جزيرةِ

---

(١) «تحدّثت معه» قلقة هنا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: روّضنا (بالواو)، أي ذلّلناها، عوّدناها، مرّنّاها على...

(٣) البلاد الغربية: المغربية (بالإضافة إلى المشرقية).

(٤) اقتضب الكلام: قطعه. والمقصود هنا: اختصره. الإسهاب: الزيادة في الألفاظ من غير زيادة في المعاني.

(٥)

(٦) الغرب (إفريقية والأندلس). قام بأفريقية (حكمها). الدولة المرابطية (من بني لمتونة) قامت نحو سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م).

الأندلس وأمْلاكَها الغابرين الدُّرْسَ من حينِ الفتحِ الأوّلِ ثمّ مَن وَلِيَها مِنَ الأمراء للخُلفاء الأمويّين بالمشرق ثمّ مَنْ قام بها من العرب الفِهْريّين إلى حينِ دخولِ الخلفاء الأُمويّين[1] ومن قام عليهم من الثوّار الأندلسيّين... وذكرتُ فيه أخبارَ ملوكِ الطوائفِ بعدَ انقضاءِ دول الخلائف... وغيرَهم من الرؤساء الأندلسيّين، وكلٌّ ذلك إلى حينِ دُخول لَمْتونةَ إلى الأندلس سَنَةَ ٤٧٨. والجزء الثالثُ اختصرتُ فيه أخبارَ (ملوك) الدولةِ المُوحّدية... واستيلاءهم على (ممالك) أُمراءِ المَغْرب والأندلس... وذلك إلى حينِ انقراضِ الدولة المُرابطية وابتداء الدولة المُوحّدية ثمّ ما تَخلّلَ بعدَ ذلك للمُوحّدين... وذكرتُ الدولةَ الحَفصيةَ... في البلاد الإفريقية والدولةَ الهُوديةَ (والدولة) النَصْرية في البلاد الأندلسية، والدولةَ السعيدة المَرينية في البلاد الغَرْبية، اختصرتُ من ذلك كلّه ما اشْتَهَرَ أمرُه وأمْكَنَني ذِكْرُه... وذلك إلى انقضاءِ الدولة المُوحّدية واستيلاء الإمارة اليوسفية المَرينية على حَضرتِهم المَرّاكُشية، وذلك على مُرورِ السنينَ إلى عامِ ٦٦٧....

٤- البيان المغرب: الجزء الأوّل والجزء الثاني (دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٨-١٨٥١م؛ (كولان وليفي بروفنسال)، ليدن (بريل) ١٩٤٨-١٩٥١م؛ بيروت .... الجزء الثالث[2] (أ. ليفي بروفنسال)، باريز (بولس كتنر الكتبي) ١٩٣٠م؛ القسم الخاصّ بتاريخ الموحّدين (تحقيق أمبروسي هويسي ميراندا ومساهمة محمّد بن تاويت ومحمّد إبراهيم الكتّاني)، تطوان ١٩٦٠م؛ قطعة من تاريخ المرابطين ١٩٦٧م.

★★ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٥-٨٠٦؛ بروكلمن ١: ٤١١-٤١٢، الملحق ١: ٥٧٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣١٤ (٩٥)؛ سركيس ١٧٢.

ابن أبي زرع

١- هو، في الأغلبِ، أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ عُمَرَ بنِ أبي زَرْعٍ، كان من أهلِ فاسَ يحترفُ التوثيقَ فيها، وفيها تُوفّيَ بعدَ ٧٢٦ (١٣٢٦م).

---

(١) الفهريّون: القرشيّون. يشير إلى النزاع في أيام يوسف الفهري (راجع فوق ٤: ٤٤-٤٥، ٤٨-٤٩)دخول الخلفاء الأمويّين، ابتداء من عبد الرحمن الداخل، سنة ١٣٨هـ (٧٥٦م).

(٢) حوادث هذا الجزء المطبوع تمتدّ من سنة ٣٩٢ إلى سنة ٤٥٧هـ (١٠٠٢-١٠٦٥م).

٢ - كان ابنُ أبي زَرَعٍ عَدْلاً في التوثيق كما كان مؤرخاً نزيهاً وَصَلَ إلينا منه « الأنيسُ المُطْرِب بروضِ القُرطاس في أخبارِ ملوكِ المَغْرب وتاريخِ مدينةِ فاس »، وهُوَ يتناولُ تاريخَ المغرب من قيام الدولة الإدريسيةِ (سَنَةَ ١٧٢ هـ) إلى سَنَةِ ٧٢٦؛ وقد أَلّفَهُ للسلطانِ أبي سعيدٍ عُثمانَ المَرينيِّ (٧١٠ - ٧٣١ هـ)، وكانَ أبو سعيدٍ هذا من أهلِ العلمِ والمعرفة. ويبدو أنّ ابنَ أبي زرعٍ قد غرَفَ كثيراً من « البيان المُغرب » لابنِ عِذاري[١]. وكذلك وَصَلَ إلينا اسمَ كتابٍ آخرَ لابنِ أبي زرعٍ هو « زهرةُ البستان في أخبار الزمان ».

٣ - مختارات من آثاره

الحمدُ لله مُصرِّفِ الأمور بمشيئتِه وتدبيرِه ومُسهِّلِ العسيرِ بتَوْفيقه وتَيْسيره، ومُبْدِعِ الأشياء بحكمته وتصويره[٢]، خالقِ الخَلْقِ بقَدرته وباسِطِ الرِزْق بتقديره[٣]...

أما بعدُ - أطالَ اللهُ بقاءَ مولانا الخليفةِ الإمامِ مُعْلي الإسلامِ ورافعهِ ومُذَلِّلِ الكُفْر وقامعه[٤]... أبي سعيدٍ عثمانَ بنِ مولانا... أميرِ المسلمين أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ عبدِ الحق[٥]... إني لمّا رأيتُ مكارمَ دَوْلتهِ السعيدةِ مَقامَ سعادةٍ[٦] أطالَها الله وخلّدَها وأعْلى كَلِمَتَها وأيّدها تُنْظَمُ نَظْمَ الجُمانْ[٧] وصُوَرَ إحسانها تُتلى بكُلّ لسان... أردتُّ خِدمةَ جَمالها والتقرُّبَ إلى كمالها والتَّفيُّؤَ بِظلالها والوُرودَ مِنْ عَذْبِ زُلالها[٨] بتأليفِ كتابٍ

---

(١) راجع بروكلمن، الملحق ٢ : ٣٣٩، السطر السادس من أسفل. - ليس بين يديّ « روض القرطاس » لأقارن مادّته بمادّة « البيان المغرب ».

(٢) مبدع الأشياء : خالقها (من العدم). تصويره : اعطائه لها شكلاً مخصوصاً.

(٣) بسط الرزق (وسّعه) بتقديره (على ما أراد ممّا يجب).

(٤) قمع : ضرب بالمقمعة (بكسر أوّله) : عصا من خشب أو حديدة رأسها معوجّ يضرب بها الحيوان ليسرع أو ليهدأ.

(٥) أبو عثمان سعيد بن يغمراسن بن زيّان سلطان من سلاطين بني عبد الواد في تلمسان (٦٨١ - ٧٠٣ هـ) وأبو يوسف يعقوب المنصور سلطان الموحّدين (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ).

(٦) مقام سعادة (مكان يسعد من يكون فيه أو يأتي إليه).

(٧) أيّدها : ساعدها وجعلها قويّة. الجمانة (بالضمّ) اللؤلؤة الكبيرة.

(٨) الورود (المجيء إلى الماء) : الشرب. العذب : الحلو. الزلال : الصافي العذب. =

جامعٍ لطيفَ الأخبار[١] ومُلَحَ الآدابِ يحتوي على غُرَرٍ من التاريخ وعجائبه ونوادر الآثارِ وغرائبه يُخبِرُ بِنُبَذٍ من أخبار ملوك المغرب المتقدّمين وأُمرائه الماضين وأُمَمِهِ السالفين وتاريخِ أيامهم وذِكْرِ أنسابهم وأعمارهم وسِيَرِهِمْ وغزَواتهم وأحوالِهم في دَوْلتهم وما رَسَموه بالمغرب من المراسم وصَنعوه من المصانع والمعالم وفتحوه من البلاد والأقالم[٢] وبَنَوْهُ من الحصون والمُدُن والمكارم... مِنْ أوّلِ دولةِ الأميرِ إدريسَ بنِ عبدِ الله الحَسَنيِّ إلى هذا الأوان[٣]....

فألّفتُ هذا المجموعَ المُقْتَضَبَ أنْتَقَيْتُ جواهِرَه من كُتُبِ التاريخ المُعْتَمَدِ عليها وجَمَعتُ شوارِدَها عن مهاد المُعوّل على مُحّتها[٤] والمرجوع إليها سوى ما رَوَيْتُه عن أشياخِ الحُفّاظ والكُتّاب وقَيّدته عن الرواة الثقات الأنجاب. وحَذَفتُ فيه الأسانيدَ خِيفةَ الإكثارِ والامتداد[٥]. وتركتُ التَسْهيبَ[٦] والتطويل، وتَجنّبتُ الاختصارَ والتقليل.

٤- الأنيس المطرب بروض القرطاس.... (تورنبرغ)، أبسالا ١٨٤٣ - ١٨٤٦ م؛ فاس (طبع حجر) مراراً؛ فاس ١٣٠٣، ١٣٠٥، ١٣٠٧، ١٣١٣ هـ؛ (نشره محمّد الهاشمي الفيلالي)، الرباط ١٣٥٥ هـ=١٩٣٦ م.

★★ ابن أبي زرع، تأليف عبد الله كنّون، بيروت (دار الكتاب اللبناني)....

المكتبة العربية الصقلّية ٤٠٣ - ٤٠٤؛ النبوغ المغربي ٢١٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٤ - ٦٩٥؛ بروكلمن ٢: ٣١٢، الملحق ٢: ٣٣٩؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٢١(٤: ٣٠٥)؛ سركيس ٣٢.

---

(١) لطيف مفعول به من «جامع».

(٢) المراسم: المراسيم (جمع مرسوم: طريقة الإدارة أو الحياة، الخطّة). المصنع: المكان يبنى لجمع الماء. المعلم: العلامة الواضحة (إشارة على الطريق والأبنية المشهورة). الأقالم: الأقاليم (مناطق الأرض).

(٣) ادريس بن عبد الله (الأوّل) أوّل ملوك الدولة الإدريسية في وليلي في المغرب الأقصى (١٧٢ - ١٧٧ هـ). الأوان: الزمان، الوقت.

(٤) مهاد المعوّل على محّتها (كذا في الأصل). المحّ: خاص كلّ شيء (النفيس منه): المادّة الصفراء في البيضة.

(٥) الأسانيد..... الامتداد (كذا في الأصل). اقرأ: الإسناد... الامتداد أو: الأسانيد والتمديد.

(٦) التسهيب: التطويل فيما لا حاجة إليه.

ابن الزّيات الكلاعي

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ الكَلاعيُّ المعروف بآبن الزيّات، وُلِدَ في بَلِّش مالَقَةَ، في حدود سَنَة ٦٤٩ للهجرة (١٢٥١ م).

تلقّى آبنُ الزّيّات الكَلاعيُّ العلمَ على نفرٍ كثيرين منهم خالُه الفقيهُ الحكيم أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ المِذحِجيّ، ومنهم عِياضُ بنُ محمّدِ بنِ عياضِ بنِ موسى، قرأ عليه بِبَلِّشَ وأجازَ عياضٌ له. وكذلك كان منهم أبو جعفرِ بنِ الزُّبير وأبو الحسنِ الصائغُ النحْويُّ وأبو الحسن بنُ أبي الربيع. وأخذَ ابنُ الزيّات طريقةَ التصوّف عن أبي الحسن فضلِ بن فضيلةَ وتأدَّبَ به.

ودخل ابنُ الزيّات الكَلاعيُّ غَرناطةَ مراراً لطلب العلم في أوّل أمره ثمّ للقيام بأمورٍ مختلفة عامّةٍ وخاصّةٍ، فقدِ آستدعاه السلطانُ مرّة[1].

وكانت وفاةُ آبنِ الزّيّات الكَلاعيِّ في بَلَدِه بَلِّشَ سَحَرَ يومِ الأربعاء في السابعَ عشَرَ من شَوّالٍ من سَنَة ٧٢٨ (١٣٢٨/٨/٢٥ م).

٢ - كان ابنُ الزيّات الكَلاعيُّ كريمَ الأخلاق مَعَ مُروءةٍ وتواضعٍ، كما كان كثيرَ العِبادة مُتَصوِّفاً. وقد كان أيضاً خطيباً وبارعاً في عددٍ من فنون المعرفة كالتفسير والحديث واللغة والنحو والشعر. وكان له كتبٌ كثيرة منها: لذّةُ (لذّات) السَّمَع من (في) القراءات السَّبْع - قُرّة عين السائل وبُغية نفس الآمل (أُرجوزة في اختصار السيرة النبويّة) - رَصْف نفائِس اللآلي في وصفِ عرائسِ المعالي (في النحو) - قاعدةُ البيان وضابطة اللِّسان (في النحو) - شرف المهارق في آختصار المشارق[2] - المقام المخزون في الكلام الموزون.

---

(١) كان في وفد حمل رسالة من سلطان غرناطة إلى ملك الإسبان (راجع نفح الطيب ٤ : ٥١١، السطر الأوّل).

(٢) المهارق جمع مهرق (بضمّ فسكون ففتح) صحيفة بيضاء. المشارق: كتاب المشارق أو مشارق الأنوار للقاضي عياض بن موسى المتوفّى سنة ٥٤٤ هـ (راجع نفح الطيب ٢ : ٢٣٢، ٦٦٥ على الأخصّ)، ٥ : ٥٣٥، ٥٣٧. ثم ارجع إلى بروكلمن ١ : ٤٥٧، الملحق ١ : ٦٣٢)، وفيه: المشارق أو مطالع الأنوار على صحيح =

٣- مختارات من آثاره

- لأبي جعفرِ ابنِ الزيّات الكَلاعيّ في مذهبِ أهلِ التصوّف (الإحاطة ١ : ٣٠٢، الكتيبة الكامنة ٣٦):

دَعْني على حُكمِ الهوى أتضرّعُ، فعسى يَلينُ لِيَ الحبيبُ ويخشَعُ[١].
إنّي وجدْتُ أخا التضرُّعِ فائزاً بمُرادِه، ومِنَ الدُّعا ما يُسمَع.
فامْحُ اسْمَ نفسِك طالباً إثباتَه، واقْنَعْ بتفريقٍ لَعَلَّك تُجْمَع[٢].
واخْضَعْ، فَمِنْ أدبِ المُحِبّ خُضوعُه. ولَرُبّما نال المُنى مَنْ يخضَع.

- وقال في توحيدِ الله، يجمَعُ بينَ أشياءَ من علمِ الكلام وأشياءَ من التصوّف، ثمّ جَعَلَ ذلك في خُطبة ألْغى منها حَرْفَ الألِفِ، على كَثْرة دَوَرانِ حرفِ الألف في الكلام (الإحاطة ١ : ٢٩٨ - ٢٩٢):

حَمِدتُ ربّي جلَّ من كريمٍ محمود، وشكرتُه عَزَّ من عظيمٍ موجود... كريمٌ لو تَقَوَّمَ في فَهْمٍ لَحُدَّ[٣]،... لو فُهِمَتْ له كَيْفيّةٌ لَبَطَلَ قِدَمُه[٤]، ولو عُلِمَتْ له كيفيّةٌ لَحَصَلَ عَدَمُه[٥]. ولو حَصَرَهُ طَرْفٌ لَقُطِعَ بتَجَسُّمِه[٦]... عظيمٌ من غيرِ تركُّبِ قُطْرٍ[٧]، عليمٌ من غيرِ ترتُّبِ فِكرٍ[٨]. موجودٌ من غيرِ شيءٍ يُمْسِكُه، معبودٌ من غيرِ وَهْمٍ يُدْرِكُه....

= (صحائح) الآثار (وهو كتاب للقاضي عياض في الألفاظ الغريبة في الحديث ممّا جاء في الموطأ لمالك بن أنس وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم).

(١) الحبيب (هنا) هو الله تعالى (في المدرك الصوفي)، ويمكن أن تعني عندهم «الرسول».

(٢) في التصوّف: امح اسمَك (شخصيّتك في العالم البشري) طالباً إثباته (تحقيق نفسك في ذات الله). ثمّ اقنع بأن تدرك أنّك مفترق (لست إياه) لعلّك تُجمع معه (تصبح أنت وإياه واحداً: بزوال شخصيّتك الإنسانية وبقاء الله وحده في الوجود).

(٣) لو استطاع الإنسان أن يفهم الله لكان الله محدوداً (يحيط به فهم الإنسان).

(٤) لو عرفنا كيف وُجِدَ الله لَمَا كان قديماً (بل لكان حادثاً مثل جميع الأشياء في الدنيا المادّية).

(٥) ولو علم الناس لله كيفية (شكلاً) لانعدم (كما تنعدم جميع الأشياء التي لها أشكال- لأنّ العدم في الفلسفة هو تبدّل الصور المختلفة على المادّة الواحدة).

(٦) طرف: بصر، عين. (لو كان الله يرى لكان جسماً، بلا شكّ).

(٧) أنّ الله عظيم، كبير ولكن ليس له قُطر (حدود: طول وعرض وعمق).

(٨) الله عليم بكلّ شيء (ولكن من غير منهج فكري، كما يعرف الناس الأشياء).

٤ - ** الإحاطة ١ : ٢٩٥ - ٣٠٥ ؛ الكتيبة الكامنة ٣٤ - ٣٧ ؛ بغية الوعاة ١٣١ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٠٦ - ١٠٧ (١١١).

القَيْجاطيّ

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ عُمَرَ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الله الكِنانيُّ القيجاطي، نِسبةً إلى بلدةِ قَيْجاطة (أو قيشاطة) من أعمالِ جَيّانَ (إلى الشرق من قُرطُبَة).

وُلِدَ القيجاطي سَنَةَ ٦٥٠ للهجرة (١٢٥٢ م) وتلقّى العلمَ على أبيه وعلى نَفَرٍ منهم: عبدُ الله بنُ مُساعدٍ الغسّانيّ وأبو جعفرِ بنِ الصبّاغِ وابن الصائغ(١) والأُبّذيّ وأبو عليٍّ ابن الأحوص.

وفي سَنَةِ ٧١٢ للهجرة (١٣١٢ م) دُعِيَ القيجاطي إلى غَرناطةَ فأقْرَأَ بالجامعِ الأعظمِ فيها القِراءاتِ والنحوَ والأدبَ، وَوَلِيَ فيها الخَطابةَ أيضاً. وقد نابَ عن بعضِ القُضاةِ مُدّةً وأدْرَكَتْه الوَفاةَ، في ٢٧ من ذي الحِجّة من سَنَةِ ٧٣٠ (١١/١٠/١٣٣٠ م)، وهو على القضاء.

٢ - كان أبو الحسن القَيْجاطي مُتواضعاً حَسَنَ الخُلُقِ فَكِهاً حُلْوَ الحديث. وكذلك كان ذَكِيًّا بارعاً في عددٍ من العلوم كالقِراءات والنحوِ والأدبِ، وكان خَطيباً وشاعراً وناثراً وأُستاذاً تكثُرُ الاستفادةُ منه. وقد كانتْ له تصانيفُ، كما كان له شعرٌ ونثرٌ.

مختارات من شعره

- قال أبو الحسن القَيْجاطيُّ في تذكُّرِ الشباب:

والعُمْرُ مثلَ البدرِ يبدو حُسنُه   حيناً، ويعقُب بعدَ ذاك سرارُه(٢).

---

(١) لم اهتد إلى شيء من تراجم الأشخاص المذكورين في هذه الجملة. ولعلّ «ابن الصائغ» هو الذي ستأتي ترجمته (ص ٤٥٢).

(٢) السرار (بالفتح أو بالكسر): آخر ليلة من الشهر القمري (فيها يستسرّ القمر: لا يظهر في سماء البلد ليلاً). يعقب: يتبع.

مـــا للإخـــاء تقلّصـــتْ أفيـــاؤه! ... مـــا للصفـــاء تكـــدّرتْ آثـــاره!
ولأنـتَ تعلَمُ أنّي - زَمَنَ الصِّبا - ... ما زِلتُ مِمّنْ عَفّ فيه إزاره[١].

- وله من قصيدة في الرثاء:

أرى أرجُلَ الأرزاء تشتـدُّ نحوَنا ... وأيدِيَها تسعى إلَيْنا فتمْتَـدُّ[٢].
ونحنُ أُولو سَهْوٍ عن الأمر، ما لَنا ... سوى أملٍ إيجابُنا عنده جَحْدُ[٣].
فإنْ خَطَرَتْ للمرءِ ذِكرَى بِخاطرٍ، ... فتَسْبيحُه الساهي إذا سُمِعَ الرعد[٤].
مُصابٌ به قُدّتْ قلوبٌ وأنفُسٌ ... لَدَيْنا، إذا في غيرِه قُطِعَتْ بُرْدُ[٥].
تلينُ له الصُّمُّ الصِّلابُ، وتَنْهَمي ... عيونٌ، ويبكي عندَه الحَجَرُ الصَّلْد[٦].
وقد كان يبدو الصبرُ منّا تجلُّداً، ... وهذا مُصابٌ صبرُنا فيه ما يبدو[٧].

٤ - ★★ أعمال الأعلام ٢٩٩ س؛ الديباج المذهب ٢٠٧؛ بغية الوعاة ٣٤٤؛ نفح الطيب ٥: ٧٥، ٣٨٤، ٥٠٧ - ٥٠٩، ٦٠٣ - ٦٠٤؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٣٢ (٤: ٣١٦).

ابن هاني السبتي

١ - هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ هاني اللّخْميّ السَّبْتي[٨]، أصلُه من إشْبيلية.

---

(١) الإزار: ثوب يلف على القسم الأدنى من الجسم. عَفّ ازارُه (لم يقرُبْ آمرأةً ليست زوجاً له).
(٢) اشتدّ: ركض، أسرع. الرزء: المصيبة.
(٣) الجحد: النكران. - نحن لا نلقي بالاً إلى الأحداث التي تمرّ بنا إلّا بعد أن تقع (راجع البيت التالي).
(٤) يسهو (يغفُل - بضمّ الفاء -) الإنسان عن تسبيح الله، فإذا سمع رعداً خاف من انقضاض الصواعق عليه، فسبّح الله.
(٥) المصاب (هنا) موت الرجل الذي يرثيه القيجاطي. قُدّت (شقّت) قلوب وأنفس (حزنت حزناً شديداً) لدينا (لأنّ الميت منّا). إذا في غيره (اقرأ: في غيرنا) قطّعت برد (البرد: ثوب من حرير) كناية على الفرح. - يتّفق أحياناً، إذا مات رجل أن يحزن لموته قوم ويفرح بموته قوم آخرون.
(٦) هذا المصاب تلين له الصمّ الصلاب (الحجارة القاسية). انهمى ينهمي (ليست في القاموس). همى المطر يهمي: سال بكثرة. الصلد: القاسي، اليابس.
(٧) في أحوال سابقة من المصائب، كنّا نتجلّد: نتظاهر بأنّنا لسنا محزونين أو حزناء (جمع حزين). أما في هذا المصاب فلا يبدو منّا صبر، بل يظهر حزننا واضحاً شديداً.
(٨) في بروكلمن محمّد بن عبد الله (!) بن خاتمة السبتي.

قرأ على أبي إسحاقَ الغافقيّ وأبي بكرِ بنِ عُبيدِ النحويّ وأبي عبدِ الله بن حُريث. وقدِ اسْتُشْهِدَ في حِصارِ جبلِ طارقٍ، أصابه حجرُ مِنجنيقٍ، في أواخرِ ذي القَعْدة من سَنَةِ ٧٣٣ (١٣٣٣/٨/١١ م).

٢- كان ابنُ هاني السَّبْتيُّ من كِبارِ عُلماءِ العربية (النحو)، أديباً ناظماً وناثراً مترسّلاً، وله مشاركةٌ في التاريخ. شِعرُه عـادِيٌّ قليلُ الطَّـلاوة. ونثرُه أكثرُ براعةً. وكان مُصَنّفاً له: شرح التسهيل (لابن مالكٍ النحويّ)- الغُرّة الطالعة في شعراء المائة السابعة- انشاد[1] الضوالّ وإرشاد السؤال (في لحن العامّة)- قوت المقيم. وقدّ دوّن ترسّل أبي المطرّف بن عميرة (ت ٦٥٨ هـ).

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ هاني السبتيُّ:

لولا مشيــبٌ بفَوْدي للفؤادِ عَصى ... أنْضَيْتُ في مَهْمَهِ التشبيبِ لي قُلُصا[2].
وكنــتُ جارَيتُ فيه مَنْ جرَى طَلَقاً ... مِنَ الإجادةِ لم يَجْمَحْ ولا نَكَصا[3].
ومَنَ أعـدّ مكان النبْلِ نَبْلَ حِجىً ... لم يَرْضَ إلّا بأبْكار النُّهى قَنَصا[4].

- وله في الجوابِ على رسالةٍ وردَتْ إليه من أبي القاسمِ الشريف (وكان شابًّا أديباً):

---

(١) أنشد الضالّة (البهيمة التائهة من صاحبها): عرّفها ودلّ عليها. - يبدو أن هذا الكتاب قد عرف بعناوين مختلفة: لحن العامّة- تثقيف اللسان وتلقيح (الأذهان)- المدخل إلى تقويم اللسان (وبهذا العنوان نشره كولان في مجلّة «هسبيريس»، المجلّد ١٢، ص ١ - ٣٢). راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧١.

(٢) الفود: شعر الرأس السائل على جانب الأذن. عصى الفؤاد (لم يستطع أن يلهو كما يلهو الشبّان). أنضى: أتعب وأتلف. المهمه: الفلاة الواسعة. القلوص (بالفتح): الناقة. لولا أنّني كبرت في السنّ جدًّا لملأت الدنيا بالغزل!

(٣) جرى الفرس طلقاً: خارجاً من قيده (سريعاً). لم يجمع (يشرد) ولا نكص (جبن، رجع)- أي لقلت غزلاً عفيفاً جيّداً!

(٤) النبل جمع نبلة (بالفتح): السهم. الحجى: العقل. القنص: الصيد.

هذا، بُنَي، ما سَنَحَ بِهِ الذِّهْن الكليلُ واللسان الفليلُ[١] في مُراجعةِ قصيدتِكَ الغرّاءِ الجالبةِ السرّاءِ، الآخذةِ بمجامعِ القلوبِ المُوفيَةِ بجوامعِ المطلوبِ الحسنةِ المَهْيَعِ والأُسلوب[٢].... أينْزِعُ غيري هذا المَنْزِعَ أوِ المرءُ بنفسِهِ وابنه مُولَعٌ؟ حيّا الله الأدبَ وبَنيهِ وأعاد علينا أيامَه وسِنيه.... غيرَ أنّ الإحسانَ فيه قليلٌ، ولِطريقِ الإصابةِ فيه عَلَمٌ ودليـلٌ... فَلْيُهْنِكَ، أيُّها الابنُ الذكيُّ، البَرُّ الزّكِيُّ، الحبيبُ الحَفِيّ[٣]. الصفيّ الوفيّ، أنّـك حامـلٌ رايتَهُ وواصلٌ غايتَه[٤]، ليس أوّلوه وآخِرُوهُ لك بمُنْكرين و(لكن) لا تَجِدُ أكثرَهم شاكرين[٥]. ولولا أنْ يَطولَ الكتاب وينحرفَ الشعراءُ والكُتّاب[٦] لفاضتْ يَنابيعُ هذا الفَصْلِ فَيْضاً، وخرجتْ إلى نوعٍ آخرَ من البلاغة أيضاً. قرّتْ عيونُ أوِدّاءِكَ، ومُلِئَتْ غَيْظاً صدورُ أعدائك، ورَقِيتَ دَرَجَ الآمالِ ووُقيتَ عينَ الكمال[٧]....

٤ - ★★ أوصاف الناس ١٠٣ - ١٠٤؛ بغية الوعاة ٨٢؛ نفح الطيب ٦: ٢٤٥ - ٢٥٣؛ النبوغ المغربي ٢١٠ - ٢١١، ٣٨٧ - ٣٩١ (الترقيم الثاني)، ٧٣٥ - ٧٣٦، ٨٧١ - ٨٧٢؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧١؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٧٦ (٦: ٢٨٤).

ابن القويع[٨] التونسي

١ - هو ركنُ الدينِ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بن يوسفَ[٩] الجَعْفريّ المالكيّ التُونِسِيّ، ويُعْرَفُ بابنِ القَوْبع. وُلِدَ في تُونِسَ في رَمَضانَ سَنَةَ ٦٦٤ (١٢٦٦ م).

---

(١) الكليل: الضعيف، الكالّ (السيف الذي لا يقطع). الفليل (يقصد: الأفلّ) السيف الذي تثلّم (تقطع) حدّه.

(٢) المهيع: الطريق الواضح.

(٣) الذكيّ: ذو الفهم والحذق (بكسر الحاء). البرّ: المطيع لقومه. الزكي: الطاهر. الحفيّ: العارف (الرفيق في معاملة الآخرين).

(٤) الذي تمّ الكمال فيه.

(٥) ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ تضمين من القرآن الكريم (٧: ١٧ سورة الأعراف).

(٦) وينحرف.... يستطردون إلى موضوعات متشعّبة.

(٧) الأودّاء: الأصدقاء المحبّون. وقيت عين الكمال: حفظك الله من الحسد (لأن الكامل في صفاته محسود).

(٨) القوبع (بفتح القاف كجوهر): طائر صغير أحمر الرجلين... (راجع القاموس ٣: ٦٤).

(٩) في بغية الوعاة (ص ٩٧):.... يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل.

وقرأ النَحْوَ على يحيى بنِ الفرج بن زيتونٍ[1]، وقرأ الأصولَ على محمّدِ بنِ عبدِ الرحمن قاضي تُونِسَ. ثمّ إنّه رَحَلَ فجاء إلى مِصْرَ سَنَةَ ٦٩٠. ويبدو أنّه تَنَقّل بينَ القاهرةِ ودِمَشْقَ مِراراً. وقد سَمِعَ في دِمَشْقَ مِنْ تقيِّ الدينِ بنِ الواسطيّ وابنِ القوّاسِ وأبي الفضل بنِ عساكرَ، كما سَمِعَ في حَماةَ مِنِ ابنِ المُزَنِّرِ المُحَدِّث.

وكان ابنُ القَوْبَعِ يتصدّرُ للتدريس في فنونٍ مختلفةٍ ويقومُ بتدريس الطِّبّ في المارستان المنصوريّ في القاهرة والإعادة[2] في المدرسة الناصرية. وتولّى نيابةَ الحُكم (القضاء) للقاضي المالكيّ في القاهرة مُدّةً ثم تَرَكَها تَدَيُّناً لأنّه لم يَضْمَنْ أن يَتَجَنّبَ فيها مُجاراةَ الحُكّام. وكانتْ وفاتُه في تاسع[3] ذي الحِجّةِ من سَنَةِ ٧٣٨ (١٣٣٨/٦/٢٨ م)، في القاهرة.

٢ - كان ابنُ القَوْبعِ التُونسيّ رَجُلاً ذَكيًّا واسعَ المعرفةِ كثيرَ الحِفظ لعددٍ من فنونِ العلم. وقد كان ضيّقَ الصدْرِ كثيرَ المَلَلِ من كلِّ شيءٍ إلى جانبِ أنّه كان حَسَنَ الصُحْبَةِ حَسَنَ المعاملةِ للناس، وعلى شيءٍ من اليَسارِ أغناه عَنِ التملّق. وله نثرٌ سائغ وشِعرٌ جيّد في الغزل والأدب خاصة. ومن فنونه الحديثُ والأصول والفِقْه والتاريخ والبراعة في معرفة الخطوط (والخطوط بالقَلَم المَغْربي خاصّة)، مَعَ أنّه لم يكن حَسَنَ الخطّ. وكانت له معرفةٌ بالأدب والنَّقدِ[4] وباللُّغة والنَّحْو وبالطِّب يُكْثِرُ من مُطالعة كتاب القانون لابنِ سينا، كما كان كثيرَ الاهتمام بالحِكمة (الفلسفة) مُكِبًّا على مطالعة كتاب الشِفاء لابن سينا

---

(١) هنالك في عنوان الدراية (ص ١١٤): الفقيه القاضي أبو القاسم بن أبي بكر اليمني الشهير بابن زيتون من أهل تونس (ت ٦٩١ هـ).

(٢) المارستان: المستشفى (وكان فيه في العادة مدرسة لتعليم الطبّ). المعيد (من الإعادة) مدرّس «يعيد» شرح ما غمض من دروس الأستاذ (نائب أستاذ).. المدرسة الصلاحية (نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي) كانت في القدس (راجع وفيات الأعيان ٣: ٢٤٤).

(٣) في بغية الوعاة (ص ٩٨): في سابع عشري الحجّة (٢٧).

(٤) كان ابن القويع يقرأ مطلع قصيدة ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ):

فتكـــات لحظـــك أم سيوف أبيـــك

بالنصب (في فتكات، سيوف الخ) على أنّها مفعول به لفعل تقديره أعاني. وكان ذلك عنده أبلغ من القراءة المشهورة بالرفع.

وكتاب المباحث المشرقية لفخر الدين الرازيّ (ت ٦٠٦ هـ). ثمّ هو مُصنِّفٌ له تفسيرُ سورةِ ق (السورة الخمسين في المُصْحَف) وتعليق (أو شرح، راجع بغية الوعاة ٩٨) على ديوان المتنبّي.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ القوبعِ التُونسيُّ في النسيب:

جَوًى يَتلظّى في الفُؤادِ ٱسْتعارُهُ، ودَمْعٌ هَتونٌ لا يَكِفُّ انهمارُهُ(١)،
وُلوعــاً بِمَنْ حــاز الجمالَ بأسْرِه فحــازَ الفُؤادَ المُستهامَ إسارُهُ(٢).
غزالٌ لـه صدري كِناسٌ ومرتَعٌ، ومِنْ حَبِّ قَلْبي شِيحُه وعَرارُهُ(٣).
جَرى سابحاً ماءُ الشباب برَوْضِهِ فأزْهَرَ فيـــه وَرْدُه وبَهــارُه(٤).
يَعِـلُّ بِعَـذْبٍ من بَرودِ رُضابــهِ تَفــاوَحَ فيـه مِسْكه وعُقاره(٥).
تَجمّــعَ فيــه كـلُّ حُسْنٍ مُفَرَّقٍ فصــار لـه قُطْباً عليه مَداره.
زُلالٌ ولكن أينَ مِنّي وُرودُهُ، ولَدْنٌ ولكن أين منّي اهْتِصاره(٦)..
وسَلْسالُ راحٍ صُــدَّ عَنّيَ كأسُه، وغُودِرَ عنـدي سُكْره وخُمارُه(٧).

---

(١) الجوى اشتداد المرض والحزن من أثر العشق. تلظّت النار: تلهّبت (ارتفع لهيبها واشتد). الاستعار: توقّد النار (اشتداد حرارتها). الهتون: الكثير القطر (سيلان الماء والدمع الخ).

(٢) جماله استولى على فؤاد المحبّ جملة.

(٣) الكناس: البيت (المكان) الذي يأوي إليه الغزال. المرتع: المكان الذي ترتع (ترعى فيه)الماشية. حبّ القلب (بفتح الحاء) جمع حبّة القلب: مهجته وسويداؤه (داخله ودمه). الشيح نبت طيّب الرائحة ترعاه الماشية. العرار: نبات له زهر طيّب الرائحة. - هذا الغزال (المحبوب) يسكن في قلبي ويتغذّى من دم قلبي (ولذلك نزل بي السقام والهزال).

(٤) ورده كناية عن خدّيه الأحمرين. وبهاره (كناية عن وجهه الأبيض).

(٥) علّ الرجل يعلّ (بكسر العين): شرب شيئاً فشيئاً ومرّة بعد مرّة. العذب: الحلو. البرود: البارد. الرضاب: الريق ما دام في الفم. تفاوح= فاح (انتشرت منه رائحة طيّبة). العقار: الخمر.

(٦) ريقه حلو سائغ في الحلق ولكن لا أستطيع وروده (الشرب منه). وقوامه لدن (طريّ، ناعم) ولكن لا أستطيع هصره (ضمّه إليّ).

(٧) السلسال: العذب الصافي الذي يجري بسهولة في الحلق. الراح: الخمر. صدّ عنّي كأسه (منعت من شربه اللذيذ). غودر: ترك (بالبناء للمجهول)، بقي. السكر والخمار: الصداع والألم من أثر شرب الخمر.

دنا ونأى فالدارُ غيرُ بعيدة، ولكنّ بُعْداً صَدُّه ونفاره[١].
كتمتُ الهوى لكنْ بدَمْعي وزَفْرتي؛ وسُقْمي تَساوى سِرّه وجهاره[٢].
أراحةَ نفسي، كيف صِرْتَ عذابَها؟ وجَنّةَ قلبي، كيف منك اسْتِعارُهُ[٣]؟

- وكتبَ إجازةً لِصلاحِ الدين خليلِ بنِ أيْبَكَ الصَفَديِّ[٤] جاء فيها:

يقولُ العبدُ الفقير إلى رحمةِ ربِّهِ وعفوِهِ عمّا تعاظَمَ من ذنبهِ محمّدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ القُرَشيّ الجَعْفري المعروف بابن القَوْبَع : بعدَ حمدِ الله ذي المجدِ والثناء، والعَظَمة والكِبرياء، الأوّلِ بلا ابتداءٍ والآخرِ بلا انتهاءٍ، خالقِ الأرضِ والسماء وجاعلِ الإصباح والإمساء؛ والشُكر[٥] له على ما مَنّ به من تعاظُمِ الآلاءِ وترادُفِ النَّعْماء[٦]. نَحْمَدُهُ ونذكُره ونعبُده ونشكُره لِتَفَرُّدِهِ باستحقاقِ ذلك وتوفُّرِ ما خَصّنا به مِنَ العِلْمِ هنالك وأضاء به بضِيائها من نور الفَهم. ونُصلّي على نبيِّهِ محمّدٍ سيّدِ العُرْب والعُجْم[٧] وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذين فازوا من كلّ فَضْلٍ بِعِظَمِ الحَظّ ووُفورِ القَسْم. أجزتُ لفلان[٨].... جميعَ ما يجوزُ لي أن أرْوِيَهُ ممّا رَوَيْتُه من أصنافِ المَرْويّاتِ أو قُلتُه نظماً أو نَثْراً أوِ اخْتَرَعْتُه مِنْ مسألةٍ عِلميّة مُفْتَتِحاً، أوِ اخْتَرْتُه من أقوالِ العلماء واسْتَنْبَطْتُ الدليلَ عليه مُرَجّحاً ممّا لم أصْنَعْهُ في تصنيفٍ ولا أجْمَعْهُ في تأليفٍ، على شَرْطِ ذلك عندَ أهلِ الأثَرِ[٩].

وفّقَــــه اللهُ لمـــــا يَرْتضي في القولِ والفعـل ومـا يـدريّ★.

---

(١) ... نفرته منّي تجعله بعيداً عنّي (وإن كان ساكناً بقربي).
(٢) أنا لا أبكي ولا أتنهّد (من أثر تعذيبه لي بحبّه)، ولكّن سقمي (نحولي) يدلّ على ذلك.
(٣) أراحة نفسي (الهمزة للنداء).
(٤) خليل بن أيبك الصفدي (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) اشتهر بكتب التراجم، له الوافي بالوفيات كبير جداً، قد طبع منه إلى الآن خمسة عشر جزءاً (عام ١٩٧٩ م) فاستوفى أسماء المحمدين ووصل إلى حرف السين.
(٥) والشكر (وبعد الشكر). ★ آدّرى فلانٌ فلاناً (داراه؟).
(٦) ترادف: تتابع، توالي. النعماء: الخفض والدعة (العيش في رفاهية وأمن).
(٧) كذا في الأصل. (بضيائها).
العرب والعجم (غير العرب) كلتا الكلمتين بضمّ فسكون. القسم (بفتح فسكون): النصيب، الحصّة.
(٨) لصلاح الدين خليل بن أيبك (راجع الحاشية ٤).
(٩) بحسب القواعد التي أقرّها علماء الحديث للتثبت من أمانة الراوي ومن صحّة الحديث المرويّ.

وزادَه فضـــلاً إلى فضلـــهِ بمـــا بـــه يأمَنُ في الحَشْر[1].
فهـــذه الـــدارُ بمـــا تَحْتوي دارُ أذًى مَـــلأى مِنَ الشرّ.
دَلّـــتْ بَنيهـــا في غرورٍ، فهم في عَمَـــهٍ عنـــه وفي سُكْر[2].
تُريهُمُ بِشْراً. ويـــا وَيْحَهُمْ! كم تحتَ ذاك البشْر من مكْر![3]
بَيْنَـــا تُرى مُبْتَهجـــاً ناعماً ذا فَرَحٍ بالنَّهْيِ والأمر -
آمَنَ مـــا كـــان وأقْصى مُنَـــى - فأجـــأه قاصمـــةُ الظَّهْر[4].
فَعَـــدِّ عنهـــا واشْتَغِـــلْ بالـــذي يُوليـــكَ خَـــيراً آخِرَ الدهر[5].
فإنّما الخَـــيرُ خصيـــصٌ بمـــا تَلْقـــاهُ بعـــدَ الموت والنَّشْر[6].

- وله (بغية الوعاة ٩٨):

تأمّـلْ صَحِيفـاتِ الوجودِ فإنّهـا من الجانبِ السامي إليك رسائلُ[7].
وقـد خُطَّ فيها - إن تأمّلتَ خطَّها: «ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطل[8]».

٤ - ★★ الوافي بالوفيات ١: ٢٣٨ - ٢٤٧؛ الديباج المذهب ٣٢٩، بغية الوعاة ٩٧ - ٩٨؛ درّة الحجال ٢: ٣٠٠ وما بعد؛ نفح الطيب ٢: ٢٢٥ - ٢٢٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٤ (٣٥).

---

(١) الحشر: يوم القيامة.
(٢) دلّى الرجل الحبل في البئر: مدّه نزولاً. بني الدنيا: الناس. العمه: العمى منذ الولادة.
(٣) البشر: طلاقة الوجه، إظهار السرور.
(٤) في اطمئنان تامّ محقّقاً جميع أمانيه. فاجأه: أتاه بغتة. قاصمة الظهر: المصيبة العظيمة التي تشلّ المصاب بها عن التفكير والتصرّف.
(٥) آخر الدهر (منذ ساعتك هذه إلى آخر حياتك).
(٦) النشر والنشور: القيامة في الآخرة.
(٧) من الجانب السامي (الإلهي).
(٨) هذا من قول لبيد بن ربيعة الجاهليّ:

ألا كـــلّ شيء مـــا خـــلا الله باطـــل، وكـــلّ نعـــيم - لا محالة - زائـــل!

ابن عمر الملكيشيّ

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عُمَرَ بنِ عليٍّ بنِ محمّدِ بنِ إبراهيمَ الملكيشيُّ البِجائي (نِسبةً إلى بِجايةَ في الجزائر) الجزائريّ التونسيّ. نشأ في بلادِ الجزائر وبدأ تَلَقِّيَ علومِهِ فيها. وقد رَحَلَ إلى المشرقِ وحَجّ وتلقّى أشياءَ من العلم في الحِجاز والقاهرة والإسكندرية.

ويبـدو أنّ شيئاً من الاضطراب وَقَعَ في الجزائر - مقتل أبي حمّو الأوّلِ موسى بنِ عثمان (٧١٨ هـ) - فآثر المليكشيُّ الانتقالَ إلى الأندلس، في السَّنة نفسِها، ومَدَحَ نفراً من الكُبراءِ، وقد أقامَ حيناً في مالَقَةَ. ثمّ إنّه عاد إلى العُدوةِ الإفريقية وتقلَّد في تونسَ خُطةَ الكتابة. وفي تونسَ كانتْ وفاتُه في غُرّةِ المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٧٤٠ (٩/٧/١٣٣٩ م).

٢ - كان ابنُ عُمَرَ الملكيشيُّ فقيهاً وذا مَيلٍ إلى التصوف، كما كان أديباً كاتباً مترسّلاً وشاعراً يَنْظِمُ رَوِيَّةً وارتجالاً. وفي شِعره سُهولةٌ وشيءٌ من الرِقّة. وفنُّه الغَزَلُ والنَسيب.

٣ - مختارات من شعره

قال ابنُ عُمَرَ الملكيشيُّ في النسيب:

★ ★ رِضاً! نلتِ ما تَرْضَيْنَ من كلِّ ما يُهوى ... فلا تُوقِفِيني مَوْقفَ الذُّلِّ والشَّكْوى.
وصَفْحاً عن الجاني المُسيءِ لنفسهِ؛ ... كَفاهُ الذي يَلقاهُ من شِدّة البَلوى.
بمـا بَيْنَنـا من خَلْوةٍ مَعْنويّـةٍ ... أرقَّ من النَّجوى وأحلى من السَّلوى(١).
قفي أتَشَكّى لَوْعَـةَ البَيْنِ ساعةً، ... ولا يَكُ هذا آخرَ العَهْد بالنجوى.
قِفي ساعةً في عَرْصةِ الدارِ وانْظُري ... إلى عاشقٍ ما يَستفيق من البلوى(٢).

---

(١) بما بيننا: استحلفك بالذي بيننا. خلوة معنوية: عفيفة (بالفكر لا بالاجتماع). السلوى (في القاموس) طائر لذيذ اللحم. و (في العرف) المنّ والسلوى: نوع من الصمغ الحلو يتكوّن على نوع من الأشجار في فارس والعراق.

(٢) العرصة: أرض خلاء أمام البيت. البلوى (مكررة).

وكم قد سألتُ الريحَ شوقاً إليكمُ ... فما حنّ مَسْراها عليّ ولا ألْوى[1].
فيا ريحُ، حتّى أنتِ مِمّنَ يَغارُ بي؟ ... ويا نَجْدُ، حتّىأنتَ تَهْوى كماأهوى.
خُلقتُ ولِي قلبٌ جَليدٌ على النَّوى، ... ولكنْ على فَقْدِ الأحِبّةِ لا يَقْوى[2].
★★ أرى لكَ، يا قَلْبي، بقلبي مَحبّةً ... بَعَثْتُ بها سِرّي إليكَ رَسولا.
فقابِلْهُ بالبُشْرى وأقْبِلْ عَشِيّةً، ... فقد هَبّ مِسكيُّ النسيمِ عَليلا.
ولا تَعْتَذِرْ بالقَطْرِ أو بَلَلِ النَّدى، ... فأحْسَنُ ما يأتي النسيمُ بَليلا!

٤-★★ نيل الابتهاج ٢٣٩-٢٤٠؛ تعريف الخلف ١: ١٧٣-١٧٦؛ نفح الطيب ٦: ٢٤٠-٢٤٢؛ تاريخ الجزائر العامّ ٢: ١١١-١١٢؛ معجم أعلام الجزائر ١٧١-١٧٢؛ الطمّار ١٩١-١٩٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠٥ (٦: ٣١٤).

محمد بن أحمد بن جُزَيّ

١- هو أبو القاسمِ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عبد الله بن يحيى بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يوسفَ بنِ جُزِيٍّ الكلبيُّ الأندلُسيُّ، وُلِدَ في تاسعِ ربيعٍ الثاني من سَنَةِ ٦٩٣ (١٠/٣/١٢٦٤ م) في غَرناطة.

قرأ أبو القاسم بنُ جُزَيٍّ القرآنَ والحديث والفِقه والنحو على أبي جعفرِ بنَ الزُّبير الغَرناطيّ (٦٢٧-٧٠٨ هـ)؛ ثم كان من شيوخه أبو عبد الله محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ داوودَ آبنِ الكمّاد اللّخمي (ت ٧١٢ هـ) وأبو علي بن برطال وأبو عامرِ بنُ ربيعٍ الأشعري والشيخ البركةُ الوليُّ الخطيبُ أبو عبد الله الطنجاليّ الهاشميّ وقاسم بن عبد الله بن الشاط.

تصدّر ابن جُزيّ للتدريس ثمّ أصبح منذ مطلع حياته خطيباً في الجامع الأعظم في غرناطةَ. وكانت وفاته يوم الاثنينِ شهيداً في وقعة طَريفَ (معركةِ نهر سالادو)- وهو

(١) ألوى (مال وعطف).
(٢) النوى: البعاد.

يحرّض الناس على جِهاد المُعتدين الإسبان، في سابعِ جُمادى الأولى من سَنَة ٧٤١ (٣٠/١٠/٧٤١ م).

٢ - كان أبو القاسمِ بنُ جُزَيٍّ مُشارِكاً في عددٍ من فُنونِ المعرفة: في القِراءات والتفسيرِ والحديث، وفي الفِقه وأُصول الفِقه، وفي اللُّغة والنَّحْو والأدب. وله شعرٌ يدورُ على المعاني الدينيّة مِنَ التّقوى ومدحِ الرسولِ والتَّصَوُّف. وشعرُه هذا قريبُ المعاني سهلُ التركيب وفيه شيءٌ من الصِّناعة ومن التكلُّف أيضاً. وكان له في فنِّ البديعِ نوعٌ آسْمُهُ «التَّخَيُّرُ» (وذلك أن يكونَ للبيتِ قافيتان بمعنًى واحدٍ ولكنْ على رَوِيَّيْنِ مُختلفين). راجعْ مثلاً نَفْحَ الطيب (٥: ٥١٧):

أيا من كَفَفْتُ النفسَ عنه تعفُّفاً، وفي النفس من شوقٍ إليه لهيبُ (غرامُ)،
ألا إنّما صبري كصبرٍ، وإنّما
على النفس من تقوى الإلَه رقيبُ (لِجامُ)[١].

وكان أبو القاسم بنُ جُزيٍّ مؤلّفاً، له: التسهيلُ في علوم التنزيل (في تفسير القرآن، وفيه شيء من النقد) - المختصر البارع في قِراءة نافع - وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم - الدَّعَوات والأذكار المُخْرَجة من صحيح الأخبار (آستعرض فيه ما ورد عن رسول الله من الذِّكْر والدَّعَوات في الكتب الخمسة)[٢] - تقريب الوصول في علم الأصول (أصول الفقه) - النور المبين في شرح عقائد الدين - الأنوار السَّنِية في الألفاظ السُّنيّة (ويقال: الأقوال السَّنِيّة) في المذاهب السُّنّيّة (ألّفه لابنِه أحمدَ) - القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية - قوانين الأحكام الشرعية في مسائل الفروع الفِقهيّة (انتهى من تأليفه في العاشر من المُحَرَّم، سَنة ٧٣٥ ١٠/٩/١٣٣٤ م) - الفوائد العامة في لحن العامّة - فهرس آشتمل على عددٍ كبير (من شيوخه؟) من أهل المشرق والمغرب.

---

(١) الصبر (بفتح فكسر، ولا يسكّن إلّا في ضرورة الشعر): عصارة (بالضمّ) شجر مرّ (القاموس ٢: ٦٧).
(٢) المشهور أنّه يقال كتب الحديث الستّة، وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم ثمّ كتب السنن الأربعة لأبي داوود والنسائي (بالفتح) والترمذي (بالكسر) وابن ماجة.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدمة « قوانين الأحكام الشرعية »:

الحمد لله ذي الجلال الذي عَجَزَتْ عن إدراك كُنهِهِ عقولُ العارفين[١]، و (ذي) الكمال الذي قصّرت عن إحصاء ثنائه أَلْسِنة الواصفين.... و (ذي) العظمة الذي عَنَتْ لِعزّتها وجوه الطائفين والعاكفين[٢]..... سُبحانَه من مليكٍ لم يَخْلُقْ عبادَه عبثاً ولم يترُكْهم سُدًى، بل أرسَلَ الرُّسل مُبشِّرينَ ومُنذِرين وَدَاعِين إلى الحقّ والهُدى. ثمّ خَتَم الرِّسالة بِنَبِيِّنا مُحمّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم صاحبِ الدعوةِ التامّةِ والرسالة العامّة إلى الإنس والجانِّ، و (صاحب) المِلَّة الناسخة لجميع الأديان[٣] والشريعةِ الباقية إلى آخرِ الأزمان والآياتِ البَيِّنة والأدِلَّة القاطعةِ الساطعةِ البُرهانِ[٤]. وأنزل عليه القُرآنَ ﴿هُدًى للناس وبيِّناتٍ من الهُدى والفُرقان﴾[٥]، وجعلَهُ مُعجِزَةً ظاهرةً لِلْعِيان مُتَجَدِّدة ما ٱختلفَ المَلَوانِ[٦] وتعاقبتِ الأزمانُ.....

أمّا بعْدُ، فهذا كتابٌ في الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفِقهيّة على مذهب إمام المدينة أبي عبدِ اللهِ مالكِ بن أنَسٍ الأصبحيّ رَضِيَ اللهُ عنه، إذْ هو الذي اختارَهُ أهلُ بَلَدِنا بالأندلسِ وسائرِ المَغْرب ٱقتداءً بِدارِ الهِجرة[٧] وتَوْفيقاً من الله تعالى وتصديقاً لقول

(١) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته. العارف (في التصوّف): الذي يعرف الأمور بما منحه الله من الكشف عن بعض أمور الغيب.

(٢) عنى: خضع، ذلّ. العزّة: القوّة. الطائف (في الأصل): الذي يقوم بالطواف (الدوران) حول الكعبة (ويكون ذلك في وقت معلوم). العاكف: المنقطع للعبادة في مسجد لمدّة هو يعيّنها ثمّ لا يخرج عن اعتكافه في أثناء تلك المدة (وليس للاعتكاف وقت معيّن). للطائفين والعاكفين (في كلّ وقت وزمن).

(٣) الملّة (بالكسر): الدين. نسخ: أبطل. الأديان (المقصود: الشرائع). الأديان السماوية لا تُنسَخ لأنّها كلّها من عند الله. ولكن الشرائع (القواعد التي يسير عليها الناس في شكل عباداتهم وفي سلوكهم الاجتماعي تتبدّل بتبدّل الأزمان).

(٤) الآية: الحقيقة الغالبة، المعجزة. البيّنة: الظاهرة، الواضحة. القاطعة: الباتّة، الجازمة (التي تقطع الخصم عن مواصلة الجدال). الساطع: المنير (الظاهر لكل إنسان). البرهان: الدليل الحاسم (من « برهانا »- في الحبشيّة-: النور).

(٥) ﴿هدًى للناس....﴾ (٢: ١٨٥، سورة البقرة).

(٦) الملوان (مثنّى): الليل والنهار.

(٧) دار الهجرة: المدينة المنوّرة.

الصادق المصدوق صلّى اللهُ عليه وسلّم: «لا يزالُ أهلُ المَغرب ظاهرين على الحقّ حتى تقومَ الساعةُ». ثم زِدْنا إلى ذلك التنبيهَ على كثير من (وجوه) الاتّفاق والاختلاف الذي[1] بين الإمام المُسَمّى[2] وبين الإمام أبي عبد الله مُحمّدِ بنِ إدريسَ الشافعيّ والإمام أبي حنيفةَ النُّعمانِ بنِ ثابتٍ والإمام أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حنْبَلٍ[3] لتَكمُلَ الفائدة ويعظُمَ الانتفاع، فإنّ هؤلاء هم قُدوَة المسلمين في أقطار الأرض وأولو الأتباع والأشياع[4].

وربّما نبّهتُ على مذهب غيرِهم من أئِمّةِ المسلمينَ كسُفيانَ الثَّوْريِّ والحسنِ البَصْريّ وعبد الله بن المبارك وإسحاق بنِ راهوَيْهِ وأبي ثَوْرٍ والنَّخَعيِّ وداوودَ بن عليٍّ إمام الظاهرية[5] - وقد أكثرنا من نقل مذهبه[6] - واللَّيْث بن سعدٍ وسعيد بن المُسيّب والأوزاعيّ[7] وغيرهم، رَضِيَ اللهُ عنهم أجمعين، فإنّ كُلَّ واحدٍ منهم مُجتهدٌ في دين الله، ومذاهبُهم طُرُقٌ مُوصِلة إلى الله.

---

(١) كذا في الأصل. يجب أن تكون «ممّا».

(٢) المسمّى (أي مالك بن أنس).

(٣) مالك والشافعي وأبو حنيفة (وكان في فقهه واجتهاده يأخذ بالرأي) وأحمد بن حنبل (كان يعتمد النصوص في الأكثر - حتّى عدّه نفر من المؤرّخين في المحدّثين لا في الفقهاء) هم أصحاب المذاهب الأربعة المعمول بها إلى الآن عند أهل السنّة والجماعة.

(٤) الأتباع (الذين يتبعون المذهب الذي ولدوا عليه) والأشياع (الذين يتبعون مذهباً ثمّ يخالفون من ليس على مذهبهم).

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوريّ (ت ١٦١ هـ) من كبار زمانه في روايه الحديث وعلوم الدين والتقوى. الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) زعيم علم الكلام والاعتزال وتحكيم العقل في الأمور. وكان صالحاً تقيًّا. عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) من حفّاظ الحديث. إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ) من كبار حفّاظ الحديث. أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي (ت ٢٤٠ هـ) من الفقهاء الكبار الذين كانوا يتكلّمون بالرأي. النخَعي: إبراهيم بن يزيد (ت ٩٦ هـ) من أكابر التابعين ومن كبار الحفّاظ ورواة الحديث - ثمّ حفص بن غياث (ت ١٩٤ هـ) من حفّاظ الحديث. وداوود بن عليّ الأصفهاني (ت ٢٧٠ هـ) صاحب المذهب الظاهري (وهو مذهب بائد: بطل العمل به) يعتمد النصّ الوارد في القرآن وفي الحديث ولا يأخذ بشيء آخر إلا عند الضرورة القصوى (إذا سمحت قواعد اللغة والبلاغة بذلك).

(٦) اقرأ: من النقل من مذهبه.

(٧) الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) إمام أهل مصر - في زمانه - في الحديث والفقه. سعيد بن المسيّب =

واعلم أن هذا الكتاب يُنيف[١] على سائر الكتب بثلاثِ فوائدَ.

★ الفائدة الأولى: أنه جَمَعَ بين تمهيد المذهب وذكر الخِلافِ العالي[٢]، بخِلاف غيره من الكتب فإنّها في المذهب خاصة أو في الخِلاف العالي خاصة.

★ الفائدة الثانية: أني جَمَعْته بحسن التقسيم والترتيب وسهّلته بالتهذيب والتقريب. فكم فيه من تقسيم قسيمٍ[٣] وتفصيل أصيل يُقرّبُ البعيدَ ويُلَيّن الشريد[٤].

★ الفائدة الثالثة: أنّا قَصَدْنا الجمعَ فيه بين الإيجاز والبيان، على أنّهما قلّما يجتمعان.

فجاء - بحمدِ الله - سَهْلَ العِبارة لطيفَ الإشارة تامَّ المعاني مُختَصَرَ الألفاظ. وإلى الله نرغَبُ (في) أن يجعله مُوجِباً لغُفرانه ومُوصلاً لرِضوانه وفاتحاً لخزائن إحسانه وآمْتِنانه، إنه ذو فضل عظيم.....

- قال محمّدُ بنُ أحمدَ بن جُزيٍّ من بَديعِيّة (في مَدحِ الرسول):

أرومُ امتــداحَ المُصطفى فيَرُدّني قُصوريَ عن إدراك تلك المَناقبِ[٥].
ومَنْ لي بحَصْر البحر، والبحرُ زاخرٌ؛ ومن لي بإحصاء الحَصى والكواكب![٦]

= (ت ٩٤ هـ) أحد الفقهاء السبعة في المدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. والمسيّب اسم (بضمّ الميم وفتح السين ثمّ ياء مشدّدة مكسورة: اسم فاعل). ويجوز أن يكون بفتح الياء (ولكنّ الكسر أفصح). أما المسيّب بن حَزْن بن أبي وهب المخزومي (والدُ سعيد بن المسيّب) فهو بالكسر. جاء في تاج العروس (الكويت ٣: ٩٠) أن سعيد بن المسيّب هذا كان يقول (وقد سمع أناساً يلفظون اسم المسيَّب بالفتح): «لعن الله من سيَّب أبي» (أي لفظ اسمه بالياء المشدّدة المفتوحة). أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧ هـ) فقيه أهل الشام، كان له مذهب في الفقه قائم على الحديث، انتشر مدّة في الأندلس - في الغالب - ثمّ باد.

(١) أناف العدد على كذا: ارتفع، زاد.

(٢) العالي: المتقدّم في الزمن (القريب من زمن الرسول).

(٣) قسيم: جميل.

(٤) أصيل: جيّد (واضح). ليّن الماءُ النسيجَ (جعله مطاوعاً للعمل به). الشريد: النافر، الذي يصعب إمساكه.

(٥) المصطفى = محمّد رسول الله. قصوري = تقصيري. المناقب جمع منقبة: الفعل الكريم.

(٦) الحصر: الإحاطة بالشيء. زاخر: ممتلىء (كثير المياه).

ولو أنّ كــلَّ العالمــين تألّفوا على مَدْحه لم يبلُغوا بعضَ واجب.[١]
فأمْسَكْــتُ عنــه هَيْبــةً وتأهُّبــاً وخوفاً وإعظاماً لأرفعِ جانب[٢].
ورُبَّ سُكوتٍ كــانَ فيــه بلاغةٌ، ورُبَّ كلامٍ فيـه عتـبٌ لعاتـب.

- وقال في الابتهال إلى الله:

يا رَبّ، إنّ ذُنوبي اليومَ قد كثُرَت فما أُطيقُ لها حَصْراً ولا عَدَدا[٣].
وليس لي بعذابِ النارِ مِنْ قِبَلٍ، ولا أُطيـق لها صبراً ولا جَلَدا[٤].
فانظُرْ، آلهي، إلى ضَعفي ومسكنتي، ولا تذيقنّــي حرّ الجحيم غـدا.

- وقال في مُراده من الحياة الدنيا (وهُوَ من لُزوم ما لا يلزَمُ):

لكُلِّ بَـني الدُّنْيا مُرادٌ ومَقْصِدٌ؛ وإنّ مُرادي صِحّــةٌ وبَــلاغُ[٥]
لأبلُــغَ من عـلم الشريعة مبلغـاً يكون بـه لي في الجِنان بلاغ[٦].
وفي مثـل هذا فَلْيُنافِسْ أولو النُّهى. وحَسْبِيَ من دار الفنـاء بلاغ[٧].

- وقال يفتخرُ بالعِفّة والتقوى:

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيُسْلِيَ حُسْنُهـا قلـبَ الحزين[٨]!
غضضتُ الطَّرْفَ عن نظري إليها مُحافظـةً عـلى عِرضي وديني[٩].

---

(١) تألفوا: استمال بعضهم بعضاً (اجتمعوا وتعاونوا).
(٢) أمسك عن الأمر: كفّ وتوقّف. الهيبة: الخوف (من ألّا ينجحَ الإنسان في محاولة أمر). التأهّب (في القاموس) الاستعداد.
(٣) أطاق: استطاع.
(٤) قبل (بكسر ففتح) الطاقة، الاستطاعة (الاحتمال). الجلد: تكلّف الأمر ومحاولة (القيام) به.
(٥) بلاغ: ما يرجو الإنسان أن يصل إليه في الحياة، الغاية من الحياة.
(٦) بلاغ: وصول، نيل (الدخول إلى الجنّة).
(٧) أولي (أصحاب) النهى (العقل). بلاغ: الضروري من أسباب المعاش (ما يتبلّغ الإنسان به: ما يكتفي به)
(٨) صفحة: خدّ، وجه. كالشمس: مشرقة (جميلة). يسلي من أسلى (أدخل السلوّ أو التسلّي أو النسيان على النفوس).
(٩) غضّ الرجل طرفه (بصره): كفّه، خفضه (منعه من أن يرى ما لا تجوز رؤيته).

٤ - القوانين الفقهيّة في تلخيص مذهب المالكيّة، تونس ١٣٤١ - ١٣٤٤ هـ = قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية، بيروت (دار العلم للملايين) بلا تاريخ[1].

- التسهيل لعلوم التنزيل، مصر (مصطفى محمّد) ١٣٥٥ هـ؛ بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.

★★ الديباج المذهب ٢٩٥ - ٢٩٦ (٢٦٤)؛ نيل الابتهاج ٢٣٨ - ٢٣٩؛ الدرر الكامنة ٣: ٣٠٣؛ درّة الحجال ٢: ١١٧ - ١١٨؛ الكتيبة الكامنة ٤٦؛ نفح الطيب ٥: ٥١٤ - ٥١٧؛ أزهار الرياض ٣: ١٨٤ وما بعد؛ الداية ٥٢٩ - ٥٣٣ (أوجز محمّد رضوان الداية رؤوس موضوعات البلاغة في كتاب «التسهيل»)؛ بروكلمن ٢: ٣٤٢، الملحق ٢: ٣٧٧؛ الأعلام للزركلي ٥: ٣٢٥ (٦: ٢٢١).

أبو حيّانَ الغَرْناطي

١ - هو أثيرُ الدينِ أبو حيّانَ محمّدُ بنُ يوسفَ بنِ عليٍّ بنِ يوسفَ بن حيّانَ النَّفْزيُّ الجَيّانيّ الغَرْناطي، أصلُ أهلِهِ من قبيلة نَفْزَة البربرية من المغرب الأقصى جاءوا إلى الأندلس وسكنوا جيّانَ.

وُلِدَ أبو حيّانَ في قريةٍ قُرْبَ غَرناطَة في أواخر شوّال من سَنَة ٦٥٤ (أواسط تشرين الثاني - نوفمبر ١٢٥٧ م). وقد تلقّى في غرناطة شيئاً من علوم القرآن والحديث واللغة على عدد من الأئمة القليلين الذين كانوا آنذاك في غرناطة. كان من هؤلاء ابن الطبّاع فلم يُسَرَّ منه أبو حيّان فكشف عن عيوبه في كتاب له سمّاه «الإلماع في فساد إجازة ابن الطبّاع»[2]. ويبدو أن سلطان غرناطة - أبا عبدِ اللهِ محمّدَ بنَ محمّدٍ المعروفَ بالفقيه (٦٧١ - ٧٠١ هـ) - غضب من أجل ذلك على أبي حيّان فانتقل أبو حيّان إلى مالَقَة (وكانت مالقة آنذاك تحت حكم المرينيّين) وسمع شيئاً من علوم القرآن واللغة من أبي جعفرِ بن الزبير[3]. ثم إنّه غادر الأندلس إلى سبتة (المغربِ الأقصى) سنة ٦٧٩ هـ

(١) كتب عبد العزيز سيّد الأهل (توفيّ نحو ١٩٨٠ م) تعريفاً قصيراً لهذا الكتاب (ص ٥ - ١١).

(٢) الإجازة: شهادة من عالم في فنّ من الفنون بأنّ الذي يحمل منه هذه الإجازة قد سمع منه الفنّ الذي يلقيه.

(٣) يذكر بروكلمن (٢: ١٣٣) أن أبا حيّان الغرناطي كان يدرس في مالقة منذ سنة ٦٧٠ هـ. وهذا يعني أنه غادر غرناطة قبل أن يجيء محمّد بن محمّد الفقيه إلى عرش غرناطة.

وسمع من أبي الحكم مالك بن المُرحَّل (ت ٦٩٩ هـ) ومن أبي القاسم العَزْفيّ (٧١٧ هـ). وتطوّف مدة في المغرب.

ولا نعلم متى بارح أبو حيّانَ سبتةَ إلى المشرق، ولكنّنا نعلم أنه تطوّف كثيراً في مصر والسودان والحَبَشة والحجاز والعراق والشام. وقد أخذ أبو حيّان في أثناء ذلك كُلِّهِ أوجهاً من فنون العلم عن أئمّة البلدان التي زارها. وقد سمع في القاهرة من بهاء الدين أبي عبد الله محمّد بن إبراهيم الحلبي المعروف بابن النحّاس (ت ٦٩٨ هـ = ١٢٩٩ م).

ودرّس أبو حيّان الغرناطي التفسيرَ والحديث والنحو في الجامع الأقمر في القاهرة وخَلَفَ أستاذَه ابنَ النّحاس في تدريس هذه الفنون في المدرسة المنصورية في القاهرة. وكذلك درّس في المدرسة الصالحية في دمشق (٧٣٥ هـ = ١٣٣٥ م).

في أول الأمر كان أبو حيّان على المذهب الظاهريّ، وكان في الوقت نفسه مائلاً إلى التشيّع. في هذه الأثناء كان مُعْجَباً بابن تيميّة (ت ٧٢٨ هـ). ثمّ إن أبا حيّان انتقل إلى مذهب الشافعي فجعل يحمل على ابن تيمية ويتّهمه بالقول بالتجسيم.

وكُفّ بَصَرُ أبي حيّان في أواخر أيامه. وكانت وفاته في ٢٨ صَفَرَ ٧٤٥ (١١/٧/١٣٤٤ م).

٢ - كان أبو حيّان الغرناطي عارفاً باللغة وإماماً في الصرف والنحو وبارعاً في التفسير والحديث والفِقه. وكان شاعراً مكثراً وفي ديوانه قصائدُ ومُقطّعاتٌ ومُوشّحات، وفنونُ شعرِه كثيرةٌ منها المدحُ والوصف والخمر والغزلُ والمُجون. وكان يقول الشعرَ رَوِيَّةَ وآرتجالاً. وعلى شعره شيء من الضعف وفيه كثير من الصّناعة وشيء من الفكاهة. وله أيضاً رسائل أدبيةٌ.

وعَرَفَ من اللغاتِ الأجنبيةِ الفارسيةَ والتركيةَ والحبشيةَ. وكانت مؤلفاته نحو خمسين منها: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم - إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب - التذييل والتكميل في شرح التسهيل (في اللغة) - منهج السالك في الكلام على ألفيّة ابن مالك - نهاية الاعراب في علم التصريف والاعراب - رجز مجاني القصر في

شعراء العصر - نوافث السِّحر في دماثة الشعر - تحفة النُّدُس في نحاة الأندلس - الإدراك للسان الأتراك - الأفعال في لسان الترك - منطق الخرس في لسان الفرس - نور الغَبَش في لسان الحبش - المخبور في لسان اليحمور.

٣- المختار من آثاره

- لأبي حيّانَ الغَرناطيّ أبياتٌ مشهورة من الحِكمة البارعة في الأصدقاء والأعداء:

عِـداتي لهم فضـلٌ علـيّ ومِنّـة، فلا أَذْهَبَ الرحمنُ عنّي الأعاديا.
هُمُ بحثوا عن زَلّـتي فآجتنبْتُهـا، وهم نافسوني فآكتسبْـتُ المعاليـا.

- وله في التهكّم بالمتصوّفين:

أيا كاسياً من جيِّد الصوف نفسَهُ ويا عارياً من كُلِّ فضل ومن كَيْس[١].
أتُزْهى بصوفٍ،وهو بالأمسِ مُصْبحٌ على نعجةٍ واليومَ أَمسى على تَيْس !

- وله في الوَداع، وفيه توريةٌ بين آبنِ مُقلةَ (خطّاط عبّاسي بارع مجيد) وبين آبن مقلةِ (ابن العين: الدمع):

سَبَـقَ الدمـعُ بالمسيـلِ المطايـا إذْ نوى مَنْ أُحِـبُّ عَنّيَ نُقْلـهْ؛
وأجـادَ السُّطورَ في صفحـة الـ ـخدّ؛ ولِمْ لا يُجيدُ وهو ابن مُقْلهْ؟

- وقال في الدفاع عن البخل:

رجاؤك فَلْساً قد غدا في حبائلي قَنيصاً، رجاءٌ للنِّتاج مِنَ العُقْمِ.
أَأَتعَـبُ في تحصيلـه وأُضيعـه؟ إذاً كنتُ معتاضاً عن البُرْءِ بالسُّقْم!

- وقال في فضل المال:

أتـى بشفيـعٍ ليس يُمْكن ردُّه؛ دراهمُ بيـضٌ للجروح مراهمُ؛
تُصيّرُ صعبَ الأمرِ أهونَ ما يُرى، وتَقْضي لُبانـاتِ الفتى وهو نائم.

---

(١) الكيس (بالفتح): العقل، الفطانة (بالفتح: حسن الادراك للأمور)، الذكاء.

- وقال في إباء النفس وعزّتها:

وقَصَّرَ آمالي مآلي إلى الرَّدى وأَنّي ،وإِنْ طالَ المَدى، سوف أهلكُ
فضَنَّتْ بماءِ الوجه نفسٌ أبيَّةٌ، وجادَتْ يميني بالذي كنتُ أَملِكُ.

- من موشّحه لأبي حيّان الغرناطيّ في الخمر):

إنْ كان ليلٌ داجْ وخاننا الإصباحْ فنُورها الوهّاجْ يُغني عن المِصباحْ[١]

* * *

سُلافةٌ تبدو كالكوكب الأزهرْ؛
مِزاجُها شُهْدُ وريحُها عَنْبرْ،
يا حبّذا الوِرْدُ منه وإنْ أسْكرْ[٢].
قلبي بها قد هاجْ، فما يراني صاحْ عن ذلك المِنْهاجْ وعن هوًى، يا صاحْ[٣].

* * *

وبي رشًا أهيفْ قد لجّ في بُعدي[٤]؛
بدرٌ فلا يُخْسَفْ منه سَنا الخدِّ؛
بلحظهِ المُرْهَفْ يسطو على الأُسْد.
كسطوةِ الحجّاجْ في الناس والسّفاح. فما ترى من ناجْ من لحظة السفّاحْ[٥].

٤- البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، القاهرة ١٣٢٨ هـ.
- هداية النحو (بلا تاريخ).

---

(١) داج: مظلم. خاننا الإصباح: لم يطلع الصباح في ميعاده.
(٢) السلافة: الخمر. الشهد (بفتح الشين وكسرها وضمّها): العسل. فما يراني صاح: فما يراني قلبي صاحياً مفيقاً (من الحب والسكر). الورد (بكسر الواو): الشرب.
(٣) يا صاح: يا صاحبي.
(٤) وبي (أحبّ) رشا (غزال) أهيف (نحيل القدّ). قد لجّ في بعدي (أصر على الابتعاد عنّي). المرهف: القاطع.
(٥) الحجّاج بن يوسف والي العراق في أيام عبد الملك بن مروان كان مشهوراً بالقسوة والبطش. السفّاح (الأولى): أبو العبّاس السفّاح الخليفة العبّاسي الأول (قتل خلقاً كثيراً من أهل البيت الأموي بقسوة وغدر. السفّاح (الثانية): الذي يسفح (يسفك) الدم. ما ترى من ناج: لا ينجو منه أحد.

- الإدراك للسان الأتراك، استانبول ١٣٠٩ هـ؛ (جعفر أوغلو)، استانبول ١٩٣١ هـ.
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، حماة (مطبعة الإخلاص) ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م؛ دمشق ١٩٣٢ م.
- الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء (بتحقيق محمّد حسن آل ياسين)،- مطبوع مع « الفرق بين الضاد والظاء) لمحمّد بن نشوان الحميري، بغداد (مطبعة المعارف) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.
- ديوان أبي حيّان الأندلسيّ (تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي)، بغداد (مطبعة العاني) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م.

★★ أبو حيّان النحوى، تأليف خديجة الحديثي، بغداد (مطبعة النهضة)، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.

فوات الوفيات ٢: ٣٥٢ - ٣٥٦؛ الوافي بالوفيات ٥: ٢٦٧ - ٢٨٣؛ ابن قنفذ ٣٤٩؛ نكت الهميان ٢٨٠ - ٢٨٦؛ بغية الوعاة ١٢١ - ١٢٣؛ البدر الطالع ٢: ٢٨٨ - ٢٩١؛ شذرات الذهب ٦: ١٤٥ - ١٤٧؛ نفح الطيب ٢: ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩ - ٢٣٠، ٥٣٥ - ٥٨٤، ٦٥٥ - ٦٥٦، ٥: ١٩٢، ٢٦٢، ٢٦٦، ٣٥٢، ٤٧٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢٦؛ بروكلمن ٢: ١٣٣ - ١٣٤، الملحق ٢: ١٣٥ - ١٣٦؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٦ (٧: ١٥٢)؛ البحث العلمي -، ستنبر - دجنبر (أيلول - كانون الأوّل) ١٩٦٤، ص ٢٤١ - ٢٤٧ (ببقلم سعيد غراب)؛ سركيس ٣٠٦ - ٣٠٧.

الطويجن الساحلي

١ - هو إبراهيمُ بنُ محمّدِ بنِ إبراهيمَ الأنصاريُّ الساحليّ (نِسبةً إلى جَدّهِ لأُمّه) المشهورُ بطُوَيْجِنٍ من أهل غَرناطةَ. كان أبوه أمينَ العطّارين في غَرْناطةَ وعالماً فقيهاً قديراً في حساب الفرائض (تقسيم الإرث)، وكان رَبَّ أُسرةٍ معروفة بالصلاح والتقوى وعلى قَدْرٍ من الثروة.

نشأ إبراهيمُ في غَرناطةَ وتلقّى العِلمَ فيها ثمّ أصبح مُوَثِّقاً (كاتباً عدلاً) بسِماط شُهود غَرناطة.

وكان إبراهيمُ كثيرَ الرِّحلة جاء إلى الشرق فزارَ مِصْرَ والشامَ والعِراق واليمن والحجاز فحَجّ وزارَ المدينة. ويبدو أنّه، بعدَ ذلك، في سَنَةِ ٧٢٤ هـ، دخلَ بلادَ السودان (الغَرْبيّ) ثمّ عاد وَشِيكاً في العام نفسِه. ولكنْ يبدو أنه تردّدَ إلى السودان مِراراً

واتّصلَ بملكه ثمّ عاد مَرّةً وأهدى إلى مَلكِ المَغْرب هديةً طريفة فأثابه ملكُ المغرب عليها مالاً كثيراً.

وعاد في اواخرِ أيامهِ إلى السودانِ ونَزَلَ في تَنْبُكْتو (مالي اليوم) فأدركَتْهُ فيها الوَفاةُ، يومَ الإثنينِ في السابعِ والعِشرينَ من جُمادَى الآخِرّة من سَنةِ ٧٤٧ (١٣٤٦/١٠/١٦ م).

٢- كان الطويجنُ الساحليّ ناظما وناثراً قديرا يجمَعُ الجَزالة والمتانة وربّما رأيتَ على شعره شيئاً من الرِّقّة. ثمّ هو كثيرُ الغريبِ يتكلّفُ الصِّناعةَ ويُكثِرُ في نثرِه خاصّةً من الإشارات التاريخية والأدبية حتّى لَيَقْرُبُ أن يُصبحَ شِعرُه ونثرُه ألغازاً. ولا شكّ في أنّه كان مُلمًّا بعددٍ من العلوم. والمادّة في أدبه تَغْلِبُ على الأسلوب. وشِعرُه مقسّم بين المدحِ والرثاء والنسيب والخمر، وله أشياءُ على طريقة القوم (الصوفية).

٣- مختارات من آثاره

- لمّا وصل الطويجنُ الساحليُّ في بعضِ أسفاره إلى مدينةَ مَرّاكُشَ خاطَبَ أهل غَرناطةَ برسالةٍ طويلة منها:

سلامٌ ليس دارينُ شعارَه وحلق الروض والنضير به صِداره[١]، وأنسى نجْداً شمَّه الزكيّ وعَرارَه[٢]. جرّ ذيلَه على الشجر فتعطّر وناجى غُصُنَ البانِ فاهتّز لحديثه وتأطّرَ[٣]. وارتشفَ النَّدى من ثُغور الشقائق وحَيّا خُدود الوردِ تحتَ أَرْدِيَةِ الحدائق. طَرِبَتْ له النجديةُ المُسْتهامة فهَجَرت صباها ببطن تِهامة[٤]. وحنّ ابنُ دَهمانَ لِصباه

---

(١) دارين: مكان مشهور (في الشام وفي البحرين) بنباتاته ذات الرائحة الطيّبة. الشعار: الطراز، العلامة. الصدار ثوب نصفي يغطّي الصدر. والجملة: «سلام.... صداره» غير مفهومة. اقرأ: «سلام لبست دارين شعاره، وحلّى الروض النضير به صداره» (سلام أخذت دارين منه عطرها، واتّخذ الروض النضير- الزاهر- منه صداره، أي ثوبه الجميل الألوان).

(٢) شمّه (اقرأ: شميمه). العرار نبات زكيّ الرائحة (إشارة إلى قول الشاعر: تمتّع من شميم عرار نجد).

(٣) سلّام جرّ ذيله (مغ).... تأطّر: تثنّى، تمايل (من السرور والطرب).

(٤) النجديّة (؟) المستهامة ،الهائمة: المشغوفة، العاشقة (الحمامة ؟). هجرت صباها (بالفتح: ؟ بالفتح: الريح الباردة). تهامة: ساحل الحجاز (المنخفض عند شاطىء البحر).

وسَلا بـه التميميّ عن ريّاه[١] وأُنْسِيَ النُّميريّ[٢] ما تَضوّع بزَيْنَبَ من بطن نعمانه[٣]... حتّى إذا راقتْ أنْفاسُ تَحيّاته ورقّتْ ومَلَكَتْ نفائسَ النفوسِ واستشرقت[٣]. ولَبستَ دارينَ في مِلائها ونظمتِ الجَوْزاء في عِقدِ ثِنائها[٤] واشتغل بها الأعشى عن رَوْضه ولَهي ، وشَهِدَ ابْنُ بُرْدٍ شَهادةَ أطرافِ المَساويك لَها[٥] خيّمتْ في رَبْعِ الجود بغَرناطةَ ورقّتْ ومَلأتْ دَلْوها إلى عَقْدِ ركبه[٦]، وأقبلتْ منابِتُ شرقِها عن غَرْبه لا عن عَرْفه[٧]. هنالك تَتْري لها صدور المجالس تَحْمِلُ صُدوراً[٨] وترايبُ المعالي تُحَلّي عقوداً نفيسةً وجذورا[٩]، ومحاسنُ الشرف تُحاسِنُ البُروجَ في زُهْرها[١٠] والأفْنيَةَ في إيوانِها والأَنْدِيَةَ في شِعْبِ بوّانِها[١١]. لو رآها النُعمان لَهجَرَ سَديرَهُ[١٢] أو كِسْرى لَنَبَذَ

---

(١) «وحنّ ابن دهمان لصباه (؟). سلا: نسي. التميميّ (؟) رياه (اقرأ: ريّانه، لموازنة نعمانه الآتية).

(٢) النميري هو محمّد بن عبد الله بن نمير (ت نحو ٩٠ هـ) شاعر أمويّ له قصيدة مطلعها:

تضوّع مسكـاً بطن نَعمان إذ مشت   بـــــه زينب في نسوة عَطِرات.

نعمان: وادٍ في الحجاز (نَعمان الإراك).

(٣) اقرأ: واسترقّت.

(٤) الجوزاء مجموع من النجوم.

(٥) اقرأ: ولها (من لها يلهو) يشير إلى الأعشى ميمون بن قيس الذي يقول في معلّقته اللامية: ما روضة من الحزن (بفتح الحاء) معشبة....

(٦) يقول بن بشّار بن برد:

يـا أطيـب النـاس ريقـاً غـير مختبر   إلّا بقيّــــة أطراف المساويــــك!

(٧) اقرأ: إلى عقد كربه. الكرب (بفتح ففتح): الحبل يشدّ فوق خشبة الدلو.... خيّمت في ربع الجود (يقصد وصلت رسالتي إلى قومي الكرام). رقّت (؟). ملأت دلوها إلى عقد كربه (ملأته تماماً). (المقصود غير واضح لي).

(٨) الغرب: ماء يسيل أو ينقط من الدلو عند نقله الماء به. العرف: الرائحة الطيّبة. (المعنى العامّ غير واضح).

(٩) اقرأ: الترائب (عظام في أعالي الصدر).... واقرأ: شذوراً (قطع صغيرة من ذهب توضع بين حبّات اللؤلؤ في العقد.

(١٠) تحاسن: تباهي غيرها بحسنها هي. الزهر: الكواكب. البروج: مناطق في السماء تنتقل الكواكب فيها (بحسب المدرك القديم في الفلك).

(١١) الأفنية جمع فناء (بكسر الفاء): باحة فسيحة أمام الدار. الإيوان: القاعة العظيمة الواسعة تحاسن الأفنية في إيوانها (؟).

الأندية جمع ندى: نقاط الماء التي تتجمّع في أثناء الليل على الأغصان والعشب إلخ. شعب بوّان: ممّر =

إيوانه وسريره (١) أو سيفٌ (٢) لقصر عن غُمْدانه أو حسّانٌ لترك جلّق لغسّانه (٣)....

لك إبليس! أفلا أشفقت من عذابي وسمحت ولو بسلام من أحبابي (٤): أسلمتني إلى ذَرع البيد ومحالفة الذميل [والوخيد] (٥)، والتنقّل في المشارق والمغارب، والتمطّي في الصهوات والغوارب (٦).....

- وقال في النسيب والخمر:

زارتْ وفي كلِّ لحظٍ طرفُ مُختَرِسِ وحولَ كلّ كِناسٍ كفّ مُفترسِ (٧).
يشكو لها الجيدُ ما بالحَلْيِ من هَدَرِ ويشتكي الزَّند ما بالقُلْبِ من خرس (٨).
في لحظها سِحْرُ فِرْعَوْنٍ، ورقّتُها آياتُ موسى، وقلبي موضعُ القبس (٩).

= مشهور في غربيّ بلاد فارس فيه خصب كثير وفواكه متنوعة.
هذا من قول المتنبيّ
يقول بشعب بوّان حصاني: أعن هـذا يُسار إلى الطعـان؟
أبوكم آدم سنّ المعاصي وعلّمكم مفارقة الجنان.

(١٢) النعمان بن المنذر ملك الحيرة. السدير: قصر للنعمان.

(١) إيوان كسرى: بناء فخم عظيم على نحو عشرين ميلاً شرق بغداد كان العاصمة الصيفية للفرس.

(٢) سيف بن ذي يزن: ملك في اليمن. غمدان قصر.

(٣) حسّان بن ثابت. غسّان: بنو غسّان ملوك الشام في جلّق قرب بُصرى في سهل حوران (وربما أطلقها بعضهم على دمشق). إشارة إلى قول حسّان:
لله درّ عصابة نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الأوّل.

(٤) لك إبليس: لا بارك الله فيك. أشفق: خاف، هاب.

(٥) ذرع: قياس. البيد جمع بيداء: الأرض الواسعة (السفر الكثير). الذميل: سير سريع ليّن: الوخيد: سير سريع بخطى واسعة. محالفة الذميل والوخيد: الاستمرار في الأسفار.

(٦) الصهوة: ظهر الحصان. الغارب: كتف البعير. التمطي: طول السفر.

(٧) الطرف: العين. الكناس: مأوى الظبي. زارت وهي خائفة من الذين وجدتهم حولها، وكلّ من كان حولها كان يريد الوصول إليها (!).

(٨) الجيد: العنق. الحلي ما تتزيّن به المرأة. الهدر: صوت البعير والغلام (عليها حلي كثير يسمع له صوت عند تحركّها ومشيها). القلب (بضمّ القاف): سوار من قطعة واحدة. والشاعر يقصد بالقلب (الجمع: عدد من الأسورة أو الاساور) وهذه الأساور خرساء لأنّ زند الفتاة ممتلىء (كثير اللحم)، فالأساور لا تتحرّك في زندها.

(٩) القبس: النار (قلبي مشتعل بحبّها).

أشكو إليهـــا فؤاداً واجـــلاً ، أبـــداً
في « النـازعـات » ، ومـا تنفَـكُّ في « عَبَس » .[١]

يا شقّة النفس ، إنّ النفسَ قد تَلِفَتْ ... إلّا بَقِيَّةَ رَجْعِ الصوتِ والنفس[٢].
هـذا فؤادي وجَفْني فيك قد جَمَعا ... ضِدّينِ فاعْتَبري إنْ شِئْتِ واقْتَبسي[٣]!
وليلـةٍ جِئْتُها سَحْراً أجوسُ بها ... شَبا العَوالي وخَيْفَ الأَخْنَف الشَّرِس[٤]،
بِتْنـا نُعاطى بها ممزوجـةً مَزَجَتْ ... حُلْوَ الفُكاهة بينَ اللّين والشَّرَس[٥].
أنْكَحْتُهـا من أبيهـا وَهْيَ آيِسَةٌ ... فثـار أبناؤها في ساعة العُرُس[٦].
نورٌ ونـارٌ أضاءا في زُجاجتِها: ... فذاك خَدُّكِ، يا ليلى، وذا نَفَسي!
حتّـى إذا آبَ نورُ الفَجْر في وضَحٍ ... من معرك جال بين الفَجْر والغَلَس[٧]،
قامـتْ تَجُرُّ فُضولَ الرَّيْطِ آنسةً ... كريمةَ الذيلِ لم تجنَحْ إلى دَنَس[٨].
تلوثُ فوق كَثيـبِ الرمل مِطْرَفَها ... وتمسَحُ النومَ عن أجفانِها النُّعُس[٩].
فظـلّ قلـبيَ يَقفوهـا بمُلتهـبٍ ... طوراً ، ودمعيَ يَتْلوها بمُنْبجِس[١٠]:

(١) واجلا: خائفاً (من أن تهجره). النازعات وعبس: السورتان ٧٩ و٨٠ في المصحف. من معاني النزوع: الحنين والاشتياق. العبس (بفتح فسكون والعبوس): تجمّع جلدة الوجه دلالة على النفور والزجر.

(٢) الشقّة: (بفتح الشين): الجزء من الشيء و(بضمّ الشين): نصفه.

(٣) الضدّان: الماء (البكاء) في عيني، والنار في قلبي: اعتبري: تعجّبي. وإن لم تصدّقي فاقتبسي (قرّبي شيئاً من قلبي فإنّه يحترق).

(٤) السحر (بفتح ففتح أو بفتح فسكون): الزمن عند الفجر. أجوس: أدور، أتجوّل. الشبا: حدّ السيف أو السكّين. العوالي جمع عالية: أعلى الرمح. الخيف جمع خيفة (بفتح الخاء): عرين الأسد. الأخنف (؟).

(٥) بتنا (قضينا الليل) نعاطى: نسقى مرّة بعد مرّة. بها (في تلك الليلة). ممزوجة (خمراً ممزوجة بماء) لعلّها يقصد: مشمولة (خمراً مرّت عليها ريح الشمال- بفتح الشين- فأصبحت باردة).

(٦) أنكحتها: زوّجتها من أبيها (الماء): مزجتها بماء. وهي آيسة (امرأة فارقها الحيض) كناية عن قدمها. فثار (تطاير. أبناؤها: فقاقيع الماء التي تجول على وجه الخمر عند مزجها بالماء. في ساعة العرس (عند امتزاج الخمر بالماء).

(٧) آب: رجع. الوضح: الوضوح، البياض. الغلس الظلام. « من معرك جال » (؟).

(٨) الريطة: قطعة واحدة من نسيج نفيس تُلبس فوق الرداء، فضول الريط: أطراف الريطة القريبة من الأرض (قامت تجرّ إلخ: انصرفت بأمان). آنسة: فتاة صغيرة السنّ. كريمة الذيل طاهرة، نقيّة (محفوظة كرامتها). جنح: مال.

(٩) تلوث: تلفّ. كثيب: الرمل: تلّة (كناية عن امتلاء جسمها في وسطه). المطرف: ثوب ثمين.

(١٠) قفا: تبع. يتلوها: يرافقها، يتبعها. منبجس: سائل فائض (من الدمع).

دهرٌ يُلَوِّنُ لَوْنَيْـــهِ كعادتـــهِ: فالصبحُ في مأتمٍ والليلُ في عُرُس !

– وقال وفي قوله لَمَحاتٌ من التصوّف:

دعِ العينَ تُذري الدمعَ في طَلَلِ الرَّبْعِ فليس حراماً أن أُريقَ بها دمعي[١].
وحَـدِّثْ عنِ القوم الذين عَهِدْتُهم: أحَلّوا بنجدٍ أمْ أقاموا على سَلْع[٢]؟
وإن لم يكنْ قـد فاز طَرْفي بنظرةٍ إليهم، فحَسْبي أن يفوزَ بهم سمعي.
ذكرتُـكَ، يا نَجـدُ، ففاضتْ مدامعي. وأيُّ نصيرٍ للمُحبّ سوى الدمع!
وإن تَقْنِ، يـا نفسُ، العَزاءَ تجمُّلاً، فإنّكَ مكلومُ الحَشا دائمُ الصَدْع[٣].
أَحِنُّ، كما حَنّتْ رِكابي، إلى مِنًى؛ وما دارُها داري ولا رَبْعُها ربعي[٤].
وقالوا: غـداً تُقْضى بجَمْعٍ دُيونُنا. وحَسْبي بجَمْعٍ أن أرى ليلةَ الجَمْع[٥].
لِعَيْنِـكِ قلبي، يا ابنةَ القومِ، طائعٌ صبورٌ على الشَكْوى (شَكور) على المنع!
تَجلّى لطَرْفي في مُحيّـاكِ رَوْضَـةٌ ووَرْدَتُه المُحْمَرَّةُ اللونِ من زَرْعي[٦].
وثَغرُكِ من دَمْعي وخَـــدُّكِ من دَمي،
وخصرُكِ من فِكْري وحَلْيُــكِ من سَجْعي[٧].
قَصَرْتُ فُؤادي في رِضاك على الجَوى وحرّمْتُ عَذْلي في هَواك على سمعي[٨].

---

(١) أذرى: فرّق، أسال. الربع: المسكن. أراق: سكب على الأرض.

(٢) الذين عهدتهم: الذين أعرفهم. أحلّوا .... إلخ: أين هم اليوم؟

(٣) أن تقن العزاء: (أن تحفظيه): تصبري. التجمّل: التشدّد واحتمال المصيبة (خوفاً من شماتة العدوّ). مكلوم: مجروح. الحشا: داخل الجسم (القلب). الصدع: الانكسار. كان يخاطب النفس، ثمّ التفت إلى مخاطبة نفسه: فإنّك (بفتح الكاف).

(٤) الركاب: ما يركبه المسافر (الناقة). مِنى: مكان قرب مكّة فيه منسك للحجّاج (كناية عن الشوق إلى الله).

(٥) جمع: مزدلفة، قرب مِنى حيث يبيت الحجّاج بعد نزولهم من عرفات. تقضي جميع ديوننا: تتحقّق جميع آمالي. أن أرى ليلة الجمع: أن أكون وإياها في مكان واحد (كناية عن العزّة الإلهية).

(٦) – احمّر خدّاها لمّا نظرت أنا إليها فاستحيت.

(٧) – ريقك الصافي من دموعي، ولون خدّيك من دمي، وخصرك ناحل كنحول فكري من كثرة التفكير فيك (؟) ونغم ما تتزيّنين به من الحلى جميل كشعري فيك (!).

(٨) قصرت فؤادي: جعلته يكتفي. الجوى: ألم الحبّ. العذل: اللوم. رضيت أن أتألّم لصدودك عنّي ولم أرض أن ألومك أو أن أسمع لوماً فيك.

٤ - ** الإحاطة ١: ٣٣٧ - ٣٤٩؛ الكتيبة الكامنة ٢٣٥ - ٢٣٨؛ نفح الطيب ٢: ١٩٤ - ١٩٥، ٦٥٧ - ٦٥٨.

أبو بكر بن شَبْرين

١ - هو الشيخُ الكاتب القاضي أبو بكرٍ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ شَبْرينٍ الجُذاميُّ، أصلُه من إشبيليةَ، من حِصْنِ شِلْبَ[1]، انتقلَ أبوه - سَنَةَ ٦٤٦ هـ - من إشبيلية إلى رُنْدةَ ثمّ سكَنَ غَرناطةَ ثمّ انتقل إلى سَبْتَةَ (في المغرب).

وُلِدَ أبو بكرِ بنُ شَبرينٍ في سَبتةَ، في أواخر سَنَة ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م). بدأ تعلُّمَه بالقراءةِ على جَدّه لأُمّهِ أبي بكرِ بنِ عُبيدةَ الإشبيليِّ وعلى الأُستاذ أبي إسحاقَ الغافقيِّ. ثمّ إنّه رَحَل إلى تُونِسَ ولَقِيَ نفراً من علمائها.

وفي أواخرِ سَنةِ ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ - ١٣٠٦ م) جاء إلى غَرناطةَ وتولّى الكتابةَ للسُّلطان أبي عبدِ الله محمّدِ بن محمّدٍ المخلوع (٧٠١ - ٧٠٨ هـ). وتولّى القضاءَ أيضاً. وقد رَثَى الوزيرَ ابنَ الحكيمِ الرُّنديَّ (قُتل ٧٠٨ هـ) ثُمّ رثى السُلطان مُحمّدَ بنَ إسماعيلَ (٧٢٥ - ٧٣٣ هـ) المقتول.

وكانت وفاةُ أبي بكرِ بنِ شَبْرين في ثالثِ شَعبانَ من سَنةِ ٧٤٧ (١٣٤٦/١١/١٩ م).

٢ - كان أبو بكرِ بنُ شَبرينٍ من أهلِ الدين والفضل والعَدالة ومن شُيوخ الكُتّاب حَسَنَ الخطّ. وكان فصيحاً مُقتدراً في نظم الشعر بارعاً في النثر. وفنونُ شعرِه الرثاءُ والفخر. وقصائدُه طِوالٌ وعليها شيء من الرَّوْنق والنَّفَسِ الصوفي. غير أنّه أحياناً كثيرُ التكلّف.

---

(١) حصن شلب (؟). هنالك بلدة معروفة باسم «شلب» تبعد مائتي كيلومتر إلى الغرب من إشبيلية، وتقع قرب الساحل الجنوبيّ في البرتقال اليوم.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ شَبرينِ الجُذاميُّ في القائدِ بكرونِ بنِ الأشقرِ الحَضْرمي (ت ٧١٤ هـ): «كان له في الخِدمة مكانٌ كبيرٌ وجاهٌ عريض. ثمّ صرَفَه الأمرُ عنِ اسمهِ★ وأنزله الدهرُ على حُكمه. تغمّدَه اللهُ برحمته (الإحاطة ١ : ٤٥١ - ٤٥٢).

- وقال في التذكّر والاعتبار والابتهال:

ظَعَنَ الصِّبا، ومِنَ المُحال قُفولُهُ. ... إنْ كُنتَ باكِيَهُ فتلك طُلولُهُ[١].
رَعياً لجيراني وللطِّلِّ الذي ... قد كان يجمَعُنا هناك ظَليلُه.
هذي دِيارُهُمُ فمَثّلْهُمْ بها، ... إنّ المُتيَّم شأنُه تمثيلُه[٢].
عهدٌ أُحيلتْ حالُه، فاليومَ لا ... معقولُه مِنّا ولا منقولُه[٣].
أشَجاكَ مجتمَعٌ عفَتْ آياتُه ... وتعاوَرَتْه شَمالُه وقَبولُه[٤]؟
قد كُنتَ تصغُرُ عن سِني فِتْيانه، ... فاليومَ تصغُرُ عن سِنيكَ كُهولُه[٥].
ما كان ماضي العيشِ إلّا خطرةٌ ... خَطَرتْ، ووقتٌ قد تتابع جِيلُه[٦].
ضيّعتَ في طلبِ الفُضول بُكورَه، ... لكنْ نَدِمْتَ وقد أتاكَ أصيلُه[٧].
دعْ عنكَ تَذْكارَ الصِّبا، إنّ الصبا ... رسمٌ يَهيج لك الغرامَ مَحيلُه[٨].

---

(١) ظعن الصبا (رحل الشباب). القفول: الرجوع. الطلل: مكان البيت بعد أن يتهدّم. (يشبّه الجسم بعد أن يفارقه الشباب بالطلل). ★ رسمه (؟).

(٢) المتيّم: الذي أمرضه الحبّ (لأنّه لا يستطيع أن يصل إلى محبوبه) يتخيّل محبوبه تخيّلاً.

(٣) أحيلت: تبدّلت. في ألفاظ الفلاسفة: المعقول (المعروف بالبرهان) والمنقول (المروي، الواصل إلينا عن أسلافنا). لم يبق من شبابي حقيقة ولا مظهر.

(٤) شجا، يشجو: حزن (فعل متعدٍ) وأحزن. عفا يعفو: امّحى. الآية: العلامة (مظاهر العمران)؟. تعاورته (الرياح) تداورته: تهبّ عليه من جهة مرّة ثمّ من جهة ثانية مرّة أخرى. الشمال: الريح الشمالية. والقبول: ريح الصبا (القاموس ٤ : ٣٤) وتهبّ من المغرب.

(٥) الكهل من جاوز الأربعين. كنت أصغر أصحابي (في أيامهم) فصرت أكبرهم سنًّا (في أيامي).

(٦) خطرة: مدّة يسيره. تتابع جيله: ماتوا واحداً بعد واحد.

(٧) بكوره: أوّله (زمن الشباب). أصيله (الأصيل: ما بين الظهر والعصر): آخره (عصر الشيخوخة).

(٨) المحيل: التغيّر الممحوّ.

يا مَفْرِقاً نَزَلَ المشيبُ به، اتَّئِدْ؛ فالحُرّ لا يُؤذَى لَدَيْـهِ نَزيلـه[1].
لم يعتمـدْ شَيْـبٌ مَحلّـةَ لِمّـةٍ سوداءَ إلّا والحِمام زميلـــه[2].
قـد كان أُنسي في الشباب فصَدّني وأبى عـليّ وِصالُـه ووُصولُـه[3].
حسبي إذا رُمـتُ الأنيسَ مُؤنِّسٌ - من ربِّنـا سُبحانَه- تنزيلُـه[4].
يَبْلى الزمانُ ولا يزال مُجدَّداً، لا نَصّـه يَبْـلى ولا تأويلـه[5].
يا حاضراً عِنـدي، وليس بجائزٍ إدراكُـه؛ إنّ العُقول تُحيله[6].
يـا غائباً عَن ناظريَّ ولم يَغِـبْ إحسانـــه عنّي ولا تَنْويلـه[7]،
يـا واحـداً حقًّا، وليس بمُمْكِنٍ تَشبيهُه- كَلّا- ولا تَخْييلـــــه،
أنـا ذلـك العبـدُ الظَّلومُ لنفسِه زلّـتْ بـه قـدمٌ وأنـت مُقيله.

٤- ** الإحاطة ١: ١٠٤، ٤٥١-٤٥٢، ٥٥١-٥٥٢، ٥٥٧، ٢: ١٧٤-١٨٢؛ الكتيبة الكامنة ١٦٦-١٧٢؛ اللمحة البدرية ٩٨-١٠٢؛ أوصاف الناس ٣٧-٣٩؛ أعمال الأعلام ٢٩٨، ٣٠١-٣٠٤؛ المرقبة العليا ١٥٣؛ نفح الطيب ١: ١٧٧-١٧٨؛ ٥: ٥٤١-٥٤٣، ٦: ٢٥١-٢٥٣؛ النبوغ المغربي ٤١٣-٤١٥، ٧٣٧-٧٣٨، ٩٣٣-٩٣٦.

ابن الجيّاب الغرناطيّ

١- هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّد بن سُليمانَ بنِ عليِّ بنِ سُليمانَ بن حسنٍ الأنصاريُّ المعروفُ بآبنِ الجيّاب، وُلدَ في غَرناطةَ في جُمادى الأولى من سَنَة ٦٧٣ (خريف ١٢٧٤ م).

---

(١) المفرق: نصف الرأس أو جانبه (مكان فرق الشعر) اتئد: سر على مهل. النزيل: الضيف (كناية عن الشيب).
(٢) اللمّة: شعر مقدّم الرأس. الحِمام: الموت.
(٣) قد كان (الصبا: لهو الشباب) أنسي... وأبى عليّ وصاله ووصوله (لا أنا الآن أصلح له ولا هو يصلح لي).
(٤) الآن تبدّلت باللهو قراءة القرآن (تنزيله).
(٥) النصّ (ظاهر اللفظ) وتأويله (النظر في باطن المعنى).
(٦) يا حاضراً (خطاب لله تعالى).. العقل يمنع أن يدرك الإنسان حقيقة الله.
(٧) ياغائباً (لأنّ الله لا يُرى). التنويل: العطاء.

أخذ أبو الحسن بنُ الجيّاب أشياءَ من العلم عنِ آبنِ الزُّبير الثَّقفيّ (ت ٧٠٨ هـ) صاحبِ «صِلةِ الصلة» وعنِ آبنِ رُشيدِ السَّبْتيّ (ت ٧٢١ هـ) صاحب الرِّحلة.

دَخَلَ ابنُ الجيّاب إلى الديوانِ السُّلطاني كاتباً سَنَةَ ٧٠٨. ثم إنّه وَزَرَ لأبي الحجّاجِ يوسفَ النيّارِ سابع سَلاطينِ بني نصرٍ في غَرناطة (٧٣٧ - ٧٥٥ هـ). ويبدو أنّه آستمرّ في خِدمة الدولة النَّصْرية مُنذُ تولّى الكتابةَ إلى حينِ وفاتهِ بالطاعون، في ٢٣ شوّال ٧٤٩ (١٣٤٩/١/١٥ م).

٢- كان أبو الحسنِ بنُ الجيّاب مُتَفَنِّناً في العلومِ مُقدَّماً فيها: في القراءات والحديث والفِقه والفرائض وفي اللُّغة والنحو والبلاغة والأدب وفي الحساب والتاريخ، كما كان مشاركاً في علمِ التصوّف. ثمّ إنّه كان ناثراً وشاعراً مُكثراً في عددٍ من فنونِ الشعر: في الغَزَلِ (الصوفي على الأرجح) والمدح والرِثاء والادب (الحكمة) وفي الألغاز. ومَعَ أن شعره سهلٌ واضحٌ صحيحُ المباني، فإنّ رَوْنَقَه قليلٌ. وله مُعَشَّرات في الشعر.

٣- مختارات من آثاره

- من رسالةٍ لابنِ الجيّابِ الغَرْناطي على لسانِ سُلطان غَرناطة[1] إلى السلطان أبي سعيدِ المرينيّ صاحبِ فاسَ (٧١٠ - ٧٣٢ هـ):

المَقامُ- لدى المَلِكِ المنصورِ الأعلامِ والفضل الثابتِ الأحكامِ، والمجدِ الذي أشرْقت به وجوهُ الأيام والفخرُ الذي تُتَدارَسُ أخبارُه بينَ الركن والمَقام[2] والعِزّ الذي تعلو به كَلِمة الإسلام- مَقامُ[3] مَحَلِّ الأبِ الواجبِ الإكبار والإعظام...... أمّا بعدَ حَمْدِ الله الذي أَوْلاكُمْ مُلْكاً منصوراً وفخراً مشهوراً، وأحيا بدَوْلتكم العَلِيّةِ لمكارمِ الأخلاقِ ذِكْراً منشوراً، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدنا محمّدٍ رسولِ اللهِ الذي اختاره (اللهُ)

(١) في هذه المدّة (٧١٠-٧٣٢ هـ) كان في غرناطة ثلاثة سلاطين: أبو الجيوش نصر بن محمد (٧٠٨-٧١٣ هـ) وأبو الوليد إسماعيل بن فرج ومحمّد بن إسماعيل (٧٢٥-٧٣٣ هـ).

(٢) الركن اليماني ومقام إبراهيم عند الكعبة المشرّفة.

(٣) مقام: خبر «المقام» (في أوّل الرسالة).

بشيراً ونذيراً[١]، وشَرَحَ بهدايته صُدوراً،..... وأمّا الذي عند مُعَظِّمِ أمرِكم من الإعظام لِمَقامكم والإكبار[٢]، والثناء المُردَّدِ المُجدَّدِ على توالي الأعصار[٣].... والعِلْمِ بما لكم من المكارم التي سار ذِكْرُها في الأقطار أشهرَ من المَثَل السيّار، والاعتدادِ[٤] بسُلطانكم العَلِيّ في الإعلان والإسرار، والاستنادِ إلى جَنابِكم الكريم في الأقوال والأفعال والأخبار... وإلى هذا - أيّدَ اللهُ تعالى سُلطانكم ومهّدَ[٥] أوطانكم - فَقَدْ تقدّمتْ مُطالعةُ مَقامِكم، أسْماهُ اللهُ، أنّ مَلِكَ قشتالةَ دَسّ مَنْ يَتَحدّثُ في عقدِ صلحٍ يعودُ بالهُدنة على البلاد ويرتفع به عنها مُكابدته من جِهةِ الأعادِ[٦]. وقدّرْنا أوّلاً أن ذلك ليس على ظاهرِ الحالِ فيه وأنّه يُبدي فيه غيرَ ما يخفيه. ولكن جرَيْنا مَعَه في ذلك المِضْمار قَصْداً للتشوُّفِ على الأخبار[٧]. فلمّا دار الحديثُ في هذا الحُكْمِ ظَهَرَ منه أنّه قد جَنَحَ للسِّلْم. وكان خديمُنا نَقْروزُ[٨]، بِحُكْمِ الاتّفاق، قد وَرَدَ إشبيلِيَةَ لبعضِ أشغاله، فاستحضره وأخذَ مَعَه في أمرِ الصلحِ وشَرْحِ أحوالِه.... فأُعيدَ إليه بأنّه إن أرادَ المُصالحة على صُلْحِ والدِه مَعَ هذه الديارِ النَّصْرية من غير زيادةٍ على شروطِ تلك القضيّة، ولا يَعْرِضُ لاسترجاعِ مَعْقِلٍ من المعاقلِ التي أُخْلِصَتْ من يدِ النَّصْرانية، وأن يكونَ عَقْده على الجزيرةِ الخضراء ورَنْدَةَ وغيرِهِما من البلاد الأندلسية، فلا بدَّ من مُطالعة مَحَلِّ والدِنا السلطانِ أميرِ المؤمنين أبي سعيدٍ - أيّدَه اللهُ - واستطلاعِ ما يراه......

---

(١) البشير: الآتي بالخبر المفرح (للطائعين) والنذير: الآتي بالخبر المسيء (للعاصين).

(٢) وأمّا الذي عند معظم (بضمّ ففتح فظاء مشدّدة مكسورة) أمركم...: أي سلطان غرناطة.

(٣) الأعصار جمع عصر (بالفتح): الدهر، المدّة من الدهر.

(٤) لم أهتد إلى «اعتداد» في القاموس. المقصود: الاعتماد والاتكال وانتظار المساعدة عند الحاجة إلى المساعدة.

(٥) مهّد الأوطان: سكّنها، جعلتها مطمئنّة آمنة هادئة.

(٦) كابد الرجل الأمر مكابدة: عاناه، قاسي في عمله. الأعاد = الأعادي، الأعداء.

(٧) المضمار (الشوط الذي تركضه الخيل): السبيل. التشوّف: محاولة الإنسان أن يرى الأشياء البعيدة.

(٨) الخديم: الخادم، الذي نعهد إليه بتصريف الأمور، الذي نجعله وسيطاً بيننا وبين غيرنا. نقروز (؟): اسم الخديم.

- وقال ابنُ الجيّاب في الدَّهرِ:

أرى الدَّهرَ في أطوارِه مُتقلّباً، فلا تأمَنَنَّ الدهرَ يوماً فتُخْدعا.
فما هُوَ إلّا مثل ما قالَ قائلٌ: (مِكرٌّ مِفرٌّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ معاً)[1]

- وقال في الهمّ والهَرَم:

وقائلةٍ: لِمْ عَراكَ المَشَيبُ؟ وما إنْ بعهدِ الصِّبا من قِدَمْ[2]!
فقلتُ لها: لم أشِبْ كَبرةً، ولكنّه الهمُّ نِصْفُ الهَرَم.

- وقال في مطلعِ قصيدةٍ (وهو غَزَلٌ صوفيّ في الأكثر):

زارتْ تجرِّرُ نَخْوةً أذيالَها هيفاءُ تَخْلِطُ بالنِّفارِ دَلالَها[3].
وافَتْكَ تَمْزُجُ لِينَها بقَساوةٍ قد أدْرَجَتْ طَيَّ العِتابِ نَوالَها[4].
كم رُمْتَ كَتْمَ مَزارِها، لكنّه صحّت دَلائلُ لم تُطِقْ إعلالَها[5]:
تركتْ على الأرجاء عِندَ مسيرِها أرَجاً كأنّ المِسْكَ فُتَّ خِلالَها[6].
يا حُسْنَ ليلةِ وَصْلِها، ما ضَرّها لو أتْبَعَتْ من بعدِها أمْثالَها؟
هذا الربيعُ أتاكَ يَنْشُرُ حُسنه فافْسَحْ لنفسِكَ في مَداه مجالَها.
واخلَعْ عِذارَكَ في البِطالةِ جامِحاً وآقْرُنْ بأسحارِ الهَنا آصالَها[7].

٤ - ** الديباج المذهب ٢٠٧ - ٢٠٨؛ الكتيبة الكامنة ١٨٣ - ١٩٢؛ اللمحة البدرية

---

(١) هذا الشطر من معلّقة امرىء القيس. المكّر: الهاجم. المفرّ: الهارب (الراجع). - هذا الحصان يُرى لسرعته وكأنّه يروح ويجيء في وقت واحد: لا تكاد تراه ذاهباً حتّى تراه عائداً. و (هنا) هو كناية عن خداع الدهر لنا.
(٢) عرا الدهر الناس: أصابهم بأحداثه. «إنْ» زائدة.
(٣) النخوة: الحماسة، التكبّر.
(٤) وافى: جاء، وصل. أدرج فلان شيئاً في شيء: أدخله. النوال: العطاء (الوصال).
(٥) رام يروم: طلب. إعلالها (كذا في الأصل). ولعلّ المقصود «كتمانها».
(٦) أرجاء جمع رجا: ناحية. الأرج: الرائحة الطيّبة. فتّ الرجل المسك: طحنه (وإذا طُحن المسك زادت رائحته، إذ تكثر سطوحه التي تلامس الهواء، ثمّ يخفّ حمل دقائقه على الهواء).
(٧) العذار (بالكسر): الشعر النابت على جانبي الوجه. والعذار: القسم من رسن الدابة والذي يوضع في رأسها. خلع الرجل عذاره: انغمس في الشهوات وترك الحياء ولم يبال بما يقول الناس فيه.

٥٨ - ٦٠ ؛ الإحاطة ١ : ١٢٤ ، ١٩٩ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ - ٤٠٤ ، ٥٤٥ ، ٥٥٠ - ٥٥١ ، ٥٧٠ ، ٢ (القاهرة ١٣١٩ هـ) راجع ٢٨٥ - ٢٨٧ ؛ درّة الحجال ٢ : ٤٣٥ ؛ بغية الوعاة ٣٤٨ ؛ نثير فرائد الجمان ٢٣٩ - ٢٤٢ ؛ نفح الطيب ٤ : ٣٢٦ ، ٥ : ٢٢ ، ٤٣٤ - ٤٦٤ ، ٤٩٩ - ٥٠١ ، ٦٠٤ ، ٦ : ٦٠ ، ١٢٤ - ١٢٨ ، ٢٦٠ - ٢٦١ ، ٧ : ١٠١ ؛ أزهار الرياض ١ : ١١٥ ، ٢ : ٣٤٢ - ٣٤٤ ، ٣ : ١٩٦ ؛ بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٦٩ ؛ الأعلام للزركلي (٥ :٦).

ابن جابر الوادي آشي

١ - هو شمسُ الدين أبو عبدِ الله محمدُ بنُ جابرِ بن محمّد بنِ قاسمٍ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ حسانٍ القيسيُّ الوادي آشيُّ[1] ، وُلِدَ في تُونِسَ سَنَةَ ٦٧٣ (١٢٧٤ م) ونشأ فيها أيضاً.

قرأ ابنُ جابر الوادي آشيُّ هذا على شيوخٍ كثيرين في الأندلس وإفريقية ومِصْرَ والشام والحجاز، رجالاً ونساءً ، ثم خصّهم ببَرْنامجٍ ذَكَرَهُمْ فيه فكانوا نحوَ ثلاثِمِائَةٍ. وكان ابنُ جابرٍ قد رَحَلَ إلى المَشْرق مرتينِ (نحوَ سَنَةِ ٧٢٠ ونحو سنة ٧٣٤)- وقد كان في أثناء ذلك كلِّه يسمَعُ من الشيوخ ويُقْرِئُ الذين يجتمعون إليه.

وكانت وفاةُ ابنِ جابرٍ في تُونِسَ ، في الطاعون العامّ، سَنَةَ ٧٤٩ (١٣٣٨ م).

٢ - كان ابنُ جابرٍ الوادي آشيُّ قارئاً ضابطاً للقراءة[2] ومُحَدِّثاً واسعَ الرِواية ثِقَةً مقصوداً يرحَلُ إليه الطُلّابُ. ثم كان أيضاً لُغَوِيًّا ونَحْوِيًّا وأديباً يَرْوي الشعرَ، ورُبّما نظَم شيئاً منه بينَ الحين والحين، كما كان مُشاركاً في الفِقه. وكان وَقوراً دَيِّناً حسَنَ الخُلُق عفيفاً لطيفَ المعشر ظريفاً. ثم إنه كان يُقْرِئُ الطُلّابَ ويُسْمِعُهم احتساباً (بلا أجْرٍ)، أما عَيْشُه فكان يَكْسِبُه من العمل في التجارة.

ولابن جابر الوادي آشيِّ تصانيفُ: الأربعون البلدانيّة (في الحديث)- أسانيدُ

---

(١) هو غير شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠)- راجع ترجمته، تحت.
(٢) لقراءة القرآن الكريم.

كُتُبِ المالكية - الإنشادات البلدانية - ترجمةُ القاضي عِياضٍ (لعله أول تآليفه) - تقييد القصيدة العَروضيّة المُسمّاة المَقْصِد الجليل إلى علم الخليل (للإمام أبي عَمْروِ بن الحاجب) - زادُ المسافر وأُنس المُسامر (رِحْلة تكلّم فيها على بُلدان زارها وعلى شيوخٍ أخَذ عنهم) - مُسَلْسَلات (من مَرْويات شيخهِ قاضي مِصْرَ عبدِ الغفار بن عبد الكافي السعدي، قرأها عليه) مَعَ أناشيد - بَرْنامجه.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدمة برنامج الوادي آشي (ص ٣٧ - ٣٨):

.... أما بعدُ فإنّ بعض أرباب الرِّواية[١] ذا الشَغَف بها والعِناية أحبّ أن أُقيّد له أسماءَ مَنْ لَقيتُه من شيوخي الجِلّة[٢]، زَمَنَ مُقامي بتُونس وفي زَمَنَي الرحلة، وأنْ أُسَمِّيَ له ما أخذتُه عنهم كائناً ما كان على حَسْب الوُسْع والإمكان، ومن أجازَني مِمّنْ لَقيتُه وأخذتُ عنه أو مِمّنْ لم آخُذْ عنه سواه[٣] أو كَتَبَ لي بها من المشرق والمغرب، وأُفْصِحَ له عن جُملة ذلك وأُعرِب[٤]. فأجَبْتُه لِما سأل وجعلته في جُزءين كما أمّل: في أحدِهما أسماءُ الشيوخ وأنسابُهم وكُناهم وما أمكَنَ من ذِكْر مواليدِهم ووَفَياتِهم وأناشيدِهم[٥]؛ وفي الآخَرِ ذِكْرُ المأخوذ عنهم مُضافاً لهم ما فيه من عُلُوِّ سَنَدٍ[٦] لكن بالإجازة، مُعْتَمِداً في ذلك طريقَ ذوي الاستجازة إذ ★ فاتَ الحصولُ المأمولُ منهم في ذلك اللائق[٧]، لِتَعَرُّضِ الشواغل عن «السنَن» المطابق، راجياً في ذلك عُلُوّ السندِ. واللهُ سُبحانَه الهادي للرَّشَد، وأنْ يجعلَه ذُخْراً تَقْدِمَةً ★★ بين يدَيْنا ولا يجعلَه وَبالاً[٨]

(١) الراوية: رواية (نقل) العلم عن شيوخ متقدمين.

(٢) رجل جليل من جلة (بكسر الجيم): عظيم (القاموس ٣: ٣٤٩).

(٣) سواه (كذا في الأصل): لعلها «سواء» (بالهمزة: سواء أكنتُ قد أخذتُ عنهم أو لم آخذ عنهم).

(٤) ... افصح (أكشف) له عن جلة (مجموع) ذلك وأعرب (ابين).

(٥) وأناشيدهم (؟). لعلها «وأسانيدهم» (ما يروونه عن شيوخهم).

(٦) السند العالي (في الحديث) ما كان رواته قريبين من عصر رسول الله.

★ لعلّها «إنْ».

(٧) أطلبُ الإجازة منهم عن بُعد إذا لم أستطعِ الأخذ عنهم شخصياً. اللائق (؟).

★★ لعلّها «نقدّمه».

(٨) الوبال: الهلاك.

وحَسْرةً علينا. إنه تعالى مَوْلى التوفيق الهادي لأحسنِ طريقٍ بِمَنِّه وكَرَمه.

- ترجمة لأحد شيوخه (رقم ١٣، ص ٥١ - ٥٢):

أبو محمدٍ عبدُ الله بنُ محمدِ بن هارونَ بنِ عبد العزيز بنِ اسماعيلَ الطائيُّ القُرْطُبِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى. مَوْلِدُه بها(١) عامَ ثلاثةٍ وستِّمِائَةٍ. أخَذَ عن جَدِّه للأم المُقْرِىء القَيِّم(٢) بجامعِ قُرطبةَ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ قادمٍ المُعافريِّ و (عن) والدِه(٢). ومن جِلّة أشياخه: القاضي بحَضْرة مَرّاكُشَ(٣) أبو القاسمِ أحمدُ بنُ يزيدَ بنِ عبد الرحمن بنِ بَقِيٍّ، وأبو محمدَ عبدُ اللهِ بنُ سُليمانَ بنِ حَوْطِ الله الأنصاريُّ الحارثيّ، وأخوه أبو سُليمانَ داوود، وأبو الحسنِ سَهْلُ بنُ مالكٍ، وجماعةٌ ذَكَرَهُمْ في بَرْنامجِ شيوخه. قَرَأتُ عليه وسَمِعْتُ (منه) وأجازني إجازةً عامةً وكَتَبَ خَطَّه بها. وعُمِّرَ حتى ألْحَقَ الأصاغِرَ بالأكابر(٤). واختلط عليه في آخرِ عُمُرِه(٥). وكان مشكورَ القلمِ نَظْماً ونثراً. ومِمَّا وَجّهه لي - بخط الشيخ أبي عبدِ الله محمدِ بنِ حَيّانَ - مَرْثِيَّةٌ في والدي، رَحِمَهُمُ الله تعالى، يعتذرُ فيها عن عَدَمِ حُضورِه الجنازة، لأنه لم يَعْرِفْ (بها) حتى سَمِعَ. وهي:

عزاؤك في أبٍ لكَ أوْ أخٍ لي عزاءُ مُحَــبٍّ محبوبٍ وخِــل.

.......(٦)

وتُوُفِّيَ - عفا الله تعالى عنه - ليلةَ الخميس الحادي عَشَرَ لِذي قَعْدَةَ عامَ اثنينِ وسَبْعِمِائَةٍ. ودُفِنَ بالزلّاج(٧).

٤- برنامج الوادي آشي (تحقيق محمد محفوظ)، أثينا - بيروت (دار الغرب الإسلامي) ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.

---

(١) بها (في قرطبة).

(٢) القيّم: المشرف (على الجامع)؟.

(٣) حضرة مراكش (العاصمة).

(٤) عمر (بالبناء للمجهول مع تشديد الميم): طال عمره. ألحق الأصاغر بالأكابر (روى عنه الأبناء بعد أن كان قد روى عنه آباؤهم).

(٥) أقرأ: واختلط عقله....

(٦) بعد البيت السابق ثلاثة أبيات عادية ومضطربة.

(٧) الزلّاج: مقبرة كبيرة مشهورة في مدينة تونس العاصمة.

** الوافي بالوفيات ٢ : ١٨٣ ؛ الديباج المذهب ٣١١ - ٣١٣ ؛ نفح الطيب (يبدو أن هنالك شيئاً من الخلط بين ابن جابر هذا المتوفى سنة ٧٤٩ وابن جابر الضرير المتوفى سنة ٧٠٨ - راجع فهرس « نفح الطيب »)؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٩٣ (٦٨)؛ ثم راجع المصادر والمراجع في ترجمته التي صنعها محمد محفوظ في التوطئة لبرنامج الوادي آشي.

عبد المهيمن الحضرمي السبتي

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ المُهيمنِ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ المهيمن بن محمّدِ بنِ عليٍّ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمّدٍ الحضرميُّ، وُلِدَ سَنَةَ ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ - ١٢٧٨ م) في سَبْتَةَ ونشأ فيها. قالوا إنّ من أشياخه عبيدَ اللهِ بنَ أحمدَ بن أبي الربيع الاشبيليَّ (٥٩٩ - ٦٨٨ هـ) وأحمدَ بنَ محّدِ بنِ الغمّازِ (ت ٦٩٣ هـ) وأبا القاسمِ بنَ الشاطّ الأشبيليَّ (ت ٧٢٥ هـ) وغيرَهم. ولكنْ من الصعب أن نَعُدَّ ابنَ أبي الربيعِ وابنَ الغمّاز من شُيوخه للفَرْق في الزمن.

كان عبدُ المُهيمنِ الحضرميُّ صاحبَ القلمِ الأعلى في المغربِ كَتَبَ للسُّلطان أبي سعيدٍ عثمانَ المرينيِّ (٧١٠ - ٧٣١) ولابنهِ وخَلَفِهِ عليٍّ (٧٣١ - ٧٥٢ هـ). وكانتْ وفاتُه في تُونسَ بالطاعونِ في ١٢ شَوّالٍ من سَنَةِ ٧٤٩ (١٣٤٩/٢/٣ م).

٢ - كان عبدُ المهيمنِ الحَضرميُّ إمامَ الحديثِ والنحوِ في المَغْرب في عصرِه، وكان كاتباً مترسِّلًا وصاحبَ مقاماتٍ وشاعراً من فنونه المدحُ والغزل والوصف والحماسة. وعلى لُغَتِه عُموماً، في النثر خاصّةً وفي الشعر، شيءٌ كثيرٌ أو قليلٌ من الضَّعْف. وقد يَحْتذي في شعرِه أغراضَ نَفَرٍ من شعراءِ المَشْرِق المشهورين ومن أُسلوبهم فيأتي ببالشعر المَتين الجيد.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقامة الافتخار لعبد المُهيمن الحضرمي:

بَرَزْتُ يوماً لخارجِ بلدِ فاسَ الأشهرِ(١) وٱنتهَيْتُ إلى واديها المعروفِ بوادي

(١) الأشهر (نعت « بلد »).

الجوهر. فلم يكنْ غيرُ بعيد وإذا أنا بمَحْفِلٍ بالغِيد[١]، وقد دار بينهما عِتابٌ بألفاظٍ تَعْجِزُ عنها أَلْسِنَةُ الكُتّاب: بيضاءُ وسمراءُ في مُفاتنةٍ كبرى، وكاملةٌ وقصيرةٌ في مُعاطاةٍ كثيرة، وسَمينةٌ ورقيقة في مُعاتبة حقيقة، وعربِيَّةٌ وحَضَرية[٢] في مُجادلة قويّة، وعجوزٌ وصَبيةٌ في مُخاصمة بَذِيّة[٣]. فبَيْنَما أنا أنظُرُ في تلك الوجوهِ المُرَوْنَقَة[٤]، إذا بجاريةٍ يَغْلِبُ ضياءُ وجهِها على ضياء الشمس؛ فوَقَفَتْ بينَ الصفوف وسَلّمت ببَنانها الخَمْسِ. ثمّ تقدّمتْ وقالت: الحمدُ لله الذي جَعَلَ البياضَ طِرازَ كلِّ جَمالٍ، وشرّفَ أهْلَهُ بالحَياء والكمالِ، وأعطاهُمْ عِزّةً لا تبيدُ وصيّرَ السُّمْرَ لهم عبيد[٥]. ألَا وإنّ على قلبي جمرةً من مُعاتبَتِك، يا ذاتَ السُّمْرة. أعِنْدَك، يا سمراءُ، ما عندي؛ وليس قَدُّك كقَدّي ولا خدُّك كخدّي: جَبيني ذو ابْتِهاج، وذَوائبي كقِطَعِ الزاج[٦]..... وثغْري أقْحُوان، ودِيباجُ وجهي أُرْجُوان[٧]. وإنْ أرْسَلْتُ شَعْرِيَ المَضفور فظلامُ لَيلٍ على بَياضِ كافور....

قال الكاتبُ: وكانتِ العجوزُ مخضوبةَ البَنانِ، مَسَوّكَة[٨] الفَمِ وليس لها أسنان، مصبوغةَ الحاجبِ والسالفِ تندُبُ ما فاتَها في الزمن السالف[٩]. ثمّ أنشدَتْ وأجادَتَ فيما قَصَدَتْ:

إذا جَفَّ لِينُ التينِ يحلو مَذاقُه؛ وأحلى مَذاقاً في الثِّمارِ العجائزُ.

---

(١) اقرأ: فلم يكن غير قليل فإذا. محفل: اجتماع (محلّ الاجتماع)، جماعة. يرتجّ: يضطرب، يموج (يكثر فيه). الغيداء: الجميلة.

(٢) عربية (بدويّة).

(٣) بذية = بذيئة: فاحشة الكلام.

(٤) الرونق (جمال الوجه ونضارته).

(٥) اختار عبد المهيمن الحضرمي أن يقف على «عبيد» بالسكون. وهذا خطأ. يجب أن تلحق بكلمة «عبيد» ألف الإطلاق «عبيدا» فإنّ الكلمة منصوبة (مفعول به ثان من «صير»).

(٦) الذؤابة: الشعر المضفور (الجدول كالحبال). الزاج: من الأملاح (في تصنيف المواد في الكيمياء). وفي «المعجم الوسيط» (ص ٤٠٧): الزاج الأبيض، والأزرق والأخضر. والمقصود هنا «السواد».

(٧) الأقحوان: زهر برّي قلبه أصفر، وبتلاته بيضاء منتظمة تُشبّه الأسنان بها. الديباج: نسيج كلّه من الحرير، ويكون ملوّناً ألواناً (يظهر له إذا تحرّك في الشمس ألوان مختلفة؟). الأرجوان: لون أحمر فيه شيء من الزرقة (يسمّى «لون الملوك»).

(٨) سوّك الرجل أسنانه: دلكها، مسحها بالمسواك. والمقصود هنا أن تلك العجوز كانت بلا أسنان.

(٩) السالف الأولى (الشعر في جانب الرأس متدلّياً أمام الأذن)، والسالف الثانية: الماضي.

فطَعْمي ذَكِيٌّ طَيّبُ النَّشْرِ عاطرٌ ... وإنسان عَيْــني للمُحِبّــين غامزُ!

ثمّ قالت: وإنْ أردْتَ - يا هذه - المُجونَ والرّقاعة [١]، فأنا - واللهِ - ربّةُ الصِّناعة وأُستاذة الجماعة.

وإذا بالصَّبيَّةِ قد أتَتْ تدرُجُ دَرْجَ القَطا [٢] على الأقدامِ، وتبدّتْ فأقبلتْ إقبال العام وَوَرَدَتْ وُرودَ الغِنى على أهلِ الإعدام [٣].... ترمُقُ بلحظٍ نائمٍ وتفعل بأشفارِها في قلوب العاشقين ما تفعلُ الصوارم [٤]. ثمّ نادتْ: أيَّتُها العجوزُ الشمطاءُ يا من كَشَفَتْ بعَيْبها عن نفسها الغِطاء. هيهاتِ، يا عجوزُ،.... أنْ يكون لك بَعْدَ الهَرَمِ طَلَق، أو يكونَ الجديدُ مِثْلَ الخَلَق [٥]! أما رأيتِ شَعْرِيَ الفاحِمَ وثَغْرِيَ الباسِمَ وغُصنِيَ الناعِمَ؟.....

- ولعبد المهيمن الحضرمي في الفقر والغنى:

يُجْفى الفقيرُ، ويَغْشَى الناسُ قاطبةً ... بيتَ الغَنيّ. كذا حُكْمُ المقاديرِ [٦].

وإنّما النـاسُ أمثالُ الفَراش، فهُم ... يُلْفَوْنَ حيــثُ مصابيــحُ الدنانيرِ.

- وقال يمدح ذا الوِزارتين ابنَ الحكيم الرُّندي (٦٦٠ - ٧٠٨ هـ):

وعاذلــةٍ باتــتْ تلومُ عـلى السُّرى ... وتُكْثِرُ من تَعْذالِهـا وتُطيــلُ [٧].

ذَرِينِيَ أسْعَى للتي تُكسِبُ العُلا ... سناءً، وتُبقي الذِكْرَ وهو جميــلُ [٨].

---

(١) الرقاعة: الحماقة، والوقاحة أيضاً.

(٢) درج (مشى وهو ينقل رجلاً بعد رجل على مهل). القطاة: طائر (يمشي بخطوات قصيرة متقاربة).

(٣) إقبال العام (؟). الإعدام: الفقر.

(٤) الأشفار جمع شفر «(بالفتح): طرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر. الصارم: السيف.

(٥) الطلق: الشوط (بالفتح): المسافة التي يركضها الإنسان (سريعاً) في مدّة محدودة. الخلق (بفتح ففتح): المتهرّىء من الثياب.

(٦) جفا فلان فلاناً: جانبه، ابتعد عنه. غشي (بفتح فكسر ففتح) الرجل مكاناً يغشاه: جاء إليه. المقادير جمع مقدار (ما حكم به على الإنسان أن يفعله).

(٧) العاذلة: التي تلوم الناس بلا سبب (أو بلا معرفة للسبب الصحيح في أعمال الناس). السرى: السير في الليل (للذهاب إلى الممدوح).

(٨) السناء: بالعلوّ، الرفعة.

فإمّـــا تَرَيْــني مِنْ مُمارَسَةِ الهَوى | نحيلًا، فحَـدُّ المَشْرَفِيِّ نحيــلُ (١).
ولولا اغـترابُ المرءِ في طَلَبِ العُلا | لَما كـان نحو المجـدِ منه وُصول
ولولا نوالُ ابنِ الحكـيمِ مُحمّـدٍ | لأصْبَحَ رَبْعُ المجدِ وهو مَحيل (٢).
وزيرٌ سما فوقَ السِّماكِ جَلالـــةً، | وليسَ لـه إلّا النجومُ قَبيـل (٣)؛
من القومِ: أمّا في النَّدِيّ فإنّهم | هِضابٌ، وأمّا في النَّدَى فسُيول (٤).
وأبلـجُ وقّـادُ الجَبـين كأنّمـا | عـلى وَجْنَتَيْـهِ للنُّضار مَسيل (٥).
تَهـيمُ بـه العَليـاءُ حتّـى كأنّها | بُثَيْنَتُـه في الحُبّ وَهُو جَميلُ (٦).
سرى ذِكْرُهُ في الخافقَيْنِ فأصبحتْ | إليـــه قلوبُ العالمـين تَميـل (٧).
فَلَيْـتُ إلى لُقْياكَ ناصيـةَ الفَلا | بأيْـدي رِكـابٍ سَيْرُهنّ ذميـل (٨).
وقـد كُنتُ ذا نفسٍ عَزوفٍ وهِمّةٍ | عليهـا لأحداثِ الزمان ذُحول (٩).
وتأبـى لي الأيّـامُ إلّا إدالـةً. | فصَوْنَـك لي! إنّ الزمانَ مُديل (١٠).

٤- ★★ أوصاف الناس ٩٩؛ بغية الوعاة ٣١٥؛ نفح الطيب ٥: ٢٤٠، ٤٦٤-٤٧١، ٥٣٧؛ النبوغ المغربي ٤١٩ (التسلسل الثاني)- ٤٣١، ٧٢٨-٧٢٩، ٧٦٧؛ الأدب المغربي ٤٣٥-٤٣٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٨ (١٦٩).

---

(١) المشرفيّ السيف المصنوع في «شرف» (بفتح ففتح)، وهو مكان في الشام: سورية.
(٢) النوال: العطاء. الربع: المكان المسكون. محيل (بالفتح): ما تحوّل وتبدّل. الربع المحيل: الذي تركه سكّانه (فخرب).
(٣) السماك: أحد نجمين أحدهما السماك الرامح وثانيهما السماك الأعزل. القبيل: القوم، الأهل.
(٤) النديّ (بتشديد الياء): مجلس القوم. الندى (بفتح ففتح): الكرم.
(٥) الأبلج: الواضح، الأبيض (البشوش الوجه). النضار: الذهب.
(٦) هام (تعشّق، أحبّ). جميل بن معمر وبثينة بنت حبأ عاشقان من العصر الأمويّ.
(٧) الخافق: الأفق. الخافقان: المشرق والمغرب (في جميع البلاد).
(٨) فلا الرجل شيئاً عن شيء: عزله ومنعه. والمقصود هنا: أفلى الرجل. الفلاة (الأرض الواسعة، البيداء): دخلها، سار فيها. ناصية الفلا (جمع فلاة): رأس الفلاة: المكان الصعب منها. الذميل: السير السريع. ركاب جمع ركوبة (الدابّة) التي يركبها الإنسان للسفر..
(٩) عزوف: مائلة (عن أعراض الدنيا وكارهة لها). ذحول جمع ذحل (بالضمّ): ثأر.
(١٠) أدال فلان فلاناً (من خصمه): أنصفه، أخذ له بحقّه.- التركيب في الشطر الثاني غير واضح.

الجزنائي الفاسي الكرياني

١ - هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ (محمّد بن)[1] شعيبٍ الجزنّائي الكرياني[2] التازيُّ الدار ونزيلُ فاس.

قرأ الجزنّائي في بلَدِه فاسَ على شُيوخٍ منهم أبو عبدِ الله بن آجُرّومَ (ت ٧٢٣ هـ) وأبو عبدِ الله بنُ رُشَيْدٍ (ت ٧٢١ هـ)، وقرأ في تُونسَ على يعقوبَ بنِ الدارس، أخذَ عنه علم الطِّبّ والهيئة (الفلك).

ورأَسَ الجزنّائيُّ ديوانَ الكتابة في فاس في عهدِ عثمان المَرينيّ (٧١٠ - ٧٣١ هـ) ثمّ بِضعَ سَنَواتٍ من عهد ٱبنه عليٍّ (٧٣١ - ٧٥٢ هـ). وقد دخَل غَرناطةَ على عهدِ السابعِ من مُلوكها الأمير محمّدٍ[3] لِقُرْبٍ من وِلايتهِ، وٱشتغل هنالك في الكيمياء وفي أمرِ الأدوية المُفردة (راجع الإحاطة، ص ٢٨٥). ولا نَعْرِفُ شيئاً من أحداثِ حياتهِ التاليةِ إلّا أنّ وفاتَه كانتْ في تُونِسَ بالطاعونِ يومَ عيدِ الأضحى من سَنَةِ ٧٤٩ (١٣٤٩/٤/١ م).

٢ - كان الجزنّائيُّ الفاسيّ فقيهاً وحاسباً وطبيباً وأديباً ناثراً مُتَرَسِّلًا وشاعراً. وهو يُجيد تقليدَ المشارقةِ في الشِّعر والنثر، وفي نثرِهِ تكلُّفٌ أكثرَ ممّا في شعره. وشعره الآخرُ

---

(١) «ابن محمّد» زيادة من الإحاطة (١ : ٢٨٠).

(٢) في النبوغ المغربي (الجزنّائي) «بشدة على النون (ص ٢٢٧) ولا حركة أخرى على الكلمة. ومثل ذلك فعل محمّد بن تاويت الطنجي (التعريف بابن خلدون، ص ٤٨، الحاشية ١). أما محمّد رضوان الداية فلم يحرّكها (نثير فرائد الجمان، ص ٣٣٥). وأمّا بروكلمن (الملحق ٢ : ٣٣٩) فاختار أن يجعلها «الجزنائي» (بفتح فسكون). - والكرياني (الإحاطة ١ : ٢٨٠)، نسبة إلى قبيلة من قبائل الريف العربي (كذا). وفي الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ، الجزء الأول، ص ١٣٩): الغربي (بالغين المعجمة).

(٣) في الإحاطة (١ : ٢٨٥): «دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها الأمير محمّد». ولكن السابع من ملوك غرناطة، عند لسان الدين بن الخطيب نفسه (اللمحة البدريّة ١٠٢) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج (مولده سنة ٧١٨ للهجرة، وجاء إلى العرش ٧٣٣ هـ، وتوفيّ ٧٥٥ هـ). أمّا السلطان محمّد ملك غرناطة فيجب أن يكون السادس من ملوكها: محمّد بن إسماعيل بن فرج، (٧٢٥ - ٧٣٣ هـ). كما في اللمحة البدرية (ص ٩٠) للسان الدين بن الخطيب نفسه. وقد ذكر عبد الله كَنّون (النبوغ المغربي ٢٢٧) أن الجزنّائي «كان كاتباً في ديوان الإنشاء عند أبي الحسن المريني»، وأبو الحسن هذا هو علي بن عثمان سلطان فاس (٧٣٢ - ٧٤٩ هـ). فليوفّق القارىء بين هذه التواريخ.

عاديٌّ. غير أن أسلوبَه متينٌ ومعانيه جَزْلة.

وكان للجزنائيّ الفاسيّ عِناية بالعلوم الفلسفية والرياضية والطبيعية وبالصَّنعة (الكيمياء القديمة: الخُرافية)، له في الصنعة: كتاب الأصداف المُنْفضّة عن أحكام علم صِناعة دينار الذهب من الفضّة.

٣- مختارات من آثاره

- قال أحمدُ بن شعيبٍ الجزنّائيّ يرثي جاريةً له روميّة آسمها صُبْحُ (الإحاطة ١: ٢٨٥):

يا مُوحشي، والبُعد دونَ لِقائه، ... أدعوك عن شَحَطٍ وإنْ لم تسمعِ[1].
يُدنيكَ مِنّي الشوقُ حتّى إنّني ... لأراكَ رَأْيَ العين لولا أدمعي[2].
وأحِنُّ شوقاً للنسيم إذا سرى ... بحديثِكم وأصِيحُ كالمستطلع:
كان اللقاءُ فكانَ حظّي ناظري، ... وَسَطا الفِراقُ فصار حظّي مَسْمَعي[3].
فآبعَثْ خيالَك تُهْدِهِ نارَ الحشا ... إن كان يجهلُ من مُقامي مَوْضِعي[4].

- قال الجزنّائي الفاسي في الحماسة وحال الدنيا والناس:

عَجِبْتُ من الأيامِ أنّى ألِفْتُها! ... مُسالَمةُ الأيام إحدى العجائبِ[5].
ولابَسْتُ حاليَها من الكُرْهِ والرِّضا، ... وقد شابَ رأسي وَهْيَ سُودُ الذوائبِ.
ومارَسْتُ أبناءَ الزمانِ فلم أجِدْ ... أخا ثِقَةٍ، يا حارِ، غيرَ التجارب[6].

---

(١) الشحط: البعد.

(٢) كَثرة أدمعي تحول بيني وبين رؤيتك (لو كنتَ حاضراً أمامي).

(٣) كان لقاؤنا حينما كنتَ أنت حيًّا. سطا يسطو: بطش آعتدى، ظلم. صار حظّي ما أسمعه عنك.

(٤) أرسِلْ خيالك (في المنام) لتهدأ لوعتي قليلاً. وإذا كان خيالك لا يعرف مقامي (بضمّ الميم: مكان وجودي) فيكفي أن تشعر نفسي به.

(٥) - عجبت (من نفسي) أنّى (كيف) آستطعت أن آلَفَ الأيامَ، فإنّ مسالمة الأيام (العيش معها بأمان) أمر عجيب في ذاته.

(٦) يا حار= يا حارث (أيّها الإنسان). لا أثق إلّا بما عرفته عن تجربة.

مَلِيّونَ بالبغضاءِ إلّا تَمَلُّقاً، وما هو إلّا مثلُ إبساسِ حالب[١].
وَسِعْتُ الليالي عِفّةً وقناعة، وقد ضِقْنَ ذَرعاً عن تَسنّي مآربي[٢].
وقَضّيْتُها خمساً وعِشرينَ حِجّةً أُصَدِّقُ ظنّي بالأماني الكواذب.
فما لِيَ للأوطانِ! هل يُطْلَبُ الجَدا من القَطْرِ إلّا كائناً في السحائب[٣]؟
وما كُنتُ أرضى أن أُقيمَ بذِلّةٍ، فكيفَ وما سُدّتْ عليّ مذاهبي؟
ستألفُ منّي البِيدُ طَلّاعَ أنْجُدٍ قليلَ هُمومِ النفسِ جَمَّ المطالب[٤]،
حليفَ سُرًى لا يسأمُ البِيدَ والسُّرى، طِوالَ الليالي في عِراضِ السباسب[٥]؛
أُزَجّي بها من عَزْمَتي مُتَوَقِّداً فأحْسَبُني بعضَ النجوم الثواقب[٦].

- وله من رسالة:

قد كان حَنيني إلى سيّدي - أطالَ اللهُ بقاءه وسَنَّى لِقاءه - مَوْصولاً مَعَ الاتّصال، ودائماً مَعَ البُكَرِ والآصال[٧]. لا تلحَقُهُ فَتْرَةٌ فأَضِلَّ فيها عن هَدْيِهِ الواضحِ الأَمَم[٨]، وأظَلَّ فيها من سواهُ عاكفاً بأعلى صنم[٩]؛ ومَنظَرُ العيشِ أنيقٌ، وغُصن الشَّبيبة وريقٌ[١٠]، والدهرُ جَمَعَ ولم يُحْسِنِ التفريقَ.... والدارُ حَرِيّةٌ بما تَهْوى الأَنْفُسُ، واليد

---

(١) مليّ = مملوء. الإبساس: التلطّف والمداراة. ولعلّها هنا: المَرْي (بفتح فسكون): دَلْكُ ضرع البقرة بشيء قليل من حليبها لتدرّ.
(٢) تسنّي: ساني (أحسن المعاشرة). والشاعر يقصد: حصول، تحقيق.
(٣) الجدا: العطاء. القطر: المطر.
(٤) أنجُد جمع نجد (أرض عالية، صعبة المرتقى).
(٥) البيد جمع بيداء (الأرض الواسعة). السُّرى: السير ليلاً. السبسب: المفازة (الصحراء الواسعة التي يتيه فيها السائر).
(٦) أزجّي: أُرسلُ، أبعث. متوقّداً: مشتعلاً (رجلاً نشيطاً). ثاقب: شديد اللمعان (كأنّه يثقب الليل).
(٧) سنّى لقاءه: أحسن معاملته (؟) (يقصد: قرّب). البكرة (بالضم): وقت الصباح. الآصال جميع أصيل: الوقت عند العصر (منتصف الزمن بين الظهر والمغرب).
(٨) فترة: هدوء، كسل. أمم: قريب.
(٩) بأعلى (يجب أن تكون «على»). عاكف على صنم: جامد لا يتصرّف في أمر.
(١٠) أنيق: جميل، يحسن في العين. الغضّ: الجديد، الطريّ. وريق: عليه ورقه (الأخضر)، في مطلع الشباب.

مليئةٌ بنُضار العُقار تَصْرفه في لجين الأكؤس[١]، وشَمْلُنا المُنْتَظِمُ عِقدٌ على لَبّةِ[٢] الزمان، ولياليا في مُقلته كُحْل وفي وَجْنَتِه خيلانٌ[٣]. فكيف وقد عادَ الدهر بِجَوْره وسَطاه، فشتَّ عِقْدَ شملنا وأذهبَ وَسَطا[٤]، وأرانا من حَدَثانه عَجَباً؟....

٤ - ★★ نثير فرائد الجمان ٣٣٥-٣٤٣؛ الإحاطة ١: ٢٨٠-٢٨٥؛ أوصاف الناس ١٠٦-١٠٧؛ نيل الابتهاج ٦٨؛ النبوغ المغربي ٢٢٧، ٧٣٠-٧٣٢، ٩٣٣؛ الأدب المغربي ٢٤٣-٢٤٩.

ابن الصائغ المغربيّ

١ - هو مُحِبُّ الدين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ محمّدِ بنِ لُبٍّ بن الصائغ الأمويُّ القُرَشِيُّ المَغربيّ، قرأ على أبي الحسنِ بن أبي العيش وعلي الخطيبِ بنِ عليّ الغنجاطي (بغية الوعاة ٦٠).

جاء ابنُ الصائغِ المَغْرِبيُّ إلى مِصْرَ فَلَقِيَ فيها، سَنَةَ ٧٢٨ هـ (١٣٢٧ - ١٣٢٨ م) ابنَ أَيْبَكَ الصَّفَدِيَّ صاحبَ كتاب الوافي بالوَفَيَاتِ وقرأ مَعَه صحيحَ البُخاري على شِهابِ الدين أحمدَ بنِ المُرحِّلِ النَّحْويّ وعلى فتحِ الله بن سيّدِ الناسِ وعلى أبي القاسمِ أخي أبي الفتح. وكان في مِصْرَ مُلازماً لأثير الدين أبي حيّانَ الغَرْناطي (ت ٧٤٥ هـ).

وحجّ ابنُ الصائغِ المغربيُّ ومَدَحَ قاضِيَ مكّة نجمَ الدين محمّدَ بنَ محمّدِ الطبريَّ (ت ٧٣١ هـ).

عاش ابنُ الصائغِ المغربيُّ في فَقْرٍ شديدٍ، ثمّ كانت وفاتُه في مِصْرَ بالطاعونِ، سَنَةَ ٧٤٩ هـ، (١٣٤٨ م).

---

(١) الدار: المسكن، البلد، الوطن. حَرِيّة: مستحقّة. النضار: الذهب. العقار: الخمر. الأكؤس جمع كأس. في لجين (فضّة) الأكؤس: في كؤوس من الزجاج الأبيض كالفضّة.

(٢) اللَّبّة: الصدر.

(٣) خيلان: تكبّر.

(٤) الجور: الظلم. سطاه (يقصد سطوته وبطشه). سطاه (؟)- يستقيم المعنى إذا حذفنا الهاء من الكلمتين. سطا (فعل ماض): بطش. وسط (بفتح ففتح): الاعتدال.

٢- كان ابنُ الصائغِ المغربيُّ عارفاً بالنَحْوِ والعَروض واسعَ المعرفةِ باللُّغـةِ. وكان يَنْظِمُ الشعرَ ويأتي أحياناً بالقوافي النادرةِ مَعَ لزومِ ما لا يلزم. وكان بارعاً في الضَّرْبِ على العود.

٣- مختارات من شعره

- لما كان ابنُ الصائغ المغربيُّ في مكّةَ أنشدَهُ قاضيها نجمُ الدين الطبريُّ قصيدةً كافيّةً من لُزوم ما لا يلزَمُ مَطْلَعُها (راجع الوافي بالوفيات ١ : ٢٢٩):

أشَبيهــةَ البــدرِ التَّمامِ إذا بـدا ... حُسْنـاً، وليس البَدْرُ من أشْباهِكِ!

فَاسْتَهْوَتْ هذه القصيدةُ ابنَ الصائغِ فعارَضَها بقصيدةٍ مَدَحَ بها نجمَ الدين. من هذه القصيدةِ:

رِقِّي لِجِسْمٍ رَقّ من دَنَفِ الهوى؛ ... وشِفـاه مـا تَحْويه حُوُّ شِفاهِكِ(١).
وَسَنٌ نَفَى وَسَني فنمْتُ ولم أنَمْ، ... مـا ليلةُ الساهي كلَيْلِ الساهِك(٢)!
إنّي شمِمْـتُ الزَّهْرَ بـلَّ عيونَه ... طَـلٌّ فأنبَهَـهُ لـدى إنْباهِك(٣)،
زَمَنـاً أُرَدِّدُ آهـةَ المَشْغوفِ من ... حُرَقي، فتَحْكيني تَرجُّع آهِك(٤).
أنَضـارتي، اشْتَعَلَ المَشيبُ فأنْضَبَتْ ... شُعَلَ الحَشا ما راق من أمْواهك(٥).
حَلَكُ المفارقِ قد تنفّسَ صُبْحُه؛ ... يا نفسُ، هُبّي من كَرى اسْتِعْماهِك(٦)،

---

(١) رقّي (من الرّقة: الحنوّ، العطف). رق: أصبح رقيقاً (نحيل الجسم). الدنف: الهلاك (الموت). شفاه = شفاؤه. الحوّة (بالضمّ): السمرة (في الشفاه).

(٢) الوسن: النوم. وسن (وسنك = نومك مطمئنّة غافلة عنّي) نفى (منع) وسني (نومي أنا، لأنّني معذّب بحبّك) الساهي (الغافل) كليل (مثل ليل) الساهك: الرمد (بفتح فكسر)، الذي أصابه مرض في عينيه.

(٣) الطلّ: المطر الخفيف، قطرات من الماء تتجمّع في الليل على ورق الشجر. - لمّا انتبهت أنت من النوم، تفتّحت الأزهار.

(٤) المشغوف: المحبّ الذي وصل الحبّ إلى شغاف (غلاف) قلبه فأمرضه. أردد التأوه من هجرك منذ زمن طويل. تحكيني (تشبهني، تقلّدني) ترجّع (ترديد، تكرار) آهك (قولك: آه). -؟.

(٥) أنضارتي = يا نضارتي (زهو شبابي) التي كانت لي قديماً. أنضب: جفّف. اشتعل المشيب: عمّ المشيب رأسي. - راق: صفا. أمواه جمع ماء. -؟

(٦) حلك (ظلام). المفارق جمع مفرق: مكان فرق الشعر في الرأس. قد تنفّس صبحه(ظهر فيه الشيب). الكرى: النوم. استعماه = العمه (بفتح ففتح): العمى: الغفلة.

يستبدهونـــك للنسيـــب، فشرّفي بشريف مكّةَ مُنتَجَ اسْتِبداهِكِ[١]،
قاضي الشريعـةِ والمُقـيمُ مَنارَهـا حيثُ المَقامُ وحيثُ بَيْتُ إلاهِكِ[٢].
يـا نفسُ، إنّي قد نَقَهْتُ من الغِنى، ولقـد غَنيتُ اليومَ باسْتِنْقاهِكِ[٣].
هـذا الجَوادُ بمـا حوى أُمنـاهُ في إفقارِ كيسِ المالِ أو إرْهافِكِ[٤].
يَسْخو بما يُوعي، ويظني ما يَعي، كم بـينَ كَنْزِ نفيسة ونفاهِكِ[٥].
دارتْ رَحـى الأَزَمات تَبْغي جارَهُ فأجـارَهُ مِنْ كلِّ داءٍ داهِكِ[٦].
أُمَّ القُرى، قـد جارَ مَنْ أَمَّ القِرى بفِنـاءِ بُدْنِـك كلِّها وبشاهِـكِ[٧].
ناسَبْـتُ غُـرّتَـه وبيـتَ نَسيبـهِ فأعَدْتُ «ليس البَدْرُ من أشباهِكِ»[٨].
يـا فِكرةً بَدَهَـتْ بأبـدعِ مُلْحةٍ، ما أقربَ الإبداعَ من إبداهِكِ[٩]!

---

(١) يستبدهونك للنسيب (يطلبون منك أن تقولي بديهة- بغير استعداد- نسيباً)، فلا تضيعي وقتك وجهودك بقول النسيب، بل امدحي بهذه البديهة شريف مكّة.... شريف مكّة: حاكمها، الوالي عليها. المنتج (مبنياً للمفعول: المنتوج، المولود).

(٢) منارها: مفعول به من «المقيم». المقام: مقام إبراهيم (قرب الكعبة). بيت الله: الكعبة.

(٣) نقه الرجل من المرض (شفي منه). نقه من الغنى (افتقر). استنقاهك، يا نفسي أنا.... (.... الذي يريد أن يشفيني من الفقر).

(٤) أمناه (يقصد: أمنيته، مراده) أرفاهك (أن يجعل لك، يا نفسي، رفاهية: سعة من العيش الناعم).

(٥) يسخو: يجود. أوعى الشيء يوعيه (وضعه في وعاء، حفظه)- يجود بكلّ ما يملك. يظني(؟). يعي: يحفظ، يجمع (من المال).- يرى أن جمع المال من غير انفاقه على المستحقّين ظلم (؟). كم بين كنز نفيسة ونقاهك: كلّ مال(مهما يقلّ) يجعلك، يا نفسي، ناقهة من فقرك (غنية).

(٦) الأزمة: الشدّة، الضيقة (الفقر). الرحى (بالألف الطويلة أو بالألف المقصورة): الطاحون. دارت الرحا (اشتدّت الحال على الإنسان).
الداهك: الطاحن (العنيف، الشديد).

(٧) أمّ القرى (منادى): يا أمّ القرى (مكّة). جار: استجار. من «أمّ» (قصد) القرى (بالكسر): الضيافة. الفناء (بالكسر): الباحة. البدن (بالضمّ) جمع بدنة (بفتح ففتح): الحيوان الذي يساق ليذبح في موسم الحجّ في مكّة. الشاه= الشاء جمع شاة.- من استجار بك (يا مكّة) استحقّ كل عطيّة (؟).

(٨) أردت أن أمدح وضاءة وجهه في شعر. فأعدت: رجعت، عجزت (؟) فرددتً الكلام الذي قلته أنت في مطلع قصيدتك: «ليس البدر من أشباهك».- لم أقبل أن أشبّهه بالبدر، لأنّ البدر لا يشبهه (؟).

(٩) فاجأتني فكرة معارضة قصيدة نجم الدين الطبري، بأبدع ملحة (تطرّفاً). في الأصل: الإبداع بعد «ما» التعجبيّة. لعلّ جعل «ما» حرف نفي والإبداع فاعلاً أصح. لم يصل إبداعي (مقدرتي في الشعر) إلى مستوى الفكرة التي خطرت لي (وهذا ملموح في البيت التالي).

عَرّضتِهـا لمعـارِضٍ لم يَحْكِهـا.　　أنّى، وقد لَزِمَتْ قوافِيها «هك»[1].

٤ - ★★ الوافي بالوفيات ٣: ٣٧٥ - ٣٧٨، راجع ١: ٢٢٩؛ الكتيبة الكامنة ٨٨ - ٩٠؛ بغية الوعاة ٦٠، شذرات ٦: ٢٦٥؛ درة الحجال ٢: ٣٠٣ - ٣٠٥؛ نفح الطيب ٤: ٣٣٦ - ٣٣٧.

أبو العَلاء بن سماك[2]

١ - هو أبو العَلاء محمّدُ بنُ محمّد بنِ سماكِ بنِ عبد الحقّ بنِ سماكٍ العامليُّ الغَرناطيُّ، سَمِعَ من أبي الحسنِ بن أبي العيش وأبي عبد الله بن الفخّار وأبي عبد الله بن بكرٍ وأبي القاسم بن جُزيٍّ، وكتب في الدار السُّلطانية (في غَرناطةَ). ثمّ كانتْ وفاتُه في المُحَرَّم من سَنَة ٧٥٠ (مطلع الربيعِ من عام ١٣٤٩ م).

٢ - كان أبو العَلاء بنُ سماكٍ بارعاً في الأدب شاعراً مُكثراً، فيما يبدو، يَغْلِبُ على شِعرِه المَدْح ووصفُ الحرب وأشياءُ من التأمُّل والحِكمة مَعَ نفحةٍ صوفية. وبَرَع في علم العَروض. ثمّ كانتْ له مشاركةٌ في علم السياسة. وكذلك كان مُصنِّفاً له: الزَّهَرات المنثورة في نُكَتِ الأخبارِ المأثورة - الدُّرُّ الثمين في مناهجِ الملوك والسلاطين - رَوْنَق التحبير في حُكْمِ السياسة والتدبير.

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو العَلاء بنُ سماكٍ في الوِحْدة والآنصرافِ إلى العِلم والإفادة بالعلم:

مُنـايَ من الدُّنيا كِتابٌ وخَلوةٌ　　أكونُ بهـا بـالله ثمّ مَـعَ اللهِ[3]؛

(١) لم يحكها: لم يستطع أن يأتي بما يحاكيها (يشبهها). أنّى؟: كيف؟ إنّ القافية «هك» أمر صعب.

(٢) سماك (غير محلّاة باللام وغير مضبوطة بالشكل فيما لديّ من الكتب). وأبو العلاء بن سماك هذا هو غير أبي عبد الله محمّد بن إبراهيم الجيّاني المعروف بابن السماك (ت ٦٤٠ هـ) وكان أيضاً شاعراً (القدح المعلّى ١٣٤؛ نفح الطيب ٣: ٣١٤ - ٣١٥).

(٣) الخلوة (بالنفس): الوِحدة (بالكسر). بالله ومع الله (هنا) من تعابير الصوفية: في حال أسبغها الله عليّ ثمّ متّصلاً بالله (شيئاً واحداً مع الله).

وأنشُرُ من ذاك الكتابِ معارفاً لِكُلِّ مُنيبٍ للمُهَيْمِنِ أوّاهِ[1].

– وقال أبو العَلاء بن سماك يمدحُ السلطان ويذكُرُ آستردادَ حِصْنٍ كان الإسبانُ قدِ آستَوْلَوْا عليه (الكتيبة الكامنة ١٩٩):

فتحٌ تلقّى النَّصرُ منه تحيّةً من لَفْظِها ماءُ البشاشة يقطُرُ
فتحَتْ سُيوفُك كَرْيكولَ، وإنّه في الفتح عُنوانٌ لما هُوَ أكبر
ثغرٌ على الأرض الفضاء طليعةٌ، فلَهُ على كلّ البسيطة مَظْهَرُ[2].
يرنو إلى أرضِ العدُوِّ كأنّه لحظٌ يُضَمُّ عليه مِنْها مَحْجِرُ[3].
ما أن يشُنُّ الكُفْرُ يوماً غارةً إلّا وبالمغوار منه منذر[4].
صَعِدَ العُداةُ عليه أمْنَعَ مَعْقِلٍ مُتَمَثّلينَ بأنّه لا يُحْصَرُ[5].
فَسَمَتْ جُيوشُك منه أعلى شاهقٍ يرتَدُّ عنه الطَّرفُ وَهْوَ مُحَيَّرُ[6].
في رأسِ سنٍّ لا تُغامُ سماؤه، مِنْ دُونهِ قَطْرُ الغَمامِ المُمْطِرُ[7].
فكأنّ هِرْمِسَ بَثّ حِكمتَه به، وأدَقَّ فيه فِكْرَهُ الإسكندرُ[8].

---

(١) أوّاه: كثير التضرّع والدعاء. المنيب (الراجع إلى الله: التائب). المهيمن من أسماء الله الحسنى.

(٢) الثغر: المكان يخشى منه مجيء العدو. الأرض الفضاء: الواسعة. طليعة: مقدّمة من الجيش تراقب تحرّك العدوّ. البسيطة: الأرض (الكرة الأرضية). مظهر: إشراف أو نظر من مكان مرتفع (ظهر فلانٌ البيتَ: صَعِدَ إلى ظهره أو سطحه).

(٣) يرنو: ينظر. المحجر: التجويف الذي تستقرّ فيه العين.

(٤) المغوار: المقاتل الكثير الغارات على أعدائه. منذر (بالبناء للمجهول؟): يأتي العدوّ بالنبأ السّيّىء. كلّما شنّ الإسبان غارة وقعت عليهم (من هذا المغوار) هزيمة.

(٥) المَعْقِل (الحِصن) المنيع (الذي يَعْجِز المهاجم عن الوصول إليه). متمثلين (أو متخيّلين). يحصر (يمكن إقامة طوق من الحصار حوله).

(٦) الطرف: البصر.

(٧) السن: المكان المرتفع (؟) كسنّ الرمح (؟). في الحاشية (شقّ). لا تغام سماؤه: لا يصل الغيم إلى أعلاه. الممطر (بالبناء للمعلوم؟)- الغيوم التي تمطر تكون تحته.

(٨) هرمس اسم لعدد من الأشخاص الخرافيّين. هرمس هنا هو هرمس الأول الذي استخرج بفكره جميع علوم الأقدمين. بثّ: نشر. به (؟). الإسكندر (الافروديسي) فيلسوف قديم كان بارعاً في العلوم الحكميّة، وقد فسّر (شرح) أكثر كتب أرسطوطاليس

فَضَفـا من النَّقع المُثار عَلَيْهِمُ   بُرْدٌ بأطرافِ الرِّمـاح مُحَبَّر[١].
فَٱستُنْزِلوا مُسْتَسْلِمـــينَ، وربَّما   أعيا الحُماةَ حلولُ ما لا يُقدَر[٢].
أَلْقَوْا يَدَ الإذْعانِ خِيفةَ هُلْكِهِمْ،   وضُلوعُهم تَنْـدَقُّ أو تَتَـفَطَّرُ[٣].

٤-★★ الكتيبة الكامنة ١٩٨-٢٠٠؛ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ١٧٨ (رقم ٤٨٢)-(القاهرة) ٤: ٢٩٥-٢٩٦ (رقم ٤٣٤)؛ الأعلام للزركلي (٧: ٣٦).

ابن ليون التجيبيّ

١- هو أبو عثمانَ سعدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ ليونَ التُّجيبيُّ[٤] أصلُه من لُورقَة ومَوْلِدُه سَنَةَ ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) في المَرِيّة، وفيها قضى حياتَه كلَّها لم يُغادِرْها قطُّ. وتصدَّر فيها للتدريس. وكانت وفاتُه بالطاعون، في رابعَ عَشَرَ جُمادى الآخِرةِ من سَنَةِ ٧٥٠ (١٣٤٦/٨/٤١ م).

٢- كان ابنُ لِيونَ التُّجيبيُّ مشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة: في الطِبّ (وكان طبيباً ماهراً) وفي الحِكمة (الفلسفة) والفقه والفرائض (تقسيم الإرث) والمِساحة (الهندسة المستوية) والعَروض. وقد كانتْ له قُدرةٌ على النظم يتناولُ الآراء المختلفة فيَنْظِمُها في مقطّعات (من البيتين والثلاثة): يقتبسُ من القُرآنِ الكريم والحديثِ الشريف ومن شِعر الشعراء ومِنَ الأقوال الشائعة. وشِعرُه واضحُ المعاني سهلُ التركيب ينوءُ أحياناً كثيرةً

(١) ضفا: امتدّ (فوق رؤوس الأعداء). النقع (بالفتح): غُبار الحرب. بُرد: ثوب من حرير. محبّر: مزيّن، منمّق.

(٢) استنزل الخصمُ خصمَه من الحصن (أجبره على النزول). أعيا الحماة (مفعول به مقدّم) ما لا يقدر (بالبناء اللمجهول) المعنى الملموح: إن حماة الحصن (من الإسبان) قد أعياهم (أتعبهم، أعجزهم) حلول (البقاء في الحصن) لأنّ الله لم يقدر (لم يشأ) لهم ذلك.

(٣) الإذعان: الخضوع. ألقَوا (بفتح القاف) يد الإذعان: استسلموا وخضعوا. الهلك (بالضمّ): الهلاك. اندقّ (أصبح دقيقاً أو طحيناً). تفطّر: تشقّق، تقطّع (من الخوف؟).

(٤) هو غير سعد بن أحمد التجيبي الجونديّ الجيّاني (نحو ٦٦٢ - رابع شعبان ٧٢٢) أحد شيوخ الشورى والفُتيا (نيل الابتهاج ١٢٤ - ١٢٥).

بأشياءَ من الضَّعْف (في النَحْو وفي الوزن)، ولا تكادُ تلمَحُ له ابتكاراً، وكثيرٌ من معانيه مُكرَّرٌ في مقطّعاتٍ عديدةٍ. ثمّ هو مُكثِرٌ اختارَ له المقريُّ ما ملأ به أكثرَ من خمسين صفحةً من «نفح الطيب».

وابنُ لِيونَ التُّجيبيُّ مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ له ثلاثون كتاباً (وقيل: مِائَةُ كِتابٍ)، منها: أنداء الدِّيَمِ في الوصايا والمَواعظ والحِكَم (انتهى من تأليفه في منتصف شَعبانَ من سَنَةِ ٧٣١) - الأبياتُ المهذبة في المعاني المقرّبة - نُصح (نصائح؟) الأحباب وصَحائح الآداب - العُمدة في علوم الإسناد (الحديثِ الشريف) - إبداء المَلاحة وإنهاء الرَّجاحة في أصولِ صِناعة الفِلاحة (رجز) - كتابُ في الهندسة - كتاب في الفلاحة - كمالُ الحافظ وجَمال اللافظ في الحكم والوصايا والمواعظ.

واختصرَ ابنُ لِيونَ التُجيبيُّ عدداً من الكتب منها: لَمْحُ السِّحر في رُوح الشِّعر (لمحمّدِ بنِ أحمدَ بنِ الجلّابِ الفِهريّ - أتمّ اختصارَه سَنَةَ ٧٣٩ هـ) - بُغيةُ المؤانِس من «بهجة المَجالس وأُنس المُجالس» (لابنِ عبد البَرِّ) - المرتبةُ العُليا (لابنِ رشادٍ القَفْصي) - النُّخْبة العُليا من «أدب الدين والدنيا» (لأبي الحسن الماوَرْدي) - الإنالة العِلْمية «من رسالة في أحوال فقراء الصوفية المتجرّدين» (لعليّ بن عبد الله الشُشتري).

٣ - مختارات من شعره

- من مقطّعاته في الأدب (الحكمة):

★ شرُّ إخوانِك من لا ... تهتدي فيه سبيلا:
يُظْهِرُ الوُدَّ ويُخفي ... مَكْرَهُ داءً دَخيلا؛
يَتّقي منك اتّقاءً ... وهو يُوليكَ الجميلا!

★ لِنْ لِمَنْ تَخشى أذاهُ ... والْقَهُ في بابِ دارِهْ.
إنّما الدنيا مُدارا ... ةٌ؛ فَمَنْ تَخْشاهُ دارِهْ!

★ إذا كانتْ عُيوبُك عند نَقْدٍ ... تُعَدُّ، فأنتَ أجدَرُ بالكمالِ.
مَتى سَلِمَتْ من النَّقْدِ البَرايا؟ ... وحَسْبُكَ ما تُشاهِدُ في الهِلالِ!

★ سُكْرُ الوِلايةِ ما له صَحْوُ، وكلامُهـــا وحِراكُهـــا زَهْوُ.
يَهْــذي الفَــتى أيــامَ عِزّتِهـا، فــإذا تَقَضّــتْ نابَــهُ شَجْوُ[١].
فحَذارِ، لا تَغْرُرْكَ صَوْلَتُها وزَمانُهـــا، فثُبوتُهـــا مَحْوُ[٢]!
★ خَلِّ رأيَ الجُهّالِ ما ٱسْطَعْتَ وٱتْبَــعْ رأيَ أهــلِ الحُلوم والتجريــب.
رأيُ أهلِ الصَّلاحِ نورٌ يُجَلّي ظُلمـةَ الكَرْبِ في ليالي الخُطوب.
★ زَمَنُ الفضائلِ قـد مضى لِسبيلِه، ولَوَى بطِيبِ العيشِ وَشْكُ رَحيلِه[٣].
رَكَـدَتْ رِياحُ الجِدِّ بعدَ هُبوبِها، وعـلا فَريقُ الهَزْلِ بعدَ خُمولِه[٤].
هَيْهاتِ، ما زَمَنُ الكِرامِ وما هُمُ؟ ذَهَبوا؛ وجَـدَّ الدهرُ في تحويلـه.
★ لا تَقْبَلِ الحُكْمَ على بلدةٍ نشأتَ فيهـــا؛ إنّـــه يُحْقِـــدُ!
رِياسةُ المرءِ على الأهلِ والـ جـــيرانِ والخِلّانِ لا تُحْمَـــدُ.
★ تغافَلْ في الأمورِ ولا تُناقِشْ فَيَقْطَعَـــكَ القريـــبُ وذو المَودّهْ.
مُناقشةُ الفتى تَجْني عليه وتُبْدِلُـــه من الراحـــاتِ شِدّهْ.
★ جرّبِ الناسَ ما ٱسْتَطَعْتَ تَجِدْهُمْ لا يَرى الشخـصُ مِنْهُمُ غيرَ نَفْسِهْ.
فالسعيدُ السعيدُ من أخَذَ العَفْـ ـوَ ودارَى جميـعَ أبناءِ جِنْسِهْ[٥].
★ أرِحِ النفسَ تَنْتَفِعْ بحياتِكْ وٱغْنَمِ العيشَ قبـلَ يومِ وَفاتِكْ.
وٱطّرِحْ عَيْبَ مَنْ سِواكَ، وسالِمْ جُمْلَةَ الناسِ يَغْفُلوا عن أذاتِكْ[٦].
واعتَبِرْ بالـذينَ بـادوا، وبـادِرْ مـا يُدانيك من سبيلِ نجاتِكْ.

---

(١) نابه: أصابه. شجو: حزن.

(٢) ... لا يغرّك (بفتح الراء) ما تعطيه الدنيا من صولة (سلطة). الثبوت والمحو (من اصطلاحات الصوفية). الثبوت (هنا - في المعنى اللغوي): وجود السلطة في يدك (في الدنيا). محو: ذهاب لشخصيّتك (المحو - عند الصوفية - أن يتلاشى وجود الإنسان ويبقى وجود الله).

(٣) وشك: قرب.

(٤) ركد: هدأ، سكن.

(٥) العفو (هنا): ما يفضُل عن الناس (لا تزاحم أحداً على مغنم من مغانم الدنيا، واقنع بما يتركونه ممّا لا يحتاجون إليه).

(٦) «من» (زائدة، زادها الشاعر لإقامة الوزن). ٱطّرَح: ترك، أزاح عن عاتقه.

٤ - ★★ الكتيبة الكامنة ٨٦ - ٨٧؛ نيل الابتهاج ١٢٣ - ١٢٤؛ درة الحجال ٢: ٤٦٧ - ٤٧٠؛ نفح الطيب ٥: ٥٤٣ - ٦٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٨٥٥؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٨٠، الأعلام للزركلي ٣: ١٣٢ (٨٣ - ٨٤).

محمّد البدريّ

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ محمّدٍ البدريُّ الأندلسيُّ، قرأ على أبي جعفرِ بن الزّيّات وعلى ابن الكمّاد، وأخذ أصول الدين وأصول الفِقه (؟) والنحوَ عن أبي عُمَرَ بنِ منظورٍ ولازَمَهُ. وقد حَجّ، ويبدو أنّه - وهُوَ في طريق ذَهابه أو إيابه - قد أخذ الفِقه عن أبي عبدِ الله بنِ عبدِ السلام في تُونسَ. ثمّ إنّه عاد إلى الأندلُس وأقرأ في بلدِه بَلِّشَ. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٧٥٠ للهجرة (١٣٤٩ م).

٢ - كان أبو عبد الله محمّدُ البدريُّ حَسَنَ التِّلاوةِ للقرآنِ الكريم، جيِّد المعرفةِ بالفِقه وبأصولِ الدين وخطيباً بليغاً حَسَنَ الوعظِ. وكذلك كان شاعراً مُجيداً رقيقاً غَزِلاً.

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو عبد الله محمّدُ البدريُّ في النسيب (نيل الآبتهاج ٢٤٩):

خالٌ على خدِّكَ أمْ عَنْبَرُ ... ولؤلؤٌ ثغرُك أم جوهرُ[1]؟
أوريتَ نار الحُبّ (بي) في الحشا، ... فصارتِ النارُ به تُسْعَرُ[2].
لو جُدتَّ لي منك برَشْفِ اللَّمى، ... لقُلتُ: خمرٌ عسَلٌ سُكّرٌ[3].
دَعْنِيَ في الحُبِّ أذُبْ لَوعةً، ... سفكُ دمِ العاشقِ لا يُنْكَر.

٤ - ★★ نيل الابتهاج ٢٤٨ - ٢٤٩؛ عنوان الأريب ١: ١٠٢ - ١٠٣.

---

(١) العنبر: طيب أسود اللون. الجوهر (هنا): اللؤلؤ أيضاً.
(٢) البيت في الأصل: نار الحبّ في الحشا فصارت الناس.... تُسعر (بالبناء للمجهول): تُوقد، تُشعَل.
(٣) اللّمى: سُمرة الشفاه (كناية عن الريق).

ابن المرابع

١ - هو أبو محمدٍ عبدُ الله بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الله الأزْدِيّ الغَرْناطيُّ، وُلد في بَلِّشَ قربَ مالَقة، قضى حياته يتطوّف في الأندلس وفي المغرب يتقرّب من الحكام بُغيةَ التكسّب منهم. ولكنه لم ينل حُظوة ولا شهرة - لا في المغرب ولا في الأندلس نفسها. وكانت وفاته في بلّش بالطاعون، سنة ٧٥٠ (١٣٥٠ م).

٢ - كان ابن المرابع من طبقة متوسطة في الناثرين والشعراء كثيرَ الهجاء، وهو ممثل الطريقة الساسانية في الأندلس (الاستجداء بالأدب). وليس في شعره براعة خاصة إلا في رثائه للديك. وقد رثى والدَ ابن الخطيب وأخاه بعد استشهادهما في وقعة طريف (سنة ٧٤١) ثم مدح ابن الخطيب نفسه (سنة ٧٤٩). وأبرز آثاره «مقامة العيد» (عبد الأضحى).

٣ - مختارات من آثاره

- من مقامة العيد لأبي محمدٍ الأزديّ بن المرابع:

يقولُ شاكرُ الأيادي وذاكرُ فخرِ كل ناد وناثر غُرَرِ الغُرَر للعاكفِ والبادي والرائحِ والغادي[1]: اسمعوا مِنّي حديثاً تَلَذُّه الأسماعُ ويستطرفه الاستماع ويشهَد بحُسنهِ الإجماع، وهو من الأحاديث التي لم تتّفق إلّا لمثلي ولا ذُكِرت عن أحدٍ قبلي. وذلك - يا معشَرَ الألّفاء والخُلصاء والأحِبّاء - أني دخلت في هذه الأيام داري في بعض أدواري لأقضِيَ من أخذ الغذاء أوْطاري على حسب أطواري. فقالت لي رَبّة البيت: لِمَ جِئتَ ولِمَ أتَيْتَ؟ قُلتُ: جئت لكذا وكذا، فما الغذا؟ قالت: لا غذا عندي اليومَ ولو أوْدى بِكَ[2] الصومُ، حتى تسل الاستخارة وتفعَلُ كما فعلَ زوجُ الجارة طيّب الله نجارَه

(١) شاكر الأيادي (المُثني على الذين أنعموا عليه)، والمقصود به هنا «الراوي» الذي يروي المقامة عن المجلس الذي يرد ذكرها فيه. الغرة: البياض في الجبهة، العمل الجميل. ناثر غرر الغرر: ناشر ذكر الأعمال الجميلة. العاكف: القائم في بلده (المدينة). البادي (الساكن في البادية). الرائح: الراجع في المساء. الغادي: الذاهب (المبكّر) في الصباح.

(٢) أودى بك: أهلكك. الصوم: (هنا) الجوع. الاستخارة: طلب خير ما في الأشياء. تسل الاستخاره (؟).

وملأ بالأرزاق وِجاره[1]. قلت: وما فعل؟... قالت: إنه قد فكّر في العيد ونظر في أسباب التعييد وفعل في ذلك ما يَسْتحسِنُه القريب والبعيد. وأنت قد نَسِيتَ ذِكرَه ومحَوْته من بالك ولم تنظُرْ إليه نظرةً بعينِ اهتبالك. وعيد الأضحى في اليد[2] والنظر في شراء الأُضْحِيَةِ (اليومَ) أوفق من الغد......

فلم يَسَعْني إلّا أن عَدَوْتُ أطوفُ السُّكَكَ والشوارع وأُبادر لِمَا غَدَوْت بسبيله وأسارع، وأجوب الآفاق وأسأل الرفاق، واخترق الأسواق واقتحم زريبةً بعد زريبةٍ واختبر منها البعيدةَ والقريبة. فما استرخصتُه استنقصتُه، وما استغليته استعليتُه[3]..... حتى انقضى ثلثا يومي وقد عَيِيتُ بدَوَراني وصومي.... فأومأت[4] للإياب وأنا أجدُ من خوفها[5] ما يجد صغار الغنم من الذئاب، إلى أن مَرَرْتُ بقصّاب في مَجْزرةٍ وقد شدّ في وسَطه مِئزره..... وبين يديه عنْزٌ قد شَدّ يَدَيْهِ في رَوْقَيْه[6]، وهو يَجْذِبه فيبرُك، ويجرّه فلا يتحرّك، ويَرومُ سَيْرَه فيَرْجعُ القَهْقرى ويعود إلى ورا، وهو يقول: آهٍ له من جانٍ باغٍ وشيطان طاغٍ[7].....

فقلت للقصاب: كم طلبُك فيه على أنْ تُمْهلَ الثمن حتى أُوَفّيه. قال: ابْغِني أجيراً وكُنْ له الآنَ من الذبح مُجيراً[8]. وخُذْه بما يُرضي لأولي التقضّي.... ابْتَعْهُ مني نَسِيَّةً وخذه هديةً[9].... وقال: تضمنُ لي فيه عشرين كباراً أَقبِضُها منك لانقضاء الحَوْل

---

(١) النِّجَار: الأصل. الوجار: بيت الثعلب، (هنا) البيت عموماً.

(٢) الاهتبال: انتهاز الفرصة، التمسّك بالشيء. في اليد: قريب.

(٣) ما وجدته رخيص الثمن كان ناقصاً في عيني (لا يليق، لا يكفي) وما كان غاليَ الثمن كان عالياً (جيداً أو فوق طاقتي).

(٤) عيّ: تعب. أومأ: أشار.

(٥) الإياب: الرجوع (إلى البيت). من خوفها (من الخوف من ربة الدار: من امرأتي).

(٦) المجزرة: مكان الجَزْر (ذبح الغنم الخ). المئزر - والمئزرة: ثوب قصير يشدّ على وسط البدن. العنز: الأنثى من المعز (المقصود هنا: تيس) ذكر المعز، أو الماعز (وتقال للذكر وللأنثى). الروق: القرن. شد يديه إلى روقهِ: قيده ليمنعه من الهرب.

(٧) الجاني: المذنب. الباغي: الظالم. الطاغي: الذي جاوز الحدّ في كل شيء.

(٨) (الملموح): استأجر رجلاً يذبحه الآن.

(٩) التقضّي: الفناء والانقطاع - المقصود: أُولي التقاضي: أصحاب الديون، الدائنون. خذ بما يرضى أُولي =

ديناراً ديناراً[1] .....

فجلبني للابتياع منه الإنساءُ في الأمد[2].... فقال: قد بعْتُه لك فاقبِضْ مَتاعك وها هو في قَبْضِك فاشْدُدْ وَثاقَه وهَلُمَّ لَنَعْقِدَ عليه الوِثاقة[3]. فانحدرتُ مَعَه إلى دُكّان التوثيق وابتدرت من السَّعَةِ إلى الضيق[4]. وأوثقني بالشهادة تحت عقدٍ وثيق وحملني من ركوب الدَّين ولِحاق الشين في أوعر طريق. ثم قال لي: هذا تَيْسُك فشأنَك وإيّاه وما أظنّك إلا تتهيّاه[5]. وآتِ بحمّالين أربعة فإنّك لا تَقدِرُ أن ترفَعَه، ولا يتأتّى لك أن يتبعك ولا أن تتبَعَه.....

[وأفلت التيس من الحمال وغاب عن النظر فجعل شاكر الأيادي يطلُبه فلقيه رجل غاضب يقول]:

إن عَنْزَك حين شرد خرج مثل الأسد وأوقع الرَّهج[6] في البلد، وأضرَّ بكل أحد. ودخل دهليزَ الفخّارة فقام فيه وقعد. وكان العمل فيه مطبوخاً ونيئاً[7] فلم يترُكْ منه شيئاً. ومنه كانت معيشتي، وبه استقامتْ عيشتي، فأنت ضامنٌ مالي، فارتفع معي للوالي.... ورجلٌ (آخرُ) يقولُ (هَلُمَّ إلى) المُحتسب[8]، و (أنا) أعرِف ما نكتَسِبُ

= التقاضي (بثمن أعلى من الثمن المدفوع نقداً). نسيّة (بثمن مؤجل). خذه هدية (خذه الآن من غير أن تدفع مالاً فكأنه هدية) - هذا التعبير موجود بشقيه في المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذاني.

(١) كباراً: (دنانير) كبيرة، وافية، راجحة. الحول: العام. لانقضاء الحول (بعد عام واحد).

(٢) الإنساء: التأجيل. الأمد: مدة الدفع.

(٣) الوثاق: الرباط. الوثاقة: التسجيل عند الكاتب العدل.

(٤) آبتدرت من السعة إلى الضيق: أسرعت من السعة (أخذ عنز بلا مال) إلى الضيق (كثرة التضييق علي بالمشروط).

(٥) الشين: العيب = اللجوء إلى الدين (بفتح الدال). الوعر: المكان الصلب المخيف (الطريق التي يصعب سلوكها). تتهيّاه = تتهيأ له: تستطيع السيطرة عليه.

(٦) الرهج (بفتح الهاء أو بسكونها): الشغب.

(٧) العمل: (يقصد) المصنوعات (من الفخار) - ما طبخ طينه فأصبح فَخّاراً قاسياً، وما زال نيئاً لم يطبخ بعد.

(٨) آرتفع معي للوالي: آذهب معي إلى الحاكم. المحتسب: مفتش متبرع أو موظف ينظر في أحوال السوق وما يقع فيها من الضرر أو الاساءة الخ.

وإلى مَنْ تنتسبُ وقد كَثُرَ عندَه [١] بِكَ التشكي ، وصاحب الدِّهليز قبالته يبكي . وقد أمر بإحضارك ، وهو بانتظارك .... ثم أمسكني باليمين حتى أوصلني إلى الأمين . وقال لي: أرسلتَ التَّيْسَ للفساد كأنك في نعم الله من الحُسّاد [٢]. قُلتُ: إنه شرد ، ولم أدْرِ حيث ورد [٣]. قال: قد أمِنْتَ إنِ ضَمِنتَ ، وعليك الثِّقاف .... حتى يقع الإنصاف أو ضامن كافٍ [٤]. فابتدر أحدُ إخواني وبعضِ جيراني فأدّى عني ما ظهر بالتقدير ، وآلت الحال للتكدير [٥] .....

وتوجّهتُ لداري وقد تقدَمتْ أخباري. وقَدِمتُ بغُباري وتعير [٦] صغاري وكباري. والتيسُ على كاهل الحمّال يرغو كالبعير ويزأر كأسد إذا فصَلَتِ العِير [٧]. فقلتُ للحمّال: أنْزِلْه على مهل فالتعييد قدِ استهلّ. فحينَ طرحه في الأُسطوان [٨] كرّ إلى العدوان وصرخ كالشيطان. وهمّ أن يَقْفِزَ الحِيطان. وعلا فوق الجدار وأقام الرهجة [٩] في الدار. ولم تَبْقَ في الزقاق عجوز إلّا وصلتْ لتراه وتسأل عمّا اعتراه وتقولَ بكمِ اشتراه. والأولاد قد أرهقهم لَهْفُهُ [١٠] ودخل قلوبَهم خوفُه.

فابتدرتْ ربّةُ الدار وقالت: كَيْتَ وكيت ، لا خَلَّ ولا زيتَ ، ولا حيّ ولا مَيْت. ولا مَوْسَمَ ولا عيدَ ، ولا قريبَ ولا بعيدَ. سُقْتَ العِفريتَ إلى المنزل.... ومتى تفرح

---

(١) اعرفِ ما تكتسب (اعرف مقدار دخلك) وإلى من تنتسب (ومكانتك في البلد)- أي أنت قادر على الدفع وتخاف أن يشيع عنك التمنع عن الدفع. عنده (عند الوالي).

(٢) كانت في نعم الله من الحساد: كأنك تحسد أصحاب الأموال فتريد إتلاف ما يملكون.

(٣) ورد: (هنا) ذهب.

(٤) عليك الثقاف إلى أن يقع الإنصاف: ستُقيَّد يداك بالحديد حتى تدفع ما يرضي الخصم. أو ضامن كاف: أو تأتي بضامن قادر على الدفع الآن.

(٥) آل: رجع. التكدير: الكدر والحزن.

(٦) تعير (كذا بالأصل).

(٧) العير: القافلة فيها الجمال والخيل والحمير الخ. فصلت: خرجت من البلد (داخل السور) وأصبحت في الطريق (في البادية- قريبة من الوحوش الضارية المفترسة).

(٨) العيد قد استهل: ثبتت رؤية هلاله (هنا: أعلن وقته). الأسطوان: دهليز قائم سقفه على أعمدة (؟).

(٩) الرهجة (؟): الصياح والفتنة.

(١٠) أرهقهم: (حملهم فوق ما يطيقون) لهفه: الخوف منه- كثر خوفهم منه.

زوجتك والعنزُ أُضحِيَتُك. ومتى تطبخ القدور ووَلَدُك مغدور[1]؟... واللهِ، لو كان العَنْزُ يُخرِجُ الكنزَ، ما عَمَرَ لي داراً ولا قَرّبَ لي جِواراً. اَخْرُجْ عني، يا لُكَعُ: فعل الله بك وصنع! وما حَبَسَك عن الكِباش السِّمان والضأن[2] الرفيعة الأثمان؟ يا قليلَ التحصيلِ، يا مَنْ لا يعرف الخِياطةَ ولا التفصيل.....

٤ - ★★ ..... (ذهبت منّي المصادر التي أخذت منها هذه الترجمة). دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٩١.

ابن هذيل الغرناطيّ

١ - هو أبو زكريّا يحيى بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ هُذيلِ التُّجيبيّ الغَرْناطيّ، كان كثيرَ الابتعاد عن الناس، لاشتغاله بعلومِ الأوائلِ[3] ولمَيلهِ إلى الاعتزال[4]، ممّا كان مكروهاً جِدًّا في المَغْرِب والأندلس. ولعلّه اَعْتُقِلَ مُدّةً من أجلِ ذلك (راجع نفح الطيب ٥: ٤٩٣). وفي أواخرِ أيامِه خَدَمَ السلطان[5] بطِبّه وقام بإقراء الأُصول والفرائض والطِّب. وفي آخر عُمرهِ فُلِجَ ثمّ تُوُفِيَّ في ٢٥ من ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٧٥٣ (١٣٥٣/١/٢ م).

٢ - كان ابنُ هُذيلٍ الغرناطيّ عارفاً بعلومِ التعاليمِ[6] وبعلومِ القَدماء كما كان

---

(١) العنز أضحيتك!: تضحي عنزاً والأفضل أن تضحي ضأناً (خروفاً). ولدك مغدور: مصاب بأذى من التيس (!).

(٢) اللكع: اللئيم، الأحمق. الكبش: الذكر من الضأن.

(٣) علوم الأوائل أو علوم القدماء هي العلوم الفلسفية كالمنطق وعلم ما وراء الطبيعة (البحث في الأسباب والوجود والنفس والآخرة).

(٤) الاعتزال، في تاريخ الفكر الإسلامي، حركة ترمي إلى تفسير مظاهر الوجود الماديّة والمدارك الروحية تفسيراً عقليًّا وإلى تحكيم العقل حتّى في ما لم يجر تحكيم العقل فيه (كالعقائد الدينية مثلا).

(٥) المفروض أنّه سلطان غرناطة أبو الحجّاج يوسف الأول بن إسماعيل (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ).

(٦) علوم التعاليم هي العلوم التي تجري في الأعداد: الحساب والجبر والهندسة والفلك والموسيقى ثمّ الطبيعيّات (الفيزيقا) والكيمياء.

مُعتزليًّـا يقول بأنّ اللهَ تعالى لا يَقْدِرُ على غَيْرِ المُمْكنات ولا يعلَمُ الجُزئيّات[1]. وكان فقيهاً كبيراً وطبيباً مشهوراً وأديباً شاعراً له مَدْحٌ وغزلٌ وشكوًى وعِتاب، وقد جَمَعَ جانباً من شِعره في ديوانٍ وسَمّاه «السُّليمانيّات والعزفيّات»[2].

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن هذيل الغرناطيّ في النسيب:

نـامَ طِفْلُ النَّبْتِ في حِجْرِ النُّعامي ... لاهتزازِ الظِّلّ في مَهْدِ الخُزامى[3].
وسَقى الوَسْمِيُّ أغصـــانَ النَّـقا ... فهَوَتْ تَلْثِمُ أفواهَ النَّدامــى[4].
كَحَـلَ الفجرُ لهـا جَفْنَ الدُّجى ... وغـدا في وَجْنةِ الصُّبْحِ لِثاما[5].
تَحْسَبُ البــدرَ مُحيّـا ثَمِـلٍ ... قد سَقَتْهُ راحةُ الصُّبحِ مُداما[6].
يـا عليـلَ الروحِ، رِفْقاً: عِلّني ... أَشْفِ، بالسُّقْمِ الذي حُزْتَ، سَقاما[7].
أبْلغَنْ عنّي عُرَيْبـــاً بالحِمـــى ... هِمْتُ في أرضٍ بها حَلّوا غَراما[8].
كنـتُ أشْفي غُلّـةً من طَيْفِكُمْ ... لو أذِنْتُمْ لِجُفوني أنْ تنامـــا[9].

- وقال يَمدحُ السُّلطـانَ أبا الوليدِ إسماعيلَ بنَ فَرَجٍ لمّا هاجم حُصْنَ أشْكر، سنة

---

(١) في المعتزلة نفر يقولون إنّ الله لا يقدر على المستحيلات (على مخالفة القوانين التي وضعها هو في الوجود: لا يستطيع عمل الشرّ، ولا جعل الصخر يطفو على وجه الماء، أي أنّهم ينكرون المعجزات). وكذلك هنالك نفر منهم (ومن الفلاسفة) يقولون إنّ الله يعلم الكلّيّات (أي قوانين الوجود وما يحدث من جريان تلك القوانين)، ولكنّه لا يعرف الحوادث الجزئية التي تجري في العالم.

(٢) السليمانيّات: نسبة إلى سليمان (غلام كان الشاعر يشبّب به). والعزفيّات (نفح الطيب ٥: ٤٨٨) أو العربيات (الكتيبة الكامنة ٧٤) والعرفيات (الاعلام للزركلي ٩: ١٦٣)- لم أعثر على تفسير لها.

(٣) الحجر (بالكسر): القرابة، الكنف، الوقاية. النعامى: ريح الجنوب. الخزامى: نبت طيّب الرائحة.

(٤) الوسمّي: مطر الربيع. النقا: الرمل الأبيض.

(٥) ....

(٦) محيّا: وجه. ثمل: نشوان سكران. المدام: الخمر. تحسب البدر إلخ (تشيع فيه حمرة من فعل الخمر!).

(٧) علّني: اسقني (من ريقك) قليلاً بعد قليل. السقم الطبيعي (في المحبوب): الرقّة والنحول من علامات الجمال).- سقامك يشفي مرضي من حبّك (؟).

(٨) العريب: تصغير للتحبّب. الحمى: مسكن العرب (الأصلي).

(٩) الغلّة: العطش. الطيف: المنام.

٧٢٤ هـ، ورماه بالنَفْطِ فَنَزَلَ أهلُ ذلك الحِصنِ على حُكمه (أطاعوه):

بِحَيْثُ البُنودُ الحُمْرُ والأسَدُ الوَرْدُ ... كتائبُ سُكّانُ السماءِ لها جُنْدُ [١].
عساكرُ مَلْكٍ شرّفَ اللهُ قدرَه، ... فسِيّانِ في إقدامِها السَّهْلُ والنَّجْد [٢].
وتحسَبُ نورَ الصِّدق والعَزْمِ دائماً ... سِراجاً من التقوى بأُزْرِهِمُ يبدو [٣].
هم القومُ رُهبانٌ إذا لَبِسوا الدُّجى، ... وإن لَبِسوا حَرَّ الهِياجِ فهُمْ أُسْدُ [٤].
حَذَوْا حَذْوَ سُلطانٍ على الشرعِ عاطفٍ ... رفيقٍ بهم حانٍ، إذا عَظُمَ الجَهْد [٥].
وتحتَ لِواءِ الشَّرعِ مَلْكٌ هو الهُدى ... تضيقُ به الدُّنيا إذا راح أو يغدو.
فلو رامَ إدراكَ النُّجوم لَنالَهــا ... لو هَمَّ لأَنْقادَتْ له السِّنْدُ والهِند.

ومنها يصف فِعْل آلةِ النَّفْطِ ويتكلّم على أهلِ الحِصْن:

وظَنّوا بأن الرَّعْدَ والصَّعْق في السما ... فحاق بهم من دُونها الصعْقُ والرعد [٦].
عجائبُ أشكالٍ سما هِرِمِسٌ بها ... مُهَنْدَسَةٌ تـأتي الجبـالَ فتَنْهـدّ [٧].
ألا إنّها الدنيا تُريكَ عجائباً، ... وما في القُوى منها فلا بُدّ أن يبدو [٨].

- حدّثَ الشيخُ أبو زكريّا بن هُذيلٍ فقال (الإحاطة ١: ٢٨٦):

---

(١) سكّان السماء: الملائكة. جند (هنا): مساعدون.
(٢) النجد: المرتفع من الأرض (يقصد: الصعبة المرتقى).
(٣) الأزر جمع إزار: ثوب للقسم الأسفل من الجسم (هم أتقياء بطبيعتهم).
(٤) في الليل يصلّون ويذكرون الله وفي حرّ الهياج (الحرب) يحاربون بشجاعة.
(٥) حذا حذوه: صنع مثل صنيعه. حانٍ: ذو حنوّ. الجهد: التعب، المشقّة، شدّة الزمان.
(٦) الصعق: نزول الصواعق. حاق: أحاط. من دونها (من تحت السماء: من الأرض).
(٧) هرمس (في الخرافات اليونانية): رسول الآلهة و(في الفلك): عطارد (أقرب الكواكب إلى الشمس) وهرمس المثلّث العظمة أو المثلّث بالحكمة ابن زفس (زوس أو جوبيتر أو المشتري) كبير آلهة اليونان. وكان هرمس هذا حكيماً في بابل ثمّ انتقل إلى مصر وعرف صنعة الكيمياء وغيرها.
(٨) «وما في القوى إلخ» مدرك فلسفي: كلّ نشاط يكون أوّلاً بالقوّة (كامناً) ثمّ يصير بالفعل (ظاهراً): النار في الحطب والفحم وعود الثقاب (الكبريت) موجودة في هذه الأشياء بالقوّة، فإذا نحن أوقدنا هذه الأشياء صارت النار التي كانت كامنة من قبل في هذه الأشياء ظاهرة فعلاً.

حَضَرْتُ بمجلس ذي الوزارتين أبي عبد الله بنِ الحكيم[1]- وأبو العبّاسِ بَدْرُ هالتِهِ[2] وقُطْبُ جلالته[3]- فلم يُجْرَ بشيءٍ إلا ركَضَ فيه وتكلّم بملءِ فيه[4]. ثمّ قُمنا إلى زَبّارينَ[5] يُصلحون شَجَرَةَ عِنَبٍ، فقال لعريفِهم: حقَّ هذا أن يُقْصَر (ثمّ) يُطالَ هذا، ويُعْمَلَ كذا. فقال الوزيرُ: يا أبا العبّاسِ، ما تَركْتَ لهؤلاءِ أيضاً حظًّا من صِناعتِهم يستحقّون به أجراً. فعَجِبْنا مِنْ ٱستِخصارِه ووَساعةِ ذَرْعِهِ وامتدادِ حظِّ كِفايَتِه.

٤-★★ الدرر الكامنة ٤: ٤١٢؛ الكتيبة الكامنة ٧٣-٨٠؛ نثير فرائد الجمان ٣٢٠-٣٢٣؛ الإحاطة، راجع ١: ٣٥، ٥٣، ٢١٢-٢١٣، ٢٨٦، ٣٩٩؛ نفح الطيب ٣: ٣٥٧؛ ٥: ٩٧، ١٢٧، ٤٨٧-٤٩٧، ٦٠٥؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٦٣ (٨: ١٣٦): معجم المؤلفين للكحالة ١٣: ١٨٢-١٨٣.

أبو عبد الله بن جُزَيٍّ الكلبي

١ - آلُ جُزَيٍّ بيتٌ مشهورٌ في المَغْربِ والأندلُسِ بَرزَ فيه نَفَرٌ من رِجالِ الدولةِ والعلمِ والأدب. من هؤلاء أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بن محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ بن يحيى الكَلْبيّ الغَرْناطي، وُلِدَ في شوّالٍ من سَنَةِ ٧٢١ (خريف ١٣٢١ م) في غَرناطَة.

نَبَغَ أبو عبدِ اللهِ بنُ جُزي باكراً وبرَعَ في العِلمِ والأدب فاتّخذَهُ سُلطانُ غَرناطةَ أبو الحجّاجِ يوسفُ بنُ الأحمرِ (٧٣٣-٧٥٥ هـ) كاتباً ثمّ غَضِبَ عليه فَرحَلَ، نحوَ سَنَةِ

(١) أبو عبد الله بن الحكيم الرندي (ت ٧٠٨ هـ)، راجع ترجمته في هذا الجزء.

(٢) هو أبو العبّاس أحمد بن عرفة اللخميّ (ت ٧٠٧ هـ). الهالة دائرة منيرة تحيط بالقمر (وبغيره). بدر هالته: أعظم أهل دولته المحيطين به. القطب: محور تدور عليه الأشياء (كالأرض والرحا: الطاحون، الخ).

(٣) لم يجر (يبحث) في شيء إلا ركض فيه (بحث فيه أحسن من جميع الحاضرين) وتكلّم بملء فيه (بملء فمه، وبالتفصيل وبثقة بالنفس).

(٤) الزّبارون: جماعة من المعتنين بأمر البساتين يأتون إليها في أواخر الشتاء فيزبرون (بضمّ الباء) أطراف الأغصان (أي يقطعون أشياءَ من رؤوس الأغصان) ممّا يكون قد يبس في أثناء الشتاء.

(٥) الذرع (هنا): القدرة (في المعرفة بالأمور المختلفة).

٧٥٣ هـ (١٣٥٢ م)، إلى المَغْربِ وسكن فاس[١] ونالَ حُظْوةً عند السلطانِ أبي عنانٍ فارسٍ. وكانتْ وفاتُه في الأغلب في ٢٩ من شوّالٍ سَنَةَ ٧٥٧ (٢٥/١٠/١٣٥٦ م) شاباً بعد مَرَضٍ، في فاس.

٢ - كان أبو عبدِ الله بنُ جُزَيٍّ مُلمًّا بفنونٍ كثيرةٍ من الحديث والفِقْه واللُّغة والنحْو والتاريخ والحِساب، كما كان كاتباً مُجيداً وشاعراً بارعاً مُولَعاً بالصِّناعة وخصوصاً التوريةَ. وأكثرُ شِعرِه المديحُ والغزلُ على الأسلوبِ القديم في المعاني العُذْريةِ خاصّةً. ثمّ هو مُصَنِّفٌ كَتَبَ تَرْجَمَةً لنفسِه، وله كتابُ «الأنوار في نَسَب النبيّ المختار». وعليه أمْلى ابنُ بَطّوطةَ رِحْلَتَهُ (تُحْفة النُّظار). ومن المعقولِ أن يكونَ قد أسْبَغَ على هذا «الإملاء» شيئاً من أسلوبِهِ وبَراعته. وله باعٌ طويلة في الصناعة، كتب رسالة سينيّة (في كلّ كلمة من كلماتها سين).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو عبد اللهِ بنُ جُزَيٍّ في النسيب:

مــتى يَتَلاقــى شائــقٌ ومَشُوقُ ... ويُصْبِحُ عاني الحُبّ وهو طَليقُ[٢]؟

أمّــا إنّهــا أُمْنِيّـــةٌ عزَّ نَيْلُهـــا ... ومَرْمًى - لَعَمْري - في الرجـــال سَحيـــق[٣]!

وقد يُرزَقُ الإنسانُ من بَعْدِ يأسِه؛ ... ورَوْضُ الرُّبى بعد الذُّبول يَروق[٤].

تباعدتُ لمّا زادني القُرْبُ لَوْعَةً، ... لعــلّ فُؤادي من جَواهُ يُفيــق[٥]،

ورُمْتُ شِفاءَ الداءِ بالداءِ مثلَه؛ ... فإنّي بــألّا أشْتَفي لَحَقيــق!

---

(١) في الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ، ص ١٩٤-١٩٥): «اتّصل بنا خبر وفاته بفاس مبطوناً في أوائل (سنة) ثمانٍ وخمسين وسبعمائة، ثمّ تحقّقت أن ذلك في أوائل ربيعٍ الأوّل من ذلك العام».

(٢) الشائق: الذي يدعو الآخرين إلى حبّه. المشوق: المحبّ. العاني: الأسير.

(٣) عزّ نيلها: صعب الحصول عليها. مرمى: هدف. سحيق: بعيد.

(٤) يروق: يصبح منظره جميلاً.

(٥) اللوعة: حرقة في القلب من حبّ أو مرض. الجوى: شدّة الحبّ وحرقته.

- وقال في التورية:

يقولون لي: أصبحتَ بالآسِ مُولَعاً! فقُلْتُ: وهل في حُبِّي الآسَ مِنْ باس (١)
ألم تعلموا أنّ الهوى قد أعَلّني؛ وكيف ترى شَوْقَ العَليلِ إلى الآسي (٢)؟

★ وغزالٍ لـــه جُفونٌ مِراضٌ تَبْعَثُ الوَجْدَ في قلوبِ الصِّحاحِ (٣).
غرّني لَحْظُه، وقد قيل: شاكٍ! فإذا هُمْ يَعْنون شاكي السِّلاح

- وكتب أبو عبدِ الله بن جُزيّ إلى أمير المؤمنين المتوكّل على الله أبي عِنانٍ فارسٍ يُهَنِّئُه بشفاء ولده أبي زَيّانَ محمّدٍ وضَمّنَ هذه التهنئةَ عدداً كبيراً من أسماء الكتب (أسماء الكتب محصورة بين أهِلّة):

مـــاذا عسى (أدبُ الكتّـــاب) يُوضِـــح من(٤)
خِصـــالِ مَجْـــدك وهي (الزاهر) (الزاهي).
وما الفصيح بـ(كليّات) (مُوعِبـ)ـها (كافٍ) فيأتي بـ(أنباءٍ) و(إنباه).

أبقى اللهُ تعالى مولانا الخليفةَ ولِسعادته (القِدْح المُعلّى)، و(لزاهِرِ) (كمالـ)ـه (التاج

---

(١) المولع: المغرم. الآس نبات مستقيم العروق قاسي الورق طيّب الرائحة.
(٢) أعلّني: أمرضني. الآسي: الطبيب.
(٣) الوجد: الحبّ. شاكٍ: مريض. شاكي السلاح: متقلّد جميع سلاحه (آستعداداً للقتال).
(٤) هنالك عدد من هذه الكتب لم أهتد إليها (الزاهي، الموعب، الميقات)؛ ثمّ هنالك كتب في أسمائها «آشتراك» والإشارة إليها في هذا النصّ تدلّ على عدد من الكتب (الزاهر، الأنباء، الكمال، نزهة الناظر، القصد والأمم، الايضاح، الإرشاد، شفاء الصدور، الملخّص). أمّا سائر هذه الكتب فمعروف: ادب الكتّاب (لأبي بكر محمّد بن يحيى الصولي المتوفّى نحو ٣٣٦ هـ)، فصيح اللغة (لثعلب المتوفّى سنة ٢٩١ هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (لعليّ بن يوسف القفطي المتوفّى ٦٤٦ هـ)، التاج المُحلّى في مساجلة القدح المُعلّى (للسان الدين بن الخطيب المتوفّى ٧٧٦ هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح بن الأثير المتوفّى ٦٣٧ هـ)، العقد المنظّم للحكّام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام (لأبي محمّد عبد الله بن عبد الله بن سلمون الكنّاني المتوفّى ٧٦٧ هـ)، إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزّاليّ المتوفّى ٥٠٥ هـ)، منهاج العابدين (للغزّالي أيضاً)، تنبيه الغافلين (لأبي الليث السمرقندي المتوفّى ٣٧٥ هـ)، مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس (للفتح بن خاقان الأندلسي المتوفّى ٥٢٩ هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس (لابن عميرة الضبّي المتوفّى ٥٩٩ هـ)، أدب الدنيا والدين (لأبي الحسن الماردي المتوفّى ٤٥٠ هـ)، سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي المتوفّى ٥٢٠ هـ). والكتب التي لم تذكر هنا معروفة لمؤلّفين متأخّرين في الزمن.

المحلّى). تجلّى من حلاه (نزهة الناظر) ويسير بعلاه (المثل السائر)، ويتّسق من سناه (العِقد المنظّم) ويتّضح بها (القصد الأَمَم)[١]. ولا زالت (هدايتـ) ـه مُتكفِّلةً بـ (إحياء علوم الدين) و(إيضاح) (منهاج العابدين) و(إرشادُ) ه يتولّى (تنبيه الغافلين) ويأتي من (شفاء الصدور) بـ(النور المبين) و(ميقات) الخدمة ببابه (مطمح الأنفس) و(ملخص الجود من كفّه (بغية الملتمس). قد حكم (أدب الدنيا والدين) بأنّك (سراج الملوك).....

٤-★★ الدرر الكامنة (حيدر أباد) ٤: ١٦٥؛ الكتيبة الكامنة ٢٢٣ - ٢٢٨؛ الإحاطة ٢: ١٨٦ - ١٩٥؛ أزهار الرياض ٣: ١٨٩ - ٢٠٤؛ نفح الطيب ٢: ١٧٠ - ١٧١، ٥: ٥٢٦-٥٣٦، ٥٣٨-٥٣٩، ٧: ١٠٧-١٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٥٦؛ بروكلمن (في ترجمة ابن بطّوطة) ٢: ٣٣٣، الملحق ٢: ٣٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٦ (٣٧).

المَقَّريّ الجَدّ★

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ أبي بكرٍ القُرَشيُّ الأصلِ التِّلمسانيّ المولد، ثم اشتهر فيما بعد بالمَقَّريّ، نِسبةً إلى مَقَّرة، بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة (نفح الطيب ٥: ٢٠٥، السطر الثالث)، إحدى قُرى زاب بإفريقيةَ أو الزاب (وفيات الأعيان ١: ٣٦٠)- مزاب أو ميزاب، في جَنوبيّ القُطر الجزائري.

وُلِدَ المَقَّريُّ الجَدُّ في أيام أبي حمّو موسى بنِ عُثمانَ بنِ يَغَمْراسَنَ بنِ زَيّانَ (٧٠٧-٧١٨ هـ)، ولم يشأْ أنْ يُعَيِّنَ السَّنَةَ التي وُلِدَ فيها (نفح الطيب ٥: ٢٠٦-٢٠٧).

عدّ المَقّريُّ الحفيدُ لِجَدّهِ خَلْقاً كثيراً من الشَيوخِ منهم أبو زيدٍ عبدُ الرحمنِ

(١) ليس في بروكلمن (راجع فهرست الكتب) كتاب باسم «القصد الأمم» (بفتح الهمزة والميم)، بل فيه: القصد والأمم- القصد الجليل...- القصد إلى الله إلخ- الأمم في آليات الظلم- الأمم لإيقاظ الهمم.

(★) جدّ المقّري أحمد بن محمّد (ت ١٠٤١ هـ) صاحب «نفح الطيب».

(ت ٧٤١ هـ) بن محمدِ بن عبد الله بن الإمام وأخوه أبو موسى عيسى (ت نحو ٧٥٠ هـ) وأبو موسى عِمرانُ بنُ يوسفَ المشدّالي ثمّ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ حَكَمٍ السَّلَويُّ (قتل ٧٣٧ هـ) وأبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الواحدِ المجاصي (ت ٧٤١ هـ).

عَمِلَ المَقّريُّ في التجارة بين المَغرب والصَّحراء والسودان الغربي (جَنوبَ المغرب) يُتاجر بالبضائع الثمينة، وقد وَرِثَ ذلك عن أهلِه. ثمّ إنّه حجّ في سَنَةِ ٧٤٤ هـ (١٣٤٤ م) وزارَ القُدْسَ.

ولمّا عادَ المقّريّ إلى المَغْرب آتّصل بأبي عِنانٍ فارسِ بنِ عليٍّ في أولِ سَنَةٍ من حُكمِهِ، سَنَةِ ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) فولّاه أبو عنانٍ قضاءَ فاسَ ثمّ أصبحَ قاضيَ الجماعة (قاضي القُضاة) فيها وخطيبَ جامِعِها (جامع القَرَوِيِّينَ). ولكنْ يبدو أنّ شيئاً من الفُتورِ نشأ بينَ أبي عِنانٍ والمَقّريّ فعُزِلَ المَقّريُّ عنِ القضاء وَبَقِيَ مدّةً بعيداً عن مناصب الدولة.

وفي أوائلِ شَهْرِ جُمادى الآخرةِ من سَنَةِ ٧٥٧ (حزيران- يونيه ١٣٥٦ م) كان أبو عِنانٍ قد رَضِيَ عن المَقّريّ فأرسلَه في سِفارة إلى الأَنْدلُس (لإزالةِ شيءٍ من الخِلاف بين بني مَرينٍ في المَغْرب وبنى الأحمرِ في غَرْناطةَ). ولكنّ المَقّريَّ- ويبدو أنّه كانّ قد بَدَأَ يهرمُ في نفسِهِ وفي جِسمه- أهمل السِّفارة ومكث في مالَقَةَ منقطعاً إلى التأمُّلِ والعِبادة. وبلغ الخبرُ إلى أبي عِنانٍ فغضب وأرسل إلى الأندلس جماعة لِيَتَثَبَّتوا من حال المقريّ. وآنتقل المقّري إلى غَرْناطةَ وعاذَ بجامِعِها. ثم صَلَحَ ما بينَ أبي عنانٍ والمقّريّ قليلاً. وفي السَّنَةِ التاليةِ عاد المقّريُّ إلى فاس، ولكنْ لم يُعَمَّرْ بعدَ ذلك طويلاً، فقد تُوُفِّيَ سَنَةَ ٧٥٩ للهجرة (١٣٥٨ م)، كما جاء في نفح الطيب (٥ : ٢٨٠)، في فاس، ونُقِلَتْ جُثّتُه إلى تِلِمْسانَ.

٢- المَقريُّ الجَدُّ فقيهٌ عالِمٌ وأديبٌ ومُتَصوِّفٌ. وأسلوبُه مُرْسَلٌ لا تكلُّفَ فيه قائمٌ على التفكيرِ والمَنْطقِ. وللمَقّريّ الجَدِّ نثرٌ صوفيٌ وشعر صوفي كثيرانِ. غيرَ أنّ الغالبَ على شعرِه جَفافُ شعرِ العلماء وقِلّةُ الرَّونَق. وله قصيدةٌ تائيّةٌ جعَلَها تَتِمّةً، في زعمه

لتائيةِ ابنِ الفارض[1]. والواقعُ أنّها مُحاكاةٌ قاصرةٌ لتائية ابنِ الفارض وترديدٌ لعددٍ من المدارِكِ البسيطة في ألفاظٍ مختلفة. وليس فيها من عُمْقِ مقاصدِ ابنِ الفارض شيءٌ.

والمقريّ الجَدُّ مُصَنِّفٌ له من الكتب:

الحقائق والرقائق (أقوالٌ جامعة في التصوّف؛ راجع المختارات)- القواعد (وهو كتاب يشتمل على ألْفٍ ومِائَتَيْ قاعدةٍ فِقهية)- كتاب يشتمل على أكثرَ من مِائَةِ مسألةٍ فِقْهية (وهو غيرُ الكتاب السابق)- عَمَلُ من طَبّ لِمَنْ حَبّ[2] (وهو كتاب مختلف الموضوعات فيه أحاديث حِكْمِيَة ثمّ كُلِّيّاتٌ، أي قواعدُ عامّةٌ، من الفِقه) ثمّ قواعدُ وأصولٌ (في الاعتقاد) ثمّ اصطلاحاتٌ وألفاظ- الطُّرَفُ والتُّحَف (أو التحف والطرف)- المحاضراتُ (وفيه فوائدُ وحكاياتٌ وإشاراتٌ تتعلّق بالتصوّف وبالمتصوّفين)- اختصارُ المُحصَّل[3]- شرح الجُمَل للخونجي[4].

٣- مختارات من آثاره

- في نفح الطيب (٥: ٣٢٨) عن المقريِّ الجَدِّ أنّه قال في وَصْفِ تائيةٍ له: «هذه لَمْحةُ العارضِ لتكْمِلَةِ ألْفِيّةِ ابنِ الفارض[5]، سَلَبَ الدهرُ من فرائدِها مِائَةً وسَبْعَةً وسَبعين، فاسْتَعَنْتُ على رَدِّها بحَوْلِ اللهِ المُعين». من هذه الأبيات:

وشأنُ الهَوى ما قد علمتُ، ولا تَسَلْ؛ وحَسْبُك- إنْ لم يُخبِرِ الحُبُّ- رُؤيتي:
سَقامٌ بلا بُرْءٍ، ضلالٌ بلا هُدى، أُوامٌ بلا رِيّ، دَمٌ لا بِقيمة[6].
ألا أيُّهـــــا اللُّوّامُ عَنِّيَ قَوِّضوا رِكابَ مَلامي فهو أوّلُ مِحْنَتي[7]،

(١) راجع ٣: ٥٢٠ من هذه السلسلة.
(٢) طبّ: داوى، وتأتي أيضاً بمعنى الرفق (بالكسر) والسحر.
(٣) «المحصّل» لفخر الدين الرازي (؟).
(٤) محمّد بن أناماور الخونجي (ت٦٤٦ هـ)، له كتاب «الجمل» (في).
(٥) العارض: المقبل على الشيء، المتصدّي له. التائية الكبرى لابن الفارض (راجع ٣: ٥٢٠).
(٦) أوام: عطش. دم لا بقيمة (إذا قتل، فليس لدمه قيمة: لا يطالب أحد بديته- بكسر الدال وفتح الياء بلا تشديد).
(٧) قوّض الركاب (؟)- يقصد ارتحل (اتركوا لومي).

ولا تَعْذِلوني في البُكاء ولا البُكى، وخلّوا سَبيلي ما اسْتَطَعْتم ولَوْعتي[١].
وكم موقفٍ لي في الهوى خُضْتُ دونه عُبابَ الردى بين الظُّبى والأسِنّة[٢].
سَلِ السَّلْسبيلَ العَذْبَ عن طَعْمِ ريقهِ ونَكْهَتِه يُخْبِرْكَ عن عِلْمِ خِبرة[٣].
لقد عزَّ عنك الصبرُ حتّى كأنّه سُراقةُ لحظٍ منك للمُتَلَفِّت[٤].
وأنت - وإنْ لم تُبْقِ منّي صُبابةً - مُنى النفس لم تَقْصِدْ سِواك بوجْهة[٥].
وكلُّ فصيحٍ منك يَسْري لِمَسْمعي، وكلُّ مليحٍ منك يبدو لمُقلتي.
تَهونُ عليَّ النفسُ فيك، وإنّها لَتُكْرَمُ أن تَغْشى سِواكَ بنظرة[٦].
وتُخبِرُ أصواتُ البلابِلِ أنّها تَغَنّتْ بتَرْجيعي على كُلِّ أيْكة.
وفي كلِّ خَلْقٍ منه كلُّ عجيبةٍ، وفي كلّ خُلْقٍ منه كُلُّ لَطيفة.

- وللمقريّ الجَدِّ أبياتٌ في الفخر رشيقةُ الألفاظ (ولكنّ في معانيها شيئاً من الغُموض - لغَلَبَة الخَيال الصوفي عنده):

نحنُ - إن تسألْ بناسٍ - مَعْشَرٌ أهْلُ ماءٍ فَجّرَتْهُ الهِمَمُ.
عَرَبٌ مِنْ بِيضِهِمْ أرْزاقُهم، ومن السُّمْرِ الطِوالِ الخِيَمُ[٧].
عَرّضتْ أحسابُهم أرواحَهم دونَ نَيْلِ العِرْض، وهو الكرم[٨].
أوْرثونا المَجْدَ حتّى إنّنا نرتضي الموتَ ولا نَزْدَحِمُ[٩].

---

(١) العذل: اللوم. البكاء معروف. والبكى: البكاء والغناء (من الأضداد).
(٢) الظبى جمع ظبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف. السنان (بالكسر): نصل الرمح.
(٣) - الماء العذب السائغ في الحلق أخذ عذوبته وحلاوته من ريق المحبوب.
(٤) السراقة (؟). مسارقة النظر: النظرة الخاطفة، السريعة.
(٥) الصبابة: بقية الشيء (بقية الروح).
(٦) أنا أكرم نفسي (أرفع مقامها) عن أن تنظر إلى غيرك. سواك (سوى الله).
(٧) البيض: السيوف. السمر: الرماح. الخيم: الصفات، الأخلاق. - يحصّلون عيشهم بجدّهم (بالكسر) وكدّهم وأخلاقهم مستقيمة كالرماح.
(٨) الحسب: العمل الكريم. نيل العرض: اعتداء أحد على أعراضهم. - نسبهم الشريف يحملهم على أن يدافعوا عنه (عن عرضهم)، ولو أن ذلك أدّى إلى موتهم (وهذا هو الكرم الصحيح).
(٩) - نفضّل أن نموت على أن نزاحم الناس على أعراض الدنيا (راجع البيت التالي).

ما لنا في الناس من ذَنْبٍ سِوى أنّنــا نَلْوي إذا مـا اقتحموا[١]!

– للمقريِّ الجدِّ أقوالٌ صوفية في كتابه « الحقائق والرقائق » منها:

حقيقة: عَمِلَ قَوْمٌ على السوابق، وعمل قومٌ على اللواحق[٢]. والصوفيُّ من لا ماضِيَ له ولا مُسْتَقْبَل؛ فإنْ كان زُجاجيًّا فَبَخٍ بَخٍ – رقيقة: من لم يَجِدْ أَلَمَ البُعْدِ لم يَجِدْ لَذّةَ القُرْبِ. فإنّ اللذّة هي التخلُّصُ مِنَ الألم – حقيقة: العمل دواءُ القلب. وإذا كان الدواءُ لا يصْلُح إلّا إذا كان على حِمْيةِ البَدَنِ، فكذلك العملُ لا ينجَحُ إلّا بعد صَوْم النفْس: فارِقْ نَفْسَكَ وتَعالَ – رقيقة: الزادُ لك، وهو مكتوبٌ. والزائدُ عليك، وهو مسلوب[٣]. فأَجمِلْ في طلب المَضْمون، ولا تُلْزِمُ نفسَك صَفْقَةَ المَغْبون[٤] – رقيقة: قُمْتُ ببعضِ الأسحار على قدمٍ للاستغفار، وقدِ اسْتَشعَرْتُ الصَّبابةَ واستَدْثَرْتُ بالكآبة[٥]. فأملى الجَنان على اللِّسانِ بما نَفَثَ في رُوعِه روحَ الإحسان:

مُنكسِرُ القلــــبِ بالجَنايــــا يدعوك، يــا مانِــحَ العَطايــا[٦].
أقعَــدَهُ الذنــبُ عن (رِفــاقٍ) حَثّوا لرِضْوانِــك المَطايــا[٧].

ومنه، أثَرُ حقيقةٍ في شأن الحَلّاج، ثمّ قلتُ:

وَلَربَّ داعٍ للجمالِ أطَعْتُـــــهُ وأبى الجَلالُ عليّ أنْ أتَقَدّما[٨].
فأطَعْــتُ بالعِصيــانِ أمرَهُما مَعــاً وجَنَحْــتُ للتسليمِ (حتى) أسلما[٩].

---

(١) – إذا اقتحم الناس: هجموا (على غرض من أغراض الدنيا) فنحن نلوي (نلتفت، ننصرف) عنه. وهذا ذنبنا عند الناس (أنّنا جبناء).

(٢) – نصف الناس يفتخرون بأعمالهم الماضية، ونصفهم الآخر يعدون بأن يعملوا في المستقبل أعمالاً عظيمة.

(٣) الزائد عمّا تحتاج إليه من الطعام أو من غير الطعام « مسلوب » (مأخوذ منك)، ما دمت لا تستخدمه (تستهلكه)، فهو لغيرك.

(٤) حينما يتمّ البيع بين اثنين يقومان بصفقة (يضرب أحدهما بكفّه كفّ الآخر). المغبون: الذي يدفع في سلعة أكثر من ثمنها (أو يأخذ أقلّ من ثمنها).

(٥) استشعر: لبس الشعار (ثوباً يلبس ملاصقاً للبـدن). استدثر: لبس الدثار (ثوباً يلبس فوق سائر الثياب).

(٦) الجنايا جمع جناية. مانح العطايا هو الله.

(٧) رفاقي الطائعون يطلبون رضاك. وأنا مذنب أخجل من أن أطلب رضاك.

(٨) – جماله يغريني بحبّه، وجلاله (عظمته وهيبته) يمنعني من أن أصرّح بحبّي إياه.

(٩) فأطعت بالعصيان أمرهما (لم أطع داعي الجمال): لم أحبّه، ولم أطع هيبته: لم أدّع (بفتح ودال مشدّدة =

- إنّ عمَلَ أهلِ قُرطُبةَ ليس حُجّةً في القضاء والفُتْيا[١]:

جاء في نفح الطيب (١: ٥٥٦ - ٥٥٧): واعْلَمْ أنّه، لِعِظَمِ أمرِ قُرطُبةَ، كان عمَلُها حُجّةً بالمَغْرب، حتّى إنّهم يقولون في الأحكام: «هذا مِمّا جَرى به عمَلُ قُرطُبةَ». وكان المَقّريُّ الجَدُّ لا يرى صِحّةَ ذلك، فقال في كتابهِ «القواعدِ»:

وعلى هذا الشرطِ تَرتّبَ إيجابُ عَمَلِ القُضاة بالأندلس، ثمّ انتقلَ إلى المَغْرب. فَبَيْنا نحنُ نُنازِعُ الناسَ في عمل أهلِ المدينة ونَصيح بأهلِ الكوفة[٢]، مَعَ كثرةِ ما نَزَلَ بها من عُلماءِ الأُمّةِ كعليٍّ وابنِ مَسعودٍ[٣] ومن كان مَعَهُما: «ليسَ التكحُّلُ في العَيْنين كالكَحَل[٤]»، سَنَحَ لنا (بغضُ الجهودِ ومودّة التقليد):

اللهُ أخّرَ مُـــــدّتي فتأخّرتْ حتّى رأيتُ من الزمان عَجائبا!

يا للهِ ولِلْمسلمين. ذهبتْ قُرطُبةُ وأهلُها، ولم يبرَحْ من الناسِ جَهْلُها. ما ذاك إلّا لأنّ الشيطانَ يسعى في مَحْوِ الحقِّ فيُنْسِيهِ، والباطلُ لا زال يُلَقِّنُه ويُلْقيه[٥]. ألا نرى

= مفتوحة) أنّني أحبّه، وسلّمت أمري إليه (يفعل بي ما يشاء) حتّى أسلم أنا: حتّى أنجو (فربّما ادّعيت حبّه فلم أستطع الوصول فأندم أنا أو أكون عنده عاجزاً أو ملوماً).

(١) كان الفقهاءُ يَعُدّون أعمالَ أهلِ المَدينةِ قواعدَ فِقهيّةً، لأنّ الرسولَ صلّى الله عليه وسلّم عاش في المدينةِ، ولأنّ كِبارَ الصحابةِ كانوا من أهلِ المدينة، ولأنّ المدينةَ كانتْ عاصمةَ الخِلافةِ الإسلامية. وبما أن قُرطُبةَ كانت عظيمةَ الشأنِ في السياسةِ والحَضارة، فقد كان جماعةٌ من فُقهاءِ المَغْرب يَعُدّون ما جَرَتِ العادةُ به في قُرطبةَ قاعدةً صحيحةً في فِقهِ (المعاملات: البيع والشراء إلخ). وكان المَقّريّ الجَدّ لا يرى هذا الرأيَ.

(٢) على هذا الشرط: صحّة آتخاذ عمل أهل قرطبة حجّة في الفقه (في المعاملات).

(٣) نحن ننازع أهل المدينة في ذلك (المقّري الجدّ لا يريد أن يقبل عمل أهل المدينة مصدراً من مصادر التشريع). نصيح بأهل الكوفة (نعنّف أهل الكوفة لأنّهم أرادوا أن يكون عمل أهل بلدهم مصدراً للتشريع) مع كثرة الفقهاء والعلماء فيها، من أمثال علي بن أبي طالب ثم عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ): من السابقين إلى الإسلام، ومن أكابر صحابة رسول الله، كان خادماً للرسول ورفيقاً له في الحضر والسفر.

(٤) الشطر من بيت للمتنبّي من القصيدة التي مطلعها: أجاب دمعي، وما الداعي سوى طلل. التكحّل: وضع الكحل في جفون العينين. الكحَل: الجمال الطبيعي في العينين.

(٥) يلقّن: يعلّم. يُلقي: يُملي، يحمل الناس على قبول الآراء.

خِصالَ الجاهليّة كالنِّياحة والتفاخُرِ والتكاثُرِ[١] والطعنِ والتفضيل والكِهانة والنجوم والخَطّ والتشاؤم[٢] وما أشْبَهَ ذلك، وأسماءَها كالعَتْمة ويَثْرِبَ[٣]. وكذلك التنابُزُ بالألقاب[٤] وغيرُه مِمّا نُهِيَ عنه وحُذِّرَ منه؛ كيف لم تَزُلْ من أهلِها وٱنتقلتْ إلى غيرهم[٥] مَعَ أيْسَرِ أمرِها، حتّى إنّهم لا يرفعون بالدِّين رأساً بل يجعلون العاداتِ القديمة أُسّاً[٦]. وكذلك محبّةُ الشعر والتلحين والنَسَب* وما ٱنخرطَ في هذا السِّلْكِ ثابتةُ المَوْقعِ في القلوب[٧]. والشَّرْع فينا مُنْذُ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ وسبع وستين سَنَةً لا نحفَظُه إلّا قَوْلاً ولا نَحْمِلُه إلّا كَلّاً[٨]!

٤ - ** الإحاطة ٢: ١٣٦ - ١٦٥؛ المرقبة العليا ١٦٩ - ١٧٠؛ نيل الابتهاج ٢٤٩ - ٢٥٤؛ شذرات الذهب ٦: ١٩٦ (في وفيات سنة ٧٦١ هـ)؛ نفح الطيب ١: ٥٥٦ - ٥٥٨، ٥: ٢٠٣ - ٢٣٤، ٢٥٤ - ٣٥٠؛ م م ع ع د ٤١: ٣١٣ (١٩٦٦ م) ثمّ (كانون الثاني - يناير ١٩٧١ م)، ص ٩٩ - ١٠٤ (مقالان بقلم عبد القادر زمّامة)؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٦، ٢٧٠ (٣٧)؛ مجلّة الأصالة (الجزائر) ٤: ٢٦، ص ١٤١، ١٨٧.

أبو القاسم السبتي الغرناطي

١ - هو أبو القاسمِ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ عبد الله بنِ محمّدٍ المعروفُ بالشريفِ الحَسَنيّ السَّبْتي مولداً ونشأةً الغَرْناطي داراً (لطول سُكناه في غَرناطةَ).

وُلِدَ أبو القاسمِ السبتيُّ في سَبْتَةَ في سادِسِ ربيعٍ الأولِ من سَنَةِ ٦٩٧

(١) التكاثر: الفخر بكثرة الأولاد أو بكثرة الأموال.

(٢) الخطّ (في الرمل ؟): التنجيم (؟).

(٣) العتمة (؟) ويثرب من أسماء المدينة المنوّرة في الجاهلية.

(٤) التنابز بالألقاب: دعوة الإنسان خصومه بألقاب قبيحة.

(٥) تلك العادات السيئة لم تزل (بضمّ الزاي: تذهب) عن العرب، بلِ ٱنتقلت منهم إلى غيرِهم (البربر).

(٦) الأس: الأساس. * لعلها «النسيب».

(٧) ثابتة الموقع في القلوب (محبوبة).

(٨) منذ سبعمائة سنة وسبع وستّين سنة.... (يبدو أن المقّري الجد قد قال هذه الجملة في أواخر حياته) سنة ٧٥٤ للهجرة: ٧٦٧ - ١٣ قضاها الرسول في مكة قبل الهجرة= ٧٥٤ (تاريخ وفاة المقري الجد) الكلّ (بالفتح) الثقل (هو يلوم المسلمين في الأندلس في زمانه).

(٢٢/١/١٢٩٨ م). بدأ أخذَ العِلْم عن أبيه وعن نَفَرٍ منهم: أبو إسحاقَ إبراهيمَ الغافقيِّ (ت ٧١٦ هـ) وأبو عبدِ الله محمّدُ بنُ رُشيدٍ السبتي (ت ٧٢١ هـ) وأبو عبد الله محمّدُ بنِ هاني السبتي (ت ٧٣٣ هـ) وغيرُهم.

رحل أبو القاسم السبتي إلى الأندلس في مَطْلعِ حياتِهِ وتصدّر للإقراء في مالَقَةَ واتّصل، في أثناءِ ذلك، برئيس الكُتّاب أبي الحسنِ الجيّاب[١] فكانت بينَهما مُراسلاتٌ ومخاطبات فصداقةٌ. ويبدو أنّ ابن الجياب أشارَ بانتقاله من مالَقَةَ إلى غَرناطةَ وأنّه أدخَلَهُ في ديوان الإنشاء. ثمّ إنّ أبا العبّاس السبتي تولّي الخطابة والقضاء في غَرْناطة. غير أنّه صُرِفَ عن قضاءِ غَرناطةَ، في شعبانَ من سَنَةِ ٧٤٧ لغيرِ زلّةٍ. وقد تولّى القضاء في وادي آشَ[٢] ثم أُعيدَ وشيكاً إلى قضاء غَرناطَة وظلّ في هذا المَنْصِبِ إلى حينِ وفاتِهِ، في ٢١ شَعبانَ من سَنَةِ ٧٦٠[٣] (١٨/٦/١٣٥٩ م).

٢- كان أبو القاسم السبتي مُقدَّماً في عددٍ من فنون العلم والأدب: في التفسير والحديث والفِقه والأحكام واللغة والنحو والبلاغة والعَروض والتاريخ. وهو مُصَنِّفٌ له: رفع الحُجُب المستورة عن محاسن المقصورة (شرح مقصورة ابن حازم القرطاجنّي)- رياضة الأبي في شرح قصيدة الخزرجيّ (أرجوزة: الرامزة الشافية في علم العَروض والقافية أو القصيدة الخزرجية لأبي عبد الله محمّد بن عثمان الخزرجي من أحياء النصف الأوّل من القرن السابع للهجرة)- شرح تسهيل الفوائد (لابن مالك الطائي الجيّاني المتوفّى سنة ٦٧٢ هـ)- جُهْدُ المُقِلّ (ديوان شعره)- وغير ذلك من الشروح. ثمّ هو ناثر مترسلٌ شاعرٌ من فنونه الوصف والغزل خاصّة والمدح.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو القاسم السبتي الغَرناطيُّ يَصِفُ ساقيةً (ناعورة):

---

(١) انظر فوق، ص ٤٣٨.

(٢) وادي آش قرب غرناطة.

(٣) في نفح الطيب (٥: ١٩٧): وفاته سنة ٧٦١ هـ.

وذاتِ حَنينٍ تَسْتَهِلُّ دُموعُها ... سِجاماً إذا يحدو ركائِبَها الحادي[1].
تَعَجّبْتُ أنْ ليست تَريمُ مكانَها، ... ولم تَخلُ من تأويبِ سَيْرٍ وإسآد[2].
وأرْصَدْتُها في الرَّوْضِ أيّةَ عُدّةٍ، ... فكانتْ لدَفْعِ المَحْلِ عنه بمِرْصاد[3].
تخالَفَ ماءُ المُزْنِ حُكماً وماؤها؛ ... وكلٌّ على رَوْضِ الرُّبى رائحٌ غادي[4]:
فيُنْجِدُ هذا بعدَ أن كان مُتْهِماً، ... وذاك تراه مُتْهِماً بعد إنجاد[5].
لئن قَذَفَتْ ذَوْبَ اللُّجينِ على الثَّرى ... لقد خَلّصْتُه القُضْبُ حَلْياً لأجْياد[6]!

– وأهدى نُسخةً من ديوان شعرِه لتلميذه لسانِ الدين بنِ الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) وكتب عليه: هذهِ أوراقٌ ضَمَّنْتُها جُملةً من بناتِ فِكْري وقِطَعاً مّما يَجيش به في بعضِ الأحيانِ صدري. ولو حَزَمْتُ لأضْرَبْتُ عن كَتْبِها كلّ الإضراب ولَزِمْتُ في دَفْنِها وإخفائها دينَ الأعْراب[7]. ولكنّي آثرتُ على المَحْوِ الإثباتَ[8] وتمثّلتُ بقولِهِمْ: إنّ أحسنَ ما أُوتِيهِ العربُ الأبياتُ[9]. وإذا هي عُرِضَتْ على ذلك المَجْدِ وسألها كيف نَجَتْ من الوأدِ[10]، فقد آوَيْتُها من حَرَمِكُمْ إلى ظِلّ ظَليلٍ وأحْلَلْتُها من فِنائكم في

(١) دولاب الناعورة يحدث صوتاً وهو يدور. تستهلّ: تنسكب. سجاما: بكثرة ودوام. يحدو: يسوق. الركائب: الحيوانات المعدّة للركوب (يشبّه القواديس الصناديق المركبة على محيط دولاب الناعورة بالركائب).
(٢) تريم: تبرح، تترك. التأويب: سير النهار كلّه. الإسآد: المشي في الليل.
(٣) أرصدتّها: أعددتها. أيّة عدة: عدّة عظيمة (وسيلة). المحل؛ القحط، قِلّة نتاج الأرض.
(٤) المزن: المطر. رائح وغاد (يأتي في المساء وفي الصباح).
(٥) أنجد (ارتفع). أتْهم (انخفض). ذوب اللجين (الفضّة): الماء الناصع البياض الصافي.
(٦) لقد خلّصته... إلخ: أخرجت منه قضبان النبات أزهاراً تضعها النساء الجميلات في أجيادهن (أعناقهن، أعلى صدورهن).
(٧) الكَتْب (بفتح فسكون): الكتابة، التدوين. أضرب: آمتنع. الأعراب (البدو). دينهم (عادتهم) دفن النبات.
(٨) المحو والإثبات من ألفاظ الصوفية. المحو ضياع شخصية المتصوّف في الله (بقاء شعره في صدره). الإثبات ثبوت شخصيّة المتصوّف في الله (درجة فوق المحو)، ظهور شعره الذي يمثّله.
(٩) الأبيات: أبيات الشعر، الشعر.
(١٠) ذلك المجد، كناية عن مكانه لسان الدين بن الخطيب الذي أهدى الشاعر إليه ديوانه. الوأد: دفن الإنسان حيّا.

مُعَرَّسٍ ومَقيل (١). وأهْدَيْتها عِلْماً بأن كَرَمَكم بالإغضاء عن عُيوبها كَفيل. فاغْتَنِم قليلَ الهَديّةِ منّي: إنّ جُهْدَ المُقلّ غيرُ قليلٍ (٢).....

– ومن قوله في الغزل:

ظَفِرْتُ بلَثْمِها فبدا احْمِرارٌ ... بوَجْنَتِها يَزيدُ القلبَ وَجْداً (٣).
فأغْراها بِيَ الواشي، فظَلّتْ ... تلومُ. ولم أكُنْ مِمّنْ تَعَدّى.
وما كانت سِوَى قُبَلٍ، ففيها ... جَنَيْنَ أقاحِياً وغَرَسْنَ ورداً (٤)!

٤- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة (راجع، فوق، ص ٤٧٨): فيها ترجمة لحازم القرطاجنّي (ت ٦٨٤ هـ).

★★ قضاة الأندلس ١٧١ - ١٧٧؛ الديباج المذهب ٢٩٠ - ٢٩١؛ بغية الوعاة ١٦؛ نفح الطيب ٥: ١٨٩ - ١٩٩، ٦: ٢٤٨ - ٢٥١؛ النبوغ المغربي ٢١١ - ٢١٢، ٧٣٦، ٧٦٥ - ٧٦٨؛ الأدب المغربي ٢٣٩ - ٢٤٢؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٤ (٥: ٣٢٧): معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٢٥٢ و٣١٧ (مكررة).

أبو جعفر بن صَفوانَ

١ – هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ صَفوانَ القيسيُّ، وُلِدَ في مالَقَةَ، سَنَةَ ٦٧٥ هـ(٥). أخذَ عن أبي محمّدٍ الباهليّ، و(في مرّاكش) عن أبي عبدِ الله بن عبدِ الملك المؤرّخِ وعن أبي العبّاس بن البنّاء(٦). وتولى أبو جعفرٍ بنُ صَفوانَ الكتابةَ في غَرناطة

(١) آويتها (أسكنتها) من حرمكم (في جنبكم الذي لا يجرؤ أحد على ارتكاب ظلم فيه). الفناء (بكسر الفاء): باحة الدار. المعرّس: مكان النوم ليلاً. المقيل: مكان النوم نهاراً.

(٢) جهد المقل: ما يبذله الفقير أو الضعيف من مالها أو طاقتها. و «جهد المقلّ» عنوان ديوان أبي القاسم السبتي.

(٣) الوجد: الشوق والحبّ.

(٤) الأقاحي جمع أقحوان (بضمّ الهمزة والحاء): أزهار بيض ذات أوساط صفر. - قبّلتُ خدّها الأبيض فاحمر خجلاً (كأنّه نبت فيه ورد=زاد جماله).

(٥) من الديباج المذهب ص ٤٣: ٧٦٣ هـ=١٢٧٦ - ١٢٧٧ م.

(٦) كذا في الديباج المذهب. والملموح أن ابن البنّاء هذا هو ابن البناء المَراكشي (ت ٧٢١ هـ) العالم بالحساب.

في زمن السلطانِ أبي عبد الله محمّدِ بنِ يوسفَ المعروفِ بالفقيه (٦٧١-٧٠١ هـ) ثمّ آستعفى من مَنْصِبِهِ وعاد إلى مالَقَة وفيها تُوُفِّيَ في آخرِ جُمادى الآخِرة من سَنَةِ ٧٦٣ (٢٥/ ٤/ ١٣٦٢ م).

٢ - كان أبو جعفرِ بنِ صفوانَ صدراً من صُدورِ الكُتّابِ وشاعراً أكثرُ شِعرِه في الشكوى، وبعضُه في التصوّف. وكان أيضاً بارعاً في عددٍ من فنون المعرفة كاللغة والأدب والتاريخ والحساب والفرائض والتوثيق والفلسفة والتصوّف. وكان مصنِّفاً له: مطلَعُ هِلال الأنوار الإلٰهية - بُغية المستفيد - شرح كتاب القُرشي في الفرائض، وغيرُها.

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو جعفرِ بنُ صَفوانَ في عددٍ من المعاني الصوفية(١):

بانَ الحميمُ، فما الحِمى والبانُ … بشفاءِ مَنْ عنه الأحبّةُ بانوا(٢)؟
لم ينقُضوا عَهْداً ببَيْنِهِمُ، ولا … أنساهُمُ ميثاقَكَ الحَدَثانُ(٣).
لكنْ جنحتَ لِغَيْرِهم، فأزالَهُمْ … عن أُنْسِهم بكَ مُوحِشٌ غَيْران(٤).
لو صحّ حُبُّكَ ما فَقَدْتَهُمُ، ولا … سارتْ بهم عن حَيِّك الأظعانُ(٥).
لا يشتكي أَلَمَ البُعادِ مُتَيَّمٌ … أحبابُهُ في قلبه سُكّان.
شَغَلَتْكَ بالأغيارِ عنهم مُقْلَةٌ … إنسانُها عن لَمْحِهِمْ وَسْنانُ(٦).
غمّضْ جُفونَكَ عن سواهُم مُعْرِضاً؛ … إنّ الصوارمَ حُجْبُها الأجفانُ(٧).

---

(١) سأشرح هذه الأبيات شرحاً لغويّاً أدبيّاً وسأترك الصور الصوفية بلا شرح.

(٢) بان: ابتعد، سافر. الحميم: الصديق المخلص - فما أثر الحمى (المسكن) والبان (نوع من الشجر) في شفاء (تعزية) من آبتعد عنه أحبّته؟

(٣) البين: البعد. الميثاق: العهد. الحدثان: أحداث الزمان (المصائب).

(٤) جنح: مال، انصرف.

(٥) الظعن (بالفتح): الراحلة عليها هودج للنساء.

(٦) الأغيار (في التصوّف): الموجوات في عالم المشاهدة، الأشياء الموجودة في عالمنا: البحر، الشجرة، البيت، الإنسان (كلّ ما هو غير الله في الأمور المشاهدة). وسنان: نعسان.

(٧) الصارم: السيف. الجفن (الأولى): جفن العين، (والثانية): جفن السيف، قرابه، بيته. - ما دام السيف في قرابه فليس سيفاً (لأنّه في هذه الحال لا يفعل فعل السيوف).

واصْرِفْ إِلَيْهِمْ لَحْظَ فِكْرِكَ شاخصاً ... تَرَهُمْ بقلبِكَ حيثُ كنتَ وكانوا.
يـا لامحـاً سِرَّ الوجود بعَيْنـهِ، ... السرُّ فيـــك بأسْرِه والشان.
أنـتَ الحِجابُ لِما تُؤمِّـلُ منهمُ؛ ... ففَنـاؤك الأقصى لهم وُجْدان[1].

– وقال في الموت وهلاك الأعداء:

وقالوا: قضاءُ الموتِ حَتْمٌ على الورى ... يُدير صغـــيرٌ كأسَه وكبـــيرُ[2]،
فلا تَنْتَسِمْ ريحَ ارتيـاحٍ لفَقْدِه، ... فإنّـكَ عن قَصْدِ السبيل تَحور[3].
فقلتُ: بلى، حُكْمُ المَنيّةِ شاملٌ؛ ... وكـلٌّ إلى ربٍّ العبـاد يَصـير.
ولكنْ لِتقديمِ الأعادي إلى الرَّدى ... نَشاطٌ يعود القلبَ منه سرورُ[4]
وأمنٌ ينـام المرء في بَرْدِ ظِلّـهِ، ... ولا حيّـــةٌ للحِقْـــدِ ثَمّ تثور.
وحَسْبِيَ بيـتٌ قالـه شاعرٌ مَضى ... غـــدا مثـــلاً في العالمـين يَسير:
وإنّ بقـاءَ المرءِ بعـــدَ عَـدُوِّه ... – ولو ساعــةً من عُمْره – لَكثـــير!

– كان سُلطانُ غرناطةَ أبو الحجّاجِ يوسفُ الرابعُ متوجّهاً إلى الجزيرةِ الخضراء لنَجْدتها على الإسبان، سنة ٧٤٤هـ (١٣٤٣م). وكان في صُحبتِه لِسانُ الدين بنُ الخطيب. فتمهّلَ السلطانُ قليلاً في مالَقَةَ، فانتهزَ لسانُ الدين الفرصةَ وجمع شعرَ ابنِ صَفوانَ وسمّاه «الدُرَرُ الفاخرةَ واللُّجَجَ الزاخرة» وطلبَ من ابنِ صفوان أن يُجيزَ له ولابنِه عبدِ اللهِ رِوايةَ هذا الديوان، فكتب ابنُ صفوانَ في الإجازةِ ما يلي:

الحمدُ للهِ مُسْتَحِقِّ الحمدِ. أجبْتُ سُؤالَ الفقيهِ الأجلِّ الأفضل السَّرِيّ الماجدِ الأوحدِ.... الحائزِ في فنّي النظْم والنثْر وأُسلوبَيِ المكاتبةِ والشعر رُتبةَ الرِئاسة... أبي عبدِ الله بنِ الخطيب – وصَلَ اللهُ سعادتَه ومَجادتَه، وأسْنى[5] من الخَيْر الأوفرِ والصُّنع الجميلِ الأبهر مَقْصِدَه وإرادتَه، وبَلّغه في نَجْلِه الأسعدِ وابنِه الراقي بمَحْتِدِه

---

(١) – ما دمت تدرك نفسك مستقلّاً متحيّزاً في مكانك فإدراك العزّة الآلهية محجوب بك (مستحيل عليك).
(٢) يدير كأسه: يشرب منه (يموت).
(٣) آنتسم صيغة غير قاموسية. المقصود تنسّم: تنفّس. الآرتياح: السرور. تحور: تميل، تضلّ.
(٤) – لموت أحد الخصمين سرور يدخل على قلب الخصم الآخر مرّة بعد مرّة.
(٥) أسنى: رفع (زاد).

الفاضل ومَنْشأه الأطهر مَحلَّ الفرْقَدِ، أفضلَ ما يُؤمِّلُ نِحْلَتَهُ إياه[1] في المكرُماتِ وإفادتَه؛ وأجَزْتُ له ولابنهِ عبدِ الله المذكورِ - أبقاهما اللهُ تعالى في عِزّةٍ سَنيّةِ الخِلالِ وعاقبةٍ مُمتدّة الأفياء وارفةِ الظِّلال[2] - رِواية جميعِ ما تَقَيَّدَ في الأوراق المُكْتَتَبِ على ظَهْرِ أوّلِ وَرَقَةٍ منها من نَظْمي ونَثْري وما تَوَلَّيْتُ إنشاءه واعتمدْتُ بالارتجالِ والرِّواية اختيارَه وانتقاءه، أيامَ عُمُري، وجميعَ ما لي من تصنيفٍ وتقييدٍ ومقطوعةٍ وقصيدٍ، وجميعَ ما أحمِلُه عن أشْياخي - رضي الله عنهم - من العلومِ وفنون المنثور والمنظوم، بأيّ وجهٍ تأتَّى ذلك وصَحّ حَمْلي له وثَبَتَ إسنادُه لي، إجازةً تامّةً في ذلك كلِّه عامّةً على سُنَنِ الإجازاتِ الشرعيةِ وشَرْطِها المأثورِ عندَ أهلِ الحديثِ المَرْعيِّ[3]. واللهُ يَنْفَعُني وإيّاهُما بالعلمِ وحَمْلهِ ويَنْظِمُنا في سِلْكِ حِزْبهِ المُفلحين وأهلِهِ ويُفيضُ علينا من أنوارِ بركتهِ وفضله. قالَ ذلك وكَتَبَهُ بخَطِّ يدِه الفانيةِ العبدُ الفقيرُ إلى الغنّي به أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ صَفوانَ - ختم الله له بخيرٍ - حامداً اللهَ تعالى ومُصَلِّياً ومُسلِّماً على مُحمّدٍ نبيّهِ المُصطفى الكريم وعلى آله الطاهرين ذوي المَنْصِبِ العظيم وصَحْبه البَرَرَةِ أُولى المَنْصِبِ والأثَرَةِ[4] والتقديم، في سادسِ ربيعٍ الآخِرِ عامَ أربعةٍ وأربعينَ وسَبْعِمِائَةٍ[5]. وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ.

٤-★★ الديباج المذهب ٤٣؛ نيل الابتهاج ٧٢؛ الإحاطة ١: ٢٢٩-٢٤٠؛ الكتيبة الكامنة ٢١٦-٢٢٣؛ درّة الحجال ١: ٧٨-٧٩؛ معجم المؤلفين لكحالة ١: ١٣٣-١٣٤.

ابن الحاجّ النميري الغرناطيّ

١- هو الشيخُ برهانُ الدينِ أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمّدِ بن ابراهيمَ بنِ

(١) المحتد: كرم الأصل والشرف. الفرقد (النجم القطبي، وغيره)، المقصود: المكان العالي. النحلة (بالكسر): ما ينتحله (يمتهنه) الإنسان أو يعتقده.
(٢) الوارف: الممتدّ.
(٣) المرعيّ: المعمول به (نعت لكلمة «شرطها»).
(٤) الأثرة: المنزلة، وتقدم الإنسان في المنزلة على غيره.
(٥) ١٣٤٣/٨/٢٨ م.

موسى النُمَيْريُّ الغَرناطيُّ، وُلِدَ في غَرناطةَ سَنَةَ ٧١٣ هـ (١٣١٣ - ١٣١٤ م).

دَخَلَ ابنُ الحاجِّ ديوانَ الإنشاء سَنَةَ ٧٣٤ هـ. وفي مطلعِ سَنَةِ ٧٣٧ هـ (آخرِ صيف ١٣٣٦ م) تطوّفَ قليلاً بشَرْقِ الأندلُسِ ثمّ رَحَلَ إلى المشرق وحَجّ. وكَثُرَ ذَهابُه إلى المشرقِ وحَجُّه، وكان في كلِّ مرّةٍ يعودُ إلى إفريقيَة ويعودُ أحياناً إلى الأندلُس. وفي نفح الطيب (٧ : ١٠٧) أنّ رِحْلَتَهُ وصلتْ إلى ما وراءَ الشامِ والعِراق. وقد لَقِيَ في الشام نَفَراً من كِبارِ عُلماءِ الحديثِ وأخذ عنهم. من هؤلاء: عَلَمُ الدين البِرزاليّ (ت ٧٣٩ هـ) والحافظ المِزّيّ (ت ٧٤٢ هـ) والحافظ الذَهَبيّ (ت ٧٤٨ هـ).

وملّ ابنُ الحاجّ الخِدمةَ في دواوينِ الدُوَلِ (في الأندلس وفي المغرب) فآثَرَ الانسحابَ من الحياةِ العامّة واعتزلَ (رَمضَانَ ٧٥٧ = مطلعَ الخريف من عام ١٣٥٦ م). ولكنّ السُّلطانَ أبا عِنانٍ المَرينيَّ أجْبَرَهُ على الرجوعِ إلى الخِدمة. فلمّا تُوُفِّيَ أبو عنانٍ (٧٥٩ هـ) عاد ابنُ الحاجِّ إلى الأندلس. ولعلّه في هذه الحِقبة تَوّلى القضاءَ حيناً في غَرناطة.

ثمّ إنّ ابن الحاجِّ توجّهَ رسولاً من قِبَلِ السلطانِ محمّدٍ الخامس صاحبِ غَرناطةَ إلى السلطانِ أحمدَ بنِ موسى الزيّانيّ صاحبِ تِلِمْسانَ. فلمّا وَصَلَتْ سفينتُهُ إلى مَقْرُبَةٍ من وَهْرانَ (شاطىء الجزائر) تعرّض لها أسطولٌ للعدوّ[١]، وذلك في سادسِ ربيعٍ الآخِرِ من سَنَةِ ٧٦٨ (١٣٣٧/١١/١ م). ولكنّ السلطانَ محمّداً الخامسَ أنقذَه[٢] بعدَ أن لَبِثَ في الأسْرِ سِتّةَ عَشَرَ يوماً. وعاد ابنُ الحاجّ إلى الأندلس[٣].

٢ - كانَ ابنُ الحاجِّ النُّميريُّ الغَرناطيُّ مُحدِّثاً وفقيهاً، كما كان ناثراً وشاعراً. قال فيه المقّري «الشاعرُ المُفْلَقُ له النظمُ الرائقُ العَذْبُ الجامعُ بينَ جَزالةِ المغاربة ورِقّة

(١) كان ذلك في عصر القرصنة حينما كان الأوروبيّون من إسبان وبرتغاليّين وهولنديّين وانكليز وفرنسيّين يقطعون البحر على مراكب المسلمين.

(٢) قيل افتداه بمبلغ جسيم، وقيل أرسل أسطولاً كبيراً حارب القراصنة.

(٣) لم يرد ذكر وفاة ابن الحاجّ النميري في نفح الطيب ولا في نيل الابتهاج. ولكنّه كان بلا ريب حيّاً في ٧٦٤ هـ (لمّا كتب رسالته إلى لسان الدين بن الخطيب). ولكنّ خير الدين الزركلي (الأعلام ١ : ٤٢) ذكر أنّ وفاته كانت سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م). وفي المنهل الصافي (١ : ٦٦ - ٦٨) ودائرة المعارف الإسلامية: نحو ٧٨٥ هـ.

المشارقة[1]. ويبدو أن مُعْظَمَ شِعرِه مُقطّعاتٌ قِصارٌ تَغلِبُ فيها التَوْريات. وأبرزُ فُنونه المَدْح والغزَل. ولابنِ الحاجّ تآليفُ كثيرةٌ منها: رِحلة- فيض العُباب وإجالة قِداح الآداب في الحَرَكة إلى قُسَنْطينة والزاب[2]- المساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والمازحة- إيقاظ الكِرام بأخبار المنام- تنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح- كتاب الوسائل ونُزهة النواظر والخمائل- الزَّهَرات وإجالة النَظَرات- كتاب في التَوْرِيَة (على حروف المُعجم)- مثاليث القوانين في التورية والاستخدام والتضمين[3] (وهو كلّه من نظمه)- بيان الاسم الأعظم[4]- اللباس والصُّحبة (جمع فيه طرق المتصوّفة)- نُزهة الحَدَق في ذِكر الفِرَق- الفُصول المُقْتضبه في الأحكام المُنْتَخبة (رَجَزٌ في الأحكام الشرعية)- رجز في الجَدَل.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ الحاجِّ النُميريُّ لمّا نَوَى (قصد) عَلَمُ الدين البِرزاليُّ مغادرةَ دِمَشْقَ:

نَوَى النَّوَى عَلَمُ الـدينِ الرِّضا فأنا ... من بعدِ فُرقتهِ بالشام ذو أَلَمِ[5].
فـلا تَلُمْـني على حُبّي دِمَشْقَ فقد ... أصْبحت فيها زماناً صاحبَ العَلَمِ[6].

- وقال يذكر الآثارَ (آثار البلاد - الأحاديث) وكيف تُروى (تُسقى - ينقلها واحدٌ عن واحدٍ) بسلسلة (حلَقات مجموع بعضُها إلى بعضٍ تُدارُ بها الناعورة- نَسَقٌ من

---

(١) نفح الطيب ٧: ١٠٧. لو قال: جزالة المشارقة ورقّة المغاربة لكان أولى!

(٢) ارتفاع الموج، وكثرة الماء في السيل. الإجالة: المزج والخلط. القِداح جمع قدح (بالكسر): سهام تستخدم في الميسر أو لعب القمار. (يبدو أنّه قام برحلة للتكسّب: يرى فيها حظّه في النجاح، كأنّما كان يقامر). الحركة: السفر. قسنطينة (كذا تلفظ اليوم) هي قسطنطينة، نسبة إلى ملك الروم (الأمبرطور البيزنطي) قسطنطين الكبير الذي بناها في مشهد مدينة سابقة كانت قد خربت في أثناء ثورة عام ٣١١ م. بلاد الزاب تقع في جنوب الجزائر قريبة من الصحراء الكبرى (مزاب، ميزاب).

(٣) التورية والاستخدام والتضمين من أبواب البلاغة.

(٤) الاسم الأعظم: الاسم المتمّم للمائة من أسماء الله الحسنى (والمعروف منها تسعة وتسعون اسماً)، ويرى المتصوّفة أن من عرف هذا الاسم ثمّ دعا به استجاب الله له كلّ دعوة.

(٥) النوى: البعاد، الغربة.

(٦) صاحب العلم: الرجل المشهور ذو النفوذ- وصاحب العلم: صديق علم الدين البرزالي.

الرجال الذين يَرْوُونَ الحديث) من الذهب (المَعْدِنِ المعروف - الحافظُ شمسُ الدين الذَهبِيَ):

رَحَلْتُ نحوَ دِمَشْقِ الشامِ مُبْتَغِياً   رِوايةً عن ذوي الأحلامِ والأدبِ[1].
ففُزْتُ في كُتُبِ الآثارِ حينَ غَدَتْ   تُرْوَى بسِلسلةٍ عُظمى من الذَهبي!

- وقال لَمّا ماتَ أبو يحيى أبو بكرٍ سُلطانُ تُونِسَ فخَلَفَه ابنه أبو حفصٍ عُمَرُ (٧٤٨ هـ) بعدَ أن قَتَلَ إخوتَه (أبو بكر سلطان تونس - أبو بكر الصديق ثمّ عمر سلطان تونس بعد أبيه أبي بكر - عمر الفاروق الخليفة الثاني):

وقالوا: أبو حَفَصٍ حوى المُلكَ غاصباً،   وإخوتـه أوْلى، وقد جاء بالنُّكْرِ.
فقلتُ لهم: كُفّوا، فما رَضِيَ الوَرى   سِوى عُمَرٍ من بعدِ موتِ أبي بكرِ[2]!

- وقال في النسيب (خفيف: مُحتَمل، مرغوبٌ فيه):

أتَوْني فعابوا من أُحِـبّ جمالَـه.   وذاك على سَمْعِ المُحبّ خفيفُ[3].
فما فيـه عيـبٌ، غير أن جُفونَه   مِراضٌ وأن الخَصْرَ منه ضعيف[4]!

- وقال أيضاً (الهجاء: ضِدّ المدح، تهجئة الكلمات):

لِيَ المـدحُ يُرْوَى مُنْذُ كنتُ كأنّما   تصوّرتُ مدحاً للورى وثَناءَ[5].
ومـا لي هِجـاءٌ. فاعْجَبَنَّ لشاعرٍ   وكاتـبِ سرٍّ لا يُقـيم هِجـاءَ.

وقال في الغزل الصريح وفيه تَوْرِياتٌ بكناياتٍ قبيحةٍ ولكن بارعةٌ:

ومَهـاةٍ تقولُ، إن هي كَلّـتْ   ودعـا للمُزاحِ خِـلٌّ مُمازِحْ[6]:
وازِرِ الرِّدفَ، إنّ في الأُزْرِ مِنّي   رَمْلَ يَبْرِينَ، يا طبيبُ، وعالِجْ[7]!

---

(١) الأحلام جمع حلم (بالكسر) العقل. (٢) الورى: الناس.
(٣) الأشياء التي ظنّوها عيوباً في محبوبي هي حسنات في المحبوب.
(٤) مراض: ناعسات (وهم يعنون أنها مريضة، سقيمة). ضعيف: نحيف (وهم يعنون أنّه ناقص التكوين).
(٥) تصوّرت (كأنّي كلّي - كلّ عملي - مدح جميع الناس والثناء عليهم).
(٦) المهاة: الغزالة (المرأة الجميلة). كلّت: تعبت (من الغزَل....).
(٧) المزاح: المداعبة (دعب: جامع). خلّ: صديق. ممازح: مفاخر (بقدرته على المداعبة). الردف: مؤخّر =

- وقال :

هــذهِ الشمسُ بالحِجــاب توارتْ بعــدَ نُورٍ لها ورَحْــبٍ وبِشْرِ[١].

وأتـــى الليـــلُ بالنسيم عليــلاً فهو يَمْشي من أُفْقِـه لابنِ زُهْرِ!

(عليلاً: لطيفاً، بارداً - عليلاً: مريضاً ثمّ ابن زُهْر: النجوم؟ - ابن زُهْر: طبيبٌ أندلسيٌّ مشهورٌ كان قبلَ عصر ابن الحاجّ).

- وردت رسالةٌ من لسان الدين بنِ الخطيب إلى الحاجّ النُّميري (جواب رسالة سابقة لابن الحاجّ) فردّ ابن الحاجّ برسالة جاء فيها:

•..... قَسَماً بَبراعتِك التي هي الواسي المُطاعُ وطِرْسِك[٢] الذي أُبْهِجَتْ به الأبصارُ والأسماعُ، لقد عادَ لي بكتابِك عيدُ الشوقِ وجادَ لي بخِطابِك جِدُّ التَّوْق[٣]. ولَعَهْدي بنفسي - رهنُ أشجاني غيرَ محلولةٍ عُقْدةُ لساني - أشدُّ من الصخرةِ جَلَداً وأغلَظُ من الإبلِ كَبِداً[٤]. حتّى إذا بَدَتْ حريقةُ القلبِ وهبّ نسيمُه الرَّطْب وأفْيَحَ مَوْرِدُه العَذْبُ[٥] وأضاء بنوره الشرقُ والغربُ ولم يَبْقَ لي بَثٌّ ولا شَجَنٌ[٦] ولا شاقني أهلٌ

= البدن. وازر الردف (ساعدني على حمله). الأُزْر جمع إزار (ثوب للنصف الأسفل من الجسم). يبرين وعالج مكانان في بادية العرب كثيرا الرمال. في الأزرمنّي رمل يبرين وعالج (أشياء كثيرة، طاقة كبيرة). عالج (فعل أمر من عالجه يعالجه: داواه). عالج الشيء: مارسه. وفي حديث: «عالجت امرأة فأصبت منها» (تاج العروس - الكويت ٦: ١٠٩).

(١) توارت الشمس بالحجاب: غابت. رحب: مكان واسع (في السماء الظاهرة لأعيننا). البِشر: طلاقة الوجه والبشاشة. الفرح.

(٢) الواسي (كذا في الأصل) لعلّها الواشي. الطرس: الورقة. (سأكتفي هنا بشرح الألفاظ المفردة لأنّ القطعة المذكورة قائمة على التلاعب بالألفاظ ممّا يطول أمر الكشف عن مقاصد ذلك التلاعب).

(٣) عيد: عودة (في موشّحة للسان الدين بن الخطيب: عاده عيد من الشوق جديد). جدّ التوق (النزوع، الميل، الشوق) الجِدّي، الحقيقي.

(٤) الجلد: الاحتمال (في موشّحة لسان الدين أيضاً: ليس لي صبر ولا لي جلَد). أغلظ من الإبل كبداً: أقدر على الاحتمال، وأشد بعداً في السفر وأكثر صبراً على البعد عن الوطن.

(٥) أفيح؟ (يقصد فاح من «فيح» اتّسع، كثر) مورده (مكان الاستقاء منه). العذب: الحلو.

(٦) البث والشجن: الحزن.

ولا وطنٌ ومضَى سيفُ اللسان بعد النُّبوِّ ونَهَضَ طِرْفُ الفِكْر بعد الكُبُوّ (١) وهَزّني الطربُ المُثيرُ للأفراحِ ومشى الجَذَلُ في أطرافي وأعطافي (٢) مَشْيَ الراح (٣).... قُلت: من لي(٤) بشَربةٍ من كأسِ بَيانهِ وقَطْرةٍ من بُحور إحسانه حتّى أُؤدِّيَ ولو بعضَ حقّهِ.... فأمّا وقد نفَقَتْ عندك بِضاعتي المُزجاةُ(٥) وشَمِلني من لَدُنْكَ الحِلْمُ والأناةُ وشرّفْتَني بالخِطاب الكريمِ والرسالة التي عرَفْتُ في وَجْهها نُضرةَ النعيم(٦)، فما أبْغي إلّا إيرادَها عليك وكلّها خُراجُ ولِبُرْدِها في الإجادة إنهاج(٧). ولعلّك ترضى التخريج من مُدوّنةِ الأخبارِ والمبسوطة والواضحة، لكن من الأعذار(٨).....

وإذا كان المرءُ على دينِ خليلِه، ومن شأنه سلوكُ نهجِهِ وسبيله، فالأليَقُ أن أزْهَدَ في الصفراءِ والبيضاءِ وأُقابِلَ زُخْرُفَ الدُّنيا(٩) بالبغضاء، وأرْجُوَ على يَدِكَ حُسْنَ التَخلّي والاطّلاعَ على أسرارِ التجلّي(١٠) حتّى أسْعَدَ بِكَ في آخِرتي ودُنيايَ وأجِدَ بركةَ خاطرِكَ في مَماتي ومَحيايَ. أبقاكَ الله بقاءَ يُسْرٍ وأمْتَعَ بمناقِبِكَ التي يَحْسُدُها الياقوتُ

---

(١) مضى السيف: قطع، مرّ في الشيء الذي ضُرِبَ به. النبوّ: رجوع السيف عن الضريبة. - في الأصل: ونهض طرف (بفتح فسكون) الفكر بعد البكر (بضمّ الباء) - والصواب ما أثبتّه في المتن. الطرف (بكسر الطاء) الحصان. والكبوّ: العثرة. (في أصل هذا النص قراءات خاطئة).

(٢) الجذل: الفرح.

(٣) الراح: الخمر.

(٤) في الأصل: مالي. الصواب من لي: من يعطيني.

(٥) المزجاة (من «أزجى»): المغشوشة، الرديئة.

(٦) نضرة النعيم: وضاءة ولمعان في الوجه من الرفاهية والنعمة. في القرآن الكريم (٨٣: ٢٤، سورة المطفّفين): ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾.

(٧) ايرادها (؟). الخراج بضمّ الخاء أو بفتحها دمّل يخرج في البدن (شيء رديء). البرد: الثوب (من الحرير). نهج الثوب وأنهج: بلي وتهرّأ.

(٨) التخريج (هنا): التعليل. المدوّنة كتاب في الفقه، والواضحة كتاب في التجويد (تجويد القرآن - مقصور على الفاتحة). ولم أعرف المبسوطة (وناشر الكتاب لم يذكرها في فهرست الكتب التي ورد ذكرها في الكتاب). من المعروف أنّ المبسوط كتاب في الفقه. - يقصد يريد أن يدوّن عذره مبسوطاً (بتفصيل) وواضحاً.

(٩) الصفراء (العملة من الذهب) والبيضاء (العملة من الفضّة). الزخرف: الزينة.

(١٠) التخلّي: ترك الاختلاط بالناس. وترك الزواج أيضاً. التجلّي: وضوح الأشياء للإنسان، عطف الله عليه بإفادته علوماً من عنده (من عند الله).

والدُرّ. ولا زِلتَ في سِيادةٍ تَروقُ نَعْتاً وسعادةٍ لا تَرى فيها عِوَجاً ولا أمْتاً[1]. وأقرأُ عليك سلاماً عاطر العَرْفِ[2] كريمَ التأكيدِ والعطف..... كَتَبَهُ أخوك ومَمْلوكُك وشِيعةُ مَجْدِك في الرابعِ والعشرين من جُمادى الأولى عامَ أربعةٍ وستّين وسَبْعِمائَةٍ.

٤ - ★★ نيل الابتهاج ٤٤ - ٤٦؛ الوافي بالوفيات ٦: ٤٠؛ الإحاطة ١: ٣٥٠، ٣٧١؛ الكتيبة الكامنة ٢٦٠ - ٢٦٩؛ نثير فرائد الجمان ٣٠٣ - ٣١٨؛ نفح الطيب ٢: ٥٣٤ - ٥٣٥، ٥: ٥٣١، ٧: ١٠٨ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٠؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٩؛ الأعلام للزركلي ١: ٤٢ - ٤٣ (٤٩)؛ مجلّة «البحث العلميّ١/ ١٩٦٥م، ص ٧١؛ معجم المؤلفين لكحالة ١: ٥١.

ابن خاتمة الأنصاريّ

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ بن محمّدِ بنِ عليٍّ بنِ محمّد بنِ خاتمةَ الأنصاريُّ[3]، وُلِدَ في اَلْمَرِيّةِ، في مطلعِ القرن الثامنِ للهجرة فيما يبدو[4]. وتلقّى ابنُ خاتمةَ العلمَ على نفرٍ[5] منهم أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بن أبي العيشِ المُرّيّ قرأ عليه اَبنُ خاتمةَ ولازمه، وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ العاصي التَّنوخيُّ ومُحمّدُ بنُ جابرِ بنِ محمّد بن حسّان الوادي آشيُّ، وهو راويةٌ مُحَدِّثٌ (بأحاديثِ رسولِ الله) رَحّالٌ (صاحب رِحْلاتٍ)، وأبو البركاتِ اَبنُ الحاجّ وأبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ شُعيبٍ القيسيُّ من أهل المرِيّة، وأبو جعفرٍ القرشيُّ المعروفُ بابن فركونٍ وأبو القاسم محمّدِ بنِ سهلِ بنِ مالكٍ وأبو جعفرِ بن الأغرِّ

(١) الأمت: الاختلاف في الأرض اَرتفاعاً واَنخفاضاً. «لا ترى فيها الخ» تضمين من القرآن الكريم (٢٠: ١٠٧، سورة طه).

(٢) العرف: الرائحة الطيّبة.

(٣) الأنصاري: نسبة إلى «الأنصار» الذين نصروا رسول الله لمّا هاجر إلى المدينة (أهل المدينة). ويزيد محمّد رضوان الداية (محقّق ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص ٩ م، السطر الأخير) «المرينيّ» (نسبة إلى بني مرين حكّام المغرب)!

(٤) في مقدّمة الديوان (ص ١٧ م) ترجيح أنّه عاش نحو سبعين سنة.

(٥) راجع في ذيل وفيات الأعيان (ص ٨٦) أسماء نفر آخرين من شيوخه. وفي مجلّة «دعوة الحقّ» (الرباط، صفر ١٣٩٢ هـ = ابريل - نيسان ١٩٧٢ م، ص ١٤٦) أن مولده كان سنة ٧٣٤ هـ.

(الإحاطة ٢٤٩، وقد صَعُب عليَّ تَتَبُّعُ أنسابهم وأحوالهم).

وقَعَدَ ابنُ خاتمةَ للإقراءِ في الجامعِ الأعظم في المَرِيّةِ فأقرأ اللغة والنحوَ والبلاغة والأدب، وكان في الوقتِ نفسهِ يقومُ بعقدِ الشروط. ثمّ درّسَ في المدرسةِ اليوسفيةِ التي أنشأها في غَرناطةَ أبو الحجّاجِ يوسفُ الأوّلُ بنُ الأحمرِ (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ)[1].

وكانتْ صِلَةُ ابنِ خاتمةَ ببني الأحمرِ حَسَنَةً، زارَ غَرناطةَ مِراراً إحداها في شَعبانَ مِنَ سَنَةِ ٧٥١ (خريفَ ١٣٥٠ م). وكان لا يزالُ حَيًّا في ثاني عَشَرَ شَعبانَ من سَنَةِ ٧٧٠[2] (٢١/ ٣/ ١٣٦٩ م)، كما في الإحاطة (١ : ٢٦٧). ولَعَلّ وفاتَه كانت بُعيدَ ذلك بقليلٍ.

٢ - ابنُ خاتمةَ الأنصاريُّ ناثرٌ له رسائلُ إخوانيّةٌ وديوانيّةٌ، وَهُوَ ناظمٌ مُكْثِرٌ مُتَعدِّدُ الفنونِ والأغراض له مديحٌ دينيٌّ في اللهِ ونعَمِهِ ونَسيبٌ وغزلٌ مؤنّثٌ ومذكّرٌ ومُجونٌ ثمّ له أوصافٌ في الطبيعة والخمرِ وله حِكَمٌ ومُلَحٌ وفُكاهاتٌ. وشِعْرُه عاديٌّ في الأكثرِ تَغْلِبُ عليه الصِّناعة اللَّفْظية والصناعة المعنويّة. وله مُوَشَّحاتٌ كثيرة. ويَغْلِبُ على شعرِ ابنِ خاتمةَ التقليدُ، فترى فيه أثارَ الشعراءِ ظاهرةً مِنْ مِثْلِ أبي نُواسٍ وأبي تمّامٍ والبُحتريّ والُمتنبّي وابنِ هاني الأندلسيّ وابنِ الفارِض وسِواهُم. غيرَ أنّه سليمُ العِبارةِ متينُ السَّبك.

وابنْ خاتمةَ الأنصاريُّ مؤلّفٌ له: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (في وصف الطاعون الجارف الذي اجتاح العالم في آسية وأوربّة وإفريقية، سنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - مَزِيّةُ الْمَرِيّةِ على غيرِها من البلاد الأندلسية (فيه شيء من جُغرافيةِ تلك المدينة وتاريخِها وتراجمِ رجالِها وزُوّارِها) - إلْحاقُ العقل بالحِسّ في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس (؟) - إيرادُ اللآلِ من إنشاد الضَوالِّ (وهو استدراك على «إنشاد الضوالّ وإرشاد السُؤال» لمحمّدِ بنِ هاني اللخمي السَّبْتي المتوفّى سنة ٧٣٣ في لَحْنِ العامّة) - رائق التحلية في فائق التورية (مجموع شعر).

---

(١) يقوم بعقد الشروط (بتنظيم عقود البيع والزواج وغيرها، ولعلّه يشبه الكاتب العدل في أيامنا)!

(٢) راجع التعليق على دقّة هذا التاريخ (الديوان، ص١٦ م - ١٧ م).

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة ديوانه:

وبعدُ، فإنّ بعضَ خُلَصائي[١]- وهُوَ مَنْ لا يَسَعُ، لجميلِ وُدّهِ، غيرُ تكميلِ قصدِه- قد خَطَبَ إليّ بُنيّاتِ فِكري وأبياتَ شِعري جُملةً يسهُلُ استظهارُها ويجمُلُ في مَنصّةِ المُحاضرةِ استحضارُها[٢]، تأخذُ مِنَ الآدابِ بأطوارِها وفُنونِها وتشتملُ مِنَ المعاني على أبكارِها وعُونِها[٣]...... وعِنْدَما كَمُلَ إبدارُها وتمّ اعْتِيامُها واختيارُها زَفَفْتُها إليه سادِلةَ[٤] ثوبَ الحَياءِ تُقَدِّمُ رِجْلاً وتؤخِّرُ أُخرى مِنَ الاستحياء، رَيْحانةً مِنْ أدواحٍ ونَسَمَةً من أرواحٍ[٥]. وقد قَسَمْتُها أربعةَ أقسامٍ قَصْدَ التنشيطِ والإجمام[٦]: القسمَ الأوّلَ في المدح والثناء- القسمَ الثاني في النسيبِ والغَزَل- القسمَ الثالثَ في المُلَحِ والفُكاهات- القسمَ الرابعَ في الوصايا والحِكَمْ. وخَتَمْتُها بنُبْذَةٍ من التَوْشيحِ الذي له في مِضمارِ[٧] الأدبِ المجالُ الفسيح.....

- قال ابن خاتمة في ذكر لُطْف الله ونعَمهِ:

أما أبْصَرَتْ عَيْناكَ للحقّ مُرشِدا؟ أمـا سَمِعْتُ أُذْناك لله داعِيـا؟
أبعـدَ مَشيـبٍ تستجـدّ شَبيبـةً؟ وبعد هَوًى تَبْغي عَمًى أو تَعاميا[٨]؟

(١) الخلصاء جمع خلص (بكسر الخاء): الخدن (بكسر الخاء): الصديق المخلص.
(٢) بنيّات جمع بنيّة (مؤنّث بنيّ بضمّ الباء تصغير «ابن»). بنات الأفكار: الآراء، الأقوال. جملة: مقداراً يسيراً. استظهارها: حفظها غيباً. منصّة: منبر. المحاضرة: المسابقة، المناظرة. استحضارها: تذكّرها عند الحاجة.
(٣) البكر: (الأشياء) التي لم يعرفها أحد من قبل. العُون جمع عوان: المرأة التي كان لها زوج، والحرب التي قوتل فيها مرّة بعد مرّة، الشيء الذي عرف من قبل.
(٤) الابدار: الاكتمال (أصبحت كالبدر تامّة). الاعتيام: أخذ الشيء. زفّها: أهداها، أرسلها. سادلة: مرخية.
(٥) ريحانة (نبتة لها رائحة طيّبة) من أدواح: أشجار كبيرة (يقصد: شيئاً مختصراً من شيء مفصّل، واسع). نسمة من أرواح: هواء قليل من رياح كثيرة.
(٦) الاجمام: ردّ الجسم المتعب إلى الراحة.
(٧) المضمار: الشوط، المجال الذي يركض فيه المتسابقون.
(٨) تستجدّ شبيبة: تطلب العودة إلى أفعال الشبّان.

وما بالُ صُدغِ الآسِ أخضرَ ناصعاً؟ وما بالُ خدِّ الوردِ أحمرَ قانيا[١]؟
فما خُطَباءُ العُرْبِ أفصحُ واعظاً مِنْ الطيرِ يشدو لو فَهِمْتَ المعانيا،
ولا صَفَحاتُ الهِنْدِ أرْدَعُ زاجراً مِنَ البرقِ يبدو لو عَلِمْتَ النَّواهيا[٢].
وسائلةٍ: ما بالُ جَفْنِكَ والبُكا؟ وما عَرَفَتْني عن هَوىً قطُّ ساليا[٣].
إليكِ، فما في خاطري فَضْلُ وُسْعةٍ لِسَمْعِكِ فَضْلاً عن حديث غراميا[٤].

– وله من موشّحه:

يا مصباحْ قد أخْجلَ الإصباحْ؛
هل تلتاحْ، يا بدرُ، أو ترتاحْ لِذي وُدِّ[٥]؟

★ ★ ★

مَرْآكا البدرُ بالسَّعْدِ.
لَماكا الخمرُ بالشهْدِ.
ريّاكا القَطْرُ بالنَدِّ.
لا تُفّاحْ كريقِكِ النَفّاحْ
الفوّاحْ يروِّحُ الأرواحْ مِنَ الوَجْدِ[٦].

★ ★ ★

---

(١) الصدغ: جانب الرأس. الآس: نبات له أوراق تشبّه بآذان الخيل شديدة الخضرة. ما الذي جعل لون الآس أخضر وجعل لون الورد أحمر. قان أو خان (من الفارسية: دم): شديد الحمرة.

(٢) صفحات الهند: السيوف من صنع الهند: أردع زاجراً: أقوى أثراً في المنع (عن عمل الشرّ والأذى). من البرق (لأنّ البرق يدلّ على الزاجر الآلهي).

(٣) لماذا يكون البكاء ملازماً لجفنك (لعينك، لك)؟ ساليا: ناسياً، متسلّياً عن، غافلاً عن.

(٤) اليكِ: اتركيني، آذهبي عنّي. – أنا مشغول (بحبّي) عن أن أذكر لك خاطراً (فكرة في خاطري) فكيف يكون عندي وسعة من وقت لأسرد على سمعك حديث حبّي (الطويل).

(٥) الإصباح: طلوع الصبح. – هل تلتاح (تتغيّر) يا (شبيه) البدر (عن عهدك في المحبّة) أو ترتاح (تسكن تطمئن، تستقرّ على حبّ) ذي ودّ (ذي محبّة لك).

(٦) في السعد: في أعلى مكان من فلك البروج (في أتمّ أحواله). اللّمى: سُمرة الشفتين (كناية عن التقبيل). الشهد (بفتح الشين وكسرها وضمّها) العسل قبل أن يؤخذ من أقراص شمعه. الريّا: طيب الرائحة. =

يا جَنّهْ قد ذلّ جانِيها ،
وفِتنهْ قد ضلَّ رائيها
بوَجْنَهْ قد جَلّ بارِيها
كَمْ أمداحْ يَحوكُها المَدّاحْ
في إيضاحْ جَالِكَ الوضّاحْ ولا تُجْدي[١]!

– وقال في الغزل العفيف:

زارتْ على حَذَرٍ مِنَ الرُقباءِ والليلُ مُلْتَفٌّ بفَضْلِ رِداءِ[٢].
تَصِلُ الدُّجا بسَوادِ فَرْعٍ فاحمٍ لِتزيدَ ظَلْماءً إلى ظلماءِ[٣].
فَوَشَى بها من وَجْهِها وَحُلِيِّها بَدْرُ الدُّجى وكواكِبُ الجوزاءِ[٤].
أَهْلاً بزائرةٍ على خَطَرِ السُّرى ما كنتُ أرْجوها لِيومِ لِقاءِ[٥].
أقْسَمْتُ لولا عِفّةٌ عُذْرِيّةٌ وتُقَى عليَّ له رقيبٌ رائي[٦]،
لَنَقَعْتُ غُلّةَ لَوْعتي برُضابِها ونَضَحْتُ وَرْدَ خُدودِها بِبُكائي[٧]!

= القطر: ماء المطر (النقيّ، الصافي، الطاهر) الندّ: نبات له رائحة زكيّة. النفّاح: الذي ينفح (يبعث، يرسل، يفوح منه) رائحة طيّبة. يروّح (يسكّن، يهدّىء، يدخل الاطمئنان على الإنسان). الوجد: الحبّ وألم الحبّ.

(١) الجاني (هنا): المذنب: ذلّ جانيها: خسر من لم يتمتّع بما فيها بالحقّ. الوجنة: صفحة الخدّ. باريها: خالقها. حاك: نسج. إيضاح: تبيان، توضيح. الوضّاح: المشرق، اللامع. تُجدي: تنفع (مهما يكثر الكلام لا يفِ بوصف جمالك).

(٢) الرقيب: الجاسوس على المحبّين. ملتفّ بفضل (ببقيّة) رداء: لم يبق منه إلّا قليل.

(٣) الفرع: الشعر. الفاحم: الشديد السواد (كالفحم). – إنّ شعرها جعل سواد الليل (الذي كان قد بدأ يخفّ بأقتراب الصبح) أشدّ سواداً.

(٤) الذي أعلمني أنّها قادمة لزيارتي (في ذلك الليل) أن ضاء الليل (بنور وجهها) وسمعت صوت الحلى التي كانت تتزيّن بها. (بدر: فاعل وشى). وجهها كالبدر (بظهور نوره) وحليّها تشبه كواكب الجوزاء (عنقود نجوم) لضعف نورها في رأي العين بالإضافة إلى البدر في رأي العين.

(٥) السرى: السير في الليل. اقتحمت سواد الليل (على ما في ذلك من الخوف والخطر) في وقت ما كنت أظنّ أنّها تجيء إلى زيارتي.

(٦) عذريّة: نسبة إلى بني عذرة (كان عشّاقها مشهورين بعفّتهم في الحبّ). الرقيب: الجاسوس على المحبّين. رائي = راء (ناظر)!

(٧) الرضاب: الريق ما دام في الفمّ. نقعتُ: بللتُ، رويت وأرويت. الغلّة: العطش. نضح: رشّ.

- وقال يَصِفُ الربيعَ ويَدُلّ في أثناء ذلك على نِعَمِ الله:

أهْـلاً بأيّـامِ الربيـعِ وطِيبِها: أُنس الخَليـعِ ونُزْهةِ المُتَبَتِّلِ[1].
زَمَنٌ أرَقُّ مِنَ الوِدادِ شَمائِلاً وألَـذُّ من عَصْرِ الشباب الأوّلِ[2].
أعْجِـبْ به من مِهْرجانٍ قائمٍ بيْنَ البسيطـةِ والحَيا المُتَهَلِّلِ[3]؛
فالطـيرُ تَشْدو والغديرُ مُصَفِّـقٌ والقُضْبُ ترقُصُ والأزاهرُ تَنْجلي[4].
فَاعْطِفْ على وَجهِ الزمانِ وَحَيِّهِ وانظُرْ إلى حُسنِ الربيعِ المُقْبلِ[5].
وأجِلْ لِحاظَـكَ في صِفاحِ كِتابهِ حتّـى تَبيَّنَ واضحاً مِنَ مُشْكِلِ[6].
مـا فَتّـحَ الزهرُ الجَـنيُّ ثُغورَه إلّا لِيَرْشُفَ طيبَ ذاك السَّلْسَلِ[7]!

- وقال في الوصف والخمر:

إلى كم يُناديـك داعي الوَتَرْ؟ فَلَـبِّ النـداءَ ودِنْ بالسهَرْ[8]!
ونَبِّـهْ جُفونَـك من غَمْضِهـا، فقـد نَبَّـهَ الرَّوضَ قَطْرُ المَطَرْ[9].
أمـا تُبصِرُ الشُّهْبَ مِثْـلَ العُقو دِ قـد نَهَبَ الصبحُ منها دُرَرْ[10]؛

---

(١) يسرّ بها الخليع (الذي لا يبالي بقانون الأخلاق) والمتبتّل (الزاهد).

(٢) الشمائل جمع شمال (بكسر الشين): الخلق (بضمّ فضمّ)، الخصلة.

(٣) المهرجان: العيد العظيم (يكون للملوك). البسيطة: وجه الأرض. الحيا: المطر. تهلّل المطر: انسكب وسال.- أزهار الربيع بألوانها ورُوائها ثم الزكية الرائحة تملأ ما بين الأرض والسحاب.

(٤) القضب جمع قضيب: غصن. الأزاهر (الأزهار) تنجلي: تظهر وتتفتّح!

(٥) وجه الزمان (؟). حَيِّهِ: ألقِ عليه التحيّة.

(٦) صفاح تقال لوجوه نصال السيوف، وهي هنا: صفحات أو صِحاف.- إذا جلت بنظرك في وجه الأرض المملوء بالنبات والأزهار آستطعتَ أن تعرف كثيراً من أسرار الوجود (!).

(٧) الجنيّ: الطريّ. السلسل: الماء العذب الصافي (الذي يسهل مروره في الحلق).

(٨) داعي الوتَر: صوت الموسيقى. لَبِّ: أجب. دن (فعل أمر من دان) خضع، جعل الأمر له عادة.

(٩) قطرات المطر جعلت الأزهار تتفتّح (فكأنّ الروض كلّه يستفيق من نومه بعد ليل الشتاء).

(١٠) الشهب جمع شهاب: الحجر الصغير المُنْفلت من مداره حول الأرض والساقط إلى الأرض يشتعل فيضيء حينما يدخل جوّ الأرض. والشاعر يقصد بالشهب النجوم. مثل العقول: تبدو للعين كأنّها مجاميع يرتبط بعض نجوم كلّ مجموع منها ببعضها الآخر. قد نهب الصبح منها درر: لمّا اقترب الصباح خفي عدد من النجوم الضئيلة النور (فكأنّ الصبح قد نهبها أو سرقها).

وضَمّ الدُّجــا ذَيْلَــه خِيفــةً عليــه من البَحْرِ لمّــا انْفَجَرْ[١].
ورَوْضَتُنــا تُجْتَلــى كالعَروسِ كَساها سَنا الصُّبْحِ مِثْلَ الخَفرْ[٢].
وقــد نَظَمَــتْ مائـلاتُ الغُصونِ لآلــىءَ طَــلٍّ عليهــا انْتَثَرْ[٣]!
وقامــتْ سماءٌ لنــا دَوْحــةٌ تَطَلَّــعُ كالزُّهْرِ فيهــا الزَّهَرْ[٤].
فحُــثَّ المُــدامَ وسَقِّ النَّدامى وسَلِّ الغَرامَ وخَــلِّ الفِكَرْ[٥].
وخالِسْ زمانَــك غَفَلاتِــه، فقــد فاز بالعيش مَنْ قد جَسَرْ[٦].

٤- ديوان ابن خاتمة الأنصاري.... (حقّقه الدكتور محمّد رضوان الداية) دمشق (منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الجمهورية العربية السورية) ١٣٩٢ هـ=١٩٧٢ م.
- ايراد (؟) اللآل من انشاد الضوالّ[١] (طبع في أوروبّة ثمّ صوّر في بغداد).

★★ نثير فرائد الجمان ٣٣١-٣٣٢؛ الإحاطة ١: ٢٤٧-٢٦٧؛ الكتيبة الكامنة ٢٣٩-٢٤٥؛ نيل الابتهاج ٧٢؛ نفح الطيب ١: ٢٤، ١٧٥ (نصّ من مزيّة المريّة)، ٤: ٣٤٦-٣٤٨، ٥: ٣٦٠-٣٦١ (نصّ من مزيّة المريّة)، ٦: ٢٨-٣٨ (رسائل منه وإليه)، راجع ٢٣٠-٢٣١؛ أزهار الرياض ١: ٢٦٥-٢٦٧، ٣: ٥٤-٥٥، ٢٠٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣٧؛ بروكلمن ٢: ٣٣٥-٣٣٦، الملحق ٢: ٣٦٩؛ م م ع د ١٧: ٣٥٨ الأعلام للزركلي ١: ١: ١٧١-١٧٢ (١٧٦)؛ معجم المؤلفين لكحالة ٢: ١٩.

---

(١) ضمّ الدجا ذيله: تقلّص من جوانب السماء. - خاف الليل من هياج البحر فأراد أن يهرب!!

(٢) يجتلي الناس الشيء: لينظروا إليه (لجماله). الخفَر: الحياء. - الروضة لم تبرز بكلّ ما فيها من جمال (لاستمرار الليل) فكأنّها خجلة لا تبدي كلّ ما فيها من جمال.

(٣) المائل ضدّ المستقيم (لعلّها: مائسات: المتحرّكة يميناً وشمالاً). الطلّ: المطر الخفيف. إنّ حبّات ماء المطر الجامدة على الأغصان (من أثر الليل البارد) تشبه اللؤلؤ.

(٤) كان فوقنا دوحة (شجرة كبيرة) وكانت الزهر (بضمّ الزاي: النجوم) تبدو من خلال أغصانها وأوراقها كالأزهار.

(٥) حثّ المدام (الخمر) أسرع في شرب الخمر. سقّ (أكثر من إسقاء) الندامى (الذين يشتركون في شرب الخمر). سَلِّ: فعل أمر من «سلّى» (طلب الترويح عن النفس). خلّ الفكر: دع التفكير في هموم الحياة.

(٦) خالس: خذ خُلسة (على غفلة من غيرك). خالس زمانك غَفَلاتِهِ (إنّك لن تستطيع أن تنال سروراً من دهرك إلّا إذا كان غافلاً عنك). قد فاز بالعيش (الطيب) من جسر (من كان جريئاً).

منديل بن آجرّوم

١- هو أبو المكارم مِنديلٌ، وٱسمه محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ داوودَ الصّنهاجيُّ، وهو ٱبنُ النحويّ المشهور أبي عبد الله محمّدِ بن محمد بن آجرّوم (ت ٧٢٣ هـ).

تلقّى مِنديلُ بنُ آجرومَ العلم على نَفَرٍ كثيرين منهم أثيرُ الدين أبو حيّان (ت ٧٤٥ هـ) والشيخ الخطيبُ أبو عبدالله القطان المُسفّر (ت ٧٤٣ هـ) وقاضي الجماعة في تونس أبو عبدالله محمّدُ بن عبد السلام المُنَسْتيري (ت ٧٥٠ هـ)، كما كان قد أخذ قِراءة القرآن عن المُكَتِّب ابنِ برال التونسيّ.

وحجّ مِنديل بنُ اجروم سَنَةَ ٧٤١ للهجرة ثمّ كانتْ وفاتُه في رابعِ جُمادى الأولى من سَنَة ٧٧٣ (١٣٧١/١١/١٤ م).

٢- كان منديل بن آجروم مُقْرِئاً للقُرآن الكريم ولُغَويًّا ونحويًّا وفقيهاً، كما كان أديباً وشاعراً مُجيداً مُكثراً، وكانتْ له براعةٌ خاصةٌ في اللُّغة والأدب، فكان يُقرىءُ مقاماتِ الحريري كأحسنِ ما يكون إقراؤها.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو المكارم منديلُ بن آجروم في مدينة فاسَ (نفح الطيب ٧: ١٢٣ - ١٢٥):

أيُّهــا العارفون قَــدْرَ الصَّبوحِ ، جَـدِّدوا أُنسَنا ببـاب الفُتوحِ[1].
حيثُ شابتْ مفارقُ اللَّوْزِ نَوراً وتساقَطْنَ كاللُّجَـيـنِ الصريـحِ[2].
وكــأنّ الــذي تساقــطَ منــه شَفَقــاً مَزّقتْــه أيـدي الريـحِ.
ثمّ حُطّوا رِحالَـــــكم فوقَ نهرٍ كَلَّ في وَصْفه لِسانُ الفصيحِ[3]؛

(١) الصبوح: شرب الخمر صباحاً. باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس، ويبدو أنّه قد كان عنده جنائن يقصدها الناس للنزهة واللهو.

(٢) النور: الزهر الأبيض. اللجين: الفضّة.

(٣) كل: تعب، عجز.

فوق حافاتــــه حدائــقُ خُضْرٌ　　ليس عنهـــا لعاشقٍ مِنْ نُزوح.
وكــأنّ الطيورَ فيهـــا قِيـــانٌ　　هتفــتْ بين أعجمٍ وفصيح[1]،
وهْيَ تدعوكُمُ إلى قُبّـــةِ الجَوْ　　زِ: هَلمّوا إلى مكــان مليـح[2].
فيــه مــا تشتهون من كــلّ نَوْر　　مُغْلَـقٍ في الكِمام أو مفتوح[3]،
وغصونٍ تهيــج رقصــاً إذا مــا　　سَمِعت صوتَ كلّ طيرٍ صَدوح[4].
فأجيبوا دُعـاءَها، أيُّهـــا السِّر　　بُ، وخلّوا مَقالَ كلّ نَصيح[5].
واجنحوا للمُجونِ فهْوَ جديرٌ　　وخليــقٌ مِنْ مِثْلِكُم بالجُنوح[6].
واخلعوا ثُمّ للتصـــابي عِــذاراً،　　إنّ خلعَ العِذار غير قبيح[7].
تَنْـثِر الشمسُ ثَمَّ كُـلَّ غُـدُوٍّ　　زَعْفرانــاً مُبَلَّـلاً بنُضوح[8].
فانْهضوا، أيُّهـا المُحِبّون، مِثْـلي　　لِـنرى ذاتَ حُسْنِهـا المَلموح.
هكــذا يُرْبَـحُ الزمــانُ، وإلاّ　　كُلُّ عيشٍ سواه غيرُ رَبيح[9].

- قال أبو المكارمِ مِنديلُ بنُ آجروم (نفح الطيب (٢ : ١٩٤ - ١٩٥):
حدّثني مَنْ يُوثَقُ بقوله أنّ أبا اسحاقَ الطُّوَيجِنَ كانت وفاتُه يومَ الاثنين ٢٧ جُمادى الأخيرة سَنَةَ ٧٤٧ بتَنْبُكتو موضعٍ بالصحراء من عُمالةِ مالي، رَحِمَه الله. ثمّ ضَبَط الطُّوَيجِن بكسر الجيم. قال: وبذلك ضَبَطَهُ بخَطّ يدهِ، رَحِمَه الله. قال: ومَنْ نَسَبَهُ للساحليِّ، فإنّه نَسَبَهُ لِجَدِّهِ لِلأُمّ. انتهى.

٤ - ★★ نيل الابتهاج ٣٤٧؛ نفح الطيب ٢ : ١٩٤ - ١٩٥، ٥ : ٤١٨، ٧ : ١٢٣ - ١٢٥.

---

(١) القينة (بالفتح): المرأة الجميلة المغنية. هتف: رفع صوته. الأعجم الذي لا يفهم العرب كلامه.
(٢) قبة الجوز...
(٣) الكمام: الكأس (الأوراق الخضر) التي تحيط بالزهرة قبل أن تتفتح الزهرة.
(٤) الصدوح: ذو الصوت المطرب.
(٥) السرب: الجماعة السائرون معاً.
(٦) المجون: قلة المبالاة بالعرف الاجتماعي مع الانغماس في اللهو أحياناً. جنح: مال.
(٧) الغُدو: التبكير في السعي (في الصباح). النضوح: رشّ الماء على الأشياء.
(٨) العذار: الرسن، اللجام. خلع العذار كناية عن ترك الحياء في اتيان المحارم.
(٩) يربح الزمان: تحصل منه استفادة للإنسان. الربيح: ما فيه ربح (يقال: تجارة ربيحة).

أبو البركات بن الحاجّ البلفيقيّ*

١ - هو أبو البركاتِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الشيخِ الولّي أبي إسحاق[١] بنِ الحاجّ السُّلَميّ[٢] البلفيقي[٣]، وُلِدَ في المَرِيّة سَنَةَ ٦٨٠ هـ (١٢٨١ - ١٢٨٢ م)، وَبدأ تعلُّمَه فيها وفي إشبيلية. ثمّ إنّه انتقلَ إلى المَغْرِب وقرأ في بِجايةَ على قاضي الجماعة أبي منصورٍ أحمدَ بنِ عبدِ الحقِّ المشذّاليّ (ت ٧٣١ هـ) ثمّ ذهب إلى مَرّاكُش وبعدَئذٍ استقرّ في سَبْتَةَ. ثمّ إنّه عادَ إلى الأندلس ونَزَلَ في مالَقَةَ وأخذ عن القاضي أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ أحمدَ الطنجاليّ.

وفي سَنَةَ ٧٣٥ هـ تولّى أبو البركاتِ البلفيقيُّ القضاءَ في مالقةَ، ثمّ تولّى القضاءَ والخُطبة في المَرِيّة ثمّ قضاءَ الجماعةِ في غَرناطةَ ثمّ في المَرِيّة ثانيةً. ثمّ أُعيدَ إلى قضاء غَرناطةَ. وفي هذه الأثناءِ كان يقومُ بالسِّفارة بينَ الملوك (في الأندلس والمغرب).

وفي أواخرِ أيامه استَعْفى من جميعِ المناصب. وكانتْ وفاتُه في المَرِيّة، في رَمَضانَ[٤] من سَنَةِ ٧٧٣ (صيف ١٣٧٢ م).

٢ - كان أبو البركاتِ بنُ الحاجِّ البلفيقيُّ رجلاً صالحاً يُراعي الخُلُقَ الكريم في أقوالِهِ وأفعالِهِ (كما سنرى في قصيدته الحائية). وقد عَمِلَ في بِناء الآبارِ وبنى فيها بنفسِهِ وبمالِهِ، وكان يقول (في شعره) إنّ الناسَ لا يَعْرِفون ما في ذلك من اللَّذّة الصحيحة ومن الشعور بالخير في النفس. وكان له شعرٌ ونثرٌ، وأغراضُه وُجدانية أبرزُها العُنصرُ الصوفي. غير أنّه كان لا يقبَلُ الخُرافاتِ التي تُروى عن نَفَرٍ من رِجال التصوّف (خَرْقَ القوانينِ الطبيعية والتوسّطَ بين الله وعباده). وكان مُصَنِّفاً له من الكتب: أسماءُ

(*) هو غير أبي عبد الله محمد بن محمد بن الحاجّ العبدري الفاسي الفقيه المتصوّف المتوفى سنة ٧٣٧ للهجرة (الديباج المذهب ٣٢٧ - ٣٢٨).

(١) كان أبو اسحاق هذا من كبار المتصوّفة، وكان قبره في مرّاكش مشهوراً يزار (نفح الطيب ٥ : ٤٧٤).

(٢) نسبة إلى بني سليم (بضمّ السين). وقيل إنّه من نسل العبّاس بن مرداس الصحابي الشاعر (ت ١٨ هـ).

(٣) بلفيق حصن قرب المريّة. وهي بفتح الباء وسكون اللام (المرقبة العليا ٢٣٦).

(٤) في المرقبة العليا، رمضان سنة ٧٧٣ (ص ١٦٦). وفي نفح الطيب (٥ : ٤٨٧) أنّ وفاته كانت في شوّال، سنة ٧٧١.

الكتبِ والتعريفُ بمؤلّفيها (على حروف المُعْجم)- الإفصاح فيمن عُرِفَ بالأندلس بالصِّلاح (في عدد من رجال التصوّف)- مُشْتَبِهاتُ مُصْطلَحات العلوم- المؤْتَمَنُ في أنباءِ من لَقِيتُه من أبناء الزمن- العَذْبُ والأُجاج من كلام أبي البركاتِ بنِ الحاجّ (ديوان شعره)- وقد يَكبو الجوادُ في غلطة أربعين من النقّاد[٥]- تاريخ المَريّة- العَلَن في أنباء أبناء الزمن- سلوة الخاطر- شِعْرُ مَنْ لا شِعْرَ له (أي من لم يشتهر بالشعر) الخ.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو البركاتِ بن الحاجِّ البلفيقيّ:

يأبَـى شُجونَ حديثِيَ الإفصـاحُ / إذ لا تقومُ بشرحـهِ الألواحُ[١].
قالـت صَفِيّـةُ، عندَمـا مرّتْ بها / إبِلي: أتَنْزِلُ ساعـةً ترتـاح[١ب]؟
فأجَبْتُهـا: لولا الرقيـبُ لكان لي / مـا تبتغي بعـد الغـدوّ رواح[٢]!
قالـت: وهلْ في الحيِّ حيٌّ غيرُنا؟ / فاسمَحْ- فَدَيْتُكَ- فالسماحُ رَباح.
فأجَبْتُهـا: إنّ الرقيـبَ هَوالِـكٌ / بيَدَيْهِ- مِنّا- هذه الأرواح[٣]؛
وهو الشهيـدُ علـى مواردِ عبدِه، / سِيّـانِ مـا الإخفاء والإفصاح[٤].
قالـتْ: وأينَ يكونُ جودُ اللهِ إذْ / يُخشى؟ ومنـهُ هـذه الأفراح.
فافرَحْ علـى اسمِ اللهِ جلَّ جلالُه، / واشطَـحْ فَنشوانُ الهوى شَطّاح[٥].
وارهج على ذِمَمِ الرِجال ولا تخَـفْ، / فالحِلْمُ رحـبٌ والنَّوال مُبـاح[٦].

---

(١) الشجن (بفتح ففتح): الغصن. الحديث شجون (متشعّب، وله أصول غامضة).
(١ب) صفيّة اسمّ فتاة، كناية عن محبوبة مثالية (في هذه الأبيات قرائن صوفية).
(٢) تبتغي (خطأ) صوابه: تبتغين. بعد الغدوّ (المجيء في الصباح) رواح (رجوع في المساء).
(٣) الرقيب (راجع البيت الثالث أيضاً هو (هنا) الله!
(٤) الشهيد: الشاهد، الحاضر. المورد: مكان الشرب (كناية عمّا يفعله الإنسان).
(٥) الشطح كلمة عليها رعونة (لفظ قبيح ومعنى سليم). قتل محي الدين بن عربي لأنّه شطح أمام الناس فقال: أنتم وما تعبدون تحت قدمي (يقصد أنكم تعبدون «المال»).
(٦) في القاموس: أرهج (مزيد بالهمزة): أثار غبار الحرب، طرب للحرب، أثار الفتنة. الذمّة: العهد.... (؟). النوال: العطاء.

وانْزِلْ على حُكْمِ السُّرورِ ولا تُبَلْ، فالوقتُ صافٍ ما عليكَ جُناح[1].
واخلَعْ عِذارَكَ في الخَلاعـة، يا أخي، باسمِ الذي دارتْ به الأقداح[2].
وانظُرْ إلى هـذا النهارِ، فسِنُّهُ ضَحِكَـتْ ونورُ جَبينِـهِ وضّاح.
لا تَعْذُلِ الدنيـا علـى تَلْوينها، فَلِلَيْلِهـا بعـدَ المساءِ صبـاح.
فأجَبْتُهـا: لو كنتِ عالمةَ الـذي يبـدو لِتارِكِهـا ومـا يَلْتـاح[3]
مِنْ كـلِّ معنًى غامضٍ من أجلِهِ قد ساحَ قومٌ في الجبال وناحوا[4]،
حتّـى لقد سَكِروا من الأمرِ الذي هاموا بـه عنـدَ العِيان فبـاحوا
لَعَذَرْتِـني وعَلِمْـتِ أنّي طالـبٌ ما الزهدُ في الدنيا له مِفتاح[5].
فاترُكْ صَفِيَّـكَ قارعاً بابَ الرضا، واللهُ جَـلّ جلالُـه الفتّاح ★.
يا أختُ، حيِّ على الفلاحِ وخَلِّني، فجماعـتي حَثّوا المَطِيَّ وراحوا★ !

– وللبلفيقي مقطعاتٌ في الشكوى من كلِّ شيءٍ. من هذه المقطّعات:

★ ★ قالوا: تغرّبتَ عن أهلٍ وعن وطنٍ. فقُلْتُ: لم يبقَ لي أهلٌ ولا وطنُ؛
مضى الأحِبّـةُ والأهلونَ كلُّهُمُ، وليس بعدَهُمُ سُكنى ولا سَكَنُ[6].
أفرغْتُ حُزني ودَمْعي بعدَهُمْ، فأنا من بعدِ ذلك لا دمعٌ ولا حزن!
★ ★ قـد كنتُ مغروراً بوَعْظي ومـا أُبِـثُّ من عِلْمِيَ بـينَ البَشَرْ،
من حيـثُ قـد أمّلْتُ إصْلاحَهُمْ بالوعـظِ والعِـلم، فخانَ النظر.
فـلم أَجِـدْ للنـاسِ أوعـظَ من أصواتِ وعّـاظ جلود البقر[7]!

---

(١) لا تبل (غلطة مشهورة في «لا تبال»): لا تهتّم. الجناح: الذنب.
(٢) باسم الذي......: باسم الله (؟).
(٣) يلتاح: يعطش، يتغيّر (؟).
(٤) ناح: بكى (؟).
(٥) ما: ذلك الذي (مفعول به من «طالب»).
(★) «فاترك» (في البيت الأوّل) ثمّ «حيّ» و«خلّني» (في البيت الثاني) أفعال أمر للمفرد المذكّر على التجريد (مخاطبة الشاعر نفسه)، برغم وجود «يا أخت» (في البيت الثاني).
(٦) السكنى: المسكن (المنزل). السكن: الزوجة.
(٧) وعّاظ جلود البقر (؟).

★★ يا مَنْ إذا ما رُمْتُ تَوْديعَه ، ودّعتُ قلبي قبلَ ذاك الوَداعْ .
فأتْرُكُ التوديعَ عمْداً لِكَيْ أُعَلِّلَ النفسَ ببعضِ الخداعْ[1] .
يا مِحنةَ النفسِ بمألوفِها ، من أجلِها قد جاء هذا الصِّراعْ[2] .
★★ رعى اللهُ إخوانَ الخِيانةِ إنّهم كَفَوْنا مؤوناتِ البقاءِ على العَهْدِ .
ولو قد وَفَوْا كُنّا أسارى حُقوقِهِمْ نُراوِحُ ما بينَ النسيئةِ والحِقْدِ[3] .

– وفي سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) اتّفقَ أنّ أبا البركاتِ بنَ الحاجِّ البَلفيقيَّ رأى تطليقَ امرأتِهِ – لِسَبَبٍ من الأسباب[4] – فأوْقَع علَيْها طَلْقَةً واحدةً[5] وكتب ذلك في نُسخةٍ[6] نصُّها :

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ، وصلّى اللهُ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ . يقولُ عبدُ اللهِ[7] الراجي رحمتَهُ مُحمّدٌ المَدْعوُّ بأبي البركاتِ ابنِ الحاجِ خارَ اللهُ له[8] ولَطَفَ به :

إنّ اللهَ جلّتْ قُدرتُه لَمّا أنْشأ خَلْقَه على طبائعَ مختلفةٍ وغرائزَ شَتّى – ففِيهِمُ السخيُّ والبخيل ، والشُّجاع والجبان ، والغَبِيّ والفَطِن ، والكَيّسُ والعاجز ، والمُسامِح والمُناقش ، والمتكبّر والمتواضع ، إلى غيرِ ذلك من الصِّفات المعروفةِ من الخَلْقِ – كانتِ العُشْرةُ لا

(١) .... ببعض الخداع : بأنّهم لم يسافروا ، لم يرحلوا .
(٢) الصراع في نفس الإنسان قائم لأنّه لا يستطيع تغيير شيء قد ألفه . النسيئة : الدين لأجل (تستدين مبلغاً وتعد وفائه بعد مدّة) .
(٣) لو وفوا (بفتح الفاء) لوجب علينا لهم حقّ بأن نجازيهم على وفائهم في المستقبل . فإذا لم نفعل حقدوا (بفتح القاف) علينا .
(٤) لا بدّ في الطلاق في الإسلام من سبب شرعي . وقد ذكر أبو البركات هذا السبب في الصكّ الذي سجّله على نفسه ونسب العيب في ذلك إلى نفسه لا إلى امرأته .
(٥) في الإسلام يحقّ للمسلم أن يطلّق امرأته ثلاث مرّات وأن يستردّها مرّتين ، ولا يجوز استردادها بعد الطلقة الثالثة (بعد المرّة الثالثة) . قال الله تعالى (٢ : ٢٢٩ سورة البقرة) : ﴿الطلاق مرّتان ، فإمساك (بعدهما) بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ .
(٦) الطلاق يجب أن يكون بصكّ مكتوب (أو بمشهد من القاضي) . ويحسن الإشهاد على هذا الصكّ عند أهل السنة ، ويجب الإشهاد عليه عند الشيعة والدروز .
(٧) كلّ مسلم هو عبد الله . قال عبد الله الحجّاج بن يوسف ... قال عبد الله عبد الملك بن مروان ... قال عبد الله عبد الله بن الزبير .....الخ .
(٨) أراد له الخير .

َهم إلّا بأحدِ أمرَيْنِ: إمّا بالاشتراكِ بالصِّفات أو في بعضِها وإمّا بصبرِ أحدِهما
هِ إذا عُدِمَ الاشتراكُ. ولمّا عَلِمَ الشارعُ[1] أنّ بني آدمَ على هذا الوَضْعِ شَرَعَ
بهم الطلاقَ لِيستريحَ إليه من عِيلَ صبرُه[2] على صاحبِهِ تَوْسِعَةً وإحساناً منه إليهم[3].
فلأجْلِ العَمَلِ على هذا طَلّقَ كاتبُ هذا عبدُ اللهِ محمّدٌ المذكورُ زَوْجَهُ الحرّةَ العربيةَ المَصُونَةَ عائشةَ ابنةَ الشيخِ الوزيرِ الحسيبِ النزيهِ الأصيل الصالح الفاضل الطاهر المُقدَّس المرحومِ أبي عبدِ اللهِ محمّدِ المغيليِّ طَلْقَةً واحدةً- مَلَكَتْ بها أمرَها دُونَه[4] - عارفاً قَدْرَهُ. قَصَدَ بذلك إراحَتَها مِنْ عُشْرَتِه[5]، طالباً مِنَ اللهِ أن يُغْنِيَ كُلّاً من سَعَتِه[6]، مُشْهِداً بذلك على نفسِه[7] في صحّته وجَوازِ أمرِه[8]، يومَ الثُّلاثاءِ أولَ يومٍ من شَهْرِ ربيعٍ الثاني عامَ أحدٍ وخمسينَ وسَبْعِمائَةٍ[9].

- وقال يُنْكِرُ أنْ يكونَ الرجالُ الصالحون ممّن يأوي إلى الجِبال هَرَباً من الناس (زعماً بأنّهم متصوّفون):

زَعَموا أن في الجِبـــالِ رِجـــالاً صالحينَ- قالوا- من الأبْـدال[10].
وادَّعَوْا أنْ كُـلَّ من ساحَ فيهـا فَسَيَلْقاهُمْ عـــلى كـــلّ حـــالِ.

---

(1) الشارع هو الله تعالى.
(2) يباح الطلاق في الإسلام إذا استحال على الزوجين أن يستمرّا في بناء أسرة سليمة سعيدة ثم خيف استمرار شقاقهما ونزاعهما. قال الله تعالى (٤: ٣٤ سورة النساء): ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها، إن يريدا إصلاحاً يوفّقِ الله بينهما﴾ (وإلّا فيكون الطلاق مباحاً).
(3) توسعة من الله على الناس (حتّى لا يعيش الزوجان والأسرة معهما في نكد مستمر).
(4) أي أنّه لا يستطيع زواجها بعد ذلك إلّا برضاها.
(5) نسب هنا سوء العشرة إلى نفسه هو (وهذا غاية في الإحسان والخلق الكريم).
(6) هذا من قوله تعالى (٤: ١٢٩ سورة النساء): ﴿وإنْ يتفرّقا يُغْنِ الله كُلّاً من فضله﴾.
(7) الإشهاد على صكّ الطلاق (الحاشية ٦، ص ٥٠١).
(8) لا يجوز للمسلم تطليق امرأته في مرض الموت أو في مرض يضيق منه الخلق أو في ثورة من الغضب أو في حال السكر (وإن فعل ذلك لا يقع طلاقه: لا يصحّ).
(9) ١٣٥٠/٦/٨ م.
(10) الأبدال جمع بدل (بفتح ففتح أو بكسر فسكون) وبديل: والأبدال (في الصوفية) طبقة تلي طبقة الأقطاب الأربعة، ولا يخلو العالم عند الصوفية في زمن من الأزمان من واحد منهم (لأنّهم الصلة بين الله وخلقه).

فاخْتَرَقْنـا تلـكَ الجبـالَ مِراراً بِنِعـالٍ طَوْراً ودونَ نِعـالِ،
مـا رأيْنـا بهـا خِلافَ الأفاعي وشَبـا عَقْربٍ كِمِثْـلِ النِّبالِ[1]،
وسبـاعٍ يَجْرونَ بالليـل عَـدْواً؛ لا تَسَلْني عَنْهُمْ بتلكَ الليالي[2].
ولَوَ انّا كُنّا لَدى العُدْوَةِ الأُخـ ـرى رأيْنـا نَواجِـذَ الرِّئبالِ[3].
وإذا أظلَمَ الدُّجـى جـاءَ إبليـ ـسُ إلينا يَزورُ طَيفَ خَيالِ[4].
هو كـان الأنيسَ فيهـا، ولولا هُ أُصِيبَـتْ عُقولُنـا بالخَبـالِ[5].
خلِّ عَنْكَ المُحالَ، يا مَنْ تَعَنّى. ليسَ يلقى الرجالُ غيرَ الرجالِ[6]!

٤-★★ المرقبة العليا ١٦٤-١٦٧؛ الإحاطة ٢: ١٠١-١٢١؛ الكتيبة الكامنة ١٢٧-١٣٤؛ الديباج المذهب ٢٩١-٢٩٥ (٣٢٣-٣٢٨)؛ نفح الطيب ٤: ١٥٣، ٥: ٤٧١-٤٨٧، ٦: ٣٨، ٨٨، ٢٦٦، ٤٨٢؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٩ (٣٩).

لِسانُ الدينِ بنُ الخَطيب

١ - هُوَ لِسانُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمّد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمدَ السَّلْمانيُّ، نِسْبَةً إلى سَلْمانَ وَهُوَ مَوْضِعٌ في اليمن؛ وقد جاء أهلُه عَقِبَ الفتحِ واستقروا في قُرطبةَ ثمّ انتقلوا، بعدَ وقعةِ الرَّبَض (راجع فوق، ص ٤: ٨٩) إلى طُلَيْطُلَةَ. ولَمّا اشتدّ خَطَرُ النصارى على طليطلةَ، في مُنْتَصَفِ القرنِ

(١) الشبا جمع شباة: إبرة العقرب التي تلسع العقرب بها.
(٢) السبع (بفتح فضمّ): كلّ حيوان يأكل اللحم.
(٣) العدوة: أرض إفريقية. النواجذ جمع ناجذ: الضرس. الرئبال: الأسد.
(٤) .... كأنّه طيف خيال (منام).
(٥) الخبال: الجنون.
(٦) المحال: المستحيل (الذي لا يتّفق في الواقع). تعنّى: أتعب نفسه (بطلب المستحيلات). ليس يلقى الرجال...: إنّ الرجال من الناس لا يرون إلّا رجالاً آخرين من الناس (ولا يبصرون الملائكة والشياطين).

الهِجْرِيِّ الخامسِ ، انتقلوا (في أيام جَدّةِ سعيدٍ) إلى لُوشَةَ ، وكانتْ مدينةً كبيرة على نحوِ تسعينَ كيلومتراً غربَ غَرْناطة. وكان سعيدٌ هذا عالماً وَرِعاً فجعل يُلْقي دُروسَه ومَواعظَه في لوشةَ عند بُرْجٍ لهم على مَقْرُبَةٍ من أمْلاكِهم فَعُرِفَتِ الأُسْرةُ باسم آلِ الخطيب بعدَ أن كانتْ تُعْرَفُ بآلِ الوزيرِ. وكان والدُ ابنِ الخطيبِ في خِدمةِ بني نَصْرٍ في ديوان الإنشاء.

وُلِدَ لسانُ الدين بنُ الخطيبِ في ٢٥ من رَجَبَ من سَنَةِ ٧١٣ (١٣١٣/١١/١٦ م) في مدينة لُوشةَ ونشأ فيها وفي غَرْناطة. ولقد تَلَقّى علومَه في غَرْناطةَ على نَفَرٍ منهم: الوزيرُ أبو الحسن عليُّ بن الجَيّاب (ت ٧٤٩ هـ)، وأبو عبد الله محمّدُ بنُ الفخّار الإلبيريُّ النحوي (ت ٧٥٤ هـ)، والمحدّثُ أبو القاسم محمّدُ بنُ أحمد الحسنيُّ السبتي التلمساني (ت ٧٦٠ هـ)، والقاضي أبو البركاتِ محمّدُ بن محمّد بن الحاجّ البَلْفيقي (ت ٧٧١ هـ)، والمحدّث الفقيه أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ محمّدِ بن مرزوقٍ التلمساني (ت ٧٨١ هـ) وكان قد وَفَدَ على غَرْناطة، سنة ٧٥٣ هـ ، وعُيِّن خَطيباً لمسجدِ الحَمراء فتصدّر فيه للتدريس. وكان من شيوخهِ أيضاً شمسُ الدين بنُ جابرٍ الوادي آشي والطبيبُ الفيلسوفُ أبو زكريّا يحيى بن هذيل.

وفي سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ - ١٣٤١ م) تُوُفِّيَ والدُ ابنِ الخطيب فحلّ هُوَ مكانَه في ديوان الإنشاء كاتباً لأستاذه أبي الحسن بن الجَيّاب وزيرِ السلطانِ أبي الحَجّاج يوسفَ الأولِ النيّارِ (٧٣٣- ٧٥٥ هـ). وفي سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٩ م) توفّي ابن الجَيّابِ في الطاعون الجارِفِ فَخَلَفَهُ لِسانُ الدين في الوِزارة ورئاسة ديوانِ الإنشاء (وكان رئيسُ الوزارةِ أو الحاجبُ أبو نعيم رِضْوانُ). ولما قُتِلَ أبو الحجّاج وخَلَفَهُ ابنُه محمّدٌ (الخامس) الغنيُّ بالله، سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) استمرَّ رِضوانُ في الحِجابة ولِسان الدين في الوِزارة.

وسَفَرَ لِسانُ الدين للغنيّ بالله إلى السلطان المَريني أبي عِنانٍ فارسٍ المتوكّل على الله (٧٤٩ - ٧٥٩ هـ) تأكيداً للمودّة واسْتنجاداً على الطاغية مَلِكِ قَشتالةَ. وعَظُمَتْ ثقةُ الغنيّ بالله في لِسانِ الدين فَلَقّبه «ذا الوزارتين».

وفي ٢٨ من رَمَضانَ من سنة ٧٦٠ خُلِعَ الغنيّ باللهِ وقُتِلَ الحاجبُ رِضوانُ ففرّ

الغنيّ بالله إلى فاس ونَزَلَ على السلطان أبي سالمٍ إبراهيمَ بنِ عليٍّ. ومَعَ أن لسانَ الدين جعَلَ يُصانعُ السلطانَ الجديدَ إسماعيلَ (الثاني) بنَ يوسفَ (٧٦٠-٧٦١ هـ) فإنَّ السلطان الجديدَ لم يَطْمَئِنَّ إليه فما عَتَّمَ، بتحريضٍ مِمّنْ حَولَه، أن نَكَبَهُ وصادَرَ أموالَه وأملاكه. غير أنّ لِسانَ الدينِ استطاعَ الهَرَبَ فلجأ إلى فاس أيضاً والْتقى في بَلاطِ فاس المَرينيِّ بابنِ خَلْدونٍ.

وفي مُنْتَصَفِ سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦١ م) استطاع الغنّي باللهِ أن يعودَ إلى غَرناطة ويستردَّ مُلْكَه فاسْتَدْعى لِسانَ الدين من فاس وردّه إلى الوِزارة فَعَلَتْ مكانَتُه من جديدٍ وعَظُمَ نُفوذه.

وغاظ ذلك الخصومَ والحُسّادَ كالوزيرِ الشاعرِ ابن زمرك تلميذِ لِسانِ الدين وكقاضي الجماعةِ في غَرْناطة أبي الحسنِ عليٍّ بنِ عبدِ الله الجُذامي المالَقي النُّباهيّ (٧١٣-نحو ٧٩٨ هـ) فجعلوا يُحَرِّضون الغنيَّ بالله عليه يتّهمونَه بالانحراف في وَلائه وبالإلْحاد. وأدْرَكَ لسانُ الدين أن من الأسْلم مبارحةَ الأندلسِ قبلَ فَواتِ الأوانِ فاستأذَنَ بالذَّهابِ إلى الحجّ ثمّ ذَهَبَ إلى فاس.

وزادَ الخصومُ والحُسّاد في تحريضِ الغنيّ باللهِ على لِسان الدين فأُحْرِقَتْ كُتُبُ لِسانِ الدين في غَرْناطة، في منتصف سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧٢ م) ثمّ كَتَبَ الغنيُّ بالله إلى السلطانِ المَريني أبي فارسٍ عبدِ العزيز المستنصرِ بنِ عليّ بأن يَقْبِضَ على لِسانِ الدين ويُعْدِمَه. فلم يَلْتَفِتْ عبدُ العزيز لهذا الطلب.

وفي رَبيعٍ الثاني من سنة ٧٧٤ (١٣٧٣ م) تُوُفِّيَ عبدُ العزيز وخَلَفَه ابنُهُ أبو زَيّانٍ محمّدٌ السعيدُ، وكان طِفْلاً صغيراً. فساءتِ الأحوالُ بينَ بني الأحمر وبينَ بني مَرينٍ فقام بنو الأحمر بفِتْنةٍ في المَغْربِ ذهبتْ بمحمدٍ السعيدِ وجاءتْ بأبي العبّاس أحمدَ المستنصرِ بنِ إبراهيمَ، في السادس من المُحَرَّمِ من ٧٧٦ (١٣٧٤/٦/١٧ م). وعلى الأثَر جاء ابن زمرك★ إلى فاس يُطالِبَ أبا العبّاسِ أحمدَ بثمنِ الوصول إلى العرش على ما كان قد جَرى الاتّفاق بشأنِ لِسانِ الدينِ. فحُوكِمَ لِسانُ الدين مُحاكمةً صُوريّة وأُلْقيَ في السجن. ودَخَلَ عليهِ قومٌ من الرُّعاع فَقَتَلوه في سِجْنه، (أوائلِ ٧٧٦ هـ= أواسط ١٣٧٤ م).

★ زمرك (بفتح الزاي والميم أو بضمها).

٢ - كان لسانُ الدين ابنُ الخطيب رجلاً مُتَعدِّدَ نواحي الشخصيّةِ واسعَ الثقافة مُحيطاً بوجوه كثيرةٍ من فنونِ عصرهِ بارعَ التعبيرِ عن كلّ موضوع يتناولُه حتّى إنّه كَسَفَ أنوارَ كثيرين من الذين عاصروه. وبَرَعَ في الفلسفةِ والسِّياسة والطِّب، وأمّا في التاريخ فكان مؤرّخَ عصرِه بلا مُنازعٍ.

ثمّ هو أديبٌ ناثرٌ ومُتَرَسِّلٌ وشاعرٌ مقتدرٌ، وهو مُكثِرٌ مِنَ النتاج في النثر وفي الشعر. غيرَ أنّه كثيرُ التكلّفِ في النثرِ والشعرِ معاً ممّا يَدُلّ على مقدرةٍ في الفنّين تجعل أسلوبَه فيهما قويًّا مُرصّعاً فَخماً، ولكن تَسْلُبُهُ كثيراً من الطَّلاوة. وعلى كلٍّ فإنّ أدبَه أعظمُ قيمةٍ في مادّتهِ وفي خَصائصه المعنوية. ونَسْتَطيع أن نرفَعَ شأنَ النِّتاج الأدبيّ للسانِ الدين إذا نحنُ نظرنا إليه على أنّه صورةٌ صحيحة أمينةٌ للعصرِ الذي عاش فيه. فَمِنْ شعرِه الجَميلِ ذي العاطفةِ والأثرِ في النفوس قولُه لما جاء سفيراً إلى أبي عِنانٍ يستنجدُه على الطاغية ملك قِشطالَة (نفح الطيب ٥ : ٩٨ - ٩٩):

خليفةَ اللهِ، ساعَدَ القَدَرُ ... عُلاك ما لاح في الدُّجى قَمَرُ؛
ودافَعَتْ عنك كفُّ قُدرَتِهِ ... ما ليس يَسْطِيعُ دَفْعَهُ البشر.
وَجْهُك في النائباتِ بدرُ دُجَى ... لنا، وفي المَحْلِ كَفُّك المَطَرُ[١].
والناسُ طُرًّا بأرضِ أنْدلُسٍ ... لولاك ما أوْطَنوا ولا عَمَروا[٢].
وجُملةُ الأمرِ أنه وَطَنٌ ... في غيرِ عَلْياك ما له وَطَر.
ومَنْ بهِ - مُذ وَصَلْتَ حَبْلَهُمُ - ... ما جَحَدوا نِعمةً ولا كفروا.
وقد أهَمّتْهُمُ بأنْفُسِهِمْ ... فوَجّهوني إليك وانتظروا!

ولِسانُ الدين بن الخَطيب مُصَنِّفٌ خِصْبٌ له كُتُبٌ قيّمة منها: الحُلَل المرقومة (= رقم الحلل في نظم الدول): تاريخٌ منظومٌ شعراً لملوك المشرق والمغرب والأندلس يَتَخَلّله

---

(١) المحل: القحط، الجفاف (حين لا تنبت الأرض شيئاً).
(٢) طرّا: جميعاً. أوطن الرجل المكان: اتّخذه وطناً. عمر الرجل الأرض: سكنها، وعمر الرجل الدار: بناها.

شروحٌ نثراً - اللمحة البدرية في الدولة النصرية (مختصر لتاريخ بني نَصْرٍ في غرناطة حتّى سنة ٧٦٥ هـ) - الإحاطة في أخبار غرناطة - أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام - التاج المحلّى في مساجلة القِدْح المُعَلَّى (تاريخ مملكة بني نصر) - نُفاضة الجِراب في عُلالة الاغتراب (أخباره ووصف أحواله في أثناء منفاه بالمغرب) - خَطْرة الطيف في رِحلة الشتاء والصيف (رحلة في مدن الأندلس) - مُقْنِعة السائل عن المرض الهائل (وصف الطاعون الجارف الذي كان سنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - رَيْحانة الكُتّاب ونُجْعة المنتاب (ملخّصات من عدد من كتبه ثمّ من عدد من الرسائل) - مِعْيارُ الاختيار في ذكر المشاهد والديار (.... المعاهد والآثار) - السِّحْر والشِّعْر (مختارات من شعر شعراء المشرق وشعراء الأندلس) - الكَتيبة الكامنة في من لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة - كُناسة الدُّكّان بعد انتقال السكّان (رسائل متبادلة بين السلطان أبي الحجّاج يوسف ملك غرناطة والسلطان أبي عنان المريني) - مفاضلة (مفاخرة) بين مالَقَةَ وسَلا - طُرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر (مختصر اللمحة البدرية) - الإكليل الزاهر في من فصل (؟) عند نظم التاج والجواهر (وهو تكملة لكتاب المحلّى) - كتاب عمل من طبّ لمن حبّ (في الطب) - الوصول لحفظ الصحّة في الفصول (في الطّب والحِمْية، إلخ) - بستان الدول (كتاب في السياسة والحرب والقضاء وطبقات المجتمع، لم يتمّ) - درّة التنزيل وغرّة التأويل - المباخر الطِّيبية في المفاخر الخطيبية (ترجمة حياته) - الدُّرَر الفاخرة واللُّجَج الزاخرة (مجموع شعر أستاذه أبي جَعْفر بن صَفوانَ) - مجموع من شعر ابن الجيّاب - مجموعة من مُوشّحات أئمّة التوشيح بالأندلس - عائد الصِّلة (تتمّة لكتاب الصلة لابن الزبير) - ديوان شعره.

٣ - مختارات من آثاره:

- موشّحةُ لسانِ الدين بن الخطيب المشهورة، وهي معارضةٌ لِمُوشّحةِ ابنِ سهلٍ الأندلسيّ راجع ص ١٧٤؛ ثمّ راجعْ آخرَ هذه الموشّحة):

جادكَ الغَيْثُ، إذا الغيثُ هَمى، يا زمانَ الوصلِ بالأنْدَلُس .

لم يكنْ وصلُـــــكُ إلا حُلُما   في الكَرى أو خُلْسةَ المُخْتلس !

إذ يقودُ الدهرُ أشتـاتَ المُنـى   - يَنْقُلُ الخَطْوَ على ما نَرْسِمُ -[١]
زُمَراً بـيـن فُرادَى وثُنـا ،   مثلما يدعو الوفودَ المَوْسِمُ[٢].
والحَيا قد جلّل الروض سَنَا ؛   فثغورُ الروضِ عنـه تَبْسِمُ[٣].
وروَى النُّعْمانُ عن مـاءِ السما.   كيـفَ يَرْوي مالكٌ عن أنَسِ[٤]!
فكساه الحُسْنُ ثوبـاً مُعْلَما   يَزدهي منـه بأبهـى مَلْبَسِ[٥].

في ليـالٍ كتمـتْ سرّ الهوى   في الدُّجى لولا شموسُ الغُرَرِ[٦].
مـال نجمُ الكـأس فيهـا وهَوى   مُستقـيمَ السيرِ سَعْـدَ الأثَرِ[٧].
وَطَرٌ مـا فيـه من عيب سوى   أنـه مرّ كلمـح البَصَرِ.
حـين لَـذّ الأنسُ فيـه، أو كما   هجم الصبـحُ هجومَ الحَرَس.
غـارتِ الشُّهْبُ بنـا، أو رُبَّما   أثّرتْ فينـا عيونُ النَّرْجِسِ[٨].

أيُّ شيءٍ لامرئٍ قـد خَلَصا   فيكونَ الروضُ قـد مُكِّنَ فيهْ[٩]؟
تَنْهَـبُ الأزهـارُ فيـه الفُرَصا   أمِنَـتْ من مكرِه ما تَتّقيـهْ[١٠].

---

(١) يفعل ما نشتهي نحن.

(٢) الموسم: العيد، المناسبة التي يجتمع فيها الناس.

(٣) الحيا: المطر. سنا: ضياء، بهاء، جمال.

(٤) النعمان: شقائق النعمان (زهر بري أحمر). النعمان: أحد ملوك الحيرة. ماء السماء: المطر. ماء السماء: ماوية أم المنذر الثالث ملك الحيرة أحد أسلاف النعمان المذكور. مالك فقيه عظيم مشهور هو صاحب المذهب المالكي. أنس: والد مالك، وكان خادماً لرسول الله ولم يكن له شيء من علم ابنه مالك.

(٥) مزين، مزخرف.

(٦) الغرر جمع غرة بضم الغين: القصة (بضم القاف): الشعر في مقدمة الجبهة.

(٧) نجم الكأس: الحبب الذي يطفو على كأس الخمر. مال نجم الكأس: انحدرت الخمر في حلوقنا، شربناها.

(٨) غارت الشهب بنا: انحدر حباب الخمر (أو الخمر) في حلوقنا. عيون النرجس (زهر أبيض وفي وسطه شيء أصفر): عيون النساء الحسان. - سكرنا من الخمر ومن عيون الحسان

(٩) أي الناس صَفَتَ له الحياة وعاش مطمئنًا حتى يكون الروض دائماً أخضرَ مزدهراً؟.

(١٠) - من أجل ذلك تتفتّح الأزهار ثمّ تذبُل من تلقاء نفسها حتّى تأمن أن يغدُرَ بها الزمن ويقضيَ عليها وهي =

وإذا الماءُ تَناجى والحصى، وخَلا كلُّ خليلٍ بأخيهْ [1].
تُبْصِرُ الوردَ غيوراً برِماً يَكْتسي من غَيظِهِ ما يكتسي [2].
وتَرى الآسَ لَبيباً فهِماً يَسْرِقُ السمْعَ بأُذْنَيْ فَرَسِ [3].

يا أُهَيْلَ الحَيِّ من وادي الغَضا، وبقلبي مَسْكَنٌ أنتم بِهِ [4]،
ضاقَ عن وَجْدي بكم رَحْبُ الفضا؛ لستُ أدري شرقَه من غربِهِ.
فأعيدوا عهدَ أُنسٍ قد مضى تُنْقِذوا عانِيَكُمْ من كربِهِ [5].
واتّقوا اللهَ وأحْيُوا مُغْرَماً يَتلاشى نَفَساً في نفسٍ؛
حبس القلبَ عليكم كَرَماً، أفَتَرْضَوْنَ خَرابَ الحَبسِ؟

وبقلبي منكُمُ مُقْتَرِبُ بأحاديثِ المُنى وَهْوَ بعيدْ:
قَمَرٌ أطلعَ منه المَغْرِبُ شَقْوَةَ المُضْنى وهو سعيدْ.
قد تَساوى مُحْسِنٌ أو مُذْنِبُ في هواه بين وَعدٍ ووَعيدْ.
أحورُ المُقلةِ مَعْسولُ اللَمى جالَ في النَّفَسِ مَجالَ النَّفَسِ [6]؛
سَدّد السهمَ فأصْمى إذْ رمى بفؤادي نَبْلَةَ المُفْتَرِسِ.

إن يكنْ جارَ، وخابَ الأملُ - وفؤاد الصَّبِّ بالشوقِ يَذوبْ -
فهْوَ للنفس حبيبٌ أوّلُ؛ ليس في الحبِّ لمحبوبٍ ذُنوبْ.

= غافلةٌ (للأزهار مُدَدٌ معيّنة قصيرة تستوفيها الأزهار كلّ عام، بخلاف الإنسان الذي لا يعلم متى يدركه الموت، وقد يدركه الموت قبل أن يحقّق شيئاً من الغاية من الوجود).

(١) الماء يناجي الحصى (؟): يكلمه سراً، يوسوس له (كناية عن الصوت الذي يحدثه ماء النهر عند مروره على الحجارة).

(٢) ورقة الآس تشبه أذن الحصان الفتيّ. - كأن الآس بانتصاب أوراقه يحاول أن يختلس السمع ويعرف ما تتحدث به.

(٣) وادي الغضا قرب مكة.

(٤) العاني: الأسير، أسير حبكم.

(٥) الحبس (في المشرق): المحبوس، (في المغرب): الوقف (الأوقاف)، الموقوف (قلبي الموقوف على حبكم).

(٦) الحور: شدة بياض بياض العين وشدة سواد سوادها. اللمى: السمرة في الشفة.

أمره مُعْتَمـــلٌ مُمْتَثـــل في ضلوعٍ قد بَراها وقلوبْ[1].
حكّم اللحـظَ بهـا فاحتكما، لم يراقـبْ في ضِعافِ الأنفُس.
يُنْصِـفُ المظلومَ مِمّنْ ظَلَما، ويُجـازي البَرّ منهـا والمُسي.

مـا لِقلـبي كلما هبّـتْ صَبـا عـادَهُ عِيدٌ من الشوقِ جَديدْ[2]!
كـانَ في اللوحِ لـه مُكتَتباً قولُـه: إنّ عَـذابي لَشديـدْ[3]؟
جَلَـبَ الهَمّ لــه والوصَبـا فهو للأشْجانِ في جُهْد جَهيدْ[4]
لاعـجٌ في أضلعي قـد أُضْرِما، فَهْوَ نــارٌ في هَشيمِ اليَبَس[5]
لم يَـدَعْ من مُهْجـتي إلّا ذَمـا كبقـاء الصُّبح بعد الغَلَسِ[6].

سلمي، يـا نفسُ، في حُـكمِ القضا واعْمُري الوقتَ برُجعَى ومَتابْ[7].
دعكِ من ذِكْرِ زمانٍ قد مضى بـينَ عُتـبي قد تقضَّتْ وعِتابْ[8]
واصْرِفي القولَ إلى المَوْلى الرِّضـا مُلْهِمِ التوفيـقِ في أُمِّ الكتاب[9].
الكريمِ المُنتهـى والمُنتمـى أسَدِ السَّرْجِ وبـدرِ المَجْلِسِ[10]

---

(١) أمره (أمر المحبوب): حكمه، إرادته. معتمل (معناها في هذا النّص): يجب العمل به. ممتثل: تجب طاعته. ولكنّ أمر المحبوب صعب التنفيذ يبري المحبّ: يجعله نحيلاً، هزيلاً، مريضاً.

(٢) الصبا، ريح الشرق. عيد، الأمر الذي يعود مرة بعد أخرى.

(٣) اللوح المحفوظ: المقضي به في علم الله على البشر، المكتوب عليهم منذ الأزل. ﴿إن عذابي لشديد﴾ تضمين من سورة إبراهيم (١٤ : ٧).

(٤) الوصب: التعب. الأشجان (جمع شجن بفتح ففتح): الأحزان. للأشجان: من الأشجان. جهد جهيد: تعب شديد جداً.

(٥) اللاعج: العاطفة المتقدة، الهوى الشديد المحرق.

(٦) الذماء: بقية الروح في الجسد. الغلس: الظلام في آخر الليل. كبقاء الصبح بعد الغلس (الملموح أن الشاعر يقصد أن يقول: «شيئاً قليلاً»، ولكن التشبيه لا يؤدي هذا المعنى).

(٧) - آقبلي بقضاء الله. آعمري (آقضي) الوقت برجعى (بالرجوع إلى الله).

(٨) العتاب: اللوم على ما فات. العتبى: الرضا (بعد العتاب).

(٩) أم الكتاب: سورة الفاتحة (الأولى في المصحف).

(١٠) المنتهى: النهاية (أي ذاته، ذات الممدوح وشخصه). المنتمى (أسلافه). أسد السرج (البطل إذا ركب الخيل، في الحرب). بدر المجلس (السيّد الذي تتّجه إليه الأنظار في كلّ اجتماع).

يَنْزِلُ النصرُ عليــــــه مِثْلَما   يَنْزِلُ الوحيُ بروحِ القُــدُسِ [١]

مُصطفــى اللهِ سَمِيُّ المُصطفــى   الغَنِي بـاللهِ عن كُـلِّ أحَـدْ [٢].
مَنْ إذا مـا عَقَـدَ العهدَ وَفَـى   وإذا مـا قبُـحَ الخَطْـبُ عَقَـدْ [٣]
مِن بـني قيسِ بنِ سعدٍ، وكفى،   حيث بيتُ النصرِ مرفوعُ العَمَدْ [٤]:
حيثُ بيتُ النصرِ مَحْمِيُّ الحِمى   وجَنَـى الفضـلِ زكِيُّ المَغْرَسِ.
والهوى ظِــلٌّ ظليــلٌ خيّمَـا،   والنَّـدى هـبّ إلى المغـتَرِسِ [٥]

هـا كَهـا يـا سِبْـطَ أنصارِ العُلا   والـذي إنْ عَثَرَ الدهرُ أقالْ [٦]:
غــادةً ألْبَسَهــا الحُسْنَ مُــلا   تَبْهَرُ العــين جـلاءً وصِقـالْ [٧]
عارَضَـتْ لَفظـاً ومَعْنـى وحُـلى   قولَ مَنْ أنطقَـه الحـبُّ فقالْ:
(هَـلْ دَرى ظَبْيُ الحِمى أنْ قد حَمى   قلـبَ صَبٍ حَلّه عن مَكْنَسِ [٨].
فَهْوَ في حَرٍّ وخَفْـــــقٍ مِثْلَما   لَعِبَــتْ ريــحُ الصَّبـا بالقَبَسِ).

- وقال لما زار قبر المعتمد بن عبّاد في أغمات بإفريقية:

قـد زُرْتُ قَبْرَكَ عن طَوْعٍ بأغماتِ:   رأيـتُ ذلـك مَنْ أَوْلى المُهمّاتِ.

---

(١) روح القدس: جبريل.

(٢) مصطفى الله (الذي اختاره الله) سمّي (المشابه بالاسم) المصطفى (محمّد رسول الله). الغنّي بالله (محمد الخامس الغنّي بالله من ملوك بني نصر في غرناطة).

(٣) إذا قبح الخطب (إذا اشتدّت الأمور) عقد (العزم وكان حازماً في معالجتها) في نفح الطيب (٧: ١٤): فتح (بالبناء للمجهول).

(٤) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري من دهاة العرب (راجع المحبّر لابن حبيب، ص ١٥٥، و ١٨٤). وبنو نصر أصحاب غرناطة كانوا يردّون نسبهم إلى قيس بن سعد.

(٥) الندى: بخار الماء المعلّق في الهواء (في الليل). - من يزرعْ جنينةً يتمتّعْ بالجوّ الجميل الذي ينشأ منها!

(٦) السبط (حفيد الرجل من ابنته).... إن عثر الدهر بأحد أقاله (أنهضه من عثرته) أو إذا عثر الدهر نفسه، فإنّ محمداً الخامسَ الغنيّ بالله يمكن أن يساعد الدهر على النهوض!

(٧) الغادة: المرأة الجميلة (القصيدة). الملاءة: ثوب ينشر على الفراش (وثوب سابغ تلبسه المرأة) جمعها ملاء (بضمّ الميم أيضاً).

(٨) الصبّ: المحبّ. حلّه: نزل فيه، سكنه. المكنس والكناس (بالكسر): بيت الغزال.

لِمْ لا أَزورُك، يا أَنْدى الملوكِ يَداً ... ويا سِراجَ الليالي الْمُدْلَهِمَّات[١].
وأَنتَ مَنْ لو تخطّى الدهرُ مَصْرَعه ... إلى حياتي، لَجادَتْ فيه أبياتي.
أَناف قبرُك في هَضْبٍ يُمَيِّزُهُ ... فتَنْتَحِيهِ حَفِيّاتُ التَحِيّات[٢].
كُرِّمْتَ حَيًّا ومَيْتاً وٱشتهرت عُلاً، ... فأنتَ سُلطانُ أَحياءٍ وأَمْوات.
ماريىء مثلُك في ماضٍ؛ ومُعتَقَدي ... أَلّا يُرى - الدهرَ - في حالٍ ولا آتي[٣].

- التاريخ (من مقدّمة «الإحاطة»)

.... ولمّا كان الفنُّ التاريخيُّ مأربَ البشر ووسيلةً إلى ضمّ النشر[٤] يَعْرِفون به أنسابَهم في ذلك شرعاً وطبعاً ومافيه، ويكتسبون به عقلَ التجربةِ في حال السكون والرفيه[٥]، ويستدلّون ببعضِ ما يُبدي به الدهرُ ويَشفيه، ويرى العاقلُ من تصريفِ قُدرةِ اللهِ تعالى ما يَشْرَحُ صدرَه بالإسلامِ ويُخفيه، ويَمُرُّ على مصارعِ الجبابرةِ فيَحْسَبُه بذلك واعظاً ويَكْفيه. وكتابُ الله يتخلّلُه من القَصَصِ ما يُتَمِّمُ هذا الشاهدَ لهذا الفنّ ويُوَفّيه. قال تعالى[٦]: ﴿وكُلًّا نَقُصُّ عليك من أنباء الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ به فؤادَك﴾. وقال عزَّ من قائلٍ[٧]: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عليك أحسنَ القَصَص بما أَوْحَيْنا إليك هذا القُرآنَ، وإنْ كُنْتَ من قبلهِ لَمِنَ الغافلين﴾.

فَوَضَحَ سبيلٌ مُبينٌ، وظَهَرَ أن القولَ بفضلِهِ يقتضيه عقلٌ ودِين[٨]. وإنَّ بعضَ المُصنّفين مِمّنْ تَرَكَ نومَه لِمَن دُونَه، وأَنْزَفَ ماءَ شَبابه مُودِعاً إيّاه بَطْنَ كتابهِ يَقْصِدُهُ

---

(١) الليل المدلهمّ: الشديد الظلام (المصائب الكبيرة).
(٢) أناف: علا، ارتفع. انتحى: مال إلى ناحية. الحفيّ: الذي يهتمّ بالأمر (تأتيه التحيّات المخلصة من كلّ جانب).
(٣) ريىء (رؤي). الدهر (بالنصب): طول الدهر.
(٤) كذا في الأصل.
(٥) لعلّها: السكون الرفيه (بلا واو العطف): السكون في سَعة من العيش.
(٦) القرآن الكريم ١١ : ١٢٠، هود.
(٧) القرآن الكريم ١٢ : ٣، يوسف.
(٨) بفضله = بفضل التاريخ.

الناسُ وَيَرِدونَه [1] اخْتَلَفَتْ في مثلِ هذا البابِ أغْراضُهم. فمِنْهُمْ مَنِ اعتنى بإثبات حوادِثِ الزمانِ، ومنهم منِ اعتنى برِجالِه بعدَ اختيار الأعيان عَجْزاً عنِ الإحاطةِ بهذا الشانِ، عموماً في أكثرِ الأقطارِ وخُصوصاً في بعضِ البلدان (ثمّ يعدّد لسان الدين أسماء نفر كثيرين ألّفوا كتباً في تاريخ مدنهم).

فداخَلَتْني عَصَبيَّةٌ لا تَقْدَحُ في دينٍ ولا مَنْصِب[2]، وحَمِيّةٌ لا يُذَمُّ في مِثْلِها مُتَعَصِّب،.... ورأيتُ أنّ هذه الحضرةَ[3] التي لا خَفاءَ بما وَفّرَ اللهُ من أسباب إيثارِها وأراده من جَلالِ مِقْدارِها، جعَلَها ثغرَ[4] الإسلامِ ومُتَبَوّأَ العَرَبِ الأعلام قَبيلِ[5] رسوله عليه أفضلُ الصلاة وأزكى السلامِ وما خَصّها مِنَ اعتدالِ الأقطار وجَرَيانِ الأنهار وانفساحِ الاعتار والتفاف الأشجار.. نَزَلَها العربُ الكِرامُ عند دُخولهم مُخْتَطّينَ فعَمروا وأوْلدوا[6] وأثْبتوا المفاخرَ وخلّدوا.......

وقد كانَ أبو القاسمِ الغافقيُّ[7]، مِنْ أهلِ غَرناطةَ، قد قامَ مِنْ هذا الغَرَضِ بِفَرْضٍ وأتي من كلٍّ بِبَعْضٍ. فلم يَشْفِ من غُلّةٍ، ولا سَدّ خَلّة، ولا كَثّرَ قلّة[8]. فقُمْتُ بهذا الوظيفِ وانتدبت للتأليف . ورَجَوْتُ على نَزارةِ حَظّ الصِّحة وازدحامِ الشواغلِ المُلحَّة أنْ أضْطَلِعَ من هذا القَصْدِ بالعِبْءِ الذي طالما طأطأتْ له الأكتادُ[9]....

---

(١) لمن هو دونه (أقل منه، لمن لا تسمو نفسه إلى جليل الأمور) ومن قضى أيام شبابه (نشاطه) يدوّن التاريخ (بإخلاص) يَقْصِده الناس ليَرِدوا من مورده (يشربوا من نبعه: ليستفيدوا منه).

(٢) العصبيّة: شدة الاهتمام بأهل الرجل (ولو أساء ذلك إلى قوم آخرين). لا يقدح: لا يعيب. المنصب: المكانة.

(٣) الحضرة: العاصمة (غرناطة).

(٤) الثغر: المكان الذي يخشى منه مجيء العدو (حدود البلاد الإسلامية على بلاد الأعداء المحاربين).

(٥) المتبوّأ: المسكن والمستقرّ. القبيل: القوم، الأهل.

(٦) اختط: أنشأ خطّة (بكسر الخاء): مكان السكنى (البلد، المدينة). عمر الأرض: سكنها وأنشأ فيها حياة عمرانية (اقتصادية واجتماعية). أولدوا: جاءهم أولاد (نسل)، أي عاشوا فيها مدّة طويلة.

(٧) لعلّه أبو يحيى اليسع بن عيسى بن اليسع الغافقي الجيّاني (ت ٥٧٥ هـ)، كان له اشتغال بمثل ذلك (راجع نفح الطيب ١ : ١٢٧، ١٦٤، ٢٠٨ وسائر المظانّ الوارد ذكرها في فهرسته).

(٨) الغُلّة: العطش. الخَلّة: الفُرجة، الثقب الصغير، الحاجة والفقر. الوظيف: عظم دقيق في الساق (وهو يقصد الوظيفة: العمل الذي يقدر الإنسان عليه). وانتدبت (نفسي) للتأليف.

(٩) الشواغل ليست في القاموس. المقصود الأشاغيل جمع أشغولة (بالضمّ): ما يشغل (بفتح الغين) الإنسان ويلهيه. الكتد (بفتح ففتح): الكاهل (مجتمع الكتفين).

والترتيبُ الذي انتهتْ إليه حِيلتي وصَرَفْتُ في اختيارِه مُخيَّلتي هو أنني ذَكَرْتُ البلدة[١]، حاطَها اللهُ، مُنبِّهاً منها على قديمِها وطيبِ هوائها وأديمِها، وإشراق عُلاها ومَحاسن حُلاها، ومن سَكَنها وتولاّها، وأحْوالِ أُناسِها ومن دال[٢] بها من ضُروبِ القبائل وأجناسها، وأعطيتُ صورتَها وأرّختُ في الفخر ضَرورتَها. وذكرتُ الأسماءَ على الحروف المُبوّبة[٣] وفَصّلتُ أجناسَهم بالتراجم المُرتّبة: فذكرتُ الملوكَ والأُمراءَ ثمّ الأعيانَ والكُبراء ثمّ الفُضلاء ثمّ القُضاةَ ثم المُقرئين والعلماء ثم المُحدّثين والفُقهاءَ وسائرَ الطَّلَبَةِ النُّجباء ثمّ الكُتّاب والشعراء ثمّ العُمّال والأُثَراء[٤] ثمّ الزُهّادَ والصُّلحاء والصُّوفيّة والفقراء لِيكونَ الابتداء بالمُلْكِ والاختتام بالمِسْك وَلِيُنْظَمَ الجميعُ انتظامَ السِّلْك[٥]. وكلُّ طَبَقَةٍ تنقسمُ إلى من سَكَنَ المدينةَ بِحُكْم الأصالةِ والاستقرارِ أو طرَأَ عليها مِمّا يُجاورها مِنَ الأقطار أو خاضَ إليها - وَهُوَ الغريبُ - أثْباجَ[٦] البِحار أوْ أَلَمَّ بها ولو ساعةً من نَهار. فإنْ كَثُرَتِ الأسماءُ نَوَّعْتُ وتَوسّعتُ، وإن قَلّتِ اختصرتُ وجمعتُ. وآثرتُ ترتيبَ الحُروف في الأسماءِ ثمّ في الأجداد والآباءِ لِشُرودِ الوَفَياتِ والمواليدِ التي رَتّبَها الزمانُ عنِ الاستقصاء[٧]. وذَهبتُ إلى أن أذكُرَ الرجلَ ونَسَبَه وأصالته وحَسَبَه ومولدَه وبلده ومذاهبه وأنْحالَه[٨] والفنَّ الذي دعا إلى ذِكرِه، وحِلْيَتَهُ ومَشْيَخَتَهُ[٩] - إن كان مِّمن قيّدَ عِلماً أو كتبه - ومآثره إن كان مِّمن وَصَلَ الفضل

---

(١) البلدة (غرناطة).

(٢) دال فلان دالة ودولة: صارت له دالة (نصيب ودور في الحكم).

(٣) على الحروف (كما ترتّب في القاموس).

(٤) العمّال: الولاة على المدن. الأثراء ليست في القاموس (لعلّه يقصد الفضلاء، ذوي الفضل والمكانة الاجتماعية في بلدانهم).

(٥) بالملك (أهل القوّة). الاختتام بالمسك (بأهل الصلاح). انتظام السلك (ليكون الكتاب ممثّلاً لجميع طبقات المجتمع على الترتيب المخصوص).

(٦) الثبج: وسط الشيء (ووسط البحر أيضاً).

(٧) - يقصد أن الحصول على تاريخ مولد الأشخاص ووفاتهم ليس سهلاً في كلّ حين.

(٨) الأنحال ليست في القاموس (لعلّه يقصد جمع نِحلة - بكسر النون - الطريقة التي يحصّل الإنسان بها معاشه).

(٩) حليته (صفاته وأحواله). مشيخته (أساتذته).

بِسَبَبِه [١] وشِعرَه إن كان شاعراً، وأدبه وتصانيفَه إن كان مِمّنْ ألّفَ في فنٍّ وهَذّبَه، ومِحْنَتَهُ إن كان مِمّنْ بزّه الدهرُ وسَلَبَهُ [٢]، ثمّ وَفاتَه ومُنْقَلَبَهُ إذا استرجع اللهُ من منحه حياته ما وَهَبَهُ [٣].

وجعلتُ هذا الكتاب قِسْمَيْنِ ومُشْتَمِلاً على فَنّينِ: القسمَ الأوّلَ في حُلى المَعاهدِ والأماكن والمنازل والمساكن، والقسمَ الثانيَ في حُلى الزائرِ والقاطِنِ والمتحرّك والساكن.

٤- الإحاطة في أخبار غَرناطة، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣١٩ هـ؛ الجزء الأوّل (حققه عبد الله عِنان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- الإشارة في أدب الوزارة في السياسة (تحقيق عبد القادر زمّامة)، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٧٢ م.
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام: قسم المغرب (أو إفريقية: تونس) (نشره حسن حسني عبد الوهّاب)، بلرم في جزيرة صقلّية ١٩١٠ م؛ الكتاب كلّه (تحقيق ليفي بروفنصال)، الرباط ١٩٣٤ م، بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٦ م؛ الجزء الثالث (بعنوان: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) (تحقيق أحمد مختار العبّادي ومحمّد إبراهيم الكتّاني)، الدار البيضاء (دار الكتاب) ١٩٦٤ م؛ موجز تاريخ إسبانية (ملشور أنطونيا)، مدريد ١٩٣٣ م؛
- أوصاف الناس (؟)
- جيش التوشيح (حقّقه هلال ناجي)، تونس (مطبعة المنار) ١٩٦٧ م.
- الحُلَل المَرْقُومة أو رقم الحُلَل في نَظْم الدُّوَل، تونس (المطبعة العمومية) ١٣١٦ هـ؛ (قسم صقلّية) ١٧٩٠ م.

- الحُلَل المَوْشِيّة في (ذكر) الأخبار المراكشية (★) (تحقيق بشير الفورتي)، تونس ١٩١١ م = ١٣٢٩؛ (تحقيق علّوش)، الرباط ١٩٣٦ م.
- ديوان الصيّب والجَهام والماضي والكَهام (دراسة وتحقيق محمّد الشريف قاهر) الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.

---

(١) ... وصل إلى مكانته في قومه بسبب علمه (!).

(٢) المحنة: المصيبة والشقاء يصيب الإنسان. بزّ: غلب وسلب.

(٣) .... أذكر وفاته، إذا كان قد توفّي في أيامي.

(★) في نسبة هذا الكتاب «الحلل الموشيّة» إلى لسان الدين بن الخطيب شكّ. ذكر علّوش أن الكتاب لمؤلّف مجهول. راجع أيضاً الأعلام للزركلي ٧: ١١٣ (٦: ٢٣٥).

- روضة التعريف بالحُبّ الشريف (تحقيق عبد القادر أحمد عطار عبد الستّار)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٨ م.
- ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب (قطع منه) ١٩١٦ م.
- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، فاس (تحقيق إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.
- كناسة الدكّان بعد رحيل السكّان (تحقيق محمّد كمال شبانة)، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٦ م.
- اللمحة البدريّة في الدولة النصريّة (صحّحه محبّ الدين الخطيب)، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٧ هـ؛ بيروت (دار الآفاق) ١٩٧٨ م.
- مجموع رسائل (★).
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (نشره أحمد مختار العبادي)، الاسكندريّة (مطبعة جامعة الاسكندريّة) ١٩٥٨ م.
- معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار (مولّلر)، منشن: ميونيخ ١٨٦٦ م؛ فاس ١٣٢٥ هـ.
- مفاخرة مالقة وسَلا (مولّلر)، منشن: ميونيخ ١٨٦٦ م.
- مُقْنعة السائل في المرض الهائل (مولّلر) منشن ١٨٦٣ م.
- نفاضة الجراب في عَلالة الاغتراب (تقديم أحمد مختار العبّادي)، القاهرة (دار الكاتب العربي للتوزيع والنشر) ١٩٦٣ م.

★★- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (نشره دوزي- دوغات- كرايل- رايت)، ليدن (بريل) ١٨٥٥ - ١٨٦١ م؛ مصر (بولاق) ١٢٧٩ هـ؛ مصر (المطبعة الأزهرية (١٣٠٤ هـ)؛ (حقّقه محمّد محيي الدين عبد الحميد)، بر بيروت (دار الكتاب العربي ١٣٦٩ هـ؛ (حقّقه إحسان عبّاس)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٨ هـ=١٩٦٨ م.

- ابن الخطيب: حياته وكتبه، تأليف محمّد بن أبي بكر التطواني وعبد العزيز بن عبد الله (معهد مولاي الحسن)، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٤ م.
- ابن الخطيب وزير غرناطة، تأليف عبد الهادي أبي طالب، القاهرة (المكتبة التجاريّة) ١٩٥٠ م؛ الدار البيضاء ١٩٦٠ م.
- الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، بقلم عبد العزيز بن عبد الله، تطوان (دار الطباعة المغرية) ١٩٥٣ م.

نيل الابتهاج ٢٦٤-٢٦٥؛ الدرر الكامنة ٣: ٢٤٤-٢٤٧ (رقم ١٢٦١)، ٣: ٤٦٩-٤٧٤؛ نثير فرائد الجمان ٢٩٢-٢٩٣؛ وفيات ابن قنفذ ٣٧٠-٣٧٢؛ درّة

(★) مجموع رسائل، لعلّه «مشاهدات لسان الدين....».

الحجال ٢ : ٢٧١ - ٢٧٤ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٤٤ - ٢٤٧ ؛ نفح الطيب ١ : ٧٠ - ١٠٥ - ١١٢ ، ١١٥ - ١١٧ ، ١٢٥ - ١٢٦ ، ١٨٦ - ١٩٠ ، ٣٢١ - ٣٢٦ ، ٤٥٣ - ٥٤٠ - ٥٠٥ - ٥١٩ ، ٤ : ٤٠٤ - ٤٤٦ (رسائل من إنشائه) ، ٥ : ٧ إلى آخر الجزء ، ٦ : ٥ - ٧ ، ١٣ - ٤٥ ، ٦٠ - ١٣٨ ، ١٦٢ - ٢١٣ ، ٢١٩ - ٢٢٧ ، ٢٣٠ وما بعد ، ٢٦٨ - ٣٨٠ ، ٣٨٥ - ٤٤٦ ، ٤٤٧ - ٥١٥ (في الصفحات السابقة ثغرات قصيرة) ، ٧ : ٦٥ - ٦٨ ، ٩٧ - ١٠٨ ، ١٤٥ وما بعد (تلاميذه) ؛ أزهار الرياض ١ : ٣٠ - ٣٤ ، ٦٢ - ٦٣ ، ٦٤ - ٦٥ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ - ٢٣١ ، ٢٤٩ - ٢٩١ ، ٢٩٤ - ٣٣٦ ، ٢ : ٥ - ٦ ، ٧ - ١١ ، ١٦٤ - ١٦٦ ، ٢١٣ - ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٣٠١ - ٣٠٢ ، ٣٧٦ ؛ الاستقصا ٢ : ١٠٥ - ١١٩ ، ١٢٥ - ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٤ - ١٣٥ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٣٨٥ - ٣٨٧ ؛ بروكلمن ٢ : ٣٣٧ - ٣٤٠ ، الملحق ٢ : ٣٧٢ - ٣٧٣ ؛ نيكل ٣٦٣ - ٣٦٦ ؛ مختارات نيكل ٢٠٧ ، ٢١٢ - ٢١٥ ؛ سركيس ١٥٨٨ - ١٥٩١ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١١٢ - ١١٤ (٦ : ٢٣٥) ؛ بالنثيا ١٣٨ - ١٣٩ ، ٢٥١ - ٢٥٩ ، ٣٠٢ وما بعد ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي ٢٣ : ٤ (١٠/١٩٤٨) ، ص ٥٢٤ ،ثمّ المجلّد ٤٧ ، ص ٧٠ ؛ البحث العلمي ٥/١٩٦٨ ، ص ١٢٣ ؛ العربي ٦/١٩٦٧ ، ص ٤٧ ، ١٢/١٩٦٥ ، ص ٢٠ - ٢٥ ؛ الأصالة ٤ : ٢٦ ، ص ٣٣١ ؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٠ : ٢١٦ - ٢١٧ .

ابن أبي حجلة

١ - هو شِهابُ الدينِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ يَحْيى بنِ أبي بكرِ بنِ عبدِ الواحدِ التِلِمْسانيُّ المعروفُ بابنِ أبي حَجَلَةَ[١] ، وُلِدَ في تِلِمسانَ ، سَنَةَ ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م). رَحَلَ وحَجّ ثمّ ذهب إلى دِمَشْقَ فدَرَسَ الأدبَ ثمّ انتقلَ إلى القاهرة وتولّى مَشيخة الصوفيةِ بصِهْريج مَنْجَكَ خارجَ القاهرةِ. وكانت وفاتُه في القاهرةِ بالطاعون في سَلْخِ ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٧٧٦ (٢/٥/١٣٧٥ م) أو في مُستَهَلِّ ذي الحِجّة.

٢ - كان ابنُ أبي حَجَلَةَ ذا اتّجاهٍ ديني وميلٍ إلى التصوّف المُعْتدلِ حمَلَ على

(١) الحجلة طائر مكوّر الحجم أصغر من الدجاجة أحمر المنقار والساقين ، برّي يصاد للحمه الطيّب . قيل إنّ عبد الواحد الجدّ الأعلى لصاحب هذه الترجمة كان من المتصوّفة ذوي الكرامات ، وقد باضت حجلة على كمّه!

القائلين بوَحْدةِ الوجودِ وعلى عُمَرِ بن الفارضِ خاصّة[1]. وكان أديباً ناثراً شاعراً له قصائدُ ومُقطّعاتٌ وبديعيّاتٌ ومَقامات. وقد عارَضَ جَميعَ قصائدِ عمرَ بنِ الفارض ببديعيّاتٍ (بمدائحَ في رسولِ اللهِ) وهُوَ مؤلّفٌ مُكثِرٌ ذكروا أن له أكثرَ من ثمانينَ كتاباً منها: ديوان الصَّبابة (تراجمُ لنفرٍ من الشعراء المحبّين ومختارات لهم)- سكردان[2] السلطان (الملك الناصر حسن بن محمّد بن قَلاوُون؛ وهو مجموع في معنى العدد « سبعة » في أرض مصر وتاريخها وسكّانها وحكّامها)- الطارىء على السكردان (نقل الكرام في مدح الكرام: الملك الناصر حسن)- سلوة الحزين في موت البنين- جِوار الأخيار في دار القَرار- الطبّ المسنون في دفع الطاعُون- التذكير بالموت وسُكنى القبور والخروج منها والنُشور- دفع النِّقْمة في الصلاة على نبيّ الرحمة- أنموذج القتال في نقل العَوال[3] (في الشطرنج)- مغناطيس الدرّ النفيس (مختصر في أنواع من الأدب)- منطق الطير- الأدب الغضّ- حاطب ليل- عنوان السعادة- نحر أعداء البحر- أطيب الطيب- النعمة الشاملة في العشرة الكاملة- السجع الجليل فيما جرى من النيل، الخ.

٣- مختارات من آثاره

الحمدُ لله الذي جَعَلَ « للعاشقين بأحكامِ الغرام رِضا »[4]، وحبّبَ إلَيْهِمُ الموتَ في حُبِّ مَنْ يَهْوَوْنَهُ « فلا تَكُنْ، يا فتًى، بالحُبّ مُعْتَرِضاً »[5]. فكم فيهم من عاشقٍ ومُحبٍّ صادق:

رأى فحَبّ فرامَ الوصلَ فَامْتَنَعوا ... فسامَ صبراً فأعْيَى نَيْلَه فقَضى!

---

(١) وحدة الوجود أو الاتّحاد مذهب متطرّف في الصوفية يرى أن مجموع الوجود هو الله، وأنّ كلّ جزء منه يمثّل قوّة من قوى الله (وقال بعضهم: كلّ جزء من العالم يمثّل الله!). عمر بن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) متصوّف متطرّف، ولكنّه أشعر شعراء الصوفية من العرب، وثاني شعراء الصوفية في العالم بعد جلال الدين الرومي (ت ٥٧٢ هـ).

(٢) السكردان....

(٣) « الحديث العالي » ما آستوفتْ روايتُه شروط الصِّحّة وكان الذين رَوَوْهُ قريبين من زمن رسول الله- وفي هذا التعريف شيء من الغموض- (راجع « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » لمحمّد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمّد بهجة البيطار، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ص ١٢٧).

(٤ إلى ٥) من أبيات للشابّ الظريف (ت ٦٨٨ هـ).

أحْمَدُه حَمْدَ «من خافَ مقامَ ربِّهِ ونَهى النفسَ عنِ الهوى[١]»، وشَبَّبَ بذِكْرِ محبوبه إنْ كان تِهامِيًّا في حجازٍ أو شاميًّا في نَوَى[٢]:

طَوْراً يَمانٍ إذا لاقَيْتُ ذا يَمَنٍ، وإنْ لَقِيتُ مَعَدِّيًّا فعَدْناني[٣]!

وأشهدُ أنْ لا إلَه إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الحميدُ المجيد: شَهادةَ مَنْ أصبحَ موتُه لِبُعْدِهِ أقربَ مِنْ حبلِ الوريد[٤]، وقال لعاذِلِه: «لقد عَلِمْتَ ما لنا في بَناتِكَ من حقٍّ، وإنّك لَتَعْلَمُ ما نُريد»[٥].

ولو أنّ ما بي مِنْ حَبيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ، ولكنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ[٦].

وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولُه شَهادةَ من أخْلَصَ في مُوالاتهِ وتَبرّأ من الإثم حين تولّى عنه محبوبه بخاتَمِ رَبِّه وبراتِه[٧]. صلّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ما ذَرّ شارقٌ وهام عاشقٌ[٨]. أمّا بعدُ، فإنّ كِتابَنا هذا كما قِيل:........

على أنّ جَماعةً من العَصْرِيّينَ غَلَبوا على مَنْ تقدّمَ بالتأليفِ في هذا الباب، ولم يُفَرِّقْ بعضُهُمْ في التَشبيب بين زينبَ والرَّباب[٩]:

وكُلٌّ يَدّعي وَصْلاً بلَيْلى، وليلى لا تُقِرُّ له بذاكا[١٠].

---

(١) القرآن الكريم ٧٩: ٤٠، النازعات.

(٢) تهامة: ساحل الحجاز. (الأرض المنخفضة بالإضافة إلى نجد). شاميًا (شماليًّا) من بلاد الشام (سورية). نوى قرية بالشام.

(٣) - حيناً انتسب إلى اليمن (عرب الجنوب).... معدّ وعدنان (جدّان لعرب الشمال). البيت لعِمران ابن حطّان.

(٤) حبل الوريد: مَمّر للدم في جانب العنق (في العنق وريدان).

(٥) القرآن الكريم ١١: ٧٩ هود. العاذل: اللائم.

(٦) - لو كنت أشكو من حبيب مقنّع (امرأة محبوبة) لهان عليّ الأمر. معمّم: يلبس عمامة (رجل). والبيت للمتنبّي.

(٧) الإثم: الذنب. براته (براءته!).

(٨) ذرّ (ظهر من وراء الأفق) شارق (طالع من شمس أو قمر أو نجم ما). هام: حار من شدّة الحبّ.

(٩) زينب والرباب: اسمان للنساء (لم يفرّق بين محبوب ومحبوب).

(١٠) البيت....

فرَبْعُ كِتابِنا هذا بذِكرِ العامريّةِ معمورٌ [١]، وهُوَ بالنسبةِ إلى ما ألّفه الشهابُ محمودٌ مشكورٌ [٢]. ومن وَقَفَ عليه عَلِمَ صِحّةَ هذا الكلامِ وأنْشَدَ في تصديقِ هذه الدَّعْوى «إذا قالتْ حَذامِ» [٣]. مُؤلّفُ طَوْقِ الحَمامة» بالنسبةِ إلى حَجَلَتِه يَحْجِل [٤]، وصاحبُ «منازلِ الأحباب» مِمّنْ عَرَفَ المَحَلَّ فبات دون المَنْزِل [٥]:

★ وعَـذَرْتُ طَيْفَكَ في الجَفاء لأنّه يَسري فيُصْبِحُ دونَنا بمراحلِ [٦].

★ فيـا دارَها بالخَيْفِ إنّ مَزارَها قريبٌ، ولكنْ دون ذلك أهوالُ [٧]!

فإنْ قُلْتَ «الفَضْلُ للمتقدّمِ» [٨]، و«هَلْ غادَرَ الشُعراءُ مِنْ مُتَردَّمِ» [٩]! قلتُ: نَعَمْ، في الخَمْرِ مَعْنًى ليس في العِنَبِ [١٠].....

ولم يَزَلْ كِتابُنا هذا في مُسوَّداتِه مُنْذُ حِجَجٍ، وبُيوتُه من بُحُورِها في لُجَجٍ [١١]: لا أُبيحُ ما في منازلِ الأحبابِ لِساكنٍ ولا أُمَكِّنُ عاشقاً من المُرورِ بتلك الأماكن...... حتّى بَرَزَ لطَلَبِهِ المرسومُ الشريفُ المَلَكِيُّ الناصريُّ [١٢]... فبادَرْتُ إلى تَجْهيزه وسَبْكِ

---

(١) الربع: المسكن. العامرية: ليلى (محبوبة قيس بن الملوّح). معمور: مسكون، عامر (يكثر في كتابنا ذكر ليلى، وذكر الحبّ).

(٢) الشهاب: محمود بن فهد الحلبي (انظر بعد بضعة أسطر).

(٣) إذا قالـت حـذام فصدّقوهـا فـإن القول مـا قالـت حـذام

(٤) طوق الحمامة كتاب لابن حزم (ت ٤٥٦). الحجلة: ستر للمرأة. حجل: مشى على رجل واحدة، أو مشى يتعثّر كأنّه مقيّد.

(٥) منازل الأحباب ومنازه الألباب (حكايات في الحبّ وأشعار في الغزل)، تأليف شهاب الدين محمود بن فهد الحلبي (ت ٧٢٥). بات دون المنزل (المكان الأمين لنزول القوافل، إذا جاء الليل ولم تكن قد وصلت إلى بلد له سور)، قصّر فيما أراد.

(٦) يبدو أن البيت قديم، وقد ضمّنه ابن عُنين (ت ٦٣٠ هـ) في بعض قصائده (راجع وفيات الأعيان، بيروت ٥: ١٥).

(٧) البيت لأبي العلاء المعرّيّ.

(٨) ....

(٩) مطلع معلّقة عنترة.

(١٠) من بيت المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة:

فـإن تكن تغلـب الغلبـاء نسبتهـا، فـإن في الخمر معنـى ليس في العنـب.

(١١) الحجّة (بكسر الحاء) السنة، العام. بيوته.... في لجج (اللّجة: معظم الماء، الموجة الكبيرة): غير منظّم!

(١٢) الأشرف ناصر الدين شعبان (٧٦٤ – ٧٧٨ هـ)!!

إبريزه [1] حَسْبَ المرسومِ الشريف، بلا تَسْويف ولا تكليف.....

وسَلَكْتُ في تأليفهِ الاختصارَ والاقتصارَ على النوادرِ القصارِ.... وسمّيتُه «ديوانَ الصَّبابة» لِيُصْبِحَ الواقفُ عليه مُوَلَّهاً ويَعْلَمَ إنْ لم أكُنْ أنا للصَّبابةِ، فمَنْ لها [2]؟....

ورَتَّبْتُه على مُقدمةٍ وثلاثينَ باباً وخاتمةٍ. أمّا المقدّمةُ ففي ذكرِ حَدّ العِشق واشتقاقه وما قِيل فيه... وأمّا الأبواب (فهي): ذِكْرُ الحُسْن والجَمال- ذكر المُحبّين والظُرفاء من الملوك والخلفاء- ذكر من عَشِقَ على السَّماع-..... ذكر الغَيْرةِ وما فيها من الحَيْرة- ذكر إفشاءِ السِّر والكتمان- ذكر الاحتيال على طَيْف الخَيال- ذكر العِتاب عند اجتماع الأحباب..... إلخ. وأما الخاتمة ففي ذكر مَنْ مات مِنْ حبّه.....

٤- ديوان الصبابة، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ؛ ١٢٩١ هـ؛ ١٣٠٥ هـ؛ (بهامش «تزيين الأسواق»، لداوود الأنطاكي المتوفّى ١٠٠٨ هـ)، مصر ١٢٩١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهريّة) ١٣٠٢، ١٣٠٨ هـ.

- سكردان السلطان، بولاق ١٢٨٨ هـ؛ (بهامش «المخلاة» لبهاء الدين العامليّ المتوفّى ٩٥٣ هـ)، القاهرة (البابي) ١٣١٤، ١٣١٧ هـ.
- مجتبى الأدباء، مصر.
- مغناطيس الدرّ النفيس، مصر ١٣٠٥ هـ.

★★ الدرر الكامنة (القاهرة) ١: ٣٥٠- ٣٥٢، (حيدر آباد) ١: ٣٢٩- ٣١١ (رقم ٨٢٦)؛ تعريف الخلف ٢: ٤٢-٥٣؛ نثير الجمان ٢٢٨-٢٢٩؛ شذرات الذهب ٦: ٢٤٠- ٢٤١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٨٦؛ بروكلمن ٢: ١٣- ١٤، الملحق ٢: ٥- ٦، راجع ٢: ٣٠٩، الملحق ٢: ٤٦٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٥٥ (٢٦٨- ٢٦٩)؛ معجم المؤلّفين لكحّالة ٢: ٢٠١؛ معجم أعلام الجزائر ٤٧-٤٨؛ سركيس ٢٨-٢٩.

ابن بطّوطة

١- هو شمسُ الدينِ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمّدِ بنِ ابراهيمَ اللواتي الطَّنْجيّ المعروفُ بابنِ بطّوطةَ، وُلِدَ في ١٧ رَجَبَ ٧٠٣ (٢٤/٢/١٠٣٤ م) في طَنْجَةَ.

---

(١) الإبريز: الذهب الخالص.

(٢) مولّه: شديد الحبّ للشيء. فمن لها؟: من يستطيع ذلك غيري؟

في سَنَةِ ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) خَرَجَ ابنُ بطّوطةَ من طنجةَ بنيّةِ الحجِّ، ولم يكُنْ قادراً على توفيرِ وسائلِ السفر بنفسِه فاضطُرَّ إلى أن يرافقَ القوافلَ التي قَبِلَتْ أن تَحْمِلَه مجّاناً؛ فطالتْ رِحلتُه وتعرّجَتْ طريقُه: جازَ البحرَ من مِصْرَ إلى الحِجازِ فلم يَتَيَسَّر له الوصولُ إلى مكّةَ فعادَ إلى مِصرَ ثمّ سار إلى القُدْسِ فبيروتَ فحَلَبَ فاللاذقيةِ فحَلَبَ فدِمَشْقَ. وبعدَ الحجِّ تطوّفَ في الشام والعراقِ وفارسَ وبلادِ الروم (آسيةَ الصغرى) والقسطنطينيةِ وشِبْهِ جزيرةِ القِرْم، ثمّ قطع نهرَ الفولغا إلى الأفْغان والتُرْكستان والهِندَ فتولّى القضاء في دَهْلي (عاصمة الهند) عامَيْنِ. وبعدَ أن تولّى القضاءَ عاماً ونصفَ عامٍ في ذِيبة المهل[1] زارَ الصينَ وسيلانَ وسومطرةَ. ثمّ عاد إلى فاسَ (المغرب) في شَعْبان من سَنَةِ ٧٥٠ هـ (أواخر ١٣٤٩ م). وفي العام التالي زار غَرناطةَ (الأندلس) وملّيّ[2] وتمبكتو في السودانِ الغربي (غربيّ إفريقية).

وكانت وفاةُ ابنِ بطّوطةَ في مدينة مَرّاكُشَ سَنَةَ ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م).

٢- رِحلَةُ ابنِ بطّوطةَ من أعجبِ الرِّحْلاتِ امتدّتْ أكثرَ من خَمْسٍ وعِشرين سَنَةً. وكان ابن بطّوطة يَسْتَقِرُّ في عددٍ من المُدُنِ ويتزوّجُ ويتولّى عدداً من المناصبِ والأعمال. من أجلِ ذلك كان في رِحلته أخبارٌ كثيرةٌ موثوقةٌ برُغْمِ غرابتها. وكان ابنُ بطوطةَ يكتُبُ مذكّراتٍ في أثناء رِحلته. ولكّن مذكراتِه هذه ضاعتْ في بَحْرِ الزَّنْج. فلَمّا استقرَّ في مدينة مَرّاكُشَ أملى ما كان يتذكّرُ منها على ابنِ جُزَي[3] وسمّاها «تُحْفَة النُّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، وهي تُعْرَفُ عادةً بعنوان رِحْلة ابنِ بطّوطة.

---

(١) ذيبة المهل جزائر جنوب شرق الهند تعرف في الكتب الأوروبيّة المعاصرة لنا باسم مالديف، وتسمّى اليوم رسميًّا محلديب.

(٢) ملّي = مالي في السودان الغربي. ومالي تطلق اليوم على جمهورية في غربي إفريقية عاصمتها باماكو.

(٣) ابن جزيّ هذا: محمّد بن محمّد بن جزيّ الكلبي المتوفّى سنة ٧٥٧ للهجرة (راجع ترجمته). وقد أملى ابن بطّوطة رحلته على ابن جزيّ هذا تلبية لرغبة أبي عنان فارس بن عليّ سلطان بني مرين (٧٢٩ - ٧٥٩ هـ).

٣- مختارات من آثاره

- من «رحلة ابن بطّوطة»:

(أ) ذِكْرُ إحراقِ أهلِ الهندِ أنفسَهم:

ثمّ اتّفق بعدَ مُدّةٍ أن كنتُ بمدينة أكثرُ أهلِها من الكفّار تُعْرَفُ بأبْحرى، وأميرُها مسلمٌ من سامرةِ السِّنْد[١]، وعلى مقرُبَةٍ منه الكفّار العُصاة، فقطعوا الطريق يوماً. فخرج الأميرُ لقتالِهم ومَعَه رعيّتُه مِنَ المسلمين والكفّار، ووقع قتالٌ شديدٌ مات فيه من رعيّتهِ الكفّارِ سبعةُ نَفَرٍ. وكان لثلاثةٍ منهم ثلاثُ زَوْجاتٍ فاتّفَقْنَ على إحراقِ أنفُسِهِنّ.

وإحراقُ المرأةِ بعدَ زوجِها عندَهم أمرٌ مندوبٌ إليه غيرُ واجبٍ. لكنْ مَنْ أحرقتْ نفسَها بعدَ زوجِها أحرزَ أهلُ بيتِها شرفاً بذلك ونُسِبوا إلى الوفاء. ومن لم تُحْرِقْ نفسها لَبِسَتْ خَشِنَ الثيابِ وأقامتْ عند أهلِها بائسةً مُمْتَهَنَةً لعدَمِ وفائها. ولكنّها لا تُكْرَهُ على إحراقِ نفسِها.

ولمّا تعاهدتِ النِّسْوةُ الثلاثُ اللاتي ذَكَرْناهُنّ على إحراقِ أنفسِهِنّ أقَمْنَ قبلَ ذلك ثلاثةَ أيّامٍ في غِناءٍ وطَرَبٍ وأكلٍ وشُربٍ كأنّهنّ يُوَدِّعْنَ الدنيا، و (كانت) تأتي إليهنّ النساء من كلِّ جهة. وفي صبيحةِ اليومِ الرابعِ أُتِيَتْ كلُّ واحدةٍ منهن بفرَسٍ فركِبَتْه وَهِيَ متزيّنةٌ متعطّرةٌ، وفي يُمْناها جوْزَةُ نارجيلٍ تلعَبُ بها وفي يُسْراها مِرآةٌ تنظُرُ فيها وَجْهَها، والبراهمةُ يَحُفّونَ بها وأقاربُها مَعَها، وبينَ يَدَيْها الأطبالُ والأبواق والأنفار[٢]، وكلّ إنسانٍ من الكفّار يقول لها: «أبْلِغي السلامَ إلى أبي أو أخي أو أمّي أو صاحبي». وهي تقول: «نَعَمْ!» وتبتسمُ لهم.

وركبتُ مَعهنّ لِأرى كَيْفِيّةَ صُنْعِهِنّ في الاحتراق. فسِرنا مَعهنّ نحوَ ثلاثةِ أميالٍ. وانْتَهَيْنا إلى موضعٍ مُظْلِمٍ كثيرِ المياهِ والأشجارِ مُتكاثفِ الظِّلال، وبينَ أشجارِه أربعُ قبابٍ في

---

(١) من سامرة السند: من مجوس الهند الذين دخلوا في الإسلام (؟). السند: المناطق الغربية الشمالية من الهند (باكستان الغربية اليوم).

(٢) الأطبال والطبول جمع طبل: آلة موسيقية من ذوات القرع (الضرب) كبيرة وبوجهين. البوق: آلة موسيقية من ذوات النفخ وجمعها بوق (بضمّ ففتح). الأنفار جمع نفر (بفتح فسكون) ونفير: الجماعة من الناس (وابن بطّوطة يقصد بكلمة أنفار: مزامير).

كلِّ قُبّةٍ صَنَمٌ من الحِجارة. وبينَ القِباب صِهْريجُ ماءٍ قد تكاثفتْ عليه الظِّلالُ وتزاحمت الأشجارُ فلا تَتَخَلَّلُها الشمسُ. فكأنّ ذلك الموضعَ مِنْ جَهَنَّم، أعاذنَا اللهُ منها! ولمّا وَصَلْنَ إلى تلك القِبابِ نَزَلْنَ إلى الصِّهريجِ وانْغَمَسْنَ فيه وجَرّدْنَ ما عَلَيْهِنّ من ثِيابٍ وحُلى فتَصَدَّقْنَ به. وأُتِيَتْ كُلُّ واحدةٍ منهنّ بثَوبِ قُطْنٍ خَشِنٍ غير مَخيطٍ، فرُبِطَ بعضُه على وَسَطِها وبعضُه على رأسِها وكَتِفَيْها، والنيرانُ قد أُضْرِمَتْ على قُرْبٍ من ذلك الصِّهريجِ في موضعٍ مَنخفِضٍ وصُبَّ عليها روغن كنجت- وهو زيتُ الجلجلان[١]- فزادَ في اشتِعالها. و (كان) هنالك نحوُ خَمْسَةَ عَشَرَ رجلاً بأيدِيهِمْ خُشُبٌ كِبارٌ، وأهلُ الأطبالِ والأبواقِ وُقوفٌ ينتظرون مَجيءَ المرأة- وقد حُجِبَتِ النار بمُلْحِفَةٍ لئلّا يُدْهِشَها النظرُ إليها. فرأيتُ إحداهنّ لمّا وَصَلَتْ إلى تلك الملحفةِ نَزَعَتْها من أيدي الرِجال بعُنْفٍ وقالت لهم: «مارا ميترساني أز أطش؟ من ميدانم أو أطش است. رها كني مارا!» وهي تضحَكُ. ومعنى هذه الجملة: أبالنار تُخوّفونَني؟ أنا أعلَمُ أنّها نارٌ مُحْرِقةٌ[٣]. خلّوا عنّي[٤]. ثمّ جمَعَتْ يَدَيْها فوقَ رأسِها خِدمةً للنار ورَمَتْ بنفسِها فيها. عندئذٍ ضُرِبَتِ الأطبالُ والأنفارُ والأبواقُ، ورَمى الرجالُ ما بأيدِيهِمْ من الحَطَبِ عليها، وجعَلَ الآخرون تلك الخُشُبَ من فوقِها لئلّا تتحرّكَ. وارتفعتِ الأصواتُ وكَثُرَ الضجيجُ.

ولمّا رأيتُ ذلك كِدتُّ أسْقُطُ عن فرسي لولا أنّ أصحابي تداركوني بالماء فغَسَلوا وجهي. وانصرفتُ.

(ب) مدن الشام:

ومدينةُ صُور هي التي يُضْرَبُ بها المَثلُ في الحَصانة والمِنْعة لأنّ البحرَ محيطٌ بها من

---

(١) الجلجلان: السمسم.

(٢) «محرقة» غير موجودة في الأصل الفارسي.

(٣) هذه العبارة «خلّوا عنّي». هي معنى «رها كني مارا» (حرفياً: اعملوا لي طريقاً)، وهي غير موجودة في الأصل فأضفتها. (هذه جملة مهمّة تدلّ على أنّ مجوس الهند منذ أيام ابن بطّوطة كانوا يتكلّمون اللغة الفارسية- لغة المسلمين- ثمّ تدلّ على أنّ- ابن بطوطة تعلّم عدداً من لغات البلاد التي زارها وطال مكثه فيها. وكذلك تدلّ- إذا كان هذا النقص موجوداً في جميع النسخ- أن ابن جزيّ لم يستوعب كلام ابن بطوطة كلّه فكان يتصرف بما أملاه عليه ابن بطّوطة كثيراً أو قليلاً).

ثلاثِ جِهاتِها. ولها بابان أحدُهما للبرِّ والآخرُ للبحر..... وبناؤها ليسَ في بلادِ الدُنيا أعجبُ منه ولا أغربُ شأناً..... ثمّ سافرتُ إلى مدينةِ صَيْداءَ وَهِيَ على ساحل البحر حَسَنَةٌ كثيرةٌ الفواكهِ يُحْمَلُ منها التينُ والزَّبيب والزيت إلى بلادِ مِصْرَ..... ثمّ سافرتُ إلى مدينة طَبَرِيَّةَ، وكانتْ فيما مضى مدينةً ضَخْمة ولم يَبْقَ منها إلّا رسومٌ تُنْبِىءُ عن ضَخامَتِها وعِظَمِ شأنِها. وبِها الحمّاماتُ العجيبة... وماؤها شديدُ الحرارةِ.....

ثمّ سِرْنا إلى مدينةِ بيروتَ وهي صغيرةٌ حَسَنَةُ الأسواقِ وجامعُها بديعُ الحُسْنِ، وتُجْلَبُ منها إلى مِصْرَ الفواكهُ والحديدُ... ثمّ، وَصَلْتُ إلى مدينةِ طرابُلُسَ وهي إحدى قواعدِ[1] الشام وبُلدانها الضِّخامِ، تَخْترِقُها الأنهارُ وتَحُفُّها البساتينُ والأشجارُ و(قد) تَكَنَّفَها البحر بمرافِقِه العميقةِ والبرُّ بخَيْراتِه المقيمة[2]، ولها الأسواقُ العجيبة والمسارح[3] الخصيبة. والبحرُ منها على ميلين، وهي حديثةُ البِناء. وأمّا طرابُلُسُ القديمةُ فكانتْ على ضِفةِ البحرِ وتَملَّكها الرومُ زماناً. فلمّا استرجعها الملك الظاهرُ خَرِبَتْ واتُّخِذَتْ هذه الحديثةُ[4].

(جـ) النارجيل:

وهُوَ جَوْزُ الهِنْدِ. وهذا الشَّجَرُ مِنْ أغرَبِ الأشْجارِ شأْناً وأعجَبِها أمراً. وشجَرُهُ شِبْهُ شجرِ النَّخْلِ، لا فَرْقَ بيْنَهُما إلّا أنّ هذه تُثْمِرُ جَوْزاً وتلك تثمرُ تَمْراً. وجَوْزُها يُشْبِهُ رأسَ آبنِ آدَمَ لأنّ فيه شِبْهَ العَيْنَيْنِ والفَمِ. وداخِلُها شِبْهُ الدِّماغِ - إذا كانتْ (لا تزالُ) خضْراءَ - وعليها لِيفٌ شِبهُ الشَّعْرِ، وهُمْ يصنَعونَ مِنْهَ حِبالاً يَخيطونَ بِها المَراكِبَ عِوَضاً عن مَساميرِ الحَديدِ. ويَصنَعون منه الحِبالَ للمَراكِبِ.

والجَوْزَةُ منها - وخُصوصاً التي بجزائرِ ذِيبَةِ المُهْلِ[5] - تكونُ بِمِقْدارِ رأسِ

---

(١) القواعد: المدن الكبيرة المهمّة.

(٢) المقيمة: الدائمة.

(٣) المسرح: المرعى، المكان الذي تسرح فيه الماشية.

(٤) طرابلس القديمة كانت الجزء المعروف اليوم باسم «الميناء» (طرابلس البحرية). طرابلس الحديثة (الجديدة): طرابلس البلد.

(٥) راجع، فوق ص ٥٢٢، الحاشية الأولى.

الآدميّ. ويزعُمونَ أنّ حكيماً من حُكَماءِ الهِندِ في غابرِ الزَّمانِ كان مُتَّصِلاً بِمَلِكٍ من الملوكِ ومُعَظَّماً لَديْهِ، وكان لِلْمَلكِ وَزيرٌ بيْنَه وبَيْنَ هذا الحكيمِ مُعاداةٌ. فقال الحكيمُ للملكِ: «إنّ رأسَ هذا الوزيرِ إذا قُطِعَ ودُفِنَ تخرُجُ مِنه نَخْلَةٌ تُثْمِرُ بِثَمرٍ عظيمٍ يعودُ نفعُه على أهْلِ الهِندِ وسِواهُمْ من أهلِ الدُّنيا». فقال له الملكُ: «فإنْ لم يظهَرْ من رأسِ الوزيرِ ما ذَكَرْتَهُ؟» قال (الحكيم): «فإنْ لم يظهرْ فاَصْنَعْ برأسي كما صَنَعْتَ بِرأسِه».

فأمَرَ الملكُ برأسِ الوَزيرِ فَقُطِعَ. وأخَذَهُ الحكيمُ وغرَسَ نَواةَ تمرٍ في دِماغِهِ وعالَجَها حتّى صارتْ شَجَرَةً وأثْمَرَتْ بهذا الجَوْزِ.

وهذهِ الحِكايةُ مِنَ الأكاذيبِ، ولكنْ ذَكَرْناها لِشُهْرتِها عِنْدَهُمْ.

– مشعوذ في الصين:

..... وفي تلك الليلةِ حَضَرَ أحدُ المُشَعْوِذينَ[١]، فقال له الأميرُ: أرِنا من عجائِبِكَ. فأخَذَ (المشعوذُ) كُرَةَ خشَبٍ لها ثُقَبٌ وفيها سُيورٌ[٢] طِوالٌ فرَمَى بها إلى الهواء فاَرْتفعتْ حتّى غابتْ عنِ الأبصارِ، ونحنُ في وسَطِ المَشورِ[٣] أيّامَ الحرِّ الشديد. فلمّا لم يَبْقَ في يَدِهِ من السَّيْرِ إلّا (شيءٌ) يسيرٌ[٤]، أمَرَ مُتَعَلِّماً[٥] له فتَعَلّق بهِ وصَعِدَ في الهواء إلى أن غابَ عن أبصارِنا. فدعاه فلم يُجِبْهُ ثلاثاً[٦]. فأخَذَ (المشعوذُ) سِكْيناً بيَدِه كالمُغتاظِ وتعلّقَ بالسَّيْرِ (وصَعِدَ) إلى أنْ غابَ أيضاً. ثمّ (إنّه) رمَى بِيَدِ الصبِيِّ إلى الأرضِ، ثمّ رمى بِيَدِه الأُخرى ثمّ بِرِجْلِه الأخرى ثمّ بِجَسَدِه ثمّ بِرأسِه.

ثمّ هَبَطَ (المُشعوذُ) وهو ينفُخُ، – وثِيابُه مُلَطَّخَةٌ بالدَّمِ – فقَبّلَ الأرضَ بينَ يَدَيِ الأميرِ، وكلّمه بالصّينيّ، (فـ) أمَرَ له الأميرُ بِشَيْءٍ.

---

(١) شعبذ الرجل وشعوذ: برع في الآحتيال وفي إظهار الأشياء على غير حقيقتها.

(٢) السيور جمع سير (بالفتح): قطعة من جلد مقدودة بعرض الإصبع أو نحو ذلك، ولكن طويلة كالحبل.

(٣) المشور ليست في القاموس بمعنى يوافق موقعها في هذا النّص. والمقصود مجلس ضاحٍ (في الخلاء) يجلس فيه الأمير.

(٤) يسير: قليل.

(٥) المتعلّم: صبيّ يقوم بين يَدَيْ أحد أرباب الصنائع ليتعلّم منه صنعته. وكأنّ الكلمة الفرنسية apprenti مأخوذة من معنى هذه الكلمة العربية. والإنكليز قالوا: apprenticed من نظرهم إلى الكلمة الفرنسية.

(٦) اقرأ: فدعاه ثلاثاً فلم يجبه.

ثمّ إنّه أخَذَ أعضاءَ الصَّبِيِّ فألْصَقَ بعضَها بِبَعْضٍ ، وركَضَهُ(١) برِجْلِه فقامَ سَوِيًّا. فعَجِبْتُ منه وأصابني خَفَقانٌ(٢)، فسَقَوْني ما أذْهَبَ عنّي ما وَجَدْتُ.

وكان القاضي فَخْرُ الدين إلى جانِبي ، فقالَ لي: واللهِ ، ما كانَ من صُعودٍ ولا نُزولٍ ولا قَطْعُ عُضْوٍ، وإنّما ذلك شَعْوَذَةٌ.

٤- تحفة النظّار.... (رحلة ابن بطّوطة) (تحرير ديمفريمري وسانغوينيتّي)، باريس (المطبعة الأهلية) ١٨٥٣ - ١٨٥٨ م (١٢٧٠ هـ وما بعد)، الطبعة الثانية ١٨٦٩ - ١٨٧٩ م، الطبعة الثالثة ١٨٩٣ - ١٨٩٥ م؛ القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٨٧ - ١٢٨٨ هـ؛ القاهرة (مصطفى فهمي) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة التقدّم) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ؛ بيروت (دار بيروت) ١٩٦٠ م.

** تحفة النظّار (آختصار محمّد فتح الله بن محمود البيلوني العمري الأنصاري)، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٨ هـ، (طبع حروف) ١٢٧٩ هـ.

- مهذب رحلة ابن بطّوطة المسمّاة «تحفة النظّار» (وقف على تهذيبها أحمد العوامري ومحمّد جاد المولى)، (بلا تاريخ)، القاهرة (المطبعة الأميريّة) ١٩٣٣ - ١٩٣٤ م.
- ذيل على فصل الأخيّة (؟) الفتيان التركية لابن بطوطة، بقلم جودت محمّد، استانبول ١٣٥١ هـ (راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٦).
- رحلة ابن بطّوطة، تأليف محمّد مصطفى زيادة، القاهرة (   ) ١٩٣٩ م.
- ابن بطّوطة، تأليف فؤاد بدوي، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٦٧ م.
- أدب الرحلة: تاريخه وأعلامه: المسعودي - ابن بطّوطة - الريحاني، تأليف جورج غريّب، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.
- ابن بطّوطة، تأليف فؤاد أفرام البستاني، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٧ م.

الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٣: ٤٨٠ - ٤٨١؛ نفح الطيب ١: ١٥٢، ١٧٥ - ١٧٦، ٧: ٣٣٧ - ٣٣٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣٥ - ٧٣٦؛ بروكلمن ٢: ٣٣٢ - ٣٣٣، الملحق ٢: ٣٦٥ - ٣٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٤ (٦: ٢٣٥ - ٢٣٦)؛ معجم المؤلّفين لكحّالة ١٠: ٢٣٥ - ٢٣٦؛ سركيس ٤٨ - ٤٩؛ النبوغ المغربي ٢١٢ - ٢١٣؛ الأدب المغربي ٤١٢ - ٤١٧.

---

(١) ركض الرجل الحجر برجله: ركله، صدمه، دفعه.
(٢) الخفقان: شدّة النَّبْض (بفتح فسكون): شدّة ضَرَبات القلب وسرعتها.

أبو جعفر الغرناطيّ الرعينيّ[1]

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ يوسفَ بنِ مالكِ بنِ اسماعيلَ الغَرناطيُّ الإلبيريّ الرُّعينيّ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٠٨ أو ٧٠٩ هـ (١٣٠٨ - ١٣١٠ م). قرأ القُرآنَ بالسَّبْعِ على أبي الحسنِ عليِّ بنِ إبراهيمَ القيجاطي، والحديثَ على أبي عبد اللهِ محمّدِ بنِ عليٍّ الخولانيّ الإلْبيري، والفِقهَ على أبي عبدِ الله البيّاني. وكانتْ وفاتُه في مُنْتَصَفِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٧٧٩ (١٣٧٨/١/١٦ م).

٢ - أبو جعفرٍ الغَرْناطيُّ الرُعَيْنيُّ عانى الأدب مُدّةً حتّى بَرَعَ فيه. ولكنّ أدبَه ظلّ أدبَ شروحٍ ومُعارضاتٍ واقتباسٍ من القرآنِ ومن الحديثِ ومن أقوالِ الشعراءِ ومن موضوعاتِ النحوِ والبلاغة في مقطّعاتٍ من بَيْتَيْنِ وثلاثةٍ وأربعة. وفي شذرات الذهب أنّه كان كثيرَ التأليف في العربية (النحو) وغيرِها. وكان قد شَرَحَ بديعيّة رفيقهِ ابن جابرٍ الأندلسِيِّ وسَمّاها «طِرازَ الحُلّة وشِفاء الغُلّة» (نفح الطيب ٢ : ٦٧٦).

٣ - مختارات من آثاره

- لأبي جعفر الغَرْناطيُّ الرُعيني مُقطّعاتٌ منها:

★★ أبدتْ لِيَ الصُدْغَ على خَدّها، فأطْلَعَ الليلُ لنا صُبْحَهُ[2].
فخَدُّها مَعْ قَدِّها قائلٌ (هذا شُقيقٌ عارضٌ رُمْحَهُ)[3].

★★ حِمْصٌ لمن أضْحى بها جنّةٌ يدنو لَدَيْها الأملُ القاصي[4].
حَلّ بها العاصي. ألا فاعْجَبوا من جَنّةٍ حلّ بها العاصي[5]!

---

(١) راجع عدداً من تفاصيل حياته في ترجمة رفيقه ابن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠).

(٢) الصدغ، في الأصل، ما فوق الخدّ. و (هنا) الشعر الذي يتدلّى إلى جانب الجبهة. - فظهر بياض خدّها من خلال شعرها.

(٣) قدّها: قوامها الذي يشبه قوام الرمح. والعجز اقتباس، (تضمين ناقص) من قول الشاعر:
جاء شقيق عارضاً رمحه إنّ بني عمّك فيهم رماح.

(٤) حمص المدينة الشاميّة على نهر العاصي. جنة: روضة ذات أنهار وأشجار.

(٥) العاصي (الأولى) نهر العاصي. العاصي (الثانية): المذنب. الجنّة (الثانية): جنّة الخلد في الآخرة.

★★ ومُورّدِ الوجَناتِ دبّ عِذارُهُ، فكأنّــه خَـطٌّ عـلى قُرْطـاسِ [1].
لمّا رأيتُ عِذارَه مُسْتَعْجِلاً قد رامَ يُخْفي الوردَ منه بآس [2]،
ناديتُـه: قِـفْ كي أُودّعَ وَرْدَهُ؛ (ما في وقوفِك ساعةً من باس)[3].

★★ يا راحلاً يَبْغي زِيارةَ طَيْبةٍ، نِلْتَ المُنى بزِيارة الأخيار[4]،
حَيِّ العقيـقَ إذا وَصَلْتَ وصِفْ لنا وادي مِنَى، يا طَيِّبَ الأخبار[5].
وإذا وَقَفْتَ لَدى المُعَرَّفِ داعياً زال العَنا وظَفِرْتَ بالأوطار[6].

★★ هذه رَوْضَةُ الرسولِ، فدَعْني أبذُلِ الدمعَ في الصَّعيدِ السعيدِ[7].
لا تَلُمْني على انْسكابِ دُموعي؛ إنّما صُنْتُها لهذا الصعيد.

★★ حَسِّنِ النِّيَّـةَ مـا اسْطَعْتَ ولا تَتَّبعْ في الناسِ أسبابَ الهوى.
إنّما الأعمالُ بالنيّـــــاتِ، مَنْ يَنْوِ شيئاً فله ما قد نوى[8].

★★ قالتْ، وقد حاولتُ نَيْلَ وِصالِها: من غيرِ شيءٍ لا تَجوزُ المسألهْ؛
بـاللهِ، قُلْ لي: أين نَحْوُك، يا فَتَى؟ أرأيتَ مَوْصولا يَجيءُ بلا صِلهْ[9]!

★★ لا تُعـادِ النـاسَ في أوطانِهم؛ قلّما يُرْعى غَريبُ الوَطَنِ.
وإذا مـــا شِئْـــتَ عَيْشاً بَيْنَهُمْ (خالقِ الناسَ بِخُلْقٍ حَسَنِ)[10].

---

(١) العِذار: الشعر النابت في الوجه: كأنّه خطّ (أسود) على قرطاس (ورق أبيض).
(٢) الورد: احمرار الخدّين. الآس نبت أوراقه شديدة الخضرة. والعرب تسمّي الأسود أخضر.
(٣) العجز تضمين من مطلع قصيدة لأبي تمّام:

مـا في وقوفـك ساعـة من بـاس نقضي ذمـام الأربـع الأدراس.

(٤) طيبة: المدينة (مدينة الرسول).
(٥) العقيق وادٍ قرب المدينة يتنزّه فيه الناس. منى: مكان قرب مكّة يبيت فيه الحجّاج بعد النفر (بفتح فسكون: النزول من جبل عرفة).
(٦) المعرّف: عرفة: جبل يقف عليه الحجّاج يوم التاسع من ذي الحجّة.
(٧) الروضة: مكان قبر الرسول. الصعيد: الأرض، التراب. السعيد (لأنّه ضمّ جسد الرسول).
(٨) في الحديث: إنّما الأعمال بالنيّات. وإنّما لكلّ امرىء ما نوى....
(٩) أين علمك بالنحو! هل يمكن أن يأتي اسم موصول بغير صلة (جملة تتمّ معناه: رجع القائد الذي ربح المعركة - «ربح المعركة» صلة لاسم الموصول «الذي») وفي «الموصول» تورية: المحب الذي استجاب له حبيبه ثم الكلمة النحوية (الذي، التي، الخ).
(١٠) العجز تضمين.......

- وله في مقدّمة شَرحِه لِبَديعيّة رفيقِهِ ابنِ جابرٍ الأندلسيّ:

.... نادرةٌ في فَنّها فريدةٌ في حُسْنها، يُجْنى ثَمَرُ البلاغةِ من غُصْنها وتَنْهَلُّ سواكبُ الإجادةِ من مُزْنِها. لم يُنْسَجْ على مِنْوالِها[1] ولا سَمَحَتْ قريحةٌ بِمِثالها. رأيتُ أن أضعَ لها شرْحاً يَجْلو عرائسَ مَعانيها لِمُعانيها[2]، ويُبدي غرائبَ ما فيها لِمُوافيها[3]. لا أُمِلُّ الناظرَ فيه بالتطويلِ ولا أُعَوِّقُه بكَثْرة الاختصار عن مدارِك التحصيل. فخيرُ الأمورِ أوْسَطُها، والغَرَضُ ما يُقَرّبُ الأمورَ ويَضْبِطُها. فأُعِرْبُ من ألفاظها كلَّ خَفِي وأسكُتُ من لُغاتِها عنْ كلّ جَلِيّ[4]..

٤- ★★ المنهل الصافي ١: ٢٩٩؛ الدرر الكامنة ١: ٣٦١-٣٦٢ (١: ٣٤٠)؛ الوافي بالوفيات ٨: ٣٠٥-٣٠٧، راجع ٦: ٣٠٥-٣٠٧؛ بغية الوعاة ١٧٦ (راجع ١٤)؛ شذرات الذهب ٦: ٢٦٠-٢٦١؛ نفح الطيب ١: ٤٤، ٤٧، ٩٠، ٢: ٥٦٥، ٦٧٥-٦٧٧، ٦٨٠، ٦٨٤ وما بعد، ٦٨٧ وما بعد، ٤: ٢٨٨-٢٨٩، ٧: ٣٤٧-٣٤٨، ٣٧٦-٣٧٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٠ (٢٧٤).

ابن جابر الأندلسيّ

١- هو شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عليِّ بنِ جابرٍ الهوّاريُّ الأندلسيُّ المَرِيِّيُّ الضريرُ، وُلِدَ في المَرِيَّةِ سَنَةَ ٦٩٨ (١٢٩٨-١٢٩٩ م).

قرأ ابنُ جابرٍ القرآنَ على محمّد بنِ أبي العيش[5] والحديثَ على محمّدِ الزَواوي والفِقْهَ على محمّدِ بنِ سعيدٍ الرُّنْديّ، ثمّ رَحَلَ- وهو في مَطْلَعِ حياتِه- إلى مِصْرَ، ومَعَهُ أبو جَعْفرٍ الغَرناطيّ (كان ابنُ جابرٍ يَنْظِمُ وأبو جعفرٍ يُدوّنُ له نَظْمه)، وقد عُرِفا بالأعمى والبصير. وفي مِصْرَ سَمِعَ الرفيقانِ من أبي حيّانَ الغَرْناطي (ت ٧٤٥).

---

(١) المزن: المطر. المنوال: آلة لحياكة النسيج. لم ينسج أحد على منوالها: لم يصنع أحد مثلها.
(٢) المُعاني: الذي يجهد نفسه في فهم الشيء أو عمله.
(٣) الموافي: الواصل (الذي يصل إلى هذه البديعية ويقرأها ليفهم ما فيها).
(٤) لغاتها: ألفاظها المختلفة (والدالّة على معنى واحد، أو على معان متقاربة). الجليّ: الواضح.
(٥) كذا في الوافي بالوفيات وفي نكت العميان. وفي بغية الوعاة: ابن يعيش.

ثمّ حجّ الرفيقانِ واستأنفا الرِّحلةَ إلى الشام، سنة ٧٤١، ونَزَلا دِمَشْقَ فَسَمِعا فيها جانباً من صحيح البُخاري مِنَ الحافِظ يوسفَ بن عبدِ الرحمن المِزّيّ (ت ٧٤٢). وانتهز الرفيقانِ فرصةَ موتِ المِزّي فانتقلا إلى حَلَبَ، سَنَة ٧٤٣، وجَعَلا يُحَدّثانِ بصحيحِ البخارى. ثم انتقلا إلى البِيرَةِ (على الفُرات، قرب سُمَيْساط).

ثمّ اتّفق أن تَزَوّجَ ابنُ جابرٍ فاختَلّتْ صُحْبَتُهما وافترقا. وتُوُفّي أبو جعفرٍ سَنَةَ ٧٧٩ فرثاه ابنُ جابرٍ. أمّا ابنُ جابرٍ فكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٧٨٠ (١٣٧٨ - ١٣٧٩ م) في البِيرة.

٢- ابنُ جابرٍ الأندلسيُّ أديبٌ ناثرٌ وشاعرٌ، وله إلمامٌ بالحديث وبَراعةٌ في اللغة والنحو والعَروض والبلاغة. وهو شاعرٌ مُكْثِرٌ له مُقطّعاتٌ حِسانٌ. وقدِ اشتهر بقصيدتهِ «بديعيّة العُميانِ» أو الحُلّة السِيَرا في مدح خيرِ الورى[1]، وهي مِائَةٌ وسَبعةٌ وسبعونَ بيتاً جَمَعَ فيها خمسينَ وَجْهاً من البديع (الصِّناعة اللفظية). هذه القصيدةُ نازلةٌ عن مُستوى الشعرِ الجيّد لأنّ ناظمَها تكلّف فيها ما مِنْ شأنِه أن يجعَلَ الشعرَ مُتَخَلْخِلاً ضعيفاً. ثمّ هو مُصنّفٌ شَرَحَ بديعيّتَهُ وشَرَحَ ألفيةَ ابنِ مالكٍ وألفيةَ ابنِ مُعْطٍ. وله من الكتب: كتابُ الغَيْن في مدحِ سيّد الكَوْنين (مجموعُ مدائحَ في الرسولِ مرتّبةٌ على الحروف) - رسالةٌ في السِيرة ومَوْلِدِ النبيّ - المِنْحَة في اختصارِ المُلْحة[2]. ثمّ له قصائدُ وأراجيزُ منها: وَسيلةُ الآبِقِ) في أسماءِ الصَحابة والتابعين على ما ذَكَرَ أبو نُعيم[3] - غايةُ المَرام في تَثْليث الكلام - في العَروض - في النحو - في المقصور والممدود - مدح المدينة.

---

(١) قال ابن حجّة الحموي (٧٦٧ - ٨٣٧ هـ) في «بديعيّة العميان» ما يلي (خزانة الأدب، مصر ١٣٠٤هـ، ص ١٢): «.... وجدتّه صرّح في براعتها (في مطلعها الذي تكون فيه براعة الاستهلال، أي الابتداء الجيّد الموافق) بمدح النبي صلّى الله عليه وسلّم.... فهذه البراعة ليس فيها إشارة تشعر بغرض الناظم وقصده، بل أطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكَلِم. فإن. قال قائل: إنّها براعة استهلال. قلت: إنّ البديعيّة لا بدّ لها من براعة (استهلال) وحسن تخلص (حسن انتقال من موضوع إلى موضوع) وحسن ختام. فإذا كان مطلع القصيدة مبنيًّا على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلّص محلّ ولا موضع. ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة إلى طريق الجماعة (أصحاب البديعيّات). غير أنّ الشيخ الإمام العلّامة شهاب الدين أبا جعفر الأندلسيّ شرحها شرحاً مفيداً».

(٢) ملحة الاعراب (منظومة في النحو للمبتدئين) للحريري (ت ٥١٦).

(٣) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ) من حفّاظ الحديث ومن المؤرّخين لرجاله. له كتب منها: كتاب معرفة الصحاب.

٣- مختارات من آثاره

- من بديعيّة العُميان:

كافي الأراملِ والأيتامِ كافِلُهُمْ، وافي النَّدى لِمُوافي ذلك الحَرَمِ (١).

دَعْ عنكَ سَلْمى وسَلْ ما بالعقيق جَرى وأُمَّ سَلْعاً وسَلْ عن أهلهِ القُدُمِ (٢).

من لي بِدارِ كِرامٍ في البِدارِ لها عِزٌّ، فَمَنْ قَدْ لَهَا عن ذاك يُهْتَضَمِ (٣).

بانوا فهانَ دمي وَجْداً فها نَدَمي، فقد أراقَ دَمي فيما أرَى قَدَمي (٤).

وحَقِّهِمْ، ما نَسِينا عهدَ حُبِّهِمُ ولا طَلَبْنا سِواهُم. لا، وحَقِّهِمِ (٥).

مَنْ لي بِمُسْتَسْلِمٍ للبِيدِ مُعْتَصِمٍ بالعِيسِ لا مُسْئِمٍ يوماً ولا سَئِمِ (٦).

ذو مِرَّةٍ فاسْتوى حتّى دَنا فرأى وقيل: سَلْ قَدَ خُيِّرتَ فاحْتَكِمِ (٧).

واسْهَرْ إذا نامَ سارٍ وامْضِ حيثُ وَنى واسمَحْ إذا شَحّ نَفْساً واسْرِ إنْ يُقِمِ (٨).

---

(١) الوافي: الراجح، الكثير. الموافي: القادم، الواصل إلى. الحرم: المكان المحرّم، المقدّس (مكّة أو المدينة).- جناس ناقص بين: كافي وكافل ثمّ وافي وموافي.

(٢) العقيق: مرج في المدينة. بالعقيق: بالأحمر: (الدمع) الممزوج بدم. أمّ: قصد.
سلع: اسم مكان في الحجاز.- جناس تامّ مركّب (من كلمتين) بين سلمى وسل ما ثمّ بين سل عن وسلعا.

(٣) البدار: الإسراع. لها يلهو: غفل، اشتغل عن الأمر، نسي. اهتُضم: وقع عليه ظلم.- جناس تامّ: بدار (في دار) وبدار (إسراع). لها (فعل ماضٍ)، لها (جار ومجرور).

(٤) بانوا: بعدوا، سافروا. هان: رخص، ذلّ. وجداً: اشتياقاً. ها: أداة التنبيه من هذا (اسم إشارة).- جناس تامّ مركّب أيضاً: فهان دمي، فها ندمي. ثمّ أراق دمي، أرى قدمي (أرى قدمي أراق دمي جلة قديمة معروفة، فيما أعتقد).

(٥) وحقّهم (الواو: للقسم. حقّهم: مجرور بالباء)- ردّ الإعجاز على الصدور بين «وحقّهم ما» و «لا وحقّهم».

(٦) مستسلم للبيد (جمع بيداء، أرض واسعة مقفرة): ملقٍ بنفسه غير مهتمّ بالخطر. معتصم بالعيس (النياق): معتمد على الناقة التي يركبها لتقطع به تلك المسافات الطوال. المسئم: الذي يجعل غيره يَملّ. السئم: الذي ملّ من طول المسير.- سجع (قافية في وسط البيت: مستسلم ومعتصم ثمّ مسئم وسئم).

(٧) مِرّة: (قوّة، أو منظر حسن). ذو قوّة: جبريل. استوى: استقرّ. دنا: اقترب.- اقتباس من القرآن﴿ذو مِرّة فاستوى، فهو بالأفق الأعلى، ثمّ دنا فتدلّى﴾(٥٣: ٦ - ٨، سورة النجم).- في حديث الإسراء والمعراج: وصل محمّد رسول الله مع جبريل إلى قرب عرش الرحمن.

(٨) سارٍ: سائر في الليل. ونى: كلّ وتعب. أسْرِ: (فعل أمر من أسرى (سار ليلاً). أقام: لبث، بقي في مكانه.- طباق (معان متضادّة) بين سهر ونام ثمّ أمض وونى، ثمّ اسمح وشحّ (بخل)، ثم أسر ويقم.

إلى نَبيٍّ رأى ما لا رأى مَلَكٌ وقام حيثُ أمينُ الوَحْيِ لم يَقُم[1].
فابْيَضَّ بعدَ سوادٍ قلبُ مُنْتَصِرٍ، واسْودَّ بعد بياضٍ وَجْهُ مُنْهزم[2].
يمِّمْ نَبِيًّا تُبارى الريحَ أُنْمُلُهُ والمُزْنَ من كلّ هامي الوَدْقِ مُرْتَكِم[3].
تَكادُ تشهَدُ أن اللهَ أرسلَهُ
إلى الورى نُطَفُ الأبناء في الرَّحِمِ[4].
تُحيطُ كفّاهُ بالبحر المُحيط، فلُذْ بهِ ودَعْ كلَّ طامِ الموجِ مُلْتَطِمِ[5].
مِن أعْرَبِ العُرب، إلّا أنّ نِسْبَتَه إلى قُرَيشٍ حُماةِ البيتِ والحَرَمِ[6]،
لا عيبَ فيهم سوى أن لا ترى لَهُمُ ضيفاً يجوعُ ولا جاراً بمُهْتَضَمِ[7].
عِيبَتْ عِداهُمْ فزانوهُمْ بأنْ تَركوا سَيوفَهُمْ وَهْيَ تِيجانٌ لِهامِهِمِ[8].
تجري دِماءُ الأعادي من سُيوفِهِمُ مِثْلَ المواهبِ تجري من أكُفِّهِمِ[9].
إذا بدا البدرُ تحتَ الليلِ قُلْتُ له: أأنتَ يا بدرُ أم مَرأى وُجُوهِهِم[10]!

(١) الملك (بفتح ففتح): واحد الملائكة. أمين الوحي جبريل. - طباق بالنفي: رأى ولا رأى ثمّ قام ولم يقم.

(٢) طباق: أبيض واسودّ، سواد وبياض، منتصر ومنهزم. وعكس (تعبيران أحدهما ضدّ الآخر).

(٣) يمّم: اقصد. تباري: تنافس، تسابق. أنمله: أصابعه (يده، كناية عن الكرم). المزن: المطر. هامي الودق (البرق): الماء الساقط من السحاب بعد البرق (ويكون عادة غزيراً). مرتكم: السحاب المتراكم (فيه ماء كثير). - مبالغة (لأنّ الإنسان لا يمكن أن يكون أكرم من المطر الذي هو من كرم الله!).

(٤) الورى: البشر، مجموع الناس. النطفة: ماء الرجل قبل أن ينعقد في رحم المرأة ليصبح جنيناً. - مبالغة وغلوّ.....

(٥) البحر المحيط: الأقيانوس، البحر العظيم. لاذ يلوذ: لجأ. دع: اترك (الاستقاء) من كل طامي الموج (البحر المملوء بالأمواج). ملتطم: يضرب بعض موجه بعضا. - مبالغة.

(٦) من أعرب العرب: من أنقى العرب نسباً. - تأكيد المدح بما يشبه الذمّ (انتقل هنا من مجموع العرب إلى قبيلة منهم).

(٧) مهتضم: مظلوم. - تأكيد المدح بما يشبه الذمّ (لا عيب فيهم: مدح. ضيفهم يجوع: ذمّ. ضيفهم لا يجوع: يشبه الذمّ).

(٨) الهامة: الرأس. المقصود هامهم تيجان لسيوفهم. - تأكيد الذمّ بما يشبه المدح. تزيين السيوف برؤوس الأعداء ذمّ للأعداء، ولكنّ ظاهره (زانوا، زيّنوا، تيجان) مديح.

(٩) المواهب: العطايا. - استتباع: جعل الشاعر جري المواهب من الأكف (وهو مجاز، استعارة) مثل جري الدماء من السيوف (وهو حقيقة).

(١٠) تجاهل العارف: هو يعرف أن الذي يراه هو بدر السماء، ولكنّه يتجاهل ذلك (وهو عارف بالحقيقة) لأنّ وجوههم أجمل من البدر.

- وقال في الذين يتّخذون الخُضْرة لِباساً للدلالة على أنّهم من نَسْلِ رسولِ الله:

جَعَلوا لأبنــاءِ الرسولِ عَلامــةً. إنّ العلامــةَ شأنُ مَنْ لَمْ يُشْهَرِ.
نورُ النُبوّةِ في كريمِ وُجوهِهِمْ يُغني الشريفَ عن الطِّرازِ الأخْضر.

- وله مقاطعُ منها:

★★ يا أهلَ طَيْبَةَ، في مَغْناكُمُ قَمَرٌ يَهْدي إلى كلِّ محمودٍ من الطُّرُق[١]:
كالغَيْث في كَرمٍ، واللَّيْثِ في حَرَمٍ، والبدرِ في أُفُقٍ، والزَّهْرِ في خُلُق[٢]!

★★ ولمّا وَقَفْنا كي نُودِّعَ مَنْ نأى ولم يَبْـقَ إلّا أنْ تُحَثَّ الركائبُ،
بَكَيْنـا. وحَـقٌّ للمُحِـبِّ إذا بكى عَشيّـةَ سارتْ عن حِماه الحبائب.

★★ مَنَعَتْنــا قِرى الجِمَال وقالــتْ: ليسَ في غيرِ زادِنا من مَجالِ[٣].
فأقَمْنــا عــلى الرِّحــالِ وقُلنــا: مـا لنـا حاجـةٌ بحَـطِّ الرحال[٤]!

- وكتب تعليقاً على كتاب نسيم الصَّبا [٥] منه:

لمّا وَقفْتُ على الفُصولِ المَوْسومةِ بنَسيم الصَّبا المرسومةِ في صَفَحات الحُسْنِ فإذا أبْصرَها اللبيبُ صَبا[٦]، انْتَعَشَ بها الخاطرُ انتعاشَ النَّبْتِ بالغَمامِ وهَمَتْ[٧] سَحائبُ بيانِها فأثْمَرَتْ حدائقَ الكلام. وأخْرَجَتْ أرضُ القَرائحِ ما فيها من النبات..... فصولٌ هي للحُسْنِ أصولٌ، وشَمولٌ لها على كلّ قلبٍ شُمول[٨]. ليس لقُدامةَ على التقدّم بها حُصولٌ[٩]، ولا لسَحْبانَ لِأنْ يَسْحَبَ ذَيْلَها وُصولٌ[١٠]. ولا انتهى قَسٌّ الأَياديّ لهذه

---

(١) طيبة: مدينة الرسول. قمر (كناية عن الرسول).
(٢) الليث: الأسد. حرم: المكان الذي يأوي إليه الأسد (لا يجسر أن يقترب أحد منه).
(٣) رفضتْ أن تمتّعنا بجمالها وسمحتْ بأن تقدّم لنا الطعام إذا نحن نزلنا بها ضيوفاً.
(٤) .... عندئذ بقينا على سروج خيلنا وقلنا لها: لا حاجة بنا إلى النزول ضيوفاً عليها.
(٥) «نسيم الصبا» كتاب في وصف الطبيعة والحياة الإنسانية في أسلوب أنيق مسجّع لبدر الدين أبي محمّد الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي الحلبي (٧١٠ - ٧٧٩ هـ).
(٦) اللبيب: العاقل. صبا: مال، اشتاق.
(٧) همى المطر يهمي: انهمر، سقط غزيراً.
(٨) الشَّمول: الخمر الباردة. الشُّمول (مصدر): عموم، إحاطة.
(٩) قدامة بن جعفر البغدادي (ت ٣٢٧) كاتب بليغ له كتاب «نقد الشعر».
(١٠) سحبان وائل (ت ٥٤) خطيب مخضرم (عاش في الجاهلية وفي الإسلام) مشهور بالفصاحة.

الأيادي (١)، ولا ظَفِرَ بديعُ الزمانِ (٢) بهذهِ البدائعِ الحِسان........

– لِآبنِ جابرِ الوادي آشيٍّ الضريرِ مقصورةٌ نلمَحُ في نَفَسِها شيئاً من مقصورة آبنِ دُريدٍ (ت ٣٢١ هـ)، ولكنّها في بنائها مُعَشّراتٌ (كلُّ مقطعٍ منها عَشْرَةُ أبياتٍ). وفي قوافيها خاصّةٌ هي: جميعُ أبياتها مختومةٌ بألفٍ مقصورةٍ ثمّ كلّ مَقْطَعٍ من عَشْرةِ أبياتٍ مبنيٌّ على رَوِيٍّ (قبلَ الألفِ المقصورة) هو أحدُ أحرُفِ الهجاء على التوالي: الهمزةُ، الباءُ، التاءُ، الثاءُ الخ، كما سنرى. ولكنّ المقطعَ الذي على رَوِيٍّ الغينِ المنقوطة سبعةُ أبياتٍ فقط. ثمّ تأتي ثلاثةُ مقاطعَ، بعدَ المقطع الذي على روَيٍّ الياءِ، والذي يجب أن يكونَ المقطعَ الأخيرَ، أوّلُها أربعةُ أبياتٍ على رويٍّ اللامِ وثانيها تسعةُ أبياتٍ على رويٍّ الراءِ ثم مقطعٌ من سبعةِ أبياتٍ على رويّ الدالِ. ومجموعُ أبياتِ هذه المقصورة مِائَتانِ وسبعةٌ وسبعونَ.

والموضوع الغالبُ على هذهِ المقصورةِ «مدحُ الرسول»، وإنْ كان فيها أشياءُ من الغَزَل والأدَب (الحِكمة) والتاريخ. راجعْ بناء القوافي في المُختارات اليسيرة التالية (نفح الطيب ٧: ٣٠٦–٣٢٣):

بـادَرَ قلـبي للهوى ومـا آرتـأى ... لمّا رأى من حُسْنِها ما قد رأى.
فقرّبَ الوَجْـدُ لقلـبي حُبَّهـا، ... وكـان قلبي قبلَ هذا قد نأى....
يـا رُبَّ ليـلٍ قد تعاطَيْنا بـه ... حديـثَ أُنْسٍ مثلَ أزهارِ الرُّبى
في روضـةٍ تعانقـتْ أغصانُهـا، ... إذ واصلـتْ ما بَيْنَها ريحُ الصَّبا؛
أيـامَ كـان العيشُ غضًّا حُسْنُـه ... عَذْبَ الجَنى ريّانَ من ماء الصِّبا....
تـاللهِ، لا أعيا بعيشٍ قد مضى، ... ولا زمـانٍ قـد تعـدّى وعَتـا (٤)،
مُـذْ عَلِقَـتْ كفِّيَ بالهادي الـذي ... سادَ الورى طِفْلاً وكَهْلاً وفـتى.
إنّ رسولَ الله مِصبـاحُ هُـدًى ... يُهْدى به مَنْ في دُجى الليل مَتا (٣)....

---

(١) قسّ بن ساعدة الأيادي (ت ٢٢ قبل الهجرة) خطيب جاهلي مشهور. الأيادي: النعم والعطايا.

(٢) بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨–٣٩٨ هـ) مؤسّس فنّ المقامات.

(٣) عتا: ظلم وتجبّر.

(٤) متا: مشى وأسرع.

إنْ تحسبِ الرُّسْلَ سماءً قد بدَتْ، فإنّــه في أُفْقِهـا نجمُ هُـدَى.
واسطـةُ القومِ إذا مـا نُظِموا، ومَلْجأ القومِ إذا الخَطْب عَدا.....
يا مُجْتبىً من خير قومٍ حَسَباً فـيما أتـى من زَمَنٍ وما مضى،
آخْتــارَك اللهُ رسولاً هاديــاً. أكرمْ بما آختارَ لنا وما آرتضى.
عَجِبْــتُ للأيــامِ: مَن عزّ بهـا ذلّ، ومَنْ يضحَكْ بها يوماً بكى.
وكم صريــعٍ غـادرتْ ليسَ لـه مِنْ ملجأٍ يوماً ولا من مُشْتَكى.
عَـدَتْ علىَ نفس عَدِيٍّ، وسقتْ منها آبْنَ حُجْرٍ كأسَ سُمٍّ كالذَّكا[(١)]....
لم يأمنِ المأمونُ من صَوْلَتِهـــا، ولا آبْنُ هنـدٍ من عواديها خَلا[(٢)].
وغالــتِ الزبّــاءَ في مِنعتهـا فأظْفرتْ عمْراً بهـــا فما ألا[(٣)].
وأهلكـتْ عـاداً وأفنَتْ جُرْهُماً وزوّدتْ منها تميماً بالصَّلى[(٤)].....
والآنَ قـد أكمَلْتُهـا في مدحـهِ مقصورةً يقصُرُ عنها مَنْ خلا[(٥)].
ضمّنتُهـــا من كـلِّ فنٍّ دُرَراً نظماً، فأضحتْ من نَفِيساتِ الحُلى.
حَلَّيْتُهـا جيــدَ مَعاليــهِ، ومـا أملحَ حَلْيَ المَدْحِ في جيدِ العُلا!

٤- بديعيّة العميان أو الحلّة السيرا في مدح خير الورى (عني بنشرها عبد الله مخلص) القاهرة (المطبعة السلفية ومكتبتها) ١٣٤٧ هـ؛ (طبعت مع: سبيل الرشاد إلى نفع العباد لأحمد عبد المنعم الدمنهوري) مصر ١٣٠٥ هـ.

★ خزانة الأدب لابن حجّة الحموي (مصر ١٣٠٤ هـ، ص ١٢)؛ نكت الهميان ٢٤٤-٢٤٦؛ الوافي بالوفيات ٢: ١٥٧-١٥٨؛ فوات الوفيات ٢: ٦٨-٧٣؛

---

(١) عديّ بن زيد قتله النعمان بن المنذر في الجاهلية. ابن حجر: امرؤ القيس. الذكا: اتّقاد النار واشتداد لهيبها.

(٢) المأمون العباسي (؟). ابن هند: معاوية بن أبي سفيان.

(٣) الزبّاء ملكة عربية (في الجاهلية) حاصرها عمرو بن عديّ ليقتلها (في حديث طويل) فأنتحرت بالسمّ مختارة.

(٤) عاد وجرهم من القبائل الجاهلية البائدة (التي انقرضت). كان النعمان قد أحرق جماعة من بني تميم بالنار.

(٥) في هذا البيت ما يدلّ على أن ابن جابر قد أراد مدح أحد معاصريه بهذه المقصورة.

؛ بغية الوعاة ١٤ ، راجع ١٧٦ ؛ نفح الطيب ١ : ٣٨ ، ٢ : ٣٨٧ ، ٦٦٤ - ٦٧٥ (مع شيء من الاستطراد)، ٦٨٠ - ٦٩٠ ، ٤ : ٣٢٠ - ٣٢١ ، ٥ : ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٤٧١ ، ٦٠٤ ، ٦ : ١٧٢ ، ٢١٣ ، ٧ : ٣٠٢ - ٣٢٦ ، ثمّ معارضات له ٣٣٧ - ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ - ٣٧١ ؛ شذرات الذهب ٦ : ٣٦٨ ؛ دائرة المعارف الإسلامية بروكلمن ٢ : ١٤ - ١٥ ، الملحق ٢ : ٦ ؛ سركيس ٦٠ - ٦١ ؛ الداية ٥٣٧ - ٥٣٩ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٥ - (٥ : ٣٢٨).

محمّد بن يوسف الثغري التلمسانيّ

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ يوسفَ القيسيُّ الثَّغْريُّ، وُلِدَ في تِلِمْسانَ ونشأ فيها. وقد أدرك دولةَ بني زيّانَ في دَوْرِها الأولِ ودورها الثاني، وكان وثيقَ الصِّلة بِبَلاطَيْها: ألقى قصيدةً في المَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشريفِ (٧١٧ هـ = ٩/١٠/١٣٦٩ م)[1]، في عهدِ أبي حمّو موسى الأولِ بنِ عُثمانَ (من سلاطين الدور الأوّل) ثمّ كان من شُعراءِ أبي حمّو موسى الثاني بن يوسفَ (٧٦٠-٧٩١ م) من سلاطين الدورِ الثاني. فإذا نحن قَبلنا هاتَيْنِ الروايتَيْنِ، وَجَبَ أن يكونَ محمّدٌ الثَّغْري هذا قد عاش مُدّةً طويلةً جِدًّا، وأنْ يكونَ قَدْ وُلِدَ سَنَةَ ٦٩٠ هـ (إذا نحن فَرَضْنا أن يكونَ قد ألقى قصيدَتَهُ تلك وعُمْرُهُ خمسٌ وعِشرون سَنَةً فقط). ثمّ لا يجوزُ أن يكونَ قد أدْرَكَ أحداً بعدَ أبي حمّو الثاني.

وتقعُ وَفاةُ محمّدِ بنِ يوسفَ الثّغريَّ في أواخرِ القرنِ الثامن، نحوَ سَنَة ٧٨٠ للهجرة (١٣٧٨ م) في الأغلب.

٢ - كان محمّدُ بنُ يوسفَ الثغريُّ أديباً عارفاً بفنون الأدبِ ناثراً شاعراً. وفنونُه المدحُ والرثاءُ والوصف والشِّعْرُ الدينيّ. وكانتْ بينَه وبينَ لِسانِ الدين بنِ الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) مُراسلاتٌ.

---

(١) تاريخ الجزائر العام ٢ : ١٩٩ ؛ الطمّار ١٧٧ . ومن غير المألوف أن يكون قد أدرك أبا زيّان (٧٩٦ - ٨٠١ هـ) ثمّ عاش بعده، كما يقول عبد الحميد حاجيّات (الأصالة ٤ : ٢٦ ص ١٥٠).

٣- مختارات من شعره

- قال محمّدُ بنُ يوسفَ الثغريُّ في الشيب وحالِ الدنيا:

أقْصِرْ فإنّ نذيرَ الشيبِ وافاني، وأنكرَتْني الغواني بعد عِرفانِ[١].
وقد تمادَيْتَ في غيٍّ بلا رشَدٍ؛ والنفس تأمُرُني والشيبُ ينهاني.
كم من خُطًى، في الخطايا، قد خَطَوْتَ ولم تراقبِ اللهَ في سِرّ وإعلان[٢].
فلا تَغُرَّنّكَ الدُنيا بزُخْرُفِها، فيا ندامةَ مَنْ يغترُّ بالفاني!

- حَفِظَ أبو زيّانَ محمّدُ (وَلَدُ أبي حمّو موسى الثاني) سُورة البَقَرةِ[٣] فأقامَ أبو حمّو حَفْلاً لهذهِ المناسبةِ فأنشد الثَّغريُّ قصيدةً في مَدْحِ آلِ زَيّانَ، منها:

تهلّلَ وجهُ الرَّوْضِ وابتسمَ الزَّهْرُ وغارتْ به في أُفقِها الأنجُمُ الزُّهْرُ[٤].
وضاحكتِ الأرضُ السماءَ مَسرّةً وقابلَها من كلّ رَيْحانةٍ ثغرُ[٥].
ومالتْ قُدودُ القُضْبِ زَهْواً كأنّها نَشاوى تَمَشَّتْ في معاطِفِها الخمر[٦].
وغنّتْ قِيانُ الوُرْقِ خَلْفَ سُتورها، وللوُرْقِ أن غنّتْ بأوْراقِها سِتر[٧].
لِمَوْلايَ موسى أبدتِ الأرضُ زينةً فَتَوَّجَها زهرٌ ووَشّحها نهرُ[٨].
وقد رَفَلَتْ في حُلّةٍ سُنْدُسِيّةٍ وَشاها الصَّبا وشْياً ودَبّجَها القَطْرُ[٩].

---

(١) في البيت تجريد (يجردّ الشاعر من نفسه شخصاً يخاطبه). بعد عرفان (بعد معرفة منها بمكانتي أيام شبابي).

(٢) لم تراقب الله: لم تخف الله (لم تشعر، وأنت ترتكب الذنوب، أن الله يراك).

(٣) السورة الثانية في المصحف وأطول سور القرآن الكريم (مائتان وستّ وثمانون آية).

(٤) المقصود: غارت منه (من الغيرة والغبطة والحسد). الزهر: اللامعة الشديدة اللمعان.

(٥) كل زهرة متفتّحة كانت كأنّها ثغر يبتسم لتلك المناسبة.

(٦) القضب جمع قضيب: الغصن. زهواً: عجباً بالنفس. النشوان: شارب الخمر.

(٧) القينة (بفتح القاف): المرأة الحسناء المغنّية. الورق جمع ورقاء: الحمامة. (بأوراق الأشجار التي تغنّي فيها).- نسمع الحمائم تغنّي على الأغصان ولا نراها (لأنّ أوراق الأغصان تحجبها).

(٨) ....- في أعلاها (على الأشجار) أزهار، وفي أسفلها (على الأرض) نهر جار.

(٩) رفل: لبس ثوباً ضافياً (واسعاً) جميلاً وتبختر به في المشي. سندس: حرير أخضر. وشاها: طرّزها، زيّنها. الصبا (بالكسر: الشباب) الربيع الجديد. الصبا (بالفتح: الريح الشرقية): تموج فيها فتحدث في نباتها تموّجات مختلفة. دبّجها جعل نباتها كالديباج (النبات الأخضر). القطر: المطر.

وإنّ أبـا زيّـانَ زَيْنٌ لِذاتـهِ، زكا منه نَجْلٌ حين طاب له نَجْرُ[1].
وقـد حَذِقَ القرآن حِذْقَ مَجوِّدٍ، فأشرقَ منه القلبُ وانشرح الصدر[2].
فيـا مَلِكـاً فاضـتْ أشِعـةُ نوره فأشرَقَ منهـا للعُـلى أنجُمٌ زُهْرُ.
هنيئاً، لكَ البُشرى، بَنَيْتَ بِهَدْيِهِمْ من الدينِ أركاناً يُهَدُّ بها الكُفْرُ[3].
بهم تزدهي الأعلامُ والبِيض والقَنا كما ازدهتِ الأقلامُ واللَّوْحُ والحِبْرُ[4].
جَمَعتُمْ لـدى القَصْرينِ كلَّ فضيلةٍ سما لَكُمُ في الخافقَيْنِ بهـا ذِكْر:
مآثِرَ شتىً من قِرًى وقِراءةٍ تضمّن منها كلَّ مأثُرَةٍ قَصْرُ[5].
فمن صَدَقـاتٍ غـارَ من جُودِهـا الحَيـا،
وفيـضِ هِبـاتٍ غـاضَ من جودِهـا البحر[6].
دَعَوْتُمْ إليهـا كـلَّ بـادٍ وحاضرٍ فلبَّوْا كأنّ الناس ضَمَّهُمُ الحَشْر[7].
كـأن الثُريّـا نَحْوَكُمْ مُـدَّ كَفُّها، فَمِنْ نَيْلِكُم في كَفِّها وَرِقٌ وَفْرُ[8].
مكـارِمُ لا تَنفـكُّ تزدادُ جِـدّةً على الدهرِ لا تَبْلى وإن بَلِيَ الدهر.
فدامـتْ بـكَ الأيّامُ تُظْهِرُ حُسْنَها فيَحْسُنُ في أوصافِها النَظْمُ والنثر!

٤-★★ نفح الطيب ٧: ١٢١ وما بعد، راجع ٦: ٤٢٧ وما بعد؛ تاريخ الجزائر العامّ ٢: ١٩٩-٢٠٠؛ الطمّار ١٧٧-١٨٥؛ معجم أعلام الجزائر ١٨٨-١٨٩؛ الأصالة ٤: ٢٦، ص ١٥٠.

---

(١) زكا: طاب، طهر. نجل: ابن. نجر: أصل.
(٢) حذق: مهر، برع. التجويد: إعطاء الحروف حقّها في المخارج ومن المدود.
(٣) الهدي (بفتح فسكون) والهدى (بالضم) بمعنى.
(٤) الأعلام والبيض (السيوف) والقنا (الرماح) كناية عن الحرب والشجاعة. والأقلام إلخ كناية عن العلم.
(٥) المأثرة: العمل النبيل الكريم. القرى: الضيافة والكرم.
(٦) الحيا: المطر. غار من جودها الحيا (نفد المطر). غاض الماء: ذهب في باطن الأرض.- لو كانت عطاياكم من ماء المطر ومياه البحار لنفدت (بفتح النون وكسر الفاء) تلك المياه.
(٧) البادي: الساكن في البادية. الحاضر: الساكن في المدينة (جميع الناس). الحشر: يوم القيامة.
(٨) النيل: العطاء. الورق (بفتح فكسر): الفضة. وفر: كثير. الثريّا مجموع نجوم يشبه الكفّ في رأي العين.- كأن الثريّا كفّ تمتدّ طلباً لعطائكم، فكأنّ جميع نجومها (البيض الشبيهة بالفضّة) من عطاياكم.

يحيى بن خلدون

١- هو أبو زكريّا يحيى بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ خلدونٍ الحَضْرميُّ، وُلِدَ في تونسَ سَنَةَ ٧٣٣ (١١٣٢-١١٣٣ م) أو ٧٣٤. وفيها نشأ وتلقّى العِلْم على نَفَرٍ منهم عبدُ المهيمن الحضرميّ (ت ٧٤٩ هـ) وأبو عبد اللهِ محمدُ بنُ إبراهيمَ الآبليُّ (ت ٧٥٧ هـ) والحافظُ أبو عبد الله السطّيّ (ت ٧٥٠ هـ) وسواهم مِنَ الذين دَرَسَ عليهم أخوه عبدُ الرحمن بنُ خلدونٍ (ت ٨٠٨ هـ).

تقلّبتِ الأحوالُ بيحيى بنِ خَلْدونٍ كثيراً لأنّه كان مُتَقَلِّبَ الهوى في السِّياسة تنقُلُهُ مصلحتُه الشخصيةُ بين الحَفصيّين في تُونسَ والمَرينيّينَ في فاسَ وبني عبدِ الواد في تِلِمْسانَ. وكان قد تولّى للحَفْصيّين في بِجايَة (وهي اليومَ من الجزائر) مناصِبَ عاديّة. وحاول أبو حمّو الثاني (من بني عبدِ الوادِ أصحابِ تلمسانَ) أن يستوليَ على بِجايَة- في حديثٍ طويلٍ- فلم يستطع. فلمّا عاد الحفصيّون إلى بَسْطِ سُلطانِهم على بِجاية اعتقلوا يحيى بنَ خَلْدونٍ (لِشكِّهم في وَلائه). ولكنه هَرَبَ ووَصَلَ إلى تلمسانَ سَنَةَ ٧٦٩ (١٣٦٧-١٣٦٨ م) فعيّنه أبو حمّو (٧٦٠-٧٩١ هـ) كاتباً للإنشاء بعدَ توصيةٍ من أخيهِ عبدِ الرحمنِ بنِ خَلْدونٍ (ت ٨٠٨ هـ).

ثمّ إنّ يحيى انحاز إلى المَرينيّين وَشيكاً (سَنَةَ ٧٧٢)، ومالأهم مُهالَئَةً استطاعوا أن يُهَدِّدوا بها تلمسانَ. وبِرُغْمِ ذلك رَضِيَ أبو حمّو على يحيى وأعاده إلى مَنْصِبه. ولكنّ ذلك أثارَ غَيْظَ أبي تاشفينَ (ابن أبي حمّو الثاني) فدبّر مقتل يحيى في رَمَضَانَ من سَنَةِ ٧٨٠ (يبدأ رمضانُ هذا في ١٣٧٨/١٢/٢٢ م).

٢- كان يحيى بنُ خَلْدونٍ رجلَ سياسةٍ ومؤرّخاً كما كان ميّالاً إلى الأدبِ والشِّعر يَنْظِمُ في المديح والوصف، ولم يكنْ نظمُه عالياً. وله ميلاديّات (في مدح الرسول) يَسْتَطْرِدُ فيها أحياناً إلى المدح. وشُهرتُه قائمةٌ على كتابه الذي وَصَلَ إلينا وعُنوانُه في لفظ يحيى بنِ خلدون «... وسمّيتُه بغيةَ الرُّوّاد في ذِكْرِ الملوك من بني عبدِ الوادِ وما حازَه مولانا أبو حَمّو من الشرف الشاهقِ الأطوادِ....»، وقد ألّفه بطلبٍ من أبي حمّو نفسِه وانتهى في تأليفه إلى سَنَةِ ٧٧٧ (١٣٧٥ م). وقيمةُ الكتاب تقومُ على تَوَفُّرِه على

عهدِ أبي حمّو الثاني ثمّ فيه صورةٌ لِبلاطِ تِلمْسانَ في ذلك العهد وقصائدُ كثيرةٌ تامّةٌ لشعراءِ ذلك العصر. فقيمة الكتاب تاريخيةٌ واجتماعيةٌ وأدبية معاً.

٣- مختارات من آثاره

- نَظَمَ يحيى بنُ خَلْدونٍ في مَوْلِدِ سَنَةِ ٧٧٨[١] قصيدةً حذا فيها حَذْوَ لِسانِ الدين ابن الخطيب في مَوْلِديّةٍ له[٢] ثمّ استَطْرَدَ فيها إلى مدحِ السُلطان أبي حمّو. قالَ يحيى بنُ خَلدونٍ (نفح الطيب ٦: ٥١٠-٥١٣):

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُناحِ ... أن يُرى حِلْفَ عَبرةٍ وافتضاحِ[٣].
يا رعى الله بالمُحَصَّبِ رَبْعاً ... آذَنَتْ عِندَه النَّوى بانْتزاحِ[٤].
نسألُ الدارَ بالخَليطِ وَنسْقي ... ذلك الرَّبْعَ بالدُموع السفاحِ[٥].
يا أُهَيْلَ الحِمى، نداءَ مَشُوقٍ ... ما له عن هوى الدُّمى من بَراحِ[٦].
طالَما استعذَبَ المدامِعَ وِرْداً ... في هواكم عن كلّ عذب قَراحِ[٧]
واخَساري يومَ القيامةِ إنْ لم ... يَغْفِرِ اللهُ ذَلّتي واجتراحي[٨].

---

(١) يقع مولد محمّد رسول الله في الثاني عشر من شهر ربيع الأول (الشهر الثالث في التقويم القمري الهجري). وذكرى مولده سنة ٧٧٨ يوافق ١٣٧٦/٧/٣٠ م.

(٢) للسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦ هـ) مولدية مطلعها (نفح الطيب ٦: ٥٠٩):

ما على القلب بعدكم من جُناح ... أن يرى طائراً بغير جَناح

الجناح الأولى، (بضمّ الجيم: الذنب والإثم) والجناح الثانية (بفتح الجيم: أحد جناحي الطائر).

(٣) الصب: المحبّ. حلف (حليف) عبرة (دمعة: دائم البكاء).

(٤) المحصّب: مكان رمي الجمرات في الحجّ (منسك من مناسك الحجّ) الربع: المنزل المعمور المسكون. آذن: نادى وأعلن عن عزمه، قارب. النوى: البعاد، الفراق. انتزاح: ابتعاد (حينما وصلنا إلى مكّة شعرنا بأننا أصبحنا قريبين من غايتنا).

(٥) الخليط: الساكن مع آخرين. نسأل به: نسأل عنه. السفاح ليست في القاموس في المعنى المقصود (المقصود: المسفوحة، الهاطلة بكثرة). وفي القاموس: بينهم سفاح (بكسر السين): سفك دماء.

(٦) أهيل الحمى (كناية عن أهل مكّة). الدمى (النساء الجميلات) البراح: المبارحة، الترك، التخلّي عن الأشياء.

(٧) الورد (بكسر الواو): الشرب. القراح: الخالص، الصافي.

(٨) الاجتراح: ارتكاب الذنوب (العظيمة).

لم أُقَـدِّمْ وسيلـةً فيـه إلّا — حُبَّ خيرِ الورى الشفيعِ الماحي[١]

سيّـدِ العالمـينَ دُنيـا وأُخرى — أشرفِ الخَلْـق في العُلا والسَّماح

سيّـدِ الكَوْنِ من سماءٍ وأرضٍ — سِرُّهُ بـينَ غايـةٍ وافْتِتـاح[٢].

زهرةُ الغَيْـبِ مظهرُ الوحي معْنـى الـ — ـنورِ كُنْـهُ المِشكـاةِ والمِصباح[٣].

آيـةُ المَكْرُمـات قُطـبُ المعـالي — مُصطفى اللهِ من قُريشِ البِطاح[٤].

أوّلُ الأنبيـاء تخصيـصَ زُلْفى، — آخرُ المُرْسَلـين بَعْثَ نَجاح[٥].

مَنْ لِميـلادِهِ بِمَكّـةَ ضـاءتْ — من قُرى قَيْصرٍ جميعُ الضواحي[٦].

وخَبَـتْ نـارُ فارسٍ وتداعتْ — من مَشيدِ الإيوانِ كُلُّ النواحي[٧].

من رَقي في السماءِ سَبْعاً طِباقاً — ورآى آيَ رَبّـهِ في اتّضـاح[٨].

ودنـا منـه قـابَ قوسَيْنِ قُرْبـاً — ظافراً في العُلا بكل اقتراح[٩].

---

(١) فيه (في يوم القيامة). خير الورى (محمّد رسول الله) ومن أسمائه الشفيع والماحي.

(٢) .... كان موجوداً في الافتتاح (عند خلق العالم) وسيظل موجوداً عند فناء العالم. راجع البيت الذي سيأتي: أول الأنبياء...

(٣) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته والغاية منه. المشكاة: تجويف في الجدار يوضع فيه المصباح. يبدو أن الشاعر يشير هنا إلى الآية الكريمة (٢٤ : ٣٥، النور): ﴿الله نور السموات والأرض: مثل نوره كمشكاة فيها مصباح...﴾ (.... إنّ الله اختار محمّداً رسولاً ليدلّ الناس على آيات الله وحكمته وعظمته).

(٤) المصطفى (المختار) من أسماء الرسول. قريش البطاح (بطحاء مكّة: وسطها) كانوا أقوى وأشرف من قريش الظواهر (الذين كانوا يسكنون خارج مكّة). وقريش كانوا أشرف العرب.

(٥) .... أوّل الأنبياء الذين أراد الله أن يرسلهم إلى خلقه ولكن آخر من بعثه منهم بالرسالة الأخيرة التامّة.

(٦) في الخبر أنّه في ليلة ميلاد الرسول أضاءت الأرض ما بين المشرق والمغرب، ورؤي هذا النور في مكّة. قيصر: لقب ملك الروم (اليونان).

(٧) خبا: خمد، انطفأ. أهل فارس كانوا يعبدون النار، وكانوا يحرصون على أن تظلّ تلك النار المعبودة في الهيكل تامة الاتّقاد. وقد خبت هذه النار في ليلة مولد الرسول. تداعى: تساقط وتهدّم. المشيد: المبني. الإيوان: قصر كسرى. في الخبر وفي التاريخ أن زلزالاً حدث في بلاد فارس، وفي نحو مولد الرسول، وأن عدداً من القصور تهدّم.

(٨) سبعاً (السموات السبع- مفعول به) طباقاً: بعضها فوق بعض- طباقاً- نعت «سبعاً» أو بَدَلٌ منها: أعماق السماء.- رأى عجائب خلق الله بوضوح.

(٩) قاب قوسين: قابَي قوس (مسافة ما بين طرفي القوس: إلى مقربة شديدة).

مَنْ هَدَى الخلقَ بينَ حُمْرٍ وسودٍ وجَلا ليلَ غَيِّهم بالصباحِ[١].
مَنْ إلى حَوْضِهِ وظِلِّ لِواهُ يلجأ الناسُ بين ظامٍ وضاحي[٢]:
أحمدُ المُجْتَبي حَبيباً، وإنّي فوقَ عِزِّ الحَبيبِ مَرْمى طِماحي[٣].
في أناجيلِهِ المسيحُ تَلاه باسْمِه، والكليمُ في الألواحِ[٤].
يا رُواةَ القصيدِ والشِّعرِ عَجْزاً، ما عَسى تُدْرِكونَ بالأمْداحِ[٥]؟
إنّما حَسْبُنا الصلاةُ عليه، وَهْيَ للفَوْزِ آيةُ اسْتِفْتاحِ.
يا إلَهي، بِحَقّ أحمدَ، عَفْواً عن ذنوبٍ جَنَيْتُهُنَّ قِباحِ.
وأدِمْ دولةَ الخليفةِ موسى ذي المعالي المُبينَةِ الأوْضاحِ،
ناصرِ الحقِّ خاذلِ الظُّلْمِ عَدْلاً ملجأُ الخائفينَ بَحْرُ السَّماحِ.
يَتَلَقّى النَّدى بوجهِ حَيِيٍّ ويُلاقي العِدا ببأسٍ صِفاحِ[٦].
يا إماماً بَذّ الملوكَ جلالاً وجمالاً، فُدِيتَ بالأرواحِ[٧].
أنتَ شمسُ الكمالِ دُمْتَ عليها باغْتباقٍ من المُنى واصْطِباحِ[٨].
وأبو تاشِفينَ بدرٌ منيرٌ زانَه اللهُ بالخِلالِ الصِّباحِ[٩].
وبكُمْ زُيِّنَتْ سماءُ المعالي واهتدى الناسُ في الدُّجى والصَّباحِ.

---

(١) الحمر (جمع أحمر): العجم. السود: العرب. جلا: كشف. الغيّ: الضلال.
(٢) الحوض (للسقيا) واللواء (للظل) يوم القيامة. الظامىء: العطشان. الضاحي: الذي أصابه حرّ الشمس.
(٣) أحمد (من أسماء الرسول) المجتبى: المقرّب. حبيباً (أي حبيباً لله). طماحي (أملي) كبير جدًّا لأنّني مذنب كثيراً (فأملي في شفاعة الرسول لي على مقدار ذنبي وفوق ما أستحقّ).
(٤) الهاء في «أناجيله» راجعة إلى ما بعدها (الى المسيح). تلاه: قرأه، ذكره. الكليم: موسى. الألواح العشرة (الوصايا العشر) التي أوحى الله بها إلى موسى على جبل الطور. (لقد ذكر في التوراة وفي الإنجيل أن محمّداً صلّى الله عليه وسلم سيبعث نبياً).
(٥) أيّها الشعراء الذين تحاولون مدح الرسول بالقصائد فتعجزون.
(٦) – أبو حمّو الثاني يعطي كثيراً، ومع ذلك يستحي من الذين يعطيهم لأنّه يودّ دائماً أن يعطيهم أكثر. البأس: القوة. الصفاح جمع صفيحة: الحجر العريض، السيوف (؟).
(٧) بذّ: غلب، سبق، فاق.
(٨) الاغتباق والاصطباح (في الأصل): شرب الخمر مساءً وصباحاً. (هنا): صباحاً ومساءً (دائماً).
(٩) أبو تاشفين: ابن أبي حمّو الثاني. الخلال: الصفات. الصباح: البيضاء (الجميلة).

- وصف تلمسان من كتاب « بغية الروّاد » (نفح الطيب ٧: ١٣٣ - ١٣٥):

ودارُ مُلكِهم وَسَطٌ بينَ الصحراء والتَّلِّ[١]، تُسمّى بلغةِ البربر تلمسن- كلمةً مركّبةً من « تلم » ومعناه تَجمُّع، و « سن » ومعناه اثنان: أيِ الصحراءِ والتلِّ، فيما ذَكَرَه شيخُنا العلّامةُ أبو عبد الله الآبليّ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى، وكان حافظاً بلسانِ القوم[٢]- ويُقالُ « تلمشان »، وَهُوَ أيضاً مركّبٌ من « تلم » ومعناه لها، و « شان »: أي لها شأنٌ. وهِيَ مدينةٌ عريقةٌ[٣] في التمدُّنِ لذيذةُ الهواءِ عَذْبةُ الماء كريمةُ المَنْبِتِ اقْتَعَدَتْ بِسَفْحِ جَبَلٍ، ودُوَينَ رأسِهِ بسيطٌ أطولُ من شرقٍ إلى غرب[٤]، عروساً فوق مِنَصّةٍ، والشماريخُ مُشرفةٌ[٥] عليها إشرافَ التاج على الجبين. ويُطِلُّ منها على فَحْصٍ أفْيَح[٦] مُعَدٍّ للفِلاحة تَشُقُّ ظُهورَه الأسْلِحَة على مِثْلِ أسنِمَة المَهاري[٧].... وبها للملك قصورٌ زاهراتٌ اشتملتْ على المصانع الفائقةِ والصُّروح الشاهقة والبساتينِ الرائقة مما زُخْرِفَتْ عُروشُه ونُمِّقَتْ غُروسه ونوسبت أطوالُه وعُروضه. فأزْرى بالخَوَرْنَقِ وأخْجَلَ الرُّصافـة وعَبَثَ بالسَّدير[٩]. وتنصبّ إليها من علٍ أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ تتجاذَبُه

(١) دار ملكهم: عاصمتهم (تلمسان): التل: الجبل.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي التلمساني أندلسيّ الأصل من آبلة (أبيلة: أفيله، إلى الشمال الغربي من مدريد). كان شيخاً (أستاذاً) كبيراً تلقّى العلم عليه يحيى بن خلدون وأخوه عبد الرحمن المشهور وغيرهما كثير. القوم: البربر.

(٣) عريقة: قديمة.

(٤) دوين (تحت ولكن بمسافة قصيرة) بسيط (أرض منبسطة مستوية) أطول من شرق إلى غرب: طولها من الشرق إلى الغرب أكثر من طولها من الشمال إلى الجنوب.

(٥) المنصّة: المنضدة (المكان المرتفع). الشمراخ: رأس الجبل.

(٦) الفحص: كلّ موضع يسكن (سهل). أفيح: واسع.

(٧) الأسلحة جمع سلاح (هنا): مكان مسلّح، حصن! السنام: كتلة شحم على ظهر الجمل (قبة). المهاري (جمع) الإبل المهرية (من مهرة - بفتح ففتح - في اليمن).

(٨) المصنع: حوض للماء، والمصنع أيضاً القصر والحصن. الصرح: البناء العالي. الرائق: الذي يعجب العين.

(٩) زخرف: زيّن. العرش (هنا): المظلّة (السقف من أغصان الشجر). نمّق: نقش (بالألوان)، زيّن. الغرس: الشجر (!).

(١٠) أزرى: عاب، أظهر نقص الأشياء التي تقارن به. عبث (هزىء، استخفّ). الخورنق والسدير والرصافة قصور. والرصافة خاصّة أسماء لمدن ثمّ قلعة للاسماعيليّين.

أيْدي المذانبِ والأسرابُ المكفورةُ خلالها (١). ثم تُرْسِله بالمساجدِ والمدارس والسقايات بالقصور (٢)، وعليه الدورُ والحَمّامات فيُفْعِمُ الصهاريجَ ويُفْهِقُ الحِياضَ ويَسْقي رَيْعُه (٣) خارجَها مغارسَ الشجر ومنابتَ الحبّ. فَهِيَ التي سَحَرتِ الألبابَ رُواءً وأصْبَتِ النُّهى (٤) جَمالاً ووَجَدَ المادحون فيها المَقالَ فأطالوا وأطابوا... فأنا أُنْشِدُ ساكنَها قولَ ابن خَفاجةَ (٥) لاستحقاقها إياه عِندي:

ما جَنّةُ الخُلد إلّا في منازِلكُمْ؛ وهذه كُنْتُ، لو خُيِّرْتُ، أختارُ.
لا تَتّقوا بعدَها أن تدخُلوا سَقَراً، فليس تُدْخَلُ بعدَ الجنةِ النارُ (٦)!

وتوسّطت قُطْراً ذا كُوَرٍ عديدةٍ تعمُرُها أمْشاجُ (٧) البربرِ والعرب، مَرِيعةِ الجَنَباتِ مُنْجِبَةٍ للحيَوانِ والنبات (٨)، كريمةِ الفِلاحة زاكيةِ الإصابة. فربّما انتهت في الزوج الواحد إلى أربعمائة مدّ كبير (٩).....

٤- بغيـة الروّاد (نشرة ألفرد بـل)، الجزائر (مطبعة بيير فونتانه) ١٣٢١ هـ وما بعد=١٩٠٣ - ١٩١٣ م.

★★ نفح الطيب، راجع ٦: ٣٨٩ - ٣٩٩، ٥١٠ - ٥١٣، ٥١٥ - ٥١٧، ٧: ١٣٣ - ١٣٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣١ - ٨٣٢ (تحليل جيد للكتاب: بغية الرواد)؛ بروكلمن ٢: ٣١٢ - ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤٠؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢١١ (٨: ١٦٦)؛ الفكر ١٢/٦٠

---

(١) عَلُ (بفتح العين) تكون معرفة ومبنيّة على الضمّ بمعنى: «من المكان العالي». وتكون نكرة ومعربه بمعنى «من مكانٍ عالٍ»، أيّ مكان كان. آسن: متغيّر الطعم، فاسد.
المذنب (بكسر فسكون ففتح): مسيل الماء من جانب النهر. المسرب (بفتح فسكون ففتح): ممّر الماء أو الحية، إلخ. المكفورة (المستورة، المغطّاة). خلالها: بينها (المسارب قائمة بين المذانب).

(٢) بالمساجد: إلى المساجد (!). السقاية: موضع السقيا. بالقصور (في القصور!).

(٣) أفعم وأفهق: ملأ. الصهريج: حوض كبير للماء. الريع (ما يفيض من الشيء أو يبقى بعد أخذ الحاجة منه).

(٤) اللب: العقل. الرواء: الجمال. النهى: العقل.

(٥) راجع، فوق ص ٥: ٢١٨:

(٦) لا تتّقوا: لا تخافوا. سقر: جهنّم.

(٧) الكور جمع كورة: البقعة من الأرض فيها عدد من القرى. تعمرها: تسكنها وتبني فيها. أمشاج: أخلاط.

(٨) المريع: الخصيب (الكثير العشب). المنجب: الذي ينتج (بالبناء للمجهول)، نتاج جيّد.

(٩) زاكية الإصابة.... فربّما انتهت في الزوج... (؟).

ص ٣٢ - ٣٧؛ الأصالة ٣: ١٣ ص ٢١٣ - ٢٢٢ (لمحمود بو عيّاد - وفيه تحليل واف للكتاب وتلخيص لقيمته)، ٤: ٢٦ ص ١٥١ - ١٥٢؛ معجم المطبوعات العربية ٩٧ - ٩٨؛ معجم المؤلفين ١٣: ٢٢٨.

ابن مرزوق الخطيب

١ - آلُ الخطيبِ في المَغربِ أُسرةٌ مشهورةٌ: كان مرزوقٌ من عجيسةَ(١) ومن أحياءِ النصفِ الثاني من القرنِ الخامس للهجرة. ثمّ بَرَزَتْ هذه الأُسرةُ في التاريخ لمّا أخذَ أبو بـكرِ بنِ مرزوقٍ نفسَه بخِدمة المتصوّفِ المشهور أبي مَـدْيَنٍ (ت ٥٩٤ هـ). وبعدَ أبي بكرٍ توالى آلُ مرزوقٍ على خِدمةِ مَقام أبي مدينٍ في جبلِ العباد المُطِلّ على مدينة تِلمْسانَ.

وصاحبُ هذه الترجمةِ هو شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ (أبو بكرٍ) محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ ابنِ محمّدِ بن أبي بكرِ بن مرزوقٍ العجيسيّ ويُعْرَفُ بابنِ مرزوقٍ الجَدِّ، تمييزاً له من حفيدِه محمّدٍ(٢). وُلِدَ ابنُ مرزوقٍ الخطيبُ الجَدُّ سَنَةَ ٧١٠ (١٣١٠ - ١٣١١ م) في تِلمْسانَ، وفيها نشأ وتَلقّى مبادىء علمِه. وفي سَنَة ٧٢٨ رَحَلَ بصُحبةِ والدِه أحمدَ (٦٦٨ - ٧٤١ هـ) وحَجّ وطافَ في مِصْرَ والحجازِ والشام ولَقِيَ في أثناءِ هذا التَّطوافِ عدداً كبيراً من العلماء - زعموهم أَلْفَيْنِ - وأخذَ عنهم. وفي سَنَةِ ٧٣٣ (١٣٣٣ م) عاد وحدَه إلى المغرب فجعلَه السلطانُ أبو الحسنِ عليٌّ المَرينيُّ (٧٣١ - ٧٥٢ هـ) صاحبَ سِرّهِ وخطيبَ مِنْبره وأمينَ رِسالته. وفي سنة ٧٤٨ (١٣٤٧ م) سَفَرَ له إلى صاحبِ قشتالةَ ألفونشَ الحادي عَشَرَ لعقدِ الصُّلح وفكّ الأسرى.

وفي سَنَةَ ٧٥٢ حَدَث نِزاعٌ في البيتِ المالك في المَغْرِبِ فغادَرَ ابنُ مرزوقٍ المَغْربَ - في حديثٍ طويل - وجازَ إلى الأندلُسِ واستقرّ في غرناطةَ فجعلَه السلطانُ أبو الحجّاجِ يوسفُ خطيـباً في جامعِهِ ومُقرئاً في مدرسته. ثمّ إنّ اضطرابَ الأحوالِ في

---

(١) عجيسة: اسم مكان في الزاب في جنوبيّ المغرب (راجع تاريخ الجزائر العامّ ٢: ١٠٤)، قبيلة من البربر (شذرات الذهب ٦: ٢٧١).

(٢) كان ابن مرزوق الحفيد من علماء الحديث (نفح الطيب ٥: ٥٢٠) ثمّ كان هنالك محمّد الكفيف (٨٢٤ - ٩٠١ هـ) من الخطباء والمحدثين، وهو ابن محمد الحفيد (راجع نفح الطيب ٥: ٤١٩).

المَغْرِب وفي الأندلُسِ حَمَلَ ابنَ مرزوقٍ على التردّد بَيْنَهما مِراراً وعرّضَه للنَّكَباتِ وللسَّجْنِ في المغرب ثلاثَ مرّاتٍ. ومَلّ هذا القلقَ في الحياةِ فانتقلَ إلى تُونسَ، سَنَةَ ٧٦٤، وتولّى بها الخُطبة في جامعِ المُوحّدينَ. ثمّ إنّ الأحوالَ ساءتْ بين الحَفْصِيّين سلاطينِ تُونسَ والمَرينيّين سلاطينِ المَغْرِب، فاختارَ ابنُ مرزوقٍ أن يرحَلَ إلى مِصْرَ (في ربيعِ الأوّلِ سَنَةِ ٧٧٣) فنال فيها حُظوةً عند الملك الأشْرفِ شَعبانَ وتولّى الخَطابة والتدريس في أماكنَ كثيرةٍ. وكانت وفاتُه في القاهرة في ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٧٨١ (مطلَعِ الصيفِ من عامِ ١٣٧٩ م).

٢ - كان ابنُ مرزوقٍ الخطيبُ الجَدُّ رجُلاً وقوراً مَعَ كثيرٍ من الظَّرْفِ وقليلٍ من الدُّعابة. وكان «عالِمَ الدنيا» في أيّامه (كما ذَكَرَ المقّري في أماكنَ كثيرةٍ من نفحِ الطِيب) مُشتغلاً بِقراءةِ القُرآنِ وبالحديثِ والتفسير وأُصولِ الفِقه وفُروعه؛ ولكنّ شُهرتَه كانتْ في الحديث. وله ترسُّلٌ ونَظْمٌ ليسا من الطبقة العُليا، ولكنّهما يُمثّلانِ عصرَهُ ويَنْطِقانِ بفضلِه، إذا نحن قِسْناهُما بشِعر أمثالِه من العلماء وبنثرهم. وكان أيضاً مُصَنِّفاً، إلّا أنّ كُتُبَهُ ضاعتْ سوى فَهْرَسَةِ شُيوخِه. فمن كُتُبه: شرح الشفا في التعريف بحقوق المُصطفى[1] (لِعياض ت ٥٤٤ هـ) - شرح عمدة الأحكام عن سيّد الأنام[2] - شرح الأحكام الصُغرى (لعبد الحقّ بن الخرّاط الإشبيلي المتوفّى سنة ٥٨١) - الإمامة[3] - عقيدة أهل التوحيد المُخرجة من ظُلُمات التقليد - إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب[4] - إيضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافةُ من الفوائد - المفاتيح

---

(١) المصطفى: محمّد رسول الله.

(٢) فيه الأحاديث المنطوية على الأحكام الشرعية، ولذلك يُلفى أيضاً باسم: عمدة الأحكام عن سيّد الأنام من أحاديث النبيّ عليه السلام (أو: في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام) وهو من تأليف عبد الغنيّ أبن عبد الواحد الجمّاعيلي (ت ٦٠٠) وقد جمع ابن مرزوق في شرحه لهذا الكتاب بين شرح تقيّ الدين أبن دقيق العيد (ت ٧٠٢) وشرح عمر بن عليّ الفاكهاني (ت ٧٣٤) بالإضافة إلى زيادات كثيرة من عنده.

(٣) ضلّ عنّي العنوان الكامل لهذا الكتاب، وأظنّه في الكلام على البخاري ومسلم.

(٤) هو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦) وهو من النحاة ومن الفقهاء (كتابه المذكور هنا في الفقه).

المرزوقيّة لحلّ الأقفال واستخراج خبايا الخزرجيّة أو[1] شرح القصيدة الخزرجية المسمّاة: الرامزة الشافية في علمِ العَروض والقافية (لأبي محمّدِ عبد الله بن محمّدِ الأنصاريّ الخزرجيّ الأندلسيّ المُتوفّى نحو سَنَةِ ٦٢٦)- تمهيد السالك إلى شرح ألْفيّةِ ابنِ مالك- المُسْنَدُ الصحيحُ الحَسَنُ من أحاديثِ السلطان أبي الحسن[2]- النور البَدْريّ في التعريف بالفقيه المَقْري[3]، إلخ.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ مرزوقٍ الخطيبُ في المَقريّ الجَدِّ[4]:

كان صاحِبُنا المَقريُّ مَعلومَ القَدْرِ مشهورَ الذِّكْرِ تَبِعَهُ بعدَ موتِهِ، من حُسْنِ الثناءِ وصالحِ الدعاء، ما يُرجى له النفعُ بِهِ يومَ اللقاء[5]. وعوارِفُهُ معلومةٌ عند الفقهاء مشهورةٌ عند الدَهْماء[6].

- عرف ابنُ مرزوقٍ الخطيبُ أن لسانَ الدينِ بنَ الخطيب قادمٌ إلى فاسَ برسالةٍ إلى السلطانِ أبي عِنانٍ. فأرسَلَ إليه مَرْكوباً (حِصاناً لِرُكوبهِ) ومَعَه رسالةٌ فيها إشارةٌ إلى فَضْلِ أبي عِنانٍ. من هذه الرسالة:

مَنْ قاسَ جودَ أبي عِنانٍ في النَّدى ... بسِواهُ، قاسَ البحرَ بالضَحْضاح[7]:
مَلِكٌ يُفيض على العُفاة نَوالَه ... قبلَ السؤالِ وقبلَ بسطةِ راح[8].
فلجودِ كعبٍ وابنِ سُعدى في النَّدى ... ذِكْرٌ مَحاهُ عن نَداهُ ماحي[9].

---

(١) لعلّ العنوانين لكتاب واحد.
(٢) هو السلطان المريني أبو الحسن علي بن سعيد (ت ٧٥٢).
(٣) راجع الحاشية التالية.
(٤) محمد بن محمد المقري (ت ٧٥٩ هـ) وهو جد أحمد بن محمد المقري (ت ١٠٤١) مؤلف «نفح الطيب».
(٥) يوم اللقاء: يوم القيامة.
(٦) الدهماء: عامّة الناس: سوادهم (الجانب الأعظم منهم).
(٧) الضحضاح: الماء القليل العمق، القليل.
(٨) أفاض: سكب. العافي: الذي يطلب العطاء. النوال: العطاء.
(٩) كعب بن مامة من أجواد الجاهلية. وأمّا ابن سُعدى فعرّفه إحسان عبّاس (نفح الطيب ٦: ٦٤ ح) أنّه أوس بن حارثة الطائي (راجع أيضاً ابن الأثير ١: ٦٢٧). الندى: الكرم.

ما إنْ سَمِعْتُ– ولا رأيتُ– بمثلهِ: من أرْيَحِيٍّ للنَّـدى مُرْتـاح[1].
بَسَطَ الأمـانَ على الأنام ، فأصْبَحوا قـد أُلْحِفوا مِنْه بِظِلٍّ جَناحِ[2].
وَهَمى علـى العافِينَ سَيْـبُ نَوالهِ حتّى حَكَى سَحَّ الغَمام الساحي[3].

فالحمدُ للهِ ، يا سَيّدي وأخي ، على نِعَمِهِ التي لا تُحْصى حَمْداً يَؤُمُّ بنا جميعاً المَقْصِدَ الأسْنى[4] فيبلُغُ الأمَدَ الأقصى. فطالَما كان مُعَظّم سيّدي للأسى في خَبالٍ، وللأسف بينَ اشتغالِ بالٍ واشتعالِ بَلبالٍ[5]. ولقُدومِكُمْ على هذا المقامِ المَوْلَوِيّ[6] في ارتقابٍ، ولَمواعيدِكُمْ بذلك في تَحقُّقِ وقوعِه من غيرِ شكٍّ ولا ارتياب... وَلِسَيِّدي الفضلُ في قَبولِ مَرْكوبِهِ الواصلِ إليه بسَرْجِهِ ولِجامِهِ. فَهُوَ مِن بعضِ ما لَدَى المُعظِّم من إحسانِ مولاهُ وإنعامه[7]. ولَعَمْري، لقد كان وافداً على سَيِّدي من مُسْتَقَرِّهِ مَعَ غيرِه. فالحَمْد لله ، يَسّرَ في إيصالِه على أفضلِ أحواله[8].

– كَتَبَ لِسان الدينِ بن الخطيب فصلاً في « الإحاطة » عن ابنِ مرزوقٍ، وقال في هذا الفصل: « أحْسَسْتُ منه... صاغيةً إلى الدُنيا وحنيناً لما بَلاه اللهُ من غُرورها[9] ». واطَّلَعَ ابنُ مرزوقٍ على هذا الفصلِ (بعدَ النكبةِ التي حَلّتْ بلسانِ الدين)، فعلّقَ على

(١) الأَرْيَحيّ: الواسع الخلق المرتاح (الذي يرتاح: يسرّ) بأعمال الكرم.
(٢) ألحف فلان فلاناً: اشترى له لحافاً، ألبسه ثوباً (غطّاه، ستره). – ولو قال: قد أُلحفوا من ظلّه بجناح لكان هو أشعر ولكان التركيب أمتن ولظلّ الوزن صحيحاً.
(٣) همى: سال بكثرة. السيب: الفيض. سحّ: سال. الساحي (المطر) الهاطل بكثرة حتّى أنّه يجرف ما فوق سطح الأرض.
(٤) يؤمّ: يقصد، يتّجه إلى. المقصد: الغاية. الأسنى: الأعلى.
(٥) الأسى: الحزن. الخبال: ضعف العقل. البلبال: شدّة الهمّ، الوسواس. « كان معظّم سيّدي للأسى »: أكثر أيام أحزان (؟).
(٦) المقام المولوي (نسبة إلى مولى): بلاط أبي عنان في فاس.
(٧) المعظِّم (بكسر الظاء المشدّدة): ابن مرزوق نفسه! من إحسان مولاه (لسان الدين بن الخطيب!) على سيّدي (لسان الدين بن الخطيب).
(٨) كان ابن مرزوق قد تسلّم هدية من الخيل هذا الحصان أحدها(!)
(٩) صاغية الرجل: خاصّته الميّالون إلى اتّباعه (المعجم الوسيط ٥١٨)– يقصد: ميلاً إلى الدنيا. « حنيناً لما بلاه الله (امتحنه، أصابه) من غرور (الدنيا): باطلها ». إشارة إلى أن لسان الدين بن الخطيب كان (قبل نكبته) قد أحبّ الدنيا مع ما كان يعلم من باطلها.

هذا الفصلِ بما يَلي:

تَوهَّمَ ما لا يَقعُ[١]، بلْ لَمّا تَجلَّتْ عنّي سُحُبُ النكبةِ والامتحانِ جزَمْتُ بالرِّحلةِ وعزَمْتُ على النُّقلة[٢]. ونَفرْتُ من خِدمةِ السلطان وملازمةِ الأوطان. والعَجَبُ كُلُّ العجبِ أن جميعَ ما خاطبَني بهِ - أبقاهُ الله تعالى - تَحلّى به أجْمَعَ، وابْتُلِيَ بما مِنهُ حَذّر[٣]. فكأنّه خاطبَ نفسَه بما وَقَعَ له. فاللهُ تعالى يُحْسِنُ له الخاتمةَ والخَلاصَ[٤].

- في نفح الطيب (٥: ٣٩٧-٤٠٢) مَوْلِديّة (قصيدةٌ في مَوْلِدِ الرسول) طويلةٌ (١١٧ بيتاً) بارعةٌ نَقلَها المقريّ عن «الإحاطة» للسانِ الدين بنِ الخطيب، وذكَرَ أنّ لسانَ الدين قدّمَها بقولِه: «ومِنَ الشعرِ المنسوبِ إلى مَحاسنِهِ ما أُنشِدَ عنه وبينَ يدَيْهِ ليلةَ الميلاد المُعظَّم من عام ٧٦٣[٥]. ثمّ قال المقريُّ إنّ لِسانَ الدين أرادَ أن يقولَ إن القصيدةَ ليستْ لابن مرزوق[٦] بل هي مَقولةٌ على لسانهِ ومنسوبة إليه. ورَأْيُ المقريِّ أنّها لابن مرزوقٍ نفسِه. والواقعُ أن نَفَسَ القصيدةِ مختلفٌ من النفس السائد في الشعرِ الذي قاله ابنُ مرزوقٍ. وسأَقِفُ بجانبِ المقريِّ وأُورِدُ فيما يَلي جانباً وافياً من هذه القصيدة:

وصِــفْ لجـيرانِ الحِمـى وَجْـدي بِهِمْ وسَهَري.
وحَقِّهِمْ، مــا غيّرتْ وُدّي صُروفُ الغِيَرِ[٧].
للهِ عهــدٌ فيــه، قَضْـ ـضَيْــتُ، حميــدُ الأثر.

---

(١) ظنّ لسان الدين بن الخطيب ما ليس صحيحاً في سلوك ابن مرزوق.

(٢) النقلة (بالفتح): صوت السيل، (وبالكسر): المرأة التي لا تُخْطَب لكبر سنّها، (وبالضمّ): النميمة. المقصود: الانتقال، هجر المكان.

(٣) حذّرني من شيء (لم يكن فيّ) ثمّ وقع هو فيه.

(٤) فالله تعالى يحسن له الخاتمة (ختام حياته) والخلاص فيها. وفي هذا دلالة على أن ابن مرزوق كتب هذه الملاحظة حينما كان لسان الدين منكوباً ومسجوناً.

(٥) مولد الرسول في الثاني عشر من ربيع الأول. وذكرى مولده سنة ٧٦٣ يقع في ٩/ ١/ ١٣٦٢ م.

(٦) يقول إحسان عبّاس (نفح الطيب ٥: ٣٩٧ ح): لم ترد هذه القصيدة في «الإحاطة». ولا ريب في أنّه يقصد في «مخطوطات الإحاطة» لا في النسخة المطبوعة فقط.

(٧) صروف الغير: تقلّب أحداث الدهر.

أيامُــــــــه هي الـــــــتي أحسِبُهـــــــــــا من عُمُري.
ويـــــا لِلَيْـــلٍ فيـــه، مـــا عِيـــــبَ بغـــــيرِ القِصَر.
العُمْرُ فَيْنـــــــانٌ ووجـ ـهُ الدهر طَلْـــــقُ الغُرَر[1].
والشمْـــــلُ بالأحبـــابِ منـ ـظومٌ كنَظْمِ الــــــــدُّرَر:
صَفْوٌ من العَيشِ بــــــلا شائبـــــــةٍ من كَــــدَرِ.
عَهْـــدي بِحـــادي الرَّكْـــبِ كالـ ـوَرْقـــــاء عنـــــدَ السَّحَرِ[2].
لَبَّيْــــــكَ، لبّيـــــك، إلَـ ـهَ الخلـــقِ بـــاري الصُّوَر[3].
ولاحَـــــــتِ الكعبـــــــةُ بَيـ ـتُ اللهِ ذاتُ الأثر[4].
ثُمّ ثَنَوْا نحوَ رسو لِ اللهِ سَيْرَ الضُمَّرِ[5]،
فعايَنوا في طَيْبـــــــــــــةٍ لألاءَ نـــورٍ نَـيِّـــر[6]
رأَوْا رســـــولَ اللهِ واسْـــــ ـتَشْفَوْا بلَثْمِ الجُـــــــــــدُر[7].
زيــــــارةُ الهـــــادي الشفيـ ـعِ جُنَّةٌ في المَحْشر[8].
رَبْـــــعٌ بــــــه مُسْتَنْزَلَ الـ ـآيِ بِهِ والسُّوَرِ[9]،

---

(١) فينان: طويل الشعر (المقصود: لا يزال في العمر متّسع). الغرّة: شعر مقدّم الرأس. طلق: واضح، مشرق، ضاحك. طلق الغرر: مسرور.

(٢) حادي (سائق) الركب (الجماعة المسافرون معاً). إنّ صوت الحادي (مع أنّه في العادة يكون غليظاً) هو هنا محبّب كصوت الورقاء (الحمامة) في السحر (الصباح) لأنّه يسير نحو مكّة للحجّ.

(٣) لبّيك اللّهمّ لبيك: دعاء يَجْهَر به الحجّاج في اتّجاههم نحو مكّة. لبّيك (اسم فعل): أنا مقيم على طاعتك ومستجيب لندائك!

(٤) الأثر: الرونق والجمال.

(٥) ثنى: ردّ، عطف (تابع السير في اتّجاه آخر) نحو قبر رسول الله (في المدينة). «سير» مفعول به من «ثنوا». الضُمّر (الخيل والنياق الضامرة، النحيلة، وتكون سريعة).

(٦) طَيْبة: مدينة الرسول.

(٧) رأوا قبر رسول الله.

(٨) الهادي الشفيع (رسول الله) هدى الناس في الدنيا وسيشفع لهم في الآخرة لإنقاذ المذنبين غير المشركين من عذاب النار. الجُنّة: الوقاية. المحشر: يوم الحشر، يوم القيامة.

(٩) المكان الذي نزل فيه الوحي على رسول الله.

ومُلْتَقــــى جِبريـــلَ بالـ ـهادي الزَّكِيِّ العُنْصُر[1]؛
مُنْتَخَــــــبُ الله ومُخْـ ـتــارُ الورى من مُضَــر[2]
ذو المُعْجزاتِ الغُرِّ أمـ ـثــــالَ النجومِ الزُّهُر.

★ ★ ★

يــا أكرمَ الرُّسْلِ عــلى الـ ـلـــهِ وخـــيرَ البشر،
يــا مَنْ لَــدى مَوْلِــدِهِ الـ ـمُقَــــدَّس المُطَهَّر
إيوانُ كِسرى ارْتَــجّ إذ ضــاءتْ قُصورُ قَيْصَر[3].

★ ★ ★

يــا ويــحَ نفسي، كم أُرى في غفلــةٍ من عُمُري!
واحسرتي من قلّـــة الزْ زادِ وبُعْـــدِ السفر.
ضيّعـــتُ في الكَبْرَةِ مــا أعْدَدتُّـــهُ في صِغَري.
وليس مـــا مرّ من الـ أيّـــامِ بالمُنْتَظِر.
يــا ليــتَ شِعري والمُنــى تَسْرِقُ طِيـــبَ العُمُر،
هــل أرْتجي من عَودةٍ أو رَجْعـــةٍ أو صَـــدَر[4]
فأُبْرِدَ الغُلّـــةَ من ذاك الزُّلالِ الخَصِر[5].

★ ★ ★

يــا ابنَ الإمــامِ الطاهرِ الـ ـبَرِّ الزكيِّ السِّيَر[6]،
مَدْحُــك قــد عَلّمَ نَظْـ ـمَ الشعرِ مَنْ لم يَشْعُرِ.

---

(١) الهادي (الرسول) الزكيّ (الطاهر) العنصر (الأصل).
(٢) مضر: عرب الشمال (المقصود: من العرب).
(٣) ارتجّ: اهتزّ، تزلزل. في التاريخ أنّ إيوان كسرى تهدّم قسم منه بزلزال في نحو الوقت الذي ولد فيه الرسول.
(٤) عودة إلى الحجّ وزيارة المدينة. الصدر (بفتح ففتح): الرجوع (من الحجّ وقد تقبّل الله حجّي).
(٥) الغُلّة: العطش (الشوق الشديد إلى زيارة مكّة والمدينة). الزلال: الماء الصافي. الخصر: البارد.
(٦) لمّا قيلت هذه القصيدة، سنة ٧٦٣، كان ابن مرزوق لا يزال في المغرب، وكان السلطان يومذاك محمّد بن يعقوب (٧٦٢ – ٧٦٧ هـ). والأبيات طبعاً مديح. الزكيّ السيرة (نمط الحياة): الطاهر السلوك.

جُهْــــدُ المُقِــــلِّ اليومَ من   مِثــــــلي كوُسْعِ المُكْثِرِ [١].
فــــإنْ يُقصِّرْ ظاهري،   فـــــلم يُقصِّرْ مُضْمَري!

– من المُسنَد الصحيح الحَسَن من أحاديثِ السلطان أبي الحسن[٢]:

لم يَزَلْ[٣] (هذا)[٤] دأبَه[٥]، رَضِيَ الله عنه – في حال إمارته وخِلافته[٦] – فله بمدينة فاس حَرَسَها الله الآثارُ الجميلةُ والبناءاتُ الحفيلةُ كمسجد الصفّارين ومسجدِ حَلْقِ النَّعام[٧]، وكلّ واحد منها غايةٌ في الكِبَر والضخامة. وصَوْمعةُ[٨] كلّ واحدٍ منها غايةٌ في الارتفاع والحُسن. و(له) مساجدُ عِدّةٌ وصوامعُ. وبالمدينة البيضاء كذلك. وبالمنصورة من مدينة سَبْتَةَ الجامعُ المتّصل بالقصر السَّعيد، وهو جامعٌ حافلٌ وصومعتُه حافلة[٩]....

وأمّا الجامعُ الكبير فقدِ اتفقَ الرّحالون وأجمعَ المتجوّلون على أنّهم لم يَرَوْا له ثانياً – (وإن كان) جامعُ بني أُميَّة (قد) تَمّ حُسْنُه لَمّا كَمَلَ ترتيبُ وَضْعِه. و(لو) كَمَلَتْ تَتِمّاتُ هذا الجامع لَمَا قَصّر عنه.

---

(١) الجهد: أقصى ما يستطيع الإنسان بذله. جهد المقلّ (الفقير): الشيء الذي يستطيعه المقلّ. الوسع: ما يقدر عليه الإنسان – المقدار القليل من الفقير كالمقدار الكبير من الغنّي.

(٢) أبو الحسن عليّ بن عثمان عاشر سلاطين بني مرين (٧٣٢ – ٧٤٩ هـ) في المغرب. وقد جانس ابن مرزوق هنا بين «الحسن» اسم السلطان و«الحسن» من مراتب الأحاديث المرويّة عن رسول الله. المسند هو الحديث الواصل برواته إلى الرسول. والصحيح: الحديث المرفوع المتّصل بنقل عدل ضابط في التحرّي والأداء سالماً من شذوذ وعلّة (المعجم الوسيط ٥١٠) أي هو الحديث الذي رواه ثقات معروفون متّصلو الرواية إلى رسول الله. الحسن: هو الحديث الذي عُرف مخرجه واشتهر رجاله (المعجم الوجيز ١٥١). أحاديث (هنا): أخبار.

(٣) لم يزل السلطان أبو الحسن.

(٤) إضافة يقتضيها المعنى.

(٥) الدأب: العادة والشأن.

(٦) في خلافته (أيام ملكه) وإمارته (قبل أن يتولّى الملك).

(٧) الحفيلة: الكثيرة (أو الكثير السكّان). الصفّارين: سوق الذين يعملون الأدوات النحاسيّة. حلق النعام: (اسم موضع).

(٨) الصومعة: المئذنة.

(٩) حافل (كثير المصلّى). حافلة:.....

وجامع المنصورِ بمَرّاكُشَ (وهو) الذي تُضْرَبُ به الأمثال.... أكبرُ مِساحةً، إلّا أنّ ما كان في هذا (الجامع) من الرُّخام والإحكام[١] أغربُ وأعظمُ. ولا شكَّ (في) أن صَوْمَعَتَهُ لا تَلْحَقُ بها صوْمَعَةٌ في مَشارقِ الأرض ومغاربها. صَعِدتُّها غيرَ مرّةٍ مَعَ الأميرِ أبي عليٍّ الناصر، وهُوَ رَحِمَه الله على فَرَسِه وأنا على بَغْلتي[٢]، من أسْفلِها إلى أعلاها، وكأنّا في وِطاءٍ[٣] من الأرض. وكانتْ على البابِ الجَوْفي[٤] منه، ولَها مَجْرَيانِ يُطْلَعُ فيهما إلى أعلاها. وكانتْ مُحكمةَ البناء والنِّجارة في الأحجار بصِناعةٍ مُختلفة[٥] من الإحكام في كلّ جانبٍ.

...... وهذه الزوايا التي يُطلَقُ عليها في المشرق الرُّبُطُ. والخوانقُ والخانقاتُ عَلَم على الرُّبُطِ، وهو لَفْظ أعجميّ[٦]. والرِّباط في اصطلاح الفُقراء عِبارةٌ عنِ احتباس النَّفْس في الجِهاد والحِراسة[٧]، وعند المُتصوّفة عبارةٌ عن المواضع التي يُلْتَزَمُ فيها للعِبادة..... قلتُ: والظاهرُ أن الزوايا عِندَنا في المَغْرب هي المواضعُ المُعَدَّةُ لإرْفاقِ الواردين وإطعام المُحتاج من القاصدين[٨]. وأمّا الرُّبُطُ على ما هو المُصْطَلَحُ عليه في المشرق فلم أرَ في المَغْرب على سبيلها ونَمَطِها[٩] إلّا رِباطَ سيّدي أبي محمّدٍ صالحٍ والزّاوية المنسوبةَ لسيّدنا أبي زكريّا يحيى بنِ عُمَرَ، نَفَعَ اللهُ به، بِسَلى، غربيَّ[١٠] الجامعِ

(١) الإحكام (بالكسر): الدقّة والإتقان.

(٢) الصعود في هذه المئذنة لا يكون على درج بل على سطح مائل (وقد صعدتّ أنا إلى أعلى صومعة الكتبيّة في مدينة مرّاكش، فكان الصعود إليها أسهل وأقلّ إرهاقاً من الصعود على درج).

(٣) وطاء: الأرض الواطئة المستوية.

(٤) الجوفي: القبلي (المتّجه إلى جهة مكّة. ويمكن أن تقال على جهة الجنوب).

(٥) النجارة: (العمل في الخشب). بصناعة مختلفة (ذات أشكال مختلفة من التزيين).

(٦) الخوانق والخانقات جمع خانكاه (بكاف معقودة) من اللغة الفارسية: بيت الملك (مسكن يأوي إليه الدراويش والصوفية مجاناً، ويقومون فيه بعبادتهم).

(٧) الفقراء (الصوفية). وليست هنا في مكانها. الرباط يكون فيه محاربون للدفاع عن حدود البلاد الإسلامية.

(٨) لمنفعة المسافرين الواصلين إلى ذلك المكان (شبه الفندق؟).

(٩) النمط: الشكل، المثال.

(١٠) سلى = سلا: بلدة إلى شمال مدينة الرباط. غربي (اقرأ: غرب). الغربي هو الجانب الغربي من المكان (ويكون داخلاً فيه). و «غرب» (ظرف): إلى الجهة الغربية من المكان (ولا تكون داخلة فيه: رأس بيروت هو غربيّ مدينة بيروت. وبيروت غرب دمشق: تقع في الغرب من دمشق).

الأعظم منها. ولم أرَ لهما ثالثاً على نَحْوِهما في مُلازمةِ السّكّان وصِفاتِهم وشِبْهِهم بِمَنْ ذُكِرَ، نفع الله بهم.

٤- المسند الصحيح في أحاديث أبي الحسن (قطعة بتحقيق ليفي بروفنسال)، مع ترجمة لابن مرزوق (بالإفرنسية) والنصّ (بالعربية والفرنسية)، من مجلّة (المجلّد الخامس، ١٩٢٥ م)، باريس (لاروز).

★★ الدرر الكامنة ٣: ٣٦٠-٣٦١؛ الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢: ٢٢٣ وما بعد؛ الديباج المذهب ٣٠٥-٣٠٩؛ نيل الابتهاج ٢٦٧-٢٧٠؛ بغية الوعاة ١٨-١٩؛ شذرات الذهب ٦: ٢٧١-٢٧٢؛ نفح الطيب ٥: ١٥٢-١٥٣، ٢٠٠-٢٠١، ٢٢٤، ٢٧٩، ٣٩٠ وما بعد ٦: ١١-١٢، ٦٤-٦٥؛ شجرة النور الزكيّة ٤٣٦؛ الاستقصا ٢: ٩٤-٩٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٦٦ (راجع عن أسرته ٣: ٨٦٥-٣٦٨)؛ تاريخ الجزائر العامّ ٢: ١٠٢-١٠٥؛ معجم أعلام الجزائر ١٤٠-١٤١؛ بروكلمن ٢: ٣١٠، الملحق ٢: ٢٣٥-٢٣٦؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٦ (٥: ٣٢٨)؛ الأصالة (مجلّة) ٤: ٢٦، ص ١٤٣ و١٠٦؛ دودو (كتب وشخصيّات) ٢٩-٤٦؛ معجم المؤلفين لكحالة ٩: ١٦.

أبو سعيد بن لبّ

١- هو أبو سعيدِ فَرَجُ بنُ قاسمِ بنِ أحمدَ بنِ لُبٍّ التَغْلَبيّ الشاطبيُّ الغَرْناطيّ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٠١ هـ (١٣٠١-١٣٠٢ م). قرأ القرآنَ الكريمَ بالسَّبْعِ على أبي الحسنِ القيجاطي[١] ورَوى الحديثَ عن ابنِ جابرٍ الوادي آشي وأخذ العربيةَ (النحو) عنِ ابنِ الفَخّارِ وأبي حيّانٍ الغَرْناطي. ثمّ إنّه أقرأ في المدرسةِ النَّصْرية، ابتداءً من ثامنَ عَشَرَ رَجَبَ من سَنَةِ ٧٥٤ (١٨/٨/١٣٥٣ م). وكانت وفاته في ذي الحِجّة من سنة ٧٨٢ (آذار- مارس ١٣٨١ م).

٢- كان أبو سعيدِ بنِ لُبٍّ فقيهاً ماهراً في القِراءاتِ، عارفاً بالتفسير مُشاركاً في أصولِ الدينِ وأصول الفِقْه وفي الفرائض، بارعاً في علومِ الأدب جيّدَ النظمِ والنثر، تَغْلبُ على نَظمهِ الصِّبغةُ الدينية. وكانت له تآليفُ منها: شَرْحُ الزجّاجي[٢]- شرحُ

(١) أبو الحسن علي بن عمر القيجاطي (٦٥٠-٧٣٠ هـ) من علماء النحو تولّي الخطابة (في صلاة الجمعة) في غرناطة ومات فيها.

(٢) لعلّه شرح كتاب «الجمل الكبير» (في النحو) لأبي القاسم الزجّاجي (ت ٣٤٠ هـ).

تصريفَ التسهيل (نيل الابتهاج ٢٢٠) ورسائلُ أخرى قِصارٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو سعيدِ بنُ لُبٍّ قصيدةً في مدحِ رسولِ الله، منها:

ترومُ جفوني لنـــارِ الهوى خُموداً فتَهْمي دُموعاً غزاراً[١]:
فماءُ جفوني يَسحّ انهمالاً ونار فُؤادي تَهيج اسْتعارا[٢]
أحِنُّ اشتياقاً لريحٍ سَرَتْ وأُبدي هُياما لبرقٍ أنار[٣]
فيا فوزَ مَنْ فازَ في طَيْبَةٍ بلَثْمِ المَغاني جِداراً جدار[٤]؛
وألْصَقَ خَدًّا على تُرْبِها وأكمل حَجًّا بها واعْتِمارا[٥]!
فيا هاديَ الخلقِ دارَ نعيمٍ تناهَتْ جمالاً وطابت قَرارا[٦]،
لأنتَ الوسيلةُ والمُرْتَجى لِيَوْمٍ يُرى الناسُ فيه سُكارى
وما هُمْ سُكارى، ولكنّهم دَهَتْهُمْ دَواهٍ فهاموا حَيارى[٧]:
تَرى المَرْءَ -لِلْهَوْلِ- مِنْ أُمّهِ ومن أقْرَبيهِ يُطيل الفِرارا[٨].

- وقال في وَداعِ شَهْرِ رَمَضانَ:

أأزْمَعْتَ، يا شهرَ الصِيام، رَحيلا؟ وقارَبْتَ، يا بَدْرَ الزمان، أُفولا[٩]؟

---

(١) رام: طلب. الخمود: الانطفاء. همى المطر: انسكب وسال.

(٢) سحّ: سال من أعلى إلى أسفل. انهملت السماء = هملت: دام مطرها. استعَرَتِ النارُ: اشتدّ اشتعالها.

(٣) الهيام: الجنون من العشق.

(٤) طَيبة: المدينة (على ساكنها أفضل السلام). المغنى: المكان المسكون.

(٥) الحجّ: القيام بالمناسك في مكّة في موسم الحجّ (٨-١٠ من ذي الحجّة، آخر أشهر السنة الهجرية).

(٦) «دار» مفعول به من «هادي». تناهت: بلغت الحدّ الأقصى. القرار: المستقرّ: البقاء الدائم.

(٧) ليوم يرى الناس فيه سكارى وما هم بسكارى- اقتباس من القرآن الكريم في وصف هول يوم القيامة ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكنّ عذاب الله شديد﴾ (٢٢: ٢، سورة الحجّ).

(٨) في هذا البيت أيضاً اقتباس: ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ (٨٠: ٣٤-٣٦، سورة عبس).

(٩) أزمع: عزم، أراد. الأفول: الغياب.

أجدَّكَ! قد جَدّتْ بك الآنَ رحْلَــةٌ؟ رُوَيْدكَ! أمْسِكْ لِلْوَداعِ قليلا [1].
نَزَلْـتَ فأزْمَعْـتَ الرَّحيـلَ كأنّما نَوَيْتَ رَحيلاً إذ نَوَيْتَ نُزولا.
ومـا ذاك إلّا أنْ أهلَـكَ قد مَضَوْا: تَفانَوْا فأبْصَرْتَ الدِّيار طُلولا [2].

– وقال في النسيب:

خُـــذوا لِلْهوى مِنْ قَلْبِيَ اليومَ مـــا أبْقـــى،
فما زال قَلْـــبي كلُّـــه للهوى رِقّـــا.
دَعُوا القلبَ يَصْلى في لَظَى الوَجْدِ نـارَهُ فكُلُّ الذي يَلْقَوْنَ بعضُ الذي ألْقى [3].
فـإن كان عبدٌ يسألُ العَتْقَ سَيِّداً، فلا أبْتَغي من مالكي في الهوى عَتْقا.
بدَعْوى الهوى يَدْعو أُنـاسٌ، وكُلُّهم إذا سُئِلوا طُرْقَ الهوى جَهِلوا الطُّرقا [4].
فطُرْقُ الهوى شَتّـى، ولكنّ أهلَـه يَحوزونَ في يَوْمِ السِباق به السَّبْقا [5].
وكم جَمَعَـــتْ طُرْقُ الهوى بـــينَ أهلِـــه،
فحيـــثُ ترى سِيما الهوى فاعْرِفِ الصِّـدْقا [6]:
فمِنْ زَفرةٍ تُزْجي سَحائِـبَ عَبْرةٍ، إذا زَفَرَتْ تَرْقى فلا عَبْرةٌ تَرْقا [7].
إذا سَكتوا عن وَجْدِهم أعْرَبَـتْ بهِ بواطِنُ أحوالٍ وما عَرَفَتْ نُطْقا [8].

---

(١) أجدّك: أستحلفك بحقيقتك! جدّت: حدثت بعد أن لم تكن، و(هنا): أسرعت (لأنّ شهر رمضان أصبح في أواخره فبدا انقضاؤه أسرع ممّا كان يبدو في أوائله). رويدك: تمهّل!
(٢) أهلك قد مضوا: (سكّان الأندلس الآن قلّوا، وأصبحوا أقلّ قوّة وفخامة مظهر ممّا كانوا).
(٣) صَلِيَ: شعر بحرّ (النار). لَظَى: جهنّم (شدة حرّ النار). الوجد: الحبّ الشديد.
(٤) – صحّة الحبّ لا تكون بالدعوى، بل بالسلوك (بحال المرء تجاه محبوبة).
(٥) «عند السرى» (راجع الكتيبة الكامنة ٦٩، السطر الأوّل)– وفي نفح الطيب (٥: ٥١٢، السطر السادس): «عند السوى» (بضمّ السين أو كسرها): العدل، الاعتدال، الوسط، الناس الآخرين، المثل، النظير، الشبيه). السرى: السير في الليل (وقت الجدّ في السير– لأنّ العرب القدماء كانوا يسافرون في الليل لقلّة الحرّ فيه ويستريحون في النهار عند اشتداد الحرّ).
(٦) السيماء: العلامة.
(٧) الزفرة: إخراج نفس حارّ (لشدّة الحزن). أزجي: أرسل، سبّب. العبرة: الدمعة. ترقى: تصعد (من الصدر). ترقأ: تجفّ، (ينقطع صاحبها عن البكاء).
(٨) الوجد: الحبّ الشديد.– في هذا البيت ما يدلّ على شيء من الاتّحاه الصوفي.

٤-★★ الكتيبة الكامنة ٦٧-٧٠؛ الديباج المذهب ٢٢٠-٢٢١؛ نيل الابتهاج ٢١٩-٢٢١؛ بغية الوعاة ٣٧٢؛ شذرات الذهب ٦: ٢٨٠-٢٨١؛ نفح الطيب ٥: ١٠٨-١٠٩، ٢٦٥، ٥٠٩-٥١٤، ٥٢٥؛ بروكلمن ٢: ٣٣٦، الملحق ٢: ٣٧١؛ مختارات نيكل ١٩٦-١٩٧؛ الأعلام للزركلي ٥: ٣٤١ (١٤٠)؛ معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٥٨.

أبو جعفر أحمد بن محمّد بن جزيّ

١- هو أبو جعفرٍ[(١)] أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الله بنِ يحيى بنُ جُزَيٍّ، من أهل غَرناطةَ، وُلِدَ سَنَةَ ٧١٥ هـ (١٣١٥-١٣١٦ م). تَلَقّى العلمَ على والِده وعلى نَفَرٍ آخرينَ ثمّ دَخَلَ في خِدمةِ الدولة، في خُطّةِ الكِتابة، في أوّائلِ أيامِ أبي الحجّاجِ يوسفَ الأوّلِ سابعِ ملوكِ بني نَصْرٍ (٧٣٣-٧٥٥ هـ). ثمّ إنّه تَوَلّى القضاء في بَرْجَةَ ثمّ في أنْدَرَشَ ثمّ في وادي آشَ[(٢)]. ثمّ إنّه أصبح قاضياً بمدينةِ غَرناطةَ وخطيباً فيها في مسجدِ السلطان (الجامع الأكبر) في ثامنِ شوّالٍ من سَنَةِ ٧٦٠ (١٣٥٩/٩/٢ م). ثمّ صُرِفَ عن الخُطبة ثمّ أُعيد إليها، سَنَةَ ٧٦٣ هـ. ويبدو أنّ وفاتَه كانتْ في سَنَةِ ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م).

٢- كان أبو جَعْفرٍ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ جُزَيٍّ فقهياً وأديباً شاعراً. وقد كان بِرُغْمِ اتّجاهِهِ الدينيّ - قليلَ الثقةِ بِالناس. وفي شِعْره لَفَتات بارعةٌ.

٣- مختارات من شعره

- كتب لسانُ الدين بنُ الخطيب إلى أبي جعفرِ بن جُزَيٍّ يطلبُ شيئاً من شِعره،

(١) كنّاه لسان الدين بن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ١٣٨): أبا جعفر، ولم يكنّه في الإحاطة (راجع ١: ١٦٣-١٦٨). والمقّري كنّاه «أبا بكر» (نفح الطيب ٥: ٥١٧، راجع ٢: ٥١٤، ٧: ٢٨٢).

(٢) برجة، ضبطها محمّد عبد الله عنان بضمّ الباء (الإحاطة ١: ١٦٤، ١٧٣، ١٧٤، ٢٠٤، ٥٠٨). وهي مضبوطة بالضمّ أيضاً في القاموس وفي تاج العروس (مع ملاحظة التاج أنّ الإطلاق يقتضي الفتح). وفي معجم البلدان مضبوطة بالفتح، وهي في معظم المراجع الحديثة مضبوطة بالفتح أيضاً. تقع برجة غرب المَرية (في الجنوب الشرقي من الأندلس) على مقربة من ساحل البحر. وأندرش من أعمال المريّة أيضاً، على نهر باسمها، غرب غرناطة. ووادي آش إلى الشمال الشرقي من غرناطة.

فأرسلَ أبو جعفرٍ إلى لِسانِ الدينِ ما طلبَ وكتبَ إليه بهذه الأبيات (الكتيبة الكامنة ١٤٢):

فَدَيْتُكَ، يا سيِّدي، مِثْلَما ... فداكَ الزمانُ الذي زِنْتَهُ[١].
جمالُ فَعالِكَ أظهرتَه، ... وسرُّ كمالِكَ أخفَيْتَه[٢]
تَشوّفتَ منّي إلى بِنْتِ فِكري ... فشرّفتَ شِعري وزَيَّنْتَهُ[٣]
وقد وَرَدَتْكَ، وأنتَ الذي ... أخذتَ فُؤادي، فَخُذْ بِنْتَهُ[٤].

- وقال في التوريّة في «مُعينٍ» (بين أن تكونَ اسماً أو تكونَ علَماً):

كم بكائي لِبُعْدِكم! كم أنيني! ... مَنْ ظَهيري على الأسى؟ من مُعيني[٥]؟
جَرّحَ الخَدَّ دمعُ عيني، ولكنْ ... لا عجيبٌ إنْ جَرّحَ ابنُ مُعينِ[٦].

- قال أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ جُزَيٍّ في سُلوكِ الناسِ حِيال الغَنّي والفقير:

أرى الناسَ يُولونَ الغَنِيَّ كَرامةً، ... وإنْ لم يكُنْ أهلاً لرُفْعَةِ مِقدارِ.
ويَلْوُون عن وجهِ الفقيرِ وُجوهَهُمْ، ... وإن كان أهلًا أن يُلاقى بإكبار.
بنو الدهرِ جاءتْهم أحاديثُ جَمّةٌ،
فما صحّحوا منها إلّا حديثَ ابنِ دينارِ[٧]!

---

(١) زان وزيّن (بالتشديد) بمعنى واحد.
(٢) الفعال (بالفتح): الفعل الحميد.
(٣) تشوّف: تطلّع، نظر من بعيد. بنت الفكر: نتاج الفكر من شعر ونثر وحكم إلخ.
(٤) وقد وردتك: أرسلتها أنا إليك فوصلت إليك.
(٥) الظهير: المعين، المساعد لك في ما تسعى إليه. الأسى: الحزن.
(٦) جرّح (في الشطر الثاني): جرَحَه (عابه وأسقط عدالته: صدقه في الشهادة). والتعديل والتجريح (في علم الحديث): تبيان مراتب رواة الحديث في الصدق وصحّة النقل. ابن معين هو يحيى بن معين بن عون بن زيادِ البغدادي (ت ٢٣٣ هـ = ٨٤٨ م) من أئمّة الحديث ومؤرّخي رجال الحديث، وكان إماماً عارفاً بأصول التعديل والتجريح.
(٧) ابن دينار: الرجل الغنّي (هم يصدقون الرجل الغنّي فقط). وعيسى بن دينار (ت ٢١٢ هـ) من فقهاء الأندلس ومن رجال الحديث أيضاً.

- وله قصيدةٌ جَعَلَ كلَّ عَجُزٍ فيها عَجُزاً من قصيدةٍ لامرئِ القيسِ (ما عدا مَطلَعَها، فإنّ عَجُزَه صَدْرُ المطلعِ في قصيدةِ امرىءِ القيسِ نفسِها)*. من هذه القصيدةِ:

أقولُ لعَزْمي أو لصالحِ أعمالي: (ألا عِمْ صَباحاً، أيُّها الطَّلَلُ البالي)[1]
أما واعِظي شَيْبٌ علا فوقَ لِمّتي (سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حالاً على حالِ)[2]؟
أُخالِطُ دَهْري، وهو يعلَمُ أنّني (كَبِرْتُ، وأنْ لا يُحْسِنُ اللهوَ أمثالي).
وقد عَلِمَتْ مِنّي مواعدُ تَوْبَتي (بأنّ الفتى يَهْذي وليس بفَعّال)[3]
ألا لَيْتَ شِعْري، هل تقولُ عزائمي (لِخَيْلِي: كُرّي كَرّةً بعد إقبال)[4]،
فأنْزِلَ داراً للنَّبِيّ نزيلُهــــا (قليلُ همومٍ ما يَبيت بأوْجال).
فطُوبى لِنَفْسٍ جاوَرَتْ خيرَ مُرْسَلٍ (بيَثْرِبَ أدنى دارِها نَظَرٌ عال)[5].
جوارُ رسولِ اللهِ مَجْدٌ مُؤَثَّلٌ (وقد يُدْرِكُ المَجْدَ المؤَثّلَ أمْثالي)[6].
وما ذا الذي يَثْني عِنانَ السُّرى، وقد (كَفاني - ولم أطلبْ - قليلٌ من المال)[7].

٤-★★ الدرر الكامنة ( ) ١: ٢٩٣ ( )، الكتيبة الكامنة ١٣٨-١٤٣ الاحاطة ١: ١٦٣-١٦٨، بغية الوعاة ١٦٢-١٦٣، شذرات الذهب ٦: ٢٨٦، نفح الطيب ٥: ٥١٧-٥١٩، راجع ٧: ٢٨٢، أزهار الرياض ٣: ١٨٧-١٨٨، معجم المؤلفين لكحّالة ٢: ٧٢.

(★) لحازم القرطاجنّيّ (ت ٦٨٤ هـ) تنصيف مثل هذا لهذه القصيدة (لامرىء القيس) نفسها.

(١) عِمّ بالكسر فعل أمر (أو طلب) من «وعم» (بفتح ففتح أو بفتح فكسر) يعم (بفتح فكسر). عم صباحاً أو مساءً (من تحية الجاهلية). أقول لعزمي.... (ليس لي عزيمة ولا أعمال صالحة).

(٢) اللمّة: الشعر المجاور للأذن. الحباب: فقاقيع الماء. حالاً على حال: مرّة بعد مرّة (؟).

(٣) هذى يهذي: خلّط في الكلام من أثر مرض أو حزن. - وعدت مراراً أن أتوب ولم أفعل.

(٤) كرّ: هجم. إقبال (كذا في الكتيبة الكامنة ١٤٠)، وفي «شرح ديوان امرىء القيس للسندوبي (الطبعة الخامسة: القاهرة، المكتبة التجاريّة الكبرى، ص ١٦٤): إجفال (مضى وأسرع - من الخوف: هرب) (؟)-.

(٥) يثرب: المدينة (مدينة الرسول). أدنى دارها نظر عال:

(٦) مؤثّل وأثيل: ثابت على الزمن.

(٧) يثني: يردّ. عناني: لجامي (فرسي) أي يمنعني عن السفر (إلى الحجّ). - وهذه رحلة تقتضي قليلاً من المال فقط، وأنا لم أطلب شيئاً كثيراً فوق ذلك.

محمّد الظريف التونسيّ

١- هو أبو عبدِ اللهِ محمّدٌ الظريفُ التونسيُّ، نشأ في تونسَ وطلب العلمَ والأدب فيها. وكانت وفاتُه في الجبل المُبارك (جبل المَنار) ويُعرَف في تونس بٱسْم «سِيدي بو سْعِيد» أو مَرْسى قَرْطَاجةَ(١)، وذلك يومَ الخميس في حادي عَشَرَ جُمادى الآخِرة من سَنَة ٧٨٧ (١٣٨٥/٧/١٨ م).

٢- كان محمّدٌ الظريفُ التونسيُّ من علماءِ تونس وصُلحائها المشهورين مُتَصوِّفاً منفرداً بنفسه، تُروى له كَراماتٌ. وكان بارعاً في فنونٍ عِدّةٍ منها الموسيقى. وشعرُه سهْلٌ رائقٌ يدور على مَدْح الرسولِ وعلى الوعظ وتهذيبِ الأخلاق.

٣- مختارات من شعره

- قال محمّدٌ الظريفُ يَصِفُ رَوْضةً:

وربَّ رَوْضـةِ أُنْسٍ قد مَرَرْتُ بها ... مُخضرّةٍ ذاتِ أشجارٍ وأغصان(٢).

قُطوفُهـا تُنْعِشُ الأرواحَ دانيـةٌ ... بجنّةٍ ذاتِ رَوْحٍ ذاتِ رَيْحانِ(٣).

تخلَّـل المـاءُ في أنهارها فغَـدتْ ... تزهو بوَرْدٍ ونِسرينٍ ونُعمانَ(٤).

وقـام فيهـا خطيـب فوقَ مِنْبَرِهِ ... يشكو البُعاد بتغريـد وألحان(٥)،

مُـزوّقُ الصّدْرِ مخضوبُ البَنان له ... من الزبَرْجَـد والياقوت لَوْنـان(٦).

---

(١) «سيدي بو سعيد» (جبل أبي سعيد) مِنطقة جبلية مشرفة على البحر في الضاحية الشمالية من تونس الحاضرة. والمنطقة هي قرطاجة (أو قرطاج، كما يلفظها التونسيون في الصيغة الفرنسية). وقرطاجة (قرطا حدشيت: القرية - المدينة - الحديثة)، وهي من بناء الكنعانيّين (الفينيقيّين).

(٢) الأنس: السرور، الألفة بين الأصحاب.

(٣) قطوف جمع قطف (بكسرّ القاف): ثمر. دانية: قريبة (من الذي يريد قطفها) روح (راحة) ريحان (رزق حسن) راجع القرآن الكريم (٥٦ : ٨٩، سورة الواقعة).

(٤) تزهو: تلمع، تفتخر. نسرين: ورد أبيض اللون. نعمان= شقائق النعمان (زهر برّيّ أحمر اللون).

(٥) خطيب= طائر مغرّد (هنا: حمامة).

(٦) مزوّق الصدر (في صدره ريش مختلف الألوان). مخضوب (مصبوغ) البنان (الأصابع). المقصود هنا «القوائم»، وقوائم الحمامة تكون عادة حمراء. الزبرجد: حجر كريم أخضر اللون. الياقوت: حجر كريم أحمر اللون. يبرز في هذه الحمامة لونان: اللون الأسود (والعرب يقولون للأسود أخضر) واللون الأحمر في قوائمها.

بيضٌ جوانحُه سودٌ مناكبهُ ... لـه من المِسْك والكافور ثوبَانِ[١].
مُطوَّق الجِيد، في أطراف مُقلتِه ... أشِعـةٌ من بهاءِ ريشهِ القاني[٢].
وأطرَبَ الطـيرَ في أوكارِها فغَدَتْ ... شَوْقاً تُجاوِبُه من كُلّ بُستان.
ناشدتُّـكَ اللهَ، ياطيرَ الأراكِ، إذا ... جادَ الزمانُ بوَصلٍ بعدَ هِجرانِ[٣]،
وساعدَتْـكَ الليـالي في تصرُّفِهـا ... وباتَ شَمْلُكَ مجموعاً بخُلّان،
وجِئـتَ طَيْبَةَ والوادي وجُزْتَ على ... وادي العَقيق فَبَلِّغْ حاجَةَ العاني[٤]:
سَلِّمْ عـلى المُصطفى المُختارِ من مُضَرٍ ... خيرِ النَبيِّينَ، من ساداتِ عَدْنان[٥]،
الهاشمِّي الـذي فاضَـتْ فضائلُـه ... عـلى البريّـة من قاصٍ ومن دان،
وقُـلْ لـه: يا رسولَ الله، يا أمَلي، ... يا عُمْدَتي، يا رجائي عند مِيزاني[٦]،
جِسْمي بِتُونِسَ مَوْثوقٌ بزَلَّتِـــــه، ... والقلبُ في الشرق بينَ الرَّنْدِ والبان[٧].
وكـلَّ عـامٍ أُرَجّي أنْ أزورَكُمُ، ... والذنبُ عن قُرْبِ تلك الدارِ أقصاني.
أموتُ والقلـبُ مشتـاقٌ لزَوْرَتِـكم؛ ... مـا لي شفيـعٌ سوى حُبّي وإيماني.
فكُنْ شَفيعِيَ في يومِ الجزاءِ إذا ... عزّ الصديقُ وقلّتْ حيلة الجاني[٨].

- وقال أيضاً يُورّي في بٱسْمِه:

---

(١) المنكب (بالكسر): الكتف. المسك أسود اللون، والكافور أبيض اللون.

(٢) مطوق الجيد (العنق). لعدد من أنواع الحمام طوق (شبه العِقد) من ريش لونه مخالف للون الريش في سائر جسمها. البهاء: الجمال. القاني (الشديد الحمرة، من «قان» في الفارسية: دم) هنا: اللون الزاهي البرّاق.

(٣) ناشدتك الله: سألتك (طلبت منك) وأنا أقسم بالله. الآراك: شجر يتّخذ الناس من أغصانه المساويك (جمع مسواك: لجلاء الأسنان)، إشارة إلى الحجاز.

(٤) طيبة: المدينة المنوّرة. الوادي (وادي مكة، أو مدينة مكة؟). وادي العقيق (قرب المدينة). العاني: الأسير (الموجود في بلده غير قادر على الذهاب إلى الحج).

(٥) المصطفى المختار (محمد رسول الله). مضر (مجموع عرب الشمال). عدنان (جدّ عرب الشمال).

(٦) عند ميزاني (يوم القيامة حين توزن حسنات المرء وسيئاته للفصل في أمره إلى الجنة أو إلى النار).

(٧) موثوق، يقصد موثق (مربوط). الزلّة: الخطأ، العثرة، الذنب. والقلب في الشرق (المشرق): يحنّ إلى مكّة. الرند (شجر طيّب الرائحة) والبان (شجر جميل الأغصان) كناية عن المقام المحمود (المقدس).

(٨) يوم الجزاء: يوم القيامة.

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظَرْفِهِ حتى يكونَ عنِ الحرام عفيفا.
فإذا تعَفّفَ عنْ مَحارمِ رَبِّهِ، فهُنَاك يدعوه الأنامُ ظريفا.

٤ - ★★ عنوان الأريب ١ : ١٠٣ - ١٠٥ ؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٦ - ٢١٧.

أبو جعفر بن زرقاله

١ - كان آل زَرقالُهْ أسرةً قديمةَ السُّكنى في مدينة المَرِيَّة، وكان جدّ صاحب الترجمة (واسمه أيضاً: أحمدُ وكُنيته أبو جعفر) من العُدول[1] أديباً ناثراً ناظماً وعالماً فاضلاً ذا مكانة عند أهل الدولة وذا صلةٍ بهم.

أمّا أبو جعفر (الحفيد) صاحبُ هذه الترجمة فالذي نَعْرِفه عنه أنّه تلقّى شيئاً من العلم على أبي البركات بن الحاجّ البلفيقي[2]، كما قرأ رِحلة أبي البقاء البَلَويّ[3] «تاج المَفْرِق في تَحْلِيَةِ علماءِ المشرق» على مؤلّفها مِراراً وقرّظها شعراً ونثراً.

ولعلّ وفاةَ ابن زرقاله هذا كانت في أعقاب القرنِ الثامن للهِجرة (الرابعَ عَشَرَ للميلاد).

٢ - أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ زَرْقالُهْ (الحفيد) هو الفقيهُ الوزير الكاتب الماهر والناظم الناثر شُغِفَ بِرِحلَة أبي البقاء البَلَويِّ واعتنى بها عِنايةً فائقة ونَظَمَ في مدحها قصائدَ ومقطّعاتٍ ثمّ جَمَعَ ما قيل فيها نظماً ونثراً وعَرَّفَ القائلينَ فيها تعريفاً حسناً. ثمّ هو مؤلّف له «رائقُ التَحْلِيَة في فائِق التَّوْرية» جمعه من أبياتٍ في التورية لابنِ خاتمةَ الأنصاريِّ (ت ٧٧٠ هـ، راجع فوق ص ٣٨٩) أَنشَدَه إياها ابنُ خاتمةَ نفسُه.

---

(١) العدل، والجمع عدول: أشخاص تعيّنهم الدولة فيجلسون مع القاضي في مجلس الحكم ليشهدوا على أحكامه ويصحّحوها إذا وقع فيها خطأ. وكان نفر من هؤلاء يعملون مستقلّين ويرتزقون من الشهادة في المحاكم لمن يطلب منهم ذلك ويدفع لهم مبالغ يتّفق عليها.

(٢) أنظر، فوق، ص ٤٩٨.

(٣) أنظر، فوق، أبو البقاء خالد بن عيسى البلوى الأندلسي قاض، وله شعر ونثر، توفّي في أواخر القرن الهجري الثامن (راجع نفح الطيب ٢ : ٥٣٢ - ٥٣٤ ؛ نيل الابتهاج ١١٥ ؛ الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة ٢ : ٢٩٧).

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة كتاب «رائق التحلية» لابن زرقاله:

..... الحمد لله الذي خصّ هذه الأمّةَ باللِسان العربي المُبين و(بـ)ـالبيان المُتَبلّج الغُرّةِ الوضّاح الجَبين فهَصَروا من ثَمَراتِهِ الدانيةِ القطوفِ بِفَنَنٍ مائل[١]، وتفيّأوا ظِلالَها عن الأَيْمان (والشَّمائل)[٢].... وبعدُ، فلمّا كان الأدبُ حِليةَ العربِ الذي إليه انتهت فَصاحَتُها وبه ظهرت رَجاحتها[٣]، وكان الشعرُ منه بمنزلةِ الروح من الجسد.... فهو طِرازُ بُرْدِهِ ووُسْطى عِقده[٤]. ولم يزلِ الناسُ- خلَفاً عن سَلَفٍ- يتوارثونه ويتّبعون (فيه) منهجَ العرب ويَقْتَفونه، هذا وإن كانوا لا يَنْتَجِعون إلّا من وادِيهم ولا يستَمْطِرون إلّا من غَواديهم[٥]. فلم يَخْلُ كلُّ عصرٍ من شاعرٍ يكون شُعراءُ زمانِه عِيالاً[٦] عليه ويَرْجِعُ كلُّ (واحد) منهم إليه.... وكان شاعرَ عَصْرِنا ببلدنا هذا- عَصَمه اللهُ- (و) الذي رَفَعَ سماء الأدب وبَناها، ومهّدَ أرضَ الشِّعر ودحاها[٧]..... شيخُنا الأستاذُ أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ خاتمةَ.....

و(قد) كان لي بمحاسنِ الأدبِ شَغَفٌ وباقتناء جواهره كَلَفٌ، أَتَشَبّثُ به تشبُّثَ الولدِ بالوالد، والمَوْصول بالصِّلة والعائد[٨]، وأَقصِد غُرَرَ عيونه وأعْتَمِدُ أبكارَه دُون

---

(١) هصر الرجل الغصن: جذبه إليه. الدانية (القريبة) القطوف (الثمرات التي تجنى من الأغصان). الفنن: الغصن.

(٢) الأيمان (جمع يمين، الجانب الأيمن) والشمائل (جمع شمال بكسر الشين).

(٣) الحلية: الزينة. انتهت (بلغت النهاية: الكمال). الرجاحة (بفتح الراء): الحلم (المعجم الوسيط ١: ٣٣٠) بكسر الحاء: سَعة الصدر.

(٤) الطراز: العلامة في الثوب دلالة على صاحبه (إذا كان من الملوك أو من هو في صفهم). والوسطى في العقد: الجوهرة الكبرى تكون في العقد، وتكون في وسَطه.

(٥) انتجع: ذهب (إلى المرعى). الغادية: السحابة الممطرة صباحاً.

(٦) عيالاً عليه: يعتمدون عليه في نظم الشعر (يأخذون من معانيه).

(٧) مهّد: سوّى، جعل الشيء مستوياً. دحا الشيء يدحوه: مدّه وبسطه.

(٨) الاسم الموصول: الذي، التي، الخ. ويكون له في الجملة صلة وعائد (مثال ذلك: الرجل الذي جاء من بعيد- الضمير في «جاء» عائد، يعود إلى الرجل. وجملة «جاء من بعيد» صلة الموصول لا محل لها من الإعراب). ولا معنًى لاسم الموصول إذا لم يأت بعده صلة وعائد.

عُونِه(١). وأتشوّفُ للاستطلاع منه من ما لم(٢) تمزّقَ الأيامُ بُرْدَتَه وتُخْلِقِ الأقلامُ جِدّتَهُ(٣)..... وكانتِ التَّوْريةُ(٤) من محاسنِ الشعر تشهَدُ لصاحبها بجلالة القَدْر وتَحِلّ من النُّفوس مَحِلَّ النَّور من الرياض، والسِّحر من الحَدَقِ المِراض(٥)، وتمتزج بالأرواح امتزاجَ الماء بالراح لِلُطْفِ معناها ودِقّة إشارتها ورِقّة عِبارتها، اسْتَنْشَدْتُه - أبقاه الله - ما وَقَعَ له من المنظومات فيها، ورَغِبْتُ منه أن يُسْعِفَني جميعها ويَسْتَوْفِيَها(٦). فأجابني إلى ذلك عملاً على شاكلةِ فَضْلِهِ(٧) وما يَليقُ من التخلُّقِ بكريمِ مَحِلِّه.

٤- رائق التحلية في فائق التورية (حقّقه محمّد رضوان الداية)، دمشق (منشورات دار الحكمة).

ابن عبّاد الرنديّ

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبد الله بنِ مالكٍ النَّفْزيّ الحِمْيري المعروفُ بابن عبّادٍ الرُّنْدي، أصلُ أهلِهِ من قَبيلة نَفْزَةَ (في المغرب الأقصى) ومولده في رُنْدَةَ (الأندلس)، سَنَةَ ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) ومنشأه فيها.

حَفِظَ ابنُ عبّادٍ الرُّنْديُّ القرآنَ الكريمَ في السابعةِ من عُمُرِهِ ثمّ تلقّى النحوَ والأدب والفِقه أصولاً وفُروعاً عن جماعةٍ منهم أبوه، وكان أبوه واعظاً معروفاً.

---

(١) عيون الشيء: خياره (أحسن ما فيه). البكر: الفتاة التي لم تتزوج بعد. العوان: المرأة المتوسطة في العمر (يقصد المعاني المبتكرة والمعاني المألوفة).

(٢) من ما لم (ترسم: ممّا لم).

(٣) البردة: الثوب الواسع. تُخلِق: تمزّق، تُتلف (تجعل الشيء قديماً متهرئاً).

(٤) التورية (في البلاغة): المجيء بلفظ أو تركيب له معنيان قريبٌ وبعيد يفهم السامعُ عادة معناه القريب بينما يكون القائل قد قصد المعنى البعيد. فإذا قلت لرجل ملأ الله فمك ذهباً، يظنّك تدعو له (بأن يعطيه الله ذهباً بمقدار ما يسع فمه) بينما يمكن أن تكون أنت تدعو عليه (بأن تسقط أسنانه ثمّ يستعيض عنها بأسنان من ذهب).

(٥) النور (بفتح النون): الزهر الأبيض. الحدق: العيون. المِراض: المريضة (الناعسة).

(٦) اقرأ: يسعفني بها جميعها (يساعدني في الحصول عليها).

(٧) الشاكلة: السجيّة، الطبع. على شاكلة فضله: على ما تعوّد من التفضّل على الناس.

رَحَلَ ابنُ عبّادِ الرُّنْديّ عن الأندلس باكراً فتنقّل بين فاسَ وتِلمْسانَ ومَرّاكُش وسَلا وطَنْجة. ففي تِلمْسانَ درس على مُحمّدِ بنِ أحمدَ الشريفِ التِلمْسانيّ (٧١٠ - ٧٧١ هـ) كبيرِ عُلماءِ المذهبِ المالكيّ في أيامه. أمّا في طريقِ القَوْم (التصوّف) فقد لازمَ أحمدَ بن عَمرَ بنِ عاشرٍ (ت ٧٦٥ هـ) وتأثّر به كثيراً.

وفي سَنَةِ ٧٧٧ عُيّن ابنُ عبّادِ الرُّنْديُّ إماماً وواعظاً في جامع القَرَوِيّينَ في فاس وظلّ في هذا المَنْصِبِ إلى وفاته في ثالثِ رَجَبَ من سَنَةِ ٧٩٢ (١٣٩٠/٦/١٧ م).

٢- ابن عبّادِ الرُّندي خطيبٌ وواعظٌ وصوفيّ مصنّفٌ له من الكتب: الرسائل الكبرى (وهي مكاتبات في التوحيد والتصوّف وفي تفسير متشابه[١] الآيات كتب بها إلى أمثالهِ المتصوّفين)- الرسائل الصغرى[٢] وجهّها من سلا، قبلَ سَنَةِ ٧٧٠ للهجرة في الأغلب: سِتٌّ منها إلى محمّدِ بنِ أديبَةَ (؟) وتِسعٌ إلى تلميذِه الرحّالة المحدّث يحيى السرّاج (ت نحو ٨٠٣ هـ) ثمّ واحدةٌ إلى الإمام أبي اسحاقَ إبراهيمَ الشاطبيّ (ت ٧٩٠ هـ)- غيث المواهب العليّة في شرح الحكم العطائية[٣] (في الزهد والتصوّف)- كفاية المحتاج- فتح الطرفة وإيضاح الشرفة- شرح الأسماء الحسنى- رسائل (في عدد من الموضوعات الواردة في كتاب « قوت القلوب »)[٤].

٣- مختارات من آثاره

- لابنِ عبّادٍ (من الرسائل الصغرى): الرسالةُ الثالثة: كتابٌ يتضمّنُ بيانَ التقليدِ

---

(١) الآيات المتشابهات التي تحتمل التأويل (وقيل هي: الحروف التي في أوائل السور، ولا نعرف نحن دلالالتها).

(٢) الرسائل الصغرى أو الكبرى لا تختلف في مادّتها واتّجاهها وأسلوبها، بل في حجمها: الرسائل الكبرى ٢٦٢ صفحة والرسائل الصغرى ١٣٨ صفحة.

(٣) هو أحمد بن محمّد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري (ت ٧٠٩ هـ) المالكي الشاذلي، صحب أبا الحسن الشاذلي. وكان ابن عطاء في زمانه هو المتكلّمَ على لسان الصوفية. وقد كان شديد المقاومة للإمام ابن تيميّة (ت ٧٢٨ هـ) لأنّ ابن تيميّة كان شديد الحملة على الصوفية وغيرهم من أصحاب المذاهب والآراء المخالفة لرأي أهل السنّة والجماعة. ولابن عطاء مصنّفات أشهرها الحكم العطائية.

(٤) قوت القلوب كتاب في التصوّف لأبي طالبٍ المكّي (ت ٣٨٦ هـ).

والبِدعة وما اشتملا عليه من القبائح والمفاسد:

أُسلّمُ عليكم وأُعرّفكم بوصول كتابكم إلينا تُعْلِمون فيه بوصول جوابنا إليكم، وأنّه وقع منكم موقعاً اقتضاه حُسْنُ ظَنِّكم وسلامةُ اعتقادكم. وطلبتم منا بيانَ التقليد والبِدعة اللذَيْنِ أشَرْتَ إليهما في الجواب المذكور وأن أكتُبَ اليكم نُبَذاً في ذلك.

فاعلم أن هذين المَعْنَيَيْنِ قد ورد الشرعُ بذمّهما وعيبَ المتّصف بهما.

أمّا التقليدُ فهو نوعٌ من أنواع البِدَعِ التي يأتي ذِكْرُها، وَهِيَ عبارةٌ عنِ اتّباع الغيرِ بلا دليلٍ ولا حُجّةٍ، كَمَنْ يقلّدُ شخصاً لِعظَمِ محلّهِ عنده أو (كمن يقلّد) أُمّةً من الناس لكَثْرَتِهم وقِدَمِ زمانِهم. وقد عاب الحقّ تعالى ذلك على طوائفَ مِنَ الكَفَرة في آيٍ كثيرة من القرآن.......

واعلَمْ أن هذه الصِّفَةَ الذميمة قدِ استطار[١] في هذا الزمانِ شَرَرُها وعمّ ضَرَرُها، فترى المتفقّهَ الغبيّ إذا قَرَعَ سَمْعَه شيءٌ من علوم التحقيق[٢] أو علم[٣] من أعلامِ أهلِ التصديق يَلْوي خدَّه ويُقَطّبُ وجهَه ويقول لفَرْطِ غباوته: لو كان هذا حقًّا لَنَصّ عليه فلانٌ وَلَتَداوَلَتْهُ القُرونُ والأزمان. وترى المُتصوّفَ الجاهلَ إذا ذُكِرَ عندَه مسألةٌ من مسائلِ الأحكام ومعالمِ الحلال والحرام يتنكّرُ لجليسه ويغترّ بتزويره وتَلْبيسه[٤] ويقول لشدّة جَهالته: هذه ظواهرُ ورسومٌ ومُخاطباتٌ للعموم. وقد كان سَيّدي[٥] فلانٌ لا يقرأ ولا يكتب ولا يَنْتَسِبُ إلى مذهب. وترى الفاجرَ العيّار[٦] من ذوي الكبائر والإصرار يَقْتدي بهَفوات القُدماء وزلّاتِ العُلماء ويَعْتَدُّ[٧] ذلك دِيناً مَتيناً وحقًّا مُبيناً.

---

(١) استطار: انتشر.

(٢) علوم التحقيق (علوم التصوّف).

(٣) أو علم (كذا!).

(٤) التزوير: التحسين والتزيين (وهنا: إيراد الشيء على خلاف حقيقته). التلبيس: (خلط الشيء بغيره).

(٥) ظواهر (أمور ظاهرة غير حقيقية، غير مقصودة لذاتها) ورسوم (أمور وضعها الناس لأنفسهم يمكن أن يضعوا في وقت آخر غيرها). ومخاطبات للعموم (للعامّة ليس على الخاصّة من العلماء اتّباعها). سيّدي: شيخي (الذي أتبعه وأقتدي به).

(٦) الفاجر: الفاسق الذي يكثر من إتيان المحارم من غير أن يباليَ. العيّار: الكثير التجوال في الأرض، الذي يتّبع هواه في كلّ شيء ولا يبالي.

(٧) اعتدّ الأمرَ ديناً: عدّه وأحضره (اتّخذه).

وقد ينتهي الجهلُ بأقوامٍ إلى ألّا يَرَوْا لأحدٍ فضلاً على مَنْ قلّدوه من أئِمّتِهم ويستحقرون بَذْلَ مُهَجِهم في مُحاماتهم ونُصرتِهم......

واعلَمْ أن كلّ مسألةٍ مطلوبٌ فيها إصابةُ ما في نفسِ الأمرِ(١) وله (للإنسان) مَنْدوحةٌ عن التقليد فيها بأن ينظُرَ إلى وجهِ الدليل المنصوبِ عليها: إمّا على جِهة الوجُوب كمسائل الاعتقادات، أو على غيرِ جِهةِ الوجوب كغيرِها من المسائل. فالتقليدُ في ذلك مذمومٌ سواء اتفقتْ(٢) إصابته أم لم تتّفق. (لكن) لا يدخُلُ في ذلك تقليدُ العامّة للمجتهدين في المسائل الفِقهيّة الفرعية، لأنّ المطلوبَ فيها إصابةُ ما غَلَبَ على ظنّ المجتهد، ولا سبيلَ للعاميّ إلى هذا إلّا بالتقليد. ولا يدخُلُ فيه أيضاً تقليدُ مَنْ يحتاج إلى فَنٍّ من فنون العلم لأربابه(٣)، وإن كان المطلوبُ فيه إصابةَ ما في نفسِ الأمر(١) إذ لا مندوحةَ له عن التقليدِ فيه، كعلمِ التفسير والحديث والتاريخ والنحو واللغة والطبّ. فالتقليد في نفسِه مذمومٌ لا ينبغي الاعتماد عليه إلّا عند الضَرورة.......

وأمّا البِدعةُ فقد وَرَدَ في ذَمّها آياتٌ كثيرةٌ وأخبارٌ*.........

إنّ الله تعالى بعَثَ مُحمّداً صلّى اللهُ عليه وسلّم رسولاً إلى جميع الأنامِ وهادياً لهم إلى دارِ السلام(٤)، وكانوا إذ ذاك في جاهليةٍ جَهْلاء وضلالة ظلماء(٥)، مُشَتّتَةً آراؤهم مُفْتَرِقَةً أهواؤهم لم تأمُرْ أحلامُهم الفاخرة(٦) إلّا بإهمال النظر في مسالك العِبَر(٧)، ولم تَهْدِهم أَلْبابُهم إلّا إلى عِبادةِ حَجَرٍ وشمسٍ وقمر. فَمَنَّ اللهُ عليهم بأنْ بعثَ فيهم رسولاً من أنفُسِهِمْ – و (من) أزكاهم وأنفَسِهم(٨) – حلّاهُ بأكملِ الصفات وأحسنِ الأخلاق ووفّاه من مواهِبِهِ ومَنَحه نفائسَ الأعلاق(٩)....... (ثمّ يذكر أحاديثَ وأخباراً من نشأة

(١) إصابة نفس الأمر (المقصود: ما في الأمر نفسه).
(٢) اتفقت = آتفقت؟
(٣) من فنون العلم لأربابه (علم موجود عند أناس غير موجود عند آخرين).
(*) الأخبار (جمع خبر): الأحاديث المرويّة عن رسول الله.
(٤) دار السلام: الجنّة.
(٥) ضلالة ظلماء (عمياء): ضلال (ضياع، تيه) لا يهتدي فيه الضائع إلى سبيله.
(٦) الحلم (بالضمّ): العقل. الفاخرة (؟).
(٧) العبرة (بالكسر): الدرس، نتيجة الاختبار.
(٨) أنفس الأشياء: أثمنها، أحسنها.
(٩) وفّاه: كمّل له، أتمّ عليه. العلق (بالكسر): الشيء النفيس الذي يضنّ (يبخل) الإنسان به.

البدع واتّساعها).

وقد بَعُدْنا عن المَقْصِدِ فَلْنَرْجِعْ إليه. فجميعُ ما ذَكَرْناه في هذه النُّبْذَةِ إشارةٌ إلى نوعٍ واحدٍ من أنواع البِدَعِ وهو ما يُؤدّي إلى اختلافٍ وتنازُعٍ وتهاجُرٍ وتقاطُعٍ من أيٍّ وَجْهٍ أدّى إلى ذلك. ويَقَعُ ذلك بين مُبْطِلَيْنِ بسببِ شِدّةِ التعصُّبِ من الجانبين، وبين مُبْطِلٍ ومُحِقٍّ فيَنْقَسِمُ الأمرُ فيكونُ سببُه من جِهة المُبْطِلِ هوًى مُرْدِياً وشيْطاناً مُغْوِياً (١)، ومن جهة المُحِقِّ قِياماً بواجبِ الدين ونصيحةً للمسلمين. ويستحيلُ وُقوعُه بين مُحِقَّيْنِ......

٤- غيث المواهب العليّة بشرح الحكم العطائية (شرح النفزي على متن السكندري) بولاق ١٢٨٥ هـ؛ مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٢٩٩ هـ؛ (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ هـ؛ (المطبعة الميمنية) ١٣٠٤ هـ؛ ١٣٢٠.

- الرسائل الكبرى، فاس (حجر) ١٣٢٠ هـ.
- الرسائل الصغرى (نشرها بولس نويّا)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٧ م.

★ شرح الشيخ عبد الله الشرقاوي على غيب المواهب (بهامش طبعة بولاق).

الكتيبة الكامنة ٤٠-٤٤؛ نيل الابتهاج ٢٧٩-٢٨١ (٢٨٧ وما بعد)؛ نفح الطيب ٥: ٣٤١-٣٥٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٢٢٠؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٥٨؛ سركيس ١٥٧-١٥٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٩٠ (٥: ٢٩٩)؛ بالنثيا ٣٩٠؛ معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٢٠٧-٢٠٨.

ابْنُ زَمْرَكَ

١- هُوَ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ يوسفَ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ يوسفَ الصُرَيْحيُّ المعروف باسم ابن زمْرك (بفتح الزاي والراء أو بضمّها)، أصلُ أهلِهِ من شَرْقيِّ الأندلس وقد سَكَنَ سَلَفُه غَرْناطةَ.

وُلِدَ ابنُ زمركَ في ١٤ من شوّالٍ من سنة ٧٣٣ (١٣٣٣/٦/٢٩ م) في غَرْناطةَ ونشأ فيها. وقد تلقّى العلمَ على نَفَرٍ منهم: أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنِ محمّدِ اللّوشيّ (ت ٧٥٢ هـ)،

---

(١) المُردي: المهلك. المغوي: المضلّل، الداعي إلى الحَيْد عن الصواب.

وأبو عبدِ اللهِ محمّدُ بن بيبَشَ العَبْدَرِيُّ (ت ٧٥٣ هـ)، وابنُ الفَخّارِ الإلبيريُّ وأبو القاسم الحَسَنيّ التلمساني وأبو البركات البَلْفيقي وأبو فَرَجٍ بنِ لُبٍّ. غيرَ أن أكثرَ أخْذِه كان عن ابن مَرْزوقٍ التِلِمْسانيّ.

أما الذي تولّى العِنايةَ بابنِ زمركَ فهو لِسانُ الدينِ بنُ الخَطيب: إنّه أُستاذُه على الحَصْر في فنونِ الأدبِ ووليُّ نِعْمتِهِ في الترقّي في مراتبِ الدولة. لمّا تولى ابن الخطيب الوزارةَ، سنة ٧٤٩ هـ، لأبي الحجّاجِ يوسفَ الأول النيّارِ، أدْخل ابنَ زُمْرُكَ في خِدمةِ الدولة كاتباً.

في سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) جاء محمّدُ الخامسُ الغنيُّ بالله إلى عرش غرناطة فأخذت مكانةُ ابنِ زمرك ترتفع في دولة بني الأحمر، إذ أصبح ابنُ الخطيب حاجباً للدولة فجعل تلميذَه ابنَ زمرك في حاشية السلطان. وفي سنة ٧٦٠ هـ خُلِعَ محمّدُ الخامس الغنيّ بالله فلَجأَ إلى أبي سالمٍ إبراهيمَ بنِ عليٍّ سُلطانِ بني مَرينٍ في فاسَ ولَحِقَ به ابنُ زمرك (بينما بَقِيَ ابن الخطيب في غرناطة). وبعد عامين (في ٢٠ جُمادى الآخرة ٧٦٣ = ١٣٦٢/٤/١٧ م) عاد محمّد الخامس الغنيّ بالله إلى غرناطة- وابنُ زمرك معه- واستعاد عرشَهُ وردّ ابنَ الخطيب إلى الوزارة وجعل ابن زمرك كاتباً خاصّاً به ولَقّبه بالرئيس. ولَعلّ ابن زمرك قد وَجَدَ في هذه الأثناء فُسْحَةً من الوقت فتصدّرَ لتدريسِ الفقهِ واشْتَهَرَ بذلك في مالَقَةَ وفي غَرْناطة.

كانتِ الأُسرةُ المَرينية في فاس قد ضَعُفَتْ، وكان بنو الأحمر يتلاعبون بها ويَضْرِبون بَعْضَ أعضائِها ببعضٍ ثمّ ينصُرون بعضَهم على بعضٍ. ويبدو أن ابنَ الخطيب مالَ مَعَ بعضِ بني مرين على محمّدٍ الغنيِّ بالله، أو أنّ ابنَ زمرك اتّهمه بذلك (٧٧٠ هـ) ففرّ ابنُ الخطيبِ إلى فاس خوفاً من سوء العاقبة في غَرْناطة. بذلك أصْبح ابنُ زمرك وزيراً مكانَ ابنِ الخطيب.

وداخَلَ ابنَ زُمْرُكَ العُجْبُ بما وَصَلَ إليه من الرِّفعةِ والنُّفوذ فاستبدَّ برأيِهِ في الأمور واستعذَبَ التآمُرَ والإيقاع بالناس، ولكن لم يَسْتَطع أحدٌ أن يَصِلَ إليه، فقد كان محمّد الغنيّ بالله- وقد كان ابن زمرك شاركه سرّاءه وضرّاءه- يَحْميهِ ولا يَسْمَعُ فيه قولَ سوءٍ.

وفي صَفَر من سنة ٧٩٣ (كانون الثاني - يناير ١٣٩١ م) توفّي محمّد الغنيّ بالله فخَلَفَه ابنُه أبو الحجّاج يوسفُ الثاني، ولم يَكُنْ هو ولا حاشيتُه يَعْطِفون على ابنِ زمرك فسُجِنَ ابنُ زمرك في سِجْن اَلْمَرِيَّةِ، في أوّل ربيعٍ الأولِ من سَنة ٧٩٤ (١٣٩٢/٧/٢٢ م). ومع أن ابنَ زمرك خرج من السِّجْن بعد ذلك وعاد إلى الوزارة مُدّةً يسيرةً ثمّ صُرِفَ منها وَشيكاً فإنّ النِّقْمةَ ظلت عليه شديدةً - ذلك لأنه، فيما يبدو، استأنف شيئاً من الكَيْد والتآمُر. فاقتحمَ السلطانُ بنفسه على ابنِ زمرك منزلَه وقَتَلَه هُوَ ووَلَدَيْهِ وعدداً من خَدَمِه وأنصارِه في أواخرِ سَنَةِ ٧٩٥ أو أوائل سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م).

٢ - كان ابنُ زُمْرُكَ شُعْلَةً من شُعَلِ الذَّكاءِ جَيِّدَ الفَهْم حُلوَ المُجالسة عَذْب الفُكاهة، ولكنّه كان أيْضاً ميّالاً إلى الكَيْد والدَّسّ. ولقد شاركَ في فنونٍ كثيرةٍ منها التفسيرُ والفِقْهُ (في الأُصول والفُروع) واللُّغَة. وكان أيضاً شاعراً وُجْدانيًّا مُجيداً، قيل فيه إنّه آخرُ الشعراءِ الفُحولِ في الأندلس، كما كانَ وشّاحاً وخطيباً ومُتَرَسِّلًا وناقداً. وشعرُهُ قصائدُ طوالٌ ومقطّعاتٌ بعضُها مُرْتَجَلٌ. ثمّ إنّه كان كَلِفاً بالمعاني البديعة والألفاظ الصَقيلة.

أما فنونُ شعرِه فأكبرُها المديحُ. ومدائحُه كثارٌ طوالٌ تبدأ بغزلٍ، وهي عادةً سُلْطانيّات (لأنّها تقال في سُلطان غَرناطة) وعِيديّات (لأنّ القسم الأوفر منها كان يقال في الأعياد تهنئةً) واعتذاريّات. وله ميلاديّات كِثارٌ أيضاً (بَديعيّات، في مَدْح الرسول). ومن قصائدِه ميلاديّات عيديّات. ورثاؤه قليلٌ جدًّا. وله وَصْف خَفاجيّ النزعةِ أكثره في وَصْفِ قصورِ الحَمْراء وبساتينِها. وله خمرياتٌ أيضاً يَدْعونَها صَبوحيّات (والصَّبوح شرب الخمر في الصباح). وغَلَبَ على شعرِه، في بعضِ أدوارِ حياتِه، شيءٌ من التَصوُّفِ.

٣ - مختارات من آثاره

- مُوَشّحةٌ مَشهورةٌ لابنِ زمرك قالَها في أثناء إقامته في فاس (٧٧٦ هـ)، لَمّا ذهب إليْها لِيُطالِبَ سُلْطانَ فاس بقتلِ لِسانِ الدين بنِ الخطيب (راجع ترجمة ابن الخطيب):

أبْلِـــغْ لِغَـرْناطَـةِ السلامْ   وصِـفْ لهـا عَهْـدِيَ السَّلِيمْ

فلَوْ رَعى طَرْفُها ذِمام	ما بِتُّ في لَيْلةِ السليمْ[١].

★ ★ ★

كم بِتُّ فيها على اقْتراحْ	أُعَلُّ مِنْ خَمْرةِ الرُّضابْ؛
أُديرُ فيها كُؤوسَ راحْ	قد زانَها الثَّغر بالحُبابْ؛
أخْتالُ كالمُهْرِ في الجِماح	نَشْوانَ في رَوْضةِ الشبابْ؛
أُضاحِكُ الزَّهرَ في الكِمامْ	مُباهِياً رَوْضَهُ الوَسيمْ؛
وأفْضَحُ الغُصْنَ في القَوامْ	إنْ هَبّ من جَوِّها النَسيمْ[٢].

★ ★ ★

بَيْنَا أنَا والشبابُ ضافْ	وظِلُّه فوقَنا مَديدْ،
ومَوْرِدُ الأُنْسِ فيه صافْ	وبُرْدُهُ رائِقٌ جَديدْ،
إذ لاحَ في الفَوْدِ، غيرَ خافْ،	صُبْحٌ به نُبِّهَ الوليدْ:
أيْقَظَ مَنْ كان ذا مَنامْ	لَمَا انجلى لَيْلُه البَهيمْ،
وأرْسَلَ الدَّمْعَ كالغَمامْ	في كل وادٍ به أهيمْ[٣].

★ ★ ★

يا جِيرةً عهدُهُمْ كَريمْ	وفِعْلهم كُلُّه جَميلْ،

---

(١) عهدي السليم: عهدي الذي كان سلاماً في ربوعها. لو رعى طرفها ذمامي: لو دام لي صفاؤها. ما بتّ في ليلة السليم: ما قضيت زماناً (بعد ذلك) أتألّم كأنّني سليم (ملدوغ).

(٢) على اقتراح: حسب مقترحي، على ما أشتهي. أعلّ: أسقى مرّة بعد مرّة. الرضاب: الريق. الراح: الخمر. والحباب الذي يطفو على سطح تلك الخمر من ثغر الحبيب. الجماح: النشاط. الكمام: الورق الأخضر الذي يغلّف الزهر قبل أن يتفتّح. الوسيم: ذو الملامح الجميلة. - وقوامي المتمايل من الشباب أجمل من الغصن المتمايل في النسيم.

(٣) ضاف: سابغ، يعمّ كل ما أُلقي عليه. المورد: (الشريعة) المكان الذي يستقي الناس منه. البرد: الثوب. برد الشباب جديد (في أول الشباب). الفود: الشعر في طرف الرأس عند الأذن. صبح (شيب). قد نبّه الوليد: قد دعا الذي يظنّ نفسه أنه لا يزال صغيراً إلى التفكير بانقضاء القسم الجميل من عمره. لمّا انجلى (انجاب، زال، انقضى) ليله البهيم (الأسود، كناية عن الشباب الذي يكون الشعر فيه أسود). أهيم: أسير على وجهي من غير تفكير (أصبحت نادماً على كلّ ما كنت قد عملته في إبّان جنون الشباب).

لا تَعْذِلوا الصَّـبَّ إذ يَهِـيمْ فقَبْلَـه قـد صَبا جَميـل.
القُرْبُ مِنْ رَبْعِكُمْ نَعِـيمْ، وبُعْـدُكم خَطْبُـه جَليـلْ.
كَمْ مِنْ رِيـاضٍ بـهِ وِسامْ يُزْهَـى بهـا الرائـض المُسيمْ:
غَديرُهـا أَزْرَقُ الجِمامْ، ونَبْتُهـا كُلُّـه جَمـيمْ[1].

★ ★ ★

أعِنْـدَكم أنّـني بفـاسِ أُكابِـدُ الشَّوْقَ والحنـينْ[2]؟
أذْكُرُ أهْـلي بهـا وناسي، واليومُ في الطولِ كالسِّنـين.
الله حَسْبي، فـكَمْ أُقاسي من وَحْشَةِ الصَّـبِّ والبَنـينْ،
مُطارِحـاً ساجِـعَ الحَمامْ شوقـاً إلى الإلْـفِ والحمـيم؛
والدمـعُ قـد لَـجَّ في انسجـامْ وقـد وَهَـى عِقْـدُه النَظـيم.

★ ★ ★

يـا ساكِـني جَنـةِ العَـريفْ، أُسْكِنْتُم جَنّـةَ الخُلودْ.
كم ثَمّ مِنْ مَنْظَرٍ شَريـفْ قـد حُـفَّ باليُمْن والسُعودْ!
ورُبَّ طَوْدٍ بـهِ مُنيـفْ أدْواحُـه الخُضْرُ كالبُنودْ؛
والنَّهْرُ قـد سُل كالحُسامْ لِراحَـةِ الشَّرْبِ مُسْتَـديم،
والزَّهْرُ قُـد راق بابْتسامْ مُقَبِّلاً رَاحَـةَ النَّـديم[3].

---

(١) لا تعذلوا: لا تلوموا. الصبّ: المحبّ المشتاق. صبا: مال (إلى النساء)، أحبّ. جميل=جميل بن معمر الشاعر الأموي العذري. الربع: المسكن، المكان المعمور. الخطب: الشأن، الأمر (المُصاب). جليل: عظيم، خطير. وسام جمع وسيم: جميل. يزهى: يفتخر، يعتدّ بنفسه. الرائض: المتنزّه في الرياض. المسيم الذي يرسل أنعامه للرعي (كناية عن الشابّ الذي يندفع في شبابه بغير رادع ولا قيد). أزرق الجمام (الأطراف): ماؤه صاف. الجميم: النبت الكثير المنتشر (كلّ هذا كناية عن الشباب).

(٢) أكابد: أقاسي. الصبّ: المحبّ (إشارة إلى زوجته). مطارحاً ساجع الحمام: مشاركاً الحمام في نواحه. لجّ في انسجام: تدافع في الهطول والسقوط. وَهَى (ضَعف) عقدُه النظيم: الخيط الذي كان يمسك الدمع من قبل (يشبّه دموعه باللؤلؤ المسلوك في خيط، فإذا انقطع الخيط تناثر اللؤلؤ وتفرّق) وكذلك حينما فقد هو صبره (الذي كان كالخيط لدموعه) أخذت هذه الدموع تسيل بلا توقّف.

(٣) جنّة العريف: جنينة جميلة جدًا في قصر غرناطة. ثَمّ: هنالك (في جنّة العريف). حفّ: أحيط. اليمن: =

- ولابن زمرك من موشّحة أخرى:

لَوْ تَرْجِعُ الأيامُ بعدَ الذَّهابْ لم تَقْدَحِ الأيامُ ذِكْرى حَبيبْ[1]
وكلُّ مَنْ نامَ بِلَيْلِ الشبابْ يُوقِظُه الدهرُ بصُبْحِ المَشيبْ[2]

★ ★ ★

يا راكِبَ العَجْزِ، ألا نهضةٌ. قد ضَيَّقَ الدهرُ عليكَ المَجالْ.
لا تَحْسَبَنْ أنّ الصِّبا رَوْضَةٌ تَنامُ فيها تحتَ فَيْءِ الظِّلالْ.
فالعَيْشُ نَوْمٌ والرَّدى يقظةٌ[★]، والمَرْءُ ما بَيْنَهما كالخَيالْ.
والعُمْرُ قد مرّ كَمَرِّ السَحابْ والمُلْتقى باللهِ عَمّا قَريبْ.
وأنتَ مَخْدوعٌ بلَمْعِ السَّرابْ تَحْسُبُه ماءً ولا تَسْتَريبْ[3]!

★ ★ ★

- وقال ابنُ زمرَك من كلامٍ له يمتزجُ فيه الشعرُ بالنثر (الإحاطة ٢ : ٢٣٧ وما بعد):

يا جانحةَ الأصيلِ، أينَ يذهَبُ قُرْصُك المُذْهَبُ وقد ضاقَ بالمَشوق المذهَبُ[4]؟

= البَرَكَة. طود: جبل. منيف: عال. الدوح: الشجر الكبير. البنود: الأعلام (يقول: تسمو أشجارٌ في هذه الجنينة كأنّها أعلام مرتفعة). قد سلّ كالحسام (السيف) كناية عن أنّه أبيض جار صاف يسرّ به الشَّرْب (الذين يشربون الخمر معاً). مستديم: دائم، لا ينقطع جريانه في جميع فصول السنة. راقَ: حسُنَ منظرُه. بابتسام: ضحك (كناية عن تفتّحه). مقبّلاً راحة (باطن الكفّ) النديم (كلّ رجل يشرب الخمر مع آخر): يحمل منه النديم في كفّه.

(١) - أنّ مرور الزمن ينسي الإنسان أحبّاءه.

(٢) وكل من نام (غفل عن الأعمال الصالحة) يوقظه الدهر (يجعله الدهر يندم). ليل الشباب (كناية عن سواد الشعر). صبح المشيب (كناية عن بياض الشعر).

(★) يقظة (بفتح ففتح)، ثمّ هي خطأ في التقفية مع «روضة...».

(٣) لمع السراب (انعكاس للضوء يرى من بعيد كأنّه ماء): كناية عن الشباب. استراب فلان بفلان: رأى منه ما يريب (ما يدعو إلى الشكّ والتهمة).

(٤) هذه قطعة من الإنشاء المنمق. من أجل ذلك سأكتفي بالتفسير اللغوي. الجانحة (المائلة). الأصيل: من منتصف الوقت بين الظهر وغروب الشمس حتّى غروب الشمس. جانحة الأصيل: الشمس. القرص (قرص الشمس: جرمها - بالكسر). المُذهب (بالضمّ): الملوّن بلون الذهب. المَشوق: المحبّ. المَذهب (بالفتح): الطريق.

أمستْ شموسُ الأُنس محجوبةً عن عَيْني، وقد ضرب البُعْدُ الحِجَاب بينَها وبيني. وعلى كل حالٍ- من إقامةٍ وتَرحالٍ- فما محلك في قلبي محلاً فيها[١]، وما كُنتِ لِأَقْنَعَ من وَجْهِكِ تَخْيِيلاً وتشبيهاً. ومن أينَ آنْتَظَمَتْ لك عقودُ التشبيه، وأنتِ مُتَجمّلةٌ بثَوْبَيْ زورٍ، وجيبُ الظلام على جِسْمِك حتّى الصباحِ مـزرورٌ[٢]. ووراءك من الصُّبْحِ غريمٌ مُطالبٌ تَتَقلّبُ في كَفّيْهِ المطالب.

ويا برقَ الغَمام، مِنْ أيِّ حِجابٍ تَبْتَسِمُ! وبأيِّ صُبحٍ ترتسم! وأيَّ وجهٍ مِنَ السحاب تَسِمُ[٣]؟ أليستْ مباسمُ الثغور لا تُنْجِدُ بأُفُقي ولا تَغور[٤]؟ هذا، وإنْ كانت مباسِمُك مُفتَرّةً، فلَطالَما ضَحِكَتْ فأبكتِ الغواديَ وعطّلَتِ الرائحَ والغاديَ[٥]........

- ومن مقطّعات ابن زمرك:

فؤادي قــــد تملّكــــهُ الغَرامُ، ووَجْدي لا يُطـاق ولا يُرامُ[٦].
ودَمْعي دونَـــه صَوْبُ الغوادي، وشَجْوي فَوْقَ مـا يشدو الحَمام[٧].
إذا مـا الوَجْدُ لم يَبْرَحْ فُؤادي، عـلى الدنيـا وساكِنِها السلام[٨].

---

(١) محلّك (مكانك). محلًا (كذا بالأصل. اقرأ: محلّى: حُلواً، محبوباً).

(٢) ثوباً زور (باطل): الأفق والشفق على الأفق (؟)- لون الأفق الغربي بعد غياب الشمس يرى أجمل من لونه قبل غياب الشمس (؟). الجيب: مدخل العنق من الثوب. حتّى الصباح (طول الليل). مزرور (معقود بالأزرار): مغلق.

(٣) ما أجمل الحجاب (الستار: صفحة الغيم) الذي تبتسم (تلمع) من خلاله. وما أجمل النور الذي تتمثّل به (عند البرق). وما أجمل صفحة الغيم التي تضيئها عند لمعانك (يا برق).

(٤) مباسم الثغور (جمع ثغر: فم المحبوب). لا تنجد: لا ترتفع (لا تشرق: لا تظهر بعد أن تكون مختفية) ولا تغور: تغيب (كالشمس العاديّة). ضحك الغيم: أبرق. أبكى الغوادي (جمع غادية: الغمام المقبلَ صباحاً) فأبكتها (جعلتها تمطر).

(٥) الرائح: الراجع (في المساء) إلى مكانه الأصلي (بيته). الغادي: المنطلق في الصباح إلى ما يقصد (إلى عمله).

(٦) الوجد: ألم الحبّ. لا يطاق (لا يطيقه أحد إذا فُرض عليه) ولا يرام (لا يطلبه أحد باختياره).

(٧) دونه: أقل منه. صوب: هطول، انسكاب، انصباب. الغوادي: الغيوم الممطرة في الصباح. الشجو. الحزن.- الحمام دائم التصويت.

(٨) الوجد: الحبّ. بَرِح: ترك.

★ أيالائمي في الجودِ، والجودُ شيمتي ، جُبِلتُ على إيثارها يومَ مَوْلدي[١].
ذَريني، فلو أنّي أُخَلَّدُ بالغِنى لَكنتُ ضنيناً بالذي ملَكَتْ يدي[٢].
★ لقد علم الله أنّي آمرُؤٌ أُجرِّرُ ثوبَ العَفافِ القشيبْ[٣].
فكم غمّضَ الدهرُ أجفانَه وفازتْ قِداحي بوَصْلِ الحبيبْ[٤]،
وقيل: رَقيبُكَ في غَفْلةٍ؛ فقلتُ: أخافُ الإلَهَ الرقيبْ.

٤ - ★ ★ الكتيبة الكامنة ٢٨٢ - ٢٨٨ ؛ الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢ : ٢٢١ - ٢٢٠ ؛ نثير الجمان ٣٢٧ - ٣٢٩ ؛ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤ : ٣١٢ - ٣١٣ ؛ نيل الابتهاج ٢٨٢ - ٢٨٣ ؛ نفح الطيب ٥ : ٤٦ - ٥٠ ، ٧٥ - ٨٠ ، ١٣٤ - ١٣٦ ، ١٦٩ - ١٨٠ ، ١٩٤ - ١٩٧ ، ٧ : ١٤٥ - ١٦٦ ، ٢٧٩ - ٢٨١ ؛ أزهار الرياض ٢ : ٧ - ٢٠٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٧٢ - ٩٧٣ ؛ بروكلمن ٢ : ٣٣٦ ، الملحق ٢ : ٣٧٠ ؛ نيكل ٣٦٦ - ٣٦٩ ؛ مختارات نيكل ٢١٦ - ٢١٨ ؛ الاستقصا ٢ : ١٢١ - ١٢٢ (وصف الزرافة)؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٢٨ (٧ : ١٥٤)؛ مجلّة العربي (الكويت) أيلول - سبتمبر ١٩٦٢ (ص ١٠٨)؛ بالنثيا ١٣٩ - ١٤٢ .

ابن فَرْحون

١ - هو بُرهانُ الدين إبراهيمُ بنُ عليٍّ بنِ محمّدِ بن أبي القاسمِ بن محمّدِ بن فَرْحونٍ اليَعْمَريُّ الأندلسيّ المالكي الأُباني[٥] (بضمّ الهمزة) الجَيّانيُّ نِسبةً إلى بَلَدَيْنِ في الأندلس.

وُلِدَ ابنُ فرحون في المدينةِ وبَدَأ دِراسته على أبيهِ وعمّهِ وعلى جمالِ الدين أبي عبدِ

---

(١) الشيمة: الخصلة. الإيثار: التفضيل.

(٢) ذريني: اتركيني. اخلّد: أبقى في الحياة إلى الأبد. ضنين: حريص، بخيل. - لكنت ضنياً.... (لما أنفقت كلّ ما كنت أملكه).

(٣) ثوب العفاف (كناية عن العفّة: ترك إتيان ما هو حرام في الدين وفي الخلق). القشيب: الجديد. ما زال عفافي جديداً (لم أدنّسه بشيء حرام).

(٤) كثيراً ما سنحت لي فرصة للاتّصال بالمحبوب، ولم يكن أحد يرانا.

(٥) في تطريز الديباج (ص ٣٠): الإياني (بالياء).

اللهِ محمّدِ بن أحمدَ بن خَلَفٍ المَطَرِيّ الخَزْرجي (ت ٧٤١ هـ) وكان خطيبَ المدينة وكبير المؤذّنين فيها. وكانَ الحديثُ أكثرَ دراسته.

ورَحَلَ ابنُ فرحون مراراً إلى مِصْر. وفي سنة ٧٩٢ زارَ القُدْسَ والشامَ وحجّ ولَقِيَ (في الحجّ) أبا عبدِ اللهِ محمّدَ بنَ محمّدِ بنِ عَرَفَةَ الوَرْغاميَّ التونسيّ (٧١٦-٨٠٣ هـ) فأُعْجِبَ بهِ ابنُ عَرَفَةَ وأجاز له رِوايةَ جميعِ ما سَمِعَه منه ورواية جميع كتبه. وفي رَبيعٍ الآخِرِ من سنة ٧٩٣ (١٣٩١ م). عُيّن قاضياً في المدينة.

وكانت وفاةُ ابنِ فرحون في العاشرِ من ذي الحِجّة من سنة ٧٩٩ (١٣٩٧/٩/٤ م)، بعد أن فُلِجَ شِقُّه الأيسرُ.

٢ - كان ابنُ فرحونٍ من أهلِ بيتِ علمٍ ومن صدورِ المدرّسين واسعَ المعرفةِ حَسَنَ التحقيق رأساً في أصولِ الفِقهِ وفروعهِ وبالفروضِ والوثائق[١] عارفاً بالتاريخ والنحو والطِّبّ أيضاً. وقد كان شديدَ النُّصرة لمذهبِ الإمامِ مالكٍ. ولابنِ فرحونٍ تآليفُ منها: تسهيلُ المُهمّات في شرح جامع الأمّهات (وهو شرح لمختصر ابن الحاجب[٢]، وقد جمَعَه من نَفَرٍ من الشُرّاح) في ثمانيةِ أسفارٍ - تَبْصِرَةُ الحُكّام في أصولِ الأقضية ومناهج الأحكام - درّة الغوّاص في مُحاضرة الخَواصّ (ألّفه ألغازاً على أبوابِ الفِقه) - كشف النِّقاب الحاجب عن مُصطلح ابنِ الحاجب[٣] - ارشاد السالكِ إلى أفعالِ المناسك (في الحجّ) - المُنْتَخَبُ في مُفردات ابن البيطار[٤] (في الطبّ والأدوية) وغيرِ ذلك ممّا لم يُتِمَّ تأليفَه. وقد شُهِرَ بكتابهِ: « الديباج المُذْهَبُ في أعيان علماءِ المَذْهب » انتهى من تأليفه في شَعبانَ من سَنَةِ ٧٦١ (١٣٦٠ م). يبدأ هذا الكتاب بمقدّمةٍ قصيرةٍ (راجع مختارات من آثاره) يأتي بعدَها فِهرسٌ موجَزٌ (غيرُ الفهرس المقيّد بالصَفَحات (والذي ألحقه الناشرُ بالكتاب). ثمّ تأتي تِسْعَ عَشْرَةَ صفحةً

---

(١) الفروض والفرائض: تقسيم الإرث الوثائق والتوثيق (كتابة العهود والصكوك بين المتخاصمين والمتراضين والمتبايعين).

(٢ و٣) راجع ٣: ٥٥٩.

(٤) ابن البَيْطار: عبد الله بن أحمدَ المالَقيّ الأندلسيّ (ت ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م). من علماء النبات والأعشاب التي تدخل في الأدوية. الأدوية المفردة: الموادّ التي تدخُل في تركيب الدواء.

في حياة الإمامِ مالكٍ وأحوالهِ وتآليفهِ ثمّ تأتي بعدَ ذلك التراجمُ على الحروف الهجائية.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة الديباج المذهب:

..... وبعدُ، فإنّ أَوْلى ما أُتْحِفَ به الطالبُ اللبيب ودُوِّنَ للأديبِ الأريب(١) التعريفُ بحالِ مَنْ جَعَلَ تَقْليدَه بينَه وبينَ الله حُجّةً واتّخذ اقتفاءَه هَدْيِهِ في الحَلال والحَرام مَحجّةً(٢)، ثمّ حالِ الرُّواةِ عنه والناقلين عنهم والمجتهدين في مَذهبِهِ والقائمين على أُصولهِ والمُفْتين على قواعدِه والمُدَوِّنين لمسائلهِ وتَمْييزِ دَرَجاتِهم في العِلمِ والفَهْم والدِّين والوَرَع والتعريفُ بثقاتِهِمْ وشهادةِ أهلِ العِلم فيهم وفي مؤلّفاتهم. فَشَرَفُ العِلمِ بهذا الفنّ معلومٌ والجهلُ به مذموم. وليس هو مِمّا قِيل فيه: علمٌ لا ينفَعُ وجهالةٌ لا تَضُرُّ، فإنّ هذا مَقُولٌ في عِلمِ الأنساب(٣)، وهو فنٌّ غيرُ هذا.

وقد ذَكَرْتُ في هذا المجموعِ الوجيزِ مشاهيرَ الرُّواةِ وأعيانَ الناقلين للمذهبِ والمؤلّفين فيه ومَنْ تَخرّجَ به أحدٌ(*)من المشاهيرِ وجماعةٍ من حُفّاظ الحديث. وأضربتُ عن ذِكْرِ غيرِ المشاهير إيثاراً للاختصار، لأنّ الإحاطةَ بهم مُتَعَذِّرَةٌ واستيفاءَ مَنْ يُمْكِنُ ذِكْرُهُ يخرُجُ عن المقصودِ. وذكرتُ جماعةً من المتأخّرين مِمّنَ لم يبلُغْ دَرجَةَ الأئِمّةِ المُقتدى بهم قصداً للتعريف بحالِهم لكونِهم قَصَدوا التأليفَ ولأنّ لكلِّ زمانٍ رجالاً. وكذلك ذكرتُ بعضَ الرُّواة الحُفّاظ المتأخّرين لكونِهم من مشاهيرِ أهلِ زمانِنا. ولم يَقَعْ ترتيبُ أسمائهم في هذا التأليفِ على الوجهِ المطلوب، بل وَقَعَ فيه تقديمٌ وتأخير من غيرِ قَصْدٍ. وذكرتُ العُذْرَ عن ذلك في آخرِ الأسماء.

---

(١) الاتحاف: إهداء الأشياء الثمينة. الأريب: ذو الذكاء والفطنة (بكسر الفاء).

(٢) تقليده = تقليد المتأخّر للمتقدّم (تقليد الذين جاءوا بعد الإمام مالك لمالك). اقتفاء: اتّباع. المحجّة: الطريق المستقيم (الواضح).

(٣) علم الأنساب (النسب): قرابة بعض الناس من بعض.

(*) ... ومن تخرّج به أحد من المشاهير (وذكرت أشخاصاً من غير المشاهير إذا كان قد تلقّى العلم عليه رجل مشهور).

وبدأتْ بمُقَدِّمةٍ تشتملُ على ترجيحِ مذهبِ مالكٍ والحجّةِ في وجوبِ تقليدِه مُلَخَّصاً من كلامِ الإمامِ أبي الفضلِ عِياضِ بنِ موسى رَحِمَه اللهُ في مقدّمةِ كتابه المسمّى بالمدارك** .وأَتْبَعْتُ ذلك بذِكْرِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه والتعريفِ بنُبذةٍ يسيرةٍ من أحوالِهِ. (ثمّ يأتي) ذكرُ مَنِ اشتملَ عليهم هذا التأليفُ مرتّباً على حُروفِ المُعْجَمِ ليسهُلَ الكشفُ عن المطلوب. وسَمّيته «الدِيباجَ المُذْهَبَ في أعيانِ عُلماءِ المَذْهب»....

٤ - تبصرة الحكّام.... (على هامش «فتح العلّي» لمحمّد بن عليش)، فاس (طبع حجر) ١٣٠١ هـ (راجع سركيس ١٣٧٤)؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (مطبعة مصطفى محمّد) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ.

- الديباج المذهب، فاس (طبع حجر) ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٩ هـ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٩ هـ؛ القاهرة ١٣٣٠؛ (طبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون)، القاهرة (مطبعة المعاهد) ١٣٥١ هـ.

* نيل الابتهاج ٣٠ - ٣٢؛ شذرات الذهب ٦ : ٣٥٧؛ الدرر الكامنة ١ : ٤٨؛ بروكلمن ٢ : ٢٢٦، الملحق ٢ : ٢٢٦ (أيضاً)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٦٣؛ الأعلام للزركلي ١ : ٤٧ (٥٢)؛ معجم المؤلّفين لكحّالة ؛ سركيس ٣٠٢ - ٣٠٣.

أبو زيد المكّوديّ

١ - هو أبو زيدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ عليٍّ بنِ صالحٍ المكّوديُّ، نِسبةً إلى بني مكّودٍ من قبائل هَوّارةَ (مسكَنُهم بينَ فاس وتازة) المُطرّزيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٢٦ للهِجرة أو ١٣٢٦ م (راجع سركيس ١٧٨٦).

تصدّرَ أبو زيدٍ المكّوديُّ لتدريسِ النَّحْوِ في فاس (راجع نفح الطيب ٥ : ٤٢٨)، وكانَ يُدرِّسُ الكتاب (كتابَ سِيبوَيْهِ) في مدرسةِ العطّارين - وهو آخِرُ من درّسَ هذا الكتابَ في فاس - إذ أصبحَ الاعتمادُ فيما بعدُ على ألفيّةِ ابنِ مالكٍ والتي كان المَكّوديُّ قد وضع عليها شَرْحاً جيّداً.

(**) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك (بروكلمن ١ : ٤٥٦).

وكانت وفاةُ المكّوديِّ هذا في فاس في الحادي عَشَرَ من شَعْبانَ ٨٠٧ (١٤٠٥/٢/١٣) في الأغلب.

٢ - كان أبو زيدٍ المكّوديّ، في زمنهِ، عالمَ فاسَ وأديبَها، بارعاً في الفِقه وفي العلوم اللسانية من اللغة والنحو والعَروض والأدب، كما كان شاعراً راجزاً ومُقَصِّداً. ثمّ إنّه كان مُصنّفاً له: شرحُ ألفيّة ابن مالكٍ - شرح مقدّمة ابن آجرّوم - شرح المقصور والممدود لابن مالك - البَسْط والتعريف في نظم علم التصريف - نظم المُعْرَب من الألفاظ - المقصورةُ (نحو ثلاثمائة بيت، أراد بها مدحَ الرسول ومُعارضة مقصورةِ حازمٍ القرطاجنّي. ولكنّها مملوة بالشكوى أيضاً. وفيها كثير من تَردادِ المعاني إلى جانبِ اتّكائه فيها على معاني السابقين، من كعبِ بنِ زهيرٍ، إلى ابن دريدٍ إلى حازمٍ القرطاجنّي إلى البُوصيريّ. وفي هذه المقصورة براعةٌ وسهولة وإن كان المكّوديُّ يتكلّفُ فيها الغريبَ من اللفظ أحياناً كما فعل في الأبيات المتعلّقة بوصف الجمل).

٣ - مختارات من آثاره

- من مقصورة المكّوديّ الفاسي:

أرّقني بارقُ نجدٍ إذْ سَرى ... يُومِضُ ما بين فُرادي وثُنى[1].
فيا له من بارقٍ ذكّرني ... من الهوى ما كُنتُ عنه في غِنى.

- وبعد أن يصف روضاً بعد ليل من المطر يقول:

وأشْتكي دهراً دهاني صَرْفُه ... لمّا قضى بالبَيْنِ فيما قد قضى[2].
منازلٌ كانتْ بنا أواهلاً ... نِلْنا بها حيناً أساليبَ المُنى.
كم بِتُّ في أفيائها أجْري إلى ... غاياتِها بطِرْفِ جِدٍّ ما كَبا[3].

---

(١) فرادي وثنى (قد يأتي البرق مرّة مرّة أو مرّتين مرّتين).
(٢) صرف الدهر وتصاريفه (مصائبه). البين: البعاد.
(٣) الطرف (بكسر الطاء): الفرس السابق. كبا: عثر، وقع.

وكم سَحَبتُ، إذ صَحِبت غِيدَها بِرَوْضِها، ذَيْلَ السرورِ والهنا★.
وكم لثمتُ زَهْرَ ثغرٍ أشْنبٍ من شادنٍ عَذْبِ الثنايا واللَّمى[١].
وكم رَشَفْتُ من رُضابٍ سَلْسَلٍ يفعلُ بالألبابِ أفعالَ الطِّلا[٢].
أيامَ أزهارُ الْمُنى مُونِقَةٌ والدهرُ ذو وجهٍ مُنيرٍ مُجْتلى[٣].
يا ليتَ شِعْري، والأماني خُدَعٌ، هل يَرْجِعُ الدهرُ لنا عهداً مضى[٤]؟
وهل لنا من عَوْدةٍ لمعهدٍ صَبَوْتُ فيه جُلَّ أيامِ الصِّبا[٥].
والدهرُ في صُروفِهِ ذو عَجَبٍ يُدني بها كلَّ جديدٍ لِلْبِلى[٦].
يُبكي إذا أضْحَكَ يوماً أهلَه، ويُعْقِبُ الكربَ إذا العيشُ صفا.
هذي هي الدُّنيا فلا يَغْرُرْكَ ما تراه فيها من سُرور وهنا★،
فانْفِضَ يَدَيْكَ من عُراها وارْمِها وادْرأْ بهاإن كنتَ من أهل النُّهى[٧].
وسِرُّك اكْتُمْهُ عنِ الخَلْقِ ولا تُطْلِعْ عليه أحداً من الوَرى[٨].
واقنَعْ - على عِزٍّ - بما يَكْفي، ولا تَحْرِصْ؛ فإنّ الحِرْصَ ذُلٌّ للفتى.
كم من صديقٍ مُظْهِرٌ لِوُدّهِ لكنْ له قلبٌ على الحِقد انطوى:
يَبَشُّ في وجهكَ إن لاقَيْتَه، وإنْ تَغِبْ يَغْتَبْكَ في كلّ مَلا[٩]؛
يُذيعُ ما يراه من قُبحٍ، وإنْ رأى جميلاً مِنْكَ أخفى ما رأى.

---

(١) الشنب: البياض في الأسنان: الشادن: الغزال الصغير. اللمى: السمرة في الشفاه.

(٢) الرضاب: الريق ما دام في الفمّ. السلسل: الذي يجري في الحلق بسهولة. اللبّ (بالضم): العقل. الطلاء (بالكسر): الخمر. ★ الهناء: القَطِران (والشاعر يقصد الهناءة: الفَرح والسرور).

(٣) مونقة: جميلة تعجب العين. مجتلى: يحبّ الناس أن ينظروا إليه.

(٤) خدع (بضمّ ففتح) جمع خدعة (بالكسر). وخدّع (بضمّ وتشديد أو بضمّ فضمّ) جمع خادع. رجع يرجع (فعل لازم ومتعدّ).

(٥) صبا: مال (سلك فيه مسلك المحبّين). جلّ: معظم، أكثر.

(٦) صروف الدهر: تقلّبه (ومصائبه). البلى: التهرؤ.

(٧) العروة (بالضمّ) الحلقة (للزرّ وشبهه)، ما يمسك به المتقلقل. ادرأ: ادفع (عنك بها مصائب الدهر). النهى: العقل.

(٨) الورى: الناس، مجموع الخلق.

(٩) ملا = ملأ: النخبة من القوم، (وهنا): كلّ مجمع من الناس.

كم خُضْتُ في بحرِ المعاصي جامِحاً | لا أرْعوي نُصْحاً لِلَحْيِ مَنْ لحا[١]؟
وكم تَعِبْتُ إذْ تَبِعْتُ أملاً | قدِ انقضتْ لَذّاتُهُ وما انقضى.
واحَسْرتا، قد مرّ عُمْري ضائعاً | بينَ خُزَعْبَلاتِ لَهْوٍ وهوى.
هَلَكْتُ في الهُلّاكِ لولا أنّني | ذَخَرْتُ ذُخْراً أرْتجي به الهُدى.
وليس ذُخْري غيرَ مدحِ أحمدٍ | سيّدِ أهلِ الأرضِ طُرًّا والسما[٢]:
مقصورةٌ، لكنّها مقصورةٌ | على امتداحِ المُصطفى خيرِ الورى[٣].

– من شرح المكّوديّ على ألفيةِ ٱبنِ مالكٍ:

أمّا بعدُ فهذا شَرْحٌ مُختَصَرٌ على ألفيّةِ ٱبنِ مالكٍ مُهَذَّبُ المقاصدِ[٤] واضحُ المسالكِ تُفْهَمُ به ألفاظُها ويَحْظى بمعانيها حُفّاظُها، مُعْرِبٌ عن إعرابِ أبياتِها[٥] ومُقَرِّبٌ لِما شَرَدَ من عِباراتِها[٦]، من غيرِ تعرُّضٍ للنَّقْلِ[٧] عليها ولا إضافةِ غيرِها إليها، ولا إنشادِ شَواهِدَ إلّا ما لا بُدَّ منه، ولا إيرادِ مَذاهِبَ إلّا ما لا مندوحةَ عنه[٨]، يَستفيدُ به البادي ويَسْتحسِنُه الشادي[٩]. والباعثُ على ذلك أن بعضَ الطَّلَبةِ المُبتدئينَ والفِئَةِ المُجتهدينَ المُعْتَنينَ بِحِفْظِها القانِعينَ بمَعْرفةِ لَفْظِها طَلَبَ منّي أنْ أضَعَ شَرْحاً على نحوِ ما ذَكَرْتُه و(أن) أُبيِّنَ ألْفاظَها ومَعانِيَها على حَسْبِ ما وَصَفْتُه. فأجَبْتُهُ إلى ما ٱقترَحَ عَلَيَّ وأسْعَفْتُه بما أمَّلَ لَدَيَّ. واللهُ سُبْحانَه وتعالى ينفَعُنا وإيّاهُ بالعِلْمِ

(١) الجامح: الحصان الشارد: اللحي: اللوم.
(٢) أحمد من أسماء محمّد رسول الله.
(٣) مقصورة (الأولى): قصيدة مبنية في قافيتها على الألف المقصورة. مقصورة (الثانية): قاصرة على (شيء واحد)، مخصوصة بشيء واحد. المصطفى من أسماء محمّد رسول الله.
(٤) مهذّب المقاصد: مختصر الأهداف (لم أذكر فيه جميع الوجوه التي تجوز في كلّ موضوع من مواضيع الصرف والنحو).
(٥) معرب: مبيّن. – وكثيراً ما يعرب المكّوديّ أبيات هذه الألفية.
(٦) لِما شرد من عباراتها (لمّا كان غير واضح من عباراتها).
(٧) للنقل (؟) = للنقد، للنقض (التنبيه على ما فيها من الخطأ أو على خلاف ما «نقله» النحاة الآخرون عن العرب).
(٨) مندوحة: متّسع (ما لا مندوحة عنه: ما لا بدّ منه).
(٩) الشادي: الذي حصّل طرفا من العلم (لا يكفي لأن يجعله عالماً).

ويرزُقُنا وإيّاه سَلامةَ الإدراكِ والفَهْمِ بِمَنِّهِ[١] وكَرَمِهِ. آمين.

- ما لا ينصرف[٢]:

(الصَّرْفُ تَنْوِينٌ أتــى مُبَيِّنــا مَعْنًــى بهِ يكونُ الاَسْمُ أمْكَنـا)

يَعْني أنّ الصَّرْفَ هُوَ التَنْوِينُ الذي يَتَبَيَّنُ به أنّ الاَسْمَ الذي يَتَّصِلُ به[٣] يُسمّى أمْكَنَ[٤]. وما صرّحَ به من أنّ الصّرْفَ هُوَ التنوينُ هُو مذهبُ المُحقِّقِينَ. ويُمْنَعُ الاَسْمُ من الصّرفِ لوجودِ عِلّتَيْنِ أو علّةٍ (واحدةٍ) تقومُ مقامَ عِلّتَيْنِ. وقصدُه في هذا البابِ أنْ يُبيِّنَ الأسماءَ التي لا تَنْصَرِفُ، وإنّما ذَكَرَ الصّرْفَ وعرّفَه لِأنّ بِمَعْرفتِه يُعْرَفُ الاَسْمُ الذي لا ينصَرِفُ. فما وُجِدَ فيه التنوينُ المذكورُ فَهُوَ مُنصرِفٌ، وما لم يُوجَدْ فيه (فَهُوَ) غيرُ مُنصرفٍ. ثمّ اَعْلَمْ أنّ جميعَ ما لا ينصرِفُ اَثْنا عَشَرَ نَوْعاً: خمسةٌ في النَّكِرَةِ وسبعةٌ في المَعْرفةِ.... قال:

(فألِــفُ التأنيــثِ مُطْلَقـاً مَنَــعْ صَرْفَ الــذي حَواهُ كَيْفَما وَقَــعْ)

يَعْني أنّ «ألِفَ التأنيثِ» تَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ مُطلَقاً- أي مقصورةً كانتْ أو ممدودةً- كَيفَما كانَ الاَسْمُ الذي هِيَ فيه، مِنْ كَوْنه نَكِرَةً أو معرفةً، مُفْرَداً أو جَمعاً، نحو: ذِكْرَى وسَلْمَى وحُبْلَى وسُكارَى وحمراءَ وأسماءَ وزكَريّا. وإنّما مَنَعتْ أَلِفُ التأنيثِ وحْدَها (الاَسْمَ الذي هِيَ فيه من الصَّرْفِ) لأنّها قامتْ مقامَ عِلّتَيْنِ، وهُما التأنيثُ ولُزومُ التأنيثِ[٥].

فـ «أَلِفُ التأنيثِ» مُبتدأٌ، خَبَرُه «مَنَعَ»، و «مُطلَقاً» حالٌ من الضميرِ المُستَتِرِ في «مَنَعَ» العائدِ على المُبتـدإِ. و «حَواهُ» صِلَةُ «الّذي». والضَّميرُ العائدُ مِنَ الصِّلَةِ إلى المَوْصول (هو) في «حَواهُ». والهاء في «حَواهُ» عائدةٌ على أَلِفِ التأنيثِ. وكَيْفَما

(١) المنّ: النعمة، الكرم (بفتح ففتح).

(٢) فيما يلي نموذج من هذا الباب (ما لا يصرف: الممنوع من الصرف)، ولم أورد فيما يلي كلّ ما ذكره صاحب الألفية وشارح الألفية من أنواع الكلمات التي تمنع من الصرف.

(٣) يتّصل به (التنوين) يقبل التنوين (جرت عادة العرب على تنوينه).

(٤) أمكن: متمكّن، ثابت في جميع وجوه الإعراب على القواعد العامّة المألوفة.

(٥) التأنيث ولزوم التأنيث: التأنيث بمعناه (علّة معنويّة) ولحاق علامة التأنيث به (علّة لفظيّة).

وَقَعَ شَرْطٌ حُذِفَ جوابُه، لِدَلالةِ ما تقدَّمَ عليه[١]. والتقديرُ: «كَيْفَما وَقَعَ مَنَعُ الصَّرْف».

ثمّ أشارَ إلى النَّوْعِ الثاني مِمّا يَمْنَعُ (الصرفَ) في النَّكِرَةِ فقالَ:

(وزائـدَا فَعْلانَ في وَصْفٍ سَلِمْ   مِنْ أن يُرى بتـاءِ تأنيـثٍ خُتِمْ)

يعني أنّ «زائدَيْ فَعْلانَ» - وهُما الألِفُ والنونُ الزائدتانِ - يَمْنَعانِ الصَّرْفَ، إذا كانت في وَصْفٍ سَلِمَ مِنْ أنْ يُخْتَمَ بتاءِ التأنيثِ. والمانعُ له من الصرفِ الألفُ والنونُ والصِّفَةُ. وفُهِمَ منه أنّ ذلك مخصوصٌ بهذا الوَزْنِ الذي هو فَعْلانُ. وفُهِمَ من قولِهِ: «في وَصْفٍ»، أنّ هاتَيْنِ الزِّيادتَيْنِ لو كانتا في غيرِ الوَصْفِ لم يَمْنَعا، نحو سَرحانٍ[٢]. وفُهِمَ منه (أيضاً) أنّ الوصفَ المُحتوِي على هاتَيْنِ الزِّيادتَيْنِ إذا أُنِّثَ بالهاءِ لم يَمْنَعْ، نحوَ نَدْمانٍ فإنّ مُؤنّثَه نَدْمانةٌ. فمِثالُ ما توَفَّرَتْ فيه شُروطُ المانعِ غضبانُ وسكرانُ، فإنّك تقولُ في مُؤنَّثِها: غَضْبَى وسَكْرَى، ولا يجوزُ فيهما غَضبانةٌ وسكرانةٌ.

و «زائدَا» معطوفٌ على الضميرِ المُستَتِرِ في «مَنَعَ» العائدِ على ألِفِ التأنيثِ. وجازَ العَطْفُ عليه للفَصْلِ بالمَفْعول[٣]. والتقديرُ: (أنّ الذي) مَنَعَ الصَّرْفَ أَلِفُ التأنيثِ و «زائدَا فَعْلانَ». ويجوزُ أن يكونَ («زائدَا فعلانَ») مُبتدأً، والخبرُ محذوفٌ لِدَلالةِ ما تَقدّمَ عليه، أي: و «زائدَا فَعْلانَ» كذلك[٤]. و «سَلِمَ... إلى آخرِ البيتِ» في موضعِ الصِّفة لـ «وَصْفٍ». و «خُتِمَ» في موضعِ المفعولِ الثاني لـ «يُرى»[٥]، و «بتاءِ» (جارٌ ومجرورٌ) مُتَعلّقٌ بـ «خُتِمَ»....

---

(١) كيفما وقع منع من الصرف (لم يذكر «منع من الصرف» لأنّ هذا المعنى تقدّم على اسم الشرط وفعله «كيفما وقع»).

(٢) السرحان: الذئب.

(٣) «وزائد فعلان» معطوف على «ألف التأنيث» (في البيت السابق). والفصل بالمفعول (مجيء «صرف» الذي حواه - وهي مفعول به - معترضة بين الفعل «منع» وفاعله «زائدا فعلان»).

(٤) «كذلك»: جار ومجرور (خبر «زائدا فعلان»، أو في محلّ خبر).

(٥) «سلم من أن يرى مختوماً بتاء التأنيث» جملة فعلية في محلّ نعت لكلمة «وصف». و «يرى بتاء تأنيث ختم»: يرى فعل مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو (يرجع إلى اسم). و «ختم» جملة فعلية من الفعل «ختم» ونائب الفاعل المستتر فيه في محل مفعول به ثان للفعل المجهول «يرى».

(فالأَدْهَمُ القَيْـدُ لِكَوْنِـهِ وُضِعْ   في الأصلِ وَصْفاً آنصرافُه مُنِعْ)

من أسماءِ القَيْدِ «أدْهَمٌ»، وهُوَ في الأصلِ، وصفٌ؛ لكنّه آستُعْمِلَ آستعمالَ الأسماءِ فألْغِيَتْ فيه الاسميّةُ وبَقِيَ غيرَ مُنصرفٍ على مُقْتضى الأصْل، فتقولُ: «مَرَرْتُ بأدْهمَ»، أي بِقَيْدٍ. ومثلُ «أدْهَمَ» في ذلك «أرْقَمَ» لِنَوْعٍ من الحَيّاتِ و «أسودَ» للحَيّة أيضاً.

فـ «أَدْهَمُ» مُبتدأٌ، و «القَيْدُ» بَدَلٌ منه - بدلُ الشَّيءِ مِنَ الشيءِ[1] - . و «لِكَوْنِهِ» مُتعلِّقٌ بـ «مُنِعَ». و «في الأصلِ» مُتعلِّق بـ «وُضِعَ».

ثمّ إنّ من الأسماءِ التي على وَزْنِ «أفْعَلَ» ما جاء فيه الصرفُ ومَنْعُ الصرفِ (معاً). وإلى ذلك أشارَ (آبنُ مالكٍ) بقولِهِ:

(وأجْـدَلٌ وأخْيَـلٌ وأفعـى   مصروفـةٌ. وقـد يَنَلْنَ المَنْعـا)

«أجدلٌ» آسمٌ للصَّقْر. و «أخْيَلٌ» آسْمٌ لطائرٍ ذي خَيَلانٍ[2]. و «أفعى» آسمٌ لضَرْبٍ[3] من الحَيّـات. وليستْ هـذه الأسماءُ صِفاتٍ - لا في الأصلِ ولا في الآستعمالِ - فحقُّها الصرفُ، ولذلك صرَفَها أكثرُ العربِ. وبعضُ العَرَبِ يمنَعُها من الصرفِ، ووَجْهُه[4] أنّه[5] لاحَظَ فيها معنَى الصِّفَة، وهُوَ ظاهرٌ في «أجْدَلِ» لأنه مِنَ «الجَدْلِ» وهُوَ القوّةُ. و «أخْيَلٌ» (يُمْكِنُ أنْ تُمنَعَ من الصَّرْفِ) لأنّه من «الخيول» (؟)، وهُوَ الكثيرُ الخَيَلانِ. وفُهِمَ من قولِهِ: «مصروفةٌ، وقَدْ يَنَلْنَ (المَنْعا)» أنّ الصَّرفَ هو الكثيرُ[6] ......

٤- شرح ألفيّة ابن مالك، فاس بلا تاريخ؛ فاس ١٢٩٤ هـ، فاس ١٣١٨ هـ؛ ثمّ في مصر، (بهامش حاشية أحمد الملوّي) طبع حجر ١٢٧٩ هـ؛ مصر (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣٠١ هـ،

---

(١) أي بدل كلّ من كلّ: المُبدل منه (البدل) هو المُبدل نفسه.

(٢) الخيلان: التكبّر والإعجاب بالنفس.

(٣) ضرب: نوع.

(٤) وجهه (وجه منعه من الصرف أو سبب منعه من الصرف).

(٥) أنّه (أن بعض العرب).

(٦) الغالب أنّه مصروف أكثر منه ممنوعاً من الصرف.

١٣٤٥ هـ؛ مصر (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ مصر (المطبعة الخيريّـة) ١٣٠٥ هـ؛ مصر (المطبعة الميمنيّة) ١٣٠٥ هـ؛ ثمّ مصر ١٣٢٠ هـ.

- شرح مقدّمة ابن آجرّوم، تونس ١٢٩٢ هـ؛ مصر ١٣٠٤ هـ؛ مصر (مطبعة عبد الرزّاق) ١٣٠٩ هـ؛ ١٣٤٥ هـ؛.
- شرح مقصورة ابن حازم القرطاجنّي (نشرها عبد الله كنّون)، القاهرة ١٣٥٧ هـ.
- البسط والتعريف في نظم العلم الشريف (عليها شرح بعنوان: الفتح اللطيف لمحمّد بن أبي بكر الصغير المتوفّى سنة ١٠٨٩ هـ = ١٦٧٨ م)، فاس ١٣١٥ - ١٣١٦ هـ.

★★ الضوء اللامع ٤: ٩٧؛ نيل الابتهاج (مصر) ١٦٨ - ١٦٩ (١٤٥)؛ بغية الوعاة ٣٠٠؛ شذرات الذهب ٨: ٤؛ النبوغ المغربي ٢١٠، ٨١٠ - ٨١٧، ٩١٧؛ الأدب المغربي ٢٧٨ - ٢٨٠؛ بروكلمن ٢: ٣١٠، ٣٦١، الملحق ٢: ٣٣٦، ٥٢٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٩١ (٣: ٣١٨)؛ معجم المؤلفين لكحالة ٥: ١٥٦؛ سركيس ١٧٨٦ - ١٧٨٧.

ابْنُ خَلْدُون

١ - لما فتَحَ المسلمون الأندلسَ دخَلَ مَعَ جيوشِ الفتحِ رجلٌ يمنيٌّ من عرب حَضْرَمَوْتَ[١] آسمُه خالدُ بنُ الخطّاب. وسكن خالدٌ هذا في قَرَمونةَ ثم آنتقل إلى إشْبيليةَ حيث عُرِف بآسم خَلْدونٍ (تصغير خالد: خالد الصغير)[٢]. ولما آشتدّ خطَرُ الإسبانِ على إشبيليةَ سَنَةَ ٦٢٥ هـ (١٢٢٧ م) هَجَرَها آلُ الخطّاب إلى ثغر سَبْتَةَ[٣]. ثم آنتقل محمدٌ جدُّ فيلسوفِنا إلى تُونِسَ ووَلِيَ الوزارةَ حيناً. وكذلك مالَ والدُ فيلسوفنا (وآسمه محمدٌ أيضاً) إلى الشؤون العسكرية والإدارية، ولكنه عادَ فشُغِف بالعِلمِ وأصبح

(١) حضرموت منطقة في جنوبي شبه جزيرة العرب.

(٢) يرى عبد الله كنّون (مجلّة «البحث العلمي»، الرباط، جمادى الآخرة - رمضان ١٣٨٤ هـ، ص ١٢٧ - ١٣٦) أن صيغة «خلدون» عربية تفيد التعظيم بدلالته الجَمْعية (أي بالواو والنون الملحقتين به) وهما في رأيه علامة جمع المذكّر السالم؛ وعندي أن الواو والنون لاحقة تفيد التصغير والتحبّب، ففي المشرق يقال عند التصغير والتحبّب كلبون وسعدون، صغيرون، الخ. وربّما استعملت صيغة فعّول لهذا الغرض في الأسماء المذكّرة والمؤنّثة نحو: قدّور (تصغير عبد القادر) فطّوم، عيّوش (تصغيراً لفاطمة وعائشة) الخ.

ثِقةً في الفِقه واللُّغة، وقد تُوُفِّيَ بالطاعون الجارف[1] الّذي ذهَبَ فيه كثيرون من العُلماءِ سَنَةَ ٧٤٩ هـ (١٣٤٩).

أما آبنُ خَلْدونٍ نفسُه (وهو وَلِيُّ الدين أبو زيدٍ عبدُ الرحمن بنُ محمدِ بنِ محمد... ابنِ خالـدِ بنِ الخطاب) فقد وُلِدَ في تونس غُرَّةَ رَمَضانَ ٧٣٢ (٢٧/ ٥/ ١٣٣٢ م). وتلقّى، على أبيه وعلى بعض عُلماءِ تُونِسَ والواردين إليها، القُرآنَ العظيم حفظاً وتفسيراً ثم الحديثَ والفِقهَ واللغة والنَّحْوَ وكثيراً من الشعر.

وفي سَنَةِ ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) آلْتَحَقَ آبنُ خَلدونٍ بحاشية أبي الحسن المَرينيّ سُلطانِ مَرّاكُش[2]. غيرَ أنّ أوّل عهدِه بمراتبِ الدولة فعلاً كان سَنَةَ ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م)، فقد تولى «كتابة العلامة» (ديوان الرسائل) لأبي محمدِ بن تافراكين المُستبدِّ على الدولة يومئذ بتونِسَ. ثم إنه وُصف لأبي عنانٍ صاحب فاس[3]، وكان يجمع العلماءَ في بَلاطه، فآستقدمه عامَ ٧٥٥ هـ ثم آستخدمه في آخرِ سَنَةِ ٧٥٦ هـ (آخر عام ١٣٥٥ م)، ثم غضب عليه فسجنه سنة ٧٥٨ هـ[4].

وتقلّب آبنُ خَلدونٍ في البلاد فكان عند بني مَرين في فاس (٧٦٠ هـ = ١٣٥٩ م)، وعند بني عبد الواد في تِلِمْسان (٧٦٣ هـ) ثم عند بني الأحمر في غَرْناطة (٧٦٤ هـ)؛ فأرسله بنو الأحمر في سِفارة إلى بَطْره ملكِ قشتالةَ (بطرسَ الرابعِ القاسي) لإتمام عَقْدِ الصُّلحِ بينَه وبين ملوك المغرب. ثم آنتقل هو إلى المغرب، ولكنّه سَئِمَ التَّطواف والمناصب وخاف عواقبَ السياسة فآثرَ الآعتزال في قلعةِ آبنِ سلامةَ، شَرْقَ تِلِمْسانَ، فمكَث عند بني العريف أربعَ سَنَواتٍ وبدأ بتأليفِ كتابه في التاريخ. ولكنّه آحتاج إلى موادَّ لكتابه لم تكن متيسّرة في قلعة آبنِ سلامةَ فذهَبَ إلى تُونِسَ (٧٨٠ هـ = ١٣٧٨ م).

---

(١) هو الطاعون الذي عمّ أوروبّة وعرف عندهم باسم «الموت الأسود».

(٢) أبو الحسن علي بن عنان، تولى الملك من المحرم ٧٣٢ إلى جمادي الآخرة ٧٤٩.

(٣) المتوكل على الله أبو عثمان فارس بن علي، جاء بعد أبيه أبي الحسن علي وبقي في الملك إلى الخامس والعشرين من ذي الحجة من سنة ٧٥٩.

(٤) راجع القصيدة التي نظمها ابن خلدون في مديح أبي عنان (في المختارات من آثاره).

وفي سنة ٧٨٤ هـ (١٣٧٢ م) سار ٱبنُ خَلدون إلى الحجّ، ولكنّه لمّا وصَل إلى مِصْرَ عُرِضَ عليه القضاءُ على المذهب المالكيّ فقَبِلَه، فتأخرّ ذَهابُه إلى الحجّ حتّى سَنَةِ ٧٨٩ هـ. وعاد من الحج إلى القاهرة وٱنقطع فيها للتدريس حيناً ثم عاد إلى تولّي القضاء (٨٠١ هـ = ١٣٩٩ م).

ولما غزا تَيْمورلَنْكُ سورية ذهَبَ الملكُ الناصرُ فَرَجُ[1] ٱبنُ الملكِ الظاهر برقوقَ إلى دِمَشْقَ لِيُفاوضَ تيمورَ وٱصطحب معه العلماء وفيهم ابن خَلدونٍ. ثم سمع الناصر فرجٌ بمؤامرةٍ عليه في مِصْر فٱضْطُرّ إلى العودة. فحَمَلَ ٱبنُ خَلدونٍ التَّبِعَةَ كُلَّها وذهَب سِرًّا على رأس وفدٍ لمفاوضة تيمورَ في الصلح وألْقى بين يديه خُطبةً نفيسة؛ فأكرمه تيمورُ عليها وأعاده إلى مِصْرَ. وتولّى ٱبنُ خَلدونٍ القضاءَ بِمصرَ بعدَ ذلك مِراراً، ثم وافاه اليقينُ بالقاهرة في ٢٥ رَمَضانَ ٨٠٨ هـ (١٥ آذار - مارس ١٤٠٦ م).

٢ - ابنُ خَلدونٍ أديبٌ وشاعرٌ وناقدٌ، ثمّ هو عالمٌ وفيلسوفٌ. وهُوَ واضعُ عِلْمِ الآجتماع ومُدَوِّنُ فلسفةِ التاريخ. أمّا أعظمُ آثارِه فهُوَ كتابُه المشهورُ في التاريخ «كِتابُ العِبَرِ وديوانُ المُبتدإِ والخَبَرِ في أيّام العَرَب والعَجَمِ والبربرِ ومن عاصَرَهُمْ من ذوي السُّلطانِ الأكبر»[2]. وأهمّ أقسامِ هذا الكتابِ عامّةً وخاصّةً الجزءُ الأوّلُ منه وهُوَ المعروفُ بٱسمِ مُقدّمة[3] ٱبْنِ خَلْدونٍ أو بٱسم «المُقدّمة» فحَسْبُ.

ولابنِ خَلدونٍ في «مُقَدِّمَتِهِ» أسلوبانِ أسلوبٌ أنيقٌ كثيرُ التكلُّفِ والتَّصْنيعِ

(١) السلطان ناصر الدين فرج بن برقوق من سلاطين المماليك البرجية (في مصر) جاء إلى العرش في شوال من سنة ٨٠١ ثم بقي على العرش (في المرة الأولى) إلى ربيعٍ الأول من سنة ٨٠٨ (قبل وفاة ابن خلدون بستة أشهر).

(٢) تيمورلنك (؟). - تيمورلنك (تيمور الأعرج)، ولد سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م)، تولّى الملك على بلاد ما وراء نهر جيحون (التركستان) من سنة ٧٧٢ إلى سنة ٨٠٨ (١٣٧٠ - ١٤٠٥ م) وكان فاتحاً ظالماً وسفّاكاً للدماء. ومنذ سنة ٧٨٢ هـ بدأ باجتياح إيران (فارس) وما يجاورها من البلاد. ثمّ اقتحم الشام (سورية) وخرّب حلب ودمشق وبغداد (٨٠٤ - ٨٠٥ هـ) وهزم بايزيد يلديرم (بايزيد الصاعقة) سلطان الدولة العثمانية، قرب أنقرة، سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م). ثمّ توفّي تيمورلنك عشية عزمه على اقتحام الصين، سنة ٨٠٨ للهجرة (في السنة التي توفّي فيها ابن خلدون). وتيمورلنك، كان برغم كلّ قسوته ومظالمه مسلماً مؤمناً وأديباً محبًّا للأدب.

(٣) مقدّمة (بكسر الدال المشدّدة أو بفتحها).

تَـجِدُه في ديباجةِ المقدّمةِ وفي عددٍ من المواضعِ من فُصولِ المُقدّمة ثمّ أُسلوبٌ سَهْلٌ مُرْسَلٌ نَجِدُه في فُصول المقدّمة عامّةً (ذلك لأنّ فصولَ الكتابِ الأُخرى مِنَ الأجزاء السِّتّةِ الباقيةِ أكثرُها نُقولٌ عن آخَرينَ).

وهنا موضع كلامٍ على زمنِ تأليف كتاب «العِبَر». يقولُ آبنُ خَلدونٍ (في آخرِ الجزء الأوّل: المقدّمة):

«أتْمَمْتُ هذا الجزءَ الأوّلَ بالوَضْع والتأليف، قبلَ التنقيح والتهذيب، في مُدّة خمسةِ أشهُرٍ آخِرُها مُنْتَصَفُ عامِ تسعةٍ وسبعينَ وسَبْعِمِائَةٍ[1]. ثمّ نَقّحْتُه بعدَ ذلك وهذّبْتُه وألْحَقْت به تواريخَ الأمم».

تناولَ عبدُ الرحمن بَدويّ هذا الموضوعَ (مؤلّفاتِ آبنِ خلدون، ص ٣٤ - ٤٠) ومالَ إلى أنْ يكونَ ابنُ خَلدونٍ قد وَضَعَ كتابَه كُلَّه (سبعةَ أجزاء) في نسختِه الأولى على الأقلّ، في مَدى خمسِ سَنَواتٍ (راجع ص ٣٦). والذي أميلُ إليه أنا أنّ آبنَ خَلدونٍ قد «دوّنَ» في هذه المدّةِ ما كان قد جَمَعَهُ من قبلُ مِنْ موادٍّ كتابه. وعندي أيضاً أنّ «المقدّمةَ» (أو الجزءَ الأوّلَ) قد كُتِبَتْ بعدَ جمع تلك الموادّ. بهذا وحْدَهُ نستطيعُ فَهْمَ قولِ ابنِ خَلدونٍ (التعريف برحلةِ ابن خلدون، ص ٢٢٩): «وشَرَعْتُ في تأليفِ هذا الكتابِ وأنا مُقيمٌ (بقلعة آبن سلامة) وأكْمَلْتُ المقدّمةَ على ذلك النحو الغريبِ الذي آهْتَدَيْتُ إلَيْهِ (تعليل التاريخ: فلسفة التاريخ) في تلك الخَلْوةِ. فسالَتْ شآبيبُ[2] الكلامِ والمعاني على الفِكْر حتّى آمْتُخِضَتْ زُبْدتُها[3] وتألّفتْ نتائجُها».

إنّ هذا يدُلُّ على أنّ ذلك الموضوعَ كلَّه كان في ذِهنِ آبنِ خَلدونٍ مدّةً طويلةً - يعمَلُ في عقلهِ الباطن - كما يقولُ عُلماءُ النفس - والاّ فليسَ من المألوفِ أن يكتُبَ إنسانٌ مثلَ هذا الموضوعِ الجديدِ المُتشعّبِ المُزْدَحِمِ بالأقوالِ وبالأحْداث على سبيلِ الآستشهاد والتمثيلِ، وفي نَحْوِ مِائَةٍ وسَبعينَ ألْفِ كَلِمَةٍ (في النسخة الأُولى من

---

(١) عام ١٣٧٧ للميلاد.

(٢) الشؤبوب (بالضمّ): الدفعة (بالضمّ) من المطر.

(٣) امتخض اللبن (الحليب) تحرّك في وعائه. والمقصود هنا «مُخضت» (بالبناء للمجهول) زبدتها: انفصل السمن من المخيض (ماء اللبن)، ظهرت وتكوّنت خلاصته.

المقدّمة)، في خمسةِ أشهُرٍ. فلَعلّ ابنَ خَلدونٍ كان قد جَمَعَ موادَّ كتابِهِ كُلَّها ثمّ جَلَسَ في تلك المُدّة يُؤلّفُ (يجمَعُ بعضَ موادِّه إلى بعضٍ) فبدأ، بطبيعةِ الحالِ، بالجزء الأوّلِ ثمّ آنتقَلَ إلى تهذيبِ الأجزاء الباقية. ومَعَ ذلك فالموضوعُ يحتاجُ إلى دراسةٍ داخليّة (مقارَنَةِ نصوصِ المقدّمةِ أوِ الجزءِ الأوّلِ بنُصوصِ الأجزاءِ الباقية).

★ ★ ★

وابنُ خَلدونٍ مُحيطٌ بكثيرٍ من علومِ الأقدمين قبلَ الإسلام ومن العلومِ الحادثةِ بعدَ ظُهورِ الإسلام، في الفلسفةِ النَّظريّة وفي العِلمِ العَمَليّ معاً. ومَعَ أنّ آبنَ خَلدونٍ أشعَرِيٌّ في حياتِهِ العَمَليّة (يُفضّلُ الرِّوايةَ الدينيةَ على الأخذ بالعَقْل)، فإنّه عِنْدَ البحثِ في كُلِّ شيءٍ من وُجوهِ الثّقافة الإنسانية (في الفَلْسفةِ وفي الدين أيضاً) مُعتزليُّ المَنْهج (يأخذُ بقواعدِ المَنْطق وبما يدُلّ عليه العَقْلُ ثمّ بما هو مُشاهَدٌ في الآجتماعِ الإنسانيّ).

وهُوَ أيضاً عالمٌ حَسَنُ الرِّوايةِ للعِلْمِ مُنْصِفٌ لخُصومِهِ واضحٌ في بَحْثه يَعْرِضُ رأيَ الخَصْمِ كما يقولُ الخَصْمُ - وإنْ كان ذلك الرأيُ مُخالفاً لرأي ابنِ خَلْدونٍ نفسِهِ أو لاعتقاده أيضاً، كما نرى عِنْدَ كلامِهِ على اليهود والنصارى، في الفصلِ الثالثِ والثلاثينَ مِنَ الفصلِ الثالثِ (في طبعة دار الكتاب اللبنانيّ: من «الباب» الثالث) من الكتاب الأوّل[1] مثلاً.

وإذا عَرَض آبنُ خَلدونٍ للعلوم الطبيعيّة أوِ الرياضيّة - وَهِيَ ليستْ علوماً داخلةً في آختصاصه - فإنّه يُحْسِنُ عَرْضَها وتَفْهيمَها إلى حدٍّ كبيرٍ، كما نرى عِنْدَه في الكلامِ على الحِساب والهَندسة أو على الفَلَكِ والجغرافية أو على الكيمياء والطِّبّ[2].

وآبنُ خَلدونٍ مُؤلِّفٌ له[3] (غيرُ كتابِ العِبَر): لُباب المُحَصَّل[4] في أُصول

---

(١) راجع المقدّمة (بيروت ١٩٠٠ م)، ص ٢٣٠ - ٢٣٥؛ بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١ م، ص ٤٠٨ - ٤١٦.

(٢) مثلها، ص ٤٨٢ وما بعدها ثمّ ص ٨٩٤ - ٩١٩.

(٣) مؤلّفات ابن خلدون، ص ٩ وما بعد.

(٤) «محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين» أو «المحصّل من نهاية العقول في علم الأصول»: كتاب في الفلسفة العقلية أو فلسفة ما بعد الطبيعة (بروكلمن ١ : ٦٦٨) للفخر الرازيّ، وهو أبو عبد الله محمد بن عمر، ولد =

الدين - تلخيصُ عددٍ من كتب ٱبْنِ رُشْدٍ[1] - تَقْييدٌ في المَنْطِق - كتابٌ في الحِساب - شَرْحُ رَجَزٍ في أُصولِ الدين لِلِسانِ الدين بنِ الخطيب[2] - شرحُ البُرْدَةِ[3] - شِفاءُ السائل لتهذيبِ المسائل[4].

ويَنْظِمُ ٱبنُ خَلدونٍ الشعرَ فيُطيلُ. ومُعْظَمُ شِعرِه في المديح وفيما يتّصلُ بالمديح. وفي شِعرِه مَعانٍ كثيرةٌ أكثرُها يَرِدُ عند كِبار شُعراءِ العربية من أمثالِ أبي تمّامٍ وٱبنِ الرومي والمُتنبّي. وفي قوافيهِ خاصّةً كثيرٌ من الألفاظ على صِيَغٍ غير مألوفةٍ، وكثيرٌ من قوافيهِ قَلِقٌ مَجْلوبٌ (لا يَنْزِلُ في خِتامِ الأبياتِ مَنزِلةً مألوفةً أوْ مُستقرّةً). وعلى شِعره عامّةً قَدْرٌ كبيرٌ من الجَفاف وقلّةِ الطّلاوة. وكان ابنُ خَلْدونٍ يشعُرَ بذلك كُلّه، ولذلك قال:

وما كان لي نَظْمُ القَريضِ بِضاعةً، ولكنْ دعاني نَحْوَ مَدْحِكَ جاذِبُ.

٣- مختارات من آثاره

- من المقدّمة

(أ) من الديباجة:

الحمدُ للهِ الذي له العِزّةُ والجَبَروتُ، وبيده المُلْك والمَلَكوت[5]، وله الأسماءُ الحُسنى

= سنة ٥٤٣ أو ٥٤٤ للهجرة (١١٤٨ - ١١٥٠ م). وهو من المفسّرين (للقرآن الكريم) ومن الفقهاء والفلاسفة. كانت وفاته سنة ٦٠٦ هـ (١٢١٠ م).

(١) من كتب ابن رشد التي كان ابن رشد قد لخّصها من كتب أفلاطون وأرسطو، فيما يبدو، ككتاب السياسة (المعروف باسم «الجمهورية») لأفلاطون، وكتاب السياسة لأرسطو (راجع مؤلّفات ابن خلدون، ص ٩ - ١٠).

(٢) لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ).

(٣) البردة: بديعية (قصيدة في مدح محمّد رسول الله) لكعب بن زهير المتوفّى سنة ٢٦ للهجرة (٦٤٥ م) (راجع الجزء الأوّل، ص ٢٨٢ وما بعد).

(٤) في مسائل مختلفة، منها التصوّف.

(٥) العزّة: القوّة والغلبة (المتغلب على كل ما سواه). الجبروت: القهر (حمل الناس على الطاعة). الملك (الحكم في الأرض) والملكوت (الحكم في السماء). - الجبروت والملكوت (هما في الأغلب بصيغة الجمع - بالواو والتاء من اللغات الأعرابية (التي يقال لها خطأً سامية - للدلالة على جميع أنواع الملك إلخ).

والنعوت؛ العالِمُ فلا يَعْزُبُ عنه ما تُظهِره النَّجوى[1] أو يُخفيه السكوت، القادرُ فلا يُعْجِزه شيءٌ في السموات والأرض ولا يفوت. أنشأنا من الأرض نَسَماً[2]، واْستَعْمَرنا فيها أجيالاً وأُمماً، ويسّر لنا منها أرزاقاً وقِسَماً، تَكنُفُنا الأرحام والبيوت، ويَكفُلنا الرِّزقُ والقوت، وتُبْلينا الأيّام والوقوت، وتَعْتَوِرُنا الآجال التي خُطّ علينا كِتابُها الموقوت[3]. وله البقاءُ والثبوت. وهو الحيُّ الذي لا يموت.....

أما بعد، فإنّ فنّ التاريخ من الفنون التي تتداولُها الأممُ والأجيال وتُشدّ إليه الركائبُ والرِّحال[4]، وتسمو إلى معرفته السُّوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهّال[5]؛ إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيامِ والدُّوَلِ والسوابقِ من القرون الأُوَل، تنمو فيها الأقوال[6]، وتُضْرَبُ فيها الأمثالُ، وتُطْرَفُ بها الأنديةُ إذا غَصّها الاحتفال[7]......

---

(١) عزب يعزب: غاب، خفي. النجوى: الكلام سرًّا بين شخصين.

(٢) أنشأنا (صنعنا، خلقنا) من الأرض (التراب) نسماً (حياة)- جعل الحياة من شيء لا حياة فيه.

(٣) تكنفنا: تحيط بنا. الرحم (بفتح فكسر): كيس في بطن الأنثى يتخلّق فيه المولود.- نحن (وكل شيء آخر) محدودون بالأمكنة، أما هو (الله) فلا يحويه مكان (لعظمته) ولا يحدّه. يكفلنا الرزق والقوت (الطعام يبقينا أحياءً). أما هو فلا يحتاج إلى من يرزقه ولا يحتاج إلى طعام. تبلينا: تهلكنا (تأخذ من قوتنا وحياتنا وعمرنا). تعتورنا الآجال (الأجل: مدى عمر الإنسان): تتداولنا (يموت بعضنا إثر بعض). الكتاب الموقوت: الموت.

(٤) الركوبة (بالفتح): دابّة يسافر الناس عليها. الرجل (بالكسر): ما يوضع على ظهر الدابة للركوب عليها. تشدّ إليه.... (يقصده الناس).

(٥) السوقة: الرعيّة، عامّة الناس أو العامّة من الناس. الأغفال جمع غُفل (بالضمّ): الإنسان العاديّ، من لا حسب (عمل مجيد) له، الذي لا يعرفه أحد. القيل (بالفتح): ملك اليمن (الملوك من عرب الشمال والأقيال من عرب الجنوب: جميع الملوك). يتساوى فيه العلماء (يعرفه العلماء) والجهّال (يدّعي معرفته الجهّال) أو: يُسَرّ بسماعه العلماء والجهّال.

(٦) تنمو (تكثر، تزيد) فيه الأقوال: يضيف إليه الناس أشياءَ ليست منه.

(٧) تُطرف به الأندية (أماكن اجتماع الناس) إذا غصّها (ملأها) الاحتفال (اجتماع الناس): يكون التاريخ (القصَص- بفتح ففتح- وأخبار الناس) طريفاً (جديداً- ولو أُعيد ذكر الحادثة الواحد، مرّة بعد مرّة، محبوباً).

(ب) في أنّ من طبيعة الملك الترف:

وذلك أنّ الأمّةَ إذا تغلّبتْ وملكت ما بأيدي أهلِ المُلْكِ قَبْلَها كَثُرَ رِياشُها[1] ونِعْمَتُها فَتكْثُرُ عوائدُهم ويتجاوزون ضَروراتِ العيشِ وخُشونتَه إلى نوافلهِ[2] ورِقّته وزينته ويذهبون إلى مَنْ قَبْلَهُمْ في عوائدهم وأحوالهم. وتصير لتلك النوافل عوائدُ ضروريّةٌ في تحصيلها، ويَنْزِعون مَعَ ذلك إلى[3] رِقّة الأحوال في المطاعم والملابس والفَرْش والآنية، ويتفاخرون في ذلك ويفاخرون فيه غيرهم من الأمم: في أكل الطيّب ولبس الأنيق وركوب الفارِهِ، ويُناغي[4] خَلَفُهُمْ في ذلك سَلَفَهُمْ إلى آخر الدولة. وعلى قَدْرِ مُلْكِهِمْ يكون حظُّهم من ذلك وتَرَفُهُم فيه إلى أن يبلُغوا من ذلك الغايةَ التي للدولة أنْ تَبْلُغَها بِحَسْبِ قوّتها وعوائد مَنْ قَبْلَها. سُنّةُ اللهِ في خَلْقه، والله تَعالى أعلمُ.

(جـ) العبّاسة أخت الرشيد[5] (المقدّمة ١٥/ ٢٢):

ومِنَ الحكاياتِ المدخولة[6] للمؤرخينَ ما ينقُلونه كافّةً في سببِ نكْبة الرشيدِ للبرامكةِ من قِصّة العباسةِ أُختهِ مَعَ جعفرِ بنِ يحيى بنِ خالدٍ مولاه[7]، وأنه لِكَلَفِهِ بمكانها من مُعاقرتهِ إيّاها الخمرَ[8] أذِنَ لَهُما في عَقْد النِّكاح دونَ الخَلْوة حِرْصاً على اجتماعهما في مجلسه، وأنّ العباسةَ تحيّلتْ عليه في التماس الخلوةِ به لِما شَغَفَها من

---

(١) الرياش (جمع ريش): المال والأثاث- الأدوات التي يضعها الناس في بيوتهم- (تاج العروس- الكويت ١٧ : ٢٣٠).

(٢) العوائد هنا: العادات (أو دخلهم من المال). النافلة: ما يزيد على المطلوب أو الضروريّ.

(٣) نزع إلى الشيء: مال إليه.

(٤) الأنيق: الجميل المنظر، ما يحسن شكله في العين. الفاره (بالهاء): الدابّة الجميلة المنظر والنشيطة في سيرها. يناغي: يداني، ينافس.

(٥) راجع كتاب «تجديد التاريخ» للمؤلّف، ص ١٥٢ وما بعد.

(٦) المدخولة: التي فيها خطأ (لا صحّة لها).

(٧) مولاه: المنتسب بالولاء إليه: كان غير العربي إذا دخل في الإسلام انتسب إلى أحد رجال العرب (المسلمين) بالولاء أو إلى قبيلته. مثال ذلك أبو تمّام الطائي (فهو روميّ- يونانيّ- الأصل، ينتسب إلى بني طيّء بالولاء: بالمودّة والطاعة).

(٨) الكلف: الشغف، الميل (بالفتح) والمحبّة.

حُبّه - زَعَموا في حالة السُّكر - فحَمَلَتْ ووُشِيَ بذلك للرشيد فٱستغضب[١].

وهيهاتِ ذلك[٢] من مَنصِبِ العباسة في دِينِها وأبَوَيْها وجَلالها، وأنّها بنتُ عبدِ الله ٱبن عبّاسٍ ليس بينَها وبينَه إلّا أربعةُ رِجالٍ هم أشرافُ الدين وعُظماءُ المِلّة[٣] من بعده. والعبَاسة بنت محمّدِ المَهْديّ ٱبنِ عبد الله بن أبي جعفرٍ المنصور بن محمدِ السجّاد بن عليٍّ أبي الخُلفاء[٤] بن عبد الله تَرْجُمان القُرآن[٥] ٱبنِ العباس عمِّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ٱبنةُ خليفةٍ أُختُ خليفة[٦] محفوفةٌ[٧] بالمُلكِ العزيز والخِلافة النبويّة وصُحبة الرسول وعمومته وإقامة المِلّة[٨] ونور الوَحْيِ ومَهبِط الملائكة من سائر جهاتها قريبة عهدٍ ببداوةِ العُروبية وسَذاجةِ الدين[٩] البعيدةِ عن عوائدِ التَّرَف ومراتع الفُحْش.

فأينَ يُطلَبُ الصَّوْنُ والعَفافُ إذا ذهبا عنها؟ أو أين توجد الطهارة والذكاء[١٠] إذا فُقِدا من بيتها؟ أو كيف تُلحِمُ نسَبَها بجعفرِ بنِ يحيى وتُدَنِّسُ شرفَها العربيَّ بمَوْلًى من موالي العجم..... وكيف يَسُوغُ من الرشيدِ أن يُصْهِرَ إلى موالي الأعاجم على بُعد هِمّته وعِظَمِ آبائه. وَلو نظرَ المتأمّلُ في ذلك نَظَرَ المُنصِفِ وقاسَ العبّاسةَ بٱبنةِ مَلِكٍ من عظماء مُلوكِ زمانهِ لٱسْتَنْكَفَ[١١] لها عن مِثْلِهِ معَ مَوْلًى من موالي دولتها وفي سُلطان قومِها وٱستنكره ولجّ[١٢] في تكذيبِهِ. وأينَ قدْرُ العباسةِ والرشيدِ من الناس[١٣]!

---

(١) استغضب، المقصود: «أغضب» بالبناء للمجهول: فُعل به ما يدعو إلى الغضب.

(٢) هيهات ذلك: ما أبعد ذلك!

(٣) الملّة (هنا): الدين، الإسلام.

(٤) محمّد المَهْديّ (ابن أبي جعفر المنصور): الخليفة العبّاسي الثالث. أبو الخلفاء: الذي كان (جميع) الخلفاء (العبّاسيّين) من نسله.

(٥) عبد الله بن عبّاس ابن عمّ الرسول، كان موثوقاً في تفسير القرآن.

(٦) ابنة خليفة (ٱبنة محمّد المهدي) أخت خليفة (أخت هرون الرشيد).

(٧) محفوفة: محاطة (من قرب).

(٨) إقامة الملّة: المحافظة على عقائد الدين وتعاليمه.

(٩) سذاجة الدين: بساطة الدين وصفاؤه.

(١٠) الذكاء (كذا في الأصل). اقرأ: الزكاء (بالزاي أخت الراء): الطهارة.

(١١) ٱستنكف: كره، امتنع، رفض.

(١٢) لجّ: ٱستمرّ (أصرّ).

(١٣) هرون الرشيد وأخته العبّاسة فوق مستوى الناس العاديّين.

وإنما نكَبَ البرامكةَ ما كان مِنَ ٱستِبْدادِهم على الدَّولةِ وٱحتجافِهِمْ أموالَ الجِباية[1].....

(د) تقليد المغلوب للغالب:

يقول ابن خلدون[2]:

في أنّ المغلوبَ مُولَعٌ أبداً بالاْقتداءِ بالغالب في شِعارهِ وزيّه ونِحْلته[3] وسائر أحواله وعوائدِه[4]- والسبَبُ في ذلك أن النَّفس أبداً تعتقدُ الكمالَ فيمن غَلَبها وانْقادَتْ إليه، إمّا لِنظْرةٍ[5] بالكمالِ بما وَقَرَ[6] عِنْدها من تعظيمِهِ أو لِما تُغالِطُ به (ذاتَها)[7] مِنْ أنّ انقيادَها (ذلك) ليس لِغَلَبٍ طبيعيٍّ[8]، إنّما هو لِكمالِ الغالبِ، فإذا (هي) غالطَتْ (ذاتَها) بذلك (كان ذلك) لها ٱعتقاداً فٱنْتَحلَتْ[9] جميعَ مذاهبِ الغالب وتَشبَّهَتْ به. وذلك هُوَ الاْقتداءُ. (ورُبّما كان ذلك) لما تراه- واللهُ أعلَمُ- مِنْ أنّ غَلَبَ الغالبِ لها ليس بِعَصَبِيّةٍ ولا قوّةِ بأسٍ[10]، وإنّما هو بما ٱنْتَحَلَتْهُ من العوائدِ والمذاهبِ تُغالِطُ أيضاً بذلك عن الغَلَبِ، وهذا راجعٌ لِلأوّل. ولذلك ترى المغلوبَ يَتَشبَّهُ أبَداً بالغالب في مَلْبَسِهِ ومَرْكَبه وسِلاحه في ٱتّخاذها وأشْكالها[11] بل وفي[12] سائرِ أحوالِهِ. وٱنْظُرْ ذلك

(١) احتجف الرجل الشيء: استخلصه (حازه، أخذه بغير حقّ). الجباية: الضرائب الواجبة للدولة على الناس.

(٢) المقدّمة ٢٥٨/١٤٧.

(٣) الشعار: العلامة، الشارة الدالّة على شرف أو منصب. النحلة (بالكسر): الدين.

(٤) العوائد (العادات).

(٥) النظرة: اللمحة، (رؤية، اعتقاد).

(٦) وقر: ثبت.

(٧) تُخيِّل لنفسها.

(٨) الغلب الطبيعي (القائم على القوّة أو الفضل أو السبق في ميادين الحياة).

(٩) انتحلت: اتّخذت، عملت.

(١٠) الشدّة في الحرب، القوّة.

(١١) لا يكتفي الضعيف بتقليد القويّ في نوع طعامه مثلاً، بل في الشكل (الصورة) الخاص الذي يسلكه القويّ في تناول طعامه.

(١٢) «بل وفي» تعبير خاطىء (بزيادة الواو) يرد عند ابن خلدون وعند غيره كابن تيمية (ت ٨٢٧ هـ) مثلاً.

في الأبناءِ مَعَ آبائِهم كيفَ تَجِدُهُمْ مُتَشَبّهينَ بهم دائماً، وما ذلك إلّا لاَعْتِقادِهِمُ الكمالَ فيهم.

واَنظُرْ إلى كُلِّ قُطْرٍ من الأقطار كيفَ يَغْلِبُ على أهلِه زِيُّ الحامِيَةِ[١] وجُنْدِ السُّلطانِ في الأكثر لِأنّهُمُ الغالبون لهم، حتّى إنّه إذا كانتْ أُمّةٌ تُجاوِرُ أُخرى - ولها الغَلَبُ عليها - فَيَسْري إلَيْهِمْ من هذا التَّشَبُّهِ والاْقتداءِ حظٌّ كبيرٌ، كما هو في الأندلس لهذا العَهْدِ مَعَ أُمَمِ الجَلالِقَةِ[٢] فإنّك تَجِدُهُمْ يَتَشبّهون بِهِم في ملابِسِهِمْ وشاراتهم و (في) الكثيرِ من عوائِدِهِم وأحوالهم حتّى في رَسْمِ التماثيلِ[٣] في الجُدرانِ والمصانعِ[٤] والبُيوت، حتّى لقد يَسْتَشْعِرُ[٥] مِنْ ذلك الناظرُ بِعَيْنِ الحِكمة أنّه من علاماتِ الاَستيلاءِ[٦]. والأمرُ لله. (ثمّ) تأمَّلْ في ذلك سِرَّ قَوْلِهِم: «العامّةُ على دينِ المَلِك»[٧]، فإنّه من بابِهِ[٨]، إذِ المَلِكُ غالبٌ لِمَنْ تحتَ يَدِهِ، والرَعِيَّةُ مُقْتَدون به لاَعتقادِ الكمالِ فيه اَعتقادَ الأبناءِ بآبائِهِمْ والمُتَعَلّمين بِمُعَلِّميهِم. واللهُ العليمُ الحكيمُ، وبهِ سُبْحانَه وتعالى التوفيقُ.

(هـ) العلوم العدديّة:

وأوّلُها الأرثماتيقيّ[٩]، وهو مَعْرِفةُ خواصِّ الأعدادِ من حيثُ التأليفُ[١٠]: إمّا على

---

(١) الحامية: الجنود المكلّفون بحفظ الحدود (ويكونون عادة من جنود القويّ الذي يحتلّ بلداً ضعيفاً).

(٢) الجلالقة: سكّان الجانب الشّمالي الغربي من شبه جزيرة الأندلس (هنا: نصارى الأندلس).

(٣) التماثيل هنا (صور الرجال النصارى ورموزهم).

(٤) المصنع (هنا) حوض الماء أو البناء العظيم (القصر).....

(٥) استشعر الشيء: أحس به.

(٦) ... استيلاء الإسبان على الأندلس. (قال ابن خلدون ذلك قبل خروج العرب من الأندلس بنحو مائة عام).

(٧) في المثل المشهور: الناس على دين ملوكهم.

(٨) من بابه: من نوعه.

(٩) الأرثماطيقي: الحسبان، الحساب.

(١٠) نسق الأعداد على نظام معيّن.

التوالي[١] أو بالتضعيف[٢]؛ مثلَ أنّ الأعدادَ إذا توالتْ مُتفضِّلة بعددٍ واحدٍ، فإنّ جَمْعَ الطَّرفَيْنِ منها مُساوٍ لِجَمْعِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بُعْدُهُما مِنَ الطرفَيْنِ بُعْدٌ واحدٌ[٣]، ومثلُ ضِعْفِ الواسطة[٤].... ومثلَ أنّ الأعدادَ إذا توالَتْ على نِسبةٍ واحدةٍ بأنْ يكونَ أوّلُها نِصْفَ ثانيها، وثانيها نصفَ ثالثِها، الخ، أو يكونَ أوّلُها ثُلُثَ ثانيها، وثانيها ثُلُثَ ثالثِها الخ، فإنّ ضَرْبَ الطَّرَفَيْنِ أحدِهما في الآخَرِ (يكونُ حينئذٍ) كَضَرْبِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بُعْدُهُما من الطَّرَفَيْنِ بعدٌ واحدٌ أحدِهِما في الآخَرِ[٥]، ومِثْلَ مُرَبَّعِ الواسطةِ[٦].......

(و) لغة القرآن الكريم:

اعْلَمْ أنّ لِسانَ العرب وكلامَهم على فنّين: فنِّ الشعر، وهو الكلامُ المنظوم المُقَفّى - ومعناه أن تكون أوزانه كلُّها على رَوِيٍّ واحد وهو القافية ؛ وفنّ النثر، وهو الكلام غير الموزونِ. وكلّ واحدٍ من الفنّين يشتمل على فنونٍ ومذاهبَ في الكلام..........

وأمّا القُرآنُ[٧] وإن كانَ من المنثور إلّا أنه خارجٌ عن الوصفين. وليس يُسَمّى مُرْسَلاً مُطْلَقاً ولا مُسَجَّعاً[٨]، بل تفصيلُ آياتٍ ينتهي إلى مقاطعَ يَشْهَدُ الذوقُ بانتهاء الكلام عندها[٩]، ثمّ يُعادُ الكلام في الآية الأُخرى بعدها ويُثنّى من غيرِ التزامِ حرفٍ

---

(١) على التوالي بفرق معيّن: ١، ٢، ٣، ٤، ٥ الخ أو ١، ٢، ٤، ٦ الخ أو ١، ٥، ١٠، ١٥، الخ.

(٢) التضعيف: ضرب الأعداد في السلسلة المتوالية الأعداد بعدد معيّن. ضرب الأعداد باثنين، مثلاً، ١، ٢، ٤، ٨، ١٦ الخ، أو بثلاثة: ١، ٣، ٩، ٢٧، ٨١ الخ، أو بخمسة: ١، ٥، ٢٥، ١٢٥، ٦٢٥ الخ.

(٣) في: ١، ٢، ٤، ٦، ٨ الخ، ٤ + ٦ = ١٠، ثمّ ٢ + ٨ = ١٠، الخ. أو ٦ مضعّفة (أي ١٢) = ٤ + ٨.

(٤) راجع الحاشية التي قبل السابقة. ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢ الخ (كلّ عدد هنا هو نصف العدد الذي بعده. وفي الحاشية نفسها: ٣ هي ثلث ٩، و ٩ هي ثلث ٢٧ الخ.

(٥) في المتوالية بالتضعيف، ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، الخ مثلاً، ٨ × ٨ = ٤ × ١٦؛ ثمّ ٤ × ٤ = ٢ × ٨، الخ. أو ٤ × ٤ = ٢ × ٨ الخ.

(٦) حينما يأتي في آخر أبيات الشعر ألفاظ مثل: مال، نالوا، أزالوا، حال، فاللام هي الرويّ، أمّا القافية فهي ـال، ـالوا الخ.

(٧) القرآن (القراءة): كلام الله القديم المدوّن في المصحف. لا تقل: عندي قرآن. قل: قرأت القرآن - عندي مصحفان - قرأت في المصحف.

(٨ و٩) لا يقال للألفاظ التي في أواخر آيات القرآن: (السورة ١١٣): ﴿قل: أعوذ بربّ الفلق ★ من شرّ ما خلق =

يكونُ سَجْعاً ولا قافية.....

(ز) تعريف الشعر:

الشعر هو الكلام البليغ المَبْنِيُّ على الاستعارةِ والأوصاف، المُفصَّلُ بأجزاءٍ متّفقةٍ في الوزن والرَوِيِّ (مستقلاًّ) كلُّ جُزءٍ منها في غَرَضِه ومَقْصِدِهِ عمّا قَبْلَهُ وبعدَهُ والجاري على أساليبِ العربِ المخصوصةِ به...... وقولنا الجاري على الأساليب المخصوصة به فَصْلٌ له (أي يفصله، يجعله مفصولاً مختلفاً) عمّا لم يَجْرِ منه على أساليبِ الشعر المعروفة؛ فإنّه حينئذٍ لا يكونُ شِعْراً، إنّما هو كلامٌ منظوم، لأنّ الشعر له أساليبُ تخصّه لا تكون للمنثور. وكذا أساليبُ المنثور لا تكون للشعر. فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يُسمّى شعراً. وبهذا الآعتبار[١] كان الكثيرُ ممّن لَقِيناه من شُيوخنا[٢] في هذه الصِّناعة الأدبية يَرَوْنَ أن نظم المتنبّي والمعريّ ليس هو من الشعر في شيء لأنّهما لم يَجْرِيا على أساليبِ العرب فيه......

اعلم أن لِعَمَلِ الشعر وإحكام صِناعته شروطاً أوّلُها الحِفْظُ من جِنْسه، أي من جنس شعر العرب، حتّى تنشأَ في النفس مَلَكَةٌ يُنْسَجُ على مِنْوالها. ويُتَخَيَّرُ المحفوظُ من الحرّ النقيّ الكثير الأساليب. وهذا المحفوظ المختارُ أقلُّ ما يكفي فيه شعرُ شاعرٍ من الفُحول الإسلاميّين[٣] مثل ابن أبي رَبيعةَ وكُثَيّرٍ وذي الرُّمّة وجَريرٍ وأبي نُواسٍ وحَبيبٍ والبحتريّ والرَضِيِّ وأبي فِراسٍ..... والمختارُ من شعر الجاهلية. ومن كان خالياً من المحفوظ فنَظْمه قاصرٌ رديءٌ. ولا يُعْطيهُ الرونقَ والحلاوةَ إلّا كَثْرَةُ المحفوظ.

= ★ ومن شرّ غاسق إذا وقَب ★ ومن شرّ النفّاثات في العُقد ★ ومن شرّ حاسد إذا حسد★﴾ أسجاع (كما في الخطب الجاهلية مثلاً)، بل فواصل بين الجمل جاءت فيها هذه الألفاظ في محلّها (بلا قصد للموافقة بين الأحرف).

(١) الاعتبار: العبرة (بالكسر)، أي الاتّعاظ بالحوادث التي تمرّ بالإنسان، الاستفادة من أخطاء الآخرين ومن مصائبهم. والمقصود هنا: إنعام النظر (تفهّم الأمور).

(٢) الشيوخ: الأساتذة الكبار.

(٣) الشعراء الإسلاميّون هم الذين كانوا في صدر الإسلام (أيام الخلفاء الراشدين) وفي الدولة الأمويّة: حسان ابن ثابت وعمر بن أبي ربيعة وجرير والأخطل النصراني كانوا شعراء إسلاميّين.

(ح) اللفظ والمعنى:

(ويجب على الشاعر أن) يَجْتَنِّبَ المُعقَّدَ من التراكيبِ جُهْدَهُ، وإنّما يَقْصِدُ منها ما كانت معانيه تُسابق ألفاظَه إلى الفَهْم. وكذلك كَثْرَةُ المعاني في البيت الواحد، فإنّ فيه نَوْعَ تعقيدٍ على الفهم، وإنّما المُختارُ منه ما كانت ألفاظُه طَبْقاً على معانيه أو أَوْفَى[1] منها قليلاً. فإن كانت المعاني كثيرةً كانت حَشْواً، واشتغل الذِّهنُ بالغَوْصِ عليها فمَنَعَ الذوقَ مِنَ آسْتيفاءِ مَدْرَكِهِ من البلاغة. ولا يكونُ الشعر سَهْلاً إلّا إذا كانت معانيه تُسابق ألفاظَه إلى الذهن. ولهذا كان شُيوخُنا، رَحِمَهُمُ الله، يَعيبون شعرَ أبي بكرِ آبنِ خَفاجةَ شاعرِ شرقِ الأندلسِ لِكَثْرَةِ معانيه وازدحامِها في البيت الواحدِ كما كانوا يَعيبون شعرَ المتنبيّ والمعرّيِّ بِعَدَمِ(*) النسجِ على الأساليب العربية، كما مرّ، فكان شعرُهما كلاماً منظوماً نازلاً عن طَبَقة الشعر؛ والحاكمُ بذلك هو الذوقُ.

(ط) نشأة الموشّح:

(راجع الجزء الرابع، ص ٤٢٢ و٤٣٥).

- مدح أبي عنان فارس:

كان أبو عِنانٍ فارسٌ المتوكّلُ على الله أحدَ سَلاطينِ بني مَرينٍ في فاس (٧٤٩ - ٧٥٩ هـ) قد غَضِبَ على آبنِ خَلدونٍ وحَبَسَهُ. ولمّا طالَ الزمنُ على آبنِ خَلدونٍ في السِّجْن، نَظَمَ قصيدةً في مدحِ أبي عِنانٍ المتوكّلِ على الله - وكان قد مَضى عليهِ في السِّجنِ ثمانيةَ عشَرَ شَهْراً - وأرسلَها إليه في الثُّلُثِ الأوّلِ من شهر شَعبانَ من سَنَة ٧٥٩ هـ (في أواسِطِ تمّوزَ - يوليو من عام ١٣٥٨ م). من هذه القصيدة:

على أيِّ حالٍ لِلّيالي أعاتبُ؟ ... وأيَّ صُروفٍ للزّمانِ أُغالبُ[2]؟
كفى حَزَناً أنّي على القُرب نازحٌ ... وأنّي على دَعْوَى شُهودِيَ غائبُ[3]؛

---

(١) أوفى: أكثر.
(*) عدم النسج: ترك النسج (كلمة «عدم» هنا مستعملة على غير الوجه الصحيح).
(٢) صروف الدهر: أحداثه (مصائبه).
(٣) نازح: بعيد. وأني على دعوى شهوديّ غائب (مع أنّي موجود في بلدك، فأنا غائب عن رعايتك).

وأنّي على حُكْمِ الحوادثِ نازلٌ   تُسالِمُني طَوْراً، وطوراً تُحارب.
أَحِنُّ إلى إلْفي، وقد حالَ دونَهم   مَهامِهُ فِيحٌ دونَهن سَباسبُ[1].
وما أنسَ لا أنسَ الوَداعَ، وقد جرَتْ   دُموعٌ وزُمَّتْ للفِراق ركائب[2]،
عَشِيَّةَ بانوا والقلوبُ جوامدٌ،   وكان عقيقٌ في النَّواظرِ ذائب[3].
وَقَفْنا ولا نَجْوَى سوى بَيْنَ أَعْيُنٍ   وشَتْ بالهوى منها دُموعٌ سواكِب[4].
مَضَوْا يُزْمِعون السَّيْرَ إلّا تَلَفُّتاً   كما ٱلْتفَتَتْ بينَ الأراك الرَّبائب[5].
وأَتْبَعْتُهُمْ طَرْفي وقَلْبي، وما دَرَوْا   بأنِّي على آثارِ هذَيْنِ ذاهب[6].
رَعى اللهُ عَهْداً ضَمّه أُفْقُ تُونسٍ   ومعهدَ أُنْسٍ لم تَرُعْهُ النَّوائبُ[7].
وجادَتْ عليه الغانياتُ بِما حَوَتْ   من الظَّلْمِ لا ما تَحْتَويهِ السحائب[8].
بلادٌ بها فَضّ الشَّبابُ تَمائِمي   ولامَسَ فيها التَّرْبَ منّي التَّرائب[9].
يُذكِّرني عَهْدَ الرِّضا في جَنابِها   أمانٍ تَقَضّتْ لي بها ومآربُ.
فأصْبو، ولكنْ أينَ مِنّي مَزارُها؛   وأبْكي وإنْ لم تُغْنِ عنّي السحائب[10].

---

(١) الإلف: الرفيق، الصاحب الذي تعوّدت صحبته. المهمه: المفازة (الصحراء) البعيدة. الفيح (جمع أفيح وفيحاء): الواسعة. السبسب: المفازة (الصحراء).

(٢) زمّت (بالبناء للمجهول) الركوبة (بالفتح): أسرجت الدابة للركوب عليها والسير بها.

(٣) بانوا: ابتعدوا، رحلوا. القلوب جوامد: صابرة، ساكنة. عقيق: أحمر. (دموع حمراء كأنّها من دم).

(٤) النجوى: الكلام سرًّا بين شخصين. – الدموع هي التي أعلنت أن بيننا حبّ.

(٥) أزمع السير: نوى السير، قصد. الأراك: شجر. الربائب جمع ربيبة: الصغير الذي يربّى عند غير أهله، ثمّ واحدة الغنم (من الضأن أو المعزى) التي تربط إلى جانب البيت ولا تسرّح في المراعي (وليس في هذه صدقة). والمقصود هنا: الغزلان (النساء الجميلات).

(٦) طرفي: نظري. ذاهب (ميت).

(٧) الأفق (هنا): المنطقة، البلد. راع فلان فلاناً: أخافه.

(٨) الغانية: المرأة الجميلة. الظَّلْم: الريق.

(٩) التميمة: عوذة (بالضمّ) أو حرز يعلّق على أجسام الأطفال. فضّ الشباب تمائمي: نشأت فيها حتّى بلغت الشباب. التريبة: عظمة في الجانب الأعلى من الصدر. ولامس فيها الترب الخ: ولدت فيها. راجع قول الشاعر الأعرابي (نفح الطيب ١ : ١٧٣):

بلاد بها عقّ الشباب تمائمي   وأوّل أرض مسّ جلدي ترابها.

(١٠) أصبو: أشتاق، وإن لم تغن عنّي السحائب (كان مطر السحاب أقل من دموعي).

وقد أمْتَطي فِكْري لَدى اللَّيْلِ مركَباً — بذِكْرِ الذي تُحْدَى إليه الرَّكائب[1].
وأعْشو إلى مَدْحِ الخليفةِ فارسٍ — فتَنْجابُ عنّي للخُطوب غَياهِب[2].
إمامُ هُدًى ضاءتْ شُموسُ آهتدائِه — فبانَتْ لنا من بَيْنِهنّ المذاهب[3]:
فعَقْلٌ، إذا ما أظلَمَ الخَطْبُ، نَيِّرٌ؛ — وفِكْرٌ، إذا ما أشْكَلَ العِلْمُ، ثاقبُ[4].
تَزاحَمُ تيجانُ المُلوكِ بِبابِهِ — كما آزْدَحَمَتْ بالدارعينَ المَواكب[5].
لكَ اللهُ من مَلْكٍ أغرَّ مُهَذَّبٍ — ثَقيلُ المَراقي عِنْده والمناصِبُ[6].
جَبَرْتَ عِمادَ الدينِ بعدَ آنصداعِهِ — على حينِ لم يَجْبُرْ له الصَّدْعَ شاعِب[7].
وشَيَّدْتَ فخراً في ذُؤابةِ مَعْشَرٍ — نَمَتْكَ إلى العَلْياءِ منهم عَصائبُ[8].
ومَهَّدْتَ رُكْنَ المُلْكِ منك بعَزْمَةٍ — تَذُبُّ بها عنه الحُماةُ الضواربُ[9].
ودوَّخْتَ أرضَ الغَرْبِ حتّى تسابَقَتْ — لأَمْرِكَ طَوْعاً عُجْمُه والأعارِبُ[10].
ولمّا طَغَى بالشَّرْقِ كُلُّ مُكَذِّبٍ — عَصِيٌّ تُناجيه الأماني الكواذب[11]،

---

(١) تحدي إليه: تساق إليه (يزوره الناس ويقصدونه). الركوبه (بالفتح): الدابة التي يسافر الناس عليها.

(٢) عشا: قصد. فارس: أبو عنان المتوكل على الله (الممدوح بهذه القصيدة). انجاب: انجلى، زال. الخطب: المصيبة. الغيهب (بفتح فسكون): جانب من الليل شديد الظلمة (بالضم) أو شديد السواد.

(٣) بانَ: ظهر، وضَح. المذهب: الطريق، المنهج (في الحياة)- عرفنا به (بحسن رأيه) الصواب والخطأ.

(٤) أشكل الأمر: آلتبس، آختلط فيه الصواب الخطأ. الثاقب: الذي يثقب (ينفذ، يخرق الأشياء)، النور القوي.

(٥) الدارع: الذي يلبس درعاً. الجندي. -يقصده ذوو التيجان (الملوك) بعدد كبير كعدد الجنود الذين يسيرون في موكبه (في رفقته من الحرس).

(٦) الأغرّ: الأبيض (الجيد، العظيم). ثقيل (؟) المراقي (الدرجات، المقامات) عنده والمناصب: الوصول إليه صعب، والذين هم عنده هم في أعلى طَبقات الناس (؟).

(٧) جبر الطبيب العظم المكسور: ردّه إلى حاله الأصلية (الصحيحة)، أصلحه. عماد (عمود) الدين: الأساس الذي يقوم عليه الدين. الصَّدع: الشَّق. شعب الرجل الأمر يشعبه (بفتح العين فيهما): جمعة وفرّقه أو أصلحه وأفسده (من ألفاظ الأضداد). والشاعب (هنا): الجامع للأمور، المصلح.

(٨) الذؤابة: طرف الشعر (أعلى الأقسام في الشيء)، الذروة (أعلى الجبل). نمتك: رفعتك، بلغت بك إلى الملك. العصابة (بالكسر): الجماعة من الناس.

(٩) ذبّ: دفع، حمى.

(١٠) دوّخ الرجل البلاد: سار فيها حتى عرف جميع طرقها، استولى عليها. أرض الغرب: بلاد المغرب (الجانب الشمالي الغربيّ من قارّة إفريقية).

(١١) طغى: ظلم، عصى. تناجيه الأماني الكواذب: توهمه أنه إذا حاربك (أو ثار عليك) نجح وانتصر.

بدأتَهُمْ بالقَوْلِ؛ لو أنّ سَعْيَهم حميدٌ لَمَا ساءتْ لَدَيهِمْ عواقِبُ [١].
ولكنْ أبَوْا إلّا جِماحاً وما دَرَوْا بأنّـك حَرْبُ اللهِ، واللهُ غالب [٢].
ولَجّوا عـلى ظنٍّ بـأنَّ حُصونَهم مُمَنَّعَةٌ، لو أن غـيرَك طالبُ [٣].
فسُمْتَهُمُ بالرُّعْـبِ قبـلَ نِزالِهم، ففُلَّـتْ جُموعٌ مِنْهُمُ ومَضارِبٌ [٤].
وأرْسَلْتَهُمْ من آلِ أمْحُوجَ غُلَّبـاً عليها من الأبطالِ شُوسٌ أغالبُ [٥]،
من القومِ مـا غيرُ القَنا في طريقِهمْ أنيسٌ، ولا غيرُ المُهنّدِ صاحبُ [٦].
إذا أظلمتْ - جُنْحَ النهارِ - دُروعهُمْ، أضاءتْ وُجوهٌ مِنْهُمُ ومَناقب [٧].
ففي الحَرْبِ آسادٌ وفي السِّلْمِ سادةٌ، ويومَ النَّـدى والمَكْرُماتِ سَحائبُ [٨].
وسِرْتَ، فلولا أنّ أمرَكَ وازِعٌ لَسارَتْ جِبالٌ عِنْدَها وأهاضِبُ [٩]
بِجَيْشٍ يَغَصُّ الأُفْقُ منه برُكَّبٍ، ويَعْجِزُ عن حَصْرِ الكتيبةِ حاسِب [١٠].

---

(١) - حاولت في أول الأمر أن تخاطب الثائرين عليك بالكلام (بالمعروف). ولو كانوا يريدون الخير لما قهرتهم وقتلتهم.

(٢) الجماح: العصيان، الركض على غير هدًى. بأنك حرب الله (تحارب في سبيل الله). حزب الله (؟).

(٣) لجّ: استمر، تابع (السير)، أصرّ.

(٤) حصونهم (قلاعهم) منيعة (لا يستطيع أحد أن يستولي عليها)، ولكنها لم تكن منيعة لما قصدتهم أنت.

(٥) نزل بهم الرعب (الخوف) قبل نزالهم (قبل أن تحاربهم). فُلّت (بالبناء للمجهول): انفضت، تفرقت، هربت. جموع (من الجنود المحاربين). المضارب: الخيام (السكان غير المحاربين). - استوليت أنت على جميع أهل البلاد.

(٦) أمحوج (الملموح هنا أن آل أمحوج إشارة إلى الخيل) وفي تاج العروس (الكويت ٦ : ٢٤٠) محاج (بفتح الميم وبضمها): اسم فرس معروفة من خيل العرب. غُلّب (بضم فلام مشدودة) لم أجدها في القاموس والمقصود: الغالبون، الأشداء - وهي (أي غلباً) حال صاحبها آل أمحوج. والدليل على أنها إشارة إلى الخيل قوله: «عليها من الأبطال.....». الأشوس: الجريء الشجاع. الأغلب: الغليظ الرقبة من داء أو من غيره (تاج العروس - الكويت ٣ : ٤٩١)، وهي هنا كناية عن الرجل القوي.

(٧) القنا: الرماح. المهنّد: السيف (من صنع الهند) الجيد.

(٨) جنح النهار (ظرف زمان) في النهار. الدرع من حديد (وتكون عادة سوداء). المنقبة: الفعل الكريم.

(٩) الهضبة (بفتح ففتح): السهل المرتفع، الجبل إذا كان عليه بقعة مستوية. والجمع هضاب (بالكسر)، وجمع الجمع أهاضيب. وتُحذف الياء (فتصبح أهاضب) للضرورة في الشعر (تاج العروس - الكويت ٤ : ٣٩٥).

(١٠) يغصّ الأفق: تضيق الأرض. الركّب (يقصد «الركّاب»): الفرسان. الكتيبة: القطعة من الجيش.

أبى اللهُ إلّا أنْ يكونَ لكَ العُلا … تُنيلُ الوَرى عَفواً فتُعْفى المَعايب[1].
وإنْ أثْبتَ الأعداءُ أنّيَ مُذْنبٌ، … فصَفْحُكَ، يا مولايَ، للذّنْبِ سالب.
وهَبْهُمْ رَمَوْني بٱلّتي لستُ أهلَها، … ألَيْسَ ٱنْتسابي واضحٌ مُتناسب[2]؟
أبَعْدَ ٱنْتزاحي عن بِلادي تَحُثُّني … إلى بابِكَ الأعلى مَطِيٌّ شوازِبُ[3]؟
وغرّاءَ من نَسْلِ الجَديلِ وشَدْقَمٍ … لها في الرِّياحِ العاصفاتِ مَناسِبٌ[4]،
يُجاذِبُ عِطْفَيْها المَراحُ فتَنْثَني … كما ٱلْتَفَتَتْ في الرَّوضِ حَسْناءُ كاعبُ[5]
وتُكْبِرُ قَدْراً أن يَميلَ بِمِثْلِها … لِغيرِكَ قَصْدٌ أو تَحِنَّ مَطالب.
رَقَمْتُ بها في صَفحةِ البِيدِ أسْطُراً … كما زانَ رَقْماً في الصحيفةِ كاتبُ[6].
وجُبْتُ بها غَوْرَ الفَلاةِ ونَجْدَها، … وليس سِوى مَنْ ذَنْبُها ما أُصاحِبُ[7].
كأنّيَ لفظٌ، والبِلادُ تُجيبُني … خواطرُ منها للمعاني حرائبُ[8]؛

---

(١) تنيل (تعطي) الورى (جميع الناس) عفواً (الزيادة من مالك، ما لا تحتاج إليه من المال). المعايب (جمع معاب ومعابة ومعيبة): العيوب، النقص، الخطأ (الفقر). تُعفى: تشفى، تُغطّي (تزول).

(٢) ... لستُ أهلَها (لم أفعلْها). ٱنتسابي (صلتي بك). متناسب (متبادل بيني وبينك).

(٣) انتزاحي: ٱبتعادي. تحثّني، تدفعني. المطيّة: الدابة يركبها المسافر. الشازب: الحصان الضامر البطن (ويكون سريعاً).

(٤) غرّاء: (فرس) بيضاء (أو لها بياض في جبهتها)، كريمة الأصل. الجديل وشدقم حصانان للنعمان بن المنذر (القاموس المحيط ٣: ٣٤٧ و٤: ١٣٥).

(٥) العطف (بالكسر): الجانب الأعلى من الصدر. المَراح: النشاط: يجاذب عطفيها المراح (نشاطها يجعلها تميل يميناً ويساراً). تنثني: تميل (تلتفت، تتلفّت) بدَلال وكِبرياء. الكاعب: الفتاة إذا تكوّر ثدياها وتمّ نموّها.

(٦) رقمت بها......: سرت طويلاً في البوادي (كثرتْ أسفاري). زان: زيّن، زخرف. الرقم: الكتابة (يقصد سافرت كثيراً في البلاد وإلى كلّ مكان).

(٧) جاب يجوب: قطع (سافر): الفلاة: الأرض الواسعة. الغور (المنخفض من الأرض). النجد: ما ٱرتفع من الارض. سافرت في كلّ مكان وإلى كلّ مكان. مَنْ ذنبُها (من عذّب هذه الناقة بالأسفار الكثيرة؟ يقصد ابن خلدون بذلك نفسه. ما أُصاحب (ليس معي رفيق سواي- وحيداً).

(٨) كأنّي لفظ (كلام، أسئلة). والبلاد (في البلاد؟). تجيبني خواطر (فاعل «تجيبني»؟) منها للمعاني حرائب (مسلوبة)- كنت، وأنا في كلّ بلد، تخطر في بالي خواطر لا أستطيع أن أجد معانيَ يمكن التعبير عنها (كنت أكره كلّ البلاد حتّى وصلت إليك- انظر البيت التالي).

تظُنُّ بأنّ الشَّرقَ عن حَمْلِ كَتْمِهِ يَضيقُ فَتَطوِي سِرَّهُنّ المَغاربُ (١)
إلى أنْ حَطَطْتُ الرَّحل في ساحةِ العُلا لَدى بابِكَ الأعلى كما حَطَّ آيِبُ (٢).
وأصْدَرْتَني عن وِرْدِ نُعماكَ ناهلاً وقد أثْقلت ظَنّي إلَيْكَ المواهبُ(٣).
فكيفَ أُوَلّي شَطْرَ غيرِكَ وِجْهَةً أُؤَمِّلُ منه نَجعةً أوْ أُراقب(٤)؟
وما خَلَصَتْ إلاّ لِبابِكَ هِجْرتي، ولم تَصْفُ لي مِمَّنْ سِواك المَشاربُ(٥).
وإنّي على عِلْمٍ بِأنْ لا مُمَلَّكٌ سِواكَ على الدُّنْيا، ولا عنكَ ذاهبُ(٦).
ولكنْ عَوادٍ إنْ عَدَتْني عنِ الزما نِ زماناً، فإنّي اليَوْمَ مِنْهُنّ تائبُ(٧).
سأنْزِعُ عمّا أنتَ - واللهِ - ساخطٌ، فأمْرُكَ محتومٌ على الخَلْقِ واجب(٨).
وأسْطو على الأيّامِ مِنْكَ بنَوْبَةٍ كما افْتَرَسَتْني بَيْنَهُنَّ النَّوائب(٩).
وتُوسِعُني نُعماكَ أفضلَ نِعْمةٍ يَريشُ بها عظمي وتَتْرى المكاسِبُ(١٠).

---

(١) لا في الشرق (تونس) ولا في المغارب (الجزائر والمغرب) وجدّت من يدرك معناي (يعرف مقداري ومكانتي)...

(٢) حططت الرحل: نزلت، آستقررت (سكنت). الآيب: الراجع من سفر إلى بلده (ليبقى فيه دائماً).

(٣) أصدرتني: رددتني. الورد (بالكسر): المجيء إلى الماء للشرب. ناهل: ريّان (مكتف من الماء) - لمّا جئت إليك أعطيتني عطايا كثيرة. وقد أثقلت إلخ (وكنت أظنّ أن ما أريد أن أطلبه منك كثير): أعطيتني فوق ما كنت أريد.

(٤) النجعة: قصد أصحاب الأموال لنيل عطاياهم. أراقب. (أرجو أن يعطيني شيئاً - يقصد أن جميع الناس، غيرك، بخلاء).

(٥) - هاجرت (قصدت) إلى أبواب ملوك كثيرين. مجيئي إليك وحدَك كان آعتقاداً منّي بكرمك وإخلاصاً في محبّتك. لم تصف لي إلخ: لم أكن مسروراً عند أحد (غيرك).

(٦) - أنا واثق بأنّه لا يوجد في هذا العالم ملك (يستحق هذا الاسم) غيرك. وليس هنالك من يستحقّ أن يذهب الناس إليه (للعطاء) غيرك.

(٧) ولكن عوادٍ (جمع عادية): نوائب، مصائب. عدتني: جاوزتني، (أبعدتني). عن الزمان (عن السرور في الحياة؟ عنك). زماناً (مدّة).

(٨) نزع عن الشيء: تركه.

(٩) - سأعتدي أنا على حوادث الأيام (على المصائب) بنوبة (بمدّة أكون فيها حرًّا قويًّا غنيًّا)، كما كانت المصائب قد اعتدت عليّ كثيراً من قبل، وسيكون الفضل في ذلك لك.

(١٠) راش يريش: أصبح غنيًّا، ذا رياش (أثاث كثير في بيته). يريش عظمي: يكتسي عظمي لحماً، بعد أن آفتقرت وجُعت حتّى برزت عظامي للعيون. تَتْرى تتوالى، تتّصل.

فما في اللَّيـالي من ذميمٍ ولَوْ أتى ، إذا حُمِدَتْ بعدَ المبادي العَواقِبُ [1].

- مطلع في الغزل:

قال ابن خلدون في صدر قصيدة طويلة في المديح (سَنَة ٧٦٢ هـ):

أسْرَفْنَ في هَجْري وفي تعذيـبي وأطَلْنَ موقفَ عَبْرتي ونَحيبي [2]؛
وأبَيْنَ يومَ البَيْنِ وقْفَةَ ساعةٍ لِوَداعِ مَشْغوفِ الفؤادِ كئيبِ [3].
ما هاجني طَرَبٌ ولا ٱعتادَ الجوى لولا تذكُّرُ منزلٍ وحبيـبِ [4].
وإذا الديـارُ تَعَرَّضَـتْ لِمُتَيَّمٍ هزَّتْـه ذِكْراهـا إلى التشبيـبِ.
في كـلّ شِعْـبٍ مُنْيَـةٌ من دُونِها هَجْرُ الأماني أو لِقاء شَعوبِ [5].
هَلّا عَطَفْتَ صُدورَهنّ إلى التي فيهـا لُبانَـةُ أعـينٍ وقُلوبِ [6].
فَتَؤُمَّ من أكْنـافِ يَثْرِبَ مأْمَنـاً يَكْفيـكَ ما تَخْشاه من تَثْريبِ [7].

٤- كتاب العبر [8] [*] وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي

---

(١) العاقبة: النهاية، النتيجة. - فما في الليالي......: إذا صلَحتْ حال الإنسان نسي كلّ شقاء كان قد لقيه من قبل. لشكسبير (ت١٦١٦ م= ١٠٢٥ هـ، بعد ابن خلدون بمائتين وسبع عشرة سنة)، رواية تمثيلية عنوانها: All's Well That Ends Well : ما كانت نهايته حسنة فهو حسن.

(٢) هؤلاء النسوة جعلنني أطيل وقوفي على الأطلال أبكي وأنتحب.

(٣) أبى: رفض. البين: البعاد، الفراق. المشغوف: الذي بلغ الحب إلى شُغاف (بضمّ الشين) قلبه (شغاف القلب: غلافه أو حجابه أو داخله).

(٤) الطرب ما يثير الإنسان من فرح أو حزن. ٱعتاد: عاد مرّة بعد مرّة. الجوى: شدّة الوجد والحنين إلى المحبوب حتّى تشبه حاله حال المريض.

(٥) الشعب (بكسر الشين) الشعبة، الفرقة، القسم من الطريق أو من الأمّة. شعوب (بفتح الشين وبلا لام للتعريف): المنيّة، الموت.

(٦) صدورهن: صدور النياق (هلا مِلْتَ بالنياق نحو المدينة، مدينة الرسول). اللبانة: الحاجة.

(٧) أمّ: قصد. أكناف: أطراف. يثرب: المدينة، مدينة الرسول. التثريب: اللّوم.

(★) اعتمدتّ في جَمْع هذه القائمة مراجعَ مختلفةً: تاريخ الأدب العربي (النسخة الألمانية) لبروكلمن - بطاقات مكتبة يافث في الجامعة الأميركية في بيروت - مؤلّفات ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بدوي (دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م).

(٨) يُلفى هذا الكتاب باسم «عُنوان العبر....» (بروكلمن ١: ٣١٦، السطر ٢١) وبٱسم «ترجمان العبر.....» (مؤلّفات ابن خلدون، ص ٢٩، السطر الأوّل).

السلطان الأكبر[1]، بولاق[2] ١٢٨٤ هـ؛ بيروت (مكتبة‌المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة، والنشر، بيروت ١٩٥٦ - ١٩٦١ م (١٣٧٤ هـ)، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ - ١٩٦٨ م).

- الجزء الأوّل من كتاب العبر (ويعرف بمقدّمة ابن خلدون):

★ (نشرها كاترمير)، باريس ١٨٤٧ - ١٨٥٨ م.

★ (بتصحيح نصر الهوريني)، بولاق ١٢٧٤ هـ.

★ بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٧٩، ١٨٨٦، ١٩٠٠ م.

★ مصر - القاهرة ١٣١١، ١٣٢٠، ١٣٢٢، ١٣٢٧، ١٣٣٦[3]، ١٣٤٩ هـ (؟).

★ القاهرة (المطبعة الأزهريّة) ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م.

★ (تحرير عليّ عبد الواحد وافي)، القاهرة (لجنة البيان العربي) ١٣٧٧ هـ وما بعد = ١٩٥٧ - ١٩٦٢ م.

★ (لجنة من العلماء)، القاهرة (المكتبة التجاريّة) بلا تاريخ.

★ (اللجنة الدولية لترجمة الروائع)، بيروت ١٩٦٧ م.

أقسام من كتاب العبر:

أخبار الفرنج فيما ملكوه من سواحل الشام وثغورها وكيف تغلّبوا عليها وبداية أمرهم في ذلك ومصايره (نشرها تورنبرغ)، أوبسلا ١٨٤٠ م.

- أخبار دولة بني الأغلب في إفريقية وصقليّة إلى حين آستيلاء الفرنجة على صقليّة (نويل دي فيرجيه) باريس ١٨٤١ م.
- تاريخ الدول الإسلامية في المغرب (نشره دي سلان)، الجزائر (دار الطباعة السلطانية) ١٨٤٧ - ١٨٥٦ م.
- تاريخ الأسرة العُقيلية (تيزهاوزن)، بطرسبورج ١٨٥٩ م.
- مختارات من ابن خلدون، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٤٩ - ١٩٥٠.
- التعريف[4] بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً (تحقيق محمّد بن تاويت الطنجي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م.

كتب لابن خلدون:

- لُباب المحصَّل[5] في أصول الدين، القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٣ هـ.

---

(١) ويعرف آختصاراً باسم «تاريخ ابن خلدون».

(٢) بولاق حيّ من أحياء القاهرة كانت فيه المطبعة الأميرية. فإذا قيل بولاق يمكن أن يُعنى بها مكان الطبع (في مقابل القاهرة)، ويمكن أن يعنى بها المطبعة.

(٣) إنّ طبعتي ١٣١١ و١٣٤٩ كانتا في المطبعة الأزهريّة. ولم أستطع تحقيق أسماء المطابع للطبعات الباقية.

(٤) ترد هذه الترجمة الذاتية التي صنعها ابن خلدون لنفسه في آخر كتاب «العبر» (في آخر الجزء السابع).

(٥) قال عبد الرحمن بدويّ (مؤلّفات ابن خلدون، ١٥ - ١٦): «.... وقد نُشر الكتاب في إستانبول سنة ١٩٥٨ (للميلاد). ثمّ جاء الأب أغناطيوس عبده اليسوعيّ مدير مجلّة «المشرق» التي يصدرها الآباء =

- شفاء السائل لتهذيب المسائل (نشره لوثيانو روبيو)، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٢ م؛ (عارضه في أصوله محمّد بن تاويت الطنجي)، أنقرة (منشورات كلّيّة الآلهيّات)، إستانبول (مطبعة عثمان بلشن) ١٣٧٧ هـ=١٩٥٧ م؛ (نشره إغناطيوس عبده خليفة اليسوعيّ- في منشورات معهد الآداب الشرقيّة) بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٩ م.

كتب ودراسات مستقلّة في ابن خلدون[1]:

- ★★ إبراز الوهم المكنون من كلام آبنِ خَلدونٍ أو المرشدُ المُبدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المَهْديّ[2]، تأليف أحمد بن الصدّيق، دمشق ١٣٤٧ هـ= ١٩٣٤ م.
- ابن خلدون، تأليف تيسير شيخ الأرض .
- ابن خلدون، تأليف محمد جعفر وفوزي سليمان، القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) بلا تاريخ.
- ابن خلدون: حياته وتُراثه الفكري، تأليف محمّد عبد الله عِنان، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٣٣ م، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٣ م، ثم ١٩٦٦ م).
- ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية تأليف جوستون بوتول (ترجمة غنيم عبدون)، القاهرة (المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ١٩٦٤ م.
- ابن خلدون (في سلسلة الروائع، رقم ١٣ - ١٥) تأليف فؤاد أفرام البستاني، بيروت المطبعة الكاثوليكية).
- ابن خلدون في المدرسة العادلية (مطبوع مع «محمّد والمرأة») تأليف عبد القادر المغربي، دمشق (مطابع قوزما) ١٩٢٨ م.
- ابن خلدون: قائمة بمؤلّفاته، انظر، تحت: قائمة بمؤلّفاته.
- ابن خلدون: مُنتخبات، تأليف جميل صليبا وكامل عيّاد، دمشق (مطبعة ابن زيدون) ١٩٣٣ م.
- ابن خلدون منشيء علم الاجتماع، تأليف علي عبد الواحد وافي، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) بلا تاريخ.

= اليسوعيّون في بيروت بلبنان، فنشر كتاب ابن خلدون (شفاء السائل) في نشرة أخرى فَرَغَ من طبعها في ٣٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٥٩، أي بعد نشرة محمّد بن تاويت الطنجي بحوالى تسعة أشهر. ومن المؤكّد أنّ الأب أغناطيوس عبده خليفة- برُغْم ذلك- لم يطّلع على نشرة الأستاذ الطنجي، وإلّا لَتَلافى الأخطاء الفاحشة العديدة جدًّا والتي وقعت في طبعته. وهي على أنواع.....».

(١) هنالك عدد من المقالات والبحوث على مستويات مختلفة من الطول (ومن القيمة أيضاً) نشرت في عدد من المجلّات المختلفة لم أرَ ضرورة لذكرها هنا. فمن شاء الإطّلاع على عناوينها ومَظانّ نشرها فَلْيَرْجِعْ إلى كتاب «مؤلفات ابن خلدون» لعبد الرحمن بدويّ (ص ٣١٧ - ٣٢٣).

(٢) المَهْديّ هو الذي يرجع إلى الدنيا في آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً. راجع كلام ابن خلدون في ذلك في مقدّمة ابن خلدون: بيروت ١٩٠٠ م (ص ٣١١ - ٣٣٠)، بيروت- دار الكتاب اللبناني ١٩٦١ م، (ص ٥٥٥ - ٥٨٦).

- ابن خلدون مؤسّس علم الاجتماع، تأليف عبده الحلو، بيروت (بيت الحكمة) ١٩٦٩ م.
- ابن خلدون وعلوم المجتمع، تأليف محمود عبد المولى، ليبيا (الدار العربية للكتاب) ١٩٧٦ م.
- أعمال مِهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة مِن ٢ إلى ٦ يناير (كانون الثاني) (منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائيّة)، القاهرة (الاتّحاد القومي - دار ومطابع الشعب) ١٩٦٢ م.
- التفكير العلمي عند ابن خلدون، تأليف ابن عمّار الصغير، الجزائر ١٩٦٩ م.
- حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية، تأليف محمّد الخضر حسين التونسي، القاهرة (المطبعة السلفيّة ومكتبتها)، دمشق ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٤ م.
- دراسات عن ابن خلدون، تأليف ساطع الحُصري(١)، بيروت (مطبعة الكشّاف) ١٩٤٣ - ١٩٤٤ م؛ (نشر على نفقة محمّد ناجي الخُضَيري(٢)، بغداد)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣ م؛ طبعة ثالثة، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٩٦٧ م.
- دقائق وحقائق في مقدّمة ابن خلدون، تأليف ، بغداد (مطبعة أسعد) ١٩٥٥ م.
- عبد الرحمن بن خلدون، تأليف محسن الزمرليّ، تونس ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- عبد الرحمن بن خلدون، بقلم علي عبد الواحد وافي (أعلام العرب، رقم ٤)، القاهرة وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإدارة العامّة للثقافة، قبل (؟) ١٩٦٢ م.
- عبد الرحمن بن خلدون: حياته وآثاره ومظاهر من عبقريّته، تأليف علي عبد الواحد وافي، القاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد) بلا تاريخ.
- العرب وابن خلدون، تأليف أبي القاسم محمّد كرّو، تونس (مطبعة الترقّي) ١٩٥٦ م.

---

(١) هو ساطع بن محمّد هلال الحُصَري (بضمّ ففتح)، كنيته: أبو خلدون (لأنّه سمّى ابنه خلدوناً)، حلبي الأصل، ولد سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) في صنعاء اليمن. تعلّم في استانبول فنشأ تركي الثقافة. أنشأ مجلّة «التربية» (بالتركية) وألّف عدداً من الكتب (بالتركية أيضاً). وعمل في التعليم والإدارة. وفي عام ١٩١٨ م (بعد الحرب العالمية الأولى)، جاء إلى سورية واتّصل بالملك فيصل وتولّى وزارة المعارف ثمّ (بعد سقوط الدولة العربية في سورية وانتقال الملك فيصل إلى العراق)، ذهب هو أيضاً إلى العراق وتولّى إدارة دار الآثار ورئاسة كلّيّة الحقوق. وفي عام ١٩٤١ (بعد خيبة ثورة رشيد عالي الكيلاني) أخرج من العراق فجاء إلى بيروت. ثمّ انتقل (بعد الحرب العالمية الثانية، عام ١٩٤٦) إلى مصر. ولساطع الحصري عدد كبير من الكتب بالعربية أهمّها «دراسات عن ابن خلدون». وقد كان ساطع الحصري قد جمع موادَّ كثيرةً لكتابه هذا. فلما أخرج من العراق بقيت تلك الموادّ في العراق. ودوّن ساطع الحصري هذا الكتاب من ذاكرته، بعد الاستعانة بعدد يسير من الكتب. وكانت وفاته في مصر، سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٣ م).

(٢) بالخاء والضاد المنقوطتين من فوقها (وبالتصغير).

- العصبيّة والدولة: معالم نظريّة خلدونية في التاريخ الإسلامي، تأليف محمّد عابد الجابريّ، الدار البيضاء (دار الثقافة) ١٩٧١ م.
- علم الاجتماع الخلدوني، تأليف حسن الساعاتي، طبعة ثالثة، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٥ م.
- فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تأليف طه حسين (نقله إلى العربية محمّد عبد الله عِنان)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة وَالنشر) ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٥ م.
- قائمة بمؤلّفاته وبعض المراجع التي كتبت عنه بمناسبة المهرجان العلميّ الذي ينظّمه المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة (دار الكتب) ١٩٦٢ م (صفحاته: ٣٦ و٢٢).
- كلمة في ابن خلدون، تأليف عمر فرّوخ، بيروت (منشورات مكتبة منيمنة) ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م، الطبعة الثانية ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م.
- لقاء ابن خلدون وتيمورلنك، (تعليق محمّد توفيق)، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦٥ م.
- مجلّة «الحديث» (حلب)، عدد خاصّ (أيلول - سبتمبر ١٩٣٢ م).
- مجلّة «الفكر» (تونس)، عدد خاصّ (آذار - مارس ١٩٦١ م).
- مختارات من ابن خلدون، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٤٩، ١٩٥٠ م.
- مع ابن خلدون، تأليف أحمد محمّد الحوفي، مصر ١٩٥٢ م.
- مقدّمة ابن خلدون: دراسة - مختارات، تأليف يوحنّا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٧ م.
- منتخبات من مقدّمة ابن خلدون (مع ملاحظات بقلم دونكان ب. ماكدونالد)، ليدن (بريل) ١٩٦٢ م.
- منطق ابن خلدون في ضوء حياته وشخصيّته، تأليف علي حسين الوردي، القاهرة (معهد الدراسات العربية العالية) ١٩٦٢ م.
- مِهرجان ابن خلدون (مايو - أيار ١٩٦٢)، نظّمته كلّية الآداب (في جامعة محمّد الخامس) بمشاركة اتّحاد كتّاب المغرب العربي وجمعيّة قدماء مولاي إدريس، الدار البيضاء (دار الكتاب) بلا تاريخ.
- مؤلّفات ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بدوي (منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية)، مصر (دار المعارف) ١٩٦٢ م.

صفحات من كتب[١] (منسوقة على حروف الهجاء):

- أزهار الرياض ٢: ٢٠٦ وما بعد؛ الاستقصا ٢: ١٢٠ - ١٢١؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٠٦ - ١٠٧ (٣: ٣٣٠)؛ بالنثيا (راجع: تاريخ الفكر الأندلسيّ)؛ البدر الطالع ١:

(١) فيما يلي صفحات من الكتب التي جرت العادة بإيراد بعضها دون بعض في آخر كلّ ترجمة (في هذا الكتاب) ما أمكن. ولكنّ هنالك عدداً أكبرَ من الكتب التي يرد فيها فصول تتعلّق بابن خلدون لم أرَ أن أستنفدها هنا. وبإمكان الباحث، إذا أراد، أن يَرْجعَ إليها في «مؤلّفات ابن خلدون» (لعبد الرحمن بدوي)، ص ٣١٧ - ٣٣٨ (بالعربية وبغير العربية).

٣٣٧ - ٣٣٩؛ بروكلمن ٢ : ٣١٤ - ٣١٧ ، الملحق ٢ : ٣٤٢ - ٣٤٤؛ تاريخ العلوم عند العرب (لعمر فرّوخ) ٤٤٢ - ٥١٦؛ تاريخ الفكر الأندلسيّ ١٥٤ - ١٥٥؛ ٢٥٩ - ٢٦٦، ٤١٥ - ٤١٧؛ تاريخ الفكر العربي (لعمر فرّوخ) ٦٩١ - ٧٠٩؛ تاريخ النقد الأدبي (لإحسان عبّاس) ٦١٥ - ٦٣٠؛ تعريف الخلف ٢ : ٢١٣ - ٢١٥؛ دائرة المعارف الإسلامية (بالانكليزيّة) ٣ : ٨٢٥ - ٨٣١؛ سارطون (راجع: مقدّمة إلى تاريخ العلم)؛ سركيس ٩٥ - ٩٧؛ شذرات الذهب ٧ : ٧٦ - ٧٧؛ الضوء اللامع ٤ : ١٤٥ - ١٤٩؛ عصر سلاطين المماليك ٦ : ٢١١ - ٢٤٨؛ عنوان الأريب ١ : ١٠٧ - ١١٤؛ مجمل تاريخ الأدب التونسيّ ٢١٨ - ٢٢٣؛ معجم المطبوعات العربية (راجع: سركيس)؛ معجم المؤلّفين ٥ : ١٨٨ - ١٩٠؛ مقدّمة إلى تاريخ العلم (لجورج سارطون بالانكليزيّة) راجع فهارس الأجزاء الثلاثة (خمسة مجلّدات) والجزء الثالث (مجلّدين) منها خاصّة: عَصْر جفري شوسر وابن خلدون وحَسداي كرسكاس[1]، ص ١٠١٩ - ١٨٧١ (مجموع المجلّد الثاني من الجزء الثالث)؛ المكتبة العربية الصقليّة ٤٦٠ - ٥٠٨؛ نفح الطيب ١ : ١٤٧ ، ٢٣٢ - ٢٣٨ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ ، ٣٢٧ - ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٤١ - ٣٤٢ ، ٣٥٢ - ٣٥٤ ، ٣٥٦ - ٣٥٩ ، ٣٦٤ - ٣٦٦ ، ٣٩٨ ، ٤٢٤ ، (٤٤٦ - ٤٤٩) ، ٤٥٢ - ٤٥٣ ، ٥٧٧ - ٥٧٨ ، (٢): ١٢٥ ، ٢٠١ - ٢٠٢ ، ٥٢١ - ٥٢٣ ، (٤): ٣٧٣ ، (٥): ٨ ، ٩٥ ١٠٨ ، ١١٠ - ١١٢ ، ٢٥٤ - ٢٥٦ ، ٤١٢ ، (٦): ١٧١ - ١٩١ ، ٣٨٩ - ٣٩٦ ، (٧): ٥ ، ١٧؛ نيل الابتهاج (مصر) ١٦٩ - ١٧٠ .

ابن قنفذ القسنطيني

١ - هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ حَسَنٍ الخطيبِ (ت ٧٥٠ هـ) بنِ عليٍّ الخطيبِ (ت ٧٣٣ هـ) بن حسنٍ[2] بنِ عليِّ بنِ ميمونٍ القِسَنْطينيُّ، نِسبةً إلى قِسَنْطينة (قسطنطينة)

---

(١) جفري تشوسر (١٣٤٠ - ١٤٠٠ م) شاعر وكاتب انكليزيّ من أهل لندن، أشهر كتبه «أقاصيص كانتربري». وقد عملت كتبه على تثبيت عدد من قواعد اللغة الانكليزية. - حسداي (بفتح الحاء المهملة أو بكسرها) بن إبراهيم كراسكاس (أو قراقاس) من أهل برشلونة (إسبانية)، فيلسوف يهودي حاول أن يخلّص الفكر اليهودي من أثر الفلسفة الأرسطوطاليسية. ومَعَ أنّه لم يرفض مكانه العقل في الفلسفة، فإنّه حاول أن يلقي عليه عدداً من القيود. ويبدو أنّه كان لحجّة الإسلام الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) أثر بالغ في تفكيره، كما أنّه تأثر أيضاً بنفر آخرين من الفلاسفة المسلمين كابن رشد مثلاً (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م).

(٢) لابن قنفذ القسنطيني في كتاب «الفارسية» ترجمة ودراسة مفصّلتان (ص ٣٩ - ٩٥)، وهو هنالك ابن «القنفذ» (بالتعريف). وفي بروكلمن: ابن قنفوذ. أمّا سبب التسمية «ابن قنفذ» فلا يعرف الدارسون لها وجهاً. وفي سلسلة نسبه «الحسين» مكان «الحسن» (مرتين).

في القُطْرِ الجزائريّ، والشهيرُ بابنِ الخطيبِ وبابنِ قُنْفُذٍ[1]. ولعلّ مَوْلِدَهُ كان في سَنَةِ ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ - ١٣٤٠ م).

بدأ ابنُ قُنْفُذٍ طَلَبَ العلمِ على والدهِ حسنٍ وعلى جَدّهِ لأمّهِ أبي يعقوبَ يوسفَ بنِ يعقوبَ الملّاريّ الصوفيّ (ت ٧٦٤ هـ) ثمّ على الحسنِ بنِ خلفِ اللهِ بنِ باديسَ القِسنطينيّ (ت ٧٨٤ هـ) والحسنِ بن أبي القاسمِ بنِ باديسَ القسنطيني (ت ٧٨٧ هـ) وغيرِهما.

وفي سَنَةِ ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) رَحَلَ ابنُ قُنْفُذٍ إلى فاسَ وتلقّى العلمَ على نفرٍ من عُلمائها ومن العُلماء الطارئينَ عليها. مِنْ هؤلاءِ جميعاً: الشريفُ الغَرْناطيُّ أبو القاسمِ محمّدُ ابنُ أحمدَ السَبْتيُّ (ت ٧٦٠ هـ)، وأبو محمّدٍ الهَرْغِيُّ الزُقُنْدُريُّ (ت ٧٦٨ هـ)، والشريفُ التِلِمْسانيُّ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ (ت ٧٧١ هـ)، والشيخُ الفقيهُ أبو زيدٍ عبدُ الرحمنِ اللجائي (ت ٧٧٣ هـ)، وأبو عِمرانَ موسى بنُ محمّدِ بنِ مُعْطٍ العبدوسي (ت ٧٧٦ هـ) وأبو محمّدٍ عبدُ الله الوانغِيلي الفاسيُّ (ت ٧٧٩ هـ)، وابنُ مرزوقٍ التلمسانيُّ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أحمدَ (ت ٧٨١ هـ)، وأبو العبّاسِ أحمدُ بنُ قاسمٍ القبّاب الفاسي (ت ٧٧٩ هـ).

وقد تطوّفَ ابنُ قُنفذٍ في عددٍ من مدن القُطْر المَغْرِبي (٧٥٩ - ٧٧٦ هـ) ثمّ عادَ إلى قسنطينةَ وتولّى الخُطْبَةَ والقضاء والإفتاء فيها وتصدّر حيناً للتدريس.

وكانتْ وفاةُ ابنِ قنفذٍ القِسنطيني في ثاني عَشَرَ رَبيعٍ الأوّل من سَنَةِ ٨٠٩ (١٤٠٦/٨/٢٧ م).

٢ - نشأ ابنُ قنفذٍ القسنطيني في أُسْرةِ علمٍ ووَجاهةٍ وثروة، فقد كان جَدّه ثمّ والدُه مِنْ بعدِ جَدِّه يتولّيانِ الخَطابةَ في قسنطينة مدّةً تزيدُ على سِتين سَنَةً. وكان مُؤلّفاً مُكْثِراً، ولكنّ أكثرَ مؤلّفاته قد ضاع. ومُعْظَم هذهِ المؤلّفاتِ كان في الفِقه وفي الفَلَكِ والطِّبّ والحِساب والفرائض (تقسيم المواريث) ثمّ في العربية (النحو). فمن هذه الكتب: معاونةُ الرائض في مبادىء الفرائض- هواية السالك في بيان ألفيّة ابن مالكٍ- سِراج

---

(١) توفيّ سنة ٦٦٤ هـ (وفيات ابن قنفذ ٣٣٠). وأرى أن المدى بين وفاة جدّه (٧٣٣ هـ) وبين وفاة والد جدّه (٦٦٤ هـ) واسع جدًّا (٦٩ سنة!).

الثقات في علم الأوقات- تيسير (تسهيل) المطالب في تعديل الكواكب- حَطّ النِّقاب عن وُجوه أعمال الحساب- الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية- تُحْفة الوارد في اختصاص الشرف من قِبَلِ الوالد- شرف الطالب في أسنى المطالب- تحصيلُ المناقب وتكميل المآرب- شرح المنظومة الحسابية في القضايا النجومية (لأبي الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني)- طبقاتُ علماء قسنطينة- أُنس الفقير وعزّ الحقير (في ترجمة أبي مدينٍ شعيبٍ الصوفيّ)- كتاب الوَفيات. وهنالك كتب أخرى له ضاعتْ.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة «الفارسية» وخاتمتها:

.... وبعدُ فهذا مُخْتَصَرٌ فيه ما تَتَشوّفُ النفوسُ إليه مِنَ الاطّلاعِ على مبادىء الدَّوْلةِ الحَفْصِيَّة وما يتعلّقُ بها من مُهمّاتِ الوقائعِ الجَلِيَّة بكلامٍ كُلّيٍّ تحسُنُ المحاضرةُ به وتحصُلُ الإفادةُ بسببهِ. ولِشَرَفِه برِفْعِه إلى الحَضْرة العَليّة وفَخْرِ زمانِ وضعِهِ بأيامِ الإمارة العزيزية والمُجاهديّة سَمّيتُه «الفارسيةَ في مبادىء الدولة الحفصيّة». واللهُ المسؤولُ في التوفيق والهِداية إلى سَواء السبيل.

... وهَهُنا انتهى الغَرَض فيما تعلّقَ بالدولةِ الحفصية العُمَريّة من ذِكْرِ بعضِ وقائعها الجليّة، من مَبْدَئِها إلى هذا التاريخِ الذي هو من آخِرِ سَنَةِ خمسٍ وثمانِمِائَةٍ- أدامها اللهُ رحمةً للإسلام بجاه النبيّ عليه السلام.

- من متن كتاب «الفارسية» في مبادىء الدولة الحفصيّة:

وفي السَّنةِ التي بُويعَ فيها الأميرُ أبو حفصٍ[1] أخذَ النَّصارى جزيرةَ جَرْبَةَ[2] وأسروا من الشباب القويّ والشابّةِ الحَسَنةِ[3] ثمانِيَةَ آلافٍ وقتلوا الصِّغارَ. ونَهبوا الأمتِعةَ

(١) هو أبو حفص عمر، جاء إلى العرش سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) ولم تطل مدّته (راجع زامباوّر ١١٥)، ولم يُعدَّه حسن حسني عبد الوهاب في سلاطين بني حفص في تونس (راجع خلاصة تاريخ تونس، ص ١٠٧- ١٠٨ و١٢٥).

(٢) جربة جزيرة عند الشاطىء الجنوبيّ الشرقيّ من القطر التونسيّ.

(٣) يقصد: من الشبّان الأقوياء ومن الشابّات (الفتيات) الحسناوات.

والأموالَ والزيتَ والزَّبيبَ ما حَملوا (في) سُفُنِهِمُ التي هي نحوُ السبعينَ وفي سُفُنِ الجزيرةَ التي هي نحوُ الثلاثين. وفي مدّتِه أيضاً، في سَنَةِ ثلاثٍ وثمانينَ وستِّمِائَةٍ، نَزَلَ النصارى المَهْدِيَّةَ؛ وماتَ منهم نحوُ المِائَةِ، ومات من أهلِ المدينة ثلاثةٌ. وانْصرفوا بعدَ إقامةِ خمسةِ أيّامٍ.

– وصف «كتاب الوفيات»

قال ابْنُ قنفذ[١]:

.... وممّا حافظ عليه أهلُ الحديث كثيراً تاريخ وفيات الصحابة والمحدثين خوفاً من المُدلّسين[٢]، ولذلك قال بعضهم: إذا اتّهَمْتُمْ أحداً في أخْذٍ أو رِوايةٍ فاحسُبوا سِنَّه وسَنَةَ وَفاةِ من أخذ عنه[٣]، فبذلك يتبيَّنُ هل أدركه أم لا..... ولْنَذْكُرْ في هذا الكتابِ ما حَضَرَني من وَفَيات الصحابة والمُحَدِّثين والمؤلفين. و(قد) رتّبتُه على المِئينَ من السِّنينَ[٤] بوجهٍ لم أُسْبَقْ إليه.

– من متن «كتاب الوفيات»:

المِائة الثامنة[٥]: تُوُفِّيَ الفقيهُ المُحدِّثُ الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة بِبِجايةَ أبو العباسِ أحمَدُ بن محمدٍ الغبريني[★] صاحب «عُنوان الدِّراية» وغيرِه شهيداً سَنَةَ أَرْبَعٍ وسَبْعِمِائَةٍ. وفي هذه السَّنَةِ تُوُفِّيَ أبو الحسَنِ الغرافي[٦]. وفي سَنَةِ سَبْعٍ وسَبْعِمائَةٍ تُوُفِّيَ فقيهُ شُيوخ الأولياء أبو زيدٍ الهزميري[٧] بِمدَينةِ فاسَ. وتُوُفِّيَ الفقيهُ الأديبُ أبو

---

(١) نص يرد في كتاب لابن قنفذ هو «شرف الطالب في أسنى المطالب» (راجع «كتاب الوفيات» - تحقيق عادل نويهض - ٢١).

(٢) التدليس أن يكتم البائع عيب السلعة عن المشتري. وفي الحديث خاصّة: أن يزعُم رجل أنّه سمع حديثاً من فلان وهو لم يسمعه منه، أو ينسبَ إلى شيخه أشياءَ ليست موجودة في شيخه.

(٣) .... فاحسبوا سنّ (الراوي) والسَّنة التي توفّي فيها الرجل الذي قال ذلك الراوي أنّه أخذ عنه.

(٤) رتّبه على تعاقب سنوات الوفاة (فذكر الذي مات في سنة قبل الذي مات في سنة بعدها).

(٥) المائة الثامنة (أو القرن الثامن) تبدأ سنة ٧٠١ وتنتهي سنة ٨٠٠.

(★) تجد ترجمته في هذا الجزء.

(٦) هو عليّ بن أحمد بن عبد المحسن بن أحمد الحسيني الإسكندراني (٦٢٨ - ٧٠٤ هـ) محدّث ثقة.

(٧) هو أبو زيد عبد الرحن الهزميري من أهل مرّاكش، كان من الأولياء الصالحين. ويروي الناس عنه عدداً من الكرامات.

عبدِ اللهِ مُحمّدُ بنُ خميسٍ التونسيُّ سَنَةَ ثمانٍ وسَبْعِمِائَةٍ.

... العشرة [1] الثالثة من المِائَةِ الثامنة. تُوُفِّيَ الشيخُ المُحقِّقُ أبو العباسِ أحمدُ بن محمدِ بنِ عثمانَ بنِ البنّاءِ الأزديّ العَدَديّ بمدينة مَرّاكُشَ سَنَةَ إحْدى وعِشرينَ وسبعِمِائَةٍ........ العشرة [2] الرابعة من المائة الثامنة..... وفي سَنَةِ ثلاثٍ وثلاثينَ وسبعمائة.... وفي هذه السَّنَةِ تُوُفِّيَ الجَدُّ والدُ والدي عليُّ بن حسَنِ بنِ عليٍّ بن ميمونِ بن قُنفُذٍ، وكانت مُدَّةُ خُطبتِهِ بقُسَنْطينةَ نحواً من خَمسينَ سَنَةً. وتقلَّد خُطَةَ القضاء بها مُدَّةً ثم اَستعفى فعُوفِيَ [3]. وكانت به وسوسةٌ [4] في شأن عبادتِهِ بلغتْ بِهِ إلى أنّه إذا قَبَّل أحَدٌ طَرَفَ ثوبه حَبَسَهُ بِيَدِهِ [5] ليَغْسِلَهُ. وأمَرَ مرّةً بإخراجِ مِنبرِ الجامعِ حتّى طُهِّرَ له من صُعودِ غيرِهِ عليه. ولَقِيَ أعلاماً من الناس.

٤- الفارسيّة في مبادىء الدولة الحفصيّة (تحرير هنري بيريس)، الجزائر (المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية) ١٩٣٩ م (طبع في مصر)؛ (تحقيق محمّد الشاذلي النَّيْفر وعبد المجيد التركيّ)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.
- كتاب الوفيات (نشره هنري بيريس)، الجزائر بلا تاريخ للطبع؛ (حقّقه عادل نويهض)، بيروت (المكتب التجاري للطبع والنشر والتوزيع) ١٩٧١ م.
- أُنس الفقير وعزّ الحقير (تحقيق محمّد الفاسي وأدولف فور)، الرباط (جامعة محمد الخامس: المركز الجامعي للبحث العلمي) ١٩٦٥ م.

★★ تعريف الخلف ١ : ٢٧ - ٣٢؛ الإعلام بمن حل مَرّاكش من الأعلام ٢ : ١٦؛ درّة الحجال ١ : ٦٠ (١ : ١٢١ - ١٢٣)؛ جذوة الاقتباس ٧٩؛ نيل الابتهاج ٧٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٤٣ - ٨٤٤؛ بروكلمن ٢ : ٣١٣، الملحق ٢ : ٣٤١؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٤٤ (١١٧)؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٠٩.

(١ و ٢) الأصحّ أن يقال: العشر (أي العشر السنوات أو السنوات العشر) الثالثة (من المائة الثامنة).

(٣) استعفى فلان من منصبه (طلب التخلّي عنه) فأعفي (المجهول من «أعفى») وعوفي (المجهول من «عافى») بمعنى واحد. والصيغة الأولى «أعفى» أفصح وأكثر استعمالاً.

(٤) الوسوسة والوسواس (والعامّة تقول: سرساب): وَهْمٌ (بفتح فسكون فضمّتين) بأنّ كلّ شيء يمسّه (بفتح الميم) الآخَرون نَجِس (بفتح فكسر). وهذا مرض نفسي.

(٥) حبس طرف ثوبه بيده (أمسك بطرف ثوبه ليبعده عن باقي ثيابه).

ابن الأحمر
صاحب نثير الجمان[1]

١ - ليس في سلسلةِ نَسَبِ ابنِ الأحمرِ هذا مَنْ تولّى عَرْشَ غَرناطَةْ. إنّه أبو الوليدِ إسماعيلُ بنُ يوسفَ بنِ محمّدِ بنِ فرجٍ[2] بنِ اسماعيلَ بنِ يوسفَ المدعوِّ بالأحمرِ. وُلِدَ أبو الوليدِ اسماعيلُ بُعيدَ سَنَةِ ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م). ويبدو أنّ السُّلطانَ أبا الحجّاجِ يوسفَ الأوّلَ بنِ اسماعيلَ بنِ فَرَجٍ والمعروفَ بلقبِ «النيّار» (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) قد خافَ طمعَ ابناءِ عمّهِ بالمُلك فأخرجَهُمْ من الأندلس: خَرَجَ عمُّه محمّدُ بنُ فَرَجٍ ومَعَهُ ابنُه يوسفُ[3] وحَفيدُه اسماعيلُ (صاحبُ هذه الترجمة) إلى المَغْرِبِ، وذلك - فيما يبدو - في أيامِ أبي سعيدٍ عُثمانَ بنِ يَعقوبَ (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) تاسعِ ملوكِ بني مَرينٍ في فاسَ.

اشتغلَ أبو الوليدِ بنُ الأحمرِ منذُ مَطْلَعِ حياتهِ بالعلم والأدب فتلقّى عِلمَ العربية (النحو) على محمّدِ بنِ محمّدِ بن داوودَ الصِّنْهاجيّ، والأدبَ والتاريخ على أحمدَ بنِ محمد الصبّاحِ وعبدِ الغفّار بن موسى البوظفي، وسمع المُوطّأَ من الحسنِ بنِ عطيةَ بن موسى الوانشريسي. وهنالك نفرٌ من العلماء أجازوا أبا الوليدِ بنِ الأحمر إجازة عامّةً (في علوم مختلفة) منهم محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبد الملك بن شُعيبٍ الفشتالي وأبو عبدِ الله محمّدُ بنُ سعيدٍ الرُعيني السرّاج.

ثمّ تصدّرَ أبو الوليدِ بن الأحمرِ للتدريس في جامعِ القَرَوِيّين في فاسَ وأخذ بمخالطة رجالِ العلم والأدب والسياسة. وقد كان أوّلُ اتّصالٍ له بالبَلاط المَريني في أيامِ أبي

---

(١) هذه الترجمة مبنية على الدراسة المفصّلة القيّمة التي قدّم بها محمّد رضوان الداية دراسته في كتاب «نثير الجمان». غير أن السلسلة المنطقية لتاريخ بني الأحمر كثيرة التعقيد.

(٢) في زامباوّر (ص ٩٥): إسماعيل بن محمد بن فرج، وفي نثير فرائد الجمان (ص ٦٦): اسماعيل بن يوسف آبن محمّد بن فرج. وقد قبلت هنا السلسلة الثانية.

(٣) في نفح الطيب (٥:٨٤): كانت فتنة أندرش في الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستّين وسبعمائة (١٣٥٩/٨/٢٢ م) والتي جاء بها إلى عرش غرناطة إسماعيل بن محمّد بن فرج عم أبي الوليد اسماعيل بن يوسف بن محمّد بن فرج (صاحب هذه الترجمة)، بعد خمسة وثلاثين عاماً من مولد صاحب هذه الترجمة والذي فرضنا أنّه جاء مع أبيه وجدّه إلى المغرب طفلاً.

عنانٍ فارسٍ المتوكّلِ بنِ عليٍّ (٧٤٩ - ٧٥٩ هـ) فنال عنده حُظوةً كبيرة. ومَعَ أنّه أصبح مؤرّخَ دولةِ بني مَرينٍ وكاتباً عند ملوكهم ووزرائهم، فإنّ صلته بهم ضَعُفَتْ بعدَ أبي عنانٍ ثمّ اختلفت مكانتُه عندَهم صعوداً وهبوطاً.

وكانت وفاة أبي الوليدِ اسماعيلِ بنِ يوسفَ بنِ الأحمرِ في فاس، سَنَةَ ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م) في الأغلب.

٢ - تقومُ شُهرةُ أبي الوليد بنِ الأحمر على أنّه مؤلّفٌ خِصْبٌ تَرَكَ لنا في مؤلّفاتهِ صورةً للعصر الذي عاش فيه مِنَ الناحية السياسية ومن الناحية الأدبية. فمن كُتُبِه: عرائسُ الأمراء ونفائس الوزراء - أعيان مدينة فاس - مستودع العلامة ومستبدع العلامة[(١)] - المنتخب من درر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك - فريد العصر في شعر بني نصر - شرح البردة (للبوصيري) - نثير الجُمان في شعر من نَظَمني وإياه الزمانُ - نثير فرائد الجُمان في نظم فحول الزمان - حديقة النِّسرين في أخبار بني مَرين - روضة النسرين[(٢)] في أخبار بني عبد الواد وبني مرين (ألّفها سنة ٨٠٧ هـ)، - تأنيس النفوس في اكمال نَقط العَروس (للسان الدين بن الخطيب) - نظَم وشرَح كتاب رقم الحلل (للسان الدين بن الخطيب)[(٣)] - فهرست ابن الأحمر[(٤)].

---

(١) الاسم غريب غامض الدلالة. ويقال إن كلمة العلامة الثانية بتشديد اللام (راجع نثير فرائد الجمان ١٣٢). العلامة (بتسهيل اللام، بلا تشديد)، في الأصل: الطراز (رسم اسم الملك على الأوراق والثياب والأسلحة الخ). وصاحب العلامة أصبح يطلق في الأندلس على رئيس ديوان الانشاء.

(٢) ألّف أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر هذا الكتاب أوّلاً برسم السلطان المَريني أبي العبّاس أحمد المستنصر بالله بن إبراهيم (٧٧٦ - ٧٨٦ هـ) وبعنوان «النفحة النسرينيه واللمحة المرينيّة» ووقف به في تاريخ بني مرين عند سنة ٧٨٩ للهجرة (١٣٨٧ م). ثمّ جعل له مقدّمة جديدة برسم السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن أحمد (٨٠١ وما بعد) وجعل له أيضاً عنواناً جديداً هو «روضة النسرين...» (راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٠).

(٣) كتاب «رقم الحلل الموشيّة» للسان الدين بن الخطيب تاريخ موجز لدول الإسلام نظمه ابن الخطيب شعراً ثمّ جعل عليه ابن الخطيب شرحاً قصيراً. ويبدو أن أبا الوليد بن الأحمر قد وصل هذا الكتاب (أي: زاده واستمرّ فيه، نظماً وشرحاً، على غرار ما كان لسان الدين قد فعل).

(٤) الفهرست: البرنامج = فهرست ابن الأحمر أو برنامج ابن الأحمر: كتاب تكلّم فيه ابن الأحمر على شيوخه (أساتذته).

وأبو الوليد بنُ الأحمرِ شاعرٌ وناثر. له في الشعر قصائدُ ومُقَطّعاتٌ أكثرُها شِعْرُ مناسباتٍ يَغْلِبُ عليها المديحُ، وفيها شيءٌ من الرثاء والغزل وبعض الأغراض الإخوانية. أما أماديحه فأكثرُها في بني مرين الذين عاشَ في كَنَفِهم لاجئاً وفي نفرٍ من رجالِ دولتهم، وقد مَدَحَ أيضاً الغنيَّ بالله النَّصْريّ- وهُوَ محمّدُ (الخامسُ) بنُ يوسفَ بنِ الأحمر ثامنُ ملوكِ غَرناطةَ. غيرَ أنّنا لا ندري متى مدَحَ الغنيَّ بالله هذا: أحين كان الغنيّ بالله ملكاً على عرش غرناطة (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) أم حين كان في فاس لاجئًا (٧٦١ - ٧٦٣ هـ)؟

ولأبي الوليد بن الأحمر نسيب وغزل ليس فيهما براعة خاصّة. وله أيضاً بديعيّات أو مولديّات في مدح محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ثمّ له أيضاً عدد من الأخوانيّات لا تخرج عن نطاق المديح كثيراً.

وفي شعر أبي الوليد بن الأحمر صِناعةٌ وتكلّفٌ يُلْقِيانِ على شِعرِه شيئاً من جَفاف شعرِ العُلماء والفقهاء. ولأبي الوليد بنِ الأحمر نَثْرٌ ينقسم تَرَسُّلاً يَكْثُرُ فيه التأنُّق والتكلُّف وتدويناً في الكُتُبِ مُرْسَلاً فيه محاولةٌ للجَرْيِ على سَجِيّةِ النفس.

٣- المختار من آثاره

- قال أبو الوليد اسماعيلُ بنُ يوسفَ بنِ الأحمر في مَوْلِدِيّةٍ (بديعيّة يَمْدَحُ بها رسولَ الله):

ففي الماءِ لَمّا مِنْ أصابِعِهِ انْهَمى ... لَمُعْجِزَةٌ ما في البرايا ضَرِيبُها(١).
وفي الماء -لَمّا جازَه- ومِياهُه ... به الأرضُ يُرْوى حَزْنُها وسُهوبُها(٢)؛
فلم تَنْدَ أخْفافُ المَطِيِّ بمائـهِ، ... وأمواهُه ما خِيف منها رُسوبُها(٣).

---

(١) من المعجزات التي تروى للرسول أن الماء سال من بين أصابعه حتّى ارتوى الجيش العطشان. الضريب: المثيل، الشبيه.

(٢) الحزن: الأرض السهلة. السهب (بالفتح): الأرض الواسعة.

(٣) الخفّ: باطن قائمة الجمل. تندى: تبتلّ المطيّ: الحيوانات المعدّة للركوب. رسب الماء: غار في الأرض (كان الماء كثيراً إلى درجة أنّ الأرض ما كانت قادرة على امتصاصه).

إليكَ، رسولَ الله، نيرانَ لَوْعتي؛ فها هُوَ شَوْقي الخارجيُّ شبيبُها[١].
هِيَ النفسُ في آمالِ زَوْرِك سُؤْلُها، ورَغْبَتُها في أن يُتاحَ رَغيبها[٢].

- وقال يمدح الغني بالله:

ألا يا عُفاةَ الأرض، طُرًّا تَبادروا إلى جودِ مَلْكٍ جُودُه عَمَرَ الدنيا[٣].
هو الفَذُّ في الأمْلاك طُرًّا لأنّه أجَلُّهم قَدْراً وأحسنُهم هَدْيا[٤].
هُمامٌ إذا ما الرَّوْعُ عَبّ عُبابُه وأبدى عليه النَّقْعُ من نَسْجه زِيًّا[٥].
ولاحتْ بروقُ الهِنْدِ وامتلأ الفضا بصَلْصالِ رَعْدِ الطبلِ أعْظِمْ به شَيًّا[٦]!
أراكَ مُحَيًّا تالياً سُورةَ الضُّحى وقلباً على الأعداء قد ركِبَ البَغْيا[٧].
تعزّزَ منه الدينُ لمّا أقامَه، ولم يَشْكُ منه المُلْكُ وهْناً ولا وَهْيا[٨].
أفاضَ على العافِينَ طُرًّا مواهِباً بأفضالِه وَعْداً لهم كان مأتِيًّا[٩].
حَلَفْتُ يَميناً بَرّةً، ليس في الدُّنا مَليكاً سواه للمعالي سَعى سَعْيا.

- وقال في النسيب والغزل:

سَهِرْتُ في مَنْ جَفْنُهُ نائمُ وذُبْتُ في مَنْ جِسْمُه ناعِمُ.
ظَبْيٌ ظُبى عَيْنَيْهِ فَعّالةٌ بالقلب ما لا يَفْعَلُ الصارم[١٠].

---

(١) في البيت تورية: الخارجيّ: الظاهر (وأحد الخوارج). الشبيب: رفْعُ الفَرسِ كِلتا يديه، والشاعر يقصد: الشبوب، اشتعال الناره وشَبيب بن يزيد الشيباني (ت ٧٧ هـ - من رؤساء الخوارج وأبطالهم). يقول: ظاهر شوقي إليك كاشتعال النار أو كبطولة شبيبِ الخارجيّ، فكيف بباطنه.
(٢) الزور: الزيارة. السؤل: المطلب. الرغيب: النهم (شدّة الشوق).
(٣) العافي: الذي يطلب المعروف.
(٤) الفذّ: الفرد، الأوحد. الأملاك: الملوك.
(٥) الروع: الخوف (الحرب). عبّ عبابه (اضطرب موجه). النقع: غبار الحرب.
(٦) بروق الهند: لمعان (السيوف) الهندية.
(٧) سورة الضحى هي السورة الثالثة والتسعون في المصحف. الضحى هو الوقت الذي يكون بعد شروق الشمس مباشرة (ويكون لامعاً جدًّا). أراك محيًّا...: فرحاً، ضاحكاً. البغي: الظلم.
(٨) تعزّز: اشتدّ، اعتزّ، قوى. الوهن: الضعف. الوهي (في الجدار): التهدّم و(في الثوب): التشقّق، التهرّؤ.
(٩) مأتيًّا: آتياً لا شكّ فيه. تضمين من القرآن الكريم: ﴿إنّه كان وعدُه مأتيًّا﴾ (١٩ : ٦١، سورة مريم).
(١٠) الظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. الصارم: السيف.

يَنشأُ عن عَيْنَيْــــهِ سِكْرُ الهوى فكلُّنــا مِنْ ثَمَــلٍ هــائم[١].
شَكَوْتُ مـا بي من جَوى حُبّــهِ من وَلَــهٍ لعلّــه راحم[٢].
يَضْحَكُ في الحبّ، وأبكي أنا. أللّــه فــيما بَيْنَنــا حــاكم!

– من مقدّمة نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان:

وبعدُ؛ فإنّ الأدبَ زَهْرٌ حَوَتْهُ من البدائعِ كِمامةٌ، ورَوْض مُدَبَّجٌ[٣] حاكته من المحامد غَمامة. وهو أعْذب ما تَطمَحُ إليه الهِمَمُ.... لما يَشْتَمِلُ عليه من ضَبْط القوافي والأوزان، ويحتوي عليه مَسْرَحُهُ من بديع الحَلاوة والنَّغَمات المُذْهِبَةِ للأحزان. إذ بهِ تَتَفاوَتُ في الناس الأخْطارُ، وتَشْرُفُ النفوسُ وإنِ اخْتَلَفَتْ بِهِمُ الأقطارُ. ولمّا كان (الأدبُ) في الرُّتبةِ العَلِيَّةِ في نفوسِ أهل العَقْدِ والحَلّ.... وكانَ في هذا العَصْرِ الذي أنا فيه مَنْ يأتي في نَظْمِهِ بالبديعِ ويُوَفّيه، مِنْ كلِّ أسَدٍ فَحْلٍ يَسْتَنْزِلُ وكاف الإجادةِ في مَحلٍ، مِمَّنْ يُقالُ له في الشعرِ حَبيبُهُ، وهو للإدراك جَليبُه[٤].... من مُحِبٍّ مُتَغزِّلٍ، ومادِحٍ للرِّفْدِ مُسْتَنْزِلٍ[٥]، سَنَحَتْ لأهلِهِ نَصيحتي وسَمَحَتْ بعملِهِ قَريحتي. فَجمَعْتُ في هذا التأليفِ ما وَجَدْتُه لَهُمْ مُتَمحِّقاً شُعاعه[٦]، وما ألْفَيْتُه من نفائسِ جواهِرِهِمْ مُتَفرِّقاً شَعاعُه؛ مُعَوِّلاً في ذلك على ما طابَ فَصْلُه وفَرْعُ ذُرى الإجادةِ فَرْعُه وأصْلُهُ. ولم أُعَوِّلْ إلّا على مَنْ في عصرنا نَبَغَ وأثوابَ التَخيُّلاتِ الشِّعريّةِ في الإحسان صَبَغَ.... ولم أُثْبِتْ إلّا قادراً لا يُباريه أحدٌ من أهلِ وَقْتِه، إذ تَبَرَّأ مِنَ العِيِّ وَمَقْتِه. وضَرَبْتُ عن غيرِهم صَفْحاً.

---

(١) الثمل: السكر. هائم: حائر (لا يدري ما يفعل).

(٢) الجوى: ألم الحب. الوله: ذهاب العقل من الحزن.

(٣) الكمامة: الكأس (الغلاف الأخضر) الذي تكون فيه الزهرة قبل أن تتفتّح. مدبّج: (ثوب من الحرير) مزيّن ومنقوش بالأشكال والألوان.

(٤) الوكاف (كذا في الأصل: ص ٢١٦، السطر الخامس عشر): بردعة الحمار. والمقصود: الوكف (بالفتح) أو الوكيف أو الوكفان (بفتح ففتح): هطول المطر. محل (لعلّها بفتح ففتح فتشديد) حبيبه: حبيب بن أوس (أبو تمّام)، كناية عن البراعة في الشعر.

(٥) الرفد: العطاء. مستنزِل: الذي ينجح في استنزال شيء (إقناع الآخرين بفعله).

(٦) المحاق (بالضمّ): ليلة آخر الشهر (لا ضوءَ قمرٍ فيها). – من شعر جيّد (له شعاع) ولكنّه مستور، محجوب (لم ينشر بعد). الشعاع (بالضمّ): الضوء المنتشر. الشعاع (بالفتح): (الأشياء) المتفرّقة.

والشُعراءُ كثيرونَ، هم لأرياحِ الكلام مُثيرونَ... واقْتصَرْتُ فيهِ على مَنْ لِنَفْسِهِ أنْشَدَني، ومَنْ بِنظامهِ البارعِ اسْتَرْشَدَني مِمَّنْ رأيتُه بالعِيانِ من الشعراء الأعيان، ومن بِسِنّي لَحِقتُه وأُنْشِدْتُ له فألْحَقْتُه وأُلِمُّ بما أنْشَدَني رِوايةً عن قائلٍ أُعِينه مّما يَسْتَجيدُه قائِلُهُ ويَزِينُه. وغَرَضي أنْ أكتُبَ ما أجِدُهُ من الرسائلِ لِمَنْ ثَبَتَ اسْمُه وأضمّنه أنواعاً شتّى من المكاتبات وأحسن رسمه؛ إذ هذا النوعُ الإنشائيُّ من الطَبَقَة العُلْيا بالموضعِ الذي لا يُجْهَلُ عُلُوُّه ولم يَتَقَلَّدْ حُلِيَّهُ من الجِنْسِ الإنسانيّ إلاّ الآحادُ، فلا يَنْبَغي أن يُهْمَلَ سُمُوُّه. وجَعَلْتُه على فصولٍ أربعةٍ: الفصلِ الأوّلِ في شُعراءِ المَشْرق- الفصلِ الثاني في شُعراءِ المَغْرِب؛ وهذا الفَصْلُ أجْعَلُهُ على نَوْعَيْنِ: النوعِ الأوّلِ في شعراءِ الأندلسِ، والنوعِ الثاني في شعراء برِّ العُدْوة.

وَسَمَّيْتُه نَثيرَ فَرائدِ الجُمانِ في نَظْمِ فُحولِ الزمانِ، من أهلِ المائةِ الثامنةِ من فُرسانِ الكَتيبةِ الكامِنَةِ من أربابِ القَوافي من كلّ مَديدِ الخَوافي[1]، مِمَّنْ تُثْني على مَفاخِرِه أَلْسِنَةُ الأقلام والمَحابرِ وتقومُ بأمْداحِ شَرَفِه خُطباءُ المنابرِ، من فقيهٍ كاتبٍ مُجِّدَ بالتَسْويد، وعالمٍ كان منه لإقراءِ العلومِ ما حُمِدَ بالتَجْويد؛ ومن أديبٍ ذي جاهٍ عريضٍ سَلَكَ من الإدراك برَوْضٍ أريض[2]. وعلى مَنْ أدْرَكْتُه جِئْتُ بالتَعْويل، وغيرُ ما يُؤَمِّلُ المَرْءُ فإثباتُه من أفعالِ التَهْويل.

٤- روضة النسرين في دولة بني مرين، الرباط (المطبعة الملكيّة) ١٣٤٤ هـ، ثمّ ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م.
- مستودع العلامة ومستبدع العلامة (بتحقيق محمّد بن تاويت الطنجي ومحمّد التركيّ التونسي)، (منشورات كليّة الآداب بجامعة محمّد الخامس في الرباط)، تطوان ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م.
- نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، (دراسة وتحقيق «بقلم» محمّد رضوان الداية)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٧ م.

★★ جذوة الاقتباس ٩٩؛ درّة الحجال ١:١١٦؛ نيل الابتهاج (القاهرة) ٩٨-٩٩؛

---

(١) الكتيبة الكامنة في من لقيناه في الأندلس في المائة الثامنة (٧٠١-٨٠٠ هـ) كتاب للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) الخافية: الريشة الطويلة في مقدّمة الجناح (كناية عن القوة على الطيران).

(٢) الأريض: (المكان) الكثير النبت الحسن المنظر.

نثير الجمان في نظم فحول الزمان، ص ٣٧٧ - ٤٠٤ (ترجمة له) ثمّ راجع مقدّمة المحقّق؛ أزهار الرياض ١ : ١٨٦ ، ٢٩١ - ٢٩٢ ، ٣ : ١٩٥ - ١٩٨ ؛ بروكلمن ٢ : ٣١٣ ، الملحق ٢ : ٣٤٠ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٣٢٩ (٣٢٩ - ٣٣٠)؛ مجلّة البحث العلمي (ماى - غشت = أيار - آب ١٩٦٤)، ص ٢٥٤ - ٢٦٧ ؛ معجم المؤلفين ٢ : ٣٠١ .

يوسف بن يوسف بن الأحمر

١ - هو الثالثَ عَشَرَ من ملوكِ غَرناطةَ: أبو الحجّاج يوسفُ الناصرُ (الثالثُ) بنُ يوسفَ (الثاني) بنِ محمّدِ (الخامس: الغنيّ بالله) بنِ أبي الحجّاجِ يوسفَ (الأول) بنِ إسماعيلَ (الأولِ) بنِ فرجٍ بنِ اسماعيلَ بنِ يوسفَ بنِ نَصْرٍ.

تلقّى يوسفُ بنُ يوسفَ بنِ الأحمرِ أشياءَ من علمهِ على أبي محمّدٍ عبدِ اللهِ بنِ جُزَيٍّ وأبي عبدِ الله الشريشيّ والقاضي أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ علاقٍ والصوفي أبي مهديٍّ بنِ الزيّات. ثمّ جاء إلى العرش بعدَ مَوْتِ أخيهِ مُحمّدٍ، سَنَةَ ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م). وقد كانتْ أيامُه أيامَ ضَعْفٍ واضطرابٍ مِنَ استمرارِ تنازُعِ أمراءِ بني الأحمرِ على البُقْعة الصغيرة التي كانوا يَحْكُمونها ومن إلحاحِ الإسبانيّين على أطرافِ غَرناطَة بالإستيلاء قُدرة أوْ حيلةً. وكانت وفاةُ يوسفَ بنِ يوسفَ سَنَةَ ٨١٩[١] هـ (١٤١٧ م).

٢ - كان يوسفُ بنُ يوسفَ بنِ الأحمر أديباً ناثراً وناظماً ومُصنّفاً. وفنونُ شعرهِ المَوْلِديّات والرثاءُ والحماسة والغزَل والشكوى. وشِعره عاديٌّ ظاهرُ الضَعْفِ أحياناً تلمَحُ فيه تقليدَ شُعراءِ المشارقةِ بيُسْرٍ كقولهِ، مثلاً (ديوان ١٣٧):

يا آلَ يوسفَ، لي في قُطرِكُمْ قَمَرٌ ... قد ظلّ من فَلَكِ الأزرار[٢] مَطْلَعُهُ

من قول ابن زريق البغدادي:

أستَوْدِعُ اللهَ في بغـدادَ لي قمراً ... بالكَرْخ[٣] من فَلَكِ الأنوارِ مطلعه.

وصَنّف يوسف بنُ يوسفَ ديوانَ ابنِ زَمْرَك (قُتل ٧٩٦ م).

---

(١) في زامباوّر (ص ٩٤) سنة ٨٢٠ هـ.

(٢) الأزرار: مدخل الثوب في العنق.

(٣) الكرخ: الجانب الغربيّ من بغداد.

٣- مختارات من آثاره

- قال يوسفُ بنُ يوسفَ بنِ الأحمر:

خَليلَيَّ، مَهْلاً! فالزمانُ كما تدري. ولا بُدّ من يُسْرٍ على أثَرِ العُسْرِ.
فمهما دَهـا صَحْوٌ فلا بُدَّ من قَطْرٍ، ومهما دجا خَطْبٌ فلا بدّ من فَجْرِ[١].
وألطافُ صُنْعِ الله رائعةُ البشْر[٢].

على العدلِ يجري حُكمُه وقضاؤه، ومِنّـا لـه التسليـمُ فـيما يشاؤه.
ومَنْ كـان بالحقِّ اليقينِ اهتداؤه رأى النصرَ خفّاقاً عليـه لِواؤه.
وسُحْقاً لباغٍ حادَ عن عَلَمِ النصر.

رَضِيتُ بما يرضاه ربّي وناصري: مُجاهـدةً بـينَ السيوفِ البواترِ؛
وبينَ افتكاري في العَدُوّ المُحاصر أنـادي إلاهـاً عالمـاً بالسرائر،
عسى عَطْفَةٌ من عالم النَّهْيِ والأمرِ[٣].

إليـه استنادي حَيْثُ حَلّتْ ركائبي، عليـه اعتمادي في جَميعِ المطالبِ
وخيرِ شفيـعٍ من لُؤَيِّ بنِ غالبِ وأتْباعـه مـا بـينَ سِبْطٍ وصاحبِ
وما جاء في الفُرقانِ والشَفْع والوَتْرِ[٤].

- وقال في الشكوى من حال الأندلس والحرب:

ومِمّا أهاجَ الوَجْدَ مِنّيَ والبُكا وميـضٌ بأعلى الرَقْمَتَيْنِ يلوحُ[٥].
تَعرّضَ من دونِ المُصلّى، ودونَه مَجالٌ لأيدي الناعجاتِ فسيحُ[٦]،

---

(١) صحو: انقطاع المطر (لعلّ المقصود: قحط). القطر: المطر.

(٢) البشر يمكن أن تكون بضمّ الباء وتسكين الشين (بدل فتحها، جوازاً في الشعر) جمع بشري.

(٣) عالم النَّهْيِ والأمر: الملأ الأعلى (من لدى الله).

(٤) لؤيّ بن غالب من أجداد رسول الله. السبط: ابن البنت (الحسن والحسين سبطا رسول الله). الصاحب واحد صحابة الرسول. الفُرقان: القرآن. الشفع والوتر إشارة إلى سورة الفجر (٨٩: ١ - ٣): ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر﴾.

(٥ - ٦) الوجد: الشوق. الرقمتين اسم مكان لا يقصد هنا به علماً معيّناً، والمصلّى مثله. الناعجات: النوق السريعة.

بلَيْلٍ كأنّ الشُّهبَ فيه فوارسٌ ... يُسَلُّ عليها للبروقِ صَفيحُ[1].
فَمِنْ بينٍ هاوٍ قد تَكدّرَ واختفى، ... وآخرَ خفّاقِ الفؤادِ جريحُ[2].
فإن يكُ ليلُ الهَجْرِ ليس بمُنْقَضٍ ... فللصبرِ وجهٌ بالصِّباح صبيحُ.
سيرضى بحُكْمِ السيفِ مِنّيَ مُسْرِفٌ، ... ويسمَحُ بالمالِ العريض شحيحُ[3].
أنا اليوسفيُّ الناصرُ المَلِكُ الذي ... أُبيدُ ذراريَّ العِدا وأُبيحُ.
يُصَرِّحُ مَلْكُ الرومِ جُهْداً بصُلْحه، ... وبُرهانُ مقصودي لديْهِ صحيحُ[4].
وهلْ لي إلى غيرِ الحروبِ تطلّعٌ، ... وهل لي إلى غيرِ الجهاد طُموح؟
وانّ مُقامي لا مُقامَ يروقه، ... فليس فتوراً أن تَقِلَّ فُتوحُ[5]!

٤- ديوان ملك غرناطة: يوسف الثالث (حقّقه عبدالله كنّون)، تطوان ١٩٥٨ م؛ الطبعة الثانية، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٦٥ م.

★★ درة الحجال ٢: ٢٨٣؛ نفح الطيب ٤: ٣٠٣ (؟)؛ الأعلام للزركلي (٨: ٢٥٩)؛ مجلّة «دعوة الحقّ» (المغرب)، مقال لأحمد العراقي الفاسي، في عدد (عددي؟) رمضان وذي الحجّة ١٣٩٢ هـ.

ابن جابر الغسّاني المكناسيّ

١- في «الأعلام» للزركلي (٦: ٢٩٤): محمّدُ بنُ جابرٍ الغسّانيُّ المِكناسي (ت ٨٢٧ هـ) من أهلِ مِكناسَ، له «نظمُ المرقَبَة العُليا في تعبير الرؤيا» ثمّ (٨: ١٠): محمّدُ ابنُ يحيى بنِ محمّدِ بنِ جابرٍ الغسّانيّ (ت ٨٢٧ هـ) من أهلِ مِكناسةَ، له نظمٌ في عِلْمِ الرؤيا.

وإذا نحن رَجَعْنا إلى نَيْلِ الابتهاج (ص ٢٨٦ - ٢٨٧) والنبوغ المَغْربيّ (ص ٢٢٩)

(١) الشهب: النجوم. الصفيح: الصفحة المستوية من الحديد (السيف).

(٢) هاو: غائب (يغرب وراء الأفق في رأي العين). خفّاق الفؤاد: يزهر (يومض تباعاً). جريح (لونه أحمر).

(٣) العريض (الكثير؟). شحيح: بخيل.

(٤) الروم: الإفرنج، نصارى أوروبّة. جهداً (؟ لعلّها: جهراً.

(٥) موقفي كملك في غرناطة لا يرضي أحداً (لضعفي ولضعف دولتي). فتور: هدوء، كسل. إنّ ترك الحرب ليس عن كسل فيّ ولكن عن عجز منّي.

والأدب المغربيّ (ص ٢٧٤) وَجَدْنا مُحمّدَ بنَ جابرٍ الغسّانيّ المِكناسيّ من أهلِ مِكناسةَ تلميذَ أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ يحيى بن عبدِ المنّان المِكناسي (ت ٧٩٢ هـ) وعبدِ الله بنِ الحسنِ اللَّخْميّ من سُكّانِ مِكناسةَ. وكانت وفاةُ ابنِ جابرٍ الغسّاني المكناسيّ سَنَةَ ٨٢٧ (١٤٢٤ م).

٢- كان ابنُ جابرٍ المقصودُ بهذه الترجمة أديباً شهيراً (راجع نفح الطيب ٥:١٦٧) وشاعراً مُجيداً كما كان مُصنِّفاً بارعاً وعالماً بالقراءات له (راجع نيل الابتهاج ٢٨٦): نُزهة الناظر لابن جابر (رَجَز في التعريف ببلدِه مِكناسة)- كتابٌ في رسْمِ القُرآن- تسميط البُردة (للبُوصيريّ المُتوفّى سنة ٦٩٦)- نظم المرقبة العليا في تعبير الرؤيا (لابن راشد).

٣- مختارات من شعره

- قال أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ جابرٍ الغسّانيّ المِكناسيّ مُخمّساً بيتينِ لِلسانِ الدين بنِ الخطيبِ في رسولِ الله (نفح الطيب ٥: ١٦٧):

يـا سائـلاً لِضَريحِ خيرِ العالَمِ   يُنهي إليـه مقام صبٍّ هائمٍ[1]،
بـاللهِ، نـادِ وقُـلْ مقالـةَ عالِمٍ:   (يا مُصطفى من قبلِ نشأةِ آدمٍ[2]
والكَوْنُ لم تُفْتَحْ له أغلاقُ)[3].
بِثَنـاكَ قد شَهِدَتْ مَلائكةُ السما،   واللهُ قـد صلّى عليـكَ وسلّما[4].
يـا مُجْتَـبًى ومُعظّماً ومُكرّمـا،   (أيرومُ مخلوقٌ ثنـاءكَ بعدَما[5].

---

(١) يا سائلا (كذا في الأصل). اقرأ: يا سائراً! الضريح: القبر. خير العالم (محمّد رسول الله). يُنهي..... (يحمل إليه وصفاً لحال رجل محبّ له- هو لم يستطع الذهاب إلى المدينة فحمّل أحد الذاهبين إليها رغبته).

(٢) مصطفى: مختار، منتقى، مفضّل (اختار الله محمّداً رسولاً إلى الناس كافة من قبل أن يُخلق آدم أبو البشر).

(٣) الكون (مصدر «كان- يكون»). والناس يلحنون فيعنون بالكون «مجموع الوجود». اغلاق (ليست في القاموس) والملموح أن الوجود لم يظهر بعد.

(٤) ثناك = ثناؤك (الثناء عليك: بصفاتك الجميلة).

(٥) مجتبي: مقرّب، مختار. أيروم: أيطلب (أيطمع في مثل صفاتك)؟

أثنى علي أخْلاقِكَ الخَلاّقُ[1].

وقال مُورِّياً بالبُرقُع والعَقْرب (وبالبراقع والعقارب) مُتغزِّلاً (النبوغ المغربي ٧٤١، الأدب المغربي ٢٧٤):

إنْ خِفْتَ من فَتْكِ المُهنَّدِ والقَنا؛ فإذا رَنَتْ وإذا مَشَتْ لا تَقْرَبِ[2]:
في قَلْبِ بُرْقُعِها محاسنُ أَنْزَلَتْ قَمَرَ السماءِ لنا بقَلْبِ العَقْربِ[3].
★★حلّتْ عقاربُ صِدغهِ من خدِّه قَمَراً فجَلّ بها عن التَّشْبيهِ[4].
ولقد عَهِدْناهُ يَحِلُّ بِبُرْجِها؛ فمن العجائبِ كيفَ حلّتْ فيه[5]!

- وقال في جَمال مِكْناسةَ (النبوغ المغربي ٧٦٤، الأدب المغربي ٢٧٦):

لا تُنْكِرنَّ الحُسْنَ من مِكناسةٍ، فالحُسْنُ لم يَبْرح بها معروفا.
ولَئِنْ مَحَتْ أيْدي الزمانِ رُسومَها، فَلَرُبّما أبْقَتْ هُناك حُروفا.

٤- درّة الحجال ٢: ٢٧٨؛ نيل الابتهاج (القاهرة) ٢٨٦-٢٨٧ (٣٢١)؛ نفح الطيب ٥: ١٦٧؛ النبوغ المغربي ٢٢٩، ٧٤١، ٧٦٤، ٨٠٩؛ الأدب المغربي ٢٧٤-٢٧٦؛ بروكلمن ٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٤، راجع ٨: ١٠ (٦: ٦٨ و٧: ١٣٩)؛ معجم المؤلفين ٩: ١٤٦.

أبو بكر بن عاصم

١- هو الرئيسُ أبو بكرٍ مُحمّدُ بنِ محمّدِ بنِ عاصمٍ القَيْسيُّ الأندلُسيُّ الغَرْناطيّ،

---

(١) في القرآن الكريم (٦٨: ٤ القلم) في خطاب الرسول: ﴿وإنّك لَعَلى خُلُق عظيم﴾. الخلاّق: الله.

(٢) المهنّد: السيف (من صنع الهند). القناة: القصبة (الرمح). رنا يرنو (نظر، تطلّع). إن كنت تخاف الهلاك فلا تنظر (إلى هذه الفتاة الجميلة) إذا هي نظرت إليك أو إذا هي مرّت بك.

(٣) في قلب (وسَط) برقها محاسن (وجهها). هذه المحاسن جعلت من وجهها قمراً (شيئاً جميلا) بقلب (بعكس) العقرب= ع ق ر ب: ب ر ق ع). هنا تورية: العقرب: برج (مجموع نجوم) يمرّ بها القمر (في رأي قدماء الفلكيّين). - والعقرب (الحشرة السامّة المعروفة).

(٤) عقارب صدغه (كناية عن خصل الشعر المتدلّية من جوانب رأسه). جلّ: فاق، ارتفع.

(٥) الكلام على القمر (المحبوب الجميل) وفيه تورية: القمر (الجرم- بكسر الجيم- السماوي يمر عادة ببرج العقرب- والعجيب أن العقارب (خصل الشعر) قد تدلّت من جوانب رأس المحبوب (ثم هي لا تضره).

وُلِدَ في غَرناطةَ في ثاني عَشَرَ جُمادى الأولى من سَنَةِ ٧٦٠ (١١/٤/١٣٥٩ م).

نشأ أبو بكرِ بنُ عاصمٍ في غَرناطةَ وتلقّى فيها علومَه على خالَيْهِ: قاضي الجماعةِ أبي بكرِ بنِ جُزَيٍّ ثم رئيسِ عُلَماءِ اللِّسان أبي إسحاقَ بْنِ جُزَيٍّ(١). وممّن أخَذَ عنهم أبو بكرِ ٱبنُ عاصمٍ: أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدِ الله بنِ الحاجِّ النُّميريّ (٧١٣ - ٧٦٨ هـ) وأبو سعيدِ ٱبنُ لُبٍّ (ت ٧٨٢ هـ) وأبو إسحاقَ الشاطبيّ (ت ٧٦٠ هـ) وأبو محمّدٍ عبدُ الله بنُ الشريف التِّلمسانيّ (ت ٧٩٢ هـ) وأبو عبدِ اللهِ القيجاتيّ (القيجاطيّ) وأبو عبدِ الله بنُ عَلّاقٍ وأبو الحسن عليُّ ٱبنُ منصورٍ الأشْهبُ وأبو عبد الله البَلَنسِيُّ.

كان أبو بكرِ بنُ عاصمٍ قد بدأ حياتَه العمليّةَ بالوِراقة (تجليد الكُتُب وبيعِها) ثُمّ أصبح قاضِيَ الجماعة (قاضي القضاة) في غَرناطةَ(٢)، كما كان قد تولّى الكِتابةَ (الوِزارة) - في غَرناطةَ أيضاً - مدةً يسيرة(٣). وكانتْ وفاتُه يومَ الخميس في الحادي

---

(١) لم أهتد إلى تفصيل أمرهما.

(٢) في نفح الطيب (٥: ١٩) ترجمة لأبي بكر بن عاصم، علّق عليه المحقّق (في الحاشية) أن أبا بكر بن عاصم هذا «كان من أكابر فقهاء غرناطة، تولّى قضاءها سنة ٨٨٨ (للهجرة)؛ وله مؤلّفات منها شرحه على تحفة والده في الأحكام....». ومعَ أن رقم الحاشية موضوع على اسم «أبي بكر بن عاصم» لا على ٱسم ابنه أبي يحيى بن عاصم» (المذكور في السطر السابق)، فإنّ تاريخ الوفاة (أزهار الرياض ١: ١٤٥): «وليَ القضاء عام ثمان وثمانين وثمان مئة» (كذا بالأحرف) خطأ (لأنّ أبا بكر توفّي سنة ٨٢٩، وتوفّي ابنه أبو يحيى سنة ٨٦٠ هـ). والصواب ما جاء في «نيل الابتهاج» (ص٣١٣): «تولّي القضاء عام ثمان وثلاثين وثمانمائة» (بالأحرف أيضاً). وقد نبّه على ذلك أيضاً خير الدين الزركلي (الأعلام، طبعة عام ١٩٧٩ م، ٧: ٤٨).

(٣) في «نفح الطيب» (٧:١٦٩، راجع «أزهار الرياض ٢: ١٩): وقُدّم للكتابة الفقيه ابن عاصم (أي أبو بكر) لمدّةٍ من عام (مدّة يسيرة من عام). وفي «تاريخ الفكر الأندلسيّ» (ص ٤٢٩): «واستوزره يوسف الثاني الغنّي بالله صاحب غرناطة».- ويبدو أن تقويم هذه الجملة أن يقال: يوسف الثاني بن محمّد الخامس الغني بالله. أمّا يوسف الثاني فقد جاء إلى عرش غرناطة، سنة ٧٩٣ ثمّ خلع (٧٩٤؟)، وكانت وفاته سنة ٧٩٦ هـ، فيما يبدو. وأمّا محمّد (الخامس) الغنيّ بالله فقد تولّى عرش غرناطة في حِقبتين (بكسر الحاء): من ٧٥٥ إلى ٧٦٠ (ولم يكن أبو بكر بن عاصم قد ولد بعد) ثمّ من ٧٩٣ إلى ٧٩٦ للهجرة. وعلى كلّ حال فإنّ أبا بكر بن عاصم لم يكن قديراً في الإدارة (الوزارة)، فقد جاء في «أزهار الرياض» (٢: ٢٦٤، السطرين ١١ و ١٢): «.... (وعندي) حيلة أقيم لك بها في عام واحد عدد ما كان يقوم على يدي...... ابن عاصم (من جمع أموال الجباية) في عشرين عاماً». أو لعلّ أبا بكر ابن عاصم لم يكن ظالماً في جمع المال من الرعيّة.

عَشَرَ من شوّالٍ، سَنَةَ ٨٢٩ (١٤٢٦/٨/١٥ م).

٢- كان أبو بكرِ بنُ عاصمٍ مُتضلِّعاً من القِراءات وبارعاً في النحو يجمَعُ بين القِياس والسَّماع، وإنْ كان أميلَ إلى رأيِ البَصْريّين في السَّماع[1]. وكذلك كان أديباً عارفاً بالبلاغة والعَروض، كما كان مشاركاً في المنطق وعلم العَدَد (الحساب) والفرائض (تقسيم الإرث)، ثمّ كان أديباً ناثراً وشاعراً ومُصنّفاً في عدد من فنونِ المعرفة. فمن تصانيفِه: تُحفةُ الحكّام في نُكَتِ العُقود والأحكام (١٦١٨ بيتاً من الرَّجَز)- حدائقُ الأزهار (أو حديقةُ الأزهار) في مُستَحْسَنِ الأجوبةِ والمُضْحِكات والحِكَمِ والأمثال والحِكايات والنوادر (وهذانِ الكتابانِ وَصَلا إلينا وطُبعا). ثمّ كانتْ له كُتُبٌ (لا نعلم أنّها باقية)، منها (أراجيز): مَهْيَعُ (في نيل الابتهاج: منبع) الوُصولِ في علم الأُصول (أصول الفِقْه)- مُرْتَقى الوُصول للأصول[2] (الأُرجوزة الصُّغرى)- نَيْلُ المُنى في آختصار المُوافَقات (للشاطبيّ) - المُوجَزُ في النحو (حاذى به رَجَزَ آبنِ مالكٍ في عَرْضِ البَسْط له والمُحاذاة لقَصْده)- ثمّ قصائدُ: إيضاحُ المعاني في القِراءات الثماني (في نيل الابتهاج: في قراءة أبي عمروٍ الداني، المُتوفّى سَنَةَ ٤٤٤ هـ)- الأمَلُ المَرْقوبُ في قِراءة يَعْقوبَ[3]- كَنْزُ المُفاوِض في علم الفرائض.

٣- مختارات من آثاره

- من العاصمية (تحفة الأحكام):

الحمـــدُ للهِ الّـــذي يَقْضي ولا ... يُقْضى عليـهِ، جـلَّ شأناً وعَلا[4].
ثمّ الصَّلاةُ بِــدَوام الأبَــدِ ... على الرسولِ المُصطفى مُحمّدِ[5]،
وآلــهِ والفِئَـــةِ المُتَّبِعَـــهْ ... في كُلِّ ما قد سَنَّهُ وشَرَعَهْ[6].

(١) راجع الجزء الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٧.
(٢) بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧٥.
(٣) هو أبو محمّد يعقوب بن اسحاق بن زيد الحضرميّ البصريّ (١١٧ - ٢٠٥ هـ) أحد القرّاء العشرة.
(٤) يقضي: يحكم (على الناس بما يصيبهم)، يفصل في خلافاتهم.
(٥) الأبد: الدهر.
(٦) الفئة (الجماعة) المتّبعة (لشريعته): المسلمون. سنّه: جعله سنّة (طريقة للحياة يستحسن العمل به). شرعه: أوجب العمل به (جعله شريعة).

وبعـدُ، فالقَصْـدُ بهـذا الرَّجَزِ … تقريرُ ٱلأَحْكـامِ بِلَفْـظٍ مُوجَزِ.
آثَرْتُ فيـه المَيْـلَ للتبْيِـينِ … وصُنْتُهُ جُهْدي عنِ التَّضْمينِ[١].
وجِئْـتُ في بَعْـضٍ مِنَ المسائلِ … بالخُلْفِ، رَعْياً لاَشْتهارِ القائلِ[٢].
فَضِمْنُـهُ المُفيـدُ والمُقَرِّبُ … والمَقْصِـدُ المحمودُ والمُنْتَخَـبُ.
نَظَمْتُـهُ تَذْكِرَةً، وحـينَ تَمّ، … بمـا بـهِ البَلْوى تَعُمُّ قدْ ألَمّ[٣]،
سَمّيْتُـه بـ «تُحفَـةِ الحُكّـامِ … في نُكَتِ العُقود والأحكامِ».[٤].
وذاك لَمّـا أنْ بُلِيـتُ بالقَضا، … بعـدَ شبـابٍ مرّ عنّي وٱنْقَضى.
وإنّـي أسألُ، مِنْ ربٍّ قَضى … بـهِ عليَّ، الرِّفْقَ منه في القضا[٥]
والحَمْـلَ والتَّوْفيـقَ أنْ أكونـا … من أُمّـةٍ بالحـقّ يَعْدِلونـا[٦]،
حتّـى أُرَى من مُفْرَدِ الثّلاثـهْ … وجَنّـةِ الفِرْدَوْسِ لي وِراثـهْ[٧].

(باب القضاء وما يتعلّق به):

منفّـذٌ بالشرع للأحكـامِ … لـه نِيابـةٌ عن الإمـامِ[٨].

---

(١) آثرت: فضلت. التضمين: تداخل بعضه ببعض (جعلته مفصّلاً تفصيلاً واضحاً). والتضمين عند العروضيّين (بالفتح: علماء الشعر): أن يكون تمام معنى البيت من الشعر في البيت الذي يليه، كقول أبي نُواس:

الحمـــــد لله، أنّي … -عـــلى حداثـــة سنّي-
فقـــت المحبّـين طرًّا … ببعض ما شاع عني.

(فإنّ خبر «إنّ»، في البيت الأول، «فقت» في البيت الثاني).

(٢) بالخلف (باختلاف الأقوال) لاشتهار القائل (إذا كان الذين جاءوا بهذه الأقوال المختلفة من المشهورين بالعلم والصدق).

(٣) تذكرة: تذكيراً (لي). ما تعمّ به البلوى (حاجة الناس إليه). ألمّ بالموضوع: تناوله باختصار.

(٤) النكت (هنا): الأمور التي تبدو غامضة، والأمور الجزئيّة التي يغفلها الناس أحياناً. العقود (جمع عقد بالفتح): ما يتّفق عليه الفريقان كتابة.

(٥) أطلب من الذي قضى عليّ (أي الله) بأن أكون قاضياً أن يرفق بي في القضاء (في حسابي يوم القيامة).

(٦) الحمل (القدرة على القيام بما يوجبه عليّ منصب القاضي).

(٧) في الحديث الشريف: القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنّة:..... من مفرد الثلاثة (الواحد الذي هو في الجنّة).

(٨) القاضي هو المنفّذ للأحكام بمقتضى الشرع نيابة عن الإمام (الذي هو الخليفة).

وَٱسْتُحْسِنَتْ في حقِّهِ الجَزالهْ، وشرطُهُ التكليفُ والعَدالهْ[1].
وأنْ يكونَ ذَكَراً حُرًّا سَلِمْ من فَقْدِ رؤيةٍ وسَمْعٍ وكَلِمْ.
ويُسْتَحَبُّ العِلْمُ فيه والوَرَعْ، مَعْ كَوْنِهِ الحديثُ لِلْفِقْهِ جَمَعْ[2].
وحيثُ لاقَ للقضاء يقعُدُ، وفي البلادِ يُسْتَحَبُّ المسجدُ[3].

(فصل في مسائل من القضاء):

وليس بالجائزِ للقاضي - إذا لم يَبْدُ وجهُ الحُكْمِ - أنْ يُنَفِّذا[4].
والصُّلْحُ يَستدعي له إنْ أشكَلا حُكْمٌ، وإنْ تَعَيَّنَ الحَقُّ فلا[5]،
ما لم يَخَفْ بنافذِ الأحكامِ فِتْنةً أو شَحْنا أُولي الأرحامِ[6].
وفي الشهود يحكُمُ القاضي بما يعلَمُ مِنْهُم بٱتّفاقِ العُلَما[7].

---

(١) لتولّي منصب القضاء نوعان من الشروط: العدالة (وهي شروط وجوب، وهي التكليف أو العقل والذكورة والحرّيّة وسلامة الحواس بألّا يكون أعمى أو أخرس، الخ) ثمّ شروط كمال ومنها الجزالة أو أصالة الرأي (القاموس المحيط ٣: ٣٤٨) وسعة العلم والورع أو التعفّف عن المغريات ثمّ المعرفة بالحديث والفقه معاً، الخ).

(٢) الورع: الخوف من الله، الترفّع عن الأمور الدنيّة. مع كونه الحديث الخ: مع أن حفظه للحديث يكفي (لأنّ الحديث قد جمع أبواب الفقه كلّها؟) أو اقرأ: مع كونه الحديث (بالنصب) والفقه (العلم بأمور الدين) جمع (فعل ماضٍ مؤخّر نصب ما قبله، أي الحديث والفقه): يجب أن يضيف (القاضي) إلى العلم (العامّ) والورع معرفة الحديث والفقه.

(٣) والقاضي يجلس للحكم في الأماكن الصغيرة والبعيدة حيث يليق الجلوس للقضاء. أمّا في البلاد (المدن) فيحسن أن يجلس للحكم في المسجد.

(٤) لا يجوز للقاضي أن يصدر حكمه قبل أن يبدو له وجه الحقّ في القضايا المعروضة عليه.

(٥) إذا تعذّر على القاضي أن يفصل في قضيّة معروضة عليه (لغموض تلك القضيّة) فيجب عليه أن يدعو المتخاصمين إلى الصلح (بأن يتنازل كلّ خصم عن شيء من حقّه). أمّا إذا ظهر للقاضي أنّ الحقّ في جانب أحد المتخاصمين فيجب عليه أن يحكم لذلك الخصم.

(٦) ولكن إذا أيقن القاضي أن حكمه لأحد المتخاصمين سيجرّ إلى فتنة (قتال) أو شحناء (حقد وبغضاء) بين قومي المتخاصمين (لأنّ الخصم الذي حكم عليه قويّ شرّير) فيجوز له حينئذ أن يدعوَ الفريقين إلى المصالحة. أولو الأرحام: الأقارب.

(٧) ويجوز للقاضي أن يقبل شهادة الشهود الذين يعرفهم (ويعرف أنّهم عدول) شخصيًّا. وأكثر العلماء يجيزون ذلك.

وفي سِواهُم مالكٌ قد شَدّدا في مَنْعِ حُكْمِهِ بغيرِ الشُّهدا [1].
وقولُ سَحْنونٍ به اليومَ العَمَلْ فيما عليه مَجْلِسُ الحُكْمِ آشتمَلْ.... [2]

(باب الشهود وأنواع الشهادات):

وشاهدٌ صِفَتُهُ المَرْعِيّهْ عَدالةٌ، تَيَقُّظٌ، حُرِّيهْ [3].
والعَدْلُ من يَجْتَنِبُ الكبائرا ويَتّقي في الغالبِ الصغائرا [4].
وما أُبيحَ، وهْوَ في العِيان، يقدَحُ في مُروءةِ الإنسانِ [5].
فالعَدْلُ في التَبريزِ ليس يَقْدَحُ فيه سِوى عَداوةٌ تُسْتَوْضَحُ [6].
وغيرُ ذي التَبْريزِ قد يُجَرَّحُ بغيرِها من كلّ ما يُستقْبَحُ [7].
ومَنْ عليهِ وَسْمُ خيرٍ قد ظَهَرْ زُكِي، إلّا في ضَرورةِ السَّفَرْ [8].

---

(١) إنّ الإمام مالكاً (ت ١٧٩ هـ) فقيه أهل المدينة قد منع أن يحكم القاضي في القضايا بعلمه من غير استماع إلى الشهود وأوجب أن يستمع القاضي إلى الشهود ويحكم بما يتّضح له من أقوالهم.

(٢) سحنون هو عبد السلام بن سعيد من كبار فقهاء المالكيّة (ت ٢٤٠ هـ) قد قبل أن يحكم القاضي في عدالة الشهود بعلمه (يقبل شهادة من يعلم هو عدالته ويرفض شهادة من كان عنده مجروح العدالة).... وإذا حكم القاضي (في رأي فقهاء آخرين) بعلمه في عدالة الشهود وجرح عدالتهم انقلب شاهداً ولم يبق قاضياً.

(٣) والشاهد يجب أن يتّصف بصفات: العدالة (العدل، الإنصاف، النزاهة) وتيقظ (معرفة الأحوال المحيطة بالقضيّة، الوعي، العقل) والحرّية (أن يكون حرًّا لا عبداً رقيقاً).

(٤) الرجل العدل (المقبول الشهادة في القضاء) هو الذي لا يأتي الكبائر (شرب الخمر، ترك الصلاة.... الخ) ويتّقي (يخاف، يبتعد عن) الصغائر (الذنوب الصغيرة: النظر العارض إلى غير محرم، الميل إلى اللهو، سبق اللسان إلى ما لا يقصد الإنسان، ذكر أخيه بما يكره أخوه، إلخ).

(٥) والأمور المباحة (الطعام، تربية الحيوانات الأليفة، التبوّل، الخ)، إذا فعلها الإنسان علناً (في الأسواق مثلاً) نسقط عدالته فلا تقبل شهادته . قدح: عاب، جرح، قلّل من. المروءة: الصفة الأساسية في الإنسان (والتي تجعل منه آمرأً لا بهيمة).

(٦) أمّا الرجال المشهورون بالتمييز (بين قومهم): بالعلم والصدق والمكانة، فلا تبطُل عدالتهم (قبولُ شهادتهم في الحاكم) إلّا إذا كان بينهم وبين أحد المتخاصمين عداوة ظاهرة.

(٧) أمّا غير ذوي التمييز (راجع الحاشية السابقة) فكلّ عمل قبيح (الشره في المأكول والمشروب والهزل، مثلاً) يسقط عدالتهم فلا تقبل شهادتهم.

(٨) وسم: علامة. وسم خير: مظهر يدلّ على النبل وحسن الحال. إن مثل هذا الشاهد يجب أن يزكّى، في العادة. أمّا إذا اختلف جماعة مسافرون واحتكموا إلى قاضي بلدة يمرّون بها، فإن القاضي يقبل شهادة بعضهم على بعض (لتعذّر تزكيتهم) إذا هو اقتنع بعدالتهم من مظهرهم الصالح في نظره.

ومَنْ بِعَكسِ حالـهِ فـلا غِنـى عنْ أن يُزكّى. والذي قد أعْلَنا[١]
بحالـــةِ الجَرْح، فليس تُقْبَـــلُ لــه شهـادةٌ ولا يُعَـدَّلُ[٢]......

(باب اليمين):

في رُبـعِ دينـارٍ فأعْـلى تُقْتضَـى، في مسجدِ الجَمْعِ، اليمينُ بالقضا[٣].
ومــا لــه بــالٌ ففيــهِ تَخرُجُ إليــه لَيْـلاً غـيرُ مَنْ تبرَّجُ[٤].
وقائماً مُسْتَقْبِـــــلاً يكونُ مَنِ ٱسْتَحَقّـتْ عنـدَه اليمينُ[٥].
وهْيَ، وإنْ تَعـدّدَتْ في الأعرفِ، عـلى وِفـاقِ نيّـةِ المُسْتَحْلفِ[٦].
ومـا يَقِـلُّ حيـثُ كان يُحْلَفُ فيــه؛ وبـاللهِ يكونُ الحَلْـفُ[٧].
وبعضُهمْ يزيــــــدُ لليهودي مُنَزِّلُ التَّوْراةِ للتَّشْديـــــدِ[٨].

---

(١) أما الذي لا يدل مظهره على الصلاح (وقد يكون صالحاً) فيجب أن يزكّى (أن يُثني عليه رجلان عدلان ويشهدا بصلاحه). وأمّا الذي يظهر عليه.....،

(٢) أنّه غير صالح، فلا تقبل شهادته، ولا يطلب القاضي من أحد أن يزكّيه (لأنه لا يعدّل: لا يمكن أن يصبح مقبول الشهادة).

(٣) إذا كان لزيد عند عمرو دين مقداره ربع دينار فما فوق يثبت له ذلك الدين إذا هو حلف يميناً في المسجد الجامع (المسجد الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة).

(٤) أمّا في الأمور ذات البال (المهمّة: القتل، الزنا، الرضاع، الخ) فيمكن (بحسب هذا البيت) أن تدعى المرأة لحلف اليمين في المسجد. المألوف- إذا احتاج القاضي إلى أن تحلف أمرأة يميناً - أو أن يرسل القاضي إلى بيتها رجلاً موثوقاً يسمع يمينها من وراء حجاب.

(٥) وصورة حلف اليمين أن يقف الحالف مستقبلاً (متّجهاً إلى القبلة).

(٦) واليمين- وإن تعدّدت في الأعرف (في المألوف الشائع)........ تكون على نيّة المستحلف (الخصم) لا على نية الحالف (إذا أنكر زيد أن لعمرو ديناً عنده، فطلب عمرو من زيد حلف يمين، فتكون هذه اليمين على ما يقصده عمرو. فلا يجوز لزيد أن يقول: أقسم... أنّي غير مدين لك (ويضمر أنّه غير مدين له بأمر معنويّ من ضيافة أو معروف سابق).

(٧) وإذا كانت اليمين تتعلّق بمبلغ هو أقلّ من ربع دينار، فيجوز أن يكون حلف اليمين في مكان غير المسجد الجامع. والحلف لا يكون إلّا بالله. فلا يجوز أن يحلف المسلم بالنبيّ أو بالمصحف أو بأبيه أو بشرفه، الخ.

(٨) ولتأكيد اليمين يطلب من اليهوديّ أن يقسم بالله منزل التوراة، كما يطلب من النصراني (راجع البيت التالي) أن يقسم بالله منزل الإنجيل ذلك لأنّ مدرك الله في الإسلام يخالف مدرك «يهوه» عند اليهود ومدرك «الربّ» عند النصارى. فإذا كان الحلف بالله منزل التوراة ومنزل الإنجيل أصبح مدرك الله في الإسلام هو المعتمد فى حلف اليمين.

كما يزيـــدُ فيـــه للتَّثْقِيـــلِ علـى النَّصارى مُنْزِلُ الإنجيلِ .
وجُملــــةُ الكُفّـــارِ يَحْلِفونــــا أيْمانَهم حَيْـــثُ يُعَظِّمونــــا (١) .

٤- تحفة الحكّام في نكت العقود والأحكام (هوداس ومارتل)، الأجزاء ١ - ٣، الجزائر ١٨٨٣ م، الجزءان ٤ و ٥، باريس ١٨٨٨ م، الأجزاء ٦ - ٨، الجزائر ١٨٩٢ - ١٨٩٣ م؛ فاس (طبع حجر) ١٢٨٩ هـ؛ ثمّ ١٣٠٠، ١٣١٧، ١٣٢٣ هـ؛ القاهرة ١٣٠٩، ١٣٢٢، ١٣٢٧؛ (في مجموع) مع شرح «البهيّة» للتسولي ١٣١٠ هـ؛ ثمّ ١٣١٧ هـ؛ (في مجموع) الجزائر ١٣٢٣ هـ؛ العاصميّة أو تحفة الحكّام في نكت العقود والأحكام (نشرها وعلّق عليها ليون برشيه)، الجزائر (معهد الدراسات الشرقية - كلّيّة الآداب بجامعة الجزائر) (١٩٥٨ م.

- شروح على تحفة الحكّام:

★ البهيّة لعليّ بن عبد السلام التسولي الشبراوي (بروكلمن، الملحق ٢ : ٣٧٥)، بولاق ١٢٥٦ هـ؛؟ ١٢٨٩ - ١٢٩٠ هـ؛ فـــاس ١٢٩٣ - ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٥ هـ؛ بيروت، الطبعة الثالثة (دار المعرفة) ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

★ الإتقان والأحكام في شرح تحفة الحكّام، لمحمد بن أحمد ميّارة الفاسي (ت ١٠٧٢ هـ)، فاس ١٢٩٣ - ١٢٩٤، ١٢٩٨ - ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣١٦ هـ.

(•) حاشية على شرح الإتقان والأحكام، لمحمّد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون، فاس ١٢٩٣ هـ؛ حاشية لأبي عليّ الحسن بن الرّحّال المعداني (على هامش «الاتقان»)، القاهرة ١٣٠١، ١٣٠٥، ١٣٠٦ هـ؛ ثمّ مع حاشية للمدني ١٣١٥ هـ.

★ شرح لعبد الله بن إبراهيم الشنقيطي (ت ١٢٣٠ هـ) - (مع «نشر البنود على مراقي السعود»، فاس بلا تاريخ.

★ حلى المعاصم لبنت فكر ابن عاصم، لمحمّد بن سودة التاوديّ (ت ١٢٠٧ هـ)، فاس ١٣٠٤ هـ؛ فاس ١٣٠٨ - ١٣١٠ هـ (بهامش «البهجة»).

(•) حاشية على «حلى المعاصم» للمهدي بن محمّد الوزّانيّ، فاس ١٣٠٨ - ١٣١٠ هـ.

★ توضيح الأحكام لعثمان بن محمّد التوزري، تونس ١٣٣٩ هـ (؟).

- حدائق الأزهار، فاس، بلا تاريخ.

- مرتقى الوصول إلى علم الأصول، فاس ١٣٢٧ هـ؛ (على هامش «فتح الودود على مراقي السعود» لعبد الله بن إبراهيم الشنقيطي المُتَوفّى سنة ١٣٢٠ هـ)، فاس، بلا تاريخ.

★ شرح مرتقى الوصول = نيل السول أو بلوغ الوصول وحصول المأمول (لأبي؟) محمّد يحيى بن

---

(١) وغير المسلم يقسم يمينه في مكان عبادته أو في مكان يعظّمه هو (ولا يؤتى به إلى المسجد الجامع).

محمّد بن المختار بن الطالب عبد الله الساوَليّ الحَوْضيّ الوالاتي، فاس ١٣٢٧ هـ؛ (على هامش «فتح الودود...»)، فاس، بلا تاريخ.

★★ نيل الابتهاج (القاهرة) ٢٨٩ - ٢٩٠؛ نفح الطيب ٥: ١٩ - ٢٢، ٦: ١٥٥ - ١٦٢؛ ثمّ قال المقّري (٥: ٢٢): «ولولا خوف الإطالة لذكرت بعض إنشائه ونظمه، فإنّه في الذروة العليا. وقد ذكرت جملة من ذلك في «أزهار الرياض في أخبار عياض» (ولكن لم أهتد إلى ذلك). غير أن في «نفح الطيب» جملة صالحة من أخبار أبي يحيى بن عاصم أخي أبي بكر ابن عاصم)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٢٠ - ٧٢١؛ بروكلمن ٢: ٣٤١، الملحق ٢: ٣٧٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٧٤ (٤٥)؛ معجم المؤلّفين ١١: ٢٩٠؛ سركيس ٥٦؛ بالنثيا ٤٢٩ - ٤٣٠.

أبو يحيى بن عقيبة

١ - هو أبو يحيى أبو بكرِ بنِ عقيبةَ القَفْصيّ (نسبةً إلى قفصة في تونس) أخذ عن ابن عَرَفَةَ (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إمامِ تُونسَ وعالِمِها وخطيبها في عصرِه وعن ابنِ مَهْدِيٍّ وغيرهما. وكان معاصراً لابنِ مرزوقٍ الحفيدِ (٧٦٦ - ٨٤٢ هـ) وللقاضي أحمدَ القلشانيّ. ولعلّ وفاتَه كانتْ نحوَ ٨٦٠ هـ (١٤٥٥ م).

٢ - كان أبو يحيى بنُ عقيبة رجلاً صالحاً وعلّامةً بارعاً وفقيهاً معروفاً. له أسئلةٌ كَتَبَ بها إلى الإمامِ ابنِ مرزوقٍ الحفيدِ فأجابه عليها ابنُ مرزوقٍ بجُزْءٍ سمّاه «اغتنامَ الفُرصة في محادثةِ عالمِ قفصة». وكان له نظمٌ حَسَنٌ.

٣ - مختارات من شعره

- كتب أبو يحيى بنُ عقيبة إلى القاضي أحمدَ القلشانيّ (وكان القلشاني في قُسَنْطينَةَ) بأبياتٍ منها (ولعلّ البيتين الأخيرين تضمينٌ!).

عليــكَ، أُخَيَّ، بالتُّقى ولُزومِه ... ولا تكتَرِثْ ما فيه زيدٌ ولا عمرُو[1].
وكُنْ مُنشداً ما قال بعضُ أُولي النُّهـى؛ ... فـكم حِكمـةٍ غرّاءَ قيّدَها الشعرُ:

(١) اكترث: اهتمّ، بالى (وحقّها أن تتعدّى بالباء). ما فيه زيد وعمرو (من الجدال والنزاع على أعراض الدنيا المادّية والمعنوية).

إذا المرء جازَ الأربعينَ ولم يكن   لـه دون ما يأتي حياءٌ ولا سِتْرُ،
فدَعْـهُ ولا تَنْفَسْ عليه الذي أتى،   وإن مَدّ أسبابَ الحياةِ له العُمْرُ(١).

٤- نيل الابتهاج ٣٥٧.

ابن مرزوق الحفيد

١- هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أحمدَ بن محمّدِ (الخطيب) بنِ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ محمّدِ بن أبي بكرِ بنِ مرزوقٍ العُجَيْسيُّ التِّلمسانيُّ، وُلِدَ في الرابعَ عَشَرَ من ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٧٦٦ (١٣٦٥/١٢/٩ م) في تِلِمْسانَ.

وتلقّى ٱبنُ مرزوقٍ الحفيدُ أشياءَ من العلم في تِلِمسانَ على والده أحمدَ وعمّهِ محمّدِ وعلى نفَرٍ آخَرينَ منهم سعيدُ بنُ محمّدِ العَقَبانيُّ التِّلمسانيّ (ت ٨١١ هـ) وأبو اسحاقَ إبراهيمُ المصموديُّ وأبو الحسن الأشهبُ الغِماريّ وعبدُ الله بنُ الشريفِ التِّلمسانيُّ (ت ٧٧١ هـ). ثمّ إنّه ارْتَحَلَ إلى تونِسَ وأخذ عن إمام تونِسَ محمّدِ بنِ عَرَفَةَ الوَرْغَمِيِّ (ت ٨٠٣ هـ) وأبي العبّاسِ القصّار.

بعدَئـذٍ ٱنتقـلَ ابنُ مرزوقٍ الحفيدُ إلى فاسَ وأخذ عن أبي زيدٍ المكّوديِّ (ت ٨٠٧ هـ) وعن محمّدِ بنِ مسعودٍ الفيلاليّ الصِّنهاجيّ. ولكنْ لا يَتَّسِقُ في التاريخ أن يكونَ ٱبنُ مرزوقٍ الحفيدُ المولودُ سَنَةَ ٧٦٦ للهجرة قد أخذ عن النَّحْوِيِّ أبي حيّانٍ المُتوفَّى سَنَةَ ٧٤٥ - كما جاء في نفح الطيب (٥: ٤٢٨، السطر السابع).

ثمّ إنّ ٱبنَ مرزوقٍ الحفيدَ رَحَلَ إلى المشرق فأخذَ في مِصْرَ - في أثناءِ طريقه إلى الحجّ (وفي حِجّته الأُولى، سَنَة ٧٩٠)- عن عُمَرَ بنِ عليّ بنِ المُلَقِّن (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) وعن عبدِ الرحمنِ بنِ خَلْدونٍ (ت ٨٠٨ هـ) وعن مجدِ الدين محمّدِ بن يَعْقوبَ الفَيْروزابادِيّ (ت ٨١٧ هـ)، كما أخذ عن السِّراجِ البُلْقِينيّ(٢) وعن النور النويريّ (؟).

---

(١) لا تنفس عليه الذي أتى: لا تحسده على ما يفعل من الأمور المحبوبة في الدنيا. وإن مدّ أسباب الحياة له العمر: وإن مكنّه طول عمره من أن يكون له نشاط يتمتّع به بملاذ الحياة.

(٢) لعلّ السراج البلقيّني هذا هو عمر بن رسلان (٧٢٤ - ٨٠٥ هـ) من حفّاظ الحديث.

وأخذ ٱبنُ مرزوقٍ هذا، في مَكّةَ، في أثناءِ حِجّته الأولى (٧٩٠ هـ)، عن البهاءِ الدمامينيّ (ت ٨٢٧ هـ) وعنِ النّور العقيليّ (؟)، كما أخذ في حِجّته الثانية (٨١٩ هـ) عن ٱبْنِ حَجَرٍ العسقلانيِّ (ت ٨٥٢ هـ).

وكانتْ وفاةُ ٱبنِ مرزوقٍ الحفيدِ في تِلِمْسانَ في رابعَ عَشَرَ شَعبانَ من سَنَةِ ٨٤٢ (١٤٣٩/١/٣٠ م).

٢ - إنّ الذين ذكروا ٱبنَ مرزوقٍ الحفيدَ قد أطنبوا في مدحهِ إطناباً عظيماً، ففي «نفح الطيب» (٥: ٤٢٠ وما بعد؛ راجع «نيل الابتهاج» ٢٩٣ وما بعد): «عالمُ الدُّنيا... البحرُ الإمامُ المشهور الحُجّةُ الحافظُ[1] العلّامة المُحقّق الكبيرُ والنَّظّار[2] المطَّلعُ والمُصنِّفُ المُنْصِفُ... الآخذُ من كلِّ فنٍّ بأوْفرِ نصيبٍ، الراعي في كلِّ عِلْمٍ مَرْعاه الخصيبَ، حُجّةُ اللهِ على خَلْقه[3]..... فارسُ الكراسي والمنابرِ[4]، سليلُ الأكابرِ، سيّدُ العُلماءِ الأخيارِ وإمامُ الأئِمّةِ وآخِرُ الشيوخِ ذَوِي الرُّسوخِ، بدرُ التَّمام الجامعُ بينَ المعقولِ والمنقولِ[5] و (بين) الحقيقةِ والشريعةِ[6] بأجلِّ محصولٍ.....».

وقال فيه المقّري: «شيخ شيوخنا المحقّق النظّار أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد» (نفح الطيب ٥: ٣٤٠)... «وعالم الدنيا البحر أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن مرزوق» (٥: ٤١٨).

كان ٱبنُ مرزوقٍ الحفيدُ مُلِمًّا بفنونٍ كثيرةٍ من قراءةِ القُرآنِ والتفسيرِ ومِنَ الحديثِ، وهُوَ حافظٌ ومُسْنَدٌ[7] وفقيهٌ مُجتهدٌ وعارفٌ باللُّغة والنَّحو والبلاغة

---

(١) الحافظ (الذي يحفظ أحاديث رسول الله).

(٢) النظّار (العالم الكبير من علماء الكلام: الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية).

(٣) حجّة الله على خلقه (المسؤول عن هداية الناس، ويكون الناس مسؤولين عن اتّباع هديه).

(٤) فارس الكراسي (القدير في التدريس) والمنابر (وفي الخطابة).

(٥) المعقول (العلوم العقلية: الحساب، النطق، الفلسفة، الخ) والمنقول (العلوم التي تكون بالرواية: الحديث، التاريخ، الخ).

(٦) الحقيقة (التصوّف) والشريعة (أمور الدين: العبادات والمعاملات، الخ).

(٧) المسند: الحافظ الثقة في علوم الحديث وفي رواية الحديث.

والعَروض[١]. ويبدو أنّه كان حَسَنَ التّصْنيفِ للكُتُبِ حَسَنَ إلقاءِ الدُّروسِ، وقد قيل فيه (نيل الابتهاج ٢٩٨ س): «أمّا الفِقْهُ فَهُوَ فيه مالكٌ[٢]، ولأَزِمَّةِ فُروعِهِ حائزٌ ومالكٌ[٣]». هذا بالإضافة إلى أنّه كان حاملَ لِواءِ السُّنَّة وداحِضَ شُبَهِ البِدْعة»[٤]، ومن كِبارِ رِجال التصوُّفِ.

كان آبنُ مرزوقٍ الحفيدُ مُصنّفاً مُكثِراً في عددٍ من فنون المعرفة، ويبدو أنّه وَصَلَ إلينا بضعةُ كتب منها (راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٥). فمن كُتُبِهِ: تفسيرُ سورة الإخلاص (السورة ١١٢ في المُصحَف؛ على طريقة الحكماء) - رَجَزٌ «حِرز الأماني» (للشاطبيّ) - أُرجوزةٌ ألفيةٌ في مُحاذاة الشاطبية - الروضة (رَجَزٌ في علم الحديث جمع فيه بينَ ألفيّةِ ابن لُيونَ وألفية العراقي)[٥] - الحديقةُ (آختصر فيها ألفيّة العراقي) - أنوارُ الدراري في مُكرَّرات البُخاري - عقيدةُ أهلِ التوحيد المُخرجةُ من ظُلمة التّقليد - الآياتُ الواضحات في وجهِ[٦] دَلالةِ المُعجزات - المفاتيح (الغاية) القُرطاسية في شرح (القصيدة) الشُّقراطيسية[٧] (في مدح الرسول) - آغتنامُ الفرصة في مُحادثة عالم قَفْصَةَ (وهو أجوبة على مسائلَ في التفسير والفِقه وغيرِها وردَتْ عليه من عالم قَفصةَ أبي يحيى بنِ عُقيبة)[٨] - شرحُ ابنِ الحاجبِ[٩] (في فروع الفِقه) - الدليلُ المُومِي في

(١) العروض: قواعد نظم الشعر.

(٢) مالك: مالك بن أنس فقيه أهل المدينة.

(٣) الزمام (بالكسر): القياد. فروع الفقه (الصلاة، الصوم، الإرث، الخ). الحائز الذي يحوز (يحصل على الأشياء)، والمالك (الذي يملك الأشياء).

(٤) حامل لواء السنّة (المدافع عن الإيمان) وداحض (مبطل، هازم) شبه (جمع شبهة: الأمر الضائع بين الحقّ والباطل أو بين الحلال والحرام، الأمر المضلّل للناس يثيره أعداء الدين) البدعة (الأمر المخالف لما جاء به الدين).

(٥) ابن ليون هو أبو عثمان سعد بن أحمد التجيبي الأندلسي (ت ٧٥٠ هـ) من العلماء والمكثيرين من التآليف. والعراقي هو أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي (ت ٨٠٦ هـ) له ألفيّة في مصطلح الحديث.

(٦) في وجه دلالة: فيما يدلّ على.

(٧) الشقراطيسيّ هو أبو محمّد عبد الله بن يحيى التوزري (ت ٤٦٦ هـ) له قصيدة في مدح الرسول (راجع ترجمته في الجزء الرابع من هذه السلسلة).

(٨) قفصة بلدة في جنوبيّ تونس. أبو يحيى بن عقيبة (ص ٦٣٣).

(٩) ابن الحاجب هو أبو عمرو عثمان بن عمر (ت ٦٤٦ هـ) من الفقهاء وعلماء النحو.

ترجيح طهارةِ الكاغِدِ الرومي[1] - مُخْتَصَرُ الحاوي في الفَتاوي لابن عبدِ النورِ التونسيّ[2] - نورُ (أنوار) اليقين في شرح أولياءِ الله المتّقين - كتاب (في التصوّف: في شأن البُدَلاءِ، تكلّم فيه على حديثٍ وَرَدَ في أوّل «الحِلْية» في شأنِ البُدلاء وغيرِهم)[3] - النُّصح الخالص في الردّ على مُدّعي رُتبةِ الكاملِ[4] للناقص (في الردّ على أبي الفضلِ قاسمٍ العَقَبانيّ[5] في مسألة الفُقراء الصوفيةِ في أشياءَ صَوّبَ العَقبانيُّ صَنيعَهم فيها فخالَفَهُ ٱبنُ مرزوقٍ) - المُقْنع الشافي (أُرجوزة في المِيقات: ٱستخراجِ ساعاتِ الليل والنهار، فَلَك) - أُرجوزةٌ في تلخيص (أعمال الحساب) لِٱبنِ البنّا[6] - إسماعُ الصُّمِّ في إثبات الشَّرَف من قِبَلِ[7] الأُمّ - تأليفٌ في مناقبِ شيخه إبراهيمَ المصموديِّ[8] - النورُ البَدْريّ في التعريف بالشيخ المَقْريّ[9] - نِهاية الأمل في شرح «الجُمَل» للخونَجي[10] (في المنطق) - نظم «الجمل» للخونجي (في المنطق) - المِعراج في ٱستمطار فوائدِ الأستاذِ ٱبنِ سِراج (أجابَ فيه قاضِيَ الجماعةِ أبا القاسم بْنَ سِراجٍ[11] عن مسائلَ منطقيّةٍ ونَحْويّةٍ) -

---

(١) المومي = المومىء (المشير، الدالّ). الكاغد: الورق (ورق الكتابة) الرومي (اليوناني النصراني).

(٢) ابن عبد النور التونسي.....

(٣) الأبدال في ٱصطلاح الصوفية: طبقة تلي الأقطاب الأربعة، قيل لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد (منهم) أبدل الله مكانه آخر. واحدهم بدل (بفتح ففتح) وبدل (بكسر فسكون) وبديل (المعجم الوسيط ٤٣).

(٤) اقرأ: رتبة الشخص الكامل.....

(٥) أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني التلمساني (ت ٨٥٤ هـ) فقيه بلغ درجة الاجتهاد. له أرجوزة في التصوّف.

(٦) ابن البنّا من علماء الرياضيّات (ت ٧٢١ هـ) له ترجمة في هذا الجزء.

(٧) من قبل: من جهة نسبه.....

(٨) إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني المتوفى ٨٠٥ أو ٨٠٤ هـ (نيل الابتهاج ٥١ - ٥٢).

(٩) الشيخ المقري هو محمّد بن محمّد المقري (ت ٧٥٨ هـ) جدّ أحمد بن محمّد المقري (ت ١٠٤١ هـ) صاحب «نفح الطيب». والسجعة في هذا الكتاب تدلّ على أن «المقري» ترسم بفتح فسكون (راجع أيضاً تاج العروس - الكويت ١٤ : ١٤٦): «مقرة بالفتح مدينة بالمغرب، بقرب قلعة بني حمّاد، بالقطر الجزائري اليوم»، - وقد تشدّد القاف، وبه اشتهرت (١٤ : ١٤٧، راجع أيضاً نفح الطيب ٥ : ٣٤٠).

(١٠) محمّد بن نامارو (ت ٦٤٦ هـ) فارسيّ الأصل سكن مصر. وهو عالم بالحكمة والمنطق. وفي بروكلمن (١ : ٦٠٧، الملحق ١ : ٨٣٨): أفضل الدين أبو الفضائل أبو عبد الله محمّد بن ناموار (بسكون الميم أو بفتحها) بن عبد الملك الخناجي (بالضمّ، تقيّداً باللفظ الفارسي).

(١١) ابن سراج....

أُرجوزةٌ في نظم «تلخيص المِفتاح (في البلاغة، لجلالِ الدين محمّدِ بنِ عبدِ الرحمن القزوينيِّ المُتوفَّى سنة ٧٣٩ هـ) - المفاتيح المرزوقيّة في آستخراج رُموز (القصيدة) الخَزْرجيـة[١] (في العَروض) - أُرجوزةٌ في آختصار ألفيّةِ آبنِ مالكٍ (في النحو) - إظهار صِدْقِ المودّةِ في شرح البُردَةِ (وهو شرحٌ كبيرٌ لقصيدةِ «بانتْ سُعادُ» لكعبِ بنِ زُهيرٍ في مدحِ الرسول، آستوفى فيه الكلامَ غايةَ الآستيفاءِ وضمّنَه سَبْعَةَ فنونٍ في كلِّ بيتٍ) - شرحٌ وسطٌ (للبردةِ أيضاً) - الآستيعاب لما في «البُردة» من البيان والإعراب (شرح صغير للبردة) - الرَّوْض البهيج في مسألة الخليج (؟) - شرح التسهيل (؟). ولآبنِ مرزوقٍ هذا كُتُبٌ بدأها ولم يُتِمَّها، منها (نفح الطيب ٥ : ٤٣٠ ؛ نيل الابتهاج ٢٩٨): المتجَرُ الرَّبيح والسَّعي (المسعى؟) الرجيح والرَّحْب (نفح الطيب: المرحب) الفسيح في شرح الجامع الصحيح[٢] - روضةُ الأريب في شرح التهذيب[٣] - المَنْزِعُ النبيل في شرح مُختصرِ خليل[٤] - إيضاح السالك إلى ألفيّةِ آبنِ مالك - شرحُ شواهدِ شُرّاحِ الألفية (لابنِ مالكٍ) - التحريرُ والآستيفاء و (النزول) لألفاظِ الكِتاب والنُّقول[٥].

٣- مختارات من آثاره:

- كلام في إعراب آية.

قال آبنُ مرزوقٍ الحفيدُ في كتابِهِ «آغتنامِ الفُرصة» (نيل الابتهاج ٢٩٨ - ٢٩٩): حَضَرْتُ مَجلِسَ شَيْخِنَا العلّامةِ نُخبةِ الزمانِ آبنِ عَرَفَةَ[٦]، رَحِمَه اللهُ، فقرأ: ﴿ومَنْ

---

(١) الخزرجيّ، لعلّه أبو العبّاس أحمد بن مسعود بن محمّد القرطبي الخزرجي، كان إماماً في التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطبّ. وله تآليف حسان وشعر رائق، توفّي سنة ٦٠١ للهجرة (نفح الطيب ٢ : ٦١٤ - ٦١٥).

(٢) الجامع الصحيح (في الحديث، للإمام البخاري).

(٣) التهذيب.....

(٤) خليل هو ضياء الدين خليل بن اسحاق بن موسى الجنديّ (كان يلبس لباس الجند) فقيه مالكي (ت ٧٧٦ هـ).

(٥) الكتاب = القرآن الكريم. النقول: الروايات المتعلّقة بالحديث (؟).

(٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالمها في عصره.

يَعْشُ عن ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ له شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرينٌ﴾[1]. فَجرَى بَيْنَنا مُذاكرةٌ رائقةٌ وأبحاثٌ حَسَنَةٌ فائقةٌ، منها أنّه قال: قُرِىءَ «يعشُو» بالرَّفْعِ و «نُقَيِّضْ» بالجَزْمِ، ووجَّهَها أبو حيّانٍ بكَلامٍ ما فَهِمْتُه[2]. وذَكَرَ (أن) في النُّسخَةِ خَلَلاً، وذَكَرَ بعضَ ذلك الكَلام[3]. فٱهْتَدَيْتُ (أنا) إلى تَمامه. فقلتُ: يا سيِّدي، مَعْنى ما ذَكَرَ أنّ جَزْمَ «نُقَيِّضْ» بِـ «مَنْ» المَوْصوليةِ[4] لِشُبْهِها بالشَّرطيّة، لِمَا تَضمّنَتْها مِنْ مَعْنى الشرطِ. وإذا كانوا يُعاملون (ٱسْمَ) الموصولِ الذي لا يُشْبِه لفظُه لَفْظَ الشَّرطِ بذلك، فما يُشْبِه لفظُهُ لفظَ الشرط أوْلى بتِلْكَ المُعاملة. فوافَقَ، رَحِمَهُ الله، وفَرِحَ كما[5] أنّ الإنصاف كانَ طَبْعَه.

وعِنْدَ ذلك أنْكَرَ عَلَيَّ جماعةٌ من أهلِ المجلس، وطالبوني بإثباتِ مُعاملةِ (ٱسمِ) الموصولِ معاملةَ (ٱسمِ) الشرط. فقُلْتُ: (مِثالُ ذلك) نَصُّهم على دُخول الفاء في خَبَرِ (ٱسمِ) الموصول في نَحوِ «الذي يأتيني فَلَهُ دِرهمٌ». فنازَعوني في ذلك، وكُنْتُ حديثَ عَهْدٍ بحِفْظِ «التسهيل»[6]. فقُلْتُ: قال ابنُ مالكٍ فيما يُشْبِهُ (هذه) المسألة: «وقد يَجزِمُهُ مُتَسَبِّبٌ عَنْ صِلَةٍ»، وأنْشَدْتُ من شواهدِ (هذه) المسألةِ قَوْلَ الشاعر:

---

(١) القرآن الكريم (٤٣ : ٣٦، سورة الزخرف). يعشو: يعرض (عشا فلان عن الأمر: غفل). نقيّض (نهيّىء، نسبّب، نجعل). قرين: رفيق ملازم.

(٢ و٣) الكلام هنا لابن عرفة. ما فهمته (الجُملة هنا ترجع إلى ابن مرزوق الحفيد).

(٤) من الموصولية (اسم الموصول) لها «عائد» (ضمير يعود إليها) وصلة (جملة تشرح عملها): ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ (٢٧ : ٨٩، سورة النمل): الضمير في «جاء» هو العائد (الراجع، الدال على «من»). والجملة «جاء (هو) بالحسنة» صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب (للتقدير: الجائي بالحسنة). والفاء في «فلهُ» زائدة، ولكنها تدل على التوكيد، أي على علاقة التركيب ﴿له خير منها﴾ بالتركيب ﴿من جاء بالحسنة﴾. وهذه الجملة الموصولية تشبه الجملة الشرطية: ﴿ومن يكفرْ به (بالكتاب: بالقرآن) فأولئك هم الخاسرون﴾ (٢ : ١٢١، سورة البقرة): «من» اسم شرط جازم. «يكفر» فعل الشرط مجزوم باسم الشرط «من». والفاء في «فأولئك»: رابطة جواب الشرط «أولئك هم الخاسرون» بفعل الشرط «يكفر به».

(٥) كما: مثلما، إذ أن- «فرح ابن عرفة بالدليل الذي جئت أنا به، كما أن الإنصاف (معرفة الفضل لأهله) كان طبعاً له.

(٦) التسهيل: كتاب «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» لابن مالك النحوي (ت ٦٧٢ هـ).

فلا تَحفِرَنْ بِئْراً تُريدُ بها أخاً، فإنّكَ فيها أنتَ من دُونِه تَقَعْ[١].
كذاك الذي يَبْغي على الناسِ ظالماً «تُصِبْهُ»، على رُغْمٍ، عَواقِبُ ما صَنَعْ.

فجاء الشاهدُ موافقاً للحال.

- آسْمُ آبنِ مرزوقٍ الحفيد (نيل الابتهاج ٢٩٨ س):

حدّثَتْني أُمّي عائشةُ بنتُ الفقيهِ الصالحِ القاضي أحمدَ بنِ الحسنِ المَدْيونيّ، وكانتْ صالحةً آلّفَتْ مجموعاً في أدْعِيَةٍ آختارَتْها. و (كان) لها قُوّةٌ في تَعْبيرِ الرُّؤيا[٢] آكْتَسَبَتْها من كَثْرة مُطالعةِ كُتُبِ (هذا) الفنِّ، أنّه أصابَني مَرَضٌ شديدٌ أشرفتُ منه على الموت - و (كان) من شأنِها و (شأنِ) أبيها أنّهما لا يَعيشُ لهما ولدٌ إلّا نادراً. و (كانوا قد) سَمّوْني أبا الفَضْلِ في أوّلِ الأمر. فدَخَلَ عَلَيْها أبوها أحمدُ المذكورُ، فلَمّا رأى مرضِيَ وما بَلَغَ بي، غَضِبَ وقال: أَلَمْ أقُلْ لكُمْ: لا تُسَمّوه أبا الفضلِ؟ ما الذي رأَيْتُموهُ له من الفضلِ حتّى تُسمّوه أبا الفضل؟ سَمّوهُ مُحَمَّداً. (وإنّي) لا أسمعُ أحداً يُناديه بغيرِه إلّا فعلتُ به وفعلتُ، يَتَوعَّدُ بالأدبِ. قالتْ: فَسَمّيْناكَ مُحَمّداً، ففرَّجَ اللهُ عنك.

- وقال آبنُ مرزوقٍ الحفيدُ في مدينةِ تِلِمْسانَ - وسمّاها «بَلَدَ الجِدار»[٣] - (نفخ الطيب ٥ : ٤٣٣):

بلَدُ الجِدار ما أمرَّ نَواها، كَلِفَ الفؤادُ بحُبِّها وهَواها[٤].
يا عاذِلي، كُنْ عاذِري في حُبِّها. يَكْفيكَ منها ماؤها وهَواها[٥].

- وقال يُشير إلى تِلِمْسانَ في رَجَز له في عِلمِ الحديث (نفح الطيب ٥ : ٤٣٣):

ومَنْ بِها أهلُ ذكاءٍ وفِطَنْ في رابعٍ مِنَ الأقاليمِ قطن[٦].

---

(١) هذا البيت إضافة من راوية ثانية للقصة نفسها (راجع نيل الابتهاج ٢٩٩).
(٢) تعبير (تفسير، تأويل) الرؤيا (المنام، الأحلام).
(٣) بلد الجدار: البلدة التي لها جدار (سور؟).
(٤) النوى: البعد، البعاد.
(٥) العاذل: اللائم (بغير حق).
(٦) قطن: سكن. الإقليم الرابع هو المنطقة المعتدلة (منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط).

يكفيكَ أنّ الداودِي بها دُفِنْ   مَعَ ضَجيعِهِ آبنِ غَزْلونَ الفَطِنِ[1].

٤- مسند ابن مرزوق (   )، باريس (لا روز) ١٩٢٥ م.

★★ تعريف الخلف ١٢٤-١٣٦؛ نيل الابتهاج ٢٩٣-٢٩٩ (طبعة فاس ٣٠٤)؛ الضوء اللامع ٧: ٥٠؛ نفح الطيب ٥: ٤٢٠-٤٣٣؛ تاريخ الجزائر العامّ ٢: ١٩٥-١٩٩؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٨ (٥: ٣٢٨).

أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم

كان لأبي بكرٍ محمّدِ بْنِ عاصمٍ المُتوَفّى سَنَةَ ٨٢٩ للهجرة (راجع ترجمته، فوق، ص ٦٢٥) أخٌ آسمُه أبو يحيى محمّدُ بنُ عاصمٍ (راجع «نفح الطيب» ٥: ٥١٣ س) وآبنٌ آسمُه أيضاً أبو يحيى محمّدُ بن عاصم. والترجمة التاليةُ تتعلّق بآبنِهِ لا بأخيه.

١- هو أبو يحيى محمّدُ بنُ محمّدِ بن محمّدِ بن محمّدِ بن محمّدِ (خمسَ مرّاتٍ) بنِ عاصمٍ القيسيُّ الغَرناطيّ، يبدو أنّ مولدَه كان (تقديراً) نحو سَنَةِ ٧٩٠ للهجرة (١٣٨٨).

أخذَ أبو يحيى بنُ عاصمٍ العِلمَ عن نفَرٍ من شيوخِ وقتِهِ، منهم: أبو الحسن بنُ سمعت (سمعة) الأندلسيّ وأبو القاسم بن السرّاج. الغَرناطيّ وأبو عبدِ الله المَنْتوريُّ وأبو عبدِ الله البيّانيّ وأبو جعفرِ بنُ أبي القاسم السَّبتي.

ويبدو أنّه كان كثيرَ النشاط (والمعرفة أيضاً) فقد تولّى آثنَتَيْ عَشْرَةَ خُطّةً (مَنْصِباً) من خُطَط الدولة منها الإمامةُ والخَطابة (في المسجد) ومنها الوَزارة والكِتابة. وقد كان قاضيَ الجماعة (قاضيَ القُضاة) في غَرناطَة- وكان تَوَلِّيهِ القضاءَ سَنَةَ ٨٣٨ للهجرة (١٤٣٤-١٤٣٥ م)، كما جاء في الديباج المذهب (ص ٣١٣).

وكانتْ وفاةُ أبي يحيى بن أبي بكرِ بنِ عاصمٍ، سَنَة ٨٦٠ للهجرَة (١٤٥٦ م) في الأغلب، ذبيحاً من قِبَلِ السلطانِ(★).

---

(١) الدوادي... وابن غزلون....

(★) كان سلطان غرناطة في ذلك الحين سعد بن علي بن يوسف بن محمّد (الخامس) الغنّي بالله، للمرّة الثانية (٨٥٧-٨٦٦ هـ) أو ابنه عليّ بن سعد (٨٦٦-٨٨٧ هـ).

٢ - كان أبو يحيى بنُ أبي بكرِ بنِ عاصمٍ الغَرناطيُّ من أكابرِ الفقهاءِ ومن العُلَماء الرُّؤساء حافظاً (للحديث)، بليغاً وخطيباً ومشاركاً في عدد من العلوم، كما كان مُصنِّفاً؛ لـه: شرحٌ عـلى «تحفـة الحكّام» (لأبيه أبي بكرٍ محمّدُ بنُ عاصمٍ المتوفّى سنة ٨٢٩ هـ)- جَنَّةُ الرِّضا في التسليم لِما قَدَّرَ اللهُ وقضى (في الحُزن على حال المسلمين في الأندلس وعلى ما كانَ الإسبانُ النَّصارى - في آخرِ أيامِ العرب في الأندلس - يفعلونه بالمسلمين. وفي المختارات نصّ من هذا الكتاب)- الرَّوضُ الأريض في تراجمِ ذَوِي السيوفِ والأقلام والقَريض (في عِدّة أجزاءٍ، كأنّه ذَيْلٌ على كتاب «الإحاطة» للسان الدينِ بنِ الخطيب). وكان له ترسُّلٌ (رسائلُ إخوانيّةٌ) وشِعْر.

وأبو يحيى بنُ عاصمٍ أديبٌ مُنشِئٌ كثيرُ التصنيعِ والتكلُّفِ في الشعرِ والنثر، فربّما نَظَم القصيدةَ فبَناها على نَمَطٍ يُمْكِنُ أنْ يَخرُجَ به منها عددٌ من القصائد والمُوشّحات. وكذلك كانتِ الأسجاعُ في نثرِه تَتَوالى على نَسَقٍ وتَتَردّدُ تردُّداً يُذكِّرنا بالموشّحات أيضاً (انظر ذلك في النصّ المأخوذِ فيما يلي من كتاب «جنّة الرِّضا»). وأمّا المَثَلُ على تولُّدِ بعضِ قصائدِه من بعضٍ فتراه فيما يلي (أزهار الرياض ١: ١٤٦ وما بعد):

أما، والهوى، «ماكنتُ» مُذْ بانَ عهدُهُ ... أهـيمُ بلُقيـا مَنْ (تناثر) وُدُّهُ(١)*.

رعى اللهُ مَنْ لو أنصفَ» الصبَّ في الهوى ... لَما فاضَ منه (الدمعُ) مذ بانَ صَدّه(٢).

ولو جـادَ مِنْ (بعدِ المِطال) بزَوْرةٍ ... لَما شبَّ أشواقي وقلبِيَ زَنْـدُه(٣).

كما خانَ صبري يومَ أصبحَ و« أصلي ... لَظى »زادَ ماءً (مِنْ جُفونِي) وَقْدُه(٤).

(*١) بما أن الغاية من القطع التالية في الشعر أن نرى طريقة توليد بعض القصائد من بعض، فسأجعل الشرح هنا موجزاً. بان (بعد، ابتعد) عهده (زمانه): مضى عليه زمن طويل فانقضى شبابه.

(٢) بان (ظهر) صدّه: ميله (عنّي).

(٣) الزند: قطعة من الحديد تقدح به النار من الحجر. شبّ (أشعلَ) «أشواقي وقلبي» (مفعول به متعدّد) زنده (فاعل «شبّ»).

(٤) «لظى»، إذا كانت عَلَماً على جهنّمَ، فإنّها تكون ممنوعة من الصرف فلا تُنوَّن. وأمّا إذا كانت مصدراً: لظي (بفتح فكسر ففتح) يلظى لظًى، وكان «اللظى» بمعنى اللهيب الذي لا دخان معه (كما هو المقصود هنا)، فإنّ «لظى» حينئذ تكون مصروفة وتنوّن. وأمّا إذا كانت «لظى» (اسماً مؤنّثاً) بمعنى «لهيب لا دخان له» فتكونُ حينئذٍ ممنوعة من الصرف (فلا تنوّن) لعلّتين (التأنيثِ ولأنّها مختومة بتاء التأنيث أيضاً). «واصلي» (هنا): يصل إليّ (من المحبوب).

لـــذاك أسالَ الدمـــعَ (كالـــدُرِّ) مَدْمعي
من «الوَجْدِ» فٱستَوْلى علـى الجَفْنِ سُهدُه[1]

حكى لُؤلُؤاً (مِنْ سِلْكِه) مُتناثراً — و«إلّا لِيَمٌّ» قد تتابع مَدّه[2].
ذَخَرْتُ (الثمينَ) القدرِ منه بمُقلتي — ومازِلتُ من خَوفِ «النَّكالِ» أُعِدّه[3].
ولا عجبٌ (مُذ أعوزَ) القُربُ أنْ غدا — و«كالقمر الزاهي» سَناه وبُعده[4].
أيُلحِقُ باللُّقيا أوِ (الوصلِ) من يغو — ر «في نوره» بدرُ السماء وجُنده[5].
وصيّر جسمي للصَّبابـــة (والتَّـلا — قي) يُتَيِّمُ قلبي إذ تمكّنَ وَجْدُه[6].
أُقطِّـعُ أنفاسي «عليـه كـ»آبـةً — ولِلّـهِ (مِنْ بـدرٍ) لِغيرِيَ سَعْدُه.

(وٱستخرجَ أبو يحيى بن عاصمٍ من قصيدتهِ هذه الطويلة- وَهِيَ مِائَةٌ وعِشرون بيتاً- قصيدةً أصغر منها، عَدَدَ أبياتٍ ووزناً، وهي سبعةَ عَشَرَ بيتاً من «مجزوء البحر البسيط: مستفعلن فاعلن فعولن»). من الكلمات المحصورة بين أهِلّة كبار ( ):

تناثَرَ الدَّمـــــعُ من جُفوني — كالـــدُّر من سِلكـــهِ الثمـــينِ.
مُـــذْ أعوزَ 'الوصِـــلُ والتّلاقي — من بـــدر حُسْنٍ بـــلا قرينِ[7].
عَلِقـــتُ في الحُـــبِّ ظَبْيَ أُنْسٍ — جمالُـــــه مرتـــعُ العيونِ.

---

(١) الوجد: شدّة الحبّ وشدّة الحزن. السهد: امتناع النوم.

(٢) حكى: شابه (الدمع). وإلّا لِيَمٌّ- يمّ: بحر. المدّ: ارتفاع الموج وكثرة الماء.

(٣) ذخرت=آدّخرت: خبأت. القدر (القيمة). والقدر (في الأصل) منصوبة، وحقّها الجرّ على الإضافة: الثمين القدر. النكال: شدّة العذاب. أُعدّه؛ أحتفظ (بدمعي) مهيّأ (خوف عذابه الشديد المقبل- حينما يعلن المحبوب أنه قطعني بتّة؟).

(٤) أعوز الشيء فلاناً= آحتاج فلان إلى ذلك الشيء. أعوزني قربه: أصبحت محتاجاً إلى أن يكون قريباً منّي. أو عزّ قربه: آبتعد عنّي. السنا: الضوء.

(٥) أيُلحِق باللُّقيا: أيُلحِقني بلُقياه (أيُنعِم عليّ بالوصل أو القرب) من (ذلك المحبوب: محبوبي أنا) الذي يغور في نوره (يختفي في كثرة نوره) بدر السماء وجنده (أيِ النجوم أيضاً): نور حبيبي (جماله) أعظم من نور بدر السماء ومن نور النجوم كلّها مجتمعةً.

(٦) الصبابة: الشوق، حرارة الشوق (شدّته). تيّم: أمرض، ذلّل، أذهب عقل (المحبّ). الوجد: شدّة الحبّ أو شدّة الحزن.

(٧) القرين (هنا): المثيل، الشبيه.

تناثرُ الدمـــــعُ كالـــــدرّ   مــذ أعوز الوصــلُ من بــدرِ
عَلِقْـــــتُ في الحُــــبّ   جَهالــــــــــه..........

(ثمّ عاد فٱستخرج منها - من الكَلِمات المحصورة بين أهِلّةٍ صِغارٍ - قصيدةً جديدة):

ما كُنتُ لو أنصفَ بعدَ المِطالِ   أصْلَى لَظَى الوَجدِ الأليمِ النَّكالِ[1].

(ثمّ عاد أيضاً فٱستخرج منها مُوَشَّحَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ).

ويحسُنُ بمن يُريدُ تفصيلَ ذلك كُلّه أنْ يعودَ إلى «أزهار الرياض» (١: ١٤٥ - ١٥٨).

٢ - مختارات من آثاره

- قال أبو يحيى بنُ عاصمٍ في «جنّة الرضا» (راجع أزهار الرياض ١: ١٥٨ وما بعد):

الحمدُ للهِ الذي عوّضَ مِنَ الخِلاف وِفاقاً، وأعقبَ مِنَ ٱلافتراق ٱجتماعاً وٱتّفاقاً، وهيّأ لِأسواقِ ٱلائتلافِ برَفع الخِلاف نَفاقاً[2]، ويسَّرَ لِوَطن الجِهاد من توثيرِ المِهاد أرفاقاً[3]، وزيّن بأنجُمِ السُّعود من النّصر الموعودِ آفاقاً، وعَقَدَ على جَمْعِ الكَلِمَةِ من الأُمّة المُسْلِمةِ إجْماعاً وإصفاقاً[4]. نَحْمَدُه سُبحانَه - وَهُوَ المحمودُ بجميعِ اللُّغات، ونشكُرُه على ما سنّى[5] من آمالٍ على وَفْقِ الأُمْنيَةِ مُبَلَّغاتٍ؛ ونُثني عليهِ بما أسْدى من عوارِفَ مُخَوَّلاتٍ ومَواهِبَ مُسَوَّغاتٍ[6]، حَمْداً نَسْتَكْثِرُ مِنْ دُرَرِهِ النّفيسةِ إنفاقاً،

---

(١) انظر، فوق، ص ٦٤٣.
(٢) النَّفاق: الرواج (القبول عند الذين كانوا مختلفين).
(٣) وطن الجهاد: الأندلس - (لكثرة الحروب في سبيل الدفاع عن النفس). توثير المهاد (جعل البقاء في الأندلس ممكناً وسهلاً). المهاد الوثير: الفراش الليّن الناعم. إرفاق (في الأصل) بفتح الهمزة. لعلّها «إرفاق» (بكسر الهمزة): رفقة نافعة معينة على الخير.
(٤) الإصفاق (الإجماع على أمر ما).
(٥) سنّى = سانى فلان فلاناً: لاينه وأحسن معاشرته. والمقصود هنا (أكثر، جعل الشيء كثيراً).
(٦) أسدى فلان إلى فلان معروفاً: أولاه إيّاه، أعطاه. العوارف جمع عارفة: الإحسان. مخوّلات: معطاة، ممنوحة. مسوّغات: ممكنة، مباحة، معطاة.

وأمانتِهِ العظيمة فلا نأبى من حَمْلِها إشفاقاً[١]. ونشهَدُ أنّه لا إلَهَ إلّا هُوَ الواحدُ الأحدُ، الفَرْدُ الصّمَدُ الّذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكُنْ له كُفُوًا[٢] أحَدٌ: شهادةٌ نرفَعُ لِواءَها المُرَنّحَ العَذَباتِ خفّاقاً[٣]، فلا لاقى لِمقاصدِ السعادة إخفاقاً[٤]. ونشهَدُ أنّ سيِّدَنا ومَوْلانا مُحمّداً صلّى اللهُ عليه وسلّمَ عبدُه ورسولُه ونبيُّه المُصطفى وخَليلُه: نَبِيُّ الرحمةِ ونورُ الظُّلمةِ وشفيعُ الأُمّةِ والمبعوثُ بالكتاب[٥] والحِكمة والمجموعُ له بين مَزِيّة السَّبْق ومزيةِ التَّتِمّة[٦]: شهادةً تَسْتحفِظُ بِقاعَ الأرض أرفاقاً[٧] فلا تخشى معَها القلوبُ - وقد حَصَلَ منها الغَرَضُ المطلوبُ - شكًّا ولا نِفاقاً.....

أما بعدُ..... فإنّ لأحوالِ الوقتِ الداهيةِ[٨] ﴿لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ له قلبٌ أو ألْقى السَّمْعَ وَهُوَ شهيدٌ﴾[٩]، وعِبْرَةً. لِمَنْ تفهّمَ قولَه تعالى: ﴿إنّ اللهَ يفعلُ ما يشاءُ، وإنّ اللهُ يحكُمُ ما يُريدُ﴾[١٠].

فبَيْنا الدُّسوتُ عامرةٌ[١١] والوُلاةُ آمرةٌ والفِئةُ مجموعةٌ والدَّعوةُ مسموعة والإمْرة مُطاعة والأجوبةِ سَمْعاً وطاعة، إذا بالنّعمة قد كُفِرَتْ والذِّمّةِ قد خُفِرَت[١٢]!...

---

(١) الأمانة العظيمة: التبعة (الواجبات التي يسأل الإنسان عن أدائها والقيام بها والمحافظة عليها، كالعبادات وتولّي الإدارة في الدولة والإصلاح في المجتمع، إلخ). الإشفاق: الخوف.

(٢) الأحد (الوحيد) الفرد (الذي لا شخص آخر يشبهه). الكفؤ: العديل، المُساوي.

(٣) المرنّح (هنا): المتمايل (اعتزازاً وفخراً). العذبة (بفتح ففتح): زيادة تتدلّى من جانب العِمامة.

(٤) الإخفاق: الخيبة.

(٥) الكتاب: الكتاب المنزل (الشريعة). الحكمة (هنا): الأحكام الدينية.

(٦) محمّد رسول الله كان الأوّل والأسبق (الأعظم) في الأنبياء والمتمّم (الخاتم، الأخير) في الأنبياء (لا نبيّ بعده).

(٧) إرفاقاً (في الأصل: بفتح الهمزة)؟.

(٨) الداهية: الآتية بالمصائب. (هجمات نصارى الأندلس على بلاد المسلمين).

(٩) ﴿إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾. (راجع القرآن الكريم ٥٠ سورة ق: ٣٧). ذكرى: عظة، تذكير. قلب: عقل، تفكير في الأمور. ألقى السمع: استمع إلى الوعظ، كان مستعداً لفهم ما يسمع. شهيد = شاهد لما يجري (حاضر العقل في تقلّب الأحداث).

(١٠) ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ (٢٢ الحجّ: ١٨)؛ ﴿إنّ الله يحكم ما يريد﴾ (٥ المائدة: ٢). يحكم ما يريد من التحليل والتحريم (يفعل الأمور بإرادته).

(١١) الدست: صدر المجلس، المنصب العالي في الدولة، كرسّي الحكم. الدسوت عامرة (الملوك كثيرون).

(١٢) كفر فلان الشّيء: غطّاه، ستره. كفر فلان النعمة (أنكر فضل الله عليه). الذمّة (العهد) خفرت: نقضت.

والسعيدُ مَنِ اتّعظَ بغيرِه، ولا يزيدُ المُؤمنَ عُمُرُهُ إلاّ خيراً[١]. جَعَلَنا اللهُ مِمّنْ قضى (اللهُ) بخَيره.

وبَيْنا الفُرقةُ حاصلةٌ والقطيعةُ فاصلةٌ والمَضَرّةُ واصلةٌ، والحبْلُ في انبتاتٍ[٢] والوطنُ في شَتاتٍ والخِلافُ يمنعُ رَعْيَ مَتاتٍ[٣] والقلوب شتّى من قوم أشتاتٍ، والطاغيةُ يتمطّى لِقَصْمِ الوطن وقَضْمه[٤].... ويتوقّع الحسرةَ إنْ يأذَنِ اللهُ بجَمْعِ شَمْلهِ ونَظْمِهِ[٥] على رُغْمِ الشّيطانِ ورُغمه[٦]، إذا بالقُلوبِ قدِ ائتَلَفَتْ، و(النفوس) المُتنافرةِ قدِ اجتمعتْ بعدَما اختلفتْ، والأفئِدَةِ بالأُلفة قدِ اقْتَرَبت إلى اللهِ وازدلفتْ[٧]. و(الأيدي) المُتَضرّعة إلى الله قدِ ابْتَهَلَتْ[٨] في إصلاح الحالة التي سَلَفَتْ، فألْقَتِ الحربُ أوْزارَها[٩] وأَدْنَتِ الفِرقةُ النافرةُ مَزارَها[١٠] وجلَتِ الأُلفةُ الدينيّةُ أنوارَها[١١] وأوْضحَتِ العِصمةُ الشرعيّةُ آثارَها[١٢] ورفعتِ الوحشةُ الناشبةُ أظفارُها أعذارَها[١٣]، وأرْضَتِ الخِلافة الفُلانيّة[١٤] أنصارها وغضّتِ الفِئَةُ المُتَعرّضة أبصارَها[١٥] وأصلَحَ اللهُ

(١) كلّما تقدّم المسلم في العمر. زادت تقواه وأصبح أكثر ميلاً لعمل الخير.

(٢) انبتات: انقطاع، تقطّع.

(٣) المتات: ما يمتّ (يصل، يتّصل) به إنسان لآخر، القرابة.

(٤) الطاغية: لقب ملك الإسبان. يتمطّى: يحرّك ظهره (يستعدّ). لقصم (كسر). القضم (أكل الشيء من أطرافه - احتلال بلدان الأندلس).

(٥) يتوقّع الحسرة... إلخ: هو (ملك الإسبان) واثق من أنّه سيحزن حينما يسهّل الله جمع شمل أهل الأندلس (اتّفاقهم) ونظمه (واستتباب أمره).

(٦) الرغم: الإذلال، القهر (وجريان الأمور على خلاف ما يريد الخصم). ورغمه (رغم ملك الإسبان).

(٧) ازدلف: دنا، اقترب، تقدّم.

(٨) ابتهل: تضرّع (بالغ في الدعاء إلى الله مستعيناً به).

(٩) سلف: مضى. ألقت الحرب أوزارها (أحمالها): انتهت.

(١٠) الفرقة: الفئة المنشقّة من الجماعة. النافرة: الغاضبة، المبتعدة. أدنت (قرّبت) مزارها: مالت إلى الوفاق.

(١١) جلت (بفتح ففتح) وجلّت (بفتح فلام مشدّدة مفتوحة): أظهرت، كشفت.

(١٢) العصمة الشرعية (حصانة المسلمين من أن يختلفوا فيما بينهم). أوضحت آثارها: ظهرت نتائجها.

(١٣) الناشبة أظفارها (في المسلمين: باختلاف فيما بينهم) أعذارها: لم يبق، بعد ذلك، للمسلمين عذر في أن يختلفوا.

(١٤) الخلافة الفلانية (؟). أرضت أنصارها (بمنحهم شيئاً من المغانم ؟). (٩) وغضّت (خفضت) الفئة المتعرّضة (للنزاع على الحكم؟) أبصارها (تنازلت عن مطالبها وتساهلت في موقفها).

أسرارَها (١). فتجمّعتِ الأوطانُ بالطاعةِ وٱلْتزَمَتْ نصيحةَ الدينِ بأقصى الآستطاعةِ وتسابقتْ إلى لُزومِ السُّنّةِ والجَماعةِ وألْقتْ إلى الإمامةِ الفلانيّة يدَ التسليمِ والضَّراعة (٢)...........

– ومن نَظْمِ أبي يحيى بنِ عاصمٍ قولُه مُخاطباً شيخَه قاضِيَ الجماعةِ أبا قاسمِ بنَ سِراجٍ ، وقد طَلَبَ ٱلاجْتماعَ به (في) زَمَنِ فِتنةٍ (٣). فظنّ أبو يحيى بنُ عاصمٍ (أنّ آبنَ سِراجٍ يُريدُ أنْ) يَسْتخْبِرَه عن سرٍّ من أسرارِ السُّلطانِ فأعدّه (؟) مُعْتَذِراً، و (لكن) لم يصدُقْ ظنُّ أبي يحيى. ومعَ ذلك فقد قالَ أبو يحيى يُخاطبُ شيخَه (– نفح الطيب ٦ : ١٥٠):

فَدَيْتُك، لا تسألْ عنِ السِّرِّ كاتِباً، فتَلْقاهُ في حالٍ من الرُّشْدِ عاطِلِ (٤)،
وتَضْطَرَّه إمّا لِحالةِ خائنٍ أمانَتَه أو خائضٍ في الأباطل.
فلا فَرْقَ عِنْدي بَيْن قاضٍ وكاتبٍ: وَشَى ذا بِسِرٍّ أو قضى ذا بباطِلِ.

– كتب أبو يحيى ابن عاصمٍ يُخاطبُ الكاتبَ أبا القاسمِ بنَ طركاطَ (٥):

القضاءُ – حَفِظَ اللهُ تعالى كَمالَك وانْجحَ آمالَك – إذا لم يَحُطْهُ العدلُ من كلا جانبَيْهِ، سبيلٌ مُعْوَجٌّ ومذهبٌ لا يوافق عليه مُناظرٌ ولا ينصُرُهُ مُحْتَجّ. كما أنّه، إذا حاطَهُ العدلُ، جادّةٌ للنجاة وسببٌ في حصولِ رحمةِ الله المُرْتجاةِ وسوقٌ لِنَفاقِ بِضاعةِ العبدِ المُزجاةِ (٦). وأجملُ العدلِ ما تحلّى به في نفسِهِ الحَكَمُ وجرى على مُقتضى ما شَهِدَتْ به الآراءُ المَشهورةُ والحِكَمُ، حتّى يكونَ عن البَغْيِ رادعاً وبالقِسْطِ صادعاً

---

(١) أصلح الله أسرارها (قلوبها).

(٢) الإمامة الفلانية (؟). ألقت يد التسليم (قبلت بالحكم القائم) والضراعة (الخضوع).

(٣) زمن يقتتل فيه المسلمون.

(٤) عاطل من الرشد: قاصر عن التفكير وعن إدراك حقائق الأمور.

(٥) يبدو أن طركاط هذا كان في أوّل أمره حاجباً في المحكمة (مباشراً ينادي على المتداعين وعلى الشهود ليدخلوا إلى المحكمة بأدوارهم. ويبدو أنّه كان دقيقاً شديداً مخلصاً في عمله. ثمّ إنّه تولّى القضاء فجرت منه هفوات في آداب القضاء. فكتب إليه أبو يحيى بن عاصم هذه الرسالة وطواها على شيء من التوبيخ وشيء من النصح.

(٦) المزجاة: الرديئة (إذا كان القاضي عادلاً في نفسه نجح ولو كان علمه بالقضاء قليلاً).

ولأنْفِ الأنَفَةِ من الإذعانِ للحقّ جادعاً(١). وأنت- أجلّكَ الله تعالى- على سَعَةِ عِلمك وشِدّة ساعدِ قِيامك بالطريقة واضْطلاعِك مِمّنْ لا يُنَبَّهُ على ما ينبغي ولا يَرُدُّ على طِلْبَتِه من الإنصافِ المُبتغي. فَلَكَ في الطريقة القاضويّةِ التبريزُ. وأنتَ- إذا كان غيرُك الشَّبَهَ- الذهبُ الإبريزُ(٢) ولعمليّة عَدْلِكَ التوشيةُ بالنزاهةِ والتطريز..... وأنتَ- حَفِظَكَ الله تعالى- قد قُمْتَ مِنْ غِلَظِ الحِجاب بالمَقام المعصوم ومَثّلتَ من سَعَةِ المَنْزِلِ في الفضل والطَّوْلِ كالشهرِ المَصوم(٣)، والبابُ قد سُدّ وداعي الشفاعة قد رُدّ والميقات لِلأذْن قد حُدّ ومطلبُ الأُجرة المُتعارَفَةِ قد بلغ الأشدّ(٤). حتّى إذا قُضِيَ الواجبُ وأذِنَ في دُخول الخصمين الحاجبُ، وكَبَحَ السابقين إلى الحدِّ الذي لا يَعْدونَه وحَفَزَ إيماؤه مَنْ تَعدّاه أو وَقَفَ دونه(٥)، وقد حَصَلَ باللَّحْظِ واللفظِ التساوي وأنتج المطالبُ الأربعة هذا اللازم المُساوي(٦)..... وهذه- أعانَك الله تعالى- مُكَمِّلاتٌ من العدل في الحُكْم..... فهلّا راجعت فيها النظرَ وأنْجزْتَ لها الوعدَ المُنْتَظر وكَفَفْتَ من دُموعها عيوناً مُسْتَهِلّة .... وقد أدرجتُ لك في طَيّ هذا ما يَصِلُ إلى يَدِكَ وتلهَجُ به(٧) في يومِك وغَدِك، مُنْتَظِرةً منك إطفاء الجَوَى بالجوابِ ومَحْوَ ما سَبَقَ من الخطأ بالخِطاب(٨).... في أوائلِ ذي الحِجّةِ عامَ خمسةٍ وأربعينَ وثمانِمائةٍ(٩).

٤- ★★ نيل الابتهاج ٣١٣؛ نفح الطيب ٦: ١٤٦- ١٦٢؛ أزهار الرياض ١: ٥٠- ٦٠، ١٤٥- ١٨٧: ٣: ٣١٠- ٣١٢، ٣٢٠- ٣٢٣؛ شجرة النور الزكية ٢٤٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٧٧ (٤٨)؛ معجم المؤلفين ١١: ٢٩٣.

---

(١) القسط: العدل. صدع بالأمر: أعلنه وجهر به. الأنفة: التكبّر، التفرد، التنزه، الإذعان: الخضوع للحق. جدع: قطع. قطع أنف الأنفة: حمل نفسه على الرضا بالأمور.

(٢) الشبه: النحاس الأصفر. الإبريز: الخالص، الصافي.

(٣) غلظ الحجاب: شِدّة الفاصل بينك وبين العامة. المقام المعصوم: الذي لا يجرؤ أحد على الاقتراب منه. الطَّوْل: القدرة، الغنى. الشهر المصوم: رمضان.....

(٤) مطلب الأجرة قد بلغ الأشُدّ (بضمّ الشين النضج) نسبة عالية- يبدو أن الموثّقين كانوا يتقاضون (بفتح الضاد) أجراً على عملهم (المُوثّق: الكاتب بالعدل أو كاتب العدل).

(٥) يَعْدونه: يتجاوزونه. حفز: حثّ، دفع. الإيماء: الإشارة الخفيفة.

(٦) وأنتج..... (؟).

(٧) لهج (بكسر الهاء) بالأمر: ولع به، ثابر على فعله.

(٨) الجوى شدّة المرض النفسي (من الحبّ).. الاستعارتان هنا غامضتان.

(٩) أواسط نيسان- أبريل ١٤٤٢ م.

إبراهيم التازيّ

١ - هو الشيخُ أبو إسحاقَ أبو سالمٍ إبراهيمُ بنُ محمّدِ بنِ عليٍّ التازيُّ - من بني لنت، وهي قبيلة من بربر تازة (نيل الابتهاج ٥٥، السطر السادس) - سكن وَهْرانَ (في القُطر الجزائريِّ اليومَ. وقيل شُهِرَ بالتازيِّ لأنّه وُلِدَ في تازة[١].

قرأ إبراهيمُ التازيّ على أبي زكريا يحيى الوازعِي، وأخذ في تونس عن عبدِ العزيز العبدوسيِّ، كما أخذَ في تِلِمْسانَ عن مُحمّدِ بنِ مرزوقٍ الحفيدِ؟ (ت ٨٤٢ هـ).

رَحَلَ إبراهيمُ التازيُّ إلى المشرق وحَجّ ولَبِسَ الخِرقةَ (أصبحَ ذا مكانةٍ عاليةٍ في التصوّف) على يدِ شَرَفِ الدين الداعي. ثمّ عادَ إلى المَغْرِب ولَبِسَها مُجَدَّداً على يدِ الشيخِ صالحِ بنِ محمّدٍ الزَّواويِّ، بِسَنَدِه (أي بلُبْسِهِ الخِرقة على يدِ) أبي مَدْيَنَ شُعَيبٍ (ت ٥٩٤ هـ)[٢].

٢ - كان إبراهيمُ التازيُّ مُقَدّماً في علومِ القُرآنِ وعلومِ اللغة حافظاً للحديثِ بصيراً بأُصول الدين وأصولِ الفِقْهِ ومُتصوّفاً مشهوراً. له بديعياتٌ (قصائدُ في مدحِ الرسول) وقصائدُ تنطوي على معانٍ صوفيةٍ على بعضِها أثرُ عُمَرَ بنِ الفارض. وله تآليفُ في الفِقه وأُصولِ الدين وعِلمِ الحديث.

٣ - مختارات من آثاره

- قال إبراهيمُ التازيُّ (نيل الابتهاج ٥٦):

أبعـــدَ الأربعـــينَ ترومُ هَزْلاً؟ ... وهـل بعـد العَشِيَّةِ من عَرارٍ[٣]!

---

(١) وهران: ثغر في القطر الجزائري. تازة: بلد قرب فاس في المغرب (تاج العروس - الكويت ١٥ : ٤٨).

(٢) لا يتّسق، في التاريخ، أن يكون إبراهيم التازيّ (ت نحو ٨٦٦ هـ) قد أخذ التصوّف عن صالح بن محمّد الزواويّ، إذا كان هذا قد أخذ عن أبي مدين (ت ٥٩٤ هـ)، إلّا أن يكون بين التازي والزواوي نفر من الشيوخ (إذ بين موت التازي وموت أبي مدين مائتان واثنتان وسبعون سنة).

(٣) رام: قصد، أراد. العَرار: نبت له زهر طيّب الرائحة. في البيت تضمين من بيت قديم:

تمتّـــع من شمـــيم عرار نجـــد ... فما بعـــــد العشيّـــــة من عرار.

إبراهيم التازي يقصد: وهل بعد العشيّة (التقدّم في السنّ وراء الأربعين) عرار (مجال، أو قدرة على) الهزل وملاذّ الحياة!

وَعَدِّ عن الرَّبابِ وعن سُعادٍ — وزَيْنبَ والمعارِف★ والعقار[١]

فما الدنيا وزُخْرُفُها بشيءٍ. — وما أيّامُها إلّا عوارِ[٢].

فتُبْ وٱخْلَعْ عِذارَكَ في هوى مَنْ — لـه دارُ النعيمِ ودارُ نار[٣].

ولا موجودَ إلّا اللهُ حقًّا، — فدَعْ عنْك التعلُّقَ بالشفار[٤].

– وقال إبراهيم التازيُّ أيضاً[٥] (أزهار الرياض ٢ : ٣١٠):

ما حالُ مَنْ فارَقَ هذا الجمالْ — وذاقَ طَعْمَ الهَجْرِ بعدَ الوِصالْ،

والعقلُ منه ذاهبٌ، والحَشى — مُلْتَهِبٌ، والجِسْمُ يَحْكي الخَيالْ؟

أبيتُ أرْعى النَّجمَ في أُفْقِها، — ولَيْلُ أهلِ الحُبِّ رحبٌ طُوال[٦].

يا قبّحَ اللهُ النَّوى إنّها[٧] — قتْلٌ بلا سيفٍ وداءٌ عُضال[٨].

ويا رعى اللهُ زماناً مضى — بالأُنسِ في وارفِ تلك الظِّلال[٩]:

ظِلالِ تَيْماءَ التي تَيَّمَتْ — قَلْبي وخلّتْ مُهْجَتي في نَكال[١٠].

---

(١) الرباب وسعاد وزينب من أسماء النساء اللواتي يكنى بها عن المحبوبات في الدنيا. المعارف: الأصدقاء (؟)، العلوم الدنيوية (؟). العقار (بفتح العين): الأراضي والأبنية، (بضمّ العين): الخمر – عدّ (تجاوز، اترك) كلّ أمور الدنيا المادّية والمعنوية. ★ اقرأ: المعازف. المِعزَف من آلات الطرب، يشبه العود.

(٢) الزخرف: الذهب، والزينة. عوار جمع عارة وعارية (الشيء الذي تستعيره من غيرك) من الجذر «عور» (يقال: أعور الرجل: بدا فيه نقص أو خلل أو حاجة).

(٣) من له دار النعيم (الجنّة) ودار النار (جهنّم) هو الله.

(٤) المتصوفّة المتطرّفون لا يقولون: لا إلّه إلّا الله» لزعمهم أنّ هذه الصيغة تعني أنّ هنالك في العالم أشياء كثيرة منها الله. إنّهم يقولون: لا موجود إلّا الله: أي ليس في العالم كائن حقّ إلّا كائن واحد هو الله. كان محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ) يقول بذلك أيضاً. الشفار (الأشياء المادّيّة الموجودة في الدنيا؟).

(٥) مجرّدة من تخميس لبعض الأكابر – من الصوفيّين – (راجع أزهار الرياض ٢ : ٣٠٩).

(٦) رحب: متّسع. طوال (بالضمّ): طويل (القاموس المحيط: ٤ : ٩).

(٧) في الأصل «إنه». والصواب إنّها لأنّ «النوى» مؤنّثة.

(٨) العضال: المرض الذي لا يرجى شفاؤه.

(٩) الظل الوارف: المتّسع (المنتشر على بقعة واسعة).

(١٠) تيماء مكان قرب المدينة (في شبه جزيرة العرب). وهي هنا كناية عن العزّة الالّهية. تيّم: أمرض، ذلّل. المهجة: دم القلب (القلب). النكال: العذاب الشديد.

للهِ، مــــا أحسنَ خـــالاً لهـــا   تَقْبِيلُـه المحظورُ عـينُ الحَلال[١].

- صلاةٌ (دعاء) لإبراهيمَ التازيِّ، وتُعرَفُ بالصلاة التازيّة (النبوغ المغربي ٣٦٧ من الترقيم الأوّل): اللّهُمّ، صَلِّ صلاةً كاملةً وسلِّمْ سلاماً تامًّا على محمّدٍ نبيٍّ[٢] تنحلُّ به العُقَدُ وتنفرِجُ به الكُرَبُ[٣] وتُقضى به الحوائجُ[٤] وتُنال به الرغائبُ[٥] وحُسْنُ الخواتِمِ[٦]، ويُستَسْقى الغَمامُ بوَجْهِه[٧]، وعلى آلِهِ وصَحْبِه.

- وقال (ناظراً إلى عَددٍ من مَعاني ابنِ الفارض):

أبَتْ مُهْجَتي إلّا الوُلوعَ بمَنْ تَهْوى   فدَعْ عنكَ لَوْمي والنفوسَ وما تقوى[٨]،
هَوانُ الهَوى عِزٌّ، وَعَـذْبٌ أُجاجُه؛   وعَلْقَمُه أحلى من المَنّ والسَلوى[٩].

---

(١) الخال: نقطة سوداء على الخدّ (عادة). المحظور: الممنوع. - تقبيل وجه الأجنبية حرام. ولكن العزّة الإلّهية (وهي أجنبيّة، أي غير المحبّ، غير الإنسان) تقبيلها (عبادتها طاعتها) عين الحلال (حلال مطلق واجب على كلّ إنسان).

(٢) اقرأ: على محمّد، وهو نبيّ..... أو: على محمّد النبيّ الذي....

(٣) الكربة: الحزن الشديد والغمّ الثقيل.

(٤) الحوائج جمع حائجة: المأربة (بضمّ الراء)، أي الرغبة التي يضمرها الإنسان في نفسه. وربّما كانت «الحوائج» جمع «حاجة» على غير قياس (وقيل: هي مولّدة نشأت في العصر العبّاسي)، وقيل: استعمالها منكر (خطأ، غير مألوف). وصاحب التاج يراها صحيحة ويستشهد عليها من الشعر الجاهليّ ومن حديث رسول الله (راجع تاج العروس- الكويت ٥: ٤٩٦-٤٩٨).

(٥) الرغيبة: الأمر المرغوب فيه، العطاء الكثير.

(٦) يقال: كتب الله لنا حسن الخاتمة (الموت على الإيمان- الإسلام).

(٧) يستسقي الغمام (المطر) بوجهه: مبارك عالي المنزلة عند الله، يستجيب الله دعاءه ودعاء الذين يجعلونه وسيلتهم إلى الله.

(٨) الولوع: التعلّق، المحبّة الشديدة. بمن أهوى (أنا) أي بالله وحده. والنفوس (أي دع: اترك) النفوس (بعض النفوس) وما تقوى تلك النفوس عليه. - إذا كنت أنت لا تقوى (تقدر، تحتمل) أن تحب الله وحده فاترك أصحاب النفوس من الذين يقدرون على ذلك: أن يحبّوا الله (يتصوّفوا).

(٩) الهوان: الذلّ، أن يصبح الشيء محتقراً لا يخيف فيهجم عليه كلّ إنسان. الأجاج: الشديد الملوحة. المنّ: طلّ (الندى) يتجمّع على الأغصان ويجمد فيتحوّل مادّة حلوة تؤكل. السلوى: السّمّانى (بضمّ السين) طائر مرغوب في لحمه. والشاعر يظنّ أن السلوى مادّة حلوة كالمنّ (كما لا يزال عوامّ الناس يظنون).

وتعذيبُـه للصّـب عـينُ نَعيمِه. وسَعْيُ اللَواحي في السُّلوّ مِنْ العَدْوى[١] !
وليسَ بِحُرٍّ من تَعَبَّـدَه الهوى لِلَهْوِ الدُنا، فاخْتَرْ لنفسك ما تَهْوى[٢]
فما الحبُّ إلّا حبُّ ذي الطَّوْلِ والغِنـى وأملاكِهِ والأنبيا وأُولي التقوى[٣].

٤ - ★★ تعريف الخلف ٢: ٧ - ١٢؛ نيل الابتهاج ٥٤ - ٥٧؛ أزهار الرياض ٢: ٣٠٩ - ٣١٤؛ النبوغ المغربي ٣٦٧ (من الترقيم الأوّل)، ٨١٧ - ٨١٨؛ الطمّار ١٤٧ - ١٥٠.

ابن عبد المنعم الحميري

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المنعم بن عبد النور الحِمْيَريُّ الأندلسيُّ مِنْ أهلِ سَبْتَةَ لا نَعْرِفُ من تفاصيلِ حياتهِ شيئاً، ولَعلّ وفاتَه كانتْ بُعَيدَ سنةِ ٨٦٦ (١٤٦١ - ١٤٦٢ م).

٢ - كان ابنُ عبدِ المُنْعِمِ الحِمْيَرِيُّ عالماً بالبُلدانِ والسِّيَرِ[٤] والأخبار، وقدِ اشتهر بكتاب « الرَوْضِ المِعطار في خبَرِ الأقطار »[٥]. ونُسخة الكتابِ المعروفةُ اليومَ مُوجَزٌ صَنَعَهُ أحدُ أعْقابهِ في جُدَّةَ (بالحجاز) نحوَ سَنَةِ ٩٠٠ (١٤٩٤ - ١٤٩٥ م). وقد كان القَلْقَشَنْدِيُّ (ت ٨٢١ هـ) والمِقْريزيُّ (ت ٨٤٥ هـ) قدْ أخذا من النسخة الأصلية للرَوْض المِعطار والتي صَنَعَها ابنُ عبدِ المنعم الحِمْيريُّ نفسُه.

---

(١) اللواحي جمع لاحية: التي تلوم الآخرين. وسعي اللواحي (طلب العاذلات اللائمات منّي) السلوّ (نسيان محبوبي) من العدوى (من تقليدهم للآخرين الذين يلومونني بلا علم بحقيقة حبّي لله).

(٢) - الذي يحبّ إنساناً في هذه الدنيا (مفرد دنا) يكون عبداً لهواه هذا. فاختر لنفسك من تهوى (تحبّ): من يكون أهلاً للحبّ (وهو الله وحده).

(٣) الطول (بفتح الطاء): الفضل والغنى. ذو الطول والغنى هو الله. الأملاك: الملائكة.

(٤) السير (جمع سيرة): تراجم الأشخاص، والسير أيضاً: جماعات الناس. ثمّ هي الصلات بين الدول (السياسة الخارجية).

(٥) ذكر محمّد الفاسي (البحث العلمي ١: ٦٥ - ٦٩) ما يلي: « الروض المعطار في أخبار الأقطار لمحمّد بن محمّد الحميريّ المتوفّى سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م)، وهو غير الحميري صاحب كتاب يحمل تقريباً نفس هذا العنوان الذي نشر بالفرنسية ما يتعلّق منه بجزيرة الأندلس ليفي بروفنصال..... »

والفَصْلُ في أمرِ « الرَوْضِ المِعطار » ليسَ سهلاً. وفي « دائرةِ المعارف الإسلامية » (٣: ٦٧٥ - ٦٧٦) مُناقشةٌ مفصّلةٌ لتحقيق عُنوانِ الكِتاب وزَمَنه ونَسْخه. وقد قام ليفي بروفنصال بنشرِ مُختاراتٍ من « الروض المعطار » تتعلّقُ بالأندلس. وجاء في تاريخ الفكر الأندلسي » (ص ٣١١ - ٣١٢) هذا المقطعُ المفيد:

« ومَوادُّ هذا الجزءِ المنشورِ عن الأندلس مرتّبةٌ ترتيباً أبْجَدِيًّا. وهُوَ يَضُمّ مُعْظَمَ الأعلامِ الجُغرافية الهامّة التي يَرِدُ ذِكْرها في كتب الأندلسيين. وقد حَرَصَ الحِميْري على أن يُورِدَ ما ٱتّصل بعِلْمِهِ من أطرافِ التاريخ عن المَوْضع الذي يتكلّم عنه. وأكثرُ هذه المادّةِ التاريخيةِ يتعلّقُ بعصر المُوحّدين الذي سَقَطَتْ خِلالَه مُعْظَمُ حواضرِ الأندلسِ الكبيرةِ في أيدي النصارى. والحِميْريُّ يُعْنى بتفصيل ذلك على نحوٍ فريدٍ وفي أسلوبٍ عربيٍّ رصينٍ ممّا يجعَلُ لهذا الكتابِ أهميةً كبيرةً للمُؤرِّخ والجُغرافي على السَّواء ».

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة كتاب « الروض المعطار »:

.... وبعدُ فإني قصدْتُ في هذا المجموع ذكرَ المواضعِ المشهودة عند الناس من العربية والعجمية[١]، والأصقاعِ التي تعلّقتْ بها قصةٌ أو كان في ذِكرِها فائدةٌ، أو كلامٌ فيه حِكمة أو خبرٌ لها ظريفٌ أو معنًى يُسْتَمْلَحُ أو يُستغرب ويحسُنُ إيراده. أما ما كان غريباً عند الناس- ولم يتعلّقْ بذكره فائدة، ولا له خبرٌ يحسُنُ إيراده- فلا أُلِمُّ[٢] بذكره ولا أتعرّضُ له غالباً ٱستغناءً عنه وٱستثقالاً لذكره. ولو ذهبتُ إلى إيراد المواضِعِ والبقاعِ على الآستقصاءِ لَطالَ الكتابُ وقلّ إمتاعُه[٣]. فٱقتصرتُ لذلك على المشهورِ من البِقاع وما في ذكره فائدةٌ ونكتفي عمّا سوى ذلك (!).

ورتّبتُه على حروف المُعْجَم لِما في ذلك من الإحماض[٤] (!) المرغوب فيه ولِمَا فيه

---

(١) من اللغة العربية واللغة الأعجمية (الأجنبية: الإسبانية).

(٢) لا ألمّ بذكره: لا أذكره. ألمّ بالشيء: مرّ به مرًّا خفيفاً.

(٣) الآستقصاء: الآستنفاد (محاولة ذكر كلّ شيء يتعلقّ بموضوع ما). الإمتاع: السرّور.

(٤) الإحماض (في الأصل): أن تأكل الإبل نبتاً حامضاً (بعد أن تكون قد ٱمتلأت بطونها من العشب العاديّ). والإحماض أيضاً: تناول المتحدّثين بعض أحاديث الهزل. والمقصود هنا: التنقّل بين أشياءَ متباعدة (فلا تملّ النفس من مطالعة موضوعات متقاربة المعاني).

من سُرعة هجوم الطالبِ على اسم الموضع الخاصّ من غير تكلُّفِ عَناءٍ[١] ولا تجشُّمِ تعبٍ[٢]. فقد صار هذا الكتاب محتوياً على فنّيْنِ مختلفَيْنِ: أحدُهما ذكرُ الأقطار والجِهات وما اشتملتْ عليه من النُّعوت والصِّفات؛ وثانيهما الأخبار والوقائع والمعاني المختلفة بها الصادرة عن مجتليها[٣]. واختلستُ (في) ذلك ساعاتِ زماني وجعلتُه فُكاهةَ نفسي. وأنْصبتُ فيه فِكري وبدني ورُضْتُه[٤] حتى انقاد للعمل وجاء حَسْبَ الأصل فأصبح طارداً للهموم مُلقياً للغُموم وشاهداً بقُدرة القيّوم[٥] مُغنياً عن مُؤانسة الصَحْبِ مُنَبِّهاً على حكمة الربّ باعثاً على الاَعتبار مُستحضراً لخصائص الأقطار، مُشيراً لآثار الأُمم وأحداثها مشيراً[٦] إلى وقائع الأخبار وأنبائها.....

وجعلتُ الإيجازَ في هذا الكتابِ قصدِيَ وحَرَصتُ على الاَختصار جُهديَ حتى جاءَ نسيجَ وحدِهِ مَليحاً في فنّه، غريباً في معناه مُبهجاً للنفوس المتشوّقة ومُذهباً للأفكار المحرقة[٧]، مُؤنساً لِمَنِ استولى عليه الاَنفرادُ ورَغِبَ عن مُعاشرة الناسِ. ومَعَ هذا فقد لُمْتُ نفسي على التَّشاغُل بهذا الوضعِ الصادِّ[٨] عن الاَشتغال بما لا يُغني عن أمر الآخرة والمُهِمِّ عن العلم المُزْلِفِ[٩] عند الله تعالى. وقلتُ: هذا شأنُ البطّالين وشُغل مَنْ لا يَهُمّه وقتُه. ثم رأيتُ ذلك من قَبيلِ ما فيه ترويحٌ لهذه النفوس ومن حُسنِ تعليلها بالمُباح لمن ينشَطُ إلى ما هِيَ به أعنى[١٠]. ثم هو مَهْيَعٌ[١١] يَسْلُكه الناسُ، واعتنى به طائفةٌ من العلماء وقيّده جماعةٌ من أهل التحصيل، فلا حَرَجَ[١٢] من الاقتداء بهم.....

---

(١) العناء التعب. تكلّف عناء: بذل جُهداً (بالضمّ).

(٢) تجشّم الأمر: تكلّفه (حاول القيام به). تجشّمُ تعبٍ: مُعاناة مشقّة وعُسر.

(٣) مجتلب الشيء: الذي يأتي بالشيء من مصدره.

(٤) راض فلان الأمر: مارسه وذلّله.

(٥) القيّوم (من أسماء الله الحسنى).

(٦) «مشيراً» وردت مرّتين. لعلّ الأولى «مثيراً» (بالثاء: كاشفاً).مشيراً (الثانية): دالاّ.

(٧) المحرقة (؟)، لعلها: المُحرَّفة.

(٨) الصادّ: الرادّ، الرادع، المانع.

(٩) والمهمّ (الضروري؟). المزلف: المقرّب.

(١٠) أعنى: أكثر عناية (اهتماماً واشتغالاً) بالشيء.

(١١) المهيع: الطريق الواضح.

(١٢) لا حرج: لا ضيق، لا ضرر.

- الاستعداد لمعركة الزلّاقة[١].

قال عبد المنعم الحميري في «الروض المعطار» (نفح الطيب ٤ : ٣٦٢):

فلمّا عَبرَ يوسفُ وجميعُ جيوشِهِ إلى الجزيرة الخضراء انزعج[٢] إلى أشبيلية على أحسنِ الهَيْئات: جيشاً بعدَ جيشٍ، وأميراً بعد أميرٍ، وقبيلاً بعد قبيل[٣]. وبَعَثَ المُعتمدُ ابنَه إلى لِقاءِ يوسفَ، وأمر عُمّالَ البلادِ بجَلْبِ الأقواتِ والضِّيافات. ورأى يوسفُ من ذلك ما سرّه ونَشّطَه. وتواردتِ الجيوشُ مَعَ أُمرائِها على إشْبِيلِيَةَ. وخَرَجَ المُعتمدُ إلى لِقاء يوسفَ من إشبيلية في مِائَةِ فارسٍ ووُجوهِ أصحابِه. فلمّا أتى مَحَلَّةَ يوسفَ رَكَضَ نحوَ القومِ، وركضوا نحوَهُ. فبرزَ إليه يوسفُ وحدَه، والْتَقَيَا مُنْفَرِدَيْنِ وتصافَحا وتعانقا، وأظْهَرَ كلٌّ منهما لِصاحبِهِ المَودّةَ والخُلوص[٤]، وشَكَرا نِعَمَ اللهِ تعالى وتواصَيَا بالصَّبْرِ والرحمة وبَشّرا أنْفُسَهما بما اسْتَقْبلاه من غَزْوِ أهلِ الكُفْرِ، وتضرّعا إلى الله تعالى في أن يجعَلَ ذلك خالِصاً لوجهِهِ مُقَرِّباً إليه، وافترقا.....

وكان الأذفونش[٥] لمّا تحقّقَ الحَرَكةَ والحَرْب اسْتَنفَرَ جميعَ أهلِ بِلادِه وما يَلِيها وما وراءها. ورَفَعَ القِسّيسونَ والرُّهبانُ والأساقِفَةُ صُلْبانَهُمْ ونَشَروا أناجيلَهُم. فاجتمعَ إليه من الجَلالِقَةِ والإفْرنجة[٦] ما لا يُحصى، وجواسيسُ كلِّ فريقٍ تتردّدُ بينَ الجميع. وبَعَثَ الأذفونشُ إلى ابنِ عبّادٍ أنّ صاحِبَكُمْ يوسفَ قد تَعَنّى[٧] من بِلادهِ وخاض البُحورَ، وأنا أكْفِيكَ العَناءَ فيما بَقِيَ ولا أُكَلِّفُكُمْ تَعَباً: أمْضي وألْقاكم في بِلادِكم رِفْقاً بِكُمْ وتَوْفيراً عليكم[٩].

---

(١) راجع، فوق، ٥ : ٣٣.

(٢) الجزيرة الخضراء في جنوبي الأندلس. انزعج: انتقل.

(٣) القبيل: القوم تجمعهم قرابة. (كان كلّ جيش من الجيوش - أو كلّ قسم من الجيش الواحد - يتألّف من جنود ينتمون إلى قبيلة واحدة أو إلى قبائل متقاربة في النسب).

(٤) الخلوص: الصفاء.

(٥) الأذفونش لقب ملوك قشطالة. والأذفونش المقصود هنا هو الفونس (ألفونسو) السادس ملك ليونة (١٠٦٥ م) وقشطالة (منذ ١٠٧٢ م) وكانت هزيمته في معركة الزلّاقة سنة ١٠٨٦ م (٤٧٩ للهجرة).

(٦) الجلالقة أهل جلّيقية (الشمال الغربي من إسبانية. الإفرنجة (سكّان غالة: فرنسة اليوم).

(٧) تعنّي: تعب، تكلّف القيام بأمر فيه مشقّة. العناء: التعب.

(٨) في هذه الجمل تهكّم.

وقال (الأذفونش) لِخاصّتهِ وأهلِ مَشُورَتِه: إنّي رأيتُ أنّي إن مَكّنْتُهُمْ من الدُّخولِ إلى بِلادي فناجَزوني فيها وبينَ جُدُرِها - وربّما كانتِ الدائرةُ عليّ[1] - يَسْتَحْكمون البلادَ ويَحْصُدون مَنْ فيها غداة واحدة[2]. ولكن أجعَلْ يومَهم معي في حَوْزِ بِلادِهم[3]......

ثمّ برَزَ بالمُختارِ من جُنودِه وأنْجادِ جُموعه على باب دَرْبه[4]، وتَرَكَ بقيّةَ جموعه خَلْفَه، وقال - حينَ نَظرَ إلى ما اختارَه مِنْهُم - بهؤلاءِ أُقاتلُ الجنّ والإنْسَ وملائكةَ السماء. فالمُقَلِّلُ يقولُ: المُختارون أربعونَ ألفَ دارع[5]، ولِكُلٍّ واحدٍ أتباعٌ. وأمّا النصارى فَيَعْجَبون مِمّن يزعُمُ ذلك ويَرَوْنَ أنّهم أكثرُ من ذلك كلِّهِ. واتّفق الكُلّ (على) أنّ عددَ المُسلمينَ أقلُّ من الكَفَرة.......

٤ - صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب «الروض المعطار» - عني بنشرها إ. لافي بروفنصال - وقف على طبعه محمّد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م؛ بيروت (الشركة المتحدة للتوزيع) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

★★ نفح الطيب ٤: ٣٥٤ وما بعد، ٣٥٧ وما بعد، ٣٦٠، ٣٦٣ وما بعد، ٣٦٨ وما بعد، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٥ - ٦٧٦؛ بروكلمن ٢: ٥٠، الملحق ٢: ٣٨، ٣: ١٢٧٩؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٨١ (٥٣)؛ بالنثيا ٣١١ - ٣١٢.

الجزولي(★) السِّمْلاليّ

١ - هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ سليمانَ (أو ابن عبد الرحمن) بن أبي بكرٍ الجَزوليُّ

---

(١) ناجزوني: قاتلوني، حاربوني. الجدر (بضمّ فضمّ) جمع جدر (بالكسر): الحائط. كانت الدائرة عليّ: انهزمت، هلكت.

(٢) «استحكم» ليست هنا في مكانها (المقصود: تحكّم في البلاد: سيطر فيها). غداة واحدة = في غداة واحدة (في وقت قصير).

(٣) الحوز: قطعة من الأرض يحوزها (يملكها ويسوّرها) أهل مدينة فتكون خالصة لهم.

(٤) الأنجاد جمع نجد (بفتح فكسر أو بفتح فضمّ): الرجل الشجاع، والذي يمضي في ما لا يستطيعه غيره. الدرب (هنا): كل طريق يؤدّي إلى ظاهر (خارج) البلد.

(٥) الدارع: اللابس الدرع.

(★) الجزولي (بفتح الجيم أو بضمّها) نسبة إلى قبيلة جزولة (بجيم فارسية).

السِّمْلاليّ (من قبيلة سِمْلالةَ أحدِ فروع جَزولةَ) وهو من أهلِ (سِلسلة جبالِ) السوسِ الأقصى المَرّاكُشية (في جَنوبيّ المَغْرب).

وُلِدَ الجزوليُّ السّملاليّ سَنَةَ ٨٠٧ للهِجرة (١٤٠٤-١٤٠٥ م). ويبدو أنّه غادر مَوْطِنَهُ في مطلعِ حياتِه، بعدَ حادثةٍ محلّيّةٍ أقرّ فيها على نفسهِ بقتل مواطنٍ حتّى يُمْكِنَ الإصلاحُ بينَ أهلِ القتيل وأهلِ القاتل على عادةِ أهلِ البلد (راجع نيل الابتهاج ٣١٧ س). فخَرَجَ إلى طَنْجةَ. ثمّ رَجَعَ إلى فاس وتلقّى فيها شيئاً من العلم، ودوّن فيها «دَلائل الخَيْراتِ». وفيها أيضاً لَقِيَه الشيخُ زرّوق[1]. ثمّ إنّه عاد إلى الساحل (إلى طنجة؟) ولَقِيَ هناك «أوحدَ وقتهِ أبا عبدِ الله أمغارَ الصغيرَ» وأخذ عنه.

ويُقال إنّه رَحَلَ إلى المشرق، بعدَ تَطوُّفِه في المغرب، وقَضَى مُدّةً في الحِجاز. وبعدَ رُجوعه من المشرق- فيما قيل-دَخَلَ في الطريقة الشاذلية ثمّ آعتزل مُعْتَكِفاً وآنقطعَ في الخَلوةِ (في فاس) أربعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وكانتْ وفاةُ الجزوليِّ السِّملاليِّ- فيما قيلَ- مسموماً، في مكانٍ آسمُه آفغالُ (أو أفوغال)، في السادسَ عَشَرَ من ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٨٧٠ للهِجرة (١٤٦٤/٨/٩ م). وبعدَ سَبْعِ سَنَواتٍ نُقِلَتْ جُثّتُه إلى مدينة مَرّاكُش[2] في الأغلب.

٢- الجزوليُّ السِّمْلاليّ فقيهٌ صوفيّ مشهورٌ ومن ذوي المكانةِ الذين بَلَغوا في التصوّف مرتبةً عاليةً، جاء في «نيل الابتهاج» (ص٣١٧): «العالمُ العارفُ الوليُّ الصالحُ القُطْبُ... نُخبةُ الدهر ووَحيدُ العصر، مُحيي الطريقةِ (الصوفية) بالمغرب بعدَ دَرْسِها و (كاشف) شمس الحقيقة عند طَمْسها». وهو مصنّفٌ، له: دلائلُ الخَيْرات وشوارق الأنوار في ذكرِ الصلاةِ على النبيّ المختار - حِزْبُ الفلاح[3]- العُجالة في

---

(١) هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ أحمد بنِ محمّد بن عيسى البَرنسي الفاسيّ المعروف بزرّوق، فقيه ومحدّث وصوفي. ساح في المغرب ورحل إلى المشرق وزار مصر والحجاز. له مصنّفات في الفقه وفي التصوّف. كانتْ وفاتُه سنة ٨٩٩ (١٤٩٣-١٤٩٤م) في تكرين (من قرى مسراته) من أعمال طرابلس (ليبيا).

(٢) نقلت جثّته إلى مراكش بعد سبع سنوات من موته؛ وفي نيل الابتهاج بعد سبع وسبعين سنة، ووجدت سليمة لم تتغيّر!

(٣) «دلائل الخيرات» تعبير أطلق فيما بعد على مجموع معيّن من الأدعية تقال في عقب الصلوات أو في فترات من التهجّد والعبادة (ألّفه في فاس). الحزب في الأصل ربع جزء من القرآن الكريم (والقرآن =

القِراءات – رسالة.

٣- مختارات من آثاره

- من دلائل الخيرات للجَزوليِّ السِّمْلاليّ:

.... أفضلُ صَلَواتِ(★) اللهِ وأحسنُ صَلَواتِ الله وأجمل صلوات الله وأكملُ صلوات الله وأسبغ(١) صلوات الله وأتمّ صلوات الله وأظهَرُ صلوات الله وأعظم صلوات الله وأزكى(٢) صلوات الله وأطيبُ صلوات الله وأبرك صلوات الله وأوفى صلوات الله وأسنى(٣) صلوات الله وأعلى صلوات الله وأكثرُ صلوات الله وأجمع صلوات الله وأعمّ صلوات الله وأدْوَمُ صلوات الله وأبقى صلوات الله وأعزُّ صلوات الله وأرفع صلوات الله على أفضلِ خلقِ اللهِ وأحسن خلقِ اللهِ وأجلّ خلقِ اللهِ وأكرم خلق الله وأجملِ خلق الله وأكملِ خلق الله وأعظم خلق الله عندَ اللهِ: رسولِ اللهِ ونبيِّ الله وحبيبِ الله وصفيِّ الله ونَجيِّ(٥) الله وخليل الله ووَليّ الله وأمين الله وخِيرَةِ(٦) الله من خَلْقِ الله، ونُخْبةِ الله من

= الكريم ثلاثون جزءاً)، ويطلق على مقدار من القراءة والأدعية يأخذ المسلم نفسه بقراءته في أوقات معينّة.

(★) يحسن أن ندرك أن في هذا الدعاء أشياءَ. أولى هذه الأشياء أنّ الجزوليّ السملالي يريد أن يجمع في دعائه هذا كلّ أنواع المديح في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم – ورسول الله أهل لكلّ هذا المديح ولأكثر منه أيضاً. ثمّ إنّ الجزوليّ هذا لا يلقي بالاً كبيراً للصفات التي يضيفها إلى الأسماء: أفضل صلوات الله وأجمل.... وأحسن... وأعلى.... وأرفع صلوات الله، إلخ. الغاية الأساسيّة جمع هذه الصفات في سلك طويل من غير تفريق في خصائصها (ظلال معانيها). ثمّ هنالك شيء أدعى إلى الملاحظة (مع العلم بأن النصّ هنا مختارات)، هو أن ترتيب الصفات المضافة إلى الصلوات (أفضل صلوات الله وأحسن صلوات الله تجري على ترتيب واحد مع الصفات التي سيخلعها الجزوليّ السملالي على الرسول (على أفضل خلق الله وأحسن خلق الله، إلخ).

(١) أسبغ: أوسع وأكثر شمولاً.

(٣) أظهر: أبين، أوضح؛ أقوى. أزكى: أظهر.

(٣) أسنى: أعلى؛ أضوأ (أكثر ضوءاً أو نوراً). أوفى: أتمّ وأكمل.

(٤) أعزّ: أقوى؛ أندر؛ أحبّ.

(٥) الصفيّ: الذي تجعله صديقاً خالصاً لك دون سواه. والنجيّ: الذي تسارّه (تطلعه على أسرارك دون غيره).

(٦) الخليل: الصديق المخالل (الذي يعرف دخائل أمورك). الوليّ: الذي يتولّى أمورك ويكون كلّ اعتمادك في كلّ شيء عليه. خيرة الله (الذي اختاره الله).

بَرِيّة[١] الله، وصفوة الله من أنبياء الله، وعُرْوة[٢] الله وعِصْمة الله ونعمة الله ومِفتاح رحمة الله، المختار من رُسُلِ الله، المُنتخب من خلق الله، الفائز بالمَطْلب في المَرْهَب والمَرْغب، المُخلَص فيما وُهِب[٣]، أكرم مبعوثٍ، أصدق قائل، أنجح شافع، أفضل مُشَفَّعٍ، الأمينِ فيما آستُودِعَ، الصادق فيما بلّغ، الصادع بأمر ربّه، المُضْطَلع بما حُمّل[٤]، أقربِ رسلِ الله إلى الله وسيلةً وأعظمِهم غداً[٥] عند الله مَنزلةً وفضيلةً، وأكرمِ أنبياءِ الله الكرامِ الصَّفْوةِ على الله[٦]، وأحبِّهم إلى الله وأقربهم زُلْفى[٧] إلى الله، وأكرمِ الخلقِ على الله وأحْظاهم[٨] وأرْضاهم لدى اللهِ، وأعلى الناسِ قَدْراً وأعظمِهم مَحَلّاً وأكرمِهم محاسنَ وفضلًا، وأفضل الأنبياءِ دَرَجَةً وأكملهم شريعةً، وأشرفِ الأنبياء نصاباً وأبْيَنِهم خِطاباً[٩] وأفضلهم مَوْلداً ومُهاجَراً وعِترة[١٠] وأصحاباً، وأكرمِ الناس أُرومةً وأشرفهم جُرثومةً[١١]، وخَيْرِهِمْ نفساً وأطهرهم قَلْباً وأصدقهم قولاً وأزكاهم فِعلاً وأثبتهم أصْلاً[١٢] وأوفاهم عهداً وأمكنهم مَجْداً وأكرمهم طبعاً وأحسنِهم صُنْعاً وأطيبهم فَرْعاً[١٣] وأكثرهم سَمْعاً وطاعةً[١٤] وأعلاهُم مَقاماً وأحلاهم كلاماً وأزكاهُم

---

(١) البريّة: الخلق (بالفتح)، مجموع البشر.

(٢) العروة: ما يمسك به الإنسان (ليستعين به على الثبات في موقفه). العصمة: الحماية ما يلجأ إليه الإنسان (ليدفع عنه خطراً ما).

(٣) المرهب: الأشياء التي يرهب (يخاف) الإنسان منها. والمرغب: المراد (بالضمّ) أو ما يريد الإنسان أن يحصل عليه. المخلص فيما وهب (أعطي): الذي خصّه الله بما أعطاه دون غيره (من الرسل).

(٤) الصادع: الذي يعلن الأمر ويجهر به (من غير تردّد أو خوف). المضطلع (القدير في القيام بالأمور) بما حمّل (من الرسالة إلى جميع البشر).

(٥) غداً (يوم القيامة).

(٦) وأكرم على الله (أعزّ وأرفع مكانة) عند الله من جميع الأنبياء (الذين هم أيضاً ذوو مكانة عند الله، والذين هم الصفوة المختارون من سائر الناس).

(٧) أقربهم زلفى إلى الله: أكثرهم أثراً في الزلفى (التقرّب) بجاههم إلى الله.

(٨) أحظاهم: أقربهم منزلة.

(٩) النصاب: الأصل، قوم الرجل. أبينهم: أوضحهم.

(١٠) المهاجر: المكان الذي يهاجر الإنسان إليه. العِترة: عشيرة الرجل وقومه.

(١١) الأُرومة والجُرثومة: الأصل الذي ينتمي الإنسان إليه من النسب.

(١٢) أزكاهم (أطهرهم) فعلاً: خيرهم أعمالاً. أثبتهم أصلاً (لا اختلاف في سرد نسبه).

(١٣) أمكنهم: أثبتهم. الفرع: النسب القريب (في مقابل الأرومة والجرثومة: الأصل البعيد).

(١٤) أكثرهم سمعاً (لقول الله) وطاعة (لله).

سَلاماً وأجلِّهم قَدْراً وأَعظَمِهم فخراً وأسناهُم نوراً (١) وأرفَعِهم في المَلإِ الأعلى (٢) ذِكراً وأصدقهم وعداً وأكثرهم شُكْراً وأعلاهُم أمراً وأجمَلِهِمْ صبراً وأحسنهم خَيْراً وأقربهم يُسْراً وأبعدِهِم مَكاناً (٣) وأعظمهم شأناً وأثبتهم بُرهاناً وأرجَحِهم ميزاناً وأوّلهم إيماناً وأوضحِهم بَياناً وأفصحِهم لساناً وأظهَرِهم بُرهاناً (٤)...

٤- دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصلاة على النبيّ المختار، بطرسبورج ١٨٤٢ م (١٢٥٢ هـ)؛ فاس بلا تاريخ(٥)؛ القاهرة (مطبعة المدارس بالأزبكيّة) ١٢٥٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة كاستللي) ١٢٧٧ هـ؛ القاهرة ١٢٨١، ١٢٨٧ هـ؛ القاهرة (مطبعة الطوخي) ١٢٨٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة أبي زيد) ١٢٨٩، ١٢٩١، ١٢٩٤، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٣٠٤، ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة ١٣٠٧، ١٣٠٨ هـ، إلخ؛ القاهرة (مطبعة البابي الحلبي) ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م)؛ استانبول ١٢٦٤، ١٢٧٣، ١٢٧٥، ١٢٩٣، ١٣٠١، ١٣١٤ هـ؛ وطبعت في الهند: دهلي ١٢٨٩، ١٣٠٢، ١٣١١ هـ؛ بومباي (مع ترجمة بين السطور بالسنديّة) ١٢٩٤ هـ؛ تلتشري (مع ترجمة بين السطور بالفارسيّة والهندستانية ومع زيادة في الأدعية لمولانا حفاظت حسين) ١٢٩٦ هـ؛ كاونبور ١٢٩٨، ١٣٠٣، ١٣٠٤ هـ؛ لاهور (مع ترجمة بين السطور بالهندستانيّة) ١٣٠٢ هـ؛ لاهور (مع ترجمة بين السطور بالهندستانية لغلام أحمد) ١٣١٧ هـ. مدراس (مع ترجمة بين السطور بلغة التاميل: «نوافل البركات» لمحمّد عبد الرحمن قادر مِرام) ١٩٠٨ م (١٣٢٦ هـ)؛ الجزائر ١٣٢٢ هـ.

شروح على «دلائل الخيرات»:

- مطالع المسرّات، لأحمد بن عليّ بن محمّد المهدي الفاسيّ (ت ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٣ م)، القاهرة ١٢٧٨، ١٣٠١، ١٣٠٩ هـ. ١٣٢٧ هـ؛
- شرح، للعدويّ الحمزاوي (ت ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩ م)، القاهرة ١٢٨٩ هـ.
- الأنوار اللامعات شرح دلائل الخيرات، لعبد الرحمن بن محمّد الفاسي (ت ١٠٣١ هـ = ١٦٢٢ م)، فاس ١٣١٧ هـ.

★★- ممتع الأسماع في ذكر (او: بمناقب) الشيخ الجزوليّ والتّبّاع (بفتح التاء) وما لهما من

---

(١) أجلّهم (أعظمهم) قدراً (مكانة). أسناهم (أضوأهم، أسطعهم، أشدهم).

(٢) الملأ الأعلى (العالم الروحاني): لدى الله.

(٣) أقربهم يسرا: أكثرهم تحقيقاً لتيسير الأمور (على الوصول إلى صالح الأعمال وإلى الثواب عليها) وأبعدهم مكاناً (عن أن يصل إلى مرتبته ومقامه أحد).

(٤) البرهان: (النور القويّ الذي يظهر حقائق الأشياء) والدليل (الذي يثبت الأمور على ما يجب أن تثبت الأمورُ عليه).

(٥) يبدو أن جميع هذه الطبعات طبع حجر. ثمّ إنّه طبع بعد ذلك بالحروف وفي أماكن عديدة.

الأتباع، لأبي عبد الله محمّد المهديّ الفاسي[1]، فاس ١٣٠٥، ١٣١٣ هـ.

- الدلالات الواضحات: حاشية مختصرة على دلائل الخيرات، ليوسف بن إسماعيل النبهاني[2]، الطبعة الثانية، القاهرة (البابي) ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م).

نيل الابتهاج ٣١٧ (طبعة فاس ٣٣٩)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٥٢٧-٥٢٨؛ بروكلمن ٢: ٣٢٧-٣٢٨، الملحق ٢: ٣٥٩-٣٦٠؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١ (٦: ١٥١)؛ معجم المؤلّفين ١٠: ٥٢؛ (١١: ١١٨، ترجمة مكرورة)؛ النبوغ المغربي ٣٦٥؛ سركيس ٦٩٧.

القاضي ابن الأزرق

- هو قاضي القُضاةِ شمسُ الدين أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ القاسمِ بنِ الأزرقِ الأصبحيُّ الغَرْناطيُّ من أهلِ وادي آشَ، وُلِدَ سَنَةَ ٨٣٢ (١٤٢٨-١٤٢٩ م). تلقّى ابنُ الأزرقِ العِلمَ في غَرناطةَ: لازمَ الأستاذَ إبراهيمَ بنَ أحمدَ بنِ فَتّوحٍ مُفتي غَرناطةَ وأخذَ عنه أُصولَ الدين وأصولَ الفِقه والنَّحْوَ والمَنْطِقَ، وحَضَرَ مجالسَ أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ محمّدٍ السَّرَقُسْطيِّ - مفتي غَرْناطةَ أيضاً - في الفِقهِ وحضرَ مجالسَ قاضيَ الجماعةِ أبي العباسِ أحمدَ بنِ أبي يحيى بنِ شَرَفٍ التِّلِمْسانيّ.

وتولّى ابنُ الأزرقِ القضاءَ في غَرنَاطة، ولكنْ لمّا اشتدّ ضَغْطُ النصارى الإسبانِ على غَرْناطةَ غادَرَها إلى تِلِمْسانَ ثمّ إلى مِصْرَ ثمّ إلى الحِجازِ فَحَجَّ ثم عاد إلى مِصْرَ؛ كلُّ ذلك في سبيلِ الاستنجاد بمُلوكِ المُسلمين، وأبرزُهُم يومَذاك السلطانُ قايتباي (٨٧٢-٩٠١ هـ) من أُسرة المماليكِ البُرْجية في مِصْرَ، ولكنّ دَعْوَتَه لم تُثْمر.

وأحبّ قايتباي أن يستفيدَ من عِلمِ ابنِ الأزرقِ ونزاهتِهِ فعيّنه في مَنْصِبِ قاضي القُضاة في القُدْسِ. ووَصَلَ ابنُ الأزرقِ إلى القدسِ في سادِسَ عَشَرَ شوّالٍ من سَنَةِ

---

(١) هو أبو عبد الله محمّد المهدّي بن أحمد بن يوسف (من أتباع الجزولي السملالي)، ولد سنة ١٠٣٣ هـ (١٦٢٤ م) وتوفيّ ١١٠٩ هـ (١٦٩٨ م) - (بروكلمن، الملحق ٢: ٧٠٣، راجع ٣٥٩؛ سركيس ١٤٢٨).

(٢) يوسف بن إسماعيل النبهاني، ولد سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) وتوفّي سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م): أديب وشاعر وفقيه متشدّد، ألّف عدداً كبيراً من الكتب أكثرها في الأمور الإسلامية مع حملة شديدة على الذين يخالفونه في تشدّده (راجع الأعلام للزركلي ٩: ٢٨٩ = ٨: ٢١٨).

٨٩٦ (١٤٩١/٨/٢١ م)، ولكنّه تُوفِيّ وشيكاً في سابعَ عَشَرَ ذي الحجة من سَنَةِ ٨٩٦ (١٤٩١/١٠/٢٠ م).

وفي ثاني ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٨٩٧ (١٤٩٢/١/٣ م) استولى النصارى على الحمراءِ (نفح الطيب ٤: ٥٢٥) وانتهى الحكمُ السياسيُّ للمُسلمين في الأندلس.

٢- كان القاضي ابنُ الأزرقِ فَقيهاً وباحثاً مُتَفَنِّناً غَلَب عليه النظرُ في العُمْران البشريّ، فقد توفّرَ في كِتابَيْهِ: «الإبريزِ المسبوكِ في كيفية آداب الملوك» (نحو ٨٨٣ هـ) و«بدائعِ السِّلْك في طبائع المُلك (بدائع السلوك في نظام الملوك)» على تَلْخيص عددٍ من الآراء في مقدمة ابن خلدون أو مُحاكاتها. ولابنِ الأزرقِ من الكتب أيضاً: روضةُ الإعلامِ بمنزلةِ اللغة العربية من علوم الإسلام- شفاءُ الغَليل في شرحِ مُختصرِ خَليل[1]- فَتاوى.

وكان لابنِ الأزرقِ نَظْمٌ من شعر العُلَماء أكثره مُقَطّعاتٌ مَبْنِيَّةٌ على التَوْرية (كلمةٍ لها مَعْنيان أحدُهما قريبٌ مألوفٌ وثانيهما بعيدٌ ملموح). ويُنْسَبُ إليه قصيدةٌ طويلةٌ في سِتّةٍ وتِسعينَ بيتاً في الهَزْل والسُّخْفِ وبعض المُجون (نفح الطيب ٣: ٢٩٨ - ٣٠٣)، ولعلّها بعيدةٌ عن مَنْهَجِه. من هذهِ القصيدةِ:

لا أمَّ لي، لا أمَّ لي ... إن لم أُبرِّدْ شَجَني[2]
وأخْلَعَنَّ في المُجونِ ... والتصابي رَسَني[3].
أفدي صديقاً كان لي ... بنفسِه يُسْعِدني:
فتارةً أنْصَحُه، ... وتارةً يَنْصَحُني،
وتارةً ألْعَنُه، ... وتارةً يَلْعنُني.
وربّما أصْفَعُه، ... وربّما يَصْفَعُني....

---

(١) للشيخ خليل: بن إسحاق (ت ٧٧٦) كتاب في الفقه المالكي اسمه «المختصر» مشهور جدًّا.
(٢) لا أمّ لي أو لا أب لي تعبير معناه: لست على حقّ، أو لست مستحقًّا للكرامة (إن لم أفعل كذا وكذا).
(٣) المجون: الكلام المكشوف والأعمال المخجلة إذا مارسها صاحبها جهاراً. التصابي: فعل أفعال الصبا بعد ذهاب زمنها (بتقدم السن). خلع الرسن: انغمس في الأعمال السيئة بلا مبالاة.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ الأزرق في إيجازِ شيءٍ من قولِ ابن خلدون في أهل العصبية:

.... ولا يَصْدُقُ ذلك إلّا إذا كانوا ذَوِي عَصَبِيّةٍ وأهلَ تَشَيُّعٍ واحدٍ. وحينئذٍ تشتدّ شوكَتُهم ويُخشى جانبُهم لِما جُبِلَ في القلوبِ من الشَّفَقَة والنُّعْرةِ على ذَوِي الرَّحِمِ والقَرابة. ومِنْ ثَمّ قال إخْوَةُ يوسفَ عليهِ السلامُ: ﴿لَئِنْ أكَلَه الذِّئبُ ونحنُ عُصبةٌ إنّا إذاً لَخاسرون﴾[١]. والمُفْترِقونَ في النَّسَبِ قَلّ أنْ يَجِدَ أحدٌ منهم نُعْرةً على صاحِبِهِ يومَ الكِفاحِ على حدّ ما هِيَ مِنْ ذَوِي الأرحامِ، فلا يَقْدِرونَ لذلك على سُكنى القَفْرِ[٢]، وإلّا كانوا فَريسةً لِمَنْ سِواهُمْ.....

- ومن آرائه في التربية والتعليم (من كتاب بدائع السلك أيضاً):

ولقد كان شيخُنا[٣] العلّامةُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ أحمدَ بن فتّوحٍ قدّس اللهُ تعالى روحَه يَفْسَحُ لِصاحبِ البَحْثِ مَجالاً رَحْباً ويوسع المُراجِعَ له قَبولاً ورُحْباً[٤]، بل يُطالبُ بذلك ويَقْتضيهِ ويختارُ طَرِيقَ التعليمَ ويرتَضيه تَوْقيفاً على ما خَلَصَ له تحقيقُه ووَضَحَ له في مِعيارِ[٥] الاختبارِ تدقيقُهُ. وإلاّ فقد كان ما يُلقيه غايةَ ما يَتَحَصّلُ ويَتَمَهّدُ به مُختارُ ما يُحْفَظُ ويَتأصّلُ[٦].....

ومُخالفةُ التِلميذِ الشيخَ في بعضِ المسائل- إذا كان لها وجهٌ وعليها دليلٌ قائمٌ يَقبلُه غيرُ الشيخِ من العُلماء- ليسَ من سوءِ أدبِ التِّلميذِ مَعَ الشيخِ، ولكن[٧] مَعَ ملازمةِ التَوْقير الدائمِ والإجلالِ المُلائم. فقد خالَفَ ابنُ عبّاسٍ عُمَرَ وعَلِيًّا وزيدَ بنَ ثابتٍ[٨]

---

(١) القرآن الكريم ١٢: ١٤ يوسف.

(٢) يرى ابن خلدون أن سكنى القفر (البادية) بعيداً عن سلطة الدولة لا تتمّ إلّا للجماعات القوية التي تستطيع الدفاع عن نفسها.

(٣) الشيخ: الأستاذ الكبير الذي يتولّى تخريج الطلّاب.

(٤) الرحب (بالفتح): صفة بمعنى المتّسع. الرحب (بالضمّ) مصدر بمعنى السعة.

(٥) التوقيف: النصّ الباتّ كأنّه قاعدة. معيار: مقياس.

(٦) .. ما كان الشيخ يلقيه (من الدروس) غاية (نهاية، أسمى، كلّ) ما يتحصّل (ما يمكن في باب تحصيل العلوم). ويتمهّد (يستقرّ). يتأصّل (يرسخ في النفس).

(٧) لكن.... المقصود: إذا كان مع التوقير للأستاذ.

(٨) عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب (ابن عمّ الرسول) كان يسمّى «ترجمان القرآن» لمعرفته بوجوه تفسير =

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وكان قد أخذَ عنهم. وخالفَ كثيرٌ من التابعين بعضَ الصحابةِ، وإنّما أخذوا العِلْمَ عنهم. وخالفَ مالكٌ[1] كثيراً من أشْياخِه..... وكادَ كلٌّ من أخذَ العلمَ أنْ يُخالفَهُ بعضُ تلاميذهِ في عِدّةِ مسائلَ، ولم يَزَلْ ذلك دأبَ التلاميذِ مَعَ الأساتيذِ إلى زماننا هذا. وشاهَدْنا ذلك في أشْياخِنا معَ أشْياخِهم رَحِمَهُمُ اللهَ تعالى. ولا يَنْبغي للشيخِ أن يَتَبَرّمَ من هذه المُخالفةِ إذا كانتْ على الوجهِ الذي وصَفْناه.

- ولابن الأزرق مقطّعات فيها تورية:

** وربَّ محبوبــةٍ تَبَــدّتْ	كأنّهــا الشمسُ في حُلاهــا[2].
فأعْجَبْ لحالِ الأنامِ: مَنْ قد	أحَبَّها فَقَدْ قَلاها[3]!
** عُذْرِيَ في هذا الدُّخانِ الذي	جاوَرَ داري واضحٌ في البيانْ[4].
قد قُلْتُمُ إنّ بها زُخْرُفاً	ولا يَلي الزُخرفَ إلّا الدُّخانْ[5].
** تأمّلْتُ من حُسنِ الربيعِ نَضارةً	وقد غرّدَتْ فوقَ الغُصونِ البلابلُ.
حَكَتْ في غصونِ الدَّوْحِ قَسًّا فَصاحــةً	لتُعْلِمَ أنّ النَّبْتَ في الروضِ باقلُ[6].

- وقال عند وفاة والدته:

= القرآن الكريم. ثمّ عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب. وزيد بن ثابت أخو حسان بن ثابت الشاعر. وزيد بن ثابت كان الذي تولّى جمع سور القرآن الكريم بين دفّتي كتاب واحد (في مجلّد واحد).

(١) مالك بن أنس عالم أهل المدينة وأحد الأئمّة في الفقه وفي رواية الحديث.

(٢) المحبوبة كناية عن القطائف (نوع من المعجّنات تحشى بالجبن عادة ثمّ تقلى بالسمن وتغمس بالقطر أو السكر المغلي بالماء حتى يصبح على شيء من الكثافة).

(٣) التورية في كلمة «قلاها» (المعنى القريب: أبغضها لوجود القرينة «أحبها»- والمعنى البعيد المقصود «طبخها بالسمن»).

(٤) - يبدو أنّ الناس قد عاتبوا ابن الأزرق لوجود دخان يتصاعد من قرب بيته.

(٥) في البيت توريتان. الزخرف (الذهب، الزينة- والزخرف السورة الثالثة والأربعون في المصحف). والدخان (السُّخام الأسود المتصاعد من النار- والدخان السورة الرابعة والأربعون في المصحف).

(٦) حكى: شابه، ماثل. الدوحة: الشجرة الكبيرة. قسّ بن ساعدة الأيادي من خطباء العرب في الجاهلية كان مشهوراً بالفصاحة. التورية في «باقل» (باقل: نابت، لقرينة النبت- وباقل كان رجلاً من بني إياد معروفاً بالعيّ (العجز أو الكسل عن الكلام)، لقرينة قسّ (بن ساعدة الأياديّ الذي كان مشهوراً بالفصاحة).

تقولُ لي، ودموعُ العــينِ واكفــةٌ: ما أفظعَ البينَ والتَّرْحالَ، يا وَلَدي[1]!
فقلتُ: أينَ السُّرى؟ قالت: لِرَحْمَةِ مَنْ قــد عَزّ في المُلك لم يُولَدْ ولم يَلِدِ[2]

٤-★★ نيـل الابتهاج؛ شجرة النور الزكية ٢٦١؛ نفح الطيب ٢: ٦٩٩ - ٧٠٤، ٣: ٢٩٨-٣٠٣، راجع ٦: ١٥١-١٥٣، ٤٤٧؛ أزهار الرياض ٣: ٣١٧-٣٢٣؛ بروكلمن ٢: ٣٤٣؛ الأصالة (السنة الثالثة- العدد ١٣) ص ١٢١ - ١٢٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٨١ (٦: ٢٨٩)؛ معجم المؤلفين ١: ٤٣.

القلصاديّ

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ عليٍّ القُرَشِيُّ البَسْطِيُّ الأندلسيُّ المغربي الشهيرُ بالقَلَصادِيِّ، أصلُه من بَسْطةَ (على مَقْرُبَةٍ من غَرناطةَ شرقاً في شَمال). وفي بسطة كان مَوْلِدُه سَنَةَ ٨١٥ للهجرة (١٤١٢-١٤١٣ م).

اَنتقلَ القَلَصاديُّ إلى غَرناطةَ وآسْتَوْطَنَها لطَلَبِ العِلم فقرأ فيها على إبراهيمَ بنِ أحمدَ آبنِ فتّوحٍ مُفْتِي غَرْناطةَ (وكانتْ له مشاركةٌ في عِلم الأصولِ والنحوِ والفَلَكِ، كما كانتْ له أرجوزة في النجوم). وكذلك قرأ فيها على أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ محمّدِ السَّرَقُسْطيّ، وكان فقيهاً ومُفْتِياً.

ورَحَلَ القَلَصاديُّ إلى المَشْرق، فمرّ في طريقهِ بتِلِمْسانَ فقرأ على يوسفَ بنِ سُليمانَ ومحمّدِ بنِ النّجارِ والشريفِ محمّدٍ المعروفِ بلقبِ حمّو. ومن أشهرِ شيوخِه في تِلِمْسانَ أبو عبد اللهِ محمّدُ بنُ مرزوقٍ الحفيدُ (راجع المختارات).

ثمّ آرتحل من تِلِمْسانَ إلى حاضرةِ تُونسَ وأخذ عن قاضي الجماعة أبي الفضلِ قاسمِ آبنِ عقابٍ والقلشانيّ وحلولو[3]. ومن تُونسَ تابعَ سيرَه إلى المشرقِ فحجّ وسَمِع من نفرٍ من

---

(١) الواكف: السائل، المتحدّر. البين: البعاد والفراق.

(٢) السرى: المسير (ليلاً)، الذهاب. عزّ: قوي. لم يولد ولم يلد: هو الله تعالى (راجع القرآن الكريم ١١٢: ٣ الإخلاص).

(٣) راجع نفح الطيب ٢: ٦٩٢-٦٩٣ ابن عقاب (؟). القلشاني هو قاضي الجماعة في تونس أبو العبّاس أحمد ابن محمّد القلشاني المتوفّى سنة ٨٦٣ للهجرة (شجرة النور الزكية، ص ٢٥٨، رقم ٩٤٣). وحلولو هو أبو العبّاس أحمد بن عبد الرحمن اليزلطيني القروي (نسبة إلى القيروان) قاضي طرابلس الغرب، كان لا يزال حيًّا سنة ٨٧٥ للهجرة (شجرة النور الزكية، ص ٢٥٩، رقم ٩٤٧).

العُلَماء مِنْهُمُ الحافظُ آبْنُ حجَرٍ العَسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ) وجلالُ الدين المَحَلِّيّ (ت ٨٦٤ هـ) وتقيّ الدين أبي العبّاس الشمني المِصريّ (ت ٨٧٢ هـ) ومن القارىء محبّ الدين أبي القاسمِ محمّدِ النُّويريِّ المِصريّ (ت ٨٥٧ هـ) وغيرِهم.

ثمّ عاد القَلَصاديُّ إلى غَرْناطة. ولمّا آشتدّتْ وطأةُ الإسبان النصارى على غَرْناطةَ جَدّدَ القَلَصاديُّ الرِّحْلة فجاء إلى إفريقية (القُطْر التُونسيّ). ويبدو أنّه آستقرّ في باجةَ (في الشّمال الغربي من القُطر التونسي)، وفيها كانتْ وفاتُه في مُنْتَصَفِ ذي الحِجّة من سَنَة ٨٩١ (١٢/١٢/١٤٨٦ م).

٢ - للقَلَصاديِّ فضلٌ على علمِ الرياضيّات بأنْ توَسّعَ في آستخدامِ الرُموز في بِناءِ المُعادلاتِ الجَبْريّة وفي مُحاولته لآستخراج القيمةِ التقريبيةِ للجِذْرِ الأصمّ[١].

والقَلَصاديُّ مُصنّفٌ مُكثرٌ في اللغة والنحو والبلاغة والعَروض والحديث والفِقه، وفي الفرائض (تقسيم الإرث خاصّة) وفي المنطق. ولكنّ أكثرَ تآليفه في علم الحساب من علم العَدد (خواصّ الأعداد) والحُسبان والجبر والهندسة والفلك. وأشهرُ كتبه: قانونُ (علمُ) الحسابِ وغُنية ذوي الألباب- شرح تلخيص أعمال الحساب لابن البنّاء- كشف الجِلباب عن علم الحساب- كشفُ الأسرار (الأستار) عن علمِ (وَضْعِ) حروف الغُبار[٢] (وفيه العمل بالأعداد الصحيحة: جمعِها وطرحِها، إلخ وبالكسور وجذورِ الأعداد الصحيحةِ وكسورِها وبالجبر والمقابلة وغير ذلك)- بُغية المُبتدي وغُنية المُنتهي (في علم الفرائض وتقسيم الارث، على المذاهب الأربعة)- شرحُ فرائضِ الشيخ خليلٍ

---

(١) العدد الأصمّ هو العدد الذي لا جذر تامًّا له. والجذر عدد إذا ضربته بنفسه نتج (بالبناء للمجهول) منه عدد آخر (هو مربع العدد الذي ضربته بنفسه). إنّ العدد «١٦» له جذر تامّ هو اربعة. ولكن العدد «١٧» ليس له جذر تامّ (إنّ جذره أربعة ثمّ كسر غير متناه: ١٢٣١٠٥٦٢٥ (إلى يمين الواحد المتطرّف أعداد غير متناهية).

(٢) حروف الغبار أو الحروف الغبارية هي الأرقام المشتقّة من الأصل الهندي إذا كتب كلّ رقم من اليسار الي اليمين (كالأرقام التي تكتب اليوم في المغرب وفي اللغات الأجنبية). أمّا إذا كتب كل رقم من اليمين إلى اليسار فيتكوّن منه ما نسميه بالأرقام الهندية، وهي المستخدمة في المشرق ١، ٢، ٣، ٤، ٥ إلخ. والعمل (حلّ المسائل) بالأرقام يسمّى الحساب الهندي. أمّا العمل بالأحرف (أ=١، ب=٢، جـ=٣، د=٤، هـ=٥، و=٦ (إلى آخر حروف الأبجدية) فيسمّى الحساب الرومي.

المالكيّ[1] - شرح الأرجوزة الياسمينية[2].

٣- مختارات من آثاره:

- قال القَلَصاديُّ في رِحلته يذكُرُ بَلَدَه بَسْطَةَ (نفح الطيب ٦: ٤٤٦ - ٤٤٧):

سقى اللهُ تعالى أرجاءها المُشرقةَ وأغصانَها المُورِقةَ شآبيبَ الإحسان، ومهّدها بالهُدنة والأمان. دارٌ تخجَلُ منها الدُّورُ، وتتقاصر عنها القصورُ وتُقِرُّ لها بالقُصور، مَعَ ما حَوَتْهُ من المحاسنِ والفضائل من صِحّةِ أجسامِ أهلها وما طُبعوا عليه من كَرَمِ الشمائل. وحسْبُكَ فيها عَدَمُ الحَرَجِ أنّ داخلَها بابَ الفَرَج.........

- من شُيوخِ القَلَصاديّ: من رِحْلتهِ (نفح الطيب ٥: ٤٢٦-٤٢٧؛ راجع نيل الابتهاج ٧٩ - ٨٠، وبين النَّصّين خِلافٌ في السِّياق).

أدْركْتُ كثيراً من العُلماء والعُبّاد والزّهاد والصُلَحاء أوْلاهُمْ في الذِّكْرِ والتقديم الشيخُ الفقيه الإمام العَلّامةُ الكبيرُ الشهيرُ شيخُنا بَركُتنا أبو عبدِ الله بنُ مَرْزوقٍ، حَلَّ كَنَفَ العِلم والعُلا، وجَلَّ قدرُه في الجِلّة الفُضَلا. قَطَعَ اللياليَ ساهرا وقطَفَ من العلم أزاهرا، فأثْمرَ وأورق وغرّبَ وشرّق حتى توغَّلَ في فُنونِ العلمِ وٱسْتَغْرَقَ، إلى أنْ طَلَعَ للأبصارِ هِلالاً لأنّ الغَرْبَ مَطْلَعُه، وسَما في النفوس مَوْضِعُه ومَوْقعُه. فلا ترى أحسنَ من لِقائه ولا أسْهلَ من إلْقائه★. لَقِيَ الشيوخَ الأكابرَ، وبَقِيَ حَمْدُه مُتَعَرَّفاً من بطونِ الكتب وألْسِنَة الأقلامِ وأفواه المحابر. وكان، رَضِيَ اللهُ عنه، من رجال الدنيا والآخرة.

---

(١) خليل ابن إسحاق (ت ٧٧٦ هـ) فقيه مالكي. وهو غير خليل بن إسحاق (ت ٣٣٢ هـ) الشاعر المذكور في الجزء الرابع من هذا الكتاب (ص ٢٢٤ - ٢٢٦).

(٢) ابن الياسمين هو أبو محمّدٍ عبد الله بن محمّد بن حجّاجٍ من أهل فاس، برع في عدد من العلوم والفنون. وشهرته الأولى في الرياضيّات، وله مقدرة في نظم الشعر. له أرجوزة في الجبر قرئت عليه في إشبيلية، سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م). وكانت وفاته سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م). ومن أرجوزته:

على ثلاثةٍ يدورُ الجَبْرُ: المالُ والأعدادُ ثمّ الجِذرُ.
والعددَ المُطلَقُ ما لم يُنسبِ للمال أو للجِذرِ، فٱفْهَمْ تُصِبِ.
والجِذرُ والشيءُ بمعنًى واحدِ، كالقول في لفظِ أبٍ ووالدِ.

(راجع النبوغ المغربي ١٥٧؛ مجلّة «العربي» - الكويت ٥/١٩٨٢ م، ص ١٦٤).

★ إلقاء دروسه.

وكانتْ أوقاتُه كلُّها معمورةً[1] بالطاعات ليلاً ونهاراً، من صلاةٍ وقراءةِ قُرآنٍ وتدريسٍ وعِلْمٍ وفُتْيَا وتصنيف. وكانتْ له أورادٌ[2] معلومةٌ وأوقات[3] مشهورة. وكانتْ له بالعلمِ عناية تُكْشَفُ بها العَمايَةُ، ودِرايةٌ تَعْضُدُها الرِّوايةُ ونَباهةٌ تُكْسِبُ النزاهةَ. قرأتُ عليه - رَضِيَ اللهُ عنه - بعضَ كِتابهِ في الفرائض وأواخرَ إيضاح الفارسيّ وشيئاً من شرح التَسْهيل[4]. وعَرَضْتُ عليه إعراب القُرآنِ[5] وصحيحَ البخاريّ والشاطِبيّتَيْنِ[6] وأكثرَ ٱبنِ الحاجبِ الفَرْعِيّ[7] والتلقينَ وتسهيل ابنِ مالكٍ[9] والألفيةَ[9] والكافِيَةَ[10] وٱبنَ الصلاح في عِلِم الحديثِ[11] ومِنهاجَ الغزّاليّ[12] وبَعْضَ الرِّسالة[13] وغيرِها. ثمّ تُوُفِّيَ يومَ الخميس بِمِصْرَ رابعَ عَشَرَ شَعبانَ عامَ ٱثنَيْنِ وأربعينَ وثمانِمائَةٍ. وصُلِّيَ عليه بالجامعِ

---

(١) معمورة بالطاعات (مملوءة بأنواع العبادات).

(٢) الورد (بالكسر): جمل معيّنة يرددها نفر من العابدين بعد الصلاة أو في أوقات معلومة (يتخذونها لذلك).

(٣) أوقات مشهورة (معروفة عند الناس). في الحاشية: مشهودة (بالدال): يحضرها عدد كبير من الناس.

(٤) لعلّه: شرح تسهيل الفوائد (في النحو) لأثير الدين أبي حيّان الغرناطي المتوفّى سنة ٧٤٤ للهجرة (راجع بروكلمن، الملحق ١ : ١٣٦).

(٥) عرضت عليه (قرأت عليه للتأكّد من معرفتي السابقة) إعراب القرآن. و «إعراب القرآن» عنوان لعدد من الكتب، ولعلّ المقصود هنا كتاب أبي حيّان أثير الدين (راجع الحاشية السابقة).

(٦) لأبي محمّد القاسم بن فيرّه الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) أرجوزتان (تعرف كلّ واحدة منها بالشاطبية): حرز الأماني في القراءات (راجع ترجمة الشاطبي) ثمّ عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، وهي نظم لكتاب المقنع (في رسم: خطّ المصاحف، أو التهجئة الخاصّة بكتابة المصحف) لأبي عثمان الدانّي الأندلسي (ت ٤٤٤ هـ).

(٧) كتاب أبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب المصري (ت ٦٤٦ هـ) في الفقه.

(٨) التلقين اسم لكتب منها: التلقين في فروع الفقه للإمام المازري الصقلّي (ت ٥٣٦ هـ). ومنها التلقين في النحو للعكبري (بالضمّ) أبي البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ هـ). ثمّ التسهيل لابن مالكٍ النحوي (ت ٦٧٢ هـ) في النحو.

(٩) الألفية لابن مالك (؟).

(١٠) الكافية (في النحو) لأبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ).

(١١) ابن الصلاح: صلاح الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن من علماء التفسير والحديث والفقه (ت ٦٤٣ هـ) تولّى التدريس في «دار الحديث» (في دمشق)، له كتاب «معرفة أنواع علم الحديث» (ويعرف بمقدّمة ابن الصلاح).

(١٢) منهاج العابدين (في التصوّف) للغزّالي (ت ٥٠٥ هـ).

(١٣) الرسالة (في الفقه المالكي) لابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦ هـ).

الأعظم. وحَضَرَ جِنازَته السُّلْطانُ[1] فَمَنْ دونَه. ولم أرَ مِثْلَها قَبْلُ. وأَسِفَ الناسُ لِفَقْدِه....

- عليّ بن موسى القرباقي[2]: من رِحلة القَلَصادي (نص ذُكر مُلَخَّصاً في نيل الابتهاج ٢٠٧):

شيخُنا وبَرَكَتُنا الفقيهُ الإمامُ الصدر العَلَم الخطيبُ الخطير الكبير الشهير أوْحَدُ الزمانِ وفريدُ البيانِ العديمُ الأقرانِ المُفتي المؤلِّفُ المُدرِّس المُصنِّفُ الذاكرُ لأحوالِ العربِ وأنسابها حافظاً لُغاتِها وآدابَها، له في العربية أوفرُ نصيبٍ، وفي التفسير والحديثِ والأُصول والطِبّ سَهْمٌ مُصيبٌ، حتّى ٱرتقى لِدَرَجَةٍ عاليةٍ ورُتْبةٍ ساميةٍ فَشُهِدَ له بالفضل في الغَيْبةِ والعِيان، وأقرَّ له صديقُه وحاسدُه للدليلِ والبرهان. قرأتُ عليه التلقينَ والإيضاحَ للفاسي[3] (؟) وأبعاضاً[4] من الجلّاب[5] وابنِ الحاجبِ الفَرْعيّ[6] وتنقيحَ القوافي[7] وفصيحَ ثعلبٍ[8] وألْفيةَ ٱبنِ مالكٍ وأدبَ الكاتبِ لابنِ قُتَيْبةَ[9]، وتأليفَه المسمّى بالتَبْصِرةِ الكافية في عِلْمَي العَروض والقافية[10] على الخَزْرجيّة[11]. وحَضَرْتُ عليه كثيراً من التفسير و(من) كُتُبٍ مُتَعَدِّدَةٍ في عُلومٍ شتّى. وكان كثيراً ما

---

(١) كانت وفاة القلصادي في أيام السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان بن محمّد (٨٣٩-٨٩٣ هـ).

(٢) قرباقة.

(٣) التلقين (راجع النص السابق). الإيضاح للفاسي (؟).

(٤) أبعاض (أشياء متفرّقة من الكتب).

(٥) في بروكلمن (الملحق ١ : ٥٩٨): أبو عبد الله محمّد بن أحمد (بن) الجلّاب (ت ٦٦٤ هـ) له كتاب (مجموع أشعار): روح الشعر ودوح الشجر.

(٦) ابن الحاجب (راجع النصّ السابق).

(٧) تنقيح القوافي (؟)- لعلّه شرح تنقيح الفصول للقرافي أبي العبّاس أحمد بن إدريس الصنهاجي المصري (ت ٦٨٤ هـ). والكتاب في الفقه المالكي.

(٨) كتاب «الفصيح» لأبي العبّاس ثعلب (ت ٢٩١ هـ).

(٩) ابن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦ هـ).

(١٠) التبصرة إلخ (؟). تأليف القرباقي (؟).

(١١) على الخزرجيّة (التبصرة إلخ) حاشية أو شرح على الخزرجية أو القصيدة الخزرجية، وعنوانها: الرامزة الشافية في علم العروض والقافية لأبي محمّد عبد الله محمّد الأنصاري الأندلسيّ (ت ٦٢٦ هـ).

يَتَمَثَّلُ بقَوْل الشاعر [١]:

وزهّدَني في الناسِ مَعْرفتي بهم [٢] ... وطولُ آختياري صاحباً بعدَ صاحب.
فَلَمْ تُرِنِي الأيّـــامُ خِلًّا تَسُرُّني ... مَباديهِ إلّا ساءَني في العواقب[٣].
ولا قُلْـتُ أرجوهُ لِدَفْـعِ مُلِمَّـةٍ ... من الدّهرِ إلّا كان إحدى المصائبِ [٤].

ولذا كان لا يُخالطُ الناسَ، مَعَ نزاهةِ نفسٍ وآرتفاعِ هِمّةٍ، كثيرَ الصَّمْتِ فصيحَ اللِّسان لم أسمعْ مِثْلَ خُطَبِه ووَعْظِه فيما رأيتُ من البُلدان. وغَضِبَ عليه بَعْضُ الجبابرةِ [٥] فأخْرَجَهُ من بَسْطة البرشانة [٦] فأقامَ بها عَشْرَةَ أشهرٍ، ثمّ عادَ لِبَسْطَةَ إلى أنْ تُوُفِّيَ بها في الوباءِ [٧]، عاشِرَ صَفَرَ، عامَ أربعةٍ وأربعينَ وثَمانِمائةٍ. وصُلِّيَ عليه خارجَ المدينةِ لِكَثْرَةِ الناسِ في جنازَتِه.

٤- بغية المهتدي وغنية المنتهى، فاس- بلا تاريخ.
- شرح الأرجوزة الياسمينية.
- كشف أستار الغبار، فاس ١٣١٥؛ مع كتاب «بغية المهتدي»، مصر ١٣٠٩ هـ.
- شرح فرائض الشيخ خليل المالكي، فاس (طبع حجر) ١٢٩٣ هـ.

★★ نيل الابتهاج ٢٠٩-٢١٠؛ الضوء اللامع ٥: ١٤-١٥؛ نفح الطيب ٢: ٦٩٢-٦٩٤، ٥: ٤٢٦-٤٢٧، ٦: ٤٤٦-٤٤٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٤٧٦-٤٧٧؛ بروكلمن ٢: ٣٤٣-٣٤٤، الملحق ٢: ٣٧٨-٣٧٩؛ تراث العرب العلمي لقدري طوقان (طبعة ثالثة) ص ٤٦١-٤٦٥؛ شجرة النور الزكيّة ٢٦١ (رقم ٩٥٩)؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٦٣ (١٠)، معجم المؤلّفين ٧: ٢٣٠؛ سركيس ٤٥٧-٤٥٨، ١٤٤٤-١٤٤٥.

---

(١) الشعر للمعتصم بن صمادح الأندلسي (راجع وفيات الأعيان ٥: ٤٠).
(٢) هذا الشطر من لزوميّة للمعرّي: (وزهّدني.... وعلمي بأن العالمين هباء).
(٣) مبادئه (في أوّل أمره).
(٤) الملمّة: النازلة (المصيبة) الشديدة.
(٥) الجبابرة: الولاة الظالمون أو المتسلّطون القساة.
(٦) اقرأ: من بسطة إلى البرشانة. بسطة في الجنوب الشرقيّ من الأندلس (إلى الشمال من المريّة). البرشانة يجب أن تكون قريبة من غرناطة.
(٧) (؟).

عبد الكريم الغرناطي

١ - هُوَ عبـدُ الكريم بنُ محمّدٍ القيسيُّ الغَرناطيُّ، وُلِدَ في بَسْطَةَ - على مائةٍ وعشرينَ كيلومـتراً شَمال شرقيّ غَرناطةَ - في أوائلِ القرنِ التاسعِ للهجْرة. وَبرَعَ عبدُ الكريم الغَرناطيّ في الفِقْه وعَمِلَ في التوثيق (تسجيل العُقود في المحكمة)، ولكنّه لم يكُنْ على شيءٍ من بَسْطةِ العيش. ولكن يبدو أنّه كان على شيءٍ من الشُّهْرة في الفِقه والدِّين، فقد دعاه أهلُ بَرْجَةَ (من مُلْحَقات أَلْمَرِيَّةَ) في أحدِ شُهورِ رَمَضَانَ لِيَؤُمَّهُمْ في مَسْجِدِهِمْ ويَعِظَهم. ولقد نَعِمَ في أثناء ذلك بشيءٍ من طَيِّب العيش.

ثم حدثتْ نُفْرَةٌ بينَه وبين ابنِ الأحولِ قاضي بَسْطة فاضْطُرَّ إلى مُغادرتِها وانتقلَ إلى مالَقَةَ ثمّ انتقل، فيما يبدو، إلى غَرْناطة واستقرّ فيها. وفي غَرناطةَ اتّصلَ بشيوخِ الغُزاة (قادةِ الحاميَةِ التي وَضَعَها ملوك المغربِ من بني مَرينٍ في الأندلس للدِّفاع عن أهلها) ومدحَ منهم الوزيرَ ابراهيمَ بنَ عبدِ البَرِّ وأبا الحسنِ الشريفَ. ثم نشأتْ عنده ناشئةُ الجهاد فخاض المعارك. ولكنّه وَقَع في الأسْر وَبقِيَ فيه عدداً من السنين. ثمّ اتّفق أن أُطْلِقَ سَراحُه فعاد إلى غرناطة.

وطالتْ حياةُ عبدِ الكريم الغَرناطيِّ حتّى رَثى أبا عبدِ الله محمّدَ بنَ الأزرقِ، وقد تُوُفِّيَ في مِصْرَ سَنَةَ ٨٩٠ هـ. ويبدو أنّه لم يَعِشْ بعدَ ذلك طويلاً، ولعلَّ وفاتَه كانتْ قُبيلَ سُقوطِ الأندلسِ سَنَةَ ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م).

٢- كان عبدُ الكريم الغَرناطيُّ فقيهاً عالماً، وكان شاعراً واضحَ التعبيرِ كَثيرَ الصِّدْق والإخلاص قليلَ التكلُّف ولكنّه كان مُحبًّا للمبالغة. وفنونُ شعرِه الوصفُ والغزَل مَعَ العَفافِ ثمّ رثاءُ الأفرادِ والممالك ثمّ الهِجاء. ونَجِدُ في شِعْره شيئاً من الحُوار وقليلاً من الأناقة.

٣- مختارات من شعره

- قال عبدُ الكريم الغَرناطيُّ يذكُرُ طِيبَ عَيْشه في بَرْجَةَ:

وفي بَرْجةِ مَثْوايَ حيثُ تَبَسّمتْ ثُغورُ الأقاحي من بكاء الغمائمِ[١].
أروحُ وأغْدو بين قَوْمٍ تواطأوا قديماً على إكرامِ كُلِّ إمامِ[٢].
أُمَثِّلُ شخصي بَيْنَهم في حديقةٍ سقاها سَحابُ الجَوِّ صَوْبَ سِجام[٣].

- وقال يصِفُ بُؤْسَ حياتِهِ في الأسر:

واحَسْرَتا ! بعدَ اشتغالي بالعُلو مِ ودَرْسِها وتِلاوةِ القُرآنِ،
أُمْسي وأُصْبِحُ خادماً مُتَصَرِّفاً ....[٥].
إن لم أكُنْ بالحَفْر مُشتغلاً أكُنْ بالهَدْم مشتغلاً مَعَ البُنيان[٦].
والكَنْسُ في يومِ الجلوسِ صِناعتي، والرشُّ يَتْبَعُه مَدى الأحيان[٧].
وبغَسْل أقذارِ الكِلاب تَحَزُّمي في أكثرِ الأوقاتِ والأزمان[٨].

- وقال في أسره يتغزّل بصَبِيَّةٍ نَصْرانية:

وأعْجَبُ عُبّادِ الصليبِ صَبيّةٌ سَبَتْني بِوَجْهٍ مِثْلِ بَدْرٍ مُتَمَّمِ[٩].
فبِتُّ حليفَ الهَمِّ من فَرْطِ حُبِّها وباتتْ بهَجْري في فِراشِ تَنَعُّمِ[١٠].

(١) المثوي: المقام والسكنى (بضم الميم الثانية والسين). تبسّمت ثغور......: كثر تفتّح زهر الاقحوان من كثرة المطر.

(٢) الإمام: الذي يصلّي بالناس (دليل على تقواهم). الإمام: كلّ بارع في علم (دليل على إدراكهم قيمة العلم ومكانة العلماء).

(٣) الصوب: المطر بمقدار ينفع ولا يؤذي. السجام: هطول المطر.

(٤) أمّ الرجل القوم: صلّى بهم إماماً وصلّوا هم وراءه مقتدين به. الجماعة: صلاة القوم معاً. مقيمين للخمس الفروض: يصلّون الصلوات الخمس (في اليوم والليلة) ولا يتهاونون فيها.

(٥) قطع الرقيب اللبناني هذا الشطر (إذ يبدو أنّه كان تعبيراً عن أمر لا يرضاه النصارى)- من أسفل العمود الثاني من الصفحة ٥٧ من مجلّة «العربي» (الكويت) من «عدد» تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٦٧ م.

(٦) يعمل بحفر الأرض أو بالبنيان.

(٧) يوم الجلوس: يوم التعطيل (الأحد؟).

(٨) لا أعلم إذا كانت كلمة «الكلاب» هنا مستعملة على الحقيقة أو على المجاز. التحزّم: العمل بجدّ (بكسر الجيم).

(٩) سبتني: أسرتني.

(١٠) حليف: شريك، رفيق. الفرط: الكثرة.

وكم نَعّمَتْني من لذيذِ وِصالِها ... بما لم تَصِلْ نفسي له بتَوَهُّمِ.
فقبّلتُ منها الخدَّ وهو مُورَّدٌ ... وثَنَّيتُ بالثَّغْرِ المَليحِ التبسُّمِ.
ومالتْ بفَرْطِ السُّكر وهي مريضةٌ ... كَمَيْلِ الصَّبا صُبْحاً بغُصْنٍ مُنَعَّمِ (١).
ولولا عَفافي واتِّقاءُ عِتابِها ... تَمَتّعْتُ منها بالمُحَلِّ المُحَرَّمِ (٢).

٤ - ★★ مجلّة «العربي» (الكويت، تشرين الأوّل - أكتوبر ١٩٦٧ م، ص ٥٣ - ٦٤: عبد الكريم الغرناطي، بقلم محمود علي مكّيّ (يبدو أن صاحب المقال قد نشر كتاباً عن عبد الكريم هذا، أو كتاباً لعبد الكريم هذا)، ولم أستطع أنا أن أرى ذلك الكتاب.

زرّوق البُرنُسيّ

١ - هو أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ عيسى البُرنُسي الشهير بلقب زرّوق(★)، وُلِدَ يومَ الخميس في الثامن والعشرين من المُحرَّم من سَنَة ٨٤٦ (٨/٦/١٤٤٢ م).

حَفِظَ زَرّوقٌ القرآنَ في العاشرةِ من عُمُرِهِ. وفي السادسةَ عَشْرةَ بدأ قراءة القرآنِ(٣) والحديثِ والفقه على نَفَرٍ كثيرين من عُلماءِ عصرِهِ وأخذَ التصوّفَ خاصّةً عن نفرٍ منهم ابراهيمُ التازيُّ (ت ٨٦٦ هـ). رَحَلَ إلى المشرقِ فحجّ مِراراً وقرأ فيه التصوّفَ على جماعةٍ ثمّ عاد. وقد تُوُفِّيَ في تكرور من أعمال طرابلس (ليبيا)★ في الثاني من صفر من سنة ٨٩٩ (١٢/ ١١/ ١٤٩٣ م).

٢ - كان زرّوقُ البُرنسي مُتصوّفاً تُنَسَبُ إليه كراماتٌ كثيرة كما كان واسعَ المعرفةِ

(١) مريضة: مريضة الأجفان (ناعسة العينين) من صفات النساء الحسان. الصبا: ريح الشرق الخفيفة الباردة. الغصن المنعّم (الناعم) لأنّه يهتزّ مع الريح بسهولة.

(٢) المحلّ (الشيء الذي تعدّه هي حلالاً) المحرّم (الذي حرّمه الإسلام).

(★) ولد زرّوق يوم الخميس. ثم تُوُفِّيَتْ أمّه يوم السبت التالي، ثم توفي أبوه أيضاً يوم الثلاثاء بعد ذلك السبت.

(٣) قراءة القرآن: حفظ القرآن غيباً وتجويده (أحكام قراءته) وتفسيره وقراءاته والناسخ فيه والمنسوخ.

(★) «تكرور» في السودان الغربي (غربيّ إفريقية، جنوب الجزائر). وقوله (هنا): من أعمال طرابلس (على سبيل التقريب).

بعَدَدٍ من العلوم. وله تآليفُ كثيرةٌ جدًّا، ولكنَّ مُعَظَمها شروحٌ مُوجَزةٌ على تآليفَ في الفِقهِ والحديث والتصوّف. فمن كتبه: جزء في علم الحديث - تعليق على صحيح البخاري - شرح «مختصر خليل» - الجُنّة للمعتصم من البِدَع بالسُّنّة - شرح رسالة ابن أبي زيد - شرح المقدمة القرطبية - شرح العقيدة القدسية - النصيحة الكافية لمن خصّه الله بالعافية - القواعد (في التصوّف) - تمهيد (في تأسيس عقائد التصوف وأصوله) - البدع التي يفعلها الفقراء (الصوفيون) - دعاء الصباح - ودعاء المساء - كناشة - رحلة - الوظيفة الزرّوقية.

٣- مختارات من آثاره

- يُنْسَبْ إلى زرّوقٍ البُرنُسي نظمٌ صرّحَ فيه بما زعم أن الله أعطاه من القُدرة على الأعمالِ التي هي في الأصل من أعمالِ اللهِ تعالى (والتصريحُ بذلك عيبٌ عند كبارِ الصوفية):

ألا قد هجرتُ الخلقَ طُرًّا بأسْرِهِمْ — لَعَلّي أرى محبوبَ قلبي بُمقلتي[١].
وعَلّقتُ قلبي بالمَعالي تَهَمُّماً — وكُوشِفْتُ بالتحقيقِ من غيرِ مِرْيَةِ[٢].
وقُلّدْتُ سيفَ العِزِّ في مَجْمع الوغى — وصِرْتُ إمامَ الوقتِ صاحبَ رُفْعةِ[٣].
ومُلِّكتُ أرضَ الغربِ طُرًّا بأسرِها — وكُلَّ بلادِ الشرقِ في طيِّ قبضتي[٤]
فأعْزِلُ قوماً ثمّ أُولي سِواهُمُ، — وأُعْلي مَنارَ البعضِ فوقَ المِنصّة[٥].
وأَجبُرُ مكسوراً وأُشْهِرَ خاملاً — وأرفعُ مِقداراً بأرفعِ هِمّتي.

---

(١) طرّا، بأسرهم: كلهم. محبوب قلبي: الله. أرى الله بمقلتي: أثق بوجوده وبصنعه كأنّي أراه بعيني.

(٢) في القاموس: تهمّم الرجل الشيء (تحسّسه). والشاعر يقصد «اهتماماً شديداً». كوشف الصوفي: كشف الله له عن حقائق الوجود وعن المستقبل. المِرية: الشكّ.

(٣) وقلّدت... أعطيت السلطة العظيمة. أمام الوقت: الإنسان الوحيد في زمن ما، إذا كان يملك السلطة الخارجة في العادة عن طاقة البشر.

(٤) في طيّ قبضي: أطوي عليها يدي (أفعل بها ما أشاء).

(٥) أولى الحاكم فلاناً أمراً: جعله والياً (ضدّ عزل). أُعلي (أرفع) منار (قنديل) المنصّة الطاولة. أعلى منار...: أجعل أمرهم مشهوراً.

وأقْهَرُ جبّـاراً وأدْحَـضُ ظالمـاً وأنصرُ مظلوماً بسُلْطان سَطوتي[1].
وأُلْهِمْتُ أسراراً وأُعطِيتُ حِكمةً وحُزْتُ مقامـاتِ العُلا المُستَنـيرة.
أنــا لُمريــدي جامــعٌ لشَتاتِــه إذا ما سَطا جَوْرُ الزمان بنَكْبة[2].
وإنْ كُنتَ في كربٍ وضيقٍ وكُرْبةٍ، فنـادِ: «أيا زرّوقُ»، آتِ بسُرْعة.

- ومن كلامه في بعض رسائله:

طُفْتُ مشارقَ الأرضِ ومغاربها في طلب الحقِّ، واستعملتُ جميعَ الأسبابِ المذكورةِ في مُعالجة النفس بقَدْرِ الإمكانِ في مَرْضاةِ الحقّ. فما طَلَبْتُ قُرْب الحقّ بشيءٍ إلّا كان مُبْعِدي، ولا عَمِلْتُ في معالَجَتها بشيءٍ إلّا كان لها مُعيناً[3]. ولا توجّهتُ لإرضاءِ الخَلْقِ الا كان غيرَ مُوفٍ بالمقصود[4]. ففَزِعْتُ إلى اللجأ إليه عزّ وجلَّ في الجميع فخرجت بفضلِ ذلك علّة رؤية الأسباب[5]. ففزِعْتُ إلى الاستسلام فخَرَجَ لي منه رؤيةُ وُجودي وهو رأسُ العِلَلِ. فطَرَحْتُ نفسيَ بينَ يدَيِ الحقِّ سُبحانَه طرْحاً لا يَصْحَبُه حوَلٌ ولا قوّة[6]، فصحّ عندي أن السلامةَ مِنْ كلِّ شيءٍ (إنّما هي) بالتبرّي من كلّ شيء، و(أنّ) الغنيمةَ من كلّ شيء (انّما هي) بالرجوعِ إلى الله في كلِّ شيء[7].

- وقال الشيخُ زَرّوقٌ في أصولِ الطريقة الصوفية التي كان يَتّبِعُها (النبوغ المغربي، ٦٣٤ وما بعد):

---

(١) دحض وأدحض القدم: أزلقها (جعلها تزلق) وأبطل الحجّة. أدحض الظالم: أزحزحه عن موقفه (أمنعه عن الظلم أو أهزمه وأقهره).

(٢) المريد (للشيخ الصوفي) كالتلميذ (للأستاذ).

(٣) كلّما حاولت أن أعرف الله بوساطة شيء (من المخلوقات) زاد جهلي: بحقيقة الله. وكلّما أردت معرفة الأشياء بوساطة ما، أعانني الله على ذلك (!).

(٤) وكلّما حاولت أن أعمل عملاً لأرضي به مخلوقاً لم يكن ذلك موفياً بمقصودي (لم يتّم مقصودي، لم أصل إلى نتيجة).

(٥) اللجأ كالملجأ: الحصن. واللجأ (بفتح وسكون) مصدر بمعنى اللجوء والالتجاء. فخرجت بفضل ذلك... (يبدو أن في الجملة نقصاً)، والمقصود: السبب الأقصى للوجود هو الله.

(٦) فزع: لجأ. الاستسلام: تسليم الأمر كلّه إلى الله. فخوج لي.... ظهر لي أن معرفة الله تصل بي إلى معرفة وجودي أنا (هنا شطح: كلام ظاهره يشبه الكفر) معروف في التصوّف المتطرّف. الحول: القوّة.

(٧) التبرّي - المقصود: التبرىء (بالهمزة: التخلّي، الترك). السلامة الحقيقية والغنيمة الحقيقية تكونان بترك الأمور الدنيوية وبالاعتماد في كلّ شيء على الله وحده.

أصولُ طريقتِنا التي تَنبني[١] عليها عشْرةُ أشياءَ: خمسةٌ ظاهرةٌ وخمسةٌ باطنة. أمّا الخمسةُ الظاهرةُ فأوّلُها مُلازمَةُ السمعِ والطاعة لأُمراء المسلمين وعامَّتِهم وخاصَّتهم مِنْ أهلِ اللهِ[٢]، فلا يُخالَفُ عليهم بقَوْلٍ ولا بفعلٍ، بل إيمانٌ وتسليمٌ[٣]. والثاني لُزومُ الخمسِ في الجماعة[٤] بحَسْبِ الإمكان. فإنْ كان (ذلك) في الجامع الأعظم[٥] فهُوَ أوْلى. وتكفي المرأة والصبيّ وأيّ مَنْ كان من المُسلمين في تحصيل فضلِها[٦]. والثالثُ القناعةُ بقليلِ الرِّزقِ وكثيرهِ بأيٍّ وجهٍ تَحصَّلَ من الوُجوه المُباحة. الرابعُ إقامة الأوْرادِ[٧] الشّرعيةِ بحَسْبِ ما يكونُ صالحاً للإنسان في دينهِ ودُنياه، وذلك يختلفُ باختلافِ الناس[٨]. والخامسُ إيثارُ الخُمول بتَرْكِ الفُضول[٩] وعَدَمُ المُنازعة والعِنادِ في قولٍ وفعلٍ. وفي ذلك يقولُ القائل:

وقائلــةٍ: مــا لي أراك مُجانِبــاً ... أموراً، وفيهــا للتِّجــارةِ مَرْبَحُ؟
فقلـت لها: ما لي بِربْحِكِ حاجةٌ، ... فنَحْنُ أُنـاسٌ بالسلامـة نفرَحُ[١٠].

وأمّا الخمسةُ الباطنةُ فأوّلُها الإعراضُ عمّا يُرجى أو يُخشى مِنْ قِبَلِ الخَلْقِ[١١] بألاّ يُرجى منهم لا دفعٌ ولا جَلْبٌ[١٢]، ولا يُتَوَجَّهَ إلَيْهم في طلبٍ ولا هَرَبٍ[١٣]. والثاني

---

(١) تنبني عليها طريقتنا: تتألف منها طريقتنا.
(٢) أهل الله: المتصوّفون.
(٣) على المريدين (الداخلين حديثاً في الطريقة) أن يسمعوا لشيوخهم ويطيعوهم بإيمان وتسليم (بثقة واطمئنان).
(٤) الخمس: الصلوات الخمس.
(٥) الجامع الأعظم (أكبر جوامع المدينة والذي تقام فيه صلاة الجمعة).
(٦) المرأة والصبيّ وأي من كان من المسلمين (هم غير المريدين الداخلين في الطريقة). في تحصيل فضلها (فضل صلاة الجماعة). المقصود من هذه الجملة كلّها غير واضح.
(٧) الورد (بالكسر): سياق من الجمل (في ذكر الله والصلاة على رسول الله) يقرأها الصوفيّ في أوقات معيّنة.
(٨) .... مادّة الورد ونسقه لا يكونان واحداً لجميع الناس وعند جميع الناس.
(٩) إيثار (تفضيل) الخمول (قلّة الشهرة). الفضول: دخول الإنسان فيما لا يخصّه ولا يعنيه من الأقوال والأفعال.
(١٠) السلامة (هنا): خلاص الفرد من المشاكل والمصائب التي تحيط بالناس.
(١١) من قبل (جهة) الخلق (الناس).
(١٢) دفع مضرّة أو جلب منفعة.
(١٣) في طلب منفعة ولا هرب (لجوء إليهم لحماية).

الإقبالُ على اللهِ بألاّ تَطْلُبَ حوائِجَكَ - قلّتْ أو جَلّتْ [1] - إلاّ منه.....

وبعدَ هذه الخمسِ خمسٌ لا بُدّ لك منها: مُجاملةُ الخَلْق ومُحاسَنَتُهم في الأمور والحَذَرُ منهم في عَيْنِ حُسْنِ الظنّ بهم [2] ومُوافَقَتُهم في كلّ أمرٍ لا يُخالِفُ الشَّرْعَ ولا يضُرُّ بالدُّنْيا ولا ينقص العقلَ [3]، واتّباعُ العِلْمِ في كلّ وِرْدٍ وصَدَرٍ [4]، فقد قالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: « العلمُ إمامُ العملِ، والعَمَلُ تابِعُه ».

- من كتاب « حكم ابن عطاء: شرح العارف بالله الشيخ زرّوق » (ص ٢٦)[★]:

أمّا قبلَ كلّ شيء ومعَه وبعدَه، فليس على الحقيقةِ إلاّ اللهُ وحدَه: من وَقَفَ ببابه الكريم أنْجحَ وملَكَ، ومَنِ اسْتَنَدَ لِجَنابه العظيم أفلحَ وسَلَكَ[5]، ومن حادَ عن مَنْهجه القويم خَسِرَ وهَلَكَ. وخيرُ العباد من وَقَفَ بكُنْهِ[6] هِمّته عليه، وأفضلُهم من توجَّه في كلّ أمورِه إليه فقام بالحقّ على بِساط التحقيق، وجَمَعَ بينَ ظاهرِ الشرعِ وباطنِ الطريق[7]، ووَقَفَ للخِدمة وغيرِها مَوْقفَ أهلِ الصِّدق والتصديق، مُقْتَدِياً بأئمّةِ الهُدى والتوفيق كالسادةِ الشاذليّةِ[8] ومَنْ في مَعْناهُمْ والجماعة الوَفائية[9] ومَنْ جرى مَجْراهم.

---

(١) جلّت: عظمت، كثرت.

(٢) في عين حسن الظنّ (؟): لا يجوز أن يحسن الإنسان الظنّ بكلّ إنسان آخر وفي كلّ أمر.

(٣) ولا ينقص (بفتح فسكون فضمّ أو بضمّ فسكون فكسر) العقل: يضعف العقل (يجعله ضعيفاً: يدلّ على عجز في العقل عن إدراك الأمور).

(٤) الورد: الذهاب إلى الماء (للشرب أو للتزوّد بالماء) والصدر: الرجوع عن الماء بعد الريّ (بالكسر: الامتلاء من الماء أو بعد التزوّد بالماء).

(★) في هذه النصوص الصوفيّة التالية سأكتفي بالإشارة إلى المعاني اللغوية والتاريخية - عند الضروزة - ولن أشرح المعاني الصوفية التي تحتمل وجوهاً كثيرة وفهماً شخصياً يختلف بين الفرد والفرد.

(٥) سلك: سار في طريق التصوّف (أصبح صوفيًّا مقبولاً عند جماعة الصوفيّين).

(٦) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته. وكنه همّته (هنا): بجميع قصده وجهده.

(٧) ظاهر الشرع: العبادات الظاهرة (كأشكال الصلاة والانقطاع في الصوم عن الطعام). باطن الطريق (طريق التصوّف): حقيقة العبادات (إدراك معنى الصلاة عندهم بالإضافة إلى شكلها عندغيرهم: إنّ ذكر الله في القلب عندهم صلاة، ولو لم يقم أحدهم بالشكل المطلوب للصلاة).

(٨) الشاذلية: طريقة صوفية ترجع إلى مؤسّسها أبي الحسن الشاذلي المغربي (ت ٦٥٦ هـ).

(٩) الوفائية: طريقة صوفية مشتقّة من الطريقة الشاذلية (راجع الحاشية السابقة) وضعها محمّد بن محمّد الإسكندري الملقّب بلقب السيّد محمّد وفا الشاذلي (ت ٧٦٥ هـ = ١٣٦٤ م).

- من كتاب «حكم ابن عطاء ...» (ص ٣٣):

وقدِ آخْتَصّتْ هذه التعاليقُ بثلاثِ خِصالٍ: إظهارُ المُناسبةِ في الكلام والاختصارُ في التقرير والتسهيل في البيان، مَعَ زِيادات أُخَرَ تَخُصُّ بعضَها وتعُمُّ كُلَّها[١]. مِنْ ذلك أنّ الكتاب مُحْتَوٍ على أربعةِ أنواعٍ: التذكيرُ والوعظُ، وهُوَ حظّ العَوامِّ[٢]، وللخَواصّ فيه نصيبٌ (ثمّ) الكلامُ على الأحكام، وهُوَ حقّ المُتوجّهين[٣] من كُلّ فريقٍ ولكلِّ طريق (ثمّ) الكلامُ على الأحوال، وهو نصيبُ المُريدين[٤]، وربّما كان تنبيهاً وتشويقاً لغيرهم (ثمّ) الكلامُ على الحقائق، وهُوَ نصيبُ العارفين والمُحقّقين[٥]. وقد عَرَفَ كُلُّ أناسٍ مَشْرَبَهُم[٦] وما يَجْري به حالُهم وما يليقُ بهم.

- من متن كتاب «حكم ابن عطاء ...» (ص ٥٩ - ٦٠):

(قال ابن عطاء الاسكندريّ المتوفّى سنة ٧٠٩ للهجرة):

«الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سرّ الإخلاص فيها».

(وشرحها الشيخ زرّوق فقال):

قُلتُ: ولا عِبرةَ بصورةٍ لا روحَ فيها، كما أنّه لا قِيامَ لروحٍ دون صُورتِها. ويَحْتَمِلُ[٧] قولهُ: «سِرُّ الإخلاصِ» أنْ يكونَ ما هو أخَصُّ منه، وهو الصِّدقُ المُعَبَّر عنه بالتَبَرّي من الحَوْل[٨] والقوّة. وكِلاهُما مطلوبٌ: الإخلاص لِنَفْيِ الرياء، والصِّدقُ لِنَفْيِ

(١) هذه «الزيادات» منها ما يتعلّق بعدد من حكم ابن عطاالله، ومنها ما يتعلّق بجميع تلك الحكم.

(٢) العوام (هنا): الذين لم يسلكوا طريق التصوّف. والخواصّ هم السالكون في طريق التصوّف.

(٣) الأحكام = أحكام الشرع (في المعاملات)، كالبيع والشراء، والزواج والطلاق، وتقسيم الإرث (ممّا يحتاج إليه جميع الناس).

(٤) المريد: الذي بدأ السير في طريق التصوّف (بإرشاد أحد الشيوخ).

(٥) الحقائق: ما يعرفه الصوفي من طريق الإلهام (الإلهام للمتصوّف كالوحي للأنبياء). العارف: الصوفي الذي بدأ يتلقّى الإلهام. المحقّق: الصوفي الذي بلغ مرتبة «المعرقة القصوى» (وأصبحت الأمور تجري - في هذا العالم - بإرادته).

(٦) ﴿قد علم كلّ أناس مَشربَهم﴾ (٢ : ٦٠، سورة البقرة) - المقصود (هنا): كلّ فريق يعرف مقداره ومكانته فيقف عند حدّه منها.

(٧) يحتمل أحد وجهين....

(٨) التبرّي = التبرّؤ (التخلّي عن أمر من الأمور). الحول: القوّة.

العُجْبِ[١]، وكِلاهُما لا كمالَ للعمل إلاّ به. فلذلك قال بعضُ المشايخ، رَحِمَهُ اللهُ: صَحِّحْ عَمَلَكَ بالإخلاص، وصَحِّحْ إخلاصَك بالتبَرّي من الحَوْل والقوّة. قال الشيخُ أبو طالبٍ المَكّيُّ[٢]، رَضِيَ اللهُ عنه- عنه: والإخلاصُ عند المُخلصينَ إخراجُ الخَلْقِ من مُعاملةِ الحقّ. وأوّلُ الخَلْقِ النَّفْسُ. والإخلاص عند المُحبّين ألاّ يعملَ (المُحِبُّ) عملاً لأجلِ النَّفْس، وإلاّ دَخَلَ عليه مُطالعةُ عِوَضٍ أو مَيَلٌ إلى حظّ النفس. والإخلاص عند المُوحّدين خروجُ الخَلْق من مُعاملة الحقّ من النَّظَر إليهم في الأفعال وعَدَمِ السُّكون إلَيْهِمْ والاستراحةِ بِهِمْ في الأحوال. انتهى (كلام أبي طالبٍ المكّيّ). وكما أن الإخلاصَ حِصْنُ الأعمال، فالخُمول حُسْنُ الإخلاص، وهو طرحُ النفس فيما يَليقُ[٣] بها من النقص والدَّناءة. وبحَسْبِ هذا فهو دَفْنٌ (انتهى شرح زرّوق لحكمة ابن عطاء الله: «الأعمال صور قائمة... »).

٤- النصيحة الكافية لمن خصّه الله بالعافية، مصر (طبع حجر) ١٢٨١ هـ.
- قواعد التصوّف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة (صحّحه محمّد زهريّ النجّار)، القاهرة (مكتبة الكلّيات الأزهرية) بلا تاريخ؛ (ضبط ابراهيم اليعقوبي)، دمشق (مطبعة الملاّح) ١٩٦٨ م.
- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصر ١٣٢٢ هـ.
- وظيفة سيدي أحمد زرّوق (الوظيفة الزرّوقيّة)، مطبوع مع «تنوير الأفئدة» لأحمد بن عبد الرحمن الساعاتي، مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٣٣ هـ.
- حكم ابن عطا الله: شرح العارف بالله الشيخ زرّوق (تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف)، القاهرة (دار الشعب) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م.

★★ المنهل العذب ١: ١٨١، (؟)؛ الضوء اللامع ١: ٢٢٢؛ نيل الابتهاج ٨٤- ٨٧؛ جذوة الاقتباس ٦٠؛ شجرة النور الزكيّة ٢٦٧؛ شذرات الذهب ٧: ٣٦٣- ٣٦٤؛ بروكلمن ٢: ٣٢٨- ٣٣٠، الملحق ٢: ٣٦٠- ٣٦٢؛ سركيس ٩٦٥- ٩٦٦؛ الأعلام للزركلي ١: ٨٧- ٨٨ (٩١)؛ أعلام ليبيا ٦٥؛ النبوغ المغربي ١٣٨، ٢٠٧- ٢٠٨، ٦٣١- ٦٣٦؛ مجلّة كليّة الآداب (ليبيا)، العدد الثاني، ص ١٢٩ (١٩٦٨؟).

---

(١) العجب: الزهو (الفخر بالنفس). الكبر (بالكسر): التكبّر، الترفّع عن سائر الناس.

(٢) أبو طالب المكي هو محمد بن عليّ بن عطيّة الحارثي (ت ٣٨٦ هـ= ٩٩٦ م) الزاهد الواعظ سكن بغداد، له كتاب «قوت القلوب» في التصوّف.

(٣) فيما يليق (كذا في الأصل). اقرأ: «طرح (ترك) النفس ما لا يليق بها.

ابن عبد الجليل التنسيّ

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الجليلِ التَّنَسِيُّ التِّلِمْسانيّ ثمّ الأمويُّ (نفح الطيب ٢ : ٥٧٤) أصلُه من تَنَسَ (مدينةٍ ساحلية في الجزائر) ونشأ في تلمسانَ. وقد أخذَ عن جماعةٍ منهم (نيل الابتهاج ٣٢٩): أبو الفضل بنُ مرزوقٍ وقاسمٌ العقبانيّ (٧٦٨ - ٨٥٤ هـ) والإمام الأصوليُّ محمّدُ النجّارُ وإبراهيمُ التازيُّ (ت ٨٦٦ هـ). وتصدّرَ التَنَسِيُّ للتدريس، وكانتْ وفاتُه في جُمادى الأولى من سَنَةِ ٨٩٩ (أوائلِ ١٤٩٤ م).

٢ - كان ابنُ عبدِ الجليلِ التنسيُّ شيخَ شيوخِ زَمَنِهِ وحافظَ (محدّثَ) عصرِه إماماً في التفسير والفِقه والنحو ومؤرّخاً بارعاً له: راحُ الأرواح فيما قاله المَوْلى أبو حمّو من الشعر وقيل فيه من الأمداحِ وما يُوافق ذلك على حَسب الاقتراح - نَظْمُ الدررِ والعُقيان في شَرَفِ بني زَيّانِ وذِكْرِ مُلوكِهم الأعيان. وكان له بَصَرٌ في الأدب والنَّقْد وشيءٌ من النظْم. لمّا وَقَفَ التنسيُّ على قصيدةِ لسانِ الدين بنِ الخطيب «أطْلَعْنَ في سَدَفِ الفُروع شُموسا» قال إنّ لسانَ الدين قد حذا في هذه القصيدة حَذْوَ أبي تمّامٍ في قصيدته «أقشيبَ رَبْعِهِمُ أراك دَريسا» (نفح الطيب ٦ : ٢٠١) ولم يقبَلْ أن يكون لسانُ الدين قد نَسَجَ على مِنوالِ قصيدةٍ من هذا البحرِ وهذا الروِيِّ لابنِ عبدونٍ «أذْهَبْنَ من فَرَقِ الفِراق نُفوسا» (نفح الطيب ٤ : ٣٠٥).

في الفِقه نَصٌّ على أن الزَّرع للزارع (من زَرَعَ زَرْعاً في أرضٍ فله وحدَه الحقُّ في حَصاده). وكان شاعرٌ قد قال إنّ نَظرَهُ إلى غُلامٍ حَمَلَ ذلك الغُلامَ على الخَجَل فاَحْمرّ خدّه (وأصبح كالورد). فلماذا لا يجوزُ للشاعر أن يُقَبِّلَ ذلك الخدَّ ليَقْطُفَ الوردَ الذي كان قد زَرَعه فيه. ويَرُدُّ التَنَسيُّ على ذلك بقوله: (نفح الطيب ٣ : ١١٣):

في ذا الذي قد قُلْتُمْ مَبْحَثٌ، إذ فيه إبهامٌ على السامعِ.
سَلّمْتُمُ الحُكم له مُطْلَقاً. وغيرُ ذا نُصَّ عنِ الشارع.

يَقْصِدُ أنّ العينَ هِيَ التي زَرَعَتِ الوردَ في الخَدّ (أحْدَثَتْ فيه الخجلَ) فلا يجوزُ للفَمِ أنْ يقطُفَ ذلك الوردَ لأنّه ليسَ الزارعَ.

٣- مختارات من آثاره

- احتفال أبي حمّو الثاني بالمولد.

قال ابنُ عبدِ الجليلِ التَنَسِيُّ في كتابه «راح الأرواح» (نفح الطيب ٦: ٥١٣ - ٥١٤):

إنّه(١) كان يُقيمُ ليلةَ الميلادِ النبَوِيّ، على صاحبِهِ الصلاةُ والسلامُ، بمَشورةٍ(٢) مِنْ تِلمْسانَ المحروسةِ مَدْعاةً حَفِيلةً يُحشرَ(٣) فيها الناسُ خاصّةً وعامّةً. فما شِئْتَ من نَمارِقَ مصفوفةٍ وزَرابِيَّ مَبْثوثة(٤)، وبُسُطٍ مُوشّاةٍ ووسائدَ بالذهب مُغشّاة(٥) وشَمْعٍ كالأُسْطُوانات وموائدَ كالهالات(٦)، ومباخرَ منصوبةٍ كالقِباب يخَالُها المُبْصِرُ تِبْراً مُذاب(٧). ويُفاضُ على الجميعِ أنواعُ الأطعمةِ كأنّها أزهارُ الربيعِ المُنَمْنَمَة(٨) تَشْتَهيها الأنفسُ وتَلَذُّها النواظرُ، ويُخالِطُ حُسْنُ رَيّاها الأرواحَ ويُخامِرُ(٩)؛ رُتِّبَ الناسُ فيها على مراتِبِهِمْ ترتيبَ احتفالٍ، وقد عَلَتِ الجميعَ أُبَّهَةُ الوَقارِ والإجلال. وبِعُقْبِ ذلك يحتَفِلُ المُسْمِعون(١٠) بأمْداحِ المُصطفى عليه الصلاةُ والسلامُ ومُكَفِّراتٍ تُرَغِّبُ في

---

(١) أي أبا حمّو الثاني.

(٢) المشورة (مكان يجتمع فيه السلطان بأصحابه للتشاور - قصر كبير على مقربة من تلمسان؛ أذكُرُ أنّنا كنّا مقبلين من نزهة - في أحد ملتقيات الفكر الإسلامي (في الجزائر) - فنزلنا نزور بقايا قصر قيل، فيما أذكر، أنّه مشورة!).

(٣) مدعاة (جمعها مداع): دعوة، مأدبة. الحفيل: الكثير (يقال: جمع حفيل). يحشر الناس (يجمعون من كلّ مكان ومن جميع الطبقات).

(٤) ﴿ونمارق مصفوفة وزرابيّ مبثوثة﴾ من القرآن الكريم (٨٨: ١٥ - ١٦، الغاشية). النمرقة (بضمّ فسكون فضمّ): وسادة يتكأ عليها. الزربيّة: الحصير، البساط (ما يبسط أو يفرش على الأرض)، وقيل هي النمرقة. مبثوثة: مفروشة، متفرّقة.

(٥) موشّاة: مزركشة. مغشّاة: مغطّاة.

(٦) كالهالات (كناية عن اتّساعها). الهالة: ظاهرة ضوئية ترى محيطة بمصدر النور إذا كان ذلك النور محاطاً بجوّ رطب.

(٧) يخالها: يظنّها. التبر: الذهب. مذاب (كذا في الأصل) ويجب أن تكون مذاباً. ويمكن أن تكون: كأنّها التبر المذاب.

(٨) المنمنم: مرقّش، مزركش (لكثرة أنواعه) بأنماط صغيرة جدًّا.

(٩) الريّا: الرائحة الطيّبة. خامر: خالط.

(١٠) بعقب ذلك: بَعْدَ ذلك. المُسمع: المنشد (للشعر). وبعُقْبِ ذلك أيضاً.

الإقلاعِ عن الآثام [١]، يَخرُجون فيها من فنٍّ إلى فنّ ومن أسلوبٍ إلى أسلوب ويأتون من ذلك بما تَطْرَبُ له النفوسُ وترتاح إلى سَماعه القُلوب. وبالقُرْبِ من السُّلطان، رِضوانُ اللهُ تعالى عليه، خِزانةُ المِنْجانةِ قد زُخْرِفتْ كأنّها حُلّةٌ يَمانيّةٌ [٢]، لها أبوابٌ مُوجَفةٌ على عددِ ساعاتِ الليل الزمانية [٣]. فمهْما مَضَتْ من ساعةٍ وَقَعَ النَّقْرُ بقَدْرِ حِسابِها وفُتِحَ عند ذلك بابٌ من أبوابها وبَرَزَتْ منه جاريةٌ صُوِّرَتْ في أحسنِ صورةٍ في يَدَها اليُمني رُقعةٌ مُشتملةٌ على نَظْمٍ فيه تلك الساعةُ باسْمها مَسطورةٌ [٤]، فتَضَعُها بين يَدَي السُّلطانِ بلَطافةٍ، ويُسْراها على فَمِها كالمُؤَدِّيةِ بالمُبايعة حقَّ الخِلافة. وهكذا حالُهم إلى آنبِلاج عَمودِ الصباح ونِداءِ المُنادي: حَيَّ على الفلاح [٥]!

٤- ★★ الضوء اللامع ٨: ١٢٠؛ شجرة النور الزكية ٢٤٨؛ نيل الابتهاج ٣٢٩-٣٣٠؛ نفح الطيب ١: ٦٨١، ٢: ٥٧٤، ٣: ١١٣، ٤: ٣٠٥، ٦: ١٩٥، ٢٠١، ٥١٣-٥١٧؛ أزهار الرياض ١: ٢٤٣-٢٤٤؛ معجم أعلام الجزائر ١٥٩-١٦٠؛ بروكلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤١؛ الطهار ٢٢٦-٢٢٨؛ سركيس ٦٤٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٦ (٦: ٢٧٨)؛ معجم المؤلفين ١٠: ٢٢٢.

اللؤلؤي الزركشي

١- هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ لُؤلُؤٍ، عُرِفَ باللؤلؤي نِسْبةً إلى جَدِّهِ الذي

---

(١) المكفّرات: أشعار تقال في التزهيد فتكفّر (تغفر) ما كان من عبث (حاشية في نفخ الطيب ٦: ٥١٣). الآثام: الذنوب.

(٢) المنجانة: آلة لتقسيم الوقت (ساعة دقّاقة). وفي نفح الطيب (٦: ٥١٤-٥١٥) وصف مفصّل للمنجانة لابن عبد الجليل التنسي نفسه. زخرفت: زيّنت. حلّة: ثوب. يمانية: من نسج اليمن (اشتهرت اليمن بالنسيج الجميل). أو هي الساعة الرملية (راجع أزهار الرياض ١: ٣٠٩).

(٣) موجفة: مغلقة.

(٤) نظم: شعر فيه تعيين الساعة، يخاطب به السلطان، نحو (عند تمام الساعة السادسة):

يــــا ماجــــداً وهو فرد تخالـــــــــــه في عساكر،
«ستّ» من الليـــــل ولّـــت، مــــا إن لهــــا من نظائر.
دامـــت لياليـــك، حتّـــى إلى المعــــــــاد، نواضر!

(٥) المنادي: المؤذن. «حيّ على الفلاح» من فقرات (بكسر ففتح) الأذان (أي إلى طلوع الفجر).

كان - فيما يبدو - مملوكاً لا نَعرِفُ له سِلسلةَ نَسَبٍ. ويبدو أنّ اللؤلؤيَّ الزركشيَّ[1] قد وُلِدَ في نحو سَنَةِ ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ثمّ بدأ تَعَلُّمه، بعدَ سَنَةِ ٨٤٠ هـ على نفرٍ منهم: محمّدُ ٱبنُ عُمَرَ القلشانيّ (ولعلّه لازمَ القلشانيَّ هذا مدّةً طويلةً) وأحمدُ القُسَنْطينيّ ومحمّدُ البيدموريّ وأبو البركاتِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ عصفورٍ في الأغلب. غيرّ أنّ علومَه التي حَصَلَ عليها كانتْ - فيما يبدو - نُتَفاً، فإنّ كتابَه في التاريخِ لا يَدُلُّ على إحاطةٍ واسعةٍ بفنونِ المعرفة.

ويبدو أيضاً أنّه كان كاتباً في الدولة يعمل في خُطّة العَدْل، ولكنّه لم يكنْ من الرؤساء. أما وفاتُه فيُمْكِنُ أن تكونَ في السَّنَوات الأُوَلِ من القرنِ العاشر[2].

٢ - كان اللؤلؤيُّ الزركشيّ مُدَوِّناً للأحداثِ ولم يكن عَالماً بالتاريخ ومَجْراه. ولكنّ أهمّيّة كتابِ الزركشيّ أنّه مِنْ عصرٍ قلّ فيه تدوينُ التاريخ في تونسَ. ومادةُ الكتاب أحداثٌ مُفْردةٌ يتخلّلُها انقطاعٌ في السِّلسِلةِ التاريخية مرّةً بعدَ مرّةٍ. وفي لُغةِ المؤلّفِ ضَعْفٌ، مَعَ أنّه يُحاولُ التسجيعَ أحياناً. ويُمْكِنُ أن نَعُدَّ المؤلّفَ شاهدَ عِيانٍ للحوادثِ المُتعلّقةِ بالقرنِ التاسع (ص ١١٤ - ١٥٩). أمّا المُلْحَقُ (ص ١٦٢ - ١٦٨)، وهو شِبْهُ تلخيصٍ للكتاب ثمّ ٱستئنافٌ للتدوينِ حتّى سَنَةِ ٨٣٩ هـ (١٤٣٥ م)، فالأغلبُ أنه إضافةٌ ليستْ للمؤلّف.

٣- مختارات من آثاره

- مدخل «تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية»:

الحمدُ لله الذي جعلَ الأيامَ دُوَلاً، وصيّر بعضَ الناسِ لبعضٍ خَوَلاً[3]، وجعلَ لهم في المطامع أملاً، ﴿لا يَبْغونَ عنها حِوَلاً﴾[4].

---

(١) لم اهتد إلى وجه لقبه «الزركشي»، إلّا إذا كانت «الزركشة» صنعة لأبيه أو لجدّه (بعد تحرّره) أو له.

(٢) إذا قبلنا أن يكون مولده سنة ٨٢٠، لم يبق وجه لقول بروكلمن إنّه ألف كتابه نحو ٩٣٢ هـ، ولا لتقدير خير الدين الزركلي أنّه توفيّ بعد ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م).

(٣) دولة: كلّ مدّة لقوم. الخول: الخدم.

(٤) آية كريمة (١٨ : ١٠٩، سورة الكهف): لا يبغون (يريدون) عنها (عن الجنّة) حولا (انتقالا). - ذلك ميل ثابت فيهم.

- حملةٌ صليبية من فرنسة وجنوة على المهديّة[1]:

وفي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وتِسْعينَ نَزَلَ النصارى المَهديّةَ في مِائَةِ قطعةٍ بين مراكبَ كبيرةٍ وأغْرِبَةٍ[2]. فوجّه السلطانُ أحمدُ مَحلّةً[3] نزَلَتْ قُربَ البلدِ قَدّمَ عليها وَلَدَهُ المولى أبا فارسٍ وأصْحَبَهُ بأخيه أبي زكريا. فاتّفق للمولى أبي فارسٍ عبدِ العزيزِ مَعَ النصارى وقائعُ منها في يومِ نزولهم وقعتْ بينَهم وبينَ النصارى حروبٌ كان للمسلمين فيها جَوْلةٌ بحيثُ أسْلموا المَحلّة، ودَخَلَها العدوُّ ولم يَجِدْ فيها عيناً تَطْرِفُ عدا رجلاً واحداً مُشاغباً قتلوه. وبينَما هم (النصارى) في جمعِ الأزوادِ والأسباب[4] إذا بالمولى أبي فارسٍ نادى في المُسلمين وجَمَعَ القوّادَ ومن حَضَرَهُمْ من الجُند وكرّ راجعاً تِجاهَ العَدُوِّ حتّى أخذ المحلّةَ من أيديهم قَهْراً. فحَمِيَتِ العَرَبُ[5] وانصرفَ العدوُّ مُنْهَزِماً. وقُتِلَ منهم نحوُ خَمْسةٍ وسبعينَ رأساً. وواجه العد[6] بنفسِه ودَفَعَ في صُدورهم دُفْعةً شَتّتَ بها شَمْلَهم. فلم يَلْتَفِتْ إلّا والعدوُّ قد أحاطَ به من كلِّ جِهَةٍ. وعَلِمَ العدوُّ أنّه ابنُ الخليفة - ومن عادتِهِمْ في الحرب أنّهم إذا أخذوا مَلِكاً أو ٱبنَ مَلِكٍ فإنّهم لا يُنْزلونه عن فَرَسِهِ - فأخذوا بعِنانِ فَرَسِهِ وساروا به. فألْهَمَهُ اللهُ سبحانه خلْعَ عِنانَ فرسِهِ من رأسِهِ وألحّ (على) الفرسِ وهَمَزَهُ[7]. فخَرَجَ الفرسُ من بَيْنِهم، فرَمَوْهُ بسِهامٍ وأسِنّةٍ، واتّبعوه بخَيَلٍ وأعِنّةٍ[8]، وهو لا يلْتَفِتُ إلى أن وَصَلَ إلى المسلمين وسلّمه اللهُ عزّ وجلّ. ثمّ إنّ النصارى اختلفوا فيما بينَهم، وأرادَ الجَنَوِيُّ الغدر بالفرنسيّ، فارتحل الفرنسيُّ

---

(١) جنوة (في شمال غربي إيطالية) كانت في العصور الوسطى جمهورية مستقلّة.

(٢) = ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م). المصادر المغربية تعني بالروم وبالنصارى الإفرنج عامّة (الأوروبيّين). الملموح أن «الغراب» هنا سفينة صغيرة.

(٣) هو أبو العبّاس أحمد (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ). محلّة: (؟)

(٤) الأزواد جمع زاد: الطعام. الأسباب: الوسائل، الآلات (يقصد: الغنائم).

(٥) حميت: ٱشتدّت (في الحرب). العرب: البدو.

(٦) لعلّ الجملة التامّة: وواجه أبو فارس العدوّ.

(٧) ألحّ على الفَرَس (حثّه على الركض!). همزة: نخسه (بمهازين في الحذاء) في بطنه.

(٨) أسنّة جمع سنان (الحديدة التي في رأس الرمح - ولا معنى لها هنا، ولعلّه أتي بها لتكون سجعة مع «أعنّة» جمع عنان: لجام، كناية عن الخيل).

بسُفُنِهِ. ولمّا رأى الجَنَويُّ أنّه لا يَقْدِرُ وَحْدَه رَحَلَ أيضاً. وكفى اللهُ المُسلمينَ شرَّهم. فانصرفوا خائبين.....

٤- تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية، تونس (المطبعة الرسمية) ١٢٨٩ هـ؛ (بتحقيق محمّد ماضور)، تونس (المكتبة العتيقة) ١٩٦٦ م.

★★ شذرات الذهب ٧ : ٣٦٣ - ٣٦٧؛ بروكلمن ٢ : ٦٠٦، الملحق ٢ : ٦٧٧؛ سركيس ١٦٠٠؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٩٢ (٥ : ٣٠٢)؛ المكتبة العربية الصقلّية ٥٢٢ - ٥٢٤؛ مجلّة الندوة التونسيّة (مقال بقلم محمّد الشاذلي النيفر)، مايو - أيار ١٩٥٣ م.

شهاب الدين (بن) الخلّوف

١- هو شِهابُ الدينِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ أبي القاسمِ بن محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الخلّوفِ الحِمْيَريُّ الفاسيّ التونسيّ، وُلِـدَ في ثالـثِ المُحرَّمِ من سَنَـةِ ٨٢٩ (١٤٢٥/١١/١٥ م).

ذهبَ شِهابُ الدين بنُ الخلّوفِ في أوائلِ حياتهِ مَعَ والده إلى الحِجاز. وبعد أربع سَنَواتٍ انتقل مَعَ والده أيضاً إلى القُدس حيث حَفِظَ القرآن ولازم المقرىء أبا القاسمِ محمّدَ بنَ محمّدٍ النُويري (٨٠١ - ٨٥٧ هـ) وأخذ عن الشِّهابِ بن رِسلانَ والعزِّ القُدسي وغيرهم.

وفي سَنَةِ ٨٥٩ هـ (١٤٥٥ م) تُوُفِّي والده فعادَ إلى المَغْرب ثمّ استقرّ في تُونِسَ وانقطعَ إلى السُّلطانِ الحفصيّ أبي عُمَرَ عُثمانَ (٧٣٩ - ٨٩٣ هـ) وأكثرَ من مَدْحه. وفي سَنَةِ ٨٧٧ هـ حجّ ثانيةً، فلمّا مرّ بالقاهرة لَقِيَ السخاويَّ صاحب «الضوء اللامع» (ت ٩٠٢ هـ).

وكانت وَفاةُ شهابِ الدين بن الخلّوف في سَنَةِ ٨٩٩ هـ (١٤٩٣ - ١٤٩٤ م) في تونس.

٢- كان شِهابِ الدين بنُ الخلّوف أديباً بارعاً في النثر والنظم ولذلك سُمِّيَ ذا الصِّناعتين. كما كانت له مَعْرِفةٌ بالنحو. وهو شاعرٌ مُكثرٌ مُطيلٌ له بديعيّاتٌ ومُوشّحاتٌ.

وفي شعرِهِ تقليدٌ للمشارقة. ثمّ إنّ أوْصافَه في الطبيعة جيادٌ في ألفاظِها. ولكنّ استعاراتِه بعيدةٌ جِدًّا، وكثيرٌ من مُعانيه - من أجلِ ذلك - غامضٌ. ثمّ هو مصنّف له: تحرير الميزان لتصحيح الأوزان (عَروض) - مواهب البديع.... (ميمية في علم البديع) - شرح مواهب البديع - عُمدة الفارض (أرجوزة في الفرائض: تقسيم الإرث) - جامع الأقوال في صِيَغ الأفعال - أُرجوزة في تصريف الأسماء والأفعال - نظم المغني (في النحو). وله ديوان فيه تفسير منامات وأدعية.

ويبدو آحتذاءُ آبنِ الخَلّوف للمشارقة واضحاً جِدًّا - وإن كان بارعاً جدًّا أيضاً - في المقطوعة الواردةِ في «مختارات من شعره»، فإنّها تقليدٌ لقصيدةِ البُحتريِّ التي يقول فيها (في وصف الربيع):

أتاكَ الربيعُ الطَّلْقُ يختالُ ضاحكاً ... مِنَ الحُسْنِ حتّى كادَ أنْ يتكلّما.
وقد نَبّهَ النَّيْروزُ في غَلَسِ الدُّجى ... أوائلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأمسِ نُوَّما.

٣ - مختارات من شعره

- قال شِهابُ الدينِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الخَلّوف في وصف الطبيعة:

رأى البرقُ تعبيسَ الدُّجى فتبسّما ... وصافحَ أزهارَ الرُّبى فتَنَسّما[(١)].
ورقّ لِواءُ البرقِ لَمّا تَلاعَبَتْ ... سوابقُ خيلِ الريحِ في حَلْبة السما[(٢)].
وقد بلّ أردانَ الثَّرى دمعُ مُزْنَةٍ ... تناثَرَ في أسلاكِها فتنظّما[(٣)].
وجرّ على هامِ الرُّبى ذَيْلَ وَبْله ... فدبّجَ أثوابَ الرُّبوعِ وسَهّما[(٤)].

---

(١) تنسّم (قلقة هنا في المعنى) وفي القاموس: تنسّمت الريح (هبّت رويداً رويداً) وتنسّم فلان (تنفّس) وتنسّم المكان (أصبحت رائحته طيّبة).

(٢) الحلبة: الميدان الذي تجري فيه خيل السباق.

(٣) الردن (بضمّ الراء): طرف الثوب. المزنة: المطر. - نقط الماء التي تشبه اللؤلؤ، والتي سقطت متناثرة (متفرّقة)، قد ظلّ بعضها (بعد توقّف المطر) عالقاً بالغصون، فكأنّ الغصون أسلاك وخيوط للعقود، وكأنّ نقط الماء العالقة بها لآل منتظمة في عقود.

(٤) الوبل: المطر. دبّج المطر الأرض: سقاها فاخضرّت وأزهرت. سهّم الثوب: صوّر فيه سهاماً (خطوطاً).

تَلَوّى بأكْنافِ السَّحابِ فخِلْتُه حُباباً تَلوّى أو حَباباً تَلوّما[1].
وخَطّ بطِرْسِ الجوِّ سَطْراً مُذَهَّباً فنَقّطَه قَطْرُ الغَمَام وأعْجما[2].
وشابَ لُجينَ الطَّلِّ عسجدُ بارقٍ فدَنّر أزهارَ الربيعِ ودَرْهَما[3].
ودارَ بِساقِ الغُصْنِ خَلخالُ جدولٍ ووشّحَ أعطافَ الغُصونِ وعمّما[4]،
إلى أن أماطَ الفجرُ فَضْلَ لِثامهِ ونوّرَ بالإسفارِ ما كان أظْلما[5].
ونبّهَ داعي الصُّبحِ إذْ هَبّتِ الصَّبا لواحظَ زَهْرٍ كُنّ في الليل نُوّما .

– وقال ابن الخلّوف مُخَمِّساً بيتينِ لآبنِ الأحمر*:

أماطَ الهوى عن واضحي بُرقُعِ النُّسكِ فوحّدتُّ مَنْ أهواه عن هُوّةِ الشِّركِ[6].
فقُلتُ، وقد أفْتَتَ لِحاظُك بالفَتْكِ: (أفاتكةَ اللحظِ التي سَلبَتْ نُسكي[7]،
على أي حالٍ كان لا بُدَّ لي مِنكِ).

---

(١) يصعب تفسير هذا البيت (إذ يبدو أن بيتاً أو أكثر من بيت سابق عليه قد حذف). المملوح أن البرق يظهر من أطراف السحاب خطوطاً متعرّجة (منكسرة) فخلته حباباً (بالضمّ: ثعباناً) تلوّى: تعرّج في زحفه (مسيره، جريه) ثمّ مر (اختفى) أو حباباً (بالفتح: خطوطا وحواجز تشكّلها الريح في رمال الصحراء) تلوّماً (تلبّث، بقي، دام).

(٢) الطرس: الورقة يكتب عليها. مذهّباً (أحمر: لون البرق) فنقّطه قطر الغمام (وضع عليه نقطاً) وأعجم اقرأ: فأعجم (مازَ بعض الحروف من بعض بوضع النقط عليها). البرق لا يرى واضحاً من خلال المطر المتساقط (؟).

(٣) وكما أن سقوط المطر قد جعل البرق قليل الوضوح (راجع البيت السابق)، فكذلك: (هذا البرق) شاب (خلط، مزج) لجين الطلّ (فضّة المطر، المطر الأبيض كالفضة) بعسجد (ذهب) فدنّر أزهار الربيع (جعل شيئاً منها كالدنانير الذهب) ودرهم بعضها الآخر (جعلها بيضاء كالدراهم الفضّية).

(٤) ودار النهر بجانب الأشجار كما يحيط الخلخال بأرجل النساء (الجميلات). ووشّح (النهر؟) أعطاف (جوانب) الغصون (بالورق الأخضر) وعمّمها (جعل لها عمامة: جعل في أطرافها أزهاراً؟).

(٥) أماط: أزاح. الإسفار (بكسر الهمزة) الكشف عن الوجه (أسفر الصبح: بان، ظهر).

(*) ابن الأحمر؟

(٦) أماط: أزال، كشف. واضحي (وجهي؟) برقع النسك (النسك المألوف عند الناس: النسك الشكلي). وحّدت (في الأصل وجدت– بالجيم). الهوّة: الحفرة العميقة أو هويّة (بضمّ فواو فياء: حقيقة).– في الأبيات معان صوفية.

(٧) الفتك: القتل.

يمينـــاً ، بِنَجْمِ القُرطِ ، مِنْكِ إذا هَوى وخالٍ على عرشٍ بِوجْنَتِكِ ٱستوى[1] ،
لئن لم تَفي ، لا بُدّ للقلبِ ما نَوى: (فإمّا بِذُلٍّ ، وهو أَلْيَقُ بالهوى ؛
وإمّا بعِزٍّ ، وهْوَ أليَقُ بالمُلكِ).

٤- ديوان (أحمد بن أبي القاسم الخلّوف الأندلسي) ، بيروت (المطبعة السليمية) ١٨٧٣ م[★].

★★ موشّحة (في كتاب « الدراري السبع والموشّحات الأندلسيّة » ، بيروت ١٨٧٦ م)؛الضوء اللامع ٢ : ١٢٢ - ١٢٣ ؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٢٤ - ٢٣٠ ؛ تاريخ الجزائر العام ٦٤ - ٦٦ ؛ أعلام الجزائر ٣٩ ؛ بروكلمن ٢ : ٣٠٧ ، الملحق ٢ : ٣٣١ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٢١ (٢٣١) ؛ سركيس ٩٩ - ١٠٠ ، ٨٣٣ ؛ الطمّار ٩٨ - ٩٩ ؛ معجم المؤلفين ٢ : ١١٨ .

أبو العبّاس الونشريسيّ

١- هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ يحيى بنِ محمّدِ بن عبدِ الواحد بنِ عليٍّ الوَنْشَريسيُّ - نِسبةً إلى ونشريسَ ، وهُوَ جبلٌ في القُطر الجزائريِّ - ، وكان مولدُه في تِلِمْسانَ ، نحوَ سَنَةِ ٨٣٤[2] للهجرة (١٤٣٠ م).

ويبدو أنّ الونشريسيَّ قد بدأ تلَقّي العِلمِ باكراً على نفرٍ منهم: والِدُه (وكانَ والدُه من العلماءِ المُدرّسين) ثمّ أبو الفَضْل قاسمُ بنُ سعيدٍ العَقبانيّ (ت ٨٥٤ هـ) وشيخُ الجماعةِ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ العبّاس التِلِمْسانيُّ (ت ٨٧١ هـ) وأبو عبدِ الله محمّدُ بنُ أحمدَ الجلّابُ (ت ٨٧٥ هـ)- وقاضي الجماعةِ بتِلِمسانَ أبو سالمٍ إبراهيمُ بنُ قاسمٍ العَقبانيّ (ت ٨٨٠ هـ) وهُوَ ٱبنُ أبي الفضلِ العَقبانيّ المذكورُ آنِفاً - ومحمّدُ بنُ محمّدِ بنِ مَرْزوقٍ الكفيفُ (ت ٩٠١ هـ).

---

(١) القرط: حلية تعلّق بالأذن. هوى القرط (كان معلّقاً بأذن امرأة ذات عنق طويل - والطول المعتدل في أعناق النساء من صفات الجمال فيهنّ).

(★) راجع ملاحظة في سركيس (معجم المطبوعات العربية): كتب بآخر الديوان أن (؟) قد تمّ طبعه في دمشق سنة ١٢٩١ الموافقة لسنة ١٨٧٤ م.... »

(٢) هذا التقدير من كتاب « تاريخ الجزائر العام » ، تأليف عبد الرحمن بن محمد الجيلاني (٢ : ٣٢٦).

وفي أوائلِ المُحرَّمِ من سَنَة ٨٧٤ (تموز - يوليو ١٤٦٩ م) جَرَتْ على الوَنْشريسيِّ كائنةٌ (حادثة) على أثَرِ خِلافٍ معَ أحدِ رجالِ الدولة عرّضتْه لغضبِ السلطان أبي عبدِ اللهِ مُحمّدٍ المتوكّلِ (٨٦٦ - ٨٨١ هـ) فنُهِبَتْ دارُه، ففرّ بنَفْسِه إلى مدينةِ فاس. إنّ التاريخَ لم يحفَظْ لنا روايةَ هذه الحادثةِ، وإنْ كُنّا نعلَمُ أنّ تلك الحِقْبةَ كانتْ حِقبةَ فِتَنٍ داخليّةٍ كثيرة.

وأخذَ أبو العبّاسِ الونشريسيُّ، منذُ نُزولِه في مدينةِ فاس، يحضُرُ مَجلسَ أبي عبد الله محمّدِ بنِ عبدِ الله اليَفَرْنِيِّ المعروفِ بلقبِ القاضي المِكناسيّ (ت ٩١٧ هـ). ثمّ إنّ السُّلطانَ المَرينيَّ محمّدَ بنَ محمّدٍ المعروفَ بالشيخِ البُرتقاليِّ (٨٧٥ - ٩٣١ هـ) قدّمَهُ للتَّدريس، فتَصدّرَ حينَئِذٍ لِتَدْريس الفِقهِ مُعتَمِداً في ذلك «المُدَوَّنَة» للإمامِ سَحْنونٍ (ت ٢٤٠ هـ) وفُروعَ[1] ٱبنِ الحاجب.

وٱستمرّ الوَنْشريسيُّ في التدريسِ في فاسَ - لم يُغادِرْها قَطُّ - إلى حينِ وفاتهِ في العِشرين من صَفَرَ من سَنَةِ ٩١٤ (١٥٠٨/٦/٢٠ م).

٢ - كان أبو العبّاسِ الونشريسيُّ كثيرَ الاجتهادِ والمُطالعة. ومعَ أنّهُ كان مُشاركاً في عددٍ مِنَ العُلوم، فإنّه ٱقتَصَرَ في التدريسِ على فُروعِ الفِقْه[2]. وكان واسعَ المَعرفةِ بهذه الفُروعِ حتّى أصبح «حاملَ لِواءِ المذهبِ على رأسِ المائةِ التاسعةِ»[3] (نيل الابتهاج ٨٧).

وكذلك كانتْ له بَراعةٌ في النَّحْوِ، كما كان فصيحَ الكلامَ بليغاً في التعبير. وكانَ له أيضاً شيءٌ من النَّظْمِ.

---

(١) هذا الكتاب «مختصر الفروع» أو «جامع الأمهات» راجع بروكلمن ١ : ٣٧٣، الملحق ١ : ٥٣٨ س، لابن الحاجب، وهو جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر. والفروع (هنا) هي العبادات (الصوم والصلاة.....) والمعاملات (الزواج، البيع، الفرائض أو تقسيم الإرث، الخ). راجع في وصف هذا الكتاب وفي قيمته ومكانته مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٠ م، ص ٤٥٠، السطر الرابع من أسفل؛ بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١، ص ٨٠٨ - ٨٠٩).

(٢) راجع الحاشية السابقة.

(٣) إذا كان رأس القرن أوّله (قياساً على المتعارف بقولنا: «رأس») فيكون الونشريسي «حامل لواء المذهب» على رأس المائة (القرن) العاشرة (راجع أيضاً «تاريخ الجزائر العام» ٢ : ٣٢٦).

وكان الونشريسيُّ مُصَنِّفاً وَضَعَ عدداً من الكُتُبِ أكثرُها في الفِقه المالكيّ. من هذه الكُتُب: إيضاحُ المسالكِ إلى قواعدِ الإمامِ مالكٍ - الفُروقُ في مسائل الفِقه: عدةُ البُروق في تلخيص ما في المذهب من الجُموع والفُروق - الوِلاياتُ في مناصبِ الحكومةِ الإسلامية والخُطَطِ الشّرْعية - القواعدُ في الفِقه - المِعيارُ المُعْرِبُ عن فَتاوى عُلماءِ إفريقِيَـــةَ والأندلسِ والمَغْرب - غُنْيـــةُ المُعاصِرِ والتـــالي في شرحِ وثائـــقِ الفشتاليّ[1] - المُخْتَصَرُ من أحكامِ البُرْزَليّ[2] - القَصْدُ الواجبُ في معرفة اَصطلاحِ اَبنِ الحاجب - حلُّ الرِبْقة عن أسيرِ الصَّفْقة[3] - إضاءة الحَلَكِ في الرَّدّ على من أفتى بتَضْمينِ الراعي المُشتَرَكِ[4] - فِهْرِسَةُ شُيوخِه - شرحُ الخَزْرَجِيّةِ في العَروض[5] - وَفَياتُ الونشريسيِّ - تَرْجَمة مُحمّدٍ المَقّريّ (الجَدّ).

أمّا أهمُّ كُتُبِه فهُوَ كتاب «المِعيارُ المُعْرب.... »، اَنتَهى من تأليفهِ سَنَةَ ٩٠١ للهِجرة (١٤٩٦ م)، وهُوَ كتابٌ كبيرٌ (مطبوعٌ في اَثنَيْ عَشَرَ جُزْءاً) وشاملٌ يكادُ يُحيطُ بجميعِ بحوثِ مذهبِ الإمام مالكٍ. والكتابُ مُشتَمِلٌ على فَتاوَى الفُقهاءِ الذين كانوا في إفريقيَةَ (القُطر التّونسيّ) وفي الأندلس وفي المغرب (القُطْرَيْنِ الجَزائريِّ والمَغْرِبيّ). ثمّ هُوَ، بما فيه من الفتـاوى المُختلفـةِ المَوْضوعـاتِ، يُمْكِنُ أن يكونَ صورةً لِلْحيـاة في المَغْرب والأندلس بما فيها من الميادين الحَضاريّة في الاَجتماعِ والسِّياسة والاَقتصاد والدِّين والعِلم والتَّرْبِيَةِ. وفيه وصفٌ مبسوطٌ في المدارسِ لذلك العَهْدِ[6] من حيثُ الوصفُ للأمكنَةِ ومن حيثُ مناهجِ الحياة فيها. غير أنّه يَنُوءُ - بِسَبَبِ اَتّساعهِ وشُموله وتَبَعاً لطبيعةِ الفَتاوى التي هي نِتاجُ حاجاتٍ طارئةٍ في الأكثرِ - بِشيءٍ كبيرٍ من الصُّعوبة في الوصول

(١) الفشتالي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٧٧ هـ) قاضي مدينة فاس.

(٢) البرزلي أبو القاسم بن أحمد (٧٤١ - ٨٤٤ هـ، عاش مائة وثلاث سنوات) من أئمة المالكية وكان ينعت بشيخ الإسلام، له «جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام».

(٣) الربقة: الحبل. حل الربقة: فك المقيد أو تفريج كربة المكروب. عن أسير الصفقة (عقد البيع؟).

(٤) الحلك: الظلام. تضمين الراعي المشترك (؟).

(٥) القصيدة الخزرجية (= الرامزة الشافية) لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي (ت ٧٢٦ أو ٧٢٧ هـ).

(٦) لذلك العهد (في زمن الونشريسيّ).

إلى مُفرداتِ حقائقِه. إنّه مُحتاجٌ إلى فهارسَ لأعلامِ الرجالِ وللموضوعات أيضاً.

- ٣- مختارات من آثاره

- قال الونشريسيُّ في «صِفة المُدرِّس» وفي التَحْبيس - أي «وَقْفِ المدارس»[١] على التعليم (أزهار الرياض ٣: ٣٥):

مِنْ هُنا نعلَمُ أنَ إطلاقَ آسم المُدرِّس على المُقْتَصِرِ على نَقْلِ تَقايِيدِ[٢] الرِّسالة[٣] والمُدَوَّنةِ[٤] - من غيرِ فَتْشٍ ولا تنزيلٍ ولا كَشْفٍ[٥] وآستظهارٍ بغيرِها[٦] - مَجازٌ لا حقيقة[٧]. وهذا الوصفُ[٨] كاد أنْ يَعُمَّ أهلَ الوقتِ أو عَمَّهُمْ[٩]. فنسألُ اللهُ العظيمَ المَغْفِرةَ مِنَ التَطَفُّل[١٠] وتَعاطي ما ليس في المَقْدور .

- وقال في حال نفَرٍ من طالبي العِلْمِ (أزهار الرياض ٣: ٣٥-٣٦):

تأمَّلْ ها هُنا الثناءَ على شيخِ الإسلام الإمامِ أبي عبدِ الله بنِ عَرَفَةَ[١١] - أسْكنَه

---

(١) الوقف: التبرّع بمرافق الحياة (من بناء وماء وأرض) يكون ريعها لمنفعة المحتاجين.

(٢) التقييد: ملاحظات يعلّقها العلماء على الكتب المشهورة.

(٣) الرسالة كتاب في الفقه (في تعليم الولدان أصول الدين) لأبي محمّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفّى سنة ٣٨٦ هـ (راجع ترجمته في الجزء الرابع من هذه السلسلة).

(٤) المدوّنة (الكبرى): كتاب في الفقه المالكيّ اجتمع من رواية كبار فقهاء المذهب لعبد السلام بن سعيد المعروف بلقب سحنون (ت ٢٤٠ هـ) عن عبد الرحمن بن القاسم (ت ١٩١ هـ) عن أسد بن الفرات (ت ٢١٤ هـ) بالاستناد إلى «الموطّأ» لمالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ).

(٥) فتش عن الشيء فتشاً (بفتح فسكون): سأل عنه أو بحث عنه. التنزيل: الترتيب، وضع الشيء في منزله (موضعه). الكشف (عن المعنى الغامض).

(٦) الاستظهار: إيراد مثل أو قول لآخرين يجعل حجّة الأستاذ (أو المؤلّف) أقوى.

(٧) اقرأ: يسمّى مدرّساً على المجاز لا على الحقيقة.

(٨) هذا الوصف (أي اقتصار نفر من المدرّسين على نقل أقوال غيرهم بلا تفسير ولا تحقيق).

(٩) اقرأ: أو هو قد عمّهم.

(١٠) التطفّل (هنا) جرأة المدرّس على تدريس فنّ لا يتقنه.

(١١) هو محمّد بن محمّد بن عرفة الورغميّ (٧١٦-٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالمها في عصره، تولّى إمامة الجامع الأعظم في تونس والخطابة فيه أيضاً والفتوى، له: المختصر الكبير (في الفقه المالكي) - المختصر الشامل (في التوحيد) - المبسوط، الخ.

اللهَ دارَ السلام [١] - وعلى تآليفِه، ولا سِيّما مُخْتَصَرُه الفِقْهِيُّ [٢] الذي أعجزَ معقولُه ومنقولُه الفُحولَ [٣]، خِلافاً لِبَعْضِ القاصرين من طَلَبَةِ فاسَ، فإنّهم يقولون: «ما يقولُ (هذا) شيئاً»، يُريدون أنْ يُطفِئوا نورَ اللهِ [٤]، ويَحْتقِرون [٥] ما عظّم الله. ومُسْتَنَدُهُمْ في ذلك بِزَعْمِهِم حِكايةٌ تؤثَرُ عنِ الشيخ المُحَقِّق أبي العبّاسِ القَبّاب [٦]، لا رأسَ لَها ولا ذَنَبٌ [٧]. وحاشاه من ذلك. وما أراهمُ في ذلك إلّا كما قالَ الأوّلُ [٨]:

وكَمْ من عائبٍ قولاً صحيحاً، وآفَتُه من الفَهْمِ السقيمِ.

....

وقد حَبَّسَ مَلوكُ المَغرب - رِضْوانُ اللهِ عليهم - بِخِزانَتَي القَرَوِيّين والأندلُسِيّين [٩] من هذا الديوان [١٠] المَمْلوكِ نُسَخاً عديدةً؛ ثمّ لا يُعَرِّجُ عليها للمُطالعة في هذا الوَقْتِ أحدٌ من طَلَبَةِ الحَضْرةِ [١١] شِتاءً ولا صيفاً. فإنّا للهِ وإنّا إليه راجعون [١٢]. (وذلك) ما قُيِّدَ عن الشيخِ الجزوليِّ [١٣] وأبي الحسنِ الصغير [١٤]

---

(١) دار السلام: الجنّة.

(٢) راجع الحاشية التي هي قبل الحاشية السابقة.

(٣) المعقول: العلوم العقلية: (هنا) التوحيد، المنطق، الكلام، الخ. والمنقول: العلوم التي تروى من طريق الرجال (كالحديث والفقه والتاريخ). الفحول (كبار العلماء).

(٤) ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾ (٩: ٣٢، التوبة؛ راجع ٦١: ٨، الصفّ).

(٥) «يحتقرون» معطوفة على «يريدون».

(٦) هو أبو العبّاس أحمد بن القاسم الجذامي الفاسي المتوفّى سنة ٧٧٨ للهجرة (راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٦؛ النبوغ المغربي ٢٠٥؛ الديباج ٥٧ ونيل الابتهاج ٥٢، من طبعة (فاس).

(٧) لا رأس لها ولا ذنب (لا يعرف لها وجه من الصحّة).

(٨) البيت للمتنبّي.

(٩) الخزانة (المكتبة العامّة). القرويّين (جامع القرويّين في فاس). والأندلسيّين (؟ جامع الأندلسيّين، في العدوة - الجانب - التي سكنها الأندلسيّون في فاس بعد خروجهم من الأندلس).

(١٠) من هذا الديوان (المختصر الكبير لابن عرفة).

(١١) الحضرة: العاصمة.

(١٢) في القرآن الكريم (٢: ١٥٦، البقرة): ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾.

(١٣) الشيخ الجزولي السملالي، هو محمّد بن سليمان (ت ٨٧٠ هـ) - راجع ترجمته في هذا الجزء.

(١٤) أبو الحسن الصغير (بصيغة التصغير) هو عليّ بن عبد الحقّ الزرويليّ من حفّاظ الحديث ومن الفقهاء، كانت وفاته سنة ٧١٩ هـ (راجع النبوغ المغربي ٢٠٤ - ٢٠٥).... والونشريسي يأسف لأنّ الناس =

(وأمثالِها)، فإنّك تَجِدُهم يزدَحِمون عَلَيْها في كلِّ مكانٍ، وخصوصاً في فصل الشتاء، لا يلحق الآخر منها ورقة [1] واحدة مَعَ كَثْرة عَدَدِها بحيثُ ذكر [2]، بل تَجِدُهُمْ يَتنافَسون في ٱقْتِنائها بالأثْمانِ العظيمةِ المُجْحِفة[3]. ومَنْ مَلَكَ مِنْهُمُ المُسَبَّعَ[4] مِنَ الجزوليِّ وتَقييدَ اليَحْمَديّ[5] عن أبي الحسنِ[6]، أو حَصَلَتْ له عِنايةٌ بِنَقْلِها فَهُوَ عالِمُ العالَمَ بأسرِه وحائزٌ مَذْهَبَ إمامِ دارِ الهِجرة[7] على التَّمام والقائمُ بأمرِه[8]. ولقد كان الحَسَنُ المغيليُّ[9] عِنْدَهم في أعلى طَبَقةٍ من الفِقْه والتَفَقُّه لِقيامه على مُسَبَّعِ الجزوليّ بِخِزانَة القَرَوِيّين، زَعَموا أنّها بخَطّ أبي عليٍّ الحسنِ المذكور[10]، وَهِيَ مشحونةٌ بالتَّصْحيف[11] تُعْمي البَصَرَ والبصائرَ. نَوّرَ الله قلوبَنا وعَمّرَ ألْسِنَتَنا بشُكْره ووَفّقَنا لما فيه رِضاهُ عنّا.

- كتب الونشريسيُّ تعليقاً على كتاب «مُثلى الطريقة في ذمّ الوثيقة» للسان الدين ٱبن الخطيب (راجع نفح الطيب ٦: ٢٧٣، السطر السادس من أسفل) فقال- والذمُّ في هذا التعليق للموثّقين[12] لا للسان الدين- (نفح الطيب ٦: ٢٧٨):

= يهتمّون بالجزولي المتصوّف وبأبي الحسن الصغير (وهو ليس من الفقهاء الكبار) ثمّ يهملون فقيهاً فذّاً مثل ابن عرفة.

(١) يكثر طلب الناس لكتب الجزولي وكتب أبي الحسن الصغير حتّى لا يجد بعض الطلبة ورقة من كتب هذين (مع كثرة كتب هذين) يقرأ فيها.

(٢) بحيث ذكر (في كلّ ورقة من كتاب ذكر فيها شيء عن الجزولي وأبي الحسن الصغيّر).

(٣) (الثمن) المجحف (الباهظ، المرتفع والذي يكلّف الفرد ما لا يطيق).

(٤) يبدو أن «المسبّع» هذا كتاب للجزوليّ أو كتاب فيه؛ ولم أعثر عليه فيما لديّ من المراجع.

(٥) اليحمديّ لقب لنفر معروفين (راجع تاج العروس- الكويت ٨: ٤٥). ولم أعثر على هذا المذكور هنا.

(٦) أبو الحسن (الصغير؟).

(٧) إمام دار الهجرة (المدينة) هو مالك بن أنس.

(٨) القائم بأمره: البارع في فهمه وشرحه.- ومن الواضح أن الونشريسي يتهكّم بأولئك الذين يهتمّون بكتب الجزولي وكتب أبي الحسن الصغير.

(٩) الحسن المغيلي (؟).

(١٠) الحسن المغيلي.

(١١) التصحيف: تبديل الأحرف في الكلمة الواحدة أو اختلاف النقط في الأحرف.

(١٢) الموثّق: من يوثّق العقود (الاتّفاقات) بالطرق الرسميّة (الكاتب العدل).

الحمدُ لله. جامعُ[١] هذا الكتابِ المُقيَّدِ هذا[٢] بأوّلِ ورَقةٍ منه قد كَدّ[٣] نفسَه في شيء لا يُعني الأفاضلَ[٤]، ولا يعودُ عليه في القيامة ولا في الدنيا بطائلٍ[٥]. وأفنى طائفةً[٦] من نفيسِ عُمُرِه في ٱلْتماسَ مساوىء طائفةٍ[٧] بهم تُستباح الفُروجُ[٨]، وتُمْلَكُ مُشيَّداتُ الدُّورِ والبُروجِ[٩]، وجعَلَهُمْ أُضحوكةً لِذَوِي الفَتْك والمَجانة[١٠] وٱنتزع عنهم جلبابَ الصِّدق والدِّيانة. سامَحَهُ اللهُ تعالى وغفَرَ له. قال ذلك وخَطّه بيُمْنى يَدَيْهِ عُبيدُ رَبِّه أحمدُ بنُ يحيى بنِ مُحمّدِ بنِ عَلِيٍّ الوَنْشَريسيُّ، خارَ اللهُ سُبحانَه له.

٤- إضاءة الحلَك في الردّ على من أفتى بتضمين الراعي المشترك، فاس....
- أسنى المتاجر[١١] في أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتّب عليه من العقوبات والزواجر (نشره م.ي. موللر في «مقالات في تاريخ العرب المغاربة»، ٤١ - ٤٣)، مُنشن ١٨٦٦ م.
- غُنية المعاصر والتالي على وثائق الفشتالي (بهامش «وثائق الفشتالي»)، فاس بلا تاريخ (سركيس ١٤٥٣).
- المنهج الفائق والمنهل الواثق[١٢] في أحكام الوثائق، فاس ١٢٩٨ هـ.
- المعيار المغرب والجامع المغرب[١٣] عن فتاوى أهل إفريقية[١٤] والأندلس والمغرب، فاس ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ؛ (نشره برونو وده مونبين)، الرباط (معهد الدراسات العليا المغربية)

---

(١) جامع هذا الكتاب (مؤلّف كتاب «مثلى الطريقة...»): لسان الدين بن الخطيب.
(٢) المقيّد هذا بأوّل ورقة منه (الكتاب الذي دوّنت هذه الملاحظة على الصفحة الأولى منه).
(٣) كدّ: أتعب.
(٤) شيء لا يعني الأفاضل: لا يهتمّ به كبار العلماء.
(٥) طائل: فائدة.
(٦) طائفة (هنا): مدّة.
(٧) طائفة (هنا): جماعة.
(٨) يحلّلون زواج اللواتي لا يحلّ الزواج بهنّ.
(٩) البرج: البناء العظيم، القصر.
(١٠) الفتك (هنا): الاندفاع في الأعمال اندفاعاً لا وازعَ أخلاقياً أو ٱجتماعيًّا فيها، اتّباع رغبات النفس بلا مبالاة بلوم أو بحفاظ على الصحّة مثلاً. المجانة (المُجون): قلّة الحياء في القول والعمل، مزج الجدّ بالهزل.
(١١) في بروكلمن: «التاجر».
(١٢) لعلّها «الرائق».
(١٣) لعلّها «المعرب» (بالعين المهملة).
(١٤) إفريقية = تونس.

١٩٣٧ م؛ (بإشراف محمّد حجّي)، الرباط (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية)، بيروت - أثينا (دار الغرب الإسلاميّ) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.

- نوازل[1] المعيار (مستخرجة من «المعيار»)، فاس (المطبعة الشافعة) ١٣١٥ هـ.
- جامعة المعيار، فاس ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ[2].

★★ تعريف الخلف ١ : ٥٨ - ٥٩؛ فهرس أحمد المنجور (تحقيق محمّد حجّي - الرباط ١٩٧٦ م)، ص ٥٠؛ البستان لابن مريم ٥٣ - ٥٤؛ نيل الابتهاج ٨٧ - ٨٨ (طبعة فاس ٧٤)؛ جذوة الاقتباس ٨١ (الرباط ١٩٧٣ م، ١ : ٥٦ - ٥٧)؛ درّة الحجال ١ : ٤٣، رقم ١٣٠ (تونس ١٩٧٠ م) ١ : ٩١ - ٩٢؛ شجرة النور الزكية ١ : ٢٧٤ - ٢٧٥؛ فهرس الفهارس للكتّاني ٢ : ٤٣٨ - ٤٣٩؛ الاستقصا (الدار البيضاء) ٤ : ١٦٥؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ١١٢١؛ بروكلمن ٢ : ٣٢٠، الملحق ٢ : ٣٤٨؛ سركيس ١٩٢٣ - ١٩٢٤؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٥٥ - ٢٥٦ (١ : ٢٦٩ - ٢٧٠)؛ ولوداد القاضي (الجامعة الأميركية بيروت) دراسة في أربع وأربعين صفحة (على الستانسل) لا أعلم إذا كانت قد طبعت بالحروف.

ابن غازٍ[3] المكناسي

١ - هو شيخُ الجماعة الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ محمد بنِ عليٍّ بن غازٍ العُثمانيّ المِكناسي ثمّ الفاسيّ، وُلِدَ في مِكناسةِ الزيتون، سَنَةَ ٨٤١ (١٤٣٧ - ١٤٣٨ م) وتلقّى العلمَ فيها ثمّ انتقلَ إلى فاسَ (سَنَةَ ٨٥٨ هـ = ١٤٥٤ م) فتابَعَ فيها تلقّي العِلمِ. ومن شُيوخه النيجي والقوري.

وَلِيَ ابنُ غازٍ الخَطابَة في مِكناسةَ ثمّ في فاسَ الجديدة. ثمّ تولّى الإمامةَ والخَطابةَ في جامع القَرَوِيّينَ، وتصدّرَ فيه للتدريس أيضاً. وفي أثناءِ ذلك كلّه كان يُرابط

---

(١) النوازل.......

(٢) في سركيس: جامعة المعاير - المعاير - نوازل المعيار (أرقامها ٢، ٤، ٦).

(٣) غاز اسم فاعل من غزا، فهو اسم منقوص تَرجع إليه الياء إذا حُلّي باللام أو أضيف (الغازي، غازي العدوّ). أما إثبات الياء في أسماء الأعلام المنقوصة، نحو: غازي، سامي، ناجي، ثمّ شوقي، بدري إلخ، فصيغة تركية.

ويُحارب[١]. وكانتْ وفاتُه في فاسَ في تاسعِ جُمادى الأولى من سَنَة ٩١٩ (١٥١٣/٧/١٦ م).

٢ - كان ابنُ غازٍ المِكناسيُّ مُقرئاً بارعاً في مَعرفة قِراءاتِ القُرآنِ الكريم عارفاً بوجوهِها واسعَ العلمِ بالتفسيرِ حافظاً للحديثِ واقفاً على أحوالِ رجالِه (رُواته) وطَبَقاتهم (مَكانتهم وتَراجِمهم) عالماً بالفِقْه مُجيداً للعربية (النحو) حَسَنَ المعرفةِ بالتاريخ والسِّيَرِ (التَّراجم) والمَغازي والأدب والعَروض والحِساب والفرائض (تقسيم الإرث).

وكانَ ابنُ غازٍ مُصنّفاً مُكثِراً له: تفصيلُ الدُرَر (في قراءة القرآن) - إنشاد الشريد في ضَوَالِّ القصيد (في رَسْم القرآن؟) - نَظْمُ قراءة نافعٍ - حاشيةٌ لطيفة (مختصرة) على البُخاري - إرشاد اللبيب إلى مقاصدِ حديث الحبيب (رسول الله) - الفهرسة المباركة (في المُحدِّثين ومصنّفاتهم) - التعلُّل برسمِ الإسناد بعدَ انتقال أهلِ المنزل والنادِ (فهرست شيوخه؟ أتمّها في رَجَب ٨٩٦) - الروضُ الهَتون في أخبارِ مِكناسةِ الزيتون (إلى سَنَةَ ٩١٩) - مُنْية الحُسّاب (منظومة في الحساب) - بُغية (غُنية) الطلّاب في علم الحساب (شرح « منية الحُسّاب ») - ذيل على القصيدة الخزرجيّة (في العَروض) - عَروض القصيد والدُوبَيْت - نظم مراحل الحجاز - شرح نظم مراحل الحجاز - إمداد بحر القصيد ببحر أهل التوليد وأُناس الأقعاد (؟) والتجريد بجنسها من الشريد - المجالس المكناسيّة. ثم له مُصنّفاتٌ في الفِقه، منها: شفاء الغليل في حلّ مُقْفَلِ خليل[١] - منظومة في مُشكلات الرسالة (لابن أبي زيد القيرواني؟) - منظومة في نظائر رسالة القيرواني - المسائل الحِسانَ المرفوعة إلى حَبْرِ فاسَ وتِلِمْسانَ - الجامعُ المستوفي بجداول الحوفي - المَطلب الكُلّيّ في محادثة الإمام القلّيّ - كُلّيّاتِ فِقْهية على مذهب المالكية.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن غازٍ في الشكوى من مكناسةَ:

★★ طلّقـــتُ مِكناسةَ ثلاثـــاً، والشَّرْعُ يأبـى الرجوعَ فيـهِ[٢].

---

(١) المرابطة: السكنى على أطراف البلاد الإسلامية لدفاع الأعداء عنها تطوّعاً وتعبّداً (للجهاد).

(٢) في الشرع الإسلامي يجوز للزوج أن يطلّق امرأته مرّتين ثمّ يستردّها مرتّين أيضاً. فإذا طلّقها مرّة ثالثة فلا يجوز له أن يستردّها، إلّا إذا تزوجها رجلٌ ثم طلقها اختياراً من عند نفسه.

ليستْ بِـــدارٍ سوى لقـــاضٍ أو عامِلِ الجَوْرِ أو سفيهِ[1]!

★★ أقمـــــتُ بمكناسةٍ مُــــدّةً أُعَلِّمُ أبناءَها ما الكلامْ

فلمّـــــا تَوَهَّمَـــــــه بعضُهم عــليَّ بــهِ بَخِلوا، والسلامْ[2]!

– ويُنْسَبُ إليه لُغزٌ في « القَلَم »:

ومَيِّـتٍ قَبْرٍ طُعْمُهُ عنـد رأسهِ، إذا ذاقَ من ذاك الطعامِ تكلّما[3].

يقومُ فيمشي صامتـــــاً مُتكلّماً، ويأوي إلى الرَمْس الذي مِنْهُ قُوِّماً[4].

فـــلا هو حيٌّ يستحـــقُّ زِيـارةً ولا هو مَيْتٌ (مِنْك) يرجو تَرَحُّماً[5].

– وقال ابن غازي (النبوغ المغربي ٨١٨):

عَجِبتُ لِمُبتاعِ الضَّلالة بالهُدى؛ وللمُشْتري دُنياه بالـدين أعْجَبُ.

وأعجـبُ من هَذَيْنِ مَنْ باع دينَه بدُنيـا سِواه، فَهْوَ أخْزى وأخْيب.

٤– الروض الهتون، فاس (طبع حجر) ١٣١٦، ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م).

– بغية الطلاب، فاس (طبع حجر) ١٣١٧، ١٣١٩ هـ.

– كلّيات فقهية، فاس (طبع حجر) بلا تاريخ.

★★ نيل الابتهاج ٣٣٣ – ٣٣٤؛ أزهار الرياض ٣: ٦٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٧٣؛ بروكلمن ٢: ٢١١، الملحق ٢: ٣٣٧ – ٣٣٨، راجع ١: ٥٢٣، السطر الثامن من أسفل؛ النبوغ المغربي ٢٠٨ – ٢٠٩؛ الأدب المغربي ٢١٦ – ٢١٧، ٢٨٨ – ٢٨٩، ٢٩١، ٤٠٢؛ مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٨: ٤٣٩؛ سركيس ١٩٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٣٢ (٥: ٣٣٦)؛ معجم المؤلّفين ٩: ١٦.

---

(١) تصلح داراً لقاض (لكثرة اختلاف الناس فيها فتعلو مكانته وتكثر مغانمه!) عامل الجور (الظلم). العامل (في المشرق): الذي يجبي أموال الدولة. العامل (في المغرب): الوالي، الحاكم. السفيه (في الأصل): المسرف في الإنفاق على ما لاحاجة في العادة إليه. والسفيه أيضاً: الذي لا يتأدّب مع الناس.

(٢) لّما ظنّ نفر منهم أنهم أصبحوا قادرين على صوغ الكلام ترفّعوا عن محادثته.

(٣) ميّت قبر (كان القلم يوضع عادة في علبة مستطيلة تشبه التابوت). الطعم (بالضمّ): الطعام. عند رأسه (يوضع القلم أحياناً، في أثناء الكتابة، على طرف المحبرة. والحبر في المِحبرة طعام للقلم أو شراب!). فإذا أخذ القلم شيئاً من الحبر كتب به، فكأنّه يتكلّم (يعبّر عن المقاصد).

(٤) « قوّم » ليس (بهذا المعنى) في القاموس. يقصد: أقام (أنهض).

(٥) في الأصل « ميت فيرجو ».

محمّد بن العربيّ العقيليّ

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنِ عبدِ اللهِ العربيّ العُقيليُ، لا نَعْرِفُ من أحداثِ حياتهِ إلا أنّه كان، فيما يبدو، كاتباً للإنشاء في غَرناطةَ في أيامِ آخرِ سَلاطينها أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ عليٍّ - في وِلايتهِ الثانية من سَنَةِ ٨٩٢ إلى سَنَة ٨٩٧ للهجرة - وأنّه كَتَبَ رِسالةً على لِسانِ سُلطانِ غَرناطةَ يستنجد فيها بالسُّلطان المَريني في فاسَ، وَهُوَ مُحمّدُ بنُ محمّدٍ المعروفُ بالشيخ الوَطّاسيّ أو البُرتغاليّ (٨٧٥-٩٣١ هـ). وقد كانت وَفاةُ محمّدِ بنِ العربيِّ في القرن العاشرِ، ولعلّها كانتْ سَنَةَ ٩٢٨ للهجرة (١٥٢٢ م).

٢ - محّمدُ بن العربيّ العُقيليُّ هو الفقيهُ والكاتبُ المجيدُ البارعُ البليغ (نفح الطيب ٤ : ٥٢٩)، بَقِيَ لنا من إنشائه رسالةٌ طويلةٌ من نحوِ عشرينَ صفحةً يمتزجُ فيها الشعرُ بالنثرِ، وقد كَتَبَها على لسانِ آخر ملوكِ غَرناطَة إلى سُلطان بني مَرينٍ في فاس محمّدِ بنِ محمّدٍ المعروفِ بالشيخِ الوطاسيِّ. والمفروضُ أنّه قد كتب هذه الرسالة في سَنَة ٨٩٧ للهِجرة، قُبيلَ خُروجِ العرب من الأندلس.

تبدأ هذه الرسالةُ بقصيدةٍ لمحمّدِ بن العربيِّ العُقيليِّ نفسِه يُعارضُ فيها ميميّةَ البوصيريِّ «أَمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ بِذي سَلَمِ ....؟» ونثرُ محمّدِ العُقيليِّ أحسنُ من شِعرِه معانيَ وأمتنُ تركيباً. وهو كثيرُ الاستشهادِ بآياتٍ من القرآن الكريم وبالأمثال. وفي شعره نلمَحُ مُحاكاةً لعددٍ من الشعراء كالنابغةِ وكعبِ بنِ زهيرٍ وأبي تمّامٍ والمُتنّبي وابنِ عبدونٍ وغيرِهم. والسجعُ في نثرِه كثيرٌ، وكذلك الصِّناعةُ المعنويّة والصِّناعة اللفظية.

٣ - مختارات من آثاره

- لأبي عبد اللهِ محمّدِ بنِ عبدِ الله العربيّ العقيليّ موشحةٌ منها:

هـــل يَصِـــحُّ الأمـــانْ من شَبيـــــهِ البـــدْرِ،
وهو مِثـــلُ الزمـــانْ مُنْتَمٍ للغَـــــــدْرِ! (١)

* * *

(١) منتم: منسوب، قريب (للغدر).

لـم يَغُـرَّ الأغـرّ غـير غمرٍ جاهـلْ،
عيشُـه الحلـوُ مُـرّ وهو فيـه ناهـلْ.

والصِّبا الغضُّ مَرّ وهو عنـه ذاهـلْ.

مَرْشَفُ البَهْرمـانْ فوق ثَغْر الـدُّرِ
مُطْمِـعٌ للأمـانْ باقـترابِ الـدَّرّ(١).

– لمّا شدّدَ الإسبان الحصارِ على غرْناطةَ وكانوا كثيراً ما يَقْرعون الطبولَ ويَنْفُخون بالنَفير إرهاباً للمسلمين وإضعافاً لنُفوسهم قال أبو عبد الله العربي العقيلي:

بالطبـلِ في كـلِّ يومٍ وبالنفـيرِ نُراعُ.
وليسَ من بعـدِ هـذا وذاك إلّا القِراع(٢).
يـا ربِّ، جـبرَكَ يرجو من هِيضَ منه الـذِّراع(٣)؛
لا تَسْلُبَنِّيَ صـبراً منـه لقلـبي آدّراعُ(٤)!

– ولأبي عبدِ الله العربيُّ العقيلي قصيدةٌ في اللهو نَخْتار منها هنا عدداً من الأبياتِ التي تستقيمُ على السرد:

والعودُ ذو دَبْدَبَـةٍ يَطَّـبي آثارَهـا للطـارِ دَبْـدابُ(٥).
وفُـضّ لِلّهوِ ختـامٌ، ولم يُسَدَّ في وجـهِ الهوى بـابُ.

---

(١) الأغر: الشخص الأقوى على التغرير بالناس. الغمر: القليل التجربة والعلم. ناهل: شارب. ذاهل: غافل. البهرمان: اللون الأصفر (ولا معنًى لها هنا). الدرّ (بالضمّ): اللؤلؤ (ثغر الدرّ: الفم الذي فيه أسنان كاللؤلؤ، كناية عن الشباب والجمال). الدرّ (بالفتح): اللبن ساعة يحلب. اقتراب الدرّ: بلوغ الأماني.

(٢) القِراع: القتال.

(٣) يا ربّ، إن الذي كسرت ذراعه (أصيب بمصيبة) لا يرجو جبرها (إصلاحها) إلّا منك.

(٤) – لا يدفع عنّي هذا العدوّ إلّا الصبر (فالصبر وحدَه هو درعي في هذه الحرب).

(٥) الدبدبة: كلّ صوت (على نسق معيّن) كوقع الحافر على الأرض الصلبة (القاموس ١ : ٦٥). اَطّبى القوم فلاناً: تقرّبوا إليه ثمّ اغتالوه (قتلوه). والشاعر يقصد: طباه وأطباه (من طبي يطبي) دعا الشيء إليه أو صرفه عن نفسه. الطار: الدفّ (بضمّ الفاء). الدبداب: الطبل. (يصف الشاعر هنا تجاوب الآلات الموسيقية).

وكـــلّ إنسانٍ ومـــا يشتهي، ليسَ عـــلى مُنــاهُ حُجّـــاب
مُسْتَرْسِلًا ليس لـــه عُـــذَّلٌ، كلّا ولا عليـــه رقّـــابُ.

- ولمّا اشتدّ الحصارُ على غَرناطةَ للغاية طَلَبَ سُلطان غَرْناطَة أبو عبدِ الله محمّدُ (٨٨٧- ٨٩٠ ثمّ ٨٩٢- ٨٩٧ هـ) من كاتبهِ أبي عبدِ الله محمّدِ بن العربيّ العقيلي أن يكتُبَ إلى سُلطانِ فاسَ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ عليِّ المعروفِ بالشيخ الوطّاسي (٨٧٦- ٩٣١) من آلِ مَرينٍ رسَالةً يستنجدُ به فيها. فكتَبَ أبو عبدِ اللهِ العقيلي رسالةً طويلةً بدأها بقصيدةٍ طويلةٍ (مائة وثلاثين بيتاً) عارضَ بها قصيدَةَ البُوصيريّ «أمِنْ تَذكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمٍ». ولكنّ هذه القصيدةَ ضعيفةٌ جدًّا. ثمّ تلي الرسالةُ، وفي ثناياها هنا وهنا أبياتٌ من الشّعر لنفر من الشعراء تناسبُ معاني الرسالة. والرسالة في مجموعها مديحٌ لسُلطانِ فاسٍ واستعطافٌ وطَلَبٌ بأن يسمَحَ سُلطانُ فاسَ لسلطانِ غَرناطةَ بأنْ يأتِيَ إلى المغربِ لاجئاً. وفي ما يلي أبياتٌ من القصيدة ومقاطعُ من الرسالة:

مَولَى الملوكِ ملوكِ العُرْبِ والعَجَمِ، رعياً لِما مِثْلُه يُرعى من الذِّمَمِ.
بِكَ اسْتَجَرْنا- ونِعْمَ الجارُ أنتَ لِمَنْ جـار الزمانُ عليه جَوْرَ مُنْتَقِمِ
حتّى غدا مُلْكُه بالرُّغْم مُسْتَلَباً؛ وأفظعُ الخَطْبِ ما يأتي على الرغم-.
حُكْمٌ من الله حَتْمٌ لا مَردَّ له، وهـل مردٌّ لِحُكم منه مُنْحَتِمِ.
وَهْيَ الليالي- وقاكَ اللهُ صَوْلَتَها- تصولُ حتّى على الآسادِ في الأجَمِ [1].
كُنّا ملوكاً لنا في أرضِنا دُوَلٌ نِمْنا بها تحت أفْياءٍ من النِّعمِ
فأيْقَظَتْنا سِهامٌ للردى صُيُبٌ يُرمى بأفْجَعِ حتفٍ مَنْ بِهِنّ رُمي!
فَصِلْ أواصرَ قد كانتْ لنا اشْتَبَكَتْ، فالمُلْكُ بين ملوكِ الأرض كالرَّحِمِ [2].
وابْسُطْ لنا الخُلُقَ المَرْجوَّ باسطُه، واعْطِفْ ولا تَنْحَرِفْ، واعذُرْ ولا تَلُمْ.
ولا تُعاتِبْ على أشياءَ قد قُدِرَتْ وخُطّ مسطورُها في اللوح بالقلم [3]

---

(١) تصول: تهجم، تشتدّ، تتغلّب. الأجمة: المكان المملوء بالشجر. الآساد في الأجم: في أماكنها (وتكون هنالك قويّة).

(٢) الأواصر: الصلات. الرحم: القرابة.

(٣) - قد قضاها الله علينا منذ الأزل (لمّا كتبها عنده في اللوح المحفوظ).

بنو مَرينٍ ليوثٌ في العرينِ أبَوْا رُؤيا قرينٍ لهم في البأس والكرم[١]،
النازلينَ من البيضاءِ وَسْطَ حِمًى أحمى من الأبلق السامي ومن إرَمِ[٢].
تُضيءُ آراؤهم في كلِّ مُعْضِلَةٍ إضاءةَ السُّرْجِ في داجٍ من الظُّلَمِ
يَرَوْنَ حقًّا عليهم حِفظَ جارِهِمُ، فلم يُضَرْ نازلٌ فيهم ولم يُضَمِ[٣].....

.... فيا مولانا الذي أوْلانا من النِّعَم ما أولانا، لا حَطَّ اللهُ تعالى لكم مِنَ العِزِّ رِواقاً ولا أذْوي لدَوْحةِ دولتكم أغصاناً ولا أوراقاً[٤]، ولا زالتْ مُخضرّةَ العُودِ مبتسمةً عن زَهَراتِ البشائر مُتْحَفَةً بثَمَراتِ السُّعود ممطورة بسحائبِ البركاتِ المُتَداركات دونَ برقٍ ولا رُعود. هذا مقامُ العائذِ بمقامِكُمُ المتعلّقِ بأسبابِ زِمامِكُم[٥] المترجّي لعواطفِ قلوبِكُم المُقَبِّل الأرضَ تحتَ أقدامِكُمُ المتلجلجِ اللسانِ عند مُحاولةِ مفاتحةِ كلامِكم. وما الذي يقولُ مَنْ وَجْهُه خَجِلٌ وفؤادُه وَجِلٌ وقَضِيّته المقضيّةُ عن التنصّل تَجِلّ[٦]. بيدَ أني أقولُ لكم ما أقولُه لربّي - وآجترائي عليه أكثرُ واحترامي له أكبرُ - اللهمّ، لا بَرِيءٌ فأعتذرَ، ولا قويٌّ فأنتصرَ، ولكنّي مستقيل مُستنيل مُسْتَعْتِبٌ مستغفر[٧]؛ وما أُبَرِّىءُ نفسي، إنّ النَّفْس لأمّارةٌ بالسوء[٨].....

وما لي والتكلُّفُ لِما لا أحتاجُ إليه من القَوْل.... والمَوْلى يعلَمُ أنّ الدنيا تلعَبُ

---

(١) بنو مرين: سلاطين المغرب. أبَوْا: رفضوا. قرين: مثيل، نظير. البأس: القوّة.

(٢) البيضاء: مدينة فاس (الجديدة) عاصمة المرينيّين. الحمى: ما تجب حمايته. أحمى (صيغة خطأ): أكثر منعة. الأبلق: حصن كان للسموأل. إرم: مدينة قيل كانت قائمة في صحراء اليمن ومبنيّة بالحديد والنحاس.

(٣) لم يضر نازل (لم يصب ساكن عندهم بضرر) ولم يضم (لم يلحقه ضيم: ظلم).

(٤) الرواق: مقدّم البيت. لا حطّ اللهُ لكم في العزّ رواقاً: لا زال بيتكم عالياً عزيزاً شريفاً قويًّا. الدوحة: الشجرة الكبيرة.

(٥) العائذ: اللاجىء. الزمام: الرباط.

(٦) وجل: خائف. تجلّ (فعل مضارع): تعظم، تكبر.

(٧) لا بريء فأعتذرَ: لست بريئاً (من أقوالي السيئة فيك والتي نقلت إليك) حتّى أعتذر منها (أنفيها عن نفسي). ولا أنا قوي فأنتصرَ (أدفعَ عن نفسي بنفسي في وجه خصمي). مستقيل (تائب عمّا قلته) مستنيل (طالب نوالك: عطائك، إحسانك) مستعتب (طالب العتبى: الرضا، رضاك) مستغفر (طالب الصفح عن ذنبي).

(٨) القرآن الكريم ١٢ : ٥٣، سورة يوسف.

باللاعبِ وتجرُّ براحتِها إلى المتاعب. وقديماً للأكياسِ من الناسِ خَدَعَتْ، وانحرفتْ عن وِصالِهم أعْقَلَ ما كانوا وقطَعَتْ(١)....

وأبيها، لقد أرْهَقَتْنا إرهاقاً وجَرّعتنا من صاب الأوصابِ كاساً دِهاقاً(٢)، ولم نَفْزَعْ إلى غيرِ بابِكُمُ المَنيعِ الجنابِ المنفتحِ حين سُدّتِ الأبواب. ولم نَلْبَسْ غيرَ نَعْمائكم حينَ خلَعَنا ما ألْبَسَنا المُلْكُ من الأثواب...

ولقد عَرَضَ علينا صاحبُ قَشتالةَ مواضعَ مُعْتَبَرَةً خَيَّرَ فيها(٣) وأعطى من أمانةِ المؤكّـدِ فيه خطَّه بأيْمانه ما يُقْنِعُ النفوسَ ويَكْفيها(٤). فلم نَرَ - ونحن من سُلالةِ الأحمرِ - مجاورَةَ الصُّفْرِ(٥)، ولا سوّغ لنا الإيمانُ الإقامةَ بَيْنَ ظَهْرانَي الكُفْر..... ووَصَلَتْ أيضاً من الشرق إلينا كُتُبٌ كريمةُ المَقْصِدِ لدينا تستدعي الانحيازَ إلى تلك الجَنَباتِ وتَتَضمّن ما لا مزيدَ عليه من الرَّغَبات. فلن نَخْتَرْ إلّا دارَنا التي كانتْ دارَ آبائِنا من قَبْلِنا، ولم نَرْتَضِ الانضواءَ إلاّ لِمَنْ بحَبْله وَصَلْنا حَبْلَنا... امتثالاً لوَصاةِ أجـدادٍ لأنظارِهم وأقْدارهم أصالةٌ وجَلالةٌ(٦)، إذ قد رَوَيْنا عمّن سلَفَ من أسلافِنا في الإيصاء لمن يخلُفُ بعدَهم من أخْلافِنا ألّا يَبْتَغوا إذا دَهَمَهُمْ داهِمٌ بالحضرةِ المَرينيةِ بدلاً ولا يَجِدوا عن طريقِها في التوجّهِ إلى فريقِها مَعْدِلاً(٧). فاخْتَرَقْنا إلى الرياضِ الأريضةِ

---

(١) براحتها (تورية): بيدها أو بالراحة (ضدّ التعب) التي يجدها الإنسان فيها (في الدنيا) أحياناً. الأكياس جمع كيس (بالكسر: الوعاء الذي توضع فيه الأشياء). والكيّس (بتشديد الياء المكسورة: العاقل والجمع كيسى بفتح الكاف وسكون الياء (القاموس ٢ : ٢٤٨). أعقل ما كانوا (في تمام عقلهم)= رجاحة العقل وطول التفكير لا يمكن أن يتغلّبا على مصائب الدنيا.

(٢) وأبيها: أقسم بأبي الدنيا، أقسم بالدنيا. الرهق: تحميل الإنسان ما يطيق. الصاب: المر (بضمّ الميم). الوصب (بفتح ففتح وجمعها أوصاب): الألم، المرض. دهاق: مملوء.

(٣) صاحب (ملك) قشتالة: الملك فرديناند.

(٤) بخطّه (بخطّ يده): كتابة. الأيمان جمع يمين: القسم.

(٥) من سلاسلة (نسل) الأحمر (جدّ بني الأحمر ملوك غرناطة) مجاورة (جوار) الصفر الإفرنج (بنو الأصفر: الروم، اليونان).

(٦) نرتضي= نرضى. الانضواء: الانضمام، الالتجاء. وصلنا بحبله حبلنا: عقدنا معه صلات وعلاقات بإرادتنا. الوصاة (بفتح الواو): الوصيّة، النصيحة، الأمر. الأنظار جمع نظر: رأي. القدر: المكانة والمقام. أصالة: جودة رأي.

(٧) دهمهم داهمٌ: نزل بهم أمر مفاجىء. الحضرة المرينية= عاصمة بني مرين، أرض بني مرين. الفريق: الحزب، الجماعة (بالإضافة إلى كلّ فريق آخر). المعدل: الميل عن الشيء. - ... يجب أن يتوجّهوا إلى =

الفِجاجَ، وركبنا إلى البحرِ الفُراتِ ظَهْرَ البحر الأُجاج[1]، فلا غَرْوَ أن نَرِدَ منه على ما يُقِرُّ العينَ ويَشْفي النفسَ الشاكيةَ من أَلَمِ البَيْنِ[2]. ومن توصَّلَ هذا التَوصُّلَ وتوسَّلَ هذا التوسُّلَ تطارحاً على سُدَّةِ أميرِ المؤمنين المُحاربِ للمحاربينَ والمُؤمِّنِ للمُسْتأمنين فهو الخليقُ الحقيقُ بأن يُسَوِّغَ أصْفى مشارِبِهِ ويُبَلِّغَ أوفى مآربِهِ على توالي الأيامِ والشُّهور والسنينَ.....

٤-★★ نفح الطيب ٤: ٤٢٩-٥٥٣؛ أزهار الرياض ١: ٧٢-١٠٣؛ الأدب المغربي ٢٩٤-٢٩٥.

إبراهيم الفجيجي

١- هو إبراهيمُ بنُ عبدِ الجبّارِ بنِ أحمدَ الشريفِ الفجيجي (بكسر فكسر- كما ضُبطت في «النبوغ المغربي» ٧٧٥)، نِسبةً إلى فجيج أو فيفق، وهي بلدةٌ في جَنوبيِّ الجزائر.

جاء إبراهيمُ الفجيجيّ إلى فاسَ وأخذ العلمَ عن نفرٍ منهم أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ يحيىٰ الونشريسيّ (ت ٩١٤ هـ) وأبو عبد الله محمّدُ بنُ أحمدَ المِكناسيُّ (ت ٩١٩ هـ) والأستاذُ الصغير (؟) ثمّ انتقل إلى تِلِمْسانَ وأخذ عن نفرٍ آخرينَ منهم أبو عبد اللهِ محمّدُ ٱبنُ يوسفَ السنوسيُّ (٨٣٢-٨٩٥ هـ) وأبو عبد الله محمّدُ بنُ عبدِ الله التنسيّ (ت ٨٩٩ هـ).

وفي أواخرِ القرنِ الهجريّ التاسعِ رَحَلَ الفجيجيُّ إلى المشرق فأخذ العلمَ في مِصْرَ عن جلالِ الدينِ السُّيوطيّ (ت ٩١١ هـ) ثمّ جاء إلى المدينة وفيها الأُشمونيُّ (ت نحو ٩٠٠ هـ) والسَخاويّ (ت ٩٠٢ هـ) فأخذ عنهما.

ثمّ إنّ الفجيجيَّ عادَ إلى بلدهِ فاشتغل بالتعليم من غيرِ أن يترُكَ الاستزادةَ من

= بلاد بني مرين رأساً وألا يبدّلوا اتجاههم (أو رأيهم) في أثناء الطريق.

(١) الرياض (الجنائن) الأريضة (الخصبة المزدهرة) الفجاج (جمع فجّ: الأرض الواسعة القاحلة). الفرات: الحلو. الأجاج: المالح.

(٢) ما يقرّ العين: ما يسرّ. البين: الفراق.

العلم. ولكنّ اضطرابَ الأحوالِ حمَله على أن يرحَلَ إلى السودان (غربيّ إفْرِيقيَةَ) حيثُ بَقِيَ مدّة عاد بعدَها إلى فجيج حيثُ تُوفِّيَ نحوَ سَنَةِ ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م).

٢- ترك لنا إبراهيمُ الفجيجيُّ عدداً من المنظومات أشهرُها منظومةٌ ذكرها بروكلمن بلفظ: «الفارِد في تقيِيد الشارد وترصيد الوالد» (!) أو روضة السُّلْوان (وهي طَرْدِيّة: في وصف الصيد، صيد الصقور للطيور والغِزْلان وغيرها)، وهي قصيدةٌ في مِائتَيْنِ وثَلاثَةَ عَشَرَ بيتاً من البحر الطويل فيها وصفٌ للبادية ولمجالسِ البَدْو وللطبيعةِ الصحراوية وذِكْرٌ لأحكام الصيد من الناحية الفِقْهية (الدينية). غير أنّ على هذه القصيدة شيئاً من الجَفاف لكَثْرةِ الألفاظ الفِقْهية فيها. وللفَجيجيِّ أيضاً منظومةٌ سمّاها «المُفيدة» فيها كلامٌ على الدِّيانات وعددٌ من مسائلِ الفِقْه. وله أيضاً عددٌ من المُقَطَّعاتِ الشعرية.

٣- مختارات من شعره

- من الطرديّة «روضة السُّلْوان»:

يَلومونَني في الصَّيْدِ، والصيدُ جامعٌ ... لِأشياءَ للإنسانِ فيها منافعُ.
فأوّلُها كَسْبُ الحلالِ أتتْ به ... نصوصُ كتابِ الله وهي قواطعُ[١].
وصِحّةُ جسمٍ ثُمّ صِحّةُ ناظرٍ، ... وإحكام إجراءِ السوابق رابع[٢]...
ويَنْفي الهُمومَ المُهْرِماتِ عن الفتى، ... ويقمَعُ وَفْدَ الشيبِ كيلا يسارع[٣].
ويُورِثُ عند الالتحامِ شجاعةً، ... وفيه من السِّرِّ الخَفيّ بدائع:
كتدبيرِ أمرِ الحربِ والفتكِ بالعِدا ... وصيدِ أسودِ الإنسِ، والوحشُ تابع[٤].

---

(١) - في القرآن الكريم (٩ : ٢ ، ٩٩ ، سورة المائدة) ذكر التحليل. للصيد، إلّا إذا كان الإنسان مُحْرِماً في الحجّ، فإذا انتهى من أداء شعائر الحجّ حلّ له الصيد (في خارج الحرمين: نطاق مكة والمدينة).

(٢) أحكام.... المعرفة بإقامة السباق بين الخيل.....

(٣) المهرم: التي تسرع بالإنسان إلى الهرم. ويقمع (يبطل، يؤخّر) مجيء الشيب (يحفظ على الإنسان صحّته وشبابه). يسارع (حقّها النصب).

(٤) صيد أسود الإنس: التغلّب على الشجعان الأقوياء من الأعداء.

بنفسي عفيفاً مُتْرَفاً ذا نزاهةٍ | له في سماء المجدِ والسعْدِ طالع[1]،
على هَيْكلٍ نَهْدٍ وفوقَ شِمالهِ | وَقورٌ من الصُّقور أبيضُ ناصع[2].
أخي، هل ترى الأيّامَ تجمعُ شَمْلَنا | ونحن على جُرْدٍ سِراعٍ نُطالع[3]،
لدى كلِّ رَبْوةٍ وأجراسُ طَيْرِنا | لها زَجَلٌ من فوقِنا وقعاقع[4]؛
فنقضي من السُّلوان بعضَ غرامِنا | ونَجْني جَنى اللذّات والدهرُ خاضع؟
عظيمُ ثلاثٍ: رأسهِ ثمّ فخذِه | ومِنْسَرِه لِجَزْرِ ما هو صادع[5].
عليه سِماتُ الفَتْكِ، إمّا نَظَرْتَهُ | أطَلَّتْ حواجيبٌ وغارتْ مدامع[6].
طموحٌ كثيرُ الالتفاتِ مُسَلَّطٌ | لأُمّ السُّلاح الدهرَ منه فجائع[7].

٤ - ★★ تعريف الخلف ٢: ٣ - ٤؛ النبوغ المغربي ٧٧٥ - ٧٨٤؛ بروكلمن ٢: ١٧٠، الملحق ٢: ١٦٨؛ الأعلام للزركلي (١: ٤٥)؛ الأصالة (مجلّة)، الجزائر (السنة الثانية، العدد ١١) شوّال - ذو القعدة ١٣٩٢ (نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٢)، ص ١٣٩ - ١٤٤.

محمود بن عمر أقيت التنبكتي

١ - هو أبو الثناء وأبو المحاسن محمودُ بنُ عُمَرَ بنِ محمدِ أقيتَ[8] بنِ عمرَ بنِ عليٍّ بنِ

---

(١) في هذا البيت يصف الشاعر صيّاداً. له في سماء......: ذو حظّ سعيد (موفّق).
(٢) هيكل (حصان عظيم الجسم) نهد (عالي الكتفين). وقور: هادىء رصين.
(٣) الجرد (جمع أجرد). حصان قصير الشعر (دلالة على كرم أصله). نطالع: نبحث عن الطرائد.
(٤) زجل: صوت.
(٥) هذا البيت وصف للصقر الأصيل. المنسر: الظفر. جزر: ذبح. صادع (ربّما: صارع).
(٦) سمة: علامة. من محاسن الصقر أن يكون حاجباه بارزين وعيناه غائرتين.
(٧) أمّ السلاح (بضمّ السين) لعلّه يقصد «الحبارى» (وهي كثيرة الذرق: القذر يخرج من مؤخرّة الطيور). وصيد الحبارى بالصقور مرغوب فيه لأنّ طير الحبارى كبير الحجم طيّب اللحم. الدهر = طول الدهر، دائماً. - هو يصطاد عدداً كبيراً من الحباري (والحبارى تضلّل الصيّادين لأنّ لون ريشها كلون التراب).
(٨) على صفحة الغلاف: تاريخ الفتّاش.... للقاضي محمود كعت بن الحاجّ المتوكّل كعت الكرمني التنبكتي الوعكري، ومثل ذلك على الصفحة التاسعة. وفي «نيل الابتهاج» (ص ٣٤٣ - ٣٤٤): محمود بن عمر أقيت....، وليس للكتاب «تاريخ الفتّاش» ذكر. وفي بروكلمن، الملحق ٢: ٧١٦ - ٧١٧): القاضي =

يحيى الكرمنيُّ[1] الصِّنهاجيُّ المسوفيُّ[2]، وُلِدَ سَنَةَ ٨٦٨ للهجرة (١٤٦٣ - ١٤٦٤ م) في تُنْبُكْتَ. ولسنا نعلَمُ شيئاً من حياتِهِ الأولى قبلَ أنْ يَتولّى القضاءَ في بلده، سَنَةَ ٩٠٤ للهجرة (١٤٩٨ - ١٤٩٩ م) فيَتَشَدَّدَ في الأمور ويتوخّى العدلَ في الأحكام فيَقْمَع أهلَ الفساد. ومعَ ذلك، فقد كان، في الوقتِ نفسِه، يقومُ بالتدريس، وكان في الغالب يُقْرِئُ المُدوَّنَةَ[3] والرسالةَ (لابن أبي زيد) ومختصرَ خليلٍ.

وفي سَنَةِ ٩١٥ للهجرة (١٥١٠ م) كانَ في الحجّ[4]، وقد لَقِيَ في مِصر (في أثناءِ طريقه) نَفَراً من العُلماء. ثمّ إنّه عاد إلى بلاده واسْتأنفَ التدريسَ والقضاءَ والإصلاح. وطال عُمُرُهُ كثيراً حتّى أَلْحَقَ الأبناءَ بالآباءِ (علم أُناساً ثمّ علّمَ أبناءهم). وكانتْ وفاتُه في سادِسَ عَشَرَ رَمَضانَ من سَنَةِ ٩٥٥ (١٩/١٠/١٥٤٨ م). وخَلَفَه في القضاءِ أولادُه الثلاثةُ: محمّدُ والعاقبُ وعُمَرُ.

٢ - كان محمودُ بنُ عُمَرَ أقيتَ التُّنْبُكْتيُّ هادئَ الطبع قويَّ الحافظةِ ومن فُقَهاءِ المالكية عالِمَ بلادِ التَّكْرورِ وصالحها ومُدرّسَها وفقيهَها وإمامَها بلا مُدافِعٍ. وهُوَ الذي أدخَلَ مُختصرَ خليلٍ والمدوّنةَ إلى بلاد السودان. وكذلك كان مُصَنِّفاً، له: تَقْييدٌ على مختصرِ خليل. وهُوَ الذي بدأ تأليفَ كِتابِ «الفتّاش» (أو الفتّاس)[5] وعُنوانه على النسخة المطبوعة: «تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس». أمّا على الصفحةِ الحاديةَ عَشْرَةَ فيبدو هذا العُنوانُ أكثرَ تفصيلاً: «تاريخُ الفتّاشِ في أخبارِ

= محمود كعت... الكرمني التنبكتي، وله «تاريخ الفتّاش». ويذكر هوار (تاريخ الأدب العربي، النسخة الانكليزية، ص ٣٩٣) محمود بن عمر هذا ولا يذكر له «تاريخ الفتّاش». غير أن خير الدين الزركلي (الأعلام، الطبعة الثالثة ٨: ٥٦، الطبعة الرابعة ٧: ١٧٩) يذكر محمود بن عمر التنبكتي ويذكر له كتاب تاريخ الفتّاش.

(١) الكرمني نسبة إلى كرمن (بالضمّ أو بالفتح): مقاطعة قريبة من تنبكت.

(٢) صنهاجة (بالكسر) ومسوفة (بالفتح) من قبائل البربر.

(٣) المقصود هنا: المدوّنة الكبرى لعبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون (ت ٢٤٠ هـ) في الفقه المالكي.

(٤) كان محمود بن عمر في الحجّ مع الأسكيا (الملك، الشيخ؟) محمد بن أبي بكر (راجع مطلع «تاريخ الفتّاش» في المختارات من آثاره).

(٥) الفتّاس (مكان «الفتاش») راجع ص ١١ و١٦ (من المقدّمة الفرنسية)، وهذا يوافق السجع: تاريخ الفتّاس..... وأكابر الناس.

البُلدانِ والجيوشِ وأكابرِ الناسِ وذِكْرُ وقائعِ التَّكْرورِ وعظائمِ الأمور وتفريقِ أنسابِ العبيدِ من الأحرار». والمؤلِّفُ قد بَدَأ هذا الكتابَ سَنَةَ ٩٢٥ للهجرة (١٥١٩ م). ثمّ إنّ حفيدَه اَبْنُ المختار أَتَمَّهُ إلى سَنَةَ ١٠٧٦ للهجرة (١٦٦٥ م).- ولعلّ أحدَ أولادِ المؤلّفِ كان قد وَصَلَ بالأحداث إلى سَنَةِ ١٠٠٧ للهجرة (١٥٩٩ م)[١].

وفي كتاب «الفتّاش» يَختلطُ التاريخُ بالقَصَص الشعبيّ وبالخُرافات أيضاً. والمؤلّف نفسُه يقول إنّه كان في هذه الرواياتِ أشياءُ لا يُصَدِّقُها العقلَ (ص ٣٤)، مثلَ صُنْعِ بحر في الصحراء (ص ٣٥)، ومن أن كَنْكَ موسى لمّا خرج إلى الحجّ ما مرّ ببلد (بينَ السودان ومِصْر)، وكان يومُ جُمُعَةٍ، إلاّ بني في ذلك اليومِ مَسْجِداً في يومِهِ[٢] (ص ٣٤). ومثلُ ذلك قِصّةُ خرابِ تُنْبُكْتَ وإعادةِ بنائها (ص ١٥٦).

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة كتاب الفتّاش:

الحمدُ للهِ المُنْفَرِدِ بالمُلك والمَلَكوتِ[٣] والعِزّة والجَبَروتِ والقَهْر والغَلَبوت والرأفةِ والرَّحَموت، المَلِكِ الدَّيّانِ القادرِ المَنّان[٤] الذي خَلَقَ الأرضَ والسماءَ وعلّمَ آدَمَ الأسماءَ[٥] وأخرَجَ من صُلْبه الملوكَ والرُّعاء[٦]، فمِنْهُمْ مُتَكبرون قاسِطونَ ومنهم مُقْتَصدون

(١) تاريخ الفتّاس، ص ١٨٤. راجع أيضاً المقدّمة الفرنسية، ص ١٨.

(٢) يبني المسجد في يوم واحد!

(٣) فعلوت (بفتح ففتح) وفعلوتا (من الصيغ النادرة في اللغة العربية) يأتي عليها ستّ كلمات: جبروت، رحموت، رغبوت، رهبوت، قهروت، ملكوت (راجع تاج العروس- الكويت ١٠: ٣٥٦). والمؤلّف (هنا) استعمل «غلبوت» أيضاً. هذه الصيغ تستعمل في اللغة العربية مصادر. ولكن ما الفائدة من استعمالها مكان المصادر العاديّة: جبر، رحمة، قهر، ملك، الخ؟- في القاموس السرياني (اللباب لجبرائيل القرداحي، ١: ١٥٨): جبروتا (بجيم معقودة، قريبة من القاف، مفتوحة وبعدها باء ساكنة): الرجولة. وترد هذه الصيغة السريانية (بفتح ففتح فسكون وواو مضمونة): المعجزة أو الآية. وأغلب الظنّ أن العرب أخذوا هذه الصيغ لما في لفظها من الفخامة والتأثير الغريب.

(٤) الديّان: الذي يحكم بين الناس (يوم القيامة). المنّان: المانح (المعطي، الواهب) الكريم.

(٥) ﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾ (القرآن الكريم ٢: ٣١، سورة البقرة).

(٤) الرعاء (بالضمّ وآخرها همزة): الرعاة (جمع راع)- راجع القاموس ٤: ٣٣٥.

صالحون[١]. فَٱبْتَلاهُمْ (جميعاً) بظهورِ الأنباءِ والأخبار[٢] فأهْلَكَ من أباهُمْ[٣] وصَيَّرَهم عِبرةً للمُعْتَبِرين ومَوْعِظةً للمُتّقين. ثمّ أوْرَثَ العُلماءَ عِلْمَهُمْ وأخْلَفَ الخُلَفاءَ على أمرهم[٤]...... ونشهَدُ أنْ لا إلَه إلاّ اللهُ شهادةَ مَنْ أفْرَغَ قَلْبَهُ وهَواهُ لأمثالِ أمرِ مَوْلاه[٥]..... ونشهَدُ أنَّ سيّدَنا مُحمّداً عبدُهُ الكريمُ ورسولُه الرحيمُ وصَفِيُّه الحليمُ ونَجيّه الأمينُ ذو الآياتِ الصادقاتِ والمُعْجزات الباهرات والبراهينِ القاطعاتِ، أرْسَلَهُ مُوَطِّداً للإسلامِ ومُسدِّداً للأنام ومُبيِّناً للشرائع والأحكام.

وبعدُ، فلمّا كان ذِكْرُ قِصَصَ الأنباءِ[٦] والسلاطينِ والمُلوك وأكابرِ البُلدان من عادةِ الحُكَماء والعُلَماء والأعيان، اتّخاذاً[٧] بسُنّةِ الرسولِ وتذكيراً لِما غَبَرَ مِنَ الزمانِ وردًّا للغَبِيِّ عنِ الحَيْفِ والهَوانِ[٨] وعَوْناً للتَقِيِّ على مُساعدةِ الإخوانِ. و(قد) مَنَّ اللهُ علينا بأنْ أظهَرَ لنا في زمانِنا هذا الإمامَ الصالحَ والخليفةَ العادلَ والسُّلطانَ الغالبَ والمَنصورَ القائمَ أسكيا الحاجَّ محمّدَ[٩] بنَ أبي بكرٍ التورديَّ أصلاً الكُوكَوِيَّ داراً ومَسْكَناً فأنار لنا الهُدى بعد ظُلَمِ الدُّجَى وأماطَ عنّا الهدى[١٠]؟ بعدَ الجُبْنِ والرَّدى[١١]. فٱنْفَسَحَ[١٢]، بحمدِ اللهِ، البلادَ شَرْقاً وغرباً، وتداعتْ[١٣] له الوُفودُ فَرْداً

---

(١) قاسط: ظالم (تأتي أيضاً بمعنى: عادل). مقتصد: معتدل.

(٢) ابتلاهم: اختبرهم (أي اختبر الناس) بظهور الأنباء (جمع نبيّ - تاج العروس - الكويت ٤: ٤٤٥).

(٣) أباهم: رفضهم (عصى الأنبياء).

(٤) أخلف (استخلف) الأنباء (الأنبياء) على (تنفيذ) أمرهم (ما أمر به الأنبياء).

(٥) هواه (ميله، رغبته): جعل رغبته قاصرة على طاعة أوامر الله. لأمثال (اقرأ: لاَمتثال: تقيّد، طاعة) مولاه (ربّه).

(٦) الأنباء جمع نبيّ.

(٧) اتخاذاً لسنّة الرسول أو انقياداً لسنّة الرسول أو اقتداء بسنّة الرسول.

(٨) غبر: مضى. الحيف: الظلم.

(٩) الأسكيا محمّد الأول: ملك امبرطوريّة سنغي، وكانت تضمّ جميع الحوض الأوسط لنهر النيجر وقسماً من الصحراء الكبرى بما في ذلك المدن: ولاتن وتنبكت وكاو (بكاف معقودة، تلفظ كالقاف).

(١٠) أماط: أبعد، أزال. الهدى (؟) اقرأ: العدى. ويقال «أماط الأذى».

(١١) الردى: الموت، الهلاك (على يد الأعداء). الجبن: الخوف، الإحجام عن العمل (قتال العدوّ).

(١٢) انفسح البلدان (اتّسع ملكه). - لعلّها: ٱفتتح البلدان (؟).

(١٣) تداعت له الوفود (اجتمعت عنده الوفود من الشرق والغرب).

وجَمْعاً. وأذْعَنَتْ له الملوكُ كَرْهاً وطَوْعاً. فَصِرْنا مِنْ بَرَكاتِهِ في خيرٍ ونُعْمى بعدَما كنّا في ضِيقٍ وبُوسى[1]. فبَدّلَ اللهُ ذلك بفَضْلِه، كما قال لأكرم خَلْقِهِ: ﴿إنّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾[2].

أرَدْتُ أن نَجْمَعَ من أحوالهِ الحلوان[3]، مَعَ ذِكْرِ شيءٍ عال الملعون[4](؟) ما سَهُلَ على اليد واللسانِ. وإلى الله سُبْحانَه التُّكلانُ[5]. وسَمَّيْتُهُ «تاريخَ الفتّاش في أخبارِ البُلدان والجيوشِ وأكابرِ الناس وذِكْرِ وقائعِ التَّكرورِ وعظائمِ الأُمور وتَفْرِيقِ أنسابِ العَبيدِ من الأحرار».

اْعْلَمْ، رَحِمَنا اللهُ وإيّاكَ، أنّ الإمامَ العادلَ والسُّلطانَ الفاضلَ أسكيا الحاجَّ محمّداً لمّا تَوَلّى السَّلْطَنَةَ أقامَ[6] طريقةَ سُنْغَيْ وجَعَلَ فيها قواعدَ[7]:.... ولا يقومُ[8] لأحدٍ إلّا للعالِمِ والحُجّاج[9] إذا قَدِموا من مَكَّةَ، ولا يأكُلُ مَعَهُ إلّا العُلماء والشُرفاءُ وأولادُهم وسن[10]، ولو كان صغيراً، رَحِمَه الله. وهذا كُلُّه (كان) في أوّلِ أمرِه لتأليفِ قُلُوبِ قَوْمِه. فلمّا ثَبَتَتْ لهُ السلطنةُ وآستقامتِ المملكةُ خَرَجَ من ذلك كُلِّهِ وجَعَلَ يسأل العُلماءَ العامِلينَ عَنْ سُنّةِ[11] رسولِ الله، صلّى اللهُ عليه وسلّم، ويَمْشي على أقوالِهِ، رَحِمَه الله،

(١) البؤسى: البؤس (المشقّة، الفقر، الشقاء).

(٢) كما قال (الله تعالى) لأكرم خلقه (محمّد رسول الله): ﴿إنّ مع العسر يسراً﴾ (القرآن الكريم ٩٤: ٥، ٦، سورة الانشراح).

(٣) من أحواله: من أحوال الأسكيا الحاجّ محمّد. الحلوان (؟).

(٤) شي عال (في التعليق على النصّ بالفرنسية، ص ١٠): أمير حكم بلاد سنغي من ١٤٦٥ إلى ١٤٩٢ للميلاد (٨٧٠ - ٨٩٨ هـ) وكان الملك الذي سبق آخر ملوك أسرة شي التي جاءت قبل الأسرة التي عرفت باسم الأسكيا (أسرة الحاجّ محمّد).

(٥) إلى (اقرأ: على). التكلان (بالضمّ): الاتّكال، الاعتماد.

(٦) أقام سنغي: عمل بها، على نمط ما كانت تلك الأسرة تعمله.

(٧) سنغي (بضمّ فسكون ففتح فسكون) أو سغي (بضمّ ففتح فسكون) تلك المملكة التي كانت عاصمتها كاو (بكاف معقودة- بين الغين والقاف)، وخصوصاً في الحوض الأوسط للنيجر.

(٨) قواعد- بعد هذه الكلمة عادات شخصيّة للذين يخدمون الملك.

(٩) يقوم: ينهض، يقف للتحيّة.

(١٠) اقرأ: أو للحجّاج.

(١١) سنّ معناها: الرئيس، الأمير (ولعلّها تشير إلى الفرد من أعضاء الأسرة الحاكمة).

(١٢) سنّة رسول الله = طريقته.

حتّى اتّفقَ علماءُ عصرِه على أنّه خليفةٌ[١]. وممّنْ صرّحَ له بذلك عبدُ الرحمن السُّيوطي[٢] والشيخُ محمّدُ بنُ عبدِ الكريم المَغيليُّ[٣] والشيخُ شَمْهروشُ الجِنّيُّ[٤] والشريفُ الحَسَنيُّ مَوْلايَ العبّاسُ أميرُ مكّةَ[٥]، رَحِمَ اللهُ الجميعَ.

– عدد من أسماء أعلامِهِمْ مضبوطاً (الفتاش ٢٥):

....وكان اَسْمُ كبيرِ الرجال المذكورينَ وَعْكُرُيْ بن بَرَاس واَسْمُ زوجتهِ آمنةُ بِنْتُ بختٍ، وَهُوَ جَدُّ قبيلةِ وَعْكُرُيْ بواوٍ مفتوحةٍ وعينٍ ساكنةٍ وكافٍ وراءٍ مضمومة[٦] مُمَالَتَيْنِ فياءٍ ساكنة. واَسْمُ ثاني الرجالِ سُغُيْ بنُ بَرَاس، واَسْم زَوْجته سارةُ بنتُ وَهْب، وهو جَدُّ قبيلةِ سُغُيْ بِسينٍ وغَيْنٍ مَضْمومَتَيْنِ مُمَالتَيْنِ بعدَهما ياءٌ ساكنة. وثالثُ الرِجال اَسْمه وَنْكَرَ، وهُوَ أصْغَرُهُمَ، وليسَ له زوجةٌ، وإنّما كان له أَمَتان[٧] اَسْمُ إحداهُما سكرى واسم الآخر كسرى. فاَتّخذَ وَنْكَرَ سكرى سَرِيّة له.

وكان جَدُّ قبيلةِ وَنْكَرَ بواوٍ مفتوحةٍ ونونٍ مدغمةٍ وكافٍ مفتوحةٍ فراءٍ مفتوحةٍ. وكان لهم عبدٌ يُسمّى بمينك فزوّجوه بأَمَتِهِمْ كسرى، وهو جَدُّ قبيلة مِينكَ بميم مكسورة ممالة فياء مدغمة ونون مدغمة وكافٍ مفتوحة. وإلى آبائهم نُسِبوا.

ثمّ تَفرّقوا في الأرض. وكان كبيرُهم وَعْكُرُيْ سُلطانَهُمْ، وسَمَّوْهُ كيمغ، ومعنى ذلك في كلامهم: طال الإرْثُ، يريدون بذلك «أطالَ اللهُ ورثـتنا المُلْكَ».

٤- تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس (تحرير هوداس وديلافوس)، باريس (مطبعة مدرسة اللغات الشرقية، القسم الخامس، المجلّد ١٩، العدد الأول) ١٩١٣؛

---

(١) خليفة = مستحق لقب خليفة.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المصري (ت ٩١١ هـ) من العلماء الذين برعوا في فنون كثيرة من المعرفة الإنسانية.

(٣) المغيلي (ت ٩٠٩ هـ) هذا عالم مغربي عاش جانباً كبيراً من حياته في السودان الغربي.

(٤) شمهروش (يبدو أنه شخص خيالي) الجنّي (نسبة إلى الجنّ، خلاف الإنس- بكسر الهمزة).

(٥) أمير مكّة: (لم يذكر زامباوّر (ص ٣٢ - ٣٣) أحداً من أشراف مكّة في القرنين التاسع والعاشر والحادي عشر للهجرة (الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر للميلاد) باسم العبّاس.

(٦) اقرأ: مضمومتين (أي الكاف والراء).

(٧) الأمة (بفتح ففتح): الجارية المملوكة.

طبعة بالتصوير: المدرسة الباريزيّة لتدريس الألسنة الشرقية، باريس (مكتبة أميركة والشرق: أدريان ميزوننوف) ١٩٦٤ م.

★★ نيل الابتهاج ٣٤٣ - ٣٤٤؛ بروكلمن، الملحق ٢ : ٧١٦ - ٧١٧؛ هوار (النسخة الانكليزية ٣٨٦)؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٥٦(٧ : ١٧٩)؛ سركيس ٤٦٤؛ شجرة النور الزكية ٢٧٨ (رقم ١٠٤٣).

ثالث صفر ١٤٠٣ = ١٩/ ١١/ ١٩٨٢ م.

فهرس أعلام الأشخاص

(★) إنّ الرقم المحصور بين هلالين كبيرين يدلّ على مرتبة صاحبه في سلسلة ملوك بني الأحمر في غرناطة.

حرف الباء:

حرفا التاء والثاء:

حرف الجيم:

حرف الحاء:

حرف الخاء :

حرفا الدال والذال:

حرف الراء:

حرف الزاي:

حرف السين:

حرف الشين:

حرفا الصاد والضاد:

حرفا الطاء والظاء:

حرف العين:

حرف الغين:

حرف الفاء:

حرف القاف:

حرف الكاف:

حرف اللام:

حرف الميم:

(★) لمحمد رسول الله أسماء كثيرة منها: سيد العالمين - الشفيع - الماحي وغيرها، تجد الإشارة إليها كلها تحت « محمد رسول، الله ».

حرف النون:

حرف الهاء:

مَطْبَعَةُ العُلُومِ
حَارة حريك . لبنان